العـــدد ٨٥ - ربيع الأول ١٤٠٣هـ - ينـايـر ١٩٨٣م

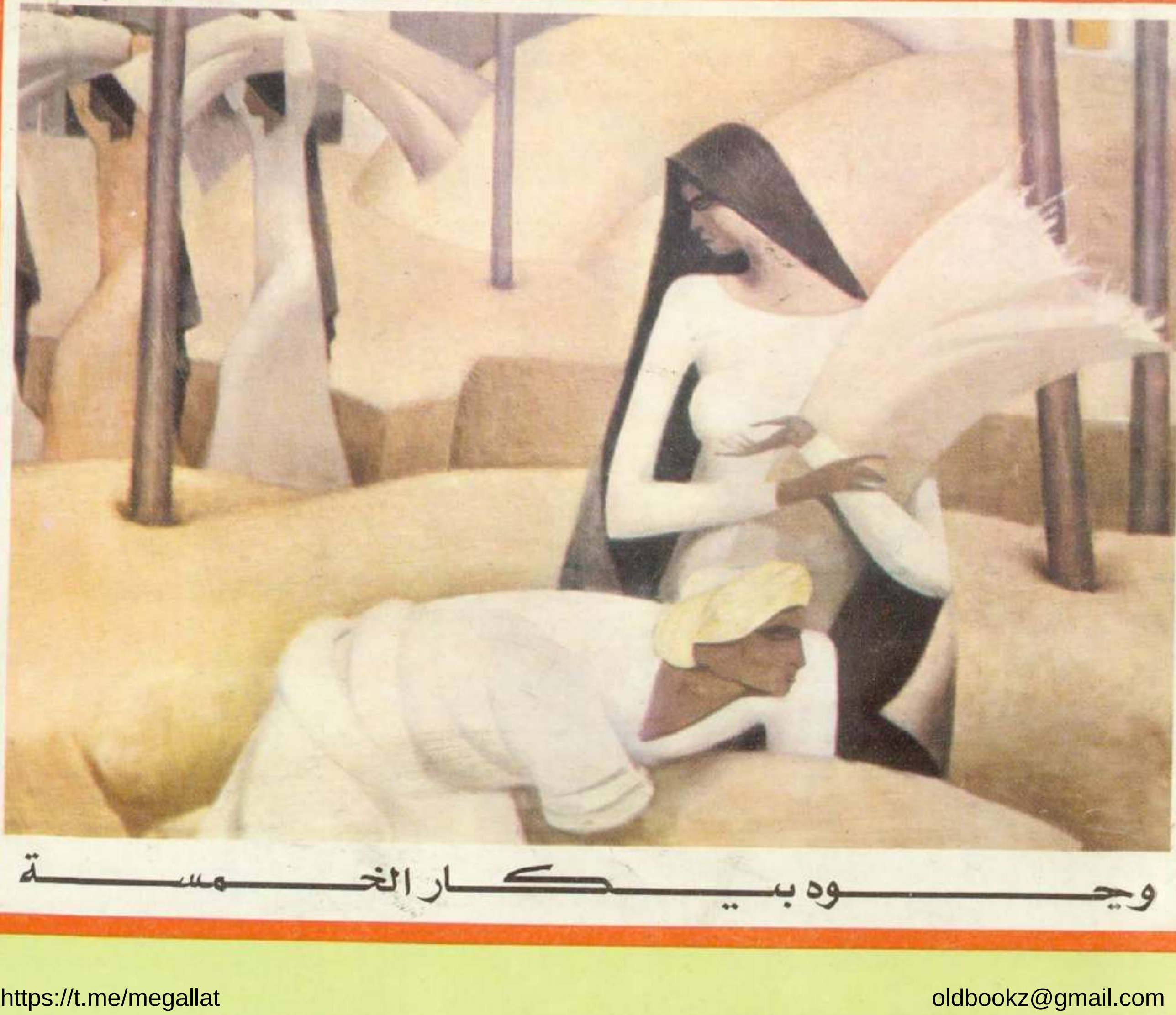
الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

مفتـــاح شخصيـــة الرســول
بقلم : خالد محمد خالد

١٨ عالمـًا عربيًّا على سطح القمر

شاعر أسباني يتغنى بأصله العربي



وجـــوه بيكـــار الخمســـة


بيبسي

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العـدد ٨٥ - ربيع الأول ١٤٠٣هـ - ينـاير ١٩٨٣م

المراسلات :

التحرير والادارة :
ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تليكس :
4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
مدير التحرير : ٤٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٣٢٧٥٣٨
القسم التجاري : ٣٢٧٥٣٩
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

الاشتراكات :

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون الخليجي ٥٤ ريالا قطريا
باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها
في باقي دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريال قطري
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
في باقي دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشأنها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر	٤ ريالات
البحرين	٢٥٠ فلسا
الامارات العربية	٤ دراهم
عمان	٢٠٠ بيسة
الكويت	٢٥٠ فلسا
السعودية	٤ ريالات
الجمهورية اليمنية	٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية	٢٥٠ فلسا
العراق	٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية	٢٠٠ فلس
سوريا	٢٠٠ قرش
لبنان	٢٠٠ قرش
مصر	١٥٠ مليما
ليبيا	٣٠٠ درهم
السودان	٢٠٠ مليم
تونس	٣٠٠ مليم
الجزائر	٣ دنانير
المغرب	٣ دراهم
باقي دول العالم :	ما يعادل دولارين امريكيين

مكاتب توزيع الدوحة

● السودان :
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب : ٣٥٨ - الخرطوم

● مصر :
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء - القاهرة .

● المغرب :
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ملتقى زنقة دينان وزنقة سان سانس .
ص . ب : ٦٨٣ - الدار البيضاء

MOROCCO
SOCHEPRESS
P.O. BOX NO. 6 66 66 683
CASABLANCA

● سوريا :
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكه - تجاه ثانوية فايز منصور
ص . ب : ٤٩٠٢ - دمشق .

● العراق :
الدار الوطنية للنشر والتوزيع للاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة

● تونس :
الشركة التونسية للصحافة .
٣ نهج المغرب
ص . ب : ٤٤٠ - تونس

TUNIS
SOTUPRESSE
3 RUE DU MOROC
B.P.N. 440 - TUNIS

● السعودية :
مؤسسة الجريس للتوزيع والاعلان
ص . ب : ١٤٠٥ - الرياض
مكتبة جدة :
ص . ب : ٩٥٠ - جدة
مكتبة ومطبعة خباء
المدينة المنورة

● الكويت :
دار الكويت للصحافة .
ص . ب : ٢٣٩١٥ صفاة
الكويت

● لبنان :
الشركة العربية للتوزيع .
ص . ب : ٤٢٢٨ - بيروت

● الجزائر :
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر

ALGER
S.N.E.D
20 RUE DU LIBARTE
ALGER

● ليبيا :
المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب : ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازى : ص . ب : ٣٢١ - بنغازى

● الاردن :
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب : ٣٧٥ - عمان

● البحرين :
دار الغد :
١ شارع المعارف - بناية الدرازى
ص . ب : ٥٠٥ - المنامة

● سلطنة عمان :
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر :
ص . ب : ١٠١١ - مطرح
مسقط

● الجمهورية العربية اليمنية :
مؤسسة سبا العامة للصحافة والانباء .
ص . ب : ١٤٣٠ - صنعاء
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص.ب. ٧٣٩٧ صنعاء

● جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :
مؤسسة ١٤ اكتوبر للطباعة والنشر .
ص . ب : ٤٢٢٧ - المحافظة الأولى
عدن .

● الامارات العربية المتحدة :
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام - عمارة ثاني بن محمد
ص . ب : ٧٩١ - ابوظبي .

● جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير

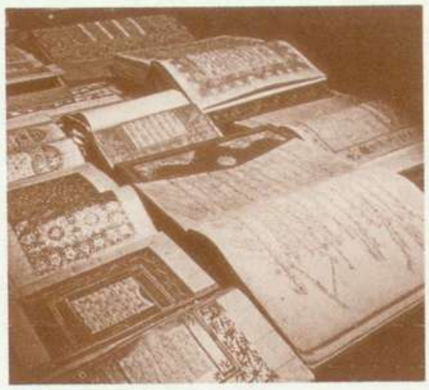
● الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر عن رأي وزارة الإعلام

● المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

طبع من هذا العدد ١٠٠,٠٠٠ نسخة .

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

في هـــــذا العـــــــدد



المصحف الشريف ص ٥٢



متحف قطر الوطنى سنة ٢٠٠٠ ص ٦٨



١٨ عالماً عربياً فوق وسطح القمر ص ٨٤

● دراسات ومقالات ●

● الحقيقة ليست « حرملك » ....

عبد الله الجفري ١٦

● اسحاق نافون : رئيس وزراء محتمل لتاخير الانفجار الطائفي فى اسرائيل ....

عصام شريح ٢٦

● علاقات بلاد الشام بمصر في العصر العثماني ....

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ٣٠

● على يوسف : عمامة عظيمة على راس فلاح ....

فتحي رضوان ٣٦

● هولندا : بلاد الماس والزهور والصراع بين البحر والارادة

استطلاع : نادية رزق ٧٢

● التعرية الطبيعية ....

د. عبد المحسن صالح ٧٨

● إنهم يغتالون الانسان ....

معروف رفيق ٨٣

● ١٨ عالماً عربياً فوق سطح القمر ....

حوار : ليلى الحريري ٨٤

● حدائق الأطفال ....

د. عز الدين فراج ٩٨

● يناير كان ثلاثين يوماً ....

عادل شريف ١٠٦

● موسوليني والحركة الفاشية ....

محمد العزب موسى ١١٦

● وثيقة تاريخية بالغة الاهمية : اول لجنة امريكية في فلسطين ....

د. عاصم الدسوقي ١٣٢

● أيها الوطن : ماتزال عذباً كالحزن ....

بشرى ناصر ١٧٨

● اسلاميات ●

● مفتاح شخصية الرسول ....

خالد محمد خالد ٦

● تحرير المراة ماذا يعني في الاسلام ؟ ....

د. محمد عمارة ٩

● يهوذا بني هاشم ....

حسين احمد امين ٢٢

● دائرة المعارف القرانية : « الغنيمة » ....

د. محمد البهي ٥١

● المصحف الشريف ....

د. حسن عيسى عبد الظاهر ٥٢

● شئون الخليج ●

● أسطورة التاريخ البترولي : الأرمني الداهية ....

احمد العناني ١٨

● متحف قطر سنة ٢٠٠٠ ....

درويش مصطفى الفار ٦٨

● حول اجتماعات لجنة التربية والثقافة الموسيقية فى الدوحة ....

مريم آل سعد ١٤٨

● أدب وفنون ●

● جناحان للعمل الأدبي العظيم لايحلق بدونهما ....

د. محمد جابر الأنصاري ١٢

● شهيد ـ سميرة ....

شعر : د. كمال نشأت ٢١

● أخطاء لغوية معاصرة ....

د. عبد الله العبادي ٣٥

● نهر بلا عودة ... (قصيدة) ....
شعر : محيي الدين فارس ٤١
● جاربو : في عينيها قـرأ المحبون أحلامهم ....
جمال الكناني ٤٢
● صفحة مجهولة في أدبنا المعاصر : أحمد شوقي كاتبـاً روائيـاً ....
محمود علي ٤٨
● الحصـــان ... (قصة) ....
عباس خضـر ٥٨
● مع الأقنعة الزنجية الأفريقية : رحلة في الفن والتاريخ ...
بلند الحيدري ٦٠
● الرقـص .. فوق بحار الدم ... (قصة) ....
د. طـه وادي ٩٠
● مسرحية إيفيتا الغنائية وخمس سنوات على مسرح لندن...
مجدي نصيف ٩٢
● وجـوه بيـكار الخمسة ....
صبحي الشـاروني ١٠٠
● ميتافيزيقـا البنفســج ... (قصيــدة) ....
شعر : حسـن طلـب ١١٠
● درب الطحان ... (قصة) ....
وليد عيـاد ١١٤
● مذكرات دنـــانير ....
كمال النجمي ١٢٦
● أدبيـات عالميـات : سلمى لاجرلوف ....
سماء زكي المحاسني ١٢٩
● الشمس في يوم غائم ... (عرض نقدي) ....
محمد عبد الملك ١٤٠
● شاعر اسباني يتغنى بأصله العربي ....
عبد اللطيف عبد الحليم ١٤٤
● في مهرجان شـوقي وحـافظ ... (قصيدة) ....
شعر : فتحي سعيد ١٤٧
● حوار مع جابرييـل جرسيـا ماركيز ....
ترجمه عن الأسبانية : ماهر البطوطي ١٥٢
● هل تعود الأفلام السياسية لتحرك الركود ؟ ....
رءوف توفيق ١٦٤

● أبواب ●

● حتى لا ننسى : المسجـد الأقصى ....
يوسف الخطيب ٦٦
● قطات من الكون المثير ١٠٨
● من روائع الفن العالمي : الفنان العاشق للتاريخ ....
جمال قطب ١١٢
● ثقف : هل تعلم ؟ ....
عبد العزيز السيد المصري ١١٥
● أوراق خضراء ١٥٧
● العلم هـو المستقبـل ....
لبنى الريدي ١٦٢
● ضحكات الشهر : الاسكيمو وابتسامات أخرى ....
صلاح الليثي ١٧٠
● دوحـة القـراء ١٧٢
● استراحة الدوحة ....
رؤوف ١٧٦

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

في ذكـــــرى مـــولد النبي العـــــربي

مفتـــــاح شخصية الرســـول

بقلم : خـــالد محـــمد خــــالد

ها هو ذا الرسول الذى جاء الحياة ، فاعطى ولم ياخذ ..

ها هو ذا من قدّس الوجود ، ورعى قضية الانسان ..

ها هو ذا من زكى سيادة العقل ، ونَهْنَه غريزة القطيع ..

ها هو ذا من هياه تفوقه ليكون سيداً « فوق » الجميع . فعاش واحداً « بين » الجميع ..

ها هو ذا من أعطى القدوة ، وضرب المثل ، وعبّد الطريق ..

ها هو ذا الرسول ، والمعلم،والاب ، والاخ ، والصديق ..

ما مفتاح شخصيته التى جلّت عن النظير .. ؟!

إنى أراه يتمثل فى ثلاث آيات من القران الكريم .

الآية الاولى : « وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم » .

والآية الثانية : « وما ارسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً للعَالَمين » .

والآية الثالثة : « لسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِر »

هذه الآيات الثلاث تفتح الباب رحباً واسعاً على شخصية رسول الله عليه افضل الصلاة وابهى السلام .

الآية الاولى : تحكى راى الله فيـــه ، وتزكيته إياه .. وحسبنا ان نرى بشراً ينعته الآله الكبير المتعال بانه على خلق عظيم !!

أي شرف يطمح إليه طامح اسمى من هــــذا الشرف الرفيع ـ أن يقول الله له : وإنك لعلى خلق عظيم .. ؟!

إن الخلق العظيم والكريم الذي توج الله به رسوله الأمين هو اثمن ما كان يمتلك « محمد بن عبد الله » كانسان ، وكرسول . خلقه العظيم والكريم جذب إليه الأعداء

فصاروا اتباعاً مخلصين .. وخُلقه العظيم هذا ، جعله فى اسمى درجات القدوة . وكان لابد لهذا أن يكون .

ولقد أدرك عظمته الأصيلة منذ طفولته ، فعاف كل صغار . بل عاف حتى ما يحق لطفل مثله ان يستمتع به من مباهج الحياة .

بحث عنه ذات يوم اترابه ولداته الأطفال ، فوجدوه هناك جالساً فى ظلال النخيل وحده مع تاملاته الباكرة ، ثم دعوه إلى صحبتهم إلى سامر فيه طبل وزمر ولهو .. فابتسم ابتسامته الورعة الحانية وقال : انا لم اخلق لهذا .. !!!

من الذى علم الطفل الصغير انه لم يخلق لهذا ؟ إنها العظمة الكامنة داخل نفسه ، والتى ستنداح رويداً ، رويداً حتى تملأ الحياة جمالا ، والانفس روعة .

الخُلق العظيم كان شيمته ، وكان دعوته .

ها هو ذا فى رجولته ، فى انسانيته ، فى تواضعه ، فى شجاعته ، فى جوده ، فى حلمه ، فى إيثاره ، فى تضحياته ، فى زهده وترفعه .. فى كل هذا ، وفى اكثر من هذا نراه العظيم أصدق ما تكون العظمة .. والفاضل أكثر ما يكون الفضل والخلق القويم .

لم يمد رجله وسط أصحابه قط احتراماً لهم .. لم يطلب على رسالته وتضحيته اجراً ولا شكوراً .. كان حانيا أرق ما يكون الحنو . عطوفاً إلى أبعد حدود العطف .

يقول : « أدبنى ربى ، فاحسن تاديبى » .. وماذا ننتظر من إنسان اصطفاه الله لنفسه ، واصطنعه على عينه ، وتولى تربيته وتاديبه .. ؟! وإذ قد كان قدوة ، فقد حرص على أن ينقل الناس إلى معالم هذه القدوة ، وسماتها فقال لهم : « إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ الأخْلاق » ..

وانظروا قوله « لأُتَمِّمَ » ففيها تحية وعرفان للذين سبقوه من المرسلين والمصلحين الذى بثوا من قبله تعاليمهم الأخلاقية الرفيعة وهياوا للناس طريقها المستقيم .

يقف أمامه ـ صاغرين ـ جميع الذين شنوا عليه الحرب والبغضاء ومثلوا بجثمان عمه الشهيد « حمزة » رضى الله عنه ومضغوا كبده فى وحشية ضارية ، فيستعرض وجوههم الذليلة ، وجباههم المنكرة الكابية ، ورايات الفتح تخفق فوق راسه ومصاير أعدائه جميعاً تقررها كلمة تنفرج عنها شفتاه ، وإذا هو يقـــول : « اذهبوا فانتم الطلقاء » !!!

فلا محاكم لمجرمى الحرب ، ولا حتى عتاب المنتصر للمهزوم أو التشفى فيه بل : اذهبوا ، فانتم الطلقاء .. !!

يحلب شاته ، ويخيط ثوبه ، ويخصف نعله ، ويقف بين أصحابه خطيباً فى اخريات حياته ويقول وقد كشف الثوب عن ظهره « من كنت جلدت له ظهراً ، فهذا ظهري ، فَلْيَقْتَدْ منه » حقا ، لقد ادبه ربه فاحسن تاديبه، وصاغ منه الانسان ابهى وأسمى ما يكون الانسان !! .

• • •

وإنه لشغوف بدعوة الأمة إلى مكارم الأخلاق .. ها هو ذا يقول : « إن المؤمن ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم » .. ويقول : « إن العبد ليبلغ بحسن خلقه أفضل درجات الآخرة ، وشرف المنازل » ..

ويعلم أمته أن المسلم للمســلم اخ ـ لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره ..

واسمعوه ، وهو ينشىء التعايش الودود بين المرء وجاره فيقول :

« إذا استعان بك أعنته .. وإذا استقرضك أقرضته .. وإذا افتقر عدت عليه .. وإذا مرض عدته .. وإذا أصابه خير هنأته .. وإذا أصابته مصيبة عزيته .. وإذا مات اتبعت جنازته .. ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا باذنه .. ولا تؤذه بقتار ريح قِدْرِك إلا أن تغرف له منها .. وإن اشتريت فاكهة فاهد إليه ، فان لم تفعل فادخلها سراً ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده » .

اية إنسانية شحنت بها هذه التعاليم ، وأى قلب كبير وخُلق عظيم وهب اللـه رسوله ؟!

وحين يقال له : إن فلانة تكثر من صلاتها وصدقتها ، وصيامها ، غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها يقول : هى فى النار ..

ويدعو المسلم إلى أن يتحكم فى غضبه

وحين يساله احد اصحابه عن عمل يدخله الجنة يقول : لا تغضب ، ولك الجنة ..

ويقول : « ليس الشديد بالصرعة ـ الذى يصرع الناس بقوته ـ إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » .

ويقول لنا جميعا : « الا اخبركم بمن تحرم عليه النار ؟ تحرم على كل هين ، لين سهل » .

ويقول : « شركم سريع الغضب بطيء الفيء ، وخيركم بطيء الغضب سريع الفيء » .

وينهى عن السباب والشتم ويقــول : « المستبان شـــيطانان ، يتهاتران ويتكاذبان » ..

يطارد القسوة ، ويرفض القطيعة ، ويطارد الغرور والصلَف ، وينهى عن سوء الخلق المتمثل فى الغيبة والنميمة والأشاعة ..

ويقول : « شرار عباد الله المشّاءون بالنميمة ، المفرقون بين الاحبة ، الملتمسون للبرآء العيب » ..

ويسأل أصحابه يوماً اتدرون ما الغيبة ؟ الغيبة ذكرك اخاك بما يكره ، فساله سائل : أرأيت ان كان فيه ما اقول ؟ فأجابـــه الرسول : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته .. وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بَهَتَّه » !!

وما أروعه وهو يقول : « من رد عن عرض اخيه ، رد الله عن وجهه النـــار يوم القيامة » ..

والخُلق القويم عنده ليس استكانة ولا ضعفاً ، بل هو القوة العادلة .

مفتاح

شخصية الرسول

يقول : « المؤمن القوى خير واحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كلٍّ خير » .
ومن أخلاق الرجولة عنده مقاومة الظلم والوقوف فى وجه كل جبار متسلط .

ها هو ذا يقول : « إذا رأيتم الظالم ولم تأخذوا على يديه يوشك أن يعمكم الله بعذاب » .
ويقول : « إذا عجزت أمتى عن أن تقول للظالم : يا ظالم ، فقد تُوُدِّعَ منها » !!

• • •

وبكلمات موجزة ، فقد كان عليه السلام كما وصفه ربه « على خلُق عظيم » وكان كما تحدث عن نفسه ودوره فى الحياة مبعوثا لِيُتَمِّمَ مكارم الأخلاق .. ومع أن الله تَوَّجَهُ وَعَظَّمَه ، فقد كان يرجو من ربه المزيد ، ويقول : « اللهم آت نفسى تقواها . زكِّها أنت خير من زكَّاها . أنت وليُّها ومولاها » .
ويضرع إليه سبحانه فيقول : « اللهم كما حسنت خَلْقى ، فحسِّن خُلُقى » . « اللهم اهدنى لأحسن الأعمال واحسن الأخلاق . لا يهدي لأحسنها إلا انت .. وقنى سيىء الأعمال وسيىء الأخـلاق ، لا يقي سيئهـا إلا انت » .

• • •

والآية الثانية في مفتاح شخصيته قول الله سبحانه : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .
وهنا نرى الرحمة كيف تكون ؟ وكيف تصدر عن مستوى من الانسانية يجل عن النظير ..
ولقد تحدث بنعمة الله عليه فقال : « إنما انا رحمة مُهْداة » .
ولقد كان ذلك حقاً . فهو رحمة مُهْداة للناس جميعاً ـ أحمرهم ، وأسودهم ، برهم ، وفاجرهم ..
حتى في الحروب يرسل وَصَاتَه العظيمة : «اجتنبوا الوجوه ، لا تضربوها » ـ « لا تقتلوا امرأة ولا وليداً ، ولا شيخاً ، ولا تحرقوا نخلا ولا زرعاً » ..
إنه رحيم حتى بالعُصاة والخطائين . بل هو اكثر رحمة لهم .. وما نهاهم عن الخطيئة والإثم ، ولا خَوَّفَهم بعقاب الله عليهما إلا رحمة بالآثمين وشفقة عليهم .
وإنه ليرتجف حين يبصر دابة تحمل فوق طاقتها ويقول : « الراحمون يرحمهم الرحمن . ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » .
وإن الرحمة لتنتشر لديه حتى يغطى دفئها كل مغرور ، وحتى تشمل الأحياء جميعاً من إنسان وحيوان ، بل وحشَرات .
وفي المواطن التى تعظم الحاجة إليها يركِّز إلْحاحه عليها ـ فهو مثلا إذا حث على الرحمة بالطفل يركز بصورة اشد على الطفل اليتيم او اللقيط .
وإذا حث على الرحمة بالحيوان وهو يعمل ، ركز بصورة أوفَى على الرحمة به وهو يذبح !!
ويقول : « إذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة ، وليحد احدكم شفرته ، وليرح ذبيحته .. واخفوا السكين حتى لا تراها » !!!
وإنه ليحصى الكثير من صور الرحمة ثم يقول : « ما من عبد يصيب خصلة من هذه الخصال إلا أَخَذَتْ بيده حتى تُدخله الجنة » ..
ومن رحمته الوارفة يوصي القويَّ بالضعيف ، والغنيَّ بالفقير ، والدائنَ بالمدين .
لنسمعه يقول : « من يَسَّرَ على مُعْسِر فى الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه ، ومن انظر معسراً أو وضع عنه ـ اي تنازل عن دينه او عن بعضه ـ أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله » .
ويرى اماً تضم رضيعها فى حنان بالغ ، فيسال اصحابه : اترون هذه طارحة ولدها في النار ؟ قالوا : لا والله يارسول الله ، فيقول : والذي نفسي بيده لله أرحم بعبده المؤمن من هذه بولدها ..

• • •

والآية الثالثة لمفتاح شخصيته هي قوله تعالى : « لستَ عليهم بِمُسَيْطِر » ، وقبل هذه الآية مباشرة يقول الله له : « فذَكِّرْ ، إنما انت مذكر » اي انه نذير وبشير ليس اقل ولا اكثر .
وهذا من تمام خلقه العظيم وخصاله المتالقة
إنه يكره التمايز في كل صوره حتى انه ليرفض أن يقوم له أصحابه حين يقدم عليهم وهم جلوس ، ويقول لهم : « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم ، يُعَظِّمُ بعضُهم بعضاً » .
وهو يستشيرهم في كل أمر يتعلق بالدولة وبالمجتمع ، حتى فى الحروب ، ويلتزم بمشورتهم ، ويقول دوماً لأصحابه : « إني اكره أن اتميز عليكم » .
وكيف يكون مسيطراً هذا الذي يبلغ من بساطته وتواضعه أن يجذبه أعرابي من ثوبه ويقول له : أعدل يا محمد ، فليس المال مالك ولا مال ابيك ، فما يزيد على أن يقول له : ويلك ، فمن يعدل إن لم أعدل !! ويهم « عمر » بضرب الأعرابي فيمنعه الرسول قائلا : دعه يا عمر .. إن لصاحب الحق مقالا .
إنه عليه السلام ليكره السيطرة والهيمنة ، ولاسيما حين تجيء من ذى سلطان جائر .
من أجل ذلك قال يعلمنا : «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر». وقال : «سيكون بعدى من يظلمون ويكذبون . فمن صدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم ، فليس منى ولا انا منه .. ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يمالئهم على ظلمهم فهو منى وانا منه» .
هو عدو السيطرة اياً ما يكون مصدرها : «إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخَرَ احد على احد ، ولا يبغى احدٌ على أحد» ... «ألا اخبركم بشر عباد الله ؟ الفظ المستكبر» !!
وإنه ليدمدم على المزهوين بقوتهم ، المختالين بسلطانهم فيقول : «بئس العبد عبد تخيّل واختال ، ونسي الكبير المتعال .. بئس العبد عبد تجبَّر واعتدى ، ونسي الجبار الأعلى .. بئس العبد عبد طغى وبغى ، ونسي المبدا والمنتهى.»

• • •

هذه كلمات عن شخصيته ..
شخصية رسول اصطفاه الله لنفسه ، ثم جعله هديته الى البشرية ورحمته للعالمين .
شخصية رسول جاء الحياة فاعطى ولم ياخذ ومنح عمره وجهاده لرسالته .. ويوم مات لم تكن الدنيا كما كانت يوم جاءها . فقد نقلها من الظلمات الى النور ، ومن الضلال الى الهدى ، وترك فيها نوره وشَذاه .

خالد محمد خالد



تحرير المرأة

وماذا يعني في الإسلام ؟

بقلم : دكتور محمد عمارة

فى الحديث عن حقوق المرأة وتحريرها دعوات كثيرة تدعو الى اعادة النظر فى التجربة التى دخلتها بلادنا فى هذا المضمار ...

فليس من شك فى أن المرأة قد ذهبت على هذا الدرب الى أبعد مما طمح اليه الرواد الذين ارتادوا الدعوة الى تحريرها منذ نحو قرن من الزمان ... فالحجاب الشرعى ، الذى دعا اليه قاسم أمين فى كتابه (تحرير المرأة) والذى يحررها من ملازمة المنزل ، ويحكم زيها باطار الاسلام ، فلا تكشف إلا الوجه والكفين .. هذا الحجاب قد تجاوزته المرأة المسلمة عندما ذهبت فى تقليد المرأة الغربية الى الحد الذى لم تميز فيه بين « الحرية » وبين « التحلل » من الالتزام بالمواريث والعادات والتقاليد التى لا خلاف على نفعها وعائدها الايجابى فى بناء المجتمع وتأسيسه على الطهر والعفاف ! ..

وعمل المرأة الذى دعا اليه رواد تحريرها ، ليصون عفتها ، ولتسهم به فى تنمية المجتمع مع الرجل ، ولتملأ به حياتها كى لا يقتل الفراغ آدميتها .. هذا العمل قد جار فى أحيان كثيرة على تماسك الأسرة وتربية الأجيال الجديدة ، وتحول فى كثير من الأحيان الى تزجية فراغ خارج المنزل ، فى دواوين ومكاتب لا عمل فيها ، الأمر الذى أفقد المنزل ربانه والأسرة راعيتها ، دونما عائد فى العمل الاجتماعى أو مردود فى تنمية المجتمعات اقتصادياً ! ..

تحرير المرأة
وماذا يعني في الإسلام؟

ولقد أثارت هذه السلبيات ردود فعل حادة معادية لدعوة تحرير المراة من الأساس .. فظهرت دعوات المبالغة والمغالاة فى الحجاب ، وبرزت المطالبة باعادة المراة الى المنزل لرعاية شئونه والتفرغ لتربية الأولاد .. وهكذا جاء رد الفعل على نفس المستوى من القوة « والتجاوز » للحدود ! .. فذهاب المراة الى أبعد من حدود « الحرية » و « التحرير » ، الى حيث « التحلل » من الالتزام بالشرائع والأعراف والمواريث النافعة والبناءة ، يثير اليوم دعوات الى الغاء المسيرة برمتها والانجاز من الأساس !

واذا كان الافراط مذموما فان التفريط هو الآخر مذموم .. وأمام تجاوزات شرائح من قطاع المراة العربية والمسلمة ، غير مستساغ الذهاب فى ردود الفعل الى حيث نلغى مسيرة المراة على درب تحررها من قيود العصور الوسطى برمتها .. وغير مستساغ أكثر وأكثر أن تكون الدعوة الى هذا التراجع قائمة باسم الاسلام ... وانما المستساغ والمطلوب هو الاحتكام الى الاسلام فى هذه القضية ، بطرح السؤال : ماذا يعنى الاسلام بالنسبة لتحرر المراة وتحريرها ؟؟ ..

●●

ان الاسلام الذي جاء فحرر الانسان عموماً رجلا كان أو امرأة ، قد أولى تحرير المرأة من قيودها القديمة والتقليدية ، عناية خاصة ذلك لان قيودها ومواريثها الخاصة قد دعته الى ابراز ما قرر لها من حقوق وحريات فلم تعد مجرد متاع للرجل واداة للهوه واستمتاعه.

وانما ارتقى الاسلام بنوع العلاقة الانسانية والاجتماعية التى تربطها بالرجل ... فعلاقة المودة والبر بين الام وولدها يعلو سلطانها على سلطان الاتفاق فى المعتقد الدينى .. وصدق الله العظيم إذ يقول (١) (وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا، وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وصاحبهما فى الدنيا معروفا) (٢) .

وعلاقة المراة الزوجة بالرجل الزوج هى : المودة والرحمـة ، بل انها هى « السكن » الذى يسكن اليه فى هذه الحياة ! .. (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (٣) .



الشيخ محمد عبده

وفى الحقوق والواجبات تستوى المراة بالرجل فى نظر الاسلام : (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (٤) ... حتى ليقول الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده (١٣٢٣ هـ ـ ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥ م) فى تفسيره لهذه الآية :

« انها كلمة جليلة جداً ، جمعت ، على ايجازها ، ما لا يؤدى بالتفصيل إلا فى سفر كبير ، فهى قاعدة كلية ناطقة .. بان المراة مساوية للرجل فى جميع الحقوق ، إلا امراً واحداً عبر عنه بقوله : (وللرجال عليهن درجة) .. وقد أحال فى معرفة ما لهن وما عليهـن على المعـروف بين النـاس فى معاشراتهم ومعاملاتهم فى أهليهم ، وما يجرى عليه عرف الناس هو تابع لشرائعهم وعقائدهم وآدابهم وعاداتهم . فهذه الجملة ـ (الآية) ـ تعطى الرجل ميزانا يزن به معاملته لزوجه فى جميع الشئون والاحوال فاذا هم بمطالبتها بامر من الأمور يتذكر انه عليه مثله بازائه ، ولهذا قال ابن عباس ، رضى الله تعالى عنهما : « إننى لاتزين لامراتى كما تتزين لى ، لهذه الآية » ! . وليس المراد بالمثل المثل باعيان الأشياء وأشخاصها ، وانما المراد أن الحقوق بينهما متبادلة ، وانهما أكفاء ، فما من عمل تعمله المراة للرجل إلا وللرجل عمل يقابله لها ، إن لم يكن مثله فى شخصه فهو مثله فى جنسه

فهما متماثلان فى الحقوق والاعمال ، كما أنهما متماثلان فى الذات والاحساس والشعور والعقل ..

أما « الدرجة » التى أعطاها الاسلام للرجل على المراة بقول قرآنه الكريم فى آية المسـاواة هـذه : (وللرجـال عليهـن درجة) فانها تقف عند اعطاء العنصر الأكثر خبرة ووعياً وامكانية وتمكنا حق الفصل فى المشكلات التى تاهل أكثر من سواه للقول الفصل فيها ، وذلك ضمانا للتنسيق فى الأسرة ، بايجاد الربان الذى سوف يقود سفينتها وسط العواصف والأنواء ! .. « فالقوامة هى الرياسة التى يتصرف فيها المرؤوس بارادته واختياره .. ذلك أن المراة من الرجل والرجل من المراة بمنزلة الاعضاء من بدن الشخص الواحد ، فالرجل بمنزلة الرأس والمراة بمنزلة البدن ! .. أما الرجال الذين يحاولون بظلم النساء أن يكونوا سادة فى بيوتهم فانهم إنما يلدون عبيداً لغيرهم ؟ !! ... »

●●

صحيح أن الاسلام يقرر للأنثى ، فى حالات معينة ، نصف ما للذكر من نصيب فى الميراث ، ولكن هذا التمييز المالى لا يعكس انتقاصاً من حرية الأنثى وحقوقها ، بل لا نغالى إذا قلنا إنه ، هنا ، يزيدها تكريماً وامتيازاً وتحريراً ؟! .. فهو قد قرر لها الشخصية المالية المستقلة ، فسبق بذلك حضارات الدنيا باسرها من عشرة قرون ، ثم تبنى عرف العصر الذى ظهر فيه ، فالزم الرجل وحده بالتبعات المالية اللازمة للأسرة ذكوراً وإناثا .. فكان ما زاد فى نصيبه من الميراث إنما حق لينفق منه على الأنثى التى ألزمه الشرع بكل نفقاتها ، ضرورية أو كمالية كانت تلك النفقات ! .. أما نصيبها هى فانه قد تقرر لها دون الزام عليها بالانفاق منه فى شركة الزوجية !..

ثم إن هذه الزيادة للرجل عن المراة فى الميراث ليست موقفاً عاماً ، ففى حالات كثيرة يزيد نصيب المراة الوارثة ـ مثل الابنة ـ عن الرجل ـ مثل الأب ـ يشاركها فى الميراث

وعلى كل ، فان الاسلام لم ينظر . كموقف عام وثابت ، الى التمييز بين الناس فى الأمور المالية كمعيار للتمييز بينهم فى القدر والقيمة ودرجة الحرية .. فالرسول ، عليه الصلاة والسلام ، وأبو بكر الصديق ، رضى الله عنه كانا يلتزمان بمبدأ التسوية بين الناس فى « العطاء » ، باعتباره « معاشاً » لا علاقة له بالاقدار والمراكز والفضـل

والمفاضلات .. ثم جاء عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، فميز بين الناس فى « العطاء » عندما توفرت الاموال وكثرت بعد الفتوحات .. ثم عاد علي بن ابى طالب كرم الله وجهه ، الى نظام التسوية .. وعلى عهد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، كانت « الحاجة » تحكم ، فى أحيان كثيرة ، مقادير الأنصبة فى توزيع الغنائم ، دون أن يكون للتمييز والتمايز المالى اية علاقة بالاقدار والمراكز الخاصة بالصحابة الذين تفرض لهم السهام فى هذه الأموال .. ولقد أعطى الرسول المهاجرين الفقراء غنائم هوازن – يوم حنين – ولم يعط الانصار – إلا رجلين فقيرين منهم – .. بل لقد أعطى « المؤلفة قلوبهم » من هذه الأموال ما لم يعطه لأحد من الذين سبقوا الى الإسلام وصنعوا بتضحياتهم دولته وانتصارات دعوته وعقيدته .. فالتمييز المالى للرجال ، أحيانا ، فى الميراث ، أمر من أمور « المعاش » ، لا ينهض دليلا على انتقاص ما قرر الاسلام للمراة من حرية ، وما شرع لها من مساواة بالرجل .

●●

وصحيح ، ايضا ، ان القرآن الكريم يقرر فى إحدى آياته أن شهادة امراتين تعدلان شهادة رجل واحد .. ولكن المتامل والمتدبر لهذه الآية الكريمة يدرك انها قد راعت تلك المرحلة التطورية التى كانت تمر بها المراة يومئذ .. وهى مرحلة كانت محرومة فيها من خبرات المعاملات المالية والتجارية المعقدة ، بسبب حرمانها من الشخصية المالية المستقلة ، فجاء القرآن الكريم ، مراعاة لتخلفها وضعف ذاكرتها فى هذا الميدان ، ليقرر ان شهادتها فى الدَّيْن ، الذى يحتاج إثباته الى دليل كتابى لا تساوى شهادة الرجل .. فليس فى الأمر انتقاص من قدرها وحريتها ، وانما فيه موقف واقعى يلائم بين « الحق » وبين « الامكانيات » .. فهو رجل فى باب ربط « الحقوق » بالامكانيات المترتبة على نظام التخصص .. وهى علة وقصد يفتحان باب التطور والتنمية « للحق » بتطور « الامكانيات » ونموها ..

ثم .. هل يستوى الرجال فى الذاكرة والتذكر وفى الامكانيات والقدرات ؟ انهم لا يتساوون ، ومن ثم تتفاوت حقوقهم دون ان يعنى هذا التفاوت انتقاصاً من مساواتهم فى الحرية التى قررها لهم الاسلام .

ذلك هو موقف الاسلام من التمييز بين شهادة الرجل وشهادة المرأة فى ذلك الموطن المحدد والخاص من مواطن الاشهاد .. ويتاكد هذا الذى نقول إذا نحن تدبرنا آية القرآن الكريم التى تتحدث عن هذه القضية فتقول : « يَا أَيُّهَا الذين آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ الى أجلٍ مسمًّى فاكتبُوه ، وليَكْتُب بيْنَكم كاتِبٌ بالعَدْلِ ، ولا يَأْبَ كاتبٌ ان يَكْتُبَ كما علَّمه الله ، فليكتبْ وليُمْلِلْ الذى عليْه الحقُّ وليتَّق اللهَ ربَّه ولا يَبْخَسْ منه شَيْئا ، فإنْ كانَ الذى عليْه الحقُّ سفيهاً او ضَعيفاً أَوْ لا يسْتَطيع أن يُملَّ هو فلْيُمْلِلْ وَليُّهُ بالعَدْلِ ، واستشْهدُوا شَهيدَيْن من رِجَالِكُمْ ، فإن لَّم يكونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وامْرأتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ من الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهما فتُذكِّرَ إحداهُمَا الأُخْرَى ، ولا يَأْبَ الشهداءُ إذاما دعوا ولا تَسْأَمُوا أَنْ تكتبُوهُ صَغِيراً أَوْ كبيراً إلى أَجَلِه . ذَلِكُمْ أقْسَطُ عِنْدَ اللهِ وأقْوَمُ للشَّهَادَةِ وأَدْنَى ألاَّ تَرْتَابُوا ، إلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةٌ حاضرةٌ تديرونَها بينَكُمْ فليس عليكم جُنَاحٌ ألاَّ تكتبُوهَا ، وأشْهِدُوا إذا تَبَايَعْتُمْ ، ولا يُضَارَّ كَاتِبٌ ولا شهيد ، وإنْ تَفْعَلُوا فَإنَّه فُسُوقٌ بكُمْ ، واتَّقُوا اللهَ ويُعَلِّمُكُمُ اللهُ ، واللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » (٥) .

فليس فى الأمر « تمييز طبيعى » و « دائم » ولا « تمييز مطلق » ، بحكم الجنس والنوع ، ينقص من قدر المراة وما قرر لها الاسلام من حرية ومسئولية وحقوق ..

ويشهد لذلك ويؤكده ما كتبه الامام محمد عبده فى تفسير لهذه الآية ، فقال : « لقد تكلم المفسرون فى هذا (التمييز بين شهادة المراة وشهادة الرجل فى الدين) ، وجعلوا سببه المزاج ، فقالوا : ان مزاج المراة يعتريه البرد فيتبعه النسيان ، وهذا غير متحقق . والسبب الصحيح : ان المراة ليس من شأنها الاشتغال بالمعاملات المالية ونحوها من المعاوضات ، فلذلك تكون ذاكرتها ضعيفة ، ولا تكون كذلك فى الامور المنزلية ، التى هى شغلها ، فانها اقوى ذاكرة من الرجل ، يعنى أن من طبع البشر ، ذكرانا واناثا ، ان يقوى تذكرهم للأمور التى تهمهم ويكثر اشتغالهم بها .. ولا ينافى ذلك اشتغال بعض نساء الأجانب فى هذا العصر بالاعمال المالية ، فانه قليل لا يعول عليه ، والاحكام العامة انما تناط بالأكثر فى الاشياء وبالأصل فيها .. » .

فاذا اشتغلت المراة بالمعاملات المالية وكثرت ممارساتها لها ، وقويت ذاكرتها على وعى قضايا هذه المعاملات ، تطورت الأحكام الشرعية الخاصة بشهادتها فيها ، إعمالا للقاعدة الشرعية القاضية بدوران الأحكام مع عللها وتغيرها بتغير الأسباب والمقتضيات والظروف والملابسات ..

●●

تلك هى نظرة الاسلام للمراة .. وهذه هى المعايير التى يجب الاحتكام اليها عندما تدعو الحاجة الى مراجعة المواقف والانجازات التى حققتها المراة على درب تحررها ، يستوى ما كان ايجابيا منها وما هو داخل فى اطار السلبيات ..

فالتسوية بين الرجل والمراة هو جوهر موقف الاسلام ، لانهما – وفق عبارة الامام محمد عبده – : « **متماثلان فى الحقوق** والأعمال ، كما انهما متماثلان فى الذات والاحساس والشعور والعقل » .. وما قوامة الرجل على المراة إلا رياسة تقتضيها سنة الكون والفطرة التى فطر الله الناس عليها بان تتم المشاورة فى مجتمع الاسرة ، فالتنسيق ، ثم يكون للسفينة ربان تؤهله خبراته وتجاربه وما يقدم لهذا المجتمع الصغير من عطاء ، فالحقوق ، هنا ، نابعة ومرتبطة بالامكانيات والواجبات ! .. وتجاوز الحدود التى رسمها الاسلام لصلاح الفرد والأسرة والأمة ضار ومنهي عنه ، ليستوى فى ذلك أن يكون التجاوز من الرجال أو النساء ! ..

د. محمد عمارة

هوامش

(١) سورة العنكبوت . اية (٨)
(٢) سورة لقمان . اية (١٥)
(٣) سورة الروم . اية (٢١)
(٤) سورة البقرة . اية (٢٢٨)
(٥) سورة البقرة . اية (٢٨٢) .

في تفسير عظمة الأدب

جناحان للعمل الأدبي العظيم .. لا يحلّق بدونهما

بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري

فى غياب الأعمال الأدبية والفنية العظيمة عن مسرح الثقافة العربية هذه الايام ، نشعر بشوق كبير الى الحديث عنها ،إن لم يكن عن اعمال منجزة ، ملموسة ، فعن بعض الشروط الجوهرية التى لابد أن تتوفر فى اى عمل ادبى او فنى ليكون ادباً وفناً عظيماً .

ولقد اريق حبر كثير فى النقد الادبى والاجنبى ، قديماً وحديثاً ، لتحديد مواصفات العمل الأدبى الجيد ، وبذلت جهود كبيرة لرسم معالم الطريق .. كما قامت مجابهات ساخنة حول طبيعة هذه المعالم مازالت اصداؤها تتردد .. ولكن ، كما فى التاريخ ، ياتى فجاة عمل ادبى عظيم جديد ليقلب المقاييس ، ويفرض إعادة نظر جديدة ، تماماً كما يحدث للمؤرخين وفلاسفة التاريخ عندما يفاجاون بانعطاف تاريخى فذ غير متوقع ـ حسب مواصفات الفكر التاريخى الذى سبقه ـ فيبداون من جديد بدراسة الحدث الانبثاقى المفاجىء ليروا اين يتفق فى جوهره مع قوانين التاريخ العامة ، وما الجديد الذى يضيفه اليها تكميلا او نقصا ، لان كل حدث جديد فى التاريخ والادب والحياة الانسانية بعامة هو تكملة ونقض فى وقت واحد ، تكملة لما هو جوهرى خالد ، ونقض لما تجاوزه تقدم الانسانية . فلو تاملنا على سبيل المثال فى جوهر الانعطاف الاسلامى فى تاريخ البشرية ، لوجدنا ان ظهور الاسلام كان تكملة من ناحية للعناصر الايجابية فى الحياة العربية وفى تراث الديانات التى سبقته ، وكان نقضاً فى الوقت ذاته لعناصر التخلف والزيف فى تلك الحياة وتلك الديانات .

وعلى صعيد التاريخ الادبى عند العرب نجد أن عبقرية ابى الطيب المتنبى تمثل استيعاباً مكثفاً لعبقرية اللغة العربية من ناحية ، ونقضاً لمدرسة الصنعة التى سادت العصر العباسى قبل المتنبى وحتى زمنه ، من ناحية اخرى .

وعليه ، فيمكننا القول ، ان اى عمل عظيم لا يمكن ان يكون مجرد استمرار لما سبقه ، لانه فى هذه الحالة تقليد غير مبدع ، كما لا يمكنه ان يكون مجرد نقض خالص ، لانه فى هذه الحالة تمرد اعتباطى ينقض الجيد والردىء فى وقت واحد فيصبح من عناصر الهدم دون بناء . ولو تاملنا فى الاعمال الرديئة التى تغرق الثقافة العربية هذه الأيام ـ فى المسرح والتلفزيون والادب ـ لوجدناها تتراوح بين هاتين الحالتين : إما تقليد بليد لما سبق ، وإما تمرد اخرق عليه ! ..

ما يهمنا هنا ليس هذا النوع من الاعمال فلدينا منها الكثير ولكن ما يهمنا هو ذلك النوع النادر الذى نفتقد وننتظر .

ومن النظر فى عدد غير قليل من الاعمال الادبية العظيمة والخالدة فى التاريخ ، يبدو لنا ان هناك شرطين جوهريين لابد من توفرهما فى وقت واحد وبشكل عضوى لاى عمل ادبى عظيم .

البناء المادى

الشرط الأول هو سلامة البنـــاء المادى الحسى للعمل ، او صورته الحسية التى تتراءى لكل الأنظار والتى يستطيع ان


ابو الطيب المتنبي


ابو العلاء المعري

يبصرها ويفهمها ، ويتذوقها الناس العاديون على اختلاف مستوياتهم ، والتى لا يختلف فى النظر اليها – فى حدودها الحسية هذه – الانسان العادى والناقد المتذوق والفيلسوف المحلل فهى أمامهم سواء من حيث هى مادة وصور وشخوص واحداث والوان واضواء واصوات ، وصيرورة متجسدة فى الواقع المحسوس .

وإذا أردنا استخدام قاموس المتصوفة فى الحديث لقلنا إن هذا الجانب يمثل جانب «الظاهر» – بعكس «الباطن» – اى الجانب الذى يكشف ذاته بجلاء للحواس البشرية لانه هو ذاته مظهر حسي ملموس ومحسوس لا يختلف فى رؤيته وفهمه أحد .

إن اقامة هذا البناء الحسى الظاهرى فى العمل الادبى مسالة اساسية ولا يمكن التقليل من ضرورة العناية بها بحجة عمق الفكرة التى وراء البناء الحسى ، او شرف المعنى الكامن وراء العمل . فالمعنى الجيد بلا مبنى متين صلب،يصبح فكرة رخوة هلامية لا تعمر طويلا فى ذاكرة الاجيال ، مهما كانت هذه الفكرة سامية . وانظر الى معظم شعر ابى العتاهية الوعظي ، وبعض شعر ابى العلاء الحكمى والفلسفى تجد المعانى بلا مبان والباطن بلا ظاهر ، فتتامل الافكار المجردة ببرود ذهنى دون ان تهزك الصورة وتثيرك المشاعر الحية المتجسدة لانه ليس هناك من تصوير وتجسيد حى من عالم التجربة المحسوسة للانسان ، هذا العالم التجريبى الحسى وحده هو الذى يستطيع ان يتشارك فى الاحساس به جميع الناس ، والذى يستطيع الابداع الادبى ان ينفذ من خلاله – ومن خلاله وحده – الى عالم الناس الواسع ، والى وعي الانسانية ككل فيصبح باقيا وخالداً وواسع الانتشار .

والأديان تمدنا بدليل واضح وحاسم على صدق ذلك .

فالايمان بالله واليوم الآخر ومناقب الأخلاق – هذه الأفكار السامية المجردة – تطلّب إيصالها الى وعي البشر ظهور رجال منهم «ياكلون الطعام ويمشون فى الأسواق» ويحيون كما يحيا الآخرون فى عالم المادة ويتنفسون كما يتنفس الآخرون ويموتون كغيرهم .

أضف الى ذلك ان تعاليم هؤلاء الانبياء البشر على تساميها الميتافيزيقى خاطبت عقول البشر بما تفهمه وما يقرب من تصوراتها فجاءت الكتب الدينية حافلة بالأمثال الحية – إن الله لا يستحى ان يضرب مثلا .. – وبالصور الحسية ، حتى فيما تعلق باوضاع النعيم والجحيم ، وذلك لتستوعب كل نفس بشرية حقيقة الأمر بصورة تملأ عليها كافة جوانبها ، فتحيا عن بينة وتموت عن بينة .

ويلاحظ علماء الاجتماع بهذا الصدد ان ملايين البشر فى كل الأصقاع – من متقدمة ومتخلفة – تزداد حرارة تجربتها الدينية من خلال تفاعلها مع السير الحية للانبياء والصالحين والقديسين ومع الأماكن المقدسة ، وكل ما هو محسوس ظاهرى فى معالم الدين ، بينما الصفوة المختارة هى التى تستطيع الارتقاء الى معانى الدين المجردة ، متجاوزة عالم الظاهر والحس .

وهنا نصل الى الجانب الآخر من الصورة ، والى الشرط الجوهرى الثانى من شروط العمل العظيم .

الشرط الثانى

فكما ان المظاهر المحسوسة فى التجربة الدينية تستمد عظمتها وخلودها من «المحتوى» و «الجوهر» الذى ترمز اليه ، فان الصورة الحسية فى العمل الأدبى يجب ان تحمل فى صلبها شيئا من ذلك المحتوى الخالد ، وان تغرف من بحره . ولا اعنى هنا ان تكون بالضرورة ذات مضمون دينى ، وإنما قصدت ان يكون فى جوهرها ما يشبه النار الخالدة المتوقدة التى تتجاوز حدود المصباح او القنديل (الصورة الحسية) لتضيء مسافات ابعد من دائرته المكانية والزمانية المحدودة بحدوده المادية.

وهذا يتطلب ان يكون فى بنائها الحسى ذاته ، مؤشرات وايماءات وايحاءات موضوعة باتقان شديد ضمن حنايا البناء الحسى ، تاخذ بيد القارىء شيئا فشيئا الى الأفق الفسيح الرحب الذى يطل عليه ذلك البناء كالنوافذ الموزعة توزيعا محكما بحيث تطل على اجمل واروع ما يحيط

في تفسير عظمة الأدب

جناحان للعمل الأدبي العظيم .. لا يحلق بدونهما

بالبناء من عمق وامتداد ورحابة وتستوعب اغزر ما يصله من ضياء .

وهذا «مفصل» مهم . . مفاصل الكائن الأدبى وبه يتقرر قدر كبير من نجاحه او اخفاقه .

فهذه المؤشرات والايماءات إن كانت غامضة اكثر مما يجب ، افسدت الصورة الحسية للعمل الأدبى وجعلتها تشويشا سورياليا من ناحية ، كما افسدت امكانية الوصول الى «المعنى الخفى» وراء المبنى ، واضاعت الاثنين : المبنى والمعنى ، او الصورة والمحتوى .

وهذا ما يحدث لأعمال الادباء الشباب فى العالم العربى اليوم . فهم يحملون افكاراً وتجارب جديرة بالاهتمام ، ولكنهم يقدمونها فى «مبنى» شديد التعقيد ، شديد الغموض ، فينفر الناس من صورة العمل الحسية ، ولا يصلون بطبيعة الحال الى الجوهر او المحتوى الذى يراد الايحاء به من ورائها .

اما إذا جاءت المؤشرات والايماءات واضحة اكثر مما ينبغى ، وقع العمل الفنى فى التبسيطية والمباشرة والتسطيح ، وتضاءلت ابعاده الماورائية ، وقصرت اجنحته فلا يستطيع تحليقا الى سماء الكشف الخصب .

من هنا الأهمية البالغة لاقتصاد الأديب فى استخدام الرمز والاشارة ، بحيث يحافظ على المستويين فى عمله ، المستوى الحسى الظاهر والمستوى الخفى الباطن . منفصلين ومتصلين فى وقت واحد : منفصلين بمعنى أن تبقى الصورة الحسية مستقلة بذاتها ، مكتفية بعناصرها ، يستطيع أن يبصرها الانسان العادى ، فيستمتع بها ويفهمها فى حدودها الظاهرة، وان لم يستطع النفاذ الى كل معانيها الخفية على المستوى الفوقى او الباطنى .

وعلى سبيل المثال فان رواية «الطريق» لنجيب محفوظ يمكن للقارىء العادى ان يقراها ، فى صورتها الظاهرة ، كرواية عاطفية بوليسية ممتعة جداً ، ومفهومة ، دون ان يصل بالضرورة الى مستواها الثانى ، ووجهها الآخر الباطن ، من حيث هى رمز للانسان الباحث عن الله ، او عن الكائن السماوى ، على «طريق» هذه الحياة الوعرة والشاقة والغامضة .

فى هذا العمل الأدبى الجيد ، نجد المستويين منفصلين ومتصلين فى الوقت ذاته . ونجد المؤشرات والايحاءات الرمزية مقتصدة وذكية ، بل وماكرة ! بحيث تسمح بالقراءتين ، القراءة الاولى الروائية ، والقراءة الثانية الفلسفية ، كل قراءة منهما متوازية مع الاخرى ، ولكن غير متداخلة معها ، فهما مستقلتان ومتحدتان – فى وقت واحد – بمفصل فنى مرن ودقيق لا تراه إلا العين المبصرة ، كثنائية الاشياء الملتقية فى وحدة الوجود او كالاقانيم الثلاثة المتحدة فى الواحد بسر خفى ...

هذه الثنائية فى تكوين العمل الأدبى ، وهذه العلاقة الدقيقة التوازن بين طرفيها ، هى الشرط الأهم فى راينا المتواضع لأى عمل أدبى وفنى عظيم .

إن مسرحيات شكسبير يمكن ان تشاهدها الجماهير فى مختلف الازمنة والامكنة فتستمتع بتكوينها المسرحى الحسى المتقن دون أن تعي بوضوح ابعادها الفلسفية والكونية المتناهية .. وان كانت تدرك بالغريزة الانسانية الفطرية ما يطل من وراء الصورة المسرحية الشائقة من معان خالدة .

اما النقاد والمفكرون فيجدون ، بعد استمتاعهم بصورها الحسية ، تلك المفاتيح التى تؤدى بهم الى فتح الابواب الموصدة فيطلون على ذلك العالم الشكسبيرى الباطن الذى لا يقل روعة عن عالم كبار الرائين والقديسين والفلاسفة .

وبهذه «الثنائية» تسافر مسرحيات شكسبير من بلد الى اخر ، ومن زمن الى اخر ، ومن جيل الى جيل ، دون أن تفقد جدتها او عظمتها .

من هنا ليس صحيحا على الاطلاق ، ما يتعلل به بعض ادبائنا «البرج – عاجيين» من أن العمل الأدبى العظيم لا تدركه الجماهير ولا يمكن ان تتذوقه جموع الشعب .

ان الجماهير تدرك بفطرتها الصافية المغزى الخفى وراء العمل العظيم وإن يكن بنوع من الادراك الغريزى المبهم ، شرط ان يكون «مبنى» العمل متقنا ومتوازنا مع معناه الخفى .

الأدب الظاهرى

وهذه الحقيقة تفسر لنا كيف نفذت الكتب الدينية العظيمة الى اعماق الجماهير غير المتعلمة ، وكيف ادركت هذه الجماهير بفطرتها المعانى الماورائية الكبرى الكامنة وراء الرموز والصور فى القصص الدينى والتعاليم الدينية .

وإذا كان الخالق العظيم قد خاطب العباد بهذا الأسلوب الجامع بين الظاهر والباطن ، مراعاة لطبيعتهم وتكوينهم وافهامهم ، افلا يجدر بالفنان ، وهو مبدع صغير يستهدى بعمل خالقه ، ان يتعلم من هذه الأمثولة بتواضع ؟

هذا إذا اراد ان يقدم عملا عظيما بالفعل ...

اما إذا اراد ان يمتهن الفن امتهانا فبامكانه عندئذ ان يحبك من الروايات ما

يشاء فى حدود الحس الظاهرى كما فعلت «اغاثا كريستى» فى رواياتها البوليسية التى تقف عند الظاهر دون اى ايحاء آخر ..

او ان يتحول واعظا كما فعل ابو العتاهية بمعانيه الملقاة على قارعة الطريق دون تجسيدها فى صور فنية باقية متميزة .

من النوع «الظاهرى» الاول قول الشاعر العربى :

ولمّا قضَيْنَا مِنْ مِنًى كلَّ حاجَةٍ
ومسَّحَ بالأركانِ من هو ماسحُ
اخذنا باطرافِ الاحاديثِ بيننا
وسالتْ بأعناقِ المطيِّ الأباطحُ

فصورة «سالت باعناق المطيِّ الاباطح» هى بلا جدال صورة متحركة حية مثيرة لمنظر الجمال والنوق وهى تمثل سيلا مندفعا باعناقها الطويلة مع سرعة السير ... ولكن !

ولكن هل توحى هذه الصورة بشىء ما وراءها ؟

هذه صورة ظاهرية جميلة جداً ، لكنها تفتقد الغنى الباطنى . ونحن نقبلها من الشاعر فى حدودها الظاهرية التى أبدع فيها ، ونقول له هذا عمل حسن لكنه لا يمثل نواة لعمل عظيم !

لأن العمل العظيم يطل بنا على ما هو ابعد من الاباطح السائلة باعناق المطيِّ .. على ما فى الصورة من إتقان الريشة .

على الجانب الآخر يقول لنا شاعر المعرة :

بلوْتُ أمُورَ الناسِ من عَهْدِ آدمٍ
فلَمْ أرَ إلا هالِكًا إِثْرَ هالِكٍ
إذا كان هذا التُّرْبُ يجْمَعُ بيننا
فاهلُ الرَّزَايا مثل أَهْلِ المَمَالِكِ

هذا هو نقيض النموذج الظاهرى الحسى . إنه نموذج «معنوى» بلا جسد حي ولا تقاطيع حلوة ولا ملامح متميزة .

فعلى عمق الفكرة هنا - مقابل جمال الصورة هنك - لا نجد ان هذين البيتين خَلَقَا كائنا فنيا حيا متميزا ، باقيا على مر العصور وكم من حكيم كرر هذا المعنى او ما يقرب منه بشكل اجود او اقل جودة .

وهذا النمط الذهنى التجريدى هو اكثر ما يضر بالشعر العربى فى العصر الحديث لانه عصر الصورة المتجسدة الناطقة وعصر الوسائل السمعية - البصرية المتقنة "Audio-Visuel". انه عصر تعود فيه الناس على تلمس المعنى ، اى معنى ، من خلال الصورة الناطقة والمحسوسة والملموسة قبل كل شىء ، وهذا ما يجب ان يتذكره اى اديب عربى يطمح اليوم لمخاطبة العالم .



وليم شكسبير



اجاثا كريستي

الطريق الصعب

اما الطريق الوسط الصعب بين الصورة الظاهرة : «وسالت باعناق المطيِّ الاباطحُ» وبين المعنى الذهنى المجرد : «فاهل الرزايا مثل اهل الممالك» ؛ الطريق الوسط الصعب - طريق الأدب العظيم - فيرتسم فى الأبيات التالية للشاعر العربى العظيم ابن الفارض :

شربنا على ذكر الحبيب مُدامةً
سكرنا بها من قبل ان يخلق الكرمُ
ولولا شذاها ما اهتديتُ لحانِها
ولولا سناها ما تصوَّرها الوهمُ
يقولون لي صِفْها ، فانت بوَصْفِها
خبيرٌ ، أجَلْ عندي بأوصَافِهَا علْمُ
وعنديَ منها نشوةٌ قبل نَشْأَتي
معي ابداً تبقى وإن بَلِيَ العَظْمُ
على نفسه فليبكِ من ضاع عمرُهُ
وليس له فيها نصيبٌ ولا سَهْمُ

هل يحتاج الامر الى شرح ؟!

اليس الافضل ان نبقى مع هذه النشوة فى صمت ابلغ من كل نطق ؟

ولكن ماذا نفعل ونحن فى عصر التحليل والتفسير ؟ بل فى عصر العقم الذى لا يفهم معنى نشوة الإبداع ؟!

هذه الابيات يمكن ان ياخذها الشارب النواسى على انها تعنى خمرته الحسية ، ولن يجد اجمل منها فى كل ما قيل من اشعار الخمريات .. بل سيجد انها خمرة راقية ، إرقى من كل ما تذوق ، بل ربما كانت هى الخمرة التى بحث عنها كل حياته - وهو يصبو الى سكرة العمر - فلم يجدها فى اية حانة نواسية .

وعلى الطرف الآخر ، ياتى الباحث عن اليقين الوجودى فيرى تلك «المفاتيح» التى يعرفها جيداً : «من قبل ان يخلق الكرم» و «نشوة قبل نشاتى» و «معى ابداً تبقى وإن بليَ العظم» ..

فتكبر الصورة البنائية عن إطار الحانة النواسية وتتجاوزها بافاق وافاق ومعارج الى تلك الحقيقة الكبرى ، تبارك اسمها ، التى لا تسمى ولا تقال ، حيث لا عين رايت ولا اذن سمعت .. فى عالم المتصوفة الرحيب ..

وان يصعد بك الفن فى إطار حانة نواسية الى شراب طهور يبقيك حيا وان بلي العظم ، فذلك بلاشك من ملامح الادب العظيم . وهذا هو اللقاء السعيد بين الظاهر والباطن فى نسيج واحد ...

ولكن هذا الادب العظيم لا يكون ولن يكون إلا بهذه الروح الايمانية العميقة التى ورثها ابن الفارض من تراثه العربى الاسلامى ...

فمن يرد لنا هذه الروح ؟

يا إلهى : من يرد لنا هذه الروح ؟!

د. محمد جابر الأنصارى

الحقيقة.. ليست "حلمك"

بقلم : عبد الله الجفري

كان النهار يقظاً حتى الارهاق ..
يقظة مرهقة بكل ما فيها من أشياء تهمنا وفى غمرتها .. هناك محاولات الناس . يطارد بعضها البعض ، وهى لا تعدو ان تكون « مجرد » محاولات ! !

والمحاولات نستخدمها فى حياتنا .. لتقنين اهتماماتنا ..

مجرد محاولات .. الا اننا نعطيها مكان الصدارة من ثقتنا ، تماماً مثلماً « نتوسم » فهما وخلقاً في مخلوق عرف اسلوب «الاندراج» بين الناس .. فاذا هو لا يمكن ان يكون سوى « محاولة انسان » ، واذا هو وسط الناس : « مختصر انسان » !!

اننا لا نتمسك أحياناً بصلف الأخلاق فينا .. لكننا « نحاول » فقط ان نكون أصحاب اخلاق تتسم بالصلف .. فاما أن نتمكن من فرضها على الناس ، وإما أن نبدو بها « محاولة » ، وكثير يمتلك القدرة على تحويل محاولاته إلى مزاح !

ونحن لا نثق فى صمود النفس والارادة .. اننا نخجل أن يفشل صمودنا ، لكننا بعد نلك لا نهتم اذا تحقق الفشل .. فقد اقنعنا ذاتنا انها كانت « مجرد » محاولة .. للثبات على رأي ، أو الوقوف بفكرة ، من الذى يحاول ان لا يتعرض للفشل ..

وفى عواطفنا ضباب .. أسبابه هذا الانفلاش الذى أوغر صدر الحقائق ، وشوه خطوط الجمال الانسانى فى النفس ، ومزق أثمن لوحة فى الوجدان .. اسمها : الثقة !

لقد استمرانا أن نحاول دائماً .. وفي البداية كانت المحاولة تعنى الاجتهاد والمغامرة والتوثق .. أما اليوم فان أشياءنا هى مجرد محاولات .. أسرارنا تحكمها « محاولة » كتمها ، والابقاء عليها .. الغموض جعلناه « محاولة » لقراءة الشخصية .. والتحديق فى زوايا التعامل الاجتماعى ، وحتى فى زوايا النفس تحول إلى « محاولة » لا يهمنا كثيراً فى أعقابها ان نزيد رصيدنا المشرق بين الناس .. أو أن نفتح نافذة ضوء فى النفس لتحيا أكثر ! !

إن يقظة النهار فى عين الناس « محاولة » للتذكير .. يفيق كل واحد ، ويتذكر ما ينبغى أن ينجزه من عمل ليضمن يوماً قادماً لا يعرف عنه شيئاً ، ويعطى للناس ما عنده من « بزنس !! » .. باعتبار ان هذا انطباع الزمن ، ويفكر : لماذا لا يتخابث مرة ليؤكد إلمامه بشؤون الناس .. فى نهار كله شمس ، والذين يعيشونه « يحاولون » زرع حدقاتهم فى عين الشمس .. مع ضرورة المحافظة على الرؤية الكاملة ؟ !

فى يقظة النهار .. يشمخ الآدمي بمقدرته على الحركة ، والتنقل ، وقرع المصالح ، والاستفادة من نتائج البشر عندما يفكرون أن هذه حياة يلتزم فيها الواحد بنبضه ، وببصره ، وبشرايينه ، ولا بأس أن يموت معنوياً ، أو يموت خلقياً أو يموت بالسكتة .. فهو قد حاول ان يحيا للغد ! !

وفى هذا الوضوح المرئي .. يزعق الآدمي وهو يسرع الخطى ، وهو يبتسم ، وهو يحقد ، وهو يتعامل .. يصرخ باحثاً عن الحقيقة ، وقد ارتكب كل تلك التصرفات ، محاولا .. متناسياً عدة حقائق قذفها فى أعماقه ، وقفل عليها غطاء الشعور الباطنى !

ان الحقائق لا تتلاءم مع المحاولات .

اننا لكى نؤكد حقيقة ، أو نسعى للفوز بحقيقة .. يتوجب علينا ان نتيقن من خطانا .. من تصرفاتنا .. من افكارنا .. من نوايانا كذلك ، نعطى ما يتفاعل فى النفس ، ونمزجه بما ينعكس علينا من الآخرين .. لنخلص الى حقيقة لا تقبل الجدل ..

غير أن الكثير من النفوس أعيتها المحاولات .. فرضت عليها انطباعاً لازمها .. وعليه ملامح الاضطراب .. كما قطعة الصلصال فى يد طفل يريد ان يحولها الى شكل .. الى قسمات .. الى صورة ، لكنه ليس أكثر من طفل « يحاول » .. وهو لا يعرف شيئاً من فن النحت ، أو الرسم .

ان أمراضنا الذاتية ليست هى حقائقنا .. بل الحقائق نفسها أصابتها عدوى المرض ذاك .. فطمرت تحته ، وتقلصت ، وأصبحنا مرضى ، وأصحاب حقائق ضائعة .. لا ندرى انها فى أعماقنا تئن تحت ركام من المرضى !

كل عنعناتنا ، وآلامنا ، وشهواتنا ، ورغائبنا ، وطفرة الفرحة .. كلها حالات نحياها .. تلون ذات الحقيقة ، وتعطينا حق الملكية لتلك الحقيقة .

إن الحقيقة دائماً بلورية وشفافة ، وصريحة ، وكاميرا اتوماتيك تلتقط حالات الانسان معها ــ امتزاجاً ، واتحاداً ــ لتكون الصورة بعد ذلك .. صورة حقائقنا .. عليها حالاتنا ومعها كل الأشياء التى ادعيناها ، واختلقناها وتاملنا منها ، وفرحنا بها ! !



مصطفى صادق الرافعي



جوته

وعلة حقائقنا — من بذور السوء ، والحقد ، والالتواء فى نفوسنا — اننا نُمْرِض حقائقنا بعللنا النفسية ، أو المسلكية ، أو كما قال الرافعى : « فى النفس الانسانية لا تمرض الحقيقة الا من سوء التخيل فيها .. كأن نعمة الخيال انما وهبت للانسان لتخرجه من حدود الحقائق .. فيفسدها ، ويفسد آثارها فيه » ! !

وقبل الرافعى .. تعاطى « جوته » نفسه .. فقال : « اننى اتجرع علقماً » ثم استطاع أن يتحرر من عقابيل كثير من « المحاولات » التى مارسها فى حياته قبل أن يصبح صاحب ذهن ناضج .

وجلس ذات ليلة يتامل حياته .. كانت فتاته التى وهبها قلبه قد توارت خلف ستائر زمنية أسدلت قبل فترة قريبة من تلك الليلة ، وفى وجدانه لازال « صدى » قلبه المتهاوى الى القاع .. ولا زال ذلك الصدى يؤرقه الليل ، ويمضّه فى النهار .. كان يبحث فى أحضان الليل عن « الحقيقة » .. كان يتساءل :

— ما هى « حقيقة » هذا الصدى .. هل هو شعور لم يزل يتقد ، ويتالم ، ويتعذب بحبها ، ورحيلها .. أم أنه مجرد صدى .. نعتبره ذكرى لأيام كانت ، وغابت كما تغيب الشمس آخر النهار ، وكما يحتجب القمر قبل بزوغ الفجر ؟ !

لقد تعاطى « جوته » نفسه ، فبصق منها كل « المحاولات » التى تراكمت من زمن .. بصق ما قاله الناس من أحاديث كانت تلاك فى أفواههم كجلد العنز التى نفقت من أيام .. وبصق « محاولات » الآخرين للنيل من سمعته ، واسمه ، وحياته .. فكان ما بصقه قطعة فحم تسللت الى غـــذائه فلم يلحظها (!!) .

وحينما استخلص « جوته » نفسه .. عادته ثانية تساؤلات عن هذا السهوم الذى يجره فى ليل وديع منصت ؟ ..

ان الليل ينتصر للحقائق دائما ..

إننا فى أحضان الليل نترك الحرية لتصرفاتنا الخاصة ، وهذه حقائق !

وفى الليل نفكر فى الصور ، والخواطر ، والآراء ، والامانى التى نداريها عن الناس كخبر .. لأنها اسرار ، وهذه حقائق !

وفى الليل نمتلك شهواتنا بكل الابعاد .. وقد كنا فى يقظة النهار نخبئها .. وهذه حقائق ! !

لهذا .. وقف « جوته » — كما روى فى كتابه « آلام فرتر » — امام النافذة وتطلع الى السماء الموشحة بالنجوم ، وفكر كيف يهز هذا الصمت القاتل ؟ .. ان « حقيقة » من حقائقه تصفو هذه اللحظة من كل « المحاولات » التى كانت فى نفسه ، وبصقها . حقيقة .. تعطى ظلالا لأكمال معانى اللوحة .. وفيها يقف « جوته » يقول بكل ثقة ، واصرار :

● « لا يمكن ان احيا كهذا .. ليست هذه حقيقتى .. اننى اظما .. اننى ابحث عن رواء .. عن عطاء .. عن منهل لروحى ، وفكرى ، ونفسى .. أينك انت يا حب ؟!! .

ويضيف « جوته » بعد ذلك ، وفى الفصل التالى .. فيروى .. ان ذلك كان تعبيراً عن احدى حقائقه ، وهو لم يستطع ان يؤطر ذلك التعبير ، وتلك الصـــورة بالكلمات والنطق ، الا لحظة صفائه ، وخلوده الى أصالة النفس فيه .. بعيداً عن كل محاولة .. اقتراباً من صدق ما نشعر به ومن حقيقة ما صاغنا كانسانيين .. نحس ، ونتالم ونفرح ، ونحب !!

إن البعض من البشر يعتقد انه محافظ جداً .. فيعود إلى حقائقه ، ويدثرها ، ويغطيها ، ويهيل عليها تراكماته النفسية ، ثم يقف بين الناس ويقول :

— اننى اخاف على حقائقى .. اننى احافظ عليها ، واحميها من السفور والتعرض لنظرات الناس وكلامهم .. لهذا أخبىء كل حقائقى بعيداً .. بعيـــداً ، وليعتبرنى الناس بلا حقيقة ! !

لكن هذا إجحاف بالنفس البشرية ، وتسلط على ابداع الانسان وهو يتوق ان يكون حضارياً ، وانسانياً ، وخلقياً ، ومدركاً لمعانى ضرورة الحياة ..

إن الحقيقة ليست من « الحرملك » .. إنها لا يمكن أن تكون زوجة فى بيت يحافظ على قسماتها ، ويهمل قيمتها ، وفعاليتها ! .

لكى لا تختنق الحقائق فى اعماقنا ، فنموت برائحة الاختناق .. يجب ان تكون حقائقنا عارية .. حتى من « الميكروجوب » !

ان الحقائق ليست انبهاراً نقف لنتفرج عليه .. بقدر ما هى « رحم » ، اذا أردناه أن يخصب ، ويلد .. علينا أن لا نكون مرضى بالعقم .. أو أن لا نكون مرضى **بالضعف النفسى** ! !

الأرمني الداهية
كالوستي جولبنكيان

بقلم: أحمد العناني

● رجل أثر فى تاريخ شعوب بأسرها ● ● كن كفواً يأتك خصومك ضارعين ● ● ● المغامرون الدوليون ● ● ● ● الطريق الى اعظم مجد دنيوى ● ● ● ● ● ● ●

فى قلب مدينة لشبونة عاصمة البرتغال يواجـه الزائر عمائر ضـخمة تشـغلها مؤسسة تدعى « مؤسسة جولبنكيان » قد لاتكون وزارة رئيسية لدولة بارزة اشد منها انشغالا او احفل بالحركة والنشاط .

وتوقفت هناك أسال مرافقى البرتغالى « كل هذه لرجل ارمنى » ؟

« وكيف عرفت انه ارمنى » ؟

« بمقطع يان » فى نهاية الاسم فهذه خصيصة من خصائص اللغة الأرمنية واحسبها تعنى ابن ، ومن هنا فهى تتكرر فى السواد الغالب من أسماء ذلك الشعب المشتت ... وعلى كل حال فهذا رجل كان له دور بارز فى قصة البترول ... اليس كذلك ؟

وقال مرافقى متمتماً بعبارة لاتبين ... نعم ... نعم ... وعلى كل حال دعنا نستعجل خطانا لموعدنا مع مدير دار الوثائق الوطنية البرتغالية فالوقت الباقى لا يتيح لنا التوقف او الحديث ، واشار بيده لسيارة صغيرة فتوقف السائق وراح يصعد بنا ناحية الدار اياها ....

لم يكن صعبا على أن ادرك أن الرجل البرتغالى لم يكن مرتاحا للحديث عن اجنبى نصف شرقى له فى عاصمة البرتغال مؤسسة كانها دولة داخل دولة .. ولكنى رحت أعاود استذكار الكتاب الذى كنت اقرا فيه غرائب عن ذلك الرجل الارمنى ، لكن مشاغل السفر وارتباطات العمل قذفت بالموضوع كله الى ارشيف الدماغ اللاشعورى ، وتراكمت بعده الأمور ، فانسيته حتى كان مساء منذ فترة غير بعيدة كنت فيها مع مرجع عن تاريخ آسيا الوسطى فاذا بى مع قصة أذربيجان الغربية وكيف سقطت قطعة قطعة بايدى قياصرة الروس فى النصف الأول من القرن الماضى . فاذا بحر قزوين الذى كان بحيرة إسلامية ، وكان حوضه بالكامل شمالا وجنوباً وشرقا وغربا ارضا اسلامية ومركزاً هاماً من مراكز الحياة الاسلامية قد أصبح معظمه ضمن روسيا القيصرية بحدود عام ١٨٣٤ .

ويقرأ المرء حديثا للتاريخ يدمى له القلب عن خلاف بين إمبراطورية الانجليز فى الهند ، وامبراطورية القياصرة الروس ، ولكنه خلاف ينتهى سراً إلى وفاق ناتج عن نهش كل جانب جزءاً من ارض الإسلام ، وبتلك الطريقة تغاضى القياصرة عن عدوان الانجليز على املاك طيبو سلطان الاسلامية فى الهند ، فيما تغاضى الانجليز عن الحرب المريرة التى دامت حوالى أربعين سـنة بين روسيا وإيران ، وانتهت بسقوط منطقة البترول من أذربيجان رسميا بايدى الروس بموجب معاهدة تركمان شاهى فى ٢١ فبراير من عام ١٨٢٨ م .

ولما كان القياصرة الروس فى حاجـة مزمنة للمال لتغطية النفقات الباهظة لبذخهم ومغامراتهم فقد لجاوا إلى الاعلان عن بيع امتيازات التنقيب عن البترول فى أذربيجان فى مزادات علنية تداعى لها طائفة من انبغ دهاة المغامرين الدوليين وبخاصة الارمن واليهود .. وهذا كلام لا يطلق جزافا ، فبالاضافة إلى جولبنكيان الأرمني نجد أسماء ارمنية اخرى لها مساس مباشر بالموضوعات النفطية كهاغوب باشا فى البلاط العثمانى ، والمليونير الأرمنى الكسندر مانتا شوف الذى يرد ذكره لاحقا ضمن استعراض حياة جولبنكيان ، ومن اليهود على سبيل المثال دون الحصر اللورد ناثانييل روتشيلد واللورد صموئيل وولترليفي ، وأسرة نوبل ، ألفرد ، وروبرت ، وعمانوئيل ، ولودفيغ وغيرهم كثيرون .

رجل أثر فى تاريخ شعوب بأسرها

لكن أحداً من أولئك المقامرين لم يبلغ من الشان ما بلغه الأرمني كالوست سركيس جولبنكيان ذلك الرجل الذى لعب اخطر الأدوار العالمية على مسرح السياسات الدولية المتعلقة بالنفط أو الناشئة عنه ، والذى استطاع أن يحظى كفرد بحصص من مشاركات النفط على قدم المساواة مع اضخم شركات النفط المدعومة بمداخلات مباشرة من دول بلادها ، والذى وصل قمة

النفوذ فى رسم ما عرف بالخط الأحمر ليقرر به أبعاد المناطق المدعاة كمناطق نفوذ للدول التى تقاسمت فيما بينها النفوذ فى إمبراطورية العثمانيين بعد انهيارها .

كن كفؤاً

من الآباء رجال يمتازون بالأثر الباقي الذى يتركونه فى أبنائهم بترسيخ أفكار معينة فى أذهانهم ، مستخدمين أساليب من التحريض اللامباشر الذى يشحن قلوب الأبناء بعواطف تظل متضاغطة إلى أن تهيىء لها الكفاية والارادة العارمة وسيلة الانطلاق فتبهر الدنيا بشدة اندفاعها . ذلك ما حصل للقائد القرطاجني هنيبال الذى شب ومعه فكرة من أبيه تراوده ليل نهار للانتقام من روما ، فما كان منه حين أصبح رجلا إلا انه ركز نفسه فى اسبانيا واستغل إمكاناتها فى الانفاق على جيش أحسن إنشاءه واختيار أفراده وتدريبهم تدريباً عنيفاً متواصلا ، فلما حانت ساعة الثار من روما فعل مالم يفعله رجل من قبله وهو اجتياز جبال الألب ذات الثلوج والوعورة وانقطاع الطرق ، ومعه الفيلة وأدوات الحرب والحصار ، ورغم خسائره الكبيرة استطاع أن يقهر جيوش روما حين باغتها من الشمال على غير توقع أو استعداد فكان له من الثار ما أراد . كذلك فعل سركيس جولبنكيان والد كالوستي . فلقد كان رجلا ذكياً وطموحاً ، ولكنه لم يستطع أن يتسامى بحظه من الحياة إلى شىء يستحق المقارنة بما حققه ارمني أخر يفيض غروراً وسفها وغطرسة وهو المليونير الأرمني الكسندر مانتا شوف الذى أصاب حظاً هائلا فى بترول باكو عاصمة أذربيجان ، وكان رجلا فظاً قاسياً عرف عنه كلمة مشهورة حين سئل فى موضوع إنساني لمساعدة بعض فقراء العمال فقال « إنكم تقولون عنهم إنهم طيبون — لكن الضعفاء جميعاً طيبون لانه ليس عندهم قوة تكفيهم ليكونوا اشراراً ». وحين تحقق سركيس جولبنكيان من انه لن يستطيع أن ينافس مانتا شوف صمم على أن يهيىء ابنه كالوستى ليحقق له ما عجز هو عن تحقيقه . قال له وهو يناجيه صغيراً فى هذا الأمر . « كل شىء ممكن يا بني .. إياك أن تصدق ان شيئاً ما يستحيل على الارادة البشرية إذا هى أعدت للأمر أسباب الاستطاعة . عليك اولا وقبل كل شىء أن تتعلم هندسة البترول فى أرقى المؤسسات العلمية ، ثم تدخل إلى عالم رجال الأعمال بارادة حازمة لفهم كل شىء واستكناه أدق التيارات الخفية فى ذلك العالم الخطر .. وعندئذ تستطيع أن تحرك الثروة المعقولة التى أتركها لك ، (وكان يملك كمية من اسهم بترول باكو كما حقق أرباحاً من تجارة البرافين فى اسطنبول ، وكانت هذه المادة تستخدم بكثرة قبل توفر البترول) . كن كفؤاً يا بني ولسوف يضطر أعدى أعداء أبيك وأصدق اصدقائه ضارعين إلى ابتغاء ما عندك من المزايا العالية والكفاية المتفوقة .. إن فاقد الكفاءة هو انسان ميت تعاف جثته حتى الكلاب » .

وانطبعت كلمات الوالد فى ذهن الولد فتخرج بتفوق بارز فى العلوم والهندسة من جامعة لندن ثم انتقل إلى باكو وراح يتردد على الموصل وغيرها من المواقع التى كان يقدر وجود البترول فيها ، وفى عام ١٨٩٢ نشر كتاباً مطولا عن البترول وصناعاته ، وبدأ يثير اهتمام المحافل المالية فى عواصم الغرب ، خصوصاً بعدما تمكن من انتزاع ثقة المليونير مانتا شوف بفضل ضربة حظ رائع أتيحت له ذلك بانه خلال نقمة الاتراك والروس على الارمن ، وقيام المذابح فيهم حدث أن التقى جولبنكيان هو ومانتا شوف وزوجة الاخير على نفس السفينة التى هربوا بها إلى مصر ناجين من هول المذابح .. وكانت السفينة مثقلة بحمولتها من الفارين حين وصل مانتا شوف وزوجته التى كانت فى وضع نفسى سيىء ، ولولا وساطة كالوستي جولبنكيان لما امكن المليونير وزوجته المريضة الصعود إلى السفينة .. غير ان جولبنكيان لم يقتصر على أخذهما وانما استطاع أيضاً إخلاء حجرة على السفينة المكتظة للمرأة المريضة وأظهر لها ولزوجها من العناية والايناس ما جعل مانتا شوف يثق بالشاب الذى كان يعرف أباه ولا يحبه فتفاهم معه على أن يصبح سكرتيراً لمقر شركته بلندن مطلقاً يده فى تحريك امكانات ثروته الواسعة بالطريقة التى يراها ..

المغامرون الدوليون

إن طبيعة البحث عن الزيت فى باطن الأرض خصوصاً فى الأيام التى لم تكن التقنية العلمية قد بلغت ما وصلت اليوم من تقدم فى أبحاث التنقيب كانت تقتضى رجالا يستندون إلى شجاعة فذة ودعم مالي عظيم للاقدام على مجاهيل الزيت .صحيح ان مناطق كباكو والموصل كانت تنفث الزيت أو لهب الغاز المحترق منذ عصور طويلة مضت فلا يحتاج المرء إلى واسع علم ليدرك نجاعة التنقيب فيها ، ولكن اكثر مناطق التنقيب لم تكن فى مثل ذلك الوضوح .. بل إن المناطق القريبة من أماكن الظهور السطحي للزيت أو الدلائل عليه قد تخيب الظن بعد إنفاق مبالغ ضخمة على التنقيب فيها . من هنا كان أباطرة الزيت من رواد التنقيب رجالا مغامرين فى تكوينهم النفسي تتملكهم روح المقامرة بكل شىء .. والحقيقة انه فى مقابل كل ناجح منهم كدارسى الذى جمع ثروة هائلة من أشغال التنقيب عن الذهب فى استراليا ، ونجح لاحقاً فى استخراج الزيت من منطقة مسجد سليمان فى إيران الغربية ، كان هناك كثيرون ضاعت ثروات لهم ضخمة فى مغامرات مفلسة لم تسفر عن شىء .. لكن جولبنكيان لم يكن واحداً من هؤلاء على رغم الثروة التى تحصلت لوالده من تجاراته فى اسطنبول .. فقد كان ذكياً فطناً وحذراً ، وكان يزن التكهنات عن الزيت ، وابحاث الجيولوجيين وزناً دقيقاً ، وفى الوقت نفسه كان إذا ما اتجه إلى المغامرة حمل مسئولياتها المالية حكومات قادرة .. ثم خرج ظافراً بنصيب ضخم قلماً تيسر مثله لفرد واحد فى صناعة الزيت . ومما لوحظ فى حياة ذلك الرجل أن نجمه ظل فى صعود متواصل وانه لم يواجه إلا خيبة كبرى واحدة مع الحكومة العثمانية ، لكنه صبر وصابر حتى حقق الفوز تحت ظروف كان هو من أكبر العاملين على تحققها ، بعد أن زالت قبضة السلطان عبد الحميد عن أمور الدولة العثمانية .. وعلى عكس ذلك جرت حياة هولمز الذى اغتنى وأفلس مراراً .

الطريق للمجد الدنيوى

لقد فرض الاكفاء من الارمن وجودهم فى أعلى مناصب الدولة العثمانية ، وكان طبيعيا أن يجد جولبنكيان تجاوبا من وزيرى البلاط العثماني هاغوب باشا وسليم أفندى عندما أثار اهتمامهما بوجود ثروة بترولية فى العراق كافية لاخراج حكومة السلطان من كل مشكلاتها المالية المتازمة ، فوضع جولبنكيان فى فترة وجيزة لا تكاد تصدق تقريرا منسقا غاية فى الاحاطة والشمول والدقة معلنا يقينه الحاسم بتوافر النفط بكميات ضخمة فى شمالى العراق وعلى الأثر اتخذ السلطان عبد الحميد قرارا بنقل سائر الأراضى التى اشار لها جولبنكيان إلى الملكية العامة ، لكن رائحة البترول اجتذبت اهتمام الدول والمؤسسات الغربية وصمت السلطان كان الأمر لا يشغل باله لكي يستطيع الظفر بجو هادىء يصدر فيه قراره على غيبة من أسماع الرقباء ، ولم يظفر جولبنكيان باكثر من عبارة من الباشا الأرمني حين قال له « فى أمان الله يا بني .. يكفيك شرفا انك خدمت السلطان » . ولما كان السلطان قد أثار حفيظة الصهاينة باحتقاره كل عروضهم له مقابل السماح لهم بتملك أراض فى فلسطين فقد التام شمل اليهود والأرمن فى العمل على اسقاطه متخذين من بريطانيا مقرا لنشاطهم ، وما لبثوا أن فلحوا فى استغلال سخط بعض الضباط المتحمسين فى سالونيك ، وبالتعاون الوثيق مع المدسوسين على تلك الحركة تم خلع السلطان عبد الحميد ، حيث ظهر إلى الوجود من بعده ما عرف باسم البنك الأهلى التركى وبين أعضاء مجلس ادارته جولبنكيان الذى أصبح أيضا المستشار الاقتصادى لسفارتي تركيا فى لندن وباريس وعلى الرغم من أن الالمان بنفوذهم القوى فى اسطنبول حصلوا من حكامها الجدد على وعد باخذ امتياز البترول ، ومن أن مذابح الأرمن لم يكن مضى عليها أكثر من اثنتي عشرة سنة إلا أن ذلك الأرمني الفذ استطاع الجمع بين الماء والنار ، وحل سائر الألغاز ، وطلع على العالم عام ١٩١١ بما عرف « بشركة النفط التركية » ، التى كانت ملكيتها على النحو التالى ، خمسة وثلاثون بالمئة للبنك الأهلى البريطاني المسمى بالتركى ، وخمسة عشر فى المئة لجولبنكيان. وخمسة وعشرون بالمئة للبنك الألمانى والباقى وهو خمسة وعشرون فى المئة لمجموعة شركات شل. ولاشك فى أن الذى حققه ذلك الفرد الارمنى بعصاميته وذكائه وثقافته العميقة ، وقوة شخصيته فى مجال المفاوضة أمر لم يسبق له مثيل .

فرد يواجه دولا

لقد كانت كفاءة جولبنكيان هي التي تلجيء الحكومات لاحترامه إلى حد التهيب منه ، وكان هو أيضا يعرف قدر نفسه فيصونها عن اللهفة الطائشة لتعجل الغنائم ، ويثبت في المفاوضات والمساومات المعقدة التي كانت تدور من وراء الستار ، انه شخصية فذة تقف مع الدول على قدم المساواة .. ولما كانت بريطانيا قد قررت أن تستخدم الطاقة البترولية في تحريك أسطولها بدلا من الوسائل القديمة فقد تعاظم المسئولون فيها أن ينتزع منهم فرد واحد خمسة عشر بالمائة كمنتج وصاحب شركة. علما بانهم هم أيضا سيصبحون المستهلك الرئيسي لمنتوجات الشركة. ولذلك أوعزوا للبنك الأهلى البريطاني أن يتنازل عن حصته فى شركة النفط المسماة بالتركية إلى الشركة التى تملك حكومة بريطانيا نصف أسهمها وهي شركة النفط الأنجلو-إيرانية التى أسسها رائد النفط دارسي . وكان من رأي بريطانيا إقصاء ذلك الرجل جولبنكيان عن تلك المشاركة الدولية ولكن الرجل سرعان ما أثبت انه كان متنبها لخطط الانجليز ، فلما وجد هؤلاء أن تحركهم ضد الرجل الأرمني قد يتهدد المشروع كله بالخطر ضغطوا على شل والبنك الألمانى فتنازل الطرفان عن خمسة بالمئة من حصصهما لصالح جولبنكيان .. لقد كان ذلك يعني ثروة هائلة جعلت منه أغنى رجل فى العالم .

السيد خمسة فى المئة

الواقع ان النتيجة التى حصل عليها الأرمني النابغة لم تات بسهولة خصوصا وان تشرشل كان بين اقوى المتحمسين لحرمانه من كل شيء ، ويحتمل ان يكون لجولبنكيان دور فى تمسك فرنسا بحيازة الموصل غداة المؤامرة السرية المعروفة باتفاقية سايكس بيكو لعام ١٩١٦ ، ولكن الانجليز كانوا يضمرون مواجهة فرنسا بأمر واقع،ولذلك سارعوا بمهاجمة العراق وسبقوا الفرنسيين إلى منطقة الزيت فى شماليها . واشتد الخلاف بين الحليفتين بعد أن وضعت الحرب أوزارها عام ١٩١٨ ، واخرجت ثورة البلاشفة روسيا مما وعدت به فى اتفاقية سايكس بيكو ، فيما عمدت بريطانيا لمصادرة نصيب الالمان من شركة البترول التركية ، وعندما وصل الخلاف أشده بين الانجليز والفرنسيين تمكن جولبنكيان من حل عقدته فى سان ريمو عام ١٩٢٠ حين اقترح ان يذهب ميراث الالمان فى شركة البترول التركية إلى فرنسا فى مقابل تنازل الاخيرة عن مطالبها فى الموصل كما تعهدت بالتعاون التام مع الشركة التى أصبحت شريكا فيها لمد خطوط انابيبها عبر سوريا إلى مصبها على الساحل اللبناني . ولم يعكر صفو ذلك الترتيب سوى احتجاجات شديدة من الولايات المتحدة التى كان لها دورها فى انتصار الحلفاء الغربيين ، كما كانت شركاتها ممثلة فى شركة التنمية العثمانية ـ الأمريكية برياسة كولبي شستر على وشك الظفر بامتياز الموصل من الحكومة العثمانية سابقا للحرب الأولى لولا خطط جولبنكيان الماكرة لصالح الانجليز والهولنديين .

والغريب أن جولبنكيان نفسه هو الذى استطاع حل هذه العقدة أيضا باعادة توزيع الاسهم فى بترول العراق على التساوى بين امريكا وشل وفرنسا وشركة الانجلو ـ ايرانيان البريطانية على أن يتحمل كل نصيبه فى حصة الخمسة فى المئة لجولبنكيان ، الذى اكتسب فى المحافل الدولية لقب السيد خمسة فى المئة ..

لقد كانت المفاوضات والمناورات التى أسفرت عن تلك النتيجة عسيرة إلى أبعد ما يمكن وصفه بالكلمات .. وكان من اشق ما فيها موضوع الأراضى التى تغطيها الامتيازات البترولية .. وكان رأى الامريكان الذى سانده الانجليز فى مرحلة متاخرة ان يترك الباب مفتوحا فى أراضي الدولة العثمانية سابقا أمام الشركات لتتنافس فى الحصول على الامتيازات ، لكن فرنسا التى لم تكن فى موقف مناسب للتنافس مع الشركات الانجلو ـ سكسونية اصرت على

مبدأ المشاركة الجماعية فى امتيازات النفط فى اراضي التركة العثمانية ، وبقي أن يتقرر أي الأراضي يجب اعتبارها ملكية سابقة للعثمانيين، تقدم جولبنكيان فرسم بالقلم الاحمر خطأ لتلك الحدود بناء على درايته الدقيقة لأحوال تلك الدولة وحقوقها وقد أقر الجميع ذلك الخط واتفقوا على أن يكون الخط قسمة بينهم فى كل الأراضى الداخلة وراء ذلك الخط فلا تنفرد شركة أو دولة بامتياز لها بمفردها ..

الخروج من تحت أقدام الفيلة

كانت الرياح تهب رخاء على سفينة جولبنكيان الذى تدرجت أرباحه السنوية من عشرين إلى خمسين مليون جنيه استرلينى فى فترة ما بين الحربين العالميتين فيما كان يعيش فى باريس بعد سبع وثلاثين سنة أنفقها فى متاهات السياسات الدولية والأطماع الاحتكارية ، عيشة فيها من الترف والبذخ ما بلغ غاية الغايات .

وحين هزمت فرنسا فى الحرب العالمية الثانية لم يتردد الانجليز والأمريكيون فى أن يحاولوا التفاهم على حساب فرنسا وجولبنكيان الذى كان قد سارع إلى الخروج من تحت أقدام الفيلة التى باتت تتصارع فى أخطر حيلة للاطماع الأشعبية على حساب المغلوبين على أمرهم من أهل الأرض والبترول لكن الثعلب الأرمني كان أشد نباهة من أن لا يتوقع وقوع ظرف دولى تهب فيه الرياح على عكس ما يشتهى ، ولذلك ملأ خزائنه فى لشبونه التى ارتحل لها بكل المذكرات والأوراق التى تسجل أخطر المعلومات السرية المحرجة ووسائل الشر التى لجات لها شركات الاحتكار الكبرى لتحقيق أطماعها ، وحين هدد بنشر ذلك على الملأ سارع الشركاء القدامى فوقعوا مع نوبار جولبنكيان ـ ابن الرجل الذى استنكف عن مواجهة من حاولوا هضم حقوقه ـ اتفاقية لشبونه لعام ١٩٤٨ التى زادت دخل الرجل ثمانية ملايين دولار سنوياً ، لكنها انهت اتفاقية الخط الأحمر لصالح الشركات الامريكية .

أحمد العنانى

شعر: دكتور كمال نشأت

١ـ شهيد

ترنَّحَتْ بخَيْمَةٍ فجْرِيَّةٍ وسقَطَتْ
إنغمَسَتْ
فى بركةِ الدِّمَاءْ
وقَبَّلَتْ جبينَه المُعَفَّرَ الشَّامِخَ كِبْرِيَاءْ
ما قيمةُ الأعياد
ما روعةُ الأمجادْ
هذا الفتى المخلد الذى ذَهَبْ
الثُّقْبُ فى جَبينِه دَرْبٌ جَدِيدٌ لِلْعَرَبْ ..

٢ـ سميرة

بالأمس كنتِ الصغيرَهْ
تماوجينَ الضَّفيرَهْ
وكمِ لثَمْناكِ .. عطْفاً
أُبُوَّةً .. يا «سميرة»
واليوم منكِ السلامهْ
والجسمُ ينْدَى دَسَامهْ
والله أبدعَ .. صورْ
من قَطْرةٍ .. لغَمَامَهْ .. !



تأملات في حقيقة أمر أبي لهب

يهوذا بني هاشم

بقلم: حسين أحمد أمين

«تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ، سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ » .

ـ سُورَةُ المَسَد ـ

أثارت فى ذهنى قراءة « سُورَة المَسَد » عدداً من الاسئلة :

السؤال الأول : اذا كانت السورة من أوائل السور المكية كما يذهب كل أوجل المفسرين المسلمين واذا صح ما يقوله البعض من أنه لما نزلت « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين » ، خرج رسول الله حتى صعد الصفا وهتف حتى اجتمع اليه قومه ، وإذ اخبرهم انه نذير لهم بينَ يدى عذاب شديد ، قال له ابو لهب تباً لك ! ألهذا جمعتنا ؟ ثم قام منصرفاً ودعا قومه الى ان ينفضوا من حول النبى فنزلت سورة المسد .

فما علة الإتيان بالفعل بلفظ الماضى فى هذه الآية والآية التى تليها « مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ » فى حين كان أبو لهب وقتها ـ كما هو واضح ـ لايزال حياً ممتعاً بما رزق من ثراء ؟

الاجابة سهلة فيما يتعلق بالآية الأولى . فمن سنن العرب ان تاتى بالفعل بلفظ الماضى فى بعض الحالات وهو حاضر او مستقبل ، نحو : « أَتَى أَمْرُ اللَّه » اى ياتى ، و « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ » اى انتم ، ونحو استخدامنا لعبارات مثل : «رَحِمَهُ اللَّهُ» و «صَحِبَتْكَ السَّلاَمَةُ» و «شُفِيتُمْ» و «بَارَكَ اللهُ فيكُم» . فَتَبَّ هنا إذن فعل ماض يدل على المستقبل غير ان الاجابة اصعب فيما يتعلق باية : « مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ » .

فالقرآن الكريم لاترد فيه عبارة «مَا أَغْنَى» ومثيلاتها إلا للدلالة على حدث وقع من قبل : (وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بسيمَاهُمْ ، قالوا ما اغنى عنكمْ جمعكم وما حنتم تستكْبِرُونَ) ـ الأعراف ٤٨ ، (فاخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ . فما اغنى عنهم ما كانوا يكسِبُونَ) ـ الحجر ٨٣ ، ٨٤ ، (ثم جاءهم ما كانوا يُوعَدُون . وما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون) الشعراء ٢٠٦ ، ٢٠٧ وآيات اخرى غيرها (انظر الزمر ٥٠ ، وغافر ٨٢ ـ والاحقاف ٢٦ ، والتوبة ٢٥) . ولو أن المستقبل كان المقصود هنا لاستعملت ـ والله اعلم ـ كلمة «يُغْنى» ، كما فى اية . « إن الذين كفروا لن تُغْنى عنهم أموالُهُم ولا أولادُهُم من الله شَيْئا » ـ آل عمران ١٠ ، أو « من ورائهم جهنم ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئاً » ـ الجاثية ١٠ . (انظر أيضاً الى آل عمران ١١٦ ، والأنفال ١٩ والمجادلة ١٧) .

والغالب فى راينا أن السورة إنما نزلت عقب ورود الخبر بوفاة ابى لهب بعد وقعة بدر عام ٢ هـ / ٦٢٤ م بزمن قليل (قيل سبعة ايام كما

يروى ابن هشام) ، ولايصح الاحتجاج هنا بان قصر الآيات فى هذه السورة ـ وهو ما يميز السور المكية من السور المدنية بوجه عام ـ دليل على انها مكية . فمن السور المدنية ما هو قصير الآيات ايضاً ، مثل سورة النصر . أما ما ورد فى التفاسير من ان آية « تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ » هى من قبيل الاجابة على قول ابى لهب للنبى : تباً لك ! ، فكثير ما يخترع المفسرون القصص ويختلقون المناسبات من اجل تفسير الآيات وبيان أسباب نزولها .

وعندى أن اقوى دليل على صحة ما نذهب اليه هو ما ورد فى الطبقات الكبرى لابن سعد ـ وهو ثقة ـ من أنه حين توفى ابو طالب وخلفه اخوه ابو لهب فى زعامة بنى هاشم ، لزم النبى بيته ، واقل الخروج ، ونالت منه قريش مالم تكن تنال ولا تطمع فيه . وإذ بلغ ذلك أبا لهب جاء الى النبى فقال : « يامحمد ، امض لما اردت ، وماكنت صانعاً إذ كان ابو طالب حياً فاصنعه . لا واللات لايوصل اليك حتى أموت ! » ، وقيل ان ابن الغيطلة سب النبى ، فاقبل عليه ابو لهب فنال منه (اى من ابن الغيطلة) فولى وهو يصيح : « يامعشر قريش ، صبا ابو لهب ! » . فاقبلت قريش حتى وقفوا على ابى لهب ، فرد عليهم بقوله : « مافارقت دين عبد المطلب ولكنى امنع ابن اخى ان يضام حتى يمضى لما يريد » . قالوا : « قد احسنت واجملت ووصلت الرحم » . فمكث رسول الله كذلك اياماً يذهب ويأتى لا يعترض له احد من قريش ، وهابوا ابا لهب .

هــــذه القصـــة فى الطبقات لا يمكن تصور حدوثها إن كانت سورة المسد قد نزلت فى مستهل الدعوة . اذ ليس من المعقول أن يصر ابو لهب على حماية النبى بعد وفاة ابى طالب عام ٦١٩ م قبل الهجرة بثلاث سنوات فحسب ولا أن يقبل النبى منه هذه الحماية وقد جاء فى القرآن بشانه وشان امراته ما جاء .

وعلى اي الاحوال فان السورة فى رأينا قد تكون مدنية ، فتفسير « تَبَّت » فى هذه الحالة على انها بيان الواقع او تقرير حال ، ويكون المعنى ان ماله وماكسب من جاه لم يدفعا عنه الموت ولا هما بدافعين عنه عذاب النار . اما إن كانت مكيّة ، كما يصر المفسرون ، فَتَبَّتْ إذن هى دعاء او استنزال للعنة .

استخدام الكنية

السؤال الثانى : إذا كان اســـتخدام الكنية هو عند العرب من قبيل الاعظام والتكرمة ، والاجلال عن التصريح بالاسم ، او ، على حد قول السيوطى فى « المزهر » : « لا يؤهل للكنية إلا ذو الشرف من القوم » ، فما علة تكنية القرآن لهذا الكافر ، واسمه فى الحقيقة عبـــد العـــزى بن عبد المطلب ، وإنما لقبه أبوه بأبى لهب لحسنه وماله وإشراق وجهه ؟ .

الاجابة هنا أيضاً سهلة ، نجدها فى كشاف "الزمخشرى" وتفسير "القرطبى" وعند غيرهما .

فقد يكون ابو لهب مشتهراً بالكنية دون الاسم ، حتى صارت كنيته أشهر عَلَمَيْه .

وقد يكون انه لما كان مآله إلى نار ذات لهب ، وافقت حاله كنيته ، فكان من المناسب ان يذكر بها .

والثالث أن العُزَّى صنم ، ولم يضـف الله فى القرآن العبودية إلى صنم .

« سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ »

السؤال الثالث : يفسر المفسرون آيـة « فى لوح محفوظ » من سورة البروج بأنه ام الكتاب الذى منه انتسخ القرآن وسائر الكتب السماوية ، وأن فيه بيان أمور الخلق وذكر آجالهم وأعمالهم ومآل عواقب أمورهم .

فهل كانت "سورة المسد" فى اللوح المحفوظ منذ البداية ، وفى كتاب الله من قبل ان يخلق أبو لهب وأبواه ، بحيث لم يكن فى وسع أبى لهب إلا أن يَصْلَى النار ، ولم يكن باستطاعته أن يقبل الاسلام ديناً له ؟

غير أن محاولة الاجابة عن هذا السؤال من شأنها أن تفضى بنا إلى مناقشة طويلة وجدل مضن حول الموضوع الأزلى ، « هل الانسان مخير أو مسير ؟ » وهو ما يشـغل مئات ومئات من الصفحات فى كتب علماء المسلمين . على أى حال فان القول بأنه سَيَصْلَى ناراً ذات لهب ، ربما كان فيه دليل آخر على أن السورة مدنية لا مكيّة ، وعلى انها نزلت بعد وفاة أبى لهب حين انقضت فرصة اعتناقه الاسلام والتوبة والفرار بنفسه من النار .

« وامْرَأَتُه حَمَّالَةَ الحَطَبِ فى جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَد »

السؤال الرابع : ما المقصود بحمـــالة الحطب ؟

قال البعض ـ كما هو متوقع ومعهود من كثير من المفسرين ـ إن أم جميل ، زوج أبى لهب ، كانت تحمل الحطب على ظهرهـا لشدة بخلها حتى تكون فى غنى عن الخدم وقيل بل كانت تحمل الحسك والشوك فتطرحهمـا بالليــــل على طريق النبى وأصحابه .

والمرجح عندنا أن المقصود ليس ما كانت تفعله أم جميل فى حياتها ، وإنما المقصود ان هذه المراة ستجمع فى جهنم الحطب الذى سيوقد تلك النار . وربما صلح دليلا على ما نذهب إليه ، ان كلمة « حَمَّالَةَ » منصوبة فى الآية (وفق قراءة عاصم) ولو كانت خبراً او نعتاً لامراته لكانت مرفوعة . غير أن البعض يرى أنها ربما تكون قد وردت بالنصب على الذم ، فكأنها اشتهرت بذلك فجاءت الصفة للذم لا للتخصيص .

كذلك نذهب إلى أن المقصود بآية « فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَد » انه سيكون فى عنقها فى جهنم حبل مفتول من الليف ، لا ما ذكره الضحاك وغيره من أنها كانت فى الدنيا تحتطب وهى فى حبل تجعله فى جيدها ، فخنقها الله به فاهلكها .

ولكن ، لماذ أبو لهب ؟

السؤال الخامس ، وهو أهم هذه الأسئلة

يهوذابني هاشم

فى رأيى : لماذا خص الله أبا لهب بالذات دون سائر المشركين بالاسم ، وتخصيص سورة له ، دون أبى جهل مثلا أو أمية بن خلف أو عقبة بن أبى معيط أو النضر بن الحارث ، وكلهم من ألد أعداء النبى فى قريش ، وأشدهم عليه ؟

إن القرآن لم يورد من أسماء معاصرى النبى عليه الصلاة والسلام غير اسمين اثنين لا غير ، أحدهما لمسلم وهو زيد بن حارثة ، والآخر لكافر وهو أبو لهب . فما علة نزول سورة فيه بالذات ؟

صحيح أننا نعلم أن الصحابى عبد الله ابن مسعود – وكان يعتبر نفسه أحد الثقات الكبار فى القرآن – ذهب إلى أن نسخة القرآن التى أقرها الخليفة عثمان بن عفان غير كاملة ، واتهم زيد بن ثابت وأصحابه ممن جمعوا القرآن باستبعاد آيات تلعن الأمويين . غير أن هذا الاتهام غير مقبول . فقد كان على بن أبى طالب والكثيرون غيره من الصحابة أحياء وقت قيام زيد بمهمته ، ولم نسمع أن أحدهم أيد زعم ابن مسعود واحتج على استبعاد آيات .

لقد كان أبو لهب عم النبى . وكان فى وقت من الأوقات على علاقة طيبة بابن أخيه ، بدليل القصة التى أوردناها من كتاب الطبقات ، وبدليل أن ابنيه عتبة وعتيبة كانا متزوجين ، أو مخطوبين ، لابنتى النبى : الأول لرقية ، والثانى لأم كلثوم . فما عسى أن يكون قد حدث بعد ذلك حتى أصبح أبو لهب من رءوس الكفر ومن أعدى أعداء الرسول ؟

كلمتان فى السورة هما عندى مفتاح الاجابة : ماله ، وامرأته ولأشرح الآن ما أعنى :

تجار قريش

نحن نعلم أن المجتمعات الرعوية من البدو كانت دوماً فى حاجة إلى قدر عظيم من التضامن بين أفرادها ، كفيل بأن يحمى كيانها . فكان من واجب كل فرد من أفراد القبيلة أو العشيرة أو الرهط أن ينصر أخاه ظالماً أو مظلوماً ، ومن واجب السيد أن يكفل الحماية لمن هم دونه ، ويساعد الفقراء منهم والمستضعفين .

غير أن تحول قريش فى مكة تدريجاً من الرعي إلى التجارة أدى إلى ضعف مطرد فى التضامن بين أفراد هذه القبيلة ، وبدأ سادتها وشيوخها ينزعون إلى تكوين الثروات الضخمة الخاصة بهم . وقد ساعد على ذلك أن التجار كانوا يتعاملون أساساً فى سلع كمالية صغيرة الحجم سهلة الخزن ، مما مكنهم من زيادة ثرواتهم بغير حدود ، فى حين كانت الصورة الرئيسية للثراء عند البدو هى وفرة الابل ، وهو أمر يصعب معه حيازة ثروات كبيرة ، إذ يحتاج القطيع إلى عدد من الرجال يعنون به ويحمونه من غارات العدو ، ولابد أن يكون لدى هؤلاء من الولاء لصاحب القطيع ما يحفزهم على النهوض بهذه المهمة ، والمخاطرة بحياتهم فى سبيله .

وقد اتجه هؤلاء التجار من قريش إلى استغلال المستضعفين خاصة من اليتامى والأرامل . وكان الرؤساء منهم يديرون الأموال الشائعة لعشائرهم فيستثمرونها ثم يحتفظون بالثمرة لأنفسهم لا يفيد منها غيرهم . ومع ذلك فانه لم يتمكن من بين تجار قريش غير عدد محدود من أن يجمع لنفسه ثراء واسعاً ، وكان الصراع على أشده وقت نهوض النبى بالدعوة (حوالى عام ٦١٠ م) لا بين الأثرياء والفقراء ، بقدر ما كان بين واسعى الثراء ومعتدليه . وقد قلق هؤلاء الأخيرين ما لمسوه من وهن مطرد فى مشاعر التضامن بين أفراد القبيلة ونمو المشاعر الفردية الأنانية ، وانهيار القيم القبلية التقليدية التى كانت توفر للجميع قدراً من الاطمئنان للغد .

وقد أدت المصالح التجارية المشتركة إلى قيام روابط جديدة بين كبار تجار قريش . وسرعان ما ظهرت فى مكة جماعتان رئيسيتان متنافرتا المطامح ، فأما بنو هاشم – وهم الأقل ثراء – فتراسوا حلفاً يعرف بحلف الفضول من تلك الجماعات التى عجزت عن تنظيم قوافل مستقلة للتجارة تعود عليها بالربح الذى حرمت منه ظلماً . وكان هذا الحلف على عداء مع ما يعرف بالأحلاف ، وهو تنظيم أقامه أثرياء التجار ممن سعوا إلى فرض نوع من الاحتكار . وربما كان من بين البواعث التى حدت بالنبى عليه الصلاة والسلام إلى أن يوجه أكثر من نصف عدد المسلمين وقتها إلى الهجرة إلى الحبشة (١) (رغم ما قيل من أن الاضطهاد الذى تعرضوا له هو الباعث الوحيد على هذه الهجرة) ، رغبة فى السعى إلى كسر هذا الاحتكار بأن يبحث هؤلاء المسلمون عن طريق آخر للتجارة غير خاضع لسيطرة كبار التجار من قريش . ومما يدعم هذا الافتراض أمران : الأول : أن جل مهاجرة الحبشة كانوا من أفراد الجماعات الداخلة فى حلف الفضول ، والثانى : أن عدداً منهم بقي فى الحبشة حتى بعد هجرة النبى والمسلمين إلى المدينة وانقضاء ذلك الاضطهاد ، فلم يتركها إلى الحجاز حتى العام السابع من الهجرة .

دور أبى لهب

وقد حدث حوالى عام ٦١٦ م (أى بعد حوالى عام من تلك الهجرة إلى الحبشة) ، أن اجتمعت كلمة بطون قريش على مقاطعة بنى هاشم وبنى المطلب ، ذوى الصلات الوثيقة ببنى هاشم ، وحظرت التعامل التجارى معهم أو الزواج منهم . وكان السبب الظاهر لهذه المقاطعة رفض أبى طالب أن يسقط الحماية عن ابن أخيه ، أو أن يقنعه بالعدول عن الدعوة إلى الدين الجديد . وبالرغم من أن العرب كانوا يرون عاراً عظيماً فى أن تتخلى العشيرة عن حماية أحد أفرادها لمجرد أن العشائر الأخرى هددتها بالعقاب إن هى لم تفعل ، فقد كان من السهل على أبى طالب أن ينتحل عذراً أو آخر للتخلى عن ابن أخيه

لو انه كان حقاً راغباً فى تجنب مقاطعة بطون قريش لبنى هاشم .

والواقع أن استمرار تحدى بنى هاشم لهذه المقاطعة على مدى ثلاث سنوات ، دليل على انه كان لبنى هاشم مصلحة حقيقية فى موضوع الخلاف ، ودليل على انه قد ظل باستطاعتهم النهوض ببعض النشاط التجارى ولو على نطاق اضيق من ذى قبل . وقد انهارت المقاطعة فى النهاية حين انسحب منها بعض البطون . وذلك حين أدركت أن نجاحها إنما سيؤدى إلى تعاظم قوة أغنياء التجار ممن دشنها على نحو يتعدى الحدود التى كانوا يأملون فى الوقوف عندها .

وفى حوالى عام ٦١٩ م (أى بعد انتهاء المقاطعة بمدة قصيرة) ، مات أبو طالب ، وخلفه أبو لهب فى زعامة بنى هاشم . والذى يبدو لنا انه بعد عام أو بعض عام من رياسته (وهى مدة سار فيها ابو لهب على نهج اخيه من حماية النبى ، كما نفهم من الفقرة التى أشرنا إليها من كتاب الطبقات) ، أدركت الاحلاف انه لن يكون بوسعها ممارسة الضغط على النبى وعلى بنى هاشم إلا إن جاء هذا الضغط من داخل رهط بنى هاشم أنفسهم . وبالتالى فقد سعت ــ وكلل سعيها بالنجاح ــ إلى أن تشترى ذمة أبى لهب ، وأن تحوله عن انتهاج السياسة التقليدية لبنى هاشم ، بل وعن مراعاة المصالح الاقتصادية لعشيرته إلى خيانة هذه المصالح فى سبيل نفع شخصى محض . فالأرجح إذن أنها أغرته بحصة من أرباحها ، أو بالاشتراك معها فى عملياتها التجارية واحتكارها ، وقد ساهم فى نجاح مسعاها أمور ثلاثة .

أولها : خسة طبعه وغرامه بالمال وانيق العيش (مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) .

وثانيها : زواجه من أخت أبى سفيان (حمَّالة الحطب) ، وأبو سفيان هذا من سادة بنى أمية الأقوياء ، وواحد من أكبر تاجرين أو ثلاثة فى قريش . ولابد انه كان لهذه المرأة نفوذ عظيم على زوجها ، (وإلا لما قرنت به على هذا النحو الذى نراه فى سورة المسد) ، إما بفضل انتمائها إلى بنى أمية ، أو بفضل صفات خاصة بهـــا ، كجمالها أو ثرائها .

وثالثها : أن الأحلاف تمكنت من أن توفر لأبى لهب عذراً يقبل ضميره أن يتذرع به ، ومبرراً يلوح به فى وجوه بنى هاشم إن هم ألحوا عليه باللائمة وعيروه . فقد أقنعته ــ أو هو اختار أن يقتنع ــ بأن سب النبى لآلهة عبد المطلب وقوله إن ماله جهنم ، سببان وجيهان وكافيان لأن يسقط عن ابن أخيه الحماية دون أن يجلل نفسه بالعار ، ودون أن يسقط فى أعين الناس .

إن قريشاً لم تكن ــ كمـــا يعتقـد الكثيرون ــ شديدة التمسك بآلهتها ، ولا كانت الوثنية عندها عميقة الجذور ، وإنما استمرت عبادتها للأوثان من قبيل التقليد المحض لسنة أسلافها ، ونتيجة للافتقار ــ حتى ظهور الاسلام ــ إلى أية معارضة منظمة لهذه العبادة ، ومما يدلنا على ذلك ما نعلمه من استخفاف الكثيرين منهم فى الجاهلية بهذه الآلهة ، ودعوة الحنفاء إلى عبادة اله واحد ، وتسفيههم لعقيدة قومهم دون أن يلحقهم أذى أو اضـــطهاد ، ثم ما نعلمه عن ذلك التقبل السهل المذهل من جانب قريش بعد فتح مكة لهدم أوثانها دون أن يصيبها شىء من لواعج الأسف أو الحيرة أو الانزعاج . وإنما كانت معارضة قريش للنبى نابعة أساساً من مخاوف سياسية واقتصادية . فبالرغم من أن النبى لم يكن يهدف على الاطلاق إلى السيطرة على مكة ، فقد كان من شأن الاعتراف به رسولا لله أن يؤدى إلى تعاظم نفوذه السياسى ، ما دام هذا الاعتراف يتضمن إقراراً بأن ما يبلغهم إياه من أحكام وأوامر هى من عند الله ولا سبيل إلى مخالفتها ، وهو أمر كان سيسفر لا محالة عن تغير اقتصادى جذرى فى أوضاع مكة ، وفى موازين القوى داخل عشائر قريش .

على أيٍّ فقد تخلى أبو لهب عن حماية النبى ، فأصبح من الخطر كل الخطر أن يواصل الدعوة فى مكة ، أو حتى أن يستمر فى الاقامة بها . فإن كان النبى قد دخل فيما بعد فى جوار المطعم بن عدى ، سيد بنى نوفل ، فالغالب أن يكون المطعم قد اشترط على النبى أن يحد بعض الشىء من نطاق الدعوة ، وفرض بعض القيود على حريته فيها . وقد سعى النبى جـاداً قبيل ذلك فى البحث عن مجال لدعوته فى غير مكة . فاتجه فكره أولا إلى الطائف المجاورة ، خاصة أن أهلها من بنى ثقيف كانوا فى الماضى من أكبر منافسى تجار قريش ، وإن صاروا اليوم خاضعين لنفوذهم . وبالرغم من أن اعتناقهم الاسلام كان يمكن أن يؤدى إلى خلاصهم من هذه التبعية المالية لمكة ، فقد أبوا ــ لسبب أو آخر ــ (ربما لخوفهم هم أيضاً من قيام نفوذ سياسى للنبى) أن يقبلوا دعوة النبى ، فعاد إلى مكة دون أن يحقق طائلا . ثم نعلم جميعاً كيف لقيت مفاوضاته مع أهل يثرب ما لقيت من نجاح ، وهم الذين كانوا فى حاجة ماسة إلى نفوذ سياسى قوى يضع حداً للصراع الدموى بين الأوس والخزرج ، وكيف هاجر عام ٦٢٢ م إلى تلك المدينة مع نحو سبعين من المسلمين ، وكيف كان أحد عوامل انتصاره فى النهاية على مكة تضييق المسلمين الخناق على تجارة قريش حتى اضطرت إلى التسليم والاذعان

خلاصة القول أن مثل هذه الخيانة من جانب أبى لهب للنبى من أجل مصلحة مادية أنانية هى على حساب مصلحة عشيرته ، وبتأثير قوى من زوجته ، هو وحده ما يفسر لنا ذلك السخط الشديد عليهما مما نلمسه فى سورة المسد .

والله بعد ذلك أعلم بما أراد .

حسين أحمد أمين

---

(١) بلغ عدد مهاجرة الحبشة ٨٣ مسلما ، اصطحب الكثيرون منهم عائلاتهم معهم ، فى حين بلغ عدد المهاجرين إلى المدينة نحو سبعين مسلما .

إسحاق نافون

رئيس وزراء محتمل لتأخير الانفجار الطائفي في إسرائيل

مع ازدياد عمق الهوة الطائفية فى الكيان الصهيوني ، بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين ، اخذ نجم رئيس الكيان الحالي إسحاق نافون بالتالق كخليفة محتمل لرئيس الوزراء الحالي مناحم بيجن ، خاصة وان نافون سياسي صهيوني قديم ، وهو من «حمائم» حزب العمل المعارض منذ عام ١٩٦٨ ، لكن ابرز مؤهلات نافون لشغل منصب رئيس الوزراء القادم في اسرائيل ، هي كونه يهوديا شرقيا ، يحظى برصيد سياسى مؤثر بين الطوائف الشرقية ، على الرغم من صفته الحمائمية وعضويته فى حزب العمل ، الذى أصبح حزب «البيض» من اليهود الغربيين .

وقد اعلن نافون نفسه فى أيلول (سبتمبر) الماضى ، انه لا يستبعد العودة الى خوض غمار الحياة السياسية مجدداً فى العام الجديد (١٩٨٣) ، وقال انه سيقرر فى الشهر الحالى كانون الثانى (يناير) أو فى الشهر القادم شباط (فبراير) ، فيما اذا كان سيرشح نفسه مرة أخرى «لرئاسة الدولة» لفترة خمسة اعوام قادمة .

بقلم : عصام شريح

من المعروف ان «رئيس الدولة» فى اسرائيل هو رئيس فخرى ، وصلاحياته هى مجرد صلاحيات احتفالية ، وهو كملكة (أو ملك) بريطانيا ، يملك ولا يحكم ، وليس له من السلطة والتاثير فى صنع القرارات السياسية او غيرها اى شىء ، و «رئيس الدولة» فى المحصلة ليس اكثر من رمز لملوك اسرائيل السابقين فى عهد الاغتصاب الأول لأرض فلسطين العربية ، لكنه الرمز الذى يضفى عليه الاسرائيليون صفات العلم ، والثقافة ، والادب ، والتادب والفلسفة والتفلسف ، والرصانة والترصن والحصافة والتحصف ، والهدف من وراء إضفاء هذه الصفات هو خداع العالم المتمدن والراى العام العالمى ، ولاعطاء اسرائيل صفة «الدولة» العصرية ، بل وصفة الدولة المستقبلية دوما وابداً . ولوضع صورة حقيقية «لرئيس الدولة» فى

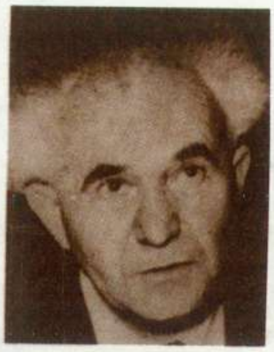


اسحاق نافون

إسرائيل ، وتبيان سلطاته الفخرية ، نشير الى صلاحياته المعلنة فى سبعة بنود ، وهى كما يلى :

- توقيع كافة القوانين باستثناء تلك المتعلقة بصلاحيات رئيس الدولة .
- توقيع المعاهدات بعد إقرارها فى الكنيست .
- تعيين مندوبى الدولة الدبلوماسيين بموجب توصية من وزير الخارجية ، وتسلم أوراق اعتماد المندوبين الدبلوماسيين للدول الأجنبية لدى اسرائيل .
- استلام التقارير عن جلسات الحكومة .
- قبول استقالة الحكومة والعمل على تشكيل حكومة جديدة عن طريق الاستشارات مع قوائم الاحزاب فى الكنيست ، وإلقاء مهمة تشكيل الحكومة على احد اعضاء الكنيست .


بيجن


بن جوريون


شوبنهور

● اصدار العفو ، وتخفيف العقوبات عن السجناء بموجب توصية من الجهات الحكومية المختصة .

● تعيين مراقب الدولة وعميد بنك اسرائيل والقضاة المدنيين والقضاة الشرعيين للطوائف المختلفة .

وإذا كانت صلاحيات «رئيس الدولة» تقتصر على الجانب البروتوكولى ، فان الحكومة والكنيست هما اللذان يتقاسمان السلطة السياسية .

وقد درج الرؤساء السابقون فى الكيان الاسرائيلى على الالتزام بالهامش البروتوكولى من السلطة ، فالرؤساء الذين سبقوا الرئيس الحالى إسحق نافون ، وهم حاييم وايزمن ، واسحق بن زفى ، وزالمان شازار ، وافرايم كاتزير ، حـاولوا قتل أوقات الفراغ بالتظاهر ببذل نشاطات تتعلق بالثقافة والادب والمجتمع ، فجعلوا مقر الرئاسـة ملتقـى للأدبـاء والمفكريـن والسياسيين والكتاب والفنانين البارزين .

وقد تركز معظم هذا النشاط لرؤساء اسرائيل حول «ملتقى دراسة التوراة» الذى كان يحضره ويشرف عليه رئيس الوزراء الأسبق دافيد بن جوريون ، ثم «ملتقى وضع اليهود فى الدياسبورا» ، وهدف هذا الملتقى هو دراسة اوضاع اليهود فى «بلاد الشتات» ، وقد اضيفت الى هذه المهمة بعد حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، مهمة اخرى هى بحث آثار «حرب يوم الغفران» على إسرائيل . وكان زالمان شازار اكثر الرؤساء الصهاينة نشاطا فى هذا الميدان ، فقد اشرف على عقد عدة مؤتمرات وندوات علمية ، دعا اليها علماء واختصاصيين يهوداً واوربيين واميركيين من الخارج ايضا ... والمهم ان رؤساء إسرائيل كانوا يحاولون على الدوام إضفاء الصفة الحضارية والعقلانية والتقدمية على الكيان الصهيونى من خلال نشاطاتهم الثقافية والادبية ورعايتهم للمفكرين والفنانين .

لكن من الملاحظ ان إسحق نافون ـ وهو الرئيس الخامس ـ قد حاول الخروج على تقاليد اسلافه ، والقانون الذى حدد صلاحيات الرئيس ، ونسجل له هنا محاولتين فى هذا المضمار على الأقل هما :

أولا : « خـلال زيارته للقـاهرة فى ٢٦ ـ ١٠ ـ ١٩٨٠ ، وفى اعقاب اجتماعين عقدهما مع الرئيس المصرى الراحل انور السادات ، ادلى نافون بتصريحات سياسية تتعارض مع صلاحياته « كرئيس للدولة » ، وتتناقض بصورة جلية مع التقاليد التى سار عليها الرؤساء السابقون . ففى اعقاب الاجتماع الأول صرح نافون انه بحث مع الرئيس السادات فى إيجاد سبل لتوسيع حجم تطبيع العلاقات الثنائية ، وكذلك التطورات فى محادثات الحكم الذاتى . وبعد الاجتماع الثانى ، وخلال مؤتمر صحفى مشترك مع الرئيس السادات ، قال نافون : إنه توصل الى اتفاق مع الرئيس المصرى الراحل حول فتح الحدود البرية ودخول السياح الى دير سانت كاترين ، وشئون تطبيع العلاقات الثنائية .. الخ .

ثانيا : فى اعقاب مجزرة مخيمى صبرا وشاتيلا الفلسطينيين فى القطاع الغربى من بيروت ، خرج اسحق نافون عن «وقار» الرئاسة المزعوم ، وادلى بعدة تصريحات سياسية ، حاول خلالها «تبرئة» الجيش الاسرائيلى الغازى من المجزرة ، بالقاء تبعاتها على حزب الكتائب اللبنانى . وكان من عباراته الشهيرة فى هذا المقام ، قوله : «نريد ان نطهر ضمائرنا ، ولندع المذنب يدفع الثمن ، وينبغى ان ندين المعتدين ، ونحن نعرفهم : انهم الكتائبيون .. وان من يقتل النفس فكانه قتل العالم كله ؟!!» .

وبالطبع فان « استفاقة الضمير» التى يزعم نافون انها اصابته فى الصميم هى كذبة كبيرة ، لاننا لم نسمع نافون ينبس ببنت شفةايام مجازر دير ياسين وقبية والسموع وبيروت ، واليوم مجازر جبل الشوف التى يقف وراءها الجيش الاسرائيلى الغازى بكل وضوح .. وعلى كل حال فان الكذب والخداع والغش وما شابه من صفات سفلية هى فى صميم الطبع والطبيعة اليهوديتين ، ولعل الفيلسوف الالمانى «شوبنهور» كان دقيقا الى ابعد الحدود عندما رسم صورة للطباع والطبيعة اليهوديتين بطرحه التساؤل التالى : اليس «الشعب المختار» هو اكذب شعب على وجه الأرض ؟؟» .

من هو نافون ؟

ينحدر نافون من اسرة يهودية شرقية ، هاجرت من اسبانيا الى المغرب ، ومن المغرب الى فلسطين قبل ٣٥٠ عاماً ، وعندما انتخب «لرئاسة الدولة» فى الكيان الصهيونى فى ايار (مايو) ١٩٧٨ ، قال إن مهمته «هى تعزيز الاحساس بالوحدة فى دولة تتكون من شعب جاء من ١٠٢ دولة ، ويتكلم ٨١ لغة» !! ، واضاف «إن تاريخ اليهود هو ما فعل الآخرون لهم ، وليس ما فعلوه هم كدولة» ، واهم الخطوط فى حياة نافون يمكن تسجيلها فى الشريط التالى :

● ولد فى نيسان (ابريل) ١٩٢١ فى مدينة القدس العربية ، من ابوين يهوديين من اصل مغربى ، وله ولد واحد وبنت واحدة ، وهو خريج الجامعة العبرية فى القدس ، ومتخصص فى الأدب العربى والثقافة الاسلامية ، إضافة الى تخصصه فى اصول تدريس الأدب العبرى .

● فى الفترة ما بين ١٩٤٦ ـ ١٩٤٩ عمل فى وظيفة سكرتير ثان فى بعثة دبلوماسية اوفدتها عصابة الهاغاناه (حكومة الظل فى عهد الانتداب البريطانى على فلسطين) الى الاوروجواى .

● ١٩٤٩ ـ ١٩٥١ عمل فى بعثة دبلوماسية لدى الأرجنتين .

● ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ شغل منصب سكرتير سياسى لوزير الخارجية (موشى شاريت) .

● ١٩٥٢ ـ ١٩٦٣ : مدير مكتب رئيس الوزراء (دافيد بن جوريون) .

● ١٩٦٣ ـ ١٩٦٥ : رئيس الدائرة الثقافية بوزارة المعارف والثقافة .

● ١٩٦٥ ـ ١٩٧٨ : نائب في الكنيست ، وخلال هذه الفترة الطويلة نسبيا ، شغل منصب نائب رئيس الكنيست ، ثم رئيس لجنة الدفاع والخارجية بالكنيست .

● ١٩٧٣ ـ ١٩٧٨ : رئيس «المجلس الصهيونى» .

اما بالنسبة لنشاطه الحزبى فقد تقلب إسحق نافون بين الاحزاب الاسرائيلية الرئيسية ، واستقر اخيراً (وحتى الآن) فى حزب العمل ، ففى الفترة من ١٩٥١ ـ ١٩٦٥ كان عضواً فى حزب الماباى (العمل)

إسحاق نافون

رئيس وزراء محتمل لتأخير الانفجار الطائفي في إسرائيل

وفى الفترة من ١٩٦٥ ـ ١٩٦٨ ، انتقل الى حزب «رافى» الذى شكله بن جوريون بعد خروج هذا الأخير من حزب الماباى . وفى عام ١٩٦٨ عاد نافون الى حزب العمل ثانية .

نافون فى خضم الأزمة الطائفية

سواء رشح نافون نفسه لخلافة مناحيم بيجن فى رئاسة الوزراء ، او استمر فى منصبه الحالى «كرئيس للدولة» للسنوات الخمس القادمة ، فان انظار اليهود الشرقيين «السفارديم» تتطلع اليه كزعيم منتظر لهم ، حيث ان ثقافته واصله السفارديين ، إضافة كونه الشخصية السفاردية الاكثر شهرة فى الحياة السياسية فى اسرائيل ، خاصة بعد «تقزيم» شخصية وزير الاديان السابق ، ووزير العمل والشئون الاجتماعية واستيعاب المهاجرين حاليا ، اهارون ابو حصيرة الذى كان مرشحا قبل ادانته بارتكاب فضائح مالية فى وزارة الأديان ، لأن يصبح زعيماً مرموقاً لليهود الشرقيين . وفى اطار هذا التوقع المستقبلى فان اهم ما يمكن ان يواجهه نافون فى حال توليه الحكم فى إسرائيل كرئيس للوزراء ، هو مسالة الهوة الطائفية الآخذة بالاتساع بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين ، وهذه المسالة تمثل ازمة تاريخية ، باتت بسبب استفحالها تهدد مستقبل الكيان الصهيونى برمته من الداخل .

جذور الأزمة

لكن .. قبل الاسترسال فى وصف مظاهر الأزمة الطائفية فى الكيان الصهيونى ، سنحاول تلمس جذور هذه الأزمة . فالاسرائيليون اليوم ينقسمون الى طائفتين رئيسيتين هما :

● طائفة الأشكنازيم : وهم اليهود الغربيون ، الذين هاجروا الى اسرائيل من روسيا وبولونيا والمانيا بصورة خاصة ، ويعتبرون المؤسسين الحقيقيين للكيان الصهيونى ، وهم حكام هذا الكيان الفعليين ، ومعنى «اشكناز» بالعبرية الحديثة «المانيا» والياء للنسبة والميم للجمع (في اشكنازيم) ، ويهود هذه الطائفة يشبهون « السلاف » فى صفاتهم الجسدية ، ويطلق على لغتهم اسم «اليديش» ، وهي فى الأصل اللغة الالمانية التى كانت منتشرة ومستخدمة فى العصور الوسطى ، بعد ان دخلتها بعض المفردات العبرية والأجنبية (السلافية خاصة) . وقد نشأت « اليديشية » فى المانيا ، لكن اليهود حملوها معهم حينما هاجروا الى بولندا وروسيا وفرنسا والنمسا فى القرنين الخامس والسادس عشر ، ومعظم اليهود الاشكنازيين يتكلمون اليديشية وليس العبرية ، كما ان صيغ الدين اليهودي لديهم تختلف عن الصيغ المعروفة لدى اليهود الشرقيين « السفاريم » ، نظراً لاختلاف المؤثرات الحضارية بين الفريقين ولهذا فان مصطلح « اشكناز » ليس له دلالة جغرافية فحسب ، وإنما له دلالة دينية وحضارية ايضا .

● طائفة السفارديم : وهم فى الاصل يهود اسبانيا وبلدان حوض البحر المتوسط وقد تسموا بهذا الاسم نسبة إلى مكان بشمال فلسطين كان يعرف باسم « سفارد » فى الحقبة التى اعقبت السبي البابلي لليهود القدماء ، ولكن معنى الكلمة يدل فى العصور الوسطى لدى اليهود على شبه جزيرة إيبريا (اسبانيا والبرتغال) ، وقد اطلقت هذه التسمية على نسل اولئك اليهود الذين عاشوا اصلا في اسبانيا والبرتغال ، في مقابل تسمية «الاشكنازيم» الذين عاشوا فى المانيا خاصة واوربا عامة وكان ليهود اسبانيا طريقتهم الخاصة فى الصلاة والطقوس الدينية التى تعد استمراراً للتقاليد الدينية اليهودية التى نشات وتطورت فى بابل ، فى حين كانت عبادة وطقوس الاشكنازيم مقتبسة من الاصول اليهودية القديمة . المهم هنا ان الفروق بين السفارديم (اليهود الشرقيين) ، والاشكنازيم (اليهود الغربيين) قد تعمقت نتيجة لتاثر الشرقيين فى عباداتهم وتلاواتهم وتراتيلهم وإنشادهم بالذوق والأسلوب والنغم العربي فى الاذكار والاناشيد والموسيقى ، كما انفرد هؤلاء بنصوص شعرية ونثرية فى ادعيتهم وصلواتهم ، قريبة الشبه بما يماثلها عند المسلمين ، ولكل هذا اكتسب اصطلاح «سفارد» دلالة دينية إلى جانب دلالته العرقية الأصلية . وحينما طرد يهود الأندلس ، اتجهوا إلى تركيا واليونان وشمال افريقيا ، واتبع معظم يهود المنطقة طريقتهم فى العبادة ، مما اسبغ على مصطلح «السفارديم» دلالة أوسع واشمل ، بحيث اصبح يطلق على جميع اليهود الذين يتبعون التقاليد السفاردية فى العبادة ، سواء كانوا من اصل اسباني ام لا وفي وقتنا الحاضر ، يطلق هذا المصطلح على كل اليهود الذين ليسوا من اصل اشكنازي ـ غربي فى الكيان الصهيوني .

ومع ان نسبة اليهود الشرقيين الى مجموع اليهود فى العالم (١٤ مليونا) لا تتجاوز ١٥ بالمائة ، فان هؤلاء اصبحوا يشكلون نسبة متفوقة فى اسرائيل ، حيث بلغت نسبة الشرقيين الى الغربيين حاليا حوالي ستين بالمائة .

مستقبل مظلم

وإزاء هذا الانقسام الطائفى فى الكيان الصهيونى ، فان دعوات خطيرة جداً قد بدأت تطفو على سطح الاحداث ، لا لتعلن التمرد ضد سيطرة اليهود الغربيين فحسب ، وإنما مطالبة بفصل «الشراكة» الزائفة بين الغربيين والشرقيين ، لان «الوحدة» لها معنى واحد ليس إلا ، هو سيطرة الاشكنازيم على السفارديم ، بل إن بعض الشرقيين رفعوا اصواتهم بقوة قائلين إنهم يهود عرب ، وكما ان هناك عرباً مسلمين ، وعرباً مسيحيين ، فهناك ايضا عرب يهود . لقد كان واضحا منذ قيام الكيان الصهيونى على ارض فلسطين المغتصبة فى عام ١٩٤٨ ، ان الغربيين ـ اى اليهود القادمون من المجتمعات الغربية ـ يرفضون باصرار بالغ تحويل اسرائيل الى مجتمع شرقى ، اى الاندماج بالمنطقة العربية ، وكانوا يصرون على انهم جزء من أوروبا والعالم الغربى ، ولذلك فانهم لن يسمحوا تحت اى ظروف بالتهاون فى فرض سيطرتهم الكاملة على «الدولة» وفرض مفاهيمهم «الغربية» على جميع مرافق الحياة فى اسرائيل .

ولقد كان «بن جوريون» ـ اول رئيس

وزراء فى اسرائيل ـ كان واضحاً فى احتقاره للشرق وللثقافة اليهودية الشرقية وهو دون شك احد القادة القلائل فى الحركة الصهيونية الذين ارسوا اسس العرقية الاشكنازية فى الكيان الصهيونى ، والوضوح عند بن جوريون فى هذا المجال قائم فى قوله : «اننا لا نريد ان يصبح الاسرائيليون عرباً ، وان من واجبنا ان نحارب الروح المشرقية التى تفسد الافراد والمجتمعات ، وان نصون القيم اليهودية الشرعية كما كانت مجسدة فى يهود المجتمعات الغربية» ، او فى قوله : «لا أريد لثقافة مراكش ان تكون عندنا هنا ، كما اننى لا ارى اية مشاركة يمكن ان يقدمها اليهود الايرانيون ... ومن الافضل صهر اليهود الشرقيين ودمجهم فى المجتمع الاسرائيلى الغربى بعد ان نرسخ فى اذهانهم العقلية الغربية ، بدلا من ان يجرونا نحو استشراق مخالف للطبيعة» !!

ويكمل موشى دايان صورة الحقد على الشرق ، كما ارسى اسسها بن جوريون ، بقوله لسايروس سولز بيرجر (كاتب اميركى) : «إن اسرائيل ترتبط باوروبا الغربية وبالولايات المتحدة الاميركية اكثر من ارتباطها بالشرق الاوسط» ، وتساءل دايان متعجبا : «اى شىء مشترك يربطنا بسوريا او بمصر ؟؟!! .. لا شىء .. بالمقارنة مع روابطنا مع الغرب» !

وفى مواجهة هذا التعنت من قبل اليهود الغربيين باحتكار السلطة فى الكيان الصهيونى وفرض مفاهيمهم «الغربية» على هذا الكيان ، ورفض مشاركة اليهود الشرقيين لهم فى اى مجال من مجالات الحكم او الحياة العامة ، كان لابد لليهود الشرقيين من التحرك ، مادام التململ والالتماس لا ياتيان بالمشاركة والمساواة . وهكذا وقع الانفجار الأول فى حى وادى الصليب بحيفا على شكل تظاهرات دامية بين السفارديم وقوات الامن التى تحرس نظام الاشكنازيم ، وكان ذلك فى عام ١٩٥٩ ، اى فى وقت اتسم بالهدوء بين اسرائيل ودول المواجهة العربية ، وقد تكرر الانفجار ثانية فى عام ١٩٧١ ، بانبثاق حركة «الفهود السود» فى حى المصرارة بالقدس المحتلة ، تلك الحركة التى اخذت ترفع صوتها عالياً فى وجه احتكار السلطة من قبل البيض وضد الامتيازات التى يتمتع بها هؤلاء ، فى حين يعانى الشرقيون من جميع انواع القهر والقمع والفقر والاذلال ، وقد اصطدم الفهود السود بقوات الأمن ـ حارسة النظام الاشكنازى ـ اكثر من مرة خلال تظاهرات صاخبة بالقدس المحتلة .. لكن هذه الحركة لم تستطع الصمود طويلا امام عمليات القمع والتفتيت الداخلى الذى مارسه النظام ضدها . إلا ان خمود نيران البركان ، لا يعنى باية حال ان هذه النيران قد انطفأت نهائيا ، وانها لن تثور ثانية ، إذ ان البراكين تثور عادة خلال فترات متقطعة ، وبعد وصول حالة إشباع فى داخلها نتيجة لتراكم الابخرة والغازات ، وهذا القانون يحكم المجتمعات البشرية ايضا . وما جرى فى حيفا (وادي الصليب) ، وفى القدس (حي المصراره) ، سيتكرر بالتاكيد ، وربما بعنف اشد واقوى، مادام التمييز قائماً فى اسرائيل بين الغربيين والشرقيين .

ويصف لنا شارلي بيطون (احد قادة الفهود السود ، والذي اصبح نائبا في الكنيست التاسع) يصف لنا النظام الاشكنازي فى اسرائيل فيقول : « قبل ان اصبح نائبا ، لم اكن اعي كل ذلك ، فبعد التدرج في الاعمال والوظائف البرلمانية يتحقق الواحد منا من ان كلحزب يمثل مصالحه الخاصة ، ثم مصالح المهيمنين على الحكم قبل ان يفكر بمصالح الدولة العليا . وهكذا يتم توجيه دفة الدولة وتحديد الخط الذي يسير عليه الوطن ، كما انه من الواضح ايضا ان كل حزب يجهد نفسه فى سبيل ان يكون له ممثل عن السود (اليهود الشرقيين) .. ان يكون له «عم توم» (نسبة لرواية العم توم الأمريكية) ، ففي حزب الليكود يوجد الوزير ديفيد ليفي ، الذي لا يمل من ان يردد امام الراي العام ، وفي كل مناسبة ، انه كان عامل بناء ، وانه اب لأسرة شرقية تتالف من خمسة عشر فرداً .. فهذا الرجل هو الشخص الذي تستخدمه السلطة لتحطيم جميع الدعوات المطالبة بزيادة الأجور للفقراء » .

اما سعاديا مرسيانو (ابرز قادة الفهود السود) ، فيتنبا ببروز حركة بديلة لحركة الفهود السود ، ولكن اكثر تصميما على الثورة ، ويقول « إن جيل تلك الحركة البديلة ، سيكون اكثر عزما وتصميما ، وسيكون اكثر عنفا وفعالية ، وبالنتيجة فسيكون الانفجار اشد وادهى » .

ويراهن شارلي بيطون على السلام مع العرب ، كعامل اساسي فى تفجير الصراع الداخلي ، ولصالح اليهود الشرقيين ، ويستشهد على ذلك بان المطالب السفرادية كانت تبرز باستمرار خلال فترات الهدوء النسبي على الحدود ، حيث ان التمرد الذي وقع في حي وادي الصليب بحيفا في عام ١٩٥٩ ، حصل في اعقاب الهدوء الذي ساد بعد «حملة» سيناء (العدوان الثلاثي على مصر) ، كما ان حركة الفهود السود برزت الى الوجود في اعقاب حرب الاستنزاف (١٩٦٨ ـ ١٩٧٠) .

ويرفض « كوهافي شيمش » ان يوصف حتى بانه سفرادي ، ويقول : « انا لست سفراديا ، بل انا شرقي ، وبكلمة ادق إنني يهودي عربي» يهودي احمل ثقافة عربية .. إذ لا شيء يجمعني مع يهودي سفرادي بلغاري او يوغوسلافي ؟؟ .

ويبرر شيمش ، انحياز اليهود الشرقيين إلى جانب حزب الليكود ، بالياس من حزب العمل الذي اذاق الشرقيين صنوف الذل والهوان ، ولكنه يتكهن بالانقلاب على الليكود لصالح حركة شرقية صرفة ، عندما تنضج الظروف الموضوعية المطلوبة لذلك .

ويمضي شيمش بعيداً في مطالبة فك العلاقة الهشة بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين ، ويقول « إن القضية الشرقية تبدا فى تضاد مع الايديولوجية الصهيونية ، لأن اعتناق العقيدة الصهيونية ، يعنى التخلى عن الثقافة الشرقية الأصلية ـ أي الثقافة العربية ، لأن الايديولوجية الصهيونية ترتكز على ثقافة اليهود الغربيين ، وهى ثقافة معروفة جداً بتناقضها المباشر مع الثقافة الشرقية ـ العربية » .

نافون .. هل يكون مرحلة ؟

وامام قضية اليهود الشرقيين ، والهوة الطائفية الآخذة بالاستفحال في الكيان الصهيوني ، وإزاء ازدياد تاثير اليهود الشرقيين في صنع الكنيست والحكومات مستقبلا ، فان إسحق نافون ، قد يكون المخرج المناسب امام اليهود الغربيين ، الذين اخذوا يدركون ، من خلال تقهقر شعبية حزب العمل (حزب البيض) ، والاستقطاب الطائفي الواضح والمدمر فى انتخابات الكنيست التاسع ثم الكنيست العاشر ، حيث ان نافون عضو فى حزب العمل ـ حزب الاشكنازيم ـ وهو يوصف عادة بالاعتدال ، وبالابتعاد عن جموح في الراي والمواقف المبدئية .. لكن إسحق نافون ـ إذا جاء إلى الحكم كخليفة لمناحم بيجن ـ لن يستطيع مهما اوتي من الحنكة السياسية والمرونة فى اتخاذ المواقف ، من منع انفجار البركان الطائفي ، وإن كان باستطاعته تاخيره إلى حين .

عصام شريح

علاقات بلاد الشام بمصر في العصر العثماني ١٥١٧ - ١٧٩٨م

بقلم: د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم

علاقة بلاد الشام بمصر ، اقدم بكثير من العصر العثمانى ، فهى علاقة ممتدة عبر العصور التاريخية وكانت بلاد الشام خلال العصر المملوكى وحتى عام ٩٢٣ هـ ، تمثل جزءاً من الدولة المملوكية ، وكان حكام مناطقها نوابا للسلطان المملوكى فى القاهرة (١) ، وكان لبلاد الشام جيشها المملوكى منوطة به مهة حماية بلاد الشام ، وله ديوانه الخاص به (٢) ، وعن طريق نواب بلاد الشام ، كان السلطان الغورى يتابع اخبار الصراع العثمانى الصفوى ، ويعمل على حماية بلاد الشام وبخاصة حلب التى وصلته الأنباء بانه يخشى عليها من العثمانيين ، ولذا قرر ارسال تجريدة تقيم بها وتحرس البلاد ، بل اشيع فى البلاد أن السلطان الغورى نفسه سوف يسافر الى حلب ، مما ادى الى ارتباك الأحوال فى القاهرة ، والاضطراب بين العسكر ، حتى تحقق امر سفر السلطان الى البلاد الشامية ، حينما برز الى الريدانية فى ٦ ربيع الآخر ٩٢٢ هـ الموافق ٩ مايو ١٥١٦ م لمواجهة الخطر العثمانى الذى وصلته الأنباء بان حلب سوف تتعرض له ، من ناحية ، وتامين الطريق الذى يمر به التجار الذين يجلبون المماليك الشراكسة الى بلاد السلطنة المملوكية ، ولذا فان السلطان الغورى تحرك فعلا فى ١٥ ربيع الثاني ٩٢٢ هـ الموافق ١٨ مايو ١٥١٦ م «قاصداً نحو البلاد الشامية والحلبية (٣) . ووصل الى دمشق فى ١٨ جمادى الأول ٩٢٢ هـ الموافق ٢٠ يونيو ١٥١٦ م ، واستقبل فيها استقبالا حافلا .. برز فيه كبار الاداريين المماليك والقضاة والعلماء والفرنجة المستامنون فى دمشق ، ونثر صدقة اليهودى ، المسئول عن دار ضرب النقود ، وقنصل الفرنجة الدراهم على الأهلين بهذه المناسبة للتعبير عن ولائهما ولكسب رضى السلطان» (٤) ، ثم اتجه الى حلب ، وانضم اليه كل من خاير بك نائب حلب وجانب بردى الغزالى نائب حماة ، ودخلت الجيوش المملوكية حماة فى ١٠ جمادى الثانى ٩٢٢ هـ الموافق ١١ يوليه ١٥١٦ م ، وحاول مراسلة الشاه اسماعيل الصفوى للتفاوض معه من اجل التحالف ضد العثمانيين ، ولكن مراسلاته وقعت فى ايدى العثمانيين ، مما دفع بالسلطان سليم الى الاسراع فى مهاجمة المماليك ، فاحتل عنتاب واستعد للسير نحو حلب للقاء الغورى (٥) . ثم كان لقاء الجيشين المملوكى والعثمانى فى ٢٤ رجب ٩٢٢ هـ - ٢٣ اغسطس ١٥١٦ م ، وحلت الهزيمة بالمماليك ، وكانت هذه الهزيمة نذيراً بانهيار النفوذ المملوكى فى بلاد الشام بل وانهيار النظام المملوكى برمته فى كل من بلاد الشام ومصر ، وقد تم هذا الانهيار بعد أن حددت معركة الريدانية مصير هذا النظام ، وبداية عهد جديد فى تاريخ المنطقة هو العهد العثمانى (٦) ، وهو مجال هذا البحث ، ورغم أن العثمانيين قضوا على النظام المملوكى ، فان انهيار النظام المملوكى لا يعنى مطلقاً انقطاع الصلة بين مصر وبلاد الشام خلال العصر العثمانى ، فان استقراء تاريخ المنطقة من مظانه الأصلية يثبت لنا استمرار العلاقة بين الاقليمين سياسياً وثقافياً ، واقتصادياً واجتماعياً .

أولا : الناحية السياسية

إن المتتبع للاحداث التاريخية فى كلا الاقليمين ، منذ البداية يدرك انعكاس اثر الأحداث التى كان يمر بها كل من الاقليمين على احداث الاقليم الآخر ، فمثلا حينما راجت شائعات عن هزيمة قوات السلطان سليم فى مصر ، فان اهالى بلاد الشام استغلوا هذه الشائعات ، وثاروا ضد العثمانيين فى كل من صفد ودمشق ، مما اضطر السلطات العثمانية فى دمشق فى صفر ٩٢٣ هـ - فبراير ١٥١٧ م ، أن تذكر فى بلاغاتها الرسمية اشادتها بالعناصر المملوكية التى تعاونت معها ، وتنكيلها بالعناصر الشعبية التى وقفت ضدها وساعدت الجيش المملوكى «وفى هذا تذكير



قام الشوام بدور بارز فى تاريخ مصر فى العصر العثمانى

لعوام وزعر دمشق بوجوب الخضوع للعثمانيين ، وتشجيع للموالين للعثمانيين على غرار خاير بك» (٧) ، كما انه كان لاعلان نبا القبض على السلطان طومان باى ، اثر كبير على تعاظم نفوذ العثمانيين فى بلاد الشام ، وتوطيد سلطتهم ، واتخذت اجراءات كثيرة لادخال تنظيمات جديدة «كتخفيض سعر العملة العثمانية بمقدار النصف» (٨) واتخاذ اجراءات امن مشددة لردع الزعر وارهاب الاهالى ، وضبط الممتلكات ، والتفتيش على المستندات المتعلقة لمعرفة المزورة منها ، ودققت مستندات الاوقاف ، وبذلك «استغلت انتصارات العثمانيين فى مصر لادخال كثير من التنظيمات فى بلاد الشام» (٩) بل كان «كل ظفـــر للعثمانيين على المماليك فى مصر ، كان يتلوه اتخاذ اجراءات غير شعبية فى بلاد الشام» (١٠) .

وفى الحقيقة فان التنظيمات العثمانية التى تمت فى بداية الحكم العثمانى فى كل من مصر وبلاد الشام ، لم تكن دقيقة وإنما كان الهدف الأساسى منها فى تلك الفترة تسيير الامور بصورة مؤقتة ، كما انها اهتمت فى المقام الأول بالشئون المالية وفرض الضرائب ، وهو الامر الذى كان يهم العثمانيون بالدرجة الأولى مما جعل الناس فى كلا الاقليمين يتذمرون ضد الحكم العثمانى منذ البداية (١١) . هكذا نرى كيف ان كلا من الاقليمين كان يتاثر سياسياً بالأحداث التى كانت تحدث فى كليهما ، وبعد ان خضع الاقليمان كلية للحكم العثمانى ، وبدا العثمانيون يمارسون سلطتهم فى كل من مصر وبلاد الشام عن طريق ولاتهما ، فان استمرار تاثير الأحداث فى تاريخ البلدين استمر ، فتذكر لنا المصادر المعاصرة انه حينما حدثت أول انتفاضة ضد الحكم العثمانى فى بلاد الشام ، بزعامة جان بردى الغزالى والى الشام الذى عمل على الغاء التنظيمات العثمانية بالتدريج لمحاولة كسب ود الأهالى ، حدث اتصال بين والى الشام وخاير بك والى مصر للتعاون فيما بينهما ضد الحكم العثمانى ، حقيقة فان الغزالى لم يحظ بتاييد خاير بك ، الذى ظل على ولائه للعثمانيين بل انه ابدى استعداده لارسال جيش ضد الغزالى ، رغم أن الغزالى «عرض عليه فصل بلاد الشام ومصر عن العثمانيين وإعادة السلطنة المملوكية ، ووعد الغزالى خاير بك باقتسام السلطة وان يكون الغزالى حاكماً على بلاد الشام وخاير بك على مصر» (١٢) وهكذا كانت أول فتنة ضد الحكم العثمانى تنشد التعاون بين مصر وبلاد الشام ، من اجل اعادتهما الى الحوزة المملوكية الخالصة مرة ثانية ، ولو قدر لهذا التعاون أن يتم لربما تغير وجه تاريخ المنطقة ، ولكن عدم تعاون خاير بك مع الغزالى ساهم بصورة واضحة فى فشل هذه الثورة المملوكية ضد النظام العثمانى فى تلك المرحلة من تاريخ المنطقة بل «ويعتبر القضاء على الغزالى قضاء على آخر نفوذ للمماليك فى بلاد الشام وبداية لحكم العثمانيين الفعلى لها (١٣) . ورغم موقف خاير بك العدائى من ثورة جان بردى الغزالى ، فان ذلك لم يمنع من وجود عناصر مملوكية فى مصر اثلجها نبا هذه الثورة ، وتمردت على السلطة العثمانية فى مصر ، ولاذت بالفرار الى بلاد الشام وانضمت الى جانب جان بردى الغزالى ، اى ان رد الفعل إزاء ثورة الغزالى فى مصر كان قوياً حتى أن المماليك كانوا «ينتظرون هجوم الغزالى على مصر ... ليعلنوا ثورتهم» .

ولذا فان السلطان سليمان كان يخشى ثورة المماليك فى مصر فطلب من خاير بك ان يبقى بقواته فى مصر «وهو يتدبر امر الغزالى» (١٤) ، كما ان نفوذ البدو ازداد فى تلك الفترة الانتقالية حتى انهم سيطروا «على اكثر المناطق الواقعة خارج المدن فى ولاية مصر فى هذه الفترة» بل إن جانم السيفى واينال السيفى ، حينما قاما بثورتهما ضد الحكم العثمانى تم التنسيق بينهما على «الالتقاء بقواتهما فى الشرقية حيث يمكنهما السيطرة على الطريق التجارية مع الشام» (١٥) اعتقاداً منهما

علاقات بلاد الشام بمصر في العصر العثماني

لأهمية الصلة بين مصر وبلاد الشام ، وبعد ان استقر الحكم العثمانى فى كل من مصر وبلاد الشام ، وبخاصة بعد القضاء على الثورات المملوكية التى واجهها هذا الحكم فى بدايته ، نجد ان الوضع فى الاقليمين تميز – وحتى الربع الاخير من القرن السادس عشر حينما بدات ثورات الجند – بالهدوء ، وانعكس اثر ذلك كما يتضح من استقراء تاريخ الاقليمين فى تلك الفترة على العلاقات السياسية بين الاقليمين ، وقد اتاح هذا الهدوء الفرصة للولاة ان يقوموا ببعض المشروعات الخيرية ، وتامين طرق الاتصال بين البلدين ، ولكن حينما بدات تمردات العسكر ضد الحكم العثمانى ، نجد ان التمردات حدثت فى الاقليمين فى فترة زمنية واحدة (١٦) ، بل ان خزنة مصر المرسلة الى استانبول فى عام ١٥٨٤ م ، هوجمت فى منطقة عكار فى لبنان ، وفى الفترة التى كانت تشهد تمردات جند السباهية فى مصر فى مطلع القرن السابع عشر كانت تشهد منطقة حلب ببلاد الشام تمردات افراد اسرة آل جانبلاط وبخاصة تمرد علي بن احمد بن جانبلاط الذى تمكن من الاستيلاء على ولاية حلب قهراً ، وكون جيشاً كبيراً من السكبان ورفض دفع اموال الميرى ، وتذكر المصادر المعاصرة ان السلطان العثمانى ، كلف والي مصر بارسال تجريدة من طرفه للمشاركة فى القضاء على هذا التمرد الذى وقع في بلاد الشام ضد الحكم العثماني ، وفعلا سافرت تجريدة من مصر وشاركت في القضاء على هذه الفتنة المحلية ، ثم تكرر إرسال مثل هذه التجريدات من مصر الى بلاد الشام للقضاء على الفتن التى كانت تحدث من جانب الأمراء المحليِّين ، او من البدو ضد الحكم العثمانى حتى القضاء على نفوذ اسرة آل العظم فى الربع الاخير من القرن الثامن عشر حيث تم ذلك بناء على تدخل من جانب السلطات المملوكية فى مصر ، ومما يؤكد ارتباط احداث تاريخ الاقليمين السياسى ، ان اول غزو اجنبى فى العصر الحديث على المنطقة ، ونعنى به الحملة الفرنسية ، كان يستهدف الاقليمين معاً ، وقد قووم هذا الغزو من جانب الشعبين المصرى والشامى ، مقاومة عنيفة بل ان قاتل كليبر احد قواد الحملة كان من ابناء حلب بالشام (١٧) .

هكذا نرى ان علاقة مصر ببلاد الشام من الناحية السياسية لم تنقطع بانهيار الدولة المملوكية التى كانت تسيطر على الاقليمين وإنما فوق ان كلا البلدين خضع لنفوذ حاكم اعلى واحد هو السلطان العثمانى ، فان الاحداث المحلية التى كانت تحدث فى اى من الاقليمين كانت تؤثر فى الاقليم الآخر إن سلباً وإن إيجاباً ، وكثيراً ما كان حاكم مصر او واليها من قبل السلطان العثمانى يكون قد سبق له ممارسة العمل فى حكم ولايات الشام بل وكثيراً ما كان والي مصر ياتى عن طريق بلاد الشام ، وهو ما كان يعرف بالطريق البرى آنذاك . (١٨)

إن العمل السياسى بين الاقليمين ظل مستمراً بل إنه خلال القرن الثامن عشر وحينما تعاظم نفوذ القوى المحلية فى كليهما حدث بين بعض اطراف هذه القوى تنسيق واتفاق فى العمل ضد الحكم العثمانى ، ولو قدر لهذه القوى ان تعطى لعملها شيئاً من الجدية والرغبة فى الانفصال عن الدولة العثمانية بصورة تامة لتحقق لها ذلك ، ولكن من الملاحظ ان هذه القوى كانت راضية بالنفوذ الذى وصلت اليه فى مناطقها دون الرغبة الجدية فى الانفصال عن السلطان العثمانى ، خليفة المسلمين .

ثانياً : العلاقات الاقتصادية :

كانت مصر ، في العصر العثماني بمثابة المحور الرئيسي ، الذي تتم عن طريقه عملية التبادل التجاري ، والاستثمارات الاقتصادية ، بين البلدان العربية ، فمنها تخرج القوافل التجارية ، إلى المناطق العربية المختلفة فى المغرب والمشرق على السواء . وإليها تعود هذه القوافل محملة بمنتجات هذه المناطق . وكذلك كانت مصر مركزاً لعمليات التصدير والاستيراد ، مع كل البلدان الأوربية والافريقية والآسيوية .

وقد كان لموقع مصر ، في قلب الوطن العربي ، اثره على هذه المحورية ، فضلا عن اشرافها على البحرين ، المتوسط والاحمر ، حيث المسالك البحرية التى تربط ذات القارات السابقة ، بعضها ببعض ، وبذلك اصبحت مصر سوقاً اقتصاديا مفتوحاً للتبادل ، وممارسة النشاط التجاري ، لابناء الولايات العربية جميعا ، ومن بينهم ابناء الشام الذين قدر لعدد كبير منهم ، ان يشتغل بالتجارة سواء في داخل مصر ، أو ممارسة هذا العمل مابين مصر ، وبلاد الشام ، وقد سبق لنا في العدد السابق أن عالجنا الدور الذي كان يقوم به ابناء فلسطين في هذا المجال (١٩) ، ونعالج هنا الدور الذى كان يقوم به ابناء المناطق الشامية الاخرى ، فتذكر لنا وثائق المحاكم الشرعية كثيراً من التجار الشوام الذين حملوا نسبة الدمشقى ، والحلبى ، والحمصى ، والطرابلسى ، والحموى ، وقد اشتغل هؤلاء التجار بالمتاجرة ، فى مختلف السلع التى كانت رائجة آنذاك ، من اقمشة قطنية وحريرية ، وتبغ وصابون ، ومشروبات وحلوى ، ومشمش مجفف ، وتين مجفف ، وقمر الدين ، كانوا ياتون بها من دمشق ، واللاذقية ، وصور وصيدا وحلب ، الى السوق المصرية ، ويقومون بدورهم بنقل السلع المصرية والمستوردة اليها الى اسواق بلاد الشام ، واهم هذه السلع : الارز ، والقمح ، والعدس ، والحمص ، والكمون ، والزعفران ، والكتان وجلود حمراء ، وبن يمنى ، وبذور النيلة ، وعقاقير من انواع مختلفة ، وتمر هندى ، وسمسم ، وصدف الاحجار الكريمة ، والزنجبيل ، والعبيد السود (٢٠) .

واستطاع بعض هؤلاء التجار الشوام ، أن يكون شركات خاصة ببعض هذه السلع كما قام البعض ، بدور المستورد والمصدر على نطاق واسع ، وخير مثال لذلك : الذمى نقولا النصرانى الحمصى الشامى ، الذى كان يقوم باستيراد المرجان ، ويقوم بتصديره الى اوروبا ، ويوزعه على التجار المشتغلين بالتجارة في هذه السلعة بوكالة المرجان بالقاهرة (٢١) . كذلك اشتغل بعض التجار الشوام بالمتاجرة فى المجوهرات ، فيقف الباحث فى وثائق المحاكم الشرعية على اسماء كثير من التجار الشوام ، فى سوق الصاغة بالقاهرة كما يعثر على اسماء تجار شوام فى الأسواق والوكالات الاخرى ، مثل سوق الحمزاوى ، وسوق الغورية ، وسوق طولون وسوق باب الشعرية ، وسوق النحاسين ، وسوق السلاح ، وسوق الجملون ، وسوق الشرب ، ووكالات السكر ، والمرجان ، والغورية والكعكيين ، والشرايبى (٢٢) .

وكذلك وجد تجار شوام باسواق الاسكندرية ، ودمياط ، ورشيد ، والمنصورة والمحلة ، وزفتى ، وميت غمر ، وغيرها من المدن والموانى المصرية .

وقد كان حجم التجارة المتبادلة بين مصر وبلاد الشام كبيراً ، فقد ذكر شابرول ضمن قائمة البضائع المستوردة الى مصر عام ١٧٧٥ م ، ان الأقمشة القطنية والحريرية ، التى استوردت الى مصر ، من كل من دمشق وحلب ، بلغ حجمها مائة طرد (١٠٠ طرد) وكمية الحرير التى استوردت من بيروت (٥٠٠ بالة) ، ومن طرابلس (٥٠٠ بالة) ، وكميات اخرى لم يحدد حجمها (٢٣) .

كذلك اشتغل بعض الشوام فى داخل المجتمع المصرى ببعض الصناعات والمهن الحرفية ، ومهن الخدمات ، وقد اشتهر الشوام فى القاهرة بصناعة الحلوى والبقسماط مثل «الشيخ عمر والحاج محمد ولد المرحوم الحاج احمد الشامي البقسماطي كلاهما » (٢٤) ، وكذلك صناعة الأسلحة ، اما المهن التى اشتهر الشوام بالاشتغال بها ، فهى الحياكة ، والدباغة وغيرها . وقد اصبح للتجار الشوام ، وكلاء تجاريون ، يعملون باسمهم فى موانى البحر الاحمر فى «جدة» و «المخا» ، و «السويس» ولم يقتصر نشاطهم على المتاجرة فى السلع الشامية ، وإنما امتد ليشمل السلع اليمنية والهندية (٢٥) ، التى راجت فى مصر فى ذلك العصر رواجاً كبيراً . وقد استثمر هؤلاء التجار والحرفيون ، فائض رأس المال الذى توفر لديهم ، فى مختلف اوجه الاستثمار التى سبق لنا معالجتها ، فى البحث الخاص بمصر وفلسطين فى العصر العثمانى . ومما تجدر الاشارة اليه ان العلاقة الاقتصادية بين مصر وبلاد الشام ، لم تكن قصراً على نشاط الشوام فقط ، دون ان يقوم أبناء مصر ، بمثل هذا الدور ، فى بلاد الشام فقد ثبت من دراسة وثائق المحاكم الشرعية بكل من حلب ودمشق ، ان هناك جالية مصرية كبيرة وجدت ببلاد الشام ، واشتغلت بمختلف انواع التجارات ، التى سبقت معالجتها ، وقامت بنفس الدور الذى قام به الشوام فى مصر ، وكثير منهم استقر فى المدن والقرى الشامية ، وفى نفس الوقت حافظوا على نسبتهم المصرية ، وبذلك حافظ كل من التجار الشوام الذين وجدوا بمصر ، والتجار المصريون الذين وجدوا ببلاد الشام على استمرار العلاقات الاقتصادية بين مصر وبلاد الشام ، طوال العصر العثمانى (٢٦) .

ثانياً : العلاقات الثقافية

سبقت لنا معالجة العلاقة الثقافية بين مصر وفلسطين ، فى العصر العثمانى ورأينا ان عدداً كبيراً من ابناء فلسطين ، تلقوا تعليمهم فى الأزهر الشريف ، والمدارس المصرية الاخرى ، كما انه قدر لبعضهم ان يشتغل بالتدريس فى الأزهر ، ويتولى كثير من المناصب العلمية والقضائية . كما عالجنا الدور الذى كان يلعبه رواق الشوام فى الأزهر (٢٧) .

والواقع ان العلاقات الثقافية بين مصر وبلاد الشام ، لم تكن قاصرة على فلسطين فقط ، وإنما امتدت لتشمل جميع المناطق الشامية ، بدليل توافر عدد كبير من العلماء الذين ينتسبون الى هذه المناطق ، والذين تلقوا علومهم بالازهر واجيزوا على يد علمائه ، كما ان كثيراً من علماء الجامع الأموى بدمشق ، نزلوا مصر ودرسوا بازهرها ، وكانت لهم صلات علمية بعلمائه فالجبرتى والمحبى ووثائق المحاكم الشرعى يرصدون لنا تراجم عدد كبير من الدمشقيين والحلبيين ، الذين تعلموا بالازهر ، وتقلدوا وظائف علمية وقضائية بمصر ، مثل «احمد بن ابراهيم ، المعروف بابن تاج الدين الحنفى الدمشقى» والذى كان يعد من صدور اهل الشام ، فقد تمكن هذا العالم ، من ان يصبح قاضياً بفوه بمصر ، وبعد ان ترك القضاء تولى «تدريس المدرسة الاحمدية ، بالمشهد الشرقى بجامع بنى امية ، المعروفة بدار الحديث» (٢٨) ، والشيخ حسن بن زين الدين الشهيد العاملى الشهير بالشامى ،

كما اتى الى مصر للاخذ على علمائها ، القاضى حسين بن محمود بن محمد بن عيسى بن موسى العدوى الزوكارى الصالحى ، القاضى الفقيه الأديب الشافعى المذهب ، الذى اخذ عن البرهان اللقانى ، وأبى العباس المقرى وغيرهما . وعاد وولي قضاء الشافعية بمحكمة الميدان ، والمحكمة الكبرى بدمشق ، وافتى على مذهب الشافعية مدة . ومن الامثلة كذلك الشيخ شحادة بن ابراهيم الحلبى الشافعى ، الذى ولي مشيخة الجامع الأزهر ، ووصف بانه «علامة المعقول والمنقول ، وشيخ اهل الفروع والاصول ووحيد عصره ، وعميد مصره ، وشيخ الجامع الأزهر ومشكاة مصباحه الانور ، وليس العلم الذى لا يجارى ، وليث الفضل الذى لا يبارى» (٣٠) . وغير هؤلاء من العلماء الشوام الذين تفيض المصادر بذكرهم ، فضلا عن العلماء الشوام من ابناء فلسطين والذين سبق لنا ذكرهم .

وكذلك تذكر لنا المصادر بعض العلماء المصريين الذين تلقوا علومهم بالجامع الاموى بدمشق ، او بالمسجد الاقصى . كما تذكر بعض العلماء المصريين الذين تصدوا للتدريس فى المدارس الشامية ، واصبح لاهل الشام فيهم اعتقاد مثل «بعث الله المصرى الحنفى نزيل دمشق» (٣١) .

وبذلك كانت الصلة الثقافية بين الاقليمين قائمة ومستمرة ، فكانت بمثابة ما يعرف فى وقتنا هذا بالتبادل الثقافى بين المؤسسات التعليمية الذاتية التى كانت قائمة آنذاك مثل الجامع الأموى ببلاد الشام ، والمسجد الاقصى بفلسطين ، والجامع الأزهر والمدارس الأخرى التى كانت قائمة بالقاهرة بمصر (٣٢) . اى أن التاثير كان متبادلا بين البلدين ، مما اوجد بينهما تكاملا ثقافياً قائماً على الأخذ والعطاء .

رابعاً : العلاقات الاجتماعية

اما عن العلاقات الاجتماعية ، فقد كانت نتاجاً طبيعياً للعلاقات الاقتصادية والثقافية . فالمتتبع للخريطة العمرانية لكل من المدن المصرية مثل القاهرة والاسكندرية والمنصورة بالذات ، لا يكاد يجد حياً من احياء هذه المدن ، التى كانت قائمة فى العصر العثمانى ، لا يقطنه بعض الشوام ، ممن يمارسون احد الانشطة الاقتصادية التى سبق لنا معالجتها (٣٣) ، ونتيجة لاشتغال هؤلاء الشوام بالمهن التجارية والحرفية التى تمس حياة المجتمع اليومية فانه حدث اختلاط كبير بينهم وبين ابناء المجتمع المصرى ، وعن طريق تعاملهم اندمجوا بفئات هذا المجتمع ، وازداد هذا الاندماج قوة عن طريق عمليات التزاوج التى تمت بين شوام ومصريات ، وبين شاميات ومصريين ، كما ان كثيراً من الأسر الشامية استقرت بالمدن والأرياف المصرية وتاثروا بالعادات والتقاليد المصرية ، واثروا بدورهم فى هذا المجتمع ، واعجب المجتمع المصرى بكثير من العادات والتقاليد الشامية ، وتعدى هذا الاعجاب

العادات والتقاليد إلى الأعجاب بالشخصية الشامية التى حازت شهرة واسعة ، فشخصية «ابو الشام» اصبحت فى نظر المصرى ، محل التقدير والاحترام ، حتى أن هذا اللقب ، اصبح من الالقاب التى يطلقها المصريون ، بعضهم على بعض للاعجاب والتقدير ، فهو فى نظرتهم يدل على الشهامة والكرم ، تلك الصفات التى يتمتع بها اهل الشام ، كما اعجب الشوام من جانبهم بالشخصية المصرية ، وحمل بعضهم نسبة المصرى ، الى جانب نسبة الشامى «مصرى الاقامة» ، شامى الاصل (٣٤) .

من الاستعراض السابق ، نجد ان الشوام ، قد لعبوا دوراً بارزاً فى تاريخ مصر فى العصر العثمانى ، كما لعب المصريون مثل هذا الدور فى تاريخ بلاد الشام ورغم التغيير الذى حدث فى السلطة الاداريه والسياسية ، بسقوط الدولة المملوكية التى كان الاقليمان يكونان فى ظلها جناحين لجسم واحد ، فان العلاقة بينهما فى ظل الحكم العثمانى ، بقيت قائمة (٣٧) ، فارتبطت احداث الاقليمين السياسية ، ارتباطا كبيراً ، كما ان العلاقات التجارية فيما بينهما قويت الى درجة كبيرة ، وازداد حجم السلع التجارية بصورة ملحوظة ، كما راينا . كما أن الاتصال الثقافى والعلمى ظل قائما ومتبادلا ، وقد نتج عن ذلك اندماج اجتماعى واسع النطاق بين فئات المجتمع ، ومما يسر استمرارية ارتباط الاقليمين عدم وجود حواجز طبيعية او سياسية ، على حرية حركة السكان بين الاقليمين الذين ارتبطوا ارتباطا مؤثراً وفعالا .

د. عبد الرحيم عبد الرحمن

هوامش

(١) يذكر لنا ابن اياس ان نواب البلاد الشامية فى ٩٢٢ هـ ـ ١٥١٦ م من قبل السلطان الغورى هم « المقر السيفى سيباى من بختجا نائب الشام ، والمقر السيفى خاير بك من ملباى نائب حلب ، وتمراز الاشرفى نائب طرابلس ، وجان بردي الغزالى نائب حماة ، ويوسف الذى كان نائب القدس انتقل إلى نيابة صفد ، ونائب غزة دولات باى ، وقد اضيف اليه نيابة القدس والكرك مع نيابة غزة » ، انظر محمد بن احمد بن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، جـ ٥ ، ص ٤ .

(٢) حيث ذكر نفس المصدر ، أن « الامير شرف الدين يونس النابلسى استادار العالية ، كان والآن صار متحدثا فى استيفاء ديوان جيش الشام » نفسه ص ٩ .

(٣) نفسه ، جـ ٥ ص ٢٩ .

(٤) دكتور عبد الكريم رافق ، بلاد الشام ومصر ، من الفتح العثمانى الى حملة نابليون بونابرت ١٥١٦ ـ ١٧٩٨ م ، ص ٩٨ .

(٥) نفسه ، ص ٩٨ .

6. Abdul Rahim Abdul Rahman, the ottoman rule and its effect on Egyptian Society, in Journal of Asian and African studies No. 13, Tokyo, 1977, P. 156.

(٧) دكتور عبد الكريم رافق ، المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

(٨) نفسه ، ص ١٠٩ .

(٩) نفسه ، ص ١٠٩ .

(١٠) نفسه ، ص ١١٢ .

(١١) دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، القضاء فى مصر العثمانية (١٥١٧ ـ ١٧٩٨) ، ضمن كتاب بحوث فى التاريخ الحديث ، طبع جامعة عين شمس ص ١٧١ .

(١٢) دكتور عبد الكريم رافق المصدر السابق ، ص ٩٢٢ ، يذكر ابن اياس بشان الاتصال بين جان بردى الغزالى وخاير بك ، انه فى يوم الاربعاء ٢٦ ذو القعدة ٩٢٦ / ٦ نوفمبر ١٥١٩ م حضر قاصد من عند نائب الشام الامير جان بردى الغزالى ، يقال له خشقدم اليحياوى ، ودفع إلى خاير بك بمطالعة نائب الشام ومطالعات إلى الأمراء ، فلما قراها خاير بك اضطربت احواله ، ثم تزايد القيل والقال ، واشيع عصيان نائب الشام ، « فلما تحقق ملك الامراء ذلك أرسل يعلم السلطان سليمان بن عثمان من أمر سلطته بالشام وأرسل اليه المطالعات التى وردت عنه بما جرى منه » ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨ .

(١٣) دكتور عبد الكريم رافق ، المصدر السابق ، ص ١٢٤ .

(١٤) نفسه ، ص ١٣٠ .

(١٥) نفسه ، ص ١٣٩ ، يذكر ابن اياس ، المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٣٨٨ ان خاير بك « رسم للوالى بان كل من كان عند الغزالى من المماليك وحضر إلى مصر يوسطه من غير إذن ولو كان من الامراء » .

(١٦) لمزيد من التفصيل حول فتن العساكر ضد الحكم العثمانى انظر : « كشف الكربة فى رفع الطلبة تاليف محمد بن أبى السرور البكر » الصديقى ، « بلوغ الارب برفع الطلب » تاليف محمد البرلس السعدى ، تقديم وتحقيق الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، نشرتا بالمجلة التاريخية المصرية بالعددين ٢٣ ، ٢٤ ، عامى ١٩٧٦ ، ١٩٧٧ م ، وانظر كذلك ، دكتور عبد الكريم رافق ، المصدر السابق ، ص ١٦٦ ـ ١٧٦ ، ثورات العساكر فى القاهرة ، طبع دمشق .

(١٧) بخصوص تفاصيل هذه الاحداث انظر ، دكتور عبد الكريم رافق ، المصدر السابق ص ١٩٥ ـ ٢١٧ ، احمد شلبى بن عبد الغنى ، أوضح الاشارات ، فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات ، مخطوطة أعددتها للنشر حاليا ، فى مواضع متفرقة من ورقة ٣٩ إلى ورقة ٨٢ .

(١٨) انظر ، احمد شلبى بن عبد الغنى ، المصدر السابق ، احمد كتخدا عزبان ، الدرة المنصانة فى اخبار الكنانة ، مخطوطة ، بالمتحف البريطانى ، نسخة مصورة فى حوزتى ، حيث يصف كل منهما ، كيفية مجيء الولاة إلى مصر ، وكانوا يذكرون دائما عن الباشا الذى ياتى عن طريق بلاد الشام انه قدم .. بالطريق البرى .

(١٩) انظر : «الدوحة» ، العدد (٨٤) ، صفر ١٤٠٣هـ / ديسمبر ١٩٨٢ ص ١٦ ـ ٢١ .

(٢٠) ارشيف المحكمة الشرعية : سجلات محكمة الصالحية النجمية ، سجل (٥١٩) ، ص ٢٧٠ ، وثيقة ٥٣٦ . ـ جيرار ، (ب ـ س) ، موسوعة الحياة الاقتصادية فى مصر فى القرن الثامن عشر ، الجزء الاول ، (الزراعة ، الصناعات ، الحرف ، التجارة) ، ترجمة الشايب،زهير ، الترجمة الكاملة . « وصف مصر »(٤) ، ص‌ص ٢٧٧ ـ ٢٧٩ .

(٢١) ارشيف المحكمة الشرعية : محكمة القسمة العسكرية ، سجل (١٧٥) ، مادة (٣٨٣) ، ص ٢٧٠ .

(٢٢) ارشيف المحكمة الشرعية : محكمة طولون سجل (٢٠٤) ، ص٢٥٠ ، مادة (١٠١٨) .

: محكمة القسمة العسكرية سجل (١٧٥) ، ص ٣١٢ ، مادة (٤٣٥) .

(٢٣) شابرول (ج .دى) : دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين ، ضمن ابحاث وصف مصر ، ترجمة : الشايب ، زهير ، طبع القاهرة ١٩٧٦ ، ص ٢٦١ ـ ٢٦٦ .

(٢٤) ارشيف المحكمة الشرعية ، محكمة القسمة العسكرية ، سجل (٦٨٤) ، ص ١٠٦ ، مادة (٢٢٧) .

(٢٥) عبد الرحيم عبد الرحمن ، النشاط التجارى فى البحر الاحمر فى العصر العثمانى (١٥١٧ ـ ١٧٩٨) مجلة الدارة ، العدد الثانى ، السنة السادسة ، ربيع اول ١٤٠١ هـ يناير ١٩٨١ م ، ص ص ٩٠ ـ ١٠٧ .

(٢٦) ارشيف المحكمة الشرعية : سجلات اسقاط القرى ، (٧) ، (١٨) ، سجلات القسمة العسكرية ، (١٦٣) ، (١٧٠) ، (١٧١) ، (١٧٥) ، والسجلات التالية : سجلات محكمة طولون ، سجلات الصالحية النجمية .

(٢٧) خفاجى ، محمد عبد المنعم ، الازهر فى الف عام الجزء الثانى ، ص ٩٩ ـ ١٠٠ .

(٢٨) المحبى ، محمد ، خلاصة الاثر فى اعيان القرن الحادى عشر ، الجزء الاول ، ص ١٥٨ ، وانظر كذلك بخصوص تراجم العلماء الشوام ، الجبرتى ، عجائب الاثار فى التراجم والاخبار ، ٤ اجزاء ، عبد الغنى ، احمد شلبى ، اوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الملوك والباشات .

(٢٩) نفسه ، جـ ٢ ، ص ٢١ .

(٣٠) نفسه ، جـ ٢ ، ص ١١٦ .

(٣١) نفسه ، جـ ١ ، ص ٤٥٣ .

(٣٢) ارشيف المحكمة الشرعية : سجلات تقارير النظر ، من رقم (١ ـ ٢٢) .

(٣٣) الدوحة ، العدد السابق . دار الوثائق القومية (القاهرة) محكمة المنصورة ، سجل (٨) ، ص ٣٩ ، ص ١٤٢ ، ص ١٧٠ ، سجل (١٠) ، مادة (٦٢) ، (٦٣) .

(٣٤) الدوحة ، العدد السابق .

(٣٥) عبد الرحيم عبد الرحمن ، الريف المصرى فى القرن الثامن عشر .

(٣٦) نفسه . الدوحة ، العدد السابق .

(٣٧) الدوحة ، العدد السابق .

أخطاء لغويّة معاصرة

بقلم : الدكتور عبد الله العبـادي
جامعـــة قطـــر

هناك أخطاء لغوية شائعة فى عصرنا لم ينتبه اليها كثير من الادباء ، والكتاب العرب ، تمرمر الكرام ، تجدها فى الصحف والمجلات ، والمؤلفات ، وتسمعها كثيراً من المذيعين ، والمحاضرين ، والخطباء .
وشيوع مثل ذلك يرجع الى أن الخطيب أو المذيع ، أو المحاضر يسمع غيره فيقلده فى النطق ، أو يراها مكتوبة فينقلها كما هى دون أن يعرف الصواب من الخطأ .

وهذه الأخطاء منها ما هو خطأ فى الاملاء ، ومنها ما هو خطأ فى النطق ، ومنها ما هو خطأ فى النطق والاملاء .
وسنتناول بعض الكلمات الشائعة بالدراسة ، والتحليل ، ونبين وجه الخطأ من الصواب فيها :

الكلمة الأولى التى تكتب خطأ ، هى كلمة « عَمْرو » فتكتب فى حالة النصب هكذا « عَمْرواً » فى قولك « زُرْتُ عَمْرواً » والصواب « عَمْراً » بدون واو ، فالواو وضعت فى حالة الرفع ، والجر للفرق بينها وبين « عُمَر » لأن كلمة « عُمَر » إسم لاينصرف ، فلا ينون ابداً ، فتكتب كما هى فى حالة الرفع ، والنصب والجر ، فتقول : جاء عُمَرُ ، وقابلت عُمَرَ ، وهذا الكتاب لِعُمَرَ فاثبتت « الواو » فى « عَمْرو » فى حالة « الرفع والجر » للفرق بينها ، وبين « عُمَر » اما فى حالة النصب فيزول الالتباس ، حيث ثبوت الألف ، فتقول جاء عَمْرُو ، وقابلت عَمْراً ، وهذا الكتاب لعمرٍو ، لأنه اسم ينصرف .

٢ ـ الكلمة الثانية التى تنطق خطأ كلمة « غيبة » فينطقها البعض « غَيْبَة » ويقصدون ذكر مساوىء الشخص فى غيابه عن المجلس بفتح أولها وسكون ثانيها وفتح ثالثها وهذا خطأ .

والصواب « غِيْبَة » بكسر أولها وسكون ثانيها وفتح ثالثها ، لأنها مصدر من اغتاب يغتاب اى ذكر عيوبه فى غيابه ، وقد جاء فى القرآن الكريم « وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ » الحجرات آية ١٢ . وجاء فى الحديث « أتدرون ماالغِيْبَة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال ذكرك اخاك بما يكره » .
اما « الغَيْبَة » بفتح أولها ، فهى من غاب يغيب . تقول ، غابت الشمس غَيْبَةً وغياباً اذا غربت ، والرجل فى غَيْبُوبَة اذا فقد وعيه .

٣ ـ ومن الخطأ الشائع جداً فى النطق ضم ما قبل واو الجماعة فى الفعل الناقص إذا كان آخره ألفاً ، وأسند إلى واو الجماعـــة ، ماضياً كان أم مضارعاً ، فيقولون فى « مشى » : مَشُوْا بضم الشين ، وفى « رمى » : رَمُوا بضم الميم ، وفى « دعا » : دَعُوا بضم العين وفى « يسعى » : يَسْعُون ، وفى « يرقى » : يَرْقُون بضم العين فى الفعل الأول ، وضم القاف فى الفعل الثانى وهكذا ...
والنطق الصحيح أن يفتح ما قبل واو الجماعة ، فتقول « مَشَوْا » بفتح الشين و « رَمَوْا » بفتح الميم ، و « دَعَوْا » بفتح العين و « يَسْعَوْن » بفتح العين ، و « يَرْقَوْن » بفتح القاف وهكذا فى كل فعل ناقص ادخلت عليه واو الجماعة .

ذلك أن الألف فى هذه الأفعال انقلبت عن « ياء » ، أو عن « واو » ، فمثلا مشى : أصلها : مَشَى على وزن « فعل » تحركت الياء وما قبلها مفتوح فقلبت الفاً ، وبالمثل « رمى » و « دعا » ، تحركت الياء والواو وماقبلها مفتوح فقلبت الفا ، ومثلها يسعى ، ويرقى ، ففى الكلمات السابقة حذفت الألف لالتقاء الساكنين : الألف وواو الجماعة ، وبقيت الفتحة دليل عليها .
ولعل الخطأ هنا التبس بالفعل الصحيح الذى يجب فيه ضم ما قبل الواو : كتسابقُوا ، وناضلُوا ، وكتبُوا ... بضم ما قبل الواو ، لأن الواو يناسبها ضم ما قبلها ، فأخذ كقاعدة على كل الأفعال .
وقد يقال ولماذا لايضم ما قبل الواو فى تلك الأفعال الناقصة ، لأن الواو يناسبها ضم ما قبلها ، فالجواب أن لام الكلمة أى الألف المنقلب عن الياء والواو فى تلك الأفعال قد حذفت ، وهو جزء من الفعل فلا بد من وجود علاقة تدل على حذفه ، فكانت الفتحة ، لأن الألف يناسبها فتح ما قبلها .

٤ ـ ومن الخطأ فى النطق والاملاء معاً كلمة « مدراء » فنحن نقرأ كثيراً فى الصحف والمجلات ، ونسمع المحاضرين والمذيعين يقولون مثلا : اقيمت حفلة حضرها الوزراء والسفراء والمدراء ، والصواب « مديرون » فى حالة الرفع و « مديرين » فى حالة النصب والجر ، أى أنها تجمع على جمع المذكر السالم وليس على جمع التكسير .
والتحقيق فى ذلك أن كلمة « مدير » أصلها « مُدْيِر » على وزن « مُفْعِل » بضم أوله ، وسكون ثانيه ، وكسر ثالثه من ادار يدير ، فهو فعل رباعى على وزن « أَفْعَلَ » « يُفْعِلُ » لذلك جاء أسم الفاعل منه على وزن « مُفْعِل » والقاعدة الصرفية فى هذه الكلمة أن حرف العلة ، وهى الياء تحركت وما قبلها حرف صحيح ساكن ، فنقلت الحركة الى ما قبلها ، فاصبحت « مُدِيْر » بضم أوله ، وكسر ثانية ، وسكون ثالثه والمعروف أن ما جاء على وزن « مُفْعِل » لايجمع على وزن فُعَلاء حيث يشترط فى الصفة التى تجمع على (فُعَلاء) أن تكون صفة لمذكر عاقل صحيحة اللام غير مضاعفة ، وتدل على سجية مدح ، او ذم على وزن « فَعِيل » بمعنى « فاعـل » ككريم ، يجمع على كرماء ، وكلئيم يجمع على لؤماء

٥ ـ ومن الخطأ فى اللفظ والاملاء كذلك كلمة « جريحة » فالخطأ الشائع فى الصحف ، والمجلات أنهم يقولون «الفدائي الجريح ، والفدائية الجريحة » . ويقولون « زرنا الفدائيات الجريحات » والصواب أن تقول عادت الفدائية الجريح ، لأن الوصف اذا كان على وزن « فَعِيْل » بمعنى مفعول فانه لاتلحقه تاء التانيث ، ويستوى فيه المذكر ، والمؤنث . نقول « رجل جريح » و « امرأة جريح » ، وكذلك اذا جاء الوصف على وزن « فعول » بمعنى فاعل ، كصبور ، فيستوى فيه المذكر والمؤنث ، فيقول : رجل صبور ، وامرأة صبور ، ويجمع جريح على جرحى تقول : زرت الفدائيات الجرحى فى المستشفى ، لأن الكلمة لا تجمع جمع المؤنث السالم ، إلا اذا لحقتها تاء التانيث فى آخرها كصالحة ، فتجمع على صالحات وفاتنة تجمع على فاتنات .

علي يوسف: عمامة عظيمة على رأس فلاح

بقلم: فتحي رضوان

الدور الآن فى الكلام على « عمامة » عظيمة حقاً ، لبسها فلاح ، لم يظفر من التعليم إلا بالقليل، ولم يتدرج فى مراتب القوة والسلطة وذيوع الإسم ، كما تدرج سواه من لداته وانداده ، أو خصومه وحساده . فلم يبدأ موظفاً صغيراً ثم كبر ، ولا شخصاً مجهولا ثم عُرِف ، بل بدأ حياته فى المجال الذى تألق فيه ، وأوفى على الغاية . اختاره وبقي فيه ، ليكون ملء السمع والبصر ، يجرى إسمه على الألسن ، ويحسب الأقوياء حسابه ، ويتملقونه ويترضونه ، أو يعادونه ويكيدون له ، وهو راسخ فى موقعه ، ثابت فى مكانه . مسلح بقواه التى لا تنضب ، وبسيفه الذى لا يثلم : إرادته القاطعة النافذة ، وقلمه الحاد الباتر .

وأعنى بهذا كله الشيخ على يوسف صاحب المؤيد الذى طلب العلم فى الأزهر ، ولم يصل إلى نهاية سني التعليم فيه .

بدأ حياته العملية باصدار مجلة سماها « الآداب » ، كانت تصدر أسبوعية ابتداء من سنة ١٨٨٩ ، ثم فكر فجاة ، بل قل قفز الى فكرة إصدار جريدة يومية ، أسماها المؤيد ، واستصدر لها رخصة من وزارة الداخلية لعهد رياض باشا ، وما لبثت أن صدرت فى اليوم الأول من شهر ديسمبر فى تلك السنة .

يعنى أنه بدأ حياته بالصحافة ، وقد بقي صحفياً ، حتى اعتزل الحياة العامة قبيل وفاته وقد اختار هذا المسلك الوعـر، فى وقت لم تكن فيه فى مصر جريدة يومية تشتغل بالسياسة إلا جريدة « المقطم » ، التى أصدرها الدكتور فارس نمر سنة ١٨٨٨ ، ومعه أثنان من مواطنيه اللبنانيين الموارنة هما يعقوب صروف ، واسكندر شاهين . ولكن هذه الجريدة كانت لسان حال الاحتلال البريطانى ، أصدرها اللورد كرومر ، مندوب هذا الاحتلال ومعتمده ، لتدافع عن باطل هذا الاحتلال ، وتصوره للمصريين على أنه حق ، وتموه حقائق الحياة السياسية فى ظل العسف البريطانى ، لتبدو تلك الحياة نظاماً رفيعاً وحرية سابغة ، وأمناً شاملا ورقياً مستمراً .

فالصحافة فى سنة ١٨٨٩ سنة صدور « المؤيد » ، لم تكن مهنة رائجة ، بحيث لا يستغرب من فتى قادم من الصعيد ، لا يعرف أحداً من أهل السلطة ، أو من ذوى الجاه الأدبى ، أو ممن يتصلون بالصحافة أو بالسياسة أو بالعمل العام ، يبصره بمداخل هذه المهنة الشاقة التى لا تزال تسمى بمهنة المتاعب . فما الذي حدا بالشاب (علي يوسف) أن يقدم على هذا العمل المغلق فى وجه المصريين ، والذى يشكو منه ويئن ، الذين اختاروه فى أنحاء العالم ؟

بعض أسرار الفتى

لننظر فى حياة الفتى ، لعلنا واقفون



الشيخ على يوسف صاحب المؤيد الجريدة التى كان لها مواقف من جميع مشكلات الوطـــــن .

على شىء من أسرارها ، يعيننا على أن نفهم ما وراء هذا القرار الخطير . قرار الاحتراف بالصحافة ، وإلقاء نفسه فى بحرها الهائج ، وموجها المتلاطم .

علي يوسف صعيدى من أبناء الصعيد الأعلى . ولد سنة ١٨٦٣ فى بلصفورة من أعمال سوهاج ، **فهي موطن** لصاحب عمامة تحدثنا عنه وهو الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى . وبلصفورة بلد (علي يوسف) وطهطا بلد (رفاعة) متقاربتان . وكما سافر « رفاعة » إلى قنا التماساً للرزق وبحثاً عن أسباب تحسين الحال ، سافر علي يوسف إلى بلدة « بنى عدي » من أعمال محافظة أسيوط ، تابعة لمركز منفلوط التى أخرجت لنا صاحب عمامة سنكتب عنه فى حلقة قادمة ، وهو مصطفى لطفى المنفلوطى . وكما كفل أخوال « رفاعة » ابن شقيقتهم ، **كفل أخوال علي «علياً» ثم أعانه الحظ فتلقفه في «بني عدي» عدد من شيوخ الأزهر ، كانت** تزدان القرية بوجودهم فيها ، وفى مقدمتهم الشيخ (حسن الهوارى) الذى لازمه الصبى ثمانى سنوات ، صقل فيها ذهنه ووصله بعلم الدين ، وحبب إليه الأدب ، ومهد له طريق البيان .

وكما وفد إلى القاهرة كل أصحاب العمائم الذين كان لهم دور فى تاريخ مصر الحديث ، ليلتحقوا بالأزهر ، ويبقوا فى أروقته ، وتحت قبته ، وهم يغالبون السأم من أسلوب التعليم ، ومن وعورة الكتب ، وامتلاء معظمها بالغث ، حتى يغلبهم السأم ، فيخوضون فى معامع الحياة العامة ، يصارعون شدائدها ، حتى يثبت لهم قدم ، ويبين أمامهم طريق ، فعل الشىء نفسه (علي يوسف) ثم خرج من الأزهر ، وقد تلقى الفقه على الشيخ حسن داود ، كما تلقى النحو والبلاغة على الشيخ أحمد أبي الفضل ، فقرأ عليه كتاب « الأشمونى » و « حاشية الصبان » ، وكتاب « السعد للتفتازانى فى البيان والبديع والمعاني» ، ثم قرأ قسطاً كبيراً من كتاب « جمع الجوامع فى الأصول » . ثم قرأ كتباً كثيرة فى « الحديث » و « التفسير » و « المنطق » و « التوحيد » و « آداب البحث » ، على أساتذة كبار كالشيخ الامبابى والبحيرى والمغربي ، كما يروى لنا الأستاذ الدكتور عبد اللطيف حمزة فى موسوعة (أدب المقالة الصحفية فى مصر) .

فانا أؤمن أن هذا القدر من العلم المتنوع ، كفيل بأن يحرث عقل الشاب الذى وهبه الله حسن الاستعداد لأمرين : لتلقىْ المعرفة ، ولو كان سبيل التلقى خطف المعرفة خطفاً ، ومزج ما يقرؤه هنا ، بما يقف عليه هناك ، ثم الانطلاق فى الحياة الهائجة المائجة ، بأعين مفتوحة ، ونفس طموحة ، وقلب يحس ويشعر ، والأمر الثانى أن يكون الشاب شاعراً بأن هناك مستقبلا ينتظره ، وأن له دوراً يؤديه ، وأنه خلق لشىء أكبر مما بدأ به حياته ، وقد كان .

فقد أخرج مع صديق له اسمه الشيخ أحمد ماضى ، جريدة « الآداب » ، وكان فى جيب الشيخ أحمد ماضى بعض المال ، وكان فى قلبه حب للأدب ، يقرؤه ويتذوقه ، ويكتبه . وخرجت مجلة (الآداب) ، يدفع اليها (علي يوسف) من دم قلبه الحار المتدفق دماً ، ويعطيها الشيخ أحمد ماضى كل ما فى يده من مال قليل ، ما يعينها على الصدور ، وقرأ الناس المجلة الوليدة ، التى خرجت إلى الحياة فى أشد عصور الصحافة المصرية حلوكة . فالاحتلال البريطانى دهم المصريين فى ١٤ من سبتمبر ١٨٨٢ ، فكان صدمة زلزلت العزائم وأرهقت النفوس ، فبدا للناس أن الطريق مسدود ، ولا سبيل للسعى فيه ، وتعاظمهم شأن الاحتلال ، فنزع من قلوبهم الثقة ، فخيل اليهم أنه باق لن يتزحزح ، ثابت لن يريم .

وكان عهد الناس فى مصر بالصحف ، قد بعد منذ جرائد الثورة العرابية وما قبلها . جرائد عبد الله النديم ، وفارس الشدياق ، وجرائد أخريات فى عهد الخديو اسماعيل ، كجريدة (وادى النيل) التى أخرجها عبد الله أبو السعود ، ولكن الغريب ـ كما سلفت الاشارة ـ أن نجاح مجلة الآداب ، حفز الشابين على يوسف وأحمد ماضى على إصدار جريدة يومية فى آخر شهر من شهور سنة ١٨٨٩ .

وكان الشابان وحدهما لا يكفيان لمواجهة صعاب إصدار جريدة يومية فى ذلك العهد ولكن أبى الحظ الا أن يترك علي يوسف

عمامة عظيمة على رأس فلاح

وحيداً ، فقد مرض زميله ، ولما عوفى اختلف معه فتركه للأبد .

اللورد كرومر يغضب !

ولعل علي يوسف ، لو لم يترك وحده ، لما كشف للناس عن مواهبه النفسية من عزم صادق ، وجلد على العمل نادر ، وإيمان بالنجاح لا يتزعزع ، وقدرة على مداراة المتاعب ، ومناجزة المصاعب لا تبارى ، ورغبة فى التجديد والتحسين ، لا تنفد ولا تنضب .

ولقد كان العهد الذى صدرت فيه المؤيد ، فى تصورنا ، جديراً بان يطوى صفحتها ، ويوسدها تراب القبر ، ولكن ما يخفى على الناس أعظم ـ فى الأغلب الأعم ـ مما يبين لهم .

وقد كان سباق الزمن فى ذلك العهد ، لأكبر صحفيين فيه ، وهما علي يوسف ومصطفى كامل ، سنداً وظهيراً فى شخص الأمير عباس حلمى ، الذى ولد فى سنة ١٨٧٤ وهى نفس السنة التى ولد فيها مصطفى كامل ، فلما خلف أباه سنة ١٨٩٢ كان فى الثامنة عشرة من عمره أى فى عنفوان شبابه ، فاغراه هذا الشباب المبكر على أن ينازل الاحتلال البريطانى ، فاتصلت أسبابه بمصطفى كامل ، ثم بالشيخ علي يوسف .

ويقول الدكتور عبد اللطيف حمزه رحمه الله : وبقيت الصداقة بين عباس وعلي يوسف تنمو مع الأيام ، حتى أصبح الشيخ جليس الأمير ، وحافظ أسراره ، لا يعمل الأمير عملا إلا بمشورته ، ولا يقدم على خطة إلا بعد أخذ رأيه . وقد كانت هذه الصلة بالأمير ـ عدو الاحتلال ـ جديرة بأن تثير غضب اللورد كرومر معتمد الاحتلال البريطانى ، فيقصف عمرها ، وينهى حياتها . وقد حاول اللورد ذلك باكثر من وسيلة ، أولها وأبسطها ، أنه أصدر أوامره لرؤساء المصالح ألا يمدوا جريدة « المؤيد » بخبر ، وألا يدعوا مندوبيها ومراسليها ، يدخلون إلى المكاتب والدواوين لتصبح « المؤيد » مجرد منشور ، لا يحمل إلى الناس إلا كلام صاحب الجريدة .



ولكن علي يوسف لم يدخل ميدان الصحافة ، لتنزعه من أصوله أول ريح تهب عليه ، فقد صمد لهذه المحنة ، حتى تجاوزها ونجا منها ، ثم حدثنا بعد ذلك عنها ، في بعض ما كتبه في سنة ١٩٠٦ ، وبمناسبة ظهور المؤيد فى ثوب جديد .

الوشاية .. والحقيقة

قبل سبعة عشر عاما هجرية وبضعة أشهر ، وفى أواخر سنة ١٨٨٩ أفرنجية ، كان صاحب الجريدة ، يصدر صحيفة أدبية أسبوعية باسم « الآداب » ، وكان كثير من القراء يعجبون بها ، فكانت همته منصرفة يومئذ الى تحسينها ولم يكن يفكر فى إصدار صحيفة سياسية يومية للأسباب الآتية :

«قدمت الى دولة الوزير الجليل رياض باشا ، وكان يومئذ رئيس الوزارة المصرية فى عهد الخديو السابق توفيق باشا ، فاشار عليّ بعض المقربين من دولته ، أن أسترخص منه اصدار جريدة سياسية يومية . ولكنى ترددت كثيراً فى ذلك لعلمى بان جريدة يومية سياسية تصدر من مصرى مسلم ، بعد خلو القطر من جرائد مصرية مسلمة سبع سنين ، جريدة قادرة على أن تعيش بين الصحف القوية التى كانت قابضة اذ ذاك على أميال القراء اختياراً او اضطراراً ، جريدة لا تتأثر بدسائس الدساسين ، ووشايات الواشين من الأوربيين وغير الأوربيين ، تحتاج إلى رأس مال أكثر من مالى ، والى حول أكبر من حولى ، والى معارف جمة ، ووسائل عدة ، أنا خلو من كثير منها .»

«ولكن ظهر لى دافع قوى بعد ذلك من استحسان دولة الوزير أو إشادته ، فتقدمت إلى نظارته مسترخصاً بهذه الجريدة ، وفى اليوم الذى التمست فيه الرخصة نلتها ، وظهر العدد الأول من المؤيد فى ٨ ربيع الأول سنة ١٣٠٧ هـ (أول ديسمبر سنة ١٨٨٩ م) فى حجم أربع صحف قليلة المواد ، كما يرى القراء ، نسخته المنقولة برمتها فى الصحيفة الرابعة من عدد اليوم ، وحسبهم فارقاً ، بين ما نشا عليه وما صار إليه ، أن يروا العدد الأول كما هو فى صفحة واحدة من صحفه الثمان » .

ثم حدثنا عن ضيق الاحتلاليين وأعوانهم وصنائعهم ، بالمؤيد ، وعملهم على وأده ، ونجاحهم فى ذلك بعض الوقت إذ توقف عن الظهور فى ٣٠ من سبتمبر سنة ١٨٩١ ، ثم ظهر المؤيد بعد ذلك الاحتجاب ، وليس له من رأس مال غير القلم والصبر والاحتمال . ثم قال :

« وكانت رياسة النظار يومئذ فى يد عطوفتلو مصطفى فهمى ، والدسائس ضد المؤيد أقوى منها من قبل ، وقد هال أعداءه ظهوره ثانية ، فوشوا إلى الحكومة أن هناك

جمعية سرية ذات مقاصد خفية ، اخذت على نفسها الإنفاق على المؤيد ، والكتابة فيه ضد الاحتلال والحكومة ، وكادت ريح الشر تؤذى أولئك الافاضل الذين مدوا يد المساعدة بالشكل الذى ترضاه ، لولا أن مقرباً من الوكالة البريطانية ومن عطوفة رئيس النظار (ونعنى به المرحوم محمد بك بيرم) تولى يومئذ تحقيق تلك الوشاية بنفسه ، فظهرت له الحقيقة .»

« وجد للمؤيد من ذلك الحين أيضاً ، حساد وأعداء ، ثم وجد بعد ذلك اضطهاد من الحكومة ظهر بأقبح مظاهره حتى وصل الى حد إقفال أبواب الدواوين فى وجه صاحبه وكتابه ومخبريه ، ولم ينته هذا الدور حتى جاءت وزارة دولة رياض باشا فى يناير سنة ١٨٩٣ ، ويومئذ الغى عمل قلم (المطبوعات) الذى أنشىء لمضايقة المؤيد ليس إلا ، يوم كانت وظيفة البارون (دى مالورتى) مدير قلم المطبوعات محصورة فى مطاردة المؤيد وصاحبه .

إن هذه السطور التى ننقلها عن الشيخ علي يوسف لا ترينا فقط مدى صلابة نفسه وقوة عزيمته ، وإصراره على القتال مع اقوى القوي ، لا في مصر وحدها ، بل في العالم بأسره ، إذ كانت القوة التى تخاصمه ، وتقعد له كل مرصد ، هى قوة الاحتلال البريطانى التى هى حاكمة العالم شرقاً وغرباً ، والتي لا تغرب عنها الشمس والتى عرفت كيف تخضع الشعوب ، وتخيف المجاهدين ، وتفرق الهيئات الوطنية ، بالدسيسة والوقيعة والوعد والوعيد .

على أن هذه السطور ترينا شيئاً اخر وهو مدى خوف الطغاة المستعمرين من جريدة يصدرها رجل وحده ، لايؤيده حزب ولاتقف وراءه هيئة . كان قلمه واصراره وعزمه ، وموهبته كصحفى . هى كل العدة ولكنها عدة لايستهان بها ولا يغض من شانها .

الأمر الثالث ، ترينا هذه السطور نفسها كيف تستطيع ان تفعل جريدة فى بلد محتل، الأمية ضاربة اطنابها فيه ، والقلة القليلة المثقفة هى وحدها التى تقرؤها وتؤيدها.

ولكن الصحيفة حين تكون في يد صحفي قدير ، يؤمن بحق وطنه ويتصدى لمشكلاته ، يكون في مقدرته ان يؤلب الناس على الاحتلال . والثابت ان تاريخ الصحف قبل الاحتلال وبعده ، كان هو الموقف الوطني ، او قل السياسي : فالمؤيد الذي صدر كما علمنا فى أول ديسمبر سنة ١٨٨٩ واللواء الذى صدر فى الثلاثاء الثانى من يناير ١٩٠٠ ، والجريدة التى ظهرت سنة ١٩٠٧ ، وإن كانت تمالىء الاحتلال وتصطنع سياسة المهادنة معه ، والنطق باسم الأغنياء من أصحاب الأطيان، والمقطم الاحتلالية التى تنفث سموم كرومر وتنشر دعاوى الاستعمار ، وتؤيد طغيانه. هذه الجرائد هى التى خلقت الحياة السياسية فى مصر ، واخرجت الوفا من الشباب المؤمن بحق مصر فى الاستقلال وفى تحريرها من الاحتلال ، وفى اقامة حكومة نيابية سليمة ، وفى عمل من اجل الاصلاح ونشر التعليم وإقامة الصناعة وتجديد الزراعة ومكافحة الامية .

والحق ان جريدة « المؤيد » ، نهضت باعبائها فى تلك الفترة ، قبل ان ينضم إليها ويؤيدها ثم يسبقها ، اللواء ـ لواء مصطفى كامل ، فلم تكن « المؤيد » فقط صحيفة تقرا في مصر ، وتنير الطريق الوطني امام الشعب المصري ، وتجمع صفوفه ، وتؤكد عزمه على النضال ، وترد سهام الاحتلال إلى نحره ، وتكشف عن عواره ، وعن ظلمه ، وعن إفساده ، وعن بطلانه . بل كانت فوق ذلك مدرسة مفتوحة الأبواب ، تعلم المصريين اجمل اساليب لغتهم ، ومعهداً يروي لهم تاريخهم ، ويبصرهم بشئون السياسة الداخلية والخارجية ، ويلقنهم اصول الاقتصاد العامة ، ومبادىء السياسة الأساسية ، ويصل المصريين بكل العالم الاسلامي ، ويتحدث إلى هذا العالم الفسيح المترامي ، الذي تراخت صلاته بعضه ببعض ، ووهت علائقه شرقه بغربه ، وشماله بجنوبه ، وهو فى واقع الأمر وحدة لا تنفصم ، وجماعة لاتتفرق ، ودرة حضارة وعقيدة لا تخمد .

صور قلمية

وقد كان للمؤيد مواقف من جميع مشكلات الوطن ، وقضايا عامة ، لابد ان نقدمها او نقدم بعضها ، كنماذج للاسلوب الذي اختطته هذه الصحيفة المجيدة ، ولكن هذا حديث يطول ، نبقيه للقادم من الفصول .

وإن كان من الواجب قبل ان نفرغ من حديث اليوم ان نقدم للشيخ على يوسف صوراً قلمية كتب إحداها الخديو عباس حلمي ، وكتب الثانية الشيخ عبد العزيز البشري ، فانها صورة ، تكشف عن صفات الرجل وخصائصه ، وبواطن نفسه ، واسرار ذاته .

قال الخديو عباس فى مذكراته التي ترجمت جزءاً منها جريدة المصري ونشرتها فى عددها الصادر في ١٣ مايو سنة ١٩٥١ :

« كنت اريد ان تكون لي صحيفة قادرة على ان تثير الشعب وتقوده شيئاً فشيئاً إلى إدراك اكثر وضوحاً للوطن وواجبات المواطن ، فدعوت كاتباً من كتاب اللغة العربية كنت قد سمعت عن صفاته ومزاياه وهو الشيخ على يوسف ، وكان قد تردد على مدرسة المعلمين وكان خارجاً من الجامعة الازهرية ، وكان قد لفت إليه الانظار إن لم يكن باتساع افقه الفكري ، فبحماسته فى المناقشة ، وبموهبة مجادل حقيقية ، وبقدرته المشهودة على هضم المسائل ، وخاصة إذا ذكرنا انه لم يتكلم لغة غير العربية ولم يدرس إلا في المساجد

وكان الشيخ علي يوسف ـ وهو من اهل الصعيد ـ يعرف عقلية مواطنيه ومطامعهم وكان ـ رغم انه تربى فى بيئة دينية ـ يعرف كيف يفرق بين واجبات الفرد نحو بلاده والاحترام الواجب للدين . وكانت سياسته تستند احيانا على نفوذ الخليفة العثماني ، ولكنها لم تكن على الخصوص تركية اسلامية.

وهذه الوان قد لا يحسن الوطنيون فى الوقت الحاضر إدراكها ، ولكنها في بداية نشاطها قد زادت من تاثير الشيخ (على يوسف) على الشعب .

وكان الشيخ على يوسف يتخذ احياناً مظهر مدافع عن الاسلام اكثر من كونه محركاً للشعور الوطني ، وكان الغرض من هذا (التكتيك) ان تجتمع كل القوى المشتتة حول فكرة زعامة واحدة قوية . وخلق عاطفة التماسك والترابط عند الجماهير . وهي العاطفة التي لا يتم بدونها عمل ، وفضلا عن ذلك فقد كان الشيخ على يوسف فى بداية نشاطه يتخذ

عمامة عظيمة على رأس فلاح

على الاخص ستار الكثير من الشخصيات البارزة التي كانت تحمل إلى الجريدة عند زيارتها لصاحب الجريدة ، ثمرة ملاحظاتها، وخلاصة تجاربها فى حياة كرست للارادة أو لتسيير العدالة فى طريقها السوي . وكان أكبر رجال البلاد اقتداراً واعلاهم تمييزاً يساهمون فى عمله هذا . وكان معروفاً أن القصر يؤيد ذلك ، فكان قارىء لسان حال التحرير يقتطف من اعمدته زهرة الفكرة المصري .

وسرعان ما غدا (المؤيد) بفضل هذه الوسائل إحدى الصحف العربية الرئيسية، يقرؤه الناس من طنجة إلى الهند ، ومن تركيا إلى زنجبار .

« وقد افلح على يوسف فى بعث الاحساس فى قلوب مواطنيه بشخصيتهم القومية ، لفرط ما استمع إلى الحديث عن علاقات مصر ، وعن ماضيها وحقوقها ، ولفرط ما ناقش معاونوه الأعلام في السياسة العامة وعلاقاتها بالموقف الراهن ، كما كان استحضاره للعصور الغابرة – التى كان حسن الالمام بها – يفتح له إيقاظ الذكريات المجيدة ، فيبعث فى نفوس قرائه الايمان بالمستقبل .

لقد كانت تلك مرحلة أولى . وكان علينا أن نجتازها . كنت أرى من سوء التصرف أن نظل شعبا نائماً – بدون فترة انتقال – إلى نور الأحداث الجارية الساطع ، وأن نزعج يقظته ببهر مفاجىء .

وقد كان على يوسف بارعاً فى استخدام الرباط الطبيعي القوي الذي يربط المصريين منذ عهد بعيد ، بارعاً فى تاسيس وطنية على أساس من تلك العاطفة العميقة الجذور . ولم يكن تعلمه الديني يؤثر إلا قليلا على نزعاته التحررية . وكان يرى انه يقود امته نحو الاستقلال .

وكان قد زار أوربا وخاصة فرنسا وانجلترا وتركيا ، ولكنه ظل مغلق النفس أمام مفاتن حضارة لم يكن يعرف غير واجهاتها ، وأمام إغراء البادشاه (أي سلطان تركيا) الذى كان قد استقبله .

والحق أن الشيخ على يوسف لم يكن يوماً ما رجل تركيا ، وإذا كان فى بعض الأحيان قد أيد الخليفة ، فانه لم يكن يعني سلطان القسطنطينية ، وإنما زعيـــم الاســلام .

كان ذلك الذي قاد الرجال ، وأدرك معنى الأمة ، ومعنى الاخلاص ، مصرياً قبل كل شيء – وقد نجح أيـاً ماكانت شخصيته وأراؤه – في أن يستميل الرأي العام ويجمعه ويعلمه التفكير ».

وقال الخديو فى موضع آخر من مذكراته :

« كان المؤيد فى الواقع يحفل بالمقالات العظيمة بأسلوبها البارع وأفكارها العميقة وكان الشيخ بأسلوبه اللاذع وبلاغته التى لا تغيض ، وعاطفته التى كان يطامن غلواءها ، فلسفة إنسانية فائقة ، قد غدا أستاذاً بفضل اتصاله اليومي بالشخصيات فى كل علم وفن . وكان يتحدث الى القراء فى مسائل تستثير مخيلاتهم لانها تمس البلاد وتاريخها فى الوقت نفسه » .

وقد وصفه الشيخ عبد العزيز البشري فقــال :

« ليس بالطويل البائن ، ولا القصير المتردد . على انه كان إلى الطول يظهر فى مرأى العين نحيلا . ولكنه كام مكتنز اللحم ، مستطيل الوجه واسعاً مساحة الجبهة ، أزرق العينين ، طويل الهدبين ، كثيراً ما ترى له إطراقة نظرة غريبـــــة ساجية ، ضيق الفم ، على ان فى شفتيه الحمراوين شيئاً من الغلظ . تعلوه صفرة ما احسبها من اثر مرض ، وشعر لحيته الدقيقة المنسقة يميل إلى الشقرة ، رقيق الصوت لينه إذا تحدث ، فاذا رفع صوته ضمر بعض الضمور ، وتسلخ بعض التسلخ ، فلم يكن من تلك الأصوات التى تصلح للخطابة »

« وكان بعد رجلا شديد العقل ، قوي النفس ، حديد العزم ، وافر الشجاعة لا تتعاظمه قوة خصم بالغة ما بلغت قوة ذلك الخصم ، وإذا تحداه متحد ركب راسه فى نضاله ، لا يبالي اين يقع المصير .

« وكان في كثير من الأزمات التى تعرض لها المؤيد كثيراً ما يقول « والله لا يعنيني أن يكون الناس جميعاً في صف واحد . وأنا والحق الذي أعتقده بازائهم في صف واحد . ومما يشاع عنه كذلك انه كان يقول: « أنا لا أبالي أن أخسر هذا البلد ، ففي إمكاني أن أعود فاكسبه بثلاث مقالات » .

« وإنني لا أعرف رجلا سياسياً عظيماً كان اقل الناس أهلا . وأكثرهم خصوماً كما كان الشيخ على يوسف . وخصومه على كثرتهم قد كانوا من جميع الطبقات ، وكانوا من جميع الهيئات . وإنهم ليحيطون به إحاطة الطوق من كل جانب ، وكلهم عامل على إسقاطه ، جاهد ما امتد به الجهد فى هدم المؤيد ، يدفعه بتهمة الخيانة الوطنية فما دونها فى غير هوادة ولا إشفاق . ثم إذا الشيخ يتجمع ، وإذا هو يشرع القلم شرع الرمح ، وإذا هو يطعن الطعنة الكبيرة ، هنا مرة ، وهاهنا مرة ، فلا يصيب إلا الكلى والمفاصل ، وإذا هــؤلاء الخصوم يتطايرون تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض ، وإذا المؤيد يرن فى البلد رنينه بعد ما تردد وتأوه وطال أنينه . » .

« وفي يــوم الجلي ، تحدث الأحداث القومية ، ينفض الناس قلوبهم ، حتى يتساقط منها كل ما علق بها من الحقد على الشيخ على يوسف ، يلوون اعناقهم نحو المؤيد ، شاخصة ابصارهم ، مرهفة آذانهم ، معلقة فى انتظار ما يقول الشيخ انفاسهم ، فاذا النمر الجبار يثب على فريسته من عدوان العادين وثبة ، فلا يزال يوسعها تمزيقاً بمخلبه ، ومضغاً بانيبه ، حتى ما يدعها إلا اعظماً وجلوداً » .



فتحي رضوان

نهر بلا عودة

شعر: محيي الدين فارس

بيني وبينكِ ألفُ صحراءٍ ..
وأسوارٌ من الأشواكِ
.. والطرقاتُ مقفلةٌ .. ومقبرةٌ وبابْ
والصمتُ حُرّاسٌ تحدّق من
شبابيكِ الضّبابْ
وسمعت صوتَكِ تحت جُنْح الليلِ ..
.. في القبوِ الخَرابْ
متصاعداً كدخانِ قنديلٍ تميلُ به الرياحْ
وحدي أُنَقّبُ عن ثقوبٍ في جدارِ القبْوِ
.. عن بابٍ قديمْ
عن كُوَّةٍ منسيّةٍ في أضْلُعِ الليلِ البَهِيمْ
طوَّفْتُ منتعلاً جلُودَ الرِّيحِ .. مخْتَفِياً ..
أُسافِرُ في جَدَائِلِها .. الغُبار
واتيتُ حينَ غَفَتْ مصابيحُ النَّهارْ
فلقد حَمَلْتُ إليكِ زَادَ محبَّتي
وشويْتُ أفكَارِي .. وتَبَّلْتُ القَدِيدْ
أدْري .. بأن طعامَهُم لا يُسْتَسَاغْ
وأنَّ وجْهَك لا يريد .
ودلفت .. تعبس لي دهاليز ..
تحملق في ارتيابْ
بابٌ تحركه الرياحُ .. وتغلقُ الأشباحُ بابْ
من أين أدخلُ ؟ والمدينة بابُها الحجريّ ..
يعلو كالهضَابْ
وملأت غليوني بتبغِ الحُبِّ عطَّرْتُ السِّياجْ

وذرعت ميناءَ الخواطرِ هائماً ..
متصفّحاً وجْهَ الفضَاءْ
والريحُ تحمِلُ ذيلَهَا الغجريَّ تركضُ في البحارْ
وبكت على قدمَيّ ، وارتعشت على كتفَيّ ..
واحتملتْ معي .. وَجَعَ الرُّؤى .. والإنتظارْ
ولمحتُ ثُقْباً في الجدارْ
وتسلّقت سورَ المدينَةِ مقلتَايْ
هَذِي ملامحُكِ النَّضيرةُ ما تزالْ
هذي عيونُكِ حقْلُ حنْطَهْ
والشعر موّالٌ وفي شفتيك أُغْنِيَةٌ
وفي قدميْكِ . مَا صَدِيءَ الجديدْ
ومددتُ كفيّ .. كانت الطرقاتُ مطرقةً
فما لمحَتْ رؤايْ
وهمَمْتُ .. لكنّ الجيادَ تحرّكَتْ ..
والنهرُ قوَّسَ زندَهُ العارِي ..
فقد شمَّوا خُطَايْ .
وتسرَّبَتْ في الليل أعينُهُمْ
تصيحُ إليَّ .. تبحثُ عن صدَايْ
فحصدت أجيالا من الأزمانِ موحشة اليبابْ
أقتات من همِّي .. وأشرب من ينابيعِ السرابْ
ورجعتُ في حلقي غُبَارْ
وبمقلتيَّ مدامعٌ خرساءُ تَهْمِي في انْكِسَارْ
فالليلُ جباناتُ موتَى .
لا تحرِّكها احتفالاتُ الرؤى الخضراء في عرسِ البحارْ

جاربو

في عينيها قرأ المحبّون أحلامهم

بقلم : جمـــال الكناني

تربعت على عرش السينما الذى لم يجلس عليه غيرها من قبل ، ولن يجلس عليه بعدها أحد . وصفها الناس بالغموض وهى فى الواقع سر الغموض عاشت عمرها تؤثر الوحدة والبعد عن الناس ، لا لأنها تكره الناس ، ولكن لأنها تحب استقلالها وتقدسه وتعتز بفرديتها وترتاح إلى العزلة . وهى تقول « أنا أقضى وقتى هرباً من شىء أو من شخص . وأعرف لا شعورياً أن السعادة لم تكتب لى » ... وفكرتها عن السعادة فكرة متواضعة ومفهومها للسعادة يكاد يكون بدائياً . بيت ريفى صغير فيه مستوقد تجلس بقربه ، وتطلق العنان لأحلامها .. اذا جاعت أكلت أبسط الطعام . ولا بأس أن يقاسمها إياه صديق قليل الكلام لا يسألها عما تفكر فيه .. أعز أمانيها أن يفهمها الناس دون أن تلجأ الى شرح ، وأن يكون لها كامل الحرية .. تفعل ما تشاء دون أن تلتزم بتفسير أو تبرير ما تعمل .



جريتا جاربو الفنانة التى تربعت على عرش السينما .. وهي هنا في احد ادوارها في فيلم « المغرية » الذي مثلتـــه فـــى اكتوبـــر عـــــام ١٩٢٦م .

جاربو تنفر بطبيعتها من الأغراب وتثير العطف والحنان فى قلوب من يعرفون بؤس حياتها . طفولتها كانت ملفوفة فى طيات الفقر ، فلما كبرت لم تذق طعم الحياة المنزلية العادية . وانتقلت إلى هوليوود فلم تشته نفسها بيتاً مستقراً تعشش فيه ، بل اخذت تنتقل فى بيوت تستاجرها أو فنادق تغيرها كما تغير حذاءها .. عاشت فى هوليوود ست عشرة سنة غيرت مسكنها خلالها إحدى عشرة مرة ..

الذى ينظر إلى جاربو يرى وجهاً لا ينسى . صورته تقفز إلى الذاكرة دون أن تستدعى والذى يرى وجه جاربو مرة يعرف السبب فى أنها لن تهرم كما يهرم غيرها من الناس لما تدركهم الشيخوخة . وجهها يصدر إشعاعات تبهر ، تخرج من منارتين هما عيناها اللتان تفصحان عن الكثير وتعبران عن كل شىء .. تاتمنان الناظر إليهما كما تامن عيون الأطفال من ينظر اليها ، ويدرك الناظر اليهما انهما تعرفان كل ما تعرف النساء ، وأن فيهما صفحاً وغفراناً لا يرى إلا فى عيون الأمهات .

فمها الواسع العريض .. مرن .. ملىء ... منحوت فى شفته السفلى أصداء قوة كامنة وشفته العليا تصدر إشارات ورسائل فيها حزم وإرادة . جفونها ثقيلة برموش باهظة الطول .. جلد الوجه نصف شفاف يغطى عظام الخدين العريضة ، التى تمكن جاربو من التعبير عن مختلف العواطف فى دقة ويسر ..

يؤكد كل مصور ماهر أن لكل وجه زاويتين ، إحداهما تناسب الكاميرا والأخرى لاتبرز جمال الوجه بل قد يكون فيها بعض التشويه .. والذى ماز وجه جاربو هو أنه يرحب بالكاميرا من أى زاوية جاءت ..

جاربو اليوم ، كجاربو هوليوود ، تؤثر العزلة التى تفرضها على نفسها . وحياء جاربو غريزى غير مصطنع أو متكلف .. هى تؤثر أبدا أن تعيش فيما تختار لنفسها من دنيا الأحلام .. وهرب جاربو من واقع الحياة هو السبب فى بعض بؤسها .. وليس من بين المقربين منها من يعرف سبب هروبها من الواقع ... أهو تفكيرها المكتئب فى الماضى أم هو مجرد ملل من الحياة نفسها ؟! وجاربو لا تتردد فى التصريح بأنها تحس بالقلق طول الوقت وفى كل مكان ..

جاربو تنظر إلى الحياة من خلال منظار أصغر .. فى شىء من اليأس . وتتساءل لم لا يتكاتف المفكرون والقادة ويستعملون عقولهم لتحويل هذا العالم الى عالم يسوده السلام ؟ ..

وجاربو تشكو وتتألم من « ضياع عمرها » ولكنها ترفض مثلا أن تصرف بعض وقتها فى أعمال خيرية وتقول « التمثيل مهنتى ولست عاملة اجتماعية » .

والمعروف أن جاربو تتمتع بصحة جيدة وان كانت تشكو أحياناً من ألم فى ظهرها ، وهى تعنى بصحتها عناية تامة وتمارس الرياضة وخاصة رياضة المشي والسباحة .. وهى تدخن باعتدال أما آفة جاربو فهو الأرق .. فهى تجد صعوبة شديدة فى الاستغراق فى النوم .

● بين الفقر والمسرح !

فى شقة متواضعة فى المبنى رقم ٣٢ ، وهو مبنى من خمسة طوابق تطل على خرائب استكهولهم عاصمة السويد ، وعلى اقذر أحياء العمال فيها ، عاشت جريتا صباها مع أسرتها فى فقر ومسغبة . أبوها كان كناساً يقدم على نظافة الشوارع .. وقضى عليه الشراب وهو فى اوائل العقد الخامس من عمره .. وفى مستشفى الولادة فى ذلك الحى القذر ولدت جريتا لويزا جوستافسن يوم ١٨سبتمبر ١٩٠٥ وابوها على درجة من الفقر حفزت رئيسه فى العمل ان يتقدم لتبنى المولودة الجديدة ليخفف عن أسرتها الفقيرة عبء تربيتها ، ولكن الأب على فقره رفض ذلك ، وقالت أمها « الله يعطيك الخبز لما يعطيك الخلف » .

ولم تكن طفولة جريتا شقية أو سعيدة بصفة خاصة وهى تقول « لا أذكر أنى كنت صغيرة أبداً ، صغيرة بحق ، كغيرى من الأطفال .. كان لى رأيى فى بعض المواضيع ولكنى كنت لا أصرح برأيى أبداً » .. التحقت جريتا بمدرسة ابتدائية حكومية .. وكانت تكره الحساب والجغرافيا وتحب التاريخ ولكنها كانت منصرفة بكلياتها إلى المسرح الذى كانت تعشقه . فى سن السادسة أو السابعة كانت تقف عند الباب الخلفى لهذا المسرح أو ذاك وتحاول الاستماع الى ما يقول الممثلون فاذا كان لها ثمن تذكرة الدخول راحت تعب من المسرح ثم تقضى بعد ذلك أياماً تصبغ وجهها بألوان الرسم العادية وترتدى ملابس أخيها ثم تخرج إلى الشارع لترى كيف ينخدع الناس بتنكرها .. الوان الرسم كانت أصباغ ماكياجها والشارع مسرحها ..

مات أبو جريتا وهى فى الرابعة عشرة وحزنت لموته أشد الحزن لأنه قاسى فى مرضه كثيراً .. كانت فى تلك الأيام تحاول كسب ما يعين الأسرة على العيش .. تخرج من المدرسة الى دكان حلاق تعمل فيه بعض الوقت .. تضع رغوة الصابون على وجوه من يرغبون فى حلاقة لحاهم ..

أشهر صورها التى استخدمتها إحدى الشركات السينمائية في الاعلان عن النجمة الصاعدة .



جاربو

في عينيها قرأ المحبون أحلامهم

وتركت جريتا المدرسة فى ٢٦ يوليه ١٩٢٠ والتحقت بخدمة احد المتاجر الكبرى فى العاصمة براتب قدره (٣٥ دولاراً) فى الأسبوع . وفى أوائل ١٩٢١ وقفت جريتا كمحترفة امام آلة التصوير.ذلك لأن المتجر كلفها بعرض أزياء قبعات الموسم . وعقب ذلك مباشرة كان أول لقاء لها مع كاميرا السينما إذ اختارها أحد مديري أفلام الدعاية التجارية لتظهر فى فيلم فكاهى عنوانه « كيف لا تلبس ملابسك » .. وجاء بعد ذلك فيلم فكاهى آخر عن مخبز يعلن عن كعكه وفطائره ، تلتهمها فتاة هجرت « رجيماً » صارماً .. وكانت جريتا إذ ذاك على شىء من السمنة .

● شىء غير عادى

حدث أن زار المتجر الذى تعمل فيـه جريتا واحد من مخرجى الأفلام الرخيصة ، وعرض عليها العمل لحسابه فاستقالت من عملها فى المتجر ، لتعمل فى السينما ! ! ونشرت إحـدى المجلات تعليقاً على أول فيلم لها مع تلك الشركة وتنبأ المعلق بأن جريتا جوستافسن قد تصبح كوكباً من كواكب السينما فى السويد .. ولم تقنع جريتا بذلك بل أخذت تبذل الجهد والعرق لتحقق هدفها فهى منذ طفولتها تقول « أنا أفكر فى أن أكون ممثلة عظيمة » . وأكد لها المخرجون أنها لن تحقق ذلك الأمل الا اذا تعلمت فن التمثيل وتدربت عليه .. فما كان منها الا أن تقدمت لامتحان يؤهل لجائزة علمية فى التمثيل تعقده الاكاديمية الملكية للمسرح فى استكهولم .. وساعدها مخرج اسمه بتشلر بأن كلف ابنته الممثلة ، بتدريب جريتا قبل امتحان الاكاديمية .. وكان ان نجحت جريتا وفازت بجائزة مكنتها من الالتحاق بالاكاديمية مجانا . كان نظام الاكاديمية صارماً يفرض على الطلاب مواظبة ومراناً وعملا متواصلا .. وابدت جريتا تفوقاً ملحوظاً أثناء دراستها .. وحدث أن المخرج بتشلر تحدث إلى أكبر مخرجى السينما فى السويد ، وهو ستيللر عن جريتا وامتيازها .. وزار سـتيللر الاكاديمية خلسة وشاهد جريتا أثناء عملها دون أن تدرى هى بوجوده ، فلما بدأ توزيع أدوار فيلمه الجديد زار الاكاديمية مرة أخرى وحدد لجريتا موعداً لتزوره فى بيته ..

وراحت جريتا فى الموعد المحدد فلم تجـد ستيللر واضطرت للانتظار ساعتين وصل بعدهما ذلك المخرج اليهودى وكان صاحب الكلمة العليا فى عالم الفيلم السويدى إذ ذاك .. وتظاهر بأنه نسي الموعد ثم وجه إليها الحديث وقال « آنسة جوستافسن ، أنت سمينة جداً.لابد من أن ينقص وزنك ٢٠ رطلا قبل أن أسمح لك بالقيام بالدور الذى اختاره لك .. وسأبعث فى طلبك بعد أيام لاختبارك على الشاشة » .. وخرجت جريتا والتفت المخرج ستيللر نحو ممثـل كان معه وقال « فى هذه الفتاة شىء غير عادى ، لابد أن أكتشفه .. » .

وبعد أيام وصلت رسالةتليفونية من ستيللر .. وراحت لتختبرها الكاميرا .. وثبتت صلاحية وجهها للشاشة البيضاء .. ولعبت جريتا أول دور رسمى لها وهو دور الكونتيسة دونا ، ونجحت تماماً .. وقدمها ستيللر لمدير شركة الأفلام السويدية وقال له « هذا وجه لا نعثر عليه إلا مرة كل قرن » وأبرمت الشركة عقداً مع جريتا لمدة ستة أشهر بأجر قدره ٦٠٠ دولار وكان عمرها ١٨ سنة .

لم يكن لاسم أسرة جريتـا وهـو « جوستافسن » رنة سينمائية وقرر المخرج ستيللر تغييره وكانت هى نفسها تسـعى لتغييره باسم أقصر . وتذكر احـدى صديقاتها انها زارت اذ ذاك مزرعة اسمها « جاربودا » .. ويحتمل ان يكون اسـم « جاربو » اختصاراً لكلمة « جاربودا » . وهناك قصص أخرى عن تغيير الاسم الى « جاربو » ولكن لا يقوم على أى منها دليل قاطع ، لهذا نكتفى بالقصة التى أوردناها .

قبض ستيللر على جاربو بيد من حـديد فكانت لا تقدم على أمر دون موافقته .. كان يدربها أثناء الاخراج ويكلفها باعادة المشهد الواحد مرات ومرات حتى يطمئن إلى انها اعطته غاية ما تستطيع تقديمه .. كان يطالب بالكمال فى الأداء ويصر على طلبه .. واستحالت جاربو عجينة فى يده يشكلها كيف شاء ، وهناك من قال انها أضحت أمة له يأمرها فيطاع ، وظن البعض أن العلاقة بين ذلك المخرج الذى كان يكبرها بربع قرن تعدت حدود علاقة العمل بكثير .. ولكن الدليل لا يقوم على ذلك .. وحيثما يسود الغموض تروج سوق الشائعات .

بدأ ستيللر يبنى ويشكل ذلك الكوكب الذى اضاء سماء هوليوود سنوات .. وكانت جريتا قد بلغت الثامنة عشرة ، فى عام ١٩٢٣ .. ويذكر أنها لما أتمت أول أفلامها تحت اشراف واخراج ستيللر قالت لاحد الصحفيين « نعمت بعملى فى ذلك الفيلم ولكن التجربة كانت أشبه ما تكون بعبور أتون تأجج ناره » وبعد خمسين عاماً من ذلك قالت جاربو عن علاقتها بذلك المخرج الذى عرف بصلفه « كانت العلاقة بيننا حب وكراهية ، أحبنى بعض الوقت بقدر ما كرهته » .



جريتا جاربو فى لقطة من فيلمهـا الشهير « السيل » الذي اخرجـه « مونتا بيل » فى عـام ١٩٢٦ .

وعادت جاربو إلى الاكاديمية تتم دراسة التمثيل ، تنفيذاً لتعليمات ستيللر ... ويجدر بالذكر أن النقاد لم يتحمسوا لذلك الفيلم السويدى ، وبالغ بعضهم فى نقد جاربو فتصدى لهم ستيللر وقال « إنهـــا مازالت عصبية عديمة التجربة ولكن فى شخصيتها شىء غير عادى .. فوق العادى .. وعندما أفرغ من تدريبها ، سيعجب الجميع بادائها » .. وهذا الفيلم الذى لم يعجب نقاد السويد نجح فى المانيا نجاحاً منقطع النظير ودفعت فيه شركة تريانو ٢٥٠٠٠ دولار كما دفعت لجاربو كل نفقات سفرها إلى برلين لحضور العرض الأول للفيلم وكان بعنوان « جوستا برلنج » .. وطلبت الشركة من ستيللر أن يخرج فيلماً ثانيا لجاربو ، فاختار مذكرات لاجىء روسى وفيها دور اعتبره المخرج نموذجيا بالنسبة لجاربو وهو دور فتاة روسية ارستقراطية تهرب من دير فى بتروجراد وينتهى بها الأمر فى حريم قصر من قصـــور القسطنطينية عاصمة تركيا إذ ذاك .

قرر ستيللر أن يضع الشركة أمام الأمر الواقع فصحب جاربو والمصورين والممثلين إلى العاصمة التركية ونزل فى أفخـــم فنادقها .. وأخذ يرسل البرقيات يطلب من الشركة ان ترسل اليه ما ينفق على الفيلم والمشتركين فى إخراجه .. ولم يدر ان الشركة افلست .. واضطرت القنصلية السويدية أن تدفع نفقات عودة جاربو والمخرج إلى السويد عن طريق المانيا .

فى ذات الوقت كان أحد الألمان ، جورج بابست ، يعد لاخراج فيلم اسمه « شارع الاحزان » يسانده فى ذلك راسمال امريكى .. وسعى المخرج وراء التعاقد مع جاربو ووافق ستيللر على اشتراكها شريطة ان يكون هو مستشار الاخراج .وقبضت جاربو ٤٠٠٠ دولار نظير هذا الفيلم الذى استغرق اخراجه فى برلين شهراً واحداً .. وجدير بالذكر ان مارلين ديترتش اشتركت بدور صغير فى ذلك الفيلم .

وتصادف أثناء اخراج هذا الفيلم فى برلين ان زار العاصمة الالمانية قيصر هوليوود ، المستر لويس بى ماير ، نائب الرئيس الأعلى وكبير مخـــرجى مترو جولدوين ماير .. وكان المخرج السويدى الكبير فيكتور سبوستروم قد اشار على لويس ماير بان يقابل ستيللر وان يشاهد بعض افلامه وقال « استورد ستيللر وضع جريتا جاربو بين حقائبه !! » . ورتب الوسطاء لقاء بين ماير وستيللر .. واكتشف كل من الرجلين عند اللقاء انه لا يتكلم لغة الآخر ولكن كان كل منهما يعرف ان الآخر يهودى مثله ، يعرف القليل



« المراة الرائعة » .. احد اهم افلامها .. مثلته فى يناير عام ١٩٢٨ .

من اليديش ، فاتخذاها لغة للتخاطب واستعانا بمترجم كذلك ..

● جاربو تفكر فى الانتحار !

طلب ماير مشاهدة فيلم «جوستا برلنج» .. وادرك لما شاهده ان المخرج ـ ستيللر ـ موهوب فالتفت ماير للمترجم وقال « قـــل للمستر ستيللر إن رجلا له مواهبه يجب ان يكون فى هوليوود .. أنا مستعد لابرام عقد معه لمدة ثلاث سنوات ، وان ادفع له اول الأمر ١٥٠٠ دولار فى الأسبوع » .. ولم يرد ستيللر فوراً .. ثم سال « وماذا تنوى بالنسبة لجاربو ؟ إنك لم تشر إليها بكلمة واحدة » ، ورد ماير بغير اهتمام « ومن تكون جاربو هذه ؟ » قال ذلك رغم اعجابه بادائها فى الفيلم الذى شاهده .. ولكن ذلك نهج اليهود عند عقد صفقة مهمة .. واخذ ستيللر يعدد مناقب جاربو فقال ماير « اقل الواجب هو أن اقابلها أولا ولكن الاهم هو أن اعرف موعد حضورك إلى هوليـــود ـ فقال ستيللر ـ لن أسافر الى امريـكا الا وجاربو فى صحبتى وفى يدها عقد من شركتكم .. ويسرنى ان تتناول العشاء معى » وقبل ماير الدعوة ورتب ستيللر لحضور جاربو وأوصاها بأن ترد على ماير إذا حدثها فى أمر العقد بجملة واحدة « أنا انفذ ما يقرره المستر ستيللر » .. وقبـــل نهاية السهرة وافق ماير على أن يتعاقد مع جاربو لمدة ٣ سنوات بمرتب ٣٥٠ دولاراً فى الأسبوع فى أول الأمر . والتفت ماير للمترجم وقال « قل لها ان الرجال فى امريكا لا يحبون المراة السمينة » .. وهبت جاربو واقفة وانصرفت بعد أن قررت فى نفسها أن تتبع « رجيماً » صارماً تنقص وزنها خلال الشهرين قبل رحيلها إلى امريكا .

وابحرت جاربو إلى امريكا مع المخرج ستيللر وتوقعا استقبالا حافلا فى نيويورك يضم كبار رجال مترو جولدوين ماير ورجال الصحافة والسينما والمسرح .. وأخـــذ ستيللر يحفظ جاربو جملة باللغـــة الانجليزية ترد بها على الصحفيين فى نيويورك « هذه أسعد لحظة فى حياتى .. بارك الله أمريكا » .

واستحال الحلم الى كابوس وتحطمت الآمال عند وصولهما إلى نيويورك .. اذ لم يكن فى انتظارهما غير خيبة الأمل والمهانة .. كانت هيئة الاستقبال مصوراً واحداً ورجلا من العلاقات العامة كلف بقيادة سيارة الضيفين .. وفاضت عيون جاربو الجميلة بالدموع وحاول ستيللر الاتصال بماير تليفونياً .. وكان الرد دائماً انه مشغول فى اجتماع هام .. اترك رقم تليفونك وهو يرد مكالمتك .. ولم يرد ماير المكالمات .. واستمر الحال على ذلك مدة شهرين .. وكتبت جاربو لصديقة لها فى السويد تقول « أشعر بدافع قوى على الانتحار .. إما أغرق نفسى او اقفز من أعلى نافذة .. لكن تعوزنى الشجاعة » .

وقررت جاربو وستيللر العودة إلى السويد .. وفى مكتب للسفريات السويدية لقيت جاربو صديقة لها « مارتا هـــدمان » المغنية السويدية المشهورة التى كانت تنوى العودة للسويد فى اجازة .. وسمعت مارتا ما جرى لجاربو وصاحبها فوعـــدت بالمساعدة واتصلت بمصور مشهور وطلبت منه العون .. ورأى المصور جاربو .. ،اخذ بجمالها .. وطلب أن يصورها .. وكان له ما اراد .. واختـــار هـــو وجاربو افضل الصور وعرضهـــا على محــررى اكبـــر المجلات ونشرت الصـــور وتحتها عبارة « كوكب جديد من الشمال ـ جريتا جاربو ».

ووزعت المجلات فى أنحـــاء الولايات المتحدة ومنها كاليفورنيا .. ووقعت عين ماير على الصور وبهره ما رأى ولم يدرك ان الصور هى صور الفتاة التى تنتظر أوامره فى نيويورك فامر بحضورها ومعهـــا ستيللر .

جاربو
في عينيها قرأ المحبون أحلامهم

● نجمة من طراز جديد

وصلت جاربو إلى هوليود فلم يتحرك فيها ساكن .. وعاد الاستديو إلى صمته واهمل شانها ، وبعد اشهر وافق رئيس الاخراج على عمل اختبار جديد على الشاشة لجاربو ... وكان للنتيجة وقع السحر ... وتحرك الاستديو واهتم ماير وامر جراح الاسنان الذي يعمل في الشركة باصلاح اسنان جاربو لان الفجوات بينها كبيرة ... وأمر بان ينقص وزنها قبل اشتراكها في اي فيلم .

كانت جاربو نجمة من طراز جديد لم تالفه استديوهات هوليود .. النجوم عادة نحيلات صغيرات الحجم ، وجاربو طويلة عريضة الكتفين ... كان الاستديو قد بدا في تصوير فيلم « السيل » يخرجه مونتا بل وبطلته ألما روبنز التى كانت تلعب دور ليونورا امام البطل ريكاردو كورتيز ... وحدث أن مرضت البطلة الما روبنز .. فراح المخرج يستغل الوقت في مراجعة بعض ما صور من اشرطة ، وبدا العرض ، وفجاة راى المخرج شريطاً عليه جاربو - شريط اختبار الشاشة - وادرك عارض الافلام انه اخطا ، فتوقف عن العرض ، ولكن المخرج أمره بالاستمرار ، فلما انتهى الفيلم طلب منه إعادة عرضه ... وفى آخر الفيلم ورد اسم جريتا جاربو وتاريخ الاختبار ... وتحمس المخرج لما راى بمحض الصدفة ، وسارع إلى غرفة رئيس الاخراج فى الشركة واقنعه بوجوب استبدال الما روبنز المريضة بهذا الوجه الجديد ... وقبل الرئيس ... وبدات جريتا جاربو تؤدى اول دور لها في فيلم من افلام مترو جولدوين ماير في هوليوود .

بدات جاربو عملها واخذ بعض النقاد يعلقون على شخصها تعليقاً لا مجاملة فيه وذهب واحد منهم انه اكتشف الحجم الصحيح لقدمي جاربو - وقدماها فى حجم اقدام الرجال - وكان بعض عمال الاستديو يسخرون من طولها ... ومنهم من اطلق عليها اسم « ناطحة السحاب » ... وهكذا بدات جاربو حياتها فى هوليوود موضع سخرية ، وانتهى بها الأمر معشوقة للجماهير .

استغرق اخراج فيلم « السيل » ستة أسابيع وعرض فى نيويورك لأول مرة في ٢١ فبراير ١٩٢٦ ، وكسر الرقم القياسي لعدد المشاهدين ... ونجحت جاربو واشاد بعض النقاد بما تتميز به من فردية وجاذبية ... واشار بعضهم الآخر إلى وجهها وملامحها وقدرتها على الأداء والتمثيل ، وإلى شخصيتها النفاذة .

وأرادت شركة مترو جولدوين ماير ان تستغل لهفة الجماهير واقبالها على هذه النجمة الجديدة ، فبادرت بالاعداد لثاني أفلامها واختارت قصة عنوانها « المغرية » وكلفت ستيللر بالاخراج ، ولكن الشركة قررت طرده قبل ان يتم عمله ... ولا غرابة إذن ان هذا الفيلم لم يصب نجاحاً .

شاع بين المخرجين ان جاربو تبذل جهداً جباراً فى تحضير الأدوار التى توكل إليها ، وانها تسهر الليل وتجهد نفسها فى الاعداد لأداء تلك الادوار وانها تطيع تعليمات المخرج بدقة ، فارتاح المخرجون للعمل معها . وكانوا يتسابقون للفوز باخراج افلامها ... وعرف المخرجون ان جاربو لشدة حيائها الغريزي تضطرب إذا احست ان هناك من يراقبها اثناء الأداء فى الاستديو ، لهذا كان المخرجون يحيطون المشهد والكاميرات بستائر تحد من تجمع الزوار ... واستعانت ابواق الدعاية فى الشركة بالاسم الذي اطلقه بعض المعجبين



امام الممثل « جون جلبرت » في فيلم «قصة حب» وهي مقتبسة عن قصة «انا كارنينا» لتولستوى



في فيلم «انا كارنينا» الذي مثلته في اغسطس ١٩٣٥ امام « فردريك مارش » .

على جاربو وهو « فينوس استكهولم » ...
فيلم « الجسد والشيطان » في عام ١٩٢٦ كان ثالث افلام جاربو فى هوليوود ... قرات جاربو القصة فوجدت أن دورها ، كالدورين في الفيلمين السابقين ، هو دور امراة تعمل على إغراء الرجال والعبث بعواطفهم ، فلم تعجبها القصة فاحتجت لدى « ماير » فنهرها فى وحشية وامرها أن تمتثل للاوامر ... فامتثلت على مضض ولكنها اخذت قرارا فى نفسها ... قام بدور البطل في هذا الفيلم جون جلبرت ... وعرض الفيلم لاول مرة في نيويورك فى يناير ١٩٢٧ وكتبت صحيفة الهيرالد تربيون عن جاربو تقول : « لم نر على شاشة السينما من قبل امراة على مثل هذا القدر من السحر والجاذبية ، فيها رشاقة افتك من اي جمال مجرد » .

وبالغت الشركة فى نشر شائعات عن غرام بين جاربو وجلبرت ... وارتاحت الجماهير لهذا الوضع وزاد الاقبال على الفيلم رغم أن «ماير» نفسه لم يرض عنه من الناحية الفنية ... ومن هنا بدأت جاربو تتميز عن كل نجمة من نجوم السينما ... فهي معشوقة النساء والرجال جميعاً .

وحل موعد الفيلم الرابع .. اختارت الشركة « النساء يعشقن الماس » ووجدت جاربو للمرة الرابعة الدور الذى لابد تلعبه دور امراة همها إغراء الرجال والعبث بعواطفهم أو كما أسمت هى تلك الأدوار « أدوار امراة فاسدة » فرفضت العمل وامتنعت عن زيارة الاستديو وهددها «ماير» بأنها بامتناعها إنما تكسر العقد بينها وبين الشركة .. وكان راتب جاربو قد ارتفع إلى ٦٠٠ دولار أسبوعياً وعرفت من جون جلبرت أنه يتقاضى ١٠٫٠٠٠ دولار أسبوعياً فطلبت زيادة راتبها إلى ٥٠٠٠ دولار ... فلما عرض ماير عليها نصف ذلك المبلغ قالت « اعتقد انى لابد أعود إلى وطنى » .. وغادرت مكتبه وغابت سبعة أشهر لم تتقاض خلالها فلساً واحداً .

وقف جون جلبرت بجانبها ونصحها بان تستعين بخدمات هارى ادنجتون ليكون مديراً يمثلها أمام الشركة وتم لها ذلك .. واصر ادنجتون على راتب قدره ٥٠٠٠ دولار يدفع على مدار السنة ، وكانت الشركة تقتطع راتب الاجازات .. واصر على اعفاء جاربو من العمل فى فيلم « النساء يعشقن الماس » واختار لها قصة « حب » وهى قصة مقتبسة من قصة « انا كارينينا » لتولستوى .. وتم توقيع العقد الجديد فى يونيه ١٩٢٧ .

وتعاقبت بعد ذلك أفلام جاربو « المراة المقدسة » و « السيدة الغامضة » وغيرها مما هو معروف .

وجاربو عانس حتى اليوم .. لم تتزوج قط .. فى عام ١٩٢٨ وهى فى مستهل عمرها كتبت الى صديقها لارس هانسون الممثل السويدى تقول « افكر فى اليوم الذى اتقاعد فيه والزم دارى وأخلد للهدوء وعندها نقضى معاً أمسيات العزاب ، لأنى اعتقد أنى لن أتزوج .. إذ لست أتصور نفسى زوجة ـ يالها من كلمة نابية » .

ولعل المخرج ستيللر كان أقرب رجل إلى قلب جاربو وان كان العارفون يؤكدون أن العلاقة بينهما لم تكن غرامية وان كان الحب عنصراً من عناصرها .. ولما مات ستيللر افتقدته جاربو وبدت وكانها سفينة بغير دفة توجهها .. ويكفى أن جاربو قالت « لو قدر لى أن أحب رجلا لكان ذلك الرجل موريتز ستيللر .»

نذكر من بين من احبوا جاربو الممثل السويدى لارس هنسون الذى لم تبادله جاربو حبه رغم انها احتفظت بصداقته على البعد وهى فى امريكا وهو فى السويد ، على أن الرجل الذى لازم اسمه اسم جاربو فترة طويلة كان جون جلبرت الذى لعب دور البطولة فى عدد من أفلامها.على انها قالت « لم يكن بيننا اى غرام ولست أدرى ما أعجبنى فيه » والمعروف أن جاربو وجلبرت اتفقا على موعد للزواج ورسما خطة لشهر العسل يقضيانه على ظهر يخت فى جنوب المحيط الهادى .. ولكن لما حل اليوم الموعود لاذت جاربو بالفرار وتزوج جلبرت غيرها .

ويشاع أن جاربو كادت ان تتزوج من صديق صباها ماكس جميل وهو مهندس مليونير سويدى ولكن الزواج لم يتم .

وفى حياة جاربو عدد من الغراميات العابرة منها ما هو مع روبن ماموليان ، وهو مخرج سينمائى أرمنى ، والموسيقار ستوكسكى ، والدكتور جايلورد هاوزر ، وجورج شلى وسيسل بيتون .

على أن كل ما جرى بين جاربو وأى من محبيها سر أودع فى بطن المحيط .. غرامياتها وشخصيتها وحياتها لغز يزداد غموضاً كلما امتد العمر بها وكلما تعمق البحث وراء حل لهذا الطلسم .

يكفى ان نعرف أنها سر الغموض .. جريتا جاربو مد الله فى عمرها .

جمال الكنانى

صفحة مجهولة في أدبنا المعاصر

أحمد شوقي كاتباً روائياً

بقلم : محمود على


رواية

عذراء الهند

او

تمدن الفراعنة

لمنشئها الضعيف احمد شوقي

احد موظفي الديوان الخديوي

بمطبعة الاهرام بالاسكندرية سنة ١٨٩٧

غلاف رواية عذراء الهند التى كتبها احمد شوقي وطبعت في عام ١٨٩٧ .

قد يبدو هذا العنوان غريباً على شاعر مصر والعروبة احمد شوقى ! فعهدنا به شاعراً وأميراً للشعراء ، واول من طرق باب المسرح الشعرى .

و .. الحقيقة أن أحمد شوقى طرق ميدان الرواية أيضاً فى باكورة حياته ومحاولاته تكاد أن تكون مجهولة .. أن لم تكن كذلك فعلا..لا نعرف عنها شيئاً يذكر . بعض من ارخوا لتاريخ الرواية العربية تجاهلها تماماً . وآخرون اكتفوا بذكر أسماء رواياته دون أن يتطرقوا لمناقشتها .

و .. كلاهما معذور . فأعمال شوقى الروائية ليست تحت أيديهم . ويزيد الأمر غرابة أن احمد شوقى نفسه فى مقدمة الطبعة الأولى من شوقياته (١٨٩٩) لا يذكرها ضمن اعماله .

لم يذكر إلا رواية «علي بك أو فيما هى دولة المماليك» التى كتبها وهو طالب علم فى باريس وارسلها الى رشدى باشا ليعرضها على الخديوى والذى علم منه «بأن الجناب العالى قد تفكه بقراءتها ويدعو لك بالمزيد من النجاح» (١) . دون أن يذكر روايته النثرية الثانية «عذراء الهند» (١٨٩٧) . وكذلك فعل سكرتيره فى ذكرياته عنه بعد وفاته . الوحيد الذى ذكر شيئاً عن احدى رواياته وهى «عذراء الهند» ، كان رفيق شبابه الأمير شكيب ارسلان فى كتابه «شوقى .. أو صداقة اربعين عاماً» «ط ١٩٣٦» كما سنرى .. ثم يذكر طاهر الطناحى فى كتابه عن شوقى وحافظ نصاً نادراً لشوقى أرسله الى الزعيم محمد فريد إثر جفوة بينه وبين الحزب الوطنى بعد وفاة مؤسسه مصطفى كامل يشير الى اعماله الوطنية .. يقول فيها :

«وطنيتى فى الشوقيات قليلها الذى ظهر وكثيرها المستتر . وفى «عذراء الهند» و«دل وتيمان» و «لارياس» و «بنتاءور» . ولو إطلعت على واحد من هذه الآثار التى تقتنيها ربات الجمال ويفهمها الرجال والأطفال لعلمت كما علم كثير من العقلاء قبلك اننى كما وصفنى المرحوم مصطفى كامل .. ذلك الغدير الصافى فى لفائف الغاب يسقى الأرض ولا يبصره الناظرون» . (٢)

الرواية قبل المسرح

شوقى إذن طرق باب الرواية قبل ان يطرق باب المسرحية الشعرية . وفى فترة مبكرة من حياته وحياة الرواية العربية والمصرية فقد كتب : عذراء الهند او تمدن الفراعنة سنة ١٨٩٧ و «لادياس» أو «آخر الفراعنة سنة ١٨٩٩» .. ثم رواية «دل وتيمان» فى نفس العام وتعتبر الجزء الثانى لرواية «لادياس».ثم شيطان بنتاءور (١٩٠١) (٣) واخيراً «ورقة الآس» .

من بين هذه الاعمال تظل رواياته الثلاث الأولى اكثرها غموضاً للباحث .. وهى الروايات التى تحت ايدينا الآن .

لكن .. ما سر تجاهل احمد شوقى لهذه الأعمال ؟ .. بل وتجاهل نقاد عصره لهذه المحاولات الروائية الأولى فى تاريخ الرواية المصرية ؟ سوف نجد بعضاً من الاجابة على السؤالين فى مقدمة احمد شوقى لشوقياته من طبعتها الاولى .. ثم فى الظروف التاريخية التى احاطت بظهور قصصه .. ومنها «عذراء الهند» ! .



الشاعر احمد شوقي

دفاعاً عن النثر

يقول شوقى فى مقدمته دفاعاً عن النثر واهميته وامكانية ان يجمع الشاعر بين النثر والشعر معاً :

«ان البعض يستنتج من كون الناثر لا ينظم ان الشاعر لا ينثر كذلك .. ولا ينبغى له . وهذا وهم يدانى فى اليقين عندهم . وقد جاوز الشعراء فى الانخداع به حداً اضر بهم» (٤) .

ثم يعطى نماذج من شعراء الغرب الذين ساهموا فى مجال «القصص والانشاء ..» حتى ان بعضهم يقدم «الاشقياء» لفكتور هوجو على سائر مؤلفاته وفيها الشعر . كما يرون « اعتراف فتى العصر » لالفريد دي موسيه اجمل اثر له بين كثير من الآثار وفيها الروايات المنظومة والأشعار . وكلا الشاعرين مطبوع لم يختلف فى سليقته اثنان . (٥) شوقى بهذا يقدم تبريراً لمعاصريه لنزوله ميدان النثر الفنى من خـلال قوالـب جـديدة ، لكن عصره لم يـكن يستسيغـه . فالروايـة المؤلفـة حينذاك كانت فى دور جنيني .. لم يشتد عودها بعد .. لانه فن لم يالفـه الادب العربى . يرى فيه المحافظون نوعاً من «الشرك الفنى» لا يجوز لاديب ــ خاصة الشاعر ــ ان يخوض فيه . وقد ادرك شوقى هذا تماماً .. فنراه بعد سطور يعترف باحجامه فى خوض ميدان النثر الفنى رغم اعترافه بأهميته قائلا :

«على انى كنت أول من انقاد بازمة هذا الوهم . وطالما اوذيت به فكنت إذا عرضت لي كتابة اشفق منها واجفل عنها فصرت مثلى مثل الشاعر الفرنسوى الذى يحكى انه لما راى أهل باريز يبالغون فى الحفاوة به ويكثرون من دعوته الى موائدهم ومجالسهم ليسمعوا حديثه على ظن انه يقول ما لا يقوله الناس .. بلغ به الاحتراس منهم الى ان كان إذا دعى الى وليمة حضر والقوم على المائدة فاكل صامتاً ثم انصرف والقوم لم يفرغوا من الطعام . فقيل له لم ذلك . فقال : انا على المائدة كاحدكم فاذا جلست إزاء مكتبتى فتصوروني كيف شئتم» . (٦)

لقد عاش شوقى فى باريس .. مدينة النور والنار .. وقرا وشاهد .. وكتب من هناك رواية «علي بك الكبير» ثم ترجمته لقصيدة «لامارتين» .. البحيرة . وترجم حكايات للاطفال عن لافونتين . وحكاية قصيدته «خدعوها بقولهم حسناء» التى منعت من النشر ، والتى ذكرها فى المقدمة ، كل هذا جعله يدرك بضرورة الحذر :

«إن احتراسى من المفاجاة بالشعر الجديد دفعة واحدة إنما كان فى محله .. وان الزلل معى إذا ما استعجلت» .

شوقى يقول هذا عن الشعر .. وله من المكانة ما له .. فما بالكم بالقصص النثرى؟.

حملة من النقد

لقد جرت عليه رواية «عذراء الهند» عند نشرها حملة من النقد تزعمها ابراهيم اليازجى فى مجلته «البيان» جعلت شوقى يلجا الى صديقه الأمير شكيب ارسلان ليدفع عنه غائلته . بدا اليازجى نقده قائلا بعد سطور من تقديم الشاعر والرواية او رسالته «كما سماها» .. «والذى تبين لنا بعد تصفح جانب منها ان مؤلفها لم يقصد من وصفها إلا تمثيل ما كان عليه اهل العصر من الخرافات والترهات . ولذلك اكثر فيها من ذكر الجان والعفاريت والسحرة والمنجمين والرقى والطلاسم ووصف عجائب المخلوقات والصور الوهمية» . (٧)

ثم ترك الرواية ليتتبع اخطاء المؤلف اللغوية من أول اهداء المؤلف كتابه للخديوى .. حتى يقول : «وهذا يدلك على ان كلا من النظم والنثر لغة قائمة بذاتها لا يحسنها غير اهلها . وان ما اشتهر من قولهم كل شاعر ناثر قولا لا يطرد صدقه ولا يبنى عليه قياس ... ويشهد الله انا كنا نود للمؤلف لو لم يجز بهذا التاليف قلما فان الرجل معروف بالشعر من الطبقة العالية . مشهود له فيه بانه من الطراز الأول . وحقيق بمن بلغ فى امر من الأمور منزلة يكون فيها من رؤساء اربابه أن لا يتعدى للدخول فى فئة ينزل فيها عن رتبته ويعد بينهم آخراً .

فان اهمال بعض الامر لا عيب فيه إذ لا يتعين على المرء الاشتغال بالأمور كلها . ولكن العيب على من انتحل امراً وقعد فيه» (٨)

وكان شوقى فى مقدمته لشوقياته كان يرد على هذا المعنى .. على القول بان الشاعر يكفيه شعره .. وللنثر اصحابه ولا يمكن الجمع بينهما !

لا يكتفى اليازجى بهذا القول بل يصب نقده كما قلنا على الفاظ وجمل بعينها وكانه اراد كما يقول الأمير شكيب ارسلان ان يسقط منزلة شوقى بين الأدباء «لان الأديب لا يصح ان يكون اديباً إلا إذا استكمل ادواته من اللغة والنحو والصرف والبيان ... وان من نقص حظه من النحو نقص حظه من الأدب» (٩) . الأمر الذى جعله ينشر رداً نشر فى الأهرام واعاد نشره فى كتابه السابق . المشكلة فى نظر الأمير شكيب ان شعر شوقى قتل نثره .. «فبينما هو فى الشعر الفذ الذى يجرى ولا يجرى معه إذا هو فى النثر احد جماعة يجرى معه الناس مثنى وثلاث ورباع .. فى حين ان له نثراً رائعاً وترسلا مؤنقا وفصولا شائقة كانت تخلَّد فى عالم الادب لو لم تفتك به قصائده» .

و .. يبدو ان شوقى اقتنع بهذا بعد فترة اقتناعاً جعله يحذف من اعماله ما كتبه من روايات نثرية ! .

شوقى يقنع بالشعر

اما الظروف التاريخية فترتبط بنشاة الرواية العربية والمصرية واكتساب شرعيتها ضمن نفوذ الأدب العربى ، وهى ظروف جعلته يقنع بامارة الشعر وسبقه فى ميدانه عن الانتظار طويلا للاعتراف به

أحمد شوقي
كاتبا روائيا

في ميدان الرواية ايضاً كما يحدث في الغرب !!

في عام ١٨٩٧ ظهرت الطبعة الأولى لرواية احمد شوقي «عذراء الهند» بعد ان نشرت مسلسلة في احدى الصحف (١٠) . ومن هذا التاريخ نستطيع القول بانه طرق مجالا جديداً هو عالم الرواية لم يسبق لمصري أن طرقه من قبل . فمنذ الحملة الفرنسية وحتى هذا التاريخ .. ورغم كثرة ما ترجم والف فاننا لا نجد احداً قبله طرق هذا الميدان ترجمة أو تاليفا إلا ثلاثة : رفاعة الطهطاوي الذي ترجم رواية «تليماك» (١٨٣٤) ومحمد عثمان جلال الذي قام بتمصير رواية «بول وفرجيني» تحت عنوان «الأماني والمنة في حديث قبول ورد جنة» .. ثم «علم الدين لعلي مبارك . وهي الأعمال التي يدرجها الدكتور عبدالمحسن بدر تجاوزاً ضمن ما يسميه بالروايات التعليمية (١١) . أما الرواية المترجمة فلم تعرف طريقها الى القراء وبشكل منتظم إلا من خلال الصحافة .. وعلى ايدي السوريين واللبنانيين بدأت على استحياء اول الامر ثم سرعان ما طغت على ما عداها حتى اننا نجد مؤلفاً مثل احمد فتحي زغلول يرجع ضعف حركة التاليف العلمي في مقدمة كتابه «سر تقدم الانجليز السكسونيين (١٨٩٩) ..» الى الاقبال على مطالعة القصص والخرافات والتهافت على اقتناء التافه من المؤلفات والتسابق على حفظ كتب المجون والروايات (١٢) . وكان من أبرز ما ترجم في هذه الفترة الروايات التاريخية .. وخاصة أعمال «والتر سكوت» و«الكسندر دوماس» الشعبية والتي شجعت جورجي زيدان» لأن يسير على نهجها .. وخاصة عند «سكوت» .. في سلسلة رواياته التاريخية التي بدأت عام ١٨٩٣ . وعلى هذا فان ظهور «عذراء الهند» (١٨٩٧) وما تلاها من روايات لشوقي تعتبر خطوة رائدة نحو خلق وتاصيل القصة في التربة المصرية .. وهو ما تجاهله الكثيرون!

وإذا كان «جورجي زيدان» قد حرص على أن تغطي رواياته كل مراحل التاريخ العربي منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث «٢٢ رواية» ، فان شوقي اتخذ وجهة أخرى . وغرف من معين اخر هو تاريخ الفراعنة محاولا بعث احد وجوه الشخصية المصرية التي حاول الاحتلال البريطاني تشويهها . فاذا كان قد تغنى بانتماء مصر للخلافة الاسلامية وتابع أحداث العواصم العربية شعراً .. فلا اقل من أن يشيد بالحضارة الفرعونية .. ويبين للحاكم والمحكومين مواطن الزلل وعوامل تدهور الأمم .

في «عذراء الهند» يختار فترة من ازهى فترات التاريخ الفرعوني وهو زمن رمسيس الثاني .. أو بمعنى أدق .. فترة أواخر حكمه .. ثم يعود ليتناول في «لادياس» و «دل وتيمان» أو آخر الفراعنة كما يسميها .. فترة انحلال في تاريخ مصر الفرعونية هي فترة غزو الفرس لها ، والتي يعود اليها بعد ذلك في مسرحيته الشعرية «قمبيز» . ورغم أن شوقي يقرر في مقدمة «عذراء الهند» .. أن أشخاص الحقيقة في الرواية أربعة هم : رمسيس الثاني ، والأمير كيوم أو شميوم المحرف اسمه في الرواية الى آشيم أكبر أولاد الملك ، والأميرة «أثرت» كريمة الملك .. و«بنتاءور» .. شاعره .. وأن ما عداهم من شخصيات فمن وضع الخيال (١٣) . رغم انه يقرر ذلك إلا اننا نكتشف مع الصفحات الأولى للرواية انه جعل التاريخ خادماً لفنه وخياله كما فعل قبله رواد هذا الاتجاه «سكوت» و«دوماس» اللذان كانا يمثلان طوراً في تطور هذا اللون القصصي – ليس انضجه فنياً بالتاكيد – حيث تغلب الرومانسية .. ويفسر التاريخ فيها من الخارج .. وترضى الخيال الشعبي بما تقدمه من مغامرات غريبة أكثر مما ترضي الحقيقة التاريخية . وكان هذا الاتجاه هو السائد في حركة التاليف منذ رواية «ذات الخدر» (١٨٨٤) لسعيد البستاني ومن بعده سليم البستاني في لبنان .. حتى «جورجي زيدان» في مصر . بل إن سعيد البستاني يصرح بهذا التقصير في مقدمة روايته بقوله : «ان هذا الفن لايزال عندنا في حال النشاة مع انه أصبح عندهم (الغرب) من أعلى درجات الكمال وغاية الاتقان وكل شيء في اوله عسير (١٤) . ومع أن واحداً من المع من كتبوا الرواية التاريخية الاكثر نضجاً في تلك الفترة وهو الألماني «جورج ايبرس» قد ترجمت روايته الأولى «الأميرة المصرية» في مصر عام ١٨٩٨ ومن بعدها روايته «وردة» وتدوران في جو مصر الفرعونية . اقول رغم ذلك فلم يكن له تاثير على كتاب تلك الفترة وقد يبرر سيادة الاتجاه الأول على ما الف من روايات تاريخية مبكرة في مصر أو في لبنان انها تتيح لخيال كاتبها – ومن ثم خيال القارىء العربي – أن يقدم انواعاً من المغامرات والأساطير والغرائب قريبة مما تعوده القارىء أو المستمع من أدبه الشعبي من خلال حواديت علي الزيبق ، وسيف بن ذي يزن والظاهر بيبرس .. وغيرها

هذه لمحات سريعة عن الحالة التي كان عليها التاليف القصصي .. والمناخ الذي بذرت فيه . وهو المناخ الذي ساعد على فرار شوقي من ميدان القصة بعد تجربة قصيرة .

وإذا كان شعر «شوقي» قد قتل نثره في أيامه فهل نظلمه الآن ثانية بعد مرور نصف قرن على وفاته .. وبعد أن أصبحت اعماله الروائية تحت أيدينا ؟ .

محمود علي

هـــوامـــش

١ – مجلة الهلال – عدد خاص عن شوقي نوفمبر ١٩٦٨ .

٢ – نقلا عن كتاب احمد شوقي للدكتور ماهر حسن فهمي .

٣ – أعاد نشرها الاستاذ محمد سعيد العريان .

٤ – كتاب الهلال نوفمبر ١٩٦٨ .

٥ – المرجع السابق

٦ – المرجع السابق .

٧ – مجلة البيان – السنة الأولى ديسمبر ١٨٩٧ .

٨ – المصدر السابق .

٩ – الأمير شكيب ارسلان – شـوقي – أو صداقة اربعين عاماً .

١٠ – المرجع السابق

١١ – عبد المحسن بدر – تطور الرواية العربية .

١٢ – جاك تاجر – حركة الترجمة في مصر.

١٣ – رواية عذراء الهند .

١٤ – د. عبد المحسن بدر – تطور الرواية العربية الحديثة .

دائرة المعارف القرآنية



بقلم : الدكتور محمد البهي

"الغنيمة"

يقول الله تعالى فى سورة الفتح :
« لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة (وكان هذا فى صلح الحديبية قبيل فتح مكة مباشرة) فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم ، واثابهم فتحاً قريباً (وهو فتح مكة) . ومغانم كثيرة ياخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً . وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم هذه (غنائم خيبر) وكف أيدى الناس عنكم (وهم اليهود فى شمال المدينة) ، ولتكون اية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً . وأخرى (أى ومغانم اخرى) لم تقدروا عليها (فى بداية غزوة حنين فى الجولة الأولى فيها) قد احاط الله بها (أى لم يدع الله هذه الغنائم الأخرى فى حنين تفلت من نطاق قدرته حتى أخذها المؤمنون فى جولتهم الثانية التى انتهت بالنصر لهم على هوازن وثقيف فى موقعة ما بين الطائف ومكة) وكان الله على كل شىء قديراً » .

وتتحدث هذه الآيات الأربع عن مغانم – وهى جمع مغنم . والمغنم والغنيمة واحد – وعد الله بها المؤمنين . وهى أموال مختلفة يحصلون عليها من اعدائهم . وفى الوقت نفسه تشير هذه الآيات ذاتها الى موقعتين اشتبك المؤمنون فيهما بالقتال مع اعدائهم : واقعة خيبر فى السنة السابعة من الهجرة ، بعد صلح الحديبية بسنة وهى التى أشير اليها هنا بقول الله تعالى : « فعجل لكم هذه ، وكف ايدى الناس عنكم» وخيبر قرية تقع شمال المدينة الى الشام . وكانت ذات حصون ومزارع ، كما كان سكانها من اليهود ويمثلون رأس اليهود عامة فى الحجاز . وقد اصابها المسلمون عنوة أى حصلوا عليها بقتال اليهود هناك حتى انتصروا عليهم ، وأصبحت أموالهم غنائم لهم . والموقعة الثانية موقعة حنين فى جنوب مكة ، فيما بينها وبين الطائف . وهذه أشير اليها هنا فى قوله تعالى : « واخرى (أى ومغانم اخرى) لم تقدروا عليها ، قد احاط الله بها ، وكان الله على كل شىء قديراً » .. وما جرى فى حنين من تردد أمر المؤمنين فيها بين الهزيمة ثم النصر فالغنائم : يقصه الله جل شانه فى سورة التوبة فى قوله : « ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وانزل جنوداً لم تروها ، وعذب الذين كفروا (أى بالقتل وبالأسر معاً) وذلك جزاء الكافرين » وغزوة حنين كانت فى السادس من شوال من سنة الفتح .

فالمغانم هى أموال للعدو ، حصل عليها المؤمنون ، ولكن ليس بطريق الصلح بل بطريق القتال والنصر فيه على الأعداء .

ولذا : يختلف الأمر فى توزيعها عن توزيع الفيء الذى هو مال للعدو ، جاء عن طريق الصلح . فتوزع اربعة أخماس الغنيمة على المحاربين الذين اشتركوا فى القتال مع الأعداء . والخمس الباقى بعد ذلك يجزأ الى خمسة انصبة : لله (أى فى سبيل الله) وللرسول (أى يوضع تحت تصرفه عليه السلام) ولذى القربى (أى من قريش فى حياته من المهاجرين معه) واليتامى (وهم أولاد الشهداء المقاتلين) والمساكين وابن السبيل . وذلك على نحو ما تقول الآية : « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه ، وللرسول ، ولذى القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل » ... وأما بعد وفاة الرسول عليه السلام فيسقط سهمه ، وكذلك سهم ذوى القربى له . واذا أعطى ذوو القربى فيعطون بسبب الفقر فقط . ولا يعطى اغنياؤهم . ويقسم الخمس آنئذ على الأصناف الثلاثة اليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل . وأخماس الغنائم الأربعة الباقية تقسم بين الغانمين من المقاتلين : للراجل سهم وللفارس سهمان .

ويروى ان ابا بكر رضى الله عنه : « انه منع – فى خلافته – بنى هاشم : الخمس . وقال : انما لكم أن يعطى فقيركم .. وتزوج أيمكم (والأيم غير المتزوج من الرجال والنساء ، تزوج من قبل أم لم يتزوج) .. ويخدم من لا خادم له منكم ومن عداهم فهو بمنزلة ابن السبيل : الغنى لا يعطى من الصدقة شيئاً .

الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر

المصحف الشريف

من الكتابة على جريد النخل إلى فن التذهيب



مخطوطات قديمة ونادرة من المصاحف الكريمة موجودة بدولة قطر .

ليس فى يد البشر كتاب أكمل ولا أهدى من القرآن الكريم ..

وليس هناك من كتاب تناوله البشر بالتلاوة والقراءة ، وأفادوا منه وأثر فى حياتهم مثله .

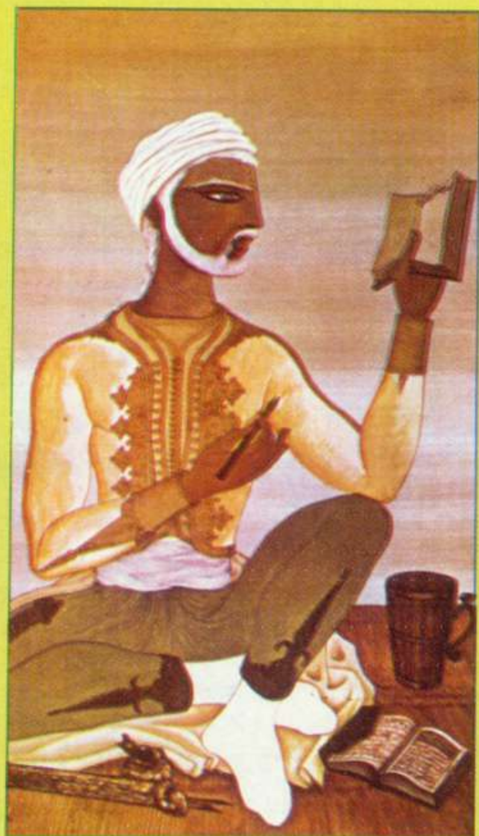
وليس هناك من كتاب نال من العناية والاهتمام ما ناله هذا الكتاب الحكيم ..

بل ليس هناك كتاب قدر له التوثيق ، والحفظ ، والخلود إلا القرآن العظيم ، وصدق الله قائله ومنزله (إن علينا جمعه وقرآنه) أى قراءته ، (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ، وقد قيض الله له من الحفظ ما لم يقيض لغيره من كتاب ضمانا لخلوده ، وهيمنته ، قيض له الحفظ فى (الصدور) فكم من الملايين عبر الأجيال جمعته وحفظته ومازالت وناهيك بأربعة عشر قرناً يتعبد المسلمون فيها الى ربهم بحفظه فرادى وجماعات وأمماً ، ونهضت لذلك مدارس ، وعلوم شتى ، لا يخلو منها جيل ..

وقيض له الحفظ فى (السطور) فكم من ملايين الصفحات سطرت به فى كل جيل وضمت بين دفتيها آيات هذا الكتاب وسوره وتنم عن الجهد البالغ فى حفظه وجمال تسطيره ما بين مخطوط ومطبوع ، ثم كان الجمع الصوتى مسجلا ، مجوداً ، ومرتلا ، وبحفظ الله له لم يصبه ما أصاب غيره من الكتب الماضية والحاضرة من التحريف والتبديل والضياع ..

هذا القرآن

من الحق الذى لا يمارى فيه إلا مبطل أن هذا القرآن جاء من عند الله منزلا على نبيه الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم (نزل به الروح الأمين على قلبك) وقد سماه الله







مصحف تونسي مخطوط بماء الذهب .. ولوحـــة تمثل نساخا للمصــحف .. ومصحف تونسي انيق من المخطوطات الاسلاميـــة

قرآنا ، وكتاباً ، وكلاماً ، وفرقاناً ، وذكراً ، وقولا .

اما تسميته بالمصحف ـ ومعناه الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين ـ فهى تسمية متاخرة ، جاءت بعد جمع القرآن ، وكتابته ، وكانت من وضع الناس ..

والقرآن يحتوي على أربع عشرة ومائة سورة مختلفة الأطوال تحوى أكثر من مائتين وستة آلاف آية تسطر كل آية منها ـ فى المتوسط ـ فى سطر او اكثر ، ونصه المحفوظ والمسطور هو هو من يوم أن انزله الله والى أن تقوم الساعة وكما أملاه الرسول صلى الله عليه وسلم لكتبة الوحي ..

اما شكله الخارجى ـ فى كتابته او طباعته ـ فقط طرأ على هذا الشكل تطور كثير انتهى به الى ما هو بين ايدينا اليوم ، فهو فى (طبعته) العادية يقع فى مجلد واحد ، ويتكون من حوالى خمسمائة صفحة تكثر فيها علامات التشكيل ، والنقط ، والعلامات الصوتية ، والاملائية ، والوقف لارشاد القارىء لكيفية النطق والقراءة والوقف ، ... فكيف بدأ ذلك وكيف تطور ؟..

مما هو معلوم أن القرآن الكريم نزل أجزاء متفرقة متباينة فى أطوالها من سورة كاملة الى مجموعة من الآيات ، الى آية واحدة ، بل الى جزء آية ..

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتلو كل جزء ينزل عليه ويعلمه للسامعين ليصل عن طريقهم الى من لم يسمعه من فم الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة ..

وكذلك كان كلما جاءه الوحى بالقرآن وتلاه على الحاضرين أملاه من فوره على كتبة الوحى ليدونوه على ما اعتادوا التدوين فيه مما هو فى متناول ايديهم ، روى البراء : حين نزل قول الله تعالى

المصحف الشريف

من الكتابة على جريد النخل إلى فن التذهيب



(لا يستوى القاعدون ...) قال الرسول صلى الله عليه وسلم : ادع لي (زيداً) وليجيء باللوح ، والدواة ، والكتف ، ثم قال : اكتب: (لا يستوى ..) أى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يملى على كاتبه لساعته ، وأن الكتبة كانوا يكتبون باملائه ، وان هذا المكتوب كانوا يتناقلونه ..

كتبة الوحى

ويذكر العلماء الثقاة ان عدد كتبة الوحى بلغ تسعة وعشرين كاتبا اشهرهم الخلفاء الراشدون الاربعة ، ثم جمع من اجلاء الصحابة منهم : معاوية ، والزبير ، وسعيد بن العاص ، وعمرو بن العاص ، وأبيّ ، وزيد بن ثابت ، وكان معاوية ، وزيد أكثر ارتباطاً بهذا العمل الجليل ..

ولم يتوان المسلمون منذ البداية – بل وخلال صنوف الاضطهاد التى تعرضوا لها – عن تسطير وتدوين الآيات القرآنية التى تتنزل ، ومنهم من كان يدونها فى مخطوطات شخصية ، بل كان اسلام عمر راجعاً الى قراءته بعض آيات من اول سورة طه وجدها مكتوبة عند اخته .. ومن الواضح أن هذه المخطوطات على هيئتها الأولى البدائية لم تكن – فى شكلها الخارجى – تمثل مجموعة متجانسة ومنظمة ، ومرقمة ، وإنما كانت متفرقة ، ولم تاخذ شكلها النهائى إلا قرب نهاية حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ..

ولم يمض عام واحد – بعد أن قُبض الرسول صلى الله عليه وسلم – إلا وبدت الحاجة ملحة لجمع هذه المكتوبات على تنوع أشكالها من ورق ، وحجر ، وعظام الخ فى مجموعة مدونة سهلة الاستعمال ، وقد عهد الخليفة الاول ابو بكر رضى الله عنه بهذه المهمة الى الصحابى الجليل (زيد بن ثابت) قائلا له (إنك رجل ذكى لا نتهمك وكنت تكتب الوحى فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم) وقد وضعت قاعدة لهذا العمل تقضى بالا يؤخذ باى مخطوط إلا بعد أن يشهد شخصان انه مكتوب باملاء الرسول ذاته ، وليس من ذاكرة الكاتب ، وانه جزء من التنزيل فى صورته النهائية ، وكان أبو بكر يقول لعمر ولزيد : اقعدا على باب المسجد ، فمن جاءكما بشاهدين على شىء من كتاب الله فاكتباه ، ويروى البخارى ان (زيد بن ثابت) حين كلفه ابو بكر بجمع القرآن مضى يجمعه من العُسُب ، واللخاف ، وصدور الرجال ..

وبعد جمع القرآن وكتابته هكذا بكل هذه الاحتياطات احتفظ به ابو بكر طول خلافته ، ثم عهد به قبل موته الى (عمر) المرشح للخلافة من بعده ، ثم قام (عمر) بتسليمه الى ابنته (حفصة) ام المؤمنين عند موته ..

ويمكن أن نشبه هذا المصحف المجموع هكذا فى شكله الخارجى بملف يجمع صحفاً مرتبة ؛ لكن فرصة نشره وتعميمه فى الأمة لم تتح إلا فى خلافة (عثمان) بعد معارك ارمينية وأذربيجان واشتداد الحاجة الى نشره فى ارجاء الأمة كلها ..

وقد نهض الخليفة الثالث (عثمان) رضى الله عنه بذلك فشكل (لجنة) من أربعة كتبة منهم : زيد بن ثابت نفسه – وهو من الأنصار – وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام – من المهاجرين – وكلفهم بنسخ عدد من هذا المصحف يعادل عدد الأمصار الرئيسية فى الدولة الاسلامية وقال لهم : (ما اختلفتم فيه انتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فانه نزل بلسانهم) ، وكان يسال : من أكتب الناس ؟ فيقول الناس : كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت ، فيقول عثمان : فاي الناس أعرب ؟ فيقولون: سعيد بن العاص – وكان سعيد اشبههم لهجة برسول الله صلى الله عليه وسلم – فيقول عثمان : فليمل سعيد ، وليكتب زيد ؛ ثم جلدت هذه النسخ ، ووزعت على الأمصار باعتبارها نماذج لا بديل لها وحبس عنده نسخة بالمدينة ، واصبح هذا النموذج هو وحده المتداول فى العالم الاسلامى حتى اليوم ، ومن اجل هذا وغيره سمى (المصحف الامام) ؛ وهو الذى بين أيدينا اليوم اقوم ما يكون ضبطاً واصح ما يكون شكلا ؛ يقول موير فى كتابه (حياة محمد) : (إن المصحف الذى جمعه عثمان قد تواتر انتقاله من يد ليد حتى وصل الينا دون أى تحريف ، ولقد حفظ بعناية شديدة بحيث لم يطرا عليه اى تغيير يذكر ، بل نستطيع ان نقول إنه لم يطرا عليه اى تغيير على الاطلاق فى النسخ التى لا حصر لها والمتداولة فى البلاد الاسلامية الواسعة فلم يوجد إلا قرآن واحد لجميع الفرق الاسلامية المتنازعة ، وهذا الاستعمال الاجماعى لنفس النص المقبول من الجميع حتى اليوم يعد اكبر حجة ودليل على صحة النص المنزل الموجود معنا والذىيرجع الى الخليفة عثمان ..) .

كيف كانت الكتابة للمصحف ؟

حين قُبض الرسول صلى الله عليه وسلم كان القرآن كله مكتوباً على :

● العُسُب – بضم العين والسين – جمع عسيب وهو السعفة او جريدة النخل إذا يبست ونزع خوصها . .

● الكرانيف – جمع كرنافة وهى اصل السعفة الغليظ الملتزق بجذع النخلة ؛

● القضم – وهو الجلد الابيض الذى يكتب فيه .

● الأديم – وهو الجلد الأحمر أو المدبوغ .

● اللخاف – وهى الحجارة البيض الرقاق.

● الأكتاف – وهى عظام أكتاف الابل والغنم واضلاعها .

يروى الزهرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قبض (والقرآن فى العسب والقضم والكرانيف) .

ولقد كانت الكتابة بلغة قريش ، ولم تكن الأمة العربية عهد كتابة الوحى امة عريقة فى الكتابة ، بل لم يكن الخط العربى حينها والى ايام (عبد الملك بن مروان) يعرف النقط المميز للحروف فى صورته الأخيرة كما لم يكن يعرف شكل الكلمات ؛ فما كانت الكتابة العربية على حالها اليوم من التجويد ، والكمال إملاء ورسماً ..

ومن حديث ذلك : أن العرب كانوا قبيل الاسلام يكتبون بالخط (الحيرى) نسبة الى (الحيرة) ثم سمى هذا الخط بعد الاسلام بالخط (الكوفى) ؛ وهذا الخط (الكوفى) فرع – كما يقال – من الخط (السريانى) ، وعنهم انتقل الى العرب قبل الاسلام ، ثم كان منه هذا الخط (الكوفى) الذى كانوا

يستخدمونه لكتابة القرآن الكريم ؛ غير أن الخط (الكوفى) نفسه كان أشكالا ، واستمر ذلك الى مطلع القرن الخامس تقريباً ..

ثم ظهر الخط (الثلث) وعاش من القرن الخامس الى ما يقرب من القرن التاسع ؛ الى أن ظهر القلم (النسخ) الذى هو أساس الخط العربى الى اليوم .

ولقد كتب القرآن الكريم بالخط (الكوفى) أيام الخلفاء الراشدين ، ثم أيام بنى أمية ؛ وفى أيام بنى أمية صار هذا الخط الكوفى الى أقلام أربعة ..

ويعزى هذا التشكل فى الأقلام الى كاتب اسمه (قطبة) وكان كاتب أهل زمانه ، وكان يكتب لبنى أمية المصاحف ؛ وكانت المصاحف فى أول الأمر خالية من النقط والشكل ، وأقدم المصاحف الموجودة حالياً فى شتى انحاء العالم هكذا خالية من النقط والشكل ، ومع بداية العصر الأموى دخلت الكتابة العربية مرحلة (الشكل والاعجام ـ النقط ـ) ، فأما الشكل فقد بدأ نقطاً على أواخر الكلمات ، ولم يلبث أن امتد الى بعض حروفها ثم تطور الى الحركات التى نعرفها اليوم ..

وأما اعجام الحروف او نقطها للتفريق بين التشابه منها فقد حدث فى عهد (بنى أمية) لأن العرب كانت فى أول عهدها بالكتابة لا تعرف التنقيط كما يظهر من النقوش العربية القديمة ؛ وفى عهد الدولة العباسية بلغت الأقلام العربية اثنى عشر قلماً ؛ ثم زادت الخطوط على عشرين شكلا ولكنها كلها من (الكوفى) ، حتى كان أوائل القرن الرابع الهجرى ، وظهر (ابن مقلة) فنقل الخط من صورة القلم (الكوفى) الى صورة القلم (النسخى) وجعله على قاعدة جميلة كانت أساسا لكتابة المصاحف ..

يقول ابن اسحاق : أول من كتب المصاحف فى الصدر الأول ويوصف بحسن الخط (خالد بن أبى الهياج) ورأيت مصحفاً بخطه ؛ و (مالك بن دينار) ويكنى أبا يحيى وكان يكتب المصاحف بأجر ، ثم ذكر (ابن اسحاق) نفراً من كتبة المصاحف بالخط (الكوفى) وبالخط (المحقق المشتق) ؛ وقد تبارت الأقلام فى كل زمان فى كتابة المصحف كما كتب بأقلام غير (الكوفى والمحقق المشتق) ومنها قلم (إسياقت وشكسته) ..

وقد ظلت كتابة المصحف على هذا الحال والتطور الى أن ظهرت المطابع فى منتصف القرن الخامس عشر م ، وكان أول مصحف طبع بالخط العربى فى مدينة (همبرج) بألمانيا ، ثم فى (البندقية) فى القرن السادس عشر م ، ثم شاعت الطباعة ، وشاع طبع المصحف بها حتى وصل الى ما وصل اليه فى يومنا هذا ..



نموذج مزخرف ومذهب ، ضبط شكله بالنقط الحمراء ، ويرجع إلى القرن الخامس الهجـري .

التجليد فى المصاحف

ينقل السيوطى فى (الاتقان) : أن القرآن الكريم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مفرقا فى الرقاع ، والأكتاف ، والعسب ، وأن الصديق أبا بكر رضى الله عنه أمر بنسخه من مكان الى مكان مجتمعاً أى أمر بنقله ونسخه من هذه الأشياء الى صحف تشكل فيما بينها صورة (الملف) أو (الدفاتر) أو (الكراريس) أو (المصاحف) ؛ ويمكن أن يقال : إنه أول من جمع القرآن بين لوحين ؛ وبذلك يكون المصحف هو أول مخطوط عربى جلد أى وضعت أوراقه بين لوحين ليس غير ..

ثم كان التجليد ـ فى صورته الأولى ـ عبارة عن وضع المخطوط بين لوحين من الخشب مثقوبين من مكانين متباعدين من ناحية القاعدة ويمر بكل ثقب منهما خيط رفيع من ليف النخيل يبدأ بأحد اللوحتين ثم تخرز به صحف المخطوط حتى ينفذ إلى اللوح الآخر من الناحية المقابلة ويعـقد ومازال كثير من المخطوطات محفوظا هكذا ، بل ظل الخشب هو المادة المفضلة فى تجليد المصاحف من الحجم الكبير خلال القرون الأولى للاسلام ؛ وحتى منتصف القرن الثانى الهجرى لم يكن لدى العرب كتاب يمكن أن يجلد غير المصحف الشريف ..

ثم زاد أهل مصر على التغليف بالخشب زخارف فنية وطعموها بالعاج لتزيين أغلفة المصاحف من الحجم الكبير ؛ ثم اصطنعوا طريقة تغطية ألواح الخشب بالجلد وزخرفة هذا الكساء الجلدى بألوان مختلفة من الزخارف العربية ..

هذا عن الأحجام الكبيرة ، أما المتوسطة والصغيرة فقد استعاضوا فى تجليدها عن الخشب بورق (البردى) فكانوا يصنعون من لبابه ورقا مقوى يستخدمونه فى تغليف المصاحف ثم لم يلبث الورق أن انتشر ، وحل محل (البردى) فى التجليد ..

ويذكر (المقدسى) أن أمير (عدن) بعث اليه مصحفا يجلده له ، وأن أهل اليمن كان يعجبهم التجليد الحسن ، ويبذلون فيه الأجرة الوافرة ، وكذلك كان لأهل الشام طريقتهم فى التجليد .. وقد استعمل فى القرن الرابع الهجرى ما يعرف باللسان



صفحتان رائعتان من المصحف الشريف ، تبدو فيهما روعة الزخرفة الاسلامية .

وهو امتداد فى الجلدة اليسرى يثنى بحيث يغطى أطراف الأوراق ويقيها من التمزق ، ومازال المجلدون العرب يتفننون ويبتكرون حتى وصلوا بصناعة التجليد الى درجة عالية من الأصالة الفنية صاحبتها وانتقلت معها الى اوربا ، وكان المصحف هو المجال الأول والأكبر لبراعة هذا الفن ، وكان المجلدون يثابون على إتقانهم بإجزال العطاء لهم حتى بلغت تكاليف تجليد المصحف دينارين ..

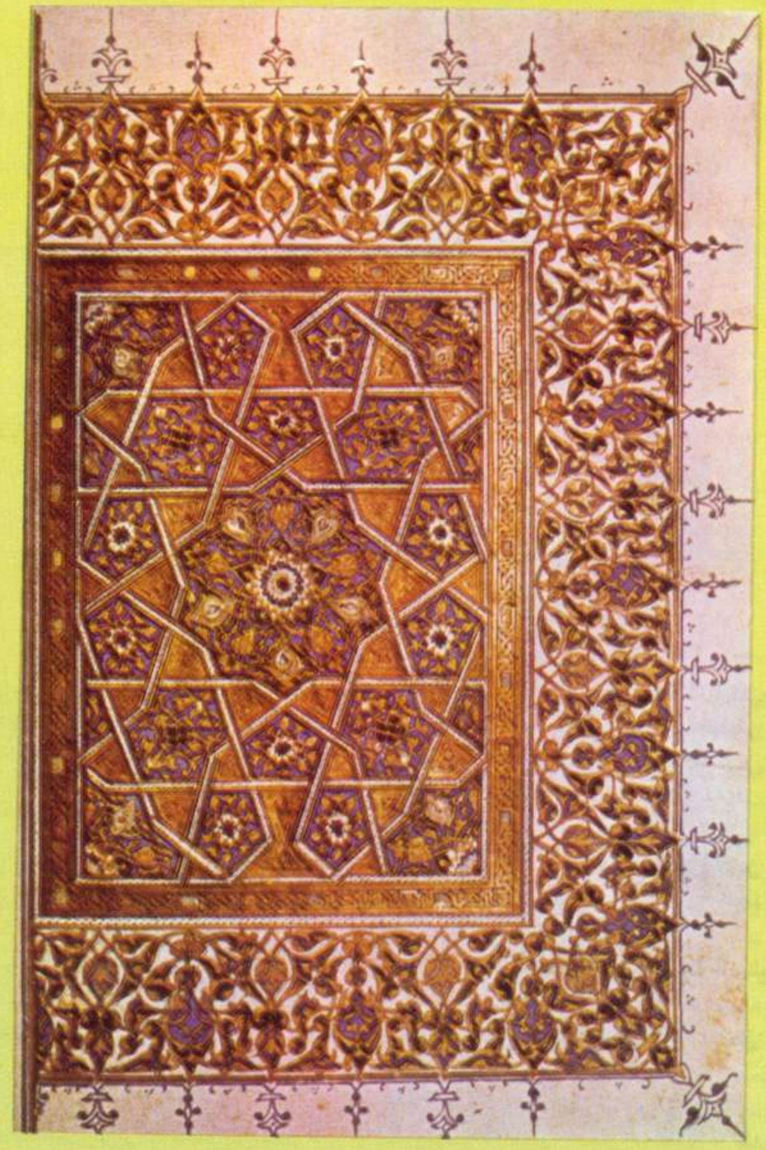
الزخارف القرآنية

لم تقتصر الزخرفة على الغلاف الخارجى لجلدة الكتاب ولكنها امتدت الى باطن الغلاف ، ويبدو ذلك واضحا فى المصاحف الكريمة والربعات الشريفة ؛

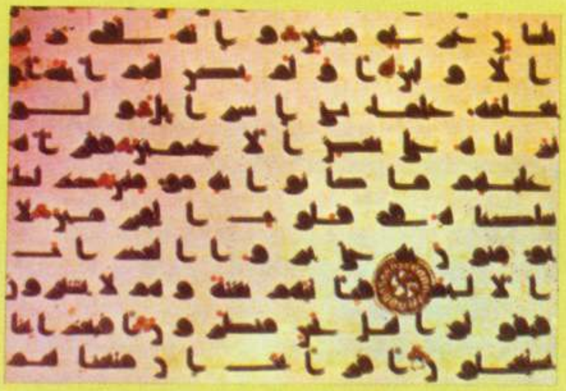
ويوجد بمكتبة (البرتينا) بڤيينا جلدتان من جلود المصاحف لا تجاوزان القرن الرابع الهجرى وهما غنيتان بالزخارف النباتية والهندسية الدقيقة. على ان العرب قد وصلوا فى ذلك التاريخ الى درجة من إتقان الصنع ، كما وصل الينا من النصف الثانى من القرن السابع عشر غلاف مصحف معروض فى (متحف الفن الاسلامى) فى استانبول نسخ فى سنة ١٠٣٧ هـ / ١٦٦٥ م ، هذا بالاضافة الى جهد المصريين فى هذا المجال والذى اشرنا اليه آنفا ..

التذهيب

تاتى وظيفة المذهب مكملة لوظيفة الخطاط ، وقد عرف العرب فن التذهيب ، واستعمله الملوك والامراء فى مراسلاتهم وكتبهم منذ القرن الثالث الهجرى ، وقد كان المصحف الشريف هو الكتاب الوحيد الذى ارتبط به أولا فن التذهيب منذ نشاته عند العرب ، ذلك ان تعظيم القرآن كان يبعث كثيرين من الفنانين على العناية بتذهيب المصاحف ، وكان لتذهيبها صلة وثيقة بكتابتها بالخط الجميل. غير انه لم يقبل المسلمون على كتابة القرآن الكريم بمداد الذهب نظرا لما فى ذلك من الاسراف والبعد عن البساطة والتقشف ، ولكن هذا التحرج لم يمنع بعض الخطاطين من نسخ بعض



تجليد فاخر للمصحف الكريم .



ايـات مـن سـورة الشعـراء ، كتبت بخـط كـوفي يـرجع إلى القرنيـن الثاني والثالث من الهجـرة .



نمـوذج لزخـارف التجليـد وتذهيبـه .

المصاحف بماء الذهب وخاصة فى رسم فواصل السور ، وفواصل الآيات ، وفى بعض الزخارف فى هوامش بعض صفحات المصحف ؛ ولقد ظل ارتباط التذهيب بالمصاحف قائما طوال القرون الأولى للاسلام ، وقد تجلت براعة المذهبين فى زخرفة الصفحتين الأولى والثانية من المصحف الشريف وكذلك فى الصفحة أو الصفحتين الأخيرتين منه إذ استخدم ماء الذهب مع الألوان المختلفة لاسيما اللون الأزرق الفيروزى بمهارة تامة ؛ وتعتبر تلك الصفحات التى فى مقدمة المصحف وفى مؤخرته لوحات فنية يتوفر فيها كل ما يجب أن يتوفر فى أى عمل فنى رائع من زخرفة ، وألوان متناسقة حسب الأشكال الزخرفية ، وتوازن بين هذه الاشكال ، وانسجـام بين الألوان ، كما بلغت الرسوم الهندسية المذهبة فى المصاحف درجة عالية من الاتقان ..

ولقد عنى العثمانيون عناية فائقة بفن التذهيب ، وممن اشتهروا فى هذا العهد (حسن شلبى الأحدب) فى القرن السابع عشر م ، ويعتبر من مشاهير المذهبين ، وقد أسهم فى تذهيب معظم ما كتبه الخطاط المشهور (حافظ عثمان) من مصاحف ، وكان يوقع بعبارة (ذَهَّبَهُ الفقير حسن). هذا ويوجد بمتحف (المتروبوليتان) نسخة جميلة من القرآن الكريم ترجع الى القرن الثالث عشر أو أوائل الرابع عشر ، وقد كتبت بماء الذهب ، وبها علامات الوقف من اللون الاحمر والأزرق ، وتعتبر بعض الصفحات نماذج زخرفية رائعة جمعت بين خط (النسخ) وزخارف التوريق باللونين الذهبى والأزرق ؛ كما يحتفظ متحف الفنون الجميلة بمدينة (بوسطن) بجزء من مصحف كتبه (عبد الله بن احمد) فى شوال سنة ٧٣٨ هـ ـ ابريل سنة ١٣٣٨ م وتتجلى فى صفحات هذا المصحف قدرة المذهبين الايرانيين الفائقة فى التوفيق بين الكتابة والزخرفة واخراجهما فى شكل زخرفى موحد .

هذا وقد روى عن أبى الدرداء وأبى هريرة وابن عباس وغيرهم كراهية كتابة المصاحف بالذهب والفضة ، ويروى أيضا عن غيرهم الترخيص فى تحلية المصاحف وإن لم يحدد نوع هذه الحلية ..

دكتور حسن عيسى عبد الظاهر
جامعة قطر

بقلم: عبـــاس خضـــر

الحصان

أريد أن اتحدث مع احد .. اى احد .. حديثاً سلمياً !

فقد خرجت من المنزل ضائقا بالحديث غير السلمى مع زوجتى .. ضقت ذرعا بطلباتها التى لا تنتهى ولهجتها التى تشبه التانيب ولو لم يكن هناك ما يدعو الى التانيب ، مما يدفعنى الى معاملتها بالمثل ، وتكون النتيجة «العكننة» . والأولاد سافروا الى بلاد بعيدة وتركونا فى خواء ما بعده خواء .. — لا صديق لي فى هذا الحى الذى نسكن فيه ، أصدقائى بعيدون يقتضى اللقاء بهم فى أماكنهم البعيدة معاناة المواصلات ، فلا سيارة أجرة تقف ولا مكان فى سيارة عامة (أوتوبيس) إذا وقف ولم «يحرق» المحطة ..

وحتى لو تيسرت سيارات الأجرة ووقفت لنا عندما نشير اليها ونضرع الى سائقها ، فمن اين لنا ما ندفعه لها ، ولاسيما ان سائقيها لا يستعملون العداد ، فان أعملوه لم يكتفوا بما يكتب ..

وإذا تجشمت ذلك وذهبت الى النادى أجده مقفراً .. ونادينا يشغل شقة فى عمارة تشبه شقتنا .

ليس لي عمل اتحدث فيه مع زملاء او أتسلى بمزاولته ، فقد أحالونى الى المعاش وأسلمونى الى الضياع .. قالوا لي : اذهب لتستريح بعد العمر الطويل الذى قضيته فى الخدمة ، وخذ هذا الوسام جزاء لك ، فرحت بنشر أسمى فى الصحف مقروناً بنيل الوسام ، ثم ماذا ؟ لم أسترح ، وأين أجد الراحة ؟ الذين يضعون القوانين لم يجربوا هذه «الراحة» لأنهم لايزالون فى الخدمة ..

وارتمى بى الحال حتى انى لا اجد من اكلمه واقطع معه الوقت الذى شبهوه بالسيف ، فهل أستسلم للسيف يقطعنى ؟

كنت فى العمل اتكلم مع زملائى اكثر مما نعمل .. كنا نتوقف عن العمل لأجل أن «ندردش» والآن فقدت العمل بالتقاعد وفقدت من أتكلم معه ، وحق على القول «ما عاش من كان فى المعاش» .

لابد من الجلوس فى القهوة ، وهى تجذبنى عندما أرى الناس جالسين بها وخاصة على الرصيف أمامها فى الهواء الطلق وبعيداً عن «دوشة الدماغ» التى يحدثها الراديو .

ولكن لما أجلس وافرغ أو أشبع من تامل الرائحين والغادين والرائحات والغاديات أتلفت حولى لعلي أجد من أتحدث معه فلا أجد إلا «عبد الظاهر» وهو ضعيف السمع يقتضى الحديث معه رفع الصوت ، وهو محال الى المعاش مثلى ، أنظر اليه كانما أستنجد به من قرصة الجوع الى الكلام !

تذكرت «حصان تشيكوف » الذى أفضى اليه صاحبه الحوذى بآلامه لفقد ولده ، وقد نهره وانشغل عنه كل من ركب معه فى العربة ، وكان كلما شرع فى الحديث عن مأساة ولده أعرضوا عنه ولم يصغوا اليه . وأخيراً وصل الى الاسطبل ، ففك الحصان وربت عليه فى حنان ، ومسح دموعه ، وحكى له ما استعصى عليه أن يحكيه للناس .

قلت : آه ، فليكن عبد الظاهر حصانى .. لم أكن فاقداً ولا ثاكلا ، ولم اتحدث الى أحد فأعرض عنى ، كل ما فى الأمر انى اشعر بالحاجة الى الكلام ، ولا أجد أمامى إلا عبد الظاهر ، فلأقل له .. أقول له ماذا ؟ كان قد اشترى الملوخية الخضراء ووضعها فى سلة الى جانبه حتى يعود الى امرأته التى لابد تنتظره لتطبخ الملوخية .. قلت له :

— الملوخية بكم ؟

وعلى عادته شرع فى الشكوى من الغلاء وتضخيم الأسعار .. قال رافعاً صوته فى شبه صراخ :

— كيلو الملوخية بخمسة وعشرين قرشاً. الملوخية التى كانت عشرة أرطال بقرش !

ولم أسأله عن الجوافة ، ولكنه انطلق يقول :

— والجوافة يا أستاذ محمود ..

— اسمع ، ليس اسمى محمود ، انا اسمى محمد .

— محمود مثل محمد !

— لكن أنا اسمى محمد فكيف تنادينى بمحمود ؟

— لا أهمية للإسم ...

— كيف لا أهمية للإسم ؟ انت إسمك عبد الظاهر فهل أخاطبك : يا عبد الرحمن ؟

— دعنا من هذا ، الجوافة يا أستاذ ...

— محمد .

— صار الكيلو بخمسين قرشا .. الا تذكر زماناً كانت فيه الأقة بقرش ؟

— إنها الآن فى أول موسمها ، وسترخص فيما بعد .

لم يلتفت الى كلامى ، واخذ ينشد كما كان ينادى باعة الجوافة فى الزمن الماضى :

— «عال يا جوافة .. بقرش الوقة (الأقة)

— بصاغ الوقة !

أخذته «الوحدة» وحلاوة التوقيع فاستمر كأنه منبه لم يغلق صاحبه مفتاح



الجرس ..

التفت الينا شبان كانوا يلعبون النرد بجوارنا ، وأصغوا مشدوهين .. قال احدهم

ـ عجيب ! الجوافة كانت بقرش ؟

أجابه صاحبه :

ـ القرش كان عزيز المنال !

ومر ماسح أحذية ، فقال ذلك الشاب :

ـ ماسح الاحذية الآن يأخذ عشرة قروش على مسح الحذاء .

قال آخر :

ـ أبوه أو من كان قبله كان يأخذ خمسة مليمات .

ـ كان المليم مليماً .. أما الآن فليس القرش ـ وهو عشرة مليمات ـ شيئاً ..

ـ لكن ما هى «الوقة» التى يقول عنها ؟

ـ وحدة ميزان أكبر من «الكيلو» كانت مستعملة أيامهم .

وهكذا دخلت الأقة التاريخ هى وإخوتها أو أبناؤها الرطل والأوقية والدرهم .

قال عبد الظاهر وهو يرفع صوته كانه يختتم لحن الجوافة :

ـ الجنيه الآن صار مثل القرش .. أليس كذلك يا أستاذ محمود .. ؟

ـ من فضلك .. اسمى محمد ، قلت لك !

واستأنف عبد الظاهر يقول دون أن يلتفت الى تصحيح الإسم وهو يشير الى بائع الشطائر فى كشك على الرصيف :

ـ هات يا ولد سندوتش كبدة .

قال ذلك زاعقاً ، ثم خفض صوته قائلا :

ـ سيأخذ هذا منى عشرين قرشاً مقابل السندوتش الصغير الذى لا يحتوى إلا على قطعة صغيرة مفتتة من الكبد ..

ـ اسمع يا عبد الظاهر ، كم كان مرتبك أيام كانت أقة الجوافة بقرش ؟

ـ كان سبعة جنيهات ، ولكن كان فيها البركة .

ـ البركة شىء فى نفسك ، وكم يبلغ معاشك الآن ؟

ـ ستين جنيهاً .

ـ انظر ، المسالة نسبية .

فتح عبد الظاهر فمه دون أن يفهم المسالة النسبية ، قال كانه يخلص نفسه من هذه «الفلسفة» :

ـ أمس ذهبت الى البنك لآخذ المعاش ، ولكن لما وصلت هناك علمت أنى نسيت الخاتم .

ـ الخاتم ؟ ألا توقع بخطك ؟ ألم تكن موظفاً ؟

فتح فمه الخالى من الأسنان ولم يقل شيئاً ، فقلت مشفقاً وأنا أنظر الى يده التى تمسك الشطيرة وهى تهتز :

ـ لاباس .. يدك تهتز ..

ولحظت انه ياكل بدون أسنان : يقطع اللقمة من الشطيرة بيده ـ فهو لا يقضم ـ ويلوكها فى فمه ثم يزدردها ..

فقلت له :

ـ لماذا لا تركب طقم أسنان ؟

ـ ماذا ؟ طقم أسنان ؟ عملته ورميته .

ـ لماذا ؟

ـ لم أطقه ، أحسست أنه فى فمى مثل «الزلط» ولم أستطع أن أمضغ به .

ولما هممت أن أشرح له الطريقة المثلى فى استعمال الأسنان الصناعية ـ حسب تجربتى ـ ترددت ، لأنى توقعت أنه لن يقتنع ، وقد لا يفهم .. ولكنى قلت فى نفسى : أنا أحدثه ، فهم أم لم يفهم ، فأنا أريد أن أتكلم كما تكلم ذلك الحوذى مع الحصان . ولهذا قلت له :

ـ اسمع ، إن الانسان عندما يركب طقم أسنان فى فمه يشعر أولا بالضيق منه وأنه شىء غريب فى فمه ، وعندما ياكل يحس ـ كما تقول ـ كأنه يمضغ «الزلط» ولكن لابد من احتمال ذلك بضعة أيام ، ثم يعتاده ويصبح كأن لا شىء غريباً فى فمه ، بل على العكس يشعر اذا خلعه كأن شيئاً ناقصاً فى فمه ، ويأكل كأن له أسناناً طبيعية .

ـ ماذا تقول يا أستاذ محمود ؟

ـ محمد من فضلك ؟

لم يعر احتجاجى أية أهمية ، واستمر يقول وهو يلوك الكلام مثل ما يلوك اللقمة :

ـ أنا مستريح هكذا ..

ـ كما تريد .

وقلت فى نفسى حريصاً على ألا يسمع : وأنا مالي ؟

ثم قال بدون مناسبة ، أو لعله رآنى أكلم نفسى :

ـ زوجتى تكلم نفسها .. انها سيدة طيبة تحبنى ، بعد تناول الطعام أقول لها : هل هنالك شىء حلو ؟ فتقول : افتح الثلاجة وخذ واحدة من المنجة ، فآخذ واحدة وآكلها ، فتقول لي : خذ واحدة أخرى .. وتلح علي فى ذلك ..

ولكن الذى يقلقنى أنها تكلم نفسها .. وذلك عندما نكون منفردين ليس معنا أحد من الأولاد أو غيرهم .. ما رأيك فى ذلك يا أستاذ محمود ؟!

قلت فى نفسى : لا فائدة ، محمود محمود .. وقلت له :

ـ ماذا تعنى ؟

ـ هل هى مجنونة أم عاقلة ؟

ـ إنها عاقلة جداً !

ـ وهل هى تحبك ؟!

عندما وصل الأمر الى حد هذا السؤال حسدت «الحوذى» على أنه كلم حصاناً لا يتكلم .. فأنت تستطيع أن تتخيل أى شىء من جماد أو حيوان غير ناطق ـ تتخيل أنه يعي ويدرك ما تقول له ، ويتكلم طبقاً لما تتخيل ، فتشعر أنك تتفاهم فعلا ، ويحلو لك الحديث ...

أما أن تكلم انساناً فتجده يهرف كأن لا عقل له .. فإن هذا يسد أمامك باب التخيل ويضعك أمام كلام فارغ تضيق به وبصاحبه .

إذن لم ألب حاجتى الى التكلم مع أحد ، فلأعد الى زوجتى ، نارها ولا جنة عبد الظاهر !

مع الأقنعة الزنجية الإفريقية

رحلة في الفن والتاريخ

بقلم : بلـنـد الحيـدري



قناع افريقي تتمثل فيه المبالغة فى التزيين والربط ما بين القيم الرمزية والقيم الجمالية

أيتها الأقنعة ! إيــه أيتهــا الأقنعة
أيها القناع الأسود ويا أيها القناع الأحمر . إنكما تقنِّعان الأبيض والأسود .
أيتها الأقنعة فى الجهات الأربع حيث تهب الروح،أحييك فى أعماق الصمت .
ولست أنت الأخير ، أيها الجد العتيق ذو رأس الأسد أنت تحرس هذا المكان الذي ضاع
من ضحكة كل امــرأة .
ومن كل ابتسامــة ذابــلــة .

سنغور

منذ أن وعي الانسان نفسه كائنا اجتماعيا جهد في ان يتعلم ويتقن لعبة الاقنعة ويتمرس بصنع الوجوه المستعارة التى تتيح له الفرصة كي يختفي بوجه مستعار ، أو اسم مستعار ، أو رمز ، عن نفسه أو عن الآخرين حينا ، أو أن يسعى لايقاع الرهبة والمهابة فى قلوب الناس حينا آخر ، أو أن يتملق ويمالىء فى غيرهما أو أن يحجب مشاعره وأحاسيسه الحقيقية عن عيون المتطفلين عليها فى احيان أخرى ، وكان له فى غير تلك أن استنجد بقناع كبير واستعان بمضخم صوت وبطوالتين من خشب ليمد بقامته طولا على كثير رغبة في أن يكون بطلا فى غابة أو سيدا أو نصف سيد على مسرح أفريقى ولا نزال نحتمي بعشرات الأقنعة في طيات ملابسنا وأناقتها وألوان ربطات عنقنا وأشكال وأنواع أحذيتنا ، ولا نزال نرتجف هلعا من كل يد تمتد لتمزيق تلك الأقنعة .

وإذا كانت طواعية بشرة وجوه بعضنا قد اكتسبت وعبر مران ومعاناة طويلين قدرة مدهشة على أن تلبس لكل حال لبوسها لحجب أحاسيسها ، وأن تصنع كل لحظة وجها تواجه به وجوه الآخرين دون أن تكلف صاحبها تعبا أو نصبا فى نحته على قطعة من عاج أو لحاء شجرة فان ثمة أقواما وأناسا ظلوا على شديد حاجة إلى أن يصبغوا وجوههم وأجسادهم بمختلف الألوان الصارخة لاضاعة شيء من حقيقتهم أو الاعلان عن شيء آخر منها ، وقد يستكملون لعبة الايهام هذه بارتداء الأقنعة التى يوكل لها الدور الأساسي فى التعبير عن مشاعرهم الخفية ومخاوفهم وتطلعاتهم فى حلقات من الرقص الجماعي السحري المملوء بالتوتر النفسي والعضلي والمكتنف بالأساطير والطقوس الطوطمية التى يزخر بها مجتمع ضيق يحاول أن يجد استقراره وأمنه النفسي وطمانينته من خلالها كما يشير إلى ذلك المفكر الزنــجي « فرانز فانون » فى كتابه (بشرة سوداء وأقنعة بيضاء) بالنسبة لمجتمعه الافريقي وحيث يكون لتقاليد مجتمعه الموروثة عبرها أن تسهم وتساعد لحد بعيد على تفريغ الانفعالات النفسية المكبوتة ، ففى ظل الأزمات وتحت وطاة الظروف الصعبة والشعور بالاجحاف والضياع والقلق لا مناص لتلك الجماعات من أن تبتلع أحلامها وآمالها وأن تنطوي على نفسها الى حين تجد لها منفذا أو توسع لها مسربا من خلال هذه الحركات العضلية المتوترة التى توحدها رغبة فى التجانس ما بين الظواهر والنوازع الداخلية والفرد والمجموع كمسعى لتاكيد مشاعر الاستقرار وبغية احكام الصلة ما بين عالمين يتمثل احدهما فى الشكل الظاهري والمادي للأشياء والكائنات،ويومىء الثاني الى القوة الخفية التى تكمن فيها والتى يطلق عليها اســم ــ المانا ــ ، وانهم وبمساعدة هذا المناخ السحري سيكون لهم أن يتحرزوا من أي خطر داهم أو يتمرنوا على الحذر والحيطة منه والقبض على زمام المبادرة ضد كل ما يعترض سبيلهم فى الحياة .

أهداف هذا الفن

وإذا كان حقا بان وراء نشوء الرقص عند غير شعب من شعوب الارض ومنها الأفريقية ، فكرة السحر فقد كان للاستعانة بالأقنعة أن ساعدت على تجسيد الأفكار والأرواح وتكثيف الايحاء بسلطتها المعنوية والأدبية ، وتبادل مراكز القوى ما بين الشبيه والأصل الذى غالبا ما يكون على هيئة حيوان ، وان استعارة رأسه عبر قناع يشابهه من ناحية ويحرفه ويشوهه أو يبالغ فى تزيينه من ناحية أخرى على مثل ما تعمل قبيلة «بالوبا» فى الكونغو ، أو



قناع مـن « انجولا » يسـتخدم عـادة في حفلات تجـاوز مراحـل الطفولــــة .

يوجز فى رسم ونحت ملامحه الى حد رائع فى الاختزال التلميحى كما هو موجود فى أقنعة غينيا الجديدة إنما يظل الهدف بالنسبة لمرتدى الاقنعة محصورا بالرغبة فى اكتساب المناعة ضد تلك القوة الهائلة المتمركزة فى راس الحيوان والوقاية من الشرور والمكائد ، وان على لابسي الأقنعة ان يجيدوا كل الاجادة تقليد حركات وأصوات الحيوانات التى يعتمدونها وان يتفننوا فى أدائها لتاكيد القدرة الايهامية على كسر الحدود ما بين العالم المرئى والعالم اللامرئى وما بين جميع حدود الكون والبشر والحيوان والنبات .

ويرى البحاثة الألمانى «فردريك فون ديولاين» فى كتابه «الحكاية الخرافية» بان لشيوع الأساطير عن الحيوانات وتشابهها فى جميع أنحاء العالم واحتفاظها بمقدرتها على الحياة ما يرتبط بالمواجهة ما بين الانسان والحيوان فى واقع بدائى يتنافس عليه الاثنان «فالحيوان يعيش فى عالم قائم بذاته وهذا العالم اما أن يكون صورة شبيهة بعالم الانسان وإما معارضة له كذلك ... وكثيرا ما يمتلك الحيوان فى

مع الأقنعة الزنجية الافريقية
رحلة في الفن والتاريخ



منذ نشاة الحياة» مثال ذلك قناع مغارة الأخوة الثلاثة ، واستعمال القناع جار فى جميع القارات ومايزال موجوداً فى بعض التقاليد الشعبية الأوروبية ، لكن البدائيين يجعلون له صفة تجسد حقيقى ، فى بعض قبائل هنود أميركا الشمالية ، حين يلاقى الشاب فى الغابة الروح الذى يحرسه يشعر ان هذا الروح قد استولى عليه ، يصنع عندئذ للمرة الأولى القناع الذى يؤكد هذا الاستيلاء ويظهره للعيان» . وبقدر ما تستطيع الأسطورة ان تكثف حضورها من خلال مساهمة العديد من حواس الانسان وبقدر ما يكون لها ان توجز أصواتها فى رقص إيمائى أو شكل قناع ، بقدر ما تعزز سيطرتها الايحائية عبر تجسيد ما هو ليس مرئياً بما هو مرئى وما هو مألوف بما ليس مألوفاً فتخرج صناعة الأقنعة بالضرورة ، على التشبيه الواقعى بتحوير أشكال المرئيات أو تشويهها أو المبالغة فى تزيينها بغية رفع القدرة الايحائية بعمق الصلات ما بين عالمى الروح والجسد ولابراز القدرة الأدائية فى التقليد والتماثل وهكذا تختلف أهداف هذا الفن كل الاختلاف عن «معظم الفن الأوروبى الواقعى الى حد بعيد فهو يشير الى صور فكرية بدلا من صور مرئية يؤثر الأسلوبية الصارمة على الطبيعة الواقعية وان مقتضيات الشكل النفعى فى السحر تعوق عادة أى دافع الى هذه الطبيعة والواقعية ــ رالف لينتون.» ولقد كان لهذا النزوع الضرورى الى انتهاج أساليب التحريف للواقع أو تشويهه أن مد الفنان الافريقى ، صانع الأقنعة ، بشىء غير قليل من الحرية فى مكنته الاستيحائية وتحقيق رؤاه الداخلية وتحسين أسلوبه الأدائى وقدراته الابداعية رغم ضعف استيعابه للمفاهيم الجمالية وضعف منهجيته التطويرية كما هو شان أى فن ينمو فى مجتمع مغلق لحد ما .

وعلى الرغم من اننا لا نعرف الكيفية التى تقدر فيها ابداعات الفنانين فثمة فنانون كانوا موضع تقدير واعجاب كبيرين فى وسط مجتمعهم الافريقى وقد يبلغ الأمر أحياناً الى مستوى رفع شانهم واحاطتهم بهالات من التبجيل والتكريم «وان لم يكن يميز جيداً بين موهبتهم الفنية وفعالبتهم السحرية ــ هويغ» . بل ورغم خضوعهم لصرامة الطقوس ودقة التقنية المدروسة وحتمية الالتزام بها فانهم لا يقعون فى التكرار الممل لأن كل فنان منهم يحقق فى عمله شعوره الغريزى تجاه موضوعه وانه على كثير علم بخصائص مواده من خشب أو عاج أو طين وبخصوصية تعامله مع أى



جــذوع الأشجــار والأغصـــان لهـــا دلالاتهـــا الرمزيـــة في الأقنعـــة

الحكايات الخرافية السلطان على العناصر الثلاثة : الماء والنار والنور وهو يتحكم فى الأنهار وغير ذلك . وغالباً ما يتحتم على الانسان أن يلجأ اليه لكى يسترد منه ممتلكاته ... وفى حكاياتنا الخرافية يمتلك الانسان كذلك أحياناً القدرة على تحويل نفسه الى حيوان فاذا ظهر الحيوان فى الحكايات البدائية فى هيئة أشباح فان هذا معناه أنه ينتمى الى العالم غير الانسانى وكثيراً ما يتحول الموتى كذلك الى أشكال حيوانية » .

ويذهب «رنيه هويغ» فى الجزء الأول من كتابه «الفن : تأويله وسبيله» بأن نزعة التنكر وتبادل المواقع والتقمص قد وجدت



قناع من الخشب متعدد الالوان من غينيا يثير الانتباه والدهشة



المبالغة في التزيين حتى يكون القناع جديراً بدوره بين أفراد القبيلة

منها وبكيفية المزاوجة ما بين معطيات التصوير اللونية ونتوءات النحت البارز وأساليب اللصق ـ الكولاج ـ بحس فطرى متميز وموازنة دقيقة بين كل اجزاء ومكونات القناع وزواياه المتعددة التى تؤكد الصرامة والقوة ، وخطوطه المنسابة بانحناءات عاطفية . ويفسر هربرت ريد فى كتابه «الفن والمجتمع» الطبيعة الفنية لدى الرجل البدائى بقوله انه : «لا يميز نشاطه الفنى عن سواه ، إنه بكل بساطة جزء من نشاط حياته ، إنه نشاط معقد بحيث يتضمن كل مواهبه فيما يخص عالم الاحساس الملغز الذى هو وحدة فريدة ، ولكنها تضمن الموهبة الجمالية داخل عملية الحياة غير المتميزة لا تهدم هويته ولا صفة التنوع من حيث الخصوصيات والافتراض بان الباعث الجمالى غير موجود بالنسبة للرجل البدائى ، ذلك لأنه لا يستطيع الاطلاع عليه ، هذا يعنى باننا نخلط بين حالة الوعى وحالة الوجود» .

تأكيد الهوية القومية

ويظل فن صناعة الأقنعة ، وعلى امتداد القارة الافريقية من شرقها الى غربها الى جنوبها الى حوض الكونغو وأطرافه ومن ثم الى الدول المحاذية له ، يظل بالنسبة لمواطنى تلك المناطق من أكثر الفنون المتداولة إثارة للاعجاب وذلك لبراعتهم الفائقة فى صنعها وغزارة مداليلها ولما توليها من عظيم اهتمامها بها مما كانت سبباً فى تنوع اشكالها واختلاف هيئاتها وما يضمن تواصل وتداخل المعانى التجريدية بالظواهر التشخيصية وتبعاً لاختلاف الاغراض المرجوة منها واختلاف الشعوب التى تقوم بصناعتها ، وبعد أن تكفلت بالتبشير بغير جانب من جوانب حياة الافريقى الاجتماعية وتشعبت مداليلهـا الايجازية لعباداتهم وأفراح زواجهم وبلوغ سن الرشد لأولادهم وختان أطفالهم وجنى محاصيلهم ... الخ.وذلك قبل اتصال تلك المناطق بالحضارات الأوروبية الوافدة اليها بمناهج مدارسها القديمة والحديثة وما تحمل من صيغ ادائية جديدة انتصر لها نخبة من فنانيها ومثقفيها من الجيل الجديد ، يطعمون بها أعمالهم الابداعية أو يمارسونها فى تقليد حرفى ونقل سطحى بدعوى التشبه بما هو موجود فى الغرب مما كاد أن يقضى على تلك السمة المتميزة بغنى تعبيريتها وشدة حساسيتها وشفافية رموزها والمتمثلة فى الدرجة الأولى فى الأقنعة الافريقية ، لولا ما واكب نهضة افريقيا الحديثة من احساس قوى بالانتماء لواقعهم فى الأرض والتاريخ والتراث عند ابنائها من ناحية ومن ناحية اخرى ما كان لفنونهم من أثر على الفنون المعاصرة فى العالم التى اقتبست منها وأشادت باهميتها مما دفع ببعض فنانى الدول الافريقية الى البحث عما يؤكد هويتهم القومية فى فنهم ضمن توازن ضرورى ما بين تراثيتهم ومعاصرتهم ويبقى على فرادة سمتهم المتميزة بحيث يظل للشكل الرمزى الذى أوجز مشهداً تمثيلياً لمقطع من حياتهم واختزل نفسه فى شكل هندسى ذى دلالة معنوية ، ما يحقق مرماه فى بعد تشكيلى جديد يوائم ما بين حضارتهـم الافريقيـة وخصوصيتهـا واستيعابهم لها وبين تفاعلهم مع منجزات العصر بمعنى فى الافادة من التراث افادة تشكيليـة واستلهـام طقوسه الروحية والسحرية والدينية من خلال رؤية فنية حديثة واقامة حسن الجوار والعلاقة الوثيقة ما بين تلك الاقنعة كابرز معطيات فنونهم واعمالهم الابداعية الجديدة وهو ما يؤكد عليه واحد من أبرز فنانيهم «أوكيكى» حيث يقول : «يجب على الفنان الافريقى ان يعنى ويقدر تراثه لكى يكون على وئام مع نفسه» ...

وما نلمسه فى دراسة «أولي باير» عن «الفن الحديث فى افريقيا» بعد أن تفرغ لفترة غير قصيرة لمناقشة هموم فنانى القارة السوداء وتأكد من أن الفنانين الافريقيين شانهم شان باقى المثقفين «المعروفين بحيويتهم والآخذين بالازدياد يريدون توطيد هويتهم كافريقيين ولئن كانت المناقشات الحادة حول الشخصية الافريقية والزنجية ضبابية على الاكثر فانها أفلحت فى خلق جو جديد يستحيل فيه الخجل من التقاليد الافريقية ويصبح الفنان فجاة شخصاً هاماً عليه واجب قومى هام» وعبر ولادة جديدة من خلال تلك الأقنعة فى منظورها وقيمها الجمالية الغنية بمعطياتها الفنية والتعبيرية .

وظيفة القناع

ومما لاريب فيه أن لتلك الطقوس السحرية والمشاعر على اختلاف مشاربها وتنوع ضروبها الشائعة فى تلك المناطق وتباين أساليب ممارستها ما يشكل واقعاً أساسياً لتلك المجتمعات ومحوراً رئيسياً لتدفق حياة الافريقى المشدودة الى دكنة غاباته الكثيفة ولون بشرته الأسود ، وانها لتاخذ أشكالا واوضاعاً عديدة ضمن طبيعة ومعتقدات كل قبيلة أو منطقة ، فمن القبائل من مدت بعقائدها على مستويات طبقية ذات صيغ هرمية انعكست على نماذج اقنعتها ، ومنها من تذهب مذاهب اتباع السلف المحتفظ بحيويته المؤثرة على حياتهم ، ومنها من لا ترى فى سلسلة انسابها أية قدسية فتهب الطبيعة باشجارها وأنهارها وغاباتها جل اهتمامها بينما كان لغير قبيلة من القبائل ان وجدت فى الأقنعة الحرز الحريز لصيانة قدسية معتقداتها فبالغت فى تزويقها وتزيينها وتنسيق الوانها لتكون جديرة بما أوكل لها بمعنى فى المقام اللائق لسكن تلك القوة المتمثلـة فى المعتقـد والكامنة فى كل جزء من أجزاء القناع .

وهكذا كان للأقنعة وعلى الأخص فى الأقسام الغربية من افريقيا ان تكفلت بالنهوض بما عهد اليها من وظائف دينية منذ أقدم العصور بالاضافة الى التاكيد على الطابع الجمالى المحلى الذى تتطور فيه وتتسع مداليله ومفاهيمه من خلال قدرة الفنان على التفاعل والتجاوب مع كل شكل من أشكال حياته اليومية المنعكسة عن حياة أخرى ، وفى مجتمع تتوزع مجريات أحداثه (المانا) و (التابو) وتنمو المعرفة فيه بوتائر من الخبر المتوارثة لا بوتائر هندسية ، ويرى مؤلفا كتاب (الثقافة

مع الأقنعة الزنجية الإفريقية
رحلة في الفن والتاريخ



لقطتان .. الأولى لاستخدام الحشائش في الأقنعــــة كظاهــرة مألوفـــة .. والثـــانية لقنـــاع من الكونغـــو





الأفريقية) وليم باسكوم وملفيل سكوفنتز بان ثمة روايات تتداولها الأوساط المحلية فى افريقيا تنسب أصل نشوء فكرة استخدام الاقنعة الى عوامل مختلفة منها الوحى أو التعليمات التى تصدر عن الموتى أثناء الاحلام أو الاقتباس من شعوب أقدم كما هى الحال عند (الدوجون) ورغم وجود مجتمعات سرية على درجات متفاوتة من الوازع الدينى فى جميع أنحاء المنطقة إلا أنها لا تستعمل كلها الأقنعة المنحوتة، فمثلا لا يرتدى اعضاء بعض مجتمعات (اليوربا) إلا أزياء من القماش تغطى الجسم كلياً ويقوم أحد الراقصين بتمثيل الروح الرئيسية وقد يضع على رأسه صحناً صغيراً صلداً غطى سطحه المنبسط بالقماش لتهبط عليه الروح إذا ما حضرت خلال اقامة احدى الشعائر الدينية بينما قد يلبس راقص آخر على رأسه غطاء منمقاً من الريش يرمز الى القوى التى تشرف على الزى ، وفى مثل هذه الحالات نجد أن المغزى الدينى يتوزع عبر العديد من الرموز على غير جزء من الاجزاء البينة والظاهرة من الملابس التى يرتديها الراقص ولا تنحصر القدسية بالقناع وحده بل تمتد الى حركاته وايماءات أطرافه واشاراتها المختلفة والى القيم التعبيرية والرمزية لطيات ملابسه وألوانها .

وتولى الكثرة الكاثرة من تلك القبائل أهمية خاصة للاحتفالات المعدة للاعلان عن تجاوز أبنائهم سن الطفولة الى سن أخرى فيكون للأقنعة فيها ما يرمز الى تعزيز مشاعر الرجولة وتجسيد كبر مسئوليته العائلية والاجتماعية وما صار عليه أن يعيه من أمور دينه ودنياه ، وثمة أقنعة عديدة خصت للاحتفال ببعض الظواهر الطبيعية كزفاف القمر الى الشمس ، وبعضها اكتفى باستخدامها كرقية من الرقى التى تحفظ من شر متوقع أو أكيد يسعى به الانسان أو الحيوان أو لجلب خير مرغوب فيه ، وفى بعض المناطق من افريقيا كما يشير الى ذلك مؤلفا كتاب (الثقافة الافريقية) يجرى «تعريف المتفرجين الى قوة الروح الخاصة بالشجرة التى صنع منها القناع وكذلك الى قوة الروح التى يمثلها القناع كما هى الحال عند (الدوجون) مثلا وقد تكون الروح كبيرة جداً فيكلف بحملها ثلاثة رجال يرتدون ثلاثة أقنعة متماثلة كما يحدث عند الايجيبو من اليوربا ، وقد يكفى قناع آخر يرتديه شخص لايواء قوة عدة أرواح مع رسلها كما هى الحال عند الاوبو من اليوربا أيضاً» . وقبائل «الغاندا» المتاخمة لحدود منطقة الكونغو تشتهر بصناعة الاقنعة من الاعشاب والقش وجذور الشجيرات الصغيرة التى لها صفة فى التقدير الخاص دينياً أو طبيعياً ، وتكثر من استعمال هذه الأقنعة فى حفلات ختان الأطفال أو عند تحولهم من مرحلة فى الطفولة الى مرحلة في المراهقـة ، بينمـــا تضـــع قبيلـــة «الساكوندا» اقنعتها من الخشب وإن كانت الأغراض والمناسبات متشابهة عند القبيلتين وإنها لتؤلف الأنواع الوحيدة من النتاجات الفنية لتلك الشعوب والقبائل الى جانب التماثيل الخشبية الصغيرة .

وللأقنعة فى أفريقيا الغربية ايماءات رمزية ذات ابعاد عديدة فمنها ماينفرد فى معنى واحد من معانى الاشارة الى القوة الخارقة ، ومنها ما تتمثل فيها صفات لعدد من أسلاف القبيلة أو العائلة ، أو لعدد من صفات حيوانية .. وعادة لا تستخـــدم الأقنعة إلا في الاحتفالات المعدة لتكريم مناسبة من المناسبات وضمن ضروب من الرقص المخصص لهذه الاغراض وما تكاد تنتهي تلك الاحتفالات حتى تعود الاقنعة الى مخابئها الامينة حيث تحفظ وتصان فى احدى الغابات الصغيرة والقريبة من الحى الى حين تخرج مرة أخرى فى مناسبة ثانية وقد يسمح أن يعهد بحفظها فى بعض الأحيان الى واحد من زعماء القبيلة البارزين ممن ينتمون بنسب الي شيء قدسى من تراب تلك القبيلة وذلك بأثر من دوافع عديدة تتمثل فى رغبة فى حمايتها وتأمين حراستها أو فى رغبة فى الاحتماء بها من الأرواح الشريرة .

وكما لأنواع الأخشاب وجذور الشجيرات الصغيرة والقش التى تصنع منها الاقنعة مراميها البعيدة فى الرموز التى تشير الى نسب القبيلة أو نسب الراقص أو مكانة الشجرة فان لكل مادة تثبت على القناع دلالتها الرمزية من حيث قيمتها المعنوية فى القدرة الايحائية ومن حيث موقعها من القناع كالاحجار بانواعها أو عظام الحيوانات أو الخرز الملون ، وذلك بالاضافة الى أهميتها التزيينية ذات الطابع التوظيفى فى سلم القيم الاجتماعية ، وباضافة الى ما يوكل اليها من غاية فى

التعبير عن انفعال معين ضمن ترابط كلى متجانس أو متضاد أو الايحاء الى مجاورة عدة انطباعات فى القناع من خلال حوار الجزئيات التى يقوم عليها .

إن قدرة الزنجى الأفريقى على أن يعيش الحياة فى ضرب من الافتراض بأن انسانيته ليست بأكثر من مظهر من مظاهر الروح الكونية التى تتغلغل عميقا فى كل الكائنات الحية وفى كل الأشياء التى تفرزها الطبيعة حجراً أو شجراً أو نهراً أو بحراً قد أمدته بالطاقة على أن يتجاوز خصوصيته البشرية ليمتزج بشمولية الروح الكونية ، وهو اذ يوجزها فى قناع إنما يفعل ذلك ليعبر فى ابسط الأشكال عن تلك الشمولية الكبيرة والواسعة حيث يصير للجزء الصغير أن يتمثل فيه الكل واذا كان هربرت ريد بعقلانيته الاوربية لا يرى فى ديانة الزنجى الأفريقى غير نوع من « حيوية المادة – انيمستيك – ANIMISTIC بحيث يرى أرواحاً واشخاصاً خلال المظاهر الحسية الطبيعية فبحكم خوفه من مثل هذه القوى اتجه نحو خداعها على طريقته الساذجة : هكذا خلق بديلا عن الواقع ، هكذا بدأ يتهرب من الحقيقة » فان ليوبلد سنغور يجد فيها ما يفترضه خصيصة ذاتية فهو اذ يعير للأشيـــاء انسانيتة وروحـــه وإرادتـــه وحساسيته انما يعيرها روحاً « لانسان زنجي » لتنتعش بحضوره ، « انها تتانسن بالمعنى الأصيل والراهن للكلمة ، فليست الحيوانات وظواهر الطبيعة تتحول الى بشر وحسب وانما ينتظم هذا التحول الشجر والحصى ، بنسبة ما يشمل المطر والريح والرعد والجبل والنهر . وهى تصبح كائنات بشرية وتحتفظ بخصائصها الطبيعية الأصلية كادوات وعلامات لروحها الشخصية وتلك هى السمة الأكثر عمقا ، السمة الأبدية للروح الزنجية » وإنه باستحضارها عبر قناع يرتديه يؤكد حضوره فى العالم الشامل لا كمركز له ولكن كجزء لا يمكن أن يكون هناك عالم من دونه

الأقنعة والفن المعاصر

وكما ترحل فنون الحضارات القديمة ، وكما ترحل فنوننا العربية الاسلامية الى كل مكان فى العالم لتلهم فنانى العصر ولتغنى تجاربهم المعاصرة ، ترحل افريقيا اليوم بموسيقاها وايقاعاتها الغنية وبتماثيلها واقنعتها الى أعمال كبار



من الاقنعـــة ذات الـــرؤوس الحيوانيـــة

الفنانين العالميين ، ورغم ادعاء بيكاسو بانه لايعرف شيئاً عن أثر الفن الزنجى عليه (الفن الزنجى .. لا أدرى .. !) فان غير قناع من الأقنعة الأفريقية يمكن ان نعثر عليها فى العديد من أعماله وحسبك لوحته الشهيرة (فتيات افنيون) وذلك ما يشير اليه « رنيه هويغ » بقوله : كان انتشار الفن الزنجى في مطلع العصر وابتداء من عام ١٩٠٦ وكانت اقنعة مستخرجة من مخازن خردة نقطة انطلاق لتحرك سيصل بفضل ماتيس والجيل اللاحق له ، فلامنك وديران وبيكاسو وبواسطة التاجر بول غليوم خاصة الى صالات الهـــواة الجامعيـــن. وفى كتاب «البدائية فى التصوير الحديث» يوسع مؤلفه «روبرت جولدووتر» مجال البحث ومناقشة تأثيرات الاقنعة وتماثيل افريقيا بل اللون الأفريقى الذى يرى فيه «ماتيس» انجازاً «فلسفياً فذاً كطريق سحرى يوصل بين الانسان ذى المشاعر الدقيقة المعقدة والقوة المسيطرة» ويصنف «جولد ووتر» تلك التاثيرات حسب وقعها عند ابرز فنانى العصر الحديث وحسب ما استطاع كل منهم أن يعبر من خلالها عن اشكالات انساننا المعاصر ورؤيته الفنية وتامله فيها. فالبساطة الهندسية عند سيزان (هى الفن الزنجى) والفن الزنجى عند « اندريه ديران » اعمال خارقة «تبعث فى النفس مشاعر جنونية» وهى فى نظر بيكاسو «رسل موفدة من تلك التى جئنا منها والتى سنذهب اليها» وانها جهد ابداعى لا يعرف التقليد ، ثم ما كان يبدو من اثر للأقنعة على أعمال «برنكوزى» و «موديليانى» وغيرهما من كبار فنانى العصر ، وأن هذا التواصل ما بين الفنان المعاصر والفن الزنجى الافريقى يضع فى موضع الشك عند «توماس مونرو» مؤلف كتاب «تطور الفنون» الرأى القائل بأن الفنون تتطور على مثل ما تتطور وتنمو الانماط الحضارية الأخرى فى المجالات العلمية والاجتماعية «عندما كف العلم عن الافتراض بأن الفن البدائى كان اقل قدراً من الفن الحديث كان من نتائج ذلك القاء قدر أكبر من الشك على نظرية التطور الثقافى» .

وقد بهتت أهمية الأقنعة الزنجية الأفريقية ، أسوة بالتماثيل الافريقية لشيوعهـــا التجـــاري وضيـــاع أصالتهـــا وتحريفها لما يرضى السياح وهو ما اشار اليه عدد من الكتاب الاجانب فيقول ج.د. سانز فى كتابه « البدائيون الافريقيون » عن النحات الزنجى بانه أصبح «مجرد عامل ماهر فى مصنع لإنتاج الاعمال المزورة» وفى كتاب « فن الشعوب الزنجية » تقول السي ليوزنغو : « وإذا كان السياح يطلبون الاقنعة والتماثيل التذكارية فلهم فى هذه الحالة ان يحصلوا عليها باية كمية يريدونها،ولكن قيمة ما يتم انجازه تبقى مشكوكاً فيها .. انها أعمال ليست لها اية جذور ثقافية ....» وهو ما تذهب اليه مارغريت تراول فى كتابها «النحت الافريقى الكلاسيكى» حيث ترى أن هذه الرعاية من جانب الزبائن غير القادرين «على فهم المعالجة النفسية لفن أى شعب غير شعبه سيكون لها مع الأسف تأثير مفسد على الأشكال الفنية المحلية» .

ولكن مع ذلك فان أهميتها الفنية الأصيلة المتاكدة فى منابعها ، ستظل مصدر الهام كبير للفنون المعاصرة ما دامت جذورها تغور بعيداً فى الطبيعة والانسان وتتجاوز الأطر الشكلية الآنية .

بلند الحيدرى

القدس: المسجد الأقصى

بقلم : يوسف الخطيب
إعداد الفنان : عزيز إسماعيل

فى كتاب الله العزيز : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله » (الاسراء - ١) ، وفى الحديث النبوي الشريف : لا تشد الرحال إلا لثلاث ، المسجد الحرام ، ومسجدي هذا والمسجد الأقصى » .

يستمد المسجد الأقصى قيمته الدينية العالية عند جميع المسلمين ، من انه كان أول قبلة صلى المسلمون باتجاهها فى زمن النبي ثم كونه ثانيا ، ثالث مكان اسلامي مقدس على وجه الأرض ، من بعد كل من المسجد الحرام والمسجد النبوي بالمدينة المنورة . فهو هكذا « أولى القبلتين ، وثالث الحرمين » . ولقد ظل القبلة التى يصلي إليها المسلمون شطراً لا يستهان به من حياة الرسول .

ثم أمر الله الرسول بان يولي المسلمون وجوههم شطر المسجد الحرام بمكة ، عوضاً عن المسجد الأقصى بالقدس : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء، فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » (البقرة - ١٤٤) . فلما انتقد المشركون هذا التحول فى القبلة فى صلاة المسلمين ، نزل قول الله تعالى على الرسول : «سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ، قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » (البقرة - ١٤٢)

نشاهد الآن ، فى هذه الصورة ، واجهة المسجد الأقصى ، منظوراً إليها من الشمال الغربي ، إلى الجنوب الشرقي ، أي باتجاه مكة المكرمة ، وتبدو لنا فى مقدمة الصورة بركة الوضوء فى منتصف ساحة المسجد . هذه الساحة التى شهدت مع فتح الصليبيين للقدس ، (يوم الجمعة ١٥ تموز ١٠٩٩) أبشع مذبحة بربرية يمكن أن تعيها ذاكرة النوع البشري عبر تاريخه الطويل . فلقد ذبح الصليبيون هنا ٧٥ الف مسلم ، هم جميع سكان المدينة الذين حاولوا عبثاً ان يحتموا بحرمة المسجد الدينية من حراب الفاتحين ، حتى لقد بعث قائد صليبي إلى البابا أوربانوس الثاني يبشره بالنصر ، ويصف تلك المذبحة بقوله : « لقد خاضت خيولنا حتى ركبها فى بحر من دماء المسلمين » .

واما فى عصرنا الحاضر ، فان الأيديولوجية الصهيونية ، سليلة الروح الصليبية ، وبديلتها فى القرن العشرين ، قد اختارت ، بموجب مقتضيات العصر ان تنشر مذابحها الوحشية عبر عشرات المواقع المتفرقة ، كدير ياسين ، وكفر قاسم ، وصبرا وشاتيلا ... ، وغيرها وغيرها ، بدلا من أن تحشر ضحاياها من العرب الفلسطينيين فى مذبحة واحدة هائلة ، بينما دأبت سلطات الاحتلال الصهيونية ، منذ حزيران ١٩٦٧ ، فى تعميق حفرياتها الخطيرة تحت اسس هذا المسجد ، في محاولة يائسة تماما ، وغير مجدية إطلاقاً ، لاثبات أن الهيكل السليماني كان يقوم هاهنا مكان المسجد ، مع إعادة بناء الهيكل السليماني بدلا منه . ومن خلال هذه النزعة دون ريب ، عمد الغزاة الصهيونيون إلى إحراق المنبر الأثري داخل المسجد الأقصى يوم ٢١ آب ١٩٦٩ ، وهو الذي يرجع عهد بنائه إلى زمن صلاح الدين ويعتبر آية رائعة من آيات الزخرف العربي الرفيع ، ولقد جرت جريمة الحرق تلك من خلال ما يعرف بحكاية « مايكل روهان المخلول » .

« وقضينا إلى بني اسرائيل فى الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً (٤) فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي باس شديد ، فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا (٥) ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيراً (٦) إن احسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وإن أسأتم فلها ، فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم ، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ، ولِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبيرا (٧) » (سورة الاسراء) .

يوسف الخطيب



القدس : المسجد الأقصى



متحف قطر الوطني سنة ٢٠٠٠

بقلم : درويش مصطفى الفار

استجابة لفلسفة دولة قطر ، فى مواكبة المسيرة الحضارية العلمية المعاصرة ، داخل إطار واضح المعالم من التراث العربى الاسلامى ، الذى ينتمى اليه الشعب القطرى فى باديته وحاضرته ، افتتح حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى ، متحف قطر الوطنى عصر يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة ١٣٩٥ من هجرة خاتم المرسلين (١٩٧٥/٦/٢٣) كمؤسسة حضارية تضيف بعداً جديداً للعاصمة الدوحة ، فى مجال العلم والثقافة والترويح ...

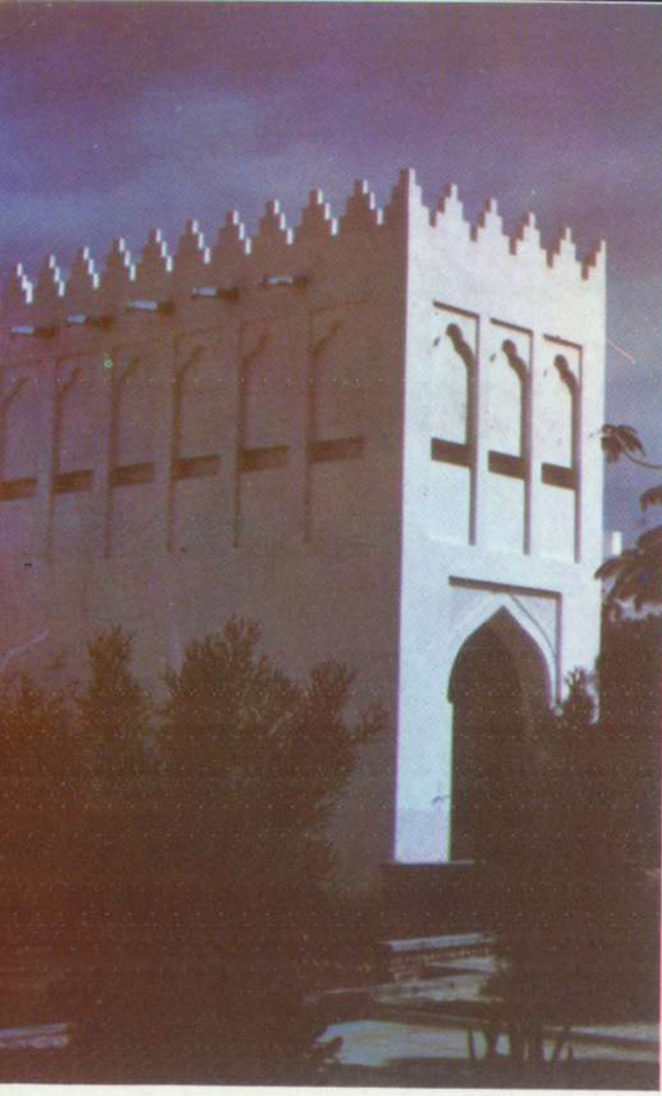
وعلى مدى السنوات السبع المنصرمة ، استطاع هذا المتحف أن يكتسب شهرته العالمية والعربية ، حتى أضحى مطلب كل وافد الى الدوحة.

فى مدينة مستمرة النمو والاتساع ، كالدوحة ، لا يسهل تحديد موقع اى منشاة تحديداً ثابتاً ، ولكن باعتبار اننا نعرف أن الدوحة كانت تنقسم الى احياء يسمى كل حي منها باسم الفريق او القبيلة التى تتكون اغلبية سكانه منها ، نقول بأن موقع المتحف هو فريق او حي السليطى ، حيث كان المرحوم الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثانى ، مؤسس الدولة الحديثة فى قطر ، قد بنى له قصراً للسكنى والحكم فى مطلع القرن العشرين الميلادى ، واصبحت وحدات هذا القصر الاحدى عشرة ، نواة المتحف ، بعد أن رممتها وزارة الأشغال القطرية ، طبقاً لذات الطراز البنائى العربى الاسلامى الذى كان قد بناه عليه المهندس العربى المشهور فى المنطقة ، عبد الله الميل ... وتغطى منشات المتحف زهاء خمسين الف متر مربع قرب الساحل فيما بين راس أبي عبود ، وميناء الدوحة .

مم يتكون المتحف ؟

يتكون متحف قطر الوطنى من خمسة اقسام أساسية :

● القصر القديم ، وهو مجموعة الابنية العربية الاسلامية الطراز والتى كانت قبل هجرها ، فى الثلاثينات الميلادية ، مسكناً ومقراً للحكم وادارة شئون البلاد ، وقد



البوابة الشمالية للقصر القديم .



لقطة للمجلس الرسمي حيث كانت تحل امور الدولة والناس .

نماذج قوارب عربية بحجمها الطبيعي تحكي قصة تراث على سطح البحيرة الصناعية بالمتحف .



استخدم كل بناء منها فى عرض مادة بعينها من صميم البيئة العربية القطرية قبل عصر البترول .

● القصر الجديد ، وهو بناء استحدث أثناء عملية ترميم وحدات القصر القديم فيما بين سنة ١٩٧٢ ، ١٩٧٥ وذلك ليستوعب معروضات الارسميولوجيا ، والاثنوغرافيا ، والتاريخ الطبيعى ، والعلوم والفنون الاسلامية والتاريخ الحديث والبترول ، وما يتعلق بالحياة العربية فى الحاضرة والبادية فى الأسلحة والغزل والنسيج والجمل والحصان والصيد والعادات والتقاليد .

● القسم البحرى ، وفيه جانب من المعروضات عن حياة البحر والصيد والغوص وتجارة اللؤلؤ ، واللؤلؤ المستزرع ، وانجازات العرب فى علوم البحار وبناء السفن وتقاليد البحر ، والأحياء المائية التى تعرض للزائر كما لو كانت فى بحرها حول شبه الجزيرة القطرية التابعة لها فى مياه الدولة

الاقليمية ..

● البحيرة الصناعية ، وهى امتداد طبيعى للخليج تحتويه حديقة المتحف ولا يفصله عن الخليج إلا شارع الكورنيش ، ويحتفظ المتحف فيها بمجموعة من السفن والقوارب الشراعية مما كان العرب به سادة البحار قبل استحداث السفن والبواخر المعاصرة . ويتخذ البيولوجيون بالمتحف ، هذه البحيرة مسرحاً لتجاربهم العلمية المختلفة على الأحياء المائية من أسماك ولا فقاريات وأعشاب .

● الحديقة النباتية ، وهذه تتخلل الأرجاء فيما بين أبنية المتحف وحول بحيرته ، ويجرى تطويرها حسب الظروف المتاحة بحيث تصبح حاوية لكل أنواع النباتات الصحراوية من مختلف أرجاء العالم ، مما سوف يجعلها مستقبلا مختبراً طبيعياً لدراسات تلك النباتات بانواعها ...

متحف بيئى

فمتحف قطر الوطنى ، طبقاً لما أسلفنا ، متحف بيئى ، يتناول البيئة القطرية ، كجزء لا ينفصل بحال عن الوطن العربى والعالم الاسلامى ، يقتنى ويعرض ويصنف ويدرس ويحفظ ، كل ما يتعلق بهذه البيئة ، التى هى فى أساسها صحراوية بحرية ، فى الماضى والحاضر ، بحيث يمكن اتخاذ كل معرض فيه أو قسم قائم ، نواة لمتحف متكامل عن اى موضوع بعينه من المواضيع التى يحتويها المتحف اليوم .

طموحات المستقبل

على ضوء ان المتحف كما ذكرنا ، متحف بيئى ، فان طموحات تطويره والاضافة اليه وتنمية أقسامه وفروعها لا يمكن ان تقف عند حد طالما وضعنا نصب أعيننا ضرورة ادراك الفرق الجوهرى بين (المعرض) و (المتحف) ... إذ ان (المتحف) بخلاف (المعرض) كائن حى ، ديناميكى دائم الحركة.

وهو بالضرورة بعد ان تبوئ دولته التى انشاته على ارضها ، إقامته ، يصبح ملكاً للانسانية المتحضرة كلها ، تماماً ، كالحال فى انشاء منارة فى عرض البحر لهداية السفن وارشادها وتعريفها بموقعها ، لا يملك منشؤها إلا ان يستمر فى العناية بها وصيانتها وتحديثها طبقاً لمنجزات العلم والتكنولوجيا المتطورة المستمرة ...

ومن هنا فان الأمل كبير ، بعون الله وهدايته ، أن يصبح متحف قطر الوطنى لدى سنة ٢٠٠٠ م ، فى سعيه نحو التكامل والتعبير التام عن البيئة القطرية بمفهومها العربى الصحراوى البحرى وتراثها الاسلامى كما أسلفنا ، وقد استوعب الفروع التالية واستكمل الشوط فى اقتناء وعرض ما يلى :

● معشبة (هرباريوم) كاملة يعرض فيها كل الأصناف النباتية الطبيعية القطرية ، معرفة تعريفاً علمياً كاملا ، ومعروفة الخصائص الدوائية والغذائية ، بصفاتها الأكاديمية بكل أبعادها .

● جميع أنواع الطيور ، المهاجرة والمقيمة والزواحف والثدييات والحشرات ، محنطة تحنيطاً علمياً راقياً فى صورة تحكى بيئتها الطبيعية ، وتجعل الناظر اليها ، دارساً كان أم مستروحاً ، كانما يراها فى حالة طبيعية حقيقية .

● جميع أنواع الحفريات المستحجرة من النبات والحيوان ، مما وجد فى طبقات الصخور القطرية أو الخليجية ، معرفة تعريفاً علمياً تاماً ، ومرتبة ترتيباً استراتيغرافيا ، مع الصخور والحجارة القطرية من فوق ومن تحت سطح الأرض . موزعة على خريطة مجسمة لدولة قطر بحجم مناسب .

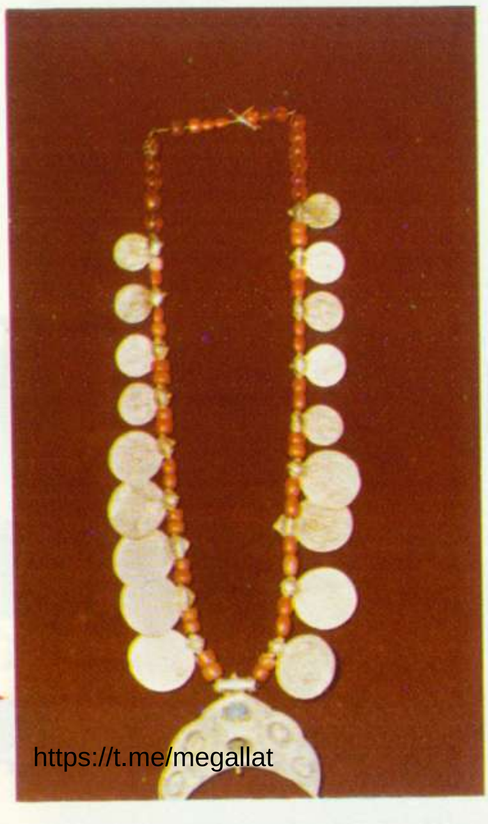
ويتبع هذا بالضرورة ، عرض متكامل شيق للثروة المعدنية على سعة الوطن العربى بين محيطه وخليجه ، مما يعطى للشباب العربى على وجه الخصوص ضوءاً من الانتماء الكامل للوطن على سعته .

وكذلك قصة البترول وتاريخه فى قطر والعالم ، وكيمياؤه ، واقتصادياته ،

حلية من فضـة واحجار كريمـة داخل المتحـف



حلية من ذهـب واحجـار كريمـة .



وانتشاره فى الوطن العربى والاسلامى والعالم أجمع ، وعرض نماذج من كل أقطار العالم من البترول .

● عرض كامل لنماذج حية للقلاع والحصون التى لازالت آثارها منذ العصر العباسى باقية فى ارجاء مختلفة من شبه جزيرة قطر ، ويتبع ذلك عرض كامل فى نماذج مجسمة بمقياس رسم مبين ، لجميع معارك الاسلام الكبرى من بدر واحد وحطين وعين جالوت ونهاوند وبلاط الشهداء وغيرها من المعارك ذات التأثير فى التاريخ العربى الاسلامى الذى تنتمى اليه قطر دون أدنى شك أو ارتياب ...

● تنمية الأركان الخاصة بتاريخ العلوم والتكنولوجيا عند العرب والمسلمين ، وانشاء قاعات تحمل كل منها اسم عالم عظيم ، فقاعة لعلم الفلك باسم البيرونى ، وقاعة للطب باسم الرازى ، وقاعة للرياضيات باسم الخوارزمى ، وقاعة للفيزياء باسم الحسن بن الهيثم ، وقاعة للكيمياء باسم جابر بن حيان ، وقاعة لعلم الأعشاب باسم ابن البيطار ، وقاعة لعلم الحيوان باسم الدميرى ، وقاعة للتكنولوجيا والحيل الهندسية باسم ابن الجزرى وهكذا ، مما يحيى فى نفوس الشباب الهمة ويغمرهم بالحماس للعمل الجاد المنتج تجديداً لانتمائهم لأولئك الأفاضل الخالدين ...

● انشاء قسم متكامل لتاريخ صناعة الخبز فى الصحراء العربية وأنواع الحبوب ، واحصائيات وخرائط ومشاريع انتاج الحبوب فى الوطن العربى على وجه الخصوص ومقارنة ذلك بمعدل تزايد السكان .

● انشاء قسم متكامل عن النخلة والتمور وتاريخ هذه الثمرة فى الوطن العربى ، واحصائياتها المعاصرة ، وعرض كل ما يتعلق بالتمور نباتياً وغذائياً ودوائياً واقتصادياً ، زراعة ونمواً وتطوراً وتصنيفاً بحكم أن النخلة والتمر جزء من تراثنا العربى منذ قرون لا تحصى ...

● انجاز ذلك المشروع الأول من نوعه فى العالم ، لدراسة المسكوكات الاسلامية تاريخياً وميتاليرجياً وتعدينياً وجغرافياً ، فى معهد الدوحة لدراسة المسكوكات الاسلامية المقرر انشاؤه فى الأرض الفضاء شمال غرب منظومة المتحف الحالية .

الماضى والمستقبل

ذلك بعض أمل مما يتطلع المتحف الى اضافته الى رحابه حتى منصرم القرن الحالى ان شاء الله .

وهذا يستدعى الافادة من الأرض الفضاء شمالى المتحف وجنوبه ويتطلب توجيه جيل من الشباب لارتياد الدراسات العلمية المختلفة التى تحتاجها تلك التوسعات التى أسلفنا ، وغيرها ، وعلى وجه الخصوص فى مجالات علوم البحار ، إذ أن البحر عمود من عمد الحياة العربية فى الماضى والمستقبل بكل تأكيد .

ولا يفوتنا فى الختام أن نؤكد أن اقتراح انشاء قاعات لتاريخ العلم والتكنولوجيا عند العرب والمسلمين لا يقتصر على ما أنجز فى الماضى ، بل يتعدى الى أحدث ما وصل اليه العلم اليوم فى تطوره ، بحيث لا نغفل مثلا أن يكون فى قاعة ابن الهيثم للفيزياء بمتحف قطر الوطنى عرض متكامل لكل ما وصل اليه الباحثون فى مضمار الطاقة الشمسية فنحن فى هذا المتحف لا نريد أن نقتصر على التغنى بالماضى وأمجاده ، إذ :

ليس الفتى من يقول كان أبى
إن الفتى من يقول ها أنذا

وتلك من أهم قواعد رسالة متحف قطر الوطنى .

درويش مصطفى الفار



بعض مصنوعات البادية



غرفة المرحوم الشيخ حمد بن عبد الله آل ثاني التي تمثل بساطة الحياة في تلك الفترة .



نسيج بدوي



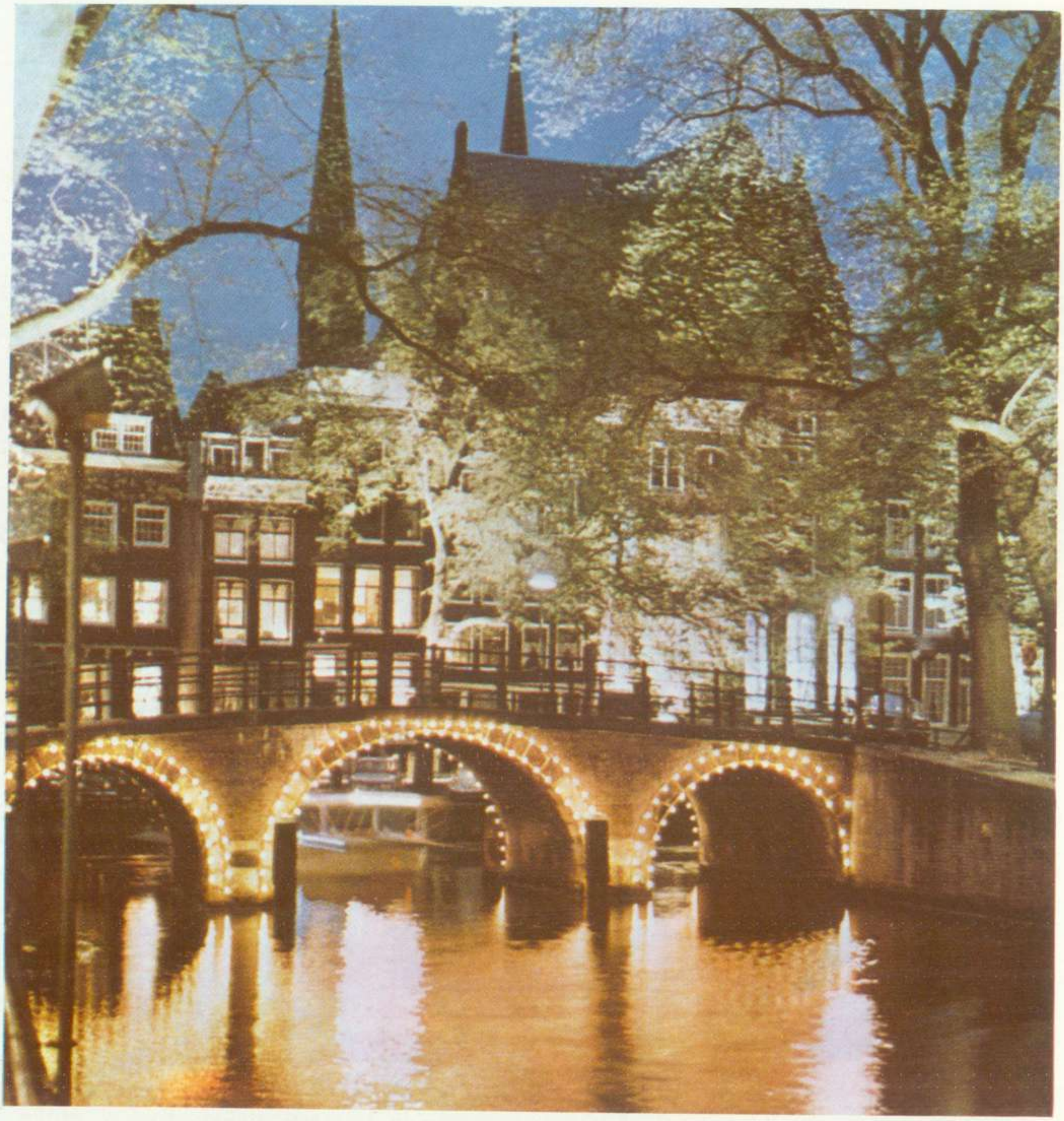
داخل محلات بيع المجوهرات التى تنتشر في كل مكان بهولندا .

هولندا

بلاد الماس والزهور والصراع بين البحر والإرادة !

هولندا من : نادية رزق

بدت لى هذه البلاد ـ عندما حاولت أن ألقى عليها نظرة من الطائرة ـ وكأنها جنة خضراء تجرى فيها المياه .. ومع هبوط الطائرة كان الشكل أكثر وضوحاً .. الأبنية ذات السقوف الحمراء تحيط بها من كل جانب بينما ترى بشكل هندسى الخضرة والأنهار وجداول المياه التى لا تكاد أن تغيب عن العين إطلاقاً ! .



الأضــــواء تنعكـــس على ميـــــاه القنــــوات بينمـــا تقـــف البيــــوت القديمــــــــــة شــــــامخة تحيطهـــــــا خضـــــرة الأشـــجار .. إنهــــــــا لوحـــــــة منقوشـــــــــة بابـــــــــدع الألـــــــوان في قلـــــب العاصمة امســـــــتردام .

وداخل مطار أمستردام الذى يبدو وكانه مدينة حديثة واسعة الأرجاء ، تنتشر المحال التجارية بكثرة ، الا أن أكثر ما يلفت النظر « ويزغلل » العين هو الفتـرينات المعروض بداخلها الماس بطريقة جذابة .

وفى الطريق الى قلب المدينة لفت نظرى احترام السائقين للاشارات الضوئية ولغيرهم من السيارات .. مما يعطيك انطباعا لمدى احترام الناس لقواعد وأداب المرور .. كما أنك ستشعر منذ أول وهلة أنك داخل قرية ضخمة ، فالأراضى شاسعة ترعى فيها الأبقار .. وعلى البعد تبدو العمارات الزجاجية الشاهقة التى يقل ظهورها بالتدريج حتى تختفى تماما بمجرد الوصول الى مشارف المدينة !

وفى الصباح عندما تشرق الشمس تتلألأ أمستردام العاصمة بالاف الألوان ، وتنعكس خضرة الأشجار على مياه القنوات ، كما تنعكس عليها ألوان الأسقف الحمراء وزجاج النوافذ اللامع .. فتبدو المنازل وكأنها منقوشة بابدع الألوان ...

وأثناء سيرى فى الشوارع القديمــة ورؤيتي للترام العتيق الذى يخترق أهم المناطق ، والمراكب التى تتهادى فوق القنوات .. كان يخيل الى أننى اعيش فى





هولندا

مزارع هولنـــدي يعبر بابقاره إحـدى القنـوات في الريـف الـذي يتميز بالبسـاطة والجمـــال .

القرن السابع عشر ، فكل ما حولى يوحى بذلك ، ولهذا تصورت أننى أسير داخل بلاتوه سينمائى ضخم أقيمت ديكوراته فى هذا العصر ، لتصوير أحد المشـــاهد السينمائية التاريخية ، فالمبانى على حالها وقصور التجار والبحارة تنتشر على جانبى القنوات ، وفى وسط المدينة مربعات سكنية وشوارع بأكملها مازالت كما هى ، وحتى ما يبنى حديثاً فى هذه المناطق لابد وأن يطابق نفس الطراز للمحافظة على الشكل العام للمدينة القديمة !

والواقع أن مدينة امستردام تضم وحدها حوالى ٦٧٠٠ مسكن ، تعتبر أبنية تاريخية أثرية تساهم الحكومة مع أصحابها فى صيانتها وتكاليف العناية بها .. كما يعيش بعض سكان المدينة فى مراكب هى « منازلهم » أو « متاجرهم ! » ..

ومن المناظر المألوفة فى المدينة أن تتوقف المراكب التى تقل السائحين لشراء ما يريدون من هذه المتاجر المائية ، أو لمداعبة الأطفال ورد تحيتهم ! .

وقد سميت « امستردام » على اسم السد المقام أمام « الأمستيل » أو النهر الذى يخترقها .. ولن نعجب إذا عرفنا أنها مبنية على حوالى تسعين جزيرة ولذلك يطلق عليها « بندقية الشمال » .. ولو حسبنا القنوات داخل المدينة لوجدنا طولها ثمانين كيلومتراً ، أقيم فوقها أكثر من الف جسر !

وبما أن القنوات تشكل أكثر من خمس مساحة البلاد الكلية وتعوق حركة البناء والعمران ، فقد لجأوا الى حيلة هندسية وهى تجفيف عدد من البحيرات وإقامة سواتر خرسانية وسط المدينة ، ثم سحب هذه المياه وردمها بكميات هائلة من الرمال ، وبالتالى تحويلها الى أراض جديدة تساعد فى حل مشكلة الازدحام الحاد فى السكان ، ففى داخل الكيلومتر المربع الواحد يعيش حوالى الف شخص ، وهى أعلى كثافة سكانية فى العالم ! .

العدو الحبيب

منذ قرون وهولندا فى حالة حرب .. حرب مع البحر نظراً لانخفاض أراضيها أربعة أمتار تحت سطحه ولذلك تســمى بالأراضى الواطئة ، وربما لن تستطيع هذه البلاد ان تنهى هذا الصراع أبداً ، فقوى البحر لا تهدأ قط .. والمعركة معه تنتقل من جيل الى جيل ، فهو عدو شرس ، لا ينسى أبداً أن أرض هولندا كانت ملكاً له ، ودائماً يسعى الى استردادها !

وفى مواجهة هذا « الغول » الشرس ، لجأ الهولنديون لحماية أنفسهم ببناء السدود والخزانات عند مداخل البحر لتقليل حدوث الفيضانات ومواجهتها .. وقد شهد عام ١٩٥٣ أسوأ فيضان فى هذا القرن إذ سبب خسائر قيمتها مائة مليون جنيه استرلينى ، وتحت تأثير هذا الخطر الداهم أنهى الهولنديون عام ١٩٨٠ مشروعاً ضخماً سمى « بمشروع الدلتا » ..

وإذا كان بحر الشمال عدواً رهيباً فى تاريخ هولندا ، فقد استطاع الهولنديون أن يتعاملوا معه الآن بقدر من الحب وان يحولوه الى حليف يستعينون به فى تنمية الصيد والتجارة ! .

وقد لعب بحر الشمال دوراً هاماً فى صراع هولندا الأكبر من أجل الاستقلال عن اسبانيا !

ففى عام ١٥٧٢ تمكن من عرفوا باسم « شحاذو البحر » فى إقليم هولندا من



سوق من اسواق الجبن المنتشرة فى هولنـدا .

السيطرة على منطقة « بوبل وفلشنج » واستخلصوهـا من يد الأسبـان وادى ذلك الى قيام ثورة عامة أدت الى انفصـال المقاطعات السبع المتحدة وهى التى شكلت « الأراضى المنخفضة » عن كل من اسبانيا وما يعرف الآن ببلجيكا .. كما استخدم الثوار عام ١٥٧٤ البحر مرة أخرى فى إغراق البلاد لحمايتها أمام هجمات الأسبان خلال حصار « ليدن » .

مركز عالمى للماس

ومن حسنات بحر الشمال أنه سمح للبلاد بالاستيراد بأسعار زهيدة . وأول ما تستورده هولندا المواد الأوليـة لصناعاتها التى تمثل ٣٨٪ من دخلها القومى ، وان كانت صناعتها مازالت تقوم أساساً على إعادة تشغيل وتصنيع المواد الأولية الأجنبية ، أما انتاجها من هذه المواد فيتمثل فى ٩٧ ألف مليون متر مكعب من الغاز الطبيعى سنوياً ، وهذه الكمية تكفى احتياجات نصف دول السـوق الأوروبية ، و ٤ر١ مليون طن من البترول كما أن بها أضخم مصاف للبترول فى أوروبا ، فضلا عن ٣ ملايين طن من الملح ..

وهذا بخلاف صناعة الجلود ..وصناعة الأخشاب والصناعات اليدوية التى مازالت تشتهر بها هولندا مثل «الأحذية الخشبية» وهى على رأس الصناعات الشعبية ، وإن كان الحرفيون قد تناقصوا ، وتزايدت المصانع الآلية حتى بلغ انتاجها السنوى حوالى ثلاثة ملايين حذاء ..

أما صناعة « صقل الماس » فتبـدو واضحة لأى زائر فمحال بيع وتثمين الماس تنتشر بكثرة فى كل شارع،وفى هولندا الاف المصانع التى تشترى الماس من جنـوب افريقية على هيئة حجر خام يتم صقله بمهارة شديدة ، يخرج بعدها الماس الرائع الذى يخطف الأبصار ، فتتم إعادة تصديره بمبالغ خيالية لكل بلدان العالم ! .

أما أكثر الصناعات رواجاً فهى « صناعة الدراجات » ويبلغ عددها تقريباً مثل عدد السكان أى حوالى ١٤ مليون ، وهذا يعنى أن كثيراً من الأهالى يمتلكون أكثر من دراجة .. ومنظر راكبى الدراجات فى الشـوارع الهولندية بديع ، فللدراجات قنوات خاصة لا يتعدى عليها أحد ، ومن المألوف رؤية الشبان والشابات والكهول والشيوخ وهم على دراجاتهم مما يخفف أزمة المواصلات العامة .

وكثيراً ما يرى الهولنديون ملكتهم السابقة « جوليانا » وهى تقوم بنزهتها الصباحية على الدراجة !

ومنذ قديم الأزل وهولندا تشـتهر بمراعيها الخصبة وتربية الماشية ، ومنذ القرنين الثالث عشر والرابع عشر وانتاج البلاد يفيض عن احتياجاتها ، ومن ثم تصدر كمية كبيرة منه ، ويكفى ان نعلم أن انتاجها من أنواع الجبن بلغ ١٧٠ نوعاً اشهرها الفلمنك والجروييرا وبذلك تشتهر البلاد بأنها « أكبر مزرعة للألبـان فى العالم » .

وفى مواجهة البحر كانت التكنولوجيا الحديثة التى وفرت امكانيات أفضل لتهزم بها الظروف الطبيعية ، ولتصبح الزراعة وسيلة لتحقيق صناعات زراعية قوية فى غيبة المصادر الطبيعية كالمناجم والمواد الخام !

فن وتجارة الزهور

السائر فى الشوارع الهولندية يصعب عليه رؤية أى شىء من خلال النوافذ عندما تكون مفتوحة لكثرة الورود والأزهار التى فوقها وحولها .. والـواقع أن الهولنديين يعشقون الزهور ولون العشب الأخضر ..

والزهور فى هولندا ليست وسيلة للتجميل فقط بل هى تجارة ، ومربحـة أيضاً حيث تبلغ أرباحها سنوياً حوالى ١٢٥ مليون جنيه استرلينى ، وتعد هولندا من أكبر الدول المصدرة للزهور وتقاويها ، كما أن بها أكبر حديقة للورد تسمى « كوكن هوف » تبلغ مساحتها ٦٦ هكتاراً ، وتنتج هولندا ٣٢ نوعاً من زهور التيوليب ، كما تشتهر بالقرنفل والورود والزنابق والأوركيد ..

وكما تشتهر هولندا بزهورها ومياهها وقنواتها وقباقيبها الخشبية تشتهر أيضاً بطواحين الهواء .. ويوماً ما كانت هذه الطواحين منتشرة بكثرة عبر البـلاد لاستخدامها كمصادر للطاقة لطحن الحبوب واستخراج المياه لرى الحقول ، أما الآن فلم يتبق من هذا التراث سوى ٩٥٠ طاحونة يعمل منها ٢٠٠ فقط ، وتحاول الحكومة اتخاذ اجراءات مشددة للحفاظ على هـذه الذكرى التى تعطى طابعاً متميزاً للبلاد !



لوحة تمثل ابن الفنان العالمي « رامبرنت » .. رسمها فى عام ١٦٤٨ .. يعتبر الفنان الهولندي « رامبرنت » من اعظم رسامي عصر النهضة الأوربية .

واستجابة لدعوة بعض العائلات كانت زيارتى لمدينة « ماديورادام » وهى اصغر مدينة فى العالم ، فهى هولندا المصغرة بكل ما فيها من معالم .. مبانيها .. شوارعها .. قصورها..المطار .. الكبارى .. الحدائق ..

ومن يراها يظنها « ماكيت » مصغر لأحد المشاريع الهندسية ، فهى مدينة تذهل الجميع كبارا وصغارا على السواء ، ولهذه المدينة قصة !! فقد فقدت احدى الأسر الثرية ابنها الوحيد وبدلا من أن تبكيه بنت هذه المدينة الصغيرة تخليدا لذكراه وبهذه الطريقة يستمتع الالوف بقضاء يوم ممتع داخلها .. وفى اثناء جولتى داخل هذه المدينة الساحرة وجدت أحد المصورين وهو يلتقط صورة لكل زائر بدون ان يشعر ، ويسلمها له عند الباب لتصبح مفاجأة وذكرى لطيفة !

حكاية مدينتين !

وكانت جولتى التالية فى مدينة « لاهاى » المدينة الهادئة التى تعد ثانى المدن فى هولندا .. وداخل المدينة تشعر بانك قد دخلت الى مكان لا يجوز فيه الا التقاليد الرسمية ، فالمدينة تضم البرلمان والمحكمة والمبانى الادارية والسفارات



طفـلة بالـزي الهولنـدي التقليـدي بمسـك ذراعهـا في « شقاوة » أخوهـا الـذي يحمـل باقـة مـن الزهـور .. أربـاح الزهـور فى هولندا تبلغ حوالي ١٢٥ مليـون جنيـه استرليني سـنويا !





الـزي الشـعبي المتـوارث في الريـف الهولنـدي .. ثـم لقطـة لراكبـة دراجـة

ووقد أقاموها فوق كوخ لصياد ولذلك تسمى « إس جرافنهاج » ومعناه «كوخ الكونت» !

وترجع شهرة « لاهاى » بالطبع الى وجود محكمة العدل الدولية التى تعتبر من أهم الهيئات الدولية

أما المدينة الرابعة الشهيرة فى هولندا التى زرتها فهى « روتردام » وأهميتها تعود إلى كونها ميناء عالمي ضخما ، وقد أعيد بناء هذه المدينة مرة ثانية بعد ان قصفها الألمان فى ١٤ مايو ١٩٤٠ فازالوها من الوجود فى خلال ٥٠ دقيقة .. غير أن الهولنديين بما جبلوا عليه من صبر ضد غوائل البحر استطاعوا بناءها ، واستعانوا بكل موارد وسبل البناء الحديثة للاحتفاظ بطابعها القديم فى الضواحى ، بينما شيدوا وسط المدينة بصورة عصرية ، فالشـوارع والعمارات الشاهقة الزجاجية تبدو لنا على احدث طراز ..

وتعد الآن مدينة « روتردام » من اكثر موانى أوروبا ازدحاماً بالحركة ، حيث يستقبل ميناؤها ١٧٥ سفينة مرة واحدة وتدخله سنوياً حوالى ٣٢ الف سفينة ما بين سفن ركاب أو شحن أو ناقلات بترول ، بالاضافة الى استقباله لـ ١٢٠٠ سفينة للخطوط الداخلية ، وعلى ضفاف الميناء يمكنك مشاهدة مصانع تكرير البترول التى تزود كل أوروبا بحاجتها من الوقود .

وتشتهر هولندا بطرقها السريعـة « الاوتوستراد » التى ربطت بينها وبين جيرانها فرنسا والمانيا وبلجيكا .. فما على الراغب فى التوجه لأى بلد من تلك البلاد سوى أن يسلك إحدى هـذه الطرق الحريرية !

المسلمون فى هولندا

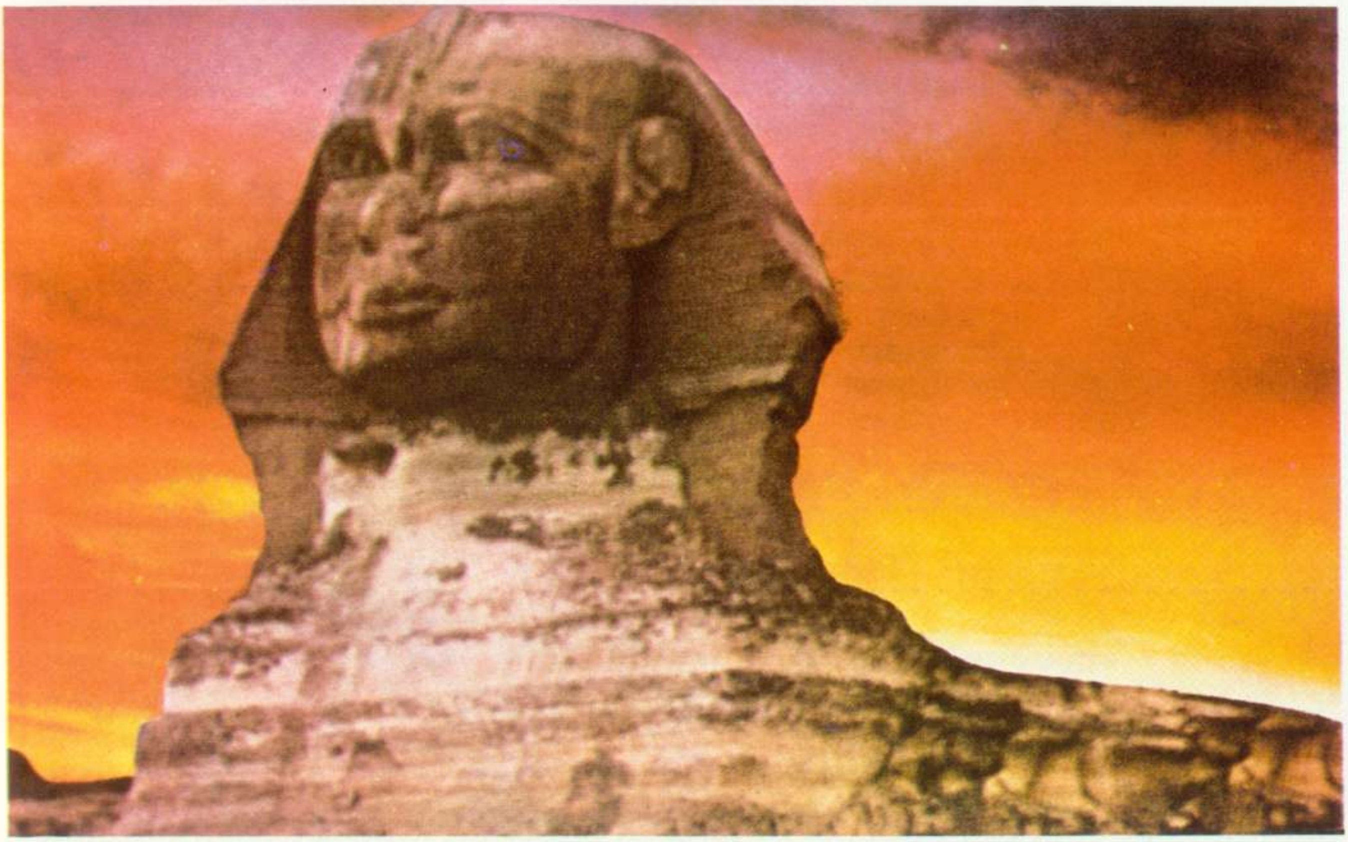
وفي هولندا يوجد اكثر مـن ٣٠٠ الف مسلم من جنسيات مختلفة مثل المغرب ، تونس ، اندونيسيا ، ماليزيا ، الهند ، تركيا وجزر الأنتيل التى كانت مستعمرة هولندية سابقة فى البحر الكاريبى ..

وقبل أن أغادر هولندا كان لابد من زيارة متاحفها ، وبالطبع عجزت عن رؤية معظمها فعددها يبلغ حوالى ٤٠٠ متحف تحتوى على أعداد هائلة ونادرة من لوحات الرسامين الهولنديين الذين كانوا من أعظم رسامى عصر النهضة الأوروبية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر مثل رامبرانت ، فيرمير ، وهالز ، وفان جوخ .

وهناك متاحف يونانية ورومانية قديمة ، ومتاحف للآلات البدائية ، ومتاحف للتاريخ الهولندى المائى والملاحى ، ومتـاحف للأقمشة القديمة ، والسكك الحـديدية والمواصلات ، وللتكنولوجيا الحديثة .. وغيرها .. وغيرها .. وكل مدينة بها عدد من المتاحف يأتى فى صدرها المتحف الوطنى ، ومتحف « رُيك » ..

وعندما ودعت هولندا ، كانت هناك بعض الأشياء تدور فى مخيلتى ولا تبرحها مطلقاً .. ألوان السـقوف الحمراء ، ومجموعات الزهور التى تخطف الأبصار ، والخضرة التى تعطيك انطباعاً بالراحة والهدوء ، وصوت جداول المياه ، ولوحات رامبرانت الرائعة التى انتهت حياته بالفشل ومات فقيراً معدماً ! وغير ذلك من الأشياء التى لا يمكن ان تضيع من عقولنا ، ونحن نودع الأرض التى رأت أكثر أنواع الصراع إثارة : الصراع بين البحـر والارادة ! .

نادية رزق



على وجه « ابو الهول » وجسمه ، يبدو التآكل واضحا بفعل عوامل التعرية التى تسلطت عليه لبضع آلاف من السنين ، وهناك محاولات جبارة لانقاذه من مزيد من التآكل .. لكن هيهات ، اللهم إلا إذا عزلناه تماما عن فعل تلك العوامل .

التعرية الطّبيعيّة تقدم فنونها التشكيلية ؟!

بقلم : د. عبد المحسن صالح

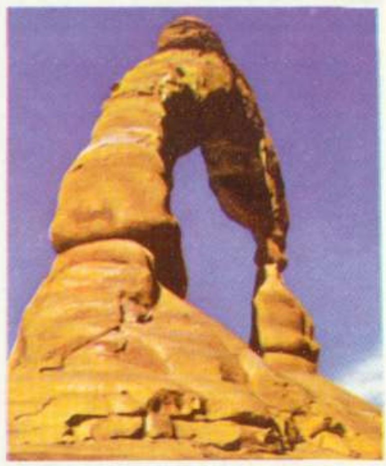
جولة سريعة فى مشارق الأرض ومغاربها .. فى هضابها ووديانها .. على شواطىء البحار ، أو فى الفيافى والقفار ، ستتكشف لنا عن أشكال غريبة ، وتكوينات فريدة ، قد نحسبها من صنع فنان ، وما هى بكذلك ، بل جاءت عن طريق عوامل طبيعية نطلق عليها عوامل التعرية ، وهى التى تنحت فى الحجارة والصخور ، فتعطينا بعض ما نراه فى الصور المنشورة ضمن هذا المقال ، وكانما هى من نحت انسان .

وعوامل التعرية كثيرة ومتنوعة ، منها على سبيل المثال لا الحصر سقوط الأمطار ، أو اختلاف درجات الحرارة بالليل والنهار ، أو لطم اليابسة بأمواج المحيطات والبحار ، أو باندفاع مياه الجداول والأنهار ، أو بحبيبات الرمال التى تحملها الرياح ، أو بالرياح ذاتها .... الخ .. صحيح أن العملية جد بطيئة ، لكن اعطها عمراً طويلا يقدر بالاف وملايين السنين ، تعطيك نتيجة واضحة فى أشكال وتكوينات جذبت — ولا تزال — فكر الانسان فى كل آن وحين . وأحيانا ما ينسج حولها الحكايات والأساطير ، وقد يعيدها الى قوى خفية فيريح بذلك عقله من عناء البحث والتفكير!

لكن مما لاشك فيه أن كل شىء على هذا الكوكب يتبدل ويتغير ، أى أن دوام الحال من المحال — كما يقولون ، فلا الجبال تبقى



بعد بضع مئات او آلاف السنين ، على اكثر تقدير ، سوف « تاكل » الامواج هذه الصخور وتزيلهـــا مـــن الوجـــود ، لترســـب في القـــاع على هيئـة رمـــال .



كانما هو تمثال جالس على ربوة ، ينظر إلى الافق البعيد من فوق جبل .. لقد نحتت الأمطار والرياح الصخرة ، وابـرزت منها ذلك الفن المثيـــر !

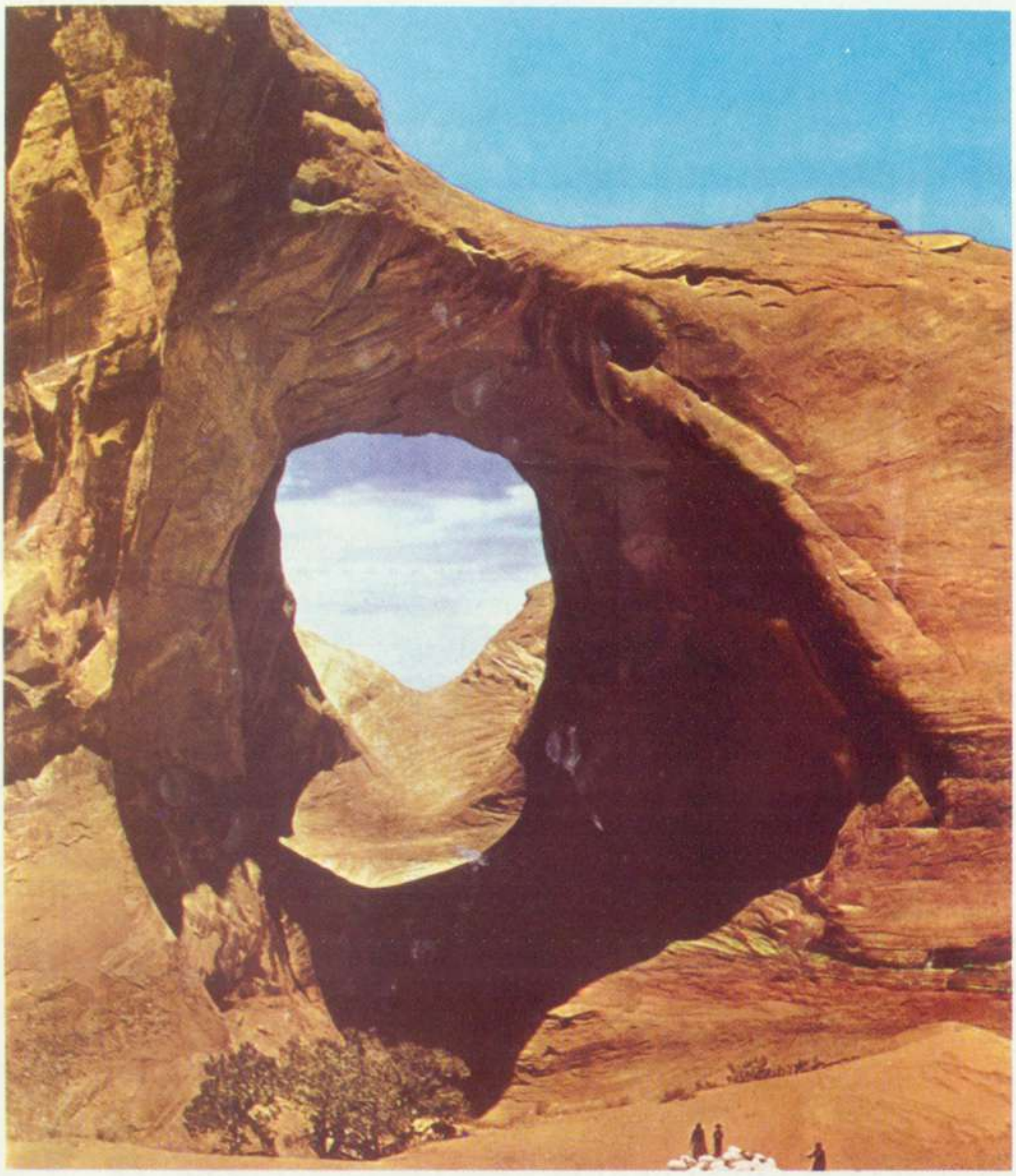


عندما تتساقط الأمطـار ، او تجـري الأنهـار ، تحـدث عوامـل التـاكل والتعريـة بمـرور ملاييـن السنين ، ولا تترك إلا الحصى شديد الصـــلابة .

على حالها ، ولا الشواطىء تحتفظ باشكالها ، ولا القارات ثابتة فى مكانها ، ولا الكائنات الحية تستمر فى شبابها ــ بل ان كل شىء ــ حيا كان أو جامداً ــ يتعرض دائماً لعوامل كثيرة تنال منه بوسيلة أو بأخرى ، فلا تبقى فيه ولا تذر .

ويبدو أن لكل عملية أو ظاهرة ــ فى الكون والحياة ــ وجهين متلازمين .. فحيث تكون التعرية ، فلابد أن يصحبها تغطية ، أو عندما يحدث تآكل فى منطقة ، فلا مناص من عملية ترسيب فى منطقة أخرى مجاورة ، أو قد تبعد عنها عشرات أو مئات أو آلاف الأميال .. فتربة وادى النيل الزراعية ليست فى الحقيقة الا جزءاً من جبال الحبشة ، اذ عندما تتساقط عليها الأمطار بغزارة فى كل عام ، تحمل معهـا ملايين الأطنان من الغرين ، فتسرى بهـا مندفعة نحو النيل ، حيث يترسب منهـا جزء فى السودان ، والجزء الآخر يترسب فى مصر ، وباستمرار هذه العملية لملايين السنين ، يحدث التآكل فى الحبشـة ، والترسيب فى مصر والسودان ، لتنتج منها ملايين الأفدنة من الأرض الزراعية الخصبة .. وما يجرى على نهر النيل ، يجرى فى أنهار العالم الأخرى ، وقد يصحبها وديان ودلتا كما هو الحال فى دلتا مصر سواء بسواء .

التعرية الطبيعية
تقدم فنونها التشكيلية ؟!



بوابة او فجوة كبيرة متوجة بما يشبه الكوبري الطبيعي .. وهي نتيجة لتآكل الحجر الرملي في هذه الربوة بفعل المياه والرياح المحملة بالرمال

ليس من نحت إنس ولا جان ، بل من رياح شكلت ونحتت ، فكان هذا التمثال الذي يثير في العقل الخيال ! .



وكما تفعل مياه الأمطار والأنهار ، تفعل أيضاً الأعاصير والرياح ، فعندما تهب هذه أو تلك على مستوى ضخم ، تحمل معها أيضاً ملايين الأطنان من الغبار والرمال الكائنة فى الصحارى والقفار ، وتسقطها فى أماكن نائية وطبقة رقيقة من فوق طبقة من فوق طبقة .. الخ تعطينا أكواماً على مر مئات وآلاف السنين ، وقد تدفن تحتها الآثار والمبانى القديمة ، وقد يكتشفها الانسان بعد ذلك ، وليس أدل على ذلك من أن تمثال أبى الهول قد غطته الرمال ودفنته لمئات كثيرة من السنين ، الى أن اكتشف الاثريون وجوده ، فأزيلت الرمال وظهر التمثال .

ثم أن عملية التآكل أو التعرية التى تقوم بها العوامل الطبيعية المختلفة ، ليست مقصورة فقط على الجبال ، بل نراها بوضوح فى كل الآثار القديمة والحديثة نسبياً ، ونظرة عابرة على التماثيل أو الأهرامات أو المعابد والمنشآت القديمة ، تعطينا دليلا حياً على تآكل واضح يحسب له المهتمون بالآثار ألف حساب وحساب .

لكن ذلك كله لا يوضح لنا سر تكوين هذه التماثيل أو التشكيلات الطبيعية التى تظهر على هيئة صخور شبه معلقة ، أو أشباه قصور وأعمدة وتماثيل من كل شكل وحجم ولون ... فلماذا مثلا لا يحدث التآكل ، أو تتم التعرية بطريقة تدريجية ومستوية ، ودون أن يبرز جزء على حساب الآخر ، أو تحدث فيه تقوسات وفجوات وبروزات ، وكأنما هى توحى بالفعل أن هناك من قام بتشكيلها ونحتها ، لتجيء على هيئات شتى .

الواقع أن ذلك يرجع أساساً الى طبيعة الصخور أو الاحجار التى نشأ منها التكوين ، فهى تتكون عادة من مواد غير متشابهة فى التركيب ، بمعنى أن بعض الأجزاء قد يكون صلداً ، وبعضها هشاً وغيرها رخواً ، أو ما بين ذلك تكون طبيعة المواد المتداخلة فى التكوين الأساسى والقديم ، وطبيعى أن عوامل التآكل أو التعرية تؤثر فى الأجزاء الهشة بسرعة أكبر من الأجزاء الصلبة ، ومن هنا يحدث النحت أو النحر بدرجات متفاوتة ، فيؤدى الى هذه الأشكال التى عرضنا منها جانباً ضئيلا ، وبما يتسع له المجال .

خذ على سبيل المثال تكوينا يتركب من طبقة أو طبقات من صخور البازلت أو الجرانيت أو الكوارتز التى ترتكز على ما تحتها من أحجار أقل صلابة ، وعندئذ سوف يحدث التآكل فى الطبقات الجيرية السفلية بمعدلات أكبر ، ولا تزال هذه العملية سارية ببطء شديد ، ومن خلال أزمنة تقدر بآلاف أو ملايين السنين،الى أن ينتج عنها رؤوس او تكوينات صخرية ، ترتكز على قوائم او اعمدة جيرية ، ثم لا بد أن يأتى الزمن الذى ينهار فيه التكوين الجيرى تحت ثقل الكتلة الصخرية ، اذ لا شيء الى خلود أو صمود مادامت معرضة الى تلك العوامل التى تتسلط عليها ليل نهار .

ثم أن التآكل فى اجزاء بمعدلات أكبر من أجزاء أخرى ، يرجع ايضا الى طبيعة المنطقة ، والمناخ السائد فيها ، فالأجزاء التى تواجه الرياح ، أو التى تتعرض لهطول الأمطار من ناحية أكثر من الأخرى ، أو التى تعترض مجرى مائيا متدفقا بمسارات أو زوايا مختلفة ، كل هذا وغيره قد يؤدى الى تكوينات تجذب لغرابتها انتباه الانسان ، خاصة اذا كانت متعددة الألوان ، نتيجة لاحتوائها على أكاسيد المعادن المختلفة ، وكأنما ينطبق عليها وصف الآية الكريمة « وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ ، وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ » (فاطر / ٢٧) ، والواقع أن هذا الوصف يدعو الى التأمل فى الطبيعة ، وهو يشير أيضا الى آيات الخلق ، حتى ولو كان ذلك على مستوى الجبال التى تزخر بها شبه جزيرة العرب ، ولها – ولغيرها – تعرض القرآن ، اذ أن فيها من التشكيلات العجيبة ، والألوان المتداخلة ما يستحق ملحمة شعرية لها وزنها



تـآكل كيميائي سريـع نسبيا وبغيض ، فطمـس معالم هذا التمثال المرمري ، وكل تمثال اخر سواه مقام على كاتدرائية ميلانو بايطاليا نتيجة لتساقط الأمطار المحملة بالأحماض التى تنطلق من عمليات الاحتراق فى المصانـع والسيـارات ! .

دلائل ملموسة

وقد يتصور الكثيرون أن عملية التعرية أو التآكل لا يمكن أن تؤدى الى كل ذلك خاصة وأنها قد تزيل جبالا لها مهابتها ، وقد ينشأ هذا التصور ، من كون الناس لم تشهد ذلك على الطبيعة ، وهم لن يشهدوه أبدا ، لأن الفترة التى يعيشون فيها لا تكاد تذكر بالحقب التى تقدر بملايين السنين فالعملية – كما سبق أن ذكرنا – جد بطيئة

ومع ذلك فمن الممكن رؤية أثر هذا التآكل البطيء على شواهد القبور ، أو جدران المنازل القديمة نسبيا ، وكلما كانت هذه البنايات معرضة لعوامل التعرية أكثر ، كان ظهور الأثر أسرع .. فالذين يقطنون بجوار شواطىء البحار ، حيث تسود الرياح والأمطار ، يلاحظون أن التآكل قد بدأ يسرى بمعدلات سريعة على الحوائط الخارجية أو النوافذ ، أو حتى الحديد (لأنه يصدأ أسرع ، والصدأ فى حد ذاته يعتبر نوعا من التآكل المعدنى) ... وقد يبدو ذلك واضحا بعد بضع سنين ، خاصة اذا تآلفت عوامل الحرارة والأمطار والرياح على إحداث ذلك ، وهنا قد يرمم الناس ما تآكل .

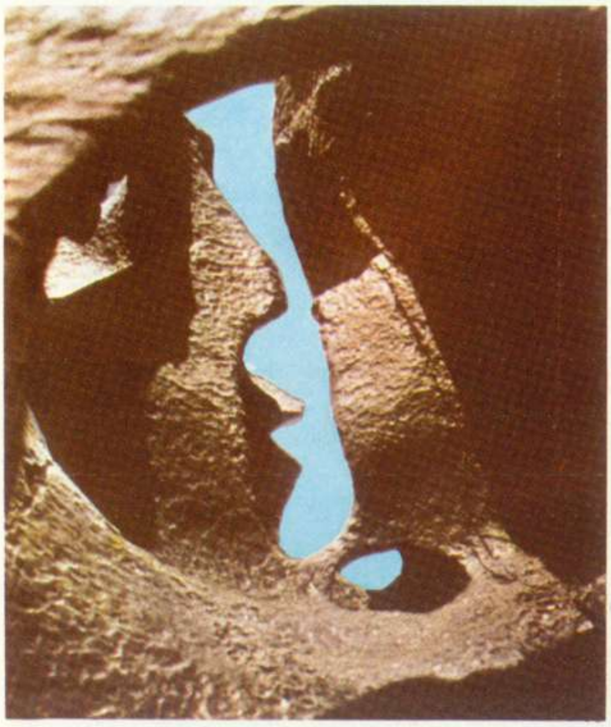
أذكر أننى رأيت لوحا زجاجيا معتما (أو كأنما هو مصنفر) فى إحدى صالات المتحف القومى بواشنطن ، والذى جذبنى إليه هو حب الاستطلاع ، اذ طرأ على الذهن تساؤل : وماذا يعنى وضع هذا اللوح هنا ؟ ... لابد أن له قصة ، وبالفعل كتبت عليه بيانات توضح أن هذا اللوح الزجاجى كان الواجهة الأمامية لاحدى السيارات التى داهمتها عاصفة رملية شديدة ، ففعلت به حبيبات الرمل المندفعة ما فعلت ، وهو نوع من التآكل الميكانيكى أو الاحتكاكى .

والذين يسكنون الصحارى يعلمون تماما ماذا تعنى العواصف الرملية ، ولقد عبر عن ذلك القرآن الكريم أدق وأوجز تعبير «وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ، سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ، فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ، فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ

التعرية الطبيعية تقدم فنونها التشكيلية !؟



من كاليفورنيا ننقل ما تمخضت عنه عوامل التعرية هناك .. فالى اليمين صخرة « معلقة » وكأنما تحمل تمثالا بدائيا لحيوان يشبه الأسد ، وإلى اليسار تشكيل يشبه سمكة متحجرة او اي شكل اخر قد يروق لك ! .



هذا التشكيل الصخري الغريب الذي يشبه في ناحية من وجه إنسان ، يمكن ان تراه في مجرى النيل عند اسوان فلقد نحتت المياه الصخر فكان هذا الفن التشكيلي

بَاقِيَة» (الحاقة ٦ / ٨) .

وهى ايضا تلك الرياح ، أو الأمطار ، أو العواصف المحملة بالرمال ... الخ هى التى «تاكل» الجبال والهضاب والشواطىء وآثار الانسان القديمة ، واحيانا تجعلها فى كل أو بعض أجزائها خاوية أو متاكلة ، وكل هذا يحتاج الى زمن ، والزمن لا يرحم ، بل ينطلق كسهم مارق ، فيترك بصماته التى نراها على قسمات الناس ، وعلى الزرع والضرع ، والحجارة والصخور والجبال. واضف الى ذلك ما تشاء ، فكل شىء الى اضمحلال وزوال ، ولايبقى الا وجه ربك ذى الجلال والاكرام .

ومع أن عملية الاضمحلال أو التآكل الكائنة على هذا الكوكب هى صنوان لعملية الهدم البطيئة ، إلا أن هذا الهدم فيه حياة للانسان والحيوان والنبات ، إذ أن التربة الزراعية لم تكن لتظهر الى الوجود ، لو لم تحدث عمليات التفتت والتآكل فى الأحجار والصخور ، وهذا ما نلحظه دائما فى الوديان التى تجرى فيها الأنهار ، أو التى تنحدر اليها مياه الأمطار من قمم الجبال ، فتمدها بالماء ، وتجدد خصوبتها بالمواد العالقة الدقيقة المتفتتة من الجبال ، ومنها الغرين على سبيل المثال ، فاذا غابت هذه المواد من موارد المياه لأى سبب من الأسباب (مثل السدود والخزانات التى يقيمها الانسان) ، حدث خلل فى التربة الزراعية ، مما قد يؤدى الى تدهور فى خصوبتها ، وكأنما كل شىء يسير هنا بحساب وميزان .

وقد يكون لهذه العملية – عملية التآكل – وجه آخر سيء ، ولقد شارك الانسان فى سيئاتها ، ويتمثل لنا ذلك فى ظاهرة التآكل الكيميائى ... صحيح أنها موجودة فى الطبيعة قبل أن يظهر الانسان لكنها تفاقمت مع حلول المدنية الحديثة ، وما صاحبها من صناعات ثقيلة ، ووسائل مواصلات كثيرة .

فالكميات الهائلة من الدخان والأبخرة ونواتج الاحتراق الأخرى التى تنطلق الى الغلاف الهوائى بملايين الأطنان فى كل عام ، قد تذوب مع هطول الأمطار ، وتؤدى الى تكوين الأحماض ... صحيح أن تركيزاتها خفيفة ، وتفاعلاتها مع المنشآت المتساقطة عليها طفيفة ، لكن القليل مع القليل كثير ، ولاشك أن محصلتها بعد عشرات السنين تبدو واضحة للعيان .

يكفى أن نذكر هنا على سبيل المثال ما يحدث للتماثيل والآثار التى أقامها الانسان ، فعندما حمل الأمريكيون مسلة تحتمس الثالث ، وأقاموها فى «سنترال بارك» بنيويورك عام ١٨٨١ ، كانت فى حالة جيدة رغم ما مر عليها من الآف السنين ، وهى الآن تعانى من تآكل كيميائى واضح ، نتيجة لوجودها فى مدينة تنطلق فى جوها كميات هائلة من الملوثات الصناعية التى تذوب مع الأمطار ، حتى لقد قيل أن التآكل الذى حل بها بصعيد مصر فى آلاف السنين كان أقل درجات من التآكل الذى حدث لها فى نيويورك فى عشرات السنين !

وطبيعى أن هذه العملية المدمرة ليست مقصورة فقط على المسلات الفرعونية فى لندن أو باريس أو نيويورك ، بل تتعداها الى كل التماثيل والمنشآت المقامة فى الميادين ، أو يظهر أثرها على جدران البيوت والمتاحف والمصانع .. الخ ، حتى أن واحداً من العلماء قدر ابعاد هذه الخسارة بعدة آلاف الملايين من الدولارات على مستوى العالم فى كل عام .

هذه إذن لمحات قصار عن عوامل الطبيعة التى تشتغل بمعاولها غير المنظورة ، فتأتى بأشكال مثيرة ، وتكوينات غريبة ، أو تهدم فى مكان ، وتضيف فى آخر ، وتستمر فى دورات أزلية ما دامت هناك أرض ورياح وأمطار وأمواج ، ولكل عالم ما يناسبه ، حتى لا يبقى شىء على حال ... فدوام الحال من المحال «ولكن أكثر الناس لايعلمون» ! .

دكتور عبد المحسن صالح

إنهم يغتالون الإنسان!

بقلم: معروف رفيق

من خلف زجاج نافذة صغيرة بالطائرة وهي تحلق وتقترب من أرض المطار، يطل رأسي بعينين واهنتين لترياالوان قوس قزح في الشوارع والميادين والمستديرات والأزقة

لم يكن قوس قزح طبيعياً ينعكس على صفحة السماء أو الأرض .. انه مجموعة من الألوان المتعددة التي تصطبغ بها هياكل السيارات ... بالآلاف ...

المنظر يكرر نفسه مع الفارق .. فمنذ ثلاثين عاماً كنت أطل من النافذة ربما في أول رحلة لي بالطائرة، فتسحرني الالوان في الحقول، يغلب عليها اللون الأخضر لون الحياة في الربيع .. في الصيف لون الاشجار وقد تشبثت ببقايا الربيع.

في الثمانينات .. الالوان تزداد وتتعدد .. حمر وصفر وزرق وخضر ومزيج من كل ذلك

ليست الوان الزهور التي نشاهدها في حدائق الزهور، وليست الوان ريشة فنان لوحة زيتية جميلة .. إنها الوان حضارة نهاية القرن العشرين .. الوان السيارات التي دفعت بها مصانع البلدان الصناعية، لتحل محل الشجر والبشر، ومن حولها ومن فوقها تقوم عمارات الاسمنت، كأشجار غابة في فصل الشتاء البارد ...

الجو الصافي الذي اعتدناه قبل ثلاثين عاماً .. وربما قبل أربعين .. تعكر بالآزوت والمازوت وثاني أكسيد الكربون وغاز الرصاص القاتل .. كل ذلك يشكل طبقة من الغبار العجيب المفعم بالسموم .. طبقة مقيمة لا تغادر سماء المدينة تضغط على صدورنا وجهاز التنفس لدينا لتهدينا الموت بالتقسيط ....

ليس هذا ليلا تهاوت كواكبه من التماع السيوف ساعة اغبرار جو المعركة .... وليست تلك الالوان الصناعية كتلك التي وصفها أبو تمام وغير أبي تمام في النيروز عندما تصحو اكمام الزهر وتتفتح براعم الشجر ..

وليست هذه العمارات الشامخة جبالا تعبث في هامها الريح الصافية من أكدار الدنيا ..

وليس هؤلاء الناس الذين سالتقيهم بعد قليل، كاولئك الذين لا زلت أذكر ملامحهم في عهد الصبا .. انهم اليوم أناس اصفرت وجوههم عندما افتقدت كثيراً من أكسجين الدم على مذبح الحضارة الحديثة ...

أين المهرب وكل قرية أصبحت مدينة تضج بالحديد المتحرك ينفث سمومه كالحيات الأمريكية من ذوات الأجراس ...

من كان يتصور او يتخيل ان كل أسرة ستقتني عدداً من السيارات يساوي نصف عدد أفرادها ...

ضجت الطريق من عبء حملها الثقيل، وتمنت لو لم تكن طريقاً تئن على مدار الأيام

ضجت دائرة المرور من ازدحام المراجعين .. هذا يسجل وهذا ينقل ملكية، وهذا يطلب اجازة سياقة، وذلك يطلب تحقيقاً في حادث وآخر يطلب موعداً للفحص وآخر يطلب من المستشفى شهادة وفاة على إثر حادث مرور

ضج المستشفى بصراخ الثكالى والفاقدين والفاقدات الصارخات على عزيز راح ضحية حادث مرور ولم يعد ...

قسم العظام مسرحية عبثية لم يكتبها صموئيل بيكت وانما كتبتها يد الانسان عندما اختار طريق الانتحار على الطرق باسلوب رخيص ترفضه السماء والأرض ..

(الكراجات) أكوام حديد وبيادر من هشيم الصفيح تنزف منها الملايين التي تصب في حفائر العدم واللاعودة ...

شركات التأمين شبكات أو شباك بالمعاني الحقيقية أو المجازية يؤمها المتضررون والصادمون والمصدومون لتضميد الجراح التي لا تبرأ بالمال أو التعويضات ...

إعلانات الصحف مؤطرة بالسواد على شباب قضوا في عمر الزهور تنعيهم كلمات الأسى والأسف والمواساة دونما طائل لأن الميت ذهب ولن يعود ..

وكالات استيراد السيارات أشبه بدكان « الحانوتي » الذي يهيء نعوشاً وتوابيت من خشب التيك المستورد الغالي ليكتب عليها « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » ...

أسواقنا العربية القديمة لم تعد تستقبل الشعراء والخيل والابل .... انها اليوم « أسواق حراج » تباع فيها أحدث موديلات السيارات المطهمة التي فقدت أصالتها العربية مع الاستيراد ..

معاطن الابل وحب الفلفل الذي أتى على ذكره أمرؤ القيس استحالت كلها الى معاطن من نوع جديد تبرك فيها الابل الأمريكية واليابانية والالمانية موسومة بخاتم المصانع الغربية ...

الطلاب والشباب لم يعودوا يذهبون الى مدارسهم بكيس مليء بالرقاع والقراطيس وأقلام البوص .. انهم يذهبون بما خف حمله من الكتب، وبكثير من الميداليات التي تحمل مفاتيح الفارهات من خيول العصر الصافنات ..

الطائرة حطت على أرض المطار .. أيقظني صوت المضيفة ولم يوقظني صوت المحركات النفاثة .. فكرت أن أعود الى منزلي ماشياً فطفقت أسير على رصيف ضيق ولو طال الطريق ..

أرتال من السيارات تمر بي وتبصق في وجهي دخاناً وتخلف في مسمعي لعنات عجلاتها المسرعة .. عناد لا طائل من ورائه وسخافة ما بعدها سخافة ... هروب حيث لا مهرب، وتجديف ضد التيار .. لا أحد يصرخ معي قائلا انها « نقطة نظام » كما يقال في مجالس النقاش والجدل ...

السيارات بالمئات تكاد تجرفني بلا رحمة ... فلتتوقف احداها إذن .. فانا فيها ومن داخلها أكثر أمناً وأقرب الى المعقول ..

تحدثت مع أسرتي بلهجة متقطعة .. وطلبت منهم أن نفكر بصوت عال ومسموع .. سيفي قصير يا أهلي وعشيرتي ... قالوا بصوت واحد: تقدم خطوة .. يصبح سيفك طويلا ... وهانذا أتقدم بقلمي لا بسيفي .. فتقدموا معي ...



صورة للأرض التقطها رواد الفضاء على مركبة أبوللو ١٧ أثناء رحلتهم نحو القمر ، وهذه أول مرة يتم فيها تصوير الأرض من البحر الأبيض المتوسط شمالا فى أعلى الصورة حتى القطب الجنوبى المتجمد فى أسفل الصورة .. ونلاحظ كثافة السحب فى كل من النصف الجنوبى من الكرة الأرضية ونرى الجزيرة العربية وشمال شرق افريقيا بوضوح كامل .

عالم الفضاء العربى الدكتور فاروق الباز الذى جاء إلى مدينة الدوحة أستاذاً محاضراً زائراً فى جامعة قطر

١٨ عالما عربيا فوق سطح القمر

حوار : ليلى الحريري

- مدن فضائية معلقة بين السماء والأرض كحل لمشكلة الانفجار السكانى ! !
- التربة الزراعية على سطح القمر أصلح للزراعة من تربة الأرض بمقدار عشرين ضعفاً ! !
- تجرى الدراسات حالياً لاقامة أول منجم على سطح القمر ..
- جراحة القلب المفتوح ـ قمة التقدم الجراحى الطبى فى العالم ـ لم تعرف قبل غزو الفضاء
- التجسس .. ليس شراً كله .. هكذا يؤكد المفهوم الحديث له .
- كيف يمكن تقسيم المطلق الفضائى بين دول العالم ! ؟



عندما التقيت به استاذاً محاضراً زائراً فى جامعة قطر بمدينة الدوحة ، ادركت أن معاناة الرحلة بأثقالها المختلفة لم تؤثر على توهجه العلمي الذي ساهم ويساهم فى دفع مسيرة الحياة نحو الأفضل .

ولد عالم الفضاء العربي الدكتور فاروق الباز في عمق الريف المصـري وهو يؤكد ذلك بفخر واعتزاز ، في بلدة اسمها طـوخ بمحافظة القليوبية ، فى أسرة قوامها تسعة أبناء يحتل هو موقعاً متوسطاً بينهم . وبدأ تفوقه العلمي منذ كان يحبو فى مسيرة العلم ، وحتى وصوله إلى أعلى درجاته ..

وظل يحمل سلاحه ـ علمه ـ إلى أن خرج من وطنه العربي إلى عالم الغرب أو بتعبير أدق أرغمته الظروف على ذلك عام ١٩٦٧ .

وحين تسلل الدكتور فاروق الباز خارج وطنه .. لم يكن يحمل مجرد شهادة علمية تؤكد تفوقه .. ولم يكن يحمل فقط موهبته التي تميزه ، أو همومه الخاصة التي وضعته أمام خيار الاغتراب طريقاً للبحث عن الذات .. كان يحمل فوق هذا وذاك مخزون التراث الحضاري العربي . فهو ابن هؤلاء الرواد الذين خلدهم التاريخ .. الذين وضعوا اللبنات الأولى والدعائم الأساسية فى صرح الحضارة العالمية الحديثة . وتلقفته يد الغرب لتفتح أمامه كل فرص المزيد من الاجتهاد والتفوق والابداع .. ولتنهل كذلك من عصارات فكره وعلمه كما ارتوت من قبل من ينابيع الحضارات العربية التى اقامها اجداده .

ولأن الموهوبين وحدهم لهم طبيعة خاصة تحكم مسار عطائهم .. وبالتالي تتفرع بهم إلى مسالك ودروب مختلفة عن باقي الجموع ، فقد بزغ نجم الدكتور الباز كعالم للفضاء بعد أن أفردت له الولايات

١٨ عالما عربيا فوق سطح القمر

المتحدة الأمريكية الوانا من التقنيات الحديثة على مائدة المناخ العلمي المتقدم هناك .. فانهمر عطاؤه ، وذاع صيته في العالم أجمع .. وهنا فقط وللأسف الشديد احس وطنه العربي بغيابه مفكراً وعالما متميزاً ومرموقا .. بل واحد نماذج تسرب عقولنا العربية إلى الخارج .. وكان هذا أحد المحاور الهامة في حوارنا معه .. وتبقى هناك محاور عديدة ..

يقول الدكتور الباز :

- يدهشني ويحزنني غياب الانسان العربي عن صنع حضارته .. فعلى الرغم من أن الأجداد العرب بانفتاحهم على تراث العالم ورموزه المختلفة ، قد اقاموا حضارة عربية خاصة بهم خلدها التاريخ بل واعتبرها بحق الدعامة الأساسية للنهضة الغربية الحديثة - على الرغم من ذلك - إلا أن الأحفاد للأسف يعيشون تحت سيطرتها ، وليسوا ساداتها كما كان متوقعا لهم ..

ولأن لكل حضارة طريقتها الخاصة فى التفكير وبالتالي فى أسلوب تعاملها مع الذات خاصة ومع الآخرين بوجه عام .. كما وأن لها أيضاً تكنولوجياتها وثقافتها ، وبالتالي انسانها الذي يعكس مجموع كل هذا ... فان الانسان العربي يفتقد ملامح تواجده فى الحضارة الحديثة فنانا ومفكراً ومبدعاً .

العرب يسترشدون بالنجوم

يستطرد الدكتور الباز :

- والحضارة الغربية لم تتقدم من فراغ كما سبق أن أشرت ، بل من القواعد الحضارية الأساسية التى وضعها الأجداد .. من هنا فان أغلب العلوم الحديثة ومنها علم الفضاء تدين بالفضل الى العلماء العرب الذين أدى ولعهم الشديد بالعلوم الفلكية الى اكتشاف أخطر وأهم الآراء العلمية التى ظهرت حتى وقتنا الحاضر .. والمسيرة طويلة .. تمتد الى زمن الجاهلية .

ولم يكن عرب الجاهلية يملكون دراسات منتظمة فى علم الفلك ، ولا أرصاداً تضم احدث الأجهزة العلمية كما هو الحال الآن .. بل إن معلوماتهم فى هذا الشان كانت لا تخرج عن الاسترشاد بالنجوم فى الصحراء لتحديد مسار قوافلهم تجنباً للمخاطر . كما كانت طبيعة حياتهم فى الخلاء فرصة كبيرة لامعان النظر الدائم فى السماء وما تحمله بين طياتها من كواكب ونجوم . وكان القمر - أقرب الجيران الى الأرض - هو أكثر الأجرام السماوية إثارة للانتباه بسبب التغير المنتظم فى شكله من زيادة ونقصان.

ثم جاء الاسلام .. ومنذ بداية العصر العباسى حدث تطور شامل فى نهضة العرب العلمية فى كافة المجالات ازدهرت بشكل خاص فى الفترة ما بين القرن السابع الى القرن الرابع عشر وكان من نتائجها انشاء أكاديمية علمية فى بغداد اطلق عليها «بيت الحكمة» تضم مكتبة ضخمة ومرصداً سجلت من خلاله مختلف الظواهر الفلكية التى صدرت فى مؤلفات عديدة تعتبر حتى الآن مرجعاً هاماً فى علوم الفضاء .

لا عجب إذن بعد كل ما سبق - والحديث ملزال للدكتور الباز - أن نجد على سطح القمر فى الوقت الحالى أسماء ثمانية عشر عالماً عربياً ممن ساهموا بأبحاثهم فى فهم الكون أطلقتها جمعية تسمية تضاريس القمر التابعة للهيئة الفلكية العالمية ، - والتى انا عضو فيها - على بعض التضاريس الجديدة هناك تخليداً لذكراهم وتقديراً لجهودهم فى مجال البحث العلمى الذى قاد الى النهضة الحضارية الحديثة فى مجال علوم الفضاء.

ما يحضرنى الآن من أسماء هؤلاء العلماء .. أبو الفداء ، ابن فرناس ، ابن يونس الذى كان أول من قام بقياس مواقع الكواكب السيارة بعضها الى بعض ، ابراهيم الفزارى ، احمد بن عبد الله المرودى ، أبو العباس الفرغانى ، أبى عبد الله بن عيسى المهانى ، أبو الحسن الصوفى ، أبو الريحان البيرونى ، القزوينى محمد الخوارزمى ، جابر بن حيان . والرحالة الجغرافى الشهير ابن بطوطة حيث ساهمت خرائطه الجغرافية فى فك بعض الرموز على سطح القمر للتشابه الكبير بين سطحه وسطح الأرض ، ثم العالم الاسلامى عمر الخيام الذى اقام مرصداً قدم من خلاله بحوثاً مفيدة فيما يخص دوران الكواكب حول الشمس .

الأمن الغذائى ضرورى للعلماء

والسؤال الذى يفرض نفسه فى هذا الصدد .. لماذا تفوق العلماء الأقدمون ؟ .. ما هى أسباب قيام النهضة المصرية واليونانية والصينية والهندية والعربية القديمة ، ثم النهضة الأمريكية الحديثة ؟!. ما هو نوع المجتمع المناسب لكى يحيا فيه الانسان حياته الطليقة مفكراً ومبدعاً ؟ . هل يمكن أن يتحقق ذلك فى مجتمع يعانى التناقضات الاقتصادية. أو .. هل يمكن أن يتحقق فى مجتمع يفرض السيطرة الكاملة على مذاق الانسان واختياراته ؟ .

يؤكد الدكتور الباز إن هذا التحقق لن يتم إلا فى مجتمع يكفل لأفراده الطمانينة على الحاضر والمستقبل .. مجتمع يتركز فكر انسانه فى المشروعات المستقبلية وليس فى المفردات اليومية .. أو بمعنى أدق مجتمع يملك فائضاً من الغذاء . فالحضارات القديمة استطالت هاماتها لأن انسانها عاش مطمئنا على غده . والولايات المتحدة الأمريكية هى الدولة الوحيدة التى تملك فائضاً من الغذاء لذلك تتربع على عرش التقدم الحضارى .

وبطبيعة الحال .. فانه لا شىء يوجد من العدم .. وهذا يفرض على كل دارس أن يقتدي بسابقيه ويتعرف على خبراتهم العلمية وتجاربهم حتى يتسنى له أن يعمق رسالته فى العلم ثم يتجاوز هذه الخبرات بما يحقق لوطنه عالماً متكاملاً .

وأمامنا نحن العلميين والمثقفين العرب فرصة ذهبية .. لقد تقدم الغرب تقدماً كبيراً بما يتناسب مع بيئاتهم .. علينا أن ندرس قواعد هذا التقدم وبناءه ثم تطويعه وتطويره بما يصلح ويناسب البيئة العربية فنخلق بذلك حضارة عربية مستقلة من صنعنا نحن وليست من صنع الآخرين .

مدن فضائية بين السماء والأرض

ويمتد الحوار ويتدفق ليصل الى رحلة الفضاء والوصول الى القمر مخترقا مساحة زمنية طولها ستة وستون عاماً بدأت بأول محاولة بشرية فى العصر الحديث لاقتحام الفضاء . قام بها الأخوان «رايت» اللذان قاما بتجربة طيران فى طائرة من صنعهما فى السابع عشر من ديسمبر عام ١٩٠٣ ، وحتى الهبوط على سطح القمر فى العشرين من شهر يوليو عام ١٩٦٩ .

كان الهبوط على سطح القمر أمراً يتجاوز حدود الخيال ولكنه تحقق فعلا بواسطة الأمريكيين . وعاش رائدا الفضاء «نيل أرمسترونج» و «أودين الدرين» على سطحه ساعتين وأربعين دقيقة بالتمام والكمال .. ثم عادا الى الأرض يحملان كنوز القمر فى صناديق مليئة بالصخور والعينات من سطحه .. وهللت البشرية كلها .. وانتظر العالم اجمع نتائج البحوث حتى يستفيد من الامكانات الهائلة التى

اتاحها غزو الفضاء .

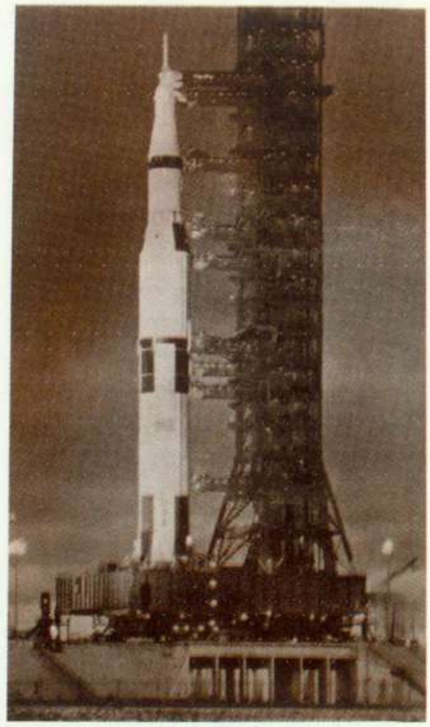
ولكن الغموض أخذ يلف الكثير من النتائج .. وصمتت اجهزة الاعلام الامريكية التى ملأت الدنيا ضجيجاً إزاء هذه الرحلة التاريخية .. ولم يعد يتسرب من أخبار البحوث الفضائية إلا القليل ..

ماذا حدث ؟! .

هل فقد الأمريكيون حماسهم للقمر ذاته بعد أن خطت عليه أقدامهم ؟ . أم أنهم كشفوا من كنوزه وحلوا من رموزه ما فضلوا الاستئثار به دون العالم أجمع ؟ .

يضحك الدكتور الباز بذكاء محسوب لهذه النتيجة التى لا ينفى بعضاً منها .. يقول إن الفكرة الاساسية من قيام مشروع أبوللو لغزو القمر التى بدات عام ١٩٥٧ كانت تهدف إلى الارتقاء العلمي والتكنولوجي في الولايات المتحدة الأمريكية فى إطار التسابق العلمى مع الاتحاد السوفيتى الذى كان قد أطلق صاروخه «سبوتنيك» فى أكتوبر عام ١٩٥٧ .. المسالة كانت مجرد منافسة علمية ولكنها تكلفت ٢٤ بليون دولار أمريكى !!!

ولكن مشروع «أبوللو» حقق نتائج غير متوقعة بعضها اخذ طريقه الى حياتنا اليومية والى أبعد مما يدركه معظم الناس. فجراحة القلب المفتوح مثلا وهى قمة التقدم الجراحى الطبى فى العالم لم تعرف قبل غزو الفضاء ـ وإنما نتيجة له ـ . فقد استلزم الأمر تصميم واعداد غرفة كاملة النظافة يدخلها الهواء فى طبقات لا يختلط بعضها ببعض حتى لا تؤثر على نتائج تحليل العينات .. ثم استعملت نماذج مماثلة لها بعد ذلك فى جراحات القلب المفتوح .. والأمثلة كثيرة للتطبيقات العلمية لنتائج البحوث التى أجريت لغزو الفضاء أو نتيجة له .



صاروخ يحمل مركبة الفضاء أبوللو ١١ إلى القمر

ولكن هناك جزء خاص من نتائج هذه البحوث يحيط الغموض كثيراً من تفاصيله لأن الأمريكيين يفضلون الاستئثار به فعلا .. فقد دلت بحوثهم العلمية على أن الصخور البركانية الموجودة على سطح القمر تحتوى معدن التيتانيوم بنسبة تتراوح ما بين ٧ ـ ١١ فى المائة من حجمها بينما لا تتجاوز نسبته على سطح الأرض ٤ فى المائة فقط . هذا المعدن باختلاطه بالحديد ينتجان مادة الصلب التى تستعمل فى عمل نفاثات الطيران مثلا . لذلك فان الدراسات الأمريكية تجرى فى الوقت الحالى لاقامة منجم لهذه المادة على سطح القمر .. ليس هذا فحسب بل واقامة بعض الصناعات فى مكان ما من الفضاء يتحقق الانتاج فيها بشكل أسهل مما يتم به على سطح الأرض .

هذه الصناعات ـ يكمل د. الباز ـ سوف تقام فى مدن فضائية معلقة فى نقطة ما بين الأرض والقمر . وبما أن الأرض تدور حول الشمس والقمر يدور حول الأرض ، فان هذه النقطة ستكون فى موقع ثابت ما بين الأرض والقمر تبعد عن الأولى ثلاثة أرباع المسافة وبالتالى سوف تدور فى مدارات ثابتة وبدرجة معينة فى الفضاء وبجاذبية محسوبة مساوية للجاذبية الأرضية .. وسوف تنقل اليها القوى البشرية التى ستعيش فيها وتدير مصانعها ، وكذلك الماء والطعام والآلات من الأرض بطبيعة الحال .. أما التربة الزراعية فسوف تنقل اليها من سطح القمر لأنها أصلح للزراعة من التربة الأرضية بمقدار عشرين مرة .. فالمعادن فيها مازالت بكراً لم تمتد اليها يد .. كلها بدايات الى أن تدور عجلة الحياة وتستقر فى هذه المدن الفضائية .

وبهذه المناسبة يلزم التنويه الى أن هذه المدن الفضائية هى أحد الحلول المستقبلية المطروحة لحل مشكلة الانفجار السكانى على الأرض ـ الى جانب مثيلاتها التى سوف تستقر فى أعماق البحار .. هذه هى البدائل وليس هناك خيارات أخرى .

التجسس ليس شراً كله !

قد تبدو هذه المشروعات الفضائية نماذج للاعجاز العلمى الذى نقف على أبواب عصره ، ولكن العلم ليس بريئاً فى كل الاحوال ، وليس حسن الأخلاق كما يبدو فى الظاهر .. لأن له على الجانب الآخر استخدامات كثيرة يشق على البشرية استيعابها كالاستخدامات الذرية مثلا .

وبما أن التقدم العلمى قصر على الدول المتقدمة دون غيرها .. هى وحدها تملك وسائله العلمية ومفاتيح تكنولوجياته .. فالمعادلة إذن صعبة .. والموازين غير متكافئة .. فكيف يمكن للدول النامية مثلا أن تحمى سماءها من استغلاله فى أعمال لا أخلاقية مثل التجسس مثلا ؟! ..

يقول الدكتور الباز : إن التجسس ربما كان يعتبر عملا غير اخلاقى فى الماضى .. ولكنه فى العصر الحديث أصبح ضرورة لابد منها تؤدى الى منع الحروب وتساعد على حماية أرواح الناس .. وبالتالى تغيرت النظرة الى مفهومه لدرجة أن الولايات المتحدة الأمريكية كثيراً ما تشعر بالارتياح حين تكشف الأقمار الصناعية الروسية عن القدرات العسكرية الأمريكية ، والعكس صحيح .. الأمر الذى يجنح بكلا الطرفين الى جانب الحكمة .. بدلا من التهور .

وعلى الرغم من أن الاستطلاع من الفضاء بالشكل الموسع مازال حكراً على الدول المتقدمة أو على الأصح على الولايات الأمريكية والاتحاد السوفيتى .. إلا أن هناك دولا أخرى تملك اقماراً صناعية مثل الهند وفرنسا وكندا واليابان والصين التى تعمل فى مشروع للفضاء تقوم عليه بنفسها .. فالباب مفتوح للاجتهاد والسبق

● ولكن ما هى حدود استخدامات الفضاء والقوانين المسموح بها دولياً ؟ .. ما هو نصيب كل دولة من دول العالم فى هذا المطلق الكونى الذى حير العلماء والباحثين ، وألهم الشعراء والمفكرين منذ بدء الخليقة وحتى الآن ؟ .. وكيف يمكن توزيع الفضاء على أقطار العالم المختلفة وفق الحدود الاقليمية المتعارف عليها لكل دولة ؟! .

يقول الدكتور الباز إن هيئة الفضاء الأمريكية قد فكرت فعلا فى مسألة تقسيم الفضاء والقوانين التى تحكم الاستخدامات التكنولوجية فيه . ولم يكن هناك بالطبع احتمال تقسيمه وفق الحدود الجغرافية المتعارف عليها لكل قطر ، لأن مدارات السفن الفضائية مستقيمة فقط وغير قابلة للتعرج كما هو الحال على سطح الكرة الأرضية ، وبالتالى فان كل سفينة فضائية لها مدار خاص محدد ومستمر ولا تختلف فيه على الاطلاق . ومع ذلك فقد وضع رجال القانون فى هيئة



اول من هبطوا على القمر : من اليسار إلى اليمين نيل ارمسترونج ، مايكل كولنز ، وادوين الدرين

الفضاء الامريكية مع هيئة الامم المتحدة قواعد عامة للاستخدامات الفضائية تبيح لجميع دول العالم استخدام الفضاء على أن يكون لكل منها مدار مستقل عن مدار الدول الاخرى مثل محطات التليفزيون .. وأن يقتصر هذا الاستخدام على الاغراض السلمية فقط ، كما يحذر استخدام اى شيء ذرى فى الفضاء مهما كان حجمه او اهميته لأن العلم مازال يجهل مدى تاثيره على الأرض والغلاف الجوى المحيط بها .

استيراد التكنولوجيا لا يقيم حضارة

وبعيداً عن الفضاء حيث نقترب من الأرض الطيبة يعرج بنا الحديث مع الدكتور فاروق الباز .. الانسان .. ابن البيئة العربية الخصبة التى افرزت الكثير من العلماء الذين توغلوا بمشاعل الحضارة عبر التاريخ ، لنقف على موقع الواقع العربى من الحضارات الحديثة بوسائلها العلمية والتكنولوجية المتقدمة ، ومدى ملاءمة نظمنا الاجتماعية والتعليمية على وجه الخصوص فى التعامل مع مفرداتها ، ثم ما هو الطريق الى التواؤم معها والالتصاق بها ؟ ..

يقول الدكتور الباز عالم الفضاء العربى الشهير .. إن العالم العربى شانه شان كل بلدان العالم النامى قد فرضت عليه الثورة العلمية والتكنولوجية إضافة الى إرث التخلف من عهود الاستعمار ـ تحدياً حضارياً .. يكون .. أو لا يكون ! .. وهو يدرك أن التنمية هى سبيله الى الخلاص . ولكن اية تنمية ؟! .. هل استيراد التكنولوجيات فى حد ذاته كفيل بان ينقله الى مصاف البلدان المتقدمة وينشل مجتمعه من التخلف ؟ هل يتحقق ذلك عن طريق الاعتماد على ما يقدمه المجتمع الغربى من عون أو فائض ؟! ..

بالتاكيد لا .. إن التكنولوجيا وحدها لا تخلق حضارة ولا تصنع تنمية ، لانها تعبير وانعكاس لمستوى حضارى ونتاج له بكل عناصره .

امامنا خياران لا ثالث لهما .. إما ان نظل نستقطب التكنولوجيا بشكل عفوى وهذا شرك يقع فيه كثير من الدول العربية ، .. او يتم استيرادها على اساس انتقائى بحيث يمكن ملاءمتها او تطويعها لتتناسب مع استراتيجيات التنمية .

أما سياساتنـا التعليمية فى الوطن العربى بشكل عام فهى جيدة . إنها ماخوذة من السياسات التعليمية المتبعة فى الغرب ودور الجامعات والمؤسسات العلمية فى حقل البشر واعداده وتنميته والنهوض به ، دور صميمى لا يمكن اغفاله .. بقي كيفية استفادة المجتمع من المخزون العلمى لدى الدارسين بما يناسب البيئة الطبيعية والبشرية ويستجيب للبنية الاجتماعية والاقتصادية وبما يتفق فى النهاية مع الاهداف القومية .

هناك مثال واضح لما اقول فى مجال الطاقة مثلا .. تؤكد الدراسات أن البلدان العربية تواجه تحديا هائلا فى مجال النفط مع اقتراب نضوب موارده مع بدايات القرن القادم . ولكن الدول العربية تملك بدائل رائعة على رأسها الطاقة الشمسية التى يبلغ معدلها ثلاثة آلاف ساعة سنويا بينما لا يزيد هذا المعدل فى الدول الغربية عن عشر ساعات فقط !! .. وبالمثل الطاقة الحرارية الأرضية والطاقة النووية والطاقة الكهرومائية .. الخ .. البدائل كثيرة ومصادرها ثابتة لا تنضب ينقصها فقط الاستغلال الأمثل ! .

● والحديث عن البيئة وكيفية استغلالها بالشكل الأمثل يذكرنا بامل لم يتحقق أضاءه الدكتور الباز حول الثورة الخضراء فى الصحراء الغربية باعتبار انها مليئة بالمياه الجوفية .. بل ولا تشير الدلائل الى نجاح ما بصدده ..

ويدافع الدكتور الباز بحماس عن مشروعه مركزاً على حقيقة هامة وهى ان العلم والتكنولوجيا فى السنوات القليلة القادمة كفيلان بتقديم حلول جذرية لمشكلات حياتية عديدة يواجهها العالم ـ عدا مشكلةالغذاء !! . لان تعداد السكان فى العالم فى زيادة مضطردة ومخيفة ، وبالتالى فان مقدار الحاجة الى الغذاء خاصة فى الدول النامية التى يشيع فيها الانفجار السكانى ـ متزايد .. كما ان حجم اعتماد هذه الدول على الدول المتقدمة فى مجال الغذاء أيضا متزايد .. كل هذه الأمور لا تشير الى أن الغذاء وتوفيره سوف يحظى باهمية كبيرة فى السنوات

التكامل بين مصر والسودان الذي يعتبر اهم ركيزة في مشروعات الأمن الغذائي العربي .

منطلقات الهجرة العربية متعددة

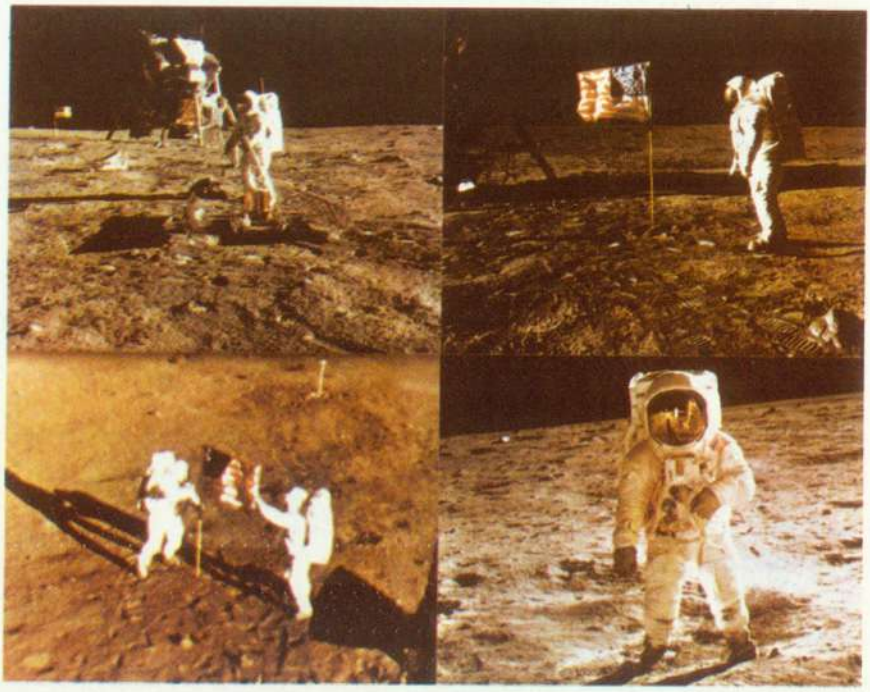
وهجرة العقول العــربية وتسربها خارج الوطن العربي تثير الكثير من الجدل ليس فقط على المستوى الرسمي ، بل والشعبي ايضا . ولأن الدكتور الباز احد نماذجها الصارخة ، كان لابد من التعرف على وجهة نظره في هذه القضية .

يؤكد الدكتور الباز ان هجرة العقول العربية تبدأ فى معظم حالاتها من منطلقات شخصية . كل فرد له اسبابه ودوافعه التي قد تختلف على المستوى الشخصي مع غيره من المهاجرين . بعض هذه الأسباب ، قد يكون سياسيا ، او ماديا بحتا .. والبعض الآخر يكون نتيجة حتمية لعدم توفر المناخ العلمي الذي يشعل التوهج الفكري ويحقق تدفق العطاء العلمي .. إلى اخر هذه المسببات التى لن نقف الآن عندها إلا بالنتائج .

لقد حدث فعلا استقطاب للعقل العربي خلال العشرين سنة الماضية .. فهاجرت اعداد كبيرة من الموهوبين إلى الخارج .. وانصهر كل منهم في مجتمعه الجديد بحيث اصبح من المتعذر انتزاعه منه لأنه مشدود اليه بخيوط كثيرة .. لماذا إذن يكون خيار العودة إلى الوطن العربي هو المطلب المنطقي الوحيد .. لم لا نستفيد من هذه العقول المهاجرة من خلال مواقعها المتعددة الأشكال والمهارات بالدول الغربية كالاستعانة بهم في مجال البحوث العلمية والتطبيقية فى الوطن العربي بدلا من الاستعانة بالخبرات الأجنبية ؟ .

ما يهمني توضيحه في هذا المجال ان الجدل حول تسرب العقول البشرية العربية ليس ذات قيمة بالمقارنة إلى مسالة الرعاية والحفاظ على العقول والكفاءات الموجودة فعلا داخل الوطن العربي وهي كثيرة .. فالأرض الطيبة المعطاءة التى افرزت العقول المهاجرة ، من شانها افراز المزيد .. ولكن علينا ان نعي الدرس .. وهذا يستلزم في تقديري تعميق بعض المفاهيم من بينها انه لابد ان يلقي العلم والعمل الجاد كل الاحترام والتقدير ، وان يحاطا بما يلزمهما من حرية للفكر وإيثـار للموضوعية وإجلال للعقل .. مع اتاحة فرصة الارتقاء العلمي لكل في مجله .

ليلى الحريري



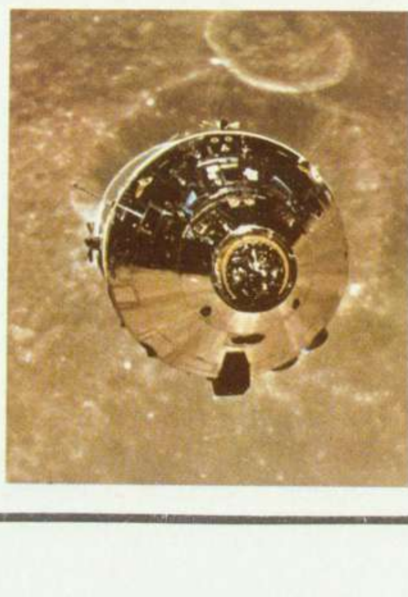
رائدا الفضـاء ارمسترونج وادويـن الدرين يتنقلان على سـطح القمــر

القليلة القادمة بل سوف يكون المنطلق الأساسى للسياسات الدولية !!..

نعود إلى مشروع الثورة الخضراء فى الصحراء الغربية والذي يعتبر مثالا تطبيقيا كما سبق ان ذكرت . الانتاج الغذائي في مصر اقل من المطلوب بكثير .. فهي تنتج من القمح مثلا ما يكفي الشعب المصري لمدة ثلاثة اشهر فقط من السنة ، وتستورد باقي احتياجاتها .. وبالتاكيد فان حجم الاستيراد يتزايد من عام إلى آخر وفق معدلات الزيادة السكانية .. من هنا حين نؤكد ان امان الدولة المستقبلي لن يتم إلا بزيادة الرقعة الزراعية ، فان المعادلة تكون صحيحة مائة بالمائة وغير قابلة للزيادة او النقصان . والرقعة الزراعية يمكن زيادتها بعيداً عن الدلتا وعن النيل فى الوديان المتاخمة له مثل واد غــرب كوم امبو وبعض المناطق في شبه جزيرة سيناء وبعض مناطق الصحراء الغربية والوديان الصغيرة فى الصحراء الشرقية ..

وعلى هذا الأساس فان جميع المشاريع التي تقوم على استصلاح الاراضي وزيادة مساحة الرقعة المنزرعة من الارض ، لها اهمية عظيمة من حيث المبدا . فلماذا إذن توقف مشروع الثورة الخضراء فى الصحراء الغربية ؟! .. ببساطة لأن هيئة المعونة الامريكية التى كان المفترض ان تقوم بتمويله اعتذرت عن ذلك لأنها تفضل تمويل المشروعات ذات العوائد السريعة . معنى ذلك .. ان هذا المشروع لن يتم إلا بتمويل اهلي مصري ، وهناك بعض البشائر فى هذا الصدد قام بها بعض خريجي كليات الزراعة المصرية ، او بتمويل عربي لصالح الدول العربية التى تفتقر إلى الزراعة . وهناك بعض المؤشرات الايجابية التى تساعد على ذلك ، على راسها ،

المركبة الأم تدور حول القمر لتلتحم بها مركبــة الرواد بعــد النزول على سطح القمر



الرقص.. فوق بحار الدم

قصة بقلم: الدكتور طه وادي

تامل شجرة ارز عتيقة ، تقف ثابتة عند الربوة بينما ظلام من الشمال والجنوب والشرق والغرب يزحف . الليل قادم . حاول ان يتجاوز مشارف الواقع والظلام ، وان يرنو هناك بعيداً .. بعيداً .. الى حيث مسقط راسه السليب . كره العجز والأيام السوداء . صار رجلا مع إيقاف التنفيذ . الرجال الحقيقيون .. القادرون الفاعلون .. خرجوا من بيروت فى ليلة مظلمة . ابتلعهم البحر الكبير ، وسارت بهم السفن فى ليل عاصف . آه يا زمان الذل . لم تكن لديه رغبة فى العودة . ماذا تصنع يا فواز بين الارامل ، والثكالى ، والأطفال . ساق واحدة تذكره بالام لا تحصى . معسكر «صبرا» هو الحقيقة الوحيدة فى حياته الآن . ضاعت فى الظلام كل المعالم حواليه حتى بيروت . لم يعد هناك ضوء . تحسس فواز جروحاً كثيرة فى جسده . حارب من أجل الحلم كثيراً فى فلسطين وفى الضفة . عرف طعم الموت .. لا ينسى ذلك اليوم الرهيب من أيلول الأسود سنة ١٩٧٠ طارت ساقه وسال الدم .... بعدها أفاق حيث هو الآن فى ملجأ مع العجزة . كان معلماً يدرس التاريخ ، لكنه آثر أن يعلمه التاريخ بالبندقية لا بالطباشير . احتضن شجرة الأرز . أخذ يبكى . تذكر امه وأيلول الأسود والناصرة . كل الأيام صارت «أيلول» .. أيلول أسود . منذ خمس وأربعين سنة أصبح رجلا ــ وهو فى العاشرة ــ بعد مقتل أبيه .. يومها كان يبكى .. يبكى ، والأم تمسح أحزانها قائلة :

ــ الرجال لا يبكون يا فواز .

ــ هدراً لن يضيع دم أبى ؟!

سمع طلقات كثدفة متتالية . لم الرصاص وقد خرج المحاربون . اللصوص يسوون حساباتهم . استراح لهذا الخاطر . مازال وجه أمه يشع إصراراً وتفاؤلا يملأ الأفق حواليه .

ــ أولاداً كثيرين لابد أن تلد زوجتك يا فواز .

ــ بعد أن يتعلم إخوتى وتتزوج اخواتى

ــ قل يا رب .

الناصرة ترى كيف تكون الآن ؟ تخيل السيد المسيح من كوة بعيدة .. بعيدة . على أرض الناصرة اخذ بيلاطس يسوع وجلده . ضفر العسكر إكليلا من الشوك ووضعوه على راسه والبسوه ثوب أرجوان وكانوا يلطمونه . فقال لهم بيلاطس هو ذا الانسان . فلما راه الكهنة والخدام صرخوا قائلين : أصلبه أصلبه . قال بيلاطس : خذوه انتم واقتلوه ، لأنى لا أجد فيه علة . أجابه اليهود : لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت ، لأنه جعل نفسه ابن الله .

اقترب موعد العشاء .. لكن لا آذان . بيروت لم يعد يسمع فيها صوت المساجد أو الكنائس . صوت واحد تعرفه بيروت جيداً . تذكر أن له إخوة .. إخوة عديدين .. كثيرين فى كل مكان من بلاد العرب .. يبدو انهم نسوه او تناسوه حتى رسالة بالبريد لا تصل . لا نجم هناك فى السماء . برودة شديدة سرت فى عظامه المتاكلة .

يا الله .. لم يعد أحد يرى .. يسمع .. يفهم .. ؟ يا الله لم لا تفعل شيئاً .. الدنيا كلها علي .. يا رب لم بترت ساقى ؟ انفجارات وحشية قطعت خيوط المناجاة . ارتمى بين صخور الربوة . أحس بعطش . عطش شديد . تذكر نهر الاردن . الذكرى لم تعد تنفع .. لم يعد هناك مؤمنون ؟! أخذ يبحث عن العكاز الخشبى وسط هدير البارود .. طيخ طاخ ، بم بم ، طاخ طيخ ، بم بم . تداخل الليل والبرد والبارود ، وضاع العكاز . ألف الظلام فقد عاش فيه كثيراً . زحف يبحث عن العكاز .. الأمل الوحيد . زحف على ذراعيه وصدره . انفجار أول .. ثان .. ثالث .. رابع . وصوت بومة يأتى من بعيد .. غيق غاق .. غوق . الأرض تمطر ناراً حمراء .. زرقاء .. صبرا .. العكاز .. الخوف .. الغضب . تحسس الأرض حواليه ، كاد يمسك طرف العكاز بينما صخرة تهوى به دون أن يقدر ...وقع فى السفح ، وجهه ينزف .. حلاوة الروح جعلته يتماسك . أسود الكون . وقع فى الف نكبة ونكبة ، يومها قادراً على الحركة كان ، أما اليوم فهو بساق واحدة ، حتى العكاز تاه .. تاه فى الظلام .

حاول أن يسترد أنفاساً ضائعة . جلس وسط ليل بلا ضفاف . صوت طلقات متقطعة تأتى من ناحية المعسكر . ضاع العمر يا فواز ، ليس ثمة أمل حتى فى موت مريح . يسوع لو تصدى للظلم لقطع الشجرة . الشجرة كبرت ، حتى ظلها صارت له مخالب وأنياب . بعد هذا تقول يا يسوع من ضربك على خدك الأيسر .... لا .. لا يا سيدى. العين بعينين . تذكر انه لم يتناول طعاماً منذ أمس . تموت قدمه من الانتظار حتى يعطيه رجال الغوث كسرات جافة وعلبة جبن فاسد . تمنى شربة ماء . تذكر نهر الأردن . صاح بصوت ضاع وسط صوت البارود : يا الله .. لم نسيتنى فى هذا الظلام ؟ إياك أعبد فهل إياى تذكر ؟ يا رب ساعدنى على أن أمحو ليل الطغاة .

احس بانقباض شديد . اخذ يزحف على عجيزة جافة ويدين ناحلتين .

المخيمات بعيدة وصوت البارود يزأر . جرب أن يمشى على ساقه الوحيدة . شعر بالخوف على زوجة أخيه وعمته وبنات بعض الجيران . المعسكر كله نساء وأطفال ورجال مكسورون .

ــ مسئوليتك أثقل يا فواز .

ــ لا تخافوا عليهم .. أنا محارب قديم .

تذكر يوم رحيل المناضلين . مثل يوم دير ياسين وتل الزعتر وايلول الأسود.كان يوم الوداع الحزين . فى العيون دموع حارة وعلى الوجوه حيرة سرمدية . لم يكن يدرى هل هذه ساعة للحزن أم للفرح ، لحظة ميلاد أم موت ؟ .. أصوات غناء .. بكاء .. طلقات نارية .. ألوان قوس قزح تجمعت كلها فى الأفق البعيد .

كان يبكى وهو يودع أخاه الأصغر .

ــ أتبكى يا فواز ؟

ــ من يضمن يا جهاد ؟

ــ أنت أبى وأستاذى فى النضال .

ــ ما هكذا علمتنا يا زعيم ؟! .

استرد قبسا من روح مناضل قديم . احس أن قدميه تغوصان فى مستنقع مليء بالصديد والدم ، وتل من الجماجم والجثث . لا فائدة . السمك لا يعيش بجوار الحيتان .

- كن واثقاً يا زعيم .
- فيم ؟
- فى الله .. وفى المستقبل .

تحركت شفتاه ، اراد أن يقول : اكاد اشك – لكنه تذكر انها لحظة وداع . طفلة صغيرة اقتربت :

- أنت مسافر يا بابا ؟

حملها جهاد فى لهفة وهو يخفى دموعاً محتبسة .

- سنلتقى قريبا يا سلمى .
- اين ؟

عبر عيون يملؤها الدمع والدم ، تخيل فواز البيت الأبيض الأمريكى ، قصر الكرملين فى موسكو ، قوس النصر فى باريس ، ميدان بيكاديللى فى لندن ، الكعبة المشرفة ، مقر البابا بالفاتيكان ، والمسجد الأقصى . لا احد يستطيع أن يعيد البسمة الى وجه سلمى الحزين .

احس انه محاصر من كل مكان . فى التاريخ القديم كان طارق بن زياد يقول لجنوده : العدو امامكم والبحر خلفكم ، فى التاريخ الحديث : العدو فى كل مكان . دموع لا تجف من عينى سلمى الصغيرة وهى ترفع إصبعها علامة النصر .

مطارق من حديد تطرق نافوخه . الخوف .. البرد .. البارود . جرب كل طرق السير من اجل أن يعود .. لو عرف الغيب ما خرج . لو كان جهاد هنا لبحث عنه فى كل مكان وساعده . صادفته بركة ماء ، لم يتبين عمقها . أصر على أن يعبر .. وان يعود .. جروح الجسد لا تضعف إرادة صلبة . حاول أن يهم بالوقوف على قدمه الوحيدة . المحاولة صعبة بدون عكاز . الرغبة فى الحياة تنمو .. وشجرات الخوف والقلق تبدو فى كل اتجاه . اخذ يقفز .. يقفز . وقع فى حفرة . غطاه الماء والطين ، دخل الماء العكر فمه وانفه واذنيه وغطى شاربيه ولحيته . صوت البارود يحدث شرخاً فى جدران الكون . لا أحد لا يدرك هول الفاجعة . الظلام شديد . الليل عنيد جرب أن يمشى على يديه وساقه ... اخذ يحاول .. ويحاول . أخيراً اجتاز البركة . قعد يسترد انفاسه المشردة . طعم الطين يملأ فمه . رائحة العطن تسرى من كل ملابسه . دماء تنزف من اعضاء جسد عجوز . تمنى أن يموت . الموت علاج لما لا يقدر عليه الانسان . تذكر سلمى . جهاد الآن فى البحر وسلمى وحدها .. ترى هل هذا البارود قريب منها ؟ لم يعد يعرف إجابة لأى شيء فى هذا الليل المخيف .

المهم أن يمشي .. لم يعد يدري هل يتحرك إلى الخلف أم الى قدام . صوت البارود أمسى قريباً منه . شيء ما يحدثه أن البارود حيث المخيمات ، حيث الأرامل والثكالى والأطفال والمكسورون . هناك ناس نسيهم الناس . لكنهم رغم الجروح صامدون ، عندهم امل . بدت له شجرة . اخذ يحاول الاقتراب منها . عنيداً حاول أن يصمد . مرات ومرات وهو يحاول .. يحاول . اخيراً أخذ فرعاً ومضى يستند عليه . اخذ يسير بطيئاً .. بطيئاً . البارود بدأ يشم رائحته. الظلام كثيف . الليل مخيف . ملابسه المبتلة ضاعفت من إحساسه بالخوف والبرد . كان يفكر فى سلمى . طوال عمره ما فكر فى نفسه قط . لقد بر بوعده لامه : علم إخوته وزوج اخواته . حين ادى الرسالة تطوع فى جيش التحرير . لكى يعيش الصغير يجب أن يدفع الكبير الحساب .. ومايزال ..

اصطدم وسط الظلام بكتلة حديد صلبة عليها نجمة داود . داود العظيم .. صاحب المزامير أصبح رمزاً للشر والعدوان . دبابة اسرائيلية .. ماذا تفعل هنا فى مخيم صبرا ؟ بدا قزماً ضئيلا بجوار ماكينة الموت العملاقة ، تتربع فى ثقة على التل . لم يستطع أن يعرف سر الماكينة الرهيبة لم هى هنا .. بالقرب من الأرامل والاطفال والمكسورين ؟ ترى هل جاء الثعلب يحرس عش الحمام !! أحس كأنما صراخ سلمى ياتى من كل مكان . تحاشى الدبابة وحاول أن يختصر الطريق . صوت البارود صار حقيقة . حركات مريبة . عفاريت سوداء .. زرقاء .. حمراء .. صفراء .. تسير فى كل اتجاه .. فى كل مكان عفاريت .. دبابات .. مدافع .. طلقات البارود .. رائحة البارود .. طعم البارود .. دخان البارود .. بارود البارود .... يخرج عالياً ومكتوماً . اصوات استغاثة تصل ما بين السماء والأرض .. لا مغيث . الليل تمدد .. الالم تجدد .. الكون تجمد . أنات مكتومة فى خيمة قريبة .. أصوات متقطعة .

حاول أن يقترب . أصوات دماء تنزف .. حشرجات الموت . اكوام حارة من الجثث . اصطدم بحبل . حاول أن يخلص قدمه .. لكن الحبل كان شـديداً يربط كل القتلى .



القتلى من كل صنف . ذبح . قتل . خنق . المجد للشيطان . هولاكو جاء من جديد . العفاريت اختلفوا فى كل شيء واتحدوا على قتل الأبرياء ، حركات شيطانية هنا .. وهناك . أصوات متقطعة .. موت بالجملة .. بكل الأشكال . وافلسطيناه . وافلسطيناه اخذ يزحف حتى لا يراه أحد . قتلى .. قتلى .. قتلى .. فى كل مكان مازالت اجسادهم حارة ودماء تسيل .. تسيل . قابيل متى يتوقف جيشان الدم ؟ دم .. دم .. لكن صراخ سلمى مازال يرن فى أذنيه . اصطدم بجثة مازال فيها رمق : يا عرب .. يا عالم ... ظل يعوم أو يزحف لا يدرى ونجمة داود تختال فوق آلة جهنمية . العفاريت مازالت تجرى .. تزرع الموت والخوف . الظلام شديد ... طيخ طاخ .. تيك تاك .. بم بم .. النار .. الدخان ..... عويل .. صراخ .. مذابح جماعية .

المسيح تحمل الآلام حتى يفدى البشرية .. أبناء وطنه يقدمون اليوم نفس الموعظة . لا جديد .. لا قديم .. لا أمل . الكل باطل الحقيقة الوحيدة أن تكون قويا . احس أن قدرته على المقاومة قد تلاشت . سقط فاقد الحركة بين جثث لا يقل عنها قلة حيلة . صوت سلمى .. هذه هى الخيمة .. صراخ ياتى من الداخل . واتته قوة لم يدر من أين ؟ خاض فى بحار الجثث وتلال الدم .. العفاريت تجرى .. وتجرى .. تزرع الموت .. تقضى على كل الأشياء والأحياء . صوت البارود .. طيخ طاخ .. تيك تاك . أطل من طاقة داخل الخيمة . عسكرى أزرق .. وعسكرى أســود .. يقتلان .. يذبحان .. بقيت امراة وطفلة فى الثانية عشرة .. حاول العسكرى الأزرق والاسود أن يغتصباهما فى وقت واحد . قاومت الأم العسكرى الأسود . مد البندقية وبقر بطنها بالسنكى وخرج يصيح صيحة النصر . بقى العسكري الأسود .. السلاح الأبيض يلامس جسد الطفلة . الخوف جمد أعضاءها . صارت عريانة .. الوغد يتحسس جسدها البارد . استجمع فواز كل قوى الغضب داخله . ضرب العسكرى الأزرق . جاءت الضربة على يديه . وقعت البندقية . أخذ الوغد يركله ويضربه .. لم تعد لديه قدرة على المقاومة . فواز يجود بانفاسه الاخيرة .. حشرجات الموت تضيع وسط أصوات البارود .. العسكرى الأزرق .. يرقص فى الظلام .

سلمى تحاول أن تحتمى تحت تل من جثث الضحايا .

دكتور / طه وادى

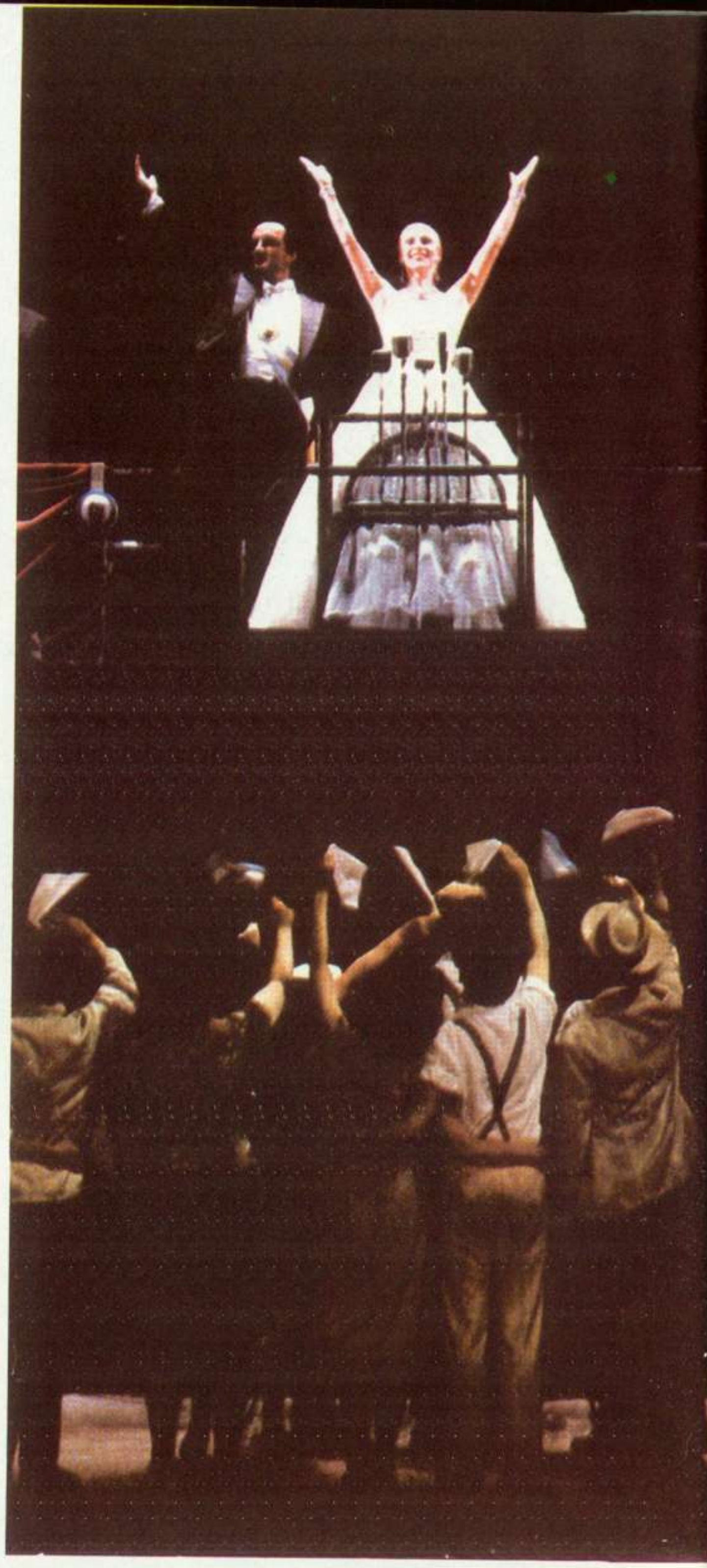
كلية الآداب جامعة القاهرة

من مجدي نصيف



ايفا بيرون فى قمة المجد والشهرة

مسرحية إيفيتا الغنائية
وخمس سنوات على مسرح لندن!



إيفا وبيرون فى مسرحية إيفيتا الغنائية



الممثل الذى قام بدور جوان بيرون اسمه : أوزكلارك



الممثلة التى قامت بدور إيفا فى المسرحية اسمها : ستيفانى لورنس

● أغانى المسرحية حين يغنيها الشباب .. ومقاعد المسرح تمتلئ كل ليلة بالمتفرجين

دخلت مسرحية «إيفيتا» الغنائية الموسيقية التى تعرض على مسرح « البرنس إدوارد » بالبيكاديللي بوسط لندن عامها الخامس ، دون أن تفقد رونقها ، ومازالت مقاعد المسرح تحجز لعدة أسابيع مقدماً ، ومازال المسرح يمتلىء برواده كل ليلة منذ حفل الافتتاح . ولقد اختار كاتبها أن يعرض العديد من الأفكار عن الصراع الدائر فى عالم اليوم من خلال عرض « التجربة البيرونية » فى الأرجنتين ، بالتركيز على حياة إيفا بيرون زوجة جوان بيرون بالموسيقى والأغاني الرائعة . وعن طريق هذه الأغاني والاطار المسرحي قدم الكاتب رايه في كل شيء عن هذا الصراع ، دون هتافات ، ودون شعارات ، دون أن يمل المتفرج ويترك العرض، على العكس من ذلك تماماً ، التصق المتفرج بمقعده حتى نهاية العرض ، مستمتعاً بالموسيقى والأغاني والاخراج ، حتى ولو لم يكن لديه الأرضية السياسية الكافية لفهم المسرحية بالكامل .



صور من حياة إيفا بيرون الحقيقية التى استعان بهـا المخرج



هكــذا نرى إيفـا فى المسرحيـــة وهى تتعرف على بيرون فى حفـل خيرى لاغـاثة ضحـايا الزلـزال

مسرحية إيفيتا الغنائية

وخمس سنوات على مسرح لندن!

إيفـا بيرون

ولا شك أن الكاتب قد اصابه التوفيق من اختيار إيفا بيرون ، أو « ايفيتا » في المسرحية كبطلة ، فحياتها حياة حافلة بالفعل . انها المراة الجميلة التى بدأت حياتها كطفلة غير شرعية فى بلد كاثوليكي ثم أصبحت ممثلة مغمورة تبحث عن المجد والشهرة والثراء ، وانتهت بان اصبحت زوجة الرئيس الأرجنتيني بيرون الذي قدم تجربة فريدة فى أمريكا اللاتينية . وهي أيضاً قصة امراة طموحها بلا حدود ، حتى لقد أصبحت أقوى امراة ليس فى تاريخ الارجنتين وحدها فحسب ، بل وفي تاريخ أمريكا اللاتينية قاطبة . وبعد كل ما وصلت إليه من مجد وشهرة وثراء ، تموت بالسرطان ، وهي في قمة السلطة ، ولم تزل في الثالثة والثلاثين من عمرها ، فيرفعها الشعب الارجنتيني إلى مرتبة عالية .

ولأن الكاتب أراد أن ينتقد التجربة البيرونية، فقد قدم الشخصية المقابلة لشخصية ايفـا بيـرون ، اختار « تشي » (جيفارا) لينقد التجربة ، ايضاً من خلال الأغاني والرقصات على إيقاع الموسيقى . إنه الشخصية الوحيدة التى ليس لها دور في سياق احداث المسرحية ، وإن كان دوره هو دور المعلق والمراقب

ولدت ماريا ايفا دوارتي عام ١٩١٩ ، في إحدى المدن الصغيرة ، كابنة غير شرعية لأحد فقراء الفلاحين . وعانت في طفولتها الفقر والحرمان ، وفوق هذا ، عانت الاذلال، لأنها « ابنة حرام » . انها لم تنس فى حياتها رفض المجتمع لها ، لذا فقد وقفت دائماً ضد هؤلاء الذين سببوا لها كل هذه المهانة .

وعندما أصبحت ايفا فى الخامسة عشرة من عمرها (١٩٣٤) اقامت علاقة باوجستين ماجالدي ، المغني ولاعب الجيتار الذي كان يعمل بناد ليلي بالمدينة . تقنعه ايفا بالذهاب إلى العاصمة بيونيس أيريس . وتعيش إيفـا حياة النوادي الليلية والمسرح . كانت تحلم بان تكون ممثلة ، فما أن تصل إلى عام ١٩٤٠ ، حتى تكون قد وصلت الى السينما والاذاعة . ومن خلال زوج اخت بالجيش تتعرف على زملائه الضباط الصغار ، وتتصاعد الرتب التى تتعرف بها ، حتى تصل إلى كبار الضباط ، في وقت كان فيه نفوذ الجيش فى المجتمع والحكومة يقوى ويتصاعد شيئاً فشيئاً .

وفي عام ١٩٤٣ تتعرف على « الكولونيل جوان بيرون » . كان آنذاك وزيراً ، ذا سمعة عريضة كدون جوان يعشق الممثلات صغيرات السن ، كان جوان بيرون فى الثامنة والاربعين ، اي ضعف عمر ايفا بالضبط . فهو من مواليد ١٨٩٥ ، ورغم أن طفولته ليست شقية كطفولة إيفـا ، إلا انه كان من عائلة متواضعة ، دخل الأكاديمية العسكرية عام ١٩١١ ، وحصل على رتبة ملازم عندما كان فى العشرين من عمره . وفي يونية ١٩٤٣ ، كان احد الضباط الذين قاموا بثورة أطاحت بالحكومة القائمة

عين بيرون وزيراً للحرب ، بعد الانقلاب، ثم وزيراً للعمل . ومن خلال هذا المنصب اكتسب شهرته ، وخاض تجربته . وعندما



لقطة من الفصل الأخير فى المسرحية .. يرى فيها بيرون



احــد مشاهد المسرحيــة

قابل « إيفا » كان فى هذه المرحلة من حياته السياسية : نجماً سياسياً صاعداً يتوقع الجميع منه أن يفعل « شيئاً » . وكان بالتحديد هو من تبحث عنه « ايفا » . كان طويلا ممشوق القوام ، اما هو فقد جذبه جمالها .. وشبابها . لكن الذي لاشك فيه ان طموحهما كان أقوى رباط ربط بينهما .

ومن خلال جوان بيرون ، ونشاطه وطاقته ، استطاعت تحقيق كل طموحها فى السلطة الشمولية . كانت هي الشرارة الملهمة التى تشجعه على اتخاذ كل خطوة، أما هي فكانت المحبوبة التى يجدها دائماً إلى جانبه ، وفي الوقت المناسب .

أخذت تعمل بجنون ، حتى احبها الأرجنتينيون ، واصبحت أوسع شهرة منه، واخذ بيرون يصعد ويصعد ليصبح نائب رئيس الجمهورية .

وفي عام ١٩٤٥ ، ينجح زملاء بيرون من الضباط فى الاطاحة به ، فيقبض عليه في ١٢ أكتوبر ، ويودع السجن ، وخلال أيام معدودات يتغير المسرح السياسى بشكل جذري في المجتمع الأرجنتيني . هنا تظهر القوة الكامنة التى امسك بها بيرون وايفا : الحركة العمالية ، وهنا ظهرت الشخصية القيادية الزعامية لهذه المراة ذات الشخصية الفذه . انها تنطلق لتنظم المظاهرات العمالية والشعبية التى تنادي بعودة « البطل » . ولم يستطع الضباط الوقوف أمام هذا المد الكاسح ، فيضطرون الى إعادة بيرون الى السلطة ، ولم يمض على اعتقالة أكثر من خمسة أيام ، فيعود منتصراً فى ١٧ أكتوبر ، وهو يوم مازال «البيرونيون» يحتفلون به كل عام .

ويصبح الطريق ممهداً أمام ايفا وبيرون ... المال والمجد والشهرة . بعدها بأربعة أيام فقط ، فى ٢١ اكتوبر ، يتوجان الانتصار وبداية شقهما لهذا الطريق معاً ، بزواج سري ، ثم في ٢٤ فبراير ١٩٤٦ «ينتخب» بيرون رئيساً للجمهورية ، وتصبح هي المسئولة رسمياً عن تنظيم الحركة العمالية . ومن الآن فصاعدا تسيطر هي على النقابات واتحادها العام الـ « سي . جي . تي » . وتهتم فى نفس الوقت بحقوق المراة ، فتمنح حق التصويت . ومن افضل منها يعرف معاناة المراة ، وخاصة فى الريف ؟ لقد كان أعظم يوم في حياة ايفا بيرون ، عندما منحت المراة قانون حق التصويت في سبتمبر ١٩٤٧م .

وعندما اظهرت نيتها عام ١٩٥١ ، على ترشيح نفسها نائبة لزوجها رئيس الجمهورية ، ضغط الجيش بكل قوة ، فاجبرت على سحب ترشيحها .

لكن المرض لم يمهلها . ففي نوفمبر ١٩٥١ تقوم باجراء عملية سرطان ، في نفس الوقت الذي يعاد فيه انتخاب بيرون لفترة ثانية . ويشتد عليها المرض . وفي الرابع من يونية ١٩٥٢ ، تظهر لآخر مرة رسمياً فى احتفالات تنصيب بيرون رئيساً . وفي ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ، تموت ايفا بيرون ، صاحبة هذه الحياة الحافلة . وهي لم تتعد الثالثة والثلاثين من عمرها .

وسرعان ما يطيح الجيش ببيرون عام ١٩٥٥ ، وكأنه فقد من كانت تجلب له الحظ والتى ارتبط اسمها باسمه ، لكن البيرونية تستمر كقوة مؤثرة في المجتمع الأرجنتيني، حتى يستطيع حزبه أن يعيده ، بعد أن عاش في المنفى ثمانية عشر عاماً . كان قد تزوج في الخارج ، ولكنه يموت فى العام التالي مباشرة لتوليه السلطة ، وكأنما ارتبطت السلطة باسمه معها فقط . وتتولى زوجته مهام الرئاسة من بعده لكنها تفشل بدورها ولا تستطيع أن تكرر اسطــورة « ايفــا » .

انقاذ البيرونية

اختار المؤلف « تشى » ليكون هو الشخص الذى ينقد البيرونية ، دون أن تبهره المظاهر السطحية للتجربة ، ودون أن تغره القشور . واختيار تشى ليس اعتباطاً ، فهو قد عاش فى الارجنتين بالفعل ، إذ ولد فى يونيه عام ١٩٢٨ من عائلة متوسطة ميسورة ذات أصول أسبانية ـ ايرلندية . وسرعان ما تعانى عائلته ضائقة ماليــة تضطر الصبى للعمل فى نفس الوقت الذى يدرس فيه . كان آنذاك فى الثالثة عشرة من عمره . لذا تتفتح مداركه فى هذه السن المبكرة ، وينغمس فى العمل السياسى . وينضم لاحدى التنظيمات الطلابية التى تعارض بيرون . ويدخل فى عام ١٩٤٧ كلية الطب بجامعة بيونيس ايريس ، ويشارك فى معارك الشوارع ضد البيرونية . وبعد أن يتخرج عام ١٩٥٣، يشعر انه لا يستطيع الفكاك من شعبيــة ايفا بيرون ، وبالتالى من البيرونية والنظام ،فيذهب إلى جواتيمالا ، ثم إلى المكسيك ، وهناك يقابل فيدل كاسترو ليدخل معه إلى هافانــا على رأس جيش من رجال العصابات فى عــام ١٩٥٩ ،

وتبدأ التجربة الكوبية مسارها ، ويتقلد تشى منذ البداية عدة وزارات ويصبح الشخصية الثانية

لكن تشى يترك المجد والسلطة والشهرة ويختفى فجاة عام ١٩٦٥ ، ليظهر فى أحراش بوليفيا عام ١٩٦٦ ، لتنظيم حرب عصـــابات هنـــاك . لـكن تحيط به

مسرحية إيفيتا الغنائية

وخمس سنوات على مسرح لندن !

كافة القـــوى فى الغابات ، ويؤسر فى اكتوبر ١٩٦٧ ، ويقتل وهو فى التاسعة والثلاثين من عمره ، وسرعان ما يصبح أسطورة .

●

هذه هى الشخصيات الرئيسية التى أراد لها المؤلف أن تتقابل وتتصارع فى مسرحية « ايفيتا » الغنائية .

فكيف بعث المؤلف الحياة فى هـــذه الشخصيات على المسرح ؟

وكيف نسج الصراع طوال المسرحية ؟

وكيف استطاعت الأغنيات والموسيقى والرقصات أن تعالج هـــذه الأفـــكار

الفصل الأول

يفتح الستار عن جمهور أحد دور السينما بالعاصمة بيونيس ايريس ، مساء ٢٦ يولية عام ١٩٥٢ . بين الجمهور الطالب الارجنتينى الشاب « تشى » . وفجأة يتوقف الفيلم ، ويعلن أن ايفا بيرون « الزعيمـة الروحية للأمة ، قد دخلت الخلود » . وينتقل المشهد الى جنازة الزعيمة ، ويستعين المخرج بشاشة سينمائية فوق المسرح ، يستخدم فيها افلاماً تسجيلية التقطت لايفا بيرون أثناء حياتها وذلك أثناء مشاهد المسرحية المختلفة . ويختار المخرج جنازة فخمة هى خليط من المروحية الفاتيكانية ، والسينمائية الهوليوديـــة (أغنية « قداس جنائزى لايفيتا ») . جمهور غفير فى مهرجان غاية فى الابهة يصحبه عويل ونواح والناس تنتحب . أما تشى فهو الوحيد الذى لايشترك فى هـذا كله (يغنى : « ياله من سيرك » !) . وخلال الأوبرا بأجمعها ، يكون هذا هو دور «تشى» يلاحظ ويعلق فقط لا غير !

ثم يعود بنا المخرج بعد مشهد الموت ، إلى مشاهد من حياة « ايفيتا » ويبدأ بعام ١٩٣٤ ، ويختار أن يبدأ بالنادى الليلى بمدينة جونين مدينة ايفا . (تصاحب المشهد أغنية « فى هذه الليلة ذات الألف نجم ») كانت ايفا فى الخامسة العشرة من عمرها . تسأل مغنى النادى الليلى ،



ايفا مـــع بيرون فوق المسرح عنـــدما بدا نجمـــه يصـــعد



ايفا فى أواخر أيامها



فى طريقها لاذاعة برنامجها الأخير بعد أن هدها المرض

اجوستين ماجالدى أن يصحبها الى العاصمة بيونيس ايريس ، المدينة الكبيرة التى تنبهر بمجرد التفكير فى العيش فيها . يمانع الفنان صديق الفتاة الصغيرة الغضة الاهاب لأنه يخشى عليها من المدينة (يغنى لها : « ايفا : احذرى بيونيس ايريس ») . لكن ايفا تصمم ، فيأخذها إلى المدينة الكبيرة

بعد ما تصل إلى المدينة تدخل حياتها وتصل إلى أسرارها ، ويكون أول ما تفعله هو التخلص من صديقها ماجالدى ، لتبدأ فى سلسلة من العلاقات

عام ١٩٤٣ ، الكولونيل جوان بيرون واحد من عدد من القادة العســـــكريين القريبين لكرسى الرئاسة الذى أثبت فى السنوات الأخيرة انه « وظيفة » غير آمنة لشاغرها ، يختار المخرج هنا لعبة الكراسى الموسيقية ، عدة كراسى يدور حولها الضباط ويخرج الخاسر ، (على موسيقى أغنية « فن الممكن ») .

وفى إحدى الحفلات الخيرية التى يحيبها ماجالدى الصديق القديم لايفا ، والمقامة لجمع نقود لضحايا زلزال ارجنتينى ، يتقابل بيرون وايفا ، ويكتشفان ان كلا منهما يليق بالآخر (أغنية « سأكون **لائقة بك بشكل مدهش»**) . **ومن الآن فصاعدا** تربط ايفا طموحاتها بالنجوم السياسيين ، لكنها تبدأ بعد ذلك فى علاقة وطيدة ببيرون فتذهب إلى شقته وتطرد صديقته منهـــا لتقيم بدلا منها (تغنى الصديقة أغنيـــة «حقيبة أخرى بصالة أخرى » !) . وتتحرك ايفا « إلى » حياة بيرون إلى درجة تثير



«ياله من سيرك» .. المشهد الاول من المسرحية التى تبدا بجنازة ايفا

حنق فئتين ظلتا عدوتاها حتى مماتها : الجيش والارستقراطية ، ويصورهما المخرج طوال احداث المسرحية بمجموعتين ، كل واحدة تتكون من تسعة أو اثنتي عشرة . الضباط يرتدون الزي العسكرى : بنطلون ابيض وجاكيت أزرق وحزام ذهبي وقبعة عسكرية بيضاء بشريط احمر ، ويضعون جميعاً نظارة سوداء ، كل منهم نسخة من الآخر ، لا يمكنك التفرقة بينهم ، ويسيرون بالطريقة العسكرية ، والخطوات المحكمة ، كل منهم تماماً مثل الآخر . ثم يسيرون جميعاً خلال الأغنية التى يقدمونها بنفس الخطى العسكرية المنظمة ، فتشعر انهم دمى أو زمبركات .

أما المجموعة الارستقراطية فهى مكونة من مجموعة رجال ونساء صغار السن وعجائز ، لكنهم يرتدون الملابس الأنيقة ويسيرون فى طوابير ، كل واحد يؤدى حركة ارستقراطية محسوبة

تردد المجموعتان بعد ظهور ايفا فى حياة بيرون أغنية « شعلة بيرون الأخيرة »

وعندما يدلهم الموقف السياسى ، تكون ايفا هى التى تشجع بيرون وتدفعه إلى الأمام ليصعد سلم المجد

الفصل الثانى

يتحقق طموح ايفا ، ومن شرفة قصر كاسا روسادا فى يوم الاحتفال بتنصيب بيرون فى ٤ يونية ١٩٤٦ ، تحتشد الجماهير تحييها وتستقبلها استقبالا حافلا اكبر من استقبال بيرون ، وذلك خلال خطابها العاطفى الذكي « لا تبكى من اجلى يا أرجنتين » واثناء احتشاد الجماهير تمارس الأجهزة البوليسية أعمالها ضد « تشى » تحت سمع بيرون وبصره ،

« تشى » يسأل « ايفا » عن نفسها وعن نجاحها ، لكن تقابله بغير حماس (اغنية « السيدة الطائرة فى السموات العليا ») ، كان اهتمام ايفا الأساسى ينصب على رحلتها المقبلة الى أوربا . وعندما تعود إلى الوطن ، تقرر أن تركز على الشئون الداخلية وحدها ، بعد أن تواجه نقداً عنيفاً من مجتمع بيونيس ايريس (اغنية « الممثلة لم تردد الأسطر التى ينبغى ترديدها ») . وفى نفس الوقت يشير « تشى » أن النظام لم يفعل شيئاً ، أو لم يفعل الا القليل لتحسين حالة من تدعى « ايفا » انها تمثلهم .

وتبدأ « ايفا » فى تأسيس « مؤسسة ايفا بيرون » (أغنية «واخذت النقود تلف وتدور ») وهو مشروع لم يستفد منه الاقتصاد القومى الكثير رغم انه رفع ايفا إلى مستوى عظيم فى أعين هؤلاء الذين استفادوا من المشروع (أغنية القديسة « ايفيتا ») . هنا تكون المواجهة كاملة بين « تشى » و « ايفيتا » ، ويسخر من الذين يحبونها ، ويحاول أن يسالها حول أهدافها وحول الجانب السيىء من الادارة البيرونية (اغنية « فالس «لايفيتا» و «تشـى») . تجيبه إجابة براجماتية : « الشر يحوم حولنا » . تكون قد أيقنت انها مريضة .

وتصل المشاعر المعادية لايفيتا فى الجيش إلى مستويات جديدة ، ويعدد « تشى » السقطات الأساسية للبيرونية ، ويحاول بيرون أن يبرر سيطرتها على المجتمع الارجنتيني ، ثم يشير إلى مرضها . (اغنية : « إنها جوهرة ») .

يناقش بيرون وايفا الوضع السيىء : فهو يفقد قبضته على الحكومة ، وهى تفقد قوتها . وترفض ايفا الاستسلام للمرض وتقرر أن تصبح نائبة لرئيس الجمهورية (اغنية « الزهر يتدحرج ») .

لكن معارضة الجيش تتزايد ، والأهم من ذلك أن المرض « يهد » حيلها ، فتعلم انها تموت ، فتقوم باذاعة للأمة ، وترفض منصب نائب رئيس الجمهورية ، وهو منصب تعلم تماماً انها لم تكن لتستطيع الحصول عليه . (اغنية « إذاعة ايفا الأخيرة ») .

وتتوارد على ذهنها الخواطر والأحداث والناس فى ساعاتها الأخيرة ، بينما الأمة فى احزان بلا حدود ، فقد أصبحت فى أعين الناس قديسة وليس اقل من هذا . وعندما تصل حياتها إلى قرب النهاية تعجب أكانت ستكون أكثر سعادة إذا لم تتطلع إلى المال والمجد والشهرة ، وعاشت كأى انسان عادى .. (اغنية « النواح ») . « تشى » يراجع حياتها القصيرة فى نفس الوقت ، وإن كان يصل إلى نتائج مختلفة .

ثم ينزل الستار .

المسرح وبساطة الديكور

ورغم إمكانيات المسرح الهائلة ، إلا أن مخرج المسرحية « هارولد برينس » استخدم الديكورات البسيطة للغاية ، أما الايحاء بالفخامة والأبهة فكان باستخدام الملابس والفراء بالنسبة لايفا .. الأداء هو الذى كان عظيماً بالأغاني المعبرة « ستيفاني لورانس » في دور ايفا وهي قد توارثت الفن من عائلتها ولعبت أدوار البطولة في مسرحيات عديدة

أما دور « تشى جيفارا » فقد قام به مارتن سميث ، وهو أيضاً كاتب اغان ، وان لم يكتب أغانى هذه المسرحية بالذات . أما دور ماجالدى فقد قام به كليفتون تود ، وهو ينحدر من عائلة فنانين ، فوالده هو نافخ البوق الشهير إيريك تود . أما دور جوان بيرون فقام به أوز كلارك .

مجدى نصيف

حدائق الأطفال

بقلم : الدكتور عزالدين فراج

بما أن العقل السليم في الجسم السليم ، فيجب أن يهيأ للطفل سبيل للحركة واللعب في أوقات فراغه خارج المدرسة ، بما يشبع رغباته وأهواءه في أماكن بعيدة عن الاتربة ومرور السيارات والعربات ، إذ أن ذلك ضروري لصحته ونمو جسمه وذو أثر فعال في تحسين حالته العصبية والنفسية ، ولذلك انشات دول أوروبا كثيراً من الحدائق الخاصة بالأطفال الذين لا تزيد أعمارهم عن خمس سنوات ، ولا يرتادها من الكبار إلا من يصاحب هؤلاء الأطفال ، واخرى تخصص للذين تتراوح أعمارهم ما بين الخمس سنوات والخمس عشرة .

وهذه الحدائق تصمم بما يوافق الأطفال ويشبع غرائزهم وأهواءهم حيث يلعبون فيها ويرتعون متمتعين بصفاء الجو وحرية الحركة ، مما يفيد الأطفال صحياً ومعنوياً .

أما في بلادنا فالطفل محروم من ذلك تماماً سواء في المنزل أو في خارجه فقد وضعت تصميمات المنازل واثاثها بما يتناسب مع الكبار فقط حتى أصبح الطفل حائراً لانه لا يجد ما يمكنه من اشباع غرائزه وكذلك الحال في الحدائق العامة فكل ما بها وضع تصميمه ونسق بما يلائم الكبار فقط واهملت رغبات الأطفال بما لا يسمح بلهوهم ولعبهم .

وفي حدائق الأطفال باوربا يخصص اجزاء من الحديقة ، يقوم الأطفال بزراعتها بالأبصال الزهرية والأزهار المختلفة تحت اشراف مربية لهم فيتفتح أمامهم طريق جديد للتسلية لم يالفوه من قبل علاوة على تهذيب اخلاقهم وتثقيفهم .

القواعد العامة في تصميم حدائق الأطفال

وسنورد فيما يلي القواعد العامة التي ينبغي مراعاتها في تصميم وتخطيط حدائق الأطفال :

المدخل : يفضل عمل سياج قصير عند حدود الحديقة الخارجية لاكساب الحديقة السرية المرغوبة ولوقاية الأطفال من اخطار الطريق ، ويفضل أن يكون السياج من الحديد وبعض الشجيرات المزهرة مثل اللانتانا والجهنمية .

السياج

يجب أن يكون المسطح الاخضر خالياً من احواض الزهور ليكون مجالا متسعاً لجري الأطفال ولعبهم . ويفضل في زراعة مسطحات حدائق الأطفال النجيل عن البيبا لما ترسله الأخيرة من جذور تشبه الحبال قد تعوق سير الأطفال الذين في طور الحبو فضلا عن أزهارها البيضاء التى تجذب النحل اليها مما قد يؤذى الأطفال .

ومن الأهمية بمكان أن تكون حواف المسطح بميل غير ملموس مع الامتناع عن عمل بردورات من المباني خوفاً من وقوع الأطفال على حوافها الحادة ، كما يتجنب تغطية المسطحات الخضراء بالسبلة نظراً لتسببها في اصابة الأطفال بمرض التيتنوس .

وينبغي ايضاً أن تكون هذه المسطحات معرضة تماماً لاشعة الشمس مع وجود أركان مظللة بها شتاء ، وبذا يكون مثل هذا المسطح صالحاً للعب الأطفال طول اليوم وعلى مدار السنة .

الزهور والأشجار والشجيرات

ويزرع بعض الشجيرات المزهرة حتى تضفي على الحديقة منظراً جميلا ، ويجب أن تكون مواسم أزهارها مختلفة حتى تكون مزهرة في معظم السنة . ويتجنب زراعة الشجيرات التي تفرز مادة لبنية مثل بنت القنصل وذلك لخاصيتها السامة وضررها على العيون ، كما يتجنب ايضاً زراعة الشجيرات ذات الأشواك كالورد وانواع الصبار .

ضروريات حديقة الأطفال

ويحسن دائماً أن تزود حدائق الأطفال بكل ما يجلب التسلية لهم ، وان يتوفر بها أغلب الأدوات الرياضية التي تتناسب وتتلاءم مع اعمار وحالة الأطفال الذين يرتادون تلك الحدائق .

ويعتبر الرمل من احسن ما يغري صغار الأطفال على اللعب البريء ومنه يبتكرون الاعيبهم وتسليتهم ، لذلك يجب الا تخلو حديقة الأطفال من مسطح من الرمال البيضاء النظيفة عديمة الحصي الخالية من الاملاح كما يجب الا يقل عمق الرمل في هذا المسطح عن ٤٠ ــ ٥٠ سم كما يراعى اقامة عدة أراجيح مناسبة يفرش تحتها طبقة من الرمل السميك .

ومن الأهمية بمكان وجود دورة مياه بسيطة في حدائق الأطفال لقضاء حاجاتهم.

هذا ويعتبر من الأشياء الضرورية في حدائق الأطفال وجود أكشاك خشبية أو برجولات تغطى بالمتسلقات كالياسمين البلدي أو شبر فايد للتظلل تحتها . كما يجب أن تزرع في جميع أجزاء الحديقة مقاعد ثابتة من الرخام أو الأخشاب المشقوقة على أن يكون بعضها مظللا بمظلات تكسوها المتسلقات أو في ظل اشجار كبيرة .



لابد أن تكون الطرق في حدائق الأطفال مرصوفة ، لأن الطرق الترابية تسبب اتساخ ملابس الأطفال .

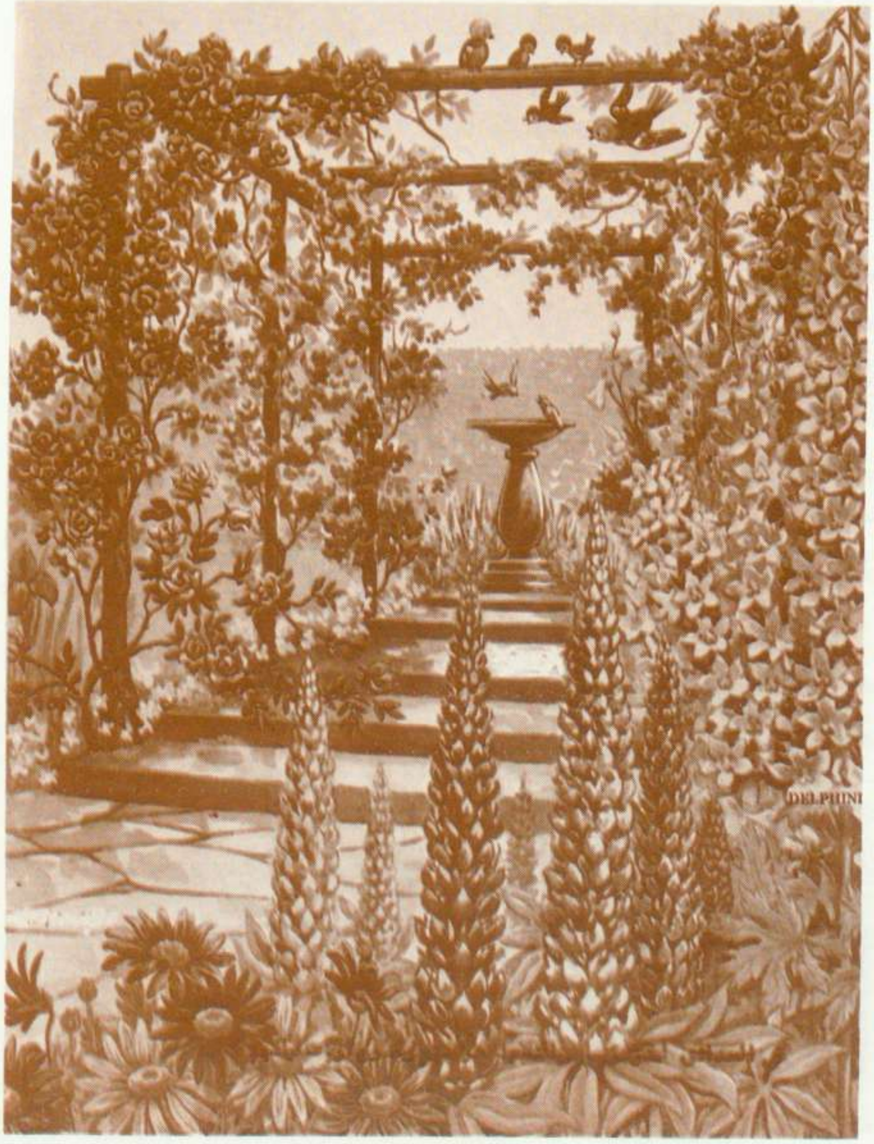
المنشآت المائيـة

يفضل حفظا لحياة الأطفال من الخطر ، تجنب عمل منشآت مائية كالبرك والفسقيات وأحواض المياه في حدائق الأطفال ، ولكن لما كان للماء المنبعث من الفسقيات والتموجات الخفيفة في سطح ماء البرك الناشئة عن الرياح أو وجود أسماك الزينة الملونة وانغماس كل ما هو قريب على سطح الماء الشفاف وخرير المياه ولمعانها تأثير ساحر في النفوس فضلا عن اكساب الحديقة حياة ظاهرة جلية وايجاد منبع لا نهائي من التنوع – فاني أرى ضرورة عمل المنشآت المائية على أن تكون ذات حافة عالية أو تحاط بشبكة من السلك غير الشائك وتحاط بعدد من المقاعد ، وبذلك يتسنى للاطفال الاشراف والتمتع بمنظر الماء أثناء لهوهم دون أن يخشى عليهم من خطر الوقوع في الماء .

ويحسن في حدائق الأطفال انشاء مسابح للطيور الصغيرة لاغرائها على أن ترد إلى هذه الحدائق ، لأن في ذلك مجلبة لسرور وانشراح الأطفال .

أرجوحة الأطفال

يشترط في موضع الأرجوحة في الحديقة أن تكون بعيدة عن المباني والأشجار ، منعاً من تصادم الصغار بها ، أثناء تأرجحهم فقد ينشأ عن هذا التصادم كثير من الضرر لهم .

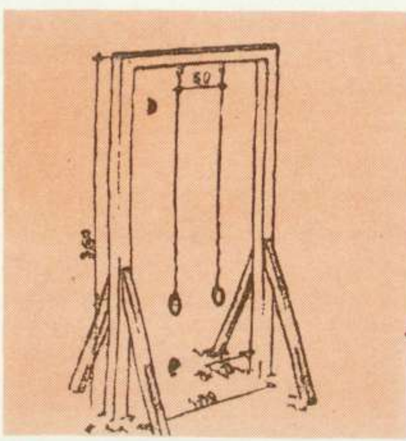


هكذا تبدو حديقة الأطفال منسقة وجميلة وجذابة بعد الانتهاء من اعدادها بالصورة المناسبة

مستلزمات الأرجوحة

المواد والأجزاء	البيانات
لوحان طوليان	طول كل منهما ١١ قدماً ، وعرض كل ٥ر٢ بوصة
لوح عرضي	طوله ٤ قدم ، وعرضه ٥ر٢ بوصة
أربع أوتاد جانبية	طول كل ٥ر٤ قدماً ، وعرضه ٥ بوصات ، وسمكه ٥ر١ بوصه
حبلان	طول كل منهما ٦ قدم
مقعد	مثبت في نهاية الحبلين في وضع أفقي
وتثبت الأجزاء السابقة كما هو موضح في الرسم	

مرجيحة للأطفال



ما يجب مراعاته في وضع الأرجوحة

(١) تثبيت القائمتين الرأسيتين (اللوحين الطوليين) بالقائمة العليا الأفقية وبالأوتاد الجانبية بمسامير كبيرة

(٢) غرس ما لا يقل عن ٥ر٢ قدماً من القائمتين الرأسيتين تحت سطح الأرض

(٣) يجب أن تكون الحلقة الحاملة للحبل مستديرة غير مفتوحة حتى لا ينزلق الحبل منها ، فيعرض الأطفال إلى الخطر .

وجوه بيكار الخمسة

بقلم: صبحي الشاروني

« ليس من مبادئنا تعدد الوظائف ، لذلك أنت مطالب بتطليق إحدى وظيفتيك ! وانا اريدك أن تطلق وظيفتك الحكومية فوراً وتتفرغ للصحافة . إن مكانك هنا فى « اخبار اليوم ... » .

كان هذا هو الطلب المفاجىء الذى عرضه « علي امين » على الفنان حسين بيكار عام ١٩٥٩ طالباً منه أن يستقيل من عمله كرئيس لقسم التصوير الزيتى بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة .. وكان هذا الطلب امتحاناً صعباً للفنان الذى يعتبر كلية الفنون هى البيت الذى تعلم فيه ثم عاد اليه استاذاً ، وارتبطت كل علاقاته وصداقاته بهذا البيت .. فكان هذا الامتحان قاسياً للغاية ..

يقول بيكار : « لقد امهلنى أسبوعاً للتفكير وكان أصعب أسبوع مر بي فى حياتى ، فليس من السهل أن أهجر شريك عمر أحببته وعاصرته ثلاثين عاماً دون ما سبب ، لكنه بعد ثلاثة أيام طلبنى وقدم لى ورقة مذيلة بامضائه ، وقال أكتب شروطك ، وبهذا التصرف سلبنى ارادتى ، وفى اليوم التالى كانت استقالتى فوق مكتب العميد » .

بعدها أصبح بيكار سندباداً صحفياً يسافر الى بلاد العالم حاملا قلمه وريشته ليعود بانطباعاته وتحقيقاته مكتوبة ومرسومة ، لقد استبدل الكاميرا بالريشة والألوان . وكان أدب الرحلات جديداً فى الصحافة العربية واشتهر اسم بيكار وأصبح نجماً يردد اسمه كل القراء حيث احتلت رسومه الملونة أغلفة المجلات التى كانت تصدرها الدار فى ذلك الوقت .

لكن الفنان الذى طلب منه أن يملى شروطه لم يكن فى بداية حياته الفنية ، كان هذا



لوحة مستمدة من الأساطير والحكايات القديمة

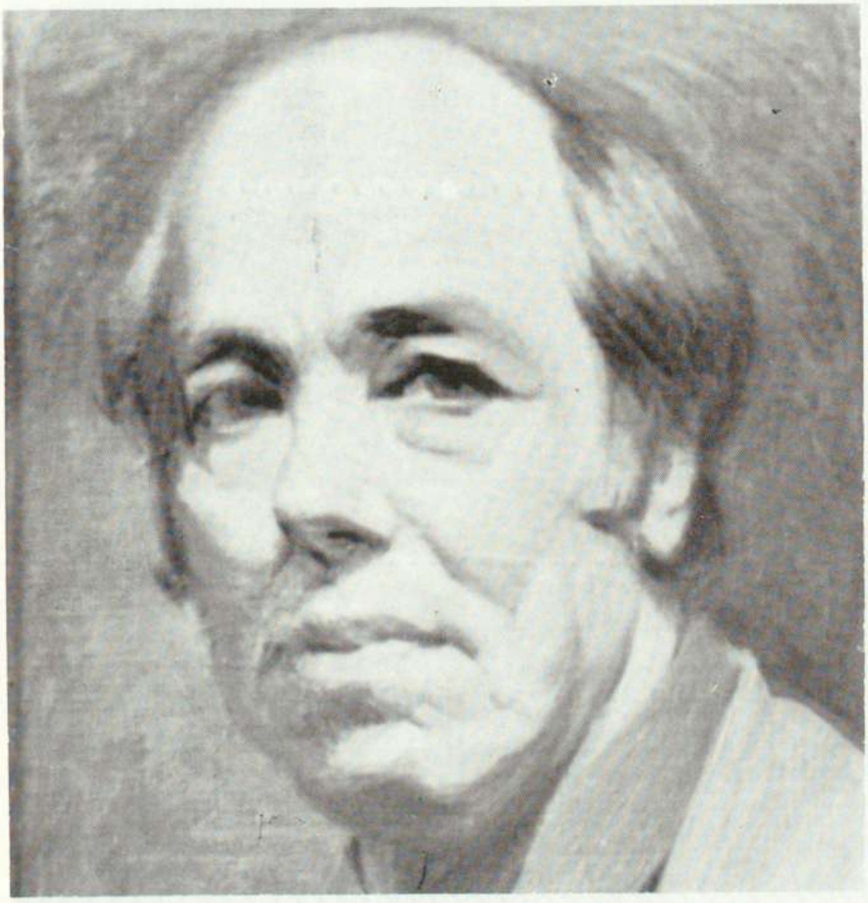


وجه من المغرب

الموقف تتويجاً لموهبة اكتملت بالعمل الشاق والاصرار على التفوق والنجاح مع انصراف كامل للعشق الأكبر فى حياته وهو الفن .

ولد حسين أمين بيكار فى ٢ يناير ١٩١٣ بحى الانفوشي بالاسكندرية ،ولم يتصور أحد ممن عاصروه فى صباه انه سيكون رساماً فيما بعد ، كان يبدو للجميع انه سيختار طريق الموسيقى والغناء .. ولكن يبدو أن ارادة الأسرة أحيانا تولد الثورة ضدها عند الابناء .. صحيح أن هوامش كتبه ودفاتره امتلأت بالرسوم واحب كتاب القراءة المزين بالصور أكثر مما عداه ، لكن موهبته في العزف على العود كانت فخراً لأسرته وهو في الثامنة من عمره حتى ذاع صيته فى الحي كطفل معجزة ، وبدات تطلبه ، الأسر الثرية ليعلم بناتهن الموسيقى ، فقد كانت دروس الموسيقى للشابات جزءاً من المظاهر الارستقراطية فى حقبة العشرينات وما بعدها بمصر .

لقد حصل على الشهادة الابتدائية من الاسكندرية ثم انتقل مع اسرته إلى القاهرة عام ١٩٢٨ ليلتحق بمدرسة الفنون الجميلة العليا (كلية الفنون الجميلة حاليا) وكانت فى ذلك العام قد اصبحت تابعة لوزارة المعارف بعد عشرين عاماً من انشائها ظلت خلالها معهداً خاصاً ينفق عليه الأمير يوسف كمال .



الفنان حسين بيكار .. موهبة اعطت كل سنوات حياتها للفن

كانت بعثات الجيل الرائد من الفنانين المصريين قد سافرت عام ١٩٢٥ إلى ايطاليا وفرنسا على نفقة الدولة ومدرسة الفنون الجميلة تنتظر عودتهم ليحتلوا اماكنهم فيها فدرس بيكار على أيدي الأساتذة الاجانب حتى عام ١٩٣٠ ثم على يد احمد صبري بعد عودته من فرنسا مع زملائه الرواد وكان احمد صبرى يعزف الموسيقى ويهوى الغناء مع تفوقه واستاذيته فى فن التصوير الزيتى ، وهكذا جمع حب الموسيقى واحتراف الرسم بين الطالب بيكار واستاذه أحمد صبرى ، وأخلص التلميذ لتعاليم استاذه فكان خير خلف ..وتخرج بيكار عام ١٩٣٣ ليلتحق لمدة عام آخر بدراسة تربوية حصل فى نهايتها « على شهادة الأهلية لتعليم الرسم » عام ١٩٣٤ ـ وهو نفس المؤهل الذى حصل عليه الفنان الراحل رمسيس يونان أحد رواد السريالية فى مصر ـ وتدرج مدرساً بالمدارس الابتدائية حتى عام ١٩٣٦ حيث انتقل الى التعليم الثانوى بمدرسة قنا الثانوية وهناك التقى « بالطالب صلاح عبد الكريم » ـ عميد كلية الفنون الجميلة بالقاهرة حالياً ـ وكان بيكار هو الذى شجعه على المضي فى طريق الفن .

وبعد عامين انتدب للتدريس بمراكش حيث قضى ثلاث سنوات بالمعهد الخليفى بمدينة « تطوان » .

عاد الفنان عام (١٩٤٢) الى القاهرة ليعمل فى كلية الفنون الجميلة . معاونا لاستاذه « أحمد صبرى » الذى كان رئيساً «للقسم الحر » ـ وهو القسم الذى كان يلتحق به الهواة دون التقيد بسن معينه أو دراسة سابقة ـ ثم تولى بيكار رئاسة هذا القسم ، ثم انتقل إلى القسم النظامى بعد أن أحيل استاذه أحمد صبرى إلى التقاعد .. وظل يشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٥٩ عندما فاجأه « علي أمين » طالباً منه تطليق وظيفته الحكومية ، فاستقال ليتفرغ للعمل الصحفى رسماً وكتابة ، حتى أصبح المستشار الفنى لدار أخبار اليوم .

• • •

اطل الفنان بيكار على جمهوره من خمس نوافذ ، كل نافذة كانت كفيلة وحدها أن تجعل منه نجماً معروفاً ، لكنه فنان متعدد المواهب ، بل وتعمد اغلاق نوافذ أخرى كان يستطيع أن يطل منها أيضاً على الناس العزف والغناء .

لقد اكتفى بالنوافذ التى تفتحها الصحافة والكتاب خاصة ما يتصل منها بفنه وريشته .

بيكار والأطفال

كان الرسم للطفل هو أول وجه متميز من وجوه هذا الفنان ، وكان رائداً فى هذا الميدان .

لقد كانت مجلة سندباد التى اصدرتها « دار المعارف » فى الاربعينات تنهض على كتفه ، حيث تولى رسم اغلفتها وقصصها المصورة المسلسلة .. فى ذلك الوقت لم يكن هناك فى عالمنا العربى من يستطيع النهوض بهذا العمل غيره ، وعلى يديه تدرب جيل من الفنانين وبدأت صحافة الأطفال تشق طريقها على أيدي تلاميذه الذين تعلموا منه أو شاهدوا رسومه فى طفولتهم .. ولقد اعلن بيكار أكثر من مرة أن الرسوم التى يتعرف عليها الطفل هى الموجه الرئيسى لذوقه الفنى عندما يشب عن الطوق « وهى التى وجهته هو شخصياً الى احتراف الفن عندما استحوذت على حواسه خلال دراسته لكتاب المطالعة» .. ومن هذا المنطلق اهتم بصحافة الأطفال

وكتبهم وانشغل بهذه المهمة ردحاً من الزمن ، هذا بالاضافة الى سبعة كتب للاطفال قام برسمها وتصميم اغلفتها وكلها صدرت فيما بين عامي (١٩٦٤ و ١٩٧٢) .

رســـام الأغلفـــة

أما الوجه الثانى من اوجه بيكار الفنية فهو « غلاف الكتاب » لقد اسهم فى تطوير هذا الفن الى جانب الرسوم التوضيحيـــة والصحفية ، فمع تطور الطباعة بالألوان ومع ازدياد الاهتمام بغلاف الكتاب والحرص على ان يكون ملوناً مبهراً ، خاض بيكار هـــذا الميدان بعد ان كانت أغلفة الكتب تقتصر على اسم الكتاب وأسم مؤلفه دون أية زخارف او رسوم .. ولقد تفوق بيكار فى هذا المجال حتى كانت تنهال عليه الطلبات فيحيل بعضها الى تلامذته المتفوقين عندما تكون اكثر من طاقته .

معلم الرســم

ليس المقصود هنا الفترة التى قضـــاها مدرساً للرسم بالمدارس المصرية والمغربية ، وانما استاذيته للفنانين وللجمهـــور العريض من متابعى رسومه وكلماته ، لقد تخرج على يديه جيل من كبار فنانى مصر ، ثم ساهم بكلماته وأحاديثه الاذاعيـــة والتليفزيونية فى نشر الوعى الفنى وتعريف الجمهور بالقيم الجمالية فى معارض الفنانين ولوحات الفن العالمى ، انه يحرص على الالتقاء بقرائه صباح كل يوم جمعـــة اسبوعياً وبانتظام ليعرض فى بابه « الوان وظلال » بعض دروسه فى التذوق الفنى باسلوب صحفى جذاب يتناسب مع قارىء الجريدة اليومية ، مركزاً على التجارب الناجحة والأعمال المتفوقة ، ونادراً ما يوجه نقداً أو هجوماً . الا فى حالات فساد الذوق الصارخة .. وفى جميع كتاباته يقف موقف الأستاذ المعلم الذى يبسط ويعرض فى وضوح أعقد المشكلات وأدقها . أما نشاطه الجامعى فلا زال قائماً متمثلا فى اشتراكه فى مناقشة رسائل الماجيستير والدكتوراه حتى بلغ عدد الرسائل التى شارك فى مناقشتها ١٧ رسالة مقدمة الى كليتى الفنون الجميلة والتربية الفنية .

الشاعر بيـــكار

إن الفنان الذى تفوق فى الموسيقى منـــذ الطفولة .. وأنشغل بالايقاع والنغم وقام بتعليم الطلاب التكوين فى اللوحة وتناغم



لوحة من الحكايات والأساطير .. كانت من بين اعماله فى الصحافة .

الألوان وتناسقها ، تاثر فى اعماقه بهـــذه العلاقات الجمالية ، فكان أحد وجوهه هى «قرض الشعر » .. وقد حرص زمناً طويلا على اغلاق هذه النافذة لا يطل منها على الجمهور تماماً كما أغلق نافذتى العزف والغناء ، ولكنه عاد بعد تردد وفتح هذه النافذة منـــذ سنوات وأطل بوجهه « الرابع » منها على قراء مقاله الأسبوعى عندما راح يعبر بالرسم والنظم عن موضوع من الموضوعات التى تشغله مرة كل أسبوع .. وقد أصدر كتاباً بعنوان « صور ناطقة » جمع فيه رسومه واشعاره التى كان يلتقى من خلالها بالقراء أسبوعياً .. ونحن فى انتظار الكتاب الثانى عندما تتجمع لديه مادة كافية .

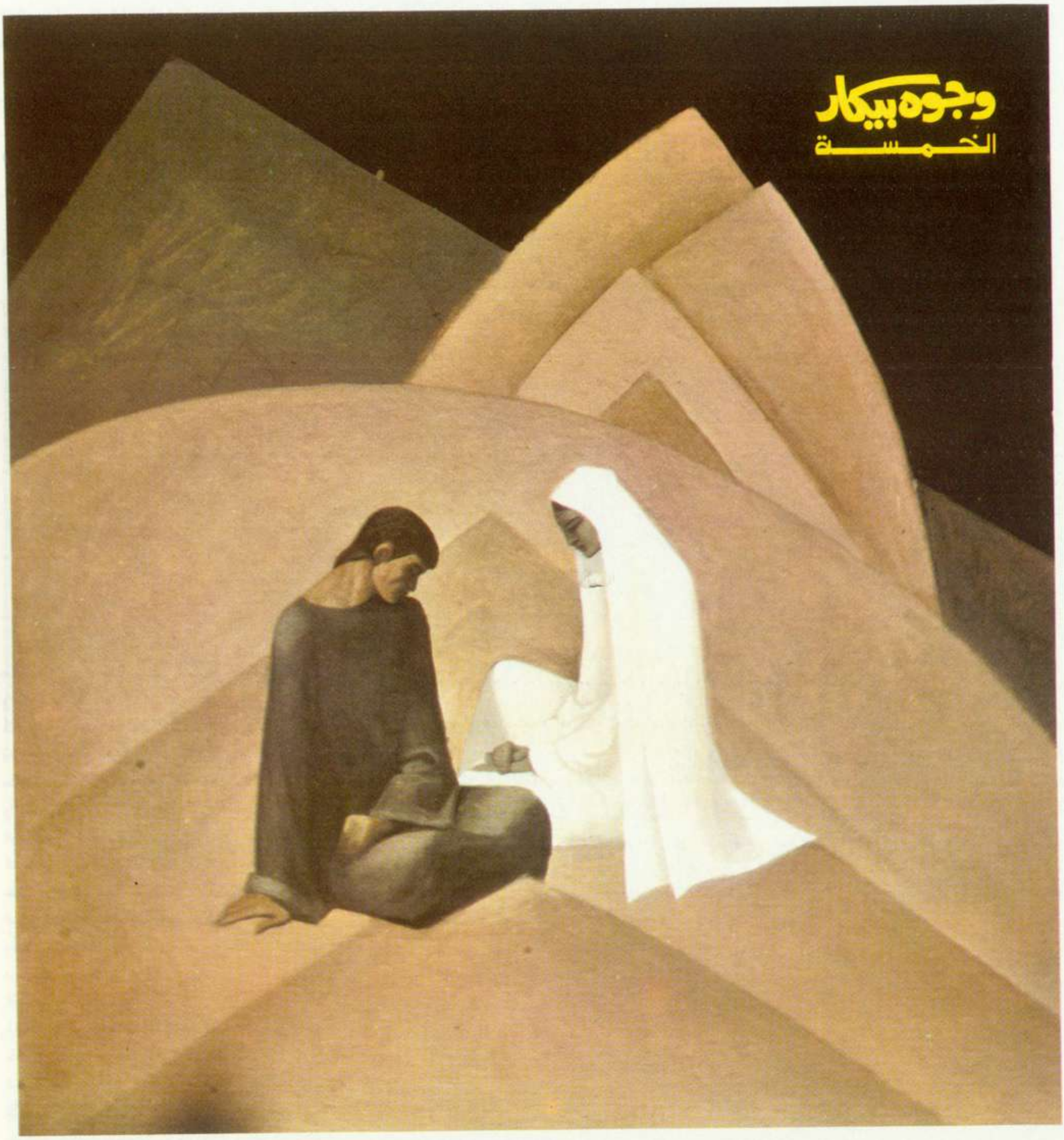
اما الوجه الخامس لهذا الفنان فيطل علينا من نافذة التصوير الزيتي التى يعرفها رواد المعارض الفنية « وأصحاب الوجوه » الذين يفوزون بالجلوس امامه ليرسمهم ، إنه رائد من رواد الجيل الثانى فى الحركة التشكيلية المصرية ، صحيح انه تتلمذ على يدى الأستاذ الكبير أحمد صبرى .. ولكن بعض التلاميذ يتفوقون على اساتذتهم ، وهذا يصدق على فناننا ..

فى عام (١٩٣٣) عندما تخرج الفنان فى كلية الفنون شارك فى اقامة متحف الشمع ، وكان هذا المتحف يضم وجوها وموضوعات من البيئة مطابقة للواقع كل المطابقـــة ، ولا تزال بعض محتويات هذا المتحف التى شارك بيكار فى صياغتها معروضة حتى الآن بالمتحف الزراعى بحى الدقى فى القاهرة .

من هنا نستطيع أن ندرك الاتجاه الوصفى الذى بدأ به الفنان حياته ، لقد كان مخلصاً للطبيعة قادراً على نقلها بامانة وتفوق حتى قال عنه البعض انه بدأ بأسلوب أكاديمى متطرف ، لقد تعلم من استاذه فن رســـم الوجوه الشخصية « البورتريه » وأصبح واحداً من أشهر أربع فنـــانين مصريين متخصصين فى هذا الفن الآن .

وقد أعلن « بيكار » مفهومه للواقعيـــة عندما قال :

« ان الواقعية ليست تسجيل المظهـــر الخارجى للاشياء . ولا هى تسجيل الأحداث التى تمر بالمجتمع تسجيلا حرفياً ، فهذه هى مهمة الكاميرا لا الرسام .. ان مظاهر الأشياء لا تدل على واقعها إنما هى النظرة القشرية التى لا تتجاوز السطح أو اللحظة التى تؤخذ فيها الصورة ، بينما لوحة الرسام التى يبدعها بنبض قلبه وعقله ، فتتسم بالشمول ،



لوحة زيتية من مجموعة الفنان التى تبهرنا باسلوبها الذى يميل الى تبسيط الخطوط والدرجات اللونية

لما تضمه من عمر بأكمله ، وتحليل نفسى لأعماق الشخصية . إنها أيضاً ثمرة علاقة فكريه ووجدانية بين الرسام والمرسوم .. حياةتغوص فى اغوار حياة .. وبصيرة تكشف النقاب عما يدور تحت السطح .. »

هذا هو مفهومه لفن البورترية الذى لا يمكن ممارسته بالأساليب الحديثة ، وقد تفوق فيه وأجاد لأنه لا يتقيد بالشكل الذى امامه كما لو كان قطعة من الأثاث وانما ينطلق منه ليعبر عما فى نفسه من انفعالات ، بينما يلتزم بما تحمله الملامح من مقومات شخصية ينفرد بها صاحب « البورترية » .

ان اعماله تفيض احساساً بالحيوية والحرارة التى تذكرنا باعمال الرومانسيين الاوائل فى هذا الميدان .

إن « بيكار » ذو مهارة خاصة فى تحديد الملامح ، حساسية شديدة تجعله يتعمق فى الشخصية التى يرسمها .. لكنه الى جانب هذا التخصص الدقيق له لوحاته الزيتية الموضوعية التى يرسمها بأسوب يميل الى التبسيط.تبسيط الخطوط والاقتصاد فى الدرجات اللونية .. إنه عندما يرسم لوحاته الزيتية للموضوعات يقترب من أسلوبه فى الرسوم الصحفية الملونة ، مع مراعاة القيم الجمالية كالايقاع والتوازن والتكامل والتدرج اللونى المبهج للعين ، مستخدماً طريقاً رمزياً فى التعبير عن أفكاره

عام ١٩٧٧ بمعرضه للصور الشخصية التى رسمها ، إنه يهتم بتقديم هذا الانتاج لجمهوره وتلاميذه رغم أنه عادة يجمع اللوحات التى يشارك بها من بيوت اصحابها الذين يفخرون باقتنائها .. فاعماله موزعه بين المتاحف والمجموعات الشخصية ولا يملك منها فى بيته الا القليل .

ولقد اختير بيكار فى عام ١٩٥٨ ضمن خمسة فنانين مصريين اختيرت لوحة لكل منهم لتحفر على الكريستال فى مصنع « ستيوبين » بالولايات المتحدة الامريكية ..

وعند انعقاد المؤتمر العالمى الأول للفنون التشكيلية فى بلغراد عاصمة يوغسلافيا عام ١٩٥٧ كان بيكار ممثلا للفنانين المصريين فى هذا المؤتمر .

وقد فاز بجائزة فن التصوير الزيتى الأولى على الجناح المصرى فى معرض بينالى الاسكندرية الثانى فى عام ١٩٥٧ .. وعرضت أعماله فى معرض خاص بدمشق عام ١٩٥٩ .

ومن الجدير بالذكر انه اقتحم ميدان السينما برسومه للفيلم التسجيلى عن معبد ابى سمبل « العجيبة الثامنة » للمخرج الكندى جون فيني ومدته ٣٠ دقيقة ... « حيث رسم بيكار مجموعة من اللوحات التوضيحية لتصور العلماء لكيفية بناء المعبد ، والطقوس التى كانت تؤدى فيه ، وقد بلغ عددها ٨٠ لوحة .. بينما يصور باقى الفيلم عملية نقل المعبد بكامله فوق الهضبة لانقاذه من الغرق تحت مياه بحيرة ـ ناصر » .

هذا وقد شارك الفنان فى قيادة الحركة الفنية وتوجيهها بعضويته فى لجنة الفنون التشكيلية بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب حتى إلغاءه ، ثم أصبح مقرراً للجنة الفنون التشكيلية بالمجلس الأعلى للثقافة حتى استقال فى يناير الماضى « ١٩٨٢ » .. وهو عضو بالمجالس القومية المتخصصة ويجيد الانجليزية والفرنسية والاسبانية مع قليل من عدة لغات أخرى بالاضافة الى لغته العربية . وقد اتسعت زياراته التى شملت معظم بلاد العالم من أجل كل هذا استحق بيكار الأوسمة الآتية .

ـ وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى (١٩٦٧) .
ـ جائزة عبد الناصر (١٩٧٥) .
ـ الشهادة التقديرية فى الفنون (١٩٧٨) .
ـ جائزة الدولة التقديرية فى الفنون (١٩٨٠) .
ـ وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى (١٩٨٠) .

هذا بخلاف وسام « الاعتزاز » الذى ناله من الحكومة « الخليفية » بالمغرب عام (١٩٤١) .

صبحى الشارونى



صورة شخصية .. عبر فيها عما تحمله الملامح من مقومات شخصية انفردت بها صاحبة اللوحة

.. إن لوحاته هى ابتسامات هادئة تثير الاحساس بالتفاؤل والمحبة ، وتبهرنا بما يحققه من تنسيق شكلى فى الألوان بأستاذية متمكنة وشاعرية رقيقة .

الأوسمة والجوائز

إن كل عمل فنى ناجح يحسن الجمهور استقباله هو « وسام » على صدر الفنان الذى أبدعه .. وحياة بيكار الفنية هى سلسلة من الأوسمة والجوائز يمنحها له الجمهور بكرم شديد .

ورغم كل مشغوليات الفنان وأعبائه ، فهو يحرص دائماً على المشاركة بأعماله فى المعارض العامة المحلية والدولية ، فضلا عن معارضه الخاصة المحدودة التى بدأ إقامتها مؤخراً منذ

يناير كان ثلاثين يوماً!

بقلم : عادل شريف

يناير هو اول شهر من شهور السنة الميلادية . وقد اشتقوا اسم يناير من « يانوس » وهو طبقاً للأساطير أحد آلهة روما الوثنية .. وكان يانوس إله الابواب والبوابات و « بداية » الأشياء .. ولذلك اختاروه بداية للعام فى التقويم الجولياني .. وفى مراسمهم وطقوسهم الوثنية .. كان الرومان يصلون للإله « يانوس » قبل اي إله آخر .. حتى قبل صلاتهم لكبير الآلهة « جوبيتر » .. وكانوا يسمون (يانوس) رب الأبواب .. ويحتفلون به في التاسع من يناير .. ويقدمون الكباش قرباناً على مذبحه ! . والغريب ان صورة الإله « يانوس » كانت تظهره بوجهين .. احدهما متجه للامام والآخر للخلف .. ويحمل في يديه مجموعة من المفاتيح وصولجاناً ! واقاموا له فيما بعد تماثيل باربعة وجوه .. يتجه كل واحد منها إلى جهة من الجهات الأصلية ! . والاغرب ان ابواب معبده في روما كانت تفتح ايام الحروب .. وتغلق في ايام السلام !! .

وطبقاً للأساطير اضاف « نوما بومبيليوس » شهري يناير وفبراير إلى نهاية التقويم الروماني ذي الشهور العشرة في حوالي عام ٧٠٠ ق.م وجعل يناير ثلاثين يوماً .. فقط ! وجعله الشهر الحادي عشر في السنة .

واستمر الحال على ذلك المنوال حتى عام ٤٦ ق . م . عندما اضاف يوليوس قيصر يوماً الى ايام يناير الثلاثين .. ونقل شهر يناير الى بداية التقويم .

واطلق اهل الشمال الاوروبى (فى سكندناوه) اسم « ثور » وهو إله الرعد والعواصف فى معتقداتهم الوثنية على شهر يناير لانه كان شهر « الزمهرير » وهو شدة البرد !

اما الشعوب الانجلوسكسونية فاطلقت على شهر يناير اسم « وولفمونت » اى « شهر الذئب » لان الذئاب كانت تهاجم القرى فى يناير بحثاً عن الطعام .

ايام ... مشهورة !

وفى نصف الكرة الارضية الشمالى .. يشكل يناير ابرد شهور العام فى العادة .. وبعيداً عن زخات الأمطار والبرد (بتسكين الراء) والبرد ،بفتح الراء.. فان الهدوء يسود .. لأن هجرات الطيور تشحب .. وتنام الكثير من الحيوانات طيلة الفترة المعروفة باسم (البيات الشتوى) ويتوقف نمو النبات استعداداً للنماء فى الربيع التالى .

وعلى العكس من هذا .. فان النصف الجنوبى من العالم يعيش فترة دفء أو سخونة حسب اختلاف المكان .. وبعده عن خط الاستواء .. ويتصاعد نمو النباتات ويتزايد نشاط الحيوانات .

وتحتفل الدول المسيحية باول يوم من يناير باعتباره غرة العام الجديد ويسميه العرب (رأس السنة الميلادية) وتحتفل طوائف مسيحية مختلفة بايام ٦ ، ٧ ، ١٢ وبليلة ١٢ يناير .. وهو العيد الذى يسمونه (حضور الحكماء) ويسميها البعض « الليلة الثانية عشرة » أو « الكريسماس الصغير » أى عيد الميلاد المجيد الصغير ..

وفى منتصف يناير يحتفل الهندوس فى كل ارجاء شبه القارة الهندية بعيد « ماكارا سانكرانتى » وهو عيد الاستحمام الكبير . ويحاول الهندوس فى ذلك اليوم الاستحمام فى نهر الجانج لو استطاعوا الى ذلك سبيلا .. فهو فى نظرهم « النهر المقدس » .. أما السعيد منهم فهو الذى يستطيع الاستحمام عند مدينة الله اباد حيث يلتقى الجانج مع نهر جومنا !

وزهرة اللبن الثلجية هى رمز شهر يناير .. فهى تترعرع وتزهر فى عز الزمهرير ! أما العقيق الأحمر فهو مايفضلة يناير .. من جواهر ! فالأساطير الوثنية القديمة .. تربط حتى مابين الشهور .. والاحجار الكريمة !

احداث هامة

وعلى مر الأيام وكر الاعوام .. وقعت أحداث هامة فى يناير .. وها هى أمثلة منها

● فى أول يناير ١٨٦٣ اصدر الرئيس الأمريكى ابراهام لينكولن محرر العبيد بيانه الشهير « إعلان تحرير العبيد » .

● فى أول يناير ١٩١٣ بدات مصلحة البريد الامريكية نقل الطرود .. وهى عملية ركيزية فى الاقتصاد الوطنى المحلى .

● ولد شيشيرون اشهر ساسة الامبراطورية الرومانية فى ٣ يناير عام ١٠٦ ق . م .

● ولدت لوكريشياموت زعيمة حركة تحرير النساء يوم ٣ يناير ١٧٩٣ .

● اصبحت الاسكا الولاية الامريكية رقم ٤٩ فى يوم ٣ يناير ١٩٥٩ .


ابراهام لينكولن


موليير


مارتن لوثر كينج


بنيامين فرانكلين


سيزان


ادجار الن بو


موزار


هتلر


غاندى


إديسون

● شهد يوم ٤ يناير ١٧٨٥ مولد يعقوب جريم الألمانى .. الذى يعتبر وشقيقه من اشهر من كتب للأطفال .

● ولدت جان دارك بطلة فرنسا فى ٦ يناير ١٤١٢ .

● اقيمت اول انتخابات رئاسية فى امريكا فى يوم ٧ يناير ١٧٨٩ .

● بدأت الاتصالات التليفونية التجارية عبر الأطلنطى بين انجلترا وامريكا فى ٧ يناير ١٩٢٧ .

● اعلن الرئيس الأمريكى وودرو ويلسون برنامجه الشهير النقاط الأربع عشرة .. امام الكونجرس يوم ٨ يناير ١٩١٨ .

● تأسست عصبة الأمم فى ١٠ يناير ١٩٢٠ وكانت إرهاصاً للأمم المتحدة التى عقدت جمعيتها العمومية « الأولى » فى ١٠ يناير ١٩٤٦ فى مدينة لندن .

● ولد موليير الأديب الفرنسى الساخر الشهير يوم ١٥ يناير ١٦٢٢ .

● ولد مارتن لوثر كينج الأمريكى وزعيم حركة الحقوق المدنية يوم ١٥ يناير ١٩٢٩ .

● بنيامين فرنكلين السياسى والمخترع الأمريكى الشهير .. ولد فى ١٧ يناير ١٧٠٦ .

● بدأ مؤتمر فرساى للسلام فى يوم ١٨ يناير ١٩١٩ .

● ادجار آلان بو .. الكاتب الأمريكى الشهير ـ صاحب الشخصية المزدوجة المحيرة بين الحنان والقسوة ـ ولد فى ١٩ يناير ١٨٠٩ .. وفى نفس اليوم ولكن فى عام ١٧٣٦ ولد جيمس وات المخترع الأسكتلندى الشهير .

● ويحتفل عشاق الموسيقى يوم ٢٠ يناير بعيد ميلاد جوزيف هوفمان أشهر عازفى البيانو .. أما عشاق الفنون فيحتفلون بمولد الرسام الفرنسى بول سيزان الذى ولد يوم ١٩ يناير ١٨٣٩ .

● فى ٢١ يناير ١٩٥٤ دشنوا « النوتيلوسى » أول باخرة تسير .. بالطاقة الذرية !

● أما عشاق الأدب فيحتفلون يوم ٢٢ يناير بمولد فرنسيس بيكون الانجليزى (١٥٦١) واللورد بيرون الشاعر الانجليزى (١٧٨٨) .. واوجست ستريند برج الأديب والكاتب المسرحى العظيم (١٨٤٩) وصاحب التعبير الراقص المؤثر الشهير (الربيع فى الخريف) عندما احب وتزوج ممثلة نرويجية شابة وهو عجوز !

● وسيسعد عشاق بريق الثراء العاجل يوم ٢٤ يناير .. وهم يستعيدون ذكرى اكتشاف الذهب فى ولاية كاليفورنيا عام ١٨٤٨ .. والذى كان وحياً وإلهاماً لمئات القصص والأفلام السينمائية .

● ولد الجنرال الأمريكى دوجلاس ماك آرثر يوم ٢٦ يناير ١٨٨٠ .. وهو الذى احتل اليابان فى نهاية الحرب العالمية الثانية وصاحب مذهب « المكارثية » الشهير .

● وفى يوم ٢٦ يناير تحتفل الهند بعيد استقلالها منذ عام ١٩٥٠ .. وهو الاستقلال الذى دعم دنيا الحرية .. لأن تحرير « درة التاج البريطانى » كان من اكثر الاحلام جموحاً !

● درة من أشهر درر أدب الأطفال .. لابد وان اذاعات وتليفزيونات العالم ستبثها يوم ٢٧ يناير .. وهو يوم عيد ميلاد الأديب الانجليزى لويس كارول الذى ولد عام ١٨٣٢ .. وكتب قصة مغامرات « اليس فى بلاد العجائب » .. وفى نفس اليوم من عام ١٧٥٦ جاء إلى دنيانا الموسيقار الشهير وولفجانج اماديو موزار .. وشكراً للمخترع الأمريكى الأشهر توماس اديسون الذى نال فى نفس اليوم من عام ١٨٨٠ براءة اختراع من أعظم اختراعاته الكثيرة .. التى أضاءت الطريق أمام الجنس البشرى وأسعدته .. وهو المصباح الكهربائى ! ترى هل نستطيع تصور العالم .. بدون المصباح الكهربائى المتوهج ؟ !

● وفى يوم ٣٠ يناير من عام ١٨٨٢ شهدت بلدة هايدبارك بولاية نيويورك الأمريكية .. مولد فرانكلين روزفلت الرئيس الأمريكى رقم ٣٢ واكثر رؤساء أمريكا شعبية .. والذى كان له دور كبير فى هزيمة ألمانيا النازية فى الحرب العالمية الثانية . التى أشعلها ادولف هتلر ومن الغريب أن هتلر فى نفس اليوم من عام ١٩٣٣ أصبح « مستشار » ألمانيا .. وهو اللقب الذى يطلق على رؤساء وزراء ألمانيا !

● وأكثر الفواجع مأساوية فى ذلك اليوم ولكنها فى عام ١٩٤٨ هو اغتيال موهانداس غاندى .. زعيم الهند الروحى والسياسى .

● ويودع شهر يناير الدنيا فى آخر أيامه .. فى حنان ودفء .. وعلى انغام الموسيقار النمساوى فرانز شوبير .. الذى ولد فى ٣١ يناير ١٧٩٧ وقدم فى الواحد والثلاثين عاماً التى عاشها عدداً هائلا من المؤلفات الموسيقية الرفيعة المستوى .. التى أثرت الموسيقى العالمية .. وأشجت الملايين فى كل ما فى كوكب الأرض من أنحاء وأرجاء !

لقطات من الكون المثير



مسكين هذا الزوج !

صفعة جديدة للذكور فى عالم العناكب ، ولا شان لنا هنا بعالم البشر ، فالصورة توضح حجم العنكبوت الضئيل بالنسبة لأنثاه ذات الحجم الشرس الكبير ، وهو هنا فى موسم التزاوج من أنثاه المعروفة باسم الارملة السوداء ، وسميت كذلك ، لانها تعيش وحيدة ، بالاضافة إلى انه لا يعيش لها ذكر ، إذ احيانا ما تكون ليلة زواجه ، هي ليلة انتقاله للدار الآخرة ، إذ يحدث ان تكون العروس جوعانة ، فتاكله قبل او بعد اداء مهامه الزوجية ، والمحظوظ من فلت منها بجلده قبل ان يصبح وليمة بروتينية لها ولنسلها القادم ، وما اغرب المفارقات - مفارقات الحياة .. والزواج إن شئت !



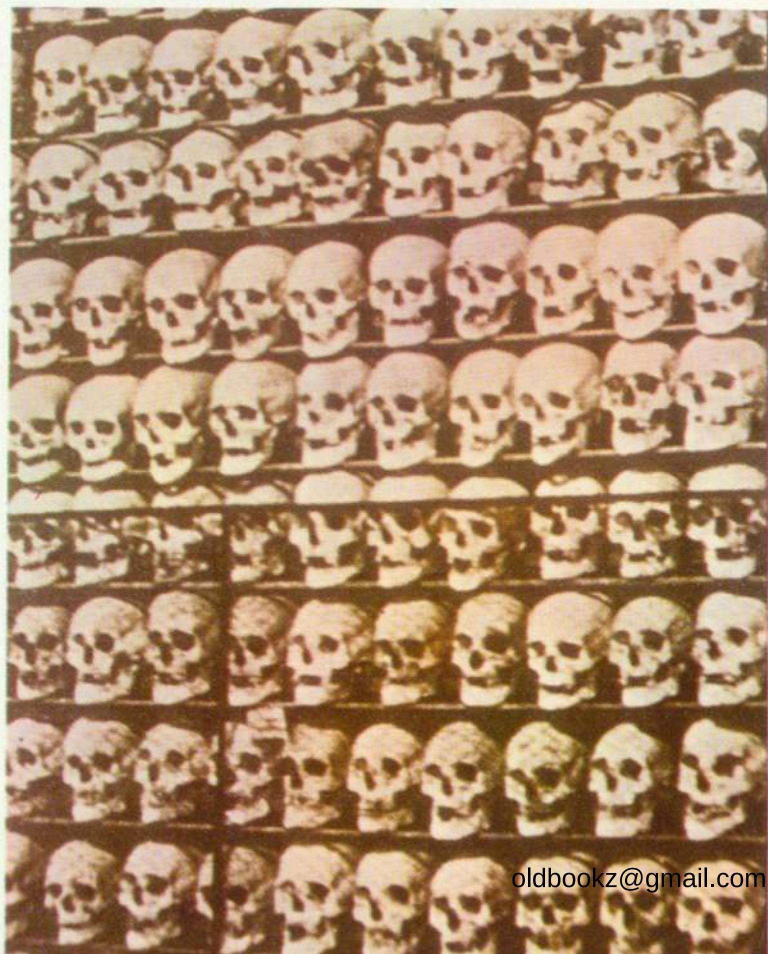
صياد ماهر .. ومنقار جاهز

نصف دستة من الأسماك او تزيد ، تتدلى من منقار الطائر وكانه يطلب المزيد ، وذلك قبل ان يتوجه إلى فرخه الوحيد (لأنه يضع بيضة واحدة فى الموسم الواحد) .. والطمع ليس فيه ، بل يرجع ذلك إلى نهم شديد في الفرخ لالتهام هذا الطعام الوحيد إذ بلغ من شراهته انه ياكل فى اليوم الواحد قدر وزنه من الأسماك ، وبهذا ينمو نمواً سريعا حتى يصير فى وزن احد والديه فى غضون ستة أسابيع ، وبعدها يترك مكانه ، ليحذو حذو الآباء فى اصطياد الأسماك ، ويكرر بذلك القصة الأزلية فى التزاوج والصيد .. بقي ان نعرف ان هذا الطائر يعرف باسم « البوغين » ، وهو يعيش قرب سواحل القطب الشمالي ، ويبذل مجهوداً كبيراً فى الطيران ، لقصر فى جناحيه وثقل فى وزنه ، ومن أجل هذا جاء منقاره مناسبا لحمل اكبر عدد من الأسماك ، توفيراً للجهد والطاقة بين غدوه ورواحه .



زهـــرة ..أم حشـــــرة؟

الشكل شكل زهرة ، فاذا تحرك كان حشرة ، فالخوف على الحياة من الحياة ، قد قدم لنا ثروة مثيرة من قصص الخداع والتمويه التى تقوم بها الكثير من الكائنات ، فكل كائن يتربص بالآخر ليصبح له وجبة شهية ، ومن لا ياخذ حذره ، فلا يلومن إلا نفسه ، حشرة كان ذلك او ثعبانا او طائراً او إنساناً ، ولقد ترك الانسان لعقله ، وبه يدبر أمره ، لكن الكائنات التى جاءت بغير عقول ، قد سلكت فى حياتها طرقاً غريبة تحير أصحاب العقول .. فهذا الكائن الذي تراه على النبات ، ليس إلا حشرة تعرف باسم فرس النبي ، ولهذه الحشرة انواع كثيرة .. منها ما يتلون باللون الاخضر او البني أو القرمزي او الاحمر او الاصفر .. الخ ، والنوع الذي تراه هنا يعيش فى ماليزيا ، ولقد اتخذ وضعا مناسبا ليخدع الطامعين فى لحمه ، وساعده على الظهور بمظهر الزهرة ان ارجله وبطنه وذنبه قد اتخذت شكل بتلات (أوراق) الزهرة ، فجاء التمويه متقنا ، ليخوض لعبة من العاب الموت والحياة .



مستودع الجماجم ..له قصة متكررة!

الصورة تبين جزءاً متواضعا من جماجم تراصت بنظام حزين فى مستودع يضم سبع الاف جمجمة لشباب كانوا ينبضون بالحيوية في يوم ٢٣ يونيو عام ١٨٥٩ وفى اليوم التالى راحوا ضحية حرب قامت حول قرية سولفرينو الواقعة على مسافة ٧٣ ميلا من ميلانو بايطاليا ، وفيها حارب الفرنسيون والايطاليون ضد النمساويين ، وتمخضت المعركة عن ٤٠ الف قتيل من الجانبين فى يوم واحد ، ولقد جاء هذا المستودع فى قرية سولفرينو شاهداً على هذه المذبحة الرهيبة ، وشهد رجل الأعمال السويسري هنري دونانت جزءاً منها ، ورأى منظراً بشعا لا ينسى ، فكان ان كتب عن ذلك كتاباً وضع فيه الأسس العريضة لمساعدة جرحى الحرب ، وعلى اساسه تاسست هيئة الصليب الأحمر الدولية ، لتساعد الانسان ضد افتراس الانسان وعدوانه وبغيه .. بقي ان نذكر ان مستودع الجماجم هذا يحمل لافتة كتب عليها « طريق المجد » .. ولا تعليق !

ميتافيزيقا البنفسج

آيّها القارىءُ المنتهِى
اقتربْ من دمى
ها هنا شجرُ الحكمةِ الفلسفىُّ الوريفْ
يتبرجُ للمغرمِ
ويدلُّ ويأبىٰ
فسبحانَ من وهبَ الشاعرَ الثّمراتِ
ودانِى القُطوفْ
ثُم امسكَ فى الظلّ بالفيلسوفْ

١ ــ فى البعد الأونطولوجى للبنفسج :

البنفسج فى ذاتِهِ عنصرٌ اولٌ
فهو نارٌ ترابٌ
وماءٌ هواءٌ
وفيضٌ من الذاتِ مُسترسِلٌ
وهو طبٌّ وداءٌ
وماءٌ نميرٌ
يفيضُ بهِ ثَمّ نهرٌ غديرٌ
ويجرى به جدولٌ سلْسلٌ
وهو ماضٍ ومستقبلٌ
البنفسج كينونةٌ فى الزمانِ
ودينونةٌ للمكانِ
وُجودٌ مَلاءٌ
وحُلمٌ مُضاءٌ
وجيشٌ من الشوقِ مُستبْسلٌ
إنه فاعلٌ وفعولٌ ومستفعلٌ
لا يضيرُ البنفسجَ جهلٌ
وليسَ يفيد البنفسجَ وعىٌ
فيا ايها المدّعِى
عِ البنفسجَ اولا تعِ
إنما للبنفسج إشراقةٌ طاقةٌ
نورُها رهن إيماءةِ الإصبعِ

٢ ــ فى أن له طابعاً إبستمولوجيا :

تَجَدّدْ .. وجِدّدْ
لتكشفَ ان البنفسجَ شكّ
تحدّدْ .. وحددْ
لتعرف ان البنفسج حقّ
وغيرَ البنفسجِ إفكٌ
فإن كان غيرُ البنفسج اخذا
فإن البنفسجَ تَرْكٌ
توحّدْ .. وَوحّدْ
فما فى اختيارِ البنفسج شِرْكٌ
وأقبِلْ لتسعدْ
فليس كمُلكِ البنفسجِ مُلكٌ
وحاولْ ولا تترددْ

إنه جبلُ المعرفهْ
أيها المُرتقِى
قِ البنفسجَ اولا تقِ
شرّ اروقةِ الفلسفه
البنفسجُ من نفسِهِ يتّقِى

٣ ــ الأساس الأكسيولوجى له :

البنفسجُ قربٌ
ومستقبلٌ شاخصٌ
وهوىً خالصٌ مستتِبٌّ
وشَعبٌ من العاشقاتِ
يواتيهِ من لَدُنِ العاشقينَ رعيلٌ وشعبٌ
فكل مُحبٍّ ومحبوبُهُ
إنما للبنفسج أُسلوبُهُ
فهو حبٌّ
وداء وطبٌّ
وذلك ان البنفسجَ أُعجوبةٌ
ومعاييرُ مقلوبةٌ
وإذا ما اطعتَ البنفسجْ
فسائرُ ما فيكَ قلبٌ
والندىٰ والتوهجْ
شيمةٌ للبنفسجْ
شيمةٌ قيمةٌ
وحضورٌ مُتوّجْ
إنما يغزلُ الحسنُ ثوبَ الهوىٰ
والبنفسجُ ينسجْ

٤ ــ فى سمته الكوزمولوجية :

البنفسجُ منتشرٌ فى دمِ الكونِ
فى الجلدِ تحتَ المسامّْ
وهو مُستَتِرٌ فى الاماكنِ
مزدهرٌ فى فِلزّ المعادنِ
فى الزّنْكِ
فى زخمِ المنجنيزِ وخامِ الرخامْ
البنفسجُ إطلالةٌ هالةٌ
وعناصرُ فعّالةٌ
فهو نارُ الصحارىٰ ونورُ الخيامْ
وزمانٌ يعودُ على ذاتهِ
مرةً كلَّ عامْ
إنه سِمَةٌ .. لا اتّسامْ

آيها المُتفلسِفُ ما اجهلَكْ
انتَ ادركتَ شيئا .. وفاتتْكَ مُدْرَكَةٌ
خابَ من عَلّمكْ
إنما الكونُ مملكةٌ
والبنفسجُ فيها الملِكْ

شعر: حسن طلب

٥ ـ فى قوته الترنسندنتالية :

البنفسجُ لا ينتمى
إنما يُنتمىٰ للبنفسجِ
او ربما يُحتمىٰ
بقوانينِهِ
ليظلَّ المحبُّ او الفيلسوفُ على دينِهِ
يتاملُ طوراً .. ويعشقُ طوراً
ويقطِفُ من عِنَبِ الوقتِ او تينِهِ
ليها الواقفون على البرزَخِ الفرْسخِ
الآن لا تقنَطوا
سَيجىءُ البنفسجُ فى حينِهِ
ويعودُ كما كانَ كانَ
فياشدَّ ما شاقنا منه طيفٌ
ويا طَالما
وَكائِنْ ترىٰ من حبيبٍ سما
فالبنفسجُ اسْمىٰ نَجاراً
وآنقىٰ دمـا

ومن جَبَروتِ البنفسجْ
انه يستطيعُ النفاذَ إلى اىِّ حَدْسٍ
وَيُمْلِى على كل نفسٍ
ولا يتحرَّجْ

٦ ـ فى أن له صفةً فينومينولوجية :

ليس إلا البنفسجُ يُمكِنُهُ الغَوصُ خلفَ المعانِى
فدعْ عنكَ كلَّ ضُروبِ القياسِ
وَخُذْ بالعَيانِ
وَجرِّبْ بنفسِكَ ..
أن البنفسجَ والحِسَّ سِيَّانِ
ان البنفسجَ والعقلَ صِنوانِ
نلك أن البنفسجَ ما هِيَّةٌ حية
ومفاهيمُ مرئيةٌ
إنما للبنفسجِ اجْروميَّةٌ
هى فى ذاتِها جوهرٌ للجواهرْ
فدع عنكَ كلَّ الحدودِ وكلَّ المقولاتِ
خُذْ بالعَيانِ المُباشِرْ

لانَّ البنفسجَ برهانُ تقِيٍ
سيُلبِسُكَ الشكُّ تاجَ البنفسجْ
وَلَأْياً بلأيٍ
ستكشِفُ ان البنفسجَ عُنوانُ وعْيٍ
وإعلانُ رايٍ
وَتاسيسُ منهَجْ

٧ ـ فى أيديولوجيته :

قاتلٌ وقتيلْ
البنفسجُ جيلٌ رَعيلْ
قاتلٌ وقتيلْ
البنفسج لا يُستمَالُ
ولكنهُ يستميلْ :
حينَ يخْتلِجُ الدَّمُ فى ساحةٍ للصعودِ الجميلْ
حين يمتزجُ الدمُ
.. يندمجُ الدم فى ذاتِهِ .. ويسيلْ
فيعلو الصليلْ
ويعلُو ويعلو
يكون البنفســـجُ رَمْزَ القتيـلْ
وفى مَلَكوتِ البنفسَجْ
تَتوازىٰ المِئاتُ الفئاتُ
وقد تهبِطُ الطبقاتُ وترقىٰ
تقاتلُ بعضاً لتبقىٰ
ويبقىٰ التَدرُّجْ

• • •

ليها القارِىءُ المُنتمِى
اقتربْ من دمِى
وَتجدَّدْ وَجدِّدْ
فالبنفسجُ شكٌّ
يقينٌ مَحَكٌّ
وَمُبتَدأٌ
وخِتامٌ
وَمِسْكٌ

هوامش

المصطلحات الفلسفية الواردة فى عناوين القصيدة الفرعية ، مستوحاة شعريا وإيحائيا ودلاليا في سياق القصيدة ، ومن ثم اصبح التعرف على دلالتها المباشرة مجرد نافلة ، ومع ذلك فقد اثرنا ان نعرف كلا منها بايجاز :

١ ـ الاونطولوجيا : علم الوجود العام ، أو الوجود بما هو كذلك .

٢ ـ الابستمولوجيا : نظرية المعرفة ، من حيث طبيعتها ومصادرها .. الخ .

٣ ـ الأكسيولوجيا : القيم في مفهومها الفلسفي التقليدي ، وهي الحق والخير والجمال .

٤ ـ الكوزمولوجيا : هي علم الكون ، أو الكونيات ، وتعني بالمشكلات المتعلقة باصل العالم وطبيعته ، باعتبار انه حقيقة متعينة خارج الذهن .

٥ ـ الترنسندنتال : تعود نشاة المصطلح إلى الفلاسفة المدرسيين في عصر النهضة الأوربية ، ويشيرون به الى الواحد او الحق او غيرها من المباديء الكلية التي تتجاوز مقولات أرسطو .

٦ ـ الفينومينولوجيا : فلسفة الظواهر ، أو الفلسفة الظاهراتية ، التى يعد ادموندهوسرل أبرز ممثليها .

من روائع الفن العالمي

جمال قطب


لورانس الماتاديما

الفنان العاشق للتاريخ

فى أوائل القرن التاسع عشر ، بدات موجة (الكلاسيكية الجديدة) فى الانحسار وكانت قد فرضت بالارهاب والدكتاتورية رغماً عن إرادة الفنانين وقيداً على حريتهم وانطلاقهم .. وفى عام ١٩١٨ اخذت المدرسة الرومانتيكية فى الظهور بزعامة (تيودور جيريكو) ، فحطمت آخر قيود تلك الكلاسيكية الناعمة الحالمة . والرومانتيكية مشتقة من لفظ (رومان) ومعناها بالفرنسية قصة أو حكاية ، اى ان هذا المذهب يعتمد على المبالغة فى تصوير المشاهد التراجيدية أو الدرامية ، فالالوان اكثر اشراقاً ، والحركات مبالغ فيها ، والأبطال اعظم جسارة وقوة ، والنساء اروع فتنة وجمالا .

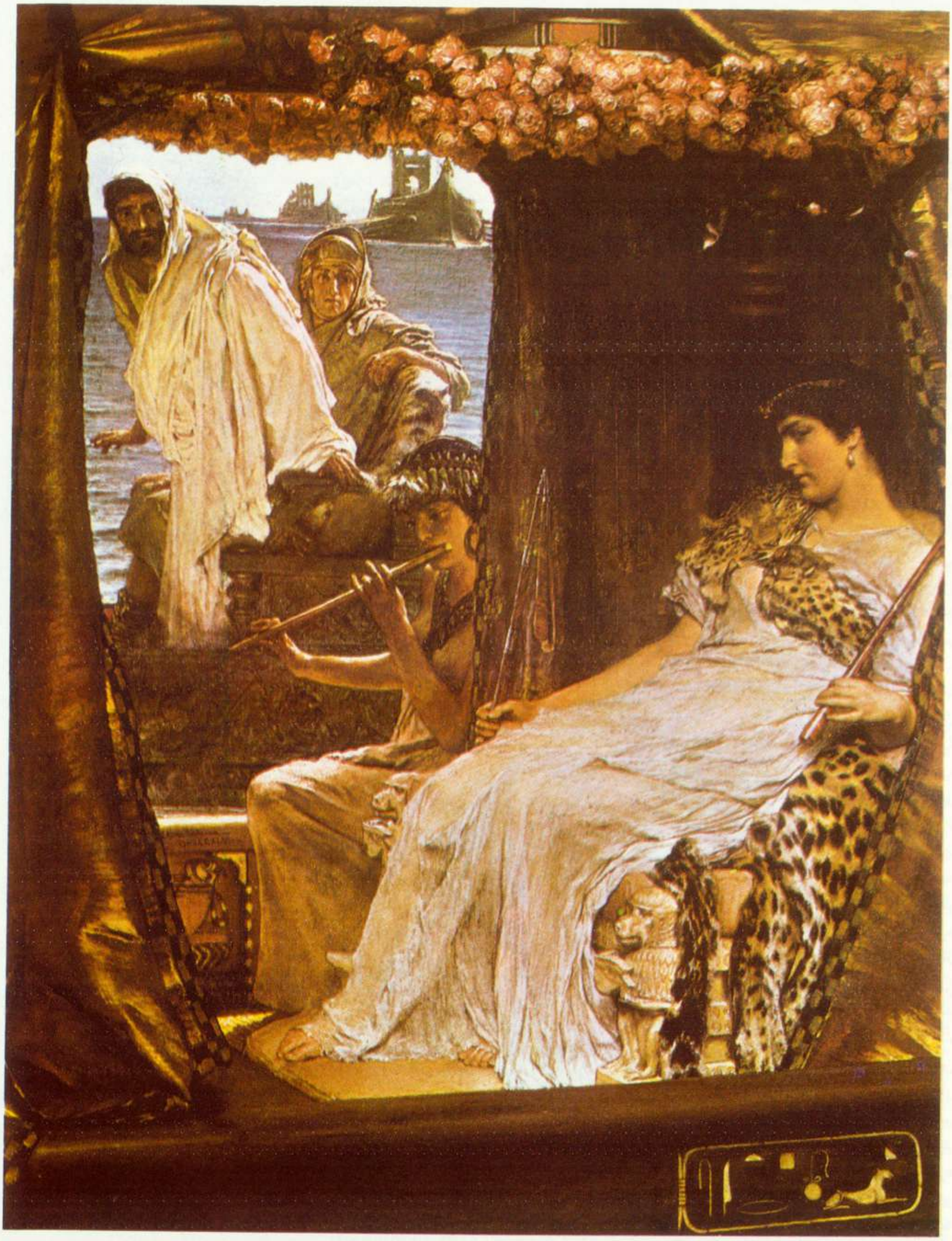
وفى النصف الثانى من القرن الماضى ظهر فناننا (لورانس ألما تاديما) .. عبقرية فذة .. كانت حديث بريطانيا ومحـل اعجابها وتفاخرها .. وقد يبدو من أسمه ما يثير الغرابة من بين الاسماء البريطانية ، اسمه الحقيقى (الماتاديما) ، فهو هولندى الأصل ، ثم أضاف اسم (لورانس) عرفاناً بالوطن الثانى ـ بريطانيا ـ الذى اصبح وطنه الأول بعد ذلك عندما ذاعت شهرته كفنان يمثل الفن الفيكتورى فى القرن التاسع عشر اروع تمثيل !

تلقف تاديما ذلك الحظ من فلسفة الرومانتيكيين واتجه الى احداث التاريخ وحكاياه ليغوص فى اعماقها السحيقة ثم يصوغها فى اكمل ما شاهد الشعب البريطانى فى العالم اجمع من جمال مثالى وشفافية فى الاحساس بلغت حد الاعجاز !

ولم يتأثر (تاديما) أو يهتم بما حدث من انهيارات أو متغيرات فى المدارس الفنية المتعاقبة ، تلك التى توالت بسرعة لاهثة فى العاصمة الفرنسية كمركز عالمى للمذاهب الحديثة أنذاك .. حيث احتدمت المعارك الفنية بعد ظهور التاثيرية وسيطرتها فى الثلث الأخير من القرن الماضى ، وما تفرع عنها من أساليب شتى حتى انتهى القرن التاسع عشر بظهور (الوحشية) ثم التكعيبية والتجريدية والدادية الى أن ظهرت السيريالية عام ١٩٢٤ ففتحت الباب على مصراعيه أمام متاهات وتيارات جارفة من التعبير التشكيلى يتناول المعقول وغير المعقول وعالم الأحلام واللاشعور والرؤى الذاتية ! نعود الى فناننا (تاديما) فنراه قد هام حباً بالتاريخ وسجله فى مئات من اللوحات يسيطر على أسلوبه شغفه بالاسلوب الاغريقى الذى يهتم بتاكيد الملمس وابراز التفاصيل وملأ الدنيا بابداعه العبقرى حتى حصل على جائزة (الميدالية الذهبية) عدة مرات كان أولها عام ١٨٦٤ وأخرها ١٩٠٦ ، وهذه الجائزة لاتمنح إلا لأعلام الفن البارزين . أما شغفه الحقيقى الذى استولى على مشاعره معظم حياته الفنية فكان الحضارة الفرعونية ! وعندما سئل عن اهتمامه بها ، كانت اجابته الشهيرة :

« إن أول شىء يلقن للطفل فى دراسته عن الحضارات الأولى هو الحضارة المصرية القديمة ، بل اننا كلما درسنا منابع العلم أو الفن فى أى دولة من دول العالم وجدنا أن هذه المنابع ما هى الا روافد لنهر النيل العظيم حيث توجد مصر كمنارة لأعرق الحضارات الكبيرة » !!

وفى عام ١٨٦٣ اقام فى لندن معرضاً عالمياً لم يعرض فيه الا لوحاته عن الحضارة الفرعونية .. كما قدم بحثاً ممتازاً مدعماً باللوحات والرسوم التفصيلية عن الحياة فى عهد رمسيس الثانى مستمداً معلوماته من أساتذة التاريخ المصرى ومن وثائق المتحف البريطانى والمراجع العلمية التى أنجزها علماء الحملة الفرنسية الشهيرة . وهكذا قدر للتاريخ الفرعونى أن يبعث حياً فى لوحات عالمية رائعة تعمر بها متاحف الدنيا حالياً .. على يد فنان من أبرز فنانى التاريخ العظام .



كليوبترا .. للفنان البريطانى والهولندى الأصل «لورانس الماتاديما»

درب الطحّان

قصة بقلم : وليـــد عيــــاد



الريح تعوى مع الذئاب الضـــالة .. والمطر يهطل بغزارة فوق صفائح التنك فى مخيمات المقهورين .. والنجوم جميعها اختفت وراء السحب الداكنة .

وفى نهاية درب لا تمر منه سوى قوافل الحمير التى تحمل الحبوب كانت تتربع على تلة منبسطة طاحونة أبو محمـــود الذى جاوز العقد السادس من عمره بسنوات قليلة ، كان الطحان أبو محمود غارقاً فى أفكاره .. لا يعكر صفوها شىء .. فقد كان عواء الريح وتساقط المطر أجمل لحن يسمعه طيلة السنة بالاضافة الى صوت ماكينة الطحين .. ان هذا العام سيكون عام خير كثير .. ولن تتوقف ماكينة الطحين على مدار الفصل .

وعادت به أفكاره الى ما قبل قرابة نصف قرن حين كان فتى يافعاً وحيث فكر ولمرة واحدة طيلة حياته فى الزواج من الفتاة الوحيدة التى أحبها .. ولكنها رغبت عنه لعرج فى ساقه لكن لم يثنه ذلك عن الالتحاق بثورة ٣٦ فوق الجبال المحيطة بالقدس الشريف ..

وأخذ يتخيل كيف لو أنها قبلت به زوجاً على سنة الله ورسوله .. وتصور الطاحونة مليئة بالابناء والاحفاد .. وابتسم .. وعاد ثانية الى أفكاره وعويل الريح وصوت المطر .. عندما يصحو الطقس غداً سيذهب الى المدينة لتفصيل حذاء له .. فهو لا يستطيع أن يشترى أحذية جاهزة لقصر فى احدى ساقيه .. حذاء ؟ لا ، لماذا ؟ ليس له حاجة به .. فهو لا يتجول كثيراً .. ربما سيشترى موس للحلاقة .. ماله وللحلاقة .. ان لحيته بدأت تشيب وبغزارة فى الآونة الأخيرة وسيتركها تطول .. وان نزعها فهو لا يستطيع نزع السنوات التى يحملها على كاهله ..

وأثار البرق فكرة لذيذة .. وبلع ريقه .. انه سيشترى حلوى.نعم .. سـيخزن صفيحة مليئة « بالحلقوم » يتذوق منها حينما يشاء .. وكيفما شاء .. هذه الحلوى التى طالما أحبها طيلة حياته .. وأخذ نفساً طويلا ملأ رئتيه برائحة الطحين التى تنتشر فى جميع أرجاء الطاحونة وتفوح من فراشه وحتى ثيابه .

قريباً ستأتى قوافل الحمير متعبـة وبخطوات مبعثرة من صعود درب الطحان ولكنها ستعود هابطة الدرب جذلى .. مشرئبة الآذان .. وبخطوات منتظمة ، البرق يضيء الطاحونة وتبدو له الماكينة وكأنها تقف مستعدة للعمل .. الرعد يجلجل فى الفضاء البعيد .. وفى أثناء ذلك سمع صيحات .. لم تكن ببعيدة عن الطاحونة.وأصوات تقرع الباب .. من يا ترى ؟ هل هو غصن هزه الريح على مقربة من الباب .. أم أصوات صدى الرعد .. أم هو حيوان جريح .. أصوات كثيرة وتعليلات أكثر تواردت على ذهنه .. وعادت الأصوات ثانية .. انه شبيه بصوت .. نعم .. !! انه صوتها لم ينسه وأن يكن مر عليه قرابة نصف قرن .

وتدثر بلحاف ضمه الى رأسه وكتفيه وتحامل على نفسه وتسلح بعكـازه الحديدى وأخذ شعلة حطب من المدفأة لتضيء له الطريق ، وهرع الى البـاب وفتحه .. الريح الباردة المحملة برذاذ المطر .. صفعت وجهه .. ونظر حوله فلم ير شيئاً .. سوى المطر وهو يرقص فى برك الماء المتجمعة فى فناء الطاحونة .. وضحك فى سره .. منظر المطر الساقط فوق البرك الصغيرة يطلق عليه الأطفال « رقص العجائز » .. وانطفأت الشعلة فى يده والقى بها جانباً .. البرق يضيء أشجار اللوز والتين المبعثرة حول الطاحونة .. يتبعه هدير الرعد الذى أخذ يقترب منه . وعاد وسمع الصيحة ذاتها .. وسار الى حيث المكان الذى اعتقد أنه سمع الصراخ منه .. ولم ير شيئاً غير أنوار خافتة منبعثة من فوانيس المخيم ..وأخذ يفكر .. هل هو صوتها ؟ لا .. لا يمكن مـاذا جرى لهـا فى هذه الساعة من الليل وفى هذا الجو العاصف ومن بعد قرابة نصف قرن .. ؟ ربما أنها أصوات حيوانات مذعورة .. وأخذ يقترب من مكان الصوت أكثر فأكثر .. ولمع برق أنار كل ما كان حوله بلون فضي .. انه على مقربة منه جداً .. وشعر بدفء شديد صحبته حرارة امتدت من عكازه الحديدى .. وضوء ينساب منه ويغمر جسده ويضفى بغلالة ناعمة على عينية اللتين ارتسمت عليهما صورة فتاة أحبها حباً عنيفاً منذ زمن بعيد .



قف هل تعلم

عبد العزيز
السيد المصري

كيف يتكون الفحم ؟

تكون الفحم خلال عصور كثيرة مختلفة على طول تاريخ الأرض . وأعظم الفترات التى تكون فيها الفحم هو العصر الذي يسمى بنسيلفانيا الذي بدأ منذ حوالي ٢٥٠ مليون سنة وانتهى منذ حوالي ٣٥ مليون سنة . ومعظم أنواع الفحم قد تكون فيما بين مليون إلى مائة مليون سنة مضت . ماالذي حدث فى أثناء هذه العصور ؟ وكيف تكون الفحم ؟ .

يوجد الفحم فى الأرض على شكل طبقات تمتد الى عدة أميال . يصل سمكها أحيانا إلى أكثر من عشرة أقدام ، وهو مدفون بين طبقات أخرى من الصخور . والفحم هو بقايا الأشجار والنباتات التى نمت فى أحراش المستنقعات ذات الأجواء الحارة الرطبة فى تلك العصور التى ظلت مئات الملايين من السنين . فنباتات الحلفاء التى كانت تنمو بسرعة ، وأشجار السرخس الطويلة التى نمت فى هذه المستنقعات ماتت وسقطت فى مياهها الهادئة . وقد حماها ذلك من التعفن الذي كان يمكن أن يبيدها إذا ما تعرضت للهواء . وحولت البكتيريا بعضا من أجزائها إلى غازات هربت وخلفت وراءها خليطاً أسود هو الكربون فى الغالب .. وهو الذي سيصبح فيما بعد طبقة من الفحم . وقد تسببت سنوات عديدة من النمو الخصب وسقوط النباتات والأشجار فى هذه المياه إلى أن يصل سمك النباتات الذابلة الى كثير من الأقدام . وفي وقت طويل أو قصير وصلت هذه العملية إلى نهايتها عندما غاص سطح الأرض ونتج عن ذلك طبقة سميكة من الطين والرمل ترسبت فوق الخضرة الغارقة فى الماء . وبمرور الزمن ضغطت هذه الطبقة الضاغطة من الطين والرمل على الخضرة فأخرجت ما فيها من سائل وتكررت هذه العملية فى بعض الأماكن عدة مرات .

وعندما كانت تبنى طبقة الراسب الثقيلة حتى تصل إلى مستوى سطح الماء ، كان يتكون مستنقع آخر .. وتتكون طبقة من النباتات مرة أخرى ثم تغوص مرة ثانية .

وبهذه الطريقة تتكون طبقات الفحم منفصلة كل طبقة عن الأخرى بطبقة من الطين والرمل اللذين صارا بمرور الزمن صخراً . وقد استغرق التغير من الخشب إلى الفحم آلاف السنين .. ويمكن رؤية الدليل على تحول الخشب إلى فحم بسهولة .. ففي بعض الأحيان نجد شجر سرخس حقيقياً مضغوطاً بين الفحم أو أشكال من لحاء الشجر . حتى قرم الشجر الصغيرة قد رؤيت بين الفحم .

أول من فكر في الحروف الهجائية

قبل أن يعرف الناس الحروف الهجائية كانوا يستعملون الصور فى تسجيل أفكارهم والحوادث التى مرت بهم ، فصورة مجموعة من البقر الوحشى فى مكان تدل على أن هذا المكان أرض صيد جيدة ، وذلك يعنى أن ذلك النوع من الصور كان نوعاً من الكتابة .

ثم حدث بعض التغيير فى الكتابة بالصور بمرور الزمن وبدلا من أن تكون الصورة للدلالة على الموضوع المرسوم نفسه أصبحت تدل على فكرة مرتبطة بالموضوع المرسوم فربما تدل صورة قدم على الفعل « يمشى » .

وجاءت الرموز التى تعبر عن خليط من الأصوات فصارت صورة « ذراع » مثلا تدل على مجموعة الأصوات التى تتكون منها كلمة « ذراع » حين ينطقها ، وكلما أراد أن يعبر عن هذه الأصوات رسم صورة « ذراع » وكررها كلما تكررت هذه الأصوات . وتسمى هذه المرحلة من الكتابة الهجائية .

وقد ابتكر المصريون فيها نوعاً من الحروف الأبجدية فكانت صورهم تعبر عن ٢٤ رمزاً وكانت تقوم مقام حروف متفرقة أو كلمات متفرقة كل منها يمثل حرفاً ساكنا .

ومنذ ٣٥٠٠ سنة تقريباً صنع أناس كانوا يعيشون قرب الشاطىء الشرقى للبحر المتوسط الخطوة العظيمة التى وصلت بنا إلى حروفنا الهجائية ، فقد تنبهوا إلى أن الرمز نفسه يمكن أن يستخدم لنفس الصوت الذى يرمز إليه فى جميع الحالات أى أنه كلما تكرر الصوت رسم الرمز للدلالة عليه .

وقد تطورت رموزهم على أيدى النبطيين والآراميين والعبرانيين والفينيقيين وكانت حروفنا العربية الهجائية إحدى ثمرات هذا التطور .

أين طبعت أول صحيفة ؟

ربما يكون لديك صحيفة أخبار حائطية فى مدرستك . ما الذى حصلت عليه بعد قراءتها ؟ . لقد حصلت فقط على الأخبار . فى يوم ما كانت جميع الصحف هكذا .. كانت الأخبار تجمع من المسافرين أو من مصادر الحكومة وتقدم على لوحة أخبار لكل فرد ليقرأها .

بالطبع ليست هذه صحيفة حقيقية لأنك لاتستطيع أن تأخذ الصحيفة معك لتقرأها فى أى مكان تحب .. وإذا أردت أن تعرف أول صحيفة طبعت يجب أن تعود الى الصين منذ حوالى ١٣٠٠ سنة . فى هذا الوقت طبعت الحكومة صحيفة أطلقت عليها اسم «تشينج باو» ومعناها أخبار العاصمة . وبهذه الطريقة كانت الحكومة قادرة على إخبار الناس بأهم التطورات . وكان هناك أيضاً صحيفة حكومية فى روما القديمة كانت توزع بين الناس وكانت تسمى «أكتاديورنا» وتعنى الأحداث اليومية . هاتان



الصحيفتان هما أول الصحف التى لدينا تسجيل عنها .

وصدرت أول صحيفة أمريكية فى بوسطن وماساتشوست فى سنة ١٦٩٠ ، ولكنها سرعان ما أغلقها حاكم المستعمرة .. وأصدر بنيامين فرانكلين صحيفة اسمها جرنال بنسيلفانيا من سنة ١٧٢٩ الى سنة ١٧٥٢ ، وكان فى المستعمرة صحيفتان فقط . ولكن عندما قامت الثورة الأمريكية كان هناك ٣٧ صحيفة .

وربما تكون أعظم الصحف التى نشرت تأثيراً ونفوذاً «لندن تايمز» سنة ١٧٨٥م ، وما زالت مستمرة حتى اليوم .

موسوليني والحركة الفاشية

بقلم : محمد العزب موسى

من مفارقات القرن العشرين أن شعبين من أرقى شعوب أوربا وأكثرها ثقافة وحضارة دانا بالطاعة العمياء ما يقرب من جيل كامل لزعيمين دكتاتوريين مجردين من أي رقي وثقافة ، كانا في مطلع حياتهما متشردين ، أفاقين ، يعيشان على هامش المجتمع ، وفتات الأفكار ، ورغم ذلك استطاعا أن يفرضا ارادتهما على أداة الحكم ، وعلى قلوب معظم أبناء شعبيهما .

والحديث بالطبع عن ألمانيا وإيطاليا ، وعن هتلر وموسوليني ، وقد قاد كل منهما شعبه في النهاية الى الشقاء والهزيمة ، ودولته الى الخراب والدمار ، بالرغم من انجازاتهما الكبيرة التي حققاها في صدر حكمهما ، والتأييد الواسع الذي حصلا عليه من العامة والخاصة على السواء .

ولكنها الفاشية ، ذلك المرض السياسي الذي يمكن أن يصيب أرقى الشعوب ويطوعها لأدنى القيادات ، وأضل الأهداف. والفاشية من النزعات الاستبدادية التي تسعى الى اقامة ما يسمى بالمجتمع الشمولي ، أي الذي تتدخل الدولة في كل شئونه ، وهي خلافا للنظريات الشمولية الأخرى تنمو عادة في الدول الأكثر تقدما من الناحيتين الاقتصادية والتكنولوجية ، كما أنها خلافا لبعض النظريات الشمولية أيضا من منتجات ما بعد الديمقراطية والتصنيع ، وبينما تسعى النظريات الأخرى إلى اقامة مجتمع جديد على انقاض المجتمع الرأسمالي القديم ، تسعى الفاشية الى حل مشاكل المجتمع الرأسمالي واخراجه من أزمته .

فعندما تصل بعض المجتمعات المتقدمة اقتصاديا وتكنولوجيا وديموقراطيا وتصنيعا ، إلى مرحلة الأزمة الوطنية ، حيث الكساد الاقتصادي والبطالة والتمزق الحزبي والهوان الوطني تبدو أمامها الدكتاتورية الفاشية بما تتيحه من الوحدة الوطنية وما تسعى إليه من تحقيق الهدف الوطني ، كحصن للأمان وطوق للنجاة ، ومن المفارقات أنه كلما كانت الحركات الفاشية أكثر إمعانا في الارهاب والتطرف لقيت تأييدا أكبر من جانب الشعب .. وتعتمد الفاشية عادة على اثارة النزعات الوطنية والعنصرية والتوسعية بين أفراد الشعب ، واستغلال مشاعر السخط والاستياء وعدم الاحساس بالأمن ، وتحويلها الى الكراهية والعدوان ضد « الاعداء » في الداخل والخارج .

وتعتمد الفاشية على حزب واحد يقوده زعيم أوحد ، حزب يدين بالولاء والطاعة العمياء لقرار الزعيم ، ولا يعترف بأي شكل من أشكال الديمقراطية حتى ما يسمى بمبدأ الديموقراطية المركزية الذي تأخذ به ولو ظاهريا الأحزاب الأخرى التي تسعى لفرض دكتاتورية طبقة واحدة ، مما يجعل الفاشية مناقضة على طول الخط للديموقراطية بكل صورها ومظاهرها ، منكرة للحريات العامة والخاصة ، وهي تعامل خصومها في الداخل بأشد الأساليب قسوة وانكارا باعتبارهم « أعداء للشعب » وتستخدم في تجميل صورتها أمام الشعب أبرع أساليب الدعاية ، وتوقي نفسها النقد بتكميم الافواه .

وقد استطاع موسوليني أن يفرض زعامته المطلقة على الشعب الايطالي مستغلا أزمته الوطنية والديموقراطية في مطلع العشرينات ، ومعتمدا على حزبه الفاشي وانصاره الارهابيين الذين كانوا يرتدون القمصان السود ولا يتورعون عن



موســـوليني في شـــبابه ، عندمـــا كان فـــي العشرينـــــات يحـــــلم بالصعـــــود إلى المجـــد



أربع لقطات لموسوليني تمثل مراحل حياته منذ كان احد الزعماء البارزين في الحــزب الفـاشي ، إلى أن اصـــبح زعيمـــــا للحـــــــزب .

العصف بخصومهم فى أى مكان .
واستطاع أن يلهب مشاعر الايطـــاليين بشخصيته المغناطيسية ونبرات صــوته وقدرته على الخطابة ، فبدأ أمامهم كزعيم رومانى عظيم ممن كانوا يهزون المنابر وينتصرون فى الحروب أيام روما القديمة ، بل إنهم قارنوه بيوليوس قيصر ، وخرج قيصر من المقارنة خاسراً ، واســـتطاع موســــــوليني أن يقــوض التجــربة الديموقراطية فى إيطاليا تقويضاً كاملا ، وأن يتغلب على جميع منافسيه وخصومه السياسيين بدهائه وقدرته على المناورة وأساليبه فى التصفية المعنوية والجسدية حتى أصبح هو « الدوتشى » أوالزعيم الأوحد الذى يدين له الكل بالولاء رغبة أو رهبة ، اقتناعاً أو خوفاً ونفاقاً .

وفي أوج مجده كثيراً ما كان موسولينى يقف فى شرفة قصره المطل على أكبر ميادين روما ، وقد رفع فكه العريض الى أعلى وملأ صدره المرصع بالنياشين بأكبر قدر من الهواء ، ووضع يديه فى وسطه ، وباعد بين ساقيه بحذائهما ذى الرقبة الطويلة ، ومن تحته يحتشد الميدان بمئات الألوف من الايطاليين ، يقفون كتفاً إلى كتف ، يهتفون بحياته وزعامته ، وهو يفتعل الصبر حتى يهدأ الهتاف كى يبدأ فى إلقاء إحدى خطبه النارية فى نبرات مؤثرة ، وعبـــارات بليغة .

وكم تختلف هذه الصورة للدوتشى فى أوج مجده عن صورته فى بداية حياته حين نراه بلطجيا ، عاطلا ، متسكعا ، يحـل مشاكله بقوته البدنية ، ويأوى الى دورات المياه أو محطات السكك الحديدية أو تحت الجسور ، ويتعرض لالقاء القبض عليه فى مدن سويسرا وأوربا . وقد حدث عندما صار موسولينى رئيساً لوزراء ايطاليا ان زار سويسرا ذات مرة ونزل فى واحد من أكبر قصورها . وأشار موسولينى بيـــده من النافذة وقال لمرافقه مـــدير البــوليس السويسرى : تحت هذا الجسر ايها الجنرال قبض على رجالك يوماً . فأجابه الجنرال السويسرى : هذه هى الحياة يا صاحب الفخامة !

وموسولينى من الشخصـــــيات التى تتعارض بشأنها الآراء تعارضاً كبيراً ، فهو شخصية خلافية من الطراز الأول ، وقد صدر عنه خلال هذا العام (١٩٨٢) كتابان فى الغرب احدهما بعنوان « الدوتشى » بقلم انتونى جيمس جونز ويحوى دفاعاً مستميتاً عن الزعيم الايطالى ، والثانى بعنوان « موسولينى » بقلم دينيس ماك سميث وهو عبارة عن إدانة كاملة له .
فموسولينى فى نظر الكاتب الأول هو أول رئيس وزراء أوربى من الطبقة العاملة ، وأصغر رئيس وزراء فى تاريخ ايطاليا ، ومثقف كون نفسه بنفسه ، وعازف كمان ماهر حساس ، ووطنى مخلص انقذ ايطاليا من الفوضى والارهاب الأحمر ، وحولها الى دولة صناعية حديثة ، واكتسب اعجاب العالم أجمع قبل أن يتورط فى « غلطة حياته الكبرى » وهى التحالف مع أدولف هتلر فى الحرب العالمية الثانية ، وحتى فى نهايته مات بشجاعة عندما أمسـكت به « عصابة من الشيوعيين » وشنقته فى ابريل ١٩٤٥ بأوامر من الزعيم الشيوعى بالميرو كولياتى الذى خشى أن يقع موسولينى بعد الاطاحة به كرئيس للوزراء فى يد القوات الامريكية المتقدمة فيبوح بأسرار الفظائع التى ارتكبها الشيوعيون

موسولينى والحركة الفاشية

فى شمال إيطاليا !

فاذا انتقلنا الى الكتاب الثانى بتفاصيله الدقيقة الكثيرة المذهلة إذا بموسولينى يطالعنا كبلطجى شرير ، وكذاب أشر ، فطر على العنف والاجرام منذ نعومة أظافره ، لا يؤمن باى مبدأ أو فكرة إلا كسلاح يستخدمه حسب الظروف ، هدفه الوحيد الوصول الى السلطة السياسية باى ثمن ومن أى طريق ، وعندما وصل إلى الحكم مستعيناً بالغدر والتضليل والقوة المجردة فرض دكتاتوريته الطاغية على أمة منقسمة ممزقة وجرها وراءه من كارثة الى أخرى ، حتى انتهى بالتحالف مع النازية . وألقى ببلاده فى أتون حرب مدمرة لتحقيق أحلامه الشخصية فى انشاء امبراطورية ، وانتهى النهاية الجدير بها ، قتيلا معلقاً من رجليه مع عشيقته كلارا بيتاتشى فى أواخر الحرب العالمية الثانية .

سنوات التكوين

اذا كانت السنوات الأولى فى حياة أى زعيم جديرة بالدراسة لدلالتها على فطرته وشخصيته المقبلة ، فان هذه المرحلة من حياة موسولينى أولى بالدراسة لانه استكمل فيها بالفعل كل ملامحه التى عرف بها من بعد . وقد كان هو نفسه يعترف بان السنوات الأربعة عشرة الأولى من حياته ، بما فيها من حرمان وقسوة وشقاء ، كانت عميقة الأثر فى تكوينه .

ولد موسولينى فى مدينة بريدابيو الصغيرة بمقاطعة رومانيا بوسط ايطاليا فى ٢٩ يوليو ١٨٨٣ ، وكان الابن الأول لحداد محلى يدعى اليساندرو مما جعله يفخر فيما بعد باصله المتواضع ويسمى نفسه « رجلا من الشعب » ، غير أن أسرته لم تكن بالهوان الذى صوره هو فى كتاباته فقد كان أبوه صحفياً اشتراكياً بعض الوقت الى جانب كونه حداداً ، وكان جده ضابطاً فى الحرس القومى ، أما أمه روزا فكانت مدرسة القرية ، وكانت الأسرة تعيش فى غرفتين بالدور الثانى من المبنى الذى تحتله المدرسة ، ويذكر بنيتو انه كان يقيم مع أخيه ارنالدو فى غرفة تستخدم كمطبخ فى نفس الوقت مما جعلها مسودة دائماً بالدخان . أما الغذاء المعتاد للأسرة فهو الحساء والخبز الأسود ، واللحم فى أيام الآحاد والأعياد .

وكان الأب يقضى معظم وقته فى مناقشاته السياسية فى الحانات ، وينفق معظم نقوده على عشيقاته ، وكان كسولا يعمل فى فترات متقطعة ، ولكنه يكسب احترام الآخرين بامانته وشجاعته ، غير انه كان قاسياً فى تربية ابنائه يؤمن بالعقاب البدنى ، ويستخدم السوط فى تسيير شئون اسرته .

وقد نشأ بنيتو طفلا ميالا للشغب ، قلقاً عدوانيا ، عنيداً ، تعلم النطق بصعوبة فى سن متاخرة ، وظل طيلة طفولته منطوياً على نفسه . ميالا للعزلة ، لا يبكى ولا يضحك ، ولا يصادق لداته من الاولاد ، ويقال ان ميوله العدوانية ظهرت فى وقت مبكر ، فكان ينزع ريش الدجاجات وهى حية ، ويفقأ عيون العصافير التى يصطادها ، ويخز الناس بالدبابيس فى الكنيسة كى يجعلهم يصيحون . قال يوماً لامه « ساجعل الأرض ترتجف منى فى يوم ما » !

ولم يستطع المدرسون فى مدرسة القرية السيطرة عليه ، فارسل الى مدرسة للآباء الساليزان فى مدينة فاينزا المجاورة ، ولكنه كره التعليم الدينى ، واثبت انه أكثر عدوانية واستعصاء على السيطرة ، وطعن زميلا له بمبراة ، وهاجم أحد الآباء لانه أراد تأديبه ، فطرد من المدرسة ، ولزم البيت بقية العام الدراسى يعلم نفسه بمساعدة أمه ، ثم أرسل الى مدرسة أخرى لا يديرها القسس فى فورليمبوبولو وهناك أيضاً هدد بالطرد أكثر من مرة بسبب شقاوته وتمرده .

غير أن موسولينى الى جانب عنفه ومشاكسته كان تلميذاً ذكياً ، واستطاع اجتياز امتحاناته النهائية بدون مشقة وحصل فى عام ١٩٠١ على دبلوم يتيح له أن يكون معلماً ، واشتغل بالفعل مدرساً تحت التمرين فى مدرسة جوالتيرى الابتدائية فى فورلى ، ولكنه سرعان ما تأكد أن مهنة التدريس لاتناسبه بسبب قلقه وطموحه ونفاد صبره ، فترك عملة كمدرس وأطلق لبوهيميته العنان ، يتعاطى الشراب ، ويلعب الورق ، ويغير الصديقات ، وفى يونيو ١٩٠٢ قرر الفرار الى سويسرا هرباً من الخدمة العسكرية ، والديون ، والعشيقات .

كان عندئذ فى التاسعة عشرة من عمره ، شاباً قصيراً شاحباً ، بفك ضخم ، وعينين سوداوتين ثاقبتين ، كارهاً للبشر ، وعاش فى سويسرا مفلساً ، متشرداً ، عاطلا ، مهملا . ينتقل من عمل لآخر ، فاشتغل عامل بناء ، وصبى جزار ، ومناولا فى مصنع ، وكان يخالط المتشردين وينام فى المراحيض العامة وتحت الجسور ، وقيل انه شوهد يشحذ أحيانا أو يحاول الحصول على طعامه بالتهديد ، وقبض عليه أكثر من مرة بتهمة التشرد .

أقام موسولينى ثلاث سنوات فى سويسرا كانت بمثابة سنوات تكوينه الفكرى والسياسى ، ففيها بدأت تظهر ميوله الثورية وموهبته فى الخطابة وإثارة الخواطر ، وانتخب سكرتيراً لنقابة عمال البناء ، واتصل بأوساط العمال الايطاليين المهاجرين الى سويسرا ، وببعض المنفيين الثوريين من روسيا ، وهؤلاء فتحوا له باب الأدب اليسارى ، فاخذ يقرأ بكثرة وتنوع ـ وان يكن بدون عمق ـ لكانت ، وسبينوزا وماركس ، وكروتبكين ، ونيتشه ، وهيجل ، وكاوتسكى ، وسوريل ، كما استطاع أن يعلم نفسه الألمانية والفرنسية بالترجمة عنهما مباشرة .

وتزايد نشاط موسولينى ، فكان يخطب فى الأماكن العامة متحدياً السلطات ، وداعياً العمال الى ما أسماه « يوم الانتقام » ، فاعتقل وسجن أكثر من مرة فى بون ولوزان ، وأخيراً طرد من سويسرا فى عام ١٩٠٤ ، فقصد إلى فرنسا حيث أمضى عدة شهور هناك كان يتعيش خلالها من قراءة الطالع للناس كواحد من الغجر ، ثم غادر فرنسا سيرا على الأقدام وأخذ يتجول فى ألمانيا والنمسا ، وأخيراً عاد إلى سويسرا محاولا مواصلة حياته البوهيمية مرة أخرى ، وفى تلك الأثناء حوكم غيابياً فى ايطاليا وأدين بتهمة التهرب من التجنيد ، مما جعله يفكر فى الهجرة من أوربا بأسرها إلى مدغشقر أو أمريكا ، ولكنه لم يلبث ان استفاد من عفو عام فعاد إلى ايطاليا وهو فى الثانية والعشرين من العمر حيث أدى الخدمة العسكرية ، وقرر ان يستقر فى وطنه .

«الجرامفون» المتحرك

أمضى موسولينى ١٨ شهراً فى الخدمة العسكرية ، وبعد تسريحه اشتغل بالتدريس فى مدرسة ابتدائية بقرية كولميتزو الجبلية بالقرب من الحدود





لقطة نادرة تمثل إبنة موسوليني اثناء زفافها من الكونت « جاليزو شيانو » الذي كان وزيراً .. ويرى موسوليني في يسار الصورة .. ثم لقطة نادرة اخرى بعد اعدام زوج ابنته بتهمة التآمر ضد موسوليني

النمساوية ، وكان عندئذ موضوعاً تحت مراقبة الشرطة ، وفى نهاية العام لم يجدد عقده بسبب احتجاج أولياء الأمور على سلوكه كمدرس حيث كان يعيش ، باعترافه « حياة من التدهور المعنوى » يهمل واجباته ، ويشرب كثيراً ، ويلقى خطباً نارية أمام النافورة فى ميدان القرية ، وأصيب فى هذه المرحلة بالأمراض السرية التى تركت بصماتها على صحته إلى آخر حياته .

وعاد موسولينى إلى بريدابيو حيث أقام مع أبيه اليساندرو – بعد وفاة أمه – فى بيته الجديد مع عشيقته وبنتيها ، وقد تزوج موسولينى صغرى هاتين البنتين – وتدعى راشيل – فيما بعد فى عام ١٩٠٩ وجدد اهتماماته السياسية بعد سنوات من الانقطاع ، فعاد الى العمل النقابى والصحافة الثورية والسياسة المتطرفة ، مما جعله يعيش سلسلة لا تكاد تنقطع من الاعتقال والسجن ، وهو أمر لم يكن يبالى به ، اذ كان يعتبر السجن ضرورة لابد منها للتثقيف السياسى ، والعمل النضالى ، وتاثر خلال هذه الفترة بشدة بالفيلسوف الألمانى نيتشة ، صاحب مذهب القوة ، ووجد لديه تبريراً لحملته ضد الفضائل المسيحية كالتواضع وانكار الذات والرحمة والطيبة ، واخذ منه بعض عباراته التى أعجبته مثل « إرادة القوة » و « عش فى خطر » ، كما أدهشته فكرة السوبرمان ذلك الانسان الأعلى الذى يتحدى الجماهير ويحتقر المساواة والديموقراطية .

وفى سن السادسة والعشرين ، حين كان يساعد أباه فى إدارة حانته ، اختارته « النوادى الاشتراكية » فى فورلى ليحرر صحيفة تصدرها من أربع صفحات اختار لها بنفسه اسم « صراع الطبقات » ، كانت هذه الصحيفة واحدة من مئات الصحف الأسبوعية الاشتراكية التى تصدر فى إيطاليا فى ذلك الحين وجميعها ذات توزيع محدود لا يتجاوز فى المتوسط الألف نسخة ولكنه استطاع خلال عامين أن يوسع من توزيعها ، ويجعلها واحدة من أبرز مثيلاتها فى أنحاء البلاد .

وخلال هذين العامين نشط موسولينى كصحفى ومهيج سياسى ، وكان يصف نفسه خلال هذه الفترة بانه يشبه « الجرامفون المتحرك » فى نشر الدعاية السياسية ، وكان أكثر ما يسعده أن يدخل فى مشاجرات بدنية مع المخبرين السريين ، وان يخطب فى الاجتماعات السياسية الصغيرة ويصفق له الحاضرون ، ويؤكد انه من العبث تضييع الوقت فى الديموقراطية البرلمانية ، وان الوقت قد حان لوقف دراسة العالم والعمل على تغييره ، ويشن هجمات عنيفة على الكنيسة الكاثوليكية ، ويسمى القسس بالجرائيم السوداء ومسممى عقول الشباب وخدم الرأسمالية ، ويصف الجيش بأنه منظمة إجرامية هدفها حماية الرأسمالية والمجتمع البرجوازى ، ويدعو الجنود الى التمرد على ضباطهم ، لأن البروليتاريا لا وطن لهم ويجب أن يرفضوا الحرب لأسباب وطنية ، ويقول ان العلم الوطنى بالنسبة لنا مجرد خرقة فوق كوم من القمامة !

والغريب ان موسولينى غير أفكاره هذه تماماً فيما بعد سواء بالنسبة للدين ، او الوطنية ، أو الحرب .

فى اكتوبر ١٩١٠ حضر موسولينى المؤتمر السنوى للحزب الاشتراكى فى ميلانو حيث شن حملة عنيفة داخل المؤتمر ضد الاتجاهات المعتدلة ، وطالب بنبذ الأساليب الديموقراطية ووسائل الاصلاح ، ودعا الى التمرد المسلح ، ولم يلبث ان انشق عن الحزب فى ابريل ١٩١١ مؤملا أن ينشىء حزباً جديداً أكثر ثورية كما فعل البلاشفة بانفصالهم عن بقية الاشتراكيين فى روسيا ، وحصل انشقاقه على تأييد محلى فى فورلى ، ولكنه لم يكسب له تأييداً عريضاً فى ايطاليا ، مما جعله يفضل العودة إلى الحزب على أساس أن أفضل تكتيك هو تأكيد وحدة الحزب ومحاولة السيطرة عليه من الداخل من أيدى الاصلاحيين .

وفى هذه الفترة ، سبتمبر ١٩١١ ، قرر جوليتى رئيس وزراء إيطاليا فى ذلك الحين وزعيم أكبر الأحزاب الليبرالية فيها ، غزو ليبيا ، وشارك موسولينى مع كثير من الاشتراكيين المعتدلين والثوريين فى استنكار هذه الحرب العدوانية التى يراد بها ابعاد الأنظار عن المشاكل الداخلية الملحة ،وهاجم بشدة فكرة الولاء الوطنى باعتبارها « خرافة وأكذوبة » داعياً الطبقة

موسولينى والحركة الفاشية

العاملة إلى انتهاز الحرب الليبية للثورة وإعلان حرب الطبقات ، بل حاول تنظيم تمرد ضد الحرب فى فورلى ، ودفع الجماهير إلى مهاجمة خطوط السكك الحديدية لتعطيل نقل الجنود ، ولكن امكن إخماد تمرده بسهولة ، والقى القبض عليه وقدم الى المحاكمة ، وفى المحاكمة حاول موسولينى التنصل مما فعل ، فالقى اللوم على زملائه الآخرين . وأنكر مسئوليته عن دعوة الجماهير الى أعمال السلب والنهب والعنف ، وحاول أن يشرح للمحكمة ان الناس فى فورلى لا يحبونه ولا يأتمرون بأوامره وقليلون منهم يشترون صحيفته ، ونفى انه ضد الوطنية بل انه يعتبر نفسه وطنياً حقيقياً ، ورغم ذلك وجد انه مذنب وحكم عليه بقضاء بضعة أشهر فى السجن .

وبعد خروجه من السجن ، وبالرغم من موقفه المتخاذل اثناء المحاكمة ، جدد موسولينى هجومه ضد « التدريجيين » وكل العناصر التى تؤيد الحرب الاستعمارية لجوليتى ، أو تفضل الأساليب البرلمانية على الثورية ، وتمكن بالفعل من طرد بيسولاتى زعيم المعتدلين من الحزب لأنه هنأ الملك فيكتور عمانويل بنجاته من محاولة اغتيال ، وبذلك انتصرت العناصر الثورية داخل الحزب بزعامة موسولينى ، ودعم سلطته فى الحزب الاشتراكى كله .

وبعد أربعة أشهر من طرد بيسولاتى خلا منصب رئيس تحرير صحيفة الحزب الاشتراكى الرئيسية « افانتى ! » ، فقام زملاؤه فى اللجنة التنفيذية للحزب بتعيينه رئيساً للتحرير ، وكانت هذه ضربة حظ للصحفى الشاب الذى لم يعمل من قبل فى جريدة يومية كبرى ، فاذا به يرأس تحرير واحدة من أكبر الصحف الايطالية ،

واستطاع خلال هذا المنصب الذى تولاه عامين كاملين (١٩١٢ ـ ١٩١٤) أن يدعم مركزه كواحد من زعماء الحزب البارزين ، وأن يزيد من شهرته بين القراء وجمهور الحزب ، كما استطاع ان يضاعف من توزيع الصحيفة التى كان يديرها بمركزية مطلقة بعد أن مزق عقود بعض كبار كتابها وصحفييها .

وفى ذلك الوقت بدأت سحب الحرب تتجمع فى أوربا ، واخذت كل دولة تستعد لتسليح نفسها ، فهاجم موسولينى بقوة سياسة جوليتى فى تسليح ايطاليا انطلاقاً من خطه السياسى وخط حزبه وصحيفته الذى هو ضد العسكرية ، وضد الوطنية ، وضد الامبريالية ، كتب مرة يقول «فلنتوقف عن الحديث عن البوارج والمعسكرات والمدافع فى الوقت الذى تحتاج آلاف القرى الايطالية . المدارس والطرق والكهرباء والأطباء ولا تزال تحيا ماساوياً دون الحد الأدنى من الحياة المتمدينة » .

وأدت الحملة القوية ضد الحرب ، وضد الحكومة ، إلى نزول ملايين المتظاهرين فى الشوارع خلال ما عرف « بالأسبوع الأحمر » فى يونيو ١٩١٤ ، ولكن موسولينى ـ الذى كان يتقاعس دائما عند العمل الجدى ، أحجم عن المشاركة فى « الثورة » ، ولزم مكتبه ، مما عرضه لانتقادات حادة من زملائه لم ينقذه منها إلا حادث مصرع الأرشيدوق فرديناند ولى عهد النمسا فى سيرا جيفو مما أشعل الحرب الكبرى فوراً .. النمسا والمانيا ضد فرنسا وبريطانيا وروسيا .

ودعا موسولينى الى « الحياد مهما كان الثمن » ووصف التدخل فى الحرب بانه « جريمة لا تغتفر » ، وأن الحرب مصلحة برجوازية ، ويجب على الطبقة العاملة ان لا ترفض القتال فى الحرب فحسب بل ان تستغل فرصة الحرب للثورة ضد حكوماتها .

وظل موسولينى محافظاً على هذا الخط عدة أشهر ، ثم فجاة بدأ موقفه يتذبذب : يمكن التدخل فى الحرب فى ظروف معينة ، وإذا دخلت إيطاليا الحرب على الطبقة العاملة ان لا تثور ضد حكومتها ولكن يحسن ان تقف سلبية ، عين فى الجنة وعين فى النار ، وشعر الحزب والقراء بتناقض مواقفه ، ولكنه ظل ينكر ذلك محاولا إمساك العصا من منتصفها ، وفجاة فى ١٨ اكتوبر عام ١٩١٤م ، وبدون اخذ رأي الحزب أو حتى زملائه فى تحرير الصحيفة كتب موسولينى افتتاحية أعلن فيها انه كان على خطأ ، وان الواجب تأييد الحرب ، فلا يمكن أن يبقى الاشتراكيون بمعزل عن هذه المأساة الكبرى التى تجتاح أوربا ، ثم ان الحروب كما يقول ماركس تتلوها الثورات الاجتماعية ، فالحرب اذن سوف تقرب يوم الخلاص ، كما أن هزيمة فرنسا ستكون ضربة مميتة للحرية فى أوربا . وبدأ يكتب المقالات ويلقى الخطب التى تؤيد دخول الحرب بنفس القوة التى كان يعارضها بها !

ووقع هذا الموقف كالصاعقة على رءوس زملائه ، فاجتمعت اللجنة التنفيذية للحزب الاشتراكى لمساءلته ، وقدم موسولينى استقالته من « افانتى ! » ، وثار ضده الحزب الاشتراكى ووصفه بانه « خائن » و « نذل » و « قاطع رقاب » واتخذ قراراً بفصله .

وهكذا ترك موسوليني الحزب الاشتراكى الايطالى الى غير رجعة ، واستطاع بمساعدة ناشر يؤيد الحرب ضد النمسا أن يتولى تحرير صحيفته « إل بوبولو ديتاليا » فى نفس الأسبوع الذى غادر فيه « افانتى ! » . وفيها اعلن خطه الجديد : « من الآن فصاعد نحن جميعاً إيطاليون ، ولا شيء سوى ايطاليين ، الآن وقد واجه الفولاذ الفولاذ تخرج من قلوبنا صيحة واحدة : تحيا ايطاليا (فيفا ديتاليا) وهى الصيحة التى أصبحت هتاف الفاشية فيما بعد .

الصعود إلى القوة

بدأت الأموال تتدفق على موسولينى وصحيفته من جهات كثيرة ، من الدول المحاربة التى تريد زج إيطاليا معها فى الحرب ، وهى فرنسا وانجلترا والولايات المتحدة ، ومن كبار الصناعيين الايطاليين الذين يستفيدون من دخول ايطاليا الحرب كمصانع فيات وغيرها من مصانع انتاج الأسلحة ، ومن كبار ملاك الأراضى ، اى باختصار نفس القوى التى كان يعتبرها أعداءه اللدودين منذ فترة قصيرة ، بل ومن الحكومة الايطالية نفسها ، وبدأت تتغير بالتالى حياة موسولينى الخاصة ، فبعد ان كان يعيش على الكفاف فى منزل قديم هو وزوجته وابنتاه ، أصبح يقيم فى مسكن كبير جديد ، ويغشى المطاعم الأنيقة فى ميلانو .

وظهر العدد الأول من صحيفة « ال بوبولو ديتاليا » فى ١٥ نوفمبر ١٩١٤ ، وكانت لا تزال تدعى الاشتراكية ولكنها تؤيد الحرب بحجة انها تمهد الطريق إلى الثورة ، ولكن موسولينى لم يلبث ان ازداد اقتراباً من الوطنيين ، فاخذ يطالب بحق ايطاليا فى الاستثمار الخارجى ، وفى استعادة اراضيها المفقودة فى تريستا وفايوم وحدود الالباين ، وكتب يقول « لقد حان الوقت كى يثبت الايطاليون للعالم انهم محاربون وليسوا طلاب متعة كما يتهمهم العالم » .. وهكذا اهتدى

موسولينى فى النهاية إلى نغمته الحقيقية !

وعكف موسولينى بنفسه على كتابة « مانيفستو » للحركة الوطنية أو الفاشية التى يحلم بها تنازل فيه عن فكرة « صراع الطبقات » الماركسية ، واستبدل بها تكريس الأمة كلها لتحقيق الهدف الوطنى ، وأصبح بطله الجديد هو ما تزينى بطل القومية الإيطالية الذى كان يحلم بحرب وطنية تستعيد بها ايطاليا وحدتها وحدودها الطبيعية القائمة على الجنس واللغة .

ودخلت إيطاليا الحرب إلى جانب فرنسا وانجلترا وروسيا وضد المانيا والنمسا .. وتطوع موسولينى فى الجيش فى سبتمبر ١٩١٥ .

شارك موسولينى فى الحرب عامين ، ويقول خصومه ان اداءه فيها لم يكن مرضياً . اما هو فقد اخترع فى مذكراته كثيرا من قصص البطولة التى قام بها فى الهجمات الأمامية على مواقع النمسويين ، منها انه كان يلتقط قنابل الأعداء المتساقطة قبل أن تنفجر ويلقيها عليهم مرة أخرى فتنفجر وتبيد منهم العشرات !

وترقى موسولينى ، مثل هتلر ، إلى رتبة « جاويش » ولكنه فى فبراير ١٩١٧ أصيب اثناء تدريب على القاء القنابل وترك الجبهة للعلاج ، وقد زعم فى مذكراته ان الحرب بدأت تسوء بالنسبة لايطاليا منذ ترك هو الجبهة ، وفى يونيو ١٩١٧ سرح من الجيش وعاد إلى رئاسة تحرير « ال بوبولو ديتاليا » .

وتوالت هزائم الجيش وبخاصة هزيمة « كابوريتو » المهينة فالقى موسولينى اللوم على القادة والسياسيين لا الجنود ، وشن هجوما عنيفا على رئيس الوزراء الجديد أورلاندو ، وبدأت تتبلور لديه فكــــرة ان ما تحتاجه ايطاليا دكتاتور حازم يلقى بالبرلمان جانباً ويحول البلاد الى دولة عسكرية من الطراز الأول ، وأخذ يطالب باغلاق جميع الصحف المستقلة والحزبية على أساس انها تشوش أفكار الناس وان ما تحتاجه البلاد الآن ليس النقد وانما النظام .

وفى أواخر الحرب انتقل موسولينى من تصوير الحرب بانها حرب تحريرية تخوضها ايطاليا إلى المطالبة بالتوسع فى الخارج بضم تريستا والتيرول الايطالى وفايوم ومعظم دالماتيا ، وأعلن أن يوغوسلافيا ينبغى النظر اليه كعدو لا كحليف ، ويعتبر البحر الادرياتيكى والبحر المتوسط بحاراً ايطالية .

وفى أكتوبر ١٩١٩ أحرزت ايطاليا نصراً مبرزاً فى « فيتوريو فينتو » ، وفى اعقابها انتصر الحلفاء وانتهت الحرب العالمية الأولى ، ووصف موسولينى نصر فيتوريو فينتو بانه « أعظم انتصار فى التاريخ العالمى » !

وبعد الحرب حرص موسولينى على عدم التحالف مع أية قوة سياسية قائمة حتى لا يساعد أى حزب للوصول الى الحكم ، كما حرص على عدم الالتزام باى مذهب سياسى متكامل بل أخذ يستفيد من كل الأفكار حسب ما يحقق مصلحته ، فهو ينسج ما بين الاشتراكية والوطنية والدولية والعلمانية والدينية ، ويحاول ركوب موجة فوضى ما بعد الحرب ، من تضخم وتوقعات وتسريح للجنود ، فكان يدعو الى انتعاش الطبقة الوسطى مع عدم اهمال الطبقة العاملة ويسمى نفسه « رجل كل الفصول» أو «المغامر على كل الطرق» وأخذ يغازل الطبقات الرأسمالية دون ان يقطع علاقاته الشخصية بالاشتراكيين ، وكانت الصعوبة الرئيسية التى تواجهه هى كيف يمكنه رفع شعارات معادية للرأسمالية تجتذب له تأييد الجماهير وفى نفس الوقت يحافظ على شهرته فى الأوساط السياسية كمعاد للاشتراكية ليضمن تأييد الأغنياء ويحصل على مساعدات مالية لجريدته .. كان عليه ان يركب حصانين متعارضين فى نفس الوقت !

وبدأت تتشكل لدى موسولينى نواة الحزب الذى يؤيد افكاره الطموحة ، وفى ٢٣ مارس ١٩١٩ دعا موسولينى أنصاره الى اجتماع عقد فى قاعة قدمها له رجال الأعمال فى ميدان سيبولكرو بميلانو ، وحضر الاجتماع التأسيسى للحزب حوالى ٢٠٠ شخص ينتمون إلى مختلف الاتجاهات ، من الجمهوريين المنشقين ، والفوضويين ، والنقابيين ، والاشتراكيين الساخطين ، والشيوعيين ، والوطنيين ، والكاثوليك ، والليبراليين ، والجنود المسرحين ، لمناقشة تكوين « قوة جديدة فى السياسة الايطالية » ، وأطلق موسولينى على هذه القوة الجديدة اسم «فاشى دى كومباتيمنتو» أى «عصابات المحاربين » ، وكلمة « فاشيو » تعنى «عصبة » باللغة الايطالية .

وكان يشارك فى الاجتماع بعض المحاربين القدماء المنضمين الى حركة تسمى « أرديتى » تؤمن بالعنف ، وقد قام هؤلاء فى ١٥ ابريل بمهاجمة مكاتب الصحيفة الاشتراكية « أفانتى ! » ومطابعها وحطموها تماماً ، وقد سمى موسولينى هذا الهجوم بعد ذلك بانه كان بداية الحركة الفاشية .

وركز موسولينى الذى أصبح يتخذ لقب « الدوتشى » أى الزعيم ، على تكوين جيش خاص من عدة مئات من « الأرديتى » كانوا نواة فرق القمصان السود فيما بعد ، وأخذ يظهر فى اجتماع بعد اجتماع يحيط به المؤيدون يرتدون القمصان السود كشعار يميزهم ، وخطف موسولينى انظار الجماهير بشكله المميز ، وطريقته فى الخطابة ، ونبرات صوته القوية وبالرغم من أن طريقته كانت مسرحية ، وأراؤه متضاربة وغامضة ، والحقائق التى يسوقها خاطئة ، وهجماته عنيفة وسيئة التوجيه ، الا أن شخصيته المغناطيسية كانت تترك انطباعاً قوياً على سامعيه .

ولم تلبث أن أصبحت ظاهرة عامة أن تذرع العصابات الفاشية الطرق فى المدن والقرى فى كل انحاء ايطاليا تنشد الأناشيد الوطنية ، وتهتف بالشعارات القومية ، وتلوح باعلام عليها الرموز الرومانية القديمة ، تهاجم الشيوعيين والاشتراكيين والمتعاطفين معهم ، وتكسب مزيداً من الأنصار خاصة من الطلبة والشباب والعاطلين ، وخلقت هذه العصابات جواً من التوتر والفوضى فى إيطاليا فى محاولتها تهيئة الجماهير لظهور الدكتاتور الذى فيه كل الشفاء لأمراض الأمة ، وكان يرأس كل عصابة زعيم محلى يلقب « بالراس » وهى كلمة ماخوذة من الحبشية تعنى الرأس أو القائد ، وكل « راس » أقرب الى « البلطجى » منه الى الزعيم السياسى ولم يكن يربط بينهم فكر موحد ، فيمكن أن يكون أحدهم فى أقصى اليمين ، والآخر فى أقصى اليسار ، أحدهم جمهورى والآخر ملكى ، بعضهم ضد الكنيسة وآخرون معها. بعضهم مجرد فتوات وبلطجية لا تهمهم السياسة برمتها ، وآخرون مثاليون يريدون باخلاص تجديد الحياة السياسية فى البلاد ، وتجلت مهارة موسولينى فى قدرته على ترأس هؤلاء جميعاً رغم اتجاهاتهم المتنافرة . ولكنه لم يلبث أن أدرك أن مركز الثقل فى الحركة يتجه تدريجياً من اليسار الى اليمين ، فاخذ يساير هذا الاتجاه ويتنازل عن عدائه للكنيسة ودعوته للتأميم واعترف انه فى بعض الأحيان كان يستفيد

موسوليني والحركة الفاشية

اذا وصف بالرجعية والامبريالية .

وفى سبتمبر ١٩١٩ قام الشاعر جابرييل دانتزيو ، أحد أقطاب الحركة الفاشية ، على رأس مجموعة ثائرة من الارديتى وذوى القمصان السود بمهاجة فايوم التى يطالب بها الفاشيون فى الادرياتيك واحتلوها ، ووقف موسولينى بعيداً مما جعل دانتزيو يتهمه بالجبن ، ولكن من الحملة على فايوم ولدت فكرة الزحف على روما التى قام بها الفاشيون بعد ذلك وحملتهم الى الحكم فى عام ١٩٢٢ .

وحتى لا نستبق الاحداث ، يجب أن نذكر أن الحزب الفاشى الذى يتزعمه موسولينى خاض حملتين انتخابيتين ، الأولى فى نوفمبر ١٩١٩ وقد دخلها موسولينى ببرنامج يسارى معاد للكنيسة وفشل فيها فشلا ذريعاً امام المرشح الاشتراكى الذى حصل على اصوات أكثر منه باربعين مرة ، كما لم ينجح أى مرشح فاشى آخر مما جعل موسولينى يقول انه يفضل استخدام القنابل والمدافع بدلا من بطاقات الانتخابات ضد خصومه ، وقد كادت هذه الهزيمة تقضى على مستقبل الحركة الفاشية فى بدايتها ، فتركها الكثيرون من الأنصار حتى اقتصرت عضويتها على أقل من ٤٠٠٠ عضو فى كل أنحاء ايطاليا فى اواخر عام ١٩١٩ ، بينما أحرز الاشتراكيون نصراً كاسحاً فاصبح لهم ٣٠٠ نائب فى البرلمان الذى يضم ٥٠٠ عضو ، مما أخاف المحافظين فى كل أنحاء ايطاليا ودفعهم الى تأييد العصابات الفاشية ، وفى الانتخابات العامة التالية التى أجريت فى مايو ١٩٢١ دخلها موسولينى هذه المرة متحالفاً مع الحكومة ، وكان هذا التحالف مفيداً للجانبين ، إذ بث الفاشيون حالة من الرعب ضد خصوم الحكومة فى حين سبغت السلطات حمايتها على العصابات الفاشية ، فكان البوليس يعيرهم سياراته والجيش يسرب لهم الأسلحة ، والقضاة يميلون الى تبرئتهم ، مما مكن الفاشيين من الحصول على ٣٥ مقعداً فى انتخابات ١٩٢١ ، أى حوالى ٧٪ من مقاعد البرلمان ، وهم الذين لم يحصلوا على مقعد واحد فى انتخابات ١٩١٩ ، كما فاز موسولينى شخصياً بعضوية البرلمان ، وبهذا أصبح يتمتع بالحصانة البرلمانية وصار فى مأمن من القبض والاعتقال ، واسقطت ضده تهمة كان سيحاكم بمقتضاها قريباً وهى محاولة قلب نظام الحكم بالقوة .

وفى أول جلسة للبرلمان الجديد أعلن موسولينى انه هو وأنصاره سيصوتون الى جانب المعارضة ، مسقطاً بذلك تحالفه مع الليبراليين بعد أن حصل منهم على كل ما يريد !

وكنائب برلمانى كان موسولينى قليل التحمس للبرلمان ، فهو لا يحضر جلساته بانتظام ، ولا يشارك فى المناقشات ، كما كانت طريقته فى الخطابة الجماهيرية التأجيجية لا تناسب البرلمان ، ولم يكن له برنامج محدد ، بل يحاول أن يخاطب فى نفس الوقت الارستقراطيين والديموقراطيين ، والثوريين والرجعيين ، العمال وأصحاب الأعمال ، دعاة السلم ودعاة الحرب ، مما جعله مثالا مجسداً للانتهازية السياسية ، ولكنه لم يكن يهتم بالهمسات ونظرات الازدراء ، ومضى فى تحقيق انجازه الاكبر وهو تكوين واستكمال الفرق الفاشية شبه العسكرية حتى أصبح يفخر فى أواخر عام ١٩٢١ بأن تحت إمرته ٤٠٠ ألف رجل مسلح ، وهو تقدير مبالغ فيه بدون شك ، ولكن الهالة كانت قد نسجت حوله بالفعل ، فهو يتحرك فى أى مكان وحوله عدد من البلطجية لابسى القمصان السود يحيطون به كالسوار حول المعصم ، وحملات الارهاب التى يقوم بها رجاله والتى أحياناً ما تصل الى حد القتل تخيف المعارضة الاشتراكية ، والحكومة تتسامح ازاء جرائمه ، والماليون الأثرياء يغدقون عليه الأموال لضرب اليسار ، ولم يعد يخفى انه ينوى استخدام جيشه الخاص فى الوصول الى الحكم .

وبدأ موسولينى يتحدى الحكومة ويختبرها فى نفس الوقت ، فأمر عصاباته بالتظاهر والقيام بأعمال الشغب فى المدن الايطالية ، وبرز فى هذا النشاط « راس » يدعى بالبو انضم للحركة الفاشية مؤخراً وسرعان ما أثبت انه الارهابى المطلوب الذى يحوز اعجاب الزعيم ، وكان هذا البلطجى الذى يبلغ من العمر ٢٥ عاماً يسير على رأس طوابيره المسلحة عبر مقاطعتى رافنا وفيرارا مخلفاً وراءه طابوراً طويلا من الخراب والموت ، ولما كانت أهدافه الرئيسية هى صحف المعارضة والادارات الاشتراكية وممتلكات نقابات العمال لذلك تحمست له بعض السلطات العامة وأخذت تمده بالمال والمتفجرات والمدافع الرشاشة .

وفى أغسطس ١٩٢٢ دعا الاشتراكيون الى اضراب عام احتجاجا على خرق القانون والنظام ، فسارع موسولينى الى استغلال الموقف ، وأعلن أن حركته ضد الاضراب ، وأمام عجز الحكومة راح الفاشيون يتصدون للمضربين ، مما أعطاهم قيمة متزايدة فى نظر المحافظين ، وفجأة تحول موسولينى من خارج على القانون الى مدافع عنه ، واستغل الفرصة لمهاجمة وتحطيم مطابع الصحف الاشتراكية ، وعندما تمكن فى النهاية من سحق الاضراب كان قد قضى على معنويات الاشتراكيين فى نفس الوقت الذى أظهرت الحكومة عجزها المطلق .. وأصبح موسولينى سيداً للموقف .

فى ذلك الوقت كان يرأس الحكومة لويجى فاكتا ، وهو آخر رئيس وزراء ليبرالى يحكم ايطاليا قبل مجىء موسولينى الى الحكم ، وكان فاكتا سياسياً ضعيفاً لاوزن له أختير لرئاسة الوزارة فى فبراير ١٩٢٢ كحل وسط لعجز الزعماء الليبراليين - بسبب ما بينهم من تمزق وحسد - عن تكوين حكومة ائتلافية قوية تتصدى للقوى المعادية فى ايطاليا فكانت مزيجاً من الخوف والسخط واليأس ، وكان الكثيرون يخافون من حديث الاشتراكيين الذين لا ينقطع عن الثورة ويرون موسولينى أقل شراً ، وما دروا أن خطر الثورة من اليمين كان هو الأقوى والأشد !

فى ١٦ أكتوبر ١٩٢٢ عقدت الزعامة الفاشية اجتماعاً سرياً أقرت فيه فكرة التمرد ، وتبلورت الفكرة فى اجتماع شعبى ضخم عقده الفاشيون فى نابولى يوم ٢٤ أكتوبر بعد أن انهمرت وفودهم على المدينة من كل انحاء ايطاليا ، والقى موسولينى فى هذا المؤتمر الشعبي الفاشى الذى ضم ٤٠ ألفاً من الانصار خطاباً عنيفاً صور فيه الفاشية على أنها الضمان الوحيد للمال والقانون فى ايطاليا وأعلن «أما أن تعطى لنا الحكومة أو اننا سوف نستولى على السلطة بالزحف على روما» ، واستجابت الجماهير الفاشية لتأثيره الخطابى وهتفوا فى صوت رجل واحد «الى روما .. الى روما»

كان هذا تحذيراً صريحاً بالخطر الفاشى الوشيك ، ونقل فوراً وبوضوح الى الحكومة فى روما ، ولكن الحكومة برئاسة فاكتا لم تفعل شيئاً بسبب انقسامها الداخلى ، ورفض فاكتا طلباً من الجنرال بوجليز قائد الجيش فى روما باعلان الاحكام العسكرية ، وفى نفس اليوم كان الفاشيون يتظاهرون فى نابولى وميلانو ويدمرون أجهزة وممتلكات خصومهم ويحتلون مكاتب

التليفون والتلغراف والادارات الحكومية ولا من يتصدى لهم ، وقرر موسولينى والزعماء الفاشيون الآخرون الزحف الى روما خلال اربعة أيام على أن يتم الزحف باربعة طوابير براس كل منها زعيم فاشى لم يكن موسولينى بينهم بل يقال أنه أبدى تردداً ونزوات وذبذبة فى هذه اللحظة الحرجة جعلت الزعماء الآخرين يهددون بان الزحف سيتم سواء به أو بدونه .

والحقيقة أن موسولينى كان حتى هذه اللحظة يامل فى حل وسط ، وكان لايزال على اتصال بعناصر خارج المعسكر الفاشى للبحث عن مخرج ، ويراوغ الزعماء الفاشيست المتحمسين الآخرين وهم يحاولون اقناعه بالزحف الى روما للاستيلاء على السلطة التى كانت فى متناول يده ، ولكنه عاد الى ميلانو ورفض أن يتحرك قبل أن يستدعيه الملك فيكتور عمانويل الثالث كتابة ، ويبدو أن موسولينى كان أدرى من غيره بعدم قدرة قواته السيئة التسليح والتنظيم على مواجهة الجيش اذا قرر التدخل .

ولكن الحكومة لم تفعل شيئاً ، بل قدم فاكتا استقالته ودعى سالاندرا الى تكوين وزارة جديدة يشترك فيها موسولينى ، وهكذا تحول الفاشيون من خارجين على القانون إلى أعضاء منتظرين فى الوزارة ، وتشجع موسولينى بهذا الموقف المتخاذل من جانب روما فرفض عرض سالاندرا على أساس أنه يستطيع الآن أن يحدد الثمن الذى يطلبه ، فانسحب سالاندرا بعد أن نصح الملك أن يعهد الى موسولينى نفسه بتأليف الوزارة وأخذ الملك بالنصيحة ، وأصدر فى صباح ٢٩ أكتوبر أمراً بتعيين موسولينى رئيساً للوزارة .

كانت هذه هى الكلمة التى ينتظرها موسولينى ، ومع ذلك لم يبد راضياً ، فهو يريد شيئاً أكبر من التعيين الملكى ، يريد أن يخلق أسطورة أنه دخل روما مظفراً على صهوة حصانه ، وعلى رأس ٣٠٠ الف من الفاشيين المسلحين ، واعطى الأوامر لقواته بالفعل بالزحف الى روما .

والحقيقة أن القوات الفاشية التى كانت مستعدة للقيام بالمسيرة لم تكن تعدو ٣٠ الف معظمهم لا يملكون أسلحة نارية على الاطلاق ، ولم يكن فى أمكانهم بالتأكيد الصمود أمام حامية روما بأسلحتها الاتوماتيكية ، ولكن الجنرال يوجليز كان قد أرغم على أصدار أوامره لقواته بعدم التعرض للمسيرة . ومع ذلك فقد ظهرت فيما بعد خرافة أن الفاشيين اقتحموا روما منتصرين بعد أن سقط منهم ٣ آلاف شهيد كما ذكرت كتب التاريخ الحكومية بعد ذلك ، والحقيقة أن عدد القتلى لم يكن يزيد على أصابع اليدين .

وفى صباح ٣٠ أكتوبر . وكانت طلائع المسيرة قد وصلت الى مشارف روما ، فكر موسولينى أن يستقل السيارة الى خارج المدينة حيث ينزل فيها ويركب الحصان ليدخل به روما تحيط به كوكبة من حرسه ذوى القمصان السود ، ولكنه لم يلبث أن تخلى عن هذه الفكرة خشية أن يبدو مضحكاً ، واستقل بدلا من ذلك القطار ، وفى نفس اليوم كان موسولينى يقدم قائمة بأسماء وزارته الى الملك ، فكان بذلك أصغر رئيس وزراء فى تاريخ ايطاليا ، ٣٩ عاماً .

وفى هذه الأثناء كانت قوات موسولينى قد دخلت روما واخذت «تعمل» ، فهاجمت صحف الليبراليين وأرغمت محرريها على تعاطى «الدواء الفاشى» وهو زيت الخروع الذى كانوا يصبونه فى حلوق الخصوم واقتحمت دور الصحف والمكتبات الاشتراكية ، ونهبت بعض المتاجر وبيوت الخصوم السياسيين ، وأرغمت السفارات الأجنبية على رفع العلم الايطالى ، وسويت بعض الخصومات الشخصية والحسابات القديمة مما أدى الى مقتل عدد من الأشخاص ، وقد أسف الفاشيون فيما بعد لأن عدد القتلى كان قليلا .

ولكن رد فعل ايطاليا على هذه المأساة المهزلة كان مواتياً ، فبالرغم من هبوط الليرة الايطالية بشدة فى البورصات الأجنبية إلا أن سوق الأوراق المالية فى ايطاليا انتعشت ، وابرق ماركونى بتهنئاته من مختلف أنحاء البلاد ، وأعرب جوليتى وسالاندرا أكبر زعيمين ليبراليين عن رضائهما ، حتى اليسار المتطرف لم يكن على استعداد للمقاومة لأنه كان ينتظر منذ سنوات انهيار الحكومة الليبرالية كخطوة ضرورية لانتصار الثورة الاشتراكية ، أما اليمين فقد رأى فى أنتصار موسولينى سداً للطريق فى وجه اليسار ، وساد شعور بان الفاشية هى البديل عن الفوضى (مع أن الفاشية كانت من أهم عوامل وأسباب الفوضى) ، وهكذا قامت مسيرات الابتهاج فى روما ، وخرجت الجماهير الى الشوارع تعلن ابتهاجها وتلوح بالأعلام الفاشية .. وخليت محلات الأزهار من الزهور ..

وسادت حمى من السعادة ، وشعور بالتفاؤل بأن أيام سوء الحكم قد ولت !

موسولينى يدعم سلطته ويقضى على خصومه

ولكن بالرغم من أن موسولينى حصل على السلطة بالقوة إلا أنه زاولها بتعقل ! فقد حرص منذ تعيينه رئيساً للوزراء على أن يثبت أنه ليس زعيماً للقمصان السود فحسب وانما لايطاليا كلها ، وكان عليه أن يعالج الموقف بحكمة وحذر خاصة أن له ٣٢ نائباً فقط فى البرلمان ،

وقدم للملك قائمة من الوزراء معظمهم ليسوا من أعضاء حزبه ، فكانت وزارته ائتلافاً يضم أقلية من الفاشيين الى جانب الكاثوليك والحزب الوطنى وممثلى معظم الاتجاهات الليبرالية ، ولم يكن أحد فى الواقع يرفض دعوة موسوليني له للاشتراك فى الوزارة ، حتى الاشتراكيين وافقوا على التقدم بوزير لولا أن موسولينى تراجع من تلقاء نفسه وقرر استبعادهم نهائياً .

كما استبعد موسولينى من وزارته كل زملائه من الزعماء الفاشيين البارزين رغم ضيقهم الشديد بذلك ، فقد كان يريد أن يتخلص من أى شخص يشعر بالفضل عليه أو يخشى خطره ومنافسته فى المستقبل ، وأكثر من ذلك فقد حل قواته غير النظامية بعد أن أصبح يمكنه الآن الاعتماد على قوات الدولة من جيش وشرطة إذ كان يشعر أن أكبر خطر يتهدده يمكن أن ياتى من «الراسات» الذين ساعدوه يوماً على الصعود الى القوة ، وتولى بنفسه أهم وزارتين وهما الخارجية والداخلية واتخذ مقراً له فندقاً فاخراً كان يبدو فيه بملابسه العسكرية الفاشية وحوله حرسه من القمصان السود كشىء لايمت الى المكان !

وفي أول خطاب القاه فى البرلمان يوم ١٦ نوفمبر ، أى بعد اسبوعين من مجيئه الى السلطة ، شن هجوماً عنيفاً على البرلمان ، وهدد النواب بأن فى إمكانه أن يحكم بدونهم معتمداً على الثوريين الفاشيست «فى إمكانى أن أحول هذه القاعة الرمادية الى معسكر مسلح للقمصان السود ، وفى إمكانى أن أغلق أبواب البرلمان بالمسامير !» ولكنه لن يفعل ذلك – الآن على الأقل – ويطلب بدلا من ذلك من البرلمان سلطات كاملة لمدة عام لادخال التغييرات اللازمة على القانون .

وقد لاحظ بعض المؤرخين أن كرمويل شن من قبل مثل هذا الهجوم على البرلمان فى داخله ، ولكنه على الأقل قوبل

موسوليني والحركة الفاشية

بمعارضة برلمانية شديدة ، أما في حالة موسوليني ، فمن الطريف والعجيب معاً أن هذه الخطبة لم تغضب السادة النواب فالليبراليون تصوروا ان احتقار موسوليني وغضبه موجهان الى اليسار ، واليساريون تصوروا العكس تماماً وصفقوا لكثير من ملاحظاته التي اعتبروها مهينة للمؤسسات الدستورية الليبرالية ..

وتعاقب الخطباء على منبر البرلمان يشيدون بانقاذ موسوليني للبلاد ، وطالبه البعض بأن يذهب أبعد من ذلك ويفرض دكتاتورية مطلقة ، وأخيراً وافق البرلمان بمجلسيه على منح موسوليني السلطات التي طلبها لمدة عام ، وهي سلطات مطلقة لاصدار مراسيم القوانين ورفع الضرائب بدون موافقة البرلمان ، وبعد انتهاء الجلسة سارع النواب الذين تخلوا عن حقوقهم الدستورية بهذا النحو المشين الى الالتفات حول موسوليني لتحيته ومصافحته والتقاط الصور التذكارية .

ومع ذلك ظهرت أصوات معارضة داخل البرلمان بمجلسيه وفي الخارج ، بالاضافة الى اضطرابات المدن التي كان معظمها من أنصاره الذين يريدون أن يفرضوا سيطرتهم المطلقة ويحصلوا على جزائهم بايديهم ، وأدرك موسوليني بغريزته ، أو بفطرته التي فطر عليها منذ الطفولة أن تدعيم سلطاته يتطلب فرض حكم من الرعب والارهاب حتى لا تتآكل هيبته والآمال المعقودة عليه ، وهكذا بدأ جو من الارهاب يسيطر على البلاد ، فقتل ثلاثة من نواب المعارضة بايدي عناصر فاشية مجهولة ، وتعرض أكثر من خمسين آخرين للضرب المبرح أمام المارة في وضح النهار ، واغتيل عدد من السجناء السياسيين داخل سجونهم ، وأجبر عدد لايحصى من السياسيين والنقابيين والصحفيين على شرب زيت الخروع الممزوج بالبترول لدرجة قاتلة أحياناً ، وخلال السنة الأولى من هذا الحكم القاسي كانت الصحف تذكر ما لايقل عن خمس حالات عنف في المتوسط كل يوم بخلاف مالا تنشره أصلا ، ولكن معظم المعتدى عليهم كانوا لايلجأون الى السلطات أو القضاء ، فهم يعلمون أن السلطات عاجزة أو موالية لموسوليني والقضاة يؤثرون السلامة ويتورعون عن الحكم على المعتدين ، أما أعنف ضربات موسوليني فكان يدخرها للعناصر الفاشية المنشقة عليه أو هؤلاء الذين يكشفون أسرار الارهاب والفساد الفاشي ، أو الذين يهربون الى الخارج ليقولوا للأجانب ماذا يحدث في ايطاليا ، فهؤلاء كان موسوليني يتعقبهم دون هوادة ، ويرسل وراءهم فرق القتل لاصطيادهم في البلاد الأجنبية .

أما الصحافة فقد لقيت منه اهتماماً خاصاً ، كيف لا وهو يعتبر نفسه صحفياً ؟! فلم يمنع الصحف من الصدور ولكنه كان يصادر الكميات المطبوعة منها ويحرقها ، ويحرم الصحف التي لايرضى عنها من الاعلان ، ويهدد محرريها ، ويصادر ممتلكاتها فتتراكم عليها المتاعب المالية وتعلن افلاسها ليستولى عليها الفاشيون ويديرونها لحسابهم ، وقد ضرب مرة رئيس تحرير «جورنال ديتاليا» حتى أرغمه على توقيع استقالته ، وزج بعشرات الصحفين في السجون والمعتقلات ، وفرض الرقابة على الصحف ، وانفق أموالا ضخمة من دافعي الضرائب على اصدار صحف يومية لايقرأها أحد ، ولكنه كان يفخر بان هوايته قراءة مئات الصحف كل يوم (قال مرة أنه يقرأ ٣٥٠ صحيفة يومياً) «كي يضع أصبعه على نبض الجماهير» متناسياً أنه انما يقرأ الانباء والتعليقات التي «يفبركها» مكتب الصحافة التابع له !

والواقع أن موسوليني لم يخف عزمه على أن يصبح دكتاتوراً وزعيماً أوحد ، وأعلن ذلك صراحة دون مواراة ، وركز في خطبه على أن الناس قد ضاقوا ذرعاً بالحرية وأن ما يطالبون به هو تركيز القوى في يد واحدة لانجاز الاصلاحات .

واستغل موسوليني السلطات الاستثنائية الدكتاتورية التي منحت له لاصدار كثير من القوانين التي تضمن تدعيم مركزه وأهمها تعديل قانون الانتخاب بحيث يتاح للحزب الذي يحصل على ربع عدد الأصوات الكلية أن يسيطر أتوماتيكياً على ثلثي مقاعد مجلس النواب ، فهو بالرغم من حملته على الديموقراطية البرلمانية والانتخابات التي كان يسميها «لعبة الورق» كان يريد الابقاء على البرلمان ليعطي نفسه فرصة للمناورة خاصة إزاء المتطرفين من أعضاء حزبه الفاشي .

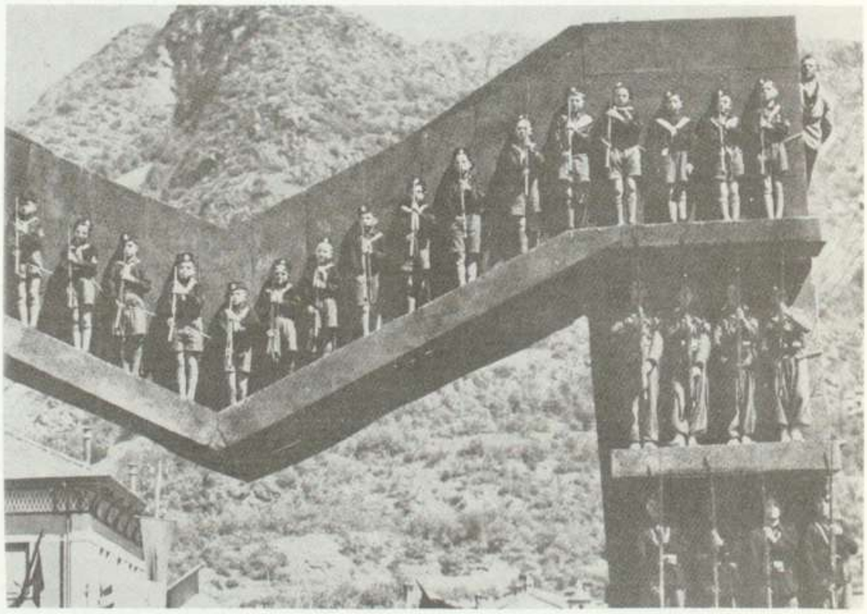
وفي مارس ١٩٢٤ بدأت الحملة الانتخابية في ظل مناخ من العنف والارهاب لم يسبق له مثيل ، فكانت عصابات الفاشيين تضرب المرشحين المعارضين ، وقتل بعضهم بالفعل وانسحب العشرات كما قتل وأصيب مئات المواطنين أثناء الحملة الانتخابية أمام أعين البوليس الذي لم يتدخل ، وبعد ذلك كله زورت الانتخابات فكانت البطاقات الانتخابية تصادر من المعارضين ويستخدمها الفاشيون مراراً ، وضمت قوائم الانتخابات اسماء موتى ، وجاءت النتيجة بفوز الفاشيين بنسبة ٦٥٪ من الاصوات ، وبذلك حصل موسوليني على ٣٧٤ مقعداً في البرلمان في حين حصلت المعارضة مجتمعه على ١٨٠ مقعداً .

وعندما انعقد البرلمان شن نائب اشتراكي معارض يدعى جياكومو ماتيوتي حملة تشهير ضد الحكومة الفاشية ، التي اشرفت على اجراء الانتخابات ، وطالب باعلان نتيجة الانتخابات باطلة وغير صحيحة بسبب ما شابها من ارهاب وتزوير ، وقتل ماتيوتي يوم ١٠ يونيو في ظروف غامضة ، وكانت أزمة كادت تعصف بنظام موسوليني ، ولكنه استطاع في النهاية السيطرة على الموقف بصعوبة وامر البرلمان بوقف مناقشاته حول أزمة ماتيوتي وصحة الانتخابات ، ثم القى القبض على قاتله البلطجي الفاشي دوميني وسجنه عامين ليطلق سراحه بعد ذلك .

كان مقتل ماتيوتي بمثابة رأس الذئب الطائرة التي علمت المعارضة البرلمانية أن تلتزم حدود الأدب ، وتمكن موسوليني من ترويض المعارضة تماماً وتخلص من زعمائها المناوئين بالنفي أو الضرب أو تصعيب الحياة عليهم ، حتى أصبح البرلمان كخاتم في أصبعه لدرجة انه قدم الى البرلمان ٢٣٦٤ مرسوماً بقانون منها قوانين مقيدة للصحافة والحريات ، وطلب من النواب الموافقة عليها بدون مناقشة وأجيب الى طلبه !

الزعيم والرجل

والحقيقة ان معظم الايطاليين رحبوا بسلطة موسوليني خلال السنوات الأولى لحكمه ، فقد كانوا قد ضاقوا ذرعاً بالاضرابات والمظاهرات والأزمات الوزارية وتجاوبوا مع أساليب الفاشية الخلابة ، فكانوا على استعداد لقبول الدكتاتورية على شريطة أن تؤدي الى الاستقرار الاقتصادي واعادة الكرامة للوطن ، وبدا لهم موسوليني كانه الرجل الوحيد القادر على اخراج النظام من احشاء الفوضى ، وبالفعل سرعان ما بدأ النظام يستقر في البلاد ، وانتعش الاقتصاد واخذت تتحسن أحوال العمال والطبقات الفقيرة ، وافتتحت عدة



فتيان الحزب الفاشي فى انتظار مرور موسوليني من هذا الطريق .

مشروعات طموحة من الأشغال العامة ، كما أحرز موسولينى عدة نجاحات متوالية فى السياسة الخارجية .

والتف حول موسولينى « أهل الثقة » الذين يعتمد مصيرهم عليه ، ويستمدون قيمتهم من قيمته ، ويعتقدون انه بقدر ما يكون الدوتشى عظيماً يكونون هم عظماء واعتباراً من عام ١٩٢٦ بدأت « عبادة الزعيم » فى ايطاليا ، فقد تضافرت الدعاية الفاشية على خلق اسطورة الزعامة للدوتشى ، ولعب صحفى فاشى ذكى يدعى جويسبى بوتاى دوراً كبيراً فى الدعاية للدوتشى الحكيم الملهم حتى انه أعلن اعتقاده انه لا توجد فى تاريخ ايطاليا والبشرية بأسرها شخصية تضاهى شخصية الدوتشى الاستثنائية ، بينما كان ارنالدو موسولينى ، الاخ الاصغر للزعيم ، يصف أخاه يوماً بعد يوم فى صحيفة « بوبولو ديتاليا » بانه الأقوى دائماً وأن عينه على كل شىء فى ايطاليا ، وانه يعرف كل ما يحدث فى العالم ، وانه أعظم سياسى فى أوربا .

وخلال عامى ١٩٢٦ – ١٩٢٧ بلغت عبادة الدوتشى أوجها ، فصدرت التعليمات للمدرسين بابراز عظمة الدوتشى للتلاميذ ، وكانت صوره ، وبخاصة واحدة منها فى وضع نابليونى ، معلقة فى كل المبانى العامة ، وترفع فى المظاهرات والاجتماعات وقورن بأرسطو ، وكانت ، وتوماس الاكوينى ووصف بانه أعظم شخصية ظهرت فى تاريخ إيطاليا ، أعظم من دانتى ، ومايكل انجلو ، وأعظم من واشنطون ، ولنكولن ، ونابليون !

وحتى الكنيسة الكاثوليكية أشادت به ورضيت عن أفعاله ، اذ بدلا من تهديداته السابقة بمصادرة ممتلكات الكنيسة زاد من مخصصاتها ، وأدخل التعليم الدينى فى المدارس والجامعات ، وحظر نشر وتداول المطبوعات الفاضحة ، ومنع انتاج وسائل منع الحمل ، وحرم القسم بالمقدسات علناً ، وزاد رواتب القسس والأساقفة ، فأرضى بذلك الفاتيكان ووصفوه بانه « رجل ذو مشاعر دينية عميقة » .

ولم يكن الايطاليون فقط هم الذين سقطوا تحت سحر الدوتشى بفكه العريض وعينيه السوداوين الواسعتين ، فقد امتدح كعبقرى وسوبرمان من شخصيات عامة فى كل أنحاء أوربا والولايات المتحدة وقورن بقيصر ونابليون وكرمويل ، قال عنه الكاردينال الامريكى أوكونيل من بوسطن ان موسولينى عبقرى أهداه الله لايطاليا ، وأعلن وينستون تشرشل انه لو كان ايطاليا لما تردد فى ارتداء القميص الأسود !

لقد وصفت انجازات موسولينى فى النصف الأول من حكمه بانها من قبيل المعجزات ، فقد حول ايطاليا من بلاد منقسمة ومحبطة الى دولة موحدة ومتحمسة ، وقام بكثير من مشروعات الاشغال العامة والاصلاحات الاجتماعية دون أن يفقد تاييد الملاك وأرباب الصناعة بل ونجح فى التوافق مع البابا ، وكان بلاشك أكثر شعبية فى ايطاليا من أى زعيم سبقه رغم تدميره للحريات المدنية .

وبعد أن نجا موسولينى من محاولة اغتيال فاشلة قامت بها امرأة ايرلندية مختلة العقل أعلن أوجستو توارتو سكرتير الحزب الفاشى وأحد أركان حرب دعايته امام الجماهير المحتشدة المتحمسة « ان الله يحمى الدوتشى تحت أصبعه ، انه ابن ايطاليا الأعظم ، الوريث الشرعى لقيصر » .. وتعالت صيحات الجماهير معلنة تاييدها وولاءها .

ولكن تحت ستار هذه الشخصية العامة الكاسحة الأسرة كان هناك موسولينى آخر مختلفاً تماماً ، أقل حسماً وعظمة وتفرداً ، وبالرغم من كل مواهبه التى لا تنكر ظل موسولينى صحفياً دعائياً أكثر منه سياسياً محنكاً ، وعبقريته الحقيقية تكمن فى قدرته على التأثير فى الجماهير بالكلمة المكتوبة والكلمة المنطوقة على السواء ، ومع مرور السنين بدأ القريبون منه يرون وراء قناع السحر والذكاء وجه الدوتشى الحقيقى ، رجلا فظاً خشناً ، طفولياً ، قلقاً ، شاكاً ، مغروراً ، مريضاً بالأنانية وحب الذات .

لقد كانت كل جدران المدن الايطالية من تورينو الى نابولى تحمل عبارات التاييد المطلق للزعيم ، وبخاصة تلك العبارة التى أصبحت رمزاً للعقيدة الفاشية « الدوتشى على صواب دائماً » ، ولكن الذين يعرفونه حق المعرفة كانوا يرون ان الدوتشى غالباً ما يخطىء ، فقد كان لا يعرف جيداً كيف يسير أمور الحكومة ، وكان لا يطيق صبراً على العمل ، وعرف عنه انه كان أحياناً يكتب كلمة « موافق » على مذكرتين متعارضتين تقدمت بهما وزارتان مختلفتان قبل أن يصعد على عجل درجات السلم فى قصره الى حيث تنتظره احدى عشيقاته فى غرفة علوية ، ولكنه لا ينسى أن يترك مصابيح مكتبه مضاءة فى الطابق الأسفل الى ساعة متأخرة من الليل ، كى يقال ان الدوتشى ساهر .. يعمل !

محمد العزب موسى

المقال التالى والأخير : موسولينى .. نهاية الدكتاتور

مُذكِّراتُ دنانير

بقلم: كمال النجمي

سيدى الذى اشترانى اسمه محمد بن كناسة .. رجل عربى النسب ، كوفى المولد والمنشأ ، صالح السيرة ، ذو مروءة وأدب وعلم ، وله شعر جيد ، لكنه لا يقصد بعلمه وشعره ذوى المال والجاه ، كما يفعل غيره من أهل الأدب والعلم !

.. سمعت مرة أحد أصدقائه يقول له :

ـ عجبت لك يا أبا يحيى فى قعودك عن أبواب الكبراء ، وامتناعك من المثول بين أيديهم بأدبك وعلمك وشعرك وقد فعل ذلك كل من له علم أو أدب أو شعر فى هذه الدولة العباسية الزاهرة التى راجت فيها بضاعة أقوام لا يعدلونك أدباً وعلماً .. وإنك لمن رواة الحديث الشريف ، أخذته عن ثقات المحدثين كالأعمش الفقيه الكبير ، وهشام ابن عروة ، وسفيان الثورى ، رأيتهم جميعاً وحضرت عليهم الفقه والحديث ، والعلم كله ، وهم فى العلم جبال شامخة ! ..

قال له محمد بن كناسة :

ـ أصون عرضى عن الوقوف على الأبواب ، ولا أطلب الرفعة بإغماض العينين ، ولا أجرح وجهى بالمطامع ! ..

ثم ارتجل هذين البيتين :

معاشى دُوَيْنَ القوتِ والعرضِ وافرٌ
وبطنىَ عن جَدْوَى اللِّئَــامِ خَمِيصُ
سألقى المنــايا لم أُخَالِطْ دَنِيَّــةً
ولم تَسْرِ بِى فى المخزيــاتِ قَلُوصُ

فلما خرج صاحبه هذا ، دخل شـــيخ الملحنين والمغنين إسحاق الموصلى ، فهش له سيدي وبسط وجهه وتبسم وقال له :

ـ تغنيك جاريتنا أم تغنينا أنت متفضلا يا أبا محمد ؟! ..

قال إسحاق :

ـ لولا وجع فى حلقي من أثر البرد لغنيتك متشرفاً بالغنـــاء بيـــن يديـــك يا أبا يحيى ! .

ناداني سيدي :

ـ يا دنانير .. هذا أبو محمد اسحاق الموصلي أعزه الله .. هاتي عودك واسمعينا مما تحفظين من ألحانه !..

غنيتهما فأطربتهما وأثنيا على غنائي ، وقال لي اسحاق الموصلي :

ـ أنت يا دنانير الكناسية (١) أفضل عندي صوتاً وصناعة من دنانير البرمكية على فضلها ! ..

ثم تجاريا فى الحديث وأنا حاضرة ، فقال اسحاق لسيدى :

ـ يا أبا يحيى .. أراك تنقبض عن الناس ولا تمازحهم ولا تكثر من التحدث اليهم ، ولكنك تخصنى ـ أنا الضعيف ـ بالاقبال والمودة والدعابة والتلطف والتواضع ، فجزاك الله عنى خيراً ، ونفعنى بعلمك وأدبك وجعلنى فداءك ! ..

صمت محمد بن كناسة قليلا ثم أجابه ببيتين ارتجلهما ، فرأيت إسحاق الموصلى يتمايل طرباً لهما ، وما رأيته والله يطرب لغناء أحد طربه لهذين البيتين ..

ثم قال سيدى لاسحاق :

ـ يا أبا محمد .. إن فى علمك وأدبك وعفافك وظرفك ، ما يجعلنا نرسل أنفسنا على سجيتنا معك ، وإن كنا ننقبض عن كثير من الناس ، والفضل لك علينا فى كل حال ! ..

ـ ٢ ـ

سمعت بعضهم يقول لسيدى ابن كناسة :

ـ أنت امرؤ صالح ، يقصدك العلماء ، فما حظك من جاريتك دنانير المغنية هذه التى يسمعها عندك أصحابك ممن ترضى أخلاقهم وتثق بحسن ذوقهم فى السماع ؟!.

قال له سيدى :

ـ قد أجبت بنفسك عن سؤالك ! .. فأنا أسمع غناءها ويسمعونه معى على غير فاحشة ، وهى ملك يمينى ، اشتريتها بمالى ولي فيها غنى عن سماع غيرها فى بيوت الناس .. وهى بارعة فى صناعتها .. حسبك أن اسحاق الموصلى قد شهد لها بذلك ، وله



دنـــــانير الكناسيــة .. المغنية الاديبــة ، التى كانت من افضـل الاصـوات في عصرهـــــــــا .

إلى ذلك ادب وذكاء وعفاف ..

ثمة سر يخفيه هذا الشيخ الطيب عن اصحابه ، فهو لا يحب زوجته التى بنى بها منذ ثلاثين سنة ، فثقل عليه مكانها فى بيته ، لسوء عشرتها وحمقها وحدة لسانها وقد جعلت لنفسها ركنا فى البيت ، وجعل لنفسه ركنا اخر ، وما اظنه اشترانى لغنائى فحسب ، بل لاكون له انيسة ايضا فى بيته هذا الموحش ! ..

صحبته امس فى زيارة بعض اقاربه ، فمررنا فى الطريق برجل مصلوب على جذع شجرة ، يمر به الناس ويقولون إنه من المفسدين فى الأرض .. فنظر اليه ابن كناسة لحظة وحوقل ولم يتذكر عند هذا المنظر المرعب إلا زوجته التى تركها فى البيت فقال مرتجلا وقد انزل عينيه عن الرجل المصلوب واغمضهما كانه يستجمع صورة امراته :

ايا جِـذْعَ مصلـوبٍ أتَـى دونَ صَلْبِـهِ
ثلاثـــونَ حَوْلاً كامِلاً .. هل تُبَـادِلُ ؟
فما انتَ بالحمـل الـذى قد حَمَلْتَـــهُ
بأضْجَرَ منى بالـذى انا حامـلُ !

فحزنت والله من اجل الشيخ ! .. لانه يرى أن الرجل المصلوب لو مرت عليه السنون ، لكان اخف وزنا على الجذع الذى يحمله ، من زوجته تلك التى حملها على قلبه مكرها ثلاثين سنة ! ..

لكن الشيخ من ابر الناس بعياله .. رايته منذ ايام يحمل اليهم بيديه بطن شاة من عند الجزار ، فقلت له : هات احمله عنك ! .. قال :

لا ينقـصُ الكامـــلَ مـن كمالِــــهِ
ما جـــرَّ مـن نفـــعٍ إلى عيالِـــهِ

— ٣ —

يعجبنى فى سيدى ، فوق علمه وتقواه وطربه لغنائى ، انه يثق بفهمى وعلمى وفطنتى ..

كنت امس اجلس وراء ستارة فى بيته وقد جلس الى بعض خلانه من اهل العلم والادب ، فذكرنى احدهم فاثنى على غنائى وضربى بالعود ، فقال ابن كناسة :

— إن الغناء الطيب اقل فضائلها على براعتها فيه . ولو شئتم لاختبرت لكم فهمها وعلمها الساعة ! ..

ثم اخذ قلما وكتب شيئا فى رقعة ، ونادى خادما فامره بايصالها الي ، فقرات فيها :

«يادنانير .. إنك امة ضعيفة لكعاء ، فاذا جاءك كتابى هذا فعجلي بجوابى والسلام » ! ..

تاملت كلامه فى رقعته ، فرايته بلا معنى ، فعلمت انه يريد ان يحيرنى فى فهم كلام لا معنى له ، وان يختبر فطنتى فى إدراكى مرماه هذا او عجزى عنه .. فكتبت اليه :

«يا سيدى .. ساءنى تهجينك إياى .. وإن من اعيا العي ، الجواب عما لا جواب له .. والسلام» ! ..

فلما بلغته رقعتى قراها على صحبه وقال لهم :

— ارايتم كيف فطنت الجارية الى الثرثرة التى فى الرقعة ؟!

قالوا :

— والله .. إن دنانير هذه ، لاعظم قدرا من دنانير البرمكية فهما وعلما ..

قال سيدى :

— صدقتم ! .. وهى خير منها ايضا فى الغناء ! .. كذا اخبرنى الصدوق الثقة إسحاق الموصلى ..

فتعجب القوم من اجتماع هذه الفضائل

كلها لي ، مع خمولي ونباهة شان دنانير جارية البرامكة ! .. ولكن احدهم تنبه من غفلة فقال :

– وإن موضع دنانير جاريتك في بيتك لأفضل عند كرام الناس من موضع دنانير في قصور البرامكة ! ..

– ٤ –

زوارنا اليوم كثيرون .. جاءنا عالم نابه ، فذاكره سيدي في شيء من الأدب والعلم حتى قال له الرجل :

– يا أبا يحيى .. والله إني لاستحسن أبياتك التي أولها : «ومن عجب الدنيا» .. وأريد أن أكتبها فلا تضيع مني ، فانشده سيدي هذه الأبيات :

وَمِنْ عَجَبِ الدنيا تُبَقِّيكَ للبِلَى
وأنك فيها للبقاء مُرِيدُ
وايّ بني الأيام إلا وعنده
من الدَّهْرِ ذَنْبٌ طارفٌ وتليدُ
ومن يأمنُ الأيامَ ؟! .. اما انْبِيَاعُهَا
فَخَطْرٌ ، واما فَجْعُهَا فعتيدُ
إذا اعتادت النفسُ الرضاعَ من الهوى
فإنّ فطامَ النفس عنه شديدُ (٢)

– ما هو «الانبياع» .. وما هو «الخَطْر» – بسكون الطاء – في البيت الثالث ؟! ..

اجاب :

– الانبياع هو الوثوب بعد السكون ! .. تكون الدنيا ساكنة هادئة فينخدع بها المرء حتى تثب عليه وثبا فتقتله أو تسلبه عافيته أو تهتك ستره ! .. واما الخَطْرُ ، فهو ضرب من البعير الهائج بذيله يمينا وشمالا ! .. أردت تشبيه الدنيا حين تهيج على صاحبها بهذا البعير حين يهيج على صاحبه !

ثم قال لي :

– يا دنانير ! .. إياي تخدعين ؟! .. اترين انى لا أدرى معرفتك بهذا الكلام كله ؟! .. وإنما أردت أن تُسَلِّيني وترفّهى عنى ، وتعرفيني انك معجبة بشعرى هذا ، وإنما هو من «شعر العلماء» الذى لا يبلغ طبقة شعر المطبوعين ! ..

قلت له :

– والله يا سيدى إنك لمن أشعر الناس ، وإنى سمعت إسحاق الموصلى يوماً يقول لك وقد سمع بيتين من شعرك فاهتز لهما إعجاباً : «يا أبا يحيى .. وددت انه نقص من عمرى سنتان وأنّى كنت سبقتك الى هذين البيتين» ! ..

اطرق ابن كناسة لحظة ثم سالنى :

– قد نسيت ذلك ، فما هما البيتان ؟! ..

قلت :

– بيتاك يا سيدى اللذان تقول في أول شطر منهما : «فِيّ انْقِبَاضٌ وحِشْمَةٌ ....» ! ..

فابتسم ابن كناسة سروراً وقال :

– لله درك يا دنانير .. قد اذكرتنى من نسيان ، وشوقتنى الى اسحاق الموصلى ! .

اندفعت حين ذكر اسم الموصلى فغنيته البيتين :

فيَّ انقبَاضٌ وحشمةٌ فإذَا
صَادَفْتُ أهلَ الوفاءِ والكرمِ
ارسلتُ نفسى على سجيَّتِها
وقلتُ ما قلتُ غيرَ مُحْتَشِمِ

فطرب لغنائى طرباً ما عهدته من قبل ، ثم بكى وقال :

– قد كبرت سِنّى ، وضعفت عن مواصلة إخوانى بالزيارة ، ولولا ذلك لقمت الساعة فركبت الى الموصلى ! ..

ثم انشد :

ضعفتُ عن الإخْوَانِ حتَّى جفوتُهُمْ
على غيرِ زهدٍ في الوفاءِ ولا الودِّ
ولكنّ أيامى تَخَرَّمْنَ مُنَّتِى
فما أَبْلُغُ الحَاجَاتِ إلاّ على جهدِ

وسمعنا طرقاً على الباب فاذا بصاحب لابن كناسة جاء يزوره فرحب به ، واخذا يتجاذبان الحديث .

صاحبه هذا رجل كثير المزاح ، لكنه تقى عفيف ، يدخل الينا فيسمع غنائى ، ويلمّح لي مازحاً بهواه فلا أجيبه بشيء ، ولكنه اليوم كان كثير التلميح في سياق مزاحه ، فغنيت :

يَا فُؤَادِى فازْدَجِرْ عَنْهُ وَيَا
عَبَثَ الحبِّ بِهِ فاقعدْ وَقُمْ
صَائِدٌ تَأْمَنُهُ غِزلانُهُ
مثلَمَا تامنُ غِزلانُ الحرمْ

ففهم الرجل ما أعنى ، وفهم ابن كناسة كذلك ، وملزالا يطربان على غنائى ولا يشربان كما اعتاد الناس ان يفعلوا حتى استاذن الرجل في الإنصراف .

لم يكد هذا ينصرف حتى اقبل آخر يتعاطى العلم ويتتلمذ على ابن كناسة ، ويبدى في حضرته أدباً وصلاحاً .. ثم اطلع منه سيدى على باطن ردىء يخالف ظاهره الحسن ، فلم يعد يطيق مجالسته لتناقض ظاهره وباطنه ، وتكذيب أعماله لأقواله ..

فلما جلسا لم يفاتحه ابن كناسة في شعر ولا أدب ولا حديث ولا فقه ، واكتفى بانشاده هذه الأبيات :

مَا مَنْ رَوَى أدباً فلَمْ يَعْمَلْ بِهِ
ويكفَّ عَنْ دفْعِ الهَوَى .. بأديبِ
حتى يكونَ بما تعلَّمَ عامِلاً
مِنْ صَالحٍ فيكون غَيْرَ مَعِيبِ
ولَقَلَّمَا يغنى إصَابَةَ قَائِلٍ
افعالُه افعالُ غَيْرِ مُصِيبِ

ففهم الرجل ما يعنيه ابن كناسة ، وقام يعتذر اليه ، ويحلف انه قد تاب وأناب .. ثم انصرف ! ..

– ٥ –

«هذا اليوم لم تكتبه دنانير ، وإنما كتبه سيدها محمد بن كناسة .. قال» :

– ماتت جاريتى دنانير المغنية الأديبة العفيفة التى كانت أنس حياتى ، يرحمها الله ، ويعجل لي بعدها الى رحمته ! ..

افحمنى موتها المفاجىء فلم أستطع أن أبكى أو أتكلم ، وجاء الناس يعزوننى ، إلا امراتى ، فإنى احسست حركتها في البيت ، كانها امتلأت مرحاً ونشاطاً .. فقلت ارثى دنانير :

الحَمْدُ لِلَّهِ لا شَرِيكَ لَهُ
يَا لَيْتَ مَا كَانَ منكِ لَمْ يَكُنُ
إنْ يَكُنِ القَوْلُ قَلَّ فِيكِ فَمَا
أَفْحَمَنِى غَيْرُ شِدَّةِ الحَزَنِ ! ..

كمال النجمى

هوامش :

(١) ترجمة دنانير الكناسية في الجزء ١٣ من الاغانى ، طبعة دار الكتب المصرية .

(٢) اخذ هذا المعنى بلفظه الامام البوصيرى حين قال في البردة :

والنفس كالطفل إن تتركه شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

سلمى لاجرلوف

١٨٥٨ - ١٩٤٠م

بقلم: سماء زكي المحاسني



الأديبة السويدية : سلمى لاجرلوف

كانت هذه الأديبة السويدية أول مرشحة لجائزة نوبل فى الآداب ، وكانت هذه الجائزة العالمية من نصيب الرجال فلما محصت لجنة التحكيم آثار المرشحين من المتفوقين كانت بينهم (سلمى لاجرلوف) ، غير أنها لم تفز بالجائزة فى أول ترشيح ، بل تكرر حتى ظفرت بتقدير اللجنة المحصة .

وقيل فى اختيارها ـ إن هذه الاديبة قد فضلت لمنازعـها المثالية والروحية وملكة الخيال التى طبعت أدبها بطوابع حياتها .

وبعد خمسة أعوام من اختيارها وتقديرها قررت اللجنة التحكيمية أن تكون (سِلْمَى لَاجَرْلُوفْ) عضواً فى لجنة الجوائز ، وقد بقيت فيها صوتاً مسموعاً حتى غابت عن الدنيا عام ١٩٤٠ .

أما مولدها فكان فى السويد عام ١٨٥٨ فى اقليم (مارباكا) فى مقاطعة (فارملاند) ومن أسرة أصيلة أسهمت شخصياتها فى خلال ثلاثة قرون بإغناء التاريخ الثقافى لمناطقهم .

وقد عاشت (سِلْمى لا جَرْلوف) طفولتها بين ابويها فى البيت الريفى الصغير الذى تحيط به مفاتن الطبيعة وهدوء الحياة ، ويبدو انها فقدت امها صغيرة فضاعف والدها الحنان عليها والاهتمام بنشاتها وذكائها . وقد تفتحت عيناها على مكتبة أبيها ودواوين الشعر فيها ، وكان يحفظ الشعر ويكرم الشعراء فترك هذا فى نفسها اثراً كبيراً ، على ان سِلْمَى لاجَرْلوف أصيبت فى عامها التاسع بوهن فى ساقيها اقعدها عن اللعب والحركة وأبعدها عن المدرسة ،فعكفت فى سريرها وبيتها على الكتاب ، ولم يجد والدها بداً من ارسالها الى استوكهولم العاصمة للعلاج فى المعهد الرياضى ، وكانت فى اثناء المعالجة تتردد على المسرح السويدى وتصغى للممثلين والممثلات وتقرا بعض المسرحيات ، لكنها ضاقت بالمدينة وفضلت العودة للقرية حتى احبت طبيعتها ، ولما عادت سِلْمى لاجَرْلوف بعد شفائها الى منزلها فى (مارباكا) بدأت أولى تجاربها الشعرية عندما رجعت ذات مساء ربيعى من نزهة فى الدوحة الصغيرة خلف الحديقة ، وفجاة انثالت على اطراف لسانها بضعة ابيات من الشعر عبرت فيها عن شعورها وقالت فيها :

سلمى لاجرلوف

يالها من ظلمة قابعة تحت شجرة الزيزفون هادئة مزعجة وسط النسيم المفعم بالحياة

كانت سِلْمى لم تتجاوز السادسة عشرة من عمرها وكانت آمالها فى الأدب تحفزها للتعبير فاحست على الحداثة أن لديها من الموهبة الأدبية ما قد يمكنها من مضاهاة كبار الأدباء فى عصرها مثل (تجنر Tegner) (وروينبرغ) وغيرهما

وكانت تعاودها أشواق ابيها للشعر والشعراء فترجو أن يقرأها فى تجاربها وتحوز رضاه ، وقد ذكرت فى كلماتها : (انها لم تلتق انسانا مثل ابيها فى حبه للشعر وتقديره للشعراء) .

ولم تضع سِلْمى لاجَرْلوف مخططا لأهدافها فى الحياة والتعبير منذ شعرت بانها تستطيع أن تجارى أدباء عصرها فيما قدموا لقرائهم من روائع الفكر والأدب فكانت تقرأ مؤلفاتهم وتتبع اخبارهم وتعيد المطالعة فى أدب (كارلايل) الذى كان له تأثير عميق فى نفسها حتى انها قالت بعد قراءة لكتاب كارلايل : (هنا بعد مطالعاتى فى هذه الصفحات المؤثرة وفى هذه الجمل والعبارات التى كتبها كارلايل بقوة وعنفوان،وبهذه اللغة التصويرية تملكنى اعجاب بأدبه وشعور بان شيئا مماثلا فى اعماقى يحفزنى للتعبير وقد ادركت بانى استطيع أن أكتب مثله) .

وأخذت تجارب (سِلْمَى لاجَرْلوف) فى الشعر والمسرحية الصغيرة تتعدد،وبدأت نزعتها للرواية تتفتح فى صفحات كتبها لتعود اليها وتكملها ، وعادت فى تالق تفكيرها ومطالعاتها الى المدرسة ثم الجامعة بعد أن جاوزت العشرين من عمرها ، ولم تجد بدأ من احتراف التعليم لتبقى فى بيئة واعية متنورة ، ولم تكن فى حاجة الى أكتساب وارتزاق اذ كانت فى عيشه راضية ، بل للمشاركة فى نشر الوعى والمعرفة . وأخذ اسمها فى الشعر يتردد فى الأسماع فقد اتيح لها أن تنشر بعض قصائدها فى مجلة كانت تصدرها (آلدرسبار) زعيمة الحركة النسائية السويدية .

حلف مع الشيطان

وفى خريف ١٨٩٠ حازت (سِلْمى لاجَرْلوف) جائزة فى مسابقة للقصة اقامتها مجلة « ايدون Idun » وعرض عليها رئيس التحرير نشر القصة كاملة بعد أن نشرت متسلسلة فى المجلة وكانت هذه القصة من أروع نتاجها ، كما اجمع نقاد الادب على أن سِلْمى لاجَرْلوف فى قصتها هذه قد احتلت مكانا بارزا بين ادباء عصرها وفى الأدب السويدى كله. وقد اطلقت على قصتها اسم (جوستا برلنج "Gosta Berling")

وفيها قصت الأديبة السويدية « لاجَرْلوف » أن الكاهن السابق (جوستا برلنج) عقد مع احد عشر شخصا حلفا مع الشيطان لاستلاب ممتلكات لسيدة طيبة شريطة أن يمتنع جوستا ورفاقه عن تقديم أى عمل طيب او نافع للناس مدة عام كامل .

وفى نهاية العام يدرك جوستا عاقبة مغامراته الشيطانية أو الخيالية الهادمة فيندم ويقسم على أن يبذل نفسه وجهده فى بقية حياته لخدمة الناس .

وبهذه القصة الرائعة التى لقيت الحفاوة والتقدير من النقاد والقراء انبسط صيت القصصية السويدية فى بلادها وفى أرجاء العالم ، فقد نقلت قصتها الى أكثر اللغات الحية ، واعدت تمثيلية على المسرح السويدى عام ١٩٢٣ .

كما حولت الى أوبرا وفيلم للسينما فكانت عملا فنيا ناجحا .

على أن تفوق (سِلْمى لاجَرْلوف) فى الفن القصصى يرجع الى موهبة خصبة ومقدرة فائقة فى رؤية الحياة والمجتمع.

وكتبت (سِلْمى لاجَرْلوف) الروايات التاريخية ومنها (امبراطور البرتغال) التى قال عنها احد النقاد السويديين . (لقد عرف الأدب « الملك لير »،وهو وحيد من نوعه،وهاهو مثيل له وإن كان مختلفا عنه) .

أما الاسطورة أو القصة التى هى على نسقها فقد كتبتها هذه القصصية العالمية ومنها (أساطير المسيح Christ Legends) وغيرها من الأساطير التى كتبتها على نسق الاقاصيص .

ومن أشهر قصص لاجَرْلوف (بيت المقدس Jerusalem) وقد كتبتها فى فترة انقطعت فيها عن التدريس ودهمتها محنة من القلق والاضطراب فاعتزمت التجوال والانتقال الى بيت المقدس لتعيش فى رحاب الحرم الذى ولد فيه المسيح ، غير أن « سِلْمى لاجَرْلوف » عادت الى نفسها وفنها بعودة الطمانينة اليها فكانت قصتها (القدس) او بيت المقدس تعبيراً عما أصابها فى فترة من حياتها الفكرية .

ولم تشأ هذه الأديبة السويدية أن تقتصر فى أدبها على تاليف القصص للكبار وهى التى احبت الأطفال فكتبت للصغار قصتها المشهورة (المغامرات المدهشة لنيلز "The Wonderful Adventures of Nils") وهى رحلات يومية يقوم بها (نيلز هولجرسون) الى عدد من البلاد الأجنبية على ظهر أوزة يطير فوقها فى كل اتجاه .

وكان صدورها عام ١٩٠٧ فى مجلدين قدمت فيهما لاجَرْلوف للقارىء والأطفال الأسطورة مع الوصف الواقعى وقد تلقت ثشتات الرسائل من انحاء العالم اعجابا بفنها وجمعت هذه الرسائل فى المكتبة الملكية باستوكهوم .

وما كادت (سِلْمى لاجَرْلوف) تناهز الخمسين من عمرها وهى دائبة فى تعبيرها الفنى والأدبى حتى تنادى كبار قومها لتكريمها فى عيد ميلادها لكن لجنة التحكيم فى جائزة نوبل رأت أن اديبة السويد لاتقل شانا وفنا عن أُدباء عصرها فمنحتها الجائزة العالمية تقديراً لأدبها وكان هذا عام ١٩٠٨ وبعد خمسة أعوام اختارتها لجنة نوبل عضواً فى لجنة الجوائز فكانت أولى الأديبات العالميات .

ويجدر بى وقد أتيت بلمحة عنها أن ألم بسطور جاءت فى مذكرات (سِلْمى لاجَرْلوف) يتبين منها القارىء لمحات من خصالها وصفاتها وقد كتبتها عام ١٩٣٢ .

« اذا كان على المرء أن يصبح كاتبا فينبغى له أن يشعر بالرضى فيما اختار لنفسه أو لما حدث له من تجربة قاسية أو غير سارة فى حياته ، إذ كيف بإمكانه أن يصف هذا الأمر فى تعبيره وشعوره وصفاً صادقاً ؟ » .

أما كيف كانت تكتب ؟ فتتبين الاجابة للسائل فى قولها :

« عندما أكتب أعيش فى وحدة كبيرة وعلى أن أختار بين عيشتي وحدى وأكتب ،



في المنزل الريفي ،، حيث كانت تعكف الكاتبة السويدية على كتابة اعمالها الادبية .

وبين أن أعيش مع الآخرين فلا أقدر على الكتابة كلمة واحدة » .

« كيف أكتب ؟ الحقيقة لاأدرى كيف يحدث هذا ، فمن الشاق أن يؤلف المرء كتباء على أنى حينما انتهى من الكتابة لاأدرك كيف تم ذلك ، ويخيل الى كأن شخصاً آخر هو الذى كتب لى ! »

ومن آراء « سِلْمى لاجَرْلوف » يمكن أن نتبين من الحوار الآتى شخصيتها الجدية ونظراتها العميقة وصفاء نفسها .

● ما هى أعظم فضيلة ؟
ـ الرحمة .
● ما هى اعظم صفات الرجل المفضلة عندك ؟
ـ الجد والعمق .
● ما هى أعظم صفات المرأة المفضلة عندك ؟
ـ الجد والعمق .

● ما هو عملك المفضل ؟
ـ دراسة الشخصية .
● ما هو اعظم قدر من السعادة للإنسان
ـ الثقة بالنفس .
● ما هى المحنة الكبرى ؟
ـ ايذاء شعور الآخرين .
● ما هو احب الألوان الى نفسك ؟
ـ لون الشروق .

إن هذه السطور المعدودة تنطوى على نظرة الأديبة السويدية للحياة والناس وعلى قدرة هائلة فى وصف النفس .

جائزة نوبل عام ١٩٠٩

هذه هى « سِلْمى لاجَرْلوف » الأديبة العالمية التى كانت أولى المستحقات جائزة نوبل عام ١٩٠٩ دون تفريق بين أدب النسوة وبين غيره من ألوان الأدب. وقد عاشت متألقة الفكر عميقة الشعور حتى جاوزت الثمانين ولم تتغير ملامحها فقالت عنها احدى صديقاتها : (كنت ذات يوم فى صحبتها فنظرت ملياً الى يدها وكأنها لشابة نضرة ، فصحت فى دهشة :

يالهما من يدين جميلتين !
فأجابت : نعم ، يبدو وانهما كانتا لى دائماً ...) .

ما فترت همتها أو وهت مواهبها فقد بقيت كاتبة محبوبة متجاوبة مع الحياة والطبيعة معبرة عنهما وعن ذاتها الطيبة وتجاربها الفنية وانها لخالدة بآثارها على الأيـــام .

سماء زكى المحاسنى
دمشق

وثيقة تاريخية بالغة الأهمّية:

المسألة الصهيونية الفلسطينية بالكونجرس الأمريكي (١٩٤٣ - ١٩٤٥)

بقلم: الدكتور عاصم الدسوقي

أول لجنة أمريكية في فلسطين

فى العدد الماضى انتهينا من استعراض ما دار فى آخر جلسات لجنة الشئون الخارجية، حيث رأينا ان المناقشات دارت حول قضيتين محددتين: الأولى وتتلخص فى محاولة توسيع مهمة هيئة الانقاذ المقترحة لتشمل كل الاقليات والعناصر المضطهدة بشكل عام ودون التركيز على اليهود. وكان الجمهوريون المسئولين عن هذه المحاولة، وفكرتهم ان استثناء فئة معينة بالرعاية (اليهود) يعد سابقة خطيرة فى تاريخ الولايات المتحدة. أما القضية الثانية فكانت تتعلق بمدى علاقة مشروع قرار الانقاذ بفتح أبواب فلسطين لهجرة اليهود. وكانت وجهة نظر شهود «اللجنة العاجلة» تتلخص فى أن المشروع يعنى فتح أبواب فلسطين لانشاء الوطن القومى لليهود، لكن اعضاء لجنة الشئون الخارجية نفوا بشدة وجود هذا المعنى حتى لا تتأثر المصالح الأمريكية البريطانية خلال الحرب. وقد شاركهم فى هذا الرأى مساعد وزير الخارجية (لونج) الذى أبدى عدم استحسان لاقامة دولة يهودية تقوم على الدين الواحد مفضلا ذوبان اليهود فى البلاد التى يعيشون فيها.

بعد ذلك شكل الكونجرس لجنة فرعية للذهاب الى فلسطين لاستطلاع الرأى بين العرب واليهود. وتدور هذه الحلقة حول لقاءات هذه اللجنة والظروف التى سبقت ارسالها الى فلسطين.

بعد أن فرغت لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس من عقد جلسات الاستماع التى عرضنا لها فى الفصل السابق (١٩ نوفمبر - ٢ ديسمبر ١٩٤٣)، عكفت على دراسة ما انتهت اليه شهادة الشهود وبياناتهم والمناقشات التى دارت معهم. غير انها لم تتوصل الى تشريع بشان مشروع القرار. وفى مطلع ١٩٤٤ بدات مجريات الحرب العالمية تنبىء بانتصار الحلفاء على النازية والفاشية، واشتد معها ضغط العناصر الصهيونية فى الولايات المتحدة اعلامياً وسياساً من أجل التوصل الى سياسة رسمية لفتح أبواب فلسطين أمام من تبقى من يهود أوربا، وما يتصل بذلك من ضرورة ممارسة «الضغط» على بريطانيا لتعديل موقفها من سياسة الهجرة وملكية الأرض فى فلسطين كما جاء بالكتاب الأبيض.

ففى يناير ١٩٤٤ اصدر الرئيس روزفلت قراراً بتشكيل «هيئة شئون لاجيء الحرب» War Refugee Board وفسر البعض هذه الخطوة بانها التزام من الحكومة الأمريكية بانقاذ آلاف اليهود.

ويلسون



فرانكلين روزفلت





ترومان



كليمنت اتلى

وفى مارس ١٩٤٤ أعلن الرئيس روزفلت أن أمريكا لم توافق أبداً على الكتاب الأبيض ، وانه يجب التوصل الى شىء ما لهؤلاء الذين يرومون وطناً قومياً يهودياً .

وفى يوليه ١٩٤٤ عقد الحزبان الديمقراطى والجمهورى مؤتمرات قومية على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية فى مدينة شيكاغو اتخذت فيها مبادىء وقرارات تتعلق بفلسطين . فالحزب الديموقراطى على وجه الخصوص اقر مبدأ يهدف الى ان «تكون فلسطين كومنولثاً يهودياً» . ولقد وافق الرئيس روزفلت على ما انتهى اليه قرار الحزب (وكان الديموقراطيون فى الحكم آنذاك) ، وارسل خطاباً الى السيناتور واجنر قال له فيه :

«حيث اننى اعلم بحضورك للمؤتمر السنوى السابع والأربعين للمنظمة الصهيونية الأمريكية فاننى أرجو منك ان تحمل تحياتى القلبية للوفود المشاركة فى هذا المؤتمر . كما أرجو أن تعرب لهم عن صادق امتنانى ، وتخبرهم أن الحزب الديموقراطى قد اقر فى اجتماعه السنوى هذا العام (يوليه ١٩٤٤) المبدا السياسى التالى : نحن نؤيد فتح ابواب فلسطين للهجرة اليهودية دون قيود ، كما نؤيد وضع سياسة فى فلسطين من شانها إقامة كومنولث يهودى ديموقراطى حر . ولسوف تبذل الجهود المناسبة للتوصل الى الطرق والوسائل الملائمة لتنفيذ هذه السياسة فى أسرع وقت ممكن . كما أرجو أن تخبرهم أن الحزب قد توصل الى هذا المبدأ اتفاقاً مع تقاليد السياسة الأمريكية وتقديراً لروح الحريات الأربع . واننى لأعلم مدى حماس الشعب اليهودى وشغفه والصلوات التى اقامها من اجل أن تكون فلسطين كومنولثاً يهودياً ديموقراطياً حراً . واننى لمقتنع بان الشعب الأمريكي يؤيد هذا المبدأ حتى إذا ما أعيد انتخابى سوف اعمل على تحقيقه» [١] .

وجاء عام ١٩٤٥ وتحقق النصر فى أوربا على النازية ، إلا ان شيئاً جديداً لم يحدث بالنسبة لليهود الذين كانوا مايزالون فى معسكرات التجميع النازية يعيشون وراء الأسلاك الشائكة فى المانيا وبولندة . وتراخت جهود الحلفاء التى كانت تتزعمها الولايات المتحدة فى سبيل «إنقاذ» يهود أوربا .

وعلى هذا فقد بادر الرئيس الأمريكى ترومان الذى خلف روزفلت بعد وفاته ، بايفاد «إيرل هاريسون» فى يوليه ١٩٤٥ لمراقبة الأوضاع فى أوربا وتقصى الحقائق فيما يتعلق بمشكلات وحاجات اللاجئين اليهود بين غيرهم من اللاجئين . [٢] ولقد قام هاريسون بزيارة تجمعات اليهود «المضطهدين» فى المنطقتين الأمريكية والبريطانية من المانيا (أى المناطق التى خضعت للدولتين عند انتهاء الحرب) . وقدم تقريراً بالأوضاع «المروعة» لليهود ، موصياً بان هناك حلا واحداً رئيسياً يتمثل فى أن يبذل الرئيس الأمريكى جهوداً خاصة وفورية لضمان دخول مائة الف يهودى الى فلسطين على الأقل بصفة عاجلة .

وبناء على هذا التقرير ارسل الرئيس ترومان فى ٣١ اغسطس ١٩٤٥ رسالة الى رئيس وزراء بريطانيا (إيتلى) يطلب منه السماح لمائة الف يهودى بدخول فلسطين . وكان لهذه الرسالة صدى عميق ورد فعل طيب فى أوساط الحركة الصهيونية . غير أن بريطانيا اعترضت على هذا الطلب ، واقترحت بدلا منه تكوين لجنة انجلو - امريكية بشان اللاجئين .

ولعل الذى دفع بريطانيا لاتخاذ هذا الموقف اعتقادها بان اليهود ليسوا وحدهم الذين يعانون من اضطهاد النازية فى أوربا وانه يجب معالجة مشكلة اللاجئين المشردين بشكل عام دون تخصيص عناية محددة لفئة منهم دون الفئات الأخرى . والأفضل من ذلك عند الحكومة البريطانية أن تقدم المساعدة لليهود لكى يكونوا قادرين على إعادة بناء البلاد التى قدموا منها هم وبقية مواطنى هذه البلاد .. [٣]

أما بخصوص فتح أبواب فلسطين امام اليهود فهذا يتعارض عند الحكومة البريطانية مع مغزى سياسة الانتداب التى تقوم على الموازنة بين مصالح العرب واليهود ، ودون تمكين فئة من الحاق الضرر بالفئة الأخرى . وتشعر الحكومة البريطانية بانه لا توجد أرضية مشتركة يقف عليها العرب واليهود ، فكل منهما يختلف عن الآخر فى العقيدة وفى اللغة وفى الحياة الاجتماعية والثقافية وفى طرق التفكير وانماط السلوك . وأهم من ذلك كله اختلاف الآمال القومية لكل منهما ، وهذه الآمال تمثل عقبة حقيقية امام السلام ، فكل منهما يدعى احقيته بفلسطين : العرب على أساس وجودهم التاريخى من قديم ، واليهود على أساس ارتباطهم التاريخى

أول لجنة أمريكية في فلسطين

بالأرض وبالوعد الذى حصلوا عليه اثناء الحرب العظمى (بلفور) .

ومن هنا فان الحكومة البريطانية كانت تعتقد أن اى اخلال بقواعد الهجرة المعمول بها فى فلسطين سوف يؤدى الى اضطرابات فى فلسطين ، والى مواجهة بين العرب واليهود قد يمتد اثرها الى الشرق الأوسط ، بل والى الهند حيث يساند مسلموها عرب فلسطين . ومن ناحية اخرى يجب أن يكون فى الحسبان — كما تدرك بريطانيا — أن الزعماء العرب لم ينسوا تاكيدات روزفلت (قبل وفاته) وترومان بان شيئاً لن يحدث فيما يتعلق بالوضع الراهن فى فلسطين دون استشارة العرب واليهود

غير ان هذا الموقف البريطانى الذى رأت فيه الولايات المتحدة «مناورة سياسية» ، اثار حملات اعلامية ودعائية من جانب العناصر الصهيونية الأمريكية ادت بالكونجرس الى إرسال لجنة فرعية الى فلسطين فى سبتمبر ١٩٤٥ لاستطلاع الراى ثم تقديم مشروع القرار رقم ١١٣ فى ديسمبر ١٩٤٥ للكونجرس بشان فتح أبواب فلسطين لليهود ، وهو موضوع الفصل التالى ، هذا رغم موافقة الحكومة الأمريكيةعلى الاقتراح البريطانى بشان تشكيل اللجنة المشتركة إذ لم يكن هناك مفر من الموافقة .

وطن قومى !!

وهكذا وفى اواخر سبتمبر ١٩٤٥ قررت لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس تكليف لجنة فرعية للذهاب الى فلسطين لاستطلاع رأى كل من العرب واليهود حول امكانية فتح ابواب فلسطين لمزيد من اليهود الأوربيين . وكانت الحرب العالمية آنذاك قد انتهت من الناحية الفعلية والرسمية ، وتم القضاء على الحكم النازى المسئول عن «إبادة» اليهود فى أوربا ، وهو الحكم الذى كان مسئولا ايضاً عن كافة النشاطات التى قامت بها العناصر الصهيونية فى الولايات المتحدة على المستوى الشعبى والرسمى (السلطة التشريعية والتنفيذية) من اجل إنقاذ اليهود من خطر «الابادة» ، وما ارتبط بذلك من محاولة البحث عن اماكن لنقل اليهود اليها ، وكانت فلسطين فى مقدمة هذه الأماكن المقترحة لاصرار العناصر الصهيونية عليها .

وكان من المتصور أن ينتهى الجدل حول مسالة «المكان» الذى يذهب اليه اليهود الهاربون من الاضطهاد النازى طالما انه قد تم القضاء على النازية وهى العلة الرئيسية وراء هذا الجدل . غير أن الحركة الصهيونية كانت قد انتهت الى ضرورة توطين يهود أوربا فى فلسطين ، وانشاء وطن قومى لهم هناك تنفيذاً لوعد بلفور ولسياسة الانتداب على فلسطين . وظلت تمارس ضغوطها على القوى الدولية المؤثرة وفى مقدمتها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية توصلا لفتح أبواب فلسطين أمام اليهود .

على كل حال .. ففى سبتمبر ١٩٤٥ شكلت لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس (٤) لجنة فرعية ثنائية من كل من كارل موندت (جمهورى ونائب داكوتا الجنوبية) وفرانسيز بولتون (جمهورية ونائبة اوهايو) للذهاب الى مدينة القدس (أورشليم) ، لاستطلاع آراء بعض العناصر من العرب ومن اليهود هناك حول امكانيات التعايش بين العنصرين فى فلسطين . وقد عقدت اللجنة جلستين يومى ٢٧ — ٢٨ سبتمبر ١٩٤٥ ، استمعت فى الأولى الى كل من اميل الغورى سكرتير الحزب العربى الفلسطينى وجودا ماجنيس Judah L. Magnes رئيس الجامعة العبرية . اما فى اليوم التالى (٢٨ سبتمبر) فقد استمعت الى كل من : الأخ تيرا انطونى Terra Anthony المعلم بكلية سانكتا Sancta College وعونى بك عبد الهادى احد زعماء العرب ، واليعازر كابلان ، وبرنارد جوزيف وهما من زعماء اليهود .

وليس من الواضح امامنا لماذا وقع اختيار اللجنة على تلك الشخصيات بالذات ، وما هو المعيار الذى وضعته اللجنة عند الاختيار . والملفت للنظر ايضاً عدم التكافؤ في إبداء وجهات النظر بين العرب واليهود . فالعرب وهم الأغلبية في فلسطين باعتراف الوثائق البريطانية نفسها ، لم يمثلهم أمام اللجنة سوى شخصين فقط وهما إميل الغورى وعونى بك عبد الهادى . أما اليهود وهم الأقلية فقد مثلهم ثلاثة هم رئيس الجامعة العبرية واثنان من زعمائهم . أما الشخص السادس (الأخ تيرى انطونى) فهو ليس من العرب وليس من اليهود ، بل هو مسيحى امريكى ويمكن احتسابه فى صف اليهود من خلال الآراء التى أبداها .

ماذا قال الشهود ؟

ولننتقل الآن الى استعراض المناقشات التى تمت بين اللجنة الفرعية للكونجرس وبين من التقت بهم من شهود .

كان الشاهد الأول الذى استمعت اليه فى القدس سكرتير الحزب العربى الفلسطينى إميل الغورى . (٥) وقد القى بياناً طويلا تعرض فيه لتاريخ فلسطين منذ الحكم العثمانى باعتبارها جزءاً من سوريا الكبرى الى قيام الحرب العالمية الأولى وتقرير الانتداب البريطانى . ولا يهمنا فى هذا أن نستعرض التفاصيل التاريخية التي ذكرها إميل الغوري عن وضع فلسطين تحت الحكم العثمانى فهى ليست بعيدة عن ذهن القارىء العربى . وأغلب الظن انه لم يذكرها إلا لشعوره بانه يتكلم امام مجموعة من الأمريكيين الغرباء عن البلاد . ومن هنا سوف نتوقف فقط عند النقاط التى وردت فى بيانه الخاصة بمهمة توطين اليهود اللاجئين ، وامكانية التعايش بين العرب واليهود فى المنطقة حيث انها كانت نقاطاً محورية فى الحديث معه .

قال الغورى ان كل فلسطين فى عام ١٩١٨ كانت خاضعة تماماً لبريطانيا التى أسست حكومة عسكرية فيها عقب الاحتلال وفى عام ١٩١٩ عرف العرب بشكل رسمى وعد «بلفور» القاضى بتأسيس وطن قومى لليهود فى فلسطين . وهو يؤكد على انه ليس وعداً «بان تكون فلسطين وطناً قومياً لليهود وإنما يكون فى فلسطين وطن قومى يهودى» . وعند ذلك احتج العرب .

وعندما أعلن الانتداب رسمياً فى ١٩٢٠ احتج العرب لأن الانتداب فرض ضد رغبات الأغلبية العربية التى كانت إذ ذاك تمثل ٩٣٪ من اجمالى سكان فلسطين (٦٪ لليهود ، و ١٪ أجانب) ، ومن ثم طلب العرب من الرئيس الأمريكى ويلسون ارسال لجنة الى فلسطين للتعرف على رغبات العرب واجراء استفتاء عام لذلك . فجاءت لجنة «كرين» حيث تبين لها من خلال

الاستفتاء أن ٨٠٪ من السكان يريدون الاستقلال . وكان العرب يرحبون بأن يكون الانتداب أمريكيا إذا لم يكن هناك مفر من الانتداب . فان لم يتيسر ذلك فليكن انجليزيا . غير أن الحكومة البريطانية تجاهلت نتائج هذا الاستفتاء ، وأعلنت انتدابها على فلسطين ، وشرعت منذ البداية فى رسم سياستها لتأسيس وطن قومى لليهود . غير أن العرب احتجوا على ذلك لأنهم ـ كما يقول الغورى ـ رأوا فى الهجرة اليهودية لفلسطين شيئا قد يضرهم ويضر وضعهم فى بلادهم ، ويحرمهم فى المستقبل من الاستقلال . ولقد أقام العرب احتجاجهم على أساس «حق بلادهم الطبيعى فى تقرير مصيرهم بأنفسهم» .

ومنذ الانتداب البريطانى ـ كما يقول الغورى ـ ركز العرب بقوة على ثلاثة أهداف وهى : إيقاف الهجرة اليهودية ، وايقاف بيع الأراضى لليهود ، وانهاء الانتداب واقامة حكومة دستورية قومية تمثل كافة المواطنين فى البلد تعقد معاهدة صداقة مع بريطانيا على غرار المعاهدات مع العراق ومع مصر . ولكن شيئا من ذلك لم يتحقق ، ففى كل مرة يطالب العرب بايقاف الهجرة اليهودية يقال لهم : «إن هذه مشكلة انسانية ، وان عليكم اخذ بعض اليهود لحل المشكلة اليهودية ..» . وأكثر من هذا يتهم العرب بأنهم معادون للسامية ، مع أن هذا المصطلح ـ كما يقول الغورى ـ ابتكار أوربى وليس عربيا ، لأن العرب أنفسهم ساميون . وكل ما يخشاه العرب أن تؤدى الهجرة اليهودية الى أن يصبح العرب يوما ما أقلية فى بلادهم .

وفى ١٩٤٥ (تاريخ هذا البيان) تحققت مخاوف العرب . فبعد أن كانوا فى ١٩١٨ يمثلون ٩٣٪ من السكان ، واليهود يمثلون ٦٪ فقط ، أصبح العرب فى ١٩٤٥ يمثلون ٦٧٪ ، واليهود يمثلون ٣٢ أو ٣٣ ٪ فاذا ما استمرت اليهودية قائمة لعشر سنوات قادمة ـ كما يقول الغورى ـ فمن المحتمل أن يصبح العرب أقلية يطلب اليهم ترك بلادهم .

ثم أشار إميل الغورى الى خطأ المقولة الأمريكية الخاصة باعتبار الهجرة اليهودية مشكلة انسانية ومشكلة لاجئين . فيقول ان فتح أبواب فلسطين أمام أكبر عدد ممكن من اليهود لن يحل مشكلة اليهود فى أوربا فى الوقت الذى سوف تخلق فيه مشكلة يهودية فى الشرق . فليست هناك حتى الآن (١٩٤٥) مشكلة يهودية فى البلاد العربية ، ولكننا فى الطريق اليها . وللأسف فان سلاح معاداة السامية الذي يشهر أمام المعارضين لهجرة اليهود ، سوف يشهر فى كل البلاد العربية والاسلامية لأهمية فلسطين من الناحية الاستراتيجية للبلاد العربية ، ولأنها أرض مقدسة عند المسلمين كافة من الناحية الدينية بعد مكة والمدينة . إذن فالهجرة اليهودية سوف تخلق مشكلة فى بلاد الشرق وفى البلاد الاسلامية . ولأن بريطانيا لم تكترث لمطالب العرب فقد استمر هؤلاء فى مظاهراتهم بل وفى انتفاضاتهم التى اضطروا للقيام بها .

ثم يشير أيضا الى خطأ القول بان الاضطهاد النازى وراء مزيد من هجرة اليهود الى فلسطين ، وذلك من خلال الاحصاءات الرسمية البريطانية التى تبين أن نسبة اليهود الذين دخلوا فلسطين بعد اعتلاء هتلر الحكم بلغت ١٩٪ فقط من المانيا و ٨١٪ من البلاد الأخرى ، مما يعنى عند الغورى أن الاضطهاد النازى غير مسئول عن زيادة معدل الهجرة اليهودية ، وإنما الحركة الصهيونية السياسية هى المسئولة عن ذلك .

ثم اختتم بيانه مطالبا بريطانيا بتنفيذ تعهداتها التى قطعتها على نفسها فى الكتاب الأبيض وهى إيقاف الهجرة اليهودية واعلان الدستور ، وعندئذ سوف «نعد انفسنا للحياة فى هذا البلد كمواطنين فلسطينيين فى ظل حكومة تمثل الفئات والطوائف المختلفة كل بنسبة عددهم مع استبعاد الذين لا يتمتعون بحقوق المواطنة الفلسطينية ، أى المتسللين اليهود بطريقة غير شرعية» .

المساواة فى الحقوق والواجبات

أما جودا ماجنيس رئيس الجامعة العبرية فقد اكتفى بأن قدم الى اللجنة الفرعية للكونجرس نسخة من مقال له سبق نشره باحدى الصحف البريطانية بعنوان «التعاون العربى ـ اليهودى فى فلسطين» ، يوضح فيه موقفه من مستقبل الوضع فى فلسطين . والدكتور ماجنيس مؤسس حركة فى فلسطين تسمى «حركة ميثاق السلام» ، وكانت تهدف الى تحقيق تفاهم عربى يهودى ، وتأسيس دولة ثنائية . غير أن الزعامات الصهيونية والسياسيين القوميين العرب كانوا يعارضون هذه الحركة .

ويدور محور المقالة التى قدمها ماجنيس حول تلك الفكرة . وهو يشترط لتحقيقها توافر شرطين أساسيين فى البداية . الأول أن تقوم السياسة فى فلسطين على إيجاد دولة ثنائية يتمتع فيها اليهود والعرب بالمساواة فى الحقوق والواجبات . وهذا يعنى بطبيعة الحال عدم التفكير فى انشاء دولة يهودية أو دولة عربية فى فلسطين . والثانى يتلخص فى التأكيد على الخلفية الدولية لفلسطين ووضعها موضع الاعتبار وتحقيقا لذلك يجب أن تعلن بريطانيا استعدادها لوضع فلسطين تحت وصاية الأمم المتحدة . وفي هذه الحالة تصبح فلسطين أرضا تخضع لنظام الوصاية بدلا من أن تخضع لنظام الانتداب .

والسبب فى ذلك كما يشير ماجنيس أن نظام الانتداب لم ينجح فى تحقيق الأغراض المستهدفة منه . فمن هذه الأغراض مثلا تحقيق حكومة ذاتية وهو ما لم يحدث بدرجة ملحوظة . فعندما كانت فلسطين تحت الحكم العثمانى كانت السلطة فى يد الطبقات العالية . ثم حدث بعض التقدم تحت نظام الانتداب نحو النظام الديموقراطى ولكن بدرجة طفيفة . ومع أن فلسطين بلد صغير إلا انها تضم عناصر من العرب واليهود رجالا ونساء تتميز بالقدرة على العمل والادارة . وبالامكان أن يشغلوا مئات الوظائف التى يشغلها الانجليز ، إذ لا يوجد أى عربى أو يهودى عضوا فى المجلس التنفيذى أو على رأس أى ادارة من الادارات أو بين مسئولى المناطق والأحياء أو فى رئاسة المحكمة . وليس هناك مجلس تشريعى ، والتشريع يتم بقرارات ادارية . وكل العلاقة بين حكومة الانتداب والسكان تقوم على الاجراءات البوليسية . وخلاصة الأمر أن حكومة الانتداب البريطانى هى ادارة استعمارية استبدادية متطرفة .

ثم يقترح ماجنيس أن يتضمن نظام الوصايا الذي يجب أن يتم التوصل إليه فوراً النص على ماياتي :

أولا ـ تكوين هيئة وصاية اقليمية

أول لجنة أمريكية في فلسطين

Regional Trusteeship Board تحت اشراف مجلس الوصاية التابع للامم المتحدة للتوصل الى وضع سياسة فى فلسطين تضمن امنها ، وتكون مسئولة عن تحقيق الاغراض الاساسية الواردة فى المادة ٧٦ من نظام الوصاية الذى اقرته الامم المتحدة (٦) .

ثانيا – ان تضم هيئة الوصاية الاقليمية فى المحل الأول ممثلين عن بريطانيا وعن جامعة الدول العربية وعن الوكالة اليهودية فى فلسطين . وفى هذا الشان فان بريطانيا تمثل العالم المسيحى ، والجامعة العربية تمثل العالم العربى ، بينما تمثل الوكالة اليهودية العالم اليهودى على الاقل فيما يتعلق بفلسطين . اما دخول الولايات المتحدة وروسيا وفرنسا فى عضوية تلك الهيئة – وهم اعضاء فى مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة – فذلك امر لاباس به من الناحية النظرية . ولكن من الناحية العملية قد يزيد من المصاعب على الاقل فى البداية . ولحسن الحظ فان ميثاق هيئة الأمم يتميز بالمرونة فى موضوع تشكيل اى صيغة تتعلق «بالهيئات الدولية الخاصة»، وفى تشجيع «الاتفاقات الفردية» .

ثالثا – تصبح الحكومة البريطانية «سلطة ادارية» فى فلسطين بمقتضى المادة رقم ٨١ من نظام الامم المتحدة .

رابعا – ان التوجيه السياسى الذى يوجهه مجلس وصاية الأمم المتحدة الى هيئة الوصاية الاقليمية يجب أن يكون حول العمل على تحقيق التعاون اليهودى – العربى نحو اقامة دولة ثنائية فلسطينية تقوم على المساواة فى الحقوق والواجبات لكل من الشعبين .

ثم يقول «ماجنيس» ان هناك اقتراحات ثلاثة بخصوص مستقبل فلسطين مدار حديث (الآن) بين المعنيين ، وكل منها يتناقض مع الآخر ويصارعه . ويهدف الاقتراح الاول الى أن تصبح فلسطين دولة عربية تعطى ضمانات للأقلية اليهودية . ويهدف الثانى الى أن تصبح فلسطين دولة يهودية أو كومنولثا تعطى ضمانات للاقلية العربية التى سوف تكون حقيقة واقعة من خلال الهجرة اليهودية الكبيرة والسريعة . وتحقيق أى من الاقتراحين يعنى وقوع الصراع المسلح داخل فلسطين الذى قد يمتد خارجها ايضا لتشارك فيه عناصر اخرى .

واما الاقتراح الثالث فهو تقسيم فلسطين «الأرض الضيقة» الى ثلاثة اقسام قسم للعرب ، وقسم لليهود ، والقسم الثالث للبريطانيين . وهناك يهود يحبذون هذا الحل . ويقال ايضا ان هناك عربا قد يؤيدونه . وهذا الاقتراح الأخير على المدى الطويل افضل بكثير من ان تكون فلسطين دولة عربية حيث لا يوجد بين اليهود من يرضى بذلك ، أو أن تكون فلسطين دولة يهودية حيث لا يوجد بين العرب من يرضى بذلك ايضا .

والحق ان التقسيم – كما يذهب ماجنيس فى النهاية – حل اصطناعى ووهمى . وبصرف النظر عن الصعوبات التى قد تنشا عند رسم الحدود بين هذه الأقسام ، فان التقسيم لا يخدم فكرة التفاهم والتعاون العربى – اليهودى بل على العكس من ذلك . وقد يبدو أن التقسيم أمر مبسط سهل ولكنه يثبت قصر النظر فى الامور . ان التقسيم سوف يخلق بلقانين على جانبى الحدود . وانه لدعوة لتنشئة جيل من الشباب العربى واليهودى الشوفينى المتشدد . وفى نفس الوقت فالتقسيم يخلق وحدتين اقتصاديتين ضئيلتين ، وفى ذلك قضاء على الأسواق المامولة للصناعة اليهودية فى البلدان المجاورة ، وتقليل من فرص الهجرة اليهودية . انه يشوه صورة الأرض المقدسة . انه رفض لمواجهة ضرورة العمل الشاق الطويل المتواصل نحو تقريب العرب واليهود ومن ثم نحو السلام .

حكومة دولية

وعلى حين طلب كارل موندت رئيس اللجنة الفرعية للكونجرس من اميل الغوري (سكرتير الحزب العربى الفلسطينى) ، والدكتور جودا ماجنيس (مدير الجامعة العبرية) أن يتحدثا معه كفرد من افراد العائلة ، وأن يعطياه تصورهما للأوضاع ، نجد انه يطلب من الاخ تيرا انطونى وهو امريكى (٧) أن يقدم صورة واضحة للمشكلات التى تواجه فلسطين وخاصة كيفية تسوية الخلافات فى الرأى بين العرب واليهود حول السؤال المعقد وهو ايهما صاحب البلد ، وايهما احق بحكمها . ويبدو من تحديد السؤال بهذا الشكل ان لجنة الكونجرس تعتبر الاخ انطونى طرفا محايدا (مسيحيا) بين العرب واليهود وهما طرفا المشكلة .

قال الاخ انطونى ان كلا الطرفين (العرب واليهود) يعتقدان فى احقيته حكم فلسطين ولكن وبدون الانحياز الى اى منهما فان العرب يعيشون فى فلسطين منذ زمن بعيد اى منذ قدموا اليها . وهم طبقا لهذا المعيار يجب ان يستمروا فيها . ومن الغريب ان العالم كله قد سمع بوجهة النظر العربية (الاسلامية) ووجهة النظر اليهودية ، ولكن لم يهتم بوجهة النظر المسيحية فى هذا الموضوع .. ان فلسطين ارض مقدسة للمسيحيين قبل ان تكون كذلك بالنسبة لليهود وللمسلمين على الرغم من قدسيتها للديانات الثلاث . وهى لم تستمد قدسيتها من موسى (عليه السلام) لانه كان على الجانب الآخر من نهر الأردن (شرق الأردن) ولكن المسيح عاش على كل شبر من أرضها. اما المسلمون فهم ينظرون الى المسيح على انه نبي فقط . ومن هنا ضرورة تقدير المصالح المسيحية فى هذا الموضوع ، ونعنى بها الحفاظ على الطابع المقدس لهذه الأرض .

ثم يشير الاخ انطونى الى أن اليهود يريدون جعل فلسطين بلداً متمدينا ، ولا تحركهم دوافع دينية فى ذلك . ويستند فى هذا الى تجربة الكيوبتزات التى اقامها اليهود فى مناطق مختلفة حيث زار احداها عند بحيرة طبرية . ومن خلال حوار دار بينه وبين الأهالى هناك علم انه لا يوجد فى الكيوبتزات معابد ، ولا حاخامات ، ولا حتى صلوات عامة تقام «لانها مستعمرات غير دينية» على حد قولهم . وان كان هذا لا يمنع من قيام البعض بالصلاة او قراءة التوراة كنص ادبى وليس ككتاب مقدس . وليس يوم السبت يوما مقدسا تعطل فيه الأعمال للصلاة ، فمن الممكن ان تتم الصلاة فى يوم الاثنين إذا ما كان هناك عمل يوم السبت . ثم يقول فى نهاية استعراضه للحياة الاجتماعية فى الكيوبتزات إن الكيوبتزات تعتبر نوعا من المستعمرات الجماعية القريبة من الشيوعية . ومن هنا فليس من الحكمة «ان نستخف بعقولنا ونقول ان لليهود دوافع دينية تحركهم .. فليست لهم دوافع من هذا

النوع .. وهذا شان من شئونهم لا يجعلنى مضطراً للاشتباك معهم حوله» .

اما العرب – عند الأخ انطونى – فهم المسلمون لأنهم الغالبية ، إذ ان نسبة المسيحيين ٨٪ فقط ، ولهذا لا مكان للمسيحيين بين المسلمين . ومن المعروف ان المسيحيين قاسوا كثيراً خلال الحكم التركى . واكثر من هذا فان العرب المسلمين لا يعتبرون العرب المسيحيين عرباً حقيقيين ، فالعربى الحقيقى هو المسلم ولا شىء آخر .. وهذا واضح فى الأدبيات العربية .

وإذا ما قدر للمسيحيين ان يقعوا تحت الحكم اليهودى فلن يكونوا افضل حالا مما لو وقعوا تحت حكم المسلمين . ولكن المتصور ان اليهود لن يقتلوا المسيحيين ، لأنهم لو فعلوا ذلك فسوف يجدون من يقول لهم «.. انكم لتفعلون ما كنتم تقاسون منه فى أوربا» . ولكن اليهود قد يحرمون المسيحيين من حقوقهم .

وعندما ساله كارل موندت عما يجب عمله إزاء هذه الأوضاع .. قال الأخ انطونى انه ليس سياسياً ، ولكن إذا كان عليه ان يكون كذلك فهو سينظر الى الموضوع من زاوية أن العربى غير قادر على حكم نفسه بنفسه ، وان كان لا يعرف الوضع بالنسبة لليهودى . فقد ظل العربى خاضعاً لقوى اجنبية فترة طويلة من حياته : للأتراك لمدة سبعمائة سنة (لعله يضيف فترة الحكم المملوكى ايضاً) ، ثم للبريطانيين بعد الأتراك . وبالتالى فليس هناك تجربة مر بها فى حياته الطويلة . وكثيراً ما يقارن الأخ انطونى العربى بالزنجي الأمريكى فى بساطته ، وقلة درايته بشئون الحياة ، وعدم ادائه الأعمال على وجهها الصحيح .

فلو فرضنا جدلا – كما يقول انطونى – انه قد تقرر قيام حكومة عربية مستقلة (اسلامية) فى اول ديسمبر ١٩٤٥ فان اول شىء سوف يفعله العرب هو طرد اليهود او قتلهم . وبعد ذلك ياتى دور المسيحيين . وهذا هو ايضاً شعور المسيحى (العربى) المثقف الذى لا يظهره علانية ، وإنما يقوله سراً وفى أضيق الحدود» «.. سوف يكون سيئاً بالنسبة لنا اقامة دولة عربية مستقلة» .

وعلى هذا فهو يقترح وجود حكومة دولية فى فلسطين تمثل الأمم المتحدة كنوع من الوصاية حيث تتقاسم الحكومتان الأمريكية والبريطانية الأعباء مناصفة مع استبعاد روسيا . ووجود هذه الحكومة يعد مطلباً ضرورياً لمنع انفلات زمام الأمور بين العرب واليهود .

اما بالنسبة للهجرة اليهودية الى فلسطين فقد أشار الأخ انطونى الى ضرورة ايقافها ، والعمل على ان يتقبل العرب العناصر اليهودية التى وفدت حتى الآن والتى تعيش فى المنطقة .

حكومة عربية

اما فيما يتعلق بالبيان الذى القاه عونى بك عبد الهادى رئيس حزب الاستقلال (٨) امام لجنة الكونجرس فقد ركز على تفنيد ادعاءات اليهود فى فلسطين من حيث وجودهم فى فلسطين منذ الفى عام قائلا : ان العرب حكموا اسبانيا لأعوام طويلة ، ومع ذلك فهم لا يدعون اليوم اية حقوق على اسبانيا . اما اضطهاد اليهود فى كل مكان وسوء معاملتهم فلا يصح أن يتحمل عرب فلسطين نتائج ذلك .. فليذهبوا الى اى مكان آخر ، لأن فلسطين ليست أرضاً خالية من السكان . ثم يعرب عونى بك عن دهشته من أن اليهود لا يريدون العيش فقط فى فلسطين وإنما يريدون تكوين دولة يهودية ، يكون العرب فيها تحت حكمهم . وليس من العدل إذن أن يتشرد العرب على حساب حل مشكلة اليهود .

ثم يذكر عونى بك ان اقامة دولة يهودية فى فلسطين يعنى قيام الحرب والصراع الدموى فى المنطقة ، لأن العرب لن يفرطوا فى حريتهم وفى حقوقهم ، وهذا الصراع أيضاً لن يكون فقط مع اليهود ولكنه سوف يكون مع بريطانيا نفسها . ثم تساءل قائلا : أين يذهب عرب فلسطين وعددهم مليون وثلاثمائة الف فى حالة اقامة الدولة اليهودية .. ليس هناك دولة عربية واحدة تقبل أعداداً فوق طاقاتها البشرية والاقتصادية .. فهل يذهبون الى الصحراء أم الى فرنسا أو أمريكا .. وهل فى هذا عدالة ؟

ثم يفند المقولة الخاطئة بان السبب فى اضطرابات فلسطين منذ ١٩٢٨ يرجع الى القيادات الوطنية وليس الى الشعب نفسه قائلا ان اصحاب هذه المقولة ينتهون الى ان «شراء» هذه الزعامات بالمال سوف ينهى المشكلة من اساسها . (٩) وقد قال فى ذلك ان تقارير المراسلين عن تلك الاضطرابات تثبت أن الشعب نفسه يفجر المواقف ، لأنه يحس بالخطر دون حاجة الى زعامة تحركه

وبعد كثير من الاستطرادات حول هذه النقطة انتهز كارل موندت (رئيس لجنة الكونجرس) قول عونى بك عبد الهادى بضرورة إيقاف الهجرة اليهودية الآن اكتفاء بمن دخل فلسطين من اليهود ، وساله عن امكانية التعايش السلمى بين العرب واليهود فى حالة ايقاف الهجرة (الآن) ، فاكد عبد الهادى مشدداً بامكانية ذلك . وقال ان العرب واليهود عاشا معاً قرابة الألف عام كاخوة قبل الحركة الصهيونية فى ١٩١٧ ، ولم تحدث بينهما اية حوادث بسبب اختلاف العنصر او الجنس «ولسوف يقبل العرب من وصل منهم الآن ليتوحدا معاً فى المستقبل» .

ومن خلال الحوار مع عبد الهادى ينتهى الى القول انه يهدف الى التحرر من الانتداب البريطانى ، واقامة حكومة عربية يشغل اليهود فيها بعض وظائف هنا وهناك وفى هذا ضمان لعدم قيام الاضطرابات .

واراد كارل موندت الاطمئنان على مدى انتشار هذه الآراء بين سائر الأحزاب الفلسطينية ، فسال عونى بك عبد الهادى عمن يختلف معه فى الراى حول معالجة القضية ، فقال له انه لا توجد اية اختلافات بين الأحزاب الفلسطينية الستة الموجودة حول هذه المبادىء ، وان هذه الأحزاب الستة اختارت موسى العلمى ليمثلها فى جامعة الدول العربية .

ثم لفت عبد الهادى نظر كارل موندت الى ان الولايات المتحدة تؤيد اليهود تاييداً غير عادل . فقال له موندت إن هذا عيب العرب لأنهم لم يهتموا بارسال احد يتكلم باسمهم فى الولايات المتحدة ، كما لا توجد لهم منظمات تعبر عن ارادتهم . فلما تعلل عونى بك بان العرب فقراء ولا يمكنهم الانفاق على ذلك ، قال موندت ان الفقر لا يجب أن يحول دون ذلك خاصة وان جلسات الاستماع التى عقدتها لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس لم تظهر فيها بحال وجهة النظر العربية .. ولهذا

أول لجنة أمريكية في فلسطين

ونظراً لنقص الدعاية العربية الكافية، فان اقل من ١٠٪ من الامريكيين يفهمون القضية تماماً والباقى لا يعرف عنها شيئاً .. والأمريكيون يعولون دائما على الاغلبية . وقد اعترف عونى بك عبد الهادى بان العرب يتصورون ان مشكلتهم واضحة وعادلة ولا تحتاج الى دعاية، ولعل فى ذلك كما يقول هو قدر من الحماقة .

تصريح بلفور ووعود الانجليز

كان اليعازر كابلان، وبرنارد جوزيف اخر من تحدثا امام لجنة الكونجرس التى عقدت جلستين يومى ٢٧ ـ ٢٨ سبتمبر ١٩٤٥ . (١٠)

وقد قال برنارد جوزيف ان الوقت قد حان الآن لحل مشكلة اليهود، وللوصول الى قرار بشان مستقبل فلسطين ومستقبل الشعب اليهودى الذى دفع الكثير من جراء عدم حل هذه المشكلة .. وان اليهود ليشعرون أن الوقت قد حان للمرة الأولى وربما الأخيرة لوضع نهاية لهذا الموقف، ولمساعدتهم فى ان يعيشوا حياة عادية مثل بقية الشعوب الأخرى، «واننا لمقتنعون ان الطريق الوحيد لحل المشكلة هو فتح ابواب فلسطين أمام اليهود الذين هم فى حاجة فعلية الى فلسطين، او الذين تحدوهم رغبة الحضور ليعيشوا فى حرية واستقرار»، وهم يبلغون الآن فى اوربا وحدها فيما عدا روسيا مليونا وثمانمائة الف، بينما نجح حوالى مليونان فى الهروب من اوربا .

وهو يذكر لجنة الكونجرس بان كل اليهود الذين يعيشون فى فلسطين الآن (١٩٤٥) يرحبون ترحيباً كبيراً بقدوم اى يهودى لاجىء، وان الأجيال الأولى منهم قد قدمت على اساس ما جاء فى تصريح «بلفور» ووعود الانجليز بتاسيس «الوطن القومى لليهود» فى فلسطين، وما يصحب ذلك من تقديم التسهيلات اللازمة لهجرة اليهود واستقرارهم فى فلسطين . ويذكر اللجنة ايضا بان الولايات المتحدة وحوالى اثنان وخمسون دولة اعضاء فى عصبة الأمم قد وافقوا على تصريح «بلفور» عندما وافقوا على نظام الانتداب البريطانى فى فلسطين الذي جاء فى مقدمته : ان الغرض الرئيسي من الانتداب، الاعتراف بالروابط التاريخية للشعب اليهودي بفلسطيـــن، وإعطاؤه الفرصة لاعادة بناء حياته القومية فى هذا البلد .

ومنذ توافد اليهود على فلسطين فى اعقاب تصريح «بلفور» اثبتت اعمالهم ـ كما يقول جوزيف ـ رغبتهم وقدرتهم فى إعادة بناء فلسطين مع الاحتمالات القائمة فى اعادة بناء حياة اقتصادية متميزة للشعب اليهودى هناك . إذ فى عام ١٩١٨ مثلا كانت فلسطين «صحراء» كما كانت قبل خمسمائة عام .. فليست فيها طرق مرصوفة ولا يعرف ساكنوها المياه العذبة او الكهرباء وسائر مرافق الحياة الحديثة .. والفلاحون يستخدمون الوسائل البدائية فى الزراعة، فالجمال تجر السواقى للرى، والثيران تجر المحراث الخشبى واحيانا الحمير .. مع «أن التوراة حرمت استخدام الحيوانات بهذا الشكل ..» .

ثم طفق برنارد جوزيف يعدد «المآثر» التى قدمها اليهود للمنطقة منذ بدات هجراتهم اليها من حيث رفع المستوى الصحى، ومحاربة الأمراض حتى بين العرب انفسهم، ورفع المستوى الاقتصادى لكل السكان لدرجة افضل من مستوى الدول العربية المجاورة «المستقلة»، وخاصة شرق الأردن التى هى اساساً جزء من فلسطين . وهذا يعنى أن اليهود قد احضروا الرخاء معهم الى فلسطين . اما الأرض التى اشتروها من العرب ـ كما يقول جوزيف ـ فقد دفعوا فيها مائة ضعف لما يدفع فى أرض مماثلة بانجلترا، فضلا عن انها أرض متروكة لا يحتاجها العرب .. ومع ذلك فاذا ما سالت احد العرب عن رايه فى كل هذا الرخاء والتقدم سيقول لك «.. إن هذا الرخاء لا يعنينا فى شىء، ونحن لا نريد ان نتخلى عن استقلالنا فى مقابل الرخاء ..» . ويعلق جوزيف على ذلك بقوله : «.. إن العرب مطمئنون لهذا المنطق .. إذ انهم يتركوننا نعمل فى تحسين وسائل الحياة وهم جلوس اعتماداً على أن كل هذا سيعود اليهم يوماً ما ..» .

ثم يقول جوزيف مؤكداً «.. إننا لا نريد طرد أى عربى من فلسطين، ولسنا نريد أن نعمل لصالحنا وعلى حساب العرب .. وكل ما نقوله ان هناك فرصة فى الحياة لكل عرب فلسطين، ولكل يهودى يريد الحضور لفلسطين .. وان المستعمرات التى اقمناها والجهود الاقتصادية التى بذلناها تمت كلها بالجهود الذاتية دون أن يقدم العرب لنا اية مساعدات لكنهم يستفيدون فقط من كل ذلك ..» .

وفى تاكيده لهذا المعنى طلب من اللجنة أن تعود الى التقرير الذى كتبه القاضى ويب Webb بتكليف من حكومة الانتداب لدراسة ما يقال من ان اليهود اجبروا العرب على التخلى عن اراضيهم حيث ذهب الى أن ذلك لم يحدث، لأن اليهود ـ كما يقول جوزيف ـ اتبعوا سياسة شراء الأراضى من كبار الملاك الذين «يؤجرون» الأرض لبعض المزارعين، او من العرب الذين لا يريدون الاستمرار فى حياة الفلاحة ويودون الانتقال الى المدينة للعمل بالتجارة او باعمال اخرى وقد عاونهم اليهود على أن يبدأوا مشروعاتهم الجديدة فى المدينة .

أما بخصوص محاولة توطين اليهود فى اماكن اخرى غير فلسطين، فان جوزيف ذكر ان هذه المحاولات فشلت سواء فى الأرجنتين بجهود البارون هيرش Hirsh فى تسعينات القرن التاسع عشر، او فى كندا حيث لم ينجح اليهود فى أن يكونوا مزارعين . وهى حقيقة تنسحب على اليهود حتى فى الولايات المتحدة رغم وجود نسبة ضئيلة جداً منهم يشتغلون بالزراعة . اما فى فلسطين فالموقف يختلف ـ كما يقول ـ فالجميع ـ رجالا ونساء ـ يبذلون النفس والنفيس فى سبيل استصلاح الارض وزراعتها لانهم يعلمون ان فلسطين «وطنهم التاريخى القديم الجدير بكل التضحيات» .

أما اليعازر كابلان فقد اكد فى شهادته ما ذهب اليه برنارد جوزيف، ثم اشار الى الامكانيات الاقتصادية الهائلة فى فلسطين من حيث استصلاح الأراضى الزراعية، ومن حيث اقامة الصناعات المختلفة بما يسمح للآلاف من اليهود من العيش فى فلسطين .

اما بخصوص المشكلات السياسية التى قد تنجم عن هجرة اليهود الى فلسطين ورد فعل ذلك عند العرب، وهى نقطة اثارها كارل موندت (رئيس لجنة الكونجرس)، فان جوزيف قد اجاب على ذلك بأن جماهير العرب قادرة على العيش مع اليهود فى سلام طالما أن ليس هناك إثارة من جانب السياسيين، لأن العرب يعيشون بالفعل هكذا منذ سنوات

دون شعور عدائى متبادل ، ولأن العرب واليهود قادمون من اصل واحد .. لكن على العرب أن يدركوا أن فتح أبواب فلسطين لليهود هو الحل الاول والأخير للمشكلة اليهودية ، وأن على دول العالم أن تتعهد بالضمانات الكافية بأن العرب لن يضاروا بطريقة او باخرى من جراء الهجرة اليهودية ، وأن كل حقوقهم ستبقى مصونة دون اعتداء .. فلهم حق الحياة كما يحلوا لهم ، وحق المساواة امام القانون .

ولما سئل جوزيف عن رأيه فى مقالة دكتور جودا ماجنيس بخصوص دعوته لأن يتساوى اليهود والعرب فى فلسطين ثم اقامة حكومة تحت وصاية الأمم المتحدة يمثل فيها الطرفان .. قال انه لا يجب بأى حال من الاحوال تحديد عدد المهاجرين اليهود وبصرف النظر عن ذلك فان دعوة ماجنيس غير قابلة للتنفيذ ليس من قبل اليهود فقط ولكن من قبل العرب الذين لم يظهر اى سياسى منهم استعداده لقبولها ، رغم أن ماجنيس مايزال يتكلم حول هذه الدعوة وينشر مقالات فى الصحف البريطانية والامريكية .

• •

ولعل الانطباع الذى خرجت به اللجنة الفرعية للكونجرس من خلال حوارها مع الأطراف المعنية فى فلسطين من يهود وعرب (مسلمين) ومسيحيين ، هو امكانية التعايش السلمى بين الجميع فى إطار وصاية الأمم المتحدة ، وفى ظل المساواة التامة فى الحقوق والواجبات ، دون سيطرة فئة على فئة أخرى . وان كان كل من هذه الأطراف قد أبدى تحفظاً وتخوفاً إزاء محاولة كل طرف أن يتفوق على الآخر . كما خرجت اللجنة أيضاً بانطباع عن امكانية أن تستوعب فلسطين أعداداً هائلة من اليهود وفق إمكاناتها الاقتصادية الهائلة .

د. عاصم الدسوقى

الجزء السادس والأخير العدد القادم

هوامـــش

(١) من شهادة ايمانويل نيومان (المنظمة الصهيونية الامريكية) امام لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس جلسة استماع بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩٤٥ .

(٢) عميد كلية الحقوق بجامعة بنسلفانيا وكان يشغل من قبل مدير ادارة الهجرة والجنسية ثم اصبح مندوب امريكا فى اللجنة الدولية المشتركة لشئون اللاجئين . وقد قال ايمانويل نيومان فى شهادته المشار إليها إن المنظمات الصهيونية لم تطلب ايفاده ولم تعرف بذلك اصلا ، وان هذا الامر كان تصرفا فرديا من الرئيس ليحصل على معلومات موثوق بها .

(٣) كما وضح من رسالة السفير البريطاني فى امريكا فيما بعد إلى وزير الخارجية الامريكي فى ١٩/١٠/١٩٤٥ .

(٤) في دور الانعقاد رقم ٧٩ للكونجرس الامريكي لعام ١٩٤٥/١٩٤٦ حدث تغيير فى العضوية عند الديموقراطيين والجمهوريين عما كان عليه الحال في دور الانعقاد السابق (٧٨ لسنة ١٩٤٣/١٩٤٤) والذي حدثت فيه مناقشة مشروع القرار رقم ٣٥٠ ، ٣٥٢ . وكان التغيير فى عضوية الديموقراطيين اكثر منه عند الجمهوريين . ففي الحزب الجمهوري دخل لورنس سميث (ويسكونسون) ، وشيستر ميــــرو Merrow (نيوهمبشير) مكان كل من فوستر سيرنر (نيوهمبشير) ، واندرو سخيلفر (فرجينيا الغربية). اما فى الحزب الديمقراطي فقد دخل لجنة الشئون الخارجية خمسة اعضاء جدد هم : اميلي تافت دوجلاس (اللينوي) ، وجيمس ترمبل Trimble (اركنساس) ، وهيلين جاجان دوجلاس (كاليفورنيا) ، وجوزيف رايتر Ryter (كونكتيكت) ، ودانييل فلود Flood (بنسلفانيا) ، وذلك مكان كل من : هيرمان ايبرهيرتر (بنسلفانيا) ، وهوارد مكمـــــوراي (ويسكونسون) ، وويل روجرز (كاليفورنيا) ، ووليام فولبرايت (اركنساس) ، وجيمس رايت (بنسلفانيا) . ومن الملاحظ فى هذا التعديل خروج النائب الديمقراطي ويل روجرز صاحب مشروع قرار الكونجرس رقم ٣٥٠ ، ٣٥٢ المشار إليه .

(٥) لقد تاسس هذا الحزب فى مارس ١٩٣٥ وقد ارتبط بعائلة الحاج امين الحسيني مفتى فلسطين حيث كان ابن عمه هو الرئيس الفخري للحزب . ومنذ انحياز المفتي الى المحور خلال سنوات الحرب اصبح الحزب ساكنا لا نشاط له . ثم استعاد نشاطه فى ابريل ١٩٤٤ على يد السياسيين من اسرة الحسيني وبرئاسة اميل الغوري وهو عربي من الكنيسة اليونانية الارثوذكسية وكان اميل الغوري قد درس الصحافة فى الولايات المتحدة خلال الثلاثينات . وعند قيام الحرب ذهب مع المفتي الى العراق حيث اعتقلته السلطات البريطانية فى ايران فى ١٩٤١ ولم يسمح له بالعودة الى ممارسة نشاطه السياسي إلا فى ١٩٤٤ . وهذا الحزب يمثل المبدا العربي الذي يرفض هجرة اليهود الى فلسطين وتملكهم للارض هناك وتحويل فلسطين إلى دولة عربية ذات سيادة . وفى الوقت الذي كانت اللجنة تستمع فيه الى آراء اميل الغوري كان حزبه قد نجح فى تنظيم اجتماعات شاملة تطالب باعادة مفتى فلسطين من مهجره ، وكذا اعادة جمال الحسيني الذي كانت السلطات البريطانية تحتجزه فى روديسيا .

(٦) تنص المادة ٧٦ على مايلي : ان الاغراض الأساسية لنظلم الوصاية تمشيا مع اغراض الامم المتحدة المنصوص عليها فى المادة الاولى من ميثاقها هي : (ا) تحقيق السلام والامن الدوليين . (ب) تحقيق التقدم السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي لسكان المناطق الخاضعة للوصاية ، والعمل على تقدمهم نحو الحكم الذاتي او الاستقلال حسب ظروف كل شعب فى التعبير عن رغباته ، (جـ) احترام الحقوق الانسانية والحريات الاساسية للجميع دون تمييز بسبب العنصر او الجنس (النوع) او اللغة او العقيدة ، وتشجيع اعتماد الشعوب على بعضها البعض ، (هـ) ضمان المعاملة المتساوية فى الامور الاجتماعية والاقتصادية والتجارية لكل اعضاء الامم المتحدة ولكل شعوبها ، وضمان المعاملة المتساوية لهذه الشعوب فى الاحكام القضائية دون اخلال بالاغراض السابقة ، وتقديراً لبنود المادة (٨٠) .

(٧) كان تيرا انطوني معلما بكلية سانكتا فى القدس وهي كلية غير لاهوتية تحت اشراف طائفة الفرنسيسكان الامريكيين . وربع تلاميذ هذه الكلية من اليهود ، والنصف من المسيحيين الممثلين بالتساوي تقريبا بين المذاهب المسيحية الثلاثـــة (الارثوذكسية ،والكاثوليك الرومان ، والبروتستانت) ، والربع الباقي من المسلمين .وقال انطوني فى حوار إنه حضر الى القدس عام ١٩٢٠ .

(٨) كان عوني بك عبد الهادي قريبا من الامير فيصل فى دمشق عند نهاية الحرب العالمية الاولى . ثم عمل سكرتيرا خاصا له فى ١٩١٩/١٩٢٠ ، كما انه كان محاميا بالقدس ، وكان احد إثنين وقعا معاهدة فرساي نيابة عن ملك الحجاز ، ثم اصبح نشطا فى الحركة الوطنية الفلسطينية بعد ذلك بقليل . وتقوم سياسة حزب الاستقلال على معاداة الانجليز وتشجيع اهالي المدن من الموظفين واصحاب المهن المختلفة للالتفاف حول قيادته وذلك فى اطار المنافسة بين الحزب وبين جماعة امين الحسيني . وفى ١٩٤٢ اصبح عوني بك عبد الهادي عضوا فى مجلس ادارة البنك العربي الاهلي الذي يشارك فى جريدة « فلسطين » الجريدة العربية الرئيسية فى البلاد . ثم اسس الحزب « الصندوق العربي » الذي ناضل ضد تملك اليهود للاراضي وضد الاخلال بقواعد نقل الملكية المعمول بها .

(٩) يبدو ان عوني بك عبد الهادي يشير إلى مقابلة تمت بين ويزمان ولويد جورج وارثر بلفور ووينستون تشرشل في ٢٢ يولية ١٩٢١ . وقد كتب ويزمان تقريرا عن هذه المقابلة نشر لاول مرة عام ١٩٥٩ فى يوميات ريتشارد مينرتزيجان Meinertzhagen حيث نسب إلى لويد جورج اقتراحه برشوة العرب لضمان اذعانهم للخطط الصهيونية . ومن الواضح ان هذه الواقعة لم تكن معروفة يقينا لعوني بك عبد الهادي اثناء الادلاء بشهادته فى ذلك الوقت (١٩٤٥) ، ولكنها كانت من قبيل الشائعات التى كانت تتردد بين العرب انذاك .

(١٠) كان كابلان ودافيد بن جوريون وموشى شيرتوك يمثلون الماباي (حزب العمال) في المجلس التنفيذي للوكالة اليهودية بفلسطين . وكان الماباي اقوى التجمعات السياسية فى الوكالة واكثرهم سيطرة على مقاليدها لدرجة بعيدة . وينتمي برنارد جوزيف الى نفس هذه المجموعة ، وكان اول حاكم عسكرى اسرائيلي للقدس ووزير العدل فى اول حكومة اسرائيلية .

• عـــرض نقـديـ •

بقلم : محمد عبد الملك

الشمس.. في يوم غائم

إنجــاز أدبي باهــــر في الروايــــة العربيــــة المعاصــرة



الكاتب الروائى السورى حنا مينه

واليوم الغائم هو تاريخ : تاريخ شعب يرزح فى الظلام.« واليوم الغائم ليس له امتداد أو نهاية.اذ ان نهايته لم تقترب بعد.قلت « لأنه تاريخ ».لكن الشمس هى الوجود الذى يبقى ، مادام هناك شمس فالغيوم رهينة وأسيرة اللحظة التى يتحرر فيها شعاع الشمس من وراء الغيوم ذهباً حقيقياً ، حياة حقيقية للملايين بلا فروقات اجتماعية ، ولا اكواخ وأقبية وحروب ولا أحقاد ، الغيوم هى الضيف الراحل لكنه ضيف حالك السواد جثوه يبدو ابدياً ، ضيف ثقيل يرزح على صدور الوطن العربى ، أى وطن ، اختر ما شئت من الأوطان العربية ، فى أى أرض عربية سترى الشمس غائبة ، أو خلف الغيوم فى الانتظار ، والغيوم فى الوجه فى الصف الأول ، إن الوانها تتغير من الأبيض الى الرمادى الى الأسود الزيتى الثقيل لكنها موزعة فى لحظة حضارية راهنة ، هى واقع تاريخى لا مفر منه ولا مرد له ، لكنها غير أزلية وغير ثابتة لأن الحياة فى حركة ، ولكن الغيوم مهما طال مداها فالشمس تحرقها فى النهاية ، وتشع مضيئة ذهباً ، ساعتها سنبصر جميعاً كل الأشياء الجميلة الغائبة عن الأذهان ، كل الأشياء التى تخفيها الغيوم . ونحن نقرأ لكاتب من مصر وسوريا،أو العراق،أو المغرب العربى فنشعر بوحدة مناخ المأساة الحضارية ، وحدة ضراوتها ، هذه الضراوة التى تمتد حتى إلى حروف الكاتب فنعرف ان ما قاله هو نصف ما يريد قوله وان ما تبقى منه كثير ، لكن (حنا مينه) يمتحن هذه الحرية .

و (حنا مينه) ككاتب يبقى على راس قائمة الكتاب الملتزمين فى الوطن العربى . يكتب الرواية بنفس الشمس عند هجوم شعاعها على الغيوم ، وبنفس اندفاعـــه (الطروسى) لمواجهة العاصفة وحده من اجل فعل الرجولة . الرجولة كلمة كثيراً ما تتردد عند الكاتب ونحن لا يجب ان ناخذها بلفظها القاموسى ، فليس كل ذكر برجل ، و (حنا) يعنى بالرجولة كل افعال الشهامة والوطنية والتضحية وقيم الصداقة والود والافعال العظيمة الخارقة ومواجهة القدر والطبيعة ـ الشراع والعاصفة ـ (حنا مينه) يُشرِعُ صوته مثل الخنجر ، ومثل راقص بارع فى لغته الشعرية وتوتير الجملة وبترها ومزجها حتى تواكب الايقاع والرقصة التى يريدها فى الرواية ، وهذه الاستاذية فى الرقص تبدو فى تركيب الرواية . (حنـا) ملتزم وهو يصنع الجرح ويحمل الجرح .هذا شىء لابد منه ، وما عداه هروب ـ ويغيب فى الالم ، ويحمل فى راسه هموم غد الملايين. وهناك كتاب اخرون يحملون هموم الملايين لكنه اكثرهم ضراوة وان كنت ابالغ فهو اكثرهم قدرة على التعبير والوصول الى قاع البئر التى نسقط فيها جميعاً ونرفع فيها اصواتاً باهتة ، وربما استمد كاتبنا قدراته هذه من حياته القاسية وتقلبه فى الدنيا ، وربما من وعيه المبكر بالحقيقة ، لكنه اختار فى البداية آلا ينهزم ، الكثيرون ينهزمون ، الكثيرون يمتنعون عن الكتابة فى زماننا لانها تشبه مغامرة (الطروسى) بطل الشراع والعاصفة . الكتابة اصبحت نوعاً من المراهنة على الموت والحياة ، والوقوف فوق ضفتى حـــد السيف . أو اى نصل حاد قاتل . هناك كثيرون يكتبون لكنهم يدجنون انفسهم وحروفهم ، يصبحون رجالا بلا كبرياء ، يمارسون الكتابة مثل عادة النوم والمشى والموت انهم مباعون وبرخص المال أو الخوف ، أو رعب الصدام ، هذه حالة أشد انتشاراً فى الصحافة العربية ، الغيوم والشمس بعيدة تلتهم الجميع ، تصبح غولا رهيباً يكبل الافواه وبئراً عميقة تسقط فيها الرأس قبل القدم ، وهناك روائيون وقصاصون وهناك موتى وصمت فى الشمس فى يوم غائم . اذن فحنا مينة لم يختر العنوان جزافاً ، وليست حال هذا العنوان متفردة أحادية فى أرض عربية ما ، انها حالة عامة فهو من هذا المنظار يدخل افق الادب التاريخى ليس بصفته التسجيلية لكننا كما نفهم روح فرنسا وعقلها وتوثبها فى فترة ما فى روايات بلزاك بوسعنا ان نقرأ تاريخنا المعاصر عند قرائنا لروايات حنا . لماذا حنا



بلزاك

مينه بالذات .؟ ربما أكون قد اجبت على هذا السؤال قبل قليل.حنا ينادى « متى فقد الأديب الرجولة الشخصية فادبه مخصى .. نعم مخصى ، ويقولها فى الأيام القائمة. ونحن نستطيع ان نستلهم من هذه الجملة ماذا تعنى الكتابة عند حنا مينه ، انها نوع من الكفاح والصمود والتصدى لأجل الخير والحقيقة كما يفعل الطروسى بوعى أو بغير وعى ، لكنه لا يقول لنا كل المعانى فى تقرير انه ككاتب متفائل فى الأيام القاتمة يمد لنا عبر عوالم بعيدة جسوراً من الحلم والأسطورة والرمز والواقع ، لا يهمنا بالدرجة الأولى ما يمس هذه الجسور من تلاحم وامتزاج ، وكيف يتم التلاقى بين الحلم والأسطورة والواقع ، ان كل ما يهمنا ويستحوذ على شعورنا هو ان بساط الحياة الكبيرة فى روايته ياتى ليجسد كل الواقع عبر الرمز والأسطورة والشعر .

« كان الخياط قد روى لى انه قبل آلاف الأعوام فى الزمن غير المسطور فى كتاب..كان معبد ، وكانت صورة فى معبد وفتى يهوى الصورة التى فى المعبد . لقد رآها منقوشة على الجدار الصخرى فيما كان يقدم نذراً ويحرق بخوراً مبتهجاً بشفاء والدته المريضة ، لم تكن غريبة عنه ولكنه لم يتذكرها ، عاد إلى المعبد ليلا ومعه سراج وراح يحدق فى الصورة ويتامل صاحبتها التى التقاها يوماً واحبها يوماً ولكنه لا يعرف اين ومتى ، وسمع الفتى وهو راكع امام الصـــورة كبوذى مترهب نغمـا انسيابياً خيل اليه انه يعرفه أيضاً وانه عاشه ورقص له وكانت صاحبة الصورة فى الحشد المتعبد ترى رقصته وتبتسم له فنهض عن الارض وفتح ذراعيه ودار على نفسه وانطلق يرقص ويرقص والنغم ينداح وهو يواصل الرقص ثم رفع راسه فجاة فرأى الصورة تخرج من الصورة ، رآها تبرز وتتشكل وتتجسد امراة لا حد لفتنتهاءلا شبه لشفافية وبياض بشرتها وعلى ثغرها ابتسامة مضيئة كماسة على قماش عندمى » .

« كان عسيراً عليه ان يصدق ان ما رآه لم يكن الا وهماً . كان واثقا ان الصورة خرجت من الصورة وانه رآها وانه لو رقص لها فستخرج اليه ثانية . فتح ذراعيه واخذ يرقص ويرقص ، وينحنى على الصورة فيقبلها ويتوسل اليها ويناجيها ولكن الصورة ظلت صورة فاقام فى المعبد ورفض باصرار مغادرته ولم تفد فيه تضرعات امه ولا دموعها » ...

« وقيل انه جن فقيدوه بالسلاسل ولم يلبث ان مات وحلت روحه فى ابدان الراقصين من جيل الى جيل حتى يومنا هذا » .

هناك فى جانب آخر والفتى بطل الرواية يتذكر حكاية الخياط والصورة التى خرجت من الصورة راح يدق الأرض بين الاقبية والازقة وبيوت الفقراء والخياط يصيح له «اعنف» .. «هيا يا فتاى» وكان قد قال له الكثير ، علمه الكثير اكتشف طوايا روحه «الخياط وحده فهم مشكلتى هو الذى اكتشف نفورى من الرتابة وحاجتى الى الحركة » ... « انت ماهـر فى الرقص يا ولدى وجسمك رشيق مطواع وفى داخلك شىء يريد ان يخرج كانه النغمة أو الغضب مع انك لا تشكو شيئاً وعائلتك غنية وكل ما تريده موفور ولست على خلاف مع اهلك » لكن هذا ما لم يصب فيه الخياط فالفتى على خلاف مع اهله وخلاف بحجم الخندق العميق الذى يفصل بين الخير والشر والأكواخ والقصور والا فلماذا جاء ليرقص رقصة الخنجر ويستبدلها عن التانغو التى يرقصونها فى الكازينو انه فى خلاف مع اهله لكنه ـ هذا الخلاف ـ لم يظهر على السطح ، انه قابلية ، نوع من الشعور بأن شيئاً ما فى عائلته الكبيرة المالكة غير طبيعى ومع وجود هذا « الغير طبيعى » فان الحياة تمضى غير طبيعية . فالحياة الاجتماعية كلها واحدة ويقف انجازها وحركتها على قانون المسببات والنتائج . ان الرتابة غير الحركة وسكان الاقبية وجيران الخياط



الشمس في يوم غائم

يحبون الحركة لانهم يريدون الانعتاق من الرتابة انها موتهم البطيء اما الملاك والد الفتى وامه ورئيس القلم خطيب اخته فهم يحبون الرتابة لأن البحر ساكن هنا حيث ترسو سفن سعادتهم وتظل هزهازة فى سعادة تشبه سعادة طفل نائم نوما عميقا وقال الفتى سارقص « وعندما بدأ العزف ودوى التصفيق شعرت برجفة فى يدى » ورقصة الخنجر هى غير رقصة التانغو لكنه اقدم عليها لأنه يكره الرتابة وصورة جده وسيرة العائلة وظلم الفلاحين،ويحب سكان الأقبية الذين التفوا من حوله ، الفتى المدلل يرقص رقصة خطرة . صارت حلقة ، كبرت .

ابن القصور بدأ يدق الارض ايضاً مع الملايين التى تدق لايقاظها . وهنا تتوقف ماساته او تتحرك فى شكل افقى لا ينتهى الا عند الحد النهائى للرواية وربما لا ينتهى بمنتهاها . انه يرقص ها هنا رقصة الخنجر الحقيقية بين الفقراء والخياط ،يقول صفقوا بقوة ! .

البحث عن الحقيقة

ان علينا ان نرجع الى الرواية ، وتطور عنصر الصراع فيها ، الصراع النفسى الداخلى فى ذات الفتى بين اسرته وشعب الأقبية ، وبين شعب الأقبية واسرته .

لماذا اختار حنا مينه الخياط ليكون معلمه ومحرضه وموجه حياته ؟ لا نعلم ، لكن الخياط لم يكن خياطاً وكان يعلم الناس اشياء كثيرة ، يكره كل ما هو قبيح وبشع ، ويحب الفقراء ، ودق الأرض ويعلمهم رقصة الخنجر انها لعبة خطرة يجيد الخياط تعليمها . الخياط يحب رقصة الخنجر ، يعلمها ، والشاب بطل القصة يكره التانغو ، رقصة التانغو التى يرقصونها فى الكازينو ، جميعهم يرقصونها تلك الأسرة الاقطاعية التى ينحدر منها بطل حنا مينه ترقصها فى الكازينو ، انها بطيئة مملة مثيرة لاشمئزازه وتقززه . ترى ايضاً لماذا اختار حنا مينه بطل قصته الاول من وسط عائلة اقطاعية كبيرة هل ليضع كامل مجهره هنا ليعرى عمق تفاهتها كما فعل تولستوى فى رواياته وهو « تولستوى » .. ابن الأسرة النبيلة التى عاش وسطها ، واكتشف سام حياتها وفراغها الروحى ، ام ان الرواية انطلقت عنده على سجيتها كما تفعل عنده غالبا وعند الكثيرين ممن يكتبون الرواية ، لا يهم ، كل هذا ليس راس المسالة ، ان المسالة هى وقوفها فوق اجسادنا جميعاً ، نحن جميعاً دون استثناء ، ان حنا مينه الكاتب الكبير وفى الأيام الغائمة يعرينا جميعاً ، وينادى ان على الكاتب الا يفقد الشجاعة ، الا يكون مخصياً ، الا يكبو ، وان كبا فانه لا يسير وحده ، فالركب كبير والشمس فى اليوم الغائم لا تحجب عن بطل الرواية والمراة التى عشقها فى القبو ، والخياط ، وضارب الايقاع ، انها تحجب نفسها عنا جميعاً ، بطل الرواية يسام ثرثرة اهله فى القصر الكبير ، تشعره بالاشمئزاز ، صورة جده استسلام امه ، ضعف شخصية ابنة عمه ذات العوينات ، الكازينو ، رقصة التانغو ، الحديث عن قتل الفلاحين ، « انت زهرة فى حقل من الشوك ... نعم انت زهرة فى حقل من الشوك .. » هكذا يخاطبه الخياط فى أول لقاء لهما ، وهو يعلم ، يكتشف ان جسده قادر على التعبير اكثر من انامله وصوته . جسده كله بما فيه القدم والساقان والذراعان ، ان فى داخله شيئاً يريد ان يخرج ، الرقص ، الرقص ، العنيف رقص الموت ففى الموت تكون الحياة ، لا تكون الحياة بلا مغامرة ، وبالخنجر بالذات وكما يرقصها الشركس « هيا يا فتاى .. » رائع ، راح الفتى المنحدر من قصور الاقطاع والكازينو والتانغو يرقص فى الزقاق بالخنجر وفى الرقص وجد نفسه اكتشف شيئاً ما بداخله يخرج . لكننا لا نفعل شيئاً بلا هدف ، لا نرقص بلا هدف وإلا ضاع كل شيء هباء ، راى الفتى امراة القبو التى عشقها ، شاهد عينيها السوداوين وكما الهمته واهدته الرقصة المجنونة كانت هى السبب فى طعنه



تولستوى

بالخنجر ، راى عينيها وغاب ففعل العجب وراى عينيها وغاب فجرح ساقه ، لكنه ظل قانعاً بما فعل ، انه يعيش ، يفعل ما يريد ، يلتقى بالناس ، يكتشف ما فى هذا العالم من متعة وسعادة والم ، هناك فى القصر ثاروا والولد يرقص بين الفقراء مثل الغجر ، ابن الباشوات يرقص فى الزقاق ، وتخوم الأقبية كالغجر ، الفتيات فى القصر فتنتهم الرقصة ، لم يروها لكنها فتنتهم ، رأوه ممدداً فوق سريره ، والحمى تاكله ، انها رقصة الفرسان والفتيات يحببن الفرسان . هل سيرقصها بعد ان يشفى ؟ لم يهمه كل هذا ، كان يفكر فى الخياط وامراة القبو ذات العينين السوداوين الجسورتين . انها نقيض لابنة عمه ذات العوينات الهادئة المستسلمة ، انها شيء اخر ، اقوى منه ، يشعرها اقوى منه ، ورغم نظرة الاعجاب التى بادلته اياها فهى لم تتنازل عن كبريائها ، انه ابن السراى والقصور ، وهى تكره السراى والقصور ، جسورة هى مثل الخياط الذى يحبها رغم ما تمارسه من مهنة ملعونة . عشقها الفتى ، عشقها ، كانت السبب فى شج ركبته بالخنجر ، حين حدق فى عينيها انحرف بشكل ما واخطا الضربة لكنه لم يغضب عليها ، شيء ما يجمعهما ، وشيء ما يفرقهما ، فكيف تنتهى النهاية ، ان حنا مينه لا يقول لنا حدوتة ، او حكاية تبدأ وتنتهى ببداية ووسط ونهاية وان لم يخل بتوازن روح الرواية بدليل تنامى شخصيات الرواية وتنامى احداثها ، لكنه لا يشرح لنا التنامى ، انه يحكى لنا الأزمة الأبعد غوراً فى الماساة الاجتماعية . المراة ، امراة القبو معذبة ، تحب وتكره ، والفتى معذب يحب ويكره ، واخته تعى الأشياء وتجهلها ، والارض ابنة الكلب نائمة ، ولحظة اليقظة مجهولة ، ولحظة التجدد .. مجهولة حتى كيفية تحدد



يوسف ادريس

المصائر مجهولة ، نحن فعلا نعى امراة القبو تحب الفتى وتكرهه ، ونعى تمزق الفتى بين اسرته الاقطاعية وشعب الاقبية والزقاق ، لكن المسالة لا تقف عند هذا الحد فالكاتب ياخذنا الى الاغوار الابعـــد : لماذا يعيش الانسان هذا التناقض والبؤس المادى والروحى. ؟ لماذا تكون الحياة جميلة ورهن أيدينا .؟ السعادة رهن ايدينا والشقاء رهن ايدينا لماذا ؟ « انا اتحدث عما هو خارج القدر » هذا السؤال هو الذى يلح من اول باب الرواية حتى نهايتها ، البحث ، البحث عن الحقيقة ، عن الاكتشاف فى الأيام الغائمة ، لكن دائماً هناك لا يظل الغور العميق الفاصل بلا سبب ولا يظل الغور العميق بلا حل للمعضلة ، لذا لم افهم لماذا كان سقوط الظلام بين الأب الاقطاعى قاتل الخياط وبين الفتى هو النهاية ، هل كان يعنى ذلك الانفصال التام .؟ ربما لكن فى قناعتى ان تنامى الرواية وصلت عند حد قناعة الفتى ان اباه الاقطاعى الملاك قاتل قبل ان يصرخ فى وجهه « انت قاتل قاتل » . لكن هل هـــذه الصيحة تعنى كل شىء ام انها بداية صراع حقيقى بين الفتى والأب ، ام وهذا تفسير ثالث واخير هو الانفصال الأخير ، انضواء الفتى مع من يدقون الأرض ، لحاقه بالخياط الذى علمه ان يكون للحياة معنى ، هذا جانب لم يرق لى فى الرواية أو فى نهايتها بالتحديد ، فالقناعة وصلت عند الفتى حد الأشباع ، والأب قام بمجازر لا عد لها واول ضحاياه كان هو قبل الفلاحين ، وامه واخته هكذا اكتشف بوعيه ومن خلال الخياط فلماذا اكتفى حنا مينه بسقوط الظلام بين الأثنين .؟ هل تفاديا لتقريرية الأحداث وسامه من النهايات التراجيدية المفتعلة. ؟ ربما ، لا اعلم لكن التنامى وصل إلى حد انه يجب على الفتى بعد ان تعلم الكثير واجتاز مرحلة الشعور بالماساة الى مرحلة الوعى بها ، كان عليه ان يتخذ موقفاً اكثر حسماً ، الفتى فى لحظة رهيبة ، والخياط الذى يحبه شعب الأقبية والفتى ، الخياط الذى يمثل الفضيلة مات بطعنة كان من ورائها ابو الفتى فهل اجل فتى الرواية المواجهة الى مرحلة اخرى. ؟ ام انه سيراجع نفسه من جديد. ؟ يبقى ذلك مجرد سؤال فالسكون فى النهايات يظل سلبيا كالهياج فيها ، قلت خيوط الرواية لدى كاتب ملتزم يقف فى الصف الأول بين كتاب الرواية الملتزمين لابد وان تتماسك من حيث ربط الاشياء بالمسببات الواقعية بالحياة ، وللصراع اسباب ويمتد هذا الصراع عند ابطال حنا مينه من خلال او فى داخـــل الافراد ذاتهم او فيما بينهم كقوة جديدة صاعدة ، الخياط وامراة القبو والفتى والأب وزوجته ورئيس القلم ، ورجال الدرك والذين يقفون من ورائهم . ولذا فالرواية حين تكتب بوعى فهى تمسك بخيوط الحقيقة ، من خلال الواقع والرمز . ان موت الخياط الفرد ليس موت شعب الأقبية ، سيظل هناك من يعلم ايضاً ، لقد علم هو الكثيرين ، علمهم كيف يضربون الأرض ، ويرقصون بالخنجر ، والرقص هنا عنـــد حنا يختلف عن رقص زوربا . إن اعماق الرقص هنا ابعد ، حدوده غير ذاتية ، انه هوس جماعى لتجسيد فكرة واحياء وجودها ، فكرة لا تجلب راحة للنفس فحسب لكنها تمدها بالقوة لمواصلة الصمود ، المعنى هنا كثير الابعاد . لا يربط حنا خيوط الرواية ربطاً تقليدياً كما نقرا فى الكثير من الروايات ، ان البعض يرى فى ذلك تقريرية من الكاتب ، لكنه فى الحقيقة نمط تشكيل الرواية ان التدخل بين المنلوج الداخلى للشخوص والرمز والاسطورة والحدث المعاش جاء ليخدم المحتوى الذى اراد الكاتب قوله أو احتضانه .

ناتى ونحن هنا نتحدث عن تكتيك الرواية الى لغتها الشعرية ، وموسيقاها ، وعباراتها الصغيرة المقطعة . انها وتيرة فى السرد تختلف وتتشابه مع سرد القاص يوسف ادريس السريع اللاهث ، انت لا تشعر بالكسل والغفلة لحظة طوال قراءتك للرواية ، دائماً تلهث وراء الجملة ، والحدث ، والحوار ، ثم هناك الرمز والشاعرية وإضفاء الابعاد الرمزية على الحكايات الشعبية . لا نريد ان نقول ان هذا يضيف حقيقة اخرى لسنا بصددها الآن « اقتراب الكاتب من روح الشعب » لكننا فنيا نجد ان توظيف الحكايات الشعبية ياتى متناغماً مع الحدث والموقف ثم هناك المنلوج الداخلى الذى يسقط فى الرواية من اعماق الفتى وهو يتذكر ما يقوله الخياط ويردده خلال الرواية .

الغيوم .. والواقعية

الشمس فى يوم غائم من الروايـــات القليلة التى تقرأ أكثر من مرتين لاننـــا لانكتشفها « كلها » من القراءة الأولى وهكذا فعلت ، وتوصلت إلى يقين ان حنا مينه قد اعطانا رواية خالدة ستبقى . ولذا اكتب وحين ترددى فى الكتابة عنها اجبت فى الحال « لن تكون الاخيره » فالرواية من الانجازات الكبيرة فى الأدب العربى المعاصر وما كتب عنها اقل من حجمها فى الكم والكيف . القناعة الاخرى التى توصلت اليها ان حنا مينه هو بين قلة من الكتاب لم يقبل ان يكون غلاماً فى قصر الحياة العربية حتى ولو رصعوه بالذهب لأنه اراد مثلما الطروسى ان يصمد فلا يكتب ادباً مخصياً ، خائناً مذعوراً . ورغم الغيوم التى تغطى السماء العربية قال حنا ان لم تخنى الذاكرة فى مقابلة قراتها له فى العام الماضى اجرتها له احدى الصحف العربية : « ان المناضل اليـــوم هو من لا ييأس » اجل فى الأيام الغائمـــة يكون اليأس سيد الكون والبشر والزمان ، لكن من يملكون رؤيا تاريخية ـ صحيحة للاشياء وحركة الواقع لا يغمضون اعينهم عن ذلك الشعاع الطفيف الذى يهبط حزينا يتعشق عيونهم الشجاعة العطشى ، وهناك ايضاً ما يؤكد ضمن سياق هذه الرواية حقيقة مسار الحركة الادبية فى عموم الوطن العربى ، اننا جميعاً نقرا قصائد مجنونة وروايات مجنونة ، وقصصاً قصيرة اشد جنوناً ، اننا نقرا كل يوم ونرى انحلال القصيدة والقصة القصيرة وتحولها الى خواطر وطلاسم وتهويمات سحرة ، واننا نشهد ان هذا المد المترسب فى لحظة الاغتراب الحضارى يحاول ربط جسوره باتهام الواقعية بالجمود والكسل والموت ، وعدم مواكبتها للعصر المعقد الشديد التعقيد ، الشمس فى يوم غائم والكاتب الروائى الكبير فى هذه الرواية يكشف لنا كل الحقيقة بواقعيـــة عملية جداً حيث اصبح الاقناع النظرى للجنون المغامر شبه مستحيل ، انه يكشف ببساطة وقوة آفاق الواقعية وطموحاتها التى لم تمت ولم تذبل انه يقول بطريقة غير مباشرة « كل ما فى الأمر انكم عاجزون عن اكتشافها » .

محمد عبد الملك ـ البحرين

شاعر أسباني يتغنى بأصله العربي

مانويل ماتشادو

بقلم : عبد اللطيف عبد الحليم

لا احد يمثل تيار الحداثة فى الشعر الغنائي الاسباني كما يمثله مانويل ماتشادو (١٨٧٤ ـ ١٩٤٧) ، شقيق الشاعر الكبير انطونيو ماتشادو ، واولهما اكبر من الثاني بعام واحد . اشبيلي المولد ، فرنسى التكوين ، عاش في مدريد بعد قفوله من باريس حتى مات سنة ١٩٤٧ .

رجل من ذوى النفوس البسيطة ، التى لا تثيرهـا، ولا تكربها ارتجاجات القلق والحيرة التى تعصف بنفوس من طراز آخر مثل الشاعر ميجيل دى أونامونو ، فان صاحبنا ماتشادو راض الحياة كما راضته ، واستسلم لها فى خدر لذيذ ، على نمط يذكرنا باسلافنا من شعراء الاندلس الذين شربت أرواحهم خلاصة طبيعة الاندلس ، بما فيها من ليال حالمة بعطر الموسيقى ، تنبعث من أوتار عود ينوح حين يشدو ، ومن حنجرة عميقة ، يتجاوب صداها فى أبهاء القصور العربية ، فترددها نوافير المياه ، وزهر البرتقال الغافي فى الامسيات الرطيبة .

لم يسلك مانويل مسلك اخيه انطونيو فى الانسلاخ من جذوره الاندلسية الاشبيلية ، والارتباط بقشتالة والتغنى بها . والانطواء على نفسه ، لذا كان انطونيو من شعراء جيل الثمانية والتسعين ، الذى كان صوت اسبانيا آنذاك ، والذى احس بعمق الكارثة التى احدقت باسبانيا بعد ضياعها لمستعمراتها . بل سلك مانويل اتجاه الحداثة الذى تزعمه روبين داريو شاعر نيكاراجوا الأكبر ، ذلك الاتجاه الذى حل محل الرومانسية بعد جمودها وإفلاسها ، وإن كان لم يتخل عن بعض غنائمها واسلابها ، بعد اضفائه عليها صبغة خاصة ونفحة شخصية ، وقد اطلع مانويل أثناء اقامته فى باريس على التيارات التى كانت تموج بها العاصمة الفرنسية ، وصادفت البرناسية والرمزية هوى فى نفسه وامتزج كل هذا المحصول فى نفسه امتزاجا عميقا خرج منه هذا النتاج الخصب ، بعد أن أراق عليه وهج نفسه ، وعبق روحه ، ولون عينيه ، وغدا شاعر الاندلس بحق .

أشبيليَّـــات

السيجيريــا (١) الغجرية
هي موشحة الليالي الاسلامية

عيون ســود ، وضيـــاع
تحيـــا الموشحـــة دائماً من الحـــب والموت
هي صـــوت القلب ، اسير الأسى والحــــظ ..
بكائيــة الهوى العميقــة

• • •

بيد ان موشحة ضياء الفردوس الاندلسي
المجنحــة الربيعيــة
الثرثـــارة ، العذبة
التى تغنيهـــا كل اشبيليَّـــة
هي السيجيريـــا الاشبيليـــة المرحــــة
المليئــة باشعة الشمــس ، وخفة الظـــل .

• • •



والغريب أن الأندلس بعد العصر الاسلامي مازال – حتى الآن – ارض الشعر ، ومنبع الالهام ، فمعظم الشعراء الأسبان ولدوا فى جنوب اسبانيا (الأندلس) . الاخوان ماتشادو ، غرثيه لوركا ، الكسندري – الفائز بجائزة نوبل عام ١٩٧٨ – خوان رامون خمينيث – نوبل ١٩٥٦ – . وغيرهم كثير ، اصبح الأمر ظاهرة حتى لدى الاسبان انفسهم ، مما دفع بالشاعر الكبير رفاييل البرتي الى نظم قصيدة عنوانها « الشعراء الاندلسيون » وصارت القصيدة يتغنى بها الآن ، وتباع – ملحنة – على اشرطة التسجيل .

استاثرت الأندلس وتراثها الشعبي بنصيب ضخم من قصائد مانويل ماتشادو ، فقد استغل الموضوعات الشعبية الاندلسية ، وانتزع من نمط الغناء « الكانتي خوندو » او الغناء العميق منجماً لا ينفد ، وغدت القيثارة الأندلسية ، واغاني البحر ، والفلامنكو ، وذكريات التاريخ العربي ، تاريخ اسلافه واسلافنا تشكل كل هذه الأشياء وغيرها خطوط لوحته الشعرية ، ولا ينسى ابداً أن يغمس ريشته فى نبيذ الأندلس المعتق .

لم يكن مانويل ماتشادو غزيرالانتاج إذا قيس بشقيقه انطونيو، نذكر من ابرز انتاجه مايلي : « صور اشبيلية » كتبت نثراً . وست مسرحيات اشترك فيها معه شقيقه . اما شعره فبرز منه دواوينه : « روح » ١٩٠٠ ، « نزعات » ١٩٠٥ ، « العيد القومي » ١٩٠٦ ، « اشبيلية وقصائد اخرى » ١٩١٨ ، الى جانب بعض الدواوين الأخرى

تطفر فى شعره نزعة حسية اقرب الى الابيقورية ، لكنما يكبحها شيء من الحزن المغلف بالحنين الغامض ، وشيء من التطلع الى التنفس فى الاحلام ، ويلوح بين الحين والحين سحابة تشاؤم ، لكنه ليس تشاؤم النفس المغلقة الكنود ، لا ترى النور، ولا يشوقها ان تراه ، ليس تشاؤم النفس الناضبة من العطف والشعور ، إنما هو تشاؤم النفس المفطـورة على العطف، ليس بينها وبين النور او الحب حجاب صفيق من الصمم والبلادة والأنانية ، تشاؤم يجد سلواه فى حضن الطبيعة ، وعزاؤه فى ملاذ الحياة ، إنه تشاؤم محب للدنيا ، متعلق بحبالها ، يزهد فيها ليأخذ نصيبه الأكبر من حلوى الحياة .

اما طريقة التعبير عند مانويل ماتشادو ، فقد رسمتها موضوعاته القريبة ، واغراضه البسيطة . جاء التعبير مساوقاً لطبيعة هذه التجربة بسيطاً ، يتدفق فى سلالة عذبة . لكنها البساطة العميقة ، أو السهل الممتنع – كما يقولون – أو هو السهل الذى يمتنع على كثيرين ممن يروضون القول ، ويصرفون الكلام ، يتانق الشاعر كثيراً فى التعبير ، لكنها الاناقة التى لا تحس أنها اثقلت العمل الفني باوزار التكلف والصناعة التى يقع فيها كثيرون من اصحاب الأناقة ، تشعر – حين قراءته – انه كان يلقى بباله الى الكلام فيطاوعه ، وجاءته سهولته هذه من سهولة الشعور عنده وبساطته ، وقد اسلم مقاليده للفن ، فاسلم اليه الفن مقاليده ، وتبرز القافية عنده بروزاً معجباً رائقاً ، فكانك تغني حين تقرا القصيدة ، التى تهز اعطافك قسراً للموسيقى السارية فى تضاعيف كل كلمة منها ، إنها موسيقى شجية بما تحمله من شحنة عاطفية تدع فى نفس المتلقي شعوراً لا عجاً حزيناً – ربما اضاعته الترجمة النثرية ، وارجو ان اترجم هذه القصائد شعراً فيما بعد :

ورجل هذه طريقته فى التعبير ربما يقع فى السطحية والمباشرة الساذجة ، لكن صاحبنا كان فى الاعم الأغلب بنجوة من هذا المنزلق الوعر . وكثيراً ما يستخدم الشاعر بعض الكلمات فى نطقها العامي فتزيد اسلوبه ملاحة ، وتحل محلها المحتوم .

شعره – فى ايجاز – صورة حية لنفسه ، ولليالي الأندلس الساهرة ، وانعكاس لصور الحياة كما تراءت فى صقال نفس هذا الشاعر المرهف الفرد ، الذى نحيي فيه مزاجه العربى الأندلسي ، ونرد له تحيته التى حيا بها اسلافنا واسلافه العظام .

الدّلفى

إنني مثل اولئك الناس

الذين قدموا الى ارضى هذه

من جنس عربي ،

جنـس صديق قديم للشمـس

أولئك الذيـــن غنمــوا كل شيء ،

وخسروا كل شيء

وقـد نبتـت روحي

من عبـق الناردين الأندلسي

• • •

ماتت ارادتي ذات ليلة مقمـــرة

كان من الرائـــع فيها الا نفكـــر ،

والا نحـب

وكل ما احلم به ان استلقى خليَّ البـال

بين حيـن وآخـر

• • •

ليــس لروحي شقيقة الأصيل تخوم

والزهـرة الرامـزة لشوقي الوحيـد

هي زهـرة ليـس لها نفـح ،

ولا شكل ولا لون

تولد من اراضي مجهولـة

• • •

مانويل ماتشادو



قبلات ، بيد انها غير ممنوحة .
امجاد يدينون لي بها !
كلها مثل نسيم مضيء يسري من اجلي !
فلتجيء بيَ الأمواج ،
ولتذهبْ بيَ الأمواج
ولا تجبرني ابداً على اختيار الطريق

● ● ●

طموح ؟ ليس لدي . حب ؟ ما شعرت به
لم احترق ابداً بنار اليقين ،
ولا بنار الشكر
كان لدي عشقٌ غامضٌ للفن ،
والآن اضعته
لا يفوتني الفجور ، ولا اعبد الفضيلة

● ● ●

لا يرتاب احد في عراقة محتدي
فالمأثرة والعراقة تورث ولا توهب
بيد ان رمز بيتي وشعاري
مثل سحابة حائرة تكف الشمس المغرورة

● ● ●

لا انشد منكم شيئاً ..
ولا اشعر نحوكم بحب ولا ببغض
ودعوني افعل من اجلكم
ما تستطيعون فعله معي
ولتبذل الحياة ما في وسعها لموتي
فانني لا ابالي بأن احيا

● ● ●

ماتت إرادتي ذات ليلة قمراء
كان الرائع فيها الا نفكر والا نحب
وبين حين وآخر قبلة بدون رغبة
قبلة كريمة ، ولا ينبغي ردها بمثلها .

(٦) الأسى
« من أغاني الغجر »

إن اساي من نوع رديء
لانه اسى لا اود ان ابرأ منه

● ● ●

لقد جاءني دون ان ادري من اين ،
مثلما تجري المياه الى البحر ،
والزهور الى شهر مايو
والرياح الى الغابة

● ● ●

جاءني ، وخيَّم في فؤادي
كمرارة القشرة الخضراء
في الليمون الاخضر

● ● ●

مثل جذور اللبلاب
يتغذى الاسى في فؤادي
وعروقي بالدم

● ● ●

لست ادري من اين يلتف بجسدي
ذلك الحبل ، ولا من اين لم يلتف
لست ادري ..



(٧) إبنة صاحب الخان

«كانت البنية تصمت ، ومن حين لآخر
كانت تبتسم» ثيرفانتس . دون كيخوتي
صمت إلهي
وبسمة عذبة
لماذا تمثلان في ذاكرتي ؟

● ● ●

الخان خالٍ
وابنة صاحب الخان (٢) تغمز
بعيون وسنى
وصاحبة الخان تغزل
وحضرة صاحب الخان عند الباب
يترقب إذا ما كان احد قادماً ..
فالريح تكتسح الريف
... وبجانب النار
تجلس البنيَّة
تحلم بكتب الفروسية ـ
تنظر بعيونها الزرق الاصيل
الذي يموت وراء الافق

● ● ●

بنية جافيةٌ ارض لا مِنْشَا
تغوص في ليلة باردة

عبد اللطيف عبد الحليم/مدريد

---

(١) يقال إن هذه الكلمة ذات اصل عربي ، معناها صغيرية من الصغر ثم تحولت هذه الصيغة الى صورتها الحالية في اغاني الفجر .

(٢) في الأصل Maritornes وتطلق على البنية التي تخدم في الخان ، وقد اخذها الشاعر من دون كيخوتي . المترجم .

في مهرجان

شوقي.. وحافظ

شعر : فتحي سعيد

شَوْقِي أَمِيرِ القَوَافِي وَالْعُلَا نَسَبُ
مَا بِالْقَلِيلِ عَلَيْكُمْ ذَلِكَ اللَّقَبُ
فِي يَوْمِ عِيدِكَ جِئْنَا يَزْدَهِي الْحَسَبُ
مَا بِالْكَثِيرِ عَلَيْنَا ذَلِكَ الْحَسَبُ
إِنْ كُنْتَ يَوْماً أَمِيرَ الشِّعْرِ أَصْغِ لَنَا
نَحْن الصَّعَالِيك لا عَرْشٌ وَلاَ رُتَبُ
نَحْنُ الصَّعَالِيك نَمْشِي فِي مَنَاكِبِهَا
نَغْدُو وَنَشْدُو .. وَقَدْ حَاقَتْ بِنَا النُّوَبُ
هِمْنَا بِفَنِّ الْقَوَافِي دُونَ بَادِرَةٍ
أَوْ بَدْرَةٍ لأمير .. شَاعِراً .. يَهبُ
كَمْ كُنْتَ تُسْقَى بِكَأْسٍ حَفَّهَا الحَبَبُ
وَنَحْنُ نُسْقَى بِكَأْسٍ حَفَّها السَّغَبُ
وَأَنْتَ لاَهٍ بِهَا غَافٍ بِكَرْمَتِهَا
وَلَيْسَ فِيهَا لَنَا كَرْمٌ وَلاَ عِنَبُ
فاهبط إِلَيْهَا ... وَحَدِّقْ فِي حدائقنا
أَحْفَادُ شِعْرِكَ أَنْدَادٌ إِذَا نُدِبُوا
عِصَابَةٌ مِنْ بَقَايَا اللَّيْلِ أَدْرَكَهَا
أَلْبَدْءُ وَالْمُنْتَهَى وَالْحَرْفُ والكُتُبُ
شُمُّ الأُنُوفِ .. كِرَامٌ قَدْ أَظَلَّهُمُو
اللَّيْلُ لَمَّا سَجَى .. لا الْخَمْسَة السُّحبُ !

●●

يَاشَاعِرَ النِّيلِ .. مَنْ كَالنِّيلِ يَنْسَكِبُ
وكم عطاشى به مروا وما شربوا

ظُلِمْتَ حَيّاً وَمَيْتاً فى صَحَائِفِهَا
إِذْ قَارَنُوكَ بِنَجْمٍ دُونَهُ الشُّهبُ
لسْتَ المصلّى بها في شوط حَلْبَتِهَا
أنت المجلِّى بها والرأسُ .. لا الذنبُ
غَنَّيْتَ لِلشَّعْبِ ... مَنْ كَالشَّعْبِ أُغْنِيَة
يُشْدَى بِهَا .. وَشُدَاةُ الْقَوْمِ قَدْ تعِبُوا
عرِّج علينا .. تجِدْنَا دون سِدْرَتِهَا
انداء صِدْقٍ .. بعصر كلّه كذِبُ
يُغْدَى بِنَا ويراحُ الدهر كوكبةً
مرُّوا عُجَالى .. فلما وُوثِبُوا .. وَثَبُوا !

●●

الله أكبرُ كم في الفتح من عجبِ
الله أكبر .. لا فتحٌ ولا عجبُ !
ضاعت فلسطينُ من يبْكي قضيتَهَا
قُضاتُها العورُ .. أم أبناؤها العربُ ؟
دمٌ تَلَظَّى على أستار كعْبَتِهَا
سالت مداداً به الأشعارُ والخطبُ ..
بيروتُ لا تينها حلوٌ ولا العنبُ
بيروت لا قرطها توتٌ ولا رطبُ
فانظر أميرَ القوافي مهْدَ زحلتها
واطرب لجارةِ واديكَ الذي اغْتَصَبُوا .!

متى يضاء النور الأخضر لتطوير الموسيقى العربية؟

بقلم : مريم آل سعد

● مازالت الأمية الموسيقية تسيطر على الكثيرين من أهل العلم والرأى !

● لماذا أصبحت دراسة فن الغناء محدودة المناهج وترتكز على الارتجال ؟

● هل من الضرورى إيفاد الطلبة إلى معاهد أجنبية لدراسة الموسيقى ؟

بدعوة من وزارة الاعلام فى دولة قطر ، انعقدت اجتماعات لجنة التربية والثقافة الموسيقية المنبثقة عن المجمع العربي للموسيقى ـ جامعة الدول العربية ـ فى الفترة من ٢٢ إلى ٢٨ نوفمبر ١٩٨٢ م .

وشارك فى هذا الاجتماع عشرون باحثاً ومؤلفاً فى التربية الموسيقية من معظم الدول العربية ، على رأسهم أمين المجمع العربى للموسيقى منير بشير ..

وقد ناقش المشاركون فى هذه الندوات من خلال الجلسات الصباحية والمسائية ، والدراسات المقدمة من قبل أعضاء اللجنة والسادة المراقبين ، منها « دليل العمل فى المسوحات الميدانية » وبحث « الطيور والحيوانات فى لعب وأغاني الأطفال » اللذين عرضهما ممثل الجمهورية العراقية حسين قدورى ..

كما قدم عبد الحميد بن موسى ـ الذى مثل الجمهورية الجزائرية فى هذه الاجتماعات عرضاً لكتاب « دليل المعلم للتربية الموسيقية » .

ولقد نظرت اللجنة مجدداً فى قرارات وتوصيات الدورة الأولى المنعقدة بالجزائر خلال شهر فبراير ١٩٨١ ، وأكدت على أهمية الملاحقة التنفيذية ، والتركيز على مبدأ العمل بالأولويات مع مراعاة الامكانات المادية للمجمع العربى للموسيقى .

قرارات وتوصيات

ورأت اللجنة أن يبدأ المجمع بتنفيذ مشروع طبع الالبوم الخاص بمجموعة الأسطوانات المحتوية على الأغاني الشعبية ، بمعدل أغنيتين من كل قطر عربى .

وبناء على الاقتراح المقدم من قبل ممثل الجمهورية العراقية والداعي إلى عقد لقاء لمديري المعاهد والمدارس الموسيقية الموجودة فى أقطار الوطن العربى بغرض البحث فيما بينهم حول أمور مناهج التربية الموسيقية وأساليب ووسائل تدريسها اوصت اللجنة بأن يضم وفد كل دولة أحد مديري المعاهد الموسيقية أو من ينوب عنه من المعنيين بشؤون الموسيقى ، علماً بأن هذه التوصية تنسحب على المؤتمر الثامن للمجمع والذى سوف يعقد فى بغداد فى شباط « فبراير » ١٩٨٣ م .

كما أوصت اللجنة بطبع البحوث والدراسات التى قدمت أثناء اجتماعها الثاني هذا فى المجلة الموسيقية التى يصدرها المجمع العربى للموسيقى ، وذلك وفق رؤية رئاسة التحرير .

كما قررت اعتماد طبع كتاب « الطيور والحيوانات فى لعب وأغانى الأطفال الشعبية فى القطر العراقي » لمؤلفه حسين قدوري .

وذلك اضافة إلى أن لجنة التربية والثقافة الموسيقية المنبثقة عن المجمع العربى للموسيقى ـ جامعة الدول العربية ـ قد طالبت أجهزة الاعلام الرسمية من اذاعة مسموعة ومرئية وشركات الأسطوانات والأشرطة المسجلة بالعمل حتى تنفيذ ما تم اقراره فى مجال التربية الموسيقية بصفة عامة ، ومن ذلك عدم انتاج أو بث الأغاني والمقطوعات الموسيقية التى لا يقصد منها الا التهريج !

بين التبعية والأصالة

يجمع المؤرخون على أن الفترة الذهبية



احد اجتماعات لجنة التربية والثقافة الموسيقية فى مدينة الدوحة ، وهو الذي شارك فيه ٢٢ باحثا ومؤلفا فى التربية الموسيقية من معظم الدول العربية .



عبد الحميد حسين نعمة
قطر



عبد الحميد بن موسى
الجزائر



احمد عاشور
تونس



فتحي زغنده
تونس



د. مكي سيد احمد
السودان



سامي حمزة
قطر

للموسيقى العربية تقع فى بداية العصر العباسي حيث ازدهرت الفنون والآداب ، وقصد بغداد كل ماهر فى أدب أو صناعة أو فن ، يقول عبد الرحمن بن خلدون فى مقدمته « وما زالت صناعة الغناء تتدرج إلى أن كملت أيام بنى العباس عند ابراهيم بن المهدى وابراهيم الموصلي وابنه اسحاق وابنه حماد .... » . لكن بعد أفول نجم الدولة العباسية سنة ١٢٥٨ ميلادية نزل ستار كثيف على الحياة الفنية فى معظم البلاد العربية الاسلامية ، فاختلطت الموسيقى العربية بالموسيقى الفارسية والتركية ، ومن بين ما نتج عن ذلك مثلا دخول كلمات عديدة من الفارسية والتركية فى الغناء العربى مثل « يادوست » و « جانم » و « بيرم » وتسمية الفرق ، مثل تسمية الفرقة العراقية « بالجالغي » بعد أن كانت تسمى بالنوبة !

أما بالجزائر فان شيوخ الفن شعروا بخطر ضياع فنهم خلال القرن السابع عشر وذلك بتخلى خيرة أبناء الشعب عن ممارسة هذه الصناعة وتركها بين أيدى العوام الذين تغلب عليهم الأمية وأكثرهم من غير المسلمين .

ويتابع الأستاذ أحمد عاشور . مدير المعهد الوطني للموسيقى والرقص فى تونس من خلال بحثه « التربية الموسيقية بين التبعية والأصالة » فيقول :

ـ وقد زاد الغزو الغربى فى بداية هذا القرن الأمور استفحالا ، حيث عمد المستعمر الى مسخ الشخصية العربية بتركيز الثقافة الفنية الغربية .

ويشرح مدير المعهد الوطنى للموسيقى والرقص التونسي التجربة التى طبقتها تونس وسارت عليها منذ أربع سنوات ، حاولت من ورائها التوفيق بين تعليم الموسيقى الغربية وبين امتداد روحها من التراث العربى الاسلامي والتراث الموسيقى التونسي .

مشاكل موسيقية فى تونس

ويتحدث فتحى زغندة . رئيس قسم الموسيقى بوزارة الشئون الثقافية فى تونس ، عن أبرز مظاهر التربية الموسيقية فى تونس باعتبار ذلك مدخلا الى واقع التربية الموسيقية فى العالم العربى كله ، وكيف أن الجهود التى يبذلها الموسيقيون فى تونس ، تعتبر نموذجا لما يبذله أشقاؤهم ـ فى بلدان الوطن العربى ـ أو ما سبق أن مروا به من تجارب .

وأوضح أن الموسيقى التونسية لم تكن ـ فى الماضى ـ تدرس فى المعاهد أو المدارس ، بل كانت تعتمد على الطرق التقليدية المعروفة ، أي التلقين أو التواتر ، فالتلاميذ الموسيقيون يتعلمون عن طريق الاستماع والحفظ لا عن طريق التدوين . ويعتبر المعلمون شيوخا لهم قدم راسخة فى حفظ التراث ومشهود لهم بحسن الأداء وضبط القواعد الأساسية لفنهم .

ويعتبر اطار هذا التعليم : الحلقات والطرق والزوايا والجمعيات والنوادى والفرق والعائلات .

ومن أبرز الشيوخ الموسيقيين فى تونس فى هذا القرن أحمد الوافي وخميس ترنان والهادى الشنوفي وعبد العزيز الجميل وغيرهم .

ومن خصائص التعليم الموسيقى على الطريقة التقليدية تمكين التلاميذ من الأداء الأصيل الذى يطبع الموسيقى العربية

متى يضاء النور الأخضر لتطوير الموسيقى العربية؟

بمختلف لهجاتها المحلية ويخلق تجاوباً فنياً بين الشيخ وتلاميذه . ويعاب على هذه الطريقة اعتمادها على الحفظ مما قد يدفع التلميذ أو الناقل الى تحريف ما حفظه عن شيوخه ، سواء أكان ذلك عن قصد أو غير قصد ، مما يغير التراث من جيل لآخر .

وإلى جانب هذا التعليم الموسيقى التقليدي الذى مازال قائماً فى معظم البلدان العربية ، فقد شهد القرن الحالي ظهور التعليم الموسيقى النظامي ، الذى أوجدته الهياكل الحكومية .

ويدرس هذا التعليم بالمدارس والمعاهد المختصة أو الجمعيات التى تمولها المؤسسات الرسمية وهو يعتمد غالباً على طرق وبرامج منقولة عما يجرى فى البلاد الأوربية أو مستوحاة منها . فالمعلومات التى تلقن للتلاميذ منوعة وتتضمن عادة النظريات الموسيقية والترقيم والقراءة الغنائية وإملاء النوتة الموسيقية والعزف بالاعتماد على الترقيم ، ويتضمن فى المراحل المتقدمة أحياناً علم توافق الأصوات والتحليل ودراسة الأشكال الموسيقية الغربية والتاريخ وغيرها من المواد التى تلقن فى المعاهد بأوروبا وامريكا وسائر البلدان المتقدمة .

أهداف التربية الموسيقية

ويقول الحفناوي أمقران مدير المعهد الوطني للموسيقى بالجزائر فى بحثه « إن التربية الموسيقية عامل هام فى تنمية الانسان » ، فللموسيقى ثلاثة اهداف ترمي للوصول إليها :

● « تكوين الانسان الكامل » ..

وفى هذه النقطة ينتقد وضع المدرسة الحالية ، لأنها تعطى دائماً الاسبقية للمعرفة الصرفة دون الاهتمام بالجوانب الهامة فى شخصية الانسان وعواطفه وخياله ، فبفضل الموسيقى تنمو الفضائل الانسانية التى تعتبر ضرورية إلى جانب التعبيرات الفنية الأخرى .

● « الأنصهار الثقافي والاجتماعي » ..

ويوضح مدير معهد الموسيقى الجزائري كيف أن الطفل عندما يتقبل تراث الماضي يكون ادماجه مع مجتمعه ميسوراً وعلاقاته مع غيره تكون مرتكزة على قاعدة اصيلة .

وبهذا يكتسب حاسة خاصة تمكن له بعد ذلك معرفة أنواع موسيقية أخرى وتذوقها لتنمية ثروته الثقافية المتاصلة فيه .

● « التكوين الفني والأخلاقي » ..

تنمي التربية الموسيقية عند الطفل حب الجمال وتدفعه إلى التذوق والبحث عن المشاعر التى تثري افكاره ، وتبعث في نفسه الدفء العاطفي وتجعله يسمو بفكره إلى مستوى عال متجرد عن كل طابع مادي نفعي متحجر .

المدرس والتربية الموسيقية

وفي بحث عن « الاغاني والاناشيد ودور المدرس » تحدث « د. فاروق عمر » المدرس بمعهد الموسيقى القطري عن التربية الموسيقية باعتبارها جزءاً من التربية الجمالية التى تحتل منزلة هامة في الحياة الاجتماعية ، واشار إلى أن فهم الموسيقى وحبها والافادة منها بالغناء والعزف والاشتراك فى الفرق الموسيقية وفرق الكورال يدخل فى نطاق الثقافة العامة .

وفي رأيه أن التربية لم تعد قاصرة على حشو عقول الأطفال بقدر كبير من المعلومات النظرية فقط ، بل اصبح من الضروري أيضاً أن تعني بالنمو العقلي والجسمي والوجداني عناية كاملة . حتى تهيىء للطفل – مستقبلا – شخصية متزنة متعادلة .

وتحدث د. فاروق عمار عن مدرس الموسيقى ووصفه بانه من أهم العناصر التى تعتمد عليها المدرسة الحديثة فى رسالتها وأهدافها ، لذا فمن الواجب إعداده وتزويده بقسط وافر من الثقافة التربوية والاجتماعية ليكون ايجابياً فى فهم رسالة المدرسة وأهدافها فى التربية والتثقيف

المشاكل في العالم العربي

وعن « الموسيقى ومشاكلها فى العالم العربي » كان البحث الذي قام باعداده د. عبد الرحمن ابراهيم الاستاذ بالمعهد الموسيقي بدولة قطر .

ودعا فيه إلى السعي الى تطوير الفن الموسيقي بعد أن اصبح الجميع يحسون بانه اصبح غريباً على تذوقهم ، وان كيانه لا يساير كيانهم ، وإلى أن عنصر التجديد والتطوير فيه يجب أن ينبعث من الادراك الواعي للذاتية الفردية والجماعية .

ويتساءل الباحث : ماهي فائدة هذا الكم الهائل من المواهب التى يزخر بها شعبنا العربي ، مادامت لا تجد من ياخذ بيدها الى الطريق الصحيح .. ؟

ويُرْجع اسباب مشكلة هذه الأصوات الموجودة بوفرة إلى دراسة فن الغناء المرتكزة على الارتجال دراسة فن الغناء المرتكزة على الارتجال .. وإلى محدودية المناهج بالنسبة لهذا النوع من الفن فى الغناء العربي ، وربما لا يوجد فى بعض المعاهد قسم خاص لتعليم وتدريس هذا الغناء ، بينما يوجد للغناء الغربي مناهجه الخاصة وطرق تدريسه ، واقسامه القائمة بذاتها فى كل المعاهد الموسيقية بالعالم ..!

وفي نهاية هذه الدراسة قدم الباحث بعض النقاط التى يرى أن من شأنها المساهمة في حل مشكلة التربية الموسيقية والتعليم الموسيقي وهي :

● نشر الوعي الموسيقي بين الجمهور بكافة الطرق التى تملكها الدولة مثل تدريس الموسيقى بمدارس الدولة ابتداء من المراحل الأولى للتعليم . والعناية بتكوين فرق موسيقية عديدة بنوعيها الشعبي والعام ، كذلك نشر الثقافة الموسيقية الرفيعة سواء العربية أو العالمية بجهازي الاذاعة والتليفزيون .

● الاهتمام بانشاء مسرح بكل معهد ليكون حقل تجارب عملية للفنان . والاهتمام بالقائمين على امر هذه المعاهد والمشتغلين فيها من أساتذة الموسيقى والتربويين .

● أن تعمل كل الهيئات في رعاية طلاب هذه المعاهد واتاحة الفرصة للطلبة بالتواجد فى المواعيد المحددة لهم .

الموسيقى ووسائل الاتصال

وقدم الاستاذ «سامي محمد سعد حمزة» رؤية حول المؤثرات فى التربية والثقافة الموسيقية ، ونوه بسرعة الاتصال الحضاري الهائلة في عالمنا المعاصر وأهمية ذلك من خلال عوامل عديدة تساعد على امتزاج الفكر والتطور الانساني العام.

وأشار إلى ما اضافته المبتكرات الحديثة فى مجال وسائل الاتصال من امكانيات كثيرة وطرق هامة لمجال الثقافة والتربية

الموسيقية التى لاشك في مساهمتها الفعالة فى تناقل الفكر الموسيقي ومعالجة الكثير من مشكلات التعليم الموسيقي .

واشار الباحث إلى اعتماد الوسائل التعليمية فى التدريس على لوح الطباشير الذي يعتبر اقدم هذه الوسائل دون استخدام الوسائل الأخرى كالسبورات المغناطيسية ولوحات النشرات والعرض ومصورات التخطيطات والملصقات ، وايضاً السبورة الصوتية التى يقوم نفس الباحث بدراسة تحويل امكانية عملها إلى اصوات الموسيقى العربية ، بالاضافة الى جهوده في تصنيع السبورة ذات لوحة المفاتيح .

بين التصور والتطبيق

ومن جمهورية السودان الديمقراطية ـ المجلس الوطني للموسيقى ـ كان «للدكتور مكي سيد أحمد» وجهة نظر حول التربية والثقافة الموسيقية بين التصور والتطبيق .

وقد تساءل الدكتور مكي في مقدمة بحثه عن ما هو الأصلح ليكون الموضوع الذي يخوض فيه . أهو اعداد ورقة ، أو كتابة تقرير حول التربية الموسيقية ؟ أم انه من الأفضل الرجوع إلى ما كتب ـ خاصة ـ في مجال القرارات والتوصيات لمعرفة الحجم الحقيقى للانجازات التى تحققت ، وللكشف عن أهم المعوقات وطرح الحلول والاقتراحات للتغلب عليها .. وهذا ما حدث .

وقد أشاد الكاتب بالخطوة الايجابية التي دعا إليها المؤتمر السابع للمجمع الموسيقي الذي كان مقره مدينة الجزائر ـ العاصمة ـ عندما رفع توصية الى المجلس التنفيذى للاعداد لعقد ندوة عربية موسعة تتخصص فى التربية الموسيقية ، وتعقد فى احد الأقطار العربية وتشارك فيها الخبرات العربية والدولية لوضع منهجية موحدة للتربية الموسيقية لمراحل التعليم العام ومعاهد التخصص ، وذلك فى منتصف عام ١٩٨٢ وتشرف عليها لجنة التربية والثقافة الموسيقية فى المجمع . وقد تحققت هذه الافادة بما تحمل من دفع لجهود المجمع الموسيقى ، وما تثمر من مناخ جيد لنشر وزرع التربية الموسيقية فى نفوس المواطنين العرب .

التربية الموسيقية فى قطر

عن التربية الموسيقية فى قطر كان بحث مدير المعهد الموسيقى بقطر «عبد الحميد حسين نعمة» عن «انشودات والعاب الأطفال» ، وقد قدم عبد الحميد نعمة بحثه أثناء اجتماعات لجنة التربية الموسيقية التى انعقدت فى الجزائر .

وتحدث رئيس الوفد القطرى فى هذه الاجتماعات عن التربية والثقافة الموسيقية فى قطر ، وقال انه حديث شيق يحتاج الى صفحات كثيرة . خصوصاً وأن هذا الجانب لازال جديداً لم يتناوله الباحثون بالشكل الواسع والدقيق .

وفى حديثه ألقى الضوء على مرحلتين وذلك لتحديد مسار التربية الموسيقية فى قطر .

(مرحلة ما قبل ظهور النفط) أى المرحلة القديمة متمثلة فى أغانى العمل فى البحر والسمر والصوت والموال ، والفجرى بانواعه البحرى ، والعدسانى ، والحدادى الخولقى ، والحساوى .

كذلك أغانى الميلاد والختان واغانى الأطفال والزواج والعمل فى البر . هذا الغناء المسمى «بالفلكلور» الذى يحمل فى طياته حياة هذا المجتمع وتقاليده وعاداته ومعتقداته الشعبية .

وأشار عبد الحميد نعمة الى ان كتاب الأغنية الشعبية فى قطر من تاليف (محمد طالب الدويك) قد احتوى على تفصيل وشرح واضح لكل هذه الأنواع من الاغانى والأناشيد . (وقد قامت وزارة الاعلام القطرية بطباعة هذا الكتاب) .

نحو الارتقاء بالموسيقى

أما المرحلة الثانية فى مسار التربية الموسيقية فقد قسمها الباحث إلى فترتين :

أولا : المدرسة التى بدأت التربية الموسيقية فيها من خلال حصص الأناشيد والأنشطة الموسيقية والنشاطات الكشفية .

ثانياً : الاذاعتان المرئية والصوتية ، اللتان انشاتا لجنة مراقبة للنصوص والموسيقى فى كلتيهما ، كما حرصتا على حفظ التراث من خلال تلك التسجيلات التى اجريت مع هؤلاء الفنانين للمحافظة على هذا الفن العريق .

وقد كان لانشاء المعهد الموسيقى فى قطر فى الأول من أكتوبر عام ١٩٨٠ (الذى يعتبر اليوم العالمى للموسيقى والموسيقيين) أثره فى الارتقاء بالموسيقى العربية ، والاتجاه بها اتجاهاً قومياً يرعى تراث البلاد ، ويتدرج فى مبدأ تطبيق التربية الموسيقية .

المعهد الموسيقى القطرى

وقد شرح مدير المعهد الموسيقي القطري دور المعهد الذي يجمع بين عدة مراحل للتربية الموسيقية ، منها المرحلة الثانويةالتى تبدأ الدراسة فيها بعد الحصول على الشهادة الاعدادية مباشرة ، ولمدة ثلاث سنوات يحصل بعدها الطالب على الشهادة الثانوية الموسيقية والتى تعادل الثانوية العامة ، وقد تكفلت الدولة بارسال المتخرجين الى الخارج للحصول على البكالوريوس ثم الدراسات العليا .. ثم طلاب الدراسات الحرة المسائية للكبار ، الذين يقبلون على أساس المامهم بالقراءة والكتابة دون التقيد بسن معينة ، ويعد لهم منهاج تربوى تثقيفى كالتذوق والتاريخ الموسيقى والقواعد العامة والصولفيج ، ومادة الغناء الشعبى والعربى كالفلكلور القطرى الخليجى والعربى بصفة عامة كالموشحات والأدوار بالاضافة الى عزف الآلة .. وفى نهاية الدورة يحصل هؤلاء ـ المنتسبون على شهادات تقديرية فى المواد التى درسوها مع التقدير العام .

وايضاً هناك دور هام جداً يؤديه المعهد لطلاب المرحلتين الابتدائية والاعدادية عن طريق الدروس المسائية .

وهذه المرحلة المؤثرة فى بداية تكوين وصقل المواهب قد أعد لها منهاج خاص لذلك ، حيث يتم التركيز على القواعد الموسيقية و «الصولفيج» وعزف الآلات المختلفة والغناء الشعبى والعربى بصفة عامة

ولقد وفرت الدولة لتحقيق مثل هذه الأهداف ، وانجاح هذه الخطط ، الكتب والآلات الموسيقية المجانية علاوة على صرف مكافاة شهرية تشجيعية للدراسات الصباحية وللاطفال . وقد تم أيضاً توفير المواصلات لنقل الطلاب من المعهد الى المنزل وبالعكس .

وأخيراً .. تبقى قضية الموسيقى والموسيقيين قضية عامة ، لا يمكن أن نلقى بأعبائها على المجمع الموسيقى ـ وحده ـ أو على بقية الوفود المشاركة فى هذه القضية .

انها قضية قومية تحتاج الى جهود واسعة حتى نصل بها الى الحل الواعي السليم .

مريم آل سعد

جابرييل جارسيه ماركيز

أجرى الحوار : بلينيو مندوزا
ترجمة عن الأسبانية : ماهر البطوطي

فى ٢١ اكتوبر ١٩٨٢ ، منحت الأكاديمية السويدية جائزة نوبل للآداب لعام ١٩٨٢ للكاتب الكولومبي جابرييل جرسيه ماركيز ، وقالت فى اسباب منحها له إن ذلك « من اجل رواياته وقصصه القصيرة التى يجمع فيها بين العنصر الوهمي والواقعي ، في عالم من الخيال المركب الثري الذي يعكس حياة قارة وصراعاتها » . وقال اعضاء الأكاديمية ان رواياته تذكرهم باعمال فوكنر وبلزاك العظيمة .

وقد ولد ماركيز فى بلدة « أراكاتاكا » في شمال كولومبيا فى مارس ١٩٢٨م ، ودرس الحقوق ، وعمل كاتباً ومراسلا صحفياً فى عدة صحف اقليمية قبل أن يتفرغ تماماً للكتابة الروائية والقصصية ، متنقلا بين المكسيك واسبانيا وفرنسا . ظهرت أولى قصصه القصيرة عام ١٩٥٥ ، ولكن شهرته لم تبدأ إلا مع روايته الشهيرة « مائة سنة من العزلة » عام ١٩٦٧ . ومن مؤلفاته الاخرى : « الخطاب المنتظر » (١٩٥٨) ، « جنازة الام العظيمة » (١٩٦٢) ، «في ساعة نحس » (١٩٦٢) ، « خريف البطريرك » (١٩٧٥) ، « قصة موت معلن » (١٩٨١) . وقد ترجمت جل رواياته وبعض قصصه القصيرة إلى اللغة العربية . وهو قد منح الدكتوراه الفخرية من جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة .

وهذه المقابلة الأدبية أجراها معه صديقه الكاتب بلينيو مندوزا ونشرت فى كتاب بالأسبانية عنوانه « رائحة الجوافة » فى ابريل ١٩٨٢ .

● كيف بدأت الكتابة ؟

ـ بدأت الكتابة صدفة ، ربما لكى اثبت لأحد أصدقائى ان بامكان جيلى ان يخرج ادباء وبعد ذلك وقعت فى فخ الاستمرار فى الكتابة عن حب ، ثم الى درجة أن لم يعد هناك شيء أحب لدى فى الدنيا من الكتابة .

● لقد قلت إن الكتابة لذة . وقلت أيضاً انها عذاب . أى الرايين تتبنى ؟

ـ كلاهما حق . حينما كنت مبتدئا مازال استكشف مهنة الكتابة ، كانت تمثل لي عملا بهيجاً ، يكاد يكون غير مسؤول . اذكر فى تلك المرحلة اننى بعد انتهاء عملى فى الجريدة حوالى الساعة الثانية او الثالثة فجراً ، كان بامكانى ان اكتب اربع او خمس ، بل حتى عشر صفحات كاملة ... وفى إحدى المرات ، كتبت قصة قصيرة فى جلسة واحدة .

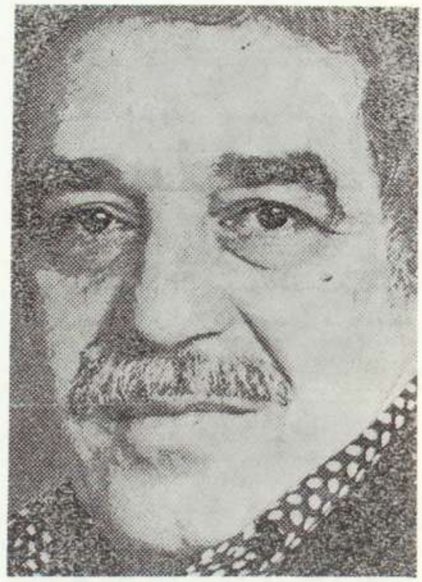
● والآن .

ـ الآن اعتبر نفسى محظوظا إذا استطعت كتابة فقرة جيدة فى يوم كامل . لقد تحولت الكتابة عندي مع مرور الوقت إلى عذاب .

● لماذا ؟ فى وسع المرء ان يعتقد انه مع زيادة سيطرتك الآن على المهنة بما اكتسبته من الخبرة ، ينبغى ان تصبح الكتابة لديك اكثر سهولة .

ـ إن ما يحدث حقا هو ان الشعور بالمسئولية يزداد ، إذ ان المرء يشعر ان كل حرف يكتبه له اثر اكبر الآن ، إذ يؤثر على عدد اكبر من الناس .

● ربما كان ذلك نتيجة للشهرة . هل تكره الشهرة ؟



الكاتب الكولمبي : جابرييـــل جرسيـــه ماركيـــز

– إنها تزعجنى . إن اسوا ما يمكن ان يحدث لانسان غير مؤهل للنجاح الادبى ، فى قارة غير مؤهلة لان يكون لديها كتاب ناجحون ، هو ان تباع كتبه كما تباع الحلوى الرائجة . إننى اكره ان اتحول الى مشهد عام . إننى اكره التلفزيون والمؤتمـــرات والمحـــاضرات والمـــوائد المستديرة .

● والمقابلات الصحفية .

– أيضا . كلا ، إننى لا اتمنى النجاح لاحد ، إذ يحدث للمرء حينئذ ما يحدث لمتسلقى الجبال الذين يجاهدون للوصول الى القمة ، وبعد ذلك ، ماذا يفعلون ؟ الهبوط ، او محاولة الهبوط بحذق ، باكبر قدر ممكن من الكرامة .

● حينما كنت فى مقتبل العمر تجاهد فى الحصول على الرزق من مهن اخرى كنت تكتب ليلا وتدخن كثيراً .

– اربعون سيجارة يوميا .

● والآن ؟

– الآن لا ادخن ، ولا اعمل إلا نهاراً من التاسعة صباحا حتى الثالثة بعد الظهر ، فى حجرة بلا ضوضاء وذات تدفئة جيدة . ان الاصوات والبرد يزعجانى .

● هل تزعجك الورقة حين تبقى بيضاء ؟

– اجل ، إن هذا اكثر الاشياء إيلاما بالنسبة لي بعد الخوف من الاماكن الضيقة . بيد ان هذا الالم انتهى بالنسبة لي بعد ان قرات نصيحة لهمنجواى مفادها انه ينبغى عدم التوقف فى الكتابة إلا عند نقطة يعرف المرء عندها كيف يمضى قدماً فى اليوم التالى .

● وفى حالتك كيف تكون مثل هذه النقطة ؟

– اى صورة مرئية . اعتقد ان الكتاب ، لدى غيرى من المؤلفين يولد من فكرة ، من مفهوم . اما انا ، فانى انطلق دائماً من صورة . لقد انبثقت قصة «غفوة الثلاثاء» التى اعتبرها افضل قصصى القصيرة ، من رؤيا عن امراة وطفلة تتشحان بالسواد وتمسكان مظلة سوداء ، تسيران تحت شمس لافحة فى قرية مهجورة . ورواية «الاوراق الذابلة» من صورة شيخ يصحب حفيده الى ماتم . اما نقطة الانطلاق فى «الخطاب المنتظر» فهى صورة رجل ينتظر قارباً فى سوق قرية «بارانكيا» ، انتظار مع نوع من الهم الصامت . وبعد ذلك بسنوات وجدت نفسى فى باريس انتظر خطاباً ، وربما حوالة مالية ، بنفس اللهفة ، وتوحدت مع ذكرى ذلك الرجل .

● وما هى الصورة المرئية التى كانت نقطة الانطلاق لروايتك «مائة سنة من العزلة» ؟

– شيخ يصطحب طفلا ليرى الثلج الذى يعرض كاعجوبة فى السيرك .

● اكان ذلك جدك ، الكولونيل ماركيز ؟

– اجل .

● هل اخذت ذلك من الواقع ؟

– ليس مباشرة ، ولكنه مستلهم منه . اذكر اننى عندما كنت طفلا صغيراً فى «اراكاتاكا» حيث كنا نعيش ، اصطحبنى جدى لرؤية جمل فى السيرك . ومرة اخرى ، حينما قلت له اننى لم ار الثلج ابداً ، اصطحبنى الى معسكر شركة الموز الامريكية ، وامر بفتح صندوق من الفاكهة المثلجة جعلنى اضع يدى فيه . وقد انبثقت رواية «مائة سنة من العزلة» من هذه الصورة .

● إذن فقد جمعت بين ذكريات فى الجملة الاولى من الرواية . ماذا كان نصها ؟

– «بعد ذلك بسنوات عدة ، امام كتيبة الاعدام ، كان على الكولونيل «اورليانو بويينديا» ان يتذكر ذلك الاصيل القصي الذى اصطحبه فيه والده لاكتشاف الثلج» .

● إنك تعلق اهمية كبرى بصفة عامة على اول جملة فى الكتاب . وقد قلت مرة ان كتابة تلك الجملة تكلفك من المشقة اكثر مما يكلفك كتابة بقية الكتاب لماذا ؟

– لان الجملة الاولى يمكن ان تكون المختبر الذى يعمل على تحديد عناصر كثيرة للاسلوب وللبناء الروائى بل وحتى يحدد مدى طول الكتاب .

● هل تستغرق منك كتابة رواية ما وقتاً طويلا ؟

– كتابتها فى حد ذاتها ، كلا ، بل إنها عملية اقرب الى ان تكون سريعة . فقد كتبت «مائة سنة من العزلة» فى سنتين او اقل . بيد اننى امضيت افكر فيها خمسة عشر او ستة عشر عاما قبل ان اجلس لكتابتها امام الآلة الكاتبة .

● لقد امضيت فترة مماثلة تفكر فى رواية «خريف البطريرك» ولكن قل لي ، كم انتظرت قبل ان تكتب «تاريخ موت معلن » ؟

– ثلاثون عاماً !

● ولماذا كل هذا الوقت ؟

– حين وقعت احداث هذه الرواية ، فى عام ١٩٥١ ، لم تكن تثير اهتمامى بوصفها مادة لرواية بل كريبورتاج صحفى . ولكن هذا النوع الصحفى لم يكن منتشراً فى كولومبيا فى تلك الفترة ، وكنت صحفياً فى جريدة اقليمية لم تكن تعنيها هذه الحادثة ثم بدات افكر فى ذلك الحدث كحبكة ادبية بعد ذلك بسنوات عدة ، ولكنى كنت احسب دائما حساب الثورة التى يمكن ان تثيرها فى نفس امى مجرد فكرة رؤية كل هؤلاء الاصدقاء ، بل وبعض الاقارب ، فى كتاب الفه احد اولادها . ورغم ذلك ، فاننى اعترف ان الموضوع لم يجتذبنى بعمق إلا حين اكتشفت ، بعد سنوات من التفكير ، العنصر الجوهرى فى الحادثة : وهو ان كلا القاتلين لم يكونا راغبين فى ارتكاب الجريمة ، وفعلا كل ما فى استطاعتهما كيما يمنعهما احد ، بيد انهما لم يفلحا فى ذلك . وهذا فى المحصلة الاخيرة هو الشىء الجديد الحقيقى فى تلك الفاجعة الشائعة باستثناء ذلك ، في كل امريكا اللاتينية .

● ذكر همنجواى ان المرء ينبغى الا يكتب عن موضوع لا متعجلا ولا متاخراً جداً . الم يصعب عليك الاحتفاظ بقصة سنوات طويلة فى ذهنك دون الشروع فى كتابتها ؟

ـ فى الواقع ، لم تثر اهتمامى أبداً فكرة لا تصمد أمام مر السنوات وهى تختمر فى رأسى . فإذا كانت الفكرة جيدة الى درجة تصمد معها السنوات الخمسة عشرة التى انتظرتها «مائة سنة من العزلة» أو السنوات الستة عشرة التى مرت على رواية «خريف البطريرك»، أو السنوات الثلاثين التى اختمرت فيها فكرة «وقائع موت معلن» ، فلا يبقى امامى مناص من كتابتها .

● أو تكتب ملاحظات عن الرواية ؟

ـ مطلقاً ، عدا بعض نقاط العمل . لقد علمتنى التجربة انه عندما يحتفظ المرء بملاحظات عن رواية يؤلفها ، ينتهى به الأمر الى التفكير فى هذه الملاحظات وليس فى الرواية .

● وهل تصحح ما تكتب كثيراً ؟

ـ لقد تغير عملى فى هذا المقام كثيراً . فحينما كنت فى مقتبل العمر ، كنت اكتب فى انطلاق ، وانتهى من كتابة صفحات ثم أعود لتصحيحها . اما الآن فانى امضى مصححاً سطراً بسطر اثناء الكتابة ، بحيث انه عند نهاية اليوم يكون عندى صفحة كاملة دونما تصحيحات او شطب ، تكاد تكون جاهزة للمطبعة .

● وهل تمزق أوراقاً كثيرة ؟

ـ كمية هائلة . فمثلا ، ابدأ فى كتابة صفحة على الآلة الكاتبة .....

● دائماً على الآلة الكاتبة ؟

ـ دائما . الة كاتبة كهربائية . وحينما اخطىء أو لا تعجبنى الكلمة المكتوبة ، او لمجرد وقوع خطأ مطبعى ، فانى اطرح الورقة كلها جانباً ، وابدأ ورقة اخرى . ويمكن احياناً ان استهلك خمسمائة ورقة كيما اكتب قصة من اثنتى عشرة صفحة . وهذا يعنى اننى لم استطع ان اتغلب على الهاجس الذى يجعلنى أؤمن ان خطأ مطبعياً يبدو لي خطأ فى الابداع .

● ثمة كثير من الأدباء لديهم حساسية ضد الآلة الكاتبة الكهربائية . وأنت ، ألست كذلك ؟

ـ كلا ، إننى على درجة من الوفاق معها الى حد لا أستطيع معه إلا الكتابة عليها . وبصفة عامة ، اعتقد ان المرء يكتب افضل حين تتاح له وسائل راحة تامة . لا أؤمن بالأسطورة الرومانسية التى تقول ان على الكاتب أن يجرب الجوع والحرمان والبؤس كيما ينتج . إن المرء يكتب افضل حينما يأكل جيداً وحينما يكتب على آلة كاتبة كهربائية .

● نادراً ما تتحدث فى مقابلاتك الصحفية عما تكون بصدد تأليفه . لماذا ؟

ـ لأن ما اكون بصدد كتابته يكون جزءاً من حياتى الخاصة . والحقيقة اننى لا اتعاطف مع الأدباء الذين يقصون فى مقابلاتهم الصحفية حبكات كتابهم المقبل ، فهذا دليل على أن الأمور لا تجرى على هواهم ، فيتعزون بان يحلوا فى الصحافة المشاكل التى لم يستطيعوا حلها فى القصة .

● ولكنك فى مقابل ذلك معتاد على التحدث كثيراً عن كتبك التى فى مرحلة الخلق مع اصدقائك المقربين .

ـ اجل ، فاننى حين اكون بصدد كتابة شىء اتحدث كثيراً عنه ، فهذه طريقة لاكتشاف مواطن القوة والضعف فيه ، طريقة الجأ اليها لاسترشد الطريق فى الظلمة .

● انك تتحدث عنه كثيراً ، ولكنك لا تعرضه ابداً على احد .

ـ مطلقاً . إننى اتجنب ذلك الى حد التطير . اننى أؤمن ان المرء فى مجال العمل الأدبى ، يكون وحيداً دائماً ، كما لو كان غريقاً فى وسط البحر . اجل ، إن الكتابة اكثر المهن عزلة فى العالم ، فلا احد بامكانه مساعدة المرء فى كتابة ما يكتب .

● أى الأماكن بالنسبة اليك هو المكان المثالى للكتابة ؟

ـ جزيرة مهجورة فى الصباح ، ومدينة صاخبة فى الليل . ففى الصباح احتاج الى الهدوء ، وفى الليل قليل من الشراب والأصدقاء المقربين لتجاذب اطراف الحديث . إننى احس دائماً بالحاجة الى التواصل مع الناس فى الطرقات ، وان اكون مطلعاً باستمرار على الأحداث .

● فلنتحدث عن جانب الصنعة فى مهنة الكتابة . هل تستطيع أن تذكر لي تجربتك فى هذا الميدان ومن كانوا ذوى فائدة لك ؟

ـ بادىء ذى بدء : جدى ، فقد كان يحكى لي أشد الأشياء هولا دون اى انفعال ، كما لو كانت أشياء رآها لتوه . واكتشفت أن هذه الطريقة الهادئة وذلك الثراء فى التصوير هما اكثر ما يسهم فى اضفاء طابع الواقع على حكاياته . وقد استخدمت نفس طريقة جدى فى كتابة «مائة سنة من العزلة» .

● هل كانت تلك الطريقة هى التى دعتك الى اكتشاف انك ستصبح كاتباً ؟

ـ كلها ، لقد جاء ذلك من «كافكا» ، الذى يقص الأشياء بنفس طريقة جدى . وحين قرأت فى السابعة عشرة من عمرى قصته «المسخ» اكتشفت اننى ساصبح كاتباً . فحينما رأيت أن بالامكان أن يستيقظ «جريجورى سامسا» من نومه ذات صباح ليجد نفسه وقد تحول الى خنفسة هائلة ، قلت لنفسى : «لم اكن اعرف انه يمكن كتابة مثل هذا . ولكن ، إذا كان الأمر كذلك ، فالكتابة شىء يهمنى» .

● لماذا لفتت هذه القصة انتباهك الى هذا الحد . أمن اجل الحرية فى ابتكار اى شىء ؟

ـ ذلك اننى ادركت انه يوجد فى ميدان الأدب امكانيات اخرى غير العقلانية الأكاديمية التى كانت كل ما أعرف آنذاك من كتب المدرسة لقد كان الأمر كما لو اننى تخلصت من قيد على حريتى . ورغم ذلك فقد اكتشفت بمر الزمن انه ليس بامكان المرء اختراع او تخيل اى شىء يتوق اليه ، لأنه يخاطر فى هذه الحالة بكتابة اكاذيب ، والأكاذيب أخطر فى ميدان الأدب منها فى ميدان الحياة . ففى نطاق الخيال والابتكار ، هناك قوانين . وفى إمكان المرء أن ينزع عنه ورقة العقلانية ، على شريطة الا يقع فى الفوضى فى اللاعقلانية التامة .

● فى الفانتازيا .

ـ أجل فى الفانتازيا . إننى أؤمن بأن الخيال ما هو إلا أداة لكشف تفاصيل الحقيقة . بيد أن نبع الابداع هو الواقع أولا وأخيراً ، أو الحقيقة . والفانتازيا ، أو الاختراع الكامل التام ، على طريقة «والت ديزنى» ، دون أى سند من الواقع ، هى اشد الأشياء مقتاً فى الأدب . اذكر ذات مرة انى اعتزمت تأليف كتاب لقصص الأطفال ، وأرسلت اليك قصة «بحر الزمن المفقود» كمثال ، وانك ذكرت لي بصراحتك المعهودة

انها لم تعجبك ، ربما لأن الفانتازيا لا تنجح فى نقل أى شىء اليك . ولكن تلك الحجة هدمت مشروعى ، ذلك لأن الفانتازيا لا تعجب الأطفال ، وإنما ما يبهرهم حقاً هو الخيال ، والفرق بين الاثنين هو الفرق بين الانسان وبين الدمية الناطقة .

● وبعد كافكا ، ممن استفدت فى مهنة الكتابة ؟

ـ همنجواى .

● رغم انك لا تعتبره روائياً عظيماً .

ـ أجل ، بيد أننى أعتبره قصاصاً ممتازاً وممتازة هى نصيحته بأن القصة ينبغى ، مثلها مثل جبل الثلج فى المحيط ، أن تستند على الجزء غير المرئى من الجبل : فى الدراسة ، والتأمل ، والمادة المجموعة وغير المستخدمة مباشرة فى القصة . اجل إن همنجواى يعلم المرء كثيراً من الأشياء ، بما فى ذلك معرفة الكيفية التى تدور بها القصة فى احد المنعطفات .

● وقد تعلمت ايضاً من جراهام جرين ، اليس كذلك ؟

ـ اجل ، لقد تعلمت من جرين كيف افك رموز الأماكن المدارية وأسرارها . فمن اشق الأشياء على المرء الفصل بين العناصر الجوهرية من أجل الخروج بتركيبة شعرية فى جو يعرفه أكثر من اللازم ، لانه فى هذه الحالة يعرف كثيرا إلى درجة لا يعرف معها أين يبدأ ، ويكون لديه الكثير مما يقول حتى ينتهى به الأمر إلى عدم القدرة على قول شىء . وكانت هذه هى مشكلتى مع الأجواء المدارية . لقد قرات باهتمام شديد خريستوف كولومبس وبيجافيتا ، وغيرهما من مؤرخى جزر الهند الغربية ، ممن لديهم رؤيا أصيلة ، وقرأت سالجارى ، وجوزيف كونراد ، وغيرهما من الكتاب « المداريين » فى أوائل هذا القرن ممن تحلوا بمقاليد الحداثة ، وغيرهم كثيرين ، ووجدت أن هناك مسافة كبيرة جداً تفصل بين رؤياهم وبين الحقيقة . فالبعض يقع فى شرك تعداد الأشياء ، والآخر فى شرك البلاغة والخطابة . وقد حل جراهام جرين هذه المشكلة الأدبية ببراعة : بعناصر قليلة متفرقة ولكن يجمعها تماسك ذاتى دقيق وواقعى . وبهذه الطريقة ، يمكن إخضاع لغز المدار كله لعبير الثمار .

● هل أفادتك الصحافة فى عملك الأدبى

ـ أجل ، لقد علمتنى الصحافة طرقاً ووسائل لاضفاء الشرعية على قصصى . ومثال ذلك : قيام الأب « رينا » باحتساء فنجان من الشيكولاته الساخنة قبل أن يرتفع عشرة سنتيمترات من على سطح الأرض فى رواية « مائة سنة من العزلة » ، فهذا من أثر التدقيق الصحفى ، وهو نافع جداً فى السرد الروائى .

● لقد كنت دائماً من المتحمسين للفن السينمائى ، فهل أفادك فى عملك الروائى ؟

ـ فى حالتى ، كانت السينما نعمة ونقمة فى آن واحد . أجل ، لقد علمتنى أن أرى عن طريق الصور . بيد أننى أدرك الآن أن هناك فى جميع كتبى السابقة على « مائة سنة من العزلة » نهجاً غير متوازن من التشخيص المرئى للشخصيات والمشاهد ، بل وحتى هوساً بايضاح وجهات النظر والاطارات .

● انك تقصد دون شك رواية «الخطاب المنتظر» .

ـ أجل ، إنها رواية يماثل أسلوبها السيناريو السينمائى . ان حركات الشخصيات كأنما وراءها كاميرا سينمائية وحين أعود إلى قراءة الكتاب ، أرى الكاميرا وراءه . واليوم ، أرى أن الحلول السينمائية تختلف عن الحلول الأدبية .

● لماذا لا تعلق اهمية كبيرة على الحوار فى رواياتك ؟

ـ ذلك لأن الحوار يبدو زائفاً فى اللغة الاسبانية . لقد ذكرت دائماً أن هناك فرقاً شاسعاً فى تلك اللغة بين الحوار الشفوى والحوار المكتوب . فالحوار الجيد فى الحياة الواقعية لا يلزم أن يكون جيداً فى الروايات ، ولذلك فانى لا الجا إليه الا قليلا .

● قبل أن تشرع فى كتابة رواية ما هل تعلم تماماً ما سيحدث لكل شخصية من شخصياتها ؟

ـ بطريقة عامة فحسب ، ففى سياق الكتابة ، تقع أحداث غير متوقعة . فمثلا ، كانت أول فكرة كونتها عن شخصية الكولونيل « أورليانو بويندا » فى « مائة سنة من العزلة » ترسم شخصية محارب قديم فى حروبنا الأهلية مات وهو يبول تحت شجرة .

● ذكرت لى زوجتك أنك تألمت كثيراً حين ماتت تلك الشخصية فى روايتك

ـ أجل ، كنت أعلم انه ينبغى أن أجعله يموت يوماً ما ، ولم أكن أجرؤ على ذلك . كان الكولونيل قد هرم بالفعل وهو مشغول بصنع أسماكه الذهبية . وقلت ذات أصيل « الآن أجل ، قد انتهى بالفعل ! » كان على أن أجعله يموت . وحين أنهيت ذلك الفصل صعدت وأنا أرتجف إلى الدور العلوى حيث كانت زوجتى . وأدركت هى ما حدث من مجرد النظر الى وجهى ، وقالت : « لقد مات الكولونيل » . أما أنا فقد رقدت فى السرير وطفقت أبكى ساعتين .

● ما هو الالهام بالنسبة إليك ؟

ـ إن الالهام كلمة أفقدها الرومانسيون معناها . إننى لا أنظر إليه على أنه حالة من حالات التجلى ولا نسمة إلهية ، بل على انه توفيق مع الموضوع عن طريق العناد والسيادة عليه . حين يود المرء أن يكتب شيئاً ، ينشأ نوع من التوتر المتبادل بينه وبين الموضوع ، بحيث يستحثه الموضوع فى نفس الوقت . وثمة لحظة تنهار فيها كل العوائق ، وتبتعد فيها كل الصراعات ، وتقع للكاتب أحداث لم يحلم بها ، وحينئذ لا يكون هناك فى الحياة افضل من الكتابة . هذا هو ما أدعوه بالالهام .

● هل يحدث لك أحياناً أن تفقد تلك الحالة فى سياق وضع كتاب من الكتب؟

ـ أجل ، وحينئذ أعود لأنظر فى كل شىء منذ البداية . إنها تلك الأوقات التى أدور فيها فى البيت بأحد الأزاميل أصلح به الأقفال ودوائر الكهرباء ، وأدهن الأبواب باللون الأخضر ، ذلك أن العمل اليدوى يساعد أحياناً على قهر الخوف من الحقيقة .

● أين يكمن العيب فى العمل الأدبى ؟

ـ إنه يكمن بصفة عامة فى البناء .

● هل يصبح أحيانا مشكلة خطيرة ؟

ـ خطيرة إلى درجة ترغمنى على البدء من جديد . لقد أوقفت العمل فى « خريف البطريرك » فى المكسيك عام ١٩٦٢ بعد أن انتهيت من كتابة حوالى ٣٠٠ صفحة ، ولم أبق بعد ذلك على أى شىء منها سوى اسم البطل . وقد استأنفت كتابتها فى عام ١٩٦٨ فى برشلونة ، وعملت فيها كثيراً خلال ستة أشهر ثم أوقفت العمل فيها مرة ثانية لأن بعض جوانب القيم الأخلاقية للبطل لم تكن واضحة تماماً . وبعد ذلك بسنتين ، اشتريت كتاباً عن الصيد فى افريقيا لأن المقدمة التى كان قد كتبها همنجواى للكتاب أثارت اهتمامى . ولم تكن

المقدمة بذات شأن ، ولكنى مضيت قدماً أقرأ الفصل الخاص بالأفيال ، وكان يكمن فيه حل الرواية . لقد كانت بعض عادات الأفيال تفسر تماماً القيم الأخلاقية للبطل .

● هل صادفت مشاكل أخرى عدا تلك المتعلقة بالبناء الروائى ونفسية الشخصية الرئيسية ؟

– أجل . لقد مر على وقت اكتشفت فيه شيئاً خطيراً ، فقد عجزت عن اشاعة جو الحرارة فى المدينة التى أصفها فى روايتى. كان ذلك خطيراً ، لأن الأمر كان يتناول مدينة من مدن البحر الكاريبى تسودها حرارة خانقة .

● وكيف حللت تلك المشكلة ؟

– الحل الوحيد الذى خطر لي هو السفر مع أسرتى بكاملها إلى الكاريبى . ذهبت أتنقل هناك حوالى سنة دون أن أفعل شيئاً وحين عدت إلى برشلونة حيث كنت أكتب الرواية ، زرعت بعض النباتات ، وأشعت بعض الروائح ، ونجحت أخيراً فى أن أجعل القارىء يحس بحرارة المدينة . ثم انتهيت من الرواية دون مزيد من العثرات .

● ماذا تفعل حين يكون الكتاب الذى تسطره على وشك الانتهاء ؟

– أفقد اهتمامى به كلية . وكما قال همنجواى ، إنه يكون حينذاك كالأسد الميت .

● قلت ذات مرة أن كل رواية جيدة هى تحويل للواقع .

– أجل ، إنى أؤمن أن الرواية تصوير رمزى للحياة ، نوع من النبوءة . والواقع الذى تعالجه الرواية يختلف عن الواقع فى الحياة ، رغم أنه يستند إليه ، كما يحدث فى الأحلام .

● لقد أطلق النقاد على معالجة الواقع فى كتبك ، خاصة فى «مائة سنة من العزلة» و « خريف البطريرك» ، اسم الواقعية السحرية . وإني أعتقد أن قراءك الأوربيين يشعرون بسحر الأشياء التى تقولها بيد أنهم لا يرون الواقع الذي يلهمها ..

– هذا صحيح ، لأن عقلانيتهم تمنعهم من فهم أن الواقعية لا تكمن فى أسعار الطماطم أو البيض . إن الحياة اليومية فى أمريكا اللاتينية ترينا أن الواقع مليء بالأشياء الخارقة للعادة . ومن عادتى فى هذا المقام أن أشير الى المكتشف الأمريكى « دى جراف » الذى قام فى أواخر القرن الماضى برحلة عجيبة فى عالم الامازون ، رأى أثناءها مرة نهراً تغلى مياهه ، ومكاناً يؤدى صوت الانسان فيه إلى سقوط أمطار غزيرة وقد حدث مرة فى الطرف الجنوبى الأقصى من الأرجنتين أن أطارت الرياح القطبية سيركاً بحاله فى الهواء ، وفى اليوم التالى كان الصيادون فى تلك المنطقة يستخرجون بشباكهم جثثاً للنمور والأسود ! وفى قصتى القصيرة « جنازة الأم العظيمة » أحكى قصة رحلة مستحيلة للبابا إلى ضيعة فى كولومبيا ، وأذكر أننى تعمدت أن أصف رئيس الجمهورية الذى استقبل البابا على أنه أصلع وربع القامة حتى يكون مختلفاً تماماً عن رئيس كولومبيا فى ذلك الوقت وكان نحيلا طويلا . وبعد مرور احدى عشرة سنة على القصة ، ذهب البابا إلى كولومبيا وكان رئيس الجمهورية الذى استقبله ربع القامة كما فى القصة ! . ويكفى الاطلاع على الصحف لاثبات أن ثمة أحداثاً خارقة للعادة تقع بيننا كل يوم وانى أعرف أناساً ريفيين بسطاء قرأوا « مائة سنة من العزلة » بسرور وتفهم عظيمين ، دون أى استغراب من أحداثها ، لأنى لا أقص فيها أى شىء غريب عن الحياة التى يعيشونها بالفعل .

● إذن فكل ما تضع في كتبك له أساس في الحياة الواقعية ؟

– لا يوجد في رواياتي سطر واحد لا يستند إلى واقع .

● أأنت متأكد من ذلك ؟ فى رواية «مائة سنة من العزلة » تقع أحداث خارقة تماماً . فمثلا هناك «ريميديوس» الجميلة التى تصعد إلى السماء ، وهناك الفراشات الصفراء التى تحوم حول « ماوريسيو بابيلونيا » على الدوام .. الخ .

– كل ذلك له أصل فى الواقع .

● مثلا ؟

– مثلا : « ماوريسيو بابيلونيا » . فى بلدة « أراكاتاكا » ، حين كان لدى من العمر خمس سنوات ، حضر إلى منزلنا مرة كهربائى لتغيير العداد . اننى أذكره كما لو كان بالأمس ، لأن طريقته فى ربط نفسه إلى العواميد حتى لا يقع بهرتنى . وقد عاد إلى منزلنا مرات عديدة . وفى مرة من هذه المرات ، وجدت جدتى تهش فراشة بقطعة من القماش وهى تقول : « دائماً حين يأتى هذا الرجل الى البيت تأتى معه هذه الفراشة الصفراء » . وكان ذلك نواة تلك الشخصية .

● نعود مرة أخرى إلى المؤثرات إنك تذكر دائماً تأثرك بعدد من الكتب منها «أوديب ملكاً» لسوفوكل

– « أوديب ملكاً » ، و « أماديس الغالى » و « لا ثاريو دى تورمس » و « يوميات الطاعون » لدانييل ديغو و « أول رحلة حول الأرض » لبيجافتا .

● ومن من الكتاب تعيد قراءة أعمالهم بصفة مستمرة ؟

– جوزيف كونراد وسانت اكسبرى .

وماذا عن تولستوى ؟

– لا أحتفظ بشىء منه ، غير اننى مازلت أؤمن أن أفضل رواية كتبت قاطبة هى روايته « الحرب والسلام » .

● بيد أن أحداً من النقاد لا يكتشف أثر هؤلاء الكتاب فى مؤلفاتك .

– لقد حاولت فى الواقع ألا أبدو اي أحد . وبدلا من أن أقلد ، أحاول دائماً أن أتفادى الكتاب الذين أحبهم أكثر .

● ولكن النقاد يرون دائماً ظل فوكنر دائماً فى أعمالك .

– ان النقاد يحددون المؤثرات بطريقة لا أفهمها . وفى حالة فوكنر ، أعتقد أن التشابه هو فى الأماكن الجغرافية عنه فى الطرق الأدبية . لقد اكتشفت فوكنر بعد مدة طويلة من كتابة أولى رواياتى ، حين كنت أرتحل عبر جنوب الولايات المتحدة . ان ما رأيت من القرى الحارقة المفعمة بالأتربة ، والناس اليائسين ، يشبه المناظر التى أرسمها فى قصصى .

● وعكس حالة فوكنر معك هو أثر فرجينيا وولف ، فليس هناك غيرك من يعترف بهذا الأثر .

– ما كنت لأصبح الكاتب الذى أنا عليه الآن لو لم أقرأ منذ عشرين سنة عبارة فى رواية فرجينيا وولف « مسز دالواى » حولت تماماً شعورى وفكرى عن الزمن .

● ومن هم البقية فى قائمة مؤلفيك المفضلين ؟

– أرثر رامبو ، وفرانز كافكا ، وشعراء القرن الذهبى الاسبانى ، ثم موسيقى الحجرة من شومان إلى بيلا بارتوك .

● ونيرودا ؟

– بالطبع ، نيرودا ، الذى أعتبره أعظم شاعر فى القرن العشرين وفى كل اللغات .

ترجمه عن الأسبانية
ماهر البطوطى

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● شخصية الأستاذ شهاب ● ● العبقرية والوراثة والجنون ● ● ● العامية والعربية: ألفاظ صحيحة ، فلماذا لا نستعملها؟ ● ● ● ● تبسيط اللغة الانجليزية واهتمام الانجليز بنشرها .

شخصية الأستاذ شهاب

هو عبد السلام بن حسنين بن شهاب ابن شامة البشبيشي . واصل الدراسة فى الأزهر الشريف حتى أشرف على امتحان العالمية فتكاسل عنه . والتحق بفرقة تمثيلية يؤلف لها الأغاني والأناشيد ، وكان جمهور هذه الفرقة خليطاً من الناس ذوي المشارب المتباينة والأذواق المختلفة ، فكانوا جميعاً يجدون ما يرضون عنه فيما كانوا يسمعون . ثم شارك حلاقاً فى صالون ، لعبا براس ماله في «اليانصيب» فلم تصبهما ثروة ، فالتقطه واحد من أصحاب المجلات الاسبوعية كان يدير تجارة إلى جانب المجلة فعمل الاستاذ شهاب في التجارة وفي المجلة حتى راى صاحبه يسلمه يوماً لواحد آخر من أصحاب المجلات الأسبوعية ، ولم يعلم انه باعه له بالمال إلا بعد زمن طويل ، وانتقل من المجلة القديمة إلى المجلة الجديدة يكتب فيها شعراً وزجلا ونثراً مما يعيه الشعب ويفهمه ويتلذذ به ، وهو ماكث في «الادارة» لا يخرج منها ، يعمل وياكل وينام على المكتب ... ثم طرا له أن يخرج يوماً فخرج وغاب ولم يعد ، فدار صاحب المجلة يبحث عنه فى الأقسام والمستشفيات وهو يتلهف عليه ، يقول : يا عالم إنه لا يعرف الطرق ولا الشوارع. ولكنه كان قد عرف الطرق والشوارع ومن بينها شارع الامير قدادار ، وهو الطريق إلى دار الهلال التى يعمل فيها الآن محرراً لاحدى المجلات التى تصدرها ، يكتبها بعد ان يجمع له المندوبون معلوماتهم ، من أولها إلى آخرها .

وهو أزهد من رايت في الجاه والشهرة ، واقدر من رايت في الحكم على النفوس ، واقوى من رايت في إقامة الحق إذا اراد إقامته ، وفي إزهاقه إذا اراد إزهاقه ، واشد من رأيت استسهالا للعبث بعقول الناس ، فهو يبدا يقص عليك القصة ، فلا تلبث بعد ان يقطع معك مرحلة طويلة فيها ان تفيق فتجد نفسك قد سمعت كلاماً كثيراً مرتبطة اجزاؤه بعضها إلى بعض ، ولكنه ذاهب إلى حيث لا تدري ؛ فاذا احببت ان تعود أدراجك إلى بدايته لم تعرف كيف تروح معه ولا كيف تجيء .

يشترط عليه الأستاذ إميل بك زيدان إذا أراد أن يحادثه في امر أن يمتنع عن مناقشته فيه ، لا لشيء ، إلا لانه جرب مرات ومرات أن مناقشة الأستاذ شهاب تنتهي عادة بان تقر دار الهلال نقيض ماتريده ، وما تكون قد أعدت العدة له .

من آرائه أن اللحم سيد الطعام ، وأن أسعد الناس هم سكان التكايا ؛ وأن الاستاذ محمود حسن اسماعيل شاعر قبطي بدليل الرهبان والصلبان والاجراس التى ترن فى شعره كثيراً ، وان طلبة كلية التجارة يجب عليهم ان يقضوا مدة للتمرين فى المذبح ، وعند ابي ظريفة وغيره من تجار الفول ، على أن لا تزيد مدة التمرين هذه على ثلاثة شهور يعطى الطلبة بعدها دبلوم التجارة ليغزوا هذين الميدانين من ميادين التجارة القومية الرابحة ربحاً مؤكداً ومركبا ايضا ؛ وغير ذلك له آراء كثيرة كم اختلستها منه ونشرتها منسوبة إلي في (الرسالة) ، فاعجبت من قراها .

عزيز أحمد فهمي
١٩٤٠

ملحوظة :

عزيز احمد فهمي كاتب عربي مصري لامع توفى منذ اكثر من عشرين سنة بائساً يائساً فقيراً رغم مواهبه اللامعة اما عبد السلام شهاب فقد توفى منذ سنوات قليلة ، وقد قادته رحلة الحياة الأدبية والصحفية إلى العمل المستقر كمحرر فى جريدة الأهرام ، وانتهت حياته بعد أن تمكن من بناء بيت صغير فى مدينة الصحفيين فكانت نهايته أسعد من عزيز احمد فهمي من الناحية الشخصية ... اما من الناحية الأدبية ، فعزيز فهمي وعبد السلام شهاب معاً لا يختلفان فى أن آثارهما الأدبية ضائعة مبددة لم تجمع حتى الآن .

العامية والعربية

ألفاظ صحيحة فلماذا لا تُستعمل؟

بقلم: إبراهيم عبد القادر المازني

يتوهم كثيرون من الناس أن اللغة العامية ليست من العربية فى شىء ، ولهذا يحرصون ، حين يكتبون ، على الفرار من ألفاظها ، ويذهبون يتكلفون ، فتكون النتيجة الإغراب والمباعدة ما بين الكاتب والقارىء ، ومن أجل هذا استفاض الاعتقاد بأن لغة الكتابة غير طبيعية ، ومن هنا ظهرت الدعوة إلى اتخاذ العامية فى الكتابة ، ليفهم الناس بغير مشقة ، ولو أن العامية دُرِسَتْ لما كان لهذا كله محل ، وقد سمعت أن المرحوم أحمد تيمور باشا وضع معجماً للغة العامية ردها فيه إلى أصولها العربية ، ولكنه لم ينشر ، ولا علم لى بما كان من أمره .

وقد عثرت فى مطالعاتى على مئات ومئات من الألفاظ العربية يستعملها العامة وإن كانوا يحرفونها قليلا فى النطق ، وسأورد فى هذا الفصل طائفة منها بلا ترتيب على سبيل التمثيل ليرى القراء أن اللغة العامية جديرة بالعناية وأن اتقاء ألفاظها كلها خطأ ، أو جهل ، وقد جريت فيما أكتب ، على استعمال الصحيح من الألفاظ العامية ، واكتفيت بذلك.ولكنى أرى الآن أن التنبيه واجب مخافة أن يعتقد بعض القراء أن هذا مني عن خطأ لا عن عمد .

فمن ألفاظ الطعام وما إليه :

الدُقَّة ـ الملح مع ما خلط به من الأبزار أو الملح المدقوق .

العُجَّة ـ الدقيق المعجون بالسمن ثم يشوى أو يقلى ، والعامة على عجة البيض .

الكَباب ـ اللحم المشرح .

الوجبة ـ الأكلة .

السُفرة ـ المائدة .

القصعة ـ الجفنة .

الشُخام ـ السواد الذى يكون على آنية الطبخ من فعل النار .

الطاجن ـ إناء من خزف يقلى فيه الطعام .

العصيدة ـ طعام معروف فى مصر ، من دقيق وسمن .

البرمة ـ والبرام ـ قدر،وهو مشهور .

عقد السكر ـ طبخه حتى ثخن .

الشريحة ـ اللحمة المرققة .

الهبرة ـ من اللحم البضعة لا عظم فيها ، وَهَبَرَ اللحم اقتطع منه قطعة كبيرة .

التسميط ـ فى رأس الخروف وغيره كَشْط الشعر عن الجلد لطبخه فى الماء .

اللَهْوَجَة ـ لهوجت الطعام لم تنضجه ، والعامة تستعمل اللفظ مجازياً .

شاط الطعام وشاطت آنية الطبخ ، احترق . سغسغت الطعام أوسعته دسماً وأكثرت من السمن فيه .

سلق اللحم ـ طبخه فى الماء .

طبخ ومشتقاته معروفة .

وهذه كلها ألفاظ عربية ، يستعملها أعرق الناس فى العامية . ومن قبيلها أيضاً فى غير هذا الباب :

الحُلوان ـ ما تجعله للرجل من الأجر على عمل يؤديه لك .

الممصوصة ـ الفتاة المهزولة .

الزغزغة ـ الدغدغة .

الزعر ـ قلة الشعر ، فهو أزعر ، ويستعمل للذيل عند العوام .

صوفة القفا ـ الشعر السائل فى نقرته

الشعر المفلفل ـ إذا كان شديد الجعودة .

المدرِك ـ الغلام بعد الاحتلام

فروة الرأس ـ الجلدة .

لَبَّد شعره ـ ألزقه بشىء .

تكرش الوجه ـ تقبض جلده .

العمش ـ ضعف البصر ، والرجل أعمش .

عظمة اللسان ـ ما فوق أصله

الحنك ـ سقف أعلى الفم .

الوِرْك كالوَرِك ـ معروف .

الحُق ـ مغرز رأس الفخذ فى الورك .

الركبة ـ ملتقى الساق والفخذ .

تَشَيْطَنَ الرجل ـ فعل فعل الشياطين

الديوث ـ الذى يغضى على ما يرى من هنات أهله .

الدردبة ـ الجرى الذى فيه دَبٌّ .

الموالسة ـ المخادعة .

المَذّاع ـ الكذاب ، والعامة تستعملها بالزاي .

البرطمة ـ كلام الغضبان .

البرجمة ـ غلظ الكلام .



الدندنة ـ الكلام أو الغناء بصوت خفيض .
الدبدبة ـ صوت كوقع الحوافر على الصلب من الأرض .
الطقطقة ـ الاسم من طق ، حكاية لصوت الحجر .
بجم ـ سكت من عى أو فزع أو هيبة
فَرْشَح الرجل ـ أصله أن يثب وثبا متقاربا ، وصار يستعمل للمباعدة بين الساقين .
نهج ـ تتابع نفسه من الاعياء والتعب .
السكة ـ الطريق .
أكتنّ الرجل ـ صار فى كُن .
تَرَبَّعَ ـ جمع قدميه فى جلوسه ووضع احداهما تحت الأخرى .
السلفتان ـ امرأتان تتزوجان أخوين
تَفَرْعَنَ ـ صار ذا فرعنة ، أى نكر .
جهاز العروس ـ ما تحتاج إليه فى زواجها .
العَزَبَة ـ التى لا زوج لها .
تَسَبَّعَ ـ أقام سبعا .
الخيش ـ نسيج خيوطه غلاظ ، ويكون من مشاقة الكتان ، والمشاقة أيضا صحيحة .
تلفح ـ بمعنى تلحف ، والتفع أيضا والعامة تستعمله على حقيقته وعلى المجاز .
العباية ـ كالعباءة تماما .
اللاذة ـ تكون من الحرير ، والعامة تستعملها للقطعة من الحرير يلفونها على الرأس .
الكنار ـ للثوب شقة منه تكون فى طرفه .
القطيفة ـ هى المخمل .
الملاءة والملاية ـ الربطة التى تستتر بها المرأة فى خروجها .
البرنس ـ ما يلبسه المرء بعد الاستحمام .
الفوطة ـ وجمعها فوط ، معروفة .
المنديل ـ معروف أيضا .
الطُرْطُور ـ القلنسوة الطويلة .
التكَّة ـ رباط السراويل ، وجمعها تِكك .
قَوَّرَ القميص ـ جعل له جيبا .
الدرابزين ـ للسلم ، معروف .
البطانة ـ للثوب خلاف الظهارة .
الخياطة ـ للثياب .
الشل ـ الخياطة الخفيفة ، فى أول الأمر .
كفّ الثوب ـ خاط حاشيته .
الكُفَّة ـ ما استدار حول الذيل .
ثوب مهندم ـ مضبوط .
الهدم ، والجمع هُدوم ـ الأكسية .
دعك الثوب ـ ألان خشونته ، والعامة تستعمله على المجاز .
السخْتيان ـ جلد الماعز .
القبقاب ـ نعل من خشب ، والعامة تضم أوله .
الصندل والصندلة ـ شبه حذاء ، والفعل تصندل .
الشىء المسيخ ـ الذى لا حقيقة لطعمه .
الفطور ـ ما يفطر عليه المرء فى العادة أو بعد الصيام .
القرن ـ ناحية الهامة .
المفرطح ـ العريض .
السِّقط ـ الولد يوضع لغير تمام .
الطلق ـ وجع الولادة .
الأجرد ـ الذى لا شعر عليه ، والعامة تقول الأجرود .
نَسَل الشعر والصوف والريش وغيره ـ سقط .
البعبعة ـ تتابع الكلام فى عجلة وبصوت أجش .
الصُّفارة ـ كالزمارة .
كركر ـ وقرقر ـ رفع صوته بالضحك هأها ـ قهقه .

● ● ●

وهناك آلاف من الألفاظ اهملتها لأنه لا خلاف على صحتها ، مثل المرود ، والمكحلة ، والمشط ، والضفيرة ، واللحاف ، والزر ، والعروة والكم ، والابرة ، الخ الخ ، وقد أهملت هذا الضرب لأنى أردت أن أسوق الألفاظ التى يتوهم الناس أنها غير عربية ، وسأورد طائفة أخرى فى فصل غير هذا. ولو عنى رجال المجمع الملكى للغة العربية بمثل هذا البحث لأراحوا أنفسهم من عناء شديد يكابدونه ، ولكان هذا أولى مما يعالجونه من النحت وما إليه وليسروا الأمر على الناس ..

ابراهيم عبد القادر المازني
١٩٣٥

العبقرية والوراثة والجنون

إن أبناء العباقرة هم في الغالب مخلوقات عادية ، بل اقل من العادية . ويقول ج. مورو دوتور : (إن الملاحظة العامة ترينا أن غالبية أبناء الرجال العباقرة ليسوا فقط اقل من آبائهم ، بل هم كسائر الناس العاديين) ، وقد أكد الكسندر تاسوني Alexandre Tassoni احد كتاب القرن السابع عشر انه كثيراً ما يحدث أن ينجب آباء عباقرة أبناء عظيمي الغباوة، وآباء شديدو الغباوة أبناء علماء . واستشهد على النوع الأول بأبناء أفريكان الكبير وانطوان وشيشرون ومارك أوريل وسقراط . ويعتقد أوسوالد الكيميائي الألماني الشهير أن أبناء الرجل العبقري لابد أن يكونوا اقل منه .

وذكر تاسوني رأي احد العلماء المعاصرين له ، وكان يفسر النقص في كثرة أبناء الرجال العباقرة بقوله : (في الرجال العظام تتجمع معظم القوى الحيوية في المخ كيما تقويه وتبعث الحياة والعنف فى القوى الفكرية . ولهذا يكون الدم والخلية باردين ضعيفين . والنتيجة أن يكون أبناء أولئك الرجال وخصوصاً الذكور أغبياء) .

وهناك حقيقة أخرى هامة فيما يختص بوراثة العبقرية ، وهي أن هناك ظواهر من الجنون والاضطراب العصبي تحول دون وراثة هذه العبقرية . ذلك أن العبقري تصحبه غالباً أنواع خاصة من الأمراض النفسية . وكثيراً ما يلاحظ المرض العقلي عند سلف وخلف الرجل العبقري . ومن المعلوم أن الجنون ينتقل غالباً وبكثرة شديدة فى الأجيال القريبة . وحالات الجنون الوراثي في ثلاثة أجيال متعاقبة عديدة جداً . وكان الجنون فيها فى الغالب من نوع واحد ، والآن ، أليس هنا تشابه - وإن لم يكن كاملا - بين وراثة العبقرية ووراثة الجنون ؟

وقد ذكر مورو دوتور أن بين طبقات المجتمع التي تحوي أكبر عدد ممكن من الرجال الممتازين بذكائهم الشديد ، يوجد أيضاً أكبر عدد ممكن من المجانين وقد لاحظ كل علماء النفس أن هناك عدداً من المجانين لهم اقارب يتميزون بذكاء تتفاوت درجاته . من ذلك أوليمبيا أم اسكندر الأكبر التى كانت امراة فاسدة الخلق ظاهرة الوضاعة ، وكان أب الاسكندر داعراً إلى أقصى حد . وكان الاسكندر نفسه مصاباً بحالة عصبية في كوعه . وكان شقيقه أريدوس - الذي قتل بأمر أوليمبيا - ابلهاً معتوهـاً .

وكان ابن برناردين دوسانت بيير ، وإحدى بنات فكتور هوجو ، ووالد وأشقاء فيلمان ، وشقيقة الفيلسوف كانت ، وشقيقة هيجل ، وغيرهم وغيرهم كانوا جميعاً مجانين . وكانت شقيقة ريشليو تتصور أن ظهرها من البللور ، وكان شقيقه معتوهاً . وكان والد الموسيقى بيتهوفن مدمناً الخمر ،وكان الشاعر بودلير نفسه نصف مجنون . وقد كتب يقول : (إن والدى اللذين كانا إما معتوهين أو مجنونين قد ماتا ضحيتى جنون فظيع) وكان والدا الشاعر الأمريكي الشهير ادجار بو شديدي الادمان لتعاطى المشروبات الروحية .

وكانت تحدث لشاتو بريان حركات تشنجية فى ذراعه ، وكان دائم التفكير فى الانتحار ، وكان أخوه نصف مجنون وكان والد بلزاك غريب الأطوار ، وكذلك كان بلزاك نفسه . وكانت جورج صاند شديدة الانقباض والحسرة وهى فى السابعة عشرة من عمرها ، وقد حاولت الانتحار فيما بعد عدة مرات . وقد كان والدها يشبهها من هاتين الناحيتين . وكان كثير من أقارب هوفمان مجانين . أما هوفمان نفسه فقد أصابه الخوف لطول استسلامه للشراب ، وكان يتصور أمام عينيه أشباحاً ويصيبه من جراء ذلك الرعب الشديد . فيطلب من أمه أن تجلس بجانبه . وكانت خالة هيرنر مجنونة وأخته شديدة الكآبة ، وقد جن ابنها .

وكان أثر الوراثة المرضية بارزاً فى لورد بيرون . إذ كان أبوه رجلا فاسد الخلق وقحاً . وكانت أمه غريبة الأطوار متكبرة طائشة . كذلك كان شوبنهور وارثاً لما كان عليه من غرابة الميول واضطراب الأعصاب . فقد كانت خالة جدته وجدها مجنونين . وكان أبوه تنتابه نوبات قوية من الغضب المتزايد والهم الدفين الذى يكشف عن نفسيته المريضة .

وكانت أسرة الفيلسوف رينان - الذى كان يعذبه اضطراب أعصابه - تسودها أنواع مختلفة من الجنون ، وكان عمه مأفوناً . وقد قضى حياته فى التصعلك حتى وجد ذات ليلة ميتاً على قارعة الطريق . وكان جد رينان شديد الوطنية عظيم الاخلاص ، ولكنه فقد عقله عام ١٨١٥ م نتيجة هم ألم به . وقد أصبحت بلدة تريجويير التى ولد بها رينان ممتلئة بالمجانين وأنصاف المجانين نتيجة إكثار أهلها من زواج بعضهم ببعض .

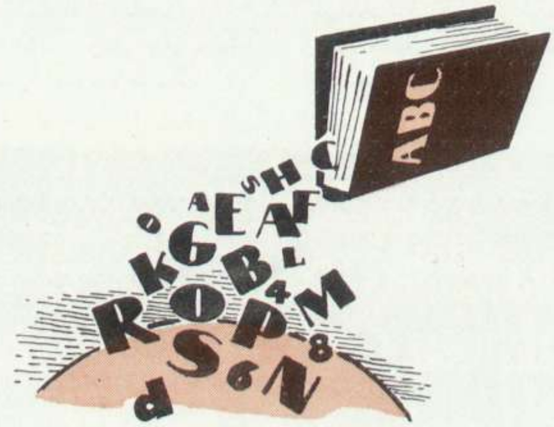
فمما ذكرنا يظهر أن العبقرية ليست محدودة . وأنها لا تمتد إلا لأفـــراد مخصوصين ، فلابد اذن من أن نعرف أن هناك شيئاً آخر غير الوراثة المجردة، ان العبقرى يظهر فى الأسرة فى لحظة معينة ولا يمكن أن يظهر قبل ذلك . كذلك قد يتبعه وقد لا يتبعه عباقرة آخرون . والأب العبقرى قد يكون له ابن عادى ، وقد يكون هذا الابن غبياً . وإذا استمرت الأسرة فى إنتاج عباقرة كثيرين فان هذه الظاهرة تقف بعد بضعة أجيال كأن الطبيعة قد نالها الرهق والضنى . وأخيراً كثيراً ما يحدث أن يحل الجنون محل العبقرية ويكون ذلك راجعاً إلى نوع خاص من الوراثة متأثر بعوامل غير وراثية .

وقد قال البعض : إن الوراثة والبيئة يتعاونان معاً بنشاط على إيجـــــاد العبقرى ، إذ أن (الوراثة) لا تنتج فى الرجل إلا (ما يمكن أن يكون) وليس ما سيكون ، أما آثار الوسط وحدها فهى قادرة على تحويل الاحتمال إلى أمر واقع . على أن (الوسط) لا يكون تأثيره بعد الولادة فقط ، بل إنه يؤثر فى الشخصية المستقبلة قبل الولادة ، وذلك بطرق مختلفة .

ولقد عملت أبحاث فى جلاسجو عن علاقة عدد المواليد بالذكاء فظهر أن عدد المواليد يزيد عند الرجال الأقل ذكاء ، كذلك الأسر يتكاثر عددها كلما قلت الكفاءة العقلية عند أعضائها .

« عن مجلة الشهر الفرنسية ١٩٣٥ »

تبسيط اللغة الإنكليزية واهتمام الانكليز بنشرها



يبدى الانكليز فى الوقت الحـــاضر اهتماماً خاصاً بنشر اللغة الانكليزية ، ويحاولون بمختلف الوسائل أن يجعلوا منها لغة دولية عامة ، كاللغة الفرنسية فى الشؤون والمعاملات الدوليـــــة والتجارية ، ويرجع هذا الاهتمام إلى ما بعد الحرب الكبرى إذ اتسع نطـــــاق الامبراطورية البريطانية اتساعاً عظيماً وضُمت إليها شعوب وأمم جديدة ، وزاد نفوذ انكلترا الدولى تبعاً لذلك ، واتسع نطاق تجارتها اتساعاً عظيماً ، والانكليز أقل الأمم اهتماماً بدرس اللغات الأجنبية ، وقد حاولوا أن يتلافوا هذا النقص بفرض لغتهم على الشعوب التى تنضوى تحت لوائهم ، ولكنهم يرغبون اليوم فى التقدم خطوة أخرى ، وذلك بالعمل لجعل اللغة الانكليزية لغة دولية اختيارية . وقد رأوا أن انجع وسيلة لتحقيق هذه الغاية هو تبسيط اللغة الانكليزية إلى أبعد حد ، وانتهوا فعلا إلى عمل هذه التجربة ، فقام الأستاذ أجدن أحد أعضاء المعهد اللغوى بجامعة كامبردج باختيار الألفاظ الانكليزية التى تعبر عن أكبر عدد من المعاني المطلوبة ، وانتهى إلى حصرها فى ٨٥٠ كلمة تكون وحدها لغة انكليزية جامعة وافية بالتعبير عن كل ما يرغب ، ويكفى لدرسها وحفظها ثلاثون ساعة ، وليس فيها أى تضارب ولا تعقيد ، وليس فيها من الأفعال سوى ١٨ فعلا ، وقد سميت هذه اللغـــــة « بالانكليزية الأساسية » . ويعلق الانكليز على هذا التبسيط المدهش للغة تبلغ كلماتها عشرين ألفاً آمالا كبيرة ، وتنوه الصحف العلمية بهذه المناسبة بأن أحب الكتاب الانكليز إلى الشعب الانكليزى هم أبسطهم لغـــة وبياناً مثل سويفت وبرنارد شو ، ومن ينحو نحوهما فى التعبير الجزل البسيط الذى لا يتخلله حشو ولا ترادف ولا تعقيد .

١٩٣٥

● طائرة الجيب ●

هى أصغر طائرة عمودية أنتجت حتى الآن إذ يبلغ قطر هيكلها ٦٠ سنتيمترا ولا يزيد وزنها عن ٣٦ كيلوجراماً . كما أنها لا تحتاج الى طيار لقيادتها ، وإنما توجه لاسلكياً من الأرض . وتستطيع هـذه الطائرة الصغيرة الطيران لمدة ساعتين ونصف ، وتبلغ سرعتها القصوى ١١٠ كيلومترات فى الساعة . وهى تحلق وتهبط مثلها مثل أى طائرة عمودية كبيرة .

وبالرغم من صغر حجمها فهى متعددة الاستخدامات إذ يمكن تزويدها بعـدد لا نهائى من الأجهزة للأغراض العسكرية والمدنية على حد سواء . فهى تستطيع حمل كاميرا تلفزيونية مثلا مزودة بعدسات مقربة للتصوير على ارتفاع ٣ آلاف متر .

ونظـراً لصغر حجمها يصعب رؤيتها . وهى لذلك تعتبر مثالية للأغراض العسكرية لصعوبة رصدها بالرادار فهى لا تحدث صوتاً كما أنها لا تنتج كمية كبيرة من الحرارة بحيث لا تتمكن اجهزة الرصد التى تعمل بالأشعة تحت الحمراء من اكتشاف وجودها .



طائرة الجيب الأمريكية

● الشاحنة الموسيقية ●

لا داعى لشراء جهـاز لتشغيل الاسطوانات بعد الآن فان هذه الشاحنة الصغيرة تغنيك عنه . اذ يكفى وضع الاسطوانه على سطح مستو مثل مكتب أو طاولة ، ووضع هذه الشاحنة فوق الاسطوانة لتنطلق على الفور أنغام الموسيقى الحالمة . فالشاحنة الموسيقية تقوم بعمل جهاز تشغيل الاسطوانات إذ انها مزودة بقطعة ياقوت وخلية كهربية ومكبر للصوت ولذلك فعندما تبدأ الشاحنة فى الدوران على خطوط الاسطوانه فانها



الشاحنة الموسيقية

تقرأ ما تم تسجيله عليها من الحان وأصوات .

ولا يزيد ثمن هذه الشاحنة الموسيقية عن ٢٥٠ ريالا وهي أرخص بكثير من اي جهاز بيك ــ آب .

● الليزر يعيد للوجه شبابه ●

تعددت استخدامات أشعة الليزر فى مختلف المجالات ابتداء من الصناعة الى الطب الى الاسلحة والحرب . ولكنها تغزو اليوم مجالا جديداً وهو مجال جراحة التجميل .

فان أشعة الليزر تعيد النشاط والحيوية الى عضلات الوجه وتزيل التجاعيد بدون ألم ولا جراحة .

ولقد بدأت هذه الطريقة المبتكرة فى الاتحاد السوفيتى وانتشرت منه الى أوروبا وهى تستخدم شعاع ليزر ذا طاقة منخفضة بحيث يوجه الشعاع الى مواضع التجاعيد أو أماكن الترهل وارتخاء العضلات غير المستحب ، وبعد عدد من الجلسات يتراوح بين ١٠ و ١٦ جلسة تختفى كل آثار لهذه الشوائب التى تعكر صفاء البشرة ويعود للوجه شبابه ورونقه وتبلغ تكلفة هذا العلاج ألف دولار فقط !!

ويقول الذين اتبعوا هده الطريقة فى العلاج أنها أشبه بتدريبات رياضية لعضلات الوجه تعيد له لياقته وحيويته .

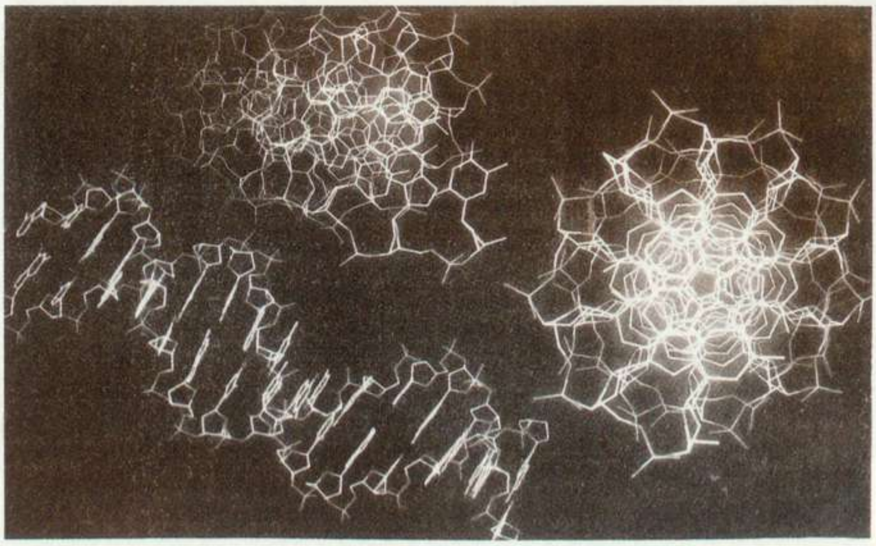
● حقن لعلاج الحول ●

توصل فريق اخصائيى العيـون فى سان فرنسيسكو الى عـلاج للحول دون اللجوء الى الجراحة أو لاستخدام النظارات الطبية ويعتمد العلاج الجديد على حقن المصاب بكمية ضئيلة جداً من دواء يعمل على إلغاء النشاط العضلى الشاذ المسبب للحول .

ويتم الحقن فى العين تحت تخدير موضعى ويستطيع المصاب بالحول مغادرة المستشفى بعد ذلك مباشرة . ويتحقق الشفاء بعد حقنتين فقط .

ولكن هذا العلاج لاينفع إلا فى حالات الحول الأفقي كما يستخدم فى علاج حالات الحول التى لم تنجح الجراحة فى اصلاحها ويتيح الغاء النشاط العضلى غير العادى للعين استعادة توازنها العضلى واعادة تدريبها على الرؤية الطبيعية ولازال العلاج فى مرحلة التجربة .

● صناعة دواء بدون مواد كيماوية ●



زوايا مختلفة لجزيء الحامض النووى كما تظهر على شاشة الكمبيوتر .

انتقل مكان عمل الصيدلى من المعمل الى شاشة الكمبيوتر . فلم يعد فى حاجة الى معايرة المواد الكيماوية ومزجها ثم دراسة خواصها وتاثيرها على الخلايا الحية . أو مزارع الميكروبات والبكتريا المختلفة . فالكمبيوتر بامكانياته الجبارة يوفر عليه كل هذا الجهد .

ولايبقى أمام الباحث فى مجال العقاقير سوى إدخال المعادلات الكيمائية والمركبات الدوائية المعنية الى ذاكرة الكمبيوتر ليقوم الأخير بعرض جزىء الحامض النووى الذى يعتبر جوهر الحياة فى الخلية على شاشة وحدته الطرفية .

وبدوران هذا الجزىء الحيوى أمام الباحث لكى يراه من ثلاث زوايا مختلفة يتمكن من التعرف على تفاعل الدواء الجديد مع الحامض النووى للخلية الحية

ومن ثم يستطيع الباحثون ابتكار التركيبات الدوائية وبحث وتجربة تاثيرها على الخلايا الحية دون التحرك من أمام شاشة الكمبيوتر .

● تنظيم الحمل عن طريق الأنف ●

لقد نجح استخدام رش للأنف فى تنظيم حمل ٨٠ سيدة كندية حيث يحتوى المحلول تركيباً اصطناعياً لمادة يفرزها المخ تجعل الغدة النخامية تفرز هرموناً يدفع بدوره المبايض لتكوين البويضة إلا أن الهرمون الاصطناعى فى نقط الأنف يوقف تكوين الهرمون الطبيعى نظراً لأنه أقوى منه ، كما أن مفعوله يستمر لمدة أطول ومن ثم فان استخدام هذه النقط الأنفية مرة يومياً يوقف عملية التبويض من أساسها .

ويعتقد الأطباء أن نقط الأنف أفضل الطرق لتناول هذا الهرمون الاصطناعى لأنه يمتص على الفور من الخلايا الطلائية المبطنة للأنف دون إزعاج للجهاز الهضمى .

كما تجرى ابحاث على نفس النقط لاستخدامها كمنظم للحمل بالنسبة للذكور أيضاً ، حيث توقف افراز هرمون الذكور وبالتالى تتوقف عملية تكوين الحيوانات المنوية . وهى تستعمل حالياً فى علاج حالات سرطان البروتستاتا نظراً لأن ارتفاع نسبة هرمون الذكور يزيد من تدهور حالة المريض . ولقد نجحت نقط الأنف من تفادى اللجوء الى الجراحة التى كانت تمثل من قبل الحل الوحيد أمام الأطباء .

● محطة منزلية للارسال التلفزيونى ●

تفتح إحدى شركات الالكترونيات البلجيكية مجالا خصباً أمام هواة التلفزيون لاعداد وبث ما يريدون من برامج وذلك عن طريق جهاز ارسال تلفزيون حجمه أصغر من حجم كتاب الجيب .

وتتكون محطة الارسال المنزلى من جهاز ارسال ومحول وهوائى ارسال واستقبال اذا ما وصلت هذه المحطة المتنقلة بكاميرا فيديو يمكن الارسال مباشرة على الهواء من أى مكان لأن تشغيلها لايحتاج إلا لـ ١٢ فولت ومعنى ذلك أنها تسمح بالارسال من السيارة .

كما يستطيع أى شخص تسجيل المادة التى يريدها على جهاز الفيديو وبثها بعد ذلك بتوصيل الجهاز بمحطة الارسال المنزلى .

أما بالنسبة للاستقبال فبامكان أى جهاز تلفزيون استقبال هذا البث الخاص شريطة أن يكون مزوداً بهوائى استقبال وبمحول ويبلغ مدى الاستقبال عدة كيلومترات قد تصل الى خمسين كيلومتراً فى المناطق الخلوية .

وبالرغم من صغر حجم جهاز الارسال فان ارساله لايقل جودة عن ارسال الشبكات الرسمية إذ يقوم المحول بالتحكم فى وضوح ونقاء كل من الصورة والصوت .



جهاز الارسال التليفزيوني المنزلي

بقلم: رؤوف توفيق



« روميو شنايدر » النجمة الفرنسية التى رحلت عام ١٩٨٢م .



« ماريـا شنيـدر » بطـلة فيـلم عن الارهـــــاب

نظـــــرة عـــــلى ســــيـنـــــما ٨٢

هل تعود الأفلام السياسية لتحرك الركود؟!

توارى العنف قليلا فى الأفلام السينمائية .. وبدات تطل الرؤية السياسية ، لتعمق المسائل ، وتحدد الزوايا ، وتبرر الأسباب .

لم يختف العنف تماماً .. ولكن اصبح للعنف دوافعه ! .

فرؤية الدم المتدفق .. وشج الرءوس ..وفقء العيون .. لم تعد هي الوسيلة المضمونة عند صناع السينما العالمية ، لجذب انتباه المشاهدين ، وكسر حدة الملل عندهم .. بل اصبح عليهم أن يحددوا هويتهم السياسية .. ويقولوا كلمتهم .. ويضيئوا شعاعاً من النور ينير الطريق أمام المشاهدين ، الذين هم في النهاية ، ضحايا قوى سياسية متصارعة ، تؤثر فى حياتهم اليومية .. ابتـداء من لقمة العيش إلى الاحساس بالآمان والحرية .

فضراوة الأزمة الاقتصادية ، التى تطبق على أنفاس العالم الآن .. وازدياد معدلات البطالة مع الارتفاع الجنونى فى الأسعار .. ونظم الحكم الديكتاتورية .. كلها مسائل لا تحتمل الاسترخاء والكسل ، وهدهدة الغرائز ! !

ومن هنا .. قرر بعض مفكرى السينما ان يلعبوا دورهم بوضوح وشجاعة .

وتسجل سينما ٨٢ .. ان مهرجان كان السينمائى لعام ٨٢ ساهم بقدر شاسع فى القاء اضوائه الساطعة على السينما السياسية .. واعطى اهم جوائزه لثلاثة أفلام سياسية .. لتصبح هذه الأفلام من أهم معالم سينما ٨٢ .



انجريد برجمان .. رحلت فى عام ١٩٨٢



« سالي فيلد » .. الصحفية فى فيلم « غياب ماليس »







لقطات من فيلم « البؤساء » .. اغلى فيلم فرنسي حتى الآن

● «الطريق» .. من تركيا

واوضح مثال على ذلك .. الفيلم التركى «بول» – أو الطريق – والذى اخرجه المخرج التركى « يلماظ جيونى » الذى ينتقل من بلد لآخر فى أوربا تحت حراسة خاصة من اصدقائه ومعاونيه ..

هذا المخرج عمره خمسة واربعون عاماً .. قضى اغلب سنوات شبابه فى السجون .. حتى بلغت مدد العقوبات التى يجب ان ينفذها حوالى مائة عام ! !

وقد استطاع الهرب من سجنه عام ١٩٨١ بعد ان قضى به عشر سنوات .. كتب خلالها سيناريو فيلم «الطريق» .. وقام احد مساعديه «شريف جورين» بتنفيذ اخراج الفيلم فى تركيا .. بينما هو يتابع مراحل الاخراج من منفاه .. ويسجل ملاحظاته على الأجزاء المصورة ، ويطلب التعديلات .. وعندما يتمكن مساعده من تنفيذ ملاحظاته يرسل له من جديد ما تم تصويره .. وهكذا .. حتى تم اخراج الفيلم بالصورة التى ارادها دون أن يقبض عليه !

واستطاع الفيلم ان يقتحم مهرجان «كان» .. ليصبح اهم احداث المهرجان واكثرها إثارة ودلالة على قوة السينما حينما تريد ان تقول رايها .

والفيلم يتتبع خروج خمسة معتقلين من احد السجون التركية .. كل منهم فى طريقه الى قريته .. وكل منهم له قصة وحلم .. وينسج الفيلم ببراعة شديدة ، خيوط هذه الرحلة .. وكيف تتكسر الاحلام على صخور الواقع الشديد القسوة .. حيث الفقر .. والمطاردة .. والضياع ..

انها رحلة من العذاب والألم والاحباط المستمر .. صاغها المخرج فى بانوراما

سينما

مليئة بالتفاصيل الانسانية والاشارات الذكية .

وفى حوار صحفى مع المخرج «يلماظ جيونى» سالوه قبل ان يسافر لمهرجان كان .. ليفجر الضجة الكبرى من حوله : هل تستطيع الاستمرار فى عملك من المنفى ؟ .. هناك مخرجون يستطيعون العمل خارج بلادهم ، وبعيداً عن جذورهم الحقيقية .. ولكن هناك آخرون ـ ويبدو انك واحد منهم ـ عملهم مرتبط اساساً بجمهورهم وثقافتهم ؟!

اجاب المخرج فى حسم وتحديد : «فى هذه اللحظة اننى ابحث ثلاثة احتمالات .. اولا .. ان اتوقف عن العمل طالما اننى بعيد عن جذورى الحقيقية .. ثانيا .. ان اصنع افلاماً عن تركيا من داخل بلاد اخرى ، مثلا عن مشكلة العمال المهاجرين .. وهكذا .. ثالثا .. ان اعمل افلاما عن اشياء مختلفة تماما ، وغالبا ما ستكون افلاماً رديئة ، ولكن لكى احصل على النقود .

«وفى الحقيقة اننى ارفض الحلول الثلاثة .. فهناك اشخاص مثلى فى كل انحاء العالم .. فى امريكا الجنوبية .. فى آسيا .. وحتى فى فرنسا .. وانا لست متشائما ، وساكون مستعداً اكثر للاجابة على هذا السؤال عندما ابدأ فى التصوير .. فانا حالياً اكتب فيلمى الجديد» !!

وهكذا اختصر الاجابة .. ليعلن انه سيواصل العمل .

وقد فاز الفيلم التركى الطريق بالجائزة الكبرى لمهرجان كان .. مناصفة مع الفيلم الامريكى «مفقود» .

● «مفقود» .. من أمريكا

وفيلم «مفقود» للمخرج الفرنسى « كوستا جافراس» فى اول فيلم له بامريكا ، يدين السياسة الأمريكية ، والتورط فى الانقلابات الاستعمارية وياخذ مثلا لذلك ما حدث فى شيلى عام ٧٣ ، اثناء الانقلاب الذى اطاح بالسلفادور الليندى وحكومته .. وقد اثار الفيلم ضجة كبرى فى اثناء عرضه بامريكا .. وانتقلت الضجة الى حيز اكبر فى مهرجان كان (راجع دراسة عن الفيلم فى الدوحة ـ عدد يوليو ٨٢) .. وفاز ممثله «جاك ليمون» بالجائزة الأولى فى التمثيل ..



« فانيسا رد جريف » تقدم فيلمها « فلسطين المحتلة »

وتفرغت الصحافة السينمائية تحلل وتقيم هذا الفيلم الجريء ..

● «ضوء القمر» .. عن بولندا

ويجيء الفيلم الثالث «ضوء القمر» للمخرج البولندى «جرسى سكوليموفسكى» والمقيم حالياً فى لندن .

والفيلم انتاج انجليزى ، بتمويل انجليزى ، وتم تصويره بالكامل فى لندن .. وبالرغم من ذلك فموضوعه عن بولندا ، وما حدث اخيراً من فرض الأحكام العسكرية .

فالفيلم يحكى عن اربعة عمال بناء بولنديين ، يسافرون الى لندن لاعادة تجديد شقة احد الأثرياء البولنديين ، فى مدة محددة بشهر واحد .. ولكن فى هذا الشهر تقع احداث بولندا ، وتاتى الحكومة العسكرية لتفرض احكامها وسيطرتها على الحياة البولندية ، وسط الاضطرابات التى نعرفها جيداً .. ولكن ما حدث لا يصل لثلاثة من هؤلاء العمال الذين يتولون تجديد الشقة .. بسبب ان رابعهم وهو رئيسهم ، يفرض عليهم نوعاً من التعتيم ، والسيطرة ، حتى لا تتسرب اليهم اية معلومات تكون نتيجتها توقفهم عن العمل .. مستغلا فى ذلك اجادته للغة الانجليزية والتى لا يعرفون منها اى كلمة !! .. وهكذا يحاصرهم ، ويتولى ادارتهم ، والانفاق عليهم .. وايضاً يقوم بالسرقة من محلات «السوبر ماركت» لتخزين المعلبات والملابس وتوفير النقود لحسابه الخاص !

حتى يحين موعد الرحيل .. وفى الطريق داخل المطار يخبرهم بحقيقة ما حدث فى بولندا .. لينفجر الموقف .. وينهالون عليه ضرباً وركلا .. وتتناثر الحقائب .. وتتدحرج علب المعلبات فى رنين يعلن نهاية كل شيء .. وتثبت الصورة .. وينتهى الفيلم الذى يحمل اكثر من معنى داخل اطار من الكوميديا السوداء .

وقد فاز هذا الفيلم بجائزة السيناريو ، والذى كتبه المخرج « جيرسى سكوليموفسكى» .. واعتبر هذا الفيلم من اهم معالم سينما ٨٢ .. فى الوقت الذى فرضت فيه السلطات البولندية رقابة صارمة على السينما البولندية .. حتى أن المخرج البولندى الكبير «فايدا» سافر الى فرنسا ، ليخرج فيلمه الجديد هناك !

● فلسطين المحتلة

وبنفس الحماس الذى استقبلت به هذه الأفلام الروائية الطويلة .. جاء الفيلم التسجيلى الطويل «فلسطين المحتلة» الذى انتجته الممثلة البريطانية ، الشهيرة بمواقفها السياسية «فانيسيا رد جريف» .. ليفجر هذا الفيلم الخطير ، قضية الحق الفلسطينى امام القوة الصهيونية الغاشمة وعجرفة حكام اسرائيل .

وقد اثار هذا الفيلم ، ردود فعل قوية .. تشهد له بجراته البالغة فى تصوير الواقع المؤسف الذى يشكل عار البشرية فى القرن العشرين .

وفيلم «فلسطين المحتلة» يتناول خلال ساعة ونصف تحقيقاً وثائقيا من داخل الأرض المحتلة .. حيث يقدم لقاءات مع الفلسطينيين ، وهم يحكون وقائع التعذيب والتشريد والاضطهاد والقتل الجماعى الذى تقوم به السلطات العسكرية فى اسرائيل .. وينتهى الفيلم بمظاهرة فلسطينية ضخمة مع صوت شاب فلسطينى يحدد القضية بقوله : «المستقبل الذى نناضل من اجله .. هو الحياة على اساس الاحترام المتبادل» .

وهذا الفيلم الجريء المدهش .. اخرجه المخرج الامريكى «ديفيد كوف» .. ولولا ايمان الفنانة «فانيسيا رد جريف» بحق الشعب الفلسطينى ، ولولا سمعتها كمناضلة سياسية .. ما كان لهذا الفيلم ان يحقق هذا الانتشار ، وهذه القوة فى التاثير .. والتى احدثت ردود فعل عنيفة لدى انصار الارهاب الاسرائيلى .. الى الدرجة التى اصبحوا يهددون فيها الممثلة «فانيسيا» فى كل مكان تعمل به ، بمخطط شرس لعزلها وتجويعها !!



لقطة من فيلم « غرفة في المدينة » بطولة « دومينيك ساندا » .

● الصحافة .. والسياسة

وفى مجال السينما السياسية ، يعود المخرج الامريكى «سيدنى بولاك» ليقدم فيلم «غياب ماليس» عن الصحافة الامريكية وتاثير السلطة السياسية عليها .. ومحاولة الصحافة كشف فضائح السياسة ، مما يعرض الصحفية الشابة (تلعب الدور سالى فيلد) الى نهاية ماساوية .

وقد شارك فى بطولة الفيلم الممثل الامريكى «بول نيومان» .. واستقبلت عودة المخرج «سيدنى بولاك» بنوع من الترحيب .. وان كان فيلمه لم يحقق اصداء قوية .

وشهد عام ٨٢ .. استمرار نجاح فيلم «حمر» للمخرج الممثل «وارن بيتى» والذى فاز بجائزة اوسكار احسن اخراج واحسن تصوير واحسن ممثل دور ثان .. والفيلم يدور فى خلفية سياسية بين ردود فعل الكتاب والمثقفين الامريكين اثناء نشوب الثورة السوفيتية .. من خلال قصة الصحفى الامريكى «جون ريد» صاحب الكتاب الشهير «عشرة أيام هزت العالم» .

وقد بدا عرض هذا الفيلم داخل امريكا مع نهاية عام ٨١ .. ولكن عندما انتقل الفيلم مع بداية عام ٨٢ الى اوربا وآسيا .. اثار ردود فعل قوية لبراعة العمل الفنى ومدى الامانة التى ناقش بها الاحداث والافكار التى ارتبطت بهذه الفترة .

وخلال عام ٨٢ شهدت خريطة السينما العالمية بعض الظواهر السينمائية التى تستحق التوقف عندها بالتامل من هذه الظواهر فى السينما الامريكية :

● هذا النجاح الجماهيرى الساحق الذى حققه المخرج الامريكى الشاب «ستيفن سبيلبرج» .. ففى عام ٨١ قدم فيلمه «غزاة القوس المفقود» واستمر عرضه لعام ٨٢ محققا ارقاما قياسية فى الايرادات .

وفى عام ٨٢ .. قدم المخرج الشاب فيلمه الجديد E.T. او (مخلوق الفضاء فى مغامرته على الارض) .. وقد عرضت تحليلا كاملا لهذا الفيلم فى «الدوحة» عدد اغسطس ٨٢ .. وفى هذا المقال الذى نشر قبل عرض الفيلم عالميا تنبات بالنجاح الكبير الذى سيحققه وكيف ستستغل المؤسسات التجارية الامريكية نموذج هذا المخلوق الفضائى الذى ظهر فى الفيلم ، ليصبح من اهم الشخصيات الخيالية التى ستطبع صورها على الملصقات والملابس والشارات .. وستصنع منه نماذج مجسمة باحجام مختلفة كدمى للاطفال !

وبالفعل .. تحقق كل ما تنبات به .. ضرب الفيلم الارقام القياسية فى الايرادات داخل امريكا .. وظهرت نماذج مجسمة من مخلوق الفضاء لتملا المحلات التجارية .. وايضا فى رسوم على فانلات وقمصان الاولاد والشبان .. ومازالت اوربا تنتظر عرض هذا الفيلم .. وتستعد له نفسيا من الآن بعد كل الضجة التى اثارها ..

والغريب تماما .. أن المخرج «سبيلبرج» صاحب هذا النجاح نافس نفسه .. وغامر بانتاج فيلم بعنوان «الاشباح» عرض فى نفس الوقت مع فيلم مخلوق الفضاء .. واثار فيلم الاشباح ايضا نجاحا ساحقا ، لشحنة الاثارة والغموض التى تملا احداثه !

وهكذا اصبح هذا المخرج «سبيلبرج» ـ ٣٤ عاما ـ ظاهرة فريدة فى السينما الامريكية .

● بينما المخرج الامريكى الشاب «فرنسيس كوبولا» صاحب فيلم «الاب الروحى» بجزئيه .. واخيرا فيلم «نهاية العالم .. الآن» تعرض لاكبر هزة مالية فى مشاريعه الانتاجية .. بعد تعثر فيلم «واحدة من القلب» الذى انتجه بميزانية وصلت الى ٢٦ مليون دولار .. مما اضطره الى بيع الاستديو الذى انشاه منذ عامين فى «لوس انجلوس» حتى يتمكن من سداد ديونه .. وايضا رهن منزله وممتلكاته الخاصة .. واصبح مهددا بالافلاس .

وفيلم «واحدة من القلب» قصة حب بسيطة فى قالب موسيقى .. تلعب بطولتها الممثلة «ناستسيا كينسكى» وقد تم بناء ديكورات لمقاطع كاملة من احياء مدينة لاس فيجاس ، داخل الاستديو الضخم !! .. وكان يتوقع المخرج «كوبولا» ان يحقق نجاحا تجاريا ضخما بهذا الفيلم .. ولكنه كسب رضاء النقاد .. وخسر اقبال الجماهير

● فى نفس الوقت حقق فيلم «روكى» الجزء الثالث .. لممثله ومخرجه «سيلفستر ستالون» نجاحا كبيرا ، حيث يتابع فى هذا الجزء الثالث رحلة الملاكم روكى فى حلبات الملاكمة ومع زوجته وعائلته .

أيضا حقق فيلم «شحم» الجزء الثانى ، نجاحا ساحقا .. وهو تكملة للفيلم الغنائى الراقص الذى لعب بطولته «ترافولتا» ..



عاشق الأوبرا يسلط موسيقاه على سكان الادغال حتى يهتموا بالموسيقى .. لقطة من فيلم « فيتز جرالـــدو »



نماذج من كائنات الفضاء فى فيلم « مخلوق الفضاء ومغامراته على الارض » .. هذه الكائنات اصبحت حديث امريكا

ولكن هذه المرة قام ببطولة الفيلم وجوه جديدة .

واعتبر هذان الفيلمان (روكى ـ ٣ ـ) و (شحم ـ ٢ ـ) من افلام اعلى الايرادات فى امريكا خلال عام ٨٢.

● فى السينما الالمانية

لمع اسم المخرج الشاب «هيرتزوج» بفيلمه الجديد «فيتزجرالدو» الذى فاز بجائزة الاخراج فى مهرجان كان ٨٢ .

وهذا الفيلم يحكى مغامرة رجل عاشق للموسيقى وللاوبرا ومحاولته المثيرة لبناء أوبرا فى الادغال .. لعب بطولة الفيلم الممثل الالمانى «كلاوس كينسكى» والممثلة الايطالية «كلوديا كاردينالى» مع اعداد هائلة من الكومبارس .

والفيلم عمل فنى متميز يشهد ببراعة المخرج وقدرته على التحكم فى ادواته .

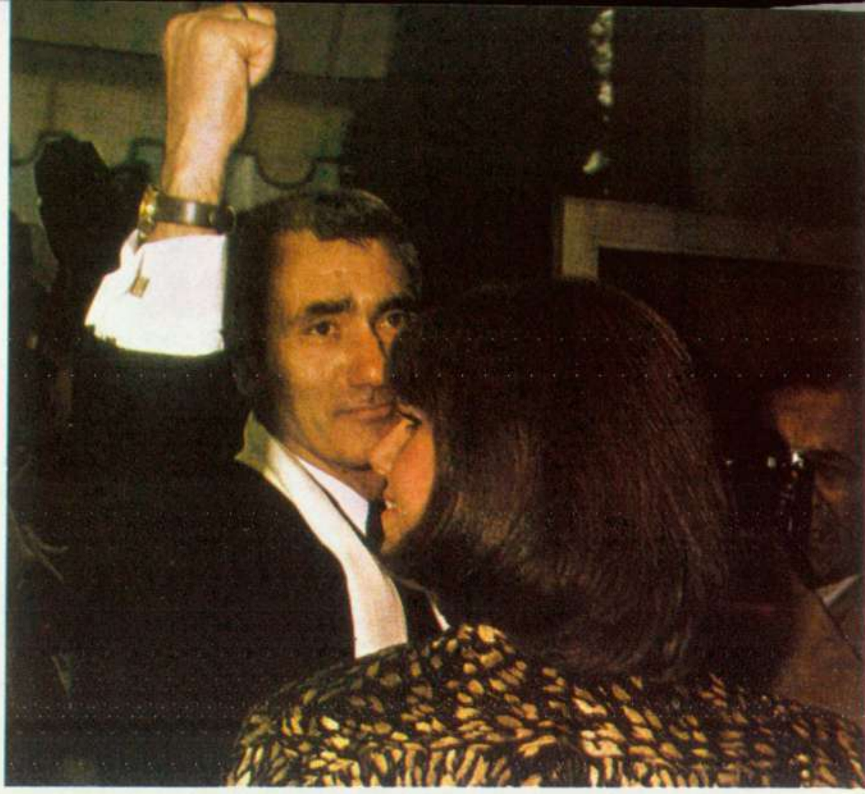
ومن السينما الالمانية ايضا .. تردد عالياً اسم المخرج «فيم فاندر» الذى حصل على الجائزة الكبرى لمهرجان فينيسيا ٨٢ بفيلمه «حالة الاشياء» عن متاعب صناعة السينما .. وظهر ايضا لنفس المخرج فى ذلك العام فيلم «هاميت» انتاج امريكى .. يقدم فيه مزجاً بين كاتب روايات بوليسية ، وشخصيات رواياته .. (راجع مقال الدوحة عدد نوفمبر ٨٢) .

أما السينما الفرنسية فقد شهدت خلال الشهور الأخيرة فى عام ٨٢ .. فيلمين هامين :

الأول «البؤساء» الماخوذ عن رواية فيكتور هوجو الخالدة .. ومن اخراج «روبرت هوسين» بميزانية ضخمة وصلت الى سبعة ملايين دولار .. ويعتبر هذا الرقم أكبر ميزانية لفيلم فرنسى حتى الآن !

ورواية البؤساء .. سبق أن عالجتها السينما العالمية فيما يقرب من ثلاثة وثلاثين مرة من خلال أفلام أمريكية وايطالية وفرنسية ويابانية .. ومصرية ..

ولكن مازالت هذه الرواية لها بريقها الخاص .. دفعت المخرج الفرنسى لأن يعود



المخرج التركي « يلماظ جيوني » يرفع يده بتحية النصر بعد الاستقبال الحافل لفيلمه « الطريق »





هنري فوندا .. ولقطة من اخر افلامه قبل ان يموت .. ثم الممثل « لينو فانتوار » كما ظهر في الفيلم الفرنسي .

لاخراجها بعد ان توقف هو شخصياً عن الاخراج السينمائى حوالى عشر سنوات .

يلعب بطولة الفيلم الجديد «لينو فانتورا» فى دور «جان فالجان» .

أما الفيلم الفرنسى الثانى الذى تعلق به اهتمام النقاد .. فهو فيلم «غرفة فى المدينة» للمخرج «جاك ديمى» الذى يعود للسينما بعد غياب تسع سنوات .. وهو المعروف عنه أسلوبه الشاعرى الرقيق ..

و «غرفة فى المدينة» فيلم غنائى يحكى قصة حب ، تدور فى خلفيتها احداث اضرابات عمال الترسانة البحرية عام ٥٥ .. يلعب بطولة الفيلم «دومنيك ساندا» و «ريتشارد بيرى» .

● الذين رحلوا ..

سجل عام ٨٢ السينمائى .. رحيل عدد من عمالقة التمثيل منهم : الممثل الأمريكى «هنرى فوندا» الذى توفى بعد شهور قليلة من حصوله على أول جائزة أوسكار فى حياته الفنية ـ والممثلة السويدية الاصل «انجريد برجمان» التى ماتت متأثرة بالسرطان .. والممثلة الفرنسية «رومى شنايدر» التى ماتت فجأة ، وكانت من المع وأرق ممثلات فرنسا ، واكثرهن شهرة .. والممثلة الأمريكية السابقة «جريس كيلى» أميرة موناكو والتى راحت ضحية حادث سيارة .. والممثل الفرنسى الشاب «باتريك ديفار» الذى انتحر يأساً ، بالرغم من انه كان من نجوم الصف الأول فى السينما الفرنسية .

ومن المخرجين : رحل المخرج الأمريكى كنج فيدور ـ والالمانى فاسبندر ـ والفرنسى جاك تاتى ـ والايطالى إليو بترى .

● والسينما مستمرة

ولا تتوقف رحلة البحث عن الجديد والمثير .. حتى تستمر صناعة السينما .

واذا كانت سينما ٨٢ .. بشرت بعودة الأفلام السياسية .. واعطت وثائق النجاح لعدد كبير من المخرجين الشبان .

فان المخرجين الكبار اصحاب التجارب الهامة والخبرة الطويلة .. زادت مسئوليتهم فى البحث عن موضوع يتابعون به تاريخهم الفنى .

وقد شهد عام ٨٢ عودة كبار المخرجين للعمل .. فالمخرج السويدى «انجمار برجمان» يعود الى بلده السويد .. بعد غياب لعدة سنوات .. ويصور فى استوكهولم فيلمه الجديد «فانى والكسندر» انتاج مشترك مع فرنسا .. ويعلن برجمان ان هذا الفيلم سيكون آخر افلامه وسيتفرغ بعدها للمسرح .

والمخرج الايطالى الكبير «اندريكو فيللينى» يعود للعمل بفيلم « .. وتبحر السفينة» والذى يصوره بالكامل داخل استوديوهات روما ..

وايضاً يعود المخرج الايطالى «لويجى كومنشينى» للعمل فى فيلم عن الارهاب تلعب بطولته «ماريا شنيدر» .

وبعد خمس سنوات من الغياب .. يعود المخرج الامريكى «آرثر بن» للسينما ويخرج فيلم «أربعة أصدقاء» عن قصة ثلاثة من الرجال وفتاة تربطهم الصداقة فى السنوات من ٥٠ ـ ٨٠ بامريكا .

وعن امريكا ايضا .. يحقق المخرج «سرجيو ليونى» حلمه الذى طالما انتظر الفرصة لتحقيقه وطال الزمن لعشر سنوات .. ثم واتته الفرصة ليبدأ اخراج «كان ياما كان فى امريكا» بطولة «روبرت دى نيرو» .

وبين آلام الأزمة المالية التى يعيشها المخرج الأمريكى «كوبولا» .. يستعد لاخراج فيلم جديد يداوى به جراحه الخاصة .

وهكذا تمضى الحياة .. ونستقبل عاماً جديداً .. نتمنى فيه أن تقترب السينما من حياة الفرد العادى لتقف معه ضد كل ما يواجهه من مشاكل

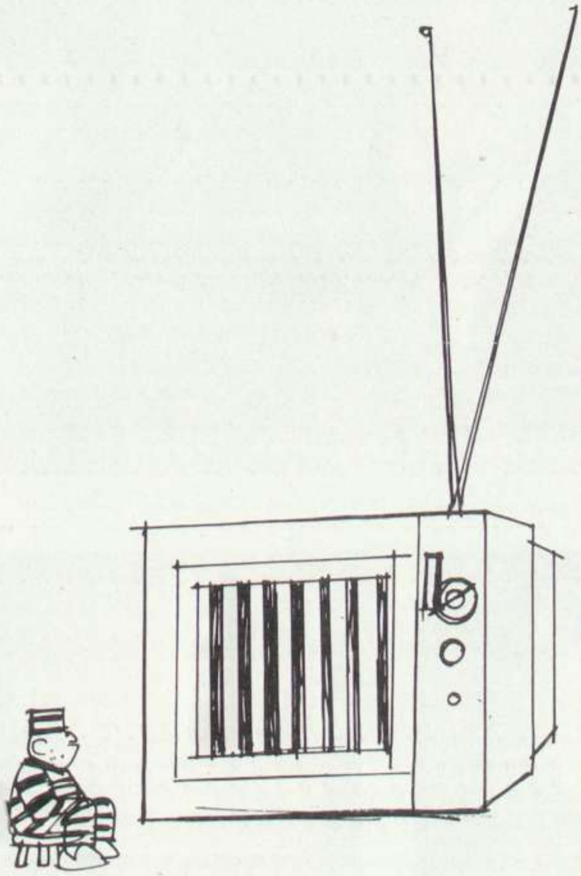
«رءوف توفيق»



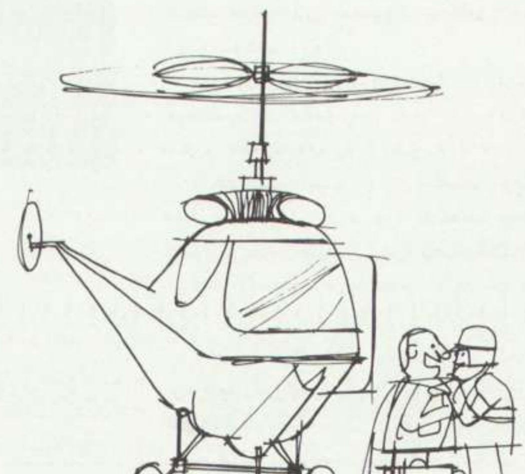
ضحكات الشهر

صلاح الليثي

الأسكيمو وابتسامات أخرى



ـ « في السجن » !



ـ سيب هدومي .. هو انا حطيـر .. ؟؟



ـ .. فاكر زمان لما كانت الجريدة فاضية ومفيهاش حاجة .. ؟!



اسكيمو ـ انقذني من هذا الهـم ..
إني ابرد .. ابرد .. ابرد .. !!



« البرد »
واحد ـ خلينـا نشـوفك .. !!



ـ علاج لمعدتي المريضة .. امر الطبيب أكل ..
مسروق .. !!



بدون كلام .. !!



دوحة القراء

حاول أن تعرف



لعبت هذه المدينة دوراً كبيراً فى الشرق العربي قبل أن تصبح عاصمة للعالم العربي في زمن الأمويين ، غير أن موقعها ساعدها على أن تصبح مركزاً تجارياً هاماً ، وعاصمة كبيرة ،وفيها يوجد مسجد شهير تعرف مئذنته باسم (مئذنة العروس) هل يمكنك معرفة اسم المدينة واسم المسجد ؟

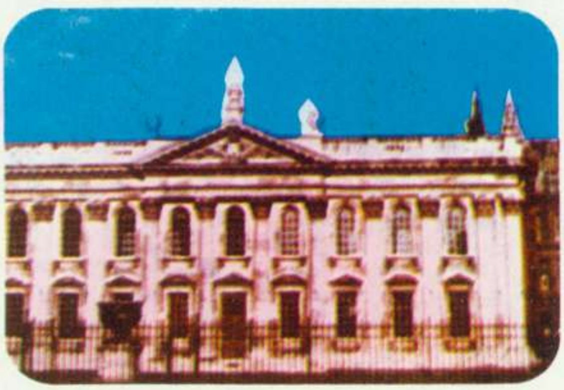


مقطوعاته الموسيقية الكلاسيكية ممتعة ، فهي متداخلة ومرسومة باحكام يكاد يكون حسابياً . ولد بالمانيا وعاش بليبزج . ولم تنشر أعماله إلا بعد وفاته .

من هو هذا الموسيقي ؟ .

مسابقة الدوحة

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٨٣





الصورة الأولى :

جامعة كمبردج بانجلترا .

ـ أسماء الفائزين :

● ماهر اسماعيل ـ الزقازيق مصر .

ـ علي صباح علي ـ الكويت .

الصورة الثانية :

ـ مؤسس علم الكيمياء الحديثة هو أبو بكر الرازى :

ـ مصطفى محمد نديم ـ الشارقة .

ـ عبد الله حسن سلطان ـ دمشق

يرجى من الأصدقاء الـذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجي أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

نابليون لا يصافح الخونة !



في إحدى المعارك تقدم من نابليون بونابرت ضابط نمساوى ، وأعطاه معلومات أعانته على كسب المعركة التى يخوضها ، ولما جاء الضابط النمساوى إلى نابليون رآه ممتطيا جواداً ، ولما دنا منه رمى له بصرة من الذهب على الأرض . فقال له الضابط : ولكنني أريد أن أحظى بشرف مصافحة الامبراطور .. فقال له نابليون : هذا الذهب لأمثالك ، أما يدي فلا تصافح رجلا يخون وطنه ! .

باخوشي محمد
المغرب

نوادر عربية



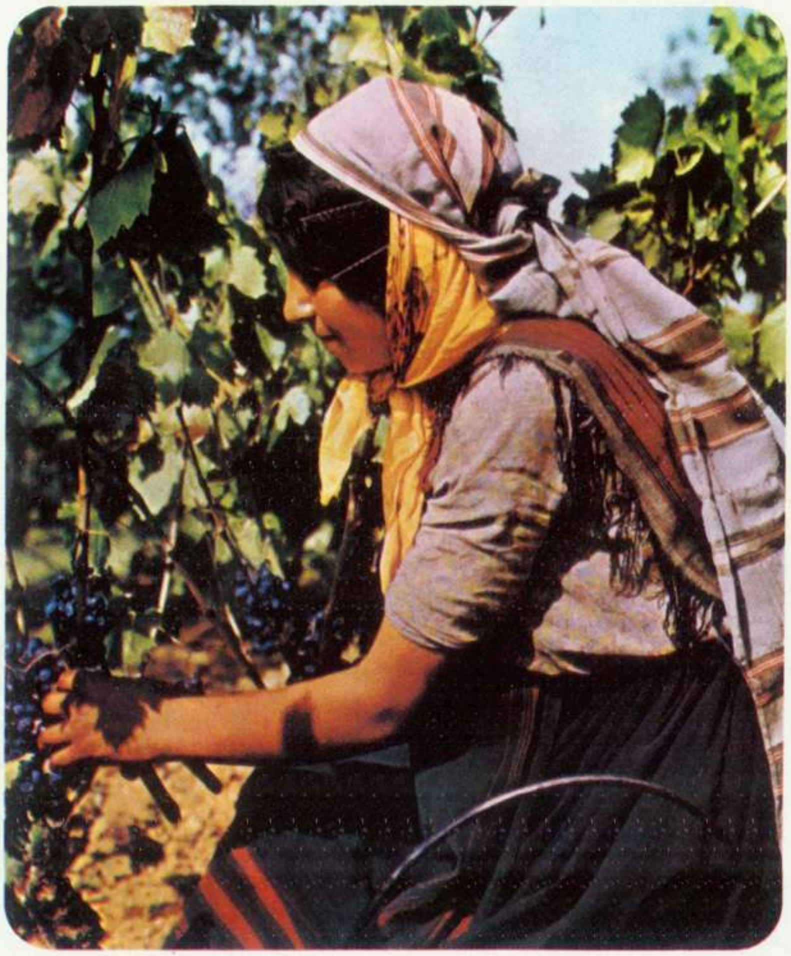
عرف (الأعمش) بخفة ظله وسرعة جوابه ، ومن نوادره أن وحشة وقعت بينه وبين امرأته ، فسأل بعض أصحابه أن يرضيها ويصلح ما بينهما ، فدخل إليها وقال : إن أبا محمد شيخ كبير فلا يزهدنك فيه عمش عينيه ، ودقة ساقيه وضعف ركبتيه ، وجمود كفيه .

فقال الأعمش : قبحك الله ! فقد أريتها من عيوبي مالم تكن تعرفه ! .

وطلبت ابنته منه ذات مرة حاجة لها ، فحجبها بالرد ، فقالت : والله ما أعجب منك .. ولكني أعجب من قوم زوجوك أمي ! .

محمد عبد الحكيم القاهرة

لقطة الشهر



جني العنب في تونس

كلمات لها معنى

- فى كثير من الروايات ينتهي الحب بالزواج . « احمد أمين »
- الحب يقهر كل شيء ما عدا الفقر وألم الأسنان . « ماي وست »
- الانسان يفقد نفسه مع الحب عندما يجيء متأخراً « هنا كاولي »
- الحب كالنار .. لا تتركنا إلا رماداً . « جون كيتس »
- من يناقش الحب طويلا .. يفقده . « جوزيف اديسون »
- أجمل البلاد حيث يقيم الأحباء .. وأخصب بقعة حيث تطأ قدم الحبيبة . « جلال الدين الرومي »
- الحب هو أسرع وأفضل وسيلة تخلصنا من الشعور بالوحدة والقلق .. « جين أوستن »
- ليس هناك ثروة فى الدنيا تعادل ثروة الحب . « ماري كوريللي »

خليفة العامري ــ البحرين

دوحة القراء

مسابقة الدوحة



مَن ؟

قائد عربى ادت الخيانة الى هزيمته (منذ قرن كامل) وبذلك تربع الاحتلال الاوروبى على صدر الوطن العربى واقام الدولة الصهيونية ، ولازال الوطن العربى كله يعانى آثار هزيمة ذلك القائد العظيم . اسمه من كلمتين فى تسعة احرف : —

٩ — ٤ — ١ — ٥ — ٨ يلاطف او يلاعب .

٧ — ٢ — ٣ — ٦ لـون الهيموجلوبين .

أين ؟

الموقعة الفاصلة التى هزم فيها ذلك البطل سنة ١٨٨٢ وكانت فاتحة البلاء على الوطن العربى باسره . اسمها من كلمتين فى عشرة أحرف : —

١ — ٦ — ٢ — ٩ — ٤ نصف اليوم الأرضى .

٨ — ١٠ — ٧ — ٣ — ٥ الناقتان جلستا .

ما ؟

الخبرة المثلى التى ميز الله بها بنى آدم وخصهم بها عن بقية الحيوانات . كلمة من سبعة احرف : —

٣ — ٢ — ٦ — ٧ انثى حيوان اليف .

٥ — ٤ — ١ — ٣ جاءك .

الإجابة الصحيحة

(١) الاتجاه الجغرافى من باب المندب الى البحيرات المرة الكبرى شمال غربى — شمال شرقى — شمالى .

(٢) وقعت معاهدة القسطنطينية الخاصة بتدويل قناة السويس : سنة ١٨٨٨ — ١٨٠٨ — ١٧٠٨

(٣) «إذا احترق الماس ينتج عنه ثانى اوكسيد الكربون» هل هذه العبارة صحيحة علميا ولماذا ؟؟

(٤) ولا تجلس الى اهل الدنايا فان خلائق السفهاء تعدى

من قال هذا البيت ، وفى اى قرن هجرى ؟؟

(٥) وردت كلمة (نعم) فى القرآن الكريم :

اربع مرات — مرة واحدة — لم ترد

(٦) رتب الوان الضوء التالية من الاطول موجة الى الاقصر موجة : الاخضر — الاصفر — البنفسجي — الاحمر .

(٧) مؤلف كتاب (الاعراب عن قواعد الاعراب) فى القرن الثامن الهجرى هو العلامة :

ابن هشام الانصارى — ابن زيدون الأندلسى — ابن إياس المصرى .

(٨) قلعة الزبارة تقع فى الشمال الغربى لشبه جزيرة :

سيناء — قطر — كامشاتكا .

(٩) شجرة الدخان تتبع فصيلة النباتات :

الباذنجانية — البقولية — النجيلية .

(١٠) اقدم القبائل العربية التى سكنت فلسطين قبل ارتحال سيدنا ابراهيم عليه السلام اليها هم :

الكنعانيون — الثموديون — الحويطات .

حل مسابقة العدد ٨٣

من : سانت كاترين .
اين : سيناء .
ما : الحقد .

الاجابة الصحيحة

١ — البوتاسيوم .

٢ — العبارة غير صحيحة علميا لان السليولوز مادة نباتية

٣ — من يهن يسهل الهوان عليه . ما لجرح بميت إيلام قائله : أبو الطيب المتنبى .

٤ — مصر .

٥ — واشنجطون .

٦ — الزواحف .

٧ — بتهوفن .

٨ — ١٨٠٧

٩ — ثقيف .

١٠ — ٤٠,٠٨

أسماء الفائزين في مسابقة

١ — أصل وصورة :

الحل : الاختلافات : البالون — فم الطفل — فستان الطفلة — حذاء الأم — شعر الأم — كم فستان الأم — نهاية فستان الأم .

الفائز : مصطفى يوسف عبد السلام ج.م.ع

الفائزة : لولوة حسن القوتى — البحرين

٢ — لوحة لم تتم الحل : محمد علي كلاى

الفائز : عبد المنعم الشيخ — السودان

الفائز : هاشم زين محمد : مصر

٣ — لعبة الظلال : الحل : رقم (٣)

الفائزة : فاطمة عروة — تونس

الفائز : علي حماد علي — ليبيا

٤ — المثل يقول :

الحل : حكم القوى على الضعيف

الفائز : هشام حنفي محمود مصر.

أسماء الفائزين

● فاز بالجائزة الاولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارئة : فوزية عبد المنعم نجم – جمهورية مصر العربية .

● فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : يوسف احمد حسن ادم – السودان .

● فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشترك لمدة نصف سنة القارىء مرشدى محمد مرشدى – السعودية .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ – يعقوب سليم ابو طالب – قطر
٢ – رجاء سليم عدي – الامارات العربية
٣ – مرح محمد مروان – الكويت
٤ – ماهر يوسف منصور – سوريا
٥ – فتحى عبد الواسع هائل – اليمن الشمالي
٦ – نوال محمود القطامى – الأردن
٧ – رمضان مفتاح البكورى – ليبيا
٨ – مامون احمد شمان – البحرين
٩ – عبد الرزاق الجزار – العراق
١٠ – محمد ابراهيم السمدونى – مصر

استراحة الدوحة العدد ٨٣

الفائز : محسن خفاجى محسب – ج.م.ع

٥ – لاقوياء الملاحظة :

الحل : ظرف خطاب – ورقة شجر – زهرة (وردة) – دبوس (ابرة) – ريشة كتابة – محبرة .

الفائز : فيصل خوجلى – السعودية

الفائز : احمد علي المعودى – ليبيا

٦ – هات اجمل تعليق :

التعليق : يا واد يا تقيل : التعليق : غريبة .. مع انى دمى خفيف .

الفائز : عبد الله الشاعر الدرمكى الامارات

الفائز : محمود حاج ابراهيم – سوريا

٧ – يخلق من الشبه اربعين :

الحل : الصورة رقم (٣)

الفائز : لارك عبد الله محمد – سلطنة عمان

الفائز : سمير احمد الشريف – الاردن

زرقاء اليمامة



(اليمامة) اسم بلد فى الجزيرة العربية . ونسبة (الزرقاء) إليها كانت بحكم اقامة عشيرتها (بني جديس) في حي من أحياء اليمامة .

ذكر الجاحظ أنها كانت من بنات نعمان بن عاد ، وأن اسمها (عنز) ، اشتهرت بحدة البصر ، حتى قيل عنها إنها كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام . وذكر عنها أنها نظرت الى سرب من الحمام ، وهو طائر ، فعرفت عدده بسرعة .

وعرفت فيما بعد أن عدد سرب الحمام كان ٩٩ حمامة .. وعندما قتلت عشيرتها – جديس – طسما ، خرج رجل من عشيرة طسم إلى حسان بن نبع ، فاستعان به على جديس ورغبه في الغنائم ، فجهز إليهم جيشا ، فلما صار على مسيرة ثلاث ليال من أحياء جديس ، أمر قائده أن يحمل كل رجل شجرة ، حتى لا تكتشف الزرقاء وجود هذا الجيش وتنذر قومها بقدومه .. وجاءت الزرقاء الى قومها تنذرهم ، فقالت : يا قوم قد أتتكم الشجر ، أو أتتكم حمير عشيرة حسان ، فلم يصدقوها ، فقالت على طريقة الرجز : أقسم بالله لقد دب الشجر .. أو حمير قد اخذ شيئا يجر ... فلم يصدقوها أيضاً ، فقالت احلف بالله .. لقد أرى رجلا ينهش كتفا ، وساق مواشيهم حتى فاجأهم حسان مع الفجر ، واجتاحهم ، وساق مواشيهم ونساءهم ، ومعهم الزرقاء . فشق عينيها ، فاذا فيها عروق سود من الكحل الأسود ، وكانت أول امرأة من العرب اكتحلت (بالاثمد) الكحل ..

السيد محمد شفيق القاهرة

وفاء الأرملة !

قال الهيثم بن عدي : كان في بني عامر بن صعصعة امرأة توفى زوجها ، ومضى وقت فتساءل الناس عنها ، وكان لها ابنا عم من احسن الشباب ، فقالا لأبيها : ابنتك وحيدة وشابة ، والقول فى مثلها يسهل وينتشر ، ونريد أن تختار أحدنا . فأطرق والدها ، ثم استدعاها واخبرها بما قالا ... فسكتت ، ثم التفتت الى ابني عمها وقالت :

فان تسألاني عن هواي فانه
مضى وانقضى يا أيها الفتيان
وإني لأستحييه ، والموت بيننا
كما كنت أستحييه حين يراني

ثم انصرفت ، فيئسا منها وذهبا وتركاها !

بابكر يوسف
اليمن

استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رووف



أصل وصورة





بين اصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيرى .. هناك سبعة اختلافات طفيفة .. هل تستطيع ان تتعرف عليها .. ؟ (جائزة ٦٠ ريالا) .

لأقوياء الملاحظة فقط!



امامك رسوم لسبعة اشياء متداخلة .. هل تستطيع التعرف عليها ؟ .. إذا عرفت الحل ارسله الينا ولك جائزة (٦٠ ريالا) .

خيال من ؟



هل تستطيع التعرف على صاحب هذا الخيال ؟ مع العلم بانه لرئيس دولة اجنبية سابق . حاول وارسل الحل الينا .. (ولك جائزة ٦٠ ريالا) .

لعبة الظلال



هل تستطيع ان تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقى ؟ .. إذا عرفت .. ارسل الحل (الجائزة ٦٠ ريالا)

هات أجمل تعليق :



حاول أن تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الكاريكاتير لتفوز بجائزة (٦٠ ريالا) على ان تكتب اعلى الظرف . مسابقة اجمل تعليق !

يخلق من الشبه أربعين



الصور الست المنشورة لستة أشخاص يشبهون الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل .. من بين هذه الشخصيات واحدة فقط تشبهه تماما ، وفى البقية اختلافات بسيطة ، إذا استطعت التعرف على شبيه الصحفى الكبير .. ارسله الينا لتحصل على الجائزة(٦٠ ريالا)

المثل يقول



إن هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى عربى .. حاول معرفته وارسله الينا .. ولك جائزة .. (٦٠ ريالا)

أيها الوطن: ماتزال عذباً كالحزن!

بقلم: بشـــرى نــاصـــر

حينما تغادر الوطن .. تعرف كم هو اليف .. وتحس كم هو قريب .. ينام معك .. ويشرب الشاي معك ..

ولكنه حين يصبح جريحا .. لا تعرف كم انت موجع .. ولا تستطيع ان توقف ذلك النزف الذى ينزف من اعماقك ـ تقف تائها وحائراً عن إيجاد أى طقس يوصلك الى تلك البلاد التى خاصمتها الافراح .. وكادت ان توقف نبضها .. تلك الطغمة الباغية التى جاءت لتسيطر على الأرض والغرس ..

تفتح دفترك لتنشد اغنية عن الفرح فتعجز ..

إن الأحباء كلهم .. اولئك الذين تعرفهم ولا تعرفهم باى شكل تاتيهم بمواسم الفرح ؟

تفرد جناحيك بابعد امتدادهما فتعجز .. نبضك مايزال حياً واوجاعك لم تزل بعد لينة ...

استهلكناك كثيراً .. أصبحنـا نمتص دمك فى كل لحظة .. فمتى نتوقف عن معاملتك كصبية مراهقة تصحو على كلمات الغزل الرخيص .. وتنام وتحت وسادتها احلام ساذجة ؟

لقد كبرت ايها الوطن وازددت نضجاً .. لم تعد بحاجة الى الهتافات .. لم تعد تنطلى عليك حكاياتنا المكررة وامسياتنا الشعرية التى نتخيل انفسنا نرفعك بين ايدينا بينما نحن نمتطيك للحصول على ارضاء ذواتنا ..

كم انت طيب وصبور .. تتحمـــل كل هفواتنا وزلاتنا ..

نتناسى دائماً أنك أم وحبيبة .. نغضب منك بقصائدنا العنيدة .. ومرثياتنا التى نسطرها باسمك .. يقطعون أوصالك ونجلس عند قدميك أو راسك نتباكى وننوح كالأرامل ..

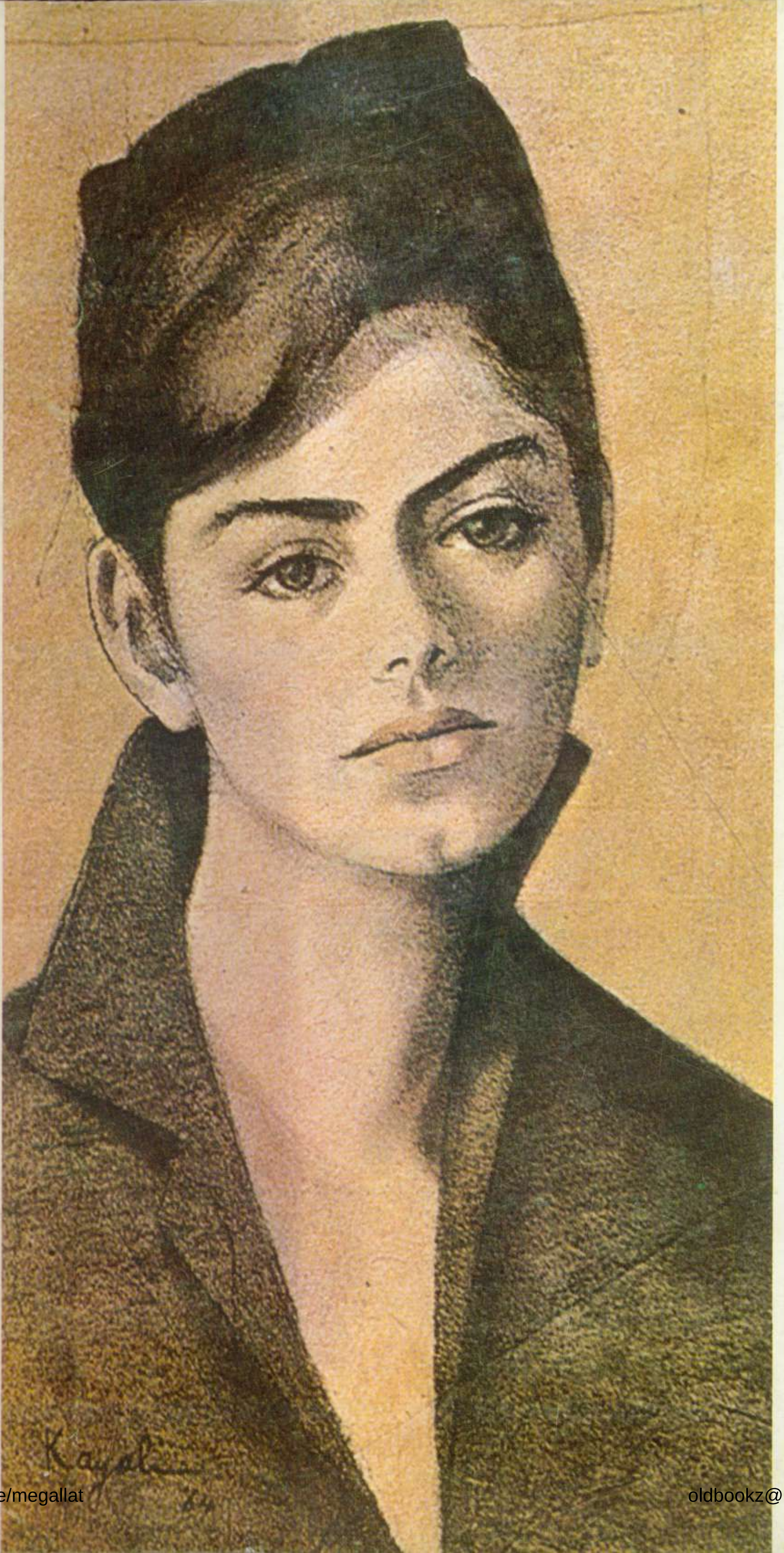
نستذكر خصالك الرائعة وطفولتك اليافعة .

وحين يجن الليل تسقط برؤوسنا ونحلم .. تمتد اجنحتك فينا ونغادر مع الحلم .. نراك نجمة .. ونراك قصيدة .

ايها الوطن الوردة :

ماتزال جميلا كالبحر .. وماتزال عذباً كالحزن .. فمتى نكف يا صديقى عن معانقة الآمال ، والبحث فى أوراق ذاكرتنا عن ابتسامتك الساحرة ، لنغزل من خيوط احلامنا ازهاراً ؟


TEEM



وجـه للفنان السوري: لؤي كيالي

العـــدد ٨٦ - ربيع الثـاني ١٤٠٣هـ - فـبرايـر ١٩٨٣م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

● مصطفى أمين شاهداً على حرب ١٩٤٨

د. السيد فهمي الشناوي



● أراجون: الشاعر الذي هزّ العالم في حياته وموته

د. محمد جابر الأنصاري

● خواطر تسرّ الخاطر

بقلم: زكريا تامر

٤٥٠ طفلاً في قطر يشاركون في معرض لرسوم الأطفال


إجعَل نهارك عيد مَع
بيبسي

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٨٦ - ربيع الثاني ١٤٠٣هـ - فبراير ١٩٨٣م

المراسلات :

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تيلكس : - 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
مدير التحرير : ٤٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٣٢٧٥٣٨
القسم التجاري : ٣٢٧٥٣٩
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

الاشتراكات :

داخل قطر ٦٠ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٦٦ ريالا قطريا
باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها .
في باقي دول العالم ٧٢ ريالا قطريا .
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٢٥ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٣٢ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ١٤٠ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشأنها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر	٥ ريالات
البحرين	٣٠٠ فلس
الامارات العربية	٥ دراهم
عمان	٢٥٠ بيسة
الكويت	٣٠٠ فلس
السعودية	٥ ريالات
الجمهورية اليمنية	٣٠٠ فلس
اليمن الديمقراطية	٣٠٠ فلس
العراق	٣٠٠ فلس
المملكة الاردنية	٢٥٠ فلسا
سوريا	٢٥٠ قرشا
لبنان	٢٥٠ قرشا
مصر	٢٠٠ مليم
ليبيا	٤٠٠ درهم
السودان	٢٥٠ مليما
تونس	٤٠٠ مليم
الجزائر	٤ دنانير
المغرب	٤ دراهم

باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين أمريكيين

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

● السودان :
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب : ٣٥٨ - الخرطوم

● مصر :
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء - القاهرة .

● المغرب :
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ملتقى زنقة ... زنقة ديفان وزنقة سان سانس .
ص . ب : ٦٨٣ - الدار البيضاء

MOROCCO
SOCHEPRESS
P.O. BOX NO. 683
CASABLANCA

● سوريا :
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكه - تجاه كلية فايز منصور
ص . ب : ٤٩٠٢ - دمشق .

● العراق :
الدار الوطنية للنشر والتوزيع للاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة

● تونس :
الشركة التونسية للتوزيع .
٥ شارع قرطاج
ص . ب - ٤٤٠ - تونس

● السعودية :
مؤسسة الجريس للتوزيع والاعلان
ص . ب : ١٤٠٥ - الرياض
مكتبة جدة :
ص . ب : ٩٥٠ - جدة
مكتبة ومطبعة ضياء
المدينة المنورة

● الكويت :
دار الكويت للصحافة .
ص . ب ٢٣٩١٥ صفاة
الكويت

● لبنان :
الشركة العربية للتوزيع .
ص . ب : ٤٢٢٨ - بيروت

● الجزائر :
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر

ALGER
S.N.E.D
20 RUE DU LIBARTE
ALGER

● ليبيا :
المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب : ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازى : ص . ب : ٣٢١ - بنغازى

● الأردن :
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب : ٣٧٥ - عمان

● البحرين :
دار الغد :
١ شارع المعارف - بناية الدرازى
ص . ب : ٥٠٥ - المنامة

● سلطنة عمان :
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر :
ص . ب : ١٠١١ - مطرح
مسقط

● الجمهورية العربية اليمنية :
مؤسسة سبأ العامة للصحافة والأنباء .
ص . ب : ١٤٣٠ - صنعاء
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص . ب : ٧٣٩٧ صنعاء

● جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :
مؤسسة ١٤ اكتوبر للطباعة والنشر .
ص . ب : ٤٢٢٧ - المحافظة الاولى
عدن .

● الامارات العربية المتحدة :
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام - عمارة ثاني بن محمد
ص . ب : ٧٩١ - ابوظبي .

طبع من هذا العدد ١٠٠,٠٠٠ نسخة

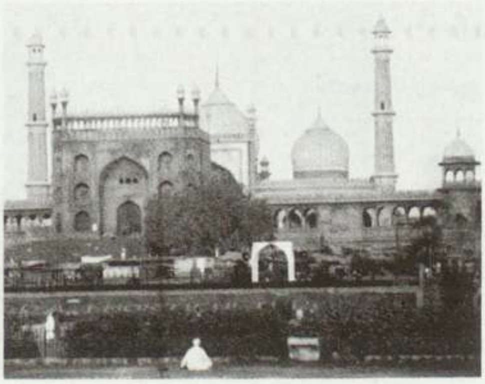
● جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
● الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر عن رأي وزارة الإعلام
● المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

طبعت بمطابع علي بن علي
Ali Bin Ali Printing Press - Doha

في هــــــــــذا العـــــــــدد



المسرح القطرى عمره عشر سنوات ص ٦٢



المجمع العربى العلمى بالهند ص ٣٨



نهاية موسوليني الدكتاتور ص ٤٢

● دراسات ومقالات ●

● خواطر تسر الخاطر ....
زكريا تامر ١٠

● مصطفى امين شاهداً على حرب فلسطين ....
د. السيد فهمي الشناوي ١٢

● بقعة حبر على ورق ابيض ....
عبد الله الجفري ٢٤

● الفـــــلاح ....
محمود السعدني ٢٨

● علي يوسف : عمامة قلقة ومقلقة ....
فتحي رضوان ٣٤

● المجمع العلمي العربي بالهند ....
وجيه الشريجي ٣٨

● قادة القرن العشرين : موسوليني .. نهاية الدكتاتور ....
محمد العزب موسى ٤٢

● بين سر الالـه وبؤس الانسان ....
خالد محمد خالد ٥٢

● دائرة المعارف القرآنية : الفـيء ....
د. محمد البهي ٥٩

● مارب : عاصمة بلقيس والارض الخضراء في اليمن ....
فوزى الخميس ..

● الخلق .. بين الظاهر والباطن ....
د. عبد المحسن صالح ٧٢

● وثيقة تاريخية بالغة الاهمية : مشروع كومنولث ديمقراطي فلسطيني ....
د. عاصم الدسـوقي ٨٥

● يا علماء العرب لا تتحرجوا ولا تتقيدوا بهذه النظريات ....
درويش مصطفى الفار ١٠٠

● ماري انطوانيت : فقدت راسها بسبب عقد ماسي ....
جمال الكناني ١٠٤

● الوادي المختبىء في سقف العالم ....
مجدي نصيف ١٢٠

● مشهورون ولكن المرض يدق على ابواب القلب ....
ليلى الحريري ١٣٦

● شئون الخليج ●

● المدينة الخليجية إلى اين ؟ ....
د. حسن الخياط ٦

● المراة فى الشعر الخليجي الحديث ....
د. ماهر حسن فهمي ١٨

● المسرح القطـري عمره عشر سنوات ....
عبد الرحمن محسن ٦٢

● ٤٥٠ طفلا فى قطر يشاركون فى معرض لرسوم الاطفال ......
نادية رزق ٦٨

● حوار مع الفنان القطري عيسى الغانم ....
حسن الملا ١١٦

● أدب وفنون ●

● انشودة الوفاء .. (قصيدة) ....
شعر : معروف رفيق ٢٣

● غربة ... (قصيدة) ....
شعر : حسن شكري فلفل ٢٧

● فى حضرة الشاعر السوداني المبدع : محمد المهدي المجذوب ...
د. حسن أبشر الطيب ٣١

● حوار مع الشاعر عبد الوهاب البياتي ....
على جعفر العلاق ٤٨

● الحجر ... (قصيدة) ....
على الشرقاوي ٥٥

● قاسم حداد فى قلب الحب ....
حسن طلب ٥٦
● مدينتي طيبة ....
سنان المسلماني ٦٠
● أغنية الرحيـل ....
مبارك بن سيف ال ثاني ٦١
● من دفتر الرؤى الشاردة ... (قصيدة) ....
شعر : م . كجراي ٠٠
● رحل بيكاسو الشعر (لويس أراجون) ....
د. محمد جابر الانصاري ٠٠
● مرثية لقمر الشـوارع ... (قصيدة) ....
شعر : محمد الظاهر ٦٧
● الركض فى مكان مغلق ... (قصة) ....
مصطفى ابو النصر ٧٨
● اخر حوار مع زكي طليمـات ....
مفيد فوزي ٨٠
● الشاعر والطبيعـة ....
د. عبد الوهاب محمد المسيري ٩٢
● فنان اسباني يستمد افكاره من التراث العربي فى الاندلس ....
عبد اللطيف عبد الحليم ٩٦
● تحديق فى ممالك الفرح ... (قصيدة) ....
محيي الدين فارس ٩٩
● السفروت ... (قصة) ....
صلاح عبد السيد ١٠٢
● الشعراء الأوربيون والشعر العربي ....
د. على حسن تقي ١١٠
● نبض العصر في فن جاذبية سري ....
صبحي الشاروني ١٢٦
● النقاد هل ينقذون السينما ؟ ....
رءوف توفيق ١٤٨

● أبـــواب ●

● حتى لا ننسى : مدينة صــفد ....
يوسف الخطيب ٠٠٠
● أراء حــرة : الكتابة مرض العصــر ....
يوسف محمد سلمان ٠٠٠
● لقطات من الكون المثير ١١٢
● من روائع الفن العالمي : مثالية الفن بين الجمال والجلال .....
جمال قطب ١١٤
● اقلام جديدة : البخيـل ... (قصة قصيرة) ....
عبد الله عيسى ١٣٢
● قف هل تعلم ....
عبد العزيز السيد المصري ١٤٠
● أوراق خضراء ١٤١
● العلم هو المستقبل ....
لبنى الريدي ١٤٦
● ضحكات الشهر : عصر الديناصورات ....
صلاح الليثي ١٥٤
● دوحـة القـراء ١٥٦
● استراحة الدوحــة ....
رؤوف ١٦٠

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

مدير التحرير : عبد القادر حميدة
المدير الفني : أحمد فاضل
المحرر العام : كمال سعد

التحرير : النور عثمان أبكر
ليلى الحريري
مريم آل سعد
سنان المسلماني
نادية رزق
ممدوح عبد الرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا
الإشراف الفني : نائلة محمد فتحي
سكرتيرا التحرير الفنيان : أحمد عبد الله
علي دياب
البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي
التصوير : أمين بدوي الحامدي

المدير الإداري والمالي : عبد الله جابر

نـداء صريـح وصـرخـة علمـيـة

المدينة الخليجية

إلى أين؟

بقلم: الدكتور حسن الخياط

يسعد من يطل من الطائرة فى ظلام الليل ليرى تتابع الحواضر الكبيرة وهى تزين جبهة الخليج العربي بجمال أنوارها وتنوع خططها وانماطها المعمارية . انها حصيلة الخير لتنمية انفجارية شاملة اقتصادية واجتماعية وعمرانية لربع قرن فقط من التاريخ ، أو حتى أقصر من ذلك . فقد تزامن نموها مع تعاظم أهمية البترول وتزايد ايراداته، فهى إذن وليدته وليست وليدة أحداث مواضعها المكانية . إذ ما كان لانسان الخليج ليحلم عبر مسيرته التاريخية أن تقوم مثل هذه الحواضر على أنقاض مستوطناته الصغيرة التى كانت منطلقة فى صراعه مع بيئتين جديتين ، بيئة الصحراء وبيئة البحر . فالتحولات التى طرأت فى مستوطنات هذا الانسان ، وعبر فترة قياسية ، هى بحق ثورة كأى ثورة فى التاريخ ثورة حضرية ديموغرافية اقتصادية اجتماعية . إنها أضافت لانسان الخليج أبعاداً جديدة حياتيه وبيئية وحضارية . إنها ثورة نفط ومدن .

ومما يبهر حقاً تلك السرعة التى نمت بها نسب التحضر والمدن الخليجية . وأقصد بنسَب التحضر هنا نسب سكان المدن من إجمالى سكان دول الخليج العربية . فقد تخطت نسب التحضر هذه ٩٠ بالمائة أو أكثر فى كل من دول قطر والكويت والبحرين وحوالى ٨٥ بالمائة فى دولة الامارات العربية المتحدة ، وتقترب من ٧٠ بالمائة فى العراق و ٥٠ بالمائة فى المملكة العربية السعودية وسلطنة عمان . وتؤكد أصدق التوقعات على أن نسب التحضر ستقترب فى نهاية القرن من ٩٥ بالمائة لعدد من أقطار المنطقة و ٩٨ بالمائة لدولة الكويت (جدول ـ ١ ـ) . ان مثل هذا الانفجار الحضرى يكشف عن قفزة كمية فى نسب التحضر تتسق وتتزامن مع قفزات التنمية وتزايد إيرادات البترول ، وبخاصة فى السبعينات ، وان البترول هو فى الأساس ضابط الايقاع فى هذه العملية التحضرية .

جدول ـ ١ ـ

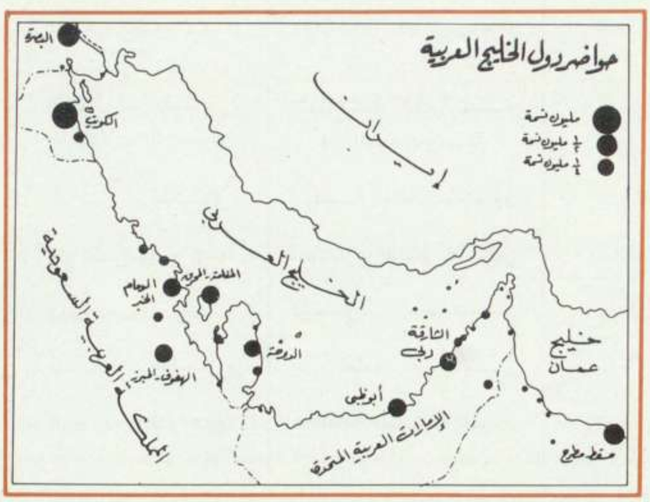
نسب التحضر لبعض دول الخليج العربية

الدولة	١٩٥٠		١٩٦٦		١٩٨٠		٢٠٠٠	
	حجم السكان (بالالف)	٪ التحضر	حجم السكان (بالالف	٪ التحضر	حجم السكان (بالالف	٪ التحضر	حجم السكان (بالالف)	٪ التحضر
قطـــــــر	٢٥	٥٠	٧٠	٦٧	٢٦٠	٩٠	٥٠٠	٩٥
الكـــــويت	٢٠٠	٥١	٥٢٠	٦٥	١,٣٥٦	٩٥	٣,٠٠٠	٩٨
البحـــــــرين	١٠٠	٧١	١٦٠	٧٥	٣٦٠	٩٠	٦٠٠	٩٥
الامارات العربية المتحدة	٨٥	٢٥	١٧٠	٥٠	١,٠٤٣	٨٥	٢,٢٠٠	٩٥
سلطنة عمان	٥٠٠	٥	٥٨٠	١٠	٩٠٠	٤٠	١,٦٠٠	٦٠

نمو الحواضر الخليجية ومصادر سكانها

وإذا كان هذا الانفجار السكانى الحضرى ، بهذا التسارع والزخم فى النمو ، غريباً على المنطقة الخليجية ، فان تركز غالبيته فى بضع مدن عملاقة لهو أغرب حقاً . فمدينة الكويت بضواحيها تشكل حالياً ما يقرب من ٩٠ بالمائة من سكان دولة الكويت ، بعد أن نمت بسنيها الأخيرة بمعدل ١٣ بالمائة سنوياً لتصبح أول مدينة ميتروبوليتانية مليونية على جبهة الخليج العربى ، بعد أن كان سكانها لا يزيدون على ١٠ آلاف نسمة فى بداية القرن . كما نمت الدوحة عاصمة قطر بمعدل سنوى يتجاوز ١٥ بالمائة ليتعدى سكانها حدود ٢٠٠ الف نسمة ، بعد أن كان سكانها لا يزيدون عن ١٢ الف نسمة فى متتصف القرن ، وإن هذه المدينة بضواحيها تشكل أكثر من ٨٠ بالمائة من إجمالى سكان قطر ، وإن أكثر من ٩٠ بالمائة من سكان هذه الدولة يتواجدون فى منطقة حول الدوحة نصف قطرها ٢٥ كيلومتراً .

ولا تختلف هذه الصورة فى دول الخليج العربية الأخرى . ففى البحرين ينتشر ما يقرب من ٨٠ بالمائة من السكان فى دائرة حول المنامة ـ المحرق نصف قطرها ٥ كيلومترات ، وتصبح النسبة اكثر من ٨٥ بالمائة فى منطقة نصف قطرها ٨ كيلومترات وتتكرر هذه الأنماط فى ابو ظبى ودبي حيث نمتا بمعدل سنوى يقرب من ٢٠ بالمائة ليتجاوز سكان كل منهما ربع مليون نسمة ، بعد أن كان تعدادهما فى بداية القرن حوالى ٦ آلاف و ١٠ الاف نسمة على التوالى . وتمثل البصرة ثغر العراق على شط العرب بسكانها نصف المليون ثانى حواضر الخليج العربى بعد أن تضاعف سكانها فى أقل من ١٠ سنوات ، وانها تشكل اكثر من نصف سكان محافظتها (محافظة البصرة) . وهناك مجمعان حضريان يعكسان الثورة الحضرية فى المنطقة الشرقية المطلة على الخليج فى المملكة العربية السعودية وهما مجمع الدمام ـ الخبر ومجمع الهفوف ـ المبرز حيث يقترب سكان كل منهما من ربع مليون نسمة ، بعد أن كان ميناء الدمام قبل ٣٠ سنة فقط مستوطناً صغيراً جداً من مستوطنات الصيد والغوص على اللؤلؤ لا يتجاوز سكانه بضع مئات من الأفراد . هذا وان مجمع مسقط ـ مطرح فى سلطنة عمان هو الآخر يمر بمرحلة من النمو السريع كاد يوصله الى ربع مليون نسمة بعد أن كان ممثلا الى وقت قريب جداً بمستوطنتين صغيرتين تفصلهما مسافة كيلومترات ولا يتعدى سكان كل منهما بضع آلاف هما مسقط ومطرح (الخارطة ـ ١ ـ) .



المدينة الخليجية إلى أين ؟

وهنا نعود لنتساءل : كيف نمت هذه الحواضر لتصل الى ما هى عليه من احجام سكانية ، هى بمقياس المنطقة ، كبيرة جداً؟ من الطبيعي أن التنمية الشاملة التى حظيت بها مرافق الدول الخليجية البترولية هي المسؤولة عن هذا النمو الانفجاري ، الذي هو حصيلة نوعين من الهجرة ، داخلية مواطنة من الريف والبادية ، وخارجية وافدة . فخلال فترة قياسية أصبحت المدن الخليجية الكبرى تضم معظم السكان المواطنين واعداداً غفيرة من الوافدين . فخلال سنوات تدفق هؤلاء الوافدون وبأعداد متزايدة ومن مختلف القوميات والديانات واللغات والمستويات الاقتصادية والاجتماعية . فتغير الشارع الخليجى بسكانه وأصبح غريباً عن حضارته وقوميته . شارع تطغى عليه السن غريبة وسحنات بشرية من جميع الاجناس والأديان . فقد أجمعت التقديرات على ان الوافدين يشكلون أكثر من ٨٠ بالمائة من سكان مدينتى أبو ظبي ودبي وحوالى ⅔ سكان مدينتي الكويت والدوحة ، وأكثر من ٧٠ بالمائة من سكان الدمام – الخبر ويتجاوز نصف سكان المنامة – المحرق ومسقط – مطرح (جدول – ٢ –) . ومما يزيد الصورة تشكيلا وتلويناً ان معظم الوافدين هم من الآسيويين من شبه القارة الهندية (الهند . باكستان . بنجلاديش . سيرالانكا) ومن الشرق الأقصى من كوريا والفليبين وتايلاند وتايوان ، وماليزيا ، وغيرها . انه حقاً شارع غريب عن حضارة أمته العربية الاسلامية وتراثه وتاريخه ولغته المجيدة .

المدينة الخليجية غريبة حضارياً وبيئياً :

يفرحنا حقاً أن نجد مدننا الكبيرة وقد بان عليها التحديث والمعاصرة فى البناء والتنظيم والتخطيط ، وما احتوته من خدمات ومرافق متطورة ومن مستلزمات الحياة الحديثة ذات المصادر العالمية . وقد يسر البعض أن يجد الأسوار والقلاع والأحياء القديمة وقد أطيح بها لتعلو مكانها أحياء جديدة وعمارات شاهقة ذات اشكال هندسية ومعمارية عصرية هى من نتاج خبرات غربية حديثة لا تمت بصلة لماضى المنطقة وتراثها وأصالتها الحضارية. وبقدر ما يفرح الأمر هذا البعض من الناس يغضب البعض الاخر إذ يراه خروجاً على البيئة والمالوف وتبعية حضارية ، فى وقت بدأ الغرب ذاته يغرف مما قدمته الحضارة العربية الاسلامية من خبرات معمارية وتخطيطية ذات انماط وذوق ونكهة أصيلة .

إن التحديث والعصرنة فى مدننا الخليجية قد خلقت تناقضاً بين القديم والجديد ، بين العمارات السكنية الشاهقة والأسواق الحديثة والشوارع العريضة وبين الفيلات والبيوت ذات الأفنية والأسواق التقليدية والطرق والممرات الضيقة الملتوية . إنها جميعاً وجنباً إلى جنب لا تربطها وحدة فى التنظيم وفى الطراز المعماري والوظيفة . فالعمارة تفتقر إلى الوحدة والتناسق ، وان المباني لا تشيد وفق حسابات وتنبؤات دقيقة وعملية فالمدن الخليجية الكبيرة قد ارهقها الاسراف فى التخطيط والعجلة فى

جدول – ٢ –

المدن الخليجية الكبرى ونسب سكانها وجنسياتهم

المدينة	الدولة / المنطقة / المحافظة	السكان			جنسيات سكان المدينة		
		سكان الدولة أو المنطقة	سكان المدينة	سكان ٪ المدينة	مواطنون	وافدون	٪ الوافدون
الكويت بضواحيها	دولة الكويت	١,٣٥٦,٠٠٠	١,٢٠٠,٠٠٠	٨٨,٥	٤٠٠,٠٠٠	٨٠٠,٠٠٠	٦٧
الدوحة بضواحيها	دولة قطر	٢٦٠,٠٠٠	٢١٠,٠٠٠	٨١	٦٣,٠٠٠	١٤٧,٠٠٠	٧٠
الهفوف – المبرز	المنطقة الشرقية فى السعودية	١,١٠٠,٠٠٠	٢٧٥,٠٠٠	٥٠	١٢٥,٠٠٠	١٥٠,٠٠٠	٥٥
الدمام – الخبر			٢٥٠,٠٠٠		٦٥,٠٠٠	١٨٥,٠٠٠	٧٤
المنامة – المحرق	دولة البحرين	٣٦٠,٠٠٠	٢٧٥,٠٠٠	٧٤	١١٠,٠٠٠	١٦٥,٠٠٠	٦٠
ابو ظبي بضواحيها	امارة أبو ظبي	٤٥٠,٠٠٠	٣٣٠,٠٠٠	٧٣	٦٦,٠٠٠	٢٦٤,٠٠٠	٨٠
دبي بضواحيها	امارة دبي	٢٧٨,٠٠٠	٢٦٠,٠٠٠	٩٥	٤٠,٠٠٠	٢٢٠,٠٠٠	٨٥
مسقط – مطرح	سلطنة عمان	٩٥٠,٠٠٠	٣٠٠,٠٠٠	٣٢	١٣٥,٠٠٠	١٦٥,٠٠٠	٥٥
البصرة بضواحيها	محافظة البصرة/العراق	١,٠٠٠,٠٠٠	٦٠٠,٠٠٠	٦٠	٥٠٠,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠	١٧

التصميم ، فجاءت طفيلية على بيئتها وتراثها ، شكلية لا وظيفية فى بناها العمرانية . فقد فات المخطط أن مجرد استيراد المهارات التقنية المتقدمة من الخارج لن يكفي إطلاقاً . فتخطيط المدن هو ، بالاضافة الى ذلك ، مسألة اجتماعية اقتصادية جغرافية سايكولوجية عميقة الجذور فى حضارة الأمة . فالمدينة الخليجية يجب أن لا تكون مجرد حشد من البيوت والأسواق والشوارع الجميلة ، بل يتعين أن تكون وحدة ثقافية اقتصادية محكمة ومندمجة تماماً فى التطور الشامل للأمة . وهذا يعني انه لدى تخطيط مدننا فى هذه المنطقة لا ينبغي ان نتجاهل الجوانب المعمارية والجمالية ، وإنما يقتضي ان تمتزج هذه الجوانب فى تناغم مع المنفعة الوظيفية وكفاءة الهياكل ، محذرين ضد تدمير الشخصية المعمارية للمدينة العربية الاسلامية .

وتثار دائماً وعلى كافة المستويات وفى مختلف المناسبات قضية الموروثات فى المدينة الخليجية . فهناك دعوة صريحة واصيلة وبناءة تطالب بوضع خطط متوازنة للحفاظ على شواهد تراث المنطقة . فشيوع العمارة الأجنبية فى البناء والمواد الانشائية وفنون التخطيط ، والتى هى فى تناقض مع الطرز التقليدية ، قد أدى إلى اختفاء الذوق والجمال المعمارى العربى الاسلامى . فالمدن الخليجية الكبيرة غريبة حقاً عن بيئتها وحضارتها . ويؤكد الدكتور الرميحي على ان اقتلاع الانسان الخليجي من البيئة الحضارية والاجتماعية التى تعود عليها قد قطع جذور العلاقات الاجتماعية الراسخة . ويستمر فيقول : « لو قدر لمكتشف بعد ألف سنة أن يبحث تحت الأنقاض ووجد أحد هذه المدن الخليجية فانه سوف يحتار الى اى بيئة ثقافية يرجعها ؟ » . ان هذا يشير إلى أى حد وصلت غربة المدينة الخليجية .

إننا جميعاً ، وبكل تأكيد ، نطمح ونستبشر بالتحديث والنهضة العصرية ، ولكن بمقدار لا يؤدى إلى قطع الجسور بين الماضي والحاضر ، والى طمس معالم التراث الحضارى فى المنطقة . إننا لا نريد بالتأكيد أن يعيش الانسان الخليجي فى **مدينة غريبة عنه تفتقد الهوية وتعادي البيئة ، فالمواطن في مثل هذه الأنماط المعمارية الحديثة أصبح محاصراً بغابة من الأسمنت المسلح والواجهات الزجاجية وهي كالأفران** الشمسية لا تتلاءم مع مناخ المنطقة ولا تتماشى مع العادات الاجتماعية . فالبيت الخليجى قد تحول الى علبة من المكيفات والمبردات ، وبلغ استهلاك الطاقة حدوداً غير معقولة ، وان اهدارها بهذا الشكل لا مبرر له اطلاقاً .

الحجم الأمثل للمدينة الخليجية :

وهنا يجدر ان نتساءل : هل من الحكمة ان تستمر المدينة الخليجية الكبيرة بالنمو دون حدود ؟ واذا كان الأمر خلاف ذلك ، ما هو الحجم الأمثل الذى ينبغى ان تتوقف عنده ؟ وهذا يقودنا إلى الاستفسار عن أى من السياستين أفضل لدول الخليج العربية : سياسة تركز سكان الدولة فى مدينة رئيسة واحدة ، أو سياسة انتشار سكان تلك الدولة فى مدن ومستوطنات صغيرة تتبعثر فى أرجاء البلاد ؟ إن مثل هذه السياسات قد كثر حولها الجدل على المستوى العالمي ، وتعددت مواقف المسؤولين منها . ويعتبر نقاشها على مستوى السلطات الخليجية أمراً حيوياً للغاية فى الوقت الراهن ، خاصة وان بعض دول المنطقة قد تحول ، بقصد أو دون قصد ، الى ما يسمى بـ « دول ــ مدن » .

لا يخفى بأن للأحجام المدنية الكبيرة مزاياها ، كما لها نواقصها . فهى مجمعات إنتاجية ــ استهلاكية . كما انها ساحات لتزاوج الثقافات والقيم والمعتقدات والأفكار فللمدن الكبيرة دور له مغزاه فى التغير الاقتصادى والاجتماعى . ففيها تتعدد الوظائف والنشاطات وترقى الخدمات . ومع الحجم تصبح المدينة كائناً عضوياً له ثقل وقوة اندفاع . وتشير الدراسات الى ان أعظم المدن نمواً هى أكبرها حجماً . فالحجم يورث الحجم وان جاذبية المدينة تتناسب وحجمها . وهناك ميزة سايكولوجية توجه الفرد وأحياناً السلطة لتجعل من حجم العاصمة عنصراً اساساً للمقارنة والمباهاة والسباق الاقليمي ، فهى كما يروها رمز العزة والسيادة والتقدم .

ولكن مع ما في الأحجام الكبيرة للمدن من مزايا هناك ، بعد حدود معينة ، تتفاقم المشاكل .

وفي المدن الكبيرة تفقد القيم التقليدية قيمتها ، وتتضح علائم أزمة الهوية ، واقتصاديا تزداد كلفة المرافق الأساسية وتضطر الحكومات إلى انفاق مبالغ طائلة على الاسكان والرعاية الصحية والنقل والتعليم . ومن أخطر المخاطر هى الانتقال المفاجيء للسكان الريفيين والبدو الى هذه المدن الكبيرة ، وبذلك فانها قد انتزعتهم من بيئتهم التقليدية والقت بهم فى دوامة المدن الكبيرة وبذلك فقدوا جذورهم وانتشروا دخلاء فى احياء المدينة وعليهم ان يدفعوا ثمناً من مشاعرهم كي يتأقلموا فى المدينة الصاخبة وفى حالات كثيرة يخلق النازحون كيانهم الاجتماعى ــ الثقافى الخاص من خلال تكتلاتهم القبلية أو الاقليمية ، وبذلك يخلقون تشكيلات مكانية متمايزة داخل الوحدة الحضرية التى ينتمون اليها .

وفوق ذلك فان المدينة الخليجية الكبيرة اخذت تعانى من الأمراض المعتادة المستشرية فى المدن كالضجيج ، والتلوث ، واختناق السير ، والازدحام ، وارتفاع الأسعار ، والغلاء ، وأزمة السكن ، وارتفاع الايجارات ، وتزايد المضاربات فى العقارات وما إلى ذلك . **كما انه مع توسع المدينة وامتدادها ترتفع** تكاليف الخدمات كتعبيد الطرق والشوارع والاضاءة والمياه والتعليم والرعاية الصحية والمؤسسات الادارية وغيرها . وقد أثبتت عشرات الدراسات الاحصائية انه كلما زاد حجم المدينة بعد حد معين ، زادت تكاليف هذه الخدمات زيادة أكثر من مطردة .

تجاه ما تقدم تقع على سلطات المدن الخليجية مسؤولية ريادية فى تقويم سياساتها الاستيطانية واتخاذ السياسة المناسبة ، كل وفق ظروفه ومتطلباته الخاصة ، للتخفيف من شدة الأزمة الحضرية ، ومعالجة بعض المشاكل قبل ان تستفحل نتائجها السلبية . ان هذا يقتضي من السلطات أن تتخذ الخيار المناسب ، بعد دراسة شاملة ، وتبدأ فى تطبيقه وإنجاحه مادام طريق التنمية فى أوجه ، الأمر الذى يشجع على تفادى كثير من المشاكل البيئية الحضرية المستشرية التى عانت وتعاني منها مناطق أخرى فى العالم .

د . حسن الخياط
جامعة قطر

خواطر تسرّ الخاطر



بقلم: زكريا تامر

السيرك الأدبي

ثمة نقاد عرب يتصفون بالتقصير في الاطلاع على الأدب العربي المعاصر، ولكنهم ما إن يقرأوا قصة او قصيدة او رواية لا يعوزها بعض التماسك والبريق حتى يطغى عليهم الزهو بامتهم وقدراتها الابداعية، ويكتبون مادحين بغير حساب مهللين صائحين: «هذا هو الابتكار والخلق والتجديد والتطوير والتفرد!»، مع أن كاتب تلك القصة او القصيدة او الرواية ليس بالمجدد او المبتكر، والتقويم الأدبي النزيه الصارم يصنفه تلميذاً مقلداً، له معلموه واسياده الذين مازالوا احياء يرزقون، وينتجون، ومازالت كتبهم تطبع وتنشر وتوزع وتباع فى المكتبات، غير أن كتبهم تلك لا تملك اقداماً، ولذا فهي بالتالي عاجزة عن المشي حتى تصل الى مخادع نوم هؤلاء النقاد الكسالى. ولا ريب فى ان احوال هؤلاء النقاد تشبه احوال رجل عاش معظم سني حياته فى قرية على قمة جبل، ولم يشاهد يوماً لا نهراً ولا بحراً. وعندما رأى يوماً النهر صاح منتشياً معجباً: «البحر البحر!».

فمتى يصبح النهر نهراً والبحر بحراً والمستنقع مستنقعاً، أم أن الساحة الثقافية العربية ستظل سيركاً بلا مروضين؟.

إن الأدب كان مسئولا.. نائماً!

مجهول ذلك المفكر العربى الذي كان أول من روج للفكرة القائلة إن الكلمة سلاح، فهو المسؤول عما أسفرت عنه فكرته تلك من آثار وخيمة فى المسيرة الأدبية، إذ ظن كثير من الأدباء المتحمسين للوطن بسذاجة أن الكلمة هي سلاح فعلا، ولا تختلف أي اختلاف عن البندقية والمسدس والدبابة والقنبلة، فباتوا يعتقدون أن دور الكلمة ليس تحريضاً على تغيير ما هو مسيء إلى الانسان، وليس تعبيراً صادقاً عما في القلب البشري، وأصبح من مهمات الكلمة أن تحرر الأرض المحتلة، وتبني المستشفى، وتفتتح المدرسة، وتزرع الخضروات، وتشيد البيوت لمن لا يملك بيوتاً، فاذا الكتابة المنتجة وفق المواصفات الزاعمة أن الكلمة سلاح عاجزة بائسة مسكينة، لم تخلص وطناً من علله، ولم تمتع قارئاً، فخسر الأدب ولم تربح القضايا الوطنية.

النوم على الشوك

قال أبو حيان التوحيدي: «شاهدنا فى هذه الأيام شيخاً من أهل العلم، ساءت حالته، وضاق رزقه، واشتد نفور الناس عنه، ومقت معارفه له، فلما توالى هذا عليه دخل يوماً منزله ومد حبلا إلى سقف البيت واختنق به.

فلما عرفنا حاله جزعنا، وتوجعنا، وتناقلنا حديثه، فقال بعض الحاضرين: لله دره! لقد عمل عمل الرجال! نِعْمَ ما أتاه واختاره! هذا يدل على عزازة النفس وكبر الهمة. لقد خلص نفسه من شقاء كان طال به، وحال كان ممقوتاً فيه مهجوراً من أجله، مع فاقة شديدة، وإضافة متصلة، ووجه كلما أمه أعرض عنه، وباب كلما قصده اغلق دونه، وصديق إذا سأله اعتل عليه..».



ولو كان أبو حيان التوحيدي مازال حياً، وجال فى البلاد العربية، دارساً أحوال الاصيلين من أهل العلم والأدب والفن، لشهق دهشة، فالحبال رخيصة والسقوف كثيرة، فلماذا الصبر والتكاسل ؟!.

كل كاتب ذو سيف



في قديم الزمان ، قال كاتب شاب لواحد من الحكماء : « اوصني » . قال الحكيم : «اسمع ولا تتكلم » .

فعمل الكاتب الشاب بنصيحة ذلك الحكيم أمداً طويلا ، وسمع كثيراً مما لا يسر ، وشاهد ما هو كفيل باثارة عواصف من غضب ، ولكنه تجاهل ما سمع ورأى ، وعاش كاعمى ابكم اصم ، وكرس كتاباته للتغنى بالبحر والعصافير والمراة ، ولم يكتب حرفاً مناوئاً للسجون والمشانق السائدة ، ثم تبين له انه مخدوع وان ذلك الحكيم لم يكن سوى تابع مخلص من اتباع الحاكم الذي كان الآمر الناهي في ذلك الزمان .

أدباء كالضباع



يقال إن اعرابياً سئل يوماً : « اتريـد أن تصلب فى سبيل مصلحة الأمة ؟ » .

فاجاب الاعرابي قائلا : « لا . ولكني احب أن تصلب الأمة في سبيل مصلحتي»

ومن يطلع على كتابات بعض المثقفين العرب الملتزمين التزاماً سطحياً كاذباً ضحلا ، متقيداً باحدث أزياء الالتزام في العالم ، ويقارنها بسلوكهم الذي لا يبالي باية قيمة ، ولا يحرص إلا على نشدان المغانم الشخصية ، يتضح له أن هؤلاء المثقفين ما هم سوى احفاد ذلك الأعرابي ، ولكنهم لا يصلبون امتهم فقط فى سبيل مصلحتهم بل هم مستعدون لصلب امم الأرض كافة .

وطن للمغنيات فقط..

نشرت مجلة أسبوعية عربية خبراً ساراً ملخصه أن مغنية عربية جميلة شـــابة أصبحت تتقاضى فى الليلة الواحدة لقاء غنائها مبلغاً وقدره مائة الف ليرة لبنانية .

وهذا التقدير المادي والمعنوي للفن والفنانات غير جدير باي شجب أو تنديد أو استنكار ، إذا كان الأدب بوصفه اروع تعبير عن الانسان يحظى بمثل هذا التقديـــر أو ما يشـــابهه .

ولكن دراسة الواقع الأدبي الراهن دراسة أمينة ستخلص إلى أن الكاتب العربي مهما كان جاداً وأصيلا وموهوباً ، فلن يتمكن من أن يظفر بمثل هذا المبلغ إلا إذا طبع فى الأقل عشرين كتاباً أو إذا افتتح ملهى أو تحول الى مهرب للمخدرات ، فأي وطن قاس ظالم فظ ذاك الذي يعطى المغنية فى ليلة واحدة أكثر مما يعطيه للكاتب من مهـده إلى لحده ؟! .

أسئلة وأجوبة

● ماذا يفعل كاتب اعزل حين يواجـه فاسا ؟

– ينضم الكاتب إلى اهل الكهف .

● ما هو احسن وصف للقمر فى رأي النقاد ؟

– إذا كان الناقد جائعاً ، فالقمر لا يشبه إلا الرغيف .



● كيف صارت فلانة الفلانية كاتبة مشهورة ؟

– الاطلاع على صورتها يوصل إلى السبب الأوحد .

● ماذا يكتب الكاتب فى وطن بلا حرية ؟

– أن يذم حسد الانسان للانسان ، وأن يحسد الذباب .

● من هم قراء الشعر الذي يزعم انه حديث ؟

– نزلاء السجون والقبور .

"مصطفى أمين" شاهداً على حرب ١٩٤٨

أسئلة حائرة

ورحلة غامضة وكتاب أمريكي مثير

بقلم : د. السيد فهمي الشناوي

لا يمثل مصطفى أمين « صحفياً إخبارياً » ولا « صحفياً من أهل الرأى » ولكنه يمثل «السياسي الصحفي» الذي يلعب دوراً فى السياسة نفسها عن طريق الصحافة . أو يلعب دوراً سياسياً ولكن تتغلب عليه مهنة الصحافة فتطغى على الجانب السياسى فى شخصيته ، فهو مثل ابراهيم ناجى : نشأ طبيباً ثم تغلب الشعر على الطب فعرفه الناس كشاعر لا كطبيب، أو هو مثل يوسف إدريس يتحسس النزعات النفسية عن طريق مهنته الأولى وهى الطب ، ولكن الناس يعرفونه كفنان وكاتب قصة ، لا كطبيب .

لقد نشأ مصطفى أمين فى دار « سعد زغلول » ـ كما يقول ـ ، وكان سعد يقف فى القمة بين الشخصيات السياسية فى عصره ، منذ اشتراكه فى الثورة العرابية سنة ١٨٨٢ ثم دخوله السجن بعد الثورة ، ثم ما حدث بعد ذلك من تقريب المعتمد البريطانى « كرومر » له ، ثم اختياره وزيراً سنة ١٩٠٦ ، ثم ما تلا ذلك من قيادة سعد لثورة ١٩١٩ ، وفى هذه الثورة ضربت مصر أمام العالم كله مثلا أعلى للمطالبة بتطبيق مبدأ « حق تقرير المصير » الذى نادى به الرئيس الامريكى « وودرو ويلسون » بعد الحرب العالمية الأولى « ١٩١٤ ـ ١٩١٨ » . وفى بيت سعد زغلول وفى أحداث ثورة ١٩١٩ لابد أن يكون مصطفى أمين قد التقى وصافح وتكلم مع كل سياسى فى مصر بل ربما فى الشرق كله .

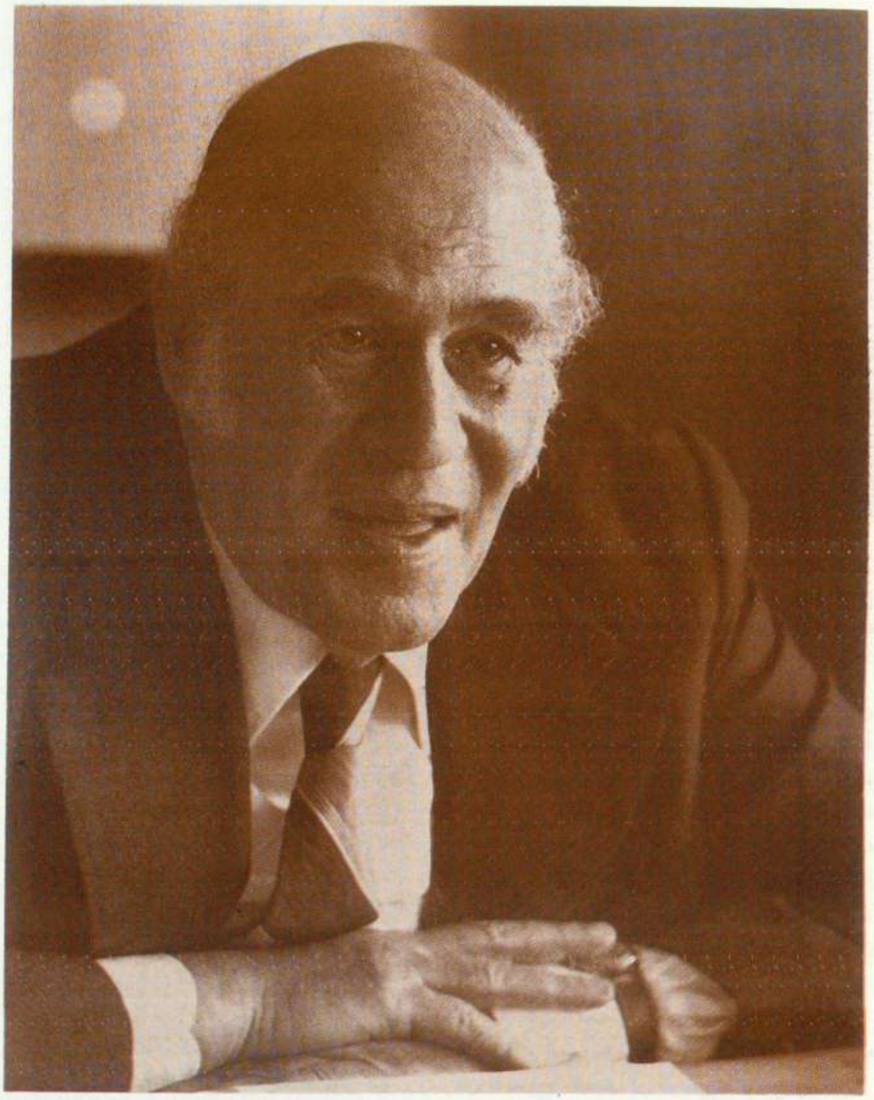
وكما أن الزعيم او القائد لا يبدو زعيماً او قائداً امام خادمه الخاص الذي يراه في ملابس النوم ، فان السياسة ورجالها لم تظهر فى عين مصطفى امين بالتالق الذي تبدو به امام عشاقها ، وكان مصطفى امين قريباً «لأم المصريين : صفية فهمي او صفية زغلول كما عرفت فيما بعد » وهي زوجة سعد ، كما كان مصطفى امين قريباً لسياسي مصري أخر هو محمود فهمي النقراشي .. وتاثر مصطفى امين بصفية زغلول والنقراشي هو نقطة البداية فى انقلابه على مصطفى النحاس الذي طغت شخصيته ـ بعد وفاة سعد ـ على أم المصريين والنقراشي معاً . والناشيء فى بيت سعد يرى أهل البيت أولى بالميراث السياسي من النحاس : ذلك الشاب القادم من الحزب الوطني ومن خارج بيت سعد زغلول .

أدوار كتمانية

لقد لعب مصطفى امين أدواراً سياسية « كتمانية » أشبه بعمليات الكوماندوز فى المجال السياسي ، وحرص دائماً على « كتمان » كل أدواره ، ولم ينكشف امره في اي دور إلا عندما نصب له جمال عبد الناصر ـ برجال صلاح نصر ـ كميناً وهو يلعب احد أدواره مع أمريكا .

لعب مصطفى امين دوراً خطيراً ـ قبل ثورة ١٩٥٢ ـ فى سلسلة مقالات بعنوان «لماذا فسدت العلاقات بين الملك والوفد » ، ولعب دوراً خطيراً بعد قيام الثورة بايام عندما نشر خبراً يقول فيه على لسان فؤاد سراج الدين ـ سكرتير الوفد ـ : « إنه ، اي سراج الدين ، قد وضع الثورة في جيبه » ، وبهذا الخبر ، استطاع مصطفى امين ، ان يقلب ضباط الثورة على الوفد ، وعلى فكرة إعادة البرلمان ودستور ١٩٢٣ بعد أن كان الضباط قد صرحوا برغبتهم في إعادة الدستور والبرلمان .ولعب مصطفى امين دوراً في النزاع الذي ثار بين عبد الناصر ونجيب فى ازمة مارس ١٩٥٤ ، وذلك حين اطلق خبراً عن اتصال تليفونى بين نجيب والنحاس ، كما شن حملة صحفية عن تحويل انثى إلى رجل ، وبهذه الحملة شغل أذهان الناس عن السياسة لبعض الوقت .

انتهت أدوار مصطفى امين السياسية عند حدود القضية التى اصطنعت له عن التخابر مع أمريكا . وكانت أمريكا هي النهاية كما كانت امريكا هي البداية بالنسبة لمصطفى امين ، فقد كانت البداية عندما كتب مصطفى امين كتابه « امريكا



الكاتب الكبير مصطفى امين الذي كسب فى السنوات الأخيرة مكانة راسخة فى قلوب القراء العرب بسبب كتاباته الشجاعة ... مطلوب منه أن يرد على ماجاء فى هذا المقال من اسئلة تاريخية هامـــة .

الضاحكة » فى الأربعينات ، وفي هذا الكتاب كان يبشر بالدور الذي سوف تلعبه أمريكا فى الشرق الأوسط . وقد نال مصطفى أمين لقب « البكوية » بسبب هذا الكتاب .

دور مجهول

ومن بين الأدوار السياسية المجهولة لمصطفى أمين « كقصائد شوقي المجهولة » شهادته عن حرب ١٩٤٨ ، وهي الحرب التى كانت سبباً فى تغييرات سياسية واجتماعية واسعة فى المنطقة العربية ، كما كانت سبباً فى رحيل بريطانيا وفرنسا من المنطقة وظهور النفوذ الصهيوني . وهذا الدور لم يسبق لمصطفى أمين إطلاقاً أن أشار إليه فى سيل كتاباته المنهمر . ولم يسبق لأحد أن تعرض له وقدم تعريفاً به .

وأنا أعتمد فى حديثي عن هذا الدور على كتاب لا مجلة ولا صحيفة . وهذا الكتاب اسمه «شجرة الزيتون في العاصفة تاليف «موريس لازارون» ، وناشر الكتاب هو جمعية «أصدقاء الشرق الأوسط الأمريكان » في نيويورك ، طبعة ١٩٥٥ ، وهذا الكتاب هو ثاني كتاب تصدره هذه الجمعية الخطيرة .

قصة الكتاب والجمعية

أوفدت هذه الجمعية ثلاثة مندوبين : يهودي وبروتستانتي وكاثوليكي إلى الأرض المقدسة «فلسطين» ومصـــر والعراق ولبنان وسوريا ، وتحملت الجمعية نفقات الرحلة ، ولكن دون إعطاء المندوبين الثلاثة أجراً عن هذه المهمة .

البروتستانتي كان قسيساً ، والكاثوليكي كان صحفياً ، والثالث هو اليهودي مؤلف الكتاب ويصف نفسه بانه «ضدّ فكرة قيام دولة يهودية» واسمه « لازارون » .

والغرض من « الجمعية » ومن هذه «البعثة» ومن «الكتاب» هو دراسة «أزمة الخلاف بين العرب واليهود » ومحاولة إيجاد «حل أمريكي» للمشكلة ، فاذا علمنا أن هذه الزيارة تمت فى نوفمبر سنة ١٩٥٣ ، أدركنا أن أمريكا التى اعترفت باسرائيل بعد إعلان قيامها بدقيقة واحدة عام ١٩٤٨ ، إنما ترعى اسرائيل كانها جنين في بطنها تريد له أن يخرج سالماً وقوياً إلى الحياة ، ثم تريد لهذا الجنين أن يصبح «ابناً» لها فى الجانب الآخر من العالم ، وهو الجانب المسمى عند الأمريكيين باسم العالم القديم ، وتريد أمريكا لهذا الابن الذي يتجسد فى اسرائيل أن يتملك ويتحكم فى العالم القديم كما تتملك أمريكا وتتحكم فى العالم الجديد تماماً ، بل إن أمريكا تتمنى لوليدها أكثر مما تتمناه لنفسهـــا .

وصل أعضاء البعثة الثلاثة إلى القاهرة يوم جمعة وتوجهـــوا إلى « الســـفارة الأمريكية » ، وهنـــاك تولى « ضـــابط المعلومات » بالسفارة « المستر روبرت باين» إعطاءهم المعلومات وأسماء الشخصيات الرسمية وغير الرسمية والتى يمكن لهم أن يعرفوا منها ما يهمهم .

يوم فى الأزهر

وكان أول من قابلوه هو « الدكتور محمد مصطفى زيادة » أستاذ التاريخ بجامعة القاهرة . وأخذهم الدكتور « زيادة » فى سيارته إلى الأزهر . وهكذا يدخل الأزهر الأحداث الدولية « في هدوء ودون أن يدري أحد » . وهناك حرص المندوبون الثلاثة على أن يعرفوا ــ بدقة ــ برنامج الدراسة في الأزهر على مدى ١٢ سنة يقضيها الطالب فيه . وقد سجل المندوبون الثلاثة أن عدد طلاب الأزهر هم عشرون ألفاً «سنة ١٩٥٣» ، كما سجلوا بدقة شديدة مدى دائرة نفوذ الأزهر فى التعليم ، وسجلوا أعداد الطلاب من الجنسيات الاسلامية الأخرى «غير المصريـة » . كما درسوا ملابس الطلبة ونوعية طعامهم وأماكن إقامتهم . ولاحظوا أن المصري عندما يدخل

أســــئلة حائــرة

ورحلة غامضة وكتاب أمريكي مثير



على أمين



محمود فهمى النقراشى

الأزهر لابد ان يكون حافظاً للقرآن كله ، بينما يقبل الأزهر الطلاب غير المصريين دون الالتزام بهذا الشرط . وقد صمم المندوبون الثلاثة على ان يعيشوا وسط الطلبة يوماً كاملا قبل ان يقوموا باجراء اي لقاءات . ثم قابلوا بعد ذلك «الدكتور الخضري» رئيس تحرير مجلة «الأزهر» انذاك . وناقشوا معه موضوعا محدداً هو : مدى قوة الفكرة الوطنية فى مواجهة الفكرة الاسلامية بين افراد الشعب المصري . وكان واضحاً انهم يهتمون بتنمية الروح الوطنية « أي الاقليمية المصرية » ولو مشوهة ، على حساب الروح الاسلامية الرابطة للجنسيات المختلفة من المسلمين ، وعلى حساب الروح القومية العربية التى تربط بين سائر العرب .

ثم ناقش المندوبون الثلاثة مع الدكتور الخضرى فكرة لقاء يجمع بين المفكرين المسلمين ومفكرين من اسرائيل ! ، وتعهدوا بان يدبروا هم التكاليف المادية ويحددوا المكان ويتولوا الحملة الاعلامية ، فقال «الخضرى» لهم : إن السياسةتمنع اشياء كثيرة ومنها هذا اللقاء ، لعن الله السياسة ثم اخذهم «الخضرى» بعد ذلك لمقابلة شيخ الأزهر فى ذلك الحين : «الخضر حسين» .

رجل فى الثمانين ، طويـل ، رفيع مثل شجرة «الجازورينا» . فى نظرته ثقة القائد لا خضوع المنقاد . إنه تونسى المولد والاصل . هذا هو «الخضر حسين» شيخ الأزهر . ادار المندوبون فى حديثهم مع شيـخ الأزهر دفة الحديث الى اسرائيل . تغير الرجل وتجمدت تقاطيع وجهه . وتكلم ، وكان الحجرة ليس فيها احد امامه ، وكان وهو يتحدث ، كانما يكلم نفسه او يكلم التاريخ ، او يكلم العالم غير المنظور . تكلم وكانه يخرج الكلام من اعماق اعماقه . قال له «لازارون» اليهودى ، والذى يدعي انه لا يوافق على قيام دولة يهودية (!) : إذن انت من القائلين بان الحل الوحيد هو إفناء اسرائيل . رد الخضر حسين : «نعم . إنه صراع حضارى . إنهم هم الذين قَدِمُوا لإفنائنا . إنهم يكتبون على الكنيست «من مصر الى الفرات : ملكنا» . إنهم يتوسعون بقتلنا ، وحتى إن لم يتوسعوا فهم قد قسموا العالم الاسلامى الى مشرق ومغرب وغرسوا انفسهم فى موضع القلب بين هذا المشرق والمغرب ، فحطموا هذا القلب . من الذى يُفنِى الآخر إذن ؟!» .

لم يحيروا إزاء شيخ الأزهر جواباً . فقاموا وانصرفوا .

كبير الخبراء

ثم قابلت البعثة مصطفى امين وعلي امين . إنهما توامان . وزنهما معاً ٥٠٠ رطل . وهما رجل واحد فى جسمين . وكانا فى ذلك الحين يمثلان اقوى امبراطورية صحفية فى مصر ، واحدهما هو مؤلف «امريكا الضاحكة» ، وقد تم ترجمة هذا الكتاب الى الانجليزية وبيعه فى امريكا ، وحقق نجاحاً كبيراً بين القراء الامريكان ، واحتل الكتاب مكاناً بين اوسع الكتب انتشاراً فى تلك الفترة . ووجدت البعثة الامريكية ان الاخوين مصطفى وعلي قد «عزما» «حسين فهمي» وزير المالية السابق ورئيس مجلس الانتاج فى عهد «محمد نجيب» لحضور هذا اللقاء .

وتحدث «حسين فهمى» واعلن للبعثة وجهة نظره من حيث تخصصه فى الاقتصاد فقال :

إن اسرائيل دولة غير قادرة على الحياة والبقاء ، حتى لو تم حل مشكلة اللاجئين ، وحتى لو اعترف العرب باسرائيل . فلسطين بمواردها الطبيعية المحدودة لا تقدر على استيعاب وإعاشة اكثر من مليون نسمة على مستوى منخفض . زراعتها قاصرة ، فهى تحتاج الى استيراد غذائها من الخارج ، عليها أن تستورد القمح واللبن واللحم والسمك والبترول . كل «نفس» فى اسرائيل مطلوب لها ٣٠٠ دولار سنوياً كمعونة لكى تبقى حية . فالمليون ونصف المليون الموجودون حاليا فى اسرائيل «سنة ١٩٥٣» يلزمهم ٤٥٠ مليون دولار ، بينـما نجد ان كل انتاج فلسطين من البرتقال والزيتون والفوسفات وصناعات الاسمنت والصابون والجلود واللآلىء لا تعطى اكثر من ٢٠٠ مليون ، واسعار كل المواد الغذائية فيها اعلى من ضعف اسعارها فى السوق الدولية ، ولا يمكنها التصدير .

ثم واصل حسين فهمى حديثه فقال :

حتى انتاج مواد مصنعة لن يغير الموقف لانهم لن يستطيعوا منافسة اسعار الساعات السويسرية ، ولا ماكينات الديزل الايطالية ، ولا البلور البلجيكى ، ولا الصناعات اليدوية الهندية ، ولا الكيماويات الألمانية ، ولا الصناعات الثقيلة الانجليزية . وكل طاقتهم التصديرية هى ١٠٠ مليون دولار سنوياً ، يعاد تهريبها من جديد الى الأسواق العربية . فاذا كان المطلوب لتغطية احتياجات هذا المليون



مصطفى النحاس



عبد الرحمن عزام



جلوب باشا

ونصف المليون هو ٢٥٠ مليون دولار سنوياً فان هذا الانتاج الصناعى الذى قيمته ١٠٠ مليون لا يمكن ان يباع فى السوق الدولية القائمة على التنافس بمبلغ ٢٥٠ مليون دولار وهو المبلغ المطلوب لتغطية العجز فى الاقتصاد الاسرائيلى ، حتى لو ركزت اسرائيل كل تصديرها على السوق العربية نفسها . لأن السوق العربية تستورد بمبلغ ٢٥٠ مليون دولار فقط .

ثم إن القروض التى تحصل عليها اقل من حقيقة احتياجها بنسبة ٥٠٪ .

واضاف «حسين فهمى» بعد ذلك قائلا :

إن الحكومة فى اسرائيل غير متجانسة ، ويهود الغرب يحتقرون يهود الشرق ولا يمكن أن يحدث بين الغربيين والشرقيين اندماج قبل جيلين . ومشروع نهر الاردن فى نظر حسين فهمى لن يكفى اسرائيل ولن يغير الأوضاع فيها ، وستظل اسرائيل تدفع ثمن الغذاء الذى تستورده والطاقة التى تشتريها .

هكذا انتهى «حسين فهمى» من عرض آرائه حيث ختمها بقوله :

اسرائيل لا يمكن ان تعيش إلا فى مخيلة السياسيين .

لقد تعمدت ان اطيل فى عرض وجهة نظر «حسين فهمى» التى مضى عليها الآن ثلاثون عاماً ، واثبتت هذه الاعوام الثلاثون خطأ كل كلمة قالها ذلك الرجل . وهكذا كان يفكر خبراؤنا «وحسين فهمى هو احد كبار هؤلاء الخبراء الاقتصاديين» . ليس عند هؤلاء الخبراء إلا ان يقولوا : إن الموارد الطبيعية قليلة ، فحددوا النسل ، اما الانتاج ، وهو الميدان الأول لاختصاص هؤلاء الخبراء ، فقد تركوه لغيرهم ، والعجيب ان نفس الأرقام التى ذكرها حسين فهمى كان يرددها اكبر دعاة الصهيونية فى امريكا مثل «جافيتس» .

لقد كانت وجهة نظر حسين فهمى تختلف عن وجهة نظر الخضر حسين ، حسين فهمى يقول اسرائيل جاءت لتموت هنا . والخضر حسين يقول إنها جاءت لتقتلنا وتطعننا فى القلب .

الأحلام والحقائق

ونواصل متابعة لقاء البعثة الامريكية بالأخوين مصطفى وعلي امين ... لقد انصرف حسين فهمى وبقى افراد البعثة الثلاثة مع مصطفى وعلي ، وتكلم التوامان عن حلم حياتهما وهو قيام الولايات المتحدة العربية ، وفى هذه الولايات سوف تحتفظ كل دولة بقانونها وبرلمانها ولكن جميع الدول العربية سوف يتكون منها «فيدرالية واحدة» ، فتاخذ هذه «الفيدرالية المركزية» من كل قطر ما يفيض عنده ليكمل به ما ينقص القطر الآخر .

ونأتى بعد ذلك الى بيت القصيد من مقالنا فقد سئل مصطفى أمين من جانب البعثة الأمريكية عن المفاوضات الجارية بين بريطانيا وعبد الناصر للجلاء عن منطقة السويس ، فقال : إن كل ما يحتاجه الشعب والحكومة فى مصر هو التاكد من النية الحسنة لبريطانيا وضرب مثلا على ذلك بما حدث عام ١٩٤٨ . فقال : إن مصر عام ١٩٤٨ لم تكن تريد ان تدخل حرب فلسطين لانها لم تكن مستعدة عسكرياً .

واضاف مصطفى أمين بعد ذلك يقول إن بريطانيا وعدت مصر بتقديم السلاح لها فى هذه الحرب «عام ١٩٤٨» ، وانه اعتماداً على هذا الوعد وحده ، دخلت مصر الحرب منضمة الى بقية الدول العربية .

ويواصل مصطفى أمين حديثه فيقول «على حد رواية الكاتب الأمريكى» :

«عندما بدأت حرب ١٩٤٨ طالبت مصر بريطانيا ان تفي بوعدها وتقوم بتسليم السلاح للجيش المصرى ، واشترطت بريطانيا أن تقوم مصر ـ أولا وقبل استلام السلاح ـ بتصفية خلافها مع بريطانيا حول مشكلة السودان . فان انهت مصر هذا الخلاف استلمت السلاح ، وإلا فلا سلاح !»

وكان محمود فهمى النقراشى باشا رئيس الحكومة فى هذا الوقت ، وهو الذى تلقى هذه الضربة الانجليزية وشرب «المقلب التاريخى» ، وهو الذى كتم هذا السر حتى افشاه قريبه الصحفى «مصطفى أمين» على نطاق ضيق جداً فى حديثه مع «لازارون» مؤلف كتاب «عاصفة على شجر الزيتون» .

شرب النقراشى باشا إذن «هذا المقلب» الخطير وكتمه تماماً ، وكتمه ايضاً مصطفى امين حرصاً على صورة النقراشي السياسية . وللأسف فان هذا الكتمان كان على حساب مصر والسودان اولا ثم على حساب جميع البلاد العربية التى اشتركت فى هذه الحرب .

بين جلوب وعزام

وإذا عدنا الى كتب «جلوب باشا» نجد انه قد اماط اللثام عن أن جميع الجيوش

أسئلة حائرة

ورحلة غامضة وكتاب أمريكي مثير

العربية التى دخلت حرب ١٩٤٨ لم تكن مستعدة على الاطلاق فيما عدا «الفرقة العربية» التى كونها هو فى الأردن وتولى قيادتها بنفسه فى هذه الحرب المشئومة التى انتهت بهزيمة مؤلمة للعرب .

يذكر جلوب باشا ان عدد المشتركين فى هذه الحرب من الجانب العربى هو : عشرة آلاف فقط ، بينما كان عدد اليهود ستين الفاً اما عن نوعية الجند ، فقد كان هناك فرق اساسى بين العرب واليهود ، فالجنود كانوا «انفاراً» لم يتم تدريبهم بصورة سليمة ، بينما كان اليهود على الجانب الآخر : ستين الفاً من طبقة الضباط والجنود المتعلمين والذين تدربوا عملياً على القتال اثناء الحرب العالمية الثانية من ١٩٣٩ الى ١٩٤٥ ، وكان لدى الجانب الاسرائيلى فنيون اكفاء استطاعوا ان يقوموا بتصنيع السيارات المصفحة داخل ورش تصليح «بوابير الجاز» وداخل ورش «الماكينات الزراعية اليهودية» .

وقد ذكر «جلوب» انه قابل «عبد الرحمن عزام باشا» امين الجامعة العربية فى ذلك الحين ، وكان هذا اللقاء يوم ١٣ مايو ١٩٤٨ «اى قبل إعلان قيام دولة اسرائيل بيومين اثنين» ، وكان اللقاء فى القدس العربية ، وقال جلوب لعزام باشا إنه يستنكر دخول العرب الحرب وهم غير مستعدين بهذه الصورة . فرد عبد الرحمن عزام : ومن قال لك إننا غير مستعدين ؟ لقد ذهبت الى ليبيا وجندت ستمائة بدوى من صحراء ليبيا ، وانا ابحث لهم الآن فى الأسواق عن مسدسات وقنابل .

وإن صحت هذه الرواية التى يرويها جلوب ، وهى صحيحة على الاغلب فانها تبدو ماساة بغير حدود .

أين الحقيقة ؟

ونعود إلى ماذكره مصطفى امين لمؤلف هذا الكتاب - لازارون - لنقول إن ما رواه مصطفى امين للمؤلف الامريكي هو اخطر بكثير من أن يظل سطوراً قليلة مطمورة فى كتاب مجهول تصدره جبهة مشبوهة تسمى نفسها « أصدقاء الشرق الأوسط » ، ومادام مصطفى امين على قيد الحياة والحمد لله فيجب عليه ان ينفي هذا الكلام الذي أورده الكاتب الأمريكي على لسانه او يؤيده .

فهل حقاً كانت بريطانيا هى التى دفعت مصر وبالتالي العرب إلى حرب ١٩٤٨ ؟ إن هذه حقيقة خطيرة لا يجوز ان يتحمل مسئولية اخفائها احد .

وهل صحيح ان بريطانيا اشترطت الانفصال التام بين مصر والسودان لكي تساند العرب ضد اسرائيل ؟ هذه ايضاً حقيقة تاريخية ، لا يجوز ان يتحمل مسئولية إخفائها احد .

هل كان النقراشي عندما وقف فى مجلس الأمن يهاجم الانجليز باعنف الالفاظ إنما كان يعبر عن تجربة شخصية له معهم عندما وعدوه بالسلاح ودفعوه إلى المشاركة - بغير استعداد - فى حرب ١٩٤٨ ، ام كان ما قاله النقراشي عن الانجليز موقفاً مبدئياً . ؟ .

هل الاحلام التى اخذت صورة أرقام وإحصائيات والتي ذكرها حسين فهمي احد اكبر الخبراء في التخطيط والتعمير والاقتصاد ، كانت مجرد احلام ، ام كانت افكاراً تحذيرية قصد بها ان تتسلل إلى العقل العربي فتقضي عليه بالنوم الطويل والرؤية الخاطئة للخطر الوافد من الغرب ؟

إن مؤلف الكتاب - لازارون - يذكر ان مصطفى امين قد قال أمامه عبارة ظلت تطن فى رأسه بلستمرار ، هذه العبارة هي :

« إن فلسطين سقطت فى يد الصليبيين ٢٠٠ عاماً ثم عادت الى العرب » .

فهل نجعل هذه الحقيقة التاريخية حافزاً إلى الصبر والكفاح أم نجعل منها تعويضاً عن هذا الكفاح ، ظناً منا أن التاريخ يضمن إعادة الحقوق الفلسطينية إلينا ، كما سبق أن أعادها من الصليبيين ؟ .

هل يراد للعرب أن يحلموا ، ويجدوا خلاصهم في هذه الأحلام التحذيرية ؟ ... إن هذا ما يجب أن نحذر منه ونتحاشاه بكل الوسائل والأساليب ، فالتاريخ لا يعيد نفسه دون أن تبذل الشعوب جهوداً حقيقية لتحقيق ما تؤمن به .

حرب غير نظامية

نعود إلى موضوعنا الأساسي وهي شهادة مصطفى امين عن حرب ١٩٤٨ ، ودور بريطانيا فى دفع مصر إليها ، والتخلي عن وعدها بالتسليح فى الوقت المناسب .

إن كافة المراجع التى تتحدث عن هذه الفترة «١٩٤٨» ومنها مذكرات «احمد حسين» ومذكرات «فهمي أبو غدير» وغير ذلك من المراجع المعاصرة لهذه الحرب تؤكد على حقيقة أساسية ، وهي أن تطورات القضية الفلسطينية سنة ١٩٤٨ قد دفعت الحكومات العربية فى البداية إلى أن يستقر رأيها على عدم التدخل السافر فى الحرب ، على أن تقوم الجامعة العربية بالتدخل كهيئة مستقلة تعتمد على الهيئات والجماعات الشعبية ، واتخذت الهيئة العربية العليا « الفلسطينية » مصر مقراً لها . وتم تنظيم الأمر بين الهيئة العربية وبين الشباب الوطني تحت اشراف الحكومة المصرية وبموافقتها ، على أن يتولى الشباب الوطني المصري من مختلف الاتجاهات جمع السلاح ، وذهب الشبان الوطنيون إلى الصحراء الغربية لمعاونة رئيس اركان حرب مصلحة الحدود فى الجيش المصري وتم جمع السلاح من الصحراء بصورة قانونية ، وكانت الهيئة العربية تتريث احياناً فى استلام السلاح لعدم وجود مخازن أو وسائل نقل كافية ، وقد فتح الشبان الوطنيون فى مصر ورشاً لاصلاح السلاح تحت بصر الحكومة وسمعها وبموافقتها الكاملة ، كما تم فتح معسكرات تدريب فى السويس ثم فى النصيرات وفي البريج ، كما اقيم معسكر للتدريب في العريش يتسع لمائتي متدرب ، وكانت هذه المعسكرات تستمد السلاح والأغطية والأطعمة من القاهرة حيث تم جمعها علناً وتطوعاً من الشعب دون أي تدخل حكومي .

ومن المعروف أن المنظمات الشعبية دخلت فلسطين فى مارس ١٩٤٨ اي قبل الحرب بحوالي ثلاثة شهور . وقد احتلت هذه التنظيمات الشعبية معسكر « النصيرات » جنوبي « غزة » ثم « صور باهر » ثم « بيت لحم » ووصلوا الى مشارف القدس واقتحموا مستعمرة « رامات راحيل » ونسفوا مستعمرة « ديروم » واشتركوا فى معارك « العسلوج » وحاصروا مستعمرات اخرى . واستشهد منهم مائة وأسر منهم البعض .

ومن المعروف أن احمد حسين اشترك بنفسه متطوعاً فى معسكر قطنة السوري .

وأن عبد اللطيف البغدادي وكمال الدين حسين اشتركا كمتطوعين قبل دخول الجيوش الرسمية ، بل إن البطل احمد عبد العزيز اشترك كمتطوع قبل ذلك واستشهد هناك .

واضح إذاً انه كانت هناك حرب غير نظامية ضد اليهود فى فلسطين ، وأن هذه الحرب كانت ناجحة فعلا بدليل وصول العناصر الوطنية المصرية إلى مشارف القدس ودخولها بعض المستعمرات اليهودية الهامة. ولم تكن هذه العناصر تعاني من نقص فى السلاح ، لأن السلاح لم يكن يأتيها عن طريق التجار ولا يمر

بالرقابة الحكومية ولكنه كان يجمع من الصحراء الغربية ، بلا ثمن وبعيداً عن رقابة حكومات الغرب ، وكان السلاح الباقى سليماً فى الصحراء الغربية « بعد انتهاء الحرب العالمية بثلاث سنوات » أكثر بكثير من السلاح الذى تم استخدامه فى هذه الحرب ، لأن كل جيش من الجيوش المتحاربة كان يترك وراءه عند المباغتة والانسحاب أكثر من ٨٠٪ من سلاحه سليماً .

التحول في حرب ٤٨

وواضح أيضاً أن بريطانيا كانت تعلم ماذكره جلوب باشا فى مذكراته – وقد سبقت الاشارة إليه فى هذا المقال – من أن العرب لا يستطيعون أن يجمعوا ضمن جيوشهم النظامية أكثر من عشرة آلاف جندى غير مدرب ، يحملون سلاحاً من القرن التاسع عشر ، كل قطعة منه تمر أمام عين بريطانيا ، وثمن هذا السلاح مدفوع للخزانة البريطانية . فى مقابل ذلك هناك ستون ألفاً من الجنود والضباط اليهود المدربين تدريباً عالياً والمسلحين تسليحاً حديثاً جيداً .

وكانت بريطانيا بعبقريتها السياسية المعهودة فيها تعلم تماماً انه يجب عليها أن تطفىء باستمرار وأولا بأول أى مقاومات وطنية شعبية نشطة خصوصاً على جانبى قناة السويس ، وقد احرقت بريطانيا القاهرة عام ١٩٥٢ فى سبيل تحقيق هذا المبدأ السياسى .

وهذا ما كانت تسعى إليه بريطانيا فى حرب فلسطين فكانت تعمل بوضوح على تحويل الحرب الوطنية غير النظامية التى تسلح نفسها بنفسها بعيداً عن الرقابة الانجليزية ، والتى تقوم على الفداء والاستشهاد والمد الوطنى غير المحدود .. كانت بريطانيا تعمل على تحويل هذه الحرب إلى حرب نظامية « مهلهلة » يمكن السيطرة عليها تسليحاً وتنظيماً وحركة . وكانت هذه الخطة البريطانية من الوضوح بحيث لا تخفى على السياسيين المصريين . فقد ثبت من تقارير « السير مايلز لامبسون » انه منذ عام ١٩٣٤ كان النحاس باشا يحذر من أى وجود يهودى فى فلسطين ، لأن هذا الوجود سوف يهدد مصر ذاتها فى عقر دارها ، وكان النحاس يطالب بعدم سحب القوات البريطانية فى فلسطين قبل أن تقوم هيئة دولية كعصبة الأمم بتقديم ضمانات فعالة وعملية للوجود العربى فى وجه الزحف اليهودى .

وها هو احمد حسين والشبان الوطنيون والضباط الأحرار يتطوعون جميعاً فيما بعد ليشتركوا عملياً فى الحرب غير النظامية على أرض فلسطين ... وكانت هذه الحرب غير النظامية هى وحدها المناسبة للموقف على أرض فلسطين سنة ١٩٤٨ ، وهى التى كان يمكن أن تأتى بثمرات حية ونتائج ايجابية .

بل ها هو اسماعيل صدقى – وهو من أقرب السياسيين المصريين إلى بريطانيا وقد أقام حياته السياسية كلها على التفاهم مع الانجليز – يحذر من دخول الجيوش النظامية الحرب الفلسطينية ، وما كان ليكتب هذا الرأي الذي أعلنه فى مقال نشرته أخبار اليوم آنذاك ، لولا أنه كان يدرك الكارثة القادمة ، نتيجة لاشتراك هذه الجيوش النظامية غير المستعدة ، فى حرب فلسطين .

نخلص من هذا كله إلى أنه كان من المستحيل على حكومة النقراشى ألا تكون على معرفة وتقدير لخطورة إعلان دخول الجيوش النظامية بديلا عن الحرب الوطنية غير النظامية التى تقوم على التطوع . وقد عقد البرلمان المصرى جلستين سريتين لمناقشة موضوع دخول الجيش المصرى النظامى حرب ١٩٤٨ ، ويقرر فكرى أباظة أن محاضر هاتين الجلستين قد تعرضتا للاختفاء التام .

ضد النفوذ اليهودي

فى ذلك الوقت كانت الجالية اليهودية فى مصر تنشط لمساعدة اليهود فى فلسطين وقد قامت هذه الجالية بجمع تبرعات من بين أفرادها بلغت أكثر من خمسة ملايين من الجنيهات « وهو مبلغ كبير جداً فى ذلك الحين » ، وقد قام بجمعها بصورة علنية حاخام اليهود فى مصر « حاييم ناحوم افندى » وهو شخصية رهيبة لها دور هدام فى تاريخ العرب والاسلام فى العصر الحديث ونرجو أن نعود للحديث بالتفصيل عنه فى مقال قادم .

وكان اليهود المصريون قد انشأوا جمعية اسمها جمعية « محاربة الصهيونية » مقرها عمارة الجندول بشارع فؤاد « ٢٦ يوليو حالياً » ، ولم تكن هذه الجمعية سوى « مصيدة » يستقطبون فيها جميع أعدائهم حتى يتعرفوا على فكر هؤلاء الأعداء ، وحتى يدركوا حقيقة امكانيات خصومهم .

وكان اليهود قد تغلغلوا فى حاشية « فاروق » بصورة فعالة ، فكانت كبيرة الوصيفات يهودية هى « مدام قطاوى باشا » وكانت « كاميليا » الممثلة التى احترقت بها الطائرة يهودية ، وكانت صديقة مقربة لفاروق ، وكان من المؤثرين فى مواقف فاروق وقراراته يهودى آخر هو « مزراحى باشا » .

كذلك كان مستشارو « عبود باشا » أكبر أثرياء مصر فى ذلك العهد من اليهود ، وكانت « لجنة الصناعات » مليئة باليهود ، وكان سماسرة البورصة من اليهود فى معظمهم ، وكانت المحلات الكبرى فى وسط القاهرة ملكاً لليهود .

وكان الشعور الشعبى ضد هذا الوجود اليهودى فى مصر يتزايد بعنف وقوة ، وكان هذا الشعور الشعبى كفيلا بأن ينتج حركة وطنية قادرة على أن تنال من اليهود فى فلسطين لا فى مصر فقط .

ومن مظاهر السخط الشعبى ضد اليهود فى تلك الفترة ما حدث من انفجارات فى المؤسسات اليهودية فى مصر ، ففى ٢٠ يونيو ١٩٤٨ وقع انفجاران فى حارة اليهود بالقاهرة . وفى ٢٠ يوليو وقع انفجار فى الممر القائم بين محل «شيكوريل» ومحل « أوركو » . وفى ٢٨ يوليو انفجر محل « داود عدس » بعماد الدين ، وفى أول أغسطس انفجر محل « بنزايون » بقصر النيل ، وفى نفس اليوم انفجر محل « جاتينيو » بشارع محمد فريد . وفى ٣ أغسطس انفجر مقر شركة أراضى الدلتا بالمعادى ، وفى ٢٢ سبتمبر انفجرت حارة اليهود للمرة الثانية وفى ٢٩ سبتمبر انفجر محل شيكوريل بالزيتون . وكان أقوى انفجار هو انفجار شركة الاعلانات الشرقية بشارع عماد الدين يوم ٢٢ نوفمبر .

وقد صاحب هذه الحركة الوطنية العنيفة ضد المصالح اليهودية فى مصر ، حركة مشابهة ضد الاحتلال الانجليزى سقط فيها العديد من الشهداء فى القاهرة والاسكندرية وعواصم الأقاليم .

وهكذا كان هناك مد وطنى قوى مستعد لمواجهة اليهود على أرض فلسطين واليهود والانجليز معاً فى مصر .

وفجأة يتم تحويل كل هذا المد الوطنى العنيف إلى موقف حكومى ينتهى بجر ذيال الهزيمة أمام اليهود فى فلسطين .

هذا التحول الخطير من العمل الشعبى الوطنى إلى العمل الرسمى القاصر رسمته بريطانيا وهى تعلم أبعاده ونتائجه .

فبريطانيا هى التى أوحت لحكومة النقراشى باشا بدخول حرب فلسطين عن طريق الجيش النظامى ، ووعدته بتسليح هذا الجيش ، ثم لم تحقق شيئاً من وعدها وكان هدفها من ذلك هو تصفية المد الشعبى الخطير الذى كان قادراً على المواجهة فوق أرض فلسطين .

وهذه هى الشهادة المطلوب من مصطفى أمين أن يعلنها خدمة للحقيقة والتاريخ .

السيد فهمي الشناوى

المرأة في الشعر الخليجي الحديث

بقلم : الدكتور ماهر حسن فهمي

للأمم أعمار كما يقول ابن خلدون فى مقدمته ، ويبدو أن التاريخ يعيد نفسه بمعنى من المعاني . كانت المرحلة الجاهلية تمثل مرحلة طفولة أو هى بين الطفولة والصبا فى حياة الأمة العربية ، وهى مرحلة معروفة فى حياة الانسان والحيوان على السواء ، بما تظهر فيها من غريزة المقاتلة من اجل النمو . فالطابع الغالب على الانسان العربى فى العصر الجاهلى هو طـــابع الفروسية ، ولكى يعيش كان لابد أن يكون قوياً . « قوم اذا الشر أبدى ناجزيه لهم ، طاروا اليه زرافات ووحدانا » . ونظرته إلى القيم نظرة فروسية كالشجاعة والكرم ، ويتفرع عن هذا أمور كثيرة مثـــل نظرته الجمالية إلى المرأة الضخمة باعتبارها مثلا أعلى ، لأنها لا تعمل فهى مخدومة ، وزوجها قوى . فاذا قال طرفة : « ببهكنة تحت الطراف المعمد » قال الأعشى : « تمشى الهوينا كما يمشى الوجى الوحل » أو قال : « كأن اخمصها بالشوك منتعل » . كانت نظرته إليها نظرة الفارس باعتبارها رمزاً للحياة ، وامتلاكها امتلاك للحياة ، وانتصار على الموت والفناء ، ولذلك كانت الاطلال رمزاً للفناء ، ولذلك أيضاً كان الفارس فى غمار الموت يذكر الحياة ، كأن النقيض يستدعى نقيضه . يقول عنترة فى معلقته :

ولقد ذكرتُك والرماحُ نواهـــلٌ
مِنىِّ وبيضُ الهِنْـــدِ تقطرُ من دَمِى

وسط هذا الموقف يصبح من الطبيعى أن نفهم قول امرىء القيس فى معلقته :

تجاوزتُ أحراساً اليها ومعشرا
علىَّ حراصـــــــاً لا يُسِرّون مقتلى

(أى لو يقدرون سراً) .

فهى معركة فارس وفرسان ، معركة حياة أو موت ينتصر فيمتلك أو ينهزم فلا يحق له شىء مما يمتلك . ويصبح من الطبيعى أن نفهم قول شاعرهم معبراً عن صلابته ، مصوراً عواطفه فى هذه الصورة النبيلة :

فما وجه ملواح من الهيم حلئت
عن المـــاء حتى جوفها يتصلصل
تحـــوم وتغشاها العصى وحولهـا
اقاطيع أنعـــام تعل وتنهـــل
بأكثر منى غلة وتعطشـــــا
الى الورد إلا أننى أتجمـــل

وكانت المرحلة التالية مرحلة تطور تاريخى ، فلم يعد البدوى فى الجزيرة بحاجة الى قتال أخيه كما كان يقـــول : « وأحياناً على بكر أخينا ، اذا مالم نجد إلا أخانا » . لقد اندفع القتال الى الخارج ، الى الفتوحات الاسلامية ، وهكذا نرى الانسان ، فى مرحلة من مراحل الحضارات ، يتجه الى داخله ، ربما لأنه أمن مفاجآت الخارج ـ وقد يكون هرباً مما فى الخارج كما نجد عنـــد الرومانسيين ـ فالذين بقوا تراجعت لديهم ـ بصورة عامة ـ غريزة المقاتلة أو روح الفروسية وقد تكونت فى العصر الأموى طائفة تحترف الجندية . وهذه المرحلة تشبه من بعض النواحى مرحلة المراهقة فى حياة الانسان ، ولذلك فهى قد تتسم بأحلام اليقظة وتغليب العواطف ، خاصة عند الشعراء . لم يعد الرجل يتقدم كما كان يتقدم الفارس المغامر ، وأصبحت هناك مسافة بينه وبين المرأة ، ومن ثم تحولت المرأة الى شىء مقدس ، كأنها أصبحت رمزاً للأمل ، أمل الشباب الذى يريد ولا يقدر على الصراع ولا على الظفر . ألم تفشل حركة ابن الزبير فى الجزيرة ؟ هكذا تصبح المرأة والأمل وجهين لعملة واحدة بعيدة المنال ، ومن هنا نجد مثل هذه الأبيات لجميـــل بثينة :

يقولون جاهـــد يا جميل بغزوة
واى جهـــــاد غيرهن أريد
لكل حديث بينهن بشاشـــــة
وكل قتيـــل بينهن شـــهيد

وقول قيس بن الملوح : « ترانى اذا صليت يممت نحوها ... » وهو ضرب من وحدة الشهود ، بمعنى أن قدرة الخالق تتجلى فى خلقه .

البادية غير الحاضرة .

كان من المفروض فى حكم التطور الحضارى أن تاتى المرحلة التالية ، وهى خروج المراة بحكم حريتها الجديدة وبحكم نظرية الدفع والجذب او السالب والموجب ، ولكن البادية غير الحاضرة ـ سوف تبقى فى البادية قوة هائلة من التقاليد والقيم تمسك الطفرات ـ فالحاضرة اجتازت هذه المرحلة الطبيعية التى مرت بها البادية ، ووصلت الى المرحلة الحضارية التالية فيما يشبه الطفرة .

وهكذا ينتقل الصراع الحضارى نقلة اخرى ، تخرج فيها المراة وتتقدم بعد ان وقفت فترة مكانها ، ولذلك تفقد تلك المكانة السامية . وكان عمر بن ابى ربيعة والعرجى ووضاح اليمن وغيرهم من سكان المدن أسرع تاثرا بذلك الموقف الجديد . يقول شوقى ضيف :

« وفرق بين أن يكون المجتمع حراً وان يكون ماجناً ، فالذى لا ريب فيه ان المراة نالت حرية واسعة فى هذا العصر لم تكن جدتها أو امها تنالها ، وان طبيعة الحياة نفسها وما كان فيها من مزاحمة الجوارى الاجنبيات جعلها تخرج من حجابها القديم » (١) . وشعرهم يعكس ترف المراة فى هذا العصر ، كما يعكس فى كثير من الأحيان ، قول المراة فيهم أكثر من قولهم فى المراة . وكانت فى شعرهم واضحة تماماً من حيث ملبسها وزينتها وأسلوب حديثها ، بل من حيث ملامحها ايضاً ، وابرز ما فيها عيونها العربية : « الىَّ بمقلتىْ ريم ، ترى فى طرفه حوَراً » كما يقول عمر ، ولكنه يعود فيذكر العيون الأجنبية : « سحرتْني الزرقاءُ من مارونِ ، إنما السحرُ عند زُرْقِ العيونِ » .

وربما ازداد الموقف حرجاً فى العصر العباسى الأول على يد بشار وأبى نواس وحماد عجرد وغيرهم لأن انتقال دار الحكم الى بغداد نمى هذه الاتجاهات ، وجعل الحياة اكثر خضوعاً للتاثير الفارسى والترف الذى وصل أحياناً إلى حد التطرف ، حتى عرف هذا الانتقال بالانقلاب الشرقى .

ولكن « نظرية تلاقى المدينتين » أعنى التوتر والتوازن ـ وان كان هذا التوازن قضية نسبية ـ لابد أن ينتهى بموقف فيه عودة إلى شىء من الاستقرار او التاقلم بعد التطرف والمفاجاة ، وهذا ما نلحظه فى شعر القرن الثالث وما بعده ، فنظرة الرجل الى المراة نظرة صحيحة ـ بصورة عامة ـ فيها الحب والأعجاب ـ والتقدير الكبير . يقول البحترى فى « علوة » :

كم ليلةٍ فيكِ بِتُّ أَسْهَرُهَا
ولوعةٍ فى هواكِ أُضْمِرُهَا
يا علو عَلَّ الزّمانِ يعقبنا
أيامَ وصلٍ نَظَلُّ نَشْكُرُهَا

كان لابد من هذه المقدمة ، لأن دورة الحضارة العربية الاسلامية تنتهى لتعود الصحوة من جديد فى القرن الماضى . وربما كانت اليقظة على يد الحملة الفرنسية كما يرى أكثر الباحثين . والذى يقرا الشعر لوائل القرن الماضى يجده مليئاً بالزخارف كالطفل الذى يعلق العديد من التمائم . يقول الطباطبائي متغزلا :

فلا خبرٌ بالجَزْمِ يرفع عنهُمُ
وحالِىَ فى خفضٍ من الشّوقِ ناصبِ
طويل اغترابٍ وافر الشوقِ كامل
الغرام وحبّى ليس بالمتقاربِ

ثم تاتى بداية الصبا على يد البارودى وجماعته ، وهى مرحلة صراع محلى ـ وربما فى الخارج أيضاً ـ من اجل النمو ، فيها فروسية حقيقية او استلهام لها من التراث الذى بدا طبعه فى تلك المرحلة . والمراة فى تلك الفترة هى ذلك الكنز المحْمِىّ ، والذى يجاهد الشاعر الفارس للوصول اليه . ويتكرر نفس الموقف مرة ومرات . يقول البارودى :

وفى الحى ظبْىٌ إنْ ترنّمْت باسْمِه
تنمّرَ واشيهِ وهَاجَ حسُودُهُ
تساهم فيه الباسُ والحسنُ فاستوتْ
ضراغمُه عند اللقاء وغيدُهُ
تلاقت به اسيافُهُ ولحاظُهُ
ومالت به ارمَاحُهُ وقدودُهُ
فكم من صريع لا تُدَاوَى جراحُه
وكم من قتيلٍ لا تُحَلُّ قيودُه (٣)

ومن الخليج نسمع الصوت نفسه ونرى الموقف يتكرر على لسان الشاعر هلال بن سعيد العماني فى الربع الأول من هذا القرن :

ظباءٌ بقلبى لم يزَلْنَ سوارحَا
لهن حشَاتِى مرتعٌ وكنائسُ
تصيد أسوداً ضارباتٍ جفونها
وهن مِراضٌ فاتراتٌ نواعسُ
فمن دون لقياهَا رماحٌ لوامعٌ
ومن دون ذكراها ليوثٌ عوايسُ
رعى الله دهراً بالوصالِ قطعته
لياليه بيضٌ ليس هن دوامس

وليس هذا هو النغم الوحيد فى مجال الغزل ، ولكنه نغم واضح الملامح فى هذه الفترة ، وكان عصر الاحتكاك مع الحضارة الغربية ايام الاحتلال مرحلة صراع ولكنه انتهى بفشل الثورات التى قامت فى مصر والعراق والشام : ثورة ١٩ فى مصر ، ١٩٢٠ فى العراق ، ١٩٢٥ فى الشام . وانطوى الانسان العربى على ذاته فترة يجتر شجانه ، وهى أشبه بفترة مراهقة فى حياة الأمة ، حين يحس الانسان بغربة روحية كما يحس بغربة نفسية مع جسده النامى . هذه الغربة ترجع إلى ان الحضارة الغازية فاجاتنا وهى قوية منتصرة ، بينما تقبلتها الأمة العربية فى العصر الأموى واحتوتها. لأن تبادل المواقع كان مختلفاً ، على الرغم من ذلك التاثير الذى تحدثنا عنه فيما سبق ، ومعنى هذا أن التاثير الجديد أقوى ، فهذه الغربة تعنى عدم التاقلم مع الواقع البيئى . هنا يشعر الانسان بذاته شعوراً قوياً ، بل يتشرنق حول الذات كما يقال فتقوم مسافة بينه وبين ذلك الواقع الخارجى . ولهذا يفر على أجنحة الخيال بعيداً بعداً مكانياً وزمانياً . يرتد الى الطفولة وعالمها البرىء ، او يندمج مع الطبيعة ويجد فيها ملاذا من الحياة المادية التى غلبت على الواقع المعاش . وهكذا الشأن فى العواطف أيضاً ، ومن هنا تتسع المسافة بينه وبين المراة وتعود صفات القداسة . ونفس الموقف حدث فى الخليج ، أعنى أن مقدمات التطور كانت قد بدأت أوائل هذا القرن نتيجة الاتصال الجغرافى بالوطن العربى ونتيجة تاثير وسائل الاعلام وعلى الأخص الصحافة ، تمثل ذلك فى نشأة المدارس وإرسال بعض البعثات وظهور الصحافة ، ولكن ظهور النفط كان أشبه بالانقلاب الصناعى الذى حدث فى أوربا منذ قرنين تقريباً ، وغير طبيعة الحياة تغييراً، فيه طابع الطفرة. فالتقدم السريع الذى حدث فى أعقابه ، وتدفق أحدث ما أخرجه العلم والتكنولوجيا ، واستثمار وبناء المدن ، وشق الطرق وإنشاء المصانع فى فترة زمنية قصيرة ، كل ذلك جعل المنطقة منطقة جذب

المرأة في الشعر الخليجي الحديث

وفد اليها الكثيرون بحضاراتهم المختلفة ، فاثروا فى التركيب السكانى ، ومن هنا كان التطور السريع فى المفاهيم والعـــلاقات الإجتماعية والعادات والتقاليد نتيجة هذه النقلة التى طورت التركيب الاجتماعى ، وعقدت الحياة ، بحيث كادت تنسف البساطة القديمة ، مما غلب الجوانب المادية

ولذلك كان الموقف الجديد فى الحياة العربية واحداً وان تاخر فى الخليج قليلا من الوقت حتى وضحت ملامحه . هذا الاتجاه فى الحياة وبالتالى فى نفسية الانسان ، كان له انعكاساته على إحساس الفرد بذاته نتيجة أمور كثيرة كالاستغلال الاقتصادى والتعليم الذى أصبح قيمة حقيقية كبيرة ، ولكن هذه الذات لم تتكيف مع الواقع الذى يتغير تغيراً سريع الايقاع ، ومن هنا كانت هذه المسافة بين الانسان وبين الواقع الخارجى فعادت صفات القداسة كما قلنا . والمرأة هنا ملأت الصورة أمام عينى الشاعر حتى أصبحت رمزاً للأمل الذى يبحث عنه ، أليست معادلا للحياة نفسها ؟ ان العواطف تستطيع ان تقيم عالماً مثالياً فى مقابل هذا العالم المادى الذى يأكل بنيه . يقول ابراهيم ناجى :

هـــذه الكعبةُ كنّا طائفيهَـا
والمصـــلينَ صَباحاً ومسَاءَ (٥)
كم ســـجَدْنا وعَبَدْنا الحُسْنَ فيها
كيف باللـــه رجعْنَا غُربَـــاءَ

ومن الخليج كنا نسمع صوت « ابراهيم العريض » يخترق حاجز المكان ويصل الى قلب الأمة فى أعقاب الحرب العالمية الثانية مثلما يخترق الآن حاجز الزمان ويتردد فى اسماعنا :

يا ابْنَـةَ الحُسْنِ عِشْتُ أهْوَاكِ لحْنا
فاذا انت فتنـــةٌ للـــرائى (٦)
دميةِ الهند ابدَعَتْكِ يدُ الخلّاقِ كَىْ
تُعْبَـــدى فهـــاكِ غِنَـــائى

وهكذا الشان عند « أحمـــد محمـــد الخليفة » :

يا ابنةَ النورِ روّحى روحىَ الظمآى
فقـــد تهتُ فى ظـــلامِ الوجـــودِ (٧)
ههنـــا الطهْرُ والبَرَاءَةُ والأحْـلامُ
فى معْبَـــدِ الجَمَالِ الفَريـــدِ
يا ابنةَ الامْنيـــاتِ ما انت إلاّ
ضـــوءُ فجْرٍ على حيـــاتى استطالا
اتمـــلاك في الغيـــوبِ واجْتـــلو
في المحاريـــبِ رَهْبَـــةً وجـــلالاً

موقف الاحساس بالذات

ثم نجد المرأة تفصح عن عواطفها . ومن الحق أن « عائشة التيمورية » افصحت عن هذه العواطف فى ديوانها « حلية الطراز » الذى نظم أواخر القرن الماضى ، ولكنها امتداد للخنساء ، فاكثر شعرها فى رثاء ابنتها التى ماتت قبيل العرس . وحتى فى هذا الديوان الباكى فقد كان مستواها الفنى متواضعاً بطبيعة الحال . أما هنا فالموقف مختلف ، إنه كما قلنا موقف الاحساس بالذات والدوران حولها والتعبير عنها بدلا من التعبير أو الاتجاه الى الخارج ، فلم تكن المرأة قد تهيأت من قبل للتعبير أو المشاركة فى القضايا العامة التى شارك فيها الرجال . انها الآن تستطيع ان تعبر عن عواطفها بصدق مثلما نجد فى قصيدة « أشواق حائرة » لفدوى طوقان :

نفسى موزعَـــــةٌ معـــــذّبةٌ
بحنينِهَـــا بغموضِ لَهْفَتِهَا (٨)
شـــوقٌ الى المجهُـــولِ يدْفعُهَـا
متقحِّماً جُـــدارنَ عُزْلتِهَـــا
قلبى تَغُـــور به الحيـــاةُ وَقـــدْ
عُمِّقَتْ ومُـــدّتْ فيه كالأمَـــدِ
فتهزّ أغوارِى نوازِعُـــــهُ
صَـــخابةً دفاقةَ المَـــدَدِ

وهكذا قالت نازك الملائكة ، وعاتكة الخزرجى ، وسعاد الصباح وغيرهن . والمذاق هنا جديد فى الشعر الرومانسى بصورة عامة : « الغربة الروحية ـ الشوق الى المجهول ـ العواطف نبع الحيـــاة الدفاق ... » .

ثم خرجت المرأة للحياة على نطاق واسع وأصدرت الصحف واحتلت فى العمل موقعاً بعد آخر . واذا كانت نظرية تلاقى المدنيتين تحكم مراحل انتقال الحضارات (من التوتر بطرفيه المتناقضين أى الانقبـــــاض والانبساط) الى محاولة التوازن ، فان من الطبيعى ان نجد الاتجاهات الآتية :

أ ـ مواجهة مع الذات وتحليل للعواطف وحوار مع النفس والقلب ، تماماً كما كنا نجد المتنبى من قبل فى مواجهة مع النفس :

« أقل اشتياقاً أيها القلبُ ربما ، رايتك تصْفى الودَّ من ليس صَافِياً .. » .

هكذا نجد شاعرنا المعاصر لا يتناول الحدث الخارجى بصورة تقريرية ولا يتحدث عن غربته الروحية وتقديسه للعواطف التى تخلصه من هذه الغربة والعزلة ، ولكنه يتناول أثر الحدث الخارجى فى انعكاسه على الذات محللا ومجابها نفسه :

« يا قلبُ ، يا سجْنَ الأحزانِ المرّة ، يا حقلا ترعاهُ الأشوَاقْ ، يا حرًّا يحملُ ألفَ وثَاقْ ، يا عبداً لم يُعْتقْ مرة ، إلا ويعودْ ، بالفرحةِ تنزفُ فى الأعْماقْ ، أسعد بقيودِكَ بعدَ فِكَاكْ ، واخبط بجناحِكَ فى الأفلاكْ ...» (٩) .

ب ـ ولكن الموقف يتطور ويتحول الى ظاهرة تتسع وتأخذ ابعادها فيما يسمى بالاتجاه الواقعى الجديد ، حيث تتغلب الحياة المادية وتسوق الانسان الى مازق جديد كأنه رد فعل ضد إسرافه فى الخيـــال ورسمه العالم المثالى .

فاذا نظرنا ناحية المرأة ، وجدناها قـــد قطعت مراحل التعليم العام ودخلت الجامعة ، فى جيل واحد ، وشاركت فى الوظائف الحكومية وغير الحكومية أيضاً ، وأصبح لها صحافتها . وهى تتصل بالمرأة الأوربية فى كل مكان ، فى رحلاتها وفى بلدها وفى وسائل الاعلام المختلفة ولهذا كله أصبح لها فكرها المستقل ورؤيتها للحياة وللناس .كل هذا التطور كان له أثره فى الشعر العربى بصورة عامة ، وفى موقف الشاعر من المرأة بصورة خاصة .

ونتلمس البدايات فى الستينات ، وفى مثل قصيدة صلاح عبد الصبور « يا نجمى الأوحد » ففيها يلقى الشاعر فتاة . ومن الطبيعى ان تشرق البهجة وان ينمو المرح ، ولكن أى مرح ؟ انه « مرح مغلول الأقدام » لأن الأحزان أقوى منه ، حتى الكلمات تولد عليلة « كليمات » كأنما أصابها شلل الأيام

الريضة .
« هل يضحك يا نجمى إنسانٌ مقصوم الظهر ؟ ولأن الأيامَ مريضة ، ولأن الليلَ الوحشَ يولَدُ فيه الرعب ، تعتلّ كليماتُ الحب» هل يمكن اذن ان يسعد والعالم من حوله كئيب ؟ إنه يحاول أن ينطق بكلمات السعادة فتتكرر بعد كل مقطع عبارة واحدة ستهلكة : (يا نجمى الأوْحَد) .

« لو كنا نعرف أن نفرحَ فرحةَ طفل ، عرف الدنيا حباً ينمو فى ظلةِ حب ، لإذبنا الفرحة فى أكوابِ الأحباب ، لكنّا حينَ ضحِكْنَا أمس مساءً ، رنّتْ فى ذيل الكلمات ، نبراتُ بكاءٍ ، واتكات فى عينيّ دُمَيْعَات ، لو كنا نملك ان نتمنى ثم نُجابْ ، ونعود لنولدَ ثانية احبابْ » كانما فقدت العواطف – لأول مرة فى العصر الحديث – قدرتها على العطاء وأصبحت الحياة مادية ، والمفارقة واضحة حين نرجع إلى كاتب عربى من القرن الثالث كابن قتيبة ،فنجده ينصح الشعراء أن يبدأوا قصائدهم فى المديـح بالغـزل لأنه يجـذب الأسماع والقلوب باعتباره عاطفة إنسانية ، ثم نعود الى شاعرنا المعاصر فنراه يقول : «الحب ياصديقتي قد كانْ ، فى أول الزمانْ» أو يقول : « أشقى ما مَرّ بقلبى أن الأيامَ الجهْمَة ، جعلته قلباً جهماً ، وانا لا أعرف كيف احِبُ ، وباضلاعى هذا القَلْبُ » (١١) .

قرأت مرة لاحد المستشرقين أول هذا القرن فى بحث له نشر بمجلة « المقتطف » عن الشعر فى مصر وسوريا والعراق ، ان الحياة الأدبية فى هذه البيئات تسير بخطوات متناسقة ، كأنها تصدر عن مركز واحد ، والحقيقة ان الشعر العربى – وهو تعبير عن الشعور – يصدر فى الجناح الشرقى للأمة كما يصدر فى كل الأجزاء الاخرى من حيث الرؤية العامة والاطار الفنى ، منذ كان المتنبى يجوب الوطن العربى فيشد انتباه الناس لانه ينطق عن خواطرهم كما يقول ابن الأثير ، وما زال الأمر كذلك حتى اليوم ، كانه ينبض عن قلب واحد .

يقول « على السبتى » : « سيدتى ، لا تخدعى بمظهرى فلو بحثت سوف تعرفين . فليس كل واحد يعيش ههنا سمين ،

. سيدتى ، لو كنت فى حديثك الذى سمعت تصدقين ، لست الذى به تفكرين » . ان الخداع والزيف هما محور الحديث وليس للعواطف نصيب . ثم يكرر الموقف نفسه بنغمة أخرى : « لن أخدع بعد اليوم بحب عذرى ، يأخذ منى عمرى ، فأنا انفتحت عيناى على الدنيا » (١٣) .

لم تعد المرأة ذلك الأمل الذى كان الشاعر فيما مضى – يبحث عنه فلا يجده .

ولكن هل ينفرد « علي السبتى » بذلك الصوت الغريب الذى أتلفته المدينة ؟ لا ، فها هو ذا « غازى القصيبي » يعرض الموقف ببساطة ونفاذ وايجاز مر المذاق فيقـــول : « رأيت الحب لا يعطى ، ولكن يشترى ، ويزمجر الشارى على البائع (١٤) . أصبحت المرأة رمزاً أو معادلا للعلاقات المادية التى قتلت الصلات الانسانية .

بين الرومانسية والواقعية

ومن المؤكد ان خروج المرأة الى العمل قد أذاب سمنتها القديمة فتغيرت مقاييس الجمال ولم يعد الشاعر يذكر كثيراً من الملامح الموروثة ، ولعل من أوضح النماذج قصيدة الشابى « صلوات فى هيكل الحب » وشعر نزار الذى أوضح فيه كل ملامح المرأة المعاصرة ، وان كان الملاحظ ان الشعر الخليجى لا يذكر شيئاً من هذه الملامح سوى العينين على وجه أكثر تحديداً ، لغلبة الحجاب « عيْنَاكِ غَابَتَا نَخِيلٍ سَاعَةَ السَّحَرْ » أو « عيْنَاكِ فى الصّبَاحِ والمسَاءِ كَالألَقْ . كواحتَيْنِ دونَمَا حُدُودْ » . على أن المرأة ليست هى المحبوبة وحسب ، إنها الأم والزوجة والابنة أيضاً . ومن الحق ان الأم قد ورد ذكرها فى الشعر العربى قديمه وحديثه ، فقد ذكرها أبو فراس حين تصور جزعها وهى فى الأسر ، وذكرها المتنبى وشوقى راثين ، وذكرها حافظ ابراهيم ومحمود درويش رمزاً للمرأة التى يبدها مستقبل جيل : « الأمُ مدرَسَةٌ إذَا اعدَدْتَهَا ، أعدَدْتَ شعْباً طيّبَ الأعْرَاقِ » (١٥) . أو رمزاً للميلاد المتجدد : « يا أمنا انتظرى أمَامَ الباب إنّا عائدون (١٦) . ولكن شعراء المهجر أطالوا التفاتَهم إليها ، ربما لأن لوعة الفِراق كانت عاملا فعالا فى هذا الاحساس الانسانى النبيل .

وكذلك الزوجة ذكرها الشاعر العربى قديماً وحديثاً ، فرثاها جرير والبارودى وعزيز أباظه وعبد الرحمن صدقى . ولكن الشاعر الخليجى أحمد العدوانى يفتتح ديوانه « أجنحة العاصفة » بقصيدة عنوانها « إلى رفيقةِ العُمْر » تتروح بين الشعر الحر والشعر العمودى ، ولعله يريد أن يقول إن هذه الصلة الحميمة على قدمها متجددة حية فى القلوب تجدد الحياة نفسها وقد خصص « بدر شاكر السياب » ديواناً كاملا للزوجة دعاه باسمها « إقبال » كان يشعر بها دائماً تشاركه آلامه فى مرضه الطويل ، وكان يتصور الشفاء أحياناً ، فيلملم زهور الوفاء وهو يهتف : « أرمى العصا ، أعدو الى دارنا ، وأقطف الأزهار من دربى ، ألُمّ منها باقة ناضرة ، أرفعها للزوجة الصابرة » (١٧) .

ثم ييأس فيهتف بها مرة أخرى هتاف وداع ، ويكون اسمها آخر ما ينطق به كما يقول الرواة :

ياليل أين هو العراقْ ؟
أين الأحبةُ أين أطفالى وزوجى والرفاقْ
يا أمّ غيلان الحبيبة صوّبى فى الليل نظره
لولاك مارُمْتُ الحياةَ ولا حنَنْتُ الى الديارْ
حبّبْتِ لى سُدُفَ الحياةِ ، مسحتِها بسَنَا النهارْ
أنا ميّتٌ مازال يحتضِرُ الحيَاه
إقبال مدّى لى يديْكِ من الدّجَى ومن الفَلاه
جسّى جراحى وامسَحِيهَا بالمحَبّة والحنان
يطْوى الزّمَانُ بِسَاطَ عُرْسِكِ والصّبَا فى العُنْفوان (١٨)

وهكذا صنع « إلياس أبو شبكة » فى ديوانه « غلواء » .

إن مرحلة من مراحل التوازن تبدو ملامحها – مع ملاحظة تداخل المراحل نظراً لسرعة التطور – حين ينظر الرجل إلى المرأة ، فلا يصف محاسنها ولا يذكر غروره أو يصف معاناته ، ان نظرته وليدة رؤية أكثر نضجاً ، إنها اليوم رفيقة كفاح فى مرحلة الحياة الشاقة ، من أجل مستقبل أفضل ، وإصرار على تحدى الواقع

إن قصيدة « عاشق من فلسطين » تحكى كل ذلك ، وتقول ما هو أكثر من ذلك : « كلامُك كان أغنية ، وكنت أحاول الانشاد ، لم نتقنْ سوى مرثيةِ الوطنِ.سنزْرَعُها معاً فى صدرِ قيثارة » (٢٠)

وإذا كان الشاعر الفلسطيني يتحدث عن رفيقة كفاحه من أجل العودة ، فان للشاعر العربى فى الخليج وفى غير الخليج همومه هو الآخر .

المرأة في الشعر الخليجي الحديث

يقول على السبتي مصوراً عالماً ينزع الأغلال وينطلق حراً : « واسمَعُ صوتَ حمديَّة ، يشق الليلَ عبْرَ عرائِش العِنَبِ ، يجيءُ إليَّ من دارٍ على الربواتِ مرميَّةٌ ... فدمعُك عندما ينهلُّ كالمطرِ ، يفكُّ القَيْدَ عن قَدَري ، واسمَعُ ألفَ اغْنِيَّةٍ ، تشق الليْلَ عبْرَ تساقطِ الثمَرِ ، وتَنْشُقُ عطرَهَا فى الكوْنِ : حرية » (٢١) .

وهذا هو الفارق بين الشاعر الرومانسى والشاعر الواقعى ، فالأول يرسم عالماً مثالياً ويحلم به ، والثانى يسعى إلى تحقيقه ، فينفض اليأس ، ويبذر الأمل ، لاننا نحن الذين نصنع الغد ، بما نشيد اليــوم :

« يا أختِى التى بوجهِهَا أسَى الوُجُـودْ . لا تيأسى ففى غدٍ نعودْ ، مع الأشعةِ المذَهَّبةْ لدارنا المرتَقَبةْ ، نشيد عالماً جديدْ ، لينْعَمَ الصِّغَارُ فيه والكبارْ ، لينعَمُوا فقدْ رأيْتُ خَلْفَ حائِطِ الصَّبَّارْ ، بَشَائِرَ النهارْ » (٢٢) .

وتتسع الدائرة فتقترب صورة المحبوبة من صورة الوطن المحبوب ، ففى عينها يرى زرقة الخليج او البحر ، وفى شذاها يشم روائح العروبة ، وفى غنائها إصرار العربى ، وفى شموخها شمم العربى ، الوجه نفس الوجه ، والشعر نفس الليل ، والبسمة نفس الفجر . انها هى فتمتزج الصورتان وتتحدان ويصبح المحبوب هو الوطن ، والوطن هو المحبوب ، أليست نبت الوطن وثمره ، وأليس الوطن بمعنى من معانيه بما فيه من بشر ثمر المراة ونبت المحبوب ؟ إن الاتحاد هنا قمة الرؤية الناضجة من قبل الشاعر للمراة ، للمحبوبة ، للوطن المجسد فى كل هذا ، ولكل هذا الذى تجسد فى الوطن ، فاذا الحب الحقيقى حب واع يشترك فيه القلب والعقل معاً :

« يَا غَادَةْ ، يَا نَغَمَ الأغْصَانِ الميَّادَةْ ، فى فجر صَيْفِىِّ الأنْسَامِ ، يا اعذبَ مِنْ أعْذَبِ أحْلامِى ، يا نهراً من طِيبِ العنْبَرْ ، تحرُسُهُ الأقمارُ الصَّيْفِيَّةْ ، غنيتُكِ الحانى وانا عنك بعيدْ ، تفصِلُنى عنك رمالُ البِيدْ ، والبَحْرُ عميقٌ أخْشَاهْ . ساظل على الشاطىء انتظرُ ، ويشع القمرُ ، فارى وجهَكِ فيه ، وارى عينيك الزرقاوين ، واشم شذاك العربى ، يملؤنى ، حباً للانسانْ ، حين يغنى الحرية » .(٢٣)

ويتضح هذا الاتحاد عند « غازى القصيبى » بصورة أوضح ، واقوى دلالة على ما أقول ، ففى قصيدته « انت الرياض » تمضى القصيدة فى عطائها فنرى صــورة المحبوبة تتداخل مع صورة « الرياض » وتكثفها ، ويتخلق فى داخلها الحلم إليها ، الى الرياض :

« أحبك حبى عيون الرياض ، يغالب فيها الحنين الحياء ، احبك حبى جبين الرياض ، يطل تلفعه الكبرياء ، وحين تغيب الرياض ، أحدق فى ناظريك قليلا ، وحين تغيبين انت ،

أطالع ليل الرياض الوديع ، فيبرق وجهك بين النجوم ، وفاتنة انت مثل الرياض ، ترق ملامحها فى المطر ، ونائية انت مثل الرياض ، يطول اليها اليك السفر ... فصرت الرياض ، وصرت الرياض ، وصرنا الرياض»(٢٤) . وتصبح قضية الانسان هى المحور فى البحث عن الغد الافضل .

كان لابد أن تمر قضية المراة بمراحلها منذ تفجرت الدعوة الى تعليمها وعملها ، منذ قال شوقى فى قلب الأمة : «صدَّاحُ يامِلك الكَنَارِ ويا أمِيرَ البُلْبُلِ » الى ان قال : « قـلْ للرجالِ طغى الأسيرْ ، طيْرُ الحِجَالِ متى يطيرْ » .

حتى نصل الى المرحلة المعاصرة باعتبارها رمزاً للوطن بتطلعه الى المستقبل الموعود ، بدلا من ان تظل حيث هى مجرد شىء جميل . وهكذا كانت المراة وتكون قادرة دوما على العطاء .

وحتى فى مراحل تراجعها مع تراجع ايقاع الحياة نفسها ، وحين يكون الرجل ضائعاً ، تملأ خياله .

اجمل ما فى واقعنا المعاصر ان يسترد عافيته ، حين تعم الصورة المتوازنة ، وتصبح المراة ، ليس فقط رمزاً للحياة المتجددة ، ولكن أيضاً رفيقة كفاح فى رحلة الحياة ، وهنا تصبح الحياة جديرة بأن نقطعها معاً الى غد افضل .

د . ماهر حسن فهمي
جامعة قطر

هــــوامـــــش

(١) التطور والتجديد فى الشعر الأمــوى (القاهرة ـ ١٩٧٣) ص ٢٢٣ .

(٢) ديوان البارودى (ط . القــاهرة) ج ١ ص ١٤٧ .

(٣) ديوان جواهر السلوك (بغداد ـ ١٩٧٩) ص ١٥٦ .

(٤) البترول والتغير الاجتماعى فى الخليج العربى محمد الرميحى الكويت ١٩٧٥ ص ١٢١ . الكويت والهجرة محمد عبده محجوب القاهرة ١٩٧٧ ص ٥١ .
الالتقاء الحضارى واثره جهينة سلطان القاهرة ١٩٧٥ ص ١٩٧٧ .

(٥) ديوان ناجى (بيروت ١٩٧٣) ص ٢٠ .

(٦) شموع (البحرين ـ ١٩٥٣) ص ١٢ .

(٧) بقايا الغدران (البحرين ـ ١٩٦٦) ص ٥٥ .

(٨) وحدى مع الأيام . بيروت ـ ١٩٧٤ ص ٣٦ .

(٩) (انشودة الطريق) القاهرة .

(١٠) الاتجاهات الفكرية فى بلاد الشام (لجميل صليب) القاهرة ١٩٥٨ ص ٥٦ .

(١١) احلام الفارس القديم (بيروت ـ ١٩٦٤) ص ٥٥ .

(١٢) الثورى (بيروت ـ ١٩٦٦) ص ١٠٦ .

(١٣) بيت من نجوم الصيف بيروت ـ ١٩٦٩ ص ١٤٢ / ١٥٠ .

(١٤) قصائد مختارة الرياض ـ ١٩٨٠ (القصيدة من اشعار من جزائر اللؤلؤ سنة ١٩٦٧ ، ص ١٣٨ .

(١٥) ديوان حافظ ابراهيم (القاهرة ـ ١٩٣٩) جـ ١ ص ٢٧٠ .

(١٦) عاشق من فلسطين بيروت ـ ١٩٦٨ ص ٥٦ .

(١٧) الديوان (بيروت ـ ١٩٧١) ص ٢٩٨ .

(١٨) الديوان (بيروت ـ ١٩٧١) ص ٧١٨ .

(١٩) ادب المهجر لعيسى الناعورى (القاهرة ١٩٥٩) ص ٢٣٠/٢٣٢ .

(٢٠) عاشق من فلسطين لمحمود درويش (بيروت ـ ١٩٦٨) ص ٦ ـ ١٤ .

(٢١) بيت من نجوم الصيف لعلي السبتي (١٩٦٩) ص ٧١ / ٧٥ .

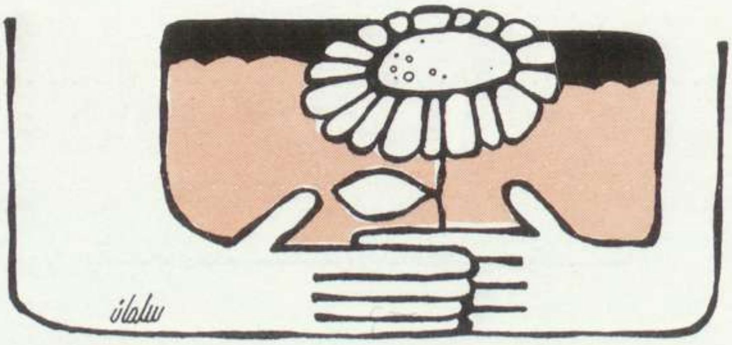
(٢٢) بيت من نجوم الصيف لعلي السبتي ١٩٦٩ ص ١٥٨ .

(٢٣) بيت من نجوم الصيف لعلي السبتي (بيروت ـ ١٩٦٩) ص ٥٣ .

(٢٤) انت الرياض (القاهرة ـ ١٩٧٧) ص ٨ .

أنشودة الوفاء

شعر: معروف رفيق



موطني يا دارَ عزٍ ووفاءْ
موطني يفديكَ منا الأوفياءْ

انتَ بسم الله تمضي للعُلا
أنت بالايمانِ مرفوعُ اللواءْ

قَطَرٌ عاشت بدنيانا قصيده
درة في مفرق العرب فريدهْ

دوحةٌ تنمو على أرض مجيدهْ
عانقت أفرعُها مجدَ السَّماءْ

• • •

بحرُها المعطاءُ لم يبخَلْ علينا
أرضُها تِبْرٌ وعِطْرٌ فى يدينا

سوفَ تحيا ما عملناما بنَيْنا
في سلامٍ سوفَ تحيا وهنَاءْ

• • •

قَطَرٌ طافت على ثغرِ الزمانْ
نغماً يزهو بأمنٍ وأمانْ

للنَّدَى والنورِ فيها مهرجانْ
فهي رمزٌ للمعالي والاباءْ

• • •

الشبابُ الحرُّ وعدٌ وانتظارْ
وولاءٌ وانتماءٌ للديارْ

مؤمنٌ باللهِ والعلمِ شعارْ
هكذا الدنيا بناءٌ وارتقاءْ

بقعة حبر على ورق أبيض

بقلم : عبد الله الجفري

« و ... ولا زلت احيا ....

أحيا حياتي للمرة الأولى .. فى كل مرة جديدة كما احب ..

وليات الموت غداً .. فلن اخسر شيئاً » !!

هذه العبارة وجدتها فى مقدمة كتاب أنيق الشكل .. دسم المضمون ، وكاتبهـــا لا تستميلني آراؤه عندما يكتب في السياسة عن عصره وعن مواقف التاريخ المعاصر .. رغم أنه عربى الانتماء ، لكنه منجرف الانتواء !!

هذا الكاتب جذل الأسلوب .. يتميز بثقافة واسعة وثرة ، ويبتئس بوجدان مكسور حائر فيما يمور داخله . كان يحاول أن يجمح متقافزا فوق أحداث عالمه العربى والعالم كله ليرمى بنفسه بعيداً عن معترك الكلمة المجندة لاجتلاء رؤية سياسية .. لكنه فى كل مرة كان يجمح فيها وهو يقفز .. نجده يسقط فى وسط معترك الحوار السياسى ، ويفرز آراء يعتقد أن فيها تطلعاً إلى « تقدمية » المذاهب السياسية التى يميل إليها .. بينما تلك المذاهب تبدو مموهة فى التخبط ، وفى إيلام التاريخ العربى .

هذا الكاتب العربى انتماء .. المنفلش انتواء ، أحسب لو أنه تجرد من تأثير بعض الذى قرأه فى مرحلة خلخلة التاريخ العربى التى عشناها فى الستينات ، واخلص فى تنقية مكتسباته الفكرية والثقافية وحماها من تأثيرات « الانفعال » من أجل التقدمية ، وصانها من موحيات العاطفة عندما تؤثر فيها الهتافات ، وجموح الأحلام ... لاستطاع أن يبلور فى داخله انسان كلمة ذات دلالة على التفاؤل بالحياة الناهدة الى كرامة العيش ، وحرية الفكر !!

أيضاً .. فقد كان فى مقدوره أن ينهض فى قدراته وإبداعه خصائص ومميزات الأديب الذى يوظف فن « النقد » للبحث عن أبعاد الأعمال الأدبية انسانياً ، وتاريخيـــــاً ، وحضارياً !!

فهو عندما يكتب فى النقد .. تكون عنده تلك الرؤية الشاملة لمعنى العطاء فى العمل الأدبى .. سواء كان قصة ، أو رواية ، أو قصيدة ، أو مسرحية ولكن تلك الرؤية فى الغالب لا تأتى منه صافية لأنه ــ ربما دون أن يحس ــ يخلطها بانفلاش الانتواء .. يخلطها بذلك الشعور السائد فى أعماقه كلما عاوده هاجس الرؤية السياسية لعصره ولأحداث التاريخ الذى يعيش فيه .. لذلك كانت أجمل كتبه تلك التى خصصها للرؤية الأدبية الانسانية ، وللفكر الذى يتجرد من « حالات » تقافزه السياسى !!

هذا الكاتب « غالي شكرى » له كتاب ــ مهما تقادم به الوقت ــ يبقى جديداً ومفيداً للمطلع ، وهو بعنوان جميل وموحى : (يوم طويل فى حياة قصيرة) . ومع أول سطر خطه فى كتابه هذا يتضح التناقض فيما حاول أن يقنع قارئه به .. فقال فى ذلك السطر الأول :

● لست كاتباً سياسياً ، ولن أكون !!

فما هو ــ إذن ــ وما تخصصه ، وما هى اهتماماته ، وكيف نحدد لون المحتوى عنده ؟!

وقبل ان نجيب ، دعونا نستطرد قليلا فنلاحق بضعة سطور تلت ذلك السطر الأول فى مقدمة كتابه ، والسطور هى مجموعة أسئلة ترهقه ، مزجها وقلصها فى سؤالين كان بعدهما يتلفت حائراً .. حتى اذا قرأنا صفحات الكتاب التى بلغت ٢٤٧ صفحة من الحجم الكبير توصلنا الى نتيجة تقول : ان هذا الكاتب مازال حائراً .. مبدداً ، قلقاً ، منفلش الانتواء .

● سأل أولا : ما هى الوظيفة الحقيقية للكاتب فى عصرنا العربى الراهن ؟!

● وسأل ثانياً : ما هى الكتابة السياسية فى وقتنا الحاضر ؟!

هذا الكاتب قد حاول فى أغلب ما أصدره من مؤلفات أن يصقل فيه روح الأديب ، وأن يعزز عنده التخصص المعرفى والفكرى ، فكاد أن يعرف بأنه ناقد أدبى واسع الاطلاع شامل الرؤية ، عميق التأمل ، ومن اصداراته التى أحدثت جلبة فى الوسط الأدبى العربى يوماً ما هذه المؤلفات : (المنتمى ــ دراسة فى أدب نجيب محفوظ : شعرنا الحديث الى أين . ماذا يبقى من طه حسين ؟ .. غاده السمان بلا أجنحة . أدب المقاومة . معنى المأساة فى الرواية العربية . أزمة الجنس فى القصة العربية . ثقافتنا بين لا ونعم) ..

وكل هذه الدراسات العميقة لم تكن تنافس وتبلور وتضطلع باهتمام أدبي بحت .. لكنها ممزوجة بانفلاش الانتواء عند كاتبها .. تبدو متأثرة فى الرأى والمدلول بكل ذلك الذى تعتمل وتمور به نفسه من عواصف ورعود وتصدعات مذهبية .. سواء فى الاتجاه الفكرى عقائدياً ، أو فى التأثر السياسى !!

إنه ــ فى كتابه هذا ــ يناقش ويبحث عن الطريق الذى يدله الى ايجاد قاعدة



حافظ ابراهيم



د . طه حسين



احمد شوقى

التخصص فى العمل الأدبى والفكرى .. بمعنى الا يخلط الكاتب العربى بين قناعته بدور الأدب والفكر من أجل الخروج بهموم الانسان ومشاكله الى فسحة الأمل وتقبل الحياة بامواجها .. وبين تأثره – كمثقف جداً – بالتيارات المذهبية فى السياسة بوجهيها المتناقضين ، ولكنه يطالب كل كاتب الا يتجرد من قضايا أمته ووطنه سياسياً ، وان يكون شاملا لا جزئيا ، وهو يقول : «ليس المطلوب أن يتحول أدبنا وفننا الى منشورات سياسية » !

وهو لا يلتزم بهذا القول ، ففى كتابه «المنتمى» عن أعمال نجيب محفوظ الروائية يعمد إلى غمسها وتشبيعها ، فيتحول فيما يكتبه إلى المنفلش انتواء .. بمعنى أن ما يضطرب فى رؤيته السياسية ، وما يتخلخل فى انتمائه الى مذهب سياسى ما .. يصبح هو « نية » التفكير فيه ، ويفقد بذلك ميزتين هامتين :

● أنه لن يكون . الكاتب المتخصص الذى يجعل الوطن أو الأمة شمولا ، وانما يصبح الوطن عنده والأمة : حالة مرهونة بالموقف السياسى المنتمى إلى مذهبه ، ويصبح جزئياً جداً !!

● إنه ينطلق من هموم عصره الى أيام التاريخ بقسوة شحذتها فيه نواياه المذهبية!

ثم أرجع بعد هذا الى السؤالين اللذين طرحهما ، فأحاول أن أستخلص من مراميهما أجوبة أطمع أن أنفذ منها الى الجوهر :

● تساءل قائلا : ما هى الوظيفة الحقيقية للكاتب فى عصرنا العربى الراهن ؟!

● جواب : فى البداية .. لااظن انها وظيفة ، وانما هى معايشة وهدف ، ورؤية تغازل هموم الانسان وأحزانه وتفاؤله ايضا وكلمة «وظيفة» هى تعبير مستحدث ماخوذ من أسلوب « الهتافات » التى عبرت فوق تاريخنا المعاصر فى الستينات ، وقد استخدمها مبتكروها – فى رأيى – من اجل أن يطوقوا عطاء الكلمة بذلك التحديد المقصود فى شعاراتهم ، وبالتالى يصبح الكاتب بندولا فى ساعة الوقت المؤقت .. كان تعبر الكلمة المحددة بعواطف الجماهير من الشعور الشامل بصراعات الحياة وعواصفها .. الى الشعور الجزئى المرهون بزمن الهتاف ، وبالمرحلة السياسية غير المستقرة !

أما اذا بلورنا السؤال فطرحناه بهذه الصيغة : ما هو عطاء الكاتب فى عصرنا العربى المعاصر ؟ .. فيمكننا أن نرجع الى عصر الكلمة المزدهرة فى العالم العربى ، وفى العالم كله ، وقد كانت الكلمة فسيحة .. مضيئة .. منسابة الى شعور وضمير قارئها .. فالكاتب أنذاك يضع صورة مجسدة للانسان الشامل .. الانسان ككل ، وليس الانسان الجزء ، أو الانسان الماخوذ بشعارات ، وبخوف أحدثته التقلبات السياسية والانتماءات المذهبية ،وكان الكاتب قبل الآن يبشر دائماً ، بالحب ، وبالأواصر ، وبالحنان ، وبالعواطف وبالاستقرار ، ويعكس صورة الحياة الأجمل .. بينما الكاتب الآن أصبح « يصف » القلق المندلع حريقاً فى نفس الانسان ، ويصف الكراهية ، ويصور التفكك والانحلال ، والقسوة ، والشراسة والخوف ، ويعكس صورة الحياة الأبشع .. فالكاتب إما أن يكون حزيناً مورطاً فى هموم عصره وفولاذ حيرته وقلقه .. فتختلط فى رؤاه الصور ، والقيم ، والمعانى .. فيصبح عندما يكتب مثل ورقة كربون باليه مخرمة مدعوسة لكثرة ما طبع فوقها ، واما ان يكون « الجزء » من ذلك الانسان المبدد الماخوذ بصيحات الشعارات والهتافات ويعذبه السؤال المطروح دائماً فى رأسه : الى أين انتمى .. الى أي مذهب الوذ واضمن الاستقرار الفكرى والنفسي ؟!

بمعنى أنه ليست هناك (وظيفة) مرسومة محددة للكاتب فى هذا العصر ، أو انه يتحول فى مجتمع مروجى الشعارات الى «موظف» لابد ان يحال على المعاش بعد انتهاء مرحلة رفع شعار معين ! وهناك فارق شاسع بين كاتب موهبته العطاء من الفكر والوجدان ليكون إنساناً شاملا ، وبين كاتب « وظيفته » ترويج الشعارات وتسخير الكلمة لتصفق لمرحلة سياسية ، وتنبش وتشوه مرحلة سياسية سابقة ، واذا كان على ساحة الكلمة اليوم مثل هذا اللون من الكتاب .. فهم اقل شأناً من إيلام التاريخ ، وأنضب عطاء لقيمة الكلمة ، وفعلها فى وجدان الانسان المعاصر !!

والكاتب المعاصر يكاد أن يلحد وجدانه فى رمس عفن .. مليء بالأفاعى والحيات والبرغوث .. وتلك أوصاف مجازية لما أشاعه وأطلقه « الشعاريون » باستخدام الكلمة لانحرافات المذاهب .. حتى الشعر أصابه وابل من ذلك ، وهناك فارق – ايضاً – بين الشعر السياسي وبين هذا الشعر الذى يكتبه اليوم بعض الذين استخدموا موسيقى الشعر واوزانه فى تركيب مثل تلك الكلمات التى وظفها (الشعاريون) لخلخلة الفكر العربي ، وتخويف الوجدان ... فقد كتب شوقي ، وحافظ ابراهيم وبدوى الجبل ، ومطران شعراً سياسياً ، فاذا قارناه اليوم بمن كتب الشعر السياسى الآن أو بهذا الشعر .. لا نجد دلالة أو رؤية سياسية ، وانما نجد الفاظاً صديدية على كل الحياة والأحياء .. ناقمة على عصرها وتاريخها وعقيدتها .. متخلية عن أجمل وأحلى ما يأتى ميزة ووجها للشعر .. والشعر غذاء للروح وراحة للنفس .. لكن ما يكتب الآن اقرب إلى الفحيح .

بقعة حبر على ورق أبيض

وما رأيك فى هذا اللون من الشعر لشاعر «سياسى » يحاول أن يخزى بعض ملامح حياتنا المعاصرة ، ولكنه لم يجد الا هذه الصورة المبتذلة :

– (جوارب السيدة المرتخية
ظلت تثير السخرية
وهي تسير فى الطريق !
وحين شدتها تمزقت ..
فانفجر الضحك ، ووارت وجهها مستخذية ..
وهكذا اسقطها الصائد فى شباك سيارته المفتوحة
فارتبكت وهي تسوى شعرها الطليق
واشرقت بالبسمات الباكية) ! !

ما هذا ؟! .. ما قضية هذا الشاعر الذى يعطى هذه الصورة .. وفي مكان آخر يعطى شيئاً .. احار فى وصفه فيقول :

– (سدى .. سدى ..
تراجعت فى أذنى رحلة الصدى
واساقط الرماد من لفافتى) ! !

● تساءل غالى شكرى بعد ذلك قائلا : ما هي الكتابة السياسية فى وقتنا الحاضر ؟ !

● جواب : لقد توقفت حقيقة امام ذلك القول الذى نقله غالى شكرى عن لسان الأديب الوجودى « سارتر » فقال : (اتذكر قولا هاماً لسارتر لمجموعة من الأدباء الأفارقة جاءوا إليه يعرضون انتاجهم فقال لهم : عودوا إلى بلادكم واشتغلوا بمحو الأمية) ! !

وعلق غالى شكرى على هذا القول فقال : (فى ظنى أن سارتر لم يكن يقصد العبارة حرفياً .. بل كان يستهدف أن يضع أيديهم هم وغيرهم من كتاب العالم المتخلف على حقيقة الحقائق فى ثقافة ما يسمى بالعالم الثالث) ! !

تلك هى العبارة والتعليق عليها ، وقبلهما أود أن أشير إلى سارتر نفسه .. فهو لم يكن أمى الفكر .. لكنه كان يعامل الفكر كابن غير شرعى تماماً مثل رأيه فى علاقة الحياة والناس فيما بينهم .. فمرة كان المفكر الخلاق ومرة كان الأديب المبدع ، ومـــرة كان الفيلسوف الحائر والخائر احياناً ، ومرة كان (الثورى) فى رأي أصحاب الشعارات ثم كان النزق المتلون ، ومرة وقف بجانب نضال العربى فى الجزائر واصدر كتابه المشهورة (عارنا فى الجزائر) أى عارهم هم ، ومرة وقف فى شوارع تل ابيب وقال : العرب غير محقين وليست لهم مطالب ، وقبلها وقف فى سفح الهرم ولمز إسرائيل ثم صالحها بعد رحيله من مصر الى الأرض المحتلة ، ومرة تنكر لحبه فى شخص (سيمون دى بوفوار) ونسي كل شي ء .. فما الذى كان يريده سارتر ، وكان يقوله ، وهل كان « موظفاً » أو كان مفكراً مبدعاً ، أو كان فيلسوفاً أخذته الحيرة فسقط فى انفلاش الانتواء ؟ !

ذلك عن سارتر شاهد « غالى شكرى » على أمية كتاب افريقيا وشعبها ، وهو قول لا فرحة فيه ، ولا حتى حزناً بالمعنى الذى قصده سارتر .. فهو قد (حرض) كتاب افريقيا على شي ء لا ملامح له .. حرضهم على التمرد .. وعلى الرفض ، وعلى شجب حياتهم ، وذلك لا يعنى أننا نقر بالتخلف ، أو بالأمية ، ولكن واجب المفكر وعطاءه ان يشير الى الألم ويعالجه .. والمعالجة لا تاتى بالرفض ، أو بالتحريض على الثورة .. فما فائدة رفض امة لحياتها بدون أن تقدر على خلق حياة أفضل ؟ !

قد يقول الأستاذ غالى شكرى : ان ذلك كان هو الهدف ، ولكننى اقبل التوجيه ، والدرس من عالم صنع شيئاً ، ومن مفكر أهدى للنفس الانسانية وللعقل الانسانى ما يريح النفس ، وما يهدى العقل .. ولكن مثل سارتر ، غير مؤهل لهذا الدور لأنـــه مرفوض هو ذاته حتى فى بلده .. وهو أيضاً أصبح مرفوضاً بعد ذلك فى كثير من البلاد العربية التى انتقلت من مرحلة سياسية سابقة الى مرحلة جديدة .. وسارتر ليس كاتباً سياسياً ، ولكنه كاتب شعارات يغمس الكلمة فى نزق الفعل ، ولا يرشد الفعل بحكمة ، ولن يكون نبراساً لعربى يريد أن تتضح رؤيته ولا لأفريقى أيضاً ! !

فالكتابة السياسية فى وقتنا الحـــاضر مشوشة .. مشدودة من طرفيـــن عسيرين .. طرف يشدها الى نبش سيئات المرحلة السياسية الماضية ، وطرف يجذبها الى لون الصراعات الموجودة اليوم على الساحة وأهم أخطارها وضبابيتها : الفرقة والتصدع فى التضامن العربي ، والسقوط فى خنادق مبهمة وخطيرة فعلت تمزيق لبنان ، ومطاردة الفدائيين المناضـــلين الفلسطينيين ، وخلخلة وحدة المغرب العربى باثـارة الشغب ، وابتكار قضايا جانبية لشغل القادة العرب المخلصين عن حل قضية الوطن العربي ، وتطـــويق الاستراتيجية من خلال الاندساس فى افريقيا ، وافتعال قضية ... هي القرن الأفريقى ، وتسلل الشيوعية الى هـــذه الاستراتيجية .. وهذه هي حال الحاضر السياسى اليوم ، واحسب ان الكاتب السياسى مطالب بالتزام الحقيقة عبر انتمائه الكامل الى تصحيح التاريخ وليس إيلام التاريخ ! ومطالب بتصفية الكلمـــة – قبل كل شىء – من التشويش ومن تسخيرها وإقحامها لخدمة الشعارات المندسة المؤقتة وتنظيف الكلمة من ضحالة الضمير .. فاذا كان الكاتب منتمياً الى وطنه ، والى عقيدته ، وإلى عدالة قضيته .. فسوف تصبح الكتابة السياسية ثقافة عقل ، ونصاعة وجدان ! !

● ● ●

●● وبعد .. فكاتب القصة لن يكون شاعراً ولو قال الشعر .. فهو مبدع فى واحد والا تحول الى كشكول ، والكاتب السياسى لن يكون ناقداً لعمل أدبي مثل غالى شكرى .. إنه يرفض ان يكون كاتباً سياسياً ويؤكد قائلا : (ولن أكون) لأنه ناقد ادبى قبل كل شي ء .. ومع ذلك فهو يصدر كتاباً كله (سياسي) وهو يمزج الكلمة منه بالهموم السياسية .. لأنه عجز عن أن يسقط فى داخله انفلاش الانتواء .. عجز عن أن يفصل بين تلفته نحو المذاهب والشعارات وبين عشقه للكلمة كعطاء إنسانى .. لذلك تجد « غالى شكرى » ينشد بحزن تلك العبارة التى بدأت بها هذا المقال مردداً :

● « و ... ولازلت أحيا ..
احيا حياتى للمرة الأولى فى كل مرة جديدة كما أحب وليات الموت غداً .. فلن اخسر شيئاً » ! !

بمعنى أن حصيلته من الحياة تبددت فى الخوف ، والانفلاش والحيرة ، والتلفت ، فالموت عنده (غد) يريحه من الحياة اليوم فى شعوره بذلك التبدد ، فهو – أيضاً – لم يتخصص فى الشعور ، وإنما حاول أن يكون وجدانياً عاطفياً ، وفى قفزة اصبح مذهبياً شعارياً !

فكأنه بكل معاناته ، وبكل محاولاته لأن يحب كما يقول .. كأنه بقعة حبر .. على ورق أبيض .. لأن صفة الورق : البياض ، مهما سودناه ! !

عبد الله الجفري

غربة

شعر : حسن شكري فلفل

دهشاً وقفت وفى العيون قذًى
يغشى الفؤادَ وتمَّحى الصورُ
هذى المشاهدُ لستُ أعرفها
أنكرتُها وتَتَابَعَتْ فِكَرُ
زبدُ الطحالبِ كلُّ حاضرنا
يا شاعرى أين الهوَى العطرُ
أين انفلاتُ الذات فى صخب
أين المجالسُ أينَ مَنْ شعروا

صوت : صوت يأتيك يناجيكا
من صوبٍ أيمنَ أو أيسرْ
الشعرُ أداةٌ مهزومةْ
والماضى أسلحةٌ ثُلمت
فقدت فى الزمن الحاضر طهرَ الأمس
عالأوف مشعل أوف مشعلانى

• •

يا شاعري مهلا فَذَا زمنٌ
يشقَى الشريفُ به وينتحرُ
والحبُّ ما عادتْ تضُوعُ به
أجواؤنا ، أو يعبقُ الزهرُ
شدَّ الرحالَ فأنتَ مُغْتَربٌ
أنَّى حلَلْتَ وأنت منْتَهَرُ
أَوَّاه لا أبكى على زمنِي
فالعاشقون هواهمُ قَدَرُ

صوت : يا زهرة أحلامٍ صرعت
فى موجة مدٍّ عاتيَّةْ
رفضت إعصار الريح
على شرع الإقدام
هزت فى زمن الصمت ضمير الحب :
مع السلامة ياربعى وخلّانى

• •

تيهٌ وبعدٌ كل ناحيةٍ
لا تستبين على حالاتها الصورُ
تعلل النفس حين النفس قائلة
البعدُ والقربُ والأشواكُ والزَّهَرُ
كلٌّ تمازَجَ فى رؤيا موحدةٍ
أين السبيل وأين المخرج الحذِرُ

صوت : يا حلمَ الأمْس وعقْمَ اليَوْم
وكل الأنداء الحلوةْ
عقمت رحم الأيام له سمعة
وتردى فى الزمن الباهتْ
الصمتُ الصمت الصمت الصمت
ولتهنأْ يا زمنى الصامت



مسافر على الرصيف



الفلاح

بقلم : محمود السعدني

الكاتب اللامع محمود السعدنى يعود إلى قرائه على صفحات الدوحة ليواصل رواية ذكرياته الممتعة عن « قهوة عبد الله » أو « قهوة الأدباء فى ميدان الجيزة » وكان السعدنى قد اختفى فى الشهر الماضى ، ، وبحثنا عنه فى كل مكان دون جدوى ، وأخيراً عثرنا عليه فى القاهرة التى عاد إليها أخيراً بعد غياب سنوات طويلة عودة العاشق المحروم إلى صدر حبيبته الغالية ، وغرق السعدنى بين الأحباب والأصحاب والشوارع ، وتاه وغاب عن الأنظار ثم « ظهر وبان وعليه الأمان » .. فمرحباً بالسعدنى فى القاهرة وفى أى مكن .

« الدوحة »

اذا كان أنور المعداوى هو النموذج الأفضل فى قهوة عبد الله ، وزكريا الحجاوى هو الفنان ، وقطامش هو المتكلم ، وعبد القادر القط هو الطبيب ، فالأستاذ محمود شعبان هو الفلاح . هو فلاح حقيقى وأصيل وبدون إدعاء . وهو الوحيد الذى كان يعرف العيب ، ويتمسك حقاً باخلاق القرية ! ! ومحمود شعبان فى الأدب ربما لم يترك الأثر الذى سيخلد على مر الزمان .

ولكنه كنموذج انسانى سيحتل مكانه فى الصدارة وسيكون مثلا ينبغى ان يحتذى .

وقصة محمود شعبان هى تطبيق للمثل المصرى الشعبى « الدنيا متديش عايز » ولما كان محمود شعبان « مش عايز » اى شيء ، فقد اعطته الدنيا كل شيء . اضبح اديباً ولم يكن يريد ذلك ، وحصل على الشهرة ولم يكن يسعى إليها ، واصبح يملك المال ولم يكن فى لهفه إليه ! وهو اصبح ثرياً عن طريق لم يتعمده ، ففى الخمسينات من هذا القرن كتب محمود شعبان قصة طويلة بعنوان « زهرة من الجزائر » لم يلتفت اليها النقاد ولم يكتب عنها احد . ولكن وزارة التربية والتعليم رات إنها قصة ممتازة ، وانها تستحق ان تعمم على طلبه الثانوية العامة . واشترت الوزارة حق طبع عدة ملايين من قصة محمود شعبان ليصبح شعبان ثرياً خلال اربع سنوات . واشترى شعُبان الفلاح ضيعة صغيرة فى قريته وشيد بيتاً جميلا فى مصر الجديدة ، واشترى أسطولا صغيراً من سيارات الركوب وصار له دخل محترم ، وحقق ما يكفي لاستقراره وسعادته معاً . ولكنه لم يغير عادة واحدة من عاداته ، ولم يتنكر لصديق من أصدقاء الماضى ولم يتخل عن صديق فى محنة ، ولم يتردد عن مساعدة صديق فى حاجة إليه .

وموقف محمود شعبان من أنور المعداوى

فى محنته يجب ان يروى . لتتعلم الأجيال الجديدة أن الحياة فى احلك فتراتها كانت تشع بالنور رغم العتمة وتنضح خيراً رغم حجم الشر الذى كان يعشش فى أركانها .

فعندما اطاح يوسف السباعى يوماً بالمرحوم أنور المعداوى ، وفصله من وظيفته وأراد له أن يركع عن طريق التجويع . كان محمود شعبان هو السبب فى صمود أنور المعداوى ، وبفضله لم يستسلم أنور المعداوى ولم يركع !

فقد ظل محمود شعبان يصرف مرتب أنور المعداوى كاملا خلال السنوات الثلاث التى توقفت فيها وزارة التربية عن صرف مرتبه .

وفى اول كل شهر كان أنور المعداوى يتسلم ٤٦ جنيها و٨٣ قرشاً بالتمام والكمال . ولم يعرف هذا التصرف إلا حلقة ضيقة من الأصدقاء . ولم يصل السر الى هؤلاء الأصدقاء عن طريق شعبان ، ولكن أنور المعداوى هو الذى اذاع السر لهم ، ولم يكن فضل شعبان قاصراً على صرف النقود فقط .

ولكن الفضل كان فى شجاعته ، فى وقت بدأ فيه الأصدقاء يهربون من أنور المعداوى ويتحاشون الظهور معه فى مكان عام . فانور المعداوى كان مفصولا من السلطة ومراقباً أيضاً . وكان هو نفسه شديد النقمة على الأوضاع فى مصر عموماً ، وعلى الاوضاع فى الحقل الأدبى على وجه الخصوص . ولم يكن يخفى غضبه او ثورته ، واحيانا كان يتعمد إعلان رأيه عندما يشعر بان العيون تلاحقه والآذان تحيط به فى المكان الذى يجلس فيه . ولذلك آثر بعض الاصدقاء ان يبتعدوا عن طريقه ، وانشغل البعض الآخر بأعماله ، أو تظاهر بالانشغال إيثاراً للسلامة وطلباً للأمان . ولكن شعبان الفلاح لم يتخلف يوماً عن حضور مجلس أنور المعداوى فى قهوة عبد الله ولم يتخلف شهراً عن دفع مرتبه . ولم يتوان لحظة عن توفير احتياجات أنور المعداوى . ودون ان يذكر ذلك مرة واحدة لأحد ! ونفس الموقف اتخذه مع أكثر من صديق ، مع زكريا الحجاوى وآخرين لا داعى لذكر أسمائهم لأنهم لايزالون على قيد الحياة . وأغرب شيء ان شعبان لم يكن له وجهة نظر محددة فى السياسة ولكنه كان يقف إلى جانب كل مضطهد من أى إتجاه . كان يساند الاشتراكى واليمينى والتقدمى طالما انه فى محنة ويعانى بسبب ما يعتقده من آراء . ونادراً ما كنت ترى شعبان فى فترات صفوة ، ولكن المؤكد انك ستراه الى جانبك فى لحظات الضيق . كان فى الاذاعة فى فترة الستينات مخرج مزعج للغاية ، وكان مرتشياً وتدهور به الحال الى حد فرض الاتاوات . وبالتاكيد كان شعبان احد ضحاياه ، فابتعد شعبان عن التعاون مع الاذاعة فترة ، ولكن بعد أن فصلوا المخرج من عمله لم يتخلف شعبان عن زيارة المخرج فى منزله مرة كل أسبوع حاملا معه كل ما تستطيع يداه حمله من الطيبات . وكان يخصص للمخرج المزعج إياه مبلغاً معيناً من المال كل شهر يعينه على مواجهة أعباء الحياة ! ولا يعرف غير عدد قليل من الأصدقاء أن محمود شعبان انفق مبالغ كبيرة من ماله الخاص لطبع الانتاج الأول لكتاب ناشئين لا تعترف بهم دور النشر . أذكر مرة اننى سخرت بقسوة من كاتب شاب يدعى محمد حامد أبو الحمد ، قدمه لي يوسف السباعى ، وطلب منى ان اكتب له مقدمة كتابه الأول وكان بعنوان « قصص من الحياة » وقرأت القصص التى هى من الحياة واكتشفت ان الشاب إياه كاتب من النوع الموهوم وليس من النوع الموهوب وأن علاقته بكتابة القصة كعلاقة العبد لله بلعبة الكاراتيه ! وكانت القصة الأولى بعنوان « زوجتى فى الحديقة » ، والقصة الثانية بعنوان « يا بوليس الآداب » والقصة الثالثة بعنوان « يا خائنة » ، كان واضحاً أنه متأثر بيوسف وهبى ، أو يوسف وهبه كما كتبها هو بالفعل فى الكتاب . وحبكت معى النكتة فكتبت مقدمة للكتاب من نوع « هذا الكاتب المتقدم على الفصيلة الأولى مترنحاً على الأفق ، منساباً نحو الأعلى متضارباً مع المجموعة الأولى فى سبيل الحنجورى المتدافع فى الشنجورى المتالق على قفا الشفق » ! وتصورت أن الكاتب إياه عندما يقرأ مقدمتى سيدرك أننى كاتب عابث بقدر ما هو كاتب هايف وسيلقى بالمقدمة فى سلة المهملات . ولكنى فوجئت



يوسف السباعى



كامل الشناوى

الفلاح

بعد أيام بالكتاب يباع فى الأسواق ، ويمقدمة للأستاذ الكبير محمود الصعيدى عضو جماعة كبار الأدباء ، وكنت قد انتحلت هذا الاسم لنفسي . ووقعت نسخة من الكتاب فى طريق كامل الشناوى فكانت فاتحة خير للكتاب . تولى كامل الشناوى الدعاية للكتاب باعتباره مهزلة العصر فنفدت جميع النسخ من الأسواق فى أيام .

وساعد على ذلك ان يوسف السباعى كتب مقالا شرح فيه قصة الكتاب والمقدمة بعنوان « مطلوب قانون لحماية المغفلين من محمود السعدنى » .

ولكن محمود شعبان الفلاح لم يجد فى الكتاب مهزلة عصرية كما رأى كامل الشناوى ولم ير فى المؤلف الشاب مغفلا كما رأى يوسف السباعى ، فقد كان يعتقد انه مؤلف سيىء الحظ وان الكتاب مجرد محاولة رديئة لكتابة القصة ، وسارع بالاتصال بالمؤلف وساعده مادياً على إصدار كتابه الثانى والأخير ! ولم يقطع شعبان جذوره بالقرية التى انجبته ، كان يحيى ليالى المولد فى القرية ويساهم فى أفراح الفلاحين ويسعى لتوظيف البعض ، وفى حل مشاكل الرى والزراعة والعلاج والتعليم ! وعاش شعبان يسعى كمؤسسة بمفرده ، وربط خيوطه بالجميع دون أن يتاثر باحد أو يتبع خطوات أحد . ولم يحاول مرة واحدة أن يتدخل فى شئون أحد لا بالزجر ولا بالنصيحة ، وتوقف دوره عند حد المساعدة والتدعيم . ذات مرة اضطر ان يدفع مبلغاً كبيراً من المال لاحدى السيدات حتى لا تتقدم بشكواها الى جهات الاختصاص ضد أديب مشهور بنزواته الغرامية . كانت السيدة المجنى عليها فقيرة وجاهلة أيضاً . وكانت تعمل فى حياكة الملابس المسرحية فى مسرح صغير حين التقت بالأديب إياه . وبالطبع نقلها الأديب المشهور الى عوالم أخرى جديدة وباهرة ، وجنت المرأة التى كانت فى الأربعين من عمرها وتجيد صنع « المحشى » ... جنت بالكلمات السحرية التى كان يهمس بها فى اذنها عن الأغوار السحيقة فى عينيها

والأحلام الدافئة التى تشعها لمن يقترب منها وعن الموسيقى التى تختلط وتنبعث من صوتها ، بينما كان صوتها يعانى من بحة على أثر برد مزمن وقديم . فطلقت المرأة زوجها وتخلت عن أولادها وباعت مصوغاتها فى سبيل الفارس الجديد . ثم تبخرت الأحلام فجاة فاذا بالأديب فص ملح وداب ، واذا بقصة الحب الخالدة تموت بالسكتة فجاة ، ولجات المرأة الى كل أصدقاء الأديب ، فمنهم من نصحها بالصبر ومنهم من وبخها بقاسى الكلام ، ومنهم من حرضها على الأديب إياه ، ولكن شعبان رد للمرأة مصوغاتها وكان هذا عاملا مهماً فى تجميد الموقف عند هذا الحد ، ولما سألت محمود شعبان هل فاتح الأديب إياه فى الموضوع ، نفى ذلك بشده ، وسألنى ولماذا فاتحه ؟ قلت لعله يكف عن هذا الطريق !؟
ـ قال شعبان فى هدوء : « ولماذا يكف ؟ إن هذه هى طبيعته . وكل ميسر لما خلق له ، وهو يفعل ما يسعده ، وليس هناك فائدة ترجى من نصحه ، فهو ليس شاباً فى بداية العمر ، انه رجل فى نهاية الرحلة ، ثم ما جدوى ان يغير من عاداته السيئة الآن وقد فات الأوان . ؟! » .

منطق الريفى صاحب التقاليد والأصول ، يتدخل للمساعدة فقط ، ولستر العورات فقط وليس للمنظرة او الدخول فى الصورة أو كسب أصوات الناخبين ! . ولكن الغريب فى الأمر أن الأديب الريفى الذى يعرف الأصول فرضت عليه عزلة قاتلة فى أيام العيب واخلاق القرية . اختفى الأصلاء فاختفى معهم ، وغاب المعدن الحقيقى فكان لابد ان يغيب ، وطغى على سطح الحياة شوائب ونوائب وفى كل مجال ، توفيق عبد الحى فى عالم التجارة ، والكفراوى فى عالم التهليب واحمد عدوية فى دنيا التطريب ، وأصبح علي برعى هو الكاتب والأديب ولم يجد شعبان بدأ من الاختفاء ، احتمى بقريته فى آخر الأمر ، واكتفى بكتابة برامج دينية للاذاعة بين الحين والآخر . ظاهرة تثبت أن الذين رفعوا الشعارات لم يكن لهم أى صلة بها ولم يكن لديهم ايمان باى شىء على الاطلاق . لقد كانوا يرددون الشعارات ويفعلون غيرها ، فخلت مصر من كل قيمة وجفت من كل تيار إلا تيار الاسترزاق ، ودخلت فى نفق مظلم ، وفى الظلام تستوى الأشياء ويصبح كل شىء مثل أى شىء . واختفى من مصر زكريا الحجاوى بالموت ، وأنور المعداوى بالقهر ، وفتحى رضوان بالسجن ، واختفى معهم أيضاً محمود شعبان ، اختفى وتوارى عن الأنظار إحساساً منه بالحزن لما يجرى أمامه وشعوراً منه بالأشياء التى تلطخ وجه الحياة .

ولقد آن لمصر الآن ان تلملم أبناءها وان تضمهم تحت جناحها ، وأن تنشر الدفء والضياء فى كل اتجاه . وآن للطيور المهاجرة ان تعود ، الذين اغتربوا فى الخارج و الذين اغتربوا فى الداخل أيضاً ، وما أبشع القرية داخل الأوطان . ما أبشع غربة محمود شعبان الأديب الفلاح الذى يعرف العيب ويتمسك باخلاق القرية ! !

محمود السعدنى

في حضـــرة الشــاعر الســـوداني المبــدع:

محمد المهدي المجذوب

بقلم: د. حسن أبشر الطيب



محمد المهدي المجذوب

إن الحقيقة المنيفة تظل باقية . الشاعر السوداني المبدع محمد المهدي المجذوب الذي افتقدنا بوفاته مطلع مارس الحزين واحداً من أعظم الشعراء العرب المعاصرين ، يعد في اعتقادنا معلماً بارزاً في تاريخ الثقافة السودانية . قد نال هذا الموقع بجدارة لتميزه بصفات انسانية رائعة متفوقة ، ولأنه كان بوتقة من المواهب الثرة : فهو الشاعر المبدع الذي يشع بالاصالة ويتصل نبعه بذاك الخيال المتفرد ، وهو الناثر المقتدر ، والناقد الموضوعي الأمين ، والمؤرخ المتفهم .

كان الاستاذ المجذوب إنسانا رائعا متميزاً .

الفؤاد الذكي والوجدان اليقظ ، كبرياء عظيم في تواضع جم ، بصيرة نافذة وعاطفة صادقة ، براءة بالفطرة وحب دائم ومقيم للناس ، كل الناس ، حفظه للتراث ورغبته المتصلة فى المعرفة تنم عن وجد بها يعدي .

كان عامر النفس بالايمان ، مستغرقا فى التامل ، محبا للحياة وزاهداً فيها ، محتفلا بما ابدع الخالق جلت قدرته من جمال في الكون ، مؤمنا بان صلاح النفس يجيء من التفكير في الموت وهو القائل :

انــا طفـل العنايتين : حنــان اللــه
والعيش فى معــــــاني الجمــال

كان الاستاذ المجذوب هبة من الله ، سبحانه وتعالى ، نعمنا بها زمانا ، نهلنا من نبعه الثرءوتداوينا بفضله من اسقام أيامنا العليلة ، واسترد الله سبحانه وتعالى وديعته .. بكينا واستغفرنا ووقفنا له ضارعين ان ينزله مع الابرار والصديقين .

لا أدري متى كان اول لقائي به ، لا استطيع أن احدد لذلك اللقاء يوما بعينه اضعه موضعه من الشهر أو السنة ، ولكني اذكر جيداً اني كنت يومها طالبا بالجامعة . هناك افذاذ من الرجال ينزلون عليك كالرحمة ، لهم مقدرة ساحرة في خلق رحابه من الألفة الحميمة منذ اللقاء الأول حتى تكاد تحسب انك قد سعدت بمعرفتهم زمانا ، وشيخي الأستاذ محمد المهدي تاج تلك العقد الفريد . لهذا فقد استحال علي أن احدد للقائي الأول به يوما بعينه ، ولكني يقينا نادم على سنوات من العمر انقضت قبل معرفتي لهذا الانسان الرائع .

هو الصدق المحض .

كنت قبلها اسمع هذا التعبير فلا استبين معناه . حظيت بالقرب منه فسمعت الصدق المحض ورأيت الصـدق المحض . يحدثك عن طفولته وصباه ، وهي في رايه العمر الحقيقي ، وعن معاناته وتجاربه وومضات مشرقه من الأيام فى السنوات اللاحقة فتبكي حينا وتضحك حينا ولا تملك في كل ذلك إلا أن تقف متاملا في هذا الصدق المحض الذي تسمع وترى وتلمس . الكذب كلمة لم يعرفها قاموس حياته .. يحدثك فيقول : (المعاناة شفيعي الى الصدق ، ومن اسرار الصدق انه يقود الى المعرفة ، ولي اسوة بالمعترفين مـن سادتي الصالحين ، والمعرفة غربة والغربة شجاعة وبقاء عند أهل التصوف) .

لانه كان الصدق المحض لم يالف المدينة رغم هجرته الباكرة إليها ، وظل يعيش ذلك الحنين الموجع إلى خلوته تلك الزاهدة المستبشرة لشغفه العذري بالحياة النقية الخيرة ... كتب لي يقول : (اعجبـــتني بطاقتك ، وتاملت الصبي ينظر في المصحف باهتمام واعادني ذلك الى ايام الخلوة فى الدامر ، وقد توفى سيدي وشيخي الفقيه محمد الطاهر قبل ما يقرب من العام وفضله لا ينسى – تصور انني اشتهي العودة إلى الدامر والجلوس فى خلوة بين حيران – ولكن الله شاء ان اتعاطى الرسم والشعر

محمد المهدي المجذوب

والشعر عبء ثقيل هدام .) .

ظل العمر كله نافرا من زيف المدينة وصلفها ، تواقا للعودة لدامر المجذوب ليعيش فيها الكد والضحك والبساطة والحرية .

(عشت قبل ان اذهب إلى الخلوة فى مزرعة على شاطىء النيل .. وكانت هذه الفترة ذات أثر في حياتي والنماء ، بهرتني الخضرة والحصاد وجمال الحيوان وحرية الطير . هذه الأعشاش المتقنة الدقيقة ، الحراز وخصومته للبحر ، والسدر والسيال ... والمراكب والنفير وأصوات الليل ... والكد والضحك والبساطة ، كان هذا عمراً حقيقيا لي ... كانوا أحراراً وتعلمت منهم الحرية ، وقد نشأت معهم ، تولوا تربيتي وخدمتي ، ولن انسى حبوبتي « صــافي النية » وأخاها الضو والصبر وفرج الله ممن كانوا يلوذون بهذه المزرعة .)

الخرطوم زحام وضجة

إنك لتعيش هذا الوجد وهذا الحنين وهذه المناجاة لأيام طفولته وصباه فى دامر المجذوب عندما ينشدك :

إني من الدامــر السمحاء دوخـني
هــذا الترام حمــار غير مامــــون
فيه ارتدفنـا وقوفـا ثـم جمــدنـا
ذاك التـاله من ســواقه الـــدون
وكم أروح الى الطبــاخ يخـدعني
صياحـه بطبيــخ غير مسمـــون
من لي بكســرة خالاتي وما يبست
فيها القواديــس فى احجـار طاحون
اقــواس نخـل على جـرف وساقيـة
اشهى إلى النفس من ابواب جيرون
ما ضــاق حوش ولا نفــس بها سعة
والعين تسرح في استبشار ليمـــون
وللطبــول سبــاق فى دياجــرهـا
تغريـب خيل من الجرد السراجيـن
رعى المهيمن اهليهـا فانهـــــم
أمـن الصريـخ وماوى كل مسكيـن

لأنه كان قرويا بكل ما تحمل الكلمة من بساطة وبراءة فانه لم يالف حياة الخرطوم اللاهثة وظل دابه الدهر سادرا متضجراً منها ، زاهدا فيها ، وهي دائما عنده مرتبطة بالزحام والضجة والحر .. كتب لي يقول ، وكنت يومها بعيداً عن الوطن اتداوى من الغربة بالكتابة إليه والاستماع منه ، قال لي يشكو الضجر والحر فى الخرطوم :

(من نعم الله علينا أن البرد قد خف والغبار محتمل وسيجيء الصيف وتقعد الشمس على رؤوسنا ... اشعر في صيف مايو انني احمل رماداً على راسي ... وفي أعماقي ضحك حزين على كل شيء . ما أشد الزحام هنا والضجر . وأراني اقبل عــلى الطعام غير عابىء بتعليمات الطبيب ـ بدات أملأ ملابسي ـ كنت اكره الجلوس إلى التليفزيون والاذاعة ـ صرت لهما ملازما فى هذه الأيام ـ هل ترى في هذا تخلفا ـ أقرأ كتب كافكا ذلك المخبول ، وشعر الفرزدق ـ كان هذا فنانا ـ احاول أن أقرأ الأدب القديم مرة أخرى ـ واشتريت مجموعة من شعر بوشكين وجدتها هنا ـ لم اقرأ فيها حرفاً . ثم الزحام والضجة والحر وأحلام اليقظة ... اناهز الستين ـ كيف حصل هذا ؟ لا أعرف من أنا احياناً ـ هذا شيء محير ممتع .)

عاشق الطبيعة

كان ضجراً بحياة الخرطوم اللاهثة ، تواقا الى أيام الطفولة والصبا الباكر وهو القائل :

آه لو يرجـع الصبــا كنـدى رف
عــلى وردة بعزلـــــــة وادي

طفولته وصباه ... حبه لتلك الحياة القروية الهانئة البسيطة قد جعلته يتخذ من الطبيعة حبيبة معشوقة ، يناجيها ويتغزل فيها ... ما أشد محبته لخريف القرية ... تعيش معه في ليلة ممطرة ، فيسحرك بوصف هذا الحسن الذي شربت منه عينه ، ترى كيف أذاب هذا الشاعر الفنان نفسه فى الطبيعة حتى صار الحد بين كليهما دقيقاً بصورة لا تتيح لك ان تعرف : أي منهما يناجي الآخر ... ملكة موحية فى التشخيص تستمد قدرتها من سعة في الشعور ورقة متناهية فيه ... فاذا بك في « ليلة ممطرة » تعيش موكب عرس .. السحب متبرجة ، سودها يزففن بيضها ، والغصون يستترن بالورق المخضل والرعود انفجرن بالضحك الحاني .:

أنظـر السحـب فوق تـل تتبرجـن
واقبلـــن في مواكب عــــــرس
من مواعيد للوعــود يطبقـــن
رحـاب السمـاء مـن كل جنـــس
بيـن سود زففـن بيضـا وشهـب
راقصـات مع الريــاح وطلــس
وتسابقن فى انســكاب فما غـادرن
مـن لهفـة تئـز ويبـــــس
ترعش الأرض في البوارق كالحسناء
نــدت على مفاتــن شمـــس
والرعــود انفجرن بالضحك الحاني
على الأرض كم تتــوق لعـــرس

نار المجاذيب

وأنت من بعد تقرأ دواوينه « نـــار المجاذيب » ، « الشرافة والهجـــرة » ، « البشارة والقربان والخروج » ، « تلك الأشياء » ، « ومنابر » فتعيش الاحتفاء بالجمال ، فهو مفتون بالرائع من جوانب الحياة لذلك يعيش كل لحظة فيها كل ذاك الصدق المحض وهو القائل :

أمــا الحياة فلى عين تحس بهــا
كالعين تبعث أوكانـــا وأوراقــا
ولى فــؤاد هو الدنيــا وما حملت
مهــدا ولحــدا وإمساكا واطلاقـا
فكيف أعــرض عنهــا وهى دانية
واشــتكى بلســان الغيظ اخفاقا

وأنت تعيش فى كل هذا الشعر الرصين كيف استطاع هذا الشاعر المبدع أن يحتضن الكلمات ويبثها شوقه وحنينه ويغذيها عميق وجده ... كلماته حبلى ، معطاءة ، مرهفه تضوع بالمعانى والنغم الموسق ... له مقدرة فذة فى تاهيل الكلمات وتفجير الدلالات الحسية والمعنوية لها .. يستطيع أن يكسبها ظلالا وارفة ورمزاً واعياً وبعداً ثالثا . يرسل نفسه على سجيتها ، فيعكس ما فى نفسك فى نفس طويل فيكسر بذلك كل الحواجز التى تجعلك تقف موقف المتلقى أو القارىء .

كان المجذوب بسيطا فى حياته زاهداً .

كتب لى ذات مرة فقال : (اشتغلت فى ١٩٣٨ محاسباً فى المخازن ـ كنت آمر على زبون لى يبيع الصعوت الجيد المدمر فاملأ

حقتى بمليمين ـ والفت هذا الزبون وصرت أجلس اليه وأتحدث . قال لى يوماً : يا أخى ما تضيع وقتك فى شغل الحكومة . تعال أعمل ليك حقه فى دكانى دا . وكنت فى شغل شاغل مبهوراً بالكتب والشعر والسياسة والمصير . ومرت الأعوام الطوال ... وكنت أسير فى سوق أم درمان ورأيت لافتة كبيرة عليها اسم صاحبى ... وشككت وأنا انظر فى أعماق الدكان الطويل . ورآنى الرجل فاقبل على هاشاً ... قال هذا دكانه وله مخزن فى الخرطوم وآخر فى الخرطوم بحرى ... وأشار الى سيارته ، ثم ذكرنى ـ فى محبة لا تعالى فيها ـ ليتك سمعت نصيحتى . وانصرفت أتامل فى غبائى العظيم ... ومضت على أربعون عاماً افنديا من غير وجاهة ... لست محباً للمال ولكننى أبحث عن الكفاية لأخرج من الضرورة والعجز الى راحة أملك فيها وقتى لأقرأ وأكتب كما ينبغى ... تنتهى خدمتى فى آخر ديسمبر من هذا العام وأحسبنى سأسعى الى العمل بالمشاهرة وقد أصبح الوجود فى مكتب حسابات شيئاً لا مفر منه . وانظر فى ضيق الى هذا الشعر الذى أضعت فيه عمراً ... كيف استطيع جمعه وطبعه ؟ .. مثلى منذور للحزن والصمت اننى أؤمن بالعزاء فى الموت ـ أعذرنى لهذا التفكير الخابىء ـ ولا أؤكد محبتى إلا ببثى اليك ما فى صدرى) .

ولأنه كان بسيطاً وزاهداً فقد كان يحب مخالطة المساكين .

يا بائعة الكسرة

تقرأ قصائده « بائعة الفول » ، « العرافة » ، « ماسح الأحذية » فتعيش هذا التعاطف الحانى مع المساكين ومقدرته فى التفاعل مع قضاياهم كأنها قضيته الخاصة ... أما سمعته يقول لبائعة الكسرة فى قصيدته « أم الناس » :

يا بائعة الكسرة .
ألقاك
يا سمراء
أشتم سماحتك الخضراء وترحاب
الاتقان رضاء جمالك يضحك لا للغى
كدح شاكر
أهواك أصابع صبرك والعمل الموصول
الجيد لب نقائك
ورزانتك الشماء
وأرى أطفالك فى ذاك البيت الأقصى
ينتظرون الخير العائد كل مساء .

كان شيخى كريماً ، كرماً فى النفس وفى اليد وفى اللسان .

الضيوف الذين لا ينقطعون عنده من النعم الخفية والألطاف الربانية . ما أشد سعادته واحتفاله بالأصدقاء ... تلاميذه وأحبته .. يتحلقون حوله ... يحيطون به إحاطة السوار بالمعصم ... حديثه الذكى العميق المرح .. (أنا أحب الفرح ـ متفائل بطبعى ، لأننى أحب الخير لنفسى وللناس وبهذا تعتدل الحياة ، ولكن الله جلت حكمته ابتلانى وأعاننى ، وله الحمد) ... توارد الخواطر ... نبع ذاخر من المعرفة ... حبه للطرائف والنوادر ... ولازمته التى تعبر عن الدهشة حيناً والاستحسان حيناً آخر : (يا سلام .. يا سلام .. ! هذا مدهش .. شوف بالله الحكاية .. !) .

هذه الرحابة والرقة البينة فى الاحساس قد انعكست بطبيعة الحال فى شعر الأستاذ المجذوب وكان نتاجها هذا التصوير الدقيق بالكلمة الشاعرة .

الالتصاق الحميم بالوطن

إن التصوير الدقيق بالكلمة الشاعرة يعنى باللون والشكل والحركة والمعنى ، ولا جدال ان الحركة أصعب ما فى هذا الفن لأنها تستوجب قدراً عالياً من رقة الاحساس الذى يجعل المعايشة والتفاعل جوهر التجربة ، ويستوجب بذات القدر قدرة نافذة فى تذوق درجات الحركة بما فيها من أنغام هامسة وصاخبة . يضاف الى كل ذلك القدرة على تصوير الحركة شعراً يحتاج إلى تمكن من اللغة وعلم موسوعى بها لكى يتمكن الشاعر من انتقاء الكلمة المناسبة لتصوير ما اعتمل فى نفسه وما عاش من حركة ونغم . أنت تقرأ دواوين المجذوب فلا تملك الا أن تشهد له بهذه القدرة المميزة فى التصوير الدقيق ... تقرأ قصيدة « المولد » ، فيسحرك الشاعر المبدع بتجسيده لألوان من الحركة ... بينما يصور لك المقطع الأول الابتهال وما فيه من هدوء وطمأنينة وراحة :

صل يارب على المدثر
وتجاوز عن ذنوبى
وأعنى يا الهى
بمثاب أكبر
فزمانى ولع بالمنكر

ويصور لك مقطع آخر حركة راقصة تشع من الكلمات المنتقاة بعناية : يرجحن ، والنوبة التى تئن وترن :

وهنا حلقة شيخ يَرْجَحِن
يضرب النوبة ضرباً فتئن
وترن
ثم ترفض هديراً أو تجن

ثم تعود الى مقطع ثالث ليس فيه الابتهال والهدوء الذى آنسته فى المقطع الأول ، وليس هو بالموقف الصاخب كما عشنا المقطع الثانى ، وانما هو مرحلة بين المرحلتين يمزج بين كليهما ويمكن أن نسميه الصخب الهادىء :

وَفَتىً فى حلْقَةِ الطَّار تَثَنّى
وتأنّى
وبيمناه عصَاه تَتَحَنَّى
لَعِبًا حرَكَةُ المدّاحُ غَنىَّ
رَاجعَ الخَطْو بطَار
رَجّعَ الشّوْق وَحَنَّا

السمة اللازمة لكل هذا الشعر الموحى تتمثل فى الالتصاق الحميم بالوطن والتفاعل الأمين مع القضايا القومية والتجاوب الصادق مع القضايا الانسانية ، وقد سلم شعر المجذوب السياسى من التقريرية والخطابية وهى من أبرز العيوب فى الشعر السياسى فى الوطن العربى .

وأستاذنا المجذوب من بعد ومن قبل هو ذلك الصوفى العابد الشاكر المؤمن الذى يعشق الحياة لأنها فضل ربه :

أنت سقيتنى فلم تظما النفس وبناى على الخيال الخلود
هو عشقى الحياة من فضلك وحرصى على البقاء تليد
هو المدرك لعجز العباد عن نيل المراد لهذا فهو المبتهل الى الله سبحانه وتعالى أن يغمره برحمته :

رب عذرى اليك شكرى وما جَحَدَ النعمةَ الا مخيب أو كنودُ
كيف أخشى منيتى ويد الله رفيقى اذا طوانى اللحودُ

وبعد .. لم تكن كلماتى هذه إلا نزهة قصيرة فى بستان هذا الشاعر الرائع والناثر المعبر ... كم وقفت فى هذا البستان مسحوراً استجدى الكلمات !

د . حسن أبشر الطيب

دور العمائم في تاريخ مصر الحديث:

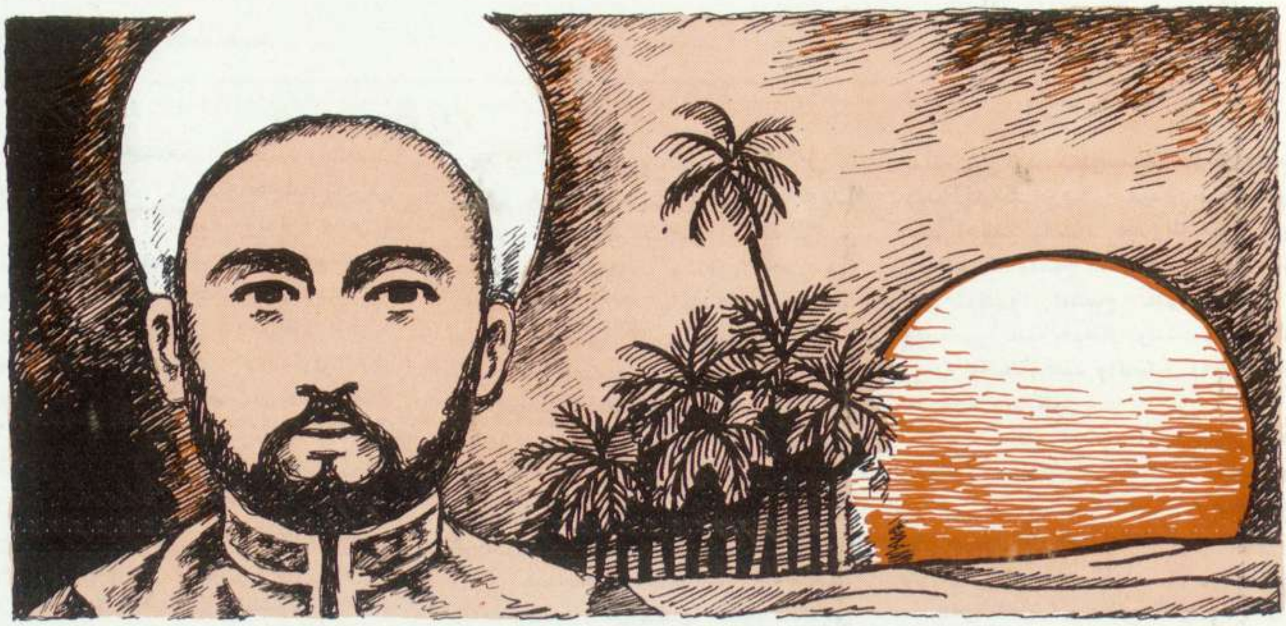
علي يوسف
عمامة قَلِقَة ومُقْلِقَة

بقلم: فتحي رضوان

كانت حياة على يوسف عاصفة ، عرف فيها المر وعرف فيها الحلو ، ومات فى رجولة ناضجة ، فى سنة ١٩١٣ وهو فى الخمسين من عمره .

وقد أخذت أكثر مصائب ومتاعب على يوسف ، شكل دعاوى تعرض على المحاكم ،وتجرى فيها مرافعات وتصدر أحكام ، ولكنها دعاوى تشغل الرأى العام ،فيشعر لها بالضيق ، ويفرح حينما يحكم فيها ببراءة الشيخ ، ويعد ذلك فوزاً قومياً ، تتردد أصداؤه لا فى مصر وحدها ، بل فى العالم العربى كله قبل أن يتخلق هذا العالم ، ويكمل شعوره بنفسه ووجوده ، الأمر الذى لم يتم إلا بعد الحرب العالمية الثانية ، وحين اشتدت أزمات العرب فى سوريا سنة ١٩٢٥ ، وفى فلسطين بعد ذلك بعقد من الزمان .

والعجيب أنه حينما كانت للشيخ قضية خاصة ، تذهب فى الخصوصية إلى أبعد الحدود ، كانت هذه القضية بالذات ، عامة شغلت الناس والصحافة ورجال السياسة وأقطاب الحكم ، وأريق من اجلها حبر كثير لمناقشة جوانبها ، بين مؤيد للشيخ مسرف فى التأييد ، وخصم له يبالغ فى العداوة. حسبك أن تعلم أن هذه القضية تدخَّل فيها صراحة ، وبغير تحفظ ، الخديو عباس حلمى ، سيد البلاد الرسمى ، ومصطفى كامل زعيم البلاد الشعبى ، وقاضى القضاة التركى ، وقاضى الشرع المصرى ، وكان افراد الشعب ، يجدون فى تتبع احداث تلك الدعوى ، متاعاً ، كما يجدون فى المناقشة فى شان تلك الاحداث والجدل حولها حماسة ، ولم تكن تلك الدعوى ، إلا دعوى زواج الشيخ على يوسف باشا صاحب المؤيد ، واحد اكبر كتاب مصر ، من السيدة صفية السادات ، بنت الشيخ عبد الخالق السادات شيخ الطريقة الوفائية . وهو زواج يتم مثله كل حين ، فلا يثير شقاقاً ولا يبعث جدالا ، ولا يدعو الحاكم الى التدخل في شئون القضاة ، ولا يدعو عامة الناس الى متابعة امر هذا الزواج ، برضى او بغضب . إلا ان الشيخ كانت له دعاوى اخرى ، فى الصميم من الشئون العامة ، وهى اولى بالتقديم ، لاتصالها الوثيق بأمور الوطن ، وبعلاقات الحاكم الدخيل ، والغازى المغتصب ، بريطانيا بالمصريين فضلا عن انها اسبق فى التاريخ من قصة الزوجية، إذ ان قضية الزوجية وقعت فى سنة ١٩٠٤ ، اما قضية (التلغرافات) فقد وقعت فى سنة ١٨٩٦ . وخلاصتها ان مصر لوفدت فى تلك السنة حملة الى مدينة دنقلة فى السودان ، وكانت وزارة الداخلية قد أصدرت أمراً بمنع مصالح الحكومة ووزاراتها ان تعطى لجريدة (المؤيد) اخبارها ، لتصبح المؤيد منشوراً سياسياً ، يتضمن المقالات التى يحمل فيها كتابها على الحكومة ، ولتفقد صفتها الصحفية ، التى تقوم اول ما تقوم على نشر الأخبار ، والسبق اليها ، والتعليق عليها ، وقد



انسحب قرار المنع على اخبار حملة دنقلة وقد كان السودان ولا يزال فى موطن الاهتمام والعناية من نفس الشعب المصرى وكانت حملة الجيش المصرى على السودان بقيادة ضباط انجليز ، لهم الكلمة النافذة بمعونة ضباط مصريين ، يامرون فياتمرون مثاراً لالم المصريين واحتجاجهم ، فالسودان هو امتداد لمصر ، ولولا الحكم البريطانى وعسفه ، وسوء نوايا قواده والمشرفين على توجيه أموره ، لما كانت بين مصر والسودان ، لاحرب ولاحملة ، ولذلك فقد تحركت فى نفس على يوسف نوازع الصحفى الذى لا يكاد يحس بموطن لخبر حتى يشتد فضولة ، ويتهيأ للوثوب والقفز ليظفر بالخبر ، قبل غيره ، كما تحركت فى صدره مشاعر الوطنى الذى يرفض أن تمنع عنه أخبار وطنه ، ويستأثر بها الصحفيون المحالفون للاحتلال والساعون فى مجاله والجارون فى ركابه ، ومعهم مندوبو جرائد لندن وأوروبا ، قاطبة ، ومن ثم عقد العزم على الوصول الى اخبار حملة دنقلة مهما كلفه الامر ، وقد كلفه الامر فعلا الكثير .

هدت الحيلة « على يوسف » الى ان يستقى أخبار الحملة من مصدرها الاول ، وهو مكتب تلغراف الأزبكية الذى كان مخصصاً لتلقى اشارات البرق القادمة من خارج مصر ، وكان على رأس هذا المكتب المواطن نجيب اسكندر ، وقد تلقى برقية من السردار وهو القائد الأعلى للجيش المصري يحمل هذا اللقب التركى ، لأن صلة مصر بتركيا لم تكن قطعت رسمياً ، وإن كان الاحتلال البريطانى ، قد قطعها فعلا ، واستأثر بكل شىء فى البلاد ، وكانت برقية السردار موجهة الى وزير الحربية ، بتفصيل انباء الحملة ، إذ بلغت كلماتها ٥٦٦ كلمة ، وقد استغرق تلقى هذه الكلمات سبع ساعات كاملة ، فقد كانت أجهزة ذلك الزمان بطيئة ، فلما فرغ الموظف من تلقى البرقية كاملة ، طيرت لوزير الحربية ، إلا أن نسخة منها وصلت الى جريدة المؤيد ففرح بها أعظم الفرح ، واحتفل أكبر احتفال ، وفى اليوم التالى وهو يوم ٢٧ يوليو سنة ١٨٩٦ طلع المؤيد على الناس والبرقية تتصدر جريدة الشعب المصرى ، التى يحرص على قراءتها ، ويرى فيها نفسه ، ويسمع من خلال كلماتها ومقالاتها صوته ، وكان هذا الفوز مثلثاً ، فقد انتقم به الشيخ لنفسه من الحكومة ووزاراتها ومصالحها ، وكاد بها لسلطات الاحتلال التى كانت تود أن تحرم المصريين من تتبع انباء جيشهم ، وتفوق بها على جرائد الاحتلال التى كان يؤثرها الانجليز بالأنباء ، واهتزت أكبر جرائد الاحتلال التى تصدر بالعربية ، وهى جريدة المقطم ، فاسرع صاحب المقطم الى النيابة مقدماً بلاغاً ضد على يوسف وجريدة المؤيد ، ومكتب برقيات الأزبكية، وقامت قيامة الدولة ، فامرت باجراء تحقيق ضد موظفى المكتب ، وصخب مندوبى الجرائد الاجنبية الكبرى من أمثال التيمس البريطانية ، والفيجارو الفرنسية ، يبلغ عنان السماء ، وأسفر التحقيق عن اسناد التهمة ، تهمة إفشاء أسرار الدولة العسكرية ، الى موظف المكتب ، الذى قضى سبع ساعات طوالا فى نقلها ، وهو توفيق افندى كيرلس . وكان توجيه الاتهام إليه مع على يوسف ظاهرة اسعدت الوطنيين ، فتوفيق كيرلس من الاقباط ، وكان ظن البريطانيين أن الاقباط يقفون من الحكومة الوطنية موقف غير المكترث لاعتقادهم أنهم يميلون الى الانجليز.لكن الايام اثبتت أن الاقباط مصريون من المصريين ، وأن دورهم فى الحركة الوطنية سيكبر مع الأيام ، منذ بداية نشاط حزب مصطفى كامل .

واثبت توفيق كيرلس انه رجل يفخر به وطنه ، فقد حاولت سلطات الاحتلال تارة بالوعد ، وتارة بالوعيد ، ليشهد ضد على يوسف ، فيقر عليه بانه هو المحرض على ارتكاب هذه الجريمة ، وقد كانت شواهد الحال ترشح هذا التصور ، وتزكيه ، إلا ان توفيق كيرلس صمد للضغوط ، وابى ان يمالىء السلطة ، وقد قامت عقبة قانونية، فقد خلا قانون المطبوعات المصرى آنذاك من نص يعاقب الصحف على إفشاء أسرار الدولة ، إلا أن اللورد كرومر ، وجد مندوحة عن هذا النص ، بحكم فى قانون العقوبات يقضى بعقوبة موظف الدولة ، الذى يفشى أسرار الحكومة ، فسيق توفيق كيرلس الى محكمة عابدين بهذه التهمة ، فاعلا اصلياً وسيق الشيخ على يوسف بوصفه شريكاً بالتحريض .

مصر فى قفص الاتهام

ومما يجدر بالذكر ان توفيق كيرلس اهتز

للحظة ، أمام الضغط العنيف ، والتهديد الشديد ، فذهب الى أمين طائفته تادرس افندى شنودة ، صاحب جريدة (مصر) وكان منافساً شديد الضرارة لعلى يوسف ، وساله ماذا يفعل والخطر الذى يحيق به جسيم ، فسالة (تادرس) : هل قلت الحق؟ فقال : نعم . فقال اثبت . فان تقول الحق ويصيبك الضر ، خيـر مـن ان تنال النعمة وتكذب على الله . وثبت الرجل ، وكسب للاخوة الأقباط موقفاً مشرفاً آخر . وفى ١٧ نوفمر سنة ١٨٩٦ ، عقدت جلسة المحاكمة امام محكمة عابدين ، وكانت برياسة القاضى محمود بك خيرت ، وحضر الدفاع عن المتهمين ابراهيم الهلباوى واحمد الحسينى بك وكلاهما من كبار المحامين وكان مصر كلها قد اجتمعت فى قاعة المحكمة ، فقد غصت باكثر مما اتسعت له ولكن الألوف تحلقت حول المحكمة ، وجلس المئات على مقاعد المقاهى المجاورة ، وتوقف العمل فى دواوين الحكومة ومدارس الطلبة فقد كان الجميع فى انتظار الحكم ، ولم يكن على يوسف وتوفيق كيرلس هما المتهمان ، بل كانت مصر كلها فى قفص الاتهام ، ذلك لأن الدعوى كانت قتالا بين الوطنيين والاحتلال .

وكانت المرافعات عملا قانونياً بارعاً ، ودفاعاً وطنياً محكماً ، هاجم فيها المحاميان الاحتلال وعسفه ، والاتهام وظلمه ، وأشادوا بالمؤيد وصاحبه ، وعلى يوسف وزميله ، ولكن للاسف ، قضى القاضى بحبس توفيق كيرلس ثلاثة أشهر ، وبراءة على يوسف .

ولا تسل عن أثر هذه البراءة التى عكر الفرح بها إدانة هذا المواطن العظيم ، إلا أن الاحتلال شعر بفداحة الهزيمة ،لكثرة ما عبر المصريون عن فرحهم ببراءة الصحفى الذى يكتب لهم ، ويكتب باسمهم .

القضية الثانية

ولكن حيوية على يوسـف ، وقـوة شخصيته ، وجاذبيته العامة ، جعلت كل ما يتصل به مثيراً للاهتمام ، ومحلا للنقد والتعليق ، ولذلك كانت القضية الثانية ، قضية مصر فى عام ١٩٠٤ وما بعدها ، وقد بدأت بعلاقة على يوسف صاحب المؤيد ، والصحفى الذى لاتدع له السياسة وقتا لخاصة شئونـه ، بالسيد عبد الخالق السادات ، احد شيوخ الطرق الصوفية . اتصل الرجلان بصلة المودة ، وكانا يتبادلان الزيـارات ، ويخلو احدهما بالآخر كما يفعل الاصدقاء ، وسافر الرجلان فى صيف سنة ١٩٠٤ الى استانبول (او الأستانة) التى كانت مصيف الأمراء والوزراء والاغنياء فى مصر ، وهناك خطب على يوسف لنفسه (صفية) ابنة عبد الخالق السادات ، وكانت صفية تصحب اباها فى بعض تنقلاته على غير عادة ذلك العهد ، فقد كانت الفتاة تحتجب عن الرجال متى بلغت الحادية عشرة من عمرها إلا أن عبد الخالق السادات ، لفرط حبه لابنته ولإسرافه فى تدليلها ، خرج قليلا عن العرف ، وألف أن يصطحبها الى مجالس الرجال الذين يرتبط بهم برباط الحب والمودة ، وفى مقدمتهم على يوسف ، فراها وأعجب - وهى على أبواب الشباب - بجمالها وذكائها ، ولباقتها واناقتها ، وراقت له كثيراً فطلب يدها من ابيها وهما يصطافان ، ورحب الوالد بهذه الخطبة ، ولعله فرح بها ، واحس بالفخر ان يكون صهره وزوج ابنته ، هذا الرجل العظيم ، الذى يتصدر رجالات الوطن ، والذى يعلم القاصى والدانى ، انه صديق حميم للخديوى حاكم البلاد ، وانه لايكاد يفارق مجلسه ، ولعله فرح بهذه الخطبة ايضاً لابنته ، التى كان يؤثرها باعظم الحب ، لانه عرف فى صديقه الصحفى السياسى محدثا لبقاً ، يستاثر بالاسماع ، ورجلا كريماً ، لا يقتر على نفسه ، ولا على أصحابه وأصحاب الحاجات الذين يقصدونه ، وهو بعد رجل كامل الصحة ، حسن المظهر ، فصفقة زواج (صفية) بنت السادات ، كانت من كل ناحية ، صفقة رابحة ومقبولة لطرفيها ، كل منهما سعيد وكل منهما ظفر بما يطلبه ويشتهيه : الزوج سيظفر بيد فتاة جميلة مؤنسة بارعة المظهر ، جميلة الصوت ، رشيقة الحركة . والزوجة ستظفر برجل عظيم المكانة ، كثير المال ، مرموق ، ياخذ بألباب المتصلين به والمستمعين إليه .

وكما تمت الخطبة ، فى الأستانة ، بلغ خبرها الصدر الأعظم ، عزت باشا العابد ، والصدر الأعظم هى الوظيفة المساوية لوظيفة رئيس الوزراء فى بلادنا ، وكان صديقاً حميماً لعلى باشا يوسف ، فاهدى العروسة عقداً من اللؤلؤ ، فزاد ذلك من طمانينة الوالد ، فقد كان احد بشائر الزواج الدالة على كونه خطوة موفقة من كل ناحية ولكن لم يكد الرجلان يعودان الى القاهرة حتى اجتمع بالسيد عبد الخالق ، قوم وسوسوا له بفسخ الخطبة والعدول عنها ربما ليكيدوا للشيخ على يوسف ، ولينغصوا عليه حياته ، وليتخذوا من ذلك ذريعة للحملة عليه والمساس به ، كما تم ذلك فعلا بعد قليل .

واغلب الظن عندى ، ان الانجليز كانوا وراء هذا الفسخ ، لأكثر من سبب فهم يكرهون على يوسف لذاته ، لانه خصمهم ، ولأن جريدته الوطنية ، تقف لهم بالمرصاد ، ولم تكن جريدة اللواء التى اصدرها مصطفى كامل فى مطلع القرن العشرين (الثالث من يناير سنة ١٩٠٠) قد ظهرت ، فكانت المؤيد هى الصوت الوطنى المؤيد للحركة الوطنية والمبشر بها . وكان على يوسف صديقاً للخديو عباس ، فكان الكيد له ، والعدوان عليه ، كيداً للخديو ومساساً به . وكانت اثارة قضية تتعلق بالشرع ، وكفاءة الزوجين ، والملابسات المتصلة بهذا الموضوع الحساس ، فرصة للنيل من الشريعة الاسلامية ، واثبات بعدها عن الاخذ بمبدأ المساواة بين الناس والاخذ بفكرة تميز ابناء الطبقات الرفيعة عن ابناء العصاميين الذى بنوا انفسهم بجهدهم وعملهم .

ولذلك فان عبد الخالق السادات ، اعلن أن الخطبة لن تتم ، لعدم كفاءة الزوج ، لأن الزوجة من بنات الأشراف ، لكونها من سلالة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

وشعر الشيخ على يوسف ، باشد الحزن وعظيم الاهانة ، فقد كان يطوى الصدر على حب لخطيبته ، وكان يعد الأيام ليجتمع بها فى بيت الزوجية ، فيكون له من دون ذلك ، عزاء عن الام الجهاد الذى تحمل ضرائبه منذ بدأ يعمل فى الصحافة ، وهو بعد شاب صغير ، وعضداً له تقويه على مواصلة العمل فى ميادين الصحافة والسياسة والعمل الاجتماعى ، فبدا له هذا الأمل الجميل قد تبدد،إلا أن السيد محمد توفيق البكرى ، شيخ مشايخ الطرق الصوفيه ونقيب الأشراف ، مد له يد العون فى تلك الأزمة ، وكان البكرى زوجاً لشقيقة صفية السادات ، أى أنه اذا تم الزواج سيكون عديلا بتعبير المصريين ، لعلى يوسف ، وكان لعلى يوسف يد فى عنق البكرى ، ذلك لأن البكرى اتهم فى قضية صحفية بمناسبة نشر قصيدة فى جريدة

الصاعقة التى كان يصدرها آنذاك (أحمد فؤاد) أحد أكبر كتاب الصحافة فى تلك الأيام ، إقذاعاً فى النقد ، وعنتاً فى السخرية ، وتمكنا من اللغة ، وكانت القصيدة هجاء فى الخديو ، جاء فى مطلعها بمناسبة عودة الخديو الى مصر

قدومٌ ولكنْ لا أقولُ سعيدُ
ومُلْكٌ وإن طالَ المدَى سيَبِيدُ

وقد حامت الشبهة حول محمد توفيق البكري ، بانه ناظم هذه القصيدة ، وصاحبها . وكاد المحقق يستدعيه ، على الرغم من عظم مقامه الديني ، للتحقيق ، وقام فى وهمه انه سيسجن ، وقد تعاظم هذا الوهم ، عندما أصيب بمرض نفسى ، بقى بعده يتوقع فى كل وقت ان يحبسه الخديو ، ولم يبارحه هذا الوسواس حتى مات رحمه الله .

أفعلى يوسف تدخل لدى الخديو ، فصرف النظر عن اتهام البكري ، واطمانت نفسه قليلا ، وكذلك فقد تبرع بشيء غريب تماماً ، ينبو عن تقاليد ذلك الزمان ، ولا ينتظر من رجل فى مثل مقام السيد البكري الديني . فقد دعا الزوج (على باشا يوسف) والزوجة أو الخطيبة إلى بيته ، حيث تم العقد بينهما ، ووضع بذلك الوالد أمام الأمر الواقع ، فطار صوابه ، ورفع دعوى تفرقة بين ابنته وزوجها لعدم الكفاءة .

وتحددت لنظر هذه الدعوى المجلجلة ، يوم ٢٥ من يوليو سنة ١٩٠٤ ، وراسها الشيخ احمد ابو خطوة ، ووكل على يوسف المحامي حسن صبري بك ، وكان من أصدقائه . وقد استمر حسن صبري يرقى فى سلم النجاح حتى وصل الى منصب رئيس الوزراء في سنة ١٩٤٠ ، فى أوائل الحرب العالمية الثانية ، وتوفى وهو يلقى خطاب العرش بين يدي الملك ، وقد اطلق اسمه على شارع مهم بحي الزمالك بالقاهـرة ، وحضر عن الزوجة محمد بك عز العرب ، الذى انتخب فيما بعد نقيباً للمحامين الشرعيين ، وعضواً بمجلس الشيوخ ، واطلق اسمه على شارع المبتديان بحي السيدة زينب . اما محامي السيد عبد الخالق السادات ، فقد كان الشيخ عثمان الفندي . وطلب الوالد التفرقة وثارت الخواطر حول هذه القضية فاقوام فرحوا بها كيداً للخديو ، الذى كان قد تغير موقفه من الحركة الوطنية ، ومال الى مصانعة الاحتلال ومرضاته ، وفى مقدمة هؤلاء الراضين مصطفى كامل ، مؤسس الحزب الوطني وصاحب اللواء .

ولكن ضاق بهذه الدعوى أصدقاء الشيخ على يوسف من اهل الراي ، كما ضاق بها شباب كثيرون ساءهم ان ينسب الى الاسلام هذه الفكرة ، فكرة الكفاءة بين رجل كالشيخ السادات ، لم يعرف له اثر يذكر به بين المسلمين او المصريين وان معنى الكفاءة فى الاسلام شيء غير هذا تماماً .

وكان من مضاعفات هذه القضية ، هذا العقد الذي تم فى غيبة الوالد ومن وراء ظهره ، وهو عقد باركه وابرمه نقيب الأشراف وشيخ مشايخ الطرق الصوفية السيد محمد توفيق البكري ، الذي كان فوق ذلك أديباً كبيراً ، ترك للناس من بعده كتاب (صهاريج اللؤلؤ) .

الحكومة البريطانية تتدخل

هنا رات الحكومة البريطانية ، ان تقف فى صف علي يوسف ، وهو خصمها ، لكى تضمه الى جانبها نهائيا ، ولتزداد ضجة هذه الدعوى اتساعاً وشمولا .

ولما نظرت الدعوى ، طلب محامى الوالد ان يحال بين الزوج وزوجته ، حتى يفصل فى موضوع الدعوى ، وفى جلسة ٢١ من يوليو سنة ١٩٠٤ ، قضى الشيخ احمد ابو خطوة ، بالحيلولة بين الزوجين ، فاصيب علي يوسف بطعنة أنَّ لها انيناً لعل مصر كلها سمعت صداه ، فسافر الى الاسكندرية ، لأن الوقت كان صيفاً ، والحكومة فى مصيفها ببولكلي بالاسكندرية ، وهناك قابل علي يوسف ، بطرس غالي باشا رئيس الوزارة ، وتسامع الناس بان حكم الحيلولة لن ينفذ ، فغضب حتى الذين كانوا مع (علي يوسف) على هذا التدخل من جانب الحكومة ، وعلى أن (علي يوسف) لجا الى رئيس الوزراء بطرس غالي ، ليوقف حكماً اصدرته المحكمة الشرعية الاسلامية ، وكانما قضى قضاء السماء ، أن تتسع هذه القضية وتلد كل يوم للصحفى الكبير عثرة يعثر بها وتثير الناس ضده .

وفى يوم ٢٨ من يوليو ، تدخل قاضى قضاة مصر ، وكان إلى ذلك الوقت تركيا تختاره حكومة استانبول ، تدخل لدى الحكومة ينذر باساً شديداً إن هي تدخلت فى وقف قرار المحكمة الشرعية .

إلا ان مامور القسم اعلن قاضى القضاة ، بأن ورقة التنفيذ عند وزير الداخلية ، فاتفق قاضى القضاة مع قاضى القضية على ان يعلنا إغلاق جميع المحاكم الشرعية إذا منعت الحكومة تنفيذ قرار الحيلولة ، وبذلك تكون هذه القضية قد ولدت من التطورات ما لم تلده قضية اخرى .

وذهب الشيخ احمد ابو خطوة الى المحكمة ، فتلا بياناً كتبه بالاتفاق مع قاضى القضاة ، وانه يحكم فى القضايا بتفويض منه ، وان المحاكم الشرعية ستغلق ابوابها إذا لم يتم قرار الحيلولة . وخرج القاضى وسط مظاهرة ضخمة تهتف للشريعة ، ولحكم الاسلام وللقاضى ، كما تهتف ضد علي يوسف والحكومة ووزير الداخلية ، وارتاعت الحكومة ، وامرت بانتقال الزوجة من بيت زوجها ولجات الى بيت الشيخ عبد القادر الرافعى ، وكان من كبار قضاة الشرع ، ارتضى بيته ماوى للزوجة حتى يفصل فى الدعوى .

وقد فصل فيها فعلا فى اول اغسطس سنة ١٩٠٤ ، بفسخ عقد الزواج ، إلا ان الوالد ما لبث أن رضى بعقد عقد زواج جديد ، على ابنته لعلي يوسف باشا ، فعادا زوجين ، إلا انهما لم ينعما بالسعادة الزوجية ، فقد كانت الزوجة صغيرة السن قليلة التجربة ، كثيرة الاعتزاز بجمالها وعلمها ، فارهقت زوجها ، وعكرت عليه صفو حياته ، وعاش حتى لقى ربه ، منغصاً ، لا يكاد يطيق بيته ، واهله ، وزاد من احزانه وآلامه ، ان فقد ولده الوحيد عمر ، ثم دخل فى مضاربات مالية عقارية ، وهو قليل الخبرة بها ، فاضاعت عليه قسطاً كبيراً من ماله ، فاعتزل الصحافة ، مكتفياً بمشيخة السجادة الوفائية ، اى رياسة احدى الطرق الصوفية ، ونعم لرجل كابد السياسة ، وعرف مداخلها ومخارجها ، وصمد لمعاركها ومتاعبها ، وتفوق على الأعداء ، وكان امل الأصدقاء ، واستفاضت شهرته كاتبا وصحفيا ، ورجل سياسة ، وصادق الحاكم الاعلى ووثق به ، وكثر ماله وحسب الاحتلال حسابه ، رجل اجتمع له كل ذلك ، فتركه جميعاً ، وزهد فيه ، وقنع بعمل لا نشاط فيه ، ولا اثر له .

ولكن علي يوسف أبى إلا ان يكون فريداً وهو فى القمة ، وعند الشروق ، وان يكون كذلك وهو ينحدر الى السفح عند الغروب .

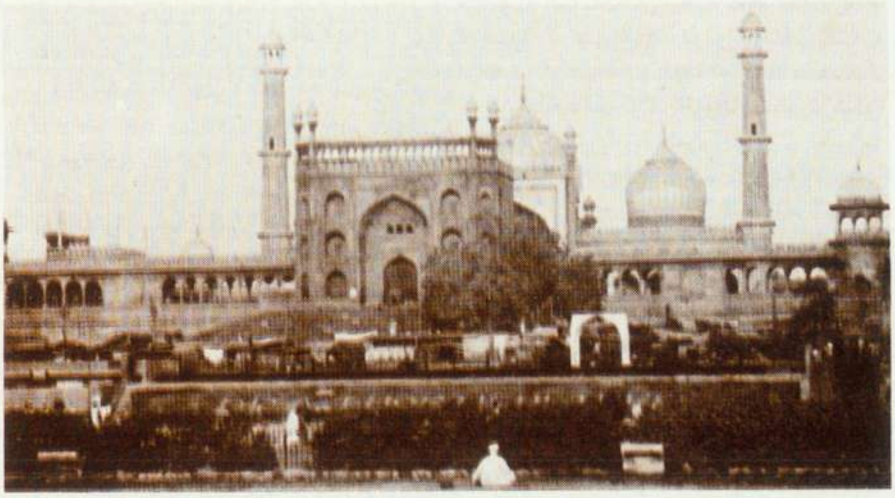
فتحى رضوان

المجمع العلمي العربي بالهند

بقلم: وجيه الشربجي

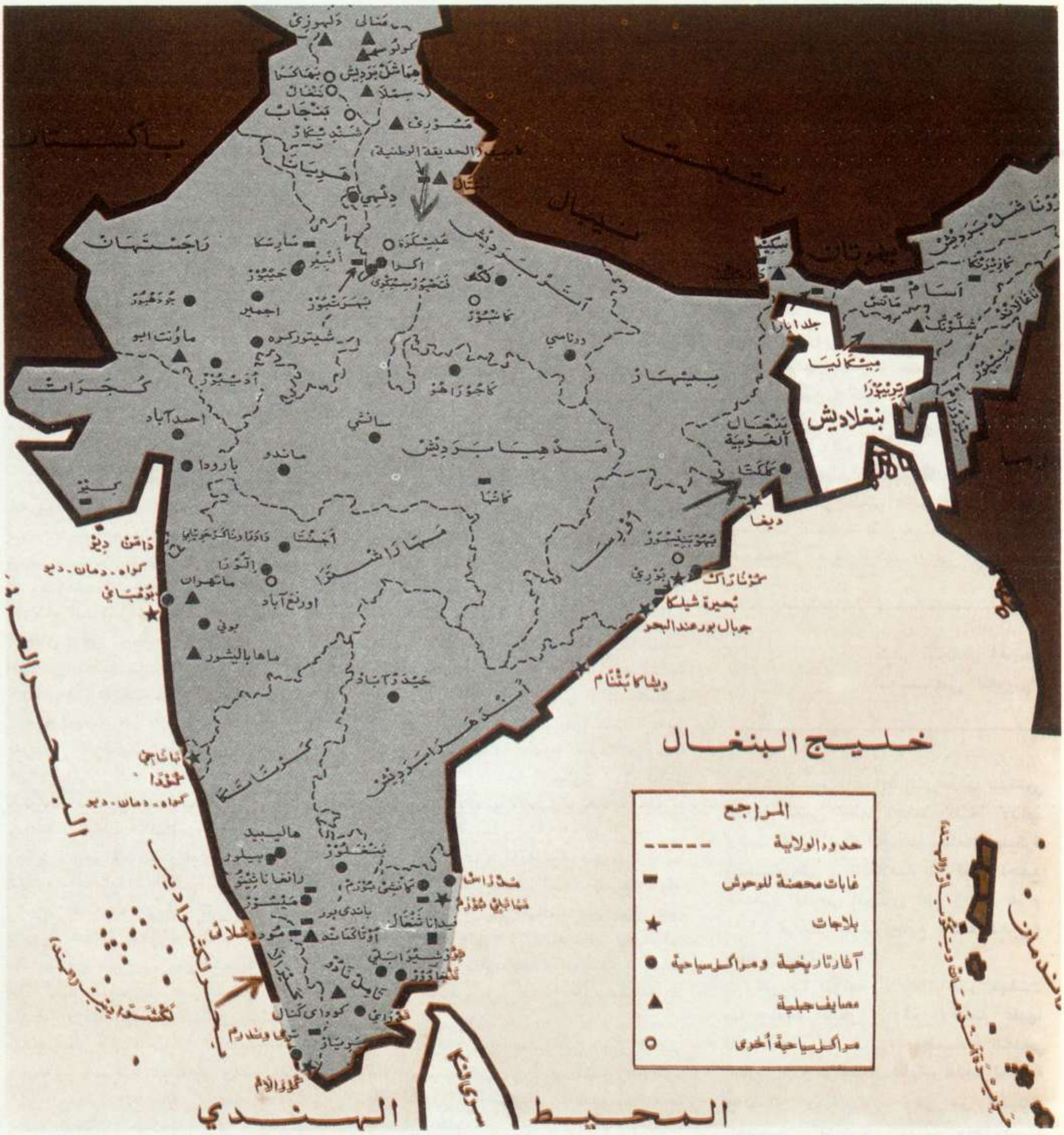


المنائر الاربع في حيدر اباد ، وهي مركز العلوم الاسلامية .



كان للمسجد فى الهند الفضل فى نشر الثقافة الاسلامية واللغة العربية .. وفى هذه اللقطة نرى المسجد الجامع فى دلهي .

- أهدافه : إحياء مجد اللغة العربية ، واعادة شباب الحضارة الاسلامية .
- من أعضائه العاملين :
  العلامة أبو الحسن الندوى ـ د . علي محمد خسرو ـ د . مختار الدين أحمد .
- من أعضائه المراسلين :
  د . عدنان الخطيب ـ د . ناصر الدين الأسد ـ د . عمر فروخ ـ د . رودلف زلهايم
- ألفا مدرسة وأربعون كلية بالهند . تدرّس اللغة العربية من المرحلة الابتدائية حتى الدكتوراه .



خريطة الهند .. ونرى بها المناطق التى تنتشر فيها اللغة العربية فى الشمال والجنوب والشرق والمشار إليها بسهم

خلال مرحلة المد الاسلامي تم الالتقاء الانساني والتفاعل الحضارى بين الأمتين الكبيرتين العربية والهندية ، وترك هذا التشابك آثاراً عميقة فى مجالات الحضارة الثقافية والفكر والفن . ولا يزال ممكناً حتى الآن لمس معالمها فى الكثير من المجالات .

من أهم هذه الظواهر عناية الهند باللغة العربية . إلى درجة تفوق فى بعض المظاهر عناية الأقطار العربية نفسها ، وتتجاوز المستويات المعتادة للعناية باللغات العالمية المتداولة ، وكل باحث استطاع الاحاطة بالحركة الفكرية والنظام التربوى فى الهند ، لمس بنفسه أن لغتنا العربية تتمتع بمكانة مرموقة ورعاية خاصة فى الهند .

المجمع العلمي العربي بالهند

إن العلماء الهنود يرون فى اللغة العربية خصائص لا توجد فى غيرها من اللغات . فهى لغة أودعها الله رسالة سماوية خالدة ، وسكب عدد كبير من الأدباء والشعراء فى قوالبها أفكاراً سامية ، فبها نزل القرآن الكريم وبها صدر الحديث الشريف . ومن خلال أداتها الرائعة وضعت كنوز من الأدب والعلم والمعرفة والحكمة ، ساهمت فى دفع عجلة الحضارة إلى الأمام .

لقد تمسكت الشعوب الهندية باللغة العربية والثقافة الاسلامية طوال ثمانية قرون ، وساهم علماء الهند من مسلمين وغير مسلمين بوضع المعاجم العربية والموسوعات الثمينة (كالعباب الزاخر) و (تاج العروس) و (فقه اللغة) و (فقه اللسان) و (المبين) ، ووضعت فى الهند كتب فى المصطلحات مثل (دستور العلماء) و (كشاف المصطلحات) باللغة العربية .

ولم يقتصر النشاط الهندى على تأليف الموسوعات والكتب العربية . بل تعدى ذلك الى إصدار الصحف والمجلات باللغة العربية . نذكر منها مجلة (الضياء) ومجلة (البعث الاسلامي) و (مجلة الرائد) وهى مجلات راقية تزخر بالأبحاث القيمة والتحقيقات النادرة .

وقد اشتهرت ولاية (كيرالا) الهندية بصورة خاصة بتدريس اللغة العربية وآدابها ، وأصبح تدريس هذه اللغة جزءاً من نظامها التربوى . فهى تدرس هناك من المرحلة الابتدائية إلى مستوى الدكتوراه ، ويوجد فى ولاية كيرالا الهندية نحو خمسمائة مدرسة سلفية وعشر كليات عربية منها : الجامعة الندوية بادونا ـ وكلية أنصار الاسلام بدلونو ـ وكلية روضة العلوم فى فروق .

وفى ولاية ترافنكور الهندية أدخلت اللغة العربية فى مدارسها منذ عام ١٩١٤ وعينت لها المعلمين والمفتشين .

واثر استقلال الهند ، نشط المثقفون المسلمون من الهنود . لوضع المناهج التربوية والخطط التعليمية لتدريس اللغة العربية وآدابها . وتعميمها على الأجيال الهندية الجديدة الظامئة إلى العلم والمعرفة . وتنافست الهيئات العلمية على إقامة المدارس والمعاهد العربية .

وكان تدريس العلوم باللغات العربية مقتصراً على المساجد التى كانت فى بداية الأمر تتبع نهجاً شاملا يحتوى على العلوم الدينية كالقرآن الكريم . والحديث والفقه . واللغوية : كالادب العربى والنحو والصرف كما يحتوى على العلوم المادية كالحساب والهندسة والمنطق والتاريخ والفلسفة ، ومع مرور الزمن تقلص هذا النهج الواسع واقتصر على بعض العلوم الدينية واللغوية . ولكن الفضل بقى للمسجد فى نشر الثقافة الاسلامية واللغة العربية بين جماهير المسلمين . وتوطيد الوعي الاسلامي والحماسة الدينية فى قلوبهم .

ولقد دل آخر إحصاء جرى فى شبه القارة الهندية ، على أن جمعية العلماء (منظمة سمت) تشرف على أكثر من ألفى مدرسة عربية عدا مجموعة من الكليات المخصصة لتدريس الثقافة العربية والحضارية الاسلامية . يزداد عددها باستمرار بحيث أربى مؤخراً على أربعين كلية ، منها : كلية مهارجا باوناكلم وكلية يونورستي . وجامعة كاليكوت التى حصل منها أربعة باحثين على شهادة الدكتوراه فى اللغة العربية .

وخلال الاحقاب الماضية انجبت الهند الكثير من علماء وكتاب اللغة العربية ، وقد ورد فى رحلة ابن بطوطة الى الهند بين عامى ١٣٤٢ الى ١٣٤٧ للميلاد ، أنه التقى بفقيه جليل يتقن اللغة العربية ، أسمه الفقيه حسين بن أحمد ، وتحادثا طويلا باللغة العربية .

ويعتبر الامام المخدوم زين الدين الكبير (٨٧٢ ـ ٩٢٨) من كبار المفكرين الهنود وله عشرون مؤلفاً باللغة العربية منها (سراج القلوب وعلاج الذنوب) و (كفاية الفرائض) . وللعلامة عثمان جمال الدين المعبرى الفنائي مؤلفات هامة منها (شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام فى النحو) . وللقاضى عمر بن علي البلنكوتي مؤلفات معروفة منها (نفائس الدرر) .

وفى عصرنا الحديث ، نعرف عملاق الثقافة العربية فى الهند العلامة أبا الحسن علي الندوى ، ومن الكتاب والأدباء اللامعين : الشيخ كي بن محمد . والقاضى الكبير شهاب الدين أمبشي كويا . والدكتور أحمد كتي . والدكتور عبد الله الأزهري ، ومن شعراء اللغة العربية فى الهند من الجيل الجديد : كنجي احمد . محمد بن ميرات ، علي الكوشنورى .

وعلى المستوى التربوى ، نجد مجموعة من الأساتذة والباحثين فى اللغة العربية والمربين . من أمثال الدكتور علي محمد خسرو مدير جامعة عليكرة . والدكتور محمد شفيع (كبير الأساتذة) . وقد أحدثت هذه الجامعة الشهيرة قسماً خاصاً باللغة العربية وآدابها .

وطالبت هيئات علمية لها وزنها فى الهند بانشاء مجمع علمي عربي هندى . نظراً للصلات الثقافية العريقة التى تربط بين الشعبين العربي والهندى عبر العصور .

كيف تأسس المجمع العلمي العربي ؟

أدت الجهود البناءة التى بذلها الدكتور مختار الدين أحمد عميد كلية الآداب ورئيس قسم اللغة العربية بجامعة عليكرة (مدينة علي) الاسلامية إلى قيام المجمع العلمي العربي الهندى عام ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م على غرار مجمع اللغة العربية بدمشق والقاهرة .

وتتويجاً للوثبة الثقافية التى نهضت بها جامعة عليكرة ، وقع الاختيار عليها لتضطلع بمهام إنشاء المجمع العلمي العربي ، لأن من مقاصدها نشر اللغة العربية والثقافة الاسلامية . وهى من أحق المؤسسات الثقافية الهندية وأجدرها بحمل رسالة المجمع الفكرية ، لتوافر الوسائل لديها ، ولوجود قسم اللغة العربية وآدابها وقسم الدراسات الاسلامية وقسم ثقافة آسيا الغربية ، ولأن عدداً من الباحثين المحققين فى اللغة العربية وآدابها ، كانت لهم صلات وثيقة بهذه الجامعة ، وفى طليعتهم العلامة عبد العزيز الراجكوتي حجة العربية فى الهند ، وهو ممن تحلق حوله كبار أساتذة الجامعات .

البحث فى تاريخ العـــرب وعلومهم

تطلع المجمع منذ تاسيسه إلى تدعيم التبادل الثقافى بين الهند والعالم العربي . وسعى إلى نشر كنوز اللغة العربيـــــة والثقافة الاسلامية ، تمهيداً لاعـــادة استخدامها فى احتياجات الثقافة والعلوم والفنون .

وقد حدد قرار إحداث المجمع أهدافه الرئيسية بما يلي :

● تعميم اللغة العربية بين ابناء الهند والعناية بنشر آدابها .

● تنشيط البحث والتاليف فى تاريخ العرب وعلومهم وحضارتهم .

● إحياء المخطوطات العربيـــــة والاسلامية بطبعها ونشرها على أحدث الطرق العلمية .

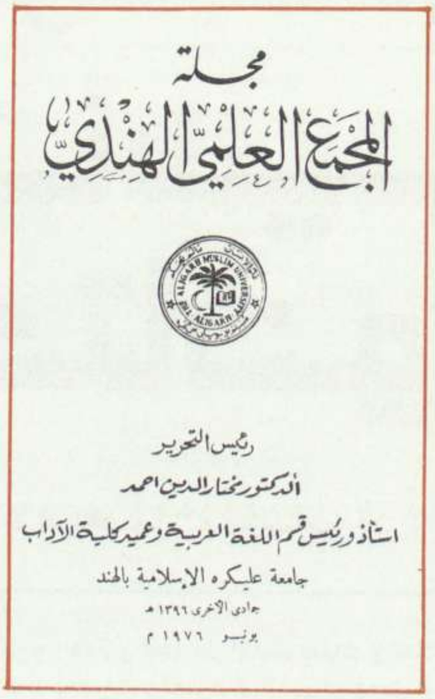
● تشجيع ترجمة المؤلفات القيمة لعلماء وأدباء الهند .

مجلة هندية باللغة العربية

وتحقيقاً لهذه الأغراض العلمية . فقد عمد المجمع إلى إصدار مجلة باللغة العربية خاصة به ينشر فيها أفكاره وأعماله ، ولتكون ميداناً حراً لأقلام العلماء والأدباء ورابطة بينه وبين المراكز الثقافية المماثلة له فى أرجاء العالم .

وقد صدر العدد الأول منها عام ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م . بعد أن عهد المجمع إلى أمينه العام الدكتور مختار الدين احمد رئاسة تحريرها . وجعل شعارها قوله تعالى (علم الانسان مالم يعلم) .

ومضت المجلة قدماً فى أداء رسالتها اللغوية ، والتعريف بعلماء العربية الذين خدموا الثقافة فى شبه القارة الهندية . وقد أسهمت المجلة فى إحياء جوانب هامة من التراث العربى المخطوط والحضـــــارى الاسلامي . ونشرت بحوثاً غنية اتسمت بالموضوعية والأصالة . وفتحت صـــدر صفحاتها لينهل منها الدارسون والمريدون . وكرست جل بحوثها للغوص فى أعماق التراث العربي . وغني عن البيان فكتاب المجلة كانوا من أبرز اللغويين والباحثين .



مجلة
المجمع العلمي الهندي

رئيس التحرير
الدكتور مختار الدين احمد
استاذ ورئيس قسم اللغة العربية وعميد كلية الآداب
جامعة عليكره الاسلامية بالهند
جمادى الآخرى ١٣٩٦ هـ
يونيو ١٩٧٦ م

مجلة المجمـــع العـــلمي الهـنـدي التى تصـــدر عـن قسم اللغــة العربيـــة فى كليــة الآداب بجامعة عليكره الاســــلامية بالهـــــند .

اســـتقطاب كبار الشخصيات العلمية

كان قيام المجمع العلمي العربي الهندى حدثاً علمياً أثار اهتماماً واسعاً فى الأوساط العلمية والأدبية . بدليل انه استقطب مجموعة من فحول اللغة العربية فمن بين اعضائه العاملين :

الدكتور علي محمد خسرو : مدير جامعة عليكرة (رئيس المجمع) ، والدكتور مختار الدين أحمد عميد كلية الآداب (أمين المجمع) ، والعلامة أبو الحسن الندوى : الحائز على جائزة الملك فيصل للحضـــارة الاسلامية (عضو) ، والدكتور الحافظ غلام مصطفى (عضو) .

ومن اعضائه المراسلين علماء أعلام من الأقطار العربية ممن لهم باع طويل فى البحث والتقصي والتاليف وفى طليعتهم

● الدكتور عدنان الخطيب الامين العام لمجمع اللغة العربية بدمشق والأمين المساعد لاتحاد المجامع العربية . ويملك رؤية متميزة فى معرفة (لغة القانون) ومصطلحات الفاظ الحضارة . فهو الرئيس السابق لمجلس الدولة فى سوريا .

● والدكتور ناصر الدين الأسد رئيس المجمع الملكي للحضارة الاسلامية بعمان ، والحائز على جائزة الملك فيصل لعام ١٩٨١ (الأردن) .

● والعالم الكبير الأستاذ محمود محمد شاكر (مصر) ، والدكتور عمر فروخ الفيلسوف العربى المعاصر (لبنان) ، والدكتور إحسان عباس الأستاذ فى الجامعة الامريكية ببيروت (فلسطين) ، والأستاذ حمد الجاسر : عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة وصاحب مجلة العـــرب (السعودية) . وضم أيضاً كبـــار المستعربين فى أوربا وآسيا وفى مقدمتهم :

الدكتور شارل بلا (فرنسا) ، والأستاذ أنس خاليدوف (الاتحاد السوفييتي) ، والدكتور رشرد دالزر (بريطانيا) ، والدكتور رودلـف زلهايم (المانيا) ، والاستاذ فؤاد سيزكين (تركيا) وغيرهم ..

وهكذا أصبح المجمع العلمي العربى ، واحداً من أهم معالم النهضة العلمية بالهند . وبرهاناً على الاحترام والتقدير الذى تلقاه لغتنا الخالدة من قبل الامة الهندية .

ولهذا يحق للقارىء العربي ، أن يتعرف على تاريخ هذا المجمع الذى شق طريقه ضمن آفاق فكرية رفيعة المستوى . وقدم قسطاً من العطاء الحضارى للبيئة الثقافية العالمية . وقام بمحاولات جادة لتجذير التراث الاسلامي واظهار العمق الانساني العربي .

وجيه الشربجي
دمشق





موســــولـيـــني : نـهـايـة الدكتاتور

بقلم : محمد العزب موسى

تربع موسولينى على أوج القوة والمجد فى العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن ، فقد دانت له ايطاليا بعد أن أخمد أصوات المعارضة التى ارتفعت ضده فى أول سني حكمه ، واستطاع أن يحكم البلاد بيد من حديد بحزبه الفاشى وعصاباته من ذوى القمصان السود ، وحصل فى نفس الوقت على تأييد الأغلبية الساحقة من الشعب الايطالى بانجازاته البارزة فى الميدان الداخلى ووسائل دعايته ، وكسب مهابة فى أوربا والعالم الخارجى ، حتى صار محلا للاعجاب والثناء من كبار قادة العالم وزعمائه . مما أدار رأسه بزهو القوة والنفوذ .

وكان من الممكن أن يحتفظ موسولينى بمكانته الداخلية والخارجية على السواء لو لم تراوده أحلام الامبراطورية والتوسع ، ولم يكن موسولينى يخفى نواياه التوسعية الامبريالية ، كان يحلم علنا بان يسيطر على كل حوض البحر المتوسط ، ويحوله الى بحيرة ايطالية ، وان ينشىء امبراطورية افريقية تمتد من الحبشة الى ساحل غينيا الغربى ، أى من المحيط الهندى الى المحيط الاطلسى ، وكان يدعو الى زيادة النسل ليزيد عدد الايطاليين عشرين مليونا على الاقل فيمكنهم بالتالى استعمار واستيطان هذه الامبراطورية الشاسعة التى يعدهم بها .

وكانت الحبشة أولى ضحاياه ، فقد غزاها فجأة فى أكتوبر ١٩٣٥ دون اعلان حرب باعتبارهـــا اقـــل من أن تستحق هـــذا الشرف ، وصـــدم العالم بهـــذا الاعتداء الصارخ غير المبرر على دولة عضو فى عصبة الأمم لاسيما انه كان قد انتهى لتوه من سحق ثورة عمر المختار فى ليبيا بوحشية بالغة . ولكن عصبة الأمم لم تستطع أن تفعل شيئا فى الحالتين ، واكتفت بعد غزو الحبشة بتوقيع بعض العقوبات التافهة على ايطاليا ، لم يكن من بينها حظر الامداد بالبترول ، فى حين أنها لو كانت قد فعلت ذلك لاضطرت ايطاليا الى الانسحاب من الحبشة خلال أسبوع واحد ، كما اعترف بذلك موسولينى فيما بعد . وبذلك حكمت عصبة الأمم على نفسها بالانهيار ، واعطت موسولينى وغيره من المغامرين الضوء الأخضر للمضي فى مغامراتهم ضد الشعوب الصغيرة .

شخص واحـــــد كان ينفخ فى نيران موسولينى ويشجعه على المضي فى مغامراته الأفريقية ، ذلك هو هتلر زعيم المانيا النازية ، الذى رأى ان انشغال ايطاليا فى افريقيا من شانه أن يخلى المجال امام المانيا فى أوربا . والواقع أن هتلر لم يكن يخفى اعجابه الشخصى بموسولينى فقد الهمه مبادىء فلسفته الفاشية ، وحاول هتلر أن يقلد مسيرته الى روما فى انقلاب «مشرب البيرة» فى ميونيخ عام ١٩٢٣ ، ثم اعجب هتلر بعد ذلك بنظام الحزب الفاشى وخطوات موسولينى فى الاطاحة بخصومه وانشاء الدولة الشمولية ، وكذلك كان موسولينى يعطف على الحركة النازية فى المانيا خلال العشرينـات ، ويراها امتداداً لحركته ، وحليفاً طبيعياً له ، وعندما استولى النازيون على الحكم فى المانيا فى يناير ١٩٣٣ قال موسولينى ان « انتصار هتلر هو انتصار لنا أيضا » .

ولكن موسولينى لم يكن يبادل هتلر إعجابه بالمثل ، بل كان ينظر إلى الفوهرر نظرة الاستعلاء والتفوق . قال عنه بعد ان



هكذا جاءت نهاية موسوليني كما يبدو في وسط الصورة ، فقد اعدموه مع صديقته كلارا وبعض اعوانه وعلقوهم من أرجلهم أمام جراج في ميلانو .

التقى به لأول مرة « انه مجنون تماماً .. مجرد مهرج صغير احمق » ! أما اشتراكية هتلر الوطنية فقد كانت تبدو فى نظر موسولينى مجرد « ثورة للقبائل الجرمانية التى خرجت لتوها من غابتها القديمة » !

وعندما وصل هتلر الى البندقية فى يونيو ١٩٣٤ ليلتقى بموسولينى لأول مرة لبحث ايجاد أرضية مشتركة للسياسة الفاشية فى اوربا واقامة جبهة متحدة ضد الاجناس الملونة ، فوجىء هتلر ، الذى كان قد طلب ان يكون اللقاء خاصاً وغير رسمى ، بممثلى الصحافة العالمية وكاميرات المصورين الذين دعاهم موسولينى للحضور ، يحيطون به وهو ينزل من الطائرة وقد ارتدى معطفه الواقى من المطر ، وقبعته الخفيفة ، وحذاءه الجلدى الطويل ، بينما كان الدوتشى يقف الى جانبه فى قمة فخامته ونياشينه وهيلمانه ، كانه يريد ان يبين للعالم النسبة الصحيحة بين الاستاذ والتلميذ !

وأدى التقارب السياسى والايديولوجى بين الرجلين الى التحالف بينهما فيما عرف بمحور روما ـ برلين ، أو كما أسماه موسولينى المغرم باختراع التعبيرات الاخاذة « حلف الفولاذ » وهو الحلف الذى دمرهما معاً فيما بعد .

ولكن فى الوقت الذى كان برنامج التسلح الالمانى يمضى بجدية فى الخفاء كان موسولينى يملأ اسماع الايطاليين والعالم بقوة ايطاليا الوهمية ، وقدرته على تعبئة ثمانية ملايين ايطالى تحت السلاح خلال ساعات ، ثم زاد الرقم فى احدى خطبه التالية الى اثنى عشر مليوناً مسلحين بأحدث الأسلحة ، فى حين أن الرقم الحقيقى لم يكن يعدو المليون ، أما الطائرات والبوارج والدبابات الثقيلة التى طالما تحدث عنها الدوتشى فلم يكن لها وجود ، فقد كانت قواته لا تملك سلاحاً أثقل من العربات المصفحة التى تزن ثلاثة اطنان وكذلك كانت بحريته ضعيفة مهترئة .

وبالرغم من ذلك ، واصل الدوتشى التلويح بقوته الخارقة ، وقدرته على شن « الحرب الخاطفة » والقيام « بالهجوم المفاجىء » وغير ذلك من التعبيرات التى صاغها كصحفى يضع العناوين المثيرة اكثر منه كقائد مسئول . وحتى حليفه هتلر لم ينج من هذا التمويه ، فقد حدث أن زاره فى روما فى ابريل ١٩٣٨ رداً لزيارة قام بها موسولينى لألمانيا فى العام السابق ، وانتهز موسولينى هذه الفرصة لاثبات عظمة ايطاليا فى نظر الضيف الحليف ، فامر بطلاء واجهات المبانى أو هدمها إذا لزم الامر فى طريق مرور الفوهرر ، كما أقيمت الأشجار الزائفة والواجهات الصناعية لخلق ايحاء بالقوة والعظمة ، واسهبت الصحف الايطالية فى وصف الانواع الجديدة من الأسلحة الخارقة التى سوف تظهر فى العرض العسكرى أمام الزعيمين . أما المطلعون من قادة الجيش فكانوا يعلمون ان هذا العرض ليس اكثر من واجهة مزيفة أخرى ، وان معظم العربات المصفحة التى سارت فى العرض لم تكن تحمل سوى مدافع خشبية !

وعاد هتلر الى بلاده مسروراً بما رأى ، ومطمئناً الى قوة حليفه ، وما درى أن موسولينى أو « المارشال الاول للامبراطورية الايطالية » ، كما كان يسمى نفسه ، قد خدعه أو ربما لم يكن « المارشال » نفسه يدرى كم هو مخدوع أيضاً . كان قد سلم الجيش الى عصبة من الضباط الفاشيين « أهل الثقة » وعلى رأسهم المارشال جرازيانى وهو ضابط تنحصر كفاءته فى ارضاء زعيمه وتصوير أوهامه على انها حقائق واقعة . وإذا كان موسولينى قد زعم انه حريص على ابعاد الجيش عن السياسة فانه بالاعتماد على جرازيانى وامثاله قد أسقط الجيش فى الواقع فى بؤرة السياسة .. والفساد .

موسولينى والحرب

ولذلك ، عندما نشبت الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر ١٩٣٩ وجد موسولينى نفسه فى مازق حرج ، لقد كان يأمل أن يكسب « بالتهويش » مالا يمكن أن يكسبه بالقتال ، وكان فى قرارة نفسه يخشى الحرب بقدر ما يتحدث عنها ويحبذها علنا ،

نهاية الدكتاتور



وقد ارتاح بصفة خاصة فى فترة ما بعد ميونيخ ، إذ خرج موسولينى من هذا المؤتمر بشهرة عالمية كصانع سلام ، لأنه قام بدور الوسيط بين هتلر من جانب وتشمبرلين وديلادييه رئيسى وزراء بريطانيا وفرنسا من جانب أخر ، وبالرغم من أن المقترحات التى تقدم بها موسولينى وضعت فى وزارة الخارجية الالمانية ، إلا أن ذلك لم يقلل من حبوره ورضاه عن نفسه باعتبــــاره « السمسار الأمين » الذى عقد صفقة السلام فى أوربا . ولكن هتلر لم يكتف بما أحرزه من مكاسب نتيجة لمؤتمر ميونيخ ، وهاجم بولندا مشعلا بذلك نيران الحرب العالمية الثانية .

وبالرغم من أن موسولينى كان الى حد ما ضحية لدعايته الخاصة عن قوة بلاده ، ولأكاذيب قواده عليه ، إلا انه كان يدرك بوضوح وفى لحظات الصدق مع النفس ، ان ايطاليا غير مستعدة لمثل هذه الحرب الواسعة النطاق ، اذ كانت قد خرجت لتوها من التدخل فى الحرب الأهلية الاسبانيــة (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) ، ومن احتلال البانيا فى ابرايل ١٩٣٩ ، وقبل ذلك كانت حملة الحبشة ، وثورة عمر المختار فى ليبيا ، وقد انهكت هذه الحروب جيشها غير المعد اعدادا كافيا ، وكان موسولينى يعلم تماما ان الجيش تنقصه الدبابات الحديثة والمدفعية والطائرات ، وان بحريته ضعيفة منهكة ، وعلاوة على ذلك فان الممتلكات التى حصل عليها فى الحبشة وشمال افريقيا والبانيا فى حاجة الى فترة طويلة من الاستقرار كى يمكن هضمها واستغلالها ، وحتى ايطاليا نفسها كانت فى حاجة الى السلام لا الحرب كى تتمكن من رفع مستوى المعيشة فيها واللحاق بثورة التصنيع التى تقدمت فى الدول الأوربية الأخرى .

وهكذا كان موسولينى مدركاً تماماً ان السلام ضرورى لايطاليا ، وان اشتراكها فى حرب طويلة سوف يدمرها ، وانه لا ينبغى على حد قوله « ان ننقاد كالعميان وراء الالمان » ومع ذلك ، فقد كان يخشى أن ينجح هتلر ويكسب الحرب بسهولة ، وعندئذ يخرج موسولينى صفر اليدين ، وتفقد ايطاليا نصيبها من الغنيمة ، ويحكى الكونت تشيانو وزير خارجية موسولينى وزوج ابنته انه خلال مناقشة طويلة مع الدوتشي فى قصر البندقية وافق موسولينى أولا على عدم الاشتراك فى الحرب ثم عاد فى النهاية فأعلن وجوب دخولها لأن « الشرف يرغم ايطاليا على المضي الى جانب حليفتها الهتلرية » .

وظل موسولينى يرقب تقدم الحــــرب بقلق ومرارة ، وكانت تنتابه نوبات من الأقدام والشجاعة كلما انتقل هتلر من نصر الى نصر ، فيلقى بالخطب النارية التى تؤكد وجوب دخول الحرب ، وان كان فى جلساته الخاصةيعبر احيانا عن امله فى أن يتوقف التقدم الالمانى الكاسح بعض الشيء حتى تستطيع ايطاليا أن تلتقط انفاسها ، معبراً بذلك عن حسده وحقده الشخصى ازاء حليفه اللدود . ولم يستطع اخيراً أن يكبح جماح نفسه عندما اتجه هتلر غرباً فاجتاح بلجيكا وفرنسا واخذ يقترب من باريس ، اذ ركبت موسولينى حمى الحرب وراح يلوح باعلانها يوماً بعد يوم ، وعندما نصحه المارشال بيترو بادوليو رئيس هيئة الأركان بوجوب الحيطة وتأجيل اتخاذ القرار انفجر فيه موسولينى قائلا « انك ايها المارشال لست هادئاً بما يكفى للحكم على الموقف ، أستطيع أن أؤكد لك أن كل شيء سوف ينتهى فى سبتمبر القادم (١٩٤٠) ، ان كل ما احتاجه هو عدة آلاف من القتلى كى يمكنني أن أجلس على مائدة المفاوضات كرجل قد حارب » .

وفى ١٠ يونيو ١٩٤٠ اتخذ موسولينى القرار المميت باعلان إيطاليا الحرب ..

ومنذ البداية سارت الحرب على عكس هوى موسولينى فاخذت الهزائم التكتيكية تتوالى على الايطاليين ، وكان هتلر قد طلب منه فور إعلانه الحرب أن يساهم بعشرين فرقة على الجبهة الغربية ، ولم يرفض موسوليني الطلب ولكنه أضمر عدم التنفيذ مفضلا أن يحتفظ بقواته لنفسه ، وانتظر هتلر ستة أسابيع دون أن تصل قوات الدوتشي حتى أصبحت هذه القوات التى لا تصل محلا للتندر والفكاهة فى المانيا ، فكان على هتلر أن يكمل غزو فرنسا بمفرده ، وعندما سقطت فرنسا فى يد الالمان لم يكن الايطاليون قد أحرزوا نصراً واحداً بعد ، ولذا فعندما ذهب موسوليني للاجتماع مع هتلر سرعان ما تبين على حد تعبير الكونت تشيانو أن « رايه له صفة استشارية فقط » ، ومنذ ذلك الحين اضطر الدوتشي إلى مواجهة الحقيقة المرة وهو انه الشريك الأصغر فى التحالف ، لقد سرق « المهرج الصغير » الأضواء من «المارشال الأول للامبراطورية » ، انه الزمن الرديء بلا شك ، واستمر هذا الزمن يزداد رداءة بالنسبة للزعيم ، ففي كل مرة يجتمع مع هتلر كان فشل الأسلحة الايطالية لا يبارح ذهنه فيكتفي بالصمت والاستماع إلى الفوهرر المفوه وهو يتحدث بلا توقف عن الانتصارات الالمانية الماضية والخطط الألمانية القادمة ، ومما كان يزيد من مرارته أن الالمان لم يكونوا يبوحون له بتفاصيل خططهم حتى لا تتعرض للفشل والتسرب إلى الحلفاء ، فالايطاليون كما كان يقول جوبلز وزير دعاية هتلر « يثرثرون كالغجر » ، والتزم هتلر بما حذر به فى أوائل الحرب من أن « أهدافنا يجب أن تبقى سراً على الايطاليين » ، ولذلك ظل موسوليني يسمع عن القرارات الألمانية الكبرى من الاذاعة والصحف كما حدث فى غزو الألمان لرومانيا ثم فى هجومهم على الاتحاد السوفييتي .

وأراد موسوليني أن يعامل هتلر بالمثل ، أو على حد تعبيره « أن يدفع له بنفس نقوده » فاقدم على غزو اليونان عن طريق البانيا بدون استشارة هتلر أو إبلاغـــه بالقرار ، واستشاط هتلر غضباً بالفعل لانه كان يريد من موسوليني أن يركز جهوده فى غزو شمال أفريقيا واحتلال مصر لطرد البريطانيين من قناة السويس ومنطقة الشرق الأوسط ، ولكن الدوتشي وقد استبطأ حركة قواده فى شمال افريقيا قرر فجاة أن يغزو اليونان علّه يكسب هناك نصراً خاطفاً يعيد التوازن في علاقته مع هتلر . وقد كان موسوليني يتخذ كل القرارات العسكرية الهامة فجاة وبمفرده ، وفي حين كان هتلر لا يستنكف أن يدعو الجنرال كيتل القائد العام للقوات الألمانية الى حضور اجتماعات الزعامة العليا لبحث الخطط العسكرية ، كان موسوليني يفاجىء قواده بقراراته حتى لا ينتقص من عبقريته الحربية أو يهز باعتباره المسئول الملهم عن سير الحرب .

وجاءت الريح بعكس ما يشتهي

موسوليني ، فقد أسفرت حملة اليونان عن هزيمة ساحقة للايطاليين ، واضطر هتلر إلى انقاذه من ورطته هناك ساحباً بذلك بعضاً من أفضل قواته من ميادين القتال الاخرى ، ثم ازداد الامر سوءاً عندما تعرض الايطاليون للهزيمة فى ليبيا واضطرت القيادة الألمانية إلى إرسال أفضل قواتها مرة اخرى بقيادة المارشال رومل إلى شمال افريقيا وهى التى هزمت بعد ذلك فى معركة العلمين ، وكانت تلك من نقط التحول البارزة فى مجرى الحرب .

وازداد الألمان شكاً فى قدرة ايطاليا على الصمود ، وبدأوا يضعون الخطط لمواجهة الموقف فيما إذا انهارت إيطاليا ، وقد لاحت بالفعل بوادر النهاية عندما نجح الحلفاء فى غزو صقلية فى يوليو ١٩٤٣ ، وأصبح الطريق مفتوحاً أمامهم إلى روما ، وبدت هزيمة ايطاليا محققة ووشيكة .

متاعب الجبهة الداخلية

هذا ما كان من أمر جبهة القتال ، أما الجبهة الداخلية فلم تكن خالية أيضاً من المتاعب ، اذ بدأت عناصر متزايدة من الفاشيين وغير الفاشيين على السواء تضيق بموسولينى وتود التخلص منه ، وعلى رأس هؤلاء الجنرال بادوليو قائد الجيش وغيره من القادة الذين كانوا يعرفون أكثر من غيرهم مدى الضرر الذى الحقه هذا الرجل بالجيش الايطالى ، وبدا للكثيرين أن سقوط موسولينى هو المخرج الوحيد من المازق ، أو أن عليه على الأقل أن يقر بالهزيمة ويجنب البلاد مواصلة هذه الحرب الخاسرة الباهظة الضحايا ، ووصل ٩٩٪ من الشعب الايطالى ـ على حد تعبير جنرال ايطالى كبير ـ الى نقطة يأملون فيها أن تخسر ايطاليا الحرب .

والواقع انه بعد هزيمة اليونان بالذات ، ثم نزول الحلفاء فى صقلية لم تعد تؤيد موسولينى سوى أقلية ضئيلة من المنتفعين بوجوده ، أما غالبية الشعب الساحقة فقد انقلبت ضده ، سراً على الأقل ، وكان هو يبادل شعبه الاحتقار والاتهام وعدم الثقة ويحمله مسئولية الاداء الضعيف فى الحرب ، فهو « شعب قد فشل فى أن يفهم ان نار الحرب المقدسة هى وحدها التى يمكن أن تطهره وتجعل منه أمة محترمة يخشاها العالم » ، والايطاليون فى نظره هم ـ كما كانوا دائماً ـ « سطحيون غير ناضجين ، بلا شخصية ، يميلون الى المرح والتفاهة ولا يحبون البطولة أو يقدرون عليها » ، وهم « برجوازيون وعاطفيون وفنانون ، ولكنهم غير مقاتلين أو أبطال » ، ان القليلين منهم فقط هم الأحفاد الحقيقيون للرومان القدماء أما أغلبيتهم الساحقة فمن أحفاد العبيد الذين امتصتهم روما القديمة ، انهم فى حقيقة الامر « شعب من الغنم » ، ولذلك يجب أن يكون قاسياً معهم ، وان يعاملهم بلا رحمة ، كى يهزهم ويوقظهم من سباتهم حتى يتخذوا موقفاً أكثر جدية ازاء الحياة .

مثل هذه التعليقات المريرة المهينة كانت ترجع جزئياً على الأقل الى ما بدأ يعانيه موسولينى من اعتلال الصحة وسوء الهضم ولكنه لم يكن يصرح بمرضه وآلامه محاولا أن يثبت لنفسه وللآخرين انه لم يفقد شيئاً من قوة شبابه ، بينما كان المرض يتغلغل فيه فأخذت تعاوده آلام المعدة الحادة ، وانفتح فى ساقه الجرح الذى أصيب به فى عام ١٩١٧ ، وبدأ أقرب الى رجل محطم ، ولكنه كان يحاول أن يخدع الرأى العام باختراع قصص وهمية تبثها اجهزة اعلامه عن قيامه بقيادة طائرته الخاصة الى خطوط الجبهة ليشارك جنوده حياتهم الشاقة تحت النيران غير أن مثل هذه القصص لم تكن تخفى الحقيقة البادية للعيان . فقد هجمت على وجهه تجاعيد الألم ، فأخذت ذاكرته تخونه مراراً ، وفقد خلال ثلاثة أشـــــهر عشرين كيلوجراماً من وزنه ، وقد شك الأطباء أول الأمر فى اصابته بالسرطان ، ولكنهم استبعدوا ذلك بعد مزيد من الفحوص ، وعزوا هذه الأعراض الى مصدر نفسى بسبب ما يعانيه من توتر هائل نتيجة لاخفاء قلقه وآلامه وعدم قدرته على مشاركة الآخرين الثقة والحوار .

وبدأ موسولينى يتخلف مراراً عن اجتماعات الحكومة والقيادة بسبب المرض مما كان يسبب ارتباكاً كبيراً وتعطيلا للعمل وأخذ بعض الوزراء يتساءلون هل يمكن لمثل هذا المريض المحطم أن يستمر فى تحمل العبء والمسئولية ؟ واليس من الأفضل أن يحل محله آخر كفء وليكن وزير خارجيته الشاب وزوج ابنته الكونت تشيانو ؟ وكان تشيانو أدرى من غيره بما وصلت اليه حالة حميه الصحية والذهنية . ولكن الخوف الشديد ألجم لسانه عن الحديث فى الموضوع علناً ، وأخذ يبحث سراً امكان التخلص منه ليخلفه فى الزعامة .

وفى نفس الوقت بدأت تتكشف علناً علاقته السرية بعشيقته كلارا بيتاتشى ، وهى امرأة اصغر من نصف عمره ، كان قد استبعد زوجها الى اليابان ليخلو له الجو معها . وراحت كلارا تتردد عليه علناً فى « قصر البندقية » أمام أعين الحراس والمسئولين وتتردد معها الشائعات عن تدخلها فى اتخاذ القرارات .

اقالة موسولينى

واستمر المتآمرون يعملون سراً الى أن واتتهم الفرصة يوم ٢٤ يوليو ١٩٤٣ فى اجتماع للمجلس الفاشستى الأعلى ، وهو أعلى هيئة دستورية فى الدولة وان لم يكن قد اجتمع مرة واحدة منذ قيام الحرب ، واقترح المجلس بأغلبية ١٩ صوتاً ضد ٧ أصوات على قرار بدعوة الملك الى مباشرة سلطاته الدستورية « للبحث عن سياسة أكثر نجاحاً يمكنها أن تنقذ ايطاليا من مزيد من الخراب » ، كما حث القرار الوزراء وأعضاء المجلس الأعلى تولى سلطاتهم الدستورية التى سلبها منهم موسولينى ، دون ذكره بالاسم ، ومن الغريب أن موسولينى كان يرأس بنفسه هذا الاجتماع ولكنه لم يحارب بشدة ضده ، ربما بسبب اعتلال صحته أو عدم قدرته على ايجـــاد البديل ، بل ويبدو انه لم يأخذ القرار أصلا مأخذ الجد ، وفشل فى أن يفهم أنه موجه ضده ، فهو لم يكن يتصور كما تعود عشرات السنين أن ينقلب عليه اتباعه وصنائعه ، ولذلك فقد ذهب فى صباح اليوم التالى ، وبعد اجتماع المجلس الذى استغرق عشر ساعات فى الليلة الماضية ، الى مكتبه كالمعتاد كما لو لم يحدث شىء ، وأخذ يشغل وقته كما يفعل كل يوم بقراءة التقارير والتلغرافات .

وبعد ظهر ذلك اليوم ، ٢٥ يوليو ، قصد موسولينى بكل براءة الى فيلا سافوى حيث يقيم الملك فيتوريو ايمانويل ليبلغه بقرار المجلس الأعلى بأن يستأنف الملك جزئياً سلطاته الدستورية ، ولم يكن يدرى أن البوليس يقوم باستعدادات سرية لاعتقاله ، وكان موسولينى عند دخوله على الملك ، شارد اللب ، مرهقاً بسبب سهره الطويل فى الليلة السابقة ، حتى انه نسي أن يحلق ذقنه فى الصباح . واستهل موسولينى اجتماعه الذى استغرق ٢٠ دقيقة باعطاء الملك كالمعتاد ملخصاً للأحداث السياسية

نهاية الدكتاتور



والعسكرية الجارية ، ولكن فجاة ، قاطعه الملك قائلا ان الحرب قد خسرت نهائيا ومعنويات الجيش قد انهارت ، وأبلغه انه قرر إقالته وتعيين المارشال بادوليو قائد الجيش رئيساً للوزراء خلفاً له .

وتلقى موسولينى قرار الملك فى صمت وغباء ، دون أن يناقش أو يحتج أو ينطق بكلمة واحدة ، وعندما خرج من حضرته اعتقله الحرس الملكى على درجات فيللا سافوى بعد أن طمانوه على سلامته الشخصية ، ويبدو أن ذلك كان أكبر ما يهمه فى ذلك الوقت .

وحوالى منتصف الليل كان النبا قد عم ايطاليا ، واستقبل الشعب الايطالى اقالة موسولينى واعتقاله بهدوء وراحة ظاهرة ، لم يحاول احد من اعضاء الحزب الفاشى الذى يضم أربعة ملايين أو من اعضاء منظمات الشباب وفرق القمصان السود ، أن يقاوم الانقلاب ضد الدوتشى ، وهم الذين كانوا قد جددوا منذ أيام قليلة قسم الولاء الشخصى له ، وبدا كان كل نسيج الفاشية الذى قضى موسولينى ربع قرن فى نسجه قد انهار فى دقائق ، وحتى صحيفته نفسـهـا « إل بوبولو ديتاليا » وصفت انتقال السلطة بانه شىء منطقى ، ورفعت صورته فى اليوم التالى من صفحتها الأولى ، ووضعت مكانها صورة المارشال بادوليو رئيس الوزراء الجديد !

نقل موسولينى الى جزيرة « بونزا » حيث بقى تحت الاعتقال المنزلى لمدة أسبوع ، ثم انتقل الى جزيرة أبعد بالقرب من شاطىء سردينيا لعدة أسابيع أخرى . ويقال انه بدأ فى هذه الفترة يقرأ بامعان قصة حياة المسيح ، ويقارن بين حظهما المشترك من حيث خيانة الحواريين ، كما بدأ لاول مرة ربما منذ طفولته المبكرة يحضر الصلاة فى كنيسة القرية .

أما بادوليو فقد اخذ بعد العدة لعقد هدنة مع الانجليز والامريكيين ، وهو أمر ما كان يسمح به هتلر الذى لم يكن على استعداد لتسليم ايطاليا الى الحلفاء بهذه البساطة ، فاقتحمت قوات النازى ايطاليا واحتلت مناطق شاسعة فى شمالها ووسطها وخشيت حكومة بادوليو أن يختطف الالمان موسولينى ويعيدوه الى الحكم ، فنقلوه الى منفى منعزل فى فندق بأعلى جبل « جْران ساسو » حتى يصبح بعيداً عن أيدى الألمان ، ورغم ذلك استطاعت وحدة كوماندوز المانية فى عملية فدائية خارقة أن تنقض على الفندق باستخدام زحافات الجليد يوم ١٢ سبتمبر وانقذت موسولينى وطارت به الى ميونيخ .

واقتيد موسولينى لمقابلة هتلر فى مقره العسكرى على الجبهة الروسية . ومن هناك اذاع بالراديو انه استعاد سلطته ، وناشد الايطاليين مساعدته فى القضاء على الخونة الذين اقصوه عن منصبه لتغطية مسئوليتهم عن الهزيمة ، وتنفيذاً لمخططات أعداء البلاد من الانجليز والامريكان . وقال انها صفحة من التاريخ الايطالى لا يغسلها غير الدم .

وطلب منه هتلر أن يؤلف حكومة فاشية جديدة تحت السيطرة الالمانية فى شمال ايطاليا ، وأن يعدم أعضاء المجلس الفاشى الأعلى الذين صوتوا ضده ، وعلى رأسهم زوج ابنته تشيانو . وكان الالمان يكرهونه أكثر من غيره باعتباره مدبر الاتصال بالحلفاء ، وهو ما فعله موسولينى صاغراً رغم احتجاجات ابنته ودموعها ، وتم تنفيذ احكام الأعدام يوم ١١ يناير ١٩٤٤ فى تشيانو وخمسة أخرين من الزعماء الفاشيين بعد محاكمة سريعة هدد فيها الحرس الفاشى باطلاق الرصاص على القضاة والمحامين إذا لم يحكموا بالادانة !

لم يسمح الالمان لموسولينى بالعودة إلى روما ، أو أن يحكم بصفة فعلية ، بل جعلوه يقيم فى قرية صغيرة تسمى « جرينانو » على شاطىء بحيرة « جاردا » فانعزل بذلك حتى عن ادارات حكومته التى اقيمت فى مدينة « شالو » بشمال ايطاليا ، وأحاطوه بالحراس والرقباء الالمان الذين كانوا يتحكمون فى مقابلاته ، ويتجسسون على مكاتباته ومكالماته التليفونية ، ولم يكن يستطيع أن يبرم شيئاً بدون موافقة المندوب السامى الالمانى رودلف ران ولذا لم يكن موسولينى بحاجة الى كثير من الذكاء عندما راح يشكو للزوار القليلين الذين سمح لهم بزيارته ان حكومته ليست أكثر من العوبة فى يد الالمان وأنه هو نفسه تحت رحمتهم .

واذا كان موسولينى قـــد استرد فى هذه الفترة شيئا من صحته نتيجة لابتعاده عن مسئولية اتخاذ القرار ، وبفضل عناية طبيبه الالمانى الدكتور زخاريا الذى كان يلازمه كظله ، إلا انه أصيب بالانهيـار المعنوى فكان يخلط بين الحلم واليقظة ، وبين الحقائق والاوهام ، ويسير كالمنـــوم مغناطيسياً ، ويتارجح بين اليأس القاتل والايمان العام بالنصر بينما بقايا القوات الايطالية تباد بعشرات الالوف تحت القيادة الالمانية على الجبهة الروسية ، وراح موسولينى يهذى بان ماركونى الايطالى اخترع قبل أن يموت سلاحاً فتاكاً اســمه « أشعة الموت » ولكنه ابقاه سراً للأسف ، ويتحدث عن أنواع جديدة من قنابل الغازات السامة والأمراض الفتاكة على وشك أن تستخدم ضد بريطانيا ، وعن القنبلة الذرية التى يحسنها الألمان فى الوقت الحاضر ، وهكذا أصبح موسولينى مصدراً رئيسياً للشائعات التى انتشرت فى العالم فى آخر أيام الحرب عن الأسلحة السرية الجديدة التى قيل ان هتلر يعدها وسوف يضمن بها النصر .

وفى ظل حكومة شالو الضعيفة الالعوبة فى يد الالمان تجددت مرة أخرى السمة القديمة للفاشية ، فامتلات ميلانو وغيرها من المدن الايطالية بالعصابات الفاشية التى تضم العاطلين والبلطجية والمجرمين ، وكانت الحكومة تحمى بعضها وتمدها بالمال كوسيلة للسيطرة على البلاد فى غيبة الادارة المركزية ، كما كانت قوات الاحتلال الالمانى تجد التعاون مع هذه العصـابات مفيدا لانها تمدها بالمعلومات وتقوم بارهاب السكان ، وتمزق الشعب الايطالى بين مختلف المنظمات المتعارضة الاهداف ، ومن ابرزها فرق الانصار من الشـيوعيين والاشتراكيين الذين تحركوا للانتقـام وتصفية الحسابات ومحاولة السيطرة على الحكم بعد انتهاء الحرب . وبذلك سقطت ايطاليا فى هوة سحيقة من التمزق الوطنى والحرب الأهلية .

وقام الالمان بضم اقليمى « تريستـا » « والتو أديو » الى أراضيهم ، وهما اقليمان ايطاليان أصلا دفعت فيهما ايطاليا ما قبل الفاشية ثمناً غالياً فى سبيل استعادتهما الى الوطن الأم ، ولم يكن أمام موسولينى



أعلن الشعب الايطالي فى غضبته سقوط موسوليني والحزب الفاشستي ، وعلقوا صوره على الأشجار واطلقوا عليها الرصاص وسخروا منها ويصقوا عليها وكانهم يشفون غليلهم بعد نهاية نيرون الجديد

سوى الموافقة على هذا الضم ، رغم أن مجرد التفكير فى ذلك كان يعد من قبيل الخيانة العظمى فى الماضى ، ومن سخرية القدر ان موسولينى الذى كان يدافع عن تحالفه مع الالمان بأنه سيوسع من حدود ايطاليا ، قد عاش ليستخدمه حلفاؤه فى اقتطاع اجزاء من ايطاليا سبق أن كسبها أسلافه الليبراليون الذين طالما احتقرهم ، وطعن فى وطنيتهم .

واسوأ من ذلك ، فقد طلب هتلر من حكومة شالو أن تمده بمليون عامل ايطالى للعمل بالسخرة فى المانيا كجزء من جهد الحرب الايطالى ، ولم يكن أمام موسولينى سوى أن يوافق ، وراحت الحكومة تقتنص عشرات الالوف من الشبان الايطاليين لارسالهم للعمل بالسخرة فى المانيا أو تجنيدهم تحت القيادة الالمانية ، تحت التهديد بالقتل والعقوبات الصارمة لكل من يتهرب من هذا العمل الوطنى ! مما دفع بالاف مؤلفة من الشبان والشابات الى الهرب الى الجبال للانضمام الى فرق الانصار التى تعمل على اسقاط موسولينى ونظامه بأى ثمن .

وأخذت قوات الحلفاء تتقدم من الجنوب ، وتنهار أمامها دفاعات الالمان ، واستعد الألمان لاخلاء ايطاليا لمواجهة الزحف السوفيتى الجبار من الشرق ، ولكن موسولينى رفض نصائح من حوله بالهرب الى الخارج رغم انه أيقن منذ اوائل عام ١٩٤٥ ان الايطاليين سوف يخسرون بغض النظر عمن يكسب الحرب ، وبقي فقط أن يتضح من هم الاسياد الجدد : الألمان أم البريطانيون أم الروس ؟

ومع اقتراب شبح الهزيمة انتكست صحة موسولينى مرة أخرى ، وأصيب بانهيار عصبى كامل ، أو على حد تعبير طبيبه « انهيار مطلق فى النشاط والذكاء » ، وأصبح غير قادر على الأكل والنوم ، ومع ذلك استمر يهذى بالنصر ، ويتوعد بالقتال فى شوارع روما وفلورنسا ، وتحويل ميلانو الى « ستالينجراد » ايطالية ، ثم أصدر أوامره باعداد « فالتالين » على الحدود السويسرية لمعركة الصمود الأخيرة التى قال انها ستكسر موجة هجوم الاعداء وتحول دفة الحرب ، ولكن القليلين جداً أخذوا هذه الأوامر مأخذ الجد .

النهـــايـة

وفى يوم ١٨ ابريل ١٩٤٥ بينما الحلفاء على وشك دخول بولندا والروس يزحفون نحو برلين . غادر موسولينى مقر اقامته على بحيرة « جاردا » رغم اعتراضات حراسه الالمان ، لم يكن أحد يدرى ماذا يدور فى ذهنه بالضبط ، وترددت شائعات بأنه سيهرب الى اليابان فى غواصة ، أو يطير الى اسبانيا أو الأرجنتين ، أو يطلب اللجوء فى سويسرا ، ولكنه لم يكن قادراً على ان يفعل شيئاً بسبب انهيار صحته ومعنوياته ولم يلبث ان ظهر بدلا من ذلك فى ميلانو حيث اتصل باسقف ميلانو فى ٢٥ ابريل ليطلب منه أن يكون وسيطاً بينه وبين زعماء الأنصار للاتفاق على شروط التسليم التى تضمن انقاذ رقبته ، وقد سأله الأسقف عما اذا كان يود أن يريح روحه بممارسة « الاعتراف » ، ودهش الأسقف اذ وجده أبعد ما يكون عن مشاعر الرغبة فى التوبة أو الاقرار بالخطأ ، وردت قيادة الأنصار بأنه إذا قام بتسليم نفسه فله أن يضمن محاكمة عادلة ولكن بلا أى شروط مسبقة ، وعندما رفض هذا العرض أصدرت قيادة الأنصار أمراً باعدامه فوراً لحظة الامساك به .

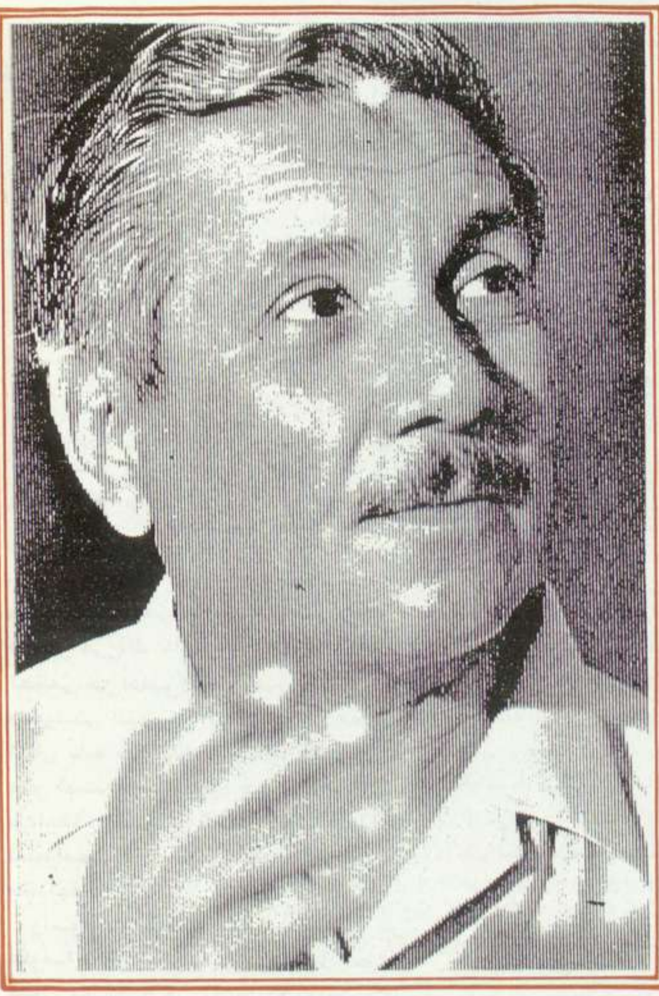
وفى ٢٦ ابريل غادر موسولينى ميلانو بالسيارة ومعه تابعه المخلص بومباتشى ، وعشيقته كلارا بيتاتشى ، قائلا انه سيذهب الى « فالتالين » حيث ينتظره ٣٠ ألفاً من انصاره لخوض معركة الشرف الأخيرة . ولكنه عندما وصل الى « كومو » تبين انه كان واهماً وأن أنصاره المخلصين لا يزيدون عن عصابة صغيرة تضم عدة عشرات ، وهؤلاء ايضاً أخذوا ينفضون بسرعة من حوله عندما شاهدوا الزعيم ورأوا حالته وهذيانه ، فغير موسولينى رأيه فى عبور بحيرة كومو الى فالتالين وأخذ الاتجاه المقابل نحو الحدود السويسرية ، وهناك ايضاً علم ان السويسريين يرفضون دخوله وسوف يسلمونه الى الأنصار إذا قبضوا عليه ، ففكر أن يختبىء فى مكان ما حتى تصل قوات الحلفاء ، ولكن حتى ذلك لم يسعفه ذهنه المضطرب على القيام به ، وأخذت الساعات الثمينة تمر وهو حائر فى المصيدة يروح ويجيء فى نفس المكان دون أن يفعل شيئاً .

وفى المساء وصلت مجموعة عابرة من الجنود الالمان كانت تريد اختراق خطوط الأنصار فى طريقها الى انسبروك بالنمسا ، فتصور موسولينى ان قد جاءه الفرج ، وتخفى فى زى جندى المانى والتحق بها ، وترك الحفنة الأخيرة من رجاله ليحاول كل منهم النجاة بنفسه كأحسن ما يستطيع ، ولكن بعد دقائق قليلة ، وبالقرب من « دونجو » على رأس البحيرة ، استوقفت كتيبة من قوات الأنصار الطابور الالمانى لتفتيشه قبل السماح له بالمرور ، واكتشفت أمر موسولينى ، والقت القبض عليه .

وقد قيلت قصص كثيرة عما حدث بعد ذلك ، ولكن الحقيقة المؤكدة الوحيدة انه فى يوم ٢٨ ابريل ١٩٤٥ تم اعدام موسولينى الذى يبلغ من العمر ٦١ عاماً بواسطة جنود شيوعيين غير نظاميين قبل ساعات من وصول الامريكيين الى المكان ، وأعدمت معه صديقته كلارا بيتاتشى التى رفضت أن تتخلى عنه حتى اللحظة الأخيرة ، وتابعه بومباتشى ، وأربعة أخرون عثر عليهم الأنصار مختبئين بالقرب من البحيرة ، ووضعت جثثهم فوق سيارة نقل حملتهم الى ميلانو حيث علقوا من أعقابهم فى أحد الميادين العامة بينما تجمع حشد من الرعاع راحوا يسخرون ويبصقون على جثة الزعيم .. نيرون الجديد !

محمد العزب موسى

حوار مع الشاعر عبد الوهاب البيـــاتي



عبد الوهاب البياتي

أنا شاعر لا يُصغي للتعليمات

أجرى الحوار : علي جعفر العلاق

ودود ، مجرب ، وساخر من طراز فريد . احاديثه تمتلىء بالنكتة ، والاستعارة ، والبساطة ، والسخرية المريرة ، وكل ما يجعل الحديث حياً . قد تجد ، أحياناً ، ان هناك شيئاً ما قد يتكرر خلال جلسة واحدة ، لكن ما يخفى عنك ذلك ، أو ما يجعله محبباً ، دفق من الخيال لا حدود له ، وسخرية جارحة حيناً وحميمة غير متكلفة فى أحيان كثيرة .

تمتد صداقتي للبياتي إلى أكثر من عشر سنوات . وصداقة البياتي تشبه ، إلى حد كبير ، ان تجلس على جبل بركاني لتستمتع بمشهد البحر . افترقنا خلال السنوات الثلاث الأخيرة : ذهب هو الى أسبانيا للعمل مستشاراً ثقافياً فى السفارة العراقية فى مدريد ، وذهبت إلى انجلترا للدراسة . التقينا ، خلال هذه الفترة مرتين : فى لندن ، حيث تم هذا الحديث ، وفى مدريد قبل أشهر .

قد يكتشف من يمعن النظر ، بموضوعية ، فى شعر البياتي انه شاعر جنى عليه محبوه ومعارضوه على حد سواء : هؤلاء بنفور قاس وأولئك بولاء أقسى . وبين هذا الولاء وذلك النفور ، وما قد يكمن بينهما من دوافع لاشعرية ، أهمل الكثير مما أنجزه هذا الشاعر المهم حقاً .

● يلاحظ النقاد انك تحولت من قصيدة الشطر المكون من عدد محدود من التفعيلات الى القصيدة المدورة ذات الجملة الشعرية الطويلة التى تتكون من عدد غير محدد من التفعيلات . ما هو سبب هـــذا التحول ؟

ـ لاشك ان الجملة القصيرة التى تحتوى على الصورة أو المعنى هى أسهل بكثير من الجملة الطويلة . لهذا فمحاولة وضع التجربة الشعرية فى أقصر الجمل وأقلها كلمات هى طريقة من طرائق التعبير . وانا اعتقد أن مثل هذا الاسلوب يمكن ان يستخدم للتعبير عن الغنائية فى القصيدة . ولكن الشاعر عندما يحاول التعبير ، بشكل فني ، عن الموقف التراجيدى الملحمي فلابد له من استخدام الجملة ، أى ان استخدام الجمل القصيرة أو الطويلة يكون حسب تطور الشاعر وقدرة أدواته الفنية وطبيعة الموضوعات التى يتناولها . فعندما نعبر عن الحالة الغنائية للتجربة ، مثلا ، ونستخدم

الجملة الطويلة تموت ، عند ذاك ، غنائية القصيدة ، وتصبح عبارة عن ثرثرة لفظية . وبالنسبة لي ، مثلا ، اذا حاولت ان أكتب قصيدة غنائية بسيطة فقد لا أستطيع ذلك ، لأنني قد تخطيت هذه المرحلة ، اى محاولة التعبير عن شعوري عن التجربة وليس عن التجربة نفسها .

● بعض النقاد يشبهك بالبحتري من حيث المقدرة الغنائية ، واستخدام القافية والوزن الشعري . لكنك تحولت من ذلك الالحاح على القافية البارعة الى هجرانها بشكل يكاد يكون نهائيا فى القصائد المدورة . هل التغير فى تجربتك الفنية والحياتية عميق الى هذا الحد ؟

ـ أنا اعتقد أن تطور الموسيقي واستعمال القافية وهجرانها نهائيا يعني ان مرحلة ما قد انتهت ونضجت فيها الادوات وانه لابد ان تعقبها مرحلة جديدة تماما . اى عندما يقترب الشاعر من الكمال ، فى شكل من الاشكال ، فيعني ذلك انه قد اقترب من هجران هذا الشكل الذى يكتبه .

● لانه استنفد اغراضه ، ولم يبق فيه شيء يثير أو يدهش .

ـ نعم . وهذا أمر مرتبط بتطور ثقافتي وتطور المضمون الذى يعبر عنه . ثم إن طبيعة القصائد هى التى تملي علي ذلك . وأنا حتى فى هذه الجمل الطويلة ، سواء من الناحية اللغوية أو الموسيقية ، لم أهجر الأشكال القديمة التى يمكن الاستفادة منها ، فتلاحظ فى قلب هذه القصائد ان كل المكتسبات الفنية فى قصائدي السابقة تاخذ اشكالا جديدة ، وموظفة بشكل جديد ، اى ان الشاعر عندما يدخل فى مرحلة تطور فني جديد لا يهجر الأدوات الفنية التى اكتملت لديه فى مرحلة فنية سابقة ، وإنما هى تدخل ضمن المرحلة الجديدة ، وتساعد على نضوجها أيضاً .

● منذ عصر المعلقات وحتى بداية هذا القرن شغل « البحر الطويل » مساحة كبيرة مما كتبه الشعراء العرب . ومنذ حافظ ابراهيم وحتى السياب ونازك وأنت احتل «الكامل» مساحة كبيرة . أما الستينات فقد شهدت هيمنة « الرجز » تقريباً . هل لديك تفسير لذلك فيما يتعلق بك على الأقل ؟

ـ كان الشعراء العرب القدامى ، كما أعتقد ، يكتبون بعفوية شديدة جداً . وكان الايقاع الداخلي للموسيقى ، الذى يرتبط بايقاع الحياة نفسها ، هو الذى يقود الشاعر بعفوية ، الى اختيار هذه الأوزان ، لأنها أكثر طواعية وأكثر قدرة على التعبير عن تجربته . بالنسبة لي شخصياً ، منذ بدأت اكتب الشعر كتبت على ابحر كثيرة ، ولكني لم افكر فى يوم من الأيام انني ساختار هذا الوزن أو ذاك . أحياناً أمر بمرحلة اشعر ان هذا البحر أو مجزوءات هذا البحر هى أكثر طواعية للتعبير عن نفسي من بحور أخرى . حتى فى مرحلة ما قد استنفدها فاتركها بطريقة عفوية ايضاً على أن أعود إليها مرة أخرى ، بحيث تكون أكثر نضجاً . بحر الرجز ومجزوءاته مثلا . أتذكر انني عدت إليه فى « قصائد حب على بوابات العالم السبع » لأكتب من جديد بطريقة مغايرة لدواويني السابقة .

● كيف استخدمت الرجز بطريقة مختلفة ؟

ـ لقد ظهرت ، كما اشرت أنت ، الجملة الشعرية الطويلة . كان استخدامي لمجزوء الرجز يعتمد على الجملة القصيرة ، تماماً ، حتى أن اطول جملة ، كما اتذكر ، لا تتجاوز الأربع كلمات أو ثلاثاً أو خمساً بينما فى « قصائد حب .. » مثلا ظهرت جمل مكونة من أربع عشرة كلمة أو اثنتي عشرة كلمة . ان من الاشياء التى يهملها الذين يدرسون عروض الشعر أن الابحر حتى الكلاسية ، بشكلها الكامل ، تاخذ عند الشعراء ، أحياناً شكلا جديداً من قصيدة إلى أخرى ومن شاعر إلى أخر اسميه الايقاع الداخلي ضمن البحر . عندما تقرأ القصائد الجيدة للمتنبي مثلا ، أو البحتري أو ابى تمام أو ابى نواس المكتوبة على الطويل فانك لا تعرف ، للوهلة الأولى ، أنها من بحر الطويل . وحتى لو قارنت بين قصيدتين من هذا البحر لأبي نواس والمتنبي تجد أن كل واحدة مختلفة عن الأخرى ، وخاصة فى تقطيع التفاعيل بينما ياتي هذا التقطيع ، عند الشاعر النظام أو الرديء ، نمطياً فى كل القصائد . وهذا يدل على أن التجربة كلما كانت صادقة وأكثر طواعية للتعبير العفوي كلما يأخذ العروض شكلا جديداً تماماً . ولهذا يكون الشكل العروضي للبيت مطابقا لشكله الايقاعي عند الشاعر النظام ، بينما يختلف الغنى الايقاعي ، عند الشاعر المقتدر ، من بيت الى بيت ، ضمن البحر الواحد ، حسب تموجات نفسه ، وتجربته الداخلية .

● من يتتبع اعمالك الشعرية يستطيع القول إنك من الشعراء الذين لا يستقرون على أرض واحدة لفترة طويلة ، لكنك ، من ناحية أخرى لا تميل الى التجريب فى مجال الأوزان وتنويعها ، ما السبب فى هذه الظاهرة ؟

ـ ان هناك فرقا بين بعض العروض والاوزان التى تتفق بطبيعتها مع إيقاع النفس وايقاع الحياة وبين بعض العروض الذى لا يتفق مع هذا الايقاع ، فانا احاول أن اوجد البحر أو الوزن الذى يتفق مع ايقاع نفسي ومع ايقاع الحياة فى المرحلة الزمنية التى أكتب فيها ، وهذا يتم اختياره بطريقة عفوية وغامضة غير مقصودة تماماً ، لانني أعتقد ان الموسيقى ، وهى ليست وسيلة فقط لا يتم اختيارها بشكل قصدى إرادى انما تتلبس التجربة الشعرية نفسها وتولد معها. ان من الأخطاء التى وقع فيها بعض الشعراء القدامى انهم كانوا يتبارون فى الكتابة فى كل البحور والأوزان .

● حتى البحور المهملة منها ؟

ـ نعم ، وكانوا يتبارون فى كتابة كل القوافي حتى القوافى الميتة . ويخيل الى ان بعض الأبحر فى دواوين المتنبي وأبى نواس أو المعرى أو أبى تمام التى كتبت على بحور معينة كلها رديئة . باستثناء نوادر فى تاريخ الشعر العربى ، ربما قصيدة أو قصيدتان على هذا البحر أو ذاك نجت من الهلاك . فى رأيي ان الأبحر العربية ، رغم أنها موزعة على ستة عشر بحراً ، يمكن دمج الكثير منها فى بحر واحد . والقصيدة الحديثة محاولة لايجاد موسيقى جديدة من هذا الموجود منها وليست موسيقى جاءت من الفراغ . وحتى انا مثلا ، عندما استخدم تفعيلة بحر ما فانني لا استخدمها ، من بيت الى بيت ، بنفس الاستخدام الميكانيكي ، بل تجد فيها اضافات .. وفيها حذف . أحاول أن ادخل إيقاعي الخاص ، أو الايقاع الخاص بالقصيدة ، فى الايقاع العروضي لخلق نوع من التلاحم بحيث ان هذه الموسيقي تشبع حواس الانسان ، اكثر مما تشبع حاسة العروضي . لأن هناك فرقاً بين الموسيقي التقليدية ، التى تكتب لها نوتة ، وبين

أنا شاعر لا يُصغي للتعليمات

الموسيقى التى تخضع للنوتة ولكن تتمرد عليها باستمرار .

● أى انك لا تطوع ايقاعك الداخلي وتقسره حتى يخضع لايقاع البحر الجاهز ؟

– ابداً . انا لا اصغي للتعليمات ، وانما بعد الانتهاء من الكتابة احاول المقارنة بين ما انجزت وبين التعليمات . ان مراعاة التعليمات الفنية ، التى لا تتعلق بشكل القصيدة فقط وانما تتعلق باللغة ايضاً ، تعتبر امراً اساسياً .

● يلاحظ الدارس لأعمالك انك بعد ان أعطيت انجازات مهمة فى مجال قصيدة القناع ، لم تعد الى كتابة هذا النمط ، فى دواوينك الأخيرة . لماذا ؟

– فى مرحلة ما قد يكون هناك الوجه الحقيقي والقناع ويتلبس كل منهما الآخر ، وقد يظهر كل واحد على حدة ، او يصبح ، احياناً ، الوجه هو القناع والقناع هو الوجه اى عندما تتحد شخصية القناع والشخصية الحقيقية اتحاداً كاملا . فى مملكة السنبلة ، مثلا ، تلاحظ بعض الشخصيات التراثية . لكنني فى هذه المحاولات رفعت القناع . وانا شخصياً لا أقلد ما انجزه او احققه فى قصيدة ما لأن طبيعة التجربة التى تاتي ، بعد ذلك ، تكون مغايرة تماماً . إن هذا القلق الذى يملؤني ينعكس ، ايضاً ، فى الأدوات الفنية ، فى الموسيقى ، فى الصورة احيانا ، اكتب قصيدة مكتملة جداً ولكنني اشعر ، بالرغم من اختلافها فى الصورة والشكل ، انها إعادة لقصيدة اخرى فاهملها وهكذا . ان استخدام الرمز التراثى والتاريخى ذو علاقة بتطور الشاعر والوسط الذى يعيش فيه ، وتنوع ثقافته ، وتطوره .

● هذه وجهة نظر معقولة ، لكن يبدو لي ، احيانا ، ومن خلال دراسة اعمالك ، ان السبب فى ابتعادك عن قصيدة القناع يرجع – الى حد ما – الى طبيعة القصيدة المدورة لانها تعتمد البحر الواحد ، وتوليد الصور والالفاظ بشكل متسارع مما لا يترك مجالا لتقديم شخصية القناع ، لان هذه الشخصية ، كالحلاج مثلا ، متعددة المستويات ، وذات ارتفاعات وانخفاضات نفسية وفكرية مختلفة لذلك فهى تحتاج الى قصيدة مركبة تتفاوت فيها المقاطع وتختلف فى بنائها العروضي والتعبيري واستعمال التقفية . اما القصيدة المدورة فهى تدفق ، واحد ، متسارع لا يتيح مجالا لتقديم هذا التلون .



– انا لا اختلف معك من الناحية النظرية ولكنى احاول ذلك من خلال مثلى الاعلى فى النظرة الى القصيدة . فبالرغم من استعمالى للشكل العمودي والبحر الطويل والقصيدة المدورة فانا لا اخضع للنمطية او الروتين او الهوة التى يقود اليها البحر الطويل فى الشعر العمودي او شعر التفعيلة وانما اخضع لمزاجي ، واوظف هذه الامكانات لنفس الرؤيا فاذا رأيت انفلاشاً فى هذا الشكل او ذاك فانه لا يعود الى القصيدة المدورة او البحر الطويل العمودي وإنما يعود إلى مزاجي انا وتطوري . وقد قلت لك إنه فى مرحلة ما من عمري ومن تطوري الفني يتم تطابق بيني وبين البحر السريع . فانا لا اقصد البحر السريع ولا افكر به اطلاقا وانما لأنه اكثر قدرة على التعبير عن تجربتي ، فعندما تقارن بين قصيدة « سيرة ذاتية لسارق النار » وبين قصيدة مدورة من شعري تجد ان توظيفي للكلمات واللغة هو هو بحيث ان القصيدة المدورة التى اكتبها انا ، عندما تقارن بكل القصائد التى تكتب ، تختلف تماماً ... فى « ملائكة الشياطين » ورغم انني لست سريالياً هناك قصيدة « حانة الشيطان » وهى قصيدة سريالية من أولها الى اخرها ، مع العلم ان فيها وزناً عمودياً وفيها قواف ايضاً ، ولكن هكذا كانت تجربتي . اى انني لا أطوع تجاربي للقوالب الجاهزة وانما العكس .

● لم تظهر عائشة فى عمل شعري لك قبل عام ١٩٦٦ ، عدا ظهورها فى مسرحية « محاكمة فى نيسابور ١٩٦٣ » . ما سبب ظهور هذا الرمز مرة اخرى وبهذه الكثافة فى « الذى يأتي ولا ياتي » والاعمال التى تلته ؟ وهل لهذا الأمر علاقة بما اشار اليه الدكتور احسان عباس فى كتابه « اتجاهات الشعر العربي المعاصر » من انك اخذت رمز عائشة بعد ان هجره أدونيس ؟

– قول احسان عباس هذا مداعبة طبعاً . اتذكر انه قال هذا الكلام فى محاضرة كنت موجوداً فيها . وقال انا أردت ان اداعبك هنا . ان الاسماء عندي تظهر لعلة فنية قوية وليس للحذلقة . واسماء مثل دعد وليلى وهند وردت فى شعر كل الشعراء العرب . منذ الجاهلية وحتى نهاية العصر العباسي . ثم انا اختلف عن أدونيس لان قصائده عبارة عن مكعبات هندسية وكلمات قد تظهر فيها أسماء اعلام ، اما قصائدي فهى تجربة وجودية ومعاناة حقيقية . وانا استخدم الشكل كجزء منها ولا استخدمه كوعاء للتعبير عنها . لقد كتبت قصيدة « عذاب الحلاج » و « قراءة فى كتاب الطواسين للحلاج » وقد ذكر النقاد انها تدل على معاناة لنفس تجربة الحلاج وعلى استيعاب لتراث الحلاج الشعري والفني . ولدى أدونيس ، ايضاً ، قصيدة عن الحلاج ومكونة من عشرين كلمة ، وهى عبارة عن مكعبات صوتية وكلمات لا تقول شيئاً عن الحلاج

على الاطلاق ، فهل يمكن ان نقول إن قصيدة ادونيس هذه عن الحلاج ؟ انا اعتقد ان العنوان فقط يشير الى ذلك ، ولو حذفنا العنوان لما بقى من الحلاج شيء . انا بالعكس استخدم القناع او الرمز لاملأ الوجود الغائب ، أعني الانسان ، لذا فانا أؤكد على الموقف الانساني ، وعلى التجربة الانسانية بالذات وأحاول ، قدر الامكان ، لَيّ كل ادواتي الفنية لكي تسعف هذه التجربة وتعبر عنها .

● لو انتقلنا الى موضوع الأسطورة . هل كان ميلك الى استخدامها استجابة لضغوط داخلية أم مماشاة لاتجاه عام ساد الشعر العربي ؟

– أنا أكثر الشعراء بعداً عن الانقياد للموجات . ولم اخضع فى حياتي لذلك ، انما كان تطوري تطوراً طبيعياً وأميناً ، فانا استخدم هذه الأشياء لا لذاتها أو كديكورات أو للبهرجة إنما بقدر ما تسعف تجربتي وتكون جزءاً حياً منها .

● بالنسبة لمدى اطلاعك على الشعر الأوربي ، ولنبدأ بإليوت : هل قرأته مترجماً بلغته الأصلية ؟

– قرأت ايليوت ، لأول مرة ، بالعربية . قرأت قصيدة « الأرض الخراب » ولا اتذكر من ترجمها ، ربما لويس عوض أو غيره . وأنا بالذات استهوتني « الأرض الخراب » اكثر من قصائد إليوت الاخرى ، لأن فيها تعبيراً شمولياً بالرغم من معاناة خاصة بهاء فى ذلك الوقت أيضاً درسنا اللغة الانجليزية، فى دار المعلمين العالية ، فكنت اقرأ الأدب الانجليزى واحاول استعمال القاموس ، لكن لا أكتمك اننا كنا نجد صعوبة كبيرة جداً .

● خاصة مع شاعر صعب كأيليوت .

– نعم ، لأن القصيدة عنده مركبة وتعابيره مركبة . وحتى الآن عندما اقرأ غير « الأرض الخراب » أو « أربعاء الرماد » ، أى بعض قصائد اليوت التى تمتزج فيها الفلسفة وما أشبه ؛ اجد صعوبة فى قراءتها فى الحقيقة . ومهما بلغت مقدرة الانسان على معرفة لغة ما يظل الفهم الشعري غير معرفة اللغة . ثم ان بعض الشعراء هم كذلك حتى بلغتهم . مثلا الكثير من مطالع قصائد المتنبي يختلف القراء والشراح فى تفسيرها لذلك من الصعوبة ان تحمل القارىء مسؤولية عدم فهمه أو تضع العبء على اليوت نفسه . فاليوت ظاهرة مبالغ فيها رغم أنه شاعر عظيم . ولكن بعض النقاد يحاولون ان يسحبوا تاثير اليوت على كل شيء . ويظهر ، الآن ، فى النقد الانجليزي بعض النقاد ليعيدوا إليوت الى حجمه الطبيعي .

● لننتقل الآن الى لوركا : هذا الشاعر الاسباني ، الاندلسي ، الغجري . كيف تعرفت على شعره وماذا تعلمت منه ؟

– اتذكر أثناء الحرب العالمية الثانية جرى تعاون بين شعوب العالم ، كان من نتيجته حركة ترجمة من وإلى لغات مختلفة ، واتذكر أول ما قرأته لم اقرأه بالعربية وإنما قرأت ترجمة لستيفن سبندر اصدرتها Penguin حتى أن تلك الترجمة كانت ترجمة نثرية لأن سبندر كان يضع النص الأسباني وفى الهوامش يضع الترجمة نثراً أي أنه لم يضع أبيات لوركا صياغة شعرية وإنما يضعها بنثر بسيط . وكما نعلم ان الصورة فى شعر لوركا والمعانى بسيطة ما عدا بعض القصائد التى فيها نوع من التركيب والصعوبة لأنها سريالية وتعتمد على الجملة الطويلة . واتذكر انني حاولت ان اترجم بعض هذه المقاطع وفشلت لأنها كانت من السهل الممتنع . وبالرغم من سهولة الجملة فان صياغتها بالعربية يفقدها الشيء الكثير من الصوت واللون والجمال .

● هل تعرفت ، بعد ذلك ، على قصائد لوركا بشكل أفضل ؟

– لا . حصل هناك انقطاع ، لأن همومنا فى الوطن العربي وهموم السياسة فى الخمسينات والأربعينات تجعل الانسان ينوع ثقافته ويطل من نوافذ كثيرة . التوقف عند شاعر واحد نوع من الترف لايتاح لكل إنسان . وانا بطبيعي هكذا : حتى أجمل المدن لا أقف فى ابوابها وانما اتجاوزها الى مدينة أخرى . لكنى اتعاطف مع لوركا ومع شعره . حتى الآن اقراه بنفس الانفعال وبنفس الاعجاب الذى بدأت به منذ ثلاثين عاماً .

● هل حاولت ان تستفيد من بعض جماليات لوركا ومهاراته فى بناء قصائده ؟

– لا . عندما اقرأ الشعر لا احاول ان اجزئه وادرس كل جزء على حدة . كنت كمن ينظر فى مياه عميقة ليرى ما فى ماء البحيرة أو الينبوع ، وكنت أنظر الى الكل من خلال الجزء والجزء من خلال الكل .

● بعد خروجك من هذه المياه العميقة هل احسست ان تغيراً ما قد طرأ على رؤياك ؟

– رغم أن لوركا شاعر عظيم الا انني شعرت ، بعد قراءته ، بالحزن والحرقة ، وبالظمأ والجوع إلى المعرفة أكثر .

● ماذا عن نيرودا وناظم حكمت ؟

– تعرفت على شعرهما ، بالذات ، بشكل جيد قبل الخمسينات بقليل . مع أن نيرودا كان فى فترة أسبق . عثرت عليه فى كتاب ضخم يضم ترجمات من الأدب العالمي إلى الانجليزية . واتذكر كان لنيرودا قصيدة أو أكثر وحاولت قراءتها ولم أكن أعلم أن بابلو نيرودا سيصبح هذا البابلونيرودا فيما بعد . اتذكر انني مررت به لكن لم أتوقف عنده .

● وناظم حكمت ؟

– فى بداية الخمسينات نفسها ، عندما قامت حملة عالمية لاطلاق سراحه من سجنه لفت انتباهى كثيراً . وقد نشر د . علي سعد أول مجموعة شعرية له مترجمة إلى العربية ثم حصلت ، فى تلك المرحلة ، على مجموعتين بالانجليزية مطبوعتين فى الولايات المتحدة ، حتى اننى قمت بالمقارنة بين الترجمات الانجليزية والعربية فوجدت فرقاً كبيراً وذلك لأن الترجمات العربية كانت عن الفرنسية .

علي جعفر العلاق

بين سرّ الإله

وبؤس الإنسان !!

بقلم : خالد محمد خالد

●● لقد ظهر بوذا – « ولد حوالى ٥٦٤ وتوفى حوالى ٤٨٣ ق . م » – قبل ظهور المسيح وقبل مولد الرسول العربى محمد صلى الله عليه وسلم ، وقبل ظهور الاسلام ... وكان بوذا يجسد فجر الضمير الدينى فى حياة البشر قبل ظهور المسيح ومحمد ... وكان فى رؤيته الصافية يسعى إلى معرفة الله عن طريق معالجة مشاكل الانسان حتى يستطيع البشر أن يؤدوا رسالتهم بغير عجز أو قصور أو عذاب فوق هذه الأرض ... وحتى يستطيعوا أن يعرفوا الله بكل الحق والوضوح والصفاء ●●

كان فتى غض الاهاب ، ريان الشباب . حين هجر القصور الشاهقة والمناعم الباذخة ، والمباهج المفعمة ، وخرج عريانا إلا من أسمال بالية يبحث عن الحقيقة فى مواطنها البعيدة عن كل ما كان يعيش فيه من ترف وبذخ .

ترك أبويه وزوجته وابنه الرضيع .. وكان ابن ملك وملكة لا يستعصي عليه شيء من نعم الحياة الدنيا . وكان هناك كما تروى الأسفار المكتوبة عنه نبوءات سبقته إلى الحياة ، وإرهاصات صاحبت مولده . فعندما حملته أمه صاحبة الجلالة بـ «بوذيسا تاوا» وهو اسمه القديم قبل أن يعرف في تاريخ الانسانية بـ « بوذا » رأت حلماً جميلا ومثيرا وطويلا . وجمع زوجها الملك فريقاً من اعلام البراهمة ، ودعا الملكة لتقص عليهم الرؤية .

وكان تاويلهم لها انها ستلد ولداً يترك قصوره ، ويخرج من أحضان العالم ويصبح « بوذا » اي « المستنير » وسيسهم إسهاماً عظيما وبارزاً في رفع الغشاوة عن اعين الناس .. ثم تحكي نفس الأسفار انه حين ولد ، لم ينزل كما ينزل عامة الأطفال من أجواف امهاتهم .. لم ينزل ملوثاً ولا مقذراً ، بل نزل كما ينزل الواعظ من فوق منبره .. نزل كانه الرجل يهبط درج السلم . ومد يديه وقدميه ، ووقف مشرقاً بالضوء كانه جوهرة موضوعة على ثوب بنارسى (١) هكذا هبط من جوف امه .. وخصصت له القصور اللائقة بولي العهد ، وحين أراد الزواج ، جاءوا له بخمسمائة من الحسان ليختار من بينهن زوجته . وبدأ شبابه بتدريبه على الفنون العسكرية ، ثم سارع وفق ميوله إلى حِلَق الفلاسفة حيث ارتوى من الفلسفة وشبع وعاش أميراً هانئاً سعيداً محظوظاً ..

وعلى الرغم من أن أباه كان يجنبه كل ما تعانيه البشرية من آلام وأحزان ، فقد كانت آلام الحياة وأحزانها هى التى فتحت عينيه وبصيرته على الحقيقة التى راح ينشدها ، وينذر حياته من اجلها .

● ● ●

واستقبل «بوذا» الأرض الواسعة ، لا يملك من الدنيا سوى أسماله الصفراء . والتف حوله التلاميذ والحواريون ، ولكن حتى هؤلاء هرب منهم وراح يبحث وحيداً عن الحقيقة .. راح يستشرف أسرار هذا الكون العظيم .

وبعد بضع سنوات عاد الى منسكه واستقبله تلامذته استقبال الظمان للماء النمير .

وتحلقوا حوله ، وشخصت نحوه أبصارهم ، وضمهم سكون عجيب حتى لتكاد تسمع صوت الدم وهو يجرى فى الأوردة والعروق .

وطال صمت «بوذا» كانه يستجيش كل

أشواقهم وانتباههم ليتلقوا منه الحكمة التى وجدها وعثر عليها .

وقرأ عيونهم جيداً ، ووجوهم كذلك .. وأبصر على كل وجه هذا السؤال : هل وجد أستاذنا العظيم سر الاله ..

عندئذ انفرجت شفتاه ليقول بملء يقينه : «أنا لا أعرف شيئاً عن سر الاله ، ولكنى أعرف أشياء عن بؤس الانسان» !! .. وبهذا القول الفصل لخص «بوذا» تجربته ورسالته . إنه لن يشغل نفسه بتلك الفلسفات ولا السفسطات التى كانت تملأ الهنـــــد فى تلك الفترة عن آلهتهـــا .. ولكنه لن ينكر أبـــداً وجـــود الله .

إن الام البشرية ومتاعبها ستكون شغله الشاغل .. يريد أن يأخذ بأيدى الغرقى - وكل الناس غرقى - الى مرافىء الراحة والسكينة والهناء .

ولكن ما هو الألم الذى سيصوب «بوذا» نحوه سهامه ؟؟ إن المرض ألم .. والشيخوخة ألم .. والموت ألم .. ولكنه سوف يركز حديثه أولا عن الآلام القاتلة التى يسببها انحراف السلوك البشرى وانجرافه شطر الهاوية .

وهكذا راح يحدث تلاميذه .

● «تلك - أيها الرهبان - هى الحقيقة السامية عن الألم .. الولادة مؤلمة .. والمرض مؤلم .. والشيخوخة مؤلمة .. والحزن والبكاء والخيبة والياس ، كلها مؤلم ..»

● «وتلك - أيها الرهبان - هى الحقيقة السامية عن سبب الألم : سببه الشهوة التى تؤدى الى الولادة من جديد . الشهوة التى تمازجها اللذة والانغماس فيها . الشهوة التى تسعى وراء اللذائذ تتسلقها هنا وهناك . شهوة العاطفة ، وشهوة الحياة ، وشهوة العدم..»

● «وتلك - أيها الرهبان - هى الحقيقة السامية عن وقف الألم : ان نجتث هذه الشهوة من أصولها ، فلا تبقى لها بقية فى نفوسنا...»

● «وتلك - أيها الرهبان - هى الحقيقة السامية عن السبيل المؤدية الى وقف الألم : إنها السبيل السامية ذات الشعب الثمان. ألا وهى : سلامة الرأى ، وسلامة النية ، وسلامة القول ، وسلامة الفعل ، وسلامة العيش ، وسلامة ما نعنى به ، وسلامة التركيز» ..

هكذا يبدأ حديثه عن الشقاء الانسانى الذى سيخصص حياته لدحضه وللخلاص منه .

وكان يرى فى الجنس بؤرة المتاعـــب كلها ..

ولقد سأله تلميذه الأثير لديه ذات يوم :

- كيف ينبغى لنا يا مولانا ان نسلك إزاء النساء ؟

فأجابه : كما لم تكن قد رأيتهـــن يا أناندا ..

- لكن كيف نصنع اذا تحتمت علينا رؤيتهن ؟

- لا تتحدث اليهن يا أناندا .

- ولكن اذا ما تحدثن الينا يا مولانا فكيف نصنع ؟

- كن منهن على حذر تام يا أناندا ... !!

● ● ●

«أنا لا أعرف شيئاً عن سر الاله ، ولكنى أعرف أشياء عن بؤس الانسان» .

تلك هى الحكمة الجليلة التى عاد بها بوذا من رحلته الطويلة وسفره الشاق ، وتقلبه فى الفيافى والصحارى والبلاد .

إنه يريد للناس ان يشغلوا انفسهم بانفسهم ، وأن يجنبوها الآلام النائحة بترك جميع المزالق المفضية اليها ، وأن يشدوا أنفسهم الى قدر كبير من العصمة حتى لا يفلت منهم الزمام وتجتالهم الشهوات الباطلة اجتيال الشياطين !!

والفضائل الكبرى للنفس الانسانية هى ما يريده «بوذا» للناس كى يسعدوا .

وأى طريق يفضي بهم الى تلك الفضائل وينزل عليهم السكينة والحب والأمل ، هو طريق الله ..

قصده ذات يوم برهمى يستأذنه فى السفر الى النهر المقدس «جايا» ليستحم فيه ويطهر نفسه من خطاياها . فقال له «بوذا» : استحم هنا .. نعم هنا ، فليس ثمة حاجة تدعوك الى السفر الى «جايا» ..

ثم عانقه بنظرات عينيه الصافيتين وقال :

«أيها البرهمى . كن رحيماً بالكائنات جميعاً . وإذا أنت لم تنطق كذباً ، ولم تقتل روحاً ، ولم تأخذ ما لم يعط لك ، ولبثت آمناً فى حدود إنكار ذاتك .. إذا فعلت ذلك ، فماذا تجنى من الذهاب الى «جايا» ؟؟ إن كل ماء يكون عندئذ «جايا» !!! إن فضائل الانسان وفضائل الحياة هى المقدسة . وكل المقدسات الأرضية التى اخترعها الانسان لا تصلح بديلا لهذه المقدسات العلوية الصادقة والصحيحة .

ورسم صديق الانسان الحميم نهجاً للتعايش والتعامل يخفف من غلواء المغالين ، وإنهاك المتعبين .

«على الانسان أن يتغلب على غضبه بالشفقة ، وأن يزيل الشر بالخير . إن النصر يولد المقت ، لأن المهزوم فى شقاء .. وإن الكراهية ليستحيل عليها أن تزول بكراهية مثلها .. إنما تزول الكراهية بالحب» ..

● ● ●

كان يرفض أن يدخل فى نقاش حول القضايا الغامضة ، ويرى أنها تفضي الى الخصومة والكراهية والحزن ، ويستحيل أن تؤدي بالمارين إلى الحكمة والسلام .

وكان يدعو الى قدسية جديدة تتمثل فى الحياة التى ينكر الانسان فيها ذاته ، ويبسط كفيه للناس بالعون والبر .

ورغم أناته ودعته ، فقد كان حاداً تجاه كهنة عصره ، يهزأ بدعواهم أن أسفار «الفيدا» من وحى الآلهة ، ويدحض غرور البراهمة وصلفهم وجعلهم الناس طبقات .

- وإنه ليقول لتلاميذه معلماً :

«انتشروا فى الأرض كلها ، وانشروا هذه العقيدة : قولوا للناس : إن الفقراء والمساكين ، والأغنياء والصفوة كلهم سواء وكل الطبقات تتحد لتفعل فعل الأنهار حين تصب كلها فى البحر» !!

ومن هنا رفض التعالى والتعاظم والكبر واعتبرها من موبقات الانسان ومكثفات آلامه ومنغصات حياته حتى حين يرى فيها الراحة الكاذبة والسعادة الجوفاء .

وكان أشد ما يكون إنكاراً إذا أحس من أحد رغبة فى تعظيمه .

تقدم منه يوماً تلميذه «ساريبوتا» وقال : سيدى . إن إيمانى بك لعظيم . وإنه ليبلغ من القوة بحيث لا أظن أن أحداً ممن مضوا أو ممن يعاصروننا أعظم وأحكم منك يا حكيمنا العظيم . ويجيبه «بوذا» : كلماتك يا

بين سرّ الإله

وبؤس الإنسان !!

ساريبوتا عظيمة وجريئة ، والحق انك بكلماتك هذه قد رحت تنشد اغنية نشوان .. وكانى بك قد عرفت كل الانبياء والحكماء الذين سلفوا . وعرفت فيم كانوا يفكرون ؟ وماذا كانوا يعملون ؟ واى تفوق وتحرر احرزوه لانفسهم ؟!

واجاب «ساريبوتا» : كلا يا سيدى لم ابلغ من الامر هذا ..

بوذا : إذن فلا اقل من ان تكون عرفتنى وبلوت حقيقة امرى ؟

ساريبوتا : ولا هذا ، يا سيدى .

بوذا : إذن فما دمت – يا ساريبوتا – لم تطالع افئدة الانبياء والحكماء الذين سبقوا .. ولا تعرف شيئا عن اقدار الذين سيجيئون ، فلماذا تنعتنى باننى اكثرهم حكمة ؟ ولماذا هذه الكلمات العظيمة الجريئة ؟؟!!..

● ● ●

وفى سبيل تخليص الانسان من الالم دعاه بوذا الى الترفانا ولكن ماالنرفانا ؟ ..

يقول «بوذا» : «والآن ، فهذه هى الحقيقة السامية عن زوال الألم . انه فى الحق فناء المرء حتى لا تعود له عاطفة تشتهى .. إنه اطراح هذا الظما اللاهث ، والتخلص ، منه ، والتحرر من ربقته ، ونبذه من نفوسنا نبذا لا عودة له» ..

وهذا الذى ذكره «بوذا» يهيىء الانسان للفرار من العودة الى الحياة . وعندها يظفر النرفانا .

كما يهيئه لبلوغ «النرفانا» فى هذه الحياة الدنيا .

«إننا إذا ما تعلمنا أن نستبدل بحبنا لأنفسنا حباً للناس جميعاً وللأحياء جميعاً عندئذ ننعم أخر الامر بما ننشد من هدوء».

وهو يحض اتباعه – كوسيلة من وسائل دحض الألم – أن يعتمدوا على انفسهم وحدها وعليها كلها ..

«إن كل من صار لنفسه مصباحاً يهدى ، وكل من صار لنفسه ملاذاً يؤوى ، فلن يلتمس لنفسه من غير نفسه ماوى ، وسيستمسك بالحق مصباحاً ، فلا يطلب من غير نفسه ملاذاً .. وإن امثال هؤلاء هم الذين سيبلغون أعلى الذرى . شريطة أن يكون بهم شغف بالمعرفة ..

إنه لمن الحمق أن تظن أن سواك يستطيع أن يكون سبباً في سعادتك أو شقائك ، لأن السعادة والشقاء نتيجة سلوكنا نحن وشهواتنا نحن .. »

وفى سبيل إنزال الهزيمة بالألم أوصى كما رأينا بالحب لا حب الانسان وحده . بل حب الكائنات جميعاً .

ولقد كانت التحية التى علم تلامذته ان يتبادلوها ويحيى بعضهم بعضاً هى : «السلام على الكائنات جميعاً» !!! من اجل ذلك كان حريصاً على أن يرد السيئة بالحسنة ، والكراهية بالحب .

وكان يقول : «إذا أساء إلي انسان عن حمق ، فسأرد عليه بصفو من محبتى المخلصة . وكلما زادنى إساءة وشراً ، زدته حباً وخيراً ..»

وكثيراً ما كان يتحرش به بعض السفهاء فيسأله «بوذا» فى مزاح وقور وحب كبير :

«قل لي يا بنى . إذا رفض انسان أن يتقبل منحة تقدم اليه . فمن يكون صاحبها؟.»

فيجيبه الذى تطاول عليه : «إن صاحبها عندئذ هو من قدمها...»

عندئذ يقول له «بوذا» فى مثل هدوء المحيط وقوته : «إنى أرفض يا بنى قبول منحتك أعنى إهانتك وألتمس منك أن تحتفظ بها لنفسك» !!!

هذا الرجل الذى كان يوماً من طبقة «المقاتلين» عاد ولياً حميماً للحياة وللأحياء بعد أن نضا عن نفسه السيف وأدوات القتل واستقبل الحياة ابناً باراً لها وبها .

وعلى الرغم مما عذب به نفسه وجسده أيام تأمله الأولى ، وخلال سنوات سبع قضاها وكأنه يمارس اعدام نفسه ودغدغة جسده إلا أنه عاد ليقول لتلاميذه : إنه بمثل هذه القسوة لم يبلغ العلم ولم يظفر بالبصيرة السامية ، وأنه بدونها أى القسوة وتعذيب النفس يستطيع أن يبلغ الرفعة الحقيقية .. وجد «بوذا» فى صداقته للانسان ومعاونته على دحض بؤسه عبادته وتقواه .

وكان دائماً يقول : «إن ما سفحت البشرية من دموع أكثر من مياه المحيطات الأربعة» .

ولقد ترك لتلاميذه وصاياه الخمس .

- لا يقتلن أحد كائناً حياً .
- لا يأخذن أحد ما لم يعطه .
- لا يقولن أحد كذباً .
- لا يشربن أحد مسكراً .
- لا يقيمن أحد على دنس .

● ● ●

ويرى «بوذا» أن الآلام التى تنزل بالناس فى دنياهم كفيلة بأن تجعلهم يتصرفون كعقلاء دون انتظار العقاب فى الجحيم . بل ودون أن يكون هناك جحيم على الاطلاق .

إن الشره ، والحرص ، والاستسلام للشهوات الخفية والمعلنة لتحمل عقابها فى طياتها .

وإن الحب والعطاء واقتلاع الشهوات من جذورها لتبلغ بصاحبها أعلى ذرى السكينة والراحة والسلام ..

وسكينة النفس عنده تعنى أن الألم قد ذهب الى غير رجعة .

وهو فى هذه يلتقى بالحكيم الصينى الذى كان يقول : «يا رب ضع كل ترف الدنيا ومفاتنها تحت أقدام الحمقى ، وأعطنى سكينة نفس» !!

هذه ومضة من تعاليم الرجل الذى حمل الام الانسانية فوق كاهله ، وراح يقدم لها بلسمها الشافى وعلاجها الأكيد .. الرجل الذى ضرب فى الأرض يمنة ويسرة . وقضى سنوات طوالا يتأمل وحيداً متفرداً ، ويستشرف الحقيقة فى آفاقها .. ثم عاد ليعلن للناس : أنه لم يعرف شيئاً عن سر الأله .. ولكنه عرف اشياء عن بؤس الانسان .. !!!

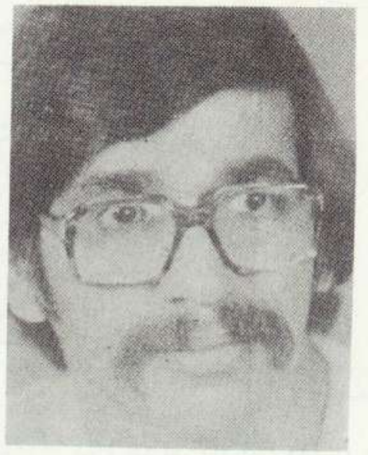
خالد محمد خالد

هامش

(١) نسبة إلى إقليم من الاقاليم الواقعة شمال ما يعرف اليوم باسم بنارس ، حيث كان والد بوذا حاكما لهذا الاقليم .

الحجر

شعر: علي الشرقاوي



الشاعر على الشرقاوى تم انتخابه فى الشهر الماضى رئيساً لأسرة الأدباء فى البحرين وهذه إحدى قصائده الجديدة ، ننقلها عن زميلتنا « صدى الأسبوع » البحرينية التى نشرتها منذ أسابيع :

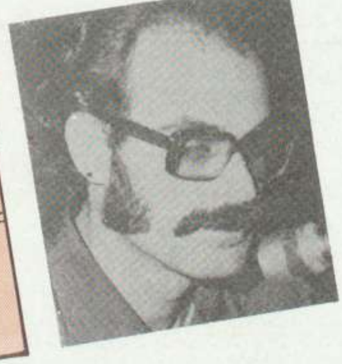
لم اعرف كيف قفزت
دخلت برأس الحنجرةِ الحرْف
بكى ارجوحة زيتون
من انت ؟!
انا .
لا أعرف
اعرفُ . لا .
اعذرْني .
شاخَتْ .
داخَتْ .
ساخَتْ .
ساخَتْ ذاكرتي
لكنْ من أنْت ؟!
انا . دعْني
دعني يا طفل الملمْ أَعضَائِي
يا النائم فى الرّمل المتحرك
أسئلة لا تسألْني .
فانا لا اعرف .
اعرف
لا .
اركض والصحراء محيطٌ حطّ بخلجان الدم
الطرقات المطروقة لا تمشى
الاشجارُ تخبّىء فى الجدران مياسِمَهَا
ويغادر ماءٌ غيمته
هذي أمي
وانا ادرى بهزائمها
شفتي ليلٌ
وعيوني أشرعةٌ
ويدي فى الساكن ملتهبةْ
صحت
فجاء غلام الصوت
كان صراخُ العالم من بين القصبةْ
ما جدواها فوق الميت هذي الرقبةْ ؟
السكة حائرةٌ
ضاعت قدمَاها
وفمى بين دمَاها
لا أعرف ايّ صراط يصليني
يا الواقف فى المتحرك
اسئلة
لا تسألْني

مشدوهًا
اتفرفصُ فى الملحِ الجوّاني
أراقبُ اميّ وهيَ تعضُّ اصابعَهَا
ماتَتْ فى الشارعِ جارتُنا
ما اتْعَسَنَا !!
ماذا !!
ضوءٌ . جمرٌ . نارْ
كرةٌ . لهبٌ . دارْ
اشعر بالجمْرِ ، الضوءِ ، النارِ ، تقص شقائِقَ شريانِي
مشدوهًا
اتخلّصُ من زادى النوراني
فالرعب الرعب وسيع
والمدرسة الطفلية كومةُ احجار
والمخبز دار على جنبيه وطار
اقفزُ للشارع فرخاً على كتفيه تهاوى الرأس
زندي الأيسر مكسورٌ مثل الرمانةِ فى الطرقاتِ الوحْلية
اجمعها بالسّنّ المنخور

قاسم حداد في قلب الحب

بقلم : حسن طلب





الشاعر قاسم حداد

يقف الشاعر «قاسم حداد» فى طليعة الحركة الشعرية الجديدة بالبحرين ، وهى حركة خصبة اسهم فى إثرائها وإيصالها الى حد النضج ، جيل مثقف واع من شباب الشعراء الجادين المتحمسين الذين تميزت بهم حركة الشعر فى البحرين.

على رأس هـؤلاء الشعراء كل من « علوي الهاشمي » و « على عبد الله خليفة و « علي الشرقاوي » والمرحوم « سعيد العويناتي » والشاعرة « حمد خميس » .

غير ان شاعرنا «قاسم حداد» الذى ربما يكون قد بدأ مبكراً عن زملائه بعض الشىء ، قد تميز عنهم باخلاص حقيقى للقصيدة ، وتفان نادر فى السعى بها ومعها الى نهاية الشوط الطويل ، الذى لا توجد نهاية حقيقية له ! فبينما انشغل الشاعر «علوى الهاشمى» بالنقد والدرس الأكاديمى (١) ، وانصرف «علي عبد الله خليفة» الى الجهد الادارى والتنظيمى فى مجال الفولكلور والتراث الشعبى الخليجى على حساب شاعريته ، نجد ان «قاسم حداد» قد أصر على أن يهب نفسه للقصيدة فأصدر حتى الآن مجموعة دواوين نذكر منها :

- البشارة (ابريل ١٩٧٠)
- الدم الثانى (سبتمبر ١٩٧٥)
- قلب الحب (فبراير ١٩٨٠) .
- القيامة (١٩٨٠) .

والحق ان العبرة هنا ليست بغزارة الكم أو كثافة الانتاج ،

لاسيما فى الديوانين الاخيرين (قلب الحب) و (القيامة) ، اللذين تخلص فيهما الشاعر من عيوبه الفنية السابقة واصبح اكثر قدرة على إحراز الخصوصية الابداعية وتحقيق الانضباط الفنى ، وسوف نختار احد هذين الديوانين الأخيرين ، الا وهو (قلب الحب) ، لنقراه قراءة لا نزعم انها نقدية بالمعنى الفنى الدقيق للمصطلح ، فما هى إلا قراءة انطباعية / نقدية عامة ، بالشكل الذى يسمح به ذوق الشاعر إزاء زميله .

الرؤية الواقعية للمرأة

المرأة هى المحور الأساسى الذى تدور حوله قصائد (قلب الحب) ، وللمرأة حضور شعرى متوهج فى شعر «قاسم حداد» منذ دواوينه الأولى ، ولنترك الشاعر الناقد «علوى الهاشمى» يرسم لنا رؤية «قاسم حداد» الواقعية للمرأة فى دواوينه المتقدمة يقول «علوى» فى دراسته المطولة المبدعة عن الشعر المعاصر فى البحرين .

«إن قاسم حداد بالنسبة الى موضوع المرأة ، يعتبر أول شاعر استطاع ان يجعل هم المرأة الاجتماعى هماً خاصاً به ، وإن كانت الرومانسية فى أول محاولته تلون صلة الشاعر بالمرأة ، لكن المرأة رغم تلك الرومانسية كانت منذ بداية تجربة قاسم الشعرية تتنفس فى مناخ الهم الاجتماعى الذى هو هم الشاعر» (٢) .

وتتأكد رؤية «قاسم» الواقعية للمرأة فى نظر «علوى الهاشمى» ، من خلال نموذج الفتاة المتململة التى تشعر بالحاجة الى الثورة والرفض والتغيير ، وهو نموذج ماثل فى قصائد «قاسم» ودواوينه الأولى ، ويربط «علوى» هذا التململ ، بهم الشاعر الخاص وتململه من واقعه ورفضه له وثورته عليه إيماناً بضرورة التغيير (٣) ، لكى يصل فى النهاية الى ان المرأة فى تجربة «قاسم» مرتبطة كل الارتباط بعلاقات الواقع التى تشكل هم الشاعر الاساسى

وتصبح فى مرحلة فنية أكثر نضوجاً من تجربة الشاعر ، رمزاً فنياً لكل تلك الأبعاد والعلاقات (٤) . وربما كان من الأنسب ان ينتظر «علوى» لكى يطلق هذا الحكم ، حتى هذه المرحلة التى يمثلها ديوان (قلب الحب)

نظرة عامة

يتكون الديوان من مجموعة قصيرة من القصائد النثرية التى تخلت عن التفعيلة الخليلية وإن لم تتخل عن الايقاع ، مما يطرح من جديد قضية قصيدة النثر والايقاع الشعرى عامة ، ودون أن نخوض فى تفاصيل كثيرة حول هذا الموضوع الذى

لم يتم تقنينه نقدياً بشكل جاد ومنضبط حتى الآن - باستثناء محاولات فردية مشتتة هنا وهناك - نقول إن من الشعراء من يستطيع ان يتخلى عن التفعيلة دون ان يفقد شاعريته ، فى مقابل آخرين - وهم الكثرة الغالبة - يقعون فى النثرية حين يتخلون عن التفعيلة ، فهناك فرق جوهرى بين قصيدة النثر ، وبين النثرية بمعنى (اللاشعرية) ، والكتابة الشعرية - كما يرى بحق «ادونيس» - لم تعد مسالة وزن وقافية حصراً ، بل اصبحت مسالة شعر او لا شعر (٥) ، والحق ان «قاسم حداد» استطاع ان يحفظ للشاعرية ماءها بل ويرقى بها الى مستوى رفيع ، لانه لم يكتف بالجانب السلبى فقط ، الا وهو التخلى عن الوزن ممثلا فى التفعيلة الخليلية ، بل لقد اجتهد - وهذا هو الاهم - فى خلق توافقاته الايقاعية الخاصة ، ولنقرا معاً هذا النموذج بعنوان (الرقصة) من ديوان (قلب الحب) (٦) :

هكذا تبدا الرقصة يا حبيبتى
تنتصبين على جمرة قدميك
وبرشاقة التامل
تحركين اليسرى الى الأمام
بتان .. بتان ، هكذا
كالحلم .. انظرى
ثم نطة صغيرة من شغف اليمنى
الى أعلى .. أعلى .. أعلى
وتنشرين يديك كفراشة
جميل ..
حسناً
انت تحلقين الآن .. ولا أروع
.. فى بؤرة الايقاع
حيث .. حيث
هكذا ، على المشط الصغير
الصغير جداً الذى ...
وتبدا الرقصة فى العنف
الآن انفلتى كالمهرة .. المهرة
المهرة الباحثة
تماماً ..
وارحمى الأرض .. ارحميها
لئلا تنكسر تحت هذا الـ ...
وانتظرى الموسيقى .. انتظريها
إنها تلهث فى اثرك
و .. يا الهى .. يا
.. أيتها الرقصة ..
تعالى ..
علمينى ..
انا لا اعرف .. هكذا .. ؟!

فالتفعيلة او الايقاع الخارجى غير متوفر هنا ، ولكن القصيدة مشبعة بزخم ايقاعى عال ، غير انه من الداخل ، متساوق مع جو الحركة الحية فى القصيدة ، وهذا هو الذى يجعلنا نقول بان «قاسم» نجح فى خلق نسقه الايقاعى الخاص الذى استبدله بالتفعيلة ، كما يجعلنا فى نفس الوقت لا نوافق «ادونيس» على المضي بوجهة نظره الى نهاياتها القصوى فى هذه النقطة ، حين يقول :

«لتوضيح ما اعنيه بالشعرية ، اشير الى أن هناك من الناحية الكمية طريقتين فى التعبير الأدبى : الوزن والنثر ، ومن الناحية النوعية اربع طرق : ا - التعبير نثرياً بالنثر ب - التعبير نثرياً بالوزن جـ - التعبير شعرياً بالنثر . د - التعبير شعرياً بالوزن» (٧) .

وموطن الضعف فى هذا التصور ، ان الحسبة الرياضية لا تنجح هنا إلا فى رسم حدود حاسمة مصطنعة بين النثر والشعر وهى حدود غير طبيعية لانها غير موجودة فى الواقع اللهم إلا إذا قمنا برسم حدود حاسمة اخرى بين الوزن والايقاع ، ليس من الناحية الاصطلاحية فحسب ، بل من ناحية الجدوى والغاية ايضاً ، اى من الناحية الاستطيقية الشاملة . وعلى اية حال ، فان جملة «ادونيس» مثلا :(التعبير شعرياً بالنثر) ، تظل جملة ناقصة ، ووجه تمامها ان يكون هذا (النثر الشعرى) قائماً على قاعدة ايقاعية جمالية بديلة ومبتكرة ، الامر الذى توفر الى حد كبير فى قصيدة «قاسم» السابقة ، والتى يبدو ان القاعدة الجمالية الايقاعية فيها ، نابعة من ترجمة الحركة الحسية لاعضاء الجسم اثناء الرقص ، الى حركة نفسية داخلية عن طريق الكلمات .

ويبدو ان محاولة التعبير خارج نطاق التفعيلة ، كانت طموحاً اساسياً قديماً لدى «قاسم» ، فهو يجرب ذلك على استحياء فى ديوانه الثالث (٨) ، ثم يجرب اخيراً المزاوجة الهارمونية بين الايقاع الخليلى والايقاع النثرى الخاص فى قصيدته الطويلة (النهروان) (٩) ، ورايى ان هذه المسالة مازالت فى طور التجريب ولم تستقر جمالياً بعد لدى «قاسم» ، وخير دليل على ذلك ان ديوانيه الاخيرين اللذين صدرا فى نفس العام (١٩٨٠) ، قد قام اولهما على الايقاع النثرى (قلب الحب) بينما اتبع ثانيهما (القيامة) الايقاع الخليلى المعروف .

الرؤية الرمزية للمراة

تنحل الرؤية الواقعية للمراة ، التى لمسها «علوى الهاشمى» عند «قاسم حداد» فى دواوينه الأولى ، لكى تذوب فى رؤية أعم واشمل ، هى أقرب ما تكون الى الرمز الميتافيزيقى الشامل ، فتصبح المراة نفسها تجسيداً لهذا الرمز فى قصائد (قلب الحب) إنها تدخل فى نسيج الكون لتصبح مركز فعاليته وسر جاذبيته ، فى درجة من درجات الاتحاد أو الوحدة الصوفية الحميمة ، تتجلى فى الكثير من قصائد الديوان ، وقصيدة (الحبيبة) على قصرها نموذج ممتاز لمثل هذه الرؤية ، تقول القصيدة (١٠) :

صادقت أسرار الموج
واتكات على هتف القواقع
وغرور اللؤلؤ
لبست مناعة الصدف
وشفافية الزبد
وتاج الماء
فرشت بيتها بالأزرق والشفق والأفق
زينت سريرها بالانديلج الرشيق
والنوارس الخجولة
وموجت العتبة بنعومة الرمال الذهبية
ووضعت يدها على خدها ..
تنتظر
لقد قالوا إن حبيبها قادم

ومادامت المراة قد امتزجت مع الكون فى وحدة حميمة ، فستكون هى القدر الذى لا مفر من مواجهته ، ولا فرصة للهروب منه حتى لو أراد الشاعر ! فالى اين سيفر وهى ماثلة أمامه فى كل شىء ، لنستمع الى مطلع قصيدة (انت كلماتى) (١١) لنرى مظهراً من مظاهر هذا المثول ، أو الحلول :

انا لا أستطيع أن لا اكتب عنك
ليس بوسعى ان اتفادى الكتابة فيك
انا حين اكتب عن الأشجار والسفن
والعمل والأصابع
والأطفال والخروج
أكون قد كتبت عنك
او كتبت فيك
او كتبتك

والحق ان العلاقة الرمزية بين المراة والكون ، ليست هى البعد الوحيد الذى يستنفد إمكانات هذه الرؤية الميتافيزيقية للمراة ، فستظل هناك أبعاد اخرى أثرى واعمق ، لاسيما حين نرى المراة تتحد بالكلمة او القصيدة (١٢) ، فيتم للرمز

قاسم حداد

بهاؤه ويجتمع فيه الحسى بالمعنوى والواقعى بالخيالي فى نسيج عضوى حي ، ولا يكون الحب مجرد علاقة فردية بين ذكر وانثى ، ولا مجرد حدث محصور فى حدود هذه الاثنينية ، بل يصبح هو الطاقة الكبرى الخلاقة ، والقوة العظيمة الخارقة ، التى تزلزل كل شىء ، لا لكى تهدمه فقط ، بل لتعيد تكوينه من جديد ، الحب هنا حركة فاعلة ، وفعالية مطلقة إنه (قيامة) . يقول الشاعر فى قصيدة قصيرة بهذا الاسم الاخير (١٣) :

مرة – اذكر –
من سنوات طويلة
قلت : (احبك)
ومن ساعتها – تذكرين ؟! –
قامت القائمة
ولم تقعد بعد .

إن الحب هنا .... ، يكف عن ان يبقى فى ثوبه الرومانسى الهفهاف ، ويتخلى عن ملمسه المخملى الشفيف والضعيف المتهافت بالوانه المزركشة الصارخة التى تطالعنا فى بعض شعر «نزار قبانى» مثلا ، لكى يصبح كما ينبغى له ان يكون ، قوة .. وثورة .. وتمرداً .

الحب هو الحرية

ومن هنا نستطيع أن نمسك باول الخيط الذى سيوصلنا الى الرؤية التقدمية الثورية الشاملة فى هذا الديوان ، فما معنى أن يكون الحب تمرداً وثورة وطاقة للحركة والتغيير ؟! تجيب القصيدة القصيرة البسيطة الرائعة (لا انحنى) على هذا السؤال دون ادنى حاجة الى التفسير

اقف عارياً فى ثلج الريح
وحيداً كحرف الألف
ولا انحنى
اتمرد على كل ....
ولا انحنى
اخرج من نار وادخل فى نار
ولا انحنى
اعتقد بالتقاء النقيض بالنقيض
ولا انحنى
امتزج بالرماد
ولا انحنى لسواك

الشاعر لا ينحنى إلا لمحبوبته ، لأن الحب هو قدره واختياره ، والاختيار هو التجسيد الحي للحرية ، ومن ثم وجب ان يكون التغنى بالحرية ضرباً من ضروب الغزل ، أى انه فعل فى صميم الحب ، فماذا عسى يمكن ان تكون قيمة الحب بدون حرية ؟!

مرة اخرى سنتلقى الاجابة من القصيدة نفسها :

فى الجزيرة التى تاخذ شكل المراة الحبلى
يتثاءب عاشق فى زنزانة
طويلة كقبر
عميقة كبئر
وينشر ابتسامته الساخرة ..
فى الجزيرة التى حبلت حبلت حبلت
.. ولم تلد
جاءوا يزفون له الطفل الصغير
الصغير جداً
الذى ولدته زوجته
ويقولون له :
(صرت أباً الآن)
تثاءب بنفس الابتسامة الساخرة
لم يكترث كثيراً
وقال :
(لكن امى .. متى تلدنى ؟!) .

كلمة أخيرة

وتسير قصائد الديوان على هذا النحو ، جاعلة من بساطة البناء صرحاً جمالياً نجح الشاعر فى الابقاء على قيم الانسجام والاتساق فيه ، اللهم إلا فى المرات القليلة التى طالت فيها بعض القصائد بشكل ينبو عن قانون الديوان ، فاختل بناؤها وصارت نشازاً ، وربما كان احد اسباب نجاح معظم القصائد أن الشاعر أضفى على تجربته فى هذا الديوان نكهة أساسية واحدة ، قد تتنوع لكنها لا تتنافر ، معتمداً الى جنب بساطة البناء ، على بعض الحيل التعبيرية أو الفنية الاخرى ، كالمفارقة ، والاقصوصة ، والمفاجاة ، وإجادة استغلال بعض القيم الجمالية المعروفة كالتناقض او التقابل ، مع القدرة الواضحة على إقامة جدل إيجابى صحيح مع التراث الشعرى لاسيما شعر العذريين ، فالشاعر يتواصل مع بعض الأفكار الغزلية العذرية ويحسن إعادة صياغتها ، فهو مثلا يكتفى كما فعل «قيس بن ذريح» من قبل ، بان يجمعه بحبيبته مكان واحد ويضمهما بغياهبه ليل واحد وتشرق عليهما شمس واحدة حتى وإن لم يكن ثمة لقاء (١٦) ، وهو فى موضع آخر يلتقط الصورة القديمة التى عبر بها الشعراء عن طول رقبة المحبوبة (بعيدة مهوى القرط) لكى يصنع منها لوحة فنية رائعة (١٧) ، وليس معنى ذلك ان هناك تأثراً سلبياً ، بل هو تاثر او تواصل مبدع ، وهو مشروع بقدر ما هو ضرورى ، كما ان ذلك لا يعنى إغفال تواصل الشاعر واستفادته بشعراء معاصرين متميزين ، مثل «أدونيس» و «محمد عفيفى مطر» و «محمد الماغوط» وهو ايضا تواصل ضرورى ومشروع بنفس القدر ، لاسيما إذا لم يكتف بمجرد التقليد والتاثر السلبى .

ولست أدرى لماذا أجد نفسى عاجزاً عن مقاومة إغراء الاشارة الى ضرورة المراجعة الدقيقة حتى لا تقع بعض الهفوات النحوية والاسلوبية مرة اخرى (١٨) ، مع إيمانى بان هذه المسالة غير ذات بال فى النيل من الشاعرية .

حسن طلب

الهوامش :

(١) اعد رسالة ماجستير فى القاهرة طبعت فيما بعد بعنوان (ما قالته النخلة للبحر) ، ويعد الآن فى تونس ، لنيل درجة الدكتوراة .

(٢) ما قالته النخلة للبحر ، علوى الهاشمى ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨١ ، ص ٢١٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

(٤) نفسه ص ٢٢١ – ٢٢٢ .

(٥) فى الشعرية ، ادونيس ، مجلة الكرمل ، العدد ٣ ، صيف ١٩٨١ ، ص ١٣٩ .

(٦) قلب الحب ، قاسم حداد ، دار ابن خلدون ، بيروت ، ط (١) ، فبراير ١٩٨١ ، ص ١٥١ .

(٧) فى الشعرية ، ادونيس ، مجلة الكرمل ، العدد السابق ، ص ١٤٤ – ١٤٥ .

(٨) الدم الثانى ، قاسم حداد ، دار الغد ، البحرين ، اغسطس ١٩٧٦ ، ص ٦١ – ٦٢ .

(٩) النهروان ، مجلة مواقف ، العدد ٤٠ ص ٩٧

(١٠) قلب الحب ، قاسم حداد ، ص ٩٣ .

(١١) قلب الحب ، ص ٧

(١٢) نفس الديوان ، راجع قصيدة (يا حبيبتى) ، ص ٦ ، وقصيدة (الجحيم الحميم) ص ١١٧ .

(١٣) نفس الديوان ، قصيدة (قيامة) ص ٣٩ .

(١٤) نفسه ص ٢١

(١٥) نفسه ، ص ١٣٩ .

(١٦) انظر قصيدة (الهنا والهناك) فى نفس الديوان ، ص ١٠٥ .

(١٧) انظر قصيدة (القرط) فى الديوان نفسه ، ص ٣٧ .

(١٨) بعض هذه الاخطاء موجود فى قصيدة (الحبيب) من نفس الديوان ص ٦٥ ، وقصيدة (قمر الشتاء) ص ١٠١ .



دائرة المعارف القرآنية

بقلم: الدكتور محمد البهي

"الفَــــيْء"

يقول الله تعالى : فى سورة الحشر : « وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ (أى وما اعاده الله على رسوله من أموال أهل القرى حول المدينة وهم يهود بنى النضير) فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ (أى فما اعملتم ايها المؤمنون :

السير اليه على الخيل والابل ، أى ما تحملتم فى سبيله مشقة السفر ولكن وصلتم بأرجلكم الى هناك) ولكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ على مَنْ يَشَاء (ولكن جاءت اليكم اموالهم بفضل المبدأ العام الذى يمثل ارادة الله ، وهو توجيه رسله .

وقد وجه الله سبحانه الرسول عليه السلام هنا لحصار بني النضير قرابة ثلاثة أسابيع فكان منهم الاستسلام والجلاء) وفي ذلك يقول القران الكريم :

« هو الذى أَخْرَجَ الذين كفروا من أهل الكتاب من ديـــارِهِمْ لأول الحشر ، ما ظَنَنْتُم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم مانِعَتُهـم حصونُهُم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب ، يخرِّبُون بيوتَهُم بأيديهم وأيدى المؤمنين ، فاعتبروا يا أولى الأبصار . ولولا أن كتَبَ الله عليهم الجلاءَ لعذبهم فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذابُ النار . ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ، ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ..) فالفـيء هو ما يعود من أموال الأعداء على المؤمنين من غير قتال معهم . اذ اطلقت الآية هنا اسم :

الفيء على ما أخذه المؤمنون من المدينة على عهد الهجرة من اليهود فى قرية بنى النضير ، بعد أن استسلموا وأجلوا عن قريتهم . ولم يقع بين الطرفين اذ ذاك قتـــال أدَّى إلى الاستسلام والجلاء . وانما استعاض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال بحصارهم . فلما اشتد وقع الحصر عليهم اعلنوا الاستسلام والجلاء .

ولأن الفيْء مال عاد إلى المؤمنين من الأعداء بغير قتال : لا يُقَسَّم على نحو ما تُقَسَّم الغنائم التى تاتى عن طريق القتال وحده . أى لا يعطى للمحاربين نصيب منه وقد جاء مصرفه فى قوله تعالى فى سورة الحشر أيضاً : ما أَفَاءَ اللهُ على رسوله من أهل القرى فلله ، وللرسول ، ولذى القربى (أى قرابة الرسول عليه السلام) ، واليتامى (أى ابناء الشهداء من المقاتلين) والمساكين وابن السبيل ، كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم (أى يوزع هذا التوزيع على أصحاب الحاجة حتى لا يقع فى أيدى الأثرياء فيزدادون ثـــراء وغنى ، بينما يزداد المحرومون حرماناً)

وقد جاء الفـيْء بمعنى ما يعود من ملك للعدو ـ ولو كان مـن اشـــخاص الأعداء على المؤمنين بغير قتال في قوله تعالى : يا أيها النبى إنا أَحْلَلْنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن (أى مهورهن) وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك (أى مما عاد عليك من الاسيرات فى غزوة الاحزاب أو الخندق . وقد انتهى الأمر فيها بنصر المؤمنين فى غير قتال كذلك ، مما يشير اليه قوله تعالى) ورد الله الذين كفروا بغيظِهِم لم ينالوا خيراً ، وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزاً . وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب (وهم اليهود فقد ظاهروا الماديين الوثنيين وهم مشركو العرب) من صياصيهم (أى من حصونهم) وقذف فى قلوبهم الرعب ، فريقاً تقتلون ، وتأسرون فريقاً وأورثكم أرضهم ، وديارهم ، وأموالهم ، وأرضاً لم تطأوها ، وكان الله على كل شىء قديراً ..

والفيْء يشترك إذن مع الغنيمة فى أن كلا منهما من أموال الأعداء . ولكنه يختلف عنها فى التوزيع وفى طريق الحصول عليه .

مدينتي "طيبة"

سنان المسلماني

مسكينة « طيبة » هذه ،، كان الناس فيها منذ الف
عام مثال الطيبة والكرم ، هي الآن تعيش الالف
بعد الألف عام ، بعد أن نهبها الهوام والسوقة
والصعاليك ، الف مرة وماتت الف مرة
حين تجتر أحزانها الدائمة
وحين يتسلق الفرح وجوه أطفالها
يسقط فى عمق أعينهم جثة مشوهة
دموعهم تورق ، وتضيء كفنار يهتز
حينئذ ترتجف « طيبة » ترتجف .. ترتجف
قلبي لك يا « طيبة » منذ احتلك الحزن
تهنا وتاه كل شيء ، وشاه وجه الارض ،، مجالسنا ، ليالينا
مواويلنا ، طرقنا ، بيوتنا القديمة الحنونة
وفقدت وفقدنا أعز ما لدينا ، ولجنا عتمة الارواح ،،
إيه يامن تجر انفاسها ذليلة
تحمل اللعنة الأبدية ، فقات عينيها
حين « واقعت الاثم الكبير وقلبها يجهله »
إيه يا أوديب ، ياحامل اللعنة بعد ابيه
انت عيناها ، وضياء الشمس يبزغ داخل اسوارها .
انت فنارها الذي يضاء فى ظلمة أرواح أهلها
فلماذا اللعنة .... اللعنة ، ودم الشقيقين
« إيتوكليس » و « بولينيكيس » قربان الوثن .
يا « جوقة » يا نساء « طيبة » لا تجزعن
يا محاربون يا رجال « طيبة » لا تجبنوا
وأنت يا « طيبة » ابناؤك هم قاتلوك ،، هم
حاملو اللعنة ، وهم ضياؤك
فكيف يستقيم الأمر ، وجسد
العملة وجهان ، شيئان لا يلتقيان
مامن داع أن اثير مواجيدك وحنقك
ولكني وَلِهٌ صَبٌّ ، يقتلني الوجد حين يشعلني
تَمْثُلِين أمامي يا « طيبة » كطيفٍ يطعن عيني
ولحظي ساعة حزني ، فالليل والدمع سميران
ويدي تجوس بينهما تبحث عن وجهك
وجهك الذى يحتلني ويفرض ما يفرض ،، ويلغي مني ما يلغي
يشكلني ، يقسمني ، يبعثرني
ومتى تاتين نجما ووشما على قلبي ،
تبكي مواجيد عشاقك الأقدمين فتتصدع اسوار قلبي والليالي
وحين أولد يا « طيبة » بعد الرحيل تولدين
وحين أرحل ولا ترحلين ، تبكين ولا تبكين
تجزعين ولا تجزعين
فلننصهر ، ولنتحد ، لنبعث من جديد
أية البزوغ الأول ..



أغنية الرحيل

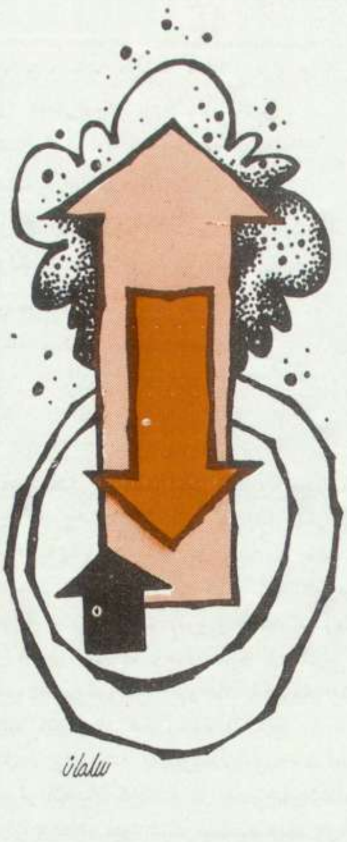
مبارك بن سيف آل ثاني

شرعت ركبي وانتظرتُ
ليلة صيفيَّه
تنقلني نسماتها
يدفعها الطل وهبَّاتٌ جنوبيَّهْ
تسير بي إلى مجرَّاتِ النجومِ
أعيشها أسطورةً حقيقيَّهْ
وأرى الناس في كل مكان
فبعضهم يمثِّل الانسانَ
والبعض مبعوثُ الشياطينِ البدائيَّهْ

• • •

وربما أغيبُ بعض عام
وربما أغيب ألف عام
واذا رجعت
أجد شتائى لم يزلْ
يشــح بالمطرْ
كما عهدته منذ الأزَلْ
وأرى الصيفَ يحرق الحياهْ
يضرب بسوط الشمس في كل اتجاهْ
وأرى الأرض أشلاء تموجْ
وها هو الانسانْ
أراه من وراء الحجب
يعانق الزمانْ
وصانع الصلبان
وذاك آخرٌ هناكْ
كقشةٍ تصارعُ الطوفَانْ
ثم نواصلُ المسيرْ
عيوننا بحيراتُ السَّفَرْ
قلوبُنا مراكبُ الرَّحيلْ
وفي عقولِنا يموتُ المستَحِيلْ
عيوننا تقبِّلُ النجومْ
أكفنا تصافحُ الغُيومْ
ونلتقى بالناس في كل مكانْ
ونــــرى السعادة فى عيونْ
ونرى حكاياتٍ من الآلام
تخفيها عيونْ
نــــرى الشقاءْ
فالناس .... كل الناس
عناءٌ في عناءْ
وَنُسَيِّرُ شراعَنَا
إلى الجزر البعيدهْ
دون أن ندرى لماذا
هكذا حُمَّ القضاءْ
هكذا شاءَ القَدَرْ
هكذا الدنيا تسير بلا انقضَاءْ ! !

١٩٧١



المسرح القطري عمره عشر سنوات

بقلم: عبد الرحمن محسن

هذا هو الموسم المسرحي الرسمي العاشر للحركة المسرحية فى قطر . وككل حركة مسرحية لم يكن هذا التقويم الرسمي هو البداية الحقيقية للحركة المسرحية القطرية . فقد سبق الاعلان الرسمي لتشكيل الفرق المسرحية الثلاث « الاضواء ـ القطري ـ السد » . تاريخ طويل من الارهاصات والمحاولات الجادة والمثابرة لخلق حركة مسرحية حقيقية تمركزت كالمعتاد فى المدارس والأندية الرياضية والثقافية ـ وتعتبر الحركة المسرحية بحق أنشط المجالات الثقافية والفنية فى قطر . وبالرغم من توافق ظهور التلفزيون مع تبلور الحركة المسرحية إلا أن هذه الحركة استطاعت أن تجتذب عدداً كبيراً من المواهب الشابة ، والعناصر الجادة . وحاولت أن تواصل التواصل مع الجمهور الذى أغراه التلفزيون بكم العروض ، ويسر المشاهدة .

وقد اشتمل هذا الموسم على ثلاثة عروض محلية جماهيرية واحتفالات وعروض خاصة فى يوم المسرح العالمى ـ كما شاركت فرقة الأضواء القطرية فى المهرجان المسرحى القطرى ـ المصرى الأول الذى أقامه نادى المسرح فى القاهرة ، وقدم عدد من الفرق الزائرة عروضاً جماهيرية فى مدينة الدوحة .

(١) مسرحية (ثلاثة على واحد)
تاليف : حسن حسين
إخراج : سيار الكواري
بطولة : صلاح درويش ـ علي سلطان ـ جبر فياض ـ هدية سعيد ـ ماجدة نور الدين ـ زكية الخانجى

نص محلى يعتمد على تركيبة مجربة . الزوج والزوجات الثلاث ، وتتخذ التركيبة خصوصيتها ومحليتها من واقعية المشكلة وجنسيات الزوجات . فام خالد الزوجة القطرية التى شاركت الزوج رحلة الحرمان حتى وصل الى ما وصل اليه من ثراء ـ ترفض التعايش مع الزوجة المصرية التى تزوجها ابو خالد من رحلة العلاج من داء مفتعل ـ والزوجة المصرية (نبوية) ترفض استمرار الحياة كزوجة من الدرجة الثانية بعد أن وعدها ابو خالد بما يجعلها زوجة من الدرجة الأولى . وتتحول الحياة الى جحيم .. ولا يكتفى أبو خالد بما هو فيه بل يحاول أن يتداوى بنفس الداء من جديد ـ فتبدأ الأحداث وهو فى انتظار الزوجة الهندية الثالثة ، التى يدعى انها مجرد خادمة . وتتازم المشكلة حين تمارس كل زوجة من الزوجتين سلطتها على الوافدة الجديدة . ونصل الى الذروة مع رفض نرجس الزوجة الهندية لهذا الاذلال



مشهد من مسرحية ٣ على واحد التى قدمها المسرح فى قطر من إخراج سيار الكواري .

وتصريحها بالحقيقة . ولا يبقى أمام المؤلف إلا الحل الأخلاقى الوحيد : ان تعود «نبوية» و «نرجس» الى وطنيهما .. وان تصفح ام خالد .

وبالرغم من الامكانيات الكوميدية التى تحملها الفكرة والمواقف التى كان يمكن أن تتفجر من التناقضات الجاهزة إلا ان النص اعتمد بشكل اساسى على الكوميديا النابعة من اداء الممثلين ومن النكات والقفشات التى يفجرها موقف اختلاف اللهجة واللغة ، وبعض العادات والتقاليد الاجتماعية مثل انواع الأكلات ومسمياتها المختلفة .. وقد استطاع المخرج سيار الكوارى أن يفجر من هذه العناصر حركة حية ولحظات من الضحك الصافى . مثلما استطاع ان يسيطر على اداء كل الفريق عدا الممثلة المصرية ماجدة نور الدين التى لم تساعدها امكانياتها المتواضعة ولا خبرتها المحدودة على اعطاء الدور اى صبغة انسانية ـ فجاء دورها مجرد مسخ شائه لدور بنت البلد المفتعلة من الأفلام المصرية الهابطة ـ فى حين استطاعت الفنانة زكية الخانجي ان تجسد دور الزوجة الهندية التى لا تجيد العربية وترفض المهانة تجسيداً حياً جعل من الفصل الأخير لوحة متميزة .

الفصل الأخير لوحة متميزة تنافس فيها صلاح درويش ، وهدية سعيد ، وزكية الخانجى . ووقفت ماجدة نور الدين بادائها المبالغ فيه مجرد متفرجة من عالم اخر .. أما دور (القروى) الذى اداه الفنان علي سلطان فقد كان من افضل الأدوار التى كتبها المؤلف ، ونجح علي سلطان فى تجسيده ، ولكنه افتقد الارتباط العضوى بالحدث ، وبالتالى الفاعلية والتاثير فى مجريات الأحداث .. فهو شقيق «ابو خالد» الذى يصل صدفة ويتدخل صدفة ايضاً رغم انه يمثل كل قيم البادية والفطرة التى افتقدها أبو خالد ، وكان من المنطقى ان يكون حكماً طبيعياً تلجا اليه الزوجة والابن فى مواجهة الأب بعثاً لروح الأصالة فى نفسه .

(٢) جوهر القضية : عن مسرحية الشاعر التركى (ناظم حكمت)
اعداد واخراج : سالم ماجد
بطولة : علي حسن ـ عبد الله أحمد ـ مبارك خميس ـ محمد الكوارى ـ مريم راشد ـ هلال محمد .

عبد الله ـ مدير شاب لأحد الدوائر الحكومية .

يستعرض لنا الفصل الأول كل ما يتسم به من بساطة وحب للخير والبشر وفهم حقيقى لطبيعة دوره ومسئوليته امام الجميع ، وهو على استعداد لمساعدة الفراش والسكرتيرة فى أعمالهما . ويتجسد الصراع منذ اللحظة الأولى فى شخصيتين متناقضتين تحيطان بهذا المدير الشاب : «أبو احمد» ، و «أبو تريمبه» . الأول يزين له العزلة والتعالى سبيلا للرفعة . والثانى يحاول ان يثبت اقدامه فى أرض الواقع ليبقى نقياً بسيطاً كما كان . ويجرب عبد الله الطريق الأول ـ يغلق بابه ـ ويحيط نفسه بالأتباع والمنافقين ، او يتطوع هؤلاء لأن يحوطوا به . ويقف ابو تريمبه والبدوى البسيط الذى يلهث خلف اوراقه فى اروقة المنافقين فى ركن قصي لا يملكان إلا النصح . لكن هل يجدى ؟ هل يملك النصح هذا البريق الذى يلوح فى كلمات الاحترام ، والتبجيل ، والنفاق ؟ وحين يكتشف عبد الله الحقيقة ممثلة فى الوزير الذى يشبهه كل الشبه ، ويعزل نفسه عنه ، يتذكر كلمات البدوى البسيط عن صورته فى المستقبل .. مستشار عن يمين وآخر عن يسار وعشرات من دروع العزلة ! . فكيف يمكن لعبد الله أن يعود بسيطاً مثلما كان ؟ لقد تكاثرت الأفاعى والجرذان فى الظلام ، وهى ستقاوم حتى النهاية انها تستمد قيمتها من العزلة والظلام وتقصير الأمور وتعطيل مصالح هذا البدوى البسيط الحائر بين الدوائر ، وإلا فما جدوى وجودها ؟

وقد وفق سالم ماجد كمعد ومخرج في خلق هذه الشخصية المحلية التى اثرت النص وفى تحميلها كل رموز الخير والعفوية والصدق . واستطاع الممثل محمد الكوارى أن يجسدها فى فهم وتعاطف ليصنع منها علاقة حقيقية فى تاريخ المسرح القطرى .

وبقدر ما وفق سالم ماجد كمعد ومخرج فى خلق شخصية البدوى بقدر ما جانبه التوفيق فى شخصية السكرتيرة ، واختياره للهجة المصرية أسلوباً لحوارها ، مما اهدر امكانيات الممثلة مريم راشد ، وافقد الشخصية الدور الفعال الذى كان لها فى النص الأصلى .

ولكن بالرغم من ان النص معد عن نص تركى إلا ان الجمهور احس منذ اللحظة الأولى انه امام نص ينتمى لواقعه ويناقش مشكلاته .

المخرج سالم ماجد يعد ويخرج ثلاث مسرحيات من أصل ست مسرحيات عرضت هذا الموسم .

الكم والكيف اول ما يمكن ان يطرحه هذا العمل للنقاش فمن اصل ست مسرحيات عرضت هذا الموسم ، قام المخرج سالم ماجد باخراج ثلاث منها هى : «جوهر القضية» ـ «الكافتيريا والزنجبيل» ـ و «الأهبل» . كما قام باعداد نص «الأولى» و «الثانية»



الندوة التى اقامها المهرجان المسرحي القطري ، واشتركت فيها سميحة أيوب مع ابراهيم محمد وجبر فياض .



مسرحية الأهبل التى أخرجها سالم ماجد



على سلطان وجبر فياض فى مسرحية الكافيتريا والزنجبيل .

المسرح القطري عمره عشر سنوات

بمفرده ، واعداد «الاخيرة» بالمشاركة مع حسين عبد الرحيم عن النص الذى كتبه مصطفى الجداوى .

والنتيجة : هل يمكن لمخرج ومعد - لاشك فى موهبته وحماسه ومحدودية تجربته أيضا - أن يخرج ويعد هذه المسرحيات الثلاث فى أقل من ثمانية شهور وهو يتعامل مع قلة من المتمرسين واغلبية من الهواة ؟ الاجابة : نعم . فعلها سالم ماجد وفعلها غيره من قبله ولكن ودائماً على حساب المستوى الفنى الممكن تحقيقه.

فبقدر ما كان هذا الفنان موفقاً فى اختيار واعداد النص الذى يدعى المحلية بدعوى انه ماخوذ عن واقعه حقيقية والذى أطلق عليه عنوان (الأهبل) .

وهذا النص - بالرغم من المحلية والواقعية السطحية - ماخوذبتصرف من مسرحية (الولد الغبى) المأخوذة بدورها عن رواية وفيلم أمريكى !! وهو لا يعدو أن يكون تكراراً لهذه التيمة المستهلكة . تيمة الشاب المصاب بتخلف عقلى ، الذى يضطهده الأشقاء ويشترى له الأهل زوجة بما لديهم من مال دون أن يخبروها بحقيقته وحين تكتشف حالته تقف الى جانبه الى أن يشفى . لكن أشقاءه يتامرون عليه من جديد ، فيعود الى ما كان عليه ، أو هكذا نعتقد . ثم هو يقف فى النهاية ، ليلقى علينا مجموعة المواعظ والحكم التى لم يستطع العمل أن يجسدها فى أحداث المسرحية . وفى النهاية يبقى ابداع أبطال المسرحية من الممثلين معلقا فى فراغ الاتقان الحرفى والموهبة المهدرة !!!

(يوم المسرح العالمى)

فى الأسبوع الأخير من شهر مارس الماضى وعلى المسرح العصرى لوزارة الاعلام ، بدأت احتفالات الفرق المسرحية القطرية بيوم المسرح العالمى وهذا الاحتفال يعتبر الاحتفال الثالث بهذه المناسبة فى قطر ، مثلما احتفلت الحركة المسرحية أيضا فيه بمرور عشر سنوات على تبلور فرقها الثلاث واعتمادها بشكل رسمى . ولقد توج هذا كله بالأمل الذى تحقق فى امتلاك الحركة المسرحية لمسرح وخشبة عصرية تقدم عليها عروضها بدلا من «الدوحة بلايرز» الذى تستاجره الفرق وتتنافس عليه . وقد قدمت الفرق المسرحية الثلاث ثلاثة عروض لمسرحيات من فصل واحد : (قدم المسرح القطرى مسرحية (لكنه تركها تموت) عن مسرحية فرناندو أربال (فاندو وليز) .

وقدمت فرقة السد مسرحية (الفيل يا ملك الزمان) للكاتب السورى عبد الله ونوس .

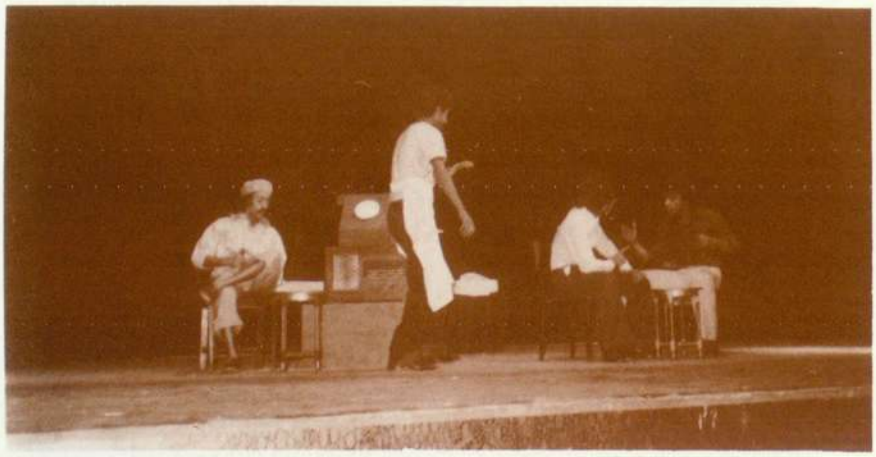
وقدمت فرقة الأضواء مسرحية «الكافتيريا والزنجبيل» عن مسرحية «البوفيه» لعلي سالم .

وفى نهاية العرض الأخير قدم الكاتب المسرحى المصرى علي سالم تجربة جديدة وفريدة فى قراءة نص مسرحى على الجمهور ، فقرأ مسرحيتى «الكاتب والشحاذ» و «المتفائل» . ولقيت التجربة تجاوبا حاراً من الجمهور .

اليوم الأول : فرقة المسرح القطرى .
مسرحية (لكنه تركها تموت)
اخراج علي ميرزا محمود
بطولة : وداد الكوارى - علي ميرزا - عبد الله أحمد - غريب فكرى .

حبيبتى بين البنات سوسنة فى حقل شوك - صوت موجع يغنى وفراغ موحش يمتد بالظلال والاضاءة الى عمق لا نهائى . ومن قلب هذه الوحشة تنبثق شجرة جافة عجوز منتفضة تمتد الى مابعد السقف ، وفى ركن لا يلحظ منها يحاول برعم اخضر صغير وحيد أن يشق للحياة طريقا فى هذا الجسد الميت . فهل يستطيع ؟ .

ومن عمق المسرح تتقدم عربة تجلس عليها « ليز » الكسيحة ، يدفعها فاندو الحبيب والقاتل . كتلة من الرقة والوحشية من الحلم إلى اليأس ، ينتقل من هذا إلى ذاك بلا منطق ولا سبب . بينما «ليز» لا تملك إلا أن تظل مرتبطة وملتصقة به الى الأبد . إنه يعدها فى كل لحظة أن يصلا معاً الى ذلك المكان الحلم دون أن نعرف نحن ودون أن يعرفا طبيعة هذا المكان بل ليس بداخلهما أى يقين حتى بمجرد وجوده ، وكانه سعى الانسان المضنى للبحث عن السعادة والحرية الحقيقية دون جدوى ، طالما أنه ليس مؤمناً بوجودهما .



عرض « بانتوميم » عن مسرحية « حنظلة » من المهرجان القطـــري المصـــري .

ويقسو فاندو ويرق كانه روح الانسان تحتدم بالصراع بين الخير والشر ، وليز تسير فى طريقها من ياس الى ياس . ففاندو الذى يعتذر فى كل مرة عن قسوته ويسرف فى الوعود ، لا يلبث لحظات حتى يعود الى القسوة والوحشية مكبلا إياها فى كل يوم بقيد جديد .. وكما انبثقا من الظلام ، عادا اليه . لا خطوة الى الامام ولا خطوة للخلف . اللهم إلا المزيد من التكبيل ، والقسوة ، والعجز . وفجاة يقتحم المكان ثلاثة من السفسطائيين يسعون الى نفس الهدف المجهول ، ولكنهم لا يكفون عن الخلاف الذى يستغرق طوال الوقت ، حتى حين يشرعون فى النوم . ومن مسافة قريبة منهما يبدو حديث السفسطة والعبث مثيراً لفاندو . مجرد أصوات مبهمة تؤنس وحشته بعد أن قررت «ليز » الصمت الى الأبد . ويقترب «فاندو» من هذه المجموعة المثيرة بانبهار الريفى البسيط ، ويطلب منهم الاستمرار فى الحديث . وحين يتحدث هو ينبهرون هم به انبهـــار المتعالمين بحكمة البسطاء . ويدور الحديث فى فراغ دون تواصل حقيقى . فاللغة ـ فى عرف هذا المسرح ـ قد فقدت قدرتها على أن تكون موصلا جيداً للافكار والعواطف ، ولا يجد «فاندو» وسيلة للتواصل مع الغرباء الى هذا الهدف المجهول ، لكنهم دائماً يعودون الى نفس المكان .

والشىء الوحيد الذى يتغير هو قيود «ليز» التى تزداد مع الوقت الى أن تصل الى التكبيل الكامل والزحف تحت سياط «فاندو» حتى الموت ، دون أن يشعر بها . ورغم هذه القسوة التى يمارسها الانسان على من يحب إلا أن «فاندو» يخلص لليز حتى بعد أن تموت ، فهو يحمل الأزهار والقلب إلى قبرها كما وعدها من قبل ويهبط البرعم الأخضر الوحيد من الشجرة العجفاء ليتجسد فى صورة طفل وطفلة : «فاندو» و «ليز» مرة اخرى . لكن «ليز» الجديدة تعدو على قدمين صحيحتين دون كساح أو عجز . وينطلق الصوت الموجع الرقيق من جديد : حبيبتى بين البنات سوسنة فى حقل شوك .

وإذا كانت القسوة هى أساس كل مشهد من مشاهد هذا المسرح ، فان المخرج علي ميرزا محمود قد فهم تماماً هذا العنصر الأساسى فى روح النص ، فاستطاع بالحركة الوحشية المفاجئة التى تعقب الحركة اللينة السلسة ، وبالأداء العنيف الذى يعقب الرقة أن يصدمنا بتلك القسوة المقصودة ، حتى ينفذ الى ما تحت جلودنا السميكة بفعل الفردية والعزلة التى تحاصر إنسان هذا العصر . وقد أجاد هذا المخرج والممثل الواعى حقاً استخدام كل أدواته بشكل يتميز بالبساطة الشديدة التى تتوافق مع روح النص . وكانت الفنانة وداد عبد اللطيف نداً حقيقياً له فى دور ليز واستطاعت بمرونة الحركة ، وصدق الأداء أن تجسد حالة العجز والاحباط فى كل لحظة . وكان طاقم السفسطائيين بقيادة عبد الله أحمد فريقاً منسجماً أثرى العمل وجسد مغزى العبث .

وفى النهاية يثير هذا العرض الجيد سؤالا هاماً هو : لماذا مسرح العبث الآن ؟ هل غطى المسرح القطرى كل المدارس المسرحية الأخرى الأكثر قرباً من واقعنا ووجداننـــا ؟ أم أن مسرح العبث والقسوة الذى تالق نجمه فى اعقاب الحرب العالمية الثانية فى أوربا سيصعد نجمه فى وطننا العربى فى هذه السنوات ؟!

اليوم الثانى : فرقة مسرح السد
«مسرحية الفيل يا ملك الزمان »
اخراج عبد الرحمن المناعى

من النادر ان يعثر الانسان على نص مسرحى عربى حظى بالانتشار والشهرة الذى حظيت به مسرحية (الفيل يا ملك الزمان) للكاتب السورى سعد الله ونوس . فرغم ان هذه المسرحية من مسرحيات الفصل الواحد التجريبية . إلا أن نجاح هذا النص لم يكن فقط على المستوى التجريبى ، بل إن النجاح الجماهيرى كثيراً ما فاق نجاحها النقدى . إن اعتماد هذا الكاتب على الحكايات الشعبية البسيطة والقريبة من الوجدان العربى وقدرته البارعة على تحميلها بكل المضامين الاجتماعية والسياسية المعاصرة دون قسر أو اقحام يقف بلاشك خلف هذا النجاح .

ومسرحية «الفيل يا ملك الزمان» تعتمد على حكاية شعبية بسيطة عن قرية يروعها فيل ضخم مملوك لملك تلك البلاد .

يبدأ العرض بمجموعة من سكان القرية فى جلسة سمر بعد يوم من العناء ، استغل فيها المخرج عبد الرحمن المناعى الالحان والأغانى الشعبية القطرية فى الايحاء بجو الألفة والطمانينة ، تمهيداً للحدث المروع القادم ، وتكثيفاً لأثره . فمن بين نغمات اللحن الفرح تنطلق صرخات فزعة وأصوات عدو ، وتحطيم ، ولهاث . لقد داس الفيل على ضحية جديدة . طفل صغير هذه المرة . ويجتمع أهل القرية فى صدر المسرح يخيم عليهم شبح المأساة . ويخرج صوت زكريا الشاب المتحمس يدعو القرية لمقابلة الملك من أجل عرض شكايتهم. ويتردد البعض ويتحمس البعض الآخر . لكن زكريا ينجح فى النهاية فى جر القرية خلفه الى قصر الملك . وهناك تمسك الرهبة والخوف بتلابيب القلوب من مشهد الأبهـة والعظمة : فيكون ذلك تمهيداً للتسليم بالهزيمة ، حيث لا يبقى إلا زكريا صوتاً وحيداً قادراً على أن يبدأ الحديث ، على أن يتبعه الجميع بعد ذلك . فقد اتفقوا على أن ينطق هو بعبارة (الفيل يا ملك الزمان) ثم يتناوب الجميع سرد الشكاية من بعده . لكن ـ وفى اللحظة الحاسمة ـ ينطق زكريا

المسرح القطري عمره عشر سنوات

مراراً بالعبارة دون أن يكملوا هم حسب الاتفاق . لقد خذلوه . وأصبح عليه فقط أن يقرر فى هذه اللحظة مصيره ومصيرهم ، فيطلب من الملك باسم الشعب أن ياتي لفيله بوليفة حتى ينجبا المزيد من الفيلة !!

ولقد كان الفنان عبد الرحمن المناعى موفقاً فى اختياره واعداده لهذا النص وقد عكس هذا الاختيار ولع هذا الفنان بالتراث فى أعماله التى قدمها كمخرج ومؤلف ، والتى تعتبر مسرحية - أم الزين - من بينها أفضل الأعمال المحلية التى قدمت حتى الآن كما عكس هذا العرض أسلوبه المتميز فى استخدام المجاميع وحسن تحريكها ، وإن شاب هذا التحريك بعض السرعة فى الحركة والأداء فى مشهد النهاية حين ينطق البطل وتتردد الجموع . كما أن حذف مشهد النهاية الذى تتوجه فيه الجموع للجمهور لتقص شكايتها عليه بعد أن ترددوا فى النطق بها أمام الملك قد وقف بالعرض قبل الذروة الحادة التى يفترض أن يصل اليها .

وقد استطاع عبد الرحمن المناعي طوال العرض أن يستخدم كل أدواته بتمكن بارز لتجسيد ما يريد أن يقول خصوصاً الديكور البسيط المجرد الذي كان العنصر الأساسي فى كسر حاجز الوهم حين يتحرك الممثلون تحت الاضاءة لتغيره . وكان مشهد تحويل ساحة القرية البسيطة الى قاعة ملكية فخمة من أروع مشاهد العرض وأكثرها دلالة . فهذا الشعب البسيط الخائف هو نفسه القادر على صنع العمران والجمال .

اليوم الثالث :
مسرح الأضواء
مسرحية (الكافيتريــــا والزنجبيل) .
إخراج سالم ماجد .

علي سالم مؤلف هذه المسرحية واحد من الكتاب العرب النادرين الذين أعطوا لمسرحية الفصل الواحد اهتماماً حقيقياً عبر تاريخه المسرحي الطويل حتى وصل فى هذا المجال الى درجة من التمكن والابداع تقف به فى صف كبار كتاب هذا اللون المسرحى . وقد كان اختيار فرقة الأضواء المسرحية والمخرج سالم ماجد لهذه المسرحية اختياراً موفقاً يتفق ومناسبة الاحتفال . مشكلة وحيدة واجهت هذا العرض فى مرحلة اعداده هي مشكلة اللهجة . فمسرحية (البوفيه أو الكافتيريا والزنجبيل) كمعظم مسرحيات على سالم مكتوبة باللهجة المصرية . وقد فرضت طبيعة المسرحية وأبطالها اختيار اللغة الفصحى المبسطة لاعدادها مما قلل من الامكانيات الكوميدية للنص ، وكبل الفنان الموهوب على سلطان . ومع ذلك فقد استطاع الفريق الذي قدم العرض أن يشد أنفاس الجمهور حتى اللحظة الأخيرة ، وأن يقدم فى النهاية عرضاً شيقاً عميق المغزى .

وحين أعادت الفرقة عرض هذه المسرحية فى القاهرة فى مهرجان المسرح القطري المصـري الأول ، لاقت المسرحية باخراجها الجديد نجاحاً كبيراً فاق ما توقعه أفراد الفرقة والنقاد المحليين .

وقد أعاد المخرج مبارك خميس اخراج المسرحية من جديد لهذا العرض بعد أن سافر مخرجها لاستكمال دراسته فى الخارج

وقدمت فرقة الأضواء أيضاً فى هذا المهرجان مسرحية (حنظلة) الصامتة التي سبق أن قدمتها الفرقة فى احتفالات يوم المسرح العالمي فى العام الماضي ، وفى كلا العرضين لفت الفنان على سلطان انظار الجمهور والنقاد بامكانياته الكوميدية المذهلة خصوصاً فى عرض (البانتوميم) .

وإذا عدنا لعرض سالم ماجد فى يوم المسرح العالمي - سنجد أن هذا المخرج قد استطاع أن يفهم روح النص الذي احسن اختياره ، وأن يستخدم أدواته المختلفة بشكل بسيط سلس خصوصاً الديكور الواحد الذي تدور فيه أحداث المسرحية حيث تزدحم المظاهر فى غرفة مدير الفرقة المسرحية لتبتلع الجوهر .

فالمكتبات التى ترتفع حتى السقف مكدسة بالكتب أنيقة التغليف مما يوحي باستحالة الاستفادة منها .. وإلى هذه الحجرة يدخل المؤلف (على سلطان) ليتلقاه المدير (جبر فياض) بالترحاب والاعجاب الذي يدهشه ولكن بعد قليل يطلب منه أن يجري تعديلا طفيفاً فى مسرحيته ، هو حذف كلمة واحدة . وهكذا يبدأ التنازل دائماً .. ويرفض المؤلف .. وتبدأ المأساة . فجأة وباضاءة بارعة ينقلب المدير البشوش الى مستجوب شرس من رجال القمع . يصر المؤلف على الصمود ، يستدعي المدير عامل البوفيه بعضلاته المفتولة وشاربه الكث ، ويصر المدير على أن يتناول المؤلف (الزنجبيل) دون غيره من المشروبات . والغريب أن قواعد اللعبة تفرض أن يتناوله بعيداً عن أعيننا حيث نسمع صيحات الالم وضرب السيــــاط . ويعود المؤلف منهاراً محطماً فاقد العزم والاصرار . ولا يتنازل هذه المرة عن مجرد كلمة من النص بل عن روحه وكرامته . وتنتهي المسرحية بمشهد رائع حين يكتشف المؤلف حقيقة اللعبة فيقفز إلى كرسي المدير ليصبح هو الآمر الناهي . يسقي الزنجبيل لمن يشاء . ويرتعب المدير وينهار . يتزلف ويسترحم ، لكن المؤلف يصر على أن يسقيه من نفس الكاس . وفى اللحظة الأخيرة يتردد . فالفنان من الصعب عليه أن يتحول إلى جلاد حتى لجلاديه . وقبل أن يستعيد المدير مقعده يعترف للمؤلف انه ضحية مثله . ضحية لهذا المقعد العجيب . مقعد المدير الذي يعطي لمن يجلس عليه الحق فى كل شيء . وحين يطلب منه المؤلف أن يلغي « العقد » يعترف بانه لا يستطيع ، فالعقد مكتــوب منذ زمن لا يعرف مداه إلا اللـــه .

البساطة والتركيز كانتا هما السمة الأساسية لاخراج سالم ماجد لهذا العرض، فاستطاع بلا إبهار أو تحذلق أن يوصل للجمهور المغزى الأساسي للعمل ، مستخدماً كل أدواته بشكل متمكن خصوصاً الاضاءة ، وتلك الموسيقى المبتذلة التى صاحبت التغيرات التى يطلبها المدير من المؤلف . . وكانت نقطة الضعف الوحيدة فى إخراج هذا العرض هي استخدام المخرج لشريط الصوت المسجل في المنولوج الداخلي الذي يدور فى نفس الكاتب . وفى الوقت الذي اجاد فيه الفنان جبر فياض فى دور المدير الى حد مذهل كبلت اللغة الفصحى إمكانيات الفنان على سلطان إلى حد ما .

وفى نهاية الاحتفالات بيوم المسرح العالمي ظل السؤال الملح يتردد : اين النص المحلي؟ .

ورغم أن كاتب هذا المقال لم يشاهد عروض فرقة الأضواء فى القاهرة ، لكنني اتوقع أن نفس السؤال قد طرح هناك ! ..

عبد الرحمن محسن

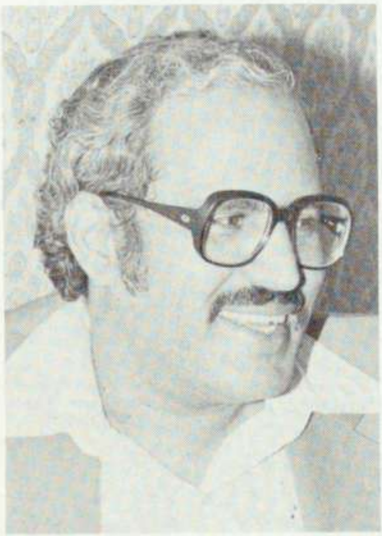
من دفتر

الرؤى الشاردة

شعر: م. كجراي

يقولون عنّيَ اسرجتُ لي فرساً لاطوفَ على ربواتِ الخيال
وإنيّ بواديكَ ياعبقرَ الشّعْرِ اقرا كل حروفِ الرمـــال
وإني على شفَة الغيْبِ اطبَعُ اغنيةً لائتلاقِ الجمـــال
فيا قمرَ السّعْدِ هلاّ احتملْتَ الســؤال
سابني على ســطْحِ ارضـــك بيتـــاً
من الوردِ والاقحوانِ يطلُّ على مرفـاٍ فى محيطِ المحَـــال
فدَعْني اهيم باسطورتي فى خِضَمِّ الليـــال
ارى فى المســافةِ بحراً يموجُ والملحُ فى البحرِ بعضَ المــراكبْ
وتلهُو الرياحُ تَغُذُّ الخُطَى تستَفِزّ النوارس تَدْفَعُها للبعيدِ البعيـــدْ
باجنحـــةٍ فى بيـــاضِ الثـــلوجْ .
كغيمـــةِ صيفٍ تشــكَّل فى البعدِ ابْهى المــواكبْ
واقرأُ اسطورة الخصبِ والموتِ دغْلاً من الكلماتِ العنَاكِبْ
ارى غيمةً تتثنَّى وصخراً يقهقهُ حين تسيل على سطْحِهِ الغيمةُ الهادِرَهْ
تمد الذراعيـــن فى الق اللحظةِ الغـــادرهْ
فتســـقط نَجْمَـــهْ
يـــذوب الترابُ من الوجـــد تنبــضُ كلُّ عـــروقِ الصخـــورْ
وتستَعِـــرُ الجذوة المستبدةُ عبر امتدادِ الجـــذورْ
فيا عسَـلاً يتقطّـرُ من بين اوردةِ العَبَـقِ المترسِّبِ بين الترائِـــبْ
لنبعــكَ اغنِيَتِي تتخَـطىَّ البحَـــارْ
تطـوفُ باجنحـــةِ النّـــوْرَسِ الشـاعِرِيِّ بأرضِ العجائـــبْ
ويالهبـــاً فـوق مجْـــرَى العبيـــرْ
يمـــد لســـاناً إلى اسفل الخصر يجـــرف غـابـــه
توقـف فان امـــامك عرشـــاً « لتاجُـــوجَ »
معشــوشِـبٌ باخضرارِ الصبَابَـــهْ
وهـــانـــذا فى طوافـــيَ أُمطِـــرُ فوقَ وجوه الحِسَـــانِ
رذاذاً من العِطْـــرِ حين تمُرّ على ساحِـــلِ الغانيـــاتِ سحَابَهْ
فيا جَسَــــدَ الوردِ حين اشتهيتُكَ ، ميـــلادُ عُمْـــري
تزيّـــا بلـــونِ البنَفْسَـــجِ فى ســـاحِلِ الارخَبِيـــلِ
دفعْـــتُ بقربـــانِيَ المتجَـــرِّدِ
مَدَّ لِيَ الكاهِـــنُ المتهلّلُ كاســـاً معطّـــرةً باريجِ القُرنْفُـــلِ
ممزوجَـــةً بشـــذَى الـــوردِ والزَّنجَبِيـــل
وعَمّـــدَني شـــاعِراً للاغـــانِي
كما النَّوْرس الساحليّ ارفرفُ فى زُرقَةِ البَحْرِ فوقَ جميعِ المـــوَانِي
اهيـــمُ لاصطـــادَ اغنيةً لم تَـــرِدْ فى خيـــالِ الزمَـــانِ
واجتـــاحُ كلَّ القوافِي اخطُّ على الساحلِ القَمَـــرِيِّ البعيدِ مَكَانِي
معي صَبْـــوةُ العشقِ « تاجوج » ترفُل بالزّهْـــوِ فوق حريرِ المعَانِي
فيا ثَغْرَهـــا الكرزيّ النبيـــل
ويا صدْرَهـــا البابـــليّ الجميـــل
ويا خصْرَهـــا العربيّ النحيـــل
معي لهـــبِ الشـــوقِ ترنيم اغنيةٍ من بـــلاد النخيلْ
معي الالقُ القمـــريّ الحبيـــبْ
وتَوْقُ الصّبابة حين ترفّ باجنحةِ المستحيل
فيا دورةَ الصّحْوِ سيرى بعيداً
فإنّى بعيدٌ عن الصحوِ لا اتعجّلُ حلْمَ الرحيل
لقائى مع الوجدِ فى عالمٍ شاعرىّ الخيال
يذوبُ مع العشْقِ قلبى يسيل
نسيتُكَ يا شمس يمتدّ ضووُك فوقَ غبارِ الرياحْ
نسيتُ اصطِفاقَ الجناحْ
معى قمرُ العشقِ «تاجوج» تَلْبسُ عقْداً من الياسَمين
وتتلو قصيدةَ شوْقى لزهر الاَقاحْ ..





تحقيق خاص بالدوحة من باريس
بمناسبة رحيل الشاعر الفرنسي الكبير

لويس أراجون

١٨٩٧ ـ ١٩٨٢

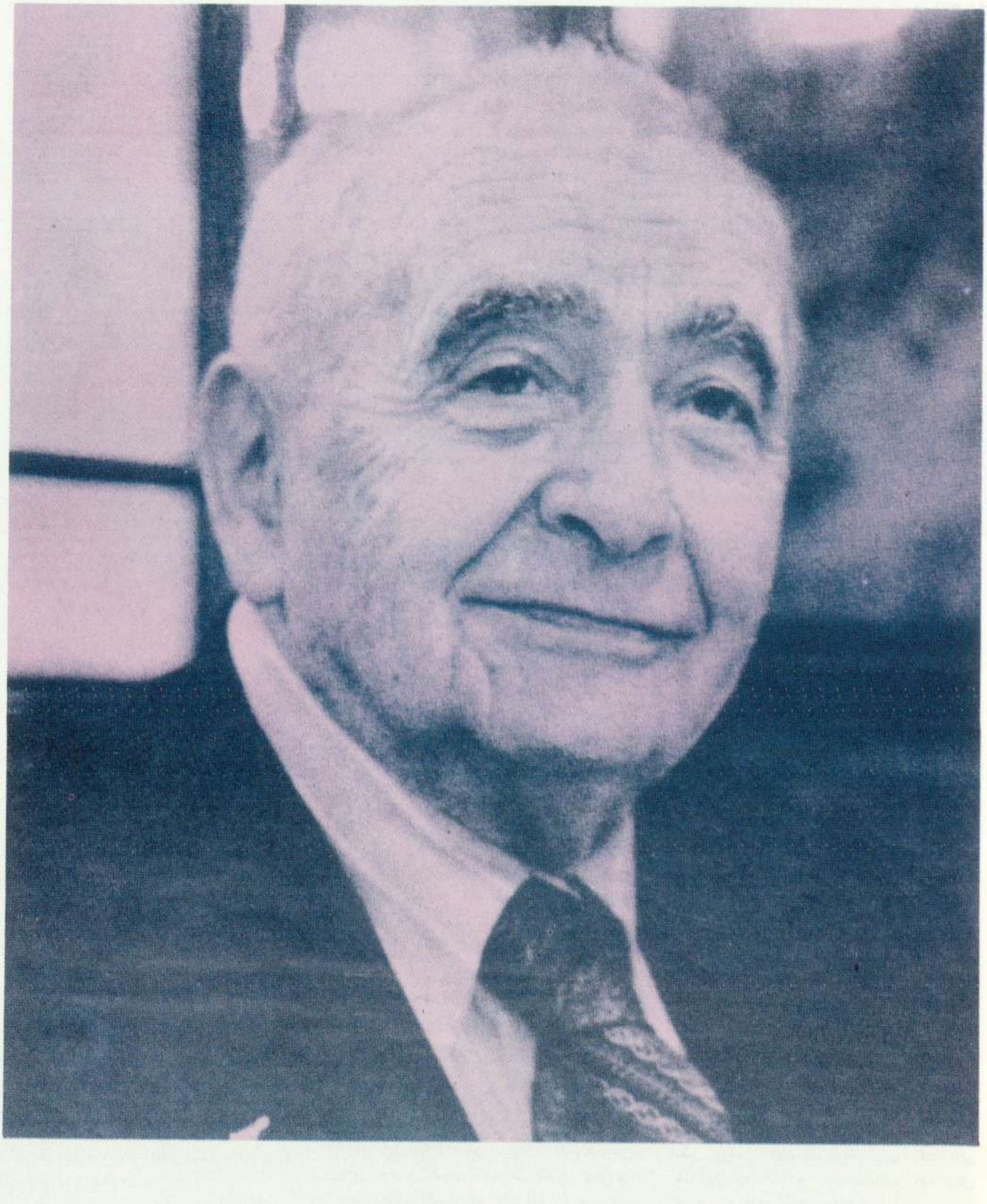
بقلم الدكتور: محمد جابر الأنصاري

رحل بيكاسو الشعر:

مجنون ليلى الفرنسي

طائر أسطوري بألف لون..!

- اعتنق المادية .. وانجذب إلى الإسلام .. وبقي سرياليًا!
- توزع بين الولاء لمذهب الروس .. والحنين لدين العرب
- وتجاذبته رياح موسكو .. وأنسام غرناطة الأندلسية



„ بالنسبة لي سيبقى أراجون الرجل الذي عرف كيف يجعل ملايين الناس تحسّ بأن الشّعر ليس شيئاً صعب المنال وأنه يمكن أن يكون مفهوماً ومحبوباً لدى الجميع عندما ينظم للجميع "

"جان فيرات .. المغني الفرنسي المشهور"

رحل بيكاسو الشعر:

مجنون ليلى الفرنسي

طائر أسطوري بألف لون..!



الشاعر فى سنوات شبابه

« الفيغارو » صحيفة اليمين الفرنسى الكبرى لم تقل كلمة خير واحدة عن أهل اليسار فى فرنسا منذ توليهم السلطة فى مايو ١٩٨١ ، بل كانت أشد مهاجميهم كل يوم وفى كل موقف ..

ولكنها لم تتمالك نفسها وخرجت عن هذا التقليد عندما مات لويس أراجون ، رغم ان لويس أراجون أشهر صوت يساري معاد لليمين منذ مطلع هذا القرن ، ورغم انه عضو فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسى ومن أقرب المقربين لزعيمه جورج مارشيه الذى يضعه اليمين الفرنسى فى رأس قائمته السوداء ويعتبره « الشيطان الأكبر » فى البلاد وقائد الطابور الخامس للاتحاد السوفياتي والشيوعية العالمية !

رغم هذا كله خرجت « الفيغارو » فى الصباح التالى لوفاة أراجون لتعلن : « مات شاعر فرنسا الأكبر ، وقصاصها العبقري ، والناقد ، والكاتب ، والمجادل ذو الباع الطويل ، الذى لا نظير له . لقد كان الأديب الشمولي الذى لم يعرف المستحيل وكان كل شىء ممكناً أمام عزمه ، الذى لم يتراجع أمام أية عقبة » .

فوق اليمين واليسار

كان هذا التقدير من صوت اليمين المتصلب لشاعر اليسار المتطرف دليلا على أن شاعرية أراجون تسمو فوق صراع اليمين واليسار . ولكن هذا التقدير أيضاً أثبت ان أوربا ما تزال فى صحة حضارية جيدة . وانه عندما تصبح المسألة مسألة قيم فكرية وفنية وحضارية فان معيار الموضوعية والأنصاف هو الذى يسود رغم الخلافات السياسية والشخصية ، أياً كانت وانهم يترفعون عن أكل لحوم أدبائهم ونهش سمعتهم ، بعكس ما يفعله بعض كتاب العرب هذه الأيام مع أدبائهم القوميين المخلصين ، لأتفه الأسباب الشخصيةوالاقليمية ، وفى حملات صغيرة الأبعاد لن تضيف لأدبنا العربى غير المزيد من الصغائر .

أما صحيفة « اللوموند » المستقلة الرصينة التى درجت على عدم نشر أية صورة لأية شخصية فى صفحتها الأولى ، حتى لو كانت الأخبار الواردة فيها عن رؤساء الدول ، فانها خرقت هذا التقليد أيضاً وجعلت موضوعها الرئيسي عن وفاة لويس أراجون بمانشيت عريض وصدرته بصورة الشاعر التى رسمها فنان « اللوموند » بريشته لتبقى فى المكان الذى لم يتسع لرؤساء الدول وقادة السياسة ! .

وليس من السهل أن يقرر المرء كيف يبدأ الحديث عن شاعر مثل لويس أراجون الذى جمع بين الفصول الأربعة والجهات الأربع .. وكان فى الوقت ذاته سريالياً وواقعياً .. وماركسياً وقومياً .. ومادياً وصوفياً .. والذى جمع بين حب الروس وحب العرب .. وبين الولاء للفكر الماركسي والأعجاب والتقدير للقيم الروحية الاسلامية العربية وكانت أحب مدينتين الى قلبه — بعد باريس — موسكو السوفياتية وغرناطة الأندلسية العربية ..

التى خلد آخر ملوكها العرب ، أبو عبد الله فى شعره تخليداً بطولياً أزاح عن صورته ما ألحقه بها مؤرخو أوربا من شوائب . ومن غرناطة ، عرج أراجون الى المدينة المنورة ، مدينة الرسول فى رحلة صوفية من الشعر الرمزى العميق الذى لم يحل النقاد الفرنسيون أنفسهم رموزه ، ولم يكشفوا معانيه بعد .. والذى يمكن ان تخصص له دراسة قائمة بذاتها عن أراجون فى وجهه العربى الشرقي .. وجه « مجنون إلزا » — أشهر دواوينه وأشهر ألقابه — المستمد من روح « مجنون ليلى » وتراث الغزل العذري عند العرب المتسامي نحو الغزل الصوفي فى تلك المسيرة المبدعة من قيس بن الملوح إلى .. ابن الفارض وابن عربي .

ولكن لابد من التعرف أولا الى أراجون فى أصالته الفرنسية لأنه على الرغم من آفاقه العالمية رحبة الأبعاد ، كان فرنسياً بالشعور وباللسان الى أبعد حدود الأصالة التى لم تقتلعها مغامراته التجديدية على انطلاقاتها ، فظل الغناء الفرنسي منذ أربعين سنة الى اليوم ، وسيظل الى أمد غير قصير ، يردد أشعاره الجميلة ، البسيطة والعميقة — فى وقت واحد — والتى ستبقى شاهداً على أن الشاعر الكبير حقاً يستطيع أن يخاطب أبسط الناس بأبسط العبارات ، وان يخاطب أخص الخواص بأعمق العبارات ، دون أن يفقد توازنه الشعري فى كلا الابداعين المتكاملين اللذين يمثلان وجهي الحقيقة الشعرية الواحدة .

بداية مؤلمة

عندما كان أراجون جنيناً ، وقبل أن يرى النور ، كان ينتظره لون من العذاب الذى يبتلى به الشعراء والمبدعون منذ نعومة أظفارهم ويكون حافز ابداعهم .

فقد كان طفلا غير شرعي . ورفض أبوه الذى كان شخصية كبيرة فى الدولة أن يعترف رسمياً بأبوته له . أما أمه التى كانت تصغر عشيقها بأكثر من عشرين سنة فقد اضطرت الى تقديم ابنها للناس على انه شقيقها الأصغر .. وبهذا أوحت الى الطفل أراجون أيضاً ، الذى ظل يعيش معها ومع خالتيه على اعتبار ان الثلاث أخواته . أما الرجل الكبير الذى كان يزور أمه باستمرار فقد اعتبره « عراباً » له ، وصار من أنصاره المتحمسين فى معاركه الانتخابية عندما قارب سن الشباب . ويرى نقاده ان لعبة المرايا والأقنعة هذه قد علمته الكثير فيما بعد عندما انكشفت .

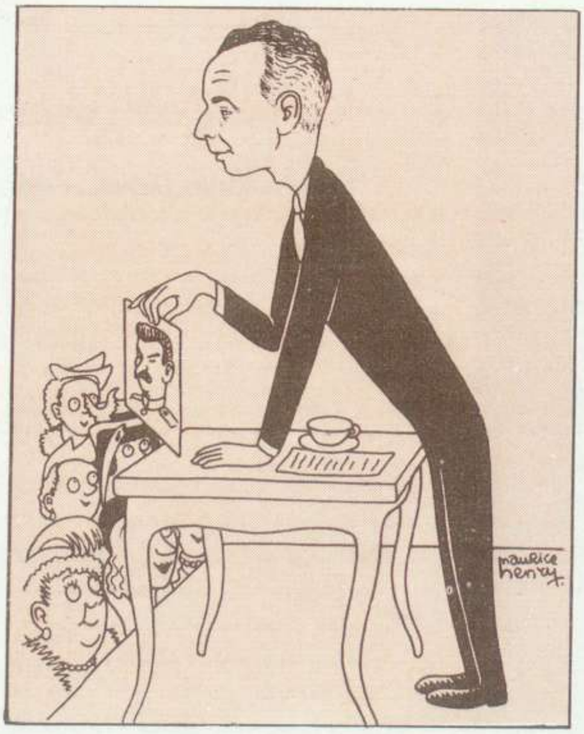
ولم يكتشف أراجون الحقيقة ، حقيقة ان ذلك الرجل هو أبوه ، وان « اخته الشابة » لم تكن غير أمه إلا فى سن العشرين !

لقد بقي عشرين سنة حتى اكتشف الحقيقة التى هى من حق كل طفل منذ لحظة ميلاده . ولأنه اكتشف هذه الحقيقة الأولية البسيطة بعد شق الأنفس .. وعاش فى غيابها طويلا ، فقد أصبح لديه شوق عظيم للبحث عن كل الحقائق ، بمختلف الطرق ، وبالاصرار عليها واعلانها على رؤوس الاشهاد ولو أدى ذلك الى الدخول فى صراع مع المجتمع كله وكل قيمه وأعرافه ومواضعاته .

من هنا كان احتقاره الشديد للبرجوازية التى خرج منها فلم توفر له أبسط حقوق الأبوة والبنوة ، ولم تعترف به . ومن هنا كان خروجه على قيم الحضارة المسيحية التقليدية التى كانت تدعى اعتناقها تلك



وضعت صحيفة « اللوموند » صورة الشاعر فى الصفحة الأولى رغم انها لا تنشر صورة لاية شخصية فى صفحتها الأولى



أراجون الستاليني كما يراه كاريكاتير صحف اليمين .

البرجوازية وترتكب سلوكها الازدواجي تحت شعارها واقنعتها .

وبدأ أراجون مواجهة هذه البرجوازية المدعوة مسيحية بأن أصبح متمرداً فوضوياً من اعضاء حركة « الدادية » وهى حركة عدمية عرفتها أوربا فى عشرينات القرن وكانت تؤمن باللاشىء وتبدأ وتنتهى باللاشىء .

وكانت الدادية مجرد محطة أولية فى مسيرته ، جاءت بعدها السريالية التى رفع لواءها عندئذ « بريتون » الذى أصبح أراجون من أبرز رفاق طريقه .

كانت السريالية ـ أيضاً ـ ثورة ضد العقلانية الأوربية وماديتها التى كشفت الحرب العالمية الأولى عن مدى فظائعها الكامنة تحت ستار العقل المتمدن والتقدم المادى الذى اتخذته أوربا ديناً لها منذ القرن الثامن عشر .

دعت السريالية ـ تاثراً بمنحى اللاوعي فى مدرسة فرويد ـ الى منح المشاعر الباطنية والأحلام والرؤى مساحة أكبر فى الأدب والحياة ، وذهب الى أن الحقيقة الشاملة هى مزيج من الوعى واللاوعي ، ومن المعقول واللامعقول ، وكان مثلها الأعلى الشاعر الفرنسى « رامبو » الذى مات فى شبابه بعد حياة شعرية خاطفة توزعها الارتحال الى موانىء الشرق البعيدة وأجوائها الغامضة وكانت حصيلتها بضعة دواوين وسيرة حياة عبرت عما فى النزوع السريالي الأمثل من توق الى أغوار الباطن اللامعقول وتفوير للوعى وهز لمنطق العقل ومواضعات المجتمع لاعادة صياغتها من جديد بشكل أكثر تحرراً .

كانت السريالية ردة فعل ضد عقلانية الحضارة ومنطقها الصارم فى الفكر والحياة ولكنها لم تكن فعلا أصيلا . لذلك ظلت على أهميتها والأثر الذى تركته : حركة على هامش المجتمع الغربى الذى ظل سائراً فى طريقه العقلاني المادى رغم احتجاج السرياليين .. وكان على أراجون الذى كان يطمح الى أكثر من مجرد الاحتجاج ان يبحث عن حركة أكثر فاعلية وأكثر قدرة على هز سلطة البرجوازية المسيحية فى أوربا .. حركة يستطيع من خلالها تصفية ثأره القديم مع هذه البرجوازية وتصفية حسابه المطوي معها .. !

ووجد أراجون فى الماركسية التى كانت تصعد عندئذ ضالته . فهى العدو الأول **للبرجوازية وأيدولوجيتها المسيحية ونظامها الليبرالي ، وهي بما لديها من فكر** وتنظيم وأحزاب ودولة قائمة تتوسع فى روسيا السوفياتية وما حولها ، أقدر بكثير من الدادية والسريالية وسواهما من حركات غربية متمردة ، على التأثير والتحرك .

(وفى فترة لاحقة من حياته ، هى فترة النضج الأخير ، سيجد فى قيم الحضارة الاسلامية والأدب العربى الصوفى ما يروى غليله الذى يبدو ان الماركسية لم تشبعه تماماً ، ولكن لذلك قصة أخرى ومجال آخر) .

وحاول أراجون فى البداية الجمع والتوفيق بين مذهبه السريالي فى الفن ومذهبه الماركسى فى الفكر والسياسة . ولكن تحقيق الالتقاء بين ماركس ورامبو لم يكن بالأمر السهل .

فماركس كان يدعو الى مادية محددة بالمنطق الديالكتيكي الحتمي الصارم . ورامبو كان رمز الغنائية الغامضة المتحررة **المتجهة** الى تفوير اللاوعي الفردي .

وكان على أراجون أن يخترع المستحيل ليوفق بين وعي ماركس الاجتماعى ، ولا وعي رامبو الفردي .

الحبيبة والوطن

وفى هذه الفترة من حياته أقدم أراجون على محاولة انتحار قيل ان سببها حب فاشل ، وقيل ان سببها هذا الصراع الفكري الشاق فى نفسه بين الماركسية والسريالية والاحتمال الثاني قد يكون الأرجح لأن اديباً فرنسياً آخر ، هو رينه كرفل قد انتحر عام ١٩٣٥ بسبب ذلك الصراع أيضاً ، مما يدل على مدى خطورته فى الحياة الفكرية حينئذ .

ويذهب أراجون فى وفد فرنسى أدبى الى

رَحَلَ بيكاسو الشعر:

مجنون ليلى الفرنسي

طائر أسطوري بألف لون..!



أراجون بين بيكاسو وإلزا في عام ١٩٥٦



بعد رحيلها ، ظلت صورة إلزا تنتظره في موعد الابداع

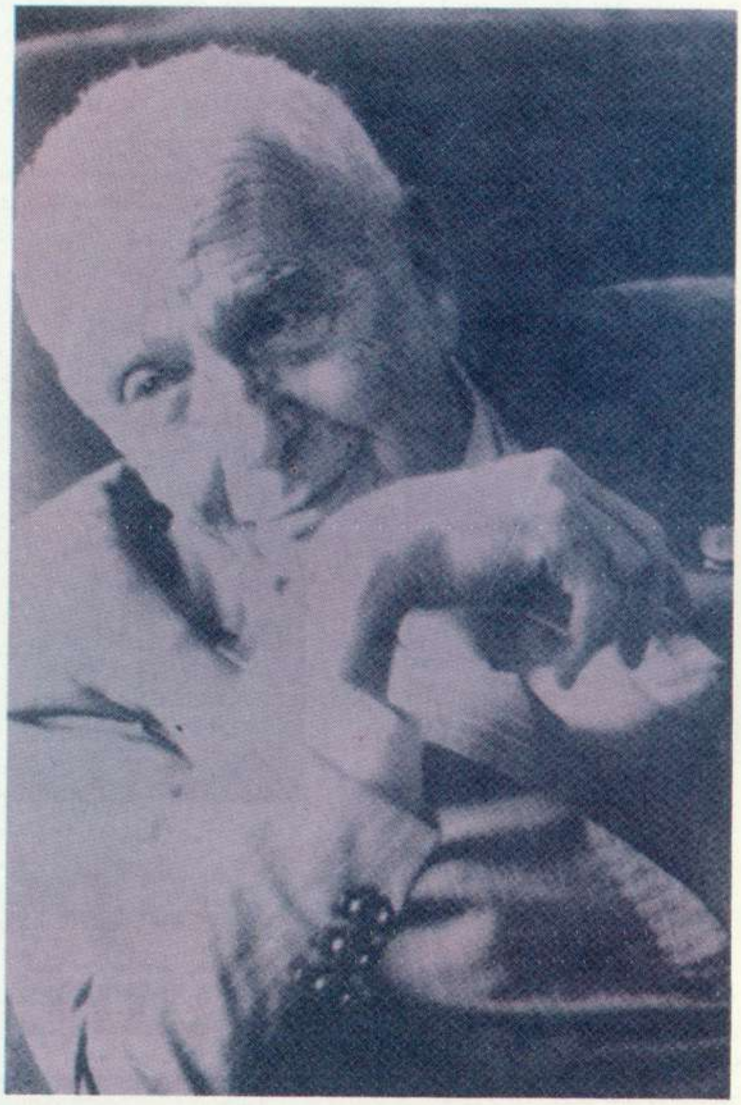
الاتحاد السوفياتي لحضور أحد المؤتمرات الأدبية ، ولمحاولة اقناع أهل « الواقعية الاشتراكية » بقبول بعض المبادىء والمنطلقات السريالية .

ولكن أراجون يعود من هناك ملكياً أكثر من الملك ، وواقعياً اشتراكياً ملتزماً قد طلق السريالية ، إلا ما بقي منها فى تكوينه الشعري وما انطوت عليه نفسه من نزوع سريالي دفين ظل يظهر خلسة بين وقت وآخر رغم « التزام » صاحبه العلنى والمستمر بالاتجاه الأخر . (وتحوله الى الأعماق الصوفية ، فيما بعد ، سيأتي دليلا على ان النزوع السريالي ليس مرحلة عابرة فى حياته) . بعد زيارة موسكو وقعت القطيعة بينه وبين « بريتون » زعيم الحركة السريالية الذى رفض الذوبان فى التيار الماركسي .

أما أراجون ، فقد أصبحت موسكو محط أنظاره ومحور انجذابه . وفيها التقى بالشاعر الروسي ماياكوفسكي – الذى انتحر فيما بعد تحت كبت الستالينية – فقدمه هذا الشاعر إلى شقيقة زوجته ، وهي روسية المولد ، اسمها إلزا تريولي ، فعشقها أراجون من النظرة الأولى واعتنقها حبيبة وزوجة وملهمة ورفيقة طريق وشريكة أدب كما اعتنق من قبل مذهب وطنها السياسي ، فاكتملت الثنائية ووجدت سلامها واطمئنانها في «عيون إلزا » – أحد دواوينه السياسية الشهيرة – وظل « مجنون إلزا » محدقاً فى عيون إلزاه – أو ليلاه – حتى بلغت أرذل العمر وهو على اخلاصه لها ، المتوازي مع اخلاصه لحزبه ، ولم يفصل بينهما إلا الموت ، حيث ارتحلت عام ١٩٧٠ وظل هو حتى الأيام الاخيرة من عام ١٩٨٢ ، وكانت وصيته الاخيرة ان يدفن إلى جوارها فى حديقة منزلهما الريفي الذي أمضيا فيه أهدأ سنوات العمر واخصبها ...

ومنذ فيكتور هيجو لم يشهد الأدب الفرنسي شاعراً له القدرة على اقتحام فنون





استراحة أخيرة .. قبل الرحيـل



شباب إلزا .. النار التى أحرقت طائر الشعر ، فبعثتـــه مـــن جديــــد .

الرئيس ميتران واراجون فى الأليزيه : وسام الشرف لشاعر المقــــاومة

رحل بيكاسو الشعر:

مجنون ليلي الفرنسي

طائر أسطوري بألف لون..!



مع جورج مارشيه إلى النهاية

النثر ، وخاصة فن الرواية ، مثل لويس أراجون .

لقد أدرك أراجون أن الشعر وحده ـ كما أكد سارتر ـ لا يستطيع أن يكون فناً ملتزماً كما تريده الواقعية الاشتراكية . فالشعر ، كالموسيقى ، يبقى فى التحليل النهائي مغامرة غنائية عفوية تابى الدخول كلية فى بوتقة الالتزام ، كالفرس الجامح الذي لا يمكن السيطرة عليه فى كل الأوقات .

لهذا اتجه أراجون ، وبمقدرة تذكرنا ببراعة صاحب رواية «البؤساء» الخالدة ـ الى كتابة عدد كبير من الروايات الاجتماعية ذات الطابع الطبقي . وفي هذه الروايات بالذات صفى الكثير من حسابه القديم مع البرجوازية وكال لها الصاع صاعين ، ثم اتجه لتسجيل حياة الطبقات العاملة وكدحها .

غير أن أراجون ـ وهذا ما اثبت أصالته وعمقه ـ تحول فوراً الى شاعر وطني قومي مؤمن بوطنه فرنسا بكل طبقاتها البرجوازية والعاملة دون تمييز ، عندما تعرضت للهجوم الألماني فى الحرب العالمية الثانية ، وقدم الصراع ضد العدو المشترك على الصراع الداخلي الذي أخذ يدعو فى قصائده الجديدة إلى نبذه ، وتحقيق التحالف النضالي بين الكنيسة الوطنية الفرنسية وبين قوى اليسار لمواجهة النازي الذي يهدد الجميع . ومازالت قصيدته الى «الذين يؤمنون بالله والذين لا يؤمنون» تتردد فى كل مناسبة تتطلب وقفة موحدة بين الجانبين فى سبيل فرنسا « تلك الجميلة التى سجنها الجنود » والتى يعشقها الجميع ..

وهنا يتطابق الوجهان .. وجه فرنسا ووجه إلزا .. وجه الوطن ووجه الحبيبة ، وتتحول الحقيقة إلى رمز ، والرمز إلى حقيقة ـ على الطريقة السريالية ـ فنبصر فرنسا فى وجه إلزا .. ونبصر إلزا فى وجه فرنسا ، ويتم التوفيق السعيد . وفى هذه الفترة يتحول أراجون مع رفاقه إلى العمل السري ضد الألمان ويتخذ اسماً حركياً هو : فرانسوا لاكولير ، أي فرانسوا الغضب ! .. وتتوالى أشعاره للمقاومة فى مطبوعات سرية تصل باريس تباعاً من الجنوب الفرنسي ، حيث يختبىء ، وهي تحمل اسم « منشورات منتصف الليل » !

ويكون تحرر فرنسا من الاحتلال بعد الحرب موسم العز والجاه والمجد العريض للويس أراجون . كيف لا وهو أبرز شعراء المقاومة المنتصرة .. كان عندها ديجول الشعر والأدب الذي لم ينازعه الصيت الذائع غير جان بول سارتر !

عدم التسامح

غير أن بعض مؤرخي الأدب في فرنسا ، يأخذون على أراجون فى لحظة انتصاره انه لم يكن متسامحاً ، تسامح الانسان الكبير مع خصومه ، فقد أكثر من إعداد «القوائم السوداء» للعديد من مخالفيه بتهمة التعامل مع النازية ، ولم يترك الأمر للقضاء ليقول كلمته فيهم ، بل تحول مع عدد من رفاقه اليساريين إلى ما يشبه « محكمة تفتيش » أدبية تصدر الأحكام ضد أدباء اليمين دون تمييز دقيق بين من تعاون منهم حقاً مع النازية ومن لحقته شبهة غير مؤكده من ذلك .

وهذا ما أثار حفيظة بعض الشعراء الفرنسيين ضده ودفعهم إلى التهاجي معه فى نقائض من الهجاء المر المقذع تقف أمامها متواضعة ، على استحياء ، نقائض الفرزدق وجرير ! .

من أمثلة ذلك هجاء الشاعر بيير بوجو فى مقطوعة بعنوان « أراجون .. أو حياة كلب » وهي تعكس حدة الصراع السياسي في فرنسا بين اليمين واليسار ، أكثر مما تعكس صراعاً شخصياً أو أدبياً محضاً . وفيها يقول ما ترجمته نثراً : «استميح الكلاب عذراً .. ولكني أقول أن أراجون كلب .. ولا شيء غير الكلب . غير أنه كلب حراسة مخلص أمين (يقصد للحزب الشيوعي وللروس) . لقد بحث دائماً عن يد يلحسها ، عن يد المعلم الحازم ، والأب الحنون الذي حرم منه قبل فطامه (مشيراً إلى طفولته غير الشرعية !) ... » .

والواقع أن أكثر ما أخذه الأدباء والنقاد على أراجون ليس مجرد انتمائه لليسار أو حماسته له ، فكثير من أدباء فرنسا انتموا لليسار ، وتحمسوا له بين وقت وآخر ، ولكن أشد ما أخذ عليه انه كان أشد الشعراء ولاء في العالم كله ، بما في ذلك الشعراء الروس ، لشخصية ستالين بشكل أعمى ومثير للدهشة ، حيث أن أراجون شاعر كبير وفنان كبير ، وليس هناك ما يضطره لمثل هذا الولاء المستهجن لدكتاتور انتقده حزبه ورفاقه أنفسهم فيما بعد وخرج عليه أقرب المقربين له .

وإذا كان الولاء لستالين في مراحل البناء الأولى مبرراً ، فان الاصرار على تعظيمه فيما بعد كان « نقطة ظل » في حياة أراجون لايمكن الدفاع عنها ، وإن كان من الممكن تفسيرها نفسانياً على انها تكشف عن حنين أراجون الخفي لشخصية الأب القوي التى افتقدها ، مثلما يكشف تعلقه الأسطوري بالزا عن حنينه للأم ، والتزامه الشديد بالحزب عن حنينه للارتباط العائلي وجو الأسرة .. التي لم تكن .

وحتى في المناسبات التاريخية التى ارتفع فيها صوت أدباء اليسار أنفسهم ضد ممارسات القمع السوفياتي فى حق الأدباء السوفيات وضد التدخل السوفياتي فى كل من المجر وتشيكوسلوفاكيا وبولندا ، حتى فى هذه المناسبات كان صوت لويس أراجون خافتاً ومتردداً إن لم يكن معدوماً

والغريب أن عارفيه عن كثب يقولون إنه فى أحاديثه الخاصة كان يدين تصرفات الروس هذه ، لكنه فى العلن كان يلتزم بخط الحزب الرسمي دون أن يحيد عنه قيد أنمله . ويقول عنه رفاقه من الأدباء الأكثر تحرراً إنه كان يخاف بعض الشيء أهل الحزب ولا يستغنى عن دعمهم له ضد خصومه ، ولهذا وقف مع حزبه ظالماً أو مظلوماً .

ويكشف جورج مارشيه عن عذاب أراجون بسبب التزامه السياسي هذا ، ضد قناعته الأدبية والفكرية أحياناً ، عندما يقول : « كان أراجون يعبر عن رغبته فى الاستقالة من الحزب فى المساء ، ليعود أكثر التزاماً بخط الحزب فى الصباح ! » .



«مجنون إلـــزا» منجـــذب إلى وجــــه إلـــزا .. المــــــرأة الدائمـــــــــة مــــــدى العمــــر .

وقد التصقت « النزعة الستالينية » و «عبادة الشخصية الستالينية» بسمعة أراجون فى الأوساط الأدبية الفرنسية لدرجة ان أديباً فرنسياً معروفاً سارع الى القول عندما سمع بنبأ وفاته : « ليرحمه ستالين » بدل : « ليرحمه الله » .. !!

غير أنه بعد تقرير هذه الحقيقة التاريخية فى سيرة أراجون من باب الأمانة للتاريخ ، يتوجب القول من باب الأمانة للفن والشعر ، ان ما سيبقى من أراجون للاجيال ليس هو أراجون الحزبى ، ولا أراجـــون الستاليني ، ولكن الذي سيبقى حقاً هو أراجون الشاعر ، أراجون الروائي ، أراجون الفنان ، « مجنون إلزا » الذي سيخلد فى شعر فرنسا خلود مجنون ليلى في شعر العرب .

وعلى الرغم من أن أراجون عاش حياته فى وضح النهار وتحت الأضواء ، فان جانباً من حياته يبقى غامضاً كالسر . لقد كان كالأرنب البري المندفع بسرعة خاطفة بين الأحراش ، يختلف مشاهدوه فى حقيقة رؤيته : أسود أم أبيض ، هزيل أم سمين صغير أم كبير ؟! .

بل كان كالكائن الاسطوري – على حد تعبير نقاد اللوموند – لا أحد يعرف أي مرحلة فى حياته تمثل حقيقته : أهي المرحلة السريالية ؟ أم الماركسية ؟ أم الوطنية ؟ أم الصوفية الأخيرة فى «مجنون إلـزا» .. ذلك العمل الشعري الأنضج الذي كان ذروة عطائه .. وآخـر عطائه الهام .

وإذا استطاع النقاد فهم بيكاسو ، فانهم سيفهمون أراجون ! فاراجون أدخل السريالية فى الشعر ، مثلما أدخلها بيكاسو فى الفن ، وعمل الاثنان على تحويلها من مدرسة مُخْتَصّيْن ضيقة إلى مذاق شعبي عام . ثم مزجها الاثنان بالسياسة والنضال الوطني وجعلاها تتحول إلى وعي اجتماعي يهدف إلى تحرير اللاوعي الفردي ! .

الاتجاه إلى الاسلام

وبعد كل هذا ، يبقى السر الأكبر والأهم فى حياة أراجون ، وهو سر ربما كان الأدباء الفرنسيون ، وأدباء اليسار بخاصة ، غير حريصين على استجلائه والتنقيب عن مكنونه ، بل ربما حاول بعضهم التعتيم عليه كما يفعلون غالباً مع القضية التى يرتبط بها ...

هذا السر – السؤال هـــو التالي : كيف نفسر انجذاب أراجون المتزايد فى الخمس والعشرين سنة الأخيرة من حياته نحو الحضارة الأندلسية التى قال عنها إنها صلة الوصل بين بلاده والاسلام ، ولماذا عكف كباحث مختص على درس اللغة العربية والشعر العربي والقرآن والمأثورات الاسلامية والتصوف الاسلامي بالذات ، لدرجة أن المستشرق جاك برك كان يبدي دهشته لمدى إلمام اراجون ، الشاعر السريالي الماركسي المادي ، بدقائق الشعر العربي والمصطلح الصوفي الاسلامي ! .. ولدرجة أن النقاد الفرنسيين كانوا يعودون إلى المعاجم لفهم المفردات العربية العديدة التى أدخلها أراجون فى صلب الأسلوب الشعري الفرنسي بديوانه الحاشد الضخم: « مجنون إلـــزا » ..

فالـــزا التى أخذت وجه فرنسا فى فترة المقاومة .. تاخذ هنا وجه ليلى التى تحدث عنها متصوفة العرب والاسلام .. ليلى الحقيقة الكونية الروحية الكبرى .. فهذا هو حب أراجون فى فترة النضج الأخير ..

هل آمن أراجون بالله عن طريق الاسلام .. وبقي مؤمناً فى سره .. واستمر فى الظاهر على عقيدة حزبه الذي لم يشأ أن ينشق عنه بعد تلك المسيرة الطويلة والولاء المطلق ؟ .

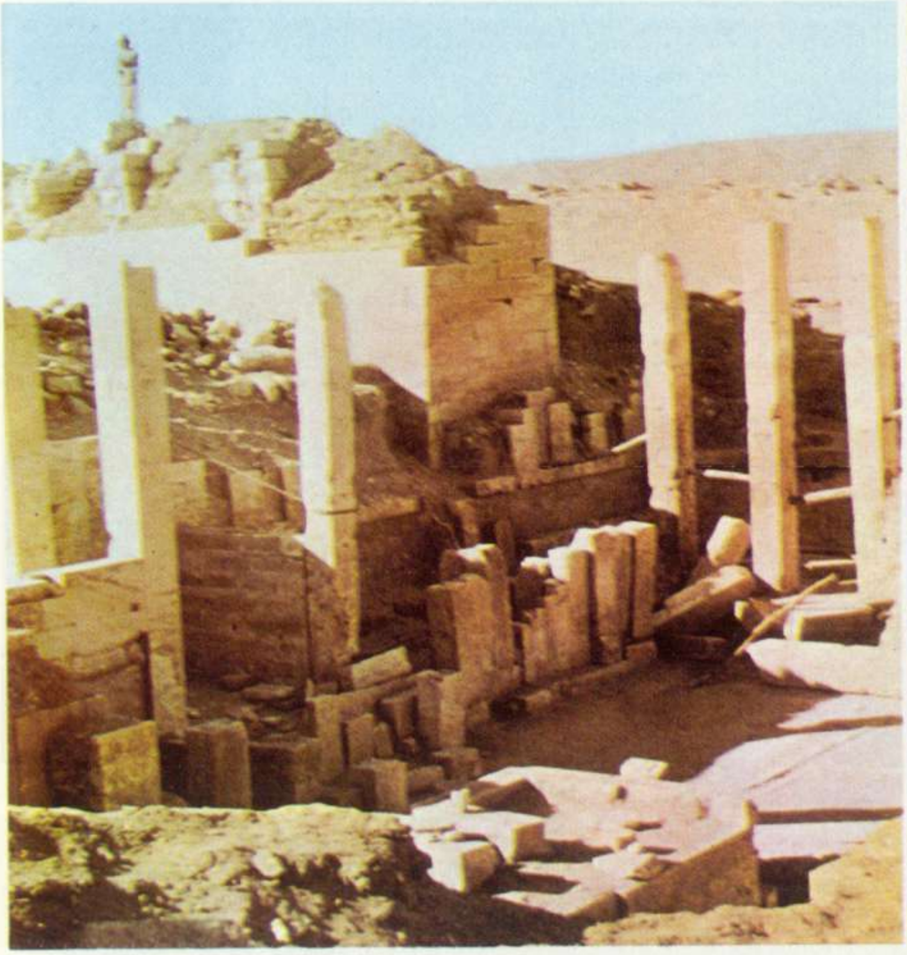
إن هذا ما حدث ويحدث لعدد من المثقفين الفرنسيين الذين يعلنون اسلامهم أو يكتفون بالاقتراب منه بشكل لا يثير حفيظة الآخرين ضدهم ، فى مجتمع تكون تاريخياً وغريزياً على الخوف من الاسلام .

ومن بعض الأوجه ، فان مسيرة أراجون تشبه مسيرة روجيه جارودي الذي تدرج من الماركسية الملتزمة الى الاقتراب من الاسلام .. الى اعتناق الاسلام بشكل علني. وربما كان الفارق الرئيسي فى جراة جارودي على الجهر بعقيدته .. وانطواء أراجون على كشوفه الروحية بطريقة التَّقْيَة الباطنية ، واكتفائه بالتلميح عنها رمزاً شعرياً ، كعادته فى التعبير عن ذاته الحقيقية فى سائر مراحل حياته .. ومرة أخرى : هل أسلم لويس أراجون فى المرحلة الأخيرة من حياته ؟

ذلك يتطلب رحلة طويلة في ملامح وجه أراجون العربي الاسلامي .. الذي توجه صوب غرناطة لاستعادة زمان الوصل – بين أوربا والاسلام – فى الأندلس .. ثم عرج منها فى رحلة من رحلات الروح الى يثرب ، مدينة الرسول التى طالما تغنى بها فى أشعاره الأخيرة .. قبل ارتحاله الأخير على طريق أشبه ما يكون بالايمان .

رحم الله لويس أراجون .

د. محمد جابر الأنصاري







احفاد الذين كانوا أول من بنوا المدن ..

مارب .. عاصمة مملكة سبا .. مازال معظم اثارها مدفونا تحت الارض .

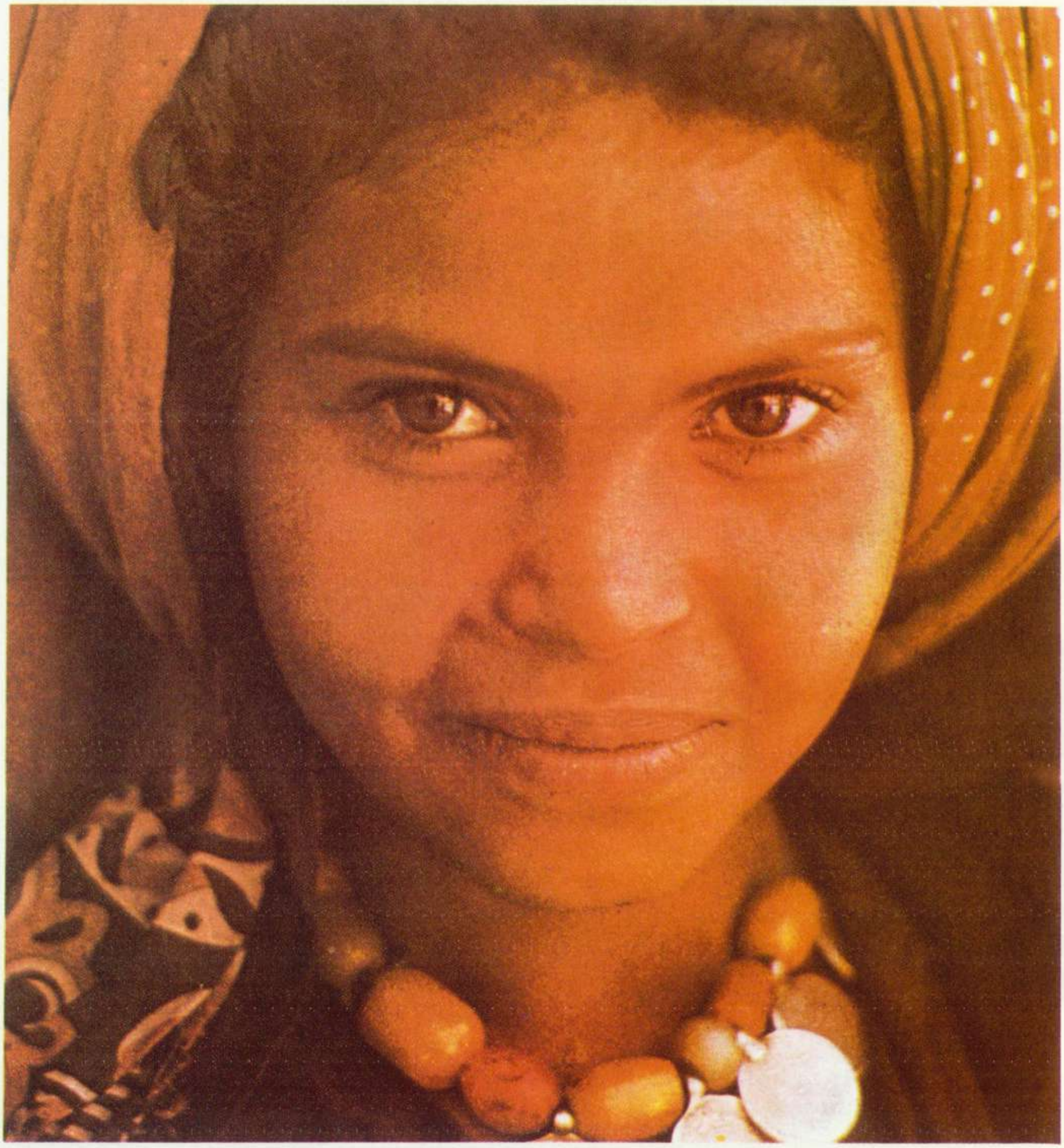
مأرب

عاصمة بلقيس .. والأرض الخضراء في اليمن

بقلم : فوزي الخميس

كان اليمنيون هم أول من أسسوا الدول وشيدوا القصور وبنوا المدن والهياكل والسدود ، وهم أول من نظموا الحكم ودربوا الجيوش وقادوها للفتح فى العصور الموغلة فى القدم ، وحتى فى صدر الاسلام ..

وقبل حوالى ثلاث آلاف سنة كان يحكم الجهة الغربية من الهلال الخصيب سليمان ابن داوود عليه السلام ، وكانت عاصمته القدس ، وكان نبيا وملكا ، ذكره القرآن الكريم ست عشرة مرة بينت نعم الله عليه وما سخر له سبحانه وتعالى من طير وانس وجن وريح وغير ذلك .. وفى ذات يوم من أيام حكم سليمان الذى امتد أربعين سنة بين عامى ٩٧٢ حتى ٩٣٢ قبل الميلاد ، خرج يتفقد الطير ، فلم يجد الهدهد .. فلما حضر الهدهد قال لسليمان : إنى جئتك من سبأ بنبأ يقين ، وإنى وجدت امرأة تملك قوماً وجميعهم يسجدون للشمس من دون الله .. فطلب منه أن يعود الى الملكة بكتاب يدعوها فيه ألا تعلو وتتعاظم عليه ، وأن تأتى اليه مسلمة ، فعندما وصل كتاب سليمان عليه السلام الى بلقيس جمعت قومها ، وشاورتهم فى الأمر ، فقالوا لها ،



وجه فتاة يمنيـة .. فى عنقهـا عقد من العنبـر والنقود الفضية .

نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين ، وأنهم رهن إشارتها وأوامرها ، فأمرت بارسال هدية الى سليمان تصانعه وتلاطفه بها ، فلما وصلت اليه الهدية لم يقبلها وأظهر أنه فى غنى عنها ، وعنده أضعاف ما تملك .. ثم هددها بارسال جنود لا قبل لهم بهـا ، وأمر – فعلا – جنوده من الجن والعفاريت فنفذوا الأوامر وجاءت بلقيس الى القدس ، وأعلنت إطاعتها وإطاعة شعبها الى سليمان ، وتقول بعض المراجع ان سليمان تزوج منها وانجـبت منـه ولـدأ ، ويعتقـد الأحبـاش فى أثيوبيـا أنهـم مـن نسـل ذلـك الولـد ، وكان اكثرهـم اعتقـاداً بـذلك الأمبراطـور السـابق هيلاسـلاسي ! .

العرش الشاهق

المهم من هذه الواقعة أن محرم بلقيس فى مارب ، وفى كثير من النصوص يسمى «تهوان» ، ويطلق عليه المؤرخون «عرش بلقيس الأسفل» ، وهو بناء ضخم يقع فى

شكل مثلث مايزال قائماً رغم تقادم عهده ، محتفظاً برونقه الزاهي ومظهره الجميل المصقول ، ويبلغ عرض قطره حوالى الف قدم ، تغطيها الرمال اليوم ، أما طوله فيبلغ من احدى جهاته حوالى أربعمائة قدم ومن الجهة الأخرى يبلغ ٢٥٠ قدماً ، وتبلغ مساحة قاعدته ٥٧ × ٥٢ قدماً مربعاً ، ولايزال منها ثمانية أعمدة قائمة حتى اليوم .

ويقول «الهمذانى» لو اجتمع أهل قرية كبيرة فى اليمن لينقلوها لما استطاعوا ، لأنها ثبتت فى الأعماق ، ووضعت بطريقة فنية عجيبة ..

وقد وصف الشعراء قصر بلقيس شعراً عندما تحدثوا عن مأرب عاصمة سبأ والبلاد السعيدة فى غابر الزمان ، فقالوا :

وجنتا مأرب من بعد ذا مثل
والعرش فيها وسد وسط واديها
ما بين طودين لا دار ولا كثب
وجربة السد طول الدهر يسقيها
كأنها حين تهوى فى مثاعبها
كواهل الصهب ازدانت هواديها
وتارة إذا تعالى الماء غاربة
جدر مجصصة مالت سواريها
تسقى بها جنتاها ثم بعدهما
مسافة الخمس موصولا لياليها
تغدو النواصف بالأطباق تملؤها
من كل فاكهة بالكف تجنيها
وليس يمنع نفساً أن توافيها
منها عجائبها ألا تمنيها
وعرشها شاهق من فوق أعمدة
من الرخام سواقيها تحاذيها

من هى بلقيس ؟

ولكن من هى بلقيس ، خاصة وأن الناس خالطوا بين أكثر من بلقيس حكمت فى اليمن ؟ .. يقول المفسرون وبعض المؤرخين العرب انها بلقيس بنت شرحبيل ، وبعدها ظهرت بلقيس أخرى من حمير ، وبالذات من ملوك الطبقة الثانية المعروفة عند العرب بالتبابعة وقد حكمت فى النصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد ، وكان ذكراها لايزال يشغل أذهان الناس فحسبوها الملكة المعنية فى القرآن !

ويجدر بنا هنا أن نشير الى ما يذكره مؤرخو العرب عن الطريقة التى وصلت بها بلقيس الى الحكم ، فقالوا عاش فى أحد عصور مأرب ملك ظالم فاسق فاحش اسمه (مامك) ، من طبعه أن يستولى على كل جميلات المدينة من الفتيات ، ولا يبلغه خبر عن بنت ذات جمال إلا أحضرها بالقوة وعندما بلغه خبر جمال بلقيس ابنة عمه ، جاءها فى قصرها ، فأعدت له رجلين وأمرتهما بقتله عندما يدخل اليها ، ولما قتلاه ، استدعت وزراءه وأصدقتهم القول والخبر ، وفوضت اليهم أن يختاروا رجلا يملكونه ، فقالوا لا نرضى بغيرك بديلا ، وملكوها لما رأوا من شهامتها وإبائها رغم كراهية العرب لتولية النساء الحكم ، وهكذا حكمت العرب فى مأرب ـ بلقيس ـ جميلة الجميلات التى بنت العروش والهياكل والمعابد ! !

حضارة مأرب

وقد ذكر الله حضارة مأرب فى كتابه الكريم ، وتحدث عنها بالتفصيل ، كما أن الله جل جلاله تحدث عن عظمتها فى التاريخ عندما كان لسبأ فى مساكنهم آية ، جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور ..

بهذا وصف الله سبحانه وتعالى أرض مأرب ورزق أهلها من الجنات ما لا يوصف .

ولقد قامت تلك الجنات على مياه السد العظيم فى مأرب ، فقد كان يسقى المزارع على مسافة خمسة أيام بلياليها ..

وسد مأرب هذا كان من أعاجيب المدينة الغابرة ، وقد اختلف المؤرخون فى زمن بنائه وبانيه ، كما اختلفوا فى تصدع هذا السد العظيم فى كتب العرب وأشعارهم ، فمن المؤرخين من يقول إن الذى بناه هو لقمان بن عباد ، ومنهم من يقول إن الذى بناه هو سبأ الأكبر بن يستجب وأنه جعل بناءه فرسخاً فى فرسخ وجعل له ثلاثين مصرفاً للمياه ، وجعل بناءه من الصخر والقار لحبس سيول الأمطار ، ويصب فيه خمسة وسبعون فى المائة من جبال اليمن وأوديتها . وقد مكث ما شاء الله أيام حمير ولكن القوم لم يصونوا نعمتهم فكفروا بالله وطغوا واغتروا بأنفسهم وقوتهم ، فحطم سبحانه غرورهم وأغرق جناتهم ، واستبدلها بأرض قاحلة وقص قصتهم فى سورة سبأ من القرآن الكريم ..

كارثة السيل

ويصف محمد بن علي الحوالى فى كتابه «اليمن الخضراء مهد الحضارة» خراب سد مأرب وتفرق قبائل سبأ بقوله : كان لانفجار سد مأرب وتصدعه أثر عميق فى نفوس اليمنيين ، بل فى الجزيرة العربية جمعاء ، وشؤم على الحميرين ، ونكبة حادة ، وحدث تاريخى جلل غير مجرى تاريخ «الخضراء» السياسى ، والطبيعى .. ولروعة الفاجعة ، وعظم الكارثة نوه بها القرآن الكريم فى محكم التنزيل ذاكراً ما كانوا عليه من عز ونعمة وما آل من أمرهم من النعمة والبلاء .. والشتات والتفرق ، وكانت مأرب وتلك العواصم الكبيرة المتقاربة المتشابكة العمران والمكتظة بالسكان تضم أكبر أمة وأعظم الشعوب حيوية وثقافة ورجولة ، فعلى أثر تصدع السد تفرقت تلك القبائل فى الآفاق ، ومصداق ذلك قوله تعالى «وجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق» .

وبما أن خراب السد أحدث دوياً فى أصقاع الجزيرة العربية فقد ضربت العرب بهم المثل فقالوا : تفرقوا أيدى سبأ ، وذهب بنو فلان أيدى سبأ ..

ويضيف المؤلف واصفاً آثار هذا الحدث الجلل على سكان المنطقة بقوله : حاول التبابعة إعادة سالف رونقهم ، وبريق حضارتهم ، ورغيد عيشهم على غير جدوى ولما عرفوا أنهم معرضون لفيضانات دورية هجر أكثرهم بلاده ليقيم مملكة «الحيرة» ومملكة «غسان» .. وتنشىء خزاعة الأزدية «مستعمرة» الظهرين : وادى فاطمة اليوم وخلفت جرهم فى سدانة البيت الحرام الى أن أخذها منهم «قصى بن كلاب» جد النبى صلى الله عليه وسلم مقابل مال سلمه لأبى غبشان الخزاعى الأزدى والقصة مشهورة ، ونزلت بنو الأوس والخزرج أبناء حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن مزيقيا بن عامر «يثرب» وجعلوها دار قرارهم ومعقل عزهم ثم صارت فيما بعد متبوأ النبى الكريم ومأواه ومهوى أفئدة ملايين المسلمين .

قصور مأرب

وهكذا نرى أنه كان لحادث سيل العرم آثار كبيرة ، ترتب عليها تفرق القبائل الى الشام والعراق والحجاز ونجد وغيرها من البلدان العربية :

ومن عجائب قدرة الله سبحانه وتعالى أن الزائر لسد مأرب ينظر الخمط والأثل والسدر القليل المتباعد وكأن الآية الكريمة نزلت أمس الأول : «لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق



إعتاد اليمنيون على حمل « الجنبية » ، واصبحت من التقاليد رغم ان استعمالها نادر ، وتمنها يختلف باختلاف نوع وكثرة الزخرفة والنقوش .

ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ، فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط واثل وشىء من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور ، وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياماً آمنين ، فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور » .

وتعيش مارب جواً غريباً من الغبار والأتربة .. والرمال المتحركة ، ويبنى اليمنيون الجدد مدينة مارب الجديدة على أطلال قصر سلحين الذى يبدو تحتها مثل أكمة كبيرة مرتفعة وممتدة مسافة كبيرة لتتسع اليوم لبناء مدينة فوقها ، مما يدل على عظمة القصر وسعته ومناعته وكثرة الآثار فيه ..

وقد كان بمارب قصر سلحين والهجر والنشيب ، وعن قصر سلحين بالذات قال علقمة بن ذى جدن :

وقصر سلحين قد عفاه
ريب الزمان الذى يريب
تعوى الثعالب فى قراها
ما فى مساكنها غريب

ومن ضمن آثار مارب الغابرة أيضاً قصر غمدان ، وكان هذا القصر احد ناطحات السحاب التى كان اليمنيون هم أول من اخترعوها ، وكان هذا القصر عشرين سقفاً ، غرفا بعضها على بعض ، وقال فيه «الهمداني» :

من بعد غمدان المنيف وأهله
وهو الشفا لقلب من يتفكر
يسمو إلى كبد السماء مصعداً
عشرين سقفاً سمكها لا يقصر
ومن السحاب معصب بعمامة
ومن الرخام منطق ومؤزر
متلاحكاً بالقطر منه صخره
والجزع بين حروبه والمرمر
وبكل ركن رأس نسر طائر
أو رأس ليث من نحاس يزأر
والطير واقفة عليه وفودها
ومياهه قنواتها تتهدر
ينبوع عين لا يصرد شربها
وبرأسه من فوق ذلك منظر
برخامة مبهومة فمتى ترد
أربابه مدخولة لا يعسر

●●

إن مارب في يومها الحاضر لا تنسى حضارتها التى قامت بارض الخضراء عندما كانت عاصمة لدولة سبا ذات المجد الغابر ، ومازال أهلها يتذكرون كلمات «المسعودي» عن مدينتهم عندما قال : « ذكر أصحاب التاريخ القديم ان أرض سبا كانت من أخصب أرض اليمن وأثراها وأغدقها وأكثرها جناناً وغيطاناً ، وأفسحها مروجاً بين بنيان مرصوص وجسر مقيم وشجر مرصوف ومساكب للماء متكاثفة ، وأنهار متفرقة ، وكانت مسيرة أكثر من شهر للراكب المجد على هذا الحال إلى أن ينتهي إلى آخرها ، لا يرى جهة الشمس ولا يفارقه الظل لاستثمار الأرض بالعمارة والشجر واستيلائها عليها واحاطتها بها ، فكان أهلها في أطيب عيش وأرفهه ، وأهدأ حال وأرغده .. »

وهم يذكرون اليوم أمامك كل كلمات الغابرين ، متمسكين بذلك المجد الذي صنع حضارة ، ناظرين إلى غدهم بعيون المستقبل وأحلامه المتعددة ..

فوزى الخميس

حتى لا ننسى :

مدينة صفد

بقلم : يوسف الخطيب

إعداد الفنان : عزيز إسماعيل

تعتبر صفد من اعرق المدن الفلسطينية التى بناها اسلافنا العرب الكنعانيون منذ اقدم العصور فى شمالي فلسطين . وكلمة صفد قد تعني المعقل البالغ المناعة والتوثيق بالنظر لموقعها الجبلي الحصين . وهى تشترك فى اسمها العربى الصريح هذا مع صفد اللبنانية من اعمال بنت جبيل ، وكذلك مع صفد العمانية على ساحل الخليج العربى ، من حيث انطلقت الموجة العربية الكنعانية فى هجرتها الى فلسطين ، حتى ان الجبل الذى تقوم عليه مدينة صفد ذاتها ، ما يزال الى يومنا الراهن يعرف باسم « جبل كنعان » مثلما يعرف أيضاً وطننا الفلسطيني الصغير كله باسم « أرض كنعان » . ولعل أقصى ما يصل اليهود القدامى بهذه المدينة الكنعانية ، هو انهم حرفوا اسمها من « صفد » بالعربية ، الى « زفت » بالعبرية ..

ومع تأسيس « دولة اسرائيل » العنصرية على أشلاء الشعب العربى الفلسطيني فى ١٥ أيار ١٩٤٨ ، فلقد حول الغزاة هذه المدينة الفلسطينية بأسرها إلى مستوطنة يهودية خالصة لا أثر فيها لأى عربى من سكانها الأصليين ، حتى ان شاعرنا الفلسطيني سالم جبران ، من ناصرة السيد المسيح ، قد صرخ مرة وهو يجوب أزقتها المهودة : غريب أنا يا صفد / تقول البيوت ، هلا ، ويأمرني ساكنوها ، ابتعد / علام تجوب الشوارع يا عربي علاما / اذا ما طرحت السلام فلا من يرد السلاماً / لقد كان أهلك يوماً هنا / وراحوا فلم يبق منهم أحد !

فى هذه اللقطة الجزئية لمدينة صفد ، وهى مأخوذة من الجنوب الشرقى باتجاه الشمال الغربي ، تبدو لنا فى مقدمة الصورة بعض انماط منازلها الحجرية المؤلفة فى معظمها من طابق واحد ، وقد تكللت أسطحها بثلوج كانون ، بينما يقبع تحت سقوفها من يرغبون فى ذلك من الرسامين اليهود من شتى انحاء العالم ، ذلك بأن الغزاة الصهيونيين الذين قدمت لهم فلسطين كلها على طبق من الفضة ، قد تملكتهم الحيرة ، فى كثير من الأمثلة المشابهة ، ما الذى يفعلونه بكل المدن والقرى والوطن الفلسطيني الذى وقع لقمة سائغة بين أنيابهم الزرقاء ، فحولوا هذه المدينة الفلسطينية الى منتجع فني خاص لعزلة الرسامين الصهيونيين ، بينما أصحابها الشرعيون ينتظرون يوم العودة فى مخيمات لجوئهم خارج الحدود .

ثم اننا نشاهد مسجد الحي العتيق بالمدينة ، وهو الذى يصح اعتباره احدى الوثائق الدامغة التى نود ان ندرجها فى ملف منظمة اليونسكو العالمية ، حيث حول الاعداء هذا المكان الاسلامي المقدس إلى صالة تعرض فيها لوحات الرسامين العنصريين ، ويدعى اليها السواح الأجانب ممن يتعاطفون عادة مع عنصرية « اسرائيل » .

ان هذا الجانب من مدينة صفد يتكيء على سفح « جبل كنعان » الذى يرجع بالذاكرة ، كما أسلفنا ، إلى أصل بناة المدينة العرب الكنعانيين . وفيما وراء ذلك ، فى الصورة تماماً ، ينهض جبل الجرمق الذى يرتفع ١٢٠٨ أمتار عن سطح البحر ، وهو فى الوقت نفسه أعلى جبال فلسطين .

بقي أن نعلم أخيراً أن من أبرز أبناء صفد ، عبر تاريخها القريب ، الثائر الفلسطيني المقدام الشيخ ظاهر العمر ، الذى استقل بدولة عكا عن السلطنة العثمانية فى أواسط القرن الثامن عشر .

يوسف الخطيب



مدينة صفد .. أعرق المدن الفلسطينية في شمالي فلسطين .

الكتابة مرض العصر

بقلم : يوسف محمد سلمان

فى عدد سابق من الدوحة توقفت عند المقالة التى كتبها عالمنا الكبير الأستاذ خالد محمد خالد، وقد جاءت تحت عنوان : « عايش الحياة بفرح وخذها بقوة : هذه نصيحتي » .

والمقالة مفيدة وتعالج واحدة من أعقد مشاكل مجتمعنا العربى وهى السوداوية والتشاؤم . ويعرض علينا الأستاذ خالد محمد خالد نموذجاً من هذا النوع : شاب فى مقتبل العمر ، أنهى دراسته الجامعية ، وباستطاعته أن يعيش الحياة السعيدة لكنه يبدو كمن يحمل هموم الأرض . فى حديثه الحيرة والخوف . وقد رأى فيه الأستاذ خالد حيرة ومخاوف شبابنا العربى المعاصر .

لقد قرأت مقالة الكاتب باهتمام باعتبارها لا تعالج مشكلة شخص معين ـ إنها مشكلة جيل ، قد تكون مشكلتى أنا ومشكلتك انت . قد تكون مشكلة شخص ما فى مشرق الوطن أو مغربه . لماذا الحيرة والخوف ؟ لماذا السوداوية ؟ . لماذا الرعب ، والضباب والهزيمة و ... وغيرها من مفردات القاموس السوداوي .. ؟

القضية قضية جيل بكامله هو الجيل العربى . وقضية وطن هو الوطن العربى . ليست حلول مشاكلنا بالمال والاملاك والوفرة . لقد وجد المال لدى البعض بوفرة ولم تخلص مشاكلهم . هناك أمور أخرى لا نلمسها باليد . إنها أمور معنوية ونفسية تلاحقنا . هناك شعور بالهزيمة لا نستطيع أن نهرب منه ـ إنها أمور معقدة يمكن أن تكتب حولها المؤلفات العديدة . إنها سيكولوجية الانسان المقهور. هذا هو جيلنا العربى الذى ورث الهزيمة أباً عن جد. هذا الجيل الذى ولد فى الهزيمة ، وترعرع فى الهزيمة ، ولازال يأكل ويشرب مع الهزيمة ولازالت الهزيمة تلاحقه. هذا الجيل الذى يلهث ويلهث ، ليلحق بمركبة التقدم العصرية ، والاحباطات تلازمه وتلاحقه . هذا الجيل الذى أبصر أرضه مغتصبة ، ومقدساته محتلة ، وأهله ، وبني عمومته مشردين ! هذا الجيل الذى تلاحقه الهيمنة العنصرية بابشع أشكالها ممثلة فى الصهيونية العالمية . هذا الجيل الحساس المعذب يشعر ان قضية فلسطين ليست قضية شعب الخيام بل هى قضية كل إنسان شريف فى هذا الوطن . هذا الجيل الذى يسمع اخبار إغلاق جامعات الضفة الغربية ومظاهرات الجولان المحتل . هذا الجيل الذى يقف مبهوراً من الاكتشافات العلمية والتكنولوجيا الحديثة . هذا الجيل التائه لا يعرف من أين يبدأ ، ولا أين ينتهى ، ولا يعرف الطريق السريعة نحو الخلاص والحرية والتقدم . هذا الجيل البائس هو جيلنا يا أستاذ خالد .

وعالم اليوم أيضاً يشبع جسده وينسى روحه . الأزمة أزمة أخلاق . للأقوياء أخلاقهم ويجب أن لا ننتظر كرماً منهم وعطفاً علينا .

والحق يقال ان الكآبة والضياع مرض لا يخص الشعب العربى وحده إنه مرض يخص كل الشعوب النامية . ولا عجب فلدى تلك الشعوب المقهورة كما لدينا إرث ضخم من القهر والهزيمة والعبودية . عالم اليوم لم يستخدم العلم لخدمة الانسانية ، وعلاج المرضى . لقد استخدم عالم اليوم العلم من أجل قهر الشعوب، ويدرك الأستاذ خالد محمد خالد أزمة الشعوب المقهورة وبالذات أزمة شعبنا العربى حين يقول : « إذن فما هى أزمته التى تجعله يفكر فى الموت بعمق وفى الحياة بحزن وفى المستقبل بفزع ؟ ! إنها أزمة جيل بأسره كتب عليه أن يعيش فى عصر يضطرم بالمفارقات والتناقضات » .

إلى أن يقول « ولقد سقط الأب الكبير لكل عربى هذا الأب المتمثل بالوطن العربى » وماذا بعد سقوط الوطن ؟ لاشك عندما يسقط الوطن يكون الضياع . لقد سقطت فلسطين وأراض أخرى والبلاد العربية لازالت فى ضياعها ـ فهل ينتبه العرب للخطر الحقيقي ؟ وأرجو أن لا يفهم من كلامى هذا أني أؤمن بالسوداوية والكآبة وأدعو إليها ـ لا ـ ولكن الواقع يفرض علينا أن نشعر به . وأنا أقول إن سعادة المواطن نابعة من سعادة الوطن ـ وان الوطن السليب سيبقى سليباً ما لم تتكاتف الأسرة العربية لاسترجاع حقها المغتصب وقدسها الشريف . صحيح أن قوى كبرى تدعم عدونا الاسرائيلي ولكن الصحيح اننا أصحاب حق والحق أقوى من الباطل . فلا يجوز أن ننتظر من بعيد لنا حقوقنا ، ولا يجوز أن نيأس من إعادة هذا الحق . ولكن يجب أن نعرف الطريق لاعادة الحق . ولا طريق بدون توحيد الكلمة . فى الزمن الماضى صاحت امرأة فى عمورية « وامعتصماه » فكان فتح عمورية ـ فتح الفتوح ـ كما وصفه أبو تمام ـ واليوم آلاف النسوة يصرخن ولا مجيب ولا مغيث ـ ألا ليت شعرى لو كان المعتصم فى هذه الأيام أو لو عاش صلاح الدين هذه الأيام أو خالد ، أو سعد ، ماذا كانوا يفعلون .. ؟ وما هو شعورهم حين يشاهدون الأمة العربية ممزقة على هذه الحالة ؟ لا أدرى هل يصاب الواحد من هؤلاء العظام بداء العصر ـ الكآبة ـ أم يمتطي حصانه ويتقلد سيفه فى حطين جديدةأو يرموك جديدة ؟ وأنا أعرف أن الطريق الصحيحة هى بالاخلاص والوحدة والعلم والعمل بدون يأس. والفرحة تتحقق يوم يعاد الحق إلى نصابه ـ يومها لا تبقى كآبة ولا نحتاج أن ندرس سيكولوجية الانسان المقهور .

يوسف محمد سلمان ـ سوريا

مرثية لقمر الشوارع

شعر: محمد الظاهر



قمرٌ فى الشـــوارع
حجر فى الســـماء
والدماء
بوصلة
ترسم الاتِّجَـــاه
للخُطَى المقبِلَه

●●

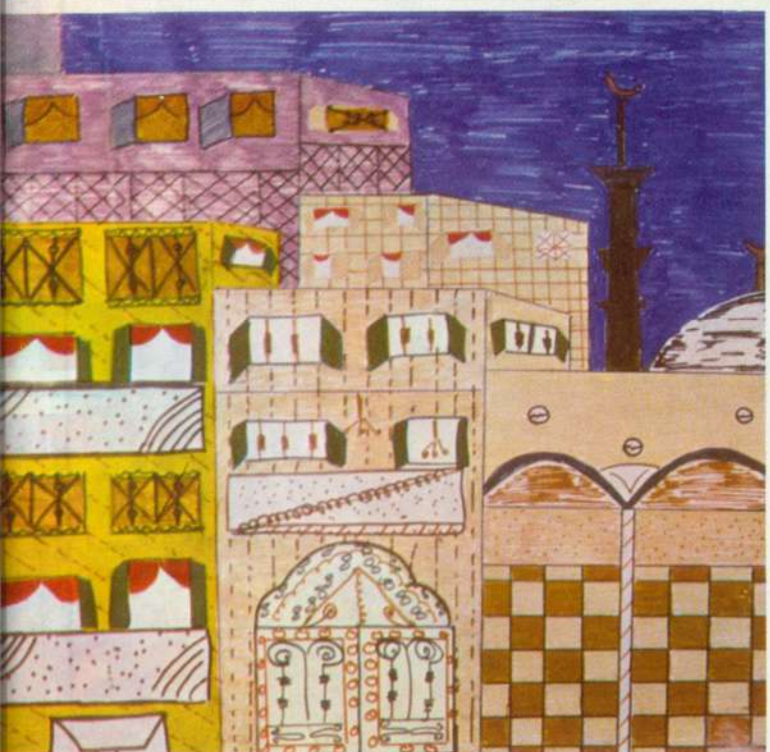
قمرٌ فى الشوارعْ
يحتذِى خوذَةَ الشرطِي
ويغلق دائرةَ المخبِرِين
جامحٌ كالجيـــادْ
خارجٌ من إطارِ الجِيَـــادْ
داخلٌ فى رحيق البلادْ
كلما فاجأَتْه البنادقُ بالموت
حاصَرَهَـــا بالحِجَاره
كلمـــا فاجأَتْه المـــدُنْ
احتَمَى بالوطَنْ
يجيءُ اليه غُبَارُ العَوَاصِمِ منفَعِلاً وثَقِيلاَ
فيدخلُهُ القلبُ إلا قليلاَ
يبلْوِرُهُ كرة من دَمٍ
يكورهُ حجراً
يمحورُهُ حولَ أُصْبعِه
ثم يلقى به فى فراغِ الشوارعْ

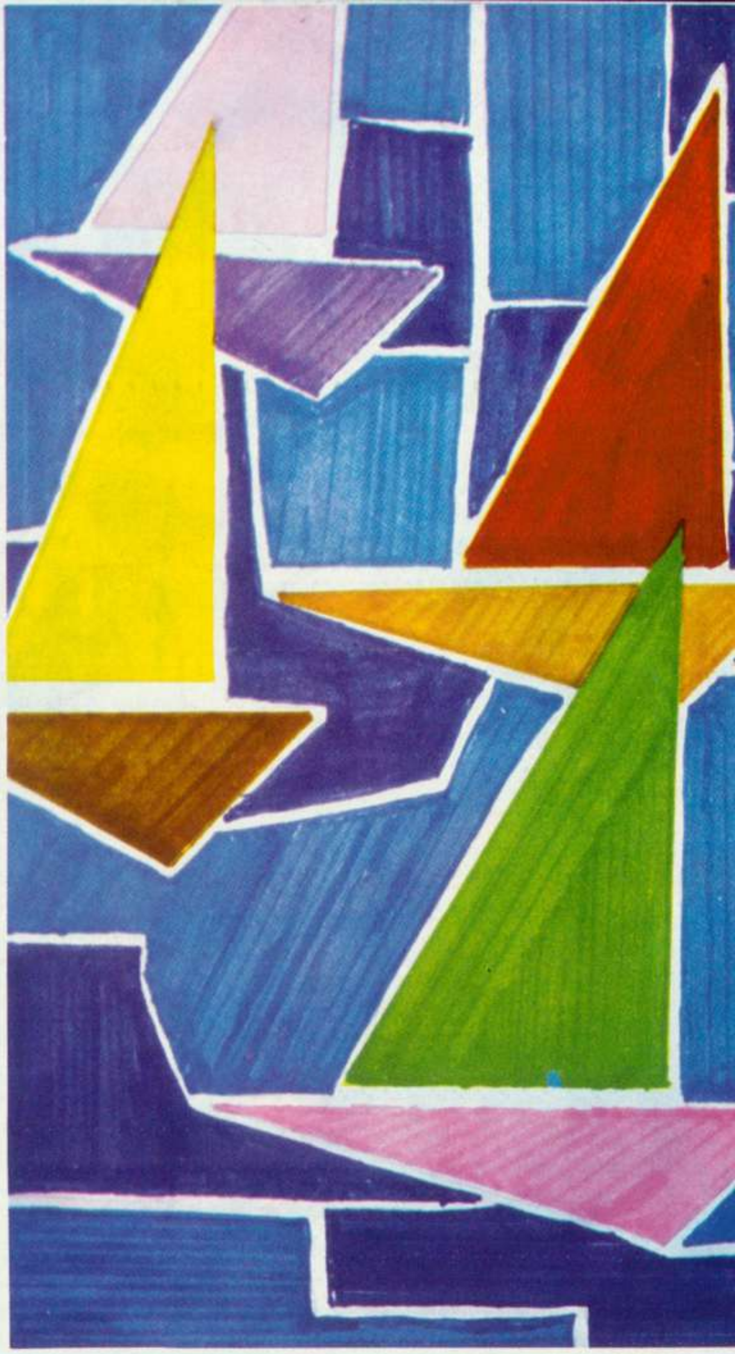
ويسرى الى وطنِ العشبِ والزرقةِ الدامية
يستنهضُ النخلَ والوقْتَ
يطفىءُ نَـــارَ الهُمُومْ
ويفْتَحُ بَابَ العَوَاصِمْ
يستقبلُ الوافِدِين
ويقطف فاكهةً للصِّغَارْ
ويرمي إلى جَسَدِ العائِدينْ
بمـــاءِ الفُجاءَه
وعِطْـــرِ البرَاءَه

●●

قَمَرٌ فى الشوَارِعْ
منفَعِلٌ بالتواريخ
متحـــدٌ بالبشارهْ
الحروبُ دفاترُه
يصنِّف الحِجَارَه
حَجَرٌ للعـــدو
حجرٌ للصديق
حجرٌ للمحيط
حجر للمَضِيق
يوزِّعُ مِقْلاعه إرْثَه بالتَّساوى
ويشرع لحم الجسد
تبارك هذا الجسد
تبارك هذا الولد
تبارك هذا الولد





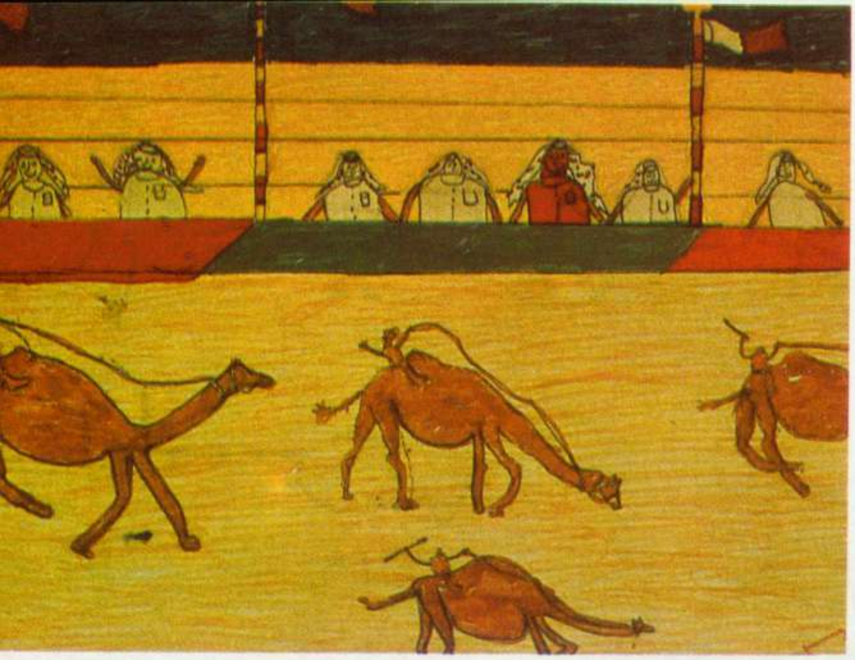


٤٥٠ طفلا في قطر

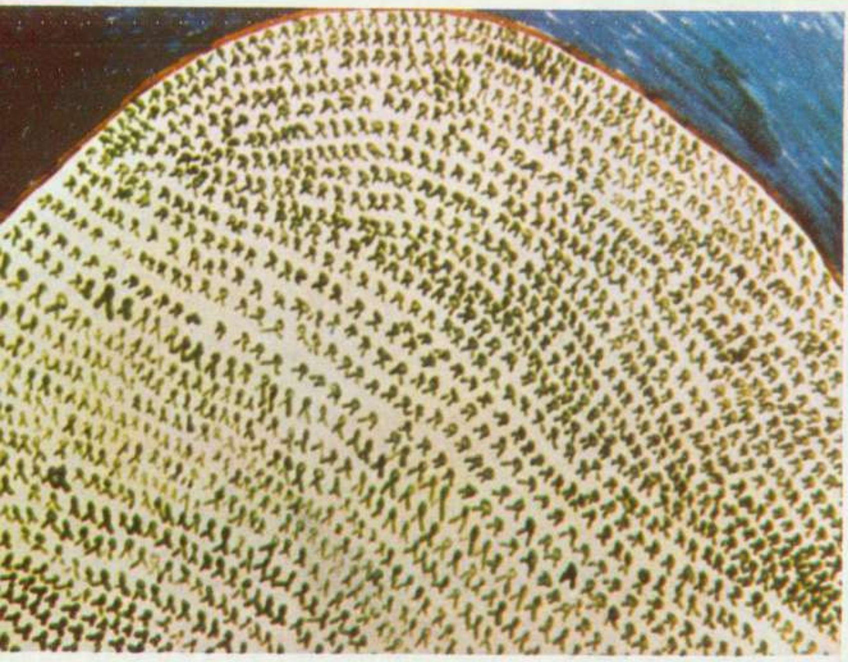
يشاركون في معرض لرسوم الأطفال

نــادية رزقـــ

- لا فرق بين لوحات أطفالنا ولوحات أطفال أوروبا إلا في تصوير البيئة والأحداث
- لماذا تركنا "سوبرمان" و"الرجل الوطواط" ليؤثرا في بعض رسومات أطفالنا؟









على هاتين الصفحتين مجموعة من لوحات قطر التى اشتركوا بها فى المعرض الذي أقيم بالدوحة، ومن بينها لوحات تقويم العلم الجديد الذي أصدرتــه ادارة المطبوعـــات والنشـــر

أطفالنا هم كنـز البشرية ومعدنها الثمين ..

إنهم أصحاب الأحاسيس الكامنة في ثنايا النفس، والقدرة الخلاقة التى تدفعهم الى ادراك ما فى الطبيعة من جمال وإبهار ورونق جذاب ..

وإذا كان علماء النفس يؤكدون بأن لكل طفل عالمه الخاص ، فان ذلك يجعلنا مطالبين بأن ننمى هذا العالم فى نفوس أطفالنا ، وأن نفسح الطريق أمامهم من أجل تنمية القدرات واكتمال المواهب وكشف الميول على أسس تربوية سليمة ..

ولهذا فان اهتمام الدول المتقدمة بفنون الأطفال لا يعنى سوى شىء واحد هو : بناء المستقبل على قاعدة سليمة ، وانشاء جيل قادر على العطاء ..



ومن هذا المنطلق كان اقامة معرض رسوم أطفال قطر ، تحت رعاية الأستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام .

وقد جاءت فكرة هذا المعرض لتشجيع مواهب الأطفال الفنية وإبراز مدى الأصالة الموجودة فى أعماق أطفال قطر ، تلك الأصالة التى تمتد جذورها الى أيام البحر والغوص ورحلات القنص وحب الأسفار !

المواهب الفنية

وفى لقاء مع موسى زينل مدير ادارة الثقافة والفنون قال : إننا لم نكن نتصور أن يأتينا هذا العدد الضخم من رسوم الأطفال بمجرد اعلان المسابقة ، لقد وصلت أعداد

٤٥٠ طفلا في قطر

يشاركون في معرض لرسوم الأطفال



« بائعة السمك » من رسم ثاني محمد راشد (١٤ عاما)



يوسف احمد



حسن الملا



هكذا عبر الطفل القطري عن عاداته وتقاليده بخطوط مبسطة والوان جذابة متناسقة



موسى زينل

اللوحات التي تسلمناها الى حوالي ٤٥٠ لوحة ، اخذنا منها خمسين لوحة فائزة بعد فرزها بواسطة لجنة فنية ..

وليس هذا المعرض هو كل ما في جعبتنا للطفل الفنان ، فمن اجل تشجيع فنون الأطفال ، تشترك إدارة الثقافة والفنون بلوحاتهم في المعارض المحلية والدولية ، كما تقيم أسابيع فنية تدعو اليها أطفال دول الخليج مع أعمالهم ، ونتمنى أن تاخذ مثل هذه المعارض الصفة الدورية على شكل مواسم فنية حتى يجد الأطفال اماكن لعرض لوحاتهم وإبراز مواهبهم الفنية !

أطفالنا والعالم

والواقع ان فنون الأطفال هي نافذة من النوافذ الهامة ، فعن طريقها يمكن معرفة ما يريده الطفل ، والمؤثرات التي تشكل شخصيته .. هذا ما يؤكده الفنان التشكيلي حسن الملا مراقب عام المراكز الثقافية الذي يدلل على مدى تاثير الطفل على من حوله ، حيث يعتبر فن الطفل هو المعلم الأكبر للفنانين الكبار ، مثل بيكاسو الذي قدم الكثير من ملامح رسومات الأطفال في لوحة كبيرة موجودة بمبنى اليونسكو بباريس ، ومن يراها لا يصدق انها لبيكاسو بل يعتقد أن صانعها أحد الأطفال .

ويعبر حسن الملا عن اعجابه بما راه في بعض الدول الأوربية مثل فرنسا والمانيا حيث تعرض رسومات الأطفال على جدران المستشفيات وعيادات الأطباء ، مما يعطي المكان بهجة وراحة نفسية ، كما أن كثيراً ما تصدر بعض الكتب الهامة وعلى أغلفتها رسوم الأطفال ..

وعن الفرق بين أعمال أطفال قطر ، ورسوم الأطفال في مناطق متفرقة من العالم فانه يرى أن الأفكار واحدة واستخدامات الألوان متشابهة ، والاختلاف لا ياتي إلا في تصوير البيئة والظروف المحيطة بالطفل فطفل فرنسا قد يرسم الثلوج بينما يرسم الطفل القطري شيئاً يعبر عن بيئته وما يدور حوله من أحداث ، وقد اشتركت طفلة عمرها عشر سنوات بلوحة عن أحداث لبنان ، وهذا دليل على أن الطفل يتاثر بما يدور حوله من ظروف سياسية واجتماعية .

ويطالب الفنان حسن الملا بضرورة الاهتمام بانتاج مواد اعلامية خاصة باطفال العالم العربي بدلا من تلك التي تستورد من الخارج ، فقد لاحظ أن كثيراً من اللوحات قد تاثرت ببعض الشخصيات مثل «سوبرمان» و «الرجل الوطواط» ، ولهذا فلابد من التركيز على التراث ، وانشاء صالة عرض دائمة لعرض أعمال الكبار والصغار على السواء ، وإن كان ذلك قد روعي في المراكز الثقافية التي تنشا حالياً في قطر حيث يوجد مكان دائم للأطفال ليمارسوا فيه مواهبهم الأدبية والفنية .

وليس أدل على بداية الاهتمام برسوم أطفالنا من انه قد افتتح قبل شهرين «بمركز بومبيدو» الثقافي بباريس جناح خاص لعرض رسوم أطفال العالم العربي .. وهذا المركز من أكبر وأحدث المراكز الثقافية والفنية في العالم .

لمن يرسم الطفل ؟

وعندما التقيت بالفنان التشكيلي يوسف أحمد رئيس قسم المعارض والفنون التشكيلية بادارة الثقافة والفنون قال ان إقامة هذا المعرض له معنى كبير ، لاننا عن طريقه نستطيع كشف نفسية الطفل بدون أي رتوش ، لأن الفرق بين الفنان الكبير والطفل ، أن الأول يرسم للآخرين ، بينما الطفل يرسم لنفسه ، وعندما يتخيل الطفل أي شيء فهو يرسمه دون الرجوع الى الواقع ، وقد أنتج الأطفال لوحاتهم مستخدمين ألوان الشمع والأقلام والطباشير وورق القص واللصق ، أما الموضوعات فتناولت أحداثا متنوعة ومختلفة ، وجاءت كلها تعبيراً عن انطباعات الأطفال وقدراتهم الفنية المبكرة ومواهبهم ، واستعمل الأطفال الألوان الأساسية مثل الأحمر والأصفر والأزرق ، بدون إضافة ألوان أخرى .. فالواقع أن الطفل فنان بطبيعته ، فهو قادر على عمل تكوينات والوان يستحيل أي فنان بالغ أن يفعل مثلها ، وهذا نتيجة لطبيعة الطفل الفطرية ..

ويضيف الفنان يوسف أحمد قائلا :

— إن بعض الفنانين العالميين مثل «بول

● من هم الفنانون العالميون الذين استفادوا من شفافية الأطفال ورموزهم؟
● اللقاءات مع الأطفال الفائزين تؤكد أن تشجيع البيت والمدرسة ينمي المواهب

كليه» و «ميرو» استفادوا من شفافية الأطفال والرموز التى يستخدمونها فى رسوماتهم ، وقلدوها ، وذلك لاختلاف تطابق الأشياء فى ذهن الطفل عن ذهن الفنان الكبير ، فقد يرسم أحد الأطفال شجرة بطريقته فتكون طويلة أو قصيرة أو زرقاء أو سوداء ، مثلما يراها هو فى ذهنه .. وهى موهبة موجودة عند الأطفال فقط ، ولذلك عندما يكبر الطفل يقابله أمران : الاتجاه الذاتى والمنظور البصرى ، وهناك اطفال يتحولون الى الحقيقة الكاملة ويرسمون ما يرونه فقط دون اضافة أى خيال واخرون يظلون بنفس نفسية الطفل ويرسمون بطريقته .. والطريقتان صحيحتان .

ولا يجد الفنان يوسف أحمد فى اشتراك أطفال العالم فى طريقة واحدة للرسم واختيار الألوان والتكبير والتصغير والتضخيم سوى شىء واحد هو أن نفسية كل الأطفال واحدة ، وأنها تتغير نتيجة للظروف المحيطة بها ..

ويطالب الفنان بضرورة الاهتمام أكثر بفن الطفل فتستمر المعارض وتنشأ قاعة خاصة لعرض أعمالهم ..

لوحات أطفال قطر

والواضح أن اقامة معرض لرسوم الأطفال ليس الاهتمام الوحيد الذى توليه الدولة لفنون أطفال قطر ، فقد اصدرت ادارة المطبوعات والنشر تقويماً للعام الجديد ١٩٨٣ يحتوى على ١٢ لوحة فنية للاطفال تتناول كلها موضوعات من البيئة مثل «قصة روتها جدتى» لأحمد ناصر (١٢ سنة) ، وهى تصور وداع الأهل الى البحر قبل الذهاب للغوص ، ولوحة أحمد حسين (٩ سنوات) التى رسم فيها أطفالا يلعبون فى المنتزه ، وسباق الهجن لسالم سعيدان (١٠ سنوات) وبائعة السمك لثانى محمد راشد (١٤ سنة) ولوحة جمال عثمان (١١ سنة) عن الربيع ، وشاطىء البحر لجاسم المنصورى (٧ سنوات) ورحلة لناصر عبد الرازق (١١ سنة) وساحة المدرسة لحصة مبارك (١٢ سنة) وجبل عرفات لحسام الدين سليمان (١٠ سنوات) والحديقة لسعيد المنصورى (١١ سنة) والعرس القطرى ، لسند عبد الرحمن (١١ سنة) والرقص التقليدى القطرى لسويدان محمد سويدان (١٢ سنة) .

والحقيقة أن اختيار هذه اللوحات كان موفقا للغاية ، ففضلا عن انها تعبر عن البيئة القطرية ورسمت بأيدى أطفال قطر ، فمن المدهش أن يرى كل شخص منا رسوم أطفالنا فى بيوتنا وداخل مكاتبنا الحكومية بل وفى كل مكان ..



محمد جاسم زينى



رانيا محمد السباعى



وجدى دلول

الفائزون يتكلمون

وكان من الضرورى أن نلتقى بالفنانين الصغار الذين أبدعت أيديهم مثل هذه اللوحات الرائعة .

وكان لقاؤنا الأول بالفائزة الأولى إيمان محمد عجينة (١٣ سنة) التى اشتركت بلوحة عن «موقعة الفيل» بالألوان المائية ، وقد اشتركت من قبل فى كل المسابقات المدرسية ، ولكنها تتمنى أن تمارس الرسم كهواية فقط وأن تصبح طبيبة ، وهى أيضاً تقوم بالحفر على الخشب .

وعبد الله غانم العلي (١٠ سنوات) وطالب بالصف الخامس ، فقد اشترك بلوحة عن (الأسماك) وكانت هذه أول مرة يشترك فى أحد المعارض ولم يكن يتوقع الفوز لعلمه أن كثيرا من الأطفال شاركوا مثله فى هذه المسابقة ..

أما صاحبة لوحة «آه يا بيروت» رانيا محمد السباعى (١٠ سنوات) وهى اللوحة التى لفتت الأنظار فتقول ان رؤيتها للأفلام التسجيلية للمذابح التى حدثت ببيروت هي التى أوحت اليها بهذه الفكرة ، حيث تاثرت كثيراً لمنظر الأطفال القتلى ، وقررت أن تشارك بهذه اللوحة فى المسابقة .

وعبير توفيق البردينى (٩ سنوات) طالبة بالصف الرابع هى وأخوها ماهر البردينى (١١ سنة) فنانان صغيران ، يتنافسان على جودة الرسم ، تشجعهما على ذلك والدتهما المدرسة حيث هى أيضاً تحب الرسم واشغال الابرة ، وقد فاز ماهر فى العام الماضى بالميدالية الذهبية بالمسابقة العالمية لرسوم الأطفال التى اقيمت بكوريا ، وكان الأول على اطفال قطر ..

أما منى محمد يوسف الحداد طالبة بالسنة الثانية الاعدادية رسمت لوحة عن العرس القطرى وهى تحب رسم لوحات من البيئة وفضلت ذلك الموضوع لأن الوانه مفرحة ، وكانت واثقة من الفوز لأن مدرسة الرسم دائماً تشجعها وتثنى على انتاجها .

ويقول محمد جاسم زينى ان والده الفنان المعروف جاسم زينى هو الذى حببه فى هذه الهواية ، ويشجعه بشراء أدوات الرسم له ، ولكن موضوع لوحته «بيت الفلاح» كان من تفكيره الشخصى وخاصة ان والده لا يفرض اسلوبا معينا عليه فى الرسم ، بل يوجهه من بعيد .

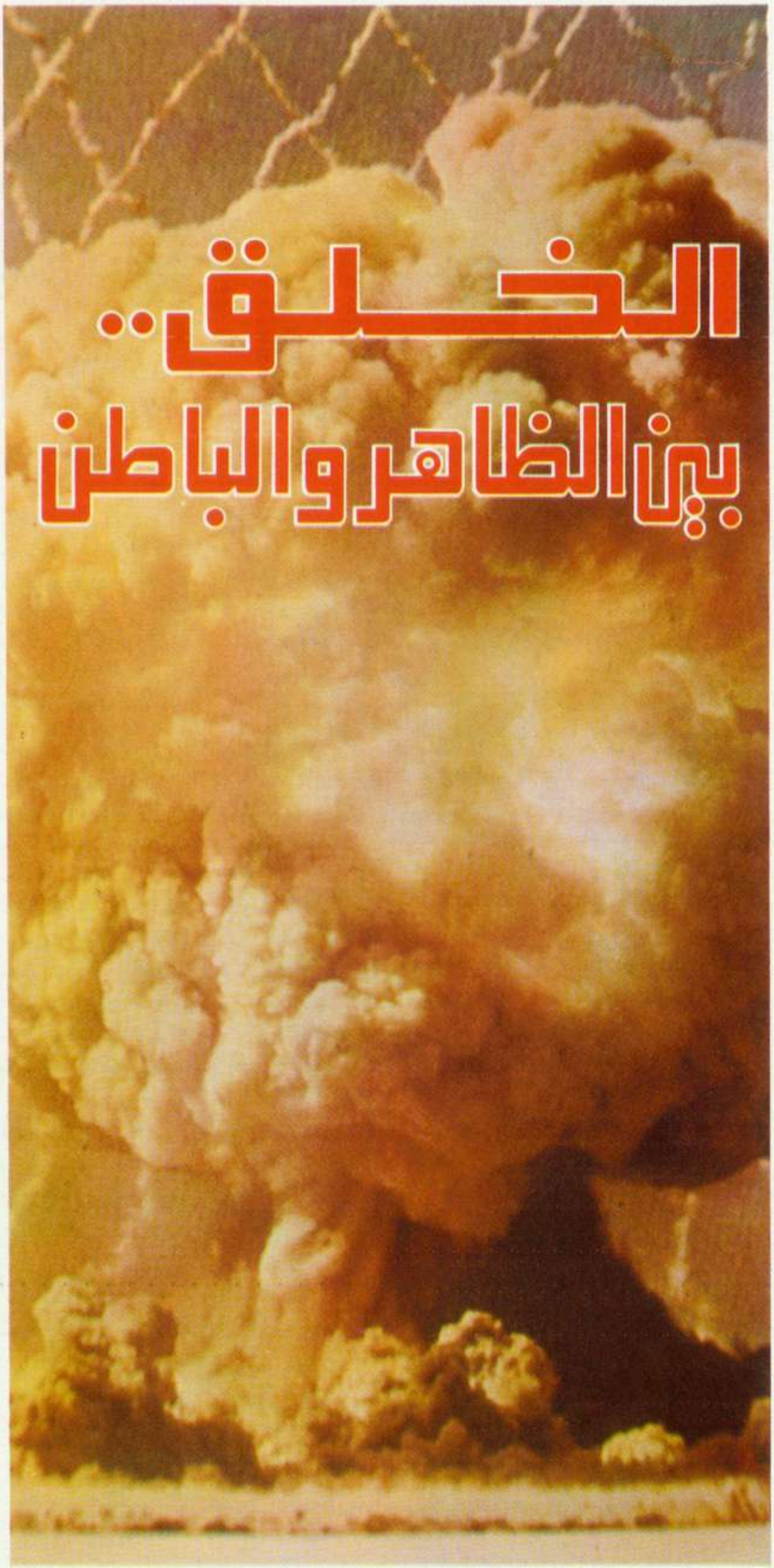
وأيضاً وجدى دلول (١٣ سنة) والده هو الذي يشجعه على هواية الرسم وقد اشترك بلوحة عن «الأمومة» ويتمنى أن يصير مهندساً ، ويرسم فقط فى أوقات الفراغ ، وكل لوحاته تعرض فى المعارض المدرسية وداخل الفصول ..

وتركنا عالم الأطفال برسوماته الساحرة، ذلك العالم الذى لم تلمسه بعد متاعب الحياة ، ومازال يحلق أصحابه فى الخيال الساحر البريء .

نادية رزق

د. عبد المحسن صالح

الخلق.. بين الظاهر والباطن



هذا التفجير النووي هو الدليل العملي على أن العلم التجريبي بأسرار المـادة يتمخض عن طاقات جبارة يمكن ترويضها في السلم ، أو استخدامها في الحرب .

بادىء ذى بدء ، نود أن نشير الى أن الدراسات السابقة التى عرضناها على صفحات هذه المجلة ، والتى تناولنا فيها الآراء المختلفة عن نظرية التطور ، وأصل الانسان ، قد أثارت العديد من وجهات النظر المختلفة ، وقوبلت بالسخرية والتهكم من البعض ، وتقبلها البعض الآخر قبولا حسناً ، وبين هؤلاء وهؤلاء ظهر فريق حائر بين القبول والرفض .. فأين حقيقة الخلق من كل ذلك ؟

وفى هذا المقال ، سنحاول الاجابة باختصار على هذا السؤال ، مستندين فى ذلك على الكشوفات الرائدة التى حققها العلماء التجريبيون فى أساسيات الخلق ذاته .. بداية من الذرة .. الى الجزيء .. الى الخلية .. الى المخلوق .. أياً كان نوعه وحجمه ورتبته بين الكائنات .

لكل خلق فكرة رائعة

إن العلماء الذين ينقبون ويبحثون فى أصل الكون والحياة ، لاشك أنهم يبحثون فيما خلق الله ، ولا شيء سواه ، وليس ذلك عيباً ، بل ينطوى ذلك على اظهار تجليات الله فى خلقه ، وتوضيح قدرته ، وكشف شرائعه فى كل ما خلق فسوى فأبدع .. ولهذا فان الخير فى أن نعرف ، والتقدم فى أن نعلم ، وعكس ذلك تخلف يؤدى الى ما لا تحمد عقباه ، خاصة واننا نعيش الآن فى عالم متطور ومتصارع بكل أبعاده ومعانيه وحاضرنا خير شاهد على ما نقول .

ثم ان الفرق الجوهرى بين التقدم والتخلف فى الحياة ، يعود الى مبدأ أساسى وهام ، ذلك أن سر التقدم يرجع الى فئة خاصة من الناس بدأت فى قراءة جيدة وعميقة لكتاب عجيب ، ذلكم هو كتاب الكون والحياة .. فحروفه وكلماته وجمله وفقراته تنبيء عن أفكار مذهلة ، وأحكام مقدرة ، ونظم متآلفة ، تسرى بقوانين لا خلل فيها ولا فوضى ، لكن سر التخلف ينصب على أمية واضحة «بآيات» هذا الكتاب .. ذلك أن كل خلق فى ذاته آية من آيات الله المحكمات .. وليس ذلك شططاً فى القول ، لأن القرآن الكريم ذاته قد ذكر عن آيات الخلق الشيء الكثير ، وعليها تفتحت عيون العلم ، وعنها أعرضت العقول التى لا تريد أن تتدبر وتعي ، ولو وعت وأدركت الأسرار ، لتنورت الأفكار ، ولتقربت أكثر من الله الواحد القهار ، ولعرفت الكثير مما



إن إدراك أسرار الكون والحياة ، يقوم على البحوث لا الكلام ... والصورة توضح منظراً من الجو لواحد من اكبر للفاعلات الذرية الأمريكية الذي تكلف اكثر من ٢٥٠ مليون دولار فى عام ١٩٧٢ ، ويبلغ محيطه ٦,٢ كيلومتر ، وفيه تنطلق الجسيمات الذرية بسرعة قريبة من سرعة الضوء ، لتضرب اهدافها لعل الذرة تبوح بمزيد من اسرارها .

يغيب عن السمع والحس والبصر والفؤاد ، وهو أيضاً ما أشار اليه الشاعر الصوفى بقوله :

وفى كل شىء له آية
تدل على أنه الواحد

فاولى هذه الآيات «سلالة الطين» التى خلق منها الانسان وكل أنواع الكائنات ـ ما خفى منها وما ظهر .. وهو ما عبرت عنه الآيات القرآنية «إذ قال ربك للملائكة انى خالق بشراً من طين» . «الذى احسن كل شىء خلقه ، وبدأ خلق الانسان من طين» .. «هو الذى خلقكم من طين ثم قضى اجلا» .. «ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً ، فكسونا العظام لحماً ، ثم انشاناه خلقاً آخر ، فتبارك الله احسن الخالقين» .. الخ .

ولاشك أن كل طور من هذه الأطوار ، مفعم بالألغاز والأسرار ، وقائم على فكرة من أروع الأفكار ، وعليها تتركز بحوث العلماء ليل نهار ، فادركوا أن هناك نظاماً من داخل نظام ونظام ونظام .. الخ ، حتى ولو كان النظام نظام طين !

ولنبدأ بالطين

وقبل أن نتحدث عن روعة الطين ، والأسرار المذهلة الكامنة فى الطين ، كان لابد أن نشير الى أن آدم انسان ، وبداية خلقه من طين ، وكذلك الانسان ، والى ذلك تشير الآية القرآنية الكريمة اشارة واضحة «إذ قال ربك للملائكة انى خالق بشراً من طين ، فاذا سويته ، ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين» !

لكن الطين بالنسبة للأفكار الدارجة طين لا فكرة فيه ، ولا نظام يمكن أن يحويه لكنه عند العلماء شىء آخر تماماً .. أو هو أكوان من داخل أكوان ، أو نظم من فوق نظم ، ولها سنن وشرائع واحكام ، وفيها نفحة من روح الله ، وعندما تحل فى الشىء يحل فيه النظام ، فاذا بدأت البداية بنظام جاء كل شىء على أساسها منظماً ومنسقاً ، ومن وراء كل شىء فكرة رائعة تظهر فيه وتتجلى .

فالطين من حبيبات .. الحبيبات من جزيئات .. الجزيئات من ذرات .. الذرات من جسيمات .. والجسيمات هنا هى بمثابة «ألف باء» العالم المادى .. أو هى أبسط «حروف» فى لغة كتاب الكون المسطور ، لكن فى هذه البساطة تاهت أعظم العقول ، لأن جسيمات الذرة ـ رغم ضآلتها المتناهية ـ تبدو وكأنما هى غابة كثيفة من الأسرار ، لكن لا علينا من كل ذلك الآن ، فالكلام فيه قد يتشعب ويطول ، ولنعد الى الطين ، فهو خليط من مركبات وعناصر الأرض ، ومن هذا الطين اختيرت سلالة من عناصر خاصة هى التى تدخل فى تكوين مادة الحياة فى الانسان والنبات والحيوان وهى ما نعرفها الآن بكربون وأوكسجين وايدروجين ونيتروجين وفوسفور وكالسيوم وصوديوم وبوتاسيوم .. الخ .. الخ .

والواقع أن ذرات كل عنصر متشابهة تماماً ، ولاشك أن الناس تميز بين فحم (كربون) وفوسفور وحديد ونحاس وفضة وذهب ورصاص وبلاتين .. الخ ، وكلها من جسيمات تآلفت فى ذرات .. لكن الغريب حقاً أن الذهب ذهب ، ليس لأن جسيماته التى تكون ذراته من ذهب ، ولا جسيمات ذرات الرصاص من رصاص ، بل يرجع هذا التنوع المثير الى عدد الجسيمات التى تكون نوى ذرات كل عنصر .. ففى نواة أى عنصر نوعان من جسيمات أساسية أولية هما : البروتون ـ أى الجسيم الأول الذى يحمل شحنة كهربية موجبة ، ثم النيوترون ـ أى الجسيم المتعادل الذى لا شحنة له .. لكن الذى يحدد «شخصية» ذرات العنصر الواحد وطبيعته هو عدد البروتونات التى فى النواة .. وهى نسخة طبق الأصل من بعضها البعض فى أية ذرة من الذرات .

ان الذهب ذهب ، لأن عدد البروتونات فى نواته ٧٩ بروتوناً (ودعنا الآن من الجسيمات المتعادلة ـ النيوترونات) .. فلو انك حذفت منها بروتوناً ، لظهر عنصر جديد مختلف ـ هوالبلاتين ، ولو اضفت اليها بروتوناً ، لكان الزئبق ، وبمثل هذه الفكرة المبسطة، والمذهلة تتكون العناصر المختلفة ، هذا رغم أن الأساس فيها واحد ، فلو انك اتيت لتلميذ يدرس العلوم وسالته: ما العنصر الذى فى نواته ست بروتونات ؟. لقال على الفور : انه الكربون ، وسبع بروتونات ؟ .. لقال : النيتروجين ، وبثمانية يظهر الأوكسيجين ، وبتسعة الفلور ، وبواحد فقط الايدروجين ، والكالسيوم بعشرين ، والمنجنيز ٢٥ ، والحديد ٢٦ ، والكوبالت ٢٧ ، والنحاس ٢٩ ، فلو اضفت الى ذرته بروتوناً ، لكان الزنك ، ولو حذفت واحداً ، لكان النيكل .. وهكذا دواليك !

الفكرة هنا فى خلق ذرات العناصر الكامنة فى الطين أو فى كل ما فى الكون ، فكرة تنطوى على بساطة ظاهرية ، لكنها ـ فى الوقت ذاته ـ تتمخض عن تجسيد مذهل ، وتنوع مقدر ومحير ، وجذب وإثارة لأولى الألباب ، وللباحثين عن المسببات والأسباب ، لأن كل فكرة فى الخلق سابقة ، سوف يتاسس عليها فكرة وأفكار لاحقة ، ثم نراها وهى تتشكل وتتطور فى أى نظام من النظم التى نشهدها فى الأرض والحياة والسماوات .

الخـلق: بين الظاهر والباطن



في المفاعلات الذرية ، او المعامل الكيماوية ، يتعامل العلماء مع الجسيمات والذرات والجزيئات ، والصورة توضح احد الاجهـزة المتقدمـة والمعقـدة ، وبهـا يمـكن الكشـف عـن اسـرار التفاعـلات التى تتـم بيـن عناصـر المـادة ، حـتى ولـو كانـت فى سـلالة من طيـن .

من الأبسط الى الأعقد

ولاشك أن العلم بطبائع الأشياء ، يفتح العقول على كل ما هو بديع ومنظم وأصيل ومن الأصول الجميلة التى ارسيت قواعدها فى كل خلق – صغر شانه أو كبر – نستطيع أن نعرف حكمة الخالق فيما خلق وهى حكمة تخفى على كثير من الناس ، فاذا تحدث العارفون بنظام الخلق ، ونشروا ما عرفوا على من لم يعرفوا ، فلاشك أنك ستجد بينهم المتقبل والرافض ، فاما الرافض ، فلا جناح عليه ، لأن عقليته قد توقفت عند حدود لا تحيد عنها ولا تميد. وربما لانه لا يريد أن يستوعب ما تمخضت عنه العلوم الحديثة من كشوفات عظيمة فى أسرار الخلق .. رغم أن هذه الأسرار هى دليلنا الى الخالق المقتدر «الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى» .

والواقع أن كل باحث فى ملكوت الله ، سعيد بما يبحث فيه ، وكلما بحث ونظر فى أصول الخلق أعظم ، تجلت له الحقيقة بصورة أقوم ، وعرف أنه يقف أمام نظم لا خلل فيها ولا فوضى ، ثم أن لكل نظام معادلاته وقوانينه التى توضح أن كل شيء قد جاء بحساب ، وسرى بمقدار !

ولنظم الكون والحياة علماء كثيرون ، لكن دعنا نختار من بينهم ثلاثة تخصصات كبرى فى الفيزياء الذرية أو الكونية ، وفى الكيمياء العضوية وغير العضوية ، وفى علوم الحياة أو الكائنات .. وفي هذه العلوم كتبت مجلدات كثيرة من فوق مجلدات ، لكن دعنا نختصر ذلك فى بضع صفحات ، لنشير الى العموميات دون الخصوصيات .. فعالم الذرة مثلا يرى أن كل عناصر الكون التى نعرفها قد اشتقت من ذرة الأيدروجين .. اخف وأبسط ذرات الكون على الاطلاق .. لأنها تتكون من نواة بها بروتون وحيد ، يدور حولها اليكترون وحيد وأحياناً ما يوجد لها نظيران ثقيلان (فى نواة احدهما نيوترون أو اثنان) .. والأيدروجين هو العنصر السائد فى الكون ويكون ٩٩٪ من كل عناصره ، وهو موجود بكثرة فى الشموس أو النجوم ، وفيها «يطبخ» أو «يحترق» فى تفاعل نووى جبار ، فيتحول من صورته البسيطة الى صور ذرية اخرى معقدة .. وهو هنا بمثابة «آدم» الذرات ، أو هو السلالة التى ظهرت من «صلبه» أو تكوينه كل الذرات الاخرى الأعقد .. هيليوم وكربون وأوكسيجين ونيتروجين وفوسفور وحديد .. الخ ، ويعنى هذا أن عملية التطور من الأبسط الى الأعقد تسرى من البداية فى الشموس ، كما سرت بعد ذلك فى الكواكب والكائنات ، لأن مادتها جاءت أساساً من التحول الذى حدث فى النجوم .

ثم يجيء كل من عالم الحياة والحياة الحفرية ليشيرا أيضاً الى أن كل الكائنات قد اشتقت من خلية أولى بسيطة كذلك ، وهى هنا بمثابة «آدم» الخلايا التى ظهر من صلبها كل أنواعها وسلالاتها .. فكل كائن حي ينشأ من خلية ملقحة ، ومنها تشتق بعد ذلك خلايا مختلفة ومتخصصة .. فمن خلايا عضلية الى جلدية الى دموية الى عظمية الى افرازية الى جنسـية الى كبدية .. الخ .. الخ !

وقد يحتار عالم الحياة فى سر هذا التنوع الغامض على مستوى الخلية والنسيج والعضو والمخلوق ، فرغم أن البداية دائماً خلية ملقحة ، إلا أن النهاية تتجلى فى كائنات مختلفة ومتنوعة لا نستطيع لها حصراً .. وعندما يدخل عالم الكيمياء الحيوية أو الجزيئات الوراثية بثقله فى هذا الميدان ، يصطدم بجيوش هائلة ومتنوعة من المركبات الكيميائية التى تسيطر على حياة كل خلية ، فيراها أيضاً تسير من بساطة الى تعقيد .. أى أن عناصر الغذاء تدخل بسيطة ، ثم تبنى فى الداخل الى ما هو أعقد وأعقد ، وأكبر وأكبر .. لكن ما الذى يسيطر على هذه المعمعة من التفاعلات ، ويوجهها الوجهة الصحيحة بداية من خلية الميكروب الضئيل الى خلايا الانسان العظيم ؟

خطة موحدة

إن الكشف عن هذا السر المثير قد جاء على يدى اثنين من العلماء ، أحدهما عالم حياة ، والآخر عالم فيزياء (هما كريك وواطسون اللذان حازا جائزة نوبل عام ١٩٦٢ فى الكيمياء الحيوية لكشفهما عن سر الشفرة الوراثية) .. فلقد كان معروفاً منذ زمن طويل أن الخلية الحية تحتوى على نواة ، وأن النواة «عقلها» المدبر ، أو ادارتها الحاكمة لكل ما حولها من بلايين البلايين من الجزيئات من كل شكل وحجم ونوع .. لكن كيف يحدث ذلك ؟

يحدث من خلال جزيئات وراثية هى «سيدة» كل الجزيئات التى اكتشفها العلماء على هذا الكوكب .. أو قل أنها بمثابة «آدم» الجزيئات الوراثية التى تخطط كل أمر ، وتنظم كل عملية ، وتوجه الحياة الى هدفها المنشود .

إن هذا الكشف – فى حد ذاته – أعظم وأروع كشف مثير يوضح لنا كيف أن «السلالة» من الطين قد انتظمت فى أشرطة كيميائية دقيقة غاية الدقة ، أو هى أشبه

باشرطة التسجيل التى عرفها الانسان حديثا ، مع الفرق الشاسع بين فكرة الله فى خلقه ، وفكرة الانسان فى أشرطته .. فعندما تشتغل أشرطة الحياة الوراثية ، فانها تستطيع ان تطبع نسخاً من ذاتها ، وبهذه النسخ المطبوعة تتكون خلايا جديدة ذات أنوية تحتفظ فى داخلها باشرطة الحياة التى تورث كل مخلوق صفاته التى يجىء بها الى الحياة !

الموضوع لاشك طويل ومتشعب ومثير ، ولا يكفيه مجلد كامل ، لان الأشرطة الوراثية ذاتها مخزن هائل من الأسرار ، او هى «ألف باء» الحياة .. لان لها شفرة موحدة بين كل الكائنات ، ويستوى فى هذا الميكروب مع الحشرة مع الباذنجان والحصان والانسان ، ومن معرفة أسرار هذه الشفرة ، بدأ العلماء فى تحقيق انجازات هائلة غابت عن مدارك معظم الناس ، وهى أخطر بكثير من نظرية التطور التى لا يرتاحون اليها ، لأن العلماء فى هذه الأيام بدأوا فى اعادة تشكيل الكائنات ، بمعنى انهم بدأوا فى نقل بعض الأشرطة الوراثية بين الأنواع المختلفة ، وبحيث أصبح من الممكن الآن اكساب النوع صفة أو صفات جديدة ليست واردة فى سجل خلق الكائنات ، وهذا أخطر ما فى الموضوع وسوف نفرد لذلك دراسة قائمة ، لنعلم ما لم نكن نعلم ، وما أكثر ما لا نعلم ، لأن خلقها قد توحد بدوره فى فكرة مذهلة .. ولقد تجسدت الفكرة فى أشرطة «لغاتها» الكيميائية موحدة ، لكنها اذا اشتغلت ، «عزفت» الحانا مختلفة ، لتؤدى الى أنواع متباينة ، مثلها فى ذلك كمثل الجسيمات الذرية الموحدة ، لكنها مع ذلك تعطى عناصر مختلفة ـ كما سبق أن قدمنا .

ولنعد الى الطين

إن سلالة الطين التى خلق منها الانسان والحيوان والنبات ، لا تعنى تسوية الطين على هيئة تماثيل او قوالب كما يتصور البعض ، بل ان التسوية أعمق وأروع من ذلك بكثير ، وهى تنطوى على فكرة تخشع لها العقول التى فى الرؤوس .. لأن الطين ذاته يحتوى على «لغة» مجسدة ، لكن «حروفها» متناثرة .. ولكى تتشكل ، فلابد أن تتجمع فى نظم أكبر فاكبر ، واتقن فاتقن وأعقد فأعقد !

ثم ان «حروف» الشفرة التى جاء على أساسها «ادم» الجزيئات ـ أى الجزيء الوراثى ، موجودة فى هذا الطين .. والطين يعنى تربة مبتلة بالماء ، وفى التربة عناصر شتى ، وشفرة الحياة الكيميائية التى اكتشفها العلماء فى الأشرطة تتكون من أربعة من العناصر الكائنة فى الطين : أى الايدروجين والأوكسيجين والنيتروجين والكربون ، ولاشك أن كل عنصر هنا بمثابة حرف «ألف باء» لغة الشريط الوراثى المتقن فى فكرته وتكوينه وطبيعته ، فهو بمثابة «لوح الحياة» المحفوظ ، أو سجلها المخطوط أو قدس الأقداس بين جماهير الجزيئات !

لكن .. كيف تالفت هذه العناصر الأربعة المشتقة من الطين ، لتصبح لغة وراثية مطبوعة على شريط ، لتترجم فيما بعد «بروجرامها» ، أو تحول «مخطوطاتها» الى مخلوقات شتى ؟

السؤال لاشك كبير ، والاجابة أكبر وأعقد ، لأنها تستلزم الماماً لاباس به باساسيات الفيزياء والكيمياء والاليكترونيات ، لكن يكفي أن نذكر هنا أن ذرات العناصر المختلفة قد جاءت ومعها أسباب تفاعلاتها مع غيرها ، وبحيث نراها تتحد وتنفصل ، أو تتجمع وتتفرق ، أو يحل بعضها محل البعض الآخر ، أو تتالف فى جزيئات صغيرة ومتوسطة وكبيرة وعملاقة وكانما هى مجتمعات دقيقة لها معادلاتها وقوانينها وشرائعها وأحكامها ، وهى فعلا كذلك ، لأننا نتعامل معها على هذا الأساس وبحيث نعرف مقدماً ، وتحت ظروف خاصة ومحددة ، ماذا سيجرى بينها ، أو كيف تتصرف ، أو تتغير طبائعها بين اتحاد وانفصال .. فاذا أضفت الى الجزيء منها (أو حذفت منه) ذرة أو شقاً (مجموعة ذرات صغيرة متحدة) ، تغير الحال ، بحيث يصبح الحلو مراً ، أو الدواء سماً ، أو المتعادل حامضاً ، أو الحامض قلوياً ، أو الأحمر أبيض أو أصفر أو أخضر .. الى آخر هذه المعمعة من بلايين الجزيئات التى كتبت فيها مجلدات من فوق مجلدات .

والى هذا الحد تختلف نظرة العلماء التجريبيين الى الطين عن نظرة الناس ، لأن الناس لا ترى إلا الطين ، ويراه العلماء نظماً ذرية وجزيئية متفاعلة ، وفيه السلالة التى يمكن أن تظهر على أساسها الحياة ، وتتشكل منها بداية الانسان أو غيره من كائنات .. ولا اختلاف هنا بين وجهة نظر العلماء ، وما جاء فى القران الكريم عن بداية خلق الانسان «انا خلقنا الانسان من سلالة من طين» .. وكذلك كان ادم ، لأنه مخلوق انسان ، وهو نوع محدد بين ملايين الأنواع من الكائنات ، وله صفاته التى تميزه عن أى نوع اخر .. كذلك جاء كل نوع بصفات تميزه عن غيره ، وهى جميعاً تشترك فى «سلالة الطين» ، أو العناصر المختارة لنشاة الحياة ، لكن القاسم المشترك الأعظم بينها جميعاً هو ذلك الشريط الوراثى المذهل الذى «كتبت» أو سجلت عليه صفات كل مخلوق .

التسوية بين فكرين

إن الاختلاف الأساسى بين الفكر العلمى والفكر الدينى ، ان خلق الانسان الأول هى قدرة الله ـ فى الفكر الدينى ـ على تسوية الطين على هيئة تمثال بشرى ثم نفخ الله فيه من روحه ، فدبت فيه الحياة .. لكن ذلك لا يحتاج الى فكر أو بحث فى الأساسيات التى تم بها ذلك .. انها قدرة ومعجزة وكفى ولابد أن يترك هذا الأمر لعقيدة الانسان فى المقام الأول ، لكن العقيدة العلمية ترى أن قدرة الله قد دبت فى كل شىء .. بداية من الجسيمات والذرات ، ومروراً بالمخلوقات ، حتى تنتهى بالأرض والكواكب والنجوم والمجرات ، ففيها جميعاً «نفخة» او نفحة من «روح» الله المبدع كل شىء .. ونفخة الحياة ليست مقصورة فقط على الانسان ، ولا كذلك التسوية .. فكل شىء يتسم بالتسوية أو التناسق أو النظام ، والبحث فى أساسيات هذا النظام توضح بحق قدرة الله «الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى» .. فكل شىء مخلوق لما هو له ميسر .. ميسر لنفسه ، وميسر لغيره ، ثم أوَلَيْسَتْ حياة الكائنات نفحة من روح الله ؟ .. إن الاجابة على ذلك متروكة لتقديرك ، فبقدر تعمقك فى «صنع الله الذى اتقن كل شىء» ، بقدر ما تتوصل الى اجابة سليمة ومقنعة .

ولكي لا يتشعب بنا الحديث ، دعنا نتعرض الى هذه التسوية أو التناسق فى «سلالة» الطين من جديد .. فكل ذرة فيه متناسقة .. عدد بروتوناتها تساوى تماماً عدد الكيترونانها التى تطوف حولها فى مدارات .. قوة الجذب بين النواة ، تساوى قوة الطرد بين الاليكترونيات الدوارة .. شحنات هذه تساوى شحنات تلك تماماً .. انه توازن على كل المستويات ، ثم ان طبيعة الذرة أو «شخصيتها» تتحدد فى نواتها ، لكن سلوكها مع غيرها تحدده الاليكترونيات التى تدور حولها فى مدارات

الخلق..
بين الظاهر والباطن

أو بالتحديد فى أخر مدار ـ المدار الخارجى ومن خلال التجاوب أو التالف بين المدارات الخارجية فى الذرات المختلفة ، تتكون الجزيئات فى الحياة وفى السائل والغاز والجماد .

إن مثالا واحداً هنا قد يوضح لنا بديع الصنع على مستوى الذرات ، لأن بناءها قد جاء بفكرة مذهلة ، ولناخذ هنا غاز الكلور السام ، وعنصر الصوديوم الحارق .. فلا هذا ولا ذاك تستقيم به الحياة ، لكن عندما تجتمع ذرات الحارق والسام ، فانهما يتحولان الى جزيئات من ملح الطعام ، وهو ملح لا هو حارق ، ولا هو سام ، بل يصبح بصورته الجديدة لازماً من لوازم الحياة .. فلقد غير الاتحاد بينهما من طبيعتهما الشرسة ، فجاء بطبيعة مسالمة .

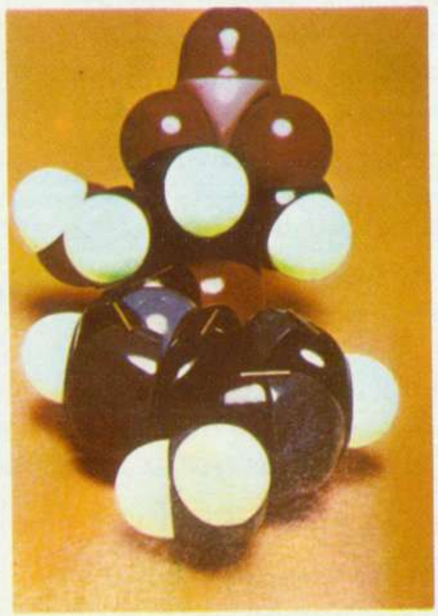
أو خذ غاز الأيدروجين الذى اذا مسته نار احترق بانفجار ، وخذ الأوكسجين الذى يؤجج النيران ، وبدونه تخمد .. لكن ما أن يجتمع المحترق والحارق ، الا وينتج عنهما جزيئات الماء .. ولا حياة بدون ماء !

والسكر فحم (كربون) وماء ، والحنظل كذلك ، والخل والزبد والزيت والعطور .. الخ .. الخ ، فلو انك أتيت لعالم من علماء الكيمياء العضوية بست ذرات كربون ومثلها من الأوكسجين ، وضعفها من الأيدروجين ، لكان من الممكن تكوين مئات المركبات المختلفة .. قد تكون حلوة أو مرة أو حامضية أو قاعدية أو ذات روائح عطرية أو منفرة ، أو بطعم مستحب أو ردىء ، أو لاطعم لها على الاطلاق .. كل هذا يتوقف على اعادة ترتيب أو تنظيم تالف هذه الأنواع الثلاثة من الذرات !

ثم أن هذه التباديل والتوافيق هي لعبة الحياة ولعبة العلماء فى معاملهم ليل نهار وهم فى هذا يتبعون سنة أو شريعة الذرات لأن التالف والتبادل والاحتلال والأكسدة والاختزال وما شابه ذلك ، ليست إلا عمليات ترابط أو تبادل بين الاليكترونات التى تطوف حول النوى فى مدارات .. ولتوضيح ذلك ـ وببساطة شديدة ـ كان لابد أن نشير الى أن المدار الخارجى للذرة هو الذى يقوم باتمام الصفقات الاليكترونية فاما أن يعطى ، وأما أن ياخذ .. لكن الأخذ والعطاء محكوم بشريعة الذرات .. ان المدار الخارجى لذرة الصوديوم ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ يحتوى على اليكترون وحيد ، كما أن المدار الخارجى



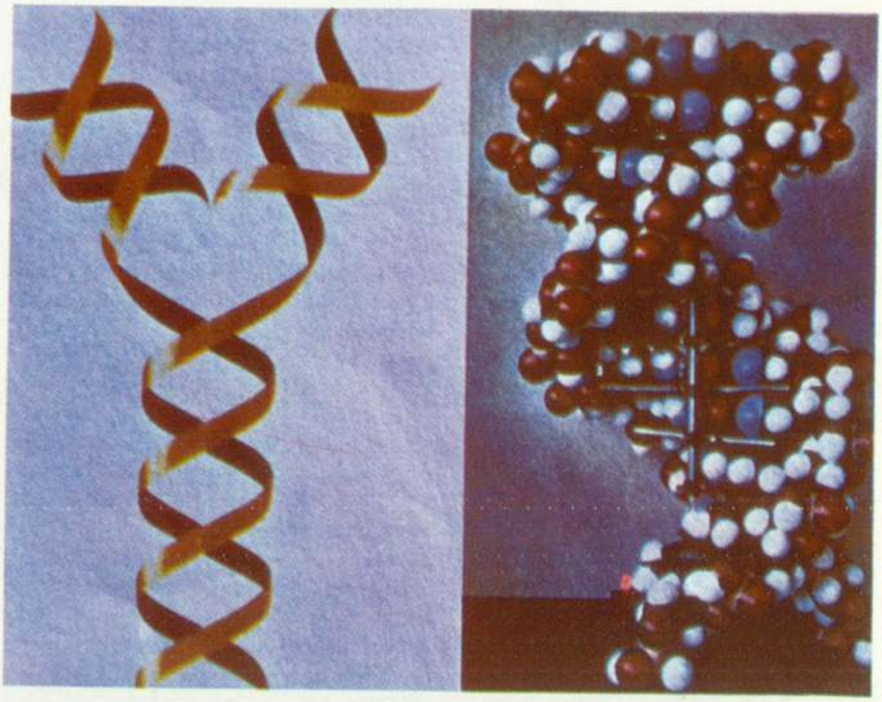
نموذج لجزيء من المضادات الحيوية التى تقوم بعض الفطريات الشعاعية بتكوينها من عناصر الطين الذي تعيش فيه (كربون وأوكسجين وايدروجين ونيتروجين) ، ومن الممكن طبعا تبادل مواقع هذه الذرات ، لتكوين ملايين من الجزيئات المختلفة .



نموذج لجزيء من الجزيئات العضوية البسيطة التى تنتشر فى جميع الكائنات وتؤدى فى خلاياها نفس الوظيفة وهذا دليل من الاف الأدلة التى توضح أن الخلق جميعه يشترك فى أسس واحدة.



من كربون وأوكسجين وأيدروجين ونيتروجين يمكن تخليق عائلة ضخمة من الجزيئات المختلفة شكلا ووظيفة وحجما .. كل هذا يتوقف على تبادل المواقع بين هذه الذرات ، لتعطي تشكيلات لا نستطيع لها حصرا .. وما نراه هنا ليس إلا نماذج تمثل قليلا من كثير .



« ادم » الجزيئات .. او الجزيء الوراثي الحلزوني الذي اشتقت من صلبه كل الجزيئات الوراثية المنتشرة في خلايا جميع الكائنات ، بما فى ذلك الانسان . فالى اليمين نموذج لانتظام ذرات الكربون والايدروجين والنيتروجين والفوسفور في تكوين مثير ، وكانما هو تكوين مجدول . والى اليسار شكل مبسط للجزيء المجدول ، وقد انشق طوليا من وسطه ، ليكمل كل شق نفسه ، فيصبح الشريط المجدول شريطين مجدولين .

لذرة الكلور يحتوى على سبعة ، ودائماً ابداً تتوق الذرات للاحتفاظ بمدار خارجي يحتوى على ثمانية ، فاذا حل الصوديوم فى رحاب الكلور ، حدثت صفقة اليكترونية رابحة .. فيتخلى الصوديوم عن اليكترونه الوحيد الذى يسكن طابقاً او مداراً قائماً بذاته ، وكانما هو يريد أن يريح نفسه من عبئه ، وتتقبل ذرة الكلور هذا الاليكترون قبولا حسنا ، لتكمل مدارها الناقص ، فيكتمل بسكانه ، ويصبح ثمانية ، ومن هذا التبادل يتكون كلوريد الصوديوم أو ملح الطعام .. كذلك ياتى الأوكسجين بمدار خارجى به اليكترونات ستة ، ولكى يكتمل بثمانية ، فعليه أن يتقبل اليكترونين ، وتجيء ذرتان من الأيدروجين لكى تعطيه كل منهما اليكترونها الوحيد ، وعندئذ يظهر الماء : الواقع أن جزيء الماء يتكون من أوكسجين مترابط مع اثنين من الأيدروجين

الموضوع طويل جدا ، لكن من خلال هذه الفكرة البسيطة فى ظاهرها ، والعميقة فى مغزاها ، تحدث أيضاً عمليات تسوية الحساب بين عناصر الطين ، وتهيئها للدخول فى تفاعلات كثيرة ، ومن وراء ذلك عوامل طبيعية قدرت تقديراً حسنا من البداية ، فتتشكل وتتطور وتتعقد فى مركبات كثيرة من خلال شريعة التسوية الاليكترونية التى أرسى الله قواعدها بين هذه المجتمعات غير المنظورة من قديم الأزل .. وهنا تكمن قدرته ونظامه ، فكانما كل شيء قد تهيأ فى سلالة الطين ، لتنشأ على أساسه جزيئات متنوعة ، وعلى رأسها الجزيئات الوراثية العملاقة التى تحكم وتنظم وتشكل كل ما حولها من جزيئات شاردة ، فتحيلها من صورة إلى أخرى ، حسب خطط منمقة ، وبروجرامات مقدرة ، وهو ما سوف نتعرض له فى دراسة قادمة .

عودة على بدء

إن من أراد أن يقدر الله حق قدره ، فعليه أن يبحث فى آيات خلقه ، ليتجلى له بديع صنعه ، فيراه فى الجسيمات كيف تجمعت ، والذرات كيف تآلفت ، الجزيئات كيف تنوعت ، والخلايا كيف تسلسلت ، والأجنة كيف تشكلت ، والكائنات كيف سلكت ، والأفلاك كيف سبحت .. وفى كل هذا وغيره يبحث العلماء التجريبيون ، فيتبين لهم أن لكل شيء أساساً ، ولكل أمر بداية أوحت فيه سننه وحياً جميلا ، وشرعت له قوانينه تشريعاً بديعاً .. ولاشك أن من يعاين ويرى ويعلم ، لا يستوى مع من لا يعاين ولا يرى ولا يعلم .. « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . وهو علم بآيات الخلق على أية حال !

فبالعلم التجريبى تتقدم الدول وتسود ، لأنها ادركت نظام الله فى خلقه ، وهو نظام لم ينشأ من فراغ ، بل له أسس وقواعد ، وأصول ، ومن أجل هذا كان الكشف مثمراً ، والتطبيق موفقا ، لأننا تعلمنا من نظام الله فى ملكوته ، وهو خير علم ، من خير مرجع يمكن الرجوع إليه ، والاعتماد عليه ! .

ولاشك أن البدايات جميعها كانت جسيمات أولية ثلاثة (اليكترون وبروتون ونيوترون) ، لكنها عندما تتآلف ، تنشأ منها ذرات عناصر طبيعية تختلف اختلافاً بينا .. ومن هذه الثلاثة ظهر ٩٢ عنصراً (عدا ما قام الانسان بتخليقه) .. فكانما هذه الجسيمات الثلاثة كانت بمثابة الشفرة أو الحروف الاولى فى « ألف باء » الكون ، ثم قدرت الأمور تقديراً حسنا ، لتصبح الذرات بدورها شفرة جديدة فى تكوين بلايين فوق بلايين من جزيئات أو المركبات الكيميائية المختلفة ، وهى دائمة التفاعل بحسب الظروف السائدة حولها ، ثم ظهر من بينها جزيء وحيد وثمين وفريد — هو الجزيء الوراثي ، وكان بدوره بمثابة الشفرة المذهلة التى تمخض عنها كل هذا الطوفان الهائل من أنواع الكائنات . ملايين فوق ملايين .. صفاتها وطبائعها مسجلة على شريط او أشرطة لا يدخل فى تكوين « حروفها » الأولى الا أربعة عناصر لا غير ، تمخضت عن أربع شفرات كيميائية لا غير .. ومع ذلك يتمخض عنها بلايين فوق بلايين من البشر ، ودون أن تتشابه الوجوه ولا الالوان ولا الطبائع ولا الأصوات .. الخ ودعك اذن من التنوع بين ملايين الأنواع الأخرى التى تشاركنا الحياة على هذا الكوكب .

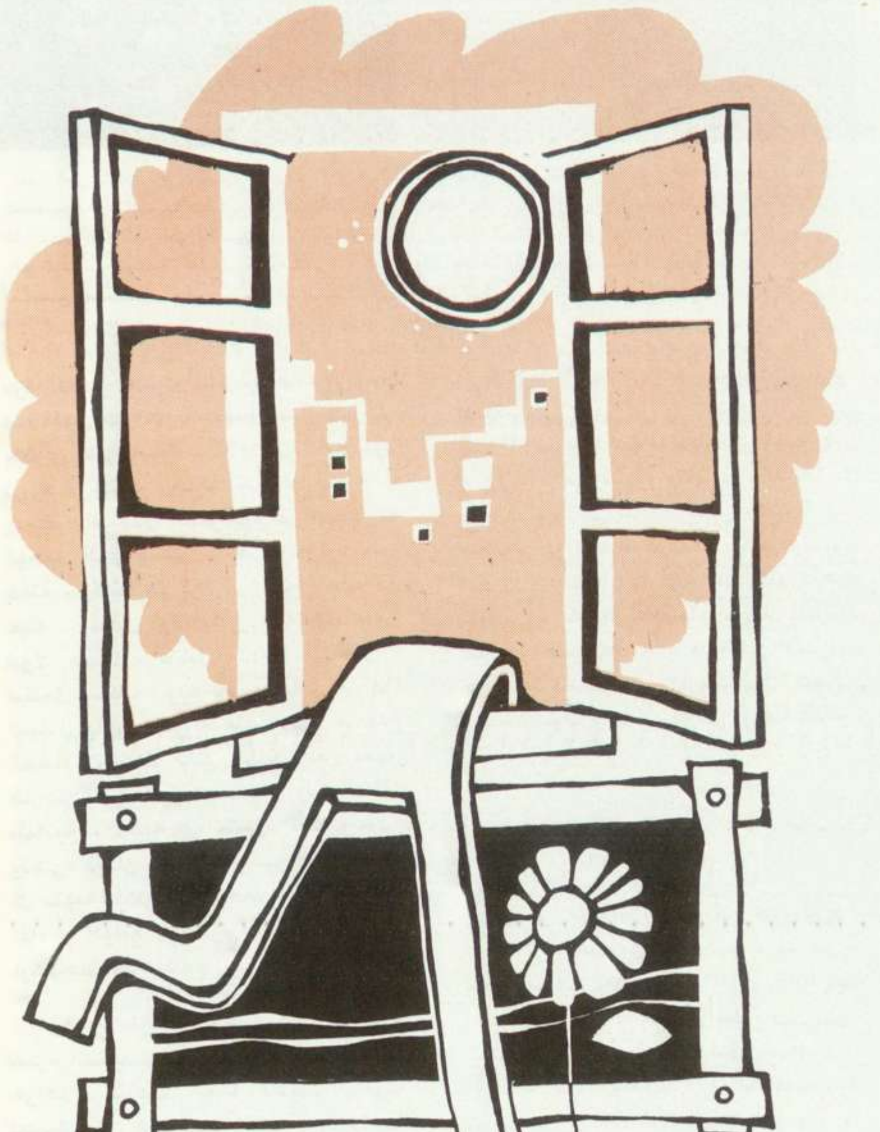
إنها — كما ترى — فكرة تتبعها فكرة من وراء فكرة وهكذا ، أو خلق من فوق خلق وخلق وهلم جرا ، فهل يمكن أن يؤدى كل هذا الى انكار منا لبديع صنع الله وهو فى كل شيء باياته يتجلى ؟

وإلى أشرطة الحياة سنعود فى دراسة قادمة ، لنرى مزيداً من اسرار الله فى خلقه فهى الدليل إليه ، والشاهدة عليه .. واللهم الهمنى إيمان العلماء .. « وقل رب زدنى علما » ! .

د . عبد المحسن صالح

الركض في مكان مغلق

قصة بقلم : مصطفى أبو النصر



– ١ –

الجلسة المعهودة أمام المكتب . الجـو الحار الخانق . الرائحة النتنة تقتحم الانف . الغرفة ضيقة ، مكدسة بالملفات ، عامرة بالفئران . لا شيء يمكن أن يفعله احد .

عندما يُفتح الباب ، يندفع الجميع . الكل يطالب بما له من حقوق . انظر إليهم ولا أستطيع حتى أن اتنفس . يجب ان اضع حداً لكل هذا . كنت أعرف ما يجب ان يقال ، ولكن كيف أقوله في هذه اللحظة ؟

وقفت . طردتهم . أغلقت الباب على نفسي ، وأشعلت النار في كل شيء ، ثم قفزت من النافذة .

تجمهر الناس . جاءت سيارات الاطفاء . انتهى كل شيء إلى رماد .

في الحق أردت أن أرى حريقاً . عندما تشعل الموقد ، أتأمل اللهب الأزرق المتوهج في بهجة حقيقية ، واتمنى لو أستطيع ان اظل واقفاً أمامه حتى النهاية .

سألتني : ما الذي كنت تريد ان تفعله ؟

اجبتها : أن احرق كل شيء .

سألتني : لماذا ؟

قلت : أنت لا تعرفين شيئاً .

هزت راسها وتركتني وحيداً . اشعلت سيجارة ، وتركت عود الثقاب مشتعلا حتى خمد . كنت سعيداً .

● ●

هانذا الآن أقف خلف قضبان حديدية . الاصابع كلها تشير إلى المجرم . أنا هو ذلك المجرم . كان السؤال الأول الذي ألقى على هـو :

– لماذا طردت الناس ؟

– كانت رائحتهم كريهة ، لم أطقها . كان لابد أن أفعل ذلك .

– ولكن لديهم مصالح عندك !

– هذا لا يعنيني .

وكان السؤال الثاني هو :

– لماذا أشعلت النار في الغرفة ؟

ـ كانت مليئة بكل ما هو قذر ، فاردت ان تخلص من كل ما هو قذر .

● ●

الغرفة معتمة . لم أعرف اى وجه ، لأننى لم أر أى وجه . جلست القرفصاء فى ركن ضيق ، ورائى جدار بارد رطب ، فشعرت ببرودته تسرى فى ظهرى ، فجاة ، انتزعونى من مكانى .

قال ضابط تلمع على كتفيه النجوم :

ـ يجب أن تتكلم بصراحة . ما الذى دفعك إلى حرق كل شىء ؟

ـ ....

ـ ألن تتكلم ؟

● ●

ـ ....

قال لى الطبيب : اجلس ، فجلست . استلق ، فاستلقيت . ثم كشف عليَّ وسالنى :

ـ هل كنت تشكو مرضاً وانت صغير ؟

ـ كلنا مرضنا ونحن صغار .

ـ ماذا تعنى ؟

لم اجبه بشىء ، وانما هببت واقفاً ، ووليت هارباً .

ـ ٢ ـ

فجاة ، انطفأ المصباح ، وساد الظلام . سرت همهمة انبعث من بينها صوت :

ـ هل مع احد علبة كبريت ؟

ـ ها هو .

ـ أين انت ؟

ـ هنا .

ـ لا أراك .

ـ ولا أنا أيضاً .

سمعت حركة ، ثم انطلق صوت :

ـ حاسب ، كدت تفقا عينى .

ـ آسف .

بعد صوت احتكاك ، اشتعل العود . على ضوئه الخافت المرتعش ، رأى كل منهم شبح الآخر .

لم تمض لحظة ، حتى ساد الظلام ثانية

ـ لا فائدة ، ليس لدينا شمع .

لم يعلق أحد على ما قيل .

ـ لماذا أنتم صامتون ؟

ـ ماذا نقول ؟

ـ نواصل حديثنا .

ـ لا معنى للكلام فى الظلام .

ـ لماذا ؟

ـ الكلام ليس مجرد الفاظ ، إنه تعبير ومشاركة .

نفخ أحدهم فى ضيق :

ـ دعونا من هذا .

ـ ماذا تعنى ؟

ـ لنظل صامتين حتى يعود النور .

بعد فترة ، قال آخر :

ـ أريد أن انصرف ، يبدو أن فترة الظلام ستطول .

ـ انتظر ، ربما عاد بعد قليل .

ـ كلا ، الجو خانق . لا أحتمل الحرارة مع الظلام .

تأفف ثالث :

ـ لماذا لا نسكت ، ونقبل الأمر الواقع ؟

ـ ولماذا نسكت ؟ .

ـ لأنه لا حيلة لنا .

سمعت حركة إرتطام خفيفة .

ـ من الذى تحرك ؟

ـ إنه أنا .

ـ إلى أين ؟

ـ سأفتح النافذة .

حين فُتحت النافذة ، تسرب ضوء خافت .

ـ فى الظلام تتساوى جميع الأشياء .

ـ وفى النور تظهر الحقائق سافرة .

انطلقت ضحكة :

ـ صرنا جميعاً فلاسفة .

ـ كفى سخرية .

ـ تلك هى الحقيقة .

ـ أين هى ؟ إننا نبحث عنها فى النور ، فى الظلام ، ولم نصل إلى شىء .

سادت فترة صمت .

ـ يبدو أن النور لن يعود ، سانصرف .

ـ وأنا أيضاً .

ـ وأنا كذلك .

ـ لقد أفسدوا علينا الليلة .

انطلقت ضحكة أخرى :

ـ كلامكم .

ـ يالك من ذكى !

ـ ألم تفهم بعد ؟

ـ ماذا ؟

ـ لا شىء ، لا شىء .

ـ ٣ ـ

كنا فى مكان معتم ، وكان كل منا يعتقد أن ثمة شيئاً ما لابد أن يحدث . كان الاحساس بالتوقع قد أمدنا بما يشبه الحدس ، ومن حين إلى آخر كانت أنفاسنا تتلاحق بسبب من خوف داخلى سيطر علينا .

حاول واحد منا أن يكذب على نفسه ، وربما علينا أيضاً ، فقال فى صوت خافت كالفحيح : إن ما يعترينا إن هو إلا حالة طارئة لن تلبث وتزول .

كنا ـ طبعاً ـ على استعداد أن نصدق ذلك أو على الأقل لا نكذبه ، فالرغبة فى التخلص مما نحن فيه ، كانت رغبة حقيقية نحاول بها أن نبدد هذه الظلمة المتراكبة .

غرقنا فى الصمت ، غير أن عقولنا كانت تعمل فى إصرار ، ولم تكن الصور التى تتراءى لنا إلا الدليل على مدى ما أصابنا .

تساءلت : هل يمكن لأحدنا أن يخترق هذا السكون بضحكة تبدد ما فى نفوسنا ؟

لا يمكن الجزم بشىء ، فالضحكة لم تنطلق ، فضلا عن أن المحاولة نفسها ربما لم تخطر على بال أحد آخر . ومنذ اللحظة الأولى كان مستحيلا أن يسال أحدنا نفسه ـ حتى لو فرضنا أن الضحكة قد انطلقت ـ عن معناها . هل هى ضحكة ساخرة أم يائسة ؟ هل هى ضحكة نابعة من قلب خلى أم أنها الدليل الذى كنا نبحث عنه ؟ ولكن الاجابة كانت مستحيلة ، فما لم يحدث ، من الصعب التنبؤ بكنهه .

كان الاحساس بالزمن قد انعدم ، وتساوى الليل والنهار ، فما نحن فيه لم يكن ليلا ولا نهاراً ، وانما هو كتلة متحجرة من كيان مجهول خارج عن معارفنا السابقة كلها .

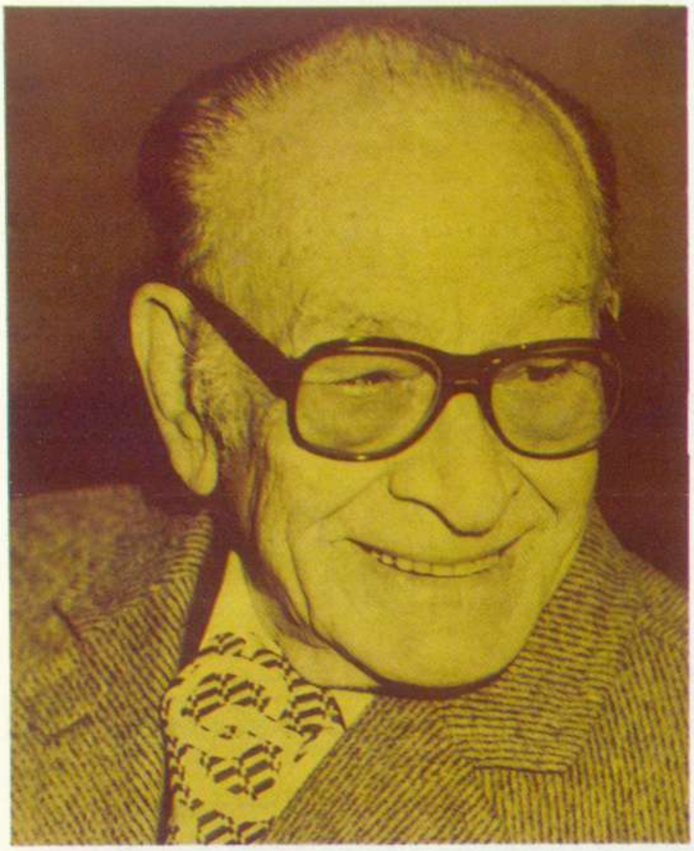
بدأنا الركض ، والأصوات المبحوحة أخذت تتعالى حتى احتوتنا نغمة لا شكل لها ، ولكنها ظلت مستمرة ، وكان إصراراً داخلياً قد أمدنا بطاقة غير محدودة لمواصلة هذا الركض المزعوم .

فى النهاية كانت النتيجة قاصمة ، وما كان أحد منا يتوقع ما حدث ، إذ أن صوتاً غريباً مجلجلا كجرس نحاسى ضخم ، انطلق محذراً يأمرنا بالصمت .

كان يمكن أن تنكتم الأنفاس ، بعد أن يكون الخوف قد أطبق علينا ثانية ، ولكن كما لو أن اتفاقاً بيننا ـ غير مسبق ـ جعلنا نستهين بما سمعنا ، فواصلنا الركض فيما يشبه صلاة جماعية فى قلب كهف مهجور .. ولكن إلى متى ؟

لابد أن هذا السؤال ، قد جال فى خواطرنا ، الواحد بعد الآخر ، فقد بدأ الصوت ، صوت أنفاسنا يخفت ويتضاءل رويداً رويداً حتى تلاشى تماماً ، وعادت لحظة السكون من جديد .

مصطفى أبو النصر



زكى طليمات .. ريادة بنت طوبة فى معمار المسرح العظيم

آخر حوار مع : زكي طليمات

بقلم : مفيد فوزي

زرع المسرح في أرض بور وحصد مواهب غالية وأسماء لامعة

— ١ —

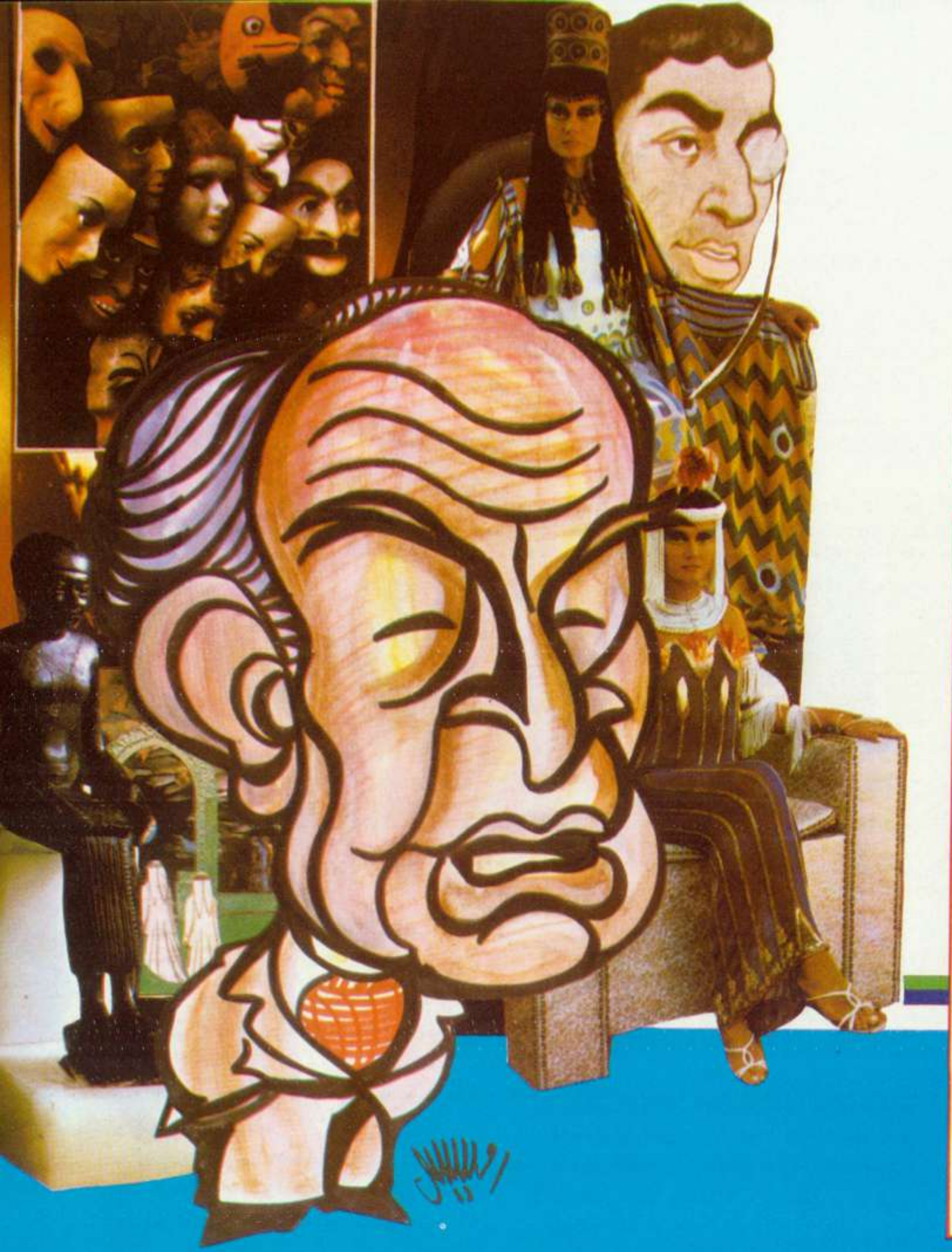
سالت مرة الموسيقار محمد عبد الوهاب عن الفرق بين يوسف وهبي وزكي طليمات .. فقال لي بعد تفكير عميق — فى اعتقادي ان يوسف وهبي اعطانا « الفن » وزكي طليمات اعطانا « العلم » !

عدت اساله : هل افهم من تفسيرك ان يوسف وهبي فنان مسرح بدون علم .. وزكي طليمات استاذ مسرح اكاديمي تنقصه لمسة الفن ؟!

قال عبد الوهاب وهو ينتقي كلماته : هناك فنان في الموسيقى لم يدرس قواعدها إنه فنان موهوب . وهناك دارس موسيقى غير موهوب . وليس كل من تخرج من المعاهد الموسيقية فناناً موسيقياً ، لكنه دارس لأصول الموسيقى وليس بالضرورة فناناً ! ، إن « الفنان » في يوسف وهبي ، أوضح ما فيه . و «الاكاديمي» معلم التمثيل في زكي طليمات أوضح ما فيه . ورحلة المسرح العربي ، قادها الاثنان : العلم والفن . ولست اغلِّب واحدة على الأخرى ، لكني احب ان يكون الفنان .. فنانا وليس مدعياً . الخلاصة ان يوسف وهبي يكمل زكي طليمات . وزكي طليمات يكمل يوسف وهبي . وهنا لا تناقض بين الطاقتين .

—٢—

وعندما كنت اكتب سيناريو برنامج تليفزيوني عن الراحل يوسف وهبي ، ذهبت إلى زكي طليمات ، اطلب رايه فى يوسف وهبي ، فسالني : كم تستغرق حلقة يوسف وهبي .. من الوقت ، فقلت : ساعة





روز اليوسف



ونصف وقد تزيد !

وسألني زكي طليمات : وكم يستغرق حديثي المركز عن يوسف وهبي ؟ فقلت : لايزيد عن سبع دقائق !

فغضب زكي طليمات ، وقال : هذا ظلم . إذا كان يوسف وهبي قمة فى برنامج «القمم» ، فإن زكي طليمات ، قمة أيضاً ! قلت له إن يوسف وهبي يحترم تاريخك وماضيك الفني جيداً ، وهو الذي قال لي إن اسم زكي طليمات الصحيح هو زكي تليمات بالتاء وليس بالطاء ! .

قال لي زكى طليمات : «مهما كان الماضى قاسياً ومظلماً ، فانه مع ذلك يمتع ويطرب اذا ما تحول الى ذكريات . إنه يصبح قصيدة رائعة من الشعر المشرق الآسر . هكذا أقول دائماً » .

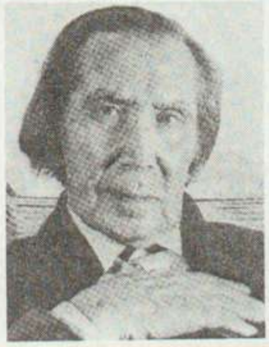
عدت أقول له : لماذا ترفض الحديث عن يوسف وهبى فى برنامج يقدم شهادة فنان على عصره ..

قال زكى طليمات : خذ منى هذا الراى فى يوسف وهبى ، ولكنى لن اذهب للتليفزيون لأسجل هذا الرأى بصوتى !

ـ يوسف وهبى ممثل ذو شان ويستوى فى الصف الأول من ممثلى المسرح والسينما فى جميع بقاع الوطن العربى . ويوسف يحمل رتبة «البكوية» من الملك فاروق . ويوسف وهبى رجل مسرح كل العصور . عنده قدرات وامكانيات واسعة ، ولكن اعظم مواهبه حسن الحظ !

وهو منشىء فرقة رمسيس ، أكبر فرقة فى الوطن العربى ، وهو ممثلها الأول للأدوار الفكاهية وغير الفكاهية . وهو مؤلف الفرقة ومترجمها . ومقتبسها ، ويدير

آخر حوار مع :
زكي طليمات


يوسف وهبى


محمد عبد الوهاب


فاتن حمامة

الشئون الادارية ويروض الممثلين ويؤدب الممثلات ، ثم هو يجد طاقة بعد ذلك ليعطى نفسه حقه فى مغامرات وتحديات ومفاجأة اوراق اللعب . إنه طاقة جبارة واعصاب من حديد !

واستطرد زكى طليمات يقول لي : ابرز ما فى يوسف وهبى ليس فنه . بل مهارته وشطارته فى استثمار الحد الأدنى من فنه ! يكفى أن ترى يوسف وهبى مرة واحدة ، فلا تنساه مطلقاً . إنه فنان مؤثر . ولكن التأثير او التأثر هنا نسبي ويختلف فى نوعياته باختلاف الأشخاص فى وجهات النظر الى ما يجب أن يكون عليه الممثل الفحل !

وقلت لزكى طليمات : كيف ترى طريقة أداء يوسف وهبى . اريد شهادتك . قال زكى طليمات : أسلوب مميز . طريقة تعبير بملامح الوجه . إن فى جرابه الكثير من الخناجر والحناجر والأقنعة ! إن فن الأداء التمثيلى عنده يشبه صورة ذات الوان ساخنة . باختصار اذا جلست مع يوسف وهبى ، فانت امام مدفع رشاش ، لا يعرف فضيلة السكوت !

حاولت أن اغرى زكى طليمات بالحديث عن يوسف وهبى ، ولكنه اصر على الرفض وقال لي «احتفظ بهذه الآراء لنفسك وانشرها يوما ما عن لسانى . إنها قناعتى ولا شيء آخر ! » .

ـ ٣ ـ

زكى طليمات ، من مواليد القاهرة قسم عابدين «ارفض ان اتحدث عن عمرى لانى كسرت قاعدة سن الياس فى حياة الفنان . انا قادر على العمل .. والتامل .. حتى اموت» !

كان عضواً فى اول بعثة حكومية اوفدتها وزارة المعارف الى مسارح أوربا .. كان ذلك فيما اذكر عام ١٩٢٥ . استمرت البعثة حتى عام ١٩٣٠ واستطيع ان اقول انها اعطتنى ثلاثة اشياء اعتز بها .

الأولى : علمتنى كيف أن المسرح علم ، له قواعد وأصول وليس اجتهاداً أو صراخاً على خشبة !

الثانية : جعلتنى ارى مسرحاً متقدماً .. احلم به وارنو اليه واجاهد فى سبيل تحقيقه !

الثالثة : أعطتنى ما يمكن ان نسميه باداب المسرح ، وهو ما نفتقده تماماً فى وطننا العربى !

وعندما عاد زكى طليمات من البعثة ، انشا المسرح المدرسى عام ١٩٣٧ .. «نعم ، كان عندى اقتناع كامل ان حب المسرح يبدأ من المدرسة . من الطفولة . من الصبا . ان تضع يدك على براعم خضراء ثم تقدمها .. ثم تعتنى بها .. ثم ترعاها وتصبح قيما بعد مواهب راسخة» .

وفي عام ١٩٥٠ ، انشا زكي طليمات فرقة المسرح الحديث من خريجات وخريجي المعهد لعام ١٩٥٠ .. « إن المسرح الحديث هو نواة المسرح المصري والعربي فيما بعد . وخريجو وخريجات المسرح كان لابد من جمعهم على خشبة يؤدون عليها ادوارهم التى يحلمون بها . إن المسرح الحديث هو الذي افرخ المواهب المسرحية الضخمة والعملاقة .. »

وفى عام ١٩٥٤ دعته دولة تونس ، ليطور مسرحها .. « اعتز بهذه التجربة ، كل الاعتزاز . إن المسرح العربي كان حلمي دائماً . نعم ، لم يكن في قلبي اي مشاعر اقليمية . ربما ملأني هذا الشعور وانا اطير إلى تونس لكي ادرس ظروف مسرحها .. واحاول أن انهض به .. ذلك كان مرادي .. »

وفي عام ١٩٦١ ، دعت دولة الكويت زكي طليمات .. لانشاء حركة مسرحية تواكب تطور الحياة الاجتماعية ، ويكون عنوانا لنهضتها .. « تجربتي فى الكويت ، تجربة تستحق ان اقف عندها كثيراً . انا أؤمن ان فى الخليج العربي مواهب جديرة بالظهور . مواهب لا تقل عن اية مواهب فى أي وطن عربي آخر . هذه المواهب ينقصها فقط المناخ النفسي الذي يشجع على ازدهارها . وقد قابلت في الكويت فى بداية ذهابي مشاكل صغيرة هي مشاكل النمو الاجتماعي دائماً ولم يصبني الياس . بل تعاطفت مع التجربة منذ اللحظة الأولى . لم آخذ موقفاً معادياً لانسان الكويت لانه نظر إلى التمثيل نظرة ساخرة . إن بعض الشبان في المعاهد الفنية كانوا يسخرون مني بشدة وانا اعلمهم التمثيل . تستطيع الآن ان تسال كل شباب الكويت الذين لمعوا فى الفن ، سيقولون لك إن زكي طليمات قد اضاف شيئاً متواضعاً . نعم ، لقد اصبح للكويت مسرح ناضج . وقد وقف هذا «المسرح» على اكثر من قاعدة.. واستطاع ان يثبت نفسه بجدارة . ماذا فعلت ؟ لا شيء سوى اني احتضنت كل موهبة رايتها تماماً مثلما أرعى زهوراً ملونة . كان لي شرف إنشاء نهضة مسرحية فى دولة الكويت ، لعلها كانت « اول شجـــــرة » مسرحية لها ثمار .. امتدت إلى كل بلد خليجي . ومازلت اقول لك إن الخليج العربي يستطيع في المستقبل ان يقدم فرقة مسرحية كبيرة تعلي من شان اللغة العربية التى مسخت واعتدى عليها حتى

ضجت وتعذبت وطالبت بعلاجها من أمراض السفسطة . هذه تجربتي في الكويت ، اعتز بها كل الاعتزاز » .

ـ٤ـ

زكي طليمات يعتز بجورج أبيض .. « كنا نحن معشر هواة التمثيل الناشئين ننظر إلى جورج أبيض كما ننظر إلى شيء عظيم يتدلى بيديه من السماء . فلم نكن نفهم على وجه التحديد ما هو الفن الذي يقدمه على المسرح وهو يمثل ادواره بلهجة جديدة تشبه الرطانة الفرنسية وإن كانت عباراتها عربية فصيحة .. ولكن النقاد كانوا يقولون هذا هو التمثيل الحديث وان جورج ابيض هو تلميذ «سلفان» ، وسلفان هذا من نوابغ المسرح الفرنسي . لهذا كان الوقوف امام هذا الاستاذ مشكلة يحسب لهـا ألـف حساب ! ، واعترف لك انني حين اقتربت من جورج أبيض ، كنت احوم حوله كفراشة مجنونة بضوء مصباح ! ولقد لاحظت وسجلت رأيي في اداء جورج ابيض العظيم . لاحظت مثلا ان همه الأول هو مراعاة قواعد النحو والصرف ، وذلك في القاء كلام دوره وليس فى تعميق انفعالاته وتصيد شواردها (انا أنام لافكر فى الشخصية) هكذا كان يقول لنا جورج أبيض . وهذا معناه ، انه فنان « مسكون » بالفن . جورج أبيض من العلامات الضخمة التى قابلتني فى أول الطريق .. وتاثرت بها .. وفهمت أعماقها الفنية عندما كبرت . ولكني أعتقد أن جورج أبيض افاد الجيل كله بعد رحيله . هذه عادتنا فى الشرق . نعرف قيمة العبقري بعد أن يسكن التاريخ ويصبح ذكرى . بل إننا عادة نحتفل به ـ في مماته ـ اكثر مما نحتفي به فى حياته . وصدقني هذا لا يحدث مطلقا فى الأمم المتحضرة .

ـ٥ـ

في حياة زكي طليمات ، السيدة روز اليوسف . ويذكر زكي طليمات هذا الحوار بينه وبين روز اليوسف :

روز اليوسف : طيب اسم «زكي» مفهوم ، ولكن سي «طليمات» ده يبقى إيـه ؟ .

زكي طليمات : يبقى اسم ، مش فزورة !

روز اليوسف : بتحب التمثيل وعاوز تشتغل ممثل ؟ .

زكي طليمات : ايـوه !

روز اليوسف : تعرف تقشر بطاطس ؟! تعرف تطبخ ؟!

زكي طليمات : لا !

روز اليوسف : طيب تعرف ترقـــص



سميحة ايوب



نجيب الريحاني



سناء جميل

كويـــس ؟!

زكي طليمات : إيه يافندم علاقة الرقص بالمطبخ ؟!

روز اليوسف : لما تعرف العلاقة دي ، حاتبقى ممثل صحيح !

يقول لي زكي طليمات .. « ولم اكن ادري اننا نلتقي ـ السيدة روز اليوسف وانا بعد ذلك بعدة سنوات قليلة ، أمام « المأذون » لاصبح لها الزوج ، والخصم الذي يتبادل معها الدفع بالأكتاف والأيدي فى سبيل اثبات ذاتيته وفرض شخصيته على الآخر

واسال زكي طليمات : هل تذكر أول مرة قابلتها ؟

يقول : نعم ، كانت تحمل فى إحدى يديها سكينا وفي اليد الأخرى فحلا من البطاطس ! ولم تعتذر .. بل سارت بي إلى حجرة الاستقبال وجلست ترحب وسكينها فى يدها . وقدمت لها نفسي بأني واحـد من أشد المعجبين بها .. فابتسمت . كانت روز اليوسف تحمل من الثقة بذاتها ضعف وزنها . وهذا سرها : الثقة ، الصلابة . الايمان بالهدف ! .

ـ٦ـ

للفنان الكبير زكي طليمات مؤلفات تعتز بها المكتبة العربية . وهي كتب كان يتعطش لها دارس المسرح أو متذوقه .

منها مثلا : فن الممثل . ومنها « التمثيل فن الفنون » ومنها التمثيل العربي ، ومنها « وقفات وتاملات » ومنها «ذكريات ووجوه».

وكنت اقول لزكي طليمات : هل سردت الحقائق كاملة فى كل ما كتبت ؟ قال : انا لا أكتب . انا أتامل . والتامل حياه ومعايشة وفي كليهما متعة . كما أن محاولته استخراج شيء كبير وشامل من أشياء صغيرة ومتناثرة .. متعة أخرى !

قلت له : هل قلت كل شيء ؟

قال زكي طليمات : الحقائق كلها لا يصح أن تقال إلا فى مواقف الاتهام ، ولذلك انا لم أفصح عن كل شيء ، كما إني لم أعمد اخفاء كل شيء ! .

واستطرد زكي طليمات يقول : بودي ان اقول لك حقيقة ، وهي أنني لم اقـــدم شخصياتي بملابسها الداخلية الشفافة !

قلت لزكي طليمات : لماذا حرصت على الكتابة ؟

قال : من المهم ان اقدم شخصيـــات .. تؤلف في النهاية شرائح من لحم المسرح المصري ودفقات من دمه .. بل تشـــكل ببساطة اللبنات التى ينهض عليها مسرح اليوم ! .

ـ٧ـ

زكي طليمات يرى فى «الرواد» مشاعل مضيئة .. إلى يومنا هذا .. من هؤلاء .. «عزيزة امير» مثلا .

يقول عنها « إنها مؤسسة السينما فى مصر . اسطورة شيقة يمكن ان تدخل إليها من بابين ، كل منهما يقابل الآخر ، باب المرأة فى أبدع مثال للوسامة والخفة والشطارة .. وباب الفنانة الموهوبة بما أوتيت من قدرات الانوثة .

ولا ينسى زكي طليمات دور الاقتصادي «طلعت حرب» في الفن ويعتبره من الرواد. ولكن كيف يا استاذ زكي ؟! .

يقول زكي طليمات .. « رجال الاقتصاد والمال يؤكدون ان القرش الأبيض ينفع في اليوم الاسود . ورجال المسرح من أصحاب مبدأ .. « اصرف ما في الجيب ياتيك ما في الغيب » . والمفاجاة عندما « يبتلي » بحب المسرح ، رجل المال والاقتصاد .. نعم .. كان الفتى الأول فى المسرح هو رجل الاقتصاد . كان طلعت حرب . ومن هنا ، له ريادة لا ينساها المسرح أو الفن باي حال ! مثلا ، لقد حاورت طلعت حرب كثيراً . وكان ايمانه غريباً ببقاء مسرح سلامة حجازي

آخر حوار مع :

زكي طليمات



سعاد عبد الله



طلعت حرب

على ما هو عليه . كان هذا المسرح يقدم التسلية والضحك ! وكنت اقول إن هذا هو منتهى الهزل الشديد . واختلفنا ! ثم تحريت الحقيقة واكتشفت أن طلعت حرب «الانسان» دنيا اخرى ! فهو قد حرم الذرية التى تؤنس والبيت الذي يشرق بالزوجة والأولاد الذين يملأون البيت حياة ، ولذلك فهو ميال إلى تلمس مجالات الترفيه ، ودفع الملل عنه ! .

إن طلعت حرب هو الذي حرر الاقتصاد من النفوذ الأجنبي .وهو ايضا الذي نادى في وقت مبكر بضرورة «العربية» فى المسرح والعروبة .. وكان طلعت حرب ضد الترجمات ، وهو ايضا الذي اصلح مسرح حديقة «الأزبكية» .. وقال لابد من « مسحة عربية اصيلة تاسر العين وتروي محاسن الفن العربي فى المعمار وفى الزخرفة بحيث يجيء كل ما فيه عربيا فى طابعه . هذا هو طلعت حرب الريادة ، وهذا هو تاريخ مسرحنا .. لمن لم يعرفه ! » .

-٨-

كيف يرى تلاميذ زكي طليمات «استاذهم» :

● سميحة ايوب : صاحب مدرسة لن ينكرها احد ممن تربوا على يديه . علمنا معنى عشق المسرح .

● سناء جميل : استاذ ، واب ، ومعلم ، استاذ حنون ، واب قاس . ومعلم متفتح .

● حمدي غيث : فنان المسرح الأكاديمي .. بحق .

● سعاد عبد الله (الفنانة الكويتية الأولي) : إذا كان فى الكويت مسرح ، فان زكي طليمات قد بذر بذوره فى أرضها وحصن كل هذه المواهب .

● شكري سرحان : زكي طليمات ، يوسف وهبي ، مجدافان لسفينة المسرح في العالم العربي .

● فاتن حمامة : لا استطيع الحديث عن فنان كبير فى سطرين ، إن زكي طليمات جعلنا «نرضع» الفن فى صبانا !

● يحيى شاهين : زكي بك .. نموذج فريد فى المسرح فهو الذى يطالب بالعلم .. مع الفن .

● زهرة العلا : لولا زكي طليمات ، ما كان طريق الفن قد رصف هكذا ... وسار فوقه المئات !

● محمود عزمى : فضل زكي طليمات على كل فنان عربى لا ينكر .. وله بصمة .

● زوزو حمدى الحكيم : زكي طليمات ، ريادة .. لا تتكرر !

-٩-

واسال زكى طليمات عن شخصيات عاشها وعايشها !

اساله عن محمد عبد الوهاب ، فيقول « يشاركنى اكثر من نصف سنوات عمرى .. صداقة وزمالة ، وإن صار هو للغناء والتلحين وصرت انا للتمثيل والاخراج . وعبد الوهاب من ابناء الحظ السعيد . ولو لم يكن وراء طموحه صبر وسعى وداب . ما كان عبد الوهاب . وتجتمع فى عبد الوهاب زعامتان : زعامة الفن وزعامة المال ! » .

واسال عن الريحاني ، فيقول زكي طليمات : إنه الفنان الوحيد الذى كان يضحك الجمهور من خلال دموعه .

واساله عن منسى فهمى ، فيقول « كان مثل الجدول الصافى من الماء الرقراق ... ولكنه لم يكن البحر الكبير » ! !

-١٠-

لزكي طليمات بنت واحدة هى « آمال طليمات » من السيدة روز اليوسف . سالته عن « الأبوة » ، فقال :

- احلى « لقب » يتحلى به رجل . وأى رجل ، لا يحمل لقب (اب) تنقصه أشياء كثيرة .. وعوالم كبيرة لم يعرفها .

- ١١ -

زكي طليمات ، ريادة .

وفى تاريخ المسرح ريادات .. كل ريادة بنت طوبة فى هذا المعمار العظيم ، المسمى : المسرح العربى . يقول زكي طليمات .. « تامل مسرح شعب من الشعوب لتعرف مدى شوط الحضارة الذى قطعه ... » !

« مفيد فوزى »

وثيقة تاريخية بالغة الأهمّية:

المسألة الصهيونية الفلسطينية بالكونجرس الأمريكي (١٩٤٣ - ١٩٤٥)

بقلم : الدكتور عاصم الدسوقي

مشروع كومنولث ديمقراطي فلسطيني

فى العدد الماضى أشارت الدراسة إلى أن لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس شكلت فى سبتمبر ١٩٤٥ لجنة فرعية ثنائية للذهاب إلى فلسطين للتعرف على آراء بعض العرب واليهود هناك حول مسألة محددة فى ذهن اللجنة وهى إمكانات التعايش بين العنصرين . ثم أفردت الدراسة مضمون الحوار الذي تم بين اللجنة وبين من قابلتهم من العرب واليهود وهم إميل الغوري وعوني بك عبد الهادي عن العرب ، وجودا ماجينس ، واليعازر كابلان ، وبرنارد جوزيف عن اليهود ، ثم الأخ تيرا أنطون المعلم المسيحي الأمريكى بكلية سانكتا . وقد رأينا كيف أن اللجنة خرجت بامكانات هذا التعايش فى إطار وصاية الأمم المتحدة وفى ظل المساواة التامة فى الحقوق والواجبات دون سيطرة فئة على أخرى .

وفى هذه الحلقة الأخيرة تتناول الدراسة مشروع الكونجرس الأمريكى المقدم فى ديسمبر ١٩٤٥ باقامة كومنولث ديمقراطى فلسطينى ..

● واستمراراً لجهود الكونجرس الامريكى فى حل المشكلة اليهودية التى كان آخرها ايفاد لجنة فرعية الى فلسطين فى سبتمبر ١٩٤٥ لاستطلاع الرأى بين العرب واليهود على نحو ما ذكرنا فى الفصل السابق ، وجدنا ان دانييل فلود (Danjel J. Flood ديموقراطى ونائب بنسليفانيا) يتقدم فى ١٣ ديسمبر ١٩٤٥ وفى دور انعقاد الكونجرس رقم ٧٩ لسنة ١٩٤٥ / ١٩٤٦ بمشروع يستهدف فتح أبواب فلسطين لليهود بحرية ، واقامة وطن قومى لليهود ، وجعل فلسطين كومنولثا ديمقراطياً . وكان هذا انسجاماً مع المبدأ الذى اتخذه مؤتمر عام الحزب الديمقراطى الذى انعقد فى يولية ١٩٤٤ فى شيكاجو كما سبقت الاشارة .

وفيما يلى نص هذا المشروع الذى اخذ رقم ١١٣ ، ويتكون من خمس حيثيات ثم القرار :

لما كان الكونجرس الأمريكى قد قرر بالاجماع فى دور انعقاده السابع والستين فى ٣٠ يونيه ١٩٢٢ « أن الولايات المتحدة

الأمريكية تؤيد إقامة وطن قومى يهودى فى فلسطين وبحيث لا يترتب على ذلك إجراءات تؤدى الى الاضرار بالحقوق المدنية والدينية للمسيحيين وسائر الجاليات غير اليهودية فى فلسطين مع توفير الحماية المناسبة للأماكن المقدسة وللمراكز وللمواقع الدينية فى فلسطين » ..

ولما كان الاضطهاد البشع الذى وقع على الشعب اليهودى فى أوربا قد اثبت بوضوح الحاجة الى وطن يهودى كملجا للأعداد الهائلة من اليهود الذين أصبحوا بلا مأوى بسبب هذا الاضطهاد ..

ولما كانت هذه الضروريات الملحة قد وضحت فى المطالبة التى تقدم بها رئيس الجمهورية لاعطاء مائة الف يهودى حق الدخول فوراً الى فلسطين بالاضافة الى اعداد اليهود المهاجرين المقرر دخولهم سلفاً ..

ولما كان تدفق الهجرة اليهودية إلى فلسطين قد أدى الى تقدم وتحسن أحوالها الزراعية والمالية والصحية والاقتصادية بشكل عام ..

ولما كان الرئيس الامريكى ورئيس الوزراء البريطانى قد وافقا على تعيين لجنة مشتركة انجلو - أمريكية لتقصى أوضاع فلسطين المتعلقة بمشكلة الهجرة اليهودية، ووضع اليهود فى أوربا ، على أن تقدم تقريرها فى خلال مائة وعشرين يوماً .. وعلى هذا ..

قرر الكونجرس والسناتو أن الرغبة التى أبداها الرئيس الأمريكى فى حل المشكلة هى محل تقدير ، وأن الولايات المتحدة سوف تبذل كل جهودها مع سلطة الانتداب فى فلسطين لفتح أبواب فلسطين لدخول اليهود بحرية ، ووفق الحد الاقصى للامكانات الزراعية والاقتصادية المتاحة وبحيث تتاح الفرصة كاملة للتعمير وللتقدم ومن هنا يمكن لليهود أن يعملوا فى حرية بما يؤدى إلى بناء فلسطين وطناً قومياً لليهود . ومن خلال التعايش والمعاشرة بين كل عناصر السكان تصبح فلسطين كومنولثا ديمقراطيا يتمتع الجميع فيه بالحقوق المتساوية دون تمييز عنصرى أو دينى » .

وكان مجلس الشيوخ قد وافق على مشروع قرار مماثل برقم (٤٤) قدمته لجنة الشئون الخارجية بالسناتو فى ١٢ ديسمبر ١٩٤٥ . وكتب المجلس عنه تقريراً فى ١٧ ديسمبر بعد مناقشته والموافقة عليه . وفى ١٩ ديسمبر ١٩٤٥ أرسل إلى لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس ليضم إلى مشروع قرار الكونجرس رقم ١١٣ . أما عنوان مشروع قرار مجلس الشيوخ فهو ملفت للنظر حقاً ، اذ يستهدف فى صراحة « إستعادة فلسطين كوطن للشعب اليهودى » The Restoration of Palestine as a homeland for the Jewish people

وبعد أن وافقت لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس على مشروع القرار رقم ١١٣ على أساس القراءة الأولى قدمت عنه تقريراً تؤيده وتطلب الموافقة عليه . (١) ثم خصصت جلسات استماع للاستشارة بوجهات النظر المختلفة المؤيدة والمعارضة من خارج لجنة الشئون الخارجية كما هى العادة .

وقد خصصت اللجنة جلستين للاستماع يومى ١٧ - ١٨ ديسمبر ١٩٤٥ حيث استمعت إلى خمسة شهود . ففى اليوم الأول (١٧ ديسمبر) استمعت الى ايفريت ديركسن Everette M. Dirksen نائب الينوى ، وجوزيف مارتن نائب ماسا تشوستس وزعيم الأقلية الجمهورية بالكونجرس ، وليسنج روزنوالد Lessing J. Rosenwald رئيس المجلس الأمريكى لليهودية American Council for Judaism ، وجون مكورماك McCormack نائب ماسا تشوستس ورئيس الاغلبية الديموقراطية فى الكونجرس ،

وأيضاً دكتور إيمانويل نيومان Emanual Neumann عن المنظمة الصهيونية الأمريكية Zionist Organization of America . اما فى اليوم الثانى (١٨ ديسمبر) فقد تابعت الاستماع إلى إيمانويل نيومان .

وواضح من طبيعة مواقع الشهود أن لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس قد حرصت على أن توفر كل ضمانات التأييد لمشروع القرار رقم ١١٣ حتى لقد استدعت زعيم الأقلية الجمهورية فى الكونجرس حتى لا يدخل التصويت على المشروع فيما بعد فى نطاق المزايدة الحزبية بين الأقلية الجمهورية والأغلبية الديمقراطية الحاكمة بالاضافة إلى أنها قد استدعت المنظمة الصهيونية الأمريكية وهى طرف مؤيد ولاشك . ولم يخرج على هذا « الاجماع » فى التأييد سوى ليسنج روزنوالد رئيس المجلس الأمريكى لليهودية ، ونفر قليل من أعضاء لجنة الشئون الخارجية من خلال الحوار حول بعض النقاط الدقيقة الخلافية كما سوف نرى .

الشاهد الأول و «الصعوبات القائمة»

ننتقل الآن الى استعراض وجهات النظر المختلفة كما اتضحت من خلال البيانات والمناقشات التى دارت فى جلستى لجنة الشئون الخارجية للكونجرس .

كان أول الشهود ايفريت ديركسن نائب الينوى الديمقراطى الذى أشعر سامعيه بأهمية أن يكون للولايات المتحدة كلمة ودور فيما يحدث فى العالم من مشكلات قد تؤدى الى صدام ومن ثم حرب مثل المشكلة اليهودية الفلسطينية ، لأن قيام الحرب فى النهاية يمثل عبئاً على الاقتصاد الامريكى وعلى دافع الضرائب الأمريكى . على أن الذى دعاه الى ابراز هذه النقطة ما قراه فى إحدى صحف القاهرة من أن الاهتمام الذى تبديه الولايات المتحدة بالشئون الفلسطينية أمر لاداعى له .

ثم أخذ يتحدث حديث الخبير بالامكانات الزراعية والصناعية فى فلسطين التى تستوعب آلافاً من اليهود ، مشيراً بفخر واعتزاز الى جهود اليهود المستوطنين فى التعمير والتقدم وتطوير الصناعات . ثم يبدى تخوفاً من إرسال مئات الآلاف من اليهود إلى فلسطين دون أن تكون هناك فرصة كاملة للاستيطان بحرية ودون قيود ، وكيف أن أحد الصعوبات القائمة الآن أمام هذه الفرصة الكاملة - كما يقول - صغر المساحة التى يتاح فيها لليهود الفلاحة والتطوير . فهذه المساحة تمثل ٦٪ فقط من إجمالى فلسطين و ١٤٪ فقط من الأرض القابلة للزراعة ، فاذا كان على اليهود أن يذهبوا الى فلسطين فلا بد أن تكون الأرض متاحة لهم بحق الشراء لتوسيع عملياتهم الزراعية . ولعله يشير فى هذا الى القواعد التى وضعتها بريطانيا من خلال الكتاب الأبيض (١٩٣٩) الخاصة بانتقال ملكية الأرض فى فلسطين لليهود وهجرتهم اليها .

ثم هو يذهب مع الذاهبين الى أن فلسطين هى المكان الوحيد الملائم لاقامة اليهود ، وما عدا ذلك من مناطق فتجربة فاشلة مثلما حدث فى الأرجنتين حيث يوجد حوالى ٢٥٥ ألفاً أو ٢٦٠ ألفاً . اما فى فلسطين « الأرض المقدسة » فسوف يتحمس اليهود للعمل والعرق والتضحية من أجل الازدهار ، ولتكون الأرض المقدسة « أعظم جنات الأرض » وهو يؤكد ما وصل اليه من



هارى ترومان



ونستون تشرشل

خلال زيارته لما يقرب من أربعين مستوطنة جماعية وتعاونية اقامها اليهود فى فلسطين على أن اخطر ما يصل إليه ديركسن من استعراض كل هذه الامكانات يتمثل فى قوله إن التطوير الاقتصادى الذى سوف يحدثه المستوطنون اليهود سيعود بالفائدة على شرق الأردن والعراق ، بل إن الكونجرس الأمريكى سوف يرحب يوماً ما بتخصيص مبالغ مالية لعرب فلسطين الذين يودون ترك الأرض والذهاب الى العراق حيث الأرض أرخص ثمناً ، وخصبة فى نفس الوقت وتحتاج الى امكانات ماليه .

ثم وهو يؤيد بشدة وبكل حماس ما ورد فى مشروع القرار عن تأسيس كومنولث ديمقراطى فى فلسطين يتمتع فيه الجميع بحقوق متساوية قائلا : ان تطبيق الديمقراطية فى منطقة الشرق الأوسط التى عزت فيها الديموقراطية لأكبر برهان عملى من الحديث عن الديموقراطية واذا ما ذهب أهالى بلدان الشرق الأوسط وزعماؤهم للتعرف على التجربة فى فلسطين ، وشعروا بالديموقراطية فيها ، سوف يكون ذلك نصراً ومكسباً للولايات المتحدة . وأما وضع مدينة القدس التى تمثل كل الديانات ، فالحل البسيط فى رأية هو تدويل المدينة ،ليعيش فيها الجميع فى ظل الحفاظ على حقوقهم ، ولا بأس من أن يتم ذلك كله فى « إطار وطن قومى لليهود » .

وقد انتهى ديركسن من بيانه دون أن يثير جدلا خلافيا بين سامعيه إلا من بعض الأسئلة هنا وهناك حول المحاصيل الزراعية فى فلسطين وأنواع التربة والحياة العمرانية بشكل عام .

زعيم الأقلية الجمهورية والتأييد الشخصى

ثم جاء دور جوزيف مارتن نائب ماسا تشوستس وزعيم الأقلية الجمهورية بالكونجرس . وهو لم يلق بياناً كما هى عادة الشهود . ويفهم من حضوره ومن طبيعة موقعه أن الأقلية الجمهورية المعارضة تؤيد بشدة مشروع القرار رقم ١١٣ ، ولو أنه قال فى حديثه الموجز انه يحضر الجلسة ليعبر عن تأييده « الشخصى » لأغراض واهداف المشروع ، لأنه يتفق مع طبيعة الروح الأمريكية ، ومع الوعود التى بذلتها الولايات المتحدة خلال الخمسة والعشرين سنة الماضية ، بحيث أصبح من حق اليهود أن يتوقعوا وفاء أمريكا بهذه الوعود . ومن ناحية أخرى فان المشروع يتفق مع أحد شعارات ومباديء الحزب الجمهورى التى تم التوصل اليها من خلال مؤتمره السنوى لعام ١٩٤٤ ، وأن المشروع يعتبر خطوة أولى نحو التخلص من مشكلة يجب التخلص منها « اذا كنا نستهدف عالما يكتنفه السلام .. » .

نقد حيثيات المشروع .. وتناقضاته

ننتقل الآن الى بيان ليسنج روزنوالد رئيس المجلس الأمريكى لليهودية American Council for Judaism الذى أثار كثيراً من الخلاف بين الأعضاء والشهود لأنه كان يمثل وجهة نظر معارضة لم تألفها الحركة الصهيونية والمناصرون لها فى الأوساط السياسية الأمريكية . ولابد أن نشير فى البداية الى أن المجلس الأمريكى لليهودية قد نشأ كرد فعل لقيام المؤتمر اليهودى الأمريكى American Jewish Conference (الذى يرأسه الحاخام ستيفن وايز) (٢) بالموافقة على مقررات مؤتمر (نيويورك ٩ ـ ١١ مايو ١٩٤٢) الخاصة بانشاء كومنولث يهودى فى فلسطين وما يتضمن ذلك من فتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية . أما المجلس الذى يرأسه روزنوالد فهو يمثل أقلية مضادة للصهيونية بلغ عددها انذاك عشرة آلاف يهودى أمريكى . ويرى أن اليهود أولا وأخيراً مواطنــــون مندمجون فى البلاد التى يعيشون فيهـــا ، ومن ثم فهو يرفض انشاء دولة يهودية فى فلسطين ويعتبر ذلك انهزامية للجهود التى يقوم بها أنصار الاندماج . كما أن روزنوالد يرفض أن يحتكر أحد حق التكلم نيابة عن كل اليهود الأمريكيين . وهو فى ذلك يشير الى المؤتمر اليهودى الأمريكى والمنظمات الصهيونية الأخرى فى الولايات المتحدة على نحو ما رأينا فى شهادة الحاخام ستيفن وايز .

وعلى هذا فمن المفهوم أن يعترض روزنوالد على مشروع القرار ١١٣ قائلا انه يتضمن عبارات مبهمة ويتناقض بعضها مع البعض الآخر . وبعبارة أخرى يتناقض القرار النهائى مع الحيثيات المقدمة مما

يستلزم توضيح بعض العبارات أو إلغائها . فقد تساءل عن الهدف الذى تخدمه الحيثية الأولى (٣) التى تستخدم عبارة «وطن قومى يهودى ..» ، لأنها عبارة خلافية ويثار بشأنها جدل كبير بين الأوساط المختلفة ، فضلا عن انها خارجة عن نطاق بحث وتوصيات اللجنة الأنجلو - أمريكية المقترحة فى الحيثية الخامسة من مشروع القرار (١١٣). وفى ذلك يقول روزنوالد ان حاييم وايزمان رئيس الوكالة اليهودية فى فلسطين لا يرى فرقاً بين «وطن قومى يهودى» ، وبين «دولة قومية لليهود» ، وأنه يقول «ان محاولة إيجاد تمييز بين مصطلح «دولة يهودية» ومصطلح «وطن قومى لليهود» محاولة تعسفية لا أساس لها من الواقع» . ويعقب روزنوالد على تفسير وايزمان هذا متسائلا : اليس فى ذلك تناقضاً مع ما جاء فى مشروع القرار بالعمل على أن تصبح «فلسطين كومنولثاً ديموقراطياً يتمتع فيه الجميع بالحقوق المتساوية دون تمييز عنصرى أو دينى» . ثم يقول إنه يؤيد إقامة الكومنولث الديموقراطى كل التأييد ، وإقامته تعنى انتفاء المجال لاقامة دولة يهودية،تلك التى لابد وأن تستند فى إقامتها على تصور عنصرى أو دينى . ثم اقترح روزنوالد إعادة النظر فى هذه الحيثية وفى عبارة «وطن قومى يهودى» التى وردت فى صلب القرار ، واخضاعها لعملية مراجعة واستيضاح أو ربما الالغاء .

ثم يتساءل روزنوالد عن الغرض الذى تخدمه الحيثية الثانية (٤) التى تشير الى اضطهاد اليهود فى أوربا ووضوح الحاجة الى وطن يهودى . ويقول إن عبارات هذه الحيثية لتبدو وكانها تاملات فلسفية يختلف بشان التامل فيها كثيرون . فهناك انقسام فى الرأى بين اليهود أنفسهم وبين غير اليهود فى جميع أنحاء العالم . ثم يقول فى سخرية إن الذى «ثبت وضوحه» فعلا انه عندما تعرض جزء من العائلة الدولية للاضطهاد لم يكن الضحايا الافراد هم الذين قاسوا فقط ، وإنما قاست معهم العائلة الدولية بأسرها . وبالتالى فان الذى أصبح «واضحاً» هو واجب العائلة الدولية فى العمل على عدم تكرار الاساءة الى الحضارة مرة أخرى على ذلك النحو . ومع أن اليهود المضطهدين حالياً أشد ما يكونون حاجة الى ملاجىء وليس الى ملجأ واحد فقط ، إلا أن النص على اعداد ملجأ واحد لهم كما جاء فى تلك الحيثية سوف يضع فى الأذهان - كما يقول روزنوالد - أن أى جماعة تتعرض للاضطهاد فى المستقبل لسبب أو لآخر سوف يتعين على المجتمع الدولى أن يبحث لها عن مكان خاص تاوى اليه .

ولكل هذا فان روزنوالد يقول إنه وانصاره يتمثلون بقول كورديل هال وزير الخارجية الأمريكى الأسبق «.. اننا نبحث عن عالم يعيش فيه اليهود كسائر البشر ، حيث يتمتعون بحرية العيش فى سلام وكرامة ..» وأيضاً بما ورد على لسان الرئيس ترومان فى حواره مع النائب سباث Sabath من انه مهتم بأن يكون فى إمكان اليهود فى جميع انحاء العالم العيش فى حرية وفى مساواة ، وحيث لا تدفعهم الضرورة يوماً ما الى البحث عن ملجأ .

ثم يقول روزنوالد إن هذه الحيثية (الثانية) تخرج عن نطاق بحث وتوصيات اللجنة الانجلو - أمريكية المقترحة فى الحيثية الخامسة ، وبالتالى طالب باعادة النظر فيها بعناية فائقة ، والبحث فيما اذا كانت مقحمة على مشروع القرار ام غير مقحمة .

واستمراراً من روزنوالد فى نقد حيثيات المشروع وتناقضاته ، أشار الى عبارة «دخول اليهود بحرية الى فلسطين» متسائلا عن حدود كلمة «حرية» تلك ، وما الذى تعنيه تماماً .. فاذا كان المقصود بالحرية كلمة «دون قيود» فسيصبح الموقف أكثر تعقيداً ، لأن كل بلد فى العالم تضع قيوداً معينة على المهاجرين اليها حتى ولو كانت هذه القيود تتعلق «بالدواعى الصحية» . وعلى هذا فان كلمة «حرية» الواردة بالمشروع قد استخدمت فى رأى روزنوالد بقدر كبير من الحرية ، لأن حرية الدخول قد تنسحب على كل يهود العالم بما فيهم يهود الولايات المتحدة ، بينما الأصل فى المشروع انها تنصب فقط على يهود أوربا «المضطهدين» .

ثم يثير روزنوالد نقطة اخرى توصل إليها من اعتقاده بان مشروع القرار قد جاء من تصور أن تكون فلسطين متاحة لكل اليهود المشردين الذين لا ماوى لهم . فاذا كان هذا الاعتقاد صحيحاً فكيف يتوافق مع ما نقلته وكالات الأنباء من (القدس) فى يوم ١٢ ديسمبر ١٩٤٥ من أن « الوكالة اليهودية طلبت من الصهاينة الأمريكيين تنظيم حركة هجرة واسعة ليهود الولايات المتحدة إلى فلسطين لتعويض النقص الذي حدث فى إعداد اليهود المهاجرة بسبب ما تعرضوا إليه فى أوربا من إبادة». وروزنوالد لا يفهم هذا طبعاً إلا إذا كان صهيونياً ، لأن المفروض أن عملية «إنقاذ» اليهود تنصب فقط على المضطهدين في أوربا وليس على يهود الولايات المتحدة .

ثم يختتم روزنوالد بيانه بالقول إنه بدلا من هذه العبارات المتناقضة والمبهمة التى يحفل بها المشروع ، فلابد وأن نتوصل إلى إقامة نظام عالمي يتمتع فيه البشر من كل العقائد المختلفة بالمساواة فى الحقوق والواجبات وهي جهود تبذلها الحكومة الأمريكية . كما اقترح إرجاء الموافقة على مشروع القرار حتى تنتهي اللجنة الانجلو - أمريكية المقترحة من عملها .

تدعيماً لموقف المفاوض الأمريكي

لكن دانييل فلود مقدم المشروع نهض مطالباً بضرورة الاسراع فى إقرار المشروع تدعيماً لموقف المفاوض الأمريكي فى اللجنة الانجلو - أمريكية ، وذلك لأن النظام البرلماني في انجلترا يختلف عن النظام فى أمريكا . فاعضاء اللجنة الانجليز مزودون بتعليمات كافية سلفاً سبق أن اعلنتها الحكومة البريطانية ، وهي إيقاف الهجرة وعدم انشاء كومنولث يهودي أو وطن قومي يهودي . ولهذا فالمفاوض الانجليزي عارف بقرار حكومته وسياستها . اما نظيره الأمريكي فى اللجنة فهو غير مزود بسياسة واضحة محددة لأن الحكومة الأمريكية لم تعلن سياسة رسمية فى المسالة فضلا عن أن مفاوضيها فى اللجنة من غير السياسيين . (٥) ومن هنا وجب تمرير مشروع القرار لتكون وجهة النظر الأمريكية واضحة امام اعضاء اللجنة الأنجلو - أمريكية المقترحـــة .

على أن بيان روزنوالد بالكيفية التى عرضناها فجر خلافاً دستورياً بين اعضاء لجنة الشئون الخارجية . إذ حرص رئيس اللجنة (صول بلوم) على ان يفصل بين الحيثيات - حيث انها موضع نقد روزنوالد - وبين صلب القرار قائلا : إنه عندما يوافق الكونجرس على المشروع لتتولاه سلطات اخرى فان الحيثيات تسقط من المشروع ولا يبقى إلا القرار وهو الفقرة الأخيرة . فقال روزنوالد إن عبارة « وطن قومي يهودي » وردت فى صلب القرار وليس فى الحيثيات .

وتلقف بيت جارمان (ديمقراطي) الفرصة قائلا : إن رئيس اللجنة (صول بلوم) غير دقيق فى مسالة الفصل هذه . فما كان من بلوم إلا ان قال إن الحيثيات تبقى إذا ما

طلب ذلك ، ولكنها عادة تسقط من المشروع ولم يحدث ان استبقيت إلا مرة واحدة فى تشريع « قانون الحياد » لاثبات انه قانون محلي يتعلق بالشئون الداخلية وأن من حق الكونجرس تغييره في اي وقت من الأوقات . ويتدخل فلود (صاحب المشروع) قائلا : إن المشروع الذي امامنا مجرد مشروع موحد من الكونجرس والسناتو يعبر عن موقف الهيئة التشريعية تجاه المشكلة ، وليس المراد منه إصدار تشريع قانوني ، ولا يتطلب بالتالي التصديق عليه من رئيس الجمهورية .

وقد اشترك جون كي (ديمقراطي) فى المناقشة قائلا : إن الحيثيات تنفصل عن القرار فى حالة التشريع القانوني . وحيث ان المشروع الذي امامنا لا يهدف إلى التشريع القانوني ولا إلى التصديق عليه من رئيس الجمهورية ، فضلا عن انه لن ينشر فى النشرة التشريعية ، فهذا يعني ان الحيثيات فيه مكملة لصلب القرار ولا تنفصل عنه .

وهنا وجه بيت جارمان سؤالا محدداً لرئيس الجلسة عن المرحلة التى تنفصل عندها الحيثيات عن صلب القرار .. هل بعد موافقة لجنة الشئون الخارجية على المشروع ، وعند عرضه امام الكونجرس للمناقشة يرسل القرار دون الحيثيات . فنفى صول بلوم أن يحدث هذا . وعندئذ قال جارمان : متى إذن تسقط هذه الحيثيات أو تحذف ، ومن ذا الذي له الحق في ذلك . ولكي يتخلص رئيس اللجنة من هذه «الورطة» الدستورية قال إنه سوف يعرض وجهة نظر الشاهد (روزنوالد) على الخبير بالامور البرلمانية للوصول إلى رأي محدد حول هذه النقطة .

وفي محاولة من صول بلوم للاقلال من اهمية دعاوي وحجج روزنوالد المضادة للمشروع قال له إن ٧٥ - ٨٠٪ من يهود امريكا يرحبون ويؤيدون هذا المشروع بينما منظمتك لا تضم إلا عشرة آلاف يهودي امريكي فقط وإجمالي اليهود الأمريكيين يبلغ خمسة ملايين . فقال روزنوالد إن هذه النسبة المئوية غير دقيقة . ذلك أن يهود امريكا انفسهم ينقسمون بين ثلاثة اتجاهات : اتجاه صهيوني يؤيد الوطن القومي فى فلسطين ، واتجاه مضاد يمثله روزنوالد ، وبين هذين الاتجاهين المتطرفين يوجد العدد الكبير الذي لم يعبر عن رايه سواء لصالح هذا الاتجاه او ذاك .

على ان جيمس وادزورث (جمهوري) ، وبيت جارمان (ديمقراطي) اتفقـــا مـــع روزنوالد في ان مشروع القرار ١١٣ بالكيفية المكتوب بها قد يؤدي إلى اشاعة التفرقة العنصرية في فلسطين بين العرب واليهود . وهنا اوضح روزنوالد انه يتطلع إلى أن يندمج اليهود في البلاد العربية التى يعيشون فيها مع توفير ضمانات المواطنة لهم فى الحقوق والواجبات . فانفجر فيه جوزيف ريتر (ديمقراطي) قائلا : الا تعلم إن اليهود حاولوا الاندماج خلال الألف عام الماضية دون نتيجة . فقال روزنوالد إن هذا زعم غير حقيقي ، فالمرة الأولى التى سنحت فيها الفرصة لليهود ان يعيشوا كمواطنين متساوين في الحقوق والواجبات ، كانت في دستور الثورة الفرنسية لعام ١٧٩١ ، وبعدها حدث نفس الشيء فى بعض دول اوربا الوسطى : فى انجلترا ، وهولندة ، وبلجيكا ، والمانيا قبل الحرب . أما إذا تساءلنا عن الاضطهاد الذي وقع على اليهود في المانيا ، فان هذا لايعني - في راي روزنوالد - فشل سياسة الاندماج ، ولكنه يعني إخفاق الحضارة في المانيا وسقوطها ، وسقوط كل الشرائع والعادات والتقاليد الانسانية . وكان روزنوالد فى هذا ابلغ واصدق ما يكون فى الحقيقة، لولا حمى الصهيونية التي اجتاحت الأوساط الأمريكية وتغلغلت فى المصالح المختلفة ، ومن ثم كانت وراء مختلف مشروعات القرارات المتعلقة بالمسالة اليهودية .

مقترحات عقلانية إلى حد كبير

والحق أن روزنوالد كان قد التقى فى ٤ ديسمبر ١٩٤٥ وقبل تقديم مشروع القرار رقم ١١٣ بالرئيس ترومان ، وناقش معه وجهة نظر منظمته فى أوضاع اليهود المشردين ، وكان عددهم قد نقص بنسبة ملحوظة عما كانت عليه الحال فى مطلع الاربعينات . كما ناقش معه مشكلة فلسطين وارتفاع درجة التوتر فى الشرق الأدنى . ثم قدم اليه « مقترحاته » فيمـا يتعلق بالمشكلة اليهودية وهى مقترحات عقلانية إلى حد كبير غير مشدودة الى الانحياز الطائفى أو الدينى . تقـــول المقترحات ما يلى :

اولا - أن تعلن الأمم المتحدة أن فلسطين لن تكون دولة إسلامية أو مسيحية أو يهودية ، ولكنها ستكون بلداً يشعر فيه الجميع على اختلاف معتقداتهم الدينية بالمساواة فى الحقوق والمسئوليات كمواطنين .

ثانيا - التراجع عن كل التصريحـــات الرسمية التى سبق أن صدرت بخصوص فلسطين والتى تعكس التفرقة العنصرية سواء لصالح او ضد اى قطاع او شريحة من السكان . ويصدر بدلا منها تعهدات بضمان الحرية والمساواة المطلقة فى ممارسة الشعائر الدينية للجميع فى فلسطين .

ثالثاً - تتلقى فلسطين باعتبارها جزءاً من العالم المتحضر إعانات مالية لتوسيع اقتصادياتها ولزيادة فرص الهجرة اليها .

رابعاً - تظل الهجرة إلى فلسطين قائمة على أساس الاستيعاب الاقتصادى ودون تفرقه او تمييز بين عنصر وآخر .

خامساً - توضع إجراءات الهجرة الى فلسطين تحت اشراف اجهزة تمثل كل سكان فلسطين بالاشتراك مع هيئات دولية يتفق عليها .

سادساً - يتم التوصل إلى صـــيغة المؤسسات الحاكمة فى فلسطين تحت اشراف ورعاية هيئات دولية تنتهى من مهمتها باسرع وقت ممكن .

سابعاً - تعالج مشكلة يهود اوربـــا المشردين على حده بالاسلوب التالي :

أ - ان يحاطوا علماً بالسياســة التى سوف تتبع فى فلسطين كما سبق ذكرها اعلاه .

ب - يجرى استطلاع راى أولئك اليهود فى الأماكن التى يفضلون الذهاب اليهـا لاعادة توطينهم من جديد .

جـ - وتحقيقاً لذلك يجب انشاء لجنـة دولية للمشردين International Displaced Persons Committee بالتعاون مـع هيئة الامم المتحدة .

وقد قال روزنوالد إن هذه اللجنة تقوم بوضع قوائم الأسماء والأماكن التى يفضلها اولئك الاشخاص فى اقرب وقت ، وبحيث يتم التراسل مع دول الامم المتحدة لتاخذ كل منها (حسب الطلب) عدداً ملحوظاً من هؤلاء « المشردين » ، وعلى ان تقوم الحكومة الامريكية باستخدام حصص

الهجرات المقررة والتى لم تستخدم حتى الآن فى ادخال عدد من هؤلاء المشردين للولايات المتحدة ، مع تســـــهيل كل الاجراءات القنصلية الخاصة بالتاشيرة . وفى ذلك مثال سوف تحتذيه الدول المختلفة بما يحقق فى النهاية وبسرعة ملحوظة حل مشكلة اللاجئين بشكل عام .

وعندما عرض روزنوالد هذه المقترحات فى جلسة الاستماع ، اثارت الفقرة الاخيرة منها والخاصة بضرورة تسهيل الحكومة الأمريكية لاجراءات الهجرة إليها ، سؤالا من وادزورث قائلا : إن قواعد الهجرة التى وضعتها الحكومة الامريكية مؤخراً تشترط الا يكون المهاجر عبئاً اجتماعياً واقتصادياً .. وهؤلاء اليهود « المشردون » لاشك فى انهم مفلسون .

ولعل ما اثاره وادزورث يعكس الرفض العميق بين الأمريكيين لقبول المهاجرين اليهود فى الولايات المتحدة ، وهو رفض سبق ان اطلعنا على بعض مظاهره فى ثنايا اعمال لجنة الشئون الخارجية من خلال الحوار مع اطراف كثيرة ومختلفة . ولعل الاختبار العملي لهذا الرفض يتمثل فى رفض محاولة روزفلت إقامة معسكر مؤقت للاجئين اليهود فى سلسلة الجهود الدولية التي نصحت بها اللجنة الدولية المشتركة لشئون اللاجئين على نحو ما سبق ذكره . ففي يونيو ١٩٤٤ اعلن روزفلت عن إقامة هذا المعسكر بضاحية اوزويجو Oswego بنيويورك غير ان الظروف لم تكن مهيئة لاستقبال اللاجئين اليهود ، ومن ثم كانت حياتهم هناك اشبه بحياة المحجوزين عن حياة المهاجرين . ومن ناحية اخرى ، فان المدعي العام الامريكي فرانسيز بايدل Biddle ومعه عدد من اعضاء مجلس الشيوخ قد اعترضوا على إدخال اي تعديل على الحصة المقررة للمهاجرين الى الولايات المتحدة . وقال المدعي العام إن التزام روزفلت بانشاء هذا المعسكر لا يعني تخفيف شروط الهجرة إلى الولايـــــات المتحدة .

ومن هنا ، فهل لنا ان نفسر حماس الأمريكيين لفتح أبواب فلسطين لليهــــود وإنشاء وطن قومي يهودي هناك من خلال المشروعات الكثيرة المقدمة ، في ضوء رفضهم قبول هجرات يهودية إلى الولايات المتحدة . وبالتالي فان التخلص من المشكلة اليهودية يكون بابعاد اليهود إلى فلسطين يؤيدهم فى ذلك العناصر الصهيونية المتطرفة المطالبة بفلسطين ارضاً لليهود مع اختلاف الاهــــداف .

على أن صوت روزنوالد العقلاني الذي ظهر فى جلسات استماع لجنــة الشؤون الخارجية ، لم يكن له حــظ من التاييد ، لا من العناصر الصهيونية المتطرفة التى لا ترضى بديلا عن فلسطين ، ولا من العناصر الأمريكية الخالصة التى تريد هي الاخرى فلسطين ابعاداً لليهود من ان يتسللوا للاراضي الأمريكية .

تمرير المشروع مكسب لأمريكا

بعد أن انتهينا من بيان روزنوالد الذي أثار مناقشات ثرية بين سامعيه ، كشفت لنا عن حقيقة أعماق الشعور الأمريكي الخالص تجاه المسالة الصهيونية ، ننتقل إلى شهادة جون مكورماك رئيس الاغلبية الديمقراطية في الكونجرس . وقد ايد دون تحفظ مشروع القرار منتقداً ناقديه . يقول مكورماك إننا يجب ان نهتم فقط بالجوهر والمضمون وليس بالشكل ، وحيث ان مضمون القرار يهدف إلى إنقاذ اليهود المضطهدين ، فلا يستقيم بالتالي ان نرجىء تمرير المشروع حتى تنتهي اللجنة الانجلو – امريكية المقترحة من تقريرها كما ينادي روزنوالد ، إذ المشروع خطــــوة فى الطريق الصحيح ومن هنا وجب تاييده . ثم يعيب على الذين انتقدوا مشروع القرار لتضمنه عبارة « وطن قومي يهودي » قائلا : لـــو أن الأمر كان بيده لنص فى مشروع القرار على إقامة « كومنولث يهودي ديمقراطى » ، حيث سبق ان وافقت لجنة البرنامج السياسى للحزب الديمقراطي التى يراسها على هذا النص .

أما بخصوص النص على كلمة « ملجا » دون كلمة «ملاجىء» كما نبه إلى ذلك روزنوالد ، فان مكورماك يحبذ الابقاء على كلمة « ملجا » ، لان الثابت فى الاذهان ان فلسطين هي «الملجا الوحيد والوطن الطبيعى والمكان الملائم لليهود » . اما إذا اتجهت النية إلى حذف عبارة « الحاجة إلى وطن قومي يهودي » الواردة بالحيثية الثانية من المشروع فان مكورماك يحرص على أن لا توضع كلمة «ملاجىء» بدلا من «ملجا» حتى لا يفهم اليهود اننا نود بعثرتهم فى انحاء الأرض .. » .

فلما ساله تشارلز إيتون (جمهوري) عن الحل الذي يتصوره فيما لو رفضت بريطانيا الاقتراح بفتح ابواب فلسطين لليهود لسبب أو لآخـر . قال مكورماك إن مشروع القرار الذي نحن بصدده يتحدث عن بذل ما فى الوسع من جهود .. وهناك وسائل اخرى عن طريق القنوات الدبلوماسية لتحقيق الاغراض . وعلى كل حال ، فان تمرير المشروع فى حد ذاته سوف يعد مكسباً للولايات المتحدة يسجل لها فى التاريخ . ثم هو يستبعد ان ترفض بريطانيا فتح الأبواب لا لشيء سوى ان مضمون وجوهر السياستين البريطانية والامريكية واحــد لأنهما بلدان ديمقراطيان يعتمدان على المؤسسات الدستورية والنيابية .

نيابة عن رئيس المنظمة

لم يبق أمامنا إلا شهادة الدكتور إيمانويل نيومان الذى حضر الجلسة نيابة عن رئيس المنظمة الصهيونية الأمريكية Zionist Organization of America (وتضم ١٥٠ الف عضو) ، والذى استغرقت شهادته جلسة ونصف جلسة ، اتسمت بالعصبية وبالعنف .

وإيمانويل نيومان نائب رئيس مجلس الطوارىء الصهيونى الأمريكى American Zionist Emergency Council الذى يمثل كل المنظمات الصهيونية فى الولايات المتحدة بأعضائها البالغ عددهم نصف مليون عضو من الرجال والنساء . واهم المنظمات الداخلة فى مجلس الطوارىء هذا ، المنظمة الصهيونية الامريكية (التى يمثلها نيومان فى الجلسة) ، ومنظمة الهاداسا Hadassah ومنظمة النساء الصهيونيات Women's Zionist Organization والميزراحى Misrachi وهى الفرع اليهودى الأصولى (الأرثوذكسى) فى الحركة الصهيونية ، وايضا البواليه – زيـون Poale-Zion وهى الفرع العمالى فى الحركة .

ولقد أبدى نيومان أسفه وحسرته الشديدة على ما سمع من حديث روزنوالد ، ونقداته اللاذعة لمشروع القرار . واستخف به حين قال إن روزنوالد يمثل فقط عشرة آلاف عضو بينما لا يوجد يهودى أمريكى سواء فى المنظمات الصهيونية أو فى المنظمـــــات الاخرى اليهـــودية وغير الصهيونية يعترض أدنى اعتراض على

مشروع القرار كما فعل روزنوالد . (٦)

ثم قال نيومان انه لاحظ أن النقاش الذي دار في الجلسة كان حول مسالة قبول مائة الف يهودى فى فلسطين . وهذا ليس فحوى مشروع القرار كما يرى نيومان ، لأن مسالة المائة ألف ـ فى رأيه ـ جاءت كطلب من الرئيس ترومان الى الحكومة البريطانية . وأوضح أن الذى يعنيه منذ عامين هو موضوع أوسع من هذا بكثير ، ويتلخص فى السؤال التالى : هل التعهدات والالتزامات الدولية وحقوق اليهود فيما يتعلق بفلسطين التى اتفق عليها فى المعاهدات الدولية سوف تحترم أو لا تحترم ؟ . وقد حرص نيومان على تذكير المجتمعين بأن الحكومة الأمريكية طرف فى هذه التعهدات . فتصريح بلفور الذى أصدرته بريطانيا جاء بعد استشارة الحكومة الأمريكية وموافقتها آنذاك ، وان الكونجرس الأمريكى قد وافق فى ١٩٢٢ بالاجماع على قرار فى هذا الخصوص ، وأيضاً المعاهدة التى أبرمت بين بريطانيا والولايات المتحدة فى ١٩٢٤ نص فيها على أن الانتداب على فلسطين وتصريح بلفور جزان متكاملان ، وان الانتداب لا يتغير دون موافقة الحكومة الأمريكية .

ثم يقول نيومان إن بريطانيا عندما أصدرت الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩ وما ارتبط به من تقييد الهجرة وملكية الأراضى ، كان ذلك يعد تصرفاً فردياً من جانبها فقط ، كما كان يعنى ايقاف نمو وتطور الوطن القومى لليهود فى فلسطين .. إن هذا الوطن الذى قدم لليهود بمقتضى الالتزامات الدولية يحاول البريطانيون أن يمنعــوا اهــله (اليهود) من الدخول فيه . والمطلوب وفقاً لهذا ـ كما يقول نيومان ـ تذكير بريطانيا بالتعهدات التى أخذتها على نفسها .

والأغرب من هذا أن نيومان يصرح بأن المشروع بشكله الحالى لا يرضيه ، لأن فيه بعض نقاط كان يود لو أنها صيغت بشكل أقوى . فالمسودة الأولى للمشروع كانت تتحدث عن حرية دخول اليهود الى فلسطين ولم تتضمن عبارة «الى الحد الأقصى الذى تسمح به الامكانيات الزراعية والاقتصادية لفلسطين» وهى العبارة التى وردت فى المشروع بعد صياغته . وتشير المسودة ـ كما يذكر نيومان ـ الى أن الشعب اليهودى هو الذى يقيم الكومنولث فى فلسطين ، أما المشروع بعد صياغته فلا يشير الى ذلك . ولكنه لا يود أن يسجل هذه الاعتراضات بشكل رسمى حتى لا تحدث مصاعب أمام المشروع .

ومن خلال استطالة الحوار مع نيومان نتعرف على ما يدور فى ذهن المنظمة الصهيونية الأمريكية بشأن مستقبل فلسطين . فهو يقول انه عندما يشكل اليهود أغلبية سكانية فى فلسطين فانهم مع العرب ومع مجموعات السكان الأخرى ، سوف يقيمون «كومنولثا» يتمتع فيه كل المواطنين فى الأرض بحقوق متساوية . وان استخدام عبارة «كومنولث يهودى» لا يعنى ـ فى رأيه ـ أية ميزة خاصة لليهود ، بل إنه يعنى كومنولثا باغلبية يهودية .

وعندما سأله وادزورث عما اذا كان النص على عبارة «كومنولث يهودى» تثير ثائرة العرب .. قال بفجاجة ان العرب يثورون على كل شىء وعلى أى شىء . فهم يحتجون على الهجرة اليهودية ، ويصرخون دوما فى وجه كل سفينة تنزل يهوداً مهاجرين ، ويتخذ سياسيوهم من ذلك قضية .. وان كان هذا لم يؤد الى صدام دموى بين الطرفين .

ثم سأله وادزورث هل عندك تصور لاقامة دولة أو أمة مستقلة . فلما أجاب بنعم ،، قال له وادزورث مستطرداً .. ولها سفراء فى دول مختلفة ووسائل حماية فى الداخل وجيش وبحرية . أجاب .. اذا ما دعت الحاجة الى ذلك متمثلا فى هذا بلبنان وسوريا والعراق . ولما قال له وادزورث إن هذه دول استقلت حديثاً .. قال نيومان .. انه يعلم ذلك .. وان الولايات المتحدة كانت فى مقدمة الدول التى اعترفت باستقلال سوريا ولبنان عندما كان الانتداب الفرنسى على سوريا مايزال قائما من الناحية الفنية ، كما أن الحكومة الأمريكية شجعت قيام جامعة الدول العربية .

ولكن نيومان يضيف قائلا : إن هذا التصور ليس التصور الوحيد المطروح بين العناصر الصهيونية ، فهناك أطراف أخرى تتصور فلسطين فى شكل آخر مختلف ، أى فى شكل دومينيون داخل الكومنولث البريطانى خاصة وأن كثيراً من الانجليز يفضلون ذلك . بل إن المنظمة الصهيونية الأمريكية تحدثت عن تصور الدومينيون هذا فى خطاب رسمى لها أرسلته للحكومة البريطانية . وفى هذه الحالة لابد من اعتراف الولايات المتحدة وسائر الدول بوضع الدومينيون عند نهاية الانتداب . وهناك تصور آخر يهدف الى أن تكون فلسطين جزءاً من اتحاد فيدرالى يضم دول الشرق الأدنى .

• • •

تلك كانت المناقشات التى دارت حول مشروع القرار رقم ١١٣ الخاص بفتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية ، وانشاء وطن قومى لليهود ، وانشاء كومنولث ديموقراطى غير أن شيئاً من ذلك لم يوضع موضع التنفيذ العملى ، إذ أن اللجنة الانجلو ـ أمريكية التى اقترحت من جانب بريطانيا كبديل لقبول المائة ألف يهودى فى فلسطين كما سبقت الاشارة ، لم تجتمع إلا فى عام ١٩٤٦ ، ثم دارت الأحداث بين شد وجذب الى أن حدث التقسيم عام ١٩٤٧ ، وتلك كانت صفحة أخرى من صفحات المسالة الصهيونية الفلسطينية. **إنتهى البحث**

د. عاصم الدسوقى

هوامــش

(١) قدمت لجنة الشئون الخارجية تقريراً عن هذا المشروع وطالبت الموافقة عليه برمته قبل أن يعرض للمناقشة (انظر الملحق رقم ٥ بنص التقرير ص ٩٤) .

(٢) انظر الملحق رقم ٤ الخاص ببيان ستيفن وايز .

(٣) تقول الحيثية « لما كان الكونجرس الأمريكي قد قرر بالاجماع فى دور انعقاده السابع والستين في « ٣٠ يونية ١٩٢٢» ان الولايات المتحدة الأمريكية تؤيد اقامة وطن قومى يهودى فى فلسطين وبحيث لا يترتب على ذلك اجراءات تؤدى الى الاضرار بالحقوق المدنية والدينية للمسيحيين وسائر الجاليات غير اليهودية فى فلسطين مع توفير الحماية المناسبة للأماكن المقدسة والمراكز والمواقع الدينية فى فلسطين» . انظر نص مشروع القرار ص ٥٩ من هذا الكتاب .

(٤) تقول الحيثية : «ولما كان الاضطهاد البشع الذى وقع على الشعب اليهودى فى اوربا قد اثبت بوضوح الحاجة الى وطن يهودى كملجا للأعداد الهائلة من اليهود الذين اصبحوا بلا ماوى بسبب هذا الاضطهاد. انظر نص مشروع القرار ص ٥٩ من هذا الكتاب .

(٥) الأعضاء هم : فرانك ايديلوت مدير معهد البحوث بجامعة برنستون ، والناشر بوكستون ، والسيناتور بارتلى كروم ، والقاضى جوزيف هتشيسون ، وجيمس مكدونالد ، والسفير الامريكى فى لندن وليم فيلبس .

(٦) من هذه المنظمات غير الصهيونية : المجلس اليهودي الامريكي American Jewish Congress والبعناي بعريث B'nai B'rith (١٥٠ الف عضو) ، وديوان النساء اليهوديات Council of Jewish Women ، واتحاد المحافل العبرية الامريكيــة Union of American Hebrew Congregation ومنظمات الحاخامات : مثــل المؤتمر المــركزي للحاخامــات الامريكييــن Central Conference of American Rabbis واتحاد الحاخامات التوراتيين Union of Orthodox Rabbis واتحاد الحاخامات المحافظين Conservative Rabbis' Organization والجمعية الحاخامية Rabbinical Assembly واللجنــة اليهوديــة الامريكيــة American Jewish Committee

الشاعر والطبيعة

كثيراً ما يرتبط اسم شاعر ما بتعميم نقدى أطلقه عليه أحد المفكرين أو النقاد . ففلان هو «شاعر الحزن» ، وهذا هو «شاعر النيل» وذاك هو «شاعر العرب» ، والافتراض هنا أن أعمال هذا الشاعر أو ذاك تجسد فكرة الحزن أو المصرية أو العربية . ومثل هذه التعميمات النقدية ليست عديمة الجدوى كلية ، خاصة اذا ذكرنا أنفسنا من آونة لأخرى بأن هذه الاصطلاحات إنما هى مجرد تسميات مناسبة تساعدنا على التصنيف السريع الذى يجعل الحوار النقدى والفكرى ممكناً على المستوى اليومى ، بل وأحياناً على المستوى الفكرى الجاد ، ولكننا غالباً ما ننسى أن التعميم النقدى ، اذا ما استسلمنا له ، يحجب عن ناظرنا كثيراً من سمات العمل الفنى وخصائصه الفريدة التى تعطيه قيمته الحقيقية. ونحن نقرأ الشعر لا لنتعرف على أفكار عامة نبيلة وإنما لنخوض تجربة محسوسة وفريدة تعبر عن « موقف » انسانى لا يمكن التعبير عنه إلا من خلال لغة الشعر المجازية وحدها ، ومن خلال صوره ورموزه .

ومن التعميمات النقدية التى ارتبطت بالمدرسة الرومانتيكية (سواء فى الغرب أم فى الشرق) أن شعراء هذه المدرسة هم «شعراء الطبيعة» المولهون بحبها والذين يقضون معظم وقتهم فى التغنى بحسنها وجمالها . وهذا التعميم النقدى لم يجانبه الصدق كلية ، فقارىء شعر «علي محمود طه» أو «مطران خليل مطران» أو «وردزورث» أو «لامارتين» يلاحظ على التو أن هذا الشعر يزخر باشارات عديدة للأشجار والنجوم والشموس والزهور والفصول والجبال والتلال والوهاد والطيور (وكروان العقاد ووقواق وردزورث ، وقبرة شللى كلها طيور معروفة لقراء الشعر الرومانتيكى وعشاقه) . ولكن ليس من المعقول أن يكون موقف كل هؤلاء الشعراء متماثلا أو حتى متشابهاً . فمطران خليل مطران العربى لابد وأنه رأى أشياء فى الطبيعة لم يرها « وردزورث » الانجليزى ، لأن الشاعر العربى حينما ذهب الى الطبيعة حمل وعيه العربى وهمومه الشخصية معه ، تماماً مثلما حمل نظيره الانجليزى وعيه وهمومه .

فحينما ذهب مطران الى الطبيعة ذهب كانسان عربى ينتمى الى تراث حضارى انسانى لا تشغل فكرة الطبيعة والعودة اليها والارتباط بها مكاناً أساسياً فيه ، فعلى الرغم من اهتمام الشاعر الجاهلى بالطبيعة وبتفاصيلها ، وعلى الرغم من العلاقة الوثيقة التى كانت تربطه بناقته إلا أن رؤيته فى نهاية الأمر رؤية انسانية ، بمعنى انها تنظر الى كل الأشياء فى علاقاتها بالانسان . ثم جاء الاسلام وأصبح هو أساس رؤية العرب للكون ، واسطورة الطبيعة ـ كما هو متوقع ـ لا تشغل حيزاً كبيراً فيه . فعلى الرغم من أن الاسلام يعلمنا احترام الكون ونظامه وأن ننظر اليه كشاهد يقوم على عظمة الخالق ، إلا أنه يفرق بين الانسان والطبيعة ، وحينما خلق الله آدم علمه أسماء الحيوانات والنباتات كلها ، وبتعلمه إياها أصبح سيداً عليها وليس مجرد جزء منها . ويعبر هذا الابتعاد عن الطبيعة عن نفسه فى الفنون التشكيلية العربية ، وأهم هذه الفنون هى الخط العربى ، وهو فن اقل ما يوصف به أنه بعيد كل البعد عن الطبيعة ، فالكلمة هى نتاج انسانى كامل ، والكلمة المكتوبة أكثر انسانية . وهناك أيضاً فن الأرابيسك وهو الفن الذى يحول كل عناصر الطبيعة الى أشكال هندسية ينتظمها نسق تصوغه يد الانسان . هذا على المستوى الحضارى أما على المستوى التاريخى ، فمطران كان ابن مجتمع يحارب الاستعمار وتمثل الصناعة إحدى أحلامه وليس إحدى كوابيسه كما هو الحال مع الرومانتيكيين الغربيين) ولذا فالفرار الى الطبيعة لم يكن بالضرورة فراراً من الصناعة والمدينة وإنما فرار من نوع آخر . كل هذه العناصر أو بعضها ، ونحن لم نحصد منها إلا اقل من القليل ، كانت تؤثر ولاشك على وجدان مطران حينما تفاعل مع الطبيعة وكتب عنها . ولذا بدلا من أن نقنع بتسمية شاعرنا «بشاعر الطبيعة» يجب أن ينصرف اهتمام الناقد الحقيقى الى محاولة اكتشاف القسمات الخاصة التى تميز «شعراء الطبيعة» الواحد عن الآخر بل وتميز كل قصيدة عن الأخرى .

فكرة العودة الى الطبيعة

وقد ارتبط اسم الشاعر الانجليزى وليام ورد زورث (١٧٧٠ ـ ١٨٥٠) بفكرة العودة للطبيعة الى درجة انه كان يطلق عليه أحياناً اسم «عابد الطبيعة» . وأعتقد أن هذه التسمية مبالغ فيها الى حد كبير . فوردزورث فى شعره ، مثله فى ذلك مثل كل المفكرين الانسانيين ، يبذل قصارى جهده فى التفرقة بين الانسان والطبيعة ، لأن الانسان هو سيد الكون ـ المتوج والمصلوب على وعيه ـ . ويؤكد وردزورث هذه الفكرة فى القصيدة الختامية لمجموعة القصائد المعنونة «سونتات لنهر دادون» .

وهذه السلسلة من السونتات عبارة عن

بقلم: د. عبد الوهاب محمد المسيري

وصف لرحلة النهر يبدأها الشاعر بوصف المنبع ، ثم ينساب مع النهر واصفا كل المناظر الطبيعية المحيطة به وبكل الحوادث التاريخية المرتبطة الى أن يصل الى المصب . ولكنه حينما يصل الى المصب يكتشف الحقيقة المريرة وهى أن النهر عنصر من عناصر الطبيعة يسير فى دورات لا متناهية ثابتة ، أما هو فكائن «تاريخى» يولد وينمو ويموت :

لقد ظننت ، يا شريكى ومرشدى ،
أنك قد ذهبت ولن تعود ــ فيا له من تعاطف باطل
لأننى حينما أمد ناظرى الى الوراء يادادون
أرى ما كان وما هو كائن وما سيظل باقياً .
فالمجرى لايزال فى انسياب ، وسينساب الى الأبد ،
الشكل يبقى والحركة لن تموت .
بينما نحن ــ نحن الشجعان الأقوياء والحكماء ،
نحن الرجال الذين تحدينا العناصر
فى فجر شبابنا ــ قضى علينا بالذهاب دون أوبة . فليكن
إذ يكفى أن تكون الأشياء التى خلقتها أيدينا
قادرة على أن تحيا وتعمل وتخدم المستقبل
وأن نشعر ، ونحن فى طريقنا الى القبر الساكن ،
من خلال الحب ، من خلال الأمل ،
ومن خلال ما يمهرنا به الايمان بالتسامى
بأننا أعظم مما نعلم .

وقد يكون من المفيد أن نشير الى أن عبارة «فليكن» هى العبارة التى يقولها الشيطان فى ملحمة ملتون «الفردوس المفقود» بعد سقوطه من الفردوس الى الجحيم ، وبهذا المعنى يكون وعي الشاعر بحقيقة الموت هو نوع من «السقوط» والخروج من الفردوس . ولكن البيت الأخير من السونت هو تاكيد لمقدرة الانسان على تخطى هذا السقوط .



على محمود طـه
مطلوب اكتشاف القسمات الخاصة التى تميز شعره



خليل مطران
ذهب الى الطبيعة وهو يحمل وعيه العربي وهمومه الشخصية

الحاصدة الوحيدة

وقد يقال بأن هذه السونت من أعمال وردزورث المتاخرة نوعا (فقد كتبت عام ١٨١٩) ، وانه كتبها بعد أن فقد إيمانه المباشر (ويقال الثورى) بالطبيعة . ولهذا السبب سأعرض بالتحليل لقصيدة «الحاصدة الوحيدة» وهى من قصائد وردزورث المبكرة (كتبت عام ١٨٠٥) التى يشير اليها معظم النقاد ليبرهنوا على «عبادة» وردزورث للطبيعة :

انظر اليها فى الحقل وحيدة ،
تلك الفتاة الريفية فى عزلتها ،
تحصد وتغنى بمفردها
قف ها هنا أو لتمر برفق .
إنها وحدها تجمع القمح وتربط حزمه
وتشدو بأغنية حزينة .
أصخ السمع ، فالوادى العميق
فياض بالنغم .
إن بلبلا قط لم يغرد
بهذه الطلاوة للحشد المنهك
من المسافرين عند بعض الواحات الظليلة
فى جوف الرمال فى صحارى العرب ،
ان صوتاً كهذا يهز النفس لم تسمعه قط
أى آذان إبان الربيع
حينما يشق صوت الوقواق
سكون البحار
عند جزائر الهبريديز النائية .
هلا وجدت من يحدثنى بماذا تغنى !
فربما فاضت هذه النغمات الحزينة
من أجل ماض سحيق شقى قديم
ومعارك انقضى عهدها منذ زمن بعيد ،
أم تراني أسمع أغنية متواضعة
تشدو بشئون أيامنا ،
وبما فى الحياة من ألم حتمى وفقدان وأسى
مما شهدته الحياة ، ومما قد تعود فتشهده من جديد .
مهما يكن موضوع الغناء فان العذراء قد صدحت به
كما لو كانت أغنيتها لا نهاية لها ،
ولقد رأيتها تغنى وهى تعمل
منحنية فوق منجلها ،
فانصت اليها ساكنا دون حراك .
وعندما صعدت التل ،
حملت موسيقاها فى قلبى
لفترة طويلة بعد أن تناهى صوتها عنى .

والقصيدة كما ترى مليئة بالاشارات الى الطبيعة ، فالبطلة فتاة ريفية تحصد وتغنى ، وهناك فى الافق البعيد واد عميق وثمة ذكر لجزائر الهبريديز النائية ، كما

الشاعر والطبيعة

أننا نسمع تغريد البلبل والوقواق . وترتبط بهــــذه الخلفيـــــة الطبيعية مشاعر «وموضوعات» رومانتيكية عديدة معروفة . فالبطلة وحيدة تتغنى باغنيات حزينة ، كما أن الشاعر يستجيب لهذا الغناء استجابة عاطفية مشبوبة ، أى أن هذه القصيدة قصيدة «رومانتيكية» عن الوحدة والعاطفة والطبيعة . ومما لا مراء فيه اننا إذا أردنا «تصنيف» القصيدة تصنيفاً عاماً لوجدنا أن هذا الوصف الذى توصلنا له هو انسب الأوصاف . ولكن وصفنا لا يعدو ان يكون تصنيفاً فكرياً أو تاريخياً وليس نقداً أدبياً ، لأن النقد الأدبى لابد وأن يحاول وصف حركة القصيدة ذاتها وجزئياتها المختلفة ولغتها الخاصة . وعن طريق مثل هذا التحليل يمكننا أن نحدد طبيعة رؤية الشاعر فى هذه القصيدة بالذات (وليس رؤية «العصر») ونتعرف على حقيقة موقفه هو من الطبيعة (وليس الموقف الرومانتيكى من الطبيعة) .

تقف الحاصدة فى وسط الحقل وكأنها مخلوق طبيعى ينتمى الى عالم الطبيعة وليس الى عالم الانسان . ولذلك نجد الشاعر يشدد على وحدتها وعزلتها ، فهى فى «الحقل وحيدة» «فى عزلتها» ، تغنى «بمفردها» ، وهى «وحدها تجمع القمح» . إنها تعيش خارج المجتمع الانسانى ولذلك فهى تندمج بالطبيعة وتمتزج بها ، ويتداخل الانسانى والطبيعى ، فالوادى العميق (الطبيعى) ، فياض بالنغم (الانسانى) .

ولكن من البداية نلاحظ أن الحاصدة رغم وجودها فى الطبيعة ، ورغم امتزاجها النسبى بها ، تقف فى وسط الطبيعة مثل المركز الذى تنبع منه كل الأشياء واليه تعود ، بدونها يفقد المنظر جماله ومعناه ، ان الشاعر لا ينظر الى الطبيعة «الموضوعية المجردة» ، بل ينظر الى طبيعة محسوسة اكتسبت معنى وبعداً انسانياً لوجود الحاصدة وسطها . ولكى يؤكد الشاعر عظم شان اللحظة وأهميتها فانه يلجا لحيلة بلاغية ذكية فيخاطب القارىء وكأنه فى داخل الصورة مع الشاعر يتأمل المنظر والحاصدة ، ولذلك فالشاعر يناشدنا أن نقف معه فى هدوء او نمر برفق ، ثم يناشد هؤلاء الذين آثروا البقاء معه أن



وليام وردزورث
اشعاره ترفع من شان عقل الانسان دون رفض للطبيعة



لامارتين
لماذا نجمع بينه وبين الشعراء الآخرين فى إطلاق صفة واحدة

يصيخوا السمع . وعن طريق هذه الحيلة يستجيب القارىء للتجربة مباشرة وكأنه يعيشها هو بنفسه وليس عن طريق كلمات الشاعر .

ومما يجب ملاحظته أن الوادى فياض بنغم الحاصدة ، أى أن النغم الانسانى هو الذى يغمر الكون ، وليست ذات الانسان هى التى تغرق فى الكون والطبيعـــة . والحاصدة أيضاً تقف فى وسط الطبيعـة ولكن علاقتها بالطبيعة ليست علاقة حب خالصة . إنها حاصدة تجمع القمح وتربط حزمه ، أى أنها تقوم بفعل انسانى « غير طبيعى » ، تحاول أن تروض الطبيعــة وتهزمها وتؤنسنها . مثلها فى ذلك مثـل الفنان الذى يأخذ مواده الخام من الطبيعة والواقع ليسمها بميسمه وليعطيها وجهاً انسانياً . انها ليست مخلوقاً طبيعياً ، بل هى أيضاً كائن اجتماعى ، وككائن اجتماعى لا يمكن ان يكون الفرح الخالص من نصيبها (لأن الفرح الخالص من نصيب الكائنات البسطية الطبيعية وحدها) ، ولذا فالحاصدة « تشدو » ولكنها تشدو « باغنية حزينة » .

بينما حددت المقطوعة الأولى شخصية الحاصدة باعتبارها كائنا طبيعيـاً اجتماعيا ، نجد أن المقطوعتين الثانيـة والثالثة تبينان صلتها بالتقاليد الادبيـة وبالتاريخ . والأدب والتاريخ هما أيضاً نتاج صراع الانسان مع الطبيعة ، ومحاولته تحويل المادة المجردة التى لا شكل لها الى شكل انسانى محسوس : الى قصائد ومدن لأن غناء الحاصدة الانسانى هو غناء واع وفنى ولذا فهو أعذب من غناء البلبـل الطبيعى وأكثر تاثيراً فى النفس من شدو الوقواق ، وصورة الحشـد المنهك من المسافرين فى صحراء العرب تحضر للذهن مرة اخرى موضوع الكفاح والصراع ضد الطبيعة (ولعل صراع العرب القدامى الدائم مع الصحراء هو الاساس المادى للانسانية البدوية التى يتحدث عنهـا مونتجمرى واتس المستشرق الانجليزى) . واذا كانت طبيعة وجودنا الانسانى تسبب لنا مشاعر مركبة من الفرح والحزن ، فاننا نجد ان التاريخ يتسم بهذه الجدلية . بماذا تغنى الحاصدة ، هذا الرمز العظيم للانسان ؟ انها تتغنى بنغمات حزينة من أجل ماض شقى قديم ومعارك انقضى عهدها ، أو ربما من أجل الحاضر بما فيه من الم حتمى . ان وجودنا الاجتماعى التاريخى فى صميمه مأساة ، ولكن المأساة لا تليق الا بالملوك (أما الملهــاة فهى للمهرجين دون سواهم) .

وبعد أن ربط الشاعر الحاصدة بعالم الانسان ، بالمجتمع والفن والتاريخ ، فانه يعود مرة أخرى فيؤكد علاقتها بالطبيعة (كما فعل فى المقطوعة الأولى) . انها تقف هناك منحنية فوق منجلها . وكأنها ستمكث هكذا الى نهاية الزمان « كما لو كانت أغنيتها لا نهاية لها » (تماما مثل نهر دادون) . بل ان الشاعر نفسه قد تحول الى ما يشبه العنصر الطبيعى « ينصت ساكناً دون حراك » . ولكننا نعرف ، والحاصدة تعرف ، والشاعر يعرف أن هذه هى لغة المجاز . ولذلك فهو يترك المكان ولحظة السكون شبه الأبدى ثم يصعد التل حاملا

الموسيقى فى قلبه .

من هذا التحليل يمكننا القول بان موقف ورد زورث من الطبيعة لا يتسم بالسلبية والاستسلام ، بل هو موقف جدلى بين ذات وموضوع . وأروع ما كتب وردزورث هو نتاج للتفاعل الخلاق بين خيال الشاعر المبدع واشكال الطبيعة المختلفة . وكان يحلو لورد زورث تسمية شعره « بشعر الزواج » زواج العقل بالطبيعة ، وزواج آدم بالاديم ، ولكنه زواج يلعب فيه هو دور الزوج والطرف الأقوى .

ولكن وردزورث لم يكن قادراً طوال الوقت على الحفاظ على هذا التوازن الخلاق ، لذلك نجده احيانا يكتب قصائد « مثالية » يعلى فيها العقل الانسانى ويعبر عن ازدرائه للمادة والطبيعة . وأصدق مثل على ذلك قصيدة « يارو دون عودة » حيث يقترح على أخته ألا يزوروا نهر يارو لأن زيارتهما ستبدد رؤيتهما الذاتية .

ليكن ياروجرى لم نره ، ولم نعرفه .
يجب أن يبقى كذلك والا نال منا الندم .
فلدينا رؤيا نكتنزها ،
آه ! لماذا نبددها .
فلنحتفظ يا رفيقتى الجميلة .
بالأحلام المكنوزة التى مضى عهدها بعيداً ! .

● إنها تعيش خارج المجتمع الإنساني ، ولذلك فهي تندمج بالطبيعة وتمتزج بها . فالوادي فياض بالنغم الإنساني

● إن موجة واحدة تهبّ علينا من الربيع قد تعلّمنا عن البشر والشر والخير أكثر مما يستطيع كل الحكماء

ولعل هذا الضرب الأخير من القصائد هو الذى حدا ببعض النقاد الى التعميم والى تسمية وردزورث بعابد الطبيعة . ومما هو جدير بالذكر أن الناقد الامريكى (ذا الميول الصهيونية) جرفرى هارتمان قد كتب شرحاً لقصيدة « الحاصدة الوحيدة » مفسراً اياها على أنها قصيدة يحاول فيها الشاعر الاندماج بالطبيعة ، ولكنه لا يمكنه الحفاظ على رؤيته وعلى لحظة الوصول ، فيرضخ على مضض لحدود الوجود الانسانى . وافتراض « هارتمان » هنا هو أن وردزورث شاعر صوفى مؤمن بفكرة وحدة الوجود التى تجمع بين الله والطبيعة والانسان وتساوى بينهم ، وأن الشاعر يحاول « الوصول » أو « العودة » إلى المطلق الذى يتخطى حدود الزمان والمكان والوعى الانسانى .

وحسب هذه النظرة يصبح إخفاق ورد زورث كشاعر هو ايضاً اخفاق صوفى . وأعتقد أن هذا الشرح يتجاهل كثيراً من تفاصيل القصيدة وجزئياتها ، كما أنه لا يتفهم موقف وردزورث الانساني الهيوماني الذى يحب الطبيعة ولكنه يعرف حدود هذا الحب ، فهو يصر على مركزية الانسان فى الكون .

وهكذا يرفض الشاعر التفاعل مع الطبيعة وركلها بقدميه ، فعقله هو مصدر الرؤى ، ورؤياه أبدع من الأشياء والطبيعة ولذا فهو لا يريد ان يدنس نفسه بالتنازل لمستواهما .

إذا كان هذا الموقف يمثل نقطة مثالية متطرفة فى رؤية وردزورث ، فثمة نقطة أخرى تعادلها فى التطرف وان كانت تقف منها على طرف النقيض ، موقف مادى ميكانيكى فيه استسلام للطبيعة كما هو واضح فى قصيدة « الوضع الأسمى » . تبدأ القصيدة بدعوة يوجهها الشاعر لصديقه أن ينهض ويترك الكتب وعالم الدرس والتحصيل ليخرج لعالم الطبيعة ، فما الكتب سوى عناء رتيب لا ينتهى ، وما فيها من حكمة فهو باهت لا حياة فيه ، أما الطبيعة ففيها من الحكمة الحية ما يفوق كل ما فى الكتب وعالم الفن والتاريخ والانسان ، وهى « حكمة تلقائية » لا يكد الانسان من أجلها ولا يتعب ، بل ويؤكد الشاعر :

أن موجةً واحدة تهب علينا من غلبة الربيع .
قد تعلمك عن البشر .
وعن الشر والخير .
أكثر مما يستطيع كل الحكماء مجتمعين .

وتفيض الكلمات من قلم الشاعر ويتغزل فى تلك « المعرفة الطبيعية » . وداخل هذا الاطار يصبح العقل الانسانى المنقب المستقل مجرد « شىء طفيلى يشوه أشكال الأشياء البديعة » ويختتم الشاعر القصيدة بمقطوعة فيها دعوة صريحة للاستسلام :

كفانا علماً وفناً .
أطو تلك الصفحات العقيمة .
وتقدم معى .
بفؤاد يرتقب ويستجيب .

ولذا فجل أشعار وردزورث هي أشعار جدلية يعلى فيها الشاعر من شأن عقل الانسان دون رفض للطبيعة والمادة ، ويعترف فيها بوجود الطبيعة وجمالها دون أن ينكر فعالية عقل الانسان ومركزيته .

يتعامل مع المطلق والكوني بل والفوضوي (التى تتمثل فى أسطورة الطبيعة) ولكنه يؤكد أهمية المحسوس والمحدد . مثل هذه الرؤية الجدلية ضرورية للاستمرار والحركة ، فبدون حدود لا يمكن أن تقوم للفن أو للأخلاق أو للحضارة قائمة ، ولكن إن ضغطت الحدود على الانسان وإن استسلم لها قبع فى مكانه وكانت حياته هي ضرب من الجمود والموت .

د . عبد الوهاب المسيرى

أنطونيو جالا

فنان أسباني مبدع يستمد أفكاره وشخصياته من التراث العربي في الأندلس

بقلم: عبد اللطيف عبد الحليم

كاتب بليغ، ومحدث بارع فصيح، وقلما تجتمع هاتان الخلتان، لأن ذلاقة اللسان لا تنبىء غالباً عن شعور عميق، وتحليل دقيق لأطوار النفس والحياة، بيد أن الفصاحة والبلاغة اجتمعتا على نمط متوازن فى كتابة صاحبنا جالا وفى حديثه، بل تهيأت له ملكة نادرة فى التعبير عن مشاعره البعيدة الغور - وعن مشاعر أبطاله - فى وجازة يخفى فيها العرق المبذول، والجهد الذى عانق رحلة كلماته حتى وصلت إلى تمام شوطها المراد.

يدمن أنطونيو جالا قراءة المعاجم والنظر فيها، لا بحثا عن الكلمات القديمة، والالفاظ المهجورة، بل إنه يستنطقها تاريخاً وروحاً.

ولحسن الحظ تكثر المعاجم التاريخية في اللغة الاسبانية. تأتى بعض ألفاظه صعبة حتى على بعض المثقفين الاسبان، وإشاراته التاريخية تكثر فى كتاباته فيضطر قراؤه إلى مراجعة المصادر التاريخية وغيرها، لكنهم يحمدون رحلتهم هذه، لأنهم يرجعون بزاد من الفكر وذخيرة من الشعور، أفادتهم إياها تلك الاشارة التاريخية، أو هاته الكلمة الصعبة التى حلت محلها.

ولد أنطونيو جالا فى قرطبة - مدينة الخلافة - وهى مدينة يمثل فيها التاريخ حياً يتخلل وعيك، تكاد تستشعره باللمس، قبل أن تقرأه فى كتاب أو بين قاعات الدرس، وأهل قرطبة - والأندلس بعامة - حريصون على هذا التاريخ - تاريخهم - يشمخون بعظمة أسلافهم التى خلدت ذكر هذه المدينة وذكر نهرها «الوادى الكبير» الذى مازال يحتفظ باسمه العربى فى لغتهم المحدثة، ويرون - حتى رجل الشارع البسيط - أن تشويه المسجد الجامع ببناء هيكل داخله، إنما كان تعصباً وضيق أفق، وفى أهلها سماحة ولوذعية، وهم خلف لسلف حتى فى معارف الوجه وتركيب البنيان.

ولد صاحبنا «جالا» فى هذه المدينة التاريخية فى الثانى من أكتوبر من عام ١٩٣٦ بعد بدايات الحرب الأهلية الاسبانية باشهر قلائل، وتلقى دراساته الأولى والمتوسطة فى مدرسة «لاسال» بقرطبة، ثم درس الحقوق وحاز إجازتها فى جامعة اشبيلية، وحاز ليسانس الآداب من اشبيلية ومدريد، وأخيراً أحرز ليسانس الاقتصاد والعلوم السياسية من جامعة مدريد.

عمل فى عام ١٩٥٩ مدرساً للفلسفة والتاريخ فى بعض مدارس مدريد، ثم اشتغل مديراً لمعهد «فوكس» للغات ومديراً فى الوقت نفسه لقاعة الفن «مايور»، وفى عام ١٩٦١ أسس قاعة الفن ونادى «الأربل» فى مدريد، وفى سنة ١٩٦٣ فاز بجائزة المسرح القومية «كالديرون دى لاباركا» بعدها كرس حياته للأدب تماماً.

جالا .. شاعراً

استهل أنطونيو حياته الادبية شاعراً، فاصدر ثلاثة دواوين شعرية خلال أعوام ٥٩، ٦٢، ٦٥، كما نشر ثلاث قصص فى



الكاتب الاسبانى « انطونيو جالا » الذى يستمد افكاره من التراث العربى

عامى ٦٣ ، ٦٤ ، وله مجموعتا مقالات أدبية صدرتا عام ٦٥ ، كتب مسلسلات كثيرة للاذاعة والتليفزيون الاسبانى ، وعرض له فى السينما ثلاث روايات .

وإذا كان « جالا » قد استهل حياته شاعراً وتخلى عن ساحة الشعر الآن ، إلا أن عروس الشعر ما تفتأ تغازله وتراوده ، فتطل منها بين سطور رواياته ومسرحياته ، فلم يتخل إذن عن غنائم الشعر وأسلافه ، فتخرج بعض مشاهد مسرحياته لا ينقصها حتى الوزن ولا القافية ، وربما كانت هاته الغنائم والأسلاب هى خير ما ولج به عالم المسرح ، إذ أفادته قدرة على تعميق رؤيته ، وتعاطفاً مع شخوص حكاياته ، وفطنة على الولوج إلى دخائلها وأسرارها ، والتعبير عنها فى نهاية المطاف فى عمق وبساطة .

انطونيو جالا يتعامل مع التاريخ الأندلسى – تاريخه هو – تعامل الحب والعطف والفهم الناقد ، بعيداً عن أى لون من ألوان التعصب ضد العرب والاسلام – ولعل هذا من سماحة قرطبيته – فى بلد كان يقتات التعصب سنين عددا ، تقرأ ما يكتبه عن العرب والمسلمين فى الأندلس فكأنك تقرأ لكاتب عربى فى مشاعره وفكره – وقد انتخب أخيراً رئيساً لجمعية الصداقة الاسبانية العربية فى مدريد – .

المسرح الفكرى

يتكىء انطونيو على التاريخ – فى مسرحياته – اتكاء فنان مبدع ، يتخيل الحوادث ، ويلابس الشخوص ، ويتنفس من رئتيها ، يتعامل مع التاريخ كائنا حيا ، يوقظه من سبات المدونات ، ماسحاً عنه غبار الزمن . وهكذا يستطيع الفنان أن يلتقى بشخوص التاريخ يؤاكلها ويشاربها ، ويماشيها بعد أن نفض عنها اكفان البلى ، ينقل الينا لحظات وهجها وخمودها ، وهذا هو وكد الفنان والمرتجى منه ، وما عليه بعد ذلك – لو استقام له هذا المعيار – أن ينأى عن التاريخ بمعناه الدقيق كثيراً او قليلا ؛ لأن الفن لديه اكثر صدقاً من ذلك التاريخ الغافى فى احشاء المدونات .

مسرح انطونيو جالا مسرح فكرى يوظف كل حوادث الرواية ليفضى بفكرته فى الختام ، وشخوصه فى هذا المقام مفرغة فى قالب من الوصف الدقيق لأطوار النفس وطبائعها ، لكنها لا تبلغ أن تكون «تركيبة» شخصية يخلقها الفنان ، وننتظر أن نعرف كيف تجيش هواجسها النفسية ، وكيف تتصرف فى المواقف التى تعن لها ، مثل هذه القدرة فى «خلق» الشخوص وافراغها فى قالب لا يمتزج بغيره ولا يختلط به لا نجدها عند كاتبنا ، إنما شخوصه تتحرك وتجالد وتتوفز لتكون الحصيلة فى النهاية الفكرة التى تؤرق المؤلف ويريد أن يفضى بها ، لكنه استعاض عن ذلك بالوصف المتوهج الدقيق ، وبالحركة النفسية التى يشى بها الحوار حين تظن انه بات فى طريق مسدود .

الكاتب المسرحى

كتب جالا بضع مسرحيات جعلته فى الصف الأول بين كتاب المسرح الاسبان المعاصرين ، نذكر منها «حقول عدن الخضراء» «الأيام الحلوة الضائعة» «بترا المهداة» «أنسة الفردوس العجوز» «خاتمان من اجل سيدة» – وقد ترجمناها الى العربية وتصدر فى سلسلة المسرح العالمى – «لماذا تركض يا عوليس ؟» «مقبرة العصافير» – وتعرض الآن فى مدريد . كل هذه الأعمال وغيرها قدمت على المسرح فى

أنطونيو جالا

معظم أنحاء اسبانيا وأمريكا اللاتينية ، واحتفل بالعرض الالفى لمسرحية «خاتمان من أجل سيدة» فى عام ١٩٧٦ م . واغلب هذه المسرحيات يعاد عرضها ، وتجد رواجاً وشعبية برغم موضوعاتها وأسلوبها الرفيع .

والموضوع الأثير الذى يدور غالباً فى مسرحياته هو «الخلاص» وغيبة الحرية ، والحب المزدرى أو المستحيل سواء فيما كتب من مسرحيات ذات فصول ، أو من مسرحيات الفصل الواحد ، تتوارى فى مسرحه الأحداث السياسية والاجتماعية ، لكنها تتوارى لتبدو وراء ستار رقيق من الفن ، فهو يقول كل ما يريد أن يقوله فى السياسة والمجتمع دون أن يخطب أو أن يعظ ، تثور شخوصه — وهو معها — على التقاليد البالية ، وعلى الانتظار اليائس . تتحدث السيدة خمينا زوجة السيد القمبيطور — راجع ما كتبه صديقى وأستاذى الدكتور الطاهر مكي فى «ملحمة السيد» عن هذه الشخصية التاريخية» — وبطلة مسرحية «خاتمان من اجل سيدة» ساخرة من التاريخ الرسمى الذى اقحمها فيه السيد قهرا ، ويصر الملك الفونسو السادس أن تظل فيه بعد موت السيد ، تقول خمينا : «لقد وجدت نفسى دائماً ضائعة فى هذا التاريخ الضخم ، فاض على التاريخ من كل الجوانب .. إن الميت كان عظيماً .. رايتنى مضطرة ان اقصر التاريخ على الحدود المنزلية» . وتقول ثائرة فى وجه الفونسو السادس حين قال لها «الوطن فوقنا جميعاً» تصرخ فيه قائلة : ماذا صنعت انت لهذا الشعب ، هل رغب شعب قشتالة فى أن تكون مسئولا عنه ؟ هل تسمى نفسك وطنا ، وارادتك وطنا ، وحرصك على السلطة وطنا ؟ دعنى بالله عليك من حديث الأوطان !!» . مثل هذا الكلام لا يقوله أشد الناس انغماساً فى السياسة وانشغالا بامور المجتمع ، لكنه الفن الذى سوغ مثل هذه الكلمات وجعلها سهلة الانحدار فى حلوق المراقبين !!

ونرى أن صرخة الحرية وطلب العدالة التى تطلقها خمينا يطلقها أبطال وبطلات أخريات فى مسرحياته ، وإن كان الصراع بين الفرد والمجتمع غير متكافىء ، غالباً ما يقهر الساسة واذنابهم رغبة الحرية فى الفرد ؛ «لأن العدالة لم تتعود أن تبنى عشها وسط الزحام» كما جاء فى مسرحيته ذات الفصل الواحد عن ابن رشد ، ونشرت فى مجلة «الدوحة» . لكن القارىء أو المشاهد يخرج بعد هذا الصراع غير المتكافىء وهو اقوى ايماناً بحق الفرد فى الحرية وحقه فى أن يحيا حياته هو لا الحياة التى تراد له ويساق اليها ، وليس هذا بالمغنم اليسير لأى عمل ادبى يجد صداه فى نفس المتلقى ، وربما يخطر للقارىء أو الناقد لانطونيو جالا ان شخوصه مسئولة الى حد ما عن نتيجة هذا الصراع بينها وبين المجتمع ممثلا فى رءوسه ؛ لأن الأفراد يدخلون الصراع أحياناً وهم منشقون على انفسهم . حدث هذا للسيدة خمينا ولآنسة الفردوس العجوز . لم يصنعا شيئاً غير الانتظار ، راغبين فى أن تقدم لهما الأشياء جاهزة مثل الأطفال ، وربما كنا اميل الى ان شخصية خمينا ، وشخصية انسة الفردوس العجوز فيهما مشابه من شخصية انطونيو جالا التى تعتصم باسوار «الانتظار» غير مقتحمة هاته الأسوار !! ، وربما كان ثمة سبب فى اختيار المؤلف غالباً ابطال مسرحياته فى سن الكهولة أو فى أواخر الشباب ، فان هذه السن هى عمر المؤلف الآن الذى تجاوز الاربعين ، وهذا — فى حد ذاته — يجعل المشابهة بينه وبين بطلاته شيئاً غير بعيد ، لكننا لن نخرج بذلك عن دائرة «الريبات» .

لكن الشىء المثير للتساؤل عند المؤلف انه يجعل المراة طالبة لا مطلوبة فى معظم أعماله تقريباً ، إنها تنتظر وهذا شىء يتسق وما جبلت عليه من خفر وحياء ، أما أن تصرخ فى الملا ، وتعرى مشاعرها فهذا شىء لا نجد له تفسيراً لدى الكاتب إلا ان تكون سطوة التقاليد التى تخرج المراة عن إطارها ، أو يكون لديها حس رجولى يغلب طابع الأنوثة فيها ، أو تكون هذه الصرخة صرخة الشوق الى الحرية المرجوة وسعياً حثيثاً الى الحرية التى صفدتها اغلال السياسة الجائرة ، واغلال رجال السياسة الذين يتذرعون بالكلمات الرنانة لاحكام قبضتهم ، ولجلب الدنيا اليهم على حد قول شيخ المعرة :

إنما هذه المذاهب أسباب ... لجلب الدنيا الى الرؤساء

يحدث احيانا ان يدور انطونيو جالا فى فلك واحد ، مكرراً نفسه ، فى بعض الموضوعات أو فى رسم الشخصيات ، واحيانا يقتبس من التاريخ صفحات طوالا ربما نظر اليها القارىء أو الناقد فى شىء من عدم الرضا او المؤاخذة ، لكن هذا غير متواتر فى أعماله الادبية كثيراً .

المرح الحزين !

يستلهم صاحبنا تاريخ الاندلس استلهاماً حصيفاً واعيا ، ويوظف حوادثه فى تعاطف موضوعى ، واحيانا يقتبس من الشعر الاندلسى بعض الأبيات ، أو ينثرها فى حواره المسرحى ، نرى هذا فى «خاتمان من أجل سيدة» التى اشار فيها الى القائد المرابطى أبى محمد المزدلى ، وابن غلبون أمير محلة مولينا ، والملك القادر والمعتمد ابن عباد ، ونراه كذلك فى ثلاثيته الأندلسية — التى ترجمناها لمجلة الدوحة — «ابن رشد» «المنصور بن أبى عامر» «الزهراء» وقد عرضت هذه الثلاثية فى التليفزيون الأسباني وحازت اعجاب الملايين من المشاهدين على اختلاف مستوياتهم الثقافية .

وتبرز الروح والطبيعة الأندلسية بروزاً واضحاً فى أعمال انطونيو جالا القرطبى الأندلسى ، بمزاجها الساخر المرح الحزين المليء بالمتناقضات على نمط يذكرنا بالمزاج المصرى الذى يلتقط المفارقات ويضحك منها برغم فجيعة الموقف .

وانطونيو بجانب ابداعه الشعرى والمسرحى كاتب مقال من الطراز الاول ، وامامى الآن آخر ما كتبه وهو محاورات مع كلبه ترويلو — الذى مات مؤخراً — فى السياسة والادب وهموم النفس الانسانية ، وفيه له ولغيره من اصدقائه مراث فى ذلك الكلب الوفى الأمين فى غاية من الصدق والروعة — ولطرافة هذا الكتاب سنعود اليه فى حديث عن أدب الكلاب — .

وانطونيو جالا مثال للاديب الذى يعيش من قلمه فى أوربا — لا فى الوطن العربى ، وويل لمن تدركه فيه حرفة الأدب — فهو يعيش فى مدريد عيشة ممثلى السينما بذخاً وثراء من دخل كتبه لا يسكن فى «فيلته» اكثر من سبع سنوات على فخامتها ووسائل الراحة والرفاهية فيها — وقد زرته مراراً فى داره الحاضرة — وقد اشتراها من المغنى العالمى خوليو إجليسياس — السابقة — . لكنه فى النهاية الرجل الأديب الوديع الذى يمارس حياته باسلوب شاعر اديب تلقاه فكانك تلقى قادما من بعيد تلمع عيناه لمعان الغبطة والرجاء ، وتحادثه فتلمح البديهة النافذة والفطنة الثاقبة ، والسخرية التى تشوب الحزن بالأمل ، والأسى بالشوق والرجاء ، انه صاحبى انطونيو جالا الذى اقدمه تقديم الصديق الى الأصدقاء القراء .

تحديق في ممالك الفرح

شعر: محيي الدين فارس



تَهشّينَ للقادمينَ
وَأبوابُكِ الضاحِكاتُ المزَاليجِ .. ما قطّبتْ وجْهَهَا ..
ما أقَامَتْ جِدارًا
وكم أشعَلتْ في رءوسِ الجِبَالِ القناديلَ ..
للمدْلجينَ .. وللضائعينَ بليلِ المتَاهَاتِ ..
.. ليل الحيارَى
أحدّقُ في مُقلتَيْكِ .. وأحْفِرُ في طُرُقَاتِ الرّنينِ مَمَرًّا
أعِيدُ عليكِ صَدَى ذلك اللحنِ
يوْمَ التقيْنَا بقلبِ الجَزِيرَه
وكنتِ الأميرةَ
وسُلْطَانةً تستريحُ لديْها الشُّمُوسُ
وتبدأُ من قدميْها المسِيرَه
أحدّقُ في مقلتَيْكِ .. تذوبُ ثلُوجِي
وتخضرُّ فوق الروابي مُرُوجِي
وأبحثُ عن أحْرُفِيَ .. عنْ لُغَاتي الكثيره
وعَنْ مَدْخلٍ لاستعَادَةِ ذَاتِي
لأرفُوَ عند اللقاءِ ثقوبَ القطيعه
وألمسُ وجْهَ المرَاسِي .. فتنْأَى
.. يموتُ الحِـــوَار
واسْقطُ في هُوّةِ اللّاقَرَار
وَحِينَ أُعيدُ التّوَازُنَ بَيْنِي .. وبين الحِوَار

يصَادِرُنِي النخْلُ .. يأكلُ وَجْهِي
كأني اقتحَمْتُ مَمَالِكَهُ ..
تَحصّنُ بالرّعدِ . والبرْقِ .. والظُّلماتِ المطيرَه
لماذا يَضيعُ بنُوكِ ؟ ! ويعتَسِفُونَ ليالي الصحارَى
تآكلَ وجْهِيَ .. فوقَ الموانِي
فقدْتُ بطاقَاتِ ذَاتِي
وعادَتْ مبعثرةً كمياهِ النوافيرِ
تبكِي يميناً .... وتبكِي يساراً
تعذّبنِي لحظَاتُ الرحِيل
فقَبْلَ الرحِيل
أعدلُ وجْهَ المنَاظِيرِ أملأُ عيْنَيَّ منْها
أضمّ شَوَاطِئَها .. وأشمّ الغُبَارَا
وَأحْضنُها ساحلاً ما يزال بَتُولاً ...
.. ونهْراً .. يجيدُ الحوارَا
تلفّتُ وحْدِي قبيل مغِيبِ الشّعاع
وحدّثتُ قابلةَ الليلِ لا تقطعِي في غِيابِي
رسالاتك المنتقاةَ الحرُوف
فانت تَهشّينَ للقادمينَ
من الظّلماتِ الثلاثِ بقَلْبٍ عَطُـوف
سآتيكِ يوماً وفي مقلتيَّ دموعُ الفَرَح
إذا لاحَ في شُرُفاتِ الأَصَائلِ قوسُ قزَحْ

ياعلمـاء العـرب
لاتتحرّجوا ولاتتقيّدوا بهذه النظريات!

بقلم: درويش مصطـفى الفـار

من أسمى عناصر بقاء الانسان ، عبر القرون والمشقات ، فى البادية العربية أنك تجد ، لكل شيء ، إسماً ، يدل عليه ، ويميزه عن غيره ، على سعة الصحراء الشاسعة ، دون التباس أو اختلاط أو فوضى ...

فلدى البدوى الأمى ، أسماء واضحة ، بليغة ، لكل الأعشاب والشجيرات ، بل والأشْنْ والطحالب ، صاغها ، قبل أن يبتدع السويدى لينياس (١٧٠٧ - ١٧٧٨) علم (التصنيف) باللسان اللاتينى للمخلوقات المعاصرة والبائدة ، وهو لا يغير تسمياته ولا يبدلها ، كما يفعل علماء البيولوجيا الحديثة والقديمة بين آن وآخر ...

كما أن لدى البدوى ، لقباً أو كنية ، لكل موقع فى صحرائه ، جبلا كان أم وادياً أم بئراً أم كثيب رمل مهيل تذروه الرياح ، وذلك قبل أن يعرف الناس الخرائط بزمان ممعن فى القدم ..

والبدوى يحفظ تلك الأسماء والألقاب ، فى ذاكرته ، دون حاجة إلى أطلس أو كتاب منذ نعومة أظفاره ، حتى أنك لتعجب كل العجب ، حين يقودك يافع من البدو ، تحت جنح الظلام ، فى سيارة ، أو مشياً على الأقدام ، من مكان الى مكان ، فى عرض الفيافى والقفار ، دون أن يعتريه خوف من تيه أو جزع من ضياع ، أو ترتعد فرائصه ، شأن ساكنى المدن ، خشية الوحوش والآفات ..

وتدور تسميات الأمكنة التى اطلقها أهل البوادي العربية على المرتفعات والمنخفضات والسهول والقيعان فى أفلاك قوامها :

● الأخذ بالاساطير والقصص القديمة التى تتناقلها الأجيال ، كان يسمى فى سيناء جبل البنات ، ومقعد العجيبين ورجال الخلا ، وبير الرجيم ، ولكل أسطورته الخيالية العجيبة .

● من واقع أحداث تاريخية ، كدرب الحاج ، وبير الرومانى ، ومعصى الجندى وتل السواركة .

● من أسماء الحيوان مثل ، مرمى الظليم ، ورويسات الجراد ، وأم الأفاعى ورقبة النعامة ....

● من أسماء النبات مثل الشياح ، وأبو طرفاة ، والشفلح ....

● من أسماء المعادن كجبل الحديد ، وجبل الكبريت ، وعدوة الملح ...

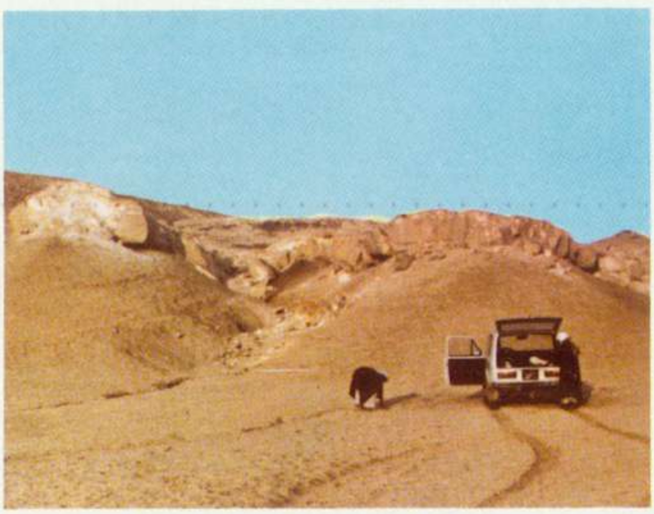
● من أسماء أشخاص تربطهم حوادث بأمكنة بعينها مثل ثليمة عطا ، وجبل ابى مسعود ، وبير عطوان ....

● من الظواهر الطبيعية كجبل البرقاء والغراء ، والأصيفر ، والحمراء ....

● من أسماء القبائل ، مثل نويبع مزينة والمساعيد ، وعين القديرات ...

● من مصادر لايمكن ارجاعها لشيء مما اسلفناه ، وهنا يقع الباحث عن مكنون الاسم فى حيرة ، كتلك الحيرة التى تجشمتها ذات مرة بحثاً عن اسم جبل (بضيع) بكسر الباء والضاد ، حسب النطق المحلى بغرب وسط سيناء ، حيث آثار اقدم مدينة مصرية فى العصر الحجرى قبل الأسرات ... فذلك الجبل ، مكتوب على الخرائط التى صنعها (الفرنجة) بحيث ينطق (جبل بوضيا) وترجمت هكذا على الخرائط العربية ... وفى اثناء التجول حول المشارف الجنوبية لجبل بضيع ذاك، حدث ما لم يكن فى الحسبان ...

ساخت عجلات السيارة فى ساحة من



كان فحص آثار السيـارة سببا في كشف علمي جديد فى صحرائنـا العربيـة



الطبقة الفوسفاتية الجيرية ، تحتها طبقات الطين التى ينتج عن تعرضها للجو املاح كبريتات الصوديوم ذات القيمة الاقتصادية

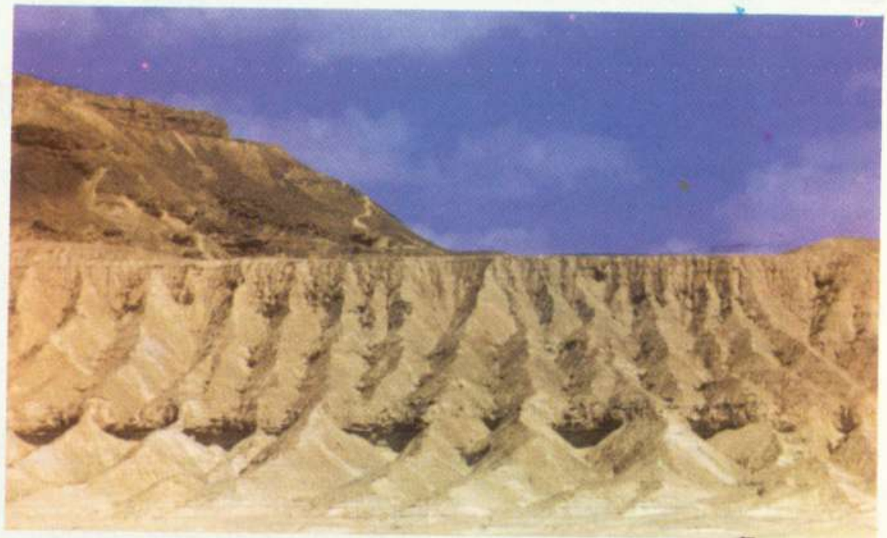
الطين الذى عملت فيه عوامل الجو والتعرية مفعولها عبر الأحقاب ... واثناء الاستراحة من عناء دفع السيارة للخروج من تلك الورطة ، لاحظت مسحوقاً ابيض يخرج من تحت التراب فتذوقته ظاناً انه مجرد ملح الطعام ، فاذا بطعمه ينبئنى بأنه ليس كذلك ، فنقلت منه شيئاً الى (مختبر) المعسكر ، فاذا بالفحص **الكيماوي يفيدني بان ذلك المسحوق الأبيض هو ملح (كبريتات الصوديوم)... ولم انم معظم ليلتي تلك في خيمتي .. إذ طفقت اقلب ما تحت يدي من المراجع والكراسات** والمحاضرات الدراسية ، علنى اهتدى الى كيفية ترسيب ذلك الملح فى مثل ذلك الموقع من الصحراء ، فاذا بها خالية الوفاض ، صفر من المعلومات ... والتزمت بمعاودة التجوال بين الأمكنة التى تتبع نفس العصر الجيولوجى ، كى اتحقق من وجود الكبريتات ، فثبت لى يقيناً أن ذلك المسحوق الابيض ذا القيمة الصناعية يتواجد فعلا حيثما تعرض ذلك النطاق من الطين لفعل الجو ... فخرجت من ذلك بعبرة ، أرى من المجدى أن يعتبر بها كل من يتصدى للبحث عن الثروات المعدنية فى صحارينا العربية الواسعة الرحبة ... وتتلخص تلك العبرة :

● فى ضرورة أن لايتقيد الباحث عن الثروة المعدنية فى الصحراء العربية بقيد لافكاك منه من الأفكار والنظريات التى تعلمها اثناء دراسته ، بل لابد أن يظل على يقين دائم أنه يستطيع أن يضيف شيئاً جديداً ، لأن الله تعالى ، لم يخلق بعد الباحث العلمى الذى لا معقب على آرائه وفلسفاته خاصة فى ميادين علوم المشاهدة وأولها الجيولوجيا ... وهذا يقتضى من شبابنا الباحثين : ــ

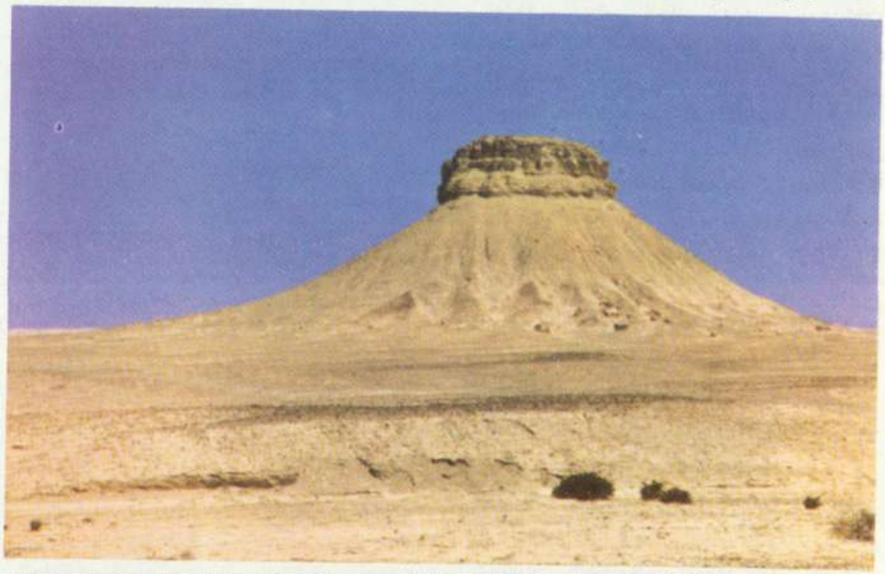
أ ــ استيعاب ما درسوه استيعاباً جدياً تاماً ...

ب ــ تربية حاسة (دقة الملاحظة) لدى انفسهم ، لأنك لا تستطيع أن تضيف الى العلم اذا لم تك قد استوعبت ما سبقك من بحث ، وكم من حقائق اقتصادية وأكاديمية لا زالت فى طى الغيب فى صحارينا نتيجة لعدم الاهتمام (بدقة الملاحظة) وكم من نظريات تافهة يطبل لها المرجفون ويزمر لها المغرضون ، فى ميادين الجيولوجيا بالذات جاءت الى الوسط العلمى نتيجة الاسراف فى الخيال ، أثناء بعض الملاحظات ...

درويش مصطفى الفار



هكذا تفعل عوامل التعرية ، في طبقات من زمن جيولوجي معين ..... وهكذا تبدو لك الحواف السفلى لجبل « بضيع » .



جبل يسمى « قليب الدينار » فى وسط سيناء شكلته عوامل التعرية ، محكومة بنوعيات الطبقات الصخرية وتركيباتها



البدو والحضر ، بعد عناء العمل بحثاً عن « كبريتات الصوديوم » .

السّفروت

قصة بقلم: صلاح عبد السيد

يقول الولد صالح مضحك قريتنا – لو ضحك عطا لأمطرت السماء فى التو .

لم يكن عطا يبتسم .. كان جهماً .. عظمتا وجنتيه حربتان .. وعيناه تبخان ناراً ..

كان يركب حمارته البيضاء العظمية .. الطويلة الرقبة .. ويعض بقدميه على اسفل بطنها .. فتثير الغبار فى مشيتها .. وراسها مدلى على الأرض امامها .. تتشمم به الطريق .. كانها تقرا الغيب .. وتدخل فى باطن الأيام ..

يعض عطا بساقيه على بطن الحمارة .. وكلما تباطات .. يزغدها بكعب الحذاء .. فتسرع فى مشيتها .. وهي لا تستطيع إلا ان تسرع .. لانها تعرف الذي سيحدث .. سينزل في التو .. ويطبق بيديه الكلابتين على فكيها .. ويلوي رقبتها .. ضاغطا بكل ثقله على الرقبة .. فترتمي على الارض وهو فوقها .. وبحجر من الطريق يهوي على فكيها .. حتى يتدفق الدم منهما .. وهو يلهث وعيناه تزدادان احمراراً وصدره يرتفع وينخفض .. وتخرج رغوة من فمه .. وترتج الكلمات مع كل هبدة حجر – ياحمارة الكلب .. الكلب .

تعرف الحمارة انه رجل قاس حين ينتابه الشر .. ولذلك فهي تتجنبه .. إن نادى – هش – وقفت .. إن قال – حا – مشت .. إن ضغط بقدميه على بطنها ابطات .. إن زغدها اسرعت ..

يصل عطا بحمارته البيضاء العظمية إلى الدار .. وحين يصبح امام الباب يقول – هش – هو لا يقول – هش – للحمارة .. فالحمارة تقف من تلقاء نفسها .. هو يقول – هش – لزوجته الثانية – ام الأولاد ماتت إثر زغدة منه.فتنتابها الرعشة .. وتسرع إلى الباب .. فتفتحه بيد مرتجفة .. وتتناول منه وعاء اللبن .. وحزمة البرسيم .. فيغمغم داخلا وهي وراءه .. تضع وعاء اللبن فى ركنه .. وتلقى بحزمة البرسيم .. وتسرع لتصب عليه الماء ليغتسل ويتوضا

ويغتسل عطا ويتوضا ثم يصلي ..

ويتتابع دخول الأولاد – الثلاثة المتزوجون – اما الرابع "السفروت" فلا ياتي .. يتتابع دخولهم .. فيغتسلون .. ويتوضاون .. ويصلون .. لتكن النسوة قد جهزن طعام العشاء تماما ..

كل واحدة تعمل فى صمت .. فسيدها لا يحتمل الكلام الكثير .. وسيدها فى حالة من الزهق قد تدفعه لان يقول لاي منهن – على بيت ابيك – .. وإذا قال فعليها ان تذهب ..

كل واحدة تحمل الصحون ذاهبة آيبة .. لتضعها على الصينية الكبيرة .. لتعود تحمل الصحون مرة اخرى .. في تناسق .. وبلا ضجيج .. كانه مشهد صامت ..

وبعد الصلاة يدخل عطا واولاده فى اثره إلى حجرة الطعام .. وحول الصينية الكبيرة يلتفون – عطا والأولاد الثلاثة – الرجال ياكلون اولا – ويسال عطا عن الولد"السفروت" اين هو .. فتكون الاجابة لانعرف ..فيجز على ضروسه .. وينفخ لحظة .. ثم يعاود الاكل ..

واثناء الاكل لا يُسمع نفس .. ولا يُسمع خبط للملاعق .. وإذا كان هناك شوربة – وذلك نادراً ما يحدث – فلا يُسمع صوت للشوربة حين تُشرب .. الأيدي تتنقل على الطعام فى حذر .. وفي إيقاع بطيء .. كانهم يعزفون بملاعقهم على الهواء .. ويشبع عطا .. فيشبع الأولاد .. ويقوم عطا .. فيقوم الأولاد .. وبعد ان يغسل الرجال ايديهم .. تدخل النساء في حذر .. لتجلس كل واحدة منهن حول الصينية وهي تشد ثوبها عليها .. وتتمتم باسم الله فى خفوت .. ثم تمد يدها للملعقة ليبدا العزف على الهواء من جديد ..

وبعد الاكل تحمل النساء الصحون الفارغة .. وتدخل بها .. ثم ترفع الصينية .. وبعدها يغسلن ايديهن .. وتدخل كل واحدة إلى رجلها ..

وفي حجرات النوم .. تدور كلمات قليلة .. متقطعة .. ثم يغيب الكل في النعاس .. فالعمل طول اليوم كان شاقاً .. وعطا لا يرحم .. ثم أن على الأولاد ان يصحوا عند الفجر للصلاة ..

والأولاد كلهم يصحون .. إلا الولد "السفروت" .. فلو دقوا الطبل حواليه لن يصحو ..فهو يغلق الباب بالترباس من الداخل .. وعملية إيقاظه تستدعي إيقاظ الجيران .. وجيران الجيران .. وكثيراً ما تناوبوا جميعاً في الدق على حجرته .. لكنه لا يرد .. فاذا يئسوا منه .. تركوه لحاله ..

وهو الوحيد الذي يرد على ابيه .. رغم انه إن طاله .. وضعه تحت ركبتيه وبرك عليه .. وبفردة الحذاء يظل يضربه حتى يفقد وعيه .. وهو يلهث .. ويلعن .. ثم يتركه .. فيجري الولد .. ويبرطم .. ويغيب كعادته لايام .. ثم يظهر فجاة .. ويظل ليوم او يومين .. لا يكلم اباه .. لكن الامور سرعان ما تعود سيرتها الاولى ..

الكل يذهب إلى الحقل .. ويعمل من طلعة الشمس حتى الغروب .. فعطا لا يستاجر انفاراً .. الاولاد يقومون بكل شيء .. يعزقون .. ويشتلون .. ويحصدون .. ولا ياخذون ابداً نقوداً ..

« ما حاجتهم إلى النقود إذن .. وهو الذي زوجهم .. واسكنهم .. وهو الذي يطعمهم ويكسوهم .. !!! »

واستسلم الأولاد لهذه الحياة .. إلا الولد "السفروت" .. فهو الذي دائماً في قبضية اللبن – حين يقبضها – يعطي لوالده جزءاً .. وياخذ لنفسه جزءاً .. وتقوم المعارك .. لكنه يخفي النقود .. ولا يقر على مكانها ابداً .. ويضربه عطا .. فيجري .. ويبرطم .. ويغيب .. وفي النهاية يعود ..

كان ذلك الولد "السفروت" هو شغله الشاغل .. الأولاد الكبار خضعوا له جميعاً .. صحيح انهم فى الزمن الأول .. قالوا كلاماً وبلغه ذلك .. وصحيح انه ادبهم وضربهم علقاً لن ينسوها مدى الحياة – حين يمسك الواحد منهم في يده .. فانه يضربه بقسوة – إلا انهم رأوا فى النهاية ان من الأوفق لهم ان يعيشوا .. وياكلوا .. ويتناسلوا .. ويوافقوا الرجل على ما يقول .. إلا الولد "السفروت" ..

وكان عطا يعمل للولد السفروت حساباً .. كان يعمل له ذلك فى قرارة نفسه .. لكنه لم يكن يستطيع ان يصارح احداً بذلك .. وكان حين يحس بذلك الاحساس ..

يتلمس للولد سبباً .. ويهجم عليه .. ويظل يضربه .. لكن الولد لا يستسلم له ابداً .. في كل مرة يتحداه .. وفى كل مرة يأتي له براي مخالف ..

وفي هذه المرة دخل عليه بلا كلمة ليقول له :

- انني اريـد اجـراً نظيـر عملي .

وقبل ان يفتـح عطـا فمـه .. اكمـل الولـــد

واخوتي كذلك يريـــدون .

صعق عطـا حين واجهه الولد بهذا الراي .. وايقن ان هذا الولد هو سبب البلاء .. وان الذي بناه طول العمر .. سيهدمه هذا الولد فى لحظات .. وان هذا الولد لن تغمض له عين إلا إذا بدد سطوته .. وان اخوته .. لا يجرؤون على مجرد التفكير فى هذا الامر .. وانهم بالفرض لو فكروا .. فان هذا الولد وراء هذا التفكير ..

وانتفض عطـا واقفاً ..

« هذا الولد لن ينتهي إلا إذا سحقت راسه »

واندفع ناحيته .. هجم على راسه .. واطبق بيديه الكلابتين على فكيه .. وهو يلوي رقبته .. ضاغطاً بكل ثقله على الرقبة .. فترنح الولد .. وارتمى على الأرض .. وهو فوقه .. وبالحجر اخذ يهوي على فكيه .. حتى تدفق الدم منهما .. وهو يلهث وعيناه تزدادان احمراراً .. وصدره يرتفع وينخفض .. وتخرج رغوة من فمه وترتج الكلمات مع كل هبدة حجر - ياابن الكلب .. الكلب .

والأولاد الثلاثة .. لا يجرؤ اي منهم على الاقتراب منه .. حتى قطع الولد النفس تماماً ..

بعد أن خرج عطـا .. تسلل الاولاد إلى الولد .. فدلقوا عليه بعض الماء .. وكسروا بصلة على انفه .. وأسندوه الى الحائط ..

وعندما افاق الولد .. اخذ يتامل الاولاد طويلا .. ثم تساند على الحائط وخرج من الدار وهو يعرج ..

وظل الولد مختفياً .. لا يعرف احد اين هو .. وكلما سال عطـا اين الولد السفروت .. لم يجد جواباً ..

واستراح عطـا لغياب الولد .. فالآن يستطيع بنظرة واحدة .. أن يجعل كل الأمور تمشي .. فالكل يخافه .. والكل يعمل حساباً له ..

لكنه اكتشف انه برغم غياب الولد السفروت .. فانه يعمل حساباً له .. وكان حين يتملكه هذا الاحساس .. ينتفض فيسب الأولاد الخانعين وينهرهم .. ثم يمضي خارجاً ..

كان ذلك الولد يقلقه .. لكنه كان يحاول الا يبدو عليه هذا القلق .. وكان يقول فى نفسه .. يكفي ان الاولاد تعمل .. والأرض تنتج .. والولد سبب البلاء غائب ..

لكنه فى المساء .. وهو يركب حمارته العظمية .. عائداً من الحقل وحده .. برز له الولد السفروت على الطريق .. كان الارض قد انشقت عنه .. فتوقفت الحمارة في الحال ..

حاول عطـا ان يزغد الحمارة بقدميه .. لكنها لم تسر .. هوى بالعصا على راسها .. لكنها لم تسر .. حا ياحمارة الكلب .. لكن حمارة الكلب لم تسر ..

نزل من فوقها .. فرمقته بطرف عينهـا .. بحث عن حجر .. واقترب منها .. ثم هجم على راسها .. واطبق بيديه الكلابتين على فكها .. محاولا ان يلوي رقبتها .. لكن الحمارة نزعت راسها من بين يديه .. واستدارت بمؤخرتها إليه .. ثم طارت في الهواء .. وبقدميها الخلفيتين .. لطمته لطمة قوية .. اطارته إلى بعيد ..

طار عطـا في الهواء .. ثم نزل مزروعا على راسه .. وانطرح تحت قدمي الولد السفروت .. الواقف ينظر له فى صمت ..

ظل عطـا مرمياً على الأرض للحظات .. والدم ينزف من فمه .. وهو ينقل عينيه ما بين الولد السفروت .. والحمارة .. غير مصدق ان الحمارة تفعل ذلك .. ظل للحظات غير مستوعب للذي حدث ..

الحمارة تفعل ذلك .. !! وبي انا ..؟ بي .. ؟

وأسرع بالقيام .. وهو ينظر حواليه فى كل اتجاه .. وحين لم يره احد على الطريق .. فانه تنفس بارتياح .. وصمم ان ينتقم من الحمارة .. وان يلقنها امام الولد السفروت درساً لا تنساه .. لكنه حين اقترب منها .. استدارت إليه بمؤخرتها .. واقتربت منه .. وهي ترمقه من تحت جفنيها .. كانها تستعد له .. ففضل ان ينفض ملابسه .. وان يتركها على الطريق .. ويعود إلى داره ماشياً .



ورغم انه كان يعرج .. إلا انه تحامل على نفسه ..

مشى عطـا على الطريق .. والحمارة والولد وراءه .. كان يحس خطوهما .. لكنه لم يجرؤ على النظر إليهما ..

وعندما وصل الى البيت .. دفع الباب ودخل .. ثم اسرع إلى حجرته .. وتمدد على سريره .. لكنه قبل ان يشد الغطاء عليه .. وجد الولد السفروت يقف امامه .. كان الارض قد انشقت عنه ..

- من الغد سيستقل كل منا فى عيشة تخصـــه .

وقبل ان يفتح عطـا فمه .. اكمل الولد

- لأنك من الغد .. ستقسم ارض امي فيما بيننا .. نحن اولادك الأربعة ..

صعق عطـا .. واعتدل فى سريره .. وفكر ان يقوم فيهجم على راس الولد .. ويفتح بيديه الكلابتين فكيه .. ويلوي رقبته .. ويلقيه ارضاً .. ويظل بالحجر يهوي على راسه .. حتى يتدفق الدم منه .. وهم ان يقوم فيلقف راس الولد بيديه .. لكن ساقه آلمته .. وتذكر ان الحمارة نزعت راسها من بين يديه .. واستدارت بمؤخرتها إليه .. ثم لطمته لطمة قوية اطارته إلى بعيد .. فتراجع ثانية فى سريره .. تمتم الولد :

- وليكن معلوماً لك ايضاً انك ستقسم المواشي فيما بيننا ..

اعتدل عطـا ثانية فى سريره .. وحاول ان يلف وان يدور .

- ساعطيك الأجر الذي طلبته .

- ستقسم الارض والمواشي .

واستدار الولد إليه ..

تمتم عطـا مسرعاً :

- ساقسم الأرض والمواشي ..

- من الغـــد ؟

- من الغد - ثم اكمل - لكن لي مطلب صغير ؟ .

قال الولد .. ما هـــو ؟

تمـتم عطـا :

- ان تاخذ الحمارة من نصيبك .. فلم تعد بي حاجة إليها ..

وتراجع عطـا فى سريره .. وهو يسحب ساقه .. ثم شد الغطاء عليه .. واختفى تحته تماماً .

• • •

وفى الصباح كان الولد السفروت يركب الحمارة البيضاء العظمية .. ويمضي على الجسر مزهواً .. والحمارة على غير عادتها .. لا تثير التراب .. راسها إلى الامام .. وعيناها على الطريق .. تمضي مزهوة هي الاخرى .. كانها تتعاجب بالولد السفروت.

من مآسي التاريخ



ماري انطوانيت .. لم تلمس العقد إلا في خيال الذين رسموا الخدعة !

بقلم: جمال الكناني

ماري أنطوانيت

فقدت رأسها على المقصلة بسبب عقد ماسي ..

يهوديان المانيان ، «بومر» و «باسنج» ، كانا جواهرجية البلاط الفرنسي في فرساي ايام حكم الملك لويس الخامس عشر وبعده

.... وكانا كالملايين من سكان فرنسا يعرفان مدى هيام الملك بمدام دي بارى وما لها من اثر عليه وحظوة عنده ، وانه يغدق عليها

افخر الهدايا ...

وفكر اليهوديان على نحو ما يفكر كل اليهود ، فى ابتزاز مبلغ ضخم من الملك



ماريا تيريزا امبراطورة النمسا وحولهـا افراد اسرتها ومن بينهم ابنتها ماري انطوانيت التى اشتهـرت بالبـذخ والاسـراف .

فصاغا عقداً من اجمل وانقى احجار الماس فيه ٦٤٧ حجراً ، طوله اقل من قدمين بقليل ... لكن لويس الخامس عشر غافل اليهوديين ومات قبل أن يبيعاه العقد !!

بعد اثنى عشر عاماً عرض اليهوديان عقدهما على الملك الجديد لويس السادس عشر بمناسبة ميلاد اولى بناته ، فرفض شراءه .. وتكرر العرض عليه عندما ولد ولي عهده فرفض ... وكان يمكن أن يفكر لويس السادس عشر فى شراء العقد إرضاء لزوجته الملكة مارى انطوانيت ولكنها هى رفضت قبول العقد ..

حاول الجواهرجي «بومر» أن يقنع الملكة بالشراء عن طريق وصيفاتها وصديقاتها ولكن مارى انطوانيت اصرت على الرفض فحمل اليهودى بضاعته وطاف بالقصور الملكية فى اوروبا يعرض العقد على الملوك والملكات ولكنه لم يوفق .

كانت فرنسا فى تلك الحقبة من تاريخها مرتعاً خصباً للدسائس والمؤامرات والشائعات وملجأ للأفاقين والنصابين والمحتالين . وكان بذخ مارى انطوانيت واسرافها الجنونى قد بلغ حداً أقلق محبيها فكتب منهم من كتب لأمها ماريا تيريزا امبراطورة النمسا ، فكانت الأم تكتب لابنتها ناصحة تبين لها خطل سلوكها وسوء تصرفها ، بينما كان ملك فرنسا – راضياً أو مرغماً – يدفع ديون زوجته مارى انطوانيت ويعوض خسارتها على موائد القمار ، دون ان يجرأ على تقريعها او زجرها .. فهى فى فرنسا مصدر النعم والسلطات ، تغدق على من ترضى عليه وتفقر من تغض بصرها عنه او تغضب عليه . كانت المنشورات التى تشهر بالملكة توزع سراً وعلناً ومنها ماوصل إلى القصر الملكى نفسه !! .

وأما جين سان ريميه ، فقد ولدت فى عام ١٧٥٦ لأب ارستقراطى معدم تزوج من خادم ، وكان الاب ، وهو البارون سان ريميه يدعى نسبته الى الملك هنرى الثانى – وإن كان النسب عن طريق غير شرعي .. وفكرت زوجته ان هذا النسب يجعل من البارون واحداً من ابناء عمومة الملك لويس السادس عشر ، مهما بعدت تلك القرابة .. وعلى ذلك فمن حقه ان يطلب الملك بمعاش او بمركز فى

ماري أنطوانيت

فقدت رأسها على المقصلة بسبب عقد ماسي ..

البلاط . وفعلا رحلت الأسرة الى باريس ، والبنت جين فى الرابعة من عمرها . وكانت الأسرة تحمل ما تدعى انه وثيقة مكتوبة على رق ، تشير الى نسبة الأب للملك هنرى الثانى ... ولكن الوثيقة لم تعد على الأسرة إذ ذاك بنفع ، فلجات الأسرة كلها للتسول ... أما الأم فقد انحرفت ، ولكنها رغم ما كان لها من ملاحة الوجه ورشاقة القوام ، لم تلق رواجا فهربت مع جندى الى سردينيا تاركة بناتها فى باريس ، فتولت جين على صغر سنها امر اسرتها ودربت شقيقاتها على التسول وكانت تخرج الى الشوارع والأسواق تستجدى من المال ما تعيش عليه الأسرة .

حدث ذات يوم ان تعلقت جين ، وهى تحمل صغرى شقيقاتها على ظهرها ، بعربة فخمة ، تجرها جياد مطهمة ، فيها نبيل وزوجته .. دفعت جين اليهما بباقة من الزهور البرية ، وقدمت لهما الوثيقة المكتوبة على الرق وروت لهما قصة انتسابهم للملك هنرى الثانى ... ووجد الماركيز ـ راكب العربة ـ فى القصة طرافة وامعن فى توجيه اسئلته لجين ، واخيراً سالها عن العنوان الذى تسكن فيه واعطاها جنيها ذهبيا وصرفها .

وفى اليوم التالي بعث صاحب العربة ، وهو الماركيز دى بولانفييه ، بواحد من خدمه الى الغرفة التى تسكنها جين وشقيقاتها ، وصحبهن الى القصر . وتولى الماركيز رعايتهن وتعليمهن فى احد الاديرة لأنه صدق ما روته جين ، كما قرر أن يسعى لدى السلطات لرصد معاش للبنات وخاصة بعد أن اكد قاضى النبلاء صحة نسب البنات لهنرى الثانى واصدر شهادة رسمية بذلك ... ومن هنا بدات جين سان ريميه تعيش فى عالم من احلام اليقظة لحمته العظمة وسداته العز والأبهة .

ذات ليلة من عام ١٧٧٩ قررت جين انها نالت من العلم كفاية فهربت من الدير ... وسرت فى المجتمع شائعة بان وريثة هنرى الثانى قد بدات تعمل على استرداد حقوقها ففتح المجتمع بعض ابوابه فى وجهها .. ثم انه كان لجين موهبة وقدرة على التمثيل فالتحقت بمسرح الهواة وعن طريقه تعرفت على احد ضباط الجيش ، نكولاس دى



زهرة فى يد ماري انطوانيت .. لوحة للفنانة « فيجيه لا بري » رسمتها فى عام ١٧٨٤

لاموت ، وتزوجته . وترك لاموت خدمة الجيش لأن جين اعتبرت انها لا تليق بمقام امراة فى مركزها ... والظاهر انها نجحت فى إقناع نفسها ، بعد ان اقنعت الناس ، بان اهلها كانوا فى الماضى يشغلون اعلى المناصب فى البلاط الملكى ، بل وكان منهم عدد يحكمون ولايات فرنسية باسرها .

وحدث ان علمت جين ان راعيها الماركيز بولانفييه سيزور الكاردينال دي روهان فبادرت ، ومعها زوجها ، بزيارة قصر الكاردينال حيث قدمها الماركيز له وهكذا نسجت جين أول خيط من نسيج العنكبوت حول الكاردينال المسكين .

بعد موت الماركيز بولانفييه مباشرة منحت جين نفسها لقب الكونتيسة فاصبحت هى وزوجها كونت وكونتيس دى لاموت ، ثم اضافت الى لقبها الجديد اسم العائلة المالكة القديم فاصبحتا كونت وكونتيس دى لاموت فالوا ، وانضم الى حاشيتها الجديدة زميل سابق لزوجها اسمه ريتو دى فييت .

كان الكاردينال دى روهان فى وقت ما سفيراً لفرنسا فى النمسا .. وغضبت عليه ماريا تيريزا ، إمبراطورة النمسا وام مارى انطوانيت ملكة فرنسا لأنه كان لا يراعي طقوس وظيفته الديبلوماسية ويسيء إلى وظيفته الكنسية بعبثه ، فعاد إلى فرنسا بخزيه وعاره فصدرت له الأوامر بعدم مغادرة ستراسبورج ومزاولة عمله الكنسى فيها ...

على أن الناس لم تعلم عن غضب البلاط عليه وظل هذا الخبر سراً مطوياً .

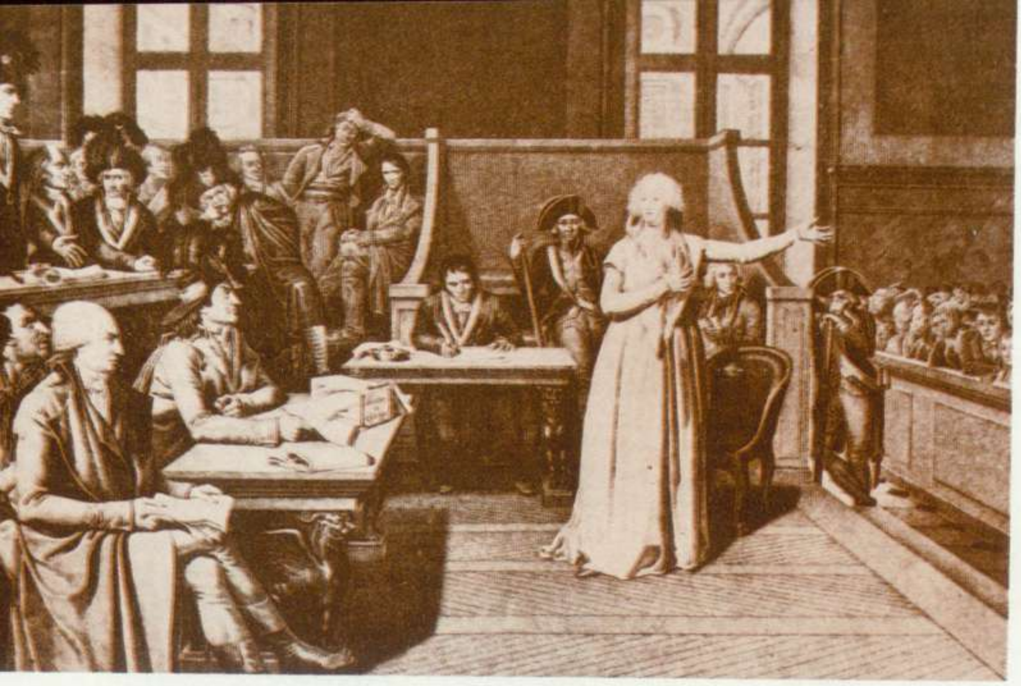
ولجات إليه جين ، وهي كاعب حسناء ليعينها على استرداد املاكها المزعومة ... وأسره جمالها وسال لعابه لما راى من سحرها ودلالها فاعطاها بعض المال وطلب منها أن تعطيه ثقتها كاملة لكى يساعدها .. واعطته جين اكثر من ثقتها وانهالت عليها رسائل غرامه ، وأصبح الكاردينال عجينة فى يد جين تشكلها كيف شاءت ... وسعى حتى عين زوجها ضابطاً فى الحرس الخاص للكونت دارتوا فى فرساى وقررت جين ان تنتقل اليها مع زوجها لتكون قريبة من القصر الملكى وعينت راتوا دى فييت سكرتيراً لها .

واخذت جين تمطر القصر بعرائض الاسترحام والضراعة فلم يلتفت اليها احد ثم جربت أن تلبس افخر ما عندها من ثياب وتندس بين السيدات اللائى يسمح لهن بالطواف فى الحجرات العامة بالقصر الملكى ... وكانت تتظاهر بالاغماء لتلفت الانظار ولكنها لم تصب اى نجاح ، فلما انتقل البلاط الى مونتانبلو ، نزحت وزوجها هناك واخذ زوجها يعقد حلقات القمار ويسلخ صغار الضباط ويجردهم من اموالهم لانه كان يتقن الغش .. وبزته زوجته وكسبت اموالا طائلة لانها اخذت هي الأخرى تبتز سيلا من موظفي البلاط وكبار الموظفين والاعيان . ورغم ما عرفت من رجال البلاط ، فانها عجزت تماما عن الوصول الى حضرة الملكة فعادت الى باريس حيث أسست بيتا انيقا واخذت تذيع على الناس انها قد نالت عطف الملكة وثقتها وان الملكة كانت تستقبلها فى السر فى لقاءات خاصة بعد ان عرفت انها من اسرة «فالوا» .. وزادت على ذلك ان زورت عدداً من الرسائل ادعت انها من الملكة نفسها ، وكان منها ما يبدا بعبارة «بنت عمى العزيزة الكونتيسة دى فالوا» .. وكان فييت ، سكرتيرها ، هو الذى يتولى عملية تزوير الخطابات .

واستمرت جين دى لاموت تختلق القصص وتبالغ فى عطف الملكة عليها وكانت تعمل دائما على أن تصل تلك الحكايات إلى سمع الكاردينال روهان ... وكانت له ، كما كان لها اطماع وآمال ، وكان كل منهما على استعداد لاستغلال الآخر للوصول الى الملكة وكسب رضاها ...

وروهان كان قد حرم ذلك الرضى لاعوام واعوام . وهو طموح يدبر للوصول الى مثل ما وصل اليه الكاردينال ريشيليو من قبل ، فتدين له السلطة ويسير امور فرنسا كلها ..

اخيراً اعترف الكاردينال روهان



ماري انطوانيت أثناء محاكمتها

لصاحبتـه جيـن بانـه من المغضـوب عليهم وطلب منها مساعدته فى الحصول على عفو من الملكة ، وان تسخر كل نفوذها ومكانتها عند الملكة لينال صفحها ... واسقط فى يدها لأنها تعرف ان الملكة لم تسمع حتى اسمها ... ولكنها اصبحت امام الأمر الواقع .. إما أن تعترف له بكذبهـا وبطلان إدعاءاتها وإما أن تواصل خديعته واحتيالها ... وتغلبت طبيعتها الشريرة ، فهى بغريزتها مخادعة نصابة واسعة الحيلة .

بعد ايام ، عادت جين الى الكاردينال وقالت له «لقد حدثت الملكة عن أعمال الخير التى تقوم بها ، وكيف يمتدحها الناس ويتغنون بسجاياك والثناء عليك فقالت الملكة «لم اكن احلم أن «روهان» قادر على فعل الخير ... سمعته ليست حميدة ، وكلام الناس عنه يغضبنى عليه ... فقلت للملكة إن غضبها عليك قد اثر على صحتك وانك تحمل هم عدم تمكنك من الدفاع عن نفسك امام ملكة يجلها شعبها ... وسمحت الملكة لك بان تكتب دفاعك مفصلا وان احمله انا إليها» .

كتب الكاردينال دفاعه عن نفسه وسلمه لجين وبعد ايام سلمته رسالة مكتوبة على قرطاس عليه خاتم الملك تقول فيها الملكة «قرات دفاعك ويسرنى ان اعتبر انك لست مذنبا .. لست استطيع حاليا ان آذن لك بمقابلتى وساخبرك حين تسمح الظروف .. تذكر وحاول ان تكون لبقا كيِّساً حتى ذلك الحين» .

بعد ذلك سلمت جين للكاردينال الذى اعمى الله قلبه وبصيرته عدداً من الرسائل الملكية المزيفة كل منها اكثر وداً من سابقتها ... وقررت جين بعد فترة ان تملأ جيبها من مال الكاردينال المفتون فحملت اليه خطاباً ملكياً – من اعدادها طبعاً – يزعم ان الملكة تريد ان تقدم صدقة لعائلة كريمة اخنى عليها الدهر ولا ترغب فى إعلان اسمها وتطلب من الكاردينال ان يرسل لتلك الأسرة عن طريق جين ٦٠,٠٠٠ فرنك لأن خزانتها خالية مؤقتا .

واقترض الكاردينال المبلغ من مراب يهودى اكد له ان الملكة سترضى عنه وتحميه هو وابناء جلدته ... وسلم المبلغ لجين دى لاموت .

تعرفت جين على عدد من خدم القصر. كانت تعرف منهم الوصف الدقيق لفرش غرف القصر وبعض ما يجرى داخل القصر وما يتناقله الخدم من قصص وحكايات ونوادر ، كانت ترويها للكاردينال على انها حدثت اثناء زياراتها الخاصة للملكة .

واصبح الواقع والحقيقة اغرب من كل خيال وبلغت خديعة جين وغفلة الكاردينال حداً لا يصدقه العقل ولا يقبله المنطق ... كانت مثلا تختار الليالى حالكة الظلمة وتطلب من الكاردينال ان يقف بالقرب من سور القصر الملكى ، وتقابل واحداً من خدم القصر عند البوابة وتدخل معه لتقابل خادماً آخر وتوهم الكاردينال انها لقيت رسول الملكة الخاص ... ولم يقف خداع هذه المراة عند هذا الحد ، بل انها اجرت عدداً من السيدات البست منهن واحدة ملابس تشبه ما تلبس الملكة والبست اثنتين ما يشبه ملبس الوصيفات .. واوهمت الكاردينال ان الملكة ستكون فى الحديقة فى صحبة وصيفتيها فاذا ما انفصلتا فعليه ان يتقدم ويحيِّى ويقبل طرف فستانها فاذا سمع وقع اقدام فعليه ان يتركها على عجل دون استئذان لانها لا تريد أن يكون اللقاء سرياً تماماً ... واختفى زوج جين وسكرتيرها خلف شجرة فى الحديقة قريبة من المكان المعد للقاء ... وحدث ما وصفت جين للكاردينال، فلما تخلصت من الوصيفات تقدم نحو الملكة وقبل طرف فستانها فقدمت له زهرة وهنا تحرك الزوج وصاحبه وتراجع الكاردينال والفرح يملأ قلبه .

لاحت فى افق باريس فى تلك الأيام شخصية غريبة قدر لها ان تلعب دوراً فى قضية العقد الماسى ... المدعو الكونت كاليوسترو كان يحيط نفسه بجو من الغموض ويدعى انه ولد فى مالطة ونشا فى المدينة المنورة وطاف فى افريقيا ومصر والشرق الأوسط ، بل وادعى انه شاهد بناء سفينة نوح وصلب المسيح وانه يعرف سر صنع الذهب والماس ، كما يعرف المستقبل .

كان الكاردينال روهان يتفاخر بصداقة الكونت كاليوسترو لذا راح يستشيره فى امر رسالة غريبة حيرت لبه جاء فيها «لم يحن الوقت بعد لإعلان فوزك لكن هناك عملية سرية تهمنى شخصيا اَكِلُ اَمْرَ تنفيذها اليك وستحدثك الكونتيسة دى لاموت عنها نيابة عنى وتشرح لك كل ما يتعلق بها» .

وسال الكاردينال صاحبته الكونتيسة جين تفسير ما ورد فى الرسالة فقالت إن الملكة قد وكلت اليه ، اى الى الكاردينال روهان ، مهمة شراء عقد ماسى طالما تمنت حيازته . فاذا كان هناك من الغموض ما يحوط بالمهمة فالسبب هو ان الملكة لا تريد ان يعلم الملك بها حتى تتم .

راح الكاردينال ، كما قلنا ، يطلب مشورة صاحبه الكونت كاليوسترو ... وتظاهر الكونت بانه فى حالة غيبوبة يستلهم الوحى .. ثم فتح عينيه وقال للكاردينال «ستنجح مهمتك وتعود عليك باعظم الانعامات والألقاب ، ويتضح لفرنسا كلها مالك من مواهب وعبقرية .. اشتر العقد ومعه حب الملكة لك وتقديرها لاخلاصك وليكن العقد معبرك وموعدك مع قدر رائع» .

ووقع الكاردينال فى الشرك الذى نصبته جين دى لاموت ، وراح للجواهرجي «بومر» وعرض عليه الشروط التى وردت فى رسالة قيل إنها من الملكة وفحواها ان القسط الأول من ثمن العقد وقدره ٤٠٠,٠٠٠ فرنك لا يدفع قبل ستة اشهر وتدفع اقساط متساوية كل ستة اشهر بعد ذلك ، فاذا وافق الجواهرجى فعليه ان يسلم العقد فى اول فبراير ١٧٨٥ .

وحاول «بومر» ان يعرف اسم المشترى



لويس السادس عشر .. رفض شراء العقد الماسي عندما عرضه عليه اليهوديان !

ماري أنطوانيت

فقدت رأسها على المقصلة بسبب عقد ماسي ..

فاضطر الكاردينال الى اعلان انه إنما يؤدى خدمة للملكة ماري انطوانيت وقدم للجواهرجي الرسالة الزائفة التى اعطته جين إياها ، ورضى الجواهرجي اليهودى بما رأى وسال لعابه ...

فى يوم تسليم العقد الماسى كتب الكاردينال يخطر الجواهرجي بان الملكة امرت بان يدفع القسط الأول من الثمن فى نهاية شهر اغسطس وان الفواتير المستحقة على بقية الثمن تدفع مع الاقساط الى ان يتم السداد . وفى مساء اول فبراير ١٧٨٥ حمل الكاردينال دى روهان العقد الماسى الى دار جين دى لاموت وأُدخل فى غرفة نصف مظلمة فيها مصباح صغير. وبعد لحظات سمعت دقات على الباب الخارجي، وسمع صوت يقول «باسم الملكة» واتجهت جين الى الباب تحمل العلبة التى تحتوى على العقد الماسى وسلمتها لرسول الملكة المزعوم وكان دى روهان قد رأى ذلك الشخص من قبل واكدت له جين انه خادم الملكة الخاص الذى رآه فى الحديقة فى تلك الليلة «إياها» .

ومضت مدة طويلة لم تلبس فيها الملكة عقدها الماسى علنا ، وداخل الشك قلب الكاردينال ولكن جين أكدت له انها لن تلبسه قبل سداد ثمنه بالكامل .

واستولت جين على العقد وفصلت فصوصه عن بعضها وحمل الزوج دى لاموت احجاره الكريمة الى لندن حيث باعها وحول الثمن خطابات اعتماد مصرفية

واخذت جين تنشر الشائعات عن المكاسب الخيالية والأرقام الفلكية التى كسبها زوجها من المراهنات على سباق الخيل فى انجلترا فهيأت اذهان الناس لقبول ما قد يظهر عليها من ثراء مفاجىء بعد عودة زوجها .

مر الربيع وحل الصيف ومعه موعد سداد القسط الأول من ثمن العقد الماسى فبعثت جين بخطاب زائف من الملكة للكاردينال تطلب منه دفع المبلغ نيابة عنها لأنها فى عسر مؤقت . وقدم الكاردينال الخطاب للبنك ليحصل على قرض ووعد مدير البنك بوسام تنعم به الملكة ولكن مدير البنك احس بحذره الغريزى ان فى الأمر شيئاً يقلق بل وانه نجح فى إثارة الشك فى نفس الكاردينال نفسه ، فراح الكاردينال الى الجواهرجي وطلب منه أن يكتب خطاباً يشكر فيه الملكة على شراء العقد الماسى وان يحمل الخطاب بنفسه الى القصر دون ان يطلع جين عليه . وقرأت الملكة مارى انطوانيت خطاب اليهودى فظنت انه يريد ان يورطها فى شراء ما رفضت شراءه من قبل فحرقت الرسالة ولم تحرك ساكنا . وقلق اليهودى لعدم وصول اى رد فاعاد الاتصال بالقصر وهنا ادركت الملكة ان مؤامرة تحاك ضدها وسالت مستشارها البارون بريتيى ان يتحرى الامر . وكان البارون يكره الكاردينال فرأى فيما عرض عليه فرصة سانحة للتنكيل به . فامر اولا بالحصول على بيان خطى من مدير البنك وبيان من الجواهرجي وقرر انه إذا لم يدفع الكاردينال القسط الأول ، فسيرفع الأمر للملك نفسه .

ولاحت بعد ذلك امام الكاردينال فرصة لمقارنة توقيع الملكة الصحيح بالتوقيعات التى تحملها الرسائل التى حملتها اليه جين ، وصعق لما رأى من اختلاف واضح ... وواجه جين بالأمر فغضبت لعدم ثقته بها وبدأت تنقل ما فى بيتها من نفائس الى مكان امين ، كل ذلك والجواهرجي مستمر على اعتقاده بان الملكة هى التى اشترت عقده فواصل مطالبة القصر بالثمن وقدره مليون وستمائة الف فرنك .

بدأ التحقيق مع الكاردينال دى روهان فاعترف فوراً بشراء العقد وقال انه اشتراه بناء على تكليف من الملكة فلما سئل عن ماهية ذلك التكليف قال إن سيدة تدعى الكونتيس دى لاموت - فالوا، هى التى حملت اليه امر الملكة فنفذ الأمر ظنا منه انه يؤدى خدمة لملكة البلاد .

وسالته الملكة : كيف يدور بخلدك انى اختارك من بين كل الناس وانت تعرف رأيى فيك ؟



ماري انطوانيت .. وهى نزيلة السجن تنتظر لحظات مثولها امام المقصلة

فقال «ادرك الآن انى خدعت .. كل مناي كان ان اخدم ملكتى فاعمتنى هذه الرغبة عن كل شيء ؟ ثم قدم ما قال إنه خطاب التكليف ، وفحصه الملك وقال «ليس هذا خط الملكة ولا الخطاب مكتوب على الورق الخاص بهـــا .. فكيف يقبل رجل من بيت روهان مثل هذا الخطاب وكيف لا يعرف ان الملكة لا توقع على خطاباتها باسم مارى انطوانيت من فرنســا .. أيجهل الكاردينال البروتوكول ؟»

ولم يستطع روهان ان يجيب ... فطلب الملك أن يكتب قصته مفصلة .. فلما عاد بما كتب اقترح كبير الياوران ان يقبض عليه فامر الملك بذلك .. ونقـل الكاردينـــال الى سجن الباستيل ..

وواصلت النيابة تحرياتها واستجوبت عدداً كبيراً من الشهود بينما كان الكاردينال ينعم بسجنه فى الباستيل ويقيم حفلات العشاء.

اخيراً وافق على نظر القضية ٦٤ قاضياً .. وأمام المحكمة اعترف فييت بانه زور إمضاء الملكة ولكنه قال إنه فعل ذلك تنفيذاً لأمر صدر له ولكنه لم يستطع تقديم الدليل لأن جين دى لاموت انكرت كل صلة لها بالجريمة ... على أن اعتراف هذا المتهم اثبت براءة الكاردينال من تهمة تزوير الرسائل .

ومثلت التى تدعو نفسها الكونتيس دى لاموت ـ فالوا امام المحكمة ... وهى كما قلنا امراة تجيد التمثيل ... فلعبت دورها باتقان ... وتبدو وقحة صفيقة تارة ، بريئة عاجزة ضعيفة تارة اخرى ... انكرت فى تصميم كل التهم التى وجهت اليها ... ووجهت هى بدورها التهم للملكة وقالت إن اللهجة الودية التى صيغت فيها الخطابات تثبت ان هناك علاقة بين الملكة والكاردينال واغفلت فى تبجح ووقاحة ان الخطابات مزورة فلا يجوز التدليل بها على شيء .

مثل الكاردينال دى روهـــان أمـام المحكمة لابسا ثوب الحداد واعترف فى خزى وصراحة ان رغبته الملحة فى خدمة الملكة اعمته عن الحقيقة .. واعترف ان جين خدعته وغررت به ... ورثت المحكمة لحاله واعتبرته مجنيا عليه ، واقتنعت المحكمة بصدق شهادته وبراءة تصرفه ، فلما تحرك ليترك القاعة بعد انتهاء شهادته وقف القضاة تحية له .

ولما انعقدت المحكمة بعد ذلك للنطق بالحكم فى يوم ٣١ مايو ١٧٨٦ اخذ الرئيس يقرا الحيثيات وتبين الناس ان المحكمة قد غيرت محور ارتكاز القضية فحولتها الى قضية للفصل بين الملكة نفســـها وبين الكاردينـــال .. وحكمت لصالح الكاردينال ،وهتفت الجماهير خارج دار العدالة «يحيا الكاردينال .. يحيا البرلمان» ... واصبح الكاردينال رمزاً للمقاومة وممثلا لمعارضة الملكة وكل ما تمثله .

وحكمت المحكمة غيابياً على دى لاموت زوج جين وقررت نفى المزوِّر فييت وحكمت بان تطبع سمة العار بالنار على كل من كتفَىْ جين وان تسجن مدى حياتها ولكن جزءاً من ثمن العقد الماسى استغل فى تدبير هربها من السجن بعد عام واحد .

كان لتلك القضية اثر كبير على حياة الملكة مارى انطوانيت رغم براءتها التامة وعدم علمها بشراء العقد الماسى ، إلا ان الناس اتخذوا تلك القضية ذريعة للطعن فى الملكة وبذخها وإسرافها الجنونى وإيثار اتباعها باحسن الوظائف . واتخذ اعداء الملكة من هذه القضية مرآة يعكسون عليها كراهيتهم وبغض الشعب لها .. فبعد ان كان الفرنسيون يشيرون اليها احتقاراً «بالنمساوية» ، زاد احتقارهم لها فاصبحت عندهم « الكلبة النمساوية » وكانت تقابل ذلك ببسمة كلما ظهرت فى دار الاوبرا او غيرهـــا

واساء الحاقدون الى الملكة وتقولوا عليها ونسبوا اليها بالباطل ما لم تقل فادعوا انها اجابت عندما قيل لها ان الناس لا يجدون الخبز ، بقولها «لم لا ياكلون كعكا» .

وعلى الذين ينسبون الثورة الفرنسية ويرجعونها الى كتابات فولتير وروسو وديديرو أن يضيفوا الى اسبابها ذلك العقد الماسى الذى لم تلبسه الملكة مارى انطوانيت او تلمسه إلا فى خيال من اختلقوا عليها بالباطل وهللوا وزغردوا يوم حوكمت واطاحت المقصلة بعنقها الذى لم يلمسه ذلك العقد الماسى المشئوم .

جمال الكنانى

الشـــعراء الأوربيّـــون والشـــعر العـــربي

بقلم : الدكتور عـــلي حســـن تـــقي



سيف سعيد غباش
جعلني اكتشف كيف تاثر الشعراء الأوربيون بالأدب العربي



جـــــوته
تاثر بالشعر العربي والاسلامي بصورة فاقت كل الحـــدود



حافـــظ الشيـــرازي
من الذين وجد فيهم الشعراء الرومانسيون ضالتهــــم .

ان اطلاعى على الأدب الغربى كان وازعاً لي لان أعيد الاطلاع على الأدب العربى والنظر إليه بمنظار جديد . كان ذلك فى شهر حزيران ١٩٦٤ وكنت قد وصلت إلى باريس لمواصلة دراستى العليا . فسكنت فى السكن الجامعى "بانتوني" وكان يومها يعيش فيه أيضاً شاب من الخليج العربى سيصبح له فيما بعد شأن ألا وهو المرحوم سيف سعيد غباش من الامارات العربية المتحدة

كان سيف يتحدث عدة لغات من بينها الألمانية. وكان مولعاً ولعاً شديداً بالقراءة وخاصة قراءة الشعر والأدب. وعند أول لقاء لي معه وجدته يقرأ فى ديوان الشرق والغرب للشاعر الألمانى جوته . فسألنى ان كنت أعرف الألمانية فرددت : قليلا . فأخذ يقرأ علي من الديوان . كان إلمامي باللغة الألمانية وما يزال يسيراً جداً ولكنه مكنني من إدراك جمال القصائد التى قرأها علي المرحوم سيف .

بعدها توالت قراءاتي واطلاعاتي على الأدب الغربى وقد مكنتني إجادتى للغتين الانجليزية والفرنسية وإلمامى القليـــل بالألمانية من اكتشاف كنوز هذه الآداب العظيمة فاخذت فى اكتشاف شاعر جديد وأديب فحل مع كل زيارة للمكتبات التى تفيض بها باريس والتى ميزت باريس من بين كل عواصم الدنيا لتكون المدينة التى تحتوى على أكثر المكتبات فى العـــالـــم أجمع .

لقد اكتشفت أن فحول الشعر الفرنسي والانجليزي وأن أب الشعر الألمانى جوته كانوا متاثرين كثيراً بالأدب والشعر العربى والاسلامى . فهذا جوته وتاثره بحافظ الشيرازي والشعراء العذريين . وهذا شيلي فى قصيدته « ثورة الاسلام » التى يمكن اعتبارها من صفوة شعره . وهذا ستاندال فى كتابه « فى الحب » يصف الشعراء العذريين والحب عند العرب . وهذا لامارتين الذى يتاثر بالشرق العربى فيزوره . وهذا جيراردي نرفال وكتاباته عن مصر . وهذا فكتور هيجو وديـــوانه « الشرقيات » . وهذا أبو الشعر الفرنسي الحديث شارل بودلير يصف شاعراً بأنهجيد لأنه يحب الشرق والصحراء . وهذا أخيراً لا آخراً الشاعر الحديث أراجون ورائعته « مجنون إلزا » والتى كتبها على غرار « مجنون ليلى » .

لقد بدأ تاثر الغربيين بالأدب العربى مع بداية الحركة الرومانسية التى توجها جوته فى ألمانيا ، وستاندال فى فرنسا ، وبيرون فى بريطانيا . إن الثلاثة كانوا معجبين بالشرق . الأول بالعرب والفرس . والثانى بالعرب . والثالث باليونان ، حيث كانت اليونان يومها تعتبر بوابة الشرق . والحقيقة أن هذا الاعجاب قد سبقه اهتمام عام بالشرق وآدابه ودياناته وأساليبه فى الحياة . فقد كتب فولتير عدة روايات عن الشرق إلا أن موقفه ذلك كان عدائياً خاصة من الدين الاسلامى ومن الرسول الأعظم . كما أن كتاب « ألف ليلة وليلة » قد ترجم قبلها إلى اللغات الأوربية . وكذلك بعض الكتب الأخرى فما أن وصل القرن التاسع عشر إلى منتصفه حتى كانت المكتبة الأوربية تعج بالآف الكتب الشرقية

المترجمة .

الرومانسيون يتجهون للشرق

كانت الحركة الرومانسية والتى بدأها جوته بحاجة إلى معين تستمد منه ثورتها وعنفوانها . ومرة اخرى وجد الأوربيون الشماليون ضالتهم فى الجنوب . وقد كانت إيطاليا بالذات هى المصدر الملهم وهى الجنوب الذى سعى إليه الشمال . وذلك لأسباب عدة أهمها أن اليونان وهى التى كانت المصدر الأول للنهضة الأوربية الأولى كانت ترزح تحت الحكم العثمانى.كما أن أسبانيا قد فقدت كثيراً من بريقها.أما الشرق العربى فقد كان حتى ذلك الوقت بعيداً جداً عن أوربا كما انه كان بدوره يرزح تحت سيطرة الامبراطورية العثمانية . وهكذا

وجد الرومانسيون ضالتهم فى إيطاليا . فنجد أن معظم الشعراء الرومانسيين قد قاموا بزيارة لايطاليا وخاصة الشعراء الأوائل الذين لم يتمكنوا من زيارة بلدان أبعد . فهذا جوته ينزل من الشمال فيعبر جبال الألب نحو إيطاليا . وهذا ستاندال يقضى فترة طويلة فى إيطاليا . وهذا تيوفيل جوتييه فى وقت متاخر يزور إيطاليا أول ما يزور ويصف البندقية فى أول فصل من كتابه « الشرق » . ويمكننا ان نذهب إلى أبعد من ذلك فنقول بان غزوات نابليون لايطاليا ثم لمصر لم تكن لتخلو من التاثير الرومانسي .

بعد غزوة نابليون لمصر تفتحت عيون الأوربيين على الشرق . حيث ان نابليون لم يكتف باخذ العساكر وإنما أخذ معه كما هو معروف مجموعة كبيرة من العلماء والأدباء الذين حققوا انتصارات هامة فى علم الآثار المصرية ومعرفة كنوز مصر العلمية والتاريخية والادبية . من جهة أخرى كان غزو فرنسا للجزائر فى سنة ١٨٣٠ عنصراً هاماً آخر فتح امام الغربيين أبواب الشرق لذلك نجد انه منذ ذلك التاريخ كثرت الكتابات عن الشرق وكثرت زيارات الشرق العربى من قبل الفرنسيين . ولم يكن أثر ذلك مقتصراً على الأدب والشعر فقط وإنما على الفنون عامة . فهذا « دلكروا » أبو الفن الحديث يخصص لوحات فريدة لموضوعات جزائرية وهذا « انجر » أيضاً يستوحي رسوماته من موضوعات تركية وشرقية . ولا ننسى فى هذا المجال العلاقات الخاصة التى كانت تربط مصر ولبنان بفرنسا لمدة طويلة والتى كان لها أعظم الاثر فى اهتمام الفرنسيين بالشرق العربى . ثم أضيفت إلى ذلك الجزائر والمغرب العربى فاصبحت فرنسا مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعالم العربى وبالاسلام .

الأدب العربى .. لماذا ؟

ما هو سر اهتمام الغرب بالأدب العربى والاسلامى . إن من البديهى القول بأن أية أمة فى أوج حضارتها تنفتح على الحضارات الأخرى تترجم آدابها وعلومها وتاخذ منها ما يناسبها وتتاثر بما ياخذ بلبها . هذا شيء طبيعى فالانغلاق هو طبيعة المجتمعات غير المتحضرة أو المجتمعات التى هى فى عصر انحطاط حضاري ، ولكن هناك سر آخر فى مسألة تاثر الادباء والشعراء الأوربيين بالشعر العربى والاسلامى بالذات وفى تلك الفترة بالذات أيضاً . وهذا السر يكمن فى انتشار الحركة الرومانسية فى الآداب الأوربية فى بداية القرن التاسع عشر . فكما نعلم فالرومانسية هى انفتاح على الحياة بكل ما فيها من انفعالات وتاثيرات . هى انفتاح على العالم المحيط بنا – هى استمتاع بدفء الشمس وبنور القمر – هى انبهار بالبحار والأنهار والجبال والوديان . هى تعبير عن كل ما يعتمل فى النفس من مشاعر وأحاسيس . وهى بكل اختصار العودة إلى الملهم الأول للحياة الا وهو الحب .

هذا الحب اين تجد له وصفاً أجمل وأبهى من شعر الصوفيين والعشاق العذريين ومن قصائد الغزل العربية . لقد وجد الشعراء الرومانسيون الأوربيون ضالتهم فى هذا الشعر . وكما قلنا سابقاً فقد كان السباق إلى ذلك هو الشاعر الألمانى جوته حيث تاثر تاثراً عظيماً بالشاعر الصوفى حافظ الشيرازي وكذلك بشعراء بني عذرة فكتب « ديوان الشرق والغرب » . وقد كان هناك وجه شبه كبير بين حافظ وجوته فكلاهما عاش فترة مليئة بالاحداث الجسيمة وبالنكبات ولكنهما بالرغم من ذلك غنَّيا للحب وللحياة . وكان تاثر جوته بالاسلام عظيماً جداً لدرجة انه قال إذا كان الاسلام هو الخضوع لمشيئة الله سبحانه وتعالى فاننا جميعاً نعيش ونموت مسلمين .

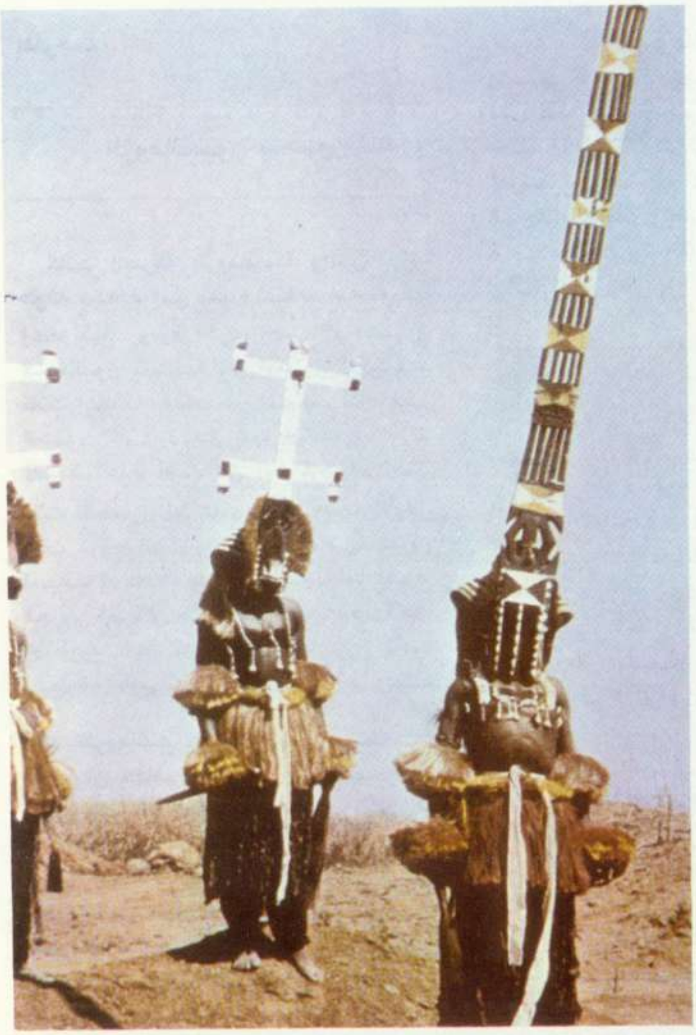
رباعية الاسكندرية

بعد جوته توالى الشعراء الذين تاثروا بالشعر العربى والاسلامى . وكان الشعراء الفرنسيون هم أكثر الأوربيين تاثراً فى هذا الصدد لأسباب كثيرة منها كما ذكرنا العلاقة الخاصة التى كانت تربط فرنسا بالعالم العربى ، ومنها كون فرنسا دولة من دول البحر الأبيض المتوسط وعلى مقربة من العالم العربى . ومن أوائل هؤلاء الشعراء الفرنسيين العظام والمشهورين « جيرار دي نرفال » الذى زار مصر وكتب عدة قصص عنها ، و « لا مارتين » الذى زار لبنان وسوريا ، ثم « تيوفيل جوتييه » الذى وضع مؤلفاً عن زيارته للشرق أسماه « الشرق » وفيه وصف شيق لتركيا وسوريا وقد توالى هؤلاء الشعراء حتى أصبح بامكاننا القول إنه لم يعد هناك شاعر فرنسي فى القرن التاسع عشر لم يزر الشرق العربى أو يكتب عنه أو يستوحى بعض قصائده منه .

وقد استمر هذا الاعجاب بالشعر العربى حتى بعد أن انحسرت الموجة الرومانسية وظهرت حركات شعرية أخرى فى أوربا . وأصبح الشعر العربى رافداً من الروافد التى يستقى منها الشعر الأوروبى الحديث. وحتى لو أن الحربين العالميتين قد غيَّرتا من معطيات الأمور ، إلا أن التاثر بالشعر العربى لم يختف فى أوربا . حتى فى عصرنا الحالى نجد أن أديباً عظيماً كالقاص الانجليزى « لورنس دوريل » قد استوحى أعظم قصة له وهى « رباعية الاسكندرية » من مصر. كما أن الشاعر الفرنسي الكبير أراجون قد كتب رائعته « مجنون إلزا » على نهج « مجنون ليلى » .

لقد كان الشعراء الأوربيون محقين فى تاثرهم بالشعر العربى . فالشعر العربى معين لا ينضب وكنز لا يفنى من كنوز الشعر العالمى . وقد آن الأوان أن نقوم نحن العرب باكتشاف هذا الكنز من جديد على ضوء معطيات العصر الحديث وعلى ضوء ما وصلت إليه الفنون حتى الآن .

لقطات من الكون المثير



هوائيات للأرواح !

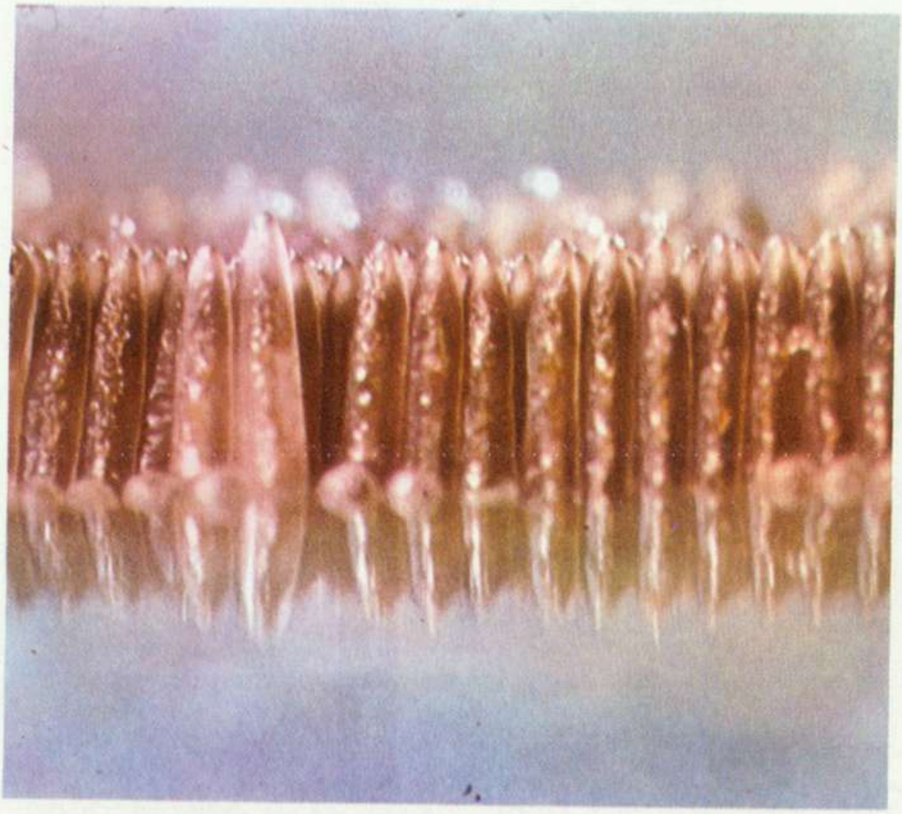
لكل بيئة معتقداتها ، ولكل جماعة طريقتها فى التعبير عن هذه المعتقدات ، فهذه الأقنعة الغريبة التى يرتديها بعض رجال القبائل البدائية فى مالى ، والتى تتخذ أنماطا شتى فوق الرؤوس هى ـ على حد اعتقادهم ـ بمثابة «ايريال» أو هوائى ليلتقط الأرواح الهائمة ، وبها يحدث الاتصال بين عالم المادة وعالم الروح ، ولهذه الاعتقادات الغريبة طقوس ومواسم خاصة ، حيث يخرج الزاعمون الى الخلاء ، ويؤدون حركاتهم وابتهالاتهم حتى تحضر الأرواح ، وتلبس فى هوائياتهم ، ويتحدثون اليها ، وتتحدث اليهم ، ولكل فئة وسيلتها ، بخوراً أو تعاويذ أو سلالا أو دعوات ... اختلفت الوسائل بين مجتمعات بدائية ومتحضرة ، ولكن الزعم الساذج واحد !!



وللطيور مرحها ومزاحها !

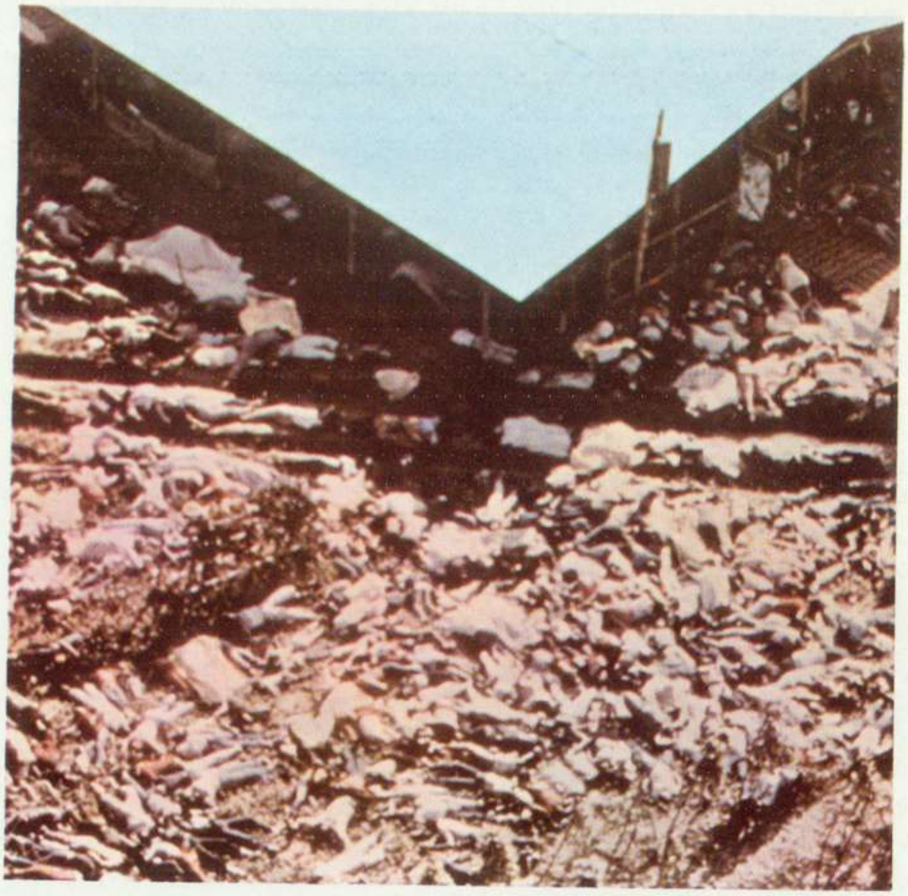
على صفحة ماء ساكن انطلق هذا السرب من الطيور المعروفة باسم طائر البطريق الأمريكي الأبيض في طريق عودتها إلى أعشاشها ، بعد أن حصلت على نصيبها من الرزق مما اصطادته من خيرات البحار ، لكنها راحت ترتفع وتنخفض لتضرب صفحة الماء برجليها ، مخلفة وراءها هذه الموجات المائية الدائرية ، وكأنما هي ترسم لوحة ذات نظام وتناسق ، ولا أحد يعرف لماذا تفعل الطيور ذلك ، ربما لأنها تحب المرح والمزاح مع الماء الذي أعطاها رزقها رغداً ، أو قد يكون ذلك تعبيراً عن عودتها إلى أفراخها سالمة بعد يوم من السعي الجاد ، أو لأن الطائر نفسه «مهزار» .. أو أي شيء آخر متروك لتقديرك ، فلا أحد يدري الحقيقة .

ومنها يخرج مصّاصو الدماء!



هذا التشكيل المتماسك الغريب .. هل تعرف هويته ؟ .. دقق النظر جيداً ، فلعلك تصل إلى سره ، وأياً كانت الأمور ، فما نراه هنا ليس إلا صورة مكبرة من « حزمة » متآلفة من بويضات البعوضة ، وقد وضعتها على صفحة الماء ، وتتكون المجموعة عادة من ٢٠٠ ـ ٤٠٠ بويضة ، وعندما تفقس ، يخرج منها الذكور والاناث ، فاما الذكور فتعيش على رحيق الأزهار ، وأما الإناث فهى التى تلدغ ، وتمتص الدماء ، وكثيراً ما تنقل الأمراض ، والوجبة الدموية هامة جداً فى حياتها ، وبدونها لن يكون لها ذرية ، لكن ذريتها قائمة وسارية ، ما قامت حياة الحيوانات الثديية ، أو ما سرت الدماء فى العروق ، فمن الدم ينبع شريان الحياة .. والمرض والموت أيضاً ، هذا اذا ذهب الى غير مستحقيه من اناث ماصات للدماء ، أما الذكور فلا يمصون !

سفاح يتخفى وراء عقيدة زائفة



فى يوم ١٧ نوفمبر عام ١٩٧٨ ، وعلى مشارف احدى الغابات فى جونزتاون الواقعة على ساحل جويانا بأمريكا الجنوبية ، التقطت هذه الصورة المحزنة لأعظم عملية انتحارية بالسم تمت فى التاريخ ، وراح ضحيتها ٩٠٠ نسمة ما بين رجل وامرأة وطفل ، معظمهم من السود الفقراء أتباع القس القاتل جيم جونس من ولاية انديانا الأمريكية إذ سيطر عليهم بعقيدته الزائفة ، وأوهمهم أن خلاص العالم من الفساد لن يتأتى إلا اذا شربوا مشروب الخلاص والولاء لكنيسته وعقيدته خاصة بعد أن شعر بوجود بعض المنشقين عن دعوته ، وخوفاً من بوار عقيدته ، أوحى الى اتباعه بضرورة تجرع مشروب «الانتحار الثورى» الذى يتكون من عصير الفاكهة وسم السيانور ، فأطاعوه فى أطفالهم أولا ، وفى أنفسهم بعد ذلك ، فكانت هذه الصورة البشعة التى تدل على ما يمكن أن يجلبه التطرف أو الانحراف فى العقيدة من مآس مروعة ، أما جونز نفسه فقد وجد مقتولا برصاصة فى رأسه !

جمـــال قطـــب

مثالية الفن بين الجمال والجلال



الفنان الفرنسى « انجــر » فى صــورة شخصية رسمها لنفسه عـــــام ١٨٦٤

بين الجمال والجلال .. كانت معارك الابداع فى ذلك العصر الفنى المتالق .. عصر تربع فيه الفنانون على عرش الحركة الفكرية الفرنسية فى اواخر القرن الثامن عشر وطوال القرن التاسع عشر ، بل تعدى نفوذهم الى مجالات السياسة والحكم وتغيير مجرى الأحداث التاريخية والاجتماعية وقيادة الشعوب ! حتى اننا راينا – فى حلقة سابقة – ان لويس السادس عشر ملك فرنسا يتقرب الى الفنان (دافيد) ليبرهن للشعب على مشاركته فى مشاعره الوطنية ، بعد ان انتهج الفنان اسلوبا ذا موضوعات وطنية تراثية مستمدة من الايدلوجيات التاريخية الماضية والميثولوجيات الاغريقية الرومانية وظل دافيد يقود الحركة الفنية الكلاسيكية حتى مات عام ١٨٢٥ بمنفاه فى بروكسل بعد ان تقوض حكم نابليون ونفي الى (سانت هيلانة) .

وهنا يظهر آنجر (١٧٨٠ – ١٨٦٧) على مسرح الأحداث ، متزعما حركة الابداع بعد وفاة استاذه دافيد ، وبذلك اصبح زعيم الفن الكلاسيكى فى فرنسا كلها . ولم يشذ آنجر عن مبادىء استاذه فى تمسكه باستخدام اللغة الكلاسيكية ، وباعتبار ان (الرسم) هو الأساس فى فن التصوير وان اللون امر ثانوى يكاد يمكن إغفال حسابه .. ولكن الاختلاف الجوهرى كان يكمن فى إيمان (دافيد) بالجلال .. اى الجمال الرياضى المتمثل فى النحت الاغريقى الرومانى . اما (انجر) الذى تاثر برافاييل (احد اقطاب عصر النهضة الايطالى الأفذاذ) ، فكان يؤمن بجمال الأشكال الطبيعية المحورة تحويرا مثاليا .. ولنقل بعبارة أخرى : إن دافيد كان ينشد الجلال ، فى حين كان آنجر ينشد الجمال . على ان كليهما كان يعارض الواقعية ويؤمن بالمثالية !

وما ان اصبح انجر زعيم الفن الاكاديمى فى فرنسا عام ١٨٢٥ حتى فاق استاذه فى تشدده ودكتاتوريته فيما يتعلق باتباع تعاليمه بكل دقة ، واستن قواعد ثابتة للفنانين كالسلم لابد من صعوده درجة بدرجة لكى يصلوا الى المجد والشهرة : اجتياز الامتحان لدخول مدرسة الفنون الجميلة – قضاء عدة سنوات فى العمل الدائب وفق التعاليم الراسخة المتوارثة – العرض بالصالون الرسمي – الفوز بالجوائز والميداليات البرونزية ثم الفضية ثم الذهبية .. واخيرا .. الحصول على جائزة روما بالنسبة للقلة المحظوظة من الأفذاذ .. اما تعيين الفنان عضوا بالأكاديمية .. فكان قمة هذا المجد المنتظر ! وهكذا بات من المتعذر ان يعترف بالفنان ما لم يرض عنه رجال الأكاديمية ، وهم المسيطرون على مسار الفكر الفرنسى بوجه عام .

وهكذا ظل آنجر .. يتزعم الحركة الفنية الملتزمة بالقواعد التى وضعها بنفسه ، حتى ظهرت فى أواسط القرن التاسع عشر جماعة متمردة على قواعد الاكاديميين .. اخذ اعضاؤها يفرون إلى قرية صغيرة تدعى (باربيزون) يعتنقون الواقعية ويرسمون من الطبيعة مباشرة .. وعرفت هذه المجموعة المتحررة باسم (جماعة باربيزون) ، تزعمها الفنان (تيودور روسو) الذي تالق هو وزملاؤه بعد ذلك فى عالم الابداع العالمي الرفيع .

نعود إلى جان اوجست دومينيك انجر ، فنجد انه كان رساما لا يبارى فى رشاقة الخط ومتانة البناء ورهافة الحس بشكل ينم عن الأستاذية وروعة الاداء ونبوغ العبقرية .. واهم ما خلفه لنا الفنان هو مجموعة من الصور الشخصية برع فيها بشكل معجز .. بما فيها صورته الشخصية كذلك .. ولا يمثل المنظر الطبيعي عند انجر إلا عاملا مساعدا كخلفية للصور الشخصية التى يعتبرها الأساس فى لوحاته ، ولعل اللوحة التى يراها القارىء على الصفحة المقابلة ، وهي صورة (مادموازيل ريفييرا) خير مثل على خصائص فن انجر من حيث رشاقة الخط ورصانة البناء ومثالية الجمال .. إلا ان هذه اللوحة قوبلت بالنقد والتجريح من مؤيدي مذهب (دافيد) عندما عرضت فى صالون باريس عام ١٨٠٦ ، واتهموا انجر بالعودة إلى الطراز القوطي .

وهكذا كانت حركة الابداع فى عصر كان الفنانون فيه يخوضون معركة سامية لكي يختاروا بين الهدفين النبيلين : الجمال او الجلال ! .



لوحة (مادموازيل ريفييرا) للفنان أوجست دومينيك أنجر .. اللوحة موجودة بمتحف اللوفر



حوار مع الفنان القطري عيسى الغانم

الفنان القطري عيسى الغانم

بيكاسو يسأل فنانا عربيا لماذا أتيتَ إلى باريس؟

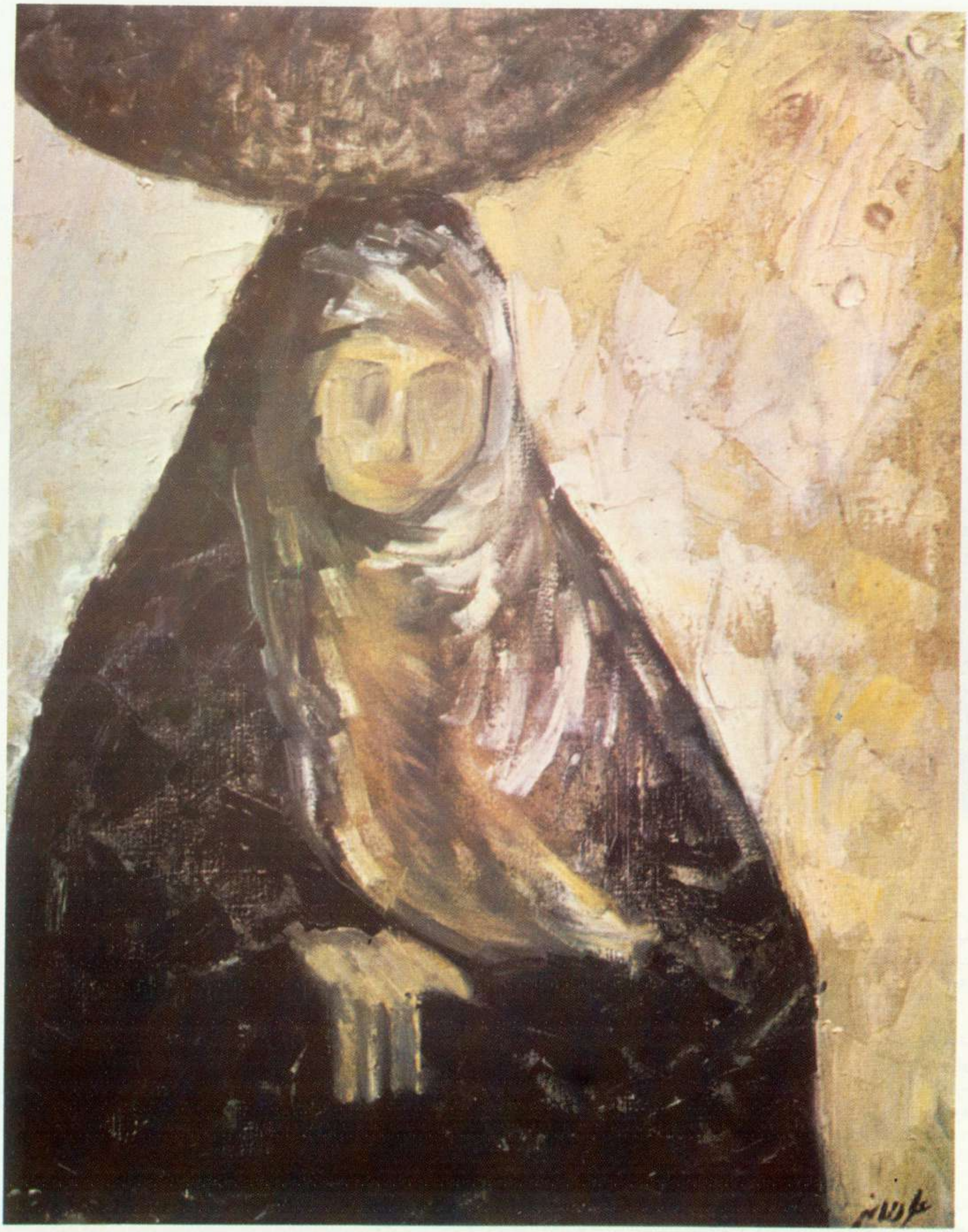


البادية

هو أحد أقطاب الفن التشكيلي فى قطر .. شارك فى جميع المعارض المحلية منذ عام ١٩٧٢ حتى عام ١٩٨٢ .. وساهم بلوحاته فى جميع المعارض القطرية التى اقيمت فى الخارج .. وتميزت لوحاته بأسلوب متميز يعتمد على التجربة الفنية الأصيلة والمحاولات الجادة لابراز الشخصية النابعة من الوجدان والتأثير العربي ..

ومن خلال ما دار بيني وبين الفنان القطري عيسى الغانم من حوار حول الفن التشكيلي العربي ، وأهم قضايا وطموحات الفن التشكيلي فى قطر ، كانت تلك أهم النقاط التى دار حديثنا حولها :

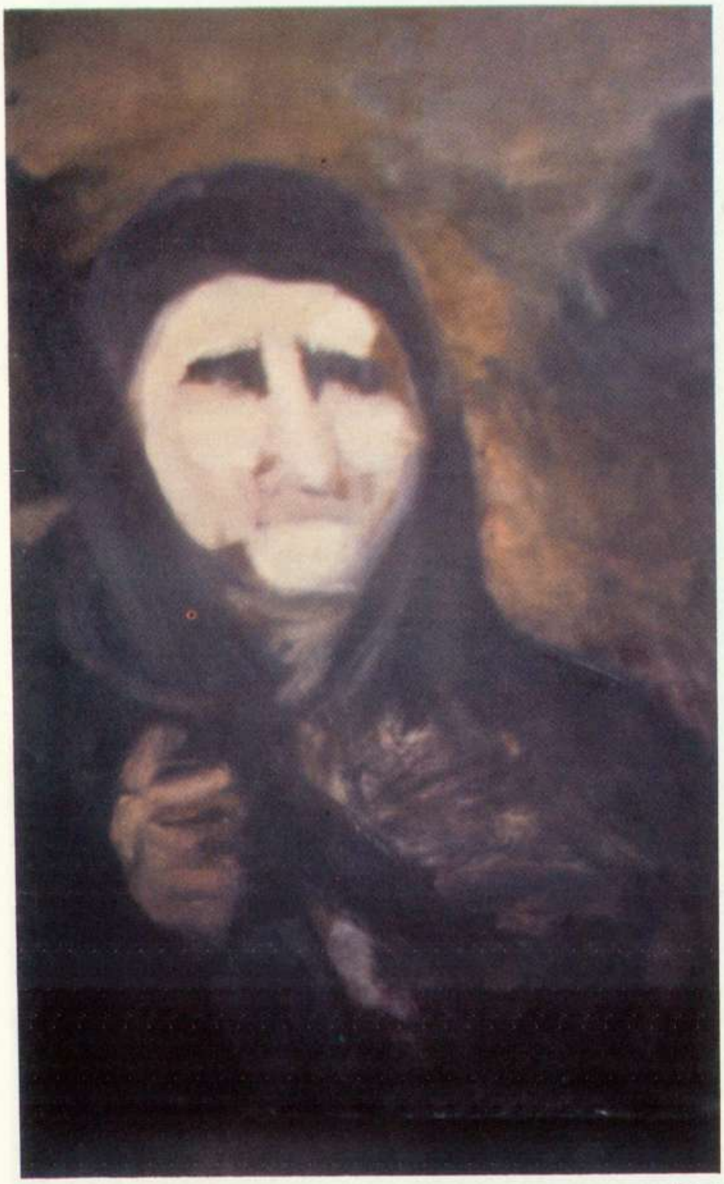
● التقى أحد الدارسين من الفنانين العرب بالفنان العالمي بيكاسو قبل وفاته ، فسأله : من أي البلاد أنت قادم ؟ .. فقال له أنا عربي .. فسأله فى استغراب : إذن لماذا جئت إلى باريس ؟ .. وقال له على الفور : لأتعلم الفن،وهنا رد عليه بيكاسو فى اندهاش قائلا : اتترك الحضارة الاسلامية والفنون الاسلامية والعربية وتأتى هنا لتعلم الفن .. إن بلادكم العربية تزخر بالحضارة السومرية والبابلية والمصرية



امرأة



شهداء



أم الشهيد

حوار مع الفنان القطري عيسى الغانم

القديمة وغيرها ، فأرجع وأنهل منها حتى تصبح فناناً لم يغترب عن تراث وفنون بلاده .

● كثير من الفنانين العرب ما زالوا يتخبطون فى دهاليز التقليد .. وبعض هؤلاء الفنانين يلجأون إلى تسجيل الماضى دون ادنى تطوير .. ومطلوب منا أن نغترف من الماضي وأن نتعلم أيضاً من تجـــارب الآخرين بشرط واحد ، هو أن نصنع لأنفسنا الشخصية المستقلة المتطورة ... القادرة على العطاء

● الفنان العربي فى هذه المرحلة بالذات مطالب بنشر الوعي الفني وتنمية حاسة التذوق عند الجمهور .. وهذا يتطلب منا جميعاً جهداً شاقاً ومشاركة فعالة ونشاطاً ملحوظاً فى إقامة المعارض وتحبيذ الدعوة إليها ونشر كتب الفن المبسطة وزيادة المساحات المنشورة فى الصحف والمجلات والدوريات المختلفة عن الفن التشكيلي وأهميته فى حياة الشعوب .

● يجب ألا يكون دور نشر الفنون التشكيلية وتذوقها مقصوراً على الفنانين التشكيليين فقط ، ولكن على جميع المثقفين أن يتبنوا هذا الدور ، وعلى المدرسين في المدارس أن يشجعوا تلاميذهم على زيارة المعارض الفنية والمتاحف ، وعلى كافة الجهات المسئولة أن تهتم باقتناء لوحات فنية فى المكاتب التي يتردد عليها الجمهور، وهذا بالاضافة إلى ضرورة اهتمامنا بالنواحي الجمالية ونحن نخطط لمدننا .. أي اننا باختصار يجب أن نعود الناس على حب الجمال عن طريق اللوحة الفنية المنتشرة فى البيت والمدرسة والمؤسسات المختلفة ، وقتها لن نشكو من قلة إقبال الجمهور العربي على المعارض .

● علينا أن ندرك أن اللوحة الفنية ليست مجرد منظر طبيعي أو موضوع واقعي أو تاثيري فقط ، فاللوحة مزيج من الفكرة والخط واللون والمساحة واللمسة الجمالية وحتى اللوحة المتضمنة للخط العربي لا يمكن أن تكون مكتملة كاي لوحة فنية إلا إذا انصرف اهتمامنا فيها إلى إبراز الجماليات والمساحة اللونية وإيجاد علاقة سيمفونية بين كافة حروف الخط العربي واللون والحركة ..



منظر طبيعي

● الحركة التشكيلية فى قطر مازالت فى بداية تفتحها ، وهناك محاولات جادة لبعض الفنانين القطريين مثل محمد على ويوسف أحمد وغيرهم ، يحاولون إيجاد سمة خاصة أو متميزة للوحة القطرية .

وهم يلجاون فى محاولاتهم إلى الفن الاسلامي والحضارة الاسلامية والعربية لادراكهم بانها غنية بكل المعاني والقيم والجماليات العظيمة، فالأصالة لن تنبع إلا من فنوننا والتطور الفني لن يحدث إلا باعتمادنا على انفسنا وتاثرنا بكل مافي تراب أرضنا من حضارة وفنون .

● بعض الفنانين التشكيليين الغربيين قاموا بتسجيل الحياة اليومية للمجتمعات الخليجية والعربية بصورة مشوهة ، بعيدة كل البعد عن روح مجتمعاتنا ، فلماذا نترك للوحات هؤلاء فرصة الانتشار فى بلادنا ؟ .. إننا لا نستطيع أن نقول لهم لا تبيعوا لوحاتكم فى بلادنا العربية ، ولكننا نستطيع أن نعوض هذا النقص بالعمل ونقدم لوحات للجمهور باسعار غير مبالغ فيها ، فصحيح أن الفن لا يقدر بمال ، ولكن علينا أن نضع فى أذهاننا دائماً دورنا نحو الرسالة التى يجب أن نتشرف بالقيام بها ونؤديها فى صدق وحب واخلاص .

● لماذا لا نبني قاعة او متحفاً للفن فى قطر ؟ .. إن هذا المطلب هو امل كل فنان فى قطر ، فالمجتمعات الحديثة أصبحت لا تقيس حضارتها بالعمارات والشوارع والمشروعات الاقتصادية فقط ، ولكنها تضع دائما في الحسبان المراكز الثقافية والمتاحف الفنية والمباني الزاخرة بالنقوش والزخارف المعبرة عن ملامح المجتمع وشخصيته المتميزة .

● ● ●

كان ذلك هو كل ما دار بيني وبين الفنان القطري عيسى الغانم .. ترى هل اثمر الحوار عن آراء جديدة على طريق إثراء الحركة التشكيلية فى قطـر والعالم العربي ؟ .

حسن الملا



الوادي المختبئ في سقف العالم

بقلم مجدي نصيف

● سكان الوادي عددهم ١٢ ألفا ، ولهم لغتهم الخاصة وثقافتهم ذات الطابع المميّز!

● «الدلاي لاما» يطالب سكان الوادي بالخروج من عزلتهم وإلا اندثروا واختفوا إلى الأبد !



بعض سكان الوادي المختبيء فى سقف العالم . والذي لا تستطيع ان تصله فى جبال الهملايا إلا فى الصيف وعبر ممر طوله ١٤ الف قدم .. ثم لقطة أخرى لامرأة عجوز تجاوزت التسعين من عمرها ومازالت تسير على ارض الوادي العجيب !.

زانسكار : مكان قصى في كرتنا الارضية ، ويكاد أن يكون سرياً ، بالنسبة لسكان العالم بطبيعة الحال . فهو يقع فى جبال الهملايا التى تحميه . وإذا أردت أن تصل الى هناك يجب عبور ممر طوله ١٤ ألف قدم ، وفى الصيف . وأحواض الأنهار المتجمدة هى الطريق الوحيد للانتقال خلال أشهر الشتاء التى تغطيه بالثلوج ويصل عدد هذه الأشهر الى ثمانية . وحتى «الدلاى لاما» الذي يضعونه فى مكانة عالية في اديرة زانسكار ، ويسمونه « بوذا الحي » ، لم يكترث من قبل بالقيام بتلك الرحلة .

لكن عزلة «زانسكار» اخذت اخيراً فى الانكسار : فقد قام الدلاى لاما الحالى ، بزيارته الأولى للوادى ، فحيته جموع الرهبان البوذيين الذين هاجمتهم فى تلك الأثناء عاصفة ترابية هوجاء .

وانكسرت العزلة كذلك فبدأ السياح يزورون الوادى ، السياح الامريكيون والأوربيون الذين يبحثون عن الأماكن البعيدة القاصية وغير العادية ، وصلوا الى هناك بدورهم .

لقد استطاعت «زانسكار» البقاء كمملكة لمدة اكثر من ألف عام ، ورغم علوها الشاهق عن سطح البحر ومناخها القارس ، فقد طور أهلها ثقافة رهبانية معقدة عنيفة . وقد حذرهم الدلاى لاما أثناء زيارته ، وذكر لهم أن هذا الانعزال يشكل خطورة كبرى عليهم وعلى ثقافتهم ، فالعالم الآن وحدة واحدة ، والمطلوب منهم الآن «تقبل» القرن العشرين مهما كان ذلك خطراً ، فذلك الخطر لا يقاس بمخاطر «الانعزال» !

مملكة الأحلام

ومملكة «زانسكار» فى الهيمالايا ، مادة غزيرة للأحلام : ملوكها يغسلون ثيابهم بانفسهم ، لكن أصلهم العائلى يعود الى ما قبل ديليام القاهرة اديرتها على جروف شاهقة فوق قمم الجبال ، رهبانها ينقسمون الى اتباع «القبعة الحمراء» واتباع «القبعة الصفراء» ؛ ارضها تمتلىء بالذئاب ونمور الثلوج المتوحشة والدببة البيضاء ؛ وثقافتها مليئة بالأساطير عن الملوك والرهبان والأديرة والنمور والدببة والذئاب !



أسـرة مـن الـوادي .. الأم وأولادهـا بملابسهم المزركشة

الوادي المختبئ في سقف العالم

وككل الأساطير والأحلام ، لا يمكن ايضاً الوصول الى مملكة زانسكار ، فالوادى الذى يبلغ طوله اكثر من ثلاثمائة كيلومتراً والذى يرتفع ١٣ الف قدم ، يقع على حدود التبت حيث ولاية كشمير الهندية (أو بالأحرى التى مازالت محل خلاف) . والوادى يعتبر اعلى منطقة على سطح كرتنا الأرضية ، وليس له مدخل طبيعى ، بمعنى أن الطبيعة التى كونته لم توفر لسكانه مدخلا يتصلون من خلاله بالعالم (الخارجى) .. نهران كونا الوادى ، يلتقيان فى المنتصف ثم ينفصلان مرة اخرى ليجريا فى نهر الأندس الأعلى عبر ممر ضيق عميق ، لا يمكن عبوره .

ويزيد ارتفاع الممر من سرينجار بكشمير على ١٤ الف قدم ، ولا يكاد يفتح اكثر من خمسة اشهر سنوياً . فلم يصل الى الوادى سوى التجار العرب ، وهواة السفر من البريطانيين الذين تتملكهم الهوايات الغريبة . وفى الشتاء يصارع أهل زانسكار للانتقال من قرية الى اخرى بسبب الثلوج والطبيعة القاسية ، ومنذ تاسيس مملكتهم فى عام ٩٣٠ ميلادية ، عاشوا على مواردهم الخاصة ، واعتمدوا على مهارتهم بسبب العزلة .

ولقد استطاعوا التغلب على الطبيعة القاسية ، فلستمروا فى البقاء والانتعاش . وصل عددهم الآن الى ١٢ الفاً ، ولهم لغتهم الخاصة وتاريخهم الخاص وثقافتهم ذات الطابع المميز ، لكن القضية الآن هى ان يواصلوا هذه الحياة المستمرة الآن لأكثر من الف عام ، ويطوروا انفسهم مع القرن العشرين حتى لا يقضي عليهم ، حتى لا يندثرون مثل شعوب اخرى اندثرت وانتهت !

كيف عاشوا ؟

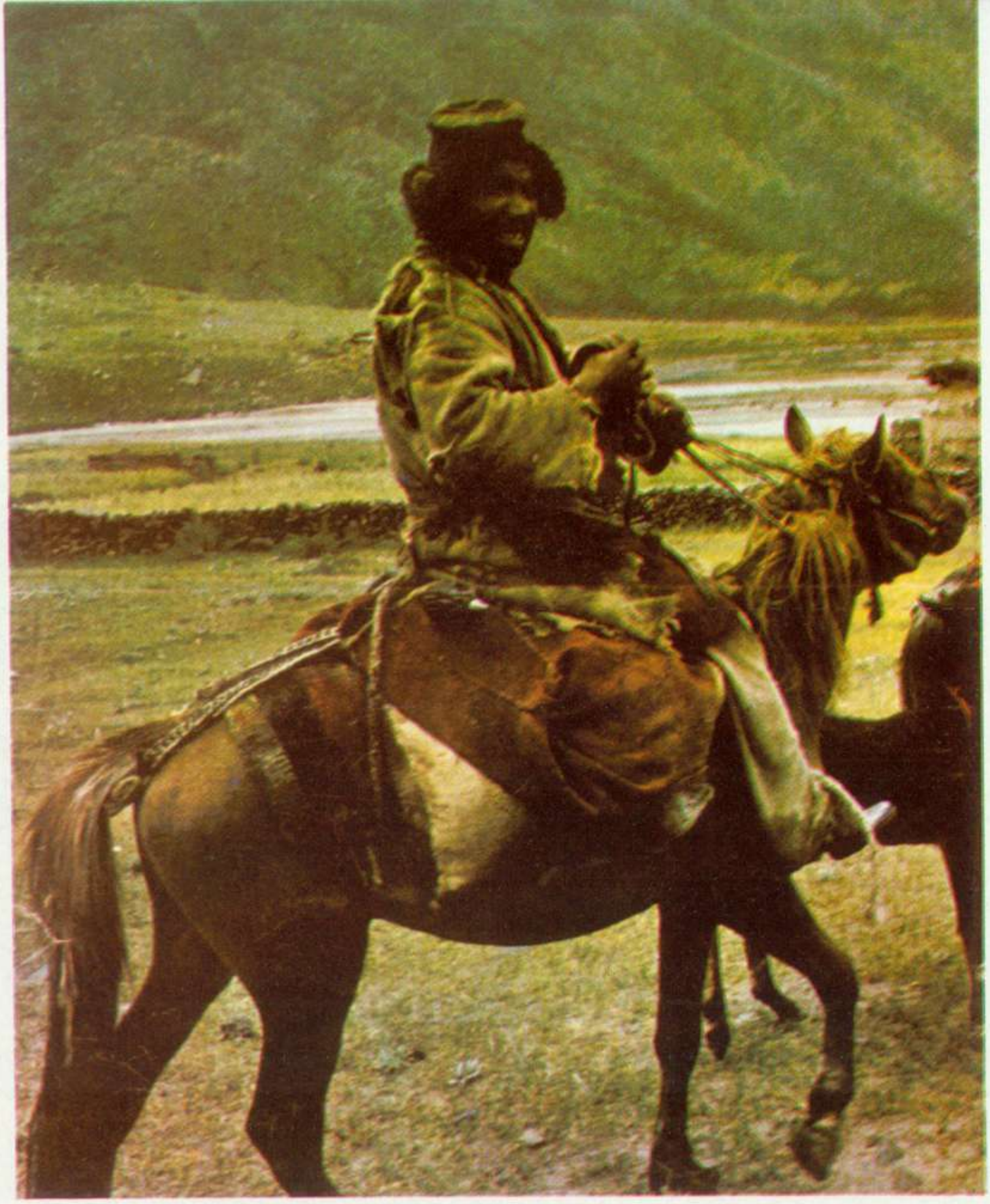
إن قدرتهم على الاستمرار والبقاء حتى الآن تكفى لاثبات عظمتهم وتفوقهم . فدرجات الحرارة فى فصل الشتاء تصل فى واديهم الى ٣٠ درجة مئوية تحت الصفر ، وارتفاع الوادى يجعل من لا يتكيف مع هذا المناخ منقطع الأنفاس ، يعانى الدوخة فى ساعات قلائل . فى الوادى عدد محدود من أشـجار الحـور والصفصاف ، والوقود الوحيد هو روث الحيوانات ، وعملية غلي الماء قد تستغرق ساعة كاملة . وخلال الشتاء لا يمكن لقطعان المواشى ـ شانها شان الانسان ـ البقاء حية فى العراء .

أما أخطار الصيف فتتمثل فى نقص كمية مياه الجسم ، وأشعة الشمس فوق البنفسجية .. فنقص الرطوبة يدفع بخط الثلوج الى ما فوق ١٩ الف قدم ، فى نفس الوقت الذى يعانى فيه الوادى العواصف الترابية مثله مثل الصحراء تماماً .



وتوصل سكان زانسكار الى طريقة لبناء المنازل تحميهم من الطبيعة صيفاً وشتاء .. انهم يشيدون بيوتهم من الطين فوق جذوع أشجار الحور ، من طابقين . الطابق الأعلى هو المنزل الصيفى ، والطابق الأسفل هو المنزل الشتوى مغمور نصفه الأسفل فى الأرض . وغرفة المعيشة الشتوية فى منتصف المنزل ، ليس لها نوافذ ، لا تضيئها سوى قناديل «الزبد» ، ونار يشعلها روث البهائم يرتفع دخانها من فجوة صغيرة فى سقف الغرفة الصيفية المشيدة فوق الشتوية . أما الغرف الخارجية ، فهى مبنية حول غرفة المعيشة ، حيث تعيش الماعز والخراف وثيران التبت الشهيرة والجياد . والنيران المشتعلة ليست هى التى تقوم بالتدفئة وإنما يأتى الدفء من حرارة أجسام الماشية والانسان داخل المنزل .

أما القرى المختلفة ، فقد اقاموا طرقاً فيما بينها للاتصال فيما بينهم تحت ظروف درجات الحرارة القاسية شتاء ، بان حفروا أنفاقاً وقنوات عميقة بين القرى داخل الثلوج . وكثيراً ما تدخل الذئاب خلسة الى هذه الأنفاق ، لذا يضع سكان زانسكار لها المصائد الكبيرة ، حيث يضعون ماعزاً داخل حفرة عميقة الجدران ، وما أن يقفز الذئب لينقض على فريسته ، حتى يقع



الوادي المختبئ في سقف العالم

هذا الرجـل مثله مثل بقية سكان الوادي ممنوع عليهم التصرف فى أراضي المنطقـة بالبيـــــع أو الشـــــــراء !

فى الحفرة ولا يستطيع الهرب ، فيخرج له سكان الوادي المختبئون ، ويرجمونه بالأحجار حتى المـــوت .

وتستمر الثلوج لأكثر من ثمانية شهور ، بحيث يستحيل زراعة الشعير ، وهو المحصول الرئيسى ، بالطرق الطبيعية . وقد استراح اهل زانكسار البوذيون من مشكلة توفير اللحوم فهم نباتيون لا ياكلون اللحوم ولا الأسماك ولا الطيور . لذا تخزن «التربة» فى المنازل خلال فصل الصيف ، ثم يقومون برشها فوق الثلوج فى الحقول فى شهر مايو بداية الصيف ، فتذيب أشعة الشمس الثلوج من تحت التربة السمراء. وتمكنهم هذه الطريقة من البدء مبكراً فى حرث الحقول وبذر البذور .

ويعيش أهل زانكسار على «التسامبا» ، وهو دقيق الشعير المطحون بمطحنة مائية ، ثم يعجن بالزبد والملح وأوراق الشاى والماء . والعائلة تعمل باكملها ، فالرجال يغزلون الصوف لصنع الثياب ، ويصنعون الأحذية الطويلة من الجلود ، أما النساء فيعملن فى الحقول . وتتزاور العائلات ببناء جسور معلقة فوق الأنهار بعد ذوبان الثلوج ، ويصنعونها بربط الأغصان الصغيرة الى حبال ، يصل طولها إلى المائتي قـــدم .

ممنوع البيع والشراء !

ومع ذلك المناخ القاسى البرودة والطبيعة القاسية ، فأهل زانسكار ليسوا محدودين بمجرد البقاء فى هذه الظروف . إن لهم نظاماً رهبانيا معقداً . تطلق أسماء أغطية الرؤوس على الطوائف البوذية المختلفة من الرهبان . فذوى «القبعات الحمر» طائفة اقدم من جماعة بوذية أقدم من نوى «القبعات الصفراء» الذين يدينـــون بالـــولاء إلى الـدلاي لامـــــا . ولكـــــن لـــيس هنـــاك أي مشــــاعر بغضاء او كراهية بين الطائفتين ، المحبة سائدة والسلام هو المسيطر ، لدرجة ان رهبان الطائفتين يشتركون فى بعض الأحيان فى الصلاة فى نفس أماكن العبادة .

وأهل زانسكار ليسوا من «المتطهرين» (أى البيوريتانيين) بسبب تأكيدهم على الديانة البوذية ، فلهم أعياد عديدة ، يشربون فيها «الشانج» (نوع من الشعير المتخمر يقومون هم بصنعه ــ وهو بالتالى مثل البيرة ، وإن كان قوياً جداً) ؛ كذلك تجرى مسابقات ومهرجانات في هذه الأعياد . وتضفر النساء شعورهن بمائة ضفيرة ، ويدهنه بالزبد ، ويرتدين قبعات من فرو «الاستراخان» الثمين يرصعنها باحجار كريمة زرقاء اللون وحلي ذهبية وفضية .



جموع من سكان الوادي فى انتظار وصول الدلاي لامـا الجديد الذي قام برحلته الشهيرة ليشاهدوا لأول مـرة الميكروفونـــــات ومولـــــدات الكهـــــرباء

ويعزو أهالى زانسكار رخاءهم الى مراعاتهم لقوانين ملك التبت سونجستين جامبو . وبموجب هذه التعاليم ممنوع التصرف فى الأراضى بالبيع أو الشراء ، وتنتقل الملكية بالوراثة الى الولد الأكبر ، فاذا لم يكن هناك وريث ذكر ، تنتقل الملكية الى الابنة الكبرى . وقد أدى هذا الى تفتت ملكية الأراضى ، وبالتالى نزوع الى الهجرة من الوادى . ويصبح معظم الأبناء الأصغر رهباناً ، ولأن الرهبان ممنوع عليهم الزواج ، فهذا يحفظ نسبة السكان ثابتة تقريباً . ويدخل الأولاد الدير فى سن الثامنة ، حيث يتعلمون القراءة والكتابة ، ويؤدون الامتحانات شفوياً . والعائلات هى التى تقوم بدعم أبنائها الرهبان معيشياً أو قد يلجأون الى العمل المأجور فى الحقول .

وإذا لم يرغب الابن الأصغر فى أن ينضم الى سلك الرهبنة ، يلجأ الى الزواج من كبرى الفتيات فى إحدى العائلات التى ليس بها أبناء ذكور ، عند ذلك له حق أخذ أرضها .

غزو العالم الحديث

ويحكم الوادى ملكان لا يعتدى أحدهما على الآخر . ملك أسرة «انجلا» التى تحكم منذ عام ١٠٢٠ ميلادية ، ومملكته ليست كبيرة فهى لا تزيد عن أربع قرى وحصن . وأما الثانى فهو ملك «بادوم» العاصمة ، وهو أغنى من الملك الأول . ويقوم الملكان بالأعمال الروتينية فى المنزل والمزرعة . وقد حافظت أسرتيهما الملكيتان على الأديرة ، وعلى النظام الاجتماعى المتماسك للسكان ، وعلى تقاليد المجتمع .

وكان أول من كتب عن أهل زانسكار الرحالة مايكل بيسيل ، فكان من أول الأجانب الغرباء الذين زاروا الوادى ، حيث يصدهم عن زيارة المملكة صعوبات الخوض فى الأوحال وركوب البغال . كانت زيارة بيسيل منذ خمسة أعوام .

أما الآن فقد عرف الناس الطريق الى هناك ، ويمكن لمن يريد أن يزور الوادى أن يستخدم سيارة جيب ليشق طريقه فى هذا الوادى الوعر . وقد استخدم الدلاى لاما هذه الطريق فى الصيف قبل الماضى ليزور الذين يجلونه من الرهبان ذوى القبعات الصفراء ، لأول مرة . لقد بنوا له قصراً ، واحتشدوا فى الشوارع ، وتجمعوا لا ليشاهدوا الشخص الذى يحبونه ، بل ليلقوا نظرة على الميكروفونات ومولدات الكهرباء التى جلبها معه .

وقد ذكر لهم أن عليهم أن يستعدوا لغزو العالم الحديث ، عالم القرن العشرين ، ما وسعهم الاستعداد ، على أن يحتفظوا بتماسك البنية الأسرية وبعقيدتهم البوذية .. فهل يستطيعون ؟! .

مجدى نصيف

صبحي الشاروني

نبض العصر في فن جاذبيّة سرّي

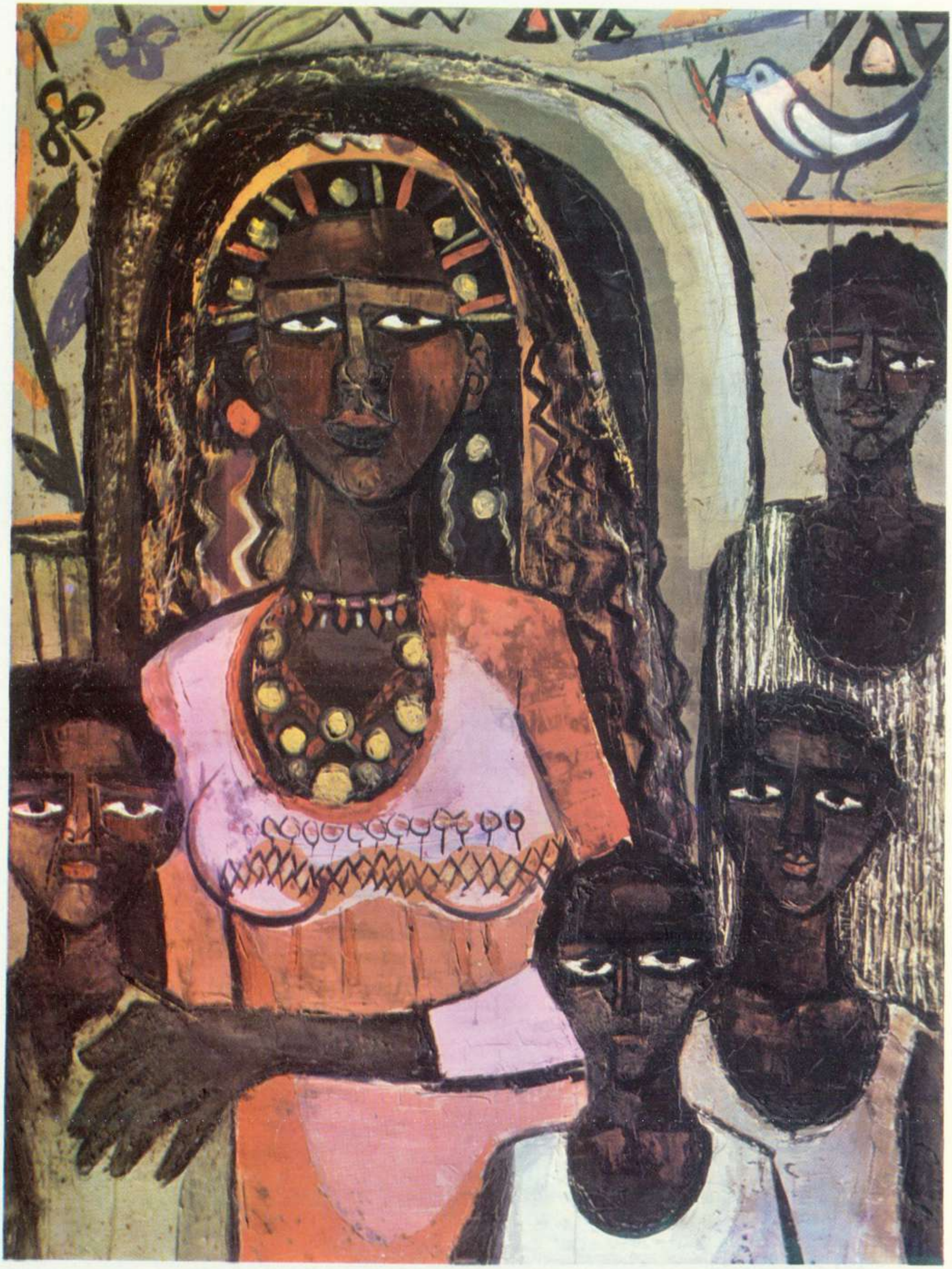


أمومة .. لوحة من لوحات الفنانة التى توظف زخارفها لتأكيد مضمون العمل الفني .



جاذبية سري .. الفنانة التى عبرت بوضوح عن نبض العصر

تنتمى الفنانة جاذبية سرى الى جيل من الفنانين العرب : تألق فى الأربعينات ، وناضل بفنه،وها هو يبحث عن مخرج من مأزقه فى الثمانينات رغم تساقط معظم أفراده وتفرقهم ..
إنه جيل يبلغ عمر جهاده أكثر من ثلاثين عاماً .. تخللها النجاح ومواجهة الأزمات ، الرضوخ والمقاومة ، الهزيمة والنصر ، الهروب والهجرة ، النفى والاغتراب ..
ولقد دافع هذا الجيل عن فنه بكل الوسائل فى بطولة .. وحتى الآن لم تحسم المعركة التى يخوضها فلول هذا الجيل .



عندما انطلقـــت في رحـــلات كان من بينها منطقة النوبة ، رأينا الألوان المبهجة فى لوحاتها وخاصة هذه اللوحـة التى بعنوان : أمـــومة من النـــــــوبة .



حـــوار مـــع البيئـــة ... هـــذا هـــو عنـــوان هذه اللـــوحة التى تمثـل مرحـــلة جديـــدة فى فن جاذبية ســـرى .

نبض العصر في فن
جاذبية سري

اسمها الكامل : جاذبية حسن سرى .. ولدت بالقاهرة عام ١٩٢٥ ، لايزال لها قلب طفلة ومشاعر امـرأة وفكر رجل .. وأحبت الرسم فى طفولتها لكنها تمردت على أسلوب تعليم الرسم فى المدارس فكانت ترسب فى مادة الرسم .. توفى والدها وهى طفلة ، لكنها ورثت عنه حب القراءة ، فقد ترك لبناته مكتبة ضخمة ، وقطعة أرض فى الفيوم ، وأسرة تمارس الرسم والتصوير الفوتوغرافى ، فقد كان أعمامها يمارسون هذه الهواية مما مهد الطريق أمامها لتسير فى هذا الاتجاه .

والتحقت بمعهد معلمات الفنون الذى إندمج بمعهد التربية الفنية للمعلمين وأصبح حالياً «كلية التربية الفنية» التابعة لجامعة حلوان .. درست فن الرسم والتصوير الزيتى لمدة أربع سنوات حصلت فى نهايتها على «دبلوم التربية الفنية عام ١٩٤٩» .. وقد عملت بنفس المعهد الذى تعلمت فيه حتى شغلت منصب أستاذ مساعد .. وقد طلبت عام ١٩٨١ احالتها الى التقاعد لتتفرغ تماماً للانتاج الفنى .

درست الفنانة فى باريس لمدة أربعة أشهر عام ١٩٥١ .. ثم قضت فى روما ستة شهور عام ١٩٥٢ .. ثم حصلت على دبلوم الدراسات العليا فى فن الرسم من كلية «سليد» بجامعة لندن عام ١٩٥٥ .

وخلال دراستها فى روما حصلت على «جائزة روما للتصوير الزيتى» ، كما شاركت فى بينالى البندقية عام ١٩٥٦ وحصلت على جائزة شرفية ، ثم جائزة شرفيـــــة بمسابقة الانتاج الفنى فى مصر عام ١٩٥٧ ثم الجائزة الثانية فى فن «الجرافير» عن القسم المصرى فى معرض بينالى الاسكندرية لدول حوض البحر الأبيض المتوسط عام ١٩٥٩ ، ثم الجائزة الأولى فى فن التصوير الزيتى من نفس المعرض عام ١٩٦٣ .

وقد حصلت الفنانة على منحة التفرغ للانتاج الفنى لمدة أربع سنوات فيما بين عامى ١٩٦٠ و ١٩٦٩ .. وفى عام ١٩٦٨ نالت منحة الزمالة من مؤسسة «هاننجتون هارتفورد» بكاليفورنيا ، وهناك تفرغت تماماً لمدة أربعة أشهر لرسم المناظر الطبيعية التى بهرتها .. عاشت فى بيت صغير منعزل عن الضوضاء ومزود بجميع احتياجات الفنان : مرسم كامل التجهيز ، وعلى مقربة من البيت مبنى آخر مخصص للعشاء والحفلات ومزود بمكتبة ضخمة بها كل ما يمت الى الفن بصلة . وقد أقامت الفنانة فى نهاية هذه المنحة معرضاً لأعمالها فى مدينة «سان فرانسيسكو» .

وتنتشر لوحات الفنانة فى متاحف الفن الحديث بمصر وفى المجموعات الخاصة فى أمريكا وانجلترا وفرنسا واستوكهولم وبكين ودمشق والجزائر .

سنوات التألق

انضمت جاذبية سرى وهى لاتزال طالبة فى «معهد معلمات الفنون» الى جماعة الفن المصرى الحديث وشاركت ايجابياً فى نشاطها منذ عام ١٩٤٩ ، وأقامت أول معارضها الخاصة فى ذلك التاريخ ، وقد أثارت لوحات هذا المعرض اهتماماً واسعاً فى أوساط المثقفين والمناضلين ضد الاستعمار والتخلف ، ولايزال معاصرو تلك المرحلة يذكرون لوحات : «أم صابر» التى استشهدت فى مقاومة جنود الاحتلال الانجليزى لمصر ، و «الزوجة الثانية» ، و «أم رتيبة» وغيرها من اللوحات التى تناقش وتعرض للقضايا الاجتماعية والسياسية ..

وهكذا نجحت فى وقت مبكر فى ايجاد موطىء لقدميها فى هذا المناخ الصاخب ، حتى اعترفوا سريعاً بفنها فى مصر وخارجها

انها نموذج فريد فى حركة الفن التشكيلى .. فهى «فنانة امرأة» ولهذا واجهت نوعية خاصة من المشاكل لم تواجه زميلها الفنان من نفس جيلها .. وهو الجيل الذى يضم الفنانات : انجى افلاطون ، وتحية حليم ، ومرجريت نخلة ـ وعفت ناجى ومن الفنانين حامد عويس وجمال السجينى وعز الدين حمودة وعبد الهادى الجزار وحامد ندا .....

منذ تخرجها من معهد معلمات الفنون حرصت على مواصلة الانتاج بغير توقف فاستمر تفوقها وامتيازها ، مع تنمية الخلفية الفكرية التى ينهض عليها عملها الابداعى ، وذلك بالقراءة والمناقشة والسياحة فى متاحف العالم ومتابعة المعارض والاشتراك فى المجتمعات الفنية والسفر والترحال الى معالم مصر النائية والى الريف والمناطق الشعبية .



«الاستغماية» لعبة شعبية يلعبها الأطفال ، عبرت عنها لوحة الفنانة التى ترسم بقلب طفلة وعقل رجل ! .

ولقد حققت لفنها مكانة فى الغرب من خلال معارضها المتتالية التى تقيمها فى أوقات متقاربة بالعواصم الأوروبية والمدن الأمريكية .

«اللاأكاديمية»

لم تبدأ جاذبية حياتها الفنية بالرسم المدرسى أو الأكاديمى .. ولم تتقيد بالطرق التى تعلمتها أثناء دراستها : أى النقل الحرفى عن الطبيعة والالتزام بالشكل الظاهرى للاشياء .. وذلك بعكس معظم أفراد جيلها الذين بدأوا أكاديميين ثم تطوروا وتغيروا بعد ذلك .

كانت فنانة متحررة من قيود الشكل الطبيعى منذ اللحظة الأولى ، رغم أنها كانت فنانة «واقعية» من الناحية الفكرية .

فالموضوع الاجتماعى أو السياسى ، والقضايا الأفريقية والعالمية .. لم تدفعها الى وضع حدود صارمة لأسلوب صياغتها للوحاتها الزيتية .. لقد آمنت من البداية أن الواقعية لا تحدها صيغة شكلية صارمة ، وإنما يمكن التعبير عن كل الموضوعات بأسلوبها الخاص النابع من تجاربها وخبراتها وثقافتها ، والذى يستمد جذوره من التراث القديم فى هذه المنطقة والتراث العالمى الحديث .

وشاركت فى نشاط جماعة الفن المصرى الحديث بالتعبير عن البيئات الشعبية فى مدينة القاهرة .. كانت موضوعاتها انسانية فى كل الأحوال ، عالجت مشاكل المرأة بانحياز واضح نحوها ، وعبرت عن اللاجئين الفلسطينيين والقضايا الاجتماعية والسياسية ، الى جانب التعبير عن الأطفال فى لعبهم ومرحهم .. انها لاتزال تحمل حتى اليوم قلب طفلة .

وكان لفنها فى تلك المرحلة الممتدة من عام ١٩٥٢ حتى ١٩٦٧ مميزات خاصة تمثل شخصيتها الفنية وتؤكد تفردها وأصالتها ، حتى يسهل تمييز عملها من بين أعمال غيرها من الفنانين .. وكان فنها فن نضال : لوحة «الشهيد» التى عرضتها فى مناسبة اغتيال «لومومبا» . ثم لوحة «التفرقة العنصرية» . ولوحتها الجدارية الضخمة «الحياة على شاطىء النيل» .. وغيرها من أعمال تمثل علامات بارزة فى تاريخ الحركة التشكيلية بمصر .

احترام السطح

فى مطلع القرن العشرين كان أول مظهر من مظاهر الفن الحديث هو الخروج على قواعد «المنظور الهندسى» ورفض استخدام «التظليل» من أجل الايحاء بالتجسيم . وكان فن الرسم فى أوربا قد اكتشف منذ عصر النهضة إمكانية خداع المشاهد بهذه الأساليب حتى يظن الرائى أن اللوحة بها عمق وتجسيم رغم أنها فى حقيقتها مسطحة ..

ولكن قبل ثورة الفن الحديث على الايحاء بالعمق والخداع بالتظليل ومنذ آلاف السنين كان الفنان المصرى القديم يلون نحته البارز أو الغائر على الجدران بمساحات صريحة بسيطة من الألوان التى ليس فيها أى تدرج ، لقد ترك مهمة التجسيم للنحت واكتفى بالتلوين البسيط الذى يميز الأشياء المرسومة بعضها عن بعض .

ثم جاء عصر آخر ـ أيام الحكم اليونانى والرومانى لمصر ـ حاول فيه الفنان أن

يجعل اللوحة بديلا للتمثال ، فصنعها على شكل قناع ، ثم على لوحات مسطحة ، واستخدم فى رسم الوجوه التظليل للايحاء بالتجسيم كما فى رسوم الوجوه المكتشفة فى الفيوم ، وهى من الفن الجنائزى .

لكن جاذبية سرى لم تفكر يوماً أن تكون لوحتها بديلا لتمثال .. وسواء استمدت خبرتها من مشاهدة الآثار المصرية القديمة أو من أعمال «جوجان» و «جورج روو» اللذين ثارا على استخدام التظليل فى رسم لوحاتهما ... فان ما نعرفه عن رسمها من البداية هو أنه مخالف للاسلوب المدرسى الأكاديمى وثائر على الشكل الواقعي والطبيعى ، وأنها حرصت أن تبقى لوحاتها مسطحة ليس فيها عمق زائف أو استدارة كاذبة .

عندها نجد أن الألوان البسيطة الخافتة تغطى مساحات تحددها خطوط داكنة .. وهى بهذا أعادت الى الرسم بالخطوط بعض مكانته بعد أن كان التلوين قد طغى عليه وأهدره ووضعه فى مكانة ثانوية .. أما الخط الداكن المحدد للأشكال والعناصر - وهو لايزال يلازمها حتى اليوم بدرجة من الدرجات - فهو الخط المعبر عن الاستدارة والحركة والعمق أى البعيد والقريب .. فهو وسيلتها لتقول كلمتها وتعبر به عن عواطفها وانفعالاتها .. فهى ترسم بقلب طفلة واندفاعها ...

أما اللون فكان فى هذه المرحلة يحقق مهمة تشكيلية جمالية بالدرجة الأولى ، لتحقيق التوازن والترديد وضبط الايقاع بين عناصر اللون حتى تكون فى النهاية عملا فنياً متكاملا منسجم التاثير فى مجموعه .

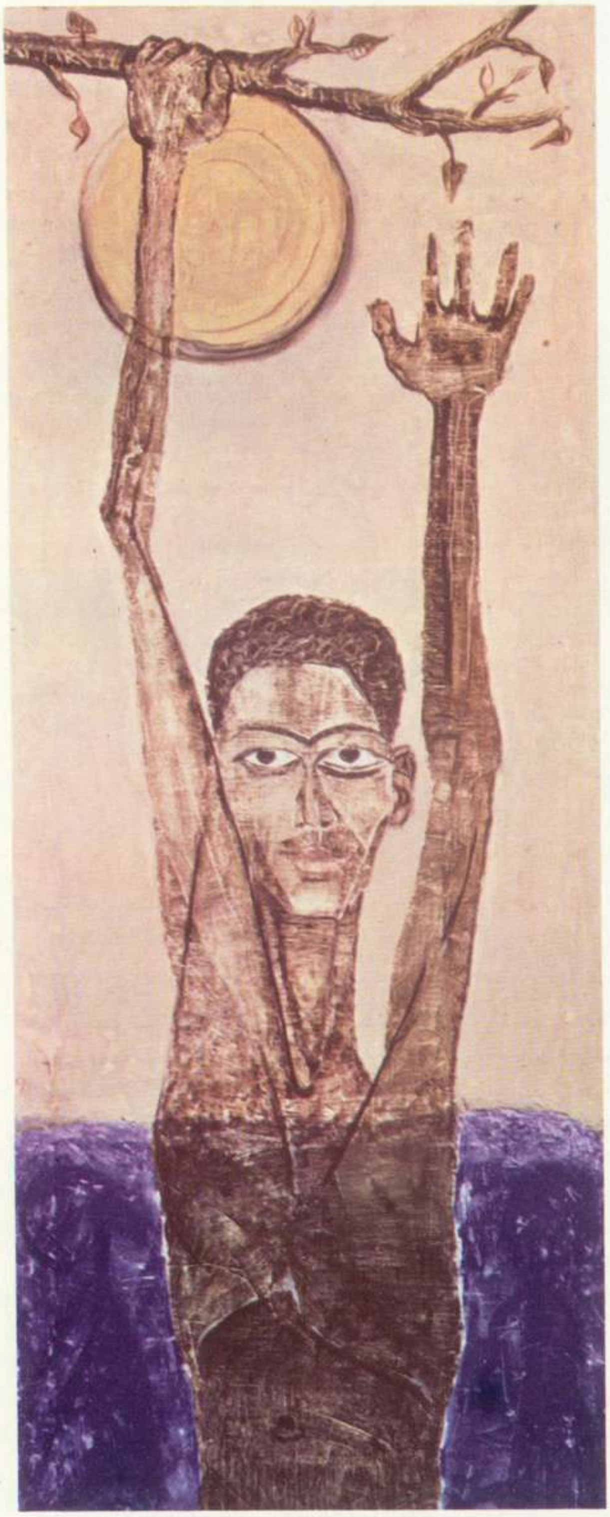
فن المرأة

إذا كانت الحدود الفاصلة بين فن المرأة وفن الرجل قد أخذت فى التلاشى والذوبان مؤخراً ، إلا أن هناك سمة غالبة على أعمال الفنانات ، تتوفر فى معظم لوحات المرحلة الأولى من فن جاذبية سرى .. وهى شغل الفراغ بزخارف دقيقة ..

كانت تحرص وسط هذا التبسيط أن توضح زخارف الثياب وخاصة ثياب النساء وزخارف الجدران ، بحيث لا تخرج العمل عن هدفه أو تقوض بناءه الشكلى ، لكنها تلفت نظر المشاهد وتقوم بدورها فى التكامل الجمالى للوحة الفنية ..

وهذه الزخارف الدقيقة هى أهم مميزات فن المرأة عموماً ، البعض يتخلص منها بوعى وإرادة ، والبعض الآخر يواصلن استخدامها ويركزن عليها ويبالغن فيها ، حتى تصبح النقط واللمسات المتجاورة هى السمة الغالبة على العمل الفنى كما عند «إنجى أفلاطون» .

إن زخارف الثياب تختلف من ثوب لآخر والتباين بين الوحدات الزخرفية المستخدمة يحقق ايقاعاً وتناغماً ، وفى نفس الوقت نجد أن خلو بعض الملابس من الزخارف يلعب دوراً درامياً فى العمل الفنى عندما يؤكد لدى المشاهد الاحساس بفقر الشخص الذى يرتدى هذه الثياب ، أو تأكيد الاحساس بالظلم الواقع عليه .. وهكذا .. ومن هنا توظف الفنانة زخارفها



من المجموعة الخاصة للفنانة هذه اللوحة الزيتية التى رسمتها فى عام ١٩٦٠ وكانت تحت عنوان : الشهيد .

لتأكيد فكرتها وتوضيح موضوع العمل الفنى والافصاح عن مضمونه .

الشفافية

من مميزات رسوم الأطفال انها تعبر عما يعرفه الطفل وليس ما يراه .. وهو فى سبيل ذلك لا يهتم بمحاكاة الواقع ، فيرسم الأشكال فوق بعضها دون أن يخفى أيها الآخر .. وجاذبية سرى تستخدم هذه الشفافية لكى تحقق قوة فى التعبير وتماسكاً فى الشكل وادهاشاً للمشاهد .. خاصة عندما يكون موضوعها عن الطفولة .. وهو أحد موضوعاتها المفضلة التى تمثل سلسلة من الأعمال التى تصور ألعاب الأطفال « كالمراجيح » و « المساكة » و «الحجلة» و «نط الحبل» و «الطائرات الورقية» .. وغيرها ...

لكن لوحاتها عن ألعاب الأطفال لها دلالتها الذاتية والاجتماعية ، وليست مجرد تسجيل لهذه الألعاب .. إن جاذبية سرى تعبر فيها عن حالتها وحالة الفنانين فى هذه الحقبة .. وعندما ترسم لوحة المراجيح - مثلا - نلاحظ تعبيرات متناقضة فى وجه الطفلة التى ترتفع بها المرجيحة فى مقدمة الصورة .. انها فرحة ومنزعجة فى آن واحد فالارتفاع والاندفاع فى الهواء والتخلص من جاذبية الأرض كان دائما حلم طفولتها الذى عبرت عنه فى كثير من اللوحات ، وهو أيضاً تعبير عن سعادة الفنان واستمتاعه بالابداع الفنى والانتصار على المشاكل التكنيكية فى الرسم .... أما الانزعاج فسببه التوجس من استقبال الجمهور لعمله ، مع شعوره بانه معلق فى الهواء فى مجتمع لايزال الوعى الجمالى العام فيه منخفضاً ...

وهكذا تتضمن كل لوحاتها عن ألعاب الأطفال وجهاً ظاهراً وآخر باطناً ، وكل لمسة أو خط أو لون فى اللوحة له وظيفته المزدوجة : تحقيق الاقناع بالشكل الظاهر مع خلق الاحساس أو الايحاء بالموضوع أو المضمون المستتر ..

إنها ترسم بقلب طفلة وعقل رجل .

البيوت والصحراء

فى عام ١٩٦٨ قضت الفنانة بضعة شهور فى أمريكا ، وكان ذلك بعد حرب يونيو (حزيران) التى حفرت آثاراً عميقة فى نفوس العرب أجمعين .

وتضافر الجو النفسى مع الحصار التجريدى الذى وقعت فيه الفنانة خلال تلك الرحلة ليتحقق انقلاب كامل فى فنها .

اختفت الموضوعات الاجتماعية والسياسية وشقاوة الأطفال ، ليحل مكانها موضوع واحد رسمته الفنانة بتنويعات لا تنتهى .. «البيوت» تتماسك مرة وتتهدم مرات ، تتحول نوافذها وأبوابها الى أفواه وعيون ، ويملأ سطح اللوحة بيت واحد أو منظر شامل للمدينة كلها ..

ومن المعروف فى علم النفس أن الخطوط الرأسية المتكاثرة تحقق احساساً بالتوتر والقلق وعدم الاستقرار ، بينما الخطوط الأفقية المعبرة عن امتداد الأفق هى التى تعكس حالات الهدوء والاستقرار النفسى .

وهكذا ظلت الفنانة جاذبية سرى ترسم البيوت فقط فى كل لوحاتها فيما بين عامى ١٩٦٨ وحتى حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

كانت حرب يونيو (حزيران) وما تبعها هى التى شكلت رؤية الفنانة المنعكسة عن حالتها النفسية التى تعبر بوضوح عن نبض العصر .

كانت لوحاتها تعبر عن البيوت التى تتهدم وينتشر فيها اللون الاحمر المشتعل كالنار التى تلتهم كل شىء ، والخطوط تتقاطع وتتدافع ، والبيوت تتلاصق وتحتضن بعضها بعضاً ، الخوف يسود كل شىء ، والأطفال يسقطون من شاهق ، والتشاؤم هو الذى يكتنف معظم اللوحات التى سادها زحام وتشابك ... حتى صورت القمر يسقط فى الماء ..

لقد ثبتت الفنانة عند لحظة واحدة واحساس واحد ظلت تردده وتقيم فوقه تنويعات مختلفة لسنوات متتالية .

لكنها بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ وما صاحبها من تضامن عربى واحساس بالكرامة ، بدأت تنطلق فى رحلات الى الصحراء وشواطىء البحر الأحمر ومنطقة النوبة ، واتجهت الى تسجيل انطباعاتها عن هذه الرمال الممتدة وما تضمه من صخور ذات أشكال غريبة كانت ترى فيها أحيانا جسم الانسان ، فصورتها فى تكوينات أفقية تعكس احساسها بنبض المنطقة الجديد ..

رسمت الصحاري وهي تنتظر من يخصبها لتعطي ثمارها .. فى هذه المرحلة تحولت خطوط البيوت المتوترة القلقة الى خطوط أفقية توحى بالهدوء والاسترخاء ، وعوضاً عن زحام المرحلة السابقة حلت المساحة المنبسطة للأرض المنغمة والسماء المفتوحة ، يربطها خط أفق طولى تقطعه تلال الصحراء وصخورها .

لقد ابتهجت الألوان وتألقت أحجار القفر فبدت كبلورات أو جواهر ثمينة ، وكانت هذه الرؤية الجمالية ذات طابع تجريدى ، متفائلة المضمون ، مبهجة الشكل .. فالأرض البكر تنادى من يحرثونها ويستخرجون خيراتها ..

حرب لبنان

لكن التفاؤل والمسرة لم يبقيا طويلا ، وتغير نبض العصر .. وقامت الحرب الأهلية فى لبنان ، ووصل الأمر الى حد غزو العاصمة العربية «بيروت» ..

فعادت الفنانة الى بيوتها .. ترسمها وتحتمى فيها ، وكان معرضها الأخير فى أكتوبر ١٩٨٢ عودة الى التكوينات القلقة المتوترة ، وان كانت على مستوى الخبرات والتجارب التى اكتسبتها خلال السنوات العشر الماضية .. وأطلقت على جميع لوحات هذا المعرض اسماً واحداً هو : «نبض المدينة» وتقول فى تقديمها لهذا المعرض : -

« «المدينة المصرية ذات الطابع المميز .. انصاف الدوائر ، الأقواس ، القباب ، المثلثات ، المستطيلات ، المشربيات ، المقرنصات ... إنها نفس الأشكال التى تكون معمار البيوت العربية .. أنواع الأسطح والبلكونات والشبابيك والبوابات ، المآذن وأبراج الكنائس ، اللمسة الخاصة التى تعطى لمدن مصر شكلها المميز .. كل هذا يندمج ويذوب فيه الانسان ، بضجيجه وسكونه ، باهازيجه وبكائه ، برائحة عطارته ونباتاته بل برائحة حياته .. بل أيضاً بألوانه القوية المقابلة لدرجات عواطفه الساخنة المتدفقة ..

إننى أتغنى بكل هذا .. أتغنى بحب الحياة وبحب مصر .. » .

ورغم هذا التقديم الحماسى للمعرض فان التوتر والقلق يشيعان من اللوحات .. صحيح أنها أكثر بهجة وأقل تعبيراً عن الحريق والتهدم فبعض اللوحات ضمت عناصر من النخيل والأشجار الى جانب البيوت والمدن ، والألوان فى بعض اللوحات أهدأ ولا تعبر عن الحريق والتهدم لكن نبض العصر القلق المتوتر وجراح الاحساس بالهزيمة يفصح عن نفسه من هذه اللوحات ..

لأن «نبض المدينة» هو «نبض العصر» .

صبحى الشارونى

البخيل

قصة قصيرة بقلم : عبد الله عيسى
نقد وتعقيب : الدكتور ماهر حسن فهمي

على رفوف الدكان تكدست مختلف العلب ، مرتبة على شكل اهرامات ، وعلى ارضيته ينبسط (لوح) مربع الشكل ينام على اربعة قوائم .. على سطحه تتوزع اكياس الأرز والسكر والمكسرات .. فى سقفه تهتز مروحة قديمة، فى الركن الاخير من الدكان تجثم الخزانة الحديدية المليئة بالمال . وعلى ضلفة باب الدكان قطعة كارتون مكتوب بها «ممنوع الدين». بهدوء يحرك يده اليمنى الى جيبه الأيمن ، ويخرج حلقة المفاتيح الصدئة .. ويختار واحداً ، ويقربه من عينيه ، ممسكا به بسبابته وابهامه ويقبله ، وينهض ميمما وجهه شطر الخزانة .. قبل ان يلج راس المفتاح فى ثقب الخزانة ، اوقفه والتفت الى واجهة الدكان التى تعانق ضياء الشمس وقال :

– نسيت يا عبد الرحيم .

ترك الخزانة ، واقترب بخطواته البطيئة امام الواجهة ، واضعا راحة يده على جبهته مجيلا بعينيه الهرمتين الصغيرتين فى المارة والسيارات .. ثم اطلق من صدره قهقهته المعهودة الهرمة :

– هى .. هى .. هى (واضاف) عليك يا عبد الرحيم عبد الجبار اولا : ان تطمئن فلا يجىء صديق او زبون . فتح الخزانة ، وادخل يديه الشحيحتين فى جوفها الدافىء ، واخرج رزمة واحدة وحملق فيها باتساع حدقتيه ، وكان عينيه تعدان اوراق الرزمة .. ظل سيارة مرق بخط اسود ذى اعوجاج بمقدمة الدكان ، انهلع قلبه واحس بقشعريرة دبت فى أوصاله ، تراءى له ان احداً دخل عليه على حين فجاة ، قهقه ..

– هى .. هى خدعة بصر .

قرب الرزمة من منخريه وشمها بشهيق حاد وقال :

– اريجكن يفوق اريج الياسمين والورد المحمدى .

– ابى ..

وبطريقة الية .. حتى الابن اندهش منها ابعد الرزمة عن انفه . ادخلها فى جوف الخزانة . اغلق الباب . ادار المفتاح . حرك بيده قبضة الخزانة . وضع حزمة المفاتيح فى جيبه الأسفل .. والتفت نحو مصدر الصوت فرأى ابنه عبد الجبار واقفا نحيفا كالعود ، يحدجه بنظرات الكراهية . جلس عبد الرحيم على الكرسى الخشبى الطويل ، ومن اثر العملية الميكانيكية التى انتهى منها تواً ، اخذ صدره ذو الشعيرات البيضاء ، كغابة هرمة نسيها المطر يعلو ويهبط .. ثم تنهد وقال وقد استشاط غضبا :

– لم لم تتنحنح .. ياولد ؟

قطب عبد الجبار حاجبيه ، ونكس راسه الى الارض وقال مغمغما :

– آسف .. آسف جداً .

– ماذا تريد ؟

– نقوداً لكى اشترى بها ارغفة للغداء .

– وارغفة امس اين ولت ؟

قال عبد الجبار فى ذات نفسه : « اقول له اكلتها الفئران .. ولكنها لم تزرنا منذ زمن طويل ؟! .

انزاحت وطاة حدة الغضب من سيماء عبد الرحيم .. وقال بنغمة رنانة لا يعلم كيف اتت على لسانه :

– كم تريد .

رفع عبد الجبار عينيه على مضض الى ابيه ، ثم خفضهما مبتسما فى سره وقائلا ايضا : «يا لهما من كلمتين مفعمتين بالعطاء ؛ ليست من عادته ان يتفوه بهما كان كل ما يفعله وقتئذ يمد لي يده بريال واحد ؟» .

اندفعت قهقهات عجفاء من فـــم عبد الرحيم عبد الجبار وقال :

– هى .. هى .. هى .. اعرف ما تريد ؟

رفع يده الى جيب صدره ، وحنى راسه اليه ، وفرك بسبابته وابهامه ، ريالين ، وفى طريقهما الى يد ابنه فركهما ببعض فركا وقال :

– تفضل يا بنى واحداً لك والثانى لشراء الأرغفة .

قبضتهما يد الابن مشنجا اصابعه حولهما ، ناظراً الى ابيه نظرات كلها استياء .. ثم استدار وخرج .

قال عبد الرحيم عبد الجبار يحدث نفسه بصوت خفيض :

– افزعنى ابن الهندية (قال هذه العبارات وهو يلف راسه ناحية الخزانة) فى خلوتى اطمئنى ساتى اليك .. اعطيته ريالين لكى اخفف عنه فورة غضب (يقهقه) هه ولكن لماذا سالته كم تريد ؟! وكيف طاوعنى لسانى للتفوه بـ «كم تريد ؟» .. انت يا عبد الرحيم احمق وغبى ، يجب ان تمحو تينك الكلمتين من معجم حياتك ، وإلا ستعتاد التفوه بهما .. افعل كما فعل جدك وابوك .



- ٢ -

وفعلا طمس عبد الرحيم عبد الجبار هاتين الكلمتين المفعمتين بالعطاء . وعبد الرحيم عبد الجبار ورث هذا البخل من ابيه .. وابوه ورثه من الجد .. تقول الشائعات الرائجة بالحارة التى يسكنها عبد الرحيم ، ان سلالة عائلتهم تنتمى الى اشعب العربى .

وعبد الرحيم عبد الجبار تزوج فى العقد الرابع من عمره ، من امراة هندية وانجب منها ابنين الاول اطلق عليه اسم عبد الجبار والثانى أسماه خليلا . ولدان نحيفان يذهبان حيناً الى المدرسة بنصف ريال فى كف الواحد واحياناً اخرى يذهبان «وبوزاهما ممطوطان» الى الامام .. متمردان ومشمئزان من حياتهما المقرفة ، الرازحة تحت سلطة الأب وبخله . ولولا حكمة الأم الهندية «راضية» لكانا يغدوان الى المدرسة باسمال رثة . وحتى «راضية» الزوجة المخلصة ، صار لها عشر سنوات . لم تطا قدماها أرض الهند . وعيناها متعبتان من شح الزوج عبد الرحيم ، ومشتاقتان لرؤية ابويها واخوتها . الرسائل هى الشىء الوحيد الذى يدخل الطمانينة فى شغاف قلبها . وبين حين وحين كانت تستدرجه وتتناقش معه فى امور السفر .. كانت تقول له :

- عبد الرحيم لم لا نقـوم انا وانت والعيال برحلة سفر الى الهند ؟

وحينئذ وتلك الكلمات تهدهد طبلة اذن عبد الرحيم عبد الجبار غير المكترث .. يقول ببرود اسطوانته المتكررة :

- فكرت فى هذا الشىء صدقينى ، ولكن الميزانية مضعضعة .

وميزانية عبد الرحيم عبد الجبار المادية لا تضاهى.فهى متكدسة فى اربعة بنوك كبيرة . ونصف الريال ، والريال ، والمائة ريال ، والألف . اذا دخلت البنك لا تخرج البتة . وحتى موظفو ومحاسبو البنوك كلما راوه اخذوا يلقون عليه نظرات التساؤل وكانهم يسالونه : «ماذا ستفعل غداً بهذه الأموال الطائلة ؟» . وعبد الرحيم عبد الجبار لا يبالى او يهتم بهم ، ولا بنظراتهم. وحدث مرة ان وضع على «كونتر» المحاسبة كيساً صدر منه رنين ، مملوء بفئة نصف الريال الفضية ، ورفض المحاسب عدها قائلا له :

- اذهب وجئنى باوراق .

وفى التاسع والعشرين من كل شهر عربى ، يوصد عبد الرحيم باب دكانه . لمدة ساعة ويسرع خطاه بقلب ولهان الى البيتين اللذين يؤجرهما . ولا يتزحزح عن عتبتهما . حتى تلتئم اصابع يده الشحيحة على الألفى ريال من كل منهما .

- ٣ -

عند القيلولة ، يغلق عبد الرحيم عبد الجبار باب دكانه . ويخطو ببطء بنعاله (الزرى) المهترئة ، وثوبه القصير ، وغترته البيضاء التى يتركها تنسدل على كتفيه ، وعقاله الأسود الضعيف المتغلغل حتى اذنيه ، يخطو عشرين خطوة تقريباً ويقف كعادته بين الآونة والاخرى . الوسواس الخناس قرع دخيلته ، فيعود ادراجه الى باب دكانه ، ليتاكد هل الباب مقفل باحكام ؟

فى هذا الوقت الجوع يطبل فى امعائه . على مرمى بصره ، اصطفت المطاعم ، يمص شفتيه ، ويبلع ريقه الجاف . فهو من السادسة صباحاً وحتى الواحدة ظهراً لم يدخل جوفه غير قدح شاى الحليب . وكعادته الرتيبة بيمم ناحيتها . صورته تنعكس على الواجهة الزجاجية للمطعم ، يحث خطاه كلص . عيناه ترنوان الى الأفواه وهى تزدرد اللقيمات . قبل يومين شاء حظه ان يلتقى باحد الأصدقاء ودعاه هذا للغداء . وعبد الرحيم عبد الجبار امام عينيه ، صحون الاكل المختلفة ، والتى لم يتذوقها منذ امد طويل جداً .. اكل بنهم ، حتى نشف قعر الصحون ، وطبطب على بطنه ، وتنفس الصعداء . وفى مثل لمح البصر كان يودع داعيه وهو واقف عند باب المطعم . فى هذا اليوم ابيضت عيناه وهو يحملق فى الوجوه والأفواه وهى تمضغ . وباءت تنبؤاته بالفشل لانه لم يجد احداً يدعوه .

- ٤ -

دخل البيت حانقاً يلعن :

- الغداء يا راضية ..

واتت راضية ممسكة بكلتا يديها صينية عليها رغيفان ووعاء مليء بشوربة «ماجى» .. فبيت عبد الرحيم عبد الجبار يخضع للقوانين والأنظمة الصارمة .. ثلاث مرات فى الأسبوع ياكلون فيها الأرز ، فى نهاية كل أسبوع ، حيناً ياكلون اللحم وحيناً آخر

البخيل

الدجاج .. بقية الايام ياكلون فيها الخضر المعلبة والاجبان .. وكان عبد الرحيم يقهقه فى وجه زوجته وعياله .. ويقول :

– هى .. هى .. هى ساجعل منكم نباتيين .

وضعت امامه الصينية . شمر عن ساعديه ، قطع الرغيف . مرغه فى حساء الشوربة ومضغه .. بعد بضع لقيمات انتبه الى زوجته ، ووجها المكتئب .. سال :

– حدسي ينبئني بان ثمة شيئا ؟

– ابنك خليل .

– ما به ؟

– اخذه اخوه الى المستشفى .

– مم يشكو ؟

– الم انبئك ، منذ ايام مضت بانه يتالم من بطنه وتنتابه الدوخة احيانا ؟

– هه .. بلى .. نسيت ، ولكن كيف ذهبوا وباى طريقة ؟

– هدىء روعك ، إنهما لم ياخذا سيارة اجرة .. ابن الجيران اوصلهما .

– ابن حلال هذا الجار ، له شكرى وتمنياتى .

رفع الوعاء الى فمه وسكب حساء الشوربة فى جوفه .. ومصمص شفتيه بتلذذ .. بينما زوجته راضية تحدجه باشمئناط .

– ٥ –

هنيهة ..

ويوارب باب الحوش ، يدخل ابناهما .. امارة الوعكة على وجه خليل . يخطوان باتجاههما ويحدجان اباهما بنظرة اللاحب .. قالت الأم :

– جئتما . الحمد لله طمئنى يا خليل ، ماذا قال لك الطبيب ؟

اجاب عبد الجبار عنه وهو يوزع نظراته بين أمه وابيه :

– دعى عنك القلق .. اطمئنى : قال الطبيب خليل مصاب بالانيميا .

– الأنيميا ما هى ؟

وبغتة انفجرت قهقهات عبد الرحيم الهرمة .. واسترسل :

– هى .. هى .. هى الأنيميا يا امراة هى شيطنته بالمدرسة والحارة .

عبد الجبار وخليل كادا يضحكان ، ولكنهما صمتا .. واردف عبد الجبار قائلا :

– الانيميا يا امى .. هى فقر الدم .

– اوضح ؟

اجاب عبد الجبار وعيناه مصوبتان الى ابيه :

– سوء التغذية تنشيء هذه العلة .

الثلاثة يحملقون فى الأب الذى اجاب بحوار مسرحى :

علام تنظرون إلي هكذا ؟ .

• • •

انصرمت الأيام ...

وايقاع عبد الرحيم عبد الجبار الحياتى لم يطرأ عليه اى نشاز ، ولا واتته ظروف تعوقه . متعته هى رؤيته للمال ..

وكان ذلك اليوم ..

قبل المفتاح ، ثم غرزه فى ثقب الخزانة ، حرك المزلاج .. وانفتح باب الخزانة وئيدا ، ووقعت عيناه الضيقتان على رزم المال .. ابتسم بشوق .. ومد برفق يديه الشحيحتين الى الرزم ، واخرج منها رزمتين كبيرتين .. خطا وجلس على الكرسى ، ووضع الرزمتين فوق الطاولة .. الابتسامة لازالت على ثغره ، اخذ يربت عليهما .. وبغتة احس بشىء جعله يلملم يديه بقوة حول الرزمتين ويدفعهما على امتداد يديه ، ويهوى براسه الذى ارتكز ثقله على ذقنه فوق الطاولة .. وجحظت عيناه كفار فى المصيدة وهما تحدقان فى الرزمتين ، ثم أسلم الروح .

عبد الله عيسى – قطر



كاتب القصة فى سطور :

- ولد فى مدينة المحرق بالبحرين عام ١٩٥١ .
- عمل فى « قوة دفاع البحرين » ثم فى « شركة طيران الخليج » . والآن يعمل بادارة الثقافة التابعة لوزارة الاعلام بدولة قطر .
- نشرت قصصه فى مجلة «العهد» وجريدتى «العرب» و «الراية» القطرية . وفى جريدة «الخليج» التى تصدر بدولة الامارات العربية .

نقد وتعقيب

تستمد القصة القصيرة جزءاً من قيمتها من كونها مركزة تركيز القصيدة ، تمنح عطاءها فى لحظات . وهى عادة تدور حول موقف يتجمع ثم يتمحور ، وهنا تاتى لحظة الكشف أو ما يسمى بالتنوير . وهى بطبيعة الحال لا تمتد امتداد الرواية فى الزمان والمكان ، ويترتب على هذا ان شخصياتها لا تتطور على مدى الاحداث ولكنها تكتسب خبـرة جدية مع الحدث الذى تتناوله القصة القصيرة ، ونحن القراء نكتسب الخبرة نفسها فى كثير من الأحيان ، لانها تجربة تضاف الى تجاربنا ويكون لها تاثيرها فى تعميق مفهومنا للحياة ، مادامت الحياة لا تمتد بنا لكى نكتشف بانفسنا كل التجارب ومعطياتها .

والموقف الانسانى يعتبر لغة عالمية مشتركة ، فاذا كان التعبير عن البيئة الخاصة يعتبر تعبيراً عن ظروف ابن البيئة ، وفى الوقت نفسه كشفا لأبعاد هذه البيئة من زوايا معينة ، كل ذلك من خلال الأعمال الفنية القادرة على الجذب والتاثير بما فيها من عناصر التشويق ، فان الموقف

الانسانى ثرى بذاته ، لأنه يشعر القارىء انه جزء من الموقف وليس مجرد مشاهد محايد . فمن الممكن ان يكون القارىء متعاطفاً مع الشخصية فى تفاعلها مع الحدث أو نافراً منها ، أو بعبارة اخرى له موقف .

لذلك كان هذا اللون الانسانى الى جوار اللون البيئى الذى يكشف عن تفسخ بعض الموروثات التى لم تعد قادرة على الحياة الجديدة ، يشكلان معاً الجزء الأعظم من خريطة القصة القصيرة فى الخليج ، وان كان اللون البيئى يحتل مساحة اكبر سواء فى قصص الكتاب البحرانيين أو القطريين لأن الموقف الانسانى يعد رؤية اوسع واشمل ، وصاحب القضية مشغول عادة بقضيته عن النظر الى الأبعد والأوسع .

ومن هذا المنطلق فان قصة «البخيل» للأديب الشاب القطرى «عبد الله عيسى» تستحق الوقوف عندها لأنها تلتقط موقفاً انسانياً ، ثم تعود لتلتقط زاوية للرؤية ، وتسلط الأضواء عليها ، وتستغل الحوار لتطور الحدث وان كانت لم تولد التوتر الدرامى الذى نبحث عنه فى القصة القصيرة المثالية . والملاحظ ان القصة القصيرة فى قطر بدات تتبلور الى جوار الشعر ، بل لعلها تخطو بخطوات أسرع من الشعر الفصيح ، ربما لأن الشعر موهبة والقصة امكانية .

وهذه الامكانية تنقلنا الى الأخطاء اللغوية والنحوية والأسلوبية . واذا كانت تلك مرحلة تمر بها القصة حتى تنضج فتنفى عن نفسها جوانب الضعف فى التركيب ، فلابد من الاشارة هنا الى بعض الأبنية فى الجملة التى يلاحظها القارىء للوهلة الأولى حتى يجود الشباب . فالكاتب يقول : «وقد استشاط به الغضب» والتعبير العربى السليم «استبد به الغضب أو استشاط غضباً» ويقول : «واطبق باسنانه» والتعبير العربى السليم «أطبق اسنانه او أطبق باسنانه على شىء ما» لأنه من الأفعال المتعدية . ويقول «الغير مكترث» وهذا خطأ شائع والصواب «غير المكترث او الغير المكترث» لأنها مضاف ومضاف اليه . ويقول «يذرع خطاه» والأصوب «يسرع خطاه أو يذرع الغرفة جيئة وذهاباً» وإن كانت صحيحة لغوياً ولكن الاستعمال غلب على التعبير الثانى . وغير ذلك كثير اكتفى منه بهذه الملاحظات التى يمكن تجنبها عن طريقين : الأول كثرة القراءة لكتب التراث التى تمنحنا الصحة الأسلوبية وسلامة التراكيب وسلاستها ومادمنا بصدد هذه القصة فامامنا البخلاء للجاحظ ، لأن موضوع البخل موضوع انسانى تناوله فى أدبنا العربى الجاحظ وتناوله «موليير» فى الأدب الفرنسى . أما الطريق الآخر ، فهو مراجعة المعجم كلما شككنا فى استعمال الكلمة . على أن طول الدربة والممارسة كفيلة بتطويع الأسلوب ، وقد بدات حديثى بالأسلوب لأن الأسلوب هو الرجل كما يقول النقاد ، بمعنى ان شخصية الكاتب تتضح من خلال تعبيره ، والدراسة الأسلوبية يمكن أن تكشف كثيراً من سمات شخصية الكاتب . وليس المقصود هنا أن نوازن بين هذه القصة القصيرة وبين اية محاولة اخرى ، لأن المحاولة التى أمامنا محاولة برغم نود أن يتفتح وليست قصة اديب مشهور . على أن اختيار موقف انسانى لا يعنى الكثير فى مجال تقييم القصة التى امامنا ، فالأهم زاوية الرؤية من ناحية ، وطريقة التناول من ناحية اخرى ، فهل وفق الكاتب ؟

الحقيقة أن أسلوب التحليل الذى اتبعه الكاتب ، واللقطات الموزعة التى كانت خيوطها دائماً فى يده ، تؤكد أن القصاص الشاب يمتلك الكثير من التصور الناجح للقصة القصيرة ، فالبداية بتفصيلها لرفوف الدكان توهمنا بالواقع ، ثم تظهر الشخصية ، وهى باهتة الملامح ، ولكن الملامح الواضحة مطلوبة فى الرواية ، المهم كيف تتصرف الشخصية لحظة ظهورها . «بهدوء يحرك يده اليمنى الى جيبه الأيمن ويخرج حلقة المفاتيح الصدئة ، ويختار واحداً ، ويقربه من عينيه ، ممسكاً به بسبابته وابهامه ، ويقبله ، وينهض ميمماً وجهه شطر الخزانة . قبل أن يلج راس المفتاح فى ثقب الخزانة ، اوقفه والثقب الى واجهة الدكان التى تعانق ضياء الشمس وقال : نسيت يا عبد الرحيم . ترك الخزانة واقترب بخطواته البطيئة أمام الواجهة ، واضعاً يده على جبهتـه مجيـلا بعينيه الهرمتين الصغيرتين فى المارة والسيارات ثم اطلق من صدره قهقهته المعهودة الهرمة:

ـ هى هى هى ، عليك يا عبد الرحيم اولا أن تطمئن فلا يجىء صديق او زبون» .

بمثل هذه المقدمة الناجحة يدخل الكاتب إلى عالم البخيل محللا حركته وكلمته ، ناثراً عدة مواقف تتجمع كلها عند نفسية البخيل وكانما قد قرأ الكاتب وسمع ورأى هذا البخيل لأن الصور نابضة بالحياة .

لقطة اخرى نراه فيها وهو يقول مقهقهاً لزوجه وابنائه : «هى هى هى ... ساجعل منكم نباتيين . وضعت امامه الصينية ، شمر عن ساعديه ، قطع الرغيف ، مرغه فى الحساء ومضغه ، بعد بضع لقيمات انتبه الى زوجته ووجهها المكتئب ..» وتلقى خبر اصابة ولده بالأنيميا بقهقهته المعهودة ، وكل ما سال عنه كيف ذهب إلى المستشفى ؟ على قدميه ام ركب سيارة تاكسى ؟ إن هذه اللقطة تجعلنا نضحك ونأسى فى وقت واحد ، ساجعل منكم نباتيين !! حتى لو كان الثمن مرض ولده !! إن النهاية ماساوية للقصة كلها ، فقد كانت رزمة الأموال فى يده حين اخرجها من الخزينة كما يفعل كل يوم لكى يربت عليها ويحس بسعادة الدنيا معها وحدها ، وفجاة «أحس بشىء جعله يلملم يديه بقوة حول الرزمة ، ويهوى براسه الذى ارتكز ثقله على ذقنه . جحظت عيناه كفار فى المصيدة ، وهما تحدقان فى رزم المال ، ثم اسلم الروح» .

وتنتهى القصة ولكنها تطرح تساؤلا ، كانما اضاءت المصباح ليبدد ظلام الغرفة ، لماذا اذن كان كنز الأموال ؟ ولماذا إذن كان التقتير على نفسه وعلى زوجه وعلى ابنيه؟ إن قصة البخيل تتكرر فى كل زمان ومكان ، ويتكرر كثير من هذه المواقف ، ولكن النهاية الماساوية واحدة دائماً . وهكذا استطاعت هذه القصة للشاب القطرى عبد الله عيسى ان تقدم لنا نموذجاً من العطاء الأدبي الناجح من حيث زاوية الرصد والتحليل والموقف الانسانى .

د. ماهر حسن فهمى

ليلى الحريري

مشهورون.. ولكن المرض يدق على أبواب القلب

حوار بين الفن والطب

■ التوتر العصبي سبب مباشر للإصابة بأمراض القلب.. والتدخين عامل مؤكد ■

■ ليس كل اضطراب نفسي دليلاً على المرض ■

ليس صحيحاً أن الفنانين والأدباء يعيشون حياة كلها رخاء وأضواء ومتعة .. إن المرض يتسلل بسرعة الى هؤلاء الذين يعيشون فى الضوء الساطع ..وقد سجلت الحياة الأدبية والفنية فى الوطن العربى أسماء كثيرين من الأدباء والفنانين أصابتهم أمراض القلب فى وقت مبكر .
إنه حوار بين الفن والطب .
فماذا يقول الطب فى هذه الظاهرة ؟!

لا احد ينكر ان الذات المفكرة الواعية المبدعة ، هى ذات نشطة .. حساسة وقلقة بطبيعتها . ولان الابداع الفنى بجميع مفرداته .. فعل يختلف عن باقى الافعال الاخرى التى يقوم بها الانسان العادى باقل الجهود الذهنية والانفعالية .. ولان القائمين عليه موهوبون ، والموهبة شىء غير عادى يتمتع بها شخص دون الاخرين .. فان هذا التميز يعنى بالضرورة ان يكون تكوينهم النفسى ايضا له طبيعة خاصة تتلاءم ووجود هذه الميزة .

ولان عملية الابداع تقتضى حالة شعورية شديدة الخصوصية يمكن ان نطلق عليها «حالة طوارىء من نوع خاص» .. فانها تتطلب حافزاً قوياً يحفز الانسان لممارسة الفنون .حافز .. يزدحم عادة بملايين الذرات المتناهية فى الصغر من مشاعر الالم .. والخوف .. والفرح .. والرغبة فى احتواء العالم .. الخ .. وكلها .. اى كل تلك المشاعر تنصهر فى بوتقة واحدة - هذا الوجود البشرى الفنان - لتفرز فى النهاية حالة مزمنة من القلق المتوتر الذى يعتبر السمة الاساسية المشتركة بين الفنانين والمفكرين .

ولان القلق او «الشدة العصبية» بلغة الطب .. هى السبب الاكثر تكراراً إن لم تكن واحدة من الاسباب الرئيسية فى الاصابة بمرض القلب - فان هذا يفسر وقوع الواحد تلو الآخر من العاملين فى مجال الفكر والفن العربى خاصة فى براثن داء القلب .. كان آخرهم الشاعر نزار قبانى .

فهل هذا يفسر الاعتقاد السائد منذ زمن طويل بان هؤلاء الذين يعيشون حياة مليئة بالاجهاد النفسى هم اكثر عرضة للاصابة بما يعرف بالامراض« السيكوسوماتية »- التى تنتج من تفاعل العوامل النفسية والفسيولوجية مثل ازمات القلب ، تصلب الشرايين وبعض حالات ارتفاع ضغط الدم - ممن يعيشون حياتهم بشكل اكثر استرخاء .

الاجهاد النفسى ومرض القلب

يشير الدكتور الامريكى برنارد هوكنج اخصائى استشارى امراض القلب بمستشفى حمد العام فى بداية تعليقه على هذا الموضوع - الى بديهية معروفة .. وهى ان هناك ارتباطاً وثيقاً بين الدماغ والقلب بشكل خاص ، إضافة الى ارتباطهما بوظائف الجسم عامة . وبالرغم من ان القلب يعمل



د. جـلال السـعيد : الاجهاد النفسي ومـرض القـلب



د. برنارد هوكنج : القضية لم يحسمهـا الطـب !



د. احمد شوقي العقبـاوي : المفترق النفسي في حياة الفـرد .

بشكل تلقائى الى حد كبير ، إلا انه يقع تحت سيطرة ونفوذ الدماغ .. ومن هنا فان القلق والخوف والاجهاد النفسى عامة يزيد من سرعة النبض ، ويرفع نسبة ضغط الدم ، وبالتالى يعكس اثره على كفاءة عمل القلب .

ولقد اهتم بهذا الموضوع بعض الاطباء خاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية ــ ليس فقط على مستوى العاملين فى الحقل الفنى والأدبى بشكل خاص ، ولكن على شرائح مختلفة من البشر عامة ممن يعملون تحت ضغوط نفسية بسبب العمل أو نتيجة له .. ولكن نتائج هذه الدراسات جاءت كلها متضاربة . فالشعب اليابانى مثلا الذى يأكل السمك بكثرة ويعتمد نظاماً غذائياً خاصاً به ويعيش حياة مليئة بالاجهاد النفسى الذى تفرضه عليه المنافسة الشرسة مع الدول الصناعية الأخرى .. تكاد تنعدم فيه الاصابة بأمراض القلب !! بينما أوضحت الدراسات أن أعلى نسبة للاصابة بأمراض القلب فى العالم تكمن فى فنلندا التى يعتمد شعبها على النشاط الزراعى وتتسم حياته تبعاً لذلك بالهدوء والاستقرار !!

هذه النتائج تعكس أن هناك تضارباً طبياً لم يحسم حول مدى تأثير الاجهاد النفسى على عمل وظائف القلب .. كما أوضحت أن المسألة لا تعتمد بالضرورة على نوع العمل الذى يقوم به المرء ، بل هى انعكاس لطبيعته ومكوناته الشخصية .

أما الدراسات التكميلية فى هذا المجال فقد اعتمدت على التقسيم الذى وضعه علماء النفس والدارسون للطبيعة البشرية ، والذى بمقتضاه ينقسم الناس الى مجموعتين .. يتصف المرء من المجموعة الاولى بانه طموح محب للمنافسة ومتعلق دوماً بالنجاح .. لذلك يندرج تحتها نسبة كبيرة من شاغلى المراكز القيادية والبارزة فى الحياة العامة . اما المجموعة الثانية فان افرادها لهم طبيعة تتميز بالاسترخاء والترهل فى تناولهم لمفردات حياتهم وهذا ايضا ينعكس على طموحهم ..

ولقد أوضحت بعض هذه الدراسات التى اجريت مؤخراً على عينة كبيرة من الناس ــ دون التعرض لأى من العوامل التى تساهم فى الاصابة بمرض القلب مثل التدخين ، وضغط الدم المرتفع ، ارتفاع نسبة الكولسترول فى الدم ، زيادة الوزن ومرض السكر ــ وبعد متابعتهم لعدة سنوات أوضحت هذه الدراسات أن نسبة اصابة الأفراد من المجموعة الاولى بأمراض القلب يزيد بمعدل يتراوح ما بين واحد ونصف بالمائة الى أربعة ونصف بالمائة عما هو عليه بالنسبة للأفراد الذين ينتمون الى المجموعة الثانية ..

المسألة إذن تتعلق بطبيعة الفرد نفسه لا بشرائح اجتماعية معينة .. ومع ذلك فعلى الجانب الآخر نجد أن الفنانين والأدباء هم فئة من الناس تلقى كل التقدير المادى والأدبى من المجتمع .. كما وأن طبيعة عملهم تضعهم عادة فى الطبقات العليا من السلم الاجتماعى .. لذلك فهم بعيدون عادة عن الضغوط النفسية التى يسببها العمل . ولو استعرضنا متوسط أعمار العاملين فى هذا المجال بشكل عام لوجدنا أنها مرتفعة عنها فى مجالات العمل الأخرى ، من هنا لا يمكن القطع بانهم عامة معرضون اكثر من غيرهم للاصابة بأمراض القلب بل يتوقف ذلك ــ إن حدث ــ على طبيعة كل فرد منهم بغض النظر عن مهنته .

بين الواقع العربى والغربى

● كان ذلك هو رأى الدكتور الامريكى هوكنج استشارى أمراض القلب بمستشفى حمد العام .. ولكن ملحوظته الأخيرة فيما يتعلق بالتقدير المادى والأدبى تدعو الى التوقف فهل يمكن مقارنة الواقع العربى بالواقـع الغربى ؟! بالتأكيد لا .. لأن الفارق كبير .. فالفنان الغربى يعيش حياته فى سلام اجتماعى وأمان اقتصادى .. كل شىء حوله له قواعد وأصول يحكمها قانون إن لم يكن وضعياً فهو عرف يرقى الى هذا الحد . بينما نظيره العربى يتعرض لضغوط اقتصادية كثيرة .. فهو مطالب على اقل تقدير بمطاردة الناشر مثلا ليحصل على حقوقه المادية . ولأن مهنة النشر فى الوطن العربى لا يحكمها قانون أو ضوابط .. بالتالى وببساطة شديدة وفى غيبة الضمير الانسانى يسهل تسرب هذه الحقوق المادية الى جيوب الناشرين !! ناهيك عن الضغوط الاجتماعية والسياسية التى تحكم القبضة حول خيارات الفنان ومذاقاته .. فكيف لا تعكس هذه المعاناة آثارها على صحة الفنان وسلامته النفسية والجسدية ؟ .

يؤكد الدكتور جلال السعيد أستاذ امراض القلب بكلية الطب وقصر العينى بجامعة القاهرة أن المثقفين عامة ورجال الفكر خاصة والعاملين فى المجالات الحساسة يكونون فعلا أكثر عرضة من غيرهم للاصابة بامراض القلب ، وهذا ما أيدته الاحصائيات الكثيرة التى اجريت حول الاجهاد النفسى وأثره على معدل الاصابة بمرض القلب ..

والطريف أن إحدى هذه الدراسات قد أجريت على عينة من سائقى ومحصلى الاتوبيس . واتضح منها أن السائق يكون أكثر عرضة من المحصل للاصابة بأمراض القلب نظراً للضغط النفسى الذى يتعرض له بسبب طبيعة عمله .

وعلى ذلك فمن خلال ملاحظاتى أؤكد أن المثقفين عامة ورجال الفكر خاصة الذين يتعرضون لضغوط نفسية هم أكثر تعرضاً لمداهمة أمراض القلب . حيث أن الشدة العصبية التى تصيبهم نتيجة هذه الضغوط تعتبر عاملا رئيسياً يؤدى الى ذلك ، إضافة الى بعض العوامل الأخرى المساعدة والتى قد تكون أشد فعالية .

والشدة العصبية ــ او التوتر ــ تؤدى الى تهيج الغدة الصغيرة التى تقع فوق الكلى والتى تفرز مادة الأدرنالين ، فيرتفع إفرازها عن معدله الطبيعى وبالتالى ينشط الجسم فيزيد سرعة النبض ، ويرتفع ضغط الدم وتزداد نسبة احتراق السكر فيه .. وجميع هذه الانفعالات تضيف عبئاً جديداً على الجهد العادى الذى يقوم به القلب فضلا عن انها تؤثر على الغشاء الداخلى للشرايين بحيث تجعلها اكثر خشونة فيسهل عليها

مشهورون.. ولكن المرض يدق على أبواب القلب

استقبال الترسبات التى تؤدى الى ضيق الشرايين .

أما أكثر العوامل المساعدة والمؤكد ضررها على كفاءة عمل القلب فهو عامل التدخين . فمعظم رجال الفكر يدخنون بشراهة متصورين أن التدخين يهدىء من توترهم بينما هو فى حد ذاته وراء كثير من المشاكل التى يتعرضون لها فى مجال أمراض القلب ذلك لأن مادة «النيكوتين» التى يمتصها الجسم أثناء التدخين تقوم هى الأخرى بتنشيط الغدة التى أشرنا اليها والتى يؤدى ارتفاع معدل افرازها الى زيادة مجهود القلب عن معدله الطبيعى .

ولقد اثبتت الاحصاءات التى عملت فى هذا المجال أن نسبة الاصابة بامراض القلب تفوق فى معدلها بين المدخنين عنها بين غير المدخنين .. كما وأن نسبة الاصابة للمرة الثانية تنخفض بين من توقفوا عن التدخين .

ومن العوامل المساعدة ايضاً .. قلة الحركة ، وقلة الرياضة ، وما يترتب عليهما من سمنة . الى جانب الافراط فى تناول القهوة والدسم فى الطعام .

العالم الذاتى .. والعالم الخارجى

● ولكن. هل تاثير القلق وما يتبعه من إجهاد نفسى على صحة العاملين فى مجال الفن والفكر يقتصر على الناحية الفسيولوجية فقط ؟ أم انه يفتح الباب على مصراعيه للاصابة ببعض الامراض النفسية التى غالباً ما تنتشر بين هذه الشريحة من البشر والتى قد تؤدى الى الجنون فى بعض الحالات كما حدث للرسام الهولندى « فان جوخ » فى أخريات عمره ؟

ألهذا السبب كان «أدلر» على ثقة بان كل الفنانين يعانون من إحساس بالنقص ؟! .. ولهذا السبب أيضاً يشيع أن الفنان عصابى ومصاب بالنرجسية .. بل لابد وأن يكون كذلك لكى يكون فناناً ؟ .

نعم كان «جيمس جويس» عصابياً .. وكذلك كان «فان جوخ» ، و «فاجنر» ، و « تشايكوفسكي » .. وكان ابو نواس نرجسياً .. فهل هذا يفسر ابداعهم ؟ ..

وإذا صحت هذه القاعدة .. لماذا لا يبدع عدد كبير من المرضى والشواذ النفسيين .. فناً ؟ وإذا كانت غير صحيحة لماذا يكون الفنانون اكثر عرضة من غيرهم لحالات متواترة من القلق النفسى قد تصل الى حد الجنون ؟ ..

هل لأنهم يمتلئون بتلك الأغوار العميقة التى يتاح للمؤشرات الخارجية أن تعشش فيها وأن تفرخ ؟! .. أم أن طبيعة العمل فى المجال الفنى تضع العاملين به فى دائرة الضوء بحيث تبدو آلامهم شديدة الضوضاء ذات جرس رنينه اعلى من آلام الآخرين ..

أو .. لأنهم دون غيرهم لديهم ملكات التعبير الدقيقة لوصف خبراتهم الذاتية وتمييز الحالات الانفعالية التى يمرون بها ؟!

كانت تلك التساؤلات هى مضمون نقاشنا مع الدكتور احمد شوقى العقباوى استشارى الأمراض النفسية بمستشفى الدوحة بدولة قطر

عالم ذاتى منفصل عن العالم الخارجى

وبداية يؤكد الدكتور العقباوى أن الانسان لا يختار عمله بناء على الحاجة المادية أو الظروف العشوائية ، وإنما هناك خط من شبه الحتمية يحدد اختيارنا لأفعالنا وسلوكنا حتى على المستوى اللاإرادى .. تركيبة الانسان هى التى تحدد ارتباطه بالأشياء .. إما أن تكون أكثر عينية ومادية وواقعية ، أو ترتبط باشياء خيالية وذاتية . وحين يطفو ذلك الى سطح الوعى بحيث يعرف الانسان محركاته الدفينة التى تجعله يختار شيئاً ما ويترك الآخر ، يكون قد وصل الى قمة النضج الانسانى .

من هنا يمكن القول إن ما يحدد اختيار بعض الأفراد ، العمل فى الحقل الفنى بالذات سواء كانوا أدباء أو شعراء ، رسامين أو موسيقيين .. الخ ما يحدد ذلك أصلا هو طبيعة شخصيتهم الخاصة المرهفة التى تجعلهم بالضرورة ، وبسبب تكوينهم النفسى .. أكثر عرضة للاضطرابات النفسية حين ينغمسون فى واقع الحياة الفكرية ويكتشفون فى غالب الأحيان أن عالمهم الذاتى منفصل تماماً عن العالم الخارجى الذى يعيشونه .

والغالبية العظمى ممن يعملون فى الحقل الفنى والأدبى ، من الشخصيات الانطوائية التى تهوى التعامل مع الأفكار .. مع الرمز وليس مع الأشياء .. تقديرها للعالم الذاتى أكثر من تقديرها للعالم الموضوعى وبالتالى فهى تطل على الحياة بمنظار فردى .. إلا أن هناك اقلية تعتبر من الشخصيات الانفتاحية التى تتميز بانها أكثر ارتباطا بالواقع والمجتمع ..

وعلى سبيل المثال يمكن أن نشير الى كاتبنا الكبير – أو جبرتى القصة الطويلة – نجيب محفوظ باعتباره نموذجاً للنمط الأول .

إن نجيب محفوظ فى منظور الطب النفسى نموذج للشخصية الانطوائية ، يحددها دقة النظام والانتظام فى كل شىء .. برنامجه الحياتى ثابت لا يتغير .. الكتابة اربع ساعات يومياً .. النوم له ساعاته المحددة .. رياضة المشى لها وقتها ومكانها .. الندوة الأسبوعية التزام .. الخ . كل شىء فى حياته بميزان . وهذا حال كثير من الفنانين والأدباء طالما هم فى المواقع النفسية السوية .

وعلى العكس تماماً .. هناك النمط الآخر .. النمط الانفتاحى .. وهو نمط شديد الاجتماعية ، حاد التقلب الانفعالى ، يمر بفترات مرح شديدة جداً . وفترات اكتئاب عنيفة دونما سبب ظاهر . وهذا ينعكس على الانتاج الفنى لهذا النمط حيث يكون غزيراً ومتنوعاً فى فترات المرح ، وقد يتوقف تماماً فى حالات الاكتئاب .

ولأن ردود الأفعال تختلف فى درجة انعكاسها على الانسان وفق مكوناته الشخصية ، فان الاضطرابات النفسية أيضاً تخضع لهذه القاعدة . فاذا كانت الشخصية انطوائية .. جاء اضطرابها العقلى على شكل انفصام مثلما حدث لكثير من الفنانين فى العصر الجميل .. كما تراوحت اضطراباتها النفسية بين القلق البسيط والاكتئاب الشديد مروراً بالوسواس القهرى والقلق المرضى .

ليس كل اضطراب نفسى .. مرضاً

وبشكل عام – يؤكد الدكتور العقباوى – إن كل الناس معرضون للاصابة بأى من



نجيب محفـوظ :
النظام الدقيـــق في كـــل شيء



د. يوسـف إدريـــس :
الاغتـــراب في « لغـــة الآي آي »



تشايكوفسكي
كان مبدعـاً ومصـابـاً بالنرجسية !

هذه الأمراض ولكن فى حدود معينة . وطالما أنها لم تخدش قدرة الانسان على التوافق ، فهى تقع فى إطار النمط المختلف للشخصية . وأكثر ما ينتشر من هذه الأمراض بين شريحة العاملين فى المجال الفنى والفكرى ، هى الاضطرابات التى تتسم بطابع القلق أساساً ، أو الاضطرابات التى يميزها الاكتئاب .

وفى هذا المجال أحب أن أوضح نقطة أساسية وضعتها الاتجاهات الحديثة فى علم النفس .. وهى أنه ليس كل اضطراب نفسى دليلا على المرض أو مساوياً له .. فكثير من الاضطرابات تكون علامة فى تاريخ المجتمع وتاريخ الانسان الفرد .. على التطور . لأنها تعكس معاناة ولادة الجديد فى ذاته وبالتالى انتقاله من مرحلة وجودية فى التعامل مع الوجود ، الى مرحلة أخرى يتحرر فيها داخله من الأنماط التقليدية التى سكنته طوال الفترة السابقة ، الى بحور جديدة مختلفة فى شكلها ونمطها .

والانسان الخلاق ، حين يكمل مرحلة من إنجازات عمره وهى عادة تكون حول سن الأربعين . يجد ذاته أمام مفترق طرق نفسية يتجسد فى ذاكرته عندها حقيقة الموت .. فتحدث له حالة من الوعى الحاد بالمراجعة .. مراجعة سيرة حياته وانجازاته بمعيار مختلف عن معيار المراهقة والشباب .. وقد يمر فى هذه المنطقة الشعورية بخبرة تكاد تكون صوفية أو تكاد تكون جنونية، والحد الفاصل بينهما ضئيل .. وهنا قد يبدو للعين العابرة أو العين غير الخبيرة ، وبمعيار المجتمع .. أن ذلك اهتزاز أو اضطراب . لأنه لم يعد يسلك السلوك الذى يتوقعه منه المجتمع بينما يكون هذا فى جوهره نقطة الانطلاق فى مسيرة الابداع . وفى دراسات كثيرة عن حياة كثير من الفنانين والعظماء نجد انهم مروا بهذه الفترة الحرجة فى حياتهم .

بطل « الشحاذ » نموذج عام

ولقد تحدث عن هذه الأزمة الفيلسوف الوجودى الدانمركى سورن كيركجورد فى بداية القرن العشرين وبالتحديد عام ١٩١١ أى قبـــل أن يتناولهـــا أى من مارتن هيدجر وجان بول سارتر من خلال التيار الوجودى الذى يمثلانه .. إضافة الى اهتمام الأخير – سارتر – بالطب النفسى فى فترة من فترات عمره وبالتالى تحدث عن الفرق بين القلق المرضى الذى يخلق مرضى نفسيين يعيشون فى المستشفيات أو يترددون على الأطباء النفسيين .. وبين القلق الخلاق الذى هو فى حقيقته حالة حمل ومخاض وجوديين لولادة الجديد .. القلق ذو الطبيعة الخاصة الذى يصيب أفراداً من نوع معين .

أما أحسن من جسد هذه الرؤية فى تصور الدكتور العقباوى – فهو نجيب محفوظ فى قصة «الشحاذ» . وبطل هذه القصة يمثل نموذجاً لانسان حول سن الأربعين يعيش هذه الأزمة الوجودية .. أزمة شبيهة بالمراهقة الثانية لكى ينتقل من مستوى وجودى مسطح حقق فيه ذاته بالنمط التقليدى ، الى مستوى آخر يتجسد فيه مفهوم الاغتراب والضياع وعبثية الوجود . كما عبر عن هذه الفكرة أيضاً يوسف ادريس فى احدى قصصه القصيرة «لغة الآى آى» .

وواجب الطبيب النفسى أن يميز بين القلق المرضى والقلق الخلاق ، بدقة شديدة . فالأخير علينا أن نشجعه ونسهم فى إثرائـــه ، ومساعدة من يعانيه على تفجير إمكاناته التعبيرية عن طريق الحوار والمواجهة – وهو أسلوب علاجى حديث – والامتناع عن علاجه بأى من الأدوية المهدئة لأنها تخدر وعيه وتجهض ما يدور فى داخله .

أما النمط الثانى من الاضطرابات النفسية الذى ينتشر بين العاملين بالفن والفكر .. فهو أزمة وجودية تأخذ سمة اكتئابيـــة وتسمـــى « الاكتئـــاب الولادى الخلاق» . يمر الانسان خلالها فجأة بحالة من الاحباط العام والملل الشامل من كل شىء حوله .. ويتجسد له احساس باللاجدوى وعبثية الوجود ، ويتحول من صديق لذاته الى عدو لها يوجه كل عدوانيته للآخرين .. ومن هنا تبدأ مشاكله معهم التى تنتهى به عادة الى الانسحاب من عالمهم الى عالمه الذاتى .

واذا كان لابد للانسان من مساعدة فى هذه الحالة ، فعلى الطبيب النفسى أن يتأكد أولا من سلامة التشخيص ، وأن يقدم له العون النفسى لتسجيل عذاباته بشكل منتج ، وترجمة هذه الأزمة باللغة التى يجيدها .. الشعر . الموسيقى ، الأدب ، الرسم .. أو النحت .. الخ .. ليعطى للبشرية تجسيداً لحالة وجودية يمر بها كثير من البشر .. وللأسف الشديد فان الغالبية العظمى يعيشونها ببعدها السلبى الذى يقوم أساساً على الانسحاب واليأس .

اعرف نفسك .. وتصالح معها

وملخص ما سبق .. أن الفنان عندما يصاب باضطراب نفسى .. يمكن أن يكون اضطراباً تقليدياً يحتاج الى محاولة من الطبيب لمساعدته على لملمة إمكاناته ليستطيع التعامل مع الوجود .. أو أن يكون ذلك إشارة يعطيها هذا الوجود البشرى – الفنان الانسان – فى مروره بأزمة تطورية قد تأخذ شكل القلق الخلاق أو الاكتئاب الخلاق .

ويقول الدكتور العقباوى فى النهاية ان النصيحة التى يمكن أن أقدمها للانسان عامة .. اعرف ذاتك وتصالح معها .. حاول أن تعرف المناطق المظلمة فيها لتشعل بها شمعة .. وبوجه عام فان الغالبية العظمى من البشر يصلون الى نقطة التصالح مع الذات كلما تقدمت بهم السن ، مستعينين بالقيم والتقاليد فى فض الاشتباكات بين معارك الذات الداخلية ، أما الأقلية فهم الذين يحتاجون إلى مساعدة الطبيب النفسي .

ليلى الحريرى



قف

هل تعلم

عبد العزيز السيد المصري

هل تعرف الرمال المتحركة؟

ما أشد رهبة الناس وخوفهم من الرمال المتحركة ... طالما فزع الناس منها عبر العصور ...

وأرعبتهم قوتها الخفية التى تبتلع الضحايا داخلها فيختفون إلى الأبد ... فهل للرمال المتحركة هذه القوة ؟ وهل يختفي فيها الضحايا؟ .. الحقيقة أن الرمال المتحركة ليست لها هذه القوة .. وانك إذا عرفت كيف تتصرف معها فانها لا تستطيع أن تؤذيك مطلقا ، فما هي حقيقة الرمال المتحركة ؟ .

هي رمال خفيفة مفككة مخلوطة بالماء ... لا تبدو مختلفة عن الرمال المجاورة لها ... ولكن الواقع أن هناك فرقا : فالرمال المتحركة لا تساعد الأشياء الثقيلة ... وتتكون عادة عند أفواه الأنهار الواسعة ،

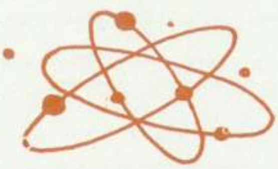
وعلى الشواطىء المستوية حيث توجد طبقة صلبة من الطين فيجتمع الماء فى الرمل لأن طبقة الطين السفلى تمنع تسرب هذا الماء ... وقد ياتي هذا الماء من أماكن مختلفة عديدة مثل تيارات الأنهار أو المستنقعات ... وحبات الرمل المتحرك مختلفة عن حبات الرمل العادي لانها مستديرة بدلا من أن تكون ذات زوايا حادة ...

ويتخلل الماء بين الحبات فيفرقها ويرفعها ... ولذا فانها تميل دائما إلى أن تطفو لا إلى أن ترسب في القاع ... وتطفو الواحدة فوق الأخرى ... وهذا هو السر فى أنها لا تستطيع مساعدة الأشياء الصلبة

وبعض الرمال المتحركة ليست مكونة من الرمل .. وقد تكون مكونة من اية تربة مفككة او خليط من الطين والرمل أو نوع من الطين المكون من الحصباء .

والنـــاس الذين يسـقطون داخل الرمال المتحركة لا يختفون .. لأنها تحتوي على كمية كبيرة من السائل سوف تساعدهم على أن يطفوا الى السطح ... ولأن الرمال المتحركة أثقل من الماء ، فان الناس فى إمكانهم أن يطفوا فوقها أعلى مما يطفون في الماء ... المهم أن يتحركوا ببطء شديد فى الرمال المتحركة .. لتعطي الماء وقتا ليتدفق حول الجسم ... وما إن يحدث ذلك يصبح فى إمكانهم أن يعوموا كما يعومون تماما في الماء.

ماحجم الذرة؟



الجزيء هو اصغر جزء في مادة يمكن أن تبقى وتظل حافظة لخصائص الكل . فمثلا : إذا حملت قطعة سكر ، فان أصغر جزيء منها يحمل سمات السكر ، أما إذا حطمت جزيء السكر نفسه فانك ستجد أن العناصر لا تحمل خصائص السكر : طعمه ولونه من بين خصائص اخرى غير ذلك .

وأحيانا يكون الجزيء بسيطا جدا ، وأحيانا تكون به آلاف الذرات مرتبة فى نموذج معقد . ففى بعض الغازات مثل الهيليوم والنيون يحتوى الجزء على ذرة واحدة فقط . والبعض يحتوى على اثنتين أو أكثر من نفس النوع ... أما جزيء الماء فيتكون مثلا من ذرتين إحداهما من الهيدروجين والثانية من الأوكسجين ... وبالعكس نجد جزيء المطاط الطبيعي النقي يعتقد أنها تحتوي على ٧٥٠٠٠ ذرة كربون و ١٢٠٠٠٠ ذرة هيدروجين .

وهكذا يمكنك أن ترى كيف ان الجزء يختلف اختلافا كبيراً من حيث الحجم . فالجزيء البسيط مثل جزيء الماء يصل طوله إلى اجزاء قليلة من البلايين من البوصة ، أما جزيء المطاط فاكبر ألف مرة من جزيء الماء ، وبعض الجزيئات مشكلة على صورة كرة قدم وبعضها طويل يشبه الخيط .

ويكاد يكون من المستحيل ان يتصور المرء كيف أن الجزيء صغير جداً ... فاذا اخذنا مقدار بوصة مكعبة من الهواء ، ففي فراغ هذه البوصة يوجد ٥٠٠ مليون بليون جزيء (٥ مع عشرين صفراً بعدها) مع أن هذه البوصة المكعبة ليست ممتلئة تماماً بالهواء لانها فى الواقع تحتوي على مساحة غير صغيرة خالية تماماً .

لماذا يأكل بعض الناس لحوم البشر؟

النمنمية أو أكل لحوم البشر شيء فظيع .. مستبشع بكل مقياس ومع ذلك فان هناك من الناس من لا يزالون يتعاطونه .. ربما فى بعض القبائل البدائية فقط .. ولكن ما يجب أن نعلمه أولا هو انهم لا ياكلون لحوم البشر لأنهم يحبون ذلك أو يجدون متعة فى أكله .. لا، إنهم يفعلون ذلك كنوع من الطقوس أو الشعائر الدينية المقدســـة .. فقديما كان بعض سكان شرقى الهند يأكل الواحد منهم والديه حبا فيهما وتكريما لهمـــا . ويعتقد كثير من القبائل البدائية أن الانسان تحل فيه روح من أو ما ياكله فاذا هو أكل أسدا مثلا كانت لـــه شجاعة الأسد ، وإذا أكل غزالا كانت له سرعته وخفته .. وإذا أكل ثعلبا كان له مكره وتخابثه .. وكلما زادت محبة الواحد منهم لوالديه كلما ازدادت رغبته فى أن يأكلهما .

وكان من عادات بعض القبائل البدائية أن يأكلوا المجرم المحكوم عليه بالموت ولكنهم ما كانـــوا يأكلون الشخص الذى مات ميتة طبيعية .. لأنهم كانوا يعتقدون أن المجرم قد أغضب الألهـــة ولذلك يجب أن يضحى به من اجل رضاها .. وما دام من عادتهم أنهم يأكلون القربان أو يتذوقونه على الأقل فانهم يأكلون أيضا ذلك القربان حتى ولو كان إنسانا .

وقد لاحظ الأسبانيون الغزاة أن قبيلة كانيبا تأكل لحوم البشر .. كما أن بعض قبائل هنـــود أمريكا الشمالية كانت أيضـــا تمارس عادة أكل اللحوم البشرية كنوع من الطقوس والشـــعائر الدينية .

لا أحد يعلم بالتأكيد كم عدد القبائل التى تأكل لحوم البشر الآن وفى الوقت الذى ينكر فيه البعض وجود أى منها فان آخرين يؤكدون وجـــود النمنميين آكلى لحوم البشر فى غينيا الجديدة الداخلية وفى جزر إيريان الغربية وفى أماكن متفرقة من افريقيا .

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالا مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● كرامة فنان ●● الفقر آفة البشر: كيف عالجه الإسلام؟
●●● الفكاهة والكاريكاتير في الأدب العربي ●●●● قراءات

كرامة فنان

بقلم: أنور المعداوي

هذه قصة عن العبقري الايطالي مايكلانجلو، قليلة الألفاظ ولكنها كثيرة المعاني ... وتستطيع بعد قراءتها أن توافقني على أن خير عنوان يمكن أن يوضع لها، هو هذا العنوان «كرامة الفنان».

إنها قصة فريدة تتمثل فيها غيرة الفنان على فنه، وثورته على كل ما يمس كرامة العبقري أو ينال من جلالها، ولو كان المعتدي هو البابا يوليوس الثاني ... ! قرأت هذه القصة وعجبت كيف يجرؤ مايكلانجلو على أن يقف من البابا موقفاً لا يستطيع أن يقفه ملك من ملوك أوربا فى القرن السادس عشر!

ولكنه الفنان ... الفنان الذي كان يشعر فى أعماق نفسه أن قداسة فنه لا تقل منزلة عن قداسة الكنيسة!.

لقد ترامت إلى البابا أنباء العبقري الشاب الذي بهر فلورنسة بعظمة آثاره الفنية فى الرسم والنحت، فارسل يستدعيه ليزين جدران القصر البابوي وردهاته بمعجزات فنه الخالدة ... ومثل رجل الفن أمام رجل الدين، وكان لقاء أفاض فيه البابا على الفنان كثيراً من عطفه وتشجيعه ... وحين طلب انجلو مائة ألف «سكودي» أجراً لعمله، قال البابا: فلتكن مائتي الف ياسيدي! .. وبدأ الفنان العظيم يستلهم الوحي فى صوره وتماثيله، ويبعث فيها الحياة تنبض من كل ناحية من نواحيها، مما جعل يوليوس يحله من نفسه مكاناً لا يدنيه مكان. ودب الحقد والحسد فى نفوس رجال القصر لهذه المنزلة الرفيعة التى حظى بها انجلو، فوشوا به إلى البابا ... ويفاجأ يوماً باحدهم يقول له فى لهجة لا تخلو من وقاحة: «سيدي، لدي أمر من قداسة البابا بطردك من قصره، ويحسن بك الا تريه وجهك بعد اليوم!». وفي كبرياء العظيم يودع انجلو آثاره الحبيبة وقصر البابا وروما ومن فيها، تاركاً له رسالة يخاطبه فيها بقوله: أيها الأب المقدس، لقد أمرت بطردي من قصرك، ويؤسفني انك ستحتاج إلي مرة أخرى، فاذا احتجت إلي – وهذا أمر ليس منه بد – فعليك أن تبحث عني في مكان آخر .. غير روما .. ويستشعر البابا فداحة الخسارة بعد رحيله، ويسال عنه فيعلم انه فى فلورنسة، فلا يسعه إلا أن يبعث إلى حاكمها برسالة يطلب إليه فيها أن يقدم اعتذاره لانجلو، وأن يرجوه في أمر العودة مرة أخرى .. ويمتنع انجلو ... وتصل رسالة أخرى من البابا يؤكد فيها اعتذاره ويلح فى إحضاره. ويمعن انجلو فى التغاضي وتصل رسالة ثالثة فيصر انجلو على ان يلقاه البابا فى منتصف الطريق بين روما وفلورنسة .. وقد كان .. !!

هل تستطيع أن تعثر فى العالم كله، وفى تاريخ الفن كله، على فنان من هذا الطراز؟ لا أظن! إن ما يكلانجلو قد قدم أروع مثال يمكن أن يحتذيه فنان!

ترى لمن أهدى هذه القصة الفريدة فى تاريخ الفن؟ أهديها إلى بعض الناس هنا فى مصر، أولئك الذين دفعوا بكرامة الفن إلى الحضيض فى سبيل مآربهم الشخصية والمادية .. هل أسميه؟ كلا. إنهم يعرفون انفسهم .. ويعرفهم الناس!.

أنور المعداوي – ١٩٤٨

الفقر آفة البشر :

كيف عالجه الإسلام ؟

بقلم : عبد الرحمن عزام باشا
أول أمين عام للجامعة العربية



عبد الرحمن عزام باشا

الفقر أعظم آفات الاجتماع البشرى ، وأعظم ما يثير السخط على الحياة ، وأشد ما يفجع الناس فى حياة الكرامة والسكينة والاطمئنان ، ويثير بينهم الحقد والبغضاء ، ويرميهم بحروب الطبقات وحروب الأمم ، فاذا عولج منه نجا من آثار قرينيه وهما الجهل والمرض اللذان يتبعانه ويكونان معه ثالوث الشقاء الانسانى الذى إذا خلا منه وجه الحياة بدا جمالها ورضى الناس عن الحياة ورضى الله عنهم ..

لقد نظر الاسلام فى حال الفقير فرآه إما أن يكون عاجزاً عن الكسب لعلة به ، وإما أن يكون عاجزاً عن الكسب لفقد الوسيلة إلى العمل .

فأما الذى يعجز لعلة لا علاج لها فقد جعل مواساته حقاً على المجتمع لا تبرعاً وتطوعاً . قال الله تعالى « والذين فى أموالِهِمْ حقٌ معلومٌ للسَّائِلِ والمحرُوم » فصان بذلك كرامته الانسانية .

وأما الذى يعجز لفقد الوسيلة إلى العمل فقد أوجب على الدولة إيجاد الوسيلة لتكسبه ، وقد قبح الاسلام السؤال ودعا المسلم للترفع عنه ، فاليد العليا خير من اليد السفلى . وقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائلا درهما وأمره أن يشترى به فاساً وحبلا ويحتطب ، ولا يتعرض لذل السؤال .

والأصل فى الاسلام هو العمل والتكسب ، وقد حض عليه بجميع الوسائل ، حتى لقد فضله على الانقطاع لعبادة الله ، ولكنه كذلك انصف المجتمع بإلزام الدولة أن تعين على إيجاد العمل لمن لا يجده ، وأن تحمي من يعجز عنه .

وقد أراد الاسلام أن يجعل مستوى المعيشة متناسقاً ومتقارباً بين اتباعه ، فحارب الترف في أعلى المجتمع ، وطارد البؤس فى أسفله ، واتخذ لذلك وسيلتين : وسيلة الضمير ، وهي أقواهما ، ووسيلة القانون ، فجعل الحياة السعيدة الخالدة لا تنال إلا بالانفاق على المستحقين من الأهل والأقربين والمساكين ، ولا ينال متاعها المسرفون الذين جعلوا شهواتهم في هذه الحياة أهدافهم .

جعل ضمير المسلم لا يستريح إذا طعم ولبس وتمتع ، وجاره ومن حوله قد عجزوا عن القوت ؛ وحضه حضاً قوياً على البذل والقناعة والحد من شهواته فى سبيل إغاثة الملهوفين والمحتاجين ، حتى لقد أمر أن يطعم السيد الخادم مما يطعم ، ويكسوه مما يكتسي .

قال المعرور بن سويد : رأيت أبا ذر رضي الله عنه عليه حلة وعلى غلامه مثلها ، فسألته عن ذلك فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «هم إخوانكم وخَوَلُكُم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم من العمل ما يغلبهم ، فان كلفتموهم فاعينوهم » .

ولم يكتف الاسلام بايقاظ الضمير لهذا ، بل جعل للدولة أن تقتضي من فضلة مال الفرد مقادير لا يستهان بها لتكفل بوسائلها هي أيضاً حاجات الفقراء والمساكين .

وفي الحقيقة حين يحارب الاسلام الترف والاكتناز والربا ، ويقول : « والذين يكْنِزُونَ الذهَبَ والفضّةَ ولا يُنفقُونها فى سبِيلِ اللهِ فبشرْهُمْ بعذابٍ أليمٍ . يوم يُحْمَىٰ عليها فى نارِ جهنم فتكْوىٰ بها جباهُهُم وجنوبُهُم وظهورُهُم . هذا ما كنَزْتُم لانفسِكُمْ فذوقوا مَا كنتم تكْنِزُون » وحين يقول « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » وحين يقول . « يمحق الله الربا ويربى الصدقات » وحين يقتضى الزكاة على الأموال المكنوزة ويحرم الربا ، إنما يريد

بذلك كله أن يرفع مستوى الطبقات الفقيرة ، ويخفض من مستوى المترفين ، ليجعل حياة الجميع سعيدة متناسقة .

فتحريم الترف يوجه الأموال إلى إنتاج اكثر فائدة للجميع ، وتحريم كنزها يوجب تداولها ، وتداولها من غير ربا يؤدى إلى المشاركة فيها . وإذا لم يجد الناس فى الترف لذتهم وجاههم ، وجدوهما فى الاحسان والبر . وإذا لم يجدوا فى الكنز ضماناً لهم وجدوه فى ضمانة المجتمع الاسلامى المتكافل الذى لم يهمل أحداً ، ولم يحتقر أحداً . وإذا لم يجدوه فى الربا وجدوه فى لذة الكسب والمشاركة مع إخوانهم الذين يعملون فى اموالهم .

ولو قامت الدولة بواجبها فى كفالة المتخلفين من إخواننا لما يصيبهم فى انفسهم أو أبدانهم ، أو مما يصيبهم من انقطاع السبل بهم مع رغبتهم فى العمل ، وذلك بأن تكون سياستها قائمة على أساس التكافل الذى جاء به الاسلام فى قول رسوله « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » فوزعت الصدقة على من لا سبيل له غير الصدقة ، ووزعت العمل على الناس بقصد الخير العام ولو على سبيل الأجبار على عمل معين للقادر عليه ، لقاتلت هى أيضاً الفقر بوسائلها الفعالة .

وقد جعل الاسلام فى هذا سلطات واسعة لولى الأمر ، فله فى سبيل الاصلاح العام ان يحدث اقضية بقدر ما يحدث من المشكلات ، وله أن يكيف الأحوال لتسير وفق الغرض الأساسى للاسلام ، وهو الاحسان .

وقد قرر الاسلام فى وضوح وعزم مبدأ المساواة ، وهو اعظم المبادىء فى مقاومة الشرور الاجتماعية واخصها الفقر ، وجعل هذه المساواة مستقرة فى ضمير المسلم ، ومالكة زمام تصرفاته فى العبادة والمعاملة والادب .

ومن فضل الدعوة المحمدية على البشر انها تبغض فى الاستعلاء والترفع على الناس ، حتى ليكاد المسلم يفر من مجرد الخاطر الذى يخطر بذهنه بانه افضل من غيره . والمسلم الصادق لا يضمر فى نفسه انه خير من خادمه مع سيطرته عليه .

والله تعالى يشتد على الرسول نفسه ويعاتبه بالقرآن ، لأنه تصدى لقوم من رؤوس العرب يرجو من وراء إيمانهم إيمان أقوام يتبعونهم ، وتلهَّى بهم عن رجل فقير ضعيف جاء راغباً فى الايمان فقال :

« عَبَسَ وَتَوَلَّى ان جاءَهُ الأَعْمَى ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ، او يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعُهُ الذكرى . اما مَنِ استَغْنَى فأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى . وما عليْكَ الاَّ يزَّكَّى . واما من جَاءَكَ يَسْعَى . وهو يَخْشَى فأَنْتَ عنه تَلَهَّى » .

ولست تجد فى اى تشريع احتفالا بالفقراء واعتناء بشانهم مثل ما جاءت به الدعوة المحمدية ، إذ تحض المسلمين على رياضة انفسهم على احترام الغير وتقديره « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساءٌ من نساءٍ ، عسى أن يكنَّ خيراً منهن ، ولا تلمزوا انفسكم ، ولا تنابزوا بالألقابِ ، بئْسَ الاسم الفسوق بعد الايمان » .

ومتى رسخ هذا المعنى فى اذهان الملوك والحكام والعامة والفقراء والأغنياء والملاك والعمال كما ارادته الدعوة المحمدية ، استحالت الفرقة الاجتماعية وما يثيرها من حسد وبغض وما يترتب عليها من خلاف وشر ثم قتال وحرب ، وما يكون من تسلط الأقوياء على المستضعفين ، أو ما يكون من ظهور المستضعفين واستذلالهم لمن كانوا أقوياء .

ظاهر إذا أن مبدأ المساواة بالمعنى الاسلامى هو من اكبر دعامات البر وافتك الأسلحة بآفة الفقر .

وقد دعا الاسلام إلى البر بكل وسيلة دعا إليه بالترغيب والترهيب ، ودعا إليه بقوة القانون والدولة ، فقال تعالى : « يمْحَق الله الربا ويربى الصدقات » .

وقال « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » وقال . « أرأيت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدُعّ اليتيم ، ولا يحُضّ على طعام المسكين » وقال . « كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضُّون على طعام المسكين » .

وكتاب الله وحياة رسوله يفيضان بفضل الانفاق فى سبيل الله ، واتخاذ الدنيا مطية للآخرة . ولم يكتف صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم بان تكون دعوته موجهة بكل قوتها للبر بالفقراء والمساكين والضعفاء والمصابين والمعوزين ، بل جعل البر بهم حقاً مفروضاً لا سبيل إلى المماطلة فيه ، حتى إن العرب لما ارتدت عن دفع الزكاة عقب وفاة الرسول ، ونصح الخليفة الأول بأن يداريهم ، وقد تفاقم الشر ، قال رضى الله عنه « والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه » . أى أنه يوجه كل قوى الدول لقتال قوم يمنعون حق الفقير فيما قيمته حبل يعقل به بعير .

فحقوق الفقراء فى الدولة الاسلامية مصونة ، وليس لأحد أن يمن بها فهى حق الله فى ماله وكسبه وملكه ، وقد بينت الشريعة الزكاة وأنواعها وكيفية أدائها ، كما بينت مستحقيها وما لهم وما عليهم بتفصيل دقيق .

وكان من أثر الدعوة المحمدية للبر والاحسان تلك الأوقاف المحبوسة على الخير فى الشرق والمغرب ، وكان من أثرها أن تطهرت نفوس المسلمين ، حتى حبسوا من أملاكهم على القطط والكلاب والحيوانات . ومن أمثلة هذا أن نور الدين محمود وقف أرضاً فى دمشق لتكون مأوى للحيوان الهرم ، يرعى فيها حتى يموت .

وتاريخ المسلمين فى كل أوطانهم يفيض بالبر والعطف والرحمة بالبؤساء والغرباء ، وما الكرم الذى كان به فخر

الفقر آفة البشر

كيف عالجه الاسلام؟

البيوت والأسر والشعوب إلا أثر من آثار روح البر والاحسان الاسلامى .

ولم يكن البر فى الدعوة المحمدية خاصاً بأهل الجنس أو الدين ، ولكنه كان عاماً للمساكين من البشر ، فما منع اختلاف فى الدين دون البر . قال تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين » « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » .

وتنظيم البر فى العصر الحاضر يجب أن يقوم على نفس الأسس والوسائل التى جاءت بها الدعوة المحمدية ، لأنها أفعل وأدوم ، ولكن يجب كذلك أن نتصرف ونجتهد كى نحقق المقصد والغاية ، وأن ننظر فى عصرنا ، وموارد الثروة فيه ، ومصادر الغنى ، وحالات الناس لنكفل الخير للجماعة ونرضى الله سبحانه وتعالى ، حتى يعود للظهور بيننا من كانوا يأبون أن يتعرضوا لوجوب أداء الزكاة عليهم بانفاق أموالهم كلها ، حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة فى مائتى درهم . فقال : أما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم ، وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع .

ولهذا المعنى تصدق أبو بكر رضى الله عنه بجميع ماله ، وعمر رضى الله عنه بشطر ماله .

ولا عجب فان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بان لهم الجنة ، وروح الدعوة المحمدية واضحة فى أن الزكاة وحدها لا تبرىء أموال المسلمين من حقوق المحتاجين فيها ، فما دام محل للبر والصدقة فهى واجبة ، وحق المسلم لا ينتهى باداة الزكاة .

يجب إذا أن نستلهم من شريعة الاسلام الهدى ، وأن نستوحى من روح الدعوة المحمدية نظاماً للبر تقوم عليه الدولة ، لتوازن بين الثروات والحاجات وتقيم التكافل الاجتماعى ، وتقضى على حرب الطبقات « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

عبد الرحمن عزام — ١٩٤٧

أوراق خضراء

الفكاهة والكاريكاتير فى الأدب العربى

كان هذا عنوان محاضرة الأستاذ كامل كيلانى فى دار الاتحاد النسائى يوم الجمعة الماضى ، وقد كان أكثر من هناك من الجنس الناعم ، أوانس وسيدات ، ولذلك رأى الأستاذ أن يستعمل نون النسوة فى خطاب الحاضرين أو الحاضرات (على مذهبه) ولم يعبأ بنا ولا بالنحويين .. ولكن هل أرضاهن بهذا الصنيع ؟ أو لسن هن المطالبات بالغاء نون النسوة ؟ وقد احتججن عليه بعد الفراغ من المحاضرة احتجاجاً رقيقاً ، وهن — وإن أنكرن نون الاناث — لم تفارقهن لوازمها فى أثناء المحاضرة ، فهذه إحداهن تشتغل (بالتريكو) ولا يفوتها أن تبتسم لبعض الفكاهات التى تأتى فى سياق المحاضرة وتلك أخرى تفتح حقيبة يدها وتستغرق فى النظر إلى مرآتها وتصلح شيئاً من زينتها .. ولا تنتبه إلى المحاضرة إلا على ضحكات صواحبها من تلك الفكاهات . أفلا ترى الأستاذ على حق فى تجاهلنا واستمساكه بنون النسوة ؟

بدأ الأستاذ كامل كيلانى بشرح لغوى خفيف لمعنى الفكاهة حتى قال : الفاكهة ثمرة الأرض والفكاهة ثمرة العقل . ثم

قراءات

البساطة هي السعادة

وقف برنارد شو فى جماعة العمل الحر بالجمعية الغابية بلندن يلخص العدالة الاجتماعية التى يرجوها لبنى وطنه فقال :

إن مطالبى عادلة ومتواضعة وهى شقة صغيرة فى الطرف الغربى من لندن ، ومنزل ريفى جميل ، وسيارتان ، وثلاثة أو أربعة آلاف من الجنهيات ، ومع ذلك لا يكون هناك شخص أقنع من برنارد شو فى إنجلترة . إن أصحاب الملايين العديدة يصفوننى لطلبى المتواضع هذا بأننى شيطان فقير ، ولكنى أرى أن ما طلبت يكفينى أن أعيش بسهولة فى هذا الوضع الاجتماعى العادل أحب أن أرى كل رجل وامرأة .

الويلات التسع

لجبران خليل جبران

١ — ويل لأمة تنصرف عن الدين إلى المذهب ، وعن الحقل إلى الزقاق ، وعن الحكمة إلى المنطق .

٢ — ويل لأمة تلبس مما لا تنسج ، وتأكل مما لا تزرع وتشرب مما لا تعصر

٣ — ويل لأمة مغلوبة تحسب الزركشة فى غالبيها كمالا ، والقبيح فيها جمالا .

٤ — ويل لأمة تكره الضيم فى منامها وتخنع إليه فى يقظتها .

٥ — ويل لأمة لا ترفع صوتها إلا إذا سارت وراء النعش ، ولا تفاخر إلا إذا

قال إن الانسان يبلغ بالفكاهة البارعة ما لا يبلغه بكثير الكلام ، واستشهد بما قاله « سويفت » مؤلف « جلفر » فى بعض قصصه : « ثم صفعه فى احترام وأدب » وبمقالة برنارد شو لأحد اللوردات وقد قال له إنك تبغى المال من رواياتك ، قال له برنارد شو : وماذا تبغى أنت من أعمالك ؟ قال : الشرف . قال كل منا يسعى فى طلب ما ينقصه .

ثم قال إن الأدب العربى زاخر بالفكاهات التى تجسم الأشياء والمعانى تجسيماً « كاريكاتيرياً » فتبرز المقصود إبرازاً بالغاً يشبه فى الأدب فن « الكاريكاتير » فى التصوير ، ومثل لذلك بقول الجاحظ فى كيسان النحوى : « أعرف رجلا يسمع غير ما يقال له ، ويكتب غير ما سمع ، ويقرأ غير ما كتب ، ويفهم غير ما قرأ » وقد نظم هذا أحد الشعراء فقال :

تقول له زيد فيكتب خالدا
ويقرؤه بكراً ويفهمه عمراً

ومما مثل به من هذه الصور الأدبية « الكاريكاتيرية » قول بعضهم :

أفرط نسيانى إلى غاية
لم يدع النسيان لى حسا
فصرت مهما عرضت حاجة
مهمة أودعتها الطرسا
وصرت انسى الطرس فى راحتى
وصرت انسى اننى انسى

ويقول ابن الرومي :

ابو سليمان لا ترضى طريقته
لا فى غناء ولا تعليم صبيان
له إذا جاوب الطنبور محتفيا
صوب بمصر وضرب فى خراسان

وقول المتنبى :

وإذا أشار محدثا فكانه
قرد يقهقه او عجوز تلطم

وقول أبى الفرج فى بعض قصصه بالأغانى : « ثم خرجت من الخوخة لحية حمراء يتبعها رجل » ولعل محرر « آخر ساعة » نظر إلى هذا عندما كتب منذ نحو عشر سنوات فى الحديث عن رجل من رجال السياسة كان معروفاً بطول شاربيه : « ثم خرج من السيارة شاربان يتبعهما رجل » .

وقال لى الأستاذ كامل كيلانى ، وقد عبرت له عن استحسانى لتسمية هذا الموضوع ، قال : كان بعض الغربيين ومن يحاكيهم يعيبون الأدب العربى بالمغالاة ، وهذا هو نوع من المغالاة نراه مطابقاً فى التعبير لطريقة فن من الفنون الحديثة .

عباس خضر ١٩٤٨

وقفت فى المقبرة ، ولا تتمرد إلا وعنقها بين السيف والنطع .

٦ ــ ويل لأمة سياستها ثعلبة ، وفلسفتها شعوذة ، اما صناعتها ففى الترقيع .

٧ ــ ويل لأمة تقابل كل فاتح بالتطبيل والتزمير ، ثم تشيعه بالفحيح والصفير لتقابل فاتحاً آخر بالتزمير والتطبيل .

٨ ــ ويل لأمة عاقلها أبكم وقويها أعمى ومحتالها ثرثار .

٩ ــ ويل لأمة كل قبيلة فيها أمة .

●●●

الزواج الناجح

وضعت جمعية المحامين فى نيويورك بناء على اختباراتهم الكثيرة فى القضايا المختلفة بين الزوجين ، والمؤدية إلى شقاء الأسرة وخراب البيت عشر وصايا للزوج ، هى :

١ ــ لا تكن بخيلا فالزوجة وإن يكن لها صبر على الفقر لا تحتمل البخل والتقتير متى كان زوجها فى سعة .

٢ ــ اترك الأمور المنزلية لزوجتك تديرها كيف شاءت .

٣ ــ ابتسم فى بيتك . ابتسم دائما ولو كنت مهموما ، فالابتسام احسن ما يقوى السعادة الزوجية .

٤ ــ لا تخف أن تطلع امراتك على محبتك الشديدة وتقديرك لها ، واثرها الطيب فى حياتك .

٥ ــ كن دائماً حبيباً لا زوجا فقط ، فالمراة تكره أن ينتهى الحب حالما ينتهى شهر العسل .

٦ ــ لا تعنف زوجتك مهما كانت الظروف صعبة .

٧ ــ ابتعد عن اقاربك واقاربها ما استطعت ، وابنيا بيتكما كما تريدان .

٨ ــ لا تسكن معك رجلا غريباً ، فان النمر فى بيتك اقل خطراً من ذلك .

٩ ــ لا تهمل فى لباسك وهيئتك وعوائدك امام زوجتك بل ابق معها كما كنت أيام الخطبة .

١٠ ــ عامل أولادك بالحنان والمحبة والعدل ، فانك بذلك تاسر قلوبهم وقلب أمهم معهم .

السكر

١ ــ عرفت زراعة قصب السكر منذ ٣٠٠ سنة قبل الميلاد فى الهند ومنها عرف فى بلاد الفرس ثم بلاد العرب وبعد ذلك بالف سنة اخذه أهل مراكش إلى أسبانيا ومنها عرف فى إنجلترة بعد خمسة قرون .

٢ ــ كان السكر حتى القرن الخامس عشر يستعمل كدواء فقط ولثمنه المرتفع فى ذلك الوقت لم يكن فى قدرة السواد الأعظم من الناس أن يشتروه .

٣ ــ كان اول من استخرج السكر من البنجر هو بنيامين دليسه عام ١٨١١ عندما لم تتمكن فرنسا أبان حروبها من الحصول عليه من الخارج . وقد انعم عليه نابليون بوسام الشرف تقديراً له .

٤ ــ أجمع اطباء نيوزيلند على أن نقص السكر فى الجسم يسبب ميلا إلى الاجرام وقد فحصوا دم عدد كبير من المجرمين فوجدوا فيه نقصاً كبيراً فى الجليكوز .

إيليا حليم حنا ١٩٤٨

العلم هو المستقبل

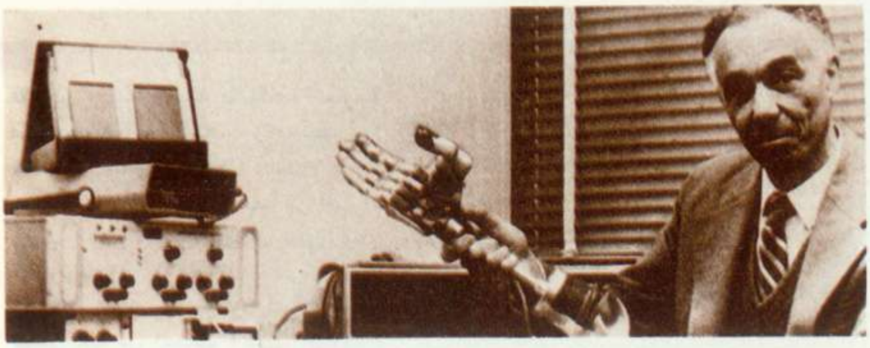
تقديم: لبنى الريدي

● يد اصطناعية حساسة ●

سوف يستطيع من فقد يده تقطيع الخبز وفتح زجاجة مياه غازية والتقاط سماعة الهاتف بل والكتابة ايضاً وذلك بفضل يد اصطناعية الكترونية استغرق تصميمها ١٢ عاماً من الأبحاث .

وتتميز هذه اليد بقدرتها على ادراك المحسوسات التى تلمسها . إذ تعتمد فى عملها على ميكروكمبيوتر مثبت بينها وبين طرف الساعد المبتور . بحيث ينقل اليها وبدقة الاشارات العصبية التى يرسلها المخ الى الأصابع الاصطناعية .

وفى الجانب المقابل فان هذه الاصابع ترسل المعلومات خلال الميكروكمبيوتر الى طرف الساعد حيث تنقل دوائر حساسة مثبتة على اطراف الأصابع شكل وملمس وصلابة الأشياء التى يمسكها المعوق الى المخ ليتم ادراكها ليلتقطها بالقوة التى تناسب طبيعتها وصلابتها .



العالم الذى اخترع اليد الاصطناعية الحساسة بعد ابحـــــاث دامت ١٢ عامـــــــــا





المعوق أثناء استخدامه لليد الاصطناعية

● سافر وأنت فى مكانك ●

قد يضطر رجال الأعمال الى السفر والتنقل بين عواصم العالم لابرام الصفقات ومتابعة مشروعاتهم مما يستنزف جزءاً كبيراً من طاقتهم ووقتهم .

إلا أن التقدم العلمى فى مجال الاتصالات عن بعد سوف يوفر عليهم هذا الجهد ، فسوف يتمكن اى رجل اعمال ابتداء من العام الحالى من مقابلة من يريد وجها لوجه واجراء المشاورات اللازمة معه دون أن يركب طائرة أو يغادر بلده وذلك من خلال قاعة مجهزة لهذا الغرض اطلق عليها «قاعة المؤتمرات عن بعد» . اذ يكفى ان يطلب رقم تليفون معين ليجد أمامه شريكه بعد ثوان معدودات يظهر على شاشة تلفزيونية كبيرة بحيث يمكنهما تبادل آخر الأنباء أو المستندات المكتوبة التى تنتقل ايضاً خلال الأثير .

وابتداء من هذا العام سيصبح فى امكان رجـــال الأعمال فى ٢٣ دولة أوربية وآسيوية الاجتماع معاً لاجراء صفقات على الهواء مباشرة .



فى قاعة المؤتمرات عن بعد !

● حامض يقي من السرطان ●

تؤكد الأبحاث أن حامض البوليك يحمى الانسان من الاصابة بالسرطان

كيف يتسنى له ذلك ؟! يرجع العلماء هذا التاثير الى أن الحمض مضاد للأكسدة بينما يرتبط كل من السرطان والشيخوخة بعملية أكسدة هدامة للخلايا .

ولقد اثبت عالم الميكروبات «بورس اميس» أن تعريض خلايا الدم الحمراء فى المعمل لتركيز عال من حامض البوليك يعطل اصابتها بالشيخوخة . كما لاحظ أيضاً أن الحيوانات التى تفرز كمية اكبر من هذا الحامض تعيش مدة أطول .. ولذلك فان الانسان الذى يتميز دمه بنسبة اعلى من هذا الحمض عن باقى الثدييات يعيش لفترة أطول منهم .

ومن ثم فاذا كنت تعانى من مرض النقرس فلا داعى للحزن بل عليك أن تتقبل هذا المرض بابتهاج وأن تتحمل نوبات الالم التى تصيب أصبع القدم الكبير برضا حيث أن ذلك دليل على أن نسبة حمض البوليك فى الدم عالية وهى بمثابة وقاية من الشيخوخة والسرطان .

● نظارة تجعل الليل نهاراً ●

اصبح في الامكان الآن ان يرى الانسان في الظلام الحالك ، بل يستطيع المرء التقاط ما يشاء من الصور الفوتوغرافية وهو في غرفة مظلمة ودون حاجة لاستخدام الفلاش . فقد ابتكر العلماء « مكبرات » للضوء يمكنها تكبير اية طاقة ضوئية مهما كانت ضعيفة ، وبما يزيد ٢٠ الف مرة عن حجمها الأصلي .

ومكبر الضوء هذا عبارة عن نظارة خاصة يضعها سائق السيارة مثلا ، فيمكنه السير في الظلام بسرعة ١٠٠ كيلو/ساعة لان الطريق يبدو امامه وكانه مضاء بكشافات قوية . كما ان هذه النظارة تجعل المريض بالعشى الليلي يرى ليلا بوضوح وكانه في النهار .

ويقول مبتكرو هذه النظارة إنه مهما كان الظلام حالكا ، فانه يوجد بصيص من الضوء قد يكون مصدره شعاع القمر او ضوء النجوم او حتى وهج سيجارة مشتعلة . وتقوم هذه النظارة بتحويل هذا الضوء الضعيف الذي لاتراه العين الى الكترونات . وبما ان الالكترونات لها شحنات كهربية ، فانه يمكن العمل على تسريعها باستخدام مجال كهربي مما يزيد من طاقتها . وهذه الالكترونات التي تم تسريعها تمر من خلال قرص زجاجي من القنوات الرقيقة في قلب النظارة فتولد عند اصطدامها بجدار القنوات عدداً اكبر من الالكترونات تتحول مرة اخرى الى ضوء بواسطة شاشة معينة وبطاقة اكبر ٢٠ الف مرة من حجم الطاقة الأصلي .

ولقد نجح العلماء في تطوير هذا الابتكار بحيث أصبح طول مكبر الضوء حوالي ٣٠ مم وقطره ٣٥ مم بما في ذلك مجموعة التكبير التي يمكنها تحويل طاقة بطارية الزئبق ذات ٢,٨ فولت الى ٦ آلاف فولت . ولا تستهلك هذه النظارة سوى ١٠ ميللي امبير ، وبالتالي يمكنها العمل لمدة ٩٠ ساعة قبل استهلاك البطارية . هذا فضلا عن ان وزنها لا يزيد عن ٧٠ جراماً فقط .

● القمر الصناعي معـك على الطـريق ●



الخريطة الالكترونية تظهر امام السائق كلما احتاج إلى تحـــــديد موقعـــــه

سيارة المستقبل سوف ترشدك إلى الطريق الذي عليك أن تسلكه .. فلـو حدث وانت تقود سيارتك ان لم تتمكن فجاة من تحديد موقعك فما عليك إلا الاعتماد على الكمبيوتر الصغير الموجود في السيارة وذلك بان تكتب له وجهتك بواسطة بضعة أزرار ليقوم على الفور بارسال اشارة الى قمر صناعي يتولى تحديد موقعك على خريطة الكترونية تظهر على شاشة مثبتة قرب تابلوه السيارة ، وعندئذ يحدد لك الكمبيوتر افضل الطرق التى عليك اتباعها .

● رجيـم بالكمبيوتـر ●



الكمبيوتر يطرح الأسئلة ويضع على اســاس الأجـــوبة للنظـــام الغـــذائى الملائم

الرجيم الذى يناسب البعض قد لا يناسب البعض الآخر ولذلك يتولى الكمبيوتر وضع نظم غذائية تلائم الاحتياجات الخاصة لكل شخص على حدة فيقوم بطرح أسئلة عن العادات الغذائية التى يتبعها الشخص وعدد السجائر إذا كان مدخنا وعدد الأولاد بالاضافة الى بعض الأسئلة عن نمط حياته وبمجرد ادخال الأجوبة الى الكمبيوتر يصف النظام الغذائى المناسب للحالة المعروضة عليه . بينما تقوم اخصائية التغذية بالتعليق على التقرير الالكترونى الذى أعده الكمبيوتر وتوضيح بعض نقاط النظام الغذائى الذى أوصى به .

وتتم هذه العملية فى اطار نظام متكامل للوقاية من امراض القلب والشرايين نظراً لان السمنة – حتىّ وإن كانت بنسب ضئيلة – تعد من العوامل المساعدة على الاصابة بهذه الامراض . ويهدف هذا الرجيم العلاجى الى تفادى هذه الاخطار بنسبة ٧٠٪ على الاقل .

ومن ناحية اخرى سوف يتيح استخدام الكمبيوتر تقييم دور النظام الغذائى العلاجى فى تطور تصلب الشرايين والرواسب الدهنية التى تتكون على الجدار الداخلى للشرايين والتى تفقدها مرونتها .



« الان ديلون » النجم الفرنسى الوحيد الذى يمكن لأى فيلم أن يبيع باسمه فى امريكا



نجمة فرنسا الراحلة « رومى شنايدر » والتى كانت من انضج فنانات السينما الفرنسية

بقلم : رؤوف توفيق

حول ما حدث أخيرًا في السينما الفرنسية :
النقاد هل ينقذون السينما ؟!

واقعة فنية مثيرة ، حدثت خلال الأسابيع القليلة الماضية فى باريس .. شكلت فصلا جديداً من أزمة السينما الفرنسية ، والتى اقلقت كل عشاق السينما لسنوات طويلة ..

وما حدث أخيراً .. أنه فى يوم واحد بدأ عرض الفيلم الجديد للنجم الفرنسى الذائع الصيت « جان جاك بولمندو » .. وفى نفس اليوم بدأ عرض فيلم « حجرة فى المدينة » الذى أخرجه المخرج الفرنسى الكبير « جاك ديمى » بعد غياب طويل عن شاشة السينما الفرنسية ، هذا الغياب الذى استمر لما يقرب من عشر سنوات .

واحتفل النقاد بعودة « جاك ديمى »





جون بلمندو ... النجم المكتسح ، الذى ثار ضده النقاد ، فاستنجد بجمهوره !

« كاترين دينيف » اغلى نجمة فى فرنسا ، فاجرها يمثل اكبر اجر لنجمة فرنسية حتى الآن

« جيرارد ديبارديه » النجم الذى تراهن عليه الآن السينما الفرنسية



للسينما .. وأفردوا المقالات الطويلة ترحيباً به وبفيلمه الجديد ..

ولكن المفاجاة المذهلة .. أن الجمهور الفرنسى أنصرف عن فيلم « حجرة فى المدينة » وتجمع فى طوابير طويلة لمشاهدة أخر افلام بولمندو ..

واكتسح بولمندو الايرادات وحقق أرقاماً قياسية .. بينما أنزوى فيلم « حجرة فى المدينة » فى آخر القائمة .

وأستقبل النقاد هذه النتيجة بثورة عارمة .. فهذا معناه أن الفن السينمائى الفرنسى الجيد لم يعد له جمهور .. مما يعطى مبرراً واضحاً وصريحاً لشركات الانتاج السينمائى لأن تواصل سياستها فى عدم تمويل الأفلام الفنية الجيدة ، والاكتفاء بالأفلام التجارية الخفيفة .

وأسرع النقاد فى تكتيل **جهودهم** .. وأجروا اتصالات واجتماعات فيما بينهم .. أسفرت عن صدور بيان وقعه ٢٥ ناقداً سينمائياً فرنسياً .. يحثون فيه الجمهور لمشاهدة فيلم « حجرة فى المدينة » .. ويناشدون أصحاب الوعى الفنى للوقوف مع الأعمال الجيدة حرصاً على مستقبل السينما الفرنسية وسمعتها ..

وفى نفس الوقت تضمن بيان النقاد هجوماً عنيفاً على الفيلم الجديد للنجم

النقاد هل ينقذون السينما؟

بولمندو .. وأعطوا للفيلم أقل درجاتهم .

وأحدث بيان النقاد الفرنسيين .. ضجة فى الوسط السينمائى وأنبرى النجم « بولمندو » فى حملة هجوم ضد النقاد ونشر خطاباً مفتوحاً يندد بوصايتهم على الجمهور .. ويستنجد بالمعجبين به للدفاع عنه .. وأختتم « بولمندو » خطابه المفتوح بعبارة أنه لا يهمه فى الدنيا شيء سوى اقبال الجماهير على أفلامه .!

وأستند « بولمندو » على شعبيته الكاسحة .. وخسر النقاد معركتهم من أجل فيلم « حجرة فى المدينة » .. فقد احتفظ الفيلم بايراداته الضئيلة .. وواصل فيلم بولمندو أرقامه الخرافية .!

خسر النقاد معركة فيلم .. ولكنهم فجروا من جديد متناقضات السينما الفرنسية .. وأعادوا الى الأذهان فداحة المخاطر التى تهدد صناعة السينما الفرنسية ..

بين الهجرة والانتظار

ومنذ مالا يقل عن عشر سنوات ، والسينما الفرنسية تشهد منحنى هبوط خطير .. فقدت فيه الكثير من أرصدتها الفنية وسمعتها العالمية .. وتمثل هذا فى هجرة بعض كبار مخرجيها إلى امريكا ، أو إلى بعض الدول الأوربية التى يمكنها أن تساهم فى تمويل أفلامهم .. اما البعض الآخر من كبار مخرجيها فقد هاجروا داخل أنفسهم .. تعذبهم فترات الانتظار الطويلة لحين موافقة شركات الانتاج على مشاريعهم الفنية .. هذا الانتظار الذى قد يطول لخمس أو ست سنوات وربما أكثر .. أو أنهم يلجأون للعمل فى الاخراج المسرحى أو التليفزيوني .

وقد انعكس هذا الوضع المضطرب على مستوى الأفلام التى تمثل فرنسا فى المهرجانات السينمائية العالمية ..

والغريب تماماً .. أن فرنسا من أكبر دول العالم فى اقامة المهرجانات السينمائية .. فهى صاحبة أكبر مهرجان سينمائى عالمى وهو مهرجان « كان » .. الذى يقام فى شهر مايو من كل عام .. وهى أيضاً صاحبة مهرجان « ليل » للأفلام القصيرة والتسجيلية والذى يقام فى مارس من كل عام .. ومهرجان واترلو فى فبراير لأفلام الهواة .. ومهرجان « نانت » فى نوفمبر بالاضافة الى « لقاءات » فيتل « السينمائية فى يونيو .

ودولة واحدة لها هذا العدد الضخم من المهرجانات الهامة والمؤثرة .. تعجز عن أن تقدم أفلاماً سينمائية على مستوى جيد .. بل تواجه أيضاً بلوم عنيف على اختياراتها للأفلام التى تمثلها فى المهرجانات .. كما حدث العام الماضى في مهرجان « كان » السينمائى .. فقد كان التمثيل الفرنسى أضعف تواجد فى المهرجان .. بينما حقق المخرج الفرنسى « كوستا جافراس » فيلمه الرائع « مفقود » بتمويل امريكى ومثل امريكا فى المهرجان .. كما أن المخرج الفرنسى الكبير « جان لوك جودار » قدم فيلمه « عاطفة » بتمويل سويسرى وممثلا لسويسرا ..

ومن قبل .. انتقل المخرج الفرنسى « لوى مال » الى امريكا ليخرج هناك فيلم « طفلة جميلة » .. ثم فيلم « مدينة اتلانتك » والذى رشح لعدد من جوائز الأوسكار العام الماضى

النهاية المؤسفة

وقد عاشت السينما الفرنسية أزهى **فتراتها مع حماس وجراة مجموعة من شباب السينما ، الذين شكلوا هذا** التيار الفنى والذى اطلق عليه « الموجة الجديدة » فى السينما .. وكان هذا مع بداية الستينات ..

والركيزة الأساسية لهذه الموجة الجديدة تكونت من بعض نقاد مجلة « كراسات السينما » الذين حطموا الأشكال التقليدية للفيلم السينمائى .. وأستحدثوا أسلوباً جديداً فى البناء الدرامى والتدفق الزمنى للأحداث .. أو كما عبر عنه المخرج الفرنسى « الكسندر أستروك » فى أول بيان نشره عن حركة الموجة الجديدة فى السينما الفرنسية بقوله :

« **السينما .. لغة معبرة يستخدم** السينمائى لقطاتها وهى الصور الخالصة .. بنفس الطريقة التى يستخدم بها الاديب مفردات اللغة ليصوغ منها الرواية والقصيدة والمقال » ..

وعندما قامت الموجة الجديدة فى السينما الفرنسية .. استندت الى الجمهور الواسع الذى بدأ يقرأ الرواية الجديدة لـ « آلان روب جرييه » و « ناتالى ساروت » و « ميشيل بوتور » .

وعاشت فرنسا عصراً من النهضة الفنية الجديدة .. الرواية تساند الفيلم .. والفيلم يخترق **حواجز** المكان واللغة ويعلن عن ميلاد فنى جديد ..

من أقطاب الموجة الجديدة فى السينما : « فرانسوا تريفو » « جان لوك جودار » – « **لوي** مال » – « كلود شابرول » – « بيير كاست » .

تم اعلان هذه الموجة فى عام ٥٤ .. وبدأت تتوالى محاولات هؤلاء الشباب فى التعبير عن أحلامهم الفنية ..

ومنذ عام ١٩٥٩ .. ظهرت بوادر الموجة الجديدة .. وأحدثت دوياً هائلا بين عشاق السينما فى العالم كله .. وقلبت الكثير من الموازين الفنية .

ومضت الأعوام .. وتغيرت الأحوال .. وعبر عن ذلك أخيراً المخرج الفرنسى « فرانسوا تريفو » والذى كان أحد رواد هذه الموجة الجديدة بقوله :

« لقد صدم بعضنا فى آماله فلم يحقق شيئاً أو حقق القليل .. كما أننا خدعنا فى صداقة البعض .. وتدهورت العلاقات كثيراً .. إننى أذكر الموجة الجديدة التى أحببتها وعملت من أجلها .. حينما كانت الأيام تحمل لنا آمالا جميلة .. وحينما كنا نتميز بالرشاقة والقبول .. لقد فقدنا الكثير على مر السنين »

عبقرى يواجه الفشل

وربما أوضح مثال لما حدث لفنانى الموجة الجديدة فى السينما الفرنسية .. ما تعرض له المخرج « آلان رينيه » صاحب التحفة السينمائية « هيروشيما حبيبى » – عام ٥٩ – والتى كتبتها الروائية « مرجريت

المخرج « كلود ليلوش » الذى هبط اسمه إلى الحضيض .. ولكنه مازال يعمل !





ـ لقطة من فيلم « المترو الاخير » احـــدث فيلم للمخرج « فرانســـو تريفو » الذى لم يخذله الجمهـــور !

دوراس » والتى تحولت الى الاخـــراج السينمائى أخيراً .. فقد شجعها « آلان رينيه » أن تكتب « هيروشيما » كأنها تكتب أدباً وتنسى تماماً أنه فيلم .. وهكذا ظهر الفيلم فى صورة سينمائية جريئة .. حيث يتداخل الزمن ، ويتقلب بين الحاضر والماضى فى مزج شاعرى ..

وفى عام ٦١ .. يكرر المخرج « آلان رينيه » هذه التجربة فى فيلمه « العام الماضى فى مارينباد » حيث اشترك فى كتابته مع الروائى « آلان روب جرييه » رائد الرواية الجديدة فى فرنسا ..

ثم قدم رائعته التاليـــة « الحـــرب .. أنتهت » .

هذا المخرج العبقرى ظل متوقفاً عن الاخراج لست سنوات بسبب الفشـــل التجارى الذى صادفه مع فيلمه « أحبك .. أحبك » .. ولم يغفر له ماضيه أو تجاربه الفنية الرائعة ، لدى شركات الانتاج لكى تمول مشروعه التالى .. وظل متنقلا بين فرنسا وامريكا يشترك فى كتابة سيناريوهات لأفلام لا ترى النور ، لعدم وجود التمويل .. وأخيراً يتقدم إليه النجم « بولمندو » ليمول فيلمه الجديد وليلعب بطولته .. حدث هذا عام ٧٤ .. وظهر الفيلم « ستافيسكى » الذى أستقبله النقاد بخيبة أمل .. ليعود المخرج الى حالة التوقف لست سنوات أخرى .. ويقدم فيلمه « عمى الامريكى » الذى لم يلاق نجاحاً كبيراً .

مقاطعة الجمهور

والسينما الفرنسية تواجه بأزمـات متداخلة .. بعض منها بسبب المشاكل التى تحيط بالعاملين فيها .. والبعض الآخر بسبب الظروف الخارجية ومنها التليفزيون وأيضاً جاذبية وقوة اغراء الفيلم الأمريكى .

ففى أحد تصريحات مدير مركز السينما الفرنسى .. قال أن السينما الفرنسية تفقد كل عام ثلاثة فى المائة من جمهورها .. بينما يتزايد الأقبال على الأفلام الامريكية ..

والزائر لباريس .. لابد أن يتوقف بالدهشة أمام ظاهرة الاقبال على الأفلام الامريكية .. ففى شارع الشانزليزيه الشهير توجد أكثر من ٢٥ داراً للعرض السينمائى .. ولكن معظمها يعرض الأفلام الامريكيـــة الحديثة .

وفى دراسة قامت بها مجلة « نيوزويك » الامريكية حول هذه الظاهرة ونشرت منذ أربعة أعوام .. قالت المجلة ان الفرنسيين يقاطعون الأفلام الفرنسية منذ فترة غير قصيرة .. فقد انخفض عدد المشاهدين من ٤٥٠ مليون شخص فى عام ١٩٥٠ الى ١٧٥ مليوناً فى عـــام ٧٧ .. ويـــرى بعض السينمائيين أن انخفاض عدد المشاهدين ، يعنى انخفاضاً فى الأرباح مما يؤدى بدوره الى انخفاض فى عدد الأفلام الجيدة ..

ومن جانب اخر .. تتضح حقيقة يؤكدها رئيس اتحاد المنتجين الســـينمائيين الفرنسيين بقوله ان القوانين المفروضة على المنتج السينمائى الفرنسى تجعـــل من المستحيل عليه فى معظم الأحيان أن يتمكن من تحقيق أى ربح .. فمن كل ٢٥ دولاراً من الايراد ، لا يزيد ما يحصل عليه المنتج عن خمسة دولارات فقط (!!) بينما يذهب نصف الايراد الى أصحاب دور العرض ..

ومن المعروف أن دور العرض فى فرنسا تتحكم فيها ثلاث شركات كبرى تسيطر تماما على السوق السينمائى ..

واذا أدركنا أن النسبة الغالبـــة من المشاهدين فى جميع انحاء العالم الآن .. هم من الشباب ممن تقل أعمارهم عن الثلاثين عاماً .. فانه يمكن تصور نوعية الأفلام التى توافق شركات الانتاج على تمويلها .. ويتحمس أصحاب دور العرض لعرضها ..

وهذه النوعية من الأفلام تنحصر فى أفلام المغامرات والخيال العلمى والأفلام الكوميدية .

أما الذين لا يذهبون الى السينما .. فهم يكتفون بالجلوس أمام التليفزيون .

التليفزيون الفرنسى

وللوضع المتميز الذى أصبح عليـــه التليفزيون .. تحول الى سلطة أحتكارية لفرض الأسعار التى يراها لشراء الأفلام ..

وفى فرنسا .. ثارت مشكلة بين شركات السينما .. ومديرو القنوات الثـــلاث للتليفزيون الفرنسى .. بسبب الأسعار التى يحددها التليفزيون ثمناً لنسخة الفيلم .. وتحولت المشكلة الى أزمة .. واجتماعات .. وبيانات ..

وفى تقرير قدمه المركز الوطنى للسينما الى وزيرى المالية والثقافة فى الحكومة الفرنسية منذ أربعة أعوام .. جاء فيه أن ما يدفعه التليفزيون ثمناً لشراء الأفلام الفرنسية خلال عام كامل ، لا يتجاوز اثنين فى المائة من ميزانية التليفزيون .. بينمـا تغطى هذه الأفلام السينمائية ما يقرب من سبعين فى المائة من ساعات الارسال !!

وطالب السينمائيون الفرنسيون بمعاملة أفضل من التليفزيون ، ورفع أسعار شراء الأفلام .. والا وجد التليفزيون نفسه بلا أفلام فرنسية نتيجة انخفاض الانتاج .!

ولجأ التليفزيون الفرنسى الى صـــيغة المشاركة فى تمويل الأفلام أو القيام بانتاجها على حسابه الخاص .. وهى صيغة جيدة تضمن ظهور أعمال فنية على مستوى لائق ، دون تقديم تنازلات تجارية .

ولكن هذه المشاركة ـ كمـــا يقـــول السينمائيون الفرنسيون ـ لا تتم بالحجم المأمول .. وأيضاً كثرة الاعتراضات التى يثيرها مديرو محطات التليفزيون حول الأفكار السينمائية المطروحة أمامهم ..

ويحكى المخرج « جاك دوايون » وهو من جيل السينمائيين الشبان فى الســـينما الفرنسية .. أنه قدم مشروع فيلم الى لجنة محطة التليفزيون الفرنسى رقم ٣ .. التى وافقت على المشروع .. ولكن مدير المحطة رفض التمويل .! وحاول المخرج أن يبحث عن التمويل بين شركات الانتاج والتوزيع الفرنسى .. فلم يجد غير وعود لا تنفذ .. فقرر المخرج أمام هذا الوضع المتأزم ، أن يجند نفسه على مدى عامين لاخراج أفلام الاعلانات ، ليجمع التمويل اللازم لفيلمه الذى يحلم باخراجه ..

وبالفعل قام بتمويل الفيلم بجهده الخاص .. وعرض الفيلم الذى يحمل عنوان « غريبة الأطوار » فى مهرجان كان عام ٧٩ .. وحصل به على جائزة السينما الشابة . !!

وتساءل المخرج « جاك دوايون » بعد فوزه .. « ماذا لو كان التليفزيون الفرنسى وافق





ثلاث ممثلات من نجوم فرنسا : ايزابيل ادجانى ، وايزابيل هوبير ، ومارى فرانس بيزيه .. ثم لقطة لايزابيل هوبير ، النجمة التى تربعت على القمة فى سنوات قليلة

المجاميع الهائلة .. والملابس .. والأمتعة فى فيلم « موليير »

سينما

النقاد هل ينقذون السينما ؟!

على مشروع فيلمى بدلا من ضياع عامين من عمرى فى أفلام الاعلانات .. اننى لست نادماً .. ولكنى اتساءل عن المنطق الذى يفكرون به فى التليفزيون » !

التليفزيون .. وفيلم « موليير »

وبالرغم من هذه الحالة الصارخة .. الا ان ما يذكر للتليفزيون الفرنسى .. انه شارك فى تمويل فيلم « موليير » والتى تزيد مدة عرضه عن أربع ساعات .. وقامت باخراجه « أريان منوشكين » فى أول تجربة سينمائية لها بعد نجاح ساحق فى الاخراج المسرحي .

وفى هذا الفيلم الرائع عن حياة موليير ، والذى عرض فى المهرجانات العالمية ، واذاعه التليفزيون الفرنسى فى حلقات مسلسلة .. خاضت المخرجة « أريان » تجربة جريئة فى الانتاج حيث نفذت الفيلم باسلوب تعاونى ، بمعنى ان كل المشاركين في الفيلم من فنانين وفنيين لهم انصبة في الانتاج كل حسب جهده فى الفيلم .. ويتقاضون أجوراً متساوية ثم بعد عرض الفيلم يحصلون على أرباحه ، كل حسب نصيبه وبهذا الجهد التعاونى حققت المخرجة عملا ضخماً شارك فيه مائتا ممثل .. بينما ساهم التليفزيون الفرنسى بتقديم الامكانيات الفنية ..

أجور النجوم

والسينما الفرنسية فى أزمتها المعقدة .. تحاول أن تجد منفذاً لها فى الأسواق الخارجية .. وبالذات فى أمريكا .

ولكن كل المحاولات لا تحقق نتائج مشجعة .. فقد ذكرت مجلة « بارى ماتش » الفرنسية .. انه خلال عشرين عاماً لم تواجه سوى ثلاثة أفلام فرنسية نجاحاً باهراً فى أمريكا .. وهذه الأفلام هى : « وخلق الله المرأة » لروجيه فاديم .. وفيلم « زد » لكوستا جافراس .. وفيلم « رجل وامرأة » لكلود ليلوش . !!

وقالت المجلة انه لم يحل احد محل « بريجيت باردو » .. كما أن الممثل « آلان ديلون » هو الاسم الوحيد الذى مازال يحقق فرص البيع للخارج .

وتصل أجور النجوم فى فرنسا الى ما يتقاضاه كبار النجوم فى أمريكا .. رغم أن أفلام أشهر نجوم فرنسا ، لا تجد فرصة للعرض الا فى عشرين فى المائة من أنحاء العالم .. بينما تعرض أفلام كبار نجوم أمريكا



لقطة من فيلم « غريبة الأطوار » للمخرج الشاب « جاك دوايون »



« إيف مونتان » نجم فرنسا الكبير مع « ايزابيل ادجاني » فى أحدث أفلامهما



النجمة « جوليت برتو » التى تحولت إلى الاخراج وقدمت اول افلامها « الهيروبين »



النجم الكوميدى « كلوش » الذى حقق اعلى ايرادات فى فرنسا باخر افلامه المضحكة

فى كل انحاء العالم !

وأعلى رقم في الأجور يحصل عليه كل من « بلموندو » و « آلان ديلون » .. فعن الفيلم الواحد يتقاضى كل منهما أربعة ملايين فرنك بالاضافة الى نسبة من الايرادات ..

ومن الممثلات تتقاضى «كاترين دينيف » و « ايزابيل هوبير » أعلى الاجور .. وكانت « رومى شنايدر » تقف على نفس المستوى فى القمة .. حتى توفت فى العام الماضى وهى فى أوج نضجها الفنى .

ومن نجوم الكوميديا .. مازال يتربع « لويس دى فينيس » فى أول القائمة .. ويأتى بعده « كلوش » الذى لعب أخيراً بطولة فيلم حقق أعلى الايرادات فى فرنسا .. ثم يأتى فريق « الشارلو » الكوميدى .

والسينما الفرنسية تراهن الآن على الممثل « جيرارد ديبارديه » لتجعل منه نجم النجوم للسنوات القادمة .. وهو بالفعل ممثل رائع ولكنه يستهلك نفسه فى العديد من الأفلام كل عام !

مازالوا يملكون الكلمة

والسينما الفرنسية لا تفتقد الى النجوم الموهوبين فى التمثيل .. أو فى الاخراج وفى فروع السينما المختلفة من تصوير وموسيقى .. ولكن المشكلة تبقى فى الموضوعات المطروحة من خلال الأفلام .. والتى تعبر عن موقع فرنسا الثقافى والفنى على خريطة العالم ..

ومن هنا كانت الأزمة التى فجرها أخيراً ، نقاد السينما فى فرنسا .. فالنجاح التجاري الهائل لفيلم مغامرات للممثل « بولمندو » لا يعبر عن الوجه الحضارى لفرنسا .. وسقوط الأفلام الفنية الجادة مؤشر خطير لا يمكن التهوين فى أمره ..

وعلى حد تعبير أحد نقاد فرنسا فى المواجهة الأخيرة . حيث قال « انه اذا كانت شركات التوزيع السينمائية تملك وسائل الجذب والابهار ولوى عنق الجمهور .. فان النقاد مازالوا يملكون الكلمة .. ولابد ان تنتصر الثقافة فى هذه المواجهة » !

وتساءل ناقد آخر : « هل حدث تغيير فى وعى الجمهور .. أم ان الجمهور نفسه قد تبدل ؟ والقضية الآن بين الجمهور والصحافة .. فاذا كانت الصحافة قد أجمعت على فيلم جيد ورشحته للجمهور .. فلماذا ينصرف عنه الجمهور وينزلق وراء الاعلانات المثيرة الضخمة .. هل أصبحت الاعلانات قوة جذب أكثر من كلمات النقاد » !!

وهذه الغضبة العنيفة التى يعلنها نقاد فرنسا هذه الأيام .. ربما تسفر عن شيء .. ربما تحرك الانظار والاهتمام الى قضية السينما كفن وثقافة !

وتاريخ الحركة النقدية فى فرنسا .. يذكر بالتأكيد أنهم لعبوا ادواراً هامة فى تعديل مسار الفن .. فالنقاد هم الذين خلقوا الموجة الجديدة فى السينما الفرنسية والتى غيرت مفاهيم كثيرة فى فن السينما داخل وخارج فرنسا ..

فهل يستطيعون الآن .. أن يفعلوا شيئاً لانقاذ السينما .؟

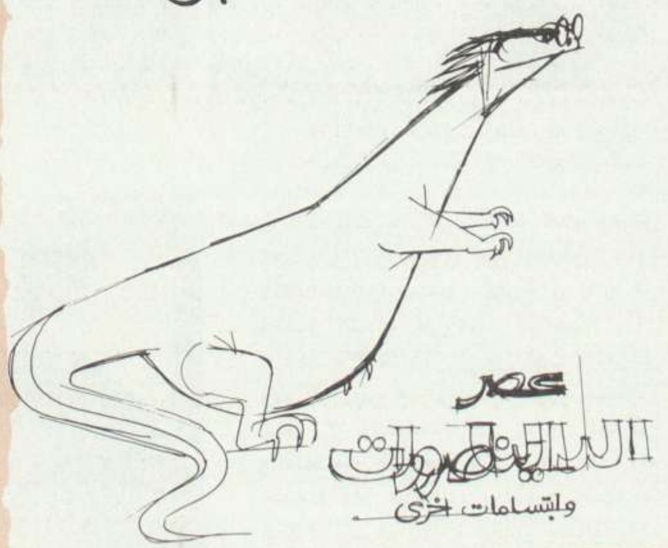
وهذا الموضوع كله .. رغم انه قضية داخلية فى فرنسا .. الا انه يهمنا كثيراً فى المنطقة العربية ، حيث تعانى السينما المحلية نفس المشكلة فى طغيان الفن التجارى على الأسواق وانحسار الاهتمام بالفن الجاد .. وامامنا صور متعددة لحالات المعاناة القاسية التى يمر بها العديد من الفنانين الذين يؤمنون بالكلمة الجادة الشريفة .

فهل يكون للنقاد العرب نفس الدور .. ونفس الاتحاد والتجمع القوى لاعلان رأيهم فى مواجهة الابتذال والسوقية ؟!!

رءوف توفيق

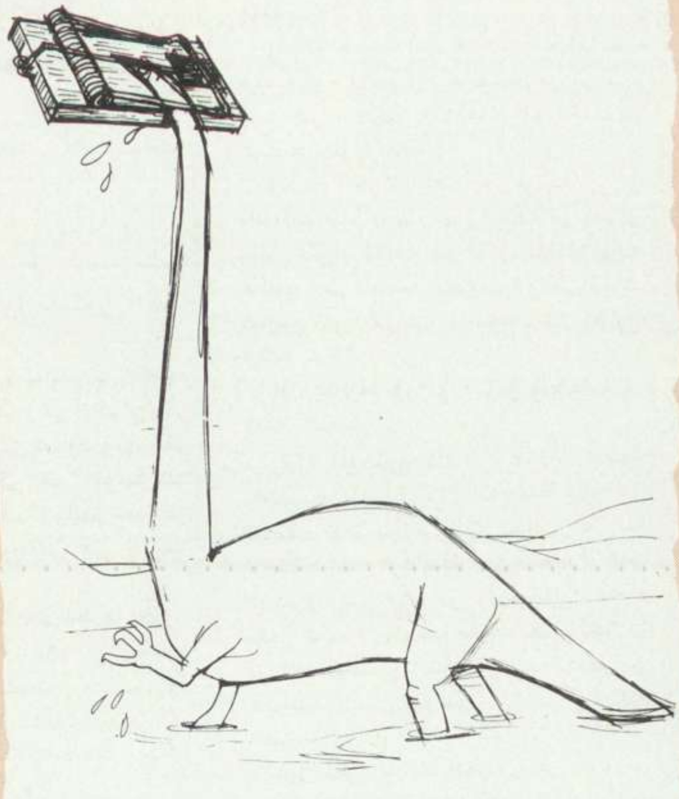
ضحكات الشهر







بدون كلام ... !!

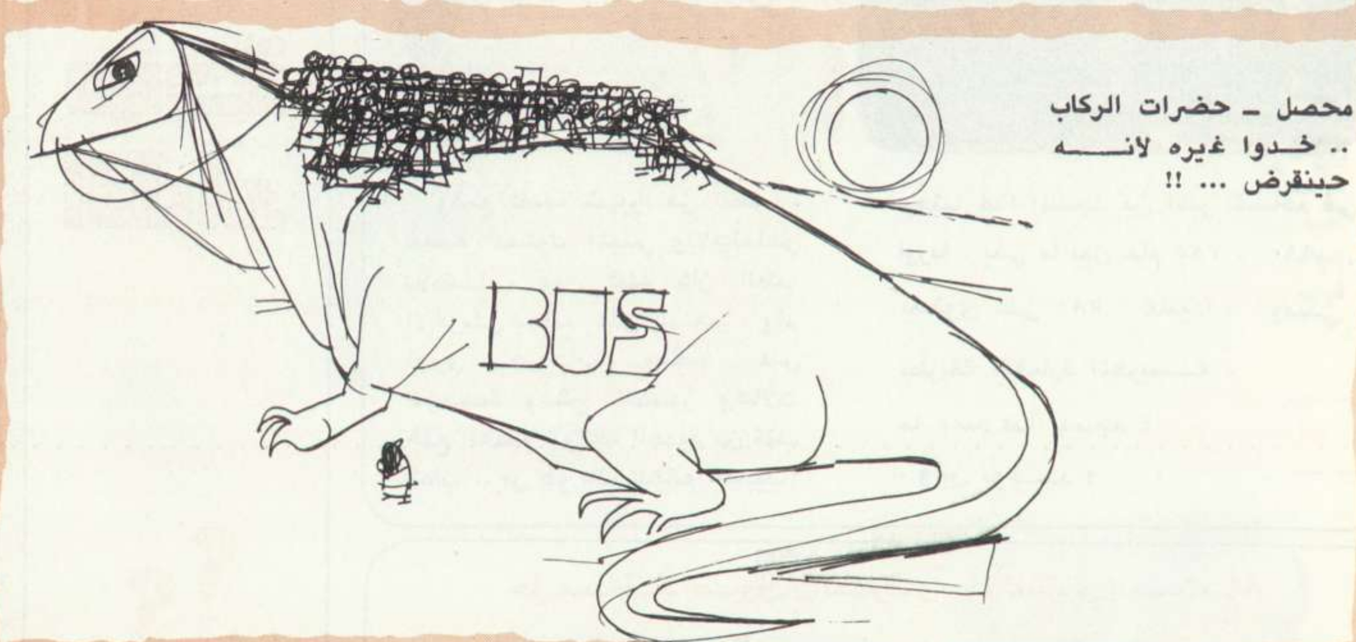


... !!



شرطى – سارق البيت .. شاعر .. ! !


« عصر الديناصورات »
.. !!
AIR DINAS


محصل ـ حضرات الركاب
.. خدوا غيره لانـــه
حينقرض ... !!
BUS


ديناصور ـ الحقوني .. فـار
.. عاوز « يقرضني » ... !!



دوحة القراء

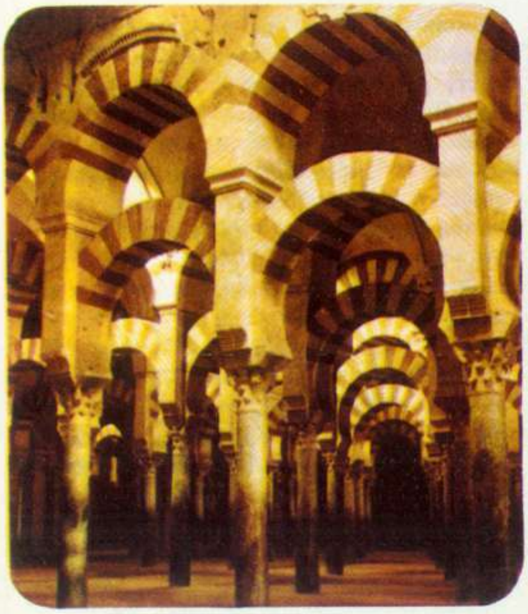
يرجى من الأصدقاء الـــذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

مسابقة الدوحة

حـــاول أن تعـــرف ..



وضع قسماً شهيراً في الطب ، ضمنه السلوك المهني والاجتماعي للأطبـاء ، ومن قبله كان الطب الاغريقي يعتمد على السحر ، وقد أجرى جراحات معقدة على الجمجمة وعالج الكسور وحالات خلع العظام ، وألف العديد من كتب الطب .. من هو هذا العالم الطبيب؟



يعتبر هذا المسجد من أكبر المساجد في أوربا ، بني ما بين عام ٧٨٥ ، ٩٩٠م ، يحتوى على ٥٨٠ عامودا ، ومبني بطريقة العمارة المغربيـــة .
ما إسم هذا المسجد ؟
.. وأين يوجـــد ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٨٤



الصورة الأولى : تركيا
ـ محمد صباح غلوم ـ الكويت
ـ محمد سعيد فارع ـ صنعاء



الصورة الثانية : دنانير
ـ سحر يعقوب أبو طالب ـ الدوحة
شريف محمد حجاج ـ شرم الشيخ

نعمة البلاء



يقول امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

« ما من بلاء يصيبني إلا وارى فيه اربع نعم :

النعمة الاولى : أن البلاء وقع فى دنياي ولم يقع فى ديني .

النعمة الثانية : أن البلاء لم يقع أكبر مما وقع .

النعمة الثالثة : أن الله تعالى صبرني عليه فاحتملته .

النعمة الرابعة : أن الله تعالى ادخر لي ثواب الصبر عليه . »

أيمن غنيم — ج . م . ع

عاشق النقود !



يروى عن اشعب انه احب فتاة فى المدينة ، وتصادف ان احتاجت إلى نصف درهم وطلبته منه على سبيل القرض ففزع اشعب وهرب من الفتاة ، ولما قابلها صدفة وسألته عن سر اختفائه ، قال :

اخلفي ماشئت وعدي
وامنحيني كل صد
قد سلا بعدك قلبي
فاعشقي من شئت بعدي
إنني اقسمت الا اعشق
من يعشق نقدي !

دهقان العربي — المغرب

لقطة الشهر

غريب الدار



فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال القارىء غياث سالم — سوريا — حلب

كلمات لها معنى

● العواصف تحطم الأشجار بعنف ولكن النسيم ينقل البذور فى هدوء .. فالهدم صارخ .. والبناء صامت .. **« كارليل »**

● على الانسان أن يكون رحيماً لأن الرحمة تجمع بين البشر ، وأن يكون أديباً لأن الأدب يوحد القلوب المتنافرة ، وأن يتحرس بالفن لأن الفن ينقذ القلوب من جراثيم الطمع والأنانية . **« تولستوى »**

● قليل من الادراك السليم .. وقليل من التسامح ، وقليل من المرح وسوف تدهش عندما ترى كيف استطعت أن تريح نفسك على ظهر هذا الكوكب ! . **« سومرست موم »**

● ما أظلم الانسان ! إنه يجد دائماً مالا لتعبئة الجيوش وإرسالها إلى الحرب لتقتل الناس ، ويضن بالمال على الناس لانقاذهم من الموت . **« فولتير »**

محمد عبد اللطيف ادريس — ج . م . ع

دوحة القراء

مسابقة الدوحة



مَن ؟

حكيم جاء ذكره فى القران الكريم ، واسمه مذكور فى اسم الدار التى سجن فيها الملك لويس حين هزم المصريون الحملة الصليبية على مدينة المنصورة ، تنسب إليه أروع وصايا الأب لابنه في التربية والسلوك . الاسم من خمسة احرف :

٢ ـ ٥ ـ ٤ اسم بلدة مشهورة بصناعة الفخار فى صعيد مصر جاء ذكرها فى شعر حافظ ابراهيم .

١ ـ ٣ حرف جـزم

أين ؟

اقليم مشترك بين قطريـــــن عربيين ، يرجح أن ذلك الحكيم قد نشأ فيه . اسمه من ستة احرف :

٥ ـ ٣ ـ ١ ـ ٦ شيـده

٢ ـ ٤ حرف استدراك

مـا ؟

فعل لا يجوز أن يقع بين المسلمين بعضهم بعضا ، ولا أن يقع من المسلمين ضـــد غيرهم بغير اصول وقواعد واسباب شرعية صحيحة ، اسمه مكون من خمسة احرف :

١ ـ ٢ ـ ٢ ـ ٥ العقل الفاهم

٤ ـ ٣ فعل امر

الإجـــابـــة الصحيـــحـــة

١) صاحب القصيدة المشهورة بلامية العرب هو :
أبو العلاء المعري ـ الشنفري ـ زهير بن ابي سلمى .

٢) مؤلف كتاب رحلات جاليفار هو :
وليام شكسبير ـ جوناثان سويفت ـ فريدريك شيللر

٣) يقع سطح البحر الميت بين الأردن وفلسطين تحت مستوى أسطح البحار والمحيطات الاخرى بمقدار :
١١١٨ قدماً ـ ٧٢١٩ قدماً ـ ١٣١٢ قدماً

٤) « يتبلور الزجاج فى النظام البللوري السداسي »
هل هذه العبارة صحيحة علميا ولمـاذا ؟؟

٥) عالم أوروبي معاصر هداه الله لنور الاسلام قال قولته المشهورة (الحمد لله الذي عرفني بالاسلام قبل أن أعرف المسلميـــــن المعاصرين) ذلك العالم هو :
محمد أسد ـ روجيه جارودى ـ موريس بوكاى .

(٦) ثلاثة من الانهار التالية تجرى فى أفريقيا ، ماهي؟
الير موك ـ السوباط ـ النيجر ـ الليطانى ـ بحر الغزال ـ جيحون ـ الامازون .

(٧) كلمة «مهندس» دخلت الى اللغة العربية من اللغة :
الفارســـية ـ التركيـــة ـ السنسكريتية .

(٨) رتب المواد التالية من حيث حجم حبيباتها من الاكبر الى الأصغر :
الرمل ـ الحصى ـ الطين ـ الطمى ـ الجلمود .

(٩) تحشى العبوات الدافعة لقنابل المدافع بمادة :
الكوردايت ـ الجليجنايت ـ نترات الأمونيوم ـ ت.ن.ت

(١٠) نفى الاحتلال البريطانى لمصر الشاعر المشهور باسم رب السيف والقلم محمود باشا سامى البارودى رحمه الله فى جزيرة : سيشل ـ سانت هيلانة ـ سرنديب .

من : أحمد بن ماجد .
اين : عمان .
ما : الجهل .

الاجابة الصحيحة

١ ـ أمـن تذكـــــر جيـران بـذى سـلم
مزجت دمعاً جرى مـن مقلـة بدمـى
قائله الامام البوصيرى .
٢ ـ جركسى .
٣ ـ أبو الريحان البيرونى
٤ ـ خليج العقبة .
٥ ـ غير صحيحة لانه ولد فى غزة بفلسطين ودفن فى مصر .
٦ ـ الصفراء .
٧ ـ ١١٨٧ م .
٨ ـ منغوليا .
٩ ـ الصليبية .
١٠ ـ بيروت الغربية .

أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ دورى الكاريكاتير :
الحل : رقم (٤) .
الفائز : خميس سيف راشد الوهيبى / عمان
الفائز : خرازى ابراهيم / المغرب
٢ ـ خيال من : الحل : عادل امام .
الفائز : صديق احمد عبد القادر / الهند
الفائز : مها سليمان عبد الحميد / قطر
٣ ـ لعبة الظلال الحل : رقم (٣)
الفائز : هبة رشدى عبد الغنى / قطر
الفائز : محمد السيد محمد / مصر
٤ ـ المثل يقول :
الحل : الاسكافى حافى والحايك عريان
الفائز : احمد سامر البارودى / سوريا
الفائز : عماد الدين دهمة / سوريا

قـرأت
الإنســـــان والمـــــاء

إذا حكمنا على أنفسنا بالوزن فقط فنحن المخلوقات البشرية أغلبنا من الماء ، إذ أن مقدارا يتراوح بين ٦٠٪ و ٧٠٪ من وزن الجسم من الماء ، يبلغ متوسط هذا المقدار فى الذكر البالغ حوالى ٤٥ **كيلوجرام** ... حتى عظامنا التى تبدو صلبة ، يتكون حوالى ٢٠٪ منها من الماء ، فى حين أن بلازما الدم ٩٥٪ منها ماء ، وهذا البحر من الماء يتدفق خلال الأوعية الدموية وكل قنوات الجسم مهما صغر حجمها ، فهو يحيط بجدار كل خلية ، ولا يستطيع أى جزء من الجسم أن يعيش بدونه .

والماء ينقذنا ـ بمعنى الكلمة تماماً ـ من أن تستهلكنا النيران التى تنبعث منا ، فالنشاط الكيميائي الذى يجرى فى كل مكان فى الجسم طول الوقت ، بالاضافة الى حرارة النشاط العضلي عندما تقوم ببعض التمرينات ، ينتج من الحرارة ما يكفي لاحراقنا تماماً ، ولكن الماء الذى يغمر الخلايا ويتسلل من خلال الأنسجة يمتص الحرارة الزائدة بمجرد انتاجها .

والبحر الذى فى داخلنا يمتص الصدمات أيضا ، فهناك حمام سائل يحمي المخ من الصدمات وبالمثل فان عظامنا ومفاصلنا وأعضاءنا وأعصابنا يحميها الماء من ألوف الهزات التى لابد أن يتلقاها الجسم من العالم الصلب الذى نتحرك فيه .

والماء ينقل كثيراً من المواد الكيميائية ذات القيمة فى صورة محلول لا غنى عنه لنقل النبضات الكهربية التى تحرك العضلات والأعصاب .



رمضان مرسي ـ الاسكندرية

جائـــزة الرحـــلات

كان الكاتب الانجليزى سومرست موم يعشق الرحلات والأسفار فلم يترك بلداً فى الشرق أو فى الغرب لم يرحل اليه كما كان يعيش بين أهل هذه البلاد ويحدثهم ويأكل طعامهم ويدرس تقاليدهم وعاداتهم ومن خلال رحلاته الكثيرة ومن خلال تجاربه فى أسفاره كتب أروع مؤلفاته وفى مقدمتها « حد الموسى » وهى تحكى قصة شاب كان يبحث عن المعرفة فلم يجدها الا عندما حمل حقائبه ورحل،وظل يتنقل من بلد الى بلد حتى قادته الأقدار الى الهند فى الشرق البعيد،وفى هذه البلاد الواسعة وفوق الجبال الشامخة وقف يتطلع الى الأفق الممتد امامه ويبحث عن الحقيقة وسط اساطيرها التاريخية وهناك وجد المعرفة التى كان يسعى اليها لقد كان « حد الموسى » هو الذى أوحى الى الكاتب الكبير بأن يوصى بمنح جائزة سنوية للكاتب الانجليزى الذى يضع أحسن كتاب،واشترط ان ينفق قيمة الجائزة كاملة على الرحلات والأسفار،وقد امضى سومرست موم العشرين عاماً الأخيرة من حياته فى طواف حول الأرض ولم يكف عن رحلاته وأسفاره الا بعد ان وقف يحتفل بعيد ميلاده التسعين .

محمد أمين عيســوى
جمهورية مصر العربية

أسماء الفائزين

● الفائز بالجائزة الاولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القاريء : النعمة احمد محمد توم ـ الجمهورية العربية اليمنية .

● فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف عام القارئة : صفية عدنان محمد ـ قطر

● فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القاريء: سعيد فهمي عبد الخالق ـ مصر

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ عدلة محمد عطية ـ قطر
٢ ـ زهير صادق الرمحي ـ الكويت
٣ ـ خالد ابراهيم المناعي ـ البحرين
٤ ـ السيد محمد القاضي ـ المغرب
٥ ـ اروي عبد الغني محمود ـ الاردن
٦ ـ عادل احمد عيسى الأمير ـ السودان
٧ ـ سماح حسن المهدي ـ الامارات
٨ ـ صبحي عبد الحميد بطيش ـ مصر
٩ ـ احيمر علي احيمر ـ السودان
١٠ ـ مصطفى عبد الحق الغصين ـ الولايات المتحدة الامريكية .

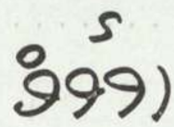
استراحة الدوحة العدد ٨٤

٥ ـ لاقوياء الملاحظة الحل :
غصن زيتون ـ صينية تقديم ـ دبوس مشبك ـ كاس ـ ساعة معصم ـ قلم حبر .
الفائز : الشاذلى محمد فرج / مصر
الفائز : العيادى سعيد / المغرب
٦ ـ يخلق من الشبه اربعين : رقم (٤)
الفائز : صباح سالم ناصر / الامارات العربية
الفائز : ماريا محمد النور / اليمن الشمالى
٧ ـ اجمل تعليق : أكيد اللوزتين دول بتوع السيد قشطة .
الفائز : طارق الشربينى السيد ابراهيم
التعليق : لا مش اللوزتين .. دول زوج فراخ لازقين فى زورك .
الفائز : أيوب علي عمر / ليبيا .

استراحة الدوحة



مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :



أصل وصورة





بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيري .. هناك سبعة اختلافات طفيفة .. هل تستطيع التعرف عليها .. ؟ الجائزة (٦٠ ريالا)

لأقوياء الملاحظة فقط!



أمامك رسوم لسبعة أشياء متداخلة .. هل تستطيع التعرف عليها ..؟ إذا عرفت الحل ارسله إلينا ولك جائزة (٦٠ ريالا) .

المثل يقول



إن هذا الرسم الكاريكاتيري يعبر عن مثل شعبي عربي معروف .. حاول معرفته ولك جائزة (٦٠ ريالا) .

لعبة الظلال



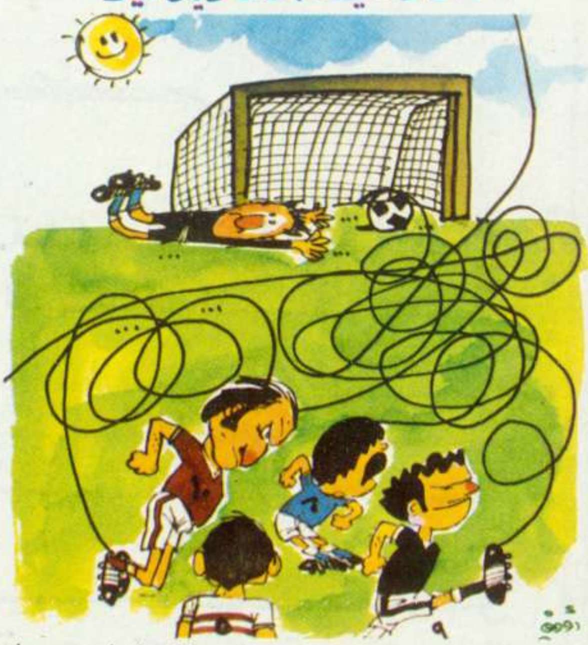
● هل تستطيع أن تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقي ؟ .. إذا عرفت .. ارسل الحل إلينا ولك جائزة (٦٠ ريالا) .

هات أجمل تعليق :



حاول أن تجد تعليقاً خفيف الظل على هذا الكاريكاتير لتفوز بجائزة (٦٠ ريالا) على أن تكتب أعلى الظرف مسابقة اجمل تعليق ! .

دوري الكاريكاتير



● اقتحم احد اللاعبين ارض الملعب كالصاروخ .. وسجل هدفاً قوياً فى مرمى الخصم .. هل تستطيع أن تعرف رقم فانلة صاحب الهدف بدون الاستعانة بالقلم أو أصبعك ؟ .. إذا استطعت فجائزتك هي .. شهادة منا بانك قوي التركيز .. والملاحظة ..

يخلق من الشبه أربعين



الصور الست المنشورة لستة اشخاص يشبهون الكاتب البريطاني الشهير « شكسبير » .. من بين هذه الشخصيات واحدة فقط تشبهه تماماً ، وفي البقية اختلافات بسيطة ، إذا استطعت التعرف على شبيه الكاتب الكبير .. ارسله إلينا لتحصل على جائزة (٦٠ ريالا) .



إرو عطشك مع تيم



الاستعداد لسباق الهجن

للفنان : ماجد هلال

العدد ٨٧ - جمادى الأولى ١٤٠٣هـ - مارس ١٩٨٣م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

جزء خاص عن قطر: بمناسبة ذكرى ٢٢ فبراير



● قضيّة الشهر:

١٠ اتهامات ضدّ المثقفين العرب

بقلم: د. محمد جابر الأنصاري

● الأزهر: سيرة وتحيّة

بقلم: خالد محمد خالد

● جمال عبد الناصر والألمان

بقلم: د. السيد فهمي الشناوي

في خطى السندباد: رحلة السفينة "صحار" من عُمان إلى الصّين


بيبسي
إجعَل نهارك عيد مَع
بيبسي

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٨٧ - جمادى الأولى ١٤٠٣هـ - مارس ١٩٨٣م

المراسلات:

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تيلكس : 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
مدير التحرير : ٤٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٣٢٧٥٣٨
القسم التجاري : ٣٢٧٥٣٩

جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

الاشتراكات:

داخل قطر ٦٠ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٦٦ ريالا قطريا
باقى الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها .
فى باقي دول العالم ٧٢ ريالا قطريا .
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٢٥ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٣٢ ريالا قطريا
فى باقي دول العالم ١٤٠ ريالا قطريا

الإعلانات:

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار:

قطر	٥ ريالات
البحرين	٣٠٠ فلس
الامارات العربية	٥ دراهم
عمان	٢٥٠ بيسة
الكويت	٣٠٠ فلس
السعودية	٥ ريالات
الجمهورية اليمنية	٣٠٠ فلس
اليمن الديمقراطية	٣٠٠ فلس
العراق	٣٠٠ فلس
المملكة الأردنية	٢٥٠ فلسا
سوريا	٢٥٠ قرشا
لبنان	٢٥٠ قرشا
مصر	٢٠٠ مليم
ليبيا	٤٠٠ درهم
السودان	٢٥٠ مليما
تونس	٤٠٠ مليم
الجزائر	٤ دنانير
المغرب	٤ دراهم

باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين أمريكيين

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

● **السودان**
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم

● **مصر**
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء - القاهرة

● **سوريا**
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكة - تجاه ثانوية فايز منصور
ص . ب ٤٩٠٢ - دمشق

● **العراق**
الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة
ص . ب ٦٢٤ - بغداد

● **ليبيا**
المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازى : ص . ب ٣٢١ - بنغازى

● **الاردن**
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب ٣٧٥ - عمان

● **البحرين**
دار الغد
١ شارع المعارف - بناية الدرازى
ص . ب ٥٠٥ - المنامة

● **سلطنة عمان**
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر
ص ب ١٠١١ - مطرح
مسقط

● **تونس**
الشركة التونسية للتوزيع
٥ شارع قرطاج .
ص . ب ٤٤٠ - تونس

● **السعودية**
مؤسسة الجريسى للتوزيع والاعلان
ص ب ١٤٠٥ - الرياض
مكتبة ومطبعة ضياء - المدينة المنورة

● **الكويت**
شركة دار الكويت للصحافة
ص . ب ٢٣٩١٥ - الصفاة
الكويت

● **لبنان**
الشركة العربية للتوزيع
ص . ب٤٢٢٨ - بيروت

● **الجمهورية العربية اليمنية**
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء

● **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية**
مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع
ص . ب ٤٢٢٧ - المحافظة الاول
عدن

● **الامارات العربية المتحدة**
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام - عمارة ثانى بن محمد
ص . ب ٧٩١ - ابو ظبى .

● **المغرب**
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ص . ب ٦٨٣ - الدار البيضاء
MAROC :
SOCHEPRESS
B. P. No 683
CASABLANCA.

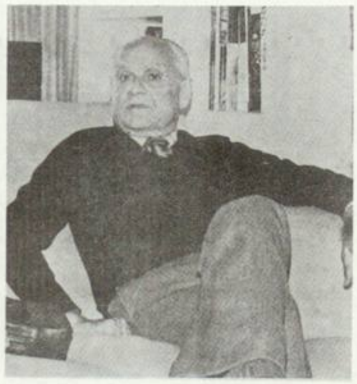
● **الجزائر**
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر
ALGERIE
S. N. E. D.
20 RUE DU LIBERTE
ALGER.

طبع من هذا العدد ١٠٠,٠٠٠ نسخة

● جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
● الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر عن رأي وزارة الإعلام
● المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

في هـذا العـدد



مع أديب إيطاليا
البرتو مورافيا ص ٢٠



جميل صدقي الزهاوي بين
همومه وهموم الوطن ص ٦٤



غاندي على الشاشة .. وقصة عشرين
عاماً مع الانتظار والاعتراضات ص ١٦٤

● دراسات ومقالات ●

● الآباء والأبناء ....
د. عبد السلام العجيلي ٦

● الأزهر في عيده الألفي.....................
خالد محمد خالد ٨

● خواطر تسر الخاطر ....
زكريا تامر ١٢

● عبد العزيز جاويش : عمامة ثائرة ومثيرة............
فتحي رضوان ١٤

● الانسان رقم ١٤٧٠ ! ....
عبد الله الجفري ١٨

● قصة مخطط صهيوني فاشل لانشاء مستعمرة يهودية في استراليا ....
محمد يوسف عدس ٢٤

● قصص من واقعنا ....
درويش مصطفى الفار ٣٢

● عبد الناصر والألمان ....
د. السيد فهمي الشناوي ٤٦

● رؤية المخابرات الأمريكية لمشكلة فلسطين ....
د. عاصم الدسوقي ٦٨

● استنكار البدعة وكراهة الجديد ، موقف اسلامي أم جاهلي
حسين أحمد أمين ٧٤

● الصداقة عند الحيوان ....
د. عز الدين فراج ١٢٦

● توحد الخلق في فكرة .. ثم شفرة ! ....
د. عبد المحسن صالح ١٢٨

● تشايكوفسكي : عبقرية انسانية لامعة بين الجنون والحب والفن ....
عبد القادر عقيل ١٣٤

● سارق النار وملهم الأشعار ....
د. أحمد عتمان ١٤٢

● رسائل غير عادية..........................
معروف رفيق ١٤٧

● شئون الخليج ●

● جارودي في الدوحة ....
وضاح طهبوب ٢٨

● عشرة اتهامات ضد المثقفين ....
د. محمد جابر الأنصاري ٣٦

● المثقفون وشهادة دامغة ضدهم ....
محمد سعيد طيب ٤٤

● أول مركز لتوثيق الاعلام لدول الخليج العربية ....
مريم آل سعد ٦٠

● جزء خاص عن ٢٢ فبراير بمناسبة الذكرى الحادية عشرة لتولي صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني مقاليد الحكم في قطر ٨٢

● في خطى السندباد ، رحلة السفينة صحار من عمان إلى الصين ....
ترجمة : محمد العزب موسى ٩٩

● رحلة نقدية مع كتب الأطفال في قطر ....
عبد الرحمن المناعي ١٢٠

● أدب وفنون ●

● مع أديب إيطاليا المرموق البرتو مورافيا..........
مفيد فوزي ٢٠

● نهاية الرحـــلة ... (قصيدة) ....
حسن شكري فلفل ٣٥
● المرقش فى رحلته الاخيرة .. (قصيدة) ....
عبد الرحيم عمر ٥٢
● خان الورد ... (قصة) ....
وليد اخلاصي ٥٤
● اضاءة ٧٧ وشعراء السبعينات ....
ماجد يوسف ٥٨
● جميل صدقي الزهاوي بين همومه وهموم الوطن ......
حارث طـه الراوي ٦٤
● الرصاصة ... (قصيدة) ....
د. انس داود ٦٧
● الوداع الأخـير .. (قصيدة) ....
العوضي الوكيل ٧٨
● مسافة طويلة إلى المطـار ... (قصة) ....
سعد مكاوي ٨٠
● لقاء مع الفنانة الفلسطينية لطيفة عبد الرحمن ....
بشرى ناصـر ١١٢
● توهج ... (قصيدة) ....
شهاب غانم ١١٥
● موقف الشـذى ... (قصيدة) ....
حسن طـلب ١١٨
● أبجدية : م . ص ... (قصيدة) ....
محمود صفر ١١٩
● غاندي على الشاشة.........................
رءوف توفيق ١٦٤

● أبـــواب ●

● دائرة المعارف القرآنية : الشـح ....
د. محمد البهي ٧٧
● من روائع الفن العالمي : جماعة باربيزون ، معزوفـــة الطبيعة فى وجدان الفنان ....
جمال قطب ١١٦
● لقطات من الكون المثير ١٢٤
● أقلام جديدة : الصغير والبحر ومسرحية من فصل واحد .
صالح احمد المناعي
تعقيب د. محمد كافود ١٣٨
● كتاب الشهر : ذكريـات ووجوه ....
عرض سمير عوض ١٤٨
● أوراق خضراء ١٥٥
● العلم هو المستقبل ....
لبنى الريدي ١٦٢
● ضحكات الشهر ....
صلاح الليثي ١٧٠
● دوحة القراء ١٧٢
● استراحة الدوحة ....
رءوف ١٧٦

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

مدير التحرير : عبد القادر حميدة
المدير الفني : أحمد فاضل
المحرر العام : كمال سعد

التحرير : النور عثمان أبكر
ليلى الحريري
مريم آل سعد
سنان المسلماني
نادية رزق
ممدوح عبد الرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا
الإشراف الفني : نائلة محمد فتحي
سكرتيرا التحرير الفنيان : أحمد عبد الله
علي دياب
البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي
التصوير : أمين بدوي الحامدي

المدير الإداري والمالي : عبد الله جابر

الآباء والأبناء

بقلم: الدكتور عبد السلام العجيلي

كلما جئت المدينة الكبيرة زائراً وجدت فيها صديقي غ . غارقاً في هم جديد . إنه ممن فطروا على أن يروا الحياة دوماً من جانبها القاتم ، وأن يلتمسوا في كل ما يسمعون نذر الشر . جلست منذ أيام إليه في مقهانا المعتاد فرأيته يطيل التفكير ساهماً . ولما سألته عما يشغل باله هذه المرة قال :

ـ إنه هم الأولاد : صبيان أكبرهما يتم دراسته الثانوية في العام القادم ، وبينهما بنت .

قلت : وأي هم لهم تشكو أنت منه ؟ حالك والحمد لله ميسورة . وهم في ميعة الصبا وتمام الصحة ، هانئون بحياتهم .

فزفر وقال : كأنك لا ترى الدنيا حولنا .. غابة والناس فيها ذئاب مفترسة . كيف آمن على أبنائي في هذه الغابة ؟

قلت له : هون عليك . ليس أبناؤك أعواداً هشة ، ولا الدنيا بالسوء الذي تتصوره .

قال : أنت امرؤ مطبوع على التفاؤل . ومع ذلك لا أظنك تخالفني في أننا نعيش في أيام ليس أسوأ منها أيام . تطلع حولك تر المجتمع في تفكك والأخلاق في تدن . أي حياة هذه اذا كان البائع يغشك ، وأينما توجهت وجدت أن حوائجك لا تقضى عند من بيده الأمر إلا إذا دفعت ، طوعاً أو كرهاً الهبة التي تفرض عليك ؟ .. فقدت الثقة بين الناس وعم الكذب . في أيامنا السالفة كانت الكلمة الملفوظة تقيد صاحبها ، واليوم يتحايل المتعاقدون على المواثيق والعهود المكتوبة ليكسبوا فلساً زائداً . كيف يستطيع أولادي ان يشقوا طريقهم في هذا العالم الموحل ؟

ابتسمت لمرارة غ في تعابيره وقلت له :

ـ اسمع يا صاحبي . حتى اذا وافقتك على ما تصف به هذا العالم من سوء ، فان سوءه يقع عليك أنت لا على أبنائك .

قال : كيف ؟ إني لا أفهم .

قلت : أنا وأنت يا أخي نشأنا وعشنا زهوة حياتنا في الأيام التي وصفتها بأن الكلمة الملفوظة كانت فيها عهداً موثوقاً على صاحبها . صلب عودنا وتيبس هيكلنا في المشي في دروبها الجديدة . أما جيل هذا الزمان ، أبنائي وأبناؤك ، فما تراه أنت شاذاً من أمور الدنيا يرونه هم عادياً .. ذلك لأنهم فتحوا أعينهم على رؤية هذا الشاذ سائداً ومقبولا .

قال : ولكن الحلال بين والحرام بين . الأمور في هذه الأيام حائدة عن الطريق المستقيم ، وأنا أخشى على أبنائي منها .

قلت : لا تخش عليهم من شيء . نفوسهم وضمائرهم لا تزال عجينة لينة ، وهم قادرون على التكييف مع الظروف التي تحيط بهم .

قال باستنكار : تعني بهذا أن يكونوا مثل غيرهم ... يخادعون وينافقون ، ويعملون بغير ما يعتقدون لكي يكسبوا عيشهم أو ترف حياتهم . أنا لا أقبل بهذا . لقد ربيتهم على الصدق والاستقامة ، وسأحول دون فسادهم .

ضحكت للهجة غ . المتعنتة وقلت له : إذن تتعب نفسك وتكون كما قال الأول :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها
فلم يضرها ، وأوهى قرنه الوعل

• •

كنت في الواقع أقول ما أقوله لصاحبي لا إيماناً مني بما أعارضه فيه ، بل محاولا إخراجه من وساوسه التي أراه غارقاً فيها بسبب أو دون سبب كلما لقيته . إلا أن كلماتي لم تفد في تعديل مزاجه ، اذ زاد سهوماً على سهومه كأنما تأكدت بها سوداويته أو أنها حققت تشاؤمه . قلت له :

ـ أنت مخطىء في إصرارك على أن تلزم أبناءك بعقليتك أنت . بل انك في هذا تخالف ذوي الألباب والصالحين من الأولين . تذكر ولاشك كلمة علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، المشهورة : لا تقسروا أولادكم على أخلاقكم ، فانهم خلقوا لزمان غير زمانكم ...

قال : وهل تعتقد ان سيدنا علياً يعني بذلك ان يجاري الأبناء الزمان في فساده ، لا سيما إذا بلغ المرحلة التي بلغها في هذه الأيام ؟

قلت : اسمح لي . إذا كنت تعتقد بأن فساد الزمان مقتصر على أيامنا فانك واهم . الشكوى من الزمان يا عزيزي قديمة قدم الانسان . أنت على ما أعرف جيد الاطلاع على شعر الأوائل ، وتعلم أنه ما من ديوان من دواوين الشعر القديمة يخلو من باب عنوانه : شكوى الزمان . خذ مثلا إليك أبا العلاء . إن له بيتاً كأنه يخاطبك فيه محذراً من تطلبك للاستقامة في كل الأمور وإلا انتهيت نهاية من سماهم هو بالحكماء .

قال : أي بيت تعني ؟

أجبته : أعني بيته المشهور :

غلب المين منذ كان على الخلق
وماتت بغيظها الحكماء ..

وتتخوف أنت من أن يقول أبناؤك ، وأن يعملوا بغير ما يعتقدون ... اطمئن ، لقد فعلها معاصرو أبي العلاء أيضاً ، منذ ألف عام . ماذا تصنع الرعية المسكينة اذا كان الأمر كما قال رحمه الله .

جلوا صارماً وتلوا باطلا
وقالوا صدقنا ، فقلنا نعم !

وهنا قال غ . محاولا أن يجد ثغرة في ما أحاجه فيه :



أبو العلاء المعرى — ابو نواس — المتنبى

– ألم تجد غير صاحب اللزوميات تستشهد به ؟ انه رجل موتور ، ونقمته على اولي الامر نقمة بسيكوباتية مردها إلى عماه ولزومه محبسه ...

اجبته : ما قولك اذن بالمتنبي الذى وصف من بيدهم الحل والربط فى ايامه بقوله :

في كل ارض وطئتها امم
ترعى بعبد كانها غنم
يستخشن الخز حين يلمسه
وكان يبرى بظفره القلم

خذ مثلا ذلك العابث الماجن ابا نواس . حتى هو شكا دنياه فى اشعار كثيرة خلاصتها قوله :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو فى ثياب صديق .

ما عليك إذن يا صاحبى إلا ان تقر معي بأن دنياك اليوم ، اذا لم تكن أحسن من دنيا الذين سبقونا ، فانها ليست أسوأ . امح هذا العبوس من وجهك اذن ، وابتسم للحياة ابتسامتي انا لها .

• •

ولم تفلح كل شواهدى الشعرية هذه فى اقناع صديقي غ . او فى تهوين قلقه . فتحولت ، فى محاولتى التسرية عنه ، إلى أسلوب آخر . قلت :

– تريد الصحيح ؟ معرفتى بمفاسد هذه الأيام ، وبسيئات أهلها ، لاتقل عن معرفتك ولكن أعيننا إذا كانت بها بصيرة فان ايدينا عن اصلاحها قصيرة . وعبثا نقسر اولادنا على مخالفة تيار الواقع . اولى لنا ان نقنع انا وانت وابناء جيلنا ، بما يكشفه واقعهم عن سعادتنا التى كنا عنها غافلين .

قال غ . فى شبه احتجاج : سعادتنا ؟ أى سعادة تعنى ؟

فاجبته بقولي : احلم عليّ قليلا ، ارجوك كنت منذ ايام فى نقاش مع بعض فتياننا ، فى ندوة دعيت الى التحدث فيها . هؤلاء الشباب ، ممن هم فى عمر اولادى واولادك ، ثقتهم بأنفسهم كبيرة ، وعندهم أن لا صواب إلا فى ما يرتأونه . تطرقنا فى حديثنا إلى السياسة والى حاضر امتنا المؤسي فيها . ومن نقاش إلى نقاش ، وجدتني اقول بانى من جيل يجد نفسه من أسعد الأجيال العائشة حاليا على ارضنا .

ولما سئلت عن هذا القول أجبت بان جيلنا من الناحية القومية ، عاصر حركات النضال ضد الأجنبى المحتل والمستعمر وجاهد لاجلائه عن أرض الوطن ، فى مصر والعراق وسوريا . فى سوريا ، مثلا ، كنا نحارب فرنسا . ومن هى فرنسا آنذاك ؟ إنها إحدى أكبر دولتين فى العالم ، جيوشها جرارة ومكانتها السياسية لاتدانيها مكانة بعد خروجها ظافرة من الحرب العالمية الاولى . ومع ذلك كنا ، نحن صبيان المدارس ، نتحداها ونهاجم دباباتها بالحجارة بينما كان مجاهدونا يصاولون جيوشها فى كل بقعة من بقاع البلاد . كانت انتصاراتنا مهما كانت من الضآلة ، تملأنا فخاراً . ولكنا ، حتى فى خسائرنا ، كنا نظل مرفوعى الرؤوس كبرياء واعتزازاً ، فما كان عار علينا ونحن الضعاف العزل ان نخسر المعارك أمام تلك الدولة الجبارة ..

وهنا قاطعنى غ . قائلا ، بصوت عال ولهجة حارة :

– وانتصرنا فى النهاية ، نحن الضعاف العزل . ألم تقل هذا لأولئك الفتيان ؟

سرنى من صاحبى هذا الحماس المفاجىء ، فاجبته :

– لم يكن هذا كل ما قلته لهم ، كما أنى لم احدثهم عن السياسة وحدها . لقد عددت لهم ماذكرته انت من صور السلوك التى سادت أيامنا ، حين كانت الثقة قائمة بين الناس والأمانة سائدة ، وحين كان المواطن يخشى على سمعته من الوصمة المشينة التي تلحقها اذا اتهم بالبعد عن الاستقامة او بتقبل الرشوة او الوساطة . وقلت لهم : كنا نرثي لانفسنا لما عشناه من أيام سود تحملنا فيه المشاق والتضحيات وعسف المحتل الطاغي ، فلما رايناكم يا ابناء هذا الجيل تَبَيَّنَّا كَمْ كُنَّا سعداء . فانتم منذ عشرات السنين تنحدرون من خسارة إلى هزيمة ، وتتسابقون فى مهادنة العدو والاستسلام اليه . ومن هو هذا العدو ؟ ليس عدوكم واحدة من عظام الدول التى كنا نقارعها فى ايامنا ، بل شراذم نبذتها سائر الامم فى مختلف عهود التاريخ واحتقرتها ، وشردتها وذبحتها . اتنكرون انكم تقفون هذه المواقف أمام الدولة المسخ التى اسمها اسرائيل ؟

قاطني غ . مرة اخرى قائلا : كلامك صحيح مائة بالمائة . كل الحق معك .

نطق بهذه الكلمات فى اندفاع وبلهجة تفيض بالثقة . ابتسمت وحدثت نفسي ، راضيا عنها ، بأني استطعت فى النهاية ان اخرج صاحبي من سوداويته . واضفت اقول :

– هذه هى سعادتنا التى سألتني عنها والتى يجدر بنا ان نقنع بها تاركين ابناءنا لزمانهم بعجره وبجره . الست معى فى هذا ؟

فأجابنى بقوله : انا معك ، ومع سيدنا علي فى نصيحته : لا تقسروا أولادكم ... ولكن ...

فقاطعته أنا فى هذه المرة قائلا : أرجوك ... اترك « ولكن » هذه الى لقاء آخر ، فأنا على موعد فى هذه الساعة ... والى اللقاء .

وفارقت صاحبي معجلا ، خوفا من ان تقودنا « ولكن » الاستثنائية هذه الى استعراض هموم جديدة . فقد كنت اعرف هشاشة حججي التى اقنعته بها ، والتى كنت انا أعصى على الاقتناع بصوابها من صديقي غ . على الرغم من طبعي المتفائل ومن تشاؤمه هو وكثرة وساوسه .

الأزهر في عيده الألفي

سيرة وتحية

بقلم : خالد محمد خالد

فى جلال المشيب ، وروعة الخطيب ، يقف الأزهر المعمور شامخاً كالزمن ، عبقاً كالتاريخ تصغى الدنيا لمنابره ، وتتضمخ بمآثره ..

عظيماً والله كان .. وسيظل عظيماً كما كان !!

يالروعة تاريخه .. أكثر من ألف عام وطلاب العلم والمعرفة من كل صقع يغدون إليه جياعاً ، ويروحون عنه شباعاً .. يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون .

حقب تتلوها حقب . وأبو الجامعات وأولها غير مزاحم ، ينشر النور .. وحول أعمدته الذكية الشاهقة تنبث حلق العلم ، وهو يضم إلى صدره الحنون جميع الذين ولوا وجوههم شطره يسئلونه المعرفة ، فيعطى بغير مَنٍّ . وبلا حساب !!

ما أراده أحد بسوء إلا كبه الله على وجهه ، وأطاش سهمه وخيب فأله .

لكأن الله قد اصطنعه لنفسه ، ورعى حرمته ، وبارك دوحته ، وقال له : عش وعلم ولا تخف ، فانك بأعيننا !! .

وإذا كان المسجد الأقصى ثانى القبلتين ، فالأزهر المعمور ثالث القبلات .

فزهاء ألف عام وأكثر ، وهو قبلة طالبى العلم ، ومنبت حفظة الدين ، وحارس الثقافة الاسلامية عبر القرون .

هذه الثقافة التى تنقلت بين قرطبة وغرناطة وبغداد ، ثم ألقت عصاها واستوت على الجودى بالقاهرة التى لبثت منذ العهد البعيد والى اليوم عاصمة الثقافة الاسلامية ، لا لشىء إلا لأن الأزهر فيها يروى الظِّماء ويغذى الخماص ، ويقف حارسا يقظان لثقافة الاسلام وشريعته وتقاليده .

• •

وإذا كانت السيرة هى المسيرة ، فلنطالع سيرة الأزهر من خلال مسيرته عبر القرون .

فى ١٨ سبتمبر ١٩٤٢ ، كان قد مر على إنشاء الجامع الأزهر ألف عام .. وفى عام ١٩٤٦ ، كان قد مر على افتتاح الدراسة فيه ألف عام . أى أن التوقيت المناسب للاحتفال بعيده الألفى قد مضى منذ أربعين عاماً .

والأزهر من غرس الدولة الفاطمية . ولقد سبقه الى الوجود ، ثلاثة جوامع كبيرة كان لكل منها دوره التاريخى : جامع عمرو ... وجامع العسكر ... وجامع ابن طولون ..

وقد آل أمرها جميعاً الى مجرد مساجد للعبادة ، وشواهد على المعمار الاسلامى والآثار الاسلامية . بينما بقى الأزهر الذى شيد بعدها شمساً فى سماء الاسلام : حضارته ، وعلومه ، وأمجاده ..

كان الفاطميون قد دخلوا مصر «الفسطاط» فى ٧ يوليه عام ٩٦٩ ، وأسموا المدينة الجديدة التى انشأوها «القاهرة» وردوا بفتحهم هذا خطر القرامطة عن مصر كلها ، وانشأوا المسجد الجامع وأسموه «جامع القاهرة» الذى سمى فيما بعد بالجامع الأزهر . ربما تيمنا باسم بنت رسول الله السيدة فاطمة الزهراء التى كانوا يحملون اسمها .

واصْطُبِغ الأزهر فى بدايات أيامه ليدرس المذهب الشيعى ويصون تراثه . وكأن الله قد اختاره لأكثر من هذا ، فما فتىء حتى فتح أبوابه لعلوم القرآن والسنة والفقه وللمذاهب السنية .

ورُصِدَتْ له الأوقاف الكثيرة يستظل بمظلتها طلابه ، فيتعلمون ، ويطعمون ، ويكتسون ، وانشئت به الأروقة لسكناهم ، كما أقيمت حوله مساكن للأساتذة والعلماء .

وعلى الرغم من أنه انشىء ليكون مظهر سلطان الفاطميين الدينى والمذهبى إلا أنه سرعان ما تخطى هذا الوضع وبدأ دوره كجامعة سيكتب لها الخلود فى تاريخ العلم والفكر .

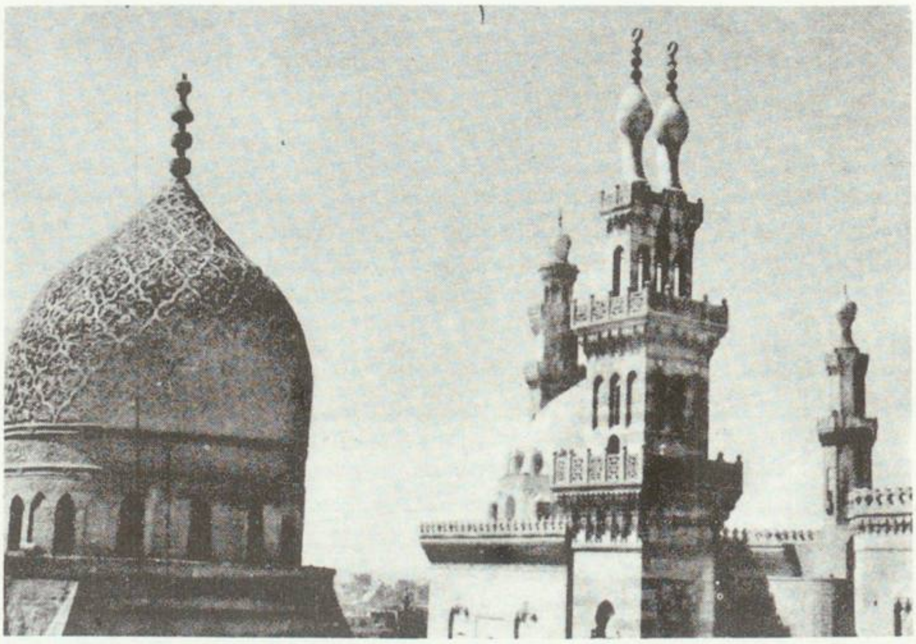
وإنا لنتطلع الى ما وراء ألف وأربعين عاماً مرسلين تحيتنا الى أول حلقة علمية شهدها الأزهر العظيم حيث جلس قاضى القضاة أبو الحسن علي بن النعمان القيروانى يقرأ مؤلفاته فى فقه الشيعة .. وحيث كان «يعقوب بن كلس» وزير المعز فالعزيز يحاضر فى الأزهر جموعاً كبيرة من الأدباء والعلماء والفقهاء والقضاة وخاصة الناس وعامتهم ، وحيث كان بنو النعمان يقومون بدورهم فى تعليم الطلاب والوافدة .

وفى العيد الألفى للأزهر نزجى تحية خاصة الى الوزير «يعقوب بن كلس» الذى كان يهودياً وأسلم .. فقد كان وراء كل خطوة خطاها الأزهر الى الأمام ليكون جامعة تنشد العلم والنور ، وكان يحاضر طلابه ــ كما أسلفنا ــ ويدرس لهم مؤلفاته فى القراءات والفقه والسنة وفقه الشيعة .

• •

فى عهد الحاكم بأمر الله ظهر للأزهر منافس قوى تمثل فى «دار الحكمة» التى لم يبخل عليها الخلفاء بمال ، وجعلوا منها جامعة كاملة ، وسارت سمعتها مسرى الريح فأمها طلاب العلم من كل واد . وكانت جامعة حرة تدرس فيها النظريات الفلسفية الى جانب المبادىء المذهبية ، وأعدت لتخريج الدعاة ، وصار لها مناهج سرية . وكان من بين تلامذتها ناصرى خسرو الشاعر الفارسى ، والحسن بن الصباح مؤسس طائفة الاسماعيلية الباطنية .

بيد أن ظهور هذا المنافس القوى



الأزهر الشريف .. قصده طلاب العلم والمعرفة من كل مكان لأكثر من الف عام .

للأزهر كان نعمة ساقها الله اليه .. فحين بدأت دار الحكمة تتخصص فى المذهب الشيعى ، وفى خلق الدعاة له ، وفى التعاليم السرية للمذهب وللدولة ، كان الأزهر يتحول من بقايا هذا الالتزام ليتحول الى جامعة اسلامية خالصة للاسلام كله بعيداً عن الالتزام المذهبى والتعصب السياسى متفرغاً لعلوم القرآن والسنة والفقه واللغة وتخريج علماء على مستوى الثقافة الاسلامية جميعها .

ولم يطل العمر بدار الحكمة التى عاشت قرناً واحداً من الزمان ، ثم اغلقت واندثرت بينما مضى الأزهر يستكمل اصالته وشموخه حيث ظل وسيظل الى ما شاء الله عظيما فى عطائه مستمراً فى نمائه .

● ●

فى أوائل القرن السادس الهجرى ، وبعد اغلاق دار الحكمة تالق دور الأزهر وانداحت فيه طرائق العلم ، وإذ ترك لأطلال دار الحكمة نشاطها السرى ، أخذ ما كانت تدرسه من فلك ومنطق ولغة ورياضة وطب وفلسفة وأدب وتاريخ ..

وإنا لنرسل تحيتنا خالصة ومخلصة للشيوخ والأساتذة الذين سهروا على تثقيف الطلاب والوافدين من مشارق الأرض ومغاربها .. ومن هؤلاء الشيوخ العلامة أبو الحسن علي بن ابراهيم الحوفى إمام العربية وصاحب كتاب إعراب القرآن ، وابن بابشاذ النحوى ، وأبو محمد عبد الله بن برى إمام اللغة فى عصره ، وأبو العباس أحمد بن هاشم المحدث وأبو القاسم الشاطبى إمام القراءات ، وفقيه مصر ومؤرخها الكبير الحسن بن زولاق ، والفقيه العلامة الحسن بن الحظير الفارسى أستاذ الفقه الحنفى والتفسير والرياضة وعلوم اللغة والتاريخ .. نحيي هؤلاء الرواد من الرعيل الأول الذى نهض بعبء التعليم فى الأزهر ، وأسهم بدوره فى جعله جامعة لم يكن يضارعها يومذاك جامعة أخرى فى الأرض .

● ●

لبث الجامع الأزهر زهاء قرنين في رعاية الدولة الفاطمية ، ونشاطه العلمي ينمو وينداح حتى أفل نجم الفاطميين في مصر ، وكان آخر خلفائهم العاضد لدين اللــه .

وجاء صلاح الدين يقود الأيوبيين إلى حكم مصر ، وعز على الحكام الجدد أن يبقى في مصر ما يذكر أهلها بالفاطميين ، لا سيما إذا كان هذا المذكِّر هو الأزهر بسمعته الواسعة وعظمته وسموقه .

هنالك منعوا صلاة الجمعة فى الأزهر انتقاصاً من هيبته ، وظل كذلك حتى عصر الظاهر بيبرس الذي رد إليه خطبة الجمعة وصلاتها .

وعلى الرغم من صنيع الأيوبيين ، فقد بقى الأزهر المعلم .. الأزهر الجامعة .. هادراً كالمحيط يكتسح من طريقه كل عائق ونَكِير !!

ومرة أخرى نتلفت إلى وراء لنحيي بعض أساتذته الأجلاء مثل « عبد اللطيف البغدادي » أستاذ علم الكلام والبيان والمنطق ، والعلامة الطبيب اليهــودي « موسى بن ميمون » الذي كان يلقى في الأزهر دروس الرياضة والفلك والطب . واعجبوا لسماحة الاسلام وسماحة الأزهر الذى ضــم بين أساتذته يهودياً .. !!! والشاعر الصوفى « عمر بن الفارض » أستاذ التصوف بالجامع الأزهر في ذلك الحين ، وشمس الدين بن خلكان صاحب وفيات الأعيان ، ومثلهم معهم من أفاضل الشيوخ.

● ●

في العصر الأيوبي شرعت الدولة في بناء المدارس والمعاهد . وكان ظهورها وانتشارها إحدى بركات الأزهر ، وكانا أثراً حميداً من آثاره المجيدة إذ ظل طوال القرون السالفة يحبب العلم الى الناس .. ولكن مرة أخرى شكلت هذه المدارس التى رَبَتْ ونَمت منافساً جديداً للأزهر .. بيد أنه بثقله التاريخي وبجلالة رسالته لم ير في تلك المدارس والمعاهد سوى بنين له وحفدة .. وكان بشمول مناهجه ، وبرصيده العلمي ثابتاً كالرواسي . ولبث طلاب العلم من مصــــر ومن شتى أقطار العالم الاسلامي يجدون فيه الأب الحاني ،والوطن الثاني ..

وسيبرز في هذه الفترة وما يتلوها علماء أجلاء نرسل إليهم تحيتنا العطرة منهم

الامام «علي بن يوسف الشنطوفي» وقوام الدين الكرماني » و « شـمس الديـــن الأصبهاني » الذي وصفه ابن بطوطة بانه « إمام الدنيا فى المعقولات» وتقي الدين المقريزي .

ثم يجيء الامام ابن حجر العسقلاني ، وابو العباس القلقشندي ، وابن تغريبردي ، وبـدر الدين العيني ، وشرف الديـــن المناوي ، وشمس الدين السخاوي ، وجلال الدين السيوطي ، وابن خلدون .. لقد صار للأزهر الزعامة الفكرية والثقافية في طول العالم الأسلامي وعرضه .. وينقل لنا الأستاذ المؤرخ « محمد عبد الله عنان » في كتابه « تاريخ الجامع الأزهر » تفسير المستشرق « فولرز » لهذه الزعامة فيقول :

« ومنذ عدة قرون يتفوق الأزهر على جميع معاهد العالم الاسلامي . ومن أسباب هذا التفوق عبث المغول وتخريبهم في البلاد الخارجة عن مصر .. والقضاء على الحضارة الأندلسية .. ويجب ان نضيف إلى ذلك موقع الجامع المتوسط وقربه من الحجاز ، وصبغته العربية المحضة ، وأهمية البلاد الاقتصادية ، والقارة الأفريقية العظمى التى تمتد فيما وراء مصـــر .. وأخيراً وهو اعتبار له خطره ـ الازدهار العقلي القديم الذي ترك في وادي النيل كثيراً من البذر الصالح لتقدم العلوم والآداب » .

• •

كان الأزهر في القرن التاسع الهجري قد جعل من القاهرة مهوى الأفئدة . وقبلة الوافدين .. كان هو الجامعة الأم ، وكان يقود نهضة فكرية عالية المستوى .. وكان التدريس فيه شرفاً لا يعلوه شرف .. وكان الأساتذة يعينون بمراسيم خاصة ، وكان يختار لهم من الألقاب أرفعها واعلاها مثل « الجناب الشريف » و « الجناب الكريم » و «جمال الاسلام والمسلمين» و «شرف العلماء العاملين» و «أوحد الفضلاء» و «قدوة البلغاء» الخ .. وعرف الأزهر أيامئذ نظام المعيدين . فكان لكبار الشيوخ معيدون يقومون بتلخيص الدرس بعد فراغ الأستاذ من إلقائه ، أو يقومون مقام الأستاذ فى إلقاء بعض الدروس والمحاضرات .

• •

وجاء الفتح العثماني لمصر ، فاحدث الكثير من التخريب .. وجمع الكتب من المكتبات الزاخرة وحملها الى استانبول ، وحمل معها جمهرة كبيرة من الشيوخ والعلماء ، وأخذهم عنوة إلى عاصمة ملكه .. بيد ان الأزهر رغم ما أصابه من هذه الغزوة المخربة ظل شامخاً مهيباً ، وغشيت قلوب الفاتحين غاشية من جلاله ، فلم يقربوه بسوء ، وظل يؤدي رسالته ويحمي لغة القرآن من صولة الفاتح المغير .

وكانت الزعامة السياسية فضلا عن الثقافية والدينية قد انعقد لواؤها للأزهر حين جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر بقيادة « نابليون بونابارت » ولم يجد الغزاة مناصاً من أن يتملقوا الشعب بوضع أموره بين أيدي علماء الأزهر الذين لم يفلحوا فى نهنهة الطامع الدخيل ، فتولى الأزهر كله علماؤه وطلابه قيادة الثورة بعد إشعالها فى أفئدة الجماهير . وصار الأزهر بصحنه الرحب الفسيح ملتقى الشعب الثائر . واستفز الأزهر نابليون ، فامر بان تنصب المدافع فوق جبل المقطم ثم تطلق نيرانها مع مدافع القلعة على الجامع الأزهر .

وتدافعت جموع الشعب من القرى والنجوع مسرعين لنصرة أهل القاهرة . وأمام الجامع الأزهر دارت معركة طاحنة بين الثوار والجيش الفرنسي بينما كانت مدافع المقطم والقلعة تدك حي الأزهر دكاً .. وانتصر الثوار وقتلوا قائد الجيش المهاجم « سلكوسكي» وكان من كبار قـواد نابليون .. واضطرمت مغايظ «بونابرت» فقرر احتلال الأزهر بفرسانه ومشاته وعاثوا في الشيوخ والطلاب والثوار قتلا وتنكيلا ، وقبض الغزاة المهزومون على طائفة من شيوخ الأزهر وطلابه ثم جردوهم من ملابسهم وأعدموهم ـ عراة ـ رمياً بالرصاص .. !!

نذكر من هؤلاء الشهداء بكل تجِلّةٍ وترضٍّ واحترام الشيخ سليمان الجوسقي شيخ طائفة العميان .. والشيخ أحمد الشرقاوي .. والشيخ عبد الوهاب الشبراوى .. والشيخ يوسف المصيلحي .. والشيخ اسماعيل البراوي .. هؤلاء الذين نحيي فيهم ومعهم الوف الشهداء من الذين قادهم الأزهر إلى الثورة الحرة الجليلة .

كما نحيي الشهداء الذين اتهموا بقتل «كليبر» خليفة «بونابرت» في حكم مصر وهم : سليمان الحلبي ، وعبد القادر الغزي ومحمد الغزي ، وعبد الله الغزي الذين حكم عليهم بالأعدام فوق الخازوق .

فالى أرواحهم الغالية نرسل كل التحيات والرحمات المباركات

ترى هل كف الغزاة عن مطاردة الأزهر في شيوخه وشبابه وطلابه وفي جموع الشعب التى استجابت لصيحة الثورة التى انبعثت منه كدقات الطبول وهدير المحيط .. ؟ وهل كف الأزهر عن مقاومتهم ؟. كلا .. ولقد خلف كليبر بعد مصرعه القائد الفرنسى الجنرال « منو » الذي بهرته صلابة الثوار فاعتنق الاسلام ، وأسمى نفسه « عبد الله جاك منو » ، وأعاد فتح الجامع الأزهر ليستانف رسالته ، ثم طرد الفرنسيون من مصر خزايا نادمين ..

ويذكر لنا الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الذي طلب العلم بالأزهر الشريف ثم صار من هيئة التدريس فيه .. يذكر لنا فريقا من العلماء الكبار الذين قاموا بتبعاتهم الجسيمة ضد الاحتلال الفرنسي ، وقد كان الجبرتي من علماء الأزهر النابهين . وهو مؤلف التحفة النادرة « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » وكتاب « مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس » .

• •

كان لشيوخ الأزهر مكانتهم .. وكانوا ذوي شخصيات باهرة وقوية لا تخاف فى الله لومة لائم .

ويقص علينا الأستاذ محمد عبد الله عنان نقلا عن كتاب ذخيرة الاعلام أن احد الشيوخ الأزهريين وهو الشيخ شهاب الدين احمد بن عبد الحق السنباطي قابل داود باشا أول مجيئه إلى القاهرة ، وكان السلطان التركي قد ولاه على مصر .. استقبل الشيخ الوالي وحوله جنوده المدججون بالسلاح وصلح فى وجهه :

« انت رقيق لا يجوز لك أن تتولى الأحكام ، وإن احكامك باطلة حتى تحصل على عتقك» ومن عجب أن حرس الوالي انحازوا للشيخ الجليل ، وأرسل الباشا الوالي نبأ هذه الواقعة إلى السلطان ، فانعم عليه بالعتق ، وأمره أن يبلغ شكره الى الشيخ .. وسعى الوالي إلى الشيخ طالباً رضاءه وقبل قدميه ورفض الشيخ ما حمله الوالي إليه من أموال وهدايا .. وكان هذا الشيخ الجليل

أول من لقب من شيوخ الأزهر بـ « شيخ الاسلام الامام » .. !!!

● ●

ونمت مكانة الأزهر فى الحياة العامة ، وكانت كبريات وظائف الدولة يتقلدها شيوخ من الأزهر لم يتخلوا بمناصبهم الرفيعة عن شرف الاستمرار فى التدريس بالأزهر .

كان القضاة الأربعة وقاضي القضاة من الأزهر . كذلك مناصب نواب القضاة ومنصب المحتسب .. وكان لكبار شيوخ الأزهر واساتذته نفوذهم الكبير الذي يصل في بعض الأحيان إلى التاثير فى تعيين الولاة وعزلهم .

وكان الأزهر موئلا وملاذاً ومسجداً حراماً يلوذ به المضطهدون السياسيون في بلادهم وكانت جماهير الشعب تستجير بعلمائه من كل حيف يقع عليهم من الولاة والحكام .

وعلماء الأزهر وشيوخه هم الذين ولوا « محمد علي » حكم مصر ومكنوه من عرشها بقيادة السيد « عمر مكرم » .

وعلى الرغم من أن « محمد علي » تنكر للأزهر وانتزع أوقافه وأوقاف المساجد ومواردها ، فقد بقى الأزهر كعادته صامداً يؤدي دوره الحضاري والثقافي والديني .. ولعب ابن الأزهر البار الشيخ «محمد عبده» مع استاذه السيد «جمال الدين الأفغاني» دورا مجيداً فى مقاومة الاستعمار وترشيد الفكر الديني .. ومن قلب باريس كانت مجلة «العروة الوثقى» تشعل النار ضد الاستعمار والتخلف والاستبداد وتهيب بالشرق المستعبد أن يستيقظ وينهض .

ويوم قامت الثورة العرابية كان فى طليعة رجالها علماء الأزهر وطلابه ، بل ان « احمد عرابي » نفسه كان ممن تلقوا العلم فى الأزهر المعمور .. وفى ختـــام القرن التاســـع عشر وبداية القرن العشرين تخرج الكثيرون من نوابغ الفكر والصحافة والأدب ـ منهم الشيخ حسن المرصفي ، والشيخ حسن الطويل ،والشيخ محمد عبده ، وسعد زغلول ، والشيخ علي يوسف ، والسيد توفيق البكري ، والشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي ، ثم جاء طه حسين ، واحمد أمين ، وأحمد حسن الزيات ، وعبد العزيز البشري ، ومصطفى عبد الرازق ، وعلى عبد الرازق ، والشيخ محمد مصطفى المراغي ، وكثيرون من قادة الفكر الاسلامي في المشرق العربي والمغرب العربي والهند .

● ●

وجاءت ثورة ١٩ ، فانتـفـضى الأزهر كعادته سيف الثورة ، وكان المحرض الأكبر عليها .. وكان ملتقى الثوار كل يوم . ومنه كانت تخرج المظاهرات الطامية لتلاقي جنود الاستعمار البريطاني بصدور مفتوحة للرصاص ، وأفئدة مشتاقة للشهادة .. !!

وعلى منبره التقى الشيخ والقسيس ، وكان الألوف من طلابه يتقدمون صفوف الثوار ، ويشعلون نار الثورة المقدسة فى القرى والمدن والنجوع .

وحاول الانجليز أن يصنعوا بالأزهر ما صنعه الفرنسيون من قبل ، لكنهم كانوا قد حذقوا الدرس الذي لقنه الأزهر والشعب للغزاة السابقين ، واكتفوا بمحاصرته ومنع الاجتماع فيه ثم ذهبوا إلى شيخه يومذاك الشيخ «أبو الفضل الجيزاوي» وطلبوا منه إغلاقه وتعطيل الدراسة فيه فرفض في إباء .

● ●

ومضت السنون والأزهر يحتضن بين ذراعيه العلم ، والحرية .. وأدخلت عليه التنظيمات الجديدة ليساير موكب التقدم الهادر ، وليظل متمكناً من أداء دوره الحضاري في بث العلم والحفاظ على الدين . حتى جاءت ثورة الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢ ، فأدخلت عليه تطويراً كبيراً وعميقاً .

وهنا يحق لنا ان نتساءل : هل هذا الذي حدث كان تطويراً ، أم تغييراً .. ؟؟

إن الفارق بين الأمرين ، أن التطوير هو إنماء الشيء داخل خصائصه ومكوناته ..

أما التغيير فهو خروج الشيء عن خصائصه ومكوناته .

ونحن إذا أخذنا بالمفهوم المحدود لكلمة الثقافة والعلم قلنا : إن ما حدث كان تغييراً لا تطويراً ، لأن الأزهر إنما أعد وهيىء ليصون التراث الاسلامي من عقيدة وشريعة ولغة . وكان هذا يتفق مع تقسيم نشاطه العلمي إلى ثلاث كليات ـ كلية أصول الدين ـ وكلية الشريعة ، وكلية اللغة العربيـــة .

أما إذا أخذنا بالمفهوم الواسع للثقافة والعلم قلنا : إن ما حدث هو تطوير لا تغيير ، لأن الأزهر في قديم أيامه نبغ في تدريس كل مجالات الثقافة والعلوم ، ولقد رأينا كيف كانت كل العلوم تدرس فيه من منطق وفلسفة وتاريخ وطب وفلك ...

فاذا بسط اليوم جناحيه محلقاً في آفاق المعرفة كلها . فذلك خير لا ريب فيه .

كل ما ينبغي تحقيقه لكي نظفر بمزايا التطوير دون الجنوح إلى التغيير أن تظل جامعة الأزهر بحيث تستقبل في جميع كلياتها أبناء الأزهر الحقيقيين الذين تلقوا دراستهم الابتدائية والاعدادية والثانوية في المعاهد الأزهرية حيث يستطيعون فيما بعد وبعد تخرجهم من الجامعة أن يكونوا بحق خريجي الأزهر الشريف .. ولعل هذا ما اتجهت إليه مشيئة القائمين على الأزهر وجامعته أخيراً .

أما طالب الثانوية العامة ، فبعيد عن طاقته أن يلم بالثقافة الاسلامية والأزهرية مهما نحاول أن نملأ عقله بهذه العلوم فى سنة اعدادية يستقبل بعدها الكلية التى يكون من حظه الدخول فيها .

كما ينبغي أن تزخر جميع كليات الجامعة الأزهرية من هندسة وطب وتجارة وغيرها بالعلوم الدينية واللغوية حتى تكون امتداداً لبعض ، أو لأكثر ما تلقوه في المعاهد الأزهرية وبذلك يصبح التطوير خيراً وبركة على الأزهر والوطن وأبنائهما .

● ●

● ●

وبعد ، فهذه السطور تحية نزجيها لأبينا الكبير الأزهر الشريف واهبين كل حجر فى بنائه العريق حبنا وتكريمنا . داعين له بطول العمر فى خدمة الدين واللغة والعلم .. هاتفين له : أن طبت ، وطاب ممشـــاك ، وتبوأت من العلى أسمى الرتب واشرف المنازل .

وسلام عليك فى الخالديـــن .

خالد محمد خالد

المراجع التاريخية للمقال :

(١) الخطط ـ للمقريزي
(٢) تاريخ الجبرتي
(٣) تاريخ الجامع الأزهر للأستاذ محمد عبد الله عنان

خواطر تسر الخاطر



بقلم: زكريا تامر

حوار ..

الشمس : « أنا أمنح ضيائي للجميع ولا أطالب بثمن ، فلماذا لا يقلدني الناس ؟ » .
التراب : لأنهم ياكلون ويسكنون بيوتاً . وحتى أكفانهم وقبورهم باهظة الأسعار » .

البحر : « من أكبر .. أنا أم السماء ؟ » .
النهر : « اسأل غيري ، فالصغير يقوِّم الصغير ، والكبير يقوِّم الكبير » .

الشجرة : « ليتني كنت سائحة غنية » .
العصفور : « لو تحققت أمنيتك ، فاين ابني عشي ؟ » .

الغيمة : « سامر امطاري بالا تهطل فتجوع وتعطش » .
الغني : « نفذي وعيدك ، فلن أجوع ولن أعطش ، بل ستزداد ثروتي » .

الصقر : « لا احد مثلي يعتز بحريته » .
الحمامة : « هذا كلام لن ينفعك يوم يصيدك مروِّض » .



المدفأة : « ما أمنيتك ؟ » .
الشتاء : « أن أقابل الصيف » .

الغراب : « لماذا لون العشب أخضر ؟ » .
القط : « لأن أطفالا ركضوا فوقه ضاحكين» .

المطرقة : « لماذا لا تصيح حين أضربك ؟ » .
السندان : « لايحق لي الصياح مادمت وافقت على أن أكون سنداناً » .

الثلج : « سئمت لوني الأبيض » .
الليل : « ولكنك لن تجد لوناً آخر يليق بك» .

الدجاجة : « أتمنى أن أطير كالنسور » .
الديك : « امتلاكك للأجنحة لن ينقذك من أن تذبحي وتؤكلي » .

النار : « أنا مصابة بالزكام » .
الريح : « وأنا مصابة بالدوار » .

الأرنب : « أبصرت نمراً يضحك » .
الخروف : « ولماذا لا يضحك مادام واثقاً بانه لن يكون فريسة » .

الطفل : « لماذا تغرد البلابل ؟ » .
العجوز « لأنها ليست مضطرة إلى أن تشتغل لتاكل » .

الجدار : « ماذا يقول الجواد حين يصهل ؟ » .
السقف : « يقول : من يصادق سكيناً لا ينبغي له التذمر من رؤية الدماء » .

زلّة كاتب

في الأونة الأخيرة ، أصدر ناقد عربي كتاباً قارن فيه بين الشنفرى وبين شاعر عربي معاصر مازال حياً ، بنتقل بين العواصم العربية والغربية كانه مندوب شركة لترويج السياحة ، أكلا « الشاورما » و « الفلافل » و « البفتيك » و « الهمبرجر » و « الفول المدمس » ، محتسياً القهوة والشاي ، منددا بالامبريالية والصهيونية بغير هوادة في المقاهي والملاهي والمكاتب وكوكتيلات سفارات المعسكرين الشرقي والغربي .

وقد خلصت مقارنة الناقد إلى قرار حاسم صارم هو ان ذلك الشاعر المعاصر كالشنفري تماماً .

ولما كان القراء العرب يعلمون ان الشنفرى قتل بسيفه مائة من اعدائه ، فقد تساءلوا : «هل قتل ذلك الشاعر المعاصر مائة من أعدائه كالشنفري ؟ » .

ولما كانوا واثقين بان الشاعر المعاصر لا يملك سلاحاً سوى شعره ، فقد تساءلوا ثانية : «هل اراد الناقد ان يقول إن ذلك الشاعر المعاصر قد صرع مائة من أعدائه بشعره لا بسيفه ؟ » .

ولكنهم لما كانوا متاكدين ان اعداء ذلك الشاعر المعاصر وفقاً لتصريحاته يجهلون اللغة العربية ، فقد تساءلوا مرة ثالثة : «هل كانت غاية الناقد من المقارنة بين الشنفرى وذلك الشاعر المعاصر هي التنديد خلسة بشعر ذلك الشاعر المعاصر واتهامه خفية بأن قراءه هم مائة قارىء فقط وهم ضحاياه التي لم تدفن بعد ؟! » .

حذاء ليلى العثمان



عرفت حكاياتنا الشعبية حذاء أبي القاسم الطنبوري ، والذي احرز شهرة عالمية ، وعرف أدبنا القصصي المعاصر حذاء ليلى العثمان .

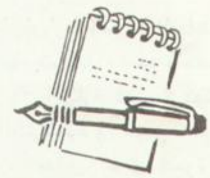
فى إحدى قصص الكاتبة الكويتية ليلى العثمان رجل يعاني مشكلة طريفة غريبة عويصة ، وهى أن حذاءه يتطاول عليه ويهاجمه وينهال عليه ضرباً ، فيالها من نهاية فاجعة محزنة للانسان العربي ، وهي نهاية ليست بالمفتعلة الخيالية ، بل هي صادقة تقول الحقيقة المرة .

إن الانسان العربي الـــذي كـان في الخمسينات بطلا خارقاً ، مفعماً بالأمل والحماسة ، وحارب بشجاعة وتفان واخلاص ، راغباً في الحرية والتطور ، أرغم على التبدل كنتيجة لتنفيذ مخطط صارم يهدف إلى إبادة كل الصفات الايجابية لهذا الانسان .

ولقد نجح هذا المخطط نجاحاً باهراً ، فاليد العزلاء لا تستطيع الانتصار على مائة سيف مشهر ، وبات الانسان العربي عاجزاً ، مقيد العقل والقلب ، والواعي الواعي يكتفي بالكلام الساخط فقط ، ولكن الكلام وحده لا يهدم ولا يبني ، فاذا احتقره حذاؤه ، فلا لوم على الحذاء ، فالبيت المفتوح الأبواب والنوافذ يغري اللصوص باقتحامه وامتلاكه .

وإذا كان خلاص بطل قصة ليلى العثمان يكمن فى أن يمشي حافي القدمين ، فان البشائر كلها تجمع على أن يوم خلاصه قريب آت ، والأسباب قد تبدو انها اقتصادية بحتة ، ولكنها فى الحقيقة ليست سوى استمرار لمخطط إبادة كل ما هو ايجابي فى الانسان العربي .

الحالمون بالتكريم



اي تكريم ذاك الذي يحق للاديب العربي الأصيل أن يحلم بالظفر به إبان حياته ؟ .

ان تتبارى دور النشر على طبــــع ما يكتبه : هــو تــكريم .

أن يقبل القراء على شراء كتبه فلا تدفن فى المكتبات : هو تكريم .

أن يعـــامله الناس بوصفه صــــوتهم ويحظى بحبهم واحترامهم : هو تكريم .

ان يظفر باهتمام النقاد ، فينصف قبل مماته : هو تكريــم .

ولكن التكريم الحقيقي الأروع للكاتب هو أن يتاح له العيش فى وطنه حراً ، متحرراً ، لا تكبله اي أصفاد مرئية او خفية فيكتب ما يحلو له وما يشاء ، ولا يضطر إلى أن يصبح فى وقت واحد كاتباً يكتب وشرطياً يراقب ما كتبه الكاتب ، فيتحول آنذاك الرعد إلى نقيق ضفدع .

عبد العزيز جاويش
عمامة ثائرة ومثيرة!

بقلم: فتحي رضوان

كانت حركة مصطفى كامل الذى ولد فى ١٤ من أغسطس سنة ١٨٧٤ والذى توفى فى العاشر من فبراير سنة ١٩٠٨، والذى أسس الحزب الوطنى فى ٢٢ ديسمبر ١٩٠٧، وأصدر جريدة اللواء فى الأسبوع الأول من يناير سنة ١٩٠٠، ثم أصدر بعده اللواءين الانجليزى والفرنسى، واللواء الأسبوعى والشهرى .. كانت هذه الحركة أغنى حركات التحرير والتجديد والنضال خلال القرن العشرين فى مصر بالرجال ذوى المواهب، فقد ولدت أفواجاً وراء أفواج، فى عهود بعد عهود من الزعماء والكتاب والشعراء والفقهاء والمشرعين والمحامين والثوار.

فمن ابناء هذه الحركة محمد فريد، خليفة مصطفى كامل، والقاضي والمحامي والزعيم والصحفي ومؤلف الكتب والمنفي والمشرد المتوفي خارج بلاده فريداً وحيداً مريضاً، ليلهم الأجيال التالية بأسمى معاني المقاومة والفداء والعناد.

وولدت بعد ذلك كتاباً وصحفيين أمثال أحمد حلمي، فامين الرافعي ثم عبد العزيز جاويش.

ولم يكن عبد العزيز جاويش صحفياً، ولا رئيس تحرير للواء، بعد وفاة مصطفى كامل فحسب، بل كان بما كتب، مثيراً، يحرض الجماهير على أن تتألب ضد السلطة الغازية والدخيلة التى احتلت مصر في ١٤ من سبتمبر عام ١٨٨٢، وقد أدى رسالة التحريض كاحسن ما يفعل قواد الثورات، ومشعلي نارها، ومؤججي لهيبها بعبارة مثيرة تتدفق لها الدماء في العروق، حتى تصعد إلى الرءوس، فتنزع منها دواعي الخوف والتردد، فينطلق الناس فى غضب لا يقاوم، واصرار لا ينثني.

ولكن هذا الكاتب الذي خلف مصطفى كامل، فرفع لواء الحركة الوطنية إلى أعلى مستوى تصل إليه السواعد الفتية، كان مصلحاً اجتماعياً، وإماماً في الدين، ومربياً للأجيال، ومنظماً للصفوف، يهدأ فكأنه طفل، يفكر ويدبر فكانه لم يثر احداً، ولم يحرض على شيء، فاذا رأيته وتاملت تقاطيع وجهه، راعك جمال هذا الوجه، وحلاوة قسماته، وسماحة تعبيره حتى تتشكك في أن لصاحبه صلة بالعراك، ودوراً في الكفاح، ومساهمة فى مدافعة أعداء الوطن، المجترئين على مصر، والعابثين بأقدارها، والمستعدين بالسلاح. وستعرف بعد حين كيف هش عبد العزيز جاويش بعصاه على عدد غير قليل من أفذاذ المصريين من الكتاب والمفكرين، فاخرجهم إلى الناس من المبدعين الباقين، حسبك أن من أبنائه: طه حسين، الكاتب، وعلى الغاياتي، الشاعر، وأمين الرافعي وعبد الرحمن الرافعى، الصحفي والمؤرخ.

ومن ثم فنحن نستطيع أن نقول إن الشيخ عبد العزيز جاويش، راح بين رجالات مصر المؤثرين والمثيرين والرواد، باكبر نصيب من الظلم والاجحاف. فقد بقى عمراً، لا يكاد يذكر اسمه حتى تتداعى فى الحال، ذكريات مقلوبة على وجهها، ينسب بها الى الشيخ العظيم، انه المسئول عن الفتنة بين المسلمين والاقباط فى مصر، وهو من هذا كله براء. ثم ينسب إليه انه لا يحسن إلا الاثارة التى لا تنتج شيئاً، والدعوة التي تهدم ولا تبني، مع أن الرجل وضع بيده أساس أعمال كثيرة صالحة، ومهد لدعوات عديدة نافعة.

فقد بقيت عمراً وانا أسمع اسم (عبد العزيز جاويش) وأفضل أن انطق لقبه (شاويش) لا (جاويش) بتعطيش الجيم في أول لقبه حتى أصبح شيئاً، وكانت صورته فى ذهني، صورة رجل طويل القامة، عريض المنكبين، جهوري الصوت، واسع الخطوة، كثير الحركة، عريض الاشارة، لا يكلمك حتى تنتقل إليك منه عدوى قلق يفور داخله، ولا يهدأ قط.

وبقيت هذه الصورة تلازم اسمه عندي، حتى رأيته رأى العين في مدينة بني سويف، حينما دعاه مدير الاقليم ليخطب أو يحاضر فى قاعة البلدية، التى أعدت للخطابة والمحاضرة، وكان يوم رأيته واقفاً على باب المبنى، ومعه الشاعر علي الجارم، وكان أنذاك مفتشاً أول للغة العربية، ولم يكن قد ذاع له من شعره الغنائي سوى قصيدته (الكافية) التى



غنتها مطربة شابة في مطلع شهرتها ، شغلت عرش الغناء بعد ذلك ، وحفظت الأذهان اسمها (أم كلثوم) ، واقتربت على استحياء من الرجلين ، ووقفت بينهما ، وتأملت طويلا في وجه الشيخ عبد العزيز ، وعدت أدقق في وجهه ، والرجل مشغول عني ، لا يجرحه ولا يضايقه تحديقي فيه ، وخيل إلي أنني أخطات إذ حسبت هذا الرجل الهادىء الوسيم السمح ، الأنيق ، الربعة ، هو البطل الذي سنسمعه بعد قليل ، لولا أنه كان لجاويش سمت وزي تميز بهما ، وكانت له عمامة ، هي العمامة التركية ، التى كان يلبسها علماء الأتراك في ذلك العهد ، مع (كاكولة) أو معطف ، فوق (بنطلونات) أو سراويل أفرنجية .

وأطلت السمع لعلي أظفر بكلمة أو عبارة تنحدر من بين شفاه هذا الذي عاش يشعل النار بقلمه ولسانه في كل مكان حل به الاستعمار فى مصر ، وتبادل الرجل مع صاحبه الشاعر كلمات ، بسيطة وهادئة ، خفت بعدها أن يكون الزمن قد أطفأ نار هذا الثائر وأحاله رماداً . فلما صعدنا إلى حيث قاعة الخطابة ، وقف الثائر القديم وراء منضدة ، وأخذ يحدثنا في صوت خافت ، لا نكاد نلتقط منه ألفاظه إلا بأكبر المشقة .

وقد أدار حديثه يومذاك حول الدعوة إلى الاصلاح ، وما يلاقي فى سبيلها المصلحون من افتراء الخصوم ، خصوم الاصلاح ، لا خصومهم ، وقد تردد اسم الشيخ محمد عبده في هذه المحاضرة كثيراً ، غير أن المحاضر قد أثر أن يسميه (الشيخ عبده) .

وخرجنا من هذا الاجتماع ، ونحن أقرب إلى الشعور بخيبة الأمل ، فلم نظفر برؤية رجل خارج من التاريخ ، شهد المعارك وأدارها ، ودخل السجون وكابد أهوالها ، ثم نفى نفسه ، ثم علا مكانه فى عهد الثورة الكمالية ، قبل أن يتحول (كمال) إلى (أتاتورك) ، ثم توالت الشائعات مع الشيخ وحوله ، حتى قيل لنا إن الانجليز حملوا الشيخ فى غواصة من غواصاتهم ، وألقوا به عند نقطة من شاطىء الاسكندرية سنة ١٩٢٣ ، لانهم في حاجة إليه ، وإلى قلمه ولسانه ، وصدق بعض المصريين هذا الهراء السخيف ، لأن الدول دالت ، وأصبح سعد زغلول زعيم الشعب المصرى ، وقائده ، وملك حبه القلوب ، وكان الشيخ جاويش فى يوم من الأيام ، وعلى وجه التحديد سنة ١٩٠٦ ، من ألد أعداء هذا الزعيم الكبير ، فقد أصلاه بنار قلمه ــ وسعد وزير للمعارف ــ فى سلسلة من المقالات عنونت (ظلموك ياسعد) ، فاصبح هذا العنوان مثلا يستعمل في حق كل من ظلم نفسه .

وقبض على الشيخ جاويش في مصر ، بعد أن أجهضت ثورة ١٩١٩ المجيدة ، بسبب النزاع الداخلي ، الذي أحسن الانجليز تدبيره وإحكامه . وكان من حقه بعد طول الجهاد والتشرد والفقر أن يستريح .

قبض عليه بتهمة التآمر على الملك فؤاد، متعاونا في هذه المؤامرة مع الخديو عباس حلمي الذي عزل ، وعاش في المنفى فى أوروبا ، لا تنتهي أشواقه إلى عرش مصر ، ولا تنتهي حبائله ومكائده للانجليز ولصنيعتهم السلطان أحمد فؤاد ، الذي وضعوه على العرش ، ثم جعلوه بعد تصريح فبراير الذي صدر في ٢٨ من هذا الشهر سنة ١٩٢٢ ، ثم قبض عليه ثانية لما شرع عبد الخالق عبد اللطيف ــ وهو طالب طب ، يلتمس العلم في ألمانيا ــ في قتل سعد زغلول باشا رئيس الوزراء فى صيف سنة ١٩٢٤ بمحطة مصر ، وهو ذاهب إلى لندن ليفاوض مستر ماكدونالد رئيس

عمامة
ثائرة ومثيرة!

الوزراء . وكان أساس الشبهة أن الشيخ كان يتردد على برلين طوال مدة الحرب العالمية الاولى التى استمرت أربع سنوات من سنة ١٩١٤ حتى سنة ١٩١٨ ، وكان للحزب الوطني الذي ينتمي إليه الشيخ ، لجان عديدة في ألمانيا تضم عدداً غير قليل من الشبان المصريين الذين كانوايتعلمون هناك ، وقد تبين من التحقيق أن الشبهة لاتقوم على أساس .

ولد الشيخ عبد العزيز جاويش فى بنغازي في ليبيا سنة ١٨٧٢ ، فهو يكبر زعيمه مصطفى كامل بسنتين ، ويصغر خليفة هذا الزعيم – أي محمد فريد – باربع سنوات ، وقد كان الذائع بيننا أن الشيخ ، تونسي ، ولم نعرف انه ليبي إلا حينما أرخ له المؤرخون اخيراً . وقد كانت الصلة بين الأسكندرية وبين أهل المغرب من ليبيين ، وتونسيين ، وجزائريين ، ومراكشيين ، وثيقة ، فقد كانت الاسكندرية الميناء العربي الرائج والناجح على طول شاطىء البحر الأبيض ، أي الشاطىء المغربي لهذا البحر ، وقد استوطن الاسكندرية عدد ضخم من المغاربة ، وكونوا عائلات أثرت وساهمت فى التجارة ، ثم بعد ذلك فى مختلف دروب النشاط ، ومن هذه العائلات : القباني ، والتونسي ، وجرانه ، وحدايه ، وغاربو . وقد هاجر والد الشيخ ، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، إلى الأسكندرية ، واتخذ له فيها متجراً للواردات الليبية . ولما بلغ الصبي عبد العزيز سن الرابعة عشرة ، وكان قد حفظ القران فى أحد المكاتب ، بدأ يطلب العلم في جامع الشيخ ابراهيم باشا بالاسكندرية ، وكان التعليم فيه ، ككل التعليم في جميع مساجد مصر الكبرى كمسجد طنطا ، ودسوق ، يجري على نسق التعليم في مصر ، فلما أتم دراسته الابتدائية ، ذهب إلى القاهرة ليجاور في الأزهر ، ولكنه سمع أن مدرسة دار العلوم التي أنشأها على باشا مبارك ناظر المعارف في عهد الخديو اسماعيل ، تجري امتحاناً لطلبة الأزهر ليطلبوا العلم على نهج أكثر انطباقاً على مقتضيات العصر ، ودخل عبد العزيز هذا الامتحان ونجح فيه مع ستة عشر طالباً كان أكثرهم من النابهين الذين تركوا أثاراعظيمة فى مجال اللغة العربية ، والنهوض بها والمساهمة فى ترويج الحركة الأدبية والارتفاع بمستواها . وقد كان من زملاء الشاب عبد العزيز في هذه المرحلة الشاعر محمد عبد المطلب فوصفه بقوله :

« لم يمض نحو شهر على هذا الفتى حتى أصبح روح أخوانه وريحانهم ، وقرة كل عين ، وأنس كل نفس ، وقرارة كل فضيلة وخلق كريم ، وكان يزيد عظمة فى أنفسهم ، أنه كان جامعاً لكثير من الكفايات التى نعدها كالصفات المتقابلة ، بينما هو معدود بيننا من النابغين فى العلوم الكونية كالطبيعة والفلك ، أو تراه من خير الأكفاء فى علوم الدين كلها ، ومع هذه الكفايات الكثيرة ، كان كوكب أضواء إخوانه فى الناحية الأدبية ، فهو شاعر الفرقة المطبوع ، وكاتبها الضليع ، ومن عادة المدرسة أن يكون لكل فرقة زعيم في الأدب له الصدارة عنها في مواقف القول ، ومحافل البيان ، فكان الأستاذ عبد العزيز زعيم إخوانه فى هذا الميدان » .

وهذه الشهادة المبكرة تدل على أن المستقبل الذي كان ينتظر الشاب عبد عبد العزيز ، متعدد الدروب والسبل ، ومن ثم فان محنة الاختيار ، وهي ليست بالمحنة الصغيرة ، كانت أول ما واجهه ، وهو يفكر في كيف يصوغ مستقبله . فالشاب الذي لا تكون له إلا شعبة واحدة من المواهب ، يسلك السبيل الذي تؤدي إليه هذه الشعبة ، فيكون مهندساً أو طبيباً أو مدرساً أو خطيباً ، أما إذا كان في وسعه أن يبرز فى أكثر من مجال كان يكون مربياً ، أو مفكراً أو زعيماً لاخوانه أو مدير أعمال ، فان اختياره هو الذي يحدد مستقبله ، وقد يحمله هذا المستقبل العناء ، أو يكبده المشقة والحرمان ، وقد يدفع به إلى مراقي النجاح السريع أو الثروة العظيمة أو الجاه العريض .

وقد بدأ عبد العزيز بدور المربي والمفكر ، إذ لم يكد يتخرج في دار العلوم سنة ١٨٩٧ حتى عين مدرساً للغة العربية بمدرسة الزراعة ، ولكن عمله لم يطل ، إذ ما لبث حتى وقع عليه اختيار الوزارة ليكون مبعوثها إلى جامعة (برورود) في لندن وهي جامعة اعدت لتخريج رجال التربية ، فدرس فيها الآداب والتربية ، وبهذا كان الشاب عبد العزيز واحداً من الأزهريين القلائل الذين طلبوا العلم فى أوربا ، فاتقنوا لغة أجنبية أعانتهم على الاتصال بالأدب الغربي ، وتذوق أثاره ، والتعرف على مناهجه والوقوف على دنيا جديدة من الفكر. والحق أن هذا الاختيار ، أهله ليقوم بالدور الضخم الذي أداه بعد ذلك ، كاتباً تقرؤه



الألوف كل يوم وتتأثر به ، وتهتدي بخطاه ، وزعيماً يقود أبناء شعبه ، إلى ميادين الكفاح والنضال ، وإماماً يرفض الجمود فى دينه ، ويطور أساليب تجديده . وقد أصدر فى هذه المرحلة كتابين هما « غنيــــة المؤذنين» ، وثانيهما «مرشد المترجم» ، وهذا التاليف المبكر ، يشير إلى صفات نمت في الشيخ الشاب بعد ذلك ، ونفخت على نار التجارب . فقد ألف في الفرعين الذين أتقنهما في لندن ، وهما أصول التربية الحديثة ، وثانيهما قواعد الترجمة الى العربيـــــة . وكان الفـرعان عظيمي الخطر في هذه المرحلة من حياة مصر . فقد كانت في أشد الحاجة الى مئات المعاهد التى تخرج المربين ، إذ كان يعوزها الجيش اللازم لاعداد الألوف من أبنائها إعداداً صحيحاً ، وكانت في أشد الحاجة أيضاً إلى تخريج جيش آخر من المترجمين الذين ينقلون إلى العربية آلاف الكتب فى الأدب والتاريخ والقانون والطبيعة والجغرافيا ، وكان المطلوب أن تجرى ترجمة هذه المصادر على الوجه السليم ، الذي يحيط النص الأجنبي ، وفي الوقت نفسه ينقله واضحاً إلى لغة العرب .

وكان التاليف نفسه ، بواعز من عقل الشاب وقلبه ، دليلا على حيويته وصحته ، وشعوره العميق بما تحتاجه البلاد ، ورغبته فى الأخذ بيدها ، بلا اهمال ولا إبطاء . وهذه استجابة لا تكون إلا لمن طبع على حب بلده من جهة ، والمبادرة بتنفيذ ما يجيش في صدره من آمـــال .

وعبد العزيز جاويش في هذه المرحلة كان امتداداً لرواد الثقافة والتعليم والتربية أمثال على مبارك ، ورفاعة الطهطاوي ، وعبد الله فكري .

وقد أعانه على أن يؤدي هذا الدور ، أنه عرف من أنظمة التعليم ومناهجه ، وهو بعد فى مقتبل العمر ، عدداً غير قليل ، لكل منها طابعــه المميز . عرف الكتاب ، ومعهد المسجد ، والأسلوب الأزهري القديم بقدمه ، والأسلوب الأزهرى المطعم بأساليب جديدة ، فى دار العلوم ، ثم عرف أساليب التربية الحديثة فى عاصمة الغرب ، لندن ، ومن ثم فان عقلية عبد العزيز جاويش ، ومحصوله الثقافي ، تنوع ، وكان يزيد فى ترامي آفاقه ، وبعد أعماقه ، اتقاد وجدانه ، وقوة شخصيته ، واتساع طموحه ، ثم توج هذا كله باختيار جامعة كمبردج في لندن ، للشيخ عبد العزيز جاويش ، ليكون مدرساً للغة العربية بها ، وكان هذا التعيين بتوصية من المستشرق الكبير ، مرجلبرت ، الذي لابد أن يكون قد عرفه إبان تحصيله للعلم في جامعة (برورود) .

وبالعمل في جامعة كمبردج ، الشيخ الذي كان لا يزال شاباً ، عرف أموراً غاية في الأهمية والخطر ، أولها جانب آخر من الحياة الجامعية ، التي هي ركن ركين من الحياة الأوربية . فالجامعة في الدول الغربية هي مصنع العقول والنفوس ، وهي تؤثر في شئون السياسة والحرب ، وفي شئون الصناعة والاقتصاد ، وقد عرف جاويش الجامعة طالباً ، وهو بهذه المعرفة، ازداد اتصالا بالحياة الغربية ، وبأساليب الأوربيين في البحث والمناقشة ، وتصنيف المعرفة عن الصـــــلات بين الأساتذة والتلاميذ ، وأهمية المكتبة ، إلى آخر هذا العالم الزاخر . والآن عرف الشيخ الشاب دنيا الجامعات فى جانب آخر منها ، هو جانب الأستاذية ، فجالس الأساتذة ، وسمعهم وناقشهم ورد عليهم وقرأ كتبهم ،

وأبدى رأيه فيما يقولون ، وسألوه عن الاسلام وتاريخه ، وعما يشكو منه المسلمون ، وعما يطمحون إليه ، ويفكرون

به ، فكأنما يصنع جاويش من جديد ، ويزود بأسلحة جديدة ، وتكشف له عوالم لا عهد له بها .

وزاد اتصال الشيخ بالحياة السياسية تماماً ، كما حدث لشيخ آخر سبقه إلى السفر إلى أوروبا ، وهو الشيخ رفاعة الطهطاوي ، ولو أتيح للشيخ أن يؤلف كتاباً عن مشاهداته فى بريطانيا بعامة وفي لندن بخاصة لنافس كتابه كتاب سلفه الشيخ رفاعه ، فقد كان له قلم معبر ، ولديه عقل يحفظ الوقائع والذكريات ، ويستخلص العبر والعظات ، ويقارن بين أنظمة أهل الغرب وأنظمة أهل الشرق ، ولكن السياسة استغرقت الشيخ جاويش ، والكفاح السياسى استبد بنشاطه ، ووقته وحيويته ،

فخسرنا كتاباً ككتاب « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » ، وإن عوضنا عن هذه الخسارة ، بقائد سياسي وكاتب مقاتل من الطراز الأول .

واستمر دور المفكر والعالم ، يستأثر بنشاط الشيخ عبد العزيز جاويش ، حتى عقد مؤتمر المستشرقين فى الجزائر سنة ١٩٠٥ ، وقد حضر هذا المؤتمر محمد فريد ،

ساعد مصطفى كامل الأيمن ، وكان حضوره فيه سمة حزب مصطفى كامل الوطني . فلم يكن مألوفاً بين المستظلين بالسياسة

الحزبية فى مصر ، أن يجدوا من الوقت ، ومن الجهد ، ما يصرفونه للشئون الثقافية ،

إلا مصطفى كامل وأنصاره وأعوانه ، فقد كانوا شديدي الاهتمام بكل ما تصدره المطابع فى مصر وفى أوربا من كتب وصحف ودوريات . وكانوا يؤلفون الكتب ويترجمونها ويعلقون عليها ، ولذلك سافر محمد فريد إلى مؤتمر المستشرقين في الجزائر ، وهناك لقي الشيخ عبد العزيز ،

وكان آنذاك موظفاً من موظفي وزارة المعارف وقد لفت نظر محمد فريد إليه انه وقف يرد على المستشرق الألماني (دلفروسى) الذي ألقى بحثاً قال فيه إن القرآن كان أول كتاب عربي وضع باللغة العامية لعرب ما قبل الاسلام . فكان رد الشيخ قائماً على العلم بتاريخ اللغة وبتاريخ الدين معاً ، وكان فوق ذلك متمكناً إلى أقصى الغاية باللغة الانجليزية ، وكان شديد الغيرة على لغة قومه ودينهم . فعرض محمد فريد على الشيخ جاويش أن يعرفه بالزعيم مصطفى كامل ، وكان آنذاك فى رحلة عمل إلى لندن ، فقبل الشيخ هذا العرض وسافر الى لندن ، وتعرف على الزعيم الشاب مصطفى كامل ، فكان هذا اللقاء بداية دور جديد فى حياة الشيخ .

نتحدث عنه في الحلقة التالية من هذا الحديث باذن اللـــه .

فتحي رضوان

الإنسان رقم ١٤٧٠!

بقلم: عبد الله الجفري

لابد أن يعيد الانسان النظر فى كثير من السباب والشتائم التى اخترعها ، وركبها على صفات مشابهة للحيوانات ، ورمى بها كل واحد لايروقه . أو يضايقه ،

مطلوب أن يصغى الانسان جيداً ، وباهتمام إلى أصواته الداخلية التى تتجمع نتيجة احتكاك الشرارات الحارقة في نفسيته ، وأن يكون هذا الاصغاء من أجل تحسين أسلوب « التربية » فى السلوك الاجتماعى ، وللتصرف الاخلاقى مع الآخرين ، وحتى مع نفسه أيضاً !!

وهذا المطلوب يأتى اليوم ملحاً بعد مرور سنوات طويلة جداً على انتشار نظرية « داروين » التى زعم فيها : أن الانسان والقرد من سلالة واحدة ، وأن هناك حلقة مفقودة أو غير معروفة ، وجعل علماء « الانثروبولوجيا » — علم الانسان — يكتشفون الاسئلة المدببة ضد الانسان .. هذا المخلوق الذى كرمه الله بنعمة العقل ، والمنطق والفهم !!

ويأتى هذا المطلوب أيضاً ... فى أعقاب اكتشاف اعلنت عنه الصحف البريطانية ، قبل أعوام واسمه : (الانسان رقم ١٤٧٠) وقد أعلن عن هذا الاكتشاف عالم يسمى « دكتور ليكى » مدير المتحف الوطنى فى كينيا الذى يتكلم اللغة المحلية للقبائل هناك . ويقول التلخيص الذى نشر يومها :

● « ان هذا الدكتور استمر فى اعماله الحفرية مدة تقارب ٢٨ عاما قبل أن يصل الى اكتشافه الهام ... وقد أثار به خلافاً علمياً حاداً لم يحسم حتى اليوم ، وكان الاكتشاف عبارة عن جمجمة الانسان أسماه — هو موهابليس — اى الرجل اليدوى . أما الرقم الذى وضعه الدكتور على الاكتشاف فهو الذى اعطى للجمجمة والعظام فى المتحف الوطنى الكينى . ومن أهم ما يميز الانسان (١٤٧٠) أن شكل الجمجمة والأسنان وعظام الساق يشير إشارة واضحة إلى ملامحه وكيفية سيره .. لأن زاوية ارتباط العمود الفقرى بقاع الجمجمة يؤكد انه كان قادراً على المشى مثلنا . وأهم من ذلك انه لا يوجد أي دليل على أن هذا المخلوق كانت له صفات الوحش المعتدي مما يثبت خطا النظريات الاجتماعية التى بنيت على آراء داروين من أن الصفات العدائية فى الانسان ترجع الى أجداده القرود » !!

وهذه المقدمة الطويلة ... وضعتها مدخلا لنقاش أعرف أنه ربما كان قديماً جداً ، وأنه « سفسطائى » فى اعتبار آخر . ولكن محاولات ، أو « مناورات » العلماء مع الانسان ، وأصله ، وحقيقته ... لم تتوقف لو أنها سوف لن تتوقف ... بحثاً عن « موضوع » يطرحونه بين الفينة والاخرى ليضاف الى الضجة الكبرى الملموسة فى العالم ، والى الهرطقات التى يستغلها المشككون فى الخليقة ، وفى بناء الكون ، ويأخذون الفكر الانسانى الى مزيد من المتاهات والاضطرابات الذهنية !

ولقد استمزجت أن أجعل خبر هذا الاكتشاف بمثابة « جرس » كما الجرس المستخدم فى المدارس يعلن انتهاء « حصة » دراسية ، أو بدء أخرى . . وأن أربط هذا الخبر ايضاً بالآراء والشواهد التى طرحها « أنيس منصور » فى كتابه « الخبز والقبلات » وقد قال المؤلف فى مقدمة الكتاب هذه الكلمات :

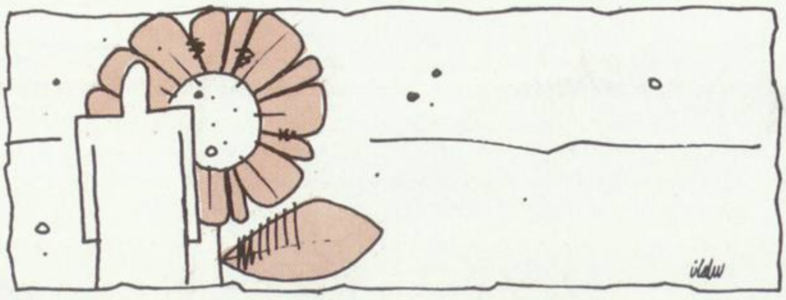
— « هذا الكتاب يغريك بان تنظر باحترام الى كثير من الحيوانات فليست هذه الحيوانات الا بشراً بلا حياء ، وبلا كذب ، ولذلك يخجل الانسان أن يراها أو يحن الى رؤيتها ، ولكنه لايستطيع أن يغمض عينيه عنها ، وكلنا حيوانات عند الخبز والقبلات » !!

ولابد أن نستحضر عبارة أخرى نجعلها جسراً لانطلاق حوار عن حكاية الانسان وحيوانيته ، والحيوان ، وتشبيه الانسان به .. والعبارة تقول : « الناس يقولون ان الانسان القوى يأكل الضعيف . إنها غلبة .. الوحش الكبير يبتلع الوحش الصغير » !

والانسان غلب مع نفسه ، ومع تصرفاته .. فأصابه القلق ، والفزع ، والملل أيضاً .. فهو تارة ينتقد تصرفاته ، وتارة أخرى يمتدح سلوك الحيوانات ليجعل هذا المديح لها صدمة كهربائية لسلوكه .. فانت تسمع حكايات الوفاء عن الكلب ، وحكايات « الجنتلمان » عن الأسد ، وحكايات الغدر والمقت عن الذئب !

وانيس منصور فى كتابه الأخير يقول لك :

« بعض العلماء يرى انه لاداعى لان نبحث عن أصل الانسان ، وانما أن نتجه اليه هو ، فهو عقدة العقد ، وأن نستعين بالحيوانات الأخرى على فهمه ، ففى داخل الانسان كل ما حوله من حيوانات أخرى . فهو ثعلب عند اللزوم ، وهو ذئب ، وهو



ثعبان ، وهو حمامة سلام » !

فالانسان مرتهن في حياته بحاجتين ضروريتين : الخبز والقبلات ، فهو يبحث عن الطعام دائماً ليشبع ، وهو يتزوج ليترك بعده ذرية تحيي اسمه .

ولكن .. لم يكن هذا هو « كل » الانسان فهناك عبر التاريخ : المبادىء والقيم ، والكفاح ، والموت فى سبيل العقيدة ، والهدف ، والشرف ، والكرامة .. بمعنى أن الانسان قد وعى حقيقته فى الوجود ، وأن الله سبحانه وتعالى قد اختصه بميزات فريدة تشرفه ، وتعلو به عن مستوى الحيوانية ، وأن النظريات التى جاءت بعد ذلك ، والتى تربط الانسان بالقرد ، أو بالحيوان لاتقوى على الصمود ، وعلى اثبات نفسها .

وأذكر أننى طرحت سؤالا على « أنيس منصور » فى إحدى زياراته التي قام بها الى بلادنا عام ١٣٩٠ ، وكان السؤال يقول : كتبت عن الحضارات المندثرة ، فأى حضارة فى نظرك عاشت لتمد الحضارات بعدها ؟!

وقد أجاب يومها بتفصيل ، وبخلفيات عديدة ، ومما قاله فى سياق شواهده وحديثه عن الانسان هذه الفقرة :

ـ « لا أستبعد أن يكون قد تم فى عصور سحيقة هجرات من كوكب الى كواكب أخرى ، فهذه النظرية ، أو هذا التفسير الذى اهتديت اليه ، وأحاول أن أجد له سندا من التاريخ ، ومن الآثار ، ومن الأديان أيضاً .. ليس إلا محاولة هنا لتأكيد الكثير من المعانى الدينية التى وردت فى الكتب المقدسة ، وأنفى بذلك ما يقال عن أن الانسان أصله قرد ... هذا التفسير الجديد الذى أحاول أن أنشره يؤكد أن الانسان أصله انسان وليس قرداً ، وأن هناك كائنات أخرى أكثر عقلا فى ملايين الملايين من الكواكب التى تصلح للحياة » !!

ثم أصدر « أنيس منصور » بعد ذلك كتابه المشهور « الذين هبطوا من السماء » وأثبت فيه أصالة الانسان !

أما أن الانسان أصله قرد .. وأما أن الانسان ما زال أصله ، ونشوءه من الحقائق المجهولة ، والتى يجرى وراءها العلماء والباحثون ... فكل ذلك ينطوى تحت معنى التجديف ، والتشكيك ، والضّياع التاريخى والنفسى ، والروحى » .. انتهى .

ولو عاد الباحثون ، والعلماء الى القرآن الكريم ... لوجدوا المعرفة الكاملة عن قصة الانسان ، وخلقه ، وأصله ، ومعدنه ... توضيحاً ، وتفسيراً ، وعلما لايتعارض مطلقاً مع « العلم الحديث » ، وانما هو يحسنه ويضيف اليه رؤية صادقة تزرع الايمان فى النفس الانسانية .

ومن القرآن الكريم ... هذه الآية الجامعة المعلمة ... فى سورة « المؤمنون » ... فى قوله تعالى :

● (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين) صدق الله العظيم .

فى هذه الآية ... استعراض للمراحل التى يبدأ منها الانسان ، ويتكون ، ويتجسد وينشأ على هذه الصورة الآدمية ، وهذه المراحل لاتتعارض مع العلم .. فهى غنية بالاقناع ، وحافلة بالأدلة التى تدحض كل تخريف ، وتجديف !!

أما أن الانسان أصله قرد .. فهذه اهانة لكرامة الانسان ، ودوره فى الحياة ، فليس فى القرآن الكريم ما يشير الى أن الانسان فى أصله كان قرداً وتطور الى إنسان ، والقرآن الكريم عز الانسان ، وشرفه ، ورفعه الى مستوى الانسانية والكرامة ، ففى سورة الاسراء ـ آية ٧٠ ـ قال جل جلاله :

● « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » صدق الله العظيم .

والشيء المضحك ، والسادر فى السخرية ، والاستهانة بكرامة الانسان ... أن يكون هذا المخلوق الكريم « المفضل » على سائر المخلوقات رقماً من الأرقام ... فى تجربة ، أو محاولة لاكتشاف عقيم ، ودجلى

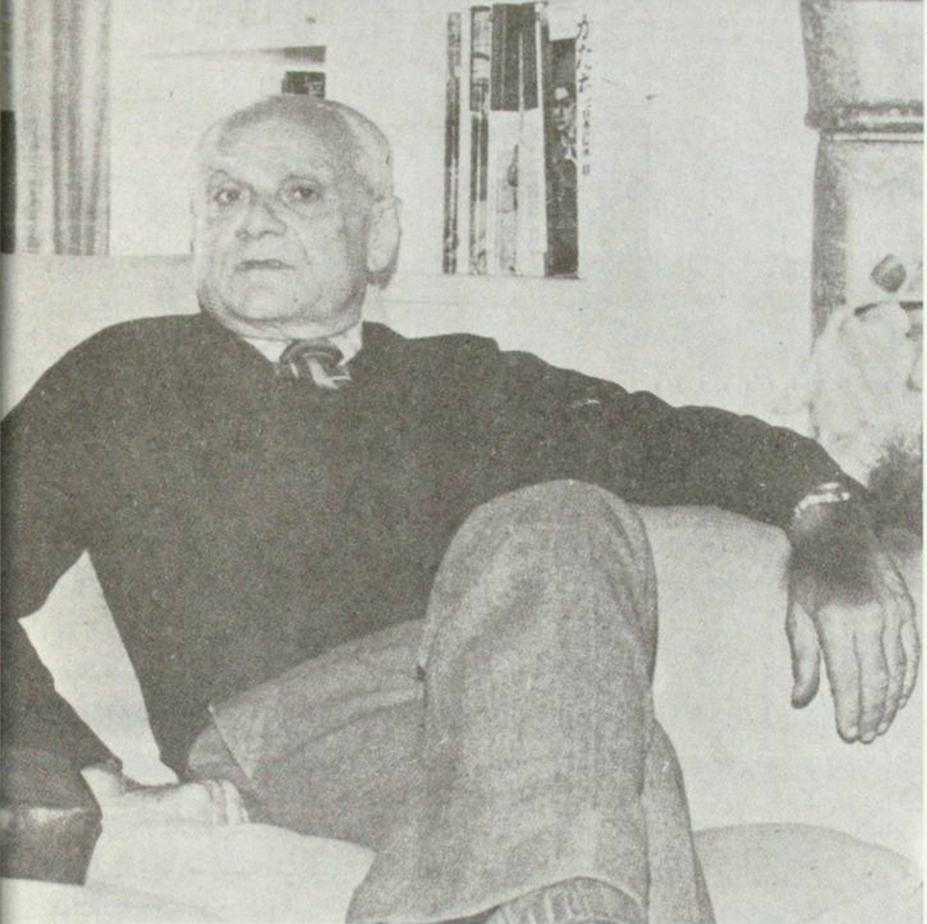
وحقاً ... لقد خلص الانسان من الضحك على كل شيء في حياته .. وبقى الآن أن يسخر من نفسه ، ويضحك منها وعليها ، ويبالغ فى الوقاحة ... فيسخر العلم ، ويسخر المنطق ، ويسخر مقوماته الانسانية ... فيضطهد بذلك قيمه ، ومبادئه ، وروحه وكرامته !!

ولابد ـ فى النهاية ـ أن التفت الى الخواجة « ليكى » فأقول له : تعازينا !!

عبد الله الجفري ـ جدة

مفيد فوزي

يكتب من روما



أديب إيطاليا المرموق البرتو مورافيا .



مفيد فوزى

مع أديب إيطاليا المرموق :

ألبرتو مورافيا

- لا يوجد إنسان سيء .. هنالك مواقف سيئة
- السينما لم تصنع شهرتي ، كتبي وحدها صنعتني
- المرأة عندي قيمة ، إنها التواصل والترابط
- قرأت لتوفيق الحكيم :"يوميات نائب في الأرياف"
- الفاشية من أقسى تجارب حياتي

ولد فى روما ، وأحبها كبطلات رواياته . وعندما قيل له فى السنوات الاخيرة « لقد أصبحت روما (مسرح العنف والمافيا والألوية الحمراء) فلماذا تتمسك بالبقاء فيها ؟ » قال البرتو بينكرلى ، وشـــهرته « البرتو مورافيا » :

ـ « الذى ينفصل عن جذوره يصبح هشا ، واقل نسمه ريح تقتلعه من أرضه . لقد ولدت فى العاصمة الايطالية عام ١٩٠٧ ، واظن انى ساموت فى روما .. وسوف ادفن تحت تراب روما . وروما مدينة صديقة حميمة لها عندى موقع أثير . وعندما أسافر خارج ايطاليا ، أشتاق لكل تمثال من تماثيلها التى يخيل للرائى انها تماثيل لها سواعد وأذرع تصافح البشر وتعانقهم ! » .

●

حين أحاور فنانا كبيرا او اديبا مرموقا ، تعودت أن أعرف عنه الكثير قبل أن التقى به . ذهبت الى مورافيا ومعى « مفاتيح » الحوار !

مثلا : عرفت أنه مولـــود من اسرة متواضعة ميسورة الحال !

مثلا : عرفت أنه أصيب بمرض درن العظام وعمره ٩ سنوات وأضطر الى وقف نشاطه حتى بلوغه سن السابعة عشرة .. وأخذ يواصل العلاج بصفة مستمرة ودون انقطاع ، ودخل الصبى مورافيا عدة مصحات !

مثلا : عرفت أنه كتب من داخل احـدى المستشفيات ـ اثناء العلاج ـ قصـــته « اللامبالون » !

مثلا : عرفت أنه أديب ، أعطته السينما الايطالية نجاحا ساحقا ، ولولا السينما لظل اديبا ايطاليا تمتد شهرته عبر المدن الايطالية فقط !

مثلا : عرفت أن أول اسفاره كانت فى الولايات المتحدة ، ومنها سافر الى الصين .

مثلا : عرفت انه اضـطر خـلال فترة الاحتلال الالمانى الى الهروب الى بلدة « فوندى » فى ايطاليا ، وبعد الحرب ذاعت شهرته وبرزت اهميته وقيمته فى مجـال الكتابة على المستوى الدولى .

مثلا : عرفت أنه مدير تحرير مجـلة « نوفى ارجومنتى » أى « الموضـوعات الجديدة » .

●

البرتو مورافيا ، كاتب ايطالى له سمعة عالمية .

●

مورافيا ـ حين رأيته ـ احسست باكثر من انطباع ! الأول أنه مازال نشيطا وقادرا على وقف « زحف السنين » ! الانطباع الثانى ، أنه يهتم بالحوار مع أى كاتب عربى لأنـه يعرف أنه واحد من الأدباء العالميين المرموقين فى .. الوطن العربى . الانطباع الثالث أنه يعتز بإيطاليته ، لدرجة أنى صحبت معى « مترجمة » تعمل فى سفارة مصر بروما كانت تتولى الترجمة إلى الانجليزية ! الانطباع الرابع ، أن مورافيـا يتقلص فى اجاباته إلى درجة الصمت اذا شعر ان محدثه لم يقرأ له شيئا ولا يعرف كنه أدبه ، بل ويرفض الحديث اذا أحس أن محاوره لا يعرف عن مورافيا سوى افلام السينما التى جسدت رواياته بالصورة !!

ومورافيا ـ للعلم ـ يحب الحوار . ويستمتع بالصدمة فى النقاش ، ويكره الفتور ! ربما كان هذا « المفتاح » لشخصية مورافيا هو الذى أغرانى أن اقول له :

ـ لقد كنت فى زيارة لاديب ايطالى ناقد هو « روندى » . وسمعته يقول لى ان الفكر الايطالى الآن ، يمثله مخرجو السينما وعلى رأسهم فيلليني . وأنا لا اعرف هل هذه حقيقة أم انه رأى بولغ فى تقديره من جانب ناقد ؟!

صمت مورافيا ، وهذه عادته حين يستعد للاجابة عن سؤال لم يتوقعه . وقال

ـ اعترف لك أننى قد فوجئت برأى السيد روندى . واعترف لك ايضا أن هذا الرأى هو اجتهاد شخصى . ولكني أرى أن الفكر الأدبى فى ايدى القراء . أما المخرجون فتعبيرهم بالصور والمشاهد !

قلت للأديب الايطالى : ولكنك لم تجزم : من يمثل « الفكر الادبى الايطالى » ؟

قال بسرعة : الصفوة الايطالية هم كتابها وأدباؤها فقط . اما المخرجون فهم يترجمون ما نكتبه الى صور . ولست اقلل ـ بالمناسبة ـ من شـــأن المخرجين والسينمائيين فلاشك انهم وجه من وجوه الفكر الايطالى ولكنهم ليسوا بالضرورة : الفكر الايطالى !

سألت مورافيا ، قبل أن انتقل إلى نقطة حوار أخرى عن المخـرج الذى كان له فضل نقل الحياة من رواياته الى الشاشة بنفس عذوبة السرد بالكلمة ؟!

قال مورافيا : انه ليس مخرجـــــا ايطاليا (!) وصمت ..

فلما صمت مورافيا .. عدت اســـــاله « لا يهمنى هويته . يهمنى من هو ، ولم ؟! »

قال : إنه المخرج الاسبانى « لويس بنويل » وهو أهم مخرجى اسبانيا بل أوربا ويأتى بعده ولاشك فيلليني ثم انطونيونى وجاك لوك مخرج روايتى « الاحتقـــار » و « الملل » . ولا انسى فيتوريو دى سيكا مخرج « امرأة من روما » . وهنـــاك «اللامبالون» التى اخرجها مازيلى .. ولكل



بيت مورافيا .. فى روما . إنـه يعيش فوق ربـــــوة !

واحد من هؤلاء طعم خاص ومذاق فكرى خاص ، ولكن كما قلت لك ، يقف على رأسهم الاسبانى بنويل !

قلت لمورافيا : لقد صنعت السينما شهرتك يا سيدى ؟!

قال بسرعة وبغضب : لقد صنعت للسينما مذاقا ايطاليا ، وجوا ايطاليا .. واخرجت سينما ايطاليا للعالم برواياتى . لا يوجد أديب صنعت السينما شهرته . لا يصنع شهرة الأديب سوى كتبه ومؤلفاته .. وأعماله .

مورافيا والسينما ، موضوع شيق ، يغرى بأكثر من سؤال !

قلت لمورافيا :

ـ هناك خلاف دائم بين « الـــروائى » و « المخرج » حين ينقل له أحد اعماله الأدبية الى الشاشة . الروائى يقول انه صاحب الكلمة فى العمل . والمخرج يقول انه مدير « العرض » ما موقفك وقد شبعت السينما من مائدتك الأدبية ؟!

قال مورافيا : المخرج ، صاحب رؤية والا ما الداعى إلى وجوده . انا لا أطلب الصدق الحرفى . لكنى أطلب المستوى العالى فى التقديم .

قلت لمورافيا : عندى إحساس ، أريد أن اصارحك به . إن السينما تأخذ من جهدك الكثير هل فقدت الثقة بالقارىء ، وصرت

مع أديب إيطاليا المرموق :

ألبرتو مورافيا

قلت لمورافيا : وأنا قادم لأراك ، عرفت من « صديقة صحفية ايطالية » زارت مصر ، أن زوجتك لها نشاط نسائى .

قال مورافيا : داتشا مارايينى من رائدات الحركة النسائية الايطالية ..

قلت لمورافيا : ما الذى صنع مورافيا ؟

ضحك وقال : صنعنى عاملان ! أولهما : جهدى . وثانيهما الجمهور الذى تذوق جهدى وأنا مدين بنجاحى لاثنين : مدين لجهدى ، ومدين لجمهور عريض أعطى جهدى اهتماماً بلا حدود . منذ سن الثالثة عشرة قررت القراءة المستمرة . إن الروائى الذى يكتب هو قارىء جيد متأمل . إن الآداب هى « بنت الذاكرة » كما يقول اليونانيون . اننى أكتب فى الصباح وأمارس حياتى بعد الظهر ، وفى المساء ، اتأمل الدنيا والبشر والكائنات . هذا تقليد سرت عليه ، فيما عدا أيام مرضى !

قلت لمورافيا : لمن قرأت من الكتاب العرب ؟

قال : قرأت لتوفيق الحكيم (يوميات نائب فى الأرياف) .

سألته : بم شعرت وأنت تقرأ الحكيم ؟

قال : شعرت بصدق العمل الفنى ..

قلت : يا سيدى ، يقولون فى ايطاليا انك كاتب متناقض مع نفسك ، وانك لا تعبر عن ايدلوجية معينة أو تيـــار فكرى ما .. ما قولك ؟

قال مورافيا : ربما كان هذا حقيقياً ، ولكن لماذا لا يجب أن أكون متناقضاً مع نفسى !

قلت لمورافيا : موقفك من السياسة ، لا أعرفة . هل للأديب موقف سياسى ؟

قال أديب ايطاليا : لقد أطلقت على

تعتمد على « المشاهد » ، مع انهم يقولون ان السينما من ثقافة الاستهلاك ؟

قال مورافيا : السينما ليست عدوا للثقافة . السينما الرخيصة تعادى الثقافة لقد كتبت مرة مقالا قلت فيه ان السينما فن فيه القليل من الأصالة الفنية . اننى أرى الثقافة فى السينما ربما أكثر مما أراها فى المسرح مثلا .

قلت لمورافيا : قرأت لك مرة قولا ترى فيه أن « احاديث الكاتب الصحفية جزء مكمل لشخصيته » . هل هذا صحيح أم نســب إليـك ؟ .

قال الكاتب الايطالى : هذا صحيح . أنا اعتقد أن أحاديثى هى « صوتى » وهى جزء مكمل لفنى وعطائى . ولن يفهمنى بالطبع سوى قارىء رواياتى !

●

قلت لمورافيا : ما قصة المرأة معك ؟ لقد رأيت كتابك الذى خصصت فيه حواراً طويلا مذهلا مع كلوديا كاردينالى . إنك معجب بالمرأة الايطالية . أليس كذلك ؟

قال أديب ايطاليا الكبير : المرأة تشكل جزءاً هاماً فى أى مجتمع . ليس فى ايطاليا فقط بل فى العالم أجمع . ورغم ذلك فالمرأة ـ لأسباب تاريخية ـ فى موقف أقل من موقف الرجل . ولقد اختلف العالم الآن تماماً . إن المرأة « تعمل مع » الرجل وربما لاتتساوى معه فى الأجر والفرص . لقد كانت آخر رواياتى « حياة أخرى » صرخة احتجاج على لسان امرأة معاصرة .

سألت مورافيا : وزواجك ...

قال قبل أن استطرد : تزوجت مرتين . الأولى من الكاتبة الايطاليـــة المعـروفة « الزا مورانتى » من عام ١٩٤١ حتى عام ١٩٦١ ، والثانية زوجتى الحالية الكاتبة « داتشا مارايينى » منذ عام ١٩٦١ .

قلت : هل تؤمن بزواج المهنة الواحدة . هل تؤمن بنجاحه ؟

قال مورافيا : أؤمن بزواج العقول والقلوب ، ولا دخل للمهنة . فالزواج تجربة انسانية بين رجل وامرأة . وبقدر اقترابهما العاطفى والعقلى ، ينجحان . وبقدر بعد المسافة بينهما ، يفشلان !

سألته بالمناسبة كيف تعرفت على زوجتك داتشا ؟

قال : هذه أمور خاصة . ولكن منذ متى يكف الصحفى عن الدخول فى قناة الأمور الخاصة ؟ لقد تعرفت على زوجتى بعد طلاقى من الكاتبة « الزا مورانتى » . إن داتشا أديبة وشاعرة وصحفية مرموقة بجانب أنها مخرجة سينمائية ، وقد أعجبنى من أفلامها « الحب عن طريق الزوجة » ولها مسلسل تليفزيونى هام بعنوان « المرأة الافريقية » .

● أطلقت على كتاباتي السياسية : عمل بلا رغبة

● أخاف من الملل ولا أحلم بشيء .. وأصبحت عجوزًا

● الكاتب يكتب ما حدث وليس ما سوف يحدث

● أنا لا أطلب الصدق الحرفي في نقل أعمالي للشاشة

كتاباتى السياسية عنوان « عمل بلا رغبة » فهل هذا واضح لك ؟!!

قلت : مم تخاف ؟

قال : أخاف من الملل . أنا لا أحلم بشىء محدد . لقد أصبحت عجوزاً بالفعل !

قلت : هل تشعر وأنت فى مرحلة الشيخوخة ، أن هناك جيلا أدبياً ثانياً فى ايطاليا ؟

قال مورافيا باختصار : من ينكر الشمس ؟!

قلت : هل تعانى من الفراغ ؟

قال : ليس عندى وقت فراغ . اننى دائماً مع كتاب جيد أو فيلم جيد أو مسرحية اخذتنى ، أو فكرة تطاردنى !

قلت : حدثنى عن عالمك الذى تكتب منه ينابيعك . أرضك الفكرية ؟

قال مورافيا : ليست هناك ينابيع الا ايطاليا . كل حصاة على أرض ايطاليا ، ينبوع لي . يجب أن تعرف الأشياء لتكتب فلا يأتى فكرنا من فراغ ! القصاصون جميعاً يبدأون من تجربة عميقة ، ولكنهم يصارعون الأوضاع ويخترعون الشخصيات . لقد أدهشنى ترجمة « امرأة من روما » الى العربية ، لأن فيها خاصية تجربتى مع الحرب . أنا الذى اخترعت المرأة ، واخترعت الأوضاع ! هناك أحياناً بعض الاستثناءات من هذه القاعدة . « بروست » مثلا يحكى الحكاية دون اضافة لأنه يريد أن يعطيك مدلولا تدركه كقارىء . و « ستاندال » على سبيل المثال ، يتحدث عن تجربة الحرب وعن الصالونات ولكنه يخترع كل الشخصيات . اما أنا فاننى اعكس من نفسى على النساء . على كل الشخصيات النسائية ، لأنى اعتقد أن كل الرجال هم نساء قليلا . وكل النساء هن رجال قليلا . اننى هنا اعكس جانبى الأنثوى !!

●

سألت مورافيا : متى يكتب الكاتب « يومياته » ؟ بمعنى أدق ، متى يدون هذه اليوميات فى قصة طويلة مثل «الاحتقار» ؟!

قال مورافيا : اذا عدت للرواية ، سوف تدرك أن ما يدفع الكاتب لتسجيل يومياته انه ببساطة قد يكون راغباً فى تسجيل وقائع يعتبرها هامة أو راغباً فى المناجاة والاعتراف أو راغباً فى تلبية نداء غريزة الاقتصاد التى توحى احياناً باستغلال تفاصيل أحداث حياتهم ، أقصد حياة الكتاب ! وهناك حوافز أخرى منها الغرور والاعجاب بالذات !!

●

ويبقى فى نهاية الحوار مع أديب ايطاليا الكبير ، عدد من الأسئلة ، أجاب عليها



وافق السيد المصور « اومبرتو بيتزى » على نشر الصورة ، وكان البرتو مورافيا قد طلب مني ضرورة الحصول على موافقة المصور قبل نشر الصورة .. والصورة هنا لأديب ايطاليا فى صومعته البسيطة المتواضعة التى تخرج منها كل اعماله .

بعبارة « لا أعرف » !

قلت له : قالوا لي فى روما ، انك كاتب « الرجل المرفه » و « الحياة الخاصة اللذيذة » . ما قولك ؟

قال مورافيا : لا أعرف !

قلت له : أين تقضى أيام اجازتك ؟ مع صديق ؟ مع زوجتك ؟ من هو رفيق هذه العطلة ؟

قال مورافيا : لا أعرف !

قلت له : هل تذوق العالم أدبك .. هل تعرف رأى كتاب أوربا ونقادها فى فكرك ؟

قال مورافيا : لا أعرف !

قلت : هل تحلم بأن تكون روايتك القادمة ، مسرحها ، أرض عربية ؟!

قال موارفيا : لا أعرف !

قلت : هل لك رأى محدد فى الذكاء ؟

قال مورافيا : لا أعرف !

قلت : أى فصول السنة ، تحب ؟!

قال مورافيا : لا أعرف !

قلت : أريد أن أسألك ، لماذا تكتب ؟

قال مورافيا : لماذا أكتب ؟! .. لا أعرف !

قلت لمورافيا : ماذا تقصد بعبارة « لا أعرف » ؟

قال أديب ايطاليا : أقصد ، انه ليست لدى القدرة على اطلاق أحكام على أشياء لم تحسم !

قلت : ماذا تقول لأديب ناشىء يا سيدى؟

قال مورافيا بحماس ، أقول : لابد من الرؤية .. ومن الحذر ، ومن عدم المخاطرة بنشر ما يكتب الا بعد النضج فى الحياة . فالكاتب — فى نظرى — يجب أن يكتب ما حدث وليس ما يعتقد أنه سوف يحدث ! حين يكون الانسان صغيراً ، يشعر أن رأسه فارغ .. ومشاعره فقيرة .. ورأسه شحيح العطاء !

قلت لمورافيا : انني اشعر حين أرى رأسك ، أن تجارب العمر ، قد قامت بعملية « غزو » عليك !

قال الأديب الايطالى بعد تنهيدة : هذا صحيح ! خذ عندك ..

١ — تجربة مرض ، اقعدتنى فى السرير ٥ سنوات متصلة . شىء لا يمكن وصفه الا بالتجربة !

٢ — تجربة الفاشية ، لقد كنت وقتها فى السابعة والثلاثين وعشت أجمل سنوات عمرى تحت وطأتها القاسية . اننى من اعداء الفاشية ، ومازلت !

٣ — رحلاتى ، من أهم تجاربى . عرفت العالم ، وعرفت الناس من كل القارات على اختلاف أجناسهم .

٤ — لا يوجد انسان سيىء ، توجد مواقف سيئة !

وأخذ مورافيا يردد .. « نعم لا يوجد انسان سيىء ، توجد — فقط — مواقف سيئة » !

ولذنا ... بالصمت !

« روما — من مفيد فوزى »

كُنْ عــادلاً ولا تخَفْ :

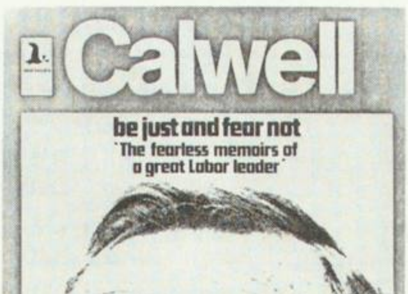
قصة مخطّط صهيوني فاشل لإنشاء مستعمرة يهودية في استراليا

بقلم : محمد يوسف عدس

قرأت دراسة الدكتور عاصم الدسوقي التى نشرت بمجلة الدوحة فى عدة حلقات تحت عنوان « وثيقة تاريخية .. فى المسالة الصهيونية الفلسطينية ٤٣ ـ ١٩٤٥ » وهي دراسة تكشف عن حقائق هامة فى تاريخ الحركة الصهيونية ودورها فى التمكين لليهود بالولايات المتحدة الأمريكية . هذا الدور الذي ـ وإن كان قد اتخذ صورة محاولة لتحريك الرأي العام الأمريكي نحو تفهم قضية يهود أوربا ومساعدتهم للخروج منها هرباً من مذابح هتلر ـ ، إلا أن ذلك كان مجرد مرحلة فى مخطط صهيوني يسعى إلى تسخير قوة الولايات المتحدة واستخدام نفوذها فى تحقيق أهداف الصهيونية العالمية فى فلسطين .

الذي اود أن أسجله هنا هو أن هذه الجهود التى جرت فى الولايات المتحدة لم تكن شيئاً فريداً فى تاريخ الحركة الصهيونية . بل إننا نجد لها نماذج اخرى مشابهة ، وقد تبدو هذه الجهود وكأنها مبادرات أفراد أو جماعات متفرقة هنا وهناك . إلا أن سماتها المشتركة وأساليبها فى العمل على تحقيق أغراضها تؤكد وحدة مصادرها كانما هي حلقات متكاملة فى مخطط عالمي ياخذ من فلسطين المحتلة مركز انطلاق لتحقيق حلم الصهيونية الكبير فى السيطرة على العالم .

موضوع هذا المقال يدور حول واحدة من هذه المحاولات جرت فى استراليا . الاطار الموضوعي واحد وهو انقاذ اليهود فى أوربا وروسيا ، والفترة الزمنية متقاربة ، أما الهدف فقد كان يتجه إلى إنشاء مستعمرة صهيونية فى قلب استراليا على غرار المستعمرة اليهودية فى فلسطين ، تكون قاصرة على اليهود وحدهم مستبعدة ماعداهم من العناصر والديانات الأخرى . وكان اليهود فى سعيهم لحل مشكلاتهم



غلاف الكتاب الذي ألفه ارثر كالويل كشاهد عيان على محاولة الصهيونية إنشاء مستعمرة يهودية في استراليا :

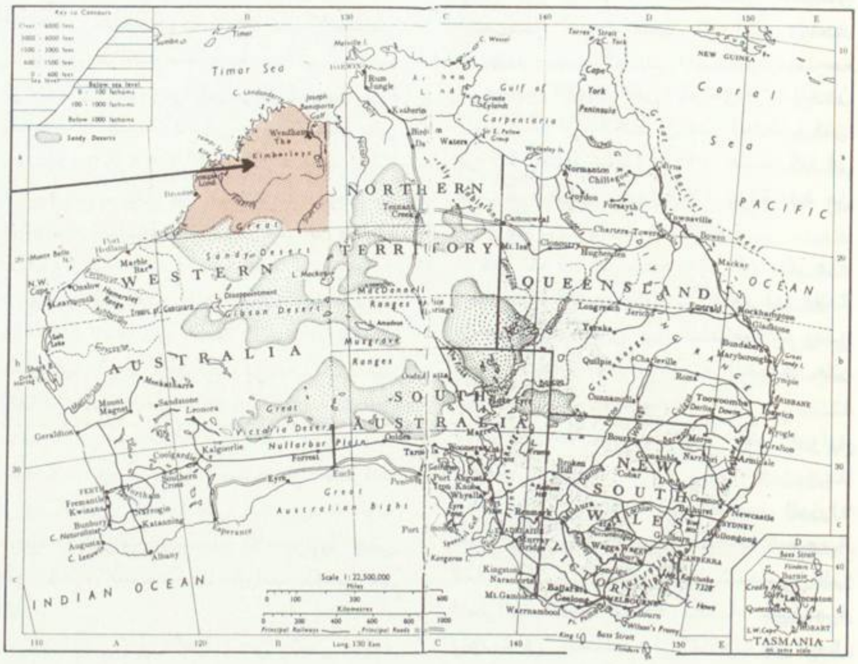
وتحقيق ذواتهم لا يستطيعون أن يعيشوا إلا كمجموعات متميزة فى «الجيتو» صغر هذا الجيتو بحيث يكون مجرد حارة في مدينة ، أو كبر ليملأ حدود دولة باثرها .

لقد أخفقت المحاولات الصهيونية فى إنشاء مستعمرة لليهود فى استراليا وأصبحت هذه المحاولات تاريخاً منسياً لا يحاول احد أن يذكره أو يتذكره ، فكتب التاريخ لا تتعرض لهذه المحاولات من قريب أو بعيد ، فيما عدا كتاب واحد ظهر على شكل سيرة ذاتية أصر صاحبها على أن يكشف عن أبعاد هذه المحاولات وأن يتحدث عنها كشاهد عيان .

لم يكن صاحب الكتاب مؤلفاً عادياً بل كان مفكراً طليعياً ووزيراً بارزاً فى الحكومة الاسترالية ، وكان زعيماً لحزب العمال فى فترة من فترات حياته السياسية الحافلة . كان شخصية مثيرة فذه ، وجاء عنوان كتابه مثيراً كشخصيته فقد اختار له هذا العنوان : كن عادلا ولا تخش شيئا

(Be just and fear not)

أما المؤلف فانه آرثر أ. كالويل CALWELL



منطقة كمبرلايز « المشار إليها بالسهم » حيث حاول « شتينبرج » إقامة مستعمرة يهودية فيها

كان آرثر كالويل من معارضى الحرب الفيتنامية ، استنكر تورط استراليا فى تلك الحرب الشائنة وقاوم تدخل الكنيسة الكاثوليكية فى السياسة وتعرض - بسبب مواقفه الحادة - لحملات صحفية عنيفة كادت تطيح بمنصبه وتقضى على مستقبله السياسى أكثر من مرة ، بل إنه تعرض للاغتيال فى يونية سنة ١٩٦٦ وهو يقود الجماهير الثائرة فى سيدنى ضد الحرب الفيتنامية ، وكانت تلك هى حادثة الاغتيال السياسى الوحيدة فى تاريخ أستراليا .

المسألة الصهيونية .. بالصدفة

عندما شرع «كالويل» يدون مذكراته نصحه بعض الأصدقاء أن يتغاضى عن بعض الأمور التى قد تسيء الى حزب العمال الذى ينتمى اليه ، أو تسيء الى الكنيسة الكاثوليكية أو بعض الفئات الأخرى من كبار الشخصيات فى المجتمع .

كان كالويل قد بلغ السابعة والسبعين من عمره حين شرع يؤلف كتابه ولكنه رغم شيخوخته لم يفقد صلابته فى قول الحق ولا قوة المنطق واستقامة الفكر ، وهى خصال ظل يتمتع بها طوال حياته . كان رد كالويل على ناصحيه : «اننى لا أعتقد أن شيئاً مما أكتب سوف يلحق الأذى بأحد من هؤلاء الناس الذين يشغلون مراكز مرموقة فى هذا المجتمع ، فانا أفترض فيهم من القوة ما يكفى لأن يواجهوا أنفسهم بعيوبهم ونقائصهم ، وأنا عندما أكشف عن جوانب الضعف فى أولئك الذين شابت أعمالهم بعض مظاهر الطغيان أو الظلم فاننى أشعر باننى محق فيما قلته عنهم» ثم يضيف «كالويل» قائلا :

«انه ليس من حق احد أن يموت دون أن يترك شيئا ، فنحن ملتزمون بان ننقل الى الاجيال التى تاتى من بعدنا حقيقة ما عانيناه ، ومهما تكن ردود الأفعال التى تترتب على ذلك فانا لازلت مستعداً للرد عليها ، ولست أنوى الاعتذار لأحد» .

بمثل هذه الصراحة والشجاعة فى الرأى تناول «كالويل» مسألة الاستعمار الصهيونى فى أستراليا .

جاء أول احتكاك لكالويل بالمسألة الصهيونية عن طريق الصدفة المحضة ، وفى هذا يقول :

«بعد ظهر أحد الأيام خلال النصف الثانى من عام ١٩٤٠ كنت اتحدث الى جون كيرتن John Curtin (رئيس الوزراء فى ذلك الوقت) فى شارع كولينز بملبورن عندما مر أمامنا رجل عجوز ضئيل الجسم له لحية دب فيها المشيب . تفرس فيه كيرتن ملياً ثم قال : أتعرف من هذا الرجل ؟ فاجبت : لا فعقب كيرتن قائلا «ان اسم هذا الرجل شتينبرج Steinberg كان وزيراً فى حكومة لينين وقد وقع عدداً من أحكام الاعدام أكثر من أى رجل آخر فى روسيا» . وقد بدا لي كل هذا غريباً فلم أكن قد سمعت من قبل عن شتينبرج هذا ولا أن أحداً من وزراء لينين قد جاء الى استراليا ، ولكنى علمت فيما بعد أن وزيراً آخر من وزراء لينين ذهب الى سيدنى ومات هناك» .

ويمضى كالويل قائلا : «لم اتحدث مع كيرتن عن هذا الموضوع مرة اخرى ولا هو ذكره فى لقاءاتنا التالية ، غير اننى شعرت أن هذا الرجل الضئيل المسمى دكتور آى . ن شتينبرج Dr. I. N. Steinberg يسبب له كثيراً من الازعاج» .

فى سنة ١٩٣٨ وقعت الحكومة الاسترالية اتفاقية إيفيان بفرنسا والتى بمقتضاها تقبل استراليا ١٥ الف لاجيء سياسى من يهود المانيا والنمسا وذلك خلال السنوات الثلاث التالية (١٩٣٩ - ١٩٤١) . والذى حدث ان استراليا استقبلت ٦٤٥٧ مهاجراً فقط فيما بين سنة ١٩٣٨ و ١٩٤٥ . وذلك لانه عندما نشبت الحرب فى سنة ١٩٣٩ أصبح الطريق مغلقاً أمام اليهود للخروج من المانيا .

وقد جاء شتينبرج الى استراليافى منتصف عام ١٩٣٩ لمحاولة إقامة مستعمرة يهودية فى منطقة (كمبرلايز Kimberleys الواقعة فى الشمال الغربى لولاية «غرب استراليا» يقول كالويل : «كان (شتينبرج) يتصور منطقة مثل دولة اسرائيل تقام على ما وصفه بانه سبعة ملايين فدان من الأرض البكر . ومن الاحداث التى تلت ذلك وكذلك من خلال محادثاتى مع قادة اليهود فى لندن علمت أن شتينبرج حاول أن يكسب تأييد أسرة روتشيلد وغيرهم من اليهود الأثرياء فى أوربا لمشروعه ولكنهم لم يوافقوا على مقترحاته» .

ومع ذلك فقد كان شتينبرج من النوع الذى لا يعرف اليأس أو الاستسلام ، رجل ذو مقدرة وعناد شديدين ، ففى خلال بضعة أيام من وصوله الى استراليا استطاع أن يناقش مشروعه مع (جون كولينجز ويلكوك) رئيس وزراء ولاية غرب استراليا .

جاء شتينبرج من لندن الى بيرث Berth عاصمة ولاية غرب استراليا مندوباً عن «عصبة الأرض الحرة للاستيطان اليهودى» Freeland League for Jewish Territorial Colonization وقد ادعى شتينبرج فيما بعد أن ويلكوك وافق على مشروعه . وقد علق ويلكوك على ذاك قائلا «بطبيعة الحال لابد لنا من ضمان أن أبناء قومك (اليهود) سوف يستقرون فى المستعمرة ويعملون على تنميتها وانهم لن يهجروها الى المدن ويصبحون بذلك عبئاً على الحكومة الاسترالية» .

ويقول كالويل : «لقد كانت هذه ملاحظة حكيمة من ويلكوك ، وهى فى الواقع نفس المشكلة التى كانت تقلق بال «كيرتن» (رئيس الوزراء العيدراني) حيث كان يتساءل فى حالة إقامة مستعمرة يهودية

فى كمبرلايز كيف يمكن ان نجعل اى فرد جاء تحت رعاية (عصبة الارض الحرة) يستقر فى المنطقة اذا اراد ان يغادرها ؟» .

وكان كيرتن على يقين بانه لن يمر وقت طويل حتى يتململ بعض المستوطنين ويصبحون غير راضين عن الاقامة فى المستعمرة وسوف يتحولون الى سيدنى او ملبورن أو غيرهما من عواصم الولايات الاسترالية الأخرى.

وبالرغم من مقاومة كيرتن للفكرة استطاع شتينبرج أن يحصل على مساندة مجلس اتحاد نقابات العمال الاسترالى وعدد من قادة الكنائس المسيحية وقطاع كبير من الصحافة الاسترالية .

يقول كالويل فى مذكراته : عندما افكر فى هذا الموضوع الآن اجد انه كان مشروعاً سخيفاً فقد كان مطلوباً من الاستراليين مراعاة لاعتبارات انسانية وتعاطفاً مع مشكلات فئة من الناس ان يوافقوا على اقتراح لم يكن تحقيقه ممكناً باى حال ، فبالدرجة الاولى لم يكن هناك ضمان ان الناس الذين سوف يستوطنون (المستعمرة) يمكن ان يبقوا فيها ، ولم يكن من الممكن ان نسلم جزءاً من ارض استراليا ليصبح قاصراً على جنس من البشر أو دين ما لانشاء كيان منفصل تماماً عن بقية الأمة.

كان كالويل يعرف حقيقة النوايا الصهيونية من مشروعها الاستيطانى فى غرب استراليا وكان مدركاً للنتائج الرهيبة التى يمكن ان تترتب على تنفيذ مثل هذا المشروع وكان يعرف انه بموقفه يمثل راى الغالبية العظمى من الشعب الاسترالى الذى قد يتعاطف مع الويلات التى صبها هتلر على يهود أوربا وقد يمنحهم مكاناً بينه مساعدة منه فى تخفيف ويلاتهم ، ولكنه لم يكن ليقبل ان يمنح اليهود مستعمرة يقيمون عليها دولة داخل الدولة . ولذلك وقف كالويل بصلابة ضد مشروع شتينبرج . صحيح ان الكثيرين من يهود أوربا تيسر لهم الدخول الى استراليا للالتحاق باقاربهم واسرهم المقيمة هناك ، وذلك خلال فترة شغله لمنصب وزير الهجرة غير انه فى نفس الوقت عمل على إحباط مساعى شتينبرج وتصدى لحملات اتحاد نقابات العمال الاسترالية وحملات الصحافة ورجال الكنيسة .

إن اتحاد نقابات العمال الاسترالى مؤسسة بالغة القوة والنفوذ فى السياسة الاسترالية وقوام حزب العمال الذي ينتمي إليه كالويل - في غالبيته - من العمال ونقاباتهم . وزعيم اتحادات العمال له نفوذ قد لا يقل عن نفوذ رئيس الوزراء الاسترالي إن لم يكن يزيد عليه احياناً . وقد استطاعت الحركة الصهيونية ان تنفذ إلى قلب هذا الاتحاد . هذه الحركة تتخير من الاشخاص اللامعين من تتوسّم فيهم مواهب خاصة تؤهلهم لان يصبحوا فى مراكز قيادية بارزة ومؤثرة . وهي لا تكتفي بالاستحواذ على عقولهم وافكارهم بل تعمد إلى قلوبهم ايضاً فتحيطهم بشبكة من العلاقات الشخصية الحميمة تجعلهم يقاتلون معاركها وكانهم يدافعون عن مبادئهم الخاصة .

واكبر مثل على ذلك (بوب هوك Bob Hawk) الذي كان زعيماً لاتحادات العمال حتى عهد قريب ، فهو صديق لجولدا مائير ولعدد كبير من قادة حزب العمل الاسرائيلي وتربطه بهم صلات اسرية حميمة . وبوب هوك يمثل في استراليا جبهة الدفاع الاسرائيلي امام اية محاولة عربية لاختراق السياسة الاسترالية حتى ولو رغبت الحكومة الاسترالية نفسها فى ذلك .

لقد تخلى (بوب هوك) عن رئيس وزراء استراليا وزعيم الحزب الذي ينتمي إليه بوب هوك فى اسوا ازمة سياسية مر بها الحزب وذلك عندما اراد (جوف ويتلام Gough Whitlam) رئيس الوزراء الاسترالي السابق ان يقترب من العرب ويسمح لهم باستثمار اربعة آلاف مليون دولار فى استراليا رغبة منه فى ان يخفف من قبضة الولايات المتحدة على الاقتصاد الاسترالي .

لقد كان ويتلام شخصية عالمية وسياسية ، ولكنه لسوء حظه اقترب من المحظور : صداقة العرب ومقاومة النفوذ الامريكي .

لقد سقطت حكومة ويتلام نتيجة مؤامرة امريكية صهيونية اشترك فيها الحاكم العام الذي استخدم بعض حقوقه الدستورية الغامضة فى طرد الحكومة التى انتخبها الشعب على غير سابقة في تاريخ استراليا.

وكان موقف بوب هوك سلبياً من اول الصراع حتى نهايته ، فقد حجب بموقفه المساندة العمالية الفعالة التى كان يتوقعها « جوف ويتلام » فى محنته السياسية .

وإذا كان هذا هو موقف اتحاد العمال الاسترالي من الحركة الصهيونية فانه ليس بالأمر الجديد ، وإنما هو وضع قائم منذ عهد بعيد ولم يكن اقل وضوحاً في عهد « كالويل » وهو يتصدى لمشروع شتينبرج .

فقد كان الاتحاد متحمساً لمشروع شتينبرج حيث كتب (ب . ج . كلاري) وهو سكرتير الاتحاد إلى كيرتن (رئيس الوزراء) يقول : « لقد كلفتنى اللجنة التنفيذية للاتحاد أن انقل إليك موافقتها على مشروع المستعمرة اليهودية المقترح إقامتها فى كمبرلايز . لقد حظى هذا الموضوع بدراسة جادة من جانب الاتحاد خلال السنتين الماضيتين ، وقد سبق أن أبلغ الاتحاد موافقته ومساندته على المستعمرة المقترحة.

ويعلق كالويل على ذلك بقوله : « انه من المثير حقاً أن نلاحظ أن هذا الخطاب كتب فى ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٤١ عندما كنا فى معمعة الحرب ، وبعد ١٧ يوماً فقط من تولى كيرتن لرئاسة الحكومة » .

كان كيرتن قد صمم على ان مثل هذه المستعمرة الصهيونية لن تقوم لها قائمة فى استراليا ولكن هذا التصميم لم يمنع اتحاد العمال من مواصلة الضغط على حكومته لقبول المشروع .

فى ٣١ مارس ١٩٤٣ كتب ادوارد جيمس هولواى Edward James Holloway وكان نائباً لرئيس الوزراء كتب الى « ارنست بيفن » بصفة شخصية قائلا : « ان بعثة دكتور شتينبرج الى استراليا كانت معنية بانشاء مستعمرة يهودية فى المنطقة غير الماهولة فى شمال غربى استراليا ، وكان التصور ان تسير المستعمرة على نفس الخطوط التى اتبعت فى المستعمرة الزراعية الشهيرة فى فلسطين . ولقد اعطت الحكومة الفيدرالية أولوية للنظر فى المشروع المقترح . ولكن نشوب الحرب وضع كل مشروع اخر غير الحرب جانباً . ولست متاكداً ما إذا كانت كل من حكومتى منزيس وفادن قد منحت هذا المشروع اهتماماً خاصاً من قبل » .

ويبدو أن « هولواى » اراد أن يستعين بالوزير البريطانى إرنست بيفن فى اقناع « عصبة الأرض الحرة » بالاقلاع عن مشروعها الاستيطانى فى غرب استراليا ، ولكن هذا لم يثن شتينبرج عن محاولاته ، فقد غادر استراليا الى تورنتو بكندا ، ومن هناك كتب إلى كيرتن فى اغسطس ١٩٤٣ يحثه على اتخاذ مبادرة شخصية للاسراع باتخاذ قرار فى المشروع .

واجاب كيرتن على رسالة شتينبرج قائلا «ان حكومة الكومنولث تتعاطف مع المازق الخطير الذى يعانيه شعبك فى أوربا ، وانا واثق من تقديرك ان مسالة الهجرة الى استراليا - وعلى الاخص بالنظر الى مشاعر العداء التى قد تترتب عليها - ينبغى أن تبحث من جميع وجوهها . واننا بسبيل انشاء لجنة لدراسة المشكلة فى ابعادها المختلفة ، وحتى تصدر توصيات هذه اللجنة فان الحكومة ليست فى وضع يسمح لها بتشكيل سياسة نهائيـــة فى الموضوع » .

وانشا كيرتن لجنة تمثل الوزارات المختلفة حضر اجتماعاتها كالويل بصفته وزيراً للاعلام ، وذلك لدراسة مشكلات الهجرة الى استراليا وكانت توصية اللجنة

بشان مشروع شتينبرج هى الرفض التام .

وعلى اثر ذلك كتب كيرتن الى شتينبرج : « بعد بحث دقيق لجميع الظروف المحيطة بالمشروع فان الحكومة لا تستطيع ان تتخلى عن سياستها الراسخة فيما يتعلق بالمستعمرات الأجنبية فى استراليا . ولذلك فان الحكومة لا ترحب باى اقتراح يتعلق بانشاء مستعمرة جماعية من ذلك النوع المقصور على فئة معينة كالذى تفكر فيه « عصبة الأرض الحرة » . وبرغم هذا الرفض الصريح والموقف الواضح من جانب حكومة العمال فان اتحاد العمال وقادة الكنائس ظلوا يساندون المشروع بلا فتور ، ولم تضعف همة شتينبرج او ييأس من المحاولة فقد ظهر فى اول مؤتمر للامم المتحدة بسان فرانسيسكو فى مايو ١٩٤٥ وانتهز الفرصة ليثير - امام الراى العام العالمى - المشكلة الملحة لليهود الذين لا ماوى لهم ، ووزع مذكرة على جميع وفود الدول فى المؤتمر ، ولكنه اختص رئيس الوفد الاسترالى بمزيد من الاتصالات الشخصية . كان رئيس الوفد هو فرانك فورد (Frank Forde) نائب رئيس الوزراء الاسترالى ، وقد اكد لشتينبرج انه سوف يناقش الموضوع مع كيرتن مناقشة إيجابية مفصلة عندما يعود الى استراليا . وبعد شهرين توفى كيرتن وخلفه فورد رئيسا للوزارة . ورغم ان فورد لم يستمر فى الوزارة اكثر من سبعة أيام فقط ، إلا انه انتهز هذه الفرصة وكتب إلى «شتينبرج» قائلا : « بالاشارة إلى استعراضك الشخصي لي فى سان فرانسيسكو بشان إعادة النظر في قرار الحكومة ضد انشاء مستعمرة يهودية فى منطقة كمبرلايز او في منطقة اخرى فى استراليا تكون ماهولة .. أود ان افيدك علما بانه قد اعيد النظر فى الموضوع بعناية . وقد تقرر الالتزام بالقرار الذي سبق إعلانه إليكم من قبل » .

انتخب (تشيفلي Chiefly) رئيسا للوزراء خلفا لفورد ، وتابع شتينبرج حملاته غير المجدية بالكتابة إلى «تشيفلي» عندما كان فى زيارة إلى لندن سنة ١٩٤٦ وقد اجل «تشيفلي» إجابته حتى عاد إلى استراليا ، ومن هناك كتب إليه : « إن ملتمسك قد حظى بعناية كاملة من البحث وأن حكومة الكومنولث لا تستطيع ان تغير موقفها بشان هذا الموضوع .. واريد ان اضيف انه مساهمة منا فى إيجاد حلول لمشكلات ما بعد الحرب فان حكومة الكومنولث قد اصدرت تصريحات بالدخول لصالح اقرباء اليهود الذين يعيشون بالفعل فى استراليا » .

ويقول كالويل معلقا : « كوزير للهجرة ساعدت تشيفلي فى إعداد هذا الخطاب ، وواقع الأمر اننا قدمنا الكثير للشعب اليهودي الذين نجوا من المحن والمحاكمات الرهيبة التى عانوا منها فى اوربا ، ربما اكثر من اية دولة اخرى ، وقد تبين فيما بعد ان مشروعنا كان افضل من المشروع الذي اقترحته « عصبة الأرض الحرة » واعتقد اننا يجب ان نكون جميعا سعداء لأن مشروع هذه العصبة لم يكتب له ان يرى النور » .

الأرض غير الموعودة

فى كتاب بعنوان « استراليا : الأرض غير الموعودة » نشر سنة ١٩٤٨ كتب شتينبرج : « هذا هو ما استقر عليه الامر بعد سبع سنوات من الكفاح المستميت والمفاوضات ، وكما اشار مستر تشيفلي فى خطابه ان استراليا مستعدة للاسهام فى تخفيف ويلات اليهود بالسماح لعدد منهم الدخول الى استراليا بصفتهم مهاجرين افراد ، ولكنها غير مستعدة لتطبيق مفهوم أوسع لمستعمرة يهودية .

وللأسف فان الشعب اليهودي لا يستطيع الانتظار ، ومن ثم فان (عصبة الأرض الحرة) قد اضطرت لتحويل نظرها إلى اراض اخرى لاعادة توطين اليهود .

ويرد كالويل معلقا على ذلك : « انا لا اعرف ارضا اخرى استطاعت « عصبة الأرض الحرة » ان تطبق مشروع المستعمرة اليهودية فيها . والآن بعد ٢٦ عاما مضت على خطاب تشيفلي إلى شتينبرج لا ارى سببا واحدا يجعل الاستراليين غير سعداء أو يجعلهم يشعرون بالخجل مما فعلوه لمساعدة اليهود المشردين والتخفيف عن ويلاتهم . ولم يستطع د. شتينبرج او غيره من الناس ان يوضح لي حقيقة الأهداف التى سعوا إليها بانشاء «عصبة الأرض الحرة» ، ولكني عندما اصبحت وزيرا للهجرة ، استطعت من بعض الملابسات والشواهد ، ان استنتج ان دكتور شتينبرج ومؤيديه كانوا يؤمنون بامور ثلاثة :

- انه لا مستقبل للملايين الثلاثة من اليهود الذين يعيشون فى روسيا او اليهود الذين يعيشون فى اوربا وآسيا وافريقيا .
- وانه لا يوجد متسع كاف لهم فى ارض اسرائيل .
- وان الوضع الأمثل هو إنشاء دولة اخرى قاصرة على الديانة اليهودية بدلا من هجرة اليهود واندماجهم فى شعوب اخرى وفقدانهم لهويتهم .

ويعقب كالويل مستنكرا : « إن الشعب اليهودي يمثل جنسا ودينا معا ، وهذا شيء لم تقبله الشعوب غير اليهودية فى الدول الاوربية بما فيها روسيا » .

لقد تمزق اليهود عبر الوف السنين وانقسموا على انفسهم وظهرت بينهم طوائف متنافرة حتى انهم يعتبرون المسيحية مجرد طائفة منشقة عن اليهودية . ولا شك في أن اليهود قد عذبوا كثيراً وتفرقوا فى آفاق الأرض ، وحبسوا انفسهم فى حارات اليهود ، وتعرضوا للمذابح ، ولكنهم ظلوا متشبثين فى عناد باعتقادهم الذي حملوه خمسة آلاف عام بانهم « شعب الله المختار » حتى ان الروس وصموا اليهود بانهم (مفارقة تاريخية بائدة Vestigial anachronism)

استقبل اليهود ثورة ١٩١٧ بترحاب شديد ، فقد خلفت المذابح القيصرية عندهم ذكريات مريرة ومن ثم اقبلوا على مساعدة لينين فى ثورة اكتوبر ، وكان « ليون تروتسكي» و «جريجوري زينوفيو» و «ليف كامنييف» من ابرز القادة اليهود الذين عملوا مع لينين فى تحقيق الثورة ، فلما قبضت الثورة على زمام الحكم ، كان من بين المشكلات التى واجهتها فى الادارة تخلي اعداد كبيرة من موظفي الدولة عن اعمالهم ، حتى أن وزارة الخارجية الروسية خلت تقريبا من جميع موظفيها بما فى ذلك عاملات النظافة . فجاء اليهود رجالا ونساء ليشغلوا جميع هذه الوظائف الشاغرة .

ولكن سرعان ما انفصمت عرى هذا الزواج غير الشرعي ، فقد عاد اليهود إلى ولائهم القديم يتقوقعون داخل عقائدهم البائدة وجاءت دكتاتورية ستالين تحصد رءوسا كثيرة من بينها عدد من قادة اليهود .

اتيح لبعض اليهود الخروج من الاتحاد السوفييتي فى أوائل الثلاثينات ، وذلك قبل محاكمات سنة ١٩٣٧ الشهيرة ، وهاجر كثير منهم إلى استراليا ، وكانوا موجودين اثناء محاولات شتينبرج اقامة مستعمرة استرالية لتوطين اليهود ، ولكنهم فيما يبدو لم يهتموا كثيراً بهذا المشروع . وفي ذلك يقول كالويل : « اعرف ان كثيراً من هؤلاء كانوا اعضاء فى حركة الشباب الشيوعي Komosmol وقد اصبحوا فى استراليا اثرياء ، ومقدار علمي ان احداً منهم لم يعط خطة شينبرخ اية مساندة مادية او معنوية » .

ويبرر كالويل ذلك بقوله : « لقد كان يهود روسيا يشعرون شعوراً غريزيا بانهم اسرى بابل ومشرديها ، وكان ولاؤهم الحقيقي لصهيون او اسرائيل وليس لكمبرلايز الاسترالية التى لا يمكن ان تكون بديلا لصهيون » .

محمد يوسف عدس



« سلمى التاجي الفاروقي » الفلسطينية المسلمة التى تزوجت من الفيلسوف الكبير جارودي بعد أن اشهر إسلامه .. أصبح اسمها الآن : سلمى جارودي .

جارودي في الدوحة

حوار : وضّاح طهبوب

- تبليغ الشعلة هو الوفاء للأجداد وليس الحفاظ على رفاتهم فحسب
- صداقتي للشيخ الإبراهيمي في الجزائر كانت البداية لفهم حقيقة الدين الإسلامي
- كتابي عن إسرائيل وأكاذيب الصهيونية رفضته دور النشر الفرنسية الكبرى
- جارودي يسلط الضوء على الدور الكبير المنتظر لأجهزة الإعلام العربية

على مشارف القرن الحادى والعشرين ، يقف روجيه جارودى ، أمام مجلد الحضارة الغربية ، ملخصاً تلك الحضارة ذات القرون الخمسة الماضية ، ليعلن أن الطريق مسدود ، وأن الاستمرار فيه سوف يؤدى إلى انتحار الكون بأكمله ! فقد طغى العنف على علاقات الافراد ، والطبقات ، والأمم، ونزعت تلك العلاقات إلى القوة والهيمنة ، وفقدت ثقافة الغرب معناها وغايتها ، أما العقيدة فقد ضاع منها مفهوم التسامي والعلو .. ذلك البعد الانساني الحقيقي للبشر . .

روجيه جارودى أورجا جارودى ، واحد من قلائل الفلاسفة المؤرخين للحضارات بمجملها ممن استطاعوا هضم حضارات سالفة ، وأحاطوا تجاربها بشمولية وتشريح ، وهذا ما يفعله جارودى الآن على وجه التحديد .. انه ابن الحضارة الغربية ، ومعتنق عقائدها وداعية لها ومفسر لها ، وناقد لها ، ومنقلب عليها ، وملغ انسانيتها ، ثم الباحث والمهتدي إلى الخلاص .. خلاص الانسانية بأكملها وسعادة الانسانية بأكملها ..

رجا جارودى ، اعتنق أخيراً الاسلام ، ووجد فيه ضالته ، نطق بالشهادتين وأسلم منذ شهر «رمضان» الذى مضى ، وتزوج «على سنة الله ورسوله» من سيدة مسلمة فاضلة ، ولدت فى فلسطين ونشأت وتعلمت فى مصر ، وارتحلت الى السعودية ، واستقر بها المطاف فى جنيف منذ عشر سنوات .. وهناك التقى «جارودى» بها .

يومان قضاهما «جارودى» فى مدينة «الدوحة» ، وبالرغم من الأعوام السبعين التى يحملها «جارودى» على كتفيه وجبهته فقد كان يشع حيوية وتألقاً وذكاء .

التقيته بعد محادثة بالهاتف مع قرينته السيدة سلمى التاجي الفاروقى . قالت لي ان زوجها سيعقد مؤتمراً صحفياً فى الرابعة عصر الغد . قلت لها إننى أرغب فى رؤية المفكر الكبير على انفراد .. فردت : بعد المؤتمر نتقابل وسنرى ماذا يمكننا عمله .

المؤتمر الصحفى كان خليطاً من الأسئلة والأجوبة بالانجليزية ، والفرنسية ، والعربية .. تناولت آراء «جارودى» فى غزو لبنان ، وفى ستالين ، وفيما كتبه الموارد وجلال الرومى ، والصهيونية ، ووعود الاسلام ، وكتابه الأخير «أحلام وأكاذيب الصهيونية» أو «ملف اسرائيل» الذى سيصدر فى مارس الحالي .

كانت الأسئلة كلها تدور حول «موضوعات» سبق لجارودى أن أجاب عليها فى كتبه ومقابلاته .. وقد نشرت «الدوحة» حواراً مع «جارودى» ، واستعراضاً لآخر كتبه «وعود الاسلام» فى عددين من أعدادها قبل شهور قليلة .

وقد يتصور المرء أن من السهل الولوج الى عالم «جارودى» المتشعب الرحب ، الغنى بالتجارب ، وعصارات المعرفة ، وخلاصة الحضارات .. إلا أن الأمر يبدو شديد الصعوبة عندما تحاول البدء فى السؤال : ماذا تسأل جارودى ؟ وهل من السهل استفزازه أو استدراجه ؟ بل ، هل من الضروري استفزازه ؟ وهل هناك ما يخفيه لكى تستدرجه اليه ؟ ..

البعد الروحى والأخلاقى للاسلام

أردت فى البداية أن أفتش عن تلك «الشرارة» التى أضاءت فى قلبه وعقله .. وجعلت من الاسلام شاغلا له . كيف بدأ .. ومتى .. وكيف كانت ظروف تلك الاضاءة التى بدأ منها رحلته مع الاسلام الى أن بدأت مرة ثانية رحلته فى الاسلام مفكراً ، مؤمناً ، داعية ، إنساناً مسلماً ؟

قال لي بالفرنسية ـ وترجمت زوجته الى العربية ـ ان حكايته مع الاسلام لم تبدأ بلمحة بارقة ، فقد قرأ كثيراً عن الدين الاسلامي فى مختلف مراحل تجربته مع الفكر والنظريات ، منذ أوائل الأربعينات وهو يقرأ عن الاسلام ، وعن غيره من العقائد والفلسفات ..إلا أن تجربته فى الجزائر عندما كان جندياً فى صفوف المحتل الفرنسى لذلك البلد المسلم قدمت له وعياً اضافياً للبعد الروحى والأخلاقى الذى يرتكز عليه الاسلام ..

فقد وقع ذات مرة أسيراً فى يد الثوار الجزائريين المسلمين ، واعتقد تماماً أن مصيره وزملاءه من الأسرى الفرنسيين سيكون على يد أولئك المحاربين «المسلمين المتعصبين» ولكنه فوجىء بالابقاء على حياته .. هو وزملاؤه .. وفوجىء بالمعاملة الانسانية الكريمة من قبل الثوار .. وهو يعلم فى قرارة نفسه أنه فرنسى غربى يغزوهم ويستعمرهم ويحارب عقيدتهم ووجودهم .. وعندما تساءل عن سر المعاملة الطيبة فهم أن الدين الاسلامى يمنع قتل الأسير ، ويدعو الى معاملته معاملة كريمة .

ومن تجاربه فى الجزائر ايضاً ... أثناء الاحتلال الفرنسى للجزائر ، انه كان على صلة بالشيخ البشير الابراهيمى ـ وهو والد السيد أحمد طالب الابراهيمى ـ وزير خارجية الجزائر الحالى ـ وكان الشيخ الابراهيمى رجلا عالماً وزاهداً وشاعراً ومتصوفاً .. ويتذكر «جارودى» انه فوجىء عند زيارته للشيخ أول مرة بصورة كبيرة للأمير عبد القادر تتصدر مجلس الشيخ .. فاستغرب الأمر .. لأن معلوماته عن الأمير عبد القادر انه رجل حرب ، وزعيم جماعات من الثوار الجزائريين .. وانه بعيد كل البعد عن أن يكون فى هذا الوضع من الاجلال والتكريم من قبل شيخ شاعر زاهد متصوف .. وهنا بدأ «جارودى» يقارن بين الصورتين ويربط بينهما .. ودعاه التفكير الى التساؤل الى فهم جديد للاسلام هو انه دين عقيدة وعمل .. وأن الجهاد فى الاسلام له مفهوم غير الذى يعرفه الغرب ، والذى أشاعه الغربيون الحاقدون خاصة أثناء وبعد الحروب الصليبية .. وعلم ساعتها .. أن الأمير عبد القادر لم يكن رجل عصابات ومقاتلين يتحصنون بالجبال والمغاور .. بل انه مجاهد اسلامى ، ومؤمن ورع ، ومتصوف وشاعر وأديب .. وهو يحارب الفرنسيين دفاعاً عن عقيدته التى تدعو الى إعلاء كلمة الله وتدعو الى التحرر ليس من المستعمر العدو فحسب ، وإنما الى التحرر من قيود النفس وشهواتها .. وذلك هو الجهاد الأكبر ..

«لقد أثر فى نفسى الأمير عبد القادر الجزائرى .. ومؤخراً قمت بترجمة بعض كتابات الأمير عبد القادر فى التصوف الى الفرنسية وفاء لذلك الرجل» .

نور على نور

يقول المفكر المسلم رجا جارودى عن تجربته التى عبرت أكثر من محطة فكرية :

«لقد كان شغلى الشاغل طيلة حياتى ينصب فى البحث عن النقطة التى يلتقى فيها الابداع الفنى والشعرى بالعمل السياسى والايمان . وقد مكننى الاسلام بحمد الله من بلوغ نقطة التوحيد بينهما ـ ففى حين أن الأحداث فى عالمنا القائم على التنافس والنمو الكمى والعنف . وفى حين أن نسيان الله يجعل منا عباداً «هامشيين» خاضعين «لضرورات وصدف خارجية» ، فان ذكر الله فى الصلاة يكسبنا وعياً بمركزنا ، وبموردنا الذى هو أصل كل وجود . ويعودنا القرآن على أن نكتشف فى كل شىء وفى كل حدث «إشارة للخالق» ورمزاً عن واقع يعلو النظام الفريد الذى يسوس الطبيعة والمجتمع ويسوسنا نحن أنفسنا ، ففطرة الدين الأساسية هى فطرة التناسق والوحدة ، الصادرة عن الله والراجعة اليه » .

والذى قرأ «جارودى» أو استمع اليه يدرك على الفور أن جارودى يعرف عن الدين الاسلامى أضعاف ما يعرفه عن الأمة الاسلامية .. بل إن معلوماته عن المسلمين فى حاضرهم وما يكتنفهم من اختلافات ومذاهب لا يعدو العموميات ، ولكنه يعرف أن التخلف والفرقة والضعف هى الوبال الذى جرته الحضارة الغربية على شعوب العالم الثالث ، لأنها حضارة المادية الفردية وحضارة النمو التراكمى الأعمى فى الانتاج والاستهلاك ، وحضارة العلاقة الجائرة بين الانسان والانسان ، بل إنه يمعن فى احتقاره لحضارة الغرب ناعتاً إياها

جارودي في الدوحة



جارودي ، المفكر الفرنسي المسلم ، اتجه إلى الاسلام والعروبة منذ أكثر من خمسة عشرة عاماً ، وهذه هي صورة جارودي في لقاء له مع جمال عبد الناصر في أواخر الستينات

بالحيوانية ، لأن بعد التسامى والعلو مفقود فيها ، ولأنها لا تخدم فى الانسان إلا حاجاته الغريزية ، وما التقدم التكنولوجى للغرب إلا تقدم فى الوسائل الهادفة لخدمة الغرائز .. غرائز الاستهلاك والتملك والتكاثر .. وهو يعتبر أحدث وسائل العلم الغربية المعاصرة مجرد امتداد لأنياب الحيوان ـ وسيلته للحياة ـ حياته المجردة من هبة التساؤل عن معنى الحياة والموت ، تلك الهبة التى تميز الانسان عن الحيوان ، والتى تدفع بالانسان الذى يتساءل عن معناها الى التحلى بنعمة الايمان ونعمة العقل ، وفى هذا يميز «جارودى» الاسلام كحضارة عالمية لكل البشر بأنه جمع بين الايمان والعقل وضرورة لقائهما لتحقيق الخلاص المنشود للبشرية والسعادة للانسان . فالعقل لا يتعارض مع الوحى بل يستنير به : الوحى ينير العقل ، وهذا كما جاء فى القران الكريم «نور على نور» .

جارودى والمشروع الكبير

وقد أولت وزارة الاعلام القطرية اهتماماً ملحوظاً بالمفكر والفيلسوف المسلم جارودى بناء عن اقتراح لسعادة السيد حمد الكوارى السفير القطرى فى باريس ، الذى تربطه علاقات وثيقة بالأوساط المثقفة فى فرنسا وأوربا ، والذى يعد الآن رسالة جامعية عن « أثر الفكر الفرنسى فى الثقافة العربية » وقد تبنت الدعوة وزارة الاعلام القطرية وأرسلت إلى وزارات الاعلام بدول الخليج العربية لذات الغاية .

كما القى جارودى محاضرة فى جامعة قطر لخص فيها آراءه واظهر الفارق الكبير بين أسس الحضارة الغربية والحضارة الاسلامية ، وفند كذلك دعاوى الصهيونية في فلسطين ، وافتراءاتها لتشويه صورة العرب والمسلمين .

وتهدف زيارة جارودى للمنطقة الى التعريف بالمعهد الدولى للحوار بين الحضارات ، الذى أنشاه فى جنيف ، بهدف أساسى هو الرد على الدعاية الصهيونية المنظمة والمحكمة ؛ حيث تعتبر إحدى العوائق الأساسية أمام تفهم العالم الغربى للدين الاسلامى .

ويعد كتابه «وعود الاسلام» ثمرة أولى لمشروعه ، أما الكتاب الثانى الذى يستعد جارودى لاصداره فهو «ملف اسرائيل بين أحلام وأكاذيب الصهيونية» .

وعندما كان «جارودى» فى الدوحة اتصل من مكان اقامته بمساعديه فى باريس ليخبروه أن ثلاثاً من دور النشر الكبرى الفرنسية رفضت نشر الكتاب . وينوه هنا الى أن خمساً وثمانين بالمائة من دور النشر ومختلف وسائل الاعلام والصحافة تقع تحت طائلة النفوذ الصهيونى ، ولهذا فهو يتعرض لحملة من المضايقة، والتشهير والتعتيم بسبب دفاعه عن الاسلام وهجومه على الصهيونية .

وعلى هذا الأسلس فسوف يضطر جارودى الى نشر كتابه بواسطة احدى دور النشر من الدرجة الثانية أو الثالثة مما يضطره الى تقديم عبء إضافى لمصلحة كتابه يتمثل فى تغطية جزء كبير من الدعاية لدار النشر نفسها ، ولسواها ، بهدف ايجاد نوع من التوازن المنافس للسيطرة الصهيونية على دور النشر ، وهذه مهمة تستدعى وقوف أجهزة الاعلام والسفارات والمنظمات العربية الى جانب جارودى . سواء بتحمل تكاليف الطباعة ، أو تكاليف الحملات الدعائية المنظمة ، أو توزيع الكتاب . لأن مشروع جارودى كبير ، ويهدف اصدار المزيد من الكتب والدراسات ونشرها وترجمتها الى عدة لغات .

ويتحدث جارودى عن الخطوط الرئيسية لهذا المشروع الذى يتمثل فيما يلى :

أ ـ ان الدعاية الصهيونية تلاقى اليوم خيبة عميقة فى العالم الغربى تمكنت من تقديم الادعاءات الأسطورية على أنها حقيقة واقعة .. مثل اضفاء الدعامة التوراتية والتاريخية على عملية استيلاء الصهاينة على أرض ليست لهم .. وهذه هى مسالة «الوعد» ، ومثل ترويج مقولة «شعب الله المختار» والخلط بين هذا المفهوم التوراتى الكنسى المتوارث وبين «دولة اسرائيل العصرية» .

ب ـ يجب أن نظهر للغربيين أن الاسلام هو الوحيد اليوم القادر على فتح طريق أمام المستقبل ، خارج النمطين الأمريكى الرأسمالى والاشتراكى السوفياتى اللذين وصلا الى طريق مسدود مدمر .

ويوضح «جارودى» انه لوضع المشروع

موضع التنفيذ فان المعهد الدولى لحوار الحضارات قد بدأ أولا بالاعداد النظرى باكتساب التجربة والخبرة وإقامة أوثق العلاقات مع أكبر المؤسسات الثقافية وخاصة «اليونسكو» و «الالكسو» ومع أفضل الباحثين فى العالم .

أما فى إطار التوثيق .. فان المواد المجمعة لدى المعهد تعد من أهم ما تحويه مؤسسات مرموقة مثل مركز الدراسات الفلسطينية ، ورابطة العالم الاسلامى ، ومنظمة المؤتمر الاسلامى وجامعة الدول العربيـــة ، وعديد من المنظمات العامة والخاصة ، خاصة فى لاهاى ، وجنيف ، ولندن ، وباريس .

ويرى جارودى أن هناك ثلاث نقاط مهمة لم يتم حتى الآن العناية بها كما ينبغى وهى :

١) تجزئة البحث النظرى الأساسى وتناوله بالشرح اليومى حتى يكون الضوء الذى سنلقيه على الصهيونية لا يتعلق فقط بجرائمها على المدى القصير ولكن بأطماعها على المدى الطويل وبايديولوجيتها وأسطورتها ، وأن نستغل هذا العمل لزيادة تفهم العالم الغربى للاسلام ولتقوية اشعاعه هنالك .

٢) تنسيق المبادرات لتعديد وسائل النشر الضخمة لهذه الأعمال (حضور مستمر فى الصحافة والاذاعة والتلفزيون فى بلدان العالم الغربى - نشر الكتب المبسطة التى تكون فى متناول الجميع أو عن طريق تعليم اللغة العربية وتنظيم معارض ومهرجانات وغيرها وذلك كله سيساهم فى انتشار الايمان وثقافة الاسلام) .

هناك ثلاثة أمثلة للعمل العاجل إزاء نشر العقيدة الاسلامية والثقافة العربية والاسلامية فى الغرب . انه من الممكن أن ننشىء حالا فى الأحياء الباريسية مثل «سان كوتان» أو «الفيلى» مركزاً اسلامياً ، أو مسجداً فى منطقة توجد فيها بعد مجموعة من السكان المسلمين يقرب عددهم من ٨,٠٠٠ نسمة وحيث يمكن لنا الحصول على موافقة السلطة المحلية .

ومن الممكن فوراً إعطاء دفعة جديدة ونشاطاً مشعاً «للجمعية الاسلامية بجنيف» حيث يوجد مسجد تقصده لصلاة الجمعة مئات المسلمين .

ويكاد أن يكون اشعاعه الدينى والثقافى معدوماً .

وعلى صعيد آخر يمكن فى احدى البلدان النفطية بالخليج القيام بانشاء وحدة أو وحدات لانتاج بروتينات لتربية الماشية انطلاقاً من صناعة البترول تسمح لها خاصة فى أوروبا باحتلال مكان مرموق فى مجال صناعة الأغذية الحيوانية خاصة للابقار مع العلم أن انتاج اللحوم يعتمد اليوم أساساً فى أوروبا على الصويا الذى يمكن أن تكون هذه البروتينات بديلا له . فان تعتمد أوروبا بقدر كبير على البلدان النفطية ليس فقط فى مجال الطاقة بل أيضاً فى مجال التموين يشكل حدثاً من شانه أن يغير العلاقات بين أوروبا والبلدان العربية جذرياً فى كل الميادين .

٣) التعجيل بنشر المؤلف الأول : (ملف اسرائيل : أحلام وأكاذيب الصهيونيـــة (وفقاً لروح إعلاننا فى جريدة لوموند بتاريخ ١٧ يونيو ١٩٨٢) ليكون أول سلسلة من المؤلفات الخفيفة من صنف «ماذا أعلم ؟») واسعة الرواج . وبالنسبة للمرحلة التالية وفى إطار سلسلة حول التعبير الفنى للمقدسات ، نحن بصدد إعداد كتاب عنوانه : «فى الاسلام كل الفنون تؤدى الى المسجد ، وكل المساجد تؤدى الى الصلاة» ، وفى هذا الكتاب - انطلاقاً من العلاقة الأساسية مع الاله ، والتى تمثلها الصلاة ، نحاول أن نبين عن طريق زيارة الى كبريات المساجد فى العالم معنى هذه الصلوات . وعن طريق تنوع الثقافات والفنون التى استوعبها الاسلام نحاول ابراز معانى وحدة وشمولية الايمان وأعتقد أن هذا يمثل بالنسبة لمسلمى الغرب - الذين أعد واحداً منهم - عمل لابد من انجازه .

وسوف نؤدى هذه المهمة باذن الله شريطة أن لا ننسى أبداً أن الوفاء للأجداد لا يتمثل فى الحفاظ على رفاتهم ، ولكن فى العمل على تبليغ الشعلة .

السيدة/سلمى جارودي
«سلمى التاجي الفاروقي»



سيدة فلسطينية مسلمة ، ترافق زوجها الفيلسوف الفرنسي الكبير رجا جارودى فى زيارته لدولة قطر .

ولدت فى فلسطين - قضاء الرملة - وانتقلت مع ذويها إلى القاهرة .

تلقت دراستها الأولية فى إحدى المدارس الأجنبية التبشيرية فى القاهرة وكان اسمها مدرســـة « ميردو ديو » ، مما كان لتلك الفترة من عمرها أثر بالغ فى سعيها نحو معرفة وفهم دينهـــا الاسلامي بعد ذلك ، ثم انتقلت أسرتها إلى السعودية حيث يعمل والدها .

استقرت فى « جنيف » منذ عشر سنوات ، وركزت نشاطاتها فى خدمة الجالية الاسلامية هناك . وفى مركز الدعـــوة الاســلامية ، والجمعيـــة الاسلامية بجنيف ، تدرس اللغة العربية لأبناء المسلمين المقيمين فى « جنيف » ، وتعمل على توثيق أواصر المسلمين وإشاعة الروح الاسلامية بينهم فى بلد الاغتراب ، وتحظى باحترام العديد من المثقفين والمفكرين ، واستطاعت بنشاطاتها كسب صداقات هامة فى الأوساط الأوروبية ، وظفتها لخدمة الدعوة الاسلامية ، ولخدمة القضية العربية .

التقت بجارودى فى جنيف ، فى ندوة عامة ، وحاورته فى كثير من آرائه حول الحضارة الغربية والدين الاسلامي ، وبعدما أعلن جارودى إسلامه طلبها للزواج منه ، فارسلت إلى والدهـــا تستشيره وتستأذنه ، فوافق دون تردد لثقته فى ابنته سلمى ، وكان زواجها من جارودى فى نهاية شهر رمضان الماضى .

قبل زيارتهما للدوحة ، كانا فى زيارة للمملكة العربية السعودية حيث أديا « العمرة » .

قصص من واقعنا

بقلم: درويش مصطفى الفار

هذه بضع قصص من واقعنا العربي المعاصر ، لا أسوقها للتفكه والتسلية ، وإنما للتامل ، عل في التامل عبرة تدعونا لنعرف أنفسنا حق المعرفة ، ولنشخص بعض عللنا تشخيصاً صحيحاً ، مقترحاً على قراء الدوحة الكرام ، أن يمدوا المجلة بكل ما لديهم مما يشبه هذه القصص لتقوم بدورها بتبويب انواعها ، ولتجعل منها بحثاً علمياً تتناوله مجموعة من المفكرين العرب ، لاستخلاص العبرة . ومحاولة العمل على ان نتخلص من بعض ما نحن فيه من عناء وشقاء ...

● الحاج على قدم

● عندما قررت الدولة المصرية فى الثلاثينات ، إعادة تشغيل مناجم الذهب بالصحراء الشرقية بين النيل والبحر الأحمر ، انشات مركزاً لاستخلاص الذهب فى مكان يسمى (مرسى علم) قبالة مدينة إدفو ، على ساحل البحر الأحمر . وكان الوصول من إدفو إلى مرسى علم تلك ، مشقة عبر مائتين وخمسين كيلومتراً من الصحراء الوعرة المليئة بكل ما يعوق السيارات في ذلك الزمان ، وأحجم عشرات من السائقين عن العمل ، ولم يصبر عليه إلاالحاج علي قدم المنحدر من قبيلة العبابدة ، وظل علي قدم رائداً يشار إليه بالبنان كبطل لا يبالي بوعثاء طريق إدفو مرسى علم الصحراوي . ولما حان الوقت قبيل وأثناء الحرب العالمية الثانية لانشاء طريق اسفلتي بدل الطريق القديم ، انبرى الحاج علي قدم يرفع لواء المعارضة ، ويرسل برقيات الاحتجاج لكل مسئول في الدولة ليمنع انشاء طريق مسفلت . فلما ساله الناس فى ذلك قال الحاج علي قدم البدوي القح :

إن إنشاء طريق اسفلتي معناه ضياع صيت (علي قدم) لأن الطريق بين ادفو ومرسى علم بعد انشاء الأسفلت سوف يكون اختراقه هيناً حتى على الأطفال والنساء !!!



● المحافظ جارفس

● كان جارفس بك ضابطاً من فلول الجيش البريطاني الذي احتل فلسطين سنة ١٩١٦ تحت قيادة اللنبي ، وعين لكفاءته محافظاً لشبه جزيرة سيناء المصرية فيما بين ١٩٢٣ و ١٩٣٦ . وكان يهتم بشبه الجزيرة باعتبارها جزءاً من الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس . قرر جارفس ذات يوم أن يجدد طلاء ابواب ونوافذ الاستراحات المنتشرة فى الحسنة ، ونخل ، والثمد ، والقصيمة ، والكونتلا ، وطابا ، والنويبعة ، فارسل اشارة تليفونية لكل رؤساء الشرطة فى تلك النقاط ، تقول بانه سيرسل لكل منهم طلاء وفراجين وورق (صنفرة) ، وتنص الاشارة على أن (يصنفر) الخشب جيداً ، ثم يطلى مرة ، وفي اليوم التالي يطلى مرة أخرى ، وفي اليوم الثالث يطلى للمرة الثالثة ، وعند جفاف الطلاء تعاد الأبواب والنوافذ إلى أماكنها ... وبعد شهر قام جارفس بالمرور فشاهد عجباً ... الأخشاب تلمع بلا لون ، فسال في ذلك فكانت الاجابة بأن تعليمات (سعادتك) قد نفذت بحذافيرها طبقاً للاشارة الهاتفية ... فسال : الم تحركوا الطلاء قبل استعماله ، ليظهر اللون المطلوب ، فكانت الاجابة : إن الاشارة لا تنص على – ولا تشير إلى – عملية التحريك قبل الطلاء !!!

• فليعاد .. فليعاد

• إثر صدور قرار تقسيم فلسطين ، في نوفمبر ١٩٤٧ ، هاج الشارع العربي وماج ، وصال الشعراء وجال الخطباء ، واختلط الجد بالهزل والعلم بالجهل ، وقرر جماعة من الناس إقامة (ندوة شعرية) لالغاء قرار الأمم المتحدة ، في إحدى البلاد العربية التي كانت بها جالية يهودية ، وكانت الندوة الشعرية المذكورة بالغة الحماس ، وكانت لهجة ذلك البلد العربي ، تقتضي عند الاستحسان أن يقول السامعون للشاعر المجيد : فليعاد .. فليعاد ... وطالت السهرة إلى منتصف الليل ، وانطلق الحاضرون بعد أن كلت أكفهم من التصفيق كل الى قريته ... والتقى اثنان وراء جدار متهدم بامرأة مسنة شمطاء من اليهود يعرفانها بحكم الجوار ... وكانت المرأة تحمل بندقية من طراز (لي انفيلد ٣٠٣) وتلهث ... فتوقفا عندها ... وسألاها الخبر ... فقالت اللهم العن بن جوريون ، فقد قرر التدريب العسكري الشاق حتى على أمثالي من العجائز ... وانصرف الرجلان وهما إلى اليوم في الأحياء من العرب ، ترن في أذانهما صيحات : فليعاد ... فليعاد ...



• عاشور والعقباوي



• كان عاشور بن محمد (جاويشاً) في سلاح الحدود مشهوراً بدقة إصابة الهدف في ضرب النار بحكم انحداره من سلالة بدوية تنتمي لقبيلة الحويطات الشهيرة ... نقل عاشور بن محمد ذات عام إلى (نقطة) رأس النقب المشرفة على بير طابا ... وبينما كان ينقل الماء من بير طابا ، عرضت له أرنب برية تسابق الريح ، فأرخى العنان لهجينه وأطلق النار عليها فأصاب منها مقتلا ... وذاعت القصة في البادية حتى وصلت الى العقبة ... وكان فيها اسماعيل العقباوي رامياً مشهوراً ذاع صيته ... فلما سمع بعاشور بن محمد آلى على نفسه أن يلتقي به ... قطع اسماعيل الطريق الوعر بين العقبة ورأس النقب مشياً على قدميه ، حتى إذا ما أشرف على نقطة سلاح الحدود صاح ينادي عاشور بن محمد الذي برز له من خيمة متداعية ، فبادره بقوله أنا اسماعيل العقباوي ، أشهر الرماة في هذه المنطقة ، وقد سمعت بقصتك مع الأرنب فجئت لامتحنك ، فرحب به عاشور ودعاه لشرب القهوة فأبى وأقسم ألا يذوق له طعاماً ولا شراباً حتى يباريه في الرماية ... واستل اسماعيل عظمة ضلع بعير من كنانة على كتفه ورفعها بيمناه أمام عاشور بن محمد قائلا : أنا أصيب هذه على بعد مائة خطوة ، فقال عاشور بن محمد دعنا نرى، فانتحى اسماعيل بعيداً وغرس عظمة البعير في كومة صغيرة من الرمل والحصى واقعى مرتكزاً على قيد مائة خطوة منها ، وأطلق النار فطار نصفها وبقى النصف الآخر ... وهنا ودون تردد طلب عاشور بن محمد من ضيفه أن يناوله بندقيته وطلقة واحدة ، فأشار اسماعيل مستحسنا أن يعطيه طلقتين ليعرف بواحدة طبيعة بندقية لم يسبق له استعمالها ويصوب الأخرى نحو العظمة ، فأبى عاشور بن محمد وقال لا أريد إلا طلقة واحدة ، وأمسك بالبندقية واقفاً ، وابتعد عن النصف المتبقي من العظمة عشر خطوات زيادة إلى الوراء عن موقف اسماعيل ، وأطلق النار فطار النصف المتبقي في الهواء ، فأخذ اسماعيل بندقيته وقد احمر وجهه غيظاً وأقفل راجعاً إلى العقبة دون أن يسلم على مضيفه ، ودون أن يتناول عنده ولا جرعة من ماء !!!

قصص من واقعنا

● نادي الضباط

● قررت دولة عربية صميمة ، أن تنشيء نادياً فخماً للضباط ... واضطلع بالمهمة تصميماً ومتابعة وتنفيذاً مهندس كفء شاب ، ظل يعمل ليل نهار بكل ما آتاه الله من العزم والهمة ، حتى حانت ساعة افتتاح النادي ، ولما قص رئيس الدولة الشريط ، قدم إليه رئيس هيئة الاركان ، احد الضباط الكبار ، من اصدقائه الحميمين ، على انه الرجل الذي انجز هذا العمل الفخم ، ولم يشر من قريب أو بعيد ، الى ذلك الضابط المهندس الشاب الذي احبطه الغيظ ، فاصيب بشلل نصفي بعد ان خر مغشياً عليه ، وهو يلمس بحواسه الخمس ذلك النكران العجيب ...

● ثائر مجاهد



● وقع نفر من الثوار المجاهدين فى قبضة جند الاحتلال ، وأودعوا السجن تمهيداً للمحاكمة ، وتصادف أن وصل إليهم عن طريق مجاهدين يعملون كطابور خامس وسط العدو ، ما استطاعوا به ان يفتحوا ثغرة فى سقف السجن ، خرجوا منها فى غفلة الحراسة وتعلقوا بانابيب المجاري حتى وصلوا الى الأرض ، وتهامسوا بالاسراع في النجاة قبل ان ينتبه الحراس ، فابى واحد منهم أن يتحرك لانه قد أضاع غطاء رأسه أثناء النزول ، فاستحثوه أن يتبعهم فابى ، قائلا كيف أفلت ويراني أهل القرية حاسر الرأس ؟ ، فتركوه ولاذوا بالفرار . وأعاده الحراس الى السجن مرة أخرى !!!

● الميجر بل



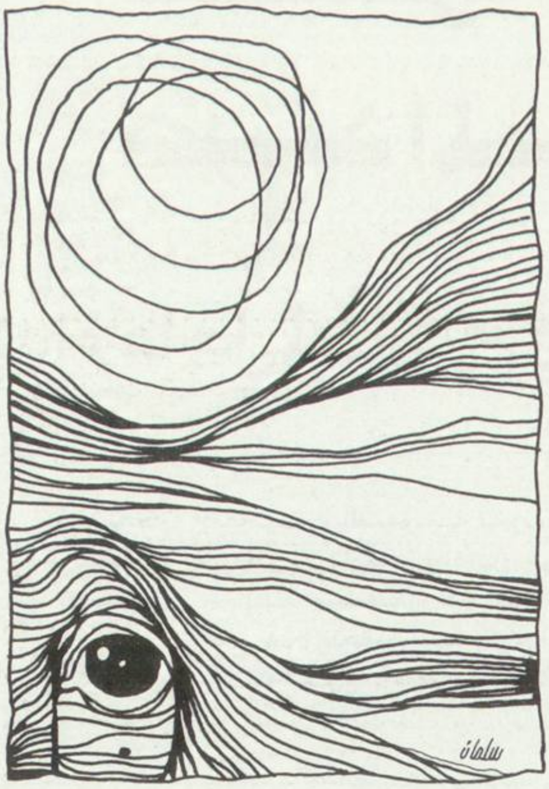
● اشتهر الميجر بـل فى منطقة ما بالشرق الأوسط فيما بين الحربين العالميتين ، وكانت مهمته ان يصادق الناس ويتقرب إليهم ، وكان من عبقريته ان تبارى كبار العشائر فى إكرامه ودعوته وبطانته إلى الولائم والأفراح فى عرض الصحراء الواسعة ... وأراد احد كبار العشائر ان يتفوق بالحظوة لدى (حكومة) الميجر بـل ، فذبح عدة جمال وخراف ، وجلب الفاكهة والحلوى ، وأولم للميجر بوليمة لم يسبقه في فخامتها احد قبله .. وشاء سوء طالعه ، ان اشترى من أقرب مدينة إلى نجعه عدداً من زجاجات الشراب المعتق ، ووزعها على السماط الممدود ... وكانت العادة لدى الناس هناك ، أن يتناول الضيف القهوة العربية الأصيلة قبل الغداء ... فلما اقبل الميجر على الخيمة التي مد فيها الطعام تحيط به بطانته من الضباط والمدنيين ، لمح على التو زجاجات الشراب ، فرطن لجماعته ورهطه ألا يجلس إلى الطعام منهم احد ، وظل واقفاً ، ونادى المضيف يساله عن تلك الزجاجات ، ولم يترك له فرصة للرد ... وقال له وهو يغادر المكان ، يافلان إنني احترم تقاليدكم وتراثكم ، وما كنت أتصور انك ، لأي سبب ، سوف تقدم على مثل هذا الصنيع الذي هو ليس من شيمة العرب ، وذلك بان تحضر «خمراً» إلى بيتك لضيف كائناً من كان ، والله لا اذوق طعامك ابداً ، واسرع الميجر ومن معه الى سـيـاراتهم تاركين طعام كبير العشيرة نهباً لذباب الصحراء ، وظلت هذه القصة حية يرددها الناس منذ ما يزيد على نصف قرن من الزمان ...

تلك الأقاصيص مجرد عينات ، في جعبة الذاكرة وددت أن أضعها للتحليل والدراسة ، هي ومثيلاتها التى لا اشك انها كثيرة ، وكثيرة جداً ، فيما بين المحيط والخليج .

درويش مصطفى الفار

نهاية الرحلة ..

شعر: حسن شكري فلفل



عيناك ياحبيبتي .. كانتا الأمل
وكانتا الضياء
تبحثان فى ملل
وتسألان والمنى تائهة الدروب
فى لهفة دؤوب :
«أما أرى رؤى ، أم أنها الحياة
شفيفة الخيوط .. رفيفة الأمل
تبكين يا حبيبتي .. بدمعة هتون
وأسأل النهار : هل عادت الحياة
بخيطها الرهيف ؟
ويستبد ليلنا الطويل
سواده يخيف
لكنها الحياة .. رموزها القدر
والبعد يا حبيبتي ليل بلا سمر
وتسألين : بالصمت تسألين :
« أما أرى رؤى أم أنها الحياة
شفيفة الخيوط .. رفيفة الأمل
والفارس البلا قلاده
تؤلمه الوساده
قد استراح الفارس الغريب
وتسألين : أهذه النهايه
أمس بلا بدايه
أما أرى رؤى ، أم أنها الحياة
شفيفة الخيوط .. رفيفة الأمل .

قضيــة الشـــهر



بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

ضــــــوء جــديــــد على أزمـــة مزمنـــــة :

عشــرة اتــهامــات ضــد المثــقـفين

ونداء عاجل لمشاركتهم في الحوار ومعاناة البناء

مجلة « اليمامـــة » السعوديـة نشرت قبل أسـابيع قليلة تحقيقاً مطـولا عن وضـع المثقفيـن (خريجي الجامعات بالذات) في المجتمع السعودي تحت عنوان : « المثقف السعودي .. شاهـد ما شفـش حاجــة !» (١) .

ونرى أن نشر هذا التحقيق ، بالمستوى الذي نشر به . وبنوعيـة توجهـاته ، وبالصراحة التى عولج بها الموضـوع ، يمثل مؤشراً متعدد المعاني والرموز يمكن إيجازها فى الأمـور الثلاثة التالية :

أولا : أن التحقيق يمثل تطوراً نوعياً في «فكر» الصحافة السعودية وفي مضمونها ومحتواها ، بما يتجاوز التغيير فى الشكل والمظهــر .

ثانياً : أن هذا التطور النوعي يعكس مناخاً اجتماعياً عاماً ، أو توجهاً جدياً نحو خلق هذا المناخ القائم على انفتاح الفكر وتقبل الحوار وتبادل الآراء وتسليط الضوء على الحقائق والوقائع الاجتماعية بروح علمية وموضوعية يحكمها الالتزام بخدمة الوطن ومجتمعه والرغبة البناءة فى تطويره .

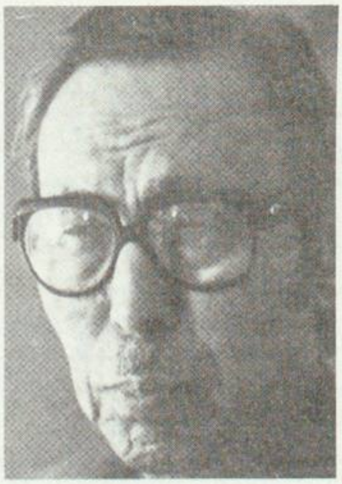
ثالثاً : ان ساعة محاسبة المجتمع والوطن للمثقفين والخريجين قد دقت ، وأن ساعة محاسبتهم الذاتية لأنفسهم ، بالأحرى ، قد بدأت ، أو يجب أن تبدأ ، قبل أن يشتد عليهم الحساب الذي لابد منه من جانب الوطن والمجتمع ... فلقد أعطاهم الوطن (خريجى الجامعـــات وحملة الشهادات العليا بالذات من التكنوقراط والبيروقراط) ـ أعطاهم مختلف الامتيازات والمناصب والحقوق .. فماذا أعطوه بالمقابل من فكر مفيد لتطوره وحل مشكلاته ورسم مستقبله ؟ وما مدى استعدادهم اليوم



د . انور جبرتى



د . احمد الضبيب



د . عزيز ضياء



د . منصور الحازمى



د . عبد الله الغذامى



د . عبد الله حمد القرعاوى

للمشاركة فى عملية الشورى والحوار واللحاق بعملية البناء ؟ .

والمستوى الشمولي الذي طرحت بـه «اليمامة» هذه القضية جعلها طرحاً لقضية المثقفين والثقافة في المجتمع العربي كله ، في هذه الفترة العصيبة من حياته ، لا تقتصر على المجتمع السعودي وحده ، وإن كانت تتخذ منه ومن مثقفيه ساحة ميدانية للدراسة والتقييم .

ومن هذه الزاوية نرى أن هذه المعالجة تمثل حدثاً ثقافياً خليجياً وعربياً يستحق التوقف والنظر والتقييم ، ومن خلالها وعلى ضوئها نتوقف أمامه بالعرض والتقديم والمشاركة ليتسنى لقراء «الدوحة» في مختلف أرجاء الوطن العربي متابعة هذه المعالجة الثقافية الرصينة .

ونعتقد أنها شهادة ناطقة لا تحتاج إلى بيان أن يتحول موضوع في مجلة أسبوعية إلى حدث ثقافي يفرض نفسه على المجلات الثقافية المتخصصة ، ولكن هذا ما حققته الزميلة «اليمامة» بالفعل ، وهو ليس إنجازها الوحيد ، فالتقليد الذي سنته بافتتاح كل عدد بقضية من قضايا المجتمع والفكر ، ومعالجتها بشمولية ومن وجهات

عشرة اتهامات ضد المثقفين

نظر متعددة ، يجعل منها ظاهرة أبعد مدى من الصحافة السيارة .

و «الدوحة» بمشاركتها «اليمامة» في طرح هذا الموضوع فانما تود التأكيد على وحدة المعاناة الفكرية في خليجنا وجزيرتنا العربية ووطننا العربي الكبير ، باديء ذي بدء ، تقرر «اليمامة» أن «هذه القضية إن لم تكن ضد المثقف السعودي فهي ليست معه»

ذلك : «إن هذا المثقف متهم بالقصور والتقصير معاً . وهو منكفيء داخل نفسه يحدق داخل عالم محدود ، مع ان المطلوب منه أن يحلق الى طموحات هذه البلاد ... ومع أننا نعلم أن هذا المثقف يملك أن يمنح وطنه الكثير ، فهو يمنع نفسه لأسباب حقيقية أو مفتعلة عن القيام بهذا الدور ، ومن هذا أصبح هناك إحساس حقيقي بأن مثقفينا إن لم يكونوا معزولين عن حركة الحياة والبناء ، فهم على الأقل غير مشاركين فيها ، لا بالكم ولا بالكيف المطلوب .

وهذه معاينة قد تحمل صدمة للبعض ، لكن ليس فيها جور كثير كما قد نظن لأول وهلة . ولهذا يمكن القول بغير تجن أو ظلم إن «الحدث الثقافي» في المملكة يلهث وراء الحدث الاجتماعي بما لا يقاس . ولا نعتقد أنه يمكن الحديث في هذه المرحلة التاريخية عن دور «تتبعي» للمثقف السعودي فما بالك بالدور التنبؤي أو التبصيري في تحديد المسارات الجديدة أو تعيين محاذير المستقبل وبشائره . فالمثقفون لم يشاركوا في صياغة الهياكل الفكرية للمجتمع على نحو ما قام أولو الأمر فيه بصياغة هياكله الحضارية . ومن ثم نشأت تلك المقولة التي ترى أن للمملكة قامة سياسية واقتصادية ودينية لا تطاولها قامتها الفكرية بحال» .

وقبل عرض هذه العريضة ، نود ايراد التحفظ الذي أوردته اليمامة وهو أن : «هذه القسوة على النفس تطمح الى العلاج ولا تطمع في العقاب» .

وان الهدف من هذا التحقيق كله هو : «إقامة حوار أشمل بين المثقفين ومظاهر النمو والحركة في وطنهم ، وهذا هو المعنى الأعمق لفكرة الحوار كما نريد ترسيخها ... وإذا كانت القضية على هذا المستوى من الأهمية فانها تستاهل الحوار والنقاش وربما الخصومة الفكرية أيضاً» .

تسير لائحة الاتهام ضد المثقفين على النحو التالي :

أولا : المثقف في برج عاجي ، يعتصم بعلمه وينأى به عن الآخرين ، ويرى : «عن حق أو عن باطل أنه نموذج الصفوة الفكرية التي ينبغي عليها أن تحتمي بشرنقة العلم حتى لا يهبط من عليائه الى تفاهات الحياة اليومية» وهذه فكرة بالية سقطت من واقع المجتمعات الحية المتقدمة منذ زمن بعيد ، فالعلم للمجتمع ، والفن للحياة . والرسول الأعظم بشر عالماً لا ينتفع الناس بعلمه ، بعذاب مقيم .

ثانياً : ان مهمة المثقف الحقيقية هي استشراف المستقبل ... وهذا يلقى على كاهل المثقف تبعة رصد وتوجيه مختلف الظواهر الاجتماعية التي تدور حوله ... لكن الملاحظ في مجتمعنا أن هناك الكثير من المتغيرات التي تمر على المواطن ويتخذ منها موقفاً غامضاً في أكثر الأحيان لغياب الترشيد والرصد من جانب المثقفين .

ثالثاً : المثقف : «يعيش حالة تناقض غريبة بين التقليد والمعاصرة بمعناهما النظرى .. ولهذا نجد أننا بازاء ثنائية حادة لا يمكن أن تضيف جديداً الى مسارنا الحقيقى نحو طموحاتنا الكبيرة» .

وبالتالى فان هذا المثقف : لا « يضع قدما تمضي في الحداثة الى نهايتها ، وقدماً أخرى تغوص في التقليد الى منتهاه» .

وهكذا ينعكس على النتاج الفكرى لهؤلاء المثقفين : «فلو راجعت ما يصدر وما ينشر لدينا لوجدت أن الحديث يحلو عن حركات «الهيبز» و «البانك» ولا سكتولوجيا في الشعر ... وعلى الطرف الآخر ربما وجدت الحديث يحلو أيضاً عن الأسباب التي جعلت «جريراً» اليربوعي مناهضاً ومشاكساً لزميله وأخيه في الأروقة «الفرزدق» المجاشعي ، وكلاهما تميميان ... ولا شيء أبداً عن «كل» ما اعترى مجتمعنا الحاضر من تحولات .. هي كبيرة ومهمة ويرتكز عليها تحديد منطلقات المستقبل» .

رابعاً : «ان آلاف الآلاف من المواطنين الذين يحتاجون هادياً وموجهاً لازالوا على مواقفهم الغامضة من جميع الرموز الحضارية والثقافية التي يعيشونها ... ومن حسن حظنا ، وربما بعامل الصدفة البحتة أن الكارثة لم تحدث بعد .. وإلا فانه في مثل هذه العزلة التي يعيشها المثقف عن واقعه كان لابد أن تحل الكارثة .. وقد تبدو كلمة «كارثة» هنا كلمة كبيرة ولكنها كلمة حقيقية وعلى حجم المعنى الذى نقصده بالضبط ، لأن المجتمع بغير قيادة من عقله الواعي يشبه سيارة تنطلق وهى مطفأة الأنوار .. وتلك هى المهمة الملقاة على عاتق مثقفينا ...» .

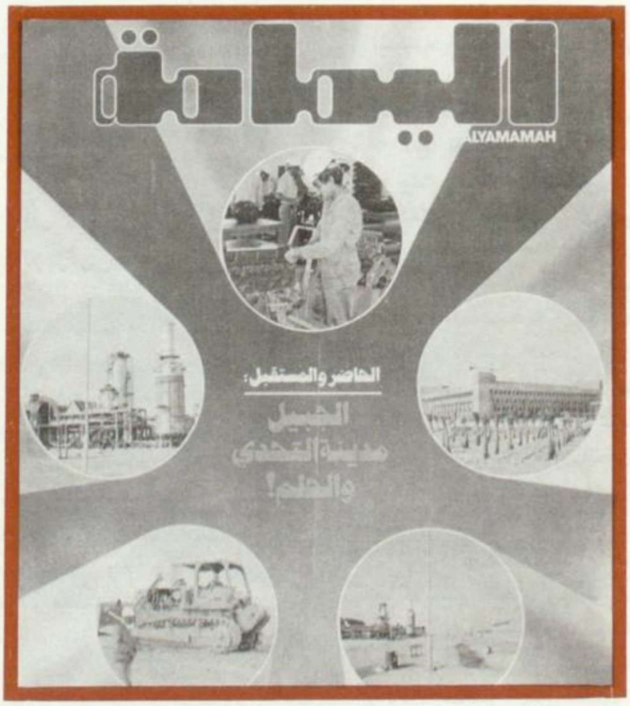
خامساً : إذا طرحت مشكلة على المثقف ليقول فيها رأيه فانه يساهم فى علاجها إسهاماً محدوداً للغاية ، ناهيك عن مدى إسهامه فى تطوير المجتمع ككل . وتراه يقول أشياء جميلة جداً عن المشكلة موضع البحث ، لينساها فى الغد ، ويعيش بمعزل عنها ، ويسير سيرته الأولى فى الحديث عن «الهيبيز» أو عن الفرزدق وجرير !

سادساً : «إننا نشعر أن المثقف مثقف لنفسه لا للمجتمع . حتى المتخصصون فى علوم الادارة والاقتصاد أو علم النفس والتربية والاجتماع ، نكاد نشعر أن النظريات التى حفظوها ظلت مخزونة فى الذاكرة ، دون محاولة أن يفيدوا مما يمكن تطبيقه من هذه النظريات لتحديد معايير جديدة للقياسات النفسية والاجتماعية والحضارية فى مجتمع ينمو نمواً يختلف تماماً عن غيره من المجتمعات» .

سابعاً : ان المثقفين حولوا أنفسهم الى أكاديميين وراء أسوار الجامعة . ودفعوا باتجاه فصل الجامعة عن المجتمع والحياة. فغاب الحوار المنتج بين الجامعة كمؤسسة قومية والكيان الاجتماعى العام . وكادت الجامعات أن تكون «معامل لتفريخ الموظفين فقط، بدل خلق : «الكوادر البشرية التى تحتاجها خطط التنمية» .

ثامناً : عندما يمارس المثقف دوراً فانه يمارس هذا الدور بشكل «فردى ضمن إطاره الخاص وليس ضمن حركة فكرية شاملة . ومن هنا يضيع الجهد مثل «قطرات قليلة فى صحراء عطشى» ونحن : «لا نحتاج الى مبادرات فردية من هذا المثقف أو ذاك ، ولكنا نحتاج الى حركة كاملة فى حركات التنوير الفكرى» .

تاسعاً : يظل المثقف «نظرياً» بشكل عام ولا عيب فى التنظير . ولكن العيب فى ظاهرة «الأيدى الناعمة» التى لا تساهم فى عملية البناء : «ان هذا الوطن يشهد الآن إعادة بناء الحضارة العربية كاملة بعد قرون من الركود . وهذا البناء يتم فى ظل الاكتشاف الذى قلب موازين القوى العالمية ونعنى به ظهور النفط .. وتلك حركة هادرة تحتاج أن يشارك المثقف فى صنعها وخلق أطرها الصحيحة لا أن «يتفرج» عليها من



غلاف مجلة اليمامة : العدد الذى نشر فى صدره التحقيق الهـام المطول عن موقف المثقفين فى المجتمع السـعودى

بعيد وكانها لا تحدث فوق أرضه وفى داخله .

عاشراً : ان هذا المثقف : «يلتمس لنفسه مجموعة من المبررات التى يغطى بها هذا القصور أو التقصير» وأهم هذه المبررات وأكثرها تردداً على ألسنة المثقفين فى تبرير هذه السلبية القول : ـ

«بان المناخ الاجتماعى بشكل عام غير ملائم للحوار ، وغير مشجع على النقاش ، ونحن نعتقد أن ذلك لا يمثل أكثر من مشجب يعلق عليه البعض غيابهم عما يدور حولهم ، إذ أننا لا نستطيع أن نفهم ما المقصود بهذا «المناخ» الذى يهيىء جواً للحوار والنقاش فلم نجد فى يوم ما أن هناك قائمة بالمحظورات التى يجب على المثقفين عدم الحديث فيها من الأفكار والتحولات التى تحدث كل يوم ...

فما علاقة المناخ بالحديث عن الانسان الجديد وما يتعلق بشئون تعليمه وتطلعاته وتطوره .. وما علاقة المناخ بالحديث عن مستوى التعليم ، وإقبال الناس على التجارة ، وهروب الشباب من معاهد التدريب ، وأثر الظاهرة الصناعية على اتجاهات الجيل القادم ... ؟» .

• • •

بعد أن مثلت «اليمامة» الادعاء العام الفكرى فى هذه القضية ، توجهت الى عدد من أهل الرأى والكلمة تستفتيهم فى القضية ، لا كمتهمين فى القضية ولا كمحامين فى جانب الدفاع ، وإنما بالدرجة الأولى كشهود قدموا شهاداتهم التى الحقتها بملف الدعوى .

وهذه الشهادات تتفاوت فى قيمتها .. والانطباع العام الذى خرجنا به من قراءتها أن «مرافعة» اليمامة فى عريضة الاتهام كانت أكثر تكاملا وشمولا وتراصاً . بينما جاءت «الشهادات» الفردية لأهل الرأى متفاوتة وموزعة ومنحصرة فى عدد من الأسئلة التى وجهت اليهم ، وهى أسئلة أساسية وفى صلب الموضوع ولكنها لم تكن مرفقة فيما يبدو بعريضة الاتهام التى لابد أن يقرأها كل «شاهد» من أهل الرأى فى سياقها التفصيلى قبل الاجابة على أى سؤال يتفرع عن موضوعها ، وذلك لتاتى الاجابات فى شمولية الأفق العام للقضية برمتها .

ولكن هذا لا يقلل من قيمة بعض الآراء التى تضمنتها تلك «الشهادات» ، والتى سنتوقف أمام ما نعتبره إسهاماً حقيقياً منها فى إغناء وتعميق القضية المثارة .

ينبه الأستاذ عزيز ضياء ـ وهو شخصية ثقافية معروفة ـ الى أن الشخص القادر على الوفاء بالتزام التوجيه والتعبير والتنبؤ بالنسبة لحركة المجتمع وتطويره هو «المفكر» وليس مجرد المثقف أو عالم الاختصاص فى علم من العلوم . وان الفنان والعالم والسياسى يحتاجون لرؤية المفكر وعطائه المتميز لينير لهم الطريق ، الذى قد لا يكون الأسهل ، لكنه الأصح .

ويضيف : «ان عطاء المفكر ليس عطاء عبقرية أو وحياً غيبياً أو إلهاماً ... وإنما هو عطاء اختيار يعتمد على حساب متان أو معايير خاصة به ، ولذلك فما أكثر ما يصطدم عطاء المفكر بردود فعل من الشك والحذر ، بل وربما الرفض أيضاً يستمر لفترة تطول أو تقصر ، ليجد فى النهاية من قد يستوعبه ويؤمن به» .

ويلاحظ الأستاذ عزيز ضياء باسف فى النهاية أن المجتمعات العربية : «شحيحة إن لم تكن عقيمة فى مخاض من يوصف بانه (المفكر) فيها ، وربما كان السبب هو معاناة هذه المجتمعات واضطراب الحياة فيها بطبيعة الصراع المتلاحق بينها وبين الطوارىء والاحـــــداث التى تعصف باستقرارها» .

وهذه الملاحظة الصائبة بشان التمييز بين المثقف والمفكر تطرح فى رأينا ضرورة التمييز بين مستويات ثلاثة عند بحث وظيفة المثقفين ودورهم :

فهناك على المستوى الأول الخريج الجامعى أو رجل الاختصاص الذى يؤدى دوراً مهنياً اختصاصياً كالطب أو الهندسة أو الادارة ، وتنتهى وظيفته ويتوقف دوره عند حدود ممارسته لهذا الاختصاص الوظيفى ، وذلك ، فى حد ذاته ، لا يرقى به باى شكل الى مستوى المثقف ، ناهيك بمستوى المفكر ، إلا إذا قدم عطاءات تتجاوز عمله الاختصاصى .

أما المستوى الثانى فهو مستوى المثقف العام ، خريجاً كان أم مواطناً متعلماً ، «وهو الشخص الذى استطاع ـ حسب تعبير الدكتور أحمد محمد الضبيب ـ من خلال علمه واطلاعه ومشاركاته وممارساته ومن خلال اختلاطه ببيئته الثقافية والبيئات الأخرى ، أن يجمع لنفسة حصيلة ثقافية تمكنه من إدراك العلاقات بين الأشياء ، كما تمكنه من الحكم عليها بمنظار خاص» .

عشرة اتهامات ضد المثقفين

ثم يبقى المستوى الثالث وهو مستوى «المفكر» حسب تعريف عزيز ضياء له ، وهذا النوع لا يولد ، فى رأينا ، إلا إذا ازدحم المجتمع بنوع المستوى الثانى ، أى مستوى المثقف العام ، بحيث يأتى المفكرون ذروة وقمة لوجود أعداد هائلة من المثقفين المبدعين والمنتجين الذين يصبح المتفوقون منهم مفكرين . ومن هؤلاء عندما يتفوقون يخرج مستوى رابع هو مستوى الفلاسفة ، وذلك ما لا نطمح اليه فى المرحلة الحاضرة من تطورنا وما يفصلنا عنه مسار طويل . فالنهضة العربية الحديثة كلها ، وفى الوطن العربى كله ، لم تنتج بعد فيلسوفاً واحداً حسب المعايير العالمية الموضوعية لهذا النوع من رجال الابداع الثقافى .

يبقى طموحنا الواقعى ـ إذن ـ أن نأمل فى تحويل الخريج والمتعلم ورجل الاختصاص الى مثقف ، ثم فى تحويل المثقف الى مفكر .

والمثقف الحقيقى لا يتحول من متعلم الى مثقف بمجرد توسيع دائرة اهتماماته واطلاعه ، وإنما باتخاذ «موقف» معين محدد من حركة المجتمع . وهذا يقرب من مفهوم «الالتزام» فى الأدب والفن .

هذا المعنى يتضح من خلال هذه الاشارة الهامة التى يطرحها الدكتور عبد الله الغذامى عندما يقول : «إن دور المثقف فى مجتمعه هو دور الرائد الذى لا يكذب أهله ... فعليه مسئولية كشف الحقيقة لامته ودعوتهم الى الاخذ بها ، وهو بذلك يدخل فى معركة ضد التاريخ . إذ أن الماضى عادة يرخى سدوله على الحاضر ويترك رواسب أخذت صفة الثبات . والتمكن من نفوس الناس ، ودائماً ما تكون مغلوطة ، ويختلط الزائف منها بالحقيقى . ودور المثقف هو التمييز بين الاثنين وتبصير الناس بهما وكمثال على ما أقول نلاحظ كثيراً من الزيف دخل الى جوهر الدين فاختلطت البدعة بالسنة حتى أصبحت شيئاً واحداً عند كثير من المسلمين ، وصار للبدعة صفة القداسة حتى أصبح أمر إزالتها عملا عسيراً . وهنا تأتى مسئولية المثقف الانسانية ....» .

وهذا التحديد لدور المثقف كموقف والتزام ونضال فكرى ضد مختلف أنواع الزيف يلغى ضمناً دور مثقفى «المعلوماتية» ان صح التعبير ، أى المتعلمين الموسوعيين الذين يكتفون بحفظ وتخزين مختلف أنواع المعلومات ونقلها نقلا غير مبدع دون غربلة وتحليل ودون استخراج ما تتضمنه من نتائج عملية وخلاصات تطبيقيه ، أو تنويرية ضد الزيف والخطا .

هذه المسألة يضع الدكتور أنور عبدالمجيد الجبرتى يده على مفتاحها عندما يقول : «إن المثقف الذى لا دور له فى مجتمعه ، أو فى عصره ، لا يعتبر مثقفاً . فالموسوعيون السلبيون مكانهم أرفف المكتبات وأرشيف المتاحف ، ويغنى عنهم فى العصر الحاضر ، بل ويفوقهم ، جهاز كومبيوتر صغير له ذاكرة متواضعة . ولذلك لا نحس بهؤلاء حولنا ، .. وننساهم سريعاً إذا ما غادرونا ، أما المثقف الحقيقى فهو شاهد عصره ، وضميره ، ووقوده ... ودوره شمولى ومتعدد الجوانب» .

● ● ●

وبعد أن يأخذ هذا السياق الانتقادى للمثقفين مداه ، ويكتمل الوجه الأول للقضية وللحقيقة ، يأخذ فى التشكل شيئاً فشيئاً ملامح «الوجه الآخر» .. ولكن دون أن يكتسب الدرجة ذاتها من الوضوح ..

فمهما كان تقصير المثقفين فادحاً ، فليس من المعقول أن ينصب كله على أسباب ذاتية تتعلق بعجز المثقفين انفسهم . لابد أن هناك أسباباً حضارية وتاريخية واجتماعية واقتصادية وبيئية ذات طبيعة موضوعية وذات أثر لا ينكر فى تسبيب ذلك التقصير وزيادته وابقائه مستمراً ، فالمثقف على أهميته جزء من كل ولا يمكن الحكم على الجزء سلباً أو إيجاباً ، إلا بالنظر الى «الكل» الاجتماعى التاريخى الحضارى فى شموليته . وهذا المنحى من النظر لا يتضح بالشكل الذى اتضح به المنحى الأول ، أى انتقاد المثقفين ، فى سياق التحقيق ، مع أن التحقيق يطالب المثقفين انفسهم بمقاربة العوامل الاجتماعية الشاملة التى تحيط بهم ودراستها وتقديم الترشيد بشأنها . ومن المؤكد أن المعالجة ستكون أشمل وأكمل وأجدى اذا أتبعنا انتقادنا لظاهرة المثقفين ، وهى الظاهرة ـ الجزء ، بتحليلنا وتقويمنا للظاهرة الكل التى تشملهم وتشمل الوجه العربى كله وتتفرع عنها جميع قضايانا وأزماتنا ، ونعنى بها موضوع المجتمع ـ التاريخ ـ الحضارة فى المنطقة العربية .. فهذه هى الظاهرة الأم التى لابد أن يصل اليها أى بحث شمولى المنحى فى التحليل النهائى .

غير أنه من الانصاف الاشارة الى أن إجابات بعض المثقفين الذين شملهم التحقيق تطرقت بشكل جيد الى جوانب غير قليلة الأثر والاهمية فى رسم وتحديد ملامح «الوجه الآخر» فى القضية ، وهو دور العوامل المجتمعية الموضوعية فى تسبيب الظاهرة موضع البحث .

فالدكتور الضبيب ـ مثلا ـ يرى أن المثقف فى أى مجتمع عربى هو فرد من المثقفين العرب الذين تظلهم ظروف عامة واحدة ، وتؤثر عليهم عوائق عامة متعددة ، منها : ـ

أولا : «حالة الانهزام النفسى التى يمر بها الانسان العربى هذه الأيام والتى تمس كبرياءه ومقدساته ، مما يجعل المثقف يقف موقفاً يتأرجح فيه بين القنوط اليائس والأمل البعيد ، مما أصاب بعض المثقفين بما يشبه اللامبالاة ، والانكفاء النفسى» .

ثانياً : «حالة الانبهار التى يعيشها المثقف فى هذه المنطقة من العالم أمام التقدم الهائل والنشاط العقلى الكبير وتدفق المعلومات ... بينما يظل الانسان العربى الى حد كبير خارج هذه الحلقة .. حتى كأنه فى الحقيقة لا يعاصر تلك المجتمعات بل يتخلف عنها مئات السنين» .

وليس المقصود بذلك : «المعاصرة الحسية المتمثلة فى استيراد الآلات ... وإنما أقصد المعاصرة العقلية والفكرية المعتمدة على المشاركة فى الاختراع والاكتشاف وتطويع المواد الخام» .

ثالثاً : « المثقف العربى جزء من مجتمعه .. يتأثر بالظروف الاجتماعية التى تسيطر على هذا المجتمع وتشيع فيه . كما انه يجرى كما يجرى الآخرون وراء لقمة العيش والمستوى الاجتماعي المعقول الذى يود أن يحققه له ولأسرته . وهذا يستغرق الكثير من وقته وجهده . ولعل من الخطأ ان نحمل المثقف العربى أكثر مما يحتمل فنفترض فيه مثالية تعزله عن الناس فى ابراج عاجية ، ونفترض فيه الزهد الشديد وأبعد عما يضطرب فيه الناس من أمور الحياة المختلفة » .

ويلقى الدكتور منصور الحازمي ضوءاً مختلفاً على ما يسمى بسلبية المثقف وبرج

ـ عاجيته عندما يقول : « هذه العزلة رغم سلبيتها وعقمها لا تنفي ارتباط المثقف بمجتمعه ، اذ ان موقفه المتعالي انما هو علامة أحياناً على الاحتجاج على مجتمعه » .. نعم أحياناً .. وليس دائماً . فذلك قد يكون صحيحاً من حيث المبدأ ، لكن يجب التمييز بوضوح بين مثقف مخلص حقاً ، ومنتج حقاً ، ولديه ما يقوله ولكنه مضطر الى الصمت ، وبين اكاديمى سلبي يغطي سلبيته بـ « التظاهر » بالاحتجاج .. ولا يخلو الأمر من نماذج كثيرة للصنف الثانى فى مجتمعاتنا لأن المواقف الثقافية تتفاوت بتفاوت نوعية المسائل الاجتماعية المطروحة وليس صحيحاً ان جميع هذه المسائل الاجتماعية لا يمكن مقارنتها ومعالجتها فكرياً بدرجة أو باخرى . ولا توجد أوضاع مثالية للمثقفين فى معظم دول العالم الثالث وحتى بعض العالم المتقدم . واذا كانت الثقافة مسئولية ورسالة فلابد من بعض التضحية وتحمل قدر من المصاعب .. تنقص أو تزيد .

ويطرح الدكتور عبد الله العثيمين فى اجابته نظرات تحمل المثقف جانباً من المسئولية وتحمل المجتمع الجانب الآخر ـ وذلك المنهج الأسلم ـ حيث يقول : « ان كثيراً من الأمور التى تمثل مشاكل وظواهر اجتماعية مهمة تحاط بسياج من السرية والكتمان وتوحيد الأبواب أمام ايضاح أبعادها . ولعل ما تمر به البلاد من ظروف اجتماعية واقتصادية قد أثرت فى بعض المثقفين تأثيراً سلبياً . فهناك من أدرك الظروف الاجتماعية وأدرك ابعاد المشكلات التى قد يؤدى التعرض لها ، فابتعد عن تناولها احساساً منه بعجزه عن ذلك التناول . وهناك من لم يستطع أن يقاوم اغراء الثروة المادية التى نتجت عن الانفجار الاقتصادي ، وأصبحت لقمة سائغة لمن يستحقها ، ولذلك انطلق مع من انطلق من فئات المجتمع الأخرى ليحصل على ما يمكن الحصول عليه من تلك الثروة قبل أن تفوت الفرصة » .

فهنا نحن أمام عامل « الانفجار الاقتصادى » وكيفية تأثيره سلبياً فى بعض الجوانب على المجتمع . فلماذا يلام المثقف وحده ولا تلام القطاعات الاجتماعية الأخرى التى تكون مجمل الظاهرة ، وبعضها أقوى أثراً من المثقفين كالتجار وكبار المتمولين وكبار رجال الأعمال ؟

أما الدكتور جبرتى ، فيرى اننا يجب الا نبالغ فى تصور حجم العامل الاقتصادى أو الانفجار الاقتصادى إذ : « ليس التقاعس الثقافى لدينا ظاهرة نفطية بحتة ولا نستطيع أن نصندق كل مشاكلنا فى تابوت نفطى » ذلك ان : « الابداعات الثقافية الجادة ـ كما يرى ـ لا يعطلها الفقر ولا يلغيها الثراء » .

وهى مقولة نرى فيها قدراً لا يستهان به من الصحة فلا الفقر فى الهند عطل ابداعها الروحى والفكرى والأدبى .. ولا الثراء فى أوربا الغربية عطل ابداعاتها الحضارية على اختلافها وتنوعها وثرائها المستمر .. فما بال فقراء العرب واغنيائهم يردون عقمهم الفكرى الحاضر الى سببين متناقضين .. الفقر لدى الفقراء .. والغنى لدى الأغنياء ؟

وذلك ما يدفعنا الى الترجيح بأن المسئول الأول عن ذلك فى الحالتين هو الانسان ـ فقيراً ام غنياً ـ وهو معدن الأمة ككل ونظامها الاجتماعى فى حالتيها النقيضتين .. فهذا ما يحتاج الى اصلاح وانقاذ : نوعية الانسان ومعدن الأمة .. ودعونا من مقولة الاستعمار ومؤمراته واسرائيل ومن هم وراءها !

ويرد الدكتور جبرتى فى النهاية سبب العقم الثقافي لدى المثقفين الى ثلاثة أسباب نراها جديرة بان تضاف الى «ملف» القضية ، وهى :

أولا : « الخلفيات الاجتماعية والنفسية والسياسية والتى بدأ يعيشها عالمنا العربى منذ الستينات ، والتى جعلت المثقفين جمهوراً وطلائع ، يفقدون اهتمامهم ـ وربما ايمانهم ـ بكل ما هو جاد ورصين ومبدع ، ويعتقدون ان الكل باطل وقبض الريح » .

ثانياً : « تكنولوجيا الثقافة السمعية والبصرية التى غمرت حياتنا بحشو اغلبه هزلى وعبثى وضحل ، وقللت من اعتمادنا على وسائط الثقافة الأخرى التى تتطلب جهداً فكرياً وذهنياً أكبر » .

وهذا يعني باختصار نوعية برامج التليفزيون والاذاعة وأثرها السلبى على الثقافة وعلى الكتاب والمكتبات وشئون الابداع الفكرى الجاد الرصين .

ثالثاً : انتماء المثقف الى : « فئة بيروقراطية ـ تكنوقراطية أصبحت تجتذبه وتتنافس على وقته وذهنه واهتماماته استعمالات أخرى لاستعداداته الثقافية وملكاته الابداعية ، خاصة وان « الذوق » الثقافى أصبح ذوقاً مخملياً ينصب فى أغلبه على عادات وانماط استهلاكية وسفرية (يقصد سياحية) تتطلب تمويلا يقذف بالمثقف ، شانه شان غيره ، الى أتون « المظهرية » والترفيه وما تستتبعه من تهالك على أنشطة مادية » .

وتحتل ظاهرة الازدواجية فى حياة المثقف جانباً هاماً فى هذا التحليل لظاهرة عقمه وقصوره ، ويعبر عن ذلك د . العثيمين بقوله : « فهو ـ أي المثقف ـ فى كثير من مظاهر حياته العامة يحاول أن يتحلى بما يتفق مع رغبات أكثرية المجتمع أو مع رغبات من يؤثر فى مسيرة ذلك المجتمع ، لكنه فى واقعه الخاص يمارس حياة بعيدة كل البعد عما يتظاهر به ، حياة تقدر قيماً وعادات اجنبية ، وتنعم بها اكثر مما تحترم قيمه وعاداته الوطنية ، وتحفل بها » .

هذه الازدواجية الخطيرة فى واقع المثقف على الصعيد الاجتماعى السلوكي ، تكمن وراءها ازدواجية أخطر فى حياة المثقفين والمجتمع والأمة ككل ، يحللها د . الغذامي من ناحيته بهذه الرؤية المتقدمة التى لا نشك ان غالبية المفكرين العرب المدركين لجوهر الأزمة يوافقونه عليها حيث يقول : « أكاد أقول ان لدينا هجرة ثقافية معنوية للعقول . وهى هجرة إما الى الماضى (التراث) وإما الى العصر (الحداثة) ، وهذا أدى الى حالة اغتراب يعيشها المثقف بعيداً عن واقعه (الحاضر) .. ولم نتمكن بعد من عقد وفاق ثقافي بين التراث والعصر وذلك لتباين الثقافتين واختلافهما وحيرة العقول فى المزج بينهما وهذه حالة معقدة واجهها طه حسين مواجهة سلبية بأن جعل العصر خصماً للتراث وراح يحاكم الماضى . والمفروض هو محاولة قراءة التراث قراءة عصرية كى نفهم الماضى فهماً عصرياً . وأظن العقاد قد أفلح فى ذلك مما مكنه من التعايش السلمى مع الماضى والحاضر » .

عشرة اتهامات ضد المثقفين

ويخلص الى القول : « هذه اشكالية حادة وخطيرة وحلها ليس مستحيلا ولكن المشكل فيها اننا لم نحاول طرحها طرحاً حضاريا جماعيا – ويبدو اننا لا نريد – وتركناها للحلول الفردية الاجتهادية .. وهذا هو العائق الرئيسى فى وجه تفاعلنا تفاعلا حضاريا كاملا مع مجتمعنا وعصرنا » .

وتبقى إضاءة أخيرة من اضاءات هذا البحث المكثف وهى ان المثقفين ينقسمون حاليا ، من حيث أدوارهم ومدى التزامهم وعطائهم ، الى عدة فئات ، كما يرى الدكتور الغذامي :

١) فالجامعيون لهم عطاؤهم العلمى الاختصاصي ، لكنهم مقصرون بوضوح فى عطاء الفكر الاجتماعى الموجه والمرشد والملتزم بقضايا الحياة والتقدم .

٢) أما الأدباء والشعراء فهم مخلصون فى التعبير عن حالة القلق الذاتية التى يمرون بها فى علاقتهم مع المجتمع والعصر وهم بهذا المعنى شهود على عصرهم ، لكنهم مقصرون فى اداء رسالتهم الثقافية بمعناها الانسانى : « ولم يتمكن شاعر واحد من شعرائنا من التعبير عن واقعنا الانساني » فهناك : « انصراف كامل الى الداخل وهو تعبير عن حالة خاصة بالشاعر نفسه وليس تعبيراً عن الحالة الانسانية لمجتمعه » .

وأدباؤنا : « يتلاشى أبداعهم عندما يكون الموضوع اجتماعيا ، ويتحول التعبير عندهم الى صياغة تقريرية وصفية قاصرة » .

ويلاحظ صاحب التحليل ان البترول على عمق أثره الاجتماعى والاقتصادى والسياسى لم يتحول الى معادل أدبي وفنى فى حياتنا وهذا من دلائل القصور والعزلة ، وذلك ما عالجناه مراراً فى مجلة «الدوحة» من جانبنا ، ويسرنا انه أصبح الآن دعوة عامة يحملها مثقفون جادون كثيرون .

وفيما يخص الأدباء والشعراء ، فربما كان من عوائق تواصلهم مع المجتمع ما أشار إليه د . الحازمي من ناحيته من : « ضعف التوصيل بالاغراق فى الرمز ، وتمتمات الأحلام ، واللاوعي » وهذه مسألة لابد ان تحسمها فى النهاية هذه



مقدمة التحقيق الذى نشر بمجلة اليمامة والذى يعتبر علامة حاسمة بين فصلين فى كتاب الثقافة بمنطقة الخليج

الفئة من المثقفين نفسها لأنها تشكل أهم أسباب عزلتها .

٣) ثم تبقى أخيراً فئة الكتاب الصحفيين ، وهذه الفئة كما يرى د . الغذامى قد حملت لواء المسئولية الاجتماعية فى مجتمعها السعودي وسخرت نفسها لخدمة الجماعة : « وهؤلاء هم الكتاب الصحفيون شبابا وشيوخاً ونساء . وصحفنا وما ينشر فيها من نقد اجتماعى لسعوديين وسعوديات تؤكد صدق التزامهم بواجبهم الانساني نحو مجتمعهم ، وهؤلاء يقومون بوظيفة اصلاحية مؤقتة ، ولكنها مفيدة وضرورية »

ومن واقع المتابعة للصحافة السعودية فى تطورها الحاضر ، نرى ان هذا الدور هو بالفعل كما يصفه صاحب الكلمة وان الصحفيين السعوديين والصحفيات السعوديات قد حققوا مستويات مهنية وتوجيهية تلفت النظر وتبشر بعهد جديد للصحافة فى الجزيرة العربية والخليج والوطن العربى بعامة . خاصة اذا علمنا انها صحافة منغرسة ومتجذرة فى أرضها ، وان كتابها وكاتباتها من ابناء هذه الأرض ، وانهم حققوا مستواهم الحالى بالكثير من الجهد والمران والصبر والتعلم المتدرج الدؤوب . وما هذا التحقيق الثقافى الذى نعرضه من « اليمامة » إلا دليل ملموس من ثمار هذا التقدم ، بالاضافة الى قضايا وموضوعات أخرى كثيرة فى اليمامة وزميلاتها الأخريات .

• • •

... ولا يقف عند هذا الحد « ملف » الثقافة والمثقفين ! فتعود « اليمامة » فى العدد التالى لتقدم تعقيبا على تحقيقها وايضاحا لبعض جوانبه بعنوان : « الممنوع والمسموح .. أزمة المثقفين والمناخ الملائم » (٢) .

ومن أهم ما قالته فى هذا التعقيب : «لقد سئمنا التنظير فى المجالس الخاصة ، ومللنا النقاش العقيم خلف الأسوار .. ونحن بطرحنا القضية كنا نعلن الاحتجاج على الكسالى والمفصولين عن واقعهم من هؤلاء المثقفين . نريد ان ينتقل هؤلاء من الظل الى الشمس .. ومن الصمت الى الكلام المفيد ، ومن التنظير المثالي فى الجلسات الخاصة الى المساهمة فى تلوين الواقع وترشيده والى التبصر فى المستقبل الذى يتشكل ضمن إطار العديد من التحولات والتحديات » .

وتقول : « وحين قدمنا عريضة الاتهام

ضد وضعية المثقفين وعلاقتهم بحركة البناء فى بلادهم كنا نريد أن «نستفزهم» بالتاكيد لكنا كنا نريد فوق ذلك ان نستحثهم الى « يقظة الوعي » فيفكروا ـ بشكل عملى مؤثر ـ فيما يدور حولهم من تحفز واصرار وتطلع » .

وحول مسالة المناخ الاجتماعي ومدى انفتاحه للحوار وتبادل الآراء ، ترى « اليمامة » : انه فيما عدا قيمتين اساسيتين وهما الدين الاسلامى الحنيف ومبادئه واخلاقياته ، ثم السياسة العليا للدولة التى تعنى الاستقرار والاستمرار ، فان بقية قضايا المجتمع والحياة مفتوحة للحوار وتبادل الرأى ، وانها من واقع تجربتها فى طرح هذه القضايا على الصعيد الصحفى : « كانت خلاصة تجاربنا النجاح والمباركة من الجميع » .

وفيما يتعلق بالحاجة الى مزيد من وسائل الايصال والنشر الفكري والثقافى (كالمسرح .. والاداء السينمائي .. ورابطة الصحفيين ، ورابطة الأدباء .. ودور النشر الفعالة النشطة وغير ذلك من الجمعيات والمؤسسات التى يخصب فى احضانها الحوار) ـ ترى « اليمامة » ضرورة الاستفادة من الوسائل المتاحة ، وهى ليست بالقليلة ، حتى تاتى مراحل التطور بالوسائل المتقدمة الأخرى ، كل وسيلة فى وقتها (٣) .

أما المطبوعات والمراجع الخارجية غير المتوفرة ، فان أهل البحث الثقافى يمكنهم الحصول عليها بتسهيلات خاصة بالابحاث اذا كانت تلك المطبوعات تقع بمضامينها خارج دائرة الايصال العام للجمهور ، ويتطلب الأمر وقاية العقل العام ، فى هذه المرحلة من تطوره ، مما قد تحمله تلك المضامين من مؤثرات غير ملائمة لطبيعة المرحلة .

وتنهى « اليمامة » معالجتها بالتنبيه الى ان حصر : « دور المثقف فى الصفة الاجتماعية .. خطأ نود ان نبدأ بتصحيحه فمن الذى قال ان دور المثقف يقوم دائماً على الصراخ والعويل والاحتجاج .. نحن لا ننكر على المثقف ـ ولا ينكر عليه أحد ـ ان يقول فى الخطأ : « هذا خطأ » أو فى المعوج : « هذا معوج » .. لكنا ننكر ان يحصر رسالته فى هذا الخط السلبي .. واذا كان لابد من الاحتجاج ، فليأت بحجم مسئولية المثقف نفسه وبحجم مساهمته فى التشييد ، أما مادام المثقف يكتفى حتى الآن بـ « الفرجة » والتنظير المجالسي فاننا لسنا فى حاجة الى احتجاجه .. » .

وكان من الممكن ان يقف التحقيق عند هذا الحد . وهو حد متقدم كما نرى من نوعية الأفكار المطروحة .. قياساً بالعمر الحضاري لبلدان هذه المنطقة ..

غير ان « رسالة » تاتى لليمامة بعد اسبوعين ترفع الحوار الى مستوى جديد من الحيوية والسخونة والتشويق المثير للاهتمام ..

كاتب هذه الرسالة هو الاستاذ محمد سعيد طيب أحد المسئولين عن حركة النشر فى المملكة ومشرف مؤسسة تهامة للكتاب .. اما عنوانها فيقول : « نعم » المثقف السعودى شاهد ما شفش حاجة وأغلب المثقفين عبء على مجتمعهم » !

ونعتقد ان هذه الرسالة قد فجرت ازمة المثقفين المزمنة من جذورها .. وقذفت بالقفازات فى وجوههم .. ولم يبق امامهم غير الرد الجاد بالفكر والعمل .. أو السكوت الذى يتضمن الاعتراف الكامل بالعجز والتقصير .

وهذه الرسالة لا تحتمل أى اختصار أو حذف . فهى « وثيقة » كاملة تصلح ملحقاً أو مدخلا لأي « ملف » عن ازمة الثقافة والمثقفين فى أى مجتمع عربى سواء كان عمره الحضارى سبعة آلاف سنة .. أو سبع سنين ..

ونرى ان هذه الصورة التى نقدمها عن أزمة المثقفين ستبقى ناقصة دون الحاقها بنص هذه الرسالة كاملة (٤) .

ومن النادر ان نجد رسالة ، فى ادبنا القديم أو الحديث ، تتحدث عن طبقة المثقفين بهذا الأسلوب الذى فيه من السخرية الرفيعة بقدر ما فيه من الحقيقة الصريحة ، على ما لها من غاية ايجابية بناءة من وراء ذلك . ولهذه الاعتبارات نرى انها تستحق إعادة النشر مع هذا الملف الحاشد .

ثم يبقى ان نقول للاخوة فى اليمامة ، ونحن نشد على ايديهم ، بان هذا الملف نعتبره علامة فاصلة بين فصلين فى كتاب الثقافة بمنطقتنا . فالوعى بأزمة الثقافة والمثقفين لن يبقى كما كان بعد هذه المعاناة فى تحقيق القضية التى هى توأم لقضية بناء الوطن وصيانته وحفظه .

وتحية من « الدوحة » ومن الخليج ، والى اللقاء فى محطة أخرى قريبة على درب معاناتنا الواحدة .

د . محمد جابر الأنصاري

---

١ ـ مجلة اليمامة ، العدد ٧٣٣ بتاريخ ٥ ـ ١١ يناير ١٩٨٣م ، تحت باب « قضية الاسبوع » الصفحات : ٣ ـ ١١ .

٢ ـ مجلة اليمامة ، العدد ٧٣٤ ، بتاريخ ١٢ ـ ١٨ يناير ١٩٨٣م ، الصفحات ١٢ ـ ١٣ .

٣ ـ كملاحظة هامشية نود ان نراجع مع الاخوة فى اليمامة إشارتهم التالية التى وردت في الموضوع المذكور اعلاه من السياق : « وإذا كانت تساق فى هذا المضمار بعض الأمثلة في الدول المجاورة على ازدهار حركة التاليف والنشر ـ مثلا ـ فاننا بكل صراحة لا نريد ازدهاراً مثل ذلك الازدهار ولا يكون لنا فيه غير التمويل والتسويق ورصد الخسائر والارباح ..»

هذه الاشارة تعنى الحركة الثقافية وانشطتها فى دول الخليج المجاورة ، ونحن نسلم مع الاخوة ان توفر العنصر البشري السعودي يعطيهم المبرر الموضوعي للمطالبة بمؤسسات ثقافية محورها الأساسي والرئيسي من الكوادر السعودية ، وهذه ظاهرة طبيعية وصحية طالما هي موضوعيا ممكنة . ولكن يجب ألا يغيب عن البال أن مجتمعات الخليج الأخرى تعاني ندرة فى العنصر البشري على اصعدة كثيرة ، والصعيد الثقافي هو ابرز صعيد يمكن ان يساهم فيه الأشقاء العرب الوافدون معنا بحكم وحدة اللغة والثقافة والمعاناة . وإذا كانت مصانع ومعامل وخدمات كثيرة في كل مكان في الخليج والجزيرة تشارك في تشغيلها اعداد غير قليلة من العمالة الأجنبية ، فهل كثير إذا شاركنا الاخوة العرب في إدارة المؤسسات الثقافية مع تدريب ابناء الخليج ودفعهم لمزيد من المشاركة ؟

ثم أن النتاج الثقافي ـ كماً وكيفاً ـ فى بلدين كالكويت وقطر لا يمكن اختصاره بالعبارة أعلاه . ولو أن الأخوة فى اليمامة راجعوا هذا النتاج باسلوبهم الموضوعي فى التحقيقات لوجدوه يستاهل تحقيقاً..!

٤ ـ عن اليمامة ، العدد ٧٣٧ ، بتاريخ ٢ ـ ٨ فبراير ١٩٨٣ ، ص ١٤ ـ ١٥ .

المثقفون..
وشهادة دامغة ضدهم!



بقلم: محمد سعيد طيب

عندما .. يتصدى كاتب .. أي كاتب .. من الذين يتعلمون « الحلاقة فى رؤوس اليتامى » .. أو من الذين عرفوا بتسويد الصفحات .. بأى كلام .. والتقيؤ فى وجه القارىء .. دون استحياء أو أدنى شعور بالمسؤولية .. أو استيعاب للقضية المطروحة .

عندما .. يكتب احد من هؤلاء وأمثالهم .. مقالا طويلا أو قصيراً مؤداه : أن الشهادة العليا .. مثلا .. هى مجرد جواز سفر .. أو بطاقة مرور .. وأن اصحابها فارغون .. تافهون .. تدرك ـ على الفور ـ ان القضية برمتها .. مجرد انفعال عابر .. او انعكاس لموقف معين .. مر به ذلك الكاتب .. قبل ايام .. نتيجة تجاهل من احد اصحاب الشهادات فى مناسبة اجتماعية .. او مجلس ما .. أو نتيجة لمناقشة غير موضوعية .. احتدمت بينه وبين احد المثقفين . !

وحينئذ نكتفي بالكلام المباح .. ويكون الرد على امثال هؤلاء الكتاب .. من قبيل : يا جماعة عيب هذا لا يليق .. هؤلاء اصحاب الشهادات العليا هم رموز جيدة .. وهم واجهة حضارية مشرقة .. وان لهم دوراً يؤدونه .. ولا يجوز ان نصدمهم .. وان التجريح لا يليق .. وان فى هذا إحباطاً للمجتمع .. وتشكيكاً فى أبنائه : الى آخر المعزوفة اياها .

اما عندما تطرح « اليمامة » القضية .. على هذا النحو الجيد والجاد .. وبهذه الدرجة من الموضوعية والصدق .. وتحشد لها هذه النخبة الممتازة من المتعلمين والمثقفين فان الايقاع ـ هنا ـ يختلف .. بلا شك ودرجات الاستجابة والتجاوب .. ينبغى .. أن تعلو وترتقى لتواكب خطورة القضية وجديتها .. وموضوعيتها .. وابعادها المختلفة .. وآثارها الايجابية والسلبية .

نحن يا صديقى .. أمام قضية كبيرة وخطيرة .. بطرفيها : أزمة المثقفين السعوديين أو الشاهد اللي ما شفش حاجة والشعب الذى لا يقرأ .

فى قضية المثقفين السعوديين .. ثمة مظاهر سلبية .. ينبغى أن نواجهها بمنتهى الصدق والموضوعية والصراحة .. وأن نتقبلها بكل شجاعة وواقعية وتجرد .. وأن يستمر الحوار .. هادئاً .. بلا صخب .. أو لجاج .. أو ادعاء .. أو اصرار على الباطل .

من المظاهر السلبية .. لمثقفنا السعودى « اللي ماشفش حاجة » أنه يؤمن مثلا .. بقضية الحرية .. ولا يمارسها .. ويتشدق بالتقدمية .. ولا يطبقها .. ويردد مبادىء كثيرة فى « مجالس الليل » .. واذا أصبحنا .. نجد أنفسنا .. ازاء انسان آخر .. يمارس سلوكاً عجيباً .. ليس له ادنى صلة بحديث « الليل » من قريب أو بعيد . !

● خذ مثلا :

قضية الشورى ..

كم من ذلك الطابور الطويل العريض .. من المثقفين .. وأصحاب الشهادات العليا .. فى السياسة والادارة والقانون والاقتصاد والاجتماع .. الخ .. من تصدى لها .. وأعان ولي الأمر .. بالرأى .. فيها .. وطرح وجهة نظره ـ أيا كانت وجهة النظر هذه . !

هل ثمة أمر أو توجيه من ولي الأمر بأن لا تعالج هذه القضية فى صحافتنا .. وأن المثقف السعودى .. ممنوع أو محظور عليه ابداء الرأي فيها ؟ !

طبعاً .. لا

والا .. فلماذا أبدى عزيز ضياء .. وأحمد جمجوم ومحمد سعيد العامري .. وأحمد

جمال .. وغيرهم .. آراءهم .. ونشروها .. فى صحيفة المدينة .

هل ثمة ترخيص خاص .. لهذه الفئة ؟! – دون غيرها – بمناقشة هذه القضيــــية الكبرى ؟ .

● ومثلها قضية مجالس المقاطعات .

من فيهم أبدى رأياً .. أو قال كلمة ؟!

● ومثلها أيضاً قضية المجالس البلدية

● ومثلها أيضاً قضية المرأة .. وتعليم البنات والمناهج .. والخطة الدراسية .. والعمالة الأجنبية .. والبلديات .. والخدمات .. والأراضي .. والبترول .. ومشكلات الشباب .. الخ .

واذ سلمنا – جدلا – بالشماعة أياها بأن « المناخ » بشكل عام غير ملائم للحوار وغير مشجع على النقاش . !

فمن من هذا الطابور العريض .. من رجـال الادارة والاقتصاد والقانــون والاجتماع والتربية والتعليم .. كلف نفسه بالكتابة – مباشرة – الى ولي الأمر ؟!

من منهم كتب مثلا الى رئيس اللجنة العليا . المكلفة بدراسة نظام الحكم ونظام الشورى ومجالس المقاطعات .. وأبدى أراء موضوعية وواقعية . قد تساعد اللجنة على أداء مهمتها .. والاضطلاع بمسؤوليتها .. وهى مسؤولية قومية كبرى .. ومشتركة .. فى ذات الوقت ؟!

ان مثقفنا السعودي – يا صديقي – لا ينقصه العلم .. ولا المعرفة .. ولا الثقافة العامة .. ولا الأفق الواسع .. ولا الاحاطة الشاملة بمجريات الأمور في الدنيا كلها .. واذا وضعته مع غيره (خارج الوطن) فانه يبيض الوجه .. بل ويتفوق عليه .

ولكن مثقفنا السعودي – ياصديقي – أسير لجبنه .. وسلبيته .. وأنانيته .

يتوهم انه إذا كتب كلاماً لوزير الداخلية في قضية الشورى .. فسيكون الجواب الفوري .. أن يبعث له بضابط أمن .. ليأخذه الى السجن .

وإذا كتب لرئيس اللجنة العليا لسياسة التعليم .. موضحاً .. الأخطاء الجسيمة فى سياسة تعليم البنات مثلا .. وفي المناهج الدراسية .. فسيكون الجواب الفوري هو فصله من وظيفته .. وطرده من جهاز الدولة .. وتشريده فى الشارع .. أو على الأقل يقومون بطرد بناته من مدارسهن .

ليت بعضهم – ياصديقي – يكتفي بأن يكون أسيراً لجبنه وسلبيته وأنانيته .. وإنما يتجاوز ذلك إلى التخبط بين النفاق .. والرياء .. ومحاولة خداع ولي الأمر .. والتفريــــط في أبســــط الواجبات تجاه مجتمعه .. والاستخفاف بالمصالح العليا للوطن .!

فنرى نماذج عجيبة من هذه الطبقة .. تضع «المشالح» الأنيقة على أكتافها .. وتسعى لدى ولاة الأمر بالتملق المقيت .. إياه .

– والله يا سمو الأمير .. كل شيء على مايرام .. ماشاء الله ! .

– والله يا معالي الوزير .. لقد عشت فى أمريكا وأوربا أعواماً طويلة .. ولم أر منجزات بهذا المستوى .. ماشاء الله .

– والله يا سعادة الرئيس .. أنا لا أكاد أتصور الادارة بدونك .. ماشاء الله .. تبارك الله .!

ها أسرد .. عليك – ياصديقي .. على سبيل المثال .. ما يعانيه .. رؤساء البلديات .. من كثير من الذين ينتمون – حقيقة – إلى نخبة المثقفين .. ماذا .. وعن ماذا يتحدثون مع رؤساء البلديات ؟! .

هل .. نفتح يا صــــديقي .. ملفات الاستعراض .. والبذخ .. والادعاء ومظاهر الاستهلاك الترفي وانخفاض معدلات الأداء (إذا كانت الوظيفة حكومية طبعاً !) .. وظاهرة الهروب .. بالسفر إلى خارج الوطن .. واختلاق المناسبات .. وافتعال الانتدابات .. والانسياق – بقدر ما تسمح لهم امكاناتهم «في الوقت الحاضر» .. على الأقل لأنماط السلوك البذيء .. لبعض رجال الأعمال .. الذين حرموا – في الواقع – مما وهب الله هذه النخبة المثقفة من تعليم راق وثقافة جيدة .. واطلاع واسع .. وفكر نير .. ورؤيا .. واستشراف .. ووعي وقدرة على النمو .. ومقدرة على التطوير .

لا .. ياصديقي .

لا .. ياصديقي .

هذا يكفي .. هذا يكفي .. ولو لهذه المرة فقط ! .

ولكني أخشى .. وقلبي على يدي ! – ياصديقي – أن يصحو المجتمع .. على الحقيقة القبيحة المؤلمة .. وهي : أن عدداً لا يستهان به من أبنائه .. قد خذلوا آماله .. واغتالوا أحلامه .. وخيبوا ظنه .. وفجعوه .. وما كانوا رموزاً مضيئة .. ولا مشاعل هادية .. ولا يفرحون .!

وإنما أصبحوا .. عبئاً عليه .. وليسوا اضافة جيدة .. ومطلوب منه – ليس أن يتقبلهم فقط – وإنما أن يمنحهم ثقته واحترامه .. وأن يهيىء لهم المراكز والوظائف والامتيازات .. وأن يصرف عليهم .. ويغدق لهم .. ويدللهم .. وأن يستمر في الاعجاب بهم .. والتصفيق لهم .. وتسليط الأضواء عليهم .. بدون مبرر .. ومن غير مقابل .

وهنا سنواجه «كارثة» مزدوجة .. لا قدر اللــــه ! .

مجتمع يدير ظهره .. ولاعبون – إن قدر لهم أن يلعبوا – ولكن فى الوقت الضائع .. وبلا جمهور .!

● ● ●

وبقيت ياصديقي .. كلمة أخيرة .. أقولها بكل صدق وتجرد .. وليست «تغطية» ولا غباراً .. ولا ذراً لرماد .. ولا درءاً لهجوم .. مرتقب !! .

إن هذا الشاهد «اللي ماشفش حاجة» نحبه .. ونحرص عليه .. ولم نفقد الثقة فيه .. ويظل – هو – وجماعته .. أغلى ما في هذا الوطن .. وأعز ما فيه .!!

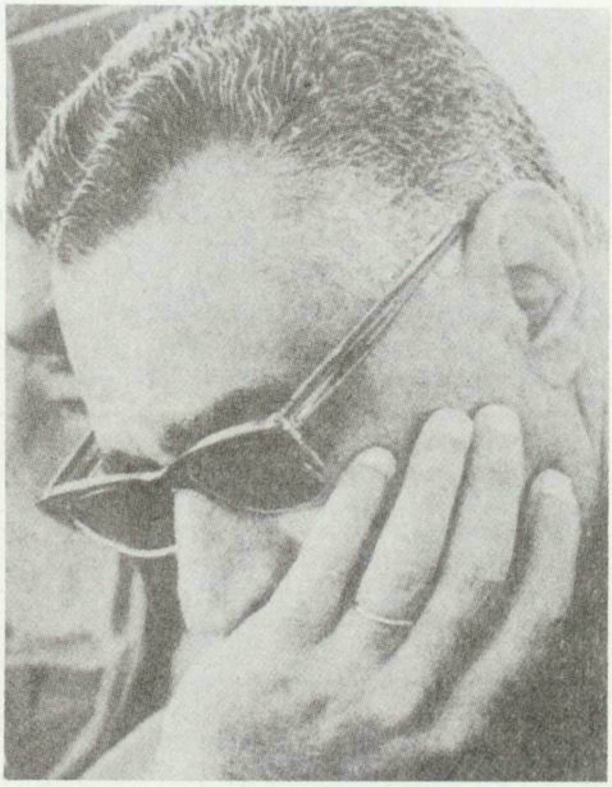
انهم دعامته الحقيقية .. مناط أمله ، ومقعد رجائه ومصدر عزته .

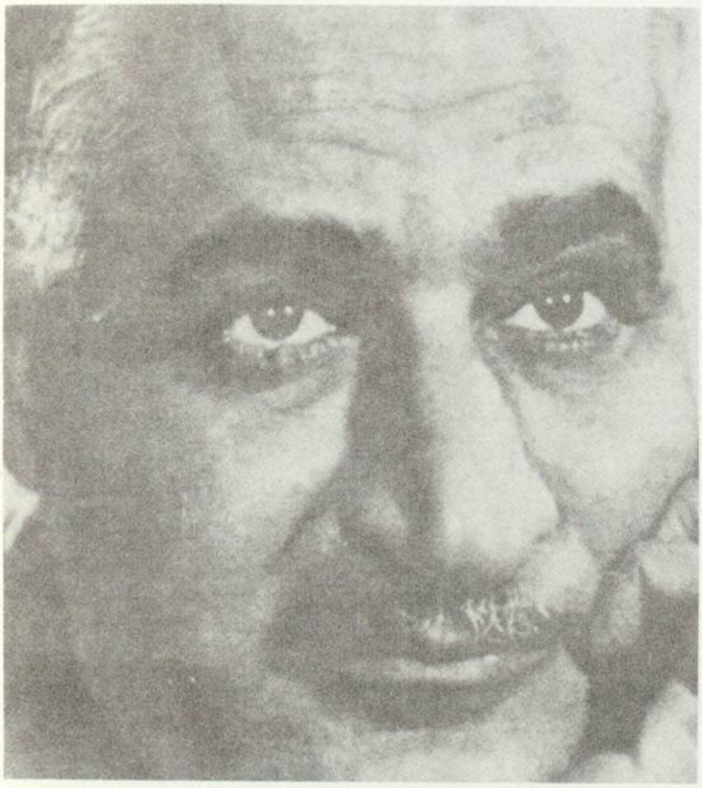
وليس البترول .. أو الذهب .. أو كتل الأسمنت التى تنتصب فى مدننا ، أو حتى كل مليارات أوراق البنكنوت التى تملأ خزائن مؤسسة النقد .. انهم الثروة الحقيقية .. بلا ريب .!

ودونها كل كنوز الدنيا بأسرها ! ولا نريد أن نراهم إلا أعلياء .. متميزون .. ومميزون – ولكن بالجدارة والاستحقاق .. وبأحجامهم الحقيقية .. بالعلم ، والثقافة ، والمعرفة ، والفهم والحماس ، والمبادرة ، والسلوك «القدوة» ، والاسهام الحقيقي والايجابي لبناء الوطن واستشراف المستقبل .. و «انتزاع الغد من رحم اليوم .. وطرح الحلم بين يدي الناس ليتحول الى حقيقة » ، والتعبير لليمامة – مــــع الاعجـــاب .

محمد سعيد طيب
السعودية

عن اليمامة ، عدد ٧٣٧





عبد الناصر والألمان

بقلم: الدكتور السيد فهمي الشناوي

يكشف هذا المقال الهام بعض المعلومات المثيرة والجديدة حول فترة دقيقة فى التاريخ العربى المعاصر ، و « الدوحة » تدعو إلى مناقشة الموضوع والتعليق ـ بالموافقة أو بالتصحيح ـ على ما جاء فى هذا المقال من آراء ومعلومات ، وخاصة من جانب الذين عاشوا بالقرب من الدائرة التى وقعت فيها هذه الأحداث ، وهم كثيرون ، ومازال عدد كبير منهم مشتركاً فى الحياة العامة ، من بين الذين كانوا فى مواقع المسئولية فى عصر الزعيم العربى الراحل جمال عبد الناصر :

إذا كان لبريطانيا العظمى أو لفرنسا وجود استعمارى فى الشرق الأوسط فان الدول الأوروبية الاخرى كان لها باستمرار محاولات للوجود فى الشرق الأوسط ، ومحاولات لمنافسة بريطانيا وفرنسا فى هذا المجال .

وبالنسبة لألمانيا على التحديد ، فان ألمانيا كان لها مستعمرات افريقية فى وسط القارة قبل الحرب العالمية الأولى ، وكان لها دائماً محاولات فى حركة الكشف عن منابع النيل ، وفى الاتصال بالساسة الوطنيين ، والحكام والثوار ، من كل الاتجاهات. فقد اتصل الألمان بفاروق وبحزب الوفد المصرى واتصلوا برشيد عالى الكيلانى « فى العراق » واتصلوا بالحاج أمين الحسينى « فى فلسطين » ، وهناك إشارات تدل على أنهم اتصلوا بثورة ١٩١٩ فى مصر عن طريق قنصل ألمانيا فى الاسكندرية . وكانت سكرتيرة سعد زغلول باشا «زعيم ثورة ١٩١٩ فى مصر » .. كانت هذه السكرتيرة ألمانية واسمها « فريدا » .

وكان للألمان وجود فى مصر منذ القرن الماضى وأوائل هذا القرن أيضاً . فقد كان منصب مدير دار الكتب فى القاهرة متروكاً



عزيز المصـري



الحاج امين الحسيني



السلطان عبد الحميد



فرانكـــو

للألمان ، وكان هناك اتفاق حول هذا الأمر ، فكان الألمان يشغلون هذا المنصب باستمرار، وفى تلك الفترة ، فى اواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن ، كان هناك ضباط ألمان فى مصر ، وعندما حوصرت مديرية خط الاستواء وتم قطع اتصالها بالعاصمة المصرية ، كان الذى يحكم هذه المديرية هو الضابط الألمانى « شفيتزر » الذى أسلم وسمى نفسه باسم « أمين بك » ، وكان طبيباً بالجيش المصرى ، وقد تزوج من إحدى بنات مديرية خط الاستواء ، واسمها « فريدة » ، وأنجب منها ، وعاش فى الحصار ١٣ عاماً متواصلة .

وكان من الطبيعى أن يعمل الألمان على الاتصال بجمال عبد الناصر ، بعد أن ظهر ، كشخصية سياسية مؤثرة فى المنطقة العربية وفى الشرق الأوسط وفى العالم الثالث كله .

ولقد ظهرت كتابات كثيرة فى الغرب ، وفى أمريكا بالذات عن الاتصالات بين الألمان وعبد الناصر . ولا يمكن أن ننزه أصحاب هذه الكتابات عن الغرض ، فبعض هؤلاء الكتاب متعاطف مع اسرائيل وبعضهم خاضع لها خضوعاً كاملا ، وليس من المبالغة أن نطلق على هذا النوع الأخير من الكتاب اسم « عميل اسرائيلى » ، وهذا كله يؤثر فى نظرتهم إلى عبد الناصر وإلى الألمان وإلى العلاقة بين عبد الناصر والألمان . فوجهة النظر السائدة عند هؤلاء هى وجهة النظر الاسرائيلية المعادية لعبد الناصر والألمان معاً . ومن هنا كان من الواجب أن نميط اللثام عما يكتبه هؤلاء الكتاب لعلنا بذلك ندفع من بقى من رجال ثورة يوليو إلى بذل الجهد فى الرد على هذه الكتابات ، وتصحيح ما قد تتضمنه من أخطاء أو افتراءات ، فالهدف من الكتابة هو تفجير الموضوع وإخراجه إلى الضوء والوصول إلى وجه الحقيقة فيه .

عدو عدوك

كان العرب دائماً ينظرون إلى ألمانيا تحت شعار « عدو عدوك هو صديقك » ، وذلك فى فترة الاحتلال البريطانى الفرنسى للبلاد العربية ، فمنذ مطلع القرن العشرين كان القيصر « غليوم » امبراطور ألمانيا صديقاً للخليفة العثمانى « عبد الحميد » ، ولم يختلفا أبداً إلا حول موضوع واحد هو : موضوع اليهود فى فلسطين ، حيث طلب « غليوم » أن يكون وسيطاً بين الخليفة العثمانى وبين اليهود ، وقوبلت وساطة « غليوم » بالرفض المطلق من العثمانيين ، وقد قام غليوم بزيارة للقدس وتصور أن هذه الزيارة سوف تتيح له النجاح فى وساطته ، ولكنه فشل فى الأمر فشلا نهائياً . ثم دخلت ألمانيا القيصرية الحرب العالمية الأولى ، وقد وجدت بريطانيا فى ذلك فرصة لدفع تركيا إلى الدخول فى الحرب فى صف الألمان ، وبذلك تورطت تركيا فى هذه الحرب ، وكانت بريطانيا تخطط لاقتسام أملاك الدولة العثمانيـة بعد أن تنتهى الحرب بهزيمة ألمانيا وحلفائها وعلى رأسهم تركيا . وقد قرر جمال باشا « المسمى بالسفاح » ، وهو أحد كبار القادة العثمانيين ، هذه الحقيقة فى مذكراته ، فقد كانت تركيا فى الأصل أميل إلى بريطانيا ، ولكن طمع بريطانيا الواضح فى أملاك الدولة العثمانية ، دفع تركيا إلى الوقوف مع ألمانيا ضد بريطانيا .

وموقف « عدو عدوك هو صديقك » كان من المحركات الرئيسية للعلاقة بين عبد الناصر والألمان ، والعلاقات الناصرية ـ الألمانية هى « مرادف سياسى » لعلاقة عبد الناصر بروسيا ، وقد لجأت بريطانيا مع عبد الناصر لكى « تفك » العلاقة بينه وبين الألمان والروس معاً ، إلى نفس الأسلوب الذى لجأت إليه من قبل مع الأتراك والعرب .

ففى سنة ١٩١٤ ، دفعت بريطانيا بتركيا إلى دخول الحرب العالمية الأولى لانهاء علاقة تركيا بألمانيا .

ودفعت بريطانيا بالحاج أمين الحسينى إلى الوقوف فى صف ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية ، لكى تستطيع بعد ذلك ضرب العلاقات الألمانية العربية .

أما عبد الناصر فقد دفعته أمريكـــا « حليفة بريطانيا الأولى فى العالم » إلى حرب ١٩٦٧ ، لضرب العلاقات الألمانية الناصرية ، والعلاقات الناصرية الروسية معاً .

ومن الحقائق الثابتة أنه حتى فى فترة ازدهار العلاقات الناصرية ـ الروسية ، كان للألمان الشرقيين نصيب وافر من هذه العلاقة . فالألمان الشرقيون هم الذين أقاموا مصانع التكرير للبترول المصرى ومصانع الأسمنت وميناء الأسكندرية الجديد ومعظم مصانع حلوان .

وفى ٢٩ أغسطس ١٩٥٨ عقدت مصر معاهدة تجارية مع ألمانيا الشرقيـــة واستهلكت ألمانيا ثلث قطن مصر فى عمليات التبادل التجارى .

وفى ٤ يناير ١٩٥٩ زار رئيس وزراء ألمانيا الشرقية مصر رغم عدم وجود اعتراف مصرى بألمانيا الشرقية . وقد أفهم عبد الناصر رئيس وزراء ألمانيا الشرقية أنه يرفض إعلان الاعتراف بألمانيا الشرقية حتى لا « يكرس » و « يثبت » تقسيم ألمانيا .

وفى نفس هذا الوقت كانت الوحدة

عبدالناصر والألمان

السورية المصرية قد قامت ، وكان عبد الناصر قد دخل معركة عنيفة ضد الشيوعيين . لأسباب عديدة على رأسها معارضتهم للوحدة ، ووقف خرشوف ليصف عبد الناصر بانه صغير السن وأهوج . ورد عليه عبد الناصر بعنف شديد وأكد ناصر أن هناك فاصلا يراه واضحاً بين روسيا كدولة وبين الشيوعية ، وانه يقبل الأولى ويرفض الثانية .. ووقفت روسيا موقفين مختلفين : فهى تساعد عبد الناصر اقتصادياً وعسكرياً بينما تقود ضده حرباً إذاعية بواسطة بعض الشيوعيين العرب من خلال راديو صوفيا فى بلغاريا .

لم تؤثر هذا المعارك السياسية على موقف الألمان ، فحرصوا على علاقاتهم مع عبد الناصر ، وكانوا يشعرون فى مصر وكأنهم بين أهليهم فى أوروبا ، وكانت مصر مفتوحة الذراعين لهم ، تحاول أن تستفيد منهم ومن خبرتهم بدون « عقد سابقة » ، وكان الألمان ـ غربيين وشرقيين ـ يعلنون إعجابهم بعبد الناصر ، ويتمنون أن يكون لهم « زعيم » من نوعه ، وهنا لابد أن نذكر أن الألمان بعد أن أفاقوا من « صدمة الهزيمة » فى الحرب العالمية الثانية فقد عاودتهم من جديد تلك الرغبة الجارفة فى التصنيع وتصدير الصناعات الألمانية وإقامة مشروعات منافسة تتميز على المشروعات الغربية الأخرى فى اتقانها وأسعارها معاً .والألمانى وهو يندفع نحو التصنيع والتصدير لا يخدم نفسه أو شركته ، بل يشعر أنه إنما يخدم دولته وجنسيته ، وقد كان يغذى هذه الشهية فيه تطور الدول العربية وظهور البترول والثروة فيها ، كما كان يغريه ويسهل له الأمر أن هناك « عقداً » قديمة بين العرب وسائر دول الغرب الكبرى « بريطانيا ـ فرنسا ـ ايطاليا » ولكن هذه العقد غير موجودة مع الألمان .

كان عبد الناصر فى تلك المرحلة يؤمن شيئاً فشيئاً بجعل الاقتصاد تحت اشراف الدولة . وقد جاء الى مصر بعض رجال مال أمريكان لاستثمار أموالهم فاذا بعبد الناصر يقول لهم فى مقابلة تمت بينه وبينهم فى ٢٦ يناير ١٩٦٠ : إنه يفضل «القروض الحكومية» لتنمية بلده عن السماح للأفراد أو الشركات الخاصة باستثمار أموالها فى البلاد . وبعد أيام ، وبالتحديد فى شهر فبراير ١٩٦٠ قام عبد الناصر بتأميم بنك مصر ، ثم أنشا «المؤسسة الاقتصادية» للسيطرة على رأس المال والتصنيع والتجارة . وظهر «لودفيج أرهارد» «قيصر» الاقتصاد الألمانى فى القاهرة ليخطب بفخر فى جمعية الاقتصاد المصرية بالقاهرة قائلا إن مصر يحق لها بعد كل ما عانته من الاستعمار السياسى والاقتصادى أن تحصل على قروض ومعونات دولية .

فى الفترة ما بين ١٩٥٨ و ١٩٦٠ كانت ألمانيا الغربية قد قدمت الى مصر ٥٥٠ مليون مارك وأنشأت المدينة الصناعية فى حلوان ، وأقامت الأساس لصناعة الصلب «ديماج ـ ديسبورج» ، وأنشأت ١١٥ مصنعاً مختلفاً .

أما شركة «كروب» الشهيرة فقد استخرجت الحديد الخام من «أسوان» واستخرجت شركة «هوكتيف» وهى ألمانية أيضاً : الكهرباء من خزان أسوان ، وأقامت شركة ألمانية ثالثة وهى شركة «باديش» مستعمرة سكنية بمستشفى وحمام سباحة فى أسوان .. وكان التخطيط المقرر هو أن تتحول مصر بمساعدة الألمان الى «رور» جديد ، مثل منطقة «الرور» الصناعية الألمانية الضخمة فى أوروبا .

كان هناك تخطيط لتوسع أكثر عن طريق الاستعانة بالخبرة الألمانية ، فكانت شركة «سيمنس» تنوى كهربة الدلتا كلها . وكانت شركة «هتشل» تنوى تصنيع كل قاطرات السكة الحديدية . وفى يوم ٢٨ نوفمبر ١٩٥٨ تاسست شركة ألمانية مصرية لتصنيع أول سيارة ألمانية فى مصر .

وكان «هينكل» صانع الطائرات الشهير قد اتفق على إنشاء صناعة طيران متطورة جداً فى مصر ، وكان «هينكل» قد أرسل بالفعل مهندسين ألمانا ليحلوا محل الانجليز فى مصنع «دى هافيلاند» بالقاهرة لتجميع الطائرات الانجليزية .

ووقع الدكتور عزيز صدقى وزير الصناعة فى ذلك الوقت مع وزير الصناعة الألمانى «فون شوينبرج» فى عام ١٩٦٠ اتفاقا لانشاء معهد ، أو مركز ألمانى مصرى للبحث عن البترول . وكان هناك تخطيط لبناء بحرية ألمانية عربية مشتركة واشترطت مصر أن ترفع السفن الألمانية علم مصر «الجمهورية العربية المتحدة آنذاك» ، وكانت الشركة الألمانية «دوتش ورفت» قد سلمت مصر فعلا باخرتين ، وتنوى تسليم مصر أربع بواخر أخرى ، وكان مخططاً لهذا المشروع أن تشترك فيه الدول العربية الأخرى ، وأن يكون المشروع أسطولا عالمياً ضخماً .

التعليم والتدريب

كانت مصر خلال ١٩٥٦ قد دربت ١٩٥ شخصاً فى «بون» ، زادوا الى ٤٠٠ شخص فى العام التالى ١٩٥٧ ، وبدأت خطة واسعة للتدريب المهنى بالاستعانة بالخبرة الألمانية ، وعلق الملحق الثقافى الألمانى بالقاهرة «كرايمر» قائلا فى وضوح :«إن كل «فننج» «أصغر عملة ألمانية» تصرفه ألمانيا على التدريب سوف يعود بفائدة ١٠٠ فننج على ألمانيا ، وسوف يساعد على توسيع النشاط الاقتصادى الألمانى الى سائر انحاء المنطقة العربية» .

وبفضل نشاط «كرايمر» هذا زاد عدد المدارس التى تعلم اللغة الألمانية فى مصر من سبع مدارس سنة ١٩٥٦ الى ٥٩ مدرسة سنة ١٩٥٨ ثم تقررت الألمانية كلغة أجنبية ثانية ، وقد قام أستاذ ألمانى هو «كلوبفر» بوضع كتاب لتدريس الألمانية لأبناء العرب فانتشر انتشاراً رهيباً . وأرسلت وفود المدرسين المصريين لتعلم الألمانية بنفقة ٨٥٠ الف مارك سنوياً . كما بنى الألمان مدارس نموذجية لتعليم اللغة بالوسائل البصرية والسمعية الحديثة مع تعليم الطالب صناعات عصرية «ومازالت المدرسة الألمانية فى الجيزة من أكبر وأهم المدارس فى مصر» .

فى سنة ١٩٥٩ كان لمصر ٥٥٣٨ مبعوثاً فى الخارج منهم ٩ ٪ فقط فى جامعات روسيا ، بينما ٦٣ ٪ منهم فى جامعات ألمانية . وكان فى الجامعات الألمانية طلبة مصريون يدرسون عن غير طريق الحكومة عددهم ١٧٠٤ ، وكان عدد الطلبة الدارسين بالألمانية فى النمسا ١٣٣٠ طالباً . وعددهم فى سويسرا الألمانية ٣٥١ طالباً .

كل هذا النشاط التجارى والثقافى الذى كان الغرب يرى فيه نوعاً من الغزو الألمانى الباهر لم يقلق المراقبين الغربيين مثلما أقلقهم وجود بعض الخبراء الحربيين الألمان ، وكان حلم ألمانيا القديم دائماً هو الوصول الى قناة السويس ، واعتبر المراقبون الغربيون أن الحلم الألمانى بدأ يتحقق ، دون أن يحسبوا حساباً للوطنية العربية فى مصر ، والتى كانت ترفض دائماً قيام استعمار جديد بدلا من الاستعمار القديم ،

والتى وكانت تستعين بالخبرات الأجنبية دون أن تفقد حساسيتها الشديدة لوطنيتها العربية الحريصة على الاستقلال . ولكن الغرب عنده عقدة قديمة ضد ألمانيا ، إذ يعتبرها سريعة الاختراق لجيوشه وأراضيه ، وأنها فى لحظة ، تستطيع تعويض سنوات طويلة ، ولقد كانت صيحة غليوم فى الحرب العالمية الأولى هى «الاتجاه نحو الشرق» وكانت هذه الصيحة هى نفسها صيحة روميل فى الحرب العالمية الثانية .. وها هم الألمان فعلا فى الشرق . فهل كسب الألمان ـ أخيراً ـ الحرب العالمية الثانية وخسرها الانجليز والأمريكان ؟ ... ذلك كان هو الاطار الذى يدور فيه التفكير الغربى من خلال التعاون الألمانى ـ العربى دون أن يحسب الغرب حساباً للحقيقة التى تؤكد أن العرب بدورهم حساسون بشدة إزاء النفوذ الأجنبى ، ولا يمكن للعرب الذين ثاروا على النفوذ الغربى القديم أن يقبلوا بنفوذ جديد . ولكن التحليل الغربى للأسف كان كثيراً ما يلغى دور المشاعر الوطنية العميقة .

على أن ما كان يزيد من خوف الغرب هو أن جمال عبد الناصر كان يقول : «إننى أحب ألمانيا . فهى لم تشترك أبداً فى استعمار مصر «ولا أى جزء من البلاد العربية» .

ضد العرب وألمانيا

وكانت هناك دائماً مقارنات تدور حول الوحدة العربية والوحدة الألمانية «فى كتابات ساطع الحصرى وغيره» ، وقد قيل أيضاً إن الغرب يواجه الصحوة العربية بنفس العنف الذى واجه به الصحوة الألمانية ، وأن العنصر الذى يغذى عداء الغرب لألمانيا والعرب معاً هو اليهود .

وقد استغلت الصهيونية الموقف فى الغرب فاقامت دعايتها ضد العرب على أنهم يحاولون تقليد ألمانيا النازية فى تفكيرهم وعدائهم لليهود ، بل أخذ الاعلام الصهيونى يثير مخاوف الغرب من صحوة العرب ، وأن هذه الصحوة سوف تنتهى بافتراس الغرب نفسه إن لم تتحرك أوروبا وأمريكا ضد هذه الصحوة .

ومما زاد فى هواجس الغرب ضد العلاقات الألمانية العربية ، ما جرى فى الحرب العالمية الثانية ، ففى أثناء الحرب كانت هناك مظاهرات تهتف «الى الأمام يا روميل» ، كما كان فاروق يتصل بالألمان ، وكان علي ماهر ، السياسى المصرى البارز ، وأحد المقربين الى فاروق ينقل الخطط الحربية الى الطليان حلفاء ألمانيا ، وكان رشيد عالي الكيلانى فى العراق ثائراً ضد الانجليز وكان يقف فى صف ألمانيا ، وكان الضباط الأحرار قد بدأوا الاتصال بالألمان فعلا وطار منهم طياران الى المعسكرات الألمانية ، وحاول الضباط الأحرار تهريب عزيز المصرى الى الألمان وسقطت الطائرة أثناء المحاولة .

منذ هذه المحاولات أثناء الحرب العالمية الثانية والألمان لهم مكانتهم الطيبة فى نفوس العرب . وقد بقى كثير من الأسرى الألمان فى مصر ، واستوطنوا فى الريف وتزوجـــوا فى منفـــاهم الاختيـــاري بمصريـــات .

خلف أبي الهول

ولم يكن عبد الناصر غريباً عن العرب فى هذا الصدد :

يقول كتاب « خلف أبي الهول المصري » : إن عبد الناصر كان يستعين بخبير ألماني كبير فى «الجيبو ليتيكا» وهو الكولونيل «أوتو سكورزني» الضابط الألماني السابق ، وزوج ابنة «شاخت» ، وكان شاخت هو الذي أرسله إلى مصر سنة ١٩٥٣ ، وكان «شاخت» أيضاً فى ذلك الحين مديراً لبنك «دسلدورف» وقد جعل من أهم أهدافه تنشيط التجارة مع العرب .

وسكورزنى هذا هو الضـــابط الألمانى الذي أشرف على عملية انقاذ موسوليني من الأسر أثناء الحرب العالمية الثانية ، وكانت هذه العملية إحدى المغامرات الكبرى التى تتضاءل أمامها مغامرات جيمس بوند .

في ١٨مايو سنة ١٩٥٩ كما يقول كتاب «خلف أبي الهول المصري» كان «سكورزني» هذا ذاهباً إلى ايرلندا ، فتم منعه من الدخول إلى لندن أو النزول فى مطارها ، ولكنه واصل الرحلة حتى استطاع أن يصل إلى «دبلن» حيث اشترى مزرعة كبيرة خارج العاصمة الأيرلندية وجعلها ـ كما يقول الكتاب السابق أيضاً ـ مقراً للاتصال بين القاهرة وبون .

في القاهرة كان «سكورزني» يتستر خلف شركة تصدير واستيراد ، وكانت أول صفقة حقيقية قام بها «سكورزني» هي استيراد أسلحة من أسبانيا فى عهد «فرانكو» ، وكانت هذه الأسلحة تناسب العمليات الفدائية السريعة ، كما جلب إلى مصر عدداً من المستشارين البحريين فى مجـــال الغواصات .

وكان هدف «سكورزني» ، كما يقول كتاب «أبى الهول» هو المساعدة فى إنشاء جيش تحرير ينطلق من مصر ضد اسرائيل . وقد مد «سكورزني» ـ من خلال مصر ـ نشاطه لمساعدة ثوار الجزائر ، وتخصص أربعة من مساعديه فى هذا الميدان واتخذ كل منهم اسماً عربياً . من بينهم «بومان» الذي تسمى باسم «علي بن خاضر» و «ويلي برز» الذي تسمى باسم «بن كاشر» و «كارل لودر» المسمى «عبد القادر» .

ولهذا الكتاب : «خلف أبي الهول المصـري » مؤلفـان همـا : «ســيدار» و «جرينبرج» ، وقد امتلأ هذا الكتاب بكثير من المزاعم حول المساعدات والخبرات التى قدمها الألمان إلى مصر فى عصر عبد الناصر وأهم الأسماء الأخرى التى يذكرها فى مجال المساعدات الألمانية هو « الدكتور ولهلم فوس » المدير السابق لمصانع «سكودا» الألمانية ، وقد تولى فوس ، فيما يقول الكاتبان ، الاشراف على كثير من المصانع المصرية منها مصنع الصلب «ديماج» فى «حلوان» وكانت خطته هي إنشاء تسليح لمصر ، بالاشتراك بينها وبين مصانع «الرور» الألمانية ، وقد استعان «فوس» بشخص آخر هو « ورنر نومان » الذي انشأ شركة «لوخت» للتصدير والاستيراد ، وذلك لتنشيط التجارة الخارجية المصرية ، وكانت معظم المعاملات المالية لهذه الشركة ممولة من « بنك دسلدورف » الذى كان يديره « الدكتور شاخت » . وقد اعتقل «نورمان» هذا فى أوائل الخمسينات فى «بون» بتهمة تدبير انقلاب ضد حكومة ألمانيا الغربية .

ويزعم هذا الكتاب « وهو زعم ينبغي أن يؤخذ بحذر شـــديد » أن « فوس » الألمـــاني هــو الذي وضـــع الخـــطط المفصلة لصفقة الأسلحة التشيكية عام ١٩٥٥ ، وذكرت مجلة «دير شبيجل» أن «فوس» هو الذي تفاوض مع المندوبين التشيك الثلاثة « برانتل ـ كوستردم ـ نوهيز » ، وكان «فوس» وكذلك «سكورزني» السابق ذكره وثيقي الصلة بالبروفسور «هالستين» المستشار الخاص «لاديناور»

عبد الناصر والألمان

الذي كان أول حاكم لألمانيا الغربية بعد الحرب الثانية . وقد أصبح «هالستين» بعد ذلك رئيساً للسوق الأوروبية المشتركة .

وكان من بين آمال هؤلاء الألمان ، وعلى رأسهم «سكورزني» أن ينشئوا مع عبد الناصر ومفتي فلسطين والجامعة العربية «في أوائل الخمسينات» سوقاً اقتصادياً مستقلة للعالم الثالث تمتد من برلين إلى مدينة الكاب إلى نيودلهي مروراً بالشرق الأوسط كله ، وعلى رأسه البلاد العربية .

ومن بين الألمان الذين حاولوا أن يلعبوا دوراً فى مصر فى عهد عبد الناصر «الدكتور جروبا» ، وهو شخصية لها تاريخ سابق على ظهور عبد الناصر . وكان الدكتور «جروبا» سفيراً لألمانيا فى بغداد أثناء الحرب العالمية الثانية ، وهو فى الأصل مستشرق ألماني لامع جداً وقد اعتنق الاسلام فعلا . وكان يعتقد أن أمين الحسيني وعبد الناصر وسكورزني هم أمثلة للشخصيات التي تفنى حياتها ومطامحها الشخصية في سبيل هدف هو الوطن والمصلحة الوطنية . وعندما كان سفيراً فى بغداد ساعد مساعدة كبرى فى إطلاق ثورة رشيد عالي الكيلاني ضد الانجليز ، وعندما فشلت ثورة رشيد عالي ، خرج مع رشيد ومفتي فلسطين وعاش الثلاثة فى برلين ، وكان جروبا دائم الاتصال بالسفراء الألمان فى كل أنحاء البلاد الاسلامية . وبعد هزيمة ألمانيا في نهاية الحرب الثانية ، اشتغل «جروبا» رئيساً لقسم الشئون العربية فى وزارة الخارجية الروسية ، وكان له دور كبير فى التقريب بين عبد الناصر والروس كما ساهم فى محاربة الأحلاف الغربية .. ونذر حياته لاستئصال النفوذ الغربي من الشرق الأوسط .

ومن الشخصيات الألمانية الأخرى التي حاولت أن يكون لها دور فى مصر شخصية «الدكتور البرت ديجنر» ، وكان يعمل بعد الحرب رئيساً للغرفة التجارية الألمانية الأمريكية فى نيويورك ، وقد طرد من أمريكا، فاتجه إلى مصر وأقام فيها ، وأنشأ غرفة تجارة وصداقة بين مصر وألمانيا . وقد أحضر معه إلى مصر مهندساً ألمانياً عبقرياً هو «جورج بورج» الذي سبق أن صنع قنبلة ٧ الرهيبة التي كادت تبيد لندن فى الحرب العالمية الثانية . وكان عند «بورج» مشروع يريد تنفيذه فى مصر هو ري الصحراء الغربية وتحويلها إلى خزان مياه. وقد طور مشروعه بعد ذلك واختصره إلى مشروع «منخفض القطارة» وقدمه كمشروع مشترك بين ألمانيا ومصر . ولكن المشروع الأصلي له كان مؤسساً على مياه النيل ، وكان هدفه الأخير هو تخصيب وزراعة الصحراء الغربية . وقد كان هذا الألماني «بورج» مفتوناً بالصحراء ، ومحاولة استغلال كنوزها ، وقد جذب معه في مجال إصلاح الصحراء الغربية واستغلال خزان أسوان العبقري الألماني الشهير «مسر شميت» الذي صنع الطائرة الألمانية الشهيرة المعروفة باسمه ، وكانت اسرع طائرة فى عصرها ، وقد استفادت معظم الطائرات الحربية التى ظهرت بعد ذلك من فكرة الطائرة « سرسميت » .

ومن هؤلاء الألمان الذين حاولوا أن يلعبوا دوراً في مصر فى عهد عبد الناصر «فون ليرز» الذي أسلم وأسمى نفسه باسم «عمر أمين فون ليرز» ، وقد كتب فى ٢٩ مايو سنة ١٩٥٣ مقالا فى مجلة «دتشلنا دريف» يمجد فيه تسامح العرب والمسلمين وبعدهم عن التعصب واحترامهم لألمانيا والألمان . وتنبأ في هذا المقال بان الألمان يوماً ما سوف يعتنقون الاسلام اعتناقاً جماعياً ، ويذكر في مقاله أن الوفاً من الألمان الهاربين من ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية قد قوبلوا بالترحاب والاكرام والمعاملة الكريمة بين المسلمين والعرب ، وقام فى مقاله بتعديد فضائل الاسلام ، وببساطته واعتماده على كلمة أساسية ومبدأ رئيسي هو « التوحيد » ، وأكد أن هذه الصيغة التوحيدية البسيطة المركزة الواضحة لابد أن تعكس ظلها على العالم كله فى يوم قريب .

نعود إلى «فون ليرز» لنقول إنه قد عمل فى مصر فى مجال الاعلام ، وتوسط فى عقد اتفاق بين مصر وشركة «مانهايم» الألمانية لانشاء أقوى محطة إذاعية في الشرق الأوسط . وكان مأمولا أن تغطي هذه الاذاعة أفريقيا وآسيا جميعاً .

وكان «فون ليرز» يعيش فى مصر فى سرية كاملة ، حتى أنه فى عام ١٩٥٦ ، عندما اكتشف وجوده صحفيان غربيان هما «وليام ستيفنسون و «آن شارلي» ، قام عبد الناصر بطردهما بحجة أنهما حاولا مقابلة محمد نجيب «المحددة إقامته في بيته دون إذن » .

من الناحية الفكرية يتجه كثيرون من الباحثين الغربيين إلى تأكيد الأثر الألماني في فكر عبد الناصر ، وعلى سبيل المثال فقد أدخل عبد الناصر على السياسة العربية والعالمية بعض تعبيرات لم يقبلها العالم من الألمان ، ولكنه قبلها من عبد الناصر ، ومن هذه التعبيرات قول عبد الناصر : «إن الحرب هي امتداد للسياسة » ، وهو القول نفسه الذي اعتمدت عليه نظرية الجنرال الألماني «كلوزوتز» . كذلك فان مبدأ العالم الثالث ومبدأ الحياد الايجابي كانا مما دعا إليه البروفسور الألماني «هوسهوفر» ، ويسمون نظريات « هوسهوفر » فى ألمانيا باسم المدرسة الشرقية في الفكر السياسي . والتطبيق العملي لهذه المدرسة يعتمد على عدة خطوات حاول عبد الناصر أن يمضي على هداها ، باقتناع لا يستطيع احد أن ينفيه ، وهذه الخطوات هي :

١ – أن تصادق الغرب وتخطب وده ، لتحصل على معونات وتبني قوتك ، ولكن خلال هذا حاذر من إغلاق الباب فى وجه القوى العالمية الأخرى .

٢ – ثم بعد ذلك ينبغي التحول إلى مركز وسط بين القوى العالمية الكبرى .

٣ – لابد من استغلال الوقت حتى يمكن التخلص من أية محاولة لسيطرة التحالفات العالمية العظمى . ولا يمكن مواجهة هذه التحالفات إلا وأنت عملاق .

كل هذا درسه عبد الناصر واستفاد منه ، ولا شك أن أفكار عبد الناصر هنا لم تكن مجرد صدى للأفكار الألمانية ، فلقد كانت له استقلاليته الفكرية ، ولكن الأفكار الألمانية لعبت دوراً فى تشكيل هذا الفكر المستقل .

وليس هناك سرعة نضوج مثل سرعة نضوج أفكار عبد الناصر في ذهنه . ورغم هذه السرعة فانه كثيراً ما كان يضطر إلى تقديم برنامجه عن موعده : فقد قدم موعد تأميم القناة عام ١٩٥٦ عندما اصطدم مع دلاس فحقق نصراً وطنياً خيالياً بتأميم القناة . ولكنه عندما قدم موعد اصطدامه باسرائيل أو سمح لهم بتقديم موعد الاصطدام تعرض لنكسة كبيرة . وأغلب الظن أنه لو لم يتعجل هذا الصدام أو بالأحرى ، لو لم يضطر إلى التعجيل ، لحقق نصراً وطنياً خيالياً آخر .

من خلال هذا كله يبدو من الغريب أن يسارع عبد الناصر إلى قطع علاقاته بالألمان ، في وقت كان يستطيع أن يواصل فيه طريقه فى الاستفادة القصوى من خبرتهم وكراهيتهم الكامنة للدول الغربية الأخرى « بريطانيا وفرنسا وأمريكا » وما لهذه الدول من سياسات مختلفة .

ولا شك أن عبد الناصر قد اضطر إلى هذا الموقف تحت ضغط ظروف صعبة ، وهو ما يحتاج إبى دراسة أخرى .

د. السيد فهمي الشناوي

بسم الله الرحمن الرحيم

مركز التراث الشعبي
لدول الخليج العربية

THE ARAB GULF STATES FOLKLORE CENTRE
CENTRE DE PATRIMOINE POPULAIRE DES PAYS ARABES DU GOLFE

دعوة الى كافة الفنانين العرب
للمشاركة فى مسابقة تصميم شعار للمركز

يسر مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية أن يتوجه بالدعوة الى كافة المبدعين العرب فى مجال الفن التشكيلي والمشتغلين بكافة أنواع الرسم والخط ، للمشاركة فى مسابقة فنية لتصميم شعار خاص بالمركز حسب المواصفات والشروط التالية :

اولا ـ مواصفات التصميم المطلوب :

١ ـ أن يعبر عن المركز ، كمؤسسة خليجية مشتركة ، تعنى بالتراث الشعبى للمنطقة المتمثل فى فنون الأدب الشعبى ، العادات والتقاليد ، الموسيقى وفنون الغناء والرقص الشعبى ، الحرف والصناعات الشعبية .

٢ ـ أن يكون دالا على هذا التراث ، ومستوحى من أحد جوانبه الغنية . خصوصاً ما أعطته الثقافة المادية الشعبية المتمثلة فى كل ما أنتجه الفنان الشعبى بمجالات الرسم والنحت والتصوير ، وما ابتدعه من فنون معمارية ووحدات زخرفية ، وما انتج من أدوات ومعدات استلزمتها طبيعة الحياة البسيطة على مر العصور .

٣ ـ أن تكون فكرته جديدة ، وتنفيذها مبتكر ولم يسبق طرحه أو تداوله بأى وسيلة من وسائل النشر على اختلاف أنواعها .

٤ ـ أن يكون بسيطا ، وقابلا للتنفيذ الفني بواسطة الطبع والحفر والنحت والتجسيم الهندسي .

٥ ـ يفضل أن يكون الشعار بلونين فقط .

٦ ـ أن يستوفى جميع الأصول الفنية الحديثة المتبعة فى تصميم الشعار .

ثانياً ـ شروط الاشتراك :

١ ـ يحق لأى مشارك تقديم أكثر من تصميم واحد .

٢ ـ ينفذ التصميم على الورق المقوى الخاص بالرسم قياس ٥٠ × ٤٠ سم أو ما يقارب ذلك . على ألا يذكر على التصميم اسم المتسابق أو ما يدل عليه ، ويكتب الاسم والعنوان البريدى ورقم التليفون على قصاصة منفصلة ترفق بالتصميم .

٣ ـ يمنح التصميم الفائز جائزة مالية قدرها ستة آلاف ريال قطرى أو ما يعادلها ، تدفع بعد اعلان نتيجة المسابقة .

٤ ـ التصميم الفائز يعتبر ملكاً دائماً للمركز يستخدمه فى كافة أغراض عمله وبالشكل الذى يراه مناسباً ، وتسقط تبعاً لذلك جميع حقوق الملكية الفنية ، العائدة للمصمم .

٥ ـ جميع الأعمال الفنية التى لم تفز لا ترد الى أصحابها ، ويحتفظ المركز خلال شهر واحد من تاريخ اعلان النتائج بحقه فى أولوية الاستفادة من أى منها فى أغراض فنية أخرى خاصة بمجال عمله ، وذلك مقابل مكافأة مالية يتفق بشأنها مع المصمم .

٦ ـ ستشكل لجنة تحكيم خاصة بمستوى فني رفيع ، لتقييم الأعمال المشاركة .

٧ ـ تعلن نتائج المسابقة فى أواخر شهر مايو ١٩٨٣ م بواسطة النشر فى الجرائد والمجلات والاذاعة والتليفزيون .

٨ ـ آخر موعد لقبول الاشتراك هو مساء يوم السبت ٣٠ ابريل ١٩٨٣ م .

٩ ـ ترسل التصاميم المشاركة الى العنوان التالي :

مسابقة تصميم الشعار
مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية
الدوحة ـ ص . ب ٧٩٩٦
دولـة قطـر

المُرَقَّش في رحلته الأخيرة

شعر : عبدالرحيم عمر

« ولما أيقن المرقَّش الأكبر ان المرض قاتله ، وان مولاه الهُذَلِيّ قد صمم على التخلي عنه ، كتب بالسر ابياتاً على رحل ذلول الهذلي ، تروي قصته ، وتطالب بالاقتصاص منه ، ومضى في رحلته باحثاً عن سلمى » .

ساهمٌ وجه المساءْ
وعواءُ الذئب يدنو ثم ينأى
ما الذى تبغيه يا أطلس ؟ ما هذا العواءْ ؟
مبهمٌ انت ، كما وجه الهذيليّ ، توارى العذر فيه والاخاءْ .
فهو يبكيني ويبْغى أجَلِي
وأنا أرثى له من قسوة المستقْبَلِ
وكلانا مكثرٌ من ذكر حب .. وحبيبٍ .. ووفاء

● ●

يا لأحزان المرقّش !
ها هو اليوم الذي ما عاد فيه قِرْن طعنٍ أو نزالٍ أو دهاءْ
وعلى المفترق الدّامِي :
عواء الذّئب ، والغدر ، ووجه الفارس الكابي الذّليل
حائرٌ بين التباكى والبكاءْ

● ●

ساهمٌ وجه المساءْ
يتوازى فيه خطّان نقيضان : بقائِي والفناءْ
غير انىَّ لن اكونَ البادىءَ الغادرَ
مهما شطّ هذا العالمُ الحافلُ ،
فا ضْيَقّ او احتُلَّ
واضحى ساعةً يعدم فيها الشُّرفاء .

● ●

شرف الموقف عبءٌ
دونه قد يظهر العمرُ عناءً عاقراً ،
أو سطوراً مبهماتٍ من رمالٍ ودماءْ
أو كتاباتٍ على صفحة ماءْ
فاذا مال بنا الدرب وأبعدنا عن المسرى النَّبيلْ
جاز أن نصرخ فى وجه المساء
فمن الأجدر بالدرب النبيلْ .
ومن الأجدر أن ينقل للباقين بالدمْ ، ونبضُ
الموت ، منا ذلك العبء الثقيلْ ؟

● ●

يا لأحلام الصبايا ، ومراثى الشعراء !
كيف تبكينا ووجه الفرح الكاذب يكسو الصَّفَّ
والسَّعف وأحلام النَّخيل ؟
أى ركب نصفهُ مؤتمرٌ بالبعضِ
والحادي أحاديه من البُغْضِ
وحظ الرحلة المنكود مرهونٌ بأحقادِ
ذليلٍ طامعاتٍ بذليلْ ؟
أىّ شاراتٍ وثاراتٍ إذا ما هبَّت الرِّيح
ولا نقشٌ على صخْرٍ
ولا خطٌ على قبرٍ
ولا من يرسل الصوت ينادي : يا لثارات القتيلْ !

● ●

ما الذى نملك أن نبقي
سوى وشم دماءٍ باهتات اللَّون
من سيفٍ سوى سيف المروءات تسيل

● ●

فليكن يا هذلِيُّ !
إمضِ فى أمرك ، هذا زمن الأنذالِ
يستلّون عين الشمس مِنْ جَفْن الأصيلْ
غامت الدنيا فلا موْلَى يوالي أو وليٌّ
كلنا السارق عين الشمس ، كل شُرَطِيٍّ
يسرق الفرحةَ ، والبسمةَ ، والفاتنةَ الحلوةَ ،
والقانونَ ، والدستورَ .. كلٌّ هُذَلِيٌّ
قاتلٌ ، دون قتالٍ ، وقتيلْ !

● ●

منعم بالوجد والشوق وهذي الجَسْرَةُ الوجناءُ
ما أوْهَنَها وَخْدٌ ، ولا أنهكها طولُ الرَّحيلْ
والمدى يُغْري
وسلمى خلف ساجي الأفْقِ تُعْطينا الاشارَةْ
هو « يعقوبُ » سعيدٌ بالبشاره
يرفع الراية ، يجرى ، مثلما يجرى من الركبِ الدليلْ
فانْفَقي قبل انفجارِ اللحظة السوداء فى صُمِّ الصَّحارى
وَضَح الأمر ، ودقّت ساعة الصفر ، وباحت بالقرارْ
والسويعاتُ الأخيرات اختصارٌ لمسَارِ التجربَةْ
آه ما أعجبها من تجربَةْ !
تارة يركلُها المرء لتنأى
ومراراً يشتهى ضارعاً أن تجذِبَهْ
ولقد يُتْرَكُ ملهوفاً ، مريضاً ، للضوارى

● ●

حلوة حتى متاهات البراري
حينما نستطيع أن نُبْصِرَ مَنْجًى لعليلْ
غير أنا .. آه يا ذلّ المرقَّش
مِنَ الهجرةِ فى الحبّ
ومن إشراقةِ العشقِ على دنياكَ
تغدو العودةُ العزلاءُ
لو دمُ الهُذَيْلِيِّ بديلْ ؟

● ●

يا رياح الغَدْوَةِ البكرِ ، إذا خُلّيتُ
مُسْتَنْبِحَ تيهٍ ، وتبرأتُ من السيفِ
تَهُبِّيْنَ من المجهولِ ، تاتيني بغوثٍ المستحيلْ ؟
وإذا ما صَمَتَ العالمُ ، أو عز « خويٌ » يستثيرُ
الدمَّ والنخوةَ فى الأهلِ ، تكونين الخليل ؟

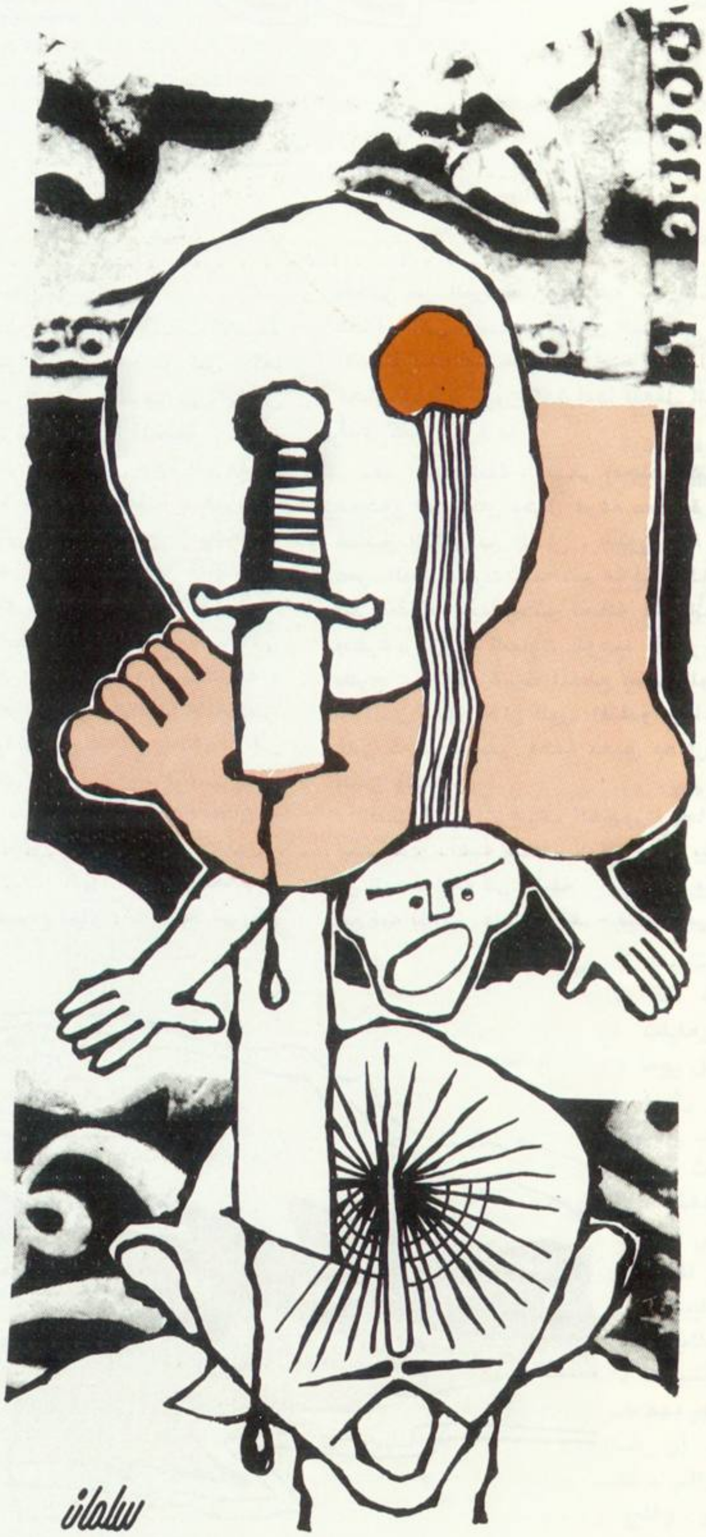
● ●

قفرت يا ويلتا
خيّم غول الصمتِ
صمتِ الموتِ
لا خيلٌ ، ولا نارٌ ، ولا فى البيدِ رجعٌ من صهيل !
فاذِ يقوُه الرّدى
وارفعوا الراية فوقَهُ (١)
إنه الخائن للعيش وللمِلْحِ وللجارِ وللدارِ المُهَانَهْ
والغٌ فى الدم والعهدِ وأقداسِ الأمانهْ
فاقطعوا الرأسَ التى دبرت الأمْرَ وأغرت بالخيانهْ
واطعنوا القلبَ الذى أطلق للغدر عنانَهْ
وانثروا أشلاءَه عَبْرَ المدى
فسُدًى نبلغُ من أمرٍ سُدَى
إن رضينا أبداً
تلك الشرّ الوبيلْ
وعلى صحرائنا منه المثيلْ !

● ●

كيفَ يجتَازُ جموح العاصِفَهْ
واهنَ المنكب . مشبوبَ الهوى
بين جنبيه تئِنُّ العاطفهْ
حارقاتٍ من حنين وجَوَى
طاوياً من عمره صفحة إصرارٍ أصيلْ
راضياً من زاد دُنْيَاهُ القليلْ
مؤمناً ، مهما دنت أيّامُهُ
أنَّ صدق العزم مفتاحُ السبيل !
فارحميه وذريه مؤمناً
ولو أنَّ المنتهى صبرٌ جميلْ !

عبد الرحيم عمر ـ عمان



هامش :

(١) كان العرب يقتلون الغادر ويرفعون علماً فوق جثته للتشهير بـــه .

خان الورد

قصة بقلم : وليـد إخلاصي

ـ ١ ـ

تلقى الرقيب الأحدب الذى يدير قسم الشرطة القائم فى قلب الأسواق القديمة ، اشارة جديدة عن مصرع واحد من المقيمين فى خان الورد . فحك الرجل رأسه الذى يشبه (كلة معروف) كما يحلو لرجاله أن يحكوا عنه دوماً فى غيابه ، ثم قال ببرود للشرطى الذى نقل اليه الخبر بحماسة :

« لابد أنه بلاغ كاذب » .

ثم أعقب وهو ينتف شعر منخاره الضخم :

« ومن هو الذي سقط فى البئر هذه المرة ؟ » .

وعندما قام رجال الاطفاء بانتشال الجثة من البئر التى تبين للتحقيق أنها تتصل بسرداب لا نهاية له ، باتت لدى الشرطة القناعة الكافية بأن فى الموضوع جريمة ، بعد أن تكررت مثل هذه الحادثة للمرة الثالثة خلال أقل من عام .

لم يسبق لشرطة أسواق المدينة القديمة أن واجهت جرائم مثل هذه من قبل ، كما أنها لم تعرف العنف الشديد فى أى من المشاكل التى تحدث فى المنطقة . كانت معظم الأحداث التى تؤدى عادة الى مقسم الشرطة ، لها علاقة بسرقات صغيرة أو بنزاعات تنتهى عادة بالصلح أو بخلافات على بيع وشراء يخرج منها المتنازعان راضيين بحكم الرقيب رئيس القسم .

وعندما سقطت امرأة نصف عمياء فى البئر ، قيل ان الحادثة مجرد مصادفة ، وبخاصة انها امرأة هوى سابقة الجاها العجز والهرم فى أواخر حياتها الى الخدمة فى ورشة لتنظيف المصارين ، فكانت تقوم على كشطها بالسكين وتنظيف المكان ، وكان رب العمل الذى تخصص بتوريد أمعاء الحيوانات الى أسواق العالم ، يشفق عليها فسمح لها بالاقامة ليلا فى ركن داخلي من الورشة . وبالرغم من مشاعر العداء التى حامت حولها فى البداية ، فان الاشفاق مع الأيام تحول إلى احترام من أهل الخان وهم يراقبون احترامها للعمل القذر الذى كانت تقوم به .

بعد أشهر قليلة ، اختفى (مجلد الكتب) العجوز الذى كان يحتل غرفة صغيرة فى الطابق الثانى من الخان . ستون عاماً من عمره البطيء مرت عليه بسرعة فى الخان ، منذ دخوله اليه وحتى لحظة اختفائه . وبالرغم من ان الصوت الوحيد الذى كان يخرج عنه كان ضربة المقطع يقص الورق به ، فان سكان خان الورد افتقدوا وداعته التى كانت هسيس محبة تعبق به أروقة المكان وفسحته .

افتقد الجيران غياب العجوز ، كما ان ابنه الذى داهمه ضعف النظر مبكراً يئس من البحث عنه فى القرية ، أول وآخر مكان لهم فيه أقارب ، ولم تكتشف حقيقة الأمر الا



بعد انتشار رائحة كريهة من البئر الذى تدور حوله أحجار الحوش المرصوفة فى خطوط تعرجت وتكسرت مع مرور الزمن ، لتبدو كموج متحجر يحيط بالتفافة خرزة البئر الرشيقة . وقد جاء رجال الاطفائية مترجلين لاستحالة دخول سيارتهم الحمراء أسواق المدينة الضيقة ، وانتشلوا جثة الرجل من قاع البئر الذى تتجمع فيه مياه الأمطار ، تلعب فتحة السرداب دوراً فى تهويتها . ودار فى رأس المحقق سؤال :

« هل سقط المجلد نائماً فلم تخرج عنه صرخة أو آهة سمعها من ينام فى الخان ؟ »

ثم تساءل فى الضبط المكتوب :

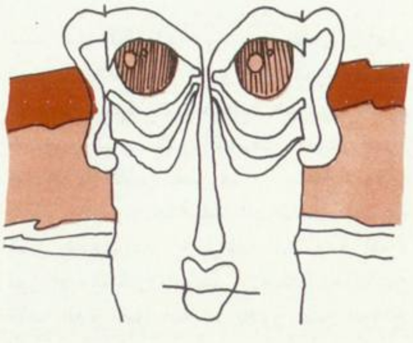
« الايمكن للحادثة ان تكون انتحاراً ؟ »

وفى المرة الأخيرة ، بلغ (الأسود) وهو الشقيق التوأم للرضي ، عن غياب أخيه المفاجيء . الا أن حرارة الجو وسكون الهواء ساعد على انتشار الرائحة من البئر ، فانتشلت الجثة مهشمة الرأس ، وكأنما سقوط الرضي كان طواعياً فهوت الجثة على رأسها مباشرة .

ـ ٢ ـ

وهكذا عاد الحديث من جديد عن لعنة خان الورد . فى المكان نفسه ، دار الحديث همساً ، وفى الأسواق القديمة المجاورة ، وكذلك فى الأحياء المنتشرة فى غرب القلعة اتسعت دائرة الاستماع الى أحاديث اللعنة تلك . وأغلق تاجر مانيفاتورة دكانه ثلاثة أيام هلعاً ، كما أن شيخ صناع الصرمايات فى سوق الجلد توقف عن العمل يوماً كاملا وهو ينصت الى الأقاويل فيهز رأسه عجباً لا يخلو من الخوف .. وعقب الضحية الثالثة ، لم يكن هناك من حديث يدور فى تلك المنطقة من المدينة الا عن لعنة خان الورد . كما أن عدداً كبيراً من أهالي المدينة وجد فى حوادث الموت تلك مادة للكلام اليومي ، غطى فى كثير من الأحايين على الأحداث السياسية والعالمية .

ونشطت ذاكرة عدد من المعمرين الذين يشتهر بهم حي السفاحية القريب من الخان فقيل إن ضحايا خان الورد فى الأيام الخوالي ، كانت واحدة فى العام على أقل تقدير . وألمح أمام جامع اللاوندية ، الى أن تاريخ الخان الداعر ، منذ أن أنشىء فى القرن العاشر الهجرى ملتقى للعشاق والفاسقين من الغرباء والوافدين أو من أهل المدينة الميسورين ممن ينشدون المتعة



الحرام ، هو سبب ما جرى ويجرى وما سيكون عليه الحال باذن الله . فاللعنة لا تحل على أماكن الفضيلة ، بل تختار من الأماكن مالوثها الفساد . ولن يمحو اللعنة الا هدم الخان على ماضيه .

ولم تخرج جنازة الرضي ، أخر الضحايا من خان الورد كما أراد شقيقه . لذا فقد تجمع الناس عند مدخل الزقاق الذى تتصدره الطبابة الشرعية ، والتى خرج منها النعش ملفوفاً بشرشف أبيض مقلم ، غطت حزمة الورد الوحيدة جانباً من تمزقه وكان المشيعون قلة جمعت سكان الخان مع عدد ضئيل من الذين يعملون نهاراً فيه ، الى جانب أولئك الفضوليين الذين يلحقون عادة بالجنازات تكسباً أو قتلا للوقت .

ـ ٣ ـ

وكان خان الورد ، الذى تصدعت جدرانه الخارجية منذ عشرات السنين فلم ينذر بخطر ، يحتل مكان القلب فى منطقة الأسواق القديمة ، وكأنما هو المركز الذى تتفرع عنه تلك الممرات الضيقة المغطاة بصفائح التوتياء ، فتسمح الثقوب التى فيها بدخول الضوء كنجوم هاوية . وكان خان الورد أجمل الخانات الكثيرة وأوسعها وقيل انه أحدثها فى المدينة القديمة .

وقد أغلق الباب الشرقى للخان منذ نصف قرن ، فما عاد يستعمل وهو الذى كان يؤدى مباشرة إلى سوق الصاغة . بينما ظل الباب القبلي هو المدخل الرئيسي والوحيد لخان الورد ، الذى مازال يغلق مع غروب الشمس من كل يوم ، إذ تتوقف الحركة فى الخان الذى تنوعت النشاطات التجارية والصناعية فيه ، فاختلطت المهن بعضها ببعض ، فتجاورت صناعة المصارين مع تجارة العملات الأجنبية ، واختلطت تجارة (البالات) مع لفائف الأقمشة الحديثة .

وظل إغلاق الباب اليومى وظيفة أقدم المقيمين فى الخان . وبعد وفاة مجلد الكتب الذى كان يطمئن بنفسه ، وبالرغم من شيخوخته المنهكة على إقفال الباب عشية كل يوم ، تناوب التوأمان الأسود والرضي على القيام بذلك العمل . والآن باتت تلك مهمة الأسود ، الذى أغلق الباب فى تلك الليلة المشؤومة والحزن يختلط بالظلمة التى خيمت على الحوش والغرف المنتشرة على طول الأضلاع الأربعة ، كما أن النور الضئيل الذى ينبعث من بعض غرف الطابق الثانى ، لم تكشف عن طبيعة وجه الأسود فى ذلك اليوم .

وفى اليوم التالى ، عادت الحياة طبيعية إلى الخان ، فازدحم الحوش بالزبائن واكتظت الأروقة بالباحثين عن ملابس قديمة ، وكأنما نشاط التجارة والصناعة لا يتأثر بمقتل إنسان ، مصادفة أو جريمة .

إلا ان تلك العودة إلى الحياة ، مالبثت ان اضطربت فجاة مع تقدم الرقيب الأحدب يرافقه مدنى يرتسم الشك على وجهه ، جعلا يطوفان فى أنحاء الخان ومن خلفهما شرطيان أحدهما يبدو عليه الهرم المبكر وهو يقوم بتسجيل كل ما يمليه عليه رئيسه .

فى البداية ، استبعدت الشبهات عن أهل الخان من الذين يغادرونه مع غروب الشمس ، كالصيارفة وأصحاب مكاتب الاستيراد والتصدير وتجار الأقمشة وبائعي الملابس المستعملة وعمال الأنوار اليدوية . وسجلت قائمة باسماء المقيمين فى الخان ليل نهار . فبالاضافة إلى الأسود الذى يدير ورشة لاعداد خيوط الاغباني ، كانت هناك أسماء الأطرش مرقع الأحذية ، وابن مجلد الكتب الراحل ، وبائع الفستق السوداني وزوجته العجوزان ، وثلاثة من المتسكعين كانوا قد تسللوا فى الأشهر الأخيرة الى الخان يستخدمون أروقته للنوم المجانى .

واحتار المحقق الذى يرافق الرقيب الأحدب ، فى أن يجد سبباً معقولا واحداً يدعوه للاعتقاد بان جريمة ما قد حصلت . كما أن الرقيب نفسه ، الذى قام بمعاينة خرزة الجب الواسعة ، لم يستطع أن يتصور أن أحداً يسقط فيها دون مساعدة ، ما لم يكن يطل بجذعه داخل تلك الفتحة فاختل توازنه بسبب ما وسقط فى البئر .

« سقوط من غير صوت » .

هكذا كرر المحقق تساؤله . وهكذا دار التحقيق فى سياق الشك والتساؤل

خان الورد

والافتراضات التى لم تؤد إلى نتيجة ذات فائدة .

وإذا كانت إمراة الهوى التى لا ترى جيداً ، أو مجلد الكتب الذى قال إبنه إنه طالما شكا من آلام البروستات ، قد فكرا بالانتحار لتفاهة الحياة أو منغصاتها على سبيل الافتراض ، فان الرضي الذى كان ما يزال فى عز الرجولة ولم يتجاوز الثلاثين من عمره الا بقليل ، وكان قوياً صبوح الوجه ، لا يمكن ان يدفع بسهولة الى الموت كما انه لا يمكن له أن يرضى بالانتحار بأى حال من الأحوال .

ـ ٤ ـ

كان الرضي معروفاً فى كل أسواق المدينة يمر فى كل يوم وعلى ظهره طابات خيوط الاغباني يحملها إلى أصحابها يوزعها عليهم . ولم يؤثر عليه ثقل تلك الخيوط ، فظلت قامته مستوية تثير انتباه النسوة المترددات على السوق ، حتى بات معروفاً عندهن ، وكثيراً ما سمعت ملاحظات إعجاب تصدر عن الصبايا والعجائز لها علاقة بشباب الرضي .

هو يسلم على الجميع من أصحاب الدكاكين ، ويتبادل معهم الأحاديث العابرة وفى وجهه ابتسامة لا تقل حلاوة عن طلعة امراة جميلة خرجت لتوها من الحمام . كانوا يقولون عنه « ابن الورد » ، ويوم يرتفع سعر الذهب أو الفضة يقول صائغ :

« صباح الرضي كله خير » .

واذ يبلغهم نبأ موته ، يزداد تشاؤمهم من الخان الذى تتكاثر حوله الأقاويل يوماً بعد يوم .

وعندما حل الأسود العابس محل الرضي الراحل ، كان يمر منكساً رأسه لا يعرف التحية ، كانوا فى السوق يقولون :

« هل يمكن لبطن امراة ان تحمل مثل هذا النحس جنباً إلى جنب مع الرضي؟»

وتتأكد لدى الجميع قناعة ، ان لعنة حقيقية قد حلت بخان الورد . وهكذا قيل إن زماناً كهذا يأخذ الطيب ويترك الرديء .

ـ ٥ ـ

ترعرع التوأمان فى حوش الورد وأروقته ومنذ أيام الطفولة الأولى ، عرفا ان دارهما فسيحة كالجامع الأموى الكبير وضيقه كالجحر . وكانت ابتسامة الرضي بحجم الحوش الذى تغمره الشمس طوال اليوم وتظلله الشمس على مدار السنة . وكان تأفف الأسود كالغرفة الداخلية الضيقة التى جمعت بين جدرانها المسدودة أسرة دون أم ، فتبادل الصغيران حناناً بعيداً عن الأب الذى قيل إنه لم يجرؤ على الزواج لفقره .

ويرحل الأب ، فيرث الأبناء صنعة اعداد الخيوط المذهبة . ومنذ تلك الأيام ، كان الأسود يردد :

« لو تحول خيط واحد الى ذهب حقيقى لهجرت الخان » .

بينما كان الرضي يعلق ضاحكاً :

« حمداً لله اننا ورثنا صنعة باليد وغرفة بايجار رمزى » .

وكان جابى الأوقاف ، يمر عند مطلع كل سنة ميلادية يجمع الايجارات من شاغلى غرف الخان . وعندما يحصي امواله ، يقف ساخراً عند الباب الكبير الذى تآكلت اخشابه ويتمتم بصوت مسموع .

« أليس حراماً ان تكون أجرة هذا الخان الذي يعادل بناؤه حياً معموراً بأسره ، هذه الليرات القليلة ، ونصيبي منها لن يكون الا من اليسير المضحك ! » .

وعندما سجل خان الورد ، أثرا من آثار المدينة الهامة لا يجوز لأحد ان يمسه ، ابتسم الرضي مطمئناً الى ان احداً لن يجرؤ على التلويح بهدمه ، بعد ان عشق كل حجرة من أحجاره وامتد الخراب إلى معظم مناطق المدينة القديمة ، بينما تأفف الأسود بقوله :

« كتب علينا أن نعيش ونموت فى هذا الخان » .

وفى ليالى الصيف ، كان المتسكعون من الفقراء الذين يلجأون إلى الخان ليلا طلباً للراحة فى (فندق الورد المجاني) كما يحلو لهم أن يسموه ، ينضمون الى أهل الخان وهم يلتفون حول الرضي ، يشاركونه نارجيلته الطهمازية ، يستمعون الى احاديثه عن تاريخ الخان الجميل .

هنا كان الفرسان والمسافرون يربطون خيولهم ، وفى تلك القاعة التى باتت مقراً للتجارة ، كان المغنى يجمع حوله نزلاء الخان يسمرون حتى الصباح . وفى تلك العلية ، فى الصومعة الوحيدة التى تعلو الطابق الثانى ، كان شيخ مبارك يبتهل الى الله فيها ، فتسمع لتسابيحه نغمة فى آخر الليل ، تجتذب أهل الخان فيقومون الى الصلاة بعد سهر وشرب وغناء ، ويطلبون غفران الذنوب وهكذا خان الورد كالحياة نفسها .

ومن كان لا يدرك شيئاً ما فى حديث الرضي ، يستزيده فهماً فلا يبخل عليه الرجل . وفى كل صيف ، كانت حكاية الخان تكبر ، وكأنما الرضي يكتشف فى أيام الشتاء جديداً عن الخان يدخره لسهرات الصيف ، حتى بات الذين يستمعون الى حكاياه يظنون انه عاش كل حياة الخان ، منذ أول حجرة وضعت فيه الى هذه الأيام التى تهدد فيها وجود الخان نفسه .

ـ ٦ ـ

سئل الأسود عن موت أخيه الرضي ، فأطرق حزيناً يعطى لسكوته طعم الاستسلام للمصيبة .. وسئل إن كان يشك فى جريمة محتملة ، فرفع حاجبيه عجباً . وقال له الرقيب الأحدب ان كان يحمل احداً ما مسؤولية موت الرضي ، فنفى صامتاً ، وهكذا طوى الموضوع ، وعادت الحياة إلى الخان بعد أن انطفأت ببطء جميع الأقاويل والشائعات والمخاوف حول الجرائم المتخيلة ، الا ان لعنة خان الورد التى قيض لها أن تبرد نارها . ما لبثت ان توهجت مع ظهور رجل غريب دخل الخان ذات يوم ، وقد بدا للجميع وكأنه سائح اجنبى يريد أن يلتقط الصور بآلته الكبيرة التى أطلت بعدستها اللامعة على كل زوايا خان الورد ، فسمع لطقتها أثر يشبه النقر على الحجر المعتق .

ـ ٧ ـ

قدم الرجل نفسه للأسود على انه مهندس عاش معظم حياته فى أوربا . ثم هز الأسود من كتفيه بمودة وصاح :

« لابد أنك نسيتني » .

وكما قال ، فان صداقته للرضي قديمة ابتدأت مع أيام الطفولة ، حين كان المهندس صبياً يلعب فى حوش الخان ويتردد مع الأولاد على دروس الشيخ المغربي الذى علمهم القرآن تحت الدالية فى صدر الخان .

وقد أنكره الأسود ، وقال له انه لا يعرفه من قبل ، ثم استوضحه بمرارة أنه كان لا يعرف ما قد جرى للرضي ، فشهق المهندس بغضب اذ يبلغه نبأ سقوط

صديقه فى البئر ، وينظر الى الأسود باستغراب لأن الموت قد طوى عنده كقدر ، فلم يتساءل عن سببه .

كان الرضي ، يراسل صديقه ويساره . ولم يكن للمهندس صديق بقي له فى هذه المدينة سوى الرضي ، وها هو يفقده فجاة دون مقدمات . هتف الرجل بحرقة :

« احسب فى الموضوع جريمة » .

كانت آخر رسالتين وصلتاه من الصديق الراحل ، تتحدثان عن شكوك الرضي التى تدور حول مصرع المراة العجوز ومجلد الكتب فى الجب . كما أن الرسالة الأخيرة ، التى كانت قبل سقوطه فى البئر ، اشارت الى أن (احدهم) قد اتصل به من واحد من مكاتب الهندسة أو التعهدات ، ليقول له إنه وارث لملكية خان الورد ، وانه قرر ان يحول ملكيته الى فندق عالمي يستقبل فيه النزلاء من محبى التاريخ ، وان على الرضي ان يساعده فى إقناع سكان الخان بترك غرفهم ومكاتبهم ، وهو مستعد لدفع مبالغ معقولة تعويضاً لهم . ويقول الرضي كاتباً فى رسالته :

« إننى شخصياً أرفض أن أغادر المكان الذى ولدت فيه . ولا اتصور أن واحداً من العاقلين يهجر المكان الذى ولد فيه وترعرع واحب » .

قال المهندس هاتفاً من ألم :

« أريد أن أعرف من هو احدهم هذا الذى أشار اليه العزيز الرضي » .

وقال الأسود ببرود يثير الغيظ :

« لم يحدثني المرحـــوم عن شيء من هذا » .

ثم أعقب :

« لو كان الرضي قبل بتعويض مناسب لكانت الامور أفضل » .

ثم تساءل متوجساً :

« ولكننى لا أذكر أن لأخى صديقاً مثلك منذ أيام الطفولة ، وانه يراسله . الا تعلم أنه كان أخى التوام ؟ » .

فقال الرجل :

« ما كنت أحسب هذا الأمر حقيقة » .

ـ ٨ ـ

كان المهندس ، الذى جاء فى مهمـــة لدراسة الآثار فى المدينة لصالح معهد أوربى معروف ، قد قرر أن يتصل بالشرطة لابلاغها عن شكوكه التى باتت يقينا عنده ، ولكن الرقيب الأحدب نظر إليه باستخفاف وهو يقول :

« طويت الحادثة . ثم أنك لست بقريب للمرحوم حتى تشغلنا بشكوكك وأوهامك » .

وبعد أيام وصلت البعثة التليفزيونية إلى الخان ، كى تلتقي بالمهندس لاتمام المهمة ، فلم تجده . وسالت عنه أهـــل الخان ، فلم يفد احد بكلمة . واما الأسود فأنكر انه رآه سوى مرة واحدة اختفى من بعدها .

ولم تتح للبعثة ، التى كان المهندس قد اتفق معها على تصوير الخان وما يجاوره من أسواق قديمة ، فرصة الاستقصاء عن أخبار المهندس الذى افاد الفندق ، الذى ينزل فيه منذ قدومه ، انه خرج منذ ثلاثة أيام ولم يعد . وقد شغلت البعثة باغتنام الفرصة لتصوير حريق مفاجىء شب فى سوق الجلود فاتى عليه كوباء صاعق وبالرغم من رائحة الشواء التى تشابه رائحة حريق اجساد بشرية ، فان المصور خرج بوثيقة هامة عن تدمير واحد من اجمل الأسواق القديمة .

ولولا الصدفة المحضة ، ما عرف رجال البعثة شيئاً عن جثة رجل مجهول دهمته سيارة مسرعة ، والتى لم تكن الا للمهندس المغترب ، الذى قيدت جريمة مصرعه ضد سائق هارب مجهول ، تبين انه لا يمت بصلة إلى السيارة التى تسببت فى مقتل المهندس الذى لم يعثر عنده على أوراق تدل على هويته .

وأصر المصور على استكمال تصوير خفايا الخان ، لدهشة اصابته من جمال احجاره واخشابه وزواياه وهندسته البديعة ، وقد اختلطت بتلك لقطات من رحيل عدد من سكان خان الورد بعد ان تاكد لهم عبث البقاء فيه لما حل فيه من لعنات ، وبخاصة ما تواتر فى الأسواق القديمة من أن يدا عابثة هى التى تسببت فى حريق سوق الجلود ، وهى لابد لها علاقة بسقوط الناس فى البئر . وبالرغم من جهود المصور ومساعديه فى لفت نظر الجهات المسؤولة الى احتمال قيام جريمة متعمدة ضد المهندس ، الا ان احداً لم يستمع الى تلك الملاحظات .

كما أن الأسود الذى هجر الخان وصنعة الاغباني فجاة ، ليعمل موظفاً فى مكتب كبير للتعهدات ، عرف عنه التخصص فى هدم الأبنية القديمة لتقام على انقاضها المشاريع الكبيرة والأبنية البيتونية الهائلة لم يفعل شيئاً للبحث عن احتمال جريمة متعمدة ضد اخيه ، وكان الدم بات ماء فى هذه الأيام ، كما قيل .

ـ ٩ ـ

وعندما احيل الرقيب الأحدب على التقاعد قبل الستين ، هتف صارخاً :

« ولكنى لم افعل شيئاً يسيء إلى احد ، ولم ترتكب جريمة فى منطقة عملي طوال خدمتى ، فلم يقطعون رزقى قبل الأوان ؟ » .

إلا أنه بالرغم من الظلم الذى وقع عليه فجاة ، لم يجرؤ لحظة فى أن يقول الحقيقة التى استخلصت منه بعد ذلك دون ان يدري ما يقول ودون أن يعلم ، وهو فى إقامته الجديدة تحت شجرة اللوز فى الضيعة ، أن خان الورد يتاكل يوماً بعد يوم وكانه مصاب بالجذام ...



وليد إخلاصى ـ حلب

إضاءة ٧٧
وشعراء السبعينات

بقلم : ماجد يوسف

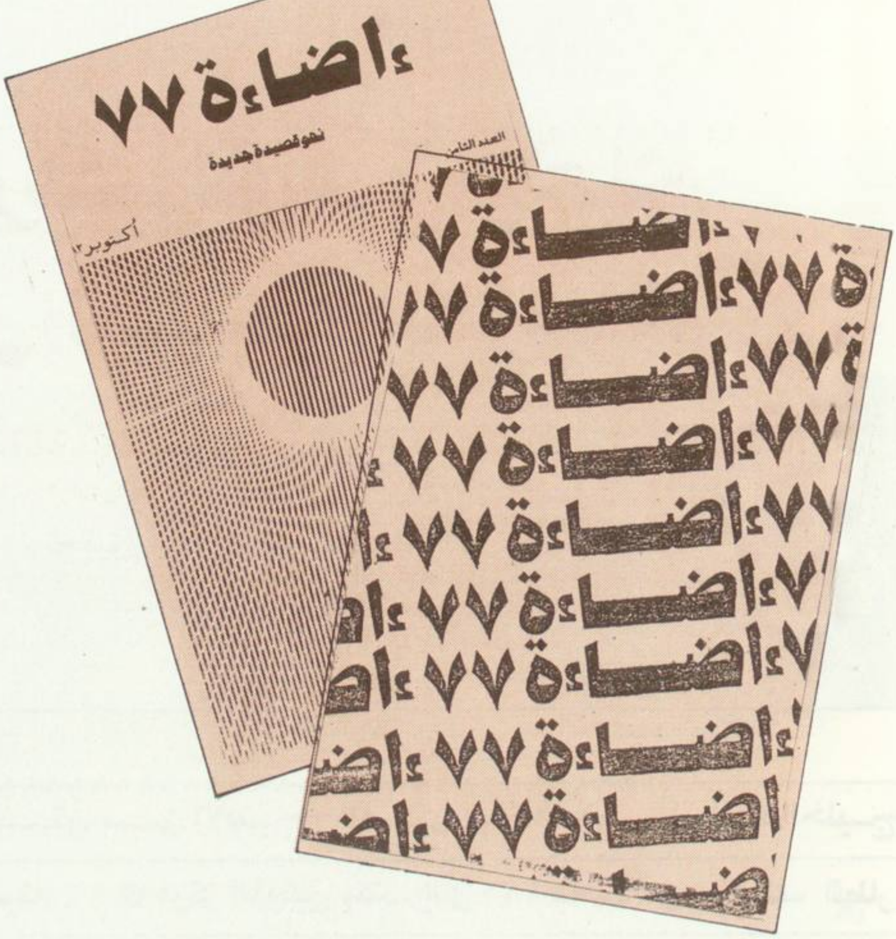


منذ صدر العدد الأول من (إضاءة ٧٧) مجلة الشعراء الشبان بالقاهرة (حلمي سالم ـ رفعت سلام ـ حسن طلب ـ جمال القصاص ـ ماجد يوسف ـ امجد ريان ـ محمد خلاف ـ محمود نسيم) .. فى ذات يوم من شهر يوليو سنة ١٩٧٧ .. وحتى صدور عددها الثامن فى اكتوبر ١٩٨٢ الماضي ، وهي عرضة لكثير من الأخذ والرد، والقبـول والرفـض ، والاستحسان والاستهجان من الجبهة العريضة للحياة الثقافية المصرية .. حتى بدت ـ فى نهاية الأمر ـ وكأنها مرآة صادقة تنعكس عليها مواقف واتجاهات وقناعات هذه الحياة الثقافية برمتها فى تراوحها من النقيض إلى النقيض ، خلال الحقبة الفائتة خصوصاً ، وفى مجال الشعر بوجه أخص .

وإن بدا من الواضح بعد ذلك ـ مع توالي صدور الاضاءة ـ انها تقترب ، مع كل عدد جديد ، اكثر فاكثر ، من التحديد التقريبي لانصارها ومؤيديها ـ وهم غالباً بين الشباب المثقف ـ ومعارضيها ومناوئيها ، وهم ليسوا دائماً بين الشيوخ والكبار .. وبغض النظر عن هذا التقسيم السني الذي قد يفتقر إلى الدليل .. فان جبهة المناوئين تحددت بدون شك ـ وفى أعرض قطاعاتها ـ في معسكر التقليديين والمحافظين فى الثقافة المصرية بشكل عام .. كما تحددت ساحة المؤيدين ـ فى أوسع دوائرها ـ لدى أصحاب التجديد فى الفكر والفن ، وبشكل عام ايضاً .. لأن الصورة لا تخلو من ظلال بينية هنا وهناك .

ولا يخفى ان المسألة ـ ونتيجة لكل ذلك ـ أصبح لها بعدها السياسي أيضاً ـ برغم المنطلق الشعري ـ حتى ولو لم يرد أصحابها من شباب الشعراء ذلك بشكل مباشر .. ولم يكن هناك مندوحة عن ذلك على أية حال .. فالموقف التجديدي فى فهم الفن وإبداعه ، هو بالضرورة موقف متقدم في فهم الواقع ، وفى حل اشكالياته وفى التعامل مع الحياة .. يقف على النقيض ـ بالحتم ـ من الموقف المحافظ فى فهم العملية الفنية والابداعية ، الذي يعبر بدوره عن فهم كلاسيكي للواقع ، وتقليدي من ثم في حل اشكاليات هذا الواقع ، ونمطي ـ اخيراً ـ فى وعي الحياة بالضرورة . فبينما ينحو الموقف الاول ـ موقف المجددين الشبان على مستوى الشعر ـ إلى الصدام مع المالوف ، ونفي الوصفي لحساب التركيبي ، وإعلاء الدرامي فى مقابل دحض الغنائي فى فهمهم للقصيدة .. يقاتل الموقف الثاني (موقف المحافظين في الشعر) إلى تثبيت وترسيخ وتكريس المالوف والوصفي والغنائي فى فهمهم المقابل للقصيدة .

ولأن المعركة ـ على الأقل على المستوى الرسمي ـ حسمت فى الحقبة الفائته لصالح اصحاب التقليد ـ ودعاة (ان ليس فى الامكان أبدع ولا ابعد مما كان) .. بدا أن الصورة مختلفة تماماً على الجانب الآخر من النهر .. فثمة تيارات شعرية وفنية شابه تمور بافكار جديدة ، ورؤى طموحه ، وتصورات مناوئة تماماً .. واخذ هؤلاء الشباب يتعرفون ـ بعضهم البعض ـ على أصواتهم المتناثرة هنا وهناك بطول الوادي وعرضه .. ويلتقون ويتراتبون كما تتراتب وتتراصف برادة الحديد في مجال مغناطيسي معين ـ هو هنـا واقع تاريخي وظرف اجتماعي معين ـ حتى بدا من المحتم لهذا التراصف وذاك التلاقي من شكل يعبر عنه بعيداً عن اجهزة الثقافة الرسمية .. ومن ثم ولدت (الاضاءة) معبرة عن هذا التجمع للشعراء الشبان الجدد فى مصر ، محققة لتمايزها عن الاتجاهات الرسمية السائدة فى الشعر ، ومبلورة لاستقلالها عن مؤسسات ومنظمات وهيئات وإدارات الثقافة فى مصر .. صانعة بذلك حلقة جديدة فى سلسلة المحاولات السابقة المماثلة .. (جاليري ٦٨) ، (سنابل) و(كتاب الغد) .. وأعلن الشعراء الشبان فى أعدادهم الأولى من (إضاءة) : إنهم برغم تقارب ملامحهم الفنية ، ووعيهم الفكري



والجمالي ، إلا انهم لا يدعون اكتمال النضج الفني والفكري والجمالي بعد ، وإنما هذه مسالة منوطة بالتراكم ، وتنامي الخبرة ، وجدل الحركة المفترض لها الاندفاع إلى الأمام باستمرار .. وبرغم ما أعلنوه من تقاربهم ، إلا انهم اكدوا بنفس القدر على التمايز فيما بينهم ، وانفتاحهم على كل جهد شاب جاد وحقيقي .. وحددوا مهمتهم في تاكيد وترسيخ تجربة شعرية جديدة تنبثق فى جسد الابداع المصري ، مبرزين لملامحها ، ومنضجين لفؤادها الفتي ومبلورين ودافعين لصفوفها الشعريـــة الطالعة صعوداً إلى الشعر وباتجاه الوطن .. واختاروا أسلوباً لهم يتمثل فى الاعتداد بكافة الاجتهادات الفنية من موقع التمايز لا الامتياز ، تكريساً لسمات وخصائص التجربة الشعرية الشابة إبداعاً ونقداً ، متواصلين فى ذلك لا مع الساحة الشعرية الشابة فى مصر وحدها ، وإنما مع الساحة الشعرية الشابة باتساع الوطن العربي كله .. ولم يفتهم أن يؤكدوا انهم حلقة أصيلة فى تطور الشعر الجديد تدين بالفضل ــ بل وبالوجود ــ إلى ما سبقها من حلقات فى السياق التاريخي للشعر المصري الجديد ، بل وللشعر الجديد على مستوى العالم العربي .. طامحين إلى أن يبتعثوا مواكباتهم النقدية لقصيدتهم الجديدة ، من واقع إدراكهم لقصور الحركة النقدية ــ خصوصاً في مصر ــ عن متابعة تطور القصيدة الجديدة ، حتى اصبحت الغربة كاملة وتامة بين شعرهم والنقد السائد ، آملين بذلك إلى تهيئة الظروف لتخلق مناخ نقدي ــ شعري يتفاعل مع حركة قصيدتهم الجديدة ، معلنين اعتدادهم بالقصيدة العربية كموروث ثقافي ، وايضاً امتداد ساحتهم الممدودة بحجم الانسان .. (فانه بما نحن بشر ، فلا أرض تحد إرثنا ولا سماء) ..

كما أعلنوا أن لهم تعاملهم الخاص مع اللغة .. تعامل تخرج به الكلمة عن ان تكون معادلة ومساوية لمعنى متداول ومبتذل وميت .. فاللغة اداة فنية خاصة (وعملنا أن نعمد إلى تفجير الامكانـــات اللانهائية لها) .. في توق لا يني للخروج بها من تخومها المنطقية المالوفة السائدة التى حصرتها طويلا فى حدود (المحاكاة) الكلاسيكية ، أو (التعبير) الرومانسى .. والسعي بها الى ما وراء تخومها المنطقية .. ذلك (الماوراء) الواعد بكنوز من الجدة والاكتناز والبكارة ، حيث تصبح الكلمة ــ فى أى لحظة من لحظات عمـــارة القصيدة ــ موسيقى ، ودلالـــة اجتماعية ، وتشكيل ، وتركيب فى آن معاً .. وتصير القصيدة ــ فى هذا المنظور ــ نسيجاً من العلاقات الجمالية الراقية بين ابعاضها وابعادها المختلفة لا يقتطع منها شكلا من مضمون ، ولا يتمايز فيها مضمون عن شكل .. وبذلك لا يكون المضمون الا مستوى واحداً داخلا فى نسيج من العـــلاقات الجمالية حيث لا وجود لمضمون مستقل عن علاقاته الجمالية وقيمه التشكيلية . واكدت (الاضـــاءة) على سعيها اللاعج ــ من خلال تجاربها الشعرية ــ الى تخطى مفهوم الشعر ــ إبداعاً ونقداً ــ لدى الاجيال السابقة من شعراء الحداثة .. استشرافاً للقصيدة المتحررة من كمال الاجوبة المنتهية .. فهذا هو (فعلنا الحى كشعراء) وهم يتوجهون للجماهير محاولين اقلاق وقلقلة منطق رؤيتها الاستاتيكى للشعر ، واستجابتها الساكنة للقصيدة ، نافين ثبوتية هذا المنطق على الاطلاق ومهما كانت مساحات الاختلاف والاتفاق مع (اضاءة ٧٧) فهذه قضية الحكم النهائى فيها غير وارد ــ على الأقل الآن ــ فلا زالت التجربة مستمرة .. ولا زالت تكتسب فى كل يوم أرضاً جديدة .. وها هم الشعراء الشبان من كافة انحاء الوطن العربى يدفعون بقصائدهم الجديدة إلى اضاءة متواصلين معها ومترين لها .

ولكن المسالة التى لا جدال فيهـــا ان (اضاءة ٧٧) فتحت الطريق فى مصر على مصراعيه لطوفان من الاصدارات الشبابية الخاصة البعيدة عن المؤسسات الثقافية الرسمية ، فتوالت على اثرها الجماعات والمجلات التى صنعت فى نهاية الأمـــر ــ وحتى الآن ــ ظاهرة فريدة وجديرة بالبحث والدرس والتامل لمن أراد ان يقف بازائها وقفة موضوعية امينة .. فهاهم فتية لا يتجاوز عددهم أصابع اليـــدين بلا إمكانيات مادية تذكر ، يصدرون مجلة شعرية مناوئة لكل المجلات .. بل ويضمنون الاعداد الثمانية التى صدرت من مجلتهم حتى الآن ما يربو على الخمسين قصيدة لاربعين شاعراً غير عدد لا باس به من الدراسات النقدية والمتابعات النظرية لما يجرى فى ساحة الشعر بالاضـــافة إلى الترجمات الشعرية .. بل ويصلون بنسخهم المحدودة الفقيرة الى كل مكان من وطنهم العربى الكبير صانعين هذا التاثير الملموس والذى قد يتبلور فى السنوات القليلة القادمة عن تيار جديد يضاف إلى نهر الشعر العربى الحديث .

أول مركز لتوثيق الإعلام لدول الخليج العربية

تحقيق: مريم آل سعد

أهم أهداف مركز التوثيق :

● جمع وتنظيم أكبر قدر ممكن من الانتاج الفكري والاعلامي لمنطقة الخليج العربي في مختلف أشكاله وأوعيته ● مركز التوثيق يكتب إلى ١٨٠ باحثاً من مختلف أقطار الخليج العربي للمساهمة بما له صلة بقضايا الخليج وأقطاره . ● البدء بعمل كشاف تجميعي لعدة مجلات تقرأ بحوثها على مدى سنين طويلة مثل مجلة « الدوحة » القطرية ومجلة عالم الفكر (الكويتية)

أهم نشاطات مركز التوثيق الاعلامي :

● إصدار المجلة الفصلية «التوثيق الاعلامي» . ● إصدار « دليل الدوريات الخليجية » .

● الإستعداد لإخراج مطبوع « شخصيات عربية خليجية » .

استكمالا لمشاريع الاعلام والاتصال بين دول الخليج العربى ، وفى سبيل المزيد من الترابط والسعى نحو تكوين نواة الوحدة المؤملة بين الأقطار العربية ، واضافة الى حلقة المؤسسات الخليجية المشتركة مثل « وكالة أنباء الخليج » فى البحرين ، و « مؤسسة الانتاج البرامجى المشترك » فى الكويت ، و« جهاز تليفزيون الخليج » فى السعودية ، و « مركز التراث الشعبى » فى قطر . قام « مركز التوثيق الاعلامى لدول الخليج العربى » فى بغداد ، بمباشرة أعماله التى ترتكز على حاجة مؤسسات الاعلام الماسة الى المعلومات المقننة والمنظمة للارتقاء بالانتاج الاعلامى بما يواكب تقدم المنطقة ونشاط الباحثين والدارسين فيها .

وقد عبر السادة وزراء اعلام دول الخليج العربى عن أهمية دور المعلومات وتوثيقها منذ مؤتمرهم الأول الذى عقد فى « أبو ظبي » عام (١٩٧٦ م / ١٣٩٦ هـ) بالتأكيد على ضرورة انشاء مركز للتوثيق الاعلامى كمؤسسة علمية تعنى بشؤون التعامل مع المعلومات بالوسائل المقننة والحديثة . وليكون اداة فعالة لدعم وانجاح المشاريع والدراسات الاعلامية الخليجية الأخرى .



عامر ابراهيم قنديلجي المدير عام لمركز التوثيق الاعلامي لدول الخليج العربي

وقد كان لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) دور إيجابى فى الاهتمام بانشاء « مركز التوثيق الاعلامي » إذ ساهم خبراؤها فى وضع الدراسة التى شهدت بجدوى إقامته واهمية دوره العلمي والاعلامي للمنطقة .

وقد وقعت اتفاقية مركز التوثيق عام ١٩٨٠ ، ولكنه باشر أعماله في عام ١٩٨١ .

وقد خصص له مبنى مناسب يتسع للمعدات والأجهزة وللكادر الوظيفي المطلوب لمتابعة وانجاز وتحقيق أهدافه .

ويعتمد المركز على نوعين من الكادر الوظيفي .

المجموعة الأولى : هم الموظفون الدائمون الذين يتولون الأقسام الفنية والادارية وقد انضم إليهم أوائل قسمي التوثيق والاعلام – جامعة بغداد . بالاضافة إلى مجموعة المتخصصين بالتوثيق والاعلام .

المجموعة الثانية : هم الخبراء وأساتذة الجامعة ومن يستعان بهم في مشاريع ضمن خطة معينة . لأن قضية الاستفادة من الخبرات الأكاديمية أو الاستعانة بالخبراء حسب نوعية ومرحلة كل مشروع توجه – كما يراه القائمون على مركز التوثيق – مفيد وفعال يقوي من العمل ويدعم جهود المركز الذاتية في شخوص أقسامه .

كما يوجد هناك كادر آخر مكون من تخصصات مختلفة لسد احتياجات المركز في المراحل القادمة . وقد واجهت عملية استقطاب العناصر الخليجية للعمل في مركز التوثيق الاعلامي عقبتين . أولاهما : حاجة هذه الدول الخليجية – نفسها – إلى جهود العناصر الفعالة من أبنائها للمشاركة فى خطة التنمية الواسعة التى تشهدها أقطارها .

وثانيهما : عدم وجود الاغراءات الكافية التى يمكن ان تجذب هذه الكوادر .

وقد وجد مركز التوثيق فى قدرات الأخوة العرب القاطنين في هذه الأقطار الخليجية لا تقل عن خمس سنوات مدخلا جيداً للاستعانة بخبراتهم وجهودهم .

وقد اكد مركز التوثيق الاعلامي لدول الخليج العربي – الذي يعتبر أول مركز لتوثيق الاعلام فى الوطن العربي – على التعاون مع الباحثين والدارسين سواء اكان ذلك بفتح المجال امامهم للاطلاع والاستفادة ، أو بمساهمته في نشر أو طبع ما يراه يساير توجهات المركز من نتاجهم أو دراساتهم . كما ينوي الآن طبع اطروحة أستاذة فى جامعة الامارات العربية بعنوان « الصحافة في منطقة الخليج » .

بغداد .. لماذا ؟

واللقاء مع مدير مركز التوثيق الاعلامي عامر ابراهيم قنديلجي . يوضح حقيقة الدور الهام الذي يرتاده مركز التوثيق وخصوصاً في هذه الحقبة – المتحفزة للتطور والتنمية – من عمر منطقتنا العربية الخليجية .

● لماذا بغداد المقر الرئيسي ؟

قال عامر قنديلجي :

– الذي أعرفه هو تميز بغداد باحتوائها على كادر متخصص في مجال التوثيق والاعلام . ولوجود مراكز توثيقية لا باس بتقدمها ، فضلا عن وصول كلياتها إلى مستوى تخصص الدراسات العليا والدكتوراه فى التوثيق .

ولقد صمم المشروع في بدايته على اساس أن يقام في مدينة «أبو ظبي» ، ولكن بعد انتهاء الدراسات التى أكملها خبراء اليونسكو مع بداية ١٩٧٧ ظهرت مشكلة قلة إعداد الكادر المتخصص مما دعا العراق إلى اقتراح استضافة المشروع . وقد رحب الأخوة في دولة الامارات ، وكذلك الاخوة بالأقطار الخليجية الشقيقة بهذه الفكرة .

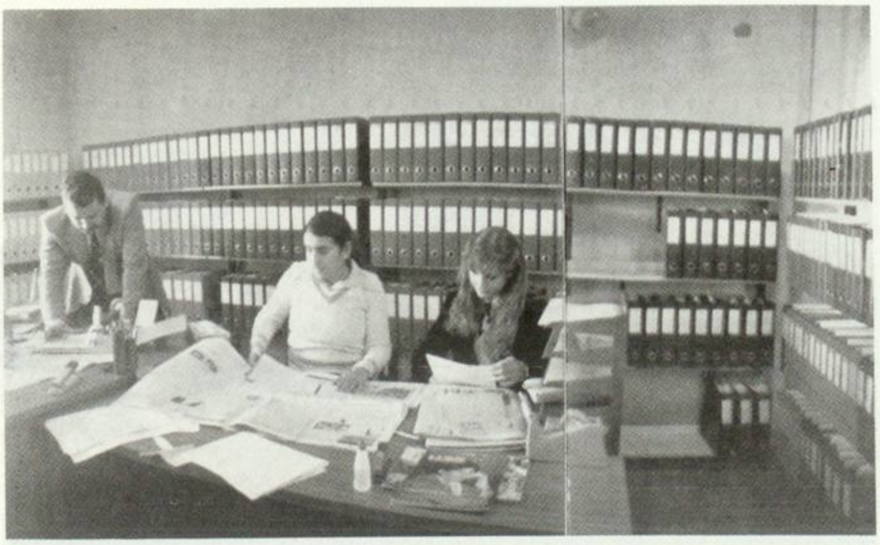
أهداف المركز

● ما هي أهداف المركز كما يراها المدير العام ؟

– جمع وتنظيم اكبر قدر ممكن من الانتاج الفكري والاعلامي لمنطقة الخليج العربي في مختلف أشكاله واوعيته . أي كل ما يصدر من المنطقة أو يصدر عنها كالمطبوعات والمواد السمعية والبصرية والوثائق الحكومية والبحوث والدراسات وغيرها .

تزويد المخططين والباحثين والعاملين في مجال الاعلام والمؤسسات الاعلامية (الاذاعة – التليفزيون – الصحافة) بالبيانات الصحيحة فى القضايا والمشروعات والأنشطة الخليجية المختلفة . وتمكينهم من متابعة احدث التطورات والاتجاهات في مختلف فروع العلم والمعرفة .

أول مركز لتوثيق الإعلام لـدول الخليـج العربيـة



أرشيف المعلومات الذي يتكون من مجموعة من الملفات المصنفة جغرافيا حسب اقطار الخليج العربي والدول والمناطق الأخرى

تدريب وتاهيل كادر فني متخصص في مجال التوثيق الاعلامي .

استخدام كافة انواع التقنيات الحديثة مثل (الميكروفيلم ـ الكمبيوتر) في التعامل مع المعلومات وخزنها واسترجاعها حتى تتكون شبكة قوية من المعلومات ، تزود المنطقة بالبيانات التى تحتاجها .

تكوين جسر يربط المنطقة وحركتها الاجتماعية والاقتصادية بالعالم ، أي توثيق العلاقة بين الخليج والعالم .. والعالم والخليج .

.. وبين المؤسسات الأخرى

● هل هذا يعني .. بان هناك علاقة تعاون بين مركز التوثيق والمؤسسات والمنظمات العالمية أو الأجنبية ؟ .

ـ لنا علاقات مع المؤسسات المنتمية للوطن العربي ..مثلا .. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وجامعاتها .. ومؤسسات اخرى .

وبعض خطوات التعاون مع اليونسكو ، ومنظمات دولية ، بهدف اكتساب معلومات أكثر ولخبرتهم الطويلة فى هذا الحقل .

التخصص مطلوب

● مركز التوثيق الاعلامي .. هل نشاطاته مقصورة على احتياج جهات محددة فقط ؟

ـ التخصص في عصرنا مهم جداً ، وهو توجيه الجهود وتركيزها لانتاج مشروع خاص متطور جداً لاننا لو نشرنا اي شيء يرد إلينا دون وضع اطار لتحديد خصوصية عملنا فسيكون هناك ضياع وتشتت .

التخصص هنا ضروري واستعمالنا لبعض التعابير والموضوعات الصعبة او المتعمقة فى تخصص ما ، يكون بغية النجاح فيه وخدمته بالصور التى تضيف له ابعاده الواضحة .

● هناك ما يقرب من ٧٥ مؤسسة إعلامية في منطقة الخليج يمكن أن تستفيد من نشاطات المركز .. كيف تكون هذه الفائدة .. وكيف توصل لها المعلومات المطلوبة ؟ .

اجاب المدير العام لمركز التوثيق الاعلامي لدول الخليج العربي :

ـ هناك طرق متعددة الحالية منها فى الوقت الراهن تواكب أول مراحل المركز (التليفون ـ البريد ـ التلكس ـ وفى بدايات الاعتماد على الكمبيوتر) .

فى المستقبل يمكن ان يكون الاتصال مباشراً عن طريق جهاز كشاشات التليفزيون يزود ـ بالمعلومات والبيانات المطلوبة ـ كل الأقطار والمؤسسات الاعلامية الخليجية .

● ما هى نشاطاتكم .. ؟؟

ـ النشاطات التى تحققت فى فترة السنة ونصف السنة الأخيرة يمكن تلخيصها فيما يأتي :

إصدار « دليل الدوريات الخليجيـة » ويشتمل على تعريف بكافة الصحف والمجلات التى تصدر فى أقطار الخليج السبعة ، ومعلومات وافية عنها . وكنا قد أحسسنا بحاجة المؤسسات الاعلامية الماسة إلى مثل هذا التعريف الشامل لكل المطبوعات التى صدرت بالعربية أو الأجنبية .

أصدرنا ثلاثة أعداد من المجلة الفصلية « التوثيق الاعلامى » وهى مجلة متخصصة فى موضوعات إعلامية وخليجية وقضايا متنوعة وبما له صلة بقضايا الخليج واقطاره .

بدأنا مرحلة عمل كشافات فهارس موضوعية لبعض الصحف والمجلات .

ويقوم المركز باعداد كشافات تحليلية تكون بمثابة فهارس موضوعية لعدد من الصحف والمجلات الصادرة فى اقطار الخليج العربى .

وقد ابتدأنا بعمل كشاف تجميعى لخمس أو ست سنوات من عمر مجلة تصدر فى العراق ككشاف تجريبي .

والآن سوف نبدأ بعمل كشاف تجميعى أيضاً لعدة مجلات تقرأ بحوثها ومقالاتها والدراسات التى تنشرها على مدى سنين طويلة ، ويحتاجها الباحثون مثل مجلة « الدوحة » القطرية ، ومجلة « عالم الفكر » الكويتية .

وهذه الكشافات عبارة عن رؤوس أقلام للمواضيع المنشورة فى كل عدد .. توضح للقارىء ان الموضوع الفلاني الذى يحتاج للرجوع اليه موجود فى عدد معين وبارقام محددة .

تصوير جميع المطبوعات الصادرة فى المنطقة « بالميكرو فيلم » . وتعتبر هذه الخطوة هى المرحلة الأولى من استخدام الكمبيوتر وتوظيف الحاسب الالكترونى لخزن واسترجاع المعلومات .

ومن الموضوعات التى ابتدأنا فى خزن معلوماتها لاخراجها فى مطبوع وتنظيمها وتحديثها بشكل مستمر . موضوع « شخصيات عربية خليجية » وهو مبدأ

حيوي يهدف الى التعريف بشرائح المجتمع المؤثر الموجود فى الأقطار الخليجية السبعة ويكون مرجعاً أساسياً لضبط كتابة اسماء الشخصيات فى اقطارها الخليجية ، ومعرفة تاريخ حياتها وترجمة سيرها .

ومن مشاريعنا أيضاً اقامة دورة تدريبية لتأهيل الكوادر الوظيفية المتخصصة والمطلوبة فى التوثيق الاعلامى بنسبة ثلاثة عناصر من كل دولة خليجية ، تعطى فيها الدروس النظرية والتطبيقات العملية ويستعان بالخبراء المحليين والعرب والأجانب للتدريس فيها .

وهناك مشاريع قادمة للسنة المقبلة والتى تليها .

قضايا خليجية

● هل يوجد تعاون بينكم كمؤسسة مشتركة وبين المؤسسات الخليجية المشتركة الأخرى .

ـ نعم هناك تعاون بدأنا نضع خطوطه الأولى مع مؤسسة الانتاج البرامجى فى الكويت ، كما نسقنا مع جهاز تليفزيون الخليج فى الرياض ، وكانت لنا مداولات مع مركز التراث الشعبي ـ هنا ـ فى قطر للقيام بمشاريع مشتركة تفيد الطرفين .

● من خلال ـ انشطة مركز التوثيق الاعلامي ـ هل تطرقتم الى بعض القضايا الخليجية وحاولتم طرح الحلول لها ؟

ـ محور دراسات مجلة « التوثيق الاعلامى » هى التركيز على تشجيع الباحثين فى مختلف الأنشطة الخليجية . مثلا نشرنا بحثا عن « النشاطات الآثارية فى المنطقة » . ومهمتنا هى الحصول على البحث فاذا كان يعالج قضية هامة بروح ايجابية ومفيدة فاننا ننشره وخصوصاً اذا كان يمس الموضوعات التى نهتم بها مثل تطوير المؤسسات الاعلامية وكل ماله صلة بالاعلام .

وقد كتبنا فعلا الى ١٨٠ باحثا من مختلف اقطار الخليج ليشاركونا الكتابة فى المجلة بما يطرحونه من دراسات وبحوث ومقالات ذات مستوى علمي له صلة بقضايا الخليج واقطاره .

● الحركة الاعلامية والثقافية فى الدول الخليجية .. هل ترونها ثرية بالقدر الذى تستحق معه توثيقها ؟

يقول المدير العام لمركز التوثيق الاعلامى لدول الخليج العربى : المنطقة كلها بدون استثناء تعيش فى تحرك وتطور سريعين ، هذا التغير يواكبه تقدم اعلامى وثقافى .

والحركة الثقافية والاعلامية فى المنطقة لا بأس بها ولقد حققت قفزات كبيرة ونستطيع القول بانها تسير فى الطريق الجيد رغم اننا لازلنا نعتبر من الدول النامية .

على سبيل المثال وجود الجامعات ـ المؤسسات الاعلامية ـ المجلات العلمية لمختلف التخصصات ـ اهتمام وزارات الاعلام ـ نفسها ـ باصدار مجلات علمية تعالج موضوعات معينة .. الخ ..

صعوبات فى البداية

● هل واجهتكم صعوبات ؟

ـ لأننا دول نامية فان قضية توثيق المعلومات تعتبر دعوة جديدة لم يتعود جمهورنا عليها بعد .

فمثلا عندما تجرى عملية استبيان ليس من السهولة أن يفهم كل المواطنين معناها وظروفها لذلك فنحن نعالج هذا الوضع بارسال أحد الاخوة لاجراء هذه العملية أو نتدارك الموضوع بالحاق رسالة توضيحية أخرى بالبيانات المرسلة لكشف ما قد يغمض على البعض .

وعلى العموم .. فان الصعوبات عامل طبيعى لابد من مواجهته . والانسان الذى يعمل بشكل جاد لابد ان تواجهه المعوقات . لكن هذه المشاكل التى نحسها طبيعية .. والتغلب عليها ليس بالشىء الذى نعجز عنه .

● ما مدى تعاون مراسليكم أو « مدراء المكاتب » فى اقطار الخليج العربي ؟

ـ مدراء هذه المكاتب يعتبرون هم الوسيلة الناجحة والاساسية فى انجاح عمل المركز فى الدول الخليجية التى ينتمون اليها ويمارسون عملهم منها . ومن خلال نشاطهم ومتابعتهم يستطيعون نقل الصورة الحقيقية لنهضة هذه الدول ، ويصبحون الجسر الذى يربط بيننا .

وفى الحقيقة نحن نعاني ـ هذه الاشهر ـ من وجود ـ بعض التباعد ـ الذى يحد دون ارتباط العلاقة وتوضيحها أكثر ، والى الآن لم توضع أسس شبكة الاتصال التى تصل بين أجزاء العمل فى هذه المناطق . وكذلك لم تتحدد بعد وسيلة الاتصال المناسبة .

لكننا .. نتوقع ـ خلال الأشهر القادمة ـ أن تكتمل هذه الصورة ويتم التحكم فى هذه العلاقة . ونحن نفكر جدياً فى دعوة مدراء المكاتب إلى بغداد للاطلاع على المقر والتعرف على أسلوب العمل المتبع .

التوثيق عملية حضارية

● وعن ماهية التوثيق ودوره يقول : عامر ابراهيم قنديلجي :

ـ نحن فى المؤسسات الاعلامية أو أغلب المؤسسات الانتاجية الأخرى فى حاجة ماسة الى شىء اسمه توثيق . إنها عملية حضارية تعكس درجات التطور العلمي للأمم والشعوب المختلفة ، وتدفع إلى تكوين كمية من المعلومات الوافية عن المشروع المراد تنفيذه قبل المباشرة فيه .

وخصوصا بعد زيادة حجم المعلومات وظهور موضوعات جديدة ووسائل وتقنيات حديثة تتطلب معرفتها والوصول الى قدرة محاكاتها .

إن الاعلامي والصحفى يجب ان تكون لديهما معلومات متجددة على الدوام ، ويجب أن يستندا على كمية وافية من المعلومات والبيانات لضمان النجاح فى عملها .

ويضيف / عامر قنديلجي :

ومن هذه الأهمية التفت السادة الوزراء فى وزارات الاعلام الى أهمية ايجاد مركز للتوثيق الاعلامى . ويعتبر المركز الأول فى المنطقة . وحتى على المستوى العربى يفكرون فى إنشاء مركز توثيق عربى ، وفعلا بدأوا بعدة مؤسسات ـ ولا ادرى ـ الى أى مرحلة وصل المشروع الآن .

ونحن مستعدون للتعارف مع هذه المؤسسة فى هذا المجال .

وقد اكتشفنا خلال فترة عملنا القليلة ـ العام والنصف العام ـ بان هناك قسماً للاعلام فى أحد الاقطار العربية لديه الكثير من الأطروحات والبحوث الهائلة جداً .. لكن دون الاستفادة منها بالقدر الذى يحتاج اليها فعلا .. !! مهمتنا فى هذا المجال التعريف بهم .. والاعلان عن وجود هذه الدراسات والبحوث حتى تحقق الفائدة المرجوه منها .

مريم آل سعد

بمناسبة مرور ٤٧ عاماً على غروبه .. توفي في ٢٣ فبراير "شباط" سنة ١٩٣٦م

جميل صدقي الزهاوي

بين همومه وهموم الوطن

بقلم: حارث طه الراوي

الحديث عن الزهاوى كالحديث عن البحر : سهل وملذ وممتع اذا وصفت زرقته واتساعه وأمواجه المتلاطمة بقلم الشاعر ويراع الاديب . وصعب ومتعب اذا توغلت الى أعماقه لتصف ما فيه من أحياء ودرر وأصداف وعجائب وغرائب باستقراء الباحث ويراع العالم . فقد كان الزهاوى ـ رحمه الله ـ شاعراً وكان فيلسوفاً وكان عالماً متضلعاً بأكثر من علم . وكانت له ريادات واهتمامات فى مجالات لا تخطر على بال من يعرفه شاعراً وفيلسوفاً وعالماً وحسب ..

وكما يتطير من ركوب البحر الجبناء أو الذين كانوا يعومون عليه بالسفن الشراعية فى الأزمنة الغابرة فى أول عهدهم بركوبه ، أولئك الذين سئل أحدهم بعد ركوبه البحر لأول مرة : ما أعجب ما رأيت ؟ قال : سلامتى .. فكذلك يتطير من الزهاوى الكثيرون ويحكمون عليه بظواهره لأنهم يتهيبون الغوص الى أعماقه على اعتبار أن هذه الأعماق لا تضم إلا الأصداف الجوفاء والحيوانات الميتة ! وما هو إلا العجز والخوف من المتاعب ...

وحقيقة الزهاوى تكاد ان تكون ضائعة بين معجبين بالظواهر ومناوئين وساخرين ليسوا بعاجزين عن ايراد مؤشرات هبوط الرجل فى هذا الموقف او ذاك او فى هذه القصيدة او تلك او فى هذا الراى او ذاك ، ولكنهم ليسوا بقادرين على التجرد من اهوائهم وانصاف هذا الشاعر الوجدانى المبدع والمفكر الثائر على الجمود والتحجر وعلى كل ما يضعف العقل ويخذل العلم . هذا الانسان النظيف الذى عاش نقيا وزاهداً ومات نقيا وزاهداً ورفع ، بما انتج فى الشعر والنثر اسم العراق والامة العربية ، ذلك لأن الانصاف يفتقر الى احاطة وفهم ، والفهم يقود الى المحبة والحاقد لا يريد ان يفهم لأن الفهم يشعره بالمحبة وهو عدوها اللدود . ورحم الله شاعرنا الزهاوى الذى قال عن هؤلاء فى قصيدته الخالدة «حقد ام نقد»(١) :

ملأوا صدور الصحف حقداً
والحقد قد سموه نقداً
أَنَّى التفتُّ ارى أَمَا
مِي من رجال السوء ضدا
لقيت قوما يحقدو
نَ على الذى للفضلِ أبدى
ورايت ناساً يحسدو
نَ النَّجْمَ ان يزداد وَقْدا
ووجدت حداً للولاءِ
ولم اجدْ للبغض حدًّا
قالوا دخيل فى القريضِ
فما اجادَ ولا اجَدَّا
قالوا صغيرٌ لا يُعَدُّ
من الفحولِ ولن يُعَدَّا
قالوا الى الاحسان منه
غيره فى الشعر اهدى
كذَبوا فانى شاعرٌ
واديبٌ بالإسلامِ جدا
يلغو اللسان بباطلٍ
والوجه صلب ليس يَنْدَى
كلم عنتنى غير انى
لا احاولُ ان اردَّا
لم اشكُ وخْزَتَها وإن
كانت سِهاما او اشَدَّا
لو ساعَدَتْنى صحتى
لاخترت عن بغدادَ بُعدا
من ذا يصدِّق اننى



صورة نادرة للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي في اخر ايامه .

فى جنب دجلة صرت اصْدَى
مالى اقيم ببقعةٍ
كانت بها الاعداء لدَّا

وكان من المؤمل ان يقدر الزهاوى فى العهد الفيصلى فى العراق ، فهو الزميل القديم للملك فيصل الاول فى مجلس المبعوثان العثمانى ، ولم يكن الملك فيصل ليجهل المواهب المتسعة للزهاوى ، ولم يكن بين رجال العشرينات فى وادى الرافدين من هو اكفا من الزهاوى لاشغال منصب وزير المعارف . ولكن الفيصل بدلا من ان يقدم على هذه الخطوة المحمودة فانه اراد من الزهاوى ان يكون شاعراً لبلاطه ! فكان من الطبيعى ان يرفض الزهاوى بادب جم هذا الطلب الذى يتنافى مع مكانته وشيخوخته . ولم يكن فيصل بالمرتاح لاعتذار الزهاوى ، ولهذا لم يصدر عنه ما يحول بين القوى الرجعية وبين اضطهادها للزهاوى بمختلف الاساليب . ولما تصاعد هذا الاضطهاد واحكم الحصار على الزهاوى وجد شاعرنا الاعزل نفسه مرغما على الرحيل عن بيئة هذا شانها معه ، ولكن الى اين يرحل ؟

كانت «مصر» ملاذ الاحرار ، ولهذا صمم على الرحيل اليها سنة ١٩٢٤ وقد دعاها فى قصيدته الوجدانية الرائعة «عند الفراق» (٢) بـ «اخت العراق» وقال قبل يومين من هجرته :

ليس لي من بعد العراق مقرٌّ
غير مصرٍ ومصرُ اختُ العراقِ

ورغم حبه لمصر والمصريين الكرام فلم يكن من السهل عليه ان يفارق وطنه العراق رغم ما لقى فيه من جور وتشهير وانتقاص. فقد كان يحمل فى صدره قلباً كقلب «الشريف الرضي» يتلفت بعد ان تخفى الديار عن العين ويتلهف .. ، ولشدة تعلقه بالعراق فقد كان يرمز اليه بـ «ليلى» ويترنم بشوقه اليه كما كان مجنون بنى عامر يتغنى باشواقه الى ليلاه ، والزهاوى يستشهد بموقفه المؤثر هذا بالدموع وهى اصدق شاهد :

لي على حبى للعراق شهودُ
من دموعى وقلبىَ الخفّاقِ
ربطتنى اواصرٌ محكماتٌ
ببلادى ولن احلَّ وَثاقِى
ليس بي ما يريبُ عند بكائى
غير انى مفارقٌ لرفاقِى
إن حبّى لمن افارق منها
يتجلّى فى دمعىَ المهراقِ

إلى ان يقول عن مناوئيه الذين ازهقوا روح الحق :

ساوَلَنّي ربوعَ بغداد ظهْرى
تاركا خيرَهَا لاهل النفاقِ
ازهقوا روح الحق فيما اتوْه
اى نفعٍ لهمْ من الإزهاقِ
ومن الصعب ان اداري اناسًا
قد تنافي اخلاقهم اخلاقِي

ولم يكن الزهاوى بالخاسر فى هجرته عن وطنه ، لانه لم يكن متكسبا بشعره او متاجراً بنثره ، وان ابيا زاهداً مثله يستطيع ان يعيش فى كل مكان عيشاً بسيطاً لا يلجئه الى ما يعكر صفو قناعته وزهده وشموخه الروحى :

لست بالشعر ابتغى ليَ كسبا
او اداوى يوماً به إملاقى
ايها الشعرُ انت لستَ متاعاً
يُشترى او يُباع فى الاسواق

رحل الزهاوى الى الشام اولا فى طريقه الى مصر فاقام له «المجمع العلمى العربى» بدمشق - وكان يومئذ رئيسه العلامة الكبير المرحوم محمد كرد علي - حفلة كبرى انشد فيها شاعرنا قصيدة بعنوان «ما اغنى» (٣) حيث قال :

يريدون منى ان اغنى باسمهم
واى هضيم باسم اعدائه غنى

ولم ينس انصاره من الشباب المتجدد الناهض فى بغداد الذين وقفوا الى جانبه ايام محنته حيث قال :

على ان فى بغدادَ لي من شبَابِها
إذا ضقت انصاراً ومن حولهم حِصْنَا
وان بها صحبا عن الحق ذادة
ابوا أن يهدَّ الحيف من شرَفِى ركنا

ورغم ما لقيه فى بغداد من حيف ونكران جميل فان حنينه الى بغداد الحبيبة بدا يتصاعد بالشكل الذى يتجلى فى هذين البيتين الوجدانيين الصادقين الرائعين :

وهل انا إلا ابن لبغدادَ نازحٌ
إذا ذكروا بغدادَ يوما له حنّا
كما ليس يصبو الطفلُ إلاّ لأمّه
وليس بمختار على حِضْنِها حِضْنَا

ويغادر شاعرنا الشام الى بيروت فى طريقه الى مصر فتفتح له بيروت ذراعيها وتعانقه وتقبله فى اكثر من حفلة تكريم فيبادلها وداً بود ومحبة بمحبة والحنين يعصف بضلوعه الى ليلاه : «العراق» والى «بغداد» التى ارضعته الآداب :

كلفتُ بليلى وحدها دون غيرها
وليلى شهابٌ غاب من بعد ما بدا
وإنى اذا اهدى لي الليلُ طيفَهَا
جعلتُ ظلامَ الليل للعين أثمدا
وإنى امرؤ بغداد اول بقعةٍ
رضعت بها الآدابَ اصْفَى من النّدى «٤»

وفى طريقه الى مصر يعصف به الشوق الى ارض الكنانة الحبيبة فينظم قصيدة دالية رائعة مؤثرة عنوانها «الى مصر» يستهلها بالابيات التالية التى تفصح عن محبته لمصر والمصريين :

جميل صدقي الزهاوي
بين همومه وهموم الوطن

لقد سرت من بغداد يدفعني الوجدُ
الى حيث وكر الشعر طائره سعدُ
الى مصر ، اما مصر فهي كانها
كعاب ووادي النيل في جيدها عِقدُ
الى حيث يلقى الحر للحق ذادة
كراما فلا ضيمٌ هناك ولا حقدُ
الى بلد للعلم في ارضه هدى
وللشعر مثل النجم في جوه وقدُ

وتتدفق شاعرية الزهاوي في وادي النيل ويفيض قلبه الكبير باعذب الشعر ، ويصل شعره في وصف مصر والمصريين الكرام الى مستوى الوله والهيام ، وليس ادل على ذلك من قصيدته «يا مصر» (٦) التي استهلها بالبيت الجميل التالي :

احييك يا مصر الجميلة يا مصرُ
بشعر يزكيه شعوريَ والفكرُ

ووصف في هذه القصيدة الطويلة عراق سنة ١٩٢٤ وما لقي فيه من حيف بقوله :

وإن العراق اليوم كالبحر مائجٌ
به تعبث الانواءُ والمدُّ والجزرُ
طغى ثم غاض البحرُ من بعد ما طغى
وليس بما في نفسه يعلمُ البحرُ
وكابدت في تلك الربوع تعاسةً
وليلا تثير الشجو انجمُهُ الزُهْرُ
فيا لك من ليل كان نجومَهُ
عيون الى وجهي لها نظر شزرُ
لقد طال حتى خلته غير منقضٍ
وحتى كان الليل ليس له فجرُ
ولله ما كابدته من تعصّبٍ
يقبحه من راض اخلاقه العصرُ
يلومون من يابى سوى العقل هاديا
ويرمون بالكفر امرأً ما به كفرُ

والظاهر ان الملك فيصل قد شعر بخطئه نحو الزهاوي بعد ان عاد الزهاوي من مصر الى العراق فاصدر ارادة ملكية بتاريخ ٧ تموز (يوليو) ١٩٢٥ بتعيين الزهاوي عضواً في مجلس الاعيان فشعر الزهاوي براحة نفسية خلال السنوات الاربع التي قضاها في عضوية هذا المجلس . ولكن فيصلا لم يجدد عضوية الزهاوي في مجلس الاعيان سنة ١٩٢٩ فعادت جراح الزهاوي النفسية الى النزف ونظم قصيدة وجدانية ملتهبة مؤثرة كانت بعنوان «دمعتي» (٧) يصح ان تتخذ مثالا للرقة في نظم الشعر :

انت ما إن تخففين عني مصابي
دمعتي فارجعي الى الاعقابِ
انت لا تدرئين عنيَ دائي
انت لا تُصلحين منه خرابي
انت لا تنجدينني في شقائي
انت لا تنقذينني من عذابي
انت لا تدفعين وطاة شيبي
انت لا ترجعين عهد شبابي
انت لا تقدرين ان تهبيني
راحةً او تسكني اعصابي

والقصيدة طويلة ، ولعل بيت القصيد فيها الذي ارتفع به الزهاوي الى قمة شاهقة من الابداع هو البيت التالي :

يا ابنةَ الهمِّ إن غرفتَكِ القلبُ
فلا تخرجي إلى الابوابِ

ومنذ بداية الثلاثينات وحتى وفاة الزهاوي في ٢٣ شباط ١٩٣٦ يشعرنا شعر الزهاوي بالامه النفسية المريرة وبما كان يحسه من كرامة مجروحة ، ويعود الى التفكير بالهجرة كما هو واضح في قصيدته المؤلمة «تمثال ليلى» (٨) التي جاء فيها :

اريد رحيلا عن بلاد تهينُني
ولكن آفِذْني اين انزل احمالي
يريدون بالإذلال جرح كرامتي
ويابى جراحات المذلةِ امثالي

ومنذ بداية الثلاثينات تتصاعد شكوى الزهاوي لا من اوضاعه الخاصة وحسب بل من اوضاع عراق الثلاثينات . ففي قصيدة «انة جريح» (٩) التي نظمها في ٢٠ كانون الثاني ١٩٣١ يقول :

إن الذين تسيطروا بخداعهم
ثبتوا بصدر الحكم كالاوتادِ
اما حقوق الابرياء فانما
عصفت بهن زوابع الاحقادِ

وبعد عشرة ايام من نظم هذه القصيدة تتصاعد ثورة الزهاوي وتتاجج في قصيدة «لاجل الحق» (١٠) التي يدعو فيها الى الثورة على الاوضاع الشاذة في عراق الثلاثينات ، وهو في هذه القصيدة الثائرة يعبر بصدق وصراحة عن هموم الوطن الذي جرح الاحتلال كرامته واشاع فيه المسيطرون من اذناب المحتلين الاستغلال والارهاب :

صُبّوا على الاسماع نارًا
واحْشُوا فم الغضبي حجارًا
بُثّوا باوجه من يريدون
الشرورَ لكم شرارًا
سنُّوا بمعترك الحياةِ
لساعةِ الذَّودِ الشِّفارَا
كونوا كما يبْغي الإباءُ
على كرامتكم غيارَى
هُبّوا كزوبعةٍ تثيرُ
بكل ناحيةٍ غُبارًا
احكوا البراكين التي
تاتي من الضغط انفجارًا

الى ان يقول محرضاً على الثورة ضد الاستعمار :

يا قوم فكّوا عنكمُ
الاصفادَ إنكمُ اسارَى

وعندما يودع اساتذة جامعة مصر الكرام قبيل مغادرتهم بغداد الى القاهرة يبدا قصيدته «ويل الى ويل» (١١) التي نظمها في ١٥ شباط (فبراير) ١٩٣١ بالاشارة الى الاوضاع الشاذة في عراق الثلاثينات حيث يقول :

ويل لمملكةٍ قضى إهمالُها
من اهلها أنْ يفشلَ استقلالُها
ولبلدةٍ منكوسةٍ قد أُنكِدَتْ
علماؤها وتنعمت جهالُها
ولأمةٍ بعد الوفاقِ تخالفت
فتقطعت لخلافها اوصالُها

وبعد فما اكثر هموم الوطن في شعر الزهاوي في الثلاثينات وما قبلها ، وفي هذا القرن واواخر القرن الذي قبله ، مما يدل على ان الزهاوي لا يقل وطنية وحرصا على تقدم البلد وتقدمه في مضمار الحضارة عن زميله «الرصافي» بل لا يقل عنه حتى في قوة الشاعرية وان كان لكل منهما اسلوبه الخاص في الشعر . فالرصافي ، في اقصى ضميره ، يؤثر الشعر المجاد لفظا على الشعر المجاد معنى ، في حين ان الزهاوي يؤثر الشعر المجاد معنى على الشعر المجاد لفظاً من غير خلل باللفظ يهبط به الى الركة .

وقد آن لنا بعد ٤٧ عاما من رحيل الزهاوي ان نفهم الزهاوي من خلال شعره ونثره لا من خلال آراء واقاويل النقاد والمشهرين والمتندرين ، فقد زهدتني اراؤهم قبل اكثر من ثلاثين سنة بشعره حتى اذا عدت اليه عودة الدارس المتاني المتجرد بهرتني روعته واسرني سحره وهزتني عفويته وصدقه ، ووجدت الحشو فيه كالمغاور الصغيرة في الجبل الاشم ليست بذات تاثير على جماله وارتفاعه وشموخه .

حارث طه الراوي ـ بغداد

هوامش

(١) ديوان جميل صدقي الزهاوي ، دار العودة ، بيروت ، ط ٢ ، سنة ١٩٧٩ ، ص ٢١٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٥٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٥٩ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٧٢ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٧٩ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ٤٦٢ .
(٨) المصدر نفسه ، ص ٥٤٩ .
(٩) المصدر نفسه ، ص ٥٢٤ .
(١٠) المصدر نفسه ، ص ٥٢٦ .
(١١) المصدر نفسه ، ص ٥٣٣ .

الرصـــــاصة

شعر: الدكتور أنـــس داود

« إلى روح الشاعر خليل حاوى الذى أطلق على نفسه الرصاص ، احتجاجاً على الصمت العربى المشين فى محنـــة بيروت » .



أبداية الزمنِ الردىءْ
هذى الرصاصةُ أمْ نِهايةْ ؟
هل صفقةُ التابوتِ ،
آخرُ طرْقةٍ فى النعْشِ ،
أم صوتُ النذيرْ ؟
بيروت
كل مدينةٍ تتكلّمُ الفُصْحَى
ستشتعلُ الحرائقُ فى البيوتْ
ويشرد الأطفالُ ،
تنكفىءُ العجائزُ فى الطريق ،
تموتُ من ظمإٍ ، وتنزعُ من غلائِلِهَا الحَرَائِر ،
يذبح الصدْرُ الطهورْ
ويموت فى كفّ الحصارِ ،
وتحت هوْلِ القَصْفِ ،
بين مخالِبِ التِّنّين ،
عاصفة الحقود
يموت مَنْ يرنو إلى الضوءِ الطليقِ
يموت من يحنو على جُرْحِ الشقيقِ
يموت من يهفو إلى غَرْسِ الحياةِ ،
ومَنْ يفيقْ
من يرفُضُ الطغيَانَ ،
يرفع صوتَه ضِدَّ التتارِ ،
وضدَّ آلاتِ الدَّمارِ
وضدَّ تخطيطِ الإبادهْ
بيروت
قد كتبوا اسمَهَا فى دفترِ الموْتَى
وأصبح إِسمُهَا بيروت ،
بيروت المبـــادهْ

• • •

هذا الدَّوِىُّ الخاطفُ المكبوتُ ،
يا بيروتْ
صوتُ الرصَاصَةِ حين مَزَّقَت الشِّغَاف
وأسكتت نبْضَ الجَسَارَهْ
أبداية الزمنِ الردىءْ
زمن التشردِ واللجوءْ
أم أنه صوت البشارهْ
وقيامةُ الشعب الذى شهد القيامَهْ
ورآك يا بيروتُ
فى الزمن التتارىِّ المقيتِ
من السَّعير إلى السَّعيرْ
ورأى مذابِحَه أمَامَهْ

رؤية المخابرات الأمريكية لمشكلة فلسطين

فبراير ١٩٤٨
صفحة مجهولة من الصراع الدولي حول فلسطين

بقلم : الدكتور عاصم الدسوقي

عندما أوصت الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقسيم فلسطين فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ بدأت وزارة الخارجية الأمريكية فى دراسة إمكانات تنفيذ هذه التوصية بالوسائل السلمية عن طريق التراضي بين العرب واليهود ، ودراسة احتمال استخدام القوة ، وتأثير ذلك على المجتمع الدولي من حيث إيجاد الفرصة التى تسمح بمشاركة الاتحاد السوفييتي ، وكيفية استبعاده من المشاركة فى تنفيذ التقسيم فى هذه الحالة .

وكانت التوصية ـ كما هو معروف ـ تقضي بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود بإقامة دولتين إحداهما عربية ، والأخرى يهودية ترتبطان معاً بوحدة اقتصادية مع وضع مدينة القدس تحت الوصاية الدولية .

وكان من الواضح لدى الولايات المتحدة ، ولدى أطراف دولية أخرى ، صعوبة تحويل هذه التوصية إلى أمر واقع بسبب ردود الفعل السريعة من الجانب العربي الذي أعلن رفض التوصية قلباً وقالباً ، ومن جانب بريطانيا التى أعلنت أنها لن تؤيد قراراً لا يحظى بتاييد كل من العرب واليهود ، ووسط ترحيب الوكالة اليهودية بفكرة التقسيم مع الأمل فى توسيع حدود الدولة اليهودية المقترحة بكل الجهود الممكنة ، ووسط رفض العناصر المتطرفة الصهيونية التى كانت تمثلها آنذاك عصابات الأرجون وشترن ، لأنها كانت تطالب بكل فلسطين بما فى ذلك شرق الأردن .

ولما كانت الحكومة الأمريكية تعتبر نفسها مسئولة عن توصية التقسيم نظراً لما قامت به من نشاط مكثف وملحوظ في أروقة الأمم المتحدة خلال عرض مشروع التقسيم بالجمعية العامة حتى حصلت على الأغلبية المطلوبة بالموافقة ، فقد عكفت أجهزة وزارة الخارجية (الأمريكية) المعنية (١) على دراسة الوضع من جوانبه المختلفة بما فى ذلك المحادثات التى يقوم بها مسئولون فى هذه الأجهزة مع أطراف عربية ويهودية ودولية . وكانت هذه الأجهزة ترفع ما تنتهى اليه من دراسة فى تقارير خاصة تصل الى المستويات المختلفة لتوضع خلاصتها فى النهاية أمام رئيس الجمهورية . ولقد بدأت هذه التقارير تصب فى مكتب وزير الخارجية منذ مطلع يناير ١٩٤٨ بشكل يكاد يكون يومياً نظراً لتعدد الأجهزة والجهات المكلفة بدراسة الوضع الى أن وقعت الحرب فى مايو ١٩٤٨ بعد إعلان بريطانيا انسحابها من فلسطين وانهاء انتدابها على المنطقة فى ١٥ مايو . واستمرت وزارة الخارجية فى دراسة الأوضاع المترتبة على انفجار الموقف وقيام دولة اسرائيل . وهذه التقارير موضع دراسة مستقلة أقوم بها حالياً عن سياسات الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط في أدق مرحلة من مراحل المشكلة الفلسطينية منذ التقسيم (نوفمبر ١٩٤٧) وحتى الحرب (مايو ١٩٤٨) تعتمد بشكل أساسى على وثائق الخارجية الأمريكية .

التطورات المحتملة

ولقد اخترت من بين هذه التقارير تقريراً لوكالة المخابرات الأمريكية (CIA) كانت قد رفعته فى نهاية فبراير ١٩٤٨ بعنوان «التطورات المحتملة فى فلسطين» (٢) . وتنحصر أهميته فى شموليته ورصده لتحركات الأطراف المعنية بالمشكلة ، ووضع الاحتمالات المختلفة فى ضوء الرفض العربى للتقسيم والترحيب اليهودى به . كما يوضح الى حد كبير

● كان المفروض أن تقوم حكومة عربية فوق جزء من فلسطين في أبريل ١٩٤٨ ولكن العرب رفضوا الفكرة من الأساس

● المخابرات الأمريكية تدعو إلى عزل الاتحاد السوفيتي عن أي مشاركة في حل القضية الفلسطينية

● بريطانيا تعمل على شل "الأمم المتحدة" في فلسطين وتعلن الحياد بين العرب واليهود

أوجه الاستمرار فى السياسة الأمريكية تجاه المشكلة الفلسطينية ، ومحاولة الانفراد بوضع حلول لها تتمشى مع استراتيجيتها فى الشرق الأوسط والعمل على عزل الاتحاد السوفييتي عن المشاركة فى اى من هذه الحلول .

يتناول التقرير ثلاث نقاط رئيسية . وتتعرض النقطة الاولى الى الأهداف التى كانت فى تصور كل الأطراف الاربعة المعنية بفلسطين عند صدور توصية التقسيم . وهذه الأطراف كانت انذاك : الأمم المتحدة ، وبريطانيا ، والعرب ، واليهود . وتتناول النقطة الثانية تطور الأحداث والمواقف الفعلية التى حدثت فى نطاق تلك الأطراف بعد صدور التوصية انسجاما او اختلافا مع تصورات كل منها . اما النقطة الثالثة فتختص بالتطورات المحتمل حدوثها للتوصية فى إطار الأمم المتحدة فقط حيث يشير التقرير الى ثلاثة احتمالات أمام هذه المنظمة الدولية بشان توصية التقسيم : الأول وهو محاولة اقامة دولة يهودية والطريق الى ذلك ، والاحتمل الثانى ان لا تقوم الأمم المتحدة بأى اجراء والثالث أن تعيد الأمم المتحدة النظر فى الموضوع برمته وكيفية ذلك .

الاعتراف بالوضع المتردي

ولنتتبع الآن سيناريو تصورات ومواقف الأطراف الأربعة المعنية بتوصية التقسيم كما أشار اليها التقرير فى نقطتيه الأوليين ، ثم ننتقل إلى الاحتمالات التى تصورتها المخابرات الأمريكية المتوقع أن تقدم عليها الأمم المتحدة بشأن التوصية .

عندما صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ بالموافقة على توصية التقسيم كان واضحاً لديها الاجراء الذي سوف يتلو ذلك ، حيث فكرت في تشكيل لجنة خماسية تضم مندوبين من الدانمارك وتشيكوسلوفاكيا وبوليفيا وبنما والفليبين يكون مقرها نيويورك وتزود بسكرتارية تضم مسئولين اداريين وخبراء فنيين . وبعد مشاورات مع حكومة الانتداب (بريطانيا) تذهب اللجنة وسكرتاريتها إلى فلسطين فى أواخر ديسمبر ١٩٤٧ . وفى فلسطين تتولى اللجنة مسئولية الادارة من بريطانيا فى المناطق التى سوف تنسحب منها القوات البريطانية . على أن يتم الانسحاب فى موعد لا يتعدى الأول من أغسطس ١٩٤٨ . وخلال فترة انتقال السلطة من حكومة الانتداب الى اللجنة الخماسية تتعاون اللجنة مع الوكالة اليهودية واللجنة العربية العليا فى تشكيل مجالس حكومية مؤقتة لكل من الدولتين المقترحتين (العربية واليهودية) ،وتشكيل هيئة اقتصادية مشتركة . على أن ينتهى تشكيل المجلسين المؤقتين عند أول أبريل ١٩٤٨ . وبعد ذلك تقوم اللجنة الخماسية بنقل السلطات الادارية بشكل سريع الى المجلسين اللذين سيصبحان بمثابة حكومتين مؤقتتين للدولتين الجديدتين الى أن يعلن استقلال الحكومتين في موعد لا يقل عن أول أكتوبر ١٩٤٨ . ويكون من مهام اللجنة الخماسية تعيين حدود الدولتين المقترحتين ، وتنفيذ كل التوصيات التى اقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة بارشاد واشراف مجلس الأمن .

لكن الأمم المتحدة كانت تواجه منذ البداية صعوبات أمام تنفيذ الطريق الذى اختطته وتصورته . وفى مقدمة هذه الصعوبات أن الدول الخمس المقرر تشكيل اللجنة الخماسية من مندوبيها لم ترشح الأعضاء المطلوبين إلا فى أواخر ديسمبر (١٩٤٧) ، رغم مناشدة السكرتير العام للأمم المتحدة تريجفى لي Trygve Lie لهذه الدول اكثر من مرة بان تعجل بالترشيح . ثم تاخر وصول هؤلاء الأعضاء الى نيويورك لكى يجتمعوا معاً للمرة الأولى حتى ٩ يناير ١٩٤٨ . ومن ناحية اخرى أعلنت بريطانيا انها ستنهى انتدابها على فلسطين فى ١٥ مايو ١٩٤٨ . وكان معنى هذا اصابة كل الترتيبات التى تصورتها الأمم المتحدة بالشلل ، وكذا التواريخ التى وضعتها لذهاب اللجنة الى فلسطين فى أواخر ديسمبر ١٩٤٧ ، وتشكيل المجلسين المؤقتين فى أول ابريل ١٩٤٨ ، وانسحاب بريطانيا فى أول أغسطس ١٩٤٨ . واعلان استقلال الدولتين فى أول أكتوبر ١٩٤٨ .

وأكثر من هذا فان اللجنة الخماسية لم تحرز إلا تقدماً ضئيلا فى المهمة الموكولة إليها لأن نجاحها كان مبنياً على فرضية أن يتعاون معها اليهود والعرب وبريطانيا . غير ان الذى حدث أن اليهود وحدهم هم الذين تعاونوا معها تعاونا كاملا ، وهذا شىء طبيعى إذ التوصية فى صالحهم . أما العرب فقد رفضوا بشدة تقديم اى معاونة ، على حين حددت بريطانيا تعاونها فى ضوء تفسيرها لمسئولياتها كسلطة انتداب ، ورفضت السماح بدخول اللجنة الخماسية فلسطين إلا قبل أسبوعين فقط من التاريخ الذى حددته لانتهاء الانتداب (١٥ مايو ١٩٤٨) . وكان هذا يعنى استحالة قيام اللجنة باقامة الحكومتين المؤقتتين (العربية واليهودية) فى الموعد المحدد (أول ابريل ١٩٤٨) . كما رفضت بريطانيا التخلى عن سلطاتها الادارية فى فلسطين حتى يحين أجل انتهاء الانتداب ، مما حال دون إحراز تقدم فى نقل هذه السلطات الى اللجنة الخماسية . وبالتالى لم يكن امام اللجنة سوى الاعتراف بالوضع المتردى لحالة الأمن فى فلسطين ، وعجزها عن تنفيذ توصيات الجمعية العامة دون استخدام قوة شرطة دولية مناسبة

كل الجهود الممكنة !!

أما خطط بريطانيا المتصورة عند توصية التقسيم فقد كانت نفس خططها خلال انعقاد جلسات الجمعية العامة للأمم المتحدة للنظر فى التوصية . ولقد أكدت بريطانيا أكثر من مرة أنها سترفض المساعدة فى تنفيذ قرار للأمم المتحدة لا يحظى بقبول كل من اليهود والعرب ، وأن وضعها فى فلسطين يرتبط بشروط وقواعد الانتداب الى ان يحين انتهاؤه ، وانسحابها من المنطقة . وعلى هذا فحكومة الانتداب

رؤية المخابرات الأمريكية لمشكلة فلسطين

● كان اليهود منذ البداية يريدون إقامة دولتهم على كل أرض فلسطين

سوف تبقى على وحدة الادارة والأمن الداخلى فى يدها دون تقسيم حتى انتهاء الانتداب . وهذا يعنى ان مسئولية بريطانيا سوف تستمر فى كل المناطق التى تحتلها عسكرياً حتى تنسحب هذه القوات واخيراً أكدت بريطانيا بكل حزم انها تنقل سلطات الادارة الى اللجنة الخماسية ، وكل ما سوف تفعله هو أن تعلن عن تخليها فقط عن هذه السلطات ، وهى السلطات التى من المفترض ان تتولاها الامم المتحدة بواسطة اللجنة الخماسية . وباختصار - كما يقول التقرير - فان بريطانيا لن تعرقل جهود اللجنة الخماسية ، ولن تشارك فى اعمالها أو تقـدم لها المساعدات فى نفس الوقت .

ومنذ صدور التوصية عملت حكومة الانتداب على المحافظة على الأمن الداخلي فى فلسطين مستخدمة فى ذلك قوات الشرطة التابعة لها والقوات العسكرية أيضاً . وكان يعوق استمرار بريطانيا فى هذا الموقف خطة الجلاء التى وضعتها فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، وما تفرضه من تخفيف قواتها شيئاً فشيئاً ، مما أثر بشكل ملحوظ على الاجراءات الأمنية . ومن ناحية أخرى ، فان رغبة بريطانيا فى عدم إثارة سخط الدول العربية حال دون تطبيق إجراءات امنية على نطاق واسع لكبح العدوان المتبادل بين العرب واليهود . ويشهد تقرير المخابرات الأمريكية أن القوات البريطانية كانت غير منحازة فى محاولة كبح جماح ذلك العدوان . كما يشير إلى أن هدف بريطانيا الأساسي آنذاك كان الحيلولة دون حدوث فوضى عامة أو قيام حرب على نطاق واسع إلى أن يتم انسحاب قواتها العسكرية على الأقل .

وفي الأمم المتحدة بذل الوفد البريطاني كل الجهود الممكنة لكي يطلع اللجنة الخماسية على صعوبات الموقف فى فلسطين . وقدم لها النصح والارشاد فيما يتعلق بالأمور الادارية وبمسالة مشروع وضع مدينة القدس تحت نظام الوصاية ، وايضاً فيما يتعلق بتشكيل الحكومتين المؤقتتين .ولكن الوفد رفض القيام باية مسئوليات مشتركة مع اللجنة الخماسية لاقامة الدولتين الجديدتين المقترحتين فى فلسطين ، أو تقديم اية تسهيلات قد تفسر على انها تاييد بريطاني لجانب ضد جانب آخر .

وعلى هذا الأساس رفضت بريطانيا - كما يذهب التقرير - إعداد ميناء بحري فى أول فبراير ١٩٤٨ ليستقبل اعداداً غير محدودة من اليهود المهاجرين طبقاً لما جاء فى توصية الجمعية العامة للأمم المتحدة .

ثمانية آلاف متطوع

أما بالنسبة للعرب ، فقد وضعتهم التوصية - كما يقول التقرير - في موقف الدفاع ، وفاجأت كل خططهم ، فتوقفت الى حد كبير . وتعددت ردود الفعل في كل البلاد العربية سواء على مستوى الحكومات أو على مستوى المجموعات السياسية المختلفة .

وانفجر رد الفعل هذا في مشروعات مختلفة باختلاف الحكومات والمجموعات السياسية .

ورغم وجود مثل هذه الخلافات ، فان العرب اتفقوا على انهم لن يسمحوا بوجود دولة صهيونية فى العالم العربي . وتحقيقاً لذلك ، فمن المتصور أن تتبع الخطوات التالية :

الاستعداد العسكري في فلسطين وفي الدول العربية لمنع اجراءات إقامة دولة يهودية تعتمد في وجودها على القوة العسكرية ، ورفض التعاون مع اللجنة الخماسية باي شكل من الأشكال ، وإقامة دولة واحدة مستقلة تضم كل فلسطين ، ومنع الهجرة اليهودية حتى تقوم هذه الدولة الواحدة بوضع سياسة للهجرة

وبالاضافة إلى هذه الاجراءات المتصورة وضعت مجموعات عربية أخرى تصوراً لاجراءين إضافيين . ويتمثل الاجـراء الأول فـي القيام بالعمل داخل أجهزة الأمم المتحدة . واصحاب هذا الاجراء هم العناصر الأكثر مسئولية والأكثر اعتدالا كما يقول التقرير ، وإن لم يحدد أشخاصها ومواقعها من المسئولية السياسية داخل البلاد العربية . أما الاجراء الآخر ، فيهدف أصحابه إلى قطع كل العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية مع الدول التى أيدت توصية التقسيم . وأصحاب هذا الاجراء هم المجموعات القومية الأكثر تطرفاً كما يقول التقرير . ولكن لم تحدث موافقة عامة من العرب على أي من تلك التصورات السالفة ،

والذي حدث أن الدول العربية أرسلت مذكرات احتجاج شديدة للبعثات الدبلوماسية الأمريكية الموجودة فى البلاد العربية على أساس مسئولية الولايات المتحدة عن توصية التقسيم .

على كل حال ، كان رد الفعل عند العرب لتوصية التقسيم فورياً وعنيفاً . فقد اندلعت الاضطرابات والمظاهرات فى أنحاء فلسطين ، وانتهت بعمليات شغب هنا وهناك . ولم يات منتصف يناير (١٩٤٨) حتى كانت أعمال العنف المتقطعة والمتفرقة فى فلسطين قد تطورت إلى أعمال عدائية على جانب كبير من التنظيم . وفي مطلع فبراير بدأت مجموعات عربية منتظمة فى العمل فى مناطق مختلفة من البلاد . وقيل إن اللجنة العليا توجه نشاط هذه المجموعات .

وعند هذه النقطة يشير التقرير إلى أن طبيعة نشاط عرب فلسطين توحي بان أهدافهم (الآن) وإلى أن يحين الانسحاب البريطاني تتلخص فى ستة أهداف هي :

تجنب إثارة العداء مع القوات البريطانية كلما أمكن ذلك ، وشراء المواد التموينية الأساسية مثل الأطعمة والأسلحة والمعدات والملابس ، وتعطيل التجارة اليهودية ، وكذا وسائل النقل والمواصلات دون شن هجوم على نطاق واسع ، وتجنيد قوات متطوعة داخل وخارج فلسطين وتدريبها على العمل الفدائي ، وتكوين قيادة

عسكرية موحدة ، وإقامة اتصالات مع قنوات الجامعة العربية للحصول على المساعدات اللازمة . ثم يعلق التقرير على هذه الأهداف بان الغرض المحدد منها – كما يبدو – ضبط اندفاع العناصر المتحمسة للتحرك ضد اليهود .

وخلال سلسلة من الاجتماعات فى صوفر وعاليه ، والقاهرة بين مندوبي الجامعة العربية ، تم التوصل الى برنامج للعمل رغم خلافاتهم فى الراي . ولم يكن هذا البرنامج سوى اعتراف بكل النشاطات التى يمارسها عرب فلسطين آنذاك ، ويرمي كما يقول التقرير إلى مساعدة الحركة غير النظامية فى فلسطين بالمال والسلاح والرجال ، ومرابطة قوات الدول العربية على حدود فلسطين للمراقبة بحيث تدخل فلسطين بعد انسحاب بريطانيا .

وعلى الفور قامت حملة في كل البلاد العربية لجمع التبرعات المالية . كما تجمع المتطوعون من العراق ، وسوريا ، ولبنان ، وشرق الأردن فى معسكر قطنة بسوريا للتدريب . وفي منتصف فبراير (١٩٤٨) كان أكثر من ثمانية آلاف متطوع قد تسللوا إلى داخل فلسطين في زي عسكري وحاملين أسلحتهم . كما تحركت قوات سورية ومصريـــة وشرق أردنية إلى حدود فلسطين ، ووردت تقارير بتحرك فرق عراقية إلى شرق الأردن . وبذلت الجهود للحصول على السلاح والعتاد حيث وقعت سوريا اتفاقاً مع سكودا Skoda حصلت بموجبه على الدفعة الأولى من السلاح .

وعلى الرغم من عدم إعلان اسم قيادة القوات العربية ، فمن المعروف أن ضباطاً سابقين بالجيش السوري والعراقي سوف يتولون مهام القيادة بالاضافة إلى قيادات أخرى خبيرة بحرب العصابات .

في مواجهة المعارضة العربية

أما خطة اليهود التى تصوروها عند توصية الجمعية العامة للأمم المتحدة بالتقسيم ، فكانت واضحة المعالم تماماً . فقد قررت الوكالة اليهودية – الممثل الرسمي للجالية اليهودية فى فلسطين – التعاون مع اللجنة الخماسية فى إقامة الدولة اليهودية المقترحة ، رغم أن الوكالة كانت تأمل فى الحصول على أكبر جزء من فلسطين فى الدولة المقترحة . وتقوم الوكالة (حالياً) بالتخطيط لتشكيل قوات للأمن الداخلي وتكوين هيئات إدارية مدربة وتقوم بالدعاية فى كل أنحاء العالم للحصول على مساعدات مالية وعسكرية ضد أية محاولات للعرب لمنع تنفيذ توصية الجمعية العامة . أما أهداف العناصر الأكثر تطرفاً من اليهود المعروفين اصطلاحاً بالتصحيحيين Revisionists بما فيهم عصابات الأرجون زفاي ليومي وشترن فتتلخص في محاربة كل من الانجليز والعرب ، وإقامة دولة يهودية في كل فلسطين بما فيها شرق الأردن .

أما من حيث النشاط الفعلي لليهود بعد التوصية ، فقد تركز – مع استثناء المتطرفين – فى الاستعداد للدولة الجديدة حيث كان قبولهم للتوصية يعد انتصـــاراً أولياً استطاعوا تحقيقه . وفي مواجهة المعارضة العربية العنيفة ، استهدفت الوكالة اليهودية فوراً القيام باجراءات ثلاثة تتلخص في : تقوية قوات الدفاع الداخلي للدولة اليهودية المقترحة ، وتنظيم وتدريب هيئات للادارة ، والتعاون مع الأمم المتحدة فى تنفيذ توصية الجمعية العامة بشان التقسيم . ثم زادت عملية تجنيد وتدريب عناصر للهاجاناه (المليشيا الرسمية للوكالة اليهودية) ، حيث عملت على حماية الجالية اليهودية من هجمات العرب ، كما تصرفت كقوة شرطة محلية رغم عدم اعتراف حكومة الانتداب بشرعية الهاجاناه . في ذلك الوقت تبنت الهاجاناه سياسة دفاعية نشطة بالاضافة الى قيامها بغارات إرهابية ضد العرب تشبه في تكتيكها الغارات التي تقوم بها عصابات الأرجون وشترن ضد القوات البريطانية ، حيث تواصل هاتان المجموعتان المتطرفتان الحرب ضد البريطانيين . وعلى الرغم من أنهما يرفضان توصية التقسيم ، ويطالبان بفلسطين كلها للدولة اليهودية المقترحة بما في ذلك شرق الأردن ، إلا أنهما قد وافقتا – كما يقول التقرير – على محاربة العرب جنباً إلى جنب الهاجاناه .

موقف الأطراف المعنية

ولننتقل الآن الى التعرف على رؤيـــة المخابرات الأمريكية فى التطورات التى يمكن ان تنتهى اليها الأوضاع فى فلسطين آنذاك فى ضوء تلخيص موقف الأطراف المعنية ، وفي ضوء تبني السياسة الأمريكية بشكل رسمي لتوصية التقسيم الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة

فى بداية هذه النقطة يشير التقرير إلى أن خطة تقسيم فلسطين لا يمكن تنفيذها بدون تعاون العرب . وليس من المتصور فى نفس الوقـت أن يتخـلى العـرب عـن معارضتهم العنيفة (الحالية) للتقسيم ، حيث أصبحت الحرب بالنسبة للجماهير العربية عقيدة دينية ، وبالنسبة للطبقات الحاكمة مبدأ سياسياً لا يتجاسرون على إهماله ، فضلا عن ان العرب لا يقبلون الاذعان بالقوة لحركة يرعاها الغـــرب ويعتقدون انها تهدد نهضة القرن العشرين التى نمت فيها مدنيتهم المحلية .

ولما كان تنفيذ خطة التقسيم بالكامل أصبح ضرباً من المحــــال – كما يقـول التقرير – فقد رأت وكالة المخابرات الأمريكية أن التطورات المحتملة لا تخرج عن ثلاثة ، تدور كلها فى إطار الأمم المتحدة وبعيداً عن الأطراف الأخرى (بريطانيـــا والعرب واليهود) بعد أن وضحت مواقفها وخاصة بريطانيا والعرب . وتتلخص هذه الاحتمالات فى : ان تحاول الأمم المتحدة إقامة دولة يهودية بالقوة ، أو أن لا تقوم بأى شيء ، أو أن تعيد النظر فى القضية برمتها .

فيما يتعلق بالاحتمال الأول وهو اقامة الدولة اليهودية بالقوة طَرَقَ التقرير مختلف الامكانات الموصلة لذلك بادئا بالقيام بمحاولة لاقناع بريطانيا بتغيير سياستها القائمة (حالياً) فى فلسطين بحيث تسمح بانشاء ميليشيا يهودية ، وتوافق على نقل السلطة نقلا سريعاً ، وان تسمح بحضور اللجنة الخماسية قبل أول

رؤية المخابرات الأمريكية لمشكلة فلسطين

مايو (١٩٤٨) ، وان تخصص فوراً ميناء بحرياً للهجرة اليهودية ، وان تقوم بقمع نشاط العصابات العربية . وهنا يشير التقرير إلى وجود صعوبات اقتصادية حقيقية من وجهة نظر بريطانيا تكتنف تحقيق هذه المسالة ، وعدم ميلها لاثارة سخط العالم العربي ، وإصرارها على ان تنتهج سياسة « محايدة » فى المنطقة منذ عرضت المشكلة برمتها على الأمم المتحدة فى العام الماضى (١٩٤٧) . وكل هذا يجعل من غير المتوقع ان تغير بريطانيا موقفها من (الآن) وحتى انسحابها . وعلى هذا فان إمكانية إقامة دولة يهودية يكون فى حالة تزويد اللجنة الخماسية للأمم المتحدة بقوة شرطة قوية لمقاومة عدوان العرب ، أو فى حالة امداد اليهود فى فلسطين بمساعدة عسكرية كافية من الخارج للتغلب على المعارضة العربية .

وبعد أن يخلص التقرير الى أن اقامة الدولة اليهودية لا يكون الا باستخدام القوة ، يبدأ فى استعراض الكيفية التى يتم بها تحقيق ذلك واضعاً نصب الأعين الاعتراض على اية فكرة تؤدى من قريب أو من بعيد الى مشاركة الاتحاد السوفييتي منعاً لتسلله الى المنطقة .

وفى البداية يطرح فكرة أن يقوم مجلس الأمن بتشكيل قوات شرطة من الدول الكبرى وخاصة من الدول الدائمة بالمجلس وهى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفييتي والصين . وفى هذه الحالة سوف يرحب الاتحاد السوفييتي بمثل هذه الفرصة التى تمكنه من إرسال قواته إلى فلسطين . أما فرنسا فمن المحتمل أن تسعد بهذه الخطوة التى تمكنها من وضع قدمها فى الشرق الأوسط مرة أخرى (وهذه اشارة الى جلاء فرنسا عن سوريا ولبنان) . وأما الصين فهى ترحب بان يكون لها حضور فى قوة شرطة دولية لأسباب تتعلق بمكانتها بين الدول ، ولو انه لن يكون فى مقدورها تقديم قوات ملحوظة نظراً لانشغالها فى الحرب الأهلية الدائرة هناك . وأما انجلترا فسوف ترفض فى الغالب الأعم المشاركة فى هذه القوات انسجاماً مع موقفها المعلن . ولم يبق الا القوات الأمريكية التى لن ترسل بدورها الى فلسطين طبقاً لتصريح الرئيس ترومان فى هذا الشأن .

وعلى هذا فان إرسال قوات تتالف فقط من فرق سوفيتية وفرنسية وصينية قد لا يجعل امام بريطانيا والولايات المتحدة من بديل سوى استخدام الفيتو ، وإما الموافقة الضمنية على فتح فلسطين للتسلل السوفييتي ، إذا ما تشكلت هذه القوة دون مشاركة بريطانيا والولايات المتحدة .

وإذا كان الامر كذلك ، فان المخابرات الأمريكية تطرح فكرة أن تتكون قوات الشرطة الدولية من الدول غير الكبرى . أما مكامن الخطر في هذه الفكرة عند المخابرات فتتضح فى احتمال مشاركة قوات الدول التابعة للاتحاد السوفييتي ، وبالتالي تسهيل دخولها فلسطين . فاذا ما تمت محاولة فى مجلس الأمن لاستبعاد تلك الدول من المشاركة ، فمن المحتمل أن يستخدم الاتحاد السوفييتي الفيتو ضد تشكيل أية قوة دولية لا تضم فرقاً من الدول التابعة له . وحتى إذا وافقت الدول الكبرى على تشكيل القوة من الدول غير الكبرى ، فليس من المحتمل أن يسهم عدد كاف من تلك الدول بقوات مناسبة .

وفي النهاية – كما يذكر التقرير – فان تشكيل قوة شرطة دولية لن يتوقف على قرار من مجلس الأمن فقط ، بل سوف يتوقف على مدى رغبة الدول فى الاسهام فى هذه القوة . وليس من المتوقع أيضاً أن تنفرد دولة من الدول بتشكيل مثل هذه القوة حفاظاً من جانبها على مكانة الأمم المتحدة كمنظمة دولية . ومن المحتمل في ضوء حالة الأمن الدولي (حالياً) أن لا ترسل أية دولة قواتها لمحاربة العرب في فلسطين بهدف إقامة دولة يهودية مالم تشعر أن فشل التقسيم يعني تهديداً لمصالحها القومية ، أو ما إذا كانت ترى فى ذلك فرصة لتوسيع نطاق نفوذها الدولي .

وإذا ما أخذ مجلس الأمن الدولي بهذه الفكرة ، فان الاتحاد السوفييتي هو الدولة الوحيدة التى سوف تحقق مكاسب من ارسال قوات إلى فلسطين كما يذكر التقرير وهذا شيء مرفوض حيث أن لدى كل من **بريطانيا والولايات المتحدة مبررات استراتيجية قوية تجعلهما يرفضان السماح للاتحاد السوفييتي أو القوى الخاضعة له من دخول فلسطين .** وباختصار ينتهي التقرير عند هذه النقطة إلى أن تشكيل قوة شرطة دولية ، ليس من المحتمل على الاطلاق .

وحيث أن استخدام قوة شرطة دولية لاقامة الدولة اليهودية سواء أكانت من الدول الكبرى أو من الدول غير الكبرى ، لابد وأن يعطي فرصة للاتحاد السوفييتي من دخول فلسطين ، الأمر الذي ترفضه المخابرات الأمريكية لاعتبارات استراتيجية انجلو – أمريكية ، فقد ناقشت المخابرات فكرة أن يكون البديل الوحيد لقوة الشرطة الدولية ، ارسال المساعدة العسكرية لليهود بكمية تجعلهم قادرين على قمع المعارضة العربية كلها داخل فلسطين وخارجها ، وإقامة الدولة اليهودية مع المحافظة عليها ، وقد تأخذ هذه المساعدة شكل قوات «دولية» متطوعة ، أو تأتي من خلال توصية يصدرها مجلس الأمن للدول الأعضاء فى الأمم المتحدة بمقاطعة الدول العربية لمقاومتها عمداً قراراً صادراً من مجلس الأمن ، مما يفرض مساعدة الدولة اليهودية بالمال والسلاح والعتاد . ويترتب على ذلك أن تبقى اللجنة الخماسية كجهاز يشكل همزة وصل بين مجلس الأمن والدولة الجديدة دون أن يتولى تخطيط الحدود التى سبق أن أوصت بها الجمعية العامة ، كما لا يكون من مهام اللجنة الاتصال بالعرب ، أو انشاء ادارة خاصة في القدس.

ولا يفوت المخابرات الأمريكية أن تشير إلى أن الأخذ بذلك البديل يعني انحراف توصية التقسيم عن غرضها الكلي ، ألا وهو إنشاء دولتين مستقلتين فى فلسطين ، والاكتفاء بدلا من ذلك بتنظيم اقامة دولة واحدة والدفاع عنها ، ألا وهي الدولة اليهوديـــة .

ثم تنتهي المخابرات الى احتمال آخر يتمثل في قيام مجلس الأمن بتشجيع فكرة تشكيل قوات دولية متطوعة ، أو موافقته على أن تقوم الدول الأعضاء منفردة بعيدة **عنه بالتصرف الذي تراه . وتنتقد** المخابرات هذا الاحتمال لأنه فى رأيها ، يضع منهجاً يمثل خطورة فائقة على السلام العالمي . لكننا لا نلبث أن نعرف بواعث هذا النقد حين يذكر التقرير فى الجملة التالية : أن الاتحاد السوفييتي سيسارع بانتهاز فرصة فتح الطريق أمام التصرف الفردي بمساعدة اليهود ، ومن ثم يمتد النفوذ الاستراتيجي السوفييتي الى

فلسطين والشرق الأوسط . وحيث أن الأمر كذلك ، فالمخابرات تقدم الحجة القوية لبريطانيا والولايات المتحدة لعدم التصديق على مثل هذا الاجراء إذا ما اتجهت النية الى طرحه فى مجلس الأمن .

الاحتمال يعطي فرصة

ينتقل التقرير بعد ذلك الى دراسة احتمال أن لا تقوم الأمم المتحدة بأي اجراء تجاه التوصية . ولكن النتائج التى تترتب على ذلك - في رأي المخابرات - سوف تكون مدمرة ، وسوف تنتقص من مكانة الامم المتحدة ووضعها كمنظمة دولية . وفي هذه الحالة ، سيكون كل من اليهود والعرب فى فلسطين احرارا فى التماس المساعدة من الدول المختلفة ، بل والتحالف مع أية قوة من القوى . وسوف يصعب - إن لم يكن من المستحيل - حصر الصراع داخل فلسطين وجعله محلياً ، بل لا يمكن تجنب تورط أية دولة لها مصالح حيوية فى العالم العربي في هذا الصراع .

ولا تنسى المخابرات الأمريكية أن تنبه إلى أن هذا الاحتمال يعطي أيضا فرصة للاتحاد السوفييتي لكي يرسل قواته إلى فلسطين ، حيث أن كلا من الطرفين المتصارعين (اليهود والعرب) سوف يقبلان المساعدة من أي طرف يقدمها ، وبالتالي فمن الصعب تصور إمكان منع الاتحاد السوفييتى من ارسال قواته .

إعادة النظر فى الموضوع

لم يبق إلا احتمال أن تعيد الأمم المتحدة النظر فى الموضوع برمته ، نظراً لان عدم تنفيذ التقسيم أصبح أمراً واضحاً ، ونظراً للمخاطر التى تصحب اقامة الدولة اليهودية بالقوة على نحو ما سبقت الاشارة فى الاحتمالين السابقين .

واعادة النظر فى الموضوع تكون من خلال مجلس الأمن أو من الجمعية العامة . فمن الممكن أن يطلب مجلس الأمن من محكمة العدل الدولية إبداء الرأى فى قانونية توصية الجمعية العامة . كما يمكن أن يناقش فكرة عقد هدنة بين العرب واليهود . وهى هدنة ترى المخابرات أن العرب سيوافقون عليها ، كما يوافق عليها اليهود أيضاً لأنهم يعتمدون فى تحقيق وجودهم على الأمم المتحدة رغم أن قيامهم بالعنف قد يستمر . ثم هناك اقتراح بتكوين هيئة توفيق تساعد على إعادة النظر فى المسألة دون تدمير مكانة الامم المتحدة .

فاذا ما أخفق مجلس الامن فى التوصل الى شيء فمن المحتمل أن يدعو السكرتير العام الى عقد جلسة خاصة للجمعية العامة لاعادة النظر فى الموضوع . وهذا الاجراء فى حد ذاته - كما يقول التقرير - يعنى اعتبار مشروع التقسيم أمراً لاغياً ومن المستحيل التنبؤ بالتطورات التى سوف تحدث فى هذه الحالة .

ويشير التقرير فى النهاية الى نقطتين على جانب كبير من الأهمية ، الأولى أن المعارضة العربية بشكلها الحالى تبطل آليا توصية الأمم المتحدة بالتقسيم التى تقوم أساساً على افتراض التعاون العربى اليهودى وهو غير متوقع . والثانية أنه فى حالة اقامة دولة يهودية تحميها القوة المسلحة ، فسوف يتعين على هذه الدولة أن تحمى نفسها باستمرار ليس فقط ضد جيرانها المعادين ، بل ضد مقاومة أربعمائة وخمسين الف عربى داخل حدودها .

أمر غير مطلوب

إذن .. لقد رفض العرب فكرة التقسيم من أساسها .. ورفضتها العناصر المتطرفة الصهيونية (الأرجون وشتيرن) لأن هذه العناصر كانت تطالب بكل فلسطين بما فى ذلك شرق الأردن .. وقبلتها الوكالة اليهودية (الهيئة الرسمية لليهود فى فلسطين تحت الانتداب) على أمل الحصول على أكبر مساحة ممكنة للدولة اليهودية المقترحة فى التقسيم .

وكان رفض العرب للفكرة دافعاً للمخابرات الأمريكية لأن تدرس فى تقريرها احتمال قيام الأمم المتحدة باقامة دولة يهودية فقط . ثم اعترف التقرير بان توصية التقسيم لايمكن تنفيذها الا باستخدام القوة تحت علم الأمم المتحدة . وكان استخدام القوة فضلا عن المخاطر التى ينطوى عليها من حيث وضع سابقة تاريخية فى المجتمع الدولى ، لابد وأن يفتح الباب لمشاركة الاتحاد السوفييتى ، وهذا أمر غير مطلوب من وجهة نظر المخابرات الأمريكية لما فيه من تهديد للمصالح الاستراتيجية الأمريكية .

وبعد .. أليست محاولات ابعاد الاتحاد السوفييتى عن المشاركة فى حل أزمات الشرق الأوسط محاولات مبكرة ! .. وأليست هذه المحاولات ما تزال قائمة خاصة فى أدق مراحل هذه الأزمات قبيل حرب أكتوبر ١٩٧٣ وما بعدها ، لكى تنفرد الولايات المتحدة بتقديم الحلول التى تخدم استراتيجيتها ؟! .

وأليست سياسة الحكومة الاسرائيلية حاليا هى استمرار لسياسة عصابتى الارجون وشتيرن والذى كان مناحيم بيجن أحد أبرز قياداتها ، والتى كانت تطالب بكل فلسطين (وكانت تشمل آنذاك الضفة الغربية وقطاع غزة) ، وأيضا شرق الأردن

وأخيراً .. هل يمكن القول إن هذا التقرير يلقى بالمسئولية على عاتق الولايات المتحدة ، وينصف بريطانيا التى وقفت موقف الحياد بين العرب واليهود منذ عرضت المشكلة على الأمم المتحدة ريثما تتوصل المنظمة الدولية الى حل يقبله الطرفان طواعيه واختيارا هذا بصرف النظر عن النقد الموجه والمعروف سلفاً للسياسة البريطانية فى فلسطين خلال الانتداب ، وحقيقة الأسباب التى دفعت بريطانيا الى أن تقدم موعد انسحابها الى ١٥ مايو ١٩٤٨ بدلا من أول أغسطس ١٩٤٨.!!

د. عاصم الدسوقى

هوامش

(١) من هذه الأجهزة على سبيل المثال : قسم بحوث شئون الشرق الأدنى وأفريقية ، ومكتب الشئون الأوربية ، وقسم شئون الشرق الأدنى ، ومكتب شئون الشرق الأدنى وافريقية وهيئة التخطيط السياسي ، ومكتب الشئون السياسية الخارجية ، وقسم شئون المناطق التابعة ، ومكتب شئون الأمم المتحدة ، ومجلس الأمن القومي ، والمستشار الخاص للرئيس الأمريكي ، بالاضافة إلى البعثات الدبلوماسية الأمريكية فى الشرق الأوسط .

(٢) ملفات وكالة المخابرات المركزية ، تقرير بعنوان «تطورات محتملة فى فلسطين» بتاريخ ٢٨ فبراير ١٩٤٨ ، واشنطون/سري ، رقم ORE 7-48

استنكار البدعة وكراهة الجديد موقف إسلامي أم جاهلي؟

بقلم: حسين أحمد أمين

كان جل ما أتى به الرسول عليه الصلاة والسلام قومه مخالفاً للمألوف عندهم، وللقيم والتقاليد السائدة بينهم، مناقضاً لمثلهم ونظرتهم الأساسية إلى الحياة مما توارثوه جيلا عن جيل. فلا غرو أن لم تجد دعوته صدى واستجابة سريعين لدى أهل مكة. وما كانت المعارضة القوية التى لقيها منهم ناشئة عن امتعاضهم من تسفيهه لعبادة الأوثان، بقدر ما كانت نتيجة دعوته إياهم الى تبنى موقف من الحياة لا هو مألوف ولا مقبول. فتعلقهم بأصنامهم كان سطحياً وفى طريقه الى الزوال. غير أنه جاء يدعوهم الى استهجان قيم ورثوها عن آبائهم وأجدادهم كانوا يرون فيها أرقى مثل تحتذى. وسمعوه يسفه آباءهم وكانوا لا يفخرون بشىء فخرهم بالآباء. ورأوه يتحدث عما يعتبرونه من الفضائل الكبرى وكأنما هى مما يشين المرء أن يتخلق به.

وما كان ثمة عربي أصيل يسعده أو يسهل عليه ان يتخلى عما ورثه من مفهوم عن الفضيلة. كان العربي إذا فخر بفضائله أكد أنه بتبنيه إياها إنما يسعى إلى التشبه بآبائه. بل إنه حتى فى قراه للضيف كان يحرص على أن يقدم الطعام لأضيافه في الأواني التي ورثها عن أجداده. وها نحن نرى أبا امريء القيس لا يورث ابنه سلاحه وخيوله فحسب، وإنما يترك له أيضاً «قدوره» التى هي رمز الكرم وحسن الضيافة حتى يواصل بها الممارسة المتوارثة لهاتين الفضيلتين.

لم يكن بوسع مثل هؤلاء قبول فكر جديد أو قيم مستحدثة ليس لها أساس مما تتناقله الأجيال وتحفظه التقاليد. قد كان مجد الفرد منهم من مجد قبيلته، ومجد قبيلته من مجد أجدادها (وهو ما عرفوه باسم الحسب) فالحسب وعظمة الأجداد هما أبرز دواعي الفخر لدى الفرد ولدى القبيلة على السواء. وما كان المجد الشخصي ليهمهم قدر ما يهمهم الحسب والمجد المورث، فان ساءتهم دناءة مسلك امريء فسروها بدناءة أصله وخمول ذكر أجداده.

ثم هاهم يرون رجلا منهم يظهر بينهم بدعوة جديدة كل الجدة. ويرونه علاوة على ذلك لا يملك من مؤهلات الزعامة والرئاسة ما ألفوه ووقروه وأعجبوا به من مؤهلات في شيوخهم وساداتهم. أتى يكلمهم فيما لا يفهمون ولا يعرفون له أصلا: ككبح الشهوات، والتضحية بالمال، والزهد فى الحياة الدنيا. والقرآن الذي جاء به من عند ربه يحرم الخمر والزنا، وهما ما كان الجاهليون يسمونهما بالاطيبين. وهو يدعو إلى أخوة ومساواة. وينهي عن الفخر بالحسب وعن التنافس بين القبائل، مؤكداً أنه لا فضل لعربي على أعجمي ولا لحر على عبد إلا بالتقوى. وهو يمتدح المسالمين وقومه يرون في المسالمة ضعفاً:

* ودع عنك عمراً إن عمراً مسالم *

ويثني على الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وقومه يهزأون ممن ترك الثار واغتفر إساءة أو رد السيئة بالحسنة، ويعتبرون من أقذع أبيات الهجاء بيت قريط بن أنيف الذي يعير فيه قومه فيصفهم بانهم:

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة
ومن إساءة أهل السوء إحساناً!

موقف القرآن من التقاليد

غير أن ابن سعد يذكر أن أهل مكة ما اشتدوا وغلظوا فى معارضة النبي حتى هاجم آباءهم ونعتهم بالكفر وسفه أحلامهم. وقد كانت شكواهم إلى عمه أبي طالب هي من أنه «ضلل آباءنا ... وإنا والله لا نصبر على شتم آبائنا». وقد شن القرآن الكريم هجوماً عنيفاً في آيات كثيرة على تعلق الناس بالقيم والآراء والعقائد الموروثة عن الآباء رغم مخالفتها للعقل ومناقضتها لكل منطق: فقوم النبي (مايعبدون إلا كما يعبد اباؤهم من قبل) هود ١٠٩. غير أن عقائد الآباء ليست صائبة بالضرورة: (أو لو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) البقرة ١٧٠. فان كانت معتقداتهم فاسدة فلا ينبغي قبولها: (يا أيها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الايمان، ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون) التوبة ٢٣. كذلك فانه بمضي الأيام والعصور، وبنمو المعارف وتراكمها قد يدرك الأبناء من الحقائق ما لم يكن للآباء والأجداد به علم: (يا أبت إني قد

جاءني من العلم مالم يأتك فاتبعني) مريم ٤٣ . وإذ المرء بطبيعته عدو لما يجهل ، فالغالب أن يتشبث الأباء بمعتقداتهم البالية . (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) يونس ٣٩ . ومن حق الأبناء أن يجادلوا أباءهم فيما يذهبون إليه ، (إذ قال لأبيه ياأبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) مريم ٤٢ . (إذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التى انتم لها عاكفون . قالوا وجدنا أباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم وأباؤكم في ضلال مبين) الأنبياء ٥٢ـ٥٤ . كما أن من حق الأبناء حينئذ ، بل وواجبهم ، أن يتركوا نهج الأباء ، (وإذ قال ابراهيم لأبيه وقومه (إنني براء مما تعبدون) الزخرف ٢٦ . ذلك أن الله احق أن نخشاه من الأباء ، فاذكروا الله كذكركم أباءكم أو أشد ذكراً) البقرة ٢٠٠ . فان ثبت لنا بالتروي والتفكير أن أباءنا قد جانبوا الصواب والحق ، فعلينا أن نختار الصواب والحق (أو لو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه أباءكم) الزخرف ٢٤ . غير أن هناك مِنَ الناس مَنْ للتقاليد على عقله وقلبه سلطان مبين ، ويأبى قبول أية بدعة مستحدثة لمجرد أنها لا تتفق مع هذه التقاليد ، (ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في أبائنا الأولين) القصص ٣٦ . وقد كان هذا هو موقف قوم النبي عليه الصلاة والسلام منه ؛ (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه أباءنا) المائدة ١٠٤ . كلما دعاهم الى رأى جديد (قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه أباءنا ؟) يونس ٧٨ وقالوا عنه : (ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد أباؤكم) سبأ ٤٣ ؛ وقالوا له : (أتنهانا أن نعبد ما يعبد أباؤنا ؟) هود ٦٢ ؛ (إنا وجدنا أباءنا على أمة وإنا على أثارهم مقتدون) الزخرف ٢٣ . وهذا موقف منهم لا يستسيغه عقل ؛ (أتجادلونني فى أسماء سميتموها أنتم وأباؤكم ؟) الأعراف ٧١ . فهم قوم يأبون تحكيم المنطق والفكر ؛ (لهم قلوب لا يفقهون بها) الأعراف ١٧٩ ؛ (قل هل يستوى الأعمى والبصير ، أفلا تتفكرون ؟) الأنعام ٥٠ . والتفكير هو واجبنا الأول ؛ (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) النحل ٤٤ ؛ (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) الأنفال ٢٢ . وليكن شعارنا دائماً : (وقل رب زدنى علماً) طه ١١٤ . فان طلع علينا قوم برأى جديد ناقشناه معهم بالمنطق ؛ (قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟) الأنعام ١٤٨ أما الجدال عن غير علم ومنطق فمرفوض ، (وان كثيراً ليضلون باهوائهم بغير علم) الأنعام ١١٩ ؛ (ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق) الرعد ٣٧ .

«الباذنجان شفاء من كل داء»

وقد أمرنا الرسول الكريم أن نعرض ما ينسب اليه من أحاديث على القرآن ، فما اتفق منها معه قبلناه وما خالفه منها أبينا الأخذ به . فهل يعقل بعد ما أوردناه من أيات (وقد أوردناها على سبيل المثال لا الحصر) أن يسلم أحد بصحة أحاديث نسبت الى النبى مثل : «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم» ، أو «ألا وإياكم ومحدثات الأمور ، فان شر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار» ؟ لقد أوردت كتب الصحاح والسنن والمسانيد والسير والمغازى والطبقات من الأحاديث المنسوبة الى الرسول ما يذم البدع ويدعو الى رفض كل جديد محدث ، ما لا يمكن أن يتفق مع مفهوم الآيات التى أشرنا اليها ، وما ليس بالوسع قبوله مع علمنا بان كل ما جاء به الاسلام رآه الجاهلون من «محدثات الأمور» وعلمنا أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان أعظم رافض لاتباع سنة من كان قبله . فهل يمكن لمن أنزل عليه (وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا أباؤكم) الأنعام ٩١ ، و (قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه أباءنا) البقرة ١٧٠ ، أن يقول : «سيكون فى أخر امتى أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا أباؤكم ، فاياكم وإياهم» (صحيح مسلم) ؟

فان احتج البعض بان هذه الأحاديث رواها البخارى ومسلم وغيرهما من الثقات قلنا إنه قد ورد أيضاً فى البخارى : «من تصبح كل يوم سبع تمرات عجوة لم يضره فى ذلك اليوم سم ولا سحر» ، وأنه قد ورد فى صحيح مسلم «لولا حواء لم تخن انثى زوجها الدهر» ، وفى غير البخارى ومسلم «الباذنجان شفاء من كل داء» .

ويقيني أن مثل نبى الاسلام عليه السلام لم يكن كمثل أولئك الثوريين المجددين الذين يروى التاريخ أنهم صارعوا قومهم وجاهدوا فى سبيل نصرة آرائهم ، حتى اذا ما نجحوا وقبلت أفكارهم واستقرت وأضحت جزءاً من كيان مجتمعهم ، واعتبرهم الناس أبطالا مصلحين ، جزعوا وتنكروا لكل تجديد لاحق حتى لو أن هذا التجديد كان فى نفس اتجاه فكرهم ، وهاجموا كل بدعة مستحدثة حتى لو أن هذه البدعة لم يكن لها من غرض غير مواءمة فكر البطل المصلح مع ما يستجد من ظروف ، واتهموا دعاة التجديد بالمروق والخيانة ، وأكدوا ضرورة الولاء لمبادىء الآباء والزعماء الأول ، وهو ما فعله كل من لوثر وكالفن وستالين وعشرات غيرهم .

«أنتم أعلم بأمر دنياكم»

روى مسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم مر بقوم يأبرون النخل ، فسأل : ما يصنع هؤلاء ؟ فقيل له إنهم يلقحون النخل. فقال : لو لم يفعلوا لصلح . فأخبروا بقوله فتركوا التلقيح ، ولكن لم ينضج الثمر . فلما علم الرسول بذلك قال : «إنما أنا بشر ، إذا أمرتكم بشىء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشىء من رأيى فانما أنا بشر» . وكان عليه السلام يكرر للناس قوله : «أنتم أعلم بأمر دنياكم» .

ومفهوم هذا أن تعاليم النبى الملزمة للمسلمين هى تلك التى تتعلق بالدين والأخلاق لا المتعلقة بمعايش الدنيا الفرعية التى ذكرها على سبيل الرأى . ومع ذلك فاننا نرى بيننا من يذهب الى انتهاج نهج السلف الصالح فى كل شأن من شؤون الحياة ، كالملبس والمأكل ، بل وحتى فيما يقال لمن عطس ، ولا يرون مسلماً حقاً من تبع شيئاً من عنده . وها هو القسطلانى يرى بدعة مرفوضة كلَّ ما يتّبَع دون مَثَلٍ من العصر القديم ، وكل ما لم يكن معروفاً فى زمان النبى . وعلى هذا تصبح القهوة والطباعة والاذاعة والجرائد والمصباح الكهربائي واستخراج النفط واستخدام الشوكة والسكين فى الأكل بدعاً بغيضة ، وهو ما من شانه أن يجعل الحياة فى ظل ظروف مخالفة للظروف السائدة فى زمن النبى والصحابة والتابعين أمراً محالا . (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) الكهف ١٠٣ و ١٠٤ .

غير أن هؤلاء الذين يدعون الى انتهاج سنة السلف الصالح لا يذكرون كيف ألغى الخليفة عمر بن الخطاب حصة المؤلفة قلوبهم من الصدقات والآية القرآنية تقول (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ...) التوبة ٦٠ . وقد استند عمر فى إلغائه لحصتهم الى زوال العلة التى بنى عليها النص ، وهى نصرة الدعوة فى بدء الاسلام بعد أن قويت شوكته ورأى أن الأحكام الشرعية إنما بنيت على علل ومقاصد ، وكلها راجعة الى مصالح العباد فى دنياهم وأخراهم . ولا يطبق الحكم ـ حتى إن استند الى نص شرعى متى زالت العلة التى بنى عليها ، والتى هى شرط تطبيقه . وقد ذكر ابن تيمية «أن صحيح المنقول فى الشرع الاسلامى

استنكار البدعة وكراهة الجديد
موقف إسلامي أم جاهلي؟

موافق دائماً لصحيح المعقول» . واستناداً الى هذا المعنى ذهبت القاعدة الأصولية الى «أن الحكم الشرعى المبنى على علة يدور مع علته وجوداً وعدماً» ، وخرج بعض الفقهاء بقاعدة عامة مؤداها «أنه لا ينكر تغيير الأحكام بتغير الأزمنة والأحوال» . كذلك كتب السيوطى (الاتقان فى علوم القرآن) فى معرض حديثه عن النّسخ فى القرآن يقول : «من أقسام النّسخ ما أمر به لسبب ثم يزول السبب ، بمعنى أن كل أمر ورد يجب امتثاله فى وقت ما لعلة تقتضى ذلك الحكم ، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة الى حكم آخر» . وقال «إن هناك آيات نُسِخَ حكمها دون تلاوتها . وإذ أن النسخ غالباً ما يكون للتخفيف (التيسير) فقد أبقيت التلاوة تذكيراً للنعمة» .

البدعة ومعارضوها

إن البعض يرى أنه لا سبيل الى انصلاح أمور المسلمين إلا بالعودة الى الماضى والالتزام بسنة السلف الصالح . وهو قول سليم إن كان يعنى التنقيب عن الجوهر الأصلى للدين ، وإزاحة ما تراكم على هذا الجوهر خلال عصور طويلة من الخرافات والأوهام مما حجب عن المسلمين معنى الاسلام الصحيح . غير أن هؤلاء يمضون فيقولون إنه على المؤمن أن يأخذ بالاتباع لا الابتداع ، ويعرِّفون الابتداع بأنه النظر الشخصى ، والاستقلال فى الرأى ، ومخالفة الاجماع والرأى العام ، وانتهاج أساليب حياة تخالف أسلوب حياة الرسول والصحابة والتابعين .

غير أني أنظر فأرى من بين الأحاديث النبوية الشريفة ما يذهب الى أن «العلماء هم ورثة الأنبياء» . وأفهم من هذا الحديث أنه كما أن على وارث التركة واجباً خلقياً يحتم عليه رعاية التركة وإنماءها ، فعلى ورثة الأنبياء أن يرعوا التراث الروحى الذى خلفوه وأن ينموه . وكما أن من حق وارث حانوت أبيه ـ بل ومن واجبه ـ أن يسعى الى أن يوسعه ويضيف اليه ويزيد من أنواع السلع المعروضة فيه ويستبدل سلعاً رائجة بسلع قد كسدتوفتر الطلب عليها ، مراعاة منهم لأحوال السوق ، فكذلك على العلماء ما يشبه ذلك فيما يتصل بما ورثوه .

بيد أن معظم علماء المسلمين لا يرون توسعاً أو إضافة ، ولا يأخذون إلا بالتقليد الأعمى والجمود الباطل ، مستندين فى تبريرهم قفل باب الاجتهاد الى عظمة شأن الاسلام فى عصره الأول ، وملقين تبعة تدهور حال المسلمين بعد ذلك على أسباب وظروف خارجة عنهم . وهم فى هذا الموقف أشبه بمن أبقى الحال فى الحانوت الذى ورثه على ما كان عليه فى زمن أبيه وجده ، غير آخذ بعين الاعتبار ما طرأ على أساليب التجارة وأذواق الناس من تغيير ، مبرراً مسلكه برواج الحانوت وبضاعته وقت آبائه ومعللا كساد تجارته المحتوم بفساد الزمن ، أو فساد الذمم ، أو فساد كل شيء عدا أسلوب تفكيره .

قد دعانا من رأى قفل باب الاجتهاد الى الوقوف عند آراء مجتهدين فى عصر معين . وقد كان هؤلاء المجتهدون يفكرون لأنفسهم ، ويراعون فى وضعهم الأحكام موافقتها للظروف المتغيرة فى مجتمعهم . غير أنهم سلكوا مسلكاً خاطئاً إذ صاغوا آراءهم المبتدعة فى قالب أحاديث نسبوها الى النبى واختلقوا الأسانيد لها حتى تلقى آراؤهم قبولا من الأمة . أو على حد تعبير بعضهم واعترافه : «كنا إذا رأينا رأياً صيرناه حديثاً !» . فاذا بالأجيال التالية لقفل باب الاجتهاد وقد صدقت نسبة هذه الأحكام والآراء الى النبى ، وحرمت على نفسها أن ترى لنفسها رأياً جديداً ، حتى إن كانت هذه الأجيال قد أحاطت بما لم يحط به المجتهدون الأول علماً ، ونشأت لديها مصالح واحتياجات لم يعرفوها ، وعاشت فى ظروف لم يخبروها .

وكان أن قضي على الفكر الاسلامى بالتوقف ، وتفشى التقليد والجمود فى الشريعة وغيرها ، واتهم كل صاحب رأى جديد باتباع الهوى ، ووصفت كل دعوة الى الاصلاح والتطوير بأنها بدعة ، واخترعت أحاديث نسبت الى النبى تستنكر البدعة وتبشر صاحبها بالنار .

وقد جاهد بعض أعاظم الفقهاء كابن تيمية وابن قيم الجوزية والشوكانى ثم الأفغانى ومحمد عبده من أجل أن يثبتوا بالأدلة الشرعية الواضحة أن باب الاجتهاد ليس مفتوحاً فحسب ، بل هو واجب على كل من اتصف بصفات المجتهد ذلك أنه مادام الوجود البشرى سلسلة من الأحداث والظروف المتعاقبة ، فان الاجتهاد والابتداع سيظلان دائماً الجوهر الحي للتاريخ . وقد فهمت الحضارات الراقية هذه الحقيقة حتى أضحت البدعة مقصودة فى حد ذاتها وطلبها متعمداً ، وأسمتها بالمنهج العلمى ، وحتى أصبحت ـ خاصة فى وقت الأزمات كالحرب أو الضائقة الاقتصادية ـ تبدى تهافتاً على الابتداع ، وتناشد المبتدعين وتحثهم على اجراء التجارب والاختبار والاستنباط ، بحيث بات التغيير وتوفير المرونة شعار السياسة العامة عندها

ورغم ما تذكره كتب علم الاجتماع من أن الأزمات والاحساس بالخطر من شأنها أن تدفع المجتمعات المتحجرة الجامدة الى إبداء الاستعداد لتقبل الجديد من الأفكار والمستحدث من الأساليب ، فلا يزال مجتمعنا الاسلامى المليء بالأزمات والمحفوف بالأخطار يرى البدعة كفراً ، والمستحدث عصياناً وتمرداً ، والأساليب الجديدة تشويشاً غير مستحب للروتين والتقاليد ، ومخالفة مستهجنة لعادات الآباء والأنماط المألوفة من العيش . غير أن الوقت قد حان لأن ندرك أن التقدم متعذر دون تغيير وابتداع ، وأن أولئك الذين يكفرون البدع لا يفعلون ذلك عن محض غباء ، وإنما عن خوف على مصالح خاصة تتهددها تلك البدع . ذلك أن كل بدعة تقريباً تستدعى إعادة فى تنظيم القوى الاجتماعية ، فلا غرو أن نلمس عند كل من سينحيه التغيير عن مكانته ، ويحد من نطاق نفوذه ، استنكاراً وكراهية للبدعة . وهم من أجل النجاح فى مقاومتهم لها لابد أن يحظوا بتأييد الجماهير لهم ، ولا سبيل الى حصولهم على هذا التأييد إلا بالادعاء أن البدعة منافية للدين ، وأن الدين قد أوصى بالالتزام بسنة الأولين ، وعدم الخروج عما كان شائعاً لدى آبائنا وأجدادنا الأقدمين . والله أعلم أن دينه الحي بريء مما يزعمون ، وأنهم وأشياعهم أناس قد يجاهدون فى نصرة الدين ، ويكتبون فى نصرة الدين ، بل وقد يموتون فى نصرة الدين ، غير أنهم على غير استعداد البتة لأن «يحيوا» من أجل الدين .

حسين أحمد أمين

دائرة المعارف القرآنية



بقلم : الدكتور محمد البهي

" الشُّح "

يقول الله تعالى فى سورة التغابن : « انما اموالكم واولادكم فتنة (اى امتحان واختبار لكم) . والله عنده أجرٌ عظيم . فاتقوا الله ما استطعتم ، واسمعوا وأطيعوا وانفقوا : خيراً لأنفسكم ، ومن يُوقَ شُحَّ نفسِه فاولئك هم المفلحون . ان تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفرْ لكم والله شكورٌ حليم » .. فطلبت هذه الآيات من المؤمنين أن يسمعوا نصح الله لهم بالانفاق من المال فى سبيل الخير .. ويطيعوه فيما نصحهم به وان يحموا انفسهم بالطاعة فيما نصحهم به من إنفاق المال فى سبل الخير : من شح النفوس . وهو طبع فى النفوس المريضة بالانانية يحمل على المنح والقبض على ما للانسان بحيث لا يصيب غيره ، وان كان ذا حاجة اليه .

فالشح ليس عادة تتكون فى الانسان . وانما هو جبلة فيه . ولا يذهب بالشح لدى انسان ما ، إلا إيمانه بالله .. وبان الله جل جلاله يضاعف للمنفق ما انفقه فى سبل الخير : « ان تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم » . وعندئذ تتكون لديه عادة الانفاق ، وتحل محل ما كان له من طبع الشح فيه .

وما جاء فى حديث القرآن عن الأنصار فى يثرب ، فى علاقتهم بالوافدين المهاجرين اليهم من مكة ، بشأن ما كانوا يؤثرونهم به من أموالهم الخاصة مع حاجتهم القائمة اليه يدل على أثر الايمان بالله فى تحويل النفوس التى لها طباع الشح بحكم اتجاهها المادى الى نفوس خيرة ، نحا عنها طبع اللؤم والانانية ، الذى يتمثل فى القبض والشح .

فيقول الله تعالى فى سورة الحشر : « الذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم (ويقصد الأنصار ، لأنهم سبقوا المهاجرين الى سكنى الدار وهى يثرب ، وآمنوا بالرسول عليه السلام قبل هجرته اليهم ، بعد أن كانوا أصحاب وثنية مادية تلتصق بطباعهم الانانية والشح) . يحبون من هاجَرَ اليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجةً مما أوتوا (اى مما أعطى لهم من الفىء الذى أخذ من يهود بنى النضير حول المدينة . فنفوس أولئك الأنصار لم تطمح الى شىء مما سلم للمهاجرين من ذلك الفىء ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (اى ومع كون الأنصار لم يتاثروا بما أعطى للمهاجرين دونهم .. فانهم كانوا كذلك يؤثرون بما لديهم من مال ، رغم حاجتهم هم اليه فى تفريج شدائدهم) ومن يُوقَ شُحَّ نفسِه فاولئك هم المفلحون : (فهؤلاء الأنصار بموقفهم من المهاجرين : فى عدم الحقد عليهم عندما أخذوا من الفىء دونهم ، وفى ايثارهم إياهم بأموالهم مع حاجتهم هم اليها .. يضربون المثل فى وقاية النفس من شحها كطبع فيها . ولذلك هم ناجحون لأنهم استطاعوا التغلب بالفعل على شهواتهم) ..

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قسم أموال بنى النضير على المهاجرين ولم يعط الأنصار الا ثلاثة نفر محتاجين . وقال للأنصار : ان شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة . وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ، ولم يقسم لكم شىء من الغنيمة فقالت الأنصار : بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ، ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها . فنزلت الآية السابقة .

وجاءت قسمة الرسول عليه السلام على المهاجرين من الفىء فى قوله تعالى : « ما أفاءَ الله على رسولِه من أهْلِ القرى (يقصد الأموال الى أخذها المؤمنون من يهود بنى النضير حول المدينة) : فلله .. وللرسول .. ولذى القُرْبَى .. واليتامَى .. (أولاد الشهداء فى الحرب) .. والمساكين .. وابن السبيل .. كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم (أى يعطى مال الفىء لهذه الفئات وحدها وهى صاحبة حاجة ، حتى لا يقع هذا المال ان لم يوزع هذا التوزيع : بأيدى الأغنياء فيزدادون به غنى ، بينما يزداد أصحاب الحاجة حاجة) وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله ، إن الله شديدُ العقاب . للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون » ..

فالشح يسبق البخل فى طبع الانسان وملازم للأنانية فيه . ولذا أضيف الشح الى الذات والنفس فى الآيتين السابقتين : « ومن يُوقَ شُحَّ نفسِهِ فأولئك هم المفلحون» اما البخل فهو نتيجة من نتائجه .

الوداع الأخير

شعر: العوضي الوكيل

هذه القصيدة لأحد كبار شعراء الفلبين . وكانت سفارة الفلبين بالقاهرة فى عهد رئاسة الأستاذ العقاد للجنة الشعر قد طلبت من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب فى القاهرة ترجمة هذه القصيدة شعراً. فكلفت اللجنة الشاعر العوضى الوكيل بذلك وهذه القصيدة منقوشة الآن بجميع اللغات ـ وبينها العربية على نصب رخامى ضخم بجوار قبر صاحبها فى منتزه لونيتا بارك بمدينة مانيلا .

ـ ١ ـ

وداعــاً وداعــاً يا بــلاداً يحبهــا ... فــؤادى وتهواها بعليائهــا الشمسُ

لأنـت ببحـر الشـرق أكـرم دُرَّة ... وأنـت لنـا فـى ذلك الكـون فردوسُ

حياتــى مضنــاة فامــا وهبتهــاً ... فداءك لم تأسـف علـى ذلـك النفسُ

ولـو أنهـا كانــت صبــاً لوهبتُــه ... ألا كل بـذل فـى سبيل الحمـى بخسُ

ـ ٢ ـ

لأجلك كـم خاضــت رجــالٌ معاركاً ... وجـاد رجـال بالنفــوس فــداءَ

بـلا أسـف جـادوا ودون تــردد ... لقـد هـان حــب لا يـروم فنـاءَ

وسيان دوح الغـار والسرو فى الردى ... نـرى الوهـدَ فيـه والنجـادَ سـواءَ

اذا ما دعـا داعـى الجهـاد فإننـا ... نـرى الحـربَ فرضاً والمماتَ قضـاءَ

ـ ٣ ـ

ألاقـى الـرَّدى والطـرف للأفـق ناظرٌ ... وقـد صبغتـه كله خمـرةُ الشـفقْ

يـؤذن بالفجـرِ الجديـد مبشـــراً ... هنـا غلـب النورُ الظلام على الأفقْ

فيا وطنــى إنْ أعـوز اللـون فليكـن ... دمـى صبغةً للفجر إن لاح فائتلـقْ

يـزيـد دمـى المسـفوك بهجـة لونـه ... وقرمـزه حتى يـروقَ لـدى الحـدقْ

ـ ٤ ـ

ألا إن أحــلام الصبـا هــى عينهـا ... ـ على كرِّ أيامـى ـ أمانـى رجولتـى

تبقَّت بنفسى كـي تـرى خيـرَ منيـة ... لــدرة بحـر الشرق ـ يا خيـرَ درةٍ

تـرى يـوم لا عينـاك تسرح فيهمـا ... دمـوعٌ حيـارَى من تباريـح لوعـةٍ

ولا وجهـك النضر الجميـل جبينـه ... يعفِّـره الخزىُ المـذلُّ لأمَّتـى

ـ ٥ ـ

فديتـك يا حلـم الحياة جميعهــا ... وأمنيـة تحيـا بروحــى وأحلامــى

ويا خيـرَ ذخـر فى الدنا ووديعــة ... حماك إلاهى أن يجنــدلك الرامى

أمـوت لتَحْيَــىْ إن موتــى محـبب ... بتلك الذُّرا الشماءِ ما بيـن أقوامــى

فيغمض جفنــى المـوتُ فى خير تربةٍ ... وأرقـد مرتاحـاً وتخفـق أعلامــى

ـ ٦ ـ

إذا نَجَمَـتْ فى تــرب قبـرىَ زهــرة ... بدت وحدها فى الفَدْفَـدِ الموحش القفرِ

فـلا تبخلـي أنْ تؤنسيـها بـزَوْرَةٍ ... ألا إنهـا روحـى ترفـرف كالزهْـرِ

ولا تبخلـي يومـاً عليهـا بلَثْمَـةٍ ... بثغـرك حيـث الدفءُ فى ذلك الثغرِ

أحس هـواء القبـر حولـىَ بــارداً ... ألا فابعثـى الدفءَ المحببَ فى قبـرِى



– ٧ –

وفى مضجعى الساجى البعيد دعي السنا ... من القمر السارى يشع لمضجعي
دعِي الريحَ تزجي همسَها فوق تُرْبَتي ... دعِي الفجر يحبوني بأنواره ، دعِي
وإن مر يوماً فوق قبرىَ طائرٌ ... يُرَجِّعُ لحناً مبدعاً اىَّ مبدعِ
دعيه على هامِ الضريح مغرِّداً ... وقولى له : بالسلم غَنِّ ورَجِّعِ

– ٨ –

إذا أصلت الشمسُ الثَّرى بضِرَامِهَا ... فحالت به الأمطار فى الجو أبْخِرَهْ
تصاعد فيها للسماءِ وبينها ... دعائى وانفاسى حراراً مسعَّرَهْ
ألا فدعي من أهل وُدِّيَ قائماً ... على القبر يبكى أعْظُمِى المتبعثِرَهْ
ويا بلدى صلِّي لربي فإنني ... لأرجو قبولا فى حماهُ ومغفِرَهْ

– ٩ –

لمن مات لم يؤخذ اثيمٌ بثأرِهِ ... لمن عاش فى أنكى الأذى والاساءاتِ
لأمٍّ غدت تذرى الدموع وما شَفَتْ ... بأضلاعها ناراً من الشَّجَنِ العَاتِى
لأجل اليتامَى والأيامَى ومَنْ غَدَا ... أسيراً شديدَ الكرْبِ رهْنَ الملِمَّاتِ
ألا يا بلادى فانهضِي وتضرَّعِي ... ليومِ خلاصٍ فى غدٍ صبْحُه آتِ

– ١٠ –



اذا ما ظلام الليل غشَّى المقابرَا ... فما بَرِحَ الموتى هناك سواهِرَا
على السِّلْم ، والأسرار تسهرُ روحهم ... دعُوهم وما صانوا وغُضُّوا النواظِرَا
فان تسمعوا صوتاً هنالك شادياً ... فذلك صوتى يرسل اللحْنَ زافراً
أجل ذاكَ لحنى يا بلادى رفعته ... اليك فحيُّوا فى المقابِرِ شاعِراً

– ١١ –

فان طالت الايام بى وتحولَتْ ... معالم قبرى كالطلول بَوَالِيَا
وأقوى ، فلا رمز هنالك شاهد ... عليَّ وأمسى ذاكر القوم ناسِيَا
إذن فدعِي المحراثَ يفرى أديمَهُ ... فيحيا موات الأرضِ اخضرَ زاهِيَا
وهذا رفاتى يا بلادى فرشته ... مواطىءَ من عشب فما عاد ذاوِيَا

١٢

إذا أصبح النسيانُ للميْتِ هيِّناً ... سألقاك في موتي هنالك او هُنَا
سألقاك لوناً أو شذًى متضوعاً ... وطوراً غناءً مبدعاً مُتفنِّنَا
فمازال حبى يا بلادىَ هائماً ... بحبك فياض المشاعر مؤْمِنَا
فأصْغِى لحبِّى فى النشيدِ مردِّداً ... تردِّدُه روحي إلى آخرِ الدُّنَا

– ١٣ –

بلادىَ يا حبِّى ويا ألمى معاً ... أيا حُبِّيَ الأغْلى وأعمق آلامِي
ألا فاسمعى هذا النشيدَ نظمتُه ... وداعاً أخيراً فهو آخرُ انغامِي
سأترك ما أهواه فيكِ وديعة ... لديْكِ فلا تنسىْ وَدَائِعَ أحْلامِي
وأمضى إلى لا ظلم ثمة نازلٌ ... بعبد ولا طغيان من بطش ظُلَّامِ
الى حيث لا رأى يصاب صحابه ... بسوء وحيث الله فى حكمه السامِي

– ١٤ –

وداعاً أعزائى ، اليكم خواطرى ... فأنتم بنو أمّي وصحب طفولَتِي
بهذا الحِمى المغضوبِ عشنا فان أمُتْ ... فحيُّوا رحيلي بعد طولِ المشقةِ
مضى يومىَ المضنَى جهاداً وشِقْوَةً ... فان تطلبوني فاطلبوني بجنَّتي
ويا من لقيناه غريباً عن الحِمَى ... فأصبح أنسى فى الحياة وفرْحَتِي
الى الملتقى يا عَدْلَ نفسى ومهجتى ... وداعاً وداعاً فالمنية مُنْيَتِي

مسافة طويلة إلى المطار

قصة بقلم :
سعد مكاوي

عناقها مفعم بالعتاب .

انطلق الى حلمى النائى واتركها مريضة عاجزة ، يائسة من عودتى التى الوح لها بها ، وحيدة فى ذلك البيت الكبير القديم المطل بمشربيته العتيقة على الشارع.

من حسن الحظ ان سمعها ضعف مع الزمن فلم يعد وجودها الهش يمتص كل ذلك الضجيج الفظيع المتصاعد من شارع لم يعد يعرف الرحمة .

من فوق كتفها تاملت المربعات الزجاجية العريضة التى يصل بها الى قرابة السقف العالى ذلك الباب الخشبى الضخم الذى يفصل غرفة الجلوس عن الصالة والمدخل كانه شاهد على تاريخ الأسرة القديم ، ثم هبطت نظرتى الى مربعات البلاط الكبيرة التى نصلت الوانها مع مرور الزمن وقلة العناية ، لا يكسر امتدادها الى المدخل غير حقيبة السفر التى تنتظر نهاية العناق بينى وبين الشيخة الباكية بلا دموع .

من الشارع استطعت ان اميز بين الأصوات المتداخلة الصخابة صوت زوج اختى ينادينى ، فقبلت خد امى ونهضت الى المشربية المتهالكة ولوحت بيدى وعدت مسرعاً فقبلت مرة اخرى ذلك الراس الأشيب العزيز .

– أن أن انصرف ، فلابد فى هذا الزحام من مراعاة المسافة الطويلة الى المطار .

– لا تنس وعدك يا خالد ، طالت المدة ام قصرت ... لن تنسى أمك التى لم يعد لها فى الدنيا غيرك .

خلصت نفسى برفق من يدها المتشبثة بذراعى واختطفت الحقيبة وهبطت مسرعاً فى السلم الخشبى المتاكل ، ووجدت اختى الوحيدة مع زوجها ، انتزعت نفسها من مشاغلها وجاءت من مسكنها البعيد لتكون فى وداعى .

دست كوم القمامة المعتق قبل ان استقر معهما فى السيارة الصغيرة التى اخترقت بنا عباب الزحام والضجة والفوضى ، وخلال الحركة البطيئة الشاقة من كوبري ابو العلا الى المطار لم اجد كلمة واحدة أوصى بها اختى المنشغلة بوظيفتها واولادها وزوجها وبيتها . وعندما نزلنا من السيارة لتحية اخيرة عند المطار كان كل ما استطعت ان اقوله لها :

– خذى بالك منها .

فى الجو وبعد ان تركت الطائرة الحدود تذكرت اننى نسيت ان اضع المايوه الجديد فى الحقيبة .

فى حياتى لعب المايوه الدور الرئيسى ، وكان بطل القصة ، إذ كانت البداية فى حوض السباحة .

يومذاك كانت الفتوة هى الحقيقة الوحيدة فى شبابى ، ولم تكن قد اكتسحت حياتى ليالى الشراب والغيبوبة والاحباط .

كنت فى طريقى الى بطولة رياضية يتحدث عنها الناس ويرضى عنها طموحى ، والسباح المرموق فى ذلك اليوم الجميل من أول الشتاء لم يكن يعرف أن قدره يتربص له بزلزال عاطفى ، إذ رايتها فجاة مع سرب من زميلاتها تحوم حول الماء بشقرتها المضيئة وقوامها الفاره ، وفى الماء كان تعارفنا .

أول امراة أراها من نساء الشمال ، وإنها لبيئة مختلفة تماماً عن بيئتى تلك التى تنتج مثل هذه العملاقة الحسناء ...

وضعت المضيفة أمامى بعض الطعام ، وتاملت وهى منصرفة عنى حركتها اللطيفة فى المشى ، دقيقة الحجم رغم انها سويدية كصاحبتى العملاقة التى كان ظهورها معى فى اى مكان فى القاهرة يثير التفات الناس بقامتها المهيبة وبساطتها الساحرة .

لم تكن تطيل ا... ـيث عن ماضيها فى وطنها ، وكان كل همها أن تعتصر هناءتها بايامها ولياليها فى مصر اعتصاراً كامل الصراحة ، هى التى تمثل فيها حبى الأول الكبير ، والتى صاغ عشقى لها حياتى ولونها وحكمها ، الى أن جاء اليوم الذى قالت لي فيه : «يجب أن نتزوج»

من قبل أن يصدر عنها هذا الاعلان كانت فكرة الزواج مطروحة وموضع دراسة ، وكان واضحاً منذ اللحظات الأولى لنشوء الفكرة على المقهى العتيق بحى الحسين انها لا تفكر فى الاستقرار فى وطن حبيبها ، وانى انا الآخر لا احبذ هذا الاتجاه ، إذ كانت فسحة الاحلام بالنسبة لي تترامى الى الشمال البعيد ، بكل احتمالاته اللامتناهية وسحره الجذاب الغامض .

وفى يوم توثيق عقد الزواج انفقت أمى ليلتها فى بكاء صامت وراء باب حجرتها المغلق ، وطاب لنا السهر فى حفل زفاف بدوى فى نزلة السمان .

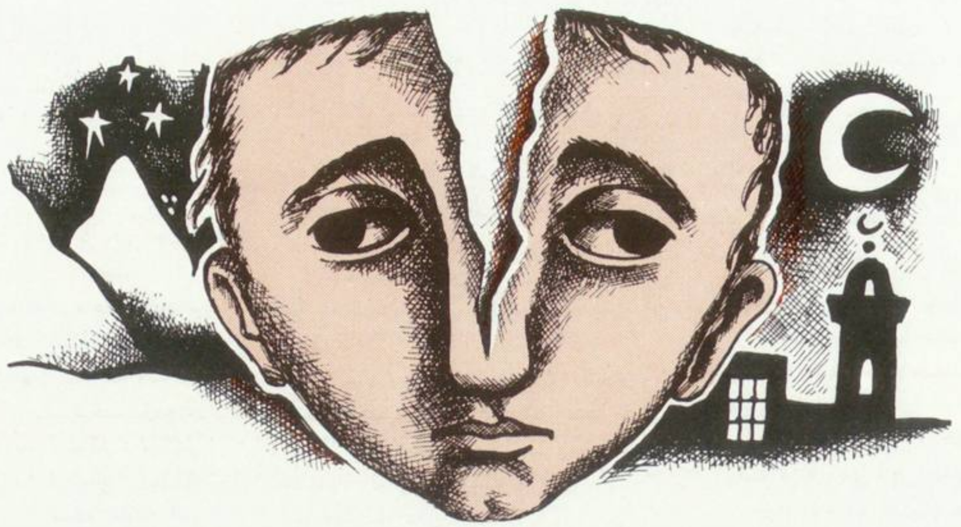
ولم نلبث ان وصلتنا من والدها رسالة تستحثنا على السفر الى السويد وتبشر بمجالات العمل المفتوحة أمام مؤهلى الجامعى وقدراتى الرياضية ، وظلت المشكلة الكبرى ماثلة فى حالة امى النفسية التى بلغت بها حد الصمت الكامل ، فاستعنت عليها باختى وزوجها الصديق قاطعاً على نفسى عهداً بان اعود الى القاهرة مرتين فى السنة على الأقل ...

جاءتنى ابتسامة المضيفة بشىء من اليقظة :

– فنجان من القهوة أم عصير الليمون ؟

– ليمون من فضلك .

طفلتنا الحسناء «فاتيما» ولدت فى السويد فى مستشفى بديع يحتل قمة احدى الهضاب المحيطة بالقرية الجميلة التى



تعيش فيها أسرة زوجتى على مسافة ساعة أو أكثر قليلا من العاصمة ستكهلم ، كانها فى إطلالها على بحيرة فائقة الجمال قطعة من الجنة ...

وأنا استطعم مذاق الليمون تمثل لي شخص امى الواهن بين ذراعى اختى المواسية ، وتصلبت إرادتى أمام الضعف الذى تنفثه الصورة .

لن تتكرر المأساة .. فى المرة الأولى كانت نداءات أمى احد أسباب عودتى بعد أن توازنت حياتى الجديدة فى تلك القرية الشمالية الباهرة التى تشبه لوحة فنية من تلال وغابات وبحيرة وألوان وظلال .. صحيح أن حالة البطالة المتفشية وظروف العمل بالنسبة لأجنبى لم تكن مواتية دائما كما صورتها دعوة والد زوجتى ، وان علاقتى بزوجتى نفسها على غير ما توقعت بدأ يزحف عليها ضباب غامض من الافتراق النفسى ، لكن السبب الرئيسى فى تلك العودة تمثل فيما يبلغنى من أصداء أحزان الأمومة المستوحدة فى القاهرة ، ويومها قلت لنفسى ان اجازة غير طويلة أقضيها فى الوطن تكون مفيدة لكل الأطراف ، الأم والزوجة وذاتى الحميمة المضطربة بين عالمين ...

ماذا يكون هذا الفتور المبهم الذى أخذ يتسلل الى ما تصورناه الحب الأكبر ، والذى عجزت ابتسامات «فاتيما» الصغيرة أن تبدده ؟

ـ فنجان من القهوة أم عصير الليمون ؟

ـ قهوة من فضلك .

منقبض النفس بغير خفاء فى عودتى الى الأم المريضة ، لكنى ابتسمت عندما اكتشفت فى الطائرة أنى بدأت أهفو الى شىء من العزاء مع شلة الأصدقاء .. الحمل ثقيل .. أمامى شكاوى أمى التى ستعتصر البقية الباقية من قدرتى على مجابهة مرارة الواقع الغليظ ، وورائى لغز عاطفى لا أكاد أفهمه ولا تضيئه غير ابتسامات طفلة حسناء لاهية ..

ما الذى تغير بينى وبين زوجتى ؟

حاولت هى بصراحتها أن تجيب عن السؤال فعجزت ، وعندما أعلنت أنا الآخر عجزى عن التفسير بدأت تتكلم عن انفصال هادىء وتتطلع الى أفق سويدى يحفه الغموض .

شىء أليم مبهم قام بيننا كجدار أصم ، كان قوتى جذب عنيفتين تتنازعان فى تناقض ، وكان طريقاً واحداً انشق على مهل فصار طريقين .

وعندما احتوتنى عاصمتى وهبطت من التاكسى دست على كتلة القمامة المعتقة غير بعيد من مبنى التليفزيون الشاهق ، ثم تلقفنى عطن السلم وأنا فى دوار ونكوص داخلى ... ستفتح ذراعيها وتبكى وتنثال كالشلال هادرة بمخزون شهور طويلة ... ولن يكون هناك غير الأسى والليل الكابى .. وسوف أتحول الى دودة من الدود تزحف مع غيرها فى الطين ، ولن تكون هناك رحمة ...

• • •

بصعوبة رذلة قبلونى فى عملى القديم ، وبسهولة خطرة حصلت على العزاء من بعض أصدقائى القدامى فى سهرات مملة .. لا طعم لشىء ، ولا دواء لكآبة الاملاق الروحى ...

ووجه «فاتيما» الحسن يخايلنى فى نبضات موجعة من اللهفة والحنين ، وزوجتى تضغط بالبريد طالبة الطلاق ... لابد أن هناك رجلا آخر من طينتها الشمالية ولا مـــال معى للعـــودة السريعة واستطلاع الأمور وحسم قضية «فاتيما» ... ستتزوج أمها من سويدى فى هذه المرة وتنشأ «فاتيما» بنتاً من بنات الشمال لا تكاد تذكر «بابا خالد» القديم بعد أن تطمس الأعوام صورته وتطويها ...

• • •

كانت أكبر فرحة فى حياة أمى يوم عرفت أنه قد تم الطلاق . لم تشعر أن الخواء يحتوينى ، وكأنه يهمس فى أذنى بجبروته المتشفى : ألست ترى أننى أقوى منك ومن كل أحلامك الطموحة ؟

وطوال الأعوام التى مرت منذ عودتى لم تهتز نفسى لشىء كما اهتزت لصور ابنتى وكلماتها .. تخرج من المظروف صور بالألوان لغداء على العشب فى غابة أعرفها وكم نفضت فيها فائض شبابى ورتلت أشعار عشقى .. وعلى ظهر الصور سطور سريعة من الثلاثة تتضمن كلها دعوتى الى الالتقاء بابنتى التى وقعت على صورها باسمها بالسويدية وبالعربية مسبوقاً بكلمة «الى بابا خالد» ...

ما أجمل عينيها وما أبدع قوامها وما ألطف خطها ...

فى عمقى المكبوت انتعش حلم قديم مطمور ...

ومن جديد صحت فكرة الخلاص والمغامرة والتجدد ...

دعاء «فاتيما» شق سمائى الراكدة المعتمة كبارق من الضوء ...

آخر خيوط الرجاء فى نسيج مهلهل ...

الغفران للأعوام الميتة ...

الوداع للغيبوبة واللامبالاة ...

قلقت أمى من هذه الاشراقة الجديدة فى نظرتى وكلمتى وحركتى ... ساءلت ابنتها

مسافة طويلة إلى المطار

فى السر ... أصبحت وفى حضنى صور ابنتى أكثر غفراناً لسيطرة السيئات على الحسنات ، وأكثر تساهلا مع سخافات زملاء العمل وانحطاط أخلاقياتهم وعقم العمل نفسه وعجز الجهاز الضخم كله عن الانتاج ... أصبحت أرحم ضغط الأمومة المتزايد مع اشتداد المرض وتفاقم عجز أمى عن السمع وضرورة ارتفاع صوتها وأصوات من حولها ، كاضافة قاتلة الى الضوضاء العامة المستفحلة ...

هناك مع «فاتيما» ساصعد التلال واهبط فى الوديان وافترش عشب الغابات وانعم بالسكون وأعدو فى المروج ...

• • •

بعد ثمانية عشر شهراً كنت قد ادخرت الفا وخمسمائة جنيه وجدتها كافية لوثبتى الجديدة ... فطلبت للمرة الثانية فى حياتى الوظيفية اجازة بدون مرتب قذفوا بها فى وجهى بارتياح ، ولم أطلع أمى فى هذه المرة على نواياى إلا فى يوم السفر نفسه ....

وبشىء من الجفوة فى هذه المرة قمعت صرخاتها العصبية غير المنضبطة ، وانغرزت قدماى فى كوم القمامة الأثرى دون أن أتافف ، واحتوتنى الحركة البطيئة المثيرة للأعصاب دون أن أفقد هدوئى .

وعندما حلقت بى الطائرة تبسمت للمضيفة دون أن أخفى عنها أننى تأملت وجهها باستيعاب :

ـ أين عصير الليمون يا حلوة ؟

• • •

فى مطار ستكهلم استقبلنى جد «فاتيما» بحفاوة .

صديق قديم من أيام الزواج الأولى اليانعة ، رجل يبدو فى أوج الشباب ويبحث عن عمل جديد يستغرق حيويته بعد أن بلغ الستين ، ظل يحدثنى عن مشروعاته للمستقبل حتى قاطعته متململا .

ـ وفاتيما ؟

ـ نابغة فى مدرستها ، مع بدايات موهبة موسيقية .

ـ وعلاقتها بزوج أمها ؟

ـ طيبة .

ـ تذكرنى ؟

ـ تشترك فى الكلام عندما تجىء سيرتك طبعاً .

ـ هل أجد فى هذه المرة فرصة حقيقية للعمل هنا ؟

ـ على غير ما قد يبدو للزائر ، هنا بطالة ومشاكل جمة حتى فى بطاقات الاعاشة التى تعرفها من زيارتك السابقة .

ـ معنى هذا أن الفرصة أمامى ضيقة ؟

ـ أعتقد هذا ، لكن مادمت تفكر فى إنفاق بقية عمرك غير بعيد من ابنتك فلاباس من أن نجرب ...

بعد صمت محرج عدت الى التساؤل :

ـ وإذا فكرت فى حالة فشل التجربة فى أن آخذ ابنتى لتعيش معى فى وطنى ، فهل تجد هذه الفكرة معارضة ؟

ـ معارضة ممن ؟

ـ من الأسرة .

ـ وما دخل الأسرة فى هذا ؟ ... إن الرأى فى هذه المسالة هو لفاتيما وحدها ... عندما نصل اسالها .

ـ أليست أصغر من أن تتخذ مثل هذا القرار وحدها ؟

ـ أليست هى حياتها .. اسالها واعرف رأيها .

وسط المروج والصخور والأشجار شقت سيارة الجد طريقها السهل نحو السؤال الكبير الذى ينتظر الآنسة الصغيرة ، نحو بيت هنالك على الطريق تحتضنه النباتات المتسلقة أعرفه وأذكر لياليه وأيامه يتسيده الآن رجل آخر ...

صوت السيارة أخرج لنا من البيت زوجتى السابقة ومعها رجل هادىء المظهر سامق الطول بسام الوجه ، كان البادىء بالتقدم فى ترحاب صادق :

ـ نحن سعداء بزيارتك التى طال انتظارنا لها .

وصافحتنى زوجتى السابقة ببساطة :

ـ مرحباً بك يا خالد ، تفضل بالدخول .

غرفة المعيشة لم تتغير .. لم يتغير أى شىء ، حتى السكينة التى طالما احتوت المسرات .. نفس الستائر الخفيفة والمقاعد المريحة .. وركن النار المضياف .. نفس الأصوات الهادئة والأعصاب المسترخية والكلمات القليلة ...

• • •

صوت توقف سيارة فى الخارج جعل الأم تقول فى هدوء «هذه فاتيما وصلت» دون أن تتحرك من مكانها .

نهضت الى المدخل وقلبى ينبض فى سخونة ، فوجدت ميكروباص المدرسة قد بدأ فى التحرك ، وفى ذلك الممر الصغير الذى يخترق مساحة العشب الخضراء بين الطريق العام وباب البيت رأيت ابنة الثامنة تدنو منى بمريلتها الوردية وهى تتأملنى على مهل ، وعندما حاذتنى منحتنى ابتسامة مهذبة صغيرة وهى تدلف الى الداخل ، فظللت واقفاً فى مكانى كتمثال ، حتى سمعت صوت أمها فى الداخل :

ـ فاتيما .. ألم تعرفيه .. صوره عندك .. هذا بابا خالد !

وقفت «فاتيما» بين ساقى جدها تتأملنى وأنا جالس فى مواجهتها ، لم تدن منى بعد أن عرفت أننى «بابا خالد» ولم تمس شفتاى وجنتها اللطيفة ولا ضمتها ذراعى ولا اهتز من نفسها وتر ...

ـ شىء طبيعى .. لقد كانت آخر مرة رأتك فيها وهى دون الثالثة ...

زوج الأم هو الذى قدم التفسير فى نبرة مشفقة ، وأضافت الأم :

ـ فى الأيام التالية يتحسن الموقف .. أنا واثقة من هذا ...

وقال لي الجد بعد لحظات فشل خلالها كل حوار بينى وبين ابنتى وسط الحرج الذى ملأ جو غرفة المعيشة :

ـ تعال معى الى جولة فى الغابة قبل أن يحل المساء .

تسقط الأوراق الجافة بصفرتها الى أرض يكسوها الجفاف ، فى غابة تترامى هابطة من التل .

أراد الجد أن يضع لي منهجا لمحاولة الاقتراب من نفس طفلتى قوامه الحكمة والصبر ، لكن قلبى كان قد عرف الحقيقة ..

ـ لن يتحسن الموقف يا صديقى .. أنا واثق من هذا ..

ويصرخ طائر فى الفضاء صرخة واحدة فوق قمم الأشجار السامقة لا يكررها ، وتنهض فى داخلى من غور الأعماق ذكريات مصرية يعلوها صوت الأم الشاكية المتبرمة «جيل لا يفكر فى غير نفسه» ... والأرض الجافة مكسوة على مدى البصر بصفرة شاحبة ... هذه الموهبة الموسيقية لا تعرفنى ولا تعبا بوجودى ، وهذه العيون الزرق ستتحول مع الشباب الى إعصار شمالى يشق طريقه على صخور التلال الوعرة دون أن يذكرنى ...

ـ قهوة أم عصير الليمون ؟

لا هذا ولا ذاك يا جارة السحب ، إنما الحياة منذ الساعة زحام وفوضى ، وكلمات بلا معنى ، وأصوات صخابة ، وأعصاب مشدودة ، وغيبوبة ولامبالاة ، وبلاطات كبيرة ناصلة اللون كئيبة المحضر ، ومربعات زجاجية معتمة فى باب خشبى متاكل ، وعناق مفعم بالضجر والكآبة .

«سعد مكاوى»

جزء خاص

٢٢ فبراير

و ١١ عاما في حياة قطر الحديثة

إن أمتنا تنتمي إلى حضارة عريقة أصيلة عربية إسلامية. والتاريخ خير شاهد على أن هذه الحضارة كان لها أكبر الأثر في تقدم البشرية. وإذا كنا قد تخلفنا عن الركب الحضاري المعاصر، فإن لدينا من الإمكانات البشرية والمادية والقدرات المعنوية والروحية ما يكفل لنا المضي قدماً للحاق بمن سبقونا على طريق الرقي والقوة والمنعة.

وكم يجدر بنا أن نذكر دائماً أن ليس لدينا هدف أعظم من الكرامة، ولا سلاح أمضى من التضامن، ولا سبيل أقوم من النضال المستند إلى عنصري النصر: الحق والقوة.

خليفة بن حمد آل ثاني

من خطاب افتتاح الدور العادي الحادي عشر لمجلس الشورى
٢١ صفر ١٤٠٢هـ - ٦ ديسمبر ١٩٨٢م



حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر



سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى ولى العهد ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة



بناء الإنسان .. الهدف الأول للتعليم



بقلم
الشيخ محمد بن حمد آل ثاني
وزير التربية والتعليم

بمناسبة الذكرى الحادية عشرة لتولي حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى مقاليد الحكم في البلاد ، يسعدني أن البي دعوة مجلة الدوحة الغراء بأن أتوجه بحديثي هذا فالقي من خلاله الضوء على بعض الجوانب المشرقة والانجازات الكبيرة التى حققتها وزارة التربية والتعليم خلال الأعوام الماضية وحتى هذا التاريخ فى ظل قيادة حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى وسمو ولي عهده الأمين .

فأبدأ حديثى عن التربية بصفتها المحور الأساسى فى العملية التعليمية ولاهتمامها بالانسان ، فالانسان هو أرقى الكائنات على وجه البسيطة ، وبعبارة أخرى هو أرقى كائن حى ، وهو يتميز عن بقية المخلوقات بالعقل ، وبالقدرة الفائقة على تكييف نفسه أكثر من أى مخلوق آخر . بل ان الانسان ليكيف البيئة نفسها لتتفق مع حاجاته ورغباته ، ولذلك استطاع أن يخضع كثيراً من القوى فى عالمى الجماد والحيوان ويسخرها بامر الله سبحانه وتعالى واذنه لنفعه .

وقد أخذت التربية صوراً وأشكالا مختلفة منذ ظهور الانسان على وجه الأرض ، من حيث أغراضها وعواملها ووسائلها او المقصود منها وغير المقصود ،ومن حيث استجابة الانسان فى اطواره المختلفة للعوامل المؤثرة فيه ، أو من حيث مقدار ما وجه من عناية واهتمام لناحية فى الانسان أكثر من غيرها . ومن هنا كان اهتمام دولة قطر بالتربية متجها لبناء الانسان نفسه ، وتزويده بكل الامكانات والمهارات والقدرات المختلفة ليصبح قادراً على التفاعل مع معطيات الحياة المعاصرة التى ترفد المجتمع كل يوم بجديد ، ولأن الانسان أيضاً لا يستطيع أن يحيا حياته منفصلا عن المجتمع البشرى ، لذلك كانت تربيته خاضعة لأحوال المجتمع من حيث تقدمه من الناحية الثقافية والفكرية والمادية ، أو من حيث اشرافه على النشء أو انصرافه عنه ، فالتربية الحقة هى التى تعنى بالانسان نفسه ، لهذا كان من الواجب احترام شخصية التلميذ فى المدرسة ، لا لما هو عليه ، ولكن لما سيكون عليه فيما بعد ، ولأن لكل فرد قيمة سواء لما هو عليه من صفات عقلية أو اخلاقية أو لنفاذ بصيرته أو لما سيتصف به فى المستقبل ، فالطفل وان كان على حظ ضئيل من المعرفة الا أنه قد يصير ذا شأن كبير فى المستقبل .

وطالما اننا وضعنا الاطار العام للتربية ، وأن الأساس فى العملية التربوية هو التركيز على النشء ، فان التربية فى دولة قطر لا تختلف كثيراً عنها فى دولة أخرى ولكن علينا أيضاً أن نأخذ بعين الاعتبار أمراً مهماً جداً هو حرصنا على أصالة مجتمعنا وعاداته وتقاليده ، وضرورة التمسك بديننا الحنيف ، فمدرسة الاسلام وتربيته يجب ان تكون أول لبنه فى بناء العملية التربوية لهذا المجتمع العربى المسلم فنحن أمة لها عقيدتها التى تستمد عظمتها وقوتها من الاسلام ، ونستقي مفاهيمنا من سنة وسيرة نبينا الكريم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذه العقيدة تتمتع بكامل الحيوية ، وتستوعب نظماً وتعاليم ومفاهيم لا تبلى على مر الأيام والسنين ولا ننسى أيضاً ان حضارة الاسلام العريقة قدمت للانسانية السعادة والرفاهية الحقيقية التى لم يشهدها التاريخ من قبل . ومن هنا كنا حريصين على التمسك بتراثنا النبيل بكل ما فيه من قيم ومثل وعمق واصالة نعتز بها ونفخر بها على مر الأيام والسنين .

وبعد هذه المقدمة يسعدنى ان استعرض بايجاز بعض الانجازات التى حققتها وزارة التربية والتعليم خلال الأعوام السابقة فى المجالات التالية :

إيماناً من الوزارة بأن المناهج الدراسية شبيهة بالكائن الحى من حيث التطور والتجدد ، وتمشياً مع سياستنا الواضحة والمرسومة فى قابلية التجدد من أجل مصلحة أبنائنا الطلاب ، والنهوض بهم إلى أعلى المستويات فقد قمنا بالاعداد اللازم لتطوير المناهج الدراسية تطوراً حديثاً يعتمد على أحدث النظريات التى توصل إليها العاملون فى حقل التربية والتعليم والذين كرسوا أنفسهم لخدمة هذا المجتمع البشرى ، وليس جديداً إذا قلت إن التطوير شمل جميع المناهج الدراسية بدون استثناء وقد روعى فى هذا التطور انسجام

المنهج مع طبيعة البيئة المحلية وطبيعة أن يكون المنهج محققاً لمتطلبات المجتمع القطرى من الناحية الاسلامية والاخلاقية والقومية والفكرية . وبالتالى فنحن لا نالو جهدا فى البحث والاطلاع على كل جديد ، وبعقد الدورات التدريبية والاطلاعية للمعلمين والمعلمات وذلك بهدف تعميم الفائدة المرجوة على أبناء الوطن جميعاً .

وقد أصبح عدد الطلاب والطالبات بمدارسنا النهارية النظامية حتى هذا العام (٤٥٧٣٠) طالبا وطالبة ، وقد بلغ عدد الطالبات من هذا المجموع (٢٢١٥٢) طالبة .

وهؤلاء موزعون على المراحل التعليمية على النحو التالى :

- المرحلة الابتدائية ٢٨٢٨٨ طالب وطالبة .
- المرحلة الاعدادية العامة ١٠٦٦٠ طالبا وطالبة .
- المرحلة الثانوية ٦٢٨٠ طالبا وطالبة

اما المراحل التخصصية (الصناعة والتجارة ، المعهد الدينى فمجموع الطلاب (٥٠٢) طالبا .

وقد بدات وزارة التربية والتعليم بتنفيذ الخطة العشرية للابنية المدرسية ، وقد استلمت الوزارة حتى الآن (٣٠) مدرسة وهناك (٣٠) مدرسة تحت الانشاء وخلال العامين القادمين ستضعف مشكلة المبانى المدرسية اذا سارت الخطة حسب المقرر لها ان شاء الله .

وفى بداية العام الدراسى الحالى تم افتتاح (١٧) مدرسة جديدة وجميعها مجهزة باحدث الأجهزة ، منها تسع مدارس للبنين وثمان مدارس للبنات ، ويأتى هذا فى مقابلة الازدياد المستمر فى عدد الطلاب والطالبات ، ولتامين المناخ الدراسى المناسب لأبنائنا وقد روعى فى انشاء هذه المدارس أيضا التكييف المركزى وقربها من الأماكن السكنية ، واتساع قاعات الدراسة والمختبرات العلمية والمكتبات المدرسية ، وتم انشاء القاعات الرياضية والفنية والثقافية حتى يتمكن الطلاب والطالبات من الاستفادة باوقات فراغهم واستغلال مواهبهم وتصريف طاقاتهم كل حسب موهبته وقدرته .

وستداوم الوزارة على تطوير جهاز الصحة المدرسية ، وذلك ايمانا منها باهمية التكامل التربوى والصحى ، وسوف يشمل ذلك عدة أمور من أبرزها :

– يجرى حاليا تنفيذ مجمع الصحة المدرسية التى سوف يضم كافة الاختصاصات ذات الارتباط الوثيق بالعملية التربوية .

– تم وضع خطة تستهدف توثيق الصلة بين المدرسة واولياء الأمور وذلك بهدف تعريف الأسرة باحتياجات الأبناء من الناحية الصحية وكيفية تحقيق افضل النتائج الصحية حرصا على سلامة ابنائنا .

ولما كان نجاح الخدمة الصحية المدرسية يعتمد على انبثاقها من داخل المدرسة ، فقد بدات وزارة التربية والتعليم فى اعداد عيادة صحية فى كل مدرسة من مدارس الدوحة وفى بعض المدارس الكبيرة فى المناطق بهدف تعميق المفهوم الصحى لدى الطلاب واشعارهم بان الصحة حاجة أساسية للسليم والمريض على حد سواء . فقد اولت الوزارة الصحة المدرسية جانبا كبيرا ومكانا مرموقا فى خطتها التى تشمل دعم وتطوير مركز التربية الصحية ، ومداومة تدريب المدرسين والمدرسات فى هذا المجال والاستفادة من المناهج المختلفة المفيدة لخدمة هذا الهدف .

وإلى جانب اهتمام الوزارة بالتعليم النظامى النهارى ، تبذل الوزارة جهودا كبيرة فى مجال تعليم الكبار ومحو الأمية للذين فاتتهم فرصة التعلم فى المدارس النظامية ، وذلك بافتتاح المدارس المسائية ليتسنى لهؤلاء استكمال دراستهم فى المراحل التعليمية الثلاث ، وقد بلغ عدد الدارسين والدارسات فى المرحلة الابتدائية هذا العام ٥٧٥٠ دارساً ودارسة . وفى المرحلة الاعدادية ٢٤٦٥ دارساً ودارسة – وفى المرحلة الثانوية ١٣٩١ دارسا ودارسة – كما ازداد عدد المدارس والمراكز حتى وصل الى ٦٤ مركزا ومدرسة .

بالاضافة الى اهتمام الوزارة بمشاركة وسائل الاعلام المختلفة : (الاذاعة ، التليفزيون ، الصحف ، المجلات المحلية) وذلك للمشاركة فى الحملة الاعلامية الشاملة لمحو الأمية والعمل على اقناع المواطنين بضرورة الالتحاق فى المراكز الدراسية المسائية .

كما أن الوزارة أسهمت بدور كبير فى الندوة العربية الاعلامية لمحو الأمية التى عقدت فى الدوحة من ٢٨ نوفمبر الى ٢ ديسمبر سنة ١٩٨١ م بهدف وضع خطة اعلامية شاملة لمحو الأمية .

ونأمل من الله أن يأتى اليوم الذى نحتفل به بمحو أمية آخر أمى فى دولتنا الفتية .

ولقد عنى التعليم الجامعى فى دولتنا باهتمام كبير من المسئولين . لعل من أبرز نتائج السنوات العشر الماضية انشاء جامعة قطر ، وتوسعها الدائم ، وذلك لاستيعاب الاعداد الكبيرة من ابنائنا ، فالطلاب والطالبات المتوقع تخرجهم فى يونيو القادم سنة ١٩٨٣ ومن طلاب البعثات أيضا سيكون فى حدود ٤٨٣ خريجاً وخريجة ، منهم ٥٦ طالبا و٢٧٦ طالبة من جامعة قطر ، و ١٣٢ خريجاً و ١٩ خريجة من المبتعثين للخارج ومن كافة الاختصاصات التى تؤدى غرضها فى سد حاجة الوطن ومواجهة خطط التنمية فى البلاد .

وفى نهاية حديثي يسرني أن أتوجه بالشكر والتقدير لحضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى ، والى ولي عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني على ما نلقاه منهما من دعم مخلص وتوجيهات سديدة لخدمة الأهداف التربوية التى نسعى جميعا الى تحقيقها لبناء دولة عصرية لها مكانتها المشرقة الطيبة بين دول العالم .

سائلين الله سبحانه وتعالى أن يسدد خطانا جميعا الى ما فيه الخير والسعادة لوطننا الحبيب ولأمتنا العربية ..

محمد بن حمد آل ثاني



جزء خاص

٢٢ فبراير و١١ عاما في حياة قطر الحديثة

معالم السياسة المالية والبترولية في قطر

يشهد العالم فى الوقت الحاضر تدهوراً فى أوضاع سوق النفط العالمية ، الأمر الذي يؤثر على شعوب الدول المنتجة التى تنتمي إلى العالم الثالث والتي تبذل جهوداً حثيثة لتنمية اقتصادياتها ، وعلى الدول المستهلكة بشكل عام بما فيها الدول الصناعية التى تسعى للخروج من أزمة الركود الاقتصادي التي تمر بهـا .

وفي ظل هذه الظروف الاقتصادية السائدة فى العالم ، أردنا أن نستوضح تأثير ذلك على دولة قطر حيث أفادت مصادر وزارة المالية والبترول أن تدني انتاج الزيت الخام ، وتدني أسعاره العالمية لابد أن تنعكس آثارهما على مستويات الانفاق فى موازنة السنة المالية القادمة ... وهذا لا يعني بالطبع أن دولة قطر تواجه ظرفاً صعباً ، بل ان كل مافي الأمر يستدعي أن يتم التصرف فى حدود الدخل المتوقع أكثر من أي وقت مضى ، وأن يراعى رسم السياسة المالية وترجمة ذلك فى الميزانية العامة على أساس اختيار دقيق للمشروعات ضمن أولويات واضحة .

وأفادت مصادر وزارة المالية والبترول بأن المؤشرات الأولية للميزانية القادمة ستعكس الأوضاع المالية الواقعية للدولة وقدرة مؤسساتها على الانفاق الفعلي بهدف تحقيق أقرب توازن ممكن بين الواردات والنفقات ، وأن وزارة المالية والبترول لم تنته بعد من وضع موازنة الدولة للسنة المالية القادمة ، حيث يجري الآن إعدادها ، وسوف تناقش المشروعات فى مجلس الوزراء الموقر ومجلس الشورى .

وقد أوضح سعادة الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثاني ، وزير المالية والبترول عدة حقائق هامة ، حول ما يحدث فى السوق النفطية وآثارها على دول منظمة الأوبك والدول النامية والتجارة والاقتصاد العالميين ... وذلك قبيل انعقاد الاجتماع الاستشاري الأخير لمنظمة أوبك فى جنيف حيث قال :

« إن اموراً عدة تنتج عن تخفيض الأسعار منها أنه فى المدى القصير سينقص مدخول دول الأوبك مما قد يتسبب فى خفض مشروعات الانفاق بما في ذلك مصروفات التنمية فيها ، الأمر الذي سيؤدي إلى تخفيض الاستيراد من الدول الأخرى وخاصة الصناعية منها ، وفى هذا الوقت بالذات ، فان ذلك سيزيد من حدة الأزمة والركود الاقتصادى فيها رغم الجهود التى تبذلها لمعالجة مشكلة البطالة التى وصلت إلى نسب عالية » .

« إن انخفاض العائدات النفطية سينعكس بصورة مباشرة على قدرة الدول النفطية فى تقديم المساعدات الاقتصادية للدول النامية والتى بلغت نسبتها فى المعدل بالنسبة لدخلها القومي عشرة أضعاف النسبة للدول الصناعية . »

«إن ذلك من شأنه أيضاً أن يؤثر فى السيولة الدولية الى حد كبير إذا تذكرنا أن دول الفائض كانت تستثمر جل توفيراتها من خلال المؤسسات الاستثمارية الدولية منها والنقدية والتى كانت مسئولة عن تمويل عمليات التجارة الدولية ومشاريع التنمية الاقتصادية » .

وحول دور البترول بشكل عام في التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى الدولة والسياسة البترولية عامة فى قطر ، ومن خلال منظمتي أوابك وأوبك ، أضافت المصادر نفسها ان البترول يقوم بدور بارز فى عملية التنمية الاقتصادية للدولة كما هو معروف باعتباره المصدر الأساسي للدخل القومى والركيزة الأساسية فى تمويل عمليات التنمية بالاضافة الى كونه مصدراً رئيسياً فى تغطية الاحتياجات المحلية للطاقة ، ومصدراً للتغذية فى عديد من الصناعات البتروكيماوية ..

ولذلك فان سياسة قطر البترولية ـ فى المجال المحلي ـ تهدف إلى تكريس كل الجهود فى سبيل الاستفادة القصوى من العائدات البترولية وفى دفع عجلة التقدم في البلاد ، والعمل على تحقيق التكامل فى صناعة البترول ودمجها فى الاقتصاد القومي ونشاطاته المختلفة ، والتحول بالاقتصاد القطري من الاعتماد على مصدر ناضب للدخل القومي الى قاعدة انتاجية متنوعة وموسعة تضمن استمرار ونمو الدخل بهدف تحقيق أكبر قسط من الرخاء للجيل الحاضر والأجيال القادمة .

وتحقيقاً لهذه السياسة ، أصدر حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى ، الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، قراره التاريخي فى عام ١٩٧٤م ، بالسيطرة الكاملة على ثروات البلاد البترولية لتكون ادارتها الكاملة خاضعة للأيدى الوطنية ، وقد استتبع ذلك إنشاء المؤسسة العامة القطرية للبترول والشركات التابعة لها ، وبدأت بذلك مرحلة جديدة فى تطوير وتوسيع الصناعات القائمة على البترول والغاز ، وتأمين الاحتياجات المحلية من المنتجات البترولية والاستفادة الكاملة من الغاز الطبيعي . فاستطاعت الدولة ، خلال سنوات قليلة من استكمال تشييد صرح صناعي ضخم فى منطقة أم سعيد ، يضم العديد من الصناعات الثقيلة أهمها : البتروكيماويات والأسمدة الكيماوية والحديد والصلب والأسمنت .

ومن أجل تلبية الاحتياجات المحلية من المنتجات البترولية ، أنشأت الدولة شركة البترول الوطنية للتوزيع لتتولى جميع العمليات المتعلقة بالتوزيع المحلي ، وتكرير المنتجات البترولية ، وتم إقامة مصفاة تبلغ طاقتها الحالية حوالي ١٣ الف برميل يوميا . ونظراً للزيادة الحادة فى الاستهلاك المحلي من المنتجات البترولية والتى صاحبت عملية التطور الصناعي والاجتماعي فى الدولة ، فان الدولة تقوم حاليا بانشاء مصفاة جديدة ينتظر بدء تشغيلها فى أواخر العام الحالي بطاقة انتاجية قدرها (٥٠) ألف برميل يوميا ،

حيث من المتوقع أن يغطي انتاجها بعد تلك الزيادة المتوقعة فى الاستهلاك المحلي من المنتجات البترولية حتى أوائل التسعينات وتصدير الفائض من الانتاج خلال السنوات الأولى من التشغيل .

وقد عمدت الدولة كذلك إلى الاستفادة الكاملة من الغاز المصاحب ، فاقامت وحدتين متكاملتين لسوائل الغاز الطبيعي ، تعمل الأولى على استخلاص الغازات الكثيفة من الغازات المصاحبة المنتجة من حقول النفط البرية ، وتقوم الثانية باستخلاص الغازات الكثيفة من حقول النفط البحرية . ويبلغ اجمالي الطاقة التصميمية للوحدتين يومياً ـ/ ٢٣٠٠ طن بروبان ، ١٦٥٠ طن بيوتان و ١٣٥٠ طن من الجازولين الطبيعي .

وباقامة هاتين الوحدتين يتم الاستخدام الكامل للغازات المصاحبة التى كان يهدر جزء كبير منها .

وفى اطار سياسة الدولة نحو استثمار جميع مواردها الهيدروكربونية على الوجه الأمثل ، فقد قررت الدولة وضع خطة لاستغلال الاحتياطات الضخمة من الغاز الطبيعى غير المصاحب التى تم اكتشافها فى حقل الشمال . ونظراً لأن السنوات الأخيرة قد شهدت اعتماداً متزايداً على الغاز لتوليد الكهرباء وتحلية المياه . فقد قررت الدولة فى أولوياتها وضع خطة لأستغلال هذه الغازات لتلبية الاحتياجات المحلية منها ، وكذلك انشاء مشروع للغازات البترولية المسيلة بهدف التصدير والتى قطعت الدراسات الخاصة بها مرحلة متقدمة .

وبالنسبة للمستويين العربى والدولى ، فقد هدفت سياسة قطر البترولية الى توثيق التعاون البترولى تدعيماً للمصالح المشتركة فى مختلف المجالات ، ويعتبر انشاء مجلس التعاون الخليجى تتويجا للجهود المستمرة فى التشاور والتنسيق بين دول الخليج العربية والذى يهدف الى تحقيق أكبر قدر من التنسيق والتكامل فى جميع الميادين ، ومن بينها المجال البترولى . وقد اتخذ وزراء النفط بدول مجلس التعاول الخليجى قرارات عديدة تعمل على تعميق التنسيق بين السياسات البترولية لدول المجلس واقليميا



سعادة الشيخ عبد العزيز بن خليفة ال ثاني
وزير المالية والبترول

بما يحقق وحدة المواقف واقامة المشروعات البترولية المشتركة .

وتحقيقاً لأهمية التعاون العربى الشامل ، انضمت دولة قطر الى منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول « أوابيك » وساهمت مساهمة فعالة فى أنشطتها وشاركت فى المشروعات التى أنشاتها المنظمة . ايماناً منها بأهمية التعاون والتنسيق بين الدول العربية الأعضاء فى مجال المشروعات المشتركة .

ومن أجل ارساء أساس من أقوى أسس التعاون بين الدول العربية ، وهو توظيف الطاقة فى خدمة التنمية العربية ، استضافت دولة قطر فى العام الماضى مؤتمر الطاقة العربى الثانى الذى افتتحه صاحب السمو أمير البلاد المفدى وشارك فى اعماله وزراء البترول والطاقة والكهرباء ، الى جانب أكثر من ٤٠٠ من الخبراء والمتخصصين من المنظمات والهيئات العربية والاجنبية ، الذين ناقشوا الأبحاث والدراسات التى تناولت قضايا الطاقة .

ولم يقتصر نشاط دولة قطر فى الصناعة البترولية على النطاقين المحلي والعربى فحسب ، بل هدفت سياستها الى توسيع هذا النطاق ليشمل المجال العالمي بالانضمام الى منظمة البلدان المصدرة للبترول « أوبيك » .

وكما جاء فى خطاب حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى بمناسبة افتتاح الاجتماع الثامن والأربعين للمنظمة والذى تم عقده فى الدوحة فى ديسمبر عام ١٩٧٦ ، فان دولة قطر ادراكاً منها بأهمية الأهداف التى انشئت من أجلها المنظمة ، وأبعاد الانجازات التى يمكن ان تحققها لخير شعوب اعضائها ، فقد بادرت بالانضمام الى المنظمة بدافع هذا الادراك ، واسهاماً بدورها فى المعاونة على تحقيق تلك الغايات والانجازات ، وكانت أول عضو انضم اليها بعد تاسيسها مباشرة .

وقد ساهمت دولة قطر مساهمة ايجابية فى أنشطة المنظمة وفى اللجان الفرعية المنبثقة عنها ، كما شاركت فى اصدار الكثير من القرارات الهامة التى اتخذتها وحرصت على الالتزام الكامل بهذه القرارات تدعيما منها لوحدة المنظمة فى ظل ظروف السوق البترولية المتغيرة . فقد واجهت المنظمة مصاعب عديدة ـ وخاصة منذ اوائل العام الماضي ـ نتيجة عوامل عديدة مما دعا المنظمة الى اصدار قراراتها فى مارس ١٩٨٢ بالاستمرار فى تثبيت أسعار الخام القياسي العربى الخفيف عند ٣٤ دولاراً للبرميل ، وتحديد سقف انتاج كلي للأوبيك قدره ١٧٫٥ مليون برميل يومياً اعتباراً من أول ابريل عام ١٩٨٢ ، وتحديد حصة انتاج كل دولة عضو وذلك بهدف توفير الاجراءات الضرورية لاستقرار السوق البترولية ، وحرصت دولة قطر على الالتزام الكامل بهذه القرارات ، ايماناً منها بأن الحفاظ والتماسك والتضامن بين الدول الأعضاء فى الوقت الحالى كفيل باحتواء الأزمة وتجاوزها لصالح دول المنظمة.

وقد أوضحت مصادر وزارة المالية والبترول بأن الأوضاع المترتبة عن مشاكل انتاج وتسويق الطاقة سيكون لها أثرها الكبير على الأوضاع الاقتصادية فى العالم أجمع ، وفى قطر بالطبع . إلا أنه بفضل السياسة الحكيمة والمتزنة التى تنتهجها الدولة فان دولة قطر تظل قادرة على التكيف مع الظروف المتغيرة ، وعلى القدرة على التنظيم الداخلى من خلال السياسات المالية والاقتصادية لمواجهة هذه المتغيرات دون أن يتعرض الاقتصاد القطرى والطاقات التنفيذية لاختناقات تضر بمسار التنمية وتحقيق النمو والازدهار ..

ومن كل ذلك وغيره ، تتضح لنا معالم السياسة البترولية لدولة قطر والتى تركز على المحافظة على الثروات الهيدروكربونية لاطول وقت ممكن وعلى خطط التنمية فى البلاد وتكريس جزء من الدخل القومى للبحوث التقنية النظرية منها والتطبيقية بهدف تطوير المجتمع وترشيد استهلاكه للطاقة والحفاظ عليها ، ورفع كفاءة استخداماتها مع تنميتها وتطويرها وتعميق أواصر التنسيق والتعاون على المستويين العربى والعالمى ، لتحقيق ما تصبو إليه البلاد من تقدم لخيرها وخير العالم أجمع .





يحرص سمو الشيخ حمد بن خليفة ال ثاني ولي العهد رئيس المجلس الاعلى لرعاية الشباب على متابعة ورعاية انشطة الشباب الرياضية والثقافية والاجتماعية

شبابنا في ظل القيادة الواعية

يعتبر اليوم الثانى من يناير ١٩٧٩ نقطة تحول حاسم وتطور حيوى فى تاريخ الرياضة والشباب بدولة قطر ، ففى هذا اليوم صدر المرسوم الأميرى رقم (١) بانشاء المجلس الأعلى لرعاية الشباب برئاسة سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى ولي العهد ووزير الدفاع ، وبذلك بدأت مرحلة جديدة مشرقة فى تاريخ الحركة الرياضية والشبابية ، اتسعت الآمال فيها الى غير حدود ، وامتلأت قلوب الرياضيين بالتفاؤل بقيادتهم الشابة الواعية .

فمنذ شبابه المبكر تابع سمو ولي العهد الحركة الرياضية والشبابية باهتمام وعن كثب ، فكان يوجه الشباب ويرعاهم ، وينصح القيادات الرياضية والشبابية الميدانية ويشجعها ، حتى التفت حوله قلوب الرياضيين والشباب قادة وممارسين يلتمسون من توجيهاته ورعايته وحماسه الدعم الأدبى والمعنوى لمسيرة الشباب المباركة .

وإيمان سمو ولي العهد بالشباب لا يعادله إلا حرصه على أهمية رعاية الشباب وتوجيهه حتى يكون لبنات مؤمنة وصلبة فى بناء مستقبل وطنه وأمته .

ويعبر سمو ولي العهد عن ذلك بقوله «إن الشباب هو نصف الحاضر وكل المستقبل ، وعلى عاتقه يقوم البناء الشامخ وجدير به أن يجمع الى ايمانه الراسخ ، قوة ومرونة تؤهله لأعلى المراتب» .

ولقد تم تشكيل المجلس الأعلى لرعاية الشباب كالتالى :

● سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني رئيساً .

● سعادة الشيخ ثامر بن محمد آل ثانى نائباً للرئيس .

● عضو من كبار الموظفين من كل من إحدى عشرة وزارة وهيئة ..

كما عين سعادة الشيخ محمد بن عيد آل ثانى سكرتيراً عاماً للمجلس .

ثم توالى تشكيل الجهاز الفنى للمجلس من خمس لجان عامة ، يتم تشكيلها من بين اعضائه ، كما تم تشكيل السكرتارية العامة للمجلس حيث قسمت الى أربعة ادارات متخصصة .

ويهدف المجلس الأعلى لرعاية الشباب ، الى تنظيم الأنشطة الخاصة برعاية الشباب التى تقوم بها الأجهزة الحكومية والأهلية ، ودعمها وتوجيهها ، والاشراف عليها والتنسيق بينها ، بهدف تكوين المواطن الصالح بدنياً وعقلياً واجتماعياً ، وإرشاده الى ما يرفع مستواه المادى والمعنوى ، وإنماء الروح الوطنية والعقيدة الدينية لديه ، وصيانته من أسباب الفساد وحمايته من الاستغلال .

وفى ١٤ مارس عام ١٩٧٩ تاسست اللجنة الأولمبية الأهلية القطرية وضمت مجموعة متميزة من الشباب القطرى الطموح تحت قيادة حكيمة وواعية ممثلة فى سعادة العقيد الشيخ عبد الله بن خليفة آل ثانى ، لتحقيق الآمال فى تطوير وتعميم وتوسيع القاعدة الرياضية فى



سعادة الشيخ ثامر بن محمد ال ثاني نائب رئيس المجلس الأعلى وسعادة الشيخ عبد الله بن خليفة ال ثاني رئيس اللجنة الاولمبية القطرية يتابعان بطولة العالم العسكرية لكرة القدم التى اقيمت بالدوحة



سمو امير البلاد المفدى وولي عهده الامين يستقبلان منتخب الشباب لكرة القدم بعد عودته الظافرة من بطولة العالم باستراليا .

قطر .

ولقد تشكلت اللجنة الأولمبية الأهلية القطرية على الوجه التالى :

● سعادة العقيد الشيخ عبد الله بن خليفة ال ثاني رئيساً .

● الأستاذ راشد بن حصين النعيمى نائباً للرئيس .

● الشيخ عبد الله بن علي آل ثانى رئيس اتحاد الرماية والفروسية عضواً

● السيد سلطان خالد السويدى رئيس اتحاد كرة القدم عضواً

● السيد محمد ناصر النعيمى رئيس اتحاد كرة اليـد عضواً

● السيد محمد همام رئيس اتحاد الكرة الطائرة وتنس الطاولة عضواً

● السيد يوسف الساعى رئيس اتحاد ألعاب القوى عضواً

● السيد ناصر العلي رئيس اتحاد كرة السلة عضواً

● السيد حمد السليطى رئيس اتحاد البولينج عضواً

كما تمت اعادة تشكيل الاتحادات الرياضية فاختير لعضويتها صفوة من القيادات الرياضية ذات الخبرة والعزم . وأتيح لمجالس ادارات الاتحادات الرياضية بدعم وتوجيه سعادة رئيس اللجنة الأولمبية وضع الأسس السليمة الراسخة للبناء الشامخ الذى كانت تطمح اليه قلوب الرياضيين .

ومع مطلع عام ١٩٨٣ أصبحت قطر معلماً رياضياً هاماً اكتسب سمعة عالمية من خلال الانجازات الرياضية الضخمة التى حققها الشباب القطرى تحت رعاية واعية وأمينة ومخلصة ، فقبل أن يختتم عام ١٩٨٢ الذى كان عام النهضة الرياضية والشبابية الشاملة ، كان الاتحاد القطرى لكرة القدم قد حقق انجازاً رياضياً تاريخياً بفضل دعم وتوجيه سعادة رئيس اللجنة الأولمبية القطرية . فبمناسبة استضافة الدوحة عاصمة قطر لاجتماعات الجمعية العامة للاتحاد العربى لكرة القدم التى اشتركت فيها اتحادات عشرين دولة عربية نظم الاتحاد القطرى لكرة القدم مباراة تاريخية لمنتخب العرب لكرة القدم تقابل فيها مع منتخب لأندية هولندا . وتحقق بذلك أمل رياضي عربي عزيز وحبيب الى قلوب كل الرياضيين العرب . وفى مهرجان رياضى رائع انتصر منتخب العرب على منتخب أندية هولندا ٤ / ١ تحيطهم وتحييهم قلوب أربعين الف متفرج تجمعوا بالاستاد ، كما تابعتهم الملايين فى الوطن العربى عبر شاشات التليفزيون .

ومع العرض القوى لمنتخب العرب عادت الذاكرة الى أيام خالدة فى تاريخ الرياضة العربية حين حقق فريق منتخب الشباب القطرى إنجازاً رياضياً لم يحدث فى تاريخ كرة القدم العربية عندما فاز بالمركز الثانى فى بطولة كأس العالم للشباب بأستراليا بعد أن حقق انتصارات باهرة فى طريقه الى المباراة النهائية للبطولة ، فهزم منتخبات أعرق المدارس



سعادة الشيخ عبد الله بن خليفة ال ثاني يستقبل بالدوحة السيد / سمرانش رئيس اللجنة الاولمبية الدولية

العالمية فى كرة القدم ، حيث فاز على بولندا (١ / صفر) وعلى البرازيل (٣ / ٢) وعلى انجلترا (٢ / ١) وكانوا الأجدر والاقرب الى النصر فى المباراة النهائية ضد المانيا الاتحادية لولا هطول الأمطار الغزيرة ليومين متتاليين على الملعب التى اقيمت عليه المباراة ..

وفى مقر المجلس الأعلى لرعاية الشباب واللجنة الأولمبية القطرية كان يعج المبنى بالنشاط ليل نهار كخلية نحل ، الجميع فى عمل وحركة دؤوبة تعبر عن الآمال الطموحة التى تشتعل فى هذا المبنى الانيق ذى الثمانى طوابق والذى يقع بشارع السد فى احد الأحياء الحديثة لمدينة الدوحة عاصمة قطر . فمنذ أيام عاد الى الدوحة وفد قطرى رفيع المستوى برئاسة سعادة الشيخ ثامر بن محمد آل ثانى حيث شارك فى اجتماعات الدورة السادسة لمجلس وزراء الشباب والرياضة العرب والذى عقد فى مقديشو عاصمة الصومال . وتقديراً لدور قطر فى المجال الرياضى العربى فلقد اختيرت دولة قطر باجماع المشاركين لعضوية المكتب التنفيذى الجديد للمجلس ، والذى ضم نخبة من القيادات العربية الرياضية الممتازة .

وفى نفس الوقت عاد الى الدوحة وفد قطرى رفيع المستوى برئاسة سعادة الشيخ عبد الله بن خليفة آل ثانى رئيس اللجنة الأولمبية القطرية حيث شارك وفد اللجنة الأولمبية القطرية فى اجتماعات اللجنة الأولمبية الدولية واتحاد اللجان الوطنية التى عقدت فى لوس انجلوس بالولايات المتحدة الأمريكية لمناقشة كافة الشئون التنظيمية للدورة الأولمبية القادمة ولزيارة المرافق ومشاهدة الاستعدادات التى قامت بها اللجنة المنظمة وإبداء الملاحظات عليها .

ولقد شارك وفد اللجنة الأولمبية القطرية فى اجتماعات الاتحاد العربى للألعاب الرياضية التى عقدت للتنسيق بين اللجان الأولمبية العربية وذلك قبل اجتماعات المؤتمر العام كما تم التنسيق مع المجموعات الآسيوية والأفريقية . كما عقد الوفد اجتماعاً خاصاً برئاسة سعادة الشيخ عبد الله مع اللجنة المنظمة العليا للدورة حيث تمت دراسة الاحتياجات الضرورية التى تلزم الوفد القطرى للمشاركة فى دورة الألعاب الأولمبية التى



قام المجلس الأعلى بانشاء صالة مغلقة للالعاب كما يتم حاليا إنشاء سبعة اندية حديثة

ستقام فى لوس انجلوس علم ١٩٨٤ .

فالواضح انه ما إن اكتملت الأجهزة المنظمة والمشرفة على انشطة الشباب الرياضية والثقافية والاجتماعية والفنية ، حتى انطلق الجميع فى تعاون ايجابى حميم وفى تكاتف وتآخ رائع تحت قيادة سمو ولي العهد فى انشاء الصرح الرياضى لقطر على اسس علمية ثابتة .

وقد استلزم الأمر التحرك فى ثلاثة محاور أساسية لتحقيق النهضة الشبابية المرجوة :

● أولا : اعداد المرافق الرياضية والثقافية والاجتماعية والفنية اللازمة لممارسة هذه الأنشطة بحيث تكون مستوفية للشروط الفنية لكل نشاط مجهزة بادواته الخاصة .

● ثانيا : اعداد القيادات التربوية المتخصصة من مدربين وحكام واداريين بالنسبة للأنشطة الرياضية أو كموجهين للأنشطة الاخرى ، للاشراف على النشاط فى إطار قوانين فنية وقواعد خلقية



سعادة الشيخ محمد بن عيد ال ثاني سكرتير عام المجلس الأعلى لرعاية الشباب

وسلوكية معينة يحقق تطبيقها الفائدة التربوية المنشودة من هذا النشاط .

● ثالثا : تنظيم الأنشطة والمسابقات وتوسيع قاعدة النشاط الرياضى والثقافى والاجتماعى والفنى والاشتراك فى المنافسات الاقليمية والقارية والدولية كمجالات لاختبار المهارات والقدرات الفنية المختلفة والقيم السلوكية المكتسبة تمهيداً لتطويرها وتحسينها أولا باول .

وتنفيذاً لذلك قام المجلس الأعلى باعادة تجهيز المرافق الرياضية القائمة ، كما قام بانشاء صالة الألعاب المغلقة ذات الاستخدامات الرياضية المتعددة . وبدأ المجلس مشروعه الضخم بانشاء سبعة مقار حديثة للأندية الرياضية يتم تسليمها خلال عامين ، على أن يستكمل إنشاء مقار لباقي الأندية خلال خمسة أعوام .

ومنذ البداية قامت اللجنة الأولمبية القطرية بمعاونة الاتحادات الرياضية المختصة بوضع الخطط والبرامج اللازمة لتكوين القيادات القطرية الرياضية فى مجالى التدريب والتحكيم . ولقد قامت كافة الاتحادات الرياضية القائمة بتنظيم عدة دورات محلية للحكام والمدربين القطريين كما اشركت الممتازين منهم فى الدورات الدولية لاعداد القادة فى هذين المجالين ،

كما قامت الاتحادات الرياضية بتوفير اكبر خبراء التدريب فى الألعاب المختلفة لملاحقة التطور العالمى الفنى فى هذا المجال وفى نفس الوقت تم تعيين مدربين قطريين مؤهلين تأهيلا علمياً كمعاونين ومساعدين لهؤلاء المدربين العالميين لتمهيدهم لحمل أمانة التدريب فور استكمالهم لعناصر

الخبرة العمليـــة الى جانب دراستهم العلمية .

وبذلك تسـير خطة اعـداد القــادة الرياضيين وموجهوا النشـــاط الثقافى والاجتماعى والفنى جنباً الى جنب مع خطة انشاء المرافق الرياضية ومرافق الأنشطة الأخرى اللازمة .

أما بالنســـبة للمسابقات والمنافسات المحلية والدولية ، فلقد لجأت الاتحادات الرياضية القائمة بتوجيه ومعاونة وتدعيم من اللجنة الأولمبية القطرية إلى السير فى اتجاهات متوازية لتحقيق الهدف المنشود ، فقامت اولا وبتكليف من اللجنة الأولمبية باعداد ثلاث منتخبات قومية لكل لعبة ، منتخب أول ومنتخب للشباب ومنتخب للناشئين ، وذلك حتى لا تتركز الرعاية الفنية فى اعلى قمة الهرم الرياضى وحتى يتسنى توفير عناصر شابة جديدة للمنتخب القومى الأول وتطعيمه اولا باول بالممتازين من اللاعبين فى المراحل السنية السابقة عليه . ولتحقيق ذلك كان لابد أن تتنافس الأندية الرياضية فى المسلبقات المحلية طبقا لنفس القواعد حتى يتم تغذية المنتخبات القومية الثلاثة من الممتازين من لاعبى الأندية الرياضية لكل مرحلة سنية .

ومن ناحيـــــة اخرى شجعت اللجنــة الأولمبيـــة الاتحـــادات الرياضـــية على الاشتراك بمنتخباتها القومية المختلفة فى كافة المسابقات الاقليمية والقارية والدولية وذلك لاكساب الشباب القطرى المهارات التى تتولد عن المنافسة ، وكذلك الى مشاركة الشباب القطرى فى المحافل الرياضية الدولية مما يكسبه معارف متعددة وصداقات مع شباب العالم ، ومع ما يستتبع ذلك من رفع اسم قطر عالياً فى المحافل الرياضية الدولية .

ولقد استلفت هذا النشاط الطموح انظار اللجنة الأولمبية الدولية ورؤساء الاتحادات الدولية والقارية مما حدا برئيس اللجنة الأولمبية الدولية السيد / خوان انطونيو سمرانش الى زيارة اللجنة الأولمبية القطرية على الرغم من أن كثيراً من اللجان الأولمبية لدول أخرى والتى انضمت الى عضوية اللجنة الأولمبية الدولية قبل انضمام قطر بسنوات لم تحظ بهذا القدر من الاهتمام والتقدير الذى ابرزه السيد / سمرانش خلال زيارته لقطر . كما زار قطر أكثر من مرة الدكتور هافيلانج رئيس الاتحاد الدولى لكرة القدم وكذلك



منتخب العرب لكرة القدم .. أمل تحقق على الملعب الرئيسى باستاد خليفة الأولمبي بالدوحة .

رؤساء الاتحادات الرياضية لقارة آسيا وقارة افريقيا .

وبناء على توجيهات سمو ولي العهد ورئيس المجلس الأعلى قام المجلس باقامة أندية صيفية بالأندية الرياضية والثقافية القائمة وذلك خلال فترة الصيف من كل عام اعتباراً من عام ١٩٨٠ وذلك بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم ووزارة الاعلام .

ويقوم المجلس بتقديم معونة خاصة تبلغ ١٦٠ الف ريال لكل ناد لتوفير الأدوات اللازمة لهذه الأنشطة ، ولقد انشئت الأندية الصيفية فى ١٥ نادياً وتزاول فيها الأنشطة الدينية والثقافية والاجتماعية والنشاط العلمى والرياضى والفنى . ولقد نجحت الأندية الصيفية فى اجتذاب الآلاف من الشباب لممارسة هذه الأنشطة المختلفة.

واقتناعاً بأهمية النشاط الرياضى فى اكساب الانسان اللياقة البدنية والنفسية والذهنية اللازمة لمواجهة متطلبات الحياة العصرية ، ورفع قدرة وكفاءة الانسان الانتاجية مما يتيح له أن يعيش حياة سعيدة ونافعة ، فلقد استضافت اللجنة الأولمبية القطرية ندوة « الرياضة للجميع » والتى عقدت بمدينة الدوحة فى نوفمبر ١٩٨١ م . وتقدمت اللجنة الأولمبية القطرية خلال هذه الندوة ـ التى شاركت فيها وفود خمس عشرة دولة عربية ـ بعدة أبحاث ودراسات ميدانية لتدعيم وتطوير رسالة هذا المشروع الحضارى الحيوى الهام .

ولن يتسنى اسـتعراض كافة انجازات المجلس الأعلى لرعاية الشـباب واللجنة الأولمبية القطرية والاتحـادات الرياضية والأندية الرياضية والثقافية فى هـذه الصفحات القليلة ، ولكننا لا نملك إلا أن نحيى هؤلاء الرجال الذين يعملون ليل نهار باخلاص وتجرد وبجهد لا مثيل له لمواكبـة النهضة الشاملة التي تشهدها دولة قطر فى كافة مجالات الحياة الاقتصادية والعلمية والصناعية والاجتماعية والتى يقودها بحزم واقتدار حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى امير البلاد المفدى وولي عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى ولي العهد وزير الدفاع ورئيس المجلس الأعلى لرعاية الشباب .

وتتضح الرؤيا ويتحدد الطريق على ضوء كلمات حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى فى إحدى خطبه إذ يقول سموه حفظه الله «وإننى لحريص فى هذه المناسبة ، وفى كل مناسبة ، على أن أؤكد على أصل جوهرى من أصول سياستنا الداخلية ليظل ماثلا فى وجدان كل منا ، الا وهو أن الهدف النهائى الحقيقى لكل جهودنا فى سبيل تحقيق نهضتنا ، هو رفع نوعية الانسان القطرى ، حتى يكون أعظم حباً لوطنه وتعلقاً به ، وأكثر إدراكاً لحقوقه وواجباته ، وأعمق فهماً لقدره وكرامته ، واشد اقبالا على المشاركة فى بناء دولته ، وأكبر قدرة على الارتقاء بها الى المستوى اللائق بتراث أمته ، الكفيل بتحقيق المزيد من هناء بلده فى حاضره ، وأكثر ما يمكن من الازدهار فى مستقبله» .

عبد الرحيم أبو عوف



جزء خاص

٢٢ فبراير

و ١١ عاما في حياة قطر الحديثة

الإعلام القطري : المنهج والمسار

بقلم : عبد الله صادق

مدير إدارة المطبوعات والنشر

كان للتطور المذهل الذى طرأ على حقل الاعلام فى عصرنا الحديث ، انعكاسات وتاثيرات بالغة الأهمية على مختلف نواحى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية للشعوب فمن قبل تناهى تطور المجتمعات لتتبلور فى صيغة الدولة . وبعد ذلك ، كان الاعلام يمثل الصلة بين الحاكم والمحكوم . فهو فى صعوده ينقل وجهة نظر الرأى العام ازاء الاحداث ، كما كان فى نزوله يحمل تفسير الحاكم للمتغيرات التى تحدث فى المجتمع وتمس الظروف المعيشية والحياتية لافراده .

ولقد واصل الاعلام تطوره كاى كائن حي حتى وصل الى عقبات القرن العشرين ولم يزد تطوره على الصحيفة التى كانت تحمل القليل من الأخبار والكثير من المقالات وكان التغيير الذى حدث اوائل القرن ، هو ظهور الاعلان كعنصر من عناصر الصحيفة يغطى بعض نفقات طبعها ، لتزيد الاعداد المطبوعة منها ، وتصل الى عدد أكبر من القراء بعد أن صار ثمنها زهيداً بالقياس الى ما كان من قبل . ثم تتولى التطورات فتظهر وكالات الأنباء والاذاعة والتليفزيون وما ان ياتي النصف الثانى من هذا القرن حتى تتسارع الخطوات بصورة جعلت الانسان يلهث فى ملاحقتها . فلقد كان للثورة العلمية والتكنولوجية التى حدثت فى ذلك الزمن الوجيز ، اثرها الكبير على وسائل الاعلام من حيث البناء والتقنية . ولكن التطور الذى حدث بحق هو ما لحق الاعلام من حيث وظيفته ، فلم يعد الاعلام تسير ذلك المجال الذى كان يعمل فيه من قبل كصلة بين الحاكم والمحكوم ، بل تطور ليلعب دورا فى التنمية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع ، وليحمل على كاهله اعباء وليرتاد مجالات لم تكن فى الحسبان .

واذا كان للدول الكبرى أهداف ومرام كامنة وراء اعلامها ، فان الدول الآخذة حديثا باسباب النمو ، والتى تسابق الزمن لتقطع المسافة بينها وبين الدول التى أخذت باسبابه من قبل ، توظف الاعلام بما له قوة التاثير فى النهوض بمواطنيها والارتفاع بمستواهم الاجتماعي والاقتصادى والثقافي ، مستفيدة فى ذلك بالامكانيات الهائلة التى تتيحها وسائل الاعلام الحديثة ، بما دخل عليها من تطور تكنولوجي .

وترتكز فلسفة الاعلام فى قطر ، على عدد من الأسس والمفاهيم ، ارسى قواعدها أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني يوم أصدر القانون رقم (١٤) لسنة ١٩٧٢ م بانشاء وزارة الاعلام ، ثم يوم أصل هذه القواعد بالقانون رقم (٦) لسنة ١٩٨١ م بتنظيم وزارة الاعلام ، الذى يعتبر منهاجاً تسير عليه أجهزة الاعلام فى الدولة .

فليس من شك فى ان الهدف الذى تعمل من اجل تحقيقه جميع اجهزة الدولة فى قطر ، هو خدمة الانسان القطرى والارتقاء بمستواه الاجتماعي والاقتصادى والثقافى ويقوم الاعلام بدوره فى هذا المجال بتوعية المواطن ليقوم بدوره فى خطة التنمية ، بشرح اهدافها الرامية الى رعايته صحياً واجتماعياً وثقافياً . ولا تالوا أجهزة الاعلام جهداً في سبيل نشر الوعي السياسي لدى المواطن . وذلك بشرح القرارات التى تتخذها قيادته السياسية فى القضايا الداخلية والخارجية ، والاعلام بذلك يخلق لدى المواطن شعوراً بالوحدة الوطنية ، ويحدوه ذلك الى المشاركة فى شئون بلده .



عيسى غانم الكوارى
وزير الاعلام



محمد عبد الرحمن الخليفى
وكيل وزارة الاعلام

وتولى أجهزة الاعلام فى قطر المنطقة الخليجية عناية خاصة كمنطقة تربطها بها أوثق روابط التاريخ والموقف والمصير ، وتبرز بصفة دائمة الخطى الجادة والمسئولة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية ازاء التحديات والمخاطر المحيطة بالمنطقة باعتبار انها أصبحت تمثل فى عالم اليوم شريان الطاقة وعصب الحضارة الحديثة .

كما ان قضايا الوطن العربى تحتل مكانتها البارزة واللائقة فى اعلامنا القطرى فالاحداث تثبت كل يوم أن قوة الامة العربية تكمن دائما فى وحدة مواقفها ، كما تثبت أيضا انه إذا تباعدت المواقف او اختلفت التوجهات فى بعض الأحيان فان تلك التباعد أو الاختلاف يكون أمرا عارضا لا يمثل قاعدة ، اذ سرعان ما يلتئم العقد وتتحد خطوات المسيرة .. ولقناعة الاعلام . القطري التامة بذلك فان احداث العالم العربي تحظى بجليل اهتمامه مبرزا المناسبات الهامة لكل قطر عربي مساندا لشعوب الأمة العربية فى قضاياها المصيرية والعادلة عضدا ومؤيدا ونصيرا .

كذلك يهتم اعلامنا القطرى باحداث امتنا الاسلامية التى يربطها بشعب قطر اوثق رباط هو ديننا الاسلامى الحنيف ، وتحتل تلك الأحداث مساحات واسعة فى جميع وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية .

ويؤكد الاعلام على سياستنا الانسانية ، التى تقوم على تهيئته الفرص العادلة لتمكين جميع الشعوب لتنعم بكامل استقلالها القومى ، وحرية ارادتها الوطنية ويخاطب اعلامنا العالم الخارجى بمنطق واضح صادق يشرح به القضايا الوطنية والعربية وهو اذ يهتم بالعالم الخارجى فانما يفعل ذلك لقناعته بأنه قد ولى ذلك العهد الذى كان يمكن فيه لاية دولة ان تعيش بمعزل عن الاخرى حتى ليبدو عالم اليوم وكأنه وحدة متماسكة . فليس هناك من ينكر وجود رأى عام عالمى يتاثر بالأحداث ويؤثر فيها ، رغم التكتلات المتطاحنة ، والاحلاف المتنافسة .

تلك هى أهم الاسس التى يقوم عليها الاعلام القطرى ويعمل فى سبيلها وفى اطارها بجميع وسائله .

وقد اثبتت التجارب ان الاعلام القطرى كان دائما على مستوى مسئوليته الوطنية والقومية كما اثبتت صدق الحس الاعلامى لدى العاملين فى هذا المجال الهام من مجالات العمل الوطنى ازاء الاحداث المتلاحقة والمتغيرات المتسارعة التى ألمت وتلم بهذه المنطقة الهامة من العالم الا وهى منطقتنا العربية ، ولم تكن معالجة الاعلام القطرى لتلك الأحداث والمتغيرات قائمة على الحماس والنظرة العابرة للأمور ، بل كانت قائمة على التحليل الواعى والنقد المتفهم لأسبابها وأبعادها ونتائجها .

وقدم بذلك للمواطن القطري والعربي والانسان فى كل مكان الرأى والفكر والمنطق لاستيعاب ابعاد تلك الأحداث وانعكاساتها على الساحة الوطنية والقومية والعالمية وكان فى ذلك نشطا ومتحدثا امينا كسب الرأى العام محليا وعالميا الى جانب ما يؤمن بانه الحق والعدل .

تحية صادقة الى الجنود العاملين فى الاعلام القطرى الباذلين الجهد والوقت عن رضى فى سبيل رفعة شأن وطننا العزيز .

عبد الله محمد صادق



الاستوديوهات الجديدة فى الاذاعة .



أشهر الفرق العربية على خشبة مسرح قطر الوطنى .





مجموعة متعددة من طوابع البريد التي صدرت عبر السنوات الماضية .

تاريخ قطر في طوابع البريد

حققت دولة قطر فى سنوات معدودة فقط نقلة حضارية يصعب حتى على الدول الكبرى تحقيق مثلها .. فقد استطاعت خلال أحد عشر عاماً التي اقترنت بتولي سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى مقاليد الحكم فى البلاد عام ١٩٧٢م ـ أن تقيم قواعد ثابتة للدولة التى تعي كيف تخطط ، وتدرك كيف تنفذ على جميع الأصعدة والميادين مستندة إلى توازن الأنشطة فيها . فانتقلت بذلك الى مصاف الدولة العصرية .. دولة العلم .. دولة تأمين سبل الحياة .. دولة توفر الأمان والاستقرار لكل من يعيش على أرضها .

وكان من الطبيعي أن تشهد الخدمات التي تؤديها الدولة لتأمين راحة المواطنين ولتسهيل سبل العيش ، تطوراً شاملا عم كل مرافق الخدمات العامة وعلى رأسها الخدمات البريدية بحيث أصبحت ادارة البريد وفروعها المنتشرة فى جميع أنحاء الدولة شاهداً على هذه النهضة ، وهذا التقدم للدولة الفتية .

أنشيء البريد فى الزمن السالف لكي يمكن السلطات العامة من الاتصال بأقاليمها النائية أو بجيوشها فى ميادين

حرصت طوابع البريد فى قطر على متابعة الاحتفالات والمناسبات الهامة والتاريخية .



القتال .. ثم وضع بعد ذلك تحت تصرف الأهالي ، فاصبح صلة الوصل الوحيدة لفترة طويلة بين الناس والمؤسسات العامة ثم نظم البريد في كل مكان كخدمة قومية عامة ذات طابع إداري .

ومع التحولات السريعة والعميقة التي شهدها العالم فى العقود العشرة الأخيرة في مختلف قطاعات النشاط .. شهد عالم المواصلات بنوع خاص ثورة حقيقية . وبطبيعة الحال لم تهمل الأنشطة البريدية خلال هذا التحرك حيث أخذت الحاجة إلى المواصلات البريدية التي شملت تحويلات الأموال وارسال البضائع خفيفة الوزن تتسع وتتنوع بذات القدر .. وأصبح يتعين على الادارات التي تؤدي هذه الخدمة السعي الى تطوير الأساليب التى تمكنها من القيام بها .

ودولة قطر حرصاً منها على مسايرة ركب الحضارة بدأت في تنظيم البريد بانشاء ادارة له علم ١٩٦٣ أخذت على عاتقها مسئولية تطوير وتحسين الخدمات البريدية بما فيه صالح الوطن والمواطنين . وفي مجال دعم الخدمة البريدية ارتفع عدد المكاتب الى ٢٢ مكتباً بعد أن كانت ثلاثة فقط في كل من مدينة الدوحة ودخان وأم سعيد ، اضافة الى الوكالات البريدية المنتشرة فى أماكن عدة من الدولة ، ومكتب بريد المطار الذي يدوم العمل فيه على مدار أربع وعشرين ساعة يومياً في مجال التبادل الخارجي .

أما عن الارساليات المباشرة مع دول العالم ، فقد شهدت نموا مضطردا حيث ارتفع عددها من ثلاث ارساليات مباشرة عام ١٩٦٣ إلى حوالي مائة إرسالية عام ١٩٨٢م عدا إرساليات البريد السطحى التى تنتقل عن طريق الجو والتى كان لدولة قطر الريادة في دخول مجالها .. فهي من أوائل ادارات البريد في الخليج العربي التى اعتمدت أسلوب نقل البريد بكامله جوا سواء أودع بالبريد الجوي أم بالبريد العادي .. كما تعتبر ادارة بريد قطر ادارة سباقة في مجال خدمة البريد الممتاز «داتا بوست» مع عدة ادارات عربية وأجنبية .

تاريخ قطر في طوابع البريد



مجموعة اخرى من طوابع البريد . تتضح فيها الدقة والبساطة والذوق الجميل .

فقد بدأت بالفعل مع دولة البحرين والكويت وتونس وبريطانيا وفرنسا وهولندا واليابان فى تقديم هذه الخدمة الممتازة التى تقدم لأول مرة فى منطقة الخليج وهي خاصة بتسهيل مهمة الشـركات والمؤسسـات والبنـوك والمرافق الحكومية .

مراكز حديثة للبريد

وتقوم ادارة البريد بفرز عمليات جمع الرسائل عن طريق شبكة ممتازة من صناديق البريد تنتشر في الشوارع الرئيسية والأحياء السكنية والفنادق والمؤسسات الكبرى والقرى وفي المكاتب البريدية حيث تقوم بتفريغها السيارات البريدية حسب المواعيد المبينة عليها . ويتم توزيع البريد الوارد على صناديق البريد الخصوصية المؤجرة للمشتركين والتى ارتفع عددها من تسعمائـة صندوق الى حوالى اثنى عشر ألف صندوق موزعة على مكاتب البريد المختلفة ، كما ادخلت الات بيع الطوابع الأتوماتيكية والختم التلقائي وآلات التخـليص البريـدي للادارات الحكومية والمؤسسـات وغيرها .

هذا ويجري العمل حاليا في بناء مركز حديث للبريد الآلي فى منطقة الخليج الغربي مزودا بأحدث ما توصلت إليه التكنولوجيا البريدية الحديثة . يضم المركز خمسة وعشرين الف صندوق بريدي ، كما يشتمل مبناه على جراجات متعددة الطوابق تسع أكثر من ستمائة سيارة في ان واحد . ومن المنتظر ان ينتهي العمل فى هذا المركز مع أواخر عام ١٩٨٤م .

وفى سبيل تقديم الخدمات البريدية على أكمل وجه للمواطنين ، فقد اهتمت ادارة البريد بدولة قطر بتدريب موظفيها وتاهيلهم لرفع كفايتهم الانتاجية ، فارسلت عددا كبيرا من موظفيها إلى عدة بلدان

عربية وأجنبية للتدريب هناك على أساليب ونظم العمل الحديثة والمتطورة والالمام بتجارب الدول الاخرى ، إضافة إلى الطلبة القطريين الذين يواصلون دراساتهم في كليـــة البريـــد العربيـــة بدمشق.

وفى عام ١٩٦٦م ، انضمت ادارة البريد للاتحاد البريدي العربي ، كما انضمت عام ١٩٦٩م للاتحاد البريدي العالمي . وكانت ادارة البريد القطرية هي التى وضعت اللبنة الأولى لانشاء هيئة بريد الخليج ، فتم أول اجتماع تاسيسي لها في مدينة الدوحـة خلال شهر ابريل من عام ١٩٧٧م كما تحرص ادارة البريد في دولة قطر على المشاركة والحضور في المؤتمرات العربية والدولية .

طوابع للمناسبات الخاصة

وعن اصدارات ادارة البريد من الطوابع العادية والتذكارية على حد سواء يقول السيد محمد سيف المعضادى مدير عام ادارة البريد .. انه تم اصدار أول طابع بريد فى دولة قطر فى شهر سبتمبر عام ١٩٦١ . وتصدر ادارة البريد عادة حوالى ستة اصدارات تذكارية كل عام تمثل المناسبات الوطنية والخليجية والعربية والدولية مثل تلك الطوابع التى من شانها ابراز حقوق الانسان والصحة والمواصلات والتعليم والزراعة والأمم المتحدة والتغذية ومكافحة العنصرية والهلال الأحمر القطرى وجمعية المعوقين . وقد خصصت بعض هذه المبالغ للمساعدات الانسانية ، كما أصدرت الادارة طوابع تمثل جامعة الدول العربية والأمم المتحدة والاتحاد البريدى العربى . وسوف نقوم باصدار طوابع تذكارية بمناسبة انعقاد مؤتمر دول مجلس التعاون الخليجى الذى سيعقد بمدينة الدوحة خلال شهر نوفمبر القادم .

نحن لا ندعى أن اصداراتنا قد استوعبت جميع المناسبات ولكنى أعتقد أننا قمنا بواجبنا فى هذا المجال . وهناك



محمد سيف المعضادى
مدير ادارة البريد

المزيد من البرامج معدة وخاصة باصدار الطوابع التى تمثل عدة جوانب من تقدم وتطور البلاد فى مختلف المجالات .

وتحرص ادارة البريد على أن تعكس طوابعها الجوانب الحضارية والعمرانية والثقافية والانسانية . وللطوابع أحجام وألوان مختلفة .. فالطابع العادى مثلا يختلف عن الطابع التذكارى ، أما التصاميم فتضع ادارة البريد فكرتها وقد تعد بعضها أما البعض الآخر فترسل فكرته الكاملة الى المطابع لاعداد ما يلزم تنفيذه من تصميمات ويتم الطبع فى الوقت الحالى فى كل من سويسرا وهولندا وبريطانيا وذلك تحت اشراف ادارات البريد فى هذه الدول .

طوابع فسفورية جديدة

وعن الجديد فى الخدمات البريدية القطرية يشير السيد محمد سيف المعضادى الى المركز الجديد الآلى الحديث الذى يجرى العمل فيه فى الساحل الغربى من الدوحة ..

وأن جميـــع الطوابع التى تستعمل فى الوقت الحالي لن تقبلها آلات الفرز فى هذا المكتب حيث يستعمل بها طوابع فسفورية تحمل خطوطاً معينة وفق التقسيم الجغرافي . بمعنى أن الرسالة التى تحمل طابعاً ذا خط واحد مثلا حين يوضع في المعاون الرئيسي للآلة ، سوف يتجه من تلقاء نفسه إلى قسم البريد الداخلي .. والرسالة التى تحمل خطين فسفورين تتجه الى قسم البريد الخارجي .. الخ .

هذا يعني أن ادارة البريد يمكنها التحكم بالخطوط الفسفورية حسب ما تراه في خط التوزيع ، وهذا ينطبق على الطوابع العادية التى سوف تطرح للبيع فى الأسواق قبل الانتقال إلى المبنى الجديد

وفي النهاية يؤكد السيد محمـــد سيف المعضادي مدير ادارة البريـد أن طابـــع البريد هو سفير متنقل لبلاده لأنه يسافر إلى جميع أنحاء العالم ملتصقاً بالرسالة ، وحاملا معه حضارة ذلك البلد الذي صدر منه .

ووفقاً لنظام الاتحاد البريدي العالمي ، والاتحاد البريدي العربي وهيئة بريد الخليج ، فان ادارة البريد فى دولة قطـر تتبادل الطوابع مع جميع أنحاء العالم عن طريق هذه المنظمات .

كمـــا نقـوم بامداد بعـض المؤسسات والهيئـــات والمنظمـــات العالميـــة بالطوابع القطرية ، وقـد اشـتركت ادارة البريـــد القطرية في عـــدة معــارض دوليـــة منهـــا البرازيل والهند ومالطا وفرنسا واليابـــان . وقد حـــازت خلالهـــا على العديـــد مـــن الميداليات وشهادات التقدير .

وبهـــذه المناسبة يمـــكن لزائـــر دولـــة قطر الحصول على بعض الطوابع للاحتفاظ بها من مكتب هواة الطوابع الخاص بادارة البريد والذي يقع في شارع السفارات بمدينة الدوحة ، وهي زهيدة الثمن وفقاً لسياسة الادارة ، وبما يتفق وأهداف اتحادي البريد العربي والعالمي .. إضافة إلى انه يمكنه فتح حساب جاري له لامداده بما يرغب من اصدارات طوابع جديدة .

يوسف الحرمي



٢٢ فبراير
و ١١ عاما في حياة قطر الحديثة

مجلس الشورى
خطوات على طريق الديمقراطية

عرفت البشرية عبر تاريخها الطويل اشكالا وصيغاً للحكم اختلفت وتعددت ولكنها انتهت جميعاً إلى أن الديمقراطية هى أفضلها صيغة للتطبيق الانسانى . لأنها تحمل فى مضمونها حكم الجماعة لنفسها .. وعلى ذلك فقد أصبحت أساساً تقوم عليه كثير من نظم الحكم الحديثة بل ولا نكون مغالين ان أرجعنا اليها كل نهضة وتقدم حققتها وتحققها الدول التى تاخذ بهذا المبدأ لأنه يفتح الطريق لمناقشة مختلف الآراء وصولا إلى الأصوب منها .

وكانت الشريعة الاسلامية هى أسبق الشرائع إلى ترسيخ الديمقراطية الانسانية ، حيث أنها تقوم على أسس أربعة لا غنى عنها لقيام أى من الصيغ الديمقراطية الحديثة ، هى .. المسئولية الفردية . تساوى جميع الحقوق بين الناس . وجوب الشورى على ولاة الأمور ثم التضامن بين الرعية على اختلاف الطوائف والطبقات .

والحكم بالشورى قد ورد وجوبه فى القرآن الكريم بشكل صريح ، وليس بعد وجوبه على الرسول إعفاء منه لوال من الولاة . إذ قال تعالى .. « وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله » .. « والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » .. صدق الله العظيم .

وذكر صفة الشورى فى هذه الآيات بين إقامة الصلاة وأداء الزكاة دليل على وجوبها ، فان كانت الصلاة فريضة عبادية ، والزكاة فريضة اجتماعية ، فان الشورى تعتبر فريضة سياسية . وقد اكتفى القرآن الكريم حين نص على مبدأ الشورى كقاعدة واجبه ملزمة بتقرير المبدأ وترك التفاصيل المتعلقة به للأمة تكيفها وفق ظروفها المختلفة ، وكان ذلك ترخيصاً بضرورة الاستفادة من تجارب الأمم المختلفة مادامت لا تخالف الأسس العامة التى قررها الاسلام .

على هذا الأساس ، عندما تولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير دولة قطر مقاليد الحكم فى البلاد فى الثانى والعشرين من فبراير عام ١٩٧٢م حرص سموه فى بداية مرحلة الانطلاق لبناء الدولة ـ على تنظيمها فى إطار الأسس الديمقراطية والنظم الدستورية تمهيداً لعملية الاصلاح الشامل .. فاصدر النظام الأساسى المؤقت المعدل للحكم متضمنا كافة الأحكام المنظمة لسلطات الدولة التشريعية والتنفيذية والقضائية والمحددة للمبادىء الجوهرية التى تقوم عليها سياسة الدولة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .. وكان مجلس الشورى القطري الذى أنشىء بموجب هذا النظام هو أول تجربة ديمقراطية رائدة تشهدها الدولة منذ حصولها على الاستقلال فى الثالث من سبتمبر عام ١٩٧١ م .

ومجلس الشورى القطرى هو أحد أجهزة الحكم فى الدولة أنشىء على أساس تمثيلى مستوحى من مبدأ الشورى ويتناسب مع مرحلة التطور التدريجى فى تطبيق النظم الدستورية بالدولة . ومن هنا فقد كان الأخذ بمبدأ تعيين الأعضاء الذى طبق عند تشكيله هو الأكثر ملاءمة نظراً لحداثة عهد الدولة بالنظم الدستورية فى ذلك الوقت ، وأيضاً لأن الشعب محدود العدد مما يمكن ولي الأمر من معرفة الغالبية العظمى من رجالاته معرفة شخصيته وبالتالى يسهل اختيار من هم أكثر صلاحية وأكثر اقتداراً من بينهم لعضوية مجلس الشورى . وعلى الرغم من ذلك فان مبدأ التعيين قد جاء بصورة مؤقته فى الدستور القطرى إلى أن يتم انشاء مجلس شورى جديد يتم تشكيله بالانتخاب العام السرى المباشر وفقاً لقواعد يصدر بها تنظيم خاص ينظم ذلك الانتخاب .

تكوين مجلس الشورى

يتكون مجلس الشورى القطرى من ثلاثين عضواً دائماً يعينهم سمو أمير البلاد المفدى . وقد روعى فى اختيارهم كونهم من أهل الرأى والكفاية والحل والعقد فى البلاد كما روعى تمثيل المناطق الجغرافية وفئات الشعب القطرى بقدر الامكان . وهناك شروط وجب توافرها فى كل عضو على رأسها أن تكون جنسيته الأصلية جنسية دولة قطر ، والا يقل سنه عند التعيين عن أربع وعشرين سنة ميلادية ، والا يكون قد سبق الحكم عليه فى جريمة مخلة بالشرف مالم يكن قد رد إليه اعتباره طبقاً للقانون .

يشتمل مجلس الشورى على ثلاثة أجهزة رئيسية هى رئاسة المجلس ، ومكتب المجلس ، ثم اللجان .

وينتخب أعضاء المجلس لرئيسى



عبد العزيز بن خالد الغانم
رئيس مجلس الشورى



علي بن خليفة الهتمي
نائب رئيس مجلس الشورى



يوسف قاسم الدرويش
مراقب المجلس



عبد العزيز بن تركي
مراقب المجلس

ونائبه فى أول جلسة لدور انعقاده العادى السنوى عن طريق الاقتراع السرى وبالأغلبية النسبية . ويرأس تلك الجلسة أكبر الأعضاء سناً وتستمر مدة الرئيس ونائبه حتى نهاية اليوم السابق لافتتاح دور الانعقاد العادى التالى . ويجوز إعادة انتخابهما ويحل النائب محل الرئيس فى حالة غيابه ، كما تكون الرئاسة لأحد المراقبين بالتناوب اسبوعياً .. فان غاب هؤلاء جميعاً عقدت الرئاسة لأكبر الأعضاء الحاضرين سناً .

أما مكتب المجلس فيشكل من الرئيس ونائبه ومراقبين اثنين دائمين أو أكثر حسب الحاجة ينتخبون بالاقتراع السرى وبالأغلبية النسبية فى أول جلسة لدور الانعقاد العادى السنوى . ولا يجوز إجراء أى مناقشة فى المجلس أو اختيار اللجان قبل تشكيل هذا المكتب الذى يجتمع بناء على دعوة من الرئيس ويتولى الاختصاصات التى يخولها له النظام الأساسى .

ويشكل مجلس الشورى من بين أعضائه خلال الأسبوع الأول من دور الانعقاد السنوى وبناء على ترشيح المكتب : اللجان الدائمة الخمس . لجنة الشئون القانونية والتشريعية ، لجنة الشئون المالية والاقتصادية ، لجنة الخدمات والمرافق العامة ، لجنة الشئون الداخلية والخارجية ولجنة الشئون الثقافية والاعلام .

وتتكون كل لجنة من خمسة أعضاء على الأقل ويجب أن يشترك كل عضو من أعضاء المجلس فى إحدى اللجان الدائمة .. كما يجوز للمجلس أن يشكل لجانا أخرى دائمة أو مؤقتة حسب حاجة العمل ويجوز لكل لجنة دائمة أو مؤقتة أن تشكل من بين أعضائها لجنة فرعية أو أكثر على أن تضع اللجنة الأصلية النظام الخاص بهذه اللجنة ..

وبعد الانتهاء من مناقشاتها ودراساتها التى تتسم بطابع السرية ، ترفع لجان مجلس الشورى تقريراً وافياً عن رأيها والأسباب التى دعت اليه فى المسائل التى تحال اليها .. ويمكن أن تشمل هذه التقارير رأى الأقلية أيضاً اذا طلب ذلك . وهنا تجدر الاشارة إلى أن تقارير هذه اللجان منذ نشأتها كان لها دور كبير وأساسى فى تكوين الرأى النهائى لمجلس الشورى فى الموضوعات ومشروعات القوانين والمسائل التى عرضت عليه

حصانة لأعضاء المجلس

ويفتتح سمو أمير البلاد المفدى الدورة العادية السنوية لمجلس الشورى التى تمتد ثمانية أشهر بخطاب أميرى يبين فيه أحوال البلاد ، ويعرض من خلاله سياسات الدولة الحالية والمستقبلية فى المسائل الداخلية والخارجية ، ويعدد انجازات الحكومة فى السنة المنصرمة وما تنوى القيام به من مشروعات واصلاحات خلال العام الجديد . وقد يدعى المجلس للانعقاد فى دورة غير عادية فى حالة الضرورة بناء على طلب سمو أمير البلاد أو طلب موقع من أغلبية أعضاء المجلس . ولا ينظر خلال الدور غير العادى الا فى المسائل التى دعى أصلا للنظر فيها والا اعتبرت كل اعماله باطلة .

ويعقد مجلس الشورى القطرى جلسته العادية يوم الاثنين من كل أسبوع مالم يقرر المجلس غير ذلك أو تكن هناك أعمال تقتضى الاجتماع . ويدرج فى جدول الأعمال أولا المسائل العاجلة بترتيب أهميتها ثم الموضوعات الأخرى والمؤجلة من جلسة أو جلسات سابقة . ويرفق بالجدول الدراسات والبيانات المتعلقة ببنوده . وترسل صور منها مع هذا الجدول إلى أعضاء المجلس قبل موعد عقد الجلسات بوقت كاف . وحرية التعبير عن الرأى مكفولة لجميع أعضاء المجلس داخل الجلسات العامة وفى اللجان وذلك فى الحدود المنصوص عليها فى النظام الأساسى المؤقت والمعدل . ولأعضاء المجلس حصانة خاصة ، فلا يجوز مؤاخذة عضو مجلس الشورى مدنياً أو جزائياً عما يبديه فى المجلس أو لجانه من آراء أو أقوال موضوعية تتعلق بالمسائل موضوع المناقشة . وتمتد هذه الحصانة إلى ما بعد انقضاء العضوية بالنسبة لما أبداه العضو أثناءها من آراء وأقوال . وتنتفى عن عضو المجلس اذا كانت أقواله أو آراؤه التى أبداها فى المجلس أو لجانه تشكل جريمة قذف أو سب فى أى شخص كان . كما تقتصر هذه الحصانة على أعضاء مجلس الشورى وحدهم دون غيرهم من كبار الموظفين والخبراء الذين يسهمون فى أعمال المجلس .

صلاحيات أوسع لترسيخ التجربة

واختصاصات مجلس الشورى قد وردت فى المادة ٤٠ من النظام الأساسى المعدل واللائحة الداخلية للمجلس . ويشرحها السيد يوسف قاسم الدرويش أحد المراقبين الدائمين بالمجلس ومقرر اللجنة القانونية والتشريعية به وعضو مكتب رئاسته فيقول .. ان الاختصاص العام لمجلس الشورى يقوم أساساً على معاونة سمو أمير البلاد ومجلس الوزراء فى أداء مهامهما وذلك بابداء الرأى والمشورة فى مختلف النواحى المتعلقة بشئون الدولة . ووفقاً للقواعد التفصيلية التى وردت فى النظام الأساسى المعدل ، فان الحكومة عليها أن تعرض جميع مشروعات القوانين التى تقترحها ، كذلك مشروع ميزانية المشروعات الرئيسية العامة على مجلس الشورى لأخذ رأيه فيها قبل رفعها لسمو الأمير للتصديق عليها واصدارها . كما تعرض الحكومة على مجلس الشورى المسائل المتعلقة بالسياسة العامة للدولة فى الشئون السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والادارية .. كما يجوز لمجلس الشورى أن يطلب من الحكومة موافاته بما لديها من بيانات يراها ضرورية لتكوين رأيه حول أى من الشئون المبينة السابقة على أن يقدم الطلب إلى مجلس الوزراء .. كما يجوز له ان يقدم طلباً مماثلا لأى من الوزراء فى المسائل التى تدخل فى اختصاص وزارته .

ونظراً للنجاح الذى حققته هذه التجربة الدستورية الرائدة فى دولة قطر فى إطار قيام مجلس الشورى بمسئولياته الكاملة فى حدود اختصاصاته الدستورية وحرصه على التعاون المستمر البناء مع سمو أمير الدولة ومجلس الوزراء ، وفى اطار المصلحة العامة للبلاد والحرص على مصالح المواطنين كافة .. فقد رأى سمو الأمير تطويراً لنظام الحكم وترسيخاً لهذه التجربة الدستورية ، وتأكيداً لمبدأ الشورى — توسيع اختصاصات المجلس ليزيد من مساهماته فى بناء وتطوير الدولة . والأخذ بمشورته على أوسع نطاق بما يتناسب وهذه المرحلة الحضارية التى تشهدها البلاد ، وباعتباره هيئة تمثيلية تضم نخبة من أهل الرأى والكفاية وبذلك صدر القرار الأميرى بتعديل بعض أحكام النظام الأساسى المؤقت المعدل واستبدلت بعض نصوصه بنصوص أخرى جديدة اسندت أحكامها لمجلس الشورى اختصاصات هامة أخرى إضافة إلى اختصاصاته الأولى .

من أهم هذه الاختصاصات — يكمل السيد يوسف الدرويش — مناقشة السياسة للدولة فى المسائل السياسية والاقتصادية والادارية التى تعرضها عليه الحكومة اختياراً كلما قدرت أن المصلحة العامة تقتضى ذلك ، كما خول للمجلس مناقشة شئون الدولة فى المجالات الاجتماعية والثقافية سواء عرضت عليه من قبل الحكومة أو تصدى لها المجلس من تلقاء نفسه عن طريق طلبات المناقشة العامة أو الاقتراحات بالرغبات التى يتقدم بها الأعضاء .

وشئون الدولة الاجتماعية والثقافية تشمل جميع المسائل التى خارج نطاق السياسة العامة للدولة والنواحى السياسية والاقتصادية والادارية التى سبق أن أوضحتها والتى لا يجوز لمجلس الشورى مناقشتها أو التصدى لها الا اذا عرضتها عليه الحكومة . وعليه فان كل ما عدا ذلك من مسائل يمكن اعتبارها ضمن نطاق شئون الدولة الاجتماعية والثقافية والتى يجوز للمجلس مناقشتها والتصدى لها من تلقاء نفسه . هذه المجالات من الاتساع بحيث تكاد تشمل معظم شئون الدولة منها على سبيل المثال الحياة المعيشية للمواطنين وما يتصل بها من توافر السلع الاستهلاكية والأسعار والغلاء وطرق مكافحته وإيجار المساكن والمحلات التجارية وأثرها على دخل المواطنين ..حماية الأسرة وتوفير أسباب الاستقرار لها ..

الضمان الاجتماعى لكافة المواطنين .. التنمية العمرانية ومرافق الخدمات العامة والمساكن .. المسائل المتعلقة بالعمل اجتماعياً وثقافياً .. المسائل الصحية وما يتفرع منها .. الأنشطة البلدية ذات العلاقة بالشئون الاجتماعية والثقافية .. التربية والتعليم والرياضة ورعاية الشباب والثقافة والسياحة والفنون والآداب والتراث .

ولا يجوز للمجلس التدخل فى أعمال السلطتين التنفيذية والقضائية ، بينما يجوز لعضو مجلس الشورى أن يوجه سؤالا أو استفهاماً عن أمر يجهله أو واقعه وصلت إلى علمه فى أى شأن من الشئون التى تدخل فى اختصاصات المجلس ، كما يجوز للوزراء حضور جلسات مجلس الشورى إذا كان الموضوع قيد المناقشة متعلقاً بوزاراتهم ليتمكنوا من شرح وجهة نظرهم وليقدموا للمجلس ما يطلب من بيانات أو ايضاحات أو مستندات .

جلسات علنية

ويعبر مجلس الشورى عن رأيه ومشورته فى شكل توصيات يرفعها إلى سمو أمير الدولة أو الى مجلس الوزراء حسب مقتضيات الحال .. وبذلك يتضح أن رأى المجلس هو رأى استشارى له اعتباره الكبير لدى الحكومة — وان لم يكن ملزماً لها دستورياً — لانه رأى مجموعة تمثل فئات الشعب وتعبر عن مصالحه المختلفة ويصدر بعد دراسات ومناقشات موضوعية مستفيضة .

وجلسات مجلس الشورى علنية وهذا يجيز لرئيسه السماح لمن يرى من افراد الشعب ورجال الاعلام والوفود البرلمانية وغيرها ، حضور الجلسات والاستماع إلى ما يدور بها من مناقشات .. غير أنه استثناء من الأصل يمكن عقد جلسة أو جلسات سرية اذا طلبت الحكومة ذلك أو رئيس المجلس أو خمسة من أعضائه على الأقل . ويحرر محضر لكل جلسة من جلسات المجلس العادية وغير العادية العلنية منها والسرية يثبت فيه المناقشات التى دارت أو ملخص واف لها قدر الامكان .

ولمجلس الشورى علاقات متعددة بالبرلمانات العربية والعالمية — هكذا يؤكد السيد/يوسف قاسم الدرويش ، فهناك اتصالات بينه وبين اتحاد البرلمان العربى مثلا رغم ان مجلس الشورى لم ينضم إلى عضويته بعد ، إلا أن اتحاد البرلمان العربى يحرص على موافاتنا بقراراته وتوصياته وبعض

محاضر جلساته لمتابعة ما يدور فيه من نقاش . كما يستقبل مجلس الشورى القطرى على المستوى الثنائى بين حين واخر وفوداً برلمانية عربية واجنبية فى زيارات ودية للتعرف عن قرب على التجربة الديمقراطية التى يمثلها مجلس الشورى القطرى الذى نأمل أن يتطور فى المستقبل من مجلس استشارى إلى نظام برلمان كامل بعد النجاح الكبير الذى حققه ويحققه . فحن لا نتعجل المواقف فالطريق الاطول كثيراً ما يكون الأسلم .

الشـــــورى : موقف اسلامي

ويؤكد السيد عبد العزيز عبد الله تركى السبيعى وكيل وزارة التربية والتعليم واحد المراقبين الدائمين بمجلس الشورى .. أن التجربة التى مرت بها الدولة عبر السـنوات الماضيـة منذ تأسيس المجلس قد اخذت فى الاعتبار مجموعة من المرتكزات الاساسية التى يقوم عليها النظام النيابى فى دولة قطر ، وجميعها ترجع هذا النظام إلى أصله .. إلى الشريعة الاسلامية الغراء وما أنزل على الرسول من آيات كريمة تعكس هذا المعنى إضافة إلى ممارسته لهذا المبدأ فى جملة من المواقف . فقد كان عليه السلام حريصاً على استشارة أصحابه والا يمضى بالأمر منفرداً حتى فى أشد المواقف حرجاً للأمة . وليس أدل على ذلك مما حدث فى غزوة الخندق عندما استشار بالمفهوم العام فى ذلك الوقت – أقل أصحابه مكانة وهو سلمان الفارسى والذى أشار برأى نزل عليه واتبعه الرسول عليه الصلاة والسلام .

اذن .. الموقف التاريخى يسجل أن قائد الأمــة ، عليه أن يستعين باراء من هم أهل الحل والعقد ومن هم على مستوى الثقة فى الوطن ، فى مجموعة من المصالح التى تهم مجموعة من البشر متواجدة فى رقعة معينة يمضى عليها قرار أو سلطان هذا القائد

وفى مجال التطبيق فى دولة قطر لايجاد شكل يلائم الوضع أو المجتمع القطرى ، فان الموقف فى جوهره ومضمونه اسلامى بحت تتخلله بعض الاجتهادات .

والشورى كمبدأ اسلامى مجال واسع وكبير جداً اختلفت حوله الآراء .. هل هى حق ممارسة نظام انتخابى أصيل أم هى حق اختيار وتعيين . ؟ فان كانت الأولى فكيف يتم هذا الانتخاب وما هى شروطه ومواصفاته ؟ .. وان كانت الاخيرة فعلى أى الأسس والقواعد يقوم هذا الاختيار أو يتم التعيين .. هذه كلها مجالات قانونية وشرعية اسلامية واسعة : وتحتاج إلى تعمق فى بيان موقف الاسلام الدقيق منها .

ما يعنينى هنا عند تقييم التجربة هو التاكيد على أن مجرد تقدم البلاد إلى تطبيق مبدأ الشورى بعد أن كان غير موجود ، هو فى حد ذاته فكرة تقدمية ممتازة ، بل هى الطريق نحو تاصيل المبدأ الأساسى وتوسيع تطبيقه فى مجالات أكثر ومع ذلك فان الاختيار للعضوية وتكوين المجلس يرجـع إلى سمو أمير البــلاد المفـدى الذي هو من الفطنـة والحكمـة والدراية ما يجعله يختار من يرى أنه بالفعل أصلح لابداء الرأى أو أكثر تمثيلا لفئة أو جماعة أو أشد دراية ومعرفة لمجمع الأمور ، إضافة إلى توفر الارتباط الاخلاقى والقيمى فى كل عضو .

ومجلس الشورى القطري يتميز من وجهة نظر السيد عبد العزيز بن تركى – بأنه مجلس تسوده روح الأخوة بين الأعضاء ويسوده التجانس وعدم التناحر وهى ميزة كبيرة تحرم منها أكبر البرلمانات فى العالم التى غالباً ما يحدث بها تكتل على أساس عصبى أو عرقى .. كما وأن كثيراً من الأعضاء فى المجلس يتحلون بجملة غير قليلة من الصفات الحميدة التى تمكنهم من أن يكونوا على مستوى الثقة لهـــذه العضوية من قوة فى الشخصية ، واعتداد بالرأى وبذله فى الموقف الذى ينبغى فيه ، والدفاع والتحمس له بما يتفق والمصلحة.

ويفسر السيد عبد العزيز بن تركى غياب المرأة عن التمثيل فى مجلس الشورى بأن المجتمع القطرى مجتمع نام وبالتالى يجب أن تنحصر عضوية مجلس الشورى فيه على من لهم خبرات واسعة بمجالات الحياة فى البلاد .. ومن أقدر من الرجل فى هذه المرحلة على ذلك ؟ . واختيار العضوية من الرجال هى حكمة مبنية على عدة اعتبارات أولاها مراعاة الجانب الاسلامى ، والثانية مراعاة جانب المصلحة العامة .. ثم مراعاته جانب المقدرة .. وكمجتمع اسلامى نحن مسئولون أن ندبر للمرأة عملا يليق بها ويتفق وكرامتها والمحافظة على انسانيتها .. فالمرأة لا يمكنها القيام بالعمل على المطلق ، فلديها مسئوليات وواجبات أساسية تجاه بيتها واسرتها . وعلى كل حال مسألة دخول المرأة فى عضـــوية البرلمانات لم تحصل على المساواة المطلقة حتى الآن فى أوروبا ذاتها . وتفيـد آخر الأخبار الصحفية مثلا أن الجمعية الوطنية الفرنسية مازالت تناقش حتى الآن مشروع المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة فى مجال العمل فما بالك بمجال العمل النيابى .. !؟ علماً بأن فرنسا هى أعرق دولة يطبق فيها نظام نيـــابى . نحن لا نتعجل المواقف تقليداً لغيرنا ، وانما ينبغى أن نصنع ونتطور بما يتفق وقيمنا وعاداتنا.

وفى النهاية .. ان استقراء سريعاً لمحاضر جلسات مجلس الشورى المتضمنة مجموعة من أعماله ومناقشاته وانشطته منذ نشاته عام ١٩٧٢ لتبين ما قام به المجلس من أعمال كبيرة وما بذله من جهد صادق مشاركاً برأيه فى صنع العديد من القرارات الهامة وفى النهضة التشريعية التى شملت جميع النواحى الاقتصادية والادارية والثقافيـــة والاجتماعيـــة والسياسية والمالية . وبذلك يعتبر مجلس الشورى القطرى بحق تجربة دستورية رائدة أثبتت نجاحها وحققت أغراضها فى حدود اختصاصاتها ..

ليلى الحريرى



٢٢ فبراير
و ١١ عاما في حياة قطر الحديثة

أضـــــواء على سياسة قطر العربية والإسلامية

إن أهم ما يميز سياسة قطر العربية والاسلامية هو وضوح مقاصدها وأهدافها ، اضافة إلى وضوح مبادئها ومنطلقاتها . ويمكن ملاحظة ذلك بسهولة من خلال قراءة النظام الأساسي المؤقت للدولة الصادر في ٢ نيسان (ابريل) ١٩٧٠ ، ثم من قراءة النظام الأساسي المعدل الصادر في ١٩ نيسان (ابريل) ١٩٧٢ ، وكذلك من قراءة خطابات سمو أمير دولة قطر وأحاديثه وتصريحاته فى مناسبات مختلفة .

وفي الامكان إعطاء لمحة عن سياسة قطر ، من خلال استعراض المواقف السياسية والمنطلقات المبدئية للدولة بالنسبة للمؤسسات والمنظمات الاقليمية والدولية .

سياسة قطـــر العربية

لقد قامت سياسة قطر الخارجية فى المجال العربى ، على دعم أى اتجاه أو نزوع إلى الوحدة العربية يحقق تطلعات الأمة العربية ويخطو بها على طريق الوحدة الشاملة من المحيط إلى الخليج ، ولذلك فقد جاءت المادة الأولى من الباب الأول من «النظام الأساسى المؤقت والمعدل » واضحة النص على أن «قطر دولة عربية مستقلة ذات سيادة ، وعلى ان لغتها الرسمية هى اللغة العربية » ، وفى الباب الثانى نصت الفقرة (ج) على ايمان قطر بأخوة العرب جميعاً ، والعمل على توثيق عرى التضامن مع شقيقاتها الدول العربية ، والسعى الى تدعيم وحدة الأمة العربيـــة ، ومساندة الجهد المشترك لخدمة ونصرة القضايا والمصالح العربية ، وتأييد جامعة الدول العربية والأهداف العليا التى يرمي ميثاقها الى تحقيقها تأييداً تاماً .

وقد نالت قطر استقلالها عن بريطانيا فى ٣ ـ ٩ ـ ١٩٧١ وجاء بيان الاستقلال الذي وجهه أمير الدولة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني إلى ابناء شعبه عشية ذلك اليوم ، ليجسد ايمان قطر بعروبتها وبميثاق جامعة الدول العربية والالتزام بأحكام ومبادىء ذلك الميثاق ، وكان أول عمل دبلوماسي قامت به قطر بعد نيلها الاستقلال هو تقـــديم طلب إلى جامعة الدول العربية لاكتساب حق العضوية فيها ، وقد قبلت قطر عضواً فى الجامعة بتاريخ ١١ ـ ٩ ـ ١٩٧١ باجماع الأصـوات ، ولما يمض اكثر من ثمانية أيام على استقلالها .

ومنذ ذلك الحين شاركت قطر بفاعلية ومثابرة فى جميع مؤتمرات القمة العربية ، والتزمت بقرارات تلك المؤتمرات سواء فى مواقفهـــا السياسية ، وخاصة قرار حظر النفط العربى عن الولايات المتحدة وهولندا فى عـــام ١٩٧٣ لمساندتها العدو الصهيونى ، أو فى دعمهـــا المالى والسياسي والدبلوماسي لدول المواجهة

وقد جسد حضرة صاحب السمو الشـــيخ خليفة بن حمد آل ثاني واقع السياسة القطرية وتطلعاتها فى المجال العربى بالتأكيد على أن « ترابط العرب ترابطاً كاملا هو وسيلتهم لدفع ما لحق بهم من أذى كبير ، وبأنه اذا كان الاجماع العربى منعقداً على أن تحرير الأرض العربية المحتلة ، واسترجاع حق شعب فلسطين المغتصبة ، هما الهدف الرئيسي الراهن ، الذى ينبغى أن نسخر من أجله كل طاقاتنا وامكاناتنا ، فان تحقيق هذا الهدف ، مرهون بتعاوننا الصادق لتوحيد جهودنا وحشد طاقاتنا وامكانياتنا ، حيث لا وزن لوحدة الهدف اذا لم تقترن بوحدة الصف » .

وأما سياسة قطر بالنســـبة للقضـــية الفلسطينية بالتخصيص ، فقد وضع أمير الدولة اطارها العام بقوله : « .. واننا لنقف بكل ما تتيحه امكاناتنا من قدرة الى جانب الأشقاء العرب لحمل نصيبنا من مسؤولية استعادة اراضينا العربية المحتلة ، وفى مقدمتها القدس الشريف ، واسترداد حقوق الشعب العربى الفلسطيني ، وفى مقدمتها حقه فى وطنه ، وفى تقرير مصيره فوق أرض هذا الوطن ، كما اننا نتابع تقديم كل ما نستطيع من دعم ومساندة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، باعتبارها الممثل الشرعى الوحيد للشـــعب الفلسطيني الشقيق » .

ومجمل القول ان سياسة قطر العربية نابعة من ايمان لا يتزعزع بوحدة الأمة العربيـــة من الخليج إلى المحيط ، وبقدرة هذه الأمة على مواجهة التحديات الخارجية ، وضرورة بذل كل دعم وكل جهد من أجل التغلب على تلك التحديات ، وفى مقدمتها التحدى الصهيوني ، وبأن التضامن العربى هو أمضى أسلحة النضال الكفيلة بقلب المعادلة الراهنة مـــع العدو ، إلى معادلة تحقق مصالح الأمة العربية وانتصارها على جميع اعدائهـــا . وانطلاقاً من هذا الفهم الواعى لأهميـــة التضامن العربى ، فان دولة قطر لعبت دائما

دوراً بناء فى رأب الصدوع بين الدول العربية وتحريك الطاقات العربية نحو الهدف المشترك وفى مواجهة التحدى المصيري الذى تفرضه الصهيونية حالياً على الأمة العربية فى جميع اقطارها .

قطر ترحب بحراره

لقد رحبت قطر بقيام مجلس التعـــاون الخليجى بحرارة بالغة ، لما تنطوى عليها هذه الخطوة من معانى الوحدة وضم الصفوف ، والوقوف بحزم ضد المطامع الخارجية فى منطقة الخليج من أى جهة جاءت ، ومن اسهام دول مجلس التعاون الخليجى الست مجتمعة فى دعم القضايا العربية ، وفى طليعتها القضية الفلسطينية والصراع مع العـــدو الصهيوني .

وقد تجسد الموقف القطرى فى دعم قيام مجلس التعاون الخليجى ، فى مشاركتها بفاعلية وحماسة فى اجتماعات وزراء خارجية الدول الست ، تلك الاجتماعات التى مهدت لقيام المجلس ، ووضعت الهيكل التنظيمى والقانونى والسياسي له .

وقد حدد أمير دولة قطر صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني موقف بلاده الداعم لقيام مجلس التعاون الخليجى فى كلمة خاطب بها مجلس الوزراء القطرى فى جلسة عقدها بقصر الدوحة بتاريخ ٢٧ ـ ٥ ١٩٨١ ،

● إن إقامة مجلس التعاون لدول الخليج العربية الست ، قد حقق أمنية غالية طالما تطلع إليها قادة وشعوب المنطقة ، وأضاف صاحب السمو ان الاعلان عن قيام مجلس التعاون . انما انطلق من حقيقتين : أولاهما هى أن تحقيق ما ينشده ابناء المنطقة من ارتقـــاء وازدهار وأمن واستقرار لا يتأتى إلا ببذل جهد جماعى محكم التنسيق متماسك العناصر ، والثانية هى أن بذل ذلك الجهد ضرورة مصيرية تحتمها المصالح العليا المشتركة لدول الخليج العربية ، وتقتضيها الروابط التى تجمع هذه الدول ، والتى لا تضاهيها روابط بين أى بلاد أخرى فى العالم ، شمولا وعمقاً وشدة وإصالة . واشار الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني إلى ان هذه الخطوة المتمثلة فى اقامة مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، انما جاءت على نحو يناسب المنطقة ، وفى نطاق التدرج المرحلى الضرورى الملائم لواقع ظروف الدول المعنية .

وبصفة عامة ، فقد كانت السياسة القطرية واضحة تمام الوضوح فى رؤيتها للمهمـــة الجسيمة التى انتدب مجلس التعاون الخليجى نفسه لها ، وتتمثل هذه المهمة فى جعل مجلس التعاون أداة لتعميق مشـــاعر الوحدة والتضامن بين شعوب الخليج العربية وتعزيز أواصر التراحم والتلاحم بينها وبين سائر الشعوب الشقيقة على امتداد الوطن العربى والعالم الاسلامى الكبير ، واكتساب المزيد من القدرة والقوة لنصرة القضايا العربية والاسلامية المشتركة والمصيرية ، وفى مقدمتها القضية الفلسطينية ، كما ان السياسة القطرية رأت فى قيام مجلس التعاون الخليجى وسيلة مهمة لوضع اعتماد دول المجلس الست نفسها فى المقام الأول من أجل بناء قوة ذاتية ، تتكفل بقطع الطريق على كل تدخل فى شؤون منطقة الخليج ، وتنأى بالمنطقة عن صراع القوى الكبرى ، وتضمن دعم مقومات النهضة الشاملة لها ، والمسيرة الوحدوية لدولها وبصورة خاصة تكاملها الاقتصادي .

قطر ومؤتمرات القمة الاسلامية

كانت مؤتمرات القمة الاسلامية ، احـــدى المجالات الهامة التى مارست قطر من خلالهـــا سياسة دعم شجاعة ومتواصلة للقضايا العربية والقضايا الاسلامية وقضايا العالم الثالث والسلام العالمى بشكل عام ، فبعد خمسة أشهر فقط على نيلها الاستقلال فى ٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٧١ ، شاركت قطر فى المؤتمر الثالث لوزراء خارجية الدول الاسلامية الذى عقد فى جده بتاريخ ٢٩ شباط (فبراير) ١٩٧٢ ، والذى شاركت فى اعماله واجتماعاته ثلاثون دولة اسلامية ، وبعد ذلك لم تنقطع قطر عن المساهمة فى اى مؤتمر وزاري لمنظمة المؤتمر الاسلامى ، كما شارك أمير قطر الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى فى مؤتمر القمة الاسلامى الثانى الذى عقد فى لاهور بباكستان فى اواخر شباط (فبراير) ١٩٧٤ ، ثم فى مؤتمر القمة الاسلامى الثالث الذى عقد فى الطائف فى أواخر كانون الثانى (يناير) ١٩٨١ .

وبالامكان قراءة الخطوط العامة للسياســـة القطرية على الصعيد الاسلامى ، من خلال البيان القيم والهام الذى ادلى به صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر غداة اختتام مؤتمر القمة الاسلامى الثالث أعماله فى الطائف . فمن قراءة ذلك البيان (الصحفى) يمكننا تسجيل أربع نقاط شدد عليها صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، وهى :

١ ـ إن عهد الهوان قد انتهى الى غير رجعة .

٢ ـ ان مؤتمر قمة الطائف اتخذ قراراته انطلاقاً من وحدة الكلمة وضم الصفوف وجمـــع الشمل .

٣ ـ إن القضايا والمصالح الاسلامية ليست أشتاتاً متفرقة ، بل هي كل مترابط .

٤ ـ إن معالجة هذه القضايا والمحافظة على هذه المصالح غير ممكنة ، إلا بالعمل المشترك ، وعلى أساس متين من التعاون والتضـــامن الشـــامل ، وحشد القـــدرات والامكانيـــات لانتـــزاع الحقـــوق السليبة والمغتصبة .

وفي الواقع ، فان النقاط المتقدمة ، جاءت لتعبر عن رؤية سياسية رائدة في حقل العمل الاسلامي المشترك ، كما جاءت لتحدد إطاراً منطقياً لعمل اسلامي وعربي جاد وهادف ، يعبر أصدق تعبير عن واقع النهوض والانطلاق ، وتجاوز جميع العقبات والصعوبات التي قد تعترض طريق البناء والعمل .

ولقد كان قول أمير البلاد المفدى واضحاً بالنسبة لتحديد العمل السياسي القطري خاصة والعربي عامة في المرحلة المقبلة ، حيث جاء في البيان :« ... وفي مطلع قرن هجري جديد ، قد عقدنا العزم على أن نضع من بدايته نهاية نهائية لعهد الهوان الذي قاسينا

أضــــــواء
على سياسة قطر العربية والإسلامية

منه أشد المقاساة في القرن الذي سبقه ، حيث بلغ فيه سوء أوضاعنا الاسلامية ــ بسبب تفرقنا وتنازعنا ، بل وحروبنا فيما بيننا ــ حداً شجع على ارتكاب أبشع صور العدوان على أوطاننا وكرامتنا وحقوقنا ، بل واتاح لاسرائيل الباغية أن تمعن إمعاناً بغير نظير في غيها وبطشها فتصدر قانوناً غاشماً بضم القدس الشريف اليها ، واعلانها عاصمة لها » .

فهذه العبارة ، جاءت في الواقع لتعلن انتهاء مرحلة قاسية وعصيبة ، ولتعلن ميلاد مرحلة جديدة ، هي مرحلة الكرامة الوطنية والعزة القومية ، ومرحلة البناء الاجتماعي والاقتصادي . كما جاءت هذه العبارة لتلقي نظرة تقييمية على الواقع الذي عاشه العرب والمسلمون في القرن الماضي ، في ظل الهيمنة والسيطرة الاستعمارية ، لكن هذه النظرة التقييمية جسدت الى جانب ذلك ، حقيقة أساسية يعيشها المسلمون اليوم ، وهي أن عهد الهوان والخضوع للمستعمرين والارادات الاجنبية ، قد ولى الى غير رجعة ،

وهناك ناحية أخرى في سياسة قطر الاسلامية ، لابد من التنويه اليها ، لئلا تختلط الألفاظ وتتشابك العبارات ، فتؤدي الى غير معانيها الحقيقية ، ومراميها الصائبة ، وهذه الناحية هي أن السياسة القطرية خاصة والعربية والاسلامية عامة ، لا تنطلق في تعاملها مع العالم في أية مرحلة من المراحل ، انطلاقاً من الماضي وأرزائه ومآسيه ، وهي بالتالى لا تجتر أحقاداً قديمة ضد المستعمرين السابقين ، برغم الكوارث التي سببها هؤلاء للعرب والمسلمين ، وخاصة فى فلسطينهم ، وذلك لسبب بسيط ، هو أن العرب المسلمين أمة حضارية ، قدموا في الماضي الشيء الكثير للحضارة العالمية ، والعالم ينتظر منهم أن يعودوا الى ممارسة ذلك الدور البناء والرائد ، وخاصة في عالمنا اليوم الذي تتلاطم فيه تيارات العقائد المفلسة شرقاً وغرباً ، والتي تقود حضارة الانسان نحو كارثة محققة ، ولذلك فان المسلمين منسجمون مع طبيعتهم الحضارية هذه ــ وهذا ما يميز في الواقع السياسة القطرية بشكل عام ــ وهم انطلاقاً من هذه الطبيعة الخيرة والمعطاء يتطلعون الى عهد من التعاون البناء مع جميع الأجناس البشرية ودول العالم قاطبة ، بشرط أن يكون هذا التعاون لصالح الجميع ــ أي لصالح الحضارة الانسانية ــ وبشرط أن ينتهي هذا التعاون الى دعم الحق ، وتقويض صروح الباطل التي بنتها الحضارة الزائفة للغرب في عصر الاستعمار والجبروت ، والعرب والمسلمون ــ كما تعبر عن ذلك السياسة القطرية الرشيدة ــ لا تتحكم فيهم ـ في تطلعاتهم الحضارية البناءة ـ عقد الماضي ومخلفاته البشعة ، وانما آمال المستقبل المزهرة واحلام الغد في بناء مجتمع انساني جديد تسوده العدالة والحرية للجميع.

وفي اطار هذا الفهم والادراك الواعي لموقع قطر في العالم الاسلامي ، وكونها جزءاً لا يتجزأ منه ، وقفت السياسة القطرية على الصعيد الاسلامي موقف المساندة لجميع القضايا الاسلامية ، ودعت الى حشد الجهود الاسلامية وتحقيق تضامن اسلامي ينطلق من ارضية صلبة ، ويتكفل بالانتصار للمسلمين في أي مكان ، ويضمن للدين الاسلامي الحنيف الانتشار في جميع أصقاع الأرض .

وفي اطار سياستها الاسلامية هذه ، ساندت قطر قضية مسلمي افغانستان وطالبت سواء في الأمم المتحدة ، أو عبر منظمة المؤتمر الاسلامي أو غيرها بضرورة سحب القوات الغازية من افغانستان ، ومنح الشعب الأفغاني المسلم والشقيق حق تقرير مصيره بنفسه ، واختيار نوع النظام الذي يرتضيه ويناسبه ، وذلك انطلاقاً من عقيدته وقيمه العليا الاسلامية ، وسيادته الوطنية على أرضه ، كما ساندت دولة قطر قضية مسلمي الفلبين ودعمت نضالهم في سبيل الحكم الذاتي وتحقيق شخصيتهم الوطنية الاسلامية المستقلة ، ووقفت الى جانب قضية الثوار المسلمين في أرتيريا .

ولم تدخر دولة قطر جهداً ولم تضن بمال في سبيل رفع شأن المسلمين في العالم ، ودعم مشاريعهم الاقتصادية ، وقضاياهم السياسية . وفي هذا النطاق ساهمت قطر في بنك التنمية الاسلامي ، كما استقدمت اليها البعثات الطلابية من مختلف الدول الاسلامية ، وقدمت منحاً دراسية لأبناء المسلمين من كافة الاقطار الاسلامية .

وتسهم قطر كذلك في المشروعات الخيرية الاسلامية بواسطة « رابطة العالم الاسلامي » التي تتخذ من مكة المكرمة مقراً لها ، وهي تشارك أيضاً في وكالة الأنباء الاسلامية ، وفي اتحاد الاذاعات الاسلامية .

وخلال العقد المنصرم ، استضافت دولة قطر العديد من قادة الدول الاسلامية والعلماء ورجال الدين المسلمين ، ووفود المنظمات الاسلامية ، كما انضمت الى اتفاقية التعاون الاقتصادي والفني والتجاري التابعة لمنظمة المؤتمر الاسلامي ، واعتبرتها عنصراً هاماً لدعم التضامن الاسلامي وفتح آفاق واسعة للعمل بمشاركة الدول الأعضاء في المنظمة ومع حلول مطلع القرن الخامس عشر الهجري استضافت قطر « المؤتمر العالمي للسيرة والسنة النبوية » الذي أصدر مجموعة من التوصيات الهامة دعت الى تثبيت مكانة السنة في التشريع الاسلامي ، والى تضامن المسلمين وتعاونهم في كافة الحقول والمجالات .

لقد ادركت قطر مع شقيقاتها الدول العربية أهمية قيام حوار عربى ــ اوروبى ، وذلك ضمن اطار المصالح المتبادلة والتى تفرضها الظروف الدولية والمحلية المحيطة بطرفى الحوار ، وخاصة فى ظل تزايد الاســــتقطاب الـــــدولى للقوتين العظميين .

وانطلاقاً من هذا المفهوم جاء قول الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني « .. وتحقيقاً للمصلحة العربية المشتركة ، قامت قطر بنصــــيبها فى الجهود الرامية الى تعبيد سبل التعاون مع الدول الاوروبية بغية ترسيخ أسس الصداقة وتبادل المنافع مع هذه الدول ، وليس من شك فى أن العـــــالم العربى ، يملك من الثروات والموارد المختلفة ، ما يشكل حقلا خصباً للتعاون المثمر مع أوروبا ، وان أوروبا تملك من القدرات التكنولوجية والامكانات العلمية ما يسمح لها بأن تقدم الكثير للعالم العربى لمصلحة الفريقين معاً » .

وانسجاماً مع هذا الفهم الواعى لأهميـــة الحوار العربى ــ الاوروبى شاركت دولة قطر فى جميع اجتماعات لجنة الحوار العربى ــ الاوروبى ، واستضافت فى الدوحة عاصمتها لجنة التعاون العلمي والتكنولوجى ــ وهى احدى اللجان المنبثقة عن مؤتمر الحوار ــ وذلك خلال الفترة من ١٦ ــ ١٧ آيار (مايو) ١٩٧٦ . وكان الموضوع الرئيسي على جدول الأعمال هو موضوع نقل التكنولوجيا ، وانتهى الاجتماع باتفاق الجانبين على عـــــدد من الموضوعات ، كان فى مقدمتها وضع خطـــة عملية لتدريب الكوادر العربية فى المجالات التكنولوجية

عصام شريح





السندباد البحري

سفينة السندباد كما تصورها طبعة ١٩٣٢ من « الـف ليلة وليلة »

في خطى السندباد

رحلة "السفينة صحار" من عُمان إلى الصّين

● بقلم: تيم سيفيرين ● تصوير: ريتشارد جرينهل ● ترجمة: محمد العزب موسى

داهمتنا العاصفة ساعة الغسق. كانت قوية مفاجئة كضربة عنيفة براحة اليد. اهتزت السفينة بعنف تحت وقع الضربة، ومالت مع الريح، واندفعت مياه البحر من فتحة الصرف فى جانب السفينة وتدفقت في دوامات إلى بطن المركب. سمعنا صوت تحطيم شديد ينبعث من أسفل، كان كل ما هو غير ثابت هناك يقع ويتحطم. وتدحرج إلى الأرض رجال نائمون فى أسرتهم على الجانب المواجه للريح، أما هؤلاء الموجودون على سطح السفينة، فقد تعلقوا بالحبال يشدونها نحو زاوية الايقاف المركزية لحفظ توازن السفينة المتأرجحة.

في خطى السندباد

رحلة "السفينة صحار" من عمان إلى الصين

ومن قلب العاصفة السوداء كانت تخرج ومضات من البرق ، تنفجر فوق رءوسنا كشظايا القنابل ، وبينما كنت اندفع فوق سطح السفينة ، كانت كل ومضة من البرق تجمد صور أفراد طاقمي فى حدقة عيني ، صور وجوه مقطبة ، وأذرع متوترة ، وأيد متثبتة بالحبال ، وارجل متشنجة على الحوافي العليا للمركب .

وعبر الفتحات الصغيرة اندفعت أشكال معممة كالجن ، إنهم افراد الطاقم وقد خرجوا يجرون فوق سطح المركب ، يصيحون ، ليس من ذعر ، وإنما فى ابتهاج ، لقد أبهجتهم مخاطر البحر ، وتقدمت الأيدي المجربة تتحكم فى الدفة ، ودار القوس ببطء عكس اتجاه الريح بينما راحت أيد اخرى ترخي الأشرعة ، ووسط اصطفاق الأمواج وانهمار المطر ، اعتدلت السفينة مرة أخرى ، وراحت تشق طريقها إلى الأمام ، كبهلوان ماهر عاد يتحكم فى خطواته بعد أن كاد يشرف على كارثة .

وبعد ساعة ، خرجت السفينة من خط العاصفة وتابعت خطوها الرشيق المعتاد تحت النجوم التى ترصع صفحة السماء فى الليل . وفوق رأسى كانت تنتفخ بالريح الأشرعة المثلثة الثلاثة ، وقد حمل كل منها هلالا قرمزياً ، وسيفين متعارضين ، وخنجراً محدباً .

وفى وسط السفينة كان ثمة مصباح معلق ، وقد جلس حوله البحارة يستريحون بعد العاصفة ، رحت أتأمل ملامحهم ، كانت وجوههم تشبه وجوه القراصنة ، قليلون منهم يرتدون «الشورت» ، بينما فضل معظمهم ارتداء المئزر على الوسط ، ونصفهم تقريباً يضعون عمامات على رءوسهم ، أما لون جلودهم فيتراوح بين الأبنوسى الأسود الى درجات مختلفة من البنى حتى القرنفلى الذى لوحته الشمس ، بعضهم يتحدث الانجليزية وآخرون يتحدثون العربية . كان المنظر بأكمله يوحى بألف ليلة وليلة ، تلك المجموعة من الحكايات والمغامرات والغراميات التى أسعدت الملايين عبر القرون ، ومنها رحلات السندباد البحرى ، وهى ما تهمنا هنا بالتحديد ، فقد كانت تلك هى سفينة السندباد التى نبحر عليها .

ولدت فكرة رحلتنا قبل ثلاث سنوات أثناء القيام برحلة أسطورية أخرى ، ففى عام ١٩٧٦ ــ ١٩٧٧ ابحرت مع طاقم من أربعة أفراد على قارب طوله ٣٦ قدماً مصنوعة من الخشب والجلد ، من ايرلندا عبر شمال المحيط الأطلنطى كى أثبت إمكانية اسطورة سانت برندان . إذ تقول التواريخ القديمة انه حدث فى القرن السادس الميلادى أن قام راهب ايرلندى يدعى «برندان» بالابحار مع عدد من زملائه الرهبان على مثل هذا القارب ، ووصلوا فى النهاية الى «الأرض الموعودة للقديسين» ومن المعتقد انها شمال أمريكا كما نعرفها حالياً . وبالرغم من عدم وجود دليل مادى واحد على هذه الرحلة إلا أن نجاحى فى عبور الأطلنطى على مثل ذلك القارب الذى استخدمه الايرلنديون القدامى يثبت أن أسطورة سانت برندان قد تكون مؤسسة على الواقع .

وهذا هو نفس رأيى فى رحلات البحار السندباد ، أو السندباد البحرى كما يسميه العرب .. أن رحلاته السبع الموصوفة فى «ألف ليلة وليلة» مؤسسة على رحلات حقيقية قام بها بحارة حقيقيون .

إننا نعلم أن الملاحين العرب كانوا يستكشفون الطرق الملاحية الواقعة الى الشرق من أوطانهم فى زمن لاحق فوراً على قيام سانت برندان باجتياز الأطلنطى ، كما أن البلاد والشعوب المثيرة التى قابلها السندباد فى رحلاته لها ما يماثلها من البلاد الحقيقية التى وصفها الجغرافيون العرب القدامى .

وكنت كلما تعمقت فى أسطورة السندباد ازددت شكا فى أنه مجرد بطل خيالى لتسلية الأطفال ، انه فى الحقيقة شخصية مركبة ، انه مزيج من القباطنة والتجار العرب الذين غامروا الى حدود العالم المعروف فى العصر الذهبى للملاحة العربية بين القرن الثامن والقرن الحادى عشر بعد الميلاد .

وهكذا ، قررت كما فعلت مع سانت برندان ، أن أعيد تحقيق رحلات السندباد ، سوف أصنع فلكاً كالسفن التجارية العربية القديمة وأبحر به عبر الطريق البحرى الذى ذللته المهارة العربية قبل ألف عام ، فى رحلة طولها ٦٠٠٠ ميل الى موانىء الصين ، وكنت أرجو أن تفيدنا هذه التجربة فى فهم كيف كان العرب يبنون سفنهم ويبحرون بها ، وكيف نشأت أقاصيص مغامرات السندباد .

ولكن مثل هذا العمل كان أكثر صعوبة وتحدياً من بناء قارب صغير من الجلد والخشب كالذى استخدمه برندان ، واقصد بالتحديد ما يلزم من بحث وتصميم وبناء لصنع سفينة عربية من العصور الوسطى المبكرة ، كما اقصد كيف يمكننى أن أجد وأدرب بحارة قادرين على تسيير مثل هذه السفينة ، وأن أجمع المؤن والمعدات الكافية لرحلة قد تستغرق معظم أيام السنة .

••

ما شكل سفينة عربية من القرون الوسطى؟

إن بناة السفن العرب لم يكونوا يستخدمون رسوماً أو خطوطاً لبناء سفنهم ، كانوا يعملون بالنظر فقط ، ويبدو انهم فعلوا ذلك دائماً ، وهكذا فان كل الرسومات العربية القديمة للسفن هى مجرد رسوم رمزية لا تعطى فكرة دقيقة عن التصميم الفعلى ، ولكنى وجدت فى خريطة برتغالية للمحيط الهندى تعود الى عام ١٥٢١ صوراً لسفينة عربية مبكرة تسمى «البوم» ، وهى تشبه التفاصيل التى استطعت جمعها من النصوص العربية القديمة عن الحجم





احتفال برفع العلم العمانى على «صحار» وتدشينها بعد الانتهاء من صنعها فى ١٦٥ يوما

والقدرة والسرعة والتصميم للسفن التجارية العربية فى القرون الوسطى .

والعرب القدامى لم يكونوا يستخدمون المسامير فى صنع «ألبوم» ، وإنما كانوا يخيطونها معاً ، وهذه نقطة هامة للغاية ، فاذا أردت أن تكون سفينتى حقيقية ينبغى ان تكون مربوطة بالحبال لا بالمسامير ، يا لها من فكرة شاذة ! .. ولكن لا سبيل الى تجاوزها ، فاننا نعرف من الرحالة القدماء ومنهم «ماركو بولو» أن السفن العربية كانت مربوطة الاجزاء بواسطة حبال مصنوعة من الياف ثمرة جوز الهند . ويقال ان العرب لم يكونوا يستخدمون المسامير فى سفنهم لأنهم كانوا يتصورون أن هناك أحجاراً مغناطيسية قوية فى قاع البحر تجذب فوراً كل الحديد من السفن العابرة .

وللبحث عن مزيد من المعلومات عن السفن العربية القديمة قمت بزيارة سلطنة عمان ، وتقع عمان عند مدخل الخليج ولها تراث ملاحى كبير ، فكثيراً ما نجد عبارة «السفن العمانية» مذكورة فى النصوص البحرية القديمة . ومن المهم أيضاً أن نلاحظ أن عمان ظلت محتفظة بتراثها المتصل فى صنع السفن العربية حتى عام ١٩٧٠ .

كانت عمان بلاداً مغلقة من الناحية الفعلية يعيش سكانها كما كانوا يعيشون منذ قديم الزمان الى أن اعتلى عرشها سلطان شاب قادر ، قابوس بن سعيد ، فبدأت بلاده تخرج فجأة الى العالم الحديث .

أمدتنى شواطىء عمان وموانيها بمعلومات ثمينة عن السفن العربيّة التقليدية وكيفية بنائها ، ولكن الأهم من ذلك أن العمانيين انفسهم أعطونى صداقتهم واستمعوا فى حدب وتعاطف الى مشروعى ، فقد رحب بى فى مسقط العاصمة صاحب السمو السيد فيصل بن علي آل سعيد وزير الثقافة والتراث القومى ، وقمت بدعوة من الوزير بعرض فيلم عن «رحلة برندان» وتحدثت عن مشروعى الجديد «رحلة السندباد» .

وبعد أسبوعين اتصل بى السيد فيصل ، وأبلغنى أن جلالة السلطان قد وافق على المشروع ، وأن وزارة الثقافة والتراث القومى سوف ترعاه .

أردت أن أتأكد ما المقصود بهذه «الرعاية» فوجدت نفسى فى مكتب الوزير مرة اخرى ، وأبلغنى بأسلوب غاية فى الرقة والكرم هذه الرسالة : ان عمان سوف تتكفل بكل



السندباد يتمتع بثرواته خلال فترات الراحة بين رحلاته

في خطى السندباد

رحلة "السفينة صحار" من عمان إلى الصين

نفقات المشروع من جيب السلطان الخاص ، نفقات السفينة وطاقم البحارة والرحلة وكل شيء ، وذلك نيابة عن الشعب العمانى ، والعالم العربى باكمله .

• •

انقضى العام التالى فى مزيد من السفر والبحث والمفاوضات والاتفاقات والتاخيرات والنكسات الصغيرة ولكن ايضاً مع التقدم التدريجى الحثيث ..

من الطلبات القليلة التى طلبها منى السيد فيصل أن تبدأ الرحلة يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٨٠ ، أثناء الاحتفالات بالذكرى العاشرة لارتقاء السلطان قابوس الحكم ، ومعنى هذا انه كان امامى اقل من ١٥ شهراً انجز خلالها تصميم السفينة ، واجمع موادها ، وأبنيها ، واجند البحارة ، واحصل على المؤن ، واحدد خط السير ، واحصل على اذن الحكومات التى سوف امر ببلادها فى الطريق بما فيها جمهورية الصين الشعبية .

وكخطوة أولى قمت باختيار مكان للبناء يعد بمثابة فال حسن للمشروع ، وهو مدينة صور الساحلية فى اقصى الطرف الشرقى لعمان ، فهنا وخلال قرون متعاقبة كان بناؤو السفن العرب يبنون السفن التجارية العمانية التى تمخر عباب البحار من زنجبار فى الجنوب الى الهند وسريلانكا (سيلان) فى الشرق لاحضار الاخشاب الثمينة والتوابل والعاج .

وقام «كولين مورى» وهو مهندس بحرى بريطانى سبق أن وضع التصميمات الرئيسية لقارب برندان ، بعمل نفس الشيء لتصميم «بوم» عربى من القرون الوسطى مستفيداً من المعلومات التى استطعت تقديمها اليه وبموهبته الخاصة فى فهم الطرق القديمة لبناء السفن .

وكان الحصول على المواد اللازمة لبناء السفينة عملا شاقاً ، فالعرب القدامى لم تكن لديهم اخشاب جيدة لبناء السفن لذلك كانوا يستوردون خشب الساج من ساحل مالابار بالهند ، ولكن فى عام ١٩٧٩ منعت الحكومة الهندية تصدير خشب السلج الخام ، ولحسن الحظ كان هناك نوع مشابه من الخشب يدعى «اينى» لا يشمله الحظر .

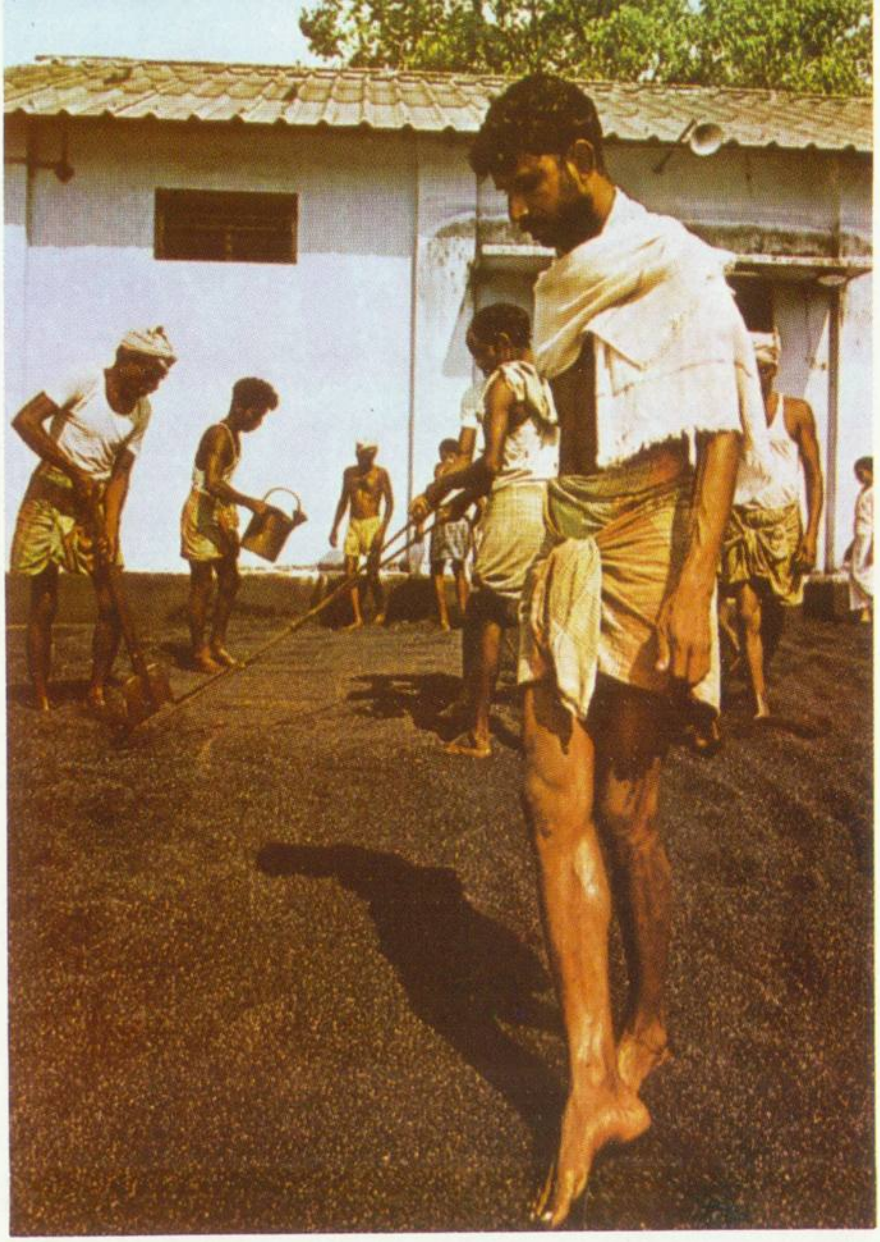
وقمت بسبع زيارات لغابات غرب الهند لتحديد موضع أشجار «اينى» التى احتاجها ، ووضع العلامات عليها ، وتدبير قطعها ، وبذلك حصلت على اكثر من ١٤٠ طناً من الكتل الخشبية قامت الأفيال بجرها من الغابات الى ساحل المحيط حيث نقلت بالسفن الى صور .

واذا كانت هذه العملية قد استغرقت وقتاً ثميناً إلا انه كانت تنتظرنى عملية أخرى لا تقل عنها استهلاكاً للوقت وهى البحث عن الرجال الذين يمكنهم ربط أجزاء سفينة بحبال جوز الهند ، وقد علمت أن هذه الطريقة كانت تستخدم حتى وقت قريب فى صنع القوارب الصغيرة فى عمان ، ولكنها ضاعت تقريباً الآن ، وعلاوة على ذلك فان الرجال الذين احتاجهم يجب أن يكونوا فى إمكانهم ربط «فلنكات» من الخشب يصل سمكها احياناً الى ثلاث بوصات .

وعلمت أن مثل هؤلاء الرجال يعيشون فى جزيرة «اجاتى» فى منطقة «لاكشادويب» البعيدة التى تقع على مسافة ٢٤٥ ميلا الى الشاطىء الجنوبى الغربى للهند ، ومن الغريب أيضاً أن جزر «لاكشادويب» نفسها هى التى كان يقصدها بناة السفن العربية فى أيام السندباد للحصول على حبال جوز الهند وذهبت الى «اجاتى» حيث قمت باستئجار عشرة من رجال الحبال كما اشتريت ما طوله ٤٠٠ ميل من حبال جوز الهند اللازمة لصنع سفينتى .

وهذه الحبال تصنع بطريقة خاصة فهى اولا تنتزع من ثمار جوز الهند بعد أن تترك لتتعفن فى مياه البحر ، وليس فى الماء العذب ثم تدق بمطارق خشبية لأن المطارق الحديدية تجعل نسيجها ضعيفاً ، واخيراً تغزل باليد لأن الحبال التى تغزل بالآلات لا تكون قوية بما فيه الكفاية .

وفى يوم اول السنة الجديدة ١٩٨٠ كان فريق بناء السفينة قد تجمع فى صور ، والى



في كلكتا .. رجال يفرشـون الفلفل لتجفيفـــه في الشـمس

جانب عمال الحبال كان هناك حوالى اثنى عشر من صناع السفن العمانيين بالاضافة الى «كتيبة» من النجارين الهنود استجلبتهم من الابار بالهند .

كان العمانيون يشتغلون بقواديم ذات شفرات حادة كسن الموسى لتشذيب عروق السينة ، بينما كان الهنود يفضلون استخدام الازاميل المصنوعة من الحديد اللين ، إذ يستطيعون بها تشكيل التجويفات المتداخلة فى بدن السفينة وعمل التعشيقات المعدة فى صواريها ، وقد نحتوا الصارية الرئسية التى يبلغ طولها ٦٠ قدماً من جذع شجرة واحدة فبدت كانها قد صنعت على مخرط عملاق .

كان شاطىء صور يضج بطرقات المطارق والازاميل ، وضربات القواديم والشواكيش بينما أخذ جسم السفينة يتشكل ويظهر للعيان ، هيكل ضخم طوله ٥٢ قدماً ، واذا كانت هذه السفينة لابد ان تكون جاهزة يوم ٢٣ نوفمبر فلا ينبغى أن نضيع لحظة واحدة وقد تعلم فريقى أن لا يسالنى متى نصنع هذا أو ذاك ، فان اجابتى تكون دائماً «اليوم» . ونتيجة لذلك أطلق العمال علي فيما بينهم لقب «السيد اليوم» ـ (مستر توداى) !

بذل الرجال جهداً خارقاً ، حتى فى حرارة الصيف تحت درجة ١١٨ فهرنهايت ، وما أن حل شهر يوليو حتى اصبح العمل فى مرحلته الأخيرة . وهى سد الثقوب المصنوعة يدوياً والتى تمر فيها الحبال وعددها ٢٠ الف ثقب ، وقد سددناها من الداخل بقشور جوز الهند ، ومن الخارج بمزيج من الصمغ النباتى والليمون . واخيراً مسحنا داخل السفينة بالزيت النباتى كمادة حافظة ، وقد اخبرنى عمال الحبال انه إذا تم تزييت السفينة بصفة منتظمة فانها تعيش فترة تتراوح بين ٦٠ و ١٠٠ سنة ، فى حين أن السفينة المصنوعة بالمسامير لا تبقى اكثر من عشر سنوات قبل أن يكون من الضرورى تغيير كل مسمار فيها .

وبعد أبهج حفل تدشين شهدته فى حياتى نزلت السفينة الى البحر ، لقد جاء رجال القبائل من داخل عمان ، والصيادون من القرى الساحلية ، وقباطنة البحر القدامى من صور ، وهم يرتدون ثياب الاحتفالات الزاهية ، وتجمعوا جميعاً يرقصون ، ويغنون ، ويحتفلون بمولد سفينة جديدة ، وبناء على طلب من السلطان تلقت السفينة اسمها ، لقد سميت باسم المدينة العمانية التى اشتهرت فى العالم العربى زمن الرحلات الصينية أو هى نفس المدينة التى ينسب اليها مسقط رأس السندباد نفسه .. «صحار» !

● ●

خصصت الأسابيع الأخيرة لمقابلة وانتقاء أفراد الطاقم ، وكان من أوائل المتطوعين جاويش شاب من القسم البحرى بالشرطة الملكية العمانية يدعى «خميس» ، وقد صعد «خميس» الى ظهر «صحار» فى ميناء مسقط حيث كنا قد حركناها الى هناك ، وكان يرتدى زياً عسكرياً نظيفاً ، وحيانى تحية عسكرية قوية الى درجة أن جسمه اهتز من الرأس الى القدم بعد الانتهاء منها ، وصاح قائلا فى نبرة عسكرية سليمة «خميس يا سيدى !» ثم أضاف فى ابتسامة عريضة «اريد أن أبحر الى الصين» . ولم يكن فى استطاعتى بالطبع أن أرفض هذه الحماسة ، ووافقت على انضمام «خميس» على الفور . وأعقب «خميس» سبعة عمانيون آخرون معظمهم مدنيون لهم خبرة فى الملاحة البحرية ، ولكن احدهم كان ضابطاً فى البحرية الملكية العمانية ، واسمه أيضاً «خميس» ، ولكى نفرق بينهما كنا نسميهما على التوالى «خميس بوليس» و «خميس بحرية» .

أما العشرة الآخرون من أفراد الطاقم فقد كانوا جميعاً غربيين ، ومنهم ثلاثة من البيولوجيين البحريين وكانت مهمتهم جمع العينات البحرية والقيام بتجارب الكشف عن التلوث ، واثنان من الغواصين المحترفين ، ورجل لاسلكى لتشغيل جهاز الراديو الصغير على سطح السفينة ، ومصور يدعى بورس فوستر لتشغيل الكاميرا وأجهزة التسجيل الصوتى ، ثم صديقى القديم من رحلة «برندان» «تروندور باترسون» . وفنان من جزر فارو ، وأخيراً ـ لحظنا العاشر ـ كان هناك «شانبى» !

جاء «شانبى» فى آخر دقيقة ، وكنت فى حاجة الى طباخ ، وزعم انه كذلك ، كان شانبى من بلوخستان ذا سن غير محدد ، يمتلىء جلده بالتجاعيد ، وقد قدمت له عرضاً عن طريق مترجم على سطح السفينة : أن يطبخ وجبة غذاء لأفراد الطاقم ، فاذا اجتاز الامتحان ، اجزناه .

كانت الوجبة عبارة عن حساء خضار بالكارى ، ولاباس بها عموماً ، فحصل شانبى على وظيفة طاهى ، ولكن كما تبينا فيما بعد لم

يكن «شانبى» يعرف أن يطهو غيرها ، وهكذا صار علينا أن ناكل نفس هذه الوجبة غير الشهية معظم أيام الشهر .

وفى يوم ٢٣ نوفمبر تجمع جمهور غفير من المودعين فى القاعدة البحرية بمسقط لمشاهدة الاقلاع ، وحضر السيد فيصل الحفل وقامت عدة زوارق حربية واليخت الملكى بمرافقة «صحار» حتى ابتعدت عن الشاطىء.

انسابت «صحار» فى اليم بسهولة ، وتوجهت الى تروندور الذى كان يقف بجوار الدفة الكبيرة التى يبلغ طولها ١٠ أقدام ، وقلت له : اتجه الى الجنوب الشرقى حتى نبتعد عن الأرض .. أبحروا ..» واندفع البحارة العمانيون الى الشراع الكبير الذى كان مطوياً ، وراحوا يفردونه وهم يرددون «ياالله .. ياالله .. والله المعين» وأخذ الشراع الكبير ينفرد ببطء على طول السارية الضخمة بواسطة حبل من القطن الخفيف حتى انبسط تماماً وامتلأ بالريح ، ودلفت السفينة الى البحر العريض .

● ●

من القواعد المعروفة بالنسبة للابحار فى المياه العميقة أن الأيام القليلة الأولى تكون مدعاة لخيبة الأمل ، ففى هذه الفترة قد تنقطع الحبال التى لم تختبر بما يكفى ، وتفك العقد التى لم تعقد كما يجب أو على العكس تلتصق بشدة فلا يسهل استخدامها ، وتنهار التجهيزات التى عقدنا عليها الآمال ، وتضيع الساعات فى البحث عن الأشياء التى دفنت دون أن نعرف مكانها أثناء الدقائق الأخيرة من تحميل السفينة .

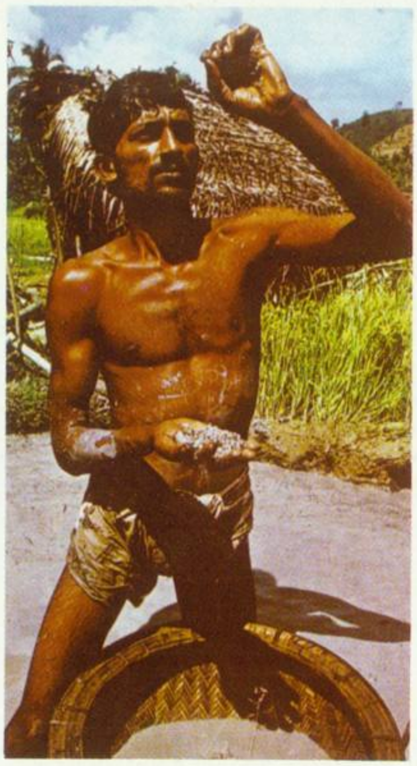
وهكذا كان الأمر مع «صحار» ، ولكن ما إن التقطنا الرياح التجارية الشمالية الشرقية (مونسون) القادمة من الهند وتوغلنا فى البحر العربى بسرعة تتجاوز أربع عقد ، حتى بدأت الفوضى تهدأ تدريجياً ، وأخذت الحياة على ظهر السفينة وقعاً منتظماً .

كان يومنا يبدأ مع الفجر حيث يؤدى العمانيون الصلاة ، ويلي ذلك الافطار بالخبز والشطائر ، وهو شىء لم يستطع حتى شانبى أن يفسده ، ولكنه كان كسولا بطيئاً امام مقلاته لدرجة أننا بدأنا نخلط بين الافطار والغذاء ، وكان أفراد الطاقم مقسمين الى ثلاث ورديات بحيث يعمل كل رجل أربع ساعات ويستريح ثمانى ساعات إلا فى حالات الطوارىء والمهمات الخاصة ، ومن أمثلة الأخيرة تغيير مجرى سير السفينة ، وهى مناورة سهلة بالنسبة للزوارق الحديثة ولكنها أصعب بكثير بالنسبة «لصحار» باشرعتها الضخمة المثلثة الشكل حيث أحد صواريها يزن أكثر من سيارة صغيرة .

● ●

بعد أن قطعنا ٣٠٠ ميل بعيداً عن مسقط بدأت أجوب الطرق التى كان يستخدمها العرب الأوائل فى تحديد موقعهم فى البحر ، لقد كانوا يستخدمون النجوم بدلا من الشمس فى تحديد العروض التى يوجدون بها ، ولايزال العمانيون من أفراد طاقمى يشيرون الى الاتجاهات باسماء النجوم لا مؤشرات البوصلة .

كانت أداة الملاحة الرئيسية لدى العرب الأوائل بسيطة بدرجة مدهشة ، تسمى «الكمال» ، وهى عبارة عن قطعة مستطيلة من الخشب يخترقها خيط به عقد ، وكان قبطان السفينة يضع طرف الخيط بين اسنانه ويجعل الحد الجنوبى للقطعة الخشبية ملتصقاً بخط الأفق ، وعن طريق رصد مكان النجم القطبى بالنسبة للجهاز يمكنه تحديد زاوية النجم القطبى فوق الأفق ، ومن ذلك يعرف دائرة العرض التى توجد فيها السفينة



غواص يحمل حفنة من الأحجار الكريمة فى سريلانكا

وبعد أن تمرنت على استخدام «الكمال» الذى صنعه البحارة بانفسهم أصبح فى إمكانى أن أحدد خط عرض «صحار» بحيث لا يتجاوز الخطأ ٣٠ ميلا من موقعها الحقيقى .

ولكن العرب الأوائل لم يكن بمقدورهم قياس خطوط الطول ، ولم يكونوا بحاجة ماسة الى ذلك ، لأن كل الشواطىء التى تقابلهم فى الطريق الى الصين تمتد بشكل عام من الشمال الى الجنوب ، وكانوا كأساتذة فى الملاحة البحرية يعرفونها بالنظر .

سارت السفينة بثبات فى اتجاه الجنوب الشرقى فى بحر العرب ، وكنت مسروراً بادائها الممتاز ، فقد كانت تشق طريقها بسهولة بين الأمواج بدلا من أن تحاربها وتلاطمها ، كما لو كانت تتصرف بذكاء .

أشد ما كان يضايقنا هو الرائحة الكريهة المنبعثة من المياه الآسنة فى جوف المركب ، وهى غاز هيدروجين السولفيد الذى تسببه البكتريا فيما يبدو ، وقد تسبب هذا الغاز فى إحساسنا بحرقان الزور والصداع ، ولكن تأثيره كان قاتلا بالنسبة للراديو ، إذ سرعان ما كان يغلق دوائر الراديو فلا تنبعث عنه سوى إشارات ضئيلة ضعيفة . وقد اضطرتنا هذه الرائحة الكريهة الى قضاء معظم الوقت على سطح السفينة فى الهواء الطلق إلا إذا هطلت علينا الأمطار الاستوائية بغزارة .

أما دورات المياه فقد صنعناها على نمط السفن العربية القديمة أيضاً ، وهى عبارة عن «شرفتين» مثبتتين فى مؤخرة السفينة ومطلتين على البحر مباشرة ، مثل «بنوار» المسرح ، وكنا فى الليالى الحارة نستطيع أن نقف فى هاتين الشرفتين حيث نرفع مياه البحر المليئة بالحبب بواسطة جردل ندليه بحبل ، ونأخذ حماماً ، وقد كان شيئاً ساحراً أن نقف فى الظلام ومياه البحر تنساب على رءوسنا كالجداول تاركة وراءها حبيباتها اللامعة على أجسادنا كاليراعات الصغيرة .

لم تصادفنا متاعب فى بحر العرب ، كانت السفينة تمخر عباب المياه فى يسر قاطعة ما يصل إلى ٨٠ ميلا فى اليوم ولكنى بدأت أخشى أن يشعر الأوربيون بالسأم ، فقد كانوا جميعاً شباناً نشيطين ، معظمهم جديدون على البحر ، وكانوا يجدون جنبات السفينة ضيقة ، وحياتها مملة تسير على وتيرة واحدة ، مثلما كان طعام « شانبى » مثيراً للغثيان . أما العمانيون على العكس من ذلك فقد كيفوا أنفسهم بسهولة مع وقع الحياة على ظهر السفينة ، فكانوا يثرثرون فيما بينهم ، وينشدون أغانيهم التقليدية ، وينسجون شباك الصيد ، ويغالبون النعاس . وكان فى إمكانهم أن يناموا فى أى مكان ، يستلقون على سطح المركب وقد فردوا عمائمهم وغطوا بها وجوههم لاتقاء أشعة الشمس



الصيادون الهنود فى بايبور يصنعون لنا شراعا اضافيا

ولكن إذا جاء وقت العمل فانهم يعملون بهمة ونشاط .

وكان من عادة العمانيين أن يغنوا بمصاحبة العمل الشاق ، وسرعان ما انتقلت هذه العادة إلى الغربيين الذين بدأوا يشاركونهم التصفيق بالأكف ، والدق بالأقدام ، والصيحات المنغومة التى تخفف من مشقة العمل ، وقد رحبت أنا بهذه الظاهرة إذ وجدت أفراد الطاقم يذوبون فى وحدة واحدة .

وفى منتصف شهر ديسمبر رسونا على البر لأول مرة ، فى جزيرة « شتيلات » الصغيرة إحدى جزر « لاكشا دويت » وهى جزيرة تحيطها الشواطىء التى تبهر العين بشدة بياضها ، ومياه البحر الصافية الزرقاء ، وتبدو عموماً كالجنة ، ولكنها جنة مدفونة تحت قبضة الرسمية الميتة ، فالحكومة الهندية تفرض عليها رقابة صارمة لتنظيم اقتصادها القائم على محصول جوز الهند الذى تحتكره الحكومة وهى لا تشجع أية اتصالات بين هذه الجزر والعالم الخارجى ، وتفرض على الارخبيل كله سيطرة بيروقراطية مغرورة غير كفؤة . وعندما ذهبت الى نقطة البوليس فى « شيتلات » لأريهم خطاب وزارة الخارجية الهندية بالسماح لسفينة « صحار » بزيارة أرخبيل « لاكشا دويت » لاحظت أمام « الكابتن » دفتراً ضخماً مكتوباً عليه « سجل يومية الجرائم فى نقطة شيتلات » . وكنت أعرف ان « لاكشا دويت » مشهورة تاريخياً بخلوها التام من الجريمة ، لذلك سألت كابتن البوليس عما اذا كانت الأحوال قد تغيرت ، فأجابنى وعلى وجهه مسحة من الزهو : « طبيعى .. ان الجزر الآن قد تمدنت ولذلك « يجب » ان تكون هناك جرائم » !

• •

كانت محطتنا الثانية فى « بايبور » بالقرب من كلكتا فى القارة الهندية نفسها ، وفى « بايبور » غادرنا « شانبى » استجابة للطلب الشعبى الملح من جميع طاقم السفينة ، وكان قد استقال فعلا خلال الأسبوع الذى استغرقته رحلتنا من « شيتلات » الى « بايبور » ، وبقى فى عمله مؤقتاً حتى نحصل على من يخلفهفيه ، وكان ينتهز الفرصة لسرقة الأكل كلما لم يجد رقيباً ، وقد حصلت على من يحل محله فى « بايبور » ، وهو « ابراهيم » ، وكان موظفاً حكومياً ضاق بروتين الوظيفة ويهفو الى حياة البحر ، واكتشفنا لسعادتنا ان « ابراهيم » طاه من الطراز الأول .

وأمدت بايبور « صحار » بأكثر من رئيس طباخين ، لقد أمدتها بعرائس لسبع من العمانيين أفراد الطاقم ، وكانت هذه مفاجأة مدهشة بالنسبة لى ، لقد كنت أعرف أن البحارة العرب ظلوا طوال القرون يأتون الى « بايبور » والى مدينة « كلكتا » المجاورة ، ومثل البحارة فى كل مكان فى العالم كانوا يتزوجون من النساء المحليات وغالباً ما يحتفظ الرجل بأسرتين إحداها فى وطنه العربى والأخرى فى « كلكتا » .

والطائفة المسلمة فى كلكتا تسر بشدة لتزويج بناتها من البحارة العرب ، ولكن ما لم أكن أعرفه ان قبطان السفينة العربية كان يجب الحصول على موافقته قبل زواج البحار ، وعندئذ كان يجب عليه أيضاً أن يقدم له منحة من المال لتغطية نفقات الزفاف .

وذات صباح انتحى بى جانباً واحد من أحسن بحارتى ويدعى « مسلم » ، والقى القنبلة ، قال انه التقى بفتاة فى « كلكتا » ويريد أن يتزوجها ، فهل يمكننى أن أقرضه بعض النقود لشراء هدية لأسرة الفتاة ؟

سألته فى عصبية « كم تريد ؟ » .

فأجاب فى أدب « كما تريد » ! .

سألته ماذا يفعل بزوجته الجديدة عندما تبحر « صحار » مرة أخرى ؟ فكان جواب « مسلم » ان الأمر سيكون على ما يرام ،

في خطى السندباد

رحلة "السفينة صحار" من عمان إلى الصين

سوف يرسل لها نقوداً بصفة منتظمة ، وسيحاول ترتيب أن تلحق به فى عمان فيما بعد .. ولكن ماذا عن زوجته وابنته اللتين تركهما وراءه ؟ فقال « مسلم » : سوف تسران بذلك ، اذ سوف تقوم الزوجة الجديدة بالمساعدة فى تنظيف المنزل والطبخ مما يعطى الزوجة الأولى مزيداً من الوقت للراحة والعناية بالطفلة .

فى النهاية أعطيت « مسلم » ١٠٠٠ روبية ـ حوالى ١٣٠ دولاراً ـ من صندوق السفينة ليشترى هدية الزواج ويقدمها لوالدى عروسه ، وحدست أن هذه سوف تكون سابقة خطيرة ، وقد صح حدسى بالفعل ، فخلال أقل من أسبوع تقدم جميع العمانيين فيما عدا واحداً فقط هو «خميس بحرية» بطلبات للحصول على سلفة ١٠٠٠ روبية للزواج من هنديات .

وغادرنا بايبور بعمرة فى هيكل السفينة وطقم إضافى من الأشرعة المنسوجة يدوياً ، وسبع عرائس جديدات !

● ●

بعد ظهيرة يوم ٢١ يناير ، وصلنا الى شاطىء سريلانكا ، أو « سرنديب » كما كان يسميها العرب الأوائل ، ومن هذا الاسم جاء التعبير الانجليزى « السرنديبية » ومعناه العثور على أشياء ثمينة بمحض الصدفة .

كان الضباب عند الشاطىء يحجب عنا رؤية قمة جبل آدم ، وهو جبل يبلغ ارتفاعه ٧٣٦٠ قدماً ، وهو معروف للبحارة العرب عبر القرون الماضية ، إذ تقول أسطورة اسلامية انه على قمة هذا الجبل وضع آدم قدمه لأول مرة على الأرض بعد أن طرد من جنة عدن .

ومن المحتمل أن تكون سرنديب هى المقصودة فى الرحلة السابقة من رحلات السندباد ، وفى هذه الرحلة أسر القراصنة السندباد وباعوه كعبد رقيق لأحد تجار العاج ، وكان التاجر يرغم السندباد على الذهاب الى الغابة كل يوم ليقتل فيلا ويحصل على أنيابه ، وفى النهاية دلت الأفيال السندباد الى مقبرتها السرية ، فكان السندباد يذهب الى مقبرة الأفيال ويحصل على بغيته من العاج دون أن يقتلها .

ونعرف من قصص السندباد أن سريلانكا كانت فيها أفيال أليفة ، وأخرى متوحشة ، وطبقاً « لألف ليلة وليلة » زار السندباد سرنديب مرتين ، وشاهد ملكها فى موكب عظيم على ظهر فيل ضخم ، ونفس الشيء تقريباً شاهده بحارة « صحار » اليوم ، فلا تزال سريلانكا تحتفظ بعيد تقليدى يسمى « بيراهيراس » يقام كل عام ، ويسير فيه الراقصون بالنار والمهرجون المتنكرون فى ملابس الكرنفال عبر الشوارع وفى ذروة الاحتفال تظهر الأفيال الضخمة المزركشة بالقصب .

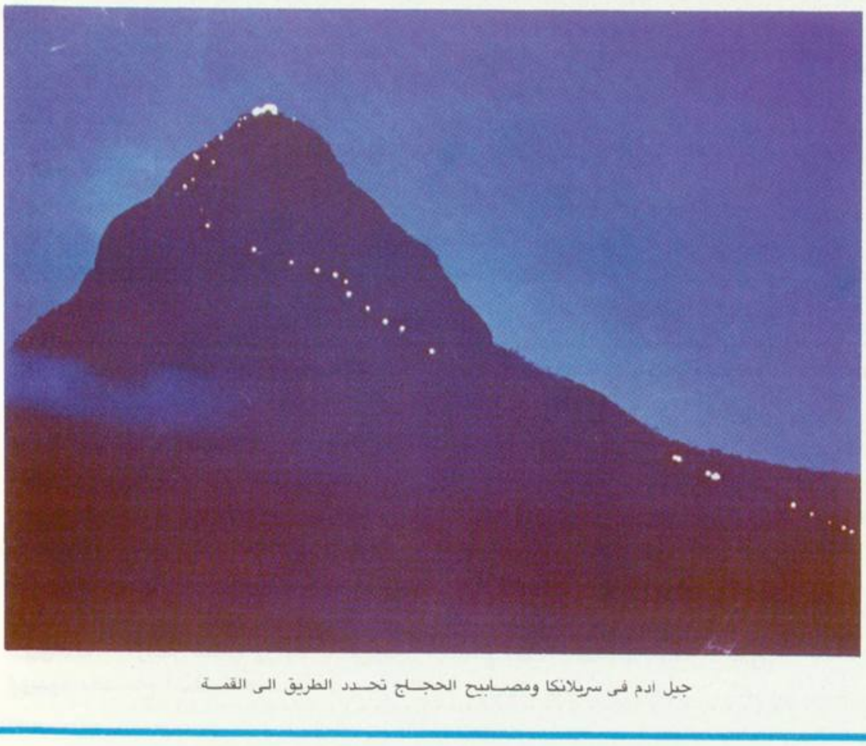
ويبدو أيضاً أن سريلانكا كانت موضع وادى الماس الذى زاره السندباد فى رحلته الثانية ، وقد استطاع السندباد أن يخدع الحيات التى تحرس الوادى ، وخرج وجيوبه مليئة بالجواهر .

والواقع ان سريلانكا لا توجد بها مناجم للماس ولكنها مشهورة عالمياً باحجارها الكريمة وشبه الكريمة مثل الياقوت ، والتوباز ، وعين القط ، والصغير الأزرق ، وهذه الأحجار ـ كما فى مغامرات السندباد ـ يعثر عليها فى بطون الأودية بعد التنقيب عنها فى السهوب الطمية ، والحيات تلجأ عادة الى هذه السهوب طلباً للرطوبة الباردة ، ومما له دلالة خاصة أن تجارة الأحجار الكريمة فى سريلانكا لا تزال فى أيدى المسلمين الذين مازالوا يتذاكرون حتى اليوم الملاحين العرب القدامى الذين أدخلوا الاسلام الى سريلانكا فى القرن السابع الميلادى .

فى سريلانكا غادرنا المصور « بروس فوستر » وحل محله « ريتشارد جرينهيل » ، كما حل تيم « ريدمان » وهو صديق من مسقط محل « تروندور » الذى كان عليه أن يعود إلى الوطن ، كما انضم الينا الطبيب « نيك هوليز » من لندن ، وخلال يوم أو بعض يوم كان القادمون الجدد قد استقروا فى « صحار » ، وأبحرنا من سريلانكا على عجل ، لنلحق برياح المونسون الجنوبية الغربية التى من المقرر أن تحملنا شرقاً إلى سومطرة .

ولكن رياح المونسون تأخرت علينا طويلا إلى درجة كدنا معها نصاب بكارثة ، فبعد أن أبحرنا ثلاثة أسابيع كنا لا نزال على مسافة ٧٠٠ ميل من سومطرة ، وبدأت أشعر بالقلق لاحتمال نفاد ما لدينا من الماء العذب ، فكنا نستخدم الماء العذب للشرب والأكل فقط ، ونفد بالفعل نصف المستودع فأمرت الرجال بأن يقتصدوا فى استهلاك الماء بقدر المستطاع ، فكان منهم من يحتاج إلى ستة أكواب من الماء فى اليوم واكتفى بعضهم بنصف هذا القدر ، وأحسن وسيلة للاقتصاد فى استهلاك الماء البقاء فى الظل ولكن الشمس كانت عمودية فوق رأسنا ، إذ كانت « صحار » تبحر على ارتفاع درجتين فقط شمال خط الاستواء ، ولذلك كانت الأشرعة الكبيرة لا تعطى إلا القليل من الظل .

ولكن فى الأسبوع الأول من مارس جاءتنا خبطة حظ ، فقد هطل المطر ، وصرنا نجمع مياه المطر فى « التاربولين » (قماش مشمع) ونضعه فى المستودع .



جبل ادم فى سريلانكا ومصابيح الحجاج تحدد الطريق الى القمة



الاحتفال بعيد « بيراهيراس » فى سريلانكا يعيد إلى الأذهان مواكب الفيلة التى شهدها السندباد .

بالنسبة لنا جميعاً نحن ركاب «صحار» سنظل نذكر يوم ١٨ مارس ببساطة باعتباره « يوم أسماك القرش » . عند الظهيرة ظهر سرب من الأسماك التى تشبه سمك « الماكريل » الكبير تحت السفينة الهادئة ، فأدليت « الصنارات » من فوق سطح السفينة وسرعان ما كانت هناك ست سمكت كبيرة تتخبط فى سلة فوق السطح ولكن فى اللحظة التى كانت السمكة السابقة فى طريقها الينا ظهر قرش طوله أربعة أقدام يشق الماء من الأعماق ، وابتلع السمكة ، ثم استدار وأطبق فكيه على « الصنارة » نفسها .

وفجأة تجمع أكثر من عشرين من أسماك القرش وراحت تلتهم سرب الماكريل ، فسارع خميس بوليس بقطع شريحة من إحدى السمكات فى السلة ، وثبتها كطعم فى خطاف كبير ، وأدلاه بحبل من فوق سطح المركب ، وخلال الدقائق العشر التالية ساد الهرج والمرج فوق « صحار » ، فقد أخذت أسماك القرش الواحدة بعد الأخرى تجذب بالحبال والخطاطيف الى ظهر السفينة حيث يهجم عليها العمانيون بالعصى والمضارب والأوتاد ، وهات يا طاخ طوخ ! وأسماك القرش تتخبط على سطح السفينة كالغيلان المخبولة ، والعمانيون يروحون ويجيئون وقد استخفهم السرور يضربون القروش وينزعون فى أفكاكها الخطاطيف ، ويدلونها بالحبال من جديد ، للحصول على المزيد من أسماك القرش !

والآن ، أصبح سطح السفينة فى فوضى شاملة أكثر من ١٢ سمكة قرش جريحة تنتفض بالغضب وتهاجم أى شىء فى متناولها ، وتبينت أنها مسألة وقت لا أكثر قبل أن يفقد أحد البحارة بعض أصابع يديه أو قدميه أو ربما يدا كاملة أو قدماً ، فصحت فيهم « بس .. بس » أى كفى .. كفى .. فقد حصلنا بالفعل على أكثر مما يمكن أن نستهلكه من لحوم سمك القرش ، وأخذت الضجة تهدأ تدريجياً ، فوضعت العصى جانباً ، ورفعت « الصنانير » ، وكومت أجسام القروش فى منطقة الطبخ ، ومسح سطح السفينة من الدم ، كانت حصيلة الغنيمة : ١٧ سمكة قرش فى ٢٠ دقيقة ، تزن ربع طن من الحم ، فقمنا بتمليحه وتجفيفه فى الشمس .

بعد خمسة أيام من ملحمة القروش كدنا نفقد مصورنا الجديد « ريتشارد جرينهيل » وقد كان «جرينهيل» تستهويه هوايته فى التقاط زوايا جديدة الى درجة تنسيه مخاطر السفينة المبحرة فى أعالى البحار ، فهو قد يتمشى على حافة إفريز السفينة فيكاد يسقط فى البحر ، أو لا يأخذ حذره فتضربه عقدة غليظة فى حبل ، وذات يوم هادىء قرر أن يلتقط صوراً « لصحار » من مسافة بعيدة باختراعه الجديد ، وهو عبارة عن عامود طويل من الخيزران ثبت الكاميرا بأعلاه ، وقفز جرينهيل فى البحر حاملا اختراعه المبتكر وسبح حوالى مائة ياردة ، وفجأة هبت ريح قوية ملأت قلاع المركب ، وصاح كل من على سطح السفينة « الريح .. الريح ! » وعندما تحقق ريتشارد فى النهاية مما يحدث بدأ يعوم عائداً فى اتجاهنا وهو لا يزال يحمل العامود والكاميرا ، وأمرت بانزال القلاع لأهدىء من سرعة « صحار » ، ومع ذلك ظلت الريح تدفع السفينة بعيداً عن المصور الذى يجاهد الماء ، وبشق النفس استطاع « ريتشارد » فى النهاية أن يصل إلى طرف حبل السلامة المدلى من السفينة ويتشبث به ، وحتى عند ذلك أصر على انقاذ الكاميرا أولا ، وجذبناه الى أعلى بعد أن أشرف فعلا على الغرق ، واتفقنا جميعاً على أنه لا ينبغى أن يغادر السفينة مرة أخرى بدون اذن ـ على الأقل فى عرض المحيط .

• •

في ٥ أبريل ، أي بعد شهرين من مغادرتنا سريلانكا بدأ الركود البحري (وولدروم) يخفف قبضته على «صحار» ، فامتلأت أشرعتنا بأول

هبات رياح المونسون الجنوبية الغربية وبدأنا نحرز تقدماً حقيقياً نحو سومطرة . وفجأة حدثت لنا كارثة خطيرة فى وقت مبكر ذات صباح ، فقد هبت ريح قوية على الجانب الخطأ من الشراع الرأسى أدت الى كسر الصارى فى لحظة واحدة ، وتدلى الشراع الضخم كالجناح المكسور ، وهكذا أصبحت « صحار » سفينة عاجزة ، فقمنا بانزال الصارى المكسور بحذر واحتراس حيث كان جزء منه يتأرجح الى الأمام والخلف عبر سطح الماء كأنه منجل مميت يهدد بتشويه من يرتطم به . وعلى ضوء الفجر الشاحب قمنا باصلاح الكسر بأن قطعنا الطرف المشجوج بأعلى الصارى ، وفصلنا عليه شراعاً مؤقتاً ، ثم رفعنا الشراع الجديد وقد صار أقصر مما كان عليه وبذلك انخفضت سرعة « صحار » بمقدار الثلث .

فى ١٥ ابريل بدا لأعيننا الطرف الشمالى لمضيق ملقة ، ذلك الممر المحيطى العظيم الذى تقطعه السفن التجارية بين الشرق الأوسط والشرق الأقصى وبخاصة ناقلات البترول التى تخدم اليابان ، وقد تطلع الينا طابور من تسع أو عشر سفن كبيرة ونحن نقترب من المطبق ، وفجأة هبت الرياح وزخ المطر مما أخفى عنا رؤية هذه السفن وشعرت كأن العالم كله قد صار بالنسبة لى كحارة ضيقة يقطعها رجل معصوب العينين ، ولكن «صحار» تمكنت من المرور بسلام .

وبعد ثلاثة أيام أخرى وصلنا أخيراً الى ميناء « سابانج » على جزيرة قريبة من الطرف الشمالي لسومطرة ، كنا قد قضينا في البحر ٥٥ يوماً متواصلة وبدت لنا « سابانج » جميلة للغاية كما كانت تبدو حتماً في نظر سابقينا من الملاحين القدماء

أما سومطرة ، الجارة العملاقة لسابانج فانـها مشهورة « بأرض الذهب » ، ويقال ان حاكمها كان من الثراء بحيث كان يلقي كل يوم قالباً من الذهب الخالص في بحيرة قصره لاظهار مدى ثروته ، ولكن بالرغم من كل جمالها فقد كانت « أرض الذهب » تبدو مخيفة في نظر الزوار العرب القدامى الذين زعموا أن سكانها كانوا من أكلة لحوم البشر

ولولا مهارة السندباد وذكاؤه لكان هو نفسه في عداد المأكولين .

فقد حدث خلال الرحلة الرابعة من رحلات السندباد أن تحطمت سفينته ، والقت الأمواج به وبيحارته إلى إحدى الجزر حيث خرج عليهم الأهالى المحليون وحملوهم الى ملكهم ثم راحوا يقدمون لهم طعاماً شهياً ، وشك السندباد فى الأمر وامتنع عن تناول الطعام بينما لاحظ أن زملاءه كلما أكلوا ازدادوا بلادة وذهولا ومرت الأيام والسندباد ممتنع عن الأكل وزملاؤه يسمنون ، ولم يمر وقت طويل حتى اكتشف أن أهالى الجزيرة من أكلة لحوم البشر ، وأنهم يسمنون هؤلاء البحارة لأكلهم واحداً بعد الآخر ، وارتعب السندباد وفر من قرية أكلة لحوم البشر ، وفى أثناء فراره مر على حقل فرأى زملاءه يرعون فيه كالبهائم على أربع يأكلون من حشائش الأرض تحت مراقبة راع .

ويبدو أن أصل هذه القصة المخيفة يعود الى أن أهل شمال سومطرة كانوا يستخدمون الحشيش فى طعامهم لاعطاء نكهة للطعام ، بالاضافة الى وجود بعض القبائل البدائية من أكلة البشر فى سومطرة .

كما تشير حادثة أخرى وقعت فى الرحلة الخامسة الى « معرفة » أيضاً بسومطرة ، اذ وقع السندباد فى احدى الغابات فى أسر مخلوق أحدب يشبه الانسان له جلد أسود جاف ، يعيش على الفاكهة البرية ولا يستطيع الكلام ، هذا المخلوق الذى أسر السندباد والذى أسماه « شيخ البحر » ربما كان هو ذلك النوع الكبير من القردة فى سومطرة المسمى أورانج أوتان .

وقد حصلنا من الغابات المجاورة على شجرة رفيعة طويلة قمنا بتشذيبها وركبناها فى « صحار » بدلا من الصارى المكسور ، ولاحظنا أن منطقة الميناء تبدو كمنجم لعلماء الأحياء المائية الذين كانوا متواجدين هناك بكثرة لجمع مجموعات ثرية من هذه الأحياء . وفى أوائل مايو قلعنا جنوباً فى مضيق ملقة قاصدين سنغافورة .

• •

كانت قد سبقتنا أخبار رحلتنا الى سنغافورة ، فاستقبلنا هناك استقبالا حافلا بواسطة كبير مرشدى الميناء الذى تقدم منا ببزته البيضاء ، واعتلى مركبنا ، وفى يده خريطة وجهاز لاسلكى « ووكى ـ توكى » .

وقال لنا بظرف « أنا مرشدكم » ثم ألقى نظرة الى دفتنا الضخمة التى يبلغ طولها عشرة أقدام وقال « ولكن كيف يمكننى أن أقود سفينة كهذه ؟ لست أتصور ! » ثم أضاف وقد جاءه خاطر مفاجىء « يبدو أن كل ما يمكن أن أفعله هو أن أعطيكم التعليمات وانتم تتولون القيادة » .

وأمسك مسلم بالدفة ، وتهادت «صحار» كالملكة نحو الميناء بينما أفسحت لها عابرات المحيط الضخمة طريقاً للمرور .

وعلى رصيف الميناء كان فى استقبالنا جمع غفير من أهل سنغافورة يغنون ويؤدون بحبور رقصاتهم الصينية والمالاوية وتلد ذلك أن تلقينا دعوات لا حصر لها كى نأخذ راحتنا فى سنغافورة ، ونعتبرها كمدينتنا .

كانت فكرة مغرية بلاشك ، ولكن لم يكن فى إمكاننا البقاء طويلا فى سنغافورة ، فقد كان علينا أن نقطع المرحلة التالية والأخيرة من رحلة « صحار » وهى اجتياز بحر الصين الجنوبى إلى وجهتنا المحددة



طريقة استعمال « الكمال » لتحديد خط عرض السفينة بالنسبة للنجم القطبي .

وهى ميناء « جوابخشو » أو « كانتون » فى أرض الصين ، وكان هدفى أن استفيد من الرياح الموسمية على طول الطريق : أولا من رياح المنسون الشمالية الشرقية ثم من رياح المنسون الجنوبية الغربية حتى يمكننا عبور بحر الصين الجنوبى قبل موسم الأعاصير .

ولكن بسبب تأخر رياح المونسون الجنوبية الغربية طويلا تأخرنا عن الموعد المحدد ، وبرغم من أن موسم الأعاصير يبدأ عادة فى يوليو إلا أن بعض العواصف الشديدة تحدث فى بحر الصين الجنوبى مبكراً فى مايو . وقد كنا حينئذ فى الأسبوع الأول من يونيو .

ولذا فقد غادرنا سنغافورة بعد زيارة قصيرة جداً ويممنا نحو البحار القديمة التى كان يعرفها الملاحون العرب باسم بحر « قندرانج » وبحر « كانكهاى » ، وقد كتبوا انه من بين كل البحار السبعة فى الطريق الى الصين فان هذين البحزين هما أسوأ البحور . فيهما يلقى الملاح العاصفة الضخمة التى يسميها بحارتى العمانيون المحدثون « الطوفان » واعتقد أنها كلمة محورة من « تيفون » وتعنى الأعصار ..

« المترجم : العكس هو الصحيح فان كلمة تيفون الانجليزية هى تحوير لكلمة طوفان العربية » !



ارتفع الرخ الى كبد السـماء حامـلا السندباد بين مخالبـه

كانت الأيام الأربعة الأولى بعد مغادرة سنغافورة هادئة بطريقة خادعة لدرجة اننى تصورت ان الحظ قد يصاحبنا طول الطريق الى « جوابخشو » ، ولكن كان الهدوء الذى يسبق العاصفة ، وقد عرفت ذلك فى اليوم الخامس ، فقبيل الفجر مباشرة هبت ريح معتدلة لم أشعر ازاءها بالقلق ، فقد صمدت « صحار » لعشرات من هذه العواصف الصغيرة خلال الشهور الماضية . ولكن هذه العاصفة لم تلبث أن تطورت على نحو مختلف إذ تحولت إلى ريح هوجاء ، وبدأت « صحار » تئن تحت حملها الثقيل وسمعنا صوت شرخ قوى بطول المركب من أسفل فتخيلت للحظة أن السفينة قد شقت الى نصفين ، ولكن تبين أن الشراع الرئيسى هو الذى كسر ، ولم يلبث أن سقط فى فرقعة شديدة .

بعد أن مرت الأزمة ، اعتدلت السفينة مرة أخرى ، وعكفنا على إصلاح الشراع المكسور ، ومرت بنا مجموعة مخيفة من السحب السود قادمة من ناحية الغرب تدور وتتدحرج كأنها دخان نار عظيمة ، وهذه ظاهرة محلية تسمى « قـــوس العاصفة » وبمجرد أن مرت عدنا إلى الابحار بهمة من جديد لأن كل يوم نقضيه فى البحر يزيد من مخاطر أن نواجه الأعصار البحرى المسمى « بالتيفون » .

وظللـا طوال ذلك اليوم نمر عبر الرياح العاصفة التى تتناوشنا من كل جانب ، واجتازتنا ثلاثة « أقواس عواصف » على الأقل ، وفقدنا خلال ذلك أشرعتنا الثلاثة التى تمزقت تماماً ، لقد كانت السفينة تحت وطأة عقوبة قاسية ولكن ملاحيها صمدوا صموداً رائعاً ، وقد حدث فى ذروة إحدى هذه العواصف أن جثا « خميس بحرية » على ركبتيه ، وأخذ يصلى بحرارة من أجل « صحار » وبحارتها .

إن سجل سفينتى بالنسبة للأيام الخمسة التالية يحكى قصة عابسة : إعصاران آخران يوم ١٦ يونيو ، وثلاثة يوم ١٧ يونيو ، وأربعة يوم ١٨ يونيو ، واثنان يوم ١٩ يونيو ، وواحد يوم ٢٠ يونيو .

ورغم أن الثمن كان باهظاً إلا أن هذه الأعاصير والعواصف دفعتنا نحو هدفنا ، وكنا بالمعنى الحرفى « نخيط » لنا طريقاً الى خارج المتاعب ، فقد كنا نجلس بالساعات المتواصلة فوق سطح السفينة نخيط أشرعتنا الممزقة كى نواصل طريقنا الى الشمال ، ولذا فان سجل سفينتى فى هذه الفترة يحتفظ بتدوينات أخرى : التقدم ٩٠ ميلا ذات يوم ، و ١١٠ ميلا فى اليوم التالى ، والرقم القياسى ١٣٥ ميلا فى اليوم الذى يليه .

ولمدة أسبوع كامل لم تكن هناك بقعة جافة واحدة فوق « صحار » . ولكننا اكتشفنا وسط هذه المتاعب بارتياح أن أسراب الصراصير التى شاركتنا حياتنا منذ بداية الرحلة كانت أكثر منا كراهية لبحر الصين الجنوبى ، فبعد يوم أو يومين من الأعاصير غسلت المياه قاع المركب ، ويبدو أن الصراصير تكره أن تعرض أرجلها للبلل فكانت عندما تميل السفينة الى جانب وتملأه الماء تتجمع الصراصير فى الجانب المقابل ، فاذا غيرت السفينة توازنها وغزت

المياه هذا الجانب تحركت الصراصير متململة تريد الهرب الى الجانب الآخر وبين هذه الحركة المتبادلة كانت مياه البحر تحمل هذه الكائنات الكريهة الى خارج السفينة وتغسلها غسلا . وهكذا شعرنا بشيء من الرضا حين عرفنا أنه بالنسبة لضيوف « صحار » غير المرغوب فيهم لم تكن رحلتهم سعيدة .

• •

في ٢٥ يونيو ، وقد خلفنا أقواس العواصف خلف ظهورنا ، بدأنا نشق طريقنا بين جزر « الباراسيل » وساحل « ماكلسفيلد » على خليج « تونكين » وأصبحنا الآن على مسافة ٣٥٠ ميلا فقط من فم نهر اللؤلؤ (نهر بيرل) وهو المجرى المائي الكبير الذي سيحملنا إلى هدفنا النهائي ميناء « جوانجشو » . ولكن هذه المنطقة أيضاً هي « مياه القرصان » ، فهذه المنطقة ملوثة بزوارق القراصنة الذين يهاجمون السفن غير المسلحة وأغلبها من سفن اللاجئين الفيتناميين الذين يبحثون عن الهرب من بلادهم التي تمزقها الحروب وهكذا تبين بعد ظهر يوم ٢٦ يونيو أننا في حاجة إلى بنادقنا وقنابل الغاز التي اقترضناها من القوات المسلحة لسلطان عمان للدفاع عن أنفسنا إذا تعرضنا للهجوم .

فبعد منتصف اليوم بقليل ظهر على الأفق قارب صغير أخذ يقترب منا حتى أصبح على مسافة ميل أو ميلين وتبينت عبر منظاري المكبر ان القارب لا يحوي سوى رجال ، وقد كنا بعيداً جداً عن مناطق الصيد الساحلية مما ينفي احتمال ان يكون هذا الزورق تابعاً لحراسة الشواطئ ، وكنت قد سمعت بأوصاف النمط التقليدي لقراصنة بحر الصين الجنوبي : إنهم جماعات مسلحة تسليحاً جيداً يستخدمون زوارق سريعة ويهاجمون السفن الصغيرة وأحياناً يقتلون ركابها ، بل ان القراصنة خارج سنغافورة يهاجمون حتى ناقلات البترول الضخمة ، ولما أخذ الزورق يتقدم نحو « صحار » فقد أمرت البحارة بامتشاق أسلحتهم .

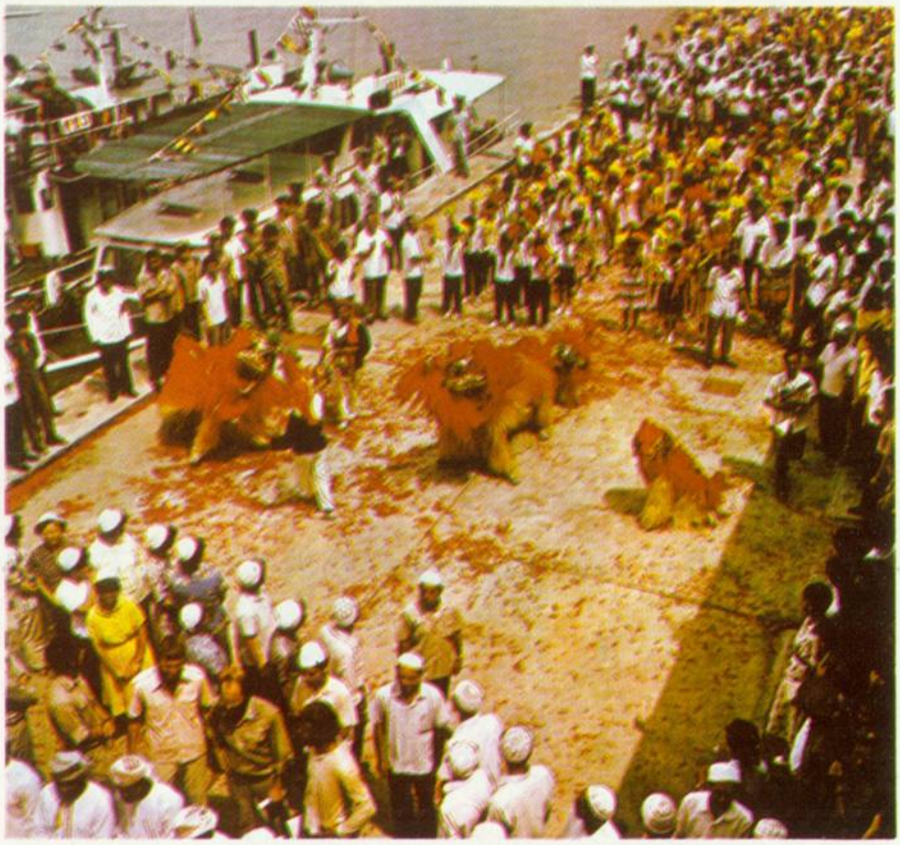
ثم تبين أن هذا الزورق لا يحوي قراصنة وانما على العكس يحوي ضحايا محتملين للقراصنة ، كانوا مجموعة صغيرة من الفيتناميين ، سبعة رجال ، وأربع نساء ، وسبعة أطفال يحاولون الوصول إلى « تايوان » ، وقد نفد لديهم الماء العذب والطعام والملابس وغير ذلك من المعدات ، وعندما شاهدوا شكل « صحار » الغريب قرروا المغامرة بالاقتراب منها لطلب المساعدة ، ولكنهم كاجراء احتياطي أخفوا النساء والأطفال في قاع الزورق .

وفعلنا ما نستطيع لمساعدتهم ، فابتدأنا بتزويدهم بالماء العذب والأجولة وصناديق المعلبات والثياب ، كما أعطيناهم صندوقاً يحوي معدات طبية استطاع « نيك هوليز » تجميعها ، ثم قام « نيك » بفحص هؤلاء اللاجئين ، ووجدهم جميعاً في صحة جيدة فيما عدا ما نالهم من إرهاق بسبب وجودهم في البحر أكثر من أسبوع .

وقمنا بفحص هيكل زورقهم « وموتوره » ووجدنا أن كل شيء سليم فيما عدا البوصلة التي كانت قد توقفت عن العمل بسبب نفاد سائل الطفو فيها ، فأصلحناها ، ثم رسمت لهم خريطة سريعة مستعينا بالبوصلة لتحديد الطريق التقريبي الى « تايوان » وحاولت بقدر المستطاع أن أشرحها لامرأة منهم تعرف كلمة أو كلمتين من اللغة الانجليزية . كانت مشكلتهم الحقيقية أن لا أحد على ظهر ذلك الزورق لديه أية معرفـة بالبحـر ، ولكن كان معهم رصيدان قويان هما الأمل والتصميم . وبالطبع فانهم بمثل هذا الزورق البخاري الصغير يبحرون أسرع منا ولديهم فرصة طيبة للوصول إلى هدفهم ، وقد ودعناهم ، وسرعان ما انطلق زورقهم وأصبح بعد قليل نقطة متلاشية على أفق البحر الواسع .

• •

وبعد يومين اكتحلت عيوننا لأول مرة برؤية ساحل الصين ، كان أول ما بدا لنا قمة جبل « راوانشان » عند مدخل نهر بيرل وقد ظل هذا الجبل قرونا طويلة بمثابة المنارة التي تهدي الملاحين العرب في طريقهم الى ميناء النهر العظيم الذي يعرف اليوم باسم «جوانجشو» ، ولكن العرب كانوا يسمونه « خانفو » وهنا كان العرب وغيرهم من الاجانب يأتون في اعداد متزايدة للاتجـــار في البروسلين



عندما رقص الصينيون ابتهاجاً بوصول السندباد الجديد



نهاية الرحلة .. الاستقبال الرسمي في كانتون من اليسار إلى اليمين : هوانج شن وزير العلاقات الثقافية الصيني ، ليو تيانغو حاكم الاقليم ، السيد فيصل بن على ال سعيد وزير الثقافة والتراث القومي العماني ، تيم سيفرين ، الشيخ مستحيل بن احمد المشيني وكيل وزارة الثقافة العماني .

والحرير لدرجة أن الصينيين عينوا مفتشاًخاصاً بالجمارك لمراقبة المبادلات .

كان مدخل نهر بيرل متسعا ومهجوراً ، وبدا كأن الحدقة البيضاء لقمة جبل « راوانشان » تحدجنا بنظرات وحيدة باهته ونحن نشق طريقنا عبر المجرى العريض ، وأوينا لقضاء الليل في مرفأ مهجور لجزيرة صغيرة وكان يشاركنا قاربان آخران يرسوان بالقرب منا ، ولكن الصيادين في هذين القاربين لم يفطنوا فيما يبدو لوجودنا ، فقد كان يحيطنا الصمت المطبق .

فى ظهيرة اليوم التالى اتصلنا أخيراً بضيوفنا الصينيين ونحن مازلنا نتقدم مصعدين فى النهر ، فقد ظهر فجأة قارب حربى سريع وأخذ يبعث باشارات ضوئية ، ولم نستطع أن نقرأ رسالته ، ولكننا ببساطة رفعنا العلم الصينى وألقينا المرساة فى عرض النهر ، ويبدو أن ذلك أرضى القارب فقد انطلق بعيداً عنا موغلا فى النهر .

وفى صباح اليوم التالى ، اقترب منا صندل ضخم ، وجاءنا عبر الراديو صوت بلغة انجليزية ممتازة : « كيف حالكم ؟ أنا السيد / ليو من وزارة الخارجية الصينية وقد جئت من جوانجشو لاستقبلكم » ، وشعرت فوراً بالجو الرسمى لهذه اللحظة فأجبت عبر الراديو بنبرات مؤدبة « كيف حالك ؟ أنا تيم سيفرين ومعى افراد طاقمى لقد جئنا من عمان لمقابلتكم » .

وبعد ذلك سحبنا الصندل الى رصيف جوانجشو حيث كان فى انتظارنا استقبال بهيج . وبذلك استطعنا النجاة من أول طوفان فى الموسم قبل ٤٨ ساعة فقط .

• •

كان كرم مضيفينا الصينيين لا ينسى ، فقد قاموا باصطحابنا فى جولات فى جوانجشو وقدموا لنا أفخر الأطعمة كما لو كنا لم نذق شيئاً طوال الرحلة ، لقد قطعنا ٦٠٠٠ ميل فى سبعة أشهر ونصف لنصل إلى هذه الوليمة العظيمة المستمرة المسماة « جوانجشو » !

وقد كان ما سر له الصينيون بصفة خاصة أن ما فعلناه يعتبر من قبيل « عمل الفريق » ، وهى صفة يقدرونها تقديراً كبيراً فى الصين ، كما أبدوا سروراً واضحاً بكوننا قد أعدنا العلاقات التاريخية التى كانت تربطهم بالعالم العربى فى عصر رحلات السندباد .

وقد حضر للاشتراك فى حفل الاستقبال الرسمى صديقى السيد فيصل وزير الثقافة والتراث القومى العمانى الذى طار على رأس وفد رسمى فى إحدى طائرات السلطان ، ووصل للترحيب بهم وفد صينى رسمى من بكين .

وعندما جاء دورى للحديث فى حفل الاستقبال ، شعرت باحاسيس من الأسف ، فها قد جاءت اللحظة التى لن يعود بعدها رجالى يكونون فريقاً واحداً ، لقد حققنا ما قمنا لتحقيقه ، تتبعنا خطى السندباد عبر ربع المسافة حول العالم ، والآن وصلت مغامرتنا الى نهايتها .

و « صحار » أيضاً قد أتمت الغرض الذى بنيت من أجله وسرعان ما سوف تنقل على ظهر إحدى السفن الى مسقط لتعرض هناك كالمتحف ، لقد كان التحمس والكرم الذى أبداه سلطان عمان وشعبها بالاضافة إلى دقة الرجال الذين بنوا « صحار » وأبحروا بها سبباً فى جعل رحلات السندباد حقيقة واقعة ، والآن ، سوف تصبح هذه الرحلة ، مثل رحلات السندباد السبع ، مجرد حكاية أخرى ●

عن مجلة ناشيونال جيوجرافيك عدد يوليو ١٩٨٢

ترجمة : محمد العزب موسى

مع الفنانة الفلسطينية
لطيفة عبد الرحمن

أصبح الواقع الفلسطيني مرتبطا بروح كل فنان عربي

حوار: بشرى ناصر


فتاة من فلسطين

لطيفة يوسف عبد الرحمن ..
فنانة تعمل بصمت .. ليس من ثمة صخب غير الذي يعتمل في وجدانها .. طموح واحلام وشحنات من الدفق الحي .. وكثير من قلق وتوتر ..

إنه اغنيتها وانشودتها .. تناجيه بالريشة وتمتلىء امامه بالحزن المتفجر ..

من مواليد فلسطين .. من منطقة «أسدود» ، ومن عرف فلسطين وعاش فيها .. تفتحت عيناه على الخضرة والبرتقال .. وساهم فى مواسم الحصاد .. ونزف عرقاً وهو يحرث الأرض في عشق ، لا تضيع رائحته من الذاكرة .. لن يستطيع إلا أن يظل فى ملحمة طويلة من العشق وزاد من الذكريات العذبة .. والأمل الرائع فى الولادة الجديدة على الأرض .. الام .

لطيفة يوسف عبد الرحمن ـ صورة للانسان الذي أبصر الرؤية فى مخيمات اللاجئين ..

اشتغلت بالثورة والتمرد منذ الطفولة .. لذا فقد أصرت على إكمال دراستها حتى المرحلة الثانوية فى خان يونس ..

ولم ينطفىء التطلع والتحدي من اجل أن تختط الطريق .. التحقت بمعهد المعلمات والفتيات الفلسطينيات في (رام الله) بالضفة الغربية .. حصلت على التخصص سنة ١٩٦٧ فى التربية الفنية .

لم تكن دراستها اكاديمية فقط .. وإنما كانت فترة خصبة ، إذ حصلت على جوائز عديدة فى الخط والرسم طوال فترات دراستها ..

بعد التخرج تقول لطيفة :

حزمت أمتعتي وغادرت إلى البحرين .. وعملت كمدرسة للمرحلتين الاعدادية والثانوية حتى سنة ١٩٧٠ .. وجئت إلى هنا .. لم أركز على التدريس فقط .. بل شاركت فى العديد من الجمعيات باعمال بيعت لصالحها .. ومازلت أشارك سنوياً في معرض التراث الفلسطيني .. واخيراً قدمت مساهمات في معرض الفن التشكيلي الفلسطيني بمناسبة أسبوعنا الثقافي عام ١٩٨٢م ..

وأسال الفنانة لطيفة :

كثيراً ما نسمع عن المدارس الفنية والأساليب المتنوعة التى يتبعها الفنانون ... ترى لأية مدرسة تنتمين ؟

ـ كل مدرسة لها لونها الخاص بها .. بالنسبة لي ، فانا أميل للمدرسة التاثيرية ، لأن الانسان مهما كانت طاقاته الفنية لا يستطيع أن ينتمي للواقعية التى حاولت أن انتمي إليها فوجدت عجز الانسان عن



لوحة تعبر عن جيل التحرير وكله عزم وإصرار

أصبح الواقع الفلسطيني مرتبطاً بروح كل فنان عربي



الوطن والأمل .. كما عبرت عنه الفنانة في هذه اللوحة .

التعبير للواقع الذي ينتمي إليه .

احاول من خلال ـ البورتريه ـ أن أعبر عن مضمون الفكرة لأن الفرد هو العنصر الأساسي في عملي دوماً .. لمشاهدتي على الطبيعة الحية ما يعانيه هؤلاء ومشاركتي ايضاً لتلك المعاناة .. ولا أعتقد أنها معاناة سهلة ..

عطاء الفنان الفلسطيني والعربي

وماذا غير ذلك ؟

بدأت أسئلتي تتوالى ، وبدأت أجوبتها قلت لها :

● لن يستطيع الحديث عن فلسطين بصورة صادقة مثل الفلسطيني ذاته .. فهل نتحدث قليلا عن الفن الفلسطيني وأهم ما يميزه ؟ .

ـ الفن الفلسطيني ذو أصالة قديمة .. ومتفرع ومتعدد .. فهناك الفخار والنسيج .. كانا يمارسان من قبل مجموعة كبيرة من الناس قديماً .. ومازال البعض يتقنهما .. وقد أصبحت الآن من التراثيات التى يعتز بها الفلسطينى لابراز هويته اينما كان .

كانت المناظر الطبيعية الجميلة فى الماضى تشد الفنان الفلسطينى ليرسم البرتقال والزيتون ويرسم جرار الماء . ويوجد لدينا فنانون عديدون .. ولكن من ضمن من قدموا للعالم عدالة القضية عن طريق لوحاتهم كان اسماعيل شموط .. وهناك فنانون على مستويات مختلفة .. ولست أدرى لماذا يلفهم النسيان الآن بالرغم من اعمالهم الجيدة امثال سامية طقطق ـ هدى ميخائيل ـ توفيق عبد العال ـ كمال بلاطة ، الذى كان له أثر كبير بتعلقى بالخط العربى ..

● وهل نعطى جانباً للفن فى الوطن العربى عموماً : ماذا ينقصه .. وهل وصل لمرحلة التعبير عن الواقع المعاش ؟

ـ فى كل يوم جديد يبرز عطاء أكثر للفنان التشكيلى العربى وهو عطاء كبير وغير محدود .. لذا فقد خرج فنانون ليعبروا عن أمور لا تمس المواطن ولا تهمه .. ولهذا فالمردود المعنوى للمعارض لا يكون بالصورة التى يتوقعها هؤلاء الفنانون ...

فالفن وسيلة للتعبير عن المجتمع بما يعتريه من تفاعلات وانفعالات وتغيرات من شتى النواحى .. الفن ليس كل التراث .. ولكنه رسالة حرة يجب أن تعني الكثير .

أثر الأساليب العالمية

● ما هو الأثر الراجع على العالم العربى من الأساليب الفنية العالمية والتيارات المتعددة خاصة ونحن الآن ننفتح على العالم الخارجى بكل ما فيه من حضارة وانهيار ؟

ـ أعتقد أن الأساليب الفنية العالمية المتعددة قد ساعدت الفنان العربى على بلورة أفكاره بالرغم من أن الأسلوب متوفر فى أعماق كل فنان ... ولكن التكنيك والحداثة فى استخدام الخامات وغير ذلك للأسف مازال يقدم لنا على طبق من ذهب من الغرب .. بالرغم من قدرتنا على ذلك .. ونحن نمتلك ما نملك من أصالة وقدم يذكرنا بتراث غنى جداً فى كل مجال ..

لذا نجد بعض الفنانين يخلطون بين هذا وذاك فى لوحة واحدة أو عمل واحد .. وتكون النتيجة التخبط .. والشعور فى النهاية بعدم الرضى ..

انا بطبعى لا أميل للسريالية مهما كانت جودة العمل .. فالواقع مليء .. وغني .. فلم نلجأ للحلم والبعد والخيال ؟ طالما نحن قادرون على التعبير بأسلوب أبسط وأقرب للجماهير ولأنفسنا أيضاً ؟

ومن يقول لندع الجماهير تصبح ذات نظرة فنية ونعودها على ذلك فهو مخطىء .. فجميع الفنانين العالميين لم يظهروا على السطح إلا من خلال اعمالهم الواضحة التى تعبر وتسجل وتذكر شيئاً . ولا أريد أن أكرر ما يعرفه الجميع عن مايكل انجلو وليوناردو دافنشى .. وفان جوخ ورينوار .. وغيرهم .. فهم لم يصلوا الى تلك الشهرة والصيت إلا من خلال أعمالهم الخالدة والواقعية والمسجلة لزمنهم ..

وثمة فنانين عرب عبروا عن مضمون يعكس للجماهير بصدق قضية ما وامنيات ما .. منهم الفنان العراقى جواد سليم الذى كان امتداداً لفنانى العراق والخليج عامة .. فى البحرين أذكر الفنان عبد الكريم العريض صاحب الشفافية والريشة الصافية ..

● ولكن .. من خلال كل ذلك .. ما هو واقع الفنان الفلسطينى ..

ـ من حيث واقع الفنان الفلسطينى فهو يتجه من خلال لوحاته للتعبير عن واقعه ومآساته ، لذا فالفن مرتبط ارتباطاً وثيقاً بروحه وكيانه .. وقد أصبح الآن الواقع الفلسطيني والقضية مرتبطاً بروح كل فنان عربى ودليل ذلك ما قدمه الفنان العربى جمال قطب فى لوحة قدمتها مجلة العهد موضوعها مذبحة صبرا وشاتيلا .

ما أريد قوله إن المهموم لدى الفنان العربى واحد والقضية واحدة .. وما علينا إلا التحاور من خلال الأعمال البسيطة التى نحاول تسجيلها ...

● فى النهاية .. ماذا تحبين اضافته ؟

تقفز الاجابة من فمها جاهزة لتقول :

ـ أحاول تكريس جهدى لعمل مجموعة تمثل كل اتجاهاتى فى معرض بسيط وهذا متروك للوقت والتوفيق والعمر باذن الله .

بشرى ناصر

توهّج

شعر : شهاب غانم

وحين تعودُ إليَّ .. برغمِ المسافاتِ ....
أشعرُ أن التوهّجَ قد عادَ يرتادُ وجْهي
وأسمَعُ صوْتَ العصيِّ التى فى دواليبِ عمري تكسَّر
تحت التوهّج
تحت النجومِ التى التَمَعَتْ فى عيُوني
كما يتَكسَّر عودُ الثقاب

• •

أقبِّل جفنيك ... والبحر يفصل ما بيننا والجبالْ
فاستلهمُ البَحْرَ
أقرأ فى كل شكل له حكمةً
فأدركُ سرَّ السكونْ
وأدركُ سرَّ الهَيَاجْ
وأشهدُ للحُسْنِ فى البَدْرِ سحراً جديداً
إذا ما غَدَا فوقَ أمواجِهِ الراقِصَاتِ شَظَايَا
فأدركُ كيفَ يكونُ القلقْ
وكيف يزيد جمالَ انكسارِ جفونِك طولُ الأرَقْ
فالثمُ جفنيك
لكن تظلّ البحارُ ... وتبقى الجبالْ
فيلهمني كلّ طودٍ يلوحْ
معاني الشموخْ
وفلسفةَ الصبرِ والاحتمالْ

• •

وحين السواعدُ حولك تلتفُّ
يسبقهن إليك التلهفُ
حين يلينُ الزمانْ
ويأبى علينا المكانْ
فاهصر شوقَك فوق ضلوعي
واعجب كيف توحد فى ساعديَّ النقيضانِ
– قمة عنفي ... وأقصى حناني –
وعندئذ لا أحسُّ بطولِ المسافاتِ .....
بالبحرِ ......
بالموج ......
بالليلِ ......
أو بارتفاع الجبالِ ....
هنالك ، لست أحس بغير التوهُّجِ يجتاحُ نفسي ..
وفيض الجمالْ .



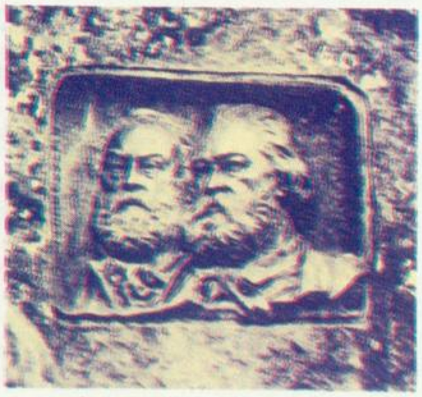
شهاب غانم – دبى

من روائع الفن العالمي

جمـــال قطــب

جماعة باربيزون

معزوفة الطبيعة في وجدان الفنان



النصب التذكاري فى قرية « باربيزون » لمؤسسى الجماعة « تيودور روسو » ، وجان ميـيـــه

رأينا فى حلقة سابقة كيف بلغ الصراع أشده فى النصف الأول من القرن التاسع عشر بين فـــريقى الكلاسيكيين والرومانتيكيين ، حتى وصل إلى قمة التحدى فى الربع الثانى من ذلك القرن .. إلى أن ظهـــرت الجمهورية الفرنسية الثانية بعد ثورة ١٨٤٨ كنتيجة طبيعية لحركات القمع التى سادت فرنسا خلال حكم شارل العاشر (١٨٢٤ ـ ١٨٣٠) ، لـــويس فيليب من بعده (١٨٣٠ ـ ١٨٤٨) ، كما كانت لآراء « جان جاك روسو » التى نادت بالرجوع إلى الطبيعة والفطرة ، أثر كبير فى اشعال الثورة ضد الفنون الكلاسيكية .

ولكن التعنت الشديد الذى انتهجه الفنان (دافيد) فى فـــرض الكلاسيكية على فنانى الثورة ، أحدث رد فعل بين بعض الفنانين الشبان ، فسعوا إلى التحرر من تلك الأساليب الكلاسيكية التقليدية ، متجهين إلى تصوير الانفعالات من الأحداث التاريخية وكذلك الأحداث المعاصرة .. وتولى قيادة الدكتاتورية الفنية فى فرنسا بعد (دافيد) ، تلميذه (أنجر) عام ١٨٢٥ ، وبالرغم من أن أنجر قد اتجه بالكلاسيكية إلى البحث الملتزم عن (الجمال) أينما كان شريطة أن يكون مثالياً ، وتحرر من قيـــود الميثيولوجيات الاغريقية والرومانيـة التى فرضها استاذه (دافيد) ، إلا أن القيد ظل يكبل الفنانين الباحثين عن التحرر واللجوء إلى الفطرة والطبيعة وتأمل أسرار الكون من حولهم دون كلفة أو تصنع !

وما أن حل عام ١٨٣٠ ، حتى هجرت مجموعه من الفنانين الشبان باريس ، هرباً من سطوة القيود الأكاديمية التى فرضها انجر ، ولجأوا إلى قرية صغيرة تبعد عن العاصمة حوالى ٤٨ كيلومترا تدعى (باربيزون) وتقع على حدود غابة (فونتين بلو) الشماليـــــة . وتزايدت هجرة الفنانين إلى هذه القرية فى المدة (١٨٣٠ ـ ١٨٧٥) . وتكونت منهم جماعة عرفت باسم (مدرســـة باربيزون) أو جماعة الخروج إلى الطبيعة . وقام الفنانون برسم موضوعات استوحوها من الطبيعة مباشرة تتناول البحر والسماء والغابة وكل ما تقع عليه أعينهم من جماليات الكون الفسيح .

وقد اعتبرت أعمالهم خروجاً على القواعد الأكاديمية وشروطها الحازمة ، تلك الشروط التى وضعها أنجر وفريق أساتذة الأكاديمية الفرنسية .

ولذلك كانت ترفض تلك الأعمال فى معارض (الصالون) السنوية ، حيث كان العرض بالصالون هو وثيقة الاعتراف بالفنان من وجهة نظر أساطين الأكاديميين آنذاك ! وما أن انتهى حكم الملك لويس فيليب عام ١٨٤٨ لتحل محله الجمهورية ، حتى شجعت الدولة (الفن الواقعي) ، ولم ترفض أعمال فنانى الطبيعة فى الصالون ، بل لقد عين بعض أعضاء الجماعة البارزين فى لجنة تحكيم الصالون السنوى فى باريس .. وسادت مدرستهم .. إلى أن تطورت بعد ذلك .. ونشأ فن جديد يعالج طريقة رسم المناظر الطبيعية الخارجية مستغلا نظريات العلوم الحديثة فى تحليل ضوء الشمس وألوان الطيف .. هو المذهب التأثيرى ، الذى تحدثنا عنه تفصيلا فى لقاءات سابقة .

وقد أثرت جماعة باربيزون فن التصوير الحديث بالروائع الخالدة من المناظر الطبيعية .. وقاد اعضاؤها المصور (تيودور روسو) ـ (١٨١٢ ـ ١٨٦٧) ـ وهو المؤسس الفعلى لهذه المدرسة التى مجدت الطبيعة فى لوحات شاعرية واقعية رومانتيكية . وقد حصل (روسو) على جائزة صالون باريس عام ١٨٤٨ .. وتأكد نجاحه وتألقت عبقريته عندما خصصت له قاعة مستقلة لأعماله وحدها بصالون باريس فى المعرض السنوى العالمى عام ١٨٥٥ . وتألق جمال الطبيعة فى وجدان الناس وفى بصائر الفنانين وفى أروقة المتاحف !

وعندما تتسابق اليوم هذه المتاحف العالمية الشهيرة لشراء احدى لوحات تيودور روسو ، وتدفع الملايين ثمناً لها ، نتذكر دائما تلك اللوحات التى كانت ترفض باستمرار من رجال الصالون والأكاديمية الفرنســـية فى الفترة (١٨٣٧ ـ ١٨٤٨) بدعوى شططها وريفيتها وخروجها على قواعد الجمال المثالى ! .. ولنتأمل معاً هذه اللوحة المنشورة على الصفحة المقابلة لنرى جمال الطبيعة وسحر اللمسات وكأنها تناغم موسيقى رائع بين الأرض والسماء .

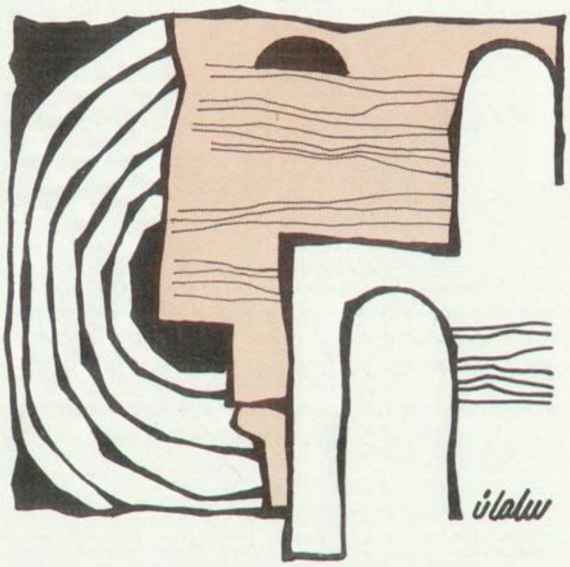


اللوحة الكبيرة : غابة «فونتين بلو» كما رسمها «تيودور روسه» عام ١٨٤٠

من مواقف أبي علي:

شعر: حسن طلب

موقف الشذى



أوقفنى السوسَنُ فى موقفٍ : لا تَثْريبَ :
(لا خوفَ
ولا حزنَ
ولا أذىٰ)

أخَذَ منِّى الحارنَ الوعْرَ
وأعطانى الأغَرَّ

قال : ذَا بِذَا
قلت : فيابوركتَ مُعطِياً وآخِذاً
خَلّصْتَنى من شَرَكِ البنفسجِ / العَوْسجِ
أنقذتَ حِصانى ـ إذ أتيتَ

ـ قبل أن يغرقَ فى مستنقعِ القذَى
لأنت خيرُ مَنْ أتى فأنقَذا
فقال لى :
تلك سهامٌ أصطفِى بها وأكتفِى
قلت : وسَهْمَ العشقِ كان أنفَذَا
ومال فى غَوْطَتِهِ
فانفتحتْ سبعةُ أبوابٍ رحابٍ
ـ واستدارتْ فوقها سبعُ قبابٍ
ـ كلُّ بابٍ خلفَ محرابٍ
وقال لى :
جَنَّةُ من يعشقُ تلكَ
حبَّذَا لو جِئْتَ

قلتُ : حبَّذا
قال : فتهدى إذا دخلتَ ؟
قلتُ : أهتدِي إذًا ..
قال : إذنْ عليكَ بالأدَبْ
قل حِطَّةٌ ثم اقترِبْ
وقال لى :
إيّاكَ واللّعِبْ
والسانحاتِ البارحاتِ فاجتنِبْ
قلت : أعوذُ بالشذى
من شرِّ هاذٍ إن هذَىٰ
ومن مُشَعْبِذٍ إذا ما شَعْبَذَا

فقال لى :
يالك جائياً فعائِذَا
وقال لى :
تلك سحابةٌ ستحميكَ

فلذْ بظلِّها إن كنتَ لائِذَا
وقال لى : أراك واجفاً
فظلَّ واقفاً
لكىْ تَرَى
وقال لى :
أراكَ قد عرَاك ما عرىٰ
وقال لى :
قِفْ تتلقَّ حكمةَ الشَّذَىٰ
وقال آيةً
فانطلقتْ سبعةُ أحبابٍ شباب
وانسدلتْ من دونهم سُبعةُ أحجابٍ عجابٍ
وحينما جزتُ إليهمُ الحجُبْ
عدتُ ولم أجدْ سوى سبعةِ أثوابٍ
وقلبٍ مذابٍ
فمزج الأثوابَ والقلبَ المذابَ ، قال لى :
العشقُ هكذا
وقال : ما قولك فى اثنينِ حميمَيْنِ :
دعاها .. فَدَعَتْ
واستودَعَتْ وأوْدَعَتْ
فاستمتَعت وأمتعت
واستحوذَتْ واستَحْوَذَا ؟ !
وقال لى : الخاسرُ من حاذَرَ
والفائزُ من أقبَلَ واحتَذَىٰ
وقال : تلك لذَّةُ الشذى

فقلت : سعيدٌ من بلذتهِ اغتـذَى
فقال : هنيئاً للذى قـد تلـذَّذَا
فقلت : أرانى بالشذى غيرَ عـارف
فقال : إذنْ أقبلْ تصِرْفيه جهْبَـذا
فقلت : من العشاقِ من يعرفونَهُ ؟
فقال : جميعاً هُمْ ومن حذْوَهُمْ حذا
فقلت : ألا كم عارفٍ ماتَ دونَـهُ
فقال : وكم حَبْرٍ عليه تتلمذَا (**)
فقلت : ذَوَتْ منـذ ارْعَوَيْتَ لَقَانتى
فقال : كذا دَأْبُ الذى يرْعَوى .. كذا

(*) الشعبذة : لغة فى الشعوذة .
(*) الحَبْرُ (بفتح الحاء وسكون الباء) : العالم المتمكن من علمه ، وتجمع على احبار وحبور .

أبجديّة : م.ص

شعر : محمود صفر

تَثَاءَبَ المـكَانْ
ارتَهَـنَ الزمـانْ
تناثـر العِقْدُ الجميلْ
وافتَقَدَ الحَنَـانْ
م ـ محتـرف مطـارَد
تنهَشُني الذئاب
يستبيحُ حُرْمَتي البرغُوثْ
ح ـ حـائرٌ ..
تلفظُني مَرْسَاتي
وعيْنُ المـوَاني
وقـلبٌ طيّـب
يبعث الحيَـاه
م ـ منسـحِقٌ ..
محدْودِبُ الظهـر
تلسَعُني السِّياط
ألف لعنةٍ تقتاتُ أحشائي
لا مـاء ..
لا تـراب ..
لا هـواء
و ـ وحيـد
إلا من الأصـدقاءْ
واحـدٌ تمضُغُـه الرطـوبةْ
وواحـد تمضُغُـه النعومـةْ
د ـ دُرِّبْـتُ أن أردِّدَ الكـلام
أنـا العظيـمْ
أنـا الذليـلْ
ص ـ صار الضَّحِـكُ بكَـاءْ
وصرت بيْـن بيْـن
لا ضَحِـكَ .. لا بُـكَاءْ
ف ـ فاضـت الروح
تعاليْ .. تعاليْ
احتضنيني
ر ـ رئتي صارت وَقُـوداً وحِجَـارةْ
ارفعي عنيِّ البَـذَاءةْ ...





هذه القصة تمثل بداية الأعمال التى قدمت للطفل

رحلة نقدية مع كتب الأطفال في قطر

من هنا .. لا من الغرب ينبغي أن نكتب للأطفال

بقلم : عبد الرحمن المناعي

قامت ادارة الثقافة والفنون بوزارة الاعلام خلال السنوات الثلاث الماضية باصدار ثمان كتب تتضمن ثماني قصص للأطفال وجهت لأعمار مختلفة . وبذلت الادارة كل جهد من أجل ابراز هذه التجربة ومحاولة إثرائها وإن كانت التجربة لم تخل من بعض السلبيات مثل عدم وجود أو وضع منهج واضح لتبنى هذه الخطة بشكل مستمر وعدم القدرة على ايصال هذه الكتب الى المنتفعين بها ، واخيراً عدم القدرة على ابراز هذه الاعمال على الصعيد الاعلامى وعدم تناولها بالنقد والتحليل على الصعيد الصحفى .

ففى ظل غزو وسائل الترفيه المتعددة وتوفرها بشكل كاسح فى كل زوايا المنزل ، يظل الطفل العربى كائناً يتم تشكيله حسب ما تزوده السوق الفنية من مواد يزداد تاثيرها ويقل حسب ثقافة ودراية والديه .

وإذا كان الكبار قد وجدوا فى التلفزيون وشرائط الفيديو مادة أسهل من الكتاب، ونموا سلبياتهم تجاه هذه الأجهزة هروبياً من التعاطى الفكرى ، وجعلوا من عقولهم أداة استقبال ليس لها حق الاختيار ، فكيف الحال مع عقول متوثبة مترقبة تبحث عما وراء الشىء وتسترشد وتبحث عن الطريق الصحيح ؟!

ولو نظرنا الى واقعنا والى الجهود التى تبذل من اجل تقديم مادة مفيدة للطفل ، لوجدنا أن المحاولات قليلة جداً ، بعضها وجد لغاية تجارية بحتة ، وبعضها الآخر وجد لغاية انسانية ، ويعيب الفئة الأولى سوء الاختيار وعدم مراعاة احتياجات الطفل الحقيقية ، بينما يعيب الفئة الثانية القصور فى عملية النشر والتوزيع ، وتظل التجربة ناقصة ما لم تصل الى الطفل بشكل بسيط .









مجموعة من كتب الأطفال التي قدمتها ادارة الثقافة والفنون وحاولت بها ان تخاطب عقلية وميول اطفالنا

ومن بين أوجه القصور فى هذا المجال افتقاد العناصر البشرية المتخصصة ، فالكتابة للطفل ليست مجرد مسألة دخول لعالم الكتابة والابداع ، فبرغم أنها تعتمد على كلمات قليلة مختصرة إلا ان وراء كل كلمة محاذير عديدة ووراء كل جملة جدل يتطرق الى النواحى النفسية والتربوية للطفل .

ومعنى ذلك باختصار أن التعامل مع الطفل يحتاج الى القلم المتفهم المدرك والى الخيال الذى يراعى نواحى عديدة والى الأسلوب الواضح الذى يختار الكلمات المناسبة لكل سن ، ثم يأتى بعد ذلك عنصر لا يقل أهمية عن مضمون الكتاب الا وهو شكله الفنى ..

وهذه قضية على جانب كبير من الأهمية حيث أن الشكل لدى الطفل يعنى جذب اهتمامه وفضوله أو العكس : الألوان ، الخطوط ، الصور .. كلها تؤثر بشكل سريع على موقف الطفل .

ولا ننسى ان بعض القصص الموجهة لسن معينة تقتصر على الصور فقط ، وهذا يعنى دقة متناهية فى رسم الأحداث وابرازها بشكل يصل الى الطفل بسهولة ، ويتيح له القدرة على التصور الخاص ..

وأخيراً ، وقبل البدء فى مطالعة هذه القصص لابد من الاشادة بتلك التجربة والدعوة الى بذل مزيد من الجهد ومزيد من الدقة ، ودعوة للجميع بمساندة هذه التجربة حتى تصل لغايتها المرجوة وحتى نستطيع أن نضع البديل المناسب فى الوقت المناسب امام طفلنا قبل أن تشوهه شرائط الفيديو !

رحلة نقدية مع كتب الأطفال في قطر

عبد القادر عقيل فى تجربته الأولى

هاتان حكايتان .. الحكاية الأولى تروى قصة اتفاق بعدم اعتداء يتم بين مجموعة من الطيور ، وبين الثعلب ، يقترحه ديك مغرور ، يكون فريسة للثعلب ، وتاتى خاتمة القصة على شكل نصيحة مفادها ان من يصدق عدوه يهلك .

قصة مناسبة للأطفال فى سن ما بعد العاشرة ، إلا انها تتجاوز تلك السن فى بعض جملها التى ينقصها التركيز اثناء سرد الأحداث حيث يصعب على الطفل تتبعها بسهولة .

اما الحكاية الثانية فهى حكاية سلطان يتشاءم من المطر والسحب ، وذات يوم جاءت غيمة سوداء كبيرة وحجبت ضوء الشمس ، فخرج الناس من بيوتهم فرحين ، لكن السلطان امرهم بالنفخ على الغيمة كي تذهب بعيداً ، وعندما عجزوا جميعاً ، صنع السلطان لنفسه جناحين وحاول ان يطير بهما ليبعد الغيمة ، لكنه وقع ومات .

هذه حكاية تربوية مباشرة ، حاول الكاتب من خلالها ان يقول لنا ان الحقيقة لا تخفى .

الملاحظ فى القصتين ان الرسام قد اجاد توضيح الحكاية ، ولكنه لم يراع نفسية الطفل بالنسبة للتنفيذ والألوان ، لذلك كان التنفيذ رديئاً ، والحكايتان لا تخرجان عن إطار الوعظ والمباشرة .

.. وتبقى قضية الألوان

«ثعلوب» هو اسم ثعلب صغير لا يعرف غير اصدقائه الثلاثة وهم من بنى جنسه .. اصدقاؤه يضحكون عليه لعدم قدرته على التعرف على الأرنب . فمرة ياتيهم بفار ومرة بكلب ، وكل ذلك لأنه لا يستمع جيداً عندما يتحدث غيره ..

الكاتب استطاع أن يسرد القصة بشكل سلس بسيط ، والرسوم ساعدت فى ابراز الحكاية ، ولكن تبقى قضية الألوان .

فمهمة الرسام ليست فقط توضيح القصة وتذليل مضمونها بالصورة المناسبة امام الطفل لكى يستوعبها ويفهمها ، وإنما مهمته ان يستثير فى الطفل عالماً من الالوان التى تجعله يعشق ان يرسم وان يستخدم هـــذه الألـــوان فى التعبـــير عن خيـــالاته وتصـــوراته الخاصـــة

والملاحظة الثانية هى ان هذه القصة لا تخرج عن اطار القصتين السابقتين فهى موعظة مباشرة تقريرية لا تخدم خيال الطفل ..

وللمؤلف قصة ثانية بعنوان «اجمل من قوس قزح» انتجتها الادارة ولم اتمكن من الحصول عليها .

كما ان للمؤلف تجارب عديدة فى التعامل مع الطفل من خلال المسرح ، واتمنى ان يستمر مساهماً فى وضع الأسس لتطوير فن الكتابة للأطفال .

محاولة لتقديم حكاية مرسومة

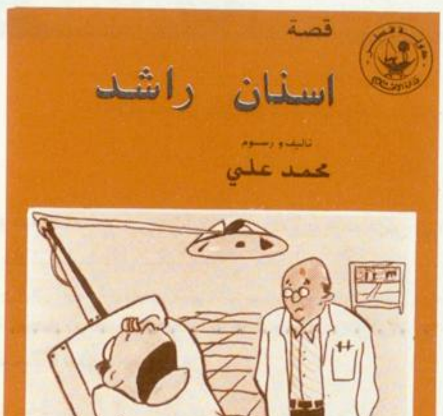
هذه القصة موجهة للأطفال فى سن الرابعة وما فوق ، تحكى عن حب راشد للحلوى وعدم تقيده بتعليمات والديه بغسل اسنانه قبل النوم ، فقد كان راشد ينام لتصحو مخلوقات صغيرة تنتقل بين اسنانه تبحث عن طعامها . وبعد ايام تحولت اسنان راشد الجميلة الى اسنان ناخرة مسوسة .. واخيراً قرر الطبيب ان يخلع بعض اسنان راشد ليخفف من المه .

فكان يصرخ متالماً ولكنه هدأ حين قال له الطبيب : إن نظافة الأسنان ضرورية .

ربما حاول محمد علي الفنان التشكيلى المعروف ان يقدم للأطفال حكاية مرسومة فقط ، وان يسخر ريشته والوانه لتوصيل هذا الدرس البسيط للصغار ، ولو انه تريث قليلا لما احتاج لتلك الجمل التى اقحمت على القصة لشرحها فبعض الرسوم لا تحتاج الى شرح ، وبعضها يحتاج الى اضافة بسيطة لايصال المعنى المطلوب .

اما من ناحية تنفيذ تلك الرسوم والوانها فنعود للحديث عن الفرق بين الرسم للأطفال والرسم العادى ، فمهمة الرسام هنا واضحة جلية ، تعتمد على الاختيار الدقيق للألوان والشكل البسيط المناسب ..

ملاحظة اخيرة وهى تنفيذ الكتاب بشكل متسرع جعل منه كتاباً ابعد ما يكون عن قصص الأطفال ..



فى هذه القصة حاول الفنان التشكيلى محمد علي الدخول الى عالم الطفل

قفزة جديدة فى عام الطفل

بعد الكتب السابقة قامت ادارة الثقافة والفنون بطباعة ثلاث قصص فازت فى مسابقة أجرتها الادارة بمناسبة العام الدولى للطفل ١٩٧٩ ..

والحقيقة أن الادارة استفادت من تجربتها السابقة فقامت بتوزيع القصص على اكثر من فنان تشكيلى ليقوم بتنفيذها وجاءت النتيجة جيدة وصدرت هذه الكتب مـــع بداية هـــذا العـــام ١٩٨٣

وقد كانت القصة الفائزة بالجائزة الأولى هى قصة الثعبان اللعين ..

ولاشك انك تفاجأ بهذه القفزة النوعية فتعتقد لأول وهلة انه كتاب اصدرته مطابع الغرب ، لروعة الوانه ، وجودة الورق « كوشيه » وجمال الاخراج ، ودقة الطباعة



القصة الفائزة بالجائزة الثانية

.. إنه كتاب مثير للانتباه يؤكد دور تلك العناصر وتأثيرها فى جذب الطفل .

الحكاية تتحدث عن سيطرة ثعبان لعين على واحة خضراء وعين ماء لا يستطيع أحد الاقتراب منها ، وعندما جف بئر الفلاح عبد الله اضطر الى محاربة ذلك الثعبان بمساعدة الطيور ، واستطاع اخيراً الانتصار عليه وقتله .

لاشك ان المؤلف استحق فوزه لوضوحه وتمكنه من إبهار الطفل واثارة ترقبه ، وساعدت الألوان الهادفة للرسام فى ايصال المضمون بطريقة ودية ، وابتعد المؤلف عن المباشرة فى اسداء النصح .

وهذه النتيجة الجيدة فى التنفيذ تجعلنا نؤكد بان الاعداد والتنفيذ الجيدين لهما دور كبير فى كتب الأطفال .

ورغم أن هذه القصة تعتمد على السرد المكتوب اكثر من الصور إلا ان الشكل الجمالي للكتاب يجبر أي قارىء ــ فما بالنا بالطفل ــ على التوقف لتصفحه .

الجمال والبساطة فى سيد المخلوقات

كانت هذه القصة الفائزة بالجائزة الثانية فى المسابقة .

سمع الأسد أن سيد المخلوقات هو الانسان فغضب لذلك وهام على وجهه بحثاً عن هذا الانسان حتى تعرف عليه فطلب مصارعته ، فقال الانسان ان قوتى ليست معى الآن ، فتركه الأسد يذهب للبيت لاحضارها ، فذهب الانسان واحضر عصا غليظة ضرب بها الأسد ففر هارباً ، ولكن الأسد لم يرض بهذه الهزيمة فجمع كل أسود الغابة وهجم على الانسان الذى صعد الى الشجرة ، ففكرت الأسود فى طريقة للوصول اليه ، فاقترح الأسد ان يركب كل واحد فوق الآخر حتى يصلوا الى الانسان ، وكان هو على الأرض خائفاً من عصا الانسان . وفطن الانسان لذلك ، فما كادت الأسود تصل اليه حتى صاح «ابتعدوا عنى حتى لا تصيبكم عصاى ، دعونى أضربه مرة أخرى» ، وعندئذ تذكر الأسد العصا فهرب فوقعت الأسود على بعضها وهربوا الى الغابة .

وهكذا فان الانسان هو سيد المخلوقات بعقله وتفكيره ..

وفى هذا الكتاب يستطيع الرسام الفنان محمد الصغير أن يضع يديه على نوعية الرسوم المطلوبة لتاتى غاية فى الروعة والبساطة ..

أما الحدوتة فلم تخرج باى حال عن سابقاتها من سرد بسيط لحكايات تدور اكثرها فى الغابة وتؤكد تفوق الانسان وضرورة التفكير والتعاون .

وبهذه القصة تحقق الادارة كتاباً رائع المظهر بجمل سلسلة معبرة ورسوم رائعة .

تجربة تستحق الوقوف والمقارنة

كانت هذه هى القصة الفائزة بالجائزة الثالثة ..

وهى قصة اطفال نذروا انفسهم لخدمة الناس ولخدمة مدينتهم ونظافتها ، وكونوا جمعية اطلقوا عليها اسم «الخير للجميع»

وهذه الحكاية باسلوبها الروائى المحكم وبرسومها التى حاولت بشكل واضح الاضافة الى جانب التفسير اعتبرها تجربة ثالثة مختلفة من حيث التنفيذ بحيث تستحق الوقوف والمقارنة وإن كان مضمون الحكاية يدور حول نفس الموضوعات ذات الطابع الارشادى ..

دعوة لاثراء التجربة واستمرارها

من خلال القراءات السابقة نجد ان هذه القصص برغم تعدد مؤلفيها واختلاف مشاربهم ، فكلها تدور حول موضوعات تربوية لا تخلو من المباشرة . كما انها تشابهت فى مكان الاحداث حيث كانت الغابة فى اغلب القصص مسرحاً للاحداث من هنا ارى ان تكوين قاعدة صلبة للانطلاقة بهذا الجهد النبيل لابد ان تدفعنا الى دراسة وافية للطفل وظروفه التربوية والاجتماعية ومكوناته المبكرة وتراثه الشعبى ، وذلك لاختيار المادة الملائمة له .

وبنظرة سريعة ارى ان العودة للتراث العربى (كليلة ودمنة ، الف ليلة ، قصص العرب) والتراث المحلى واختيار ما هو صالح منه يشكل مصدراً ثرياً للخيال والخصوبة ويمتزج بتاريخ لابد للطفل ان يتعرف عليه .

كذلك فان من الضرورى دراسة اساليب اصدار كتب الأطفال فى الدول المتقدمة فى هذا المجال ، واخذ ما هو صالح وملائم لطفلنا العربى فى أساليب التنفيذ ..

والمعروف أن الادارة ، قامت بشراء قصة مترجمة عن الفرنسية لاصدارها قريباً وعنوانها «صياد اللؤلؤ» .. وانا لا ارى اى مانع فى ذلك شريطة مراعاة الفروق النفسية والسلوكية بين اطفالنا واطفالهم .

واعتقد ان الخصوبة متوفرة فى تراثنا بشكل عام لنغذى طفلنا العربى بما هو مفيد ونافع ..

واخيراً .. اتمنى ان تستمر هذه التجربة وليس هناك ما يمنع من اقامة ندوة تدعى لها الادارة لتقييم هذه التجربة ووضع منهج واضح للاستمرار فيها فلقد قدمت تلك الادارة خير خدمة للأطفال ويا حبذا لو كرست مزيداً من الجهد من اجل تدعيم هذه الأعمال ..

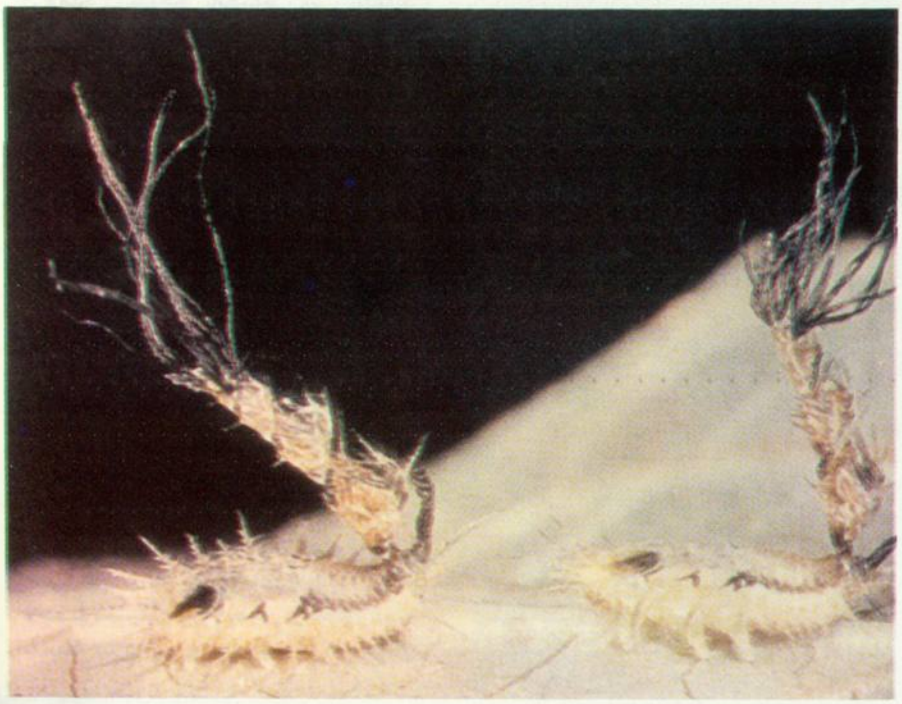
عبد الرحمن المناعى

لقطات من الكون المثير

انتحار بالنار .. على الطريقة البوذيّة!

رغم ان الاسلام يعتبر الانتحار جريمة شنعاء ، لا تدانيها أية جريمة أخرى ، لأنها هروب من الحياة ، وتمرد على شريعة الله ، رغم هذا ، فان العقيدة البوذية تعتبرها فضيلة لا رذيلة ، خاصة اذا كان الأقدام عليها من أجل هدف يخدم قضية وطنية ، والصورة توضح كيف جلس أحد رجال الدين البوذيين على رصيف شارع من شوارع سايجون ، وأضرم النار فى نفسه ، ودون تدخل من احد ليثنيه عن فعلته ، وظل مستسلماً حتى صارجثة متفحمة ، حدث ذلك في عام ١٩٦٣ احتجاجاً على الولايات المتحدة الأمريكية التي شنت الحرب على وطنه ، وكأنما النار أخف وطأة على نفسه من « نار » ظلم الأمريكان لبلده !





على ظهرها .. حملت جلدها!

من عادة اليرقات انها تتخلى عن جلودها القديمة (كما تفعل الثعابين) ، بعد أن تكون قد جهزت جلداً جديداً أكثر مرونة فى مسايرة نموها ، ولكن هذه اليرقة التى تمثل طوراً من أطوار الخنفساء المعروفة باسم الخنفساء السلحفاة (لأنها بطيئة الحركة) ، قد حملت جلدها القديم فوق مؤخرتها ، كنوع من التمويه الذي نعرفه نحن مثلا في «خيال المآتة» لتخيف به الطيور التى تأكل الحبوب ، لكنها سبقتنا بهذه الفكرة المبتكرة منذ عشرات الملايين من السنين ، فبهذه «المظلة» المرفوعة ، تلوح فى الهواء ، لتخيف أعداءها الطامعين في لحمها ، وما أجملها من فكرة حشرية ، ولا جديد تحت الشمس ــ لو كنتم تعلمون ! .

صيد مُعْتَبَر .. وصيّاد مُقْتَدِر !



هذه المصيدة الخضراء التى تشبه الفخ، ليست - في الواقع - إلا ورقة نبات « فينوس » الصياد للذباب والحشرات ، ولكن الورقة هنا قد تحورت لتصبح مصيدة بارعة تفتح وتغلق من خلال «تكنولوجيا» المفصلات الحية (خلايا نباتية خاصة فى محور الورقة) .. فاذا لامس الورقة كائن حي مناسب ، سارعت بغلق نصفيها على الضحية ، لتفرز عليها عصاراتها الهاضمة ، فتذيب لحمها ، وتمتصه على هيئة أحماض أمينية ، تماماً مثلما يحدث في أمعاء الانسان والحيوان ، لكن الغريب أن الورقة قد اصطادت ضفدعة صغيرة عندما قفزت بالصدفة بين شقيها ، فأطبقت عليها ، ولم تستطع الضفدعة - رغم مقاومتها الشديدة للمصيدة - أن تفلت من براثنها ، فلقد كانت المصيدة أقوى منها وأشد ، وهي بلاشك وليمة دسمة تكفيها أياماً وأسابيع قد تطول .. بقى أن نعرف أن مثل هذه النباتات تعيش على «أكل» اللحوم ، لأن البيئة التى تنبت فيها فقيرة فى المادة النيتروجينية التى تستخدم فى تكوين البروتينات ، فاستعاضت عن ذلك ببروتين حيواني ، ولهذا أكلت الحيوان قبل أن يأكلها ! .

مخبأ «مودرن» عند ظهور الخطر !



الصورة لا تحتاج إلى تعليق كثير ، فلقد استفادت الفئران من نواتج المدنية الحديثة ، والفأر بطبيعته مخلوق حذر ، فاذا لم يأخذ حذره ، قصف القط أو الانسان عمره ، ولابدّ له عن مخبأ أمين يأوي إليه ، ويستكين فيه ، حتى يزول الخطر ، وبالصدفة رأى الانسان هذا الفأر ، وشعر الفأر بوطأة الأقدام ، فكان أن لجأ إلى علبة الكوكاكولا ، وأسرع بالاحتماء داخلها ، وأعجبت الانسان حيلة الفأر ، فجاء بكاميرا وظل يرقب سلوك الحيوان ، وعندما برز برأسه ، ليستطلع الأخبار ، كانت الكاميرا أسرع ، فجاءت هذه اللقطة المعبرة ، وكانت هي آخر نظرة يلقيها الفأر على عالمه ، فقد قتله الانسان تخلصاً من شره ، فأصبحت العلبة مقبرته ، ومنها إلى صندوق الزبالة ، فهذا هو منطق القوي على الضعيف ! .



الطفل نائم .. وحارسه مستيقظ لحمايته من أى خطر

الصداقة عند الحيوان

إذا صادَقَت الحيواناتُ فهي تُصادق عن وفاء وحُسْن نِيَّة

بقلم: الدكتور عز الدين فراج

هناك حيوانات إذا صادقتك فهى تصادقك على وفاء وحسن طوية ، لا يشوبها غدر أو وقيعة . وإذا حالفتك أدت تعهداتها كاملة غير منقوصة من غير تردد أو إبطاء . وإذا عاهدتك لن تمحو الأيام ماعاهدتك عليه ، معاهدات تحترمها الأجيال جيلا بعد جيل . معاهدات لن يشوه قدسيتها مصالح فردية ولا مطامع مادية .

والصداقة بين الانسان والكلب قديمة قدم التاريخ نفسه ، فقد كان الكلب له حارساً ورفيقاً وأنيساً .

وعندما بدأ الموسيقار العالمى شوبان يكتب سيمفونيته الخالدة راح الناس يبحثون عن الفتاة المحظوظة التى سيقدمها لها ، فاذا به يهديها الى كلب صديقته المؤلفة الفرنسية «جورج صاند» .

ولما ذهب نابليون ليعيش فى منفاه لم يكن وحده . فقد فوجىء الجميع بكلبه الصغير «لوريل» يسير وراءه إلى المنفى .

قال مارك توين يوماً : «خذ كلباً ضالا جائعاً ، وأطعمه واملأ معدته ، إنه لن يعض اليد التى أحسنت إليه أبداً .. وهذا هو الفارق الكبير بين بعض الناس وهذا الحيوان الوفى الأمين»

كتبت «جين أوستن» المؤلفة الانجليزية تحكى لنا قصصاً عن هذا الصديق الوفى الذى يمشي على أربع ، وعن تعلق الانسان به وحبه له ، قالت : «كان الرسام الكبير مايكل انجلو يصحب كلبه معه ، وهو يقوم بأروع أعماله الفنية ، فقد ظل هذا الكلب الصغير يلازمه طوال عمله ، فيقفز من مكانه ويتبعه عائداً الى البيت .. » .

والكلب فى صداقته وفي أمين ... لا يعرف نفاقاً ، ولا يضمر خداعاً أو رياء ، إنما يصادق مصادقة شريفة كريمة ، شعارها الوفاء المطلق والاخلاص الكامل.. وفيما يلى بعض القصص الواقعية التى تصور صداقة هذا الحيوان وما جبل عليه من وفاء منقطع النظير .

« يحكى أن ملكاً من ملوك اليمن كان عنده كلب ، يلبسه الحرير ويطوقه بالذهب ويأخذه معه أينما ذهب ، فأحبه الكلب حباً عظيماً وفى ذات يوم تركه فى المطبخ مع الطاهى بعد أن طلب منه طعاماً معيناً .

وبعد أن اعد الطاهى الطعام المطلوب انصرف لبعض شئونه ، وفى أثناء غيابه دخل ثعبان المطبخ ، ونفث سمومه فى هذا الطعام على مرأى من هذا الكلب .

وعندما عاد الطاهى أسرع فى تقديم الطعام إلى مولاه ، فراح الكلب ينبح نباحاً متصلا محذراً سيده . ولما لم يلتفت إليه أحد اندفع نحو الطعام ، وأكله ، فمات لساعته . فبكى الملك حزناً عليه ، وكفنه فى حرير وبنى له قبراً» .

يبحث عن صاحبه

ومن القصص التى تصور هذا الوفاء الكامل والاخلاص النادر ، قصة الكلب الذى ظل عدة سنوات ينتظر صاحبه ويبحث عنه

ففى يوم من الأيام سافر « سدنى » على ظهر باخرة إلى أوروبا ، بعد أن ودعه كلبه فى الميناء ، وكان الكلب كلما اقبلت سفينة من بعد ، اسرع الى الميناء وراح يتأمل الركاب القادمين واحداً بعد واحد ، ثم يعود حزيناً لأن سيده لم يحضر بعد .

واستمر الكلب على الذهاب إلى الميناء ، ومراقبة القادمين ثلاث سنوات ، وأخيراً جاء سيده ، فاندفع نحوه يطوف حوله ، ويلحس يده ، ويهز ذيله ، من فرط سروره بلقاء سيده .

والقصة التالية تصور عمق الصداقة ومدى إدراكه لها وتمسكه بها .

أراد أحد القصابين أن يسرق بعض الأوراق الهامة من منزل السيد باركر ، فكان كلما مر فى طريقه بباب السيد «باركر» ألقى قطعة لحم للكلب ، معتقداً أن ذلك سيسهل عليه دخول المنزل ، وسرقة ما به دون أن يتعرض له الكلب بالأذى .

وفى ذات يوم اقتحم باب بيت السيد باركر وكسره ، وتسلل إلى الداخل .

رآه الكلب فى بداية الأمر ، فهز ذنبه فرحاً بصديقه ، فالقى أمامه قطعة لحم كبيرة معتقداً أنها تشغله وقتاً طويلا .

واندفع القصاب إلى خزانة السيد «باركر» لسرقة ما بها من أوراق فتبعه الكلب تاركاً قطعة اللحم ، ولما رآه الكلب يعبث بأوراق سيده ويمزقها ، هجم عليه الكلب وعضه فى رجله ، وفى أثناء هجوم الكلب سقطت سماعة المسرة على الأرض وكانت من النوع القديم غير المباشر ، فاندفع الكلب نحوها ، وأخذ ينبح نباحاً شديداً ، وكان القصاب يسب ويلعن بصوت عال ، من شدة الغضب والألم . وعندما سمعت عاملة المسرة هذا الضجيج فى أثناء سؤالها عن الرقم المطلوب ، لم تتردد فى إبلاغ البوليس بما سمعت ، فجاء من فوره وقبض على القصاب وأخرج من ثيابه الأوراق التى سرقها .

وكأن هذا الكلب أراد أن يقول له :

آسف يا سيدى .. مهما أعطيتنى من لحم وعظم ، فان ذلك لن ينسينى واجب الوفاء نحو صاحبى .... لن أقبل رشوتك مهما كانت من لحم وعظم .

ويروى أيضاً أن أحد المصورين اقتنى كلباً ، وكان يلحظه دائماً بعنايته ورعايته فلما مرض هذا المصور ، ونقل إلى المستشفى ظل الكلب واقفاً أمام باب المستشفى لا يبارحه ، وعندما مات سيده ، تبع الكلب نعش صاحبه ، وشيعه إلى مقره الأخير ، وظل ممتنعاً عن الطعام ستة أيام متتالية ، حتى مات بدوره حزناً على سيده .

هذه صور متباينة وحوادث واقعية تصور صداقة الكلب للانسان وما عرف عنه من اخلاص ومودة ووفاء .

التمساح وطير الزكزاك

ويوجد تحالف آخر يثير الدهش حقاً بين التمساح وطير يدعى « زكزاك » ولقد سمي بهذا الأسم نسبة إلى الصوت الذى يصدر عنه .

لقد أنس التمساح لهذا الطير من قديم الزمن ، فتوطدت بينهما أسباب الصداقة حتى أنك ترى هذا الطير يدخل ويخرج من فم التمساح فى طمأنينه بالغة كأنه فى عقر داره . يدخل هذا الطير فم التمساح ، ليلتقط فضلات الطعام من بين أنيابه ، والتمساح راض عن ذلك كله دون أن يفكر فى التهامه .

ولعله يرى فى التهام هذا الطير الصديق مظهراً من مظاهر الغدر والخيانة ، وإن كان التمساح فى طبيعته لا يتورع عن هذا الغدر .

ولكن للصداقة حرمة وللتحالف حقوق وتقاليد !!

وطير الزكزاك يقدر من التمساح صداقة فيبادله صداقة بصداقة ، ومودة بمودة ، ويقدم له أجل الخدمات ، وهل هناك أجل وأعظم من أن ينذر التمساح بالخطر المحدق بحياته قبل وقوعه .

فهذا الطير يتبع عادة التماسيح فى رحلاتها عبر الأنهار طالباً للقوت ، فاذا ما شاهد صياداً مقبلا أو خطراً بالتمساح ، أسرع إلى انذاره بأن يصدر صفيراً حاداً يدرك التمساح معناه ، فيسرع إلى الاختباء أو يتخذ الحيطة اللازمة .

وتذكرنا صداقة التمساح بطير الزكزاك بصداقة أخرى قائمة بين حيوان يعرف باسم « وحيد القرن » ، وطير آخر .

لقد تحالف الحليفان من زمن قديم وتعاهدا معاً على خير كل منهما ، وقامت بينهما معاهدة صداقة ، لأن الحشرات تضايق هذا الحيوان الضخم ، وهو لا يستطيع مطاردتها مع كبر جسمه . لهذا تحالف مع هذا الطير واعطاه امتياز الهبوط على ظهره والسير ببطء ليلتقط الحشرات ويتغذى بها كيفما شاء .

وفى سبيل ذلك نصت معاهدة التحالف والصداقة على أن يقوم هذا الطير بانذار هذا الحيوان كلما رأى صياداً أو وحشاً جاء من بعد .

القط والفأر صديقان

ومن أمثلة صداقة الحيوان لأخيه الحيوان ، صداقة قرد ورخ فى حدائق الحيوانات بلندن . لقد عاش هذان الصديقان فى توافق وتفاهم مدة طويلة ، وبالرغم مما بينهما من اختلاف لم يتشاجرا .. وكثيراً ما حمل الرخ صديقه القرد الى جهات عديدة .

ومن أغرب ما ذكره مدير متحف التاريخ الطبيعى فى كندا أنه وضع قطاً صغيراً مع فأر صغير فى قفص واحد ، فشبا معاً ، وأكلا وشربا معاً ، وغفت عيونهما معاً ، ثم نقل القط الى قفص آخر ، واقصي الى جهة أخرى بعيداً عن زميل صباه . فما كان من الفأر إلا أن انكمش فى قاع القفص ، وبدت عليه علائم الحزن والانقباض ، وامتنع عن تناول الطعام ، وظل كذلك إلى أن أعيد اليه القط ، وبعد فترة طويلة ، فارق الفأر الحياة بحكم الشيخوخة ، فحزن عليه القط حزناً شديداً وظل يموء أسبوعاً كاملا بغير انقطاع .

وروى أحد الرحالة أن غزالا كان يأوى إلى مغارة فى جبل فتبعه ، فرأى وعلا بداخل المغارة لا يستطيع المشي ، ورأى مع الغزال عنقوداً من العنب وهو يلقيه فى فم الوعل .

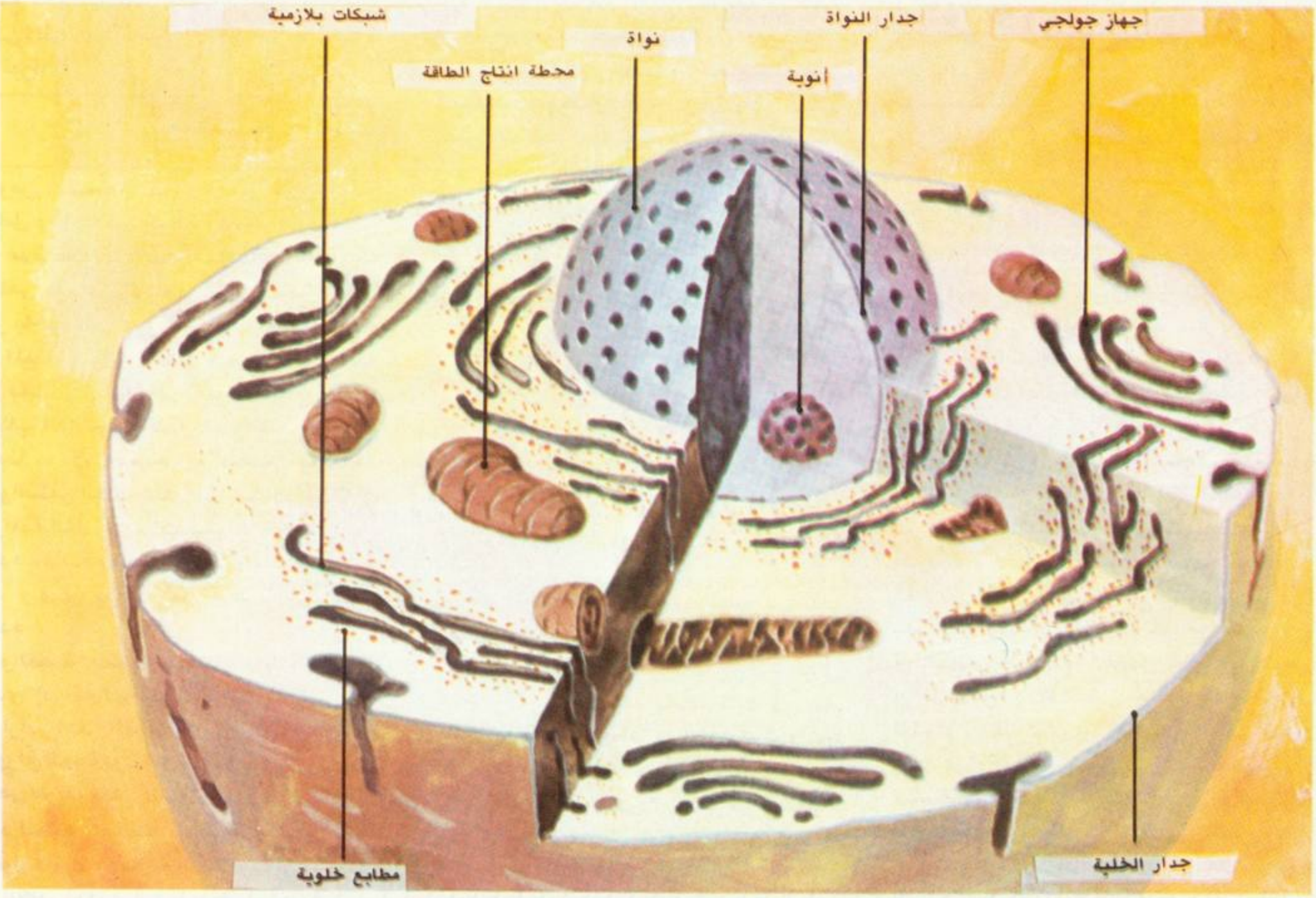
ويحكى أيضاً أن أحد الرحالة كان جالساً ساعة القيلولة وأمامه طعام يأكله ، وإذا بكلب يختطف رغيفاً ويعدو ، فتبعه حتى انتهى إلى مغارة ، فاذا فيها كلبة قد عجزت عن الحركة ، فجعل يكسر الرغيف ويضع كسرة فى فمها ، فتعجب الرحالة وانصرف .

سبحانك ربي !؟ .. حتى هذه الحيوانات علمتها الصداقة والوفاء ... زدنا من هذه الصداقات لنهرع إليها فى المحن ، ونستظل بها فى صحراء الحياة ، فنحن أحوج إليها ، لكى نحقق الحب والسلام على الأرض .

د . عز الدين فراج

توحّد الخلق.. في فكرة.. ثم شفرة!

بقلم د. عبدالمحسن صالح



شكل (١) رسم توضيحى لخلية على مستويات مختلفة ومؤسس على ما راه العلماء بالميكروسكوب الضوئى والاليكترونى ، وفى وسط الخلية توجد النواة التى تحتوى على اشرطة مبرمجة (لا تظهر هنا بطبيعة الحال) ، وحول النواة مرافق الخلية المختلفة التى تدير بها شئون عالمها الدقيق ، ويحيط بالسيتوبلازم (أو مادة الخلية الحية) جدار أو غشاء رقيق ليحفظ لها مادتها ، ويحدد شكلها ، ولا تختلف خلايا المخلوقات عن بعضها البعض كثيراً فى هذا الاطار العام .

كل كائن حي من تراب .. والى تراب يعود ، وعلى هذا المبدأ العام ، لا يختلف اثنان .. لكن الاختلاف يجيء فى التفاصيل والعلم بهذه التفاصيل يحتاج الى حواس غير حواسنا ، أو عيون غير عيوننا ، لأن العين البشرية قاصرة عن رؤية عوالم كثيرة خافية ، اذ لو اعتمدنا عليها فيما ترقب وترى ، لغاب عن مداركنا ما انطوى عليه الخلق من نظم قدرت تقديراً مذهلا .

فنظرة العين الى التراب وما طوى ، أو إلى اللحم وما حوى ، أو الى الدم والنطف والانسجة والالياف والخشب ، وغير ذلك من مكونات شتى ، غير نظرة العلماء اليها « بعين » المجهر الذى يكبر الأشياء وعشرات الآلاف من المرات ، وكلما كان التكبير أكبر ، ظهرت التفاصيل أكثر ، وتجلت لنا أكوان دقيقة من داخل أكوان ادق ، من داخل أكوان أدق وأدق !

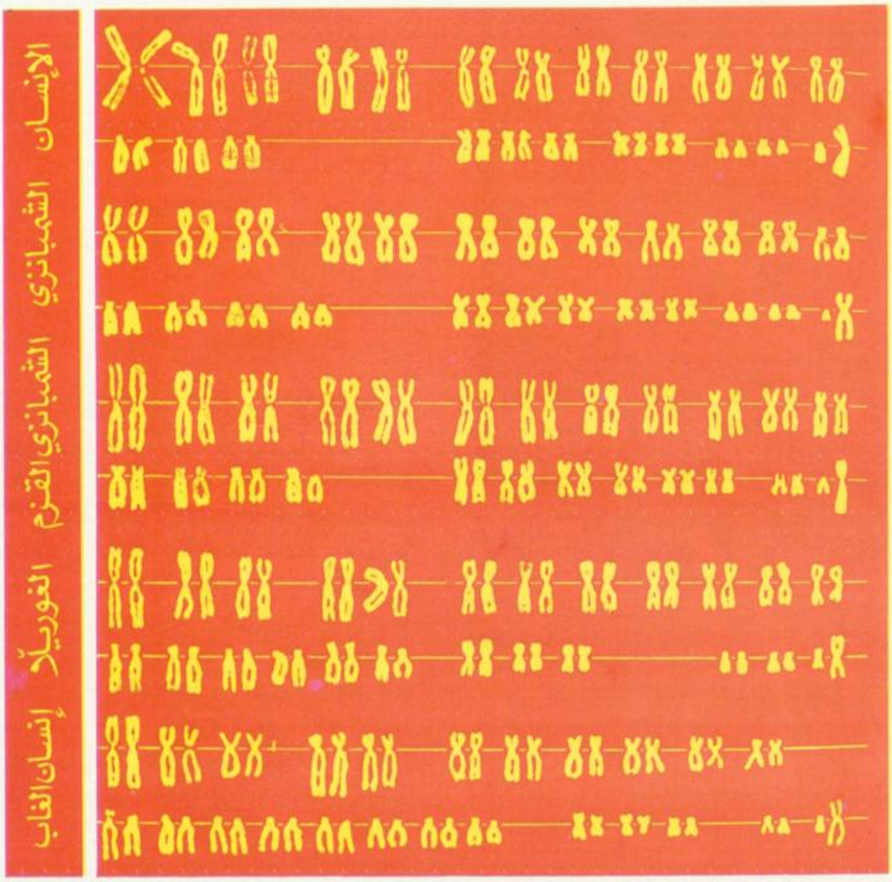
وبالعين نرى المخلوقات المنظورة متباينة فى التكوين ، ومختلفة فى الأشكال ومتعددة فى الألوان ، ولهذا قسمها العلماء الى رتب وعائلات وأجناس وأنواع .. لكن هذا الاختلاف الظاهرى سوف يتلاشى بالتدريج ، كلما نظرت الى أصول الخلق

بالتفصيل .. فتشريح الكائنات الحية .. هو أول خطوة متواضعة فى رؤية بعض التفاصيل ومنه يتضح أن هناك أعضاء أو مرافق فى الكائنات الحية .. ولكل عضو أنسجته ، والأنسجة متشابهة فى الحيوانات الثديية أو ما دونها الى حد كبير ، لأنها تؤدى نفس العمل .. ففكرة أنسجة الجهاز الهضمي ، قد جاءت لتهضم وتمتص ، وأنسجة الجهاز العصبى لتحس وانسجة الكلى لترشح ، وانسجة الرئتين لتتنفس ، والعضلات لتتحرك ، ولا يختلف ذلك في الانسان عن الحيوان .. ويعني هذا أن تلك الأنسجة لها بدايات مشتركة ، واصول موحدة وجذور متوارثة يعرفها العلماء من خلال عمليات التشريح المقارن بين الكائنات .

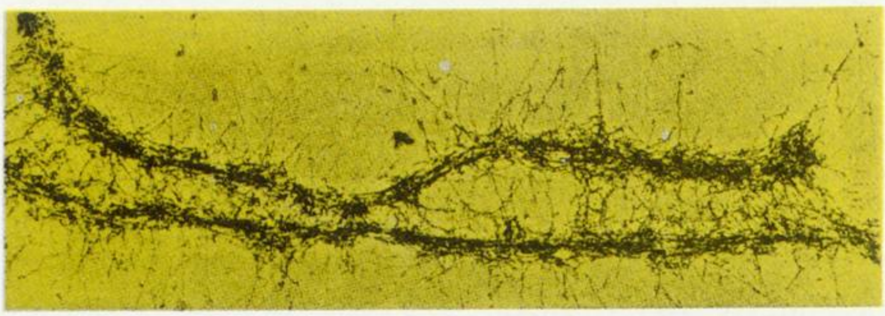
وعند حدود الأنسجة ، تتوقف كفاءة العين البشرية ، فلا تكاد بعدها ان ترى شيئاً مذكوراً ، لكن « عين » المجهر تكشف لنا مزيداً من التفاصيل ، وتوضح ان كل نسيج يتكون من خلايا .. أو بمعنى أعم نرى وحدة الحياة هنا ممثلة فى خلية ، أى ان كل المخلوقات من خلايا ، ولا يختلف فى هذا الميكروب عن الحشرة عن الدودة عن النبات والحيوان والانسان .. فالكل ينشأ من خلية ، وفيها توحدت فكرة الخلق من البداية الى النهاية .

تحديات كبرى

لكن ليس معنى ذلك أن الخلايا صورة طبق الأصل من بعضها ، بل هى تتخذ بدورها أشكالا وأنماطا وأحجاما مختلفة ، لأنها تؤدى وظائف مختلفة كذلك ، لكن ما هو السر الكامن وراء هذا التنوع الهائل على مستوى الخلايا ثم الأنسجة ثم المخلوقات ثم الأنواع ؟ .. وهل يمكن ان ينشأ هذا الطوفان الدافق من كل سلالات وأجناس الكائنات من أصل واحد ، أو خلية أولى كانت هى بمثابة « آدم » الخلايا التى اشتقت من أصلها كل هذه السلالات الخلوية التى يرقبها العلماء بالميكروسكوبات ليل نهار ؟ ... واذا كان هذا صحيحاً ، فما هى الفكرة الموحدة التى تشترك فيها جميعاً ؟ .. ثم كيف تتميز الخلايا فى الكائن الواحد ، رغم انها نشأت من خلية واحدة ملقحة ؟ .. وما هو



شكل (٢) خريطة الكروموسومات لكل من الانسان وعائلة القردة العليا .. ان فكرة الخلق فيها جميعا واحدة ، كما انها قد جاءت أزواجا ، وكل زوج متشابه تماما ، لأن احدهما قد جاء من الذكر ، والآخر من الأنثى ، وهما يمثلان النوع ... لاحظ ان الزوج الأخير في كل خريطة غير متشابه ، فالكبير منها يحدد الأنوثة والصغير للذكورة . وطبيعى أن تكوين الكروموسومات هنا غير واضح ، فاذا كبرنا واحداً منها بالميكروسكوب الاليكترونى لرأيناه يتكون من خيوط دقيقة مهلهلة (شكل ٢ ب) لكن .. ماذا تحوى هذه الأشرطة الدقيقة ؟ (انظر شكل ٣) .



سر الاختلاف بين أفراد النوع الواحد ، وبحيث لا يأتى مخلوق فى هذا النوع شبيهاً فى كل صفاته مع أى مخلوق آخر ؟ .. الخ .

الواقع ان مثل هذه الأسئلة تنطوى على تحديات كبرى لكل من فكر وتساءل وتأمل وتعجب ، لكن ذلك لن يزيل الحجب عن الأسرار العظيمة التى تنطوى فى خلق الكائنات ، بل لابد ان يتبع مرحلة التعجب والتساؤل ، مراحل متطورة للبحث والتجربة فى أصول الأشياء ، أو بدايات الخلق ، وهذا ما ارتضاه العلم سبيلا ، والعلماء طريقاً ، فتفتحت لهم كنوز من المعرفة الحقة ، لأنها قامت على أساس ، ولها مراجع ، ومراجعها من عند الله ، لأنها هى ذاتها آيات الله فى خلقه .. فكأنما آيات الخلق عند العلماء التجريبيين ، كمثل آيات القرآن الكريم عند علماء

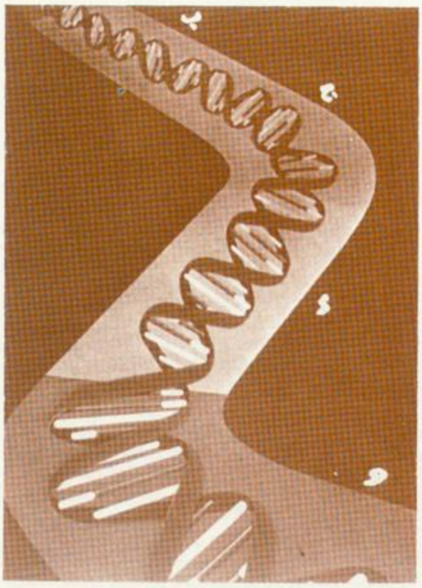
المسلمين ، وكلها من عند الله ، وكل يتدبر على حسب تخصصه ومستواه ، « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » .. وكذلك « آيات » الخلق ، اذ لو كانت من عند الله ، لوجد العلماء التجريبيون فيها اختلافاً كثيراً .. صحيح ان الاختلاف فى الظاهر ، لكن الفكرة الموحدة فى الخلق تكمن فى الباطن .

ولظاهر الخلق علماء ، وكذلك للباطن ، والخلايا ذاتها لها ظاهر وباطن ، ولكى نطلع على الباطن ، فلابد من تشريح الخلية ، وللتشريح على مستواه الدقيق وسائل ، إما بالرؤية من خلايا «عيون» المجاهر ، أو بالتحليل الفيزيائى لكل مالا تستطيع وسائل الرؤية اظهاره ، ثم لابد من التدليل على ذلك بتجارب هادفة ، ليتحقق القول بالعمل ، أو النظرية بالتطبيق ، وهذه سمات المنهج العلمى الأصيل .

وبدون الدخول فى التفاصيل ، نقول أن العلم قد حقق فى هذا انجازات هائلة ، وفتح عقولنا على أسرار مذهلة ، وبها عرفنا كيف نشأت الحياة من « سلالة طين » .. لكن قبل أن نتعرض لأصول النشأة الأولى كان لزاماً علينا ان نرى ما تمخضت عنه بحوث العلماء عند تشريح الخلية .. أية خلية تشاء من أى مخلوق تريـــد ، ولا تختلف التفاصيل كثيراً فى مملكة الحيوان عنها فى مملكة النبات ، وبهـــذا نستطيع أن نوضح الاجابات الواضحة ، على الأسئلة السابقة .

للخلية ظاهر وباطن

فكما تنطوى المخلوقات على ظاهر وباطن كذلك الحال مع الخلية ، فلها شكل مميز يحدد طبيعتها ووظيفتها فى الأنسجة التى تحتويها ، ومع ذلك فهى تشترك فى أمور جوهرية .. منها غلاف أو جدار رقيق غاية الرقة ، ليحفظ لها استقلالها ومادة حياتها ، ومنها السيتوبلازم الحى الذى تنتشر فيه مرافق متخصصة ، وكأنما هى بمثابة الادارات الفرعية فى دولة من الدول ، ومن التآلف والتناسق بين هذه الادارات الكيميائية ، تتوازن العمليات المختلفة فى



شكل (٣) نموذج مبسط لجزء من الشريط الوراثى وهو يبدو كضفيرة مجدولة ، أو سلم حلزونى ، يحتوى على درجات كيميائية متتابعة ، وفيها تكمن الشفرة الوراثية ، والشريط مقسم الى مقاطع أ ، ب ج ، د .. الخ ، وكل مقطع يمثل جينة عليها معلومات وراثية محددة سوف تترجم فيما بعد الى عملية كيميائية .

« ملكوت » الخلية الدقيق الحجم ، والعظيم الشأن ، لكن ذلك قد لا يهمنا الآن بقدر ما يهمنا أن نعرف أن هذه الادارات محكومة برئاسة عليا هى النواة ، وهى التى تهيمن على كل ما حولها من مرافق مختلفة ، أو جماهير جزئية متفـــاعلة (شكل ١) ، فرغم دقة حجم الخلية ، الا انها تحتوى على بلايين فوق بلايين من الجزيئات الأساسية العضوية اللازمة لتسيير دفة الحياة فيها ، ولا يدخل فى هذا جزيئات الماء والأملاح غير العضوية ، فهذه وحدها تتجاوز مئات الآلاف من ملايين الجزيئات !

وطبيعى أن هذه الجزيئات تتكون أساساً من ذرات ، ولو اننا أحصينا عدد الذرات فى بويضة الانسان **الملقحة** لبلغ عددها ما يربو على ١٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ (أى مائة مليون مليون) .. وهنـاك ـ بطبيعة الحال ـ خلايا أصغر أو أكبر حجماً من البويضة ، فالخلية البكتيرية التى يبلغ طولها جزءاً من ألف جزء من الملليمتر ، وقطرها ثلاثـــة أجـــزاء مـــن عشـرة آلاف جـــزء مـــن الملليمـــتر ، تحتـــوى على مائة ألـف مليـــون ذرة تتآلف فى عشرات الملايين من الجزيئات من

كل نوع وشكل وحجم ، فكأننا نحن فى الواقع أمام عالم من العوالم المفعم بالأسرار والألغاز والعمليات المنظمة ادق تنظيم ، والمتوازنة أعظم توازن ، والمنضبطة تمام الانضباط ، ولن يتأتى ذلك الا بادارة خلوية حازمة ـ هى نـــواة الخلية !

وكما كان للخلية ظاهر وباطن ، كذلك تأتى النواة بظاهر وباطن .. اما ظاهرها فينبىء بسور أو غلاف يحدد لها شكلها ، ويهيىء لها سكناً ومقاماً ، لتتفرغ للرسالة الكبرى التى تدير بها شئون عالمها ، وأما باطنها فلن يظهر الا اذا ارادت الخلية ان تكون نسخة من ذاتها ، وعندئذ نشاهد تمثيلية رائعة ، قسمها العلماء الى فصول خمسة ، وفى كل فصل نرقب احداثاً متلاحقة ، والحديث فى تفاصيلها قد يتشعب ويطول ، ولن نتعرض لها هنا ، لكن يكفى ان نشير الى ان هذه الأحداث متشابهة فى خلايا كل الكائنات ، لأنها جميعاً تنمو من خلال عمليات الانقسام التى تسرى بحساب ومقدار .

وفى هذه التمثيلية يظهر « ممثلو » الخلية على « خشبة » المسرح ازواجاً ازواجاً ، وما الممثلون هنا الا تكوينات دقيقة تعرف باسم الكروموسومات أو «الصبغيات» وسميت كذلك لأنها تمتص الأصباغ التى يعامل بها العلماء الخلايا ، علها تظهر تحت الميكروسكوبات بتفاصيل أوضح ، وهى تسمية قديمة وغير موفقة على أية حال ، لأن هذه الكروموسومات ليست الا « اشرطة » الحياة الدقيقة التى طويت طياً متقناً ، لتتخذ هذه الأشكال التى تشبه العلق أو الدود الصغير

وبهذه الأشرطة نبدأ

كأننا نحن ـ فى الكشف عن اسرار الحياة ـ كمن يمسك بين يديه بعدة صناديق متداخلة ومتراكمة ، وكلما فتح منها صندوقاً ، وجد فى داخله صندوقاً أصغر فأصغر فأصغر .. كذلك تظهر الأنسجة متراكبة من خلايا أصغر ، وفى داخل الخلايا أنوية أصغر ، وفى داخل الأنوية كروموسومات أصغر ، وفى داخل الكروموسومات أشرطة أصغر ، ولاشك أن الأشرطة تحتوى على نظم أصغر وأصغر ، وهى بالفعل كذلك ، لكن دعنا من ذلك الآن ، وسوف نعود اليها بعد قليل ، بعد توضيح الأسرار التى غابت عن مدارك الأجيال

السابقة ، ليتبين لنا فكرة الله فى خلقه ، فلكل شىء أساس « ولكن أكثر النـــاس لا يعلمون » .

فالنواة ــ فى الحقيقة ــ بمثابة مكتبة كيميائية ضخمة تضم بلايين المعلومات ، وهذه المعلومات مرتبة وموزعـــة على كروموسومات ، والكروموسومات أشـبه « بالدوسيهات » أو الملفات ، ولكل نوع من الكائنات عدد ثابت ومحدد من البداية فى البويضة والحيوان المنوى .. فاذا تلقحت البويضة فى عملية التزاوج ، فذلك يعنى اجتماع النسخ أو الملفات التى تمثل الذكر والأنثى فى تكوين واحد ، وهنا تبدأ بداية كل مخلوق فى أى نوع من الأنواع .

ان الحيوان المنوى الخاص بالنوع الانسانى يحمل فى رأسه خطة العمل الموزعة على ٢٢ كروموسوما ، زيادة على الكروموسوم المحدد للجنس ، وكذلك الحال فى بويضة الأنثى .. فاذا تجمعت حصيلة ذاك مع تلك ، نتج ٢٢ زوجـــاً من الكروموسومات ، وكل زوج منها متشابه تماماً ، عدا الزوج الخاص بتحديد الجنس (شكل ٢) .. وطبيعى ان أى كروموسوم فى أى زوج من هذه الأزواج ، يعبر عن نفسه ، ويترجم معلوماته ، ويحولها الى خطط عمل وراثية ، لكن قد يكون التعبير فى احدهما ، أقوى من التعبير فى الآخر ، فتسود صفة أو صفات على الأخرى ، وهنا نقول أن احد الصفتين سائدة ، والأخرى متنحية ، ومن حصيلة التعبير الوراثى ، تأتى أفراد النوع الواحد مختلفة الألوان والأصوات والطباع والأشكال والبصمات والبروتينات .. صحيح أن السمات العامة تحمل صفات النوع ، فيكون الانسان انساناً ، والقرد قرداً ، والحمار حماراً ، والتفاح تفاحاً .. الخ .. الخ . لكن هناك اختلافات فى التفاصيل الدقيقة ، وهى اختلافات ظاهرة وباطنة .. فأما الظاهرة فهى الشكل العام للمخلوق ، وأما الباطنة فتكمن اساساً فى التكوين الجزيئى للخلية أو النسيج ، ويتضح ذلك تماماً من نقل عضو أو نسيج من مخلوق ، وزرعه فى مخلوق آخر من النوع نفسه ، وعندئذ يتعرف الجسم على الأنسجة أو الخلايا الغريبة ، ويجهز لها ترسانة من قوته الدفاعية ليزيلها من ملكوته ، وكأنما هو يحس أن « لغتها » مختلفة عن لغة جزيئاته التى صنعها على هواه ، وبخطته الوراثية التى لا يشاركه فيها أحد سواه !

والواقع ان كل كروموسوم بمثابة اشرطة ملفوفة ومكدسة بالخطط والمعلومات .. ولكل خطة وراثية جزء محدد على الشريط ، وهذا الجزء نسميه « جينـــة » أو مورثة (شكل ٣) لأنها تقوم بترجمة خطتها لتصنع بها جزيئاً بروتينياً يدخل فى تشكيل الحياة ، أضف الى ذلك ان الجينات لا تشتغل هكذا على هواها ، بل هى محكومة بجينات أخرى تسيطر على عمليات التشغيل والايقاف على الشريط أو الأشرطة ، كأنما لسان حالها يقول « أبداً من هنا » .. أو « توقف هناك » .. أو « اسرع » .. أو « تباطأ » .. كل هذا يتوقف على حجم العملية ، أو على أنواع الجزيئات التى تحتاجها الخلية !

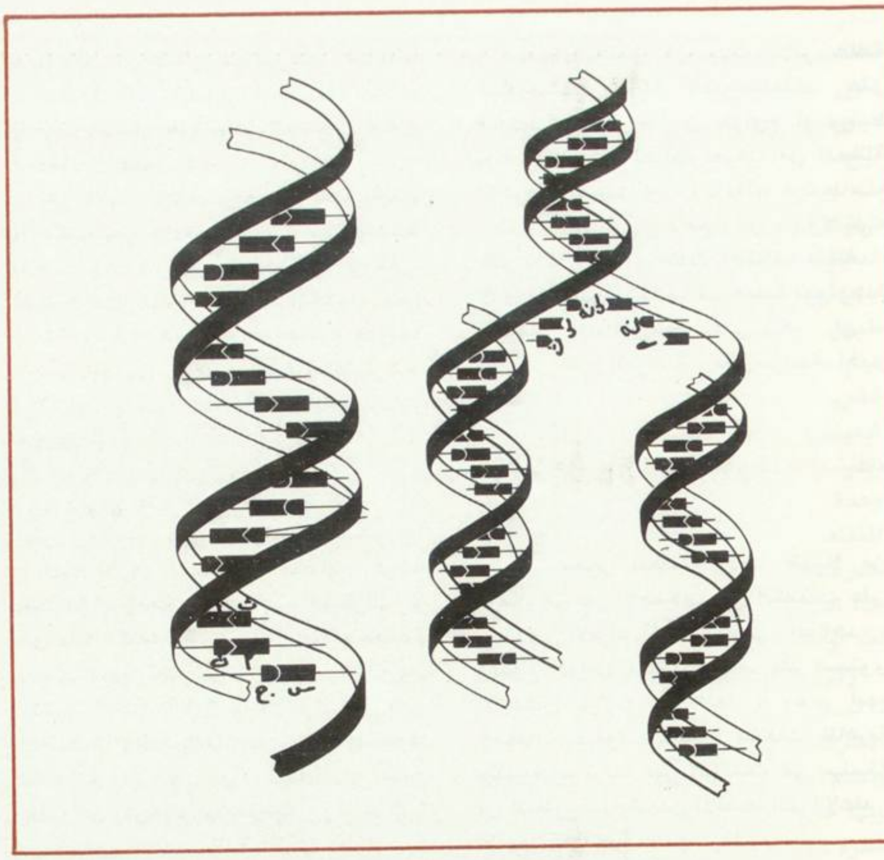
ان الأمر يبدو فى النواة وكأنما هو بمثابة واحد من « العقول » الاليكترونية التى عرفناها حديثاً جداً ، ذلك ان كل الخطط الوراثية مبرمجة على اشرطتهـــا الدقيقة ، ليس ذلك فحسب ، بل ان التوقيت الزمنى مبرمج أيضاً ، وكأنما هى تحمل معها ساعة ايقاف وتشغيل بيولوجية ، وبحيث تسير العمليات محددة بالزمان والمكان ، ويتضح ذلك تماماً فى عمليـــات انقسام الخلايا ، وظهور الأنسجة والأعضاء أثناء تكوين الأجنة ، لكن هذا موضوع آخر ينطوى على متاهات من فوق متاهات .

شفرة البرمجـــة

والذين ينظرون الى أنواع الكائنـــات بعيونهم المجردة ، فيرونها مختلفة اختلافاً واضحاً ، فان ذلك قد لا يعنى ان كلا منها قد خلق خلقاً مستقلا ، بل تجمعها فى الخلق فكرة واحدة ممثلة فى الخلايا التى أصبحت وحدات البناء فى العالم الحى ، ورغم أن الخلايا قد تتخذ اشكالا واحجاماً ووظائف مختلفة ، الا انها موحدة فى المرافق الأساسية التى تخدم كل خلية ، لكن هذا التنوع الهائل على مســتوى المخلوقات والأنسجة والخلايا والنوى والكروموسومات والجينات ، تجمعه فى النهاية فكرة الشريط الوراثى الموحد بين كل المخلوقات .

فلو انك نظرت بالميكرسكوب الاليكترونى الى شريط من فيروس أو ميكروب أو دودة

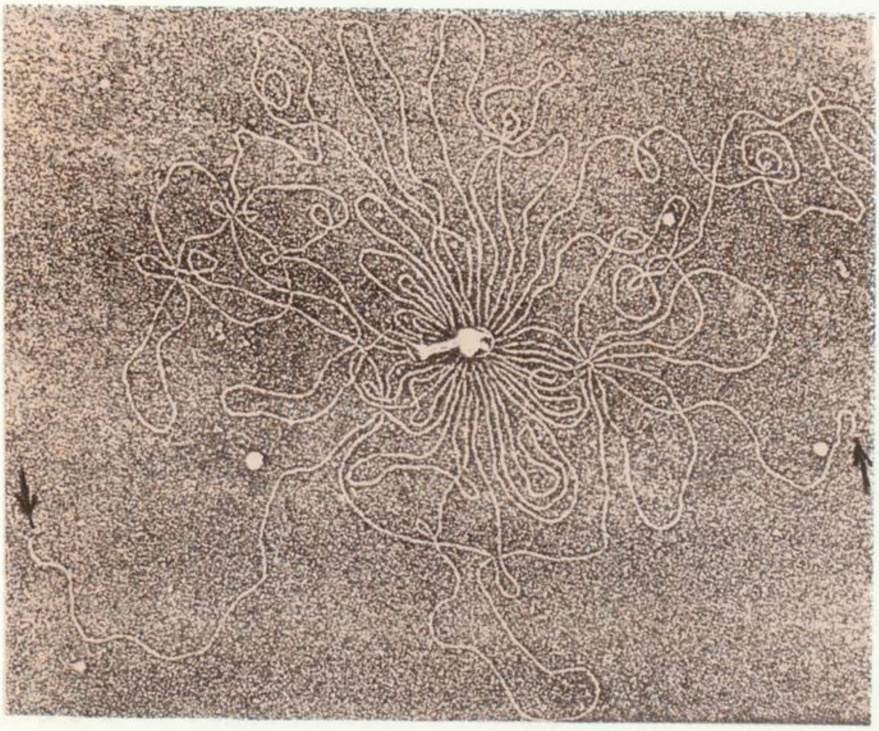
شكل (٤) يوضح كيف أن الشريط الوراثى المجدول (الى اليسار) يصبح شريطين : الى اليمين بعد ان ينشق طوليا ، فيكمل كل شق نفسه بالشفرات المناسبة (اى « ا » تلبس فى « ث » ، و « ج » فى « س ») .



او سمكة او اى نوع من انواع النبات والحيوان ، بما فى ذلك الانسان ، فانك لا تستطيع أن تحدد الى اى نوع من الكائنات ينتمى هذا الشريط او ذاك .. مثلها فى ذلك كمثل اشرطة التسجيل التى نعرفها حق المعرفة ، فلو أن زيداً من الناس قد امسك ببضع اشرطة بين يديه ، وسالك ان كنت تعرف ما سجل عليها ، فقد تنظر اليه شزراً ، لأن المحتوى لا يظهر الا اذا دار الشريط على جهاز التسجيل .. وكذلك الحال مع اشرطة الحياة ، فاذا اشتغلت فى خلاياها ، تجسدت معلوماتها فى مخلوقات شتى .. مع الفرق الشاسع طبعا بين اشرطة الناس ، واشرطة الحياة ، ففيها يتجلى بديع صنع الله ، وتظهر الفكرة للوحدة فى الخلق بداية من الميكروب الضئيل ، وانتهاء بالانسان العظيم .

واشرطة الحياة لها أيضاً ظاهر وباطن ، فظاهرها ما نراه بالميكروسكوبات الاليكترونية على هيئة خيوط دقيقة غاية الدقة ، والى هذا الحد تتوقف مهمة هذه الميكروسكوبات ، لأنها لا تستطيع أن توضح الباطن ، حتى ولو جاءت الأشرطة مكبرة عشرات الآلاف من المرات .. والى هنا يدخل علماء الكيمياء والفيزياء بكل ما وضعه العلم بين ايديهم من وسائل متقدمة .. وبدون الدخول فى التفاصيل ، اتضح ان اشرطة الحياة جميعاً جاءت على هيئة مجدولة كضفيرة الشعر المجدولة ، أو هى اشبه ما تكون بسلم حلزونى ذى درجات متتابعة ، لكن كل الدرجات فى هذه الضفيرة أو السلم الوراثى تتكون من أربعة جزيئات كيميائية مختلفة ، وكل جزىء منها يتكون كذلك من أربعة عناصر مختلفة هى : الايدروجين ، والأوكسيجين ، والكربون والنيتروجين ، وهذه من « سلالة » الطين التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم ، لكنها اختيرت اختياراً حكيماً وموفقاً لتصبح فكرة مذهلة يخلق الله بها ما يشاء من ملايين الأنواع من الكائنات ، وكذلك بلايين فوق بلايين من النوع الانسانى ، ودون أن يتشابه اثنان تشابهاً مطلقاً فى السمات الظاهرة والباطنة ــ عدا التوائم المتشابهة

خلق قام على أسس عظيمة ، واحكام قويمة ، ونظم بديعة ، وافكار حكيمة ، لتنشأ على أساسها كل صور الحياة .. أفلا



شكل (٥) عندما حطم العلماء رأس فيروس دقيق غاية الدقة ، خرج منه شريط وراثى لا يزيد طوله فى عالمه الحقيقى عن جزء واحد من الف جزء من الملليمتر ، لكنه ظهر بهذا الطول لأن الصورة مكبرة حوالى ٩٠ الف مرة وهذا ينبئك بضالة سمك الشريط أو عرضه .. وفى هذا الشريط تتراص ١٧٠ الف درجة كيميائية ، تحتوى كل درجة على شفرتين من شفرات الحياة الموحدة فى كل الكائنات (راجع شكلى ٣ ، ٥) لمزيد من بعض التفاصيل .

يدعو ذلك الى التامل الواعى فى آيات الله .. فتقودنا الى خشوع عقلانى له معناه ومغزاه ؟ .. ان هذا ــ فى الواقع ــ ايمان العلماء لا العوام !

ان تالف الكــــربون والنيتروجين والاوكسيجين والايدروجين بنظم ذريـــة مختلفة ، قد تمخض عن جزيئات اربعة ، انتظمت بدورها فى الأشرطة المجدولة على هيئة درجات كيميائية ، جاءت بدورها ازواجا ازواجا ، لتصبح الشفرة المشتركة فى خلق جميع الانواع من الكائنـــــات (شكل ٣) .

والأزواج من هذه الشفرات تعنى أن شفرة واحدة ترتبط ارتباط اليكترونياً بشفرة أخرى مناسبة ، لتصبح درجة متكاملة .. ونحن نعرف هذه الشفرات أو المركبات الكيميائية الأربعة باسماء محددة .. هى أدينين وثايمين وجوانين وسيتوزين ولناخذ الحرف الأول من كل مركب من باب الاختصار والتبسيط ليس الا ، ولنكتبها هكذا : ا ، ث ، ج ، س .. فاما ا ، ج فتتبع عائلة من المركبات الكيميائية ، وكذلك ث ، س تنطوى تحت عائلة أخرى مختلفـــة (اسمها العلمى لمن يهمه الأمر عائلة البيورينات وعائلة البيريميدينات على الترتيب) ، ولابد أن يتزاوج أو يرتبط مركب من هذه العائلة بمركب من العائلة الأخرى ، بمعنى أن « ا » دائماً ترتبط مع « ث » ، وكذلك « ج » مع « س » ، ولا شىء غير ذلك ، اذ لو حدث اختلاف طفيف ، لأدى ذلك الى اختلاف فى عملية بيولوجية وسوف نعود لنوضح معنى ذلك ، ان لم يكن فى هذه الدراسة ، ففى دراسة أخرى قادمة .

وحدة الفكرة ووحدة الشفرة

ولقد تحير العلماء ردحاً طويلا من الزمان فى سر الاختلاف بين الكائنات على مستوى الأفراد فى الجنس الواحد ، والنوع الواحد ، ثم الاختلاف على مستوى الأجناس والأنواع ذاتها ، رغم انهم لاحظوا وعرفوا ان هناك علاقات ظاهرية وتشريحية تربط بين الكائنات فى سلسلة من التطور الهادف من الأبسط الى الأعقد ، لكنهم وقفوا عند حدود زمانهم .

ولاشك ان كل شىء يتطور بمرور الزمن ، ولقد تطورت البحوث فى هذا الميدان بشكل مذهل ، وبحيث أصبح من الممكن الآن ادراك السر العظيم فى اختلاف الكائنات ، ومرورها فى حلقات تطورية متصلة ، وهو ما يطلق عليه الآن اسم الداروينية الحديثة أو التطور الحديث ، لأن ظاهر التطور والتنوع امكن تفسيره والتدليل عليه بما يكمن فى باطن هذه الأشرطة الوراثية العجيبة .

اننا نعرف الآن — على وجه الدقة — السر فى عملية الانقسام فى أية خلية ، وبحيث يؤدى هذا الانقسام الى انتاج خليتين متماثلتين تماما فى مخزونهما الوراثى ، لأن الأشرطة الموجودة فى النواة تنشق طولها الى نصفين ، ثم يكمل كل نصف ذاته ، ليصبح شريطاً متكاملا ، وكأنما قد اصبحا توأمين متشابهين (شكل ٤) ، ثم تتوزع التوائم بالعدل والقسطاس بين الخليتين الجديدتين ، فتعاود العملية ذاتها ، وكأنما الانصاف المنشقة تطبع نسخاً طبق الأصل من ذاتها وبهذه الطريقة تتوزع النسخ بين انوية الخلايا الجديدة ، وبحيث تحتفظ بصفاتها الوراثية المحددة للنوع ، اى أن اشرطة خلايا شجرة البلوط مثلا تحتفظ بصفات شجرة البلوط ، واشرطة خلايا الانسان تحتفظ بصفات الانسان ، وعلى هذا المنوال تكون اشرطة خلايا كل الأنواع .

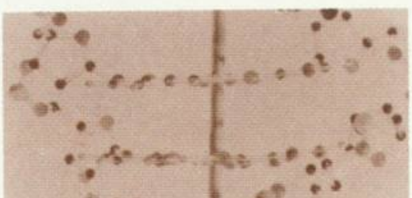
وطبيعى ان المخزون الوراثى يختلف من نوع الى آخر ، فللفيروس شريط طوله ٠٠١ر من المليمتر ، وفيه تكمن ١٧٠ الف شفرة مزدوجة (شكل ٥) .. وللخلية البكتيرية شريط يبلغ طوله حوالى ١ر١ مليمتر لا غير ، لكنه يحتوى على ٣ر٤ مليون شفرة مزدوجة هى بمثابة درجة فى سلم حلزونى ، وفى كل لفة أو جدلة (لأن الشريط مجدول) تكمن عشر درجات كيميائية ، وبين كل درجة واخرى مسافة تقدر بـ ٤ر٣ انجستروم (والانجستروم وحدة من وحدات القياس فى هذا العالم المتناهى الدقة ، وهو يساوى جزءاً من عشرة ملايين جزء من المليمتر !!) ، اى ان هذا الشريط الدقيق يحتوى على ٤٣٠ الف لفة أو جدلة .

وفى كل خلية من الخلايا الجسدية للانسان يوجد حوالى مترين من هذه الأشرطة ، وهى موزعة على ٤٦ كروموسوما وتضم حوالى خمسة ملايين جينة أو مورثة وبها حوالى ثمانية آلاف مليون درجة أو شفرة مزدوجة ، ولو تصورنا اننا كتبنا هذا العدد الهائل من الشفرات على هيئة نقطة وشرطة ، فلن يكفيها عشرات من المجلدات الضخمة .

وبين خلايا الانسان وخلايا الميكروب تتفاوت أطوال الأشرطة فى الكائنات ، فمنها ما يحتوى على بضعة ملليمترات أو سنتيمترات أو عشرات السنتيمترات ، لكنها جميعاً تتسم بنفس السمك ، وتسير على نفس الجدلات ، وتحتوى على نفس المركبات الأربعة ، وتفصلها نفس المسافات بين جدلة وأخرى .. أى ان كل شىء موحد بين جميع اشرطة الكائنات ..

لكن .. ما الذى يمسك بهذه الشفرات المزدوجة أو الدرجات الكيميائية المتتابعة ؟

إن الفكرة ببساطة شديدة أقرب الى فكرة السلالم الحلزونية التى ترتبط درجاتها « بدرابزين » الى اليسار والى اليمين ، لكنه « درابزين » كيميائى بطبيعة الحال ، وهو يتكون من جزيئات سكرية خاصة (اسمه سكر ريبوز) متماسكة بجزيئات فوسفات ، وسكر مرتبط بفوسفات مرتبط بسكر بفوسفات .. الخ ، يعطينا الهيكل الذى ترتبط به شفرات الحياة الأربع مع السكر فى درجات متتابعة (انظر شكل ٦) .. بقى أن نذكر ان عرض هذا الشريط يقع فى حدود جزئين اثنين من مليون جزء من الملليمتر ، ولهذا يظهر بالميكروسكوبات الاليكترونية إلا كشعيرات أو خيوط دقيقة ، رغم انها مكبرة عشرات الالوف من المرات (أنظر شكل ٥) .



شكل (٦) نموذج فراغى للشريط الوراثى المجدول وقد اخذت كل ذرة فيه وضعها الصحيح ، وبين شقى الشريط تتراص الدرجات الكيميائية ، وعليها تكمن الشفرة الوراثية .

السر الأكبر

ورغم أن هذا الكشف المثير عن مواصفات الأشرطة الوراثية وتكوينها الدقيق قد ظهر فى بداية النصف الثانى من القرن العشرين ، الا انها لا تزال تحتوى على كثير من المتاهات التى انكب عليها علماء الحياة فى العالم أجمع ، علهم يعرفون عن تفاصيلها المزيد ، ولقد عرفوا الكثير ، لكن ما لم يعرف أكثر بكثير ، ولاشك ان هذا الكشف — فى حد ذاته — يعتبر أعظم الكشوفات فى عالمنا المعاصر على الاطلاق ، لأنه فسر لنا ما عجز السابقون عن تفسيره ، ووضع حدوداً للحيرة المريرة التى جابهتها العقول الواعية .

لكن ذلك لا يفسر لنا كيف تتحول هذه الشفرات الكيميائية الأربع الى مخلوقات شتى ، ومنها الانسان الذى جاء ليبحث فى الحياة كيف بدأت وتنوعت وتشكلت ، والتفسير يحتاج الى مجلد كامل ، ولهذا فسوف نعود اليه لنلخصه فى دراسة قادمة لنعلم ما لم نكن نعلم ، وما أكثر مالا نعلم « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

ومع ذلك ، فيكفى أن نشير هنا الى ان الشفرات بمثابة برمجة كيميائية على الأشرطة الوراثية ، وهى بمثابة مخزن هائل من المعلومات التى ستترجمها الأشرطة الى خطة عمل تتجسد على اساسها المخلوقات وتتنوع ، أو هى كالأفكار التى تتزاحم فى عقول البشر ، ولابد من تحويلها الى لغة مكتوبة ، أو اشكال مرسومة ، ثم تنفذ فى أوامر أو مشاريع هندسية وانشائية وتكنولوجية نراها مجسدة فى بنايات ومصانع ومرافق تخدم الانسان .. وكذلك الحال مع البرمجة الكيميائية ، لأن هذه البروجرامات سوف تطبع على اشرطة مبعوثة يحملها مندوبون من الادارة المركزية (اى النواة) الى ساحة الخلية ، لتجمع الجزيئات الصغيرة المشتتة بغير هدف ظاهر ، وتبنيها فى جزيئات أكبر مختلفة التكوين والأشكال والوظائف ، ليؤدى كل منها دوره فى الحياة وكما أراد لها الله .. « الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » .. وفى ذلك الكفاية لقوم يتدبرون فيعقلون ويفقهون !

د . عبد المحسن صالح

تشايكوفسكي

عبقريـــة إنسانيـــة لامعـــة بين الجنـــون والحـــب والفـــن

إعداد وترجمة : عبد القـادر عقيـل

كانت روسيا القيصرية واحدة من الأمم المتخلفة عن ركب التطور الموسيقي في العالم ، وظلت لفترة طويلة لا تضيف جديداً إلى الموسيقى حتى منتصف القرن التاسع عشر .

والصوت الموسيقي المتمايز في روسيا كان ميخائيل إيفانوفيتش جلنكا (١٨٠٤ ـ ١٨٥٧) ، وهذا لم يحظ إلا بالقليل من الشهرة خارج بلاده ، وفي منتصف القرن التاسع عشر بدأت روسيا تستفيق على أنغام الموسيقيين الجدد (تشايكوفسكي ، ريمسكي كورساكوف ، مسورجسكي ، بالاكيريف ، برودون) الذين سرعان ما انتشرت أعمالهم الموسيقية خارج روسيا . وكل واحد من هؤلاء المؤلفين الموسيقيين تميز في فن من الفنون الموسيقية : كورساكوف لمع في القيادة الأوركسترالية ، ومسورجسكي في الأوبرا .. وهكذا . ولكن أشهر الناجحين وأكثر المؤلفين الموسيقيين الروس تمايزاً ، كان بيتر اليتش تشايكوفسكي ، هذا الفنان البارع في كل الأشكال الموسيقية : السيمفونية ، القصيد السيمفوني ، الأوبرا ، الباليه وموسيقى الحجرة . ولكل شكل من هذه الأشكال ترك أعمالا فائقة الدقة أضافت كثيراً الى الموسيقى العالمية .



تشايكوفسكي

ولد فى فوتكنسك فى ٧ مايو ١٨٤٠ ، كان ابوه مهندسا حكوميا يتذوق الموسيقى ويحبها ، اما هو فقد كان حساسا وشاذا فى كل شىء ، ولكنه مثل ابيه كان شـــغوفا بالموسيقى .

فى عام ١٨٤٥ بدا بيتر ياخذ دروسا فى البيانو مع ماريا ماركوفنا بالجيكوفا ، وسرعن ما استطاع العزف ، وتمكن بعد فترة وجيزة من عزف مقطوعتين من موسيقى المازوركا لشوبان بعد تعلمه من زائر بولندي يدعى مازيزوسكي .

والغريب فى الامر انه فى الفترة التالية صارت اعصابه تتوتر ومزاجه ينقلب بعد العزف على البيانو او الاستماع الى الموسيقى . فبعد امسية موسيقية كان يسمح فيها بالجلوس . وجدته امه جالسا فى سريره يبكي بحرقة ، وعندما سالته عن السبب اخذ يكرر « اوه هذه الموسيقى ، هذه الموسيقى » فى حين كان البيت هادئا ولم يكن هناك اى صوت للموسيقى . وعندما الحت فى معرفة الامر قال « إنها هنا ، هنا » وكان يشير الى راسه « لا استطيع التخلص منها ، انها لا تدعني فى سلام » .

لذلك شعر والداه بان الموسيقى ستؤثر سلبيا على صحة ابنهما ، فابعداه عن اجواء الموسيقى . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى كان مستقبل الابن تشايكوفسكى قد حدد بالنسبة اليهما : موظف فى الخدمة الحكومية .

بعد عامين من الدراسة الاعدادية ارسل الى مدرسة القانون فى سانت بطرسبورج فى عام ١٨٥٢ ليتركها فى ١٨٥٩ ويصبح موظفا فى وزارة العدل .

واثناء عمله فى الوزارة كان يتلقى دروسا فى البيانو من استاذ فى الموسيقى كان يعمل مدرسا فى المدرسة ، ثم اخذ يتلقى دروسا مع الموسيقى المحترف رودلف كوندنجر .

وغير معروف الظرف الذى جعل والد تشايكوفسكى يقع تحت فكرة ان ابنه يمكن ان يصبح موسيقيا محترفا .

لذا فقد عهد الى زاريمبا استاذ النظريات الموسيقية المعروف ليقوم بتدريبه الهارموني . وحتى ذلك العهد لم تكن هناك اية مدرسة للموسيقى فى كل روسيا .

فى سبتمبر ١٨٦٢ افتتحت الجمعيـــة الموسيقية الروسية اول كونسيرفتوار فى سانت بطرسبورج وصار زاريمبا واحدا من الاساتذة فى الكونسيرفتوار ، فما كان من تشايكوفسكى إلا ان تبع استاذه واخذ يحضر فصلين فى الاسبوع .. حتى هذه الفترة لم يكن تشايكوفسكى واثقا من نفسه ولم يكن قد وصل الى قرار بشان الدراســة

فى ابرايل ١٨٦٣ استقال من خدمته فى وزارة العدل ، وكتب الى اخته يقول « على الاقل انا واثق من امر واحد ، وهو اننى ساصبح فى النهاية موسيقيا كبيرا » .

انعزل تشايكوفسكى فى حجرة نومه واخذ يدرس بهمة شديدة الهـــارموني والكونتربوينت مع زاريمبا ، والتـــوزيع الاوركسترالي مع روبنشتاين ، وتلقى ايضا دروسا فى الارغن وتعلم العزف على الفلوت .

وكان اخوه الاكبر نيقولاس قلقا من اندفاعه الهائج فى الموسيقى فكتب اليـــه تشايكوفسكى يطمئنه قائلا « ستفخر يوما بانك اخى » .

فى نهاية عام ١٨٦٥ عرضــــت على تشايكوفسكى اولى وظائفه المتخصصة . فقد كان نيقولاس روبنشتاين ، الاخ الاصغر لانطون ، يحاول فتح كونسيرفتوار للموسيقى فى موسكو وبحاجة الى استاذ فى الهارموني . وكان اسم تشايكوفسكى ضمن المقترحين لشغل هذه الوظيفة فقبلها براتب ضئيل .

وفى يناير ١٨٦٦ سافر الى موســـكو وحيدا ، منقبض النفس مشدودا الى بيته . على اية حال ، اعتاد على الحياة فى موسكو فى بضعة اسابيع وكتب الى اخته « تدريجيا بدات اعتاد على موسكو وايضا على الوحدة التى تجعلنى بائسا ، وعملى ناجح جدا مما اثار دهشتي » .

فى مارس من ذلك العام بدا فى كتابة اولى سمفونياته (احلام الشتاء) ، وهـــذه السمفونية كانت مثل بقية تاليفـــــاته الاوركسترالية التالية داخلة ضمن اطـــار الموسيقى التقليدية .

وتاليف هذه الســـــمفونية اقلق تشايكوفسكى كثيرا . فكانت تتناوبه حالات الارق ويعانى من « تشوش فى راسى » وسيطرت عليه فكرة موته قبل الانتهاء من السمفونية .

عمل بجد ليلا ونهارا ، وصار كالمخبول فى تصرفاته ، ولم يكمل السمفونيـــة (فى نوفمبر) حتى انهارت اعصابه تماما .

خلال شتاء ٦٦ ــ ١٨٦٧ تعـــرف تشايكوفسكى على المسرحي اوسترفسكي من خلال مسرحيته المثيرة (العاصـــفة) واتخذها لعمل افتتاحية فى احتفال يوم الطلبة وكان هذا العمل بداية لاستمالة المؤلفين المسرحيين نحو كتابة نصوص الاوبرات له . (يجدر الاشــــارة إلى ان تشايكوفسكي حتى هذا الوقت كان يجهل اعمال شومان ولا يعرف عدد السمفونيات التى الفها بيتهوفن) .

بدا اوسترفسكى فعلا فى كتــــابة نص « فيوفودا »(١) ولكنه فقد الاهتمام بها فتولى تشايكوفسكى اكمال النص لنفسه . فشغله التاليف طيلة عام ١٨٦٧ . ولم يكمل وضـــع الحانها إلا فى باريس ــ خـــــلال رحلة استجمام الى اوربا الغربية ــ فى صيف ١٨٦٨ .

اجريت البروفات على « الفيوفودا » لتقدم على مسرح موسكو الكبير . ولكن لسوء حظ تشايكوفسكى ان فرقة ايطالية للاوبرا ــ من الدرجة الثالثة ــ زارت موسكو لتقـــدم عروضها فتزاحمت الناس لرؤية مغنيـــة السوبرانو المشهورة ديسيري ارتون . ونظرا الى ان العازفين فى مسرح موسكو كانوا سعداء بعملهم مع الايطاليين فانهم اهملوا إكمال بروفات اوبرا « فيوفودا » .

فقد تشايكوفسكى فى هذه المصـــادفة الغربية شيئين : اولاهما فقدان فرصة عرض الاوبرا ، وثانيهما فقدانه قلبه بعـــد ان استاثرت به ديسيري ارتوت .

كان فطريا لا يميل الى النساء ، وحتى وهو فى هذه الحالة كان يعشق فيها الفنانة وليست المراة . ومع ذلك فقد افصح لها عن رغبته فى الزواج منها . وبعد فترة وجيزة حدث بينهما فتور شديد مما دعى ديسيري الى انهاء العلاقة والاقتران برجل اخر .

عرضت « الفيوفودا » اخيرا فى ١١ فبراير ١٨٦٩ والنجاح الذى حققته فى الليلة الاولى لم يستمر فى بقية ليالى العرض . وبعد عدة سنوات اتلف تشايكوفسكى الاوبرا تماما .

فى هذه الفترة تعرف تشايكوفسكى على مجموعة صـــــغيرة مؤلفة من المؤلفين الموسيقيين فى بطرسبورج (بالاكيريف ، ريمسكى كورساكوف ومسورجســـكي وبرودن) وكانوا جميعا من جيله ولكنهم كانوا هواة تعلموا الموسيقى بانفسهم وكانوا يعملون اما ضباطا فى الجيش او الحربية . وهو كان على نقيضهم تماما ، كان متعلما ومحترفا ولم يكن يحمل مثلهم الافكار « القومية » الجديدة وغير مقتنع بفكرة توظيف التراث الشعبى فى الموسيقى فقد كان ينظر فى اعجاب شديد الى كبار المؤلفين الموسيقيين الالمان ويحاول ان يقتدى بهم ، لذلك اعتبرته المجموعة « طفلا مدللا فى الكونسيرفتوار » اما هو فقد نظر اليهم باحتقار شديد (استثنى منهم ريمسكى كورساكوف) . ولكن الاتصـــال الشخصي فيما بعد بين الطرفين غير الكثير

من وجهات النظرة السابقة . وكان لاتصال تشايكوفسكي مع « القوميين » فى بطرسبورج أن وجد نفسه يميل بشدة نحو اظهار الوعي القومي فى موسيقاه وإن كان لم يحبذ فكرة توظيف التراث الشعبى فى الموسيقى .

ومن الأعمال الموسيقية الرائعة التى ألفها تشايكوفسكى فى هذه الفترة افتتاحية « روميو وجولييت » (ألفت فى ١٨٦٩) وهذا العمل لم يكن يحمل أفكاراً قومية ولكنه جاء بناء على اقتراح من بالاكيرف . هنا أيضاً ، أثبت تشايكوفسكي نبوغـــه فى تأليف الأوركسترالية .

ومع كل النجاح الذى كان يصـيبه تشايكوفسكي إلا أنه كان ينزع نحو الكآبة والتشاؤم والضجر . كتب وهو فى الواحدة والثلاثين من عمره « لقـــد هــرمت ولا استطيع أن أتمتع بشيء ، أعيش على ذكرياتي وآمالي ، ولكن هل هناك أى أمل ؟ » .

حالته المادية كانت جيدة ، وعمـلـه فى الكونسيرفتوار كان مطمئناً واستطاع أن يقوم بزيارة الى أوربا الغربية وايطاليا . عدا ذلك ، حصل على الاعتراف العام به كمؤلف موسيقى وذلك بعد حصول أوبراته «فاكولا» على جائزة فى المسابقة ، وأيضاً حققت السمفونية الثانية (ألفت فى صـيف ١٨٧٥) نجاحاً سريعاً .

خلال هذه الفترة غامر تشايكوفسكى فى عمل جديد : باليه طويل جداً قياساً الى بقية الباليهات ، وتجربة جديدة لم يقم بها أى مؤلف موسيقى من قبل . هذه التجربة كانت « بحيرة البجع » ، وقدمت فى مسرح أوبرا موسكو فى ٤ مارس ١٨٧٧ ولكنها لم تلاق النجاح الكبير .

« بحيرة البجع » واحدة من الأعمال التى تبين تأثير الموسيقى الفرنسـيـة على تشايكوفسكي(هو نفسه كان يميل للفرنسيين وأمـه كانت ابنة لرجـل فرنسي) فـــفي شتاء ٧٥ ـ ١٨٧٦ حينما كان يشرع فى كتابة الباليه سمع « كارمن » (٢) للمرة الأولى فتأثر بها تأثراً شديداً .

كتب أخوه موديست قائلا « انه لم يتأثر من قبل بأى من الموسيقى الحديثة مثلما تأثر بـ « كارمن » » .

العام ١٨٧٧ كان عاماً مهماً فى حيـاة تشايكوفسكي . ففيها ألف اثنتين من أروع أعماله الموسيقية : أوبرا « أوجين أونجين » والسمفونية الرابعة . وفى هذه السنة تزوج ـ مع نتائج مخيبة ـ ، وفيها بدأ فى واحدة من أهم علاقات الحب .

هـــذه العـلاقة الغـريبة بدأت في أواخر عام ١٨٧٦ حينما طلبت منه سيدة تدعى ناديجدا فون ميك أن يعيد بعض المقطوعات الصغيرة للفيولينة والبيانو مقابل أجر سخي . وناديجدا كانت أرملة فى السادسة والأربعين ، مثقفة ، وأم لاثني عشر طفلا .

فى ذلك الصيف أفصح عن رغبته فى إهداء ناديجدا فون ميك « صديقتي الوفية » السمفونية الجديدة التى كان يعمل فيها ، والتى أطلق عليها اسم « القدر » .

تعطل تأليف السمفونية الرابعة وأوبرا « أوجين أونجين » بزواج تشايكوفسكى المفاجىء من فتاة تدعى انتونينا ميلوكوفا . وغير مفهوم البتة أقدام تشايكوفسكى على هذا الزواج الفاشل حتى لو سلمنا بحقيقة انها كانت تطارده وتكتب اليه الرسائل وتهدده بالانتحار إن لم يتزوجها .

كتب الى ناديجدا رسالة يبرر فيها هذا الزواج بأنه جاء بناء على رغبة من والده

تم الزواج فى صمت تام دون أن يعلم به أحد ، وأمضيا أسبوعاً فى بطرسبورج ، ثم زار أم انتونينا وانفصلا لمدة شهر واحد ، عادت العروسة الى موسكو لاعداد بيتها والعريس لاذ بالفرار الى أخته المتزوجة فى كامينكا « لو بقيت معها يوماً آخر أقسم بانني سأفقد عقلي » هكذا اعترف لأخته .

هناك ، فى كامينكا ، واصل تشايكوفسكى العـمــل فى أوبرا « أوجين أونجين » والسمفونية الرابعة ، ثم عاد الى موسكو وحاول الانتهاء منهما هناك مع تجنب أى حديث عن زواجه حتى لأقرب اصدقائه .

وجد تشايكوفسكى نفسه فى وضع لا يطاق فعقد العزم على الانتحار ، وكما اعترف بعد عدة سنوات ، فانه كان يبحث عن وسيلة للانتحار تكون مثل الموت الطبيعى . وذات مرة خرج فى ليلة شديدة البرودة وخاض فى نهر موسكوفا حتى وسطه أملا أن يصاب بالتهاب الرئة . وأخبر زوجته لما عاد الى البيت بأنه سقط فى النهر حينما كان يصطاد السمك ، ومع ذلك فلم يمت وأصيب بنزلة برد فقط .

لجأ هذه المرة الى بطرسبورج « وأنا على وشك الجنون » . كان واضحاً بأنه لا يريد أن يرى زوجته ثانية . وتم الانفصال بينهمـا بواســطة نيقولاس روبنشـتاين وأناتول تشايكوفسكى . أناتول أخذه وهو على هذه الحالة الى الخارج . كان عندهما مالا يكفى فقط لبضعة أسابيع ، ولكن ناديجدا مدت يد العون له وعرضت عليه مساعدة سنوية قدرها ٦٫٠٠٠ روبل (حوالى ٥٠٠ دينار) مقابل أن يترك وظيفته فى كونسيرفتوار موسكو ويكرس نفسه للتأليف الموسيقى فقط . لم يكن أمام تشايكوفسكى إلا أن يقبل العرض بامتنان شديد وكتب اليها يقول بأن كل أعماله التى سيؤلفها ستكون مهـداة اليها .

من هذه النقطة تغيرت حيــــاة تشايكوفسكى تماماً . هو الآن رجل حـر وباستطاعته أن يتمتع بالأسفار الى الخارج (خصوصاً ايطاليا) . وعندما قرر العودة الى موسكو وهبته « المحسنة » الثرية بيتاً من بيوتها ليعيش فيه .

كان يحتاج الى بعض الوقت لاستعادة هدوئه وراحة أعصابه ، ولكنه عمل بجد لانهاء « أونجين » والسمفونية الرابعة . ولم تمض فترة بسيطة حتى انهمك فى العمل بنشاط كبير .

لم يكن تشايكوفسكي من طينة المؤلفين الموسيقيين الذين ينتظرون باستسلام مجيء الالهام اليهم « الالهام امرأة خجولة ويجب دائماً مقابلتهـــا فى منتصف الطريق » .

خلال سنوات « الحرية » (٧٨ ـ ١٧٨١) انتج تشايكوفسكى مجموعة كبيرة من الأعمال الموسيقية : سوناتا للبيـانو ، وكونشيرتو للفيولينة ، وثلاث متتاليـات للأوركسترا ، أوبرا « عذراء أورليانز » ،

من أعمالـه

الموسيقى الأوركسترالية :

- سبع سمفونيات (مضافة إليها سمفونية « مانفريد » .
- أربع قصائد سمفونية ، خمس افتتاحيات ،
- أربع متتاليات (مضافة إليها متتالية « موزارتينا » .
- الكبريتشيو الايطاليــــة سبرنادا لوتريات الأوركسترا .

الكونشيرتو :

- ثلاثة كونشيرتات للبيانــو .
- كونشيرتو للفيولينـة .
- تنويعــات للفيولونسيل والأوركسترا ..

أعمال مسرحية

- عشر أوبريتـات .
- ثلاثة باليهـات .
- مقدمة موسيقية لمسرحيتين .

موسيقي الحجرة :

ثلاث رباعيات وتربة ، سداسى الآلات . ثلاثي البيانو . سوناتا للبيانو . عدة مقطوعات صغيـرة للبيانو . حوالي مائة اغنيــة (بينها اغاني للأطفـال) .

كونشرتو البيانو الثاني ، « الكبريتشيو الايطلية » ، افتتاحية « ١٨١٢ » المشهورة وسيرنادا لوتريات الأوركسترا .

في أوائل عام ١٨٨٣ تلقى تفويضين آخرين لعمل كنتاتا ومارش للاحتفال بتتويج القيصر الكسندر الثالث ، فقبل تشايكوفسكي هذا العرض ورفض أخذ أي اجر ، فقد كان شديد الولاء للقيصر ، وفوق هذا ، كان القيصر الشاب قد ساعده واخرجه من محنته المالية بهبة سرية قدرها ٣٫٠٠٠ روبل ، ومنذ هذا الوقت استمال تشايكوفسكي نحوه عطف العائلة الملكية ، وأصبحت أوبرا « أوجين اونجين » الأوبرا المفضلة لدى القيصر .

وفي عام ١٨٨٨ حصل تشايكوفسكي على معاش سنوي قدره ٣٫٠٠٠ روبل من العائلة الملكية حتى آخر حياته .

في فبراير ١٨٨٥ سكن تشايكوفسكي في بيت جديد يقع في ميدانوفو بالقرب من كلين وهي مدينة يسهل الوصول منها الى موسكو وفي هذا البيت طبق روتيناً صارماً ومنع نفسه من أن يكسر هذا الروتين حتى بقية حياته .

لم يكن تشايكوفسكي يرحب بزيارة أحد ، لكنه كان يستمتع باستضافة أخوته وبعض الأصدقاء المقربين حينما لا يكون مشغولا مع التأليف ، فالأعمال الابداعية بحاجة إلى عزلة تامة .

وفي هذه الفترة بدأ تشايكوفسكي أصفى وأهدأ أعصاباً عما كان عليه من قبل ، واستطاع أن يقود ـ باعصاب باردة ـ العرض الأول لـ « فاكولا الحداد » (سميت فيما بعد « الحذاء الصغير ») في ٣١ يناير ١٨٨٧ .

أخذ تشايكوفسكي يفكر في السفر الى الخارج ليعرف العالم بموسيقاه (التي لم تحصل حتى الآن على نجاح كبير خارج روسيا) . وافتتح رحلته الى ليبزج ، حيث قابل الفنانين الكبيرين يوهان برامز وجريج وفي ٤ يناير ١٨٨٨ قاد أوركسترا جواندوس .

في أولى متتالياته والتي استقبلت بحماس شديد من قبل الحاضرين ولكن بفتور من قبل الصحافة . وزار هامبورج ، برلين ، براغ ، باريس ، وأخيراً لندن حيث أمضى أربعة أيام وقاد السيرنادا للآلات الوترية ، وتنويعات من متتاليته الثالثة في حفلة الجمعة الموسيقية في ٢٢ مارس .

في ذلك الصيف ، سكن تشايكوفسكي في بيت جديد يقع في فرولونسكو بين كلين وموسكو . وهناك ألف سمفونية جديدة (الخامسة) ، وافتتاحية « هاملت » التي اهداها الى جريج تعبيراً عن صداقتهما .

أعقب السمفونية الخامسة باليه آخر « الجمال النائم » الذي كان أكثر جودة من « بحيرة البجع » وتشايكوفسكي نفسه كان معجباً به كثيرا (٣).

وفي فبراير ١٨٨٩ أعد نفسه لجولة سياحية أخرى . هذه المرة زار لندن وقاد فيها كونشيرتو البيانو (مع سابلينكوف كعازف منفرد) والمتتالية الأوركسترالية الأولى .

وانقضى الصيف من ذلك العام وهو منهمك في إعداد الباليه حتى عرض في ١٥ يناير ١٨٩٠ ، وبعد عدة أيام قام برحلة الى ايطاليا .

وخلال مكوثه في فلورنسا ألف عملين : أوبرا « ملكة البستوني » (اقتبسها من قصة لبوشكين) وسداسي الآلات الوترية (سميت بذكريات فلورنسا) .

وهذه السنة التي بدأت بنجاح كبير جلبت له فيما بعد عدة ضربات موجعة : تنبيه من ناديجدا فون ميك بأنها على حافة الافلاس وانها ستكف عن امداده بالمال . وضريبة الامتياز التي فرضت على « ملكة البستوني » وتجاوزت أرباحها . والأسوأ من ذلك ، أن تشايكوفسكي كان يجهل أن « صديقته الوفية » كانت منهارة عصبياً وتعاني من مرض يؤدي بها الى الموت البطيء ، بينما هو استنتج خطأ بأنها تعبت من صداقته واختلقت عذراً لقطع المساعدة .

في أوائل ١٨٩١ بدأ في تأليف باليه جديد « كسارة البندق » ولكن هذا العمل تأجل بسبب رحلة موسيقية أخرى .

هذه المرة ذهب بعيداً الى أمريكا . وقدم عدة حفلات موسيقية في نيويورك ، بالتيمور وفيلادلفيا (ابريل ـ مايو) ، وكان في كل مكان يتواجد فيه يقام له احتفال أو مهرجان خاص به .

لا أحد كان يعرف سبب الحزن الذي يغرق فيه هذا الرجل رغم كل النجاح المنقطع النظير الذي تصيبه موسيقاه . ففي ليلة وصوله الى نيويورك أختلى بنفسه في الفندق وجلس يبكي وهذه الحادثة تكررت خلال الشتاء أثناء زيارته الى هامبورج ليسمع الفنان الكبير غوستاف ماهلر وهو يقود « أوجين أونجين » .

في مايو ١٨٩٢ انتقل تشايكوفسكي الى سكن جديد قرب كلين . وهناك ألف سمفونية جديدة ، ولكنه كان غير راض عنها فحولها الى عملين للبيانو والأوركسترا . على أية حال ، السمفونية السادسة « الحقيقية » بدأت بعد عدة أشهر . فالفكرة واتته أثناء رحلة قام بها الى فرنسا وبلجيكا في شتاء ذلك العام ، وأفصح لأقرب اصدقائه عن رغبته في عمل « سمفونية شاملة ، ولكن مع شموليتها ستبقى غامضة بالنسبة للآخرين » .

بعد ذلك ، وبناء على اقتراح من أخيه موديست أسماها سمفونية « الاحزان » . هذه السمفونية هي واحدة من أعمال تشايكوفسكي « الشخصية » جداً . فقد أفرط في ابراز الجانب العاطفي فيها ، عاكساً فيها حالته النفسية حينذاك .

وأعقب سمفونية « الاحزان » زيارة أخرى الى بريطانيا التي وصل اليها في ٢٩ مايو ١٨٩٣ وقاد سمفونيته الرابعة في حفلة الجمعية الموسيقية في الأول من يونيو ، وحصل على دكتوراه مع مرتبة الشرف في الموسيقى من كامبردج .

وبعد رجوعه الى روسيا عاد للعمل في السمفونية حتى أنهاها في ٢٤ أغسطس . وفي ٢٨ أكتوبر قاد بنفسه العرض الأول لها في سانت بطرسبورج .

بعد خمسة أيام اشتكى تشايكوفسكي من سوء هضم وتعب شديد يرهقه ، فلم يأكل شيئاً على الغداء وأكتفى بشرب كاس من الماء غير المعقم . وكان هذا عملا متهوراً في وقت كانت فيه الكوليرا متفشية في سانت بطرسبورج (وهو عمل مريب أيضاً ، هذا إذا استبعدنا مسألة الانتحار بطريقة الموت الطبيعي) . في المساء أشتد عليه المرض ، وكان واضحاً أنه وقع في قبضة الكوليرا ولم تكن عنده أية فرصة للنجاة .

وفي اليومين التاليين بدأ عقل تشايكوفسكي يختل « يعيد باستمرار اسم ناديجدا فيلاريتوفنا فون ميك » هكذا كتب أخوه موديست .

في الساعة الثالثة من صباح ٦ نوفمبر ١٨٩٣ توفي تشايكوفسكي .

اعداد وترجمة : عبد القادر عقيل
البحرين

المراجع

ـ تشايكوفسكي ـ جيرالد ابراهام .
ـ تشايكوفسكي ـ ايدوارد غاردين .
ـ أشهر المؤلفين الموسيقيين ـ جيرفاس هوغس

(١) فيوفودا : اسم كان يطلق قبل الثورة الروسية على محافظ المقاطعة .

(٢) كارمن : واحدة من أهم وأعظم الاوبرات الفرنسية لجورج بيزيه .

(٣) قبل سبع أو ثماني سنوات ألف تشايكوفسكي فانتازيا سمفونية أسماها فاتوم (القدر) .

الصغير والبحر

مسرحية من فصل واحد

مسرحية بقلم: صالح أحمد المناعي
نقد وتعقيب: د. محمد عبد الرحيم كافود

الشخصيات :

- صالح
- خالد

المنظر :

«جزيرة يحيطها البحر .. بها مرتفعات صخرية ... » .

«يصعد من أعلى وسط المسرح شخصان يبدو عليهما الاعياء والبلل وكانهما كانا يصارعان الأمواج منذ فترة طويلة» ...

صالح : آه .. أكاد أموت من الاعياء والتعب ..

خالد : هيا لنصعد بسرعة ..

صالح : اين نحن .. ؟

خالد : فوق جزيرة ..

صالح : ما الذى حدث .. ؟

خالد : العاصفة هبت علينا .. واغرقت القارب الذى كنا فيه ....

صالح : اجل .. اجل تذكرت .. كانت عاصفة قوية قاسية .

خالد : وقد سبحنا حتى وصلنا هذه الجزيرة .. الحمـــد للـه ..

صالح : سبحنا .. ؟ كلا .. ولكن حملنا التيار ..

خالد : اجل .. اجل .. ولا تكثر من الكلام فانا اريد أن ارتاح قليلا حتى استطيع أن افكر فيما سيحدث .. وكيف ننجو من هذه الورطة ..

صالح: احس انى لا استطيع أن احرك كتفى ..

خالد : اجل .. المياه كانت قوية وقد سبحنا مسافة طويلة حتى وصلنا الى هنا ..

صالح: وأين هو .. ؟

خالد : من تعنى .. ؟

صالح: سالم ابن أختى ..

خالد : غاص فى أعماق البحر ..

صالح: (صارخا) اعماق البحر ... (يستمر فى الصراخ) ..

خالد : صه . دع عنك هذه الولولة .. ولنفكر حتى نصل الى حل ..

صالح : سالم .. ابن أختى .. (صرخات قوية) ..

خالد : أعرف ذلك .. أعرف انه ابن اختك الأكبر .. واعرف مدى اعزازك له ولكن هل صرخاتك هذه ستعيده من أعماق البحر .. ؟ آه .. لولا .. رغبتك الملحة فى الصيد هذا اليوم ما وصلنا الى هذه المصيبة ..

صالح: وهل كانت رغبتى انا .. أم .. ؟

خالد : اسكت .. ودعنا نفكر ..

صالح: فيم تفكر .. ولم يعد هناك مجال للتفكير .

خالد : (يرد على سؤال صالح) كيف نصل الى القرية قبل غروب الشمس .

صالح: ماذا اقول لأختى .. ؟ ماذا اقول لزوج أختى .. ؟ ماذا اقول ؟ .

خالد : كفاك نواحاً .. ودعنى للحظة واحدة افكر ...

صالح: تفكر .. انت .. ولا افكر انا .. لماذا .. ؟

خالد : فكر كما تشاء .. المهم أن افكر كيف أصـــل الى القرية .. ؟

صالح: المهم .. ماذا أقول لأختى ؟

خالد : ليس هذا مهماً ...

صالح : فكرى يسرح فى أعماق البحر المظلمة .. آه لك يا خليفة .....

خالد : سوف تحمله الامواج الى الشط .. وسيعرفون ..

صالح : اجل المياه تلعب بنا كما تشاء .. والأسماك تنهش جثتنا ..

خالد : أصمت قلت لك ..

صالح: اريد أن اتكلم .. دعنى اعبر عن مشاعرى كما اشاء ...

خالد : صوتك يزعجنى ..

صالح: يزعجك ..

خالد : نعم ....

صالح : تريدنى أن أصمت ..

خالد : نعم ..

صالح : انك تكرهنى ..

خالد : نعم ..

صالح : وتتمنى لو لم تخرج معى .

خالد : نعم ..

صالح : والآن تلعن نفسك لأنك جئت معى ..

خالد : نعم ..

صالح : إذن ما الذى جاء بك معى ..

خالد : إنى أسال نفسى .. ؟

صالح : تسال نفسك ... !! أما كانت هى رغبتك ؟ ..

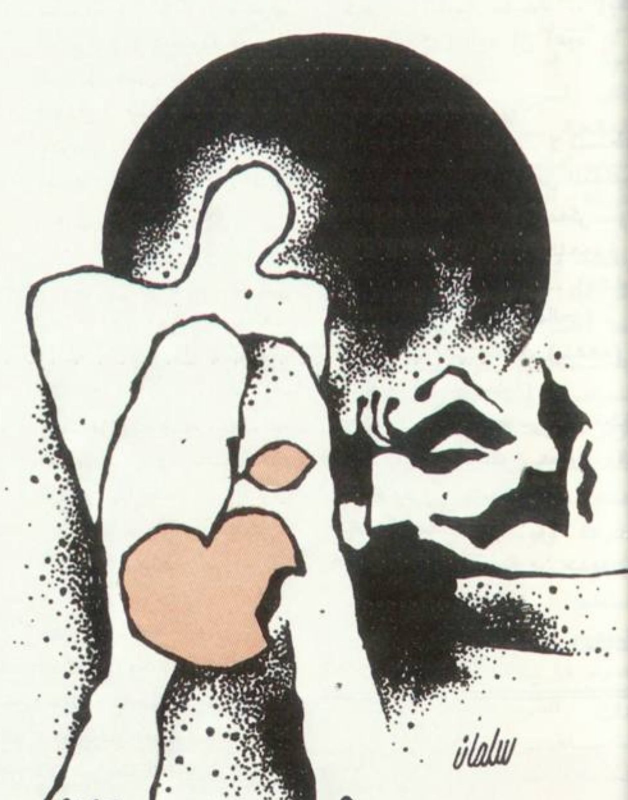
خالد : رغبتى ... !!

صالح: اجل .. رغبتك انت .. انت الذى طلبت منى أن نخرج اليوم ..

خالد : انا ..

صالح : اجل وبالحاح شديد .. اليس كذلك ..

خالد : انا .. انا .. لا اذكر شيئاً الآن ..
صالح: لا تتناسى ..
خالد : دعنى افكر ..
صالح: انا خائف ..
خالد : ماذا .. ؟
صالح: كيانى ممتلىء بالخوف .. ألا تتكهن بذلك .. ؟
خالد : ممن .. ؟
صالح: هى ..
خالد : من هى .. ؟
صالح: القرية ..
خالد : القرية .. !!
صالح: نعم اخافها .. اخاف أهلى .. أهلها .. كيانى مليء بالرعب ..
خالد : ممن .. ؟
صالح: الا تعرف ممن .. انا خائف



خالد : غريب .. وهل هم مخيفون .. انا لم اشعر بذلك .
صالح: لانك واحد منهم ..
خالد : لا افهم ..
صالح: ليس مهماً أن تفهم .. اختى منهم ايضاً .. وزوجها .. ذلك الكهل الذى تعدى الستين .. ذلك الصقر الذى انقض على أختى الشابة الصغيرة .. الحمامة .. الجميلة .. ليمتص جمالها .. وهى لم تتعد العشرين بعد ..
خالد : وما دخل اختك الآن .. ؟
صالح: الغريق ابنها الوحيد .. دفؤها فى صقيع الزوجية الفاشلة زواج دون رضا .. زواج بالضغط والاكراه ..

خالد : الخوف .. ؟
صالح: الخوف من الجوع .. من الفقر .. من التشرد .. رحمة الله عليك يا ابى ..
خالد : ابوك .. لقد مات منذ عشر سنوات .. أو يزيد ..
صالح: قتلوه ..
خالد : من .. ؟
صالح: الكبار ..
خالد : لا أفهم ..
صالح: ولن تفهم .. اجبروه على الغوص فى اعماق البحر .. ليأتى بخيره ولكنه لم يعد الينا ابداً ..
خالد : لماذا أجبروه .. ؟
صالح: ليسدد ديناً عليه ..
خالد : ماذا .. ؟ ديناً عليه ..
صالح: ورجعوا يحملون فراشه الى أمى ..
خالد : الى أمك ..
صالح: وقبل أن يخرج معهم فى ذلك اليوم الكئيب الذى طرق فيه سيد البحارة باب دارنا وأجبره على الذهاب .. حاولت أمى أن تمنعه ولكنها لم تستطع .. فقد كان بين خيارين .. الموت أو الفضيحة .. اذكره وهو يقول لها .. وفى نبراته ثقة بانه لن يعود .. ارعى الصغار يا امراة .. لابد أن أذهب .. ارعى الصغار يا امراة . لا تستسلمى لا تضعفى .. ارعى الصغار يا امراة .. كونى لهم أماً وأباً .. لا تتركيهم يخرجون الى الحياة .. الا وقد اعددتهم ليصارعوا هذا الزمن المر .. ارعى الصغار يا امراة .. ارعى الصغار يا امراة .. جلست أمى تبكى وتولول وتنوح ..

كانت تعرف أن أبى قد ذهب الى الموت بقدميه .. وجلسنا أيضاً نبكى كالأفراخ تحت ذراعيها .. (يبكى) (ينخرط فى بكاء مرير) ..
خالد : ماذا يفيد البكاء الآن ؟ ..
صالح : لأفرج عن نفسى .. كلما تذكرت هذا اليوم الأسود ابكى .. ومن يومها صرت العب .. انا واختى داخل البيت تحت انظار امى التى كثيراً ما تحلق فى الأفق .. بعينيها .. منتظرة قدوم ابى ..
خالد : اصمت قليلا .. لا داعى للذكريات .. دعنى افكر فى حل لي ..
صالح: (مستمراً) .. وفجاة فتح الباب ودخل بحار من أصدقاء ابى يحمل فراشه وقال .. رحمه الله .. صرخت امى .... انشق الكون بصراخها .. احتضنت فراش أبى .. وانهارت تبكى بلا صوت .. حتى بكى البحار .
خالد : البرد شديد ..
صالح: لقد ذقنا البرد والفقر معاً .
خالد : كيف الطريق الى القرية ؟.
صالح : لم نعرف طريق السعادة أبداً ..
خالد : أراك تحدثنى عن الماضى .
صالح : كان ماضياً جميلا رغم

الصغير والبحر

قساوته .. نجرى وراء امنا كافراخ صغيرة وهى تكد فى سبيلنا ..

خالد :صالح .. اتسمعنى ؟ ..

صالح : أسمعك .. اسمع صوت سيد البحارة عندما اقتحم بيتنا ليطردنا منه .. أو نسدد له ديناً على ابى ..

خالد : اتسمعنى .. انت لا تسمعنى ..

صالح: باعت أمى كل ما لديها .. كل شيء إلا الشرف .. كى تحافظ لنا على ذلك البيت .. ولكنها لم تستطع .. فقد جاءها واحد من سادة البحارة طالباً أن تزوج زهرتها اليانعة الى بائع التمر المسن العجوز مقابل سداد الدين .. حاولت امى أن ترفض فى البداية .. قاومت ولكنها استسلمت فى النهاية وزوجت صغيرتنا لهذا الكهل الثرى

خالد : يكفينا قصص عن أبيك وامك وبائع التمر .. دعنى افكر ..

صالح: الم تر أباك وهو ميت ..؟

خالد : لم أره ...

صالح : هل بكيت .. ؟

خالد : لا اذكر ..

صالح: هل نسيته .. ؟

خالد : كما ينسى كل حي اى ميت ..

صالح: إن قلبك حجر ..

خالد : قلبى ..

صالح : نعم .. فانت منها ..

خالد : ممن .. ؟

صالح: القرية .. ؟

خالد : ولكن ما ذنبى .. ؟

صالح: هكذا انتم جميعا .

خالد: أف لك .. الا تريد أن تسكت .. لقد سئمتك .. وسئمت كلامك ..

صالح: لا فرق بينك وبينهم .. نفس ما يأمرون .. ونفس ما يعلمون ..

خالد : انت تمرضنى بكلامك ..

صالح: وانا اتمزق الما ..

خالد : ليتنى كنت أعرف ..

صالح: ماذا تعرف .. ماذا تريد ان تعرف؟ اتعرف شيئاً عن طفل يصارع الأمواج بلا ادنى أمل فى النجاة ..

خالد : سيمر علينا الوقت ونحن هنا .. فلنحاول شيئاً للخروج من هذه الجزيرة اللعينة .. هيا بنا قبل ان يضيع الوقت ..

صالح: لم يعد للوقت قيمة ..

خالد : انهم ينتظروننى الآن ..

صالح : واختى تنتظر طفلها الصغير ..

خالد : لقد مات .. وانتهى الأمر ..

صالح : سترى دموعها تحفر خديها .. وتشاهد شفتيها ترتعشان .. وهى تنوح بكلمات تقطع نياط القلب .

خالد : سوف تبكى فى البداية ثم تنسى ..

صالح: لانك لا ترى إلا ما بنفسك .

خالد : ماذا تقصد .. ؟

صالح: انت تعرف ..

خالد : القرية .. ؟

صالح: نعم ..

خالد : انت لا تعرفها جيداً .

صالح: بل أعرفها منذ ولادتى .. أعرفها .. أعرف شوارعها الصغيرة .. أعرف كلماتها الجارحة .. اعرف خباياها .. كل فضائحها .. اعرف من يملك كل شيء .. يملك الماء والأمر .. ونحن لا نملك إلا الطاعة .. أعرفها .. وقد مسحت بيدى هاتين دموع المضيعين فيها .

خالد: ستغرب الشمس ولا أراك أمامى إلا باكياً ..

صالح : يجب أن يعيش مثلهم تماماً .

خالد : احب ان أعيش كما أريد أن أعيش ..

صالح: لا كما يعيش أمثالى ..

خالد : ماذا .. ؟

صالح: أمثالى ليسوا مثلك .. انت تعرف كيف نعيش .

خالد : لم أسمع جيداً ..

صالح: لأنك لا تسمع غير صوتك أنت ..

خالد : ماذا .. ؟

صالح: لم يفهم بعد معنى هذه الكلمة ..

خالد : أمرك غريب ..

صالح: وهى الآن غريبة .. مضيعة .. ثكلة .. تجوب الشوارع كالمجنونة تبحث في كل مكان .. تسال كل انسان .. تبكى .. تصرخ .. وتولول .. سائلة عنه .. عن طفلها الصغير .. الذى غرق ..

خالد : لن تراه بعد اليوم ..

صالح: انت لن تراه .. اما هى ستراه فى عينيها .. فى قلبها .. فى كل دمعة تسكبها أم .. ستراه وتحدثه وتناجيه .. وتدلله كما كانت .. وستحدث عنه كل من يراها ..

خالد : انت يا من تكلم نفسك .. الم تكتف بعد ..

صالح : نفس كلامهم .. نفس تصرفاتهم ..

خالد : ساعود وحدى ..

صالح : مثلهم بالضبط ..

خالد : يحيرنى أمرك ..

صالح : تحير كما تشاء ..

خالد : نعم ..

صالح: النتيجة واحدة ..

خالد : وماذا بعد ..

صالح: أين هو الآن .. ؟

خالد : أقسم بالله انى ساجن إن لم تكن انت مجنونا بالفعل ..

صالح: لأنك لا تفهم شيئاً ..

خالد : لماذا أحضرته معنا ..

صالح: لأنه كان يريد ذلك .. كان يحلم به .. بركوب البحر .. تعلق بى .. قال .. خالى .. خذنى معك .. أحب البح.. .. خفت عليه .. ولكن كا.. فى قلبى إشفاق .. على .. حلمه ...قالت اختى خذ.. معك يا اخى فلم أستط.. أن أرد لها طلبها ..

خالد : إذن هى المسئولة ..

صالح: كلا .. كلا ..

خالد : من إذن المسئول .. أنا .. إياك أن تقولها ..

صالح : .... (صامت..

خالد : القرية بعيدة .. (يك.. يبكى) أريد أن أعود ..

صالح: ستعود ..

خالد : لماذا لا ...

صالح : (مقاطعا) لأنك لا تستط.. .. لقد عجزت عن التفكير..

خالد : حاول معى .. لنفكر سو.. .. لنجد طريقاً للعودة .. أريد أن أعود .. (محاو.. الاقتراب من صالح) .

صالح : عد الى مكانك (يدفعه)

خالد : (ينهار باكيا) ..

صالح: (بسخرية مريرة) لا تخ.. انهم سيبحثون عنك .. وقد.. يعثرون علينا ..

خالد : احقا ..

صالح:وتعود القصة من جديد ..

صالح أحمد المناع..

نقد وتعقيب

إن موضوع الغوص يشكل.. مادة درامية تتمثل غالباً فى ذلك.. الصراع الدرامى بين (النوخذا).. سيد السفينة وبين غيره من.. الغواصين والبحارة الذين.. يعملون على ظهر السفينة.. بمختلف طبقاتهم من جهة أخرى..

وقد استغل معظم الكتاب فى
نطقة الخليج هذه القضية ،

أفاضوا فيها وتفننوا فى
ستخدامها كمادة للعديد من
لقصص والمسرحيات . وطبيعى
ن تتشكل هذه المادة بصورة
رامية ، أعنى بها هنا أنها ذات
لابع مأسوى . لانها تحمل أو
صور ذلك الظلم الذى يقع على
لعاملين بهذه المهنة (الغوص)
مختلف فئاتهم من قبل
(النوخذا) . هذه المادة الجاهزة
ى حد ما من الناحية الدرامية
يها ، قد استغلها كما ذكرت
تاب المسرح ، واختلفت طريقة
لعالجة عندهم من كاتب لآخر
سب امكانية كل منهم من حيث
راته الفنية ، والثقافية ،

تمثله وهضمه لهذه المادة
تراثية . فالبعض منهم وقف
ند النقل المباشر لهذه المادة
صاغها باسلوب الحوار
لسرحى ، ولم يتجاوز فى عمله
رير حقيقة وقعت بالفعل وليس
ذلك الفن ، ولذا فانه قد افتقدت
عظم هذه المسرحيات حيوية
حركة وقوة الصراع ، لأن
كاتب لم يخلع عليها أو لم
ستطع أن يفيض عليها من
شاعره ، وأحاسيسه ، وهموم
صره ما ينفخ فى هذه المادة
روح التى تذكى عواطف
شاهدين ، فيعيد لتلك
ذكريات المأساوية الحياة مرة
خرى فيتفاعل معها القارىء أو
شاهد .

والبعض تلقى هذه المادة
وضوع الغوص) بكل ما كان
حمله من مآسٍ وآلام واستطاع
هذا البعض - أن يعيد لهذه
ادة الحياة مرة أخرى فى
سرحياته ، بما أضافه اليها من
اسيسه ومشاعره وهموم
صره ووعيه وقدراته الفنية ،

حتى تحس وانت تشاهد هذه المسرحية أو تلك وكانك تعيش المأساة أو هى تحدث بالفعل أمامك - مجسدة على خشبة المسرح - فتتفاعل معها ، وتتعاطف مع شخوصها ، وتتالم لما تعانيه هذه الشخصية أو تلك من ظلم ، واضطهاد .

وهذا يتحقق كما ذكرت عندما يستطيع الكاتب أن ينفخ فى هذه المادة الحياة من جديد ، ويخلع عليها من روح عصره وهمومه ما ينفذ من خلاله الى نفوس جمهوره . إذا تحقق كل ذلك فى المسرحية ، فاننا حينئذ نستطيع أن ندرجها فى مكانها المناسب من سلم هذا الفن .

ونعود الى مسرحية «الصغير والبحر» لـ (صالح المناعى) فهى تستمد مادتها أو يقوم مضمونها على تلك المعاناة وذلك الصراع الذى أوجده مجتمع الغوص بكل قيمه وأعرافه وما خلفه من مآسٍ وآلام عانت منه طبقة واسعة فى المجتمع الخليجى . والمسرحية تدور أحداثها أو لنقل بصورة أدق يدور الحوار فيها بين خالد وصالح بعد رحلة معاناة وصراع مع الموت على اثر حادثة غرق كان ضحيتها (سالم) ابن اخت صالح ثم قذفت الأمواج بصالح وخالد الى جزيرة غير ماهولة فيدور الحوار بين الشخصيتين .

يستعيد فيها صالح ذكرياته المأساوية وكيف كان والده

ضحية من ضحايا مجتمع الغوص وما ساده من استغلال وابتزاز من قبل فئة معينة فى مجتمع البحر .

هذه المسرحية التى تتكون من فصل واحد وتقوم بها شخصيتان (صالح وخالد) تخفت فيها الى - حد ما - روح الصراع والحركة الدرامية . ولعل السبب فى ذلك يعود إلى ما ذكرناه سابقاً من انه لا يكفي أن يكون الموضوع المتناول (درامياً) لكى تتحقق فى المسرحية حدة الصراع وحيويته بل لابد أن يخلع عليها الكاتب هذه الحيوية والحركة باسلوبه الفنى ، وبما يخلعه عليها من مشاعره ورؤيته للحياة ، وما يحدثه من تمازج بين الحوادث التاريخية وبين قضايا ومشاكل عصره وهمومه لكى يعمق من حدة هذا الصراع ويتفاعل معه المشاهد .

الى جانب ذلك فان المسرحية تقوم أو تتكون من فصل واحد والشخصيات فيها محدودة وهذا يؤثر على حدة الصراع وتبلور الحدث ونموه . خاصة وأن الشخصية الثانية فى المسرحية (خالد) شخصية غير فاعلة -

الى حد ما - أى أنها لا تسهم بصورة فعالة فى إذكاء الصراع وتطوره ونموه .. ومن هنا فان المسرحية هى أقرب الى روح الطابع القصصى الذى يقوم على (المونولوج) الداخلى واستذكار الباطن ، فى تلك الذكريات التى يستعيدها (صالح) من الماضى .

ولكن المسرحية لا تخلو بعد ذلك من مواقف ذات بعد فكرى ونفسى يطرحه الكاتب من خلال هذا الحوار البسيط ، ولكن له عمقه وأبعاده . فما هى هذه القرية الغريبة ؟ وماذا يعنى الخوف منها بالنسبة لصالح ؟ ولماذا هو غريب عنها ؟ وما نوع

هذه الغربة ؟ وما الذى دعا (صالح) الى اتخاذ هذا الحكم ضد تلك القرية (المجتمع) ؟

هذه قضية أساسية تثيرها المسرحية بايماءة سريعة . هذه القضية قد تمخضت عن تلك المآسى التى عاناها (صالح) وكيف تخلى عنه المجتمع بعد أن اختطف منه أباه ، ثم سلبه اخته حين فرض عليها واقعهم الاجتماعى أن تتزوج من رجل عجوز لكى يدفعوا دينا فرضه عليهم هذا الواقع .

إن نغمة الغربة فى أدبنا العربى قديمة قدم هذا الادب نفسه فقد ظهرت عند الشعراء الصعاليك فى الجاهلية واحسوا بأنهم غرباء على مجتمعهم أو فى قبائلهم ، غربة تولدت من احساسهم - فى الغالب - بالظلم والاضطهاد وضياع الحقوق .

وتكررت هذه النغمة على مر التاريخ حتى تبلورت فى العصر الحديث عند العديد من الشعراء العرب الذين احسوا بوطاة الظلم فى مجتمعاتهم وضياع الحقوق فيها . فالانسان يشعر بالغربة وإن كان يعيش فى مجتمعه إذا أحس باختلال القيم وضياع العدالة ، وتلك هى الغربة النفسية التى نجدها فى أشعار العديد من الشعراء أو العرب أو غيرهم .

ويبقى بعد ذلك أن نقول ان هذه المسرحية جهد طيب ، وعمل جيد ، نتمنى لكاتبها التوفيق ومزيداً من النتاج ، ومما هو جدير بالتنويه أيضاً هو كتابة هذه المسرحية باللغة الفصحى التى يتهرب منها معظم كتاب المسرح فى الوطن العربي بحجة الواقعية وغيرها من الحجج الواهية ...

د. محمد عبد الرحيم كافود

سارق النار..

وملهم الأشعار

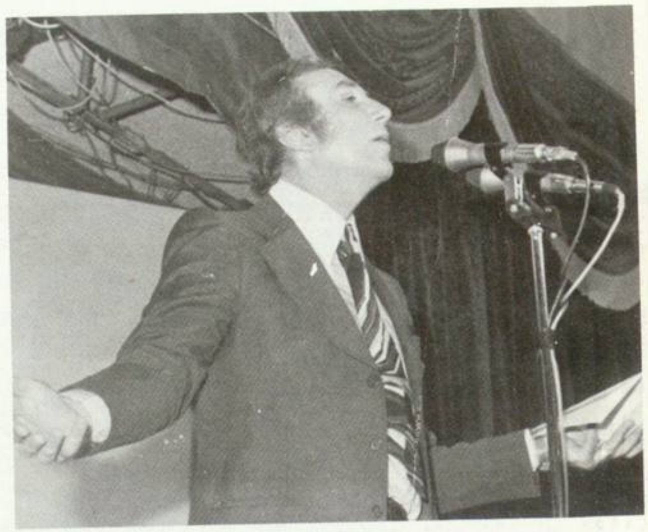
بقلم: د. احمد عتمان

فى الذكرى الأولى لوفاة عميد وفقيد الأدب والنقد العربيين طـه حسـين وقف نزار قباني يرثيه فى حفل أقامته جامعة الدول العربية بالقاهرة فقال :

أيها الفارس الذي اقتحم الشمس	والـقى رداءه الأرجـواني
فعلى الفجر موجة من صهيل	وعلى النجم حافر لحصان

ويخاطب الشاعر فى هذين البيتين المتوفي على أنه فارس يقتحم الشمس ويطير بين الكواكب ويرسم له صورة شعرية رائعة لا يمكن إلا أن تكون مستوحاة من الأساطير الأغريقية التى تتحدث عن إله الشمس الوثني « هيليوس » وهو يمتطى عربة ذات عجلات أربع تجرها الخيول فيقطع بها صفحة السماء كل يوم من الشرق إلى الغرب حيث ينزل إلى المحيط الأطلسي (نهاية العالم من الجهة الغربية آنذاك) ويستقل زورقاً ذهبياً يعود به من الجانب الآخر ـ الشرقي ـ مع شروق شمس اليوم التالي . كل شيء فى عربة هيليوس بما في ذلك الخيول ليس فقط أرجوانياً كما جاء فى كلمات نزار بل من نور ونار .

وسيجد المتصفح لدواوين الشعر العربي الحديث والمعاصر أن كلمة النار ومترادفاتها ومشتقاتها من أفعال وأسماء وصفات ، وكذا الصور الشعرية المستمدة منها قد اقترنت ليس فقط بفكرة الثورة والتغيير على الصعيد الاجتماعي والسياسي ، بل أيضاً بالتطلع إلى التجديد فى الفن الشعري ذاته . تحفل قصائد الأشعار عندنا الآن بكلمات وعبارات مثل « عربات النار » و « مركبات الشمس » و « عربات الفجر » و « خيول النار » وما إلى ذلك . وسنترك تعليل شيوع هذه الظاهرة النارية فى شعرنا العربي المعاصر إلى سياق آخر ولقاء نرجو أن يكون قريباً ، باذن الله ، وسنكتفي الآن بتسليط الضوء على بعض جوانبها .



نزار قباني



نازك الملائكة



أبو القاسم الشابي



على محمود طـه



د. محمد عبد الحي



ت . س . إليوت

ودعنا نمضي قليلا مع قصيدة نزار قباني الرثائية حتى نصل إلى مخاطبته الأسطورية لطه حسين إذ يقول :

أيهـا الأزهري .. ياسارق النـار
ويا كاسـراً حـدود الثـواني

وليس نزار قباني هو أول من استخدم عبارة « سارق النار » ، فسبقه إلى ذلك شعراء آخرون كثيرون . بل ان هذه العبارة شائعة فى الشعر العربي المعاصر شيوعاً عجيباً وملفتاً للنظر . ولكننا على أية حال نعتبر طه حسين أجدر من يستحق حمل هذا اللقب « سارق النار » . فالعبارة بلاشك تعني بروميثيوس الذي ـ كما تقول الأسطورة الاغريقية ـ كان من سلالة الجبابرة أو المردة التيتانيس وهو الذي صنع الشكل الانساني من الطين ، فلما حرم « زيوس » الوثني بني البشر من معرفة النار وفنونها سرقها لهم بروميثيوس من السماء أو من أحزان هيفايستوس من البراكين والنار والصناعة والحدادة .

وعلم بروميثيوس الناس فن استخدام النار وسائر الحرف الصناعية وفنون الطب وتحضير العقاقير وعلم التنجيم والنبوءات وغيرها . فهو إذن بطل حضارى ومتمرد ثائر ضد قوى التخلف والظلم والطغيان حتى ولو كان مصدرهما زيوس نفسه . بروميثيوس هو النصير الأول للانسانية والرائد الأول للتحضر إذ بدد ظلمات الجهل وتمرد على الظالمين وجلب النور والنار وأسس العلوم والفنون فوضع اللبنة الأولى فى صرح المدنية : ولم ينجح بروميثيوس ـ كما لم ينجح طه حسين الأزهرى وأى مفكر يسبق عصره ـ من العقاب المرير إزاء عنفه الثورى وتحرره الفكرى وتحيزه للعلم والانسانية . لقد أمر زيوس أن يكبل بروميثيوس بالأصفاد ويقيد بالاغلال على ظهر صخرة جرداء فوق جبل القوقاز وأن يتغذى نسر كبير من لحم كبده الذى كان يعاد خلقه وتجديده كل ليلة أو كلما نفد ليجد النسر دوماً وكل يوم ما ينهشه وليستمر عذاب بروميثيوس الى الأبد .

ولقد وردت أسطورة بروميثيوس هذه عند هيسيودوس (القرن السابع ق.م) واستوحاها أيسخولوس مبدع التراجيديا الاغريقية (فى القرن الخامس ق.م) لينظم ثلاثيته أى المسرحيات الثلاث المتكاملة شكلا وموضوعاً «بروميثيوس سارق النار» و «بروميثيوس مقيداً» و «بروميثيوس طليقاً» ولم تصلنا كاملة سوى المسرحية الوسطى فى هذه الثلاثية وفقدت المسرحيتان الاخريان . ونشر الشاعر الانجليزى شيللى (١٧٩٢ ـ ١٨٢٢) مسرحيته الغنائية «بروميثيوس طليقاً» عام ١٨٢٠ . وشاعت هذه الأسطورة فى

سارق النار.. وملهم الاشعار

الأدب الأوروبى الحديث والمعاصر شيوعاً ساعد على انتقالها الى ادبنا العربى ولاسيما الشعر .

المهم اننا ما كنا لنفهم الصورة الشعرية التى رسمها نزار قبانى لطه حسين بعبارة «سارق النار» ما لم نكن ملمين بالأسطورة الاغريقية عن بروميثيوس وما ترمز اليه هذه الشخصية من حب عميق للانسانية واستعداد كبير للتضحية فى سبيل الرقى والتقدم وبذر بذور التنوير .

وفي الحقيقة نود مصارحة القارىء الكريم بان أبيات نزار قبانى تلك عندما سمعناها لأول مرة عام ١٩٧٤ هى التى دفعتنا الى البحث عن تاثير اساطير ورموز النار الاغريقية فى شعرنا العربى الحديث والمعاصر وهو بحث لازلنا نعكف عليه حتى الآن . ذلك اننا اكتشفنا ان الأمر لا يقتصر على مجرد اشارات متفرقة او عابرة بل إن فكرة النار بكل أساطيرها ورموزها تغلغلت الى جوهر مفهوم الشعر العربى الحر ، بل والى مفهوم التجديد والتقدم حتى اصبحت كلمة النار تعنى أو ترادف الثورة الفكرية والنهضة التحررية بصفة عامة . وهذا ما سبق أن اشرنا اليه فى احد ابحاثنا بعنوان «عبد الوهاب البياتى وحرائقه الشعرية» المنشور بمجلة «الكويت» .

المشكلة التى تواجهنا الآن فى معالجة هذه الظاهرة النارية فى شعرنا المعاصر هو تعسر حصرها وتعذر تناولها على نحو شامل فى هذا المجال الضيق الذى نتحدث فى إطاره . ومن ثم سنكتفى بذكر اهم الأمثلة وأبرز الشعراء .

شرارة «أبوللو»

ومما لاشك فيه أن شعراءنا المعاصرين يدينون الى ت.س. إليوت من ناحية والى جماعة «أبوللو» وعلى رأسها أبو شادى وعلي محمود طه من ناحية اخرى بحب التعامل مع الأسطورة الاغريقية وتناولها بالاحياء أو باعادة الصياغة . وهذا موضوع يحتاج الى بحث مستقل . على اية حال فان أقدم اشارة الى أسطورة بروميثيوس ـ فيما نعلم ـ هى تلك الواردة فى قصيدة أبى القاسم الشابى تحت عنوان «نشيد الجبار .. أو هكذا غنى بروميثيوس» وهى قصيدة جاءت ضمن ديوان الشاعر الذى حققه الدكتور عز الدين اسماعيل (دار العودة ١٩٧٢) مؤرخة بيوم ٢٧ شعبان ١٣٥٢ الموافق ١٥ ديسمبر ١٩٣٣ ويقول فيها أبو القاسم الشابى :

ساعيش رغـم الـداء والاعـــداء
كالنسر فـوق القمـــة الشـــماء
ارنـو الـى الشمس المضيئة هازئـاً
بالسـحب والامطـــار والانــواء
لا أرمـــق الظـــل الكئيـــب ولا أرى
ما فـى قـرار الهـوة السـوداء

ويقول الشابى لأعدائه الذين ما لبثوا يشوون أشلاءه فوق ألسنة اللهب وياكلون من لحمه ويرتشفون من قطرات دمه :

فارموا الى النار الحشائش والعبـوا
يا معشر الأطفـال تحـت سـمائى

ويضيف قوله انهم إذ يفعلون ذلك يخسرون الكثير اما هو فيربح نشوة النصر عليهم ومزيداً من الثقة بنفسه :

ورأيتمونـــى طائـراً مترنمــاً
فـوق الزوابـع فى الفضاء النائـى
فارمـوا على ظلى الحجارة واختفـوا
خـوف الريـاح الهـوج والانـواء
امـا انـا فاجيئكـم مـن فوقكـم
والشمس والشـفق الجميـل ازائى

وهكذا نعود الى حيث بدانا فابو القاسم الشابى يتخيل نفسه بعد الموت حرقاً وقد غدا طائراً يجوب اجواز الفضاء أو فلكاً بين الكواكب والنجوم يحتقر أعداءه الأطفال الأقزام ويحييهم تحية الاشفاق والمقدرة مع اشراقة الشمس والشفق الجميل . وهنا نتذكر أبيات نزار قبانى حيث تخيل فارسه طه حسين بعد موته وقد اقتحم الشمس والقى رداءه الأرجوانى وخلف على الفجر موجة من صهيل وعلى النجم حافراً لحصان .

اتهم طه حسين أحد رواد مدرسة أبوللو أى الشاعر علي محمود طه بتغريب الشعر واعتبر محمد مندور أن الاشارات الأسطورية فى قصائد هذا الشاعر «تتلف عليك أحساسك وتثير فيك الغيظ !» . أما أحدث الدراسات فى ذلك المجال فلها راى اخر . إذ يقول الدكتور محمد عبد الحي فى كتابه «الاسطورة الاغريقية فى الشعر العربى المعاصر من ١٩٠٠ الى ١٩٥٠» المنشور بدار النهضة العربية عام ١٩٧٧ يقول (ص ٦٨ وما يليها) انه إذا كان أبو شادى رائد جماعة ابوللو لم يستطع أن يقرض اغريقياته نماذج يحتذيها شعراؤنا فان علي محمود طه وهو من شعراء مجلة أبوللو قد حاول تذويب كل ما قد يضرس القارىء من عناصر أجنبية فى الشعر المستمد من الأساطير الاغريقية بفيض من الموسيقى الشعرية الساحرة وباللغة الرنانة التى تغيب فى ضجة صنوجها الذهبية والنحاسية أكثر تفاصيل التجربة المحسوسة . لقد امتلأ شعر علي محمود طه بعناصر الرمز والتصور الأسطورى للطبيعة والحياة كما لم يحدث عند أى شاعر عربى من قبله .

ما بين الثلوج والنيران

ولأساطير النار ورموزها مكانة خاصة فى أشعار علي محمود طه وأبرز مثل على ذلك قصيدة «ثلج ونار» وجاء فيها :

أأيتهـا النـار ويـك اصبـــرى
أحبـــك بكـــل الـــذى أمـــلك
بقربانـــى المقـــدس الأخيـــر
أزاهيـــركن رفاقـــاً لطافـــاً

ثم يكمل هذه القصيدة باخرى تحمل عنوان «نار ونار» يقدم لها بقوله «اشتد به الألم عند مطالعة قصيدتها التى تضطرم أسى وألماً وتضطرب يأساً ومرارة وتفيض بنبل العواطف فذابت نفسه حباً وحناناً .. وفزع اليها .. بهذه القصيدة معاتبة ومصالحه..»:

حبيبـــة قلبـــى هـــى النـــار لا
تشـــبى لظاهـــا ولا تســتثيرى
دعيهـــا ولا توقظـــى جمرهـــا

فمـــا النـــار أحـــن من الزمهريـــر
فـدى راحتيـــك فـــؤاد يلـــذ
لــه فــى هــواك عــذاب الســـعير
ألا يابرائس وادى الخيــــــال
بألهــــة الرحمــــة المنصفــــة
وانقــذن هــذا الغــرام الشـــهيد
فقــد كــادت النـــار أن تلقفــــه

ومن الملاحظ أن النار فى أبيات القصيدتين المذكورتين تقرن تارة بالحب ومشاعر الشوق واللهفة وتارة أخرى بنقيض لحب أى ما يدمره ويقضى عليه . ففى إطار الاستخدام الأول يستمد الشاعر من النار أجيجاً لما يتقد فى قلبه من حب ويقدم للنار قرباناً مقدساً . وفى إطار الاستخدام الثانى يطلب من صاحبات الرحمة النصفة ـ وهن رموز الصفح فى الأساطير الاغريقية ـ أن ينقذن الغرام الشهيد حيث كادت النار أن تلتهمه . هذا مع أننا نرى أن استدعاء هؤلاء هنا غير مناسب للسياق لأنهن تخصصن أصلا فى الانتقام من ـ ثم الصفح عن ـ جرائم سفك دم الأقارب ولاسيما الأب أو الأم كما هو الحال فى ثلاثية أيسخولوس الشهيرة «الأوريستيا» ولاسيما المسرحية الثالثة التى تحمل عنوان «ربات الصفح» .

ولقد امتدت شرارة اللهب التى أشعلتها مدرسة أبوللو الى أشعار نازك الملائكة التى أعجبت أيما اعجاب وتأثرت تأثراً كبيراً بعلي محمود طه فهذا ما يبدو من كتابها عنه بعنوان «محاضرات فى شعر علي محمود طه دراسة ونقد» الذى نشره معهد الدراسات العربية العالية عام ١٩٦٤ / ١٩٦٥ . ويبدو أن نازك الملائكة قد مرت بتجربة مماثلة لما وقع لعلي محمود طه حين ألقت بمذكراتها الخاصة الى النار عام ١٩٤٦ ثم راحت تقول :

أيها الحاضر لا تسرع الى الماضى البعيد
ولتقف مركبة الشمس على الأفق المديد

وتعد هذه من أقدم الاشارات فى الشعر المعاصر لعــربة إله الشمس «هيليوس» .

وجدير بالذكر هنا أن وقوف مركبة الشمس فى هذين البيتين يعنى توقف الزمان وهذا معنى تردد كثيراً وبنفس الطريقة فى أشعار عبد الوهاب البياتى .

المهم أن نازك الملائكة تقلد أستاذها علي محمود طه فى قصيدة «ثلج ونار» التى يشي عنوانها بهذا التقليد . ولقد نشرت هذه القصيدة فى ديوان «شجرة القمر» واختتمتها الشاعرة ببيتين يوجزان معنى القصيدة ككل وهما كما يلى :

ذلك ما شـــاءته أقــــدار مقضيــة
أدم مثـــل الثلـــج وحـــواء ناريـــة

شجرة القمر ... تلتهب

ومن الصدف العجيبة أن اسم نازك الملائكة نفسه ـ وفى شطريه ـ يحمل بين حروفه فكرة النار . وفى الحقيقة ما أن تسربت أساطير النار الى أشعار نازك حتى شاعت فيها شيوع ألسنة اللهب فى الهشيم بل ونلاحظ إطراداً مستمراً فى وضوح ونضوج أساطير ورموز النار من قصيدة لأخرى من نتاج هذه الشاعرة . وفى قصيدة «شجرة القمر» استغلت الشاعرة قصة من أدب الأطفال الانجليزى لتصوغ قصة شعرية تقول فيها :

وطاف الصدى بجناحيه حول الجبال وطار
الى عربات النجوم وحيث ينام النهــار
ووجه كأنَّ أبولـــون شبيـــه بالوضـــاءة

وما يلفت النظر هنا أن الأساطير الشمسية الاغريقية لم تجعل للنجوم «عربات» واختصت «هيليوس» رمز الشمس فقط بهذه الميزة فهو الذى يقود عربة الشمس من الشروق الى الغروب . ولكن شاعرتنا ـ كغيرها من شعرائنا المعاصرين ـ جمعت العربة فأصبحت «عربات» وربطتها بالنجوم وهى إنما فعلت ذلك لأن السياق يقتضيه فهى تتحدث عن القمر الشمسى وفى ليالى القمر «ينام النهار» . أما الذى يوحى بالشمس هنا فهو «وجه ..

أبولون» فهو رمز الطب والرياضة والنبوءات الوثنية ولكنه الى جانب ذلك قد شارك هيليوس رمز الشمس بعض وظائفه وألقابه ومنها «فويبوس» وتعنى «الوضاء» أو «المضيء» .

ويبلغ الرمز الأسطورى بالنار والشمس حد النضوج والعمق فى ديوان نازك الملائكة «يغير البحر ألوانه» . ففى قصيدة «تمتمات فى ساحة الاعدام» بهذا الديوان تقول الشاعرة عن الفدائيين :

نحن ارتفعنا
نحن مع البرق قد نصعنا
ومن حليب الفداء والشمس قد رضعنا
ونحن كنا براعم النار فاندلعنا

فالنار والشمس كرمزين شعريين لروح الفداء والثورة يدخلان هنا فى نسيج معنى ومبنى الكلمات بل وعلاقاتها ببعضها البعض وناهيك عن البلاغة الماثلة فى الفعل «نصعنا» و «رضعنا» و «اندلعنا» عندما تقترن على التوالى بالبرق وحليب الشمس وبراعم النار

وهكذا حصاد ... سنابل النار

تعد أروع الصور النارية وانضجها فى شعر نازك الملائكة تلك الواردة فى قصيدة «سنابل النار» المنشورة فى ١٩٧٤/٢/٩ وجاءت فى ديوان «يغير البحر ألوانه» وتقدمها الشاعرة بقولها «ذات شتاء أثمرت النار فاشتعل الحب ثلاث دوائر واصفرت معه النار ثم احمرت ثم صارت بيضاء تحرق عينى من يحدق فيها» . وهذا كلام لا يصدر إلا عن شخص جلس يراقب عملية اشتعال النيران مراقبة دقيقة وفاحصة كما

سارق النار.. وملهم الأشعار

ان لهذه الدوائر الثلاث دلالات رمزية تستغلها الشاعرة فى القصيدة أروع استغلال . وجاء فى القصيدة :

تقلبني جبال خواطر وبحـار
تدب النـار مشعلة ثلوج دمي
يلامـس دفؤهـا نغمي
بريق لهيبها صفـا على عودي ويصحى
غفوة الأوتـار
ويحملني جناح النـار
لكل دوائر الحـب
ثلاثتهـا وينبـت لي على قلبي
جناحين من الحلم ، من التذكار
ولولا النار ماكانت ثمار الحـب .. لولا النار
عرفت توهج الأهواء حول لهيبها
... فعواطفي أغـوار .
من النيران تبدأ رحـلتي .
ففى أغصاني النشوى يكاد يسيل نسخ النار

وإلى هنا قدمت نازك الملائكة الفكرة العامة لقصيدتها وكيف دبت النار فى دمها الثلجى فطارت على أجنحة النار الى كل دوائر الحب فلولا النار ما أحست بهذه العاطفة الدافئة وما كانت ثمار الحب لتنضج وما عرفت توهج الأهواء فمن النيران تبدأ كل الأشياء وتنتهى .

وهذه بالطبع فكرة أسطورية عرفتها شعوب كثيرة منذ القدم ، منهم المجوس ومنهم الاغريق والرومان . وبلغت هذه الفكرة أقصى ما وصلت اليه فى العالم القديم من ذيوع وشيوع ، وازدهار وانتشار على يد أتباع الفلسفة الرواقية التى جعلت النار أصل كل شىء بما فى ذلك الروح . بل اعتبر فلاسفة الرواق النار مهندساً بارعاً ينظم الكون ويعيد ترتيب أى خلل فيه ويصلح ما قد يفسد من أجزائه أو يتعطل . فاصبحت صاعقة زيوس رمزاً للنظام الكونى واستتباب الأمن والسلام فى العالم وكذا استقرار النظام واستمرار الحياة .

ونبدأ مع نازك الملائكة دائرة الحب النارى الأولى إذ تقول :

هواى الأول الحسى دائرتى الصغيرة
جسمت ألسنة النيران لي شخص حبيبى
أطلعت لي وجهه من شفق الذكرى ...
سماء فى غلالات غـروب .
وجهه أم زهرة حمراء ؟ أم وهج ضياء
وجهه أم وردة النار وعنقود شرر ؟
وشظايا لهب أم مزرعة ؟
...
أصابت ناره صفرة
بلون الشك والأهواء والغيرة
مؤرجحة كأنى قشة فى حضن اعصار
مضيعة بوديان الهوى الخطرة
وألبس معطف النار
...
ومثل الحب هذى النار ألسنة مراوغة
فلا تلمس ...

فيا نارىَ يا نارى
غرامى الجامح الأرضى يشبه وجهك الأصفر
فلمس كليهما دفء
وطعم كليهما سكر
وقبلاتهما تجرح كالخنجر
ويا نارى من لجة هذا الموقد الأصفر
يا نارى اصهرينى طهرينى وارفعينى
اننى أنفقت فى حب التراب سنيني

فدائرة الحب الأولى إذن ترمز للحب الحسى وهى كالنار فى بداية اشتعالها صفراء لا أمان لها . ومع أنها دافئة وطعمها سكر إلا أن قبلاتها تجرح كالخنجر . فهو حب لا تدينه الشاعرة إدانة كاملة ولكنها فقط تعتبره مرحلة أولية ترابية تمهدنا للانتقال الى الدائرة الثانية حيث ينسى فيها المرء ذاتيته وأهواءه الشخصية ويذوب فى حب أشمل من ذلك . وفى الأبيات الأخيرة تبرز فكرة النار المطهرة وهى أيضاً فكرة أسطورية عرفتها جميع الشعوب القديمة وتدرجت فيها من علاج الامراض والجروح عن طريق الكى بالنار ثم بالحرق - أى حرق الميت - ليتحول الى رمز وهذه طقوس معروفة فى عبادة أباطرة الرومان وغيرها من العبادات الوثنية .
على أية حال هيا ندخل الدائرة الثانية من دوائر الحب النارى عند نازك الملائكة :

فالى الدائرة الثانية الوسطى انقلينى وابعثينى
فى الدجى قبرة لاثغة تهفو لبيارات يافا وجنين
... فلسطين أم الأرض
هواى لها يغير جوهر النار
تبدل موقد النار
وصار اللهب الأصفر جمرا قانى الحمرة
له حجم ، له شكل ، وخلف أجيجه فكرة
إذا ما شئت ألمسه بكفيا
أوزعه هنا وهنا وأنثره
ألململه أبعثره
وحمرة ذلك الجمر
دم يجرى
بلون الغضب النازف من جرح فلسطين

فالدائرة الثانية إذن هى رمز حب الوطن وبصفة خاصة تحرير فلسطين فما هى يا ترى الدائرة الثالثة ؟

ويا نار اهدمينى
طهرينى واغسلينى
والى دائرتى الثالثة العليا انقلينى
إننى أصعد بالنار الى ذروة آفاق حنينى
وحب مليكىَ المحبوب غير جوهر النار
وصارت ناره بيضاء كالبرق
بياض النار يبهرنى
هنا وطنى
هنا وطنى
أغيب .. أغيب لا أبصر حتى النار

وهكذا ترقى بنا نازك الملائكة فى دوائر حبها النارى المتصاعد من دائرة الحب الحسى المحدودة الى دائرة حب الوطن الأوسع والأرحب بل والأعلى مرتبة من الدائرة الأولى . أما الدائرة الثالثة فهى دائرة الحب الصوفى حيث يندمج المخلوق مع الخالق ويترفع بنار الحب الى آفاق النجوم والشموس فيطوى حدود المكان والزمان ويمتزج بجوهر النار ويصبح معه شيئاً واحداً الى حد أنه لا يبصره .

د. أحمد عتمان

رسائل غير عادية

بقلم: معروف رفيق

إلى المنزل والمدرسة

فلتكن هذه الرسالة .. مزدوجة العنوان ، متوحدة المضمون .. لأنها الى صانعى الانسان : المنزل ، والمدرسة ..

الدراجة تسير على عجلتين .. المنزل هو العجلة الامامية .. والمدرسة هى العجلة الخلفية .. فاذا سارت الدراجة على عجلة واحدة .. كانت كدراجة السيرك .. لا يقودها الا بهلوان ...

والعربة التى يجرها حصانان ، لابد لها من السير الى الامام .. أما اذا تعارض الحصانان ، بحيث شرق الاول ... وغرب الثانى .. فلابد للعربة من الوقوف ... وربما التصدع ..

ولا بأس أن نكرر المثل المتداول فى مثل هذا المقام ... المنزل والمدرسة وجهان لعملة واحدة ، هى الانسان ..

ولا بأس أيضاً ، أن نكرر المثل الشعبى : يد واحدة لا تصفق وحدها .. فاذا كنا نعلم كل هذه المعلومات ... ونحفظ كل هذه المحفوظات .. عن الدور المثالى للمنزل والمدرسة ، فلماذا إذن هذا التخلف العربى ، فى تخريج الانسان العربي ، القادر على صنع التقدم ، قفزا على حواجز التخلف ؟ ..

يذهب الوالد الى المدرسة عندما يعجز عن تربية ولده ، ويقول بصوت مفعم بالصدق : أيها المدرسون ، لكم اللحم ، ولي العظم ...

ويصاب المدرسون بالزهو والخيلاء .. فها هو الوالد يعترف بعجزه .. وها نحن نصبح فى نظر الآباء .. المنقذين الوحيدين

لا اللحم للمدرسين .. ولا العظام للآباء .. فليس الطالب شيئاً قابلا للقسمة والتجزئة .. وليست عملة التربية الصحيحة ، عملة بوجه واحد .. انما هى عمل متكامل .. يجرى التعاون على إنجازه بين منزل ومدرسة ، بين والد ومعلم .. بين أم ومعلمة ..

ثم لماذا يتعاون الآباء والمعلمون على الطالب ؟ ولماذا لا يتعاونون من أجل الطالب ؟

وقد يجرنا الحديث عن التربية فى وجهى العملة التربوية الواحدة .. عن أسلوب التربية والهدف منها ..

أما الهدف فقد تعارف عليه الأقدمون والمحدثون على اختلاف الآراء والأساليب ولعل الهدف الأسمى يكمن فى تربية الأبناء من أجل مواجهة الحياة وفهمها والاسهام فى الحضارة الانسانية ..

فالبيت الذى يوفر الطعام والماء والرداء ... ويتوقف عند حاجات الجسد دون حاجات الروح والعقل .. إنما هو راع يسمن الخراف فقط . بينما الانسان أعظم من ذلك ..

والمدرسة التى تحشو العقول بالمعلومات وتنسى أو تتجاهل حاجات النفس والروح والعقل . فهى إنما تصنع جهاز كمبيوتر .. لا إنساناً أسمى وأعظم .. تلك خطوط رسالة اليوم .. وهى ألفباء التربية ..

وسلام على المنزل ... وسلام على المدرسة ...

إلى سمكة ..

عزيزتى السمكة ، أسعد الله أوقاتك وملأ البحر بأمثالك .. وبعد ، فمنذ أن غنى المطرب الراحل ، عبد الحليم حافظ قصيدة نزار قباني « رسالة من تحت الماء » .. وأنا افكر أن أخط اليك رسالة عتاب ، فربما رددت على بجواب ، أو بعلامة اندهاش واستغراب وأكاد أسمعك تتحدثين من خياشيمك الحمراء ، وبأسلوب يحمل فى طياته بعض الكبرياء .. ماذا تريد منى ؟ ماذا تريد وقد ضحيت بكثير من بنات جنسي على موائدكم ؟ ولكنكم أيها الناس ، أهملتم أماكن إقامتى وما حافظتم على سلامتى ، فأنا أختنق من زيوتكم وشحومكم ، تلك التى تملأ البحار وليس من يلومكم .. ثم إنكم لا تحسنون مواسم الصيد .. مع أن علوم البحار منتشرة فى جامعاتكم ومجلاتكم .. ومع ذلك ، تلقون على عاتقى سبب غلائى وارتفاع أسعارى فى السوق ، وتعيدون وتكررون كلام الشاعر عبد الرحمن رفيع ..

الذى قال فى عام ٧٣ .. (والله زمان .. الشعرى صار بثمان) ..

أيتها السمكة يا رفيعة المقام .. لقد أسمعت وأوضحت .. فما أنت الا حيوان بحري مسخر لنا .. نصطادك ونشويك ، ونطبخك أو نقليك .. ومع ذلك .. فقد انشغل الناس عن صيدك بمختلف الأعمال .. لأنها تدر عليهم مزيداً من الأموال .. وتركوك لبضعة من التجار .. يعرضون علينا ما يحلو لهم من أسعار .. حتى صرت طعام الأكابر

دون الأصاغر .. ولولا أن المولى عز وجل .. خلق المزيد من الأنواع ... كالشعرى والكنعد والهامور .. لكان الزبيدى والربيب والصافى ، يباع فى الصيدليات .. فضلا عن البقالات ..

سبحان الذى أبدع اللحم وأبدع الفول .. وكلاهما يحتوى على البروتين المطلوب .. سبحانه تعالى .. لم يترك عباده للأطماع والا كان معظم البشر فى عداد الـ[illegible] .. ولكنه وهو العليم الحكيم ، [illegible] فى أحسن تصميم ، فكانت القناعة كابحاً للمطامع ، وكانت الرحمة كابحاً للقسوة والجبروت .. وكانت أجسامنا عرضة للتلف بسبب التخمة ، كما هى عرضة للتلف بسبب الجوع والمخمصة ..

إيه أيتها السمكة ..

اكتب اليك وأعلم انك تهربين من كل حركة ، مخافة أن تقعى فى الشبكة .. اطمئنى ... لا شبكة عندى ولا زورق .. فاذا نزلت الماء كدت أغرق .. فداومى على مراسلتى .. ولسوف أذكرك كلما رأيتك على المائدة .. قبل أن تصبحى فى عداد الأسماك البائدة .

كتاب الشهر

زكى طليمات علم من أعلام المسرح العربى،ورائد كبير من رواده.لمع اسمه فى الحركة المسرحية فى أواخر الحرب العالمية الأولى . ومنذ ذلك التاريخ وهو يؤدى دوراً ريادياً فى مسار الحركة المسرحية مخرجاً، وممثلا، ومديراً فنياً لكبرى الفرق، وناقداً فنياً، وعميداً لمعهد الفنون المسرحية، وأستاذاً لفنون المسرح ، كما امتد نشاطه الى الدول العربية مشاركاً بخبراته فى تأسيس مسارحها القومية . وإليه يدين المسرح العربى بما استطاع أن يحققه من مستوى رفيع ، فقد كان الفنان دائماً صاحب رؤية علمية متكاملة فى الارتقاء بالمسرح العربى والنهوض به من الارتجال والاجتهادات الفردية الى مرحلة التوظيف العلمى لفنون المنصة ، وكانت عدته فى ذلك دراسته الاكاديمية بفرنسا وخبرته العميقة الطويلة وموهبته الفنية وشخصيته الجبارة الصلبة التى لم تهادن أبداً فى سبيل الفن الصحيح .

ذكريات ووجوه





تأليف : زكي طليمات

عرض وتحليل : سمير عوض

اثرى زكى طليمات المكتبة العربية بمؤلفات ثمينة فى تاريخ المسرح العربى وفن الممثل ، ومنذ اسابيع ظهر كتابه الاخير بعنوان «ذكريات ووجوه» تناول فيه طائفة من الشخصيات الفنية المؤثرة فى الحركة الفنية خلال نصف قرن وكان لها دور بارز فى صنع تاريخ الفن فى مصر ، هى روز اليوسف ، جورج أبيض ، سلامة حجازى ، سيد درويش ، يوسف وهبى ، طلعت حرب عزيزة امير ، ام كلثوم ، حلمى عيسى ، نجيب الريحانى ، علي الكسار ، فاتن حمامة ، أحمد فهيم ، منسي فهمى ، خليل مطران ، د. حسين هيكل ، وعلي أيوب .

هذه الشخصيات لم يعالجها المؤلف من خلال النقد أو التاريخ أو السرد لحصادها الفنى والادبى ، لتخرج فى النهاية مجموعة من السير او عرضاً نقدياً لتلك الشخصيات ، بل نراه يكتب عنهم من واقع لقاءاته المباشرة والحية بهم ، دون أن يعتمد أساساً على روايات استقاها عنهم ، ذلك انه عايش هؤلاء كما كان يعايش شخصياته المسرحية أثناء اخراجها وتمثيلها وتابع سلوكها عن قرب ونفذ الى أعماقها ليجلو خباياها ويكشف الدوافع المحركة لتصرفاتها ، الخالقة لابداعها .

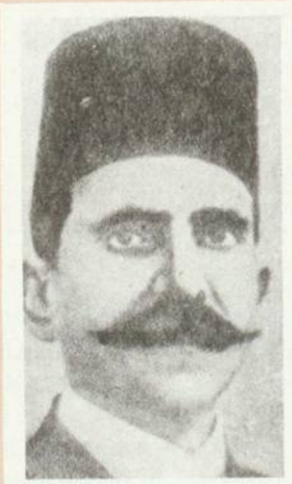
إن الخبرة المباشرة هى المعين الذى استمد منه المؤلف مادة كتابه ، لكنه لم يقدم كل ما لديه ، فهو يملك قطعاً مادة وفيرة ، أضعاف ما جاء فى الكتاب من الذكريات والخواطر والاحداث والتأملات



روز اليوسف



جورج أبيض



سلامة حجازى

والسير والطرائف ، لكنه اكتفى بتصوير جوانب معينة من الشخصيات . وان كان يخرج أحيانا على هذا المنهج بان يقدم لنا عرضاً تحليلياً ونقدياً لفن تلك الشخصية كما فعل مع سلامة حجازى وعلي الكسار ومحمد عبد الوهاب .

فالكتاب فى الحقيقة أعمق من الذكريات أو هى ذكريات منتقاة بحرص من خزانة الذاكرة وخبرات الماضى يقدمها كعناصر تتالف منها صور شخصيات ، يوظفها كمداخل لفهم أبعادها النفسية والفنية ، ولا يهم أن تكون الصورة كاملة الملامح والتفاصيل ، انما ما يرمى اليه هو ان تبرز جانباً أساسياً من حياة الشخص او ملمحاً بارزاً من فنه كما لو كانت «كاريكاتور» يضخم ميزة أو سمة ، وأحياناً تبدو الصورة كلوحة لا تظهر منها سوى القسمات دون الدقائق ، وأحياناً أخرى يستطرد فى وصف بعض التفاصيل وظلالها .

هناك من الشخصيات التى خصها بالكشف عن الزوايا المجهولة فى حياتها أو التى كان لا يعرفها سوى الخاصة ، وأخرى أطلعنا على المواقف الحاسمة فى تاريخها ، وأحياناً يعري لنا عيباً جسمياً أو خلقياً ، ليس ليفضح صاحبه بل ليبنى عليه عصاميته وقدرته على التسامى الى مرتبة التفوق الفنى الفريد .

الدرس الذى تعلمه

الدرس الذى تعلمه طليمات من الممثلة روز اليوسف .. كانت أمنية زكى طليمات أن تتاح له فرصة اللقاء بالممثلة العظيمة الحسناء ، روز اليوسف ، كان آنذاك فى شبابه المبكر ، وذهب ذات يوم بصحبة احد الكتاب المعروفين الى بيتها ، كانت الفنانة تعد طعامها واستفسرت منه عن معنى اسم «طليمات» ، لكنه لم يدر جواباً ، وعندما عبر لها عن شوقه للتمثيل ، بادرته قائلة : تعرف تطبخ .. ؟ .. تعرف ترقص كويس ؟! فاجابها بالنفى . واستجمع الفتى شجاعته وسالها عن علاقة الطبخ والرقص بهواية المسرح واجادة التمثيل ، ويومها أحس أنها تحدثه بالألغاز ، فانصرف متبرماً . فاجابت : لما تعرف العلاقة دى تبقى ممثل صحيح .

لكن طليمات أدرك بعد أعوام أمضاها فى حرفة التمثيل والاخراج أن روز اليوسف لم تكن تهزل بل كانت جادة لأن الدور التمثيلى بين يدى الممثل يجتاز عملية حاذقة ليخرج ناضجاً فوق المسرح . وبين الرقص والتمثيل علاقة وثيقة فهما يقومان على أسس واحدة من الايقاع والانسجام والرشاقة فى التعبير ، وبعد سنوات قليله تزوج الفنان زكى طليمات من الفنانة القديرة روز اليوسف .

الشيخ سلامة حجازى

ولقد عشق زكى طليمات فى صباه صوت الشيخ سلامة حجازى . وكان يتسقط اخباره على مقهى مجاور لمسرح دار التمثيل العربى من عجوز صاحب الشيخ فى مختلف مراحل حياته . وكان سلامة حجازى صاحب صوت مجلجل جبار . كان إذا ارتفع بالغناء تجاوز الى ما وراء جدران المسرح حيث احتشد جمهور من المارة يستمعون اليه بالمجان . صوت رخيم نفاذ يعلو ويهبط يشتد ويلين فى مدارج التعبير عن الكلام . يقفز فى يسر وتناسق فوق درجات السلم الموسيقى صعوداً وهبوطاً ، يعتصر النغمات والتراكيب الموسيقية ، يستقطر كل ما تعود عليه من قوة التعبير ، وكانه يحس فى وعيه الباطن بان هذه التراكيب لا تؤدى ما يريده من التعبير ، ومرد ذلك فى تقدير طليمات أن الشيخ كان يعانى صراعاً داخلياً لأن الموسيقى العربية تحرص فى ذلك الوقت على التطريب أكثر من عنايتها بالتعبير ، فكان يحاول أن يحقق هذه الثورة دون أن تفقد الموسيقى العربية عطرها وطربها .

وإذا كان ما يؤخذ على الشيخ جهله بدقائق الفن فى الالقاء والتمثيل إلا أنه كان على موهبة أصيلة ، مرهف الحس صادق الانفعال مؤثراً فى تعبيره ، وكان حرف

كتاب الشهر

ذكريات ووجوه





فاتن حمامة

القاف يجرى على لسانه «كافا» «فحبيبة قلبى» تتحول على لسانه الى «حبيبة كلبى» دون أن تثير ضحك المتفرجين لان انشاده الفريد كان يغفر أخطاء الممثل .

وذكريات المؤلف وان كانت تلح عليه فى المواقف الكبيرة من الحركة المسرحية . وتتضافر فى رسم صور لكبار الفنانين ، إلا انها تلاحقه ايضاً فيجلو لنا صوراً لرجال ارتبط اسمهم بالمسرح دون أن يكونوا من رجاله العاملين .

من هؤلاء الاقتصادى الكبير طلعت حرب مؤسس بنك مصر وشركاته ، والذى ساند مشروع بناء مسرح حديقة الازبكية ، واضفى الطابع العربى على معماره ، كما شجع تقديم مسرحيات محلية مؤلفة وملحنة تلحيناً عربياً لفرقة عكاشة ، وكان ذلك بحافز من الوعي القومى كما فعل فى عالم الاقتصاد .

وزير التقاليد

اما الرجل الثانى فهو الوزير حلمى عيسى الذى كان اسمه مقروناً «بوزير التقاليد» ، فهو الذى اغلق عام ١٩٣١ أول معهد حكومى للتمثيل بحجة مخالفته للتقاليد ، وطليمات فى كتابه يبرىء الوزير من هذه التهمة التى الصقت به ، لان الحقيقة التى تكشفت بعد سنوات تشير الى الفاعل الاصلى وهو فؤاد الأول ملك مصر فى ذلك الوقت الذى امر باغلاق المعهد خوفاً على عرشه ، ذلك أن انقلاباً وقع فى افغانستان عام ١٩٣١ اطاح بالملك أمان الله لخروجه على تقاليد الأسلاف وفتح النوافذ للتيارات الغربية ، فخشي الملك فؤاد أن يلقى نفس المصير ، فاخذ يراجع كل جديد فى الحياة المصرية وكان على رأس القائمة معهد التمثيل الذى أمر بغلقه .

راء فاتن حمامة

ومن ذكرياته الطريفة يروى لنا زكى طليمات قصة لقائه الأول مع التلميذة فاتن حمامة وكان ذلك فى المحاضرة الأولى من افتتاح معهد فن التمثيل فى منتصف الأربعينات فقد لفتت الطالبة انتباهه كجسم صغير الحجم ينمو بحساب دقيق ، فتاة وسيمة ذات وجه صغير بالغ الوسامة كوجه العرائس الغالية ، هذه الطالبة الجميلة يتحول حرف الراء على لسانها الى غين ، انها لدغاء تخرج بقية الحروف على لسانها سليمة المخرج فصيحة المنطق .

وعلى الفور شرع الأستاذ يعالج هذا العيب ، وكان العلاج انه جعل الطالبة تتعرض للاستثارة والانفعال العنيف ، ثم تتلو عبارة حول طالبسمين هى : «انحشر حشراً فى الدرج ولم يقدر أن يخرج» . وأمر الطالبة ان تقرأ هذه العبارة بسرعة لمرات متتابعة .

ويحكى طليمات أن الطالبة اندفعت غاضبة تنفذ ما أمرها به ، ووقعت الأعجوبة إذ بدأت اللدغة تفقد حدتها تدريجياً ، وكانت هذه الطالبة هى فاتن حمامة التى اصبحت سيدة الشاشة العربية .

خليل مطران الشاعر

وفى الصورة التى رسمها الفنان للشاعر الكبير خليل مطران لا يقف طويلا عند شاعريته ، بل يلقى الضوء على شخصية رجل الادارة فى مواجهة الشاعر . ذلك أن مطران عمل مديراً للفرقة القومية المصرية وهى أول فرقة مسرحية انشاتها الدولة عام ١٩٣٥ ، وظل مطران على مقعد الادارة سبع سنوات . غير أن العلاقة بينه وبين طليمات مخرج الفرقة لم تلبث أن تعثرت لان اصحاب الوشاية أوهموا مطراناً بان طليمات يسعى الى اخذ مكانه فى إدارة الفرقة ، فتوجه اليه طليمات فى مكتبه بالجمعية الزراعية بالجزيرة وكان يعمل سكرتيراً عاماً لها الى جانب عمله مديراً للفرقة ، ليدافع عن نفسه وينفى ما أشاعه عنه الوشاة .

وكان من عادة مطران انه يقيم حاجزاً بينه وبين اعضاء الفرقة حتى لا يتجرأون عليه ومع ذلك كان اعضاء الفرقة يلاحقونه حتى فى مكتبه بالجمعية الزراعية بل ويقترضون منه دون أن يردوا له الدين .

ويقول طليمات ، إن الشاعر الرقيق الحانى الكريم الذى يكمن وراء تجهم مدير الفرقة هو الأصل ، اما المدير الخشن فطارىء ودخيل عليه . وفى مكتبه اخذ الشاعر يروى له حادثة تركت أثراً فى أنفه واشار الى قصيدته «تذكارات الطفولة» :

هل تذكرين ونحن طفلان
عهداً بزحلة ذكره غنم
إذ يلتقى فى الكرم ظلان
يتضاحكان وتانس الكرم

لقد تظاهر أمام صديقه بانه يجيد ركوب الخيل مثلها فجمح به الجواد والقى به أرضاً وركله فى انفه .. وعلق مطران على هذه الحادثة «هذا عقاب الحب ، لاننى كذبت على من احب ، وان لم أكذب فى حبى» .

ابن الباشا

من بين الشخصيات التى تناولها المؤلف طائفة اخذ يبحث عن مفتاح يفسر به مسلكها وانجازاتها الفنية وغير الفنية ، وليس هذا المفتاح سوى مركباتها النفسية أو عقد النقص فيها . فهذا عزيز عيد المخرج والممثل المشهور صانع النجوم والمدير الفنى لمعظم الفرق الكبرى فى الثلث الاول



طلعت حرب



عزيزة أمير



محمد عبد الوهاب



خليل مطران

من هذا القرن كان قصير القامة ، أصلع طويل الأنف ، كان فناناً غاضباً ، دائم القلق يبحث عن الأفضل والأجود ، دائم الصدام مع مديرى الفرقة . يشكو تسلطهم واستبدادهم بالفنانين . هنا يحاول المؤلف أن يقيم رابطة بين نبوغ وعبقرية عيد ، وبين بنيته الجسمية ، وإذا كانت هذه البنية بعيوبها لا تصنع الموهبة ، إلا انها الشرارة التى تشعل وهجها .

ويوسف وهبي ، صاحب واحدة من أشهر وأكبر الفرق المسرحية لم ينشيء فرقته عام ١٩٢٣ ولم يغامر بثروته التى ورثها من أجل الفن كما يقول زكي طليمات . بل هناك حافز يكمن وراء هذه المغامرة وهو أن يوسف وهبي ابن أحد الباشوات ، احس بالأرض تهتز تحت قدميه حينما احترف صناعة التمثيل وخرج من حياة القصر إلى حياة الفنادق المتواضعة فى إيطاليا ليكسب عيشه ، كان يوسف يحس هذا ويؤلمه رغم عشقه للمسرح ، فاخذ يبحث عن فرصة ليفجر عملا مدوياً .

وجاءته الفرصة حين ورث اكثر من عشرة آلاف من الجنيهات الذهبية ، فانشا مسرح رمسيس وأصبح على رأس فرقة تضم المع الممثلين بقيادة عزيز عيد ، وبذلك يبنى مجداعصامياً جديداً يحقق له شهرة ابن الباشا .

عبد الوهاب .. وحرارة الروح

والتقى طليمات بالفنان محمد عبد عبد الوهاب لأول مرة عام ١٩١٨ ، كان الموسيقار فتى نحيل الجسم ، وفى وجهه شحوب وهزال وفى عينيه قوة وبريق وفى نظرته حلم وصفاء ، يطرب الجمهور فى فترات الاستراحة بفرقة عبد الرحمن رشدي باغاني الشيخ سلامة حجازي وسيد درويش .

ومن صورة عبد الوهاب فى صباه يمضي المؤلف فى تحليل فنه الموسيقى ، فيصف موسيقاه بانها موسيقى تؤرخ عصرها وتعبر عن روح ذلك العصر وتعكس مزاجه فى بلبلته الذهنية وفى قلقه الاجتماعي وتارجحه بين القديم الذى سئمه والجديد الذى ياخذ منه ، لكنها موسيقى رغم تفاوت الآراء بشانها ، يترنم بها المعجبون ، ويهمس بها غير المعجبين . وترجع هذه الحالة العجيبة الى أن الألحان تصدر عن فطرة سليمة وتمر فى طبع خصب ، أداء لايقوم على جهارة الصوت وجلجلته ولا على التشدق باللفظ وإنما يقوم على حرارة الروح ووهج الشعور وامتلاء النفس بالمعنى .

وعن صداقة عبد الوهاب الحميمة بالشاعر احمد شوقى يقول طليمات انه ورث عنه مجافاة النقد ومحاذرة الناقدين وحبه لجمع المال بمهارة .

ويفتح طليمات صفحة جديدة من ذكرياته الشيقة التى يكشف فيها عن لقاءاته العاصفة بنجم المسرح الكوميدي نجيب الريحاني . وكان طليمات من الد خصوم المسرح الهزلي الذى ازدهر ابتداء من الحرب العالمية الأولى ، وطغى على المسرح الجاد وانتزع منه جمهوره . ويقصد بالمسرح الجاد المسرحيات المكتوبة بالفصحى سواء كانت مقتبسة او مؤلفة ، لكنها لا تتناول واقع الحياة .



سيد درويش

الريحاني يتألم والجمهور يضحك

وفى عام ١٩٢٢ التقى طليمات بالريحاني فى مقهى بشارع عماد الدين ، شارع الفن وقتذاك ، وكانت المواجهة ساخنة أشبه بمناظرة فنية بين ممثل المسرح الجاد وممثل المسرح الهزلي . وجاء فيها :

طليمات : انت بتشتغل فى التمثيل علشان تعمل فلوس .

الريحاني : وعايزني اشتغل فى التمثيل والحس صوابعي ؟ !

ـ وانت بتضحك على الناس ومن الناس

ـ طيب ما تعملوا زيي ..

ـ مانقدرش نعمل التهجيص بتاعك ..

وكان رداً قاسياً ، لكن الريحاني تلقاه بضحكة مدوية يخالطها الكثير من الاشفاق

ـ انتم لسه بتقدموا فى رواياتكم نابليون ولويس ، وانا اقدم دقدق ، وسيد وحلويات وشلبية .. الجمهور المصرى يريد أن يكون غذاؤه الذى يتناوله من المسرح مثل غذائه الذى يملأ به بطنه .

ـ الجمهور بيحب الطعمية والفسيخ والمش .. معدته هزيلة وذوقه مريض والمسرح أداة إصلاح وارتقاء .

فاجاب الريحاني بان الاصلاح والارتقاء لا ياتيان دفعة واحدة ، وانه يحاول بمسرحياته الفكهة أن يدخل اللحم الدسم فى سائر ألوان الطعام الذى يتقبله الذهن المصري ، فلا يمكن تقديم المسلوقات بدون زبد أو دسم ، وكذلك لايمكن تقديم اللحم بدون توابل .

كتاب الشهر

ذكريات ووجوه



واستمر الريحاني فى الحديث وانتقد الأسلوب البياني الرصين الذى يلتزم به حوار معظم ما كان يقدمه المسرح الأدبي فى ذلك الوقت ووصفه بالحذلقة والتكلف . وأحس طليمات بالهزيمة أمام منطق الريحاني .

وفى عام ١٩٣٠ سعى طليمات لمقابلة الريحاني ليثار منه ، لكن الفنان كان يعاني عذابات وأوجاع غرام لم يشف أبداً منها . وغادر غرفته الى المنصة وما أن اندمج فى دوره حتى استغرق الجمهور فى الضحك ، فالريحاني يضحكه ويبدد همومه بينما قلبه يدمى ولا يستطيع هو أن يمسح دموع حبه الجريح .

الكسار المضحك العصامي

ويأتي دور الكسار فى حديث الذكريات ، كان الكسار فناناً موهوباً متميز الأداء وأحد قطبي الفكاهة فى مصر بين الحربين ، وكان صاحب فرقة كبيرة للتمثيل الفكاهي ظلت تعمل نحو ثلاثين عاماً ، وكان هو بطل الفرقة وممثلها الأول الذى اشتهر بدور البربري عبد الباسط ، وانتهى به المطاف ، بعد رحلة الصعود الى ذرى المجد ، أن يصبح ممثلا بالمسرح الشعبي باجر شهري قدره ٣٠ جنيها ، يجول الأقاليم بعد أن كانت الجماهير تسعى إليه .

لقد التقى طليمات الذى كان مؤسساً للمسرح الشعبي (عام ١٩٤٦) بالكسار فى لحظة انكساره وأفول نجمه وزوال مجده ، وأخذ يروى كيف أنه كان يربح فى بعض الأعوام نحو ١٦ الف جنيه ، كذلك كان يربح شريكه المؤلف المترجم امين صدقى ، وذهب المال هباء على الممثلين والمزاج والاسراف .

كان الكسار فناناً عصامياً ، عمل فى مطلع شبابه طاهياً فى بيوت السراة ، ورغم أميته ، إلا أنه لم يكن يشكو أمية الذهن والقلب بما وهبته الفطرة من ذكاء وإدراك وتخيل وسرعة البديهة وخفة الظل ومرونة الحركة . كان جمهوره من الفئات الشعبية التى تضحكها النكتة المليحة والقافية والحركات المرتجلة .

قال عنه الاستاذ دني دينيس عميد الكوميدي فرانسير ، أثناء مشاهدته لفرقة الكسار بمسرح الماجيستيك بالقاهرة فى عام ١٩٣٧ : هذا الممثل وإن كان لا يحذق صناعة التمثيل إلا أن الفطرة أودعت فيه موهبة الحضور المسرحي . إن صاحب هذه الموهبة إذا ظهر فوق المسرح بين زملائه الممثلين ، فان الجمهور لا يعود يصغى إلى صوت غير صوته ، بل لايعود يرى أحداً سواه ، ويستطرد دينيس بقوله :

إننى على جهلي باللغة التى يمثل بها الكسار ، أراني منجذباً إليه بقوة مغناطيسية .

أم كلثوم والطريق المسدود

ويروي المؤلف ذكرياته مع ام كلثوم سيدة الغناء العربي ، والجهود التى بذلها لاستدراجها الى المسرح الغنائي ، ففى عام ١٩٤٢ تولى طليمات الادارة الفنية للفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى وبنى خطته على العناية بتقديم الأوبريتات للنهوض بالمسرح الغنائي . وهذا اللون يحتاج إلى أصوات جميلة مدربة ، وهكذا وجد نفسه أمام مهمة عسيرة وهي اجتذاب أم كلثوم من التخت إلى المسرح ، وأخذ يثير فضولها الى معرفة هذا الفن عن طريق تعريفها بالأوبريت والأوبراكوميك ، وحدثها عن شخصية « كارمن » و « غادة الكاميليا » ، وارتاحت الفنانة الى أوبرا « حلاق أشبيليه » فشرع فى ترجمتها تمهيداً لتلحينها ، ومع ذلك لم تفض محاولات


علي الكسار

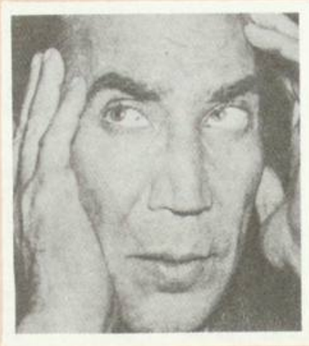

نجيب الريحاني



د . محمد حسين هيكل



أم كلثوم



يوسف وهبي

طليمات مع أم كلثوم إلى اي نتيجة وأحس بان مهمته تمضي فى طريق مسدود .

وفى سياق هذه الرواية يقوم المؤلف برحلة فى أعماق الفنانة ليفسر لنا الجانب الساخر فى شخصيتها ، ويرجع ذلك إلى نشأتها الريفية ، وتجوالها الدائم فى صغرها وشبابها المبكر فى القرى والموالد والأعراس ، مما جعلها تبالغ فى خشيتها وحذرها من الرجال ، وكان عليها أن تبحث عن مخرج لهذا المظهر الجاد الذى تتستر وراءه ، فلم يكن أمامها غير السخرية والتعليق بالنكتة اللاذعة وبعبارات تبعث على الابتسام .

هيكل .. وروسو

وتتسع دائرة الذكريات فى كتاب «ذكريات ووجوه» لتتناول شخصيات من عالم الأدب والسياسة ، ففى عام ١٩٢١ ، تعرف طليمات على الدكتور محمد حسين هيكل فى مقهى بشارع عماد الدين بالقاهرة وهيكل أديب كبير وسياسي مشهور ومفكر لمع اسمه لأكثر من ثلث قرن قبل عام ١٩٥٢ . ترك مهنة المحاماة بالمنصورة وجاء إلى القاهرة ليقف فى الصف مع مجاهدى ثورة ١٩١٩ . فى ذلك الوقت تهامس عنه البعض بانه مشاغب . لكن طليمات أيقن من عدم صدق الشائعة وتعلم انه لايجب أن يحكم على شخص بما سمعه يجري على الألسنة وأدرك أن هيكل كاتب جريء يهز الوعي العام بارائه فى ضرورة الانتقال بالحياة المصرية من ظلام الماضي وجموده الى الحاضر الذى يضج بالحركة ، والتطلع الى أوربا فى حضارتها وعلومها وآدابها . وبنفس الحماس إلى الاصلاح ، اخذ هيكل يعالج مشكلات الحياة المصريـــــة .

مرة أخرى يلتقى الشاب طليمات فى عام ١٩٢٢ بالدكتور هيكل الذى أصبح رئيساً لتحرير جريدة السياسة ، ذهب إليه شاكياً من اهمال المحرر لمقالاته فى المسرح والأدب، بل وزاد عليه المحرر تهجمه على طليمات ، فهدأ هيكل من روعه قائلا :

« إن النقد – يقصد نقد المحرر لطليمات – سواء كان مدحاً أو ذماً ، انما هو انفعال نفسى أمام حالة ما ، والنفس لا تنفعل إلا إذا كانت لهذه الحالة أهمية تلفت النظر .. وإذا كان المحرر ينكر وجوده كعامل يجاهد فى سبيل المسرح ، فان انكسار الشىء هو الدليـــل على وجوده» واهداه هيكل كتابه عن المفكر الفرنسى جان جاك روسو ، وهو أحد فلاسفة القرن ١٨ الذين مهدوا لقيام الثورة الفرنسية . فقد نادى بالديموقراطية وثار على نظم التعليم والتربية ، كما أرهص لظهور الرومانتيكية فى الأدب .

وما إن فرغ طليمات من قراءة كتاب روسو حتى عرف لماذا سمى هيكل مشاغباً إذا صح أن المشاغب هو من ينادي بجديد وينكر ما هو قائم .

كتب د. هيكل عام ١٩١١ قصة « زينب » التى تؤرخ المحاولات الأولى الموفقة فى كتابة القصة المصرية الحديثة . وهي قصة رومانتيكية عن فتاة ريفية احبت حباً نقياً ثم زوجوها بمن لاتحب وعاشت حياتها بقلبين دون أن تخون الزوج أو تتنكر لعهد الحب ، غير أن العلة تمكنت من صدرها وقضى نحبها .

ونشر هيكل القصة تحت اسم مستعار « فلاح مصري » خوفــــا من المتزمتيـــن . وتساءل طليمات ، هل خان هيكل استاذه روسو فى جراته التى لم تعرف يوماً الحذر والخوف ؟ لكنه لا يلبث أن يلتمس له العذر ربما فعل ذلك مكرهاً فى مواجهة مجتمع محافظ متخلف لم يالف بعد التجديد . وإذا كانت قصة زينب تعد علامة مميزة فى نشأة الرواية المصرية فان السينما تدين لهيكل بأول انتاج كبير وهو فيلم « زينب » الذى استمد أحداثه من قصة محلية ذات شان فى تصوير ملامح الريف المصري فى مطلع هذا القرن .

● ●

لقد استطاع زكي طليمات فى كتاب «ذكريات ووجوه » أن يكشف النقاب عن خبايا نفسية وملامح انسانية فى حياة نماذجه كانت مجهولة أو لايعرفها سوى القليلين فاضاف بذلك أبعاداً جديدة يمكن أن يفيد منها الباحث فى تاريخ المسرح العربي . وإذا كان كل فصل يبدو وكانه وحدة مستقلة إلا انها عند التامل تبدو شريحة من صورة كاملة هي الحركة المسرحية خلال النصف الأول من هذا القــرن .

وكم كان المؤلف حاذقاً فى عرض مادته ، فلم يلجأ الى الصياغة الجافة المجردة ، بل استخدم أسلوباً شبه قصصي ، يتخلله حوار شيق حي مع أبطاله .

وكنا نود أن يثري الاستاذ زكي طليمات كتابه بفصول عن كتاب المسرح الذين ارتبط بهم وأخرج أعمالهم بالفرقة القومية وغيرها من الفرق ، أمثال : محمد تيمور ، ابراهيم رمزي ، توفيق الحكيم ، عباس علام ، محمود تيمور ، بيرم التونسى . فلاشك فى أن التقاء المخرج المسرحي بالمؤلف فى عمل مشترك يحفل دائماً بالمناقشات المثمرة ، التى تتفق فيها الآراء كما تتصادم وجهات النظر حول تفسير النص . وفي ظني أن الفنان طليمات قد أرجا هذه المهمة لكتاب مستقل يحوي ذكرياته ولقاءاته وانطباعاته العميقة عن أشهر المؤلفين الذين التقى بهم خلال رحلة عمره العامرة بالكفاح الفني .

سمير عوض

قف

هل تعلم



عبد العزيز السيد المصري

ماذا تعرف عن الحركة الدائمة؟

المقصود بالحركة الدائمة الحركة التى تستمر إلى الأبد ... ولكنها هنا تعني شيئاً خاصاً جداً.

لقد ظل الناس مئات السنين يحلمون بصنع آلة ما ان تتحرك حتى تتابع هذه الحركة إلى الأبد ، تسهم فى إيجاد أشياء نافعة بدون حاجة إلى مصدر طاقة خارجي . فالالات ذات الحركة المستديمة ينبغي ان تخلق طاقتها الخاصة في شكل حركة ... ففي كل وقت تكمل فيه دورة عملية تعطي طاقة اكبر مما امتصت واستهلكت .

كان معظم الناس الذين فكروا فى ابتكار هذه الآلة ذات الحركة المستديمة لديهم أهداف عملية فى اذهانهم ... فقد كانوا يريدون أن يمتلكوا هذه الآلة المدهشة التى ترفع لهم الماء من الآبار وتطحن لهم الحبوب بدون حاجة إلى مدد من اية طاقة .

هل من الممكن صناعة ماكينة دائمة الحركة ؟ .

سوف يجيب أي عالم : لا .. والسبب يرجع إلى واحد من اعظم قوانين العلم أهمية ... مبدأ بقاء الطاقة . فبناء على هذا المبدأ لا يمكن خلق الطاقة ولا إفناؤها فى الطبيعة .. يمكن نقل الطاقة من مكان إلى اخر ، ويمكن أن تكون الطاقة أو يمكن إطلاقها .. ولكن الطاقة لا تخلق ... فكل ماكينة تقوم بأي عمل يجب أن يكون لها مصدر للطاقة . ولذلك فقد باءت كل المحاولات التى بذلت لصناعة ماكينة دائمة الحركة بالفشل .. لأن قانون بقاء الطاقة كان لا يزال مجهولا .

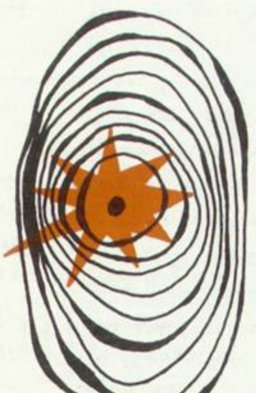
ماذا تعرف عن القارّة المفقودة؟



تروي الأساطير اليونانية القديمة قصة جزيرة أو قارة مفقودة تسمى قارة أطلانطس .. من المعتقد أنها كانت تقع فى المحيط الأطلنطي غربي جبل طارق ... وتروي الأساطير أنها قارة بلغت الغاية فى الجمال ... وأنها كانت جنة حقيقية ... وكانت مملكة قوية دانت لها شعوب جنوب أوربا الغربية كما فرضت سيطرتها على شاطىء أفريقية الشمالي كله ... ثم هزمها الأثينيون ... فانقلب شعبها إلى شعب شرير عابث فاسد ... فكان أن ابتلعهم المحيط عقاباً لهم على ما يقترفونه من آثام ويرتكبونه من شر وفساد ... روى أفلاطون الفيلسوف اليوناني المشهور هذه القصة منذ ٣٠٠ سنة قبل ميلاد المسيح عليه السلام رغم أن الأساطير تروي أن هذه القارة قد فقدت قبل افلاطون بتسعة آلاف سنة !!! .

وفي خلال القرون الوسطى تناقل الناس أسطورة هذه القارة وشاعت حتى اعتقد البعض أنها قصة حقيقية ... فقامت رحلات كثيرة فى القرن الخامس عشر بحثاً عن هذه القارة ... وقارة أطلانطس ... وعاد البعض بحكايات متنوعة عن حوادث ربما قد وقعت فعلا ... وربما عاد بعض المغامرين بقصص عن أراضي جديدة اكتشفوها ثم صارت هذه القصص جزءاً من أسطورة أطلانطس العجيبة . ولم يزل هناك حتى اليوم من يعتقدون اعتقاداً راسخاً بأن هذه القارة كانت موجودة بالفعل ... وأنها كانت الموطن الأول للحضارة الانسانية ... وأن كثيراً من الآلهة التى كانت تعبدها الدول القديمة كانوا ملوكاً وملكات فى هذه القارة ... وأن سكان هذه القارة هم أول من عرف الكتابة واخترع الحروف الأبجدية ...

ماذا تعرف عن الضوء ؟



الضوء أحد أسرار هذا العالم الذى نعيش فيه .. مازلنا لا نعرف على وجه التحديد ما هو ؟ نعرف أنه شكل من أشكال الطاقة مثل الحرارة ، أمواج الراديو، ويمكن قياس سرعته وذبذباته وطول موجاته .. كما أن سلوكه يجعله شبيها بالطاقات الأخرى فى جوانب كثيرة .. فنحن مثلا نعرف أن سرعة الضوء هى ١٨٦٠٠٠ ميل فى الثانية وذلك يعنى أن شعاع الشمس ينتقل ٥/٨٨٠/٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠ ميل فى السنة وهى المسافة التى يسميها الفلكيون بالسنة الضوئية .. وهى أيضا الوحدة التى تقاس بها المسافات فى الفضاء .. وقد ظهرت نظريات كثيرة تحاول معرفة الضوء والكيفية التى ينتقل بها .. ففى القرن السابع عشر كان أسحق نيوتن يرى أن الضوء مكون من جسيمات تشبه كرات دقيقة جداً يطلقها مصدر الضوء ، ولكن هذه النظرية لم تستطع تفسير أنواع عديدة من سلوك الضوء .. أما هيجنز الذى عاش فى نفس العصر تقريباً فكانت له نظرية أخرى هى نظرية موجات الضوء .. فالذرات المضيئة فى رأيه تبدأ على شكل ذبذبات أو موجات شبيه بالتى يحدثها حجر صغير ألقى فى الماء وقد ظل الجدل بين النظرتين ١٥٠ سنة .. وقد تلاشت فكرة الجسيمات المضيئة بعد أن عرفت آثار الضوء معرفة يقينية .. ولكن العلماء يعتقدون اليوم أن الضوء يعمل كالجسيمات والموج فى وقت واحد .. وتؤكد تجاربهم الفكرتين كلتيهما .. ولهذا فاننا لا نستطيع حتى الآن أن نجيب اجابة كاملة عن سؤال ما هو الضوء ؟ .

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● قصة غرام فاطمية
●● الزواج ●●● ألغام الدكتور ماغنس

من أدب التاريخ

قصة غرام فاطمية

موضوع مسرحية بديعة

بقلم : محمد عبدالله عنان

تقدم إلينا صحف القصور الاسلامية طائفة من القصص الغرامية الشائقة التى امتزجت بسير الخلفاء أو السلاطين ، بيد أن هذه القصص المشرقية بالرغم من ألوانها المشجية المؤسية أحياناً لا تحمل دائماً ذلك الطابع الروائى العنيف الذى يبدو فى قصص الحب فى القصور الغربية ، ويرجع ذلك أولا إلى روح العصور ، وثانياً إلى تباين الخلال والنظم الاجتماعية ، ففى القصور الاسلامية كان يغلب دائماً ذلك التحفظ الذى سبغ ستار الصمت والكتمان على حوادث وسير لا تحمد إذاعتها وتتقى آثارها بين الكافة ، وكان نظام التسرى الذى يعمر قصور الخلفاء والسلاطين بأسراب الجوارى الحسان من مختلف الأمم والأجناس يحول دون اضطرام هذه العواطف والنزعات العنيفة التى كثيراً ما تضطرم فى قصور الغرب ، وتحمل فى طريقها عروشاً أو تؤثر فى مصاير أمم ومجتمعات ، ومن النادر أن نرى فى التاريخ الاسلامى جارية .. تسيطر على أقدار الدولة ومصايرها بمثل ما كانت تسيطر غانية مثل بومبادور أو دوبارى على أقدار فرنسا فى عهد لويس الخامس عشر ، أو نرى ملكاً وامبراطوراً عظيماً كادوارد الثامن يهجر أعظم عروش الأرض وأجلها قدراً فى سبيل حب ليس فيه من الروعة والجمال ما يتناسب مع روعة التضحية التى أقدم عليها .

بيد أننا نظفر فى بعض صحف القصور الاسلامية مع ذلك ببعض السير الغرامية العجيبة التى تطبعها ألوان روائية تذكى الخيال إلى الذروة . ولولا أن الرواية الاسلامية تحجم فى كثير من الأحيان عن الافاضة فى تلك السير الشائقة ، وتكتفى بايراد الروايات الموجزة عنها لكان منها تراث روائى ساحر لا يقل فى روعته وجماله وتباينه عما تقدمه إلينا قصص الحب الغربية الشائقة .

مثال ذلك قصة الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله وحبيبته البدوية فهى فى الواقع نموذج ساحر من ذلك القصص الغرامى الذى يصلح بموضوعه ومناظره وألوانه موضوعاً لمسرحيات من الطراز الأول فى سحرها وروعتها .

قصة غرام فاطمية

ولى الأمر بأحكام الله الخلافة وهو طفل فى نحو السادسة من عمره سنة ٤٩٥ هـ (١١٠٢ م) رفعه إليها أمير الجيوش الأفضل شاهنشاه وزير أبيه الخليفة المستعلى ، وجده المستنصر من قبل ، والمتغلب على الدولة ، والمستأثر بسلطانها ، ونشأ الآمر فى كنف هذا الوزير الطاغية ، كما ينشأ جميع الأمراء الذين ليس لهم من الملك غير رسومه ومظاهره ، محجوباً فى قصره ، مغموراً بأنواع الملاهى والمسرات ، بيد أنه نشأ مع ذلك طموحاً ينزع إلى السلطان والبطش فلما بلغ أشده ، وشعر بوطأة المتغلب عليه أخذ يتربص به حتى استطاع أن يدبر مصرعه ، وقتل الأفضل سنة ٥١٥ هـ ، وتولى مكانه المأمون البطائحى ، وقبض مثل سلفه على السلطة بقوة وحزم ، فلم يلبث أن لقى نفس مصيره ، فقتل فى سنة ٥١٩ هـ ، واستأثر الأمر عندئذ بكل سلطة ، وأطلق العنان لأهوائه وإسرافه وبذخه ، وكان الآمر أميراً مرحاً ، مضطرم النفس والأهواء ، مشغوفاً بحياة اللهو والطرب ، وافر السخاء والبذل ، يعشق البذخ الطائل ، وكان يهيم بالجوارى والحسان ، لا يطيق الحياة دون حب وهوى ، وكان يشغف بفتيات البادية بنوع خاص ، وله مع إحداهن قصة غرام مؤثرة ، نقلها إلينا الـرواة فى ألوان ساحرة ، فكأنما تقرأ فيها كما تذكر الرواية ذاتها فصلا من فصول ألف ليلة وليلة ، أو ما يشابهها من القصص العجيب المغرق .

كان الآمر يهيم كما قلنا بفتيات البادية ، ويرسل فى أثرهن رسله وعيونه ، يجوبون البوادى والنجوع ، ويبحثون عن روائع الجمال الساذج فى ثنايا الخيام وفى مهاد البداوة النقية ، فنقل إليه بعضهم أنه عثر ببعض أحياء الصعيد بجارية عربية هى مثال رائع للجمال العربى آية فى الحسن والرشاقة والظرف ، أديبة شاعرة ، وافرة الذكاء والسحر ، وإلى هنا تبقى القصة عادية ليس فيها ما يثير الدهشة بيد أن الرواية تجنح بعدئذ إلى نوع من القصص الرائع ، فتقول لنا إن الخليفة الآمر لما سمع بخبر هذه الفتاة البارعة فى الحسن وفى الجمال ، أراد أن يراها بنفسه قبل أن يتخذ فى شأنها أى إجراء ، فتزيا بزى الأعراب وغادر قصره بالقاهرة ، وسار إلى الصعيد ، وأخذ يتجول بين الأحياء حتى وقف على حيها واستطاع أن يتصل بأهلها دون أن يعرفوه وأن يظفر برؤيتها وتأمل محاسنها ، فما أن رآها حتى اضطرمت جوانحه بحبها ، وأسرع بالعودة إلى القاهرة وقرر فى الحال أن يخطب هذه الفتاة التى تيمته حباً ، وأن يتزوج بها ، وبعث الآمر إلى أهل الفتاة برغبته ، فبادروا إلى تحقيقها فرحين مغتبطين ، وأرسلوا بالفتاة إلى القاهرة ، حيث حملت إلى القصر ، وغدت فى الحال زوجة للخليفة ، وسيدة البـــلاط الفاطمى .

وإلى هنا ينتهى أول فصل فى القصة وهو فصل لا تنقصه عناصر الخيال الممتع ، ثم إن فتاة البادية العالية — وكان هذا اسمها — بعد أن سكنت إلى حياة القصر الباذخة حيناً ، وأفاقت من دهشتها الأولى ، أخذت تشعر بثقل هذه الحياة الناعمة على ما فيها من متـاع ونعماء وترف مستمرة ، وتبدو لهـا جدران القصر العالية ، وأبهاؤه الفخمة كأنها ظلام السجن ، وأخذت تحن إلى فضاء القفر الشاسع وهوائه النقى الساذج كما تحن الطيور فى أقفاصها إلى فضاء السماء ، أو كما تحن الأسود المعتقلة إلى أحراجها وأدغالها ، رغم ما تتمتع به فى سجنها من وافر العناية فلما رأى الخليفة الآمر ، ما أصاب حبيبته من الاكتئاب والوحشة ، دفعه الخيال إلى أن يلتمس لها متعة الفضاء التى تنشد على طريقته الملوكية ، فأمر أن تقام لها على النيل فى جزيرة الفسطاط (الروضة) منتزهاً عظيماً يضم بستاناً ساحراً وأجنحة ملوكية بديعة ، وسمى هذا المنتزه الرائع الذى لبث مدى حين من محاسن الـــدولة الفاطمية « بالهودج » فكان للتسمية مغزاها فى التشبيه بالهودج الذى هو خباءالسفر فى البادية ، وأنس روح البدوية الهائم مدى حين إلى الرياضة فى « الهودج » والتمتع بمناظره الرائعة ونسماته العليلة بيد أنها لم تنس قط وهج القفر وسحر الفلاة .

وإليك فصلا ممتعاً آخر من تلك القصة الغرامية الرفيعة . لقد ظفرت « العالية » بغزو قلب صاحب الخلافة والعرش ، وغدت سيدة القصر والبلاط ولكن ذلك لم يكن منتهى آمالهـــا وسعادتها ، ذلك لأن قلبها البـــدوى المضطرم كان يخفق منذ أيام البادية بهوى فتى من بنى عمومتها يدعى ابن مياح ، ربيت معه فى الحى منذ الطفولة وكان فتى رقيق الخلال وافر السحر ، فلما حملت الى قصر الخليفة لم تخمد فى قلبها جذوة حبه ، ولبثت فى قصرها تتجه بخيالها اليه ، وفى ذات يوم هزها الشوق اليه . فبعثت اليه من قصر الخليفة بهذه الأبيات .

يا ابن ميـــاح اليك المشـــتكى
مـــالك من بعـــدكم قـــد ملكا
كنت فى حبى مطاعـــاً آمرا
نائلا ما شـــئت منـــكم مدركا
فانا الآن بقصر موصـــد
لا أرى إلا حبيـــاً ممســـكا
كم تثنينـــا باغصـــان اللوا
حيث لا نخشى علينـــا دركا
وتلاعبنـــا برمـــلات الحمى
حيثما شـــاء طليق ســـلكا

تقول الرواية فأجابها ابن مياح بهذه الأبيات .

بنت عمي والتى غذيتهـــا
بالهـــوى حتى عـــلا واحتبكا
بحت بالشكوى وعندى ضعفهـــا
لو غـــدا ينفع فيهـــا المشتكى
مالك الأمر اليـــه يشـــتكى
هالك وهـــو الذى قـــد هلـــكا
شأن داود غـــدا فى عصرنـــا
مبدياً بالتيه ما قـــد ملـــكا

ثم تقول الرواية : ووقف الخليفة الآمر على سر هذه المراسلة وقرأ أبيات ابن مياح ، فقال لو انه لم يسىء اليه فى البيت الرابع لرد الجارية الى حبه وزوجها منه .

وأثارت هذه القصة نفس شاعر معاصر من بنى طىء يدعى طراد بن مهلهل ، فنظم أبياتاً ينحى فيها على الآمر باللائمة ويخاطبه بما يأتى :

ألا بلغـــوا الآمـــر المصطفى
مقـــال طراد ونعم المقـــــال
قطعت الأليفين عن ألفـــة
بهـــا ســـحر الحى بين الرجال
كذا كان آباؤك الأقدمـــون ؟
سألت فقل لي جواب الســؤال

فغضب الآمر حينما وقف على هذا الشعر ، وقال جواب السائل قطع لسانه على فضوله ، وبعث فى طلب طراد فى أحياء العرب ، ففر منه واختفى .

ولبث الآمر بعد ذلك أعواماً : يطلق العنان لأهوائه ، وينعم إلى جانب حبيبته العالية ، ويتردد معها إلى منتزه الهودج . وكان الآمر يثير سخط فريق من الزعماء ورجال الدولة بما جنح إليه من تمكين النصارى من مناصب الثقة والنفوذ ، وما كان يمعن فيه من اللهو والبذخ والاستهتار بالرسوم والتقاليد ، ففى ذات يوم من ايام ذى القعدة سنة ٥٢٤ هـ (١١٣٠ م) ركب من القصر كعادته إلى الهودج للتنزه ، فلما وصل إلى رأس الجسر الموصل إلى الهودج وثب عليه قوم قد كمنوا له ، وأثخنوه طعناً بخناجرهم ، فحمل جريحاً إلى قصر اللؤلؤة على مقربة من مكان الجريمة ، ولكنه لم يلبث أن توفى ولم يجاوز الخامسة والثلاثين .

وكان الآمر بأحكام الله شاعراً مجيداً ، وله نظم قوى مؤثر فمن نظمه قوله :

دع اللوم عنى لست منى بموثق
فلابد لى من صدمة المتحقق
وأسقى جيادى من فرات ودجلة
واجمع شمل الدين بعد التفرق

تلك هى قصة الآمر بأحكام الله مع حبيبته العالية ، وهى قصة تجمع بين حقائق التاريخ ومتاع القصة ، ولا ريب أن الرواية قد أسبغت عليها حواشى وألواناً خلابة مصدرها الخيال الشائق ، بيد أنها تحتفظ مع ذلك بطابعها التاريخى ، ولقد عرج كثير من كتاب المسرح عندنا على بعض الوقائع والمآسى التاريخية واتخذوها موضوعاً لمسرحياتهم ، بيد انها قلما تتمتع بذلك الطابع الروائى الخلاب الذى تتمتع به قصة الآمر بأحكام الله مع حبيبته العالية ، ألم يقف أحدهم بتلك القصة الفاطمية الشائقة التى وقعت بمصر فى ظل خلافة تنثر من حولها آيات الفخامة والبذخ الرائع ؟ إن صحف التاريخ الاسلامى تقدم الينا كثيراً من هذا القصص الرقيق المؤثر ، فهلا فكر كتاب المسرح فى ورود هذا المنهل الغزير والاقتباس من طرائفه ، وإن المسرح المصرى ليبدو أروع وأبدع ، وأوفر سحراً وفتنة اذا استطاع كتابنا أن يتحفوه ببعض هذه المناظر القومية الشائقة التى تبذ فى ألوانها ، وفى روعتها وبهائها كثيراً مما ينقلون الينا من تراث المسرح الغربى .



محمد عبد الله عنان ١٩٣٧

الـزواج ..



بقلم
إبراهيم عبد القادر المازني

لاأدرى ماذا دها الناس ، فانه يندر أن اسمع فى هذه الأيام بزواج موفق فهل صار نظام الزواج غير صالح لهذا الزمن ؟ أم العيب فى الناس لا فى النظام ولا فى الزمن ؟ ولا شبهة فى أن للزواج عيوبه ، فما يخلو شىء فى دنيانا هذه من عيب ، وإن له لمتاعب ، وإن مسئولياته لعديدة وثقيلة ، ولكن النجاة من المتاعب عسيرة فى الحياة ، وإنه ليظن حمقاً من يتوهم انه يستطيع أن يحيا ويخلو مع ذلك من المتعبات سواء أتزوج أم آثر الوحدة والاستفراد . وأحسب أن كثيرين من الرجال والنساء أيضاً يقدمون على الزواج وهم يعتقدون أنه صفو لاكدرة فيه . ومتعة لا تنقص ولا ينغصها أو يفسدها شىء وحلاوة لاتشوبها مرارة ، فتخيب آمالهم كما لابد أن يحدث ، ويضجرون ويتأففون ويشكون وتتلف أعصابهم فلا تعود تقوى على احتمال ما كان ظنهم ألا يكون . وهذا شأن كل من يتناول الحياة بخفة ، وواجهها بغير ما ينبغى من التهيؤ للاحتمال ، ومن الاستعداد للتشدد والجلد والمقاومة .

وقد كنت أتكلم فى هذا وما إليه مع صديق فقال : « الحقيقة أن الزواج نظام ثبت اخفاقه وقلة صلاحه فى هذا الزمن » فعذرته لأنه ممن جر عليهم الزمن نكبات كثيرة يشق احتمالها ، ولكنى لم أدر رأيه ، فقلت له : « لا تغلط ياصاحبى فان كل زمن ككل زمن ، وهذه الاختراعات الكثيرة لم تغير شيئاً من حياة الناس وفطرهم ، ولم تقلب الحقائق الاجتماعية وما خلا زمن قط ممن يسعدهم الزواج وممن يشقون به ولا من الراضين والساخطين على هذا وغيره من أحوال الحياة ، وما زال الرجل كما كان ، والمرأة كما عهدها آباؤنا وأجدادنا عفا الله عنهم ورحمهم ، ومع ذلك قل لى ماذا تطلب من الزواج وأنا اقول لك ماذا ينبغى أن تبلغ به ، أو ما لابد أن يصيبك من خيره أو شره »

قال : « أطلب الراحة والاستقرار ... ماذا اطلب غير ذلك ؟ » .

قلت : « إن الراحة مطلب لا سبيل إليه فى الحياة ، وهى لا تكون إلا بالموت على أن هذه لا تعد راحة ما دام المرء لا يحسها ولا يدرك أنه مرتاح ، ولا يعرف حتى ما صار إليه ، والاستقرار كذلك عسير لأن حياتك كلها قوامها التحول والتغير ، وجسمك ونفسك وخواطرك وآمالك وشهواتك وكل ما فيك أو لك يتغير ، فكيف بالله يكون هذا الاستقرار ؟ وأين السبيل إليه ؟ » .

قال : « إنما أعنى الراحة النسبية والاستقرار بالقياس إلى حياة العزوبة والوحدة » .

قلت : « ولا هذه أيضاً . إن الزواج ليس أداة لراحة ولا وسيلة لاستقرار أو غير ذلك مما تتوهم ، وإنما هو نظام . فاذا كان يوافقك أن تحيا فى ظل هذا النظام فتفضل وأهلا بك وسهلا ، ولكن يجب حينئذ ، أن تعرف أن له مقتضيات وأن توطن نفسك على الاذعان لها واحتمالها ، كما يخضع الجند للنظام العسكرى ، ولم يقل أحد ان الجندية سبيل لراحة أو استقرار أو لذة ، أو غير ذلك مما يجرى هذا المجرى . وإنما هى نظام تقتضيه حياة الجماعة . وكل جندى يقول لنا إنه نظام شاق عسير ثقيل الوطاة ، ولكنه لازم ولابد منه . والفرق بين الزواج والجندية أن الجندى يعلم أنه داخل فى نظام لالذة فيه ولا متعة له منه ، وأنه سيلقى عناء ويكابد متاعب ، وأنه معرض للجلد له والسجن ، بل للموت حتى من غير حرب ولكن طالب الزواج يمنى نفسه الأمانى المستحيلة فيلقى خلاف ما كان يقدر ،

ولو أنه وطن نفسه ـ كما يفعل الجندى ـ على التعب والنصب ووجع القلب ومعاناة المنغصات إلى آخر ذلك لسعد بالزواج ، ولفاز منه بلذات كثيرة ونعم جزيلة ومتع يضن بها على النسيان .

وقد ذكرت الجندية على سبيل التمثيل ، ولكن للجندية علاقة وثيقة بالزواج ، لأن الزواج غايته تنظيم أمور النسل اللازم للجماعة ، أى مد الجماعة بالعدد الكافى من الأفراد للقيام بأعباء حياتها ، فهو نظام تمهيدى للجندية . وأنا أستعمل الجندية هنا بالمعنى الأعم الأشمل ، وأعنى كل فرد لا الذين يحملون السلاح ويسيرون إلى القتال حين يدعون إلى ذلك ـ لا أعنى هؤلاء وحدهم ، فإن كل جندى للجماعة وإن لم يحمل سيفاً ولم يتقلد رمحاً ، إذا كان قد بقى فى عصرنا هذا من يتقلد رماحاً . والواجب على كل حال أن يدرك المرء أنه بالزواج يكون كالذى يعمل فى شركة ، وللعمل نظامه . والعمل لا تطلب منه اللذة بل الثمرة ،والعمل لا يفيد الراحة بل التعب ، ولا آخر للتعب ما دامت الشركة قائمة تعمل وتؤدى ما هو منتظر منها . نعم يستطيع المرء أن يفوز بإجازة ، ولكن هذا ميسور فى نظام الزواج : خذ إجازة كلما شعرت أنك تعبت ، وامنح زوجتك مثل ذلك كلما بدا لك أن أعصابها كلت » .

فعجب وسألنى : « كيف ذلك .. ؟ إن هذا مزاح » .

فأكدت له أنى جاد ، وقلت : « إنى أعيش مع زوجتى كأنا صديقان ، وليس يسعنى أن أفعل غير ذلك ، لأنها إنسان مثلى ولها حياتها المستقلة عن حياتى وإن كنا متعايشين تحت سقف واحد . وأنا أحرص فى حياتى ومعها على الاعتراف بهذا الوجود المستقل فلا أحاول أن أفنى وجودها هذا وأجعله يغيب فى وجودى ، ولو تيسر لى هذا لما كان لى فيه أى لذة لأنى خليق أن أشعر حينئذ أنى أعايش آلة لا إنساناً محساً مدركاً يبادلنى ما يسرنى أن أراه يبادلنى إياه من العواطف والاحساسات والخوالج . ولو أفنيت شخصيتها فى شخصيتى لانحطت فى نظرى إلى منزلة الخدم الذين تطعمهم وتنقدهم أجرهم على أن يفعلوا ما تريد ولا يجاوزوا مشيئتك . وليست زوجتى خادماً ولا آلة وإنما هى رفيق حياة ، أى صديق معين ولست أقول هذا تملقاً أو نفاقاً بل أقوله لأنى لا أفهم معنى للزواج غير ذلك . كلا لست أحاول أن أغلب إرادتى على إرادتها لأنى لا أحس حاجة إلى ذلك ، وسبيلى التفاهم لا الاكراه ، وأرادتى أبلغ بهذا ما لا أبلغ بالقوة والضغط . ومطلبى ما هو أوفق لكلينا ، لا ما هو أوفق لى وحدى ، فإن الشركة لا تصلح بهذا الاستئثار ، والزواج شركة على التحقيق ، ولا يحسب أحد أن الرجل يضع فى هذه الشركة أكثر مما تضع المرأة ، وأنه لهذا مغبون فيها ، فإن هذا خطأ ، فليس السعى للرزق كل ما تقتضيه هذه الشركة ، وإن المرأة لتبذل حياتها كلها لا جهدها لإنجاح الشركة ، وحسبها الحمل والوضع . ولو أمكن أن يحمل الرجل لأمكن أن يدرك هو ما تتحمل المرأة فى سبيل هذه الشركة : ولكنه لا يحمل مع الأسف ، فهو فى الغالب لا يستطيع أن يقدر نصيب المرأة وما يكلفها الزواج وما يعرضها له ولا كيف تضحى بها الحياة لتملأ الدنيا بمثلى ومثله ممن لا يستحقون هـــذه التضحية » .

فترك هذا وقال : « ولكن ألا يجب أن يكون للبيت سيد ... إن المركب يغرق إذا كان له رئيسان » .

فقلت : « آه .. حكاية التركى الذى



الزواج ..

جرد سيفه ليلة الزفاف وأطار به عنق القطة ليرهب الزوجة المسكينة .. لا ياسيدى .. ليس الأمر أمر سيد أو سيدة ، فما ثم محل لذلك . وأين محل هذا ولكل من الرجل والمرأة عمل ؟ واصدقك فاقول إنى لا أدرى كيف يمكن أن تجور المرأة على الرجل أو يجور الرجل على المرأة . أخل ذهنك من كل فكرة عن السيادة وأخل لها ذهنها أيضاً .. تفاهما معاً .. هى لها عملها وواجباتها التى لا تستطيع ـ حتى اذا أرادت ـ أن تشاركها فيها ، وأنت لك عملك وواجباتك التى يعييها أن تشاركك فيها ، وكل منكما يمضى بعد ذلك فى طريقه لينهض باعبائه الموكولة إليه . فاين يكون الاختلاط والاحتكاك والخلاف ؟ وإذا حدث خلاف فلماذا لا يكون بالحسنى .. » .

قال : « والغيرة .. أليست بلاء ؟ » .

قلت : طبعاً .. والرجل أيضاً يغار .. أليس هذا بلاء ؟ .. فلماذا لا تضع نفسك فى موضع المرأة وتنظر إلى الأمور من ناحيتها هى أيضاً .. ؟ صحيح أن المرأة أسرع إلى الغيرة من الرجل وأن غيرتها أحمى ، فبلاؤها لهذا أعظم ، ولكن هذه طبيعتها ولا حيلة لها فى ذلك لأن الغريزة الجنسية فى المرأة اقوى منها فى الرجل إذ كانت هى مدار حياتها ثم إن الواحد منا يتقبل أصدقاءه على علاتهم ويحتمل أمزجتهم التى تخالف مزاجه ، ويوفق بين رغباته ورغباتهم ـ وما أكثر ما تتباين ـ ويظل مع ذلك صديقهم ويظلون هم أصدقاؤه فلماذا لا يكون هذا حال الزوجين .. ؟ لماذا لا يحتمل منهما الآخر على العلات وهما بذلك أولى من الصديقين .. ؟ المسألة يا أخى أن الرجل يريد أن يسود ، وأن المرأة تريد أن تتحكم ، لأن هذا هو « المودة » الجديدة . ولو تركا هذا وأهملاه فنزل الرجل عن الرأى الموروث فيما ينبغى أن تكون عليه علاقة الرجل بالمرأة ، وتركت هى ما تشير به «المودة» الحديثة من أن الست هى السيدة المطاعة والرجل هو التابع والخادم الذليل ـ لو تركا هذا وسارا فى الحياة سيرة شريكين متعاونين على إنجاح الشركة واحتمال متاعبها والصبر على بلاياها فى سبيل مزاياها وفائدتها لارتاحا جداً ونعما بالحياة الزوجية » .

فسألنى : « هل أنت سعيد ؟ » .

قلت : « إنى سعيد لأنى لا أطلب من الزواج سعادة ، ولو كنت أطلبها لشقيت على التحقيق ، وقد تزوجت وأنا موطن نفسى على أن هذا واجب أؤديه كما أؤدى واجبي بالعمل فى الصحافة وبالاشتغال بالأدب ـ واجب والسلام . فاذا فزت بمتعة فهذا فضل من الله . وإذا فاتنى ذلك فما كنت أطمع فيه أو أرجوه . وقد أدخلت هذا فى رأس زوجتى فهى تفهمه حق الفهم ، وقد كان على أن أفهمها هذا فى أول الأمر لأنى أردت من البداية أن أجنب سبيل الاخفاق . وقد أفلحت ولله الحمد والشكر ، فاذا حدثتك نفسك بالزواج مرة أخرى فاصنع هذا » .

فصاح : « أنا ... أعوذ بالله ياشيخ!»

فقلت : « أرانى لم أوفق إلى إقناعك .. لا بأس .. المسألة فى الحقيقة مرجعها إلى الاستعداد ، ولو شئت لقلت إلى العقل والحكمة وسعة الصدر ورحابة أفق النفس » .

فقال : « متشكر يا سيدى » .

فعلمت أنه غضب . ومع ذلك ماذا قلت .. إني لم أزد على إبداء رأى ، فاذا كان لا يحتمل هذا بل يعده تعريضاً شخصياً به فلا غرابة إذا كان قد أخفق فى زواجه .

ابراهيم عبد القادر المازنى

١٩٣٧

ألغام الدكتور ماغنس

بقلم : نجائي صدقي

كان سكان حى وادى الجوز فى القدس مستسلمين إلى نوم عميق بعد يوم من العمل الشاق فى سبيل المعاش ، وكانت الساعة تشير وقتئذ إلى الثانية بعد منتصف الليل .. فاذا وقفت فى غرفتى فى تلك الساعة وتطلعت من نافذتها الشرقية مخترقاً بنظرك ظلام الليل الحالك ، ارتسم أمامك جبل الزيتون ، وقد قامت عليه أشباح عمارات الجامعة العبرية ، ومستشفى هداسا ، وهى تغتسل بالفحم السائل ..

ثم إذا لقيت بنظرك إلى يمين الجبل رأيت هناك قسماً من بيوت قرية الطور وهى أيضاً تغط فى نوم عميق هادىء ، لكنها آثرت أن تبقى بعض الأضواء هنا وهناك تحسباً للمفاجآت ، وكم تحمل هذه المفاجآت فى طياتها من جرائم مشبعة بالخسة والنذالة . وكنت أنا ساعتئذ فى جملة الناس المستغرقين فى نومهم ، أودع يوماً مضى واستقبل يوماً آتيا ، وإذا بى أستيقظ فجاءة على أزيز الرصاص ينطلق من جميع الأسلحة الآلية ، من (بون) و (ستن) و (طومسون) وبنادق انكليزية وكندية وفرنسية وألمانية ، يتخللها انفجارات مروعة تهتز لها أركان البيوت ، تمتزج مع أصوات نساء ورجال وصفارات ، فيتجاوب صداها فى الوادى الممتد من

محلة الشيخ جراح حتى ضريح العذراء مريم فتخيلت نفسى فى مدريد سنة ١٩٣٧ ! ..

كان المهاجمون جماعات من منظمة (الهاجانا) اليهود المرابطين فى الجامعة العبرية وهم خليط من التلامذة والعمال ، وبينهم عدد من الفتيات .. وقد اقتحموا أطراف الحى من ناحية الجبل مغتنمين فرصة خلو هذه الناحية من الحرس الوطنى تقريباً لأن السكان كانوا يعتقدون بأن الجامعة العبرية هى معهد عام وتربية وثقافة ، ويستحيل أن تصدر منها طلقة واحدة .

ومما يدل على قوة اعتقاد العرب هذا حوار جرى بينى وبين صاحب حانوت من أهل الحى ، وهو رجل امى ، سليم الطوية ، قلت له : أتظن أن الجامعة العبرية ستكون مصدر خطر على وادى الجوز والأحياء العربية المجاورة ؟

فقال : كلا يا أبا سعيد ، هذه دار علم ونحن لا نخشاها ، كما اننا لا نعتدى عليها .. وهى على الجملة فى حمى قوانين العالم !

وحدث أيضاً أن اعتقل الحرس الوطنى صحفياً يهودياً أمريكياً واقتاده إلى مقر قيادة مدينة القدس ، حيث أخذوا يحققون معه فقال فى دفاعه إننى من انصار الدكتور ما غنس عميد الجامعة العبرية .. وحزبنا يريد سلماً مع العرب . فافرجوا عنه مصحوباً بحرس ليوصله إلى الاحياء اليهودية .

وبلغ مسمعى حوالى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل أصوات آتية من وسط الوادى تقول بالعبرية : مهير . مهير كاديماً (*) !

واعقب تلك النداءات انفجار هائل شعرت معه أن دارنا قد تزحزحت عن مكانها ، ثم استمر تبادل إطلاق النار حامياً ، وكانت تصدر عن الأسلحة السريعة الطلقات انغام غريبة تشبه الخبط على الأبواب ، أو النقر على الزجاج ، أو الضرب على طبلة المسحر ... ثم تنفجر الغام الدكتور ماغنس وكانها قرع طبول تشترك فى هذا العزف الآثم .

وحين بلغت المعركة الليلة أوجها اقترب أحد المعتدين من كوخ منعزل تركه صاحبه ليساهم فى الدفاع عن الحى ، ولم يبق فيه سوى زوجة وستة أطفال ... ولما سمعت المراة حركة عند كوخها ظنت أن زوجها عاد ليتفقد أسرته فصرخت قائلة : من بالباب ؟ .. فاجابها المعتدى : يهوديم ، ثم سالها : أين زوجك ؟

قالت : خرج ، ولا ادرى إلى أين ، وليس فى البيت سواى وأطفالى ..

لعل القارىء يتصور أن المعتدى ابتعد عن الكوخ وسكانه الابرياء الآمنين ، غير أن الواقع كان على العكس من ذلك ، فانه وضع لغماً عند باب الكوخ ، وأشعل فتيله ، وأطلق ساقيه للريح ، ملبياً صوت قائده الذى يقول له من بعيد : بوهينا اتسخاق .. مهير (١) ! ... وبعد لحظات انفجر اللغم ، وقتلت المراة مع أربعة من أطفالها ، واستحال الكوخ إلى رماد .

أما الدكتور ماغنس فهو عميد الجامعة العبرية بالقدس ، فى حدود الخامسة والخمسين ، أمريكى الجنسية ، مديد القامة ، نحيف الجسم ، غائر العينين ، ذاهل النظرات ، وصاحب مائة مشروع ومشروع من أجل التقارب بين العرب واليهود .

استمرت المعركة حتى السادسة صباحاً ، فتطلعت إلى جهة الجامعة فرأيت أحد المعتدين يقذف النار من مدفع (برن) ، وقد نصبه فى صومعة الدكتور ماغنس ، وتقع هذه الصومعة فوق سطح فرع الانسانية التابع لكلية الآداب ! ..

وحوالى الساعة السابعة صباحاً هدات المعركة ، وهرع السكان إلى حيث يقع الكوخ المنسوف ، والأشلاء المبعثرة ، وكان بود المعتدين أن يغتنموا هذه الفترة الملائمة ، ويمطروا الحشد بوابل من الرصاص ، لو لم تتدخل السماء وتسدل ستاراً كثيفاً من الضباب على الجامعة العبرية لمدة نصف ساعة من الزمن .

ثم انقشع الضباب .. وانتشر الضياء .. وعرف العرب أمراً جديداً ، هو أن فى وسع العلم والجريمة أن يعيشا فى الجامعة العبرية تحت سقف واحد ! ..

نجاتي صدقى ــ ١٩٤٨



(*) السرعة .. السرعة .. وإلى الأمام .
(١) تعالى يا إسحاق على عجل .

جهاز تسجيل ذو ذاكرة



جهاز التسجيل ... والذاكرة

قد يبدو جهاز التسجيل والراديو الذي يظهر في الصورة جهازاً عادياً كل ما يميزه انه اكبر حجماً من المعتاد . ولكن بالتدقيق فيه يتضح انه ليس كذلك ، فهو مزود بلوحة مفاتيح منفصلة اشبه بمفاتيح البيانو كما يضم خانتين لتشغيل اشرطة التسجيل بدلا من خانة واحدة .

إلا أن هناك ابتكارات لا تظهر في شكله وإن كانت تميزه عن غيره من اجهزة الهاي فاي . إذ يضم ذاكرة كمبيوتر ودوائر لتسجيل الصوت بشكل رقمي وهو ما يجعله اقرب ما يكون لاستوديو موسيقي متحرك . حيث يستطيع الموسيقار تاليف وتسجيل الموسيقى باحدى طريقتين : أولا الطريقة التقليدية وهي أن يعزف اللحن مستخدماً مفاتيح البيانو وعددها ١٦ ، بينما يتم تسجيل اللحن على الشريط .

كما يستطيع بواسطة هذه المفاتيح برمجة عدد كبير من الأوامر الموسيقية يصل إلى ٣٤٠ نغمة موسيقية .

وتختزن هذه الالحان فى ذاكرة الكمبيوتر الموجود داخل الجهاز أو تسجل فى شكل اشارات رقمية مثل تلك المستخدمة فى اجهزة الكمبيوتر على شريط تسجيل عادي .

ويتميز التسجيل الرقمي للصوت بانه يختزل وقت التسجيل ، بمعنى أن الاغنية التى يتم تسجيلها في خمس دقائق لا تستغرق سوى عشرين ثانية .

كما يمكن بواسطة هذا الجهاز إضافة صدى كخلفية صوتية لبعض الأغنيات وإذا احتاج الأمر إلى الحصول على نسخة ثانية من الشريط يتم تشغيل الشريطين في آن واحد حيث يتم التسجيل فى نصف الوقت الحقيقي للشريط .

عيادة أسنان متنقلة



عيادة الأسنان المتنقلة

ابتكرت صناعة الأجهزة الطبية حقيبة تضم كل المعدات اللازمة لعيادة أسنان بحيث يمكن اصطحابها فى الطائرة أو وضعها فى حقيبة السيارة .

فهي وحدة متنقلة للعناية بالأسنان ، إذ لا يزيد وزنها عن ١٥ كيلوجراماً . وهو وزن ضئيل جداً بالمقارنة باجهزة عيادة طبيب الأسنان الضخمة مثل اجهزة الحفر والحشو الخ ..

وتتميز هذه الحقيبة الطبية بانها تعمل بالتيار العادي أو بالبطارية مما يجعلها مثالية بالنسبة للعمل في الريف فى البلدان النامية . كما انها مفيدة للغاية بالنسبة لمن لا تسمح لهم صحتهم بالذهاب إلى طبيب الأسنان .

النوافذ الشمسية



منظر الشرفة من الخارج حيث يبدو الشيش مغطى بالألواح الشمسية .

هناك إعلان يقول « افتحوا النوافذ لتحصلوا على مياه ساخنة طوال اليوم» وقد يبدو هذا الاعلان للوهلة الأولى غير منطقي ، فما هي العلاقة بين النافذة والمياه الساخنة ؟ .

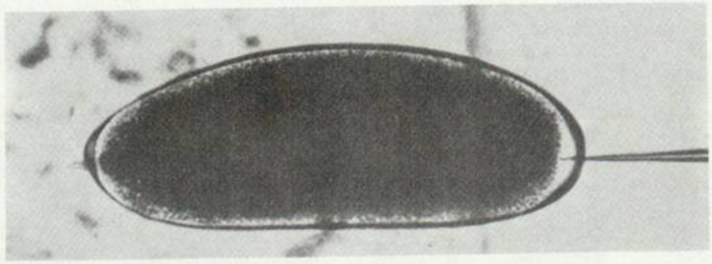
إلا أن هناك علاقة وثيقة ، فان شيش هذه النوافذ مغطى بخلايا شمسية تمتص الأشعة الحرارية للشمس طوال النهار لتستخدمها فى تسخين مياه المنزل . ولقد جهزت هذه الخلايا بحيث تناسب كافة أشكال النوافذ والأبواب ، إذ تبلغ مساحة هذه الألواح الشمسية متراً ونصف المتر في مترين وربع المتر .

ويفضل بالطبع تركيبها على النوافذ المطلة على الجهة الجنوبية لتكون معرضة لأطول فترة ممكنة للشمس .

ويبلغ سمك كل مصراع ١١ سنتيمتراً ، ويضم خلايا شمسية مساحتها واحد متر مربع في حين يبلغ ثقلها ٤٠ كيلوجراماً لكل متر مربع . وترتبط هذه النوافذ الشمسية بشبكة المياه الساخنة فى المنزل .

ولا تتعرض الخلايا الشمسية للجو الخارجي إلا نهاراً ، أي عندما يكون الشيش مفتوحاً ، إذ يقلل من الفقد الحراري .

أول عملية زرع للعوامل الوراثية



حقن جنين الذبابة بواسطة الابر الميكروسكوبية لزرع الجينات في موضع تكوين الخلايا الجنينية .

نجحت أول عملية زرع للجينات فى الكائنات الحية . وهي حقيقة أقرب للخيال ، إذ يعني ذلك تغيير الصفات الوراثية للكائن الحي لأجيال مقبلة . فمن المعروف أن الجينات هي العوامل الوراثية التى تنتقل من جيل الى اخر .

ولا يقلل من أهمية هذا الحدث أن العملية اجريت لذبابة بهدف تغيير لون عينيها . فان نجاح مثل هذه العملية لزرع الجينات الموجودة داخل نواة الخلية ، تفتح باب التجربة على مصراعيه من أجل تكرار العملية نفسها على حيوانات أرقى . ولا غرابـــة إذا طالعتنا الصحف خلال سنوات قلائل بخبر نجاح أول عملية زرع للجينات فى الانسان .

وتعتمد التجربة على استخدام اجزاء من الحامض النووي أي أجزاء من المعلومات الوراثية التى تتضمنها الكروموسومات .

ولقد أجريت العملية بواسطة إبر ميكروسكوبية كما يتضح من الصورة بحيث ادخلت هذه الجينات إلى أجنة الذباب التى لا يزيد طولها عن نصف ملليمتر ، والتحمت هذه الجينات المزروعة بكروموسومات الجنين ، وغيرت بالفعل من الصفات الوراثية لجيل الذباب الجديد . ويرجع السبب فى اختيار العلماء الامريكيين ـ الذين أجروا هذه العملية الفريدة ـ للذبابة إلى سرعة توالدها مما يتيح متابعة التغييرات فى الصفات الوراثية .

وتوالى مراكز البحث تجاربها من أجل الانتقال إلى حيوانات أكثر تطوراً فى انتظار دور الانسان .

صور فوتوغرافية مجسمة



هـــذه الكاميرا تلتـقط صـورة مجسمـــة !

يشهد مجال التصوير الفوتوغرافي تطوراً جديداً . فبعد الصور الفورية ، تاتي الصور المجسمة . فهذه الكاميرا بالرغم من مظهرها العادي ، تلتقط صوراً مجسمة ، إذ تضم اربع عدسات تكون كل منها صورة على فيلم عادي مقاس ٣٥ ملليمتر ولا تختلف خطوات التقاط الصورة عن أية كاميرا اتوماتيكية. كما أن عمليات معالجة الفيلم بعد التصوير ليس فيها أي تجديد . اما فى مرحلة طبع الصورة السلبية ، فالأمر يختلف . إذ يوجد جهاز خاص يقوم بتقسيم الصور الأربع إلى شرائح يمزجها ثم يطبعها لكي تعطي صورة سلبية ملونة . ثم تلصق على الصورة شبكة من العدسات الشفافة بحيث لا ترى كل عين إلا الأجزاء الموجهة إليها ، ومن ثم ليكونان معـاً الصورة المجسمة .

الابصار فى الظلام

لم يعد الظلام عائقاً للرؤية . ففى الامكان من الآن فصاعدا الابصار في الظلام ، بل والتصوير أيضاً . وذلك بفضل مكبرات للضوء تعمل على تكبير أية طاقة ضوئية مهما كانت ضعيفة ٢٠ الف مرة .

ويكفي لذلك شعاع القمر أو أضواء المدينة الآتية من بعد بل أن ضوء عود الثقاب أو وهج سيجارة مشتعلة كاف لذلك . وبالتالي فان سائقي السيارات يستطيعون القيادة ليلا بيسر وأمان شريطة ارتداء نظارة مكبرة للطاقة الضوئية ولا يزيد وزن هذه النظارة عن ٧٠٠ جرام .

ولا خوف من الانطلاق بسرعة مائة كيلومتر فى الساعة فى الظلام الدامس ، إذ يبدو الطريق أمام قائد السيارة وكأنه مضاء بكشافات .

أما إذا استخدم مريض بالعشا الليلي نظارة مماثلة ، فان ذلك كفيل بمعالجة هذا العيب ليرى بوضوح ليلا.

ويعتمد عمل هذه النظارة على تحويل الضوء الضعيف المنبعث من الجسم إلى اليكترونات . وبما أن الاليكترونات عبارة عن جسيمات مشحونة يمكن العمل على زيادة سرعتها باستخدام مجال كهربي . وعندما تمر هذه الاليكترونات المتسارعة خلال قنوات زجاجية دقيقة داخل النظارة ، تولد نتيجة لتصادمها بجدار هذه القنـوات عدداً متزايداً مـــن الالكترونات التى يتم تحويلها مرة أخرى إلى ضوء ، وذلك بواسطة شاشة مثل المستخدمة فى أجهزة التليفزيون ، إلا أن الصورة المتكونة تكون درجة إضاءتها مكبرة عشرين الف مرة .

bقلم : رؤوف توفيق

غاندي .. على الشاشة

وقصة عشرين عاما .. مع الانتظار والاعتراضات

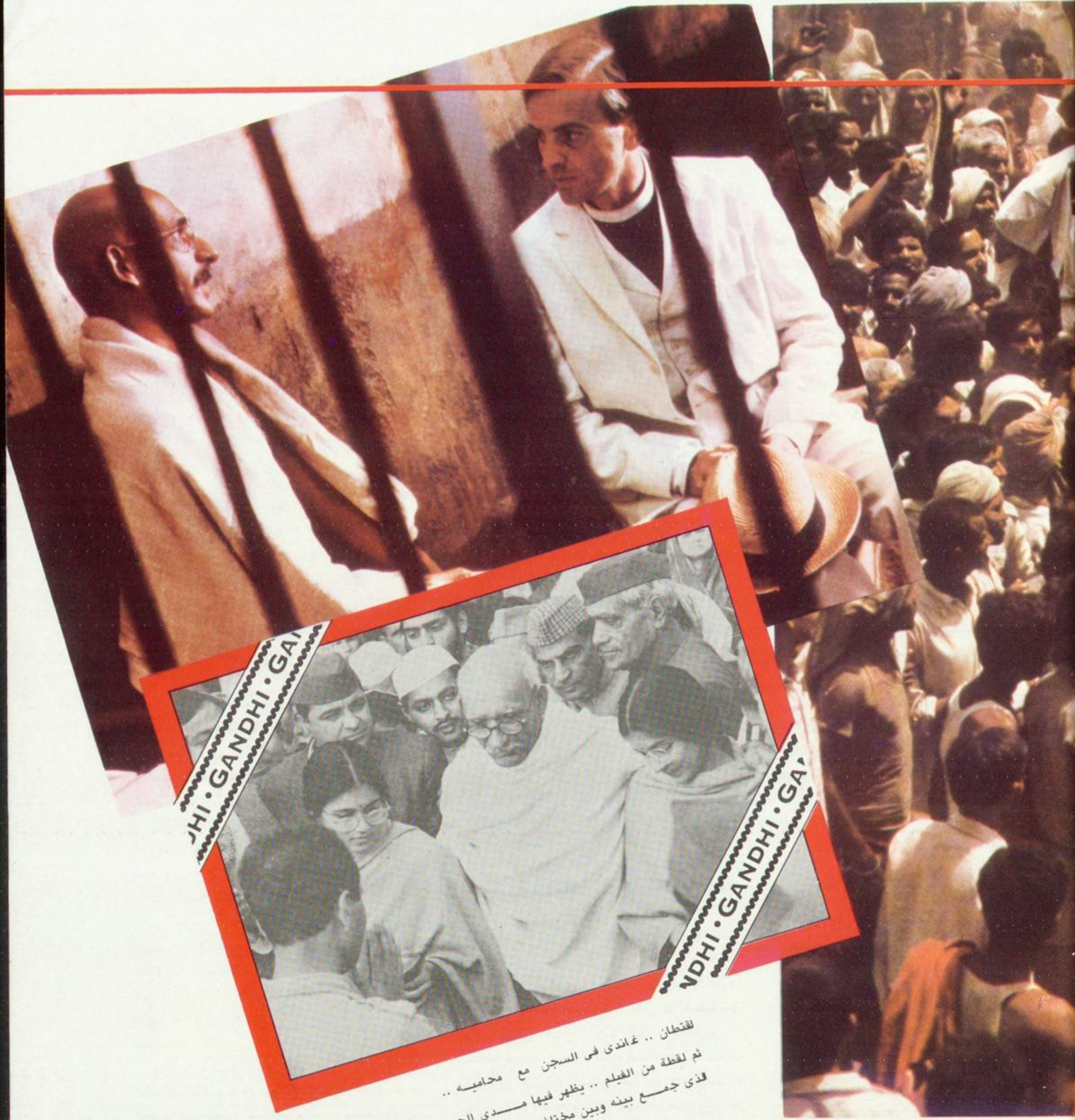


غاندى بين أبناء شعبه .. يهتفون له .. لقطة من الفيلم

بعد عشرين عاماً من الانتظـــــار ، والمحاولات المستميتة ، والاصرار .. خرج إلى العالم أخيراً فيلم « غاندى » ليصبح من أهم الأحداث الفنية فى الشـــــهرين الاخيرين .

ومفاجاة فيلم « غاندى » انه من خلال مستوى فنى متميز .. يعيد الى الأذهان ، معانى القوة بلا عنف .. والكرامـــــة بلا تنازلات .. واكتشاف الذات ، وتوحيد الصفوف فى مقاومة لا تعرف التخــــاذل ولا يدركها الوهن .. تلك المعانى التى كانت صلب رسالة غاندى ، وسحره الخاص .

والمفاجاة هنا .. فى جمهور السينما هذه الأيام .. وأغلبه فى سن الشباب .. انهم اكتشفوا غاندى .. أو عرفوه أكثر .. فالتفوا حول الفيلم وكانهم وجدوا فيه التعبير عن حلمهم بعالم مختلف .. وزعيم مختلف .. غَيَّرَ ما يعيشون فيه ، ويعانون منه كل يوم .. بين سباق رهيب للتسلح .. وعنف مدمر .. وسيطرة الآلة .. وفقـــدان الـــذات والاحساس المتزايد باللاقيمة .. حتى أصبح العقل الاليكترونى هو أهم شخصية لعام ٨٢ .. كما قدمته احدى المجـــلات الامريكية الكبرى !



لقطتان .. غاندى فى السجن مع محاميه ..
ثم لقطة من الفيلم .. يظهر فيها مدى الحب
الذى جمع بينه وبين مختلف طوائف الشعب

ومن هنا .. يجيء فيلم غاندى .. ليعزف لى الوتر المفقود .. وليحقق صدى ماهيرى غير متوقع .. حتى ان الفيلم طى تكاليفه التى تجاوزت ٢٢ مليون ولار ، فى ظرف ثلاثة أسابيع فقط من رضه فى امريكا وانجلترا .. وقبل ان عرض فى اليابان والهند وبقية الدول أوربية . !

ماذا يقدم الفيلم ؟

ويتعرض فيلم غاندى ـ على مدى ثلاث ساعات هى مدة عرضه ـ لحياة غاندى ، منذ أن كان يعمل بالمحاماة فى جنوب افريقيا ـ وكانت جزءاً من الامبراطورية البريطانية ـ وبدايات التفتح لخطر الاستعمار على أمته .. ومحاولات الانجليز لسحق الشخصية الهندية ، والثقافة الهندية ، واثارة التفرقة بين ابناء الشعب بأستخدام سلاح الدين والتعصب .. بدأ غاندى يوجه رسائله الى الشعب الهندى من خلال المؤتمرات التى كان يخطب فيها .. وأيضاً من خلال أصراره على عدم التعامل مع الانجليز .. حتى وصل الى قناعة بعدم ارتداء الملابس الأوربية ، واختيار قطعة من القماش الأبيض يتدثر بها ، والتى أصبحت رمزاً له فيما بعد .

سينما

غاندي.. على الشاشة

وقصة عشرين عاما.. مع الانتظار والاعتراضات



المخــرج « ســـــــير ريتشارد اتينبــــورو »



الممثل « بن كنجسلي » صــورة قبل الفيلم ..

ويركز الفيلم فى هذه البـــدايات على الحادثة التى أثرت فيه .. حينما ألقوا به من القطار فى جنوب أفريقيا ، عندما أصر على ان يستخدم حقه بالتذكرة التى دفـــع ثمنها بالجلوس فى عربة الدرجـــة الأولى بالقطار .. ولكنهم اجبروه على ان يجلس فى عربات الفقراء المخصصة للهنـــود والزنوج .. وحاول الاحتجاج مستخدماً منطقه كرجل قانون ، وأيضا كانسان له حقوق .. ولكنه اكتشف انه منطق مهزوم أمام تسلط الانجليز .. فبدأ يفكر فى وسائل تجميع الطبقات الفقيرة لاعلان صوتها ..

وتعرض للسجن عدة مرات .. وفى كل مرة يخرج من السجن تزداد شعبيته .

وبعد عشرين عاماً .. يعود الى الهند .. بلده وشعبه .. ليجد نفسه يستقبل كبطل .

كان هذا عام ١٩١٥ .. وفى هذه المرحلة يقدم الفيلم ، الواقع السياسى والاقتصادى للهند .. والدور الذى لعبه . غاندى فى المقاومة السلمية .. ورفع شعار عـــدم التعاون مع الانجليز ومقاطعة بضائعهم .. ودعوته لأن يصنع الهنود ملابســـــهم بانفسهم ..

ويبرز الفيلم هذه الجاذبية التى كانت لكلمات غاندى وتصرفاته .. وتاثيرهـــــا القوى فى جميع انحاء الهند .. وكيف كانت ثورته السلمية لها قدرة فائقة على تحريك الجماهير الى العمل ، وتخليصهم من الخوف .. مما شكل فى النهاية من ابناء الهند ، قوة ضاربة بسياسة عدم التعاون .. أدت الى إلحاق أكبر الضرر بالاقتصاد الانجليزى ، الذى كان يعتبر الهند مزرعة خاصة به ، وسوقاً تجارياً هائلا !!

ومن أجمل مشاهد الفيلم .. تلك المسيرة التى قادها غاندى مع ابناء شعبه لمسافة ٢٤٠ ميلا لجمع الملح من على شواطىء البحر .. مما أثار غضب الانجليز الذين كانوا يحتكرون محصول الملح !

مشهد الوداع المهيب

ويمضى الفيلم فى رحلته مع غاندى .. ليصور الصدام الذى وقع بين البوليس والفلاحين فى مدينة « شورا شورى » والذى انتهى بأحراق الجماهير لمركـــز البوليس بما فيه من جنود .. وكيف تطورت الأحداث بعد ذلك ليقدم غاندى الى المحاكمة ، ويصدر الحكم بسجنه سبع سنوات .. حتى تنتهى حياته باغتياله بثلاث رصاصات ، صوبها أحد الشبان الهندوس المتعصبين .. بينما كان غاندى يسير فى طريقه الى اجتماع الصلاة المسائى !

تم الاغتيال فى يناير ٤٨ .. بعد أن حصلت الهند على استقلالها قبل شهور قليلة .. وكان غاندى بمثابة روح الأمة وبطلها .. ومن هنا جاءت جنازته حدثاً فريداً .

حتى أن مخرج الفيلم عندما استعد لتصوير مشهد الجنازة .. كان قد خطط بان يتحرك فى حدود مائة ألف كومبارس .. ولكنه فوجىء بمجاميع هائلة من الشعب الهندى ، تندفع لتشارك من جديد فى جنازة غاندى .. حتى وصل عدد المشاركين الى أكثر من ربع مليون مواطن يذرفون الدموع الحقيقية !

وكان مشهداً لم يحلم به المخرج .. ولن يتكرر على الشاشة .

المذبحة الهندية .. والمذبحة الاسرائيلية

وقد استقبلت الصحافة الغربية هذا الفيلم اســـتقبالا حافلا .. حتى أن صحيفة « التايمز » اللندنية اطلقت على المخرج تعبير « المخرج الذى استطاع أن يتسلق قمة أفرست » .

وقد أثار كثير من النقاد العالميين .. مشهد المذبحة التى صورها الفيلم ، والتى كان قد قام بها الجنرال الانجليزى « ديار » ضد ١٥٠٠ رجل وامرأة وطفل فى منطقة « جاينا نوالا باج » الهندية .. وربط النقاد بين وحشية هذه المذبحة .. ووحشية المذبحة الاسرائيلية التى قاموا بها على أرض لبنان .. فكلاهما نقطة سوداء فى تاريخنا المعاصر .

وهكذا يفجر الفيلم أكثر من قضية . !

سرهذا الاصرار

ولم يكن أحـــد يتوقع أن يلاقى فيلم « غاندى » مثل هذا النجاح والاهتمام .. حتى أن مخرج الفيلم الذى قضى عشرين عاماً من حياته يحلم ويفكر ويخطط لهذا الفيلم .. قال فى مؤتمر صحفى قبل أن يبدأ التصوير ..

« هناك جهل شنيع بشخصية غاندى .. خصوصاً بين الشباب الذين يمثلون الكتلة الكبرى من مشاهدى السينما هذه الأيام .. انهم حتى لايعرفون أنه من الهند .. وبعضاً منهم يظن أنه والد انديرا غاندى .. إن هذا لشىء مرعب » !

وعندما سألوه وقتها « لماذا هذا الاصرار على اخراج فيلم غاندى رغم كل العقبات التى صادفتها خلال عشرين عاماً » ؟

قال بلهجة الواثق من نفسه : « كل ما فعلته فى حياتى من تمثيل أو انتاج أو اخراج كان بهدف أن أخرج فيلم غاندى » .

هذا الفنان .. هو المخرج الانجليزى « سير ريتشارد ايتنبورو » الذى يخطو الآن الى عامه الستين .. والذى يعتبر من أعمدة السينما الانجليزية .

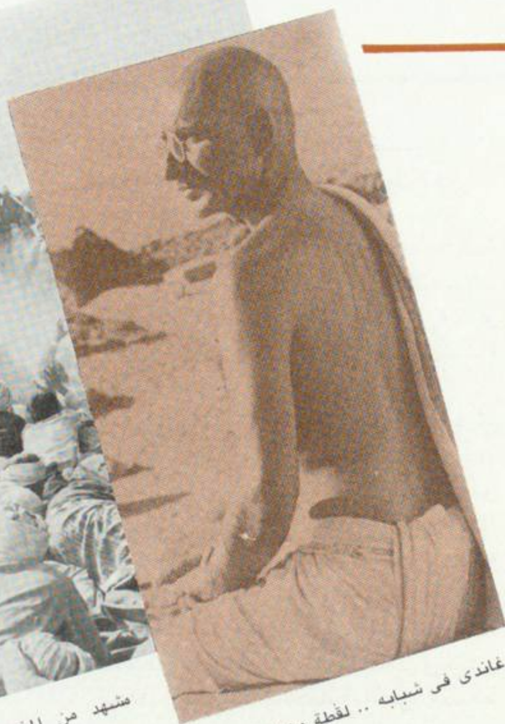
موافقة نهرو وأنديرا غاندى

وفيلم « غاندى » أشتركت فى انتاجه كل من انجلترا والهند .. وقد ساهمت الهند بمبلغ ٦,٥ مليون دولار ، قدمتها الشركة القومية للانتاج السينمائى الهندى ، على اساس أن تسترد هذا المبلغ من حصيلة ايرادات الفيلم .. وذلك لتدعيم صندوق الشركة ومساعدة المخرجين الهنود الشبان

ولولا موافقة السلطات الهندية على مشروع الفيلم .. ولولا المساهمة المالية



مشهد من المذبحة الوحشية التى قـام بهـا الانجليز وراح ضحيتها ١٥٠٠ هندى



غاندى فى شبابه .. لقطة من الفيلم

التى قدمتها الهند .. ما كان هذا الفيلم قد ظهر للوجود .. !

ذلك لأن تقديم شخصية غـاندى على الشاشة .. كان ومازال أمراً محفوفاً بالمشاكل والعقبات ..

وبالرغم من أن المخرج الانجليزى « ريتشارد اتينبورو » فى رحلته الطويلة لتنفيذ هذا الفيلم .. قد حصل على موافقـة « نهرو » على مشروع الفيلم ، واعلن وقتها نهرو أمام البرلمان الهندى « أن هذا المخرج الانجليزى ، صالح تماماً للقيام بهذا العمل » ..

ورغم أن « أنديرا غاندى » قد قرأت بالتفصيل سيناريو الفيلم .. حتى أنها بكت أمام بعض المشاهد المكتوبة على الورق – كما أعلن المخرج فى مؤتمر صحفى أخيراً – واقترحت أنديرا غاندى بعض الملاحظات الهامة على السيناريو .. كما أعلن المخرج أيضاً .. ومنها أن تكون زوجة غاندى كما يقدمها الفيلم ، اقل همساً فى حوارها ، وأكثر تحفظاً ووقاراً (وهى الزوجة التى تزوجها غاندى وكان عمر كل منهما وقت الزواج ، ثلاثة عشر عاماً ، واستمر هذا الزواج ستون عاماً ، انتهى باغتيال غاندى وكان قد أنجب هذا الزواج أربعة أبناء) .

يقول المخرج : « بفضل اقتراحات انديرا غاندى ، أمكننا التقدم باحداث الفيلم .. فنحن لا نقدم فيلماً تسجيلياً يغطى خمسين عاماً من حياة غاندى .. بل ان نكون صادقين مع أنفسنا ، فى أن يكون هدفنا من الفيلم هو تقديم فلسفة وروح غاندى » .

رغم كل هذه الموافقات الرسمية على مشروع الفيلم .. فان العديد من الصحف الهندية ، أثارت حملة من التشكيك والهجوم والانتقادات اللاذعة قبل تصـوير الفيلم .

اعتراضات الصحافة الهندية

بعض الاعتراضات أثارت قضية ان شخصية غاندى يجب الا تظهـــر على الشاشة أبداً .. من الممكن ان يكون فقط مجـرد صـــوت .. واقترح احـــدهم ان يستعاض عن تجسيد شخصية غاندى ، ببقعة ضوء ! .

اعتراضات أخرى فجرت مسألة كيف ان مخرجاً انجليزياً أجنبياً عن الهند .. يتناول شخصية هندية عظيمة .. ولجأت هذه الاعتراضات على استعداء الرأى العام ضد هذا المشروع ، ومطالبة الحكومـــة الهندية بالتدخل لمنع تنفيذ الفيلم .

وقد علق المخرج على هذه الاعتراضات قائلا : « أشعر بالحزن الشديد ، لأن كثيراً من المخرجين الهنود انتابهم القلق لقيامى باخراج هذا الفيلم .. ولكن لنتكلم بصراحة .. لقد أنقضى زمن طويل بعد وفاة غاندى .. ولم يتقدم أحد منهم ليصنع عنه فيلماً . بجانب اننى لم أطلب نقوداً من الدولة الهندية كاعانة أو هبة .. وانما قدمت كنوع من الاستثمار » .. واعتقد ان هذا الفيلم خطوة نحو الانتاج المشترك ، وتدعيم هذه السياسة السينمائية فى الهند .. وفى هذا فائدة للهند » .

وأثارت الاعتراضات فى الصحافة ، مسألة الاستعانة بممثلين من انجلترا وامريكا ، لتعلب الأدوار الرئيسية فى فيلم غاندى .. بالرغم من أن السينما الهندية التى تنتج سبعمائة فيلم فى العام ، مليئة بالمواهب الفنية والوجوه القادرة على التمثيل .

وكان قد تردد فى المراحل الأولى لتحضير الفيلم .. ان الأسماء المرشحة لتلعب دور غاندى .. كلها من النجـــوم الامريكية والانجليزية مثل البرت فينى – داستين هوفمان – انتونى هوبكنز – جون هيرت – روبرت دى نيرو .. حتى يستطيع الفيلم أن يجد سوقاً للعرض فى امريكا !

بل ان احدى شركات التوزيع الأمريكية .. أشترطت للمساهمة فى تمويل الفيلم ان يلعب « ريتشارد بيرتون » دور غاندى !!

ولكن المخرج – على حد أعترافه – لم يتخيل أحداً من هذه النجوم صالحاً للدور ، خصوصاً عندما يتصوره فى الملابس الفقيرة ، والعظام البارزة ، وهى السـمات الظاهرية المعروفة عن غاندى .. واقتنع تماماً بأنه لابد من أسناد الدور الى ممثل غير معروف .

وبعد بحث طويل .. ألقىَ به الحظ ، لكى يعثر على الممثل المسرحى الانجليزى « بن كنجسلى » والذى عمل لسنوات طويلة مع مسرحيات شكسبير .. ولكنه لم يصل الى مرتبة النجومية .. وان كان من أهم أسباب ترشيحه للدور ، انه من أصل هندى .. فجده الأكبر كان هندى الجنسية ، ولا يزال الممثل يحمل لقبه الهندى .

وقد كان أختيار « بن كنجسلى » لدور غاندى .. أختياراً فيه كثير من الاحساس الفنى وأيضاً الذكاء والدبلوماسية لارضاء الجمهور الهندى وتقليل حدة المعارضة التى قامت ضد فكرة الفيلم ..

صعوبات تمثيل شخصية غاندى

ونجح تماماً الممثل « بن كنجسلى » فى تقمص شخصية غاندى واعطائه كل اللمسات الخارجية الدالة على الشخصية .. وعرف كيف يدرب صوته على الكلام كما كان يتكلم غاندى ..

واعطى النقاد كل تقديراتهم العاليـة لهذا الممثل .. واعتبروا ان نجاحه فى هذا الدور الصعب ، دفع بمجموع الفيلم الى النجاح .

سينما

غاندي.. على الشاشة

وقصة عشرين عاما.. مع الانتظار والاعتراضات

ولكن كيف تقمص هذا الممثل ، شخصية غاندى ..

يقول : « من السـهل التعبير عن شخصيات شكسبير على المسرح .. وهناك اكثر من طريقة لذلك .. لكن ليس هناك غير طريقة واحدة للتعبير عن غاندى .. خصوصاً ان هناك ناساً كثيرين يعرفونه .. وهناك أيضاً الصور والأفلام التسجيلية التى تعرض كيف كان يتكلم ويضحك ويصمت .. انه من أصعب الشخصيات التى مثلتها فى حياتى ..انه يملك قدرة هائلة على النشاط والحركة ، وأيضاً عنده قدرة هائلة على الصمت والسكون » !

وعن كيفية استعداده لتمثيل الدور .. قال: انه بدأ بقراءة خمسة كتب مؤلفة عن غاندى .. ثم بدأ يتعمق فى كل ما كتبه غاندى بنفسه ، ويستمع الى تسجيلات بصوته .. وملأ جدران منزلة بصور غاندى .. وايضا اخذ يمارس « اليوجا » كل مساء وبنفس أسلوب غاندى .

وقد كانت أول مرة يزور فيها الهند ، مع بداية تصوير الفيلم .. يقول : « لقد أحببت الهند .. واكتشفت انه كانت لدى الكثير من الاعتقادات الخاطئة عنها .. خاصة هذا الاعتقاد بانها بلد صوفية غامضة كالألغاز .. فمثلا اليوجا ليست صوفية .. بل انها وسيلة عملية للحياة فى مجتمع التضخم السكانى .. ولقد كانت اليوجا هى وسيلتى الوحيدة للمقاومة والحياة امام قوة الضغط الهائلة والتركيز الشديد اثناء قيامى بتمثيل هذا الدور .. ومازلت مستمراً فى ممارسة اليوجا ، ربما تساعدنى على ان احافظ على نفس المستوى فى المرحلة القادمة » .

التحية التى تدير الرأس

وهذا الكلام للممثل « بن كنجسلى » يؤكد على علم بما ينتظره فى المرحلة القادمة .. حيث انتقل الى امريكا فى أكبر حملة دعاية وتناقلت وكالات الأنباء احاديثه وتصريحاته .. وعلى حد تعبير صحيفة « الجارديان » الانجليزية : « ان حجم التحية والأعجاب الذى انهمر على الممثل « بن كنجسلى » كاف لأن يدير رأس قديس » !!

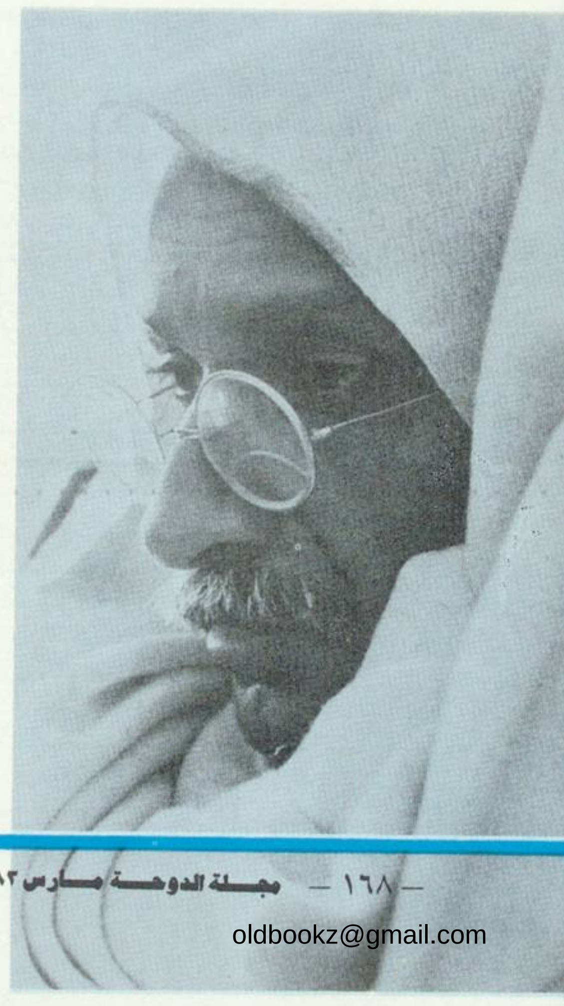
ولكنها بلاشك تحية لمن اتقن عمله .. فقد قال « بن كنجسلى » أثناء تصوير الفيلم انه شعر بانه يتخلى عن شخصيته تماماً ويدخل شخصية غاندى بكل أبعادها حتى انه شعر وكانه داخل طبقة من الجلد لا يتحرك فيها سوى حدقتى العين ..

كيف فهم غاندى . ؟ يقول الممثـــل : « غاندى .. عبقرى منح نعمة القدرة على الممارسة العملية .. مما جعله يعرف كيف يحول هذه العبقرية الى شىء مادى وملموس ونافع بشكل مباشر لكل من الفقراء والضائعين والجهلاء ، بنفس القدر لطبقة المثقفين والحكماء والعلماء .. وقد أفادتنى دراستى لشخصية غاندى فيما هو أكثر من مجرد تقديم شخصية فى فيلم .. فقـــد ساعدتنى فى توضيح وتحديد أهدافى» .

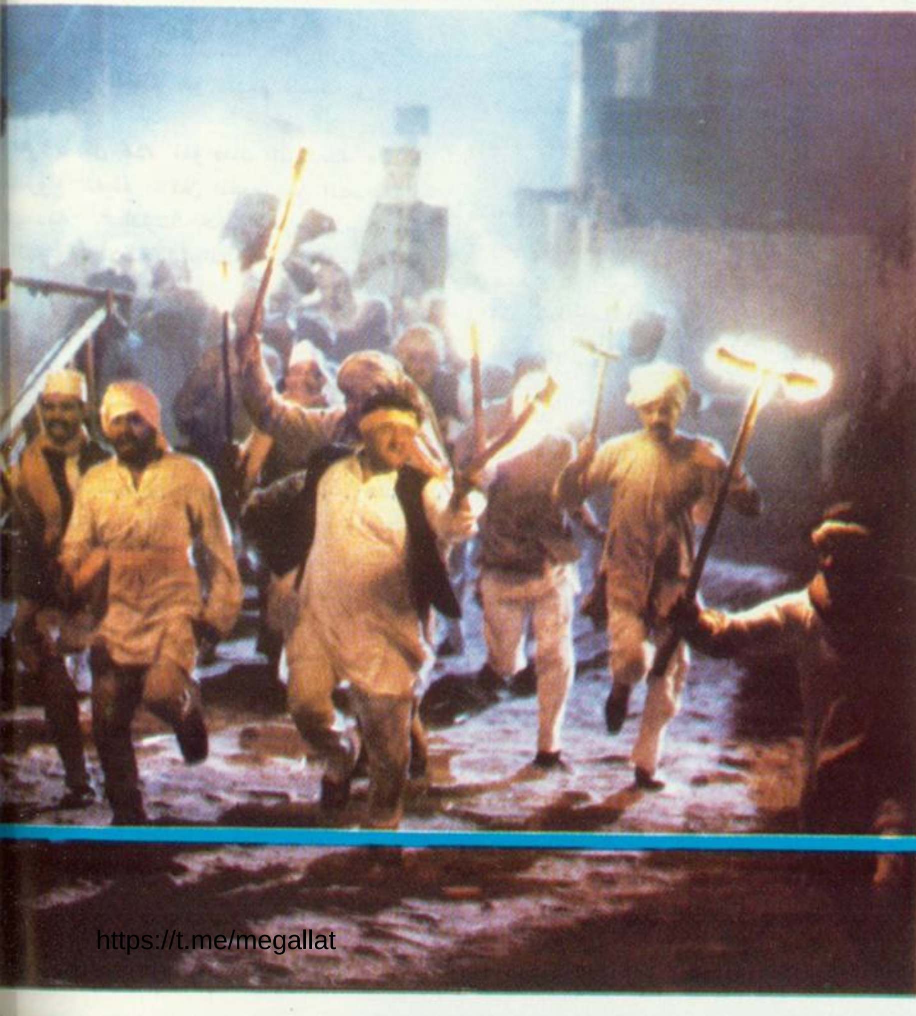
كيف خرج الفيلم الى النور ؟

وقد أستغرق تصوير الفيلم فى الهند ،

غاندى فى اخر أيامه .. صامتا متأملا ..



الفلاحون الهنود ، يحرقون مركز البوليس الانجليزى بما فيه من جنود



ما يقرب من ٢١ أسبوعاً بلا توقف .

ومن الطريف انه فى أول يوم تصوير ، وكان فى نوفمبر ٨٠ .. أقيم احتفال صغير قام فيه أحد رجال الدين فى الهند بالصلاة ليبارك تصوير الفيلم .

فقد كان المخرج « سير ريتشارد اتينبورو » لا يصدق ان حلمه أصبح حقيقة .. وانه فى موقع التصوير على الاراضى الهندية وبموافقة السلطات الهندية .. وامامه طاقم الممثلين والفنيين .. وتسانده ميزانية تسمح له بالعمل اللائق ..

انه عمر طويل .. منذ بدأ يفكر فى الفيلم عام ١٩٦٢ ، حينما قابل الكاتب الهندى « موتيلال كوتهارى » الذى قدم له ٤٨ صفحة مكتوبة عن غاندى .. قرأها .. واتخذ قراراً بان يخرج فيلماً عن غاندى ..

ولكن كيف يحصل على موافقة الهند ؟ . استعان بصديقه اللورد الانجليزى « لويس مونتباتن » ليلعب دور الوسيط بينه وبين « نهرو » رئيس وزراء الهند وقتها .

وعندما سمع الوسط الفنى بهذه الفكرة .. اعتبروها نكته .. واطلقوا على المخرج « اتينبورو » لقب المجنون !

ولكنه كان مصمماً على هدفه .. وبالفعل التقى بالرئيس نهرو وحضرت اللقاء ابنته انديرا غاندى .. وتمت الموافقة على المشروع المبدئى للفيلم ..

ومع وفاة نهرو فى ربيع ٦٤ .. تغيرت السلطة الحاكمة فى الهند .. وتوقف مشروع الفيلم .. وكان على المخرج ان يبحث عن عمل ، بعد ان وضع كل ما يملك رهناً للمشروع الذى يحلم به ..

فى هذه الفترة أشترك المخرج « اتينبورو » فى تمثيل ثلاثة افلام أمريكية .. منها فيلم « دكتور دوليتل » وعاد الى لندن ليجد ان صديقه الهندى كاتب السيناريو « كوتهارى » مريضاً جداً بقلبه ، ولا يعتقد انه سيعيش ليرى الفيلم .. وبالفعل مات عام ٧١ ..

وفى هذه الأثناء اخرج « اتينبورو » فيلم « يالها من حرب رائعة » واستقبل الفيلم استقبالا رائعاً ، وحصل على ١٦ جائزة دولية منها جائزة الاكاديمية البريطانية .. ثم اخرج فيلم « ونستون الصغير » عن ونستون تشرشل ..

ولم يغب فيلم غاندى عن باله ..

وبدأ الكاتب الانجليزى الشهير « روبرت بولت » يكتب له سيناريو الفيلم من جديد .. (وهو الكاتب الذى كتب سيناريو أفلام : لورانس العرب ـ دكتور زيفاجو ـ رجل لكل العصور ـ أبنة رايان) .

ويقول المخرج «اتينبورو» عن هذه الفترة « ان احلامي حلقت الى السماء وتهشمت على الأرض عشرات المرات » .. فقد اعتذر روبرت بولت بعد فترة طويلة عن الاستمرار فى كتابة السيناريو ، بسبب مرضه ..

وهكذا جاء كاتب السيناريو « جون بريلى » الذى وافق على الكتابة بشرط عدم الرجوع الى ما سبق وكتبه زملاؤه وان يبدأ من جديد .. واقترح ان يكون اسم الفيلم « غاندى » بعد ان كان الاسم السابق « الفقير العارى » وهو الأسم الذى اطلقه تشرشل على غاندى .!

وتنقل المخرج وكاتب السيناريو ما بين الهند ولندن بحثاً عن الموافقة والمساهمة فى التمويل .. حتى عادت انديرا غاندى للحكم فى ابريل عام ٨٠ .. وتمت الموافقة النهائية على مشروع الفيلم .

وبدأ اختيار الممثلين ومواقع التصوير .. وطاقم الفنيين ..

واستقر الرأى على اختيار « ادوارد فوكس » فى دور الجنرال الانجليزى داير .. والممثلة الامريكية « كانديس بيرجن » فى دور الصحفية المصورة التى رافقت غاندى فى بعض تنقلاته داخل الهند ..

واشترك فى التمثيل « ترفور هوارد » ـ « جون ميلز » ـ « مارتن شين » .. مع عدد من الممثلين الهنود منهم الممثلة « روهينى هاتا نجادى » التى لعبت دور زوجة غاندى .

وقام بالتصوير المصور الانجليزى الشهير « بيلى ويليامز » ـ وشارك فى التصوير المصور الانجليزى « رونى تايلور » .



غاندى فى مسيرته الطويلة .. لجمع الملح على شواطىء البحر .. والاستقبال الحافل فى كل قرية يمر بهـا

المخرج يؤلف كتباً عن غاندى

وربما كان لرحلة هذا المخرج مع فيلم غاندى دافع لأن تستغله دور النشر الامريكية .. فقد تعاقدت معه على نشر كتاب « فى البحث عن غاندى » يروى فيه قصة عشرين عاماً من الصراع لاخراج هذا الفيلم ..

وايضاً اشترك المخرج فى كتاب اخر بعنوان « حياة غاندى بالصور » سيصدر خلال هذا العام ، متضمناً ١٥٠ صورة من أرشيف غاندى بالمقارنة مع صور من فيلم غاندى .!

وكان المخرج قد أصدر كتاباً فى العام الماضى بعنوان « كلمات من غاندى » عبارة عن مختارات من كتابات غاندى اختارها وقدم لها المخرج .

● ●

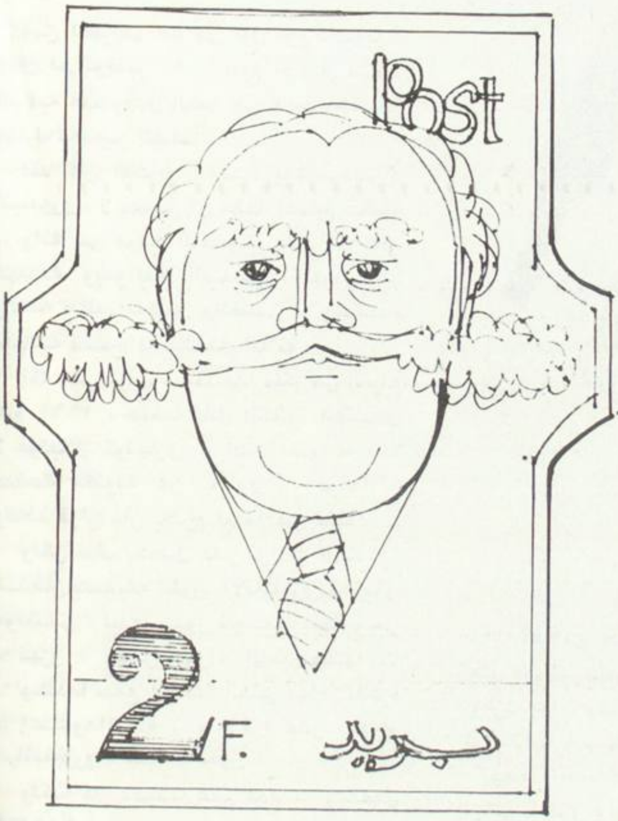
وهكذا يعود غاندى فى عام ٨٣ وسط احتفال فنى وثقافى .. ومهما كانت براعة الفيلم فى تقديم حياة غاندى .. الا ان الضجة المثارة حوله حالياً .. تؤكد بلاشك مدى الشوق والتعطش العالمى للبحث عن قائد ومعلم صادق وبسيط .. يعيد التوازن بين العقل والقوة .. وينتصر للانسان فى سباق الآلة الرهيب !

« رءوف توفيق »

ضحكات الشهر



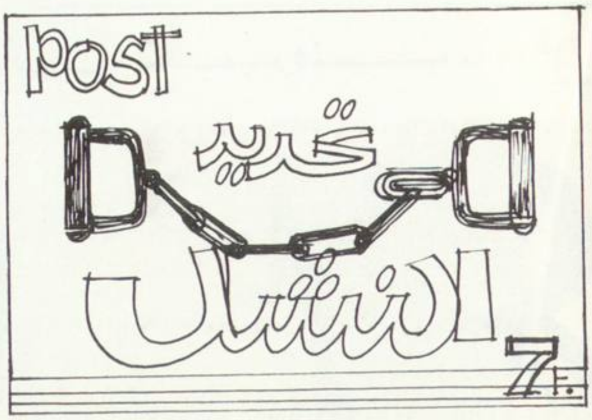
طوابع البريد



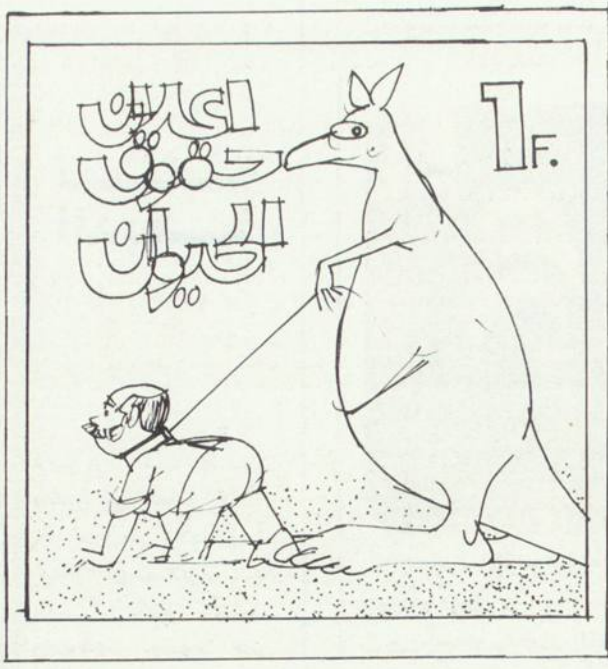


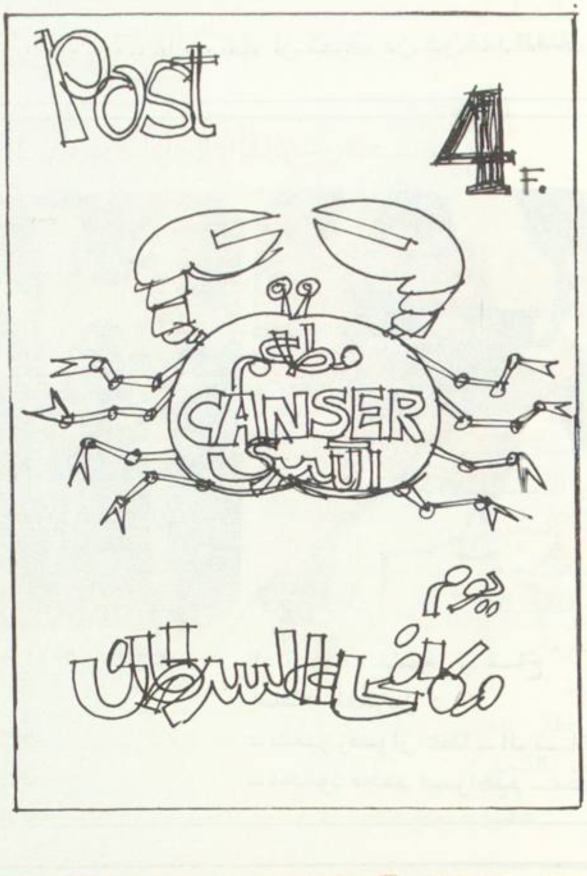



Post
J
4 F.
يوم


Post
تحرير
7 F.


5 F. *


1 F.
اعلان
حقوق
الحيوان


Post
4 F.
CANSER
يوم
مكافحة السرطان

دوحة القراء



حاول أن تعرف ..



مصلح أجتماعي ، حارب الجهل والتخلف بأسلوب علمي أخلاقي ، اشتهر بدفاعه عن المرأة العربية رغم أنه من أصل كردي ، وأصدر كتاباً أثار جدلا عنيفاً ، كما اشترك فى تأسيس الجامعة المصرية عام ١٩٠٧م .. من هو هذا المصلح ؟ وما اسم كتابه الشهير .؟

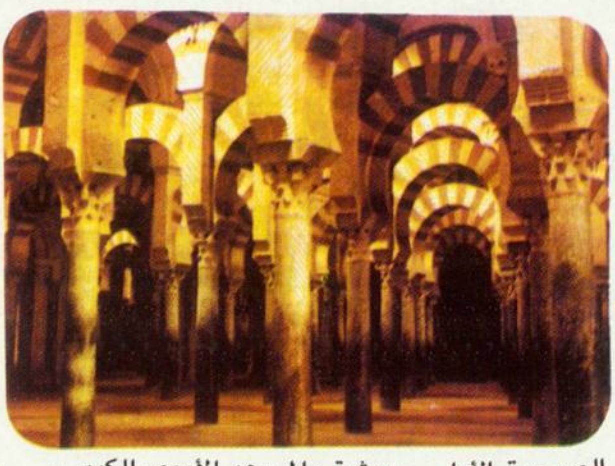


هذه اللوحة من مقتنيات متحف الفن الحديث بروما ، رسمها فنان فرنسي سريالي ولد عام ١٨٩٣ ، وأمضى فترة طويلة فى التدريب ببرشلونة ثم استقر بباريس ابتداء من عام ١٩١٩ . وقد اشتهر بتقليده لرسوم الأطفال .

.. هل يمكنك أن تعرف من هو هذا الفنان ؟

مسابقة الدوحة

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٨٥



الصورة الأولى ـ دمشق والمسجد الأموي الكبير .

أسماء الفائزين :

ـ صلاح الدين عبد اللطيف ـ الدوحة
ـ فاطمة يوسف الشبعان ـ البحرين



الصورة الثانية ـ بلخ

أسماء الفائزين :

ـ سمير رضوان عطا ـ الرياض
ـ محمود محمد ابراهيم ـ مصر

يرجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجي أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

كيف وصفوا الفيل؟



وصف العرب الفيل وصفاً طريفاً يلفت النظر . فقال أحدهم «لا ظهر فيركب ، ولا ضرع فيحلب» .. وقال آخر: هذا هو الفيل الذي يبدو العجيب لنابه ، ليل قد افترس النهار فبان في أنيابه .. وفى هذا المعنى يقول شاعر آخر :

يا حبذا الفيل الذى شاهدته
وشهدت منه ما نمى لي ذكره
فكأنه وكأن أبيض نابه
ليل تبلج للنواظر فجره

مؤيد الكيلانى ــ اللاذقية

الجاحظ والنحو



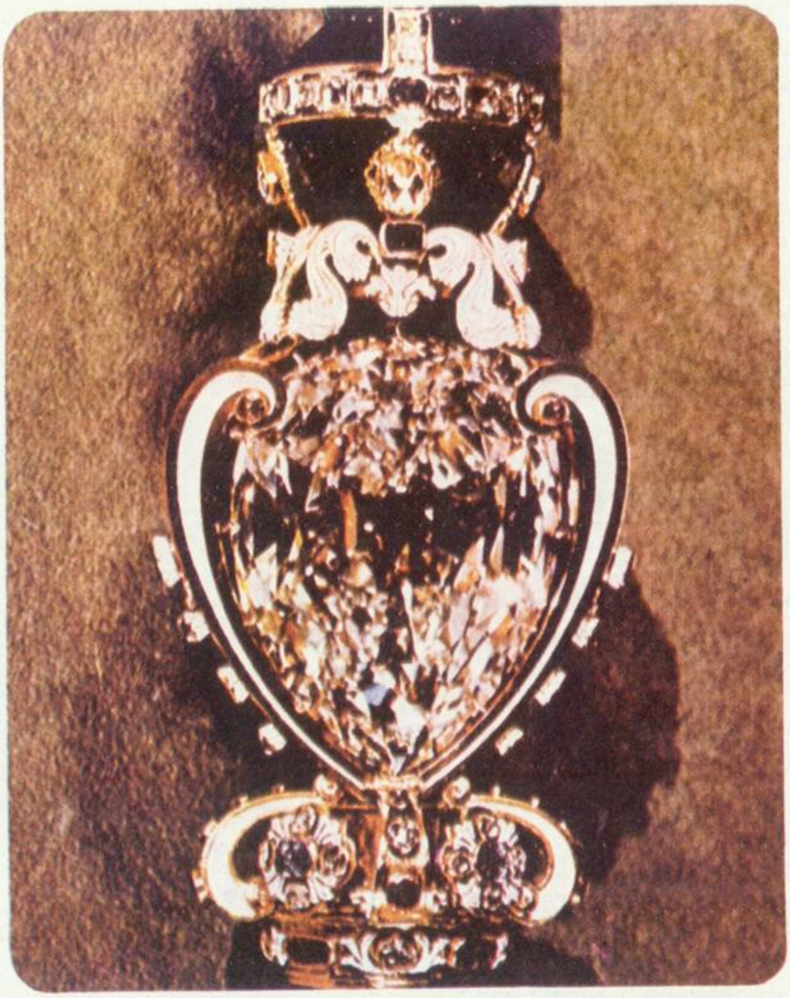
قال الجاحظ : كنت جالساً مع أحد الأصدقاء ببغداد فاقترب منى أبو العباس أحمد بن محيي، وكان من أئمة النحو فى عصره ، فسألنى : الظبى معرفة أم نكرة يا جاحظ ؟ ..

فقلت له إن كان مشوياً على المائدة فمعرفة ، وإن كان فى الصحراء فهو نكرة !

فقال العباس : ما فى الدنيا أعرف منك بالنحو ! .

منى سيد عبد الله ــ القاهرة

لقطة الشهر



أكبر ماسة مصقولة فى العالم ، موجودة فى التاج البريطاني ، وقد اكتشفت عام ١٩٠٥ ، وتم تشكيلها بالصورة التى تراها هنا ! .

بلاغة صبي !

مر البحتري بجماعة من الشعراء .. فرأى بينهم صبياً ، فقال له : أشاعر أنت ؟ .

قال الصبي : نعم .. وإنني لأشعر منك !

قال البحتري : مرحى .. هل تستطيع أن تجيز قولي : ليت ما بين من أحب وبيني .

قال الصبي : أتريد أن تقربه أم تبعده ؟

قال البحتري : أقربه .

رد الصبي : ليت ما بين من أحب وبيني
مثل ما بين حاجبي وعيني .

فطرب البحتري وقال : وإذا كنت أريد أن أبعده . فماذا تقول ؟

قال الصبي : ليت ما بين من أحب وبيني
مثل ما بين ملتقى الخافقين

د. رضا ابراهيم
مصر



دوحة القراء

؟؟

مسابقة الدوحة

؟؟

مَن ؟

مفكر عالمي انتهى به المطاف بعد رحلة شاقة طويلة فى عالم الفكر وبحار الأيديولوجيات إلى اعتناق الاسلام والمناداة بانه المخرج الأوحد للانسانية المعاصرة من معاناتها . اسمه الأصلي من كلمتين في احد عشر حرفاً :

٤ ـ ١ ـ ٩ ـ ١١ يسقى

٥ ـ ٢ ـ ١٠ ـ ٦ مركب للسيدات يوضع على البعير .

٧ ـ ٣ ـ ٨ ثـواب

أين ؟

الوطن الأصلي لذلك المفكر الاسلامي الكبير اسمه من خمسة أحرف :

٢ ـ ٤ ـ ٥ استقر على الشاطىء

١ ـ ٣ واحد الفنون

مـا ؟

الفكرة التي يعتبرها ذلك المفكر الكبير من أعدى أعداء الانسانية وأشدها خطراً على الفكر الانساني . أسمها من تسعة أحرف :

٥ ـ ٣ ـ ٦ ـ ٧ يحـفظ

٤ ـ ٢ حـرف استفهام

١ ـ ٨ ـ ١ ـ ٩ من كلام الله تعالى .

الإجـابـة الصحيحـة

١) القرية التى ولد فيها سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام تقع في فلسطين ، وتعتبر من ضواحي القدس الشريف ، واسمها : بيت جالا ـ بيت ساحور ـ بيت صفاف ـ بيت لحـم .

٢) ثلاث من الجزر الآتية تقع شرق أفريقيا : الكوموروس ـ مدغشـقر ـ موريشيوس ـ البليار ـ أسنسيون ـ سـانت هيلانـة

٣) أكثر الغازات في الغلاف الجوي للأرض هو : النوشادر ـ ثاني أكسيد الكـربون ـ الأزوت ـ الأوكسـجين .

٤) أكتشف الانسان صناعة الفخار منذ العصر الحجري باحراق : الطين ـ الحجر الجيري ـ الجرانيت ـ رمل الكثبان ـ الفحم الحجري .

٥) « بعض حيوانات الصحراء لا تشرب الماء أبداً بل تصنعه فى أجسامها بتوحيد الايدروجين مـع الأوكسجين » هل هذه العبارة صحيحة علمياً ؟؟ .

٦) عدسة العين البشرية : محدبة ـ مقعرة الوجهين ـ مسـطحة ـ كروية .

٧) مكر مفر مقبل مدبر معاً

أكمل هذا البيت وانسبه إلى قائله ، واذكر فيم قاله ومن أي بحور الشعر هو ؟؟

٨) ثلاث من القبائل التالية من الهنود الحمر سكان الأمريكتين الأصليين الذين أباد معظمهـم الغزو الأوربي الاستيطاني منـذ القرن ١٥م .

الأزتيك ـ الزولو ـ البشمـان ـ الانكا ـ المـايا ـ البشارية .

٩) الملكة حتشبسوت كانت حاكمة للمملكة :

البابلية ـ التدمرية ـ المصريـة ـ الكنعانية ـ الحميرية .

١٠) نقول عواء الذئب ، ونباح الكلب ، ورغاء الابل ، وخوار : البلابل ـ الحمائم ـ الأبقـار ـ التيوس .

حل مسـابقـة العـدد ٨٥

ـ أحمد عرابى ـ التل الكبير ـ الكتابة .

الاجابة الصحيحة

١ ـ شمال غربى .

٢ ـ ١٨٨٨ .

٣ ـ صحيحة علمياً لأن الماس يتكون من عنصر الفحم أو الكربون .

٤ ـ قائله أبو العلاء المعرى ـ القرن السابع .

٥ ـ أربع مرات .

٦ ـ الأحمر ـ الأصفر ـ الأخضر ـ البنفسجي .

٧ ـ ابن هشام الأنصارى .

٨ ـ قطر .

٩ ـ الباذنجانيـة

١٠ـ الكنعانيـون .

أسماء الفائزين في مسابقـة

١ ـ اصل وصورة ● الحل : عند العسكرى : خصلة شعر ـ خفة الحاجبين ـ ثقل الشارب ـ عند الحرامى : سنه فى الفك السفلى ـ نقطة العين أكبر ـ وجود مفاتيح ـ وجود شعرات بالرأس .

الفائز : نظيمة عبد الرازق ـ السعودية

الفائز : صـلح مهنـى علـي ـ قطر

٢ ـ لأقوياء الملاحظة ● الحل : زهرة ـ فنجان قهوة أو شاى ـ سمكة ـ قارب شراعى ـ قرص شمس ـ خاتم خطبة ـ أحمر شفايف .

الفائز : خالد علي بن رايحـة ـ ليبيا

الفائز : منـى وحيـد منـاع ـ الكويت

٣ ـ خيال من ● الحل : فاليرى جيسكار

ماذا تعرف عن الوطاويط؟

الوطاويط هي الحيوانات الثديية الوحيدة التي تطير ، ويبلغ عدد أنواعها أكثر من ٤٥٠ نوعاً ، وقد يبلغ أكبرها حجم الثعلب ، بينما يقل أصغرها عن حجم فأر .. وللوطاويط أجنحة من جلد رفيع وليس بها ريش ، وتستطيع أن تطير بسهولة مثل الطيور العادية الأخرى .

وتسكن هذه الوطاويط في المناطق الدافئة والاستوائية وبصفة خاصة في جنوب آسيا وجزر المحيط الهادي ، وتختفي بالنهار وتخرج في الليل متسللة طلباً للرزق ، وهناك أنواع تتغذى على الفواكه وأخرى تعيش على الحشرات ، وثالثة تعيش على دم غيرها من الحيوانات ذات الدم الحار .. وعندما تنام تعلق أرجلها الخلفية الى سقوف المغارات أو الى أغصان الأشجار وفي الشقوق والأماكن المظلمة ..

وقد كادت الولايات المتحدة الأمريكية أن تستخدم الوطاويط كسلاح سري في حربها للقضاء على اليابان ، عندما اكتشف الأمريكان أن الوطواط يستطيع أن يحمل قنبلة حارقة صغيرة تحترق لمدة ٨ دقائق وينبعث منها لهب طوله ٥٥ سم ..

وقد قدر أن الوطاويط سوف تلجأ الى الشقوق والفجوات في بيوت اليابانيين المصنوعة من الخشب ، وعندما تنفجر القنابل تشب الحرائق في كل مكان ، وتحرق مدنا بأكملها .. وقد وافق الرئيس روزفلت على هذه الخطة ، وجمعت أعداد كبيرة من الوطاويط ، ولكن اختراع القنبلة الذرية حال دون تنفيذها .

حواش يوسف ـ الجزائر



كلمات لها معنى

ـ الشك هو إحدى الوسائل لبلوغ الحقيقة .
ـ إن الذين يريدون الغناء يجدون دائماً أغنية ينشدونها .
ـ الخطأ يبتلع نفسه أما الصح فلا يبتلعه الخطأ .
ـ الذي يعتقد أنه يعرف كل شيء .. هو لا يعرف أي شيء !
ـ الطبيب يحارب المرض رغم أنه المصدر الوحيد لرزقه .
ـ الكلمة الناطقة وليدة الصمت الواعي .
ـ السلام الحقيقي هو الذي يتحكم في القوة ولا يحتكم اليها .

صالح عثمان خير ـ ارتيريا

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الاولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : صفوان عبد الغني محمود ـ الأردن .

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القارئة : ايمان مصطفى كمال ـ ج.م.ع

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القارئة : ليلى ابراهيم زاهر ـ ليبيا

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ أسعد محمد خطب ـ سوريا
٢ ـ هديل مروان موسى ـ أم القيوين
٣ ـ السيد نيازي عبد الجليل ـ مصر
٤ ـ عبد الرحمن موسى ـ اليمن الشمالي
٥ ـ عامر نجيب البيطار ـ أبو ظبي
٦ ـ أحمد صالح فارس ـ قطر
٧ ـ نعيمة مختار سيد أحمد ـ قطر
٨ ـ عبد الغني عبد الهادي ـ الأردن
٩ ـ حمد النيل خريف محمد ـ السودان
١٠ ـ محمد ابراهيم زاهر ـ مصر

ستراحة الدوحة العدد ٨٥

يستان .
لفائز : شعبان السيد محمد علي ـ القاهرة
لفائز : جاهدة حقي ـ سوريا
٤ ـ لعبة الظلال ● الحل : رقم (٢)
لفائز: نصر الدين الدرديري مبارك ـ مصر
لفائز : بشار اديب دياب ـ الأردن
ـ يخلق من الشبه أربعين ● الحل : رقم
٥) الفائز : هالة مروان جراد ـ الامارات
فائز : وجيه ابراهيم خضر ـ سلطنة عمان
ـ هات أجمل تعليق : ● التعليق : شريط
بل الأكل وشريط بعد الأكل . الفائز : نبيل
سيد أحمد محمد الفز ـ ج . م . ع
ـ المثل يقول ● الحل : من شابه أباه فما
لم . لم يتوصل الى الحل أحد .



استراحة الدوحة

مجموعة
مسابقات
بالرسوم
بريشة :

رؤوف

أصل وصورة



● بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيري .. هناك سبعة اختلافات طفيفة .. هل تستطيع التعرف عليها .. ؟ الجائزة (٦٠ ريالا) .

لوحة لم تتم !



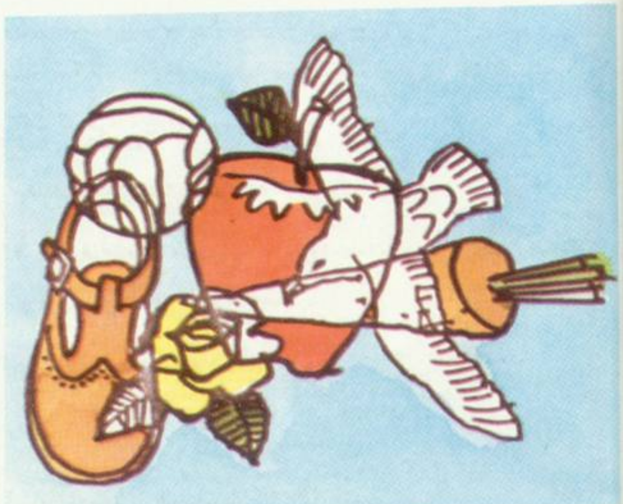
● هذه اللوحة لأحد رواد المسرح العربى .. مشكلة اللوحة أنها لم تتم . هل يمكنك اكمالها والتعرف على شخصية هذا الفنان ؟ . الجائزة (٦٠ ريالا) .

المثل يقول



● ان هذا الرسم الكاريكاتيري يعبر عنه مثل شعبي عربي شائع هل يمكنك معرفته (الجائزة ٦٠ ريالا) .

لأقوياء الملاحظة فقط!



● أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ إذا عرفت الحل ارسله الينا لتحصل على جائزة (٦٠ ريالا) .

يخلق من الشبه أربعين



● الصور الست المنشورة لستة أشخاص يشبهون الأديب إحسان عبد القدوس .. من بين هذه اللوحات واحدة فقط تشبهه تماماً .. وفى البقية اختلافات بسيطة .. هل يمكنك التعرف على اللوحة .. ؟ (الجائزة ٦٠ ريالا) .

هات أجمل تعليق :



● حاول أن تجد تعليقاً خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيري . وأرسله الينا لتفوز بجائزة (٦٠ ريالا) .

لعبة الظلال



● هل تستطيع ان تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقي ؟ .. إذا استطعت ذلك ، أرسل الحل الينا ولك جائزة (٦٠ ريالا) .


TEEM

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العـــدد ٨٨ - جمادى الثانية ١٤٠٣هـ - ابريـــل ١٩٨٣م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

● مطلوب مدخل عربي للتجربة اليابانية
د. محمد جابر الأنصاري

● انتبهوا أيها السادة: الصحراء تغزو العالم
د. عاطف كشك

● بين جمال عبدالناصر وجون كيندي
جمال الكناني



السيف العربي: رحلة مع الإبداع الفني


بيبسي
إجعَل نهارك عيد مَع
بيبسي

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٨٨ - جمادى الثانية ١٤٠٣هـ - ابريل ١٩٨٣م

المراسلات:

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تيلكس : 4521 MAGDO DH -
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
مدير التحرير : ٤٢١١٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

الاشتراكات:

داخل قطر ٦٠ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٦٦ ريالا قطريا
باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها .
في باقي دول العالم ٧٢ ريالا قطريا .
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٢٥ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٣٢ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ١٤٠ ريالا قطريا

الإعلانات:

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار:

قطر : ٥ ريالات
البحرين ٣٠٠ فلس
الامارات العربية ٥ دراهم
عمان ٢٥٠ بيسة
الكويت ٣٠٠ فلس
السعودية ٥ ريالات
الجمهورية اليمنية ٣٠٠ فلس
اليمن الديمقراطية ٣٠٠ فلس
العراق ٣٠٠ فلس
المملكة الاردنية ٢٥٠ فلسا
سوريا ٢٥٠ قرشا
لبنان ٢٥٠ قرشا
مصر ٢٠٠ مليم
ليبيا ٤٠٠ درهم
السودان ٢٥٠ مليما
تونس ٤٠٠ مليم
الجزائر ٤ دنانير
المغرب ٤ دراهم

باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

● **السودان**
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم

● **مصر**
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء - القاهرة

● **سوريا**
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكة - تجاه ثانوية فايز منصور
ص . ب ٤٩٠٢ - دمشق

● **العراق**
الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة
ص . ب ٦٢٤ - بغداد

● **ليبيا**
المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازى : ص . ب ٣٢١ - بنغازى

● **الاردن**
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب ٣٧٥ - عمان

● **البحرين**
دار الغد
١ شارع المعارف - بنادية الدرازى
ص . ب ٥٠٥ - المنامة

● **سلطنة عمان**
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر
ص ب ١٠١١ - مطرح
مسقط

● **تونس**
الشركة التونسية للتوزيع
٥ شارع قرطاج .
ص . ب ٤٤٠ - تونس

● **السعودية**
مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان
ص ب ١٤٠٥ - الرياض
مكتبة ومطبعة ضياء - المدينة المنورة

● **الكويت**
شركة دار الكويت للصحافة
ص . ب ٢٣٩١٥ - الصفاة
الكويت

● **لبنان**
الشركة العربية للتوزيع
ص . ب ٤٢٢٨ - بيروت

● **الجمهورية العربية اليمنية**
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء

● **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية**
مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع
ص . ب ٤٢٢٧ - المحافظة الاولى
عدن

● **الامارات العربية المتحدة**
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام - عمارة ثانى بن محمد
ص . ب ٧٩١ - ابو ظبى .

● **المغرب**
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ص . ب ٦٨٣ - الدار البيضاء
MAROC :
SOCHEPRESS
B. P. No 683
CASABLANCA.

● **الجزائر**
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر
ALGERIE
S. N. E. D.
20 RUE DU LIBERTE
ALGER.

طبع من هذا العدد ١٠٠,٠٠٠ نسخة

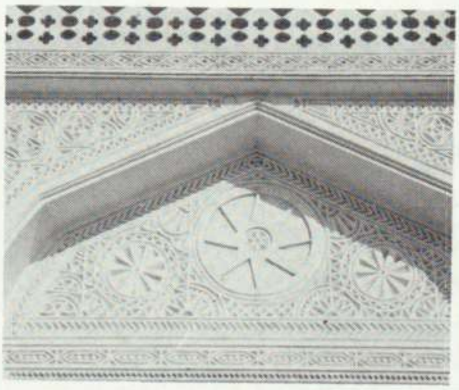
● جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
● الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي وزارة الإعلام أو رأي المجلة
● المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

في هـــذا العــــدد









بين جمال عبد الناصر وجون كيندى ص ٤٤ — البحث عن الحضارة فى نقوش الخليج ص ٥٨ — قبيلة كرة القدم ص ٧٦

● دراسات ومقالات ●

● مطلوب مدخل عربى للتجربة اليابانية ....
د . محمد جابر الأنصاري ٦

● ....

● خواطر تسر الخاطر ....
زكريا تامر ١٠

● المأساة الأسوانية ....
محمود السعدني ١٢

● في بيتنا تليفزيون ....
د . صلاح الدين أحمد جوهر ١٥

● كمال ناصر في ذكراه العاشرة ....
نبيل خالد الأغا ٢٠

● اساطير من سيناء ....
درويش مصفى الفار ٢٨

● فى البدعة وكراهة الجديد : رد وتعقيب ....
د . كامل زغموت ٣٠

● الصحراء تغزو العالم ....
د . محمد عاطف كشك ٣٤

● عيزر وايزمن صـــاحب الآراء الزئبقية ....
عصام شريح ٣٨

● بين جمال عبد الناصر وجون كيندي ....
جمال الكناني ٤٤

● يافا تحت شمس الأصيل ....
يوسف الخطيب ٥٠

● السيف العربي : رحلة مع الابداع الفني ....
نديم خشفة ٥٢

● اسرار مذهلة تتكشف فى خلق الكائنات ....
د . عبد المحسن صالح ٦٠

● الدرعية : قصة مدينة بلغت أوج مجدها الاسلامي ..
فوزى الخميس ٧٠

● دور العمائم في تاريخ مصر . إما الصدر ..وإما القبر
فتحي رضوان ٨٤

● الرواية والتاريخ ....
جمال محمد أحمد ٩٢

● مدينة لشبونة الاسلامية : كيف سقطت فى ايدي الصليبيين ؟ .... د . أمين الطيبي ١٠٨

● زكي نجيب محمود للدوحة ....
مفيد فوزي ١١٢

● كتاب جديد : الزلزال المدمر فى لبنان من الغزو حتى المذبحـــة ١١٩

● الأزهار فى حياتنا ....
د . عز الدين فراج ١٢٠

● شئون الخليج ●

● البحث عن الحضارة فى نقوش الخليج ....
صالح غريب ٥٨

● أوراق من البحر : رحلة الالام فى الدفتر الاصفر ....
عبد الرحمن المناعي ٦٨
● الفن التشكيلي فى أزمة ، وهذا هو العلاج ! ....
يوسف الحرمي ١٠٠
● فى المعرض السادس للفنون التشكيلية : مدارس فنية متصارعة ومحاولة لكسر الجمود ....
حسن الملا ١٠٤

● أدب وفنون ●

● رماد الياسمين « قصيدة » ....
فتحي سعيد ١٧
● عبد الله الجفري عندما يحدثنا ....
صديق شايقي ٢٤
● اغنية الربيع « قصيدة » ....
مبارك بن سيف آل ثاني ٣٣
● الدار « قصة » ....
د . عبد السلام العجيلي ٤٢
● الصمت « قصيدة » ....
عزيزة هارون ٨٢
● مناخات للانسان الفلسطيني الجديد « قصيدة » ....
محمد الظاهر ٨٣
● جراح البحر . مجموعة قصصية جديدة للدكتـــور محمد عبده يماني ....
تقديم وتحليل : أحمد العناني ٨٨
● الغريب الذى جاء كالظل « قصيدة » ....
محمد ابراهيم ابو سنة ٩٩
● الفارس « قصة » ....
عبد الوهاب داود ١١٦
● سباق مهرجانات السينما .. وما يتبقى منها ! ....
رءوف توفيق ١٣٢

● أبـــواب ●

● دائرة المعارف القرآنية : الأساطير ....
د . محمد البهي ٤٩
● من روائع الفن العالمي : أعظم من صور المرأة فى التاريخ
جمال قطب ٦٦
● لقطات من الكون المثير ٧٤
● كتاب الشهر : قبيلة كرة القدم ....
عرض وتلخيص : مجدي نصيف ٧٦
● قف هل تعلم ....
عبد العزيز السيد المصري ١٢٣
● أوراق خضراء ١٢٥
● العلم هو المستقبل ....
لبنى الريدي ١٣٠
● ضحكات الشهر ....
صلاح الليثي ١٣٨
● دوحة القراء ١٤٠
● استراحة الدوحـــة ....
رؤوف ١٤٤
● الورقة الأخيرة : في الفجر ....
فؤاد قنديل ١٤٦

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

مطلوب مدخل عربي لـ :
التجربة اليابانية

بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري

● ماذا يحتاج العرب لفهم هذه الظاهرة ؟

● الخليج جسر التفاعل الحضاري بين العرب والشرق الجديد

التجربة اليابانية .. أو الأعجوبة اليابانية . أو المعجزة اليابانية ظاهرة عالمية من ظواهر عصرنا تثير الفكر الباحث ، المنقب المستفسر عن أسرارها ، فى مختلف انحاء العالم ، وخاصة فى دوائر الفكر الأوربية والأمريكية والسوفياتية ، حيث يعكف أهل التقدم والتكنولوجيا على دراسة الانجاز الاستثنائي لهذا البلد الشرقي الذى ينافس الغربيين فى أمضى أسلحتهم ومخترعاتهم التقنية ،من ناحية ، والذى يثير دهشة الشرقيين واعجابهم من ناحية أخرى دون أن يتمكنوا من اللحاق به على كثرة ما حاولوا وجربوا ..

وهذه التجربة اليابانية تعنينا نحن العرب لعدة أسباب هامة :

أولا : اليابانيون قوم شرقيون مثلنا ، بدأوا مسيرتهم نحو التقدم من واقع العزلة والتخلف الحضاري كما بدأنا . ولكن شتان بين بداية وبداية ... فلماذا هذا الفارق ؟؟

ثانيا : اليابان حققت التحديث والتقدم بالمحافظة على تراثها وتقاليدهـا ومؤسساتها القومية والدينية الأصيلة . والعرب ، كما يظهر من تجاربهم ، يريدون تحقيق التقدم دون التضحية بتراثهم وتقاليدهم وقيمهم المتوارثة ، لكن من غير أن يتمكنوا حتى الآن من تحقيق المطلب الأول (التقدم) كما يجب ، أو الحفاظ على المطلب الثانى (التراث) كما ينبغى ..

وها هى ذي اليابان أمامهم أكثر من أى بلد شرقي آخر تحقق المطلبين الغاليين معاً .. مطلب التقدم ومطلب الحفاظ على التراث .. ألا ينبغى - إذن - أن يدرس العقل العربى بعناية وجدية وتدقيق هذه التجربة الفـريدة التى كان يماثلهـا طموحه الأكبر منذ مطلع نهضتـه المجهضة ؟

ثالثا : ان اليابان تمثل طليعة قوة بشرية حضارية هائلة جديدة توشك ان تستلم زمام القيادة العالمية من الجنس الأبيض . هذه القوة تتمثل بالاضافة الى اليابان ، فى الكثافة البشرية الصينية ، وفى النهوض الصناعى والحضارى العام لشعوب الشرق الأقصى (الجنس الأصفر) فى كوريا وفيتنام ومنطقة الهند الصينية بصفة عامة . وليس من المبالغة القول ان القرن الحادى والعشرين سيكون قرن القوة الصفراء .

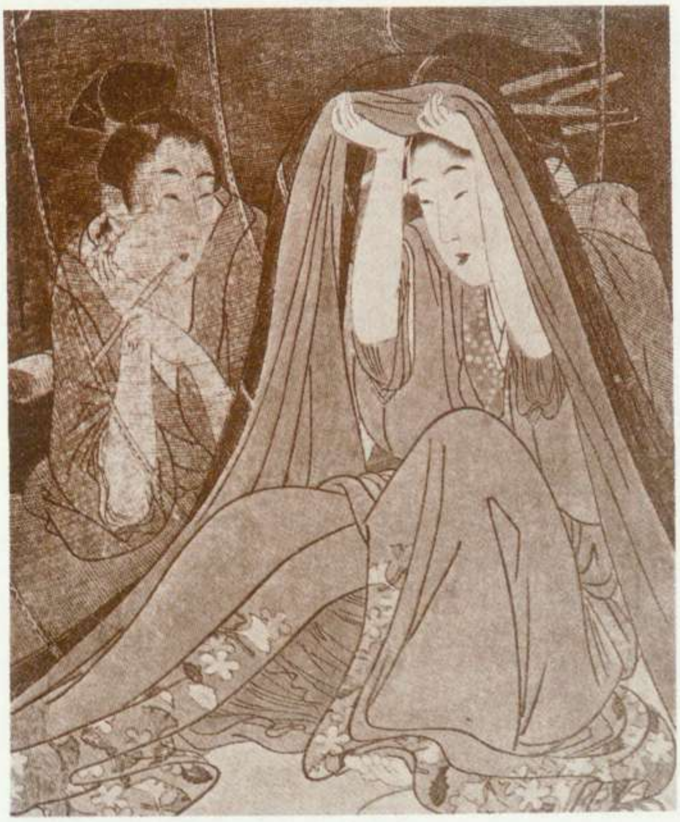
وهذه القوة تختلف عن القوة البيضاء



كانت فى اليابان نهضة فنية ، قبل نهضتها الحديثة .



تراث المسرح اليابانى أقدم من مصنع التيوتا .. ولكن الغرب لا يفهم !





رسوم يابانية من القرن الثامن عشر .. قبل الكمبيوتر .. كان الفنان !

فى موقفها من العرب من عــدة أوجـــه جوهرية : فهى شرقية مثلنا ، وهى على اتصال حضاري دائم وودي معنا منذ عهود قديمة عن طريق المحيط الهندى وبحر العرب والخليج ، وهى لا تحمل ضدنا الأحقاد الصــليبية والاســتعمارية والصهيونية التى يحملها الغرب ، وهى لا تريد السيطرة علينا سياسياً أو محاربتنا دينياً وقومياً . وقد عاش مسلمو الشرق الأقصى مع جيرانهم هناك ، معظم عصور التاريخ ، فى وئام وتعاون .

ثم ان هذه القوة الجديدة لا ترتبط باسرائيل الارتباط الوثيق العضوي الذى يشد الغرب اليها . ومعنى هذا ان العرب يستطيعون التعاون مع هذه القوة الشرقية الجديدة ، المستقلة عن الهيمنة الأمريكية والهيمنة الروسية على حد سواء ، فى معركتهم الحضارية من أجل التقـــدم ، ومعركتهم القومية ضـــد عـدوهم ، أو استخدامها على الأقل كقوة توازن وتحييد للخصم الغربي .

وقد سبق أن عالجنا هذه النقطة بالذات فى مقالتنا « العالم والعرب سنة ٢٠٠٠ » بمجلة الدوحة عدد يناير ١٩٨٢ ، فليعد إليها من شاء متابعة أمر العلاقة المستقبلية بين العرب والقوة الصفراء .

رابعاً : ان منطقتنا هذه ، منطقة الخليج والجزيرة العربية ، تمثل الآن واجهة الحوار والتفاعل مع منطقة القوة الصفراء لاعتبارات جغرافية واستراتيجيـــة واقتصادية . ومستقبل علاقة هذه القوة مع العرب سيتقرر الى حد كبير بالكيفية التى سيتفاعل بها عرب الجزيرة والخليج مع

مطلوب مدخل عربي ل:

التجربة اليابانية

المعطيات الحضارية لهذه القوة : ايجابا باقتباس محاسنها ، وسلبا باجتناب محاذيرها ..

وكما كان البحر الأبيض المتوسط واسطة التفاعل بين أوربا وعرب المشرق وشمال افريقيا ، فان الخليج العربى اليوم يمثل واسطة التفاعل بين حضارة الشرق الأقصى وبين عرب هذه المنطقة ، بمعناها الاستراتيجي الواسع ، من العراق فى الشمال الى سلطنة عمان فى الجنوب مروراً بالكويت ، والمملكة العربية السعودية ، وقطر والبحرين ، والامارات العربية ، وصولا الى اقليم اليمن فى الركن الجنوبى الغربي من الجزيرة العربية .

فعلى امتداد هذه الرقعة الشرقية الشاسعة من الوطن العربى يجرى تعامل بشرى وتقنى واقتصادى مع اليابان وغيرها من كتلة الشرق الآسيوي البعيد ، الذى لم يعد بعيداً ! ، فهل سندع هذا التعامل يمر على السطح الاستهلاكى المظهري المادى لمجتمعاتنا .. أم نحوله الى تفاعل أعمق بالنفاذ الى جوهر الحضارة الجديدة لدى هذه القوة الشرقية ؟

سؤال ليس أصعب منه غير المغامرة بتقديم جواب عنه . لكنه سؤال أساسي وسيكون حكماً تاريخياً على عرب هذه المنطقة وعلى مدى استعدادهم للتحضر الصحيح . فهل سيكونون كأجدادهم ، عرب الشرق القدماء الذين نشروا الحضارة الاسلامية والدين فى الهند والصين واخذوا من علوم البلدين ما اضافوه الى حضارتهم ، كما فعل العالم العربي أبو الريحان البيروني ، أو كما فعل الملاح الخليجى ابن ماجد الذى سلك طريق الشرق البعيد بالعلم والمهارة البحرية ، أو كما فعل تجار حضرموت الذين نشروا الاسلام فى جميع انحاء اندونيسيا ، أو كما فعل بحارة عمان بنشرهم المؤثرات العربية على امتداد الطريق البحرى الى أقصى الشرق ، أو كما فعل رجال الملك عبد العزيز آل سعود الذين بعثهم دعاة الى تلك المناطق النائية ، فى ذلك الزمن الصعب ، لمواجهة حملات التبشير والاستعمار ضد الاسلام والثقافة العربية ، فكانوا فى مستوى المهمة ، وتصدوا للتحدي ، واعادوا صلاتنا الروحية والثقافية مع مسلمي الشرق الأقصى فعادت طرق الحجيج سالكة من جاوة وسومطرة والملايو الى الحرمين الشريفين فى أرض العرب .

إذن فنحن لا نبدأ من فراغ مع شعوب الشرق الأقصى ، ولنا تجربة حضارية سابقة وعميقة الجذور معهم . وعلى الجيل العربى الحاضر أن يرتفع الى مستوى التجربتين : تجربة اجداده الحضارية مع الشرق الآسيوي ، وتجربة هذا الشرق الجديدة مع الحضارة الحديثة ومن هذا المنطلق ، نطرح بحثنا هذا لدراسة التجربة اليابانية .

بعد هذا كله ، لابد من التنبيه بوضوح تام ، ان الحديث عن التجربة اليابانية ، خاصة ، والتجربة الآسيوية الشرقية عامة ينحصر فى التحليل الفكرى الحضارى ، وعلينا أن نجربه بوعي كامل يتجنب محاذير أي نوع من الدعاوة للمصالح الاقتصادية والسياسية لليابان أو غيرها من بلدان الشرق الأقصى . كما يتجنب محاذير الهجرة الآسيوية لمجتمعاتنا العربية – من ناحية أخرى – ويدرك مختلف أبعادها ويضعها فى إطارها الصحيح .

فالتفاعل الذى نريده هو بين عروبة واعية مستقلة وبين حضارة شرقية جديدة صاعدة ، لا بين مجتمعات استهلاكية مفتوحة وشركات صناعية طامعة تمثل رديفاً للغرب أو اطماعاً أخرى من الشرق ، وعلى اليابان والصين وكوريا وغيرها ان تدرك بوضوح من الآن ان مستقبل علاقة العرب التاريخية الجديدة معها هو رهن بهذا التفاعل الحضارى قبل كل شىء ، وتجنب المصلحة الانتهازية التى أضرت بسمعة الغرب الحضارية فى المنطقة العربية ، والاقتصار على المصالح المشروعة والمتبادلة بين الجانبين .

فدراستنا للشرق الجديد ، إذن ، هى مثل دراستنا للغرب ، ناخذ حضارته بيد ، ونقاوم اطماعه باليد الأخرى ، إن بدت منه أي اطماع ..

ولقد وجدت من واقع المقارنة بين الدراسات الأمريكية والسوفياتية والأوربية عن الظاهرة اليابانية وأسباب نجاحها ، ان الدراسات الفرنسية هى الأقرب الى الموضوعية والتفهم والانفتاح البعيد عن الغرض والميول .

فالدراسات. السوفياتية متأثرة بالمنهج الماركسي ، الذى لا يستطيع أو لا يريد أن يفهم كيف يمكن ان يتطور بلد شرقي ويتقدم فى ظل نظام امبراطوري تقليدي ، وبالحفاظ على أسس المجتمع القديم ، وبالتعاون بين الرأسمالية والعمال دون حرب طبقية .. ناهيك بذكرى الهزيمة الروسية على يد اليابان عام ١٩٠٥ .

والدراسات الأمريكية ، تبسيطية ومتأثرة هى الأخرى بالصراع الياباني الامريكى بعد ضربة « بيرل هاربر » فى الحرب العالمية الثانية وبعقدة الذنب المتمثلة فى القصف الامريكى لليابان بالقنابل الذرية ، ثم بالاحتلال العسكري لها .. وصولا الى التنافس التكنولوجى والحرب الاقتصادية بين الجانبين مؤخراً لغير صالح الجانب الأمريكى !

أما الانجليز ، فلا يمكن أن ينسوا ابداً ، ان البضائع اليابانية منذ القرن التاسع عشر كانت المنافس الأول لبضائعهم فى أسواق الشرق وانها قد غزت أسواقهم الداخلية بشكل مخيف فى الآونة الأخيرة ، هذا بالاضافة للصراع الاستعماري بين البلدين ، شرق آسيا وذكرياته المريرة .

الفرنسيون ، أقل نفوراً من اليابان على هذه المستويات لأنه لم يقم صراع مرير بين الجانبين بمثل تلك الحدة والمرارة ..

ثم ان الفرنسيين ، بحكم ذوقهم الفنى والشعرى والحضارى ، يكنون اعجاباً للذوق اليابانى الرفيع ، وللفن والشعر والنغم الياباني ولأشياء الجمال اليابانية

الأخرى .. وهنا سر هذا التفهم الفرنسى ، الأقرب الى الاعتدال ، للظاهرة اليابانية ككل من حيث هى ظاهرة حضارية ، لا مجرد اخطبوط اقتصادى وتكنولوجى يهدد الغرب .

وفى فرنسا ، والدراسات الفرنسية ، نستطيع أن نرى الوجه الحضاري لليابان ، والوجه الانساني ، الذى لا يفسح لظهورة الغربيون الآخرون من روس وامريكان وانجليز .. أو لا يريدون رؤيته ومحاولة فهمه .. على حقيقته كواقع انساني مركب ومعقد يستحق التفهم والتعاطف .

وقد خصص روجيه غارودى ، المفكر الفرنسى المعروف ، فصلا فى كتابه الموسوم « كيف أصبح الانسان انساناً » عن الوجه الفني الانساني الروحي لليابان القديمة التى لم يفهمها الغرب الى الآن ، والتى ذهبت الأساطيل الغربية لتدميرها ، وتعليمها الحضارة الغربية ، دون ان تتعلم هى منها شيئاً ، مما افقد الحضارة الغربية فى رأى غارودي ، بعداً انسانياً وروحياً هاماً ..

ومن الجدير بالذكر ، ان ادباء العربية وشعراءها ومصلحيها ، قد انبهروا بالمعجزة اليابانية منذ بداية القرن وكتبوا فى الاشادة بها ووصف منجزاتها منذ أيام شوقي وحافظ وقاسم أمين . ويمكننا من باب التوثيق التاريخى جمع مادة ليست بالقليلة من الكتابات العربية عن الظاهرة اليابانية ، خاصة ما ظهر منها بعد الانتصار اليابانى على روسيا القيصرية سنة ١٩٠٥ وهو أول انتصار لبلد شرقى على قوة غربية كبيرة . أضف الى ذلك ان الانتصار اليابانى عوض فى نفوس المسلمين عامة ، والعرب منهم ، شيئاً عن الانكسار الذى كانوا يعانونه من جراء تقدم الزحف الروسى السلافي فى أراضى الدولة العثمانية ، دولة الخلافة الاسلامية وأعطى الأمل فى امكانية انتصار الشرقيين عموماً على القوى الغربية التى دخلت اليهم فى عقر دارهم . ولكن هذا الأمل ، بقي أملا ، ولم يتحول النصر اليابانى المبكر الى نصر للشعوب الشرقية الأخرى ، وخاصة العرب الذين تواصلت تراجعاتهم وتجزئة أوطانهم من قبل القوى الغربية .

وأيا كان الأمر فان ذلك النجاح اليابانى كان له أثره فى تقوية روح « الرابطة الشرقية » التى انتشرت الدعوة اليها فى مصر خاصة ، والتى مثلت نقطة الانتقال بين تعلق مصر بالدولة العثمانية واكتشافها فيما بعد رابطتها القومية العربية ، وهويتها العربية .

وهذا يعنى ان المسالة لم تكن مجرد اعجاب باليابان وتقدمها ، وانما كانت بحثاً عن رابطة جديدة تستطيع ان تخلق من التضامن ما عجزت الرابطة العثمانية عن تحقيقه . واذا كانت الرابطة العربية تاتى قبل كل شىء بحكم طبيعة الأشياء ، فان مصر والعرب بامكانهم اليوم إحياء هذه الرابطة الشرقية لكسب قوة حضارية جديدة هائلة الى معسكرهم فى مواجهة التحدي الغربي وما أوجده الغرب فى قلب وطنهم من تحد اسرائيلى .

ولكن ذلك يتطلب ان ينتقل العقل العربى من مرحلة الانبهار الشعرى بالتجربة اليابانية والتعاطف الادبي معها .. الى .. مرحلة التحليل العقلي والادراك الفكرى الدقيق لخصائص التجربة وأسرارها ودروسها مع القدرة على المقارنة الواعية والحذرة بين التجربتين العربية واليابانية لتصب نتائج هذه المقارنة فى دائرة المعاناة العربية العامة الجارية اليوم فى مختلف انحاء الوطن العربى بعد ما تعرضنا له من كوارث ، ولتنجم عن ذلك رؤية جديدة تدفع بالأمة نحو الإنقاذ واعادة البناء .

وبلاشك فان مراكز الدراسات العربية ، وبعض المفكرين العرب ، هم بصدد دراسة الظاهرة اليابانية مع غيرها من الظواهر الجديرة بالدرس ، وقد أخبرنى المفكر العربى الكبير استاذنا الدكتور قسطنطين زريق انه شديد العناية بدرس هذه الظاهرة والنفاذ الى دقائقها ليس فى تاريخها العام فحسب ، وانما كما تتجلى فى آدابها وفلسفتها ونفسية أهلها .. وان من أدق الخصائص التى هزته فى هذه الظاهرة الانسانية المتميزة ، هى ان الانسان اليابانى عندما يقع فى التقصير أو يخل بواجب من واجباته الوطنية أو الاخلاقية أو العملية .. يأتى الى رئيسه ليستأذنه فى الانتحار وتكفيراً عن ذلك الخطأ .. !

قلت : فأين هذا الانسان .. من انسان من نوع آخر يعتبر التهرب من الواجب شطارة ومهارة .. بل ويفخر بقدرته على التهرب والمراوغة .. ويتباهى بما يجمعه من وراء هذا الاخلال من كسب غير حلال .

وهل نعجب اذا تقدمت الأمة التى ينتمي اليها الانسان من النوع الأول ، وخابت الأمة التى تقوم على الانسان من النوع الثانى ؟

هذه التأملات والدراسات الفكرية العربية فى الظاهرة اليابانية نأمل أن تصل الى نتائج مفيدة وعملية بالنسبة لتصحيح المسار العربى على الصعيد الحضارى الشامل .

وكما أشرت ، فان الدراسات الفرنسية فى الظاهرة اليابانية ، بما تتصف به من تفهم واعتدال وتذوق حضاري ، يمكن ان ترفد هذه الدراسات العربية وتضيف الى رؤيتها ، وتعمق من ادراكها للصورة الشاملة .

ولعل أفضل دراسة فرنسية مكثفة وشاملة للتجربة اليابانية فى مختلف جوانبها ، هى كتاب الاخصائي الفرنسى فى شئون اليابان والشرق الأقصى ، مسيو روبير غيلان ، الموسوم : « اليابان ، العملاق الثالث » ، الذى اعتقد ان أي مدخل لدراسة التجربة اليابانية ، تاريخياً وفكرياً وانسانياً ، لا يستطيع الاستغناء عنه .

وهو مرجع نأمل أن نلتفت إليه فى المقالات التالية لنقف أمام بعض فصوله ونترجم منها ، ثم لنخرج بخلاصات تصلح أساساً لاجراء دراسة مقارنة بين التجربة اليابانية والتجارب العربية .

د . محمد جابر الأنصاري

خواطر تسرّ الخاطر

بقلم : زكريا تامر



الحرب الخاسرة

بين الحين والحين ، تنشر الصحف والمجلات كتابات تناشد العمل على تحسين الظروف المعيشية للكتّاب ، خاصة وان جامعي القمامة اذا تذمروا من سوء احوالهم أعلنوا الاضراب عن العمل حتى تلبى مطالبهم ، فتؤلف اللجان لدرس مطالبهم وتنفيذ بعضها ، اما الكتّاب اذا اعلنوا الاضراب ونبذوا الاقلام وكفوا عن الكتابة ، فسيُرحب باضرابهم من قبل جهات عديدة وكثيرة حتى يتاح لها النوم بطمانينة لا تعكرها كلمة نقد بناءة مسؤولة .

وما دامت السنوات المتعاقبة قد اثبتت ان هذه الكتابات ليست سوى صراخ فى صحراء لا يسكنها حي ، فمن المستحسن اذن اعتبار الكاتب العربي انساناً من نوع فذ نادر ، لا يبكي ولا يفرح ولا يجوع ولا يسكن فى بيت ولا يصيبه أى مرض أو داء إنما هو روح هائمة باستمرار فى عوالم الثقافة .

الكاتب حين يهترىء بنطاله ، لا يحتاج الى شراء بنطال جديد ، بل يرتدي صفحات من مجلة فكرية ، فالانسان قديماً كان يكتفي بورقة توت فقط .

والكاتب حين يجوع ، يقرأ كتاباً دسم الموضوع ، فيتبدد جوعه ، وتعانى معدته أمراض التخمة ، ويهرع الى عيادات الاطباء مستغيثاً متوسلا .

والكاتب حين يمرض ، يفرح أعظم الفرح لأن الألم خالق المبدعين .

والكاتب حين يموت ، لا يبغى قبراً فسيحاً نظيفاً حسن الاضاءة انما يريد ان يظل جثة ملقاة تحت السماء الزرقاء يغمرها ضياء الشمس الذهبية ، وترفرف فوقها أجنحة العصافير المغردة

والكاتب بعد موته ، لا يطمح الى نشر ما ترك من مؤلفات مخطوطة فلكل زمان ادبه وادباؤه وكتابه .

جنازة بلا ميت

الادب الاصيل فى الوطن العربى مسكين حقيقي جدير بالرثاء ، ولو أتيح له أن يتجسد فى مخلوق من لحم ودم لاختار مرغما الوقوف على أبواب المساجد بثياب رثة ورأس منكس ، فالأدباء الذين يكتبون مخلصين لبيئتهم وانسانها الاخلاص الصادق النزيه الفنى البعيد عن التشنج والصياح الحماسي والشعارات الفكرية والسياسية الجوفاء هم الأيتام فى مأدبة اللئام .

وهذا الواقع المر الهزلي يرجع وجوده الى اسباب عديدة ، منها ظهور فئة تزعم انها وحدها الواعية الشريفة المالكة للفكر العلمي الموضوعى ، فتنقض باسم الواقع ومشكلاته على الآثار الأدبية المبدعة واصحابها بالتصنيف والتقويم مطلقة احكامها يمنة ويسرة .

وهى احكام صارمة غير قابلة للاستئناف أو النقض أو التمييز ، فهذا اديب رجعى لأن كتاباته تخلو من التنديد المباشر بالاستعمار ، وذاك اديب غير مرتبط بوطنه لأنه تحدث فى نتاجه عن الموسيقى والورد والقطط كأن الموسيقى والورد والقطط عملاء للمخابرات الاميركية ، وذلك أديب خان الطبقة الكادحة لأن اشعاره لم تتطرق الى تمجيد ثوار السلفادور .

وتلك الفئة تضم ماهب ودب من الأفراد ، فبعضهم لا علاقة له بالأدب ويعلن انه يعنى بالشؤون الاقتصادية ومختص بمتابعة تطور تسويق القطن فى العالم ، ولكنه يصدر احكام الاعدام على الادباء ، مستنداً الى مادة فى الدساتير تنص على ضمان حرية التعبير لكل مواطن .

وبعضهم أدباء كتبوا ، مستخدمين أنواعاً شتى من الاقلام ، فلم ينتجوا سوى الكتابات المروجة للحبوب المسكنة للصداع .

وبعضهم أدباء كانوا يكتبون فيما مضى من السنين الغابرة ، ثم ناموا نوم أهل الكهف ، ثم أفاقوا من نومهم لأسباب غير أدبية ، وخرجوا من قبورهم ، معلنين استنكارهم لكل ما نتج من أدب فى أثناء غيابهم عن الحياة الأدبية .

وهذه الفئة المتناقضة الأفراد ، توحدها النظرة السطحية الى الأدب ودوره ، فالأدب فى رأيها قادر على تغيير المجتمع ، ويستطيع أن يحقق ما عجز الساسة والجيوش عن تحقيقه .

ومن المضحك أن هذه النظرة نفسها الى دور الادب لو طبقت على ما كتبته تلك الفئة من قصة وشعر ومسرحية ورواية فلن يظفر الا بثلاثة أصفار موضوعية . اما القراء فهم بالتأكيد سيتبرعون بسخاء بثمن الاكفان لهذا الهراء الزاعم انه أدب ملتزم .

الكتاب سجيناً

واحد من اصدقائي موظف في وزارة للثقافة في احد الأقطار العربية ، وقد روى لي يوماً ما يلي :

– انا كما تعلم أعمل في وزارة تطبع كل سنة الكثير من الكتب الأدبية والثقافية ، وتبيعها للقراء بأسعار رمزية تنفيذاً لمخططها الهادف الى نشر الثقافة . وفي يوم من الأيام استدعاني وزير الثقافة ، وقال لي غاضباً : « لماذا نطبع الكتب ؟ هل نطبعها لتصل الى القراء العرب كافة أم لتبقى في المستودعات ؟ » .

فأكدت له بحماسة انه من المهم ان تصل هذه الكتب الى القراء العرب من المحيط الى الخليج ، فكلفني الوزير آنذاك بالبحث عن موزع قادر على اداء هذه المهمة الجليلة النبيلة والقبول بشروطه مهما كان نوعها .

وبعد اسابيع من التنقيب والتفتيش عثرت على موزع أجمعت الأراء على انه الأفضل والأنشط . قابلت ذلك الموزع وحدثته بايجاز عما تريده وزارتي ، فأنصت لكلامي انصاتاً جعلني أشعر اني شحاذ يقرع ابواباً موصدة ، ثم قال إنه سيأخذ ستين بالمئة من سعر الكتاب عمولة توزيع ، فقلت له على مضض إن شرطه مقبول معقول .

قال الموزع إن أجور نقل الكتب الى أي قطر عربي ستدفعها الوزارة ، فقلت له بدهشة إن شرطه مثير وموافق عليه .

قال الموزع إنه لن يوزع الكتب حالما يتسلمها بل سيكتفي بارسال عناوينها واسماء مؤلفيها الى وكلائه في الأقطار العربية ثم يرسل اليهم فيما بعد بعض الكتب التى يطلبونها وفقاً لتقديراتهم المستمدة من معرفتهم بأحوال السوق ، اما الكتب التى لن يطلبوها فستعاد الى الوزارة . ولما كان وكلاء التوزيع تجاراً وليسوا نقاد أدب وفكر فان ذلك الشرط يعني ان الكتاب الجاد البعيد عن الفضائح لن يوزع ويحرم الوصول الى القراء ، ولذا فقد قلت للموزع رأياً في شخصه وشروطه أسوأ من رأي المواطنين العاديين في الدول العظمى ..!

عندما انتهى صديقي من كلامه ، سألته بفضول : « وماذا حل بتلك الكتب ؟ » .

فأجاب ضاحكاً : « لا تسألني عن مصيرها بل اسأل فئران مستودعات الوزارة فقد صارت مثقفة ، ومن المؤكد انها ستطالب الوزارة بطبع كتبها على فخر أنواع الجبن بدلا من طبعها على ورق عسير الهضم » .

وقد راقبت فيما بعد الكتب الصادرة عن تلك الوزارة ، فتبين لي ان مطالب الفئران والموزعين لم تتحقق ، فهل أفرح أم أحزن ؟ !

مجازر ثقافية للأطفال

أطفال الوطن العربي الذين يقال إنهم سيصبحون في المستقبل رجالا مسؤولين مطالبين بانجاز مالم يستطع آباؤهم انجازه ..

هؤلاء الأطفال ظلوا أمداً طويلا مهملين ثقافياً ، وفريسة لنوعين من التجار الخطرين ، نوع ينظر الى الأطفال على انهم مجرد خراف تصلح للذبح والبيع وجني المغانم المادية ، ونوع آخر ماكر مشبوه يحاول أن يشوه الأطفال كي يكون رجال المستقبل العربي لا أكثر من دمى .

ويتصف هؤلاء التجار بقدرتهم على استغلال رغبة الصغار في القراءة ونهمهم الى مزيد من المعرفة والاطلاع على ما هو جديد من ألوان الحياة ، فيقدمون اليهم المجلات والكتب التى تحرص أشد الحرص على ان تشتمل على عنصر التشويق والاثارة ، وهو عنصر يستخدم سلاحاً للوصول الى الهدف ، والهدف هو الربح المادي أو التضليل الفكري .

وفي السنوات الأخيرة ، تنبهت مؤسسات ثقافية عربية الى اخطار ذلك الدور المسيء الذي يمارسه هؤلاء التجار فابتدأت تعمل في مجال ثقافة الاطفال ، ولكن عملها بمجمله ما زال قاصراً وقطرة مداد تسقط فوق بحر ، وما زال محتاجاً الى أن تكرس أكثر الطاقات العربية كفاءة ووعياً وموهبة جهودها له حتى يتمكن من أن يؤثر التأثير المنشود ، فيطرد المتاجرين بثقافة الأطفال ، ويساهم في منح المستقبل العربي رجالا حقيقيين قادرين على ان يقولوا : « لا » للظلم والتخلف والاعداء ، وأن يحولوا رفضهم هذا الى أفعال تبرهن على أن زمن الثرثرة والثرثارين قد هزم وبات ذكرى من ذكريات ماض مظلم بائس .

الرقص الفكري

هناك ادباء عرب يتعاملون مع ما يتبنونه من أفكار كأن تلك الأفكار ثياب ، فهم يبدلون أفكارهم في الصيف والربيع والشتاء والخريف بحجة رفضهم الجمود وبحثهم عن الأفضل ، فاذا هم كراقصة اشمأزت من عملها ، ورأت فيه اهانة لوجودها وانسانيتها ، فقررت هجره ، ونفذت قرارها لتنتقل الى العمل في ملهى .

ولكن هؤلاء الادباء يختلفون عن تلك الراقصة ، فالراقصة حين تنبه على خطئها ، تحني رأسها خجلا بينما هم لا يخجلون بل يفخرون بما فعلوا ، ويطالبون أمم الأرض بتقديرهم ، وينالون أكثر مما كانوا يرغبون فيه من تقدير .

وهذا ليس بالأمر المستغرب اذا كانت الديدان تعامل بوصفها الصقور ، واذا كانت الصقور تعامل كأنها نوع رديء من الدجاج لا يطير ولا يؤكل .

يوم تكلم النهر

قال النهر للبحر : « انا أكبر منك » .

فلم يجاوب البحر انما هدرت امواجه هازئة ، فاغتاظ النهر ، وقال للبحر متوعداً : « حين يأتي الشتاء ستنهمر الأمطار وتزداد مياهي فأصبح أكبر منك » .

وجاء الشتاء ، وهطلت امطاره غزيرة ولكن البحر ظل أكبر من آلاف الأنهار .



مسافر على الرصيف

المأساة الأسوانية

بقلم: محمود السعدني

كان عباس الأسوانى – يرحمه الله – احد نجوم قهوة عبد الله . وعندما التقيته أول مرة كان طالباً بكلية الحقوق وموظفاً بنادى السيارات ومحرراً بمجلة مصر الفتاة وعضواً نشيطاً فى الحزب الذى كان يحمل نفس الاسم . وكان حزب مصر الفتاة الذى اختاره الأسوانى ليمارس نشاطه فيه ،

حزباً غوغائياً يؤمن بالأسلوب الهتلرى فى حكم البلاد . كان الحزب يحلم بحكم

مصر على نفس الأسس التى قامت عليها تركيا فى عهد مصطفى كمال أتاتورك ! ولذلك ناصب الحزب مصطفى النحاس العداء . وسلك كل الطرق لهدم زعامة النحاس والنيل من شعبية حزب الوفد . ولذلك لفت عباس الأسوانى نظرى فى أول لقاء .

وازدادت دهشتى لموقفه عندما توثقت الصلة بينى وبينه . فقد كان ساخراً إلى أقصى حد ، فناناً بكل معنى الكلمة ، محباً للحرية وللانطلاق . وكان يخرج من بيته فى الصباح فلا يعود إليه إلا قبل الفجر ! وكان ينتقل من قهوة إلى مطعم إلى رصيف إلى أى مكان ، شرط ألا يكون بين أربعة جدران . وكان يقضى سهرته المفضلة فى منزل أمين المهدى وهو فنان عبقرى كان أعظم عازف عود فى زمانه !

وكان قد اعتزل العمل العام منذ فترة طويلة وتفرغ لسهراته مع أصدقائه يستمع الى إنتاجهم الفنى ويشنف آذانهم آخر السهرة بالعزف على العود !

ولكن آمال عباس الأسوانى فى حزبه انهارت فجأة بعد حريق القاهرة . فقد ألقى



عباس الأسوانى

القبض عليه مع غيره من أعضاء الحزب بتهمة إحراق القاهرة ، ووجد عباس الأسوانى نفسه حبيس زنزانة ضيقة فى سجن مصر . وكانت التهمة هى الاشتراك فى مؤامرة لاحراق القاهرة ، والعقوبة المنتظرة هى الاعدام ! وقضى عباس فى الزنزانة ثمانية أشهر ولم يخلصه منها إلا ثورة يوليو وجمال عبد الناصر . ولو تأجلت الثورة أو فشلت لقضى عباس بقية عمره حبيس الجدران !

وخرج عباس من الزنزانة وقد اتخذ قراراً حاسماً ألا يعود اليها ! وكان هذا القرار هو حجر الزاوية فى مأساة عباس الأسوانى . ولم يكره شيئاً فى حياته مثل السجن وهو شىء طبيعى . ولكن الشىء الذى يحتاج الى

تفسير هو كراهيته لثورة ٢٣ يوليو التى كانت السبب الوحيد فى إنقاذه ! لعل السبب هو أن الثورة انقذته من السجن ولكنها قضت على حزب مصر الفتاة ، وقضت أيضاً على نفوذ الطبقة التى كانت تتمحور فى نادى السيارات الذى كان والده يعمل فيه . وهى الطبقة التى كانت تحكم مصر ، وكان لها الفضل فى تعليم عباس الذى كان ابناً لموظف بسيط للغاية يعمل ضمن حاشية النادى . لعل ذلك هى الأسباب التى دفعت بعباس الى اتخاذ هذا الموقف من ثورة ٢٣ يوليو . موقف العداء منها دون استفزازها ، والعمل فى ظلها دون ولاء ودون عداء ظاهر أيضاً . واستطاع أن يتلاءم عليها عندما فشل فى التلاؤم معها ، ولما كانت ثورة ٢٣ يوليو لم تشغل نفسها بهذا الطراز من الأعداء ، فقد أفسحت له صدرها ، فلمع فى ظلها ، وأصبح كاتباً إذاعياً وكاتباً صحفياً ، وكاتباً مسرحياً ، وصدرت له كتب ، وعقدت له ندوات ، وأفسحت سهرات القاهرة مكاناً له ، وصار عباس الأسوانى واحداً من مشاهير المرحلة ! ولم يفصح عباس الأسوانى عن حقيقة مشاعره إلا بعد وفاة عبد الناصر . فاذا به واحد من أشد أعداء ثورة ٢٣ يوليو وأكثرهم عداء .

وكشف عباس عن حقيقته فاذا به أقرب الى العهد الذى ولى ، عهد الباشوات ونادى السيارات ، من العهد الذى لمع فيه وانتشر بفضله . ولكن عباس بالرغم من كل شىء كان فناناً وكان حساساً

ولعله ادرك المأزق الذى حشر نفسه فيه ، لعله لمح رأى الناس الذين أحبوه فى



زكريا احمد



سيد درويش



كامل الشناوى

نظراتهم ، ولذلك سقط صريع المرض فى نهاية حياته ، ولزم الفراش وهو لم يبلغ الستين بعد . لقد أصيب بالفالج وراح يتوكأ على عصا ، ثم عجز فى آخر الأمر عن النهوض من الفراش ، ومات فجاة وذهب قبل الأوان !

واذا كانت هذه هى ماساة عباس السياسية ، فان ماساته الفنية أكبر . فهو أعظم محدث ساخر عرفه تاريخ مصر . ولا أعتقد أن عباس الأسوانى كان له نظير كنديم من قبل ! كان حديثه يقطر سخرية وفكاهة فى نفس الوقت . وكان يروى قصصاً قصيرة وهو يحكى لو كتبها عباس بنفس الطريقة التى يحكى بها لكان أفضل بكثير من مارك توين ! والغريب أنه فى الكتابة لم تكن له موهبته فى الكلام . وجرب كل ألوان الكتابة . كتب القصة القصيرة والرواية والمسرحية والمقال ، ولكن موهبته الحقيقية لم تظهر إلا فى المقامات . كتب المقامات الأسوانية ، ولو اهتم بها لكانت أفضل من مقامات الحريرى وبديع الزمان . أقول لو اهتم بها ، لأنه انشغل عنها بعاملين هامين . العامل الأول هو حياته الشخصية . فقد كانت لديه أمور لا يمكن التنازل عنها تحت أى ظرف .

الجلوس فى قهوة ريش وقت الظهيرة والحديث مع الأصدقاء . وقضاء السهرة فى أى مكان شرط أن يكون وسط مجموعة من الناس يودون الاستماع اليه !! والعامل الآخر هو أنه لم يهتم فى مقاماته بمشاكل مصر الحقيقية . لم يهتم بقضية الحكم والحاكم . ولم يعن بالمشاكل الحقيقية التى تواجه البشر العاديين ! وأغمض عينيه عن كل المشاكل ، واهتم بمشكلة واحدة . هى أن يكون باستطاعته أن يعمل ويكسب ويسهر وينشر انتاجه ويحصل على الأجر الذى يريد ! ولذلك ضحك الناس على الصياغة ولم يتوقفوا عند المضمون ! فلم يكن هناك مضمون حقيقى ، ولكنها التفاتات ذكية من رجل ساخر له وجهة نظر فى اختناقات المرور وأزمات السجاير واللحوم ! هل كان عباس الأسوانى لا يرى المشاكل الحقيقية .

بالطبع كان يراهـا .. ولكنه يتعمـــد الابتعاد عنها !

ولعل ذلك هو السبب الذى جعله — وهو المتكلم العظيم — يبتعد قدر الامكان عن حلقة المتكلمين العظام مثله .

فقد ابتعد خلال السنوات العشر الأخيرة عن الحلقات التى كانت تضم زكريا الحجاوى وعبد الحميد قطامش وحسن فؤاد وكامل زهيرى ! والسبب أن هذه الحلقات كانت تبدأ الحديث بالفن أو بالأدب او بالكلام الفارغ ، ولكنها تنتهى حتما الى السياسة . ولما كان عباس قد اختار مكانه السياسى الى جانب حزب مصر الفتاة . فقد آثر الابتعاد حتى لا يتورط ضد الجانب الذى اختاره ولو بالسماع ! ولعل ذلك هو السبب فى جفاف نهر فنه فى النهاية .

فالمجالات التى كان يرتادها فى النهاية لم تكن قادرة على إعطائه أى شىء ، ولكنها كانت تأخذ منه كل شىء !

كان سميعته فى النهاية من طبقة المستوردين والمصدرين ، وأصدقاؤه من المؤسسين فى شركات الاستثمار . وهؤلاء سرعان ما انفضوا من حوله عندما داهمه المرض اللعين وألزمه الفراش . ولعل هذا الموقف كان السبب فى التعجيل بنهايته . فقد اكتشف بعد فوات الأوان أنه أخطأ الطريق ، وأنه ابتعد كثيراً عن الناس الذين كان من المفروض أن يصادقهم ويكتب عنهم! وأياً كانت النهاية التى انتهى اليها عباس . فقد كان — يرحمه الله — مشروع فنان عظيم لم يكتمل . وكان واحداً من أبناء الجيل ، الذى لم يمنح فرصة للنضوج . وإن صدمة السجن بعد حريق القاهرة قد خلعت قلبه من مكانه وقلبت كيانه . وخوفه الشديد من ثورة ٢٣ يوليو لم يكن له مبرر ، فهى التى فتحت له طريق الشهرة ، ولم تسجنه يوماً ، بالرغم من أن كل أبناء جيله نزلوا ضيوفاً فى سجونها مدداً مختلفة ! وانضمامه الأخير بكل قواه الى عصر الانفتاح لم يكن له ما يبرره ، لأنه لم يستفد شيئاً ، ولم يجن شيئاً . وخرج من المولد بلا حمص .

حتى إنتاجه الأدبى لم يحفل به أحد بعد موته ، حتى البرامج القليلة التى قدمها للتليفزيون مسحوا شرائطها ليسجلوا عليها ما هو أكثر أهمية ، مباريات كرة القدم !

وحتى حقوقه الشرعية لم يحصل عليها ، وقد أدمت قلبى شكوى منشورة فى الصحف للسيدة الفاضلة حرمه تطلب فيها سرعة انجاز اجراءات معاشه الشهرى !

ولا أدرى من هو الملوم فى بداية ونهاية عباس المأسوية ؟ هل هو عباس نفسه ؟ هل

المأساة الأسوانية

هو الجيل الذى ينتمى اليه ؟ هل هى المرحلة التى عاشها ؟ أغلب الظن أنها كل هذه الأشياء مجتمعة . فهو عاش خمسين عاماً من الثلاثين الى الثمانين . وهى فترة من أعصف وأخطر وأخصب فترات مصر . نشبت فيها الحرب العالمية ، وبدأت فيها حروب فلسطين ،
ووقع فيها العـــدوان على مصر ، وقامت الوحدة ، وفشلت الوحدة . وحدثت هزيمة ٦٧ . وتفككت الأسرة العربية ، وشهدت الأرض من طنجة الى صنعاء ، كوارث ومصائب ومعارك بالسلاح بين أقطار الأمة ! وإذا كان الفنان عباس الأسوانى قد فقد توازنه فى الزلزال فبعض اللوم يقع عليه ، وأكثر اللوم يقع على الظروف المحيطة . لأنه لم يرتكب إثماً سوى بعض أبيات من الشعر ، ولعله اختار الشعر لأنه ليس بشاعر . كانما أراد أن يحتفظ بفنه طاهراً وتكسب بفن مجلوب ! تماماً كما فعل الشاعر كامل الشناوى ، حين مدح زعماء الأقلية بمقالات فى الصحف ، ولكن قصيدة المدح الوحيدة التى نطق بها كانت لمصطفى النحاس . لأن كامل الشناوى شاعر والمدح بالشعر ينبغى أن يكون للزعيم فقط أما الآخرون فلهم مقالات الصحف وهى أشبه بصرخات فى واد فسيح !

إن المأساة الأسوانية هى جزء من مأساة مصر . ولكنها وبالرغم من كل شىء أقل حدة من مأساة رشدى صالح وغيره . لأن عباس لم يضطر الى ركوب منبر أو قيادة حزب يعلم هو نفسه انه مزيف . ولكنه عاش رغم مأساته مجرد مواطن يريد أن يعيش . صحيح يريد أن يعيش فى جاردن سيتى ، وأن يركب سيارة بويك وأن ينفق عن سعة ، وأن يقضى رحلة العمر دون زيارة لسجن طرة أو منفى الواحات ولكنها على العموم كانت مطالب مشروعة ، ورغبات فنان غلبان صعد من سرداب المبنى الاجتماعى وأراد أن يحتفظ لنفسه بموضع قدم فـوق السطوح !

ولا أشعر بأسف قدر أسفى على انتاج عباس الأسوانى ، الذى تبدد أغلبه فى نكات حارة وغمزات مريرة وقفشات لاذعة أطلقها فى سهراته وقعداته ، وسجل أقلها فى سطور على ورق مطبوع . ولو أن الريح كانت مواتية والظروف مناسبة لكسـبت مصر فنانــاً عملاقاً ليس لـه نظير .

فقـد كان صاحب موهبـة فى الحديث متفـردة . وإذا كان زكريا الحجـاوى كمتحدث يبهرنى ، وقطامش يبهجنى ، فان عباس الأسوانى هو الوحيد الذى كان يضحكنى ! ولم أضحك فى حياتى من الأعماق إلا وأنا استمع الى عباس الأسوانى . ولكن أغرب شىء أن عباس الأسوانى المقتدر المتمكن كان يصاب بالصمت إذا خرج عن نطاق الشلة .

اشتركت معه مرة فى ندوة تليفزيونية حضرها صلاح جاهين وزكريا الحجاوى والفنان محمد رضا والفنان بهجت الرسام . ولم يفتح الله على عباس بكلمة ، فقد ارتج عليه أمام عدسات التليفزيون ! وذات محاضرة فى مدينة طنطا وكانت المناسبة هى عيد طنطا القومى . وكان فرسان المحاضرة زكريا الحجاوى والأسوانى والعبد لله . ارتج على عباس الأسوانى فلم يفتح فمه بكلمة واحدة ، وعجز تماماً عن النطق عندما هم بالكلام ! وسألنى بعضهم عقب المحاضرة كيف تشركون معكم رجلا عاجزاً الى هذا الحد ؟ ويبدو أن عبقرية عباس كانت تتفتح فى حلقة ضيقة وتموت عندما يتسع الميدان . وكان يتألق أكثر اذا اطمأن الى جميع الجالسين . وهى صفة كان يشترك فيها مع متكلم عظيم آخر هو قطامش ! وكان أسلوب عباس فى الحديث يعتمد على سرد قصة مشوقة وأحداثها مثيرة . وكان يسوقها بأسلوب مشوق للغاية وبينما كل الدلائل تشير الى نهاية يتوقعها الجميع للحكاية التى يرويها ، إذ به يفاجىء الجميع بخاتمة مسرحية ، خاتمة لا تتفق مع سير الأحداث وتثبت فساد علم المنطق .

وكان أكثر الناس وقاراً لا يملك نفسه من الضحك حتى السقوط من فرط الاعياء ! وكانت لديه قدرة للتحدث عدة ساعات دون كلل ، ودون أن يفقد حرارته ! وكان لا يستطيع الصمت ولو كان فى حضرة أعظم رجال دولة الكلام . المرة الوحيدة التى رأيت فيها عباس صامتاً كانت فى سهرة فى بيت الحجاوى أقيمت على شرف الفنان الكبير زكريا أحمد يرحمه الله ! وكان زكريا أحمد ملحناً عظيماً ومتكلماً أعظم . وكان حاسماً جداً فلا يسمح لأحد بالكلام . وكان سنه وتاريخه لا يسمحان لأحد بمقاطعته بعكس العتاولة الآخرين . وكان حديث زكريا أحمد مشوقاً ويجبرك على السماع .

خصوصاً وانه يحكى عن فترة لم نشهدها ، ويقص أخبار عباقرة لم نكن على قيد الحياة عندما كانوا زينة المجالس والسهرات ! كان يحكى عن الشيخ علي محمود وأول مرة جاء فيها الشيخ سيد درويش الى القاهرة . وخرجنا كلنا من السهرة فى منتهى السعادة لحكايات الشيخ زكريا ، وفى منتهى الغم لأن أحداً منا لم تتح له فرصة للكلام . ولكن أكثرنا غماً كان عباس الأسوانى ، لدرجة انه بكى بدموع حقيقية فى الصباح !

رحم الله عباس الأسوانى ، أحد عباقرة زمن الحسومات . زمن الولادة المتعسرة والمواليد المشوهين . رحمه الله ، فقد كان أشبه بمسدس بدون طلقات !!

محمود السعدنى

بعد ربع قرن من دخول التليفزيون إلى العالم .. ماذا كان تأثيره على عاداتنا .. وماذا ننتظر من هذا الجهاز في المستقبل؟

في بيتنا تليفزيون

بقلم: الدكتور صلاح الدين أحمد جوهر

دخل التليفزيون بيوتنا منذ حوالى ربع قرن من الزمان ولم نستطع أن نمنع أنفسنا من الترحيب به ، بل كنا نتسابق الى دعوته ونتنافس فى اقتنائه وذلك لأنه عندما دخل بيوتنا أول مرة ، حمل معه ما لذ وطاب من البرامج الترويحية والمعلومات والمسابقات الثقافية ، واستطاع أن ينقل الينا صوراً شيقة من العالم حولنا سواء ما كان منها من الشرق أو الغرب من الفضاء أو أعماق المحيطات ، من مملكة الانسان أو الحيوان بكل ما فيها من غرائب وأعاجيب . كنا نسعد عندما نجتمع أمام شاشة التليفزيون لمشاهدتها وكنا ندعو معنا الأهل والأصدقاء والجيران الذين لم يسعدهم الحظ بعد باقتناء هذا الصندوق العجيب .

وبعد مضي عشرين عاماً قضاها ذلك الضيف الجذاب بيننا فى بيوتنا بدأنا نحس أن وجوده قد غير الكثير فى نظام حياتنا وفرض على أفكارنا اتجاهات جديدة غريبة علينا ليست من النوع الطيب الذى نطمئن اليه ، ولكننا رضينا بها على مضض وسكتنا عليها حتى أصبحت كل هذه التغيرات ، حلوها ومرها ، بخيرها وشرها ، جزءاً من حياتنا ليس فى الامكان إنكار وجودها أو التخلص مما لا نرضاه منها .

وفى السنوات الأخيرة بدأ أنين الناس من هذا الضيف يعلو يوماً بعد آخر ، وبدأ تبرمهم به يأخذ صورة الاحتجاج المتزايد ، ولكن أحداً لم يجرؤ حتى اليوم أن يجاهر بالرغبة فى طرد هذا الضيف من بيته ..

ومع تزايد إحساس الناس بوطأة التليفزيون وتزايد نقدهم الآثار السلبية التى قد ترتبت عن وجوده داخل محيط الأسرة ، بدأ العلماء والباحثون يهتمون بسماع الصرخات التى لم يصدقها الكثيرون منهم فى أول الأمر .

وبدأوا سلسلة طويلة لم تنته من البحوث بهدف التعرف على تأثيرات مشاهدة برامج التليفزيون على سلوك الناس وطباعهم وعلى قيم الجماعات واتجاهاتها ومعاييرها . وكان فى مقدمة من استجابوا لنداء البحث وتقصي الحقائق نخبة من العلماء وأساتذة الجامعات بالولايات المتحدة الأمريكية على اعتبار أنها كانت أسبق الى استخدام التليفزيون.

وفى أوائل عام ١٩٧٢ صدر أول تقرير عن الحكومة الأمريكية يلخص ما توصل اليه العلماء والباحثون من نتائج فيما يتعلق بتأثيرات مشاهدة التليفزيون ، وبخاصة مشاهدة برامج العنف والجريمة ، على سلوك الناس . وجاءت تلك النتائج لتؤكد وجود رابطة قوية بين مشاهدة برامج العنف والجريمة وما يصدر عن الناس من سلوك بعدها يتسم بالعنف والعدوانية . وكان التركيز فى هذا منصباً على دراسة الأطفال والمراهقين .

أكثر شمولا

وبعد عشر سنوات من صدور التقرير الأول ، صدر تقرير ثان فى أوائل عام ١٩٨٢ وعن الحكومة الأمريكية أيضاً ، وإن كان أكثر شمولا وعمقاً وأكثر تنوعاً فى اهتماماته ومجالاته . وقد غطى قضايا وظواهر سلوكية واجتماعية متعددة للتليفزيون فيها دور واضح . وفى مقدمة تلك القضايا والظواهر تاتى :

- ظاهرة العنف والسلوك العدوانى .
- التنشئة الاجتماعية وإدراك الواقع الاجتماعى .
- الحياة الأسرية والعلاقات بين أفراد الأسرة .
- أداء الوظائف العقلية والمعرفية والوجدانية لدى المشاهدين .
- علاقة التليفزيون بعمليتى التعليم والتعلم .

في بيتنا تليفزيون

هذا وسوف نستعرض فى الصفحات القليلة القادمة أهم ما تضمنه الجزء الأول من تقرير عام ١٩٨٢ الذى حمل عنوان : «التليفزيون والسلوك : نتائج عشر سنوات من البحث والتقصى العلمى ومغزاها فى عقد الثمانينات» . وقد يكون من المهم أن نذكر أن الذين قاموا باعداد التقرير إنما هم حفنة من العلماء والباحثين الذين ينتمون الى الجامعات ومراكز البحث الأمريكية ، بعضهم من علماء الاتصال ، ومن علماء النفس ، ومن علماء الاجتماع والانثروبولوجى ، ومن الباحثين المهتمين بالتليفزيون وبدراسات الطفولة والشيخوخة والأسرة والتطوير التربوى . قام هؤلاء العلماء والباحثون (الذين يبلغ عددهم حوالى ٢٥) بتجميع وفحص وتحليل وتقييم كافة البحوث والدراسات ذات الصلة بالتليفزيون والتى بلغ عددها حوالى ٣٠٠٠ بحث ودراسة تمت داخل الولايات المتحدة والبعض منها فى دول أوروبية . ثم تقدم العلماء والباحثون بنتيجة فحصهم وتقييمهم الى هيئة حكومية أمريكية من المستشارين والعلماء قامت بتجميع هذه التقارير الفردية وتبويبها والتعليق عليها وضمنتها فى التقرير الذى نحن بصدد تقديم ملخص له .

الفصل الأول

جاء فى الفصل الأول من التقرير ما يلى :

● بلغ عدد البحوث ذات الصلة بالتيفزيون التى تمت حتى عام (١٩٧٠) ٣٠٠ بحث ، فى حين بلغ عدد البحوث التى اجريت فى الفترة من (١٩٧٠ حتى ١٩٨٠) ٢٥٠٠ بحث ، وذلك فى الولايات المتحدة وحدها .

● اتسعت دائرة العلماء الباحثين فى تاثيرات التليفزيون خلال عقد السبعينات حتى شملت كل العلماء السلوكيين .

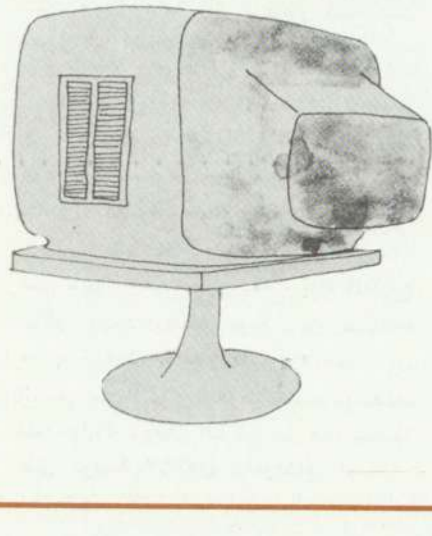
● تم تمويل غالبية البحوث والدراسات خلال السبعينات بواسطة المؤسسات الحكومية والجامعات وبعض المؤسسات الخاصة .

● اتسعت دائرة الاهتمام بتاثيرات التليفزيون خلال السبعينات ولم تقتصر على دراسة السلوك العدوانى وحده بل امتدت حتى شملت العلاقات الاجتماعية والأسرية والقيم والوظائف العقلية المعرفية والوجدانية .

● بعض البحوث والدراسات التى تمت خلال السبعينات من النوع المعملى الذى تتم خطواته تحت شروط وظروف تجريبية محكمة ، والبعض الآخر من نوع البحوث الميدانية التى تتم تحت الظروف المعتادة . ومن ثم أمكن الجمع بين حسنات ومزايا كل نوع .

● ثبت أن التليفزيون قد أصبح كالمغناطيس يحذب اليه الجميع : فالأطفال الرضع عندما يوضعون أمام شاشته يحملقون فى الصور التى تجرى أمامهم ، وصغار الأطفال يقضون ساعات طويلة من اليوم أمام التليفزيون ، بينما الكبار يواظبون على مشاهدة بعض برامجه . ويؤكد التقرير أن جمهور التليفزيون فى الولايات المتحدة الأمريكية قد اتسع حتى شمل كل الناس تقريباً ، وأن مشاهدة التليفزيون تاتى الثالثة فى الترتيب بين انشطة الناس اليومية (بعد النوم والعمل) بالنسبة لعدد الساعات .

● ويضيف التقرير أن التليفزيون قد أصبح جزءاً مكملا للحياة اليومية للمجتمع الأمريكى ويؤثر فى كل نواحيها : فهو الذى يضيف الى معلوماتهم ، ويزودهم بما يفكرون فيه ويتحدثون عنه ، ويوجه اراءهم وسلوكهم ، ويشغل الجزء الأكبر من أوقات فراغهم .



الفصل الثانى

يتحدث التقرير فى فصله الثانى عن تاثيرات التليفزيون فى الجوانب المرتبطة بالصحة والعلاج والحملات الصحية فى المجتمع الأمريكى ويقسم البحوث والدراسات التى تمت فى هذا المجال الى ثلاثة أقسام رئيسية :

القسم الأول : يهتم ببحث مضمون البرامج التليفزيونية والشخصيات التليفزيونية من حيث تاثيرها فى الحالة الصحية وفى السلوك المرتبط بها للمشاهدين . ويعترف التقرير بان الدراسات التى تمت فى هذا المجال قليلة نسبياً . ومن أمثلة الدراسات التى تمت فى هذا الشان دراسة تاثير الاعلانات عن المواد الغذائية على السلوك الغذائى للاطفال والكبار ، وكذلك دراسة تاثير عملية مشاهدة التليفزيون ذاتها على تكوين العادات الغذائية للمشاهدين .

القسم الثانى : ويهتم بقياس تاثير الحملات الصحية عن طريق التليفزيون على سلوك الناس . ويذكر التقرير العديد من الأمثلة على هذه الحملات ويقرر أنه فى الامكان التاثير فى معلومات الناس وفى سلوكهم بواسطة الحملات الصحية عن طريق التليفزيون .

القسم الثالث : ويهتم باستخدامات البرامج التليفزيونية فى أغراض العلاج النفسى / الاجتماعى لبعض نوعيات المرضى بالمستشفيات والمؤسسات العلاجية والسجون وفى دور الرعاية الخاصة للمسنين .

الفصل الثالث

يلخص لنا التقرير فى هذا الفصل أهم نتائج البحوث والدراسات التى أجريت لقياس وتقييم آثار مشاهدة التليفزيون على نمو وأداء الوظائف المعرفية والوجدانية عند الانسان (وبخاصة عند الأطفال) . ومن هذه الدراسات ما اهتم بدراسة «الانتباه» وتاثره بمشاهدة التليفزيون ، ومنها ما اهتم بنمو «الفهم» و «الاثارة» و «النمو العاطفى الوجدانى» ، وهى كلها موضوعات تدخل فى دائرة الاهتمام التقليدية لعلم النفس ومازالت تحتاج الى المزيد من البحوث .

الفصل الرابع

يختص هذا الفصل من التقرير بعرض وتقييم نتائج البحوث والدراسات التى تمت حتى صدور التقرير واهتمت بظاهرة العنف والسلوك العدوانى فى برامج التليفزيون . ويدلل واضعو التقرير على أهمية هذا الموضوع بتشكيل لجنتين حكوميتين للنظر فيه وذلك فى أواخر الستينات ثم فى أوائل السبعينات . أما اللجنة الأولى فقد أكدت فى تقريرها الصادرة في عام ١٩٦٩ أن « نتائج البحوث والتجارب المعملية تؤكد أن مشاهدة برامج العنف على شاشات التليفزيون تزيد احتمالات سلوك العنف فى الحياة العادية للمشاهدين» . وفى عام ١٩٧٢ صدر تقرير اللجنة الثانية وورد فيه أن «الأدلة التى تجمعت نتيجة الدراسات المعملية والحقلية تشير الى أن مشاهدة برامج العنف على شاشة التليفزيون تسهم وتحفز على ظهور السلوك العدوانى من جانب المشاهدين» . وقد أثار هذان التقريران كثيراً من الجدل بين العلماء وقدراً كبيراً من عدم الرضا بين الجماهير التى لم تسكت عن التعبير عن سخطها على الآثار السيئة لمشاهدة برامج التليفزيون وذلك من خلال جماعات أو روابط منظمة ذات كلمة مسموعة فى المجتمع الامريكى .

ويقدم لنا التقرير تغيرات علمية مفيدة يحاول كل منها شرح أسباب تلك الرابطة القوية بين مشاهدة العنف على شاشة التليفزيون وسلوك العنف والعدوان الذى يعبر عنه المشاهدون عقب تعرضهم لمشاهدة برامج العنف . ومن هذه التفسيرات ما يلى :

● يرى أنصار نظرية «التعلم بالملاحظة» أن الأطفال يتعلمون السلوك العدوانى من مشاهدة السلوك العدوانى على شاشة التليفزيون تماماً كما يتعلمون فى حياتهم العادية سائر ألوان السلوك والمهارات من رؤية وملاحظة سلوك الآباء والكبار والمعلمين والأقران» . على أن هناك شرطاً يضعه العلماء لهذا التعلم بالملاحظة استنتجوه من تحليلهم للمشاهدة التليفزيونية العنيفة ولسلوك الأطفال بعدها . هذا الشرط يرتبط بنوعية الثواب أو العقاب الذى يناله صاحب السلوك العدوانى العنيف فى برنامج التليفزيون ، فاذا رأى الأطفال أن الشخص صاحب السلوك العنيف يثاب بطريقة ما على سلوكه فان الأطفال يكونون أشد ميلا الى تقليد هذا السلوك . أما إذا رأوا صاحب السلوك العنيف يعاقب بطريقة ما على سلوكه فانهم يكونون أقل إقبالا على تقليد هذا السلوك . هذا ، ويعتقد العلماء أن التوحـــد النفسى مع الشـــخصيات التليفزيونية ربما يكون سبباً من أسباب التقليد والتعلم بالملاحظة .

● وهناك فريق ثان من العلماء يبنون تفسيرهم لارتباط مشاهدة سلوك العنف بالسلوك العدوانى للأطفال على نظرية أخرى مؤداها «أن الأطفال يتعلمون منذ صغرهم كبح نوازع الشر فى أنفسهم ويكافاون على ذلك ، ويتعلمون التعبير عن، السلوك المقبول ويكافاون على ذلك . أما إذا تعرضوا لفترات طويلة لمشاهدة برامج العنف والعدوان على شاشة التليفزيون فان زمام الكبح والردع الكامن فى نفوسهم يخف ويضعف ، ومن ثم ينطلقون فى تقليد السلوك العدواني العنيف الذي يشاهدونه.

● وهناك فريق ثالث من العلماء يفسرون الارتباط بين سلوك العنف ومشاهدة برامج العنف على شاشة التليفزيون على أساس نظرية تكوين الاتجاهات . وبناء على هذه النظرية فانه بازدياد وتكرار مشاهدة الأطفال لبرامج التليفزيون المليئة بالعنف والعدوان فانهم يصبحون أكثر تقبلا للسلوك العدوانى وأشد ميلا الى ممارسته.

ويثير التقرير فى نهاية هذا الفصل الرابع مجموعة من المشكلات البحثية التى واجهها العلماء والباحثون ، ويوضح كيف أمكن معالجة الكثير منها ، مما يدخل فى دائرة اهتمام الباحثين بطبيعة الحال .

الفصل الخامس

وفيه يبرز التقرير دور مشاهدة برامج التليفزيون فى تنمية القدرة على التخيل والابتكارية ، كمايقدم لنا دليلا أكيداً على مقدرة التليفزيـــون على غـــرس القـــيم الاجتماعيـــة المفيدة في نفـــوس الناشئة ، وعلى تعويدهم الســلوك الاجتمـاعي المرغوب . ومن السلوك الاجتماعى المرغوب الذى كان موضع اهتمام الباحثين : الغيرية ، والتعامل الودى ، وضبط النفس.

ويستخلص التقرير من نتائج كل الدراسات التى تمت على ارتباط السلوك الانسانى بمشاهدة التليفزيون نتيجة هامة مؤداها : «ان الأطفال يتعلمون فعلا من مشاهدة التليفزيون ... وأن ما يتعلمونه يعتمد على ما يشاهدونه .. فاذا شاهدوا عنفاً وسلوكا عدوانياً فانهم يميلون الى أن يصبحوا أكثر عدوانية وتمرداً . واذا شاهدوا سلوكاً اجتماعياً مرغوبا فانهم يصبحون أكثر انضباطاً وتحكماً فى سلوكهم وأكثر وداً فى تعاملهم مع الناس .»

الفصل السادس

يعد هذا الفصل من أهم فصول التقرير من المنظور الاجتماعى ، ذلك لأنه يعرض علينا نتائج البحوث والدراسات التى عالجت تأثير مشاهدة برامج التليفزيون فى تكوين صورة الواقع الاجتماعى لدى المشاهدين وفى تكوين شخصياتهم الاجتماعية أو ما يطلق عليه عادة عملية التطبيع الاجتماعى .

تتم عملية التطبيع الاجتماعى فى الظروف العادية ، وبعيداً عن تأثيرات التليفزيون ، بأن يتعلم الطفل منذ السنوات الأولى من حياته عن طريق ملاحظة غيره من الناس الذين يتقابل معهم أو يلتقى بهم ، فهو يتعلم ما يتعلمه من ملاحظة الأبوين والاخوة والاصدقاء ثم المعلمين والبالغين بوجه عام . يتعلم الصغار كيف يسلكون ويتصرفون فى المواقف الاجتماعية المختلفة ، ويتعلمون ما ينبغى عليهم أن يفعلوه عن طريق مشاهدة سلوك البالغين وتصرفاتهم . ومع دخول التليفزيون فى محيط الأسرة تغيرت معالم البيئة الاجتماعية للصغار ، وأصبحوا يرون أشياء وأشخاص آخرين غير هؤلاء الذين كانوا يرونهم قبل دخول التليفزيون . ان برامج التليفزيون التى يشاهدها الصغار ساعات طويلة من أيامهم مليئة بالشخصيات المتنوعة ، وكل من هذه الشخصيات لها دورها فى الحياة ، فمنها من هو طبيب ، أو ضابط ، أو معلم ، أو مهندس ، أو فنان ، أو صانع ، أو فلاح ، أو زوج ، أو أب ، أو ام ، أو زوجة وربة أسرة ، أو زوجة عاملة .. الخ . لقد تصدت البحوث والدراسات التى تمت فى السبعينات للكشف عن تأثير مشاهدة التليفزيون فى

الصغار من حيث الكيفية التى بها يدركون طبيعة هذه الأدوار المتنوعة فى الحياة ، وطبيعة السلوك الذى يسلكه صاحب كل دور من هذه الأدوار ، وجاءت نتائج هذه البحوث لتؤكد أن مشاهدة الصغار للشخصيات التليفزيونية وللأدوار التى تلعبها تؤثر فى إدراكهم أدوار الحياة وما يرتبط بها من سلوك وتوقعات . ويؤكد التقرير أن التليفزيون وإن كان لا يقصد صراحة أن يعلم الصغار كيف يلعبون هذه الأدوار فى مستقبل حياتهم إلا أن تعرضهم المستمر لمشاهدة برامجه وشخصياته تؤثر فى تعلمهم هذه الأدوار بالكيفية التى يرونها فى برامج التليفزيون .. وهذا فى رأينا مصدر من مصادر الأهمية والخطورة فى أن واحد لأنه فى غيبة مصادر أخرى غير التليفزيون تعلم الصغار أدوار الحياة يصبح التليفزيون ذا أثر لا يبارى فى تزويدهم بالأفكار والمعلومات وأنماط السلوك التى يسلكونها فى حاضرهم وفى مستقبلهم .

وقد توصل الباحثون كذلك الى أن الاكثار من مشاهدة برامج تليفزيونية معينة تتسم بالعنف أو سوء الخلق أو الخيانة والغدر أو انعدام العدل والقصاص يؤثر فى الأسلوب الذى يدرك به المشاهدون الحياة الحقيقية من حولهم ويؤدى بهم الى فقدان الثقة بالآخرين والى الشعور بالغربة وعدم الطمانينة . ويؤكدون أنه وان كان التليفزيون يعد واحداً ضمن عوامل تشارك فى تشكيل صورة الواقع الاجتماعى عند الناس إلا أن الدور الذى يلعبه فى هذا المضمار دور خطير الشأن وهام .

الفصل السابع

يعالج الفصل السابع من التقرير موضوع الأسرة والعلاقات بين أفرادها من حيث تأثرها بدخول التليفزيون في حياة الأسرة . ويشير التقرير إلى الأسرة التليفزيونية ، وهي الأسرة كما تظهر فى البرامج والأفلام والمسلسلات التليفزيونية، ويؤكد أن هذه الأسرة التليفزيونية تلعب دور النموذج لدى الكثيرين من المشاهدين بكل ما تحمله من معان وعلاقات وتفاعلات ومشكلات . وقد عبر العلماء والباحثون عن قلقهم البالغ إزاء الصورة الغالبة التي تظهر بها الأسرة التليفزيونية ففيها من المعاني والعلاقات ما يسيء إلى صورة الأسرة فى مخيلة المشاهدين وبخاصة الصغار قليلي الخبرة بالحياة .

ثم ينتقل التقرير الى تقويم نتائج البحوث والدراسات التى اهتمت ببحث تاثير مشاهدة التليفزيون فى حياة الأسرة العادية وفى التفاعلات التى تتم داخلها وكان أهم ما توصلوا إليه ما يلي :

● عندما تجتمع الأسرة لمشـــــــاهدة التليفزيون تقل المحادثات الأسرية ويهبط حجم التفاعل بين أفرادها .

● أن الانطباعات التى تنمو وترسخ فى ذهن كل فرد من أفراد الأسرة نتيجة مشاهدة برنامج تليفزيوني واحد تختلف وتتباين من فرد لآخر وذلك لأن كل واحد منهم يدرك مايدور في التلفزيون بطريقته ومن زاويته الخاصة وهو منعزل عن الآخرين الذين لا يتحدثون مع بعضهم البعض .

● أن غالبية الآباء لا يمارسون اي توجيه فيما يتعلق بمشاهدة التليفزيون بواسطة الأبناء ، ويتركون للأبناء اختيار ما يحبون مشاهدته من البرامج التليفزيونية .

الفصل الثامن

يقدم التقرير فى هذا الفصل العديد من الحقائق والاحصاءات عن التليفزيون فـي حياة المجتمع الأمريكي ، ومن هذه الحقائق مايلي :

● يوجد بالولايات المتحدة ١٠٢١ محطة تليفزيون ، منها ٧٥٣ محطة يمتلكها قطاع الأعمال الخاص ، ٢٦٨ محطة تمتلكها الحكومات أو الجامعات .

● يقضى المشاهد الأمريكى فى المتوسط حوالى ٩٥٪ من وقت المشاهدة فى متابعة برامج محطات التليفزيون الخاصة التى تبث الأنباء والبرامج التعليمية والوثائقية بالاضافة الى البرامج الترويحية .

● يغذى هذه المحطات ثلاث شبكات تليفزيون كبرى ، وهذه بدورها تتعامل مع حوالى عشرين منتجاً تليفزيونياً (منهم شركات انتاج كبرى ومنتجون مستقلون) .

● يرى حوالى نصف جمهور المشاهدين من البالغين أن بعض برامج التليفزيون لا تناسب الأطفال ، ويتخوفون من مضمون بعض البرامج على المستويات الأخلاقية للناشئة .

الفصل التاسع

يعالج هذا الفصل موضوعاً جديداً لم يسبق معالجته فى تقارير من قبل ، وينطلق من فرضية منطقية مؤداها انه مادامت ليست هناك نية فى التخلص من الأداة السحرية فانه كلما زاد فهمنا لها زادت قدرتنا على تفادى أضرارها والاستزادة من فوائدها . يضاف الى هذا أن الاعتقاد السائد بين الناس هو أن التليفزيون سوف تزداد أهميته بمرور السنين ، ومن ثم ينبغى تعليم الأطفال والبالغين على السواء كيف يشـــاهدون التليفزيون ويتعاملون مع مضمون برامجه تماماً كما يتعلمون القراءة والكتابة وغيرها من المهارات الضرورية للحياة فى المجتمع الأمريكى . ثم يتعرض التقرير لمناقشة «المشاهدة الناقدة» كواحدة من هذه المهارات الضرورية التى ينبغى العمل على تنميتها فى المواطنين منذ الصغر ، ويوضح لنا كيف أمكن لبعض الأنظمة التعليمية فى الولايات المتحدة تبنى مقررات دراسية محددة هدفها تنمية مهارات «المشاهدة الناقدة» لبرامج التليفزيون حتى تجعل من مشاهدتها خبرة إيجابية مفيدة تضيف الى سائر الجهود التربوية الأخرى فى صقل شخصية المواطنين وهم مازالوا أطفالا فى عمر المدرسة .

إن تعليم المهارات المتصلة بالمشاهدة الناقدة للتليفزيون مازال مجالا تربوياً جديداً علينا ، ولكنه يعكس بدون شك إتجاهاً عاماً نحو وضع هذه الأداة (التليفزيون) فى مكانها المناسب كجزء فعال فى توجيه ودفع عملية النمو العقلى والانفعالى للناشئة .

ويتحدث التقرير فى هذا الفصل أيضاً عن التحصيل التعليمى للتلاميذ من حيث تأثره بمشاهدة التليفزيون ويقرر أنه من المتعذر فى الوقت الحاضر الكشف عن حقيقة العلاقة بين مشاهدة التليفزيون والتحصيل التعليمى نظراً لوجود العديد من العوامل الأخرى التى تتدخل فى تشكيل هذه العلاقة .

الفصل العاشر

يتحدث التقرير فى هذا الفصل عن المغزى الذى ينبغى ان نخرج به من هذا الكم الهائل من نتائج البحوث والدراسات التى امكن التوصل اليها خلال عقد السبعينات . وقد يكون مفيداً ان نبرز بعض النقاط التى ركز عليها التقرير فى فصله العاشر والاخير :

● يقول التقرير انه لا يليق بعد اليوم ان ننظر الى التليفزيون على انه مجرد لعبة او جهاز كهربى بعد ان ثبت بالبحث والدراسة المستفيضة انه جهاز تربوى وتعليمى بالغ الخطورة ، وان تاثيراته قوية وتراكمية فى آن واحد .

● ويؤكد التقرير انه قد انقضى ذلك الزمن الذى كان البحث فيه يركز على الكشف عن وجود علاقة سببية بين مشاهدة التليفزيون وبعض الظواهر السلوكية الاجتماعية .

لقد توغل التليفزيون فى حياة المجتمع واصبح يحتل مكانة تضارع مكانة الأسرة والمدرسة وغيرهما من مؤسسات المجتمع من حيث تاثيراته ودوره فى عملية التربية والتطبيع الاجتماعى .

● ويؤكد التقرير كذلك الحاجة الى مزيد من البحوث والدراسات للكشف عن الظروف التى تؤدى بالصغار الى تعلم السلوك الاجتماعى المرغوب من خلال مشاهدتهم برامج التليفزيون ، وللكشف كذلك عن مدى تاثر المعتقدات والتقاليد الاسرية واسلوب الحياة فيها بمشاهدة التليفزيون .

تعقيب

كلمة حق ينبغى ان تذكر بعد هذا العرض السريع لمحتوى التقرير هى انه اكثر التقارير التى ظهرت حتى يومنا هذا شمولا وعمقا فى آن واحد .

لقد غطى التقرير مجالات عديدة ذات اتصال بمشاهدة التليفزيون كانت محطا لاهتمام العلماء والباحثين خلال عقد السبعينات ، واستطاع واضعو التقرير ان يقدموا لنا تقييما موضوعيا دقيقا لنتائج البحوث والدراسات التى تمت فى السبعينات وكان فى بؤرة اهتمامها الكشف عن تاثيرات مشاهدة التليفزيون فى سلوك الانسان المواطن فى مواقف متنوعة من مواقف الحياة اليومية .

ومن المفيد فى تعقيبنا على هذا التقرير أن نبرز بعض المعانى الهامة التى وردت فيه ثم نستخلص لانفسنا بعض المعانى الاخرى ذات المغزى لنا نحن التربويين والاجتماعيين فى المجتمع العربى . ويأتى فى مقدمة تلك المعانى ما يلى :

أولا : إن كون التليفزيون له بعض الآثار الضارة سلوكيا لا ينبغى ان يؤدى بنا الى حرمان ابنائنا من مشاهدة برامجه او ان ننهى تلاميذنا بالمدارس عن الاستمتاع به ذلك لأن للتليفزيون استخدامات نافعة عديدة اشار اليها التقرير وعلينا نحن ان نبحث ونجتهد فى ان نرى من التليفزيون وجهه النافع المضيء من المنظور التربوى الاجتماعى .

ثانيا : إذا كان ما جاء بالتقرير صحيحا .. أى اذا كان التليفزيون قادراً على إحداث كل هذه التغييرات فى عقول وسلوك الابناء ، وهو فى الحقيقة قادر على فعل ما هو ابعد واعمق .. فلنا ان نتساءل عما فعلته المدرسة التقليدية ... وما يمكن أن تفعله .. وما ينبغى أن تفعله ؟ ليس منا من ينكر ان مدارسنا التقليدية قد تقلص دورها حتى اصبحت تهتم فقط بجانب صغير من الجوانب العديدة لعملية التربية الشاملة للناشئة وهو الجانب الخاص بالاعداد لاحترافه حرفة من حرف الحياة او امتهان مهنة من مهن العمل المختلفة التى تؤمن المستقبل المادى لاصحابها .

أما غرس القيم وانماط السلوك المرغوب اجتماعيا فان المدرسة التقليدية قد انشغلت عنه إن لم تكن قد اصبحت عاجزة عن الوفاء به .

ثالثا : إنه فى الامكان ان نعمق دور مدارسنا فى عملية التربية دون أن تتكبد الكثير من المشقة والنفقات ، وذلك بان نطالبها بان تعلم ابناءنا كيف يشاهدون التليفزيون «مشاهدة ناقدة» مفيدة ، وان تجعل دروس المشاهدة جزءاً مكملا ومتكاملا مع الخطة العامة للدراسة لها اصولها واساليبها واهدافها

رابعاً : من المفيد ، ومن الضرورى ان تبدأ المدرسة والتليفزيون عصراً جديداً تلتحم فيه جهودهما وتتوحد غاياتهما من اجل مستقبل افضل لأبنائنا . وقد يتطلب ذلك إعادة النظر فى أساليب ومحتوى إعداد المعلمين وإعداد العاملين بالتيفزيون بحيث تتضاعف فرص الالتقاء الفكرى بين افراد الفريقين ويزداد إيمانهم معاً بأن التعاون يمكن ان يحقق الأهداف بفعالية.

خامساً : ومن اجل تحقيق فعالية اكبر لكل من المدرسة والتليفزيون فى تشكيل شخصية المواطن الانسانى فاننا نوصى بان تنشط المدرسة (أى المؤسسة التعليمية بوجه عام) فى تلفزة مناهج التعليم وفق الأسس والتقنيات المعمول بها فىأوساط المؤسسة التليفزيونية ، وأن يبدأ التليفزيون فى منهجة برامجه وفق القواعد المعمول بها فى أوساط المؤسسة التعليمية .

سادساً : ان الاهتمام بتصحيح مسار كل من المدرسة والتليفزيون لا ينبغى ان يشغلنا عن بحث وتقصى بعض الجوانب التى اهملها او غفل عنها التقرير الذى عرضنا موجزاً له . ومن المجالات التى مازلنا نحتاج الى بحثها وتقصى ابعادها ما يلى :

● ان ادمان مشاهدة التليفزيون هو نوع من «السلبية» تنمو وترسخ فى نفوس المشاهدين مع مرور الوقت ، ونحن بحاجة الى الكشف عما إذا كانت هذه السلبية تمتد الى جوانب الحياة الاخرى لهؤلاء الأفراد الذين يشاهدون برامج التيلفزيون بكثرة تصل الى درجة الادمان ، وما اذا كانت هذه السلبية تؤدى بهم فى النهاية الى الانسحاب أو الهروب من واقع الحياة .

● ونحن بحاجة كذلك الى تحديد مدى تاثير مشاهدة التليفزيون على حواس الاطفال ، وبخاصة حاستي السمع والابصار ، وتاثير هذا ـ إن وجد ـ على النمو الصحيح لهؤلاء الاطفال .

● ونحن لا ندرى على وجه التحديد مدى الاثر الذى تتركه الشحنات الكهربية المتولدة عن تشغيل اجهزة التليفزيون فى صحة وسلامة الأفراد الذين يتجمعون حوله لمشاهدة برامجه ساعات طويلة من اليوم . لذلك فاننا بحاجة الى بحوث طويلة ومستفيضة تكشف لنا عن هذا الاثر وتقدم لنا المقترحات الضرورية المناسبة .

وفى النهاية ، ينبغى ان نعترف بان هذا التقرير سوف ينجح فى إثارة العديد من المناقشات والجدل حول محتواه والمغزى الذى يمكن ان نخرج به من فحص هذا المحتوى .

د. صلاح الدين جوهر
وكيل كلية التربية . جامعة قطر

كمال ناصر في ذكـــراه العاشـــرة

بقلم : نبيل خالد الأغا

كيف استطيع أن أرمى بثقل التاريخ عن كتفي ؟
كمال ناصر

عند الساعات الأولى من فجر العاشر من ابريل « نيسان » عام ١٩٧٣ م تسللت عدة مجموعات من الارهابيين الصهاينة الى قلب مدينة بيروت ، ونفذت بعض عملياتها الاجرامية التى استهدفت حيـــاة بعض كوادر الثورة الفلسطينية ، كانت ابرزها عملية « شارع الفردان » حيث يسكن ثلاثة من أقطاب المقاومة فى عمارة واحدة . محمد يوسف النجار ، كمال عدوان ، وكمال ناصر .

وقد نجح غلاة اليهود فى اغتيال القادة الثلاثة فى مخادعهم . ولكنهم خصوا المتحدث الرسمى باسم اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية كمال ناصر بعشر رصاصات اطلقوها على فمه فما هى ابعاد الحقد الأسود على كمال ؟ ولماذا حرص العدو على اغتياله ؟ « وهو الذى يعلم تمام العلم ان كمال ناصر لم يؤذ نملة فى حياته ، وان كل معاركه لم تعرف من السلاح سوى الكلمة المنثورة ، أو الكلمة الموزونة .

لقد كانت صورته على الشاشة التليفزيونية ترعب الصهاينة أكثر بكثير من صورة الفدائي الملثم ، ولما اغتالوه قيل انهم اغتالوا فيه صورة الطيبة والوسامة والحضارة التى بدأت تغزو أوساط الغرب ، وهذا هو أحكم ما قيل فى تفسير حرص العدو على اغتياله » .

فى غزة هاشم ولد كمال فى العاشر من ابريل « نيسان » عام ١٩٢٤ م ، وفى بيروت الصمود مات كمال فى العاشر من ابريـــل « نيسان » عام ١٩٧٣ م ، وما بين الميلاد والشهادة واحد وخمسون عاماً قضى بعضها تلميذاً فى مقر عائلته بقرية بئر زيت وشابا فى الجامعة الامريكية ، وخريجاً من قسم العلوم السياسية ، ومعلماً بالقدس ، وصحفياً فى رام الله ، ونائباً فى مجلس النواب الاردنى ، وعضواً فعالا فى احد أكبر الاحزاب العربية ، وموظفاً فى الكويت ، ونزيلا فى باريس ، ومبعداً بالأمر العسكرى الصهيونى من الضفة الغربية ، وشاعراً ملهماً ، وفناناً ثورياً ، وعاشقاً أبدياً لأمته ووطنه ، ومعتقلا فى أكثر من سجن عربى ، وناطقاً رسمياً باسم منظمـــة التحرير الفلسطينية ، ورئيساً للجنة الدائمة للاعلام العربى .. ومشرفاً على تأسيس اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، وأول رئيس تحرير لمجلة «فلسطين الثورة» المتحدثة باسم جميع فصائل المقاومة ، لقـــد .. كان كمال « ضميراً » حياً لأمته الحية . أقام فى دمشق سبعة أعوام ، شهد خلالها مولد أول تجربة وحدوية بين مصر وسوريا ، كان فرحه بميلادها لا يعلو عليه الا فرحه بتحرير وطنه . لنسمعه وهو يتغنى بالوحدة العربية الشاملة :

ما ضَرَّ لو نهضَتْ بغدادُ فى وَلَـــهٍ
وصافحت اختَها بيروتَ او حَلَبَـــا
وأجمعت فى روابي النيـــل قائلة
من الميامين تُملي النصرَ والغَلَبَـــا
ما ضَرَّ هـــذا وصافى العرق يجمعنا
مُذْ كان تاريخنا أمَّاً لنـــا وابـــا
تلك الحدود التى شلت توثّبنـــا
للنور . من صنع غدار بنـــا لعبـــا



كمال ناصر

وكل من يدعى فيها سيادته
يريد ان يسحق التاريخ والعربا

ولقد تفاعل الشاعر تفاعلا ايجابيا مع كافة قضايا امته العربية ، فجرد قلمه ، واستل كلمته مدافعا عن حقوقها ، ذائدا عن كرامتها وها هو يكتب الى المناضلة العربية الجزائرية « جميلة بوحريد » قائلا لها فى سجنها :

السجن والقيود يا جميله
حكاية فى دربنا طويله
حكاية يعزفها حماننا
منذ قديم العمر فى الطفوله
حواء يا شهية المعانى
والقلة الحالمة الكحيله
اى قلة مشت الى ذراك
فاشتعلت بالمجد والرجوله

واهتم كمال ناصر بالشعر اهتماما واضحا ، واعتبره « حاسة خاصة بالشعراء فقط يتفردون بها دون غيرهم من الناس .. حاسة سادسة فطرية فى الشاعر » وما دام الله سبحانه وتعالى قد انعم عليه بهذه الموهبة ، اذن فليوجها الوجهة الصحيحة التى تستحقها ، فركز اهتمامه على انتقاء المعاني الشعرية الخلاقة التى تكسب شعره نضارة وقيمة ، أكثر بكثير من اهتمامه بذوات النحور والقدود والعيون من بنات حواء :

يا شعر فيك أرَقْتُ ماء شبابى
لا فى الغرام بزينب وربابِ
حُسْنُ المعاني لا الغواني شفنى
واحال فى العشرين لون خضابي

ولم يهتم كمال – كغيره من الشعراء – بقضية المرأة كمرأة ، بل اهتم بالدرجة الأولى والأخيرة بقضية وطنه المغتصب ، واعتبر ان العمر أقصر من أن يضيعه المرء فى قضايا العشق ، والزواج ، والانجاب ، فامضى كمال عمره زاهدا فى حواء . متبتلا فى محراب الثورة والوطن ، فلم يرتبط بزوجة ، ولم ينجب طفلا ، ولكنه لا يفتا يمجد بنات شعبه وهن يقاومن المحتلين فى غزة قائلا :

قل للعذارى السبايا من حرائرنا
هل يعرف المجد أغلى من عذارانا ؟
ينهدن للجو يستمطرن ديمته
ويستحلن بدنيا الغيم عقبانا
خطرن للسجن فاهتزت زنازنه
ما أجمل الغضب المسجون سجانا

ويؤكد كمال مرارا بانه وهب عمره وشعره الى وطنه فيقول :

ويا وطني والجرح ينزو ملاحما
وحق دمي لولاك لم انظم الشعرا
فلست ارى إلاك قلبا احبه
ولا غاية اسمى ولا هدفا أحرى
فاسمع صوت الغيب يهتف فى دمي
اذا شئت ان تحيا .. فعش دائما حرا

عاش الشاعر حرا كما اراد ، ولكن الحرية التى يريدها ويشتهيها سامقة فى مثاليتها ، ولا يمل ترادادها فى شعره :

أردت أن أغير الدنا لتنبض النجوم فى مواكب السنا ..
أردت أن أرَوِّضَ الفناء والبقاء والقدر
فى مهجتي الظماى وان اضاجع الخطر
أردت أن أحول العجز المريض فى دمي
الى شرر
وارتدى النجوم حلة ، واحمل القمر .

وها هو يتباهى باستشهاد القائد الفلسطيني البطل عبد القادر الحسيني فى معركة القسطل عام ١٩٤٨ ويشترك مع ابناء بيرزيت فى تابينه .. والاشادة ببطولته :

ايها الموت تِهْ علينا وفاخر
لم يطش سهمك اللئيم الغادر
أنت لم تطوه جبانا ولكن
قد تهادى اليك نشوانَ ظافر
يا فلسطين لا تبالي فانا
قد روينا والخصم ظمآن صاغر
ما اغتصبنا المجد الاثيل ولكن
قد ورثناه كابرا عن كابر
لك ذكر كالزهر يبقى جنيا
فى جبين الخلود رَيّانَ عاطر

مفهوم واع للمسيحية

برغم ان كمال بطرس ناصر كان من اتباع عيسى بن مريم عليه السلام ، الا ان ذلك لم يمنعه من تمجيد ديننا الاسلامى الحنيف ، والاشادة بخاتم الأنبياء حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وتضمنت « آثاره الشعرية » عدة قصائد فى مدح رسولنا الثائر الأعظم . وفى حفل لليتيم اقامته الجامعة الامريكية ببيروت عام ١٩٤٤ ، القى « الطالب » كمال ناصر قصيدة قال فيها :

احمدٌ ذلك اليتيم المفدى
رفع الحق فاستوى على نصابه
شع فى غابر الزمان نبيا
بهر الكائنات وَهْج شهابه
حمل المشعل الذى مزق الجهل
الى ذروة الهدى وهضابه

لقد كان كمال صادقا فى مسيحيته . ولكنه لا يفهمها الا اذا ذابت فى مفهوم العروبة ، ومن هنا ندرك سبب براءته من الغرب المسيحي الذى تسبب فى ضياع فلسطين ، وتشريد شعبها :

لستَ مني يا غرب فاحمل صليبك
راعفا بالدماء واتبع ربيبك
لست مني فانزع شعار صلاتي
حسبي العمر قد حملت ذنوبك

وبهذا المفهوم الواعي نراه يناشد نبى الله عيسى عليه السلام ان يثور ويغضب لاعتداء اسرائيل على القدس ، وقصفها كنيسة القيامة فى ليلة عيد الميلاد :

عيسى بن مريم قد عرفتك هادئا
فاغضب ولو فى ليلة الميلاد
واشهد ماسي الغرب ، كل جريمة
قامت هنا باسم المسيح الفادي
ان كنت منهم يا ابن مريم فلتعد
لربوعهم ، لا كنت فينا الهادي
اما المحبة فلتحول غضبة
هوجاء تذكي الحقد فى الأغماد
يا صائد الاسماك قد أوْدَتْ بنا
بين الأنام شريعةُ الصياد

كمال ناصر
في ذكراه العاشرة

... مع فدوى طوقان

خلال مسيرته النضالية الطويلة ، تعرض كمال ـ مثل الغالبية العظمى من المناضلين العرب ـ لكثير من هموم التشرد والاعتقال والمطاردة ، وفرضت عليه الظروف ذات مرة أن يختفي عن الانظار ، فاضطر إلى مراسلة بعض الصحف والمجلات باسم مستعار . وحدث أن قرأت له زميلته الشاعرة المبدعة فدوى طوقان بعض انتاجه الادبى ، ففطنت الى أسلوب كمال ، وكتبت له قصيدة « المغرد السجين » تقديراً له ، ووفاء منها تقول فيها :

شدوك يأتينا حبيب الصدى
محلقاً رغم انغلاق الرحاب
يا طائري السجين فاصدح لنا
من خلف جدران الدجى والعذاب
غن ، فقضبان الحديد التى
تسد ، فى وجهك رحب الفضاء
لن تحجب الغناء عن سمعنا
يا طائري غن فدرب الرجاء
ما زال يمتد مشع الضياء
رغم انطباق الليل من حولنا

فبعث الشاعر قصيدة « من الاعماق » الى صاحبة « المغرد السجين » قال فيها :

أنا مثلما شئتني أن أكون
وشاءت لي الحادثات الصعاب
كَبُرْتُ على الذل لا أرتضيه
ولي موطىء خالد في السحاب
اعانق من رَبْوَتَيْه النجوم
وأختال بين الذرى والقباب
أُطِلُّ على الكون أحيا النضال
وأبقي به العمر غض الاهاب
ومن ارضَعَتْهُ النجوم الدراري
سرى فى سماء العلى كالشهاب
سَفَحْتُ دمي فاستفاقت جراحي
تُلَوِّنُ صدر الذرى بالخضاب
وأحببت داري ، فَلَذَّ لقلبي
بلوغ المنى ، واقتحام العباب
أتوب ، معاذ العلى اي يوم
مضى شاعر للمعالي ، وتاب

نماذج من نثره

تحرص اسرائيل بين الفينة والأخرى على تأكيد عداوتها الأبدية للكلمة الصادقة الأمينة ، من أجل ذلك استهدفت اغتيال الكلمة الثورية الشريفة ، يوم افرغت رصاصات حقدها فى صدور طائفة من فرسان الكلمةالفلسطينية الحرة من امثال الشهداء : غسان كنفاني ، كمال ناصر ، راشد حسين ، ماجد ابو شرار وغيرهم .

ومثلما أبدع كمال ناصر فى كلمته الموزونه ، كذلك أبدع فى كلمته المنثورة ، لنقرأه وهو يكتب افتتاحية « فلسطين الثورة » الى الكتاب والصحفيين الفلسطينيين :

« لما كانت الهجمة الصهيونية والامبريالية على الأمة العربية غزوة مدنية مشوهة ، تستهدف قهر هذه الأمة بتراثها الانسانى والروحى والكفاحى ، وكذلك تستهدف فرض السيطرة الرأسمالية والفاشية والامبريالية عليها ، فان الكتاب والصحفيين يتحملون فى مواجهة هذه الهجمة مسئولية خاصة ، لانه لا يمكن الرد على التفوق العلمى والتنظيمى للحركة

الصهيونية إلا بالمحافظة على القدرات الأصيلة للثورة العربية ـ وأبرزها القدرات الانسانية ، والاجتماعية ، والروحية ـ وإغنائها بالتقدم والعلم والتنظيم والتحديث .

فالعقل العربى ، والوجدان العربى والضمير العربى مستهدف بالغزوة المدنية المشوهة قبل وبعد أن استهدفت الأرض العربية ، وانه لمن أولى واجبات العقل والوجدان والضمير العربى الذى يستمد القلم منها نبضه أن يتصدى لهذه الهجمة ، وأن يجند فى التصدى لها كل الجماهير العربية .



فدوى طوقان



غادة السمان

والأخوّة بين القلم الثورى والبندقية المقاتلة بالالتحام الذاتى . والممارسة وحدها القادرة على استرجاع هيبة الحرف والكلمة ، لتصبح الكلمة بحجم الرصاصة ، والرصاصة بتأثير ومفعول الكلمة ، بحيث لا يعود الانسان العربى يقول ما سيفعل حتى يستطيع أن يفعل ما يقول» .

.. مع غادة السمان

لم يقتصر العطاء الأدبى لكمال ناصر على افتتاحيات مجلة «فلسطين الثورة» ، بل ان الكثير من رسائله الخطية الى زملائه وزميلاته أشبه ما تكون بالسجلات التاريخية والقومية .

وكانت تربطه بالأديبة البارعة «غادة السمان» علائق صداقة ومودة ، وقد شعرت باحساسها الأدبى المرهف ، من خلال تبادل الرسائل بينهما ـ أن رسائل كمال ذات قيمة واضحة ، فاستأذنته فى نشر بعض مقاطع من رسائله اليها فى المجلة التى كانت تعمل بها . لكن الفكرة لم ترق لكمال ، وها هو يرد عليها ساخراً : «تسألين إن كان باستطاعتك أن تنشرى بعض ما أكتبه لك من أحاسيس عامة ، وأنا أقول بأننى لم أدرك وأنا أفيض لك أن هناك ثمة ما يستحق أن ينشر أو يذاع .. بقع الدم التى تلطخ بعض أحرفى بين الفينة والفينة أبقيها جسراً يعبر عليه من أحبهم من أصدقائى بين الحين والحين . وان كنت تصرين على اطرائى ، فاحتفظى برسائلى هذه فقد أصبح مشهوراً يوماً ما مثل فريد الأطرش فتبيعين رسائلى لمصلحة جمعية خيرية ، كما فعلوا بمذكرات شكوكو عام ١٩٦٣» .

وكانت غادة قد تلقت فى بداية عام ١٩٦٨ م رسالة من كمال بعثها اليها من الأردن قال فيها : «يسعدنى أن تكتبى لي ، لعلك نافذتى الوحيدة على الخارج ، لقد بدأت أنساه ذلك الخارج ، الضجيج الذى يأتى من هناك يلتقى بالذى هنا .. فلا يحدث أى تغيير ، ومازال الدوامة الوحشية تلف،وتلف ، وتلف .

اكتب لك من مقرى الجديد ـ جناح فراس ـ ، وفراس هو طيار أردنى قتل فى المعركة ، وشقيقه ضابط كبير سابق وهو صديقى ، وقد بنى باسمه منزلا وشققاً للسكن ، وأعطاه اسم شقيقه الشهيد ،

وبالرغم من جمال المكان إلا أنه مأساوي بحكم التسمية ، وصوره المعلقة والتي تطاردني دوما ، وتذكرني بالمأساة ، وكأنني بحاجة الى من يذكرني بها !

حرارتي مرتفعة ـ أصابتني نزلة (أفرو ـ آسيوية) ، كأنما لا يكفينا نزلات الغرب والشرق لتتآمر علينا حتى دول الحياد» .

تكريم

كان كمال على علاقة حب مع الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ، وحدث أن التقى به في القاهرة بعد انفصال الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٦١ ، فسأله كمال بخفة ظل قل لي يا ريس .. هل أنت ستالين أم السيد المسيح ؟!

وروى كمال أن جمالا رد عليه وهو يضحك :

لا هذا ولا ذاك .. أنا جمال عبد الناصر حسين .

وكان الزعيم العربي قد منح كمالا وسام الجمهورية من الطبقة الثانية ، حينما كان نائبا بمجلس النواب بالمملكة الأردنية الهاشمية «تقديراً لجميل صفائح ، وتوثيقا لعرى الصداقة ، وتوكيداً لروابط الوداد» وذلك في اليوم السابع عشر من شهر جمادى الآخرة لسنة ألف وثلاثمائة وست وسبعين من هجرة خاتم المرسلين .

وبعد استشهاد كمال أرسلت «جمعية خريجي الجامعات العربية الامريكية» شهادة تقدير الى عائلته في بير زيت ، معتبرة شعره «تجسيداً للمثل العليا والقيم الانسانية ، وخدمة للأدب وللانسان أينما كان» .

كما منح بعد استشهاده أيضاً «جائزة اللوتس التقديرية» والتي منحت أيضاً الى ثلاثة من أدباء فلسطين : غسان كنفاني ، محمود درويش . عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) .

نشوة الألم

... هذه سطور عابرة من حياة كمال ناصر ... الانسان ..

ولا نملك الا التأكيد على احدى مقولاته الصادقة حينما قال : « أما القيادات فتتغير وأما الأشخاص فسيزولون ، وتبقى القضية أكبر من كل القيادات والأشخاص ، ولابد أن يذوب الجزء في الكل ، وأن يذوب الكل في الثورة ، قبل أن تُسْقِطَ الثورة كل الأجزاء التي لا تستحق الحياة » .

ولا نملك أيضا إلا أن نردد معه نشيده المرسل عبر احدى رسائله الى الشهيد العربي وكأنه يكتب نعيه بيده :

من سار في درب العلا
لابد أن يموت ..
في موكب الاباء والشمم
لاننا في موتنا نستلهم الحياة
نحقق الحياة
ونخلق الحياة في العدم
ضريبة الوجود أن نُعَمِّد الوجود
وأن نعمِّد الوجود بنشوة الالم

... فسلام على كمال ، وسلام على كل من قضى نحبه في سبيل الحق .. والعدل .. والسلام.

نبيل خالد الأغا

إضاءات

● « اني اشهد كانسان عاصر كل مراحل النضال من أجل الوحدة الوطنية الفلسطينية أن كمال ناصر كان متحيزاً للثورة الفلسطينية نشيده الكبير ، وتنظيمه الكبير ، وعندما كنت أثور عليه وأتساءل مشفقاً : ألم تتعب من هذا الدور يا « ضمير » ؟ كانت اجابته الدائمة : « أنا لست على هذه الساحة النضالية بالصدفة فأنتم لا تعرفون قيمة ثورتكم كما اعرفها أنا بحسي الناري ، اني أرى أن قضية الوحدة هي قضية عمري وسأناضل من أجلها ، وستنتصر ارادة الوحدة ـ ان شاء الله ـ رغم كل المعوقين والحاقدين ... » .

صلاح خلف (أبو اياد)

● كمال ناصر عندي خريطة ناطقة اقرأ عليها صور فلسطين ، وشعره قريب مني وقريبي ، فمواضيعه من اهلي ، ومسارحه من حاراتي ، وعندما يغني قصائده يهز الدنيا ، ويسرق العبارات من عيني » .

ناصر الدين النشاشيبي

● « كانت الوحدة العربية همه الأكبر ، وقضيته التي لا تعلو عليها قضية الاقضية وطنه المغتصب لذلك كانت فجيعته بالانفصال بين اقليمي الجمهورية العربية المتحدة أكبر من أن توصف لذلك كانت جرحاً لا أظنه اندمل على الاطلاق ، لقد مد جسمه وروحه أكثر من مرة جسراً بين الفريقين فلم ينجح وتعذب العذاب الأكبر ، فأدان الانفصال والانفصاليين » .

شفيق الحوت

● « بمصرع كمال ناصر ـ بعد غسان كنفاني ـ تسقط نهائيا تلك النظرية الخاطئة التي كانت من ردود فعلنا بعد هزيمة ٥ حزيران عام ١٩٦٧ ، والتي دفعت بنا الى احتقار حملة القلم ، والمطالبة بكسر القلم وحمل البندقية .. فالواقع أن المفكر والأديب هو بوصلة الثورة ، والمقاتلون هم مدفعها .. والثورة بحاجة الى بوصلة والى مدفع في ان واحد .. الأديب قد لا يعرف كيف يحشو مسدسا ، لكنه يحشو نفوس الشبيبة بالروح الثورية ، ويعمق وعيهم بمدلول كفاحهم وأهدافهم » .

غادة السمان

المراجع

١ ـ كمال ناصر ـ الآثار الشعرية لجنة تخليد تراث كمال ناصر ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ١٩٧٤ .

٢ ـ كمال ناصر ـ الآثار الأدبية ـ لجنة تخليد تراث كمال ناصر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٧٤ .

٣ ـ كمال ناصر بقلم مجموعة من اصدقائه ـ منشورات دار الناصر ـ بيروت

٤ ـ كمال ناصر : الشاعر والأديب ـ سهيل سليمان ـ دار الناصر للطباعة والنشر بيروت .

٥ ـ شؤون فلسطينية . العدد ٢١ مايو ١٩٧٣ .

٦ ـ الشهيد الحي عبد القادر الحسيني ـ نبيل خالد الأغا ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨٠ م

٧ ـ مجموعة اعداد متفرقة من مجلة « فلسطين الثورة » .



حوار مع كاتب سعودي

عبدالله الجفري عندما يحدثنا:

أجرى الحوار: صديق شايقي

لقاؤنا مع كاتب يوقد النميمة فى القاريء ويفتح قضايا ذات رموز وخطوط متشابكة لتفتح زوايا التاريخ الاسلامي والثقافة العربية فى وعي يتنامى ويتجمع لأجل كلمة موحدة ، ليكتب الكلمة واضحة فى أدواته ، لئلا يتقلص بين الايام ... نجده يتداخل بين النص الخاطري القصصي ، والنص الصحفي الذي يصل حد إشعال الهموم الصغيرة للعثور على بوصلة توازن .

والأستاذ الجفري رغم أعبائه الكثيرة ما كف يوماً عن الكتابة فى الذاكرة أو القرطاس. وتحس بانه يمتلك برأسه خلية محتدمة من الصور والألفاظ والمعاني التى تتوالى كل نبضة، بدءاً بتفاصيل اليوم الصغيرة ، وانتهاءً بالسؤال الكوني المرعب ، وأحداث الحياة المدمرة .

وفي لقائنا هذا نريد أن نستريح لحظة على جسر من العبور إليه فنفتح به ثقباً في خليته تلك ، ليتسرب منها ضوء إضافي فى حوار يكون له صداه ونبض يتفقدنا حرفاً حرفاً ، وقفص نتهمه فيه حتى التـوقد ، لنبث الفتنة الأدبية لحد الابداع ، أو التغطية .

● هل تعتبر الحيرة نقطة انطلاقة تمثل تعبيراً عن الرغبة فى البحث والتجريـب مـن اجـل التجـاوز والتمييز ؟

ـ عندما قال «ديكارت» : أنا أفكر .. إذن أنا موجود ، كان يعنى بالتفكير : الأسئلة ، والرغبة والبحث ، واستخلاص التجريب .

وفى رأيى أن «الحيرة» هى النقطة الأولى ، والحرف الأول فى كل فكرة تولد بعد ذلك .. أو هى انطلاق المخاض فى التفكير وله ..

فالحيرة ـ بلاشك ـ هى نقطة انطلاقة ، تمثل تعبيراً عن : الرغبة فى البحث والتجريب .. أى تعبيراً عن مولد فكرة ، أو عن صلاحية التفكير للعطاء ، وللاكتشاف . فالحيرة تبدو وكأنها قد تحولت هى : رؤية العصر الحديث .. فكلما اتسعت نظراتنا وتكاثفت المرئيات والماديات .. عجزنا عن حصر المحسوسات أو إثباتها .. هذه هى الحيرة البالغة .

● ما تكتبه من قصص وعمود صحفى ـ هل ترى أن ذلك استطاع أن يذيب الحدود التى بين النص الصحفى والنص القصصى ـ لقارئك

ـ الفن الصحافى يقوم على «القصة» .. فالخبر : قصة ، والاستطلاع قصة .

والفن القصصى يقوم على «التصوير» بالكلمة .. والتصوير من فنون الصحافة وشواهدها أو وثائقها . لكن الفرق الذى يعكس الملامح والتكنيك .. يتضح فى «الأسلوب» وفى العرض ، وفى العبارة المكتوبة .. فلابد أن يكون هناك ملامح للأسلوب الصحافى الذى يعتمد على السرد

● انني ابن هذا الزمان بكل ما اختزن من أحــــلام .

● ألا تود أن تسألني عن الطفــولة المعوقة ؟

● قالت «سارة برنار» لـ « فيكتور هوجــــو » :
– إنك تفقـد ذاكرتك كلما رأيتني .. لذلك أحبــك .

● الظمأ .. عندما تمشي الأرض للقهــــــر ، والفراق للحب ، والكذب للصدق .

● الأديب «حَجْـمُ» انسانيته .. وكيْـف نفســـه .. وكَـمّ تحدياتـه .

بالحقائق وبالخبر.. وللأسلوب القصصى الذى يتميز بالصناعة اللفظية ، وبالموهبة فى التصوير والتعبير ، وبالخيال الممزوج بملامح الشرائح الاجتماعية .

لكنى أعترف لك ان الأسلوب الصحافى : سارق .. يسرق الأديب من فرصة ان يكون مبدعاً ، لأن العمل الصحافى فى طبيعته يعتمد على السرعة والسبق والركض ، وبلاشك لقد اثرت «المهنة» على عطائى الأدبى بحكم السنوات الطويلة التى أكلتنى فيها مهنة الصحافة .

رغم ذلك .. فلقد حرصت ان اضفى على الكتابة الصحافية الأسلوب الأدبى !!

ولعلك تجد نماذج حديثة معاصرة لبعض كتاب القصة ، والقصة الطويلة مثل احسان عبد القدوس حينما كتب قصصه بالأسلوب الصحافى ، ومثل مصطفى امين ، وأمين يوسف غراب . وغيرهم .

● هل كل صحفى بامكانه أن يكون أديباً .. وبالعكس ؟

– أعتقد العكس ..

يستطيع الأديب أن يكون صحافيا ، ولكنه لابد أن يخسر جانباً من الملامح الأدبية الفنية فى أسلوبه ، لكن الصحافى لا يتحول أديباً .. لأن البناء الذى قام عليه كيان الصحافى فيه لا يحتمل ذلك .

● هل ساهمت الصحافة فى كشف جديد للأدب فى الأسلوب أو اللغة بدور واعد فى ساحة الأدب العربى ؟

– الصحافة هى الوسيلة دائماً . وهى المنبر خصوصاً لدينا فى العالم العربى ، والى وقت قريب .. حيث لم تتوفر المنتديات الأدبية ، والمهرجانات أو جوائز الدولة .. فالصحافة كانت لها مساهمة عظيمة فى



إحسان عبد القدوس



مصطفى امين

هذا المجال .. بل لقد ابرزت العديد من الأدباء و «لمعتهم» .

لكن الكشف للأدب كفكرة ، وكدراسة ، وكعمل أدبى أو فكرى .. فلا أعتقد أن هذا دورها ، وأيضاً لم تفعل ذلك بالقدر المطلوب كخدمة للفكر أو للأدب .

بالعكس .. أعتقد أن الصحافة شوهت اللغة ، وتجنت على «قواعدها» وذلك ما تلاحظه بفزع شديد من اخطاء نحوية ولغوية فى العناوين الكبيرة «المانشيتات» واننى هنا أحمل الجامعات والنوادى الأدبية مسئولية هذا الاهدار للغة .

بالاضافة الى أن التفاخر بلغة أجنبية قد انعكس تاثيره كذلك .. وتجد ان هنالك شباباً من الخريجين المؤهلين الحاصلين على الدكتوراه .. ويكتب فى الصحافة وتكتشف العديد من الأخطاء النحوية .. والعديد – فى مقابلها – من المصطلحات المكتوبة بالانجليزية ، وهى لكلمات يعجز الباحث أو الكاتب عن ترجمتها الى العربية !

وهذا هو الخطر القادم والجسيم والمهول

● الظما – ظلال – حوار وصدى –

نبض : كلمات نحسها كالمدن التى تنتظر الاحداث أو الشخوص التى تريد الكشف عن وجودها فى ضرام الحياة .. الى أى مدى تحتفظ ذاكرتك لهذه الكلمات بدلالات جديدة ؟

– الظما : عندما تمشى الأرض الى القهر ، ويمشى الفراق الى الحب ، ويمشى الكذب الى الصدق ، وتمشى النجمة الى السحاب !

– ظلال : شمعة أوقدها كل صباح .. كانها «فتيلة» استعرتها من مصباح «ديوجين» .. فاذا انطفأت الحقيقة .. انطفأت «ظلال» التى أكتبها كلمة !

– حوار وصدى : لكل حوار صدى .. وعندما يفقد الحوار صداه .. يتحول الى عي وبكم .. ولا يقدر الانسان أن يحادث نفسه وقتا طويلا .. إلا فى حالة الجنون ، وهكذا تكتشف أن الكثير من حواراتنا اليوم قد فقدت أصداءها !

– نبض : نبضى أحالنى الى خفقة تذوب وتكبر .. واثخنتنى الشوق لهفة وانكساراً .. فتحول نبضى الى ذلك الشوق الذى يطلع فى اللهفة ، ويندق فى انكساراتنا المتلاحقة .

● تقول الأديبة اللبنانية هادية سعيد : إن الطفولة تظل دائما نبع التعريف الأول للانتماء للوطن . أين الجفرى الأديب من هذه المقولة ؟

– الطفولة هى البراءة العفوية والصدق والتالق .. فهل تسالنى عن الوطن العربى كنبع لهذا التعريف .. أم تراك تسالنى عن الوطن الداخلى فى الانسان ؟!

أما ان كانت اشارتك طبولا وصهيل خيل .. فنحن نتوق الى أعراف خيولنا .. لا الى

عبد الله الجفري عندما يحدثنا:

تعريف طفولة الوطن .. فالوطن العربى قد شاخ بالهول وفيه ، وهو لما يزل فارساً !

أما عن الوطن الداخلى فى الانسان .. فاننى أود أن «أذاكر» معك عبارة قالها من قديم الشاعر الانجليزى «وليام بليك» .. قالها بشعور ينبع من داخله وطن ظمآن :

«اننى أرى العالم كله فى حبة الرمل ، والسماء فى الوردة البرية ، وامسك باللانهائية فى قبضة يدى ، وبالخلود فى ساعتى الزمنية» !

ترى .. الا تود أن تسالنى عن الطفولة المعوقة فى مجتمع الانسان ؟!

● بعض الأديبات العربيات حملن قضية الصراع بين الرجل والمراة فى حالة حرب يبحثن فيها عن الحرية او المساواة كما يحلو لهن . كيف تزن هذه المعادلة : «العالم رجل» ؟

ـ المعادلة .. أم «المهادنة» .. أم التكامل ؟!

المراة اذكى ، والرجل اقوى .. وإذن ، فـ«العالم رجل» .. لأن الذكاء مهما بلغ عند الأنثى .. فان الانثى تهرع الى الحماية ، فالقوة هى الحماية ، والذكاء هو الجمال !

وقد كتبت مرة عن «سارة برنار» وأوردت ما قيل عن الارجنتينيين الذين كانوا يصنعون لها بساطاً من مناديلهم الموشاة المطرزة فى بيونس أيرس ، لكنها كانت تهرب ، وتهرع الى فيكتور هيجو ، وتقول له : الناس يصفقون لي وانت كاتب المسرحيات التى امثلها ، لكنك لم تقل لي مرة : احبك يا سارة ! .. لا تقاطعنى . فانت تعرف اديب فرنسا «بيرلوى» .. لقد كتب إلي يقول : اننى مجنون ، لم اعد ادرك ما أفعل .. اننى أبكى وأرتجف لأننى احبك ! ولكن .. كان من الأجمل والأمتع أن احبه أيضاً ، لكنه كان ضعيفاً وكنت ذكية .. كان صاحب ذاكرة فظيعة والذاكرة الحادة فى العاطفة ضعف .. يا إلهى .. لو فقد ذاكرته كنت أحببته ، أما انت فاشعر انك تفقد ذاكرتك معى كلما رأيتنى .. لذلك أحبك !

ولهذه الحكاية ، وفيها دلالات .. أن أردتها للمعادلة ، أو ان أردتها للمهادنة ، أم إن بلغت بها الى التكامل !

● الأديب يحمل تاريخه الذى دوماً يستحيل عليه العثور على خلاص منه أو له . الى أى اتجاهات الخلاص هذه .. يتجه الجفرى ؟

ـ اللسان لسانى .. والمسافة ملكنا جميعاً !

لقد قيل «ان الأديب حجم انسانيته» .. وأيضاً هو «كيف» نفسه ، وهو «كم» تحدياته ! إن العالم اليوم : ثقافى ، وحضارى ، ومتمدين وسفاح ومبدد ..

باختصار .. مازلت أردد تلك العبارة التى قراتها عليك من بين سطور مقال يتجدد فى ندائه .. قال كاتبها : لابد من اختطاف بحر الأمية الى مرفأ الأدب . لابد من اختطاف زبائن الكلمات المتقاطعة وبخت هذا الأسبوع ، وزبائن «النكتة» ونوادر ـ أي ـ جحا يتكرر فى شكل «كتاب» يدعون الفائدة ، فلا نجد عندهم الشعور بامتاعنا !

لابد أن ندع عقولنا تمارس الألعاب السويدية ..

لابد أن نفرج عن خفقاتنا التى اعتقلناها مع الحرية !

● من خلال لقاء تليفزيون المملكة بالروائى العربى العالمى الطيب صالح ـ فى إحدى اجاباته ترجم الكتابة بأنها لعنة تصطاد مناطق العتمة فى نفس الكاتب لتضيء بها دراسة لحالة ، أو صراخاً لنيل الحرية ـ

ما رأيك فى هذا القول ؟

ـ مناطق العتمة ؟!

هل تريد أن تحدثنى عن تحديات القوى الكبرى فى داخل شراييننا ؟!

أم تراك تود أن تهرب بى ـ وبالقاريء ـ الى الخيال ؟!

إن أخطر عتمة ، وأشقى عتمة يعيشها العالم اليوم فى كثافة هذه «الاضاءة» الحضارية .. فماذا تفيدنا التكنلوجيا اذا كان فى العالم شق يسمى : الأرض المحتلة . والمجاعة ، والابادة ، والقهر ، وامتهان الانسان ؟!

قد تكون الكتابة (لعنة) اذا عجزت عن التنفس الطبيعى ، أو اذا تحولت الى مجرد صراخ وبصاق ومخاط وصديد ونزيف وتقيح . لعلنا أصبحنا نكتب ذلك كله .. لأن الفكر العربى ، والأدب العربى والحوار بالكلمة العربية .. قد خضعوا جميعاً لكل العاهات التى تسللت الى الوجدان العربى والى النفسية العربية ، والى الفعل ورد الفعل العربى !!

إن «جاك بيرك» قال من سنوات : (ضياع الانسان بين ماض لا مصير له وبين مستقبل لا ماضى له) عبارة قالها .. لتهز رأس الانسان بعد أن عجز الانسان عن هز رأسه ، فلابد أن يدير الانسان العربي رأسه بحثاً عن الشمس الحقيقية ، بينما يعيش في شمس (معلبة) وأن يدير رأسه بحثاً عن الارادة وقاعدة الوقوف .. بعد أن تحول وقوفنا إلى مواقف « أوتوستوب » تجول فيها القوى العظمى .

● ماذا يمثل : «البحر» ، «القلق» ، «المراة» فى حياة الجفرى ؟

ـ البحر : كان فيه نجاة الانسان ، وكانت منه حياة الانسان ، ثم تعامل اناس آخرون بان جعلوا الابحار يفتح الطريق لاستغوال الاستعمار .. وتعامل آخرون بان جعلهم الابحار غرباء الانسانية .. أولئك الذين سرقت منهم بطاقات هوياتهم .

البحر : (رحتوا من الليل .. صار الليل ليلين) .. انه يأخذ ولا يعيد .. ولكنه يبقى هو البعد الجميل الخلاب الآسر .. وحي الشعراء ، واستطراد الخيال ، ورجع الصدى مع كل موجة بيضاء !

ـ القلق : اللمعة البعيدة تحت قرص الشمس .. إنه السراب الذى يعصف بالعطشان ولا يرويه !

ـ المراة فى حياتى :

توقفت ذات يوم عند سطور من رواية كتبها «شارلز جارفس» .. بطلها شاب رفيع المكانة ، عاشق للرسم ، وكان مثل كل فنان يفتش عن الملامح التى تلهمه تلك «اللوحة» الخالدة التى تصبغ حياته كلها بالوانها .. حتى وجدها ، فقال تلك العبارة ضمن حوار البطل :

«تعالى .. لا أستطيع الانتظار .. إن كل شيء يتوقف بعدك» !

إنها الانثى التى تمنح الحنان ، وتسكب الاستطاعة قدرة على التجدد والتفوق ، وتحقق للرجل شعوره بالتكامل مع شطره الآخر الذى يغنيه من الداخل .

إنها التربة الخصبة التى تضم جذور الرجل ، فينطلق ظليلا ، فيئاً ، ثمراً !

إنها نسيج « المودة » الذي يغلف جنون الرجل ، فيحفظه لمدة أطول ... أو يقتله فى لحظة أقصر ! .

إنها الحياة حينما تبدأ .. والموت حينما تنتهي !



سارة برنار



فيكتور هوجو

● عبد الله الجفرى يحمل لغيره الشكل والمضمون لقضية الانسان المعاصر من خلال همومه الادبية . والكثيرون من قرائه يقولون إنه يغرق كثيراً فى كثافة وشاعرية الالفاظ حتى يرهق القارىء فى إيجاد القضية .. ماذا تقول فى هذا الاتهام؟

ـ شاعرية الألفاظ :

الست معى بأن هذه الشاعرية تكاد أن تتحول الى عطش ؟!

أما انها تهمة ـ كما تقول ـ فاجيب بعبارة سعد زغلول : شرف لا ادعيه ، وتهمة لا أدفعها !

وأيضاً .. لعل هذه العبارة الأخرى لسعد زغلول أو لمحمود فوزى ـ لم أعد اذكر ـ ولكنها تقول : (ارجوكم .. أعذرونى .. للاطناب ، فليس عندى وقت للايجاز) .. ذلك أن الايجاز يستغرق وقتاً أطول من الكاتب ..

أيضاً .. فان العبارة الشاعرة ، أو اللفظ الشاعر .. هو الأصعب فى الكتابة ، لكنه الأعمق الملتحم بالنفس ، ولقد استغرقنى هذا الأعمق والأمتع .. صرت أولد فيه وانبجس واغتسل واضيء !

أكاد أنفى تلك العبارة عن الايجاز والأطناب .. فكل الأشياء نوجزها إلا الكلام .. أصبح هو ثرثرتنا وهمومنا وانفاسنا وتنفيسنا، ولكنه لم يعد فى كثير منه هو عمقنا ومشاعرنا وغناؤنا !

الكلمة غناء ، وشدو .. لانها الصدق ، والحق ، واليقين ، والمنطق ..

ونحن فى هذا العصر الطباشيرى ، الآخذ ، المنطلق ، المتوتر .. نحتاج الى تجسيد قضايانا المرهقة والمؤلمة والغارقة فى كثافة أحزاننا .. نجسدها فى شكل يبعد بها القارىء عن مرهقاته .

وعندما اتشبث بهذا اللون من شكل الكلمة ورداء التعبير والوانه .. فلاننى كاتب اقف داخل المساحات بتفاؤل ، واركض فى المسافات نحو هدف يستشرف الانسان .. والانسان فى حقيقته هو وجدان !

إن حركتى انسانية قبل كل شيء .. والحركة حياة .

إننى مفتون بسلوك الخيل .. والخيل ـ عندما نتأمل حركته ورقصاته ـ تجده صاحب أداء شاعرى .. تماماً كاللفظة الشاعرة ، أو العبارة الشاعرة .

إن لغتنا العربية .. من أسمائها : اللغة الشاعرة !

إننى احفل بان يتبلور التعبير عندى الى اعتبار .. ولو سكبت العبرات !

إننى اشجب (الرفض الماورائى) .. وأكثر عباراتنا المباشرة اليوم ، والخالية من الحس الشاعرى هى ذلك الرفض الماورائى .. ومع ذلك اضطر أحيانا ان افلسف لحظة الاصطدام او الدخول فى صلب الاشياء والهموم والأوجاع والامانى والاحلام للانسان !

● الى أى حد يحتدم القارىء والناقد فى خلايا الاشتعال عند عبد الله الجفرى ؟

ـ لست ناقداً .. بقدر ما أحرص ـ عندما أكون قارئاً ـ أن أكون متذوقاً ، منتبهاً ، منسجماً ، متاملا ..

لم يتبق لدينا من فرسان النقد بعد الأوائل والرواد .. إلا نفر قليل . اقرا أحياناً فى هذه الأيام للناقد «علي الراعي» فى المصور .. لعله امتداد للفرسان الكبار

اقرأ للصديق «رجاء النقاش» .. وهو ما تبقى ، أو هو الاطلالة الجديدة الزاهية .. انه (موسيقار) النقد الجديد .. موضوعى ، ومشاكس ، وفعال فى تعقيباته .. ليس دعياً وإنما هو يتداعى حتى ياخذنا الى صلب الحقيقة ، ومجال الرؤية الشاملة .

أما «خلايا الاشتعال» التى تتكون مما نقرأ .. فلا أظنها فى وقتنا الحاضر لا تبلغ بنا حد الاحتدام .. لاننا ننصهر قسراً فى ذلك الاحتدام .. بحكم المعاناة والتوق والانتباه !

لكن الخطر الحقيقى .. هو أن يتحول كل «الكتاب» الى نقاد .. حينئذ سنفقد حتى احترام المعاناة !

● لديك مشروع كتاب جديد .. هل تعتقد أنه يتحدى ألوان اكتشافات جـديدة ومرحـلة جـديدة تغنى القارىء فى زمن المفاجاة والتمرد ؟

ـ كتابى الجديد .. عنوانه : حوار فى الحزن الدافىء .

إنه لا يتحدى ، ولكنه يقتحم التمرد .. بحثاً عن حضارة الادراك ، وعن بشارة العقل ، وعن رؤية اليقين .. دخولا الى أوجاع واحزان الانسان .. فهو بمضمونه يمثل الدخول الى الأشياء والمصادمة من أجل الاكتشاف بواسطة الحوار .. فلا يدع انهزامية العصر أو الظروف تدجنه ثم تستأرضه !

● الأستاذ عبد الله الجفرى .. من أنت .. ومن أين .. وما هى طبيعة أحلامك ؟

ـ إننى أجيء من خارج الزمان لاقتحمه واتفاعل فيه ، وانصهر واحترق واغتسل ، وأحاول أن أضيء !

إننى ابن هذا الزمان .. بكل ما اختزن من أحلام !

إن أحلامى هى دم يجرى مجنوناً .. وهى ضعف انسان مغرور بلحظات الفرح !

إن أحلامى هى وطن فى الانسان ، وانسان للوطن .

إن أحلامى هى جياد تواصل الركض ، واجتياز الحواجز .. وإلا شاخت وهرمت !

إن أحلامى .. هى حب لا يفكر ، وفكر يشعل الأحلام فيحيلها الى عمر !

صديق شايقى ـ جدة

عبد الله الجفرى
فى سطور

ولد بمكة المكرمة عام ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩م أكمل دراسته الثانوية «القسم الادبى» ـ عمل سكرتيراً للتحرير فى «صحيفة البلاد» «عـكاظ» ، « المدينة المنورة » ، ثم مديراً للتحرير ومسئولا عن تحرير « عكاظ » بالمملكة العربية السعودية . صدرت له «حياة جائعة» ١٣٨٢ هـ ـ «الجدار الآخر» ١٣٩٠ هـ ـ «لحظات» ١٣٩٤ هـ ـ «الظما» ١٤٠٠ هـ ، وتحت الطبع «حوار فى الحزن الدافىء» .

أساطير من سيناء

مقعد العجيبين

بقلم : درويش مصطفى الفار

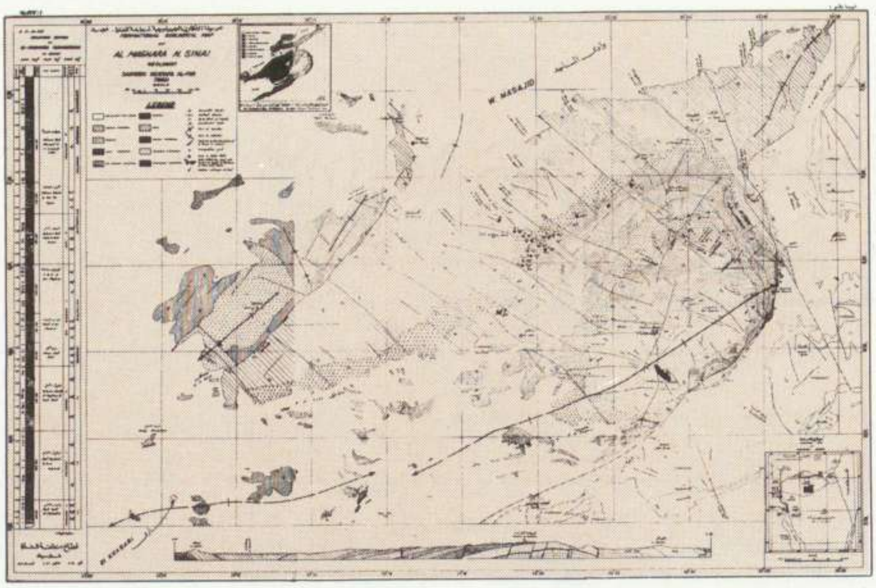
كان صديقى البدوى سويلم بن صبيح أبو نيفة ، رحمه الله ، رجلا أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، شأن أبناء جيله فى طول سيناء وعرضها ، ولكنه كان صافى الذهن ذكياً لماحاً ، دقيق الملاحظة ، سريع الفهم ، فقررت أن يشاركنى الرأى ، بعد أن وجدت أن كل ما كتبه من سبقنى من الباحثين منذ اكتشاف طبقات العصر الطباشيرى الأدنى وطبقات العصر الجوراسى ، فى منطقة المغارة بشمال سيناء سنة ١٩١٢ م من الكتب والنشرات والرسائل الجامعية وتقارير شركات البترول المتعاقبة كان خلوا من كل ما يتعلق به الأمل فى العثور على رواسب للفحم الحجرى فى تلك المنطقة من قريب أو بعيد ، على الرغم من أن أعمال الحفر عن البترول أثبتت وجود الفحم فى طبقات العصر الجورى ، على أعماق بعيدة عن سطح الأرض فى الصحراء الغربية المصرية ، وفى منطقة عيون موسى الى الشرق من رأس خليج السويس .. وكان استاذى الدكتور رياض حجازى ، رحمه الله لا يكل ولا يمل ، فى رسائله الى ، يغمرنى بالأمل فى تحقيق أحلام ونظريات أستاذنا المرحوم محمد محمد ابراهيم من أنه لابد وان يوجد بمصر فحم حجرى ... فخصصت فى معسكرى سنة ١٩٥٨ خيمة لاستقبال جامعى العينات ، بعد أن نشر سويلم خبراً يقول ، على كل بدوى يعثر على أى حجر أسود ، فى المنطقة الممتدة بين خشم المستن شرقاً وبحر الرمال شمالا وجبل قديرة غرباً وبير الحمة جنوباً ، والتى تبلغ مساحتها زهاء ألف وسبعمائة كيلومتر مربع ، مما يحتاج إلى عمل متصل لا يقل عن عامين كاملين حسب الطرق التقليدية ، أن يحضره الى مقر البعثة .. وتوالت آلاف العينات وخضعت للفحص والتحليل ، ومرت شهور عجاف ، حتى جاء سويلم فى ليلة من رمضان (١٣٧٨) ، بعينة من تراب أشهب قضت على بأن اظل ساهراً على ضوء نار الحطب و (الكلوب) فى واد ضيق وعر يقال له وادى المحل حتى مطلع الفجر ، ومن هنا بدأت قصة احتياطى من الوقود الصلب لا يقل عن ثلاثين مليوناً من الأطنان حال دون استغلالها حتى اليوم عدوان سنة ١٩٦٧ .. وقبل واقعة وادى المحل وبعدها ، كان سويلم ملازماً لى أثناء عمل الخريطة الجيولوجية ، على الصور الجوية ، والخرائط الطبوغرافية ، وكنا فى العادة اذا اشتد الحر ، نلجأ فى رءوس الجبال إلى جرف أو ظل جلمود ضخم ، حيث نستخدم حجراً نظيفاً كطبق نضع عليه محتويات علبة سردين أو تونة نزدردها ببعض البسكويت الجاف ، ونرتشف بعض الشاى ونستلقى قليلا ، ويأخذ سويلم فى سرد شىء من أساطير البادية التى كان يأخذها هو مأخذ الحقائق التاريخيـــــية التى لا تجادل ..

قلت مرة لسويلم ، رحمه الله ، ما قصة « العجيبين » ؟

قال : كان شاب من الحويطات ، يقوم باحضار (تراب الملح) لوالده من منطقة (الكرك) ، وكان سويلم يقصد بتراب الملح ذاك ، نوعاً من التراب يتواجد فيه ملح نترات البوتاسيوم الذى هو ملح البارود .. وكان الشاب يرى والده يعالج ذلك التراب لاستخلاص بللورات ملح البارود ، بغسل التراب فى قدر نظيفة من النحـــــاس (المربوك) أى المبيض بالقصدير ، ثم يتركه ليروق ويصفو ، ويأخذ الماء الذى ذاب فيه الملح دون التراب ، ويغليه على نار الحطب الهادئة حتى يتبخر ثلثاه ، ويرفعه عن النار ثم يلقى على سطحه بضع قطع من القش النظيف . ويتركه بلا غطاء بعيداً عن الغبار والريح حتى صباح اليوم التالى حيث يجد البللورات قد تجمعت حول عيدان القش كأنها الثلج ، فيصفى ما تبقى من المحلول ويجفف البللورات الصلبة فى جلد جدى مدبوغ ، ويضـــــع قبالتهـــا ما يناسبها من الكبريت الأصفر ، والفحم المستخرج من شجر المثنان ، ويدق كلا على حدة فى هاون من الخشب ثم يخلط الجميع فيتكون لديه البارود الأسود الأصلى الذى يتخـــذه ذخيرة لبندقيتــــه ذات الزنــاد والصوانة ..

ضاق الشاب الحويطى ذرعاً بالطريق بين الثمد والكرك ، لأنه لا يمر به فى بلاد قبيلة التياها المقيمين بين الحسنة ونخل ، والتى تعرف منهم على فتاة أحبها فى واد سمى لأجلها بوادى الريد ، فطفق يقنع والده بجلب تراب الملح من جبل سن بشر بغرب وسط سيناء ، وتصادف ان التقى بمحبوبته ترعى أغنامها عند التلة التى تسمى اليوم مقعد العجيبين .. فالعجيبان فى الأسطورة هما تلك الفتاة من قبيـــلة « التياها » ، والفتى من قبيلة «الحويطات»

.. كانت الفتاة تأتى بأغنامها من الحسنة فى يوم معين من الأسبوع وتحلب العنزات فى حفرة تصنعها من الطين ، فاذا ما أقبل فتاها سقى ناقته من ذلك اللبن ، وجلس إلى محبوبته يتطارحان الهوى العذرى ويحلمان بالزواج .. وبعد فترة من الزمان ، اشتبه





طبقات من العصر الجوراسي تكونت منذ مالا يقل عن مائه وخمسين مليون سنة فى منطقة جبل المغارة بشمال سيناء وخريطة جبل المغارة بشمال سيناء حيث امكن العيش مع الحقيقة العلمية والاسطورة دون ان تسمح لهما بالاختلاط والتيه .



سويلم بن صبيح ابو نيفة الترباني . بدوى امى احب قومـه ووطنه وســـاعد المعرفةالعلميـــة بكل قلبـــه وعقله .



المشارف الشمالية لجبل المغارة في شمال سيناء

أبو الفتى فى أمره ، واستشف أن وراء كثرة مشاويره الى سن بشر وحماسه لاستجلاب تراب الملح ، لابد وان تكون هنالك قصة غرام .. فأمره ذات يوم بقضاء حاجة له من بير الحيسى الى الجنوب الشرقى من الثمد ، واستبقى منه ناقته التى ركبها بدوره واتجه بها غرباً ، وارخى لها العنان لينظر ما هى فاعلة ، وأحاط وجهه بلثام لا يعرف به عن بعد ، حتى اذا ما اقبلت الناقة على مقعد العجيبين تنحت عن الدرب واتخذت لها طريقاً صوب شطن واد خلف تلعة حيث كانت هنالك الحفرة المعروفة لها مليئة بحليب لم يتغير طعمه بعد ، وبرزت الفتاة التى فوجئت برجل مسن على ظهر الناقة فتماسكت وقالت له :

● أناشدك الله هل صاحب هذه النـاقة حى ؟

● قال الرجل : نعم .

فشهقت الفتاة شهقة وماتت كمدا لتوها ، اذ علمت ان مجىء الرجل معناه انكشاف قصة غرامها وبالتالى حرمانها من الزواج بمن تحب ، طبقاً لتقاليد البادية الممعنة فى القدم .. وعاد الرجل ، دون أن يلقى بالا لمن ماتت ، فمن بدا جفاً ، وعاد من توه الى مضارب قبيلته ، حيث أخذ يلاطف الفتى ، ويجمع منه أطراف القصة بحذافيرها ، حتى اذا ما انتهى الى ما يريد ، عرف ولده أن الفتاة لا تحبه ، وإنما كانت تخادعه وتضحك على ذقنه !!!

إلا أن الفتى كان واثقاً من محبوبته ، فاقسم بالله على أبيه ان يعرفه بحقيقـــة ما جرى ، فلما عرف ، خر مغشياً عليه وفاضت روحه إلى بارئها ، وظل بعد الفتى والفتاة على خريطة شبه جزيرة سينا ، وادى الريد ، الذى شهد معارك سنة ١٩٤٩ وسـنة ١٩٥٦ وسـنة ١٩٦٧ ، ومعقد « العجيبين » ، الذى أبلى قبالته مئات من الشهداء الابرار (بلا قيادة) بلاء عظيماً فى معركة سنة ١٩٦٧ ، مما لم يسجله التاريخ بعد ، فى هذه الحقبة التى ضاعت فيها معالم التاريخ العربى ..

درويش مصطفى الفار

في البدعة وكراهة الجديد

رَدٌّ وتعقيب

بقلم: الدكتور كامل زغموت

جاءنا هذا الرد من الدكتور كامل زغموت على ما نشرته الدوحة فى العدد الماضى للأستاذ حسين أحمد أمين تحت عنوان : استنكار البدعة وكراهة الجديد . والدوحة تنشر مقال الدكتور كامل زغموت كما جاءها بالنص :

نشرت مجلة الدوحة فى عددها ٨٧ مقالا بعنوان « استنكار البدعة وكراهة الجـديد موقف اسـلامي ام جـاهلي » بقلم الكاتب حسين احمد أمين . وحيث ان هذا المقال فيه من المغالطات وفيه من الدس على العقيدة والتشريع الفقهى فى الاسلام ورجاله مالايقـوله الا مبتدع أو جاهل أو كلاهما ، لذا وعملا بحرية النشر وابداء الرأى الذى تسمحون به لنشر مثل هذا المقال ، أرجو نشر هذا الرد فى مجلتكم فى العدد القادم وفى نفس المكان .

واقول بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله :

ان العنوان الذى بدأ فيه الكاتب مقاله فيه خطأ وخلط فى الفهم والتصور عمد اليهما الكاتب ليبلغ فى النهاية ما يريد ، فقد جعل كلمة « البدعة » ـ ولا أحد يجهل معناها ـ مرادفة ومساوية لكلمة « جديد » وجعل البدعة بمعنى الابداع والاختراع « ص ٧٦ عامود ٣ » . وليس أحد يجهل أن كلمة « البدعة » اذا أطلقت فمعناهـــا « البدعة فى الدين » وهو الاتيان بما يخالف النصوص الشرعية والاحداث فى الدين ما ليس فيه لقوله صلى الله عليه وسلم ؛ « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد » وقوله عليه الصلاة والسلام « كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » وجميع المسلمين يفهمون هذا المعنى الا كاتب المقال فهو يفهم البدعة بمعنى الجـــديد والابداع والاستنباط والتجريب والاجتهاد .

فاستمع اليه يقول ٧٦ عامود ٣ : « فان الاجتهاد والابتداع سيظلان دائماً الجوهر الحي للتاريخ . وقد فهمت الحضارات الراقية هذه الحقيقة حتى أضحت البدعة مقصودة فى حد ذاتها وطلبها متعمداً . وأسمتها بالمنهج العلمي وحتى أصبحت ـ خاصة فى وقت الأزمات كالحرب أو الضائقة الاقتصادية تبدى تهافتاً على الابتداع ، وتناشد المبتدعين وتحثهم على إجراء التجارب والاختبار والاستنباط بحيث بات التغيير وتوفير المرونة شعار السياسة العامة عندها ، ورغم ما تذكره كتب علم الاجتمـــاع من أن الأزمات والاحساس بالخطر من شانها أن تدفع المجتمعات المتحجرة الجامدة إلى ابداء الاستعداد لتقبل الجديد من الافكار والمستحدث من الاساليب ، فلا يزال مجتمعنا المليء بالأزمـــات والمحفوف بالأخطار يرى البدعة كفراً والمستحدث عصـــياناً وتمرداً والأســاليب الجديدة تشويشاً غير مستحب للروتين والتقاليد ومخالفة مستهجنة لعادات الآباء والأنماط المألوفة من العيش . غير أن الوقت قد حان لأن ندرك أن التقدم متعذر دون تغيير وابتداع وان أولئك الذين يكفرون البدع لا يفعلون ذلك عن محض غباء ، وانما عن خوف على مصالح خاصة تتهددها تلك البدع . ذلك أن كل بدعة تقريباً تستدعى إعادة فى تنظيم القوى الاجتماعية ، فلا غرو أن نلمس عند كل من سينحيه التغيير من مكانته ويحد من نطاق نفوذه استنكاراً وكراهية للبدعة » . انتهى نص كلامـــه حرفياً . وقـــد أطلت فى نقل كلامه ليرى القارىء الكريم الى أى حد أسف كاتب المقال فى اتهام نفسه أولا وفى اتهام الناس معه فى عقولهم ، انهم لا يستطيعون التفريق بين البدعة فى الدين والابتداع والاختراع والاستنباط فى شؤون الحياة . هل يقول هذا عاقل مفكر ؟ هل هناك مسلم لا يرى وجوب الاختراع من الابرة حتى الذرة ؟ . لقد سمى البدعة « المنهج العلمى » وهل المنهج العلمى التجريبي إلا من صنع المسلمين ؟ وما دخل هذه العلوم « بالبدعة فى الدين » ، أرأيته كيف يصف الحضارات الراقية ـ يعني الغربية ـ كيف أضحت البدعة عندها مقصودة فى حد ذاتها ، أرأيت خلطاً أشد من هذا التخليط ؟ فهل الدين يمنع من الاختراع أم أن الدين الاسلامي يحارب العلم ؟ وكتابه الكريم وسنة رسوله الأمين تحض على العلم وطلب العلم .

استمع اليه وهو يصف مجتمعنـــا الاسلامي بالتحجر لأنه يحارب البدعة ويراها كفراً «وهي طبعاً البدعة فى الدين» فلماذا يصر على اعتبارها فى الابتداع والاختراع والاستنباط ؟ وما دخل هذا بهذا ؟ أليس المقصود من ذلك أنه يريد هدم الدين من أساسه وتركه جانباً على هامش الحياة كما فعلت أوروبا التى فعلت ما فعلت لأن الدين فيها حارب العلم ، فهل حارب ديننا العلم ؟ وأصغ إليه سمعك وهو يقول ـ لا فض فوه ـ : « ان أولئك الـــذين يكفرون البدع لا يفعلون ذلك عن محض غباء وإنما عن خوف على مصالح خاصة وأن ذلك يحد من نطاق نفوذهم» ، ولست أدرى ـ وأشكره لو كان يدرى ـ أين هى مصالح المسلمين الخاصة وأين هو مكان نفوذهم وهل لهم سيطرة على دفة الحياة ومقدرات الأمة حتى يمنعوها من التطور والإختراع لأنهم يحاربون البدعة ؟ ، وها هم المسلمون يذبحون فى كل صـقيع ومكان ولا من يدافع عنهم باللسان فضلا عن السنان . انهم بالتأكيد غير موجودين على

الساحة العامة فى الحياة فلماذا لا تخترع الأمة ولا تبتدع ؟ أليس الحياء يعقل صاحبه فاذا ذهب الحياء فاصنع ما شئت وشاء لك الذين تكتب نيابة عنهم .

وننتقل الى نقطة أخرى وهى تلك التى أوردها بعد العنوان الذى جعلته مجلة الدوحة بالخط العريض .

قال : «وما كانت المعارضة القوية التى لقيها منهم (١) ناشئة عن امتعاضهم من تسفيهه لعبادة الأوثان بقدر ما كانت نتيجة دعوته إياهم الى تبنى موقف من الحياة لا هو مألوف ولا مقبول . فتعلقهم باصنامهم كان سطحياً وفى طريقه الى الزوال» . ص ٧٤ ، أيقول هذا مسلم ؟ أيدرى هو ما معنى هذا الكلام ؟ أليس معناه أنه لم تكن هناك حاجة الى رسالته صلى الله عليه وسلم والى دعوة التوحيد وترك عبادة الأوثان التى جاء بها لأن تعلق القوم بالأصنام كان سطحياً وفى طريقه الى الزوال ولست أدرى ما الكفر إن لم يكن هذا ؟ .

أتدرى ما الدعوة التى جاء بها الرسول الى قومه انها : «دعوة الى تبنى موقف من الحياة لا هو مألوف ولا مقبول» أتدرى ما هو هذا الموقف ؟ يقول هو : «أتى يكلمهم فيما لا يفهمون ولا يعرفون له أصلا ككبح الشهوات ، والتضحية بالمال ، والزهد فى الحياة الدنيا . والقرآن الذى جاء به من عند ربه يحرم الخمر والزنا ، وهما ما كان الجاهليون يسمونهما بالأطيبين . وهو يدعو الى أخوة ومساواة وينهى عن الفخر بالحسب وعن التنافس بين القبائل مؤكداً أنه لا فضل لعربى على أعجمى ولا لحر على عبد إلّا بالتقوى» .

وهو بهذا يؤكد أن الدعوة لم تكن موجهة لترك عبادة الأصنام فهى فى طريقها الى الزوال - علم جديد من أين علمه - والرسول صلى الله عليه وسلم مكث الفترة المكية كلها ثلاث عشرة سنة وهو يدعو قومه الى التوحيد ، وهذه آيات القرآن دون حاجة الى استقصاء تثبت ذلك ، وهو ذكر بعضاً منها ص ٧٥ عامود ١ . ألم يذكر القرآن الكريم على لسانهم قولهم «أجعل الآلهة إلهاً واحداً» (٢) ألم يقولوا : «ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى» (٣) . والمفروض جدلا أن يسلم هو بصحة ما جاء فى هذه الآيات لأنه اعترف - مشكورا - أن القرآن جاء به من عند ربه ولم يقل كالمستشرقين من عند نفسه ، وإن كانت كل آرائه منقولة عنهم . وأحب أن أنقل القارىء الكريم الى هجوم الكاتب على تراث الاسلام وفقهه ورجاله ليرى الى أى حد هان هذا الدين والتراث فى زماننا حتى أصبح الهجوم عليه متاحاً لكل حاطب ليل أو نافخ كير أو ناعق .

يقول ص ٧٥ عامود ٢ : «وقد أمرنا الرسول الكريم أن نعرض ما ينسب اليه من أحاديث على القرآن فما اتفق منها معه قبلناه» .. هذا الحديث موضوع والقرآن الكريم يقول : «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» (٤) ويقول : «وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى» (٥) ، ويقول عليه الصلاة والسلام «الا انى أوتيتُ القرآن ومثله معه» .

ثم يمضى قائلا ص ٧٥ عامود ٢ : «فهل يعقل بعد ما أوردناه من آيات - وقد أوردناه على سبيل المثال لا الحصر - أن يسلم أحد بصحة أحاديث نسبت الى النبى مثل : «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم» .

وحديث «ألا وإياكم ومحدثات الأمور ، فان شر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار» .

ولم يذكر لنا كيف لم تصح هذه الأحاديث عنده وكيف لا يقبلها العقل ؟ وكيف عرضها على القرآن وعلى الآيات التى استشهد بها هو نفسه ، ألا يحتاج هذا منه الى بيان واضح لأن هذه الأحاديث عند جميع أمة الاسلام صحيحة.وهكذا شطبها بحجة لا يقبلها العقل وليس أسهل من الشطب لمن احتطب .

ثم استمع اليه وهو يهدم التراث الاسلامى - بزعمه ووهمه - حين يقول متابعاً فى نفس الصفحة والعامود «لقد أوردت كتب الصحاح والسنن والمسانيد والسير والمغازى والطبقات من الأحاديث المنسوبة الى الرسول ما يذم البدع ويدعو الى رفض كل جديد محدث ما لا يمكن أن يتفق مع مفهوم الآيات التى أشرنا اليها ، وما ليس بالوسع قبوله مع علمنا بان كل ما جاء به الاسلام رآه الجاهلون من «محدثات الأمور» وأعلمنا أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان أعظم رافض لاتباع سنة من كان قبله» .

ونحن نسأله هل بقى من كتب التراث الاسلامى شىء لم تذكره ؟ فاذا كانت كلها تذم البدع وترفض كل جديد محدث - يلاحظ هنا أيضاً إصراره على ربط البدعة بالجديد- ، وأنت ترى أن هذا لا يمكن أن يتفق مع مفهوم الآيات التى أشرت اليها وما ليس بالوسع قبوله . أليس يجدر بنا وبك أن تعلمنا وندلنا وتبين لنا كيف لا يتفق هذا مع مفهوم الآيات ؟ وأنت مطالب بذلك لأنك أنت وحدك تعادل الأمة كلها بجميع تراثها ورجالها فهى كلها لم تفهم ما أشارت اليه الآيات وأنت فهمت فأنت مطالب بالبيان . أما هكذا بجرة قلم تقول لا تتفق وتمضى كأنك تقرر حقائق مسلماً بها فلا يقول هذا عاقل بل ناقل .

ثم يقول متابعاً : «فان احتج البعض بأن هذه الأحاديث رواها البخارى ومسلم وغيرهما من الثقات قلنا انه قد ورد أيضاً فى البخارى «من تصبح كل يوم سبع تمرات ... » وانه قد ورد فى صحيح مسلم « لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر» وفى غير البخارى ومسلم « الباذنجان شفاء من كل داء» .

ويلاحظ هنا انه بعدما رفض جميع كتب التراث الاسلامى فلم يبق ولم يذر ، جاء هنا ليقتص من صحيحى البخارى ومسلم لأنهما أصح الكتب عند عامة المسلمين (أهل السنة) فذكر حديثا فى صحيح البخارى وآخر فى صحيح مسلم وحديثا ثالثا لم يذكر مصدره ولكنه قال «فى غير البخارى ومسلم » أتدرى أيها القارىء الكريم لماذا فعل ذلك ؟ انه أراد أن يساوى بين حديثين صحيحين فى أشهر كتب الاسلام مع حديث موضوع لا أصل له . كل مسلم من غير العلماء يعرف أنه موضوع مكذوب. أليس يعنى أنه يريد أن يقول إنها كلها أحاديث وإنها كلها بمنزلة واحدة حتى لو حدث هو بحديث من عنده وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح حديثا ، مثل حديث البخارى ومسلم وغيره من الصحاح . إن كان هذا لا يستدل من كلامه فدلونى على الصواب .

أما حديث من تصبح بسبع تمرات فهو كحديث الذباب الذى كذب به أقوام ثم أثبت الكشف العلمى صحته،وكحديث إذا ولغ الكلب فى إناء أحدكم فاغسلوه سبع مرات احداهن بالتراب،والذى ثبت علمياً صحته أيضاً،وسيأتى باذن الله ما يثبت صحة حديث التمرات .

أما حديث حواء فما الذى أزعجه فيه ؟ ولماذا أورد نصاً ولم يورد النص الآخر من صحيح مسلم وهو «لولا بنو اسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر» هل أزعجه ذكر بنى اسرائيل ؟ . ثم لماذا لم يشرح المعنى وحتماً يكون قد اطلع عليه إذا نقل الحديث من مصدره . أما إن كان ناقلا عن غيره فقط فذلك شأن آخر .

لقــد أمر بنــو اسرائيــل أن لا يدخروا الطعام - المن والسلوى - فادخروا فكان عقاباً لهم لمخالفتهم الأمر . أن خبث الطعام وأنتن اللحم . وكذلك حواء أمرت بعدم الاستماع لوسوسة الشيطان ثم حســنت لزوجها الأكل من الشجرة إطاعــة لابليس ولم يكن المقصود من الخيانة - الزنا - كما

في البدعة وكراهة الجديد

رد وتعقيب

يفهم من ظاهر النص .

ثم انظر الى هذا التعليل عندما يقول فى الفقرة السابقة عن ذم البدع ورفض كل جديد محدث التى جاءت بها كل كتب التراث الاسلامى لم يترك منها واحداً «مع علمنا بان كل ما جاء به الاسلام راه الجاهلون من محدثات الأمور» وإذن فهو يوافق الجاهلين على أن الاسلام بدعة من محدثات الأمور بدليل أنه يقول قولهم أو هو يريد أن يقول ونحن علينا أن نرى ما جاء به الاسلام من محدثات الأمور ، وعلينا أن ناتى بغيره. إذ كل سابق يقول عن رأى اللاحق محدث وبدعة وهكذا دواليك .ويؤكد هذا حين يبلغ به الشطط حد الاسفاف حين يقول : «وأعلمنا أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان أعظم رافض لاتباع سنة من كان قبله» ص ٧٥ عامود ٢ .

أترى كيف أراد أن يخدع القارىء بقوله عليه الصلاة والسلام عندما ذكر كلمة الرسول ليصرفك عما يضمر فى نفسه من حقد دفين على رسالة المسلمين ، وإلا فما معنى أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان أعظم رافض لاتباع سنة من كان قبله ؟ أيريده ان يتبع سنة من كان قبله ؟؟ إذا فلم الرسول والرسالة إن لم يكن هناك جديد من السماء يريد الله تبليغه أهل الأرض ؟ وهل المقصود من كان قبله من الأنبياء ثم جاء الرسول رافضاً لاتباع سنتهم ؟ كم مرة صرح القران بأن الدين عند الله الاسلام منذ أدم عليه السلام حتى خاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . الم يسمنا ابراهيم عليه السلام بالمسلمين «ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين» (٦) ، ثم اقرأ قوله تعالى «ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين» (٧) ، لكن التشريعات اختلفت وتلك ارادة الله ليبتلى بها عباده بالايمان وعدمه . أم المقصود أنه صلى الله عليه وسلم رفض اتباع الكفار فى عبادة الأوثان وفى طرق حياتهم فاختر أنت الجواب والحكم متروك عليك للقارىء الكريم ولنفسك .

أما ما يقوله عن فقهاء الاسلام ومجتهديه فاليك هو «ص ٧٦ عامود ٢» :

«قد دعانا من رأى قفل باب الاجتهاد الى الوقوف عند أراء مجتهدين فى عصر معين. وقد كان هؤلاء المجتهدون يفكرون لأنفسهم ، ويراعون فى وضعهم الأحكام موافقتها للظروف المتغيرة فى مجتمعهم ، غير أنهم سلكوا مسلكاً خاطئاً إذ صاغوا أراءهم المبتدعة فى قالب أحاديث نسبوها الى النبى واختلقوا الأسانيد لها حتى تلقى أراؤهم قبولا من الأمة . وعلى حد تعبير بعضهم واعترافه : «كنا إذا رأينا رأياً صيرناه حديثاً» ، فاذا بالأجيال التالية تقفل باب الاجتهاد وقد صدقت نسبة هذه الأحكام والآراء الى النبى . وحرمت على نفسها أن ترى لنفسها رأيا جديدا .....» .

وقبل ان اعلق على هذا القول أسارع الى التأكيد أن هذا القول ليس من عنده وليس هو قوله بل قول المستشرق الدكتور شاخت فى كتابه عن الشريعة المحمدية بنصه وفصه لم يخرم منه شيئاً . وهكذا فهو يرى رأى سيده شاخت بأن الأمة الاسلامية كلها كاذبة لأنه اذا كان فقهاؤها ومجتهدوها يكذبون حيث يضعون الأحاديث ويختلقون لها الأسانيد والأمة تتلقى ذلك بالقبول منهم وكذلك الأجيال المتعاقبة فالأمة الاسلامية على هذا من أولها الى أخرها أمة كاذبة دينها مكذوب !!

والأغرب من هذا والأنكى أنه يستشهد بقول بعضهم : « كنا اذا رأينا رأياً صيرناه حديثاً » وهذا القول قاله رجل وضّاع كان يضع الأحاديث فلما تاب ورجـع اعترف بهذا القول وهو يستشهد به على كل الأمة ، وليت شعرى الم ينقل هذا القول من الكتب فلماذا ينقله مبتسراً هكذا ليجعله حجة على جميع الأمة بل على الذروة منها وهم الفقهاء والمجتهدون وفى القرنين الثانى والثالث الهجريين . أفبعد هذا يبقى مقال لقائل فى ان يدفع سوء النية والقصد عن هذا الكاتب وهل قال أعداء الاسلام أكثر من هذا بل قاله شاخت وهو يهودى فهل هو على دينه أم على دينه ؟ نحكم بالأولى ونترك الثانية لله . انهم تحت شعار حرية النشر وحرية الكلمة يهجمون على عقيدة الأمة دون خوف من رقيب أو وازع من ضمير أو على الاقل تحكيم لمنطق العقل السليم . ولو أن شخصاً هاجم شخصية مرموقة فى مقال لقامت الدنيا وما قعدت ثم هل تجرؤ الصحف والمجلات على نشر مثل هذا المقال ؟؟ أما على الاسلام فحيهلا !!!!

استمع اليه يقول ص ٧٥ عامود ٣ :

« ومفهوم هذا أن تعاليم النبى الملزمة للمسلمين هى تلك التى تتعلق بالدين والاخلاق لا المتعلقة بمعاش الدنيا الفرعية التى ذكرها على سبيل الرأى » ونحن نقول بهذا القول وكل مسلم يقوله ولكن الخلط والتخليط جاء عندما تابع كلامه قائلا :

« ومع ذلك فاننا نرى بيننا من يذهب الى انتهاج نهج السلف الصالح فى كل شأن من شؤون الحياة كالملبس والمأكل بل وحتى فيما يقال لمن عطس . ولا يرون مسلماً حقاً من تبع شيئاً من عنده . وهاهو القسطلانى يرى بدعة مرفوضة كل ما يتبع دون مثل من العصر القديم ، وكل ما لم يكن معروفاً فى زمان النبى . وعلى هذا تصبح القهوة والطباعة والاذاعة والجرائد والمصباح الكهربائى واستخراج النفط واستخدام الشوكة والسكين فى الأكل بدعاً بغيضة ، وهو ما من شأنه أن يجعل الحياة فى ظل ظروف مخالفـة للظروف السائدة زمن الصحابة والتابعين أمراً محالا » . هذا نص كلامه حرفياً . واستشهد – بعد ذلك – بقوله تعالى « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً » الكهف ١٠٣ ، ١٠٤ وصدق الله العظيم .

بدأ كلامه فى هذه الفقرة بمفهوم أن التعاليم الملزمة للمسلمين هى التى تتعلق بالدين والاخلاق لا التى تتعلق بمعاش الدنيا الفرعية ووافقناه على ذلك . لكنه عندما ضرب الأمثلة بالملبس والمأكل أوردها هكذا دون تفصيل . فهل الاسلام اذ حرم لبس الحرير ونهى عن إسدال الازار يكون بذلك ضيق على الناس فى ملبسهم ؟؟ وهل الاسلام اذا أمر بالتسمية عند الأكل والأكل باليمين وأن يأكل الانسان مما يليه يكون ضيق على الناس فى مأكلهم ومشربهم ؟؟ ولم لم يذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم « كل ماشئت والبس ما شئت من غير ترف ومخيلة » وهل اذا نهاهم عن الأكل فى انية الذهب والفضة دفعاً للكبرياء والغرور وحفاظا على الاقتصاد يكون ضيق عليهم . ثم اذا كانت هذه نصوص صحيحة وهى من الدين لأن الدين عندنا « كتاب وسنة » فلماذا الاعتراض عليها ؟ أليس هذا يخالف قولك الذى بدأت فيه هذه الفقرة « ان التعاليم الملزمة للمسلمين هى التى تتعلق بالدين » . والآن ما هو الدين فى نظرك ؟؟ أهو العبادات فقط ؟ واقف عند هذا الحد لأن الاستقصاء فى الرد سيطول ويحتاج الى مجال أخر ووقت أخر . والله المستعان وعليه التكلان والله غالب على أمره .

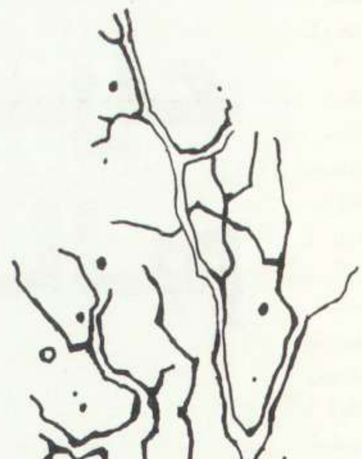
د . كامل زغمـوت
رئيس قسم العلاقات الاسلامية
قصر الدوحة

هوامش

(١) أى التى لقيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة .
(٢) ص ٥ .
(٣) الزمر ٣ .
(٤) الحشر ٧ .
(٥) النجم ٢ ، ٣ .
(٦) سورة الحج ٧٨ .
(٧) سورة النحل ١٢٣ .

أغنية الربيع

شعر: مبارك بن سيف آل ثاني



يا زهورَ الربيــعِ قد عَادَ لَيْلِى — بالنــدى والنجومِ والأمنيـاتِ
وعشـــقتُ الحبيبَ فى كل طيفٍ — وخيالٍ يزف أغلى الصـــفاتِ
فاسمعينى يا رفقتى .. يا طيورا — واسمعى باغِمَ الظِّباءِ اللــواتى
كُنَّ لى الشاهدات فى كلِّ لُقْيَـا — فاكتمى الحُبَّ واحفَظِى هَمَساتِى
إن يكنْ عندك الغرامُ ربيعــاً — انشديه وهاتِ شَـــدْوَك هاتِى
سوفَ يمْضِى الربيعُ بالزهْـرِ يوماً — وسـأبْقَى .. تشدُّنى ذِكْريَـاتِى

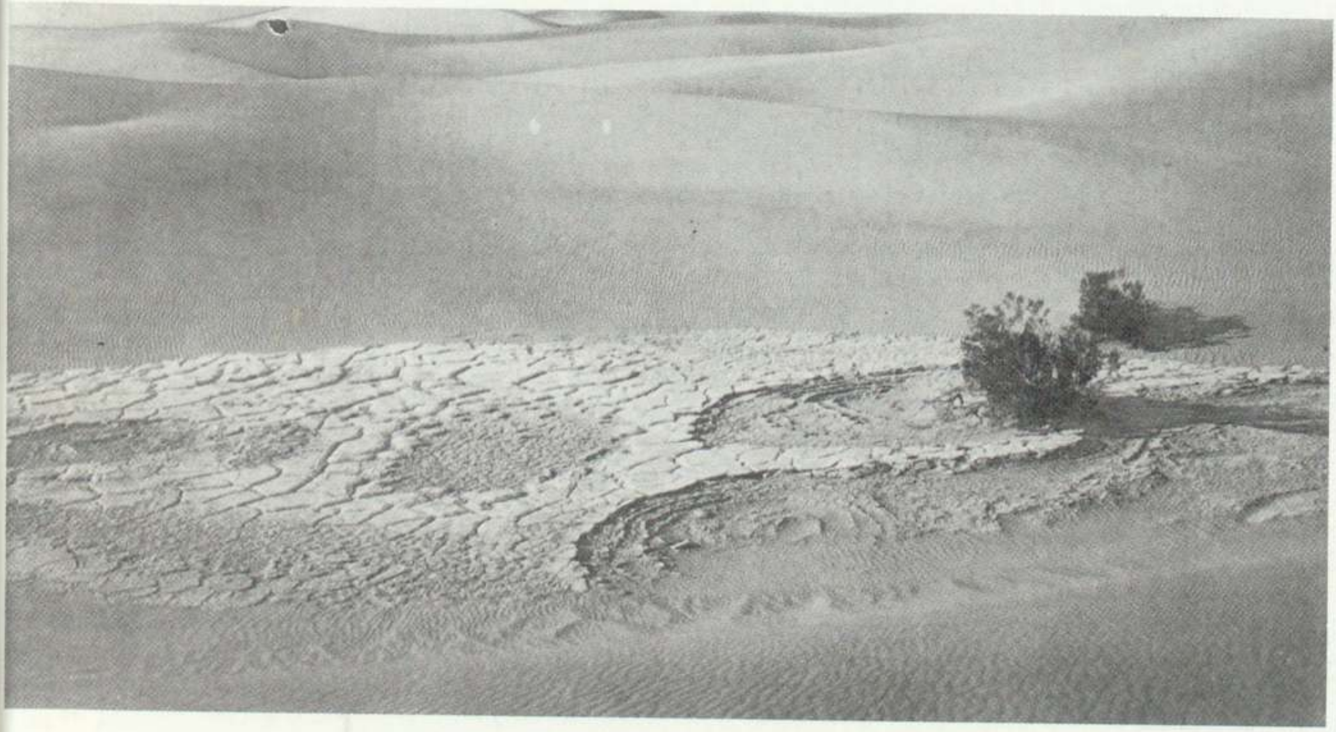
• • •

يا غديرًا ويا زهورَ الخــــزامَى — يا ربيعًا .. ويا ليالى النَّـدَامَى
قد ألفت الربا طيوراً ورَوْضــاً — فَعَلَامَ الرحيل هذا .. عَلَامَا ؟
هل بدرْبِ المنَى سئمت الليــالى — وأطل الفــراق والبعد حاما ؟
فدعينى يا رفقتى .. يا طيورا — فلقد أَصْـبَحَ الفؤادُ حُطَـامَا
ولقد ضَاعَ فى زِحَامِ الأمَــانِى — كل شىءٍ حسـبْتُه قد تَسَامَى
وغدا الخــافقُ الطليقُ سجِيناً — بعد أن جَالَ فى سماك هيَـامَا

• • •

يا ربيعًا لِمَ الرحيلُ شــهوراً — وهبوبُ النسيم نجْمِى وفَجْرِى ؟
فأَنَا شــاعِرٌ كطيرِكَ أهْفُــو — حيث نَبْـعُ الغديرِ والماءِ يجرى
وأرى الليْلَ أنجُمًا وشمُوسًـا — ضاحكاتٍ على النَسَيْمَاتِ تسْرى
لن يكونَ الفِرَاقُ يا فَجْــرُ لَيْلِى — لن يكون البِعادُ سجْنى وأسْرِى
سوف أبقَى أعيشُ ذكرى ربيـعٍ — سوفَ أبقَى أعيشُهُ كلَّ دهْرِى
يا ربيعًا متى رحَلت .. وطيفــاً — عشتُه فى البِعَادِ .. لو كنتَ تدرى !

انتبهوا أيّها السادة:



هذه الصحراء يجب وقف زحفها حتى لا يسيطر شبح الموت على الأرض وتختفى الخضرة الجميلة

الصحراء تغزو العالم

بقلم: الدكتور محمد عاطف كشك

شهد عام ١٩٧٧ مولد علم جديد هو ما يمكن ان نسميه « علم الصحراء » Desertology وقد ساهمت فى قيام هذا العلم الجديد عدة عوامل كان أهمها كارثة الجفاف التى تعرضت لها منطقة الساحل الأفريقى بين عامى ١٩٦٨ ، ١٩٧٤ والتى نتج عنها موت عدة ملايين من البشر والحيوانات بسبب المجاعات والأوبئة ، وتحول مساحات شاسعة من الأراضى المنتجة الى صحراء جرداء . ولم يكن اهتمام العالم بمشكلة زحف الصحراء إلا جزءاً من الاهتمام العالمى الضخم والمتزايد بمشاكل البيئة والذى لم يكن انعقاد مؤتمر الأمم المتحدة عن البيئة الانسانية (استكهولم) إلا مظهراً واحداً من مظاهره المتعددة . وقد كانت ضمن النتائج الهامة لمؤتمر استكهولم تكوين منظمة عالمية جديدة أطلق عليها « برنامج الأمم المتحدة للبيئة » UNEP (مقر هذه المنظمة نيروبى ورئيسها منذ تكوينها حتى الآن عالم مصرى هو الدكتور مصطفى كمال طلبه) .

وقد قامت الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٧٤ بالدعوة لعقد مؤتمر عالمى لبحث مشكلة زحف وانتشار الصحراء فى العالم . وتم تكليف برنامج الأمم المتحدة للبيئة بالتحضير لهذا المؤتمر الهام . واستمر التحضير للمؤتمر لمدة ثلاث سنوات كاملة حتى تم عقده فى نيروبى فى الفترة من ٢٩ أغسطس الى ١٠ سبتمبر عام ١٩٧٧ وساهم فى أعماله حوالى ١٥٠٠ خبير وعالم سياسى يمثلون ٩٥ دولة و ٦٥ منظمة غير حكومية .

وخلال الجهود والدراسات المكثفة التى سبقت المؤتمر ومهدت له وتبلورت خلاله امكن التوصل الى عدد من البيانات والمعلومات والتوصيات الهامة التى تلقى الأضواء على طبيعة وحجم مشكلة زحف الصحراء . وأهم النقاط التى توصل لها المؤتمر يمكن ان نجملها معاً بشكل مختصر فيما يلى :

١ ـ مشكلة زحف الصحراء مشكلة خطيرة تهدد العالم بشكل خطير فهى تؤثر بشكل مباشر على ثلثى العالم وعلى العالم كله بشكل غير مباشر .

٢ ـ تغطى المناطق الجافه ثلث مساحة الكرة الأرضية وهذه هى المناطق التى تنتشر فيها الصحراء بشكل سريع وخطير . والصحراء الزاحفة تتقدم لتغطى ٥ ـ ٧ مليون هكتار (حوالى ١٢ ـ ١٧ مليون فدان) من الأراضى الزراعية كل عام .

٣ ـ الصحراء الزاحفة تمثل خطراً شديداً على ظروف معيشة الجنس البشرى فهى تغطى مساحات شاسعة وتؤثر على الملايين من البشر . ورغم انتشار الصحراء بكثرة فى المناطق الجافة وشبه الجافة فى فريقيا وآسيا واستراليا وامريكا الجنوبية إلا أن انتشارها لا يعرف الحدود فتوجد مناطق متأثرة بالمشكلة حتى فى الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى وبعض مناطق أوربا .

٤ ـ إن ظاهرة انتشار الصحراء ليست ظاهرة جديدة فهى تحدث منذ القدم لكن الجديد أنها وصلت الآن إلى معدلات انتشار عالية نتيجة الضغط البشرى على الأرض المتاحة . ومنذ أكثر من ٥٠ سنة بدأ بعض المفكرين والعلماء التنبيه الى مخاطر زحف الصحراء فى الصين وفى روديسيا وجنوب أفريقيا ومناطق أخرى . لكن العالم لم يعط هذه المشكلة ما تستحقه من عناية واهتمام الا فى أواخر السبعينات مع تصاعد الاهتمام بقضايا البيئة الانسانية بشكل عام .

٥ ـ كما سوف يتضح لنا فيما بعد فان هناك إجماع علمى على أن الانسان هو الصانع الأول للصحراء وهو السبب والضحية فى نفس الوقت . وإلقاء اللوم على الانسان باعتباره صانع الصحراء ليس الهدف منه إيجاد متهم تلصق به التهمة بل ان له عدة نتائج علمية هامة فيما يتعلق بفهمنا للمشكلة وطريقة تناولنا لها وبالتالى طبيعة الحلول الممكنة لها .

التصحر أم انتشار الصحراء ؟

كلمة الصحراء مرادفه للموت أو غياب الحياة .

لكن الصحراء الكاملة نادرة الوجود ، فحتى فى المناطق الجافة جداً يمكن ان توجد بعض صور الحياة . ولذلك فان الصحراء تعرف بانها المساحات التى تكون فيها الرقعة النباتية قليلة جداً أو غير موجوده بالمرة والمطر فيها نادر والنشاط الحيوى ضعيف .

وعملية التصحر هى امتداد أو تكثيف لهذه الظروف وهى بذلك شكل من أشكال تدهور الأرض والموارد الطبيعية وانتشار الجفاف والبوار فى مناطق كانت قبل ذلك منتجه .

والصحراء ليست حالة استاتيكية حيث انه يمكن نشر الحياة فى الصحراء وبالعكس يمكن للصحراء أن توسع جبهتها فتغطى مناطق جديدة وتستبعد منها إمكانيات الحياة .

والسؤال الهام هنا : هل انتشار الصحراء ظاهرة طبيعية والانسان فى هذه الحالة هو الضحية ؟ أم أن الصحراء هى من صنع الانسان نفسه ؟ ؟

ولقد حاول مؤتمر نيروبى التصدى للاجابة على هذا السؤال ، وكان هناك تردد بين مصطلحين لتسمية الظاهرة : انتشار الصحراء Desertization أم التصحر Desertification بعد مناقشات قصيرة حصل مصطلح التصحر على قبول عالمى . والخلاف هنا لم يكن مجرد لفظى فمصطلح انتشار الصحراء يعنى أن عملية زحف الصحراء عملية طبيعية مناخية فى المقام الأول لا يمكن للانسان أن يتحكم فيها ، فى حين أن المصطلح الثانى « التصحر » يعنى أن الانسان هو الصانع الأول للصحراء بضغوطه الشديدة على الأرض واستعماله لها استعمالا أحمق .

وقد استندت الأبحاث والدراسات التى تؤكد المساهمة الرئيسية للانسان فى صنع الصحراء على عدة حقائق .

● هناك دلائل كثيرة تشير الى ان الصحراء فى تقدم سريع مستمر فقد وجدت فى بعض كهوف جبال منطقة الصحارى الأفريقية نقوش ورسوم على الأحجار لحيوانات مثل الفيلة والزرافات . وكذلك زراعات تحتاج إلى ظروف أقرب إلى الظروف الحالية فى المنطقة الاستوائية الرطبة . وهذه الحيوانات الاستوائية غير موجوده الآن بالمرة فى هذه المناطق . كما أن الزراعة فيها اختفت تماماً وحل الرعى محلها مما يدل على انها كانت مناطق رطبة ثم جفت .

● هذا التغير السريع لا يمكن رده إلى تغير المناخ فهناك اتفاق بين معظم المتخصصين على أن تغيرات المناخ مسالة لا يمكن الاحساس بها فى مدى زمنى قصير فهى تستغرق مئات القرون ولذلك فان انتشار الصحراء خطا يلام عليه الانسان . ومما يؤكد ذلك حدوث تدهور سريع جداً للنظم البيئية فى المناطق المتاخمة وهو مالا يمكن تفسيره فى ضوء التغيرات المناخية التى تحدث تدريجياً وببطء شديد .

● يشهد التاريخ أن هناك حضارات كثيرة عظيمة اعتمدت على الزراعة وغطتها الآن رمال الصحراء وكما فى وادى دجلة والفرات .

وهكذا فان تحليل ظاهرة التصحر يقود إلى اكتشاف أن أهم الأسباب الفعالة لها هو سوء استخدام الامكانيات المحدودة للأرض وخاصة فى المناطق الجافة وشبه الجافة . فالأرض فى هذه المناطق ذات إمكانيات محدودة ولكن الضغوط عليها كثيرة . وعندما نجبر الأرض على ان تعطى اكثر مما تستطيع فانه قد تستجيب للضغط وتعطى لفترة قصيرة جداً ولكننا بذلك نستنزفها وندمرها ونحولها من اراض منتجه ـ ولو فى حدود متواضعة ـ الى صحراء جرداء كفت عن العطاء .

رغم توفر عدد من العوامل الطبيعية (متعلقة بالمناخ والتربة والطبغرافية)

الصحراء تغزو العالم



تؤثر على مدى وسرعة انتشار الصحراء إلا ان العوامل الانسانية تكتسب أهمية خاصة من حيث سرعة وضخامة تأثيرها ومن حيث انها هى التى يمكن تعديلها والتحكم فيها .

والعوامل الانسانية التى يمكن ان تقود الى تدهور الأراضى والموارد الطبيعية وبالتالى انتشار الصحراء كثيرة منها :

- استعمال كميات كبيرة من مياه الرى او كميات اقل مما قد يتسبب فى ظهور مشاكل الأراضى الغدقة ومشاكل الملحية والقلوية .
- سوء استغلال الارض بزراعتها بكثافة اكثر مما تحتمل او بانــــواع من النباتات غير ملائمة او استعمال طرق خدمة غير مناسبة ، كل ذلك قد يعجل من تدهور الأرض .
- زراعات المنحدرات وريها يعرضها للانجراف الشديد بواسطة المياه وترك الأراضى الجافة عارية يعرضها للانجراف الشديد بواسطة الرياح . والانجراف يزيل من الأرض أخصب طبقاتها ويتركها اشبه ما تكون بالصحراء .
- الضغوط الانسانية والضــــغوط الحيوانية الشديدة والتى تفوق قدرة الأرض على الاستيعاب تجعل الانســـان والحيوان يتحولان الى آفة ضارة ينتج عنها تدهور شديد للأرض .
- تجريف الأراضى الزراعية بواسطة الانسان أو ترك مخلفات الصناعة تؤثر عليها كل ذلك يعجل بتدهور الأرض وتحولها الى صحراء لاعطاء لها .

المناطق المعرضة لزحف الصحراء

حرص مؤتمر نيروبي على إقرار ما سمى « خطة العمل لمقاومة زحف التصحر » وقد بدأت الخطة توصياتها بان عملية التصحر يجب تقديرها وتقييمها . وبالفعل كانت من اولى المهام التى شغلت العلماء والمنظمات العلمية هى رسم خرائط للصحراء الزاحفة ولأن عملية التصحر عملية ديناميكية وليست موقفا ثابتا فان رسم خرائط لها عملية صعبة للغاية اشبه ما تكون بمحاولة رسم خرائط للعربات التى تجرى فى شوارع القاهرة . ومع ذلك فان المحاولة كانت ضرورية ، ولذلك فقد اسندت مهمة اعداد خريطة العالم للتصحر إلى أربع منظمات دولية لديها خبرة كبيرة فى عمليات الحصر والتقييم وإعداد الخرائط هى منظمة الاغذية والزراعة وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة ومنظمة الارصاد الجوية العالمية واليونسكو . كما تم إشراك عدد من بيوت الخبرة العالمية فى اعداد الخريطة التى تم انتاجها بالفعل لتشير إلى المناطق المعرضة لزحف الصحراء ومدى الخطر فى كل منطقة من العالم هل هو خطر شديد أم متوسط أم قليل .

ورغم أنه يصعب فى هذا المجال إعطاء امثلة من خريطة العالم للتصحر أو البيانات المستخلصة منها إلا انه يمكن الاشارة الى بعض الأرقام التى لها دلالات واضحة ، فقد بينت الخريطة مناطق العالم المعرضة لخطر تصحر عال ، وعال جداً ، اى ان انتشار الصحراء فيها سوف يتم بسرعة شديدة لو ظلت الظروف الحالية بدون تغير . وهذه المساحات هى على النحو التالى فى القارات المختلفة .

- امريكا الجنوبية ٥٠٠ مليون فـدان (١٠٪ من المساحة الكلية) .
- امريكا الشمالية والمتوسطة ٥٤٠ مليون فدان (٦٪ من المساحة الكلية) .
- أفريقيا ١٤٠٠ مليون فدان (٢٢٪ من المساحة الكلية) .
- اسيا ٢٠٠٠ مليون فدان (١٨٪ من المساحة الكلية) .
- استراليا ٤٨٠ مليون فدان (٢٦٪ من المساحة الكلية) .
- أوربا ١٢ مليون فدان (٥ر٪ من المساحة الكلية) .

ومن خريطة العالم للتصحر ووثائق مؤتمر نيروبى يمكن إيجاز الملاحظات التالية :

- ان خطر التصحر يهدد العالم كله حتى فى المناطق التى لا توجد بها صحراء طبيعية كما هو الحال فى أوربا .
- ان أكثر قارات العالم عرضة لخطر التصحر هى افريقيا وآسيا واستراليا والى حد ما امريكا الجنوبية .
- ان المساحات المعرضة للخطر فى العالم كله مساحات شاسعة . والعالم الآن يبحث عن كل شبر من الأراضى يمكن استغلاله لسد احتياجات الأعداد المتزايدة من السكان . وبالطبع فان الموقف الراهن فيما يتعلق بأزمات الغذاء والطاقة سوف يزداد سوءاً لو تركنا هذه المساحات الشاسعة تغزوها الصحراء وتستبعد منها الحياة .

الموقف فى مصر والشرق الأوسط

تتعرض مصر والبلاد المحيطة بها لموقف شديد الخطورة فيما يتعلق بمشكلة زحف الصحراء . ومن فحص خريطة العالم

للتصحر يتضح لنا ما يلى :

● تقع مصر فى المنطقة شديدة الجفاف من العالم وخطر التصحر فى معظم مناطقها خطر عال جداً .

● تتميز المناطق المأهولة بالسكان فى مصر (وهى مركزة فى الوادى والدلتا) بضغط سكانى شديد حيث الكثافة السكانية تفوق بمراحل الحدود الحرجة الخاصة بكثافة السكان فى المناطق الجافة

● جميع الأراضى المصرية وخاصة الأجزاء الشمالية منها عرضة للتمليح والقلوية وعرضة للانجراف بواسطة الرياح .

هذا ما تقوله خريطة العالم للتصحر عن الموقف فى مصر . ولكن هناك عدة ملابسات وظروف خاصة بمصر لم تبينها الخريطة تجعل الموقف اكثر خطورة ، نذكر من هذه الملابسات والظروف ما يلى :

١ - تغطى الصحراء الفعلية حوالى ٩٧٪ من مساحة مصر فنحن نمارس الزراعة فى تخوم الصحراء أو فى قلب الصحراء . وفى مثل هذه المناطق تكون الأرض لها قدرات كامنة محدودة يجب ان تؤخذ فى الاعتبار عن استغلال هذه الأراضى ، ونحن حتى الآن لا نعطيها للأسف أى اعتبار .

٢ - الزراعة المصرية زراعة مكثفة جداً لكى تقابل الاحتياجات المتزايدة للسكان والزراعة المكثفة لها كثير من المخاطر على الأرض .

٣ - ما زالت الزراعة المصرية - ويجب ان تظل - تمثل اسهاماً اساسياً فى الاقتصاد القومى (حوالى ٣٠٪ من اجمالى الناتج المحلى فى حين انه فى الولايات المتحدة الامريكية ٣٪ فقط) أى أن أى خطر يواجه الزراعة سوف يكون تأثيره فى الاقتصاد المصرى عشرة اضعاف ما يمكن ان يصيب الاقتصاد الامريكى من خطر مماثل .

٤ - معظم الفلاحين المصريين فقراء يملكون مساحات صغيرة من الأرض وليس فى مقدورهم اتخاذ أى إجراءات أو تخصيص أى استثمارات لحفظ وصيانة أراضيهم ، ووسائل الدولة ومساعداتها فى هذا الصدد قاصرة الى حد بعيد .

٥ - تتميز مصر بموقف خاص بها وهى أن الزراعة فى معظم مناطقها تتم فى شريط ضيق جداً محاط بالصحراء من كل جانب وهناك دلائل كثيرة تؤكد وجود إضافات من رواسب الصحراء على الأراضى المصرية الخصبة ، ورواسب الصحراء رواسب ضارة فهى خشنة جيرية قليلة الخصوبة . وقد ازداد تاثير هذه الرواسب بعد إنشاء السد العالى وحرمان الأراضى المصرية من طمى النيل الذى كان يقلل من التاثير الضار للرواسب الصحراوية . وبناء على الدراسات والأبحاث المتاحة فقد قمت بتقدير الخسائر الناشئة عن إضافة رواسب الصحراء إلى الأراضى المصرية ووجدت انها فى حدود ١٠٠ مليون جنيه سنوياً . واذا كانت الخسائر بمثل هذا الحجم فان المشكلة تستحق بذل الجهد والمال لوقفها خصوصاً إذا كان الحل معروفاً وهو اقامة حزام واق من الأشجار على جانبى وادى النيل والدلتا يحمى أراضينا من زحف الصحراء . هذا بالاضافة إلى أن الخسائر الناتجة عن مشاكل التمليح والقلوية (وهى صورة من صور التصحر) قد تم تقديرها بواسطة الدكتور الجبلى بما يزيد عن ٥٠٠ مليون جنيه سنوياً وهذه أيضاً لها حلول معروفة وتستحق الاستثمار فيها فهو استثمار مضمون العائد . ناهيك عن الخسائر الناتجة عن الانجراف وتجريف الأراضى وسوء استخدامها . وبذلك فانه يمكن بمنتهى الاطمئنان تقدير الخسائر الناتجة عن التصحر فى مصر بما لا يقل عن ألف مليون جنيه سنوياً .

خطة العمل لمقاومة زحف التصحر

كان من النتائج الهامة لمؤتمر نيروبى إقرار ماسمي « خطة العمل لمقاومة زحف الصحراء » . وقد اشترك فى إعداد هذه الخطة أكثر من ٥٠٠ خبير وعالم من مختلف انحاء العالم امضوا فترة سنتين كاملتين من العمل المكثف والدراسات الجادة . وتقع الخطة المعتمدة من المؤتمر فى ٩٠ صفحة وتحتوى على ٢٨ توصية بخصوص استعمال الأرض ، وصيانة الموارد المائية ، وصيانة وإعادة تكوين الغطاء النباتى ، وسياسات التوطن البشرى فى المناطق المتاثرة بزحف الصحراء ، وتنظيم استخدام مصادر الطاقة التقليدية والبحث عن مصادر جديدة . كما تضمنت الخطة توصيات بخصوص تعليم وتدريب وإعلام السكان فيما يتعلق بمشكلة التصحر ، وتوصيات بخصوص التعاون الاقليمى والدولى .. الخ وقد وضعت الخطة عام ٢٠٠٠ كهدف يتم فيه وقف زحف الصحراء نهائياً .

● وما يمكن أن يقال هنا ان هناك فى مصر قصور شديد فى تنفيذ بعض بنود خطة العمل لمقاومة زحف التصحر ، وخاصة فى مجال الأبحاث والدراسات وكذلك فى مجال الاستثمارات اللازم توجيهها لمقاومة التصحر . هذا بالرغم من أن مصر - قبل غيرها - يجب ان تبذل جهوداً جبارة فى هذا المجال نظراً لضخامة حجم المشكلة بها ونظراً لأنها يمكن ان تستفيد من الجهود العالمية فى هذا المجال وخاصة ان هناك اثنين من خيرة ابنائها يحتلان منصبين هامين فى مجال الاهتمام العالمى بمشاكل البيئة وهما الدكتور مصطفى كمال طلبه المدير التنفيذى لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة ، والدكتور محمد عبد الفتاح القصاص رئيس الاتحاد الدولى لصون الطبيعة والمحافظة على الموارد الطبيعية ولكل منهما قيمة عالمية كبيرة .

والآن أرجو أن أكون قد استطعت فى هذا الحيز الصغير أن ألفت الانظار الى واحدة من أخطر المشاكل البيئية ، تهدد الانسان فى مصدر غذائه وكسائه المباشر . وعندما وضع العالم عام ٢٠٠٠ كهدف يتم فيه وقف زحف الصحراء لم يكن ذلك مجرد أمل ولكنها فى الأساس مسألة حياة أو موت وفى مصر يجب ان نسعى بأيدينا واسناننا لتحقيق هذا الهدف وإلا فان كل آمالنا فى الثورة الخضراء سوف تحبط فى هجوم الثورة المضادة « الصفراء » .

ولأن مشكلة تدهور الأراضى وتحولها الى صحراء عملية غير عكسية أى أنها متى حدثت فانه لا يمكن تصحيحها من الناحية العملية . ولأن الارض مورد غير متجدد أى أنها ليست كالهواء ما تستهلكه منه فى التنفس يتجدد باستمرار بما ينتجه النبات من اكسجين فى عملية التمثيل الضوئى . لأن الأرض مورد غير متجدد فاننا بسوء استغلالنا للأراضى وتسرعنا فى سبيل تحقيق الأمن الغذائى للجائعين حالياً ، قد نضيع الأمل الباقى فى أى أمن غذائى لأجيال المستقبل !!

د . محمد عاطف كشك

عيزر وايزمن

صاحب الآراء الزئبقية

بقلم : عصام شريح



مناحيم بيجن



عيزر وايزمن

لمع اسم عيزر وايزمن مرة اخرى فى الشهر الماضى منذ انزوائه عن مسرح الحياة السياسية فى الكيان الصهيونى فى ايار (مايو) ١٩٨٠ ، كخليفة محتمل لمناحيم بيجن فى زعامة حزب حيروت ، إن لم يكن فى رئاسة الحكومة ، وربما زعامة الحزب والحكومة معا ، فقد اعلن وايزمن نفسه عن نيته فى تشكيل حزب جديد (حزب وسط) فى العام الجديد فى حال تقديم موعد الانتخابات العامة للكنيست الحادى عشر ، وعلى اية حال فان هذه ليست هى المرة الأولى التى يلوح فيها وايزمن باعتزامه إنشاء حزب حيروت فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٨٠ ، فقبيل استقالته من وزارة الحرب عرض على موشي دايان (قبل وفاته) تشكيل حزب جديد برئاسة دايان ، وخلال الحملة الانتخابية للكنيست العاشر تردد مراراً ان عايزر وايزمن ينوى تشكيل حزب جديد مستقل ، لكن الانتخابات انتهت دون ان يرى الحزب المزعوم النور .

وفى الشهر الماضى سلطت مجلة «هعولام هزيه» الاسرائيلية التى يراس تحريرها «يورى افنيرى» ، الأضواء على عيزر وايزمن وعلى ما يجرى داخل حكومة بيجن وحزب حيروت من تنافس شديد على وراثة بيجن فى زعامة الاثنين . وقالت المجلة فى مقالة كتبها «شلومو فرنكال» : إن ارئيل شارون (وزير الحرب) واسحق شامير (وزير الخارجية) ، يكنان كراهية عميقة لعيزر وايزمن بسبب تخوفهما من احتمال عودته الى مسرح السياسة ، ولان مثل هذه العودة تعنى وضع نهاية لأحلامهما فى وراثة بيجن ، واضاف

«فرنكل» ان وايزمن يحظى بتاييد واسع داخل حزب حيروت ، مما يفتح المجال واسعا امامه لخلافة بيجن فى رئاسة الحكومة والحزب معا ، واستشهد الكاتب على ذلك بتاييد عدد كبير من رجالات حزب حيروت لوايزمن ، ومنهم دافيد ليفى (نائب رئيس الحكومة ووزير الاسكان حاليا) ، ويعقوب ميريدور (وزير المواصلات) ، ومردخاى تسيبورى ، وحاييم كوفمن ، ومينحا ريسر ، ومئير شتريت .

استقالة وايزمن

ونعود الى عرض اسباب استقالة وايزمن من منصب وزير الحرب فى حكومة بيجن فى السادس والعشرين من ايار (مايو) من عام ١٩٨٠ ، ولو بشكل مكثف وسريع ، لما فى ذلك من خلفيات تساعد على فهم افكار وطروحات عيزر وايزمن ، فقد اشار وايزمن فى كتاب الاستقالة الى ان السبب في تنحيته عن منصبه كوزير للحرب إنما يعود الى الخلافات «الآخذة بالاتساع والتعميق» بينه وبين مناحم بيجن وبقية الوزراء ، حول عدد من الموضوعات ، ولكنه تحاشى تقديم إيضاحات حول هذه الخلافات مكتفيا بالتلميح اليها من بعيد ، حيث قال مخاطبا بيجن «إن الكثير من الأمور اصبح موضوع خلاف بيننا ، كما ان تحفظاتى قد ازدادت إزاء سياسة الحكومة بالنسبة لموضوع السلام ، وخطتها الاقتصادية واسلوبها بالنسبة للقضايا الاجتماعية ، وطريقة ادائها لعملها ، وقد احسست انه اخذ يتبلور فى باطنى إدراك بان طريقنا لم يعد واحدا واننى لن استطيع الاستمرار فى حكومتك» . اما الخلاف الوحيد الذى اوضحه ، وهو السبب المباشر للاستقالة ، فهو اعتزام الحكومة تقليص ميزانية وزارة الدفاع ، فقد اوضح وايزمن فى مذكرة الاستقالة انه يرفض مقترحات الطاقم الوزارى بهذا الشان ، لان «الجيش الاسرائيلى لا يمكن ان يدار وفقا لمتغيرات مؤشر الأسعار الشهرى ، ووفقا للتغيير الذى يطرا على مزاج اعضاء الطاقم الوزارى للشئون الاقتصادية ، وان معالجة ميزانية الدفاع تعكس جيدا طريقة اداء الحكومة لمهامها فى جميع المجالات » ، واما بالنسبة لموضوع الخلاف حول السلام مع مصر ، فقد اشار اليه وايزمن فى كتاب استقالته بشكل غائم مكتفيا باتهام حكومة مناحم بيجن بعدم الرغبة فى السير فى طريق السلام ، وبالتالى تفويت «فرصة نادرة» على حد وصف «وايزمن» .

اما مناحم بيجن فقد جاء رده على عيزر وايزمن لاذعا وحاسما وسريعا ، حيث اتهم مصر بعدم الرغبة فى السير فى طريق السلام بسبب مقترحاتها حول «القدس وجوهر الحكم الذاتى ومسالة الأمن» ، مما يهدد امن ومستقبل اسرائيل على حد زعمه. ثم انتقل بيجن الى تسديد السهام الى وايزمن شخصيا ، حيث قال مخاطبا وايزمن :«إن شخصيتك غير مسئولة لدرجة غير معقولة ، فمن خلال حبك للظهور لدى دول اجنبية معينة ، اوحيت كانك الوحيد الذى يجرى وراء السلام فى حكومة تتالف ممن يسعون الى إفشاله ...» ، ثم انهى بيجن انتقاداته اللاذعة لوايزمن بقوله : «لقد اتيحت لك الفرصة ، وربما كنت بين الذين منحوك إياها ، بجعلك تشغل منصب وزير الدفاع ، الهام فى حكومة اسرائيل ، وفى فترة بالغة الأهمية ، لكنك بسبب قصر نظرك وطيشك ، حاولت إبعادى عن منصبى علنا ، وعن طريق التلفزيون اثناء وجودى فى الولايات المتحدة ، فى مهمة «قومية» هامة .. وقد حصدت فى مسعاك هذا فشلا ذريعا ، ولقد اعطيتك فرصة نادرة ، لكنك اضعتها بسبب طموحاتك التى تتجاوز حدود المعقول» !! «صحيفة عل همشمار ٢٧ ـ ٥ ـ ١٩٨٠» .

حقيقة الخلاف

لقد حاول عيزر وايزمن ان يصور نفسه داعية سلام مع مصر بصورة خاصة عن طريق إظهار رئيس الحكومة مناحم بيجن فى موقف المتصلب والرافض للسلام كفكرة اصلا ، ومن خلال هذه الصورة المزيفة فى الواقع ، اراد وايزمن ان يطرح نفسه «حمامة سلام» وسط «صقور» حكومة بيجن وربما صقور حزب العمل المعارض ايضا ، لكن يكفى لدحض صورة الحمامة هذه ، ان نشير الى ان عيزر وايزمن كان بين اولئك المسئولين الاسرائيليين الذين بلوروا «سياسة اليد القوية» التى انتهجتها اسرائيل ومازال ضد المواطنين العرب سواء فى الأراضى المحتلة فى عام ١٩٤٨ او فى الاراضى المحتلة فى عام ١٩٦٧ ، وهى سياسة القمع الدموى وهدم المنازل والاعتقالات الجماعية والطرد والابعاد خارج الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، ثم إذا كان وايزمن «حمامة سلام» بين «صقور الحروب» كما يزعم ، فلماذا يطالب بتخصيص المزيد من الاموال لوزارة الحرب ؟! كما ان من الاهمية بمكان ان نشير الى ان رئيس بلدية نابلس (المقال من منصبه) كان قد صرح بتاريخ ٧ ـ ٦ ـ ١٩٨٠ ، ان وايزمن عندما كان وزيرا للحرب «هددنى شخصيا بالتصفية الجسدية اذا استمررت فى التعاون مع رؤساء البلديات الآخرين لمواجهة مشروع الحكم الذاتى» !!

اما حقيقة الخلاف بين وايزمن وبيجن ، فان كتاب الاستقالة ورد بيجن عليه ، جاءا ليشكلا الستارة التى تحجب اهداف الاثنين ونواياهما الحقيقية ، وهى نوايا صهيونية فى المحصلة الأخيرة وان اختلف الأسلوب فى محاولة تحقيقها . فقد اعادت صحيفة «هارتس» الاسرائيلية استقالة عيزر وايزمن من منصب وزير الحرب الى الخلاف فى وجهات النظر السياسية بينه وبين بيجن ، الشخصيتين المركزيتين فى الحكومة ، وبصورة خاصة الى اتجاه كل منهما للاستفادة من «وهم السلام» ، ففى الوقت الذى اعتبر فيه بيجن هذا الأمر بمثابة ثغرة لتحقيق افكاره بخصوص ضم «جميع اجزاء ارض اسرائيل الغربية» الى اسرائيل عن طريق صفقة تبادلية ، راى وايزمن فيه فرصة لتثبيت وجود اسرائيل فى المنطقة عن طريق ما يصفه «بالاعتراف العربي» ، وقالت «هارتس» ، «إن إيجاد حل وسط بين وجهتى نظر بيجن ووايزمن امر لم يكن مستطاعا ، وكان لابد للتعايش الواهى بين رئيس حزب حيروت ، وبين الرجل الثانى فى الحركة ان يصل الى نهايته» .

أفكار رجراجة

يشير عيزر وايزمن الى ان حرب تشرين الاول اكتوبر من عام ١٩٧٣ ، او «حرب يوم الغفران» بالتسمية الاسرائيلية ، كانت العامل الذى احدث تحولا فى تفكيره من الصراع العربى ـ الاسرائيلى ، ويتحدث وايزمن فى كتاب اصدره بعد استقالته من حكومة بيجن فى ايار (مايو) ١٩٨٠ ، يتحدث عن الآثار التى خلفتها تلك الحرب لدى كل من العرب واسرائيل ، فيرى انها

عيزر وايزمن

صاحب الآراء الزئبقية

ضاعفت من ثقة العرب بانفسهم ، فيما كان الاسرائيليون يعتقدون ان العرب سيفكرون طويلا قبل ان يشنوا حربا جديدة ضد اسرائيل ، إلا ان حرب اكتوبر ، علمت العرب ان بامكانهم تحقيق بعض الانتصارات العسكرية فيما لو توفرت لهم بعض الشروط ، ولكن دون ان يتمكنوا من سحق اسرائيل وإلغائها من الخارطة كما كان يحلم بعض قادتهم سابقا . ويضيف وايزمن ان بين الدروس الاخرى التى استوعبها العرب من حرب «يوم الغفران» ان اسرائيل ليست تلك القلعة الحصينة التى لا يمكن اقتحامها ، وانها صاحبة جيش لا تحصى فيالقه المكونة من جنود متميزين ، فقد اطاحت حرب عام ١٩٧٣ بوهم اسمه اسرائيل ، واصبحت هذه فى نظر العرب مجتمعا مفككا تتنازعه الخلافات الداخلية وينتظر «الدولة» مصير شبيه بمصير «الدولة الصليبية» ، ثم ان العرب كانوا يعتقدون ان عنصر الوقت يعمل لصالحهم ، وقد جاءت «حرب يوم الغفران» لترسخ هذه القناعة لديهم ، إضافة الى ان استخدام العرب لسلاح النفط قد جعل منهم قوة اقتصادية لا يستهان بها بعد اليوم ، كما جعلهم «النفط» ذوى نفوذ سياسى وقوة استراتيجية .

ثم يشير وايزمن الى ان العرب غيروا من تكتيلهم ضد اسرائيل بعد حرب اكتوبر، اى ان هذا التكتيك الجديد اتسم «بالاعتدال» قياسا على الفترة السابقة التى كانت تتسم بالتصريحات والخطب العنيفة ، ويقول ان العرب قادوا حملة «كاذبة» من اجل السلام ، فصوروا سياسة اسرائيل فى شكل متصلب !!! ، بينما ابرزوا سياستهم فى شكل معتدل ، وتوصلوا بهذا التكتيك الى اقناع حكام الغرب انه لابد من إقامة دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وغزة !!

وفى نقطة اخرى فى الكتاب يتطرق وايزمن الى مستقبل اسرائيل فيشير الى ان اسرائيل لن تضمن المستقبل إلا إذا اقامت روابط مع العالم الاسلامى ، إذ ان من الخطا ان تعتمد اسرائيل على الاقليات فى الشرق الاوسط ، وفى هذا المجال يشير وايزمن الى علاقات اسرائيل مع من يصفهم «بالمسيحيين فى لبنان» ، فيعزو هذه العلاقات الى «اسباب انسانية فقط» !!

وبالنسبة للحكم الذاتى (الفلسطينى) يقول وايزمن ان بيجن طرح مشروع الحكم الذاتى من منطلق رغبته فى الاحتفاظ بالضفة الغربية وقطاع غزة تحت السيطرة الاسرائيلية ، وانه راى فى هذا المشروع وسيلة لمنع الانسحاب الاسرائيلى من هاتين المنطقتين . ويصف وايزمن بيجن هنا بالمستبد برايه ، فهو ليس بالرجل الذى يمكن ان يتعامل مع زملائه من خلال آرائهم ، بل انه يسعى دائما لان يكون رايه هو الحكم الفاصل فى كل قضية ، مستغلا منصبه كرئيس للحكومة فى هذا السبيل . ويضيف وايزمن فى تصويره لشخصية بيجن بقوله ، إن بيجن هو من طراز رجال السياسة الذين لا يحتاجون الى مستشارين ويكفيه بعض المساعدين فقط ، لانه لا يتحمل آراء ومقترحات تتعارض مع رؤيته «التوراتية» للامور ، ثم يصف الوزراء فى حكومة بيجن ، بانهم فئة من الناس تفكر كما يفكر رئيسها بيجن ، وقد تعلموا ان يتجاوبوا مع رغباته دائما .

وبالاضافة الى افكار عيزر وايزمن هذه التى ضمنها كتابه «المعركة من اجل السلام» ، نجد ان الرجل يشير لماما الى القضية الفلسطينية ، ونعثر على عبارة له فى مقالة كتبها اصلا لموسوعة الجيش الاسرائيلى تحت عنوان «الجيش والامن» فى عام ١٩٧٨ ونشرتها صحيفة «معاريف» بعد ثلاث سنوات ، حيث يقول إن رئيس اركان الجيش (فى عام ١٩٧٨) مردخاى غور رافقه فى إحدى زياراته للقاهرة ، للاشتراك فى مداولات اللجنة العسكرية المشتركة ، وقد اتضح هناك ان غور فهم بسرعة ان القضية الفلسطينية هى المشكلة الاساسية . وفى مقابلة مع التليفزيون الاسرائيلى بتاريخ ١٨ ـ ٨ ـ ١٩٨١ حث وايزمن حكومة بيجن على تغيير سياستها لكى يصبح بالامكان إيجاد حل للقضية الفلسطينية ، وقال انه «لا يعارض اقامة كيان فلسطينى فى الضفة الغربية وقطاع غزة» !! وفى نفس المقابلة قال وايزمن ايضا ان الغارة الاسرائيلية على المفاعل النووى العراقى «لم تحل شيئا» واضاف ان المشكلة النووية فى الشرق الاوسط ينبغى ان تحل باتفاق سياسى فى المنطقة .

وإذا اخذنا هذه الآراء على محمل الجد ، دون النظر الى خلفياتها ـ وهى توفر فرصة لتاكيد وضمان وجود اسرائيل من خلال اعتراف عربى بها ـ فان آراء عيزر وايزمن تبدو متطورة فعلا لكن بالاضافة الى تلك الخلفية التى اشارت اليها صحيفة «هارتس» بوضوح بتاريخ ٢٨ ـ ٥ ـ ١٩٨٠ كما اسلفنا ، فان افكار وايزمن التى سبقت عام ١٩٧٧ ، تلقى اضواء اكثر سطوعا على مفاهيمه الرجراجة ، والتى لا يمكن تقييمها خارج اطار الانتهازية السياسية التقليدية ، فلقد كان وايزمن هو الذى مد اليمين الصهيونى فى حزب حيروت بالافكار التى ساعدت على انجاحه فى انتخابات عام ١٩٧٧ بعد تحالفه مع حزب الاحرار وتشكيل «الليكود» ، حيث كان «حيروت» يعانى من افتقاره الى نظرية بشان امن الكيان الصهيونى ، فجاء انضمام وايزمن اليه بما يحمل من افكار فى هذا الشان ، بداية انطلاق من نقطة العجز نحو تكوين نظرية امنية لاسرائيل من وجهة نظر اليمين المتطرف . وقد اخذ هذا اليمين فعلا بالترويج لافكار وايزمن وتتمثل هذه الافكار باختصار فى قول وايزمن ان شمال سيناء اهم لاسرائيل من شرم الشيخ ، وان غزة اهم لها من ثيران ، وانه لا يجوز لمصر ان تعود الى سيناء ، إلا اذا جردت هذه من السلاح المصرى ، اما عن الضفة الغربية فان غور الاردن يشكل الحدود الشرقية لاسرائيل ، واما هضبة الجولان فان وايزمن يصر على نزع سلاحها ايضا إذا تحقق السلام .

ويفصح وايزمن عن افكار اخرى فى مقالته « الجيش والامن » التى اشرنا إليها آنفا ، فيكشف النقاب في سياق حديثه عن غزو جنوب لبنان في عام ١٩٧٨ ، عن عدد من المعلومات الجديدة والمهمة ، ومنها الأسباب الحقيقية وراء خلق واحتضان ظاهرة سعد حداد فى جنوب لبنان ، والسخرية من الدوائر الاسرائيلية التى حاولت تغليف ظاهرة حداد هذه بغطاء الدوافع الانسانية لحماية الجيب الانعزالي ، كما يكشف النقاب كذلك عن مخططات اسرائيلية لايجاد امتداد اقليمي اسرائيلي من جبل الشيخ وحتى البحر المتوسط ، والتاكيد على أن عملية اجتياح

الجنوب اللبناني في عام ١٩٧٨ ، كان يتوجب أن يشمل مدينة صور أيضاً . وقد قال وايزمن عن احتضانه لسعد حداد : «إنني لم ابع للأمريكيين وللعالم المراة الحامل القادمة من جنوب لبنان لتلد طفلها المسيحي ، وإنما اعتبرت الأمر ضمانة افضل لأمن مستوطنات مثل « مسغاف عام » و «معيان – باروخ ... ولم يكن من قبيل الصدفة انني التقيت بحـــداد منذ ولايتي (كوزير للحرب) » .



موشي ديان



اريل شارون



اسحاق شامير

من هــو ؟

ولد عيزر وايزمن في تل ابيب في عام ١٩٢٤ ، وتجند فى سلاح الجو البريطاني سنة ١٩٤٢ ، والتحق بمدرسة الطيران في روديسيا (زيمبابوي حالياً) . وبعد تسريحه من الجيش البريطاني ، درس العلوم الجوية فى بريطانيا لمدة عام ، ثم اصبح فى مطلع عام ١٩٤٨ طياراً في البالماخ (الجناح العسكري لعصابة الهاغاناه) ، وتوجه إلى تشيكوسلوفاكيا في مطلع ايار (مايو) ١٩٤٨ مع مجموعة صغيرة من الطيارين لدراسة طائرات ميسر شميدث ونقلها الى فلسطين ، ثم عين قائداً لأول سرب قتالي فى سلاح الجو الاسرائيلي ، وبعد ذلك رئيساً لدائرة العمليات فى سلاح الجو ، وتوجه إلى بريطانيا في عام ١٩٥١ ، حيث التحق بمدرسة القيادة والأركان التابعة لسلاح الجو البريطاني ، ولدى عودته عين (في عام ١٩٥٣) قائداً لجناح طائرات ميثيور المقاتلة ، واصبح خلال العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦ ، قائداً لجناح جوى مقاتل ، ثم عين في أعقاب تلك الحرب رئيساً للقسم الجوي فى سلاح الطيران ، ثم قائداً لسلاح الجو فى تموز (يوليو) ١٩٥٨ .

وبتاريخ ١٩٦٦/٤/٢٧ ، نقل من منصب قائد لسلاح الجو ، لكي يعين رئيساً لشعبة الأركان العامة ، وفي كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٩ ، انهى خدمته فى هذا المنصب ، وترك الجيش ، إلا انه استدعي الى الخدمة مرة ثانية لدى اندلاع حرب عام ١٩٧٣ ، وعين مساعداً لرئيس هيئة الأركان العامة ، ثم ترك الجيش مرة اخرى لدى انتهاء الحرب . وفي ١٩٧٧/٥/١٧ اسفرت الانتخابات العامة فى الكيان الصهيوني عن فوز كتلة الليكود اليمينية باكثرية مقاعد الكنيست التاسع ، الأمر الذي ادى إلى خروج حزب العمل من الحكم الذي تولاه منذ قيام اسرائيل فى عام ١٩٤٨ ، وكان عيزر وايزمن ثالث ثلاثة بين زعماء الليكود الذى تشكل من توحيد حزبي حيروت والاحرار ، وكان الزعيمان الآخران مناحم بيجن وسيمحا إيرليخ ، وإزاء هذه النتيجة المفاجئة ، اصبح عيزر وايزمن وزيراً للحرب في الحكومة التى شكلها مناحم بيجن عقب تلك الانتخابات ، وبقي يشغل هذا المنصب ، إلى ان انفجر خلاف عنيف بينه وبين رئيس الحكومة مناحم بيجن حول اسلوب « السـلام مع مصـر » وقد تفاقم ذلك الخلاف إلى حد دفع عيزر وايزمن إلى تقديم استقالته من منصبه كوزير للحرب ، وذلك بتاريخ ١٩٨٠/٥/٢٦، وانصرف منذ ذلك الوقت إلى اعماله التجارية الخاصة (استيراد وبيـــع السيارات) .

بين الجمود والانفتاح !!

لقد طرحنا افكار عيزر وايزمن ، او بالأصح بعض مفاهيمه وافكاره ، من باب التعريــف بالرجــل ، باعتبــاره احد الشخصيات التى لعبت دوراً بارزاً فى تاريخ الكيان الصهيوني ، وباعتباره احد الشخصيات المطروحة كبديل لمناحم بيجن فى رئاسة الحكومة الاسرائيلية ، ولا شك ايضاً ان التعريف بعيزر وايزمن يبدو امراً في غاية الأهمية فى ضوء الشعار الصيني القديم « اعرف عدوك » ، ويبقى ان نشير بحذر شديد إلى ان ما توحيه افكار ومفاهيم عيزر وايزمن «المستحدثة» وخاصة بعد عام ١٩٧٧ ، من «انفتاح» ليست في الواقع إلا تعاملا اكثر عقلانية مع الآفاق الجديدة التى طرات على الصراع العـــربي – الصهيوني منذ حرب أكتوبر المجيدة فى عام ١٩٧٣ ، وبقدر ما تمثل من خروج على «الدوجمية» التى يتميز بها مناحم بيجن وأريئيل شارون واسحق شامير ويوسف بورج ، وربما كان في نشاة وايزمن المختلفة عن هؤلاء سبب بين اسباب اخرى عديدة فى تخلي وايزمن عن الدوجمية والتعصب الأعمى للأفكار التي اشتهر بها حزب حيروت ، حيث يقول يوري افنيري فى مقاله نشرتها مجلة « ويرلد رفيو فى آذار (مارس) ١٩٧٩ » ، يقول عن عيزر وايزمن إنه نشا وترعرع بين العرب الذين يشكلون جزءاً من عالمه ، اما بيجن فلم تطا قدماه ارض فلسطين إلا عندما كان في الثامنة والعشرين من عمره ، مما جعل العرب عنصراً غريبا تماماً بالنسبة إليه ، إضافة إلى اختلاف في العقليتين ، حيث يعلق بيجن اهمية كبرى على العبارات والنصوص والصيغ ، ويبحث دائما عن معنى مختبىء وراء لفظ او عبارة ... اما وايزمن فهو ينظر دائماً الى صلب الموضوع ولا صبر لديه على القضايا الجانبية .

وعلى اية حال ، فخــير وصــف يمكن أن يوصــف بــه عيزر وايزمن هــو انه صــاحب الآراء الزئبقيـــة .

الدار

قصة بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

انتهى ترتيب الدار وامتلأت الغرف باثاثها . بعض هذا الاثاث كان مودعاً عند أهل الزوجة وبعضه كان فى منزل تاج الدين ، الأخ الشقيق للأستاذ محيي الدين . إنه اثاث لائق على قدمه ، لم يحتج لغير نفض الغبار عن قماش مقاعده ومسح خشب الخزائن بخرقة مبلولة لياخذ مكانه فى البهو ، وغرفتي النوم ، وغرفة جلوس الأسرة ، كان عشر سنوات لم تنقض على اخراجه من هذه الحجر وإيداعه في منزل شقيق القاضى المتقاعد ومنزل حميه .

قالت أم بشار ، زوجة الأستاذ محيي الدين ، تخاطب ابنها الذي انتهى من غسل يديه وعاد إلى غرفة الجلوس :

ـ هذا لتتعلم يا ولدي أن الرزق نصيب مقدر ، وأن تستفيد مما تتعلم .

كان بشار ، ولدها ، قد عاد إلى الدار منذ قليل ، فرحاً بتسجيل أوراقه في المدرسة الثانوية المجاورة ، في الصف الحادي عشر وإن كان اكثر اترابه من سنه ينتسبون الى صف البكالوريا . لم يرد على كلمات أمه ، ولعله لم يفهم ما تقصده منها ، وقام ليزيح الطاولة الواطئة من مكانها الجانبي كي تتوسط الغرفة . وتولى الأستاذ محيي الدين ، القاضي المتقاعد ، التعليق على كلام زوجته وقد خيل إليه أن لهجتها فيه لا لا تخلو من مرارة . قال :

ـ لنحمد الله على كل حال ياامرأة . الأولاد بصحة جيدة ، ونحن مستورون .

قالت : وهل تكلمت بشيء لا يرضي يا ابا بشار ؟ اردت لولدنا أن يستفيد من أخطاء أبويه ، فلا يقع فيها .

قال الأستاذ محيي الدين ، ببعض الحزن : شكراً يا أم بشار أن أشركت نفسك ، ولم تقولي خطأ أبيه وحده .

قال بشار ، وقد أثرت به لهجة أبيه فأراد أن يسري عنه : انتما لا تحسبان لي حساباً . الدار لا تعجبكما وأنا مسرور بالعودة إليها . غرفتنا ، أنا وأختي ، لاتزال على حالها ، وإن وجدتها أصغر مما كنت اتصور . لا ، لم تصغر الغرفة ... نحن كبرنا . كم كان عمري ، يا أبي ، لما تركنا الدار والبلدة الى الخليج ؟ .

فاضت نفس الأب بالعطف ، وأحس ببعض الراحة أن ما يجرحه هو وزوجته من أمر الدار لا يقلق ابنهما البكر . قال :

ـ كان عمرك سبع سنين ، وأنت الآن فى السابعة عشرة . عشر سنوات من عمرنا قضيناها فى تلك البلاد البعيدة .. الطيبة . لا يمكنني أن أقول عنها إلا أنها طيبة .

قالت أم بشار : الحق معك . إنها طيبة ، ولا ذنب للناس هناك فيما جرى لنا هنا . كنت أنت مقدراً عندهم ، فهم لا يذكرون القاضى المستشار إلا بالثناء والاحترام . وكانت نساؤهم يفسحن لي صدر المجلس فى الاستقبالات والأعراس قائلات : أوسعن لزوجة المستشار .. أكرمن زوجة المستشار .

قال بشار ، مقاطعاً أمه ، فى خبث : والحر يا أمى ، والرطوبة ، وزوابع الغبار ..

قالت الأم : هذا لم يكن بيدهم . المنزل الذى خصصوه لسكنانا كان من أحسن المنازل . وراتب أبيك ...

وسكتت للحظة ، فاكمل الأستاذ محيى الدين الكلام قائلاً ، كأنما كان يحدث نفسه :

ـ لم تكن لي شكوى من ناحية الراتب . أعطونى المتفق عليه وفوقه علاوات . وزاد راتبى عاماً بعد عام زيادة ما كنت أتوقع الحصول عليها لو أننا ظللنا هنا . وما اقتصدته ، فوق ما صرفناه ، كان كذلك أكثر مما كنت أتوقع . ما ذنبهم هناك فى الجنون الذى أصاب الدنيا هنا ، حين ارتفع ثمن كل شيء ؟

قال الصبى ، بمرح : إلا ثمن الانسان . أنت قلت هذا أكثر من مرة .

فرد الأب جاداً : لعلى لم أقصد حياة الانسان يا بنى ، بل قصدت جهده . وليس جهد أى انسان ... بل الانسان الشريف .

فتدخلت الزوجة قائلة : كأنك نادم على أنك كنت انساناً شريفاً يا أبا بشار ..

قال القاضى المتقاعد ، بلهجة احتجاج : أنا ؟ متى سمعت منى هذا ؟

قالت متضاحكة : لا تغضب منى . وكذلك لا تحمل هماً عنى . أعرف أن نصف ما أصابنا كان من فعل الظروف التى ما لنا قدرة عليها ، ونصفه لأنك تصرفت عند سفرنا ، قبل عشر سنين ، تصرف رجل شريف .

وهنا قال بشار ، مخاطباً أبويه معاً : قبل لحظات قال أبى انى بلغت السابعة عشرة . صرت رجلا . ولكنكما تعاملانى كطفل . وتتكلمان أمامى بكلام مبطن . ما هو هذا الهم الذى يشغلكما ويحاول كل منكما أن يحمله عن الآخر ؟

تطلعت المرأة الى زوجها بنظرة ذات معنى ، ثم التفتت الى ابنها وقالت :

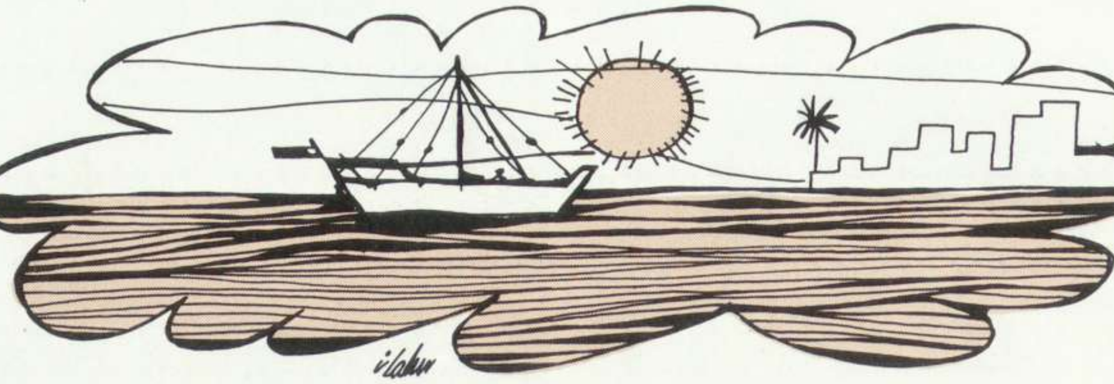
ـ غير معقول أن لا تكون عرفت همنا يا بشار يا ولدى .

أضاف الأب موضحاً : همنا أننا ، بعد عشرة أعوام من التغرب ، ومن العيش فى قوة ومناخ لا يرضى ، عدنا الى دارنا بالذات .

قال بشار : وهل هذا هم ؟ ما دخل عودتنا الى دارنا بكونك رجلا شريفاً يا أبى ؟

زفر الأب وظل ساكتاً بينما قالت أم بشار : اسمع يا ولدى . كنا نسكن هذا البيت ، ونملكه ، حين كلفوا أباك بمهمة . أصدروا قراراً بنقله قاضياً معاراً الى البلد الخليجى الذى تركناه منذ شهر ...

قال الأستاذ محيى الدين : بل قولى له



الحقيقة . انا المسئول . فكرت بانكم ستكبرون ، وستصبح الدار صغيرة علينا . وكنا فوق ذلك فى ضائقة . ولاحت لي فرصة لتحسين مواردنا فالتمست قبول طلبى . انا الذى تقدم الى الوزارة بطلب الاعارة .

قالت : لا فرق بين ما اقوله انا وما يقوله أبوك . كان علينا دين . فلما قبل طلبه قال لي ان الدنيا فيها حياة وممات ، وانه لن يسافر الى ذلك البلد البعيد وفى عنقه قرش لانسان » ولهذا فانه ينوى بيع الدار ليفى ديونه . دائنوه كانوا من اقاربنا ، ولا يصعب عليهم الانتظار الى ان تتيسر الأمور ، إلا أن أباك يا بشار قاض ... رجل شريف .

وعلى الرغم منها تسرب عرق من المرارة الى لهجتها وهى تلفظ جملتها الاخيرة . فقال القاضى المتقاعد كالمعتذر عن ذنب اتى به :

– من يملك معرفة المستقبل وما يجرى فيه ؟ المستقبل بيد الله . تصرفى فى تلك الأيام ، يا أم بشار ، كان معقولا . غير المعقول هو ما جرى فى هذه السنين العشر.

وهنا قال الصبى : ولكننا عدنا الى دارنا القديمة .. أنا ، ومعى سعاد وهناء ، مسرور بالعودة اليها وبأننا بعدنا عن غبار تلك البلاد الخانق وعن رطوبتها الفظيعة . إذن انتم لم تبيعوا الدار قبل عشر سنوات .

قالت الأم : بل باعها أبوك يا ولدى ، ووفى ديونه .

قال الأب : أنا لا ألومك اذا لم تعجبك تلك السنوات العشر . ولكننا اضطررنا الى الهجرة . كان علي أن أفى الدين ، كما كنت احلم بأن استبدل هذا البيت بمنزل أوسع اذ بدأ يضيق بنا ، أمك وأنا وأنت وأختيك .

قالت الامرأة ، مكررة ما قاله زوجها فى اول حديثهما مع صبيهما :

– الحمد لله على الصحة والستر يا رجل .

قال الأستاذ محيى الدين : بل ليعرف بشار . الم يقل انه أصبح رجلا ؟ اسمع يا بنى . بعنا الدار وعشنا عشرة اعوام فى الغربة التى تحملناها نحن وضايقتكم ، انتم اولادنا . لم يسهل عليكم العيش فى حرارة تلك البلاد ولا تقبلتم رطوبة الجو فيها ولا غبرتها الخانقة . مرضت انت ، ومرضت اختاك ، اكثر من مرة . ومع ذلك بقينا هناك أكثر مما كنا نتوقع . كل ذلك طمعاً بأن نعود بكم الى دار اوسع وحياة ارغد . وجمعنا يا بنى مالا . كنا نقدر اننا جمعنا ثروة كبيرة . ولكننا حين عدنا وجدنا فى بلدنا التى غادرناها منذ عشرة أعوام ازمة لم تكن فيها عند مغادرتها ...

فسأل بشار : اى ازمة يا ابى ؟

فاجابت الام قائلة : أزمة المساكن .

قال الصبى : ولكنى أرى فى كل مكان عمارات وبيوتاً جديدة . بعضها جاهز للسكن وبعضها قيد البناء .

قال الأب : الصحيح أن الأزمة ليست فى وجود الدور وإنما فى غلاء تكاليف بنائها وغلاء اثمانها . بحثنا عن الدار التى كنا نحلم بشرائها لتتسع لنا ولكم يا أولادى ، ولكننا لم نجدها . أو اننا وجدناها ووجدنا معها أن الثروة الوفيرة التى جمعناها فى تلك السنوات الكثيرة لا تكفى ثمناً لها . وفى أخر الامر ...

وسكت الأب فردد بشار جملته الأخيرة سائلا : وفى أخر الأمر يا أبى ؟

فلم يرد الأستاذ محيى الدين . وكان زوجته وجدت أن عليها أن تتولى الجواب ، فقالت وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة عطوف :

– صرنا نبحث عن دار تؤوينا ولا تضطرنا الى النزول ضيوفاً على الاقارب . وفى أخر الأمر وقعنا على بيت يتلاءم وما استطعنا أن نجمعه فى سنوات الغربة العشر . ولا تحسب يا ولدى اننا وجدناه بسهولة . تعذبنا كثيراً حتى وقعنا عليه .

قال بشار : وأين يقع البيت ذاك ؟

قال الأب : الم تعرف بعد ؟ انه هذه الدار . الدار التى نحن فيها الآن . بعناها قبل أن نسافر وعدنا اليوم فاشتريناها ... بغربتنا وشقائنا فى عشرة أعوام كاملة !

تطلع الصبى فى وجه ابيه لحظة ، ثم أطرق برأسه وردد بصوت خفيض كانه يحدث نفسه :

– عشرة أعوام كاملة !

أما الأب فتابع يقول : عندما تتذكر امك أنى بعت الدار قبل سفرنا لاقضى ديونى وتلومنى على ذلك فالحق معها . انها قاست من الغربة أكثر منىّ . ولكنى لو لم اتصرف كما يتصرف الشرفاء من الناس للامتنى ايضاً . انا اعرفها .

فاعترضت أم بشار قائلة : ليس كل الشرفاء يصيبهم ما أصابنا . لعلها القسمة والنصيب ... الحظ .

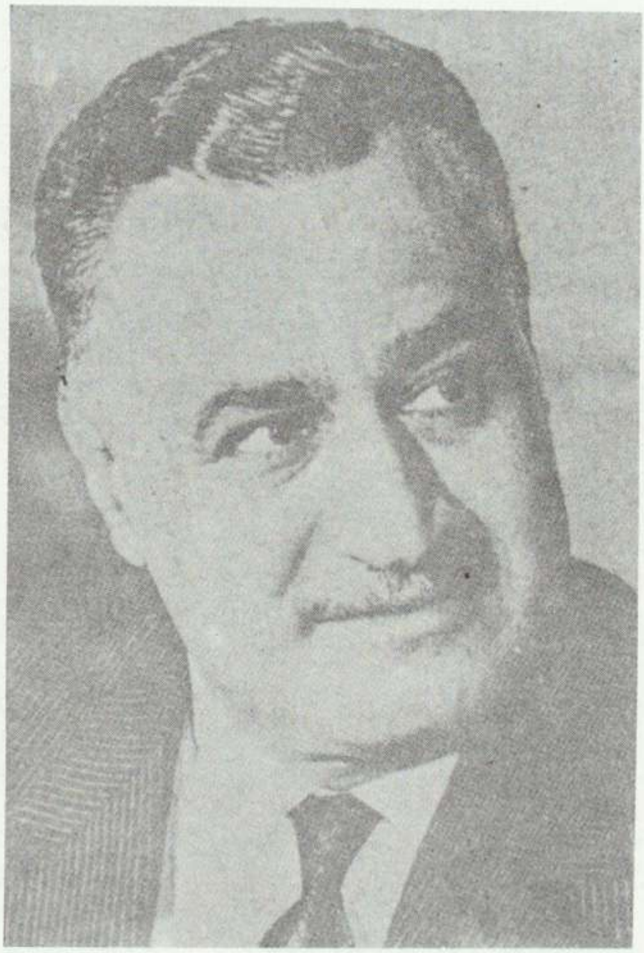
وهنا قام ابو بشار ، الأستاذ محيى الدين القاضى المتقاعد ، من مكانه وخطا فى غرفة الجلوس كمن يريد ان يختم الكلام فى الموضوع . وقال وهو يتصنع الابتسام :

– الحظ .. ربما . ولعله حظ الشرفاء يا أم بشار . أنفقنا من عمرنا عشر سنوات فى الغربة والعناء ، ورجعنا الى حيث انطلقنا.

هذا ليعلم بشار أى هم لنا فى عودتنا الى هذه الدار . انه مسرور بالعودة اليها ، وهذا ما يجعلنا نحمد الله . نحمده على ما قسم لنا ، وعلى الصحة ، يابنى ، والستر .



جون كيندى



جمال عبد الناصر

بين جمال عبد الناصر وجون كيندي

بقلم: جمال الكناني

لولا قناعتى بأن مجلة الدوحة الغراء تلتزم البعد عن السياسة تماماً ، لكان لي شأن آخر فى معالجة الوثائق التاريخية التى يحتويها هذا المقال ، ولقدمناها دليلا مادياً على الفرق الشاسع بين شخصيتين مصريتين كان لهما على السياسة العربية أثر عميق .

كان الزعيم الراحل جمال عبد الناصر فى نيويورك أيام الحملة الانتخابية للرئاسة ، وفيها وقف نكسون مرشح المحافظين أمام كيندى مرشح الديموقراطيين .. ونتيجة انتخابات الرئاسة الأمريكية ، التى تتحكم فيها اسرائيل دائما ، تهم مصر والعالم العربى بطبيعة الحال . ورتبت شبكة التليفزيون الأمريكى سلسلة مناظرات بين مرشحى الحزبين ، وحرص جمال عبد الناصر على متابعة تلك البرامج .. واتفق رأيه إذ ذاك مع آراء أغلبية الأمريكان الذين حكموا بتفوق كيندى فى تلك المناظرات ، بأن كيندى هو الذى يفوز بالرئاسة ، وقد فاز فعلا .. وكان عبد الناصر رغم اعجابه بشخصية كيندى ، يتمنى أن يفوز نكسون الذى كان نائبا للرئيس ايزنهاور أيام العدوان الثلاثى على مصر ، وكان لايزنهاور فى تلك المناسبة موقف مشرف .

جاء نجاح جون إف كيندى وبدء رئاسته فى أعقاب الخلاف الذى دب بين عبد الناصر وخروشيف حول الوحدة العربية ، مما أتاح الفرصة إذ ذاك للولايات المتحدة لاعادة بناء بعض ما تهدم من الجسور السياسية بينها وبين مصر ، وأصدرت الولايات المتحدة القانون رقم ٤٨٠ مما مكن الحكومة الأمريكية من ارسال القمح الى مصر فى الفترة بين ٥٩ ـ ١٩٦٠ ..

استمع عبد الناصر لخطاب الافتتاح الذى القاه كيندى فى يناير ١٩٦١ فى الاحتفال بتنصيبه رئيسا ، واعجب بما قال الرئيس الشاب وخاصة اشارته الى الجيل الذى ولد فى القرن العشرين وقدرته على تفهم شئون القرن العشرين ، كما اعجبه قول كيندى لكل مواطن أمريكى « لا تسال عما يمكن لوطنك أن يعطيك ولكن اسأل عما يمكن ان تعطيه أنت لوطنك » .

وظهرت فى الجو شائعات ، وتسربت الأخبار لعبد الناصر فعرف ان الاسرائيليين فرحون مغتبطون لانتخاب كيندى لأنه قطع لهم وعوداً سرية بمدهم بالسلاح بعد أن كان ايزنهاور من ناحية وديجول من ناحية قد عوقا ارسال الأسلحة الى اسرائيل .. ولعب « الفار فى عب » جمال وساورته الشكوك ولكنه كان مضطراً الى بناء نوع من العلاقة مع كيندى ..

• •

فى ٢٠ فبراير ١٩٦١ كتب عبد الناصر أول خطاب منه لكيندى ، فكان الحلقة الأولى فى حوار استمر طويلا بين الرجلين . كان موضوع هذا الخطاب هو مقتل



نيكسون



ديجول



داج همرشلد



ايزنهاور



باتريس لومومبا

لومومبا الذى سبب حزن عبد الناصر وغضبه وإيمانه بأن أمريكا لعبت فيه دوراً .. واتسم الخطاب بالدبلوماسية ولكنه لم يدع مجالا للشك فى عمق شعور كاتبه إذ قال :

« الولايات المتحدة مسئولة الى حد كبير عن نجاح الأمم المتحدة .. وكثيراً ما يكون موقفها من تلك المنظمة عاملا حاسما يقرر فشلها أو نجاحها .. من ذلك أن الأمم المتحدة فشلت فى حل قضية فلسطين لأن امريكا لم تقدم لها أى عون أو مساعدة ، ومن ناحية أخرى ، أحرزت الأمم المتحدة فوزاً أثناء أزمة السويس عام ١٩٥٦ لأن امريكا لم تتخل عن مسئولياتها تجاه المنظمة الدولية وغضت نظرها عن العلاقات السيئة اذ ذاك بين مصر وأمريكا .

ومن المؤسف حقاً أننا لا نستطيع أن نصف الدور الذى لعبته أمريكا فى الكونغو على نحو ما وصفنا دورها فى السويس حين وقفت بجانب المبادىء دون النظر عن الصداقات والعداءات ..

ورد كيندى على عبد الناصر فى ٢ مارس ١٩٦١ بخطاب اتسم بالاحترام والمجاملة دون ان يتجرد عن الحزم .. وشرح الرئيس الأمريكى نواحى الاتفاق بين وجهتى النظر بصورة عامة وقال « من واجب أمريكا أن تلعب دوراً أكبر ، وليس أصغر ، فى إعادة الهدوء للكونغو ، كما يجب إبعاد الكونغو عن نطاق الحرب الباردة .. ولعلكم تتفقون معى كذلك فى أن الاغتيال السياسى سواء أكان موجهاً للمستر لومومبا واتباعه ، أو كما حدث مؤخراً ، لخصومه على أيدى جماعة ستانلى فيل ، يجب ان يخضع لتحريات وتحقيق لا هوادة فيه وان نشجبه بكل قوة ونحن متفقون كذلك على أن أى عون يصل الى الكونغو عن غير طريق الأمم المتحدة ، سواء أكان من الرجال أو المال أو المواد يجب أن يعتبر تدخلا بالغ الخطورة ، ويجب تحريمه تحريماً باتاً » .

ثم قال : « ولا اكون صريحا اذا انا لم أذكر أن الاعتراف باى هيئة غير الحكومة الشرعية التى اعترفت بها الأمم المتحدة يعتبر فى رأينا نيلا من كرامة المنظمة الدولية وحداً من سلطتها ، كما أنه يزيد من احتمال نشوب حرب أهلية وما يتبع ذلك من تدخل أجنبى .

بين جمال عبد الناصر وجون كيندي





لقد أكدتم ياسيادة الرئيس « المسئوليات الخاصة » التى ترون أنها تقع على عاتق حكومتى بالنسبة لصيانة دستور الأمم المتحدة ، وأقترح بدورى أن دولا أخرى وخاصة الدول غير المنحازة ذات النفوذ ، فرادى وجمعا ، عليها مسئوليات ثقال وأمامها فرص خاصة .

الولايات المتحدة كفيلة برعاية مصالحها ولكن نظام الأمم المتحدة هو الذى يضمن الأمن لكل شعب . والدول التى تعتمد على هذا النظام الى حد كبير ، كوسيلة لصيانة كيانها واستقلالها يجب ان تلعب دور القيادة فى تجسيم مساندتها الكاملة وأبرازها لاستمرار عمل الأمم المتحدة فى الكونغو . وبهذه الطريقة وحدها يمكن حل مشاكل الكونغو والمحافظة على الأمم المتحدة كقوة كبرى بناءة تدعم السلام والتطور المنتظم الرتيب فى شئون العالم . وأنا ارحب بكل لفتة تشير الى مساندتكم الشخصية لانجاز هذه المهمة العاجلة ..

أنا اقدر ما بعثتم الى به من تمنيات طيبة وأبادلكم إياها » .

• •

كانت الرسائل المتبادلة بين عبد الناصر وكيندى بعد ذلك ، كما كانت اللقاءات بين عبد الناصر وداج همرشلد ، هى الترمومتر الذى تقاس به العـلاقات بين مصر وأمريكا وكانت درجة حرارتها ترتفع حينا وتنخفض أحيانا ..

أهم الأحداث التى تلت ما وقع فى الكونغو ، كانت قيام بعض رعايا كوبا المقيمين فى الولايات المتحدة ، تلقائيا ، او بايعاز من الحكومة الامريكية أو بموافقتها المستترة ، بحملة فاشلة لغزو بلادهم بقصد الاطاحة بنظام فيديل كاسترو .. وكان كاسترو يتمتع اذ ذاك بتاييد عبد الناصر وتيتو ..

وكتب عبد الناصر خطابا لكيندى يعلن تأييده لكاسترو .. ورد كيندى على عبد الناصر فى ٣ مايو ١٩٦١ بخطاب جاء فيه :

« لم يتهم أحد قواتنا الامريكية المسلحة بالتدخل فى الموقف الكوبى ، إذ لو أن هذه القوات تدخلت ، لكانت النتيجة مؤكدة لاشك فيها .. وما الاحداث المحزنة التى وقعت فى كوبا مؤخرا الا مثلا آخر ، من عديد ما ورد فى التاريخ ، على أن عددا من المواطنين ممن يقدسون الحرية ، حملوا السلاح لتخليص وطنهم وانقاذه من الظلم والطغيان والاضطهاد ..

لقد جازف نفر قليل من الوطنيين الكوبيين الذين صمموا على اعـادة الاستقلال السياسى لوطنهم ، بحياتهم وواجهوا جيشا يفوقهم عددا وعدة بدرجة ساحقة فقتل منهم من قتل وأسر وهرب من فر أو هرب لينضم لحركة المقاومة التى تعتصم بالجبال لمواصلة الكفاح .

ولسوف تواصل حكومة الولايات المتحدة بذل أقصى جهد لضمان عدم اشتراك أى امريكي فى أية عملية تجرى داخل أرض كوبا ، لكن الامريكيين وهم شعب يقدس الحرية ، لابد يتاثرون بما حل بجيرانهم فى كوبا من ضـيق وبؤس . ولا يسع الأمريكيين الا أن يتعاطفوا مع أولئك الذين اضطروا لاستعمال القوة لانقاذ وطنهم من العسف والطغيان .

وأنت ، سيدى الرئيس ، وبوصفك قائدا ثوريا تعرف تماما تلك العوامل والظروف التى تستطيع إثارة الرجال وتغيير وجه الشعوب .. وهناك ادعاءات باطلة بان هؤلاء الأحرار الذين بذلوا جهدهم للاطاحة بنظام كاسترو ، ما هم الا مرتزقة اجراء .. ومع ذلك فان آخر رسالة صدرت عن قائد هؤلاء الثوار ، كانت رده على شخص ساله عما اذا كان يطلب مساعدة للجلاء عن أرض كوبا والعودة الى امريكا فقال « كلا .. لن ارحل عن هذا الوطن » .. أبهذا يجيب مرتزق اجير ؟ هذه اجابة وطنى غيور .

ولأهل كوبا أنفسهم ان يتخذوا القرار الاخير ، وأنا وغيرى من الامريكيين على ثقة بان الكوبيين لابد يكسبون النضال من أجل الحرية .

أعضاء الثورة الكوبية التى أعطت السلطة لكاسترو قد غدروا بالأهداف التى أعلنتها ثورتهم وكانت اهدافا نبيلة تعاطف معها الامريكيون .. وبلغ الغدر أن سجون كوبا قد امتلأت اليوم كما لم تمتلأ من قبل بالمساجين السياسيين .. ولقد أعدم أكثر من ٦٠٠ شخص دون النظر الى شرع أو قانون .. وهذا العدد يتزايد يوما بعد يوم ، وأكره أكثر من ١٠٠٫٠٠٠ كوبى على الهرب من بلادهم بسبب انتهاك حقوق الانسان منذ تولى السيد كاسترو حكم البلاد .

والثورات الوطنية الصادقة مثل الثورة المصرية ، لا تخلف مثل تلك الآثار السيئة .. الثابت أن عدد من سجن أو نفى أو انضم للمعارضة من بين اعضاء أول وزارة ألفها السيد كاسترو نفسه يبلغ اليوم ٢٣ وزيرا ، يضاف اليهم وزير آخر تم اعدامه .. والأمريكيون لا يستطيعون اخفاء عطفهم وتعاطفهم مع من يقاومون مثل هـذا الطغيان .

ولقد حدث لاشك تدخل فى شئون كوبا الداخلية .. فهناك دولة عظمى تعادى العالم الحر ، سعت عن طريق كاسترو ونظامه الى استغلال آمال أهـل كوبا ومطامحهم ، لتحقيق أهدافها الاستعمارية فى الحرب الباردة . ولعلك تذكر إنى قلت للشعب الامريكى يوم ٢٠ ابريل أننا غير مستعدين لقبول اية نصيحة بشـان « التدخل من قوم طبعوا بصماتهم على شوارع بودابست الداميـة الى أبـد الآبدين » ..

ورد جمال عبد الناصر على ذلك الخطاب بتاريخ ١٨ مايو ١٩٦١ وجاء فى رده :

« دعنى أخاطبك من وحى حديث شريف ورد عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم معناه ان صديقك هو الذى يخلص لك وليس هو الذى يؤمن بك فقط .. بعبارة أخرى أنا أرى فى الظروف الحاضرة أن من واجب من يهمهم مستقبل العالم ان يتبادلوا الآراء فى وضوح وصراحة واخلاص .. وأنا استهل خطابى بهذه الديباجة لكى أتحرر من قيود اللغة الدبلوماسية التقليدية » .

وجاء فى رسالة عبد الناصر بعد ذلك ..

« لاحت لى فرصة لقاء الدكتور فيديل كاسترو ، رئيس وزراء كوبا ، مرتين . وتحدثنا طويلا ولمست اخلاصه لما عبر عن رغبته فى تأسيس علاقات ودية بين بلاده وبلادكم وهى جارتهم القوية المتقدمة .

وشعرت أن مشكلة العلاقات بين بلادكما تكمن فى الحاجة الى دراسة أعمق لمشاكل الشعوب التى تصبو الى بناء حياتها الاستقلالية ، فى الوقت الذى تمر بتاريخها لحظة تفجر ثورى ، وتمتزج فى اتجاهها رواسب الماضى بآمال المستقبل فى جو يتأثر بعناصر مقاومة التغير الثورى من ناحية وظروف الحرب الباردة وما ينجم عنها من توتر عالمى من ناحية أخرى .

والمألوف فى مثل هذه الظروف أن أى تدخل أجنبى يزيد الموقف تعقيدا ، وخير ما يمكن عمله هو السماح لتلك الشعوب

– دون التدخل فى شئونها – بتنظيم نفسها وشق الطريق الذى تختار بمحض إرادتها ، وهذا ما تستطيع هذه الشعوب انجازه بنفسها دون عناء .

كان أملى عندما تسلمتم زمام الحكم ، أن تقوم حكومتكم بمحاولات جديدة نحو كوبا لا تتأثر بالظروف السيكولوجية السابقة التى سادت العلاقات بين قطريكما قبل فترة رئاستكم وخاصة وأننا لمسنا استعداداً من جانب حكومة كوبا للاستجابة لمثل تلك المحاولة .

ومن واجبى هنا أن احيطكم علماً بما شعرنا به فى الجمهورية العربية المتحدة وما أحس به غيرنا فى أنحاء العالم وهو أن الولايات المتحدة لم تكن بعيدة تماماً عن الأحداث المؤسفة التى وقعت فى كوبا . وهذا رأى لا يحتاج الوصول اليه أى عناء فمجرد النظر الى الصحافة الأمريكية أو الاستماع الى التصريحات الرسمية لبعض موظفى الحكومة الامريكية ، تكفى للكشف عن مدى التدخل الامريكى فى الأحداث الكوبية والكشف عن أدق تفاصيل ذلك التدخل .

وانتم لاشك تدركون فداحة الصدمة التى أصابت الرأى العام العالمى ، ولكنى اشعر – بكل اخلاص – أن علاج تلك الصدمة لا يكون بانكار ما حدث ولكن بمواجهته فى صراحة والعمل على أن لا تتكرر مستقبلا .

ولقد أعجبت كثيراً بشجاعتك المعنوية لما أعلنت أنك تتحمل مسئولية الموقف الذى اتخذته حكومتكم تجاه كوبا ، وشهدنا بعد ذلك نقطة تحول نبعت مما بدا لنا فى وقت ما كأنه اندفاع من السياسة الامريكية نحو صراع سافر لا مناص منه مع حكومة كوبا . ونسجل هنا كذلك تقديرنا لعدم تدخل القوات الامريكية المسلحة فى أحداث كوبا وتصميمك فى كل تصريحاتك على عدم تدخلها . وفى رأينا أن هذا الاتجاه انقذ الموقف فى كوبا من تدهور سيىء العواقب وانقذ السلام العالمى من مأساة ظن ان تفاديها أمر مستحيل » .

• •

ومرت الأيام وتعاقبت ونسي كيندى أو لعل الأحداث العالمية الأخرى انسته ما كان فى كوبا ، ثم انه لم يستطع مقاومة جذب أكبر مغنطيس سياسى فى العالم وهو الموقف المتفجر فى الشرق الأوسط فكتب لعبد الناصر فى ١١ مايو ١٩٦١ خطاباً يعبر فيه عن صداقته ومساندته للدول العربية ، ولكن بيت القصيد فى الخطاب كان الخلاف العربى الاسرائيلى .. قال كيندى :

« أنا ادرك أن القضية تنطوى على مشاعر وأحاسيس ومعتقدات عميقة راسخة وان حل المشكلة صعب عسير .. على أن الحكومة الامريكية ومعها الشعب الامريكى تؤمن بامكان إيجاد تسوية انسانية ، وهى مستعدة لبذل جزء من المجهود وحمل نصيب من المتاعب التى تصحب مثل تلك التسوية ، ذلك اذا رغبت الأطراف المعنية رغبة أكيدة فى اشتراكنا .

ونحن راغبون فى حل المشكلة المأساوية للاجئين الفلسطينيين على أساس اعادتهم الى وطنهم أو تعويضهم عن ممتلكاتهم ، وفى ايجاد حل مناسب لمشكلة تنمية موارد مياه نهر الأردن وتحقيق تقدم فى نواح أخرى من نواحى هذه المشكلة العويصة المعقدة » .. وكان فى الرسالة كلام معاد يؤدى نفس المعنى .

ورفض عبد الناصر ذلك « الطعم » أولا فلم يرد على الخطاب حتى يوم ١٨ اغسطس ١٩٦١ ، معتذراً عن التاخير بحجة أن لخطاب كيندى من الأهمية ما يبرر الرؤية فى فحصه والتأنى فى صياغة الرد .. وكان الرد طويلا فيه وصف مسهب لموقف العرب من القضية الفلسطينية . وصاغ جمال رده صياغة دبلوماسية دون ان يترك مجالا للشك فى ارائه وخاصة فيما يتعلق بالسياسة الامريكية ، وقال ان وعد بلفور لليهود بوطن قومى فى فلسطين كان ضربا من الاحتيال ، تعاقب كل محاكم العالم من يرتكبه وان ذلك الوعد الخسيء يعطى الشيء لغير مالكه دون حق .. ثم قال « ومن المؤسف ، سيادة الرئيس ، أن الولايات المتحدة ألقت كل ثقلها فى هذه القضية ضد القانون وضد العدالة .. ويرجع السبب فى ذلك الى عوامل داخلية ، أهمها محاولة الحصول على أصوات اليهود فى انتخابات الرئاسة وهى محاولة لوثت السياسة التى يتبعها فى الشرق الأوسط أغلب رؤساء الحكومة الأمريكية .. ولقد قرات أن سلفك المستر هارى ترومان ، وهو الذى وضع كل ثقله وبالتالى ثقل الحكومة والشعب الامريكى ضد حقوق العرب المشروعة ، لم يجب على من حاولوا اقناعه بتعديل وجهة نظره ، الا بسؤالهم فى بساطة « هل للعرب أصوات فى الانتخابات الامريكية ؟ » ..

واستطرد عبد الناصر فى حديثه وشرح فى خطابه كيف احتل الاسرائيليون مساحات شاسعة من أرض فلسطين تحت ستر الهدنة التى فرضتها الأمم المتحدة ، واشار الى أخطار التوسع الصهيونى وكيف تستعين القوى الامبريالية باسرائيل وتستعملها أداة ضد الوحدة العربية .. وقال لكيندى إنه إنما يتحدث بصراحة ويعتذر إن تجاوز حدود اللياقة الدبلوماسية ثم قال « كم حاولنا ومازلنا نحاول مد أيدينا لمصافحة الشعب الأمريكى لكنى مع شديد الأسف أجد يدى معلقة فى الهواء أحيانا » .

واشار عبد الناصر بعد ذلك الى صفقة الأسلحة التى عقدت بين مصر والاتحاد السوفيتى فقال ان بسببها « تغير جو العلاقات بين قطرينا فاصبح عاصفاً .. وقامت محاولات لتشويه سياستنا الوطنية وشنت علينا حرب سيكولوجية من محطات الاذاعة التى حاولت النيل من عزيمة شعبنا وإضعاف مساندته لحكومة الثورة . وبلغت الحملة ذروتها لما سحبت أمريكا وعدها بالمساعدة على بناء السد العالى فى أسوان وهو وعد قطعته الحكومة الأمريكية على نفسها بكامل حريتها وخلقت طريقة سحب ذلك الوعد وضعاً لم يستطع الشعب قبوله دون رد فعل ..

وسرد عبد الناصر قصة العلاقات المصرية الأمريكية وأشار لتقدير مصر لموقف أمريكا من قضية العدوان الثلاثى على مصر وذكر انه حار فى تعليل فشل أمريكا فى إعادة تقييم سياستها فى الشرق الأوسط بعد انهيار حلف بغداد ، ثم قال :

« دعنى أناشد شبابك وشجاعتك يا سيادة الرئيس ، فلقد حان الوقت لتفتح أمريكا عينيها لترى ما يجرى من أحداث فى منطقتنا .. والعلاقات بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط أهم من أى انتخابات محلية ! » .

كان يمكن لكيندى ان يتخذ من ذلك الخطاب مرجعا يهتدى به وهو يعامل مصر فقد رسم فيه جمال عبد الناصر سياسته وأهدافه بكل وضوح كما اكد عدم شرعية الدولة اليهودية ومعارضته للتوسع والعدوان الصهيونى واصراره على صيانة

بين جمال عبد الناصر وجون كيندي





استقلال مصر ودعم الوحدة العربية دون التسليم لاى ضغط او التفريط فى ذرة من الحرية .

● ●

وعلى الرغم من تلك الرسائل التى كان يمكن ان تقرب بين وجهات النظر وتصفى الجو بين مصر وأمريكا ، تلبدت السحب واكفهر جو السياسة بين القطرين مرة أخرى فى أواخر عام ١٩٦١ فى وقت كانت امريكا تعيد التفاوض مع مصر بشـــأن احتياجاتها ـ أى مصر ـ من القمح .. وكان من أعضاء مجلس الشيوخ الامريكى ، وفى مقدمتهم « اللوبى » الصهيونى . من يطالب برأس عبد الناصر وتجويع شعبه .

زاد الطين بله أن كيندى بعث برسالة شفوية ، عن طريق سفيره « بادو » اشار فيها الى سباق التسلح الذى يجرى فى الشرق الأوسط والى ان بعض اعضاء مجلس الشيوخ يضغطون عليه لاعتقادهم بأن امريكا تساعد عبد الناصر على شراء الأسلحة ، بالعملة الصعبة التى يوفرها من وراء ما يصله من قمح أمريكى ..

وادرك عبد الناصر لتوه ما فى الرسالة من تهديد مقنع فوجد على كيندى دون أن يعلن غضبه لكن الشكوك ساورته من جديد تجاه نوايا ذلك الرجل وخاصة وأن تلك الرسالة وصلت عبد الناصر أيام انهيار الوحدة بين مصر وسوريا وكان جمال فى حزن شديد على انفصام تلك الوحدة .

لكن للسياسة مستلزمات تفرض أحيانا على رجل الدولة .. وتناسى عبد الناصر ما كان ، وفى ربيع العام التالى تبادل مع كيندى عدداً من رسائل المجاملات من ذلك انه هنأ الرئيس الامريكى بنجاح رحلة ، «جون جلين » رائد الفضاء .

● ●

نختار بعد ذلك من بين ما تبـــادل الرئيسان من رسائل ، رسالة كيندى ورد عبد الناصر بخصوص قواعد الصواريخ التى أقامتها روسيا فى كوبا ، وكادت ان تقدح زناد حرب كونية ثالثة .

رسالة كيندى حول ذلك الموضوع كانت بتاريخ ٢٢ أكتوبر ١٩٦٢ وكانت رسالة موجزة جاء فيها « الدليل على أن حكومة الاتحاد السوفيتى أقامت فى كوبا قواعد للصواريخ النووية الهجومية دليل لا يقبل الشك ، بل وأن العمل يجرى لبناء المزيد من تلك القواعد وسنطلع سفيركم لدينا على تفاصيل ذلك . والسوفيت يعلمون ذلك رغم التصريحـــات التى أدلى بهـــا المستر خروتشيف وأكدها لى شـــخصياً وزير خارجيته المستر جروميكو ـ من أن روسيا لن تعطى كوبا غير أسلحة دفاعية . ولعلكم تذكرون أنى صرحت علنا فى الشهر الماضى انه « اذا حدث فى أى وقت أن تحول تكديس الأسلحة الشيوعية فى كوبا الى قاعدة عسكرية هجومية ذات طاقة لها دلالة بالنسبة للاتحاد السوفيتى فأن أمريكا ستتخذ كل ما يلزم من اجراء لحماية أمنها وأمن حلفائها .

فلابد إذن من فرض حظر وحصار نووى فورى لمنع الاتحاد السوفيتى من وضع أى صواريخ هجومية اضافية فى كوبا وأمل أن يكون فى هذا الاجراء ما يؤدى الى سحب الصواريخ التى نصبت فعلا .

ولقد عبرت للمستر خروتشيف عن أملى فى استئناف مفاوضات سلمية .

هذا وقد طلبت عقد اجتماع عاجل لمجلس الأمن وطلبت من سفيرنا لدى الأمم المتحدة أن يتقدم نيابة عن حكومتى بقرار يطلب فيه سحب قواعد الصواريخ وغيرها من الأسلحة العدوانية من كوبا على أن يتم ذلك تحت اشراف مراقبين من الأمم المتحدة .

وفى هذه الاجراءات ما يمكن الولايات المتحدة من رفع الحصار الذى ضربته وأمل ان تصدر تعليماتك لمثلكم فى نيويورك بالقيام بعمل فعال الى جانبنا ومساندتنا فى الأمم المتحدة بصورة لا تقبل الشك . وستعمل وزارة خارجيتنا على اطلاع سفيركم على جميع تطورات الموقف » .

ورد جمال عبد الناصر على تلك الرسالة بتاريخ ٣١ أكتوبر ١٩٦٢ مبينا اعتراضاته وتحفظاته بشأن الحصار الذى فرضته امريكا وقال :

« تسلمت رسالتكم المؤرخة ٢٢ أكتوبر بكثير من القلق وتسلمت مرفقاتها ـ التصريح الرسمى الموجه للشعب الامريكى بخصوص الموقف فى كوبا . وأنا أقدر حقاً جهودكم فى ايضاح النوايا الأمريكية لمن يهمهم مجريات الحوادث وقضايا السلام فى العالم .

وأرى أنه لا مجال الآن لبحث مختلف وجهات النظر فى نوعية وطبيعة القواعد التى تواجدت فى كوبا وأثارت شكوككم ، ولا مجال فى الوقت عينه لبحث الاجراءات الأمريكية التى اتخذت نتيجة لذلك كما أنى لا أجد الآن ما يبرر مثل هذا البحث الذى أصبح الآن لحسن الحظ ، عديم الأثر على قلق الناس على السلام وعزمهم على صيانته وجهودهم فى داخل الأمم المتحدة وخارجها ، ولا على الحكمة والتقييم الصحيح والشعور بالمسئولية الذى تحلت به أطراف هذا النزاع .. وهذه العوامل كلها تتالف لتحفز على التطلع الى المستقبل وترك الماضى ..

على أنى أود أن أســـجل عـــدداً من الملاحظات :

كلنا لاشك يقدر جميل استجابتك لأوثانت ، السكرتير العام للامم المتحدة بالوكالة ، ويقدر التعاون الذى لقيه من الوفد الامريكى لدى الأمم المتحدة . ومازلنا نؤمن مع الكثيرين من محبى السلام بأن خير ضمان لافضل الحلول للمشاكل هو التعاون باخلاص داخـــل اطـــار الأمم المتحدة .

وكلنا يقدر كذلك عميق التقـــدير ان الاجراءات الامريكية ـ بصرف النظر عن رأينا فيها ـ قد نفذت بطريقة تجردت تماما عن كل تحد عدوانى .

ونقدر وعدك بعدم غزو كوبا عسكريا ، ونرى أن ذلك الوعد كان عاملا أكيداً أسهم فى تخفيف حدة التوتر .

ونحن نؤمن بأن الولايات المتحدة بمالها من قوة ومكانة تستطيع أكثر من غيرها دعم السلام فى العالم . وهى فى هذا الصدد تحمل مسئولية تاريخية أمام الجنس البشرى ، لأن السلام الذى يقوم على أساس من العدل مطلب انسانى يسبق كل ما عداه ، فهو لا يصون الحياة فحسب بل يكرمها كذلك .

أرجو ان تتقبل يا عزيزى الرئيس أطيب تمنياتى .. » .

جمال عبد النا[صر]

ومرت الأزمة بسلام ولكنها تركت بصماتها على قلب خروتشوف وعقل[ه] وسمعته . ومات بعدها كيندى .. قتلت[ه] رصاصة مغتال لم يرحم شبابه .. أو لعل[ه] كان أحد الساخطين على سياسته .

جمال الكنا[نى]



دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

الأساطير

يصف الله سبحانه فى سورة النحل موقف الماديين الوثنيين بمكة – وهم المشركون الذين لا يؤمنون بالله وحده .. ولا باليوم الآخر – من دعوة التوحيد فى الالوهية ، فى قول القران الكريم :

– الهكم اله واحد .

– فالذين لا يؤمنون بالآخـــرة (وهم الماديون) قلوبهم منكرة (اى لدعوة التوحيد هذه) وهم مســتكبرون (اى متعالون عنها .. ولا يعيرونها اهتماما) .

– لا جَرَمَ (اى حقا ، ومن غير شك) : ان الله يعلمُ ما يُسِرُّون وما يُعْلِنُون ، انه لا يحبُّ المستَكْبِرين (اى المتعالين المغرورين بقوتهم وجاههم) .

– واذا قيل لهم : ماذا انزل ربكم ؟ (اى اذا ما سئل هؤلاء عن القران) قالوا : اساطير الاولين ..

وفى آيات أخرى فى السور المكية يردد القران دعوى المنكرين له ، بانه اساطير الاولين ، واساطير الأولين هى قصص السابقين ، التى يأخذ ما فيها مكان العقيدة فى نفوس السامعين ، والمرددين لها . وهى قصص يلعب فيها الخيال .. والاختلاق دورا كبيرا . ويستهدف من اختلاقها : التاثير على الأفراد فى مجتمع ما ، وضمان تبعيتهم لاتجاه معين ، يراد لهم ان يسلكوه وكثيرا ما تختلق هذه الاساطير فى المجتمعات البدائية او المتخلفة . والذين يختلقونها هم رجال الدين ، لمصلحة الكبراء والزعماء فى هذه المجتمعات .

ومن شان الاساطير ان لا تقف امام الواقع ، والتحليل للوقائع . والمكيون – او الماديون والوثنيون على عهد الرســـول عليه السلام – كانوا لمعارضتهم له صلى الله عليه وسلم فى رسالته : يتهمون كتاب الله الذى انزل اليه : بانه اسطورة من اساطير الاولين . اى لا يقف امام الواقع والتحليل العلمى لما جاء فيه . وما زال هذا الاتهام يكرر اليوم .. وسيظل يقال : غدا ، وبعد غد ، طالما : ان الوثنية المادية تنكر الايمان بالله واليوم الآخر .

ويكشف القران عن طبـــائع الوثنيين الماديين الذين يرون فى كتاب الله : انه من اساطير الاولين ، فيما يقصه بقوله :

– ومنهم من يستمع اليك (اى من المكيين المشركين) .

– وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه ، وفى اذانهم وقرا (وهؤلاء الذين يستمعون اليك اغلقت افهامهم وعقولهم فلم يعد لهم منفذ يتيح لهم ان يفهموا ان سمعوا ، وصمت اذانهم كذلك ، فلم تعد امامهم فرصة ليسمعوا حتى يعقلوا او يفهموا ما يسمعونه . وهذا كناية عن انهم من اول الامر ليسوا على استعداد للنظر ، ومراجعة الأمر ، ومحاولة استخلاص منهج سليم فى حياتهم ، غير ما الفوه عن الآباء ، أو غير ما تمليه عليهم انانية الزعامة وغطرسة الصدارة والوجاهة) .

– وان يروا كل آية لايؤمنوا بها ، حتى اذا جاءوك يجادلونك (اى يحاجونك فى دعوتك الجديدة) يقول الذين كفروا (ويعنى القران هنا بالذين كفروا هم هؤلاء الذين اغلقت افهامهم وصمت اذانهم) : إنْ هذا إلاّ اساطير الأولين (اى هذا القران ، ان هو الا من الاباطيل والترهـــات والاكاذيب القديمة) .

– وهم ينهون عنه (اى يبعدون الناس عن الايمان به ، بما لهم من زعامة وجاه) وينأون عنه (اى ويبتعدون هم عنه كذلك ، تحت تاثير اتجاههم المادى فى الحياة) وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون (وفى واقع الأمر بموقفهم من القران هذا الموقف لا يسيئون الا لأنفسهم بالهلاك والفناء ، وان لم يحسوا بانهم فى طريقهم الى ذلك ..

● ويأتى القران – فيما يأتى به – برد على مثل هذا الاتهام ، بقوله :

– وانه لتنزيل رب العالمين (اى ان القران ليس من الاكاذيب والاباطيل الماضية .. بل هو منزل من عند مالك الكون كله) .

– نزل به الروح الأمين (وهو جبريل عليه السلام) .

– على قلبك لتكون من المنذِرين . بلسانٍ عربى مبين ..

وكون القران من رب العالمين هو تحدٍّ لأن توجد فيه أية ثغرة ينفذ منها باطل ما :

– لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

– تنزيل من حكيم حميد ..

حتى لا ننسى :

يافا
تحت شمس الأصيل

بقلم : يوسف الخطيب

إعداد الفنان : عزيز إسماعيل

تقع مدينة يافا على نشز هين من الارض يشكل ما يشبه النتوء الصغير الذى يعترض انتظام خط الساحل الفلسطينى ، فى منتصف المسافة تقريباً بين حيفا فى الشمال ، وغزة فى الجنوب . وتشرف يافا من موقعها هذا على زرقة البحر الأبيض المتوسط غرباً ، وعلى بحر آخر من الخضرة اللامتناهية المفعمة باريج البرتقال شمالا وجنوباً ، بينما تحد هذا البحر الاخضر سفوح جبال القدس على مبعدة حوالى اربعين كيلومتراً من جهة الشرق .

تبلغ يافا من العمر قرابة أربعة الاف وخمسمائة سنة ، منذ أن أرسى اجدادنا العرب الكنعانيون أول حجر فيها على شاطىء البحر ، وسموها منذ ذلك الزمن السحيق باسم « يافى » بمعنى الزاهى ، أو الفاتن ، أو الجميل . وهكذا فان يافا الكنعانية ، أى العربية ، تعتبر من اقدم موانىء العالم القديم . ولقد ظلت تحتفظ بهويتها العربية هذه طيلة تلك القرون العديدة . الى أن تبدل كل شىء ، دفعة واحدة ، اعتباراً من أوائل القرن العشرين فقط ، عندما تنازلت وزارة الخارجية البريطانية عن التراب الوطنى الفلسطيني فى سنة ١٩١٧ ـ كما لو كان هذا التراب من الاملاك الخاصة التابعة للتاج البريطانى ـ من أجل ان تقيم عليه الحركة الصهيونية وطناً قومياً لاتباع الديانة اليهودية من شتى أنحاء العالم . وطبيعى ان هذا ، منذ البداية تماما ، هو أخطر مطعن فى شرعية الأساس الذى تقوم عليه « دولة اسرائيل » حتى لو قدر لها أن تستمر عشرات السنين الأخرى على أرض فلسطين .

وعلى امتداد عهد الاحتلال البريطانى البغيض الذى استمر ثلاثة عقود ، والذى وضع الوطن الفلسطيني خلال هذه المدة قطعة أثر أخرى بين أنياب حلفائه الصهيونيين ، فان مدينة يافا بوجه خاص قد لعبت دور الرمز العربى فى مقاومة اطماع الغزاة العنصريين ، وذلك بحكم اقتطاعهم للاجزاء الشمالية والشمالية الشرقية من أرضها الطيبة ، بغية تضخيم مستوطنة « تل أبيب » واشباعها حتى التخمة بالمهاجرين اليهود من أوروبا الشرقية على وجه الخصوص . فهكذا وقعت يافا ، منذ البداية فى موقع المصادمة الحادة المباشرة مع الغزاة العنصريين ، هؤلاء الذين اجتاحوها كقطعان الذئاب الجائعة عشية تاسيس « اسرائيلهم » فى سنة ١٩٤٨ ، فشردوا حوالى ٩٥٪ من سكانها العرب خارج الحدود وحولوها مع الزمن الى ما يشبه الخرابة الأثرية الهائلة الملحقة بمدينتهم « تل ابيب » التى لا تزيد فى الحقيقة عن كونها مجرد امتداد ليافا الجديدة شرقاً وشمالا .

فى هذه اللقطة الجزئية لرأس يا[فا] بالبلدة العتيقة ، وهى ماخوذة من الشما[ل] الشرقى باتجاه الجنوب الغربى ، يبدو لـ[نا] فى مقدمة الصورة تماماً اتصال مويجا[ت] البحر برمال شاطىء الرشيد ، نسبة ، عل[ى] الأرجح ، الى الخليفة العربى هارو[ن] الرشيد ، ثم يبدو لنا ، فى قمة الرأس الـ[...] يسار الصورة ، برج دير الكازانوفا ، حيـ[ث] شهد القديس بطرس رؤياه الشهير[ة] بضرورة السعي الى قيسارية للاجتما[ع] بقائد المئة ، ومن ثم للانطلاق بالتعال[يم] المسيحية الى جميع الأمم ، عوضاً عـ[ن] تخصيصها باليهود دون غيرهم : « والآ[ن] ارسل الى يافا رجالا واستدع سمعان المل[قب] بطرس » (راجع الاصحاحين العاش[ر] والحادى عشر) .

ثم على استقامة الدير غرباً يظهر جام[ع] البلدة القديمة شبه متصل برصيف مينائـ[ها] الأثرى العريق ، ويحدثنا المقدسي ، مـ[...] القرن العاشر الميلادى ، عن البلدة القديـ[مة] وجامعها ، وميناءها : « يافا على البحـ[ر] صغيرة ، الا انها خزانة فلسطين . عليـ[...] حصن منيع بأبواب محددة ، وباب البحـ[ر] كله حديد . والجامع مشرف على البحر[...] نزه ، وميناؤها حديد » .



مدينة يافا .. البلدة العتيقة حيث تتصل أمواج البحر برمال شاطىء الرشيد

السّيف العربيّ

رحلة مع الإبداع الفني

بقلم : نديم خشفة



الخنجر أو « الجنبية » .. حملها العرب في الجزيرة العربية .. وكانت رمزاً للشجاعة والرجولة والاعتزاز بالنفس



لا يذكر السيف إلا وتذكر معه بطولات العربى الذى انطلق من صحرائه ، فنبه الدنيا من غفوتها ، وأنهض العقول من غفلتها .

وكما فتن الحصان العربى الغربيين ، كذلك فعل السيف العربى ، فنسبوه إلى أقرب العـرب اليهم ، ودعـوه السيف الدمشقي .

ولا يتصور الغربيون العربى إلا رجلا محارباً وفارساً على صهوة جواده الاصيل ، شاهراً سيفه الرهيف .. فكان همهم أن يترجل الفارس ، وأن ينثلم السيف أو يغمد .. فهل تحقق حلمهم ؟

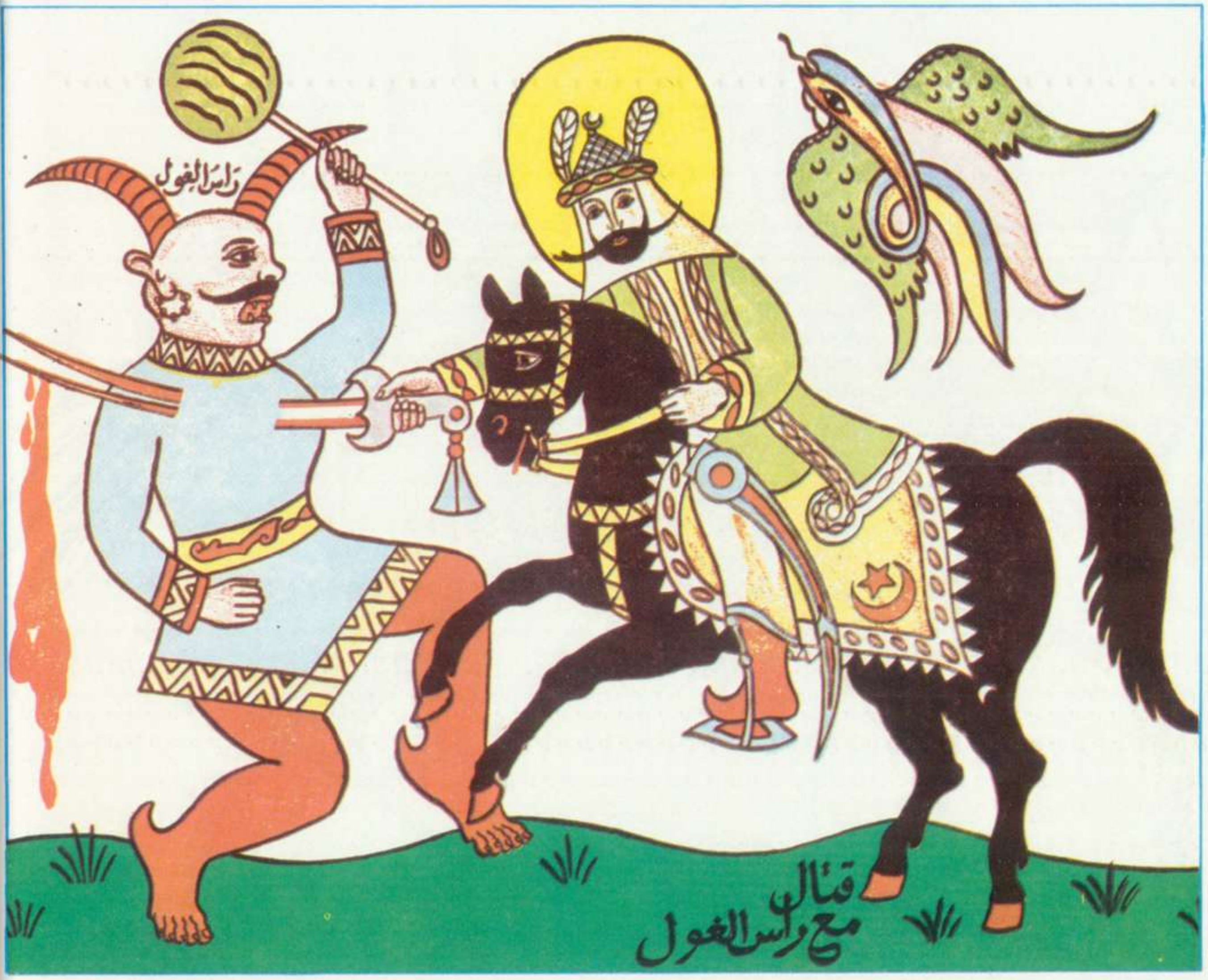
لم يكن السيف لدى العربى زينة يتحلى بها في حله وترحاله ، بل أداة حرب ورمز

الى اعلى : فارس مملوكى فوق صهوة جواده الاصيل ، يحمل بندقيته وسيفه كما رسمه الفنان العالمى « كارل فيرنيه » .. وإلى اليمين لقطة يتضح فيها مدى براعة الصانع الدمشقى فى نقش هذا الخنجر وجرابه (الجنبية) .



السيف العربي

رحلة مع الإبداع الفني



الفارس العربى ينتصر على رأس الغول فى أساطيرنا الشعبية

عزة ، ومجالا لاظهار الابداع الفني ، والبراعة الصناعية ..

فالسيف نصل .. والسيف مقبض .. والسيف غمد .. والسيف حمائل .. وهذه الأجزاء الأربعة ، على ضيقها ، كانت مجالا رحباً للابداع العربى ، أما النصل فقد نسبه العرب الى الهند :

ولقـــد ذكرتك والرماح نواهـــل
منـي وبيض الهنـــد تقطر من دمي

ونسبه الغربيون إلى دمشق ، واشتهر لديهم الفولاذ الدمشقي ، المسقي ، المائل إلى السواد ، وحكوا عنه الأساطير ، وعكف علماء الكيمياء والمعادن المحدثون على تحليل مكوناته ، وخاصة في فرنسا وروسيا ونشرت الصحف مؤخراً اهتمام عالم أميركي بتركيبة ذلك الفولاذ الدمشقي .. فهناك نوعان من الفولاذ ينسبان الى دمشق ، أحدهما خليط من الفولاذ القاسي والفولاذ اللين ، نتيجته فولاذ أصم لا رنين له ، وهو معروف لديهم .. وآخر رائـــع الرنين ، يجهلونه ، ويصنفونه حسب لونه : الأسود اللامع ، والأسود الخراساني ، والشامي .. أما تركيبه الكيميائى فهو : ١,٥ كربـــون و ١٠ر٠٪ إلى ٢٥ر٠٪ فسفور ، وهما السبب فى سهولة كسره . وهذا الفولاذ من فلز يسمى « ووتز » ، يحمى حتى الاحمرار ثم يبرد ببطء شديد ، ومصدر « الووتز » ضواحي حيدر آباد ، يصنع في نواحى مختلفة من الهند ، ثم تنقله القوافل إلى خراسان فآسيا الصغرى ، أو تنقله السفن إلى الخليج العربى الذي كان مصدراً هاماً من مصادر الفولاذ الهندي :

قد زرته وسيوف الهـــند مغمدة
وقد نظرت إليـــه والسيوف دم

وعرف السيف رحلة طويلة قبل أن يصل إلى يد العربى فيجعله أداة حرب بهرت العالم ، ومن المحتمل أن تكون الصين مهده الأول ، أو آسيا الوسطى ، ثم انتقل إلى اليابان فالهند ، ثم وصل إلى الشرق العربى فتبدل شكله وتغير تركيبه ، وتغير معهما مصير الحضارة ..

ووصل السيف **Le SABRE** الى أوروبا فى بداية القرن الثامن عشر . أوصله إليهم المجريون والبولونيون . ولم تكن أوروبا تعرف سوى تلك السيوف الثقيلة



نقوش ايات قرانية تحث على الجهاد فوق سيف عثمانى (٩١٤ ـ ١٥٠٩) .



سيف عثمانى موجود فى المتحف الحربى بباريس

الحمل ، السيئة الصنع ، التى تشبه خيولهم السمينة ، البطيئة الحركة ..

الصانع الدمشقى

إلى جانب الديباج الدمشقي والزجاج الدمشقي والفولاذ الدمشقي ، اشتهر الترصيع والتعشيق والنقش على المعادن DAMASQUINE . ويستعمل الصناع المهرة لذلك المعادن الثمينة كالذهب والفضة ، أو الأحجار الكريمة ، وربما استعملوا المعادن الرخيصة كالنحاس والحديد والرصاص ، أو أضافوا إليها العاج والصدف والعظم . ولا يتسع المجال لشرح المهارة الفنية التى ميزت الصانع الدمشقي ولا تزال ..

وانتقل هذا الفن إلى البندقية فى القرن الخامس عشر للميلاد ، نقله بعض العمال المشارقة ، وعرف هناك باسم AZZIMINI تحريفاً لكلمة « العجمي » العربية . وانتشر بعدها فى أوروبا كلها ..

إننا لا نؤرخ هنا لهذا الفن ، لكن الصور المنشورة تعطينا لمحة مشرقة عن ازدهاره فى البلاد العربية والاسلامية .

ولا يفوتنا منفذ اخر دخل منه التأثير العربي الى أوربا : الأندلس .

فقد ازدهرت دار الصناعة زمن الخليفة الأموي عبد الرحمن الثاني (٨٢٢ ـ ٨٥٢) فى مدينة طليطلة ، ويروى أن الصناع كانوا يعملون فى ظلام الليل ليتأكدوا من درجة احمرار الفولاذ قبل تبريده التدريجى بالماء ..

وحفظت لنا المتاحف الاسبانية بعضاً من تلك السيوف . وخاصة ذلك السيف المسمى باسم : « البوعبدلي » . نسبه إلى عبد الله محمد BOABDIL ، آخر ملوك غرناطة (١٤٨٢ ـ ١٤٩٢) .

وعبد الله هذا هو الذي ترك غرناطة وفى أذنيه صدى صوت عائشة أمه العظيمة :

ابك مثل النساء ملكاً مضاعاً
لم تحافظ عليه مثل الرجال

وقد استخرج أحد هذه السيوف من



نوع من السيوف النادرة التى تفنن الصانع العربى فى صنعها على هذه الصورة الدقيقة



مقبض هذا السيف على شكل جواد .. انه قطعة نادرة تجمع بين القوة والفروسـيـة

مقبرة الملك « دون سانشيه » الرابع المتوفى سنة (١٢٩٥) للميلاد . وهو سيف مستقيم النصل ذو حدين ومقبضه مزين بزخارف أندلسية وهو تقليد للسيوف العربية التى عرفت قبل هذه الفترة بزمان طويل . وقد كتب عليه اسم (الله) ونقش عليه شعار بني نصر، من ملوك الطوائف : (ولا غالب إلا الله) ، وهو الشعار الذى ما يزال يزين المباني المغربية المبنية على الطراز الأندلسي أو المورسكي .

براعة المماليك

وبعد فترة طويلة آل حكم الشرق إلى المماليك ، فأحسنوا العناية بالسيف وبرعوا فى استعماله . وشهد لهم بذلك الجنرال ادوار كوبير EDOUARD COLBERT

فقال : « لقد رأيت وأصحابي بعد معركة الصالحية ـ كثيراً من جنودنا قد قطعت رؤوسهم أو أكتافهم أو معاصمهم ، ورأيت أحد الجنود قد قطعه السيف من كتفه حتى حقويه ، وقد جربت بنفسي سيف المماليك ، فكنت أقطع به عنزة أو نعجة أو كلباً بضربة واحدة ، وكلمة « الضرب » لا تصلح للتعبير عن استعمال هذا السيف . فانه ينسرب انسراباً ولا يحتاج الا إلى قليل من الجهد وكثير من البراعة ، وقد كان المماليك يتدربون بأن يمسك أربعة رجال قطعة واسعة من الموسلين ويحركونها فى الهواء حتى تنتشر ثم يطلقونها ويهربون عنها ، ويندفع إليها الفارس بسيفه فيقطعها شطرين بضربة واحدة قبل أن تسقط إلى الأرض » .

ولا نرى سبباً يدعونا للشك فى شهادته ، خاصة وانها شهادة عدو لا صديق !

الفرسان العثمانيون

ولو تابعنا السيف العربي فى رحلته فسوف نراه مشهوراً بيد الفرسان العثمانيين ، وهم على مانعلم جنود من الامبراطورية العثمانية تضم الترك والعرب وغيرهم ..

قالوا عن السيف

السـيف أصـدق أنبـاء من الكتب
في حـده الحد بين الجـد واللعب
(أبو تمام)

الخيـل والليـل والبيـداء تعـرفني
والسـيف والـرمح والقـرطاس والقـلم
(المتنبي)

إذا عـربي لم يكن مثـل سـيفه
مضـاء على الأعـداء ، أنكره الجـد
(الشريف الرضي)

بيض صنائعنـا ، سـود وقائعنا
خضر مرابعنـا ، حمـر مواضينـا
(صفي الدين الحلي)



لوحة بيعت في لندن عام ١٨١٣ ، تمثل تدريب المماليك على الضرب بالسيف في سفح جبل المقطم



« البالا » سيف نادر .. زينه أشهر الخطاطين بجمال خطوطهم ويعتبرونه أقوى السيوف وأكثرها صلابة

وعرف المحارب التركي بشدة البأس ، واحتفظت اللغة الفرنسية الى اليوم بهذه الجملة « قوي كأنه تركي » تعبيراً عن هذه الشهرة ، وعندما تألق نجم الامبراطورية العثمانية كان ذلك بفضل الفارس « الصباهي » ، وتحتفظ المتاحف ومجموعات الأفراد بالعديد من تلك السيوف العربية ، التي كتبت عليها آيات من القرآن الكريم بأقلام الخطاطين المعروفين بجمال خطوطهم ، كما نوع الأتراك أشكال السيوف فابتكروا (البالا) و (اليطقان) وغيرهما

نقوش العصر الحديث

وقد انتشرت في الجزيرة العربية عادة حمل الخنجر أو (الجنبية) وهي رمز الرجولة والشجاعة والاعتزاز بالحرية ، حتى لقد قال قائلهم : « إنا لنولد والجنبية على صدورنا والبندقية في أيدينا » .. وقد وجد فيها بعض المحللين النفسانيين رمزاً لتفوق الرجل على المرأة ، لا مجال للدخول في تفاصيله !!

وهناك عدة أسماء أطلقها العرب على السيف ، وترك لنا التاريخ اسم « الصمصامة »و « ذو الفقار » سيف الامام علي ابن أبي طالب (كرم الله وجهه) وهو السيف ذو الشعبتين الذى دخل فى الأساطير والرسوم الشعبية ..

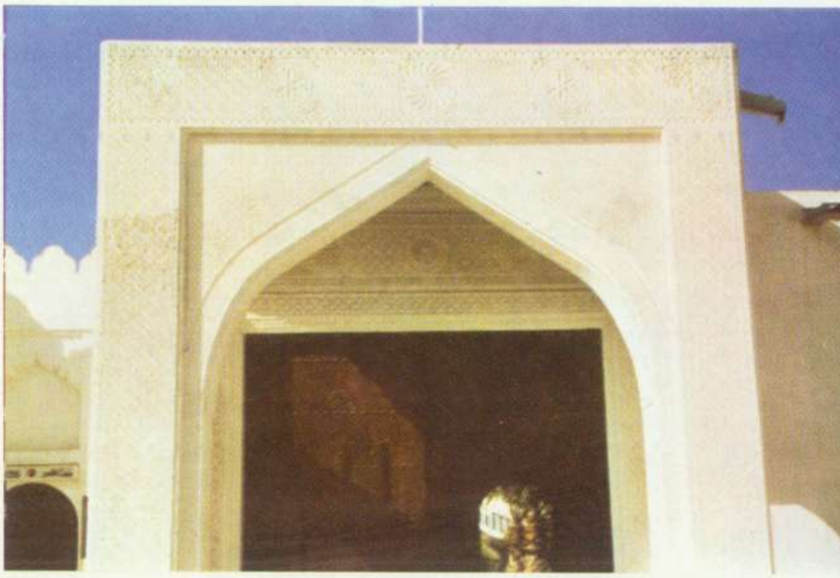
وقد نقشت على بعض نصال وقراب هذه السيوف الجملة التالية :

« لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار »
كما ألف الفنانون نقش آيات قرآنية ، أو حكم شائعة تحث على الجهاد والقتال في سبيل الله والوطن ، والدفاع عن الشرف والاباء ، وبلغ الامر بالشريف الرضي أن قال :

إذا عربى لم يكن مثل سـيفه
مضاء على الأعداء أنكره الجـد
فهل نحن جديرون بأن ننتسب الى أولئك الأجداد العظام ؟ كلنا أمل !

نديم خشفة – الجزائر

صالح غريب



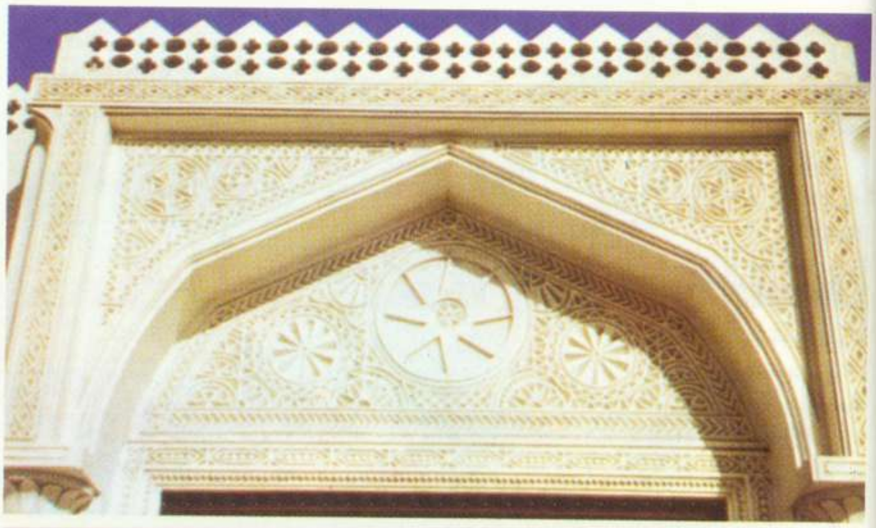
ممر قصير يؤدى إلى الباب الرئيسى للبيت الخليجى وعليه نقوش من الداخل والخارج



نقوش خليجية اعلى النافذة أو (الدريشة) كما يسمونها فى منطقة الخليج

البحث عن الحضارة في نقوش الخليج

عندما بدأت بشائر الثورة الفرنسية بالظهور ، تساقطت الحدود الوهمية التى كانت تحجز الثقافات الأوروبية عن بعضها البعض ، فقبل هذه الحركة كان من السهل واليسير على الرجل العامى ، أن يتعرف على لوحة رسمها فنان أسبانى ، أو مبنى بني فى أسبانيا وطابعه هولندى أو بمعنى آخر أن كل مكان كان يملك طابعاً يميزه ، وبعد هذه الحركة زادت تنقلات الفنانين والمعماريين واجتيازهم لحدودهم الأصلية ، وما كان لا يبنى إلا فى هولندا بدأ يظهر فى اسبانيا وفرنسا وايطاليا ، والأسلوب الأسبانى فى الرسم بما فى ذلك أسلوب الفنان « جويا » أصبح الذوق المؤثر فى فن الرسم فى فرنسا وعليه ظهرت المدرسة الرومانسية ، وهنا اخذ الفنانون ينذرون المجتمع من ضياع هويته ، وظهور هوية لا تنتمى الى احد ، او الى منطقة ، ولكن حركة الانتقال الثقافى كانت أقوى من نذر الفنانين فتلاشت دون أن تضع حداً للمشكلة ، والمشكلة ذاتها تتكرر فى أيامنا هذه ، وبنفس الظروف السابقة الا أن الحيز الجغرافى هو الخليج العربى ، وحركة الانتقال الثقافى مصدرة من العالم شرقه وغربه . فهل نياس لاننا وجدنا أن إنذارات من سبقونا من فنانين باءت بالفشل وبالتالى نداؤنا سيلاقى نفس المصير . طبعاً لا نستطيع اطلاق الأحكام قبل أوانها وأرجو أن نكون افضل حالا مما كان عليه الفنانون الفرنسيون ، وذلك لأن وسيلة الاتصال فى ذلك العصر كانت الصالون من خلال اللوحة وبعض الصحف ، وأما اليوم فوسيلة الاتصال التى نستطيع أن نطلق من خلالها انذارات أكبر فعالية من العصر السابق هى الصحف ، التلفزيون ، الاذاعة ، والمعارض . فالاذاعة والتلفزيون هما وسيلتان لو كانت بين يدى الفنانين الفرنسيين فى القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر لافترضنا أن انذارهم وصل الى الناس ولنجحت دعوتهم فى احتفاظ البلدان بانماطها المميزة . أياً كانت هذه الافتراضات فما يهمنا الآن أن منطقتنا تمر بنفس الظروف ، فكل شيء ينتمى الى المنطقة بدأ يتراجع فى وجه المتغيرات القادمة من كل الاتجاهات . ولذا فان هناك كتاباً على وشك الانتهاء ، يقوم بتاليفه الفنان التشكيلى القطرى محمد علي ، عن النقوش الجسية فى الخليج وقد استوحيت مقدمة هذا اللقاء عندما سالته عن الهدف الذى جعله يقوم بتاليف هذا الكتاب ، فكان مما قاله : «ان المنطقة تمر بمرحلة انتقالية ، لا يمكن التكهن بنتائج هذه المرحلة ، ولكن احس بالتشاؤم لما نرى من غزو معمارى وثقافى ، اتى على سمات الانسان والمنطقة ومحاها ، ولم يبق لنا ما يذكر بسمات الانسان وسمات المنطقة إلا بعض المحفوظات فى المتاحف ، وهذا نذير شؤم لا اشك فى أن أحداً من أهل المنطقة سيسعد له ، كما أن اختفاء طابع المنطقة برمته فى فترة قصيرة (منذ اكتشاف البترول) لنذير بان نراجع أنفسنا ونتامل ما ستكون المنطقة عليه بعد فترة من الزمان ، وسنجد اننا المسئولون امام الأجيال القادمة لضياع ثقافة المنطقة ، لذا فان العمل على انقاذ ما تبقى هو مسئولية تخص الفرد ، والمؤسسة الجماعية





صورتان .. الأولى لنقوش تفصيلية موجودة فى زخرفة منطقة الخليج
.. والثانية لطراز معمارى حافظ على الشـــكل القـــديم

كمؤسسات الدولة كل ضمن تخصصه » .

● سؤالى الأول كان عن تفاصيل الكتاب ما الأهداف التى ينوى أن يقوم الكتاب بادائها ؟

ـ «بما اننا عرفنا الدوافع التى من اجلها قمنا بعمل هذا البحث فاننى اتمنى أن يصل الكتاب الى المكان المناسب الذى يستطيع اداء مهمته على اكمل وجه ، فمثلا

يحوى الكتاب على اكثر من مائة وخمسين نموذجاً للنقوش الخليجية والتى قمت برسمها رسماً هندسياً بنسبها الحقيقية والأصلية ، وهذه النماذج جمعت على مدى اكثر من سنتين من مصادرها الأصلية ، واقصد بالمصادر الأصلية البيوت القديمة الواقعة فى المساحة الجغرافية الممتدة من الكويت الى عمان ، وهذه البيوت اما أن تكون اطلالا ، أو شبه مسكونة ، وهذه النقوش تتوحد فى النمط والأسلوب الفنى فى جميع اجزاء الخليج ، فلذلك يمكننا اعتبار الكتاب مصدراً مصنفاً لنقوش المنطقـــة ، يســـتطيع المصـــمم المعمارى الاعتماد عليه كمصدر نقي وصحيح للنقوش الخليجية بدلا من الاقتباس من الكتب المتعددة ، والتخبط فى اقتباس نقوش لا تنتمى الى المنطقة . ورغم أن النقوش الخليجية تنطبق عليها مزايا النقش الاسلامى ، فوجود مثل هذا المصدر او البحث سيملأ فراغاً احوج ما يكون اليه المصمم المعمارى ، ومن خلال تنقلى بين بلدان الخليج لجمع مصادر البحث وجدت أن كثيراً من الأبنية الحديثة حاول مصمموها استخدام النقش القديم ولكن مع الأسف استخدموا نقوشاً ابعد ما تكون الى روح المنطقة ، وذلك باستخدام العناصر الهنديـــة ، والفارســية وغيرهـــا ..

● ذكرت فى حديثك أن النقوش الخليجية تنطبق عليها المزايا الاسلامية ولكنها تحوى سمات تميزها عن الهندية والفارسية وغيرها فما هى الظروف التى تسببت فى خلق هذا الطابع الخاص ؟

ـ إن الأرض ، أو الحيز الجغرافى بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، كالمناخ المصاحب للأرض ، وجيولوجية الأرض ، وموقع هذه الأرض على البحر ، أو فى وسط الصحراء ، هو الدافع الرئيسى للثقافة ويصاحب هذا الدافع دافع فى مستواه هو العقيدة ، أو الدين ، فهذان العنصران ، لهما قوة كبيرة فى تشكيل نمط وفن وثقافة المجتمع ، فمثلا الظروف التى تعايش معها الانسان القديم فى بلاد ما بين النهرين اختلفت عما هى عليه فى بلاد مصر القديمة وهذه كانت السبب الرئيسى فى أن الفن فى بلاد ما بين النهرين يختلف عما عليه فى مصر . وهذه الحقيقة تنطبق على طبيعة الفن فى الخليج فطبيعة الأرض ، وتقاليد الانسان ، والمنـــاخ والخامـــات المتاحة للانسان اختلفت عن الهند وفارس ، لذا ما أنتجه الفنان فى الخليج يحوى سمات محلية لا تملكها منطقة سواها ، فهذه النقوش اسلامية لأنها تحمل المزايا الاسلامية واهم هذه المزايا ، اللولبية ، أو التطور من المركز فى حركة لولبية أو حلزونية الى ما لا نهاية ،

● هل استطعت إيجاد اى معان لهذه النقوش ؟

ـ من خلال قراءاتى لآراء المستشرقين فى الفن الاسلامى ، والبحث فى آرائهم عن معانى النقوش الاسلامية ، وجدتهم يتفقون فى أن المعانى لهذه النقوش قد ضاعت لقدم هذه النقوش ، وذلك لأن الحضارة الاسلامية احتوت جميع الحضارات التى كانت سائدة فى المنطقة وهذه الحضارات كانت تمنح معانى ورموزاً لنقوشها ، ولكن الاسلام عندما جاء استخدم هذه النقوش على أساس انها تزينية بدون أن تستخدم معانيها التى وجدت من أجلها فمثلا هنالك بعض الوحدات الزخرفية كانت الشعوب البدائية تضعها على مداخل معابدها وبيوتها منعاً للارواح الشريرة ، أو لجلب الحظ ، وهـــذه المعـــانى تناقض المنطق الاسلامى ، فلذلك تلاشت . وبالرغم من ذلك مازالت هنالك وحدات تحتاج الى الدراسة لاكتشـــاف جـــذورها التاريخية وأهميتها المعنوية ، وقد لاحظت أن الحرفيين يطلقون على زخارفهم بعض التسميات البسيطة الساذجة مثل الوردة ـ بيذانة ـ سنكل ـ نقر الحمام الخ هذه التسميات .

وكم كان بودى أن يستمر هذا اللقاء ، فتداعى الكلمات وحيوية البحث ، وأهميته، كل هذا لا يكفيه هذه المقالة ، ولن يرويه إلا ظهور الكتاب ، فتمنيت للفنان التشكيلى القطرى محمد علي أن يستطيع تحقيق هدفه من خلال هذا الكتاب ، ونرجو أن يرى هذا الكتاب النور فى أسرع وقت .

صالح غريب

● أســـرار مذهــــلة تتـــكشـــف في خـــلق الكائـــنات ●

وفيك الباعث والمبعوث وكل مسجل ومكتوب !

بقلم : د. عبدالمحسن صـــالح



شكل (١) نموذج لجزء ضئيل من الجزيء او الشريط الوراثى الحلزونى ، والواقع ان الاشرطة الوراثية فى كل خلية من خلايا الانسان والحيوان والنبات تتكون من ملايين فوق ملايين من هذه اللفات الحلزونية وبين شقى الشريط تكمن درجات كيميائية هى لب شفرة الحياة فى المخلوقات .

لا ريب أن العلم بأسرار الحياة ، يبصرنا ببديع صنع الله ، ويفتح عقولنا على اتقان في الخلق له مغزاه ومعناه ، فنرى فيه أفكاراً أصيلة ، ونظماً فريدة ، وسنناً صامدة لا خلل فيها ولا فوضى .

وكلما تعمق العلماء التجريبيون فى آيات الخلق اكثر ، تجلت لهم الحقيقة بصورة أقوم ، وعرفوا انهم يقفون أمام كنوز من المعرفة تشير إلى وحدة الخلق ، ووحدانية الخالق ، ولا يتدبر ذلك إلا أولو الألباب ! .

ولقد تحير العلماء السابقون فى سر التنوع الهائل بين الكائنات ولم يستطيعوا له تفسيراً ، ولا لأصوله تعليلا ، لأنهم كانوا ينظرون إلى ظاهر الخلق ، ولم يعرفوا شيئاً عن باطنه ، وهم في ذلك معذورون ، لأن زمانهم لم يكن مهيأ للكشف عن الأصول الكامنة في الكائنات ، فهذه ، تحتاج الى وسائل علمية متطورة ، لتغوص بها الى لب الحقيقة .

وفي زماننا هذا ، لا يختلف اثنان من العلماء على أن الكائنات جميعاً قد ورثت صفاتها التي تجيء بها الى الحياة من خلال أشرطة وراثية سجلت عليها شفرات كيمائية أربع ، وكل شفرة منها تتكون من عناصر أربعة هي : الكربـــون والأوكسيجين والايدروجين والنتروجين ، ولا شيء غير ذلك (شكل ١) .

تصورات صعبة

وطبيعي أن احداً لا يستطيع أن يستوعب أن ذلك التنوع الهائل بين الكائنات يمكن أن يتأسس على هذه العناصر والشفرات الأربع ، اذ كيف تشكلت حقاً ، لتعطينا كل هذا الطوفان الدافق من الكائنات ، وبكل سلالاته وأنواعه وعائلاته ورتبه ؟

أن ذلك قد نشأ على أساس فكرة الشفرة ، والشفرة (الكود Code) ليست غريبة علينا ، خاصة فى عصرنا الحديث ، فمن الممكن استخدامها كلغة تعبير مختصرة (كالشرطة والنقطة في التلغراف ، أو الواحد والصفر في الحاسبات الالكترونية ، أو الشفرة المستخدمة في الحروب .. الخ) .. ومع ذلك ، فهناك فرق جوهري بين شفرة كيمائية تؤدي الى كائنات

مختلفة ، وشفرة بشرية تتحول الى لغة تصلح للتفاهم .

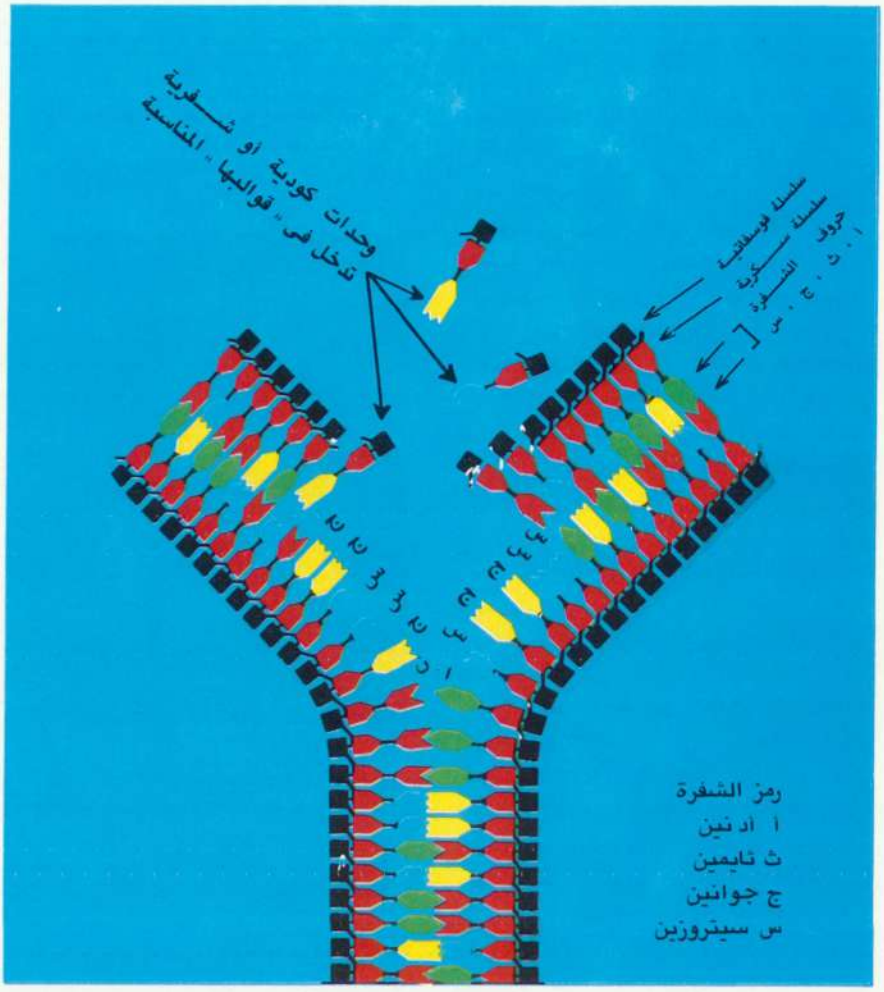
وفكرة الشفرات الكيمائية الأربع الموحدة بين الكائنات ، قد نشأت أساساً من تآلف العناصر الأربعة في جزيئات مختلفة في الاشرطة الوراثية التي تحتويها خلايا جميع المخلوقات ، ويعني هذا أن تلك الأشرطة مبرمجة بشفرات محددة ، ولابد من ترجمة هذه البروجرامات ، لتتحول إلى خطة عمل .. إلى مخلوقات شتى !

ولقد كانت شفرة الحياة من أعظم التحديات التي جابهت العلماء لفترة طويلة ، وكأنما هي بمثابة لغة سرية على درجة هائلة من الكفاءة والتعقيد ، ولاشك أنها تحتاج لعقول على قدر كبير من الذكاء لفك طلاسمها ، ومعرفة مضمونها .

والواقع أن مضمون الشفرة معروف من زمن ولكن من غير المعروف هو كيفية ترجمة الشفرة ، لتتحول الى برامج او خطط تصلح لادارة كل العمليات الحيوية المتناسقة ، لتنشأ على أساسها ظاهرة الحياة ، وهي ـ بلاشك ـ أروع وأجمل ظاهرة في هذا الركن من الكون العظيم !

وشفرة الحياة هى : أ ، ث ، ج ، س .. وهذه الحروف هى اختصار للمركبات الكيميائية الأربعة : أدينين ، ثايمين ، جوانين ، سيتوزين ، وهو ما سبق أن قدمناه في دراسة سابقة على صفحات هذه المجلة ، ولابأس هنا من تذكرة مختصرة ، بأصول هذه الشفرة ، فهى تتراص مثنى مثنى فى أشرطتها الوراثية على هيئة درجات فى سلم كيميائى طويل ، وحتى لا ندخل فى التفاصيل ، فعليك أن تلقى نظرة أخرى على الشكل (١) لأنه يغنى عن أى كلام يمكن أن يقال فى هذا المجال .

ومن طبيعة هذه «السلالم» الكيميائية أنها تنشق طولياً الى نصفين ، وهى لا تنشق بذاتها ، بل هناك خميرة أو انزيم يقوم بهذه المهمة ، ويمكن تشبيه هذه العملية بفكرة الزمام المنزلق (السوستة) الذى يفتح ويغلق على حسب الحاجة ، فاذا فتحناه ، ظهرت أسنانه على الجانبين واذا أغلقناه ، تداخلت الأسنان ، وكذلك الحال مع الأشرطة أو السلالم الكيميائية ، فاذا انشقت طولياً ، ظهر لها ما يشبه الأسنان على الشقين ، وقد تراصت بمئات الآلاف أو الملايين ، لكن هذه الأسنان ليست إلا مركباتنا الكيميائية الأربعة ا ، ث ، ج ، س .. ومن الممكن قراءتها ، لكنها أصعب قراءة على أية حال ، وقراءة الشريط الذى



شكل (٢) نموذج صغير من الشريط الوراثى الموحد الشفرة فى كل الكائنات ، وهو هنا منشق الى نصفين ، وكل نصف يكمل ذاته بالشفرة المناسبة (اى «أ» ترتبط دائما مع «ث» وكذلك «ج» مع «س») وبهذه العملية يصبح الشريط الواحد شريطين متماثلين أو «توامين» ، ليحتفظ بصفات المخلوق الذى يحويه عن طريق انتقال كل توام الى كل خلية جديدة فى عمليات الانقسام .

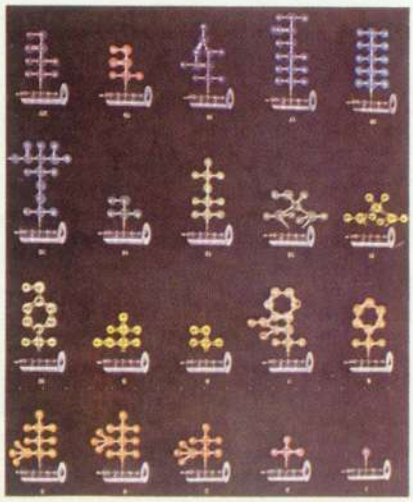
لا يزيد طوله عن جزء من الف من المليمتر يحتاج الى فرقة كاملة من العلماء ، والى سنين طويلة من الجهد المتواصل ، فالعلماء هنا لا يرون الشفرة كما نرى نحن النقط أو الحروف ، بل يقرؤونها بطريق عويص غير مباشر ، وهذا يحتاج الى تحليلات كيميائية دقيقة ومضنية ، والحديث فيها قد يتشعب ويطول ، وليس له هنا مجال ، لكن العلماء قرأوها على أية حال ، واذا أردنا كتابتها بلغتنا لكانت هكذا على سبيل المثال : سث اجثسسث أثثججسسا .. الخ .. الخ ، وعلى الشق الآخر لابد أن تنتظم الشفرة هكذا : جاثثسا ججا ثاا سسججث .... الخ .. الخ (شكل ٢) .

وربما تكون قد لاحظت أن الشفرة «س» على أحد شقى الشريط ، لابد وأن يقابلها «ج» على الشق الآخر ، والشفرة «أ» يقابلها دائماً «ث» ، لأن هذه الشفرات تتقابل أزواجاً أزواجاً ، وكأنما هذه لباس لتلك (انظر شكل ٢) ، ويرجع ذلك الى هندسة فراغية جزيئية تسرى فى تكوين الشريط طولياً ، فيكون هذا الحرف قالباً للذى يقابله ، فيلبس فيه ، ويتآخى معه ويرتبط .. فألف لثاء ، وسين لجيم ، ولا شىء غير ذلك !

ترجمة البرمجة

وعند هذه الحدود وقف العلماء حيارى ، إذ ماذا تعنى هذه الشفرات الأربع التى جاءت متراصة بالملايين فى أشرطة دقيقة

وفيك الباعث والمبعوث وكل مسجل ومكتوب !



شكل (٣) الصيغة او التشكيل الكيميائى للاحماض الامينية العشرين ، ويمكن تشبيهها بحروف لغتنا التى نكون بها كلماتنا ، وعندما تتجمع هذه الاحماض بالعشرات والمئات حسب خطة مبرمجة على الأشرطة الوراثية ، وبتباديل كثيرة جداً ، يمكن تكوين ملايين فوق ملايين من انواع البروتينات المختلفة ، ليؤدى كل بروتين منها وظيفته المقدرة فى الحياة .

غاية الدقة ؟ .. وكيف يمكن تفسير التنوع الهائل بين الكائنات على هذا الأساس الذى يبدو كطلاسم لا طعم لها ولا معنى ؟ .

ان حل هذا اللغز العويص يحتاج الى عقول ذكية ، وبحوث رائدة ، وتجارب تتسم بالعمق والأصالة ، وبدون الدخول فى التفاصيل التى قد تجرنا الى متاهات نحن فى غنى عنها ، وقع العلماء على كنز ثمين من الأسرار ، إذ وجدوا أن هذه المركبات الأربعة قد أصبحت بداية لغة جديدة ذات رموز ثلاثة ، أى من الممكن تحويل المركبات الأربعة الى ٦٤ شفرة ثلاثية بتباديل مختلفة .. فالشفرة الثلاثية «ااا» تعنى شيئاً مختلفاً عن «سسس» ، أو «ااث» ، أو «اثا» ، أو «ثاس» ، أو «جسا» ، أو «ججس» .. الخ .. الخ ، وانت تستطيع أن تكتب هذه الشفرات الثلاثية الأربع والستين بسهولة على هذا الأساس .

ولاشك ان كل سر مكتشف يقود الى أسرار جديدة أعمق وأجمل ، وبحيث يبدو لنا ان الحياة ما هى إلا مخزن هائل من أدق الألغاز ، وطبيعى أن هذه الشفرات الثلاثية لها هدف ومعنى ، وهدفها أن تشرف على تكوين لغة أخرى جديدة ، هى لغة البروتينات ، وعلى البروتينات تتأسس كل عمليات الحياة ، ولهذه أيضاً – أى البروتينات – حروفها المفككة ، ولابد من جمعها كما يجمع الطابع فى المطبعة حروف لغتنا أو أية لغة أخرى ، لتتحول الى كلمات فجمل ففقرات يمكن بها تبادل المعلومات ، وكذلك الحال مع البروتينات ، فلها حروفها العشرون ، وما الحروف هنا إلا الاحماض الأمينية ، وكلها تتكون أيضاً من ذرات كربون وايدروجين وأوكسيجين ونيتروجين (عدا حرفين او حامضين امينيين منها يضاف اليهما الكبريت) لكن هذه الذرات تتشكل فى انماط مختلفة ، لتعطى احماضاً أمينية متنوعة (شكل ٣) .

والواقع أن كلا من الشفرات الثلاثية والأحماض الأمينية هى بمثابة العملة الموحدة بين كل أنواع الكائنات ، وهى التى تستخدمها فى تكوين ما تحتاجه من بروتينات ، لكن كل كائن يشكل بروتيناته على حسب الشفرات الوراثية المسجلة على أشرطته .. ولهذا جاء كل شريط مقسماً الى فقرات كثيرة متجاورة (أى جينات) ، وكل فقرة مسئولة عن تكوين نوع واحد من البروتين ، ولكل بروتين رسالة محددة لا يحيد عنها ولا يميد .

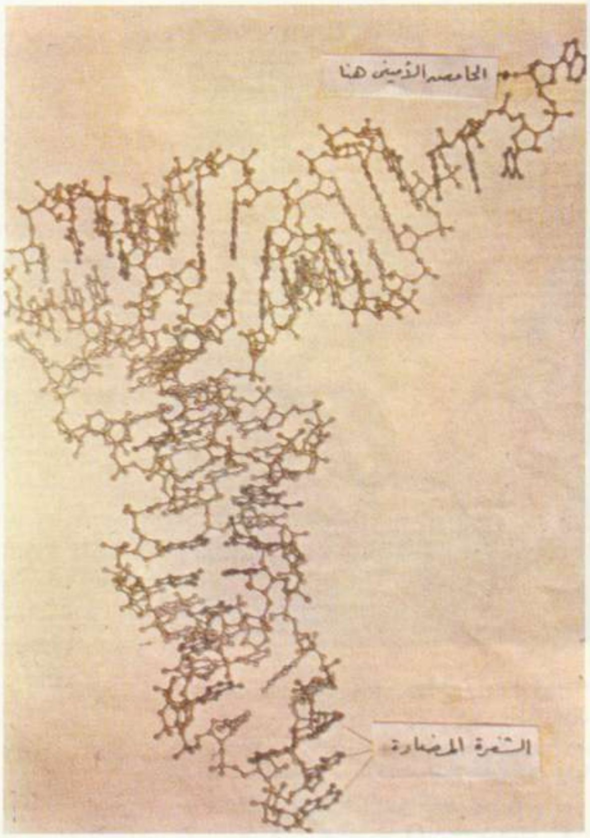
ان جسم الانسان مثلا يستطيع أن ينتج مائة الف نوع من البروتينات المختلفة على اقل تقدير ، وفى تقدير آخر مبالغ فيه حوالى مليون نوع .. وقد تكون الجزيئات البروتينية صغيرة أو متوسطة أو كبيرة أو عملاقة .. فمنها ما يتكون من عدة أحماض أمينية متآلفة لا تزيد عن عدد أصابع اليدين ، ومنها ما تتآلف أحماضه بالعشرات ، والكبير منها بالمئات ، ولابد أن تجمع جمعاً صحيحاً ، لأن وضع حامض واحد محل آخر فى جزيء به عدة مئات من الأحماض الأمينية ، يعتبر خطأ جسيماً ، لانه يؤدى الى مرض وراثى يصبح من الصعب علاجه .. ان أخطاءنا فى كتاباتنا قد تغتفر ، أو يمكن تصحيحها بسهولة تامة لكن الأخطاء فى جمع أحماض أو «حروف» هذه البروتينات يؤدى حتماً الى كارثة فى حياة المخلوق ، لكن هذا موضوع طويل ومثير ، وقد نتعرض له فى دراسة أخرى قادمة .

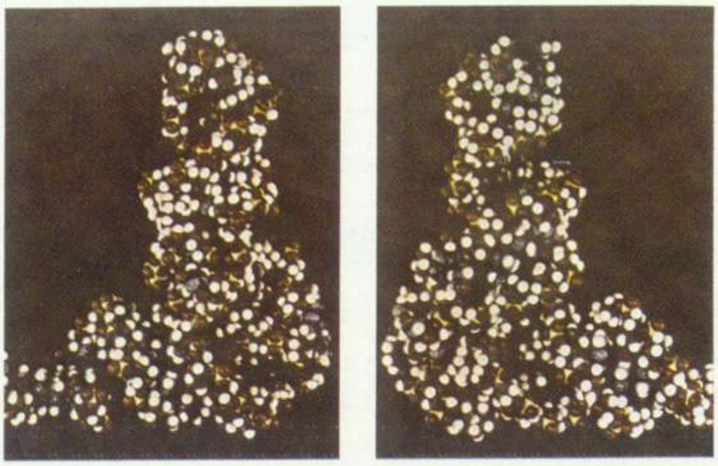
أسطول النقل الجزيئى

وطبيعى أن حروفنا أو أحماضنا الأمينية العشرين لا تتجمع بذاتها اعتباطاً بل لابد من تنظيم صارم تسير على هداه ، والتنظيم مصدره الأشرطة الوراثية فى النواة ، وعلى أقسام محددة من هذه الأشرطة تطبع جزيئات شبه وراثية بمواصفات محددة ، وبعد طبعها تخرج من النواة الى ساحة الخلية ، لتصبح فيها بمثابة أسطول للنقل الجزيئى ، ولكل ناقلة منها علامة مميزة ، وعلامتها شفرة ثلاثية ، وكل شفرة تتعرف على حامض أمينى من العشرين ، فتشبك فيه ، أو يشبك فيها ، فكأنما نحن – فى الواقع – أمام حشد هائل من الركاب (الأحماض الأمينية) الذين تيسرت لهم سبل مواصلاتهم ذات الطرازات المختلفة من الناقلات .. ثم ان كل خلية تحتوى على مئات أو ربما آلاف الملايين من الأحماض الأمينية المختلفة التى تنتشر فى ساحة الخلية بدون نظام ظاهر ، ويعنى هذا أن كل حامض يوجد بعشرات الملايين ، وغير مسموح للناقلة الواحدة إلا بنقل «راكب» واحد ، لتوصله الى هدفه ، ثم تعود فارغة لتنقل الراكب التالى من نفس النوع من الأحماض ، وهكذا تسرى الأمور بنظام بديع فيه عبرة لأولي الألباب .

لقد قضى العلماء سنين طويلة فى فصل وتحليل ومعرفة التكوين الدقيق لكل ناقلة ، وما تخصصت فى نقله ، فتبين انها ذات تكوين معقد وغريب ، ولن ندخل هنا فى التفاصيل ، بل يكفى أن نعرض هنا نموذجاً مفصلا لواحدة من أسطول النقل الجزيئى (شكل ٤) ولاشك أن نظرة عابرة على الناقلة ، توضح سراً غالياً من أسرار الحياة ، وتظهر لنا قدرة الله .. «وما قدروا الله حق قدره» .. حقاً وصدقاً ، لأنهم لا يعرفون ما يخفى على حواسهم ، ولو عرفوا لقدروا ، وهنا يحق القول الكريم «إنما يخشى الله من عباده العلماءُ» .

ولكى نوضح ما يجرى فى ساحة الخلية – أى خلية تشاء ، من أى مخلوق تريد – كان لابد أن نضرب مثلا من واقع حياتنا ، ولنتصور أن هناك حشداً هائلا من سيارات الركوب ذات الطرازات المختلفة – مرسيدس وبيجو وفيات وفولفو وفورد ومازدا وعشرات غيرها ، وان هناك حشداً أكبر من ركاب ذوى أزياء مختلفة ، فمنهم من يضع على رأسه عمامة أو عقالا أو طربوشاً أو قبعة أو طرطوراً .. الخ ،





شكل (٤ ا) طراز من الناقلات الذى تم طبعه او «صبه» على جزء محدد من الشريط الوراثى ، وقد استطاع العلماء معرفة تكوينه الدقيق ، وهو يحمل فى احد طرفيه الشفرة الثلاثية التى يتعرف بها على واحد من الأحماض الموجودة فى شكل (٣) .. وفى شكل ٤ ب تجسيد لفكرة بناء الناقل كما تمخضت عنه البحوث الرائدة .

ولنتصور أن لكل زى طرازاً محدداً من وسيلة النقل ، فذوو القبعات مثلا لهم الفيات ، والمرسيدس لذوى العقال .. وهكذا .. صحيح أنهم جميعاً بشر ، وصحيح أن كل وسائل النقل سيارات ، لكن النظام فى الركوب يحتاج الى هذا التحديد من البداية .

وقد يبدو أن هذا تصور مبالغ فيها الى حد بعيد ، لكنه موجود فى كل خلية بالتأكيد ، ليس على هيئة ركاب وسيارات ، ولكن على هيئة جزيئات تخصصت فى نقل جزيئات ، ولاشىء غيرها ، ورغم أن الجزيئات لا تسمع ولا ترى ، إلا أن لها وسيلة للتعرف على بعضها ، وهذا ما كشف عنه العلماء الحجاب ، ليتبين لنا معنى النظام ، حتى ولو كان على مستوى جزيئات لا تدرك ولا تعقل ومع ذلك فقد تيسرت لها أمورها من خلال شفرة ثلاثية تحدد هويتها ، وهى أشبه بالأرقام التى تحدد سياراتنا ، لكنها علامات كيميائية على درجة هائلة من الكفاءة والاتقان ، فالجزيء العملاق الذى يحمل الشفرة «ججى» على أحد طرفيه ، متخصص فى نقل حامض أمينى اسمه جلايسين على الطرف المقابل ، والذى جاء بالشفرة «جىج» ينقل الحامض الأمينى فالين ، والشفرة «س س س» للحامض برولين ، والشفرة «ى س ج» لسيرين ، وهكذا تسرى الأمور مع البقية الباقية من الأحماض العشرين .. واختصاراً للموضوع ، فقد قدمنا هنا جدولا يشير الى جزء من هذه الشفرات الثلاثية ، وهى فى مجموعها تصل الى ٧٤ شفرة ثلاثية ـ كما سبق وذكرنا (شكل ٥) .

والى هنا قد يطرأ على البال تساؤل : اذا كانت أنواع الأحماض الأمينية عشرين نوعاً ، فلابد أن يكون لها عشرون نوعاً من الناقلات ، فلماذا اذن هذا الاسراف فى العدد الزائد من طرازات الناقلات ـ أى الـ ٦٤ نوعاً ؟

وهذا تساؤل وجيه ، والجواب أن لمعظم الأحماض الأمينية أكثر من طراز الناقلات ، بمعنى أن حامضاً أمينياً واحداً مثل السيرين له ناقلات بعلامات مسجلة على هيئة ى س ا ، ى س ج ، ى س س ، ى س ى ، وكذلك حامض ليوسين له أربع أخرى مختلفة ، ومنهاما له ثلاث ، أو اثنان ، أو واحد فقط ، كل هذا يتوقف على أن هناك أحماضاً مرغوبة فى التجميع اكثر من غيرها ، ولهذا تيسرت لها سبل مواصلاتها ، حتى لا تتعطل العمليات .. أى لا اسراف ولا تبذير !

لكن العلماء قد وقعوا فى حيص بيص عندما اكتشفوا أن القليل جداً من هذه الناقلات لا تتعرف على أى حامض من الأحماض العشرين ، ولاشك أن انتاجها فيه حكمة ، لأن نظم الحياة الرائعة قد علمت العلماء الحكمة ، ثم ان شيئاً من هذه الأسرار لا يأتى هكذا عبثاً ، ولقد تحقق ما كان يساور ظنونهم ، أن الناقلة المميزة بالعلامة «ى ا ا» أو «ى ا ج» قد جاءتا لتكونا بمثابة الفصلة أو الشرطة التى نحدد بها بداية جملة ونهايتها ، لأن البروتينات نفسها عبارة عن جمل أو فقرات يتكون كل منها من عشرات أو مئات الأحماض المتشابكة ، وكأنما هذه الناقلات تقف كعلامات فاصلة بين الطرازات البروتينية أثناء جمعها على مطابع الخلية ، وكأنما لسان حالها يقول : ابدأ «الكتابة» من هنا ، وتوقف هناك !

الرسل والمطابع

وقد يبدو هذا الكلام غامضاً بعض الشىء ، لكن أصوله سوف تتضح عندما تتجلى لنا أدق آيات الخلق وأعمقها غوراً ، إذ مما لاشك فيه أن سؤالا ملحاً قد طرأ على البال : فالى أين يتوجه أسطول الناقلات بما يحمل من أحماض أمينية مختلفة ، وفى أى مكان تفرغ كل ناقلة حملها ؟

الواقع أن هدفها مطابع الخلية ، والمطابع مثبتة ومشيدة على حوائط أو جدر

وفيك الباعث والمبعوث وكل مسجل ومكتوب !

رقيقة غاية الرقة ، وهى تنتشر فى الخلية بالملايين ، ورغم دقتها المتناهية ، إلا أن كل مطبعة منها (اسمها العلمي ريبوسومة Ribosome)

وقد شيدت تشييداً مذهلا قد لا يطرا على عقل بشر ، لأنها بمثابة آلة جزيئية اليكترونية أو كومبيوتر (حاسبة أو عقل اليكترونى) يترجم الشفرات والشفرات المضادة فى التو واللحظة .. والريبوسومة بالفعل كذلك ، لأنها تجمع الحرف مع الحرف ، أو تشبك الحامض بالحامض ، وفى ثوان معدودات يخرج الى الوجود جزيئا بروتينيا له هدف فى الحياة ، ورغم سهولة «الطباعة» الخلوية ، إلا أن الجزيئات البروتينية الناتجة قد تكون معقدة غاية التعقيد ، وبحيث يعكف العلماء على الجزيءالواحد منها سنوات ، علهم «يقرأون» حروفه ، أو يفكون لغته ، وما حروفه إلا تلك الأحماض التى حملتها الناقلات الى الريبوسومات ، لتضعها فى الريبوسومات ، تترجم شفراتها ، فتؤدى الى بروتينات ، وتسيطر فيما بعد على كل العمليات !

ليست هذه فى الواقع أضغاث أحلام ، ولا شطحات خيال ، رغم أن الأمور قد تبدو أمام البعض كذلك ، لكن روعة هذه الأسرار تنم عن عظمة فى الأفكار ، وبها تتجلى قدرة الله الواحد القهار «الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى» .. والهداية فى هذه العوالم الدقيقة ــ التى ظلت خافية عن حواس كل الأجيال السابقة ــ هي هداية وتيسير جزئيات لجزئيات ، وكأنما هي مجتمعات ديدنها الاتقان وسلوكها النظام ، بحيث تجعل من نظم مجتمعاتنا البشرية شيئاً بدائيا ، إذ ليس هناك نظم أجمل من هذه النظم التى تحيل عناصر الأرض ، أو سلالات الطين ، الى ملايين الأنواع من المخلوقات ، ومنها الانسان العظيم الذى يبحث فى الأصول ، ليعرف المضمون ، وهو مضمون يضن على كثير من العقول .

لكن .. كيف تحدث الترجمة الفورية ، لتتراص على أساسها الأحماض الامينية ، فتؤدى الى جزيئات بروتينية ، لنا ولغيرنا فيها حياة ؟

باختصار شديد نجيب على ذلك بأن الأشرطة الوراثية فى النوى ، هى الأساس ، لأنها تحدد كل شيء من البداية ، وعليها كل البرمجة أو الخطط ، ولقد رأينا فيما قدمنا ، كيف أن أقساماً كثيرة منها كانت تنشق طولياً ، وعند انشقاقها تبرز شفراتها ، وعلى هذه الشفرات تطبع الأنواع المختلفة من الناقلات ، لتخرج الى ساحة الخلية فتتعرف على الأحماض الأمينية .. وهذه واحدة ، وما الثانية ؟

الثانية أن على أقسام أخرى محددة من الأشرطة الوراثية الأساسية فى النواة ، تطبع أشرطة أخرى ، تعرف بالأشرطة الريبوسومية ، ثم تترك هذه الأشرطة النواة وتتوجه الى ساحة الخلية ، وهناك تتجمع بطريقة لازالت غامضة بعض الشيء ، فتبنى «المطابع» التى تنتشر بالملايين فى الساحة ، وهى التى نعرفها باسم الريبوسومات ــ كما سبق أن قدمنا .

والثالثة أن أقساماً أخرى كذلك من الأشرطة الأساسية ، تطبع على ذاتها نوعاً ثالثاً من الأشرطة تعرف باسم الأشرطة الرسولة أو المبعوثة ، وعلى هذه الأشرطة تكمن مئات أو آلاف الشفرات المتراصة ، وهى بدورها تترك النواة ، وتتوجه الى ساحة الخلية ، وتتخذ مواقعها فى المطابع الخلوية (الريبوسومات) ، وعندما تشتغل هذه الأشرطة فى آلات الطباعة الجزيئية ، تتجمع الأحماض الأمينية واحدة بجوار الأخرى ، وكأنما هى أشبه بتجميع حروفنا فى كلمات وفقرات .. ولهذه معنى ، ولتلك معنى آخر خاص بأسرار الحياة (شكل ٦) .

ترجمة الشفرات

والواقع أن كل شريط مبعوث من قبل النواة له مهمة معينة ، لأنه حامل لشفرات محددة ، وكل شفرة تتكون من ثلاثة حروف وفى ساحة الخلية تتعرف الشفرات الثلاثية للناقلات على الشفرات المضادة أو المناسبة على الشريط المبعوث بخطة البناء وكأنما هذه ترجمة لتلك .

ولكى نوضح أكثر ، دعنا نضرب مثلا بجزيء الأنسولين ، والأنسولين بروتين ، أو هو الهرمون الذى يساعد على حرق السكر فى أجسامنا وأجسام الحيوانات

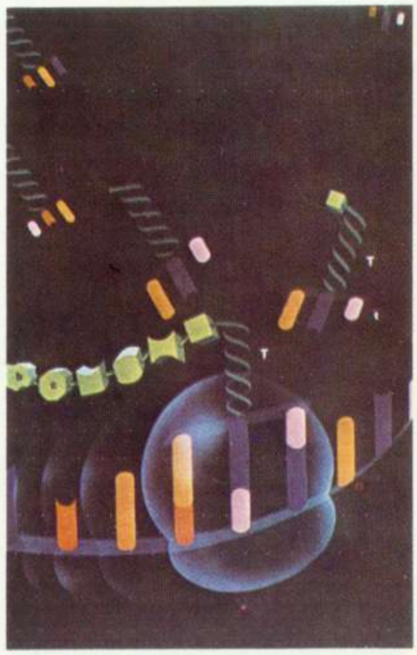
G	U	U	C	A	A	C	T	A	G	A	U
G	U	C	C	A	G	C	T	G	G	A	C
G	U	A	C	A	T	C	T	T	G	A	A
G	U	G	C	A	C	C	T	C	G	A	G
U	C	U	A	G	A	A	C	A	U	G	U
U	C	C	A	G	G	A	C	G	U	G	C
U	C	A	A	G	T	A	C	T	U	G	A
U	C	G	A	G	C	A	C	C	U	G	G
C	C	U	G	G	A	G	C	A	C	G	U
C	C	C	G	G	G	G	C	G	C	G	C
C	C	A	G	G	T	G	C	T	C	G	A
C	C	G	G	G	C	G	C	C	C	G	G
A	C	U	T	G	A	T	C	A	A	G	U
A	C	C	T	G	G	T	C	G	A	G	C
A	C	A	T	G	T	T	C	T	A	G	A
A	C	G	T	G	C	T	C	C	A	G	G
G	C	U	C	G	A	C	C	A	G	G	U
G	C	C	C	G	G	C	C	G	G	G	C
G	C	A	C	G	T	C	C	T	G	G	A
G	C	G	C	G	C	C	C	C	G	G	G

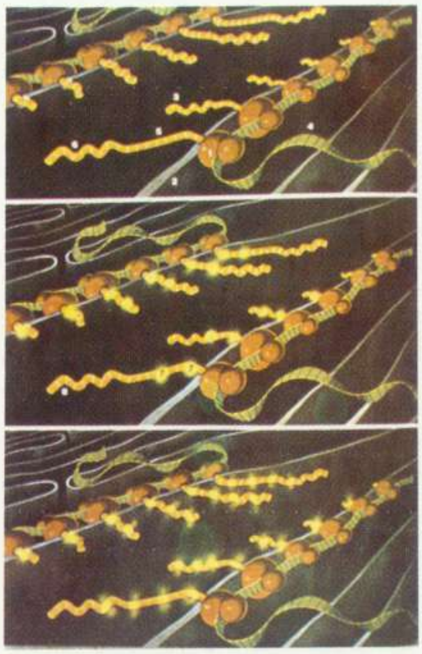
شكل (٥) بعد بحوث طويلة ومضنية توصل العلماء الى معرفة الشفرة الثلاثية التى يتعرف بها كل ناقل على حامضه الأمينى ، والجدول يوضح جزءاً من انماط هذه الشفرات الثلاثية التى يتعرف كل منها على حامض أمينى أو أكثر (ادينين = A ، ثايمين = T ، جوانين = G ، سيتوزين = C ، يوراسيل = U .

الثديية الأخرى ، فيهبنا ويهبها طاقة الحياة ، وأنسولين البشر ، كانسولين الخنازير والبقر ، أى أن كل جزيء يتكون من ٥١ حامضاً أمينياً جمعت فى «سطرين» أو سلسلتين ، احداهما طويلة والأخرى قصيرة ، لكن هناك اختلافا طفيفاً بين الأنواع ، والاختلاف فى حامض أو اثنين ، لكن الأمر الهام هنا ، ان طبع أو بناء جزيئات الأنسولين فى الحيوانات المختلفة يتم عن طريق أشرطة مبعوثة مبرمجة ، وعلى كل منها يكمن ١٥٣ حرفاً كودياً أو شفرياً ، وكل ثلاثة منها مسئولة عن جمع حامض أمينى واحد من الواحد والخمسين حامضاً التى يحتويها جزيء الأنسولين (أى ٥١ × ٣ = ١٥٣) .

وعلى مثل هذه الوتيرة يسرى جمع البروتينات الأخرى صغيرها وكبيرها ، فاذا ظهر فى ساحة الخلية بروتين من عشرة أحماض ، فان ذلك يعنى شريطاً مبعوثاً عليه ٣٠ حرفاً كودياً ، وبروتين بمائة ، له شريط عليه ثلاثمائة ، ٦٠٠ يحتاج لمبعوث عليه ألف وثمانمائة .. الخ .. الخ .

لكن .. كيف تتعرف الشفرة الوراثية





شكل (٦) يوضح بطريقة مبسطة للغاية عملية تكوين أو «طبع» الاحماض الامينية فى جزيئات بروتينية .. والطبع يستلزم وجود شريط مبعوث بالخطة ليلبس فى الريبوسومات R أو مطابع الخلية (أسفل الصورة) كما يستلزم وجود ناقلات T تتعرف على الاحماض الامينية بشفرة ثلاثية ، وتتجه بها الى الشريط المبرمج على المطابع ، فتتعرف شفرة الناقلة الثلاثية على الشفرة الثلاثية المقابلة على الشريط .. لاحظ وجود ناقة وهى تلبس بشفرتها على الشريط المار فى المطابع ، وقد شبكت حامضها الامينى فى السلسلة البروتينية (الخضراء) التى بدأت فى التكوين .. وحول الريبوسومات تنتشر بعض الناقلات ، فمنها ما افرغ حمولته ، ومنها ما يحملها وبها يتوجه الى الريبوسومة .. ولمزيد من التوضيح انظر شكل ٦ ب .

للجزيء الناقل للحامض الامينى على الشفرة الثلاثية للشريط المبرمج الموجود فى «الكومبيوتر» الخلوى ــ أى الريبوسومة أو مطبعة الخلية ؟

نظنك لازلت تتذكر المبدأ الأساسى الذى قامت عليه كل الشفرات ، سواء على الأشرطة الأساسية فى النواة ، أو على الناقلات ، أو على الشريط المبعوث ، أو فى الأشرطة الريبوسومية التى تآلفت فى تكوين المطابع .. فهى دائما أربعة مختلفة ، أى زوجان .. وكل زوج منها يتآلف مع بعضه .. هى فى الشريط الأساسى من «أ» مترابطة دائما مع «ث» ، أو «س» مترابطة دائما مع «ج» ، لينتج منها درجات فى سلالم كيميائية متتابعة تقدر بالملايين ، أو عشرات ومئات الملايين .

لكن الأمر ينطوى على اختلاف بسيط بين الأشرطة الباعثة ، والأشرطة الى ساحة الخلية ، فلكى لا يرقى المبعوث الى مرتبة باعثة ، قام الباعث بابدال حرف واحد محل حرف ، أى أبدل «أ» بالحرف «ى» (أدينين محل يوراسيل) ، وبهذه «السياسة» الكيميائية الحكيمة ، لا يحق للمبعوث أن يتصرف كباعثه !

وعلى هذا الأساس تتعرف الأزواج على أزواجها فى ساحة الخلية .. «ى» فى الشريط المبرمج على المطبعة ، تتعرف على «أ» فى الشريط الناقل ، والعكس صحيح ، كذلك تتعرف «س» على «ج» والعكس أيضاً صحيح .

خذ لذلك مثالا للتوضيح .. ان الناقل للحامض الامينى بالشفرة الثلاثية سسأ ، يتعرف على موقعه من الشريط المبرمج على المطبعة عن طريق الشفرة ججى ، لأن «س» دائماً تلبس فى «ج»، «أ» تلبس فى «ى» ــ كما سبق أن قدمنا .. كذلك لو جاء الناقل بالشفرة جسج ، فقالبه على شريط الطبع سجس ، كذلك ىجى يقابلها اسأ .. وعلى هذه الفكرة الجميلة يعرف كل ذى علامة هدفه وموقعة من المعمعة الهائلة التى تجرى احداثها فى كل خلية حية .

عود على بدء

بعد هذه الجولة السريعة فى قطرة من بحر أسرار الخلايا الحية ، يتضح أن بينها عوامل كثيرة مشتركة ، أو «عملة» عامة موحدة بين جميع الكائنات ، بمعنى انها تستخدم جميعاً نفس الأحماض الامينية ، ونفس الشفرات الوراثية ، ونفس الأسطول الجزيئى الناقل ، ونفس الريبوسومات ، لتبنى بها البروتينات ، فلو أنك أخذت جزءاً من الشريط الوراثى (أى جينة) للانسان ، وزرعته فى ميكروب ، فان الميكروب يستطيع أن يترجمه ، ويعرف شفراته . ويكون به نفس البروتين الذى يتكون فى جسم الانسان !

إن مثل هذه اللعبة الخطرة التى تتركز فى نقل صفة أو صفات وراثية من مخلوق الى مخلوق آخر مختلف ، واكسابه صفة جديدة ، سوف تحدث ثورة هائلة فى علوم الحياة ، وهذا ما يعبر عنه العلماء بثورة الهندسة الوراثية ، لأنها ستتمخض عن أهداف غريبة أشد الغرابة على عقولنا وزماننا ، لكن ذلك موضوع طويل ومتشعب ومثير ، وسوف نتعرض له فى دراسة قادمة ، لنعلم على أى عصر غريب نحن مقبلون ، لكننا ذكرناه هنا ذكراً عابراً ، ليتبين أن الكائنات جميعاً تجمعها فى الخلق أصول كثيرة مشتركة .

لكن بقي سؤال هام : كيف تجيء الأنواع مختلفة ، رغم أن أصولها الكيميائية مشتركة ، وعلى رأسها الأشرطة الوراثية المبرمجة بنفس الشفرة ؟

السؤال كبير ، والاجابة عليه أكبر ، لكن يكفى أن نذكر أن الاختلاف فى الأنواع يرجع الى مضمون الشفرات ، ومرورها فى مراحل تطورية طويلة جداً ، فترتقى معلوماتها وتصقل بمرور الزمن ، حتى توجت مشوارها الطويل ، بظهور الانسان الحكيم ، الذى خلق «من سلالة من طين» .. وكذلك كل الكائنات ، لأنها تكونت من نفس العناصر ، لتؤدى الى نفس الفكرة التى حلت فى ملايين الأنواع .. كيف ؟

لهذا دراسة قادمة ، لنعلم ما لم نكن نعلم ، وندرك أن للخلق ظاهراً وباطناً ، وأنه ينطوى على فكرة موحدة ، تدل على وحدانية الخالق «ولكن أكثر الناس لا يعلمون» .

دكتور عبد المحسن صالح

جمـــال قطـــب



بيتربول روبنز (١٥٧٧ ـ ١٦٤٠)

أعظم من صوّر المرأة في التـــاريـــخ

مدينـــة « انتويـــرب » مســـقط رأس فنـــاننـــا « روبـــنز » بلـــدة وادعـــة .. حالـــة .. عريقـــة ، خـــرجت أجيالا ، مـــن عمالقـــة الفـــن الذين أثـــروا عصر النهضة الأوروبى بكنوز الابداع الرفيع ! وقد عرفت هذه الابداعات فى تاريخ الفن (بمدرسة انتويرب) ، وكان آخر أساطينها هو (بيتر بول روبنز) . وتقع المدينة فى تلك المنطقة من الأراضى المنخفضة فى الشمال الأوروبى ، والتى يطلق عليها الآن اسم بلجيكا ، فقد كانت هولندا وبلجيكا فى تلك الأيام (القرن السادس عشر) ضمن مجموعة أقاليم متفرقة تحت حكم أسبانيا .

التحق الصبى روبنز ـ وهو فى الثالثة عشرة من عمره ـ عام ١٥٩٠ بمراسم الفنانين فى المدينة مبتدئاً مسيرة عشر سنوات حافلة ، قضاها متتلمذاً على يد المشاهير آنذاك ، وتفتحت موهبته وبصيرته ، وأظهر نبوغاً مبكراً جعله محط الأنظار وموضع الرعاية الخاصة من أساتذته الفنانين ، واختلط بالعديد من الشخصيات ذوى الجنسيات المختلفة ، فاكتسب مهارات ومعلومات ولغات كثيرة ، حتى أنه أجاد ـ بجانب لغته الفلمنكية ـ عدة لغات أخرى كالأسبانية والايطالية والانجليزية والفرنسية .

وعندما بلغ الثالثة والعشرين ، قصد ايطاليا لدراسة فنون عصر النهضة ، مبهوراً بعبقرية ليوناردو دافنشى ومايكل أنجلو ورفاييل وغيرهم من الأساطين . وتألق روبنز وذاعت شهرته فى روما وفلورنسا ، ثم قفل راجعاً الى بلدته أنتويرب لتبدأ قصة أمجاده الخالدة .. فقد سبقته اليها شهرته ونبوغه وتفوقه وغزارة علمه واتساع مداركه ! وكان طبيعياً أن تسارع الأميرة (إيزابيلا) وزوجهـــا (ألبرت) ـ وكانا يحكمان أنتويرب ـ إلى تعيينه رسام البلاط ومستشاراً خاصاً لهما

وللفن إيحاءاته وسحره الذى لا يقاوم ! ومراسم الفنانين فى ذلك الوقت كانت هى وكالات الأنباء التى تعلن عن الجمال والفتنة الكامنة خلف الأسوار والأستار فى البيوتات العريقة .. فلا غرو أن تتطلع عيون الحسان إلى أنامل الفنان الملهمة ، وتمثلت روائعه فى مخيلتهن تطوف العواصم العالمية وتزدان بها المتاحف فى أطر من ذهب !

وكم جلست الأميرة إيزابيلا أمام روبنز ليرسمها فى كل الأوضاع ، مما شجع فاتنات الشمال الأوروبى كله لكى يطرقن بابه حباً فى الفن وطمعاً فى الشهرة وأملا فى الخلود ، ولهذا أطلق المؤرخون على فناننا روبنز « أعظم مصورى النساء فى التاريخ » . وفى عام ١٦٠٩ ، سعت إحدى العائلات إلى الفنان لكى يرسم ابنتها الجميلة المدللة ، وكان اسمها (إيزابيلا برانت) .. فتاة رائعة الجمال فى الثامنة عشرة من عمرها ، تتمتع بجاذبية وذكاء نادرين .. وترددت الفاتنة على مرسم الفنان وما هى الا جلسات معدودة ، حتى كانت قد ملأت على الفنان كل حياته .. وكان لابد له من أن يتخذها زوجته وملهمته . ورفع الفنان شعاره الخالد : لتحيا المرأة !

وصارت الزوجة الجميلة نموذجه الرائع ونجمة لوحاته الخالدة .. ومع استقراره الوجدانى ، اكتسبت لوحات الفنان طابعاً رائقاً يزخر بالحيوية والشفافية ! وتألق الفنان هائماً بحب زوجته الفاتنة .. وعمت شهرته أرجاء الأرض ، ويروى لنا التاريخ أنه فى عام ١٦١١ ، رفض أكثر من مائة طلب لرسم كبار الشخصيات فى عصره من رجالات الحكم وسيدات الطبقة الارستقراطية ، ولم يكن ذلك تعالياً أو تمنعاً ، ولكن ، لأن مرسمه كان محجوزاً لعدة أعوام تالية !

وقد عرف عن روبنز أنه كان يستقبل زائريه ، ويستمع إلى شخص يقرأ له شيئاً ويتأمل لوحة لأحد تلامذته ، ويوجـــه انتقادات ونصائح لفنان آخر .. يفعل ذلك كله فى وقت واحد ! فلا عجب أن قال عن نفسه يوماً « من بين الناس جميعاً ، أنا أكثرهم عملا ، وأشدهم معاناة للارهاق ، كما أنى أفوقهم ذكاء واستمتاعاً بالجمال » ! .. وماتت الزوجة الرقيقة الملهمة .. وكان روبنز قد بلغ الثالثة والخمسين من عمره ، ولم يزل قلبه ينبض بالدفء والتفتح على عالم الجمال ، فأحب صبية عمرها ستة عشر عاماً هى (هيلين فورمان) .. وتزوجها .. طفلة ريفية ساذجة .. وكان هذا منطقياً مع نفسية الفنان وحياته ونفوذه وشهرته !

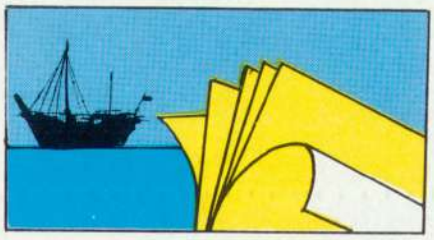
لقد زهد روبنز حياة البلاط والثراء ، ومل المظاهر الارستقراطية المتأنقة ..

وكان لابد له من أن يعود إلى حياة البساطة على سجيتها وطبيعتها الوادعة .. فآثر تلك الطفلة البريئة على فاتنات عصرها .

إنه فنان .. وأى فنان .. أنه رجل الأمجاد والتاريخ .. روبنز !



من روائع روبنز : ايزابيلا (١٦٢٥)



بقلم:
عبد الرحمن المناعي

رحلة الآلام في الدفتر الأصفر!

لن يستطيع أن يعطى زوجته هذه المرة أكثر من « روبية » واحدة ! لقد أخبره كاتب « النوخذه » أن ديونه زادت بحيث تلزمه العمل لثلاثة مواسم قادمة بدون أن يقبض أكثر من روبية واحدة كل سنة !

شد أصابعه حول القطعة النقدية وأقنع نفسه أن روبية واحدة تكفي زوجته لمدة شهرين وربما ثلاثة ، وحمد الله كثيراً على أنه لم ينجب أبناء حتى الآن .

بعد شهر

وُضِعَ فى مقدمة السفينة . والكل ينظر اليه بأسى .

وقف رجل صارم ممسكا بكلتا يديه رأسه ورجل آخر أمامه يقلب مسماراً طويلا بين جمر التنور الملتهب . أخيراً تم كي صدغه ونام الجميع . وظل هو يتألم .. ينظر الى السماء ، وينصت للأمواج .. روبية واحده وها أنا لا أستطيع سدادها ! شهر من البحث الدائم فى أعماق الخليج عن اللؤلؤ ولا شيء ، حتى تقيحت أذناه وقرر النوخذه كيها من جديد حتى يستطيع الغوص مرة أخرى !

بعد شهر

وضع رأسه بين الحبال . أوثق حبل « الحير » فى رجله ، ونظر الى « الديين » المعلة حول رقبته . تحسس تلك البقعة الغائرة من القروح التى بدأت تشوه الجانب الأيمن من وجهه . وترك « الحير » يسحبه غائصا به إلى الأعماق بحثا عن « المحار » . لقد أوشك الموسم على الانتهاء ولا شيء ! حتى وجهه المشوه لم يعد يستدر عطف النوخذه المتجهم ، والذى يزداد توتره بمرور الأيام . لم يعد يفكر وهو يبحث بين الصخور فى غير زوجته والروبية .

بعد شهر

تركته زوجته الحانية يتألم على فراشه وذهبت إلى زوجة النوخذه تستجدى روبية أخرى ، كى تشترى بعض الأعشاب لعلاج قروح زوجها التى استشرت حتى وصلت كتفه الأيمن . أخيراً وبعد مشاورات متجهمة أحيلت المسكينة إلى كاتب النوخذه ليمنحها الروبية ويسجل فى دفتره الأصفر روبية أخرى على حساب زوجها .. حتى الموسم القادم ! !

من قاموس البحر والغوص

● يتعرض الغواص للآلام المبرحة فى أذنيه أثناء الغوص نتيجة دخول الماء فيهما ، وبقائه مدة طويلة فى أعماق البحر . وعملية « الكى » حول الأذن ، مهمتها ايقاف هذا النوع من الآلام الشديدة ، لكنها لا تحول دون خراب الأذن إلى الأبد !

الروبية

●● عملة هندية تعادل الآن ١/٨ دولار أمريكى ولكن قيمتها الشرائية أيام الغوص – أى ما قبل عام ١٩٤٠ – كانت تعادل ٢٥ دولاراً أمريكيا .

النوخذة

●● هو قبطان السفينة ، وربما يكون صاحبها انه شخص ذو دراية بالبحر ومناطق صيد اللؤلؤ . خبير بأنواع اللؤلؤ وأوزانه كذلك عالم بفن الملاحه بواسطة الظواهر الطبيعية وأصل الكلمة فارسيه من شقين « نو » وتعني سفينة « خدا » وتعنى رب أي رب السفينة .

الحير

●● قطعة من الرصاص توضيع برجل الغواص كي تسرع به نحو أعماق البحر .

الديين

●● سلة مصنوعة من الحبال توضع حول رقبة الغواص ليضع بها المحار .

المحار

●● الصدفة التى ينمو بداخلها اللؤلؤ



الــدرعيــة

قصة مدينة بلغت أوج مجدها الإسلامي

بقلم : فـــوزي الخمـــيس

لقطة نادرة لمدينة الدرعية من الجو .. وهى المدينة التى تقع فى المنطقة الوسطى من المملكة العربية السعودية وتلك المنطقة ـ كما نعرف ـ لعبت دورا هاما فى التاريخ العربي قبل الاسلام وبعده



مازالت الحضارات البشرية كامنة فى ربوع المملكة العربية السعودية ، لأن العلم الحديث لم يبدأ بعد فى استنباطها والتعرف على كنهها ، فاذا أضيف الى ذلك ما تكتنفه طيات التاريخ المكتوب من عطاءات حضارية ، قدمتها هذه الأرض إلى العالم ، لوجدنا السبب فى أنها كانت بعد ذلك ، وبمشيئة الله تعالى ، مهداً لأسمى رسالات الهدى والخير لبنى الانسان ..

من هنا ، أسفر البحث العلمى المعاصر على أن عهد الاستقرار البشرى فى الجزيرة العربية ، يعود الى أقدم عصور ما قبل التاريخ ، وأن بوادر المكتشفات الجديدة حول مناطق المستوطنات الحجرية القديمة تؤكد أن بعضها يرجع زمنه إلى حوالى أربعين ألف سنة ، وقد بات يقيناً أن بعض مناطق الجزيرة قد ساهمت مساهمة فعالة فى قيام احدى الحضارات الأولى للانسان ..

وانطلاقاً من أهمية ذلك ، قسم المجلس الأعلى للآثار فى المملكة العربية السعودية مناطق الآثار ، الى ست مناطق : الوسطى ، والشرقية ، والشمالية ، والشمالية الغربية ، والغربية ، والجنوبية الغربية ..

وتختلف الآثار حسب اختلاف المناطق ، وانتشار الحضارات التى سادت ثم بادت ، فمن الثموديين الذين عقروا ناقة الله فى الشمال الغربى من البلاد ، الى اليهود الذين أحرقوا الاخدود فى الجنوب الغربى إلى مناطق عاد فى الربع الخالى ، الى غير ذلك من الشعوب والأقوام والحضارات ..

الا أن أكثر تلك المناطق اهمية هى المنطقة الوسطى من المملكة العربية السعودية ، خاصة تلك الواقعة فى العمق من (وادى حنيفة) وعلى مسافة عشرين كيلومتر من قلب مدينة الرياض ، حيث كان موعدى مع مدينة « الدرعية » التى بلغت أوج مجدها فى عهد الداعية الاسلامى الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمى النجدى





لقطتان .. الأولى لبعض سكان المنطقة الوسطى بملابسهم المتوارثة اثناء الاحتفالات القومية .. واللقطة الأخرى لقصر « المصمك » بالقرب من الدرعية

الـدرعيـة
قصة مدينة بلغت أوج مجدها الإسلامي

أصـل المدينة

ومدينة الدرعية ـ كما نعرف ـ تقع فى المنطقة الوسطى من المملكة ، وهذه المنطقة التى هى نجد تشتمل على : العارض ، والوشم ، سرير ، القصيم ، الخرج ، وادى الدواسر حيث تكثر التلال الشامخة ذات الكهوف والمقابر التى لم يجر التنقيب الا فى موقع واحد منها فقط هو قرية « الفاو » الوسطى .. أى انها تقع فى منطقة لعبت دوراً هاماً فى التاريخ العربى قبل الاسلام وبعده ، فهذه المنطقة هى التى كانت تسمى « اليمامة » والتى كان يمتد نفوذها السياسى الى حدود العراق شمالا واليمن جنوبا ، وكان سكانها قبل الدولة السلفية مجموعة من القبائل أبرزها قبيلة عنزة ، ممن كانوا يزرعون فى حدائق بيوتهم أحراج النخل الواسعة وأشجار الخوخ ، وعرف بها شجر التين أيضاً ، واشتهر سكان هذا المكان بتربية الخيول الأصيلة ذات السلالات العريقة المعروفة جيداً فى انحاء شبه الجزيرة العربية ، ويقول ابن خلدون إن سوقاً كانت تقام للعرب فى ذلك المكان من محرم من كل عام !

الا أنه مع تحول التجارة الأوربية الى رأس الرجاء الصالح وهيمنة الاستعمار الغربى على الخطوط البحرية الاسلامية ، يبدو أن ذلك كان له الأثر فى الناحية الاقتصادية والفكرية فى شبه الجزيرة العربية ..

وقد زارها فى إبان مجدها عام ١٨٠٧ مبعوث من قبل المقيم الانجليزى التجارى فى الخليج ويدعى « مانستى » ، ومر بها « سادلير » الرحالة الانجليزى المبعوث من حكومة الهند الى ابراهيم باشا الذى كان ينسحب من البلاد قبيل عام ١٨٤٠ ، ووصف « سادلير » خراب الدرعية فى مذكراته المشهورة ، وزارها الرحالة المشهور « بالجريف » عام ١٨٦٢ فى الأيام الأخيرة من حياة الامام فيصل بن تركى أيام المرحلة الوهابية الثانية ..

فالدرعية مدينة تاريخية ، بمنطقة العارض من نجد ، نشأت أهميتها فى الدرجة الأولى بسبب موقعها الجغرافى على طريق القوافل ففى عهد الازدهار التجارى كانت تربط البحر الأحمر بالخليج وفى أحسن حالاتها بلغ سكانها ستين ألف نسمة وفى أقل الحالات وصلوا الى ثلاثة وثلاثين ألف !

ويعود السبب فى تسمية « الدرعية » بهذا الاسم الى أن مواطناً من أهل القطيف بالمنطقة الشرقية من المملكة ، ومن ضاحية فيها تسمى الدرعية نسبة الى الدروع ، قام قبل منتصف القرن التاسع الهجرى بزيارة لابن عم له فى « منفوحة » أحدى ضواحى الرياض الآن ، وكان ابن عمه هذا يسمى (ابن درع) وهو زعيم قبيلة الدروع فى منفوحة ، فمنح ابن درع ضيفه وابن عمه قطعتى أرض تبعدان ١٢ فرسخاً عن أراضيه فى أعالى وادى حنيفة ـ أشهر أودية نجد ـ وعندها بدأ الدروع يهاجرون ناحية ابن عمهم ويقطنون الوادى ، ومع تقادم العهد صار المكان يدعى بالدرعية !

ويؤكد المؤرخون أن هذا الضيف الذى وفد على ابن عمه فى منفوحة ، هو « مانع المريدى » ..

وعبر القرون أصبحت الدرعية قاعدة المنطقة ، بل عاصمة الامبراطورية ، تحكم لمدة خمسة وسبعين عاماً ما بين الشام والعراق شمالا ، الى عمق اليمن وعمان جنوباً ، ومن البحر إلى البحر غرباً وشرقا ..

وفى هذه الفترة كانت الدرعية منطلقاً للدعوة السلفية التى نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، واحتضنها الأئمة الأعلام من ال سعود ، ولاقوا فى سبيل نشرها وإظهارها الكثير من العنت والارهاق فاعزهم الله بها ، وكانت لهم الكرة والعاقبة ..

الحركة الاصلاحية

وفى ذات يوم كانت الجزيرة العربية مقسمة الى قبائل تتصارع على الماء والكلأ يسودها قانون الغاب الذى يجيز للقوى أكل الضعيف ، طرقاتها كانت غير آمنة ، ومسالكها محظورة ، فى رمالها يكمن الخوف وفى سفوح جبالها وقممها تفوح رائحة الشر !

وكانت « نجد » مرتعاً خصباً للخرافات ، وذهب فيها المسلمون الى الخزعبلات وعبادة الأموات وتعظيم السادة والكبراء وتقديس بعض الأشجار ، وراح الناس يحجون الى قبر زيد بن الخطاب .. كانت الحياة فيها وقتئذ لا تخرج عن قحط ومتاعب وجراد وغزو وجهل وأطماع



نموذج من طراز البيوت القديمة فى المنطقة الوسطى التى مازالت تحمل طابعها الشبيه بالقلاع .. ومازالت مسكونة إلى الآن !

خارجية ، وحتى المطر – اذا هطل – فانه يؤدى الى فيضانات تجرف البيوت كما حدث فى « العيينة » !

وفى أوج هذا الضياع والقتل فى «نجد» ولد عام ١٧٠٣ ميلادية محمد بن عبد الوهاب فى بلدة العيينة ، وكان أبوه قاضياً وجده قاضياً ، وعلموه فى طفولته أصول الدين ، ووضعوا بين يديه المراجع الدينية والمؤلفات ، فشب متأثراً بابن تيمية ، وحج لمكة المكرمة قبل تمام العشرين ، ودرس فى المدينة المنورة وأراد بعد ذلك أن يسافر الى دمشق ، فمر بالبصرة ومكث فيها فترة واصل بعدها رحلته ، وكاد فى الطريق أن يموت عطشاً لولا عناية الله – فعدل عن زيارة دمشق وعاد الى الاحساء ، ومنها قصد (حريملا) وظل مجاوراً لأبيه القاضى المعزول الى أن توفى والده فبدأ حركته الاصلاحية عندما ذهب الى بلدة العيينة وقابل أميرها عثمان بن معمر بن حمد ..

بدأ محمد بن عبد الوهاب حركتـــــه الاصلاحية بقطع الأشجار المقدسة المنسوبة الى الأولياء ، وهدم القبر الذى يحج إليه الناس ، ونبذ البدع ، فغضب بنو خالد من حاكم العيينة وطلبوا منه تسليمهم محمد بن الوهاب ، لكنه لم يسلمه وخيره بما يراه ، فرأى أن يذهب الى الدرعية فى ١٧٤٥ ميلادية حيث يعيش ويحكم أمراء آل سعود فى قلعة الطريف ، فسكن الشيخ فى ضاحية « البجيرى » وبدأ يدرس ويواصل دعوته ، واستجاب الأمير محمد بن سعود لهذه الدعوة ، واحتضن الشيخ ، وعاهده على السراء والضراء ، ونصرة الدين ، واحياء سنة الرسول الكريم ومن بعده فعل ابنه عبد العزيز الأول فزادت أهمية الدرعية ، مما زاد من غضب الأمراء المجاورين لها وبدأوا فى محاربتها .

وانقلب الوضع تماماً – كما يقـــول المؤرخون – خاصة عندما استنفذ بنو خالد كل جهدهم ، وحاصروا الدرعية وضربوها بقنابل المدافع ، واستمر النضال من أجل هذه الدعوة فى أيام عبد العزيز بن محمد أكثر مما كان فى عهد أبيه ، وكذلك فى عهد سعود بن عبد العزيز بن محمد ، الى أن تم فتح الأماكن المقدسة وسائر بلاد نجد والاحساء ، وأصبحت الدرعية عاصمة دولة كبرى ، يعاكسها الأتراك ، ويتآمر عليها الانجليز ، وينتدبان لها محمد على باشا !



الصيد بالصقور .. من العـــادات المتوارثة بين سكان المنطقة الوسطى



باب خشبى قديم فى المنطقة يتميز بطابعه الشعبى ومتانة أبواب الحصون !

تخليد الآثار والمعالم

وعند مدخل الدرعية استقبلنى رجل قضى بين القصور والنخيل فى الدرعيـة أكثر من سبعين عاماً ، وصحبنى فى جولة بين الأطلال والآثار .. انه على بن عبد الله بن منيع الذى أشار لى نحو المنزل الذى عاش فيه محمد بن عبد الوهاب .. وقال لى! إن هذا المنزل مضى عليه أكثر من مائتى عام ومازال مسكونا ، ولولا الحرج من سكانه لدخلنا اليه وشاهدناه من الداخل بأعيننا !

وفى المدينة العريقة ، عرفت أنه كما كانت الدرعية قاعدة للدولة السعودية الأولى ، كانت أيضـــــاً منطلقــاً للدولة السعودية الثانية ، فمنها انطلق المغفور له جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الى الرياض عام ١٩٠٢ ، ووصلها ومعه ستون رجلا ، وتسلق قصر «المصمك» بعشرة من خاصته ، واقتحمه صباح اليوم الخامس من شوال عام ١٣١٩ هـ ، ودارت المعـــركة بينه وبين « عجلان » عامل بن رشيد على الرياض آنذاك ، وبانتصاره تمت استعادة الرياض ..

والمعـــروف أن قصر « المصـمك » أو « المسمك » الذى يتوسط مدينة الرياض ، أمر بانشائه الامام عبد الله بن فيصل بن تركى قبل أكثر من مائة وعشرين عاماً ..

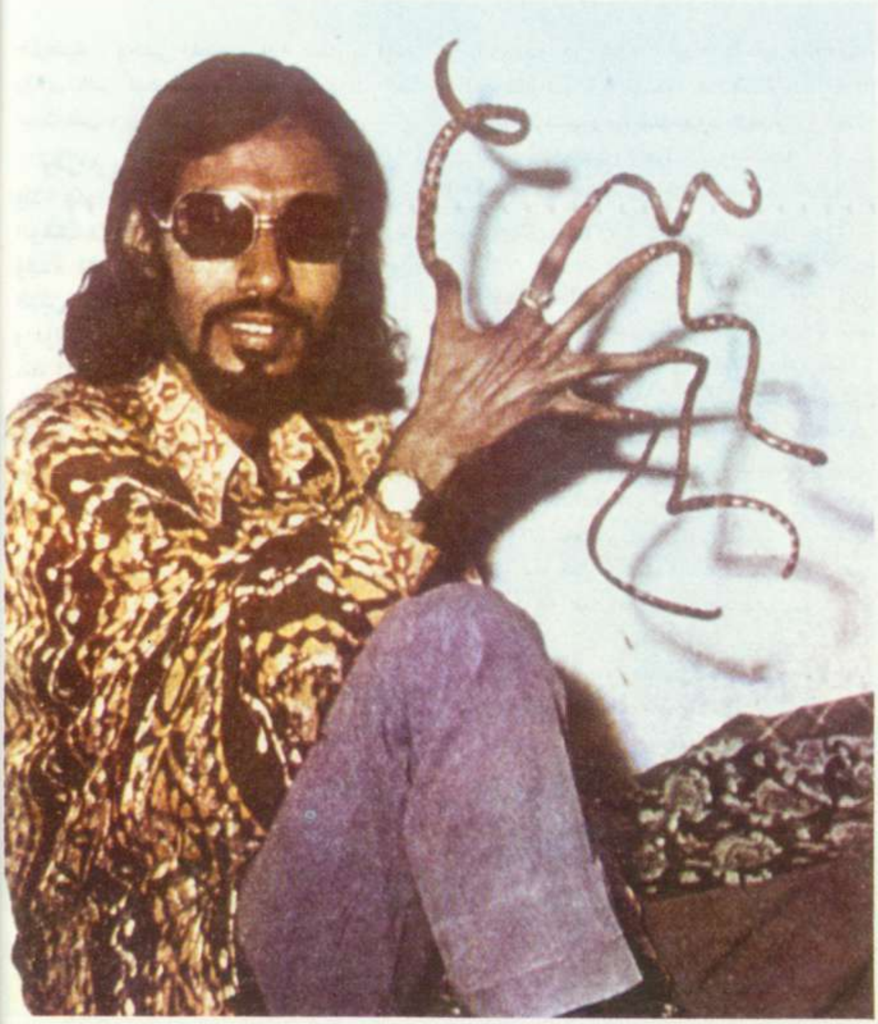
وهذا القصر عبارة عن بناء ضخم شامخ سميك الجدران ، له أربعة أبراج فى جوانبه الأربعة وبرج خامس فى وسط المبنى وله بوابة كبيرة خشبية فى وسطها، الى الأسفل باب صغير يسمى (بالخوخة) .

وللمبنى طابع حربى ، له صفة القلاع والقصور المنيعة المحصنة ، ويعد نموذجاً حياً لهذا النوع من العمارة التى انتشرت فى هذه الفترة من الزمان فى الجزيرة العربية ، فهو يمثل فن العمارة الحربية الاسلامية العربية فى القرن الثالث عشر الهجرى ..

وللعبرة والذكرى ، والمحافظة على آثار الدرعية ومعالمها ، وتمجيداً وتخليداً لذلك المنطلق العملاق الذى ترك فى مسامع الزمن دوياً لا ينفك صداه ، ولا يمحى أثره ، فقد وافقت الحكومة السعودية على مشروع متكامل ، يبرز هذه الآثار ويرمم ما أكل عليه الدهر وشرب ، لتكون منطقة سياحية بارزة بمكتبتها وصالات عرضها ، واستخدام الصوت والضوء بها ، وبحدائقها وفنادقها ، ولعل لنا عودة بعد انتهاء المشروع لنتحدث عنه بافاضة وعمق .

فوزى الخميس

لقطات من الكون المثير



حتى الأظافر لها أرقام قياسية

هي ـ لا شك ـ «تقليعة» تؤخر ولا تقدم ، تؤخر لأنها تعطل يدا عن عمل مفيد ، لكنه فعلها لعلها تضفي شيئا من الاشهرة عليه ، فلقد جلس هذا الرجل المدعو شريدهار شيلال ليعرض ما صارت عليه أظافره بعد أن تركها على حالها منذ عام ١٩٥٢ ، وعندما قيست في العام الماضي ـ تبين أن مجموع أطوال أظافره مجتمعة على اليد اليسرى قد بلغ مترين ونصفا ، أو بالتحديد ٢٥٤ سنتيمترا ، وكان أطولها ظفر الابهام ، إذ وصل طوله ٦٣,٥ سنتيمتر ، وبهذا فقد حقق رقما قياسيا جديدا ، وما أغرب المفارقات ، مفارقات البشر .

لاجديد تحت الشمس

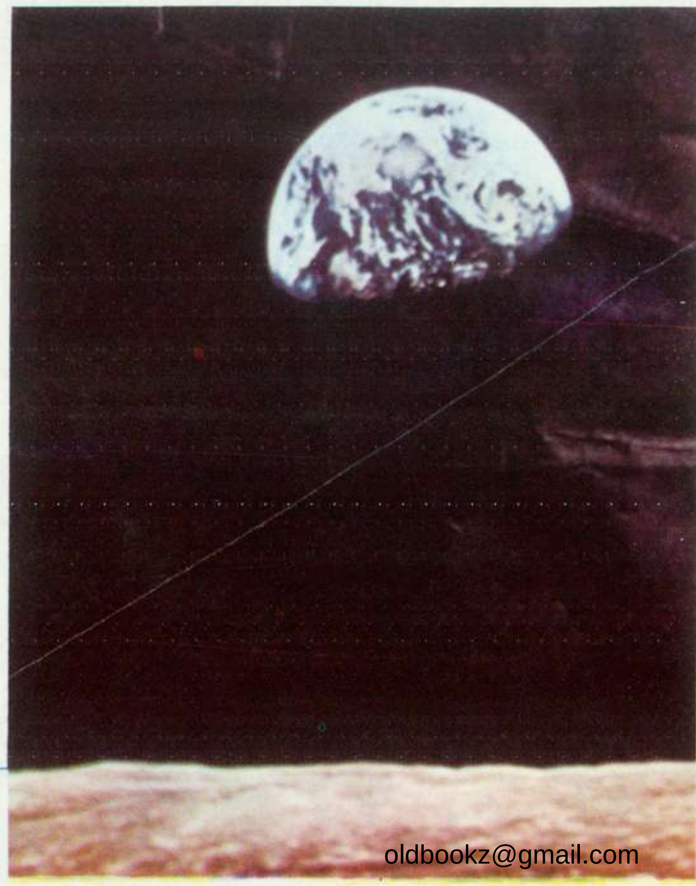


الطبيعة تزخر بكل الافكار التى قد تطرأ أو لاتطرأ على عقل بشر ، وفى الصورة واحدة من هذه الافكار التى ظهرت قبل ظهور الانسان بعشرات الملايين من السنين وفيها نرى تكوينا حيا من نبات متسلق والتكوين يشبه الزنبرك أو الياى ، الذى ينفرد وينضغط حسب الشدة والضغط ، وتستخدمه النباتات ذات السيقان الضعيفة « بمثابة عكاز » لتتسلق به على النباتات العالية كى تحصل على نصيبها من ضوء الشمس اللازم لها فى عملية تكوين الغذاء ، وكلما ارتفع النبات الضعيف ، تكونت له « يايات » جديدة ، لتشبك وتشد وترتفع ، وفى الوقت ذاته تنفرد اذا تعرض النبات الضعيف لرياح عاتية ، وكأنما فكرة اليايات المعدنية قد اشتقت من الفكرة النباتية ، فهذه لينه مع النبات ، وتلك لينة تحت وطأة الصدمات ، وكأنما الطبيعة هى المرجع الاساسى لكل اختراع بشرى ، وما أكثر ما يخفى على الحس والسمع والبصر والفؤاد .



قــرود آخــر الزمــان

اسمها كوكو .. نوعها غوريلا ، من فصيلة القردة العليا، أما استاذتها التي تشرف على تعليمها فاسمها فرانسين باترسون بجامعة ستانفورد الأمريكية ، ولقد جلست كوكو على كرسي كاية سيدة غير ثرثارة (وحمداً لله أنها لم تكن كذلك)، وأمامها لوحة بها أزرار متصلة بحاسب اليكتروني ، فاذا داست كوكو على أي زرار، انطلقت كلمة مسموعة ، ولكل كلمة اشارة خاصة على الزرار ، وبالتكرار تتعلم كوكو ، لأن التكرار أيضاً يعلم الحمار – على حسب المثل الشائع ، فما بالك بالغوريلا التي هي بلا شك أذكى كثيراً من الحمار ... المهم أن كوكو قد استوعبت فى ذاكرتها ٣٧٥ اشارة ، ولهذا تستطيع أن تتفاهم مع استاذتها بلغة الاشارات ، وتستحسن السجع فى الكلمات ، وعندما تغضب ، تشتم أيضا بلغة الاشارات ، إلا أن هذا موضوع طويل قد نتناوله فى دراسة مستقلة على صفحات هذه المجلة ، ولكن يكفي أن نقول إن كوكو وأمثالها قد بدأت تتعلم اشارات العقل الاليكتروني ، ولا يزال فى الناس أمة جاهلة .



ونحــن أيضــاً فــي السمــاء

لو انك صعدت من الأرض الى القمر – كما فعل رواد الفضاء ، ثم نظرت الى الأرض من هناك ، فلن تجدها تحتك ، بل بالتأكيد تراها معلقة فوق رأسك فى السماء ، مثلها فى ذلك كمثل ، أى كوكب من الكواكب التى نراها فوقنا وهى تدور فى مدارات ، والصورة التى تراها ليست لواحدة من الكواكب السيارة ، بل هى صورة حقيقية للأرض ، وكما التقطها الواقف على سطح القمر ، فكل من فى الكون يرى غيره فى السماء ، إذ ليست هناك أرض وسماء بالمعنى الذى وقر فى العقول ، بل ان كل شىء نسبى ، وذلك يتوقف على موقعك فى هذا الفراغ الكونى الجبار ، فكما نرى نحن أى جرم معلق فى السماء ، كذلك يرى غيرنا (لو كانوا هناك) أرضنا بمثابة بقعة ضئيلة سابحة أيضاً فوقهم فى السماء .. صدق هذا أو لا تصدق ، فليس من رأى ، كمن لا يرى ، ومن علم ، كمن لم يعلم « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .



كتاب الشهر

قبيلة كرة القدم

الفريق الايطالى ملقى على الارض ، يقبل بعضه البعض عقب فوزه على فريق المانيا الغربية فى مدريد ، بثلاثة أهداف ضـــد هـــدف واحد



عرض وتلخيص:
مجدي نصيف



فريق البرازيل اثناء تسديده ضربة الجزاء الشهيرة ضد فريق ايطاليا فى مباريات كاس العالم

أخرجت المطابع البريطانية عدداً كبيراً من الكتب هذا العام ، عن كرة القدم ، وتناقش هذه الكتب التى تطبع لمشجعي الكرة بالآلاف ، العديد من القضايا ، من بينها تاريخ كرة القدم ، وتاريخ كأس العالم ثم أشهر اللاعبين وغير هذا مما يهم المشجعين .

لكن لعل أهم وألطف هذه الكتب ، هو كتاب « قبيلة كرة القدم » بقلم ديزموند موريس والذى وصلت عدد صفحاته الى ثلاثمائة من الحجم الكبير .

وهو يقدم تحليلا عميقاً رائعاً لسوسيولوجية هذه اللعبة ، من خلال كتابته عن اللاعبين والمديرين والحكام والمشجعين واللعبة نفسها بقوانينها وعاداتها واحتفالاتها . إن الكاتب ينظر إلى اللعبة ، كاحدى نواتج « الجنس البشري » الذى قدمه من قبل فى كتابه الرائع « القرد العاري » . والكتاب الدراسة يشمل الى جانب التحليل العميق الجديد ، اكثر من ٦٠٠ صورة ملونة والعديد من الرسومات التوضيحية .

تقول الاحصائيات إن حوالي الف مليون من بني البشر قد التفوا حول أجهزة التليفزيون فى جميع أنحاء العالم لمشاهدة المباريات النهائية فى كأس العالم . وهذا يعني أن ربع سكان كرتنا الأرضية قد تركوا كل شيء ليتفرغوا لمشاهدة الكرة .

لمـــــاذا ؟

يقول ديزموند موريس فى كتابه إن « الحيوان البشري » فصيلة غير عادية . فمن بين كل الأحداث فى التاريخ البشري ، فان الحدث الوحيد الذى يجتذب أكبر عدد من الناس ، ليس حدثاً سياسياً كبيراً ، أو احتفالا خاصاً ببعض الانجازات الهامة فى الفنون أو العلوم . انه لعبة كرة بسيطة اسمها « كرة القدم » . لقد قالت الاحصائيات إن ربع سكان العالم قد ركزوا انتباههم فى المباريات النهائية على رقعة

كتاب الشهر

قبيلة كرة القدم

صغيرة من العشب ، حيث يتبادل اثنان وعشرون شخصاً ضرب كرة فى كثير من الجهد والتركيز .

وإذا كان هناك سفينة فضاء ، بها رواد فضائيون من كوكب آخر ، يراقبون هذا الحدث ، فكيف سيفسرون ذلك ؟ ماذا سيسجلون فى يوميات سفينتهم عن كوكب الأرض وسكانه ؟ هل سيكتبون أن هذه رقصة مثيرة ؟ أم معركة تقليدية بين مجموعتين من الناس ؟ أم هو احتفال شعبى

على أي الأحوال فانه إذا أثار هذا الحدث فضولهم ، فسيقومون بعملية مسح شاملة للمدن البشرية فى أنحاء العالم . وسيكتشفون بسرعة أن كل مستوطنة كبيرة قد شيدت بناية كبيرة . بفجوة خضراء فى وسطها ، يتقاذف عليها عدد من الرجال ، كرة ، ويمكن مراقبتهم فى فترات منتظمة يلجأون الى هذا التجويف الأخضر . واضح أن لتقاذف الكرة بعض المغزى لدى الجنس البشرى ، هاجس فريد لا يشاركه فيه أي من مئات الآلاف الاخرى من أشكال الكائنات الأخرى الموجودة على كوكب الأرض .

ستكون المشكلة الكبرى لهؤلاء الغرباء من الفضاء ، هي اكتشاف دور هذا النشاط الغريب ، لماذا يقوم به الآلاف من الناس ، ولماذا يشاهدهم الملايين يقومون به ؟ وما الاشباع الذى يمكن أن يأتي به ؟ تبدو المسألة وكأنها ليست أكثر من لعبة أطفال ، متعة غير ضارة تحصل عليها من إدراك انك « تركل » ذلك الشيء المستدير ، فتنتج حركة مذهلة أكثر بكثير مما ينتجه ضرب أي شيء آخر .

هذا هو ما وضعه المؤلف ديزموند موريس فى اعتباره ، بعدما قرر أن يقوم ببحثه الخاص فى هذا المجال . وسرعان ما اتضح له بأن كل مركز من النشاط الرياضى ، كل ناد لكرة القدم ، منظم كقبيلة صغيرة كاملة بمنطقة قبلية ، رجال القبيلة الكبار ، والحكماء ، والأبطال ، والتابعين ، وغيرهم من رجالات القبيلة . « حين دخول أرضهم احسست كأنني من أوائل المكتشفين لأرض بدائية ، لم أفهم كثيراً من صرخاتهم المدوية أو عروضهم الملونة ، أو عصبياتهم البدائية ، أو تقاليدهم المهووسة . بدا لي أن أفضل سبيل هو التصرف كأنني حقيقة عالم انثروبولوجيا ، يقوم بدراسة ميدانية محايدة لـ « قبيلة كرة القدم » .

الأصول القبلية

توجد جذور « قبيلة كرة القدم » فى ماضينا البدائي ، حين عاش أسلافنا القدامى وماتوا كصيادين للحيوانات البرية وينتمي معظم تاريخ الانسان التطوري — تقريباً — لفترة الصيد تلك ، حين كانت ملاحقة الفريسة ، ليست رياضة ، وإنما مسألة حياة أو موت . لقد شكلتنا هذه الفترة ، وجعلتنا وراثياً ، ما نحن عليه الآن ، وغيرتنا تغييراً جذرياً وحتى نكون صيادين مهرة ، كان علينا أن نكتسب مجموعة كاملة من الصفات العقلية والجثمانية .

هكذا أصبح أسلافنا الصيادون القدامى أكثر رياضة تدريجياً ، وأكثر ذكاء فى نفس الوقت . وباستخدام هذه المزايا ، والعمل معاً كفريق ، أصبح بقدرتهم التخطيط لاستراتيجيات : اختراع التكتيك ، والمخاطرة ، ونصب الشباك ، وأخيراً التصويب للاصابة فى مقتل . هنا ، لابد وأن نقر بذلك ، يبدون وكأنهم نواة مثالية لفريق كرة قدم . وفي اعتقاد المؤلف أن هذا ليس مصادفة .

كيف تم الانتقال من قاتلي فرائس الى مسجلي أهداف.؟

الجواب فى كلمة واحدة : الزراعة .

فبعد أكثر من مليون عام من الصيد ، والتقاط الفواكه والثمر ، اكتشفت البشرية أن من الأكفأ والأفضل ، إمساك الفريسة ، واحتواءها ، واستئناسها ، وتربيتها ، وأن تبذر محاصيل خاصة بدلا من البحث عن الفواكه والحبوب البرية . وقبل عشرة آلاف سنة ، استقر أسلافنا — الصيادون الشجعان — على أن يصبحوا مزارعين مسئولين . كان العائد كبيراً ، وكان الطعام قد أصبح متوفراً ، حتى لقد أمكن تخزينه ليتوفر فائض كبير ، .. لكن ، كانت هناك خسائر أيضاً . فقد جاءت هذه « الثورة » بسرعة كبيرة ، فلم تلائم الحياة الأهدأ نفسيات الصيادين القدامى . كنا لانزال بحاجة لتحدى المطاردة ، والتحركات التكتيكية المثيرة ، ومواجهة الأخطار ، والمخاطرة ، ثم الوصول الى الذروة الكبرى .. بالقتل . وكان هذا شيئاً عجزت المزارعة الروتينية عن تزويدها .

كان الحل من السهولة بمكان : أن نحافظ على المطاردة المثيرة ، بعد أن توقفت أن تكون مسألة حياة أو موت . وكانت لاتزال هناك أراضي الصيد لمن يأخذها ، إذ لم يكن



الجماهير فى مباراة أسبانيا والمانيا الغربية

العالم قد ازدحم بعد بسكانه . وهكذا استمر الصيد ، لا كوسيلة للبقاء ، بل للترفيه . ودخلت البشرية بذلك عصر «الرياضات الدموية» .

عصر الرياضة

وبعد « الثورة الزراعية » جاء انفجار المدن . ظهرت مدن كبرى مزدحمة ، فلم يعد هناك مكان لرياضة الميدان ، ولا أمل فى الاستمتاع ببهجة الصيد . هنا توصل الرومان القدماء الى حل للمشكلة بطريقة كانت مهمة جداً لتطور « قبيلة كرة القدم » فيما بعد ، لقد اضطلعوا بالمهمة العصيبة ببناء حلبة ضخمة ، اسمها الكولوسيوم ، وبهذا اتوا بالصيد الى الناس ، بدلا ان يخرج الناس للصيد ...... واستمرت هذه « المذابح » فى تلك الرياضة الدموية لحوالي خمسمائة عام ، حتى الغيت فى النهاية . خلال تلك الفترة ، شيدت أكثر من ٧٠ حلبة مماثلة فى المناطق الرومانية ، ورغم أن أحداً منها لم يكن يكبر «الكولوسيوم» الأصلي . ولقد كانت هذه البناية الضخمة تسع لجمهور يتراوح عدده ما بين ٤٥ ألف متفرج ، أي ما يوازي عدد المتفرجين فى اية مباراة كرة قدم كبرى اليوم . لكن الفارق أن مساحة الحلبة كانت أصغر من مساحة ملعب كرة القدم ، حتى يكون تاثير الذبح مباشراً .

لكن رغم الغـاء هذه الرياضة الدموية ، ظل العديد من تراث هذه المؤسسة الرومانية ، وابرزها مصارعة الثيران ، التى بعد أن اكتسبت شعبية من الألعاب الأولمبية ، لاتزال الآن تعيش فى شكل حلبات مصارعة الثيران فى أسبانيا وغيرها . وهذا هو ما تبقى فقط من رياضات حلبات الدم القديمة .

التراث الثالث ، كان مطاردة الحيوانات بكلاب ضارية اطلق عليها اسم «كلاب الصيد» ، وخاصة مطاردة الثيران ، التى هى اكثر شراسة من مصارعتها ، حيث يطارد الحيوان المنكوب بالكلاب ، للترفيه . وقد انتشرت هذه الرياضة فى انحاء أوربا فى العصور الوسطى ، واستمرت فى انجلترا حتى أوائل القرن التاسع عشر .

وانتهت رياضات الدم بافول القرن التاسع عشر ، وبدأت «جمعيات الرفق بالحيوان» فى الظهور . وتوافق أفول هذه الأنواع من الرياضة ، مع اتجاه اجتماعى جديد ، حركة الجماهير الواسعة من الحقول الى المصانع حين تعاظمت «الثورة الصناعية» . لكن تالف هذين الاتجاهين أدى الى خلق فراغ كبير فى ترفيه قطاعات عديدة من سكان المدن ، من كاسبى الأجور العاديين . لذا تهيا الجو لحقبة جديدة فى «عمليات صيد» مشابهة . كانت صيغة جديدة من الرياضة على وشك الانفجار فى العالم كله : رياضة الحلبة الخالية من الحيوانات ومن الدماء ، ألعاب الكرة .

لم تكن ألعاب الكرة جديدة . كلا ، إذ تواجدت فى أيام الرومان واليونانيين ، وإن لم تؤخذ «بجدية» . صحيح أنها قد اعطيت دفعة الى الأمام حين تبنى «الاسكندر الاكبر» ألعاب الكرة ، إذ كان سريع العدو ، يفضل الالعاب الجسمانية ، إلا انه اضطر للتخلى عن الجرى ، لأن منافسيه كانوا ينافقونه فيسمحون له دائماً بالفوز . لكنه حين اتجه الى رمى الكرة كشكل من اشكال التمرينات الرياضية ، قلدوه بسرعة . وقبل مرور فترة طويلة ، شيدت ملاعب الكرة أولا فى اليونان ثم بعد ذلك فى روما . بل ولقد دفئت احدى ساحات الكرة هذه ، بتدفئة تحت أرضيتها ، لاستخدامها فى الشتاء . وانه لمن العار أن نرى الآن ، بعد مرور ألفى عام ، أن بعض مباريات كرة القدم تلغى فى الشتاء بسبب الملاعب المتجمدة فى أوربا .

صادف القدماء مشكلة تكنيكية واحدة ، إلا وهي انتاج الكرة المستديرة تماماً . كانت الكرات خفيفة الوزن ، مصنوعة من مثانات الثيران أو الخنازير ، تنفخ بالهواء ، قبل اللعب ، لكنها كانت سريعة الانفجار . أما الكرات الأثقل وزنـاً ، فكانت تصنع باستخدام حشو من الريش أو الشعر . لكن أياً من هذين النوعين من الكرات لم يكن مناسباً للألعاب السريعة ، وربما كان هذا هو السبب وراء بقاء ألعاب الكرة القديمة شكلا من الالعاب غير الرسمية ، ولا تنافس عليها . شيئاً كالعاب «الرمى» التى نراها على شواطىء المصايف .

وقد ذكر بعض الكتاب ان اللعبة القديمة التى يطلق عليها اسم ببسكورس ، تبدو وكأنها «أم» ألعاب كرة القدم الحالية . لكن خبراء الكرة يرفضون هذه الفكرة ، وثبت بالفعل أنها من نمط آخر . وبالفعل ، فلأنها لعبة لا تنافس فيها ، لم تجذب كثيراً من المشاهدين ، وعلى النقيض ، فان الملعب الذى كانت تجرى فيه سباق عربات الخيول كان يضم احيانا ما يقرب من ربع مليون متفرج ، اكثر بكثير مما يتسع له اكبر ملاعب كرة القدم الحديثة .

فى القرون التى تلت ، ظلت ألعاب الكرة العاباً خشنة ، غير رسمية ، قليلة الأهمية بدون تنظيم . لكنها لم تمت أبداً ، وكأنها ظلت كامنة تنتظر الانطلاق . وبتدهور حال الرياضات الدموية ، ثم اندثارها ، جاءت اللحظة الحاسمة للانطلاق ..

المدارس الانجليزية العامة ، بدأت تحت الشعار المشهور «العقل السليم فى الجسم السليم» وأدرجت ضمن ألعاب المدرسة الرياضية .

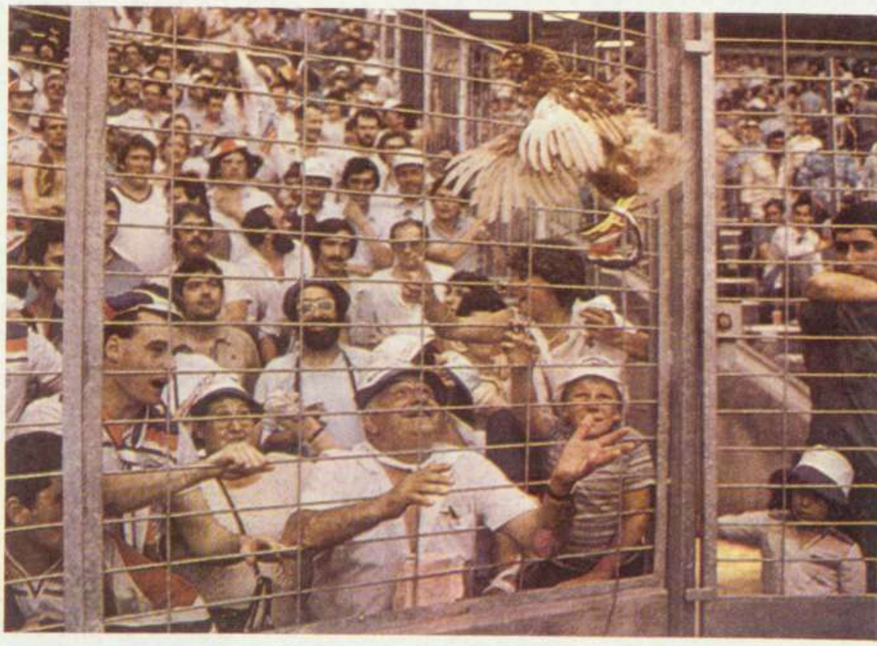
أما فى مدرسة رجبى ومدارس أخرى . فقد تطورت اللعبة الى شكل آخر أصبح



حماس الجماهير فى مباراة الجزائر والمانيا الغربية







الجماهير الغفيرة تحمل أعلام بلادها

علم الجزائر وخلفه الجماهير المتحمسة .. ولقطة اخرى للجمـــــاهير فى مباراة فرنســـــا وانجلترا

كتاب الشهر

قبيلة كرة القدم

فيه إمساك الكرة باليد أهم من ضربها ، وتطورت هذه الكرة الى «الرجبى» . وأصبحت هاتان هما اللعبتان الرسميتان فى نفس الوقت تقريباً . وسرعان ما ظهرت «مؤسسة كرة القدم» فى عام ١٨٦٣ ، و «اتحاد الرجبى» عام ١٨٧١ .

وفى بلاد اخرى تطورت العاب مختلفة . فى ايرلندا نمت شعبية لعبة مشتقة من «الرجبى» و «كرة القدم» ، وتسمى «كرة الجيليه» . وفى استراليا تطورت لعبة كرة قدم من هذا النوع فى الولايات المتحدة الأمريكية ، لكن تحت تاثير لعبة الكرة التى كان يمارسها الكنديون فى مونتريال ، تحول الامريكيون من ضرب الكرة الى امساكها ، أي لعبة « اهرب بالكرة » ، وفي عام ١٨٧٤ ولدت كرة القدم الأمريكية . وبمرور الوقت اختلفت قليلا عن كرة القدم الكندية ، حتى أصبحتا الآن لعبتين مختلفتين تماما رغم انهما مشتقتان من « الرجبي » .

لكن كرة القدم المعاصرة اخذت تشق طريقها لتصبح الأكثر شعبية وإثـــــارة ، وأصبحت هي الرياضة الأولى فى جميع دول العالم ، قبل الرياضات الاخرى وقبل أنواع ألعاب الكرة الأخرى أيضاً .

كاس العالم

ثم يستطرد المؤلف فى الحديث عن نشاة كرة القدم وتطورها ، فيقول ان كاس العالم ، اقترح عام ١٩٠٤ عندما تاسس «الاتحاد الدولى لكرة القدم» وحيث اتحادات الكرة البريطانية تشكيل الاتحاد الذى يتبنى كرة القدم فى جميع انحاء العالم ، بعد ان ظهرت فى بريطانيا فى البداية ، وإن ظلت الهيئات البريطانية لكرة القدم هى مصدر قوانين الكرة وتشريعاتها .

لكن كان لابد وان تتدخل السياسة فى

كاس العالم النهائية هذه اسم «موقعة برن» وهى العاصمة التى أقيمت فيها المباريات .

واستضافت الارجنتين مباريات كأس العالم ١٩٧٨ ، وانتقد هذا بشدة بواسطة تنظيمات حقوق الانسان فى العـــالم وبذلت محاولات عدة لمقاطعة الدورة ، بسبب ممارسات النظام الأرجنتينى من إلقاء القبض على الآلاف من المعارضين ، وتدبير عمليات أغتيال ، واختفاء اطفال السياسيين .

ولكن كأس العالم ١٩٨٢ ، مر بدون عواصف سياسية مماثلة

... وسوق مالى

هكذا أصبحت «كرة القدم» أكثر الألعاب شعبية على الاطلاق ، وفى كل بلد من بلاد العالم . وتحولت اللعبة لتصبح «صناعة» ضخمة متشعبة بالمفهوم الحديث ، تحولت الى «سوق مالى» بالمعنى العلمى للكلمة ، سوق به آلاف اللاعبين وآلاف الحكام ومئات النوادى والمديرين ، وتحول اللاعبون الى نجوم مثل نجوم السينما والفن ، تستخدمهم الشركات التجارية فى الاعلان عن بضائعها . واخذت النوادى تشترى لاعبين بمبالغ خيالية تصل إلى المليون جنيه استرلينى ، بل وكادت تقترب من المليونين ، وتطورت المضاربات على اللاعبين والفرق ، ونشأت صناعات متفرعة لمشجعى الكرة ومجانين اللعبة . آلاف الكراسات التى تلصق بها صور اللاعبين ، وشارات الفرق واعلامهـا ونجومها ، وكرات اللعب ، والتذكارات المختلفة .

لقد وصل دخل دييجو مارادونا اللاعب الأرجنتينى الساحر (٢١ عاماً) بعد ذهابه ليلعب لفريقه فى مدريد الى أكثر من نصف مليـــون جنيـــه استرليني ، وحصـــل كل لاعب فى الفريق البرازيلى على ٤٠ الفاً ، أما الفريق الألمانى الغربى فحصل على ٢٦ الف جنيه ، وقال بعض النقاد إن كارل هاينز رومينيجه اللاعب الأوربى لهذا العام حصل على ٣٠٠ الف جنيه استرلينى اما اللاعب الايطالى والاسبانى ، فقد وصل ما حصل عليه الى ثلاثين الفاً .

رغم كل هذا تظل لعبة كرة القدم هى الأكثر شعبية وإثارة ، ويظل كأس العالم ضرورياً للعبة أكثر من أى وقت مضى .

مجدى نصيف



الكرة وكاس العالم . فسرعان ما جاءت الحرب العالمية الأولى ، وبعد انتهائها رفض البريطانيـــون والفرنســـيون والبلجيكيون واللوكمسبورجيون لعب اى مباريات ضد المانيا وحلفائها السابقين . لكن اللعب عاد مرة اخرى عام ١٩٢٤ . وفى عام ١٩٣٠ اتخذ قرار بان يقام كاس العالم فى أوراجواى ، وبعد ذلك كل اربع سنوات . لكن الأوربيين غضبوا بسبب منح بلد متخلف مثل أوراجواى شرف اقامة البطولة الدولية على أرضه ، فلم يعبر الأطلنطى غير أربع فرق ، وكان مستوى اللعب بائساً والتحكيم سيئاً ، ووصل التعصب الأعمى للفرق الى حد فظيع . وأنذاك هزمت أوراجواى الأرجنتين ، مما قلـــب مونت فيديو العاصمة الى ساحة معارك بين الجمهورين ، وهاجم الأرجنتينيون سفارة أوراجواى ببوينس إيريس .

واقيم كاس العالم عام ١٩٣٤ فى ايطاليا فقاطعه فريق أوراجواى بسبب تكبر الفرق الأوربية عام ١٩٣٠ . لكن ساحة الألعاب تحولت الى استعراض فاشى بواسطة موسولينى ، ولعبت قطعانه دوراً رئيسياً وارهابياً فى انتصار الفريق الايطالى على تشيكوسلوفاكيا . وتوقفت مباريات «كاس العالم» بطبيعة الحال أثناء الحرب ، وعندما استؤنفت بعد ذلك خلت ـ الى حد ما ـ من المعارك السياسيـــة ، وإن لم تخـــل من تعصب المتفرجين . ففى عام ١٩٥٤ حدث شجار فى سويسرا بين فريقى المجر والبرازيل ، وتبادل اللاعبون اللكمات والضرب ، وعندما طرد بعضهم ، استانفوا الشجار فى غرف الملابس بعد المباريات . حتى لقد أطلقت الصحف على مباريات

الصمت

شعر : عزيزة هارون



فى الصمت أعرف البعد الذى جرَّحني
وأعرف القيد الذى طوَّقني
وأعرف البراءة العتيقهْ
فى الصمت يخضلُّ المدى فى عالمي
وألمس الغلالةَ الرقيقهْ
وأدرك الحقيقهْ
أنا التى جنيْت
ما زال فى يدى يلمع حدُّ السيف
بريقه يخطف من عينيَّ
أحلى نجمةٍ
يريد أن يزرعني فى هوة عميقهْ
لا يا بريقَ السيف
لست أنا
فالقدرُ المصلوبُ فى أعماقيَ الطليقهْ
هو الذى جنى
وانني كما ترى شاعرة رقيقهْ
أرتِّل الدعاءَ فى المساء
وأرسل الصلاهْ
عميقةً عميقهْ
يا سيفيَ الذى هوَى بين يديّ
وراح يمسح الدجى عن مقلتيّ
تستطيع أن تقتل فيَّ كلَّ شيء
عدا براءتي
فانها براءة غنية عريقهْ

مناجاة
للإنسان الفلسطيني الجديد

شعر: محمد الظاهر - الأردن

(١)

تعلمتُ أن آكل الآن خبزيَ وحدي
وأن أشربَ الآن كاسي وحدي
وأن أحرسَ الآن عينيكِ وحدي
لأن انتظارَ التّحول
في غابةٍ من مرايا التّرَدّدِ
فاتحةٌ للتّردي

(٢)

دمي يقرأُ الآنَ كلَّ الوجوهِ
ويرتدُّ للبحرِ لحظةَ بدءِ الحصارِ
ليحملَ عِبْءَ التحدّي
وكلُّ الرفاقِ القُدامَى
يُغطّونَ مثلَ البُثورِ الصديئةِ جِلْدِي

(٣)

من الحربِ للبيتِ عادوا
هو البيتُ أصغرُ من شَرْنَقَةْ
وما بينَنا وطنٌ لا يعادُ
وحلمٌ جميلٌ على مشنقَةْ

(٤)

سانزلُ للبحرِ
يملكني البحرُ
أصبحُ للبحرِ مرآتَهُ
فتلقي إليَّ المدائنُ هاماتِها
والطيورُ مناقيرَها
ثم ينكسرُ الموجُ
لا ،
لن أقولَ لهذي البنادقِ كوني معي أوْ عَلَيَّ
سأتي بثوبٍ من الماءِ والريحِ
والغيمِ والبرقِ
أتى الى الشرقِ
فالشرقُ يَغْلي مِنَ القاعِ
والشرقُ مهما ابْتَلَتْهُ المذابحُ
أو حاصَرَتْهُ اللوائحُ
لا يستريحْ

(٥)

عليَّ إذنْ أن أكونَ معَ الموجِ
أول فوجٍ
يقدّم قربانَهُ
وَيُلقى على راحَتَيْه باحزانِهِ
ثمَّ أمتدُّ للشرقِ
أخرجُ من جثّتي الأسلِحَةْ
وأخرجُ كلَّ الجماجِمْ
ليعرفَ كلُّ الذين يجيئونَ مِنْ بَعْدُ
أنّا ابْتُلينا
وأنّا نجاوز أحزانَنَا بالتّخطّي
ونخرجُ
مثلَ العماليقِ
صاعدةً من دخانِ البنادقِ
هابطةً من حبالِ المشانقِ
نبكي قليلاً على الشهداءِ
ونلْتَفُّ مِثْلَ السّوارِ على الابرياءِ
ونمتدُّ للشرقِ
فالشرقُ يغلي من القاعِ
والشرقُ مهما ابتلَتْهُ المذابحُ
أو حاصرته اللوائحُ
لا يستريحْ

(٦)

سانزل للبحرِ
يَملِكُني البحرُ
أصبحُ للبحرِ مرآتَهُ
وأمتدُّ للشرقِ
يَملكني الشرقُ
أصبِحُ للشرقِ عاداته والبِشارَهْ
أؤذن في الناسِ
ياتي اليَّ المحبّونَ من كل فجٍّ عميقْ
فأبقى
وتَبقى
ونَبْقى
وتبقى المسيرةُ
تبقَى الطريقْ

حياة محفوفة بالمخاطر:
إمّا الصدر.. وإمّا القبر!

بقلم: فتحي رضوان

● ● هذه هى الحلقة الثانية فى دراسة الأستاذ فتحي رضوان عن عبد العزيز جاويش ، صاحب العمامة الثائرة والمثيرة .. وفى هذه الحلقة يكشف الكاتب صفحة جريئة من كفاح الشيخ جاويش من أجل الاسلام والعروبة ! ● ●

التقى محمد فريد مع عبد العزيز جاويش سنة ١٩٠٥ ، لا فى اجتماع سياسى ، ولا فى ساحة محكمة تنظر قضية عامة ، بل فى تونس ، أى خارج مصر ، وفى مؤتمر علمى منعقد فى هذه العاصمة العربية ، يحضره مستشرقون ، ومن ثم فلا يجب أن نمر على هذه الواقعة الخطيرة ، مرور الكرام ، بل علينا أن نقف أمامها ، ونطيل الوقوف إذا استطعنا .

ففي تلك الحقبة التى مرت فيها سنة ١٩٠٥ ، لم يكن ثمة علاقة على أية صورة أو بأي مستوى بين المصريين وبين الاقليم العربي تونس ، إذ أن دولة تونس وقعت فريسة للاحتلال الفرنسي سنة ١٨٨١ ، قبل احتلال مصر بسنة واحدة ، ثم اسدلت فرنسا ستاراً من حديد بين تونس والعالم العربي كله ، بحيث لم يعد ممكناً لمصري أو لسوري أو لعراقي أن يدخل تونس إلا من وراء ظهر سلطات الاحتلال الفرنسي ، أو لمهمة عابرة وقصيرة ثم لا تتكرر ، وأصبح العرب جميعاً لا يدرون ماذا يجرى فى تونس ، فلا انباء هذا الاقليم تصل إليهم ، ولا صحفهم تقع في أيديهم ، كذلك لا تصل اخبار العالم العربي كله إلى التونسيين ، ولا يقراون صحفهم ولا كتبهم .

وكان من اندر المستحيلات أن يفكر مصري في زيارة تونس – وربما – ولا زيارة اي اقليم عربي آخر إلا أن يكون الحجاز ، والحجاز وحده لأنه موطن الأماكن المقدسة : اي بيت الله (الكعبة المشرفة) فى مكة ومثوى رسول الله في المدينة (ص)

ولكن كان المصريون – أي كبارهم من الباشوات ، والبكوات – وعظماؤهم المسئولون من الوزراء والأمراء ، يزورون أوربا عامة ، وفرنسا وبريطانيا خاصة ، ثم استانبول عاصمة دولة الخلافة – قبل الاحتلال – ، اما العالم العربي وبلدانه وعواصمه ، وعالم المسلمين الفسيح المترامي الآفاق ، فلا يخطر على بال احد من أهل مصر.وحين يفكر محمد فريد – وقد كان فى سنة ١٩٠٥ قاضياً ثم محامياً ونائباً لرئيس الحزب الوطني – في أن يسافر إلى تونس أولا ، وليحضر فيها مؤتمراً للمستشرقين ثانياً ، فهذا مسلك دلالاته لا تنتهي . وأولى هذه الدلالات أنه مع كونه رجل قانون ثم رجل سياسة ، فهو مشغول بهموم الفكر ، حتى ليدفع من جيبه نفقات الرحلة إلى تونس ، ثم الاقامة فيها أياماً وليالي ، ليسمع ما يقول الأجانب العلماء في لغتنا ، وأدبنا ، وتراثنا .

وهو ما يقطع بأن الحزب الوطني الأول الذي أنشيء فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٠٧ ، كان درباً جديداً من دروب العمل السياسي فى مصر ، وأن قادته ليسوا مجرد ساسة ، بل إنه كان فوق ذلك ، حركة فكرية .

وقد تم اللقاء فى هذا الجو الفكري ، بين عبد العزيز جاويش الموظف فى وزارة التعليم في مصر ، وبين محمد فريد الزعيم الوطني الشاب ، الذي كان أنذاك فى السابعة والثلاثين من عمره .

ولأن الثاني كان شديد الشغف بكل قيمة عظيمة أو بارعة فى حياة وطنه ، فقد استوقفه هذا المعلم الشاب ، الجميل الطلعة ، الوسيم الوجه ، المليء بالحيوية والنشاط ، الذي امتلأ عقله فى الوقت نفسه بالعلم ، وامتلأت نفسه بالتوق إلى المعرفة . وعرض الثاني على الأول أن يترك وظيفته ، وأن يلحق بركب المجاهدين الوطنيين ، الذي يتزعمه ويشق له الطريق مصطفى



عبد العزيز جاويش .. صفحة جريئة من الكفاح من أجل الاسلام والعروبة

كامل .

ولم يتردد الرجل في أن يقبل العرض ، وسافر مع محمد فريد إلى لندن حيث قابلا معاً مصطفى كامـــل .

رئيس تحرير اللواء

انعقدت الصلة بين الشابين ، فلما توفى مصطفى كامل في العاشر من فبراير ١٩٠٨ ، قدم استقالته ، وتولى رئاسة تحرير جريدة «اللواء» اليومية ، التى كان مصطفى قد أصدرها في الثالث من يناير سنة ١٩٠٠ أي قبل سبع سنوات .

وقد وصفت الظروف السياسية التى سادت مصر في تلك الفترة فقلت :

الحق إن عبد العزيز جاويش رجل فكر ، خلق ليعلم الناس ، ويأخذ بايديهم في رفق الأبوة وحنو المرشدين ، وليناقش الصعب من مشكلات العلم ، في أناة وصبر ، وسيلته الحجة ، وكسب عقول . ولكنه نزل – كما سنرى – إلى حلبة السياسة ، فلبس دروعها ، وامتشق سيوفها ، واصطنع أساليبها ، وخاض معامعها ، وقد اختار أن يكون قائداً من قوادها ، في فترة من الزمن ، اشتد فيها أوار النزاع السياسي في مصر ، وتعدد معسكراته ، وأصبحت معاركه معارك حياة أو موت ، وكان الاحتلال البريطاني أكبر الأطراف ، وأشدها قوة ، وأعظمها مراناً على القتال ، وأوفرها مالا ، وأوسعها حيلة .

وكانت (السراي) الملكية وصاحبها (الخديو عباس حلمي) طرفاً ثانياً في هذا الصراع ، وكان بدوره داهية من دهاة السياسة ، زاده صبراً على القتال ، واحتمالا لشدائده .. شبابه ، فقد كان دون العشرين حينما ولى سدة الملك ، وأما عن طموحه .. فقد كان أضيق ما يكون صدراً بوجود الاحتلال البريطاني الذي يشاركه السلطان ، بل الذي يبعده عن هذا السلطان ، ويحدد نطاق ممارسته له ، وانتفاعه منه ، وكان ماضي جده (محمد علي) يبعثه على عقد الآمال على أكثر من قوة ، منظورة ومجهولة ، تعينه على استعادة هذا المجد .

أما الطرف الثالث ، فقد كان الشعب ، الذي صدمته كارثة الاحتلال البريطاني ، بعد فشل الثورة العرابية ، بعد فترة قصيرة من بدايتها ، لم تزد عن العام . ولم يكن الاحتلال البريطاني مجرد غاز اقتحم على المصريين دورهم ، بل كان نقلة هائلة من مجتمع شرقي – كل موارده الثقافية عربية أو اسلامية – إلى مجتمع غربي حديث اقتصر احتكاكه على أبناء الشرق القريب ، وبدرجة أقل بكثير – بابناء الغرب القريب ، فقد اندحر الاحتلال الفرنسي سريعاً ، دون أن يخرج أحداً من منهجه القديم ، أو أسلوب معاشه المألوف ، أو نظام تفكيره الموروث ، في حين كان الاحتلال البريطاني غزوة أجنبية استقرت وطالت ، وصورة جديدة للادارة ، ومجموعة غير مألوفة من الأفكار والمعتقدات والوسائل ، في شئون الدنيا ، وأساليب الحياة اليومية ، ومناهج الحكم . لذلك انكمش وانطوى على نفسه فترة غير قصيرة ، ولكن الشعب بعد أن زالت الصدمة .. بدأ يعيد تنظيم صفوفه ، ويسترد ثقته بنفسه ، ويستانف هجومه ، وكان القدر قد أعد عبد العزيز جاويـــش ، ليكتمل شبابه في الوقت الذي عاد فيه الشعب الى ميدان القتال .

تولى الشيخ الفتى رئاسة التحرير ، فكتب في ٣ من مايو ، مقاله السياسي الأول ، ليستفتح به كفاحه الطويل الشاق ، الذي كان أشبه بقرع الطبول الذي يسبق

حيـاة محفوفـة بالمخـاطـر:

إمّا الصدر.. وإمّا القبر!

المعركة . قال :

« بعونك اللهم قد استدبرت حياة زادها الجبن ، وخور العزيمة ، ومطيتها الدهان والتلبيس ، في أسواقها تشتري نفيسات النفوس ، بزيوف الفلوس ، وتباع الذمم والسرائر ، بالابتسام وهز الرءوس ، وبيمينك اللهم استقبل فاتحة حياتي الجديدة ، حياة الصراحة فى القول ، حياة الجهر بالرأي ، وحياة الارشاد العام ، حياة الاستماتة فى سبيل الدفاع عن البلاد العزيزة ، أستقبل هذه الحياة بعد أن قضيت فى سابقتها ثماني حجج ، بلغت فيها ذلك المنصب الذي كنت فيه بين محسود عليه ، ومرجو فيه . أستقبل هذه الحياة المحفوفة بالمخاطر ، منبريا في ميدانها ، فاما الى الصدر ، وإما الى القبر.»

ولا أخال القاريء الكريم ، إلا مقدراً خطر الخطوة التى أقدم عليها في ذلك الزمان ، الذي كانت السلطة فيه ، ولاسيما سلطة الاحتلال مخوفة بسلاحها ، وهيمنتها ، وبخضوع كبار الموظفين ــ وفي مقدمتهم الوزراء ــ لها وانصياعهم لأوامرها ، وتهافتهم على طاعتها وإرضائها . والذي كانت فيه الحركة الوطنية فى أولى خطاها ، لم ينتبه أكثر الشعب لها ، ولم يعرف كيف يبذل لها العون ، فهذا أمر يحتاج الى الدربة والتجربة ، وقيام الأجهزة والمنظمات ، مع ضيق أسباب الرزق ، وضعف مركز المهن الحرة التى لا تعتمد على إيراد الحكومة ، كالمحاماة والصحافة والطب .

هذا كله إلى جانب أن عبد العزيز جاويش ، كان شيخاً معمماً ، وكان المجتمع لا يرحب كثيراً بالمعممين فى صفوف العاملين في المهن غير الحكومية ، وإن كان يحتملهم على مضض فى وظائف حكومية بذاتها كالتدريس ، وتدريس اللغة العربية على وجه الخصوص ، والقضاء الشرعي ، وإمامة المساجد .

هذا كله إلى جانب فقر الشيخ ، الذي سيضاعف من مخاطر هذه الخطوة ، ولكن جاويش اقدم على دوره الجديد ، راضياً سعيداً ، متهيئاً للنزال ، تعززه ثقة بالنفس وإيمان بالجهاد الذي بداه ، فقد كان دخول الشيخ ، بدء فصل من فصول التاريخ الوطني ، كان هو بطل أبطاله ، وقد كان فصلا حافلا بالحركة والقتال ، واختفى فيه ما كان قد ران على الشعور فى مصر من التحفظ والاحتياط ، اتقاء لشر الاحتلال ،

أو طمعاً فى خيراته ، وبدت فيه مصر على حقيقتها ، شجاعة مؤمنة صابرة ، تبدأ خطاها وئيدة ، ثم يتسع مداها ، في سرعة واندفاع ، كما يبدأ صوتها خافتاً ثم يأخذ في العلو والارتفاع ، ويتوالى خروج الأبطال من أبنائها ، مستشهدين ، وكتاباً ثائرين ، وشعراء مبدعين ومجددين ، لا في ميدان القول وحده ، بل في أساليب النضال وإثارة الجموع وتاهبها .

عن مذبحة الانجليز

ماكاد الشيخ يمسك قلمه كرئيس تحرير لجريدة اللواء ، حتى خاض أولى معاركه ، وكانت معركة مدوية ، إذ كتب في الخامس من مايو سنة ١٩٠٨ ، عن المذبحة التى أدارها الانجليز فى منطقة (الكاملين) بالسودان ، والتى خرج لها زعيم هذه الناحية (عبد القادر إمام) يدعي النبوة ، فالتف حوله لفيف من انصاره ، فاوفدت الحكومة السودانية عدداً من الجنود ،

برئاسة ضابط بريطاني ، يساعده ضابط مصري ، فاباد (عبد القادر إمام) هذه القوة عن آخرها ، فارسلت الحكومة قوة أكبر ،

بقيادة ضابط أعلى رتبة ، ودارت المعركة بين الطرفين ، وجرح خلالها ضابطان بريطانيان ، وقتل فيها ضابطان مصريان ،

وجنود كثيرون ، ثم تمكنت حكومة السودان آخر الأمر من إلقاء القبض على مدعي النبوة عبد القادر إمام ، ثم قدمته وقدمت أعوانه إلى محاكمة عسكرية مستعجلة ،

واتصل بعلم الشيخ أن المحكمة حكمت على سبعين من انصار زعيم الفتنة بالمــوت شنقاً ، فثارت ثائرته ، وتذكر حادثة دنشواي ، ورأى حادثة (الكاملين) أمعن فى الظلم ، ثم أردف المقال الأول مقالا فى الحادي عشر من نفس الشهر ، ثم عززهما بثالث في السادس والعشرين ، ثم بمقال

آخر فى السادس من يونية ، ونفد صبر الحكومة ، وضاق صدر النواب المستعمرين فى مجلس العموم البريطاني ، وهــؤلاء لايطيقون أن تمس إدارة بريطانية استعمارية فى أية مستعمرة ، لشدة تعصبهم العنصري ، ولامتلائهم بالتعالي والغطرسة ، والاعتقاد بانهم سادة العالم ، وأن العالم كله ، وعلى وجه خاص أهل أفريقيا وآسيا ، عبيدهم الذين لا يؤذن لهم باحتجاج أو اعتراض ، فقدم أحد النواب وهو (أشلي) سؤالا لوزير المستعمرات ، عما إذا كانت الحكومة المصرية لا تنوي محاكمة الشيخ ، وكان هذا السؤال تحضيراً مباشراً لمحاكمته فعلا ، فساقته النيابة العمومية إلى محكمة جنح عابدين ، فى الثامن من يونية سنة ١٩٠٨ ، ولم تكن هذه المحاكمة ، سوى مناسبة لاشعال الشعور الوطني ، ووضع اللبنة الأولى فى بناء شخصية الشيخ عبد العزيز جاويش ، كبطل وطني ، وقائد سياسي ، فقد شغلت الرأي العام ، وراحت محور أحاديث الناس فى بيوتهم ، وفي محافلهم وانديتهم ، فلما ذهب الى المحكمة ، كانت دار المحكمة وما حولها ، ملتقى المئات من المواطنين . فلما قضت المحكمة ببراءة الشيخ من تهمة نشره خبراً كاذباً ، دوى التصفيق وعلا الهتاف ، وكأنه دوي قنبلة انفجرت ، وخرج الشيخ ومن حوله المعجبون ، والأنصار ، يتدافعون ، وإن كانت المحكمة قد حكمت عليه بغرامة قدرها عشرون جنيهاً بتهمة إهانته لوزارة الحربية .

واستانـف الشيـخ حــكم الغــرامــة ، واستانفت النيابة حكم البراءة ، فكانت القضية الاستئنافية جولة ثانية من جولات العمل الوطني . احتفلت الجماهير بالقضية وحضرت جموعها الجلسة ، واحتشدت مئات أخرى خارج الجلسة ، وظفرت البلاد بيوم كان عيداً من أعيادها لأن المحكمة الاستئنافية برأت الشيخ من التهمتين ، ولا تسل عن حماسة الناس والشيخ منصرف من المحكمة ، ولا عن تدافعها وتزاحمها بالمناكب ، وعن النساء فى الشرفات والنوافذ ، وعن العَدْوِ وراء الشيخ وتواثبهم حوله . وألهم الحكم شعراء مصر وفي مقدمتهم حافظ ابراهيم ،ومحمد إمام العبد ، وأحمد نسيم ، قصائد عصماء ،

نشرت فى صحف الجرائد اليومية ، وتداولتها الألسن ، وحفظها محبو الأدب والشعر ، وقد جرى مطلع قصيدة احمد نسيم هكذا :

أجمعــوا كيــدهم فــرد إليهـــم
طاعنــاً فى النحـــور والأكبــاد
زعمـــوا انهـــم اصـــابوا ولـــكن
ربـــك اللـــه كان بالمرصـــاد
فكفى الخـــزى فوقـــهم من دثـــار
لبســـوه كانـــهم في حـــداد

ولم يجد الشيخ فرصة ليلتقط انفاسه ، فقد خاض المعركة التالية في ميدان من احب الميادين إلى قلبه ، واكثرها قرباً من تخصصه ، الا وهو التعليم . وكانت مناسبة هذه المعركة أن المستشار سعد زغلول اختير من بين مستشاري محكمة الاستئناف ليكون وزيراً للمعارف فى ٢٨ من اكتوبر سنة ١٩٠٦ ، فرحب بهذا الاختيار مصطفى كامل واثنى عليه ، وعلى مواهبه التي كانت معروفة عند جميع المشتغلين بالشئون العامة ، والحق أن سعد زغلول كان جديراً بتهنئة وثقة مصطفى كامـل ، وسائر الوطنيين ، فقد كان محامياً عرف بحسن السمعة ، وقوة الحجة ، والكفاية العظيمة ، ولكن لم يلبث الخلاف ان دب بين سعد الوزير والحزب الوطني ، وجريدة الحزب « اللواء » التى يرأس تحريرهـــا الشيخ جاويش .

وقد وقعت امور اغضبت اللواء ورئيس تحريره من سعد ، من ذلك ان سعداً ماكاد يلي وزارة المعارف ، حتى استقال من عضوية اللجنة المشكلة لانشاء الجامعة الاهلية ، معتذراً بان أعماله ومشاغله الوزارية تحول بينه وبين استمراره في عضوية هذه اللجنة ، فتضايق الوطنيون كثيراً بان يجد سعد المستشار بمحكمة الاستئناف وقتاً ينفقه في عضوية اللجنة الساعية إلى إنشاء الجامعة ، ويضيق وقت وجهد سعد وزير المعارف عن المساهمة فى هذه اللجنة ، التي هي ادخل في عمله كوزير للتعليم منها فى عمله كمستشار يفصل فى قضايا الناس . واتبع سعد هذه الاستقالة بخطبة القاها فى الجمعية العمومية في ٣ مارس سنة ١٩٠٧ برر فيها إلزام الطلاب المصريين بتعلم جميع العلوم بالانجليزية ، وقد جاء في هذه الخطبة ما نصـــه :

« إن مركز الأمة بين الامم الأخرى ، واختلاطها بالاجانب ، واشتباك المصالح الأجنبية بالمصالح الوطنية ، كل ذلك اوجب أن يكون تعلم العلوم باللغة الأجنبية ، لكي يتقوى الطلاب فيها ، كما ينبغي ، وعليهم أن يستفيدوا من المدنية الأوربية ويفيدوا بلادهم بها ، ويقووا على الدخول مع الأجانب فى معترك هذه الحياة ـ حياة العلم والعمل » .

وساق سعد حجة اخرى خلاصتها ان عدم تعلم التلاميذ المصريين ، العلوم المختلفة باللغة الانجليزية يقعدهم عن شغل وظائف مصلحة الجمارك والبريد والمحاكم المختلطة ، وترك هذه الوظائف للمتمصرين .

وقد اغضب هذا التصريح الوطنيين ، واثار نقمة الشيخ جاويش ، فحمل على سعد ، في عدد من المقالات المتتابعة عنونها جميعاً بعنوان واحد : « ظلمـــوك يا ســعد » .

وقد تابع قراء «اللواء» هذه الحملة باعتبارها معركة من معارك الوطنية ، واستدار الشيخ جاويش ليواجه زعيماً آخر من زعماء مصر ، طَالَ عُمْرُه ، وعرف فى السنوات الأخيرة من عمره بأنه «أستاذ الجيل» ونعني به الأستاذ أحمد لطفي السيد ، مدير الجامعة المصرية ، ثم رئيس المجمع اللغوي ، وقد بدأت حملة الشيخ جاويش على أحمد لطفي السيد بتصريح أدلى به أحمد شوقي أمير الشعراء ، وشاعر الأمير ، وقد كان مقرباً إلى الخديو عباس ، وواحداً من أهم بطانته ، وقد قال الشاعر في هذا التصريح : إن الخديو لا يمكنه أن يمنح الشعب دستوراً بغير موافقة الانجليز . فقد كان طلب المصريين للدستور وإلحاحهم على الخديو لمنحه ، قد اشتد فى تلك الأيام ، فأراد أحمد شوقي أن يلتمس العذر لأميره بانه غير متقاعس عن تلبية المطلب الوطني ، بل هو ممنوع من إجابته بسلطة الانجليز ، وتبع ذلك أن صرح المعتمد البريطاني وممثل الاحتلال بان بريطانيا لن تمنح مصر دستوراً ، وأنه لا يغير من موقف بريطانيا أن يكون السلطان عبد الحميد سلطان تركيا ، قد منح الأتراك دستوراً فى سنة ١٩٠٨ ، وهي السنة التى صدر فيها تصريح أحمد شوقي وكانت ثالثة الأثـافي أن خطب اللورد كرومر فى لندن بعد عزله من عمله فى مصر ، في أعقاب حادثة دنشواي ، فحمل على المصريين ، فقال: إنهم لا يستحقون دستوراً ، فهم لا يهتمون بانتخابات المجلس التشريعي ذى الاختصاصات المحدودة آنذاك ، ولا يتعلم أولادهم . فحمل الشيخ جاويش على هؤلاء الثلاثة حملة شعواء ، وأدخل فى حملته أعضاء مجلس الشورى الذين يمالئون سلطة الاحتلال ، ويؤيدون مواقف الحكومة ، فاذا بصحيفة (الجريدة) لسان حال حزب معتدل قليل الشأن شعبياً ، تدافع عن هؤلاء الأعضاء بمقالات كتبها رئيس تحرير (الجريدة) الأستاذ أحمد لطفي السيد ، فرد الشيخ جاويش له الصاع صاعين ، وذكره بموقفه كمحام في قضية دنشواى ، وبعجزه عن أداء واجبه فى تلك القضية ، ودار بين الطرفين نقاش جديد ، أصلى فيه الشيخ خصمه الرصين ناراً حامية ، إلا أن المعركة الكبرى ، جاءت بعد ذلك ، وكان مدارها حرية الصحافة .

وحرية الصحافة موضوع جدير بأن تشتعل له دماء الشيخ جاويش ، ويحمي له قلمه ، وقد غضب الشيخ وغضب معه الشعب ، لأن اللورد كرومر بعد أن كان يرخي الحبل للصحافة المصرية فى عهد مصطفى كامل ، ظناً منه بأن الحركة الوطنية لا تزيد عن مقال يكتبه مصطفى كامل ، فيقرؤه المصريون ويعجبون به ، وخطبة يلقيها فى مصر أو فى الخارج ، فيتسامعون بها ، ويحفظونها أو يحفظون بعضها ، وكان ظنه أن المصريين لا يحفلون بالعمل الوطني ، ولا يتجاوزون حد التأييد السلبي ، تأييد اللسان ، فلما مرت الأيام ، ووقعت حادثة دنشواي في ١٣ من يونية ١٩٠٠ ، انفعل بها المصريون أشد الانفعال ، فلما مات مصطفى كامل خرجت مصر عن بكرة أبيها تشيـع جثمانه ، فهال الانجليز هذا الانفجار الذى لم يخطر لهم على بال ، ثم قتل رئيس الوزراء (بطرس غالي) ، وفي ديوان الحكومة برصاص شاب وطني ، وأظهر المصريون من العطف على هذا الشـاب وتغنـوا باســمه في أزجــالهم ومواويلهم ، مما أصاب بريطانيا بالجزع ، ثم بدا أن الشعب عرف طريقه الى المقاومة الفعلية ، فعدلت قوانين الصحـــــافة ، لتكممها ، فكانت المعركة التى خاضها الشيخ عبد العزيز جاويش والتى سنحدثك عنها وعما تلاها فى الحلقة التالية من هذا الحديث باذن اللـــه .

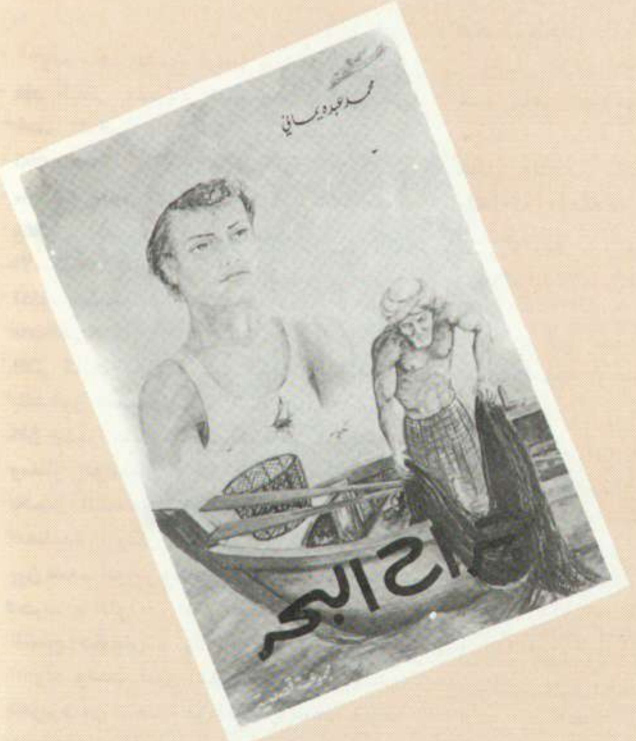
فتحي رضوان

جراح البحر

مجموعة قصصية جديدة

للدكتور: محمد عبده يماني

تقديم وتحليل: أحمد العناني





د. محمد عبده يماني

قلت وأنا اتناول بسرور هذه الهدية المشكورة: «عمل آخر من الوزير الأديب» لا جرم سوف يدون إسمان متميزان فى تاريخ الأدب السعودى المعاصر، الشاعر المبدع الدكتور غازي القصيبي، والقاص الأديب الدكتور محمد عبده يماني. ومن رأي أرسطو فى كتابه عن الشعر أن القصة والأدب التمثيلي هما أيضاً من فنون الشعر وتفاريعه، ففيهما ما فيه من مادة الوصف والخيال، وهكذا يرفع الرجلان قدر الرسالة الأدبية، وكلاهما وزير مسئول، فلا يطرحها فى الظل إن كانت أعباء العمل مما ينوء بالكاهل الضخم.

ربما لم يمض الآن غير سنة أو يزيد قليلا على تقديمي فى هذه المجلة آخر مجموعات الدكتور اليماني ، وهذه الآن المجموعة التى سميت باسم أكبر وآخر قصة بها ، وهي « جراح البحر »،وقد ضم إليها أربع قصص تعد أقاصيص إذا ما قيست حجماً بجراح البحر ، وهي على الترتيب : أريده حباً ، ومولوي ، وكريستينا، والزهور الزرقاء ..

وقد استهل الدكتور اليماني المجموعة الجديدة بمقدمة تكاد تبلغ الخمس صفحات ما كان له أن يريد بها بطبيعة الحال تقديم دراسة أو منهج للقصة ، لكنه ، من طرف خفي ، يريد بها أن يقدم رداً مدروساً هو مجمل دفاعه حيال بعض ما قاله الناقدون هنا وهناك في شأن القصة السعودية الحديثة عموماً ، وفي شأنه هو بخاصة ، وأحب أن أترك الحديث في شأن هذه المقدمة إلى ما بعد عرض القصص الخمس جميعاً ، إذا أعانت فسحة هذا المقال على ذلك .

باديء ذي بدء

وقبل كل شيء أود أن يعرف القراء أنني لا أرجم بالغيب ولا أنطلق من إلمام سطحي بهذه المجموعة القصصية ، لقد قرأت كل كلمة فيها ، وفي هذه الحقيقة منطويان اثنان هما :

أولا : إن كل ما تُستطاع قراءته كلمة فكلمة هو أدب حي ، وذلك ليس رأيي ، ولكنه رأي الناقد البريطاني الذائع الصيت "أبر كرومبي" الذي يرى أنك حين ترفع رأسك متعباً أو متردداً أو متسائلا وتحس أنك لا تريد أن تقرأ المزيد ، فإن الذي تقرؤه ليس أدباً .

ثانياً : أن رأيي الذي ساورده وأكثره مما يسر وأقله المكروه المر ليس صادراً عن ارتجال ، ولا عن مقدمات ناقصة ، لكنه حصيلة قراءة ودراسة وتفكر ...

أريده حباً

القصة الأولى سعودية لحماً ودماً ، وعظماً وعصباً ، ولكنها والحق يقال سعودية حضرية ، وكذلك أغلب قصص الدكتور يماني ، وأحسبني لا أجانب الحقيقة لو قلت إن الدكتور اليماني كان يتمنى فسحة من الوقت والعمل ليحيا أيضاً فى بوادي السعودية وأقاليمها البعيدة عن المراكز الحضرية نظير الحياة والتجارب التي أعطته هذه الرؤية العميقة فى المدينة السعودية حيث هو مكي المولد والمنشا ، وحيث قصصه تعكس عمق اتصاله بالحياة التجارية وحياة الوظيفة والدائرة الحكومية ، وحياة البعثات والدارسين فى خارج البلاد ، فضلا عن الانطباعات العميقة الباقية في صميم وجدان مرهف لحياة «الحي» وحياة «الزقاق» ، وهي حياة أعرفها أنا فى صميم الخليل والقدس – فك الله أسارهما وكشف الغمة عنهما – وهي نفس الحياة فى «الزنقة» والزقاق المغربي ، والحي المصري والتونسي ، بل وفي كل جزء أصيل من العالم الاسلامي الذي يشكل أوسع وأعظم وحدة ثقافية عرفتها الدنيا ..

القصة هنا باختصار قصة زوجة شابة اختار لها المؤلف اسم عفاف ولزوجها اسم ماجد ... يتوفى زوجها فيدع لها مجموعة من الأولاد ، وتسمع الأرملة الصغيرة تداعي والدتها وإخوانها للوقوف إلى جانبها فى محنتها ، لكن الأيام وما تفعله بالعواطف والعزائم لا تلبث أن تضع الأرملة الصغيرة فى مواجهة قدرها الشاق فتلجأ للاتصال بصديق لزوجها يعمل مديراً لاحدى المؤسسات الكبرى ليتوسط لها فى تحسين راتب زوجها التقاعدي لتستطيع النهوض بمسئولياتها ، ويتطور هذا التصرف البسيط الذي تبرره إلى جانب السبب المكشوف المباشر مبررات أخرى في اللاوعي ، إلى أن ينتهي بزواج الشيخ زكي من الأرملة عفاف ، بعد أن تعلق الأولاد به وأحسوا بعطفه ورعايته وإيناسه ، لكن الأرملة الصغيرة كانت تنطوي على هم كبير « هل كان زواج الرجل منها حباً في شخصها ، أم اشفاقاً عليها وعلى أولادها ؟ » ويكبر هذا الهم في الصدر إلى أن يوشك أن يحطم ذلك الزواج .. لولا أن الأولاد وجدتهم انحازوا فى آخر لحظة للشيخ زكي ، وفي لحظة عاطفية ومض في فؤاد السيدة الحزينة خاطر منوِّر مغزاه حب الرجل إياها حباً حقيقياً بغض النظر عن بره بأولادها ، وعند ذلك يثوب إليها رشدها .. فتصالح زوجها وينتهي الإشكال وتنتهي معـــه القصـــة ...

يبدع الدكتور اليماني إبداعاً لا مراء فيه إذ يصف حياة الزقاق وروح البر والتعاون الطوعي والتراحم الاسلامي داخل الحواري وهي أمور بدأت تحولات حياتنا الحديثة مع الأسف تطوى أعلامها البيضاء ... كما أن تصويره للأشخاص الرئيسيين فى القصة: عفاف ، والشيخ زكي ووالدة عفاف وأخوها الدكتور حسن، يتم كله بريشة أصيلة فى رسم الشخصيات المتحركة الصادقة التمثيل والتعبير عن واقع الحياة السعودية. وإنما المثالية عند الدكتور يماني في الحلول السلمية وجو الأمان والحنان ، ولقد أذكر أننا باستثناء موقف بطل القصة الأخيرة حسونة فى «جراح البحر» لا نجد أي موقف متشدد لا يخضع لحلول الإسماح والارضاء فى سائر هذه المجموعة الجديدة .

مولوي

قصة مولوي تبدأ من واقع تتميز به أرض الحجاز التى تهفو لها قلوب الملايين من العالم الاسلامي ، فالبطل أصلا ولد باكستاني تركه أبوه في رعاية رجل طيب بمكة هو العم يوسف بعد أن كان اصطحبه معه في رحلة الحج قاصداً محاولة تركه هناك عساه بذلك ينشيء صلة تخفف عن الولد وعن نفســه وأسرته بعض أوصاب حياة الفقر التي يحياها ...

نشأ الولد الباكستاني في رعاية الوجيه

جراح البحر

مجموعة قصصية جديدة





المكي نشاة رائعة فتعلم وتفقه وتادب وظلت له صلة باهله في باكستان وإن وهنت ككل شيء مع الأيام ، ولكن تدخل الدكتور حسن ابن الوجيه يوسف في حياة الفتى أفسدها ، فقد راح يحدثه فى العلوم السياسية ، وفي المقولات المرفوضة في البلاد رفضاً تاماً .. ومع أن مولوي ضاق ذرعاً بما كان يسمع من الدكتور حسن إلا انه شيئاً فشيئاً بدأ يتذوق ما يسمع ويفهمه ويتحمس له ... ، ومع ان الدكتور حسن ما كان يقصد من مولوى أكثر من مجـــرد التفقه في الآراء والمذاهب السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، والقدرة بالتالي على رؤية الفرق بين النظريات المثالية الحالمة ، وحقائق الحياة الماثلة إلا أن مولوي أخذ الأمر مأخذاً آخر ، وراح يسعى لتطبيق ما سمعه من نظريات متفجرة ، وراح ينشيء الخلايا ويتحدث وإياهم فيما لا تقبله الدولة ، وعيون الأمن الساهرة تراقبه وهو غافل يرفض نصيحة الشيخ يوسف والدكتور حسن إلى أن وقع المحظور واعتقل مولوي باخطر التهم جميعاً ...

وواضح تماماً هذه الرؤية من الجانب الأعلى لمشكلة كبرى في العالم الاسلامي كله تهزه الآن هزاً عنيفاً وتجعل من القرن الخامس عشر للهجرة قرن العواصف والسحب والثلوج والصقيع والأهوال . هذه هي مشكلة المباديء السليمة التى لا تجد لها على أرض الواقع تصديقاً يرفدها بحال من الأحوال .. وفيما يرى العقلاء أن العبرة هي بالأعمال ، ومتابعة الاستطاعة دون أوهام الرومنسية والمثالية وأحلام اليقظة ، ترى الفئات الناقمة والراديكالية السيئة الحظ أموراً مختلفة جداً ...

على اننا مع كل حبنا للدكتور اليماني ولصفائه وحسن نواياه نود أن نعرب عن حقنا الصريح في المخالفة عن وجهة نظره حيال صلاحيات الأمن وجدواه فى وقف الفكر المتمرد ... فالفكرة الخاطئة لا تصدها غير الفكرة السليمة ، وبذلك قضت إرادة الله سبحانه وتعالى ونحن نؤمن من أن فئة مؤمنة بالله حائزة على ثقة الناس بصدقها وكفاحها وريادتها فى الحق واحتمالها لظلم الظالمين وتحامل الملاحدة والمغرضين ، قادرة بالاسلام وحده أن ترد اية فكرة ملحدة على أعقابها بشرط أن تتحلى بمثل اخلاق المهاجرين والأنصار ، وأن تقتدي بقدوتنا صلى الله عليه وسلم فى بطولته وزهده وحلمه وصدق وحسن صلته بالله تعالى ونحن نكره التفريق بين المسلمين ولا نحصر الفضيلة في فئة دون أخرى ، وربما نصر الله بالأقوياء من المسلمين اكثر مما ينصر بالمشوشين ، فلو طرحنا الكراهية ، ونبذنا التفرق وأشعنا المحبة بين المسلمين وأعلنا التقوى وحدها أساساً للتفاضل والتمييز ، فاننا ندخل وضعاً أكرم وأسلم عاقبة فى الدنيا والآخرة .

كريستينـــا

أعتقد بأن الدكتور محمد عبده يماني من أقدر القاصين العرب فى السرد الهاديء السائغ لقصصه ، وفي رسم شخصياته . جو هذه القصة مستوحي من جده حيث يقيم السلك الديبلوماسي الأجنبي وسردها رائع ومشوق كل التشويق ... الفتى سراج ابن فاروق تيسير سكرتير خدمات سفارة اجنبية في جدة تقتضي الظروف إرساله لاستقبال الصبية كريستينا ابنة السفير الذي كان في موعد وصول ابنته مرتبطاً بمقابلة رسمية فى الطائف .. وشيئاً فشيئاً تنشأ قصة حب بين الفتى المسلم والفتاة المسيحية ... وهو ما تحسبت منه أم الفتى سراج ، لكن أباه استهان به ، ودون تصنع أو إقحام نرى الدكتور يماني يعقد الحوار بعد الحوار بين الاسلام والنصرانية بكل رفق المسلم وتسامحه والحق الذي تمثله عقيدته . كم أعجبتني عبارته التى يقول فيها على لسان الفتـــاة وهي تســــلم « أحسست بأن روحي قد اغتسلت فى لجة نورانية » . وقد أعجبنى فى القصة عدا السرد الرائع أمران : أولا : كونها اكثر

قصص المجموعة واقعية ، ولا شك بان للمؤلف تجربة حصلت منه عن قرب وعاش ولو بعض تفاصيلها ، وثانياً وصفها البيت الحرام وعظمة الحج والآفاق النورانية للمساواة والمثل العليا الاسلامية .

لقد ظللت طوال القصة جاهلا كيف يمكن للقاص أن يجعل لقصته نهاية ملائمة ، ولقد كان القاص من رهافة الحس ونبل الحنان بما جعله يلقي النهاية على كاهل بطلها الفتى المسلم سراج ... الذي قاسى الأمرين قبل أن تمهد له كل عوائق الزواج ممن أحب وممن اسلمت واهتدت بفضل الحب الذي جعلها تعيش مدة أطول مما كان يقدر لها في ديار الاسلام ، وإن لم يكن الحب هو الذي جعلها تسلم . لما انتهت كل الصعاب قصدت الفتاة أمريكا لتصفية كل أمورها هناك قبل العودة للزواج والبقاء الدائم مسلمة سعيدة بحبها فى جدة ، ولكن فتاها تعرض لحادثة سيارة بعد توديعها قضى عليه قبل عودتها ...

في اعتقادي أننا إذا ما أخذنا بدقة بالغة بالمقاييس المعتبرة للقصة القصيرة ، شخوصها وسردها وعقدتها ولحظة تنويرها وحوارها وحسن مفتتحها ومختتمها فان كريستينا هي أروع قصص المجموعة وأكثرها توفيقاً ما في ذلك ريب .

الزهور الزرقاء

فى قصة الزهور الزرقاء يقدم الدكتور يماني ردود فعله على الطفرة الهائلة التي سجلها تطور الحياة السعودية خلال نصف القرن الماضي ، وما يفعله الغني السريع وسعار بعض النفوس من اجل المال ، وما يتهاوى من حب وايناس وراحة بال نتيجة الالتهاء بالتكاثر حتى زيارة المقابر .

أمين الطالب الجامعي بكلية الطب الذي جر عليه حب الزهور البنفسجية (الموسومة فى القصة بالزرقاء ، وقد أكون أنا المخطىء ولكني ظللت مدى العمر أحب البنفسجية) .. تسميته باسم أمين أبو زهرة ، تخرّج وأصبح طبيباً بالمستشفى العام بجدة حيث بات يعيش بهناء بالغ مع مائدة زوجته وقريبته وابنتهما مها ودارة حلوة تحف بها الزهور الزرقاء ويرفرف عليها طير الأمان والسعد ...

لكن أخاه سعيداً اشتغل بالتجارة ففاضت عليه المغانم حتى بات ابناؤه يعيرون أبناء عمهم الطبيب بفقر أبيهم ، الأمر الذي أزعج الطبيب فقرر أن يغير خط حياته وأن يقبل عروض أخيه للوصول للثروة وقد وصل ... ولكن العمل المتواصل والانهاك الدائم وأحلام الغنى ليل نهار طردت معالم الهناء وأمن الروح وحسن لقاء العيال والأولاد وجعلت من أمين أبو زهرة مخلوقاً مشدوداً ليل نهار إلى شبح لا يعطيه أكثر من رفع أرقام الرصيد فى المصرف ويسلب منه بعد ذلك كل شيء ...

يؤزم الدكتور يماني الموقف تازيماً كافياً للاندفاع في قراءة القصة ثم يختمها بمثاليته العذبة وروح السلام الذي يحبه وذلك بصحوة ضمير أمين وعودته إلى صوابه .

وفي هذه القصة من المثالية ما يجعلها عكس قصة كريستينا ولذلك فهي عندي أشبه شيء بقصيدة رائعة منثورة او مقال ملهم فى الدفاع عن القناعة .

جراح البحـــر

أخيراً ينتهي المطاف بنا إلى القصة الكبرى التي تشغل نصف حجم الكتاب وتعطي المجموعة اسمها جراح البحـر ...

لقد بدا الدكتور يماني في هذه القصة مجتهداً أقصى غاية الاجتهاد ، وذلك ما يشكر عليه ، فلم يدع شيئاً من لوازم حياة صيادي السـمك السـعوديين على الشواطىء بين جدة ورابغ وينبع إلا وسرده سرداً موفقاً وكشف عن معرفته إياه حق المعرفة .

ومن فرط إحاطته بتفاصيل حياة صيادي القوارب وكل ما يعتـور أيامهم ولياليهم من أفراح وأتراح قلت أنا في نفسي وأسال الله ألا أكون انهمكت فى سوء ظن أثم : إما أن يكون للدكتور يماني مزرعة ودارة فى الامتداد الجميل الساحلي الممتد شمالي جدة مسافات بعيدة ، فهو هناك فى نزهاته يختلط بالصيادين ، أو أنه فى أيام من حياته فى جدة قبل مسئولية الوزارة وتكاثر المهام كان يخرج كثيراً بالسيارة إلى مسافات بعيدة على شاطىء البحر الأحمر بمواقع الصيادين ...

تتبع القصة حياة صياد يعيش من يده إلى فمه كما يقال بصيد السمك بقاربه وعدده البدائية ويدعى حامد الدخش (أبو حسونة) ، تظل حياته رتيبه صابرة بكل ما فيها من قسوة وملالة وفوز وخيبة إلى أن يبلغ ابنه حسونه سن السادسة عشرة ، وإذ ذاك يبدأ من حيث لا يقصد فى الانتفاع بدخول ولده صنعته على مضض منه وغير قصد ، ويصادف عندئذٌ أن يكون بين اقتراحات الولد على أبيه أن يبيع سمكه لوكيل بيع بدلا من أن يتولى هو تلك العملية ، لأنه كثيراً ما يفشل فى تصريف السمك عاجلا فيتلف ويضيع معه تعب الرجل .

يلجأ الدخش إلى رجل تاجر متدين محافظ حسن الأحوال يدعى الشيخ صديق فيتفق معه على أن يضع صيده لدى متجر الشيخ وتقوم معاملة نظيفة مربحة ومستمرة بين الرجلين اللذين يفصلهما بون شاسع من حظ الحياة ، فصديق وبناته فى مستوى معيشي عال ، والصياد وابنه حسونه فى حياة على حافة الجوع ...

تتحسن أحوال الصياد ، ورغم مساعدة ولده حسونه له ، فانه ينجح فى امتحان التوجيهية نجاحاً يؤهله لبعثة دراسية فى مصـــر ... ولكن ذلك لم يجيء إلا بعد أن كان الصياد وابنه قد اختلطا على مستوى شخصي باسرة الشيخ صديق ... وكان له ابنة في سن الرشد جميلة ومكتملة المزايا لولا أنها من النوع المفترس ، تحب امتلاك الأشياء ، خصوصاً وقد ربيت تربية دلال لا يمنع عنها شيء .. وقد ظنت أنها تحب حسونه ولكنها فى الواقع كانت تبغى امتلاك الفتى القوي الوسيم ثم طرحه فى الهوان ...

ومع أن الفتى حسونه حلم بزواج الفتاة الجميلة المترفة ، إلا أن البعثة الدراسية جعلته يرى لحياته آفاقاً أخرى ، كما أن ذكاءه وتدرجه في الوعي جعله يدرك أن الفتاة كانت تريد امتلاكه وإملاء كلمتها على حياته ... وباعراض الفتى واقبال الفتاة ، ثم إقبال والدتها ثم والدها عليه ، ودفع أب البنت الى طلب الولد وتراخي الولد عن القبول ينشأ موقف صعب ومخز لوالد الفتاة ولها ... وينتهي الأمر بمرض قلب يعاجل الفتاة ويريحها بالموت ..

لا أريد أن أعلق على هذه القصة ولكنها أنبل قصص المجموعة هدفاً وأشرفها دعوة وغاية . لقد طال المقال حتى لم يبق لقول مجال سوى التهاني للوزير الأديب . وهتافاً له هات المزيد والله معك .

أحمد العناني

الرواية والتاريخ

بقلم: جمال محمد أحمد

الكاتب العربي السوداني الكبير جمال محمد أحمد، وزير خارجية السودان السابق. هو أحد أعلام الفكر العربي في هذا الجيل: ثقافة وأسلوباً وعقلاً ووجداناً، وسوف يلتقي الكاتب الفنان مع قراء الدوحة في سلسلة من دراساته الواعية الشاملة نبدؤها بهذه الدراسة الهامة:

بالرواية أعنى الحكاية التى تبدأ تقدم لك الشخوص التى يختارها الروائي، تحمل لك فكره وحسه فى الذي يشغل باله وبال زمانه. تختلط عليك الرؤى فى بدء لقائك الشخوص. أنت كالداخل بهو أتلقى أناساً أول مرة، لا تبين ملامحهم وأنت تدخل. تجدك تسائل وأنت على عجلة من أمرك، تريد لتعرف، أهذا الذي أرى وأسمع صورة من آراء وعواطف هؤلاء الناس؟ أم هو واحد ممن ينتحون مكاناً قصياً مضيفك فى البهو؟ يدعهم وشأنهم، يديرون الحديث فى البهو، وهو يشهد ويرصد ما يتراءى لسمعه فى الزحام، ترى أثر الزمان والمكان في الذي يتحدثون فيه. يصور المكان تصويراً بعض الأحايين، يشير إليه، يرمز، بعض الأحايين. ثم يمضي.

في مكان ما في الوسط من رحلتنا في البهو، دنيانا الروائية، تجدنا امام العلائق بين رجال ونساء البهو، بين الرجال وبعضهم، وبينهم وبين النساء، وتجدنا وقد عرفنا الكثير عن مناخهم الطبيعي ومناخهم الفكري نتبين اقواماً ذوي ملامح فى العيون وقسمات فى الوجوه، وأجسام بعينها، كلها حبات من العناصر التى تكيف مواقفهم من الناس والأشياء. ثم نمضي طريقنا لنهاية ما يكون من أمر هذه الشخوص ربطت جميعها ربطاً، وشدت إلى أرضها وما يقع في تلكم الأرض من حوادث وأحداث. يخلص للذي شرع يعد له فى البدء وفي الوسط، تجدك نهاية المطاف يدك في يده يقودك لمعقبات ما وصف وما قال، وترى بعينه كل الذي اعتور المشاهد من تغيير يحدث في الناس الزمن، سنين كان الزمان أو أيام معدودة. فالأيام تمضي، ولا يسمح الزمان إلا أن يسير بالناس. لا يقف. أتذكر الذي كان يقول الأقدمون عن النهر؟ أنت لا ترده مرتين. انه نهر غير الذي وردته أول مرة. تغير. ومالي اطيل. وانا ما أعانني زماني على كتابة رواية؟ قال استندال عنها وهو واحد من سلدتها الأولين (١٧٨٣/١٨٤٢):

«الرواية يا سيدي مرآة على الطريق الروائي، تعكس زرقة السماء وصحوها وتريك أوحال الطريق، ومواطن العثرات فيه. يرميه بعضهم بالمروق، لا يروق لهم ما يرون في المرآة على الطريق. كان الأولى بهؤلاء ان يعتبوا على مفتش الطريق، راعيها. لقد ترك المياه على الطريق تتجمع وتستحيل مع الوقت وحلاً وحفراً وأسناً».

وقالت فرجينا وولف، سيدة من اللائي عكفن على كتابتها والكتابة عنها، «قراءة الرواية فن معقد عسير. لا تقتضيك حساً بارعاً تدرك به فحسب، تقتضيك فوق هذا جسارة في الخيال. تلك طريقك للانتفاع بكل الذي يعطيك اياه الروائي ذلك الفنان ذو القدرات بعيدة الشأو».

بالتاريخ أعنى الفكر والأحاسيس تصدر عن دراسات باصرة للذي رصد الأولون من حوادث الرجال والحروب والقحط والرخاء، كالذي رصد ثيودوسيس من مواقع وصدامات بين الرجال وسجل. كالذي عرف الطبري عن السنين وأحداثها ورصد، في ذهني روايات ركس وارنر عن الاغريق مثلاً. ما كانت


فرجينيا وولف


جورجي زيدان


شكسبير


برنارد شو


نجيب محفوظ


د. محمد حسين هيكل


توفيق يوسف عواد


غادة السمان


عبد السلام العجيلي


كوليت خوري


الطيب صالح


تشارلز ديكنز

لتكون لولا السجل الذي خلفه ثيودوسيس ، وفي ذهني جورج زيدان . لو لم يكن الطبري وبالطبع غيره من الراصدين الذين أتوا بعده لما تيسر لزيدان أن يكتب رواياته . أنا لا أعد «زيدان» و «وارنر» قمة في فن الرواية ، ولا حجة فى التاريخ . الذي أنا بصدده هو الذي اهتدى إليه اللاحقون ، وقد ازدادوا علماً بالانسان ، وضلاله وهداه وقدراته وعجزه ، يسميه بعضهم «التاريخ الجديد» يسعى أهله يؤولون الذى يرصد القادرون على الرصد ، يفسحون مكاناً للذى تمنع الشهوات الأولية : شهوة الجنس مثلا وشهوة الاقتناء والانتقام والحقد والغيرة ما هى ؟ ما الذى كان من دقائق هذه الشهوات .. ما الذى كان من آثارها فى عامة الناس وفى الذين بيدهم الأمر فيهم ، فى زمان بعينه . مثلا ، كل الذى تعرف أنت وأعرفه عن كنداكة سيدة الناس عندنا فى القرن ٢٣ ق.م لن تجده تاريخاً مكتملا تستريح اليه حتى يتاح لنا الشطر الذى ما تيسر لرحالة أوربا أن يعرفوه . حسبوا لأنهم لم يروه إلا وجود له ، وذا غي قديم . الملكة امنة تلك التى عاشت لزمان قريب (١٨٥٠ ـ ١٩٣٠) ما كان لها أن تكون السيدة المروعة ، لو لم تكن هناك خلال بعينها وشهوات تحياها . ما ادري كم يبقى من عظمة فكتوريا ، إن أنت حجبت عن حياتها البرت : ولا أرانى احتاج أن أقول عن علمنا بالمهدى ، كم هو منقوص ، وعن خليفته ، كم تختلط فى حياته التى نعرف الآن ، الحقيقة بالأسطورة . والقداسة شكل فى معصم التاريخ .

• •

هذا الذى أعنيه بالتاريخ ، ذاك الذى أعنيه بالرواية . وبعد : ما دعواى التى أقدم بين يديك ؟ دعواى أن علماً جديداً فى الدراسات الانسانية على بابنا يدق ، وأحب لنا أن نهيىء له أذهاننا نستجيب . دعواى هى الصلة الوثيقة بين الرواية والتاريخ ، لقد وجدت هذه الصلة طريقها لمناهج التعليم فى بعض الجامعات والمعاهد فى أوربا بأسماء تختلف من مقعد للعلم لمقعد ، «الرواية السياسية» مثلا .. «الحقيقة والتاريخ» مثلا و «التاريخ الجديد» . عبارات شتى لجوهر واحد . وكان منطقا أن يقع هذا ، فالرواية بالمعنى المعاصر لها أداة أوربية ، بلغت الآن نحو أربعة قرون من عمرها ، كما سأبين بعد . أقول للمؤمنين بدعواى هذه لا تضيقوا بالأوليات البديهيات التى أسوق ، لتكن لهم أولياتى هذه مواقع بدء للحوار ، فالأمر كثير الوجوه ولا تتاح لواحد فرد الوجوه أجمع . أكثر ما نطمع اليه ، نحن المؤمنون بالتاريخ الجديد هو أن نعرف وجهاً واحداً بدقائقه وسائر الوجوه نلم إلماماً بها ، ، تلقى النور على الوجه الذى اخترنا . وأدير الحديث أيضاً مع الذين ما تيسر لهم بعد أن يروا الكثير الذى يكتب الكاتبون عن الذى بين الرواية والتاريخ ويكتب أهل «التاريخ الجديد» يطبقون تلكم النظرات ، يستلهمونها . وأريد لأوحى بأنا قادرون على كتابة التاريخ فى مجراه هذا الجديد ، أن جهدنا قليل . القربى القريبة بين الحس الروائى والحس التاريخى ، كانت ،لأعوام خلت موضع الجدل بين المؤمنين بالرواية طريقاً ينهج أهله الرؤى والخيال للحقيقة ، وبين الذين يرون التاريخ الراصد الطريق السلطانية ، لا طريق غيرها لأية حقيقة ، ذكاء التاريخ وحده . ذكاء الرواية وحده . كل بخصائصه يلتقيان من حين لحين . لا يمكن لك أن تقيم نهجاً كاملا ، يقول بالرواية مصدراً من مصادر التاريخ على هذا الذى لا يقع إلا بين حين وحين . هكذا كانوا يتجادلون .

دعنى أنقل لك عن براودل ، واحد من الذين بشروا منذ ثلاثة عقود «بالتاريخ الجديد» فى النظر ، وكتب يطبق النظر كتابات هى المرجع الآن للذين أتوا يضيفون قال في بحث له عن «موقف التاريخ الآن» في كتاب حديث (نشر ١٩٦٩) جمع فيه ثلاثة من بحوثه التى كتب فى هذا المجرى الجديد :

«كانت عزيزة علينا رموز المجتمع ، نفدى بعضها بحيواتنا ، لا نتردد ، إن دعت الحال . أضحت جميعها اليوم خاوية من معانيها . ذوت أضواء الرموز كلها ، لا تضيء الطريق لنا ، ولا تقوم أعلام فيها ، تهدى الناس سواء السبيل . ما عاد يشغل بالنا هذا ، ولا سبيل لعودة .

يشغل بالنا الآن طائف يلح علينا يسأل : أفى وسعكم أن تحيوا الآن بقدر من هدوء البال تفكرون معه فى الذى يضر وينفع ، وقد ذبلت الأضواء فى الطريق . ونصيح للطيف ، ثم نذكر قرننا الماضى . كان على عهده الأول زماناً خالى البال ، جديراً لا تقتضيك إياها أجنحة الفن الشائعة .

الرواية والتاريخ

بالعيش ، تعلقت آمالنا بالذى كانت العلوم الطبيعية تكشف لنا من حين لحين ، نفيء بظل ثمراتها ونحيا نرقب واثقين فردوساً هنا على الأرض ، أكثر الأحايين فى غفلة عن القدرات التى كانت فى جوف هذه العلوم تتجمع ، تدفعها كجندول صخر . استحالت قاسية تلكم العلوم معنية بذاتها هى ترعاها ، تتخذ كل صباح وجوداً جديداً ، فى وجداننا نحن الذين ما فرغنا له كما فرغ له علماؤه أهل الاختصاص . وراحت طمانينتنا مع الحصى والتراب والماء . تداعت مرافىء القرن . كان العيش رخياً فى حماها . راحت وراح معها ما عرفت البشرية من طمانينة فى عيشها الطويل على الأرض . كانت تمسنا العواصف ذاك الزمان مساً رفيقاً ، يغالبنا ونغالبها ، لا ذعر ، ولا أعباء . ما هذه حالنا اليوم . نعم يقتعد العلم مقعد الشرف كعهدنا به أول الأمر ، ولكن يعوزه القرار .

سائر ، سائل ، سراب ، بعيد بعيد لا يرام ، وما هناك مايحملنا على الظن بانا سنجد الفراغ أو الفرصة ، لنعيد علاقة الحوار التى كانت بيننا أول العهد به صبياً أخضر العود ، يرعانا بثمراته ونرعاه بحرصنا على تلكم الثمرات . إنه الآن ماض في سبيله يؤثر بسره قلة من علماء الطبيعة ، وتحيق بنا آثاره إحاقة . وحين ذهبت مذهبها هذا الجديد ، استجابت العلوم الاجتماعية ، والتاريخ واحد منها ، للذى كان من أمرنا وأمر العلوم التطبيقية ولكن بقدر . أضحت الدراسات الانسانية غيرها بالأمس ، تغيرت أقل ولكن بحسم لا رجعة معه . هذه الدنيا غير دنيانا القديمة ألا يحق لنا إذن نحن الذين نكتب التاريخ ونلقيه دروساً على الطالبية أن نسائل ، دنيا جديدة ؟ لم لا نكتب لها «التاريخ الجديد» .

• •

والتقى من بعد ذكاء التاريخ بذكاء الرواية فى أكثر من منحنى على درب المعارف ، وما كان غريباً أن يقع هذا . فالرواية الأوربية بالمعنى الذى أتينا عليه ، أوفت على أربعة كما قلت . أكثر الكاتبين والدارسين والنقاد يجمعون على أنها اتخذت مكانها من ضروب الفنون الأقدم ، الشعر مثلا والمسرحية ، برواية سرفانتس «دون كوشوت» ١٦١٥ . يقابل بينها وبين المسرحية بعض الدارسين يقولون أن شاهد جدتها تجده فى أحشاء الكلمة التى تصفها معنى الرواية فى اللغات الأوربية الجدة ، نوفل : جديد . وجدت رواية دون كيشوت طريقها للغات الأوربيين غير الاسبانية ، سنوات قليلة من بعد ١٦١٥ ، سبع . إنها الرواية الجذر فى أوربا والرواية الأصل . أقبل عليها الخواص والعوام ، اقبالهم على شكسبير فى الذى يقول مؤرخو آداب وفنون تلك الفترة فى أوربا . محمدة لسرفانتس لا ترقى إليها محمدة ، أن يقابله الدارسون بشكسبير . يعود لها مرجعاً ومصدراً مؤرخو الفروسية فى الحياة الأسبانية وفى أوربا ، كما يعودون لغيرها التى بعدها تصور الفكر والاتجاهات فى أوروبا ، وابنتها أميركا فى الشمال واميركا فى الجنوب . تصور كلها منابع الاصلاح فى العلائق الاجتماعية وتصور إطار التمرد وهو الذى ، تارة يقود للحرب وتارة للصدام الفاجع . تماماً على النحو الذى نعرف الآن عن الفن المعاصر فى التصوير والرسم ورباطه بالفن قبله . ما كان لبيكاسو مثلا ليكون لو لم يكن الفنان الذى عكف على آثار الأولين ، يتملاها وتوحى اليه بجديده . من أصلابهم نما ، لينمو من صلبه الفنانون بعده ، يتمثلونه ويتمثلون السادة الذين على هديهم سار الطريق الجديدة . حال لا تختلف عن الذى كان من أمر سيرفانتس وكتاب الرواية بعد روايته الجذر والأصل .

سنعود لاختلاف سيرفانتس ، شهوداً على الذى نقول ان الرواية مصدر من مصادر التاريخ فى فصل من فصول هذا البحث . أريد لنا الآن أن نقضى بعض وقت مع هذا العلم ، النهج الجديد فى كتابة الانسانيات . لا مكان له عندنا الآن ، ولا أعرف عن أحاديث فى الموضوع تشير الى أنا نقترب من النظر فيه ، دعك من تطبيقه فى الذى نلقى على طلابنا من دروس والذى نكتب للناس من بحوث . لا شىء منه عندنا الآن .

• •

واضح فيما يبدو لي السبب : لم تعرف العبقرية العربية على أيامها الأول الرواية بالمعنى الذى سقت لك ، وما هو بالجامع المانع . يفى باغراض بحثنا هذا ، لا يصلح تعريفاً محيطاً للرواية خارج هذا الاطار . الرواية أشمل وأوسع نطاقاً من هذا الذى قلت ، يسع كافكا أن أحطنا بها إحاطة تامة، ويسع أنتونى بيرجس ، وكلاهما يشقان على أى تصنيف للرواية والروائى . انها كثيرة الوجهات فى أوروبا وأمريكا . الرواية أداة للتعبير أوربية . يجزع بعضنا من هذا يعده منقصة ، ونحن فيما يحبون أن يرونا، القوم الأسبق ، الأعرف ، الثقاة فى كل ذكاء عرف الانسان . يلحون يقولون ان المقامات كانت الخطوة الأولى على سبيل الرواية ، وعند الذين يغالون من هؤلاء هى الرواية . واثق انا أن بديع الزمان والحريرى سيدى هذا الضرب من ضروب الأدب العربى ، لو بعثا والقيا السمع لهؤلاء لما عرفا فيم يدير هؤلاء الحديث والذي كتبوا هم أنفسهم مدار الحديث على أنه الرواية . ما كانت المقامات عندهما وعند الذين سبقوهما والذين تبعوهما ، إلا وعاء اختاره الرجلان البليغان فى قرن بليغ ، وصف بعضهم كتاباته بالنثر الفنى . كان ذاك القرن الرابع الذى عرفه بديع الزمان . مضى قدماً بالمقامات فى القرن الخامس الحريرى ، وكلاهما كان معنياً باللغة الرصينة الجزلة تحمل آراءً وحِكَماً كانت على السنة الناس ، لا جديد فيها يهز الأرض . أراد الرجلان لبيقيا على نصاعة اللغة ، يخافان أن تضمحل مع اضمحلال أهلها ، وكان زماناً مخوفاً كثرت فيه نزاعات الحاكمين ومدارس المتفقهين . رأيا فى اللغة السند الأقوى ، العنصر الأبقى لصيانة العروبة والاسلام ، فى زمان كان عاصفاً .

ثم سار الزمان قروناً طويلة . بعد عصر المقامات منتصف القرن الماضى أتت رياح أوربا تحمل الصناعة والتجارة والحرب والفنون . أتت تلكم الأيام طي صفحات على مبارك (١٨٢٣ ــ ١٨٩٣) صاحب الآثار العدة الباقية . هللت هذه الفئة القائلة بسبقنا أنها الرواية . قالوا زعم الشانئون تراثنا أنها أداة أوربية ما حذقها الكاتب عندنا بعد . أطلت على أثر هذين المفكرين العاملين نفحة أعادت للناس أطيافاً من الهمذانى والحريرى . استعارت أداة المقامة لتقول قولتها فى الذى يرى الناس . المويلحى مثلا (١٨٦٨ ــ ١٩٣٠) فرأوا «عيسى بن هشام» مرآة للذى هداهم وأضلهم ذاك الزمان ورأوا «ليالى سطيح» زفرات حافظ ابراهيم (١٨٤٩ ــ ١٩٣٢) . ما

أتقن شاعر وكاتب إتقانه الأسى والحسرة وإعرابه عنهما اعراب رجل من جمهرة الناس أوتى أيسر البيان يصوغ به أدق الخوالج .

سقياً لهذه الفئة من الناس ، سقياً . قام فى ذهنها «لنا الصدر دون العالمين أو القبر» وتقوم فى أذهانهم ، كلما ضاقت بهم ضائقة صور من الماضى أحاطت بأكثرها غيوم قداسات تعشي معها العيون لا ترى غير ما تحب القلوب الجريحة أن ترى ، ذاك أروح من أن تغالب قوى ما لغلابها سبيل . مريح أن نذكر أنا «خير أمة أخرجت للناس» كلما حزبنا أمر . يقلق البال من يأتيك بأخبار القرون يقول هوناً أخى . كنا خير أمة يوم «أخذنا أمرة الدنيا غلابا» . لا نملك اليوم حتى كل أمرنا نحن ، دع الدنيا . «كنا خير أمة» وكذلك كان الاغريق ينظرون إلى أنفسهم كانوا يقولون من لم يتكلم الاغريقية «يبربر» لا يبين إلا كما تبين الشاة حين تثغو . وكان لليهود ضحى يوم. قالوا إنهم الشعب لا شعب غيرهم . اختاره اختياراالاله ياهو . وقيل للنصارى أن وليهم ابن الله ، وهم ظلاله على أرضه. وخرج على الناس بطاركة الكنيسة فى أسبانيا ، يقولون قتل غير النصارى مباح وسبى نسائهم مباح ، بل لن يهنأ للكنيسة وبطريكها نوم ، ان لم ينقل السيف الناس من جحيم أديانهم لنعيم دين المسيح .

وعلى أيامنا نحن ، قبل قليل نحو أربعين سنة ، عرفنا هنا عندنا فئة من الناس تنكر الرواية انكاراً ، وما كان يدفعها ذلك الذى دفع الأولين ، من حرص ، على قديم دارس خارج إطاره يلوذون به عند المكاره كما رأيت . كانت على زماننا الأول فئة ثقفت غير قليل من آداب وعلوم أوروبا فى المعاهد والجامعات هناك ، وعادت لا تعرف مكاناً للرواية ، ما كانت ذلك الزمان إلا فصلا من فصول كثيرة فى الأدب الأوربى لا يتلقاه غير الذين يتفرغون لدراسته . كان واحد من هؤلاء معلم لنا زميل . دخل على شطر حجرة لي فى «ميز العزابة» فى بخت الرضا . رأى كتبى القليلة على مكتبى الصغير فى شطرى من «الميز» . قال يقرعنى «شايف ما عندك غير الحكاوى» . وكنت على أيامى تلك أضنى أقطع «العرورى والشناخيب» فى طريقى الى دوستيوفسكى أعرق لأفهم ، أقضى الذى يتبقى لي من وقت اترجم مع أحمد الطيب جيمز سنق وشو ، وشكسبير . وكان أحمد مؤمناً منذراً نفسه ، يشغله فنه هذا وعشقه طلابه ، عن العالم حوله . أنا ما كنت ذاك ، ما كنت أهيم بشيء بعينه ، ولا أعرف عزوفاً عن شيء بعينه . ولا اذكرنى كنت حائراً أبحث عن شيء بعينه .

والآن وأنا أدير الرأى الذى أقول هذه اللحظة جاء فى خاطرى شيء ما ارتبط بمعلمى ذاك زميلى قط من قبل ، على قرب الذى قال من هذا الخاطر الذى يلم بى الآن. رأيت بعينى بصيرتى صاحبى ذاك بعد أربعين سنة من زجره إياى ، وبالعيـــن نفسها فى اللحظة عينها رأيت مشهداً فى ثلاثية نجيب محفوظ ، قصر الشوق ، بين القصرين ، السكرية . وشاقنى أن أعرف . ما كان سهلا أن أذكر فى أى شطر من هذه الأشطار الثلاثة كان ذاك المشهد الذى ذكرته وفى خاطرى الزميل المعلم . قضيت وقتاً غير قليل أقلب . سعدت حين وجدت الحديث الذى كان يديره كمال وحسين وعايدة فى السكرية . شخوص ستسمع منى عنها قليلا حين يتقدم بنا الحديث . كان الحديث بين هذه الشخوص عن قراءات كمال الذى ما فارق الأزقة والحوارى التى ولد فيها ، بين القصرين وقصر الشوق والسكرية ، أعتق أحياء مصر العتيقة ، وعن الذى عرف حسين وعرفت أخته عايدة فى باريس من مسارح للتمثيل والموسيقى وهم يقضون الصيف مع والدهم الميسور شداد وأمهم المترفة ترف الأعيان والبكوات والبشوات .

جاء حديث الرواية . قال كمال صادقاً وسنرى بعد حين أنه كان فى صباه الأول يعرف فحسب ، لا يضيء معارفه الكثيرة حس ، ولا ترفدها تجاريب . قال «القصة فن على هامش الأدب ، أنا أتطلع لعمل جدى» ومضى يحدثهما عن كتاباته القابلة فى السياسة والفلسفة .

رأى كامل الرواية سنة ١٩٢٤ ، زمان صداقته لأسرة شداد ، كما رآها معلمى الزميل سنة ١٩٤٠ ، ستة وعشرون عاماً ثقافية بينهما نمو حسنا الثقافى من بداءاته ونمو حس مصر الثقافى من بداءاته فى العصر الحديث يفصل بينهما كامل فى مصر ومعلمى فى السودان . حساب عمرنا الثقافى بعدة السنين يقول بيننا جيل ثقافى .

هذه الخاطرة عن الرواية فى عمرنا وعمر مصر الثقافى على أيامنا المعاصرة فى بالى الآن ، وكرهت ألا أقف عندها نتملاها تشير لأكثر من شيء فى حديثنا هذا الذى ندير عن الرواية والتاريخ . أنا أعرف معلمى الزميل معرفتى قلمى هذا وورقتى التى عليها يكتب ، وأعرف كمال هذا الذى أبدع محفوظ ، كما لو كان حياً يمشى فى الأسواق ، وأجد بينهما مشابه . كلاهما مغرى بالغليظ جهم الوجه من المعـــارف . كمال فى رحلة من فلسفات كانط وليبنز فرسان مثمران فى الأرض التى نمت الرجلين ، والتاريخ الذى فى مناخه نشأ كل واحد . لا يقولون لنا كثيراً حين تنقلها لترابنا هنا ، ولا تنعش الجذور عندنا ما أتوا به لأهلهم يهدون . أهلهم هم ، لا نحن . معلمى زميلى شبيه كمال ، كان مغرى بالمعارف التى تملأ الحلاقيم والخياشيم . ثم « لازهر » كما يقولون ، لا شيء بعده . ذات ألق تلك المعارف ونفع حيث نمت من احشاء أهلها . عقيم عندنا حين ننقلها هنا تحدثنا مثلا عن نشأة الاحزاب فى بريطانيا كما كان يعلمنا معلمنا الزميل ، التصويت فى جهات القتال كالصحراء الغربية وماليزيا .... ، انتخابات سنة ١٩٤٤ والعمل التطوعى فى بريطانيا . نزهة فكرية للقادرين على النزهة من أهل بريطانيا . عندنا لا شيء .

أرانا بعد هذه السنين نرى الرواية رؤية سوية ، ما عرفها معلمى الزميل ولا عرفها الرجل الذى أبدع محفوظ ، دعاة المعارف والحقائق والفلسفات والآراء الباردة ، الشكر كله لنجيب محفوظ . كان أول الروائيين ، ولا بالذى كتب من قصص وروايات وان كانت كثيرة ، كتب خمساً وثلاثين منها عبر خمسين سنة بين سنة ١٩٣٢ ــ ١٩٨٢ وكتب القمة للـــــرواية العربية المعاصرة ، الثلاثية ، بعد عشر روايات من التجارب ، سنوات ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ ، لكن أيضاً بالذى تناثر على السنة شخوصه من إيمان بالرواية فناً من الفنون العصية ، لا يعطيك ان لم تتوفر عليه . فن غيور . اتذكر فرجينيا وولف أول هذا الحديث: كيف تقرأ الرواية ؟ رآها نجيب مركبة الحجى والضلال أوائل سني عمره رآهـــــا تقتضيك خيالا ومعارف ودأبا

الرواية والتاريخ

يشير لشيء من هذا في السكرية :

يقول حسين وقد عاد توه من رحلة اخرى من رحلاته في أوروبا إن « القصة في أوروبا عمل جدي ، ثمة كتاب يتفرغون لها دون غيرها من فنون الكتابة فتدفعهم الى درجة الخالدين». وبين أحاديث قصر الشوق ١٩٥٧ ، والسكرية ١٩٥٧ نفسها ، يقول بالرواية آخرون ما أتيح لهم ذاك الذي تيح لابن الثراء والترف . لا تحول دون إيمانهم بها شكول المعرفة العقيم وعكر الفطرة . تقول به سوسن حماد ، المحررة في «الانسان الجديد» . قالت تحاور أحد الذين جمعت بينه وبينها أواصر فكر نشأ على قراءات ما كانت لتكون لأحمد ، أحد أحفاد أحمد عبد الجواد صاحب السوط والصوت والقرآن لا كتاب غيره يخترق أسوار عقله الذي ربى عليه وحده . تقول سوسن لأحمد « إن الرواية ذات حيل لا حصر لها ، إنها فن ماكر وقد غدت شكلا أدبياً شائعاً سوف ينتزع الامامة في عالم الادب في وقت قصير ، الا ترى أنه ما من كبير من شيوخ الأدب الا وهو يثبت وجوده في مجال نشاطها ولو بمؤلف واحد ؟ » .

شغفت عايدة بالذي قرأت وشغف حسين بالذي سمع عن الرواية في أوروبا . ما كان هذا أمر كامل مع الرواية كما قلت قبل قليل .

نعود لحديث سوسن عن شيوخ الأدب ورواياتهم الواحدة ، يكتبونها كيلا يقال عنهم ما عرفوا الرواية . واحسبنا نعرف ما تشير اليه العبارة حين نضعها مكانها في تربية وأمزجة وتجارب افراد الرواية .

• •

تشير سوسن الى ثلاثة عقود من القصة بدأت مع هيكل في « زينب » سنة ١٩١٤ ولانعرف له كثيراً غير هذه ، وان كنا نعرف تحقيقاً أن هيكل ما كان في حاجة ليثبت وجوده في مكان أو آخر ، قلمه كان واحداً من أحكم الأقلام ، وسعيه من أجل بلده كان سعي الوطني الواثق مما يعمل وثوقا يقنع العقل لايقرب العاطفة ، ذاك عجز بعض القادرين . ما كان كذلك العقاد . يوماً ما غوى ، لانحسبه كتب « سارة » إلا ليكتب بالرواية أشياء ما كان يجوز له أن يكتب بغير الرواية . كان شريداً مطارداً الحب وكان محباً العقاد . أكثر ذاته للشعر والنقد وبعضه القليل لباطل الناس في السياسة وأحسبها تشير لطه ، وهي تعرف أن « الوعد الحق » ما كان ليصدر عن روائي في قلبه رواية واحدة ، وتعرف أن «شجرة البؤس » و « دعاء الكروان » و « المعذبون في الأرض » كتبها جميعها طه يعالج أعقد القضايا على ايامه ولتوحي للذين يرون اللغة العربية اداة تملك في أحشائها أكثر مما يظن كثيرون الى انها بالفعل كذلك لا بالقول . وتشير سوسن الى عبد الرحمن الشرقاوي في روايته « الأرض..والشوارع الخلفية » .

الرجل الذي ابدع في الرواية وأوفى وضعها القمة ، هو نجيب محفوظ . توفر عليها وانذر نفسه لها . روائي واحد في تاريخ الرواية العربية ، كان من شأنه أن يبلغ بعض الذي بلغه نجيب ، توفيق يوسف عواد صاحب « الرغيف » حسرة الرواية العربية في عواد هو أنه ما «عقب» كما نقول . كان من حق موهبته أن يرعاها . لسمع أنه انصرف للعيش . ما هو بالحديث العاطل قول كامل رؤية وهو يروي رواية « السراب » ، « لقد ضاعت الحياة والقلم ملاذ الضائع » .

• •

نجيب ذخيرة روائية تبرر لنا أن نشرع نكتب « التاريخ الجديد » على ضوئها مصدراً من مصادر كتابة التاريخ في الوطن العربي ، وما في قولتي هذه ما يشين غيره . كثيرة نجوم مضيئة حوله . هو الكوكب . ما كان عواد على ايامه إلا بعضاً من موجة عمت الاقليم ، ذو النون أيوب في العراق مثلا ، وليلى ونور وغادة في لبنان والعجيلي وكوليت في الشام . لا . انا واثق أن نبض التاريخ حي في جوف هذه الروايات ، جنب روايات نجيب .

وما أتيت على السودان ، وأنا اعد الكوكبة العربية من فرسان الرواية ، لان كتابها الاولون ، الطيب والحاردلو وعلى الملك ، كاخوتهم القادمين ساحتنا السودانية ، عيسى واسحاق مثلا حماهم الله من اقدار عواد ، شأنهم وحده لحد . عاشوا فترات من حياة السودان ما كانت لتتيح لهم غير القليل مما تستطيع مؤهبهم وتجاربهم في العيش . يوحي لي الذي خرج للناس من كتاباتهم أنهم كانوا يسائلون أنفسهم عن الطريق الأكثر جدوى لحيواتهم كأفراد في مجتمع تحكمه تقاليد ومنظمات قام عليها رجال ذوو ثقافات تتباين اكثر الأحيان وتدريباً كذلك يتباين . تساءلوا - بعضهم عن وعي كامل ربما بعضهم استجابة لغريزة مستنيرة - أنَدَعُ الفنان فينا يملك الأمر كله علينا نصور حياتنا هذه العامة وذواتنا والناس والمناخ حولنا ، تصويراً فيه كل سانحة وبارحة وخاطرة ؟ أم نصور ما نراه كله بمقدارتطيقه المنظمات والمنشآت والتقاليد ؟ قابلوابين هذين السبيلين ، كلاهما وعر ، إن اتخذوا هذه الأخيرة لايحسنون لمواهبهم كل الاحسان ، ولا للذي عليهم من تبعات ، انهم أولو الأمر العارفون صناع الذوق والوجدان . إن نهجوا السبيل الأولى ، تعذر عليهم حراسة الاستقلال السياسي بالذي يضيفون إليه من استقلال في الاقتصاد والثقافة . فالوظيفة كانت الطريق لا طريق غيرها لهذا الحس الوطني . ما عشنا بعد زمانا حجم انساننا في السودان هو الأصل ، لاحجم وظائفه وإداراته . إنه الأصغر حجماً ، القيمون عليه من رجال ومنشآت هم الأكبر حجماً . جزعت المواهب حين تبين لها ضيق الخيارات . طريق الحس الكامل بدت لهم موصدة . ما في حياتنا المعاصرة صاحب قلم ذكي عرف كيف يوفق بين النزاعات داخله وبين وظائفه وادارته .

كلهم راح مشطور الفؤاد . غير بعيد أن يكون قد طاف طائف حسن الطاهر زروق بخيال كتابنا الذين أتوا بعده . اختار زروق طريق الحس الكامل حين ذعرنا نحن لداته أولاد دفعته كما نقول . تسمرنا ، لا نعرف ما نفعل . ما يقظنا غير امس . كان حسن واحداً من أقوى العزائم وأنصع الأقلام وأطهر الجيوب ، اختار أوعر الطريقين واعياً ، فكان الذي كان من أمرنا معه . ما أبعد الذي رجونا منه على عهده المثمر ، ما قل الذي استطاع . ضاع وقته الأزهر بين موجات تقذف به بينها ، كانت أعتى من أن يقاوم ، وأن آزره المحبوه ، بالذي قدروا عليه .

وأمضي مع هذه الصورة لأقلامنا الجديدة . خرجت في الذي أرى عن الطريقين خروجاً ما أضر بمواهبهم كثيراً ، ما جرح حسهم الوطني . نهجوا طريقاً أحسبها الوسطى . لا تخنع لكن لا تقارع . راحوا للرواية الاجتماعية . يرون خلالها الحب عندنا ، الزواج ، علائق الأسرة ،

مكان القرية ، مكان الشيوخ فيها ، الترحل فى سبيل العيش ، وما من هذه بسبيل . صلاح احمد ابراهيم يدلل على هذه القاعدة لا ينفيها أن اتت على بالك كتاباته القليلة . رأى فى الطريق الوسطى مقابح ، خالت له كأنها التقية التى التحف بها بعض الأولين ، ما رأى لها حسنة . كتب « البرجوازية الصغيرة » وخلع رداءاتها التى رآها قطعة قطعة وأرانا وجهها الشاحب ، وبطنها المليئة ، ولسانها السليط فأمتع الناس بتجاريبه وبيانه وحرارة فؤاده ومن بعد صمت . ليت مقدار حبى له وللحاردلو كان على مقدار غرورى . اذن لقلت لهما اكتبا لتسعداني أنا .

● ●

سيقول الحريصون منا على فنون علاج الرواية المعاصرة إن أكثر الروايات التى فى ذهنى ، وأنا أدير الحديث حول الرواية السودانية ، لا ترقى مراقى الرواية كأداة فنية . لا أحسبهم يظلمون . أكثر الروايات عندنا تروح مباشرة لما تريد من نهاية للواقع ، لا تحملك إليها بالذى توحى إليك على لسان الشخوص وأوصاف المشاهد . وستذكر هنا البهو وسيده وضيوفه مطلع حديثنا عن الذى تفعل الرواية فى بدئها ووسطها وختامها ، يوجز مشهد البهو والناس فيه ، محفوظ . قال شخص من شخوصه بعبارة أوفق وأدق مما أستطيع ، قالها فى « السكرية » وهو يحاور أصدقاءه عن البناء الروائى ، كيف يحدث تأثره الفنى ، ويبدو لى أن اسماعيل لطيف هذا لسان نجيب نفسه ، أعاره لخطه لواحد من خلقه . « الروائى قد يبدأمن شخص ثم ينساه كلية وهو بصدد خلق نموذج بشرى جديد ، لا صلة بينه وبين الأصل إلا الايحاء » . الكلمات ذات الصلة بموضوعنا فى هذه العبارة هى « خلق نموذج بشرى جديد » .

والرواية السودانية التى نملكها الآن ، وإن أعوز الكثير منها اكتمال فن الرواية ، تصلح قاعدة لتاريخ حياتنا على تلك العقود التى سعت لتصور اجتماعياتها . انها مرآة لحياتنا . وهى الوحيدة فى هذا السبيل ، فلنمض معها نعين بها تاريخ تلك العقود حين يرصده الراصدون . للذين يريدون لرواياتنا الآن الاكتمال الفنى ، أن يذكروا ذاك الخاطر عن السنوات الثقافية بيننا وبين مصر . ست وعشرون سنة . نحن بحساب هذا الفرق فى العمر الثقافى بيننا ، نعيش أوائل الستينات ، بالقياس لمصر ، ربما أوائل القرن فيما يتصل بأوربا . أنا أزعم لك بعد هذا كله أن روايات هذه السنين تشير إشارة غير مغمغمة للصلة ، على الأقل فى النظر بين حس الرواية وحس التاريخ . قريباً سيشرع الرواد يكتبون بيمينهم التاريخ مرصوداً بوقائعه وهزائمه وانتصاراته . والرواية مكتوبة فى ظله لا يشغلها الذى على الناس أن يحسوا به ، يشغلها الذى فعلا به يحسون .

● ●

دعنى أسق لك مثلا من تجاربى أنا كتابة « التاريخ الجديد » عندنا هنا :

راعنى فى احتفالنا بالذكرى المئوية لثورة المهدية ، أن أكثر جوانب تلكم الثورة القومية ، حظى بقسط من الدرس والبحث ، فلسفة الثورة ، اقتصادياتها ، إداراتها والحكم وعلاقاتها الخارجية ، علماؤها ، نظرات بعض الذين رأوا فى الثورة فكراً وشئونا ، لا تتفق والذى درجوا عليه من فهم للدين والسياسة . كل شىء . إلا الرجال الذين لولا هم لم تكن لنظرات المهدى الدينية والسياسية وقدرات خليفته فى الادارة والحكم لولا هم ما قامت لتلك اليقظة الثائرة قائمتها التى نعرف ، أعنى الأنصار . المحاربون المنذرون أنفسهم المنافحون عن الفلسفات التى جاء بها المهدى ، الواقفون وراء الخليفة سنداً فى الذى يرى من أمور . بعبارة أوجز ، الأنصار صناع الثورة بالصدور والأرواح . اكتفينا فى بحوثنا بمدحهم قلنا مع غيرنا إنهم ماتوا فى شأن الله . جاء فى خاطرى أن للأنصارى مكاناً ما يقظنا له . شغلنا عنه بالمهدى والخليفة . وشرعت أدير مع نفسى كيف تقول شيئاً يضع الأنصارى مكانه الوسط فى الثورة . ما وجدت فى كتاباتنا هنا كثيراً يعين . وجدت الكثير مما أريد فى كتابات كونا ندويل صاحب رواية « مأساة كرسكو » وفى كتابات سامسون صاحب «الرياش الأربع» وقرأت ثانية كتاب وارنر « الدراويش » . وكان من بعد المقال الذى ستقرأ فى مجلة الخرطوم أوائل شهرنا القادم أبريل ، وأرجو أن يكون نموذجاً لهذا الذى أقول عن واثقة الرواية والتاريخ ، سيتقنه بالطبع أكثر مما فعلت أنا ، الذين يؤمنون بهذه النظرة ويكتبون على ضوئها ، بيدهم أكثر مما كان بيدى أنا فى الذى أرجوه . تجربتى هذه تقودنى للقول بأن الذى نملك من روايات كتبناها وكتبها غيرنا عنا ، تحملنى على الظن بأن فى وسعنا أن نشرع فى البدء تدريسه فى معاهدنا بخطوات حذرة تجريبية . وأنا أسعى أكتب عن الأنصارى فى الرواية والتاريخ ، ما وجدت غير الصعوبات التى كنت أتوقع وأنا أؤرخ للأنصارى من التاريخ فى يد الروائى . ألح على الذين يملكون الفراغ والقدرة ، أن يشرعوا يدرسوا التاريخ هنا أو فى مصر أو بلاد العرب الأخرى من الرواية والوثائق معاً . إذن يمتعون ويرودون عبر متعهم الفكرية نهجاً فى فهم الرواية والتاريخ معاً ، لا أتردد لحظة فى القول انه النهج القادم للتاريخ الجديد .

● ●

أرانى أقترب من نهاية حديثى النظرى عن الرواية والتاريخ ، جناحى كتابة « التاريخ الجديد » ولا أحب أن أترك الذين يرون فى الذى أقول مدخلا جديداً للبحث عن حقيقة الانسان ، بالنظر فى تاريخه المرصود مع رؤية الفنانين لذاك المرصود من تاريخ شعبهم والشعوب الأخرى ، دون نماذج أسوقها على عجل ، وأقف عند نموذجين اثنين . نموذج من عواد فى روايته « الرغيف » وآخر من محفوظ فى ثلاثيته ، بين القصرين ، قصر الشوق ، السكرية .

ليرصد الراصدون ما يختارون من أوجه العلائق بين العرب والأتراك على أيامهم فى المنطقة . لن يتم ذاك الرصد ، يظل رصداً خاوياً لا دم فيه لا لحم لا روح ، إن لم نرفده بمشاهد ومواقف فى رواية «الرغيف» تقع أحداثها على آخر أيام آل عثمان آخريات الحرب العالمية الأولى . كان الرجل المريض منذ أواسط القرن الثامن عشر مسجى يشهق أنفاسه الأخيرة ، وانهال شباب الفجيعة العثمانية ،حقرتهم الهزائم سوط عذاب على العرب فقد كانوا الفئة الأضعف فى الامبراطورية ما كان هناك من يعاضدهم كما عاضدت أوربا أملاك آل عثمان هناك . فى مشهد من هذه المشاهد . نراه يسدل الستار الأخير بسوطه اللاهب ظهر العرب ، يتمثل لنا فى :

« رشدى بك واقفاً فى الوسط وانفه على الحائط يتوتر انتفاضاً ونقاصاً .. بالقرب منه سوط معلق ومقعد خشبى طويل ، لم تقع عينا سامى عليه حتى سرت فى بدنه قشعريرة ، وأراد أن يصيح لا خوفاً بل احتجاجاً ولكنه لم يفعل . مشى الضابط إلى البـــاب فاطبقـــــه وادار فيـــه المفتاح برفق ماكر فاصدر صريراً مزعجاً .. بطح السجين على المقعد فاستسلم لا يمتنع منها بحركة ولا يفتح فاه بنامه » .

لماذا يريدون ضربه ؟ لم يخطر السؤال بباله . هو يتساءل فقط ، كيف ؟ حتى هذا السؤال يهرب وشيكاً ويهرب معه كل فكر فاذا راسه فارغ كالجرة الفارغة لو نفضه احد لرن ... وعادت عيناه فوقفتا على خيال تف الضابط طويلا هذه المرة .. يتسلق الحائط الأبيض الأملس صعوداً ثم يختفى بسرعة ويمتد مكانه فك عريض .. ولكن الأنف يعجبه أكثر من الفك .. انه يجعل الوقت الذى قضاه ، كل ما يعرفه الآن انه يحس ببرد فى قدميه خلع نعليه وجوربيه يحس شيئاً قاسياً ، يجمع ساقيه ويشدهما إلى المقعد يشد حتى لتكاد ركبتاه تتخلعان ، حاول أن يرى نفسه فوجد ذراعيه قد شدتا أيضاً ودنا وصفق بالوسط فوق اذن سامى وضحك وشتم ووثب إلى الطرف الآخر فرفع الأسير قذاله جهده وانفتحت عيناه :

ـ اخ ..

ـ اتسمع ؟ انك تعوى كالكلب تماماً .

سحق سامى أسنانه واغمض جفنيه . شرعت الضربات تتوالى ، دون حساب ، وداخ تهوى عليه الضربات ثقيلة على قدميه إنها صخور تمشى . أصداؤها فى عظامه حتى تصل إلى الدماغ فتصدر داخلها هديراً ..

• •

ونموذج من نجيب نرى فيه الانسان العربى فى مصر بعد استقلالها بعين واحد من أبناء ذاك الزمان . إنه كمال ، يرعى الحاكمين والمحكومين بعين آسية :

« كان الترام مكتظاً حتى لم يعد به موضع لواقف ، وقد انحشر كمال بين الواقفين وكانه يطل عليهم بقامته الطويلة النحيلة . كانوا مثله ـ فيمـــا بــدا له ـ يقصدون مكان الاحتفال بالعيد الوطنى ـ عيد ١٣ نوفمبر ـ فردد عينيه فى الوجوه ، والحق انه يشارك فى هذه الأعياد كاشد المؤمنين بها. وكان الناس يتحادثون معلقين على الموقف دون سابق تعارف مكتفين بوحدة الهدف وبرابطة الوفدية التى الفت بين قلوبهم قال أحدهم :

ـ عيد الجهاد هذا العام عيد جهاد بكل معنى الكلمة ، أو هذا ما يجب أن يكون ..

فقال آخر :

ـ يجب أن يرد فيه على هور وتصريحه المشئـــوم . وثار ثالث لذكر هور فصاح :

ـ أين الكلب ؟ قال : نصحنا بالا يعاد دستور ١٩٢٣ ولا دستور سنة ١٩٣٠ ما شأنه هو ودستورنا ؟

فاجاب رابع :

ـ لا تنسى على انه قال قبل ذلك « على اننا عندما استشارونا نصحنا » ..

ـ اجل من الذى استشاروه ؟

ـ سل عن ذلك حكومة القوانين .

ـ توفيق نسيم وكفى : أنسيتموه ؟ولكن لماذا هادنه الوفد ؟

• •

تلك سنوات الضياع التى قادت إلى يوليو سنة ١٩٥٢ ، تراها متمثلة فى السكرية ، وما كان هذا الذى وعدت السنوات التى تلت عرابى وعباس ، تبدأ بها الثلاثية فى بين القصرين ، بين سنة ١٨٧١ وسنة ١٩١١ تقريباً ، وسنوات بعض الهناء والعيش الموفور فى بين القصرين سنة ١٩١١ وسنة ١٩٢٧ تقريباً وسنوات القلق فى الفكر والسياسة وشئون الحياة أجمع بين سنة ١٩٢٧ وسنة ١٩٥٦ الأمر الذى يعنى أن الثلاثية تقص علينا حياة مصر بجوانبها كلها عبر مائة وخمسين عاماً ، أربعين منها كما ترى فى الشطر الأول وثمانين فى الشطر الثانى وثلاثين فى الشطر الأخير ، حياة أسرة هذه السنين تبدأ بحياة سيدها احمد عبد الجواد سنة ١٨٧١ ، وتجمَّع على السنين اصدقاء للأسرة واصهار وحموات وأسر أخرى ترتبط بها هذه الأسرة وسط الحوادث والأحداث ، فيكون تاريخ مصر بين جوانحك خلال حياة وممات هذه الأسر ، وتضعها هناك يد فنان حاذق بارع مؤمن مرتاب ، يرى حياة هذه الأسرة فى حيوات افرادها . التاريخ فى الذى كان يقول كارلايل تراجم رجال ونساء عديدين ، والرواية اختها بعض الاحايين اقدر على تصوير الزمان من الحقائق التى يسوقها لك المؤرخون الراصدون . « ننسى فى يسر أن حفنة من الروايات ، كانت أقوى اثراً فى نفوس الناس ، من خطب الساسة وتقارير لجان الكونجرس ، حين يحزب الناس حيف يقع على شطر من أشطار المجتمع .. كوخ العم تم » هزت قلوب وعقول الناس عن شرور الرق ، أكثر من اي أثر أحدثته خطب الساسة ، أو الحقائق التى جمع عبر السنين دعاة إلغاء الرقيق ، وشارلز دكنز وضع أصبعه ، على عذابات بعض الشرائح البشرية في العصر الفكتوري ، اكثر مما فعلت خطب معاصريـــه من الساسة » .

هكذا كتبت ناقدة معاصرة تقوِّم آخر روايات الان باتن .

• •

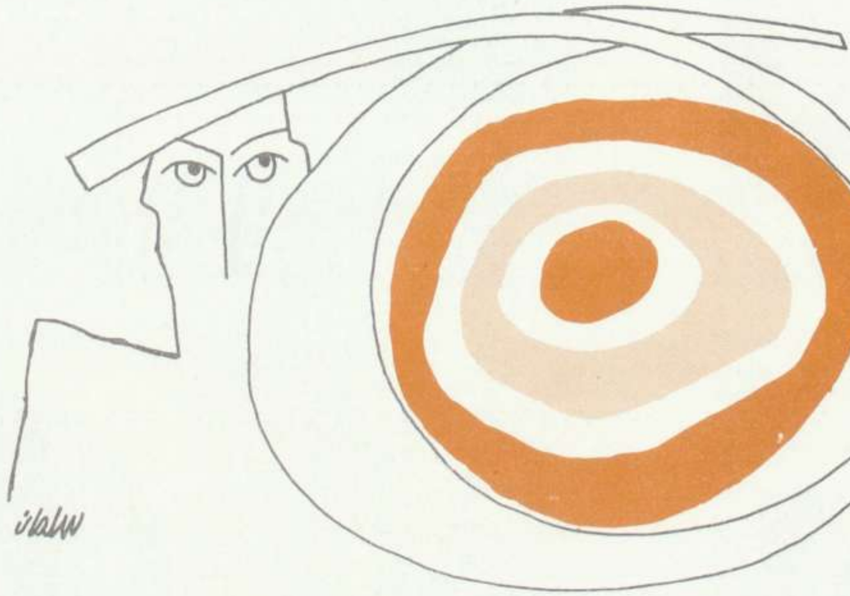
لنعد لكمال ، تركناه في الترام ،يحتفل بعيد الجهاد ، مع الجمهور .

« أصغى إليهم ، بل اشترك فى حديثهم ، وأعجب من هذا ، انه لم يكن دونهم حماساً، وكان ثامن عيد جهاد يشهده . وكان كالآخرين قد امتلأ بمرارة التجارب السياسية التى خلفتها الأعوام السابقة . لقد عاصرت عهد محمد محمود الذي عطل الدستور ثلاث سنوات قابلة للتجديد واغتصب حرية الشعب فى نظير وعده له بتجفيف البرك والمستنقعات ، كما عشت سنوات القهر والارهاب السياسي التى فرضها اسماعيل صدقي على البلاد . كان الشعب يثق في قوم يريدهم حكاماً له ولكنه يجد فوق رأسه دائماً أولئك الجلادين البغضاء تحميهم هراوات الكونستبلات الانجليز ، وسرعان ما يقولون له بلغة أو باخرى انت شعب قاصر ، ونحن الأوصياء والشعب يخوض المعارك دون توقف ، فيخرج من كل واحدة وهو يلهث ، حتى لتخذ في النهاية موقفاً سلبياً شعاره الصبر والسخرية ، فخلا الميدان إلا من الوفديين من ناحية والطغاة من ناحية أخرى ، وقنع الشعب بمجلس المتفرج وراح يشجع ـ رجاله فى همس دون أن يمد لهم يـداً ... ...

جمال محمد أحمد

الغريب الذي جاء كالظل

شعر: محمد إبراهيم أبوسنة



ـ كانت الليلة مقمرةً . والسهاد الذى
يخرج الثعابينَ من جحرها ..
يضع القلبَ على النارِ ..
.. والريح تأتى بعطرك
والنسيم المراوغ مبتسمٌ
راقصٌ فى قطيفة شعرك
كنت ساهرةً فى الفراش .. النوافذ
مولعة بالهواءِ . النوافذ
مولعة كالمرايا بإفشاء سِرِّك
الغريب الذى جاء كالظل
منتظرٌ والدخان الكثيف
يصعد الآن من جمرةِ القلبِ ..
.. هذا بريقُ العيون ..
... راحلٌ فى زفيرِ الضباب
آه لا أستطيع التكهّنَ بالغـدِ
هذى القطاراتُ زاعقةٌ
والمطاراتُ خانقةٌ
والليالى طيور
الغريب الذى جاء كالظل
منتظرٌ
كِلْمَةٌ . رشفةٌ من رحيق الجسد
والمدينة مغلقة
كلها
للتآمرِ والكيدِ
غارقةٌ فى سوادِ الكَمَد
كان يبغى عناقك قبل الرحيل ..
.. يقول لأعضائك المزْهِره ..
ما الذى يحمل الماءَ للجذر
والنارَ للقِدْرِ .
والنحلَ للزهر ماذا
تقول الدماءُ لمجْرَى العروقْ
وماذا تقولُ البروقْ
لأصداف بحر عميقْ
الغريب الذى جاء كالظل
يسقط بين ايادى الرياح
حاملا جرحَه للأغانى التى
عاهَدَتْ قلبَه
ثم خانَتْه قبل انبلاج الصباحْ
راحلٌ . تضاريس
جسمك تَتْبَعُهُ حيث راح
ولا شىء الا العيون الفساح
تسافر فى الذاكرهْ
الغريب الذى جاء كالظل يمضى
حاملا خيْبَةَ الحب
حسرةَ هذا الزمان المباحْ
جسمه ـ أرضه ـ قارة للجراحْ



الفنان جاسم زيني

جاسم زيني :
الفن التشكيلي في أزمة
وهذا هو العلاج !



عندما تنزف الكتلة : للفنان سلمان المالكي



مدرب الصقور : للفنان محمد الجيدة .

أجرى الحوار : يوسف الحرمي

لاشك أن الفن هو اللغة المشتركة للانسان منذ اقدم العصور .. ولا شك ـ ايضاً ـ في أن الفن الاصيل والانساني هو ذلك الذي يعبر عن احاسيس ونبض الانسان في كل مكان وزمان ، ويكشف لنا عن واقع البيئة التى انتجته .

ولو بحثنا وراء الفن التشكيلي القطري ، فسنجد ان له تاريخاً ضارباً بجذوره فى الاعماق ، فقد استطاع الفنان الحديث ان يربط فنه بتراثه القديم ، وان يجعلنا نرى مفردات هذا التراث واضحة فى لوحاته التى اشترك بها في العديد من المعارض العربية والعالمية ..

والواقع ان الحركة التشكيلية في قطر تنمو يوماً بعد يوم على يد هؤلاء الفنانين المخلصين لفنهم ، الذين استطاعوا ان يؤسسوا لانفسهم أول جمعية فنية تشكيلية فى قطر تحفظ لهم حقوقهم الفنية، وتجد لهم المكان المناسب لحفظ اعمالهم الفنية ، وقد انشئت هذه الجمعية وخرجت إلى حيز الوجود منذ عامين ، وكان رئيسها هو رائد الفنانين القطريين جاسم محمد زيني ، الذي كان لقائي معه من اجل وضع النقط فوق الحروف حول كل ما يدور فى الأذهان عن الحركة التشكيلية فى قطر ..

ملامح الحركة الفنية

قلت للفنان جاسم زيني :

● بداية أود أن اتعرف على



للنساء فقط : للفنان جاسم زيني



الراعي : للفنان علي الشريف .



صبابة القهوة : للفنان حسن الملا

انطباعـــاتك عن الحـــركة الفنية التشكيلية فى قطـــر ؟ ..

ـ الحركة الفنية التشكيلية القطرية شانها فى ذلك شان كل الحركات الفنية في العالم .. فلو نظرنا إليها من الناحية التـــاريخية لوجدنا انها قد نمت وتطورت حيث وصلت إلى المستوى الذي تتوج به حضارات الشعوب ، ففي قطر بصفة خاصة يمر الفن في مرحلة النمو ، ويواكب النهضة الشاملة التى يشهدها الانسان القطري .

● ومتى أنشئت جمعية الفنون التشكيلية فى قطر ؟ وما الأهداف التى ترمي إليها هذه الجمعية الفنية القطرية ؟

ـ لقد أنشئت هذه الجمعية منذ حوالي سنتين .. اما عن أغراضها ، فانها تتمثل فى رعاية الحركة الفنية التشكيلية فى دولة قطـر والارتقاء بالمستوى العلمي والفني للفنانين التشكيليين والمحافظة على انتاجهم وتشجيعهم وتوثيق أواصر الصداقة بينهم وبين اخوانهم الفنانين في البلاد العربية والأقطار الصديقة ، وتحقيقا لذلك ، فان الجمعية تقوم بتشجيع أعضائها وتنظم جهودهم فى خدمة الفنون التشكيلية والحركة الفنية ، وذلك عن طريق مواجهة مشاكل الفنانين التشكيليين بوضع الحلول المناسبة لها والاشتراك الايجابي في العمل الفني العام ، وهذا فضلا عن العمل على تنمية ونشر البحوث الفنية وتشجيع التاليف في مجالاتها وتنظيم المعارض الفنية وإقامتها داخل البلاد وخارجها ، وإلقاء المحاضرات وعقد الندوات

جاسم زيني :

الفن التشكيلي في أزمة وهذا هو العلاج!

وإصدار نشرات دورية في الموضوعات الفنية ، وكما نعرف ، فان الجمعية تقوم بتشكيل اللجان المختصة والاتصال بالمؤلفين لاعداد التقارير والبحوث والدراسات التى تسهم فى مجال الفنون التشكيلية ، وكذلك الاتصال بالجمعيات والمؤسسات العربية والدولية ذات الأهداف المشتركة لتوثيق الروابط معها وتبادل المعلومات ذات الطابع المشترك وحضور المؤتمرات الدولية التى تربط بهذه الاهداف ، والتى تعقد بالخارج والعمل على عقدها بالبلاد .. هذا وتقوم الجمعية بوضع وتطبيق الأسس الكفيلة بتنظيم واجبات أعضاء الجمعية فى خدمة البلاد ومراقبة تنفيذها وتعريف المواطنين بمختلف النشاطات الفنية ، وتقدم الجمعية لذلك جوائز فى المعارض للمتفوقين ، كما تساعدهم على بيع انتاجهم وتشجيع الناشئين والهواة ، والعناية بانتاجهم .

● هناك فنانون يرون أن الجمعية لم تقدم لهم شيئاً ، وآخرون يقولون بانها أعطت بسخاء . فما الذي قدمته الجمعية للفنان التشكيلي القطري من وجهة نظرك ؟ .

– الجمعية وجدت لغرض حماية الفن التشكيلي ، والفنان بصورة خاصة ، وهي جمعية وليدة وبحاجة إلى جهود الفنانين بجميع المستويات من أجل تحقيق الأهداف التى أوضحتها وبينها النظام الأساسي . فالجمعية مؤسسة اعتبارية تعتمد أساساً على نشاط كل فرد منا ، وأن ما يقدمه الفنان من خلال تلك الأهداف تنعكس فوائده لصالحه .

السلبيات والايجابيات

● ولكن على الرغم من مرور أكثر من عامين على إنشاء الجمعية إلا اننا لم نشهد أو نلمس لها اية انشطة تذكر . فلماذا ؟

– إن نشاط الجمعيه يعتمد قبل كل شيء على مجمل نشاطات الاعضاء ، فهذا الفن الصامت ، إنما يعكس طبيعته الصامتة ، ونشاطه يقتصر على المعارض الجماعية التي تقيمها الجمعية فى موسم كل عام ، ومتى ما توفر المناخ الملائم لتعاون الاعضاء وتواجدهم ، فان النتيجة حتما ستكون مضاعفة الانتاج وتنوع الأداء ..

● هل هناك سلبيات تقف أمام الحركة الفنية التشكيلية فى قطر ؟

الحركة الفنية التشكيلية فى قطر مثلها مثل الحركة الفنية في أى بلد عربى .. فالملاحظ اليوم أن الفن التشكيلى فى العالم العربى بطيء التطور ويواجه بعض المشاكل والأزمات لأسباب تتعلق بالفنانين أنفسهم ، وايضاً بعدم وجود نظام تفرغ للفنانين فى بعض البلاد العربية ، وهذا أمر ضرورى لحاجة الفنانين فى ممارسة نشاطهم الفنى باستمرار ، وعندما يتحقق هذا مستقبلا يمكن أن نشهد تطورا للفن التشكيلى .

● ما المعارض والأنشطة التى قامت بها الجمعية منذ انشائها حتى الآن ؟

– شهدت الجمعية منذ انشائها حتى الآن معرضين فنيين وفيما يتعلق بالأنشطة أود أن أوضح بأن هذا المجال يرتبط بالحاجة الى التفرغ الكامل ليمارس فيه الفنانون النشاطات المصاحبة ، وستسعى الجمعية لتحقيق ذلك إن آجلا أو عاجلا .

● هل يمكننا التعرف على نوعية المعارض المحلية والخارجية التى ستشتركون فيها ببعض أعمال الفنانين القطريين ؟

– إن الجمعية لا تتأخر عادة عن الاشتراك أو اقامة المعارض سواء المحلية أو الخارجية ، وعلى سبيل المثال هناك نية فى الاشتراك فى معرض الكويت والمعرض العربى الرابع كما أن الجمعية تستعد حاليا لتمثيل من يود الاشتراك فى هذه المعارض من الفنانين .

● هل يكفي الدعم الذى تقدمه وزارة الاعلام للجمعية لسد احتياجاتها ؟

– باسم كل الفنانين التشكيلين أتقدم بهذه المناسبة بالشكر الجزيل للمسئولين فى وزارة الاعلام على الدعم المالي والمعنوى اللامحدود الذى تقدمه باستمرار للفن وللفنانين ، وهذا إن دل على شيء فانما يدل على اهتمام الوزارة برعاية الفن التشكيلي أسوة بالفنون الأخرى .

● هل لكم أن تقيموا لنا الأعمال الفنية التشكيلية للفنانين القطريين بحيث نتعرف منكم على مدى عطاء هؤلاء الفنانين ؟

– الحقيقة أن بعض الفنانين يمتازون برسم ملامح الواقع والبيئة ويتمتع هؤلاء باعجاب وتقدير الكثيرين من رواد المعارض الفنية التى اقيمت فى الأعوام السابقة ، وهذا شأن الفن فى بداية عهده اذ لابد من التقرب للجمهور وكسبه بغية خلق جيل يتذوق الفن ويواكب تطوره غداً عندما يدرك أهميته كمضمون إلى جانب الشكل .

المرسم الحر

وهنا كان لابد أن أسأله :

● كيف تنظرون إلى الحركة الفنية فى الدول الخليجية ؟ وهل هناك صحوة فنية نستطيع أن نقول إنها تمثل نهضة فنية تشكيلية فى هذه الدول ؟

– يشهد الفن التشكيلي فى دول الخليج العربى تطوراً سريعاً ، وله باع طويل وخاصة فى دولة الكويت ودولة البحرين وأمل جديد فى السعودية وفى دولة الامارات العربية المتحدة .

● ما الدور الملقى على عاتق الفنانين التشكيليين القطريين ؟

– ان الفنان التشكيلى له وعليه دور تجاه المجتمع الذى يعيش فيه والأرض التى يحيا عليها ، فواجبه نحوها يتمثل فى قيامه بالتسجيل بفرشاته وألوانه طبيعة



نهضة قطر : للفنان جاسم زيني



مجلس عربي : للفنان يوسف الشريف

الجيل الذى عاش فى ظله ومعطيات الحياة والأرض ، لأن ذلك سيبقى سجلا يعكس نمط الحياة للأجيال القادمة .

● وهل تعتقد أن المرسم الحر استطاع أن يقدم شيئاً ما للحركة الفنية القطرية ؟

– المرسم الحر أمنية كانت تراود مخيلتى منذ تخرجى ووضعت له الأساس بالتعاون مع أساتذة التربية الفنية بوزارة التربية والتعليم .. وتحقق وجوده بفضل اهتمام المسئولين فى وزارة الاعلام ، وما من شك بأن هذا المرسم دعم للحركة الفنية التشكيلية فى قطر باعتباره مهداً لاعداد فنانين محترفين يساهمون فى الحــركة التشكيلية مستقبلا ، فهنيئاً لادارة الثقافة والفنون بوزارة الاعلام بنجاح هذا الصرح وهنيئاً للجمعية القطرية للفنون التشكيلية بهذا الكسب لأنها بحاجة إلى زيادة عـدد الفنانين المبدعين ليساهموا فى نشـاط الجمعية ويتولوا زمام الأمور فيها .

معهد للفنون

وتطرق حديثنا عقب ذلك إلى ضرورة العمل على قيام تخطيط اكاديمى للفن التشكيلى ، فقلت له :

● وما رأيكم فى انشاء معهد متخصص فى الفنون التشكيلية وهل هناك نية لانشاء مثل هذا المعهد ؟

– ان المعهد المتخصص فى الفنون التشكيلية شىء لابد منه وحتما سينشا هذا المعهد ان عاجلاام آجلا ويخضع ذلك . لظروف تطور التعليم فى قطر باعتبار أن الفنون ومجالاتها تاج للأعمال وشــهادة للأجيال .

● وما رأيكم فى حركة النقد الفنى لدينا ؟

– من خلال اطلاعي على بعض المقالات المحلية حول قيام المعارض الفنية يثير انتباهى ما يرد فيها من صياغة تتخللها مصطلحات تؤكد للقارىء بأن كاتبها على صلة وثيقة بالفن ولكن على شكل تقليدى ، وعلى كل فعلى الناقد أن يمتاز بثقافة فنية تمكنه من تشريح اللوحة أو العمل الفنى والحكم على أصالته بغض النظر عن هوية الفنان ، وهذا النوع من النقاد غير متوفر في قطر ، وفيما يتعلق بالعالم العربى فان هؤلاء النقاد قليلون وان وجدوا فانهم محسوبون فى عداد الفنانين التشكيلين .

يوسف الحرمي

في المعرض السادس للفنون التشكيلية

مدارس فنية متصارعة ومحاولة لكسر الجمود

بقلم : حسن الملا



تكوين : زكريا يوسف

لاشك أن الفن هو اللغة المشتركة التى تخاطب كل الشعوب وتقرب المسافات بينها وتدعم الصلة الانسانية التى نحن فى أشد الحاجة اليها فى يومنا الحاضر الذى تتسابق فيه الدول الكبرى إلى انتاج أسلحة الدمار المهلكة ..

ان العمل الفنى المتميز فى أى لوحة فنية يصبح فى عالمنا مثل العصارة الخضراء التى تنتقل من الجذر الى الساق إلى الأغصان إلى الأوراق فتلون الشجرة كلها بلون بديع واحد ..

ومن هذا المنطلق يأتى المعرض العام السادس للفنون التشكيلية الذى افتتحه الأستاذ محمد عبد الرحمن الخليفى وكيل وزارة الأعلام ضمن سلسلة المعارض التى أقامتها ادارة الثقافة والفنون بوزارة الاعلام ، والتى أرادت بها ابراز فكرة نبيلة تهدف الى تلاقى مشاعر الفنان القطرى بمشاعر أخيه العربى ، لتكون محصلة هذا التلاقى رؤية فنية متبادلة من أجل التعرف والتذوق والدراسة ..

لقد تعودنا فى المعارض السابقة بأن تكون مقصورة على الفنانين التشكيليين القطريين فقط ، فجاء هذا المعرض ليفتح المجال أمام الأخوة الفنانين العرب والأجانب القاطنين فى دولة قطر ، إلى جوار اشقائهم الفنانين القطريين ، لاعطاء الحركة الفنية فى البلاد دفعة نحو مزيد من العطاء والابداع والتخلص من الجمود الذى أصاب بعض الفنانين الذين توقفوا عن ممارسة نشاطهم الذى تعودنا عليه طوال السنوات الماضية ..

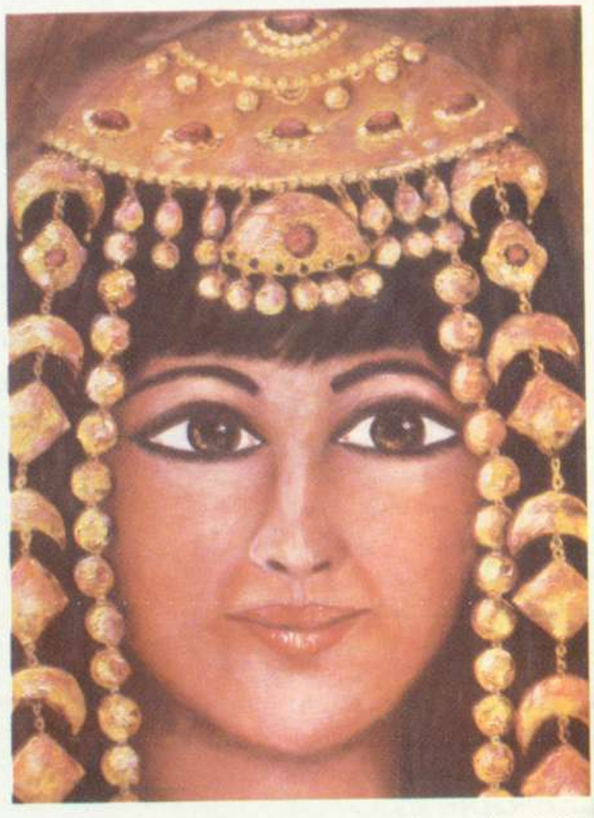
وقد تحقق ـ فعلا ـ من خلال هذا المعرض التفاعل الحى الملموس بين



جلسة شعبية : يوسف احمد



وكيل وزارة الاعلام الأستاذ محمد عبد الرحمن الخليفي أثناء افتتاح المعرض السادس للفنـــون



وجه : سوزان حسن فهمي

مدارس فنية متصارعة ومحاولة لكسر الجمود



القلعة : ناصر المريخي



السوق : كامل الحداد

الفنانين ، بغض النظر عن جنسياتهم ، مما اكد أن الفن لا حدود له ولا جنسية له ، فالفنان أينما كان تجمعه دائماً مع اخوانه الفنانين لغة مشتركة هى الابداع الفنى حتى لو اختلفت المدارس والأساليب !

ورغم التلاحم والعطاء فى هذا المعرض فان هناك وجهات نظر متعددة حول القاعة التى عرض بها والتنظيم وغير ذلك ، إلا أن كل تلك الملاحظات تتبعثر أمام نجاح فكرته وتجعلنا نطالب بضرورة وجود القاعة المخصصة للمعارض الفنية وضرورة اهتمام المدارس باعداد زيارات للمعارض للتعرف على الأعمال والأساليب الفنية ولتنمية التذوق الفنى لدى النشء فى وقت مبكر ..

المشتركون فى المعرض

ولأول مرة نرى ٣٠ فنانا من مختلف الجنسيات يشتركون فى معرض واحد ، ضم ثمانين عملا فنيا ، منها قطعتين من النحت والباقى لوحات زيتية ومائية وباستيل ، وكانت اكثر الأعمال من واقع البيئة الاجتماعية بصورة معاصرة الى اهتمام بقية الأعمال بقضايا الانسان العربى وخاصة مذبحة صبرا وشاتيلا والغزو الاسرائيلى للبنان ..

وقد كان من بين الفنانين الذين شاركوا فى هذا المعرض :

● يوسف احمد ، الذى اشترك بلوحتين من البيئة المحلية ، واستطاع خلال هذا المعرض أن يؤكد للذين يتابعون اعماله واسلوبه الفنى ، بانه قادر على التنوع وليست اعماله الفنية مقصورة فقط على الخط العربى .

● سلمان المالكى .. وهو فنان نشط فى الرسم الصحفى والكاريكاتير ، شارك فى كثير من المعارض المحلية والدولية ، وكان له فى هذا المعرض ثلاث لوحات زيتية هى : استرخاء ، والغزو ، وتكوين .. ويتميز أسلوبه بالتمكن والابتعاد عن التلقائية والمباشرة ، مع الاهتمام بالتكنيك والموضوعية ..

● زكريا يوسف احمد .. مدرس بوزارة التربية والتعليم ، تخصص تربية فنية ، اشترك بعدد ثلاث لوحات زيتية هى : أسماك ورقصات خليجية والأمومة .. يتميز



رسالة من طفلة فلسطينية : احمـد سـلام شراب

أسلوبه بالبساطة والقدرة على تطويع اللون للفكرة ..

● عيسى الغانم .. فنان تشكيلى قطرى شارك فى جميع المعارض المحلية ومثل قطر فى كثير من المعارض فى الخارج .. اشترك بثلاث لوحات ، واستخدم الباستيل فى بعض لوحاته باسلوب تاثيرى يميل إلى التجريد ..

● ممدوح فوده .. يعمل مدرساً بوزارة التربية والتعليم ، اشترك بعملين : الخريف ، ومصارعة الديوك .. وتاتى لوحاته بلمسة شاعرية وتكوينات متميزة خاصة لوحة الخريف فهى عبارة عن منظر طبيعى تالف معه وجسده بفلسفته التجريدية الخاصة ذات المساحات المختلفة والملونة باللون الاخضر بدرجاته المختلفة الذى استطاع أن يخلق انسجاما بين محتويات اللوحة كورق الشجر والأرضية والسماء .

● خالد الجتال .. طالب فى المرحلة الثانوية واحد المنتسبين للمرسم الحر ، اشترك بلوحتين بالألوان المائية هما : شروق ، وسمك .. لوحات خالد الجتال تدعونا الى عالم مختلف تماماً وهو عالم التلقائية والتعبير النابع من المشاعر دون أدنى تاثير .

● ناصر المريخي .. اشترك بخمس لوحات زيتية .. وياتى ناصر المريخي فى نفس الطريق الذى سار عليه الفنانين فى قطر مثل علي الشريف ويوسف الشريف وماجد هلال ألا وهو النقل من الطبيعة المحلية كما فى لوحة القلعة ، الا انه فى اللوحات الباقية يحاول ان يشكل ما يراه على الطبيعة باطار خاص تكون من مساحات هندسية .

● ياسر ابو سيدو فنان فلسطيني اشترك فى كثير من المعارض المحلية والدولية ، اقام معرض شخصي لأعماله فى العام الماضى فهو احد الفنانين الذين اسهموا اسهاماً ملموساً فى حركة التشكيل الفلسطينى واحد الذين اتخذوا الأراضى الفلسطينية والقضية شعاراً لهم فى كل أعماله الفنية ، خاصة فى لوحة صبرا وشاتيلا ، وهو لا ينسى التغنى بالوطن الذى احتضنه وعاش تحت سمائه حيث قدم لوحة الماضى والحاضر التى تحكي عن نهضة قطر بماضيها وحاضرها .

● سوزان حسن فهمى .. اشتركت بثلاث لوحات زيتية هى وجه ، ومن الفن الشعبى والحنين الى البحر ، واستلهمت موضوعات لوحاتها من الحياة الشعبية القطرية ، واستطاعت ان تجسدها بالألوان والخطوط والتكوين بشكل عام يقوم على الاجزاء التفصيلية كتفاصيل الوجه وزخرفة القلادات الذهبية التى ارتدتها الفتاة فى لوحة وجه ، وكذلك فى لوحة الحنين الى البحر .

● ماجد هلال : أحد الفنانين القطريين الذين اشتركوا فى عدة معارض محلية ، وقدم فى هذا المعرض لوحتين وهما من وحى البحر ومن وحى البادية .

● اسد النيل عادل ياسين .. اشترك بلوحتين هما الجزيرة القمرية واه ناجي .

● مي سالم .. اشتركت بثلاث لوحات استخدمت الخرز الملون فيها واستطاعت بها ان تكون من خلالها سيمفونية كونية متحركة .

ومن المشاركين فى هذا المعرض امينة كاظم وحسن الملا وعصام احمد الراوي واحمد زيني ومحمد محمود حسب الله ومحمد توفيق محمد احمد كشك ونوره على راشد وآمال حسن ولطيفه يوسـف عبد الرحمن وكامل الحداد عبد الله العكاري وسلطان الغانم وسعد اللوح ومحمد عبد الرحمن الدوراني وغيرهم من الفنانين الذين رأينا فى لوحاتهم المزيد من العطاء والمزيد من البـذل لاثراء الحركة الفنية فى قطر .

حسن الملا



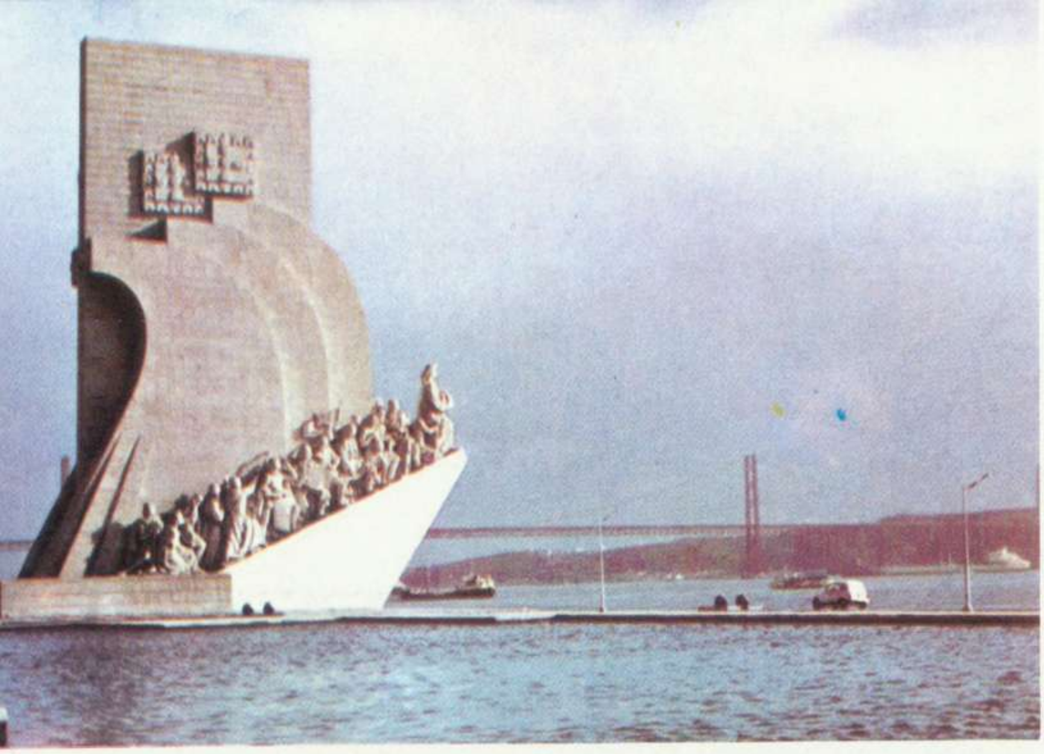
اسواق الزهور على الطرقات المزينة بالموزاييك .. من معالم سحر لشبونة

مدينة لشبونة الإسلامية

كيف سقطت في أيدي الصليبيين ؟

بقلم : د. أمين الطيبي

بدأ افتتاح العرب لشبه جزيرة ايبرية من ايدي القوط الغربيين سنة ٩٢ هـ ٧١١ م وشمل كل شبه الجزيرة تقريباً بما فى ذلك غرب الأندلس (البرتغال حالياً) . وقد تم فتح العرب لغرب الأندلس بما فى ذلك لشبونة على يد موسى بن نصير وابنه عبد العزيز (٩٣ ـ ٩٧ هـ / ـ ٧١٦ م) ، ولو ان ما يلى نهر دويره شمالا خرج من أيدى المسلمين فى فترة مبكرة . وكانت مدينة لشبونة (وتشير إليها المصادر العربية أيضا باسم الأشبونة وأشبونة) تشكل بادىء الأمر جزءاً من كورة باجة ثم أصبحت كورة مستقلة تتبعها فى قاصية الغرب شنترين ، وشنترة ، والمعدن ، ويلمالة ، وقصر ابى دانس ، والى الشمال منها كانت كورة قلمرية (Columbria) حتى نهر دويره (Duero) ، اى ان كل اراضى البرتغال الحالية كانت تشكل جزءاً من الأندلس الاسلامية فى أيام الدولة الأموية بقرطبة . وقد تردد ذكر لشبونة فى المصادر العربية حينما بدأ المجوس (الأردمانيون) من أهل الشمال (اسكندناوة) غاراتهم الخاطفة المدمرة على سواحل الأندلس الغربية فى منتصف القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادي ، فانشئت فيها على الاثر دار صناعة لبناء المراكب البحرية ، وغدت لشبونة



النصب التذكارى لعصر الاكتشافات البرتغالية .

قاعدة بحرية لدرء مثل هذه الغارات فى المستقبل ، وقد تكررت فعلا طوال قرن ونيف من الزمن . كما اقترن اسم لشبونة فى القرن ذاته بقصة « الفتية المغررين » الذين شرعوا فى رحلة جريئة فى البحر المحيط (الأطلنطي) « ليعرفوا ما فيه من العجائب وليقفوا على نهايته » ، وهى رحلة سبقت حركة الكشوف الجغرافية بستة قرون . وقد افاض الجغرافيون المسلمون فى الحديث عن خيرات لشبونة وكورتها ، وكانت المدينة سوقا تجارية لما يجلب من الجزر البريطانية آنذاك من عبيد وفراء وقصدير . كما لعبت لشبونة وموانىء غرب الأندلس دوراً بارزاً فى الحملة البرية البحرية الكبيرة التى قادها المنصور محمد ابن أبي عامر عام ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م وانتهى فيها مظفراً الى مشهد سانت ياقب (Santiago de Compostella) فى اقصى الركن الشمالى الغربي لشبه جزيرة ايبرية .

وبعد انتهاء الخلافة الأموية فى قرطبة (٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م) ، كان غرب الأندلس مسرحاً للحروب بين اثنين من أمراء الطوائف هما ابن الأفطس صاحب بطليوس وابن عباد صاحب اشبيلية ، مما انهك كليهما فى وقت توحدت فيه قشتالة وليون وأخذ ملكهما الصليبي النزعة ، فرديناند الأول ، يتوسع جنوباً فى غرب الأندلس مهدداً قواعد المسلمين وحواضرهم فيه .

ولما قدم المرابطون فى اواخر القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى خشى المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس وغرب الأندلس على ملكه ، فداخل الفونس السادس ملك قشتالة وليون أملا فى الحصول على مساعدته ضد المرابطين ، وتنازل له فى مقابل ذلك عن لشبونة وشنترين وشنترة (٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م) ، الا ان المرابطين سرعان ما استردوا هذه المدن بعد إطاحتهم بابن الأفطس .



هذا المبنى التاريخى من اشهر معالم لشبونة ويعود الى القرن السادس عشر

الصيادون والزبائن فى جنوب لشبونة حيث يتعاملون فى الصيد اليومى للسردين



وفى هذه الأثناء استصرخ الفونس السادس النصارى من وراء جبال البرتات (البيرانيز) لنجدته لمواجهة خطر المرابطين عليه ، فاستجاب لندائه الوف الفرسان من جنوب فرنسا على الخصوص . وكان من بينهم احد نبلاء مقاطعة برجندية (Burgundy) واسمه هنريق (Henriques) ، الذى زوجه الفونس من ابنته تيريزا وقدم لهما مهراً مقاطعة برتقال (أبورتو) وقلمرية . وفى اوائل القرن السادس الهجرى / الثاني

مدينة لشبونة الإسلامية

كيف سقطت في أيدي الصليبيين؟

عشر الميلادى تمكن ابنهما الفونسو هنريق ـ الذى تسميه المصادر العربية ابن الريق ، اى ابن هنريق ـ من الاستقلال الذاتى حاملا أولا لقب صاحب قلمرية ، ثم لم يلبث ان استقل استقلالا تاما بعد عام ١١٣٩ م ، بعد ان أحرز بعض الانتصارات المحلية على المسلمين ، منتهزاً حالة الضعف والفوضى التى عمت الأندلس فى اواخر أيام المرابطين الذين شغلوا عن الجهاد فى الاندلس بما دهاهم من قيام الموحدين عليهم فى المغرب .

وعلى أثر استرداد نور الدين زنكى مدينة الرها (Edessa) فى بلاد الشام من أيدى الصليبيين ، دعا البابا الى حملة صليبية أوروبية كبيرة لاستردادها ، واغتنم ابن الريق فرصة مرور جماعات صليبية من الانجليز والالمان بساحل بلاده وناشدهم مساعدته للاستيلاء على لشبونة من أيدى المسلمين . فكانت تلك الحملة الصليبية على المدينة التى صمدت منفردة فى وجهها بكل بسالة سبعة عشر اسبوعاً دون ان تتلقى اية استجابة لاستصراخها امراء المسلمين المجاورين ، مما ادى الى سقوطها فى ايدى النصارى يوم ٢٧ جمادى الأولى ٥٤٢ هـ / ٢٤ أكتوبر ١١٤٧ م ، بعد ان ظلت مدينة اسلامية نحواً من اربعة قرون ونصف القرن .

رواية معاصرة

وهناك رواية معاصرة عن الهجوم الصليبى على مدينة لشبونة (٥٤٢ هـ / ١١٤٧) تقول :

كان الفونس السادس صاحب قشتالة وليون قد قدم كما أسلفنا مقاطعة برتقال الواقعة بين نهر دويره ومينه (Minho) سنة ١٠٩٧ م مهراً لابنته غير الشرعية تيريزا وزوجها البرجندى كونت هنريق ، وورث المقاطعة من بعدهما ابنهما الفونسو الذى تسميه المصادر العربية ابن الريق (اى ابن هنريق) . وقد استغل ابن الريق صاحب برتقال المنازعات الداخلية فى قشتالة بين الملك والنبلاء للمناداة باستقلاله فى مقاطعته واتخذ قلمرية عاصمة له ، كما اتخذ لنفسه لقب (أمير البرتقال) ، فكان ذلك بداية استقلال البلاد المعروفة اليوم بالبرتغال .

يؤرخ البرتغاليون بداية استقلال بلادهم بسنة ١١٣٩ م ، وفيها احرز ابن الريق ، كما تقول الروايات المسيحية ، انتصاراً محلياً على قوة مرابطية فى أوريق (Oric) بالقرب من شنترين ، وعلى الأثر بادر بالمناداة بنفسه ملكاً . وكانت البلاد التى تولى ملكها تمتد انذاك من نهر مينه الى نهر منديق (Mandingo) ، والى الجنوب من قلمرية كانت لشبونة وشنترين تشكلان جزءاً من الأندلس الاسلامية .

وفى سنة ٥ ـ ٥٣٦ هـ / ١١٤٠ م سنحت لابن الريق أول فرصة لمهاجمة مدينة لشبونة عند مرور اسطول يحمل صليبيين فى طريقهم الى فلسطين ، وقبل هؤلاء الصليبيون معاونته فنهبت ارباض مدينة لشبونة ولكن المدينة صمدت فى وجههم .

وفى اواخر سنة ٥٤١ هـ / ربيع سنة ١١٤٧ م ، انتهز ابن الريق فرصة انشغال الموحدين فى الاستيلاء على اشبيلية من ايدى المرابطين ومحاولتهم بعد ذلك انقاذ المرية من هجمات النصارى ، فهاجم شنترين التى تتحكم فى الطريق المؤدية الى لشبونة واستولى عليها غدراً فى ١٠ شوال سنة ٥٤١ هـ / ١٥ مارس ١١٤٧ م ، بمساعدة فرسان الداوية (Templars) .

وكانت شنترين مركزاً نشطا لغارات المسلمين على منطقة قلمرية ، ففتح الاستيلاء عليها الطريق الى لشبونة الميناء الآهل الذى كان ينعم بالرخاء عند مصب نهر تاجه . ومما حفز ابن الريق للتاهب لمهاجمة لشبونة ثانية وصول انباء باقتراب اسطول صليبي آخر من ساحل بلاده . وكان هؤلاء الصليبيون فى طريقهم الى فلسطين استجابة لنداء البابا الذي دعا مسيحيي اوروبا للتوجه لمحاربة المسلمين فى المشرق ، بعد ان استرد نور الدين زنكى مدينة الرها (Edessa) ، وكانت عاصمة اولى الامارات الصليبية فى الشرق . وكان الأسطول الصليبي القادم فى مواجهة ساحل اراضى ابن الريق يتكون من ١٦٤ مركبا ، تحمل نحو ثلاثة عشر ألف رجل أبحروا من ميناء دارتموث على ساحل انجلترا الجنوبى فى شهر ذي الحجة سنة ٥٤١ هـ / مايو ١١٤٧ م . وكان هؤلاء الصليبيون ثلاث جماعات : إنجليز والمان وفلمنك (من شمال بلجيكا حاليا) . وقد ترك لنا وصفا وافيا للحملة راهب إنجليزى من المشاركين فيها ، وذلك فى خطاب بعث به إلى مواطن انجليزى اسمه أزبيرت (Osbert) من بلدة بودسي (Bawdsey) بمقاطعة سفولك (Suffolk) بانجلترا (المخطوط للخطاب محفوظ فى كلية كوربوس كريستي بجامعة كمبردج بانجلترا) . وفضلا عن كون الخطاب المصدر الرئيسي لمعلوماتنا عن تفاصيل الحملة ، فانه كذلك وثيقة مهمة لما يشتمل عليه من وصف مفصل لحصار مدينة فى القرون الوسطى ، دفاعاً وهجوما ، بما فى ذلك استعمال المقاليع والمجانيق والعرادات وحتى الالغام .

عند مرور الصليبيين بميناء برتقال (أبورتو) للتزود بالمؤن ، رحب بهم أسقف المدينة ودعاهم لمساعدة ابن الريق فى مهاجمة لشبونة وانتزاعها من ايدى المسلمين ، على ان يكون من نصيبهم الغنائم والرهائن . ولما اجتمع ابن الريق بزعماء الصليبيين للاتفاق على الشروط ، نكر لهم ضيق ذات يده بحجة كثرة حروبه مع المسلمين ، وحاول ان يستدر عاطفتهم الدينية دون جدوى . وأخيراً تم الاتفاق على ان تؤول كل الغنائم فى المدينة الى الصليبيين وحدهم ، وكذلك المدينة الداخلية وفدية الأسرى ، كما عرض ابن الريق اراضي على من يرغبون من الصليبيين فى الاستقرار في الأراضي المفتوحة .

وقبل بداية الهجوم ، أوفد ابن الريق اثنين من كبار رجال الدين للطلب الى والي لشبونه وقاضيها تسليم المدينة . وقد جرى بينهم الحوار الطريف التالي : خاطب رئيس أساقفة براجه (Braga) قاضي لشبونة وكان ورجاله فوق سور المدينة ، طالباً منه الرحيل والتخلي عن البلاد لأهلها زاعماً بأن العرب انما كانوا قد استولوا على المدينة عن طريق الخداع . فاجابه القاضي قائلا : كم من مرة جئتم الى هنا مع حجاجكم وأعلاجكم لاخراجنا ؟ هل انتم غير قانعين بما لديكم أو هل ثمة مشاكل فى دياركم تدفعكم الى التحرك المستمر ؟ .... أحسب ان

هذه المدينة كانت فى وقت من الأوقات ملكاً لكم ، ولكنها الآن ملكنا ، وقد تؤول اليكم فى وقت ما فى مستقبل الايام ، الا ان ذلك رهن بمشيئة الله . فبمشيئته تعالى احتفظنا بالمدينة ، ولن تخرج من ايدينا الا بمشيئته تعالى فقط . انصرفوا ، فلن تدخلوا المدينة الا بحد السيف .. اصنعوا ما تشاؤون ، اما نحن فسنعمل ما يشاؤه الله تعالى .

بدأت العمليات الحربية فى اليوم التالى وتمكن الصليبيون الانجليز ، باستعمالهم المقاليع ، من إبعاد المسلمين عن الربض الغربى الى داخل المدينة المسورة حيث صمد المدافعون لهم ، وخيم المهاجمون فى مقبرة المدينة . وفى اليوم التالى ، قام المسلمون بهجوم مضاد لمحاولة استرداد الربض الغربي دون جدوى . وأبدت المدينة مقاومة طويلة ، ونصبت المجانيق ، ولكنها أحرقت كما أحرق المدافعون برجا خشبياً اقامه الانجليز . وشرع الألمان فى حفر انفاق تحت الأرض ، ولكنهم طردوا منها . وبعد مضى ستة أسابيع ، اخذت عزيمة المهاجمين فى الفتور ، واخذ المدافعون يسخرون بهم من فوق أسوار المدينة ويعيرونهم ــ على حد قول الراهب صاحب الخطاب ــ « بالعديد من الأطفال الذين سيولدون لنا فى اوطاننا اثناء غيابنا ، كما سخروا من ديننا » . وفى احدى الليالى شوهد زورق صغير فى البحر متوجهاً الى بلمالة ، فهوجم الزورق وفر من فيه وعثر فيه على رسائل تستصرخ ابن وزير المنتزى فى يابره (Evora) . وبعد بضعة أيام ، قيل إن رسولا من يابره وقع فى الأسر ، وكان يحمل رسالة من ابن وزير صاحب يابرة يعتذر فيها عن تقديم المساعدة بحجة انه كان فى هدنة مع ابن الريق !

وفى هذه الأثناء ، اخفقت جميع محاولات الصليبيين لنقب السور بالمجانيق والعرادات ، كما ساءت أحوال المسلمين لنقص المؤن . وحاول الألمان والفلمنك وضع لغم طويل تحت السور ، واشعلت فيه النار فى يوم ١٦ أكتوبر (١١٤٧ م) ، الا أن المدافعين احتلوا النفق الذي أحدثه الانفجار . وبعد ذلك بثلاثة أيام ، اتم الانجليز بناء برج خشبي ارتفاعه ثمانون قدماً ، وأدنوه من السور المطل على ضفة النهر (نهر تاجه) ، ونشب حوله قتال عنيف وحاول المسلمون إضرام النار فيه دون جدوى وبعد ثلاثة أيام من القتال بالأيدى ، أدنى البرج من السور ، وأنزلت من اعلاه قنطرة متحركة فوق حافة السور ، وعندئذ طلب المسلمون الهدنة . فتم الاتفاق على وقف الهجوم ، واعطاء أهل المدينة مهلة ليلة واحدة للتداول فيما اذا كانوا يريدون الاستسلام ، وسلموا رهائن لابن الريق .

الا ان ذلك لم يرق للصليبيين ، فهموا بالفتك بالرهائن غير ان المسلمين رفضوا التفاوض الا مع ابن الريق . واتفق الصليبيون على طريقة دخول المدينة بعد تسليمها ، الا انهم لم يعملوا بما اتفقوا عليه ، وبادر الألمان والفلمنك بالدخول من النقب الذى كان قد احدث فى السور . وكان دخول النصارى للمدينة فى يوم ٢٧ جمادى الاولى سنة ٥٤٢ هـ / ٢٤ اكتوبر ١١٤٧ م ، بعد حصار دام سبعة عشر اسبوعا . ومع انه سمح للمسلمين بمغادرة المدينة ، الا انها نهبت وقتل الكثيرون من اهلها ، كما قتل اسقف النصارى المستعربين فى المدينة .

ما بعد السقوط

هذا هو مجمل رواية احد الصليبيين الذين شاركوا فى الهجوم على مدينة لشبونة الاسلامية ، وهى رواية فريدة اذ إن المصادر العربية ــ أو ما وصلنا منها على الأقل ــ لم تترك لنا شيئا يذكر عن هذا الهجوم الضاري على المدينة ، وعن صمود أهلها الباسل منفردين فى وجه هذه الجموع الصليبية . وكل ما لدينا إشارتان مقتضبتان اولاهما عبارة واحدة لابن غالب يقول فيها « وكانوا (النصارى) ثلاثة عشر ألف رجل ، وفني الكل (السكان) فى القتال ، ولم يبق الا اليسير » . اما الاشارة الثانية ، فقد اوردها ابن دحية حيث يقول « وقد أخذ الآن هذه البلاد ابن الريق اللعين ... لما خاف أهلها من القتل ، ورأوا ان الاسر دونه لكثرة من جاءهم فى البر والبحر ، وقعود المسلمين عن الحماية لهم والنصر ، حتى ملك الكفار معاقلهم المنيعة ، وحصونهم المرتفعة » .

واحتل الصليبيون كذلك معقل شنتره المجاور للشبونة من جهة الغرب ، وحصن بلمالة جنوبي نهر تاجه ، وأصبح خط دفاع المسلمين يمتد جنوبي النهر من ثغر قصر ابى دانس (Alcacer do Sal) الى يابره . وأصبحت لشبونة معقلا نصرانياً على الحدود ، مثلها فى ذلك مثل طليطلة . ولعل الاستيلاء على لشبونة كان أعظم ما حققه ابن الريق ، الذى بادر بعد ثلاث سنوات من استحواذه على المدينة الى تحويل مسجدها الجامع الى كنيسة ، هى اليوم كاتدرائية لشبونة .

كان سقوط لشبونة فى أيدي النصارى من حيث الأهمية كسقوط طليطلة عام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م ، وسقوط سرقسطة عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م . وانهال سيل من المستوطنين النصارى على لشبونة وشنترين ، بعد جلاء معظم سكانهما المسلمين عنهما ، ونصب احد الصليبيين واسمه جلبرت (Gilbert) من مدينة هاستينجز بانجلترا أسقفاً فى لشبونة ، فكان اول اساقفتها ومن المتحمسين لفكرة تحويل المسجد الجامع فى لشبونة الى كاتدرائية .

وقد اتخذ المسلمون قصر ابي دانس (Alcacer do Sal) قاعدة للاغارة بحراً على احواز مدينة لشبونة بعد سقوطها فى ايدى النصارى . وفي الغزوة الكبرى التى قادها السلطان الموحدى يوسف ابن عبد المؤمن لاسترداد شنترين سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م ، غزا كذلك لشبونة واحوازها بالأساطيل ، وكما يقول الحميرى فقد « برز أسطوله على الأشبونة وحاصرها عشرين يوماً » .

وقد افاد النصارى حضارياً من استيلائهم على قواعد اسلامية كبرى فى الأندلس كطليطلة وسرقسطة ولشبونة . اما بالنسبة للشبونة ، فقد كان لما افادوه اثره الفعال فى حركة الكشوف البرتغالية فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر . ويقول باحث برتغالى حديث إن القانون الجنائى البرتغالى فى العصر الوسيط يكاد يكون كله عربياً فى محتواه ومناصبه ، ويضيف قائلا ان ذلك ليس بالأمر الغريب بعد ان حكم العرب البلاد نحو خمسة قرون كما يرجع ذلك الأثر العربى الى حد ما لكون ملك البرتغال اتخذ عاصمة له مركزاً عربياً مهما ، الا وهو لشبونة . وكانت لشبونة قد حلت محل قلمرية كمقر رئيسي للملك والادارة فى عهد الفونس الثالث (حكم ١٢٤٦ ــ ١٢٧٩ م) .

وما زال الحي الشرقي من لشبونة يحمل اسمه العربي وهو الحمة (Alfama) . ويقوم هذا الحي « على ربوة عالية ، وهو يشبه القصبات فى المدن المغربية بشوارعه الصغيرة الصاعدة الهابطة ، وبيوته ذات الرحبات . وعلى قمة الربوة اطلال الحصن الأندلسي ، الذى كان يقوم وسط القصبة ، وهو يكتشف البحر الى مسافة بعيدة » . ويعرف الحصن العربي اليوم باسم حصن القديس جورج ، ولعل تسمية الحصن بهذا الاسم تمجيد من جانب البرتغاليين للدور الذى قام به المحاربون الصليبيون الانجليز فى الاستيلاء على مدينة لشبونة من ايدى المسلمين ، اذ ان القديس جورج كان وما يزال القديس الراعي لانجلترا .

د . أمين الطيبي



مفيد فوزي

د. زكي نجيب محمود "للدوحة":

خمسون عاماً ، هى مشوارى مع الفكر والتأمل . وأنا متزوج من أستاذة فى علم النفس . وليس لى أولاد . وفى مكتبتى خمسة آلاف كتاب . وأنا مشتغل بالفلسفة ولست فيلسوفاً . وقضيت حياتى أدعو للعقل واحترام الفكر . هذا هو الدكتور زكى نجيب محمود . فماذا يقول للدوحة اذا تقاسمنا حواراً !

● أنا مشتغل بالفلسفة .. ولست فيلسوفا

● لماذا نبني نهضتنا على الأخذ من أوربا فقط ؟

● أحب الحيوان .. ولا أطيق أن أعايشه

● أنا متصوف زاهد .. مطالبي قليلة

لا أنسى له هذا «الموقف» !

وإذا كنت أتوقف عند هذا السلوك الجامعي باحترام شديد، فلأنه «موقف» مثالي لأستاذ جامعي، من هذه المواقف التي نسمع عنها في جامعات الغرب ونحلم بها في جامعاتنا العربية.

حين يختلف التلميذ مع استاذه في الرأى. وللدقة، حين يكون للطالب أو للطالبة رأى آخر غير رأى الأستاذ! الذى يحدث عادة، أن الطالب ـ المختلف في الرأى ـ مع أستاذه.. يحظى بصفر كبير! ذلك أنه كيف يجرؤ على الخلاف. إن رأى الأستاذ غير قابل للنقاش أو الجدل!

ولم اسمع هذا الموقف من الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود، بل سمعته وعرفته من احدى «تلميذاته» في الجامعة!

كان لها رأى يخالف رأى د. زكى نجيب محمود في قضية فلسفية، فإذا الدكتور زكى نجيب يعطيها «الثمرة النهائية» وتحصل على تقدير امتياز!

لقد وصفت «موقف» الدكتور زكى نجيب محمود بأنه موقف «حضارى» لأستاذ جامعي، يحترم «الرأى الآخر» مهما كانت مسافة الاختلاف!

وقد كان سلوك د. زكى نجيب محمود، مدخلا للحوار، لكنه بكل تواضع العلماء عبر الموقف نفسه وقال: لا يمكن أن أحكم على رأى الطالبة التى اختلفت معى في الرأى بميولى الشخصية. لابد أن تكون نظرتى ونظرتنا جميعا «علمية». أحيانا إذا ناقشت انسانا ما في «خطأ» ما ذهب اليه من تفكير، تصور أنك «تهينه» يستقبل رأيك وكأنه إهانة!

تحدثنا ـ د. زكى نجيب محمود وأنا ـ حديثا طويلا، وبيننا «مسجل» يحتفظ بكل خلجات الأستاذ الى «انصات» عميق لما يقول. لأنه من الناس الذين يعتقدون أن الحوار معناه. متحدث.. ومنصت. ثم منصت ومتحدث. أما أن يتكلم اثنان في وقت واحد فهذا هو التخلف بأجلى معانيه!

لم أكن في حاجة الى كتابة الأسئلة أو نقط الحوار. لأن د. زكى نجيب محمود كان يتسلل من موضوع الى موضوع بدقة الباحث أو عمق المحاور. اعتبرت نفسى أجلس في «حلبة» فلسفية. استمع، وانصت، وأتأمل، وأحاور، وأسجل!

● ....

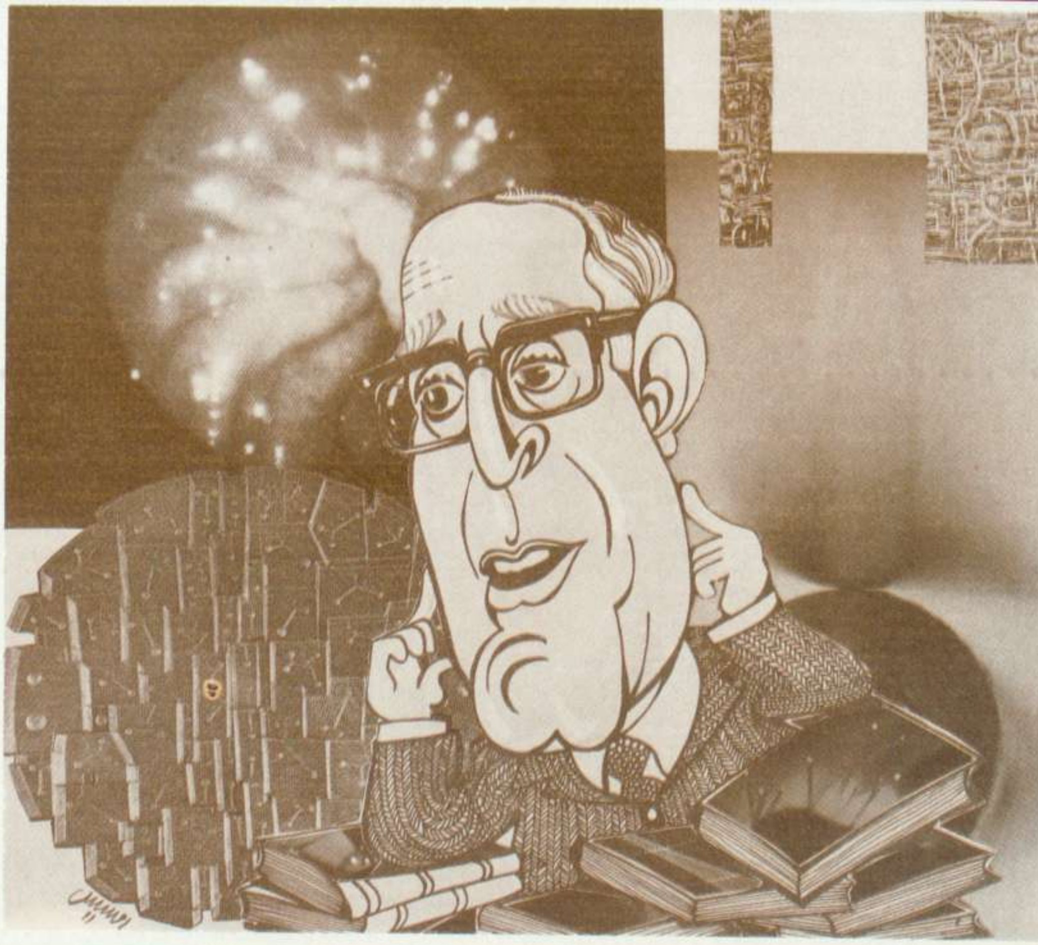
د. زكى نجيب محمود: عيبنا الرئيسى بل سمتنا المريضة أننا لا نطبق العقل. كل أفكارنا وأحكامنا تصدر من غرفة الوجدان! وقفاتنا «انفعالية». الانسان عموما، مفطور على أنه لا يأتمن العقل. ولذلك نجد صورة العقل مشوهة وغير واقعية في الخيال الشعبي! ولماذا نذهب بعيدا؟ ان «أسطورة فاوست» قائمة على هذا الأساس. نحن على استعداد أن نسلم أنفسنا لمن يستهينون بالعقل.. أكثر مما نسلم أنفسنا لعالم. تصور لو ان صاروخا قادم من القمر (انقطم وسطه).. سوف نضحك وربما نفرح. لماذا؟ لأننا ـ دون أن ندرى ـ نحب أن يفشل العلم. في أعماقنا تموج رغبة عارمة الا ينتصر العلم. وكأننا بهذه الصورة نطمئن على أنفسنا. وأنا رجل كرست حياتي من أجل الدعوة.. للعقل ولو سألتنى، لماذا خضت بحار الفلسفة؟ لقلت لك: لأنى أدعو للعقل ونبذ الوجدان! أنا أقول دائما: دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله وأقول دع للعقل ما للعقل، وللوجدان ما للوجدان. أنا وجدانى أيضا ولكنى أحب أن أحصر دور الوجدان. فأنا لست وجدانيا في أمور المنطق والعقل ولا أحب أن أحل مشكلات الحياة بالوجدان، وإلا كان هذا تنازلات مرفوضة!

● ....

د. زكى نجيب محمود: لا تظن كما يظن الكثيرون أن جانب العقل عندى أكبر من جانب الوجدان. ربما ذهبت أنت في ظنك هذا لأنك تلاحظ أن صفحات كتبى لا تمل أو تيأس من الدفاع عن العقل. لكنى أحب أن أوضح نقطة هامة هنالك، ولقرائك الأفاضل. ففى تاريخ الفكر كله نوعان من الكتابة الكاتب يكتب ليؤيد أو يكتب على سبيل العلاج (Corrective Writing) حتى الفلاسفة. واحد جاء ليعبر عن الحضارة أو لينتقد الحضارة. وأنا أضفت مسألة العقل للكتابة، لأنى لا أتصور أن «أحسم» «أمور العقل بالقلب»! أذكر أنى كتبت ذات مرة مقالة بعنوان «لو كتبت بقلبى» وقلت: لو كتبت بقلبى لن أكون منطقيا في أحكامى. سوف تصدر عنى مواقف انفعالية. ثم اتبع ميولى الشخصية. ثم أكون بعيدا عن الموضوعية. ومع ذلك أريد أن أتوقف لحظة لأقول لك أنى لا أنبذ الوجدان الا في الأمور العقلانية. بيد أننى في حقيقتى متصوف وزاهد ورغباتي قليلة بل شحيحة! لكن استخدام الوجدان ـ على هذا النحو ـ في الأمور العقلانية، مرض، ربما كان خط دفاع أول للبعض، وأضيف أنه أيضا خط هزيمة. لماذا؟ لأنى عندما أفكر في أمور العقل بوجدانية، فأنا في الحقيقة أستهين بالواقع. مع أن الواقع صلب وعنيد.

● ....

د. زكى نجيب محمود: لو عرفنا أساس الحضارات، فسوف نبنى نهضتنا على أسس. أنا لا أتصور مثلا أن نبنى نهضتنا على الأخذ من أوربا فقط. وفى نفس الوقت لا نبنى نهضتنا على احياء التراث فقط. ان لب كتابى «تجديد الفكر العربى» هو التعرض لهذه النقطة الحيوية والهامة. ان الصيغة التى تناسبنا في الحياة هى صيغة ما، تمثلت في بعض أشخاص على رأسهم رجل مثل د. طه حسين في الصيغة التى خرج علينا بها. فهو



د. زكي نجيب محمود

"للدوحة":

شيخ ازهرى معمم . وهو ايضا فرنسى العقل والوجدان ان صح التعبير . لكنه ــ كمفكر مصرى عربى ــ استطاع ان ياخذ من الغرب ، وجذوره ضاربة فى الشرق . ذلك ما عنيت به كلمة « الصيغه » .

● ....

د. زكي نجيب : تسالنى عن صيغة التلفزيون كوسيلة ثقافية . انا اعترف لك بلا تردد ان التليفزيون لا يصدر منه اى ثقافة متماسكة . نعم ان أجهزة الاعلام ومنها التليفزيون فى وطننا العربى تقول ولكنها لا تتكلم ! تسالنى ماذا تقصد ؟ واقول لك أن أحد علماء اللغة القدامى يرى أن هناك فرقا بين القول والكلام القول مجرد حركة الشفاه . الكلام من الكلمة ، أو الجرح . يقولون ، فلان مكلوم أى مجروح . فالكلام هو القول الذى يترك أثرا . أجهزة الاعلام تقول . ولكنها لا تتكلم ! لا تعطى ثقافة ولا تترك أثرا . الثقافة من الكتاب وحده . نعم! أجهزة الاعلام لا يمكن أن تمنح ثقافة لسببين الأول أن القاسم المشترك الأعظم الذى تخاطبه هو رجل الشارع ، ولو لم تخاطبه لأصبحت ملامة ! وأى عطاء ثقافى يفقد عمقه عندما يبسط بشدة الى مستوى رجل الشارع .

السبب الثانىهو التشريح التجزيئي الحديث فى الندوات والكلام العفوى فى البرامج .. ليس له عمق ! ولنفترض من باب الجدل الصرف أن اباءنا العرب الأقدمين لم يكن لديهم كتب وكان عندهم « أجهزة » راديــو وتليفزيون ليسجلوا الفكر والأدب . هل كنا إذا أردنا احياء التراث . نعتمد على شرائط تسجيل ؟ .. هل كانت شرائط التسجيل تقدم لنا عالما أو أديبا أو فليسوفا أو شاعرا ؟ . انها فى نهاية الأمر ــ تسلية لا أكثر !

● ....

د . زكى نجيب محمود : لا لا تظن اننى أعادى هذه الأجهزة . انا فقط اصارحك انها ليست وسيلة ثقافة . ولهذه الأجهزة فوائدها ايضا ، ولا يجب أن اغفل هذه النقطة . لقد « شيدت » نوعا من الديمقراطية الثقافية . فاصبحنا جميعا امام شاشة التليفزيون نرى رواية واحدة وحديثا واحدا وانتهى الأمر . واذا كان عبد الناصر قد نادى يوما بتذويب الفوارق بين الطبقات فانا اقول لك أن جهاز التليفزيون قد قام بتذويب الفوارق بين الطبقات واقصد هنا الفوارق الثقافية ! ولكننى ايضا لا أستطيع أن أقول الراديو والتليفزيون فى عالمنا الثالث أعطيا الناس الحرية . بالعكس ان هذه الأجهزة لم تعط حريات كافية انها اجهزة « الراى الواحد » . انت تسمع أو ترى دون أن ترد !

● ....

د . زكى نجيب محمود : الفلسفة منهج . وتستطيع أن تقول اننى كتبت بثلاثة أشكال . اما فلسفة صريحة مثل « خرافة الميتافيزيقا » وكتبت ايضا الأدب الصرف . أدب المقالة . وليس أدب المقالة بهذه المناسبة هو أدب اللغة . انما هى فكرة ، معبرا عنها ! وكتبت ايضا فى « العلم » . كل الذى اردته من هذه المحاولات أن اضع امام الناس حقيقة هامة وهى أنه يجب أن نفكر . أن نستخدم عقولنا . أن يكون العقل رائدنا ! وليس من المعقول أن نحل مشكلاتنا حلا ورقيا . بمعنى اننا اذا أردنا أن نزرع الصحراء ، نكتب تقريرا ونقول « زرعنا الصحراء » !! اذا أردنا أن نرفع مستوى معيشة الناس نكتب تقريرا ونقول « رفعنا مستوى معيشة الناس » . هذه أكبر جريمة . أن نغفل دور العقل ، ونلجأ للحل الورقى وكأننا نأتمن الورق أكثر مما نأتمن عقولنا !

● ....

د . زكى نجيب محمود : أنا رجل علم . رجل منهج . المرأة عندى وهذا رد على تساؤلك لها منحتان فى حياتها . صفحة فى الأسرة . وهذا دورها كامرأة . كأنثى . فاذا خرجت من باب البيت فلا ينبغى النظر اليها كجنس . انما كانسان عليه مسئوليات وله حقوق دون النظر الى كونها رجلا أو

امرأة ! والذين يقولون أن المرأة لم تخترع شيئاً وبالتالى ليست عبقرية يقعون فى خطأ كبير . لأن دور المرأة وراء المخترع أعظم من الاختراع نفسه؛المرأة هنا ، مناخ . وما أعظم العطاء الذى اعطاه العباقرة وكان دور المرأة رائعاً ومهيباً وجليلا .

● ....

د . زكى نجيب محمـــــود :البعض يعتقدون انى « يسارى » . البعض يرون انى « يمينى » . جاءتنى مرة معيدة فى قسم فلسفة . زارتنى فى البيت وقـــالت لى يا دكتور . لقد عكفت على قراءة مؤلفـــاتك ولم استطع أن أرسو على شاطىء . لم أعرف هل أنت يمينى أم يسارى وبعد ايام كنت أكتب مقالا هاماً بعنوان « اليمين واليسار » وصلت الى تحليل فلسفى أحدد فيه معنى هذا التقسيم . وقلت انا لا ابدأ مطلقاً بالكروت والبطاقات ، يسارى أو يمينى . انما ابدأ بالمشكلة . أمامى مشكلة . كيف احللها واضع علاجاً لها . لا اسأل مطلقاً هل هذا الحل جاء من اليمين ام جاء من اليسار . مصيبتنا اننا نبدأ بالعنـــوان ! لنفترض اننا نريد ارتقـاء بالتعـــليم الجامعى . لابد من دراسة أوضاع هذا التعليم ؛ واين مواطن النقص ، واضع فىالحسبان قدراتى المادية والعلمية . ثم أضع حلا علمياً مبنياً على حقائق . اذا ظهر ان الحل الامثل كان حلا يمينياً أهلا وسهلا ، واذا ظهر انه حل يسارى ، أهلا وسهلا . واذا كان هذا الحل ليس يمينيا أو يسارياً ، أهلا وسهلا أيضاً !

● ....

د . زكى نجيب محمود : هذا سؤال مهم . كنت على وشك ونحن نناقش قضية العقل والوجدان ان أضيف اليك بقية الرأى المكتمل فى ذهنى . احب ان اقول لك ان الوجدان والعقل دائما يتعاونان ، بشرط الا أغلب احدهما على الآخر بمبالغة . الانسان المنظم يضع فى حياته أهدافاً . وضع الهدف لا علاقة له بالعقل . وضع الهدف هذه « رغبة . ارغب ان اكون . ارغب ان اذهب للسيرك ! الرغبة أو الميل أو العاطفة عمل وجدانى بحت ، سواء كان لفرد أو لشعب . ولا غبار على هذا السلوك . ولكن السؤال هو : من الذى يرسم الطريق الموصل ؟ انه العقل . انه البحث العلمى . واريد ان أكون أميناً وأقول لك ، بودى لو أن رجل السياسة يضع الأهـــداف ، ويحقق « العلماء » هذه الأهداف . العلماء هم الذين يرصفون بعقولهم ـ ان صح التعبير ـ الطريق الموصل لهذه الأهداف . رجل السياسة يجب أن يحصر نفسه فى وضع الهدف . أما انه يرسم الطريق ، فهو يضيع نفسه من حيث لا يدرى . قل لى ـ كرجل سياسة ـ عن أهدافك احققها لك ـ كرجل علم . كجامعة . وأحب أن أضيف نقطة أخرى انا لا أطالب العلماء بوضع الأهداف لماذا ؟ لأن مجلس الشعب ومجالس الشورى والبرلمان أو المجالس التشريعية هى التى تعرف « رغبات » الشعوب ، وتحقق حصر « الأهداف » . وهنـــــاك « العلماء » الذين يتولون ترجمة الأهداف الى حقائق مجسدة .

● ....

د . زكى نجيب محمود : أنا من أشد الناس غراماً بأى برنامج تليفزيونى يتعرض للحيوان ولكنى لا أحب أن أعايشه بأية صورة من الصور . وقد كنت فيما مضى أذهب لحديقة الحيوان فى أى مكان فى العالم ، وأمكث هناك بالساعات .. اتامل هذا « المخلوق » الأبكم . ورداً على سؤالك الثانى ، فانا من المعجبين بالآثار وتجدنى شغوفاً بها الى حد كبير . لأنى أراها خطوات من سبقونا . وتصور أنى وانا شاب كنت أجوب الشوارع وحدى لرؤية الجوامع والكنائس الأثرية واعرفها جيداً . ورداً على سؤالك الثالث ، نعم كنت أحب الرسم كهواية واذكر انى رسمت لوحة فى معرض لمقاومة الذباب . رسمت حرباً بين انسان وذبابه كبيرة . وكسبت جائزة عن اللوحة لأنى اظهرت كما قيل لى « روح العراك بين الانسان والذباب » . ورداً على سؤالك الرابع ، لقد عشت فى السودان فترة غالية من حياتى واكتشفت عمق وصفاء وسخرية الانسان السودانى . ورداً على سؤالك الأخير : عندى خمسة الاف كتاب وهى مكتبة صغيرة ، وتاريخى مع الفكر والتأمل اكثر من خمسين عاماً . وليس لى أطفال .

ومتزوج من انسانة ودكتورة فى علم النفس وانا مشتغل بالفلسفة ولست بفيلسوف !

● دور رجال السياسة وضع الأهداف

● أدعو للعقل في أمور العقل

● نحن نبتهج إذا فشل العلم

● لا أحب حل مشكلاتنا على الورق

« مفيـــــد فوزى »

الفارس

قصة قصيرة بقلم : عبدالوهاب داود

اطرق الأب لحظات رهيبة .. لحظات كانت اطول وأعمق من عمره كله .. ما مضى منه وما تبقى .. ينظر في شرود الى معطف الطبيب الأبيض ، والسماعة التى تتدلى من رقبته الى صدره ، ويتأمل بغير تركيز السرير والملاية البيضاء ، دون أن يستطيع أن يميز شيئا .. فالحياة كلها قد أصبحت امامه فى لون واحد .. شاحب .. لافرحة فيه .. واقترب من الطبيب قائلا غير مصدق :

ـ طارق لم يشك عمره من شىء ..

هز الطبيب كتفيه .. وهو يبتسم مطمئنا

ـ انت أولا صديق .. ويجب أن أصدقك القول .. فما رأيته الآن وما سمعته ، وما تعلمته فى كليه الطب .. يؤكد لى أن القلب الذى فحصته أصبح مجهداً فر حاجة الى الهدوء والراحة ..

أراد الأب ان يقنع الطبيب بان أبنه الوحيد معافي .. وانه قد شبه له ..
وانما يتراءى له .. ربما أعاد الطبيب فحصه من جديد ، فقال فى صوت يائس قد تغيرت نبراته :

ـ كان فى صحة جيدة .. يجرى ويمرح .. ويقفز على ظهور الخيل ..

هز الطبيب رأسه غير مقتنع .. وهو يربت على الصبى .. رافعا عنه سماعة الكشف :

ـ لابد من الراحة اسبوعين على الاقل .. ثم يعاد الكشف عليه ثانية .. اذ ربما كان العيب خلقيا .. وليس عرضيا نتيجة الجهد الغير عادى الذى لايتحمله القلب .. ثم استطرد مبتسما :

ـ الحالة ليست الآن خطيرة .. فى الامكان علاجها .. اطمئن ..

نادى الفتى أباه .. وهو يشير اليه بيده ان يقترب ..ولبى الأب رجاء ابنه فى الحال مصغيا :

ـ الا يمكننى دخول المباراة الأخيرة بالاسكندرية ؟

أجاب الأب وهو يتلفت حائراً :

ـ نسأل الطبيب ..

قال الطبيب فى عناد :

ـ أنا قلت لا ..

وارتدى الصبى ملابسه فى خيبة أمل كبيرة .. وهو يردد فى أسى وذهول :

ـ ولكنى لست مريضاً ..

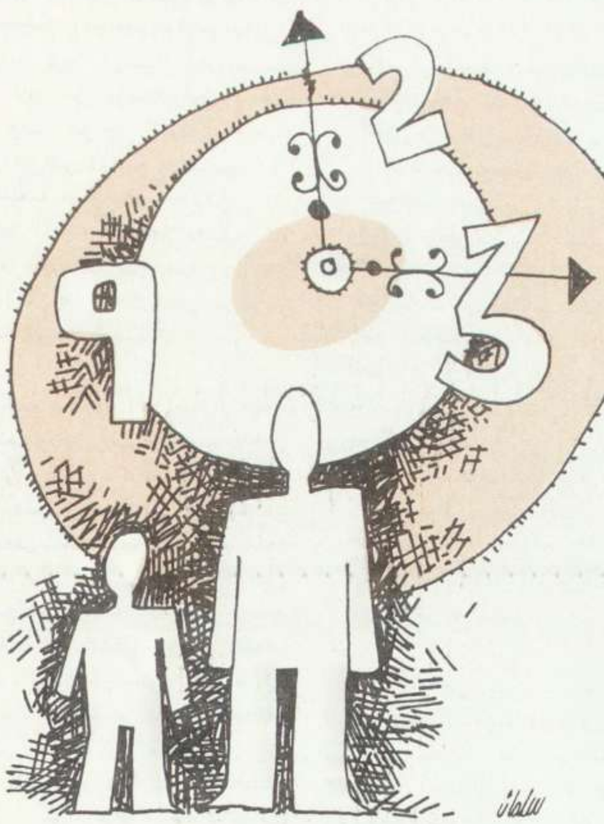
انصرف الأب من عيادة الطبيب ، يصحب ولده الى باب الخروج .. يتحسس خطواته وهو يمشى بجانبه شارد الخاطر ..

يتمنى لو يفسح الطريق امامه ، وأن يضعه داخل قلبه اذا استطاع ، وأن يقبل الأرض تحت قدميه ، كان بشعربانه الصغير وولده الكبير .. الأهم .. هو الذى يجب أن يعيش ويتمتع بالدنيا .. لاوجه للمقارنة بينهما .. ايهما أحق بالحياة .. اذا وقع الاختيار ..

اشفق الأب من صمت الفتى .. فسأله مترفقاً :

ـ هل لابد من الاشتراك فى تلك المباراة ؟

أجاب الصبى فى سرعة وتصميم :





– بالنسبة الى حياة أو موت ..

وصمت الأب .. لم يتكلم .. تمنى لو تنشق الأرض وتبتلعه رحمة به ، أحس كأن الدنيا لم تعد من حوله دنيا .. وأن عذاب يوم القيامة أرحم بكثير مما يعانيه الآن من عذاب ، فالنار – مهما كانت – لن تصيب معه ولده الوحيد .. طارقا .. ابدا لم يتصور هذا اليوم .. هذه الساعة .. هذه الصدمة ، التى لم يكن فرط تشاؤمه الدائم فى الحياة ، يصور له عذابا فى الدنيا اكثر من هذا العذاب ..

واضاف صمت الفتى اليه عذابا جديدا .. كان قد غرق فى لجة من التفكير العميق .. كأنه سقط فى جب عميق ، ليس له قرار ، تامله الأب لحظات ، ثم لم يستطع الا ان يساله متلهفا :

– ماذا بك ؟

اجاب الفتى كمن استيقظ من سبات عميق :

– أريد أن أدخل هذه المباراة ..

وسقطت كل عذابات الأب ، ليحل مكانها يأس قاطع مرير من الدنيا والبشر ، وأمل فى الله وحده سبحانه وتعالى .. فأجاب بعد لحظة .. وكأنه يقامر بالدنيا :

– لك ما تشاء يا طارق ..

واندفع الفتى يحتضن اباه فى حماسة بالغة .. وهو يدق على صدره مرددا :

– أنا حديد يا أبى .. صدقنى .. لاتشفق على ..

واحس الأب بقليل من الراحة والعزاء ، حسبه أن يسعد ولده الوحيد ، بأية طريقة ، وأن يدفع عنه بعض ما يشعر هو به عذاب ، ولكنه عاد فهبطت معنوياته الى الصفر ، وهو يتصور فداحة وحمق المغامرة .. فقال يسال ولده :

– الا تشكو من شىء ؟

وعاد طارق يحتضن اباه ويقبله .. بينما قد ارتخت يدا الأب بجانبه ، كتمثال بلا روح .. وهو يهمس الى نفسه متسائلا :

– معقول أن يخطىء الطبيب فى تشخيصه ؟ ..

– اطمئن يا أبى .. انا لست صغيرا ..

عاد الأب الى البيت ، وكان قد قرر أن يكتم الأمر عن زوجته ، حتى لا تزيد همومه هما وحيرة فوق حيرة .. وعندما سالته عن رأي الطبيب .. أجاب بسرعة :

– قال انه فى حاجة الى الراحة ..

تساءلت الأم وهى تتامل قسمات وجه وحيدها الوسيم .. وهى تتحسسه فى حب بالغ .. قائلة :

– الم اقل لك من زمن انك تبذل فى الفروسية جهدا غير عادى .. اسمع كلامى يا طارق .. ودعك من هذه الفروسية .. وانتبه لدروسك .. هذا افضل لصحتك .. اسمع كلام امك .. وكأنها بتلك الكلمات كانت تبدى رأيا صريحا فى زوجها الذى اعتزل الفروسية من سنوات قريبة .. قال الأب .. متغلبا على هواجسه .. حاسما الأمر :

– الطبيب مثلك يبالغ فى الأمر .. وطارق فى الحقيقة سليم معافي .. لايشكو من شىء .. ومضى اسبوع ، وحان وقت الرحيل الى الأسكندرية ، حيث تقام المباراة .. وحمل الأب والفتى حقائبهما الى القطار السريع .. وهبطا فى محطة سيدى جابر .. واستقلا تاكسيا الى نفس البنسيون الذى اعتادا أن يقيما به كل عام .. والفتى سعيد يطير من الفرح ، والأب شارد .. مشغول الفكر .. يخفى بقدر ما يطيق هواجسه وأحزانه ..

وفى صباح يوم المباراة . استيقظ الأب على حركة غير عادية بالحجرة ، فتح عينيه ولم يصدق ، هذا ولده طارق خارج من الحمام منتعشا ، مبتل الشعر ، تامله لحظات وهو يمشي عجولا يثب نشاطا وعزما ، فلم يصدق الأب أن ما يراه حقيقة ، بالأمس كان قد دس له قرصا منوما فى فنجان الشاى بعد العشاء ، ولم يفطن طارق الى تغيير طعم الشاى بعد العشاء ، .. كيف لم يفعل القرص المنوم تاثيره ؟ فالحبة الواحدة كافية .. عادة .. أن ينام الرجل أربعة وعشرين ساعة .. ماذا جرى ؟ .. وكان يقصد بذلك أن يفوت على طارق موعد المباراة .. ترى هل انتهى القدر من نسج خيوطه الأخيرة ؟ ..

تنبه طارق الى استيقاظ ابيه .. فساله وهو يرتب شعره في المراة :

– هل صحوت يا أبى ؟

اجاب الأب فى خيبة أمل ، وهو يتامل ظهر ولده .. القوى العضلات :

– نعم ..

ثم وهو يعتدل جالسا فى فراشه .. يائسا :

– ارفع ستائر النافذة ياطارق ..

ونهض الأب من فراشه ، يستعد للخروج مع طارق الى نادى سبورتنج حيث تقام مباراة الفروسية الأخيرة .. ختام الموسم ..

واقترب الأب من النافذة منتظرا أن ينتهى طارق من ارتداء ملابس الفروسية ، وضع الحذاء الطويل « الفيلد بوت » الذى يصل الى ركبتيه فى قدميه ، تلك العمليه التى تحتاج الى جهد ومساعدة فى خلعها ايضا ..

ولم تكن النافذة تطل على البحر .. كانت تطل على اسطح العمارات المجاورة ، منصوبا فوقها حبال الغسيل ، خالية من الملابس .. كان منظرا وحيدا وكئيبا ، فاشاح الأب وجهه ، وارتد عن النافذة يسال طارقا :

– هل تريد مساعدة ؟

اجاب طارق وقد أحمر وجهه من المجهود

– لا يا أبى .. أشكرك ..

ثم وثب بعد لحظة مستطردا فى عزم :

– هيا .. ياأبى ..

كان نادى اسبورتنج بالاسكندرية فى أوج ازدحامه ، وقمة زهوه ونشاطه .. العامة فى طريق الحرية – من غير اعضاء

الفـــــارس

النادى ـ يجذبهم ذلك المنظر ، فيقتربون من اسوار النادى يسترقون النظر ، يتاملون المروج الخضراء بارض البولو مكتظة بالخيل اتية غادية ، راكضة أو متمهلة ، على صهواتها فرسان منتصبو الرؤوس ، فى لباسهم الزاهى المختال .. القبعة السوداء العالية المهيبة ، والجاكيت الاحمر ، وبنطلون الركوب الأبيض .. ثم الحذاء اللامع فى نهايته ذلك المهموز الفضى ، الذى يبرق ويضوى فى اشعة الشمس .. عيد .. كرنفال ـ عادة ـ لايحدث بالاسكندرية كل يوم ..

وبدلا من أن يشعر الأب بجمال ما يرى ، احس بانقباض مفاجىء وهو يلمح « طارقا » ممتطياً صهوة جواده « بحر » .. ذلك الجواد الأجنبى البولندى الأصل .. جواد عال قد يصل ارتفاعه الى مترين .. ولم يكن « بحر » ـ كما يعلم الأب ـ بالجواد السلس القيادة .. كان عنيداً وقوياً .. ولايعد ذلك عيباً كبيراً بالجواد ، بجانب شجاعته وتصميمه أن يجتاز أصعب السدود بدون خطا واحد .. كان « بحر » يحتاج الى فارس مثله .. قوى قادر وفنان .. عندئذ لابد وأن يحصلا معاً على البطولة .. مهما كان الأمر بعيد المنال ..

انحنى طارق للأمام وهو يعتلى صهوة جواده ، ثم انثنى فى رشاقة ليضع قطعة السكر فى فم « بحر » ، الذى التفت نحو قطعة السكر ، والتقطها فى سرعة بشفتية الكبيرتين .. فى حين ربت طارق على ظهر الجواد فى حب واعزاز .. ثم اعتدل يتاهب للتسخين قبل دخول المباراة ..

تامل الأب ذلك المنظر .. ثم أشاح بوجهه .. وهو يهمس الى نفسه فى عتاب وأسى :

« ما هذا الذى ينوح بداخلى دون توقف

ترى هى حقاً الساعات الأخيرة التى اتمتع فيها برؤية ولدى ؟ .. وبعدها يختطفه المجهول فلا أراه ؟ .. ياالضيعة حياتى .. وشقاء عمرى ..

جلس الأب وحيداً مهموماً على مقعد قريب من حلقة المباراة .. لم يشا أن يجلس بجوار احد يعرفه ، فيتناول معه اى حديث .. حسبه رفيقاً تلك الأفكار والظنون .. كمن يجلس فى انتظار ان ينفجر اللغم وتنتهى الحياة .. أولا ينفجر اللغم .. فتبدو الدنيا جميلة .. أحلى من حقيقتها ..

اقترب منه احد الفرسان القدامى محيياً .. ثم جلس بجانبه متسائلا :

ـ لماذا تجلس هكذا وحدك ؟

أجاب الأب فى ضيق صدر وهو يشعل سيجارته :

ـ أراقب ابنى طارقاً ..

وضحك الفارس القديم .. قائلا :

ـ هل تغضب اذا قلت ان طارقاً أمهر منك واقدر على قيادة هذا الجواد ؟

ابتسم الأب فى شحوب .. قائلا وكانه يدرأ عن فتاه الشر والحسد :

ـ ليته يا أخى ما تعلم الفروسية .. ربما كان ذلك خيراً له ..

وضحك الفارس القديم .. وهو يربت على كتف الأب :

ـ لابد انك تغار منه ..

وابتسم الأب متسامحاً .. وربما موافقاً .. وهو شارد يتلفت حوله كانه يبحث عن شيء معين .. مما دعا الفارس أن يساله فى فضول :

ـ ما الذى تبحث عنه ؟

فاجاب الأب بسرعة استنكار :

ـ أين عربة الاسعاف ؟

أجاب الفارس بلا مبالاة :

ـ عربة الاسعاف ؟ انها لاتحضر عادة الا عندما تقع الفاس فى الرأس .. وهذا اهمال بالطبع من المسئولين ..

قاطعه الأب وهو يقف فى عصبية .. قائلا :

ـ هذه مخالفة صريحة .. ولابد أن تتوقف المباراة حتى تاتى عربة الاسعاف ..

ابتسم الفارس القديم .. وهو يقول ساخراً :

ـ كل هذا من أجل طارق .. لماذا لم تكن تهتم بهذه الاحتياطات من قبل .. ثم استطرد قبل أن ينصرف :

ـ خليها على الله ..

أجاب الأب بسرعة :

ـ هى على الله .. ولكنها احتياطات لابد منها .. ثم ساخطاً وكانه من بلد اخر :

ـ لن نعرف الأصول فى هذا البلد ..

فجاة توقفت الموسيقى النحاسية عن العزف ، ودق الناقوس من منصة الحكام ايذاناً ببدء المباراة .. وصدر الأمر باخلاء الأرض من الفرسان .. واعلن فى الميكرفون اسم الفارس المتبارى .. طارق عبد الحميد .. من نادى الفروسية ..

رفع طارق بيده قبعته ثم وضعها بسرعة ثانية .. احتراماً وتحية وطاعة لهيئة الحكام .. ثم تاهب وسط تصفيق الجمهور لدخول أرض المباراة ، التى غطيت بالسدود المختلفة الاشكال والأوضاع والالوان ..

هب الأب واقفاً متحفزاً بقلب خافق .. غائر فى قدميه .. يارب .. همس بالنداء وهو ذاهل يكاد لايحس بما حوله .. يقاوم رغبة حمقاء أن يخترق أرض المباراة باقصى سرعة .. ويختطف فتاه من فوق صهوة جواده .. ويجرى به خارج الحلقة .. مهما كان ذلك التصرف مجنوناً .. غير لائق أو عادى .. اليس خيراً من أن يفقد وحيده فى لحظة قادمة .. الى الأبد ؟ ..

ثم افاق الى رشده .. يائساً متواكلا .. مدركاً بانه كان يجب أن يمنعه منذ البداية .. أما الآن فقد انتهى الأمر ..

كان قلبه يتابع الفتى .. ويقفز مع الجواد فوق كل سد .. بانفاس لاهثة .. مضطربة .. لم يكن يصغى الى تصفيق الجمهور الذى كان يصاحب فتاه .. فى كل قفزة بارعة .. كان يتمنى لو ينتهى خط سير المباراة فى ثانية .. أو يتوقف الجواد «بحر» فجاة عن القفز .. فيرد اليه وحيده صحيحاً معافى بغير سوء ..

كان دهراً قد انقضى حتى وصل الجواد الى السد الأخير ..

وفجاة توقف قلب الأب لحظة عن الخفقان .. عندما شاهد ولده منحنياً يمسك بطنه بيده .. بعد أن اجتاز السد الأخير .. وسط تهليل واعجاب الجماهير .

ثم عاد الى الخفقان السريع كالطير الذبيح .. وهو يترك مقاعد المتفرجين .. وينطلق يجرى كالسهم الى حلقة المباراة .. وهو يهتف في صوت ضائع .. طارق .. ماذا بك ؟ .. طارق ؟ .. تكلم يا طارق ..

أسرع طارق يقول لأبيه مستنكراً مسلكه .. لاشىء يا أبى .. لقد اصطدمت بمقدمة السرج .. شيء عادى .. يحدث لكل فارس ..

وفجاة اظلمت الدنيا فى وجه الأب ، وسقط بلا حراك .. بلا انفاس .. قبل أن يطمئن على وحيده طارق ..

عبد الوهاب داود

كتاب جديد

الزلزال المدمّر في لبنان من الغزو حتى المذبحة



غلاف كتاب « الغزو والمذبحة » الذى أصدرته وكالة الأنباء القطرية



عيسى غانم الكوارى
وزير الاعلام

فى إطار الأحداث الهامة التى تمر بالمنطقة العربية ، ياتى كتاب « الغزو والمذبحة .. جريمة القرن العشرين » الذى أصدرته وكالة الأنباء القطرية ، ليسجل لنا ما جرى فى لبنان منذ ٤ يونيو عام ١٩٨٢ ، وهو اليوم الذى يعد من أكثر فصول الصراع العربى الاسرائيلى شراسة وقسوة فغزو اسرائيل للبنان واستخدام ترسانتها العسكرية المزودة بأحدث الأسلحة فى ضرب المخيمات الفلسطينية سيظل حيا فى الذاكرة العربية ، لنستخلص منه الدرس ونتاهب لخطوات المستقبل ..

والكتاب الجديد يستعرض كل أحداث تلك الفترة ، ويقدم لنا كافة الحقائق فى أمانة ودقة ، ليكون مرجعا لكل الباحثين والمعلقين حول تفاصيل الحرب العربية الاسرائيلية فى لبنان ، أو ما أطلق عليه الكتاب وصف : جريمة القرن العشرين !

ويأتى الكتاب فى ٣٥٣ صفحة ، تتصدره مقدمة للأستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام القطرى ، تليها كلمة من منظمة التحرير الفلسطينية تعبر عن مدى الاصرار والعزيمة على مقاومة الغزو والاحتلال الاسرائيلى الاستيطانى مهما كانت التضحيات ومهما سقط الشهداء ، ثم يستعرض لنا الكتاب فى سبعة فصول أحداث الغزو والمذبحة منذ يوميات الاجتياح حتى احتلال بيروت ومجازر المخيمات ثم مهمة حبيب والجهود الدولية فالتحرك الخليجى ، والمواقف العربية . ويختم فصوله بنبذة وافية عن الجنوب اللبنانى باعتباره البداية الحقيقية للأزمة الكبرى التى اندلعت فى لبنان عام ١٩٧٥ وظلت تتفاقم على مدى سبع سنوات حتى جاء الزلزال المدمر المتمثل فى الاجتياح الاسرائيلى للأراضى اللبنانية ..

وقد أبرز الأستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام القطرى ، فى مقدمة الكتاب ، دور الاعلام أمام الأخطار الكبرى ، ذلك الدور الذى يتلخص فى جمع الحقائق ووضعها أولا بأول أمام الجماهير لكشف المواقف والتنبيه إلى المخاطر وشرح أبعاد ما يجرى من احداث ، مما يؤدى فى النهاية إلى تكوين وبلورة الرأى العام الذى هو نبض الأمة وضميرها الحى المتدفق ..

وأشار فى هذه المقدمة إلى ما مر بالأمة العربية فى صيف عام ١٩٨٢ ، وكيف كانت أحداث هذا الصيف من أشد ما واجهها من مخاطر واكثرها هولا ، مما لابد وأن يكون له تاثير على مسيرتها لأمد طويل .. وبين أبعاد هذه الهجمة الشرسة قائلا :

« لن يكون هناك أى ادعاء ، فى القول ان الهجمة الشرسة التى تعرضت لها الأمة العربية من جانب العدو الصهيونى ، فى شهر يونيو فى ذلك العام وما تلاه من شهور لم تكن مفاجأة لأحد . فقبل وقت طويل من وقوعها ، وأجهزة الاعلام تكشف وتحذر وتنبه ، وتؤكد أن الهجوم واقع وأن العدو يستعد لاجتياح لبنان مستهدفا ـ أولا وقبل كل شىء ـ توجيه ضربة قاضية للمقاومة الفلسطينية ، وانهاء الوجود الفلسطينى على الأرض اللبنانية ان امكن ، بل وتصفية القضية الفلسطينية بشكل نهائى . واذا كان هناك من مفاجأة فى احداث ذلك الصيف اللاهب ، فانها كانت فى مقدار ما عمد إليه العدو من عنف بالغ ووحشية قل نظيرها ، ورغبة فى التدمير تنم عن حقد أسود وكراهية متاصلة ليس لها مثيل (فضلا عما يمكن أن يكون قد فاجأ البعض بالنسبة لمواقف بعض القوى الكبرى ـ ازاء ما جرى من احداث ـ وبعض ردود الفعل الدولية) » .

ثم استعرض الأستاذ عيسى غانم الكوارى فى مقدمته الهدف من اصدار هذا الكتاب أمام الاحساس بأهمية ما يجرى وأثره على الأمة العربية ، وكيف بدأ الفريق الذى كلف باعداد الكتاب عمله الحقيقى فى جمع المعلومات وتصنيفها واعدادها بصورة تجعلنا نرى بوضوح الساحة التى شهدت كل هذا القدر من العنف .

ان كتاب « الغزو والمذبحة .. جريمة القرن العشرين » يعتبر مرجعا وافيا عن الغزو الاسرائيلى للبنان ، ذلك الغزو الذى تصور المخططون له أنه سينتهى بعد ثلاثة أو خمسة أيام على الأكثر فاذا بالترسانة العسكرية الاسرائيلية تواجه أطول حرب فى حياتها كلها .



الأزهار في حياتنا

اذا كان عندك رغيفان بع احدهما لتشترى بثمنه ورداً وزهوراً

بقلم : الدكتور عز الدين فراج

يجب أن نتذوق الجمال فى الطبيعة ، وفى المدرسة ، وفى العمل ، وفى المآكل والملبس .. وفى كل حركة من حركاتنا .. وفى كل عادة من عاداتنا ..

ومتى تذوق الناس فى كل مكان صور الجمال ، أصبح الابداع والكمال الفنى فى كل شىء هدف كل مواطن . واذا سار كل منا فى تحقيق الهدف ، وجدنا فى حياتنا مقاييس روحية ومعنوية تقاس بها الأمور والأشياء بدلا من أن نقيسها فقط بمقياس المادة البغيض . وعندئذ يسرى تذوق الجمال فى نفوسنا ودمائنا ، ويصبح قوة تتصدى لمطامعنا المادية والجسدية ، فتهذبها وتدفعها نحو الاعتدال والاتزان .

وتربية الذوق فى النشء وتنمية الاحساس بالجمال أمر واجب فى التربية الحديثة . ومن أنسب الوسائل لتربية هذا الذوق وتنمية هذا الاحساس ، هو ممارسة النشء لتنسيق الأزهار والصور والتحف والأثاث .

ولما كانت الورود والأزهار والرياحين حولنا فى كل مكان ، وفى متناول كل يد ، كانت من ابسط الأشياء وأسهلها ، لتكون مادة يمارس بها النشء تذوق الجمال ، بمحاولاته العديدة المتكررة فى التوفيق بين أشكال الأزهار وألوانها ، لتكون منسجمة فيما بينها وبين المكان الذى توضع فيه ، بحيث تنتزع من العين اعجاباً وتجد فيها النفس البشرية بهجة وراحة ومتعة .

واستمرار ممارسة الصغار والكبار لفن تنسيق الأزهار يخلق عندهم الاحساس بالجمال فى كل شىء .. ويخلق فيهم أحاسيس عامة تنفر من كل شىء غير متجانس أو غير منسجم . ومثل هذه الاحاسيس تعينهم أيضا على وضع الأشياء والأمور فى موضعها اللائق المناسب .

ولم نجد شعباً من الشعوب العريقة القديمة أحب الأزهار ، وتعلق بها كما أحبها المصريون القدماء ، وتعلقوا بها . لقد كانت عندهم وسيلة للترحيب بالضيف ، كما كانت وسيلة للتعبير عن الولاء والاخلاص والحب ، كانوا يقدمونها للضيف فرادى أو فى أكليل يوضع حول الرأس والعنق ، وكانت الأزهار خير ما يقدمه الأتباع لسادتهم ، والأفراد لأصدقائهم ، والنساء لأزواجهن ، إذ كانت خير معبر لمعانى الوفاء والاخلاص وكانت النساء اذا خرجن فى زيارتهن وضعن الأزهار فى شعورهن لتزيدهن جمالا وحسنا . وحتى الجثث الفرعونية المحنطة كانت لا تخلو من زينتها بقلائد وأكاليل من الأزهار .

امام هذه العادات أهتم المصريون القدماء بالحدائق وتنسيق النباتات الزهرية حتى تكون مورداً لا ينقطع لأزهار يحتاجون إليها فى مناسبات كثيرة .

وكانت الأزهار عند الاغريق والرومان معبرة عن عواطف المحب الولهان ، اذ كان عليه ان يجدد الازهار كل يوم فى عنق محبوبته ، وكان بيت الخطيبة فى أثينا يزخر بالبنفسج وفى روما بالورد ، وكان يوضع على رأس الزوجين تاج من الزهور يعبر عن الشرف والحب ، وكانت هذه التيجان فى أول عهدها تعد من الورود البيضاء والحمراء وبعض اغصان الزيتون ولكن مع مرور الزمن خلطت الورود بالأزاهير المناسبة .

وقد وجد بعض سكان قرى سويسرا فى الأزهار وسيلة تعبر بها الفتاة عن رأيها فى زواجها ، فاذا قبلت باقة من الزهر أصبحت

مخطوبة لمن ارسل إليها هذه الباقة والا فهو غير مقبول عندها . وفى قرى أخرى يضع الفتى القروى وردة فى أناء فوق نافذة من يريد الزواج بها ، ويلصق بها بطاقة باسمه فاذا رأت الفتاة الوردة ، وقبلت الزواج من صاحبها ، انتزعت هذه الوردة من آنيتها ، فاذا ما رأى الفتى ذلك طرق الباب ليطلب يدها من أهلها .

ويعد اليابانيون عيباً كبيراً عـــــدم استطاعة الرجل أو المرأة تنسيق الأزهار ، لهذا نجد من المألوف عندهم أن يقوم الزائرون بتنسيق ما احضروه معهم من زهور بأنفسهم .

والمادة مهما حسن ترتيبها وتنوعت ألوان الطعام فيها ، لا تكمل بهجتها ولا يتم رونقها ، إلا اذا نسقت بأجمل الأزهار وابهجها ، حتى تتغذى العين بحسن التنسيق ، كما تتغذى المعدة بجودة الطعام .

ولعل هذا هو الذى دفع أحد حكماء الصين القدماء الى أن يقول قوله المأثور :

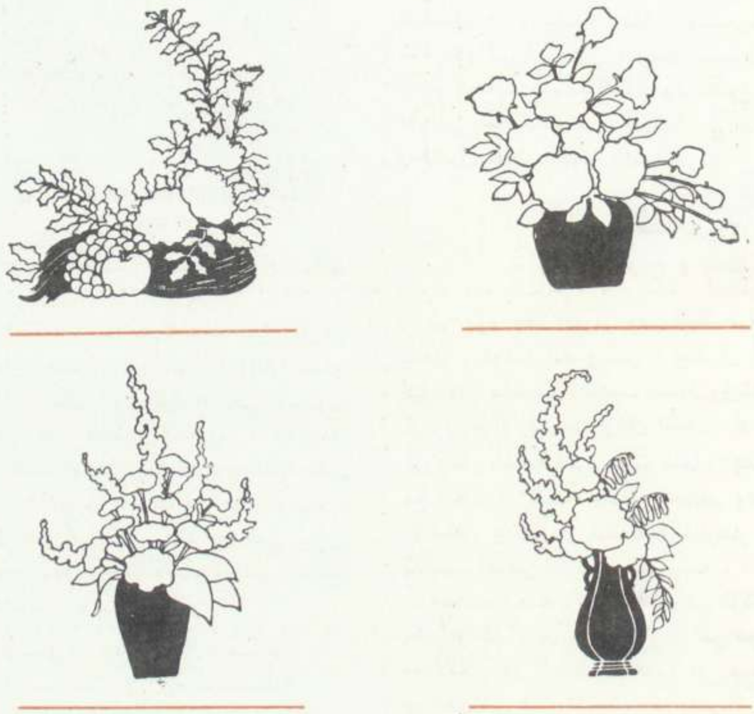
« إذا كان لديك رغيفان فبع احدهما لتشترى بثمنه ورداً وزهوراً » .

ما أصدق هذا القول .. فبالـرغيفين لا نستطيع غير تغذية البطون .. أمـــا لو بعنا احدهما واشترينا بثمنه ورداً وزهوراً استطعنا تغذية العيون والبطون فى آن واحد .

● ●

وعند تنسيق الأزهار ينبغى أن يتناسب لونها مع اللون السائد فى الغرفة ، فالغرفة التى يسود فيها اللون الأزرق ، لا يحسن تجميلها بأزهار زرقاء اللون ، وكذلك الغرفة التى يسود فيها اللون الأحمر ، لا يناسب اختيار الورود الحمراء .

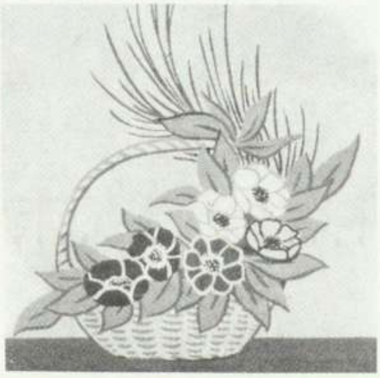
ويلعب الضوء دوراً هاماً فى تنسيق الأزهار وابراز جمالها ، فكثيراً ما نجد بعض الأزهار أجمل من غيرها ، فى الضوء الضعيف ، بينما نجد البعض الآخر يبدو قوياً جذاباً رائعاً فى الضوء القوى سواء كان هذا الضوء طبيعياً أم صناعياً ، فالورود الحمراء والأزهـــار الزرقـاء والبنفسجية لا يرى كل جمالها وحسنها إذا وضعت فى أركان ضعيفة الاضاءة ، ولكنها إذا وضعت فى مواضع مضيئة ، بالقرب من شرفة أو نافذة تبدت فاتنة ساحرة رائعة ، اما الأركان المعتمة أو الضعيفة الاضاءة فاكثر ما يناسبها الأزهار البيضـــــاء والصفراء والبرتقالية اللون ، إذ تبدو فى هذه الأركان أكثر وضوحاً للعين ، وتبدو هذه الأركان الينا كأنها أكثر اضاءة عن ذى قبل .



اشكال مختلفة للتنسيق تبين طريقة تنسيق الزهور فى خطوط مختلفة واتجاهـــات متباينــــة



الأزهار في حياتنا



ولا يمكن لمنسق الأزهار أن ينجح فى مهمته من غير أن يضع أمام عينيه التناسب بين حجم الأزهار وحجم الآنية ، التى ستوضع فيها ، فما ينبغى أن توضع الأزهار الكبيرة أو ذات السيقان الطويلة فى آنية صغيرة ، كما لا توضع الأزهار الصغيرة أو القصيرة الساق فى آنية كبيرة حتى لا تكون كالصبى الذى يرتدى سترة والده .

ولكى يتم التناسب بين طول الأزهار وحجم الآنية ينبغى أن يكون ارتفاع مجموعة الأزهار بما فيها من اوراق قدر طول الاناء مرة ونصف مرة ، مع مراعاة ألا يزيد على ذلك .

وبجانب تناسب طول الأزهار وحجمها مع طول الآنية وحجمها ، يجب أن يتناسب حجم الآنية بما فيها من أزهار ، مع حجم الغرفة كلها ، فلا توضع آنية كبيرة فى غرف صغيرة ، ولا توضع آنية صغيرة فى غرف كبيرة .

وينبغى ألا تكون آنية الأزهار ملونة بألوان قوية ساطعة أو مطعمة بالزجاج أو العاج أو مرسوم عليها نقوش زاهية ، فمثل هذه الأوانى تطغى على الأزهار فتحتل المكان الأول ، وتجمع الأزهار الموضوعة فيها فى المكان الثانى ، وعموماً يجب عند اختيار آنية الأزهار ان نراعى البساطة والاتساع الكافى والارتفاع الملائم .

ويجب تجنب وضع الأوانى الكبيرة ذات الأزهار الطويلة على منضدة وسط الغرفة حتى لا تحجب رؤية بعض الجالسين عن البعض الآخر .

وأحسن مكان لمثل هذه المجموعة الكبيرة أو الطويلة من الأزهار هو أحد اركان الغرفة .. اما الأزهار القصيرة والموضوعة فى اطباق أو فى أوان قصيرة ، فهى أكثر ملاءمة لموائد الطعام .

وعند تنسيق أزهار مختلفة الأطوال ، يراعى وضعها حسب أطوال اعناقها بحيث تظهر متدرجة ، الأزهار الطويلة من الخلف ثم المتوسطة ثم القصيرة فى الأمام .. وهذا التنسيق يمكن النظر إليه من جهة واحدة ، وهو أنسب ما يكون لتجميل ركن من أركان البيت .

وإذا لم يكن بد من الجمع بين الورود والأزهار ، فينبغى ان تكون الأزهار اصغر حجماً ، على أن توضع فى مستوى منخفض عن مستوى الورود ، حتى لا تطغى هذه الأزهار بكثرتها ووضعها على الورود ، فتسلبها ما فيها من حسن وبهاء ، فما الأزهار فى مثل هذا الوضع سوى وصيفات يحطن بالورود ، وبذلك يتحقق قول الشاعر العربى :

للـــوردِ عِنْــدى مَحَـــلٌّ
لأنـــهُ لا يُمَـــــلُّ
كـلُّ الريـــاحينِ جُنْــدٌ
وَهْـــوَ الأميرُ الأجَــــلُّ

وفى مناسبة أخرى يقول شاعر عربى آخر :

جمــــع الورود خصـــالا
لم تــكن فى نظرائِـــــهْ
حسن لـــون جعل الزهــ
ـــرة من تحـــت لـــوائهْ

وتنسيق الجدران بالأزهار يستدعى استخدام الأوعية والأوانى المعلقة أو الثابتة فى الجدران ذاتها .

سواء أكانت الأوانى ثابتة أو معلقة فجانب الآنية الملاصق للجدر ينبغى أن يكون مسطحاً مستوياً حتى ينطبق على الحائط ويكون ملتصقاً بها .

والأوانى المعلقة تكون عادة من الفخار المطلى أو من المعادن المشغولة المزركشة أو من الصاج المطلى . وتعلق أحياناً بخيوط حريرية ذات ألوان جذابة جميلة . وفى الغالب تكون هذه الأوانى المعلقة من النوع الصغير أو المتوسط الذى يعلق على جانبى صورة زيتية أو على جانبى نافذة أو شباك كريتال .

أما الأوانى الثابتة فهذه يعمل حسابها فى بناء الحائط ذاته .. اذ يثبت فى الحائط خوابير تحمل قاعدة من الرخام أو المعدن المزركش أو الخشب المزخرف . ويوضع فوق هذه القاعدة اناء جميل المنظر من الصينى أو من المعدن المطلى الذى « يلبس فيه » إناء زجاجى يوضع بداخله الماء والأزهار .

والمنظر السابق يعطى صورة واضحة لتنسيق جدار بآنية ثابتة ، ويشترط فى هذه الأوانى أن يكون حجمها متناسبا مع حجم الحائط المختارة له ، وان تكون هذه الأوانى منسجمة فى ألوانها مع الجدار ومع لون أثاث الغرفة ذاتها .

تنسيقات الأزهار فى الأفراح والمناسبات

فى يوم عقد القران وفى ليلة الزفاف ، تعمل « كوشة العروسين » بعد أن يُخْتَارَ لها مكان مناسب ، بحيث يسهل رؤيتها من كل زاوية أو ركن من أركان المكان ، أو تكون فى صدر القاعة التى سيتم فيها الاجتماع ، مع العناية التامة بالمنظر الخلفى واختيار الأشكال والألوان المناسبة للأزهار التى تناسب المنظر الخلفى « للكوشة » .

ويحسن عدم تركيز الجمال فى موضع أو مكان واحد ، بل توزع الأزهار فى مواضع مختلفة ، فى أسبتة صغيرة أو زهريات ، ويراعى فى هذه المناسبة ما يأتى :

١) اذا كانت العروس تحمل الأزهار يجب أن تكون فى صحبة أو مجموعـــة صغيرة مناسبة لها .

٢) يستحسن أن يكون الأزهار التى تحملها وصيفات الشرف للعروس ذات لون أبيض أو وردى فاتح . و « البوكيهات » تنسيقات للأزهار تقدم فى حفلات الخطوبة والزواج ، كما تقدم فى استقبال الزعماء والأصدقاء والأحباب .. وقد تقدم للمرضى فى المستشفيات تعبيراً عن أحسن المشاعر

ولصـــنع "البوكيه" توضـــع الأوراق الخضراء كالفوجير أو الاســبرجس أو الميلالوكا أو الجيبسوفيلا البيضاء على ورق الزبدة وتختار الأزهار المناسبة شكلا ولونا ونبدأ فى وضعها فى الخضرة التى يجب أن يتدلى جزء منها فى الجهة الأمامية للبوكيه ، ليضفى عليه جمالا ويراعى فى ترتيب الأزهار تتابع الوانها من الفاتح إلى الغامق . ويلاحظ أن سرة البوكيه يجب أن توضع فيها ازهار الوانها قوية واضحة زاهية ، ثم تربط الأزهار بالرافيا وتغطى بورق السلوفان .. ويربط « البوكيه » عند قاعدته وقد يربط فى البوكيه شريط أبيض أو أحمر ، ويوضع عليه بطاقة المرسل .

د . عز الدين فراج



قف
هل تعلم

عبد العزيز
السيد المصري

مَنْ أول من استعمل مساحيق وأدوات التجميل «الماكياج»؟

ما دام الهدف من التجميل هو جعل المرأة تبدو أكثر جاذبية يجب أن تتذكر أن هناك آراء ووجهات نظر مختلفة عن الجمال قد نشأ عنها أنواع مختلفة من طرق التجميل ووسائله فى جميع أنحاء العالم . فالمرأة الافريقية التى تقطع جلدها وتطلي داخل الجرح بطلاء أسود إنما تجمل نفسها وتزيد من جاذبيتها وفق المستوى والذوق الذى ينظر به شعبها إلى الجمال ، وعندما تدلك امرأة من الاسكيمو جلدها بالشحم والدهن فانها تتزين بالجمال الذى يروق الاسكيمو .

وأول شعب كان مستوى نظرته للجمال يماثل تلك التى ننظر بها إليه اليوم كان شعب مصر فقد كانوا يعجبون بالشعر الجميل اللامع وكانوا يفضلون أن ترسم السيدة شفتيها بدقة وأن تحدد حاجبيها ورموشها بشكل ظاهر جذاب وكان يعجبهم جمال المظهر وصفاء البشرة والقوام الرشيق ، ونتيجة لهذا كله كان للسيدة المصرية أدواتها ومساحيقها وعطورها التى لا تختلف كثيراً عن تلك التى تستعملها السيدات اليوم فقد كانت تستعمل طلاء حواجب أسود وأخضر وكانت تستخدم أحمر الشفاه أكثر من مرة فى اليوم وتصبغ خديها وشفتيها وجفونها حتى أنها كانت تكسو رموش عينيها بمرهم عطري لتبدو أطول . وكان بعضهم يستعمل خمسة عشر نوعاً من العطور فى وقت واحد .. وكان من عادة السيدة المصرية أن تحمل زجاجات عطور صغيرة مخبأة فى ثيابها .

وكان الشعب اليونانى القديم هو الذى يلى الشعب المصرى فى استعمال أدوات ومساحيق التزيين فلم يقتصروا على استعمال أنواع كثيرة من العطور ولم يصبغوا شفاههم فقط ولكنهم استخدموا دهوناً خاصة تجعل شعورهم شقراء .

وعندما هزم الرومان اليونان اخذوا معهم اخصائيي الجمال الأغريق وهكذا حصلوا على أسرار صبغ الشعر والغسول الخاص بالوجه ، وغذاء الجلد الضرورى للاحتفاظ بجمال المظهر ونقاء البشرة ، وصبغة أظافر اليد .. الخ .

وقد شاع طراز الشعر المموج بين الرومان حتى بين الفتيان الرومانيين . وكانت سيدات الرومان قديماً يصنعن أقنعة من طين التجميل ليحصلن على جلد ناعم نقي تماماً كما تفعل سيداتنا العصريات فى صالونات التجميل الباهظة التكاليف .

كيف اكتشفت عوامل الوراثة؟



ينتج كل كائن حي سواء أكان حيواناً أو نباتاً ذرية من نوعه أو فصيلته ليس غير .. وهذا إنما يحدث بسبب الوراثة .

وذرية كل والدين لا يتحتم أن تكون لها نفس الخواص التى للوالدين مثل الهيئة واللون والأحوال البدنية والعقلية .. وهذا الاختلاف يأتى أيضاً من الوراثة .

الخواص الوراثية هي خواص تتكون من شيء ما يوجد داخل الطفل منذ اللحظة الأولى التى تدب فيه الحياة .. ويرجع الفضل فى أكتشاف الحقيقة الأولى التى نشأت عنها جميع معلومات علم الوراثة الحديث إلى الراهب الاسترالى جريجورى منديل الذى عاش فى منتصف القرن التاسع عشر .

كان « منديل » يجرى تجارب على « البسلة » فى حديقته ، فاكتشف أن فى البذور التى فى الزرع الأب عدداً كبيراً من العوامل المختلفة تعمل بانظمة معينة لتسيطر على الشكل الذى ستبدو عليه بذور « البسلة » الناضجة .

نحن نسمى هذه العوامل الآن « الجينات » ولكن ذلك لم يحدث إلا سنة ١٩٠٠ بعد موت منديل بستة عشر عاماً ... فقد أيقن علماء آخرون أن النتائج التى توصل إليها « منديل » كانت بالغة الأهمية وسموا اكتشافه « قوانين منديل » .

لماذا يبدو داخل الأرض ساخناً؟

يتكون سطح الأرض من قشرة صخرية يبلغ سمكها من عشرة إلى ثلاثين ميلا ، وكلما نزلنا ١٣٠ قدماً فى عمق الأرض زادت الحرارة درجة واحدة . فاذا وصلنا إلى عمق ميلين من سطح الأرض كانت درجة الحرارة كافية لجعل الماء يغلى . فاذا أمكننا أن نحفر ٣٠ ميلا فى باطن الأرض فان درجة الحرارة تصل إلى ١٢٠٠ درجة وهى درجة كافية لصهر الصخر ، ويعتقد العلماء أن درجة الحرارة عند مركز الأرض تبلغ ٥٥٠٠ درجة « سنتجريد » .

أما قشرة الأرض فتتكون من طبقتين : الأولى وهى التى تتكون منها القارات فانها من الجرانيت ، وتوجد تحت طبقة الجرانيت طبقة سميكة من الصخر الأسود شديد الصلابة يسمى « البازلت » وهذه الطبقة هى التى تساعد على تكوين القارات وتشكيل الأحواض التى تمسك مياه المحيطات .

ويعتقد أن هناك عند مركز الأرض كرة هائلة من الحديد المصهور يبلغ قطرها ٤٠٠٠ ميل .

كيف حدث أن مركز الأرض صار هكذا ؟ بناء على أحدث النظريات العلمية يعتقد أنه كان هناك نوع من الصلة بين الشمس والأرض .. فمعظم العلماء يرون أن الأرض كانت كتلة دائرة من الغاز والسائل أو المواد الصلبة التى بدأت رحلاتها المنتظمة حول الشمس .. وبمرور الزمن أخذت هذه الكتلة الساخنة تبرد .. وبدأت الكتلة الضخمة تنكمش لتصير أصغر فأصغر بسبب دورانها ثم بدأت تأخذ شكل الكرة ببطء .. كانت حمراء ساخنة .. وعلقت فى مدارها بجاذبية الشمس .

وعندما بردت الأرض تكونت قشرة صلبة على سطحها ولا أحد يدرى كم استغرق ذلك من ملايين السنين .. ولكن بقي هناك فى أعماق الأرض نواة ملتهبة هى مركزها ..

وما زالت هناك حتى اليوم .

صباح مبكر

قصة قصيرة بقلم : محمود الورداني

ثم انحرفنا بجوار الحنفية المقامة فى ظهر الحوش الذى يسكن إلى جواره عم « وطنى » ، ورحنا نصطدم بالناس الذين يدورون ، بعيداً عن بقع الماء التى تجمعت فى السكة الضيقة . آنئذ ــ عرفت اننا اقتربنا ، ورحت أشم رائحة التراب القوية التى ليس مثلها أى رائحة . كانت أمى تحمل الحقيبة ، وكنت أنا و « منى » أختى نحمل الخوص ، ونركض خلفها . وعندما انتهينا الى المنحدر ، رحت أشاهد أشباح بائعات الخوص المنحنيات بملابسهن السوداء فى الضباب الخفيف بجوار الاتوبيسات الحمراء الداكنة ، التى كان الناس يهبطون منها ويروحون يركضون على الفور . وبانت التلال البيضاء هناك ممتلئة بالناس المتزاحمين الذين يملأون الشارع بكامله ، وقد ارتدوا ملابس سوداء مثل أمى ، دون أن يستطيعوا إلا أن يتحركوا ببطء شديد ، ملتصقين ببعضهم ، وأنا أراهم يغيبون رويداً داخل الكوبرى الغائم أسفل التل القريب .

جعلنا نسير بين الشواهد ، ووسط الناس الذين جلسوا كل جماعة حول واحد فقط من هذه الشواهد . وكان بعض الناس يعرفون أمى ويقولون لنا « كل سنة وانتم طيبين » ، وكانت أمى ترد ، ونحن نركض خلفها ، وحتى انحرفنا أخيراً داخل الحوش الخشبى الداكن .

كن جالسات ، قريباتنا ، على الحصيرة وظهورهن الى الحاجز الخشبى الذى يفصلهن عن أقربائنا الرجال الجالسين فى الناحية الأخرى . ولقد فعلت انا مثلما فعلت أمى . وقفنا أمام الشاهد وجعلنا نقرأ الفاتحة . وكنت أعرف انها تبكى الآن . وعندما انتهينا ، ربتت علينا بيديها الاثنتين . فيما جعلت انا أفك حزمتين من الخوص . وانثرهما على قبر أبى ، كى أشم رائحة الورد العطن المختلط بالتراب الناعم .

لقد تراجعت أمى ، وراحت تسلم على النسوه وهن ينظرن الينا . وقالت عمتى « أفكار » : « أهلا يا حبيبتى .. » . ومدت يديها إلى منى . وهكذا ، جعلنا انا ومنى أختى ننحنى على قريباتنا ، وهن يقبلننا ويهمسن . كانت أمى قد خلعت حذاءها ، ثم انها توقفت قليلا ، دون ان يفسحن مكانا بينهن ، ومضت الى الطرف القصي المواجه للباب ، عند نهاية الحصيرة ، ودون أن تنظر ناحيتهن . على أننى حملت حزمة الخوص الباقية ، وبينما كنت اعبر الى الحجرة الأخرى ، رأيت السحارة الغامقة المتربة راقدة فى الطرف الآخر ، وقلت لنفسى اننا الآن لم نعد نأتى سوى فى العيد الصغير والعيد الكبير فقط . لكننا فى البداية ، كنا نأتى اليه وحدنا ، دون أن نجد ناساً كثيرين مثلما فى العيد . تفتح أمى السحارة وتضع فيها البطاطين والحقائب ، وعندما يرانا عم « وطنى » ، كان يحضر لنا الحصيرة والقلة . وتطلعت اليها ، كانت جالسة على طرف الحصيرة ، بينما تكومت النساء الأخريات ــ وهن يمددن سيقانهن المغطاة بالجوارب السوداء الشفافة ، ويملن على بعضهن ويهمسن .

فككت حزمة الخوص ، وجعلت اقرأ الفاتحة أمام الشاهد الآخر . وخطوت تجاه الرجال ــ الذين جلسوا على الطاولتين الخشبيتين الملتصقين بالجدارين القريبين : عمى فؤاد وعمى فكرى وعمى ممدوح وناس آخرون . كان البعض ينحنى ويقبلنى . وعندما أسلم على أى رجل ، فاننى لا أعرف ما اذا كان سوف ينحنى ويقبلنى ، أم انه سوف يتركنى أمضى . ومالبثت منى ان اطلت عبر الباب وهى تبتسم ، غير ان عمى فؤاد راح يبتسم هو كذلك ويشير اليها .

وسمعتها تنادى من الحجرة الأخرى ، وخرجت . كانت النسوة الصغيرات مثل بنات عمى فاطمة ودلال ودرية ، كن لا يعرفن كيف يجلسن لأن ملابسهن ضيقة وكانت عيونهن محمرة وهن يبتسمن لى . وانا أعبر بجوارهن . قالت أمى : « نادى على الشيخ علما يا مصطفى .. » . كانت تبكى الآن دون صوت ، وهى تفتح حقيبتها وتخرج الشريك والبلح ، بينما كان الناس الذين يقولون « الرحمة » قد بدأوا يطلون .

إننى أركض بين الشواهد الممتلئة بالناس والأولاد الذين كانوا يلعبون بصوت عال وهم يطاردون الكلاب . كان الشيخ الذى صوته حلو يخب هناك عند حوش عائلة زوجة عمى عبد الحميد . وصحت انا : « يا عم الشيخ علما .. يا عم الشيخ علما .. » .

عندما عدت ، كانت منى منحنية على أذن أمى ، التى كانت تعدل لها ذيل الحصان . وبعد أن ينتهى ذلك ، ويبدأون فى النهوض ، سينحنون ويسلمون علينا ، ويضعون العيدية فى جيوبنا أنا ومنى ، وما نلبث أن نمضى نحن فى نهاية الأمر ، لنعود فى العيد المقبل ، دون ان نرى منهم سوى عمى ممدوح ، الذى نذهب إليه مرة كل شهر لناخذ منه النقود بعد أن تكتب أمى اسمها على الورقة التى يعطيها لها . لكننى تذكرت ان أقرباءنا هؤلاء لم يعودوا يأتون بأولادهم ، الذين كانوا يتركون الشاهد ويركضون الى الخارج ويلعبون وحدهم .

وتخطيت الحاجز إلى الحجرة الأخرى ، لأجلس هناك عند الرجال ، حيث قبر جدتى وعماتى وكل النساء الأخريات اللائى كن قدمتن . وجعلت أسمع الناس الذين يقولون الرحمة ، حتى أتى عم الشيخ علما وراح يقرأ هناك عند قبر ابى والرجال الأخرين .

بعد ذلك ، كانوا ينتظرون حتى ينتهى عم الشيخ علما ، ثم يصيح واحد : « أكمل يا شيخ علما .. » . كانت الأصوات ما تنفك تطلع رويداً ، ثم اننى رحت أميز صوت بكاء النسوة فى الناحية الأخرى ، وهن يذكرن أسماء الرجال والنساء الذين ماتوا . وما لبثت إلا قليلا حتى انفجر الصراخ والبكاء ــ مثل كل مرة ، خافتا اول الأمر ، ثم ينقلب فجأة الى صراخ طويل قوى . ورغبت فى النهوض والذهاب إلى أمى هناك . غير أن عمى فكرى قام واقفا وراح يزعق وهو يمد وجهه تجاههم دون ان يكفوا .

سمعتها تنادينى . وقمنا انا ومنى ، ليسلم علينا هؤلاء الرجال القاعدون ، ويضعوا العيدية فى جيوبنا . قبل ان نمضى .

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● تمثال لباقلوفا ●● أرض السعداء ●●● هل ألف شكسبير رواياته ؟ ●●●● حيرة العقل

تمثال لباقلوفا

من أنباء لندن أنه سيقام فى احدى حدائقها تمثال بديع للراقصة الشهيرة بافلوفا ، وقد أوصت بصنع هذا التمثال لجنة من محبى الفنون فى لندن حيث عاشت الراقصة الشهيرة حيناً من الدهر ، وعهد بصنعه إلى المثال السويدى الكبير كارل ميلس ، وستبلغ نفقاته ثلاثين الف جنيه ، وتقرر أن يقام فى بستان ريجنت فى حديقة الورد ، وهى تقع إلى جانب بركة البجع ، وهو الطير الذى أوحت حركاته إلى بافلوفا بأشهر وأروع رقصاتها المسماة « رقصة البجع » . وتعول اللجنة على جمع المال المطلوب من إيراد فيلم يمثل حياة بافلوفا فى طائفة من أبدع رقصاتها ومنها « رقصة البجعة المحتضرة » ، وقد أخذت هذه المناظر قبل وفاة بافلوفا بقليل واشترك فيها مع الفنانة الشهيرة بعض كبار الراقصين الذين عملوا معها .

وتمثل حياة بافلوفا وحدها طوراً من أعظم أطوار الفن الراقص ، وقد ولدت هذه الراقصة المبدعة فى بتروجراد فى سنة ١٨٨٥ ، وتعلمت الرقص فى بعض مسارحها ، ولم تبلغ العاشرة من عمرها حتى ذاعت شهرتها وتقدمت فى سبيل المجد والرياسة الفنية بسرعة مدهشة ، وكانت فنانة رائعة الابتكار ، وعلى يدها دخلت أوضاع « الباليه » الراقصة فى طور جديد وبلغت ذروتها من الافتتان والروعة . وكان الفن لديها الهاماً وسمواً . وقد طافت عواصم العالم الكبرى مثل لندن وبرلين وباريس ونيويورك ولقيت فيها جميعاً فوزاً باهراً . وقدمت إلى مصر سنة ١٩٢٩ ففتنت المجتمع المصرى برائع فنها ولاسيما برقصة « البجعة المحتضرة » وتوفيت سنة ١٩٣١ فى مدينة لاهاى وطويت بوفاتها صفحة من أروع صفحات الفن الحديث .

أرض السعداء

يوجد بين جزائر المحيط الهادى التابعة لانكلترا جزيرة صغيرة يصح أن تسمى بالجزيرة السعيدة . وتسمى هذه الجزيرة « جزيرة تونجا » وهى احدى مجموعة جزائر « الأحباب » التى وقف بها الرحالة الشهير « كابتن كوك » أثناء طوافه فى أواخر القرن الثامن عشر بهذه المياه الخطرة . وحاكم هذه الجزيرة زنجى يسمى البرنس « توفا أهو » وهو شاب فى الثامنة عشرة ولكنه طويل القامة جداً ، وهو يدرس الحقوق فى ملبورن. ووجه الرضى والسعادة فى « تونجا » هو انه ليس بها فقير ولا معوز ولا تدفع فيها ضرائب . وكل فرد من سكانها يبلغ السادسة عشرة يعطى أرضاً مساحتها نحو ثمانية فدادين ومسكناً قروياً ، أو بعبارة أخرى تُهيأ له كل أسباب العيش والرخاء .

وقد استبدلت ضريبة الدخل بجعل سنوى قدره جنيهان يدفعه كل ذكر بالغ ، ولكنه ليس بضريبة فى الواقع لانه يخول له مقابلة أن يعالج مجاناً هو وأفراد عائلته فى مستشفى الحكومة ، ومعظم ايراد الحكومة يجبى من الجمارك وضريبة السيارات . ويكفل التعليم الحر بوجود المدارس الابتدائية وهى كلها مجانية ، وهناك كليتان صغيرتان . ومن مفاخر هذه الجزيرة النائية التى لا يجاوز سكانها ثلاثين الف نفس أن ليس بها أمى واحد .

سنة ١٩٣٥

هل ألف شكسبير رواياته؟

بقلم : جريس القوس - ١٩٣٥

أخي ح . ش .

كتبت إلي تسالني أن اجلو لك حقيقة هذا النابغة ، الذى على سعة شهرته وذيوع اسمه فى مختلف الأزمان والبلدان ، مازال مبهم الشخصية ، مجهول الهوية ؛ وما فتىء الكثيرون من الأدباء فى انكلترا وفى أمريكا يرتابون فى أمر تاليفه الروايات المنسوبة اليه ؛ فتراهم فى كل حين يكتشفون لها مؤلفا جديدا غير شكسبير ، مؤيدين اراءهم باقطع البراهين واقواها .

ولقد بلغت هذه المسالة من الاهمية وخطورة الشأن ما جعل الأدباء ينقسمون الى مدرستين ، الأولى تنتصر لشكسبير وتعضده وتعرف بمدرسة مستقيمى الراى (اورثوذكس) بينما الثانية هى اللاستراتفوردية Anti - Stratfordian نسبة الى ستراتفورد قرية شكسبير ومسقط رأسه — تجرده من كل صبغة أدبية ، وتتهمه بضعف الارادة والجهل فهى لا تود أن تنسب هذه المؤلفات الرائعة الى امرىء كشكسبير وضيع النسب ، نشا نشأة الوضعاء من عامة البشر ، فلم يلتحق بمعهد عال أو يتفقه على مدرب كبير .

إنه لمن العار بل من الحرام — على رأيهم — أن تنشا العبقرية فى الأكواخ ، وانه لمن الشائن المزرى إذن أن تعزى هذه الروايات على ما فيها من روعة وجلال الى شكسبير العامى القروى . فى ذلك يتفق أصحاب هذه المدرسة ، غير أنهم يختلفون فى أمر مؤلفها .

أما أول الأدباء الذين نسب اليهم تاليف روايات شكسبير ففرنسيس بيكون Francis Bacon (١٥٦١—١٦٢٦) الفيلسوف الانكليزى الشهير ، وأول واضع أسس النظرية البيكونية Baconian Theory فهربرت لورانس Herbart L'awrence إذ ألف سنة ١٧٦٩ كتابا سماه (مجازفات فى الذوق السليم) Adventures in Common Sense ، بيد أن هذه الآراء لم تثر اهتمام الأدباء ولم تحرك لهم ساكنا مدة نصف قرن أو أكثر . بعد ذلك لقيت لها أنصارا عضدوها بالمؤلفات العديدة ، منهم ج.س. هارت J. C. Hart فى كتاب ألف سنة ١٨٤٨ ، وفى مقالة موضوعها « من ألف روايات شكسبير ؟ » نشرت فى التشمبرز جورنال Chambers' Journal ومنهم و.هـ. سمث فى رسالة بعث بها الى لورد اليسمير Ellesmere موضوعها «هل ألف بيكون روايات شكسبير ؟» ومنهم أيضا الكاتبة ديليا بيكون Delia Bacon فى كتاب اسمه «كشف القناع عن فلسفة روايات شكسبير The philosophy of the plays of Shakespeare identified



شكسبير

وقد ظهر مؤخرا غير هؤلاء فى انكلترا وفى أمريكا كاللورد بنزانس وسر.ت. مارتن ، وج. قرينود وغيرهم من مشاهير الأدباء وكبار النقدة ممن عززوا النظرية البيكونيــة ، وحملوا على شكسبير حملة كادت أن تمحو اسمه محوا وتدحر جيش أنصاره دحرا .

ويبنى معظم أنصار بيكون حجتهم على النقط التالية :

(١) إن سر توبى ماتيوس Sir Tobie Mathews بعث سنة ١٦٢١ برسالة الى بيكون يمتدحه فيها ويعده «انبغ من انجبت انكلترا ، ومن عاش على هذا الجانب من البحر ، فى العصر الحاضر» .

(٢) إن فى روايات شكسبير بعض فقرات ومفردات تدل على تبحر مؤلفها فى العلم وتعمقه فى الفلسفة والقانون مما لا يمكن أن يعزى الى شكسبير كما يظهر فى ترجمة حياته المعروفة .

(٣) إن فى روايات شكسبير مشاهد وأبياتا تشهد بان ناظم عقدها أرستقراطى النزعة والنشاة . مثال ذلك أنه : يسخر بالرعاع ، ويزدرى عامة البشر فى كل من «يوليوس قيصر» و«كور يولانس» سخرية وازدراء لا يمكن أن يصدرا من شكسبير القروى الوضيع النسب ، إن ذلك إلا مظهر من مظاهر نبذ الارستقراطية للعامة وكراهيتها لها ، واعتزازها برجالها وفى مقدمتهم بيكون .

(٤) أما آخر هذه البراهين ، والذى عليه يبنى جميع خصوم شكسبير ، على اختلاف أشخاصهم اراءهم واعتقادهم الراسخ فى أن شكسبير على ما فى نسبه من ضعة ، وفى نشاته من حقارة ، وفى علمه من نقص ، وفى خلقه من مغمز ، وفى حياته من غموض وإبهام ، لا يمكن أن يكون مؤلف تلك الروايات الخالدة ، التى تشهد لصاحبها بعبقرية تفوق كل عبقرية ونبوغ هو فوق كل نبوغ ، كيف يمكن هذا ، مادام هناك بيكون الفيلسوف الكبير ، والنابغة الفذ الذى شغل أهل زمانه ، وملأ أسماعهم وأبصارهم ؟

ويأخذ أنصار شكسبير هذه الحجج ويفندونها واحدة واحدة . فيقولون — مثلا فى الرد على الحجة الأولى إن (سر توبى ماتيوس) لم يعن فى رسالته بيكون الفيلسوف ، وإنما عنى راهبا يسوعيا آخر اسمه طوماس ساوزويل Thomas Southwell كان يعرف بلقب بيكون . مع كل هذا يرى أنصار شكسبير — مسلمين جدلا بأن سر توبى يعنى الفيلسوف بيكون — أن ليس فى هذا ما يدل كل الدلالة على أن بيكون إنما هو مؤلف روايات شكسبير . إن هى إلا العاطفة ، عاطفة الصداقة العمياء هذه ذات التعميمات والأحكام الجارفة .

أما فيما يخص الأشعار فليس فى البقية الباقية من شعر الفيلسوف بيكون

ما يدل على أنه شاعر بالمعنى الصحيح ، ذلك الشاعر الفذ الذى يمكن أن يعزى اليه نظم تلك القطع الرائعة التى تتخلل معظم رواياته وخاصة الأخيرة منها .

هذا أما المفردات أو الفقرات العديدة الواردة فى روايات شكسبير والدالة على تبصر فى العلم وتبحر فى الفلسفة والقانون وإلمام بأغلب الفنون فلم تكن مقصورة على شكسبير أو على بيكون وحدهما . فقد كانت بحق ملك جميع المؤلفين فى عصر اليصابات وبالأخص الأخير منه . إذ شاع فيه التقليد والنسج على منوال الأولين . فالذى يجوز لنا الارتياب فى أمر تأليف شكسبير لهذه الروايات على هذا الأساس الواهى ، يجوز لنا أيضاً الاشتباه فى غيرهم من الكتاب والشعراء .

وعلاوة على هذا يرى أنصار شكسبير أن ليس فى هذه الروايات ما يدل على إلمام واسع بالعلوم والفنون أو تعمق فى الفلسفة والقانون ، إلماماً وتعمقاً يصح معهما أن ينسب تأليفها الى بيكون صاحب النظريات الفلسفية الخالدة والنثر الأدبى الرائع .

أما القول بأن مؤلف هذه الروايات لابد أن يكون أرستقراطى النسب والنزعة كما يظهر من شعوره نحو الرعاع وخصوصاً فى «يوليوس قيصر» و «كور يولانوس» فليس بالقول الذى يعتمد عليه فى بنيان مثل هذه النظرية وتحقيقها . إذ ما روايات شكسبير إلا مملكة كبيرة ، فيها الملوك والنبلاء ، والرعاع والعلماء ، وفيها الجنود والصناع ، والأرواح والآلهة ، كل منهم يفكر ويقول ويعمل حسب طبيعته ونزعته ، وعلى قدر قوته ومعرفته ، غير مقيد برأى الشاعر أو عقيدته الخاصة . بذا يمتاز شكسبير عن (برواننج) خاصة وعن باقى الشعراء والكتاب عامة . فما الرعاع فى الحقيقة إلا من هذا البشر الذى توخى شكسبير فى تصوير طبيعته ونفسيته الصدق والعدل .

هذا بعض مما يقوله أنصار شكسبير فى الرد على خصومه ، غير أنهم لا يقفون عند هذا الحد ، بل يوردون الحجج الايجابية الدامغة التى تؤيد آراءهم كل التأييد . من ذلك قولهم إن حياة شكسبير ليست محاطة بالابهام كما يظن خصومه . فلو استعرضنا تراجم معاصريه من الأدباء لألفينا فى جميعها ـ اللهم إلا من اتصل منهم بالسياسة أو القانون وكان له فيها شأن كبير ـ غموضاً وإبهاماً يساويان إن لم يزيدا ، ما فى ترجمة حياة شكسبير من غموض وإبهام .

ويرى أنصار شكسبير أيضاً أن لديهم تقارير عديدة تدل على اتصال الشاعر بالمسرح وانشغاله بأموره مدة ليست باليسيرة . وفى بعض رواياته نلمح ما يدل على إلمام الشاعر بفن المسرح ودقائقه . يحضرنا من ذلك ـ على سبيل التمثيل ـ ما جاء على لسان هملت فى تلقينه الغلمان سبل الالقاء والتمثيل تلقيناً يشهد له ـ أى لشكسبير ـ بطول الباع فى هذا الفن . وليس فى ترجمة حياة بيكون الضافية ، ما يدل على ولوعه بالتمثيل أو كلفه بالمسرح .

أما ادعاء خصوم شكسبير أن ما فى رواياته من مفردات فى القانون ، يكفل لبيكون ـ وهو بالطبع قانونى ـ تأليفه الروايات لحجة واهية ، من السهل دحضها . فقد كانت لندن فى عصر اليصابات تكتظ بطلاب الحقوق هواة المسرح ، فكان لشكسبير فى ذلك فرصة سانحة لمجالستهم والاستماع الى أحاديثهم التى تدور ، فى أغلب الأحيان ، حول القانون . هذا عدا تجاربه واختباراته فى هذا الفرع كابن أحد الملاك أو التجار .

ومن البيانات الواضحة التى يعتمدها أنصار شكسبير فى الرد على خصومه ،

بيكون



ورود اسم شكسبير مع التعليق على فنه فى بعض النسخ الأولى من رواياته مفردة Quartoes ومجموعة First Folio وفى مجموعة صونيتاته Sonnets ومذكرات معاصريه ، وخاصة فرنسيس ميرز Francis Meres فى كتابه « بلادس تيميا Palladis Tamia وروبرت جرين Robert Green فى تهكمه اللاذع على شكسبير ، وفى قصيدة بن جونسون Ben Jonson التى فيها يخلد «وزة افون» Swine of Avon

وقد ظهر مؤخراً غير بيكون مرشحون آخرون لروايات شكسبير ، منهم «لورد رتلند الخامس عشر Lord Rutland 15th ومنهم كونت دربى Derby ولكن أحدثهم ظهوراً وأشدهم خطراً على الممثل الستراتفوردى ديفر ايرل أوف أوكسفورد السابع عشر . فقد وضع ج . طوماس لونلى Loonly سنة ١٩٢٠ كتاباً فى هذا الموضوع سماه «إثبات شخصية شكسبير فى دى فير ايرل أوف أوكسفورد»

وآخر كتاب ظهر فى هذا الموضوع هو لمونتاجو دوجلاس Montagu Douglas رئيس جمعية أدبية (١) أخذت على نفسها معاضدة دى فير ودحض آراء أنصار شكسبير . فقد وضع كتاب « إيرل أوف أوكسفورد لشكسبير The Earl of Oxford as Shakespeare. وهو يجمع باختصار كل ما يمكن أن يقال فى هذا الأديب كمؤلف للروايات المنسوبة لشكسبير .

أما النظرية الشيخزبيرية (٢) فما هى فى الحقيقة بنظرية ، وإنما هى خرافة أكبر عامل فى خلقها التشابه الظاهر بين اسمى الشيخ زبير وشكسبير . ليس هذا فحسب بل إن علاقة شكسبير الغرامية مع «السيدة السمراء» The Dark Lady ويظن بعضهم أنها مصرية ـ وحبه للخيول وخاصة خيول رواد المسرح وما فى رواياته من امتداح لجزيرة العرب وتغن بسمائها وطيرها «فونكس Phoenix وزهرها وشجرها ، كل هذه بعض من الشواهد التى قد يتخذها هواة النظريات أساساً للنظرية الشيخزبيرية .

ولقد غرب عن بالى أن أذكر لك أن من الأدباء من يعزو الى شكسبير تأليف نحو أربعين رواية أخرى ، ومنهم من يرى أن شكسبير لم يؤلف كل رواياته ، بل شاركه

هل ألف شكسبير رواياته؟

فى ذلك كتاب آخرون كبيمونت وفليتشر ، وخاصة فى «تيطس ادرونيكس» وثلاثة أجزاء : «هنرى السادس» ، و «تيمون اثينا» و «بيركليس» ، و «هنرى الثامن» .

هذا عرض موجز لما يمكن أن اخبرك به فى هذا الموضوع ، ولا انكر عليك أننى بعد دراسة حجج الفريقين وتمحيصها بكل دقة ـ أرانى ميالا كل الميل الى المدرسة الستراتفوردية . ولا اشك فى أن النجاح سيحالفها ، مهما وجه اليها من نقد لاذع ، ولشكسبير من تهم هو برىء منها .

جريس القسوس

الكرك : شرق الأردن .

هوامش

١ ـ Shaheapearean Fellowship

٢ ـ نسبة إلى الشيخ زبير .

مصادر المقال :

1. Neilson and Thorndike's The Facts about Shakespeare.
2. Harvey's Oxford Companion to Eng. Literature.
3. Prof. Byron Smith's Lectures on Shakespeare.
4. Douglas' M. W. The Earl of Oxford as Shakespeare.
5. The Encyclopedia Britanica, (Shakespeare).
6. J. Qusus' Shakespeare and Sheik Zubeir.

حيرة العقل..

بقلم : إبراهيم عبد القادر المازني ـ ١٩٣٧

أرانى فى هذه الأيام لا أكاد أعرف لي رأيا فى شىء لا لأنى كففت عن التفكير فلعل الأمر على خلاف ذلك ، وعسى أن اكون مسرفا فى النظر والتدبر وفى التماس الوجوه المختلفة للأمر الواحد الذى يعرض لي ، وإنما ترجع حيرتى الى أن إطالة النظر تكشف لي كل يوم عن جديد ، والى أن تدبر النواحى المختلفة تجعل الجزم عسيراً ، وتغرى بالتردد ، وتدفع الى الشك ، ومن طال وزنه للأمور وتقصيه لوجوهها وتامله فى البواعث والاحتمالات قل بته ـ وعمله ـ أيضاً ـ لأن العمل يراد منه الغاية ، فلابد من المجازفة والتعرض لعواقب الخطا من بعض النواحى . وكل رجل عمل يضطر الى الاخذ بالأرجح فيمايرى ، وإلا تعذر عليه العمل بل استحال . ورجال الحرب والسياسة والمال والتجارة ومن إليهم لا يسعهم إلا المخاطرة لأن غايتهم ليست الاهتداء الى الحقيقة بل بلوغ الغرض . وكثيراً ما أرانى أسأل نفسى لفرط ما أرى من ترددى وحيرتى ، «هل أصبحت غير صالح ؟» ولا يسرنى ذلك فأروح أقول إن قدرة النفس على التكيف لا حد لها فيما أعرف ، وإن العمل الذى يحوج الى سرعة البت والجزم بلا تردد يضطر المرء الى النزول على مقتضياته ، وما أكثر ما تكون مواهب الانسان كامنة ، فلا يظهرها إلا انتقال الأحوال به ، وأنا مع طول ترددى بين الآراء أرانى مع ذلك أتصرف فى مواقف العمل بسرعة وضبط وإحكام . وليس هذا من الثناء على النفس ، ولكنه من الواقع الذى أعرفه بالتجربة .

ومن طول حيرتى بين الآراء أصبحت اثق بخطئى ولا اثق بصوابى ، واقدر الضلال فى كل ما انتهى اليه ، ولا أطمئن الى السداد فيه ، ومن اجل ذلك لاازال أراجع نفسى فى كل قضية ، وانقض اليوم ما أبرمت بالأمس ، ولولا أن معجل فى حيــاتى لـكان الأرجح أنى أحجـم عن



ابراهيم عبد القادر المازنى

المجاهرة برايى مخافة أن أكون قد أخطأت الصواب فيه . وأنا أعزّى نفسى ـ لو أن فى هذا عزاء ـ بقول ويندل هولمز ـ على ما أذكر ـ إن الحقيقة «كزهر» النرد لها أكثر من وجه واحد . فاذا كنت قد رأيت وجهاً واحداً دون سائر الوجوه فان لي العذر إذا كان هذا كل ما بدا لي ، وأين فى الناس من يرى وجوه الحقيقة كلها من كل جانب ؟؟

ولهــذه الحيرة عللها المعقولة فانا قد ورثت آراء ، وأفدت من مخالطة الناس آراء ، واكتسبت من الاطلاع آراء . وكنت أسلم بما ورثت واكتسبت ، وأنا فى سن التحصيل ، وكنت ربما كابرت بالخلاف فيما أخذته من بيئتى ، أما ما كنت أفيده من الكتب فكنت اتلقاه بالأكبار والاقرار ، لأنى لم أجد من يهدينى أو يرشدنى . فلا البيت كان لى فيه هذا المعين ، ولا المدرسة كنت أجد فيها هذا المعلم الحاذق المرشد . وظل احترامى للكتب على حاله حتى احتجت فى سنة أن أبيعها ، وشق على ذلك فى أول الأمر ، وكنت لا أكاد أطيق أن أدخل الغرفة التى كانت مرصوصة فيها . وظللت أياما أحس كلما نظرت الى الرفوف التى خلت مما كان عليها أنى

فقدت أقرب الناس الى وأعزهم على ، وأشعر أنى مشرف على البكاء اذا لم أحول عينى عن هذه الرفوف الخالية ، ولم يكن ما اتحسر عليه زينتها ، وما اضعته فيها من مال خسرته بالبيع وانما كانت الحسرة على فقدان أساتذتى واخوانى . وبقيت بعد ذلك زمنا لا أمر بمكتبة عامة إلا شحت بوجهى عنها من فرط الألم ، وإلا احسست أن يدا عنيفة تلوى احشائى وتحاول أن تقتلعها . وكان من غرائب ما حدث أنى لبثت أكثر من سنة لاأقتنى شيئا من الكتب كانما زهدتنى الحسرة على ما ضيعت فى كل جديد غيره .

ومن الغريب أن هذا هو نفس الاحساس الذى عانيته لما توفيت زوجتى ، فقد ظللت سنوات لاأطيق أن انظر الى امراة . ثم فتر الألم وخفت وطاته ، كما هى العادة ، وكنت فى خلال ذلك قد احتجت أن انظر بعينى وأفكر بعقلى فالفيتنى أشك فى كثير مما كنت أسلم به ولاأكابر فيه بل ما كان لايخطر لى أن اعترض عليه ، وتغير الأمر ، فبعد أن كنت اخذ الآراء من الكتب أو الناس . صرت اخذها من الحياة بلا واسطة ، وأعرضها على عقلى بلا مؤثر فاعتدت الاستقلال فى النظر ، والحرية فى التفكير ، وخلا تفكيرى وإحساسى شيئا فشيئا من تاثير الكتب ، وسواها ، وبرزت نفسى بعد طول التضاؤل ، ثم أخذت أروض نفسى على التماس الجوانب الأخرى التى تخفى فى العادة، فصارت وجوه الحقيقة تتعدد فيما أرى ، والفت ذلك حتى صار هذا ديدنى مع الناس ، فاذا رأيت من صاحب لى مايسوءنى حاولت أن أضع نفسى فى مكانه وأن أنظر الى الأمر بعينه هو ، وأن أتمثل بواعثه وإحساساته الى آخر ذلك ، فينتهى الأمر فى الأغلب بأن أعذر ولا ألوم . ويذهب الألم أو الغضب أو غير ذلك مما أثار صاحبى بما صنع .

بل ترقيت من هذا الى ما هو أرفع ، فصار نظرى الى الناس نظرا الى مادة تدرس لا الى مخلوقات تعاشر ويصدر عنها ما يسوء أو يسر . ولاشك أن الفعل الحميد حسن وقعه فى النفس ، وأن السوء يؤلم أو يغضب ، وليس إلا أن اتلقى ما يكون من الناس بالحمد أو الذم ، وبالرضى أو السخط ، ولست بانسان اذا لم يكن هذا شانى ، ولكنى اعنى أنى لاأعجل بالذم والسخط ولاأندفع مع أول الخاطر ، بل أراجع نفسى وأجيل عينى فى الأمر لأراه من ناحية غير الناحية التى طالعتنى فى البداية ، فيتحول الموضوع من عمل أو قول باعث على الرضى أو الامتعاض الى مادة للتفكير ، وتذهب عنه الصبغة الشخصية ، فكانى أمتحن نظرية ولست أزن صنع انسان أساء أو أحسن .

ويخيل الى الآن أنى اعيش فى معمل فكل ما ألقاه فى الحياة من خير وشر ، وما أجدنى أو أجد سواى فيه ، من جد ولهو ، اتناوله بالتحليل لاستخلص منه مايتيسر لى استخلاصه من الحقائق ، ثم أروح أقيسه الى تجاربى الأخرى واقارن وأقابل ، ولاأزال افعل ذلك حتى يهدنى التعب ، وقلما اهتدى ، وكثيرا ما أضل ، ولكنى لاأسأم ولا اضجر لأن هذا صار متعتى النفسية التى لا أعدل بها متع الدنيا ، بعد أن وجدت نفسى ، وعثرت عليها تحت طبقات الكتب التى بعتها والحمد لله على ما كنت أتوجع وأذم الدنيا من أجله. فلولا أنى بعت هذه الكتب لما وجدت نفسى ، ولكان الأرجح أن أظل كالذى يعبد أصناما .

والشك حيرة ولكنه حرية ، وسعة الأفق خير من ضيقه ، على الرغم من العناء الذى يكابده المرء من إرسال العين وإدارتها فى النواحى الخفية أو البعيدة ، وإنه لعذاب ، وإن جدواه لقليلة ، بالقياس الى الجهد الذى يبذل فيه ، ولكنه خير وأمتع من التحجر الذى يؤدى اليه التسليم ، بلا نظر ، وحسبك من متعته أنه يريك كل يوم جديدا ، وقد يكون ما تهتدى اليه وتحسبه جديدا قديما جدا فى الحقيقة ، ولكن المتعة فى الجهد نفسه لا فى النتيجة، والشان فى هذا كالشان فى الألعاب الرياضية فان الغاية منها ليست الغلبة أو التفوق أو غير ذلك مما يجرى فى هذا المجرى ، وإنما العبرة فيها بما تفيده من التدريب وما تكتسبه بفضل الجهد الذى تنفقه فيها ، ولذتها فى مزاولتها لافيما تنتهى به من الفوز وإن كان للفوز قيمته ومزيته ، ولكنه ليس كل ما تزاول الألعاب من أجله .

ومتى صار كل شىء مادة للدرس والبحث فقد صارت الحياة أوسع وأرحب ، وصار المرء كأنه يحلق فوقها وإن كان يخوضها ويعانيها ، وهذا ما أروض عليه نفسى الآن أن أكابد الحياة والناس ، وأن يسعنى مع ذلك أن اقف منها ومنهم موقف الناظر المتفرج ، فكانى اثنان لاواحد ، أحدهما يعيش ويجرب ، ويسعد ويشقى ، ويسر ويحزن ، ويجد ويهزل ، ويفعل ما يفعل الناس غيره . وثانيهما يتلقى هذه التجارب وينشرها أمامه ، ويعرضها على عقله ويقارنها ويقابلها ، ويفحصها ويضم المتشاكل منها بعضه الى بعض ، ويجمع ما يمكن أن ياتلف ، ويعمل خياله فيما يراه ناقصا ليملأ الفراغ ويسد الثغرة ، ويصنع على العموم ما يصنع الكيميائى فى معمله الذى يجرى فيه تجاربه ، ولايتاثر بالواقع ، ولايعنيه ما عانى منه ، وهذا الازدواج عسير ولاشك . ولست أطمع أن أبلغ منه الغاية وأوفى على الأمد ، ولكنى أطمع أن أوفق فى بابه الى الكفاية مع المواظبة والصبر ، ويطمعنى فى النجاح أن كل انسان له أكثر من شخصية واحدة وإن كان لايدرى ذلك .

ويثقل على نفسى خاطر واحد يكاد يصدنى عن المواظبة، هو ماجدوى ذلك كله ؟ .. ما آخر هذا العناء الذى أراه باطلا ؟ .. آخر ذلك كله معروف . وهل ثم من آخر سوى الفناء ؟ .. ولكنى أعود فاقول لنفسى إن هذا الآخر لاآخر سواه سواء أبذل المرء الجهد ، أم قعد عنه وضن به ، فلا فائدة من التقصير ، ولاضير من السعي ، والحياة أن تحيا ، لا أن تجمد وتركد وتأسن . أما الجدوى فلماذا أعذب نفسى بالسؤال عنها ؟ وما جدوى أى شىء فى الحياة ؟ . إن كل ما أعرفه أنى موجود ، وأنى وهبت قدرة على الاحساس والتفكير ، فكيف أعطل هذه المواهب وأبطل عملها . وكيف يمكن أن أنعم بالوجود واتمتع بالشعور به وأنا أعطل ما أعطيت ؟ ويعرف الجدوى من اعطانى الحياة ، فلندع ذلك له فهو أعرف به .

العلم هو المستقبل

تقديم : لبنى الريدي

محرك لسيارتك من السيراميك

● أجرت إحدى الشركات اليابانية مؤخراً تجارب ناجحة على محرك سيارة ديزل يضم اجزاء عديدة صنعت جميعها من السيراميك . ويتميز هذا المحرك التوربين المصنوع من السيراميك بانه يسمح لحرارة الاحتراق داخله ان تبلغ ١٦٠٠ درجة مئوية مما يوفر استهلاك الوقود . وهى درجة حرارة لا تستطيع أفضل السبائك المعدنية تحملها .

وبالاضافة إلى تحمله لدرجات الحرارة المرتفعة فهو صلب للغاية ولا يتاثر بعمليات التاكل حتى عند درجات الحرارة العالية .

ولقد اتاح هذا المحرك المصنوع من السيراميك إلغاء نظام التبريد مما أدى إلى خفض وزن المحرك ١٢ كيلو جراماً .

ولذلك يتوقع الباحثون أن تصبح مادة السيراميك من المواد الحيوية فى صناعة السيارات فى المستقبل .

تحليل الدم الفورى

● تمثل عينة دم المريض ملفا شبه كامل لحالته الصحية لأن تحليل الدم يساعد الطبيب على اكتشاف العديد من الالتهابات والأمراض بل وبعض انواع السرطان .

ويضطر الطبيب المعالج عادة إلى انتظار نتيجة التحاليل عدة ساعات وفى بعض الاحيان بضعة أيام . ولكن بفضل الجهاز الالكترونى المبين فى الصورة يستطيع اى فنى معامل حتى وإن كان غير مدرب إجراء التحليل بشكل فورى والحصول على نتائج خلال دقائق معدودات .

ويضم الجهاز ميكروسكوباً متصلا



الجهاز الالكترونى الجديد لتحليل الدم الفورى

بمصدر للأشعة فوق البنفسجية بحيث يسقط الضوء على عينة الدم من خلال فلترات خاصة لتبدو مكونات الدم من خلايا حمراء وبيضاء وصفائح دموية واضحة وعند ذلك تقوم دوائر الكترونية متصلة بميكروكمبيوتر باحصاء مكونات الدم المختلفة بشكل أتوماتيكى ، ثم عرض النتائج على شاشة رقمية .

وليس على الفنى سوى النظر من عدسة الميكروسكوب وإدارة ذراع مثبت على احد جوانب الجهاز لتحريك الدم . ويستغرق التحليل الكامل ١٥ دقيقة فقط !

قلب مزدوج السرعة

● يساعد جهاز تنظيم ضربات القلب على أن يعيش من يعانى من عدم انتظام فى ضربات قلبه حياة طبيعية اذ يعوض عدم قدرة الجسم على الاحتفاظ بضربات القلب طبيعية ومنتظمة .

إلا ان سرعة هذا الجهاز الالكترونى ، الذى يزرع فى صدر المريض ويعمل على تنشيط ضربات القلب ، لا تناسب النشاط العنيف .

ولذلك فكر الباحثون فى ابتكار منظم لضربات القلب يعمل بسرعتين بحيث يسمح للقلب بضخ مزيد من الدم أثناء التمرينات البدنية العنيفة مثل الهرولة أو الألعاب السويدية .

ولقد تم تجربة هذا الجهاز الجديد بنجاح على الحيوانات وسوف تجرى قريباً تجارب مماثلة على متطوعين آدميين .

ويعتمد عمل هذا المنظم على جهاز رصد حرارى متصل باحدى الرقائق الالكترونية التى يعمل بها الكمبيوتر وذلك بان يقوم جهاز الرصد الحرارى بتحديد أى زيادة فى النشاط العضلى للمريض عن طريق زيادة درجة حرارة الدم الذى يمر فى القلب وعندئذ يصدر الكمبيوتر أوامره للمنظم بالعمل بالسرعة الأكبر .

ونظراً لأن كل مريض يمثل حالة مستقلة بذاتها فان الطبيب يحدد السرعة التى تناسب كل مريض سواء أثناء فترات الراحة أو أثناء بذل المجهود .

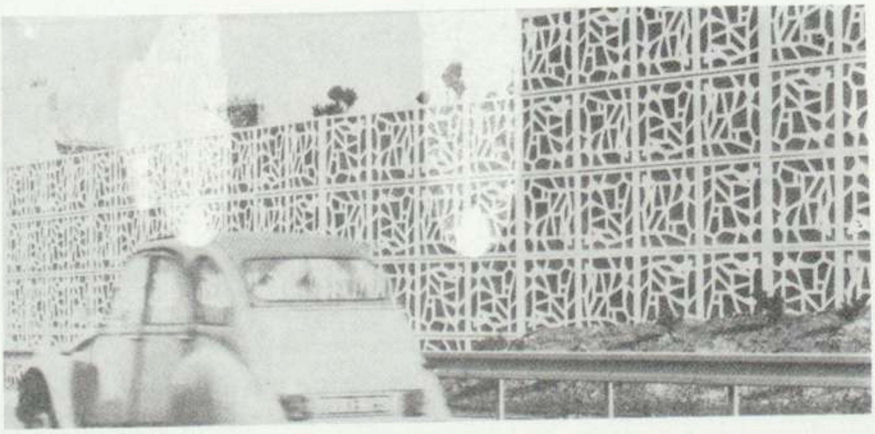
مدن بلا ضوضاء !

● توصلت شركة فرنسية إلى انتاج مادة جديدة تمتص الأصوات والضوضاء . وسوف تستخدم هذه المادة فى بناء جدران على امتداد طرق السيارات التى تخترق التجمعات السكنية .

ولا تكتفى المادة الجديدة بعكس الأصوات كما تفعل المواد الأخرى وانما تمتصها ، خاصة الأصوات ذات الترددات المنخفضة والمتوسطة ، وهى الترددات الخاصة بضوضاء الطريق . وبالاضافة إلى الحماية التى توفرها

الجدران للمشاة ، فهى تحمى سائقى السيارات من الضوضاء المنبعثة من محركات سياراتهم ذاتها . ومن ثم فهى توفر عليهم توتراً لا داعى له .

والطريف فى الأمر أنه يمكن زخرفة هذه المادة لتصبح حلية معمارية تزين بها الطرقات والميادين .



جدران تزين الطريق وتمتص الضوضـــاء

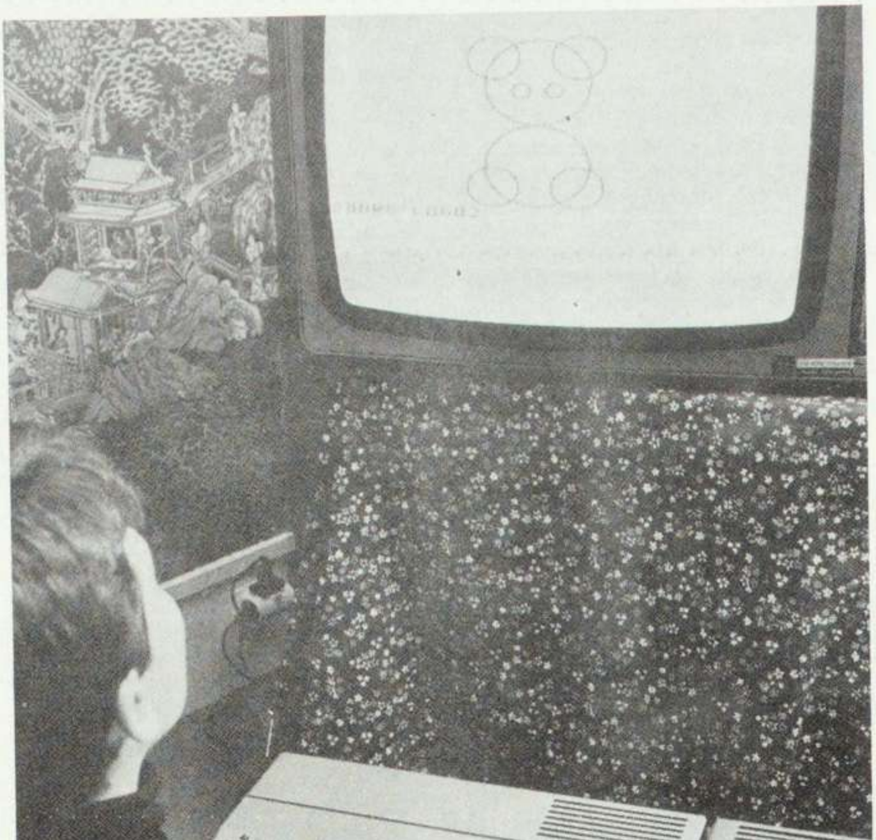
سلحفاة تعلم الهندسة !

● هذا الطفل يتعلم وحده مبادىء الهندسة يساعده فى ذلك الكمبيوتر ولغة « اللوجو » التى ابتكرها العالم الأمريكى سـيمور بابرت . وتعتبر « لوجو » لغة تعليمية فعالة جداً ، ويرجع ذلك الى انها أبسط لغات الكمبيوتر جميعها .

فالطفل يضرب الأوامر مباشرة على مفاتيح الآلة الكاتبة لتقوم سلحفاة – تظهر على الشاشة فى شكل مثلث صغير – بتنفيذ جميع الأوامر .

فلكى يرسم هذا الطفل مثلا صورة هذا الدب الصغير عليه ان يعلم السلحفاة كيفية رسم الدائرة وذلك بان يأمرها بالتقدم خطوة ثم الدوران إلى اليمين درجتين وتكرار ذلك ١٨٠ مرة . وعندئذ يكتمل رسم رأس الدب . وتكرر السلحفاة نفس الخطوات كلما ضرب الطفل كلمة رأس . وهكذا بالنسبة لباقى أجزاء جسم الدب . وبالتالى فان جسم الدب سيتكون من مجموعة من البرامج الفرعية .

ومن ثم فان الطفل هو الذى يعلم الكمبيوتر وليس العكس ، وفى الوقت نفسه فان الطفل يتعلم بشكل غير مباشر مبادىء وأساسيات الهندسة .



الطفل يعلم الكمبيوتر

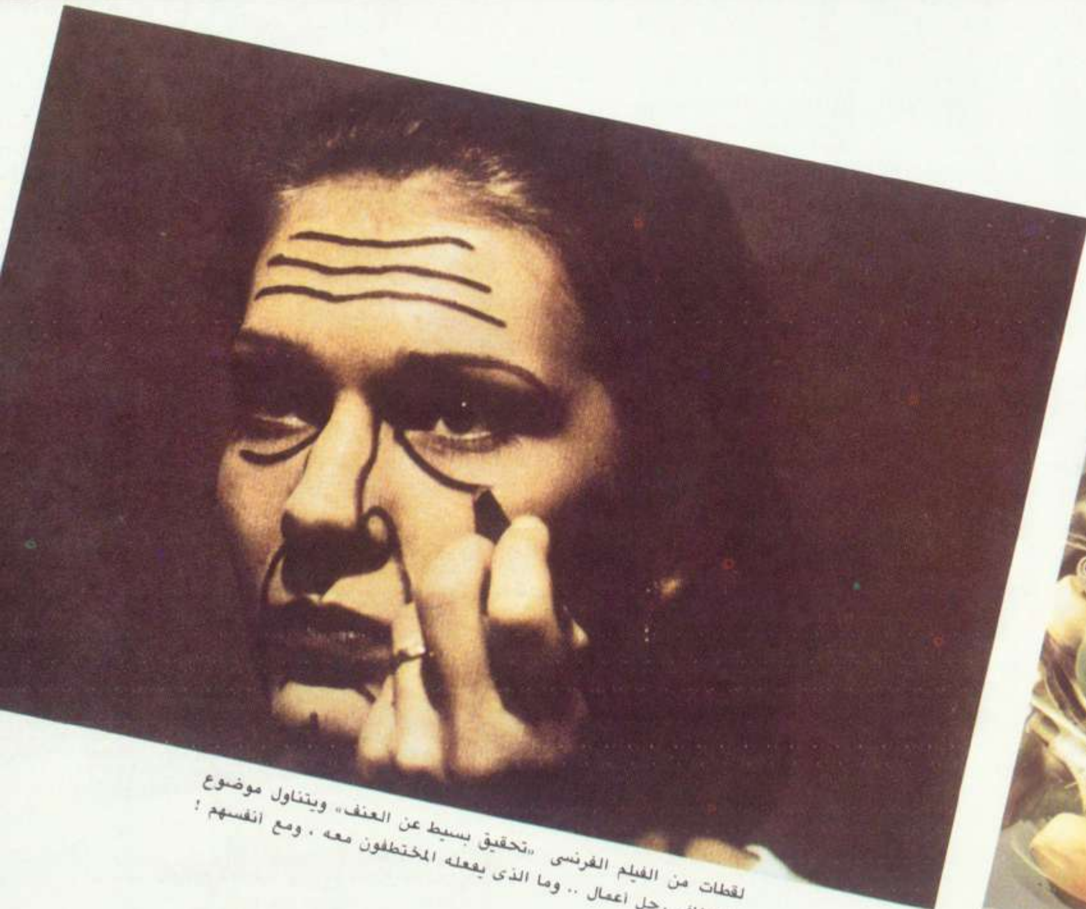


احمد زكى وتيسير فهمى .. ولقطة من فيلم « العوامة ٧٠ » للمخرج خيرى بشارة

بقلم: رؤوف توفيق .

"الدوحة" تحضر مهرجان "روتردام" بهولندا

سباق مهرجانات السينما .. وما يتبقى منها!



لقطات من الفيلم الفرنسى «تحقيق بسيط عن العنف» ويتناول موضوع اختطاف رجل أعمال .. وما الذى يفعله المختطفون معه ، ومع انفسهم !



التزحلق .. فى الفيلم الفرنسى « إلى اللقاء » للمخــرج الامــريكى « روبـــرت كرامر »

فى خلال شهر واحد ، عقـــدت ثلاثة مهرجانات دولية للسينما!

وتنقل السينمائيون من انحاء العالم ، يصحبون أفلامهم .. من مهرجان لآخر .. يحلمون بالأهتمام والأضواء ، وفرص أكبر للتوزيع والانتشار .

وحيث يوجد مهرجان للسينما .. فلابد ان يكون هناك النقاد والصحفيون والمراقبون لصناعة السينما .. وكل مهرجان يقيس مدى نجاحه بما يكتب عنه فى الصحف العالمية ، وما تتناقله وكالات الانباء وشبكات التليفزيون .. وما يتركه من أصداء ، سواء أكانت بالثقة والاحترام .. أو اللامبالاة !

وهكذا كان شهر يناير الماضى .. شهراً مليئاً بالأحداث السينمائية الهامة ، وأيضاً بالبالونات الملونة التى تبهر العين ولكن سرعان ما يبددها الهواء ، ولا يُبقى منها شيئاً !

ففى ذلك الشهر – يناير – عقد مهرجان نيودلهى السينمائى (الهند) .. ثم مهرجان مانيلا (الفلبين) .. ثم مهرجان روتردام (هولندا) . الذى انتهى فى ٦ فبراير .. وبعدها بأيام قليلة بدأ مهرجان برلين السينمائي ..

مأزق مهرجان « برلين »

ورغم التاريخ الفنى الطويل لمهرجان برلين السينمائى ، والذى أصبح واحداً من أهم المهرجانات السينمائية العالمية .. الا ان سوء الحظ يطارده منذ سنوات .. فقد كان توقيت انعقاده قريباً من تاريخ انعقاد مهرجان « كان » السينمائى .. ولأن مهرجان « كان » له مكانته الخاصة ، وأهميته المتميزة .. فقد قررت ادارة مهرجان برلين ان تبتعد عنه ، وان تسبقه باربعة شهور ، حتى تتمكن من الحصول على الافلام الجديدة من الانتاج العالمى ، وتنفرد بعرضها قبل ان يحصل عليها مهرجان كان !!

ولكن .. حدث مالم يكن متوقعاً .. فقد قررت الفلبين ان تقيم مهرجاناً سينمائياً منذ العام الماضى (٨٢) ووفرت له ميزانية ضخمة ووسائل جذب مغرية مما أدار رءوس الكثيرين !

وهكذا وقع مهرجان برلين فى مأزق صعب .. انه بين مهرجان شديد البذخ (مانيلا) .. ومهرجان شديد الأهمية (كان) .. وأصبح على مهرجان برلين ان يستنجد بعشاقه ألا يخذلوه !

وقبل ان يعقد مهرجان برلين .. أعلن مديره فى أسف شديد ان المهرجان يعانى أزمة مالية حادة .. وانه لأول مرة فى تاريخــــه لن يتمكن من اســـتضافة السينمائيين والنقاد والصحفيين ، وان كل ما يستطيع ان يقدمه المهرجان .. هو فرصة العرض السينمائى .

واستطرد مدير المهرجان فى غضب واضح يعلق على الاغراءات الباذخة التى يوفرها مهرجان مانيلا لضيوفه .. وفى توقيت انعقاده الذى يسبق مهرجان برلين بأقل من الشهر ، مما يجذب الكثيرين من صناع السينما ونجومها ونقادها (بلغ عدد الصحفيين الذين حضروا مهرجان مانيلا هذا العام أكثر من ٦٠٠ صحفى من جميع انحاء العالم) .

ليست أفلاماً فقط

وهذا السباق المحموم بين المهرجانات السينمائية .. وان كان يؤكد على أن السينما مازال لها هذا السحر الخاص ، وأنها كفن لا يمكن أن تنزوى وتموت ، مهما



الفيلم الهولندى « كاستا ديفا »



لقطة من البرتغالى جزيرة العشاق للمخرج « باولو روشا »

سينما

سباق مهرجانات السينما .. وما يتبقى منها !

توالت عليها الضربات والأزمات ، بل هى قادرة دائماً على أن تجدد نفسها ، وان تعثر على لغة متطورة لمخاطبة الأجيال الجديدة .. الا ان هذه المهرجانات السينمائية تؤكد أيضاً على الوجه الآخر لها كعامل أعلامى وسياحى واقتصادى للبلد التى تقام فيه ..

فالمهرجانات ليست فقط افلاماً ومناقشات فنية .. بل أيضاً إنعاش تجارى للمطاعم والفنادق والمحلات .. وأيضاً وسيلة دعاية ذكية للبلد حيث يقترن كل ما يكتب ويذاع ويصور عن المهرجان بأسم البلد .. بدليل أن أغلب المهرجانات العالمية تتفق على تمويلها بلديات المدن التى تقام فيها !

وهذه الحقيقة لا تنفى عن المهرجانات دورها الثقافى أو الفنى .. ولكن تؤكد أيضاً انه ليس بسبب الثقافة أو الفن فقط تقام هذه المهرجانات !

مناقشات ساخنة

وأوضح دليل على هذا .. ما حدث أخيراً فى مهرجان « مانيلا » السينمائى والذى تشرف عليه حرم رئيس الفلبين ، السيدة ماركوس ، والتى عمدت ان يكون المهرجان تعبيراً عن الثراء وكرم الضيافة وسط حفلات متتالية للرقص الشعبى والغناء وأيضاً عروض الأزياء الفلبينية .. بحيث يصبح المهرجان أعلاناً مستمراً عن الفلبين .. ويتصل الليل بالنهار فى « مولد » يمتد عشرة أيام ..

ولتدبير الميزانية الضخمة لهذا المهرجان .. سمحت سلطات الفلبين بعرض الأفلام الزرقاء (الافلام الجنسية الممنوعة رقابياً) .. مما دفع البسطاء من المواطنين وأغلبهم من الشباب (أقل من ١٨ عاماً) لأن يتحركوا بالآلاف منذ الصباح الباكر وحتى منتصف الليل داخل ١٥٢ دار عرض سينمائى فى المدينة ، وليدفعوا ضعف الثمن العادى لتذكرة السينما .. ليشاهدوا هذه الأفلام الممنوعة ..

وهذه الملاحظة أكدتها معظم الصحف العالمية والتى علقت على احداث المهرجان .. بل ذكر ناقد جريدة « الديلي تلجراف » الانجليزية ان ارباح مهرجان مانيلا من هذه السياسية فى عرض الافلام الممنوعة .. وصلت الى أكثر من نصف مليون جنيه استرلينى .. وان كان هذا الناقد يعلق قائلا على ما حدث « ان الفن الردىء يدفع لمساعدة الفن الجيد » !

ولكن هل هذا صحيح ؟ ! لا اعتقد ..

فالفن الردىء وان كان يجنى أرباحاً سريعة .. الا انه يؤثر فى الذوق والقيم والاخلاق وخطره أفدح بكثير . انه يخلق متفرجاً من نوع خاص لا يرضى مزاجه إلا نفس النوع من الفن الردىء .. ويستفحل المرض !

وكأننا بهذا المنطق .. نقبل ان نضحى بعقلية مئات من البسطاء ونحكم عليهم بفساد الذوق الدائم ..... مقابل ان نعطى جائزة وكيس من النقود لفيلم جيد ! !

وقد ثارت فى الفلبين مناقشات ساخنة حول قرار عرض الأفلام الزرقاء .. وتناقلت الصحف العالمية بعض هذه المناقشات .. مثلا نشر على لسان .. « مسز ماركوس » قولها : « ان العرى والجنس موجود فقط فى تفكيرنا .. واذا كنا نتاثر برؤية هذا الكلام الفارغ أو هذه النفايات .. فان هناك شيئاً خطأ فينا كجمهور » !

ورد على هذا القول المسئول عن الرقابة وهو رجل دين اسمه « الكردينال سن » فقال معترضاً : « اذا كانت مشاعرنا لم تجرح بالبذاءات والفحش .. فالخطأ اذن فى داخلنا .. ومعنى هذا اننا لسنا أفضل من الخنازير التى تتمرغ فى القاذورات وتلتهم النفايات » !

وهكذا أحتلت هذه المناقشات ، المساحة الكبرى فيما نشرته الصحف العالمية عن مهرجان « مانيلا » .. بينما توارت فى أقتضاب السطور التى تحكى عن الكرم



لقطة من الفيلم المصرى « العزيمة » للمخرج كمال سليم

والبذخ وحفلات الرقص والغناء !

مهرجان بلا نجوم

والمنافسة بين المهرجانات تشتد .. وكل منها يحاول ان يجد طريقه على خريطة العالم .. وان يجد له صدى داخل قلاع السينما !

ولكن أغرب هذه المهرجانات واهدئها .. هو مهرجان روتردام السينمائى (بهولندا) .

وقد شاءت الظروف ان أحضر هذا العام – ولأول مرة – هذا المهرجان ، والذى يقام بأقل قدر من الدعاية ، حتى لا يكاد يشعر به احد وسط زحام وأضواء المهرجانات الكبرى .

ومهرجان « روتردام » لا يسعى لتنشيط الاعلان عن نفسه .. بقدر ما يسعى لتاكيد قيمته الفنية بالنسبة لصناع السينما الجادة .

انه مهرجان لا يهتم بالنجوم أو الاسماء اللامعة .. وانما يعطى كل حنانه واهتمامه لفيلم صنعه شاب مجهول فى بلد ما ، لكى يقول من خلاله وجهة نظر جريئة وواعية فيما يحدث حوله .

ولهذا نجد ان برنامج المهرجان يتضمن محاولات وتجارب عديدة من عشاق السينما .. سواء اكانت افلامهم من النوع المعروف بأفـلام تحت الأرض – أو الافلام السرية – أو افلام على مستوى فنى ممتاز ، ولكنها لم تلق أى نجاح فى عرضها ، أو تكاتفت شركات التوزيع الكبرى لمحاصرتها وحبسها داخل العلب !

وقد انتابنى إحساس ، وانا اتابع عروض هذا المهرجان الذى استمر عشرة أيام .. اننى أشاهد نماذج من السينما المضطهدة !!

ولأن هذه السينما موجودة ومنتشرة فى جميع انحاء العالم .. فقد احتفظ مهرجان روتردام بمكانته طوال اثني عشر عاما هى عمره حتى الآن !

وعروض المهرجان تتم داخل مبنى متواضع من ثلاثة طوابق ، يشبه مبانى المدارس من الخارج .. ويشتمل المبنى على ست قاعات للسينما ، تتســـع اكبرها لثلاثمائة مقعد .. بينما أصغرها لا يتجاوز الثمانين مقعداً .. وتبدأ العروض من الثامنة صباحاً وتستمر حتى ما بعد منتصف الليل .. وقاعــات العرض تمتلىء بالجمهور الذى يستطيع ان يقضى يومه بأكمله داخل هذا المبنى .. حيث تتوفر به قاعات للطعام والشراب .. بخلاف قاعات المناقشة والمكتبة .

ويشع المكان كله بالدفء والحيوية .. فمعظم الجمهور من الشباب الواعى المثقف والذى يشاهد الافلام مع مخرجيها والنقاد فى هدوء وثقة .. ورغبة واضحة فى التعرف على السينما المختلفة .

الجمهور هو الحكم

وهذا الجمهور هو الذى يحكم على الافلام ، ويعطى تقديراته من خمس درجات حسب مدى جودة الفيلم .. ويتم هذا من خلال أوراق مطبوعة داخل صندوق مفتوح على أبواب قاعات العرض .. ويمكن لأى متفرج ان يسجل رأيه ، ويعطى تقديراته للفيلم .. ثم يتم تجميع هذه الأوراق بعد نهاية عروض الافلام .. لاستخراج التقييم النهائى لرأى المتفرجين فى هذه الأفلام .

وينشر هذا التقييم يوماً بيوم فى جريدة المهرجان .

اى انه ليست هناك مسابقة وجوائز بالمعنى التقليدى للمهرجانات .. وبالتالى ليست هناك لجنة تحكيم .. بل الموضوع كله من الجمهور والى الجمهور !

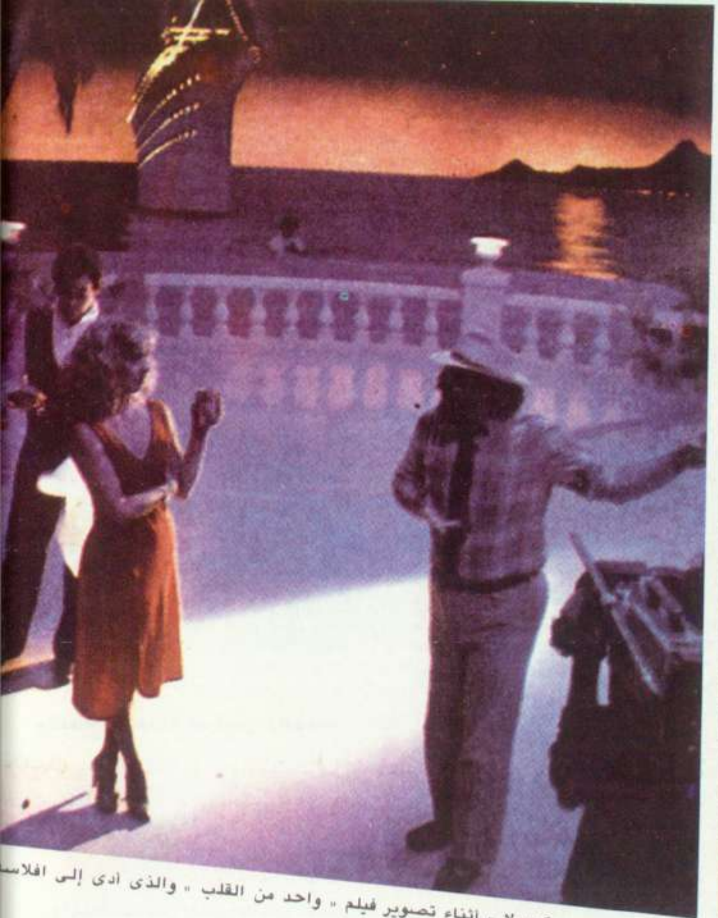
وهذا المنهج الذى يتبعه مهرجان روتردام .. وان كان لا يحقق عنصر المفاجات التى تسفر عنها المسابقات ولجان التحكيم ، وأيضاً لا يجتذب الأضواء ومحلات الدعاية المسعورة .. الا ان هذا المنهج يضمن فى النهاية للمهرجان عدم الخضوع للتيارات السياسية والاهواء ومصالح شركات السينما الكبرى والتى غالباً ما تتدخل بشكل وأخر فى المسابقات ولجان التحكيم .

وليس من شروط المهرجان التقيد بعرض احداث الأفلام .. بل من الممكن ان تجد افلاماً سبق عرضها فى مهرجانات سابقة .. أو أفلاماً عرضت للجمهور فى انحاء من العالم .. وأيضاً قد تجد أفلاماً انتجت منذ عدة سنوات ولكن لم يتحين لها بعد فرصة للعرض الجماهيرى .

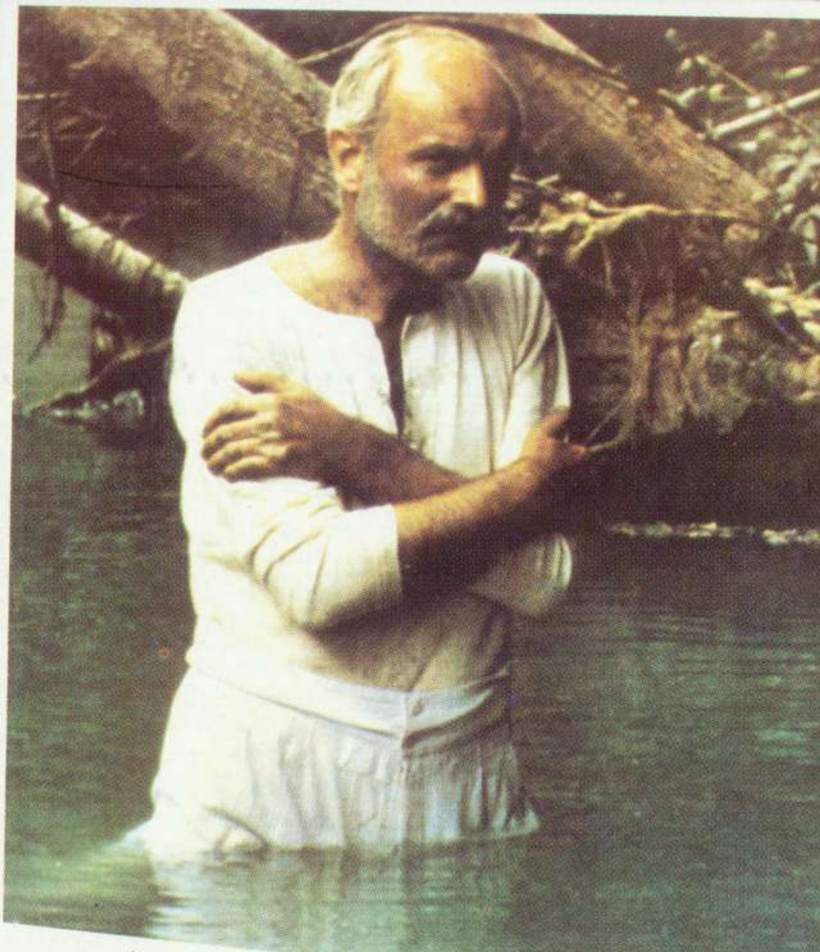
اى ان هدف المهرجان الواضح والصريح .. هو القاء الأضواء على السينما ذات المستوى الفنى الجيد والتى تقول رأياً محدداً فى صالح الانسان العادى ، وصراعه المستمر من أجل الكرامة والحـــرية والعدالة .

أفقر الافلام وأغناها

وفى هذا الاطار تجد فيلماً قصيراً أخرجه شاب سويسرى بكاميرا ١٦ مللى وبميزانية ضئيلة جداً .. وفى المقابل تجد أخر افلام المخرج الامريكى العبقرى « فرانسيس كوبولا » .. وهو فيلم « واحد من القلب » والذى صوره بأكمله داخل أستوديو خاص به ، أشتراه وجهزه بأحدث المعدات الاليكترونية .. وفى داخل هذا الاستوديو اقام ديكورات كاملة لشوارع مدينة لاس فيجاس الامريكية ،وجزءاً من مطار بكل أقسامه ودفع داخل الاستوديو بمئات من الممثلين والكومبارس والسيارات والواجهات المضيئة الملونة الباهرة ، ليخلق جو الاحتفالات الامريكية بيوم ٤ يوليو .. ومن خلال هذا التكوين المتدفق بالحيوية يتوقف امام زوجين بعد خمس سنوات من الزواج حينما يحدث الخلاف فجاة .. وتقرر الزوجة ان تجرب حياة اخرى وان تسافر الى بلد أخر . وينسج الفيلم موضوعه من خلال هذه اللحظات التى تشكل ٢٤ ساعة فقط .. فيها الانفصال



المخرج الأمريكى « كوبولا » أثناء تصوير فيلم « واحد من القلب » والذى أدى إلى افلاس



لقطات من الفيلم الايطالى « ليلة سان لورنزو » للاخوين « تافيانى »

سينما

سباق مهرجانات السينما .. وما يتبقى منها!

المفاجىء ، وفيها الاحتفال الصاخب بالمدينة وفيها محاولة كلا من الزوجين لاثبات قدراتهما على الحياة بدون الآخر .. حتى ينتهى الفيلم بعودة الزوجة الى بيتها ..

قصة حب رقيقة .. مليئة بالتفاصيل الشاعرية .. وضعها المخرج فى قالب موسيقي غنائى .. مستعرضاً كل براعته السينمائية فى التعبير عن الفرح الخارجى والحزن والوحدة والألم الداخلى ..

ولكن الفيلم لم يحقق النجاح التجارى الذى يكفل حتى تغطية نفقاته .. مما اضطر المخرج « كوبولا » ان يبيع الاستوديو الذى حلم به طوال عمره .. ورهن ممتلكاته .. حتى يسدد ديون الفيلم .

أوربا التى لا نعرفها

كما يقدم المهرجان فيلماً هولندياً بعنوان « كلستا ديفا » فى محاولة لتامل الصمت وعبادة الذات من خلال دراسة لشخصية ممثل فى خلفية من الموسيقى والغناء .

ويعرض المهرجان ايضاً فيلماً من ايرلندا بعنوان « الملاك » عن الموت كما يراه مخرج الفيلم « نيل جوردان » عبر احداث جنوب ايرلندا فى العشر سنوات الأخيرة .. حيث نرى بطل الفيلم الشاب يلعب دور عازف « الساكسفون » فى فرقة موسيقية .. وفى إحدى ليالى العرض يفاجا الجميع باغتيال قائد الفرقة الموسيقية .. ثم اغتيال الشاهدة الوحيدة على ما حدث .. وينهمك الشاب عازف الساكسفون فى البحث عن القتلة لنرى من خلاله ماساة ايرلندا فى التعصب الدينى ، والعنف .

● وبنفس النظرة النقدية الصارخة .. يقدم الفيلم الانجليزى «نظرات الكريستال» الاضطرابات السياسية والصراعات الثقافية فى انجلترا .. والفجوة بين جيل الستينات وبين شباب هذه الأيام فى الافكار وطرق الخلاص من الواقع الصعب .

● ومن فرنسا يقدم المخرج الامريكى روبرت كرامر فيلم « الى اللقاء » عن الرغبة فى الحياة من خلال أحلام شباب يمارسون التزحلق على الجليد ويمضغون دائماً أمنية الرحيل الى أمريكا .

رؤية جديدة

وكما يختار مهرجان « روتردام » نماذج من سينما الشباب فى اليونان وألمانيا وبولندا وأمريكا .. يتوقف ليعيد النظر فى ثلاثة افلام فازت بجوائز كبرى فى المهرجانات خلال العام الماضى .

● فمن ايطاليا يقدم فيلم « ليلة سانت لورنزو » للمخرجين الاخوين « تافيانى » وقد حصل الفيلم على جائزة لجنة تحكيم مهرجان كان ٨٢ .. والفيلم يستعرض تفاصيل مسيرة ابناء قرية ايطالية ، رفضوا الانصياع لأوامر الفاشيست وخرجوا يبحثون عن حريتهم .. والمسيرة تحمل معنى الاصرار والتحدى ولا تخلو من المفارقات الطريفة والمواقف الانسانية التى صاغها ببراعة مذهلة الاخوين « تافيانى » وكانهما يقدمان بانوراما لعالم البسطاء والابرياء الذين وجدوا انفسهم اما ان ينضموا للقطيع أو يشكلوا ذواتهم ..

● الفيلم الثانى للمخرج الالمانى « فيم فاندر » ويحمل عنوان « حالة الاشياء »

في نقاش حيوى مع المخرج صلاح ابو سيف والذى يمثل جيل الكبار فى السينما المصرية ، والمخرج خيرى بشارة والذى يمثل جيل الشباب ..

وكانت فرصة وجود هذا العدد المتميز من الافلام المصرية ، دافعـــاً لبعض المسئولين عن المهرجانات العالمية ونوادى السينما فى أوربا وأمريكا لأن يتقدموا بطلباتهم لاستضافة هذه المجموعة من الافلام للسفر الى بلادهم وأقامة الندوات والدراسات عنها .

« فايدا » وخطاب تحية

وهكذا أتاح مهرجان « روتردام » أكثر من رؤية جديدة لفن السينما فى العالم ..

وقد كان المخرج البولنـــــدى الكبير « أندريه فايدا » على حق عندما ارسل خطاب تحية الى مهرجان « روتردام » .. نشرته بالكامل صحيفة المهرجان فى اليوم الاخير .. وكأنما ادارة المهرجان استكثرت على نفسها ان تنشر الخطاب فى حينه ورأت ان تؤجل نشره بينما ضيوف المهرجان يحزمون حقائب العودة ..

يقول المخرج « فايدا » فى خطابه الذى أرسله من وارسو :

« فى هذه اللحظة الخاصة .. اريد ان اعبر لكم ان مهرجانكم فى « روتردام » يعنى الكثير لنا ، اكثر من مجرد مهرجان من عديد من المهرجانات التى تقام بين حين واخر وقد تعرض أفضل الافلام .. وقد تعرض أسوأها ..

روتردام أصبحت مكاناً لاجتماع الشباب والسينما الحية،والمجموعة الفنية التى أقودها ، قد عاشت هذه التجربة من قبل ، وتلاقوا من خلال مناقشة المشاكل المعاصرة ان هؤلاء الشبان من صانعى الافلام الذين وجدوا مكاناً فى روتردام ، والذين وجدوا أيضاً مشاهدين عظماء .. هؤلاء المشاهدين الذين يفهمون مشاعرهم ومشاكلهم ويقدرون مبادرتهم الفنية .. كل هذا يملأنى أيماناً بان فن السينما سيكون أكثر قوة وحيوية وأكثر انتشاراً من خلال مهرجانات مثل مهرجانكم » !

● ●

وهكذا تمضى مهرجانات السينما .. بعضها لا يترك سوى زغللة اضواء ملونة .. وبعضها يزرع الأمل فى سينما جديدة .

« رءوف توفيق »



الفيلم الايطالى «ليلة سان لورنزو» للأخوين «تافيانى»



لقطة من فيلم « السقا مات » للمخرج صلاح ابو سيف

واحتفال بالسينما المصرية

واحتفل المهرجان بالسينما المصرية .. حيث قدم بانوراما من خلال عشرة افلام تمثل الواقعية فى السينما المصرية .. تبدأ بفيلم « العزيمة » لكمال سليم (عام ٣٩) الى فيلم « السوق السوداء » لكامـــــل التلمسانى (عام ٤٣) الى فيلم « صراع فى الوادى » ليوسف شاهين (٥٤) .. وفيلم « الفتوة » لصلاح ابو سيف (٥٧) .. وفيلم « دعاء الكروان » لبركات (٥٩) .. وفيلم « صراع الأبطال » لتوفيق صالح (٦٢) .. وفيلم « الزوجة الثانية » لصلاح ابو سيف (٦٨) .. وفيلم « البوسطجى » لحسين كمال (٦٨) .. وفيلم « السقا مات » لصلاح ابو سيف (٧٩) .. وفيلم «العوامة» ٧٠ لخيرى بشارة (٨١) .

واستقبل الفيلم المصرى فى مهرجـــان روتردام ، أستقبالا مثيراً ، مليئاً بالدهشة والحب .. فالكثيرون من الذين تابعوا المهرجان كانوا يتعرفون على تاريخ السينما المصرية لأول مرة وبهذا الشكل المكثف .. والذى يؤكد على الحقيقة التى تغيب أحياناً كثيرة .. وهى ان السينما المصرية سبقت السينما الايطالية فى مدرسة الواقعية .

وتجمع المهتمون بالسينما داخل قاعات العرض يتابعون الافلام المصرية ويلتقون

والذى فاز بالجائزة الكبرى لمهرجان فينسيا ٨٢ .. ويتناول الفيلم حالة السينما الآن ، بين تحكم الشركات السينمائية الكبرى ورغبة المخرجين فى التعبير عن انفسهم بلا ضغوط أو تنازلات ..

● الفيلم الثالث .. للمخرج المـــالى « سليمان سيسى » والذى ظهر بعنـــوان « الريح » .. وفاز بالجائزة الكبرى لمهرجان قرطاج ٨٢ .. ويتعرض من خلاله ــ بجرأة شديد وبمستوى فنى متميز لوسائل القهر والعنف التى تمارس ضد الانسان محاولة اخضاعه بكل السبل ، ومن خلال الفيلم نرى جيلا من الشباب يواجه ذلك ولا يعرف الخوف ولا يقبل المهادنة !

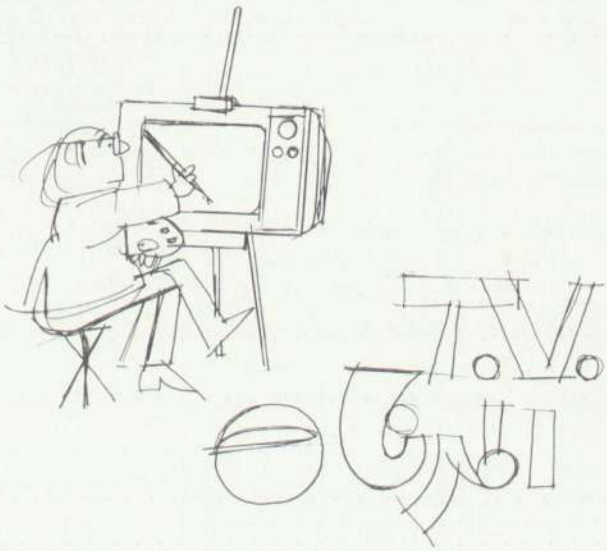
دراسة لمخرج

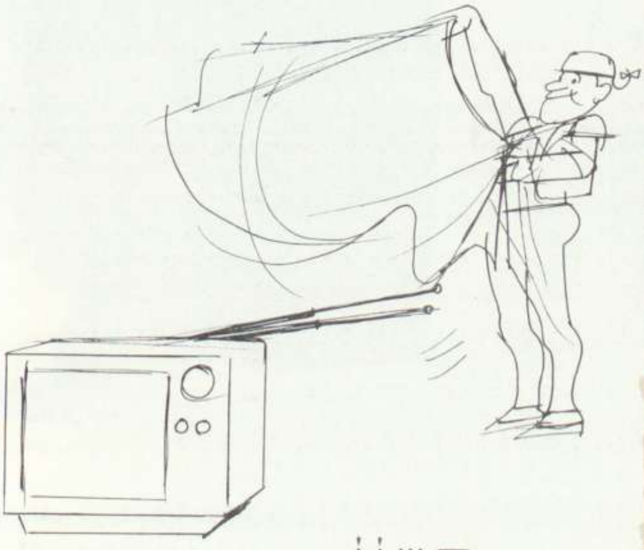
ويفرد المهرجان قسماً خاصاً لأفلام المخرج التشيكى الأصل « ايفان باسر » والذى اضطر ان يترك تشيكوسلوفاكيا بعد احداث عام ٦٨ .. وانتقل لفترة قصيرة الى انجلترا ومنها تحرك الى الولايات المتحدة ليستقر بها ويخرج أول افلامه هناك عام ٧١ .

قدم له المهرجان سبعة افلام تمثل سبعة عشر عاماً من عمره .. منهما فيلمين اخرجهما فى تشيكوسلوفاكيا .. والخمسة الباقيـة فى امريكا !

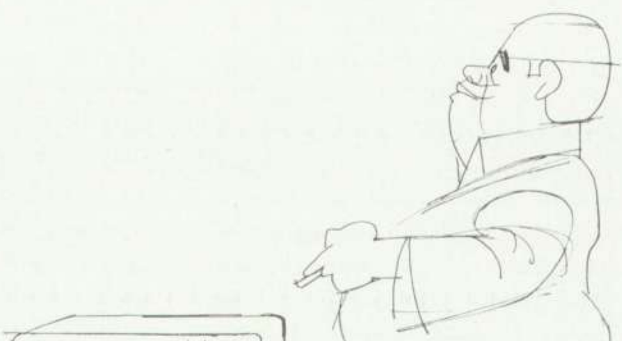
ضحكات الشهر



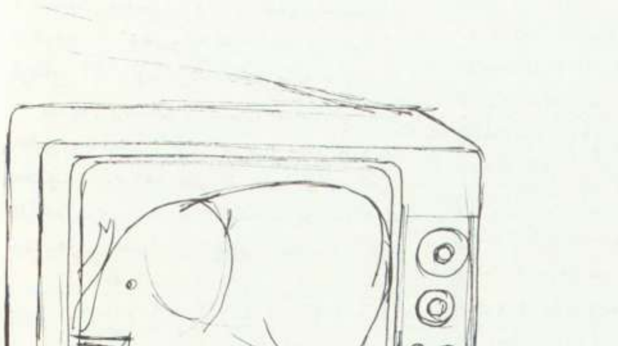




— ... ! !



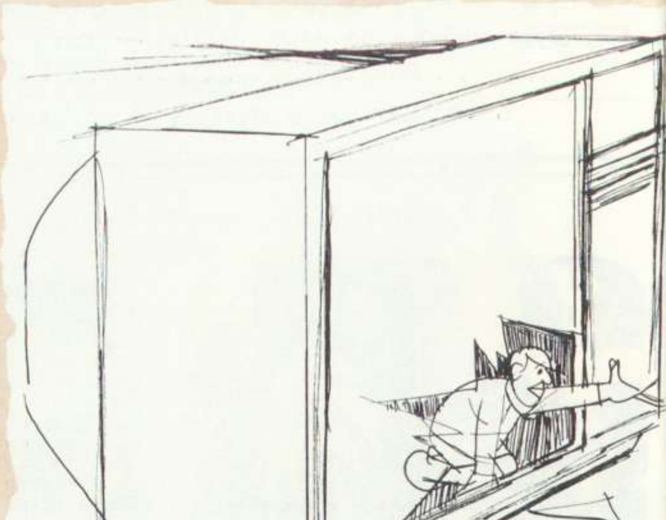
(المســــــــلســــــــلات)



— واذى ده .. دخلوه التليفزيون .. ! ؟



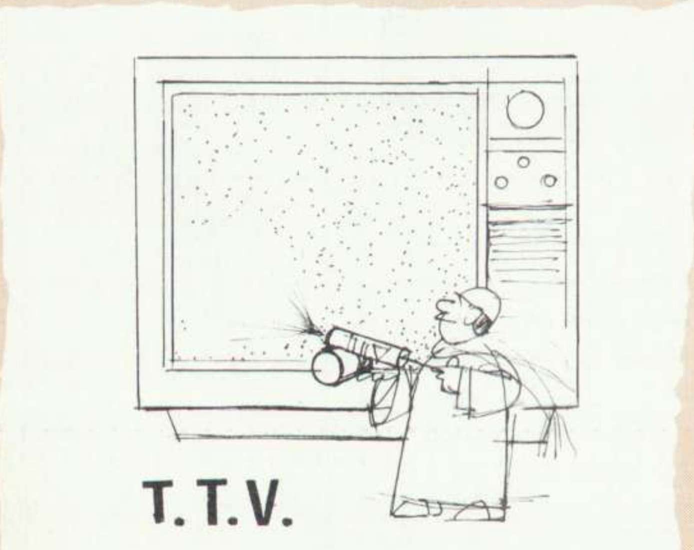
عصر الذم والنم .. انتهى .. اليوم يتم نقل الكلام بالقمر

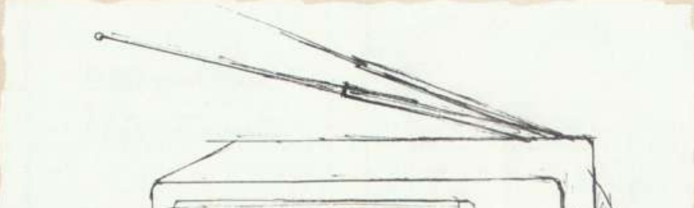


ـ ... تسمحوا الكورة .. نكمل الماتش .



المذيع ـــ عيب كده .. قبل ما تفتح ... خبط ... ! !





... ! ؟

دوحة القراء



يرجى من الأصدقاء الـــذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجي أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

مسابقة الدوحة

حـــاول أن تعـــرفــــــ ..



ولد هذا المخترع بألمانيا عام ١٣٩٦ ، تمكن من إحداث ثورة فى عالم الطباعة عن طريق اختراع حروف متحركة بعد أن كانت الطباعة في عصره تستعمل الأختام والكتل الخشبية .

هل يمكنك معرفة ذلك العالم ؟



هذه اللوحة من أعظم أعمال فنان فرنسى ولد عام ١٨٤١ ، وقد عرضت فى أول معرض للأعمال التأثيرية بباريس عام ١٨٧٤ . تتميز لوحات هذا الفنان بالحياة والألوان الواضحة ، كما أنه يهوى رسم الوجوه .

هل تعرف من هو الفنان ؟

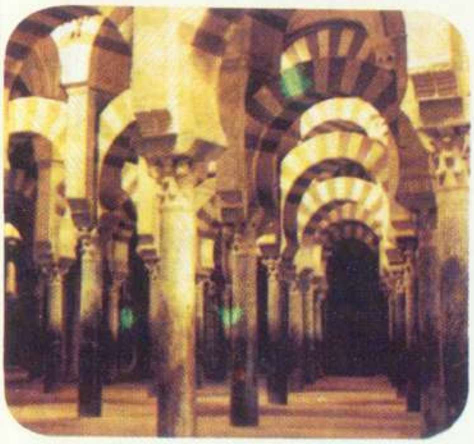
حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعـــدد ٨٦



الصورة الأولى : أبقــراط .

الفائز : علاء عبد العزيز / البحرين

الفائز : محمد معن مراد / الكويـت



الصورة الثانية : مسجد قرطبة .

الفائز : النصري مصطفى / المغرب

الفائز : منير عبد الله محمد / مصر

مدينة البخلاء



روى الجاحظ أن سائلا مكفوف البصر ، كان يجوب شوارع المدينة يستجدى ، وفى أحد الأيام أعطاه احد المارة رغيفا كاملا فقال له السائل :

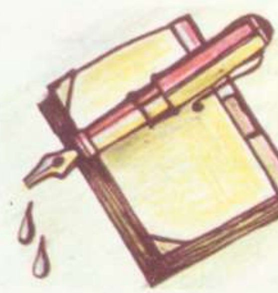
– أبقاك الله وردك سالما لبلدك !

فقال الرجل : ولكن كيف عرفت أننى غريب عن هذه البلدة وأنت مكفوف البصر ؟

فقال السائل : لي عشرة أعوام أستجدى بهذه المدينة ، ولم يسبق أن أعطانى احد رغيفا كاملا .

عبد الكريم عبدان – العراق

أحلى الكلام



– ببكاء القلم تبتسم الكتب .

– الطفل ضحكة على وجه الحياة .

– اذا سلمت من الأسد فلا تطمع فى صيده .

– اعمل المعروف ولا تنتظر الشكر عليه.

– بالرفق تنال الحاجة .

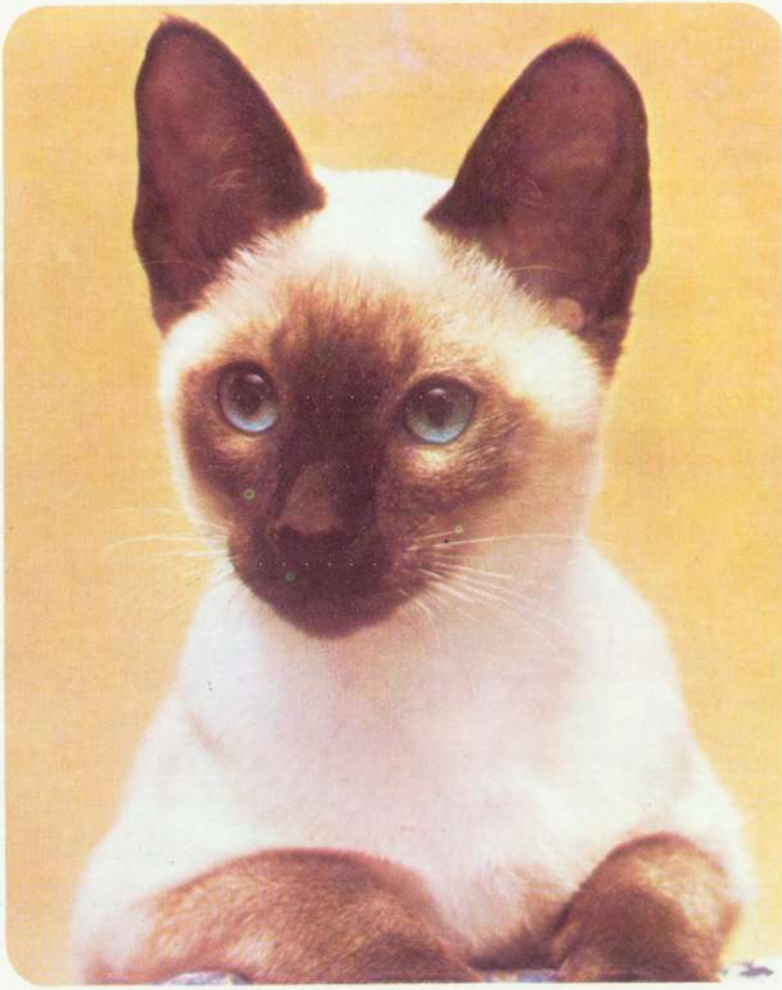
– خذ من يومك درسا لغدك .

– العلم أرفع النسب ، والعمل أرفع الحسب .

أمنة أحمد مختار
بور سودان – السودان

لقطة الشهر

الاستعداد للتصوير



فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال قطرى
طارق أحمد محمد – العباسية – القاهرة

السماء تمطر سمكا

نعم (السماء تمطر سمكا) .. لا تتعجب .. فقد وجدت ظاهرة جوية منتشرة شمال البحر الأبيض المتوسط تجعل أعمدة من الماء تندفع رأسيا من البحر إلى أعلى .. فتيارات الهواء تعمل على جذب عمود من الماء الى سحابة منخفضة قريبة من سطح البحر وكثيرا ما يسحب الماء معه بعض أسماك البحر حتى إذا ثقل بخار الماء وسقط السحاب أمطاراً ، فان السمك يسقط معه ، وغالبا مايشاهده البحارة ! وتعرف هذه الظاهرة باسم «أعمدة الماء »أو الخراطيم المائية ، والبحارة يتجنبون هذه المناطق لأنها تتميز بتيارات هوائية تتسم بالسحب إلى أعلى ، وقد سقط فعلا السمك مع الأمطار خاصة شمال اسكتلندا وشرق انجلترا !

حسين سعيد عمار – مصر



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

مَن ؟

الرجل الذى قال فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما معناه : (حكمت فعدلت فامنت فنمت تحت شجرة فى الخلاء بلا حرس) اسمه من ثمانية احرف :

٧ ـ ٢ ـ ٥ ـ ٣ ـ ٤ صداق العروس .

٨ ـ ١ ـ ٦ ـ ٢ غير صاعد

أين ؟

البلاد التى قدم منها ذلك الرجل . اسمها من اربعة أحرف :

١ ـ ٣ هرب .

٢ ـ ٤ ـ ١ ندم .

ما ؟

الصفة التى حملت أعدل حكام التاريخ عمر بن الخطاب لكى يصبح رمزا للعدل . اسمها من ستة أحرف :

١ ـ ٦ ـ ٢ حيوان له قرون

٤ ـ ٥ ـ ٣ طعام .

الإجابة الصحيحة

(١) هات فعل الأمر لما يلى ، للمفرد المخاطب :

وقى ـ رأى ـ قضى .

(٢) قبيلتان من القبائل العربية الآتية بادتا قبل الاسلام:

الازد ـ الأوس ـ طسم ـ جديس ـ مزينة ـ بلى .

(٣) « صابون الكالسيوم لا يذوب فى الماء » .

هل هذه العبارة صحيحة علميا ؟ ؟

(٤) أذنتنا ببينها اسماء :

أكمل البيت وانسبه الى قائله

(٥) انفصمت عرى الوحدة بين مصر وسوريا وسقطت أول جمهورية عربية متحدة سنة : ١٩٤٨ ـ ١٩٥٦ ـ ١٩٦١ ـ ١٩٧٣ .

(٦) كان رئيس الولايات المتحدة الامريكية الذى وافق على قرار هيئة الأمم المتحدة (نوفمبر سنة ١٩٤٧) القاضى بتقسيم فلسطين الى دولتين احداهما عربية والاخرى يهودية هو :

روزفلت ـ ترومان ـ ايزنهاور ـ كيندى ـ نيكسون .

(٧) صاحب الكلمة المشهورة « ويل للمغلوب » هو القائد العسكرى :

الاسكندر ـ هانيبال ـ خالد ابن الوليد .

(٨) تقع دولة الكويت بالنسبة لسلطنة عمان فى الاتجاه :

الجنوبى الغربى ـ الشمالى الغربى ـ الشرقى .

(٩) تنمو اشجار الأبنوس فى :

قبرص ـ الفلبين ـ بيرو ـ افريقيا .

(١٠) رتب مشتقات تقطير البترول الآتية من الثقيل الى الخفيف :

البيوتين ـ الشمع ـ القار ـ الديزل ـ الكيروسين ـ البنزين .

حل مسابقة العدد ٨٦

من : لقمان .

أين : النوبة

ما : الحرب .

الأجوبة الصحيحة

١ ـ الشنفرى

٢ ـ جوناثان سويفت .

٣ ـ ١٣١٢ قدماً .

٤ ـ العبارة خطا لأن الزجاج ليس له نظام بللورى .

٥ ـ محمد أسد .

٦ ـ السوباط ـ النيجر ـ بحر الغزال .

٧ ـ الفارسية .

٨ ـ الجلمود ـ الحصى ـ الرمل ـ الطمى ـ الطين .

٩ ـ الكوردايت .

١٠ ـ سرنديب .

أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ أصل وصورة .. الحل : غطاء الرأس ـ الشارب ـ الرتبة ـ العصا ـ الحذاء ـ الاسنان ـ الاشارة الضوئية .

الفائز : مبارك محمد هادي / قطر

الفائز : هيام حسن عثمان احمد / الامارات

٢ ـ دوري الكاريكاتير .. الحل : رقم ٨

الفائز : سالم يوسف الفيتوري / ليبيا

الفائز : مجد محمد مروان / الكويت

٣ ـ لاقوياء الملاحظة .. الحل : عنب ـ كمثري ـ برتقالة ـ تفاحة ـ بلح ـ موزة ـ وردة .

الفائز مجدي حلمي حبيبه / مصر

الفائز : بشير العيسوى / الامارات

٤ ـ المثل يقول .. الحل : على قد لحافك مد رجليك .

قـرأت
في الحض على طلب العلم من كتاب العقد الفريد

قال النبى محمد صلى الله عليه وسلم :
«لايزال الرجل عالما ما طلب العلم ، فان ظن أنه قد علم فقد جهل» .

وقال عليه الصلاة والسلام :
«إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم ، رضا بما يطلب . ولمداد جرت به أقلام العلماء خير من دماء الشهداء فى سبيل الله» .

وقال داود لابنه سليمان عليهما السلام :
«لف العلم حول عنقك ، واكتبه في ألواح قلبك» .

وقال أيضاً :
«اجعل العلم مالك والأدب حليتك» .

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه :
قيمة كل انسان ما يحسن» .

وقال الشاعر :

نعم الأنيس إذا خلوت كتاب
تلهو به إن خانك الأحباب
لا مفشياً سراً إذا استودعته
وتفاد منه حكمة وصواب

وقال شاعر آخر :

تعلم فليس المرء يولد عالماً
وليس أخو علم كمن هو جاهل

وقال ثالث :

العلم يحيي قلوب الميتين كما
تحيا البلاد إذا ما مسها المطر
والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه
كما يجلى سواد الظلمة القمر



حسين محمد عقبة
اليمن الديمقراطى

أقـــوال

– ليس صحيحاً أن الفساد يكسب أكثر من الاستقامة . شكسبير

– المجتمعات كالفاكهة الدود يختفى فى قلبها . بول جيرالدين

– من السهل أن تكون شجاعاً .. من مسافة بعيدة . ايسوب

– انعدام العدالة يضعف الشجاعة ، ويقوى الجبن . بنيامين فرانكلين

– يلجأ الانسان الى الخبث حين لا يسعفه الذكاء . لابدويز

– القسوة هى أكبر خطيئة ، والقسوة الفكرية هى أسوأ أنواع القسوة .
لورد شسترتون

عظمه المنير دمشق

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : شعبان نمر عبد العزيز – الامارات العربية

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارئة : نوال عبد الرحمن محمد صالح – للاردن .

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : توفيق محمد الجزولي – السودان .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ – أمجد محمد عودة – قطر
٢ – بهاء الدين كامل زهير – مصر
٣ – يوسف راشد محمد راشد – البحرين
٤ – احمد محمد بكار – سوريا
٥ – بو زمور محمد – المغرب
٦ – صفوان عبد الهادى – الأردن
٧ – جاسم بو سنور – البحرين
٨ – منار حسن خليل – قطر
٩ – مهدى عبد الله عمر – مصر
١٠ – دلال عبد الله جلبوط – سوريا

استراحة الدوحة العدد ٨٦

الفائز : عيسى مندني / قطر
الفائز: محمد سراج الدين محمد انور/ مصر
٥ – لعبة الظلال .. الحل : رقم (٣) .
الفائز : على حسن عيسى مبارك/ البحرين
الفائز : حسن احمد محمد – السعودية
٦ – يخلق من الشبه أربعين الحل رقم (٤) .
الفائز : سيف اليزل فتحي عباس / مصر
الفائز : عبد الواسع النعماني / اليمن
٧ – اجمل تعليق :
التعليق : ماتخافيش دول توام لكن متخاصمين .
الفائز : نشات عبد الستار عبد الله / مصر
التعليق : انت تسمي حسن وانا اسمي حسنين . الفائز محمد ابراهيم – الامارات



استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رؤوف

أصل وصورة





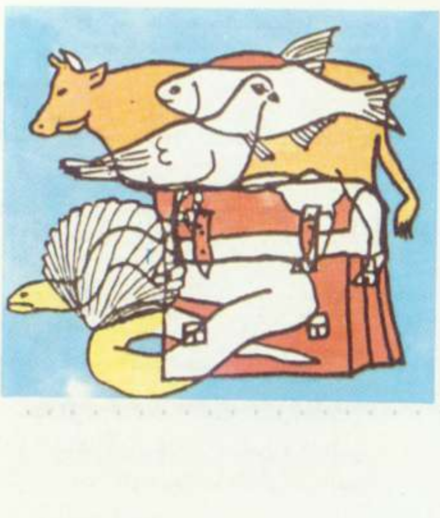
● بين اصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيري .. هناك سبعة اختلافات طفيفة .. هل تستطيع التعرف عليها .. ؟ (الجائزة ٦٠ ريالا) .

المثل يقول



● إن هذا الرسم الكاريكاتيري يعبر عن مثل شعبي عربي هل تستطيع معرفته .. ؟
ولك جائزة (٦٠ ريالا) .

لأقوياء الملاحظة فقط!



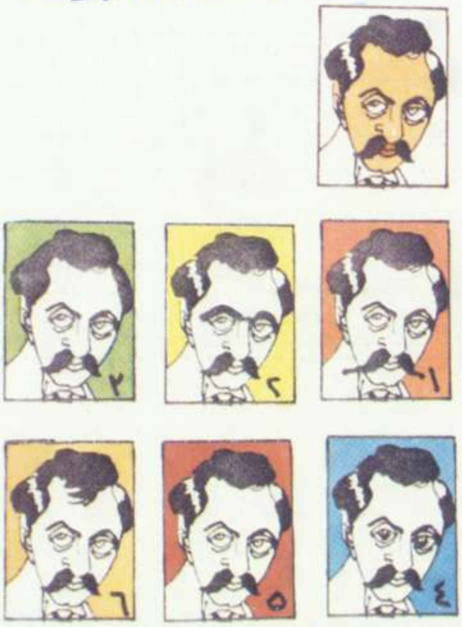
● امامك رسوم لستة اشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ إذا عرفت الحل ارسله إلينا لتحصل على جائزة (٦٠ ريالا) .

دوري الكاريكاتير



● اقتحم احد اللاعبين ارض الملعب كالصاروخ ، وسجل هدفاً قوياً فى مرمى الخصم .. هل تستطيع ان تحدد من هو صاحب الهدف ، وما رقم فانلته ؟ .. إذا عرفت الحل .. ارسله إلينا .. ولك جائزة ... (٦٠ ريالا)

يخلق من الشبه أربعين



● الصور الست المنشورة لستة أشخاص يشبهون الشاعر جبران خليل جبران .. من بين هذه اللوحات واحدة فقط تشبهه تماماً .. وفي البقية اختلافات بسيطة .. هل يمكنك التعرف عليها ؟ الجائزة (٦٠ ريالا) .

لعبــــــة الظــــــلال



● هل تستطيع أن تساعد هذا اللاعب في العثور على ظله الحقيقي ؟ .. إذا عرفت .. ارسل الحل إلينا ولك جـــائزة (٦٠ ريالا) .

هاتـــ أجمل تعليقـــ :



● هل تستطيع أن تجد تعليقاً خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيري .. ؟ .. حاول وارسله إلينا لتفوز بجائزة (٦٠ ريالا) .

في الفجر

بقلم: فؤاد قنديل

في الفجر حين اتجول مختالا ، متفرداً بالوجود . متمتعاً بالوحدة والتميز ، اشعر أن العالم بما فيه من خلائق ، قد فشل في الانسجام مع نفسه . بل فشل في البحث عن نفسه .. ضلت عنه وضل عنها . فهرب من البيوت والعمائر .

وهاهي تبدو لي خاوية ، دون أن تندم لفقدانهم . لقد فقدت بفقدهم الضجة والسخف . القسوة والغرور .

هاهي الآن تستمتع بالفجر ، وهانذا اقترب من الانسان ومن ثم أقترب من الله .

يا إلهي ما أعظمك ، حين أفكر فيك وأنا أرتع وحيداً في الصفاء البهيج ، تتلقفني احضان النسيم وتجذبني بعيداً عن الضوضاء .

أنا لا أفكر الآن في العالم . فالعالم غير موجود . الموجود الأوحد هو الله .. إنه هناك في كل مكان .

أما تلك الجموع المحتشدة ، المتصارعة بغباء وسخف ، فهي قد فقدت علاقتها بالنبل والترفع ، وبالتالي فقدت ارتباطها بالأصول . انقطع حبلها السري الذي كان يشدها الى نبع الكون الفياض . الى النور الأول .

عند الفجر أهبط من غرفتي الى الشارع أسير متجولا منتشياً بالنسيم ، فارداً صدري فاتحاً صديريتي لأستقبل الصفاء البهيج وأشهد لحظات الميلاد . ميلاد الأكوان .

أنقل الخطوات من شارع الى شارع . احس ساعتها اني بشر . بل احس اني مخلوق عظيم . أتمتع بكل حواسي ، واشعر بها وأطمئن عليها .. موجودة وتعمل بكفاءة اقفز فاذا انا رشيق كعصفور ، أغني فيلذ لي الغناء وتمتد انغام صوتي الجميل فى سراديب الليل المنهزم .

تتخفف روحي من حمل جسدى وتطير من حولي ، تدنو وتناى . تدعوني اليها فاستجيب . تتبدى لي في صورة ملاك رائع الاهاب فى الهدوء والصفاء نشم بجلاء ونسمع في وضوح ، وترق أرواحنا وتشف اجسامنا و ..

كم هو عظيم ، رب الكون العظيم ، اذ خلقني على هذه الصورة الوديعة الشفافة .

فجاة اتذكر حالي بين الناس . هذه الآلات المتوحشة التي تصطرع وتصطدم ، أثناء النهار الرمادي اللعين .

ساعتها أفقد ذاتي ، ولا أملك سبيلا اليها ولا قدرة للبحث عنها . أغدو فضلة حقيرة من الفضلات ، وذرة ضئيلة في كون مهين .

يتخذ البشر من النهار ساحة لعرض ألعابهم ، ومجالا تنطلق فيه اختراعاتهم وآلاتهم ..

في هذه الحالة

يكونون اقرب الي الديدان منهم الى ذلك المخلوق العلوي العظيم الانسان .

في هذه اللحظات الباهرة الزكية ، وبرغم غضبي المباح ، وسخطي اللائق تبدأ اجهزتي النفسية والجسدية في الاستعداد للنهار .

فالغضب والسخط يتحولان في هذه اللحظات الى سماحة وعفو .

يطل النهار في حياء . يقترب مني ويدور حولي ، ويسكب قطراته في عيني .

هذا هو الوجود ، وهؤلاء هم البشر ، يخرجون من العمائر التي كانت منذ قليل تشاركني وحدتي وانفرادي .

رويداً .. رويداً يقتربون . يمشون في هدوء وأدب ، وسرعان ما يمسهم الجنون ، ويغلبهم على أمرهم . فتتدافع أقدامهم ويلهثون .

رويداً .. رويداً ابتسم لهم وأشد على أيديهم .. وأرضى .

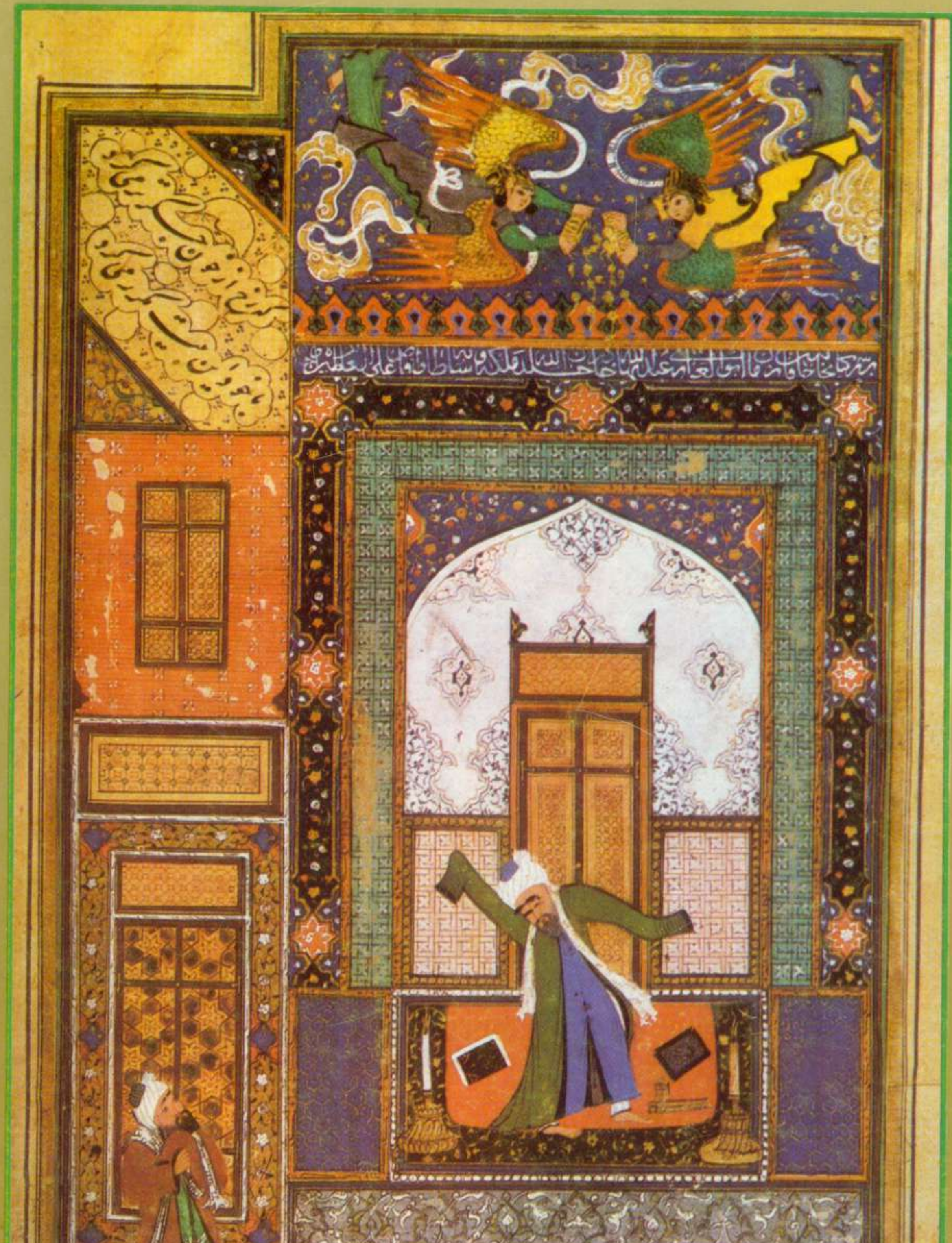
هذا هو الوجود .

ومهما كانت حاله . خيراً أو شراً قد أصبح مع الأيام كذلك شئنا أم أبينا . لابد أن يكون كذلك .

فوضى لا تستطيع افهامنا أن تضع لها نهاية فالبداية والنهاية عند احكم الحاكمين علام الغيوب.الى أين أنتم ماضون .

خذوني معكم .


TEEM
إرو عطشك مع
تيم



منمنمة من مخطوط إسلامي من القرن السادس عشر
دار الآثار الإسلامية - متحف الكويت

العدد ٨٩ - رجب ١٤٠٣هـ - مايو ١٩٨٣م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

- بيت المقدس.. قضية دينية قبل أن يكون قضية قومية
محمد الغزالي
- نحو فهم عربي للقوة الصفراء
د. محمد جابر الأنصاري
- مع الروائي الذي تسلق جبال الألب!
د. عيسى الناعوري



أبطال الحكايات الشعبية بدون جواز سفر!


بيبسي
إجعَل نهارك عيد مَع
بيبسي

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٨٩ - رجب ١٤٠٣هـ - مايو ١٩٨٣م

المراسلات :

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تيلكس : - 4521 MAGDO DH

تليفونات :

رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
مدير التحرير : ٤٢١١٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٦٠ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٦٦ ريالا قطريا
باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها .
في باقي دول العالم ٧٢ ريالا قطريا .
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٢٥ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٣٢ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ١٤٠ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

البلد	السعر
قطر	٥ ريالات
البحرين	٣٠٠ فلس
الامارات العربية	٥ دراهم
عمان	٢٥٠ بيسة
الكويت	٣٠٠ فلس
السعودية	٥ ريالات
الجمهورية اليمنية	٣٠٠ فلس
اليمن الديمقراطية	٣٠٠ فلس
العراق	٣٠٠ فلس
المملكة الاردنية	٢٥٠ فلسا
سوريا	٢٥٠ قرشا
لبنان	٢٥٠ قرشا
مصر	٢٠٠ مليم
ليبيا	٤٠٠ درهم
السودان	٢٥٠ مليما
تونس	٤٠٠ مليم
الجزائر	٤ دنانير
المغرب	٤ دراهم

باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين أمريكيين

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

● السودان
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم

● مصر
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء - القاهرة

● سوريا
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكة - تجاه ثانوية فايز منصور
ص . ب ٤٩٠٢ - دمشق

● العراق
الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة
ص . ب ٦٢٤ - بغداد

● ليبيا
المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازى : ص . ب ٣٢١ - بنغازى

● الاردن
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب ٣٧٥ - عمان

● البحرين
دار الغد
١ شارع المعارف - بنادية الدرازى
ص . ب ٥٠٥ - المنامة

● سلطنة عمان
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر
ص ب ١٠١١ - مطرح
مسقط

● تونس
الشركة التونسية للتوزيع
٥ شارع قرطاج
ص . ب ٤٤٠ - تونس

● السعودية
مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان
ص ب ١٤٠٥ - الرياض
مكتبة ومطبعة ضياء - المدينة المنورة

● الكويت
شركة دار الكويت للصحافة
ص . ب ٢٣٩١٥ - الصفاة
الكويت

● لبنان
الشركة العربية للتوزيع
ص . ب ٤٢٢٨ - بيروت

● الجمهورية العربية اليمنية
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء

● جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية
مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع
ص . ب ٤٢٢٧ - المحافظة الاولى
عدن

● الامارات العربية المتحدة
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام - عمارة ثاني بن محمد
ص . ب ٧٩١ - ابو ظبى

● المغرب
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ص . ب ٦٨٣ - الدار البيضاء
MAROC :
SOCHEPRESS
B. P. No 683
CASABLANCA.

● الجزائر
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر
ALGERIE
S. N. E. D.
20 RUE DU LIBERTE
ALGER.

● جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
● الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي وزارة الإعلام أو رأي المجلة
● المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

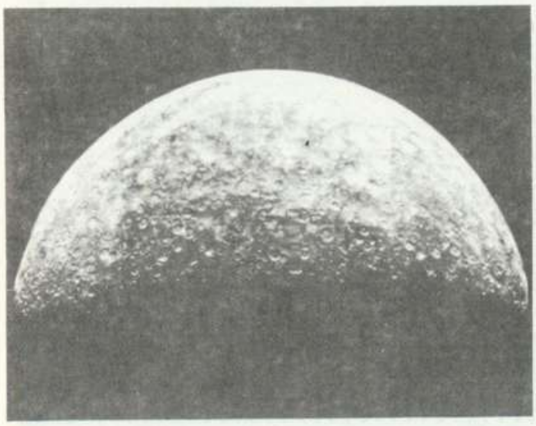
في هــــــــذا العـــــــــدد



وكالة الأنباء القطرية
كيف تتصدى للاعلام الغربي ؟ ص ١٠٠



محمود درويش
فى بلاد الانجليز ! ص ٣٣



أطلس جديد
للمجموعة الشمسية ص ٥٢

● دراسات ومقالات ●

● بيت المقدس : قضية دينية قبل أن تكون قضية قومية
محمد الغزالي ٦
● نحو فهم عربي للقوة الصفراء ....
تقديم وترجمة د . محمد جابر الأنصاري ٩
● الحضارة العربية : كيف قامت على ركائز انسانية ؟
د . السيد محمد بدوي ١٤
● أولوية تشغيل العمال العرب في العالم العربي .....
د . محمد شتا أبو سعد ٢٤
● من هم المستفيدون من التشكيك في القرآن والسنة ؟!
عبد القادر بن محمد العماري ٢٦
● خواطر تسر الخاطر ....
زكريا تامر ٣٢
● حفني ناصف : القاضي العادل الذي لم ينصفه الناس
نعمان عاشور ٣٥
● موشي أرينس : وزير الحرب الاسرائيلي الجديد .. صقر أم حمامة ؟ .... عصام شريح ٣٨
● محمد علال الفاسي : المفكر الذي نادى باطـــلاق حرية التفكير .... صديق عكاشـــة ٤٢
● عبادة بن الناطق .... محمود السعدني ٤٤
● من تاريخ سيناء : ضابط المخابرات البريطاني .. لماذا أجلد لهجات القبائل .. درويش مصطفى الفار ٤٨
● أطلس جديد للمجموعة الشمسية ....
مجدي نصيف ٥٢
● من أسرار تنوع الكائنات : ظهور الطفرة .. دليـــل تغير الشـــفرة .... د . عبد المحسن صالح ٦٠
● النباتات الطبية وآثرها في علاج أمراض الانسان
د . عز الدين فراج ٦٨
● أبطال الحكايات الشعبية بدون جواز سفر ! ......
صفوت كمال ٧٠
● طبرية : التاريخ والمأساة ....
نبيل خالد الأغا ٧٤
● أحمد صبري : فنان متمرد من عصر اليشمك والطربوش
حسين بيكار ٧٦
● مائة عام من العزلة أو يزيد ....
حمدي الكحلوت ٨٥
● الكمبيوتر يتكلم العربية : أول دراسة علمية للغـــة العربية بواسطة الحاسب الالكتروني ....
ليلى الحريري ٨٦
● ذكريات : مع الروائي الذي تسلق جبال الالب ......
د . عيسى الناعوري ١١٠
● النمر .. أقوى وأجمل القطط المفترسة ....
محمد أدهم أديب ١١٢
● الثقافة العربية في أفريقيا لماذا تجاهلها ؟ ....
عبد القادر سيلا ١١٦
● كتاب مجمع الأحياء للعقاد ....
فاضل خلف ١١٨
● الأخطبوط : هل الانسان أقل ذكاء بحيث لا يفهمه ؟
حسام جميل المدانات ١٢٦

● شؤون الخليج ●

● ٧٠ باحثا ومفكرا يناقشون قضايا العمالة والتخطيط في أقطار الخليج العربي ....
د . أحمد محمد حسين نعمه ٢٠
● أوراق من البحر : باع السفينة حتى يشيع الدفء في القلوب ! ....
عبد الرحمن المناعي ٥٠

- محمد موسى السليم : فنان سعودي لم تقتلعه فنون الغرب من جذوره ! .... يوسف أحمد ٥٨
- ها الشكل يا زعفران : بين الحكاية الشعبية والرمز د . محمد عبد الرحيم كافود ٨٢
- يوم المسرح العالمي على مسرح قطر الوطني .... بشرى ناصر ٩٨
- وكالة الأنباء القطرية : كيف تتصدى للاعلام الغربي من أجل قضايانا العربية ؟ .... مريم ال سعد ١٠٠
- نهاية العصر الذهبي وتجارة اللؤلؤ .... أحمد العناني ١٠٤

أدب وفنون

- دعوة « قصيدة » .... العوضي الوكيل ٩١
- « زمار هاملين » بين الحقيقة والخيال .... عادل شريف ٩٢
- اضواء ٩٦
- لعبة المطاردة « قصيدة » .... وفاء وجـــدي ٩٩
- رماد الياسمين « قصيدة » .... فتحي سعيد ١١٥
- الجنازة « قصة » .... وداد عبد اللطيف نقد وتعقيب د. محمد عبد الرحيم كافود ١٢٢
- فيلم الجوائز والمهرجانات « سواق الاتوبيس » .... رءوف توفيق ١٣٢

أبواب

- دائرة المعارف القرانية : البعث يوم القيامة ...... د . محمد البهي ٤٧
- من روائع الفن العالمي : الأستاذية وإنكار الذات في عالم الابداع .... جمال قطب ٦٦
- لقطات من الكون المثير ١٠٨
- قف : هل تعلم ؟ .... عبد العزيز السيد المصري ١٢٩
- العلم هو المستقبل .... تقديم : لبنى الريدي ١٣٠
- ضحكات الشهر .... صلاح الليثي ١٣٨
- دوحة القراء ١٤٠
- مسابقة الدوحة ١٤٢
- استراحة الدوحة .... رؤوف ١٤٤
- النورس والعصفور .... اسماعيل تامر ١٤٦

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

هل يكفى ـ عقاباً لبنى اسرائيل ـ أن يطردوا من فلسطين ؟ لا . إن الله عزلهم نهائياً عن القيادة الدينية التى كانت لهم . وحرمهم من الوحى وشرف إبلاغه.واصطفى الأمة العربية لتقوم بهذه الأمانة .
وكانت ليلة الاسراء والمعراج التصديق الحاسم لهذا التحول . فقد انتقلت الرسالة من بنى اسرائيل إلى بنى اسماعيل . وأصبحت الأمة العربية ـ لا العبرية ـ هى الوارثة لهدايات السماء .

من وحي الإسراء والمعراج

بيت المقدس قضية دينية

قبل أن يكون قضية قومية

بقلم: محمد الغزالي

ليس من قبيل المصادفات العارضة أن تروى آية فذة قصة الاسراء ، ثم ينتقل السياق بغتة إلى تاريخ بنى اسرائيل . وليس من قبيل المصادفات العارضة أن تسمى سورة الاسراء فى بعض المصاحف سورة « بنى اسرائيل » .. !

بل أقول : إنه ليس من المصادفات العارضة أن يدخل صلاح الدين « بيت المقدس » ويسترده من الصليبيين فى السابع والعشرين من رجب سنة ٥٨٣ هـ بعد أن لبث فى أيديهم قرابة قرن ! كان الأقدار جعلت عودة المسجد الأقصى إلى المسلمين فى ذكرى احتفالهم بالاسراء إشارة إلى أن المسجد الذى ورثه الاسلام يجب أن يبقى له ، وأن العلاقة بين أولى القبلتين وأخراها لا تنفصم ، وأنه لا الصليبية قديماً ولا الصهيونية حديثاً ستغيران سنن الله فى مصاير الأمم ، وإن نجحت كلتاهما إلى حين فى إلحاق هزيمة بالمسلمين ... !

ونعود إلى ما بدأنا به كلامنا ..

قال الله تعالى : « سُبْحَانَ الذى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إلى المَسْجِدِ الأَقْصَى الذى بَارَكْنَا حَوْلَه لنُرِيَه من آيَاتِنَا ، إنه هو السَّمِيعُ البَصِير » .

وعقب هذه الآية مباشرة نقرأ قوله تعالى « وآتينا موسَى الكتابَ وجعلْنَاه هُدًى لبنى اسرائيل ألاَّ تتخِذُوا من دونى وَكيلاً » !

ما العلاقة بين الاسراء ، وإنزال التوراة وتاريخ اليهود ، ثم حكاية مفاسدهم ، والتعليق عليها ، وتبصير المسلمين بعواقبها ؟ ؟

إن الاسراء كان من مكة إلى القدس . ولليهود فى هذه البقاع تاريخ !

صحيح أنه لم يكن لهم وجود فى فلسطين يوم وقع الاسراء ، بل كان وجودهم فى فلسطين محظوراً . لكن وجودهم السابق لا ريب فيه .

وانتهاء هذا الوجود ثم حظره يحتاج إلى تفسير ، وهو ما أشارت إليه الآية وما بعدها فى صدر سورة الاسراء ، وهو ما نريد الآن متابعته من الناحية التاريخية . !

تجريح .. وإهانة !

كان الكنعانيون يسكنون فلسطين قديماً وهم سلالات عربية كاخوانهم العدنانيين والقحطانيين . ويظهر أنهم تجبروا ، وأثاروا الرعب حيث يعيشون ، وأراد الله تاديبهم على مفاسدهم ، فسلط عليهم بنى اسرائيل . وقد وجل الاسرائيليون أيام موسى من التعرض للكنعانيين ، وغلبهم الجبن ، ورفضوا الزحف إلى فلسطين قائلين لموسى : « إن فيها قوماً جبَّارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها .. » فلما ألح عليهم قالوا مرة أخرى « لن ندخلها أبداً ما داموا فيها .. » !

وعوقب الاسرائيليون على جبنهم بالتيه فى سيناء أربعين سنة مات خلالها موسى ، ثم خلفه يوشع الذى قاد بنى اسرائيل إلى فلسطين منتصراً على الكنعانيين ، وبانياً حكماً دينياً باسم التوراة بعد هزيمة العرب .. !

بيد أن اليهود لم يلبثوا طويلا حتى نجمت بينهم علل خلقية واجتماعية بالغة السوء ، زادوا بها شراً على من كان قبلهم ! وقد حكوا عن أنفسهم ، وحكى القرآن عنهم ما يستحق التامل ، فقد اقترفوا رذائل جعلت القدر يحكم بطردهم من فلسطين شر طردة ، وبدا أن السلطة فى يدهم تعين على الافتراء والاعتداء إلى حد بعيد ، فليسوا لها بأهل .. ! ينبغى تجريدهم منها .. !

وكانت فلسطين – حتى بعد قدوم اليهود – مليئة بأجناس أخرى ، وكان المسلك المستحب لبنى اسرائيل تحقير هذه الأجناس والنيل منها بأسلوب غريب ! فقد زعموا أن « البنعمّيين » من أصل لا يمكن أبداً أن يرتفع ، كيف ؟ قالوا : إنهم سلالة « لوط » لما سكر وزنى بابنته !!! وكتبوا ذلك فى سفر التكوين !!

والقصة يقيناً مكذوبة ، فأنبياء الله لا يسكرون ولا يزنون !!

ثم جاءوا إلى الكنعانيين العرب ووصفوهم بأنهم كلاب ! ، وقد امتد هذا الوصف حتى ذكر فى العهد الجديد ! فقد لقيت امرأة كنعانية عيسى وهو يدعو فى بيت المقدس ، وصاحت به : يا سيد يا ابن داود ، بنتى مريضة جداً .

وطلبت منه شفاءها !

فقال لها : اذهبى يا امرأة فان طعام البنين لا يرمى للكلاب . « يعنى بالبنين : بنى اسرائيل ، وبالكلاب : الكنعانيين » .

فقالت المحزونة : والكلاب أيضاً تأكل تحت أقدام السادة ! . فشفى لها ابنتها بعد هذه الضراعة الذليلة !

ونحن نجزم بأن الانسان الرقيق الرحيم عيسى بن مريم يستحيل أن يسلك هذا المسلك، أو يرسل هذه الشتائم ! لكنهم اليهود الذين تخصصوا فى تجريح الأنبياء وإهانة الشعوب ! ومن ثم نفهم قول القرآن فيهم « .. أولئك الذين حبِطت أعمالُهم فى الدنيا والآخرة ومالَهُم من ناصرين » .

وكانت ليلة الاسراء

أيكفى فى معاقبة بنى اسرائيل أن يطّردوا من فلسطين ؟

لا . إن الله عزلهم نهائياً عن القيادة الدينية التى كانت لهم ، وحرمهم من الوحى وشرف إبلاغه ، واصطفى الأمة العربية لتقوم بهذه الأمانة ، وكانت ليلة الاسراء والمعراج التصديق الحاسم لهذا التحول . فقد انتقلت الرسالة من بنى اسرائيل إلى بنى اسماعيل ، وأصبحت الأمة العربية لا العبرية هى الوارثة لهدايات السماء .. !

ونهض الاسلام بالعرب نهضة رائعة ، وجعل منهم حملة حضارة زاهية ، وفوجىء العالم بالأمة التى لم تعرف إلا رعي الغنم ونقل السلع ، تتلو من كتابها أصح العقائد وأحكم الشرائع وأشرف التقاليد .

كان دريد بن الصمة يصف نفسه وقومه وعلاقة العرب بعضهم ببعض فيقول :

يُغار علينا وَاتِرين فيُشتَفَى
بنا ، إن أصبنا ، أو نُغير على وِتر !

قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا
فما ينقضى إلا ونحن على شَطر !

وها هم العرب بالاسلام يعلّمون الناس السماحة والأخوة والتعاون على البر والتقوى حتى قال « غوستاف لوبون » : إن العالم لم يعرف فاتحاً أرحم من العرب .. !

وكان دخول المسلمين بيت المقدس أيام عمر بن الخطاب آية من آيات التواضع لله والبر بالناس .

ثم كان دخولهم بيت المقدس أيام صلاح الدين آية من آيات السماحة والعفو والمرحمة ..

أما الأمة العبرية فقد خطّت لنفسها طريقاً آخر ، لقد هبت على اليهود عاصفة غضب بعثرتهم فى أرجاء الأرض ، فتوزعتهم المدائن والقرى فى المشارق والمغارب ، بيد أنهم حيث ذهبوا كان لهم فكر واحد ونهج ملحوظ ، يزعمون أنهم شعب الله المختار ، ومع هذا الزعم فانهم نسبوا إلى الله مالا يليق بجلاله ، ونسبوا إلى رسله مالا يليق بشرفهم ، واستباحوا لأنفسهم الربا وأكل مال الناس بالباطل .

وتقوقعوا فى حاراتهم يحلمون بالعودة إلى الأرض التى طردوا منها بسوء خلقهم مع الله والناس .

والغريب أنهم جعلوا آمالهم هذه وحياً يتلى ، وأودعوها صحائف كتبهم وكأن الله هو الذى أنزلها عليهم . ! ! وقد تضايق النصارى من مزاعمهم وأعمالهم لاسيما أنهم هم الذين سعوا فى قتل عيسى !

وإذا كنا على عكس النصارى نعتقد أن عيسى نجا من مؤامرتهم فالقوم على أية حال قتلة بضمائرهم . ومن ثم شرع النصارى حكاماً وشعوباً فى اضطهادهم وإرخاص دمائهم .

وعرضت لهم مآس فى انحاء أوربا كادت تنتهى بابادتهم حتى قال نفر من المؤرخين : لولا ظهور الاسلام لفنى اليهود ! إنهم وجدوا فى أرضه الفسيحة وسماحته الممتدة ما أبقى حياتهم ! !

ومن المؤرخين من يرى اليهود مسئولين عما نزل بهم من آلام ، فأثرتهم الشديدة ، وشرههم فى حب المال ، وقلة اكترائهم

بيت المقدس قضية دينية

قبل أن يكون قضية قومية

بقضايا الشعوب التى عاشوا بين ظهرانيها كل ذلك جعل القلوب تنطوى على بغضهم .
وقد كان « هتلر » الحلقة الأخيرة فى سلسلة طويلة من الحكام الذين أذلوهم فى طول أوربا وعرضها ..

ومرت السنون ثقيلة طويلة ، وظهرت الخلائق المستورة ، أو نبتت ونضجت البذور الكامنة !

كان المسلمون يغطون فى نوم عميق ، وكانت الدنيا من حولهم تتحرك بحقد مشبوب وتطالب بثارات قديمة .

كان يحلو للمسلمين أن يتحدثوا عن الرحلة الجوية بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى ، أو عن الرحلة الفلكية بين المسجد الأقصى وسدرة المنتهى ! ولا بأس أن يقولوا شعرا ونثرا . ! أما الدرس الواعى للأمم التى توارثت فلسطين ، وأسرار ازدهارها واندثارها فقلما يفكرون فى ذلك . وربما لا يخطر لهم ببال أن هذه الأمم تفكر فى العودة ، وتحسن اســـتغلال الفرص ..

فلما جاء العصر الحديث انكشف الغطاء عن مفارقات مذهلة . انكشف عن تعصب يهودى شديد النبض ، وعن تأييد حار له من رجال الكنيسة وأغلب الساسة .. أما العرب فقد قيل لهم : احلموا بانسانية عامة متجردة عن الهوى ، تؤازركم فى المحافل الدولية ، وتعـــدل بينكم وبين خصومكم .. ! !

واستكان النُوَّم للأحلام فما صحوا إلا على المذابح تحصدهم رجالا ونســـاء ، والتسميم يجتاح الطلاب والطالبات ، والغيوم تسد الآفاق كلها أمام مستقبل معقول ..

ما الذى حدث ؟

ندع الجواب لغيرنا !

ندعه لخصومنا ونتدبر ما يقولون .

كتب « حاييم وايزمان » فى مذكراته يقول لقومه : تحسبون أن لورد « بالفور » كان يحابينا عندما منحنا الوعد بانشاء وطن قومى لنا فى فلسطين ؟ كلا ، إن الرجل كان يستجيب لعاطفة دينية يتجاوب بها مع تعاليم العهد القديم » !!

.. وندع « وايزمان » و « بالفور » ، ونتدبر تصريحات مستر « كارتر » ومن بعده !

إنهم جميعاً يتحدثون مع « بيجن » عن أرض الميعاد ، وعن نبوءات التوراة والحدود التى رسمتها .. !

إن المشاعر الدينية الغائرة فى العقل الباطن والظاهر هى التى جعلت جنرال « جيرو » يقول فى دمشق أمام قبر صلاح الدين : ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين !

وهى نفسها التى جعلت مارشـــال « اللنبى » يدخل القدس فى الحرب العالمية الأولى ويقول : الآن انتهت الحروب الصليبية !

يظهر أن العالم كله شديد الاحساس بعقائده وآماله الدينية إلا قومنا وحدهم ، فانهم يتذاكرون بينهم أن الدين رجعية ! !

قضية دينية

إن قضية بيت المقدس وفلسطين منذ فجر التاريخ إلى قيام الساعة قضية دينية عند أصحاب الرسالات السماوية جميعاً ، فكيف يتجرأ البعض على جعلها قضية قومية أو اقتصادية ؟

المسلمون يرون المسجد الأقصى يذكر فى سياق واحد مع المسجد الحرام والمسجد النبوى ، ويرون الدفاع عنه جزءاً من الايمان ، ويعترضون باسم الله ورسوله جهود اليهود لهدمه وإقامة الهيكل فوقه ! ويعدون هذه الجهود جريمة ضد الاسلام والألف مليون مسلم الذين يعتنقونه ! فكيف يُتجاهل هذا ؟

والنصارى يرون بيت المقدس قبلتهم ، وبه قبر المسيح ، وقد جعلوا مفاتيح كنيسة القيامة بأيدى المسلمين لأنهم أمناء عليها ، وحماة لها ، ولرفع التنازع الطائفى بينهم على حيازتها !

واليهود يرون أن هذه الأرض منحها الله ابراهيم الخليل وذريته من بعده وزعموا أنهم هم الذرية المعينة (!) وأن طردهم منها لعصيانهم وقتلهم الأنبياء لا يمنع من العودة إليها وطرد العرب منها ! !

فاذا كان الدين وراء كل دعوى ، فكيف جاء من أسموا أنفسهم العروبيين ، وجردوا العرب من ولائهم الاسلامى ، وأغروهم بجعل القضية صراعاً جنسياً أو نزاعاً « أمبريالياً » وغير ذلك من الأوصـــاف المكذوبة ؟

وعندما يفقد صاحب البيت عاطفته الدينية ويهجم اللص بهذه العاطفة المهتاجة فماذا تكون النتيجة ؟

ان اليهود اغتصبوا نصف مسجد الخليل ، ويتآمرون على اغتصاب بقيته ، والأخبار تترى – وأنا أكتب هذه السطور – أن مساجد شتى فى يافا وعكا نسفت ، وأن ترويع الطلاب العرب فى مدارسهم بمحاولات التسميم مستمر حتى يترك العرب الضفة الغربية ، وقطاع غزة ، أو كما يعبر اليهود « يهوذا أو السامرة » إحياء لعناوين التوراة .. !

اننى أتساءل : ماذا وراء تجريد فلسطين من صبغتها الاسلامية إلا الضياع ؟

نحن نحتفى بالبقعة التى انتهى إليها الاسراء ، وبدأ منها المعراج ، ونريد أن يسأل العرب أنفسهم : لماذا لم يكن المعراج من المسجد الحرام إلى سدرة المنتهى مباشرة ؟ إن الاجابة تعرف من الآيات التى أعقبت قصة الاسراء فى سورتها المباركة ، كما تعرف من دراسة التاريخ القديم والوسيط والحديث !

فى هذه الأرض قامت رسالات وانتهت ، وفيها نهضت دول وتلاشت ..

ثم ورث المسلمون بيت المقدس باســم الله .

ولو أنك قرأت أحوال أمتنا أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجريين لظننت أنك تقرأ أحوال المسلمين فى هذه الأيام العجاف !

إن الصليبيين القدامى تقدموا فى فراغ ! كانت الفرقة بين العرب والمنافسة على السلطة هى الأسلحة التى هَزَمَنَا بها أعداؤنا ، ولو اشتبك المسلمون مع الهاجمين فى أية معركة جادة ما سقطت فلسطين .

وكأن التاريخ يعيد نفســـــه ، إن الصهيونيين تقدموا فى الفراغ نفسه !

أعانتهم الفرقة ، والشهوات المطاعة ، والعقائد المنحلة ، والأنانية الطاغيـــة ، فكسبوا معركتهم بأيدينا ..

أريد – ونحن نستقبل ذكرى الاسراء – أن نتجاوز الهامش إلى الصميم ..

أن نترك السرد السطحى للقصة ..

أن نعمق النظر فى الأسباب التى من أجلها كان الاسراء .. ولأجلها قامت للعرب دولة تحمل الرسالة الاسلامية ، وتضع الموازين القسط بين الناس .

محمد الغزالى

«هذا الحديث ينحصر فى التحليل الفكرى الحضارى المقارن . وعلينا أن نجريه بوعي كامل ، يتجنب أى نوع من الترويج للمصالح الاقتصادية والسياسية لليابان أو غيرها من بلدان الشرق الأقصى . كما يتجنب محاذير الهجرة الآسيوية لمجتمعاتنا العربية من ناحية أخرى ، ويدرك مختلف أبعادها ، ويضعها فى إطارها الصحيح» .

نحو فهم عربي للقوة الصفراء "٢"

تقديم وترجمة: الدكتور محمد جابر الأنصاري

سرّ البداية في الانطلاقة اليابانية

"رؤية فرنسية"

من واقع تميز الدراسات الفرنسية بشأن « الظاهرة اليابانية » عن غيرها من الدراسات الغربية والسوفياتية بميزات التفهم الأقرب الى الاعتدال ، والنظرة الحضارية الانسانية التى تستشف الروح اليابانية خلف قناع الأخطبوط التكنولوجى الذى ألصقه الغرب بالوجه اليابانى ـ وذلك ما أشرنا إليه فى العدد الماضى من « الدوحة » ـ نقدم كنموذج لهذه الدراسات قسماً من الفصل التاريخي المكثف الذى قدم به الباحث الفرنسي فى شئون اليابان ، مسيو روبير غيلان لكتابه الشمولي حول أبعاد الظاهرة اليابانية ، الموسوم : « اليابان ، العملاق الثالث » . وهو كتاب ظهرت طبعته الجديدة المنقحة بباريس مؤخراً ، وكان قد طبع عدة مرات من قبل ، بتنقيحات تابعت النبض السريع للتطور اليابانى . والكتاب يمثل صفوة البحوث الفرنسية فى موضوعه .

ويكفى ان نشير الى ان مؤلفه ، روبير غيلان ، كان فى اليابان يوم وقوع الهجوم اليابانى على قاعدة « بيرل هاربر » البحرية الأمريكية ، وظل بها طوال سنوات الحرب ، وكان فى الصين أثناء الغزو اليابانى لها ، ثم عاد الى اليابان ليعمل كبير مراسلي صحيفة « اللوموند » المستقلة المشهورة ، فى الشرق الأقصى .

وهذا المقطع الذى نقدمه مترجماً عن الفرنسية « فى سبيل فهم عربى أفضل للتجربة اليابانية » ـ من وجهة الفكر المقارن ـ يخضع للمعايير والتحفظات التى طرحناها فى المقال السابق ، وهى تتلخص فى النقاط التالية ، نوردها ايجازاً ، للتذكير بما أوردناه مفصلا فى المقالة الأولى من هذه السلسلة :

١ ـ اليابان بلد شرقي ، مثلنا ، حقق تقدماً حضارياً جوهرياً ، حسب أرفع المستويات العالمية ، وبقينا نحن العرب على ما نحن عليه .. فلماذا وصلوا ولم نصل ؟

٢ ـ اليابان ، بعكس الصين مثلا ، حققت تقدمها بالحفاظ على تراثها وتقاليدها وهذا نموذج شديد الجاذبية للعرب لأن همهم الأكبر تحقيق تقدمهم بالمحافظة على تراثهم .. « وليس كما فعلت الصين الشعبية ، مثلا ، التى خرجت على تراثها الكونفوشي فى سبيل اعتناق أيدولوجيتها المادية الجديدة » .

٣ ـ اليابان طليعة القوة الصفراء فى

الشرق الأقصى ، المتجهة لقيادة الحضارة العالمية فى القرن الحادى والعشرين . ومن الضرورى انفتاح العرب على هذه القوة وخلق الصلات الايجابية معها للتعويض عما يعانونه فى هذا القرن من القوة البيضاء ، قوة الاستعمار والصهيونية والهيمنة الأمريكية ـ الروسية القائمة .

٤ ـ منطقة الخليج والجزيرة هى واجهة التفاعل الحضارى الجديد مع قوة الشرق الجديد ، كما كان البحر المتوسط واسطة التفاعل بين عرب المشرق وأوربا . وسيحكم التاريخ لعرب الخليج أو عليهم بنوعية تفاعلهم مع هذه القوة .

ثم يبقى قبل الشروع فى قراءاتنا عن التجربة اليابانية ، التحفظ التالي : « إن هذا الحديث ينحصر فى التحليل الفكرى الحضارى المقارن ، وعلينا ان نجريه بوعي كامل يتجنب أي نوع من الترويج للمصالح الاقتصادية والسياسيه لليابان او غيرها من بلدان الشرق الأقصى .. كما يتجنب محاذير الهجرة الآسيوية لمجتمعاتنا العربية ، من ناحية أخرى ، ويدرك مختلف أبعادها ويضعها فى إطارها الصحيح .. » .

منطلقات النهضة الأولى

● من التجزئة الى الوحدة القومية :

« كان التحديث على الطريقة الغربية ، وبكل قوة ، الهم الأكبر لليابانيين ، وذلك للتخلص من عزلة دامت أكثر من مئتي سنة : حيث كان أي اتصال بالغربيين محظوراً ، وأية رحلة إلى الخارج جريمة عقوبتها الاعدام !

واذا كان اليابانيون قد تبنوا فجاة أساليب الغرب وأدواته ، فان ذلك لم يكن حباً فيه ، كما قد يعتقد خطأ ، وانما لتحقيق معرفة أفضل بكيفية مقاومته والوقوف فى وجهه . فلقد كان قادة اليابان الجدد ، مثل الامبراطور ميجي نفسه ، من القوميين الذين أرادوا تجنيب الأمة التصدع القادم مع المؤثرات الغربية ، فقرروا فتح الباب واسعا للتمكن من تعلم دروس البيض واقتباس أسلحتهم ذاتها .

فلقد وصل « الخطر الأبيض » الى أوجه بتقطيع أوصال الصين واحتلال بكين من قبل الغربيين ، ونهب قصر الصيف الامبراطوري فيها .

وعلى امتداد الشرق الآسيوى ، كان الانجليز والفرنسيون والألمان والروس يضاعفون من حملاتهم واعتداءاتهم . وكانت « البوارج السوداء » تنفث دخانها وهى تطوف بالسواحل اليابانية ابتداء من سنة ١٨٤٦ . وفى عام ١٨٥٤ استطاع الكومودور الامريكى بيري انتزاع أول



غلاف كتاب « اليابان .. العملاق الثالث » الذى كتبه الباحث الفرنسي « روبير غيلان » حول ابعاد الظاهرة اليابانية



رئيس وزراء اليابان الجديد ..
فى البدء كانت الروح القومية ..



الشعوب الحية لا تنسى الاساءة : عشرة آلاف متظاهر يابانى هتفوا فى طوكيو مؤخرا ضد تدمير هيروشيما

معاهدة من اليابان انتهكت سياج عزلتها . وقام أسطول انجلو ـ فرنسي بقصف مدينة كاجوشيما عام ١٨٦٣ انتقاماً لقتل مفاوض بريطاني هناك . وقام الانجليز عام ١٨٦٦ بعرض قوة بحري امام شواطىء هيوجو (مدينة كوبي الآن) لاجبار اليابانيين على منحهم معاهدة امتيازات تجارية .

حيال ذلك ، كانت اليابان بلا أسطول ، ولا جيش ، ولا صناعة ولا مال . ولم يكن فى مقدورها المخاطرة بالدخول فى حرب قد تجلب عليها ما جلبته على الصين من كوارث . لذلك فقد كان أول عمل قام به الامبراطور الجديد الميجي ، دعوة السفراء الأجانب إلى قصره واعتبارهم «ضيوفاً أعزاء» على الرحب والسعة ، مع تعهده لهم بحماية الغربيين ضد أى اعتداء .

كان التغيير جذرياً : فاليابان المتمسكة بعزلتها قد قررت الآن الانفتاح على المؤتمرات الأجنبية . ولم يكن ذلك غير مفارقة واحدة من المفارقات العديدة لنظام الاصلاح فى عهد الميجي . فهذا الاصلاح بدأه سادة اقطاعيون بانهاء نظامهم الاقطاعي ذاته لاعطاء البلاد نظاماً قوياً واعادة وحدتها القومية . وقد كان هؤلاء أعمدة نظام ارستقراطي واستبدادي ولكن من أجل توحيد الشعب وخلق الدولة ، أقدموا الآن على إزالة كل الفوارق الاجتماعية التى كانت تقف عائقاً أمام صعود المواطنين الأكفاء ، ولو كانوا من أدنى الطبقات .

وباختصار ، فمن أجل تحقيق أقصى قدر من المقاومة ، قررت اليابان أن تطبق أسلوب التغيير الكلي الشامل . ولم تكن تلك المرة الأولى فى تاريخها التى تقدم فيها على هذا القرار . وكما نعلم اليوم ، فلن تكون الأخيرة .

● **مقارنة مع الصين :**

هذا بينما أصرت الامبراطورة المسنة تسوهي ، التى كانت وصية على العرش فى بكين ، على رفض التحديث بعناد حتى انهارت المملكة الصينية ، وصممت على مجابهة القوى الكبرى حتى اجتياح العاصمة بكين عام ١٩٠٢ . فى ذلك الوقت كان الامبراطور الياباني ميجي يسرع الخطو نحو التحديث دون تردد .

فى ٦ نيسان (ابريل) ١٨٦٨ أعلن الامبراطور فى خطاب العرش :

« سندعو لعقد المجالس التمثيلية (التى تمثل الشعب) وسنحكم الأمة آخذين فى اعتبارنا مطالب الرأى العام . وسوف نبحث عن المعارف بين أمم العالم . وبهذا سيتحقق الخير العام للامبراطورية » .

وهكذا ، حيال الضغط الخارجى انهارت الصين القديمة ، هذه الدولة المركزية التى تمتلك أقدم إدارة موحدة عرفها العالم ، وتمزقت الى اجزاء . بينما تحولت اليابان تحت ذلك الضغط والصدمة الى أمة موحدة ، وهى التى كانت قبل ذلك مجزأة الى اقطاعيات عائلية متعددة . وكان ذلك التحول أشبه ما يكون بظاهرة الانصهار أو التبلور .

أضف الى ذلك ان التطعيم الغربى للجسم اليابانى جلب الحصانة لسائر اجزاء هذا الجسم من نظام عسكرى ،

سر البداية في الانطلاقة اليابانية

" رؤية فرنسية "



واقتصادى ، وحكومي ، ومن وسائل وأفكار .

أما فى الصين ، فعلى النقيض من ذلك ، كان ما يأتى من الغرب يفسد وينحل ويذهب هدراً طوال نصف قرن إلى ظهور ماوتسي تونغ . وكان من أهم بواعث هذا الفساد قبول الصينيين مداخلات الأجانب فى شئونهم المالية والاقتصادية ، وذلك ما رفضته اليابان دائماً .

وقد نجمت عن ذلك أول « معجزة يابانية » فى العصر الحديث ، ألا وهى عدم وقوع بلاد الشمس المشرقة فى قبضة الاستعمار .

فبينما شملت الفتوحات الاستعمارية افريقيا وآسيا والصين ، نجحت اليابان فى صد هذا الخطر . وعرفت كيف تتعامل مع الغرب كبلد مستقل ، ولم تقبل من مؤثراته الوافدة إلا الوسائل والتقنيات التى استطاعت السيطرة عليها بذاتها ، والتى كانت كفيلة بصيانة استقلالها .

وبفخر له ما يبرره ، استطاع اليابانيون مؤخراً الاحتفال بمرور مائة سنة على هذا الحدث ، حدث اقتحامهم العصر الحديث بنجاح . فاليابان الحديثة بلغت عامها المئوى سنة ١٩٦٨ ، حيث مر قرن كامل على الثالث من كانون الثانى (يناير) سنة ١٨٦٨ عندما قرر الامبراطور موتسوهيتو ، الذى خلف والده على العرش قبل ذلك بعام واحد ، إنهاء سلطة حكام الاقطاعيات (شوغون توكوجاوا) وإعادة السلطة الموحدة إلى البلاط الامبراطوري .

وقد أطلقت تسمية مشرفة على عهد هذا الامبراطور ، حيث دعي عهده بعهد الميجي أي « الحكم المستنير » ، ثم أطلق الاسم على الامبراطور ذاته ، حيث صار يدعى بالامبراطور ميجي ، وذلك لدى وفاته عام ١٩١٢ .

عندما تولى الامبراطور ميجي السلطة عام ١٨٦٨ (وكان اسمه عندئذ موتسوهيتو) كان يبلغ من العمر السادسة عشرة فقط ، لكنه جلب معه الى السلطة روحاً حازمة ، أنضجتها الاحداث الجسام ، وجعلتها متفتحة على التجديدات الجريئة .

وكان يتمتع بميزة بارزة ، وهى قدرته على إحاطة نفسه بمستشارين ممتازين ، كانوا شباباً فى مثل سنه ، وأصغر لكنهم فى مثل حماسته وتصميمه على خلق اليابان الجديدة .

ومن الشائق ، إجراء مقارنة تاريخية بين التجربة اليابانية فى تلك الحقبة ، ومثيلتها الصينية . كان حكام الصين فى ذلك الوقت « المندرين » رجال آداب مهذبين ومحافظين ولم يكونوا يحملون لبرابرة الغرب ـ هكذا سمى الغربيون هناك ـ غير الاحتقار والكراهية . لقد رفضوا التعامل معهم بازدراء ورفضوا قبول سفاراتهم فى بكين ، ولم يوافقوا إلا على فتح بضعة بنوك ومراكز تجارية لهم بشرط أن تبقى منعزلة وهامشية .

أما فى اليابان فقد كانت الفئة الحاكمة من المحاربين المنحدرين من أسر الساموراي العسكرية الاقطاعية . وقد أظهرت هذه الفئة تفهماً دقيقاً لمغزى قوة الغرب العسكرية وصممت فى الوقت ذاته على مجابهتها بقوة يابانية قادرة على صيانة وحدة البلاد وكيانها .

وهكذا فان يابان الساموراي تملكها الاعجاب المشوب بالتوجس تجاه برابرة الغرب ، وقررت فتح أبوابها لقدوم المؤثرات الخارجية من أجل أن تقتبس أساليبهم وتصل إلى أسرارهم .

ولاتمام هذه المقارنة ، فانه يتوجب علينا أيضاً عقدها بين صين ماوتسي تونغ ويابان الميجي .

على الجانبين ، نرى أن جيلاً من الثوريين يبرز وينغمس فى العمل والتغيير فى سن مبكرة جداً . ولكن فى اليابان نراهم يبدءون عملية البناء فى الحال دون أن يهدموا المجتمع القديم وتقاليده وطرائقه فى العيش والتفكير . بل على نقيض ذلك نراهم يحمونه بتحصينه ، بشكل أو بآخر ، خلف سياجه الواقي . وفى الوقت ذاته يقررون أن يبنوا إلى جانبه عالماً جديداً مختلفاً تماماً على الطريقة الغربية ، مقدمين للعالم من خلال ذلك تجربة لا سابقة لها ولا نظير بخلق بلد مزدوج الحضارة حيث يعيش كل يابانى نصفاً من حياته فى الغرب ، ونصفاً فى الشرق ، منتقلا من أحدهما للآخر ، بخفة مدهشة تجعلنا عاجزين عن التمييز .

أما فى الصين ، فان الثورة الشيوعية هناك كانت لها نظرة مختلفة تماماً تجاه الثقافة الصينية القديمة . لقد حافظت حقاً على الآثار ، وفتحت المتاحف الجميلة لصيانة الكنوز الأثرية وإبرازها للشعب ، ولكن تراث الماضى نسب فى حينه الى الماضى ، ولم يعد حياً ولم يعد له مكان فى الحياة الحاضرة .

ويعكف اليابانيون اليوم على التأمل فى بدايات نهضتهم الحديثة وتاريخها باهتمام كبير ، باحثين عن الاجابات لمختلف انواع الأسئلة بشأنها :

ما هى أسرار نجاحهم المبدئي فى مطلع النهضة ؟ لماذا مروا بكارثة بعد أكثر من ربع قرن من تلك البداية ؟ هل تصلح التجربة اليابانية لتكون نموذجاً يحتذى من قبل الأمم الأخرى ؟

ولا يجمع اليابانيون على اجابات موحدة لهذه التساؤلات ، لكن نتيجة واحدة على الأقل تبدو مؤكدة وتبرز بوضوح من هذا التفحص لتجارب الأمس : وهى أن

اليابانيين ، منذ نقطة البداية ، قد أظهروا قابليات استثنائية لاستيعاب العصر الحديث ومواجهته .

كما انهم يكتشفون اليوم ان اليابان الاقطاعية ، قبيل عهد الميجي ، كانت أكثر قرباً لنا « نحن الغربيين » وأكثر شبهاً بتطورنا التاريخى ، مما كان يعتقد سابقاً . فعلى الرغم من انقسامها الى اقطاعيات عائلية فانها كانت تمثل ، قبل ظهور الميجي وحدة قومية راسخة الجذور ، تتجلى قبل كل شيء فى وحدة الجنس ووحدة اللغة بشكل بارز . ومنذ عهود الاقطاع « توكوجاوا » كانت المواصلات بين اجزائها قائمة ونشطة جداً ، وكانت الطرق كثيرة ، ونظام البريد متطوراً وفعالا . وكانت البلاد تتمتع باقتصاد تقليدى قابل للتحديث حيث كانت قد نشأت فيها منذ زمن سوق قومية موحدة لعدد من السلع الرئيسية كالرز والساكي « كحول الرز » والصويا « وهو من التوابل المستخدمة كثيراً فى الماكولات اليابانية » . كما كان نظامها النقدي والمصرفي قوياً ومتطوراً . ومن العوامل الاقتصادية الأساسية أيضاً : كون نظام التعليم العام متطوراً جداً فى العهد السابق « لعهد الميجي » . فقد أكتشفوا مؤخراً انه فى نهاية حقبة الاقطاع « التوكوجاوا » كان أكثر من ٤٠٪ « أربعين فى المائة » من اليابانيين يجيدون القراءة والكتابة .. (! !) .

● الجذور كانت صالحة :

حقاً كانت اليابان ما تزال إقطاعية ، ولكنها كانت اقطاعية مركزية قوية التماسك وهذا الوضع ساعد كثيراً على إقامة النظام الجديد فى ظل الامبراطور الميجي ، وتحويل الولاءات من الولاء للعشيرة الاقطاعية الى الولاء للأمة بسرعة وفاعلية . وعليه فيمكن القول الآن إن الامبراطور الميجي لم يخرج اليابان من النظام الاقطاعي التقليدي ، لكنه جعلها فقط تجتاز النصف الأخير من طريق الخروج . « حيث أن اليابان طورت نفسها فى ظل النظام الاقطاعي قبل الميجي بشكل جعلها أكثر قابلية لعهد الاصلاح – المترجم » .

وثمة ميزة أخرى تبدو اليوم بارزة فى النهضة اليابانية ، وهى ان اليابان قد عرفت دفعة واحدة ومنذ البداية كيف تعتمد على نفسها بنفسها وبقدراتها وقواها الذاتية فى تحقيق الانطلاقة أو « الاقلاع » الاقتصادي ، دون أن تسمح لأي عون أجنبي بأن يخترقها ، أو يغريها بأى شكل .

ومن المدهش التاكيد انها لم تلجأ الى رأس المال الأجنبى . فمنذ مطلع نهضتها « ١٨٦٨ » حتى نهاية القرن التاسع عشر لا نجدها تقترض من الغرب غير قرض صناعي وحيد ومحدود يقل قليلا عن المليون جنيه استرليني للمساعدة فى بناء سكة حديد يوكوهاما .

ولكن بالمقابل ، فان اليابان لم تمتنع عن اللجوء بشكل واسع الى الخبراء والتقنيين الغربيين الذين كانت تختارهم بعناية شديدة ، وتدفع لهم جيداً ، مما جعل لهم دوراً هاماً فى نهضتها . وفى الوقت ذاته عرفت كيف تستورد افضل الآلات والمعدات الغربية ، والذين يتهمون اليابان بانها كانت غالباً تحاكي هذه المخترعات وانها لم تكن غير مقلدة ، يتجاهلون حقيقة ان تحصيل وتقليد التقنيات المستوردة هى مرحلة أولية وحتمية لكل البلاد المتخلفة . وان اليابانيين قد أظهروا قدرات متميزة فى استيعاب هذه التقنيات الجديدة وبسرعة ، وهذا مالم تنجزه البلاد النامية الأخرى .

ثم إن اليابانيين ، فضلا عن ذلك ، تمكنوا من تحسين تلك التقنيات وتطويرها بشكل منهجي ، وتلك ميزة أخرى من ميزاتهم الخاصة .

والسمة الثالثة البارزة لدخول اليابان الجديدة على المسرح العالمي ، تتمثل فى سرعة النمو على مختلف الصعد ، وهى ظاهرة لا تقتصر على هذه الأيام ، فقد بدأت منذ أواخر القرن التاسع عشر ، واستمرت وتزايدت مع بدايات قرننا العشرين .

ولقد تم إرساء دعائم الصناعة اليابانية خلال ثلاثة عقود من السنين بين ١٨٧٠ و ١٩٠٠ بفضل وجود حكومة قوية ، ونظام تربوي شامل ، ومجموعة من المؤسسات المالية ، وشبكة من المواصلات المتطورة بصورة جيدة .

وفى أثناء ذلك ، تم التوسع فى الصناعات التقليدية بوتيرة متسارعة هذا مع تنامي القطاع الصناعي الحديث .. « إذن لم يدمروا صناعاتهم التقليدية باسم الصناعة الحديثة ، كما فعل غيرهم من الشرقيين ! – المترجم » .

وهكذا حققت اليابان إصابة الهدف بعد عام ١٩٠٠ بقليل ، عندما وصلت الى اكتفائها الذاتي فى حقل المنسوجات الذى بلغته من ذلك الوقت .

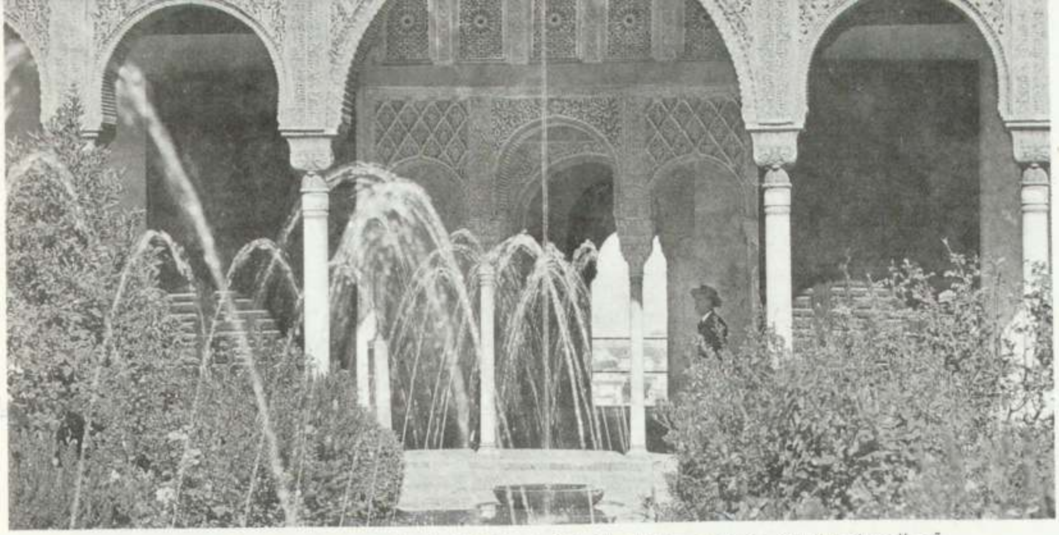
وبعد الانتصار الياباني على روسيا القيصرية فى الحرب الروسية اليابانية ١٩٠٤ – ١٩٠٥ ، بدأ حقاً الانطلاق الكامل ، أو الـ « تيك – أوف Take-off » ، أى الاقلاع ، كما يحلو للاقتصاديين الأمريكيين أن يسموه اليوم ، كمصطلح للتعبير عن تلك الانطلاقة الاقتصادية اليابانية » .

ترجمه عن الفرنسية :

د . محمد جابر الأنصاري

من كتاب Japon, Troisie'me Grand
ص ٣٧ – ٤٤
تاليف : Robert Guillain
منشورات : Points

فى المقالة التالية : تطورات التجربة اليابانية فى القرن العشرين وحتى الآن تتبعها دراسة مقارنة بين التجربة اليابانية والتجارب العربية .



قصر الحمراء من الداخل ، حيث نرى روعة العمارة والنقوش والزخارف الاسلامية التى أمدت الغرب بالمعارف الفنية والأصول المعمارية وأثرت في الذوق الأوربي

أطول الحضارات العالمية عمرًا وأعظمها أثرًا في المدنية الحديثة :

الحضارة العربية وكيف قامت على ركائز إنسانية؟

بقلم : الدكتور السيد محمد بدوي

تعتبر الحضارة العربية احدى الحضارات الكبرى التى ظهرت فى تاريخ البشرية . بل ان هناك فريقاً من العلماء يؤكدون أنها أطول الحضارات العالمية عمراً ، وأعظمها أثراً فى المدنية الحديثة . إذ سيطرت هذه الحضارة على الفكر الأوربى طوال القرون الوسطى ، وذلك حين أحيا العرب التراث الفلسفى والعلمى لليونان ، ثم نشروه فى قالب جديد بعد أن صهروه فى بوتقة عبقريتهم الفذة ، وأضافوا إليه اضافات جديدة تنم على ملكاتهم الفكرية الخلاقة .

لقد كان العرب يشتغلون بالفلسفة والعلم ، ويؤسسون أعظم الحضارات فى الوقت الذى كانت أوربا يخيم عليها الظلام والجهل . ويصور هذه الحقيقة ، أبلغ تصوير الأستاذ « فيليب حتى » فى كتابه « موجز لتاريخ العرب » ، إذ يقول : « إن مفكرى العرب كانوا يدرسون أرسطو ، ويكتبون الشروح على فلسفته ، فى الوقت الذى كان فيه الامبراطور شارلمان ورجال بلاطه لا يعرفون كيف يكتبون أسماءهم . وفى الوقت الذى كانت فيه «قرطبة» مركز حضارة الأندلس تزهو بمكتباتها السبع عشرة المليئة بالكتب والمؤلفات العلمية ، وكان علماؤها وكبراؤها يقضون أوقات فراغهم فى حمامات فاخرة ـ فى ذلك الوقت كان أساتذة جامعة اكسفورد يعتبرون غسل الجسم من أكبر الأخطار التى تهدد حياة الانسان » .

ومن العجيب أن هذه الحضارة العربية قد اتسمت بسمة متجانسة بالرغم من أنها حضارة لم ينفرد بتكوينها أهل بقعة بعينها ، وإنما اشتركت فى تكوينها المجموعة العربية التى انصبت فى قالب واحد ، وجمعتها مشاعر واحدة ، ولغة واحدة ، وآمال واحدة ظلت على الدهر نبراساً يستضيء به الناس ، سواء أعاش العرب دولة موحدة ، أم دولا فرقتها أحداث التاريخ .

ويمكن القول إن انتشار الاسلام ذلك الانتشار السريع الذى لا مثيل له فى التاريخ هو الذى أوجد الدولة العربية التاريخية ، وطبعها كلها الى يومنا هذا بطابعه وروح حضارته بمؤازرة اللغة العربية ، وبقدرته العجيبة على تقبل الثقافات الأجنبية . فلم يكد يمضى على وفاة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، مائة عام حتى كان المسلمون يسيطرون على امبراطورية أكثر اتساعاً من امبراطورية روما فى أوج عظمتها . إذ كانت هذه الامبراطورية تمتد من خليج بسكاى فى الغرب الى الهند وحدود الصين شرقاً ، ومن بحر آرال فى الشمال الى افريقيا الاستوائية فى الجنوب وهذه الفتوح كلها يعترف المنصفون من المؤرخين الغربيين بأن الأساس الأول والأعظم فيها ، لم يكن هو الحرب ، فهم يقولون بصريح العبارة إن المعارك الاسلامية الكبيرة كانت نادرة جداً ، وان أكثر ما تم من الفتح الاسلامى انما كان بفضل الدعوة السلمية ، والاقناع الحكيم ، والقدوة الحسنة .

ليس بالمرء حاجة إلى أن يكون فيلسوفاً عميق الفكرة ، بعيد المقدمات لكى يستنتج من هذه الظاهرة العجيبة ، وهى ظاهرة الانتشار السريع للحضارة العربية ، انها لابد أن تكون قد حوت من عناصر الحق والخير والجمال كل ما تتطلبه الفطرة السليمة ، على اختلاف شرائعها وأساليبها فى الحياة ، وانها لابد محققة لكل ما تطمح إليه الأمم والشعوب من أسباب القوة والرغد . ان فى سرعة انتشار هذه الحضارة ، فى عالم يبلغ خمس الكتلة البشرية على الأقل ، وبين أمم مختلفة فى ألسنتها وألوانها ، ونزعاتها ، وطبيعة أرضها ، وأسلوب حياتها ، وان فى قابليتها لزيادة الانتشار على الدوام كلما رفعت الحواجز المصطنعة من طريقها ، إن فى ذلك كله لآية بينة على مبلغ ما فى طبيعة هذه الحضارة من اشباع لحاجات العقول والقلوب ، وتوفية لمطالب الأفراد والجماعات ، ومجاوبة للفطرة الانسانية العميقة .

وكان العرب فى انتشارهم ينشرون دينهم ولغتهم ، بل ان ثقافتهم ونموذج حياتهم كانا يطغيان على الحضارات الأخرى التى سبقت حضاراتهم كحضارة اليونان ، والرومان ، والفرس . وازدهرت الحضارة العربية فى الأندلس مدة ثمانية قرون ، لم يشهد التاريخ فترة مثلها حضارة وازدهاراً . وإذا كان العرب قد فارقوها ملكاً وحكماً ، فانهم لم يفارقوها أثراً ورسماً .

جذور التراث

وتتصل جذور التراث الحضارى العربى بنظامين متباينين من نظم المعيشة : التقاليد البدوية ، وحضارة مجتمع ثابت قديم .

فمن حياة البدو أخذ العربى مجموعة من الصفات ذات قيمة انسانية عظيمة : حبه للحرية ، وشعوره بالمساواة ، واعتماده الوثيق على نفسه مع مسارعته لاغاثة الملهوف . ونتج عن هذه الصفات احترام النفس ، والمحافظة على الكرامة ، وتلك المهابة ، وذلك الاتزان اللذين أعجب بهما من اتصل بالعرب من الأقوام الأخرى . وما السهولة والرقة اللتان بهما يستقبل العربى من يراهم لأول مرة ، ويخاطب بهما الناس أيا كان مقامهم سوى المظهر الطبيعى لثقته بنفسه ، وشعوره بأن الناس جميعاً متساوون . والبداوة فى الواقع أصل العروبة ، وأصل الحضر : فيها الذوق السليم ، وفيها اللغة النقية ، وفيها تلك الصفات التى يتميز بها البدوى ، صفة الكرم رغم الفقر والحاجة ، وصفة البذل والعطاء ، ولو كان بذل النفس ، وصفة النخوة والشهامة هذه الصفات الكثيرة التى تتميز بها حياة البداوة على بساطتها ، هى المنبع ومصدر الالهام الذى نستمد منه أصول سلوكنا الانسانى .

والسلطة فى حياة البادية ترتكز على النفوذ المعنوى الذى يتمتع به شيوخ القبيلة . وهم يمارسونها لا بالتدابير القسرية ، بل بالاقناع والدعوة إلى احترام العرف . ومن هنا برزت الأهمية التقليدية لموهبة الكلام والقدرة على التأثير فى نفوس السامعين واقناعهم ، فاشتهر العرب بالخطابة والشعر وتفوقوا فيهما .

ولقد حاول الاستعمار أن يطمس هذه المعانى فى نفوس أبناء العرب من أجل أن ينسيهم حقيقة ماضيهم . وعمد بعض المؤرخين الأجانب ، لأغراض سياسية ، أن يتخذوا من بداوة أبائنا العرب سبيلا إلى الطعن فى صفاتهم القومية ، ففسروا البداوة بأنها الهمجية التى تجلت فى صفات القبائل الآسيوية التى حطت على أوربا ، وخرجت الحضارة الرومانية إبان القرن الخامس للميلاد وحاولوا أن يجدوا نوعاً من الرابطة أو التشابه بين بداوة العرب ، وهمجية « الهـــون » « والوندال » ، « والقوط » . وكان غرضهم من ذلك الحط من صفات العرب تنفيراً لأهل الغرب منهم ، كما أرادوا أن يمسخوا حقائق التاريخ لتحقيق المرامى السياسية البعيدة التى كانت تهدف الى إبعاد العرب عن أصولهم الثقافية أولا ، ثم اخضاعهم بعد ذلك لثقافة الغرب وسيطرته الاستعمارية . ولكن بداوة العرب لم تكن بالصورة التى صورها المؤرخون المغرضون فمن المعروف أن الهمج الذين خربوا الحضارة لم يكن لهم ماض حضارى ، ولم يعرفوا غير حمل السيف للنهب والسلب . أما العرب فقد كان لهم آداب من شعر وخطابة وبلاغة أصبحت مضرب الأمثال ، وكانت لهم تقاليد الفروسية التى نقلتها عنهم أوربا . ولم يلبث العرب بعد أن فتحوا دنيا الحضارة حتى أقاموا أعظم الآثار المعمارية كمسجد « قرطبة » وقصر الحمراء بغرناطة ، وقصور بغداد ، ومعاهد العلم كالجامع الأزهر والزيتونة بشمال أفريقيا ، وحملوا مشعل الحضارة وحدهم ما يزيد على ستة قرون . فهم الذين عملوا فى الواقع على تراجع الهمجية التى انتشرت فى أوربا إذ كانت غزوات أهل الشمال قد هزتها هزاً عنيفاً .

وإلى جانب هذه الأصول البدوية للثقافة ، نمت فى الجزيرة العربية مدنية متحضرة قبل الاسلام بمئات السنين . وكان مقـر هذه المدنية الركن الجنوبى من الجزيرة حيث ازدهرت مدة ألفى سنة من حوالى ١٥٠٠ ق . م إلى عام ٥٠٠ ب . م . ومن أشهر الحضارات التى ازدهرت فى ذلك الحين حضارة مملكة سبأ ، ويستدل من السدود التى بنيت لحصر المياه والشبكات الواسعة التى أنشئت لتأمين الرى على ان هؤلاء القوم كانوا على علم واسع بالهندسة .

وفى أوائل القرن السابع بعد الميلاد بدت طلائع ثورة اجتماعية جديدة ، حمل لواءها محمد النبى العربى . وباعتناق الاسلام تولد بين العرب شعور بالتضامن سما على المنازعات القبلية والعصبيات العشائرية . وكان نتاج ذلك ، مولد الأمة العربية التى منحها الدين الجديد هدفاً انسانياً سامياً . فتفتحت مواهب العرب ، وانطلقت قواهم المكبوتة من عقالها ، ووجدت حيويتهم الحبيسة منذ قرون منفذاً لها فى أداء رسالة رفعت الأمة العربية الى مقام الخلود ، ودفعت الانسانية خطوة كبيرة الى الأمام .

وتوطدت دعائم المجتمع العربى على أسس إنسانية قوامها المساواة والعدالة . فلم يجعل فروقاً بين الأسود والأبيض ، أو الغنى والفقير أو السيد والعبد . وكان هذا أكبر عامل على اتحاد جميع الشعوب التى انضمت تحت لواء العرب على اختلاف أجناسها وألوانها . ونتج عن هذا الاتحاد فى الفكر والعاطفة تحطيم الحواجز التى كانت تحول دون ظهور الكفاءات وأصبحت فرص التقدم مهيأة أمام كل انسان بعد أن كانت وقفاً على طبقة محظوظة فأصبحت للحياة معنى ، وبرز الشعور بالكرامة ، وبالقيمة الانسانية . وقد أكد هذه الحقيقة الأستاذ « هاريسون » فى كتـــابه « العرب فى وطنهم » ، إذ يقول « فحيث حلت حضارة العرب تأكدت قيمة الفرد ، ونهض الناس معتزين بكرامة لا تقهر » .

كذلك فان من أهم الأسس الانسانية للحضارة العربية ظاهرتين لم يجد علماء أوربا المنصفون بدأ من الاعتراف بهما والتنويه بشأنهما :

فأما الظاهرة الأولى فهى ظاهرة « الأخوة » التى تسمو على كل الفوارق العنصرية ، وتمحو كل الحواجز الاقليمية . فلقد أتى على العالم العربى حين من الدهر ، فى مدى القرنين الرابع والخامس من الهجرة (العاشر والحادى عشر الميلادين) ، كان يتولى الخلافة فيه ثلاثة خلفاء فى وقت واحد : خليفة عباسى فى العراق ، وخليفة أموى فى الأندلس ، وخليفة فاطمى فى مصر . ومع ذلك كان المواطن العربى الذى ينتقل فى سفره من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب ، فى امتداد يقطعه الراكب — فى ذلك الزمان — فى عشرة أشهر على الأقل

ـ كان لا يجد حيثما حل إلا اخوة ، ولا يشعر حيثما حل إلا بانه فى قلب وطنه .

ظاهرة التسامح

أما الظاهرة الثانية فهى ظاهرة التسامح بإزاء الأديان الأخرى فمع أن الرابطة التى تجمع بين هذا العديد من الشعوب كانت دينية ، ثم لغوية ، إلا أن هذا المجتمع كان يؤمن لأتباع الديانات الأخرى مكانا معترفاً به داخل إطار الوحدة الكبرى . وكان هذا التسامح العربى على نقيض ما انطوى عليه الحكم البيزنطى من تعصب طائفى ، وهو احد العوامل الرئيسية التى مهدت السبيل امام التوسع العربى وساعدت على الاسراع فيه .

وقد حاول المؤرخ الألمانى « كريمر » أن يحلل طبيعة هذا التسامح ويعرف اسبابه وينتهى المؤرخ من تحليله الى هذه النتيجة : وهى أن من الأسس الوطيدة التى أرست أركانها الحضارة العربية، الفصل فصلا تاما بين العقيدة التى يجب احترام حريتها عند الآخرين ، وبين المصالح الدنيوية التى تعتمد على الكفاية والأمانة ، والتى لا تميز بين دين ودين فى سبيل التعاون لتحقيق المثل العليا الانسانية .

وقد قيل ان العرب قد اعتزوا بعصبيتهم . واذا كان هذا صحيحاً إلا أنهم مع ذلك لم يعرفوا التعصب . وشتان بين العصبية والتعصب . فلم يعرف العرب التعصب كما عرفه غيرهم من الأمم ، وإنما امتازوا برحابة إنسانية رائعة ، وضمير يرفعهم فوق مستوى الحيوانية . والانسان إنما يتميز عن الحيوان بضميره قبل ان يتميز بغريزته أوحتى بعقله . فالغريزة أمر مشترك بين الانسان والحيوان جميعاً ، والعقل يشارك بعض الحيوان الانسان فيه ولو بأقدار قليلة أو متفاوتة . اما الضمير فينفرد به الانسان . هذا الضمير الذى عرفه سكان المشرق العربى منذ قديم ، هو الذى هداهم إلى أن يعرفوا الله ، وهو الذى نظم سلوكهم بحيث يعرفون غيرهم من الأمم ، وبحيث يقدرون مالدى غيرهم من الأمم من رأى أو فكر أو حضارة ، وبحيث تقوم الصلة بين الانسان وأخيه الانسان على أساس من السلوك الذى يمليه الضمير ، والذى يحاسب عليه الضمير .

عرفنا نحن العرب ، أننا جزء من الانسانية جمعاء ، وأننا نتوسط العالم ، ونتوسط الشعوب ، وأننا نخالط الناس فى كل مكان ، وأننا نعطى الناس كما ناخذ عن الناس . وفى الحالات التى شذ فيها عنصر من العناصر التى تقطن هذا المشرق العربى عن هذا الطابع ، أصبح هذا العنصر منبوذاً ، ونعنى به طائفة اليهود . فطائفة اليهود شذت عما تقضى به طبيعة سكان هذا الاقليم من أنهم جزء من العالم يعيشون لأنفسهم ولغيرهم ، ويعيشون بأنفسهم وبغيرهم ، وتقوم صلات التبادل بينهم وبين غيرهم على أساس من العدل والانصاف والمحبة . شذ اليهود عن هذا الطابع ، وانطووا على أنفسهم ، بل تنكروا ، فى كثير من الأحيان لرسلهم أنفسهم . وترتب على هذا ان الديانة اليهودية لم تنتشر فى الأرض وانما الذى انتشر أو الذين انتشروا هم اليهود . وفرق بين أن ينتشر الناس وبين أن تنتشر أفكارهم وعقائدهم .

ولم يقتصر المجتمع العربى الاسلامى على نشر العدل والمساواة والتسامح ، بل تعدى ذلك إلى الاقرار بفوائد الاختلاف داخل نطاق الاطار العام . وكان يرحب باختلاف الآراء والأفكار ويشجع الذكاء ، ويستفيد منه أيا كان مصدره وعمد أهل الذمة (وهم أصحاب العقائد الأخرى ، أو الجنسيات الأخرى الذين اندمجوا فى المجتمع العربى) إلى المساهمة فى اغناء الثقافة المشتركة . اذ كان تاريخهم يؤهلهم للقيام بدور حملة تراث حوض البحر المتوسط .

انتشار الحضارة العربية

وانتشرت الحضارة العربية لأنها كانت ـ كما قدمنا ـ تدعو الى الانسانية. انتشرت الى قلب آسيا ، فى أرض المغول ، وانتشر الاسلام الى أندونيسيا عن طريق البحر أى عن طريق التجارة . كما انتشرت الحضارة العربية فى أرض السودان . ومن شمال أفريقيا انتقلت الى أرض السنغال . انتشرت هذه الحضارة لأن الذين حملوا لواءها كانوا يمثلون الانسانية ، ويمثلون الضمير الانسانى .

لقد كنا نحن العرب نعتز بحضارتنا ، وكنا فى الوقت ذاته نعرف لغير حضارتنا من الحضارات قيمتها . وهذه الصفة انفردنا بها بين الأمم والشعوب أما الحضارات الأخرى فكانت تنطوى على نفسها ، أو كانت تزدرى حضارات الآخرين فى كثير من الأحيان : فالصين كانت لها حضارة ، ولكنها بقيت للصين على مر العصور . وكانت للهند حضارة ولكنها اختلطت حتى أصبحت الهند مستودعاً لسلسلة من الحضارات المتعاقبة والمتعاصرة فى أن واحد ، كاد معها طابع الحضارة الهندية أن يزول . فالهنود اليوم لا يتفاهمون بلغة واحدة ، واذا أراد هندى جنوبى أن يتفاهم مع هندى شمالى ، فكثيراً ما يستخدمان لغة غريبة عن الاثنين كاللغة الانجليزية . وكانت للفرس حضارة ولكنها بقيت ضيقة النطاق تكاد تقتصر من حيث اللغة على أرض الفرس نفسها . وكانت لليونان حضارة ولكنها ماتت على مر الزمن ولم تبق ولم تستمر . وكانت للروم حضارة ، ولكنها حضارة من جانب واحد تمثلت على الخصوص فى نواحى الادارة ، أو نواحى التشريع ، أو فى بعض النواحى المادية كمد الطرق .

فأما العرب . فحضارتهم عريقة ، وحضارتهم فى الوقت ذاته مستمرة ، وباقية على الزمن . ولغتنا العربية لغة بقيت حوالى خمسة عشر ، أو ستة عشر قرناً لغة حية . فنحن اليوم لا نزال نقرأ الشعر الجاهلى ونتذوقه ، فى حين أن الانجليزى أو الفرنسى اذا قرأ شعراً مضت عليه عدة قرون فانه لا يكاد يفهم منه حرفاً واحداً ، وإن فهم شيئاً فانه لا يتذوقه . لقد احتفظت لغتنا بحيوية عجيبة ، هى قديمة ، وهى مستمرة ومتطورة مع الزمن ، وسر احتفاظها بحيويتها أنها لغة القرآن .

فاللغة العربية تعتبر مقوماً أساسياً من مقومات الوحدة والترابط فى العالم العربى . ولذلك يجب أن نتمسك بها فى ثقافتنا ، ونعمل بكل الوسائل على التقريب بين اللغة الفصحى واللهجات العامية المحلية . وإن من يدعو الى تشجيع العامية والكتابة بها ، واهمال اللغة العربية ، فانه يدعو ، فى الواقع ، إلى إزالة عامل من أهم العوامل التى تبرز وحدتنا ، وتيسر سبل الاتصال الثقافى بين شعوب الأمة العربية .

أصالة الحضارة العربية

وقد ادعى المغرضون من الكتاب الأجانب أن الحضارة العربية ما هى الا حضارة ناقلة لم تفعل أكثر من نقل علوم اليونان . وهذا الادعاء أبعد ما يكون عن الحقيقة . فالاضافات التى أضافها العرب إلى علوم اليونان ، ومعالم

الحضارة التى ابتكروها ، مع حفظهم لروح البحث العلمى ، فى عصر عرفته أوربا بعصر الظلام ، كل ذلك انما يضفى على الحضارة العربية صفة الأصالة والخلق والابداع .

ولم تصل هذه الحضارة الى ما وصلت اليه من ازدهار الا بفضل تقديس العلم وتشريف العلماء ، حتى لقد ذهب الناس ، فى ذلك الزمان ، إلى القول بأن « الكتابة » أشرف المراتب بعد « الخلافة » . وترتب على ذلك أن اتسع الحركة الفكرية عم العالم المتحضر فى ذلك الوقت . وكان الخلفاء يدفعون فى الكتاب وزنه ذهباً . وبينما حاول « شارلمان » أن يوقظ أذواق الناس ، ويوجهها نحو العلم والأدب ، بدون جدوى ، كان خلفاء بنى العباس يجمعون حولهم أكثر الرجال ثقافة وعلماً من جميع الأقاليم ، وعملوا على ترجمة أعظم المؤلفات ، وجمعوا مكتبات غنية ذاخرة . ويقال ان « الحكم » الأموى فى قرطبة كان يمتلك مكتبة تحوى أكثر من أربعمائة ألف مجلد ، على حين أن ملك فرنسا « شارل الخامس » الذى كان يلقب « بالحكيم » .. لم يستطع بعد ذلك بأربعة قرون أن يجمع أكثر من ألف مجلد .

ولم يقتصر العرب على حفظ كنوز المعارف السابقة بل أضافوا اليها وفتحوا طرقاً ومناهج جديدة نحو دراسة الطبيعة . وكما يقول «جورج سارتون» فى كتابه «مقدمة تاريخ العلوم» ، كانت اللغة العربية من منتصف القرن الثامن حتى نهاية القرن الحادى عشر ، لغة العلم والحضارة للبشرية ، وكان يتعين على من يبغى الالمام بثقافة عصره وباحدث صورها أن يتعلم العربية ، وذلك تماماً مثلما يحدث فى عصرنا من حيث ضرورة الالمام باحدى اللغات الأجنبية إذا اراد المرء أن يتتبع التطور الفكرى فى العالم .

ونريد الآن أن نجول جولة سريعة لنظهر أثر الحضارة العربية فى التراث الفكرى الانسانى . ونبدأ باظهار فضلهم على الحركة الأدبية فى أوربا :

يقول «السير جيب» فى كتابه «تراث الاسلام» «إنه فى نهاية القرن الحادى عشر نشأ فى جنوبى فرنسا نوع جديد من الشعر ينهج منهجاً جديداً ، وتميزه صفات نفسية واجتماعية جديدة ، وتصوير خيالى فنى جديد ... وكان هذا الشعر الجديد كثير الشبه بنوع من الشعر المعاصر فى اسبانيا العربية . وهذه القرائن كلها تؤيد ما قد نفترضه من أن الشعر الرومانسى الأول قد تأثر بالنماذج العربية» . والواقع أن العرب أقاموا فى جنوبى فرنسا ، وبخاصة فى مقاطعة «بروفانس» ابتداء من منتصف القرن الثامن . فاذا علمنا أن العربى كان يقرض الشعر بسليقته ويسيطر على خياله التأثر بالجمال ، أفلا نستطيع أن نستنتج من ذلك أن هذه الجماعة من العرب قد لعبت دوراً فى نشوء شعر «التروبادور» الذى نشأ فى بروفانس بالذات ؟ وإذا أخذنا بما أثبته العلامة «راندال» فى كتابه «تكوين العقل الحديث» من أن الفكر الأوربى كان بطيء التكوين فى بدايته ، وأن الشعوب الأوربية كانت تحتاج الى ضعف الوقت الذى تحتاجه الشعوب الشرقية لاستيعاب الثقافات ، لأدركنا كيف أن شعر التروبادور نشأ فى نهاية القرن الحادى عشر ، بعد أن مرت ثلاثة قرون من الاتصال المباشر بالعرب وبثقافتهم سواء فى جنوبى فرنسا أم فى اسبانيا .

وقد ثبت من البحوث الحديثة أن «دانتى» شاعر إيطاليا الكبير قد استوحى فكرة «كوميديته الالهية» التى مثلت ثقافة أوربا المسيحية ، فى القرون الوسطى ، من مصادر عربية اسلامية ، استقاء «دانتى» من قصة الاسراء والمعراج ، ومن تعليقات وتفسيرات المفكرين العرب ، ومن مذاهب الصوفية ، وعلى الأخص كتابات «محيى الدين بن عربى» . وقد اثبت هذا الراى عالم اسبانى هو «ميجل أسين بالاسيوس» ..

فى كتاب ترجم الى الانجليزية بعنوان «الاسلام والكوميديا الالهية»

وقد كرس أسين بالاسيوس أكثر من خمسة وعشرين عاماً من حياته فى بحث وتمحيص الفكر الاسلامى الفلسفى والدينى فى القرون الوسطى ، وتأثيره فى ثقافة أوربا المسيحية . ومكنته خبرته بفقه اللغة العربية ، بالاضافة الى تمكنه من فلسفة الكلام فى القرون الوسطى أن يكشف كشوفاً هامة فيما يتعلق باللاهوت ، وكيف أثر ابن رشد فى القديس «توما الأكوينى» ، وابن عربى فى «ريموندلال» ، واخوان الصفا فى «أرسلمو دى تورميدا» الخ ... ولكن أهم اكتشاف قامت عليه شهرته هو موضوع الكتاب الذى ذكرناه ونعنى به اكتشافه أن النماذج الاسلامية ، هى التى أوحت لدانتى بكوميديته الالهية .

ومن المؤلفات التى أثرت كذلك فى الأدب الأوربى مقامات «الحريرى» . ويرى بعض النقاد شبهاً كبيراً بين شخصية «فيجارو» التى صورها «بومارشيه» فى مسرحيته المعروفة «حلاق اشبيلية» ، وبين شخصية «أبى زيد» بطل «المقامات» . فكلتا الشخصيتين تتألف عناصرها من الدهاء والخبث والمبالغة ، وسعة الحيلة وحسن التصرف ، كل ذلك ممزوجاً بخفة الدم والمرح .

وقصة «دون كيشوت» للمؤلف الاسبانى «سرفانتس» ترجع الى أصول عربية . فقد كان المؤلف سجيناً فى الجزائر وكثيراً ما صرح بأن مسودات كتابه قد كتبت أولا بالعربية .

وأخيراً لا ننسى أن قصة «روبنسن كروزو» المشهورة التى كتبها «ديفو» مأخوذة من القصة الفلسفية لابن طفيل «حى بن يقظان» . وقد ترجمها الى اللاتينية «بوكوك» فى عام ١٦٧١ تحت عنوان «الفيلسوف المعلم لنفسه» .

أما فى ميدان الدراسات الانسانية فيكفى أن نشير الى جهود المفكر والفيلسوف العربى الكبير عبد الرحمن بن خلدون الذى شهد له كبار علماء الغرب فى العصر الحديث بانه كان الرائد الأول لعلم الاجتماع وفلسفة التاريخ . إذ سبق فى ذلك أوجست كونت بخمسمائة سنة تقريباً ، حين كتب مقدمته الخالدة فى القرن الرابع عشر الميلادى (أى الثامن الهجرى) . فقد أراد أن يكتب تاريخ الدولة الاسلامية كتابة تعتمد على الوثائق وعلى الدراسة الموضوعية . غير أنه رأى بثاقب نظره أن كتابة التاريخ لا تستقيم إلا إذا سبق ذلك دراسة للبيئة والحضارة والظروف الاجتماعية التى انبعثت منها حوادث التاريخ . وحين اقتنع بذلك شرع فى كتابة «مقدمة» لمؤلفه التاريخى الكبير ، ووضعت هذه المقدمة «أسس» علم العمران أو علم الاجتماع كما نسميه اليوم . ولم يفطن علماء الغرب الى القيمة العلمية لهذه المقدمة إلا منذ وقت قريب . فعكفوا على دراستها دراسة دقيقة وكتبوا عليها التعليقات والشروح التى تفيد كلها بأن ابن خلدون كان رائداً لكثير من علماء الغرب فى ميادين الاجتماع والسياسة والاقتصاد . فيقول «جاستون بوتول» ، واليه يرجع الفضل فى توجيه أنظار علماء الغرب الى أهمية آراء ابن خلدون .. يقول «إن ابن خلدون قد أبدى من الآراء ما جعله مبشراً بالأفكار الاجتماعية الحديثة ، وعلى الأخص تلك التى نشرها منتسكيو فى أوربا . وإن حديث المفكر العربى العظيم عن صلة الأخلاق بالحضارة تجعله رائداً بالنسبة لآراء «روسو» فى هذا الصدد» . ويقول العالم الأمريكى «ناتانيل شميت» الأستاذ بجامعة كورنل بأمريكا : «إن حديث ابن خلدون عن تأثر العادات بالأقاليم والأرض والغذاء تجعله مفكراً سابقاً على مفكرى العالم الحديث من أمثال منتسكيو وسبنسر» .

وأخيراً يتوج المؤرخ البريطانى الشهير « أرنولد توينبى » هذه الآراء بتأكيده أن مقدمة ابن خلدون أعظم عمل من نوعه أبدعه أى عقل بشرى فى أى زمان ومكان .

وفى المجالات العلمية

ننتقل الآن الى ذكر فضل العرب فى ميادين العلوم التجريبية والطبيعية . ولا نستطيع أن نذكر قائمة علماء العرب جميعاً ، ولذلك سنقتصر على أهمهم : لقد اهتم العرب بالطب وتفوقوا فيه وكانوا يجمعون الى جانب بحوثهم فى الطب والعقاقير صفة البحث فى ظواهر الكون وما بعد الطبيعة (الميتافيزيقا) ، والحكمة . (ومازال العوام حتى اليوم يطلقون على الطبيب اسم الحكيم) . . وتفوق العرب كذلك فى استنباط كثير من أنواع العلاج ، وكانوا أول من انشا الصيدليات . ويقال إنهم أسسوا أول مدرسة للصيدلة ، وكتبوا أول كتاب فى «الفارماكوبيا» (أو علم الأدوية) . وفى عصر الخليفة المأمون أصبح الصيادلة يمرون بامتحان قبل السماح لهم بممارسة مهنتهم . وعرف المجتمع العربى ، فى ذلك الحين ، نوعاً من الخدمة الطبية ، إذ كان الأطباء يوفدون الى القرى والأرياف حاملين معهم الأدوية ليعالجوا كل من احتاج للعلاج . كما كان هناك أطباء يزورون السجون كل يوم لعلاج المسجونين . ومثل هذه الاجراءات ، إذا اعتبرت اليوم عادية فانها كانت فى ذلك الوقت تدل على وعي كبير ، واهتمام تام بمبادىء الصحة العامة التى لم تكن معروفة حينئذ فى بقية انحاء العالم .

وأول مستشفى فى العالم الاسلامى انشاه هارون الرشيد فى مطلع القرن التاسع الميلادى (أى الثالث الهجرى) ، ثم تعددت المستشفيات بعد ذلك حتى بلغ عددها ٣٤ مستشفى موزعة على البلاد المختلفة . وكانت المستشفيات تحتوى على أقسام خاصة بالسيدات كما الحق بكل منها عيادة خارجية . وكان بعضها يضم مكتبة طبية يرجع اليها المهتمون بالطب ، كما كانت تعطى فيها أحياناً محاضرات طبية .

وأهم الشخصيات التى ظهرت فى محيط الطب فى العالم العربى ، فى العصور الوسطى ، «الرازى» و «ابن سينا» . وقد اعترف علماء الغرب بفضلهما ، وخلدت كلية الطب بجامعة باريس ذكراهما بلوحتين كبيرتين مازالتا حتى اليوم تحتلان مكاناً بارزاً فى الصالة الكبرى بالكلية .

أما الرازى فقد عاش بين سنتى ٨٦٥ ، ٩٢٥ م . ويعده العلماء والمستشرقون أكبر شخصية ظهرت فى محيط الطب فى القرون الوسطى . ويقال إنه حين كلف باختيار مكان مناسب لاقامة مستشفى بغداد الكبير ، أمر بوضع قطع من اللحم فى أنحاء متفرقة . ثم اختار المكان الذى ظلت فيه قطعة اللحم أطول مدة قبل أن تفسد . وقد ألف كتاباً مشهوراً فى الكيمياء عرف باسم «كتاب الأسرار» ، وترجم الى اللاتينية فى أواخر القرن الثانى عشر . ومازلنا نحتفظ من مؤلفات الرازى بمخطوطات منها دراسة عن «الحصبة» ، وأخرى عن «الجدرى» . على أن أهم مؤلفات الرازى هو كتابه الجامع الذى سماه «الحاوى» ، وقد ترجم الى اللاتينية فى عام ١٢٧٩ ، وترجمه طبيب يهودى من جزيرة صقلية يدعى «فرج بن سليم» .. وبعـــد أن اخترعت الطباعة ظهرت منه عدة طبعات أولها فى عام ١٤٨٦ وكما يدل عليه اسمه ، كان هذا الكتاب يهدف لأن يكون موسوعة (أفسيكلوبيديا) تضم جميع ما عرف فى ذلك العصر عن مادة الطب . وهو يلخص جميع المعارف التى وصلت الى العرب عن الطب اليونانى والفارسى والهندى ، ويضيف الى ذلك ما أسهم به العرب انفسهم فى ذلك الميدان من نظريات وآراء وطرق علاجية . وظلت مؤلفات الرازى تحتل مكانها البارز فى محيط الطب ، واعتبرها علماء الغرب مصدرهم الأساسى طوال قرون عديدة ، ولتعميم الفائدة منها كانت هذه المؤلفات ـ كما ذكرنا ـ أول الكتب التى ظهرت مطبوعة بعد اختراع الطباعة .

ويأتى بعد الرازى ـ بالنسبة لعلم الطب ـ الفيلسوف «ابن سينا» . وقد اعتبرت مؤلفاته الأساس الذى لابد من استيعابه لكل دارس فى هذا الميدان . وتعدد نشر هذه المؤلفات الطبية باللاتينية والعبرية طوال العصر الوسيط . وفى العصور الحديثة ترجمت اجزاء منها الى الانجليزية . وتحتوى تصنيفاته فى «الفارماكوبيا» على ما يقرب من سبعمائة وستين عقاراً . ويقول الدكتور «وليم أوسلر» إن كتاب «الشفاء» لابن سينا قد اعتبر «انجيل الطب» ، واحتل هذا المركز مدة تفوق بكثير المدة التى احتلها أى كتاب آخر .

ولا يخفى أن المعرفة فى العصور القديمة والوسطى كانت لا تعرف التخصص الذى نعرفه اليوم . فكان المفكرون والفلاسفة ، الى جانب اشتغالهم بالفلسفة يعالجون المسائل الرياضية ، ويبحثون فى الموسيقى والفلك ، بل وينظمون الشعر أحياناً . وقد يدهش كثير من الناس اليوم حين يعلمون أن عمر الخيام مؤلف الرباعيات المشهورة التى ترجمت الى كثير من اللغات الأوربية ـ كان يعتبر ضمن علماء الفلك والرياضة الممتازين . وكذلك فان الفيلسوف «الكندى» يعتبر من أهم الشراح لنظريات فيثاغورس فى الهندسة والرياضيات ، كما اشتغل بالكيمياء والبصريات ، وله آراء قيمة فى الموسيقى دلت على تقدم هذا الفن فى البلاد الاسلامية قبل انتقال أصوله العلمية الى أوربا .

ويعتبر «أبو علي الحسن بن الهيثم» أعظم عالم عربى فى الطبيعيات . وقد عاش فى القاهرة بين سنتى ٩٦٥ ـ ١٠٣٩ ميلادية . وهو يمثل وحده طفرة كبرى فى تطور البصريات وفسيولوجيا النظر . وقد ترجم مؤلفه فى «البصريات» الى اللاتينية والايطالية ، وأصبح المرجع الأساسى لعلماء الطبيعة ، كما كانت أبحاثه التى كرسها لاختراع العدسة المكبرة هى الأساس الذى اعتمد عليه كل من «روجر بيكون» و «فيتلو» البولونى ، بعد ذلك بثلاثة قرون فى أبحاثهما الخاصة بالميكروسكوب والتلسكوب . كما أن «فيتلو» الذى كتب أول مؤلف أوربىٍ فى البصريات ، فى القرن الثامن عشر ، استمد معظم آرائه من كتاب ابن الهيثم . وقد اطرح ابن الهيثم نظريتى «اقليدس» و «بطليموس» ومهد لنظريته الجديدة بوصف دقيق للعين ، ولعملية التنسيق فى الابصار المزدوج بواسطة العينين ، كما انه فسر ظواهر الانكسار تفسيراً ينم عن عبقرية ، وكان أول من أشار الى كيفية استخدام الغرفة السوداء فوضع بذلك أساس التصوير الفوتوغرافى . وحين أشاد علماء الغرب بفضله على العلم الأوربى لم يكن فى تقديرهم هذا ، أى أثر للغلو أو المبالغة ، إذ صرح العالم الرياضى «شال» وهو من علماء القرن التاسع عشر أن أبحاث ابن الهيثم كانت النواة الأولى التى انبثقت منها جميع النظريات الأوربية فى علم البصريات ، وأنه حتى ظهور أبحاث «كيلر» و «ليونارد» ظلت البحوث ، فى علم الضوء والبصريات ، تعتمد كلها على كتابات ابن الهيثم .

ويعزى الى العرب الفضل فى ادخال الطريقة التجريبية فى علوم الطبيعة والكيمياء ، وبذلك حققوا فيهما تقدماً حاسماً بعد أن ظل هذان العلمان ، مدة طويلة ، قاصرين على الآراء النظرية التى قدمها فلاسفة اليونان .

ويعتبر «جابر بن حيان» أشهر اسم عربى فى مجال علم «الكيمياء» . وقد عاش فى الثلث الأخير من القرن الثامن (حوالى ٧٧٦) . وبدأ بحوثه كمن سبقه من علماء اليونان والمصريين من الفكرة التى كانت تقول بأن جميع المعادن الشائعة كالقصدير ، والرصاص ، والحديد ، والنحاس يمكن تحويلها الى ذهب أو فضة بعد معالجتها بطريقة كيميائية . ولكن فضله الأساسى هو فى إظهار أهمية الوسائل التجريبية وتوضيح طرق استخدامها . ولذا فقد تقدمت الكيمياء على يديه نظرياً وعملياً . ويعتقد علماء الغرب أن «جابر بن حيان» هو مكتشف كثير من المركبات الكيميائية التى لم يرد ذكرها فى مؤلفاته الاثنين والعشرين .

ونسبة مؤلفات أخرى كثيرة اليه ، خير دليل على انه منذ مطلع القرن الرابع عشر ، لم يكن هناك مؤلف يظهر فى الكيمياء إلا ويشير فى كثير أو قليل الى جابر بن حيان . وقد استطاع الباحثون المحدثون أن يستخرجوا من بين الخليط من الآراء والاكتشاف التى نسبت اليه بعض الحقائق التى اكتشفها فعلا . ومن ذلك انه كان أول من وصف وصفاً علمياً عمليتين هامتين فى محيط الكيمياء ، ونعنى بهما عمليتى التكليس والاختزال ، وأدخل كثيراً من التحسينات على الوسائل التى كانت مستعملة فى عمليات التبخر ، والتسامى والذوبان ، والتبلور .. وتوصل الى تحضير حامض الكبريتيك ، وحامض الأزوتيك ، ثم خلطهما لانتاج ما نسميه «ماء النار» ، واستخدمه فى إذابة الفضة والذهب . ومن الناحية النظرية عدل فى نظريات أرسطو عن تركيب المعادن وظلت آراؤه مقبولة فى عمومها حتى ظهور الكيمياء الحديثة ، أى حتى القرن الثامن عشر .

أثـر العـرب فـى ميادين الفن والعمارة

يعتقد الكثيرون أن العرب الذين برزوا فى الميادين العلمية التى ذكرناها قد قصروا كل التقصير فى ميدان الابداع الفنى . ويذكرون فى ذلك قول ابن خلدون نفسه فى مقدمته : «ليس للعرب فن إلا فن الشعر» . والحق أن ابن خلدون خلط فى هذا الحكم بين العرب الذين عرفوا جميع الفنون الحضارية ، وبين الأعراب الذين عاشوا فى البادية .

والواقع أن العرب قد أمدوا الأوربيين بمعارف فنية وأصول معمارية تأثرت بها حضارة الغرب الى حد كبير . وقد خلد العرب مجدهم فى تاريخ الفنون بما أبدعوه من أشكال زخرفية تبدو فى المساجد والقصور العربية . ولا ينكر أحد روعة ما عكسته هذه الزخارف من جمال شكلى ، ومدى ما احدثته مبتكراتها الطريفة من أثر فى الذوق الأوربى . ولعل الصور العربية التى تزين سقف «قاعة الملوك» فى قصر الحمراء بغرناطة (وهى تمثل فرسان العرب ، وقد امتطى بعضهم صهوات جيادهم ، وسدد بعضهم الآخر رماحه الى صدور أعدائه) ــ لعل هذه الصور كانت نماذج تعلم منها رسامو أوربا طريقة تزيين أسقف الكنائس والقصور بالصور الملونة ، واتخذوا منها نقطة انطلاق للتجديد الفنى الذى حققوه بعد ذلك فى عصر النهضة الأوربية .

وهناك تحفة فنية فى متحف «اللوفر» بباريس تدل على مبلغ ما وصل اليه العرب من مستوى رفيع فى فن الحفر . هذه التحفة ، التى عثر عليها الأسبان فى قرطبة ، والتى يدل تاريخها على انها صنعت فى عام ٩٦٨ م عبارة عن علبة خشبية اسطوانية حفرت على جدرانها صور نساء يعزف بعضهن على العود ، وتغنى الاخريات ، وصور غزلان ونمور وفهود .

بيد أن أهم ما يستحق التنويه فى هذا الصدد هو الأثر الكبير الذى احدثته فنون الموسيقى والغناء والرقص فى فنون أوربا المماثلة لها . إذ يحسب أكثر الناس أن هذه الفنون الثلاثة مختلفة عند العرب ، أو انها عندهم من لون مختلف كل الاختلاف عن لون نظيراتها فى أوربا . والا صلة بين هذه وتلك ، ومن ثم لا يكون للأولى اى تاثير فى الثانية . ولكن الذى يدرس تاريخ الموسيقى الأوربية يدرك مدى خطأ هذا القول . ونحن نكتفى هنا ، للتدليل على صحة ما نذهب اليه بنقل ما ورد فى هذا المجال عن مفكر اسبانى ، إذ يقول «لم يكف العرب عن تجديد آلاتهم الموسيقية التى نقلوا أصلها البدائى عن بلاد فارس وغيرها ، ثم ابتدعوا الربابة من آلة القوس ذى الوتر الواحد ... ومن الربابة العربية عرفت أوربا «الكمنجة» ، وقد أدخلوا كذلك تحسينات جوهرية على العود والقانون ... ولولا «الكلافسان» التى تولدت من «القانون العربى» ، ولولا «الكمنجة» التى تولدت من «الربابة» ، لظلت عبقرية «باخ» ، و «موزار» خرساء . ويقول «فيتسى» بصراحة فى كتابه «التاريخ العام للموسيقى» إن «الموسيقى الأوربية بنيت فى أواخر القرون الوسطى من أصل عربى» . وقد واصل شعراء الأندلس تطوير الشعر ليجعلوه أكثر ملاءمة للغناء ، فنظموا الموشحات ذات القوافى المتبادلة فازداد فن الغناء ، وفن الموسيقى العربية ارتقاء ، بينما لم تكن أوربا تعرف إلا الغناء البدائى ، ونغمات القيثارة ، والمزمار غير الموقعة . ويقول «جون روا» فى كتابه «منابت الشعر الغنائى» : «كانت الأغانى العربية الأندلسية تنتشر فى سرعة تفوق سرعة انتشار الكتب وقد ارتقى فن الرقص فى فرنسا بتوجيه الأندلس ، وذلك منذ أخذت الأندلسيات يرقصن فى قادس لأول مرة على أنغام الصاجات ومختلف الآلات الموسيقية» .

ننتقل الآن الى ميدان آخر من ميادين الفنون العربية ، وهو ميدان فن العمارة ، والزخرفة ، وتنسيق الحدائق الذى اغترفت منه أوربا اغترافاً . فلقد سكن ملوك أوربا القصور بعد القلاع خلال اتصالهم الأول بالعرب ، وانشاوا الحدائق أيضاً فى هذه الحقبة بالذات . ولاشك أن العلاقات الطيبة بين ملوك أوربا وأمراء الأندلس كانت سبباً فى تغلغل تاثيرات العمارة الأندلسية فى انحاء أوربا . وتتمثل هذه التاثيرات فى استخدام عقد حدوة الفرس «والطرر» المربعة المحيطة به ، أو النوافذ المزدوجة . كذلك نرى هذه التاثيرات الأندلسية فى كثير من الكنائس فى اسبانيا .

ولقد كانت هناك مناطق فرنسية أخرى على علاقة وثيقة بأسبانيا فى القرن الحادى عشر والثانى عشر . وشوهدت بعمارة هذه المناطق محاولات كثيرة مستلهمة من الفن المعمارى الأندلسى .

من كل ما تقدم يبدو مدى ما احدثه الفن العربى الأندلسى من تاثير فى الفن الأوربى ، ويبدو مدى ما أحدثه العرب من تاثيرات عميقة تفصح عن فضل الحضارة الاسلامية على الحضارات الغربية .

● ●

هذه أطراف من أمجاد العرب ، ولمحات عن حضاراتهم الزاهرة . وقد قامت هذه الحضارة ــ كما رأينا ــ على صفات أصيلة فى نفس العربى دعمتها سماحة الاسلام ، وتشجيع العلم ، وتكريم العلماء ، وتضامن شعوب الأمة العربية ، وتساندها للوصول الى أهدافها السامية .

وإذا كانت الحضارة العربية اليوم تتطور لتساير تقدم العلم الحديث ، فان ذلك يجب الا ينسيها طابعها الخاص ، وشخصيتها المتميزة ، ويجب ألا يفنيها فى الحضارات الأخرى . إذ أن عناصر نهضتنا وتطورنا يجب أن تنبثق من طبيعة بيئتنا ، ونظمنا ، وتقاليدنا . والتطور الذى تحتمه طبيعة الحياة الحديثة فى عصر العلم والاختراعات يجب ألا ينسينا تقاليدنا القويمة .

إن الأزمات التى يعانى منها العالم اليوم سببها انغماسه فى المادية الجارفة ، والتعصب المقوت ، ومحاولة اخماد صوت الحق . وما أحوجه لأن ينتفع بما فى رسالة الحضارة العربية من انسانية ، وروحانية ، ونورانية ، حتى يتبدل خوفه أمناً ، وقلقه اســتقراراً وطمانينة .

د. السيد محمد بدوى



بعض الباحثين والمفكرين الذين اشتركوا فى ندوة « العمالة الأجنبية فى اقطار الخليج العربى » التى عقدت مؤخراً فى الكويت .

٧٠ باحثا ومفكرا

يناقشون قضايا العمالة والتخطيط في أقطار الخليج العربي

بقلم : الدكتور أحمد محمد حسين نعمة

بدعوة من المعهد العربى للتخطيط بالكويت ومركز دراسات الوحدة العربية فى بيروت ، انعقدت فى الكويت ندوة على درجة كبيرة من الاهمية من ١٥ الى ١٨ يناير ١٩٨٣ موضوعها « العمالة الأجنبية فى اقطار الخليج العربى » . وقد قدمت فى الندوة أربع عشرة دراسة تم التعقيب عليها بخمسة وثلاثين تعقيباً . وقد شارك فى هذه الندوة سبعون باحثاً ومفكراً ومختصاً فى قضايا العمالة والتخطيط والتنمية فى أقطار الخليج العربى من بينهم د . اسماعيل سراج الدين الخبير فى الاقتصاد السياسى وديناميكية السكان من جامعة « جونز هوبكنز » فى الولايات المتحدة و د . جورج قصيفى من الأمم المتحدة ـ اللجنة الاقتصادية لغربى آسيا ، د . روبرت مابرو مدير معهد أكسفورد لدراسات الطاقة . د . رياض طبارة ممثل برنامج الأمم المتحدة للتنمية ، فيصل مدوه من مجلس التعاون لدول الخليج ، د . عبد الفتاح ناصف مستشار معهد التخطيط القومى فى مصر ، الأستاذ علي العوني رئيس قسم تخطيط القوى العاملة بمنظمة العمل العربية ، الأستاذ محمد شريف داود الأمين العام المساعد بالاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب ، د . نعيم أحمد الشربينى من البنك الدولى للانشاء والتعمير بواشنطن و د . عبد المؤمن محمد العلبى خبير المعلومات والحسابات القومية بالصندوق العربى للانماء الاقتصادى والاجتماعى .

وتكتسب الندوة أهمية خاصة لتناولها الشامل لمختلف القضايا والمشاكل الناجمة عن تزايد الاعتماد على العمالة الاجنبية فى دول الخليج العربى وبالتالى تواجد جاليات أجنبية كبيرة فى قوة العمل والسكان تصل فى بعض المناطق الى اغلبية ، مما يثير المخاوف على عروبة هذه المناطق . وترتب على وجود هذه الجاليات الأجنبية بسبب سماتها الاجتماعية والاقتصادية الخاصة ، مشكلات اجتماعية واقتصادية وربما سياسية ايضاً . وتدل مؤشرات السنوات الأخيرة على تزايد نسبة الأجانب فى قوة العمل والسكان على حساب انخفاض نسبة العرب الوافدين الى هناك ، كما ظهر وتأكد شكل جديد لتنظيم العمالة الأجنبية على صورة مجمعات عمل سواء فى إقامة مشروعات الانشاءات



وصل عدد المشتركين فى الندوة إلى سبعين باحثا ومختصا فى قضايا العمالة والتخطيط والتنمية

الضخمة والمجمعات الصناعية وتسييرها . كل هذه الأمور تثير إشكاليات تتعلق بمدى التآلف الاجتماعى والاستقرار السياسى واحتمالات التنمية ببلدان الخليج العربى ، مما يوجب دراستها بعمق من منظور قومى عام .

ثلاثة محـــاور

وقد ارتكزت الندوة حسب المخطط المعد لها على ثلاثة محاور : المحور الأول عن توصيف الظاهرة واشتمل على ثلاثة بحوث. البحث الأول بعنوان «حجم وتركيب قوة العمل والسكان فى أقطار الخليج العربى» وهو دراسة للتغير فى حجم وتركيب قوة العمل والسكان خلال عقد السبعينات (خاصة منذ ١٩٧٥) مع بيان أهم خصائص قوة العمل والسكان طبقاً للسن والنوع وتقسيم السكان وقوة العمل طبقاً للجنسية الى مواطنين عرب وافدين ، واجانب مقسمين الى ايرانيين ، مواطنى الهند وباكستان ، وشرق آسيا ، وأوروبا وأمريكا وجنسيات أخرى ، وتصنيف قوة العمل حسب قطاعات النشاط الاقتصادى والاجتماعى (الادارة الحكومية ، القطاع العام ، القطاع الخاص والمشترك وقطاع الخدمات الشخصية والعائلية ، والمهن، والجنسية .

والبحث الثانى عن تنظيم استخدام العمالة الأجنبية فى أقطار الخليج العربى وهو حصر وتحليل للسياسات والقواعد القانونية وللقرارات الوزارية والادارية المنظمة لدخول وإقامة الوافدين من الاجانب الى دول الاستخدام سواء للعمل أو الالتحاق بعائليهم ، والتصريح لهم بالعمل وتنظيم استخدامهم ، وتحليل توجهاتها . مع التعرف على الممارسات الفعلية بهذا الشأن ومدى الالتزام بالقواعد الموضوعية وبيان الفرق بين معاملة الأجانب ومعاملة العرب الوافدين إن وجد .

أما البحث الثالث ففى ظروف عمل ومعيشة العمال الأجانب وهو دراسة للظروف الخاصة بمعيشة العمال الأجانب من الجنسيات المختلفة وعلى الأخص فيما يتعلق بالأجر وبظروف العمل والسكن والمستوى المعيشى عامة ومدى تمتعهم بالخدمات التى توفرها الدولة لمواطنيها ، ونوعية الخدمات التعليمية والصحية التى تتوفر لهم ومدى اعتمادهم على الجهود الذاتية أو جهود دولة المقر أو دولة المصدر فى توفيرها . كما تتناول الدراسة مدى التحاق الأسر بعائليها واستقرارهم الأسرى ومدى اختلاطهم بباقى المجتمع .

الأسباب والآثار

وبالنســـبة للمحور الثــانى للنـدوة والمتعلق بالأسباب والآثار فيشتمل على سبعة بحوث ، البحثان الأول والثـــانى متصلان وقد وضعا عن أسباب انتشار استخدام العمالة الأجنبية (الأسيوية) فى أقطار الخليج العربى ومدى الحاجـة إليها : تحليل للظروف التاريخيـــة والاجتماعية والاقتصادية والسياســـية والتنظيمية التى أدت إلى تدفق العمــالة الأجنبية الى أقطار الخليج العربى خاصة فى الفترة التالية لعام ١٩٧٣ ، وتتنـــاول الدراسة على وجه التحديد التواجـــد التاريخي للعمالة الأجنبية فى بعض مناطق الخليج العربى ، ومناقشة مدى تفضيل القطاع الخاص للعمالة الأجنبية والعوامل المؤثرة فى ذلك ، ودور وكالات توريد العمالة الآسيوية ، ومدى كفاءة سوق العمالة العربية .

البحث الثالث يعالج آثار العمالة الأجنبية على الأسرة العربية وبالتحديد التاثيرات الاجتماعية للمربية الأجنبية على الأسرة فى المجتمعات الخليجية : تحليل تفصيلى لطبيعة الآثار المترتبة على الاعتماد المتزايد على العمالة الأجنبية فى مجال الخدمات الشخصية (خاصة الاعتماد على المربيات الأجنبيات) ، فى مجال تربية النشء حيث يمكن أن تؤثر على نوعية القيم والعـــادات التى يكتسبونها إلى جانب التاثير على اللغة .

البحث الرابع يناقش آثار العمـــالة الأجنبية على التآلف الاجتماعى ويهدف إلى التعرف على طبيعة المشكلات الأجنبية التى تنشأ عن وجود كتل بشرية تختلف عاداتها ولغاتها وظروف معيشتها وآمالها وقيمها ، ولا تتفاعل فيما بينها ، خاصة من حيث تاثيرها مع تطور اقطار الخليج العربى ومدى تنافس الجماعات الواحدة فيما بينها واحتمال تفجر نزاعات

عرقية بين الكتل البشرية المختلفة .

البحث الخامس :يتطرق لآثار العمالة الأجنبية على الثقافة العربية حيث يهدف إلى استكشاف الاخطار التى تتعرض لها الثقافة العربية ونوعية القيم الجديدة التى تفرزها ظاهرة العمالة الأجنبية عن طريق دراسة مدى تلوين الثقافة العربية واسلوب الحياة العربية بأساليب حياة وثقافات اخرى . ويهتم فى ذلك بالتاثير على اللغة العربية وتاثير العلاقة غير المتساوية بين مختلف الكتل البشرية على اسلوب الحياة خاصة فى العمل والتكسب لدى المواطنين .

إن ما يحدث فى الخليج حسب راى الدكتور حيدر ابراهيم يعكس ازمة الثقافة العربية ومازق الأمة العربية حيث ان اللغة المستعملة فى حالة دفاع فى مناطق الخليج العربى ، فهى تزخر بعدد وافر من المفردات والمصطلحات الهندية والايرانية والانجليزية ، كما يلاحظ بوضوح أن الاستعمال السائد للمصطلحات والكلمات المرتبطة بالآلات والادوات والصناعة هو استعمال الكلمات الأجنبية وهى مدلولات لموضوعات حديثة وكان اللغة العربية غير قادرة على توليد مصطلحات الحضارة الحديثة مما قد يرجح الراى القائل بلفظية اللغة العربية وانها تميل إلى التجريد والأفكار والخواطر ولا تصنع الأشياء .

إن خطورة وجود العمالة الأجنبية فى المنطقة تاتى من أن ثقافة الآسيويين المتنوعة قد تتسبب فى اضعاف الهوية العربية ، وتفتح الباب أمام الاستعمار الغربى والصهيونى الذى لن يجد مقاومة فى ظل انعدام ثقافة عربية جادة ومتاصلة وفى حجم التحدى الحضارى للأمة العربية كما أنه ليس بامكان العمالة الآسيوية التاثير على الثقافة والهوية العربية لو انها كانت فى قدرتها الحقيقة ، كان باستطاعتها تذويب هذه العناصر ، أو على الأقل أن توقف تغلغلها داخل اللغة العربية .

ان الأمن الثقافي لا يقل أهمية عن أى أمن آخر ، وهذا لن يتم إلا من خلال نهوض للثقافة العربية يهدف إلى تحقيق ثقافة عربية حيث تستلهم التراث وتستوعب التغييرات الجارية فى العالم حولها . كما لابد أن تكون ثقافة شاملة



المشاركون فى الندوة أثناء مناقشة تنظيم استخدام العمالة الاجنبية فى الخليج العربى



خلال الاستماع الى أحد البحوث التى تهتم بتقييم آثار العمالة الأجنبية على عملية التنمية فى أقطار الخليج

ومتطورة بمعنى أن تصل الى كل المجتمع من خلال مجانية التعليم ومحو الأمية وانتشار وسائل الثقافة وتغيير محتوى التعليم وربطه بالمجتمع .

البحث السادس يهدف الى استكشاف التأثير المحتمل لهذه الهجرة الأجنبية الواسعة واحتمالات استقرار بعض فئات السكان الأجانب فى المنطقة على الأوضاع السياسية لدول الخليج العربى وعلى مواقفها السياسية من بعض القضايا خاصة الوحدة العربية .

البحث السابع يعني بتقييم آثار العمالة الأجنبية على عملية التنمية فى أقطار الخليج العربى من منظور شامل وعلى وجه الخصوص بالنسبة للتكامل العربى . كما يركز على آثار العمالة الأجنبية على امكانيات تنمية القوى البشرية المواطنة مع التركيز على اخلاقية العمل ، انتاجية العمل وتدريب وتعليم المواطنين .

حل المشكلة

أما المحور الثالث للندوة المتعلق بحل



كانت فعالية هذه الندوة بالغة الأهمية .. وهنا عبد الله محمد علي
يلقي كلمته ، وإلى جانبه جاسم القطامي والدكتور خير الدين حسيب

المشكلة فيشتمل على اربعة ابحاث .

البحث الأول : يدور حول العمالة الأجنبية وانماط التنمية الاقتصادية فى اقطار الخليج العربى،وهو محاولة للتعرف على العلاقة بين معدلات نمو النشاط الاجتماعى والاقتصادى المختلفة ومعدلات الهجرة الى الدول العربية فى الخليج ، وخاصة من قوة العمل الأجنبية والسكان الأجانب ، وتحديد ما هى المعدلات الأنسب للنمو سواء من وجهة النظر القطرية أو القومية .

وعلى وجه الخصوص يتطلع البحث إلى دراسة مدى ضرورة الحجم من قوة العمل الأجنبية لمستوى النشاط الاجتماعى ـ الاقتصادى السائد بالفعل،مع التركيز على بعض قطاعات العمالة مثل الادارة الحكومية والخدمات الشخصية والعائلية ومدى امكان الحد من هذه الهجرة الأجنبية عن طريق تعظيم الكفاية الانتاجية والحد من البطالة المقنعة واختيار الفن الانتاجي وتبنى انماط حياة متوافقة مع هذا الهدف .

البحث الثانى من المحور الثالث يهدف لتحديد مدى وجود سياسات سكانية وسياسات عمالية واضحة ومحددة ، تاخذ فى الاعتبار التاثيرات المحتملة لهذه السياسات على التنمية الشاملة ، وتقييم البعد القومى لهذه السياسات خاصة فيما يتصل باستخدام العمال الأجانب . كما ويهدف البحث إلى محاولة التعرف على ماهية السياسات السكانية وسياسات العمالة الأصلح بالنسبة لهذه الأقطار من منظور تنموى قومى شامل . ان المطلوب فى هذا المجال هو رسم سياسات لاصلاح التركيبة السكانية وترشيد استخدام العمالة الوافدة ، والتقليل من الأجنبية منها ، ترتبط عضوياً بمشروع مخطط لتنمية المجتمعات الخليجية ويقوم على تنمية القوى البشرية المواطنة والعربية .

اما البحث الثالث فيدور حول التعاون العربى للحد من العمالة الأجنبية حيث يناقش قدرة البلاد العربية المصدرة للعمالة على توفير العمالة العربية المطلوبة لدول الخليج بالمهارات والأنواع اللازمة ، وتقييم القدرات التصديرية لدول المنشا وامكانات رفع كفاءة القوى العاملة بها وتنمية مواردها البشرية وزيادة مستوى المهارات لديهم واليات تنظيم انتقال قوة العمل بين البلدان العربية . ويهدف البحث أيضاً إلى استكشاف ضرورات ومجالات التعاون العربية بهدف الحد من العمالة الأجنبية ببلدان الخليج العربى وافضل الطرق لتحقيقه .

اما البحث الأخير من المحور الثالث فيتعلق بتجربة العراق فى العمالة الوافدة الأجنبية ومدى علاقة ذلك باستخدام العمالة العربية ولأى حد تتفق ظروف وشروط ذلك مع ما هو مطبق فى بقية اقطار الخليج العربى .

خلاصة الدراسات

وقد أسفرت دراسات الندوة ومناقشاتها كما جاء فى تلخيص عام للندوة للدكتور نادر فرجانى عن حقائق ثلاث جوهرية .

الأولى : أن العمالة الأجنبية فى بلدان الخليج العربى ظاهرة مركبة تمتد جذورها أسباباً وآثاراً ، الى كافة أبعاد هذه المجتمعات . فالعمالة الأجنبية لا توجد فى فراغ ، وإنما نشات فى رحم الاقتصاد السياسى للمنطقة فى تمفصله الداخلى وعلاقاته العربية وارتباطاته الدولية . كما انها ما فتئت تؤثر فى الوضعية الاقتصادية والسياسية لأقطار الخليج العربى وتتاثر بها فى تفاعل جدلى مما يكاد ينشىء للعمالة الأجنبية آلية مجتمعية تلقائية .

الثانية : أن التلاحم الوثيق لمشكلة العمالة الأجنبية مع النسيج الاجتماعى الاقتصادى لبلدان الخليج العربى يرجع حلها النهائى الى الاطار الشامل نفسه . ولكن توجد على الطريق الى هذا الحل علامات كثيرة ربما كان أولها فى المجال الفكرى هو التعرف الدقيق على أبعاد المشكلة باسلوب علمى رصين ونشر الوعى الجاد بها من منطلق الالتزام بالتقدم والوحدة فى الوطن العربى .

الثالثة : إن معرفتنا بظاهرة العمالة الأجنبية فى كليتها قاصرة عن متطلبات العمل الفكرى اللازم لمجابهتها . ويعود هذا الى عدم توافر الاحصاءات عن النواحى المختلفة لقوة العمل والسكان وارتباطاتها الاجتماعية والاقتصادية من ناحية ، والى قرب الغياب التام للبحث الميدانى المضبوط فى نواحى الظاهرة التى لا تغطيها عادة بيانات الأجهزة الاحصائية .

د . أحمد محمد حسين نعمة

أولوية تشغيل العمال العرب في العالم العربي

بقلم: د. محمد شتا أبو سعد

لكم تمنيت مذ طالعت دراسات ومقالات «الدوحة» الغراء، أن أكتب فى هذا الموضوع الحيوى، ولكنى كنت أحجم دائماً، لما أعلمه من أن مجال هذا الموضوع الهام، هو الدراسات التى تستوعبها المجلات المتخصصة، وبقى ركام الأفكار يلح على خاطرى كثيراً، فالمجلات المتخصصة قل ان تقرأ وهذا موضوع حيوي لا يجوز ارجاؤه. وعقدت العزم فمنبر الدوحة عريق وعميق الى أبعد حد، وأنا بدورى أحور الفكر ليتسق مع الغاية من النشر.

ونقطة البداية فى فلسفة أولوية تشغيل العمال العرب فى العالم العربى، تكمن ليس فقط فى الاعتبارات الانسانية والمصلحية المجردة، بل أيضاً، وفى المقام الأول، فى أثر العمل العربى على العامل العربى.

بيان ذلك أن فرصة العمل التى تمنح للعامل العربى، تتيح له خبرات عملية بالغة الدقة، وإذا وقفنا عند العمل اليدوى وشبه الفنى، وهو المقصود هنا، لوجدنا أن طالب العمل، بفضل فرصة العمل، يحتك احتكاكاً مباشراً مع كافة الأجهزة المختصة فى بلده، فينتقل عبر تراب بلده الوطنى أميالا عـــديدة، من أجل الحصول على ترخيص عمل، وتوثيق أوراق، ودخول سفارات، وطرق أبواب والعائد غير المرئى الهام هنا، هو تلك الخبرة العظيمة التى يكتسبها طالب العمل، فتنعكس على فكره، وأسلوب تفكيره، وطموحه، واحساسه العام بالمشكلات الصغرى، التى لم تكن لتدخل فى حسبانه على الاطلاق، لو استنام الى هدوء العيش، واستراح من الطموح.

وبعد ذلك تأتى خبرة السفر، وهى خبرة بالغة الأهمية، قد تعكسها عبارات كبار الدارسين لطبائع السلوك الانسانى، من أن الطائرات بين البلدان العربية، تتحول فى مواسم السفر للعمل والعودة، الى ما يشبه «المصاطب»ولست أعبا من هذا التعبير بغير الاختلاط والتدخل البشرى الوجدانى والفكرى الذى تتيحه هـــذه الفرصة، ثم ما تستلزمه من اتصال بشركات الطيران، وهو اتصال كانت تحوطه السمة الأرستقراطية قبل وجود فرص العمل العربية، وصار بعد ذلك أمراً سهلا وهينا بالنسبة لطالب العمل.

وأكثر من هذا، وأخطر، تلك الخبرة الشخصية، التى يجتازها، طالب العمل، عندما يبدأ يجرى سلسلة التوقعات، وهى العملية الذهنية، بالغة التعقيد، والتى تتيح له، فرصة التصور والتخيل، لما ستكون على أرض الوطن الجديد، وناس هذا الوطن، ومعاملاتهم، وتعاملهم، ومدى نجاحه فىالتكيف معهم، وقدرته على إرضائهم ... وتلك سلسلة رهيبة من التوقعات تحتاج الى تفكير وإنعام نظر، وتبصر، وما يقتضيه كل ذلك من عقد العزم على الاجتهاد فى العمل.

وإذا اختزلنا المراحل اللاحقة ونفذنا مباشرة الى العائد الأساسى من عمل العربى فى الوطن العربى، والذى يشكل جوهر الفكرة، لوجدنا أنه ليس المقابل المادى وحده، بل الاندماج والامتزاج العربى، بما ينطوى عليه ذلك من التأثير الحضارى المتبادل أو المزدوج. وإذا كان للانسان أن يتصور خطورة هذا الأثر، فله أن يتصور ما كنا نتلقفه على لسان رجال الأسفار والترحال من قصص، ثم مقارنة ذلك بما يحدث الآن، فى عشرات الأماكن، داخل القرية الواحدة، فى مصر، على سبيل المثال.

إنك تسمع أن هذا يعمل فى صعدة فى اليمن وتسمع البلدة تحديداً، وذلك يعمل فى خميس مشيط فى المملكة العربية السعودية، بينما يعمل ثالث فى الدوحة ورابع فى العين، وخامس فى الأحمدى وسادس فى الأنبار بالعراق، وسابع فى بيروت رغم الحرب والحصار والصراع، وثامن فى حلب، وتاسع فى وجدة بالمغرب وعاشر فى غريان بليبيا، ثم هذا يعمل فى أم درمان بالسودان وذاك يعمل فى مقديشيو ثم هؤلاء يعملون فى عمان أو عمان، أو يجوزون تونس فى طريقهم الى الجزائر.

إنه شىء غريب حقاً أن تسمع فى بلدة واحدة قصص كل هذه البلاد وغيرها، وإذا كان لكل عامل قصة، فان لكل عامل خبرة أيضاً، وهذا هو بيت القصيد.

ولذلك فاننى أعتقد أن تشغيل العمال العرب لدى العرب أنفسهم هو أعظم نشر جديد لرسالة الأخوة، التى تحاول الحكومات العربية الآن، باخلاص، أن

والخبرة ، والحماية ، ووزن العلاقة بين العمل والأجر ، والوقوف على الأعراف والعادات ، والتعاضد والتآزر الجماعى ، كل ذلك يعنى المرور بالمرحلة الصعبة ، بغية الوصول الى بر الأمان ، أى الى بر المستقبل المؤهل (فى المفاهيم المتقدمة يمكن مراجعة د. فتحى عبد الرحيم عبد الله ، مبـــادىء قانون العمـــل والتامينات الاجتماعية ـ دراسة مقارنة ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى من ص ١٥ حتى ٣٠٤) .

عمل عربى كبير

وبالجملة ، فنحن الآن كعرب ، لا تقتلنا شعوبية ، ولا تفرق بيننا مسافات ولا حواجز ، سوى خنجر إسرائيل ، يجب أن نبذل جهوداً كثيرة لرسم معالم طريق العمل العربى ، الذى يبدأ على التراب العربى ، بالساعد العربى ، من أجل كل عربى ، فنحن إذن فى حاجة الى عمل عظيم ، ومع أننى لا أقصد هنا العمل الأدبى ، إلا أننى أستعين بالعبارة العامة المجردة التى وردت فى مقال الدكتور محمد جابر الانصارى فى العدد ٨٥ من الدوحة ، ص ١٢ ومساقه «إن أى عمل عظيم لا يمكن أن يكون مجرد استمرار لما سبقه ، لأنه فى هذه الحالة تقليد غير مبدع ، كما أنه لا يمكنه أن يكون مجرد نقض خالص ، لأنه فى هذه الحالة تمرد اعتباطى ينقض الجيد والردىء فى وقت واحد ، فيصبح من عناصر الهدم دون بناء» . فعلا نحن فى حاجة الى عمل عربى كبير من أجل أولوية العربى فى العمل العربى ، لكن دون أن يكون ذلك على حساب صناعة المستقبل ، بالخبرة الأجدر ، وهنا يقع على عاتقنا دور هام فى تلقى الخبرة ، واستيعابها لاعادة بعثها من جديد ، فى ثوب عربى قشيب .

وفى النهاية ، فلست أجد ما أختم به هذه المقدمة سوى كلمة للاستاذ عبد الله الجفرى فى مقاله عن الحقيقة ليست «حر ملك» فى نفس عدد الدوحة سابق الذكر ص ١٦ «فى يقظة النهار .. يشمخ الآدمى بمقدرته على الحركة ، والتنقل ، وقرع المصالح ، والاستفادة من نتائج البشر عندما يفكرون أن هذه حياة يلتزم فيها الواحد بنبضه ، وببصره ، وبشرايينه ، ولابأس أن يموت معنوياً ، أو يموت خلقياً ، أو يموت بالسكتة ... فهو قد حاول أن يحيا للغد» ولقد حاولت فى هذه الكلمة أن أحاول الحياة للغد .

د. محمد شتا أبو سعد



● فتح المجال أمام الطاقات الخلاقة :

وليس المقصود طبعاً بالطريق الفردى ، بل المقصود هو أن العمل العربى الذى يتيح فرصة العمل أمام العربى ، سيفتح باب الحوار فى مجال العمل ، أمام العمال ، لخلق أسس فكرية تيسر القيام بعمل يحقق الطموح .

● تجسيد الارتباط العضوى بين البلدان العربية :

ولنا أن نستشهد هنا بكلمات الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن فى العدد ٨٥ من الدوحة ص ٣٤ عن مثل هذا الذى نعنيه بيقين حين قال إن «الشوام» قد لعبوا دوراً بارزاً فى تاريخ مصر فى العصر العثمانى ، كما لعب المصريون مثل هذا الدور فى تاريخ بلاد الشام» ولكن الفارق فيما أقصد ، هو أن الدور فيما نحن بصدده ، يدور فى فلك البنيان الحضارى العام ، لا مجرد التأثير السياسى أو الحضارى الخاص .

● تأكيد الثقة الايمانية لدى العوام :

ولست أخرج على الموضوع إذا سردت هنا قصة ذات مغزى ، أقتطف منها ما قاله ، كتابى ، صديق حميم ، لمسلم ، قريب منى جداً ، «لنا المال ، وفينا الجمال .. يا حاج» فقال له «ولنا الله .... ثم تلى قوله تعالى «ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب» . وهذا مثال ، والمعانى الأخرى الكثيرة مفهومة ، إنما يهمنى أساسها ، وهو أن الله سبحانه وتعالى لا يترك مؤمناً مهما ابتلاه بالفقر والمرض ، ولنا إذن كعرب أن نجعل أولوية العمل لدى العرب للعرب .

● التأهيل للمستقبل :

فتلمذة اليوم ، والتدريب ، واستقرار العلاقات ، وفهم الأصول ، والتكافل ،

توثق عراها .

وإذا كان اليوم لا يولد إلا من رحم الغد ، وكان غدنا العربى واحداً ، بمشيئة الله ، فان التمازج العربى يصبح أمراً لا مفر منه ، ومن هنا فان أولوية تشغيل العمال العرب فى العالم العربى ستحقق المعانى الكبرى الآتية :

● التراحم العربى :

وهذا مطلب عظيم ، ينبغى أن يؤخذ فى الحسبان الآن ، ذلك أن أية علاقة عمل ، تنطوى على نوع من التعاطف ، حب العامل للعامل ، وحب العامل للآلة ، وحب العامل لصاحب العمل ، هذا اذا استثنينا العلاقات الشاذة ، ومحصلة كل ذلك ، هى مولد تراحم عربى ، نحن أحوج ما نكون اليه لتحقيق المعنى الثانى الهام .

● خلق أسس حضارة عربية مشتركة :

إننى لا أتجاوز الحقيقة اذا استخلصت أن ما يجرى فى العالم العربى الآن هو مخاض حضارة عربية كبرى ، لن يخيب أمل المسلمين فيها ، فايدى العمال العرب التى تتدرب هى درع كبير وهام ، فى مواجهة الهجمة الصهيونية الرهيبة ، التى لازال البعض لا يعي مخاطرها ، وهى هجمة قد لا تدع ، للعالم العربى ، دوراً حضارياً يلعبه أو يبنى معالمه ، ما لم تتجه كل الأنظار لعمل عربى حضارى كبير .

وفى هذا الصدد يثور السؤال عن مدى امكانية فرض ضريبةحضارة على كل عامل عربى ،تخصص لعمل حضارى عربى علمى كبير ، ولست أريد التطرق للتفاصيل ، لأن المقصد واضح ، فلتكن الفكرة فى قلب كل منا ، ولتحدث اتصالات ، ثم لتكن النتيجة ما تكون بعد ذلك .

من هم المستفيدون من التشكيك في القرآن والسُّنّة؟

بقلم : عبد القادر بن محمد العمّاري

● افتراءات المبشرين تبعث من قبورها ، ورياح الاستشراق تهب من جديد على الأرض الإسلامية تحت مظلة حرية الرأي !

● القواعد التي وضعها أسلافنا في علم مصطلح الحديث ونقد الأخبار هي الميزان الدقيق للتمييز بين الصادق والكاذب

نشر الكاتب حسين احمد امين مقالين فى مجلة الدوحة بالعدد رقم ٨٥ ربيع الأول ١٤٠٣ هـ يناير ١٩٨٣ م . بعنوان « تاملات فى حقيقة أمر ابى لهب يهوذا بنى هاشم » والثانى بعنوان « استنكار البدعة وكراهية الجديد موقف إسلامي ام جاهلى ؟ » وكلا المقالين يتضمن التشكيك فى القرآن والسنة . وقد مهد الكاتب لهذين المقالين بمقال سابق نشر بمجلة الدوحة بالعدد ٨٤ صفر ١٤٠٣ هـ . ديسمبر ١٩٨٢ م . بعنوان « رسالة فى الاصلاح الدينى » بين فيه منهجه وما يهدف من الكتابة فى الدين ، ويقول إن الهدم احيانا يفوق البناء فى القيمة ، وإن التشكيك له ما للايمان من اهمية ويعترف بانه سيسلك فى منهجه فى الكتابة طريق المراوغة والمخادعة والتستر احيانا والظهور احيانا اخرى لأن الضرورة تقتضى ذلك . وقال عن نفسه إنه مصلح دينى وإن شعاره متى اضرت النوافل بالفرائض لزم رفضها وان المرء اذا أراد العدل الأكبر فلا باس ببعض الظلم ولكن الله الذى يعلم المفسد من المصلح جعله لا يستطيع أن يخفي الزيف عن طريق المراوغة والمخادعة ويضلل القراء وافشل دعواه فى زعم الاصلاح الدينى فكانت اخطاؤه ظاهرة للعيان وزيفه يميزه ابسط القراء ثقافة .

بدأ الكاتب بالتشكيك فى سبب نزول سورة « المسد » ورأى انها ليست من السور المكية . وقال انما نزلت فى الغالب بعد وفاة أبى لهب ولم يستند فيما رآه إلى اى حجة بل مجرد تخرصات وتوهمات نعترف انه لم يسبق إليها . واتهم المفسرين باختلاق واختراع أسباب النزول مع أن سبب النزول فى هذه السورة ثابت فى صحيح البخارى ومسلم وبقية الصحاح والسير وليس هناك خلاف بين احد من المحدثين ولا من أصحاب السير ولا المؤرخين ولا المفسرين فى هذه القضية وأجمع المسلمون من لدن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليوم ان السورة مكية ، وانها نزلت فى بدء الدعوة ، وانه قد خص ابا لهب وزوجته ام جميل بهذه السورة لشدة عداوتهما للرسول صلى الله عليه وسلم وللدعوة . فما الهدف من أن ياتى احد فى هذا الزمن ويقول غير ذلك !؟ إذ لا سبيل الى معرفة أسباب النزول إلا بالنقل الصحيح ، ولا سبيل الى معرفة المكى والمدنى إلا بما ورد عن الصحابة ، لأن هذه اخبار ليس للاجتهاد فيها مجال . واذا كانت هناك ضوابط لمعرفة المكى والمدنى إنما

هذا كان بالتتبع والتقصي . فمثلا قالوا كل سورة فيها « كلا » فهى مكية وكل سورة فيها « يا ايها الذين امنوا » فهى مدنية . وغالب سور المفصل مكية . وقال العلماء إنه لا يحل القول فى أسباب النزول الا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وهم الصحابة . والاجتهاد فى ترجيح الروايات فقط عند تعددها . وقد ثبت سبب نزول هذه السورة فى الصحاح فقد اخرج البخارى باسناده عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج الى البطحاء فصعد الجبل فنادى : يا صباحاه. فاجتمعت اليه قريش . فقال ارايتم ان حدثتكم ان العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم مصدقى ؟ قالوا : نعم . قال : فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد . فقال أبو لهب : ألهذا جمعتنا ؟ تبا لك . فانزل الله (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) وفى رواية : فقام فنفض يديه وهو يقول تبا لك سائر اليوم . واستشهد الكاتب على رأيه بما ورد فى طبقات ابن سعد وقال إن هذا أقوى دليل عنده لأنه ثقة وما استشهد به هو ما جاء فى الكتاب المذكور من أن ابا لهب خلف ابا طالب فى زعامة قريش وانه حمى النبى فمكث أياما لم يعترضه احد من قريش خوفا من أبى لهب . وقال إنه لا يمكن تصور هذه الحادثة ان كانت سورة المسد قد نزلت فى مستهل الدعوة وقد فضل الكاتب رواية ابن سعد وجعلها أقوى الأدلة من اجل أن يدعم رأيه مع انها من اضعف الأدلة فى هذا الشأن أمام كتب الحديث والسير الأخرى . وقد وصف الكاتب ابن سعد بانه ثقة ولا يريد أن يمنح هذه الصفه لمن شهد لهم جميع المسلمين ووصفوهم بالثقات ووصفوا كتبهم باصح الكتب بعد كتاب الله كالبخارى ومسلم وأصحاب السنن ، وترك روايات أصحاب السير الأخرى كابن اسحاق وبالبتيه وقد اختار رواية ابن سعد لم يحرفها ولم يبترها ولم يفعل بها كالذى كان يقرأ « ولا تقربوا الصلاة وانتم سكارى » عندما سكت عند « ولا تقربوا الصلاة » وترك « وانتم سكارى » . فرواية ابن سعد تقول فى آخرها غير ما ذكره الكاتب ولا تؤدى الى ما فهمه ولو سايرناه على فهمه فكلها عدة أيام التى زعم أن أبا لهب حمى الرسول فيها . والكاتب جعل الأيام هذه عاماً أو بعض عام . وعلى كل فاذا اراد القارىء أن يتأكد من مدى أمانة الكاتب العلمية فليرجع الى طبقات ابن سعد صفحة (٢١١) . والكاتب عندما يتجاهل السبب الصحيح الثابت ويتمسك بالأوهام والتخرصات ويضع تساؤلا عن سبب آخر إنما يريد أن يخلص الى الطعن فى القرآن بالبهتان وبالتعلق بخيوط هى أوهى من بيت العنكبوت .

افتراء على الصحابة

يقـــول الكاتب « صحيح اننـــا نعلم أن الصحابى عبـــد الله بن مسعود وكان يعتبر نفســـه احـــد الثقات الكبار فى القرآن ذهب الى ان نسخة القرآن التى اقرها الخليفة عثمان بن عفان غير كاملة واتهم زيد بن ثابت واصحابه ممن جمعوا القرآن باستبعاد آيات تلعن الأمويين . غير أن الاتهام غير مقبول . فقد كان علي بن أبى طالب والكثيرين غيره من الصحابة احياء وقت قيام زيد بمهمته ولم نسمع احداً منهم أيد زعم ابن مسعود واحتج على استبعاد آيات » .

فالكاتب يريد هنا أن يوحى للقارىء بان الصحابة قد وضعوا وحذفوا بعض الآيات تبعاً لآرائهم السياسية وافترى على ابن مسعود انه اتهم زيد بن ثابت واصحابه الذين اشتركوا فى جمع القرآن بانهم استبعدوا آيات تلعن الأمويين مع انه لم يقل احد من المسلمين فضلا عن ابن مسعود ان هناك آيات من القرآن تلعن بنى أميه استبعدت منه ولكن الكاتب كما هو واضح يريد أن يشكك فى القرآن بالدس والافتراء . وهذا القول الذى نقله الكاتب عن ابن مسعود لا يوجد فى اى مرجع من مراجع المسلمين . وما قاله الكاتب ينتظر أن يقوله بعض الشيعة لا ابن مسعود مع أن ائمة الشيعة انفسهم انكروا ما قيل عن بعضهم إنهم ادعوا نقصاً أو زيادة فى القرآن ، اذ كيف يتسنى لهم ذلك وقد جمع المصحف على مرأى ومسمع من علي بن أبى طالب رضي الله عنه بل وباشرافه وموافقته واحضر ما جمعه هو الى عثمان وقال لو لم يصنع عثمان ذلك لصنعته أنا . وقد جاء فى كتاب أبى جعفر الأم من كتب الشيعة « ان اعتقادنا فى جملة القرآن الذى أوحى الله به تعالى إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم هو كل ما تحتويه دفتا المصحف المتداول بين الناس لا اكثر أما من ينسب الينا الاعتقاد من أن القرآن اكثر من هذا فهو كاذب » وقال ميرزا اسكندر كاظم :فالفرق الوحيد هو فى طريقة تقسيم السور وترقيمها وهذا الفرق ايضاً لا يوجد الا نظرياً عند العلماء لأن نسخهم فى الواقع لا تختلف عن نسخ أهل السنة فى شيء (انظر كتاب « مدخل الى القرآن الكريم » للدكتور محمد عبد الله دراز ، وكتاب « مناهل العرفان فى علوم القرآن » الجزء الأول ، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى) .

تفسير مادي للاسلام

والكاتب لم يلبث ان كشف أوراقه وبين ما يسعى اليه من نشر مذهبه المادى من خلال الكتابات المتصلة بالدين ، فهو يجرد الدعوة الاسلامية من علاقتها بالوحي ويفسر احداثها تفسيراً مادياً بحتاً فنراه يقول « لقد كان ابو لهب عم النبى وكان فى وقت من الأوقات على علاقة طيبة بابن اخيه بدليل القصة التى أوردها من كتاب الطبقـــات وبدليـــل ان ابنيه عتبة وعتيبة كانا متزوجين أو مخطوبين لابنتي النبى ، الأول لرقيه ، والثانى لأم كلثوم ، فما عسى أن يكون قد حدث بعد ذلك حتى أصبح أبو لهب من رؤوس الكفر من أعدى أعداء الرسول . ثم قال:كلمتان فى السورة عندى مفتاح الاجابة ماله وامراته » ثم اخذ يشرح كيفية انتقال المجتمعات من رعويه الى تجاريه وكيف تتكون الثروات ثم ما كان من صراع بين أصحاب الثروات الأكثر ثراء والأقل ثراء وما يفرضه الأثرياء من احتكار للتجارة وقيام جماعتين متنافستين هما جماعة حلف الفضول وجماعة الأحلاف التى تريد أن تفرض الاحتكار مما دعا الرسول الى ان يوجه بعض المسلمين الى الحبشه لكسر ذلك الاحتكار ويبحثوا عن طريق آخر للتجارة الى آخر ما جاءت به قريحة الكاتب من أوهام ووساوس الماديين الجدليين . فهو يرى أن محمداً صلى الله عليه وسلم وصحابته ما هم إلا طرف فى صراع طبقى ، ومن اجل أن يؤكد أن الدعوة الاسلامية لم تكن أساساً دعوة لعبادة الله

وحده لا شريك له وانما كانت فى أساسها نتيجة للصراع الاقتصادى حسب تفسير المذهب الشيوعى للأحداث . يقول الكاتب « إن قريشاً لم تكن كما يعتقد الكثيرون شديدة التمسك بالهتها ولا كانت الوثنية عندها عميقة الجذور وإنما استمرت عبادتها للأوثان من قبيل التقليد المحض لسنة اسلافها ونتيجة للافتقار حتى ظهور الاسلام إلى اية معارضة منظمة لهذه العبادة . ومما يدلنا على ذلك ما نعلمه من استخفاف الكثير منهم فى الجاهلية بهذه الآلهة ودعوة الحنفاء إلى عبادة إله واحد وتسفيههم لعقيدة قومهم دون ان يلحقهم أذى او اضطهاد . ثم ما نعلمه من ذلك التقبل السهل المذهل من قريش بعد فتح مكة لهدم اوثانها دون ان يصيبها شىء من لواعج الأسف او الحيرة او الانزعاج وإنما كانت معارضة قريش للنبى اساساً من مخاوف سياسية واقتصادية ، الخ .» وعلى نفس المنوال نسج الكاتب أوهــامه فى مقاله الثانى بعنوان « استنكار البدعة وكراهية الجديد موقف اسلامى ام جاهلى ؟ » . فهو يسعى إلى تقرير وتثبيت التفسير المادى للتاريخ ويرفض الوقائع الصحيحة المسلمة الثابتة نقلا وعقلا التى تثبت ان الدعوة الاسلامية إنما قامت اساساً لتوحيد الله وانكار ما يعبد سواه من آلهة واحجار واشجار التى درج العرب على عبادتها والالتجاء اليها من دون الله وان ما جعل المشركين يشتدون فى عداوتهم هو بسبب هذه الدعوة وتسفيه احلامهم لشدة تمسكهم بهذه الالهة والاصنام . واذا كانت دعوة الاسلام قد اشتملت على العدالة والمساواة وغير ذلك من قيم الخير والحق ، فان ما اشتد حولها الصراع بين المشركين والرسول هى دعوته إلى نبذ ما يدعونه من دون الله . ولا احد ينكر أن للعرب كانت فضائل يتمسكون بها . وقد كان الزنا امراً مستقبحاً عندهم ولذلك عندما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبايع النساء وفى صيغة البيعة « ولا يسرقن ولا يزنين » قالت له هند بنت عتبه أو تزنى الحرة ؟ . اما الخمر فقد كان مباحاً حتى فى الاسلام الى ان صدر الأمر بتحريمه فى المدينة لا فى مكة . ومع هذه الحقائق وعلى الرغم منها يقول الكاتب « وما كانت المعارضة القوية التى لقيها منهم ناشئة عن تسفيهه لعبادة الأوثان بقدر ما كانت نتيجة دعوته إياهم الى تبنى موقف من الحياة لا هو مالوف ولا مقبول فتعلقهم باصنامهم كان سطحياً وفى طريقه إلى الزوال غير انه جاء يدعوهم الى استهجان قيم ورثوها عن آبائهم واتى يكلمهم فيما لا يفهمون ولا يعرفون له اصلا ككبح الشهوات والتضحية بالمال والزهد فى الحياة الدنيا والقرآن الذى جاء به من عند ربه يحرم الخمر والزنا وهما ما كان الجاهليون يسمونهما بالاطيبين وهو يدعو الى اخوة ومساواة . الخ .

تزييف الوقائع

فهل راى احد تزييفا لوقائع الامور وحقائق التاريخ كهذا التزييف .فمن من الناس لا يعرف ان دعوة الاسلام انما بدات بالتوحيد ومحاربة عبادة الاصنام وان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمستضعفين من اصحابه انما لاقوا ما لاقوا من صنوف العذاب إنما كان بسبب ذلك وفى بدء الدعوة بمكة وان المشركين عرضوا عليه كل العروض ومنها الملك والمال على ان يترك الهتهم وما يعبدون من دون الله فلم يقبل . وان بلالا وسمية وياسر وعماراً كانوا يطلبون منهم ان يقولوا خيراً فى الهتهم فلا يوافقون فيشددون عليهم العذاب وبلال يتقلب فى الرمضاء وتحت السياط وهو يقول احد احد . الم يقرا فى كتب السير غضب قريش من محمد واصحابه على عيب الهتها وتسفيه احلامها ؟ الم يقرا حوارهم مع ابى طالب ؟ الم يرجع إلى طبقات ابن سعد الذى شهد له انه ثقة وقبل ثلاث صفحات فقط من الصفحة التى نقل منها قصته الآنفة الذكر ؟ اما قرا فيها قول ابى طالب عندما جاء بعض قريش اليه ، قال : يا ابن اخى هؤلاء ابناء عمومتك واشراف قومك وقد ارادوا أن ينصفوك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اسمع فقالوا : تدعنا والهتنا وندعك وإلهك . فقال ابو طالب قد انصفك القوم فاقبل منهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارايتم إن اعطيتكم هذه هل انتم معطيّ كلمة ان انتم تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم . فقال ابو جهل إن هذه الكلمة مربحة نعم وابيك لنقولنها وعشر امثالها . قال قولوا لا إله الا الله فاشمازوا ونفروا منها وغضبوا وقاموا وهم يقولون (اصبروا على آلهتكم ان هذا لشىء يراد) اما اجتمعت قريش عند الحجر وقالوا ما راينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط ؟ سفه احلامنا وضلل آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا وصبرنا منه على امر عظيم ؟ اما حاط المشركون برسول الله يريدون الفتك به وابو بكر ينكى دونه ويقول ويلكم تقتلون رجلا ان يقول ربى الله ؟ .

لاشك ان الكاتب بمسلكه هذا انما يفترض فى القراء الجهل الكامل بابسط الامور فى تاريخ الدعوة الاسلامية فيزودهم بمعلومات اخترعها على امل ان تمر عليهم. فكيف بعد هذا يصدق الكاتب فى قوله إن تعلق المشركين باصنامهم كان سطحياً وفى طريقه إلى الزوال . اى انه لا داعى لان يجهد الرسول نفسه فى دعوتهم إلى عبادة الله وحده . اليس ما يقوله الكاتب تجنيا على الواقع والحقائق ؟ كما تضمن هذا المقال تجاوزات على الحقيقة العلمية والمنطقية فيما يتعلق بالسنة النبوية واثار حولها غباراً مما اوجب علينا ان نبين الحق فى الأمر وان نبدد ذلك الغبار الذى اثاره امام اعين القراء وان كانت الحقيقة فى هذا الموضوع ظاهرة للعيان ولن تطمسها محاولات الكاتب الا ان قراء المجلة ليسوا كلهم على مستوى واحد من النظر والفهم فى هذه المواضيع واحيانا يكون هناك ضحايا كثيرون للزوبعة والتشويش وما اريد ان اقوله هنا هو الآتى :

وضع الكاتب سؤالا هو : هل استنكار البدعة وكراهية الجديد موقف إسلامي ام جاهلى ؟ وكنا نظن انه سيجيب على هذا السؤال جواباً يقرب من الصواب على الاقل ولكنه مع الأسف اجهد نفسه فى إيراد الأدلة وحشرها فى مقاله من غير ان يوفق الى الرد الصحيح على السؤال فاختلطت عليه الأمور ولم يحسن استخراج الجواب من الأدلة التى اوردها . وحتى لا اطيل فى الرد على السؤال واشتت ذهن القارىء ابادر الى الاجابة على السؤال الذى طرحه واقول ان استنكار البدعة فى العبادات موقف اسلامى وكراهية الجديد فى غيرها موقف غير إسلامى وهذا ما دلت عليه نصوص الشرع وما قاله العلماء فى كل عصر ومصر . قال الامام ابن القيم رحمه الله (ان الله سبحانه وتعالى لا يعبد الا بما شرعه على السنة رسله ، فان العبادات حق على عباده . وحقه الذى احقه هو

ورضى به وشرعه . واما غيرها فهو عفو حتى يحرمه ولهذا نعى الله سبحانه وتعالى على المشركين مخالفة هذين الاصلين ، وهو تحريم مالم يحرمه الله والتقرب اليه بما لم يشرعه) . وقال الامام الشاطبى : إن القاعدة المستمرة بين العلماء هى التفرقة بين العبادات وغيرها . فالأصل فى العبادات الا يقدم عليها المكلف الا باذن إذ لا مجال للعقول فى اختراع العبادات ، والأصل فى غيرها الاباحة الا ما دل الدليل على تحريمه . وقد اوقع الكاتب نفسه فى خطا شنيع عندما ذهب يلتمس تناقضاً بين الكتاب والسنه فقال (وقد امرنا الرسول الكريم ان نعرض ما ينسب اليه من احاديث على القران فما اتفق منها معه قبلناه وما خالفه منها ابينا الاخذ به . فهل يعقل بعد ما اوردناه من ايات على سبيل المثال لا الحصر ان يسلم احد بصحة احاديث تنسب إلى النبى ؟ واورد الكاتب ثلاثة احاديث توهم انها تعارض القران ، وهى « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم » . والثانى « وإياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » والثالث « سيكون فى اخر امتى اناس يحدثونكم مالم تسمعوا انتم ولا اباؤكم فاياكم واياهم » . والذى نعرفه ويقرره كل العلماء ان السنة الصحيحة لا تناقض القران أبداً . ففى كتاب الأحكام لابن حزم « ليس فى الحديث الذى صح شىء يخالف القرآن » وقال محمد بن عبد الله بن مسرة « الحديث ثلاثة اقسام فحديث موافق لما فى القران فالأخذ به فرض وحديث زائد على ما فى القران فهو مضاف إليه فالأخذ به فرض . وحديث مخالف لمافى القرآن فهو مطرح » وقال « لا سبيل الى وجود خبر صحيح مخالف لما فى القرآن اصلا . وكل خبر شريعة ، فهو اما مضاف الى ما فى القرآن ومعطوف عليه ومفسر لجملته واما مستثنى فيه مبين لجملته ولا سبيل لوجه ثالث » . وهذا الحديث الذى اشار إليه الكاتب بقوله أمرنا رسول الله ان نعرض ما ينسب اليه من احاديث على القرآن ، قال عنه اهل العلم المختصون إنه حديث منقطع لا يعتد به وبفرض صحته فلا يتعارض مع ما قلنا فليس هناك احد يقول ان يقبل خبر مخالف للقرآن . وما قيل عن جواز نسخ القران بالسنة المتواترة والمشهورة عند بعض العلماء فهو مجرد راى مفترض لم يترتب عليه واقع . اما الاحاديث الثلاثة التى أوردها وتوهم مخالفتها للقران فهى صحيحة ومطابقة للقرآن . فحديث « لتتبعن سنن من كان قبلكم . الخ » ، فان الرسول صلى الله عليه وسلم يحذرنا فيه من الابتداع فى الدين . وقد جاء هذا التحذير بالأسلوب العربى البليغ . وقال العلماء إنه كناية عن شدة الموافقة لهم فى المخالفات والمعاصى . وقالوا إن اللفظ خبر ومعناه النهى عن اتباعهم ومنعهم من الالتفات لغير دين الاسلام . وهو يفيد التحذير من تقليد الأمم السابقة فى مساويها . ولو احسن الكاتب الفهم لاتخذ من هذا الحديث حجة له فى محاربة التقليد للعقائد والآراء الموروثة الذى تكلم عنه فى اول المقال ، وربما انه نسي ما كان يقول او انه لا يعي ما يقول . وكذلك الحديث الآخر وهو « وإياكم ومحدثات الأمور . الخ » ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى خطبه « اما بعد . فان أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » .

مصطلح البدعة ودلالته

فواضح أن المقصود به البدعة فى الدين والزيادة فيه بما لم يشرعه الله . ولعل هذه الأحاديث التى تنهى عن البدع فى الدين هى التى افادت فى التخفيف من الخرافة والدجل والشعوذة التى اراد المغرضون ان يفسدوا بها الدين ليكون مطيه لأغراضهم واهوائهم . فكلما حاولوا ان يسخروا الدين لمطامعهم واستغلال جهل الناس وغفلتهم واجههم العلماء المخلصون بهذه الاحاديث والأدلة القاطعة بان الدين قد اكمله الله فليس فى حاجة لأن ينصب احد من البشر نفسه ليبتدع فى الدين ويشغل الناس بالخرافات كما فعل الرهبان والاحبار فى الأديان الأخرى والمشركون فى الجاهلية الذين عارضوا كل ما جاء به الاسلام بحجة انه مخالف لما كان عليه آباؤهم . إن هذا الموقف هو فى الواقع بسبب الابتداع فى الدين لأنهم كانوا على دين ابراهيم حنفاء فابتدعوا فى الدين وقلدوا النصارى فى تماثيلهم واصنامهم . وقصة عمرو بن لحى واحضاره اول صنم من الشام معروفة . ولولا الابتداع لما استغل الاحبار والرهبان والكهنة الذين صاروا يتحكمون فى رقاب الناس ويحللون ويحرمون باهوائهم . ومما يجب أن يلاحظ ان ممن يسمون أنفسهم الآن بالتقدميين والعلمانيين يؤيدون البدع والخرافات فى الدين حتى تشوه صورة الدين الاسلامي فى نظر الطليعة من الشباب فيسهل عليهم جذبهم الى الأفكار المناهضة للدين ، ويبقى محصوراً فى المساجد والزوايا ومقصورا على العجزة والشيوخ . اما حديث « سيكون اخر امتى اناس يحدثونكم مالم تسمعوا انتم ولا اباؤكم . الخ » ، فلا اعتقد ان احداً يجهل مقصود هذا الحديث وهو تحذيرنا من الكذابين الذين ياتون بالأخبار المزورة والمزيفة يختلقونها على نبينا واسلافنا ولا يمكن ان يفهم احد إلا من سقم فهمه انه بناء على هذا الحديث أن نرفض كل جديد وكل عمل مثمر وكل اكتشاف مفيد ، وان نتعلم كل ما يعود على الاسلام والمسلمين بالقوة والمنعة ، وعلى المجتمعات الاسلامية بالتقدم والازدهار . فالواضح من كلمة « يحدثونكم » انها تعنى الأخبار والأحاديث الملفقة وما اكثر الاكاذيب والافتراءاتعلى تاريخنا وسلفنا . ولعل اقرب مثل على ذلك ما نشره الكاتب نفسه فى مجلة العربي بالعدد ٢٧٢ يوليو ١٩٨١ م فقد ذكر قصة مكذوبة عن الامام ابى يوسف وهارون الرشيد . فقد ذكر ان السبب فى اتصال أبى يوسف بهارون الرشيد وتوليته القضاء ان ابن هارون الرشيد زنى بامراة وحبس ، وأن هارون طلب ان يحضروا له فقيهاً يخلصه من هذه المشكلة بحيث لا يقام الحد على ابنه فاحضروا له ابا يوسف الذى افتاه بما يريد فكافاه على ذلك بتوليته القضاء وتسلم هدية من الابن الزانى ومن امه . وقال إن أبا يوسف قد عرف عنه انه لا يتقيد بمبدأ . اليس هذا من الأكاذيب والأضاليل التى يروجها الكذابون ؟ كيف وابو يوسف قد شهد له المؤرخون المنصفون بالنزاهة والاستقامة ولا زالت آراؤه وفتاويه معتبرة عند المسلمين الى اليوم ؟ كيف يتجاهل الكاتب رسالته الجريئة القوية الموجهة الى هارون

الرشيد والمسجلة الى اليوم فى مقدمة كتابه « الخراج » ويتجاهل الثابت فى التاريخ بأن أبا يوسف قد تولى القضاء منذ أيام الهادى والمهدى وقبل أن ياتى هارون الرشيد الى الحكم ، وان معرفة هارون الرشيد به قبل هذه القضية المزعومة ولو كنا نعمل بهذا الحديث الذى استنكره الكاتب ما كنا ننقل هذه القصص الكاذبة .

التشكيك بالسنة

قال الكاتب (إنه قد ورد ايضاً فى البخارى « من تصبح كل يوم بسبع تمرات عجوة لم يضره فى ذلك اليوم سم ولا سحر» وانه قد ورد فى صحيح مسلم « لولا حواء لم تخن انثى زوجها الدهر » . وفى غير البخارى ومسلم « الباذنجان شفاء من كل داء » . هنا مربط الفرس وبيت القصيد وشنشنة اعرفها من اخزم . فقد كشف عن غرضه ومرماه فى التشكيك بالسنة كلها لاطراحها بحجة ان فيها احاديث لا يقبلها العقل . وأورد هنا ثلاثة احاديث . اما حديثان فالأول فى البخارى والثانى فى مسلم . أما الثالث وهو « الباذنجان شفاء من كل داء » والذى أهتم به وجعله من عناوين المقالة فهو موضوع مكذوب باتفاق اهل العلم وقد وضعه الكذابون المغرضون الذين لا يختلفون فى اغراضهم عن اولئك الذين يحاولون هدم السنة فى هذا العصر . وواضح أن الكاتب قد أورده هنا بقصد السخرية فلا أعتقد انه يجهل كذبه ووضعه اذ لا مجال لذكره هنا اذ هو يتحدث عن اخطاء الثقات من المحدثين فى نظره هو ولم يسنده الى مصدر ، ويريد أن يدلس على القراء بجعل هذا الحديث فى صف احاديث البخارى ومسلم ليوهم القارىء ان هذا الحديث مما يعتبر من الاحاديث الصحيحة فى نظر المحدثين مع ان ابن القيم قد قال فى التعليق على هذا الحديث « قبح الله واضعه فان هذا لو قاله امهر الأطباء لسخر الناس منه » . فقصد التشويه والتهويش من قبل الكاتب واضح هنا . اما بالنسبة للحديثين « من تصبح بسبع تمرات ، ولولا حواء . الخ » فهما محل جدل بين العلماء ولبعضهم تاويلات قد يختلف حولها الناس . ومن اراد ان يطلع على شيء من ذلك فليراجع كتب الحديث وخاصة كتاب السنة ومكانتها للدكتور مصطفى السباعى رحمه الله . غير اننا نقول هنا اذا كانت هناك بعض الأحاديث فى البخارى أو مسلم وهى محل نظر من قبل العلماء من ناحية المتن أو السند فهى قليلة جداً لا تتجاوز أصابع اليد ومن بينها الحديثان المذكوران ، فلا يسوغ ذلك أن نطرح السنة جميعها والعلماء لهم نظر وبحث فى كل حديث على حده . فليست الأحاديث مجموعة كوحدة متماسكة مثل القرآن . وقد أراد الكاتب أن يهدم كل ما فى السنة الصحيحة بحجة وجود حديث بها أو حديثين هما محل نظر واختلاف بين العلماء . وما بال الكاتب نفسه يستدل باحاديث حتى لو كانت ضعيفة فهل يباح ذلك فقط أو أن المقبول هو ما وافق مزاجه هو . على انه يجب أن يلاحظ أن هناك أسباباً ومناسبات لورود الأحاديث قد لا تنقل ولا تعرف هذه الأسباب والملابسات وهى تساعد على فهم كثير من الأحاديث وتوضيح معانيها ومقاصدها . كما ان هناك فى علوم الحديث وفى علوم القرآن باب للشكل والمتشابه . فبالنسبة لمشكل الآثار يحاول العلماء التوفيق بين الاحاديث المتعارضة وتاويل الاحاديث المشكلة فى معانيها ، لانه إذا ثبت الحديث عن طريق السند الصحيح فلا معنى لرده من أول وهلة . واذا توفرت النية المخلصة عند الباحثين فلن يعترض طريقهم عائق ولن يقف فى سبيلهم مشكل ولن يحيرهم أمر . أما اذا ساءت النية ولم يكن لهم الا التفتيش عن العيوب المزعومة فان الله سيزيدهم حيرة على حيرتهم وضلالا على ضلالهم لأن قلوبهم قد اشرابت بالنفاق وزاغت عن الحق « فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب » . ثم يقول الكاتب بعد أن أورد حديث تابير النخل وفى آخره انتم اعلم بشؤون دنياكم قال : (ان تعاليم النبى الملزمة للمسلمين هى تلك التى تتعلق بالدين والأخلاق لا المتعلقة بمعاش الدنيا الفرعية التى ذكرها على سبيل الرأى ومع ذلك فاننا نرى من بيننا من يذهب الى انتهاج نهج السلف الصالح فى كل شان من شؤون الحياة كالملبس والمأكل وحتى فيما يقال لمن عطس ولا يرون مسلماً حقاً من اتبع شيئاً من عنده .. الخ .

إن حديث « انتم اعلم بشؤون دنياكم » قد اتخذه العلمانيون ذريعة عندما يحاولون إبعاد الدين عن الحيــــاة ويتجاهلون الآيات القرانية والاحاديث النبوية التى تتحدث عن البيع والشراء والربا والحكم ولا يسالون انفسهم لماذا تنزل تلك الآيات وترد الاحاديث إن لم يكن للعمل بما فيها ؟ ولماذا كانت اطول آية فى القرآن فى شان من شؤون الدنيا وهى آية الدين ولم يتاملوا ما جاء فى الحديث نفسه « واذ أمرتكم بشيء من رأيى فانما انا بشر » ولا ريب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم له اجتهاد وهو معرض فيه للصواب والخطا بحكم بشريته ولكن لا يقر على الخطا بل يسدده الوحى وقد قال : « انكم تتحاكمون الى وانى بشر ورب احدكم الحن بحجته من الاخر فاحسب ان الحق له فاقضى له . الخ » . فمسالة طلبه الكف عن تابير النخل فى أول الأمر كان اجتهاداً منه . وعنـدما تبين الخطا فى ذلك اذن لهم بالتابير وفى ذلك حكمة من الله سبحانه فى تاكيد بشرية الرسول وعدم علمه بالغيب ولكن ما كان عن وحى من الله سبحانه وتعالى فغير معرض للخطا فيه أبداً سواء اكان فى امر الدنيا او فى أمر الدين .

أما الأمور التى يفعلها الرسول صلى الله عليه وسلم بالعادة كالملبس او المأكل فلا احد من علماء المسلمين يقول بلزوم اتباعه فيها ولكن من المستحسن الاقتداء به كما ان هناك أموراً اعتبرت من الآداب الاسلامية وبدلا من أن يقلد المسلم الآخرين فلماذا لا يقلد ويتبع أكمل الناس صفات وأعظمهم اخلاقا . فالآداب الاسلامية لو حافظ عليها المسلمون لكانوا من أرقى الناس فى الذوق والخلق والنظافة . إنكم تطلبون منا ان نقلد المسيحيين الغربيين فى عــــاداتهم (الاتكيت والبرتكــــول) وتكبرون البريطانيين على محافظتهم على تقاليدهم ولا تريدوننا ان نقلد رسول الله وصحابته وتعتبرون ذلك من التخلف والتحجر فماذا يضر المسلم اذا هو اكل باليمين وشمت العاطس ووسع فى المجلس لأخيه « يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا » وليس كل

ذلك فرضاً يعاقب على تركه المسلم ولكنها آداب فاضلة مستحبه سيجزى الله عليها من واسع رحمته .

مغالطة وتدليس

يقول الكاتب « قد دعانا من رأى قفل باب الاجتهاد الى الوقوف عند آراء مجتهدين فى عصر معين وقد كان هؤلاء المجتهدون يفكرون لأنفسهم ويراعون فى وضعهم الأحكام موافقتها للظروف المتغيرة فى مجتمعهم . غير أنهم سلكوا مسلكا خاطئا إذ صاغوا آراءهم المبتدعة فى قالب أحاديث نسبوها الى النبى واختلقوا الأسانيد حتى تلقى آراؤهم قبولا من الأمة أو على حد تعبير بعضهم واعترافه كنا اذا رأينا رأيا صيرناه حديثا . الخ » .

الكاتب هنـــا يخلط بين الوضاعين الكذابين من الزنادقة وبين الأئمـــة المجتهدين ، وينســب أعمال الوضاعين الزنادقة المعروفين فى التاريخ الاسلامي الى الأئمة المجتهدين وهذه مغالطات لا تنم على أى قدر من التحقيق العلمى . وقد برهن الكاتب على منتهى المغالطة عندما أسند إلى أحدهم انه قال « كنا اذا رأينا رأياً صيرناه حديثاً » فمن هو المجتهد الذى قال ذلك ممن يتبع المسلمون آراءهم ؟ هل هو أبو حنيفة أو مالك أو الشافعى أو أحمد ابن حنبل أو الثورى أو الأوزاعى ؟ الم يضع علماء الاسلام علم الجرح والتعديل من أجل تمييز الخبيث من الطيب ؟ الم يضعوا القواعد لمعرفة الصحيح والحسن والضعيف وقواعد لمعرفة الموضوع ؟ فمن غير الأئمة المجتهدين تصدى للوضاعيين والكذابين ؟ أما نصبوا وسهروا وضربوا أكباد الابل من أجل تمييز الصحيح من السقيم والخبر الصادق من الخبر الكاذب ؟ ان الذى قال : كنا اذا رأينا رأياً صيرناه حديثاً . هو واحد من أولئك الزنادقة من أرباب الأهواء والبدع ضعفاء النفوس وليس ذلك غريباً على طبائع البشر والأنفس المريضة فاننا نشاهد اليوم كثيراً من الصحفيين والاذاعيين والكتاب من يختلقون الأخبار ويروجونها فى المشرق والمغرب فيصدقها الناس .

أما علماء الاسلام فقد بذلوا جهداً منقطع النظير فى التصدى للكذب والافتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرسوا حياة الرواة وتاريخهم وسيرتهم وفحصوا كل ما يروى ووضعوا قواعد فردوا أحاديث الفساق والكذابين وأهل الاهواء والمغفلين والمتعصبين ووضعوا علامة للحديث المطعون فيه من جهة ركاكة اللفظ وفساد المعنى ومخالفته لصريح القرآن أو السنة المتواترة ومخالفته لحقائق التاريخ المعروفة أو المتسم بالمبالغة فى الثواب والعقاب أو توفرت الدواعى لنقله ولم يشتهر . وغير ذلك من الاحتياطات اللازمة للتثبت من صحة الحديث ووضعوا علماً مستقلا بذاته سموه علم مصطلح الحديث .

تضليل استشراقي وعمالة فكرية

وقد سبق الكاتب الى مثل هذا التشكيك فى السنة والده أحمد أمين رحمه الله وعفا عنه فى كتابيه « فجر الاســـلام » و « ضحى الاسلام » . وقد كنا نريد أن نطبق على الكاتب المثل الذى يقول « ومن يشابه أبه فما ظلم » ولكن الابن لم يشابه الأب فى كل جوانب الفكر والمعرفة بل قلده وشابهه فى الخطأ فقط « بال فادر فبال جفره » مع أنه فى مقالاته كان ينعى على أولئك المقلدين تقليدهم آباءهم والأستاذ أحمد أمين على جلالة قدره وقع فى عدة أخطاء ونعتقد انه لو عاش الى الآن لرجع عن بعض آرائه على الأقل وسيكتشف انه وقع ضحية لآراء بعض المستشرقين اذ لا يمكنه ان يصر مثلا على رأيه فى عبد الله ابن المبارك عندما اتهمه بالتغفيل وانه يأخذ الحديث عن كل من أقبل وأدبر مع أن عبد الله بن المبارك من الفحول المشهورين المعروفين باليقظة والفطنة والبراعة فى النقد فلم يكلف نفسه بالبحث عن حال عبد الله بن المبارك بل اعتمد فى حكمه على عبارة محرفة فى صحيح مسلم فقد حرفت كلمة بقية إلى ثقة والعبارة هى (حدثنى ابن قهزاد قال :سمعت وهبا يقول عن سفيان عن ابن المبارك قال بقية صدوق اللسان ولكنه يأخذ عمن أقبل وأدبر) فابن المبارك هنا هو المتحدث عن بقية بن الوليد الحمصى يقول عنه انه صدوق اللسان ولكنه يأخذ عمن أقبل وأدبر فحرفت كلمة بقية الى ثقة وقرئت العبارة خطأ عن سفيان عن ابن المبارك ثقة صدوق اللسان يأخذ عمن أقبل وأدبر فأصبح ابن المبارك هو المتحدث عنه وانه ثقة صدوق اللسان . ولكنه يأخذ عمن أقبل وأدبر وأحمد أمين فيما نعتقد لم يتعمد التحريف وانما يحتمل انه اعتمد على كتب بعض المستشرقين الذين حرفوها عمداً بينما هى فى صحيح مسلم غير محرفة فى جميع النسخ المطبوعة وقد نقل الذهبى عن ابن المبارك نفسه انه كان يقول فى بقية انه يدلس عن قوم ضعفاء ويروى عمن دب ودرج وهذا فى معنى قوله الذى رواه مسلم « عمن أقبـــل وأدبر » .

واذا كان أحمد أمين رحمه الله وغفر له قد شكك فى بعض أحاديث الســـــنة الصحيحة وتجنى على بعض الصحابة والتابعين كأبى هريرة وابن المبارك وقد أفضى إلى ما قدم .. فان ابنه الكاتب حسين أحمد أمين قد جاوز الحد وأبعد النجعة بالتشكيك فى القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . وقال الله فيه « إنا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وانا لَهُ لحافظُون » . وقال « لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِه إنَّ علَيْنَا جَمْعَهُ وقُرْآنه » فالله قد تكفل بحفظه منذ نزل به الروح الأمين على قلب رسوله الأمين ومصداقاً لذلك حفظه المسلمون جيلا بعد جيل وقرناً بعد قرن يحملونه فى صدورهم ويكتبونه فى مصاحفهم ويتلونه بالسنتهم صباحاً ومساء فلم تذهب عنهم منه كلمة ولا حرف فليس هو كبقية كتب الأديان الأخرى التى كتبت بعد قرون من نزولها فكان فيهـــــا التحريف والتبديل والاختلاف والتعدد كما لا يخفى ذلك على الخاص والعام . وأخيراً نقول إن من قواعد التحقيق فى القضايا إذا ارتكبت جريمة وجهلت دوافعها وأراد المحققون أن يصلوا الى معرفة الحقيقة بحثوا عن المستفيد وصاحب المصلحة فى ارتكاب الجريمة فمن هو يا ترى المستفيد وصاحب المصلحة فى التشكيك فى القرآن والسنة ؟! « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب » .

عبد القادر بن محمد العمارى
القاضى بالمحكمة الشرعية الأولى

انتظروا هذا الاجتماع التاريخي

خواطر تسرّ الخاطر



بقلم : زكريا تامر

فى شهر حزيران / يونيو ، سيعقد اجتماع يحضره شاعر وقصاص وكاتب مسرحي وناقد أدبى ، بوصفهم ممثلى الأدباء الذين يعشقون المناسبات الوطنية لكونها تساعد على اخفاء العقم والضحالة والركاكة وتجعل من القزم عملاقا ، وبوصفهم من الأدباء الذين حولوا ما جرى فى حرب حزيران إلى وليمة وسوق ومزاد ومسرح لدمى محشوة بالقش .

وسيكون هدف الاجتماع هو إيجاد وسائل تعيد إلى هؤلاء الأدباء أياماً كانت تتيح لهم أن يصولوا ويجولوا فى الميادين الأدبية والاجتماعية كان الواحد منهم مزيج فريد من رامبو وديستويفسكي وشكسبير . ولكن أيام العز هذه لم تستمر وولت تاركة مستغلى الوطن الجريح أمواتاً وما هم بأموات ، ولذا فهم سيسارعون الى حضور الاجتماع طامحين الى احياء العظام وهى رميم .

سيفتتح الناقد الاجتماع قائلا بوقار : « اجتماعنا اليوم بالغ الخطورة ، ويجب أن يسفر عن نتائج إيجابية ترجع الينـــا ما فقدناه » .

فيطلق الشاعر أنة ألم كأنه يعانى التهاب الزائدة الدودية ، ثم يقول : « انا يائس للغاية ، وبت مؤمناً أن الحضارة الصناعية الحديثة تهزم الشعر رويدا ، وقد حكمت عليه بموت لا مهرب منه . والدليل القاطع هو أني أنظم حالياً أروع القصائد فلايمسها أحد حتى ولو وعد يعطى إمارة موناكو ، مع اني كنت فيما مضى حين اكتب كلمتين عن حرب حزيران أرتجف خوفا من أن يثقب اذني تصفيق الاعجاب » .

فيقول القصاص : « والقصة المسكينة أيضاً فقدت الاحترام . وكنت من قبل اكتب قصة عن شاب له علاقة مشبوهة بجارته وأضع لها عنوان « آلام حزيرانية » فتنشر فى الصفحات الأولى من المجلات ، ويقرظها النقاد مقترحين تدريسها فى الجامعات ، اما الآن فأنا أكتب وأكتب ولا اظفر الا بشتم غير مؤدب توجهه الى سلات المهملات » .

وسيقول الكاتب المسرحي : « اخ اخ .. مـــاذا احكي أنـــا ؟ ! كنت اذا كتبت مسرحيـــة اقول فيها إن نكســـة حزيران يعود ســـببها الى ان البنات فى المسابح يرتدين سترة من قطعتين ، فان الصـــحف تقوم وتقعد تقديرا وتنشر صـــوري ، والاذعـــات تجري المقابلا المطـــولة التى اقـــول فيهـــا ان بريشت مسرحي واعد ، واني اعتزم تصحيح مسرحيات شكسبير وخاصة مسرحية « هاملت » المملوءة باخطاء نحوية وفكرية وفنيـــة لا يرتكبها تلميذ فى مدرسة إبتدائية » .

ويقول الناقد : « انا وحدي الضـــحية الحقيقية ، فعملى من قبل كان سهلا مستساغاً لذيذاً ، فالأديب الذى ليس بصديقي لو كتب أروع أثر أدبى ، فاني ندد به شر تنديد بحجة ان ما كتبه لم يشتمل على تنويه بما حدث فى حزيران ، واتهمه بأنه منفصل عن واقعه ، خائن لبيئته ، متنكر لطبقته ، غير وفي لأرضه الطيبة » .

وسيسود الصمت الحزين حينا ثم يقول الكاتب المسرحي : « أيها الزملاء .. لسنا الآن بحاجة إلى الذكريات الاليمة ، بلن ينفعنا التحسر والبكاء والشكوى ، وأرى انه من الأفضل أن نبحث عن مناسبات جديدة نكتب عنها فتعيدنا الى الحياة نجوماً تزاحم سعاد حسني ، ونجوى فؤاد ، وأحمد عدوية » .

سيقول الشاعر : « بلادنا ملأى بالسياح فلماذا لا نقدم أدباً سياحياً ؟ من المؤكد ان عملنا سيكون ابتكاراً لا مثيل له فى مجال الادب » .

وسيقول القصاص : « أنا أقترح أن نسير معاً فى الشوارع ونخالف شارات المرور فنصبح حديث الجماهير بوصفنا الادباء المتمردين » .

سيقول الكاتب المسرحي : « اما انا فأقترح ان نكتب عن لبنان » .

فيصيح الشاعر والقصاص والناقد : « وهل توجد بلبنان مناسبة تستحق ان نكتب عنها ؟! » .

فيقول الكاتب المسرحي متسائلا بدهشة « ماذا ؟ ألم يبلغكم ان رئيس الجمهورية اللبنانية بشارة الخورى قد توفي ؟ » .

فيتصايحون متعجبين غير مصدقين ، ولكن الكاتب المسرحي سيؤكد لهم ان ما قاله خبر نمي إليه من مصادر موثوق بها ، وعندئذ سيتفقون على ان ينظم الشاعر قصيدة رثاء ، وان يكتب القصاص قصة عنوانها « مات بشارة الخورى ولكنه لم يمت » ، وان يكتب الكاتب المسرحي مسرحية تجري أحداثها فى العالم الآخر وتصف لقاء الفقيد بكيندي وتشرشل وما تبادلوا من حوار عقائدي مثير .

اما الناقد فسيظل ساكناً ، فهو يكره القصاص والشاعر والكاتب المسرحي ، ويتوق الى الاساءة اليهم . ولما كان يعلم انه كناقد محتقر من قبل القراء فهو سيقرر ان يمتدح ما سيكتبه زملاؤه .

يوم للأصيل وسنة للأدعياء

كان الجاهل فى غابر الأزمنة يعلم انه جاهل ويخجل من جهله غير ان الجهلة اليوم أمسوا يتباهون بجهلهم ، ويعتزون به أعظم اعتزاز ، وينظرون اليه على انه الثقافة الملتحمة بالام الشعب المضطهد .

اذا بلغت مسامعهم مصـــادفة السيمفونية التاسعة لبيتهوفن ، ولم تحظ باعجابهم ، سارعوا دونما تردد الى القول بثقة : « بيتهوفن طفيلي تسلل الى عالم الموسيقى ويجب الكفاح لطرده منه بغير رأفة » .

اما اذا استمعوا الى اوبرا لفاجنر ، ولم يتجاوبوا مع ذلك البحر السحرى من الالحان والأصوات ، قالوا باستنكار: « اف ! ما هذا ؟ العزف على الربابة يطرب أكثر » .

واذا شاهدوا فيلما سينمائيا حصد جوائز المهرجانات الدولية للسينما ، ولم يتمتعوا به ، قالوا بحنق ونزق : « افلام حسن الامام أفضل » .

واذا لمحوا صورة فوتوغرافية للوحة لبيكاسو ، قالوا توا وبازدراء : « هذه خربشة ، ورقصة لنجوى فؤاد أجمل منها » .

فاذا تجرأ شخص ما على الاعتراض قائلا لهم : « ولكن بيكاسو أعظم رسامي القرن العشرين » ، ضحكوا ساخرين منه ، وقالوا له : « هذه دعاية أجنبية فلا تصدقها » .

ويحلو لواحد من هؤلاء الجهلة أن يصير ناقداً سينمائياً بحجة ان الناس ولدتهم أمهاتهم احراراً ، فيستعير قلما ، ويشرع بالخبط واللبط ، فالمخرج الوجودى يصبح تقدمياً تتجسد فى افلامـــه المادية التاريخية ، اما المخرج التقدمى المتعصب لمعتقداته فيصبح أجيراً للبورجوازية الصغيرة ، يخدم تطلعاتها ويعبر عن ضياعها التاريخي .

ويحلو لجاهل آخر ان يمسي شاعراً ، فينظم قصيدة يقول فيها ان الماء اذا دلق من أعلى نزل الى أسفل ، ثم يقعد فى المقاهى ، ويشتم بصوت عــــال المؤامرات الامبريالية التى حالت دون فوزه بجائزة نوبل للشعر الخيالى .

ويحلو لجاهل ثالث ان يكتب قصة عن أثر هطول المطر فى ازدياد خوار الابقار . وحين ينتهى من كتابتها يبادر الى قراءتها ، فيعجب بهـــا ويقرر أن كاتبها يستحق المكافأة والتقدير ، فيمنحه لقب القاص الأول فى الوطن العربى .

ويحلو لجاهل رابع الاعجـــاب بالتكنولوجيا ، فاذا قرأ مقالا ينتقد تفشي الركاكة والاخطاء اللغوية ، اتهم كاتبه بمعاداة الحضارة الحديثة والتكنولوجيا كأن التكنولوجيا هى اغتيال لسيبويه والفراهيدى .

ويحلو لجاهل خامس الذهاب الى حمام السوق كل أسبوع تعبيراً عن التزامه الايديولوجي بقضايا الفقراء من أمته .

اما المدعو زكريا تامر الحائر البائر ، فيسند خده الى قبضة يده مقلداً أحمد شوقي ، متأملا فى أحوال هؤلاء الجهلة ثم يفكر فى تأليف كتاب يبرهن فيه على ان المثقف العربى السعيد هو الميت الراقد فى قبر عميق .

اغتيال محمود درويش في بلاد الإنجليز

المطلع على مختارات من أشعار محمود درويش مترجمة الى اللغة الانكليزيـة ومطبوعة فى كتاب ، اذا استخدم عينيه وما تبقى له من عقل ، لابد له من أن يتوكل على رب العباد ويبدي الملاحظات التالية :

١ ـ عدد صفحات الكتاب قليلة كان الكتاب دليل سياحي فاشل لمدينة صغيرة يعوزها خبراء الدعاية .

٢ ـ اخراج الكتاب سيىء فنيا ، ولا يقارن باخراج أى كتاب عربى عادى تولى عمال المطبعة الاشراف على اخراجه ، فلماذا اضمحلت فجاة الخبرة الانكليزية العريقة فى فن طبع الكتب إزاء كتـــاب ادبى فلسطيني ؟

٣ ـ غلاف الكتاب كارثة حتى أن عنوان الكتاب واسم الشاعر لا يستطيع القارىء قراءتهما إلا بوساطة مجهر ، مع أن دار النشر نفسها تحرص فى كتبها الأخرى على ان تكون الأغلفة جذابة مغرية .

٤ ـ سعر الكتاب بالنسبة إلى حجمه وعدد صفحاته هو سعر مرتفع جداً خاصة اذا ما قورن بأسعار كتب انكليزية مماثلة ، ولا يمكن أن يقدم القارىء الانكليزى على شرائه ، فهل الأمر مجرد سوء تصرف من محاسب أم أنه تنفيذ ناجح لخطة ما ماكرة

٥ ـ طبعت دار النشر الانكليزية من الكتاب كمية جد محدودة ، وثمة شكوى مفادها ان الجهات الرسمية العربية لم تشتر أى نسخة تشجيعاً ، ولكن الكمية المطبوعة من الكتاب ما دامت ضئيلة فهل غاية دار النشر أن تبيع أشعار محمود درويش الى قراء عرب فقط ، وترويجاً للغة استخدمت فى كتابة وعد بلفور ؟

مسرحية طويلة مملة اسمها الحياة الأدبية

القفز الى الماء

يعقد الأدباء العرب المؤتمر تلو المؤتمر ، وكل مؤتمر يقال فيه الكثير من الكلمات الجميلة الحماسية المنمقـــة ، ويختتم بتوصيات حسنة الشكل والمحتوى ، متناسياً ان الكلمات وحدها لا تستطيع ان تتحول الى ابداع وحرية وخبز ودواء وبيت وان تحويل الأقوال الى أفعال يتطلب خوض معارك صارمة ضد واقع معتد بغباوته وجهله ، ولن يخوض تلك المعارك الا الأدباء الذين ينظرون الى الكتابة على انها مبرر وجودهم ، وهم وحدهم قادرون على المساهمة فى انقاذ تلك المؤتمرات من أن تصبح مناسبات سياحية ومباريات لفتح الأفواه ، فالواقع الثقافي العربي الراهن لا يحتاج الى قصائد رائعة ترثي غريقاً ،

خواطر تسر الخاطر

إنما يحتاج إلى من يقفز إلى الماء وينقذ الغريق فهل سياتي يوم يثبت فيه الأدباء الحقيقيون انهم لا يخشون البلل ؟

ثقافة للأجيال الصاعدة

عرف الانسان فى القرن العشرين القنابل النووية ً والغواصات النووية والمفاعلات النووية ، وعرف أيضاً اللغة النووية .

واللغة النووية تختلف عن القنبلة النووية اختلافاً يسيراً ، فالقنبلة النووية تبيد وتحرق وتدمر وتفني ، اما اللغة النووية فهى تحرض القراء على مشاهدة الحرائق تلتهم كل شىء حي .

ومبتكر اللغة النووية ليس أجنبياً بل هو أديب عربي تعنى الجرائد والمجلات بابراز صوره وتصريحاته وآرائه فى الانسان والحياة والكون والثورات ، وقد نشر كلاماً ما فى إحدى المجلات الموجهة إلى الشباب ، فما الذى قاله للاجيال الصاعدة مستخدماً اللغة النووية ؟

هذا بعض ما قاله :

« لأنكم رضعتم من ثدي الخجل ، لم تتقيأ أفواهكم لبن الفشل ، لأنكم حملتم بالغضب يوماً بعد يوم ... » .

ومن المؤكد ان المرحوم هولاكو لو كان حياً وأراد أن يصبح كاتباً فهل سيحلم ان يكتب أجمل من هذا الكلام ؟!

فرسان النوادي الرياضية

تستقبل الحياة الأدبية العربية بين الحين والحين انماطاً من المتادبين ، يقتحمـــون سهولها وجبالها وأوديتهـــا ، تتقدمهم أفواههم الجائعـــــة ووجوههم المعادية للخجل ، مطلقين الصيحات الغاضبة كانهم أحفاد عنترة العبسي ، مطالبين ليل نهار بنصيبهم من الغنائم والسبايا ، ثم ياتي يومهم الأصفر ، فتتعب أيديهم واقدامهم وحناجرهم ، فينسحبون من الميادين الأدبية وقد هزمتهم قناعتهم ان الأدب أمر يختلف عن الأعراس والموالد والمشاجرات .

ويتصف هؤلاء بانهم شبان صغار ، يكنون لصغر سنهم اعجاباً مشبوهاً اذ يتوهمون ان صغر سنهم يؤهلهم لانتاج أدب طليعي متطور معبر عن روح العصر ، ويحاولون ان يستمدوا من صغر سنهم قيمة فنية وهمية ، وينظرون فى الوقت نفسه الى كل أديب تجاوز عمره الأربعين على انه جثة محنطة يجب أن تعرض فى متحف أو تدفن فى مقبرة ، متجاهلين ان الكاتب المبدع قد يكتب وهو فى السبعين من عمره ما يمكن اعتباره نتاجاً شاباً بينما يكتب شاب فى العشرين من عمره ما هو جدير ان ينظر اليه على انه نتاج مرسل من القبر بسبب ما يشتمل عليه من خنوع لتوابيت فنية وعناكب فكرية ، فالشباب فى الأدب والفن يتجلى فى قيم وأشكال فنية جديدة ، ولا يتجلى فى قوام ممشوق فتي قد ينتزع من صدور البنات شهقات الأعجاب ، فصغر السن لا يخلو من نفع فى الساحات الغرامية ، فى الركض ، فى صعود السلالم فى المشاجرات على أبواب دور السينما ، اما صغر السن فى مجال التعبير الأدبي فهو فى معظم الأحيان نتاج ركيك هزيل وثقافة ضحلة ورؤية ساذجة سطحية للانسان والحياة ، ومراهقة نفسية وفكرية .

فاذا كان هؤلاء الشبان الصغار السن يرغبون حقاً فى خدمة الأدب وتطويره ، فينبغي لهم نبذ الأوراق والأقلام نبذاً نهائياً والانتساب الى نواد رياضية قد تمنحهم بعض ما يعوزهم خاصة وان العقل السليم فى الجسم السليم .

الأمية أنواع

من يتهم الوطن العربى بالتخلف والجهل ، لابد من أن اتهامه معزز بقائمة تتضمن أسماء عدد من الذين يمارسون النقد الأدبى ، ويمتدحون فقط كل ما هو يفتقر إلى الموهبة ، ولـــذا فمن واجب المهتمين بمكافحة الأمية ان يعنوا أيضاً بمكافحة النقد الأمي .

الأصفار تظل أصفاراً

ما الذى يجرى حين يتسلم أديب فاشل الاشراف على صفحة ثقافية فى جريدة يومية بحكم عمله الوظيفي أو بسبب صلات عائلية أو غير عائلية .

ها هو ذا الأديب يتنهد بفرح وارتياح ، فها هى ذى صفحة عريضة طويلة خاضعة لمشيئته التى تسيطر عليها الرغبة فى الثأر من عالم لم يعترف به .

وها هو ذا ينتفخ ويتضخم ، وينتفخ ويستطيل ، وينتفخ ويتمدد ، ثم ينظر الى المرآة ، فيشهق إعجاباً ، ويصدر حكماً بانه الأديب الأوحد ، ويقتحم الوسط الأدبي مزمجراً مهدداً بأكل لحوم الأحياء والأموات مطالباً بالاعتراف به سيداً لمختلف الاجناس الأدبية فى شتى الأزمنة ، فيصفق له بعض مالكى الاقلام ، فتزداد زمجرته ، ويزداد التصفيق ، ويجد الأديب الفاشل انه مضطر الى تلبية رغبات جمهوره القطيع ، فيكرس صفحته الثقافية للتحدث عن مآثره، فاذا عطس فمن واجب مجلس الأمن الدولى عقد جلسة طارئة ، وإذا تثاءب فتثاؤبه تسيس مبدع للأدب والفكر ، واذا اشترى قلم حبر ناشف فعلى شكسبير حرق هامته حياً .

ثم تاتي الليلة الظلماء التى يفتقد فيها البدر ، والتى يفقد فيها الأديب الفاشل الاشراف على صفحته الثقافية ، فتختفي توا الزمجرة والانياب والمخالب ، ويختفى المعجبون من مالكي الاقلام ، ويعود الأديب الفاشل وديعاً عذباً متواضعاً ، يسير فى الشوارع محني الراس ، ويقعد فى المقهى كأرنب مذعور ، وينشر فيما حوله النظرات المتوسلة التى تعلن عن استعداد صاحبها لتقبيل يد من يرد على تحيته ، ولكن الأيدي لا توافق على تحقيق ما يتوق اليه بحجة أن الأدب تأديب وتهذب .

زكريا تامر

حفني ناصف

القاضي العادل الذي لم ينصفه الناس والأديب الساخر الذي أتعبته الحياة



حفنى ناصف

بقلم: نعمان عاشور

يزخر سجل تاريخنا الثقافى الممتد منذ بداية القرن التاسع عشر حتى اليوم بعديد من العباقرة الذين أسهموا فى بناء حياتنا المعاصرة . واذا كانت الأضواء تتلاحق لتلقى بأشعتها المبهرة على بعض الوجوه الساطعة .. فهناك على تتابع الأجيال وجوه متراصة من الأفذاذ نادر أما توقف عندها الضوء والقيت على اصحابها أشعة النور .. وهؤلاء من نسميهم برجال الصف الثانى . ومن هؤلاء حفنى ناصف .. رجل رمت به الاقدار فى منتصف المسافة بين خطوات المسيرة الأولى وخطوات أو بالأحرى قفزات التطور التى تابعتها .. ولد فى منتصف القرن التاسع عشر ليكون سليلا للأجيال الباكرة النضرة التى أنبتت المشايخ العظام .. الجبرتى والعطار ورفاعة الطهطاوى .. ونضج على مدارج العمر ليكون تلميذاً للافغانى وتالياً للبارودى وزميلا لمحمد عبده وصنواً لسعد زغلول وأستاذ المصطفى كامل وطه حسين .. نشأ مثلهم وتعلم مثلهم فى رحاب الأزهر الشريف وكان مثلهم وعاش مثلهم موسوعى النظرة جاداً مجداً متعدد المواهب والملكات وكان طبيعياً أن يكون مثلهم من الباحثين المنقبين عن معارف الحضارة الحديثة ومدركاتها العقلية ومنجزاتها العلمية .

لكن الشىء المميز فى هذا الرجل .. انه كان جماعاً لعدد من الطاقات والمواهب المتداينة .. فهو شاعر وأديب ناثر وعالم لغوى وباحث علمى وقاض من أبرز القضاة ودارس للموسيقى وفقيه دينى ولاعب رياضى وصاحب موهبة فى الغناء بصوت رخيم .. وكل هذه الملكات تتوجها شخصية من ألمع الشخصيات الاجتماعية الساخرة الضاحكة التى أهلته لأن يكون من أبرز الظرفاء فى زمانه .. ولعل الميزه الأخرى التى يمكننا ان نلحقها بهذا الرجل انه نشأ فقيراً وعاش فقيراً ومات فقيراً رغم نشاطه الجم ومواهبه المتعددة الوافرة .. ذلك انه عاش أسيراً للوظيفة الحكومية ولرتابة الحياة العائلية ولكثرة الأبناء .. فله من الأبناء سبعة أكبرهم باحثة البادية : « ملك حفنى ناصف » الأديبة الذائعة الصيت وإحدى رواد الحركة النسائية فى عصرها .. وقد الزمه هذا الوضع قصوراً شديداً فى مواجهة سلطة الاحتلال والتمرد عليها مع انه كان بطبعه وطبيعة مواهبه من أكثر أبناء جيله معاداة للظلم وتعشقاً للحرية .. يقول منددا بحاله وحال أبنائه اذا ما انتهى العمر ..

وابذل عمرى فى اكتساب معارفى
ويغنى الذى حصلته بفنائى
اذا ورث المثرون أبناءهم غنى
وجاها .. فما اشقى بنى الحكماء

بعض سيرته

ونأخذكم إلى بعض سيرته .. ولد حفنى ناصف فى قرية بضاحية المرج المجاورة للقاهرة . فكأنه نشأ قاهرياً .. ومات والده وهو فى بطن أمه .. ويظهر أن عائلته كانت من العائلات الثرية التى جار عليها الزمن .. وكما فعل الشيخ محمد عبده ومثلما حدث لطه حسين . تمرد من طفولته على كتاب القرية وسعى إلى العاصمة ليلتحق بالأزهر .. وبعد أن قضى فيه عشر سنوات اتجه الى قرض الشعر حتى سمي بشاعر الأزهريين . فلما أعلن عن انشار دار العلوم بفضل مجهود علي باشا مبارك اسرع إلى الالتحاق بها بعد ان نجح فى امتحان القبول ، وهناك تفتحت ملكاته على دراسة العلوم الحديثة كالجغرافيا والتاريخ والرياضة ومبادىء الطبيعة والكيمياء واللغة الفرنسية وكانت دراستها اختيارية .. وايامها كان الشيخ محمد عبده قد تولى تحرير الوقائع المصرية فاستعان به ليشاركه

حفني ناصف

فى تحريرها وهو لا يزال طالباً فى دار العلوم حتى اذا ما قامت حملة فى ذلك الوقت لاغلاق دار العلوم بسبب ما يدرس فيها من معارف عصرية .. ازداد حفنى ناصف التصاقاً بها ليكون على رأس الدفعة الأولى من الخريجين فيها .. وكانت تلك هى أولى خطاه فى الارتباط بمستجدات العصر خاصة وانه تخرج من دار العلوم وهو يجيد اللغة الفرنسية .

المناخ الساخن

فى تلك الحقبة من حياة حفنى ناصف كان التاريخ ينعطف بمصر الى مسلك جديد فقد جاءها عباس الأول ثم من بعده سعيد ليطبقوا على انفاس دفعة النهوض التى دفعها إليها محمد علي . وتلاهم اسماعيل بمحاولة مظهرية إلى نقلة جديدة مصطنعه تجعل مصر قريبة من أوروبا أو كما كان اسماعيل نفسه يقول : « مصر قطعة من أوربا » .

وخلت الساحة الوطنية تماماً واقفرت الحياة العامة لولا مجيء الأفغانى مع امتدادات تعاليم رفاعه الطهطاوى وتلاميذه .. وبدأت الحركة الوطنية تنتعش بين جموع المثقفين حتى توجت بوجود الحزب الوطنى فى حلوان .. ثم داخل صفوف الجيش بين العرابيين . وفى هذا المناخ الساخن نضجت شخصية حفنى ناصف . فاخذ عن الافغانى الكثير من طموحه وثوريته وعن رفاعه الكثير من تطلعاته الحضارية العصرية بينما كانت تغلى فى داخله الروح الوطنية الحبيسة التى توشك أن تتفجر وتنطلق .. وهكذا تلازم تخرجه من دار العلوم عام ١٨٨٢ مع وقوع الثورة العرابية ..

معلم الخرس والعميان

وكانت أول صدمة فى حياته الوظيفية ان عينوه فى مدرسة ذوى العاهات من الخرس والعميان فتلقاها بسخرية مريرة كان يطلقها فى أشعاره ويتهكم بها على نفسه فى كل مجالسه .. وجنح الرجل أيامها إلى الشعر متابعاً البارودى ثم انطوى تحت لواء العرابيين مع رجالات الحزب الوطنى من المدنيين وشارك فى الكثير من الأحداث خاصة فى رفقة الشيخ العدوى صاحب الوقفة المشهورة

والذى جاهر بالوقوف ضد الخديوى توفيق لخروجه على اجماع الأمة وارتمائه فى احضان الانجليز وكسب حفنى ناصف شخصية مرموقة ومكانة متفوقة بارزة بين الأدباء والمفكرين وأهل الرأى .. أهلته لها معرفته باللغة الفرنسية التى درسها اختيارياً فى مدرسة دار العلوم .. هذا الى جانب تمكنه الكامل من اللغة العربية . ومن اجل ذلك وقع عليه الاختيار ليعمل سكرتيراً فى دار القضاء مع « شفيق منصور » وكان واحداً من أبرز رجال العدل وهو صاحب القصرين الشهيرين حيث تقع اليوم (دار القضاء العالى ومحكمة الاستئناف الحالية فى باب الخلق) وكان شفيق منصور يقوم بترجمة القوانين الفرنسية بينما يشرف حفنى ناصف على صياغتها العربية وكان لذلك أبعد الأثر على مستقبله وتغيير مسار حياته كلية ..

بعدها بعامين .. وبسبب ما اشتهر به من تمكن فى اللغة العربية اختير للسفر إلى فيينا عضواً فى مؤتمر للمستشرقين .. وهكذا بدأ احتكاكه بالعالم الأوروبى وانبهاره بالحضارة القائمة هناك .. وظل هذا الأعجاب يلازمه ، فعاش يرتحل الى أوروبا على الدوام وكلما سنحت له الفرصة كعادة معاصرية من المثقفين .. وكان طبيعياً بعد ذلك يوم انشئت مدرسة الحقوق ان يعين حفنى ناصف أستاذاً بها . ولمادة فريدة فهو لم يدرس القانون فى صلبه لأن القانون لم يكن قد وضع بعد .. ولكنه عين لتدريس كيفية صياغة مواده وهو ما اهلته له تجربته السابقة فى سكرتارية دار القضاء .. وعلى يديه تخرج أعلام كثيرون من الشعراء والأدباء والسياسيين منهم احمد زكى شيخ العروبة ، وشوقى أمير الشعراء ، ومصطفى كامل الزعيم الوطنى

فى محيط الأسرة

والى هنا ولنا وقفة نحاول أن نتبين فيها بعض الجوانب من حياته . فالرجل كما قلنا كان يجمع فى شخصه الكثير من المواهب والملكات . ورغم عنايته بالوظيفة وانغماره فى سلكها لكثرة أعبائه العائلية ثم تنقله من عمل الى عمل .. الا انه كان يعيش حياته العامة بكل ابعادها .. كان حاضر الوجود بين الشعراء دائم الجلوس مع الظرفاء كثير العناية برياضة بدنه . لا يفرغ من قصيدة شعر الا ويتلوها بدراسة لغوية يتمها لينكب على بحث قانونى حتى بلغت مؤلفاته غير دواوين شعره خمسة وعشرين كتاباً ..

ويعود من رحلاته لأوروبا يحاول تنشيط البيئة لتعيش حضارة العصر كما عرفها هناك . وقد انصب بكليته على مدار عمره لتنشئه ابنائه . وكان يعاملهم بحرية وطلاقة كصديق شاب مثلهم رغم شدته وصرامته . يسخر منهم ويبيح لهم السخرية منه .. ويدفعهم بكل قواه إلى الاهتمامات التى حرمته منها قيود حياته ومسئولياته ..

فكان وراء ابنته ملك باحثة البادية فى كل نشاطها الادبى والاجتماعى . ولكم كان يحاول ما وسعه الرزق ان يبعث باولاده للتعليم فى الخارج ويشجعهم على كل نشاط مهما كانت المخاطر ، حتى لقد تعرض ابنه مجد الدين للاعدام فى احدى القضايا السياسية الكبرى فلم تهتز له شعرة وظل يسانده حتى افرج عنه رغم مخالفته فى الرأى .. ذلك انه كان لا يقبل من احدهم ان يجاريه فى رأى لا يكون مقتنعاً به .. كان يحب كل من يخالفه من ابنائه وكل من يغالبه فيغلبه برأيه مرتكنا فى هذا كله على ان مهمته هى أن يدفعهم دفعاً الى تحقيق ما اعجزته عنه طبيعة حياته وهو الاستقلال فى الرأى وحرية التصرف . روى لى أصغر ابنائه المرحوم عصام حفنى ناصف وكان استاذى وصديقى ان والده كان يدفعه دفعاً

إلى دراسة الأفكار العصرية .. وكان يشترى له الكتب بنفسه ويحضرها معه من رحلاته الأوروبية كهدايا تغنيه عن أفخم الهدايا .. ذلك ان الوالد كما كان عصام يقول .. كان يؤمن ايماناً راسخاً بأن العبرة فى حياة الانسان تقوم أساساً على حرية اختياره لموقفه ونظرته وتحديده المستقل لمصيره ومسلكه بدون فرض أو إملاء من أحد .. لأنه كان ينظر دائماً إلى أولاده فى حياتهم المستقبلية ويتمنى ان يحققوا لأنفسهم بانفسهم ما عجز هو عن

تحقيقه لنفسه .. وكل ذلك فى حرص ابوى وتجرد ذاتى وبروح وطنية قومية خالصة ..

نزاهة الشجعان

وربما كان هذا الايمان هو الدافع الرئيسى الذى جعل حفنى ناصف يتنقل من عمل الى عمل فى محاولة مستمره لكى يلحق بالمستقبل ، اذ سرعان ما نراه يترك التدريس فى الحقوق ليدخل امتحان القضاء ويعين قاضياً فى نهاية الأمر .. وصفحة حياته القضائية من الصفحات المشرفه التى يشهد له به كل من عاصروه وعلى رأسهم سعد زغلول .. ولقد تميز بين القضاة أيامها « بطلاقة الاحكام وعمق البصيرة وعدالة الضمير » ولم يمنعه وجوده على كرسى القضاء من الوقوف فى وجه أعداء البلاد حيث يقول :

ثم مصيبة وتجيء أخرى
وترحل غمه وتحل غمه
كان الحزن مكتوب علينا
فلا نرتاح يوماً من ملمه

فلما اشتد صلف الانجليز وتعجرفوا باحتلالهم وازداد عنفهم وعتوهم فى مقاومة الحركة الوطنية البازغة التى قادها تلميذه مصطفى كامل .. عاد يهتف فى قصائده ..

فشر مقبل يتلوه شر
يفوت العمر فيه ولا يفوت
عجبت لمن له بصر وسمع
يرى هذا البلاء ولا يموت

وعلى قدر ما انطوى وجدانه على روح وطنية خالصة .. على قدر ما انطوى قلبه على حب جارف لجماهير الشعب . وحين قامت دعوة محمد فريد للأخذ بناصر العمال والفلاحين .. هتف حفنى ناصف ..

الله فيهم فحرث الأرض فى يدهم
يبدون من سرها ما كان مدفونا
وهم قيام على الانعام سائمة
وهم طهاة ونساج وبانونا
لهم يد كل يوم فى مرافقنا
فلتجر من فوق أيديهم ايادينا

وكان طبيعياً بعد ذلك وهو قاض فى محكمة طنطا ان يصدر حكمه ببراءة طلبة المعاهد والمدارس من التهم السياسية وهو الأمر الذى عرضه للكثير من ألوان التشريد والاضطهاد .

رئاسة الجامعة

كان من أهم المنجزات التى حققتها ثورة المثقفين بقيادة الحزب الوطنى .. التفكير فى إنشاء جامعة مصرية .. وجاءت الدعوة عام ١٩٠٦ كرد فعل مباشر على سياسة الانجليز التعليمية فى استغلال معاهد العلم لاخراج موظفين يديرون لهم الدواوين الحكومية .. وظلت الدعوة فى تزايد يحمل لواءها سعد زغلول وقاسم امين ولطفى السيد وحفنى ناصف .. فانبعثت من نادى المدارس العليا عام ١٩٠٨ . ولم يكن غريباً ان يقع اختيار المؤسسين على حفنى ناصف ليكون أول رئيس لمجلس ادارة الجامعة الأهلية المصرية الجديدة . لكن حفنى ناصف لم يقنع بالرئاسة بقدر ما قنع بالتدريس فى كلية الآداب الوليدة .. فكان يحاضر فى مادة آداب اللغة العربية .. وكان من ابرز تلاميذه فيها طه حسين .

لكن إدارته للجامعة الأهلية والتدريس فيها لم تكن من الأمور التى يرضى عنها الاحتلال ولذلك أوعز الانجليز بنقله إلى قنا لتتفتح شاعريته عن أشهر قصائده وامتعها .. وهى القصيدة التى تكشف عن جانب هام من شخصيته وهو جانب السخرية اللاذعة .. وهذه القصيدة كانت وربما لا تزال من المقررات الثابتة فى محفوظات المدارس على الدوام ..

قالوا شخصت إلى قنا
يا مرحباً بقنا واسنا
قالوا سكنت السفح قلت
وحبذا بالسفح سكنا
قالوا قنا حر فقلت
وهل يرد الحر قنا

والسخرية فى القصيدة واضحة من براعة التركيب وسلاسة الفكرة وهى تكشف عن اصالة وبراعة وجذالة شعره .
ومما يقوله فيها ..

عش فى القرى راساً ولا
تسكن مع الاذناب مدنا
واربا بنفسك أن ترى
مستمرئا فى العيش جبنا

وواضح من البيتين مدى كراهيته للظلم واحتفائه بالحرية . والواقع ان الشعر على قدر ما كان صنعته كان أيضاً هوايته ومتنفسه ومنطلق روحه فى مجابهة الخطوب ومقارعة الهوان ..

على المعاش

تنقل حفنى ناصف على مدار حياته فى عدة وظائف .. وكانت تتجلى فى كل منها ملكاته المتعددة ولا أقلها ملكة الغناء .. فقد كان صاحب صوت رخيم ومن ادرى أهل زمانه بالحان الموسيقى الشرقية ومقاماتها .. ولذلك لم يكن غريباً ان يسارع الى الانتقال من القضاء إلى تفتيش اللغة العربية ليعين مفتشاً أول لها .. وهذا المنصب ظل يشغله حتى احيل إلى المعاش وهو فى تمام صحته وعافيته الأمر الذى احزنه ورده إلى شكاواه فقد عاش طوال عمره معتداً بنفسه فخوراً بمعارفه ومواهبه مطمئناً لمكانته وشخصيته فى المجالات الأدبية العامة كشاعر ومعلم وصديق لأكبر الكبار وتلميذ لأعظم الأعلام واستاذ لأبرز المبرزين .. ومع ذلك يرى نفسه أسير الوظيفة والسن المحدد من العمر لمعاشها .. ثم لا يجد بعد كل هذا الا المعاش والتقاعد وسوء الحال رغم سبقه فى العلم والادب والشعر واللغة والقانون والموسيقى بل والرياضة .. ويرثى لحظه العاثر ..

امضى حفنى ناصف السنوات الباقية من عمره على مدار الحرب العالمية الأولى وهو الحكم الفيصل فى التنافس المحتدم بين حافظ وشوقى وكان يميل لحافظ ابراهيم لأنه فقير ومضطهد وعاثر الحظ مثله . وكان أيامها بحق يعتبر فارس المجالس وأظرف الظرفاء يسخر بالحياة بقدر ما سخرت منه وسط مجموعة لا تتكرر من ندماء الأدب .. عبد العزيز البشرى وإمام العبد واترابهما . ثم يموت منسياً فى ٢٥ فبراير قبل وقوع ثورة ١٩١٩ بايام معدودة فلا يكاد احد يحفل بتابينه . وبذلك يكون حفنى ناصف قد طوى بحياته أسطع الصفحات فى حياة الجيل الذى عاش فى منعرج اضخم تطور عرفته مصر وهى تخرج من أسر الركود والجمود الى منطلق المعاصرة والحداثة فى لحاقها الدائب بحضارة القرن العشرين — أسرع الحضارات وقعاً فى خطاها نحو المستقبل .

نعمان عاشور



موشى أرينس : وزير الحرب الإسرائيلي الجديد

صقر.. أم حمامة؟

بقلم : عصام شريح

أثار استبدال أريئيل شارون بـ موشى أرينس على رأس وزارة الحرب الاسرائيلية مؤخراً ، بعض «الأفكار والآمال المتفائلة» بامكانية حدوث تحول فى السياسة الاسرائيلية المتطرفة تجاه لبنان والضفة الغربية المحتلة بصورة خاصة ، إضافة الى مجريات الصراع العربى ـ الاسرائيلي بشكل عام ، خاصة وأن وزير الحرب الجديد بدأ يشيع فى تصريحاته ، أنه رجل مؤمن بالواقعية السياسية ، ولا يذهب وراء الخيال بعيداً ، وأنه يبنى آراءه ومواقفه وقراراته فى النهاية على أساس من الدراسة المتعمقة وحسابات الأرقام والخسائر والأرباح ..

لكن هذا الكلام الذى يتسم ظاهرياً بالصفة العلمية والروح الموضوعية ، هو أبعد ما يكون عن عقلية موشى أرينس ومعتقداته الصهيونية الثابتة والراسخة .. كيف ؟؟ هذا ما نحاول أن نجيب عليه .

من هـــو ؟

ولد موشى أرينس فى ٢٧ ـ ١١ ـ ١٩٢٥ بمدينة « كوفنو » فى ليتوانيا لأسرة يهودية وحين كان عمره ١٤ عاماً ، هاجر مع عائلته إلى الولايات المتحدة ، أى فى عام ١٩٣٩ ، وهناك درس هندسة الطيران فى مؤسسة ماساشوستس للتكنولوجيا ، وفى عام ١٩٤٤ ، انضم أرينس إلى الجيش الامريكى ، حيث عمل فى إحـــدى فرقه الهندسية ، واشترك فى القتال خلال الحرب العالمية الثانية ، وبعد انتهاء الحرب ، عمل ممثلا لحركة « بيتار » الصهيونية فى الولايات المتحدة ، وكان هدف هذه الحركة التى نشأت أولا فى بولندا فى عام ١٩٢٣ ، هو إعداد الشباب اليهودى للهجرة الى فلسطين ، عن طريق تدريبهم على الحياة الزراعية والحياة العسكرية معاً ، إضافة إلى تلقينهم الأيديولوجية الصهيونية التى كان أحد شعاراتها فى تلك المرحلة هو : « الغزو ، أو الموت .. !! » ، وفى عام ١٩٤٨ ، هاجر أرينس إلى فلسطين ، حيث عمل بنشاط فى صفوف حركة « بيتار » التى كانت قد أفرزت عصابة الارغون (١٩٣١) ، والتى آلت قيادتها بعد موت جابوتنسكى إلى مناحم بيجن ، الذى غدا مثلا أعلى لموشى أرينس ، لكنه لم يلبث أن عاد ثانية الى الولايات المتحدة لمتابعة دراسته ، وبعد ثماني سنوات رجع الى فلسطين المحتلة ، حيث عمل أولا مدرساً فى معهد « التخنيون ـ معهد الهندسة التطبيقية » بمدينة حيفا ، وفى مطلع عام ١٩٦١ انتقل للعمل فى حقل الصـــــناعة الجـــوية الاسرائيلية ، حيث أصبح من كبار مهندسى هذه الصناعة ، وفى العام التالى أسندت إليه رئاسة هيئة الصناعة الجوية ، وكان خلال هذه الفترة المسؤول عن انتاج وتطوير طائرة « كفير » الاسرائيلية .

لكن نقطة الانعطاف فى حياة موشى أرينس ، جاءت مع انضمامه رسمياً لحزب حيروت الذى يتزعمه مناحم بيجن ، وبعد أشهر معدودة فقط من عملية الانضمام هذه اى فى كانون الأول (ديسمبر) من عام ١٩٧٣ ، انتخب عضواً فى الكنيست عن حزب الليكود (التكتل) ، حيث كان رقمه فى القائمة الانتخابية عن هذا الحزب آل ٣٢ ، أما فى الانتخابات الاسرائيلية الأخيرة (١٩٨١ - الكنيســـت العاشر) . فقد احتل اسمه الرقم ١٤ فى قائمة الليكود الانتخابية ، وفى عام ١٩٧٧ ، شغل أرينس منصب رئيس لجنة الخارجية والأمن فى الكنيست ، وبقي فى هذا المنصب حتى عام ١٩٨١ ، حيث اختاره مناحم بيجن ليكون سفيرا لاسرائيل فى واشنطن ، وقد استمر فى المنصب الجديد لمدة عام تقريباً ، أى حتى استدعى فى شباط (فبراير) الماضى ، لكي يخلف أريئيل شارون على رأس وزارة الحرب .

في المعترك السياسي

عندما خاض أرينس معترك الحيـــاة السياسية منذ انتخابه للمرة الأولى نائباً فى الكنيست فى عام ١٩٧٣ ، لفت الأنظار اليه - وخاصة أنظار « الصقور » وعلى رأسهم مناحم بيجن - فى مناسبتين. الأولى عندما « صوت فى الكنيست إلى جانب النائبة جيئولا كوهين وبضعة نواب يعدون على الأصابع ، ضد اتفاقية كامب ديفيد ، لأنها نصت على اخلاء سيناء وإعادتهـا الى مصر ، وهو الأمر الذى رأى فيه أرينس « تنازلا » كبيراً من اسرائيل على حد ادعائه لكنه بعد توقيع الاتفاقية قال إنه لن يعترض عليها فيما بعد . والثانية ، عندما رفض منصب وزير الحرب فى عام ١٩٨٠ ، الذى عرضه عليه مناحم بيجن ، فى أعقاب استقالة عيزر وايزمن من هذا المنصب آنذاك ، وكانت حجته فى رفض هذا المنصب هى معارضته لاعادة سيناء إلى مصر ، وتطبيق « مشروع الادارة الذاتية فى الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين !! » .

وقد علل أرينس رفضه منصب وزير الحرب فى عام ١٩٨٠ بالعبارات التالية : « كنت على ثقة كاملة من أنني اذا دخلت الحكومة للعمل كوزير للدفاع ، فساضطر عندها إلى اتباع سياسة مناقضة لمواقفى وآرائي ، أو العمل خلافاً لسياسة الحكومة وفى هاتين الحالتين كانت خطواتي ستبدو مرفوضة ، ومن شانها ان تزيد من حدة الخلافات والتوتر بيني وبين الحكومة وزملائي فيها .. وفيما يتعلق « بالمناطق المحتلة » فانا من أشد الداعين لضم الضفة الغربية إلى اسرائيل وفرض القانون الاسرائيلي عليها .. فهل كنت ساقف مكتوف اليدين حتى اليوم ، دون أن تكون الضفة قد ضمت إلى اسرائيل فعلا .. لكنني على أية حال لست بنادم لأنني رفضت منصب وزير الدفاع ، ذلك لأنني لم أكن أريد التورط فى إخلاء المستوطنين من سيناء ، علماً بانني أصلا ضد عملية الاخلاء ، وضد الانسحاب » .

إن آراء أرينس المتطرفة هذه ، كانت وراء اهتمام مناحم بيجن به ، وتعيينـــه « سفيراً لاسرائيل فى واشنطن » ، ثم وراء عودة بيجن لاسناد منصب وزير الحرب ، بعد إبعاد أريئيل شارون عن هذا المنصب ، فى عملية مسرحية ، كان غطاؤهـــــا « الديمقراطي » تقرير لجنـــــة التحقيق الاسرائيلية (لجنة كاهان) فى مذابح الفلسطينيين فى مخيمي صبرا وشاتيلا فى بيروت .

فى أقصى اليمين

قد لا يحتاج الباحث أو المحلل قدراً كبيراً من الجهد ، لكى يحدد موقف موشى أرينس فمجرد قراءة عادية لأفكاره المتناثرة هنا وهناك فى الصحف الاسرائيلية أو الأمريكية ، كافية ، بحد ذاتها ، لتعيين موقف هذا الصهيونى العريق ، وتحديد مكانه فى صفوف « الصقور » الذين يقودون الكيان الصهيونى حالياً . وأول ما يطالعنا به أرينس فى هذا النطاق ، هو تصنيف نفسه بنفسه فى أقصى اليمين ، حيث نراه فى صحيفة « هارتس » فى شباط (فبراير) ١٩٨٢ ، يبدى إعجابه بكل من مناحم بيجن واسحق شامير والبروفسور يوفال نعمان وأريئيل شارون ويقول : « على الرغم من أننى كنت فى عام ١٩٧٨ من أشد المؤيدين لمواقف مناحم بيجن السياسية ، فانني لا أرى اليوم أيضاً اختلافاً كبيراً بين مواقفي ومواقف كل من بيجن وشامير وشارون أيضاً ، ذلك لأننا جميعاً متفقون على مبدأ اللاتنازل عن المناطق المحتلة . وعدم الانسحاب منها وهذان المطلبان هما بالضبط ما يصر عليهما يوفال نعمان كذلك »

وفي الـــواقع ، فان موشى أرينس ، لا يختلف عن أستاذه بيجن فى شيء ، بل إن صحيفة « النيويورك تايمس » قالت فى شباط (فبراير) الماضى « إن بيجن يبدو أحياناً معتدلا اذا ما قورن مع أرينس وشارون ، فهذان الرجلان يمثلان ذروة العنصرية والتطرف فى إسرائيل » . أما الفارق بين بيجن وارينس فى تقدير صحيفة « الجيروزاليم بوست » الاسرائيلية فيكمن فى كون أرينس صقراً ذكياً ، يدرك واقع القوى الفاعلة فى عالم اليوم ، وهو يأخذ - على عكس بيجن - هذه القوى فى حسابه بصورة مرحلية على الأقل ، مع انه فى النهاية يقف نفس موقف بيجن من ضم الأراضى المحتلة » . ومن هنا يمكن فهم تصريحه غداة تعيينه وزيراً للحرب إذ قال « انني رجل واقعي ولكنني لست على استعداد أبداً للتفريط بأمور تتعلق بأمن اسرائيل » ! ومن تصريحاته الشهيرة التى تعبر عن نفس هذا الموقف انه قال فى أعقاب معارضته لاتفاقية كامب ديفيد فى الكنيست فى عام ١٩٧٨ ، « لقد عارضت كامب ديفيد ، لأن ثمن بطاقة السفر كان مرتفعاً ، أما الآن وقد دفعنا ثمن البطاقة ، فان علينا ان نفعل كل شيء كى نضمن الوصول الى الهدف الذى نريده » .

أرينس وأمريكا

لا يخفى موشى أرينس مراهنتـــه على الولايات المتحدة كسبيل « أوحد » لبقاء

موشي أرينس: وزير الحرب الاسرائيلي الجديد

صقر .. أم حمامة؟

اسرائيل واستمرار وجودها فى منطقة الشرق الأوسط . ويحاول أرينس أن يسبغ على العلاقة بين اسرائيل والولايات المتحدة ، صفة التحالف الاستراتيجي ، لكنه يعترف ان هذا التحالف اهتز أكثر من مرة ، بسبب اختلاف الرؤية حول المصالح « المشتركة » . فتراه يقول فى « هآرتس ـ ٢٢ ـ ١٢ ـ ١٩٨١ » إن الاعتقاد السائد هو أن الولايات المتحدة أكثر أصدقاء اسرائيل اخلاصاً ، حيث هبت أمريكا أكثر من مرة لمساعدة اسرائيل فى أوقات الطوارىء ، « وحتى وان كان الحديث عن علاقات بين دولة عظمى ، وبين إحدى الدول الصغيرة فى العالم ، فانه يجوز القول أن اسرائيل صديقة مخلصة للولايات المتحدة ، بل وربما تكون بين أفضل أصدقائها » .

وفى هذا المجال من « الصداقة » أو التحالف ، يذهب أرينس بعيداً جداً ، فيتساءل بصيغة العجب : « على من تستطيع الولايات المتحدة أن تعتمد فى حالات الطوارىء » .. ويجيب بغطرسة زائدة : « ان دول أوروبا الغربية المرتبطة مع الولايات المتحدة بحلف عسكرى ، لا تقف الى جانبها دائماً ، وليس واضحاً تماماً ، من منها ستهب لمساعدة واشنطن فى حال حصول أزمة أمنية .. إنما هناك مجال للاعتقاد بأن اسرائيل ستقف الى جانب الامريكيين فى حالة كهذه » .

وأكثر من ذلك ، فان موشى أرينس ، يحاول أن يضفي على العلاقة القائمة بين اسرائيل والولايات المتحـــدة ، نوعاً من « الفلسفة السياسية » أو « المنهجيـــة » الأيديولوجية » ، وهو يرمي من وراء ذلك بالطبع إلى تطويق أى « انحراف » فى السياسة الامريكية عن سياسة اسرائيل ، وتحديد سياسة جديدة ترتكز إلى قاعدة المصالح الامريكية فى الشرق الأوسط ، بصرف النظـــر عن الاستراتيجيـــة الاسرائيلية نحو دول المنطقة .

يقول أرينس : « ان الصداقة بين اسرائيل والولايات المتحدة ، انما ترتكز على قيم واحدة ، ومصالح مشتركة ، وليس صدفة أن هذين العاملين معاً يشكلان قاعدة العلاقات بين الدولتين » .

إلا أن أرينس يحاول هنا ان يجد مخرجاً نظرياً لاحتمال اختلاف المصالح وعدم تماثلها دائماً ، وان كان لا سبيل لقيـــام مصـــالح متناقضة لكل من اسرائيـــل والولايات المتحدة فى نهاية المطاف ، أى أن أرينس يضع فى حساباته هامشاً لابد منه لاختلاف وجهات النظر أحياناً حول تماثل المصالح « المشتركة » ، ولكن « التقـارب الأيديولوجى » على حد تعبيره ، كفيل فى النهاية بخلق بنية مشتركة من المصالح بين الدولتين « الديمقراطيتين » .

وهنا يبدو أرينس من ذلك النوع من السياسيين الذين يؤمنون بسياسة النفس الطويل وبضرورة احتواء أى خلاف فى الرأى عن طريق الحوار والاقناع والاحتكام إلى الرأى العام ، وهو هنا ضد الانفعالات والحماس فى العمل السياسى كما هو ضد استبعاد المرونة كوسيلة لابد منها للاقناع فى الحوار مع الامريكيين . فالجلبـــة والضوضاء التى خلقها وزير الحرب السابق أرئيل شارون فى حواره مع واشنطن كانت مضرة باسرائيل حسب رأى أرينس ، كما أن دخول شارون فى حملة من المهاترات الكلامية والخلافات العلنية ، قد أساء الى صورة اسرائيل فى الولايات المتحدة .

أما مفهوم أرينس للحوار والاقناع مع الامريكيين ، فهو « أمر سهل نسبياً وشبه عادي ، فما لا يتم الاتفاق حوله من خلال المباحثات بين الممثلين الرسميين للدولتين تجرى مناقشته فى وسائل الاعلام المختلفة الداخلية والدولية ، فى اسرائيل ، والولايات المتحدة ، حيث يحاول ممثلو الولايات المتحدة إقناع ممثلي اسرائيل ، وفى الوقت نفسه الرأي العام الاسرائيلى أيضاً ، وهكذا يفعل أيضاً ممثلو اسرائيل مع ممثلى الولايات المتحدة وأمام الرأى العام الأمريكى » .

ومع تركيزه على هذه الصيغة من الحوار المتبادل ، للتغلب على الخلافات فى رؤية المصالح بين الولايات المتحدة واسرائيل فى حال نشوب مثل هذه الخلافات على ندرتها وعدم ديمومتها ، فان ارينس يعترف أيضاً بأن خلافاً ما في الرأى بين الجانبين يمكن أن يبقى قائماً إذا فشل الحوار المشترك فى إيجاد قاعدة للاقتناع .. إلا أن أرينس مع ذلك لا يرى سبيلا آخر غير الحوار ومحاولة الاقناع لارساء العلاقات بين واشنطن وتل أبيب ، ويستبعد فى مجال هذا المسار أى فرصة « للضغوط ولوي الأذرع » لأن مثل هذه الوسائل « تتناقض مع العلاقات بين دولتين صديقتين » ، وهو يحاول هنا أن يغمز من قناة الامريكيين لتلويحهم أحياناً باتباع « سياسة لوي الذراع » عن طريق فرض حظر على الأسلحة الامريكية لاسرائيل ، أو التلويح بتجميد المساعدات المالية اليها ، كما حدث خلال مناقشة صفقة طائرات الأواكس الرادارية للمملكة العربية السعودية ، أو فى أعقاب ضم هضبة الجولان السورية .. وغيرها من المناسبات والأحداث . وبالطبع فان أرينس يستخدم أسلوب التهويل والتضخيم فى مجال فرض عقوبات امريكية على اسرائيل فى أى ظرف أو مناسبة ، بالرغم من تباين الرؤيـــة « للمصالح المشتركة » ، إذ ان أى حظر للأسلحة أو تجميد للمساعدات الأمريكية لاسرائيل ، لم يتعد كونه عملية مسرحية لامتصاص النقمة العربية ، ولا نعرف أن حظراً أمريكياً من هذا النوع استمر لأكثر من شهرين أو ثلاثة أشهر على أبعد تقدير . لكن علينا هنا أن نلاحظ أن أســـلوب التهويل والتضخيم هو جزء من السياسة الاسرائيلية ليس تجاه الولايات المتحدة فحسب ، وإنما تجاه دول الغرب بشكل عام وهذا الأسلوب فى السياسة الاسرائيلية ، كان معمولا به باستمرار منذ إنشاء اسرائيل فى عام ١٩٤٨ ، وموشى أرينس لا يأتي بجديد فى هذا المجال ، وإن كان يحاول تقديمه فى صياغة « عصرية » . وأرينس

مقتنع تماما فى النهاية أن الولايات المتحدة ستعود إلى صوابها إذا مـا حـاولت « الاختلاف » عن الرؤية الاسرائيليـة للمصالح المشتركة فى منطقة الشرق الأوسط ، ويقدم مثلا على ذلك « حلف بغداد » فى الخمسينات ، حيث حاولت الولايات المتحدة فى أوج الحرب الباردة آنذاك بناء جبهة استراتيجية لكبح تغلغل النفوذ السوفيتي فى المنطقة تكون أضلاعها دولا عربية واسلامية ، ويشير الى ان الجهود الأمريكية المبذولة آنذاك قد ذهبت أدراج الرياح ، لأن الامريكيين « اختاروا الارتكاز على قصبة مكسورة » ، حيث اتجهت مصر إلى السوفييت ، وأطيح بنظام نوري السعيد فى العراق ، « وانهار قصر الورق قبل اكتمال تشييده » على حد تعبير آرينس .

سياسة التحريض

إن الميزة التى يمكن ملاحظتها فى تفكير موشى آرينس ، هى اعتماده بشكل أساسى على أسلوب التحريض تجاه الولايات المتحدة ، بهدف إقناعها بأن اسرائيل هى « الدولة » الوحيدة المخلصة لها ، والتى ستهب فورا للدفاع عن مصالحها فى الشرق الأوسط ، عندما تطلب منها ذلك . وكان آرينس واضحا تماما فى هذا المجال ، فى مقال كتبه فى صحيفة « هارتس » بتاريخ ١٤ ـ ١ ـ ١٩٨٠ تحت عنوان « فى عصر حروب النفط » . ففى ذلك المقال وضع وزير الحرب الاسرائيلى الجديد التدخل السوفييتي فى أفغانستان فى سياق الصراع على النفط بين الـدولتين ، وقال إن المجازفة التى أخذها زعمـاء الكرملين على عاتقهم عندما قرروا القيام بغزو عسكرى لأفغانستان ، تجد تفسيرا وحيدا لها هو النفط ، ويحاول آرينس أن يدعم مقولته هذه بالقول ان الاتحـاد السوفييتي لن يتمكن من تلبية احتياجات حلفائه والدول الدائرة فى فلكه من النفط ، مما يستنتج معه آرينس ان حرب النفط قد بدأت فعلا .

ومن الواضح هنا ، أن آرينس يستخدم سياسة التحريض تجاه الولايات المتحدة ، بهدف اشغال تفكيرها ب « صراع النفط » ، وصولا الى اقناعها بأن لا حليف حقيقي لها فى هذا الصراع سوى اسرائيل ، وأن تجربة « حلف بغداد » درس يجب استيعابه فى هذا النطاق . ف « المدماك الأساسي » للسياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط هو كما يقول آرينس « الدولة الوحيدة فى الشرق الأوسط التى لها التزام عقائدى نحو أسرة الدول الديمقراطية وزعامة الولايات المتحدة لهذه الأسرة ـ اسرائيل » .. اذن ففى رأى آرينس لا بديل للتحالف الامريكى ـ الاسرائيلى ، من أجل حماية مصالح الغرب فى منطقة الشرق الأوسط ، وأية محاولات لاقامة احلاف من دول عربية أو اسلامية هى محاولات بائسة مقضى عليها بالفشل ، ولن تكون أوفر حظا من محاولة « حلف بغداد » فى الخمسينـات . ويكرر آرينس هنا تضخيم حجم قوة اسرائيل العسكرية ، بهدف تثبيت قناعة لدى الامريكيين بأن اسرائيل هى الذراع الضاربةللولايات المتحدة فى الشرق الأوسط ، فيقول : « ان المساهمة المحتملةلدولة اسرائيل ، لا تنحصر فى استقرار نظام الحكم فيها ، وفى تقاليدها الديمقراطية فحسب ، بل إن اسرائيل هى أيضا محور القوة العسكرية الوحيدة فى العالمالغربي ، ماخلا حلف شمال الأطلسي والجيش الأمريكي » ، ولا يكتفي آرينس بهذا القدر من التضخيم فى أهمية اسرائيل العسكرية بالنسبة للولايات المتحدة ، بل هو يضيف الى ذلك أن اسرائيل تمتلك ميزتين أساسيتين من أصل ثلاث يجب أن تتمتع بها الدول بمفردها لبناء عناصر القوة المطلوبة لضمان وجودها فى مرحلة مليئة بالمخاطر ، وهما كما يقول « المسـتوى التكنولوجى المتوفر لديها ، وهو من أفضل المستويات فى العالم .. » ثم الجيش القوى حيث الجيش الاسرائيلى « هو من أفضل الجيوش فى العالم » ، أما العنصر أو الميزة الثالثة التى تنقص اسرائيل ، فهى ميزة الطاقة ، التى فقدتها بعد إعادة آبار النفط فى سيناء الى مصر ، لكن آرينس يرى مع ذلك أن اسرائيل تستطيع التغلب على جانب كبير من هذه المشكلة بالشروع فى بناء مفاعلات نووية لانتاج الطاقة ، ولتحرير شبكة الكهرباء ، على الأقل ، من التبعية لاستيراد النفط » .

لا جديد تحت الشمس

ومن كل هذه الطروحات المغرقة فى العنصرية والنزعة العدوانية ، يخلص آرينس الى نتيجة يحاول أن يضغط بها على أعصاب الامريكيين وأيضا على أعصاب الاسرائيليين ، وصولا الى تحقيق هدفه الاسلسي وهو أنه لا بديل عن التحالف الامريكى ـ الاسرائيلى ، لكلا الفريقين ، وهذه النتجية كما يصورهـا آرينس هى « أن العالم ، كما يظهر ، يرمي وراء ظهره ، ولفترة ما على الأقل ، آمالا قديمة العهد بسلام يعم البسيطة ، وبصداقة بين كل الشعوب .. فلقد تزايد عدد سكان العالم بنسبة كبيرة جدا ، والمصادر تحت سطح الأرض تنضب شيئا فشيئا ، وحتى الآن لم تتوصل دول العالم الى اتفاق حول تقسيم عادل لكنوز الأرض وان نظرة واعية الى هذا الواقع الحزين ، هى بمثابة شرط أساسى لاستمرار الوجود فى عالمنا » .

ومن ضمن هذه النظرة « المالثوسية » المتشائمة ، يحاول آرينس وضع الولايات المتحدة امام خيار وحيد لحل المشكلات والأزمات الدولية ، وهذا الخيار هو خيار الحرب وإبادة الشعوب ، أو هو بمعنى آخر الخيار الذى تحدث عنه« داروين » حـول « بقاء الأصلح » .

وإذا كان آرينس يتحدث الى الامريكيين والغرب عامة ، وحتى الى الاسرائيليين بهذا الأسلوب المغرق فى التشاؤم ، والمفعم بروح العدوان والحرب ، فلأنه يؤمن تماما أن اسرائيل لا تستطيع قبول السلام ، أو العيش فى ظروف الهدوء الطويلة « فالقوة هى الضمان الوحيد لأمن اسرائيل » ، وفى رأيه ان اسرائيل مهددة بخطر الحياة أو الموت باستمرار ، وقال فى حديث نشر مؤخرا فى الولايات المتحدة : « إن مجال الخطأ أمام اسرائيل ضيق جدا ، لأن وجودها مهدد » !! وقد سئل آرينس مرة عن مفهومه للعمل الدبلوماسى فقـال : « الدبلوماسية الاسرائيليـة شىء ، ودبلوماسية الآخرين شيء مختلف .. اننا ضد دبلوماسية الضعف ، وضد المناورات وممارسة الضغوط علينا .. واذا كانت الدبلوماسية تعني ذلك ، فاننا نفضل ألا نعتمد على الدبلوماسية فى بنـاء دولتنا » !!

وفي الواقع فان آرينس لم يأت هنا أيضا بجديد ، باستثناء إثباته انه صقر فى أقصى اليمين الصهيوني ، وانه تلميذ وفي ومخلص لأرباب الارهاب الصهيونى والعدوانية الصهيونية ، فقد قال بريجنسكي مرة فى مجال تعريفه للسياسة: « إن السياسة هى القوة » . حقا .. ليس هناك جديد تحت الشمس فى الكيـان الصهيوني .

عصام شريح

بطـــل
من المغـــرب

محمد علال الفاسي

المفكر الذى نادى بإطلاق حرية التفكير

بقلم : صديق عكاشة

اجتمعت فيه صفات قل أن تجدها فى غيره ! فهو العالم الفقيه ، والكاتب القدير ، والشاعر المتمكن ، والخطيب المقتدر ، والباحث المدقق .

هذا هو العالم المجاهد المغربى محمد علال الفاسى ، الذى وافته المنية فى الثالث عشر من مايو ١٩٧٣ وهو فى مدينة بوخارست عاصمة رومانيا ، بينما كان يؤدى مهامه هناك كمفاوض للمملكة المغربية .

ولد محمد علال بن عبد الواحد الفاسى فى يناير ١٩١٠ فى مدينة فاس بالمملكة المغربية ، وكان أبوه من أكبر علماء القرويين ، وبيته كان منتدى للمفكرين والعلماء من مختلف مدن المغرب ، لذا التحق محمد علال بجامعة القرويين بعد أن تلقى علومه الأولى كما كان يتلقاها قرناؤه فى « كتاب القرية » ، وتخرج فى الجامعة علم ١٩٣٠ أى فى العشرين من عمره ، وشرع يلقى دروساً فى الجامعة التى تخرج فيها متناولا التاريخ بوجه عام والتاريخ الاسلامي والمغربى بوجه خاص ، فالتف حوله طلاب العلم ومحبو المعرفة وفى نفس العام اعتقل ، ثم أفرج عنه ومنع من مزاولة نشاطه العلمي .

وقرر أن يسافر الى الشمال ، فانتقل الى اسبانيا ثم فرنسا ، حيث علم بمكيدة تدبر لاعتقاله هنك ، فسافر الى سويسرا .

عاد الى وطنه عام ١٩٣٤ ونظم النقابات واشترك فى تنظيم حركة سياسية سرية تناهض الاحتلال ، ثم أعلن عام ١٩٣٦ عن تشكيل حزب « كتلة العمـــل الوطنى » بزعامته ، وبعد عام آخر أسس « الحزب الوطنى » .

فى عام ١٩٣٦ وقعت حوادث دامية فى مكناس والخميسات بتدبير من الغزاة المستعمرين ، ولكنهم حمّلوه وزرهـــا ، فاعتقلوه ونفوه الى « الجابون » عام ١٩٣٧ وظل منفياً حتى عام ١٩٤٦ حيث أفرج عنه فسافر الى باريس ، وهناك اتصل برجال الجامعة العربية والسياسيين العرب . وفى عام ١٩٤٧ سافر الى القاهرة حيث اتصل فيها بسياسيين من تونس والجزائر وكونوا « لجنة تحرير المغرب » فى ديسمبر من نفس العام .

وقد كانت فترة اقامته بمصر وعضويته للجنة تحرير المغرب من أخصب فترات حياته عطاء ، فقـــد القى كثيراً من المحاضرات وألف عديداً من الكتب منها : « حركة الاستقلال فى المغرب » ، و « النقد الذاتى » ، و « أحاديث المغرب فى الشرق »

وقام محمد علاّل الفاسى بزيارة بلدان فى آسيا وأفريقيا وأمريكا وأوروبا ، ولم يعد إلى وطنه إلا سنة ١٩٥٦ عقب إعلان استقلال المغرب ، بعد نشوب ثورة عارمة فى الريف وجبال الأطلس متوازنة مع ثورة الجزائر التى انطلقت عام ١٩٥٤ .

وفى سنة ١٩٦١ عين وزيراً للشئون الاسلامية وبقي فى هذا المنصب حتى عام ١٩٦٢ ، وانتخب عضواً فى البرلمان المغربى سنة ١٩٦٣ وتحالف حزبه مع « الاتحاد الوطنى للقوات الشعبية عام ١٩٧٠ مكونين جبهة الكتلة الوطنية » ولكنها انحلت عام ١٩٧٢ .

علاّل .. العالم

كان محمد علاّل الفاسى أستاذاً بجامعة القرويين ، وبكليتى الحقوق بجامعة محمد

الخامس بالرباط ، وجامعة فاس ، بالاضافة الى أعماله السياسية والثقافية .

طبعت له كتب عديدة منها « مقاصد الشريعة الاسلامية ومكارمها » ، و « دفاع عن الشريعة » ، و « الحماية فى مراكش من الوجهة التاريخية والقانونية » ، و « حماية أسبانيا فى مراكش من الوجهة التاريخية والقانونية » ، و « كراس فى السياسة البربرية » ، و « نداء من القاهر » ، و « الجواب الصحيح » ، وذلك بالاضافة الى ما ذكرنا سابقاً .

وتقديراً لعلمه وفقهه ونشاطه ، فقد انتخب عضواً برابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة وكان يعتبر من أبرز وأنشط رجال الرابطة .

حرية التفكير

أولى محمد علال الفاسى اهتمامه البالغ بالتفكير ، وأوجب تعليمه وتعميمه بين الأوساط الشعبية ، وقد خصص كتاباً بأكمله لذلك وهو كتاب « النقد الذاتى » .

لقد اقتنع تمام الاقتناع بأن التفكير هو مبدأ ارتقاء الشعوب ، ولذا فهو يرى وجوب تعميمه واطلاق الحرية للمفكر ، كما قال فولتير « إذا أردت إنهاض شعب ، فعلمه كيف يفكر » . ويبرهن على ذلك بالنهوض السريع الذى آلت إليه أمم أوروبا وأمريكا .

ويقول فى ص ٣٧ من نفس الكتاب « من الحق أن نعترف بأن للحركة السلفية التى عمت فجر نهضتنا ، فضلا عظيماً فى ازاحة كثير من هذه الحجب ، وفى توجيه العقول إلى النظر والبحث ، وفى الثورة على العديد من الخرافات ورجالها ، ولكن ما وصلنا إليه من حب النظر ليس الا جزءاً مما يتطلبه الفكر الحر منا » .

وعلال ، منذ وسم بلقب « المفكر » لم يفكر فى مشاكل الفرد أو العائلة أو المسائل الخاصة ، وإنما جند فكره لمعالجة مشاكل أمته التى نشأ فيها وأخلص لها .



محمد علال الفاسى
واحد من المجاهدين الذين دعوا إلى النهضة والتحرر والاستقلال

القضية والصورة

يرى علال الفاسى أن القضايا التى يتناولها المفكر بالحديث ، والتى استوحاها من بين صفوف أمته ليعيدها مرة ثانية لأمته ، يجب أن يكون على دراية ومعرفة جيدة بجميع جوانبها وملابساتها حتى يحسن تصويرها وتاديتها على أحسن وجه .

يقول فى كتابه : النقد الذاتى (ص ٣٠) : « إن لكل قضية صورة كاملة ، وإن المفكر بمثابة الرسام الذى يجليها أمام نفسه أولا ، ثم أمام الجمهور ثانياً ، وإذا لم ينجح الرسام فى تمثل الصورة التى يريد تسجيلها تمثلا كاملا ، بما فيها من نور وما يكتنفها من ظلال ، فانه لن يستطيع أن يبرز للناس إلا رسماً ناقصاً أو أسطوريا لا يمت للذات التى يريد ابرازها بصلة » .

علال .. الفقيه

الفقه اصطلاحاً هو « العلم بالأحكام الشرعية الثابتة لأفعال المكلفين ، خاصة حتى لا يطلق بحكم العادة اسم الفقيه على متكلم وفلسفى ونحوى ومحدث ، بل يختص بالعلماء بالأحكام الشرعية الثابتة للأفعال الانسانية ، كالوجوب والحظر والاباحة والكراهة » .. الخ . يقول ابن خلدون : « الفقه معرفة أحكام الله تعالى ، فى أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والاباحة ، وهى متلقاة من الكتاب والسنة ، وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة فاذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه » (مقدمة ابن خلدون ص ٤٤٥) .

فالفقيه هو العالم بالأحكام الشرعية الثابتة لأفعال المكلفين .. المستخرج لها من الكتاب والسنة ، وما نصبه الشارع من الأدلة ، فهو المفكر الدينى والمستنبط والمفتى ، وذلك يرادف المجتهد فى عرف الأصوليين .

وليست بالمهمة السهلة تلك التى يقوم بها ويقدر لها كل واحد ، بل لابد من توفر عدة خصال ، منها الذكاء وصحة الفهم ، وكمال الخلق ، والدين والعلم

كل هذه الصفات وأكثر منها كانت متوفرة فى محمد علال الفاسى ، فهو ضمن قلة من علماء عصره فى المغرب العربى الكبير ، الذين برزوا الى الوجود على مسرح الأحداث ، كمصلحين وموجهين ، لمسار الدين والدنيا معاً ، فكانوا هالة يستضيء بها الحيران ، ويستهدى بها المتخبط .

ولقد ظل الفقيد الكبير منافحاً ومكافحاً فى سبيل دينه وعقيدته وحرية الرأى ، حتى وافته المنية يوم الأثنين ١٣/٥/١٩٧٤ بمدينة بوخارست عاصمة رومانيا بينما كان يؤدى مهامه هناك كمفاوض للمملكة المغربية .

وبوفاته فقد العالم العربى والاسلامى علماً من أعلامه ، الذين قادوا ـ الشعوب العربية الى النهضة والتحرر والاستقلال .

صديق عكاشه
تلمسان ـ الجزائر

مسافر على الرصيف



عبادة بن الناطق

بقلم: محمود السعدني

كان عبادة فى نظر البعض متسولا ، وفى نظر البعض الآخر معتوها !

فهو متسول لا يسأل الناس ولكنه لا يرفض ما يقدم اليه . وكان مجنونا ولكن جنونه كان من هذا النوع الهادىء الذى يلمع ويتوهج لحظات قليلة ، ثم لا يلبث ان يعود عبادة الى وعيه وكانه لم يكن منذ لحظات يجدف أو يخطرف أو يهذى بكلمات لا يفهمها الا قلة قليلة من الذين كانوا يعرفون عبادة عن قرب !

اما أصل عبادة وفصله فلا احد يعرف عنهما شيئاً كثيراً ، لا احد يعرف ، لانه لا أحد اهتم ، فهو فى تلك الأيام المبكرة من حقبة الأربعينات لم يكن فى مصر من يشغل باله بأمر العقلاء فما بالك بامر المجانين ! كما ان عبادة كان له شبيه فى كل قرية مصرية تقريباً ، واكثر من شبيه فى كل حي من أحياء القاهرة ، والذين اعتادوا الجلوس على مقهى محمد عبد الله فى الجيزة فى تلك السنوات التى سبقت الحرب العالمية الأخيرة وصاحبتها فوجئوا بوجود عبادة فى المقهى ثم اعتادوا على رؤيته فيها حتى صار جزءاً لا يتجزأ منها شانه شان المقاعد والمناضد والجدران . ولم يكن عبادة عاملا فى المقهى بمعنى كلمة العامل كما نفهمها هذه الأيام ، ولكنه مجرد صعلوك ينام فى المقهى فقط يحتمى بها . ولم يكن يرتدى ملابس ولكن هرابيد تكشف عن جسده أكثر مما تخفى ، وكانت رائحته كريهة ونفاذه وتفوح من بعيد ، والاكيد ان الماء لم يلمس جسمه منذ ان غادر قريته فى أقاصى الصعيد . ولم يكن يأكل كما يأكل البنى آدمين فلم أره فى حياتى جالساً يأكل ولكنه كان يتناول وجبته وهو يذرع الرصيف أمام المقهى جيئة وذهاباً فى خطوات عسكرية أشبه بمشية الأوزة الألمانية الشهيرة . وكان يتوقف احياناً ليلقي وفمه محشو بالطعام كلمات صارخة وغاضبة وغالباً بلا معنى ، ثم يستأنف خطوة الأوزه والأكل من جديد . وكان يدخن بلذة ولكنه لم يدخن أكثر من خمس سجائر فى اليوم ربما لضيق ذات اليد وربما لحكمة نجهلها نحن العقلاء ويدركها ذلك المعتوه .

كان أنور المعداوى أكثر زبائن قهوة محمد عبد الله اهتماماً واحتفالا بعبادة ، وكان يعتقد اعتقاداً لاشك فيه ان وراء عبادة سراً . وكان يستدعيه احيانا خصوصا ساعة العصارى ويساله أنور المعداوى عدة اسئلة عن الأحوال الخاصة والعامة على حد سواء ، وكان عبادة يستمع ويضحك ثم يفر هارباً ويختفى لحظات ، ثم يعود ليظهر فى مشيته العسكرية المعهودة ووجهه نحو السماء ويصرخ بكلام ، وكان أنور المعداوى ينصت اليه باهتمام مؤمناً بان ما نطق به عبادة له علاقة بالأسئلة التى طرحها عليه وعندما ما اشتدت الحرب العالمية ارتدى عبادة غطاء رأس لمارشال انجليزى . وكان كلما رأى وهو على رصيف المقهى جندياً من جنود الحلفاء تحرش به ، وكلما مضت سيارة عسكرية من الميدان بصق عليها عبادة فى زهو واستعلاء . ولم يشعر عبادة بأزمات الحرب العالمية ، لم يشعر بأزمة التموين ، ولم يشعر بأزمة السجاير ، ولم يشعر بأزمة الدقيق ، فقد كان بحالة من انعدام الوزن والرغبة والحاجة .

ولكن عندما انتصر الانجليز على الألمان فى معركة العلمين نزع عبادة غطاء راسه المارشالى وراح يردد شعاراً واحداً لا غير (سعد باشا قال مفيش فايدة) وظل يردد هذا الشعار سنوات طويلة ولم يتخل عنه إلا عندما قامت حرب فلسطين فى عام ١٩٤٨ . فجأة انتاب عبادة نشاط لم نعهده فيه من قبل واشترى نموذج بندقية خشبية راح يحملها على كتفه وهو يخطو خطوة الأوزة على رصيف المقهى وكانت معسكرات التطوع أمام الشباب الراغبين فى الاشتراك فى حرب فلسطين قد بدأت العمل على قدم وساق ! وبدأت تظهر طوابير المتطوعين عقب صلاة الفجر تجتاز شوارع الجيزة مرددين شعارات الله اكبر ولله الحمد ، الذى أصبح شعار عبادة هو الآخر . وعندما انتهت الحرب بهزيمة الجيوش العربية ألقى عبادة سلاحه هو الآخر وعاد الى شعاره القديم « سعد باشا قال مفيش فايدة » . ولكن بمرور الوقت تطور جنون عبادة فاصبح من النوع الخطير . فقد كان يصرخ بشدة وينتابه هياج أشد . ولم يحفل احد بافعال عبادة باعتباره مجنوناً وفاقد الأهلية وعديم التربية والأصل ؟

المهم أن عبادة كان أول من أيد ثورة ٢٣ يوليو بحماس وارتكب من اجل ذلك عملا كلفه عدة كفوف هوت على صدغيه من يد المعلم عبد الله الذى كان أقرب الى الوحش منه الى البنى آدمين ، ولكن هذه الكفوف الساخنة لم تمنع عبادة من القيام بعمل آخر لتأييد ثورة ٢٣ يوليو ولكنه تكلف فى المرة الثانية عدة أسنان سقطت من فمه . وأصل الحكاية أن عبادة كان يقوم بتنظيف المقهى وترتيب المقاعد والطاولات فى الصباح الباكر وكان يفتح الراديو ليستمع الى القرآن الكريم وهو يؤدى عمله المرهق ، هكذا تعود منذ ان وجد بالمقهى والى آخر يوم فى حياته . ولكن فى ذلك الصباح من يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ استمع عبادة بعد القرآن مباشرة الى بيان يذيع اخبار حركة قام بها عدد من ضباط الجيش وهو البيان الأول الذى اذاعته ثورة يوليو وهو غير البيان الذى أذاعه أنور السادات فى الساعة التاسعة صباحاً . استمع عبادة إلى البيان الأول الذى لم يكن مفهوماً



أنور المعداوى



زكريا الحجاوي



د . عبدالقادر القط

بدرجة كافية ، ولم يكن صريحاً إلى الدرجة التى تكشف عن وجود ثورة فى البلاد ، ثم انقطع الارسال فجاة . ولكن يبدو أن عبادة وحده هو الذى فهم الرسالة فقد ترك عمله على الفور واختطف صورة « فاروق » المعلقة على الجدار وحطمها

وراح فى مشيته العسكرية المعهودة على الرصيف يسب ويلعن بصوت صارخ فى هذا الوقت المبكر من الصباح فاجتمع حوله بعض المارة ، وجذبت الضجة بعض عساكر الشرطة واكتشف احدهم ان صورة « فاروق » ممزقة وإطارها محطم فنظر اليها والى عبادة فى بلاهة ظنا منه انها نوبة من نوبات جنونه . ولكن الضجة ايقظت المعلم عبد الله صاحب المقهى من نومه ، وعندما اكتشف ما جرى انتابه غضب شديد وهوى بعنف وبضراوة على وجه عبادة حتى أسال الدم من انفه ، والغريب أن عسكرى الشرطة تدخل لحماية عبادة من غضب المعلم عبد الله ، لم يكن المعلم عبد الله يعلم شيئاً مما حدث ولا عسكرى الشرطة ايضاً ! وربما لم يكن أحد آخر من الذين توافدوا على الضجة يعلم شيئاً . المهم ان الضجة انتهت والناس تفرقت وجلس عبادة على الأرض يمسح دمه ويشرب كوباً من الشاى وينظر الى الميدان فى بلاهة وفى هدوء .ولم يستمع إلى نداءات المعلم عبد الله ولم يهتم بها ، فقـــد أعلن الاضراب عن العمل ! وعندما أذيع بيان الثورة الثانى الذى اذاعه أنور السادات هاج الناس فى الشوارع فرحاً فترة قصيرة ثم لزموا الصمت لأن البيان حذر من القيام بأى أعمال شغب وهدد المتظاهرين بأنهم سيلقون مصير الخائن . ولذلك خيم الصمت على الشوارع والتزم الناس الهدوء واكتفوا باختلاس النظرات الى سيارات الجيش وهى تجوب الشوارع وقد صوب الجنود بنادقهم إلى صدور المارة .

الوحيد الذى لم يلتزم ببيان الثورة هو عبادة ، ما ان شاهد سيارة جيش تعبر الميدان حتى هجم عليها كالوحش وفى نيته ان يحتضن كل أفراد القوة فرداً فرداً وأن يطبع القبلات على وجناتهم وعلى ايديهم ايضاً ! ولكن عساكر الجيش لم يدركوا القصد من هجوم عبادة على الســيارة . اعتقدوا انه ربما كان عدواً من اعداء الثورة وربما عميلا من العملاء . وربما جاسوساً لجهة أجنبية فانهالوا عليه ضرباً بكعوب البنادق حتى سقطت عدة اسنان من فمه وسقط عبادة مغمى عليه ، وعندما علم قائد السيارة أن الرجل معتوه استقل السيارة مع جنوده ومضى .

وهكذا دخل عبادة التاريخ كأول مؤيد لثورة ٢٣ يوليو وأول ضحاياها وتألق عبادة فى بداية الثورة ، وعندما انعقدت محكمة الثورة التى حاكمت زعماء الاحزاب كان يهتف بميدان الجيزة بكلمة واحدة هى (إعدام) ولكن يبدو ان ثورة يوليو لم تستمع الى صرخات عبادة ولذلك فتر حماسه بها وراح يهاجمها بين الحين والآخر بالصرخات كل مساء وهو يذرع رصيف ميدان الجيزة فى مشيته العسكرية الخطيرة ! وكان صوته مزعجاً الى الحد الذى يجذب انتباه الناس ، وعندما صار أكثر ازعاجاً جذب انتباه المباحث فضربوه علقة فى قسم الجيزة ليكف عن ترديد الشعار .. ولكن عبادة لم يكف ولم يتوقف وظل يردد الشعار حتى حدث العدوان الثلاثى على مصر ، وانتابت عبادة حالة من الجنون استغرقت وقته كله وأهمل عمله بالمقهى . ارتدى عبادة صحناً على رأســه كانه خوذة من التى يستعملها الجنود فى الحرب ، وحصل على نموذج خشبى لبندقية وراح يتدرب نهاره كله على إطلاق النار . وكان كلما نهاه أحد عن الصراخ ازداد صراخاً ، وكان يبكي أحياناً عقب نوبة الصراخ . وأحياناً أخرى كان يضحك ضحكاً هستيرياً ! وفى المساء عندما يخلو الميدان من الحركة وتتوقف مركبات الترام ويهدأ كل شىء وينام كان عبادة يتوسط الميدان ملقياً بأوامره إلى الفيالق الوهمية التى يقودها للتحرك فى المعركة حسب الخطة المرسومة . وعندما انتصرت مصر والعرب فى معركة بورسعيد خلع عبادة ملابسه ووقف يصرخ فى الميدان شديد الابتهاج حتى أغمى عليه .

وعاد عبادة أيام الوحدة ليغنى مــع الوحدة أحياناً ويغنى ضدها أحياناً ! واختل عقله أكثر فأصبح يضحك ويبكي فى وقت واحد . وساءت أحواله أكثر فاتسخت ملابسه أكثر وطالت لحيته وشعر رأسه ، وصار منظره أشبه بمنظر قيس الذى كان يجوب البراري . وكان زكريا الحجاوى يداعبه أحياناً فيسأله أسئلة فى السياسة والغريب انه كان يجيب على زكريا إجابات يقصر عنها بعض ادعياء الادب والثقافة . وشاخ عبادة وطعن فى السن ، ولكن عيناه ظلتا تحملان نفس البريق الوهاج النفاذ القلق المشع الذى هو مزيج من الجنون والذكاء . وكانت لديه حاسة شديدة يتشمم بها رائحة المواهب الحقيقية ، ويحتقر المنافقين والادعياء . كان ينفر بشدة من مخرج إذاعى ، فاذا جاء إلى ركن أنور المعداوى انصرف عبادة بعيداً عن هذا الركن الى ركن آخر ! ويظل بعيداً لا يقترب من ركن أنور المعداوى الا اذا انصرف المخرج الاذاعى إياه . وكان يبدى رأيه فى أحد المدعين الذى كان يعتنق الفرعونية مذهباً . وكان الاخ المدعى إياه عالى

عبادة بن الناطق

الصوت دائماً ، غريب المصطلحات والالفاظ ايضاً ، غريب النظريات كذلك ، وكان يزعم بأن الهرم الاكبر مقام فى نقطة فى منتصف الأرض تماماً . وكان يزعم أيضاً انه إذا دمر الهرم الأكبر ، فان الكرة الأرضية ستدمر عن أخرها لا محاله !

وكان عبادة يحضر إلى ركن أنور المعداوى كلما جاء الأخ إياه ، ويظل عبادة يضحك بينما الأخ إياه يتحدث ، وربما لم يكن احد من الجالسين يلحظ العلاقة بين ضحك عبادة وحديث الأستاذ إياه الا أنور المعداوى وزكريا الحجاوى . وكان عبادة يأنس الى نعمان عاشور ويحب مجلسه ، وكان نعمان يتحدث اليه احياناً وكأنه (أى عبادة) هو رائد المسرح المصرى الحديث والقديم أيضاً . وكان يعشق زكريا الحجاوى وعبد القادر القط ومحمود شعبان وكان ينفر من الشيخ عبد الحميد قطامش والسبب انه رفع الكلفة بينه وبين قطامش ذات يوم فزجره قطامش زجراً عنيفاً ، وعبثاً حاول قطامش أن يتودد اليه بعد ذلك دون جدوى ، اتسعت الفجوة بينهما وظلت العلاقة متوترة بين الاثنين حتى أخر يوم فى عمر قهوة عبد الله .

ولقد وقع بصرى عليه أخر مرة وهو فى حالته المعهودة ذات يوم من مارس ١٩٥٩ . كان يقف على مقربة من ركن أنور المعداوى وهو يصرخ فى جنون (قرب) بفتح القاف وتشديد الراء ، وكأنه يدعو شيئاً من الاقتراب منه ، شيئاً مجهولا يحن اليه وينتظره . وظل يردد هذا الشعار طول الليل . وقبيل الفجر انصرفنا إلى منازلنا ومددت يدى الى مصافحة عبادة ، ولكنه لم يصافحنى ، وقف متخشباً كأنه تمثال حجرى ليس فيه من آثار الحياة إلا صراخه والعجيب أنه كان يصرخ دون ان تختلج عضلة واحدة من وجهه – وفى تلك الليلة شاءت الأقدار ألاّ أبيت ليلتى فى منزلى ، وجدت رجال الامن فى انتظارى عند باب البيت ، واخذونى من يدى إلى الواحات الخارجة لأغيب هناك فى بطن الصحراء الحارقة والمجهولة نحو عامين . وعندما أفرج عنى اكتشفت ان قهوة عبد الله قد انهدمت . لم يعد منها شىء . وبحثت عن عبادة فى كل مكان ، وعندما اهتديت اليه هالنى منظرة . فلم يكن هذا عبادة الذى أعرفه . انطفأ البريق الذى كان فى عينيه ، وضاع الذكاء وبقيت مسحة الجنون فقط ! ولم يعد يصرخ ولكنه كان يعوى أحياناً مثل كلب دهسته سيارة ضخمة على الطريق . كان ينام فى قهوة المعلم مرجان وكان روادها من الباعة والحرفيين ، ولم يكن هناك صلة بينها وبين مقهى محمد عبد الله ، كان انور المعداوى وعبد القادر وزكريا الحجاوى والشيخ قطامش وعبد الرحمن الخميسى ومحمد علي ماهر ونعمان عاشور وعشرات من شبان مصر النوابغ يتناقشون فى المقهى ليلا ، وكان ركن أنور المعداوى كأنه مصر كلها مصغره ومطهره ، وكان عبادة جزءاً من هذا الركن .

والآن تغير كل شىء.تغير الزمان والمكان ايضاً . حلت محل قهوة عبد الله عمارة ضخمة ، واحتل مكان القهوة فرع لبنك مصر ، توارى الفن قليلا ليتصدر الاقتصاد ، وراحت أيام المناقشة ، وحلت أيام الحساب. المجد الآن للمهندس وللمحاسب ، وعلى الناقد والأديب والشاعر والصعلوك أن يتنحوا جانباً فمصر تدخل مرحلة جديدة وهذه أول خطوة لها على الطريق :

لقد نشأ عبادة وقهوة عبد الله معاً ، وذاقا الشهرة والمجد معاً ، ثم تنكرت الأيام ودارت علي القهوة وعلى عبادة معاً ، وعندما تحولت قهوة عبد الله إلى انقاض سقطت الأنقاض كلها على راس عبادة ، وعندما وقع بصرى عليه لحظة عثرت عليه فى قهوة مرجان خيل إلي أنه خارج لتوه من تحت الأنقاض . ولقد أنكرنى وأنكرته ، انتابنى الأسف الى الحال الذى وصل اليه ، وانتابه الشك لأنه لم يعرفنى ، وكان عبادة على حق فلقد أصابنى أنا الآخر ما أصاب قهوة عبد الله وعبادة معاً ، انهدم شىء ما فينا جميعاً ، انهدمت الاحجار فى قهوة عبد الله ، وانهدم الذكاء والجنون الذى يقترب من الالهام فى عبادة ، وانهدم الاحساس بالأمن فى داخل العبد لله ، نظراتى أصبحت زائغة ، وشعرى حلقوه فى الواحات . ولم يتعرف عبادة على شخصى وفر مذعوراً من أمامى ، فقد ظن انني أسخر منه او أرجو إيذاءه . وتدحرج عبادة بعد ذلك وهجر القهوة وبات على الأرصفة وتشرد فى الشوارع يلتقط غذاءه من صناديق الزبالة .

وتفرقت شلة قهوة عبد الله ، انشغل بعضهم بالحياة ، وانشغلت الحياة ببعضهم ، بعضهم غرق فى النور وبعضهم انسحب الى الظل . وبموت أنور المعداوى لم يعد يسأل عن مصير عبادة الا نعمان عاشور أحياناً وزكريا الحجاوى بين الحين والحين ، وذات صباح من يوم شديد القيظ فى صيف ١٩٦٣ كنت فى طريقى الى المطار لألحق بالطائرة المتجهة الى لندن إذ بعسكرى شرطة يتمطى كسلاناً على الرصيف المواجه لقهوة مرجان وثلاثة من المارة وجثة ممددة على الرصيف وقد غطوها بأوراق صحف . وسألت عن الخبر وأجابنى الشاويش فى بلاهه (ده واد صايع قتلته عربية ليلة امبارح) .

ولم اعرف ان القتيل الذى كان ممدداً على الرصيف تخفيه أوراق الصحف هو عبادة إلا بعد ذلك بثلاثة أعوام .

وداعاً عمنا المجنون عبادة ، كنت الوحيد الذى نطق بكل ما فى صدره فى عصرنا ، كان له من جنونه حماية ، ولكنه مات فى صمت ، ولم يشيعه أحد ، وكما جاء وحيداً .. مضى وحيداً ، وان كانت ذكراه بقيت حية فى صدور الذين عرفوه واحبوه ، وتمنى أن يصل الى ما وصل اليه عبادة من انعدام الوزن والرغبة والحاجة الى أى أحد أو أى شىء ، طبقة من السمو لم يصل اليها الا قلة نادرة من الرجال فى التاريخ وقبل التاريخ ، ومنهم بالقطع هذا المعتوه عبادة ! !

محمود السعدني



بقلم : الدكتور محمد البهي

البعث يوم القيامة

يذكر الله تعالى فى كتابه الكريم : ما كان يواجه به أى رسول أرسل الى قومه : من خاصة هذا القوم ، وزعمائه ، وأصحاب النعمة والترف فيه : فى شأن البعث ، فى قول الله جل جلاله فى سورة المؤمنين :

وقال الملأ من قومه (أى النخبة المختارة من قوم الرسول) الذين كفروا (أى الذين لم يؤمنوا برسالته) وكذبوا بلقاء الآخرة (وانكروا مع ذلك : اللقاء مع الله فى الآخرة .. أى انكروا أن تكون هناك مرحلة ثانية لوجود الانسان غير مرحلة الدنيا التى يحيا ويموت فيها الانسان) واترفناهم فى الحياة الدنيا (أى جعلناهم من المترفين : أصحاب الرزق الوفير والنعمة الواسعة . قالوا :) ما هذا (يعنون الرسول المرسل ، أى رسول) الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ، ويشرب مما تشربون (أى ليس واحدا من الملائكة) .

ولئن اطعتم بشرا مثلكم ، انكم اذا لخاسرون (لأنه لا يتميز عليكم . ويريد بدعوته ان يصير ذا زعامة فيكم ، دون أن يكون له فضل الزعماء من الغنى .. والشرف .. والجاه) .

أيعدكم : انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما : انكم مخرجون ؟ . هيهات هيهات لما توعدون (وبالاضافة الى أنه بشر فهو يعدكم بوقوع ما هو مستحيل . وهو أن تعودوا احياء الى ما كنتم عليه ثانية ، بعد ان تكونوا قد تحللتم فى قبوركم بعد موتكم وصرتم ترابا .. وعظاما . وهذا الوعد منه : كاف فى رفضكم لرسالته؛ لأنه قلما يتحقق . بل هو مستحيل الوقوع) .

ان هى الا حياتنا الدنيا : نموت ونحيا ، وما نحن بمبعوثين (وليست هناك حياة للانسان الا حياة واحدة . وهى حياة الحياة الدنيا . فالانسان بعد هذه الحياة الشخصية له : يموت . ثم بعد موته لا يعود ثانية من جديد . ولكنه يحيا فى اجياله المتعاقبة . فالموت للأشخاص .. والحياة للأجيال . وليس هناك : بعث لموتى باشخاصهم ، بعد أن يدفنوا فى قبورهم) ..

فالبعث الذى ينكره هؤلاء الوجهاء فى مجتمع كل رسول ـ حسبما يعبر القرآن عن تصورهم له ـ وعن حقيقته كذلك ـ هو اخراج الموتى باشخاصهم من قبورهم أحياء ليشهدوا جزاء الله على ما عمله كل واحد فى مرحلة حياته الأولى ، وهى مرحلة الدنيا .

والبعث يقوم اذن على أمرين :

الأمر الأول : ان الانسان يعيش حياة ذا مرحلتين . يعيش المرحلة الأولى من حياته فيما يسمى بالدنيا . وهو فيها : موضع اختبار فى نعم الله التى تحيط به ، من : مال .. واولاد .. وجاه .. وقوة وسلطة .. وصحة وعلم .. الخ . ليعرف : هل هو انسان فى تصرفه فيها : يستمتع بها .. كما يترك لغيره : ان يشاركه بالاستمتاع بقسط منها ؟ أم هو أنانى شحيح ؟ .. هل يعرف لنفسه حداً فى الاستمتاع بها واستخدامها أم ينطلق فيها فيسيء الى نفسه ، والى غيره ويطغى بها ؟ وتقطع هذه المرحلة الدنيوية بالموت .. ثم تستأنف الحياة بعده على وضع آخر .

الأمر الثانى : أن المرحلة الثانية التى يعيشها الانسان هى : مرحلة ما بعد الموت وهى مرحلة الخروج من القبر : ما بعد الجزاء من الله على نوع الموقف الذى اتخذه الانسان وهو فى دنياه من : نعم الله حوله . وتسمى بمرحلة الآخرة . ووضع الحياة فيها : اما وضع نعيم مادى لا قيود على الاستمتاع به .. أو وضع شقاء وعذاب مادى لا حدود لآلامه . وهذه المرحلة الثانوية من حياة الانسان مرحلة ابدية ، لا نهاية لها ، فى النعيم ، أو العذاب .

فأمر البعث هذا : ينكره الماديون . وقد رد القرآن فى غير موضع : انكار هؤلاء الماديين للبعث . فيقول فى سورة يس :

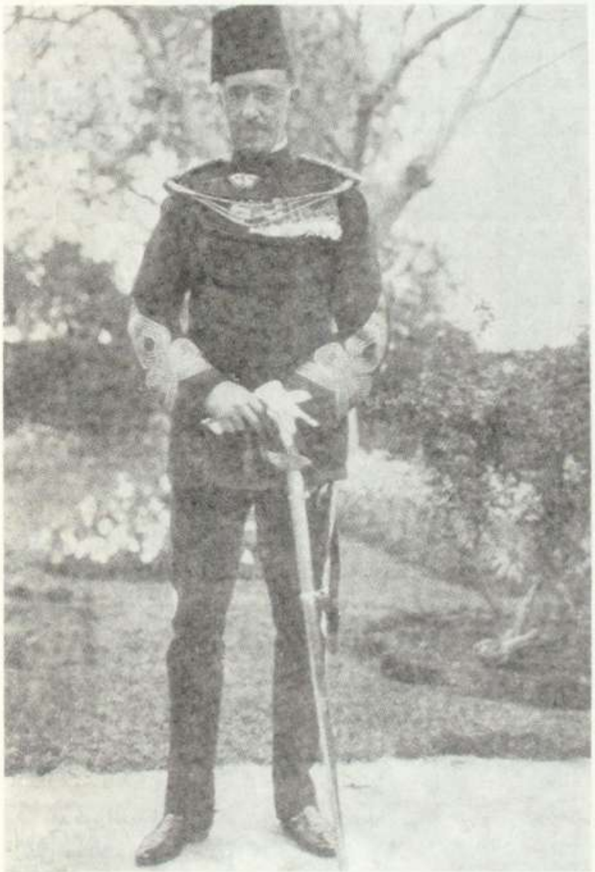
أو لم ير الانسان: انا خلقناه من نطفة (من ماء مهين) فاذا هو خصيم ، مبين (أى فاذا به انسان قد اشتد ساعده .. وأصبح قادرا على الخصام .. والبيان والتعبير . وهذا مثل لقدرة الله جل شأنه) .

وضرب لنا مثلا ، ونسي خلقه ، قال : من يحيى العظام وهى رميم ؟ (أى وهذا المخلوق الذى تطور من نطفة مهينة .. الى صاحب شأن فى المنطق والبيان : أصبح يقيس الله على الانسان ، ويربط شبهاً بينهما فى محدودية القدرة . ومن أجل ذلك يستبعد على قدرة الله : أن تعيد الحياة الى بدن الميت ، بعدما تحول الى عظام بالية . وهو فى هذا القياس والمثل : قد نسي خلقه هو ونسي نشاته) قل : يحييها الذى أنشاها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون (أى الذى اخرج النقيض من نقيضه) . أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى (أى نعم هو قادر) وهو الخلاق العليم .. (فهو سبحانه قادر على اعادة الموتى باشخاصهم الى الحياة ثانية . وتلك الاعادة هى : ما تسمى بعثا . والايمان بالبعث ـ فى الدين ـ قرين الايمان بالايمان بالله : (ذلك بأن الله هو الحق ، وأنه يحيى الموتى ، وانه على كل شيء قدير . وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور . ومن الناس من يجادل فى الله (فى شئون الله ومحيط قدرته) بغير علم ولا هدى ، ولا كتاب منير ..

من تاريخ سيناء :

ضابط المخابرات البريطاني لماذا أجاد لهجات القبائل البدوية؟

بقلم : درويش مصطفى الفار



الكولونيل «الفرد باركر»

فى محاذاة ساحل البحر المتوسط بشبه جزيرة سيناء ، بالشمال الشرقى لمصر يوجد مسطح من الماء الضحل ، تسميه الخرائط المعاصرة احيانا (بحيرة البردويل) واحيانا اخرى (سبخة البردويل) . وكان يسمى فى خرائط الاغريق والرومان والفراعنة باسم (بحيرة سر بونيس) . ويطلق الصيادون على القسم الشرقى منه اسم (بحيرة الزرانيق) ... وفيما بين البحر وتلك البحيرة ، بين العريش شرقاً ، والفرما او (بلوزيوم) غرباً شريط من الرمل ، يختلف اتساعاً وارتفاعاً . وفى هذا الشريط من الساحل آلاف من اطنان الرمال السوداء نقلها النيل ، فيما قبل السد العالى ، إلى البحر عبر فروعه السبعة التى كان منها الفرع البلوظى الذى كان يحمل ماء النيل إلى شمال سيناء حتى الحروب الصليبية . وفى وسط ذلك الشريط الرملى الغنى بمعادن التيتانيوم والزرجون والثوريوم ، يرتفع كثيب (القلس) إلى حوالى ستين متراً فوق سطح البحر . ويقول بعض المؤرخين إن « الفرما » هى القرية المصرية التى نشات فيها جدتنا « هاجر » ام اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام وان كثيب القلس هو « مونت كاسيوس » الذى ترجح بعض الروايات ان الملكة الجميلة الشهيرة كليوباطرة قد انتحرت عنده . وانها قد تكون تلك المدينة المصرية التى اشتهرت بالثياب (القسية) التى ورد ذكرها فى السيرة النبوية المطهرة ، وفى بعض اشعار العرب .. وفى رواية ينقلها « جارفس » فى كتابه « سيناء بين الأمس واليوم » أن اسم بحيرة « سربونيس » قد تحول إلى بحيرة البردويل ، لأن الملك الصليبى بولدوين قام من مملكته فى بيت المقدس بغارة على الفرما ، وتسمم هنالك من جراء أكلة « فسيخ » من سمك البورى الذى اشتهرت به البحيرة ، فمات ودفن فى العريش ، وتحور اسم بولدوين مع القرون حتى صار بردويل ، ودخلت عليه اداة التعريف فصار « البردويل » !!

وهنالك خلاف فى الرواية بين «جارفس» ودائرة المعارف البريطانية ... فالدائرة تقول إن « بولدوين » الذى مات فى العريش هو بولدوين الأول (١٠٥٨ ـ ٢ ابريل سنة ١١١٨) . ولكن « جارفس » يؤكد ان بولدوين الثانى هو المقصود وانه مات فى أغسطس سنة ١١٣١ م ، وانه ابن هيوج كونت (راثيل) ، التى تحورت الى (راشد) فاصبحت البحيرة عند اهل سيناء الشمالية منسوبة إلى (البردويل بن راشد) بدل بولدوين دى راثيل ..

وفى خضم تعدد الروايات والاجتهادات لدى شراح سفر الخروج التوراتى طلع بروجش (١٨٢٧ ـ ١٨٩٤) برأى يقول فيه إن مسيرة موسى عليه السلام بمن معه من الموحدين الهاربين من الوثنية (عبريين وعربا) كانت عبر ذلك الشريط الرملى الضيق بين بحيرة البردويل وشاطىء البحر .. ولقيت تلك الفكرة رواجاً عند الكثيرين ، وكان منهم اللورد كتشنر ... إذ كان اللورد كتشنر أحد المهتمين بجغرافية التوراة مذ كان يعمل وهو برتبة (صاغ) فى سلاح المهندسين بجيش احتلال مصر البريطانى ، سنة ١٨٨٣ مع السير ادوارد هل ، الذى كان احد رواد الحركة الصهيونية فيما كان يسمى منذ منتصف القرن التاسع عشر باسم (مشروع استكشاف فلسطين) .. وكان الصاغ (هوراثيو هربرت كتشنر ـ ١٨٥٠ ـ ١٩١٦) ضابطاً نشيطاً ذكياً ، فواكبته يد الرعاية الصهيونية الخفية ، حتى أصبح بعد أن

اثبت جدارته فى انحاء الامبراطورية بين الهند ومصر والسودان وفى حرب البوير ، رئيساً لهيئة اركان حرب الجيوش البريطانية ، ثم وزيراً للحربية إبان الحرب العالمية الأولى ، ولولا انه هلك غريقاً من جراء طوربيد المانى نسف بارجة كان يستقلها فى الخامس من يونيو حزيران سنة ١٩١٦ ، لكان الوعد الذى حمل إسم بلفور فى ١٩١٧/١١/٢ ، قد سمى وعد كتشنر ! ! !

دفع حب كتشنر لسيناء كمسرح لافكاره التوراتية وكنز سياسى للامبراطورية إلى ان يرشح ابن اخته الكولونيل (الفرد باركر) وكان من ألمع ضباط المخابرات فى جيش الاحتلال البريطانى بمصر ، ليكون محافظاً لسيناء وكانت إذ ذاك عاصمتها بلدة نخل ، أهم محطات درب الحاج المصرى .. وتقلد باركر منصبه سنة ١٩٠٦ ، وظل فيه إلى سنة ١٩٢٣ ، باستثناء سنوات قبيل واثناء الحرب العالمية الأولى ، عاد فيها للعمل بالمخابرات الحربية وناب عنه كل من بيمش بك وبراملى بك فى مدة غيابه ..

استطاع باركر ، ان يثبت فلسفة بريطانيا فى سيناء ، واكتسب خبرة تامة فى معرفة لهجات القبائل البدوية ، ووسوم الابل ، وتقاليد القضاء العرفى وعادات البدو والحضر فى سيناء كلها ، وبلغ به الذكاء ان شاع عنه اعتناق الاسلام ، فقد كان يحث رجاله ومعاونيه بالاكثار من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما يشعرون بالتعب !!! وافتتن الناس به فى البادية والحاضرة حتى حوروا اسمه ، كما تحور اسم بولدوين ، فصار يعرف بينهم باسم (بركل بيه) ..

وكان بركل بك ، لا يكل ولا يمل من التجوال فى ارجاء سيناء ، لتثبيت امن الامبراطورية ورسالتها فى الشرق الأوسط ، وللتحقق من صدق النظرية التى اعتنقها خاله « كتشنر » والقائلة بان مسيرة الخروج كانت بين سبخة البردويل وشاطىء البحر المتوسط . وكانت له فى جولاته قصص وروايات يمكن ان يستوعبها كتاب من القطع الكبير . ولا غرابة ، فقد كان باركر احد افراد الزمرة المختارة لمصاحبة « لورانس العرب » الذى استطاع ان يوهم العرب بان تحررهم واستقلالهم ووحدتهم رهن بمعاونتهم للامبراطورية فى الحرب العالمية الأولى ..

● كان حسين النخلاوى ، مقيماً على حصاد شعير له بمنطقة الخفجة الى الشمال من نخل ، فمر به رجلان راكبان من قبيلة العرادات ، فدعاهما للغـــداء ، فاعتذرا لضيق وقتهما ، وقلما يضيق الوقت فى البادية ، فاقسم ان يضربهما بالنار ان لم يستجيبا لدعوته !! فاصرا على الاعتذار فجرى نحو خباء له واحضر بندقيته وفى لحظات أردى احدهما قتيلا فما كان من الثانى الا ان تناول بندقيته من الخرج ، واطلق النار على حسين فقتله ثأراً لابن عمه !! وفى هدوء حمل جثتى القتيلين واتى بهما الى مركز الشرطة فى نخل .. وكان بركل بك انذاك يقضى إجازة الصيف فى انجلترا .. دفنت الشرطة الموتى ، واودع العرادى فى السجن بقلعة نخل ، وطال به المكث ، فايقن أن أحداً لم يبلغ بركل بك بامره ، فاهتبل فرصة خروج احد المسجونين وحمله بضعة أبيات من شعر بلهجة البادية ، وسمع بركل بك الشعر وفهمه فامر باحضار البدوى السجين ، وسمع منه القصة ــ شعراً ــ بتفاصيلها فاطلق سراحه ، معتبراً إياه غير مذنب إذ انه اخذ بثار ابن عم له ..



الكولونيل «بيمش بك» محافظ سيناء بين ٣ ـ ٢ ـ ١٩١٢ حتى ١ ـ ٢ ـ ١٩١٣ .. وكان مساعداً لباركر فى فترة حكمه الأولى



الكولونيل «براملى بك» ساعد باركر فترة من الزمن ، ثم عمل محافظاً لسيناء بعد «بيمش

● استنفر بركل بك داورية من الهجانة لاستطلاع حادثة نهب وسلب قرب بيرطابا ، فاعترض الداورية بدوى كان يرعى إبله ، واستوقف احد الراكبين ، وساله بصوت مسموع : أين بركل بيه ؟ فرد باركر على الفور من بعيد ، أنا ،بركل .. ماذا تريد ؟ فقال البدوى إننى أود التحدث إليك منفرداً .. فقفز باركر من فوق بعيره واتجه نحو البدوى ، فوضع البدوى يده على كتف باركر ومشى به بعيداً عن الركب ثم جلس واجلس باركر امامه ، واضعا يديه على كتفى « المحافظ » مبتسماً يقول :

يا بركل ، أنا رجل اشرب التتن ، وقـد نفد ما معى ، ووالله لقد بشرت نفسى بالفرج عندما لاحت لى داوريتك، فقد بصرت ببعيرك عن بعد .

فضحك باركر مقهقها ، ونادى «المراسلة» الذى يحمل « تموين المحافظ » ليحضر علبة « توباكو » من نوع كافندش الممتاز ، واعطاها للبدوى ، وهو يعتذر لانه ليس معـه غيرها ووعده بالمزيد فى فرصــــة اخرى ! ! !

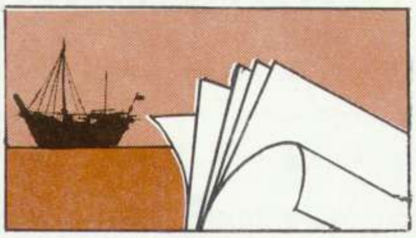
ذلك غيض من فيض أو نقطة من بحر ، يرينا كيف كانت نوعية الرجال الذين سيطرت بهم « الامبراطورية » على قلوب الناس فى البادية ، ونفذت ما تريد من سياسة ! !

ترى هل نستطيع اكتســــاب الخبرة والموعظة من التاريخ فنبلور قلوبنــــا ومشاعرنا حول انفسنا ، لعلنا ننجو مما نحن فيه من بلاء التمزق والتشرذم واللامبالاة بصناعة التاريخ وتحدى التحدى ؟ !

درويش مصطفى الفار

أوراق من البحر

قبل أن نزور متاحفنا
أغرابًا نبحث عن الجذور



بقلم : عبد الرحمن المناعى
بريشة : سلطان السليطى

باع السفينة حتى يشيع الدفء في القلوب

قبل الموسم

نظر الى سفنه السبع الراسية قريباً من شاطىء القرية . إنه يمتلك أسطولا ورث بعضه عن والده . والبعض صنع بيد أشهر (كلاف) بمنطقة الخليج . أراد أن يكون من أسياد البحر ، وها هوذا يحقق أمنيته . أربعة (ابوام) و (سنبوكين) و (جيلبوت) وأكثر من اربعمائة بحار ما بين (غيص) و (سيب) وعدد من النواخذة تحت إمرته . أصبحت كل قرى الشاطىء تدين له ولمواسمه بالولاء . أصبح دفتره الأصفر يضم اسماء كل فقراء ذلك الشاطىء اللاهث خلف لقمة العيش ، الباحث فى مياه الملح عن قوته . غدا سوف يحتشد رجل أقوياء وأطفال دون العاشرة فى مجلسه العامر يلتمسون منه الرحيل الى قيعان الخوف والأخطار ، يقبضون (السلف) وينصرفون فرحين . ابتسم للشمس .. إنه يملك كل هذه القرى من خلال دفتره الأصفر !

قبل الموسم التالي

لم يستطع تحمل تلك الأعباء . سبع سفن تجوب البحر شهورا طويلة تحمل أكثر من اربعمائة بحار ، مائتان منهم يكتشفون الأعماق بمعدل اثنتى عشر ساعة يوميا لا تخرج اجسامهم من الماء الا مرة واحدة لصلاة الظهر وتناول قليل من التمر والقهوة وآخرون تقطع الحبال أيديهم طوال النهار وكل ذلك بدون طائل . وغدا سيأتون جميعا لقبض (السلف) وسيدفع .. ولا يدرى ماذا سيجنى من رحلته القادمة . لقد اضطر الى أن يبيع احد (ابوامه) لا بأس من التراجع قليلا ، كي ينمو بشكل قوى .

قبل الموسم التالي

لقد اقتنع بكلام مساعده المخلص (المجدمى) لابد من أن يزود تلك السفن بـ (نهام) لا شىء يستثير حماس البحارة مثل صوت النهام الشجي . فمن غير المعقول أن ينمو أسطوله بهذا الشكل بدون أن يضم نهاماً يعبر عن احاسيسهم ويؤنس لياليهم الموحشة . ولقد أسر له المجدمى بأن كل شىء يتجاوب وصوت النهام حتى قاع البحر بكل كائناته يدنو طربا الى مكان السفينة .

قبل الموسم التالي

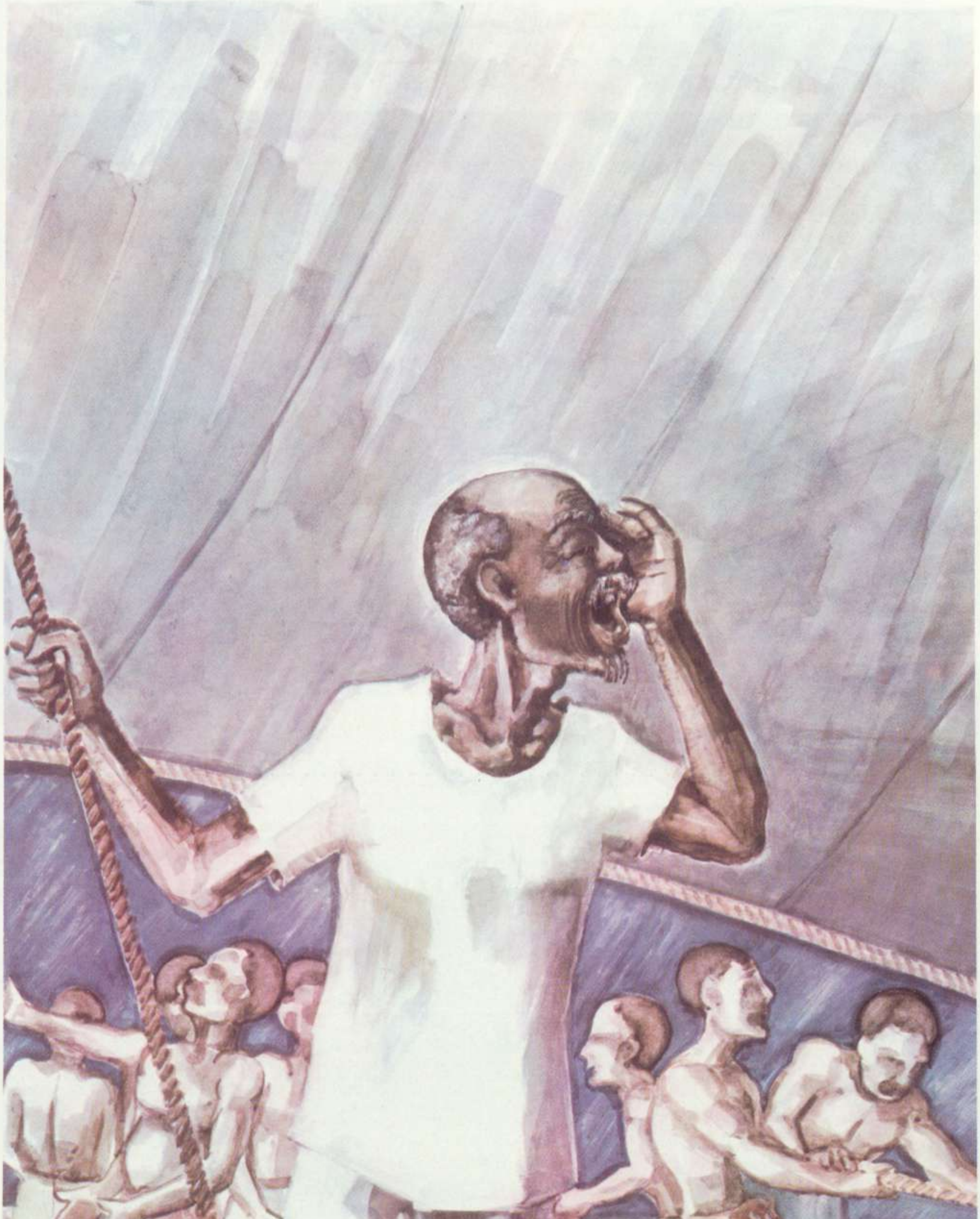
لقد باع (بوماً) آخر . وأرهق نفسه بمفاوضات مطولة حول ذلك العجوز الأعمى (النهام) حتى استطاع أن يحصل عليه مقابل الفى روبية . إنه مبلغ كبير جدا والنهام يريد ايضا بيتا وخادما ومئونة تكفيه هو وحماره الذى لا يأكل إلا التمر . وماذا سيعمل على ظهر السفينة غير الصراخ ؟

أبحر بخمس سفن . تقلص اسطوله بشكل مخيف . والمغنى الأعمى يكلفه الكثير لقد باع سفينة ، وهل صوته يساوى شراعا ؟ وبدأ الموسم ، وعمل الجميع ، وصوت ذلك النهام العجوز يشيع الدفء والنشاط فى أوصالهم . كان موسم خير عوض كل خسائره باع لآلئه واسترد ما باع ودفع لبحارته .. هل للنهام دور فى ذلك ؟

اسر له المجدمي (إن عشرة من مهرة الغواصين بالمنطقة التحقوا بالعمل معه من أجل الاستمتاع بصوت المغني العجوز وهم لا يعملون الا حيث يكون) .

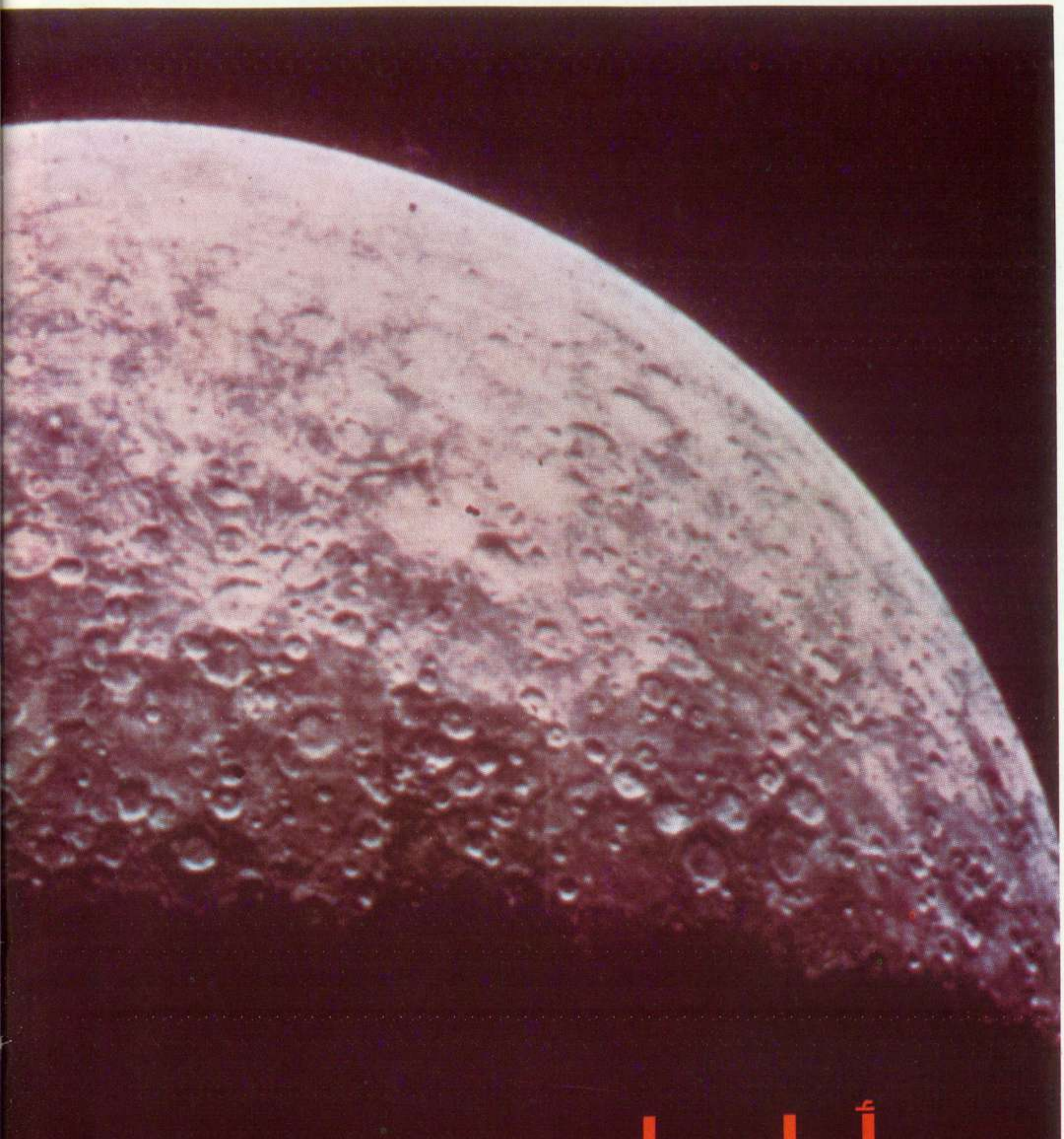
من قاموس البحر والغوص

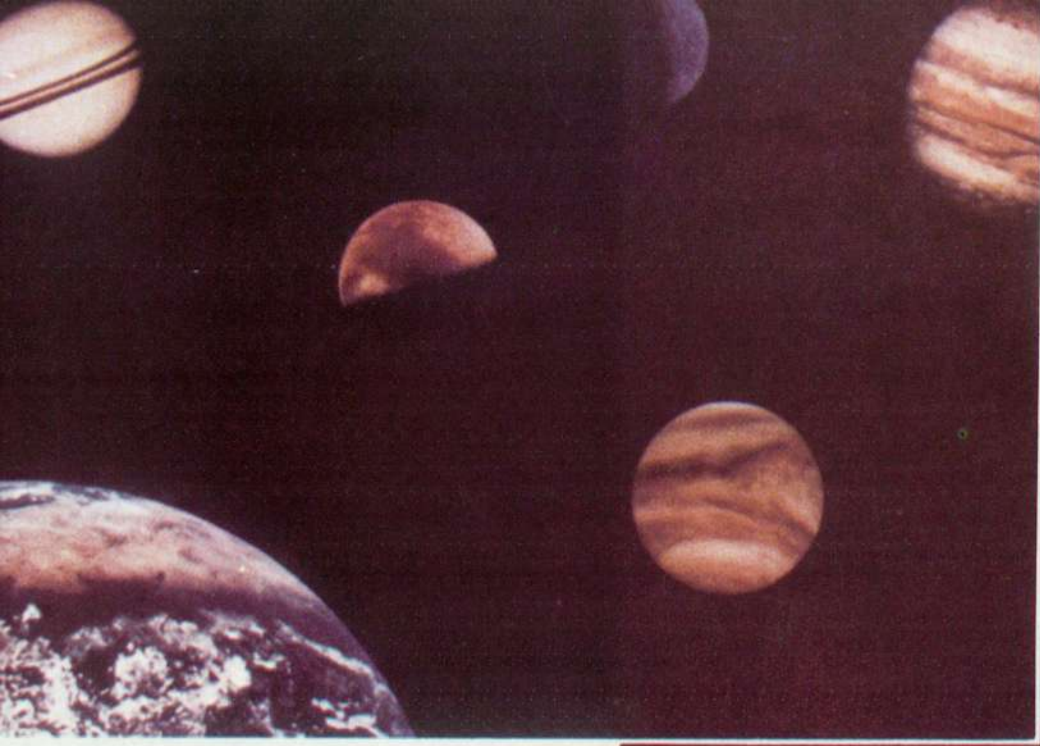
بوم سنبوك جيلبوت .	بعض أنواع السفن المستخدمة فى الغوص .
الكلاف	صانع السفن .
الغيص	الغواص ومهمته البحث عن المحار فى قاع البحر ونصيبه فى المحصول أكثر من باقى المهام،يغوص بمعدل عشرين الى خمسين مرة حسب حالة البحر ويبقى تحت الماء فترة تتراوح بين الدقيقة الى ثلاث دقائق
السيب	هو الرجل المسئول عن الغيص يسحبه من البحر ويتناول المحار منه كذلك يقوم بالأعمال الأخرى كرفع الشراع وسحب المرساة وما اليه .
المجدمي	هو الرجل الادارى للسفينة مسؤول عن تموين السفينة،وفى الرحلة يكون مسؤولا عن مقدمة السفينة .
السلف	مبلغ يدفع للبحارة قبل الرحلة ليتمكنوا من شراء المواد اللازمة لمنازلهم على ان يخصم من حصتهم بعد الموسم
النهام	مغنى السفينة .

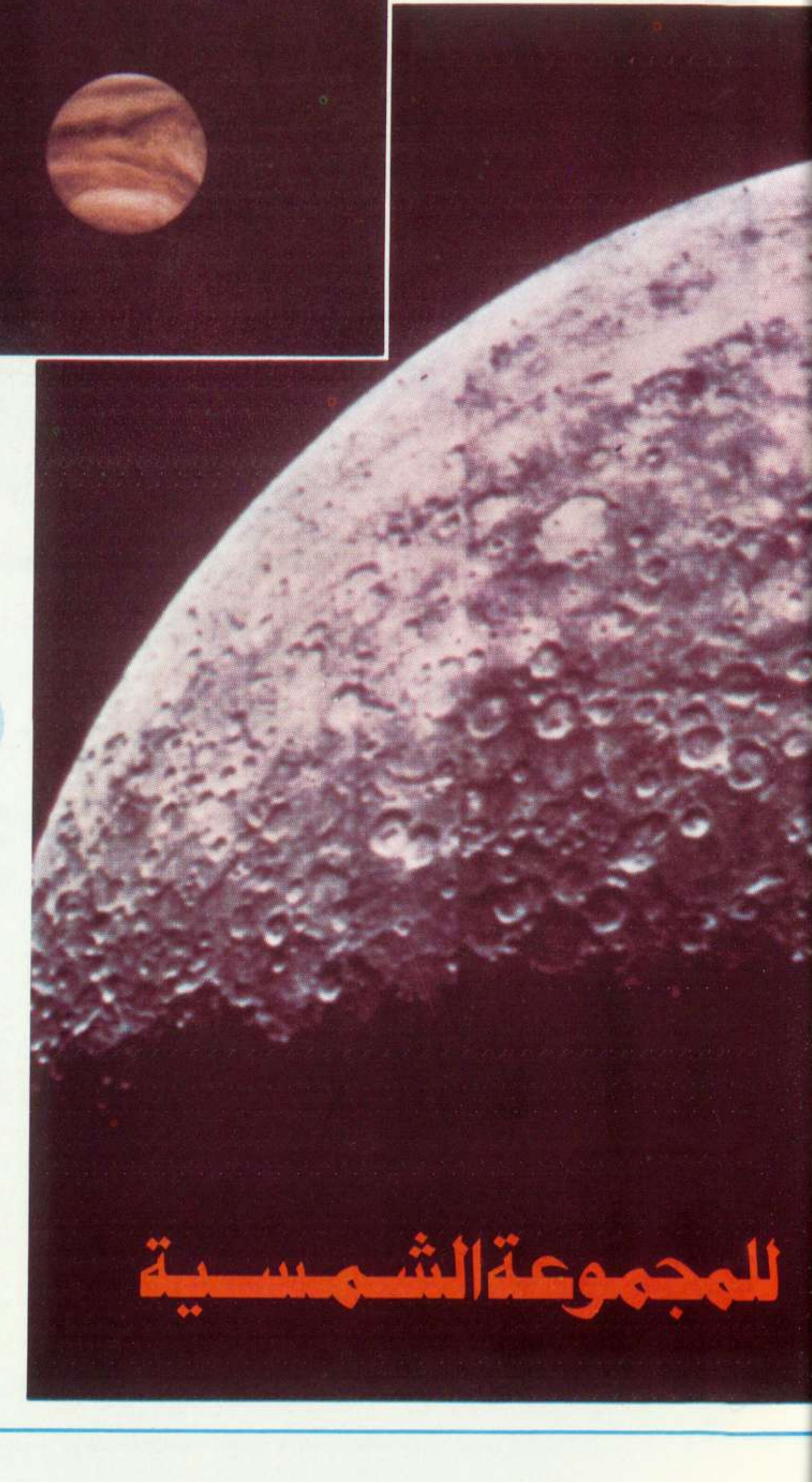

سلطان

"الدوحة" تنشر ٦ صور نادرة للمجموعة الشمسية

رسالة لندن : مجدي نصيف







للمجموعة الشمسية

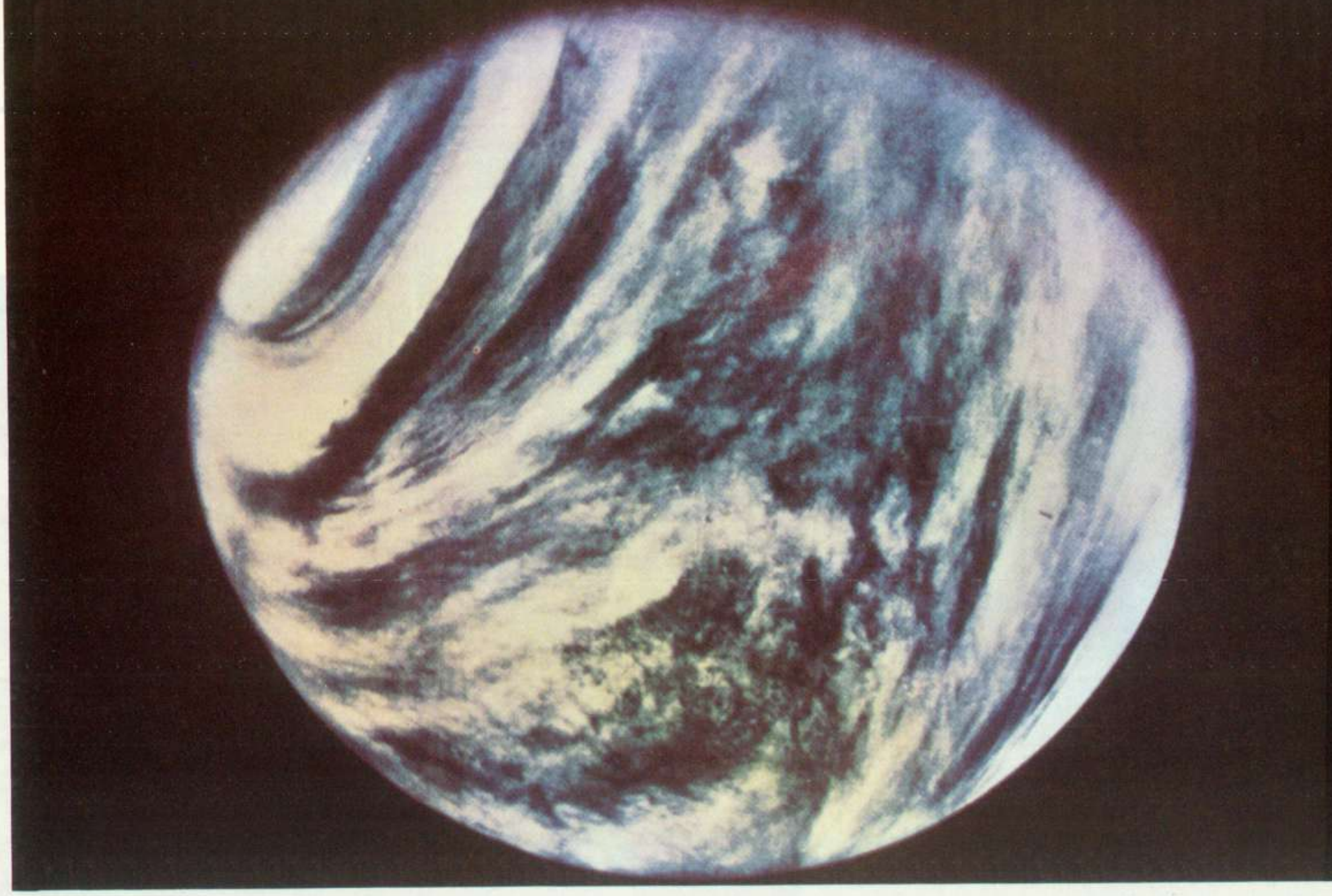
لقطتان : اعلى صور ستة من كواكب المجموعة الشمسية التسعة اخذت من سفن الفضاء ، يتكون هذا « الموزايك » الذى شكله العلماء من ست سفن فضاء وهى « تشرق » من فوق السطح القمرى ، والشمس تتوهج من حافة الأرض ، اما الكوكب الأول الذى يبدو فوق القمر فهو « الزهرة » وفى اعلى نفس الصورة الى اليمين يبدو على الترتيب :
المشترى ، وعطارد ، والمريخ ثم زحل فى النهاية .. اما اللقطة الثانية على اليمين فهى لكوكب عطارد على بعد مائتى الف كيلو متر واخذت من سفينة الفضاء الاتوماتيكية «مارينر ١٠» .

كتب سيدنى سميث ، عالم الفلك الانجليزى الذى عاش فى القرن التاسع عشر يقول عن الكواكب :

ـ «عجيب ذلك النظام الشمسى .. فعند الرصد بالمنظار ، هناك مشاكل عديدة : الضوء سيىء ، والكواكب بعيدة للغاية ، والمذنبات مزعجة ، وأجهزة الرصد الفلكية نفسها ضعيفة للغاية ، فلا تسعفنا » .

ولا نعرف ما الذى كان سيقوله سيدنى سميث ، لو كان حاضراً مع علماء وكالة « الناسا » الامريكية ، يوم الخامس من مارس عام ١٩٧٩ ، عندما اخذت سفينة الفضاء الأوتوماتيكية « فوايجر الاولى » ترسل صوراً مقربة لـ «أيو» أحد أقمار كوكب المشترى ، يملأها الضوء حتى ليخيل للمرء انه يمكن لمس القمر ذاته ، وهى تلمع على الشاشة . لقد فوجىء العلماء الامريكيون انفسهم بهذه الصورة الملونة الرائعة لهذا القمر ، اذ كانوا يتوقعون قمراً ميتاً مثل قمر الأرض ، تملاه الفوهات . كان « أيو » كرة رائعة تميزه ثلاثة ألوان : البرتقالى ، والأبيض ، والأصفر ، حتى لم يتمالك أحد العلماء نفسه ، وصاح قائلا :

ـ يالله ، انه بألوان « البيتزا » الايطالية تماماً !



اشهر صورة لكوكب الزهرة ، اخذت من السفينة «مارينر ١٠» بآلة تصوير ذات مرشح فوق بنفسجى . واللون الأزرق ليس حقيقيا ، لكنه اضيف ليبين دورة السحب التى تدور بسرعة كبيرة ، ويعتقد العلماء انها تتكون من بلورات ثانى اكسيد الكربون وحامض الكبريتيك .

منذ ملايين السنين ، لم يكن كل كوكب من كواكب المجموعة الشمسية القريبة من الأرض ، وهى : عطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحل ، أكثر من نقطة لامعة كرأس الدبوس فى سماء الليل . ومنذ ثلاثة قرون ونصف قرن ، بعد اختراع المنظار الذى سدده جاليليو لأول مرة يرصد به الأجرام السماوية ، لم تزد هذه الكواكب عن نقاط لامعة فى طرف عدسة المنظار .

لكن ... فى العشرين عاماً الأخيرة ، ومن خلال آلات التصوير التى وضعت فى سفن الفضاء الأوتوماتيكية : فينـرا ومارينر وبيونير وفايكنج وفوايجر ، أصبحت صورها المقربة ، مألوفة حتى للانسان العادى وليس للعلماء فحسب . لقد شاهد الملايين على شاشة التليفزيون وفى المجلات والصحف ، صوراً لجبال وصحارى ووديان انهار قديمة ، وبركان فى مساحة فرنسا ، وواد ضيق بطول نهر الميسيسيبي ، واعصار حجمه ضعف حجم كرتنا الارضية ، وشاهدنا قمراً مثل السيجار ، وآخر مثل « حبة » البطاطس ، وثالث تغطيه الثلوج المتكسرة .

ورغم كل ما عرفناه عن الكواكب واقمارها عن طريق تلك الصور التى التقطتها آلات تصوير دقيقة وحساسة مركبة فى سفن الفضاء الأوتوماتيكية ، يقول جون نوجيل رئيس فريق علماء وكالة « الناسا » :

ـ « عارض عديد من العلماء فى بداية الستينات ، وضع آلات تصوير فى سفن الفضاء الاوتوماتيكية . كانوا يريدون ان يضعوا بدلا منها أجهزة علمية اخرى لقياس المغنطيسية والطيف وعدادات لقياس درجات الحرارة والأشعة الكونية . كان من رأيهم أننا فى حاجة إلى قياسات للظروف الفيزيائية السائدة على هذه الكواكب . كانوا يرددون : ماذا سنفعل بهذه الصور ؟ وكيف يستفيد منها العلم ؟ » .

فماذا استفاد علم الفلك حقا ؟ .

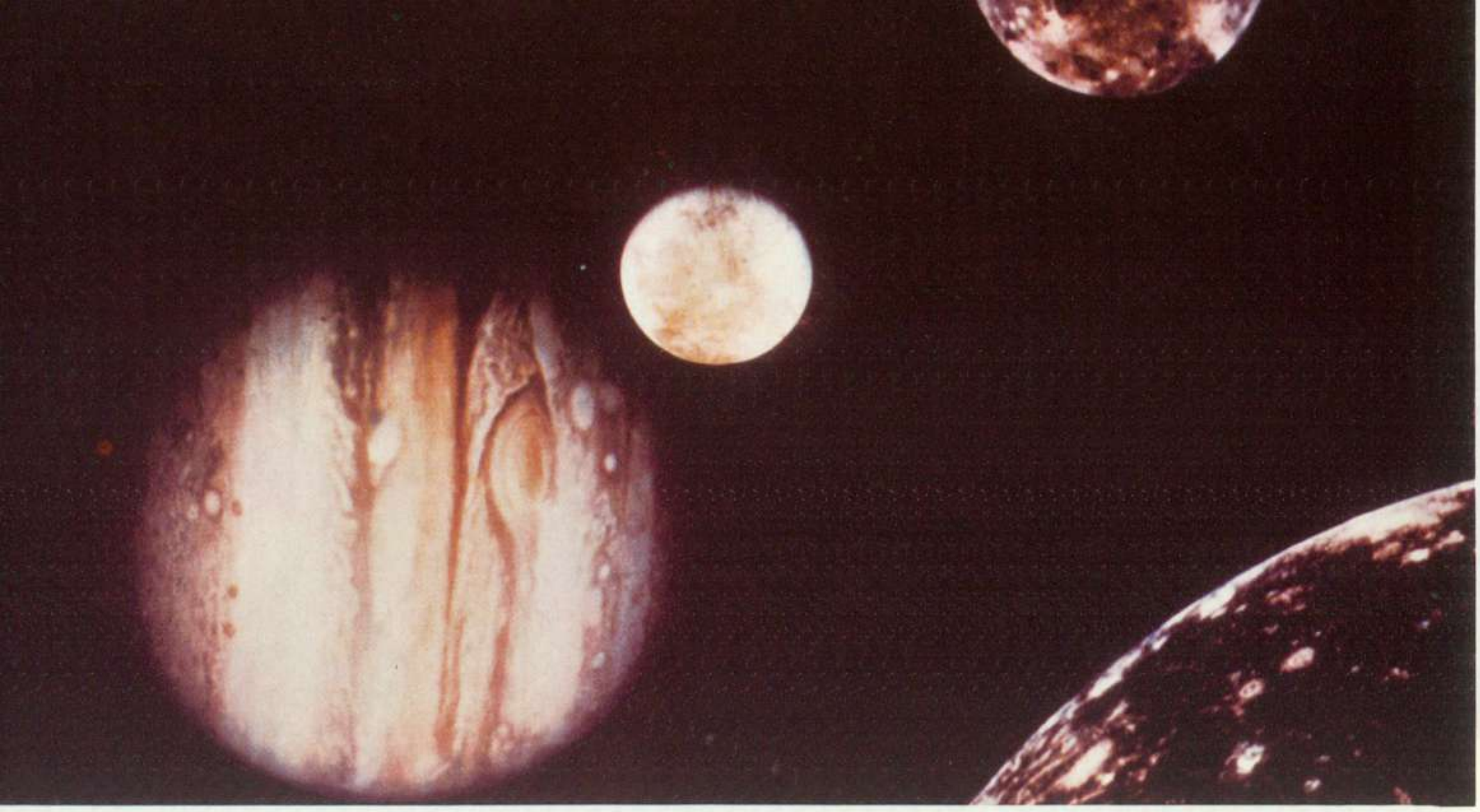
باتريك مور عالم فلك بريطانى ، يقدم برنامجاً ناجحاً فى التليفزيون البريطانى (الـ بى . بى . سى) اسمه « السماء ليلا » ، منذ ابريل عام ١٩٥٧ ، عندما انطلق أول قمر صناعى ليدور حول الأرض . يقول العالم البريطانى :

ـ « عندما بدأت فى تقديم البرنامج ، لم تكن لدى فكرة حقيقية عن التطورات المذهلة التى ستحدث حتى احتفالنا باليوبيل الفضى للبرنامج فى ابريل عام ١٩٨٢ » (١) . ثم يستطرد فيقول .

ـ « صحيح اننا نتوقع تقدما لاي علم من العلوم ، وخاصة خلال حقبة الثورة العلمية والتكنولوجية ، لكن ما حدث لعلم الفلك لم يكن تقدماً تدريجياً ، بل كان انفجاراً فجائياً . ولدي نسختان من كتاب متداول من كتب الفلك كلاهما من تأليف السير روبرت بول ، الطبعة الأولى عام ١٨٩٥ ، والثانية عام ١٩١٢ . وعندما قارنت بين الطبعتين مؤخراً ، لم اجد فارقاً كبيراً ، فقد كان تقدم الفلك وئيداً للغاية ، بل ويكاد أن يكون ساكناً . لكن الامر يختلف الآن ، فأى كتاب فلك صادر عام ١٩٧٠ على سبيل المثال ، لا نقلب صفحاته الا على سبيل الاهتمام « التاريخى » فحسب ! صحيح ان المبادىء الأساسية واحدة ، لكن التفصيلات تتغير من أسبوع لاسبوع » (٢) .

وحتى نعرف ما قصده باتريك مور ، علينا أن نلقى نظرة على أحد كتب الفلك التى لا يزيد عمرها عن عشرين عاماً ، ثم نقارنها بأى كتاب فلك حديث ، وليكن كتاب باتريك مور الجديد نفسه .

كان هذا الكتاب « القديم » يقول ، على سبيل المثال وليس الحصر ، ان الكوكب زحل هو الكوكب الوحيد فى المجموعة الشمسية الذى يمتلك نظام « الحلقات » .



كوكب المشترى وحوله كواكبه الأربعة المعروفة باسم «أقمار جاليليو» التى فى حجم الكوكب هى نفسها .. «إيو» يميل لونه الى الاحمرار أعلى الى اليسار ، وهو أقرب «للمشترى» .. و «يوربا» فى الوسط .. وجانيمايد وكاليبسو اسفل الى اليمين .

لكننا نعرف الآن ، ومن الصور التى أرسلتها سفن الفضاء الأوتوماتيكية ، ان كوكب المشترى يمتلك نظاماً بدوره . بل وأكثر من ذلك كان كتاب الفلك القديم يقول ان زحل ليس له أكثر من ثلاث « حلقات » ، لكننا نعلم الآن ، أن عددها يزيد على الألف .

كان هذا الكتاب « القديم » يذكر أيضاً أن عدد أقمار كوكب زحل : عشرة . أما الآن فنحن نعلم أن له خمسة عشر قمراً . أما كوكب المشترى ، الذى كان الكتاب يقول إن له اثنى عشر قمراً ، فقد أوضحت لنا الصور المقربة ان عددها خمسة عشر قمراً وربما أكثر .

كان كتاب الفلك القديم يقول لنا إن سبب التغير الموسمى للون سطح كوكب المريخ ، هو : الخضرة ، أما الآن فنحن نعلم تماماً أن السبب هو العواصف الترابية .

وهكذا ... فى أقل من عقدين من الزمان ، غيرت هذه الصور كتب الفلك تماماً . وحقيقة الأمر أن الأصح أن نقول انهـــا أعادت كتابتها من جديد .

ليس هذا فحسب ، بل أصبحت صــور الكواكب البعيدة تستخدم كل يوم ، فنراها على شاشة التليفزيون ، حتى فى الاعلانات عن بعض السلع التجارية فى كبرى المجلات المصورة . لقد تطورت أســـاليب تكنولوجية جديدة ومناهج نظرية حديثة ، واكتشفنا أجراماً لم تكن معروفة ، بل ولم نتوقع اكتشافها منذ عشرين عاماً فقط . وأرسلنا سفن فضاء بها روادفضاء ، وأخرى أوتوماتيكية إلى « النظام الشمسى » . لقد بدأ بالفعل عصر جديد .

هل قاربت على الانتهاء ؟

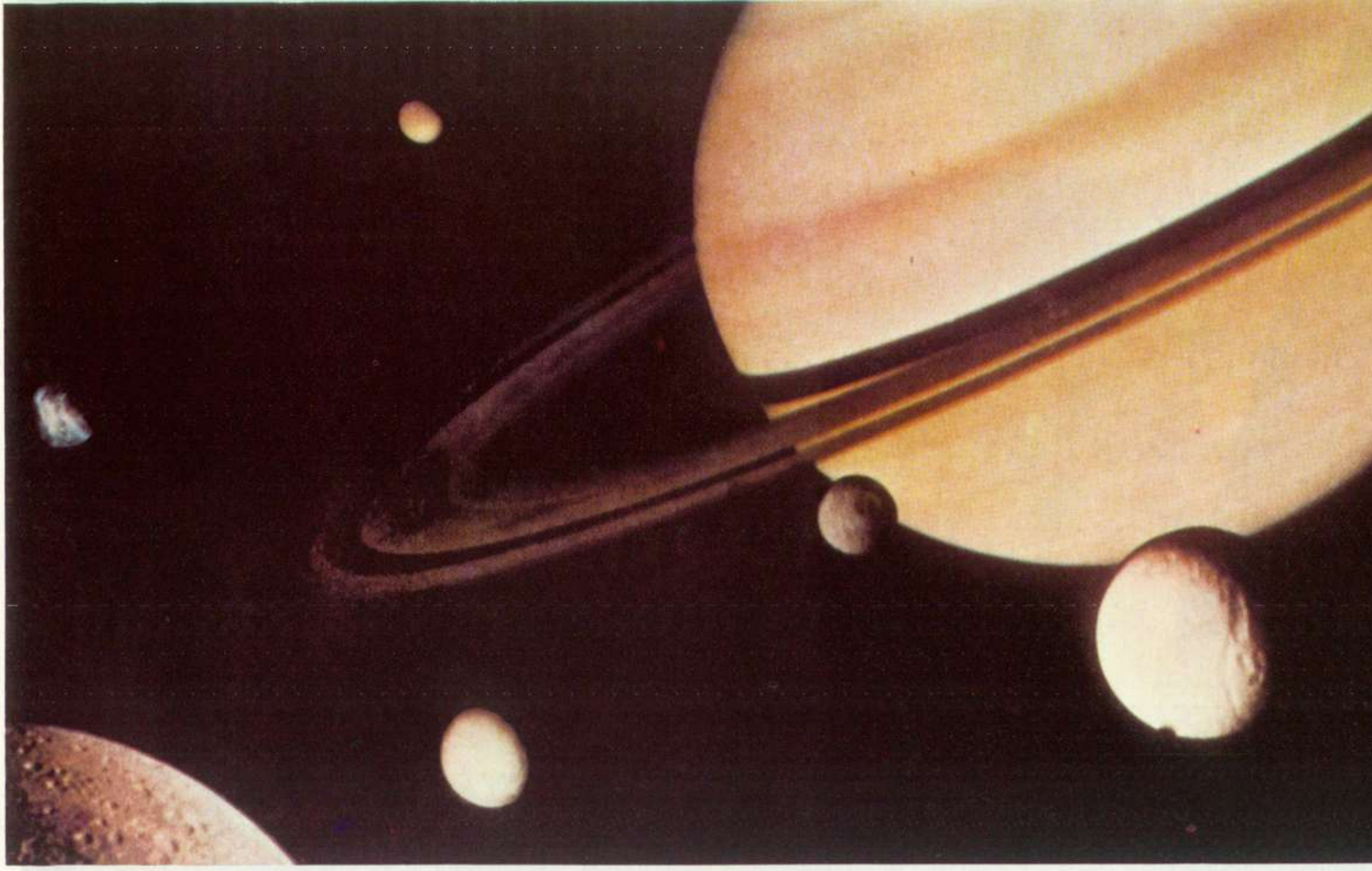
لكن هذه الحقبة العظيمة التى أطلقت فيها سفن الفضاء لاستكشاف الكواكب وتصويرها وجمع المعلومات عنها ، يبدو انها قد قاربت على الانتهاء . وربما من الأفضل أن نقول انها تأجلت ولم تتوقف . فالذى لاشك فيه اننا سنعود لاستكمالها فيما بعد ، بعد أن تزول الظروف التى أدت إلى توقفها ؛ فمنذ منتصف السبعينات امتص مشروع « مكوك الفضاء » معظم الميزانيات المرصودة لغزو الفضاء . كذلك ألغيت الخطط التى رسمت لمقابلة المذنب « هاللى » الذى يمر قريباً من الأرض مرة كل ٧٦ عاماً . وتأجل مشروع « بعثة جاليليو » الى كوكب المشترى ، وكذلك مشروع آخر لرسم خريطة لكل سطح كوكب الزهرة ، عن طريق قمر صناعى يدور حوله . فبعد رحلة سفينة الفضاء « فوايجر ــ الثانية » التى قامت فى شهر أغسطس عام ١٩٨١ بتصوير الكوكب زحل ، فربما لن نرى صوراً أخرى لكواكب المجموعة الشمسية ، سوى عام ١٩٨٦ . هذا إذا تحققت خطتهـــا المرسومة ، وسارت فى مسارها المفروض الذى وضعه لها العلماء .

لقد ولد بالفعل علم جديد هو « علم الكواكب » ، وعرفنا الكثير عن أسرار كواكب المجموعة الشمسية ، وعن كوكبنا بالتالى ، فاتسعت نظرتنا للكون ، وازدادت المعرفة البشرية خلال العقدين الأخيرين وحدهما ، أضعاف ما عرفته البشرية فى قرون .

لكن المعرفة ليس لها نهاية .

فبعد أن كان أجدادنا يعتقدون أن الأرض هى مركز الكون ، أدركوا انها جزء من المجموعة الشمسية ، وأن الشمس هى مركزها . ثم أن المجموعة الشمسية ، مع مجموعات أخرى مماثلة فى وسطها نجوم بعضها أكبر من شمسنا بكثير تشكل مجموعة كونية أكبر هى « المجرة » .

أما الأرض ، كوكبنا ، فهى كوكب ضمن تسعة ، تدور حول الشمس ، والمسافات بين الكواكب وبعضها ، وبينها وبين الشمس



«مونتاج» من صور التقطتها سفن الفضاء لـ «نظام زحل» . تبين الصورة «ديون» فى اسفل الصورة الى اليمين . الكوكب زحل نفسه اعلى الصورة الى اليسار ، اما «تيتان» ففى القمة و «انسيلادس» الى يمين الحلقات . و «ميماس» اقرب الاقمار الى الحلقات ، ثم « تيثيس » امام زحـــل . و «رى» الى يسار «ديون» .

فى الوسط تبدو لنا مذهلة ، حيث تصل إلى مئـات الملايين من الكيلومتـرات . انها فى حقيقة الامر مســافات مذهلة بمقاييسنا « الارضية » ، ولكنها ليست كذلك بالنسبة لعلماء الفلك الذين اعتادوا على الحسابات الفلكية فى المسافات والازمنة على السواء .

وعلى سبيل المثال ، يقول علماء الفلك إن عمر الارض يزيد على ٤٥٠٠ مليون سنة ، اما الكون نفسه فهو اقدم من ذلك بكثير . ان علينا ان نقبل هذه الارقام كما هى ، وعلينا ان نضيف هنا ، ان الفلكيين لا يفهمون هذه المسافات الشاسعة والازمنة الموغلة فى القدم افضل من الناس العاديين ، لكن كل المسالة انهم ببساطة لا يرتكبون خطا محاولة فهمها .

الشمس وما حولها

اما مركز المجموعة الشمســية فهى شمسنا بطبيعة الحال ، وهى نجم «عادى» عبارة عن كرة هائلة من غازات ملتهبة ، هائلة الحجم إلى درجة انها تبتلع مائة ارض فى حجم ارضنا . وهى كرة تشع بطاقتها الخاصة ، ليس لانها تحترق ، بل بسبب التفاعلات النووية التى تتم داخلها

إنها فى حقيقة الامر « قنبلة نووية » هائلة الحجم ، وان كانت ليست كالقنابل النووية التى صنعها بنو البشر ، تدمر وتجتث الحياة كما حدث فى هيروشيما ونجازاكى . على العكس من ذلك تماما ، إنها قنبلة تحت « السيطرة » على تفاعلاتها النووية ، وهى تساعد بنى البشر على استمرار حياتهم .

حول هذه الشمس تدور الارض وبقية كواكب المجموعة الشمسية . الكواكب الاربعة الداخلية صغيرة الحجم نسبيا ، صلبة ، شبيهة بالارض . اما الاربع كواكب الاخرى ، فهى ضخمة ، غازية ، فى قلبها سوائل اساسا .

اما الكوكب بلوتو ، وهو ابعد كواكب المجموعة ، فهو مازال لغزاً ، رغم كل ما تم حتى الآن من تقدم فى دراسة الكواكب والكون .

وحتى نتصور شكل المجموعة الشمسية والمسافات بينها ، سنلجا إلى التصغير مليون مرة ، بحيث تكون النسبة هى واحد : المليون . ولنا بعد هذا أن نتصور شكل المجموعة .

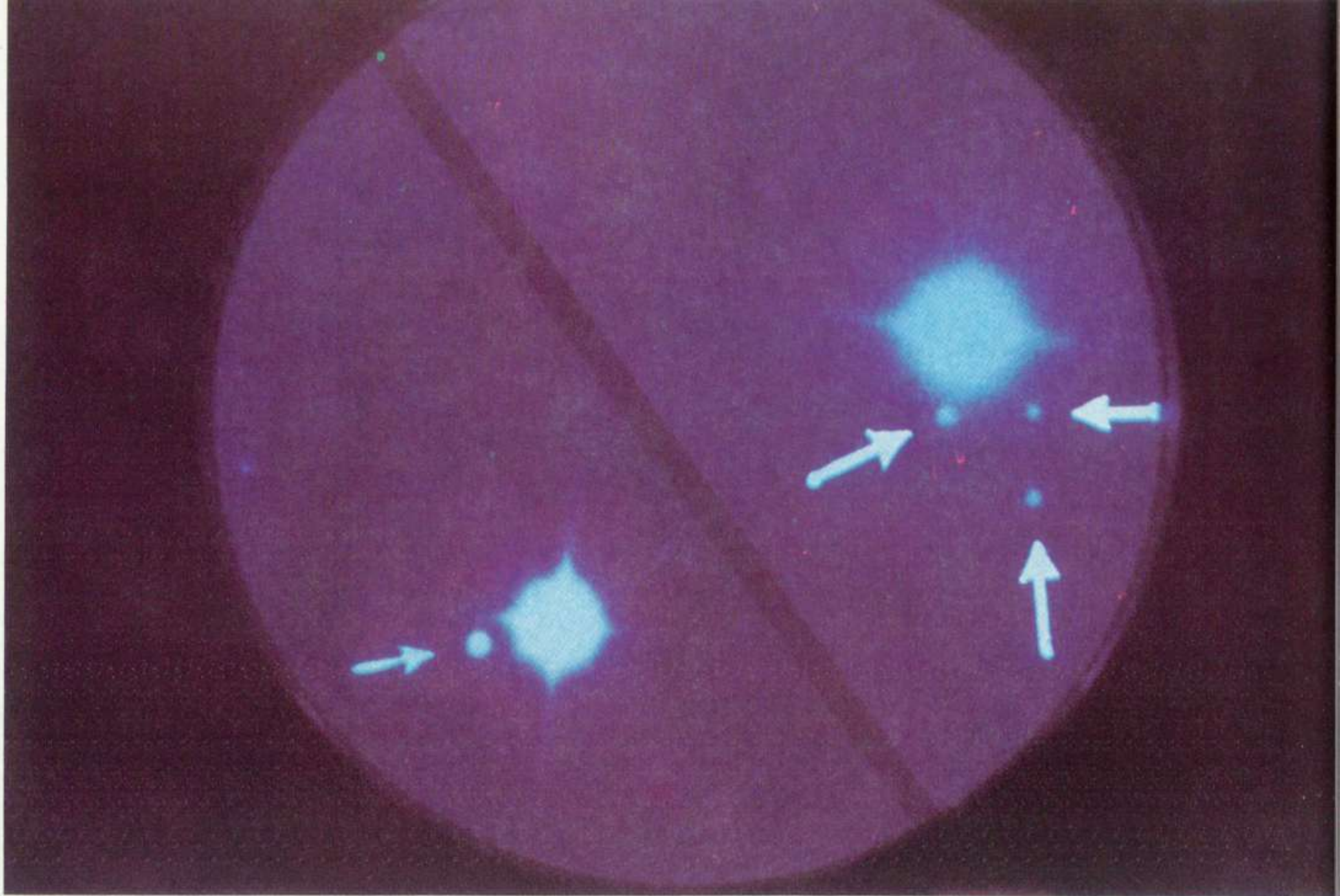
بهذه الطريقة هناك الارض وقطرها ١٢ متراً ، وعلى بعد ٤٠٠ متر منها يقع قمرها ويكون قطره ثلاثة امتار . وعلى بعد ١٤٩ كيلومتراً نجد الشمس فى المنتصف وقطرها ١ر٦ كيلومتراً ! وعلى بعد ٥٧ر٦ كيلومتراً من الشمس يدور عطارد وقطره اربعة امتار ونصف متر . وعلى بعد ١٠٧ر٢ كيلو متراً من الشمس يدور كوكب الزهرة وقطره ١١ر٤ متراً . ويبعد المريخ عن الشمس مسافة ٢٢٤ كيلومتراً وقطره ستة امتار .

اما قمرا المريخ « ديموس » و « فوبوس » فقطر كل منهما ١ر٢ كيلومتراً فقط . ثم بعد المريخ هناك « فجوة » هائلة ، ثم على بعد ٧٧٢٨ كيلومتراً من الشمس نصل إلى المشترى ، اكبر كواكب المجموعة ويكون قطره ١٢٠ متراً ، اما توابعه او اقماره فتتراوح اقطارها بين اربعة امتار ونصف المتر إلى عدة سنتيمترات . ثم ياتى الكوكب زحل ويكون قطره ١١٠ متراً ، ثم بلوتو الذى يبعـــد عن الشمس ٥٩٢٠ كيلومتراً ويكون قطره ستة امتار .

هكذا رغم لجوئنا للتصغير لتبسـيط المسالة ، مازالت المسافات كبيرة . وتتميز حركة الكواكب حول الشمس بصفات معينة :

فاولا : تكون مدارات الكواكب دائرية ، وتقع كلها فى مستوى واحد ، وتدور فى اتجاه واحد ، مع اتجاه دوران الشمس .

وثانيا : تنقسم الكواكب التسعة إلى مجموعتين واضحتين . الكواكب الداخلية



الكوكب يورانوس مع كواكبه الستة . خمسة منها معروفة جيداً للعلماء ، واما السادس فقد اكتشف عام ... (١٩٨٢) ويصل قطره الى حوالى مائة كيلو متر .. اما نبتون فهو كوكب من العمالقة الغازية ، يشبه يورانوس كثيراً ، وله قمران معروفان حتى الآن . «ترايتون» الذى يبلغ قطره حوالى ٣٨٠٠ كيلو متراً ويعتبر من اكبر اقمار المجموعة الشمسية كلها ، ويبعد عن كوكبه نبتون ٣٥٥ الف كيلو متراً ، وفترته المدارية ٥,٨٧ يوما .

او الأرضية ، وهى القريبة من الشمس (عطارد ــ الزهرة ــ الأرض ــ المريخ) . هذه الكواكب الشبيهة بالارض صغيرة نسبياً من ناحية الحجم ، وكثافتها اكبر ، وهى تدور ببطء حول محاورها ، وعدد توابعها محدود . أما المجموعة الأخرى من الكواكب فيطلق عليها اسم الكواكب الخارجية أو العملاقة ، ويطلق عليها العلماء أحياناً اسم « العمالقة الغازية » (وهى المشترى وزحل ويورانوس وبنتون) وهى ضخمة غازية كثافتها اقل ، وتدور بسرعة حول محاورها ، وعدد توابعها كبير فكل كوكب يكاد يماثل فى حد ذاته المجموعة الشمسية .

وتضم المجموعة الشمسية أجراماً سماوية أخرى غير الكواكب .

هناك الكواكب الصغرى او النجيمات ، وقدد قام العلماء بحساب مدارات اكثر من ١٦٠٠٠ منها منذ اكتشاف اول نجيمة عام ١٨٠١ . ويتراوح حجمها عموماً بين ٨٠٠ كيلومتر (قطرها) إلى اقل من كيلومتر . ولا تزيد كتلتها كلها معاً عن جزء من ثلاثة آلاف جزء من حجم الارض . وتدور كلها فى مدارات تقع بين المريخ والمشترى ، لكن بعضها له مدارات ممتدة من عطارد حتى المريخ ، مثلما هو الحال مع ايكاروس ، وأحياناً من المريخ حتى زحل كما هو الحال مع هيدالجو ، وبعضها اقترب من الارض حتى أصبح يبعد عنها بما لا يزيد عن عدة ملايين قليلة من الكيلومترات ، مثل هيدميس وايروس .

وهناك فى المجموعة الشمسية أيضاً : المذنبات وهى اجسام كبيرة الحجم وإن كانت ذات كتلة صغيرة ، وهى معروفة للناس العاديين باسم النجوم الساقطة ، حيث تلمع كالنجوم اللامعة فى السماء ولها ذيل طويل . ومداراتها مستطيلة ممتدة .

وهناك الشهب أيضاً ، وبعضها يخترق الغلاف الجوى للارض ويصل إلى الارض كذرات ترابية ، وإن كان بعضها اكبر . ويحتفظ منها بعدد فى بعض المتاحف .

وبالاضافة إلى هذه الاجسام المتواجدة في المجموعة الشمسية هناك اجسام وغازات وجسيمات وجزيئات ترابية ، تدور كلها حول الشمس تحت تاثير قوة جاذبيتها

أحلام المستقبل

ونحن مازلنا فى بداية عصر الفضاء ، فعمره لا يزيد عن خمسة وعشرين عاماً منذ انطلق اول قمر صناعي فى اكتوبر عام ١٩٥٧ . والعلماء مازالوا يحلمون بانجاز الكثير لاستكشاف « النظام الشمسي » انهم يودون معرفة المزيد عن كل كوكب ، ويودون معرفة حزام النجيمات الذي يبعد مائتي مليون ميل عن ارضنا ، حتى يمكن التوصل إلى تطور النظام الشمسي كما يقول الفلكي الامريكي ادوارد اندرز من جامعة شيكاغو ، انهم باختصار يودون اكتشاف ماهو معروف ، ثم جمع المعلومات .

ونحن مازلنا في بداية الطريق .

مجدي نصيف ــ لندن

المراجع

1. Patrick Moore: The Unfolded Universe. Michael Joseph/Rainbird - 1982 London.
2. P. H, A. Sneath: Planets and Life. Thomas Hudson-London
3. Encyclopedia Britanica & 1977 Yearbook of Science and The Future.



وجه المدينة كما صوره لنا الفنان السعودى محمد السليم

محمد موسى السليم

فنان سعودي لم تقتلعه فنون الغرب من جذوره

بقلم : يوسف أحمد

اغلب الذين توقفوا أمام أعمال الفنان السعودى محمد موسى السليم ادركوا انه رغم دراسته الفنية التى نهل فيها من فنون الغرب ، إلا انه حافظ على جذوره البيئية فى صحراء شبه الجزيرة العربية ، فقدم لنا لوحات زاخرة بالأصالة والتراث والمعاصرة ..

إن الفنان محمد موسى السليم يعد واحداً من الرعيل الأول للفنانين التشكيليين بالمملكة العربية السعودية الذين أثروا الحركة التشكيلية بكل أبعادها الفنية والموضوعية ..

وهو فنان مليء بالنشاط والحيوية ، لا يكف عن الحركة والعمل المتواصل ، فقد اقام أكثر من خمسة عشر معرضاً لأعماله بين الرياض والظهران وجدة والدمام .. واشترك باكثر من خمسين معرضاً مشتركاً فى معظم مدن الوطن العربى والبلاد الأوربية ، وكانت مدينته المفضلة فى كل رحلاته الفنية هى فلورنسا ، فقد كان يرى فيها مدينة توفر للفنان كل الظروف النفسية والفنية التى تشحذ طاقته وتجعله راغباً فى العطاء !

وخلال المشوار الفنى للفنان موسى السليم عمل فترة وجيزة بالتدريس ، وانتقل مهندساً للديكور بالتليفزيون السعودى ، ثم أصبح مديراً لدار الفنون السعودية التى اخذت على عاتقها توفير جميع مستلزمات الفنان التشكيلى ، والمربى الفنى فى المدارس ،

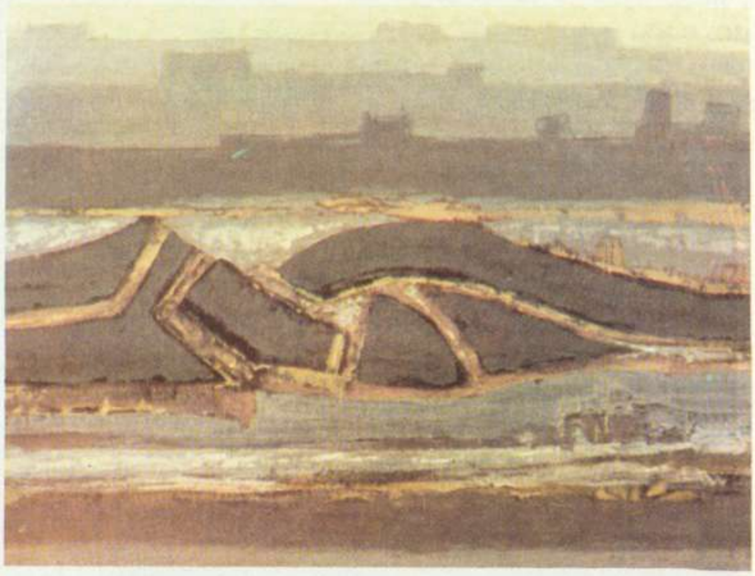
وعملت جاهدة على اقامة المعارض الفنية سواء للفنانين السعوديين أو للفنانين للقيمين على أرض المملكة ، أو لفنانى منطقة الخليج العربى ، وهذا بالاضافة إلى

جهوده المستمرة لاستمرار برنامج الصالة وفق خطة فنية مدروسة ، والعمل على



مجموعة من لوحات الفنان ، تميزت بابراز البيئة المتاصلة فى كيانه وتلاحم الالوان فى سيمفونية رائعة





انتاج وطباعة أعمال الفنانين السعوديين وتصميم النصب التذكارية التى نرى ماثرها فى جميع انحاء المملكة ..

وإذا ما عدنا إلى أعمال الفنان ، فاننا سنلاحظ أن لوحاته تطرق موضاعات البيئة المتاصلة فى كيانه وروحه ، وهى تمثل نهراً فياضاً من حيث المعالجة الفنية والعطاء الذى لا يتوقف ، فكل الذين عاصروه وهو طالب فى مدينة فلورنسا الايطالية قالوا : إن البيئة لم تغب عن ذهنه فى غربته ، وان تشبثه بجذوره فى قلب أوربا جعله طالباً متميزاً ، يذكرنا بالفنان المصرى محمود مختار عندما ذهب إلى فرنسا لدراسة الفنون فى باريس على نفقة الحكومة المصرية ، فلم تبهره حضارة الغرب ولم تقتلعه من جذوره ، بل فتح صدره وقلبه لكل التيارات ، واتجه إلى احساسه الداخلى مع وطنه وتراثه ، فكانت أعماله الخالدة التى رأينا فيها الروح الثائرة لمصر الحديثة !

إن مجرد نظرة على لوحات الفنان السعودى محمد موسى السليم ، تجعلنا نلاحظ سيطرة اللون الأصفر على لوحاته ، ولا غرابة فى ذلك ، إذا ما عرفنا انه من أبناء الصحراء الذين تشبعوا بالرمال والهضاب اللانهائية التى تتلاحم مع اللون الأزرق الصافى فى سيمفونية رائعة ..

وفى أعماله الأخيرة نجده يتجه إلى استخدام بعض الجمل والحروف العربية ، معطياً إياها الجو الصحراوى الذى يتمشى تشكيلياً وجمالياً مع حركة الهضاب والرمال وسنام الجمال .. وهو يفعل ذلك بلمسات فرشاته العريضة التى تعطيك الايحاء بعرض وسعة أفق الصحراء !

إنه ـ باختصار ـ فنان أثرى الحركة التشكيلية فى المملكة العربية السعودية ، ومازال مستمراً فى رحلة العطاء والأصالة .

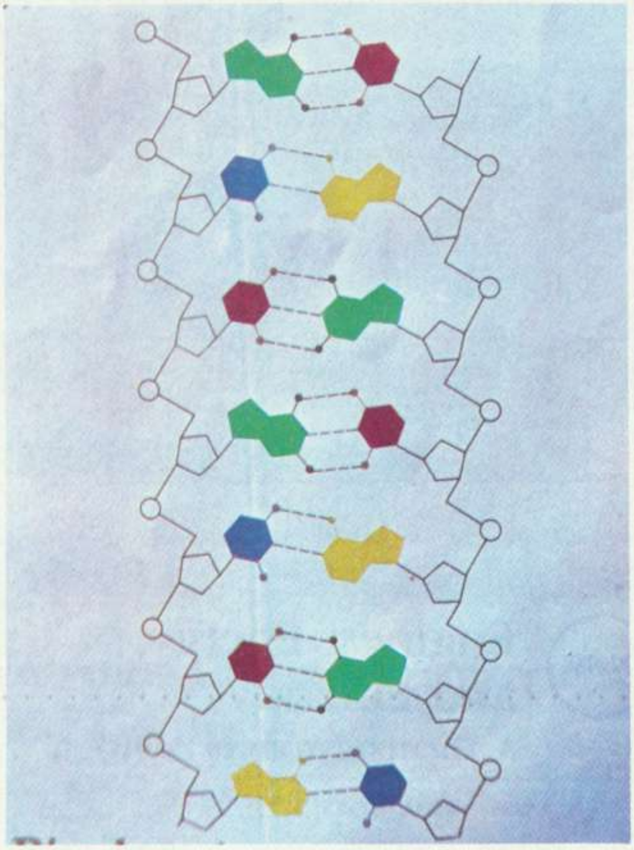
يوسف أحمد

من أسرار تنوع الكائنات

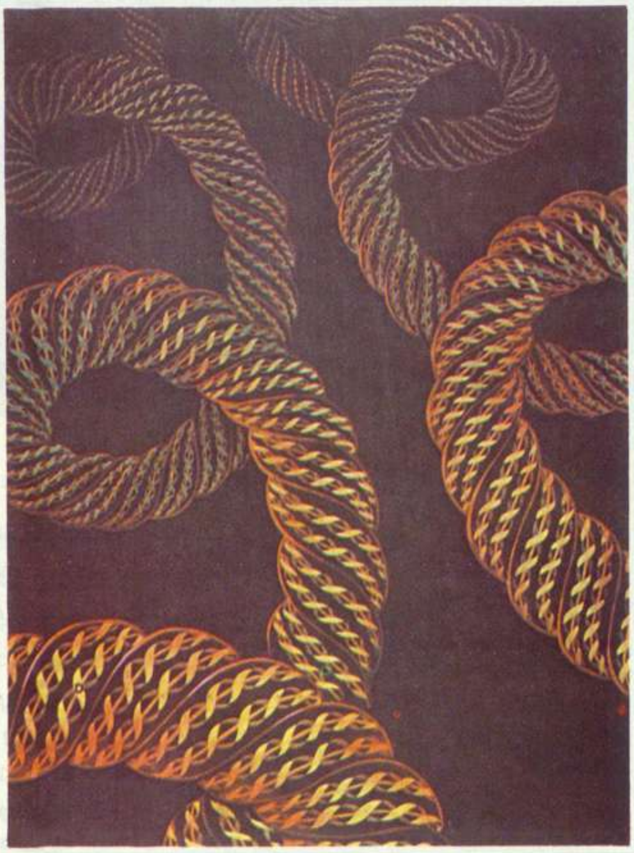
ظهور الطفرة.. دليل تغيّر الشفرة!

بقلم: د. عبد المحسن صالح

هب أن جاءتك فكرة تسجيل ذكريات حياتك منذ بدات تنطق الكلمة ، وتكون الجملة ، وتنمق الفكرة ، ثم تصقلها بمرور الزمن ، وتطور المعرفة ، ولنفرض أن هـذا التسجيل كان على شريط أو عدة أشرطة ، ثم سمعتها بعد عمر طويل ، عندئذ ستدرك كم كنت فى طفولتك وصباك ، ضعيف الفكر واللغة والادراك ، ثم حدث الصقل فى مشوار حياتك باكتساب التجارب ، وصقل المواهب ، ونضوج المدارك ، وهنا يظهر الفرق واضحاً بين كل مرحلة من المراحل التى يمر بها الانسان فى مشوار الحياة ، لأن كل مرحلة تضيف شيئا ، ومحصلة ذلك كله تتويج لرسالة العقل .. أسمى وارقى وأبدع عطاءات قدرة الخالق فى هـــذا



شكل (١ ا) يوضح جزءاً جد ضئيلاً من نموذج لشريط وراثى تتراص فيه الشفرة المكونة من اربعة مركبات كيميائية ، ويمســـكها « درابزين » كيميائي والتغيير فى تنظيم هذه الشفرة بسبب عوامل البيئة يؤدى لحدوث الطفرات .



شكل (١ ب) نموذج للاشرطة الوراثية المجدولة ، وعرضها بهذا النظام المبسط هنا ، كان نتيجة لبحوث عميقة سابقة بالميكروسكوبات الاليكترونية او التحليلات الكيميائية والفيزيائية .

الركن من الكون العظيم .

كذلك يرى علماء الحياة ، مراحل الحياة وهى تمر من بساطة الى تعقيد ، ومن بدائية الى ارتقاء ، ومن تفرق الى تجمع ، ومن خمول الى تنوع ، وكل هذا أيضاً مسجل ومكتوب على شريط أو أشرطة .. لكن الفرق الواضح بين الأشرطة التى نسجل عليها ذكرياتنا ، والأشرطة التى تسجل بها الحياة ذكرياتها من خـــلال مخلوقاتها - الفرق أن هذه أشرطة مغناطيسية ، وتلك أشرطة وراثية ، مسجلة بمركبات كيميائية ، وكما لا نرى مضمون شرائطنا الا اذا اشتغلت فى أجهزة التسجيل ، لنسمع ما خفي عن عيوننا ، كذلك لا نعرف مضمون أشرطة الحياة الا اذا اشتغلت فى خلاياها ، وعندئذ نراها وقد تمخضت عن مخلوقات شتى ، اذ ليست العبرة فى الشريط ، ولكن ما سجل على هذا الشريط أو ذاك (شكل ١ أ ، ب) .

بحر من المعلومات

منذ حوالى ثلاثين عاماً فقط ، ظلت أسرار هذه الأشرطة مجهولة ، ونقصد هنا أشرطة الحياة ، ودعنا من أشرطة الناس ، ففكرتها جد بدائية اذا ما قورنت بالأشرطة التى تأسست عليها صفات المخلوقات ، فرغم دقتها المتناهية ، الا أنها تنطوى على بحر من المعلومات .

ووعندمـــا اكتشف العلماء فكرة هــذه الأشرطة بالميكروسكوبات الاليكترونية تارة وبالتحليلات الكيميائية والفيزيائية تارة أخرى ، عرفوا السر فى تنوع الكائنات .. بداية من الميكروب الضئيل ، ونهاية بالانسان الحكيم ، لأن كل المخلوقات تجمعها فكرة واحدة ، لكنها تتغير وتصقل وتتطور بمرور الزمن ، والقاسم المشترك الأعظم بينها شريط ، وفيه تكمن « ذاكرة » الحياة ، لكن هذه « الأشرطة الذاكرة » قد بدأت بداية بسيطة منذ حوالى ٢٥٠٠ مليون عام ، ثم استوعبت بعد ذلك محيطاً واسعاً من المعلومات ، لغتها الشفرات ، التى كتبت بها كل المخلوقات ، لتظهر فى سلالات وأنواع وأجناس وعائلات ورتب وأقسام وقبائل .. الى آخر هذه التقسيمات ، التى اتخذها العلماء سبيلا لدراسة نظم الخلق .. ما ظهر منه وما بطن .

والناس ترى الخلق مبعثراً ، ويراه العلماء منظماً ، ولهذا وضـــعوه فى تقسيمات حسب ما يؤلف بينه من صفات ظاهرة وباطنة .. فالأسماك فى قسم ، والطيور فى قسم ، وكذلك الحشرات والبرمائيات والثدييات ، والنجيليات والبقوليات .. الى آخر هذه التنظيمات التى تزخر بها المجلدات ، وهذا وغيره لم ينشأ من فراغ ، بل له أصول ودراسات تقوم على البحوث والتأمل الأصيل فى هذا الطوفان الدافق من المخلوقات ، ولقد أحصى العلماء منه حتى الآن حوالى مليونين من الكائنات الحية ، غير الذى انقرض واندثر ، وكشف العلماء عنه الحجاب فى حفريات كثيرة جداً ، حتى لقد قيل أن ما نراه اليوم من كائنات حية لا يمثل الا ١٠٪ فقط من حصيلة الخلق ، ويعنى هذا أن الأنواع التى ظهرت على هذا الكوكب قد بلغت أكثر من ٢٠ مليوناً من الأنواع ، ولابد من تصنيفها ، حتى يسهل دراستها ، ومعرفة الجذور أو الأصول التى نشأت منها تلك المخلوقات .

وقد يبدو أنا خرجنا من موضوع الى موضوع ، وما ذلك بخروج ، لأن للخلق ظاهراً وباطناً ، والظاهر ما يراه النـــاس بعيونهم ، وقد يمطون له شفاههم ، ثم ينصرفون الى حال سبيلهم ، دون أن يكلفوا خاطرهم بالتأمل والنظر فى أصول الخلق أو بداياته ، ليعرفوا شيئاً عن حكمته ووجوده وسلوكه وتكوينه ظاهراً وباطناً ، ولقد فعل العلماء ذلك ، وقدموا لنا ثروة علمية هائلة .. فهم الذين يدرســـون ويتأملون

لكن الذين نظروا الى باطن الخلق ، عرفوا سر التنوع الهائل فى المخلوقات ، وعندما عرفوا ، استخدموا حصيلتهم العملية فى استنباط سلالات جـــديدة من الكائنات ، سواء فى عالم الحيوان أو النبات .

ترى .. ما السر فى ذلك ؟

السر فى الطفرة

إن السر فى تقدم العلوم يرجع الى فضول الانسان للمعرفة ، وطرحه العديد من الأسئلة ، ثم محاولاته الجادة للاجابة على الأسرار التى تنطوى فيه وحوله بغير



شكل (٢) الفراشة والبيئة .. فى الصورة العليا فراشتان لنوع واحد ، وهما تمثلان طفرتين ، احداهما داكنة لا تكاد ترى ، والثانية واضحة وفى الصورة تظهر الفراشتان بوضوح ، لأنهما جاءتا بلون غير لون قلف الشجرة المغطى بالأشن والطحالب ، والصورة السفلى جاء لون القلف مبرقشاً ، فظهرت الفراشة الداكنة واضحة ، لكن المبرقشة يصعب اكتشافها ، فتنجو من الاعداء (وهى مختفية فى الركن الأيمن الأسفل) .



شكل (٣) هذا التنوع فى الألوان دليل على حدوث طفرات فى حشرة « ابو العيد » .. والطفرة سر من اسرار التنوع ، لأنها تعنى تغيرا فى الشفرة الوراثية .

ظاهرة الطفرة.. دليل تغير الشفرة!

حدود ، وهنا يحق القول الكريم « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

والذين تساءلوا وبحثوا فى ظاهر الخلق وباطنه ، عرفوا ان ظاهر الخلق ، مرتبط بباطنه ، وأن التنوع له أصوله التى تكمن على الأشرطة ، لكن أهم ما يميز الأشرطة أنها دائماً تمتلك صفات الطفرة ، والطفرة تعنى التغير ، والتغير صنو التنوع .

والواقع أن خلايا كل الكائنات تطفر ، والطفرة قد تكون بالنسبة للكائن الحى رحمة ، وقد تكون عليه نقمة ، ونحن نعرف ذلك فى ظواهر لا نكاد نحصيها عــدا ، فالسرطان طفرة وراثية سيئة ، وكذلك كانت الأمراض الوراثية ، ولقد أحصى العلماء منها حتى الآن حوالى ثلاثة الاف نوع ، وكل مرض وراثى قد جاء نتيجة لخطا طفيف أو كبير فى جزء من الشريط الوراثى لأن الشريط نفسه مقسم الى فقرات .. كل فقرة اسمها جينة أو مورثــة ، ونحن لا نستطيع أن نتعرض لهذه الطفرات السيئة هنا ، لأن ذلك قد يباعد بيننا وبين موضوعنا ، وقد نعود اليها فى دراســة قادمة .

وكما كانت هناك طفرات سيئة ، تظهر أيضاً فى حياة النوع طفرات حسنة ، والأمثلة على ذلك لا تعد ولا تحصى ، لكنها على أية حال فى صالح النوع ، ليتخطى بها أزمة ، فنحن نحارب الميكروبات الضارة بالمضادات الحيوية ، أو مركبات السلفا ، لكننا نكتشف بعد وقت يطول أو يقصر ، أن بعضها قد اكتسب مقاومة ضد هذا المركب أو ذاك ، والمقاومة سببها الطفرة ، فبين واحد فقط من الملايين والبــلايين من الميكروبات تظهر فيه الطفرة ، وبحيث تؤدى هذه الطفرة الى ميكروب لا يتأثر بهذا المضاد الحيوى أو ذاك ، فتكون له ذرية تتكاثر بالملايين والبلايين فى وجود المضاد الذى قتل كل أترابه ، ولابد والحال كذلك من انتاج مضادات حيوية جــديدة ، لكن الميكروبات لديها السلاح ، وسلاحها فى الطفرة التى تساعدها على تخطى كل مصيبة أو أزمة ، والنتيجة لهذا واضحة ، فنحن لم نستطع حتى الآن القضاء على كل الميكروبات الممرضة ، رغم الاف الأنواع من المضادات الحيوية المتباية ، فان الله قد يسر لهذه الكائنات حياتها ، ومنحها سلاح التغير فى أشرطتها ، لتقاوم به عوامل فنائها ، وليصبح الصراع بيننا وبينها أزلياً ، ولحكمة كان هذا الصراع ، لأن هذه الميكروبات بمثابة مبارد الحياة التى تبرد فى غيرها ، حتى لا تزيد ذريات المخلوقات عن حدودها (ومنها الانسان بطبيعة الحال) . فكل شىء يزيد عن حده ، ينقلب الى ضده ، « وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » .. لكن ذلك موضوع اخر نرانا فى حل من التعرض له هنا .

لعبة الاختفاء أو التمويه

والميكروبات التى تطفر يمكن التعرف عليها من اكتسابها أو فقدها لعمليــة كيميائية واحدة ، أو ربما أكثر ، ومن الممكن الكشف عن هذه العمليات بوسائل شتى ، ونعرف أن كان ما تغير قد جاء لصالحها ، أو فيه هلاكها (هذا ومما يذكر أن كاتب هذا المقال قد رأى الطفرة فى أحــد أنواع الفطريات فى بداية حياته العملية ، ثم اكتشف طفرة جديدة فى أحد أنواع البكتريا ، وحدد سببها ، ونشرتها احدى المجلات العلمية البريطانية المتخصصة كبحث جديد) .

لكن الطفرات قد تبدو واضـــحة فى الكائنات الأرقى التى يمكن رؤيتها بالعين المجردة ، ولناخذ لذلك احدى الفراشات ، والفراشات تطفر ككل الكائنات ، وطفرتها تحدث أساساً من خلال خلاياها الجنسية ، فينعكس ذلك على أفراد من ذرياتها ، وهذا أمر محمود بالنسبة لحياة الفراشات ، كما كان كذلك فى حياة الميكروبات ، لأن هذه الطفرات قد تتكيف بالبيئة السائدة أو لا تتكيف ، فان تكيفت عاشت ، وان كان غير ذلك ، فمآلها الموت والانقراض ..

وفراشتنا هذه كانت تحط على قلف أشجار البلوط لتختفى عن عيون الطيور التى تطمع فى لحمها ، ولقد جاءت بنمطين نتيجة لحدوث الطفرة (شكل ٢) .. احدهما أبيض منقط ، والآخر داكن ، ولقد درس العلماء هذه الظاهرة فى القرن الماضى والقرن الحالى ، ورأوا كيف يحدث التكيف بين الكائن والبيئة ، فعندما انطلق الدخان بكثرة من مصانع ليفربول بانجلترا فى القرن الماضى ، وأحدث تلوثاً كبيراً فى

الأشجار المحيطة بالمدينة ، أكسبها لوناً داكناً ، فاذا حصلت على قلفها الفراشات الداكنة والبيضاء المنقطة ، لم تستطع الطيور الاهتداء للداكنة ، لأنها تقف على أرضية داكنة كذلك ، وكأنما هى تلعب لعبة التخفى أو التمويه ، وهى لعبة طبيعية من ألعاب الموت والحياة ، ولهذا زادت أعدادها فى حين اضمحلت أعداد الفراشات البيضاء المنقطة ، وكادت أن تنقرض ، لأن الطيور تستطيع رصدها بسهولة تامة ، ثم تنقض عليها وتلتهمها كيف شـــاءت (الصورة العليا فى شكل ٢) .

لكن عكس ذلك تراه فى منطقة نائية عن التلوث الصناعى ، اذ أن الأشن هناك تغطى قلف الأشجار وللأشن لون مبرقش ومميز (الصورة السفلى من شكل ٢) ، فاذا وقفت عليه الفراشات المبرقشة ، أصبح من العسير اكتشافها ، وفى ذلك نجاتها ، فى حين ان الداكنة هى التى أصبحت صيداً سهلا للطيور تلك المرة ، فانقرضت أعدادها أكثر ، وأصبح من النادر على الباحثين أن يروها فى بيئتها .

ثم حدثت بعد ذلك ظاهرة مثيرة ، اذ عندما تنبه الدارسون الى أخطار التلوث على البيئة ، بداوا فى سن التشريعات التى تحد من انطلاق الملوثات ، فاخذت تتناقص بعد سنوات ، وعندئذ تغطى قلف الأشجار بمزيج من الأشن والطحالب الخضراء ، فتساوت نسبة وجود الفراشات الداكنة والمبرقشة ، لأن فرصة التقاط الطيور لهذه أو تلك متساوية ، فمن السهل عليها رؤية الأثنتين بالوانها على أرضية مغـــايرة (الصورة الوسطى من شكل ٢) .

وأمثلة حدوث الطفرات وتكيفها أو تلاؤمها مع البيئة تعد بعشرات الآلاف ، ونعرف ذلك أيضاً فى السلالات البشرية ، فبيئة قبائل الاسكيمو ، غير بيئة الزنوج ، غير بيئة الأصفر والأشقر والأسمر ، ولهذا يمكن التعرف على انسان الشرق الأقصى من انسان الشرق الأوسط ، من انسان أوربـــا ، من انسان أواسط افريقيا .. الخ ، وحتى فى الحروب يستخدم الانسان تمويها زائفاً ليتلاءم مع البيئة ، وعندئذ قد لا يكتشفه الأعداء ، فاذا حارب فى الصحراء ، ارتدى ملابس تلائم لون الصحراء ، واذا حارب فى الأدغال ، لبس لباساً يناسب بيئة الأدغال لكن ذلك لا يدخل بطبيعة الحال تحت بند الطفرة ، الا أنها على أية حال فكرة بدائية ليتخطى بها أزمة .



شكل (٤) تختلف ثمار الطماطم فى هذه الصورة اختلافاً واضحاً ، فرغم ان نوع النبات واحد ، الا انه يميل لانتاج السلالات ، لحدوث الطفرات ، التى تنعكس على اختلاف فى الثمرات .

الظاهر مسجل فى الباطن

ولاشك أن التنوع فى الكائنات هـــو الأساس العظيم الذى يعطيها صفاتهـا ومميزاتها ، سواء على مستوى الطفرة أو السلالة أو النوع أو الجنس ، ولقد جذبت هذه الظاهرة الهامة أفكار العلماء ، وأثارت طموحهم للكشف عن السر فى ذلك ، ولقد ظلوا سنوات طويلة ، بداية من القرن الماضى وحتى الآن ، يغوصون فى باطن الخلق ، علهم يدركون مكونات الخلايا ، أو الوحدات الوراثية المسئولة عن ذلك ، لأن الاختلاف الظاهرى لا يمكن أن يحدث هكذا اعتباطاً ، بل لابد من ورائه تنسيق مذهل ، وتنظيم مقدر ، وأصول لها وزنها ، وهذا ما يسعد العقول الباحثة فى ملكوت الله ، للكشف عن بديع أسرار الحياة .

ولقد توصل العلماء الى طوفان من المعلومات ، ومن أهمها معرفة انتاج الطفرات ، والحصول على السلالات .. صحيح أن العملية ذاتها موجودة قبل أن يظهر الانسان على هذا الكوكب بمئات الملايين من السنين ، لكن هدفه أن يسرع بهذه العمليات البطيئة ، ويوجهها الوجهة السليمة ، ويختار الصالح ، ويترك الطالح ، ولقد تعلم بعقله المتفتح درساً عظيماً من الحياة ذاتها ، لأنها ـ فى مشوارها الطويل ـ كانت تفعل الشىء ذاته ، فالأنواع الصامدة تبقى ، لأنها تتمشى مع البيئة المتغيرة من حولها ، والمخلوق ابن بيئته ، فان تاخى وتكيف وتاقلم بظروفها ، حافظت عليه ، وأن كان عكس ذلك ، فماله الانقراض لا محالة ..

ولكى نترجم هذا الكلام الى واقع ملموس ، وندرك كيف تلعب الطفرات لعبتها فى الباطن ، لينعكس ذلك على الظاهر ، فلا أقل من توضيح ذلك بحشرة معروفة لنا جميعاً ، وهى نوع من الخنافس الصغيرة ، واسمها الدعسوقة أو أبو العيد ، أو « أم سعيد » ، لكن لن تهمنا الاسماء بقدر ما يهمنا التنوع الذى جاء به هذا النوع ، ولا مناص من عرض صورة توضح ذلك (شكل ٣) ، فكل هذه الألوان

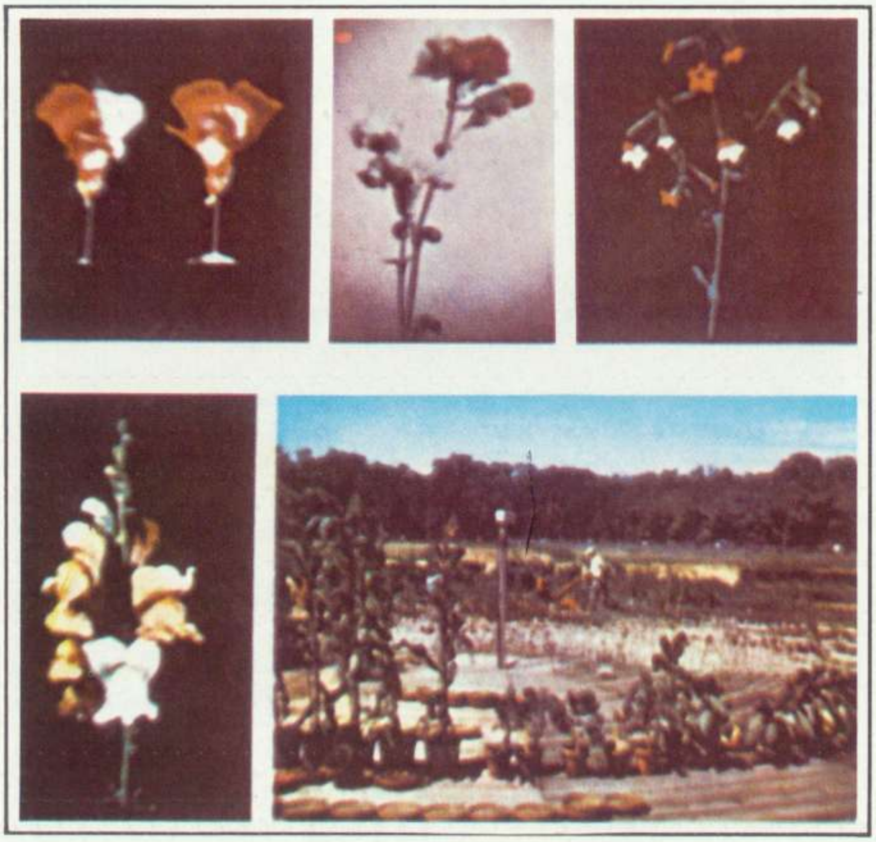
ظهور الطفرة.. دليل تغير الشفرة!

المختلفة ، والنقط والزخرفة المتباينة ، ترجع الى جينة أو مورثة واحدة من آلاف الجينات التى يحتويها هذا النوع ، وعلى هذه الجينة (هى فى الواقع جزء محدد من شريط وراثى) تكمن خطة التوزيع ، والخطة قابلة للتغيير والتبديل ، ومن اجل هذا ينشا التنويع ، وهو ما نراه هنا فى توزيع الألوان ظاهراً ، وهو لا ياتي هكذا اعتباطاً ، بل له فى الباطن سجلات وراثية .. بقي ان نذكر ان هذه الطفرات تتوزع بتوزع الحشرة الجغرافى والبيئى ، لكن شرح هذا قد يباعد بيننا وبين موضوعنا ، وعلينا أن نقفل الباب هنا ، لنفتح باباً اخر ننظر منه الى سر جديد من أسرار الخلق العظيم .

هدف العلماء واضح

وقد يبدو من المثال الذى قدمناه عن حشرة « أبى العيد » ان مثل هذه البحوث التى يجريها العلماء على شتى الأنواع ، بحوث نظرية لا تقدم ولا تؤخر ، أو انها من قبيل العلم بالشىء ، لكن ذلك ظن خاطىء ، لأن معرفة الأصول فى ميكروب أو دودة أو حشرة أو فار او قرع أو باذنجان .. الخ .. الخ ، ليست بمعزولة عما يجرى فى الانسان ، لأن كل المخلوقات من خلايا ، والذى يسيطر على حياة الخلية أشرطة ، والأشرطة تشتغل بالشفرة ، والشفرة قابلة للطفرة ، والطفـــرة هى المســئولة عن التغير الظاهرى فى شكل المخلوقات ، ولكى تحدث الطفرة ، فلابد من عوامل عدة ، اما بعامل اشعاعى أو كيميائى أو حيوى أو طبيعى ، ولاشك أن جميع الكائنات تتعرض لهذه العوامل من قديم الزمن ، ولقد عرف العلماء هذه الأسرار ، فقاموا بتجارب رائدة فى هذا الميدان ، ليحولوا دفة الحياة لصــالح الجنس البشرى .. كيف ؟

ان مثالا بسيطاً قد يوضح لنا ذلك ، ولناخذه من الحياة ذاتها ، اى قبل ان يتدخل الانسان فيها بعلمه ، فكل انسان يريد أن يتامل ويبحث ويتدبر ، فلابد ان يتوصل الى علاقات مشتركة ، أو صفات متشابهة بين بعض الأنواع من الكائنات ، سواء فى عالم الحيوان أو النبات .. خذ على سبيل المثال البطيخ والقرع والقثاء



شكل (٥) فى حقل من حقول التجارب النباتية تنطلق الاشعاعات المحدثة للطفرات على ما حولها من نباتات فتتغير الشفرات باطنا ، وتعبر عن نفسها ظاهراً ، حيث تتغير أجزاء محددة من بتلات الزهور ، أو قد تاتى زهرة بلون مختلف عن زهرة أخرى على نفس الفرع .



شكل (٦) زهرة بلونين مختلفين ، والاصفر هو الاساس ، والآخر نتيجة لطفرة حدثت اثناء بداية تكوين الزهرة ، فعبرت عن ذلك بلون لم يكن وارداً فى الأسلاف .

والخيار والشمام والحنظل واللوف .. الخ .. الخ ، تجدها متشابهة الى حد ما فى ثمارها وبذورها وزهورها وأوراقها .. ادرس تعرف ، ومن أجل هذا وضعها العلماء فى عائلة مستقلة ، هى العائلة القرعية ، وفيها حوالى ٩٠ جنساً ، تضم حوالى ٧٥٠ نوعاً (أى ان لكل جنس عدة انواع) ، ويعنى ذلك ان لها جميعاً أصولا مشتركة ، لكنها تنوعت من خلال مخزونها الوراثى القابل للتنوع كذلك ، ولاشك هنا ان الظاهر مرتبط بالباطن .

ان الشمام والخيار نوعان ، يتبعان جنساً واحداً ، وكذلك البطيخ والحنظل ، هذا نوع حلو ، وذاك مر ، ومع ذلك يجمعهما جنس واحد .. ثم اننا نعرف البطيخ بشكله وحجمه ومذاقه (وكله بطيخ) .. ومع ذلك فاصوله تحمل فكرة الطفرة أو التنوع ، ولهذا نحدد ونقول : بطيخ شليان أو صلحاوى أو بلدى أو نمس .. الخ ، وكذلك الحال مع التفاح أو القطن أو الطماطم (شكل ٤) ، فلكل سلالاته ، ونحن نميل الى سلالة دون الأخرى ، لأن بعضها يفضل البعض الآخر فى صفة أو صفات ، ولا يختلف فى هذا اثنان .

لكن مما لاشك فيه ان هذا التنوع الواحد كان موجوداً على هيئة برية ، وعندما تدخل الانسان بعلمه ، استطاع أن يستنبط سلالات جديدة ، واستخدم لذلك ما هو متاح فى الكائنات ذاتها (أى المخزون الوراثى) ، وما هو متاح من العوامل البيئية (أى الاشعاع والكيماويات) .. الخ ... ولم يتعد دوره الا انــه كـان يستخدم عقله فى توجيه العملية بوسائل شتى يتشعب فيها الحديث ويطول ، ثم ينتقى الصالح ويحافظ عليه ، أو يبدأ من جديد فى عملية تحسين فيه ، وكل هذا تحكمه أشرطة .. فشفرة ..فطفرة .. تنتج من تغير فى الشفرة ، ثم من وراء ذلك علم نافع ، وفكر ناضج ، وعقل واضح (انظر دراستينا السابقتين على صفحات هذه المجلة) .

والنتيجة تعلن عن نفسها

لكن لابد أن نعود لنقول : ان ما يفيد الانسان لا يتاتى بالكلمات ، بل لابد أن يتبع ذلك عمل صالح ، وعلم نافع ، وتطبيق ناجح ، ولقد قدمنا باختصار شديد الأسس



شكل (٧) ذبابة الفاكهة التى اجرى العلماء عليها عشرات الالوف من البحوث لدراسة الطفرات بكل العوامل البيئية المتاحة من اشعاعات وكيماويات وانت تستطيع ان تلاحظ التنوع فى الالوان والعيون والاجنحة .. الخ ، فكل اختلاف ولو طفيف ، كان نتيجة لتغير فى الشفرة .

التى يستند العلماء اليهـــا ليحققـــوا ما يريدون ، وهو نابع من البحث ، أما التطبيق فهو ملء السمع والحس والبصر ، فسلالات الدجاج كثيرة ، فمنها ما يتميز بانتاج البيض ، ومنها ما يتميز بوفرة اللحم والشحم ، وكذلك الحال مع الخراف أو المواشى ، فمنها ما يعطى صوفا وفيراً ، أو لبناً غزيراً ، أو لحوماً تسر الآكلين .. كل هذا يتاتى عن طريق الطفرات التى تحدث فى الجينات ، أو من التزاوج بين كائنات تحمل جينات لنا فيها فائدة لا تجحد ، وخيرات لا تنكر .

وكثيرة جداً تلك الطفرات التى تحدث عن طريق الاشعاع ، لأن الاشعاع نفسه يغير الشفرة ، فيحدث الطفرة (شكل ٥ ، ٦) ، لكن ليست كل طفرة حسنة ، بل تجتمع الطفرات بحسناتها وسيئاتها .. الحسن منها نختاره ليبقى ، والسيىء ماله الاهمال والزوال ، وكذلك نستخدم عائلة خاصة من المركبات الكيميائية التى تنحشر فى الأشرطة الوراثية ، أو تتحد مع شفراتها الكيميائية ، فتغير نظام الشفرة ، وحتما تحدث الطفرة (شكل ٧) ، ولهذا تسمى تلك المركبات مولدات الطفـــرات ..

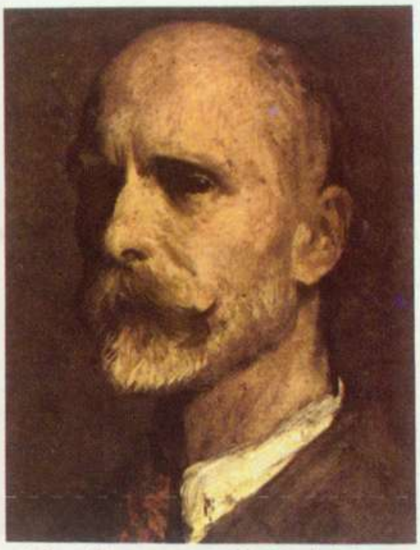
لكن مما لاشك فيه ان كل شىء قد جاء بتدبير مذهل ، وتنظيم محكم ، وتخطيط متقن ، وبهذا سارت الحياة ، وكما قدرها الله ، ثم أوحى فيها مسبباتها التى تتغير بها وتطفر وتتنوع وتضيف وتتطور وترتقى من خلال أشرطة الحياة التى كانت لها بمثابة ذاكرة تستوعب فيها كل ما مر بها من تجارب واحداث ومحن ، فكبت ثم قامت ، وخطت ثم سارت فى مشوارها الطويل عبر مئات الملايين من السنين ، حتى جاء الانسان الحكيم متوجاً لكل المخلوقات بعقل قد يمتهنه على غير علم فيتحدث فيما لا يعرف ، أو ينميه ويرعاه ، فيكون أقرب الى الله ، ولا يصبح فى الوجدان أحد سواه ، وفى هذا الكفاية لقوم يدركون فيفقهون .

د . عبد المحسن صالح

من روائــــع
الفن العـالــمي

تقديم : جمــال قطــب

الأستاذيّـة وإنكار الذات في عالم الإبداع



صورة شخصية للفنان سير جورج كلوزن كما رسـمها بريشـته (١٨٥٢ - ١٩٤٤)

فناننا اليوم واحد من أشهر رسامى بريطانيا هو (سير جورج كلوزن) .. وربما لم نسمع عنه كثيراً بما يتفق مع موهبته الفذة فى فن التصوير الحديث ، وربما كانت هذه أول مرة يكتب عن الفنان بالعربية وذلك لسببين : أولهما : أنه التزم بالسلوك والخلق الاكاديمى كأستاذ فى أكبر معاهد الفنون الجميلة فى بريطانيا وهو (الرويال أكاديمى) ، ولم يعش حياة الفنان البوهيمى المغامر جرياً وراء الشهرة أو الجماعات المتمردة التى تقيم الدنيا وتقعدها باستحداث المذاهب وابتداع المدارس الغريبة التى احتدمت معاركها فى العصر الحديث . وثانيها : أنه بدأ حياته الفنية مع تألق المدرسة التأثيرية فى باريس .

فشغف بها وخصوصاً فيما يتعلق برسم المناظر الطبيعية تحت أضواء الشمس المتلألئة ، ولذلك كان تأثير الطابع الفرنسى على أسلوبه ومنهجه الفنى أكبر من تأثير التيارات الانجليزية التى نشأ بينها ، وبالتالى ، فلم يحظ بالشهرة التى حظي بها مجموعة التأثيريين الفرنسيين الذين قادوا حركة (التأثيرية) وما بعدها . وكما نعلم ، فمنذ منتصف القرن الماضى تمركزت حركات الفن الحديث ومدارسه فى باريس لتقود العالم خلفها حتى منتصف القرن العشرين وكانت المجموعة الفرنسية هى محـور الاهتمام .

● ولد جورج كلوزن Sir George Clausen فى لندن عام ١٨٥٢ ، وكان أبوه من أشهر من تخصصوا فى فن الديكور والتصميمات المعمارية فى العاصـمة البريطانية . وكان طبيعياً أن ينشأ جورج فى مؤسسة والده متتلمذاً على يد أساتذة الديكور ليخلف أباه فى تخصصه .. ولكن ، ما إن ظهر نبوغه فى الرسم والتصوير الزيتي حتى نصحه الفنانون بأن يترك التصميمات والزخارف ويتدرب على الفن الاكاديمى ويجيد الرسم والتلوين ليصبح فناناً مرموقاً . وفى عام ١٨٧٣ حصل على إجازة دراسية لمدة عامين فى احدى مدارس الفنون الجميلة ببريطانيا ، وخلال دراسته كان يقوم بزيارات فنية لدول الشـمال الأوروبى لكى يشاهد أعمال الكبار من أمثال روبنز ورمبرانت وفيرمير وغيرهم من العمالقة ، وتبلورت موهبته ، فعرض أولى لوحاته فى المعرض السنوى للأكاديمية البريطانية عام ١٨٧٦ . وكانت هـذه السنوات تشهد أكبر مظاهرة فنية فى تاريخ الابداع الحديث متخـذة من باريس منطلقاً لها فى الثلث الأخير من القرن الماضى . وقد طبع المذهب التأثيرى بصماته على فنانى أوروبا كلها .. فأصبح كلوزن أحد أقطابه فى بريطانيا واشتهر بلوحاته عن المناظر الطبيعية ذات الطابع التأثيرى الشهير .. وبلغ عشقه للمناظر الخلوية وجمال الريف أن ترك العاصمة ورحل مع عروسه واستقر فى بيت ريفى باحدى القرى القريبة من (سانت ألبانز) ليمارس رسم الطبيعة باحساس وحرية ومعايشة كاملة .

وكان قد رحل فى أوائل عام ١٨٨٣ لعدة شهور إلى باريس ليتابع حركة التيارات الفنية الحديثة هناك ، فظهر هذا التأثير واضحاً فى أعماله فى السنوات التالية .. ولكنه لم يجنح إلى التغيير المفاجىء فى أسلوبه ، فكان حلقة الوصل بين أقرانه من أصحاب المذاهب الغارقة فى الحداثة وبين تحفظات الأكاديمية الملكية البريطانيـة الملتزمة ، وانتهى الحوار إلى تأسيس ما يعرف بجماعة الفن الحديث فى انجلترا عام ١٨٨٦ ..

وتألق اسم الفنان حتى انتخب عضواً بالأكاديمية عام ١٨٩٥ . وعهد إليه بوضع المناهج فى معاهد الفن فى بريطانيا .. بجانب عمله كأستاذ ثم رئيس للأكاديمية عام ١٩٠٨ . وفى أثناء الحرب العالمية الأولى ، كلف من قبل وزارة الاعـلام البريطانية برسم سيل من الملصـقات والمطبوعات التى تمجد الجيش وتدعو للصمود ، كما قام برسم لوحات حائطيـة ضخمة لتسجيل البطولات والمعـارك الشهيرة للمتحف الحـربى وغيره من المؤسسات العامة ، وكلف بعدها بالعديد من اللوحات المماثلة لكثير من النصـب التذكارية وقاعات التاريخ البريطاني فى أرجاء البلاد .

ونظراً للروائع الفنية ذات المسـتوى الرفيع التى أثرى بها الفن فى بلاده .. منح كلوزن لقب (سير) فى أول شهر يولية عام ١٩٢٧ . وظل الفنان يواصل إبداعه المتفوق فى تجرد وحب وإنكار لذاته حتى أقعده المرض قبل عام واحد من وفاته . وهكذا الفنان : موهبة متفوقة .. وسلوك قديم من واقع تواضعه وأستاذيته ! وفى عام ١٩٤٤ لفظ آخر أنفاسه بعد حياة جادة طويلة مثمرة .. ولكن أعماله الرائعة قد أهمـل تقييمها وإلقاء الضوء عليها لسنوات طويلة بعد موته .. إلى أن ظهرت أخيراً عدة مؤلفات ومجلدات للوحاته مدعمـة بالتحليلات والتمجيد والتقييم الشامل لأعماله .. كأحد القمم فى تاريخ الفن البريطاني .. وواحد من رواد الفن العالميين

أما اللوحة التى يراها القارىء على الصفحة المقابلة ، فقد أسماها كلـوزن « مائدة الافكار » وتعتبر واحدة من أندر أعماله التى رسم فيها موضوعاً من داخل البيت لا من خارجه ، لأن معظم لوحاته - كما ذكرنا - كانت مناظر خارجية للطبيعة بألوانها التأثيرية البراقة ، وكان يحسب ألف حسـاب للوحاته التى تتنـاول الموضوعات الداخلية من حيث صـعوبة تكوينها وقياس أبعادها وألوانها ومصادر الاضاءة فيها .. وبهذا ، فقد امتاز على التأثيريين بمثل هذه المناظر الداخلية ودقة توازنها التى تنم عن موهبته العبقرية .. وأخيراً ، فكما قلنا : لعلها المرة الأولى التى يكتب فيها عن الفنان وإبداعه ، بالعربية .. إننا إذ ننقب بين ركامات الماضى ، لنلقى الضوء على درر الابداع المطمورة قبل أن تضيع بين تراكم الزحام والنسيان .. نكون قد تسامينا برسالتنا الاعلامية إلى مستوى عطاء هؤلاء الكبار !



مائدة الافطار (١٨٩٠) للفنان سير جورج كلوزن



نوعان من النباتات الطبية : التباح الجبلى ، الذى يعالج ازمات الربو وينشط القلب ويرفع نسبة ضغط الدم ..ثم نبات اصبع العذراء الذى ينشط وينظم حركة القلب ، ويصبح سما فتاكا إذا استخدم بجرعات كبيرة !

النباتات الطبية

وأثرها في علاج أمراض الإنسان

بقلم : د. عز الدين فراج

تستعمل النباتات الطبية ومستخرجاتها فى علاج أمراض الانسان والحيوان والوقاية منها . وقد عرفها قدماء المصريين منذ فجر التاريخ وأدركوا مزايا الكثير من النباتات والحشائش والأعشاب التى تنمو فى وادى النيل وفى الصحارى والوديان المحيطة به - وجلبوا الكثير منها من الخارج - وتناولوه بالدراسة والاختبار .. كما برع العرب فى هذا المضمار براعة فائقة لا تزال آثارها باقية الى الآن وساعدهم على ذلك اتساع فتوحاتهم فى مشارق الأرض ومغاربها .

وبلغ عدد النباتات الطبية بحسب الدساتير الطبية زهاء ٣٠٠ نبات موزعة فى جميع أنحاء العالم ويوجد منها فى مصر والسودان حوالى ٥٠ نباتاً منها البرى ومنها المزروع .

ومن النباتات الطبية التى نجحت فى مصر والتى كثر الاقبال عليها من الخارج بذور الخلة التى تحتوى على الخلين . والخلين من المركبات الطبية الفعالة فى علاج الذبحة الصدرية . وتعد آلام الذبحة الصدرية التى تنجم عن انقباض الشرايين التى تغذى عضلات القلب بالدم من أشد الآلام التى يتعرض لها المرء . وقد أعلن الدكتوران « هارولد أوشر » و «كرمت كانتر» من مستشفى بوستن بأمريكا ، أنهما أجريا تجارب على ثمانية وعشرين مصاباً بهذا المرض من بينهم ثلاثة عشر كانوا عاجزين عن مواصلة العمل ، لأن أقل مجهود يبذلونه كان يسبب لهم ألماً لا يطاق . لقد أعطياهم كميات معينة من الخلين فاتسعت شرايينهم واستعادوا صحتهم دون حدوث أية مضاعفات وقد سمح لثمانية منهم بأن يستأنفوا أعمالهم العادية ، ويرجع الفضل فى كشف هذه الدواء المستخلص من بذور الخلة الى علمائنا .

وينمو نبات الخلة الذى يستخرج الخلين من بذوره ، نمواً برياً فى البرارى أو على القنوات أو فى حقول القمح والشعير وغيرها ، إلا أنه يمكن زراعة الخلة فى الحقول فى أكتوبر ونوفمبر لتجمع بذورها فى ابريل ومايو من كل عام .

والخلين وهو العنصر الفعال فى نبات الخلة ، نجده أقوى تأثيراً وأكثر تركيزاً فى النباتات المزروعة فى جو مصر وفى تربته . ولهذا تصدر جمهورية مصر العربية مقادير كبيرة من بذور نبات الخلة .

ومن النباتات الطبية التى يكثر انتاجها فى جمهورية مصر العربية ، نبات السكران وهو عشب قوى النمو ، تستخدم أوراقه الجافة كعلاج للربو ، إذ يستخلص من هذه الأوراق المادة الطبية الفعالة المهدئة للأعصاب والسعال العصبى وضيق التنفس . وتعد منطقة كوم أمبو أكثر المناطق إنتاجاً لهذا النبات . وللصنف المصرى شهرة عالمية ، وتطلب منه الأسواق الأوروبية مئات الأطنان .

ينمو نبات السكران برياً على حواف الصحراء والواحات كما يزرع فى المنخفضات المجاورة للاراضى المزروعة بتفتيش كوم أمبو ، بان توضع بذرتان فى كل نقرة ، وتغطى ولا تروى ، بل ليصلها الماء باللسع من الأراضى المجاورة .

وتكون الزراعة عادة فى سبتمبر وأكتوبر ويحتاج الفدان امن ١,٥ - ٢ كيلو جرام . وقد جربت زراعته « سرا » متقطعاً على خطوط بمعدل ٦ خطوط فى القصبة ، فاحتاج الفدان الى أربعة كيلو جرامات فقط .

تحصد النباتات فى شهرى يناير وفبراير ، ثم يعود ينمو من جديد .. فتعود لحصده.

ويعطى الفدان ١ ـ ١٫٥ طن .

ومن النباتات الطبية التى تنمو بنجاح خصوصاً فى منطقة الواحات نبـــات العرقسوس وهذا الاسم العربى مشتق من شقين : العرق يعنى الجذر ، وسوس يعنى متاصل ولذلك فاسم العرقســوس يفيد امتداد جذور نباتاته فى الأرض وتاصله فيها ، اما اسمه فى اللغات الأخرى فيفيد معنى الخشب الحلو .

اما شيخ الأطباء « ابن سيناء » فيمتدح السوس قائلا إن منقوعه يصفى الصوت وينقى قصبة الرئة ، وينفع فى الحميات . هذا وشرب العرقسوس يوافق التهاب المعدة ، ولوجاع الصدر ، كما ينفع فى جميع أنواع السعال ، ويوصف فى علاج جميع علل الصدر والمثانة .

ويستعمل منقوع جذوره فى الصيف مرطباً ومدراً للبول . وله ـ فضلا عن ذلك ـ اثر ملين فى الأمعاء لمكافحة الامساك . ومن الثابت فائدته فى شفاء قروح المعدة والامعاء والتهاباتها . ويدخل كذلك فى صناعة الدخان . وقد تصل نسبته فى أنواع التبغ الى ١٠٪ لكى يعطيه طعماً مميزاً مع احتفاظ اللفائف بنسبة معينة من الرطوبة .

واخيراً فهو ينشط الكبد ويدر الصفراء ويعد افضل الملينات الخفيفة .

ومن النباتات الطبية نبات الخروع الذى تنجح زراعته فى شبه جزيرة سيناء ويمكن استخراج الزيت الطبى منه علاوة على الزيت التجارى المســـتعمل فى تزييت « الماكينات » ، كما يستخدم فى صناعة الصابون ، وتتكاثر نباتات الخروع بالبذور ويحتاج الفدان الى ٢٠ كيلو جراماً من التقاوى ، وتتم زراعته عادة فى الربيع ، اما حصاد المحصول فيكون عادة فى اكتوبر ونوفمبر . وهو فى حاجة الى سماد كامل (ازوتى وفوسفاتى وبوتاسى) .

ومن النباتات الطبية التى استخدمت حديثاً نبات الباباظ الذى تحتوى ثماره على مادة لبنية بيضاء اللون تحتوى على مادة « البابايين » الذى يهضم المركبـــات البروتينية ، ومن أجل ذلك تجمع المادة اللبنية وتجفف ليتناولها كل من يشتكى من ضعف الهضم وضعف المعدة .

والباباظ شجيرة يبلغ طولها ٢ ـ ٤ امتار وتحمل عادة ٢٠ ـ ٤٥ ثمرة وتظل تثمر إثماراً كافياً مدة أربع سنوات . وتتكاثر هذه الشجيرة بالبذور .

ولكى نحسن زراعة هذه النباتات الطبية بوجه عام يجب أن نعمل على تحديد التربة المناسبة والمناخ الملائم ، فقد ثبت أن نبات الداتورة والديجتال تجود فى الأرض الطمبية ويجود النعناع والسكران والبيرثرم فى الأرض السوداء او الطينية . ويجود العرقسوس وبصل الصبار فى الأراضى الرملية ، اذ يمكن زراعته فيها ولكن محصوله يكون اكثر وعناصره الطبية اقوى فى الأرض الطينية .

وكذلك الحال بالنسبة للظروف الجوية والمناخية ، فبعض النباتات الطبية تحتاج إلى مناطق حارة ولا تجود فى مناطق معتدلة أو باردة وبالعكس . ونباتات السكران وحبة البركة تجود فى المناطق الحارة ويجود النعناع والبابونج فى المناطق المعتدلة .

أولا : لا تزرع النباتات الطبية بارض بها حشائش ، حتى لا تختلط بالأعشاب وتقلل من قيمتها وتحط من نسبة ونوع المواد الفعالة التى بها . فكثيراً ما تختلط أوراق الملوخية مع أوراق نبات النعناع . وهنـــاك رسائل من نبات النعنـــاع صـــدرت واعيـــدت ثانية لاحتـــواء أوراق النعناع أو أزهاره على حشائش غريبة مما أدى الى تدهور سوق النعناع .

ثانياً : طريقة الجمع : قد تؤثر طريقة الجمع على المحصول فيتلف نهائياً وتنقص المواد الفعالة الموجودة بالعقار نتيجة سوء الجمع.وهنك رسالات صدرت من البابونج لم تكن مطابقة للمواصفات المطلوبة حسب الدساتير الطبية لزيادة الاعناق فى الأزهار على سنتيمتر واحد ، فعدم دراية المزارع بمثل تلك المعلومات يترتب عليه نتاج محصول طبى تقل به المادة الفعالة .

وبالتوسع فى إنتاج وتصدير النباتات الطبية نكون قد أضفنا المزيد من ثروتنا القومية ومزيداً من التصدير والعملات الصعبة التى نحن فى حاجة اليهـــا لمشروعاتنا الأخرى .

ثالثاً : طريقة التجفيف : يعتبر



نبات السكران الذى يعالج الكحة والسعال العصبى

نبات « ست الحسن » الذى يخفف الام المثانة والســعال الديكى



التجفيف أهم عملية لابد من الاهتمام بادائها بحرص وعناية فى المحاصيل الطبية ، ولابد من توفر منشر مظلل مرصوف الأرضية ومعرض للتهوية من جميع الجهات . ويحسن أن يكون السقف مما يسهل رفعه عند اللزوم للاستفادة بحرارة الشمس المباشرة فى التجفيف . ويرتب داخل المنشر حوامل خشبية ترص فوقها الغرابيل ، كل حامل يستطيع رفع ٢٠ غربالا أبعادها متر × متر فى ارتفاع عشرة سم وقاعدته من السلك المجلفن .

والمقصود بالتجفيف طرد الرطوبة الزائدة ليسهل حفظ المحصول وعدم تعفنه مع عدم الاخلال بالمواد الفعالة الموجودة به ويلاحظ ضرورة عدم تراكم ازهار البابونج والبيرثرم فوق الغرابيل ويجب تقليبها بين وقت واخر حتى لا تتعفن .

وقد لوحظ أن التجفيف له أثره الواضح فى نسبة المواد الفعالة . وتتوقف عليه قيمة العقار سواء كان أزهاراً أو أوراقاً أو جذوراً . وبعض الأزهار يصل فيها الجفاف إلى ٢٠٪ كما فى البابونج وبعضها الى ٣٠٪ كما فى البيرثرم وبعضها الى ٣٣٪ كما فى الشطة ، وأزهار الكركديه قد تصل فيها نسبة الجفاف بعد الفصل الى ١٠٪ .

ولتنظيم عملية إنتاج النباتات الطبية وتصديرها ، ينبغى مراعاة النقاط الآتية :

أولا : تكوين لجان فنية من المختصين لتحديد حاجة البلاد ، وما تحتاج الدول الأخرى من هذه النبـــاتات، وحتى تنظم المساحات المطلوب زراعتها ، وتحدد فى المناطق الملائمة لزراعتها .

ثانياً : والخير كل الخير أن يجتمع منتجو النباتات الطبية فى جمعية تعاونية أو فى اتحاد تعاونى ، ينظم عملهم ، ويقوم بعبء الدعاية لانتاجهم .

ثالثاً : منع شحن النباتات الطبية إلا بعد إعطاء شهادة من الهيئات الفنية تبين خلوها من المواد الغريبة الدخيلة عنها او تؤكد خلوها من الغش .



عالم الحكاية الشعبية .. يتداخل فيه الواقع بالحلم .. والمعرفة بالخيال .. وينتقل من مجتمع إلى مجتمع متخطيا حواجز المكان واللغة !

دراســـــــة في الأدب الشــــــعبي

أبطـــــــال الحكايات الشعبية بـدون جـواز سـفر!

بقلم: صفوت كمال



الفارس فى الحكاية الشعبية

عالم الحكايات الشعبية عالم رحب . تتناقل فيه عناصر الحكايات الشعبية واحداثها من عصر إلى عصر ، ومن مجتمع إلى مجتمع ، بلا حاجز من مكان ، أو حائل من لغة .. تتداخل فى حكايات كل مجتمع عناصر من حكايات مجتمعات اخرى ، أو تتشابه عناصر تلك مع غيرها ، تبعاً لتماثل الظروف التى تنشا فيها تلك الحكايات ، أو بتماثل الموروث الثقافى فى مجتمع ما مع غيره من المجتمعات . كما تتداخل فى بنية حكايات كل مجتمع عناصر خاصة ، ترتبط بواقع ما يحوط ذلك المجتمع من ظواهر الطبيعة ، ومظاهر بيئته المحلية ، وأنماط علاقاته الاجتماعية .



من وحي الحكايات الشعبية ، كانت هذه اللوحة البديعة للفنان سعد كامل ، التى عبر من خلالها عن احساسه بابطال قصص الأدب الشعبى



هكذا رسم الفنان الشعبى الحكايات الشعبية ببساطة وتلقائية

والحكايات الشعبية ـ بصفة عامة ، هى اكثر انواع الادب الشعبى تناقلا من مجموعات لغوية إلى مجموعات اخرى .

كما انها ـ ايضا ـ اكثر اشكال الابداع الشعبى بعامة ، انتقالا من مكان إلى مكان . فالحكاية تسمع ، وتفهم ، وتحفظ ، ثم تنتقل . سواء كان نقلها بنصـــــها ، ام بترجمتها إلى لغة اخرى . ام باعادة صياغتها من جديد ، وروايتها فى بناء فنى جديد . وسواء اكان ذلك بالمحافظة على عناصرها الأصيلة والأصلية ، ام بتعديل تلك العناصر او ابدالها ، ام باضافة عناصر جديدة ترتبط بواقع البيئة التى تـــروى فيها .

وعالم الحكايات الشعبية ، عالم يفيض بالخيال ، عالم ، الزمان فيه ، زمان مطلق بلا حدود . وعالم المكان فيه ، عـــالم بلا حدود . حتى وإن اصطنع فيه راوى الحكاية اسماء بلدان ، او فترة زمـــان ، ووصف اماكن ومعالم جغرافية فهى حكايات تروى عما كان فى سالف العصر والاوان .

فالحكايات الشعبية ، لا ترتبط بطبيعة المكان او احداث الزمان .. حتى ولو تضمنت معلومات تاريخية . فهى ليست سوالف تاريخ ، او حكايات عصر من العصور ، على الرغم مما قد تحمل تلك الحكايات من معارف تاريخية او وصفا لمعالم جغرافية . فهى احاديث تصور عالم الانسان كما هو فى خيال الانسان . تتداخل فيه المعرفة الواقعية مع التصـــورات الخيالية ..

عالم تتحدث فيه الحيوانات والطيور بحديث الانسان .. وتتشكل فيه الجان على صورة الانسان أو الحيوان .. وتتنوع فيه ظواهر الطبيعة وظاهراتها تبعا لتنـــوع الأحداث التى ترتبط بتلك الظواهر .

كما يلتقى فى عالم الحكايات الشعبية ، عالم الانسان مع عالم الجان .. وعالم البر مع عالم البحر . وعالم الأساطير مع عالم الأحداث الواقعية .

خداع الحواس

وعالم الحكايات الشعبية ، هو عالم خاص ، عالم خيال الانسان ، بما يتضمنه هذا الخيال من معارف موروثة ، وخبرات مكتسبة ، وتصورات ذهنية فنية . حينما يخرج الانسان بافتراضاته الذهنية من مجال التجربة الموضوعية ، إلى مجال الافتراضات الخيالية . فيناى بفكره عن عالم الواقع والمحسوس ، إلى عالم يفوق الواقع . ويخرج من نطاق المحسوس إلى عالم آخر يغايره أو يماثله ، ولكن له طبيعته الخاصة .

فعالم الحكايات الشعبية ، عالم يمتزج فيه خداع الحواس مع شطحات الفكر ، حيث يمتزج الحلم بالأمل ، ويتداخـــل المعقول مع اللامعقول ، فى بناء فنى خاص هو سمة أساسية من سمات الحكايات الشعبية .

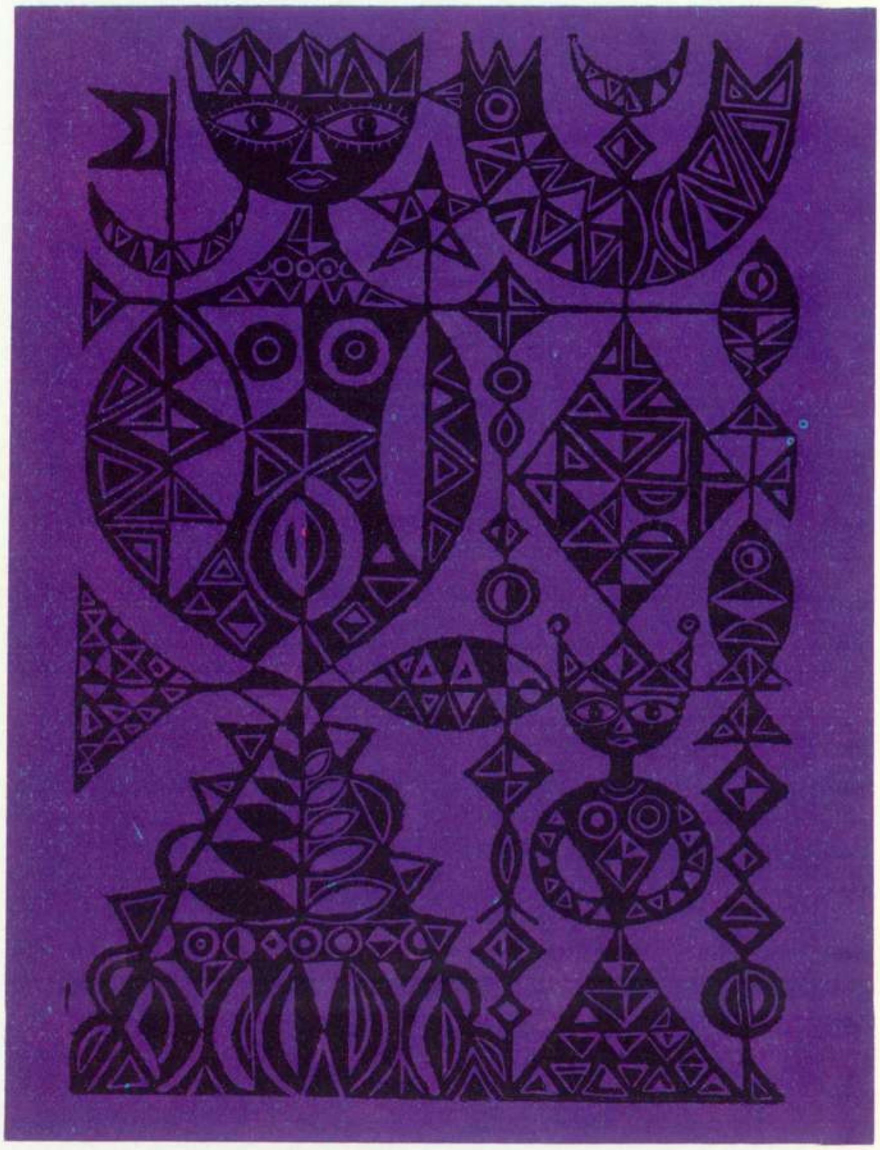
والحكايات الشعبية ، منها ما يصور حدثا بعينه ، ويقتصر على عنصر اساسى واحد . ومنها ما يروى احداثا متتابعة او متداخلة ، أو ملفقة ومجموعة ـ بعضها إلى بعض ـ بعناصر ربط ، تجمع بين عناصرها المتنوعة .

ومنها ما يشكل ويكون قصصا متداخلة ، كل قصة منها تولد اخرى . وهو شكل فنى تميزت به معظم حكايات الف ليلة وليلة . حيث تجمع الحكاية الواحدة بين اكثر من حكاية . وتقص اكثر من قصة . وتحمل كل قصة حدثا جديدا بعناصر جديدة .

كما تنتقل الحكاية بتلقائية فنية من حدث إلى حدث ، تروى على لسان كل بطل من ابطالها قصته ، لتشكل فى النهاية ـ معا ـ حكاية البطل الرئيسى للحكاية الأصلية .

إبداع فنى

هذا النمط الاستطرادى والتتابعى فى سرد الأحداث هو سمة فنية من سمات الابداع الشعبى للحكايات الشعبية . فالانتقال من حدث إلى حدث ، هو الذى



استخدام ابطال ورموز السير الشعبية فى عمل نسيج فنى متكامل

يشكل البناء الدرامى الذى يربط عناصر الحكاية بعضها ببعض ، دون افتعال ، او اعتماد على صنعة محبوكة ، بقدر الاعتماد على التلقائية فى قدرة التعبير تعبيراً فنيا شفاهيا . فاسلوب التعبير الفنى ـ من خلال الرواية الشفاهية وسرد الأحداث ـ هو الذى يحدد العلاقة الفنية بين الأحداث المتتابعة ، رغم تباينها او غرابتها ، وبين تنوع موضوعاتها .

فالمرويات الشفاهية ، وبخاصـــة الحكايات الشعبية ، تتميز بهذا الطابع الفنى ، الذى يتحقق من اللقاء بين الراوى والمستمع ، دون حواجز من الصنعة او التكلف . فتاتى اشكال الابداع الفنى بما فيه من خيال ، إلى عالم السامع فى طواعية ويسر . حيث تتميز تلك الاصالة الفنية ، بتحقيق اللقاء بين المبدع ـ راوى الحكاية ـ وبين المستقبل لهذا الابداع الفنى ـ السامع لهذه الحكاية ـ دون عوائق من التشكيك الفكرى او الموقف النقدى ، او الرفض المسبق لما يتلقاه .

هذا التجاوب الفنى ، بين المبـــدع ـ كراوى ـ وبين المتلقى ـ كمستمع ـ ، يربط ايضا فى نفس الوقت بشخصـــية « المبدع » نفسه ، وفنية ادائه لما يرويه .

وهى قدرة إبداعية ، تخرج بنا من إطار النص المنقول إلى إطار النص المروى . حيث يكون اســـلوب الاداء هو الركيزة الأساسية فى إعطاء النص المروى قيمته الفنية فى ادائه الشفاهى . بجانب قيمته الفنية ، كنص ادبى يخاطب فكر ووجدان متلقيه أو مستقبله أو سامعه .

لذا كان عامل الاستطراد ، والتنقل من حادثة إلى حادثة ، هو عنصر تشويق ، ليجعل خيال السامع ينتقل من إطار ما هو واقع ، إلى مجال ما هو خيالى . فتتحقق ذاتيته الابداعية ـ فى نفس الوقت ـ مع ذات المبدع .

حيث يترك الراوى لسامع روايته ، مجالا رحباً من التصور الذاتى لعالم الأحداث وصور الشخصيات ، بل والكائنات موضوع روايته . وهو عامل فنى خاص تتميز به الحكايات الشعبية .. حيث يترك « الفكر » فى حالة « حرية فنية » ، ودون تقييد عالم « خيال المستمع » ، بعالم « خيال الراوى » . فيتحقق الابداع الفنى ، بشكله الاندماجى بين ابداع الراوى وابداع المستمع ، فى رؤية فنية تكاملية ، تجمع بين التجريد والتجسيد فى آن .

وهى « حالة فنية » ، تعتمد على مهارة الراوى ، وقدرات السامع على تصـــور ما يسمع تصوراً فنيا . يعتمد فى مصدره الأساسى على ما يثيره الراوى فى مخيلة المستمع ، من صور وتصورات فنية لأحداث وأشخاص وموضوعات روايته .

تواصل الابداع الفنى

ومن هنا ، يمكن لنا التعرف ، ولو معرفة جزئية ، على احد أسباب تغير البناء الفنى لبعض الحكايات حينما تنتقل شفاهة من راوية إلى راوية .. وليس فقط من مجتمع إلى مجتمع .. او من مجموعة لغوية إلى مجموعة لغوية اخرى . او من جيل إلى جيل ومن عصر إلى عصر اخر ..

فالراوى الجديد ، ناقلا ام مترجما ، يضيف إلى ما سمعه او حفظه تصوره الذاتى ، وكذلك خبرته الفنية الخاصة إلى ما انتقل اليه او ما نقله هو عن غيره .

فالحكاية الشعبية ، بما تحمل من تصور فنى ، تلتقى مع الخيال الفنى للمستمع ، لتشكل من جديد البناء الفنى للحكاية ذاتها كابداع شفاهى . وتلك ـ حسب تصورى ـ هى سمة اساسية ، من سمات الابداع الفنى الشعبى .

فالحكايات الشعبية هى اكثر انماط الأدب الشعبى هجرة وتنقلا من مكان إلى مكان ، مع تميزها فى نفس الوقت بعناصر محلية او قومية ، وموروثات ثقافية اصيلة . فهى بطبيعتها كابداع شعبى ، تعبير أدبى عن فكر ووجدان المجتمع ، بما يحمل هذا الفكر من رؤية خاصة فى تفسير ظواهر الكون والوجود الانسانى .. مثلها فى ذلك مثل مختلف انماط وطرز الابداع الشعبى .

صفوت كمال ـ الكويت

حتى لا ننسى :

طبرية
التاريخ والمأساة

بقلم : نبيل خالد الأغا

هذا المنظر الفاتن يمثل جانباً من مدينة طبرية العربية الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٤٨ م ، والواقعة فى شمال فلسطين على منتصف الشاطىء الغربي لبحر الجليل .. أو بحيرة طبرية كما عرفها التاريخ العربى القديم والمعاصر .

يبلغ طول البحيرة ٢٢ كيلومتراً ، وعرضها ١٢ كيلومتراً ، ويصل انخفاضها الى ما يزيد عن مائتى متر عن مستوى البحر الأبيض المتوسط .

ونظراً لما تمتاز به المنطقة من ارتفاع نسبي فى درجة الحرارة ، ولروعة مناظرها الطبيعية الفاتنة فقد شيد كثير من خلفاء بني أمية لهم قصوراً فاخرة على ضفاف البحيرة للاستمتاع بدفء طقسها فى فصول الشتاء .

وتوجد بالقرب منها حمامات طبرية المعدنية الشهيرة التى التجا اليها الناس منذ فترات زمنية بعيدة للتخلص من امراض الروماتيزم ، والنقرس ، والاضطرابات العصبية ، والامراض الجلدية المختلفة ، وذلك بسبب ما تحتويه مياهها من تركيبات كيماوية مختلفة .

وعلى امتداد مئات الأعوام كان الفلسطينيون فى طبرية ينتفعون من وجود البحيرة الى جانب مساكنهم ومزارعهم ، حيث شربوا منها ، ورووا حدائقهم بمياهها واصطادوا من اسماكها ، فكانت مصدر خير وبركة لهم ولمن حولهم .

ولكن بعد نكبة فلسطين أمعن اعداؤنا فى طمس المعالم العربية فى الوطن المحتل .. فمثلما جففوا بحيرة « الحولة » فانهم يسعون اليوم لتحويل بحيرة طبرية الى بالوعة مياه قذرة من خلال تلويث مياهها .. بزيادة نسبة البوتاس والفوسفات فيها ..

وبسبب وجود هاتين المادتين تنمو - وبسرعة - أنواع غريبة من الاعشاب تمتص نسبة كبيرة من اكسجين البحيرة ، ويتحمل المستوطنون الصهاينة الجزء الأكبر من اسباب هذه الجريمة لأنهم يضخون مياه منازلهم القذرة فى مياه نهر الأردن الذى يغذى بدوره بحيرة طبرية بها مع العلم بأن البحيرة تشكل مصدراً رئيساً فى تغذية المنطقة الشمالية بالمياه ، حيث يتم ضخ اكثر من عشرين متراً مكعباً منها فى الثانية الواحدة !

اما بالنسبة لمدينة طبرية التى يبدو فى الصورة الجزء الغربي منها فيقال إن مؤسسـها هو الملك « هيرودس » ، الذى سماها باسم الامبراطور الروماني حوالى سنة ٢١ للميلاد .

وعندما أحرق القائد الروماني « تيطس » مدينة القدس عام ٧٠ م ، قام بطرد اليهود منها ، بعد أن سمح لهم بالاقامة فى طبرية . ويعتقد اليهود بأن التلمود - كتابهم المقدس الثانى بعد التوراة - قد تم جمعه فى طبرية عام ٤٠٠ للميلاد . وتعتبر طبرية فى عرفهم واحدة من المدن الأربع المقدسة لديهم ، بعد القدس والخليل وصفد .

.. هذا وقد فتح العرب المدينة عـام ١٣ هـ . بقيادة القائد الباسل شرحبيل بن حسنة وأصبحت فيما بعد عاصمة « لجند الأردن » .

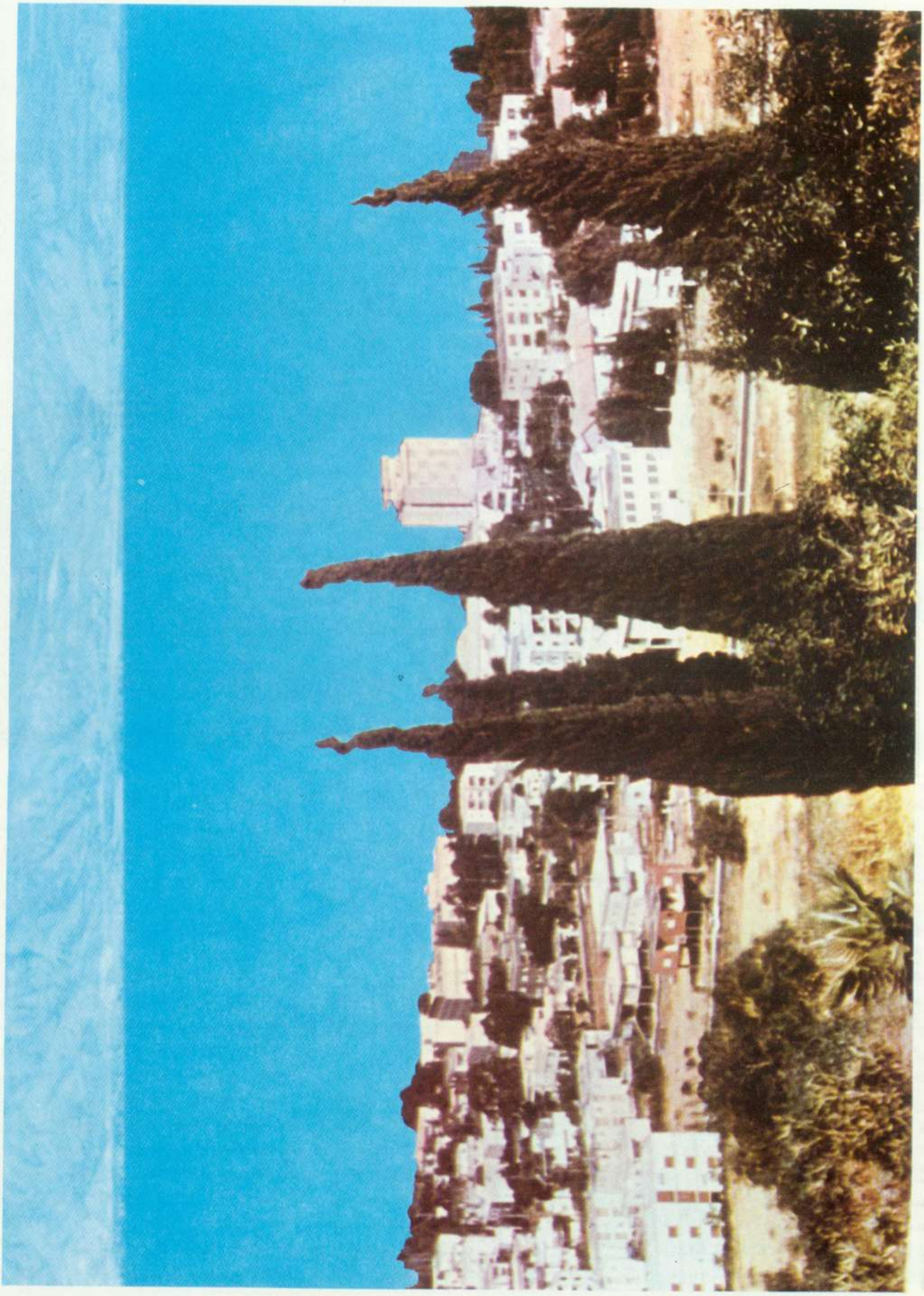
ويحدثنا التاريخ بان موكب القائد العربى الفذ موسى بن نصير قد مر بطبرية حينما قدم من الاندلس فى طريقه الى الشام تنفيذاً لأوامر الوليد بن عبد الملك .

اما فى العصر العثماني فقد تولى الثائر الفلسطيني الشيخ ظاهر العمر (وهو من ابناء صفد) مسئولية الحكم فيها . فاهتم بها ، وزينها ، وبنى عدة قلاع ومساجد ومدارس ومنها انطلقت قواته لمناجزة خصومه فى المناطق المجاورة ، واستطاع فى نهاية المطاف أن ينتصر عليهم ، واصبح الشمال الفلسطيني تحت إمرته ، ولما استتب له الوضع نقل مقر اقامته الى عكا تمهيداً لاعلان استقلال البلاد الشامية عن الحكم العثماني !

.. ولكي لا ننسي تاريخنا ، وما فعله اعداؤنا فمن المفيد أن نتذكر بان قضاء طبرية قبل عام ١٩٤٨ م كان يضم ٢٦ قرية عربية ، ولم يتبق اليوم منها سوى ثلاث قرى فقط .

هـــذا .. وتعتبر قــرية « حطين » الفلسطينية من أهم القرى فى منطقة الغور الشمالي ، والتى تبعد مسافة ١٠ كم الى الغرب من طبرية . وهى القرية التى حملت اسم موقعة حطين الشهيرة التى احرز فيها البطل المسلم صلاح الدين الأيوبي نصراً حاسماً على الجحافل الصليبية عام ١١٨٧ م ، والتى ما برحنا نستعيد عظمتها لنذارى واقعنا العربي الأليم ! !

نبيل خالد الأغا



جانب من مدينة طبرية فى فلسطين المحتلة

أحمد صبري

فنان متمرّد من عصر اليَشْمَك والطربوش

بقلم : حسين بيكار



لوحة زيتية لاحدى الصور الشخصية التى برع فى تصويرها الفنان احمد صبرى (١٩٥٠)

عندما كانت الامبراطورية العثمانية تجر أذيالها من الشرق الأوسط الذى كان جزءاً من امبراطوريتها المترامية الاطراف ، تركت وراءها أصداء لغة ، ورواسب تقاليد وبقايا فنون .

وكانت «الحبرة واليشمك والطربوش والسروال» مفردات وعناصر فى لوحة كبيرة تجعل مجتمع المدينة المصرية لا يختلف كثيراً فى مظهره عن المجتمع التركى ، حتى اذا ما تجاوزنا أطراف المدينة ، واحتوانا الريف بخضرته الممتدة ، واستقبلتنا أكواخ الطين والسواقى وجذوع النخيل وأبراج الحمام ، برزت الملامح المصرية الأصيلة على حقيقتها منعكسة على صفحة الطبيعة ، وعلى الوجوه السمراء ، وأنغام المواويل ، والأمثال الشعبية ، والعادات الريفية ، وقد ولد « أحمد صبرى » وسط هذا المناخ فى ١٩ ابريل سنة ١٨٨٩ بحي المغربلين بالدرب الأحمر من أبوين ينحدران من أصل تركى ..

تفتحت عيناه على مناخ يتسم بالنظام والنظافة والأناقة والاعتداد بالنفس والكبرياء وحب الطرب ..

ولم يكد الطفل يبلغ الثانية من عمره حتى فقد أمه ، وبعدها بست سنوات فقد أباه أيضاً ، فغمرت الطفل مرارة اليتم فى أعنف صوره ، حيث كفله جده لأبيه ، ثم خاله فيما بعد ، وظل الطفل ينتقل من بيت الجد والخال فى حي « السيدة زينب » وشارع « السبع والضبع » بحي « الظاهر » يطارده احساس بالاغتراب والقهر ، الأمر الذى أثر على سلوكه وانتظامه فى الدراسة .. مما أضطر أولى أمره ان يقسوا عليه فى محاولة يائسة لتقويمه ، فكان يتحمل الأذى صابرا متحديا فى عناد وأصرار ، دون أن يغير من موقفه أو يخفف من عناده ..

كان شيء ما فى داخله يدعوه الى التمرد على واقعه وعلى أقرب الأقربين إليه ، فلم يجد وسيلة يعبر بها عن ثورته سوى الانقطاع عن الدراسة ، والتسكع فى دروب القاهرة ، وهو لا يعلم انه بهذا التصرف انما يقضى على مستقبله ، ويعوق تفتح مواهبه وملكاته ..

لكن شيئا ما كان يضمد جرح الصبى اليتيم ويخفف عنه وطأة اليتم وقسوة الأقارب .

كان يرسم مثلما يفعل أقرانه فى هذه السن المبكرة ، ولكن خطوطه الرقيقة كانت تختلف عما يصنعه الآخرون . كانت تعكس رقة غير عادية ، وكانت رغم بدائيتها وسذاجتها يفوح منها عبق رقيق ، ويشع منها جمال ناضج يفوق سنوات عمره ..

لقد وجد الصبى الموهوب متنفسا يطلق من خلاله أبخرة الحرمان ، ورفيقا حميما يبثه لواعج نفسه .

وكأنما أرادت الطبيعة ان تغرس فى قلب الصبى الصغير مزيداً من رهافة الحس فوهبته صوتاً رخيماً وأذناً موسيقية بالغة الحساسية ، تجيد التقاط الالحان والأغانى الشائعة فيرددها بأمانة نادرة فيطرب لها ويطرب مستمعيه .



من أعمال الفنان البارزة ، لوحته الزيتية : فتيات على البيانو

«منظر طبيعى (١٩٣٥)



وزادته هذه الملكة الغنائية اندفاعاً وراء أحلام صباه ، فصار يتردد على مجالس السمر والموسيقى والطرب ، ويصادق محترفى الموسيقى ويشاركهم فى سهراتهم ، وانغمس بكل حبه فى هذه الهواية ظناً منه انه عثر على طريقه السوى ، وهو لا يدرى أن قدره يدخر له مكان الريادة فى فن آخر ، وذلك عندما علم مصادفة بان هناك مدرسة انشأها الأمير « يوسف كمال » حديثاً بدرب الجماميز . وان الطلبة يدرسون فيها ضروباً مختلفة من فنون الرسم والتصوير والنحت فما ان بلغ سمعه هذا النبأ الذى نزل على قلبه مثل قطرة الماء فوق الشفاه الظمأى حتى هرع اليها ليسجل اسمه ضمن طلابها ..

وكان ذلك عام ١٩١١ .

وفى مدرسة الفنون الجميلة تفتحت مواهب الشاب « أحمد صبرى » فى المناخ الذى خلق له ، وكأنما وجد التربة الصالحة التى يؤكد من خلالها ذاته وينمى شخصيته

أحمد صبري

فنان متمرّد

من عصر اليشمك والطربوش

فانكب على الدراسة الجديدة بكل حماس ، ونال من اهتمام أساتذته الأجانب « باولو فورشيلا ، وسيمون ، وبونوه » ما شجعه على المضي في طريقه الجديد بمزيد من اللهفة والعشق معوضاً ما فاته في صباه ، وما أهدره من سنوات عمره .

وكان لموهبته الغنائية أثر كبير على فنه الجديد ، اذ برزت خصوبته القصوى في التلوين ، وتجلت براعته في امتصاص ألوان الطيف وسكبها فوق لوحاته بغزارة متدفقة ، وكأنما كان يغني بفرشاته عوضاً عن الترنم بحنجرته ..

ولقد هدته فطرته الى خامة تسهل له ارسال النغم اللوني دون ارهاق ملكاته بما يصاحب عملية الرسم من حالات التوتر والحرص الشديد ، وهو ما كانت طبيعته ترفضه ، فقد كان شوقه للون عنيفاً وعارما ، وكان يشتهي أن يكون اللون أول شيء يلتقى به فوق سطح اللوحة العذراء .. وكانت الأصابع الطباشيرية الملونة « الباستيل » هي الوسيط الأمثل الذي مكنه من هذا اللقاء السريع ..

وهكذا صاحب « الباستيل » صبري منذ اللحظة الأولى ، ووجد فيه رفيقاً طيعاً في رحلة الابداع الطويلة حتى أصبح فنان الباستيل الأول في مصر دون منازع ..

كان صبري منذ بداية عهده بالتصوير شغوفاً برسم الوجوه والشخصيات ، ولقد كانت أولى محاولاته في هذا النوع مؤشراً صادقاً لدوره الكبير الذي سيقوم به ، وكأنما كانت تتنبأ بانه سوف يصبح من رواد «البورتريه» بين فناني الرعيل الأول في مصر ..

وكان تفوقه في رسم الوجوه من أهم الأسباب التي دفعت اساتذته الى ترشيحه لبعثة دراسية في فرنسا على نفقة الأمير « يوسف كمال » ليزداد تعمقه في هذا الفن ..

وظل هذا الحلم يراود الشاب الطموح لا يفارقه لحظة ، فبدأ يعد نفسه لليوم الموعود ، ولكن يبدو ان ظروف الحرب العالمية الأولى حالت دون تحقيق أمنيته ، فتأجل سفره ، واضطر الى الانتظار صابراً على مضض الى أن يأتي الفرج .

لم تكن فترة الدراسة بالنسبة « لأحمد صبري » أرضاً ممهدة وساحة مفروشة بالورود ، اذ كانت جميع الأنظار متجهة اليه وهي واثقة ان انتظامه في الدراسة نزوة عابرة ستضاف الى حلقات فشله السابقة .

وقبل الفتى التحدي بعد ان عثر على الوسادة التي يريح فوقها رأسه .. لم يعد يبالي بنظرات التوجس وتهامس التشكيك ، وها هو ذا يتخرج من المدرسة ، ويحصل على دبلومها سنة ١٩١٦ بتفوق كبير ، وها هو ذا كذلك في انتظار تحقيق الوعد الذي سيتوج طموحه فيسافر الى باريس حلمه الكبير .

وتراجعت الوعود ، أو تبخرت لسبب لا يعلمه .. وقد يكون ذلك حسب تصوره بايحاء من خصومه الذين يغارون منه ويتربصون به ، وان كان يقال ان غرابة أطواره ، وشعوره الدائم بالاضطهاد ، واعتداده الزائد بنفسه وبكرامته ، وصراحته الصارمة ، واصطدامه مع الآخرين لأتفه الأسباب ، وشكوكه الدائمة حتى في أقرب الأقربين اليه ، هي التي عطلت سفره أو الغته ، فقد كانت طبيعته الرافضة تضعه دائماً في موقع المدافع عن نفسه بين خصوم وهميين يحيطون به ، حتى أصبح مثل القط الطريد المحاصر في ركن مغلق .

الفنان في باريس

ولم يكن امام « صبري » الا أن يبحث عن وظيفة يعتمد عليها امام متطلبات الحياة ، فما كادت تعرض عليه وظيفة مدرس للرسم بمدرسة « مصطفى كامل » الابتدائية بمرتب ثمانية جنيهات في الشهر حتى قبلها على الفور ، وظن ان الحظ بدأ يبتسم في وجهه ، وان الأيام السوداء قد ذهبت بلا رجعة ، ولكنه ما كاد يمضي في وظيفته الجديدة شهراً واحداً ، حتى استدعاه ناظر المدرسة ليخبره بالاستغناء عن خدماته لانه غير كفء في مهنة التدريس ، دون ان يعوضه عن الثلاثين يوماً التي عملها بكل أمانة ، بحجة انه كان يعمل تحت التجربة والاختبار ..

وخرج « أحمد صبري » من عند الناظر ليواجه التشرد والضياع من جديد ، وليصطدم بمرحلة أخرى من مراحل التحدي أكثر شراسة وضراوة من الأولى ..

وبلغت أخبار نبوغه اسماع بعض الموسرين من هواة الفن من الطبقة البرجوازية . وبدأت لوحاته تدخل بيوتهم على استحياء بالقدر الذي يكفل له حياة متواضعة ، وادخار بضعة دريهمات تعينه



عازف العود ـ تصوير زيتي



بعد المطالعة .. اسم اللوحة الزيتية التى انجزها الفنان عام ١٩٢٦

على تحقيق حلم حياته ـ الســـفر الى باريس ـ بعد أن تبخرت الوعود بتسفيره واستطاع « أحمد صبرى » بعد مجهود شاق أن يدخر بعض النقود ، ويهيىء نفسه مادياً ونفسياً للسفر الى باريس ..

وفى سنة ١٩١٩ ، وبعد ان وضــعت الحرب أوزارها ، حمل حقائبه وما ادخره من مال وسافر الى باريس ليجد نفسه فجاة غارقا فى أضوائها ،

لقد جاء الى باريس لكى يواصـــل دراسته الفنية ، ولكى يقيم فى هذا الاطار الذى يفوح عبق الفن من كل ركن من أركانه وكان عليه لكى يحقق هذا ان يلتحق باحد المعاهد أو المراسم المنتشرة فى باريس ، وفعلا التحق باكاديمية « شوميير » ثم باكاديمية « جوليان » وهناك تشرب بروح الجدية والاصرار على طلب الكمال ، وانغمس بكل طاقته فى الدراســـة الاكاديمية لاكتساب مزيد من اللباقة والسيطرة على فرشاته ..

وظل «صبرى» ينفق من القليل الذى ادخره ، ومن القليل الذى كان يتكسبه من فنه ، ولكنه لم يعد قادراً على مواصلة الانفاق بعد أن نفدت نقوده ونضبت موارده ، فاضطر الى العودة الى مصر بعد ثلاث سنوات قضاها فى كفاح مرير مع الحياة والفن ومحاولة الحصول على أكبر قدر من المعرفة فى البلد الذى تعلق به قلبه وعقله .

وفى مصر واجهت «صبرى» نفس الصعاب التى كانت تواجهه قبل سفره ، وهى كيف يستطيع أن يتكسب من فنه دون أن يهبط به الى مستوى السوقة ؟؟ وهو الذى يضع الفن فى مرتبة عظيمة ...

وعلى الرغم من انه عاد من بّاريس أكثر خبرة ونضجاً ، إلا ان الكفاءة وحدها فى مناخ كهذا ليست السبيل الى الشهرة والتالق والنجاح .

ومع ذلك كان لابد للعمل الجيد ان يجد من يؤيده ولو بعد حين ، فقد تعرف عليه المقاول الفرنسى «بول فيس» . وكان من أكثر الناس ولعاً وتحمساً للفن والفنانين ، وخاصة الناشئين منهم ، وكان يقتنى الكثير من أعمالهم ويدعوهم الى منزله ويعرفهم بأصدقائه ...

واعجب المقاول الفرنسى الثرى بفن «أحمد صبرى» وأدرك مأساته ، فعرض عليه غرفة فوق سطح العمارة التى يمتلكها بحي القصر العينى ليتخذها مسكناً ومرسماً .. وفى هذه الغرفة زاره الكاتب الكبير «عباس محمود العقاد» وكان من بين الذين رسم صورتهم فى هذا المرسم المطل على النيل ..

ولما كان الاعتماد على ما يتكسبه الفنان من عمله الفنى أمراً غير ممكن فى ذلك الزمان ، لذلك اضطر «أحمد صبرى» الى البحث من جديد عن وظيفة تعينه على الحياة ، فالتحق بوظيفة رسام بقسم الحشرات بوزارة الزراعة ، وهى وظيفة تتطلب ممن يشغلها قدرات تخصصية لا تتوفر فى كل فنان أو رسام ..

لقد كانت هذه الوظيفة رغم شدة احتياجه اليها خانقة لملكاته ، قاتلة لجميع أحلامه ومواهبه ، ومع ذلك قبلها على مضض .. ولم تمض عليه فترة طويلة فى هذه الوظيفة حتى نقل الى وظيفة أخرى لا تقل عنها غرابة ، وهى وظيفة رسام بوزارة الأشغال العمومية ، ليواجه نفس المشكلة ..

وانفتح باب الامل من جديد فى وجه الشاب الطموح ، فاوفدته وزارة الأشغال فى بعثة دراسية الى باريس لتكملة دراسته الفنية . وفى هذه المرة احس «أحمد صبرى» لأول مرة بانه يقف على أرض صلبة ، وانه يتكىء على دعامة راسخة ، فهو موفد فى بعثة حكومية على نفقة الدولة وهو لن يشعر فى رحلته القادمة بمهانة الحاجة ، ولن يقع تحت ضغوط الخوف والحرمان والقلق التى كانت تطحنه فى رحلته السابقة ...

وفى هذه المرة لجا الى توسيع خبراته بالافادة من فنانين وأساتذة لهم سمعتهم الفنية العالمية ، فتتلمذ على يد المصور «بول ألبير لوران» ثم على يد المصور المعروف «إيمانويل فوجيرا» اللذين ظلت بصماتهما غائرة فى أعماله فى جميع مراحل ابداعه فيما بعد . ويبدو هذا التاثر واضحاً فى لوحة «الراهبة» التى عرضها فى «الجران باليه» بباريس سنة ١٩٢٩ وحصل بها على جائزة الشرف من جمعية الفنون الفرنسية ، وهو شرف كبير قلما يحصل عليه فنان اجنبى فى عاصمة الفن .

العودة الى الوطن

وعاد «أحمد صبرى» الى مصر سنة ١٩٢٩ ممتلئا حماساً ، ومشحونا برغبة صادقة فى العطاء ... وكانت مدرسة الفنون الجميلة العليا التابعة لوزارة المعارف العمومية قد فتحت أبوابها لأول مرة بعد تصفية مدرسة درب الجماميز الأهلية ، فتم تعيينه مدرساً بها ، وكان المدير والأساتذة جميعهم من الاجانب ، ثم أسند اليه رئاسة قسم التصوير الحر الذى انشىء لأول مرة لرعاية الموهوبين من غير حملة المؤهلات الدراسية .. ثم أصبح فيما بعد رئيساً لقسم التصوير النظامى . وظل كذلك يعطى تلاميذه بكل أمانة واخلاص ، ويخرج جيلا بعد جيل ، الى أن أحيل الى التقاعد سنة ١٩٤٩ ، ثم يمتد عمله بعد ذلك سنتين

أحمد صبري

فنان متمرّد

من عصر اليَشْمَك والطربوش

آخريين ، وتنتهى علاقته بالتدريس سنة ١٩٥١ .

فقد بدأ يتسلل إلى عالمه المنىء بالالوان .. شيئاً مد يده الخبيثة ليسلبه أغلى وأعز ما يملك الفنان لقد بدأت غشاوة معتمة تنسدل على عينيه ، وتنسج غلالة ضبابية بينه وبين العالم الخارجى ... وبدأت فرشاته تتحسس طريقها الى اللوحة فى تردد غير واثق ....

وعاش آخر أيامه يصارع الظلام الذى كان يزداد كثافة مع الأيام .. وعبثاً كان يحاول إزاحة الاستار السوداء التى أسدلها الظلام على عينيه بلا رحمة .. كانت عيناه تحاولان اختراق الضباب لتغترف من مناهل الضوء واللون كما كانت تفعل دائماً .. ولكنها كانت تصطدم بالحواجز السوداء فترتد لتبلل جفنيها بالدموع . تذرفها فى صمت ، وكان يمسك فرشاته فى عناد واصرار لينثر الألوان التى ادمنها مرحة متفائلة ، يراوده أمل فى أنه سوف يقهر هذا المرض الخبيث ويغمر الدنيا بالألوان ، ويفيض النور على لوحاته من جديد ، ولكن النور كان يترنح تحت أطراف فرشاته وهى تتعثر بين اللمسات التى لا تجد طريقها فوق وجوه الحسناوات وأكمام الزهور ...

وبدأت الأشكال التى تميزت بصلابتها وتماسكها تهتز وتتخلخل . ويتبخر ذلك الوضوح الشجي الذى كان ينضح من الأجسام .

وكان الظلام أقوى من الأمل .

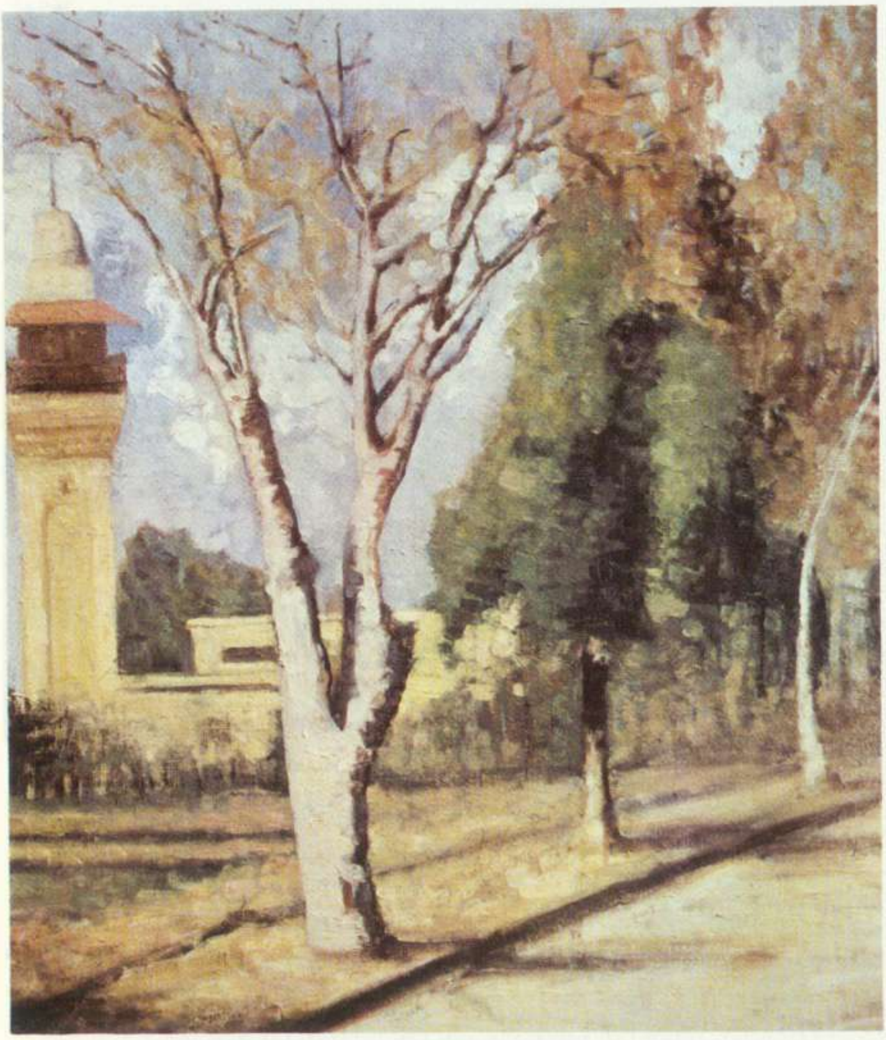
وانهارت الريشة التى كانت ترتشف الضياء ، وتلتهم ألوان الطيف ليحتويها ليل دائم وظلام مصمت رعيب .

لقد عجز الطب عن اعادة النور الى عيني الفنان الرائد ، حتى وافته المنية عام ١٩٥٥ .

كان «صبرى» أستاذاً لعدة أجيال تتلمذوا على يديه وعلى تلامذته من بعده .. كان رائداً للصورة الشخصية ، أخذ من التأثيرية صفاء ألوانها ، ومن الكلاسيكية جمالياتها ، ومن الواقعية صدقها . ومن الفن المصرى القديم شموخه ، واذا جاز لنا أن نسمي فنه بفن «الصالونات» فلأنه يعكس سمات الأناقة التى تتجلى بصفة خاصة فى صور المرأة التى كان يبرز أنوثتها فى غير ابتذال أو اسفاف ..

وكان حنينه الشديد الى الجو المنزلى الذى حرم منه منذ طفولته هو الذى زاد من التصاقه بمرسمه الذى كان مشدوداً اليه ، ولا يحس بوجوده إلا بين جدرانه ..

وكان عصامياً فى تثقيف نفسه ، كثير التردد على ندوات رجال الفكر والادب . وكان صديقاً شخصياً للعقاد وتوفيق الحكيم وطه حسين والمازنى والشاعر عبد الرحمن صدقى .. كما انه كان ركناً هاماً فى الجلسات الأسبوعية التى كان يقيمها العقاد فى بيته ، والتى أدمنها الكثير من حوارييه وأصدقائه ، فألفوا بينهم ما أسموه «جماعة الحديقة» وكان «صبرى» يداعبهم برسمهم على هيئة حيوانات وطيور يرى تشابهاً بينهم وبينها . فكان يصور العقاد على هيئة زرافة ، وعبد الرحمن صدقى على هيئة طائر البطريق ، وحامد سعيد مثل طائر البشاروش ، أما هو فقد اختار لنفسه صورة القرد .. وهكذا كانت روح المرح والدعابة تلازم جديته الصارمة واحترامه الشديد لنفسه وتجعل منه انساناً سوياً يعطي الجد والهزل حقهما دون افراط أو تفريط ..



من وحى الطبيعة .. إنها لوحة أشبه بسيمفونية زاخرة بمختلف الأشكال والالوان

الصورة الشخصية فى حياته

لا يستطيع أحد أن ينكر أن مصر هى أسبق الحضارات الى تسجيل الصورة الشخصية

لم يكن «صبرى» إذن خارجاً على التقاليد المصرية عندما استهوته الصورة الشخصية واستحوذت على معظم اهتمامه وانتاجه .. فقد كان مغرماً بتصوير الأشخاص والغوص فى أعماقهم ، والبحث عن شخصياتهم فى متاهات الانفعالات المتغيرة

ولقد كان «صبرى» انساناً اجتماعياً بطبيعته ، يحب الناس رغم شدة تحفظه ، يحب معاشرة من يأنس اليهم وترتاح لهم نفسه . اذا أخلص أعطى نفسه كاملة ، واذا كره كره حتى الموت .. لذلك كان اهتمامه بالصورة الشخصية نابعاً من داخله ، وتعويضاً للفراغ الذى كان يحيط به منذ طفولته ، وانعكاساً لاجتماعيته.



إحدى الصور الشخصية التى اراد بها ان يبرز متاهات الانفعالات المتغيرة فى الشخصية

ولعل أنجح الصور الشخصية التى أبدعها فى حياته هى صور أصدقائه الحميمين من الجنسين ، لأن ارتباطه الشديد بهم يتيح له معرفة أكثر من الداخل فيكون بالتالى تمثيله لهم أصدق ..

ولاشك أن أروع ما أنتجه صبرى فى هذا المجال هو صور زوجتيه الفرنسية والمصرية اللتين استطاع أن يبرز شخصيتيهما من خلال دراساته المتعددة ، ولقد أتاح له التصاقه بهما الغوص فى داخل الداخل ، واستخراج الغير مرئى من المرئى ، ومزجه بلمساته البارعة وألوانه المرهفة ..

وللفنان «أحمد صبرى» وقفات طويلة أمام الموديل ، تدعوه حاسة لمسية غاية فى الرهافة الى الاتقان بريشته اللماحة ، وكانما تجمعت حواسه جميعاً فى أطراف ريشته حتى يكاد يرى ويسمع ويشم ويذوق بها ملامس الأشياء ،

ولقد كان صبرى مولعاً باقتناء الاشياء الجميلة ، ويعرف اين وكيف يضعها فى داره بنفس الاهتمام والعناية التى يضع بها لمساته وبصماته فوق لوحاته .. لقد اراد ان ينقل المناخ الفرنسى الى المنازل التى سكنها فى ميدان الازهار والحسينية وغمرة ..

كانت هذه الأشياء تبعث دفئاً حميماً فى البيت الذى كان شديد الحنين اليه والارتباط به . كان البيت حلم حياته ، ولعل هذا الشوق الجارف للبيت أحد رواسب اليتم والتشرد والحرمان من الحنان الأبوى الذى عاناه فى طفولته . ولذلك كان منزله عشاً جميلا ترتاح اليه النفس وتسكن ..

كانت خزائن كتبه محملة بالاوانى الخزفية والمعدنية والتحف الصغيرة ،

وكان تجميع هذه الأشياء فى لوحة واحدة فى نظره يؤلف قصيداً سمفونياً تعزفه مختلف النوعيات والملامس والاشكال والالوان .. كل قطعة فى التكوين آلة موسيقية يوكل اليها جزءاً من اللحن الشامل تعزفه فى توافق وانسجام مع بقية الاجزاء .. وكان يقف امام فرقته الصغيرة كالقائد الحاذق يستحث هذا وينحى ذاك ويثير هذه ويهدىء من تلك فيهزك اللحن فى مجموعه طرباً وشجى ..

ولقد كان الملمس عند « صبرى » يفوق كل اعتبار وكثيراً ما كان ينبه تلامذته الى هذه القيمة التصويرية الكبيرة . فكان عندما يلمس بريشته آنية نحاسية فكانما يريد ان يسمعنا رنينها ، وعندما تمر فوق بتلات زهرة فكانما يدعوها الى بث عطرها ونضارتها ، وعندما تنزلق فوق آنية خزفية فانه يلح على أبراز نعومة سطحها وصلابته وبرودته .. وهكذا كان حاله مع المفارش الحريرية أو قطع المعادن والفواكه المختلفة ..

ولطالما دعانا « صبرى » الى ولائم لوحاته التى تزخر بانواع الثمار والفاكهة . ولكن لا جدال ان أشهر هذه الثمار جميعاً كانت ثمرة « البطاطا » التى لها عنده ذكريات عميقة البصمات ، فقد رافقته أيام الحرمان عندما لم يكن يجد ما يسكن به صراخ أمعائه ،

الذين يعرفون « صبرى » عن كثب يعلمون كيف كان يتعصب لفنه ، وكيف كان يرفعه الى مرتبة عظيمة .. وكيف كان ينظر الى الكمال كشىء بعيد المنال ، حتى انه كثيراً ما يصف أعمال كبار الاساتذة بانها ضرب من ضروب الاعجاز الخارق . لا يقدر عليه الا العباقرة

ولذلك كانت عملية الابداع بالنسبة اليه مشكلة بالغة الصعوبة ، ورحلة معاناة يحسب لها ألف حساب ، ومعركة تتطلب الاستعداد لها فكرياً ونفسياً قبل الخوض فى غمارها ..

وكثيراً ما كان يقوم برسم المسودات الصغيرة قبل البدء فى تنفيذ لوحاته وعلى الرغم من انه كان يصور داخل المراسم المغلقة ، الا انه كان يتعمد اغراق لوحاته بالضوء النقى الساطع . الذى يصافح نماذجه ويظهرها فى أبهى حالات تالقها .. وكان يتعمد عدم الاستسلام للظلال القاتمة « الكياروسكورو » فيلجا الى تطهير مسطحاته من المطبات الظلية المفاجئة التى تخلخل صلابتها ، أو تعطل انسيابها ، واحاطة نماذجه بخلفيات فاتحة أقرب الى البياض ، على عكس ما هو مالوف فى خلفيات التصوير الأوروبى . ولاشك ان هذا الوضوح هو المعادل للمناخ المصرى الذى يغمره الضوء فى جميع فصول السنة ، كما انه أيضاً مرادف لصفة الصراحة الشديدة التى كان يتسم بها « صبرى » الانسان ، والتى كانت تؤخذ عليه فى تعامله مع الناس وتجعله كثير الاصطدام مع الآخرين .

حسين بيكار

مسـرحيـة

"هالشكل يا زعفران"

بين الحكاية الشعبية والرمز

بقلم: الدكتور محمد عبد الرحيم كافود



عندما اخبر زعفران (على سلطان) الرجل العجوز (جبر الفياض) بانه ذاهب إلى المدينة



زوجة زعفران (وداد عبد اللطيف) وهى تحلم بازياء المدينة !

لاشك أن فن المسرح يعد فنا جديداً بالنسبة للأدب العربى بصفة عامة . وهو اكثر حداثة وجدة فى الأدب الخليجى . واذا نحن توقفنا عند التجربة المسرحية فى قطر فاننا نجد أن هذا الفن لا يتجاوز عمره عشر سنوات بالطبع ، واضعين فى اعتبارنا هنا المحاولات الأولى لخلق حركة مسرحية التى لاشك كانت فى بدايتها محاولات ارتجالية .

وقد أشرت الى نشأة هذه الحركة فى كتابة سابقة (١) . ولا أريد هنا أن أتطرق الى هذه البدايات . ولكن من خلال تتبعى لبعض المسرحيات التى عرضت وتعرض هذه الأيام أستطيع القول ان المسرح القطرى لا زال يحبو ببطء وهنا لا أريد به من حيث الكم فى المسرحيات التى تعرض ، وانما من حيث النوع . وأريد أن أكون أكثر دقة فى التعبير فأقول ان النص المسرحى المكتوب بالذات لم يتبلور بصورة واضحة نعنى به النص المسرحى الذى يتسم بعمق المعالجة لقضايا الواقع مع توافر العناصر الفنية،فالنصوص المسرحية التى نشاهدها فى الغالب اما أن تكون (مقطرة) ومقتبسة عن مسرحيات وقصص عربية ، أو ماخوذة عن قصص ومسرحيات عالمية ..

ويحاول المقتبس أن يسقط عليها من قضايا المجتمع حسب ما لديه من قدرة ونفاذ بصيرة ووعي بهذه القضايا الى جانب ما لديه من حس فني .. والحقيقة أن هذا الاقتباس أو التقطير قد حاوله العديد من الكتاب وقدمت بعض المسرحيات ولكنها كانت ساذجة الى حد ما فى تناول القضايا أو لنقل فى اسقاطاتها على بعض القضايا .. وفى أحيان كثيرة يبدو الاقحام والتكلف واضحاً . الى جانب سطحية وابتذال بعض المشاكل ، بسبب كثرة التركيز عليها والاسلوب التقريرى فى معالجتها .

وإذا انتقلنا الى النص المسرحى المؤلف فاننا نجد فى الحقيقة أن هذه النصوص أيضا تتناول المشاكل الاجتماعية بشكل تسجيلى ، أو بتعبير أخر تنقل بعض هذه المشاكل نقلا (فوتوغرافيا) . وقد انحصرت معظم هذه المسرحيات أو المشاكل التى تناولها الكتاب فى مشاكل الزواج ، وغلاء المهور والجوانب السلبية فى بعض الموظفين والادارات ، وبعض مظاهر الانحراف لدى الشباب ، ونحو ذلك من المشاكل الظاهرة على السطح ، والتى لا تتطلب من الكاتب سوى التقاطهـــا وتسجيلها ثم عرضها بأسلوب تقريرى غالبا ما يقوم على السخرية ..

وكل ما ذكرته حول النص المسرحى يعطينا شبه تصور لواقع التجربة المسرحية فى قطر وهو أنه حتى الآن لازالت التجربة المسرحية فى طور النشاة وبداية الطريق . كذلك لا يوجد هناك الكاتب المسرحى الذى لديه رؤية أو اتجاها يشكل موقفا معينا ينتهجه الكاتب فيحاول من خلاله معالجة ما يطرحه من قضايا ، مهما تفاوت حجمها أو أهميتها .

والسبب فى ذلك يعود بطبيعة الحال الى حداثة نشاة المسرح القطرى بالاضافة الى أن معظم الذين كتبوا أو يكتبون للمسرح لا يتجاوز فى الغالب ما كتبوه النص أو النصين ، وهذا لا يعطى رؤية واضحة يمكن أن نستشفها لدى الكاتب ، بالاضافة الى قلة الخبرة لدى هؤلاء فى هذا المجال .

وكتابة النص المسرحى فى الحقيقة تكاد تكون الى حد ما أصعب من غيرها بالنسبة للفنون الأخرى . ولذلك نحس بذلك النقص أو الأزمة فى النص المسرحى على مستوى العالم العربى بأسره . اذا قسناه بالنسبة للقصة بأنواعها وغيرها من الفنون الأدبية

هذا انطباع عام عن الحركة المسرحية فى قطر وأقف هنا عند مسرحية (ها الشكل يا زعفران) وهى مسرحية من تأليف عبد الرحمن المناعى . وهذا الكاتب أستطيع أن أقول بأنه يكاد يكون الكاتب الوحيد فى المسرح القطرى الذى تتسم أعماله المسرحية بشىء من العمق فى المعالجة ، وتتضح لديه رؤية معينة أو موقف واضح فى معظم مسرحياته . ومن المعروف أن له عدة مسرحيات منها : (أم الزين) (باقى الوصية) ، (هو بيل يا المال) (المغنى والأميرة) ، (ياليل ياليـــل) ، (الحذاء الذهبى) ثم مسرحية (ها الشكل يا زعفران) . ولنا وقفة مع هذه المسرحية التى عرضت مؤخرا على مسرح الدوحة .

أصل الحكاية

ومسرحية (ها الشكل يا زعفـــران) مسرحية تستمد مادتها من حكاية شعبية قديمة . وقبل أن أدخل فى تفاصيل المسرحية وتحليلها لابد من عرضها بايجاز

تحكى المسرحية : قصة مزارع يدعى (زعفران) يتسم بالبساطة والسذاجة يعيش فى قرية صغيرة كانت له مزرعة اشتهرت بانتاج الشمام وجودته ، وكان يغدق على أهل هذه القرية من شمامه عن رضا وطيب خاطر .. وبعد أن سمعت زوجته من جيرانها عن مظاهر الحياة فى المدينة ألحت على زوجها أن يذهب الى المدينة لبيع شمامه هناك ، ولكى يحضر لها بعض طلباتها . ويخضع الزوج (زعفران) لطلبها ويضع الشمام على ظهر بغلة ، وبينما هو يسير فى الطريق يعترض طريقه رجل عجوز ويدور حوار بينه وبين زعفران ثم يسأله هل شبع أهل بلادك من الشمام لكى تبيعه ؟ ثم يحذره من المدينـــــة وأخلاقياتها .. ويواصل زعفران سيره وتعترضه مجموعة من ثلاثة أشخاص يرتدون ملابس صفراء، وبعد حوار مع زعفران يستولون على كمية من شمامه دون أن يدفعوا الثمن . وعندما يستفسر يردون عليه (ها الشكل) . ثم يلتقى بمجموعة ثانية ، وثالثة وكل مجموعة ترتدى لونا معينا من الثياب وتستولى على كمية من شمامه ..

ثم قبل أن يصل الى أبواب المدينـــة يلتقى بامرأة تقدم الماء الى البغل وتمنعه عن صاحبه (زعفران) حتى يرتوى البغل وبعدها تسمح له بالشرب . ويدور بينها وبينه حوار يوحى بتذمرها من الحياة والأحياء وحبها للعزلة والابتعاد عن المجتمع .. ثم يدخل (زعفران) المدينة . ويسأل عن السوق ولكن لا أحد يدله عليه لأن البعض لا يعرف ، والبعض الآخر فى عجلة من أمره لا يرد عليه .. ويقرر فى النهاية أن يجلس للبيع على أحد الأرصفة ويأتى اليه ثلاثة أشخاص ويستولون على كمية من شمامه بحجة أرضية ، ثم تأتى مجموعة أخرى وتستولى على كمية من المتبقى معه بحجة أنه تسبب فى ازعاج الناس .. ويأتى أخيرا اثنان فيأخذان كل ما تبقى معه بحجة مخالفة ارتكبها .. !

ويضطر فى نهاية الأمر الى بيع البغل لكى يشرب بثمنه ماء .. ويتبقى معه دينار من ثمن البغل فيكتب به شكوى تظلم الى صاحب الشرطة . ولكن يرفض طلبه بسبب عدم قدرته على دفع ثمن الطابع .. ثم يلجأ



كان لابد أن يدفع زعفران خمس (شمامات) حتى يستطيع الوصول إلى المدينة ، وتكررت تلك الواقعة فى المسرحية !

بعدها (زعفران) الى المبيت فى احدى المقابر . وتدور فى ذهنه عند الصباح فكرة ، فحواها أن يأخذ ضريبة على كل جنازة يؤتى بها لدفنها ، ويستطيع عن هذا الطريق أن يجمع مبلغا من المال ، ولكن ينكشف أمره عندما تموت ابنة السلطان ويحاول أن يأخذ عليها ضريبة .. فيصل أمره الى السلطان ويكتشف (زعفران) هناك فى قصر السلطان أن الحاشية المحيطة بالسلطان هم الذين استولوا على شمامه . ويحكى قصته للسلطان وينكشف أمر هذه الحاشية التى تعيش على النفاق والانتهازية والابتزاز . وتضليل السلطان . ليعلن بعدها بداية الاصلاح والتغيير .

الرؤية النقدية

وقبل أن ندخل فى تفاصيل هـــذه المسرحية لى ملاحظة على ما قدم به المؤلف هذه المسرحية من أنها مسرحية كوميدية ، ففى الحقيقة وكما رأيت من خلال العرض بأنها مسرحية جادة ولا مكان للفكاهة فيها .. وهذا لا يعيب المسرحية بل هى فى الحقيقة يجب أن تكون كذلك لأن مضمونها كما سوف نرى ذو طابع مأســـاوى الى حد ما ..

حاول المؤلف أن يحافظ ـ ظاهريا ـ على الاطار العام لهذه الحكاية الشعبية من حيث سير الأحداث ومكانها ، والشخصيات وأسلوب تصرفاتها فى الحياة . ولكنه مع ذلك استطاع أن يوظف الحكاية الشعبية توظيفا فنيا فيعبر بها عن قضايا تقع فى كل زمان ومكان وكما هو معروف أن الكتاب والشعراء عنـــدما يلجأون الى التاريخ

"هالشكل يا زعفران"
بين الحكاية الشعبية والرمز

يستقون منه مادتهم من وقائع تاريخية ، أو أسطورية وخرافية ونحوها فانهم انما يتخذون منهـا وسيلة لمعالجة قضايا تشغلهم أو تهمهم عن طريق الرمز أو الاسقاط وبهدف العبرة ، وغير ذلك مما يرمى اليه الكاتب أو المؤلف . وبمعنى آخر فالأحداث والوقائع فى الأعمال الفنية هى رمز للتعبير عن معاناة الفنان تجاه بعض القضايا التى تشغله .

وكما اتضح لنا من خـلال عرض المسرحية أن الحدث أو الأحـداث فى المسرحية بسيطة من حيث مدلولها الأولى خاصة اذا وضعنا فى الاعتبار زمن وقوعها . ومهما كان الحدث بارزاً وواضحاً فى هذه المسرحية فهى بالدرجة الأولى مسرحية فكرية رمزية ..

شخصية (زعفران) بطل المسرحية صورها المؤلف كما ظهرت على المسرح - أراد أو لم يرد - بأنها شخصية تتسم بالطيبة الى حد السذاجة ، وفى نفس الوقت هى رمز للرجل المثابر المنتج أو المواطن الصـالح فى مجتمعه . وهذه الشخصية على الرغم من حجم الدور الذى أسنده اليها المؤلف ، وخاصة بعد انتقال (زعفران) الى المدينة الا أن الصورة أو الاطار الذى رسمه لهذه الشخصية منذ البداية لا يتناسب مع الدور الذى أراده المؤلف لها . ومن هنا فان الصراع جاء فاتراً طوال المسرحية لأن هذه الشخصية لم تتطور وانما ظلت ثابتة على سذاجتها . وطبيعى أن شخصية بهذا النوع من البساطة لا تستطيع أن تفجر قضايا يتولد عنها صراع ينمو ويتطور .

ومن هنا فقد لاحظنا أن الصراع ظل رتيباً طوال المواقف فى المسرحية مع أن هناك بعض المواقف التى كان يمكن أن يشتد فيها الصراع . كالحوار الذى دار بينه وبين صاحب الشرطة وبينه وبين السلطان ... الخ .

وعلى أية حال فانى أرى أن المؤلف لم يوفق الى حد ما فى رسم شخصـية (زعفران) لتأدية دورها المنوط بها خاصة اذا تجاوزنا هذا الدور وقلنا بأن هـذه الشخصية (زعفران) ، هنا معادل موضوعى ،أو رمز للشعب الذى يمثل الطيبة والعطاء والقناعة ، وفى نفس الوقت يكون ضحية للانتهـازيين والوصوليين .. أنا لا أشك فى أن المؤلف قد أراد ذلك ، وموضوع الشمام ليس الا معادلا موضوعياً أو رمزاً لأية ثروة كانت تتعرض للسلب والنهب ، والابتزاز بمختلف الأساليب .

ثم ما الذى يهدف اليه المؤلف من تعـدد الألوان فى الثياب التى يرتديها أولئك الأشخاص الذين يعترضـون طريق (زعفران) ويستولون على شمامه ؟ هل يهدف الى تصوير الأساليب المختلفة للابتزاز ؟ أم أنه يرمز فى ذلك الى اختلاف هذه الأجناس ؟ فى الحقيقة أرجح الأول ولا أنفى الثانى لأنه أمر وارد أيضاً .

ونتوقف عند نقطة أخيرة لها مدلولها العميق فى هذه المسرحية ونعنى بها لجوء (زعفران) الى المقبرة فبالرغم من انه ظاهرياً قد وجد - فى هذا المكان بطريق الصدفة (راكد فى مقبرة وانا ما أدرى لا اله الا الله مقبرة .. أظن كل ليلة باركد اهنيه لين الله يفرجها ..) الا انه فى الحقيقة أن لهذا الموضع مغزاه ومدلوله . ان اللجوء الى المقبرة - فى الغالب - يوحى باليأس والقنوط والهروب من مواجهة الواقع ، ويشكل الانهزامية أمام قوى الاستبداد والقهر والتسلط . ولكننا فى هذا الموضع نجد أن المؤلف قد اتخذ من هذا الموضع بالذات نقطة للانطلاق والتحدى والمواجهة فمن بين قبور الموتى يبدأ الكفاح ، ومن هناك كانت بداية التغيير التى كشفت الزيف والنفاق والابتزاز وكل السبل الملتوية التى تتمثل فى الأنانية والوصولية .. ومن هناك بدأت الحياة الحقيقية التى يجب أن يحياها الانسان . حياة تسودها العدالة والحرية وتخلو من النفاق والابتزاز والأنانية ..

ويذكرنا هذا الموقف بموقف الشاعر بدر شاكر السياب فى قصيدته المشهورة (حفار القبور) فحفار القبور عند السياب متعطش الى الموتى يتمنى أن تتوالى عليه الجنائز ، يتشوق الى الحروب والدمار لأنها وسيلة لاشباع رغباته وهى المزيد من الموتى ففيها حياته وعليها يعيش .

يارب مادام الفناء .

هو غاية الأحياء ، فامر يهلكوا هذا المساء !

ساموت من ظما وجوع .

إن لم يمت - هذا المساء إلى غد بعض الأنام .

فابعث به قبل الظلام !

يارب أسبوع طويل مر كالعام الطويل .

والقبر خاو ، يفغر الفم فى انتظار .. فى انتظار .

مازلت أحفره ويطمره الغبار (٢) .

ولكن روح النقمة تجاه المجتمع شديدة وعنيفة عند السياب أو عند بطله (حفار القبور) . فهو ييأس من التغيير أو من الاصلاح ويعود الى مقبرته مرة أخرى من حانة اللهو والخمور التى يرمز بها للمجتمع ويظل يحلم بالعودة :

« ويظل حفار القبور

ينأى عن القبر الجديد

متعثر الخطوات .. يحلم باللقاء(٣) .

أما بطل مسرحية المناعى فانه ينتصر على الواقع الزائف من بين جثث الموتى .

ومن هناك يبدأ التغيير والاصلاح الذى ينشده ويهدف اليه المؤلف .. وهذه فى الحقيقة نقطة تحول عند المناعى ، حيث نجد فى معظم مسرحياته أن جانب الخير هو الذى يهزم فى نهاية المطاف : ويضيع صوت الحق . كما فى مسرحية (أم الزين) و (هوبيل يا المال) . وغيرهما .. بخلاف هذه المسرحية .

ومن أهم السمات البارزة فى هذه المسرحية بالاضافة الى ما سبق هو أن المؤلف استطاع أن يتخلص من كل صور المبالغات والتهريج الذى يلجا اليه البعض بهدف الترويج لأعماله وانتزاع الضحك من المشاهد مهما كان رخيصاً ..

كما استطاع المؤلف أن يتجاوز تلك الموضوعات المستهلكة التى حصر بعض الكتاب أنفسهم فيها مثل غلاء المهور ، ومشاكل الأسرة ، وسلوك الشباب ،... الخ التى عولجت وتعالج بأسلوب سطحى وساذج فى أغلب هذه المسرحيات ...

كما أن للمناعى رؤية معينة تتمثل فى موقفه من بعض القيم التى تسود المجتمع ، وما جلبته المدنية والحضارة من نزعة مادية طغت على كل القيم والأخلاقيات التى كانت سائدة فى الماضى ، وهذه الرؤية تتكرر فى معظم مسرحياته المشار اليها سابقاً .. ونلمسها أيضاً فى هذه المسرحية فى عدة صور ومواقف منها : ذلك الحوار الذى دار بين (زعفران) وبين الرجل العجوز الذى لقيه فى بداية الطريق . ويسأله عن المكان الذى يعيش فيه وهل يعيش فى هذه الغابة فيجيبه ، العجوز : (انتوا اللي عايشين فى الغابة أنا أعيش فى الطبيعة ...) . ثم يبرز هذا الموقف فى تحذير العجوز لزعفران من المدينة (تحمل من المدينة يا زعفران) .

ولسنا بحاجة لتأكيد هذه القضية فهى واضحة أيضاً عندما يضطر (زعفران) لبيع بغله لكي يشرب بثمنه ماء ... ! فكل هذه المواقف يريد المؤلف من خلالها ان يدين الحياة المادية أو مجتمع المدينة بكل ما يحمله من سلبيات ، ومن سيطرة الروح المادية على حياة الناس ....

ملاحظات فنية

ويمكننا أن نوجز ملاحظاتنا فى هذه المسرحية بعد هذا العرض والتحليل فنقول إن المؤلف وفق الى حـــد ما فى توظيف هذه الحكاية الشعبية واستطاع ان يبث فيها الحياة والحركة وان يقترب فيها من الحياة .

والأحداث التى صورها المؤلف قد عبرت عن القضية التى يريد أن يفجرها أو يطرحها بطريق الايحاء والرمز ...

ولكن المؤلف لم يوفق الى حد ما فى رسم الشخصيات . حيث أن معظم الشخصيات فى المسرحية كانت محدودة الحركة لم تستطع أن تسهم فى اضافة ابعاد جديدة الى نتائج الأحداث الظاهرة . وهذا بدوره أدى كما ذكرت سابقاً الى عدم تصاعد حدة الصراع فى المسرحية . مما كان له تاثيره أيضاً على مستوى الحوار الذى جاء بأسلوب بسيط وعادي ، لم يرتفع الى درجة التأزم والتصادم .. وربما يعود ذلك الى أن المؤلف فى بنائه الفنى للمسرحية لم يحاول أن يطور من هذا البناء وإنما التزم إلى درجة كبيرة باطار الحياة الشعبية ليس فى اطار تصوير الأحداث فحسب وانما التزم ذلك أيضاً فى رسم الشخصيات واسلوب تعاملها مع الواقع وقد أوضحنا ذلك أثناء الحديث عن شخصية (زعفران) .

ويبقى بعد ذلك أن نقول : ان هذه المسرحية تعد لبنة جديدة تضاف الى بناء المسرح القطرى الذى كم هو بحاجة الى المزيد والمزيد من مثل هذه الجهود ليستطيع مواكبة الحياة ورصدها والعمل على تطويرها ....

د. محمد عبد الرحيم كافود

هوامش

١ ـ الأدب القطرى الحديث : الفصل الخامس بالمسرح .

٢ ـ ديوان السياب ص ٥٤٦

٣ ـ الديوان ص ٥٤٦

"مائة عام من العزلة أو يزيد"

حمدي الكحلوت



جابرييل جارسيا ماركيز

قبل عام او عامين فقط بدات المجلات العربية والصفحات الادبية فى الصحف تتنبه إلى ظاهرة عالمية فى الأدب اسمهـــا (جابرييل جارسيا ماركيز) . وبدأ القارىء العربي يتلقى فى دهشة اخبار هذا الكاتب العظيم الذي خرج من ادغال شمال كولمبيا بامريكا الجنوبية ليهز العالم على مدى العشرين سنة الماضية برواياته وقصصه التي سجلت اعلى ارقام للتوزيع من نوعها حتى الآن في جميع انحاء العالم .

ولم يكن فوز هذا الكاتب الكبير بجائزة نوبل للآداب مفاجاة لأحد فى سبتمبر من العام الماضي ١٩٨٢ بعد ان اصبح مقروءاً في ارجاء المعمورة وخاصة من خلال روايته الأكثر انتشاراً وشهرة «مئة عام من العزلة» أو كما يصر البعض على تسميتها الحقيقية «مئة عام من الوحدة» التى طبعت واعيد طبعها عدة مرات ليصل توزيعها الى ارقام مذهلة بالملايين ، وترجمت الى اكثر من ثلاثين لغة ، وقال عنها الشاعر العظيم بابلو نيرودا انها اهم رواية فى النتاج المكتوب باللغة الاسبانية منذ «دون كيشوت» (أو دون كيخوته) لسير فانتس .

وليس مجال هذه العجالة الحديث عن بقية اعمال «ماركيز» أو تسليط الضوء على خصائصه المميزة فى الكتابة ، بل ان السؤال الذى يبدو ملحاً هنا هو لماذا ظلت مثل هذه الظاهرة الادبية العالمية محجوبة عن القراء العرب لأكثر من ربع قرن دون اى ذكر او اهتمام لما تطرحه من قضايا وهموم ليست بعيدة عن عالمنا العربى فكلنا فى الهم عالم ثالث ، بل ان بعض ابطال واجواء قصص «ماركيز» عربية الملامح والأصول كما هو الحال فى رواية «حولية موت معلن» التى هى أقرب الروايات الى نفس كاتبها فان بطلها شاب لبنانى عربى الأصل .. وكذا بالنسبة لتاثره بجو الأساطير ومزجها بالواقع .

والأغرب من ذلك انه فى حين ان ادب «ماركيز» اصبح معروفاً او مسموعاً عنه فى وطننا العربى ولو بعد حين، فى الوقت الذى مازال الثلاثة السابقين له من ادباء امريكا اللاتينية فى الفوز بجائزة نوبل شبه مجهولين من حيث ترجمة ونشر انتاجهم. ونفس القول ينطبق على الكثيرين من ادباء القارة الافريقية والآسيوية .

فالى متى هذه العزلة الأدبية ، وهل ستمتد الى مئة عام او يزيد ؟!

ليلى الحريري



أول دراسة علمية للغة العربية بواسطة الحاسب الإلكتروني

كان اختراع الكومبيوتر خلال الحرب العالمية الثانية ، يهدف الى سد ثغرة ظهرت بوضوح فى الفترات التى سبقته وهى قصور البحث العلمى الذى يتطلب بدوره عمليات حسابية طويلة ومعقدة . فلا عجب إذن أن يعكس هذا الاختراع تأثيره السريع بشكل انتعاش حقيقى فى هذا المجال . ثم امتد نطاق استخدامات الكومبيوتر الى عدة مجالات أخرى مثل الصناعة والتجارة والطب والهندسة والتعليم وغيرها من المجالات الحيوية التى شملت فيما ضمت دراسات علمية للغات الحية ، إذ من المعروف علمياً أن كل لغة لها قوانين رياضية تحكم تكوينها وتميزها عن باقى اللغات الأخرى . لذلك عكفت كل دولة متقدمة خلال الأربعين سنة الماضية على دراسة لغتها بشكل علمى ، مستعينة فى ذلك بالحاسب الالكترونى الذى يعتمد على الانسان كمبرمج له .

ولأن اللغة العربية لغة شديدة الحيوية رغم تقادم السنوات عليها ، فقد ظلت محتفظة بقواعدها وأصولها – وإن تراجعت الى الوراء بعض ألفاظها حيث لم تعد تعبر عن متطلبات العصر – بينما انحسرت لغات أخرى سادت فى عصور مختلفة مثل اليونانية التى أصبحت لغة التخاطب والمكاتبة بين أهلها فقط !

ولأن اللغة العربية تمتاز بشخصيتها المميزة الشامخة فهى لغة القرآن ، فقد منحها أسلافنا القدماء منذ زمن بعيد جهداً كبيراً لمعرفة أسرارها والكشف عن مكنوناتها وفحص قوانينها . وسجل هذا الجهد منذ أكثر من عشرة قرون فى عدة مراجع لغوية منها «تهذيب اللغة» للأزهرى (توفى ٣٧٠ هـ) – «المحكم» لأبى الحسن الأندلسى (توفى ٤٥٨ هـ) – «الصحاح» لأبى نصر الدين اسماعيل بن حماد الجوهرى (توفى ٣٩٣ هـ) – «أمالى» للشيخ أبى محمد ابن عبد الله بن برى (توفى ٥٨٢ هـ) – «النهاية فى غريب الحديث والأثر» لأبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى (توفى عام ٦٠٦ هـ) «ولسان العرب» لابن منظور (توفى عام ٧١١ هـ) .. الخ .

ليس بمستغرب إذن أن أصبح من آمال علماء اللغة واهتماماتهم فى عصرنا الحديث – وقد توفرت لهم الوسائل التكنولوجية الحديثة البحث عن كنوزها واتباع المنهاج العلمى فى تصنيف حروفها وتحليل جذورها واحصائها فى جداول ميسرة للدارسين والباحثين مع الاستعانة بالكومبيوتر باعتباره جهازاً حاسباً ذا ذاكرة كبيرة تتسع لآلاف الاعداد والرموز ويسجل النتائج بسرعة مذهلة .

ولمعت الفكرة فى ذاكرة اثنين من أعضاء المجمع اللغوى هما المرحوم الدكتور كامل حسين أول رئيس لجامعة عين شمس ، والمرحوم الدكتور ابراهيم أنيس عميد كلية دار العلوم الأسبق ؛ وتحمل مهمة تنفيذها الدكتور علي حلمي موسى أستاذ مادة الفيزياء النظرية الحالى بكلية العلوم جامعة عين شمس . شجعه على ذلك ما تتميز به لغتنا عن باقى اللغات الأخرى بأن الغالبية العظمى من جذورها ثلاثى الأصل وان كان بعض اللغويين يرجعونها الى أصل ثنائى . على أية حال ، فأياً كان أصلها فمن الثابت أن معظم جذورها تحتوى على ثلاثة أحرف مما يجعل دراستها سهلة ونتائجها مشجعة .



د . علي حلمي موسى .. دراسة علمية للغة العربية على الكمبيوتر

يقول الدكتور علي حلمي موسى ان الدراسة العلمية للغة العربية التى قام بها مستعيناً بالحاسب الالكترونى قد شملت عدة فروع : دراسات احصائية لجذور الكلمات وتحديدها ثم تكوينها من حيث عدد الحروف ودور كل حرف منها فى هذه الجذور .

كما شملت دراسة عن تردد كل حرف وقوته وفق عدد مرات مساهمته فى الجذور المختلفة .. ثم احصاء تتابع الحروف فيها .

ولأن البحوث فى اى من الفروع العلمية وغير العلمية يعتمد أساساً على وضع الفرضيات والمعطيات التى ينطلق منها البحث لتحديد الهدف منه ، لذا كان من الضرورى أن أبدأ بتحديد مواد اللغة العربية تحديداً كاملا . أى احصاء جميع أصول كلمات اللغة المدونة فى بعض المعاجم لاكتشاف العلاقة التى تربط بين الحروف بعضها ببعض ، ومعرفة مقاييس اللغة فى كمها الصوتى ، وكيفها الحركى . وكان أن توجهت الى معجم «الصحاح» ، ومعجم «لسان العرب» ، ومعجم «تاج العروس» حيث أن كلا منها يعتبر مدونة قائمة بذاتها تلتقى فيها مفردات اللغة ومعانيها . ثم وضعت بيانات هذه المعاجم في ذاكرة الحاسب من خلال البرامج اللازمه وذلك لاستقبال بيانات دقيقة وشاملة لجذور اللغة عملت منها جداول احصائية كاملة لحروف هذه الجذور امكن من خلالها تحديد أىّ الحروف العربية يشترك فى نسج الكلمة أكثر من غيره وموقع ورود الحرف فى بناء الجذور

دراسة مقارنة للصحاح ولسان العرب

بالنسبة لاحصاء الجذور ، أظهرت النتائج أن اسماعيل بن حماد الجوهرى قد أورد فى معجمه «الصحاح» ٥٦٣٩ جذراً (أصول الكلمات) منها ٤٨١٤ جذراً ثلاثياً بنسبة ٨٥,٣٧٪ وهذا يؤكد أن اللغة العربية تعتبر ذات أصل ثلاثى فى معظمها – عدد الجذور الرباعية ٧٦٦ جذراً أى بنسبة ١٣,٥٨٤٪ من المجموع الكلى للجذور ويبلغ عدد الجذور الخماسية ٣٨ جذراً فقط !

وقد أوضحت النتائج الاحصائية أن معجم الصحاح لم يرد به أى جذر مكون من ستة أحرف أو أكثر وهذه مخالفة لما جاء فى معظم المعاجم الأخرى . ولعل الجوهرى كان فى شك من أن تلك الجذور ليست إلا كلمات مشتقة من جذور ثلاثية او رباعية وردت فى معجمه . ونظراً لما عرف عنه من حرص على ضم الصحيح من الجذور فقد استبعد الجذور السداسية وما فوقها من هذا المعجم . أما الجذور الثنائية التى وردت فى « الصحاح » فعددها قليل جداً لا يتعدى ٣٧و٠٪ من المجموع الكلى للجذور

أما معجم لسان العرب الذى ألفه أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور منذ ما يقارب من سبعة قرون – وهو من أكبر وأشمل المعاجم التى وصلت الينا من التراث اللغوى ، فهو يحتوى على ٩٢٧٣ جذراً أساسياً ، منها ٦٥٣٨ جذراً ثلاثياً تمثل نسبة ٧٠,٥٪ من مجموع جذور المعجم ، و ٢٤٥٨ جذراً رباعياً تمثل نسبة ٢٧,٥٪ . كما يبلغ عدد الجذور الخماسية ١٨٧ جذراً ، أى بما يقارب ٢٪ من المجموع الكلى لجذور معجم لسان العرب .



أما الجذور الثنائية والسداسية أو ما فوقها فقد أغفلتها من الدراسة لأن عددها قليل جداً . فالأولى تقل عن العشرين والثانية ست عشرة كلمة فقط . إضافة الى أن الأخيرة فى اغلب جذورها من أصل غير عربى . وبالتالى فقد اقتصرت الدراسة الاحصائية لمعجم لسان العرب على الجذور الثلاثية والرباعية والخماسية التى وردت فيه ، والتى تمثل أكثر من ٩٩,٦٪ من المجموع الكلى للجذور المدونة به .

من خلال دراسة مقارنـــة للبيانــات الاحصائية السابقة التى أظهرها الحاسب الالكترونى للبيانات الواردة فى كل من المعجمين «الصحاح» و «لسان العرب» ، يتضح أن العدد الكلى للجذور التى وردت فى المعجم الثانى تزيد كثيراً عنها فى المعجم الأول حيث تبلغ فى لسان العرب ٩٢٧٣ جذراً بينما المناظر لها فى «الصحاح» هو ٥٦١٨ أى بزيادة قدرها ٣٦٥٥ جذراً بنسبة ٦٥٪ والحال نفسه بالنسبة للجذور الثلاثية والرباعية والخماسية .

من هذا يتضح أن الغالبية العظمى من جذور الصحاح قد أوردهـــا ابـــن منظور وزاد عليها كثيراً بينما هناك قلة ضئيلة من جذور «الصحاح» لم ترد فى معجم «لسان العرب» . هذه الجذور هى : نجد ـ دهج ـ زكل ـ سغغ ـ صخم ـ صوا ـ صوخ ـ ضبل ـ فعع ـ قنر ـ ككب ـ كهه ـ ليه ـ مغغ ـ ميم ـ نهه ـ هرل ـ ورغ ـ ووه .

أما معجم تاج العروس فهو أكثرهم عدداً لجذور الكلمات ولكنه أقلهم دقة .

ملك الحروف العربية !

من البيانات الاحصائية السابقة ـ يكمل د. علي حلمي موسى ـ أمكن تكوين جداول إحصائية لحروف هذه الجذور رتب بعضها ترتيباً تنازلياً لكل حرف للوقوف على كثرة شيوعه وقوة تردده فى تكوين نسيج الكلمة من هذه الجداول اتضح أن حرف «الراء» هو ملك الحروف فى جذور العربية لأنه أكثرها شيوعاً ، إذ تبلغ نسبة استخدامه فى الجذور الثلاثية ٦,١٥٪ . فاذا علمنا أن المتوسط الحسابى لتردد أى حرف فى اللغة العربية هو ٣,٥٧٪ (ناتج قسمة ١٠٠ على ٢٨ عدد حروف الابجدية) لظهر لنا قوة تردد حرف «الراء»فى اللغة . وبهذه المناسبة فان حرف (R) فى اللغات اللاتينية يحتل أيضاً مساحة أكبر من باقى الحروف . أما أضعف الحروف العربية وأقلها اشتراكاً فى نسيج الكلمة فهو حرف «الظاء» وقد يرجع ذلك الى سهولة نطق الأول وصعوبة نطق الثانى ، وعلى علماء اللغة تفسير هذه الظاهرة . على كل حال فقد اتفقت النتائج على أن أقوى ستة أحرف فى اللغة العربية سواء على مستوى الجذور الثلاثية أو الرباعية ـ وإن اختلف الترتيب ـ هى حروف الراء ، النون ، الميم ، اللام ، الباء والعين .

ولعل أهم الاحصائيات اللغوية التى ساهم الكومبيوتر فى استخراجها هى احصاء تتابع الحروف فى الجذور المختلفة ـ يستطرد د. موسى ـ لأن تركيب الكلمة العربية يعتمد فى تفسيره على نتائجها مثلما يعتمد علم الأصوات اللغوية فى تفسيره للنطق بالاشارة على تردد التتابعات المختلفة ، اعتماداً على أن الطبيعة تؤثر النطق الأسهل . وليس ادل على ذلك من نطق الأطفال للكلمات فى بدء تجاربهم مع الكلام .

وظهرت بيانات تتابع الحروف لكل نوع من أنواع الجذور على حدة فى جداول احصائية تبلغ اثنين وأربعين جدولا يحوى كل منها ٨١٢ عملية احصائية من تتابعات الحروف وتشمل ما يزيد على ٧٥٠ معلومة جديدة . ومن نتائج هذه الدراسة يتضح أن هناك مجموعة من الحروف عددها ٨٤ ثنائيا لا تتابع ولم ترد فى جذور اللغة العربية على الاطلاق . مثلا حرف الثاء لا يرد بعد الحروف ذ ـ ز ـ س ـ ش ـ ص ـ ض ـ ظ ، وحرف الهاء لا يرد بعده حرف الحاء ، وحرف الكاف لا يرد بعده ط أو ق .

وبوجه عام فان مجموعة الأحرف التى تنطق من الشفة (ب ـ ف ـ م) ومجموعة الأحرف التى تنطق من الحلق (أ ـ ح ـ خ ـ ع ـ غ ـ هـ) . وكذلك المجموعة (ج ـ غ ـ ق ـ ك) والمجموعة (ذ ـ ز ـ س ـ ص) تمتاز بانها نادراً ما تتابع مع بعضها ، وإن كان الحرف يتتابع مع نفسه باستثناء حرف الهمزة . وتبدو هذه الظاهرة بوضوح إذا درسنا مخارج الحروف حيث نجد أن كل مجموعة من هذه المجموعات تشترك فى المخرج أو تقترب منه .

أما أقوى ثنائيات تتابع الحرفين الأولين هما «قر ـ قن» وأقوى ثنائيات الحرفين الثانى والثالث هو «بر» ، وأقوى تتابع للحرفين الثالث والرابع هو «رج ـ نب ـ ند» .

أما الجزء الأخير من الدراسة العلمية للغة العربية فهو عبارة عن وضع قاموس ثلاثى لجميع الجذور الثلاثية فى اللغة العربية ـ بدون معانيها ـ يضم ثمانية وعشرين جدولا يبدأ كل منها بحرف معين من حروف الأبجدية العربية ييسر للباحثين والدارسين سهولة الوقوف على أصول الكلمات .

فوائد اقتصادية لدراسة العربية !

والسؤال التقليدى والمنطقى فى نفس الوقت الذى يتبادر الى الأذهان : ما هى جدوى هذه الدراسة العلمية الاحصائية للغة العربية ؟

يؤكد الدكتور علي حلمي موسى أن هناك فوائد كثيرة من هذه الدراسة بعضها قائم على منطق البحث العلمى ، والآخر يقوم على الناحية التطبيقية التقنية وطرق تبسيطها ، أما الثالث فهو وثيق الصلة بالناحية اللغوية .

من منظور منطق البحث العلمى ، من الثابت أن التعرض لأى من الفروع العلمية أو الانسانية على حد سواء يعنى محاولة اكتشاف الجديد الذى لم يسبق التوصل اليه . وقد يكون هذا الاستكشاف نتيجة

مشاهدات خاصة لتجارب معملية أو نتيجة التنبؤ بظاهرة معينة يتم التحقق منها فيما بعد أيضاً من خلال التجارب المعملية . وما أجرى فى هذه الدراسات يعتبر نوعاً من هذه التجارب التى أجريت على العينات اللغوية المدونة فى المعاجم الثلاثة ، وكان المعمل هو الحاسب الالكترونى ، وكانت ثمرة التجربة هى الجداول الاحصائية اللغوية .

أما الجانب الآخر فهو يخص الناحية التقنية وطرق تبسيطها . فالحروف كما نعلم تستخدم كأدوات للغة . واللغة هى وسيلة نقل الحضارة والفكر . لا عجب إذن أن تزايدت أهمية الحروف فى عصرنا الحديث حيث تستخدم فى طباعة جميع المطبوعات كما تستخدم فى التراسلات السلكية واللاسلكية ، وأخيراً أصبحت تستخدم فى الحاسبات الالكترونية بعد أن عم استخدامها فى الدول العربية فى مجالات عدة على رأسها الأعمال التجارية سواء فى البنوك أو الشركات أو الهيئات التى تتعامل مع عدد كبير من المواطنين وبعدد كبير من الأرقام . فى هذا المجال يبرز أهمية الدور التقنى والاقتصادى الذى يمكن أن يقدمه الجزء الخاص بتردد الحروف من هذه الدراسة . فآلة الطباعة هى آلة مبرمجة تدخل اليها التعليمات الخاصة بالحرف المطلوب طباعته وحجمه ونوعه ومكانه من الكلمة . فيتحرك ذراع لاحضار الحرف المطلوب من مكانه ويعود به الى وضع الطباعة : وتعتمد سرعة الآلة فى هذه الحالة على حركة الذراع ، فاذا ما أعيد ترتيب الحروف بحيث يكون الحرف الأكثر استعمالا هو الأقرب الى وضع الذراع .. الخ .. أدى هذا الى توفير فى الوقت والجهد والتكلفة .

والحال ذاته بالنسبة للنظم التراسلية فهى تستخدم شفرة معينة مثل «شفرة موريس» مثلا التى تعتمد على نوعين من الرموز هما النقطة والشرطة ، ولكل حرف شفرة معينة . فأحد الحروف شفرته نقطة ، وآخر شفرته شرطة ، وثالث نقطة يليها شرطة وهكذا تتدرج الشفرة فى التعقيد حتى تصل الى أعقدها المكونة من خمسة رموز . وهذا يعنى أن زمن إرسال الحروف يختلف من حرف الى آخر وفق نوع الشفرة المستعملة . وعلى ذلك يمكن الاستفادة من دراسة قوة تردد الحرف فى إعادة توزيع الشفرات على الحروف بحيث يعطى حرف «الراء» مثلا باعتباره الأكثر شيوعاً ـ أبسط الشفرات ويعطى لأقل الحروف شيوعاً أعقد الشفرات .. الخ ، وهذا من شأنه أن يخفض من زمن التراسل الى أقل زمن ممكن . وفى هذا أيضاً تقليل من الجهد والتكلفة بشكل كبير .

ويمكن تطبيق المبدأين السابقين فى نظام عمل الحاسبات الالكترونية أيضاً ـ يكمل د. موسى ـ فيتم إعادة توزيع الحروف به توفيراً للوقت والجهد كما يتم تعديل شفرات الحروف فى ذاكرة الحاسب . وبذلك نصل الى التوزيع الأمثل للحروف داخل ذاكرته وفى آلة الطباعة المتصلة به .

وبهذه المناسبة كان لي شرف رئاسة الندوة التى عقدت بالقاهرة فى نهاية شهر مارس الماضى حول الدراسة العلمية للغة العربية باستخدام الحاسب الالكترونى ـ الكومبيوتر ـ وشارك فيها جميع المشتغلين بالدراسات العلمية للغة العربية فى الوطن العربى ، كما اشترك بها ممثلون لمجامع اللغة العربية ومكتب التعريب التابع لجامعة الدول العربية ومقره الرباط . كان الهدف من هذه الندوة هو وضع شفرة موحدة للغة العربية داخل الكومبيوتر بحيث يتكلم العربية .

وإذا ما انتقلنا الى نوع آخر من هذه الدراسة الاحصائية التى تخص تتابع الحروف فى الجذور العربية لوجدنا فيها مجالا خصباً حيث يحتوى كل جدول فيها (٤٢ جدولا) على ما يزيد عن ٧٥٠ معلومة بعضها يؤكد عدم تتابع حرفين معينين أو تتابعهما بشكل ضعيف أو كثير . وكل من هذه الحالات لها سبب قد يكون صوتياً يمكن دراسته وتقنينه بواسطة علماء اللغة إذ من المؤكد أن هذه الدراسة سوف تؤدى الى اكتشاف بعض الظواهر الصوتية فى نطق الحروف وتأكيد ظواهر أخرى معروفة من قبل فى كتب القدماء أو فى كتب علماء اللغة المحدثين . كما يمكن من خلال ملء الفراغات الموجودة فى جداول تتابع الجذور أن نحقق استخداماً أوسع للغة العربية .

تعارضت النتائج مع أحكام القدماء

● ما موقف هذه الدراسات العلمية الحديثة للغة العربية من الدراسات التى أجراها القدماء من فقهاء اللغة ؟ هل تعارضت فى بعض نتائجها مع الأحكام اللغوية التى وردت فى معاجمهم ومخطوطاتهم ؟ أم أضافت الجديد الى هذه الأحكام ؟! .

ـ يقول الدكتور علي حلمي موسى؛ إن بعض نتائج دراساته قد تعارضت فعلا مع الدراسة التى قدمها ابن منظور فى مقدمة موسوعته اللغوية معجم لسان العرب ـ باعتبارها الدراسة الوحيدة الموجودة فى المعاجم الثلاثة التى أجرى عليها البحث . فقد أشار ابن منظور فى هذه المقدمة الى خصائص الحروف من حيث كثرة شيوعها . وقسمها الى ثلاثة أقسام . قسم به الحروف كثيرة التردد وعددها سبعة هى:(أ ـ ل ـ م ـ هـ ـ و ـ ى ـ ن) والقسم الثانى يمثل الحروف متوسطة التردد وهى أحد عشر حرفاً:(ر ـ ع ـ ف ـ ت ـ ب ـ ك ـ د ـ س ـ ق ـ ح ـ ج) . أما القسم الثالث فيضم عشرة أحرف قليلة التردد هى:(ظ ـ غ ـ ط ـ ز ـ ث ـ خ ـ ض ـ ش ـ ص ـ ذ) . وهذا التقسيم يخالف النتائج التى أظهرها الكومبيوتر ، والتى تؤكد على سبيل المثال أن حرف «الراء» هو أقوى الحروف العربية فى حين ورد فى الفئة الثانية من تقسيم ابن منظور ، كما وأن حرفا الهمزة والياء يظهران فى الفئة الثالثة فى نتائج الكومبيوتر بينما وردا فى الفئة الأولى من تقسيم صاحب المعجم .. المهم أن هناك اثنى عشر حرفاً من حروف اللغة العربية والبالغ عددها ثمانية وعشرون حرفاً ، قد ظهرت فى غير موضعها من حيث كثرة شيوع الحرف ، هذه الحروف هى (ر ـ ب ـ ع ـ ق ـ هـ ـ س ـ ط ـ و ـ خ ـ أ ـ ت ـ ى) . وبالتالى صححت نتائج الدراسات أحكام ابن منظور فى هذا الصدد .

ثم عاد ابن منظور فى مقدمة موسوعته فأشار الى أن الحروف (د ـ ب ـ م ـ ن ـ ل ـ ف) لا تخلو منها كلمة ثلاثية أو أكثر .. وأكد أنه اذا لم يكن بالكلمة حرف أو حرفان من تلك الحروف فهى ليست كلمة عربية



الأصل . وفى هذا أيضاً ما يخالف نتائج الكومبيوتر التى أظهرت أن أقوى ستة أحرف فى اللغة العربية سواء فى الجذور الثلاثية أو الرباعية هى (ر – ن – م – ل – ب – ع) .

كما سجل ابن مظور دراسة طريفة لألقاب الحروف وطبائعها وخواصها فيها طرافة لأنها تنتمي الى قواعد السحر والطلسمات كما كان بعض القدماء يزعمون .

المهم أن ابن منظور في هذه الدراسة يوكد أن الحروف العربية تساوي عدد منازل القمر نصفها « مهملة » بغير نقط ، ونصفها الآخر « معجمة » بنقط . الأولى تمثل منازل السعود (جمع سعد) والأخرى تمثل منازل النحوس (جمع نحس) . وكلما زاد عدد النقط زاد النحس ، وهذا لا يتفق مع كون عدد الحروف المنقوطة خمسة عشر حرفاً .

وكسرت نتائج الدراسة العلمية أيضاً أحكام بعض اللغويين الذين يرجعون اللغة العربية الى أصل ثنائي حيث ظهر أن الجذور الثلاثية تمثل نسبة ٨٥ر٣٧ ٪ من معجم الصحاح وبنسبة ٧٠ر٥٪ من المجموع الكلي لجذور معجم لسان العرب . وفى هذا تأكيد بأن اللغة العربية ثلاثية الأصل .

أما الأحكام الجديدة التي أضافتها هذه الدراسة فكلها تتعلق بقواعد تتابع الحروف لأن معظم حالات التتابع التي وردت في النتائج الاحصائية لم ترد في أحكام القدماء ولم يتوصل اليها أحد من قبل وبالتالي فهي أحكام جديدة .

القلب المكانى فى الكلمة العربية

● ما هو موقف مجامع اللغة العربية من هذه الدراسة ؟ .. وهل تستطيع من خلالها أن تضع تفسيراً لبعض الظواهر اللغوية مثل القلب المكاني لأحرف الكلمة ؟

– الواقع أن هذه الدراسة يمكن الاستعانة بها في تفسير كثير من الظواهر اللغوية .. فالجداول الاحصائية لتتابع الحروف بشكل خاص يمكن استخدامها كثيراً فيما يسمى بالقيمة التعبيرية أو البيانية للحروف في الالفاظ العربية التي اكتشفها ابن جنى قبل عشرة قرون وجدد وجدد العلايلى الدعوة لها فى كتابه «مقدمة لدرس لغة العرب » من خلال هذه الجداول يمكن التعرف على الفراغات الموجودة في الجذور والتي تعني أن العرب لم يستخدموها من قبل . مثال ذلك اذا ورد الثنائي (نب) في أول الجذر الثلاثي فهو يعطي معنى الخروج أو الاخراج (نبا – نبت – نبح – نبذ – نبس – نبش – نبض نبع – نبك – نبه .. الخ) ولكن هناك نبث – نبج نبد – نبص – نبط – نبل .. كلها جذور لم تستعمل في اللغة من قبل . مثال آخر .. إذا ورد الثنائي (قط) في أول الجذر الثلاثي ، فهو عادة يعني معنى القطع . (قطط – قطف –قطع – قطل – قطب .. الخ) ولكن هناك فراغات كثيرة في هذه الثنائية لم تستخدم بعد مثل قطح – قطد – قطس – قطا – قطث .. مثل هذه الجذور يمكن إطلاقها على أحد المسميات التكنولوجية الحديثة التي تعني معنى القطع بطريقة معينة .

اذن هذه الجداول تعرض الفراغات الموجودة في اللغة ويمكن مع الاستعانة بكتاب العلايلي توليف كلمات تحمل معان جديدة لم تستعمل من قبل . وفي هذا الصدد أشار أحد اللغويين السوريين – هو المهندس خير الدين حقي – الى امكانية الاستعانة بالكمبيوتر لمزج الحروف الملائمة وتركيب كلمة جديدة أقرب ما تكون الى المعنى المطلوب . فاذا ما تم ذلك نستطيع أن نصل الى مجموعة من المفردات العربية العلمية ونكون قد فتحنا الطريق لمزيد منها يمكن الاستعانة به في المستقبل . وفي تصوري أن هذه فكرة رائدة يمكن لأية هيئة علمية لغوية القيام بها مع وضع كافة الامكانات المالية والبشرية تحت تصرفها لتنفيذها .

وقد استخدم مجمع اللغة العربية هذه الجداول الاحصائية فى تبرير بعض الظواهر اللغوية مثل القلب المكاني لأحرف الكلمة عند نطقها والتي اشرنا اليها في سؤالك . مثل (جذب – جبذ) – (يئس – أيس) – (لأك – ألك) – (اضمحل – امضحل) – (اكفهر – اكرهف) – عجوز شهبرة – شهربة) ..

يرجع المرحوم الدكتور ابراهيم أنيس عضو المجمع اللغوي الأسبق في تبريره لهذه الظاهرة بعد دراستها مستعيناً بهذه الجداول الاحصائية الى اختلاف نسبة شيوع السلاسل الصوتية في كلمات اللغات . وربما يكون ذلك أوضح في اللغات السامية ومنها العربية لأنها تعتمد في كلماتها على الجذور الأصلية وحلول سلسلة صوتية محل أخرى – وهذا هو القلب المكاني – سره الحقيقي أن السلسلة الجديدة الطارئة اكثر شيوعاً ودوراناً في الكلام . فاذا أخذنا مثلا الفعل « يئس » مع مقلوبه « أيس » نجد ان التفسير العلمي لهذا القلب من خلال الاحصائيات السابقة – هو أن الجذر الثلاثي الذي يبدأ بالياء وبعدها الهمزة أقل شيوعاً من الذي يبدأ بالهمزة وبعدها الياء ، كذلك نجد الجذر الثلاثي الذي يثني بالهمزة وبعدها السين أقل شيوعاً من الجذر الذي يثني بالياء وبعدها السين . وأخيراً نجد أن الكلمة الثلاثية التي تبدأ بالياء وتنتهي بالسين أقل استعمالا من تلك التي تبدأ بالهمزة وتنتهي بالسين . وبهذا نستنتج أن المقلوب أيس أكثر شيوعاً من الجذر يئس ولهذا انتشر استعمال الجذر الأول .

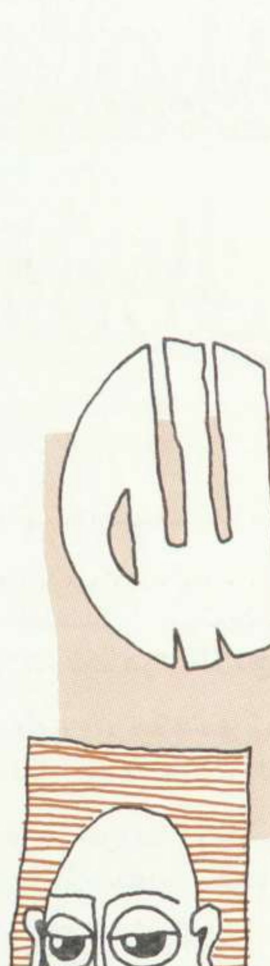
وبعد ..

فالذي لاشك فيه أن اهتمام اللغويين بنتائج هذه الدراسات العلمية سوف تظهر له نتائج كثيرة في تفسير العديد من الظواهر اللغوية والتي مازالت في انتظار التفسير اللغوي المناسب .. فهناك كثير من الملاحظات في كتب فقهاء اللغة وعلمائها أمثال « الجواليقي » في كتابه « المعرب من الكلام الأعجمي » والشهاب الخفاجي في كتابه « شفاء الغليل » . وكلنا أمل أن تدفع هذه النتائج والاستنباطات الاحصائية بالنتائج العلمية الموضوعية الى ما يفيد التطور اللغوي اثراء له وحفاظاً عليه .

ليلى الحريري

دعـــــــوة

شعر: العوضي الوكيل



لا تُحْصِ فى دَرْبكَ الأشْوَاكَ والحَجَرَا — اذا مَشَيْتَ وأحصِ الزَّهْـرَ والثَّمَرَا
وانظُرْ الى المُزْنِ فى علْيَائِهَا طَمَعـاً — فى غَيْثِهَا . لا تُرَجِّ الآسِـنَ الكَـدِرَا
واجعل هُدَاكَ نجوماً لا عِدَادَ لَهَـا — فى قبـة اللـه ـ يَفْتِنَّ الذى نَظَمَـا
وابعث لها الحـبَّ اشْـوَاقاً مُجَنَّحَةً — وبالهوى لا تَخُصَّ الشمْسَ والقَمَـرَا

• •

قالوا الربيع مضى فى الأرض مَوْسِمُهُ — فقلت فى مهْجَتِى نِيسَانُ ما غَبَـرَا
أشدو مع البلبُلِ الصـدَّاحِ رَوْعتَـهُ — فإن مضى قمتُ وحدِى أضربُ الوتَرَا
ما ضَرَّنى أننى وحـدى أسـاجِلُهُ — وأجْتَلِيـهِ رياضـاً نضْرَةً وذُرَا
إن الربيـعَ لَمَغْنًـى فـى ضمائرِنـا — وقـد نـراه وقـد نَعْيَـا بـه بَصَرَا

• •

لا تَشْـهَد الصبْحَ إلا أن تُعِـدَّ لـه — قلبـاً إلى وجهـه مستبشِراً نَضِرَا
وما الدجى غير معنًى فى خواطِرنا — قـد يُظلِمُ الصبحُ ان لاقيته عَسِرَا
وقد تنيـر المسَـاءَ الجَهْمَ امنِيَـةٌ — حتـى تـراه بغيـر البَـدْرِ مُبْتَـدِرَا

• •

قالوا الجراحُ فقلت الحب يبرئهـا — لا يبرىء الجرحَ مِثْلُ الحبِّ إن طَهُرَا
ينسابُ من مقلَتِى دمـعٌ فامسَـحُهُ — كأنه من فِجَـاجِ القلـب ما انْهَمَرَا
وأسـتعيذُ بربـى إذ يسـاوِرُنى — طيـفٌ من الشكِّ فيمَنْ خَانَ أو غَدَرَا

• •

كوبـى وكوبُـك صَفْوٌ لا قـذى بِهِمَا — وما نريد شراباً آسِناً عَكِـرَا
دينـى ودينُـك أن اللـهَ خالقُنَـا — بقدرةٍ أعْجَـزَتْ فى كُنْهِهَـا القُـدَرَا
إن سُمْتَنِى خُطَّـةً فى القَوْلِ جَائِـرَةً — مَضَيْتُ منك الى الأيـام مُعْتَـذِرَا
وما قُعُـودىَ عن عِلْـمٍ ومَعرِفَـةٍ — والقومُ قد وطئـوا المرِّيخ والقَمَـرَا

• •

فيمَ الجِـدَالُ على دُنْيَـا نُبدِّدُهَـا — لغواً ونَغْفُـلُ عَمَّـا رَقَّ أوْ سَـحَرَا
أيـام عمـرك أضيـافٌ وليس لَهَـا — إلا الهوى العذبُ والحبُّ الطهورُ قِرَى

• •

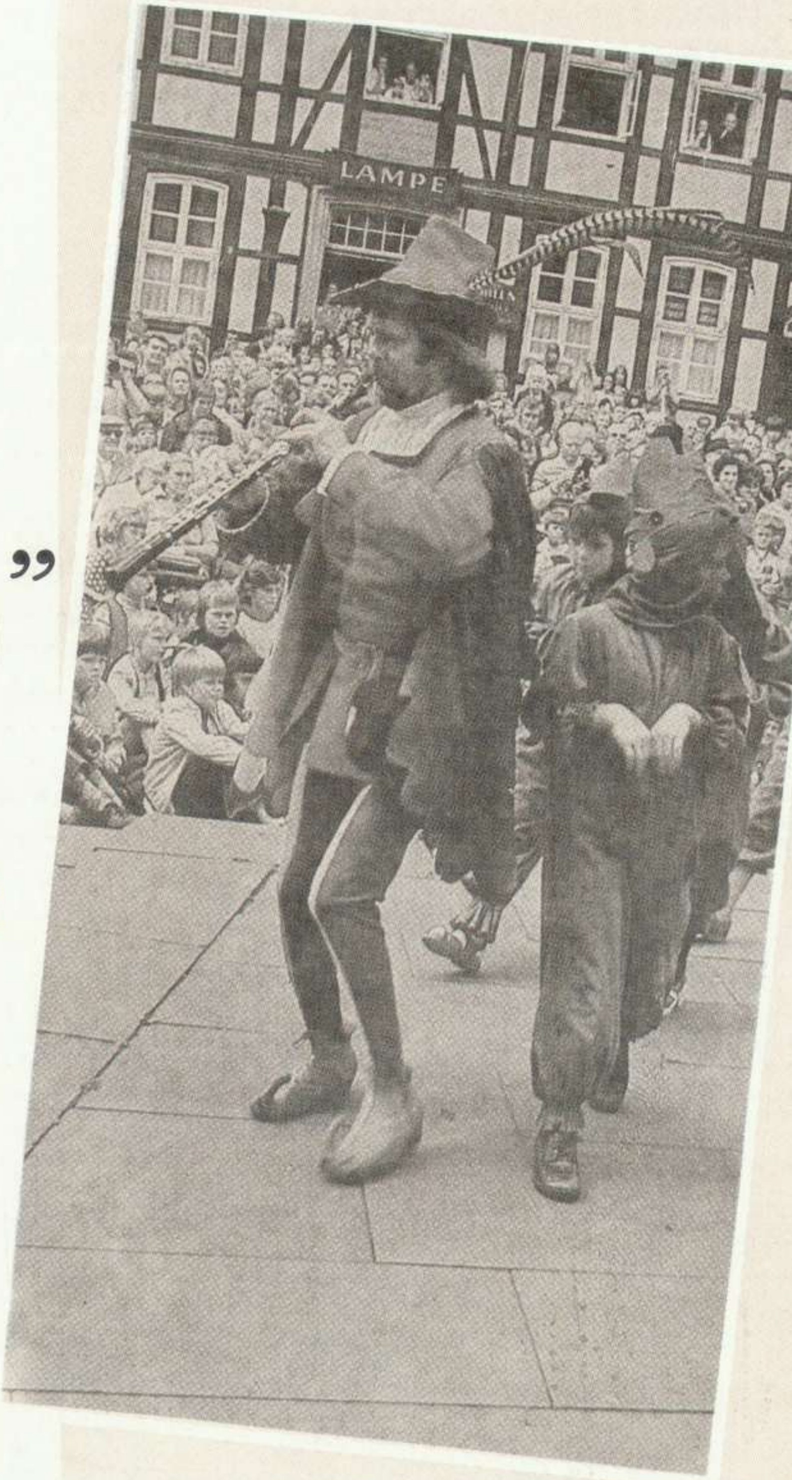
يَلَذُّنـى أن أرُودَ التـلَّ مرْتَقِيـاً — إلى الذُّرَى وأرُودَ القَاعَ مُنْحَـدِرَا
هما سـبيلان فاغْنَمْ من سلوكهِمَـا — أُنسـاً لقلبِـك يبقى فيه مُدَّخَـرَا
إنْ يَرْحَـلِ المرءُ لم يغنَـمْ بسَـفْرتِهِ — إذا ابتغى عن مَغَانـى نفْسِـه سَفَرَا
سافِرْ وأنت مقيـمٌ فى جوانِحِهَـا — وإن غَدَوْتَ عن الأبْصَـارِ مُسْتَتِرَا

• •

ولستُ أطلبُ إلا أنْ تكـونَ كَمَـا — أرادَكَ اللـهُ فى أكوانِـهِ : بَشَرَا

قراءة جديدة ومثيرة لقصّة قديمة وشهيرة!

"زمّار هاملين" بين الحقيقة والخيال



هكذا يصعد « زمار هاملين » على المسرح المكشوف فى يوم أحد فى الصيف فقط !

بقلم: عادل شريف

- أشهر قصة أطفال .. ترجمها عن الألمانية ، أشهر شعراء الانجليزية !
- العلماء المحدثون .. يكتشفون أسرار أختفاء أطفال هاملين .. منذ مئات السنين !
- الطاعون .. أم .. حروب الأطفال الصليبية .. وراء الأختفاء الغامض !؟

تثير الأحداث الغامضة شهية غريزة من أهم غرائز الانسان .. وهي « الفضول » ! ولم تثر قصة من قصص أدب الأطفال .. فضول الناس في كل كوكب الأرض .. كما أثارتها قصة « زمار هاملين » . وتعتبر هذه القصة القصيرة المثيرة .. من روائع أساطير الأدب الشعبي الألماني .. وأوسعها خيالا . وقد أثارت أحداثها الغامضة جدلا طويلا .. وخاصة بعد ترجمتها إلى لغات كثيرة .. وبعد أن صاغها شعراً أعظم شعراء انجلترا فى العصر الفيكتوري روبرت براونينج (١٨١٢ ـ ١٨٨٩) المرح والمتفائل .. والانفتاحي المزاج ! .

تصاعدت شهرة وشعبية القصة بعد أن صاغها روبرت شعراً .. بسبب شاعرية ودرامية الأحداث التى أدت إلى زواج روبرت ذاته من الشاعرة الشهيرة إليزابيث باريت .. بعد قصة غرام ملتهبة كانت حديث الدنيا كلها .. انتصر فيها الحب على تزمت الأب القاسي الذي رفض زواج إليزابيث المريضة .. من حبيبها الشاعر .. مما أدى إلى فرار الاثنين إلى روما في ١٨٤٦ .. والحياة فى إيطاليا لمدة خمسة عشر عاماً .. وهي الحياة المرحة الجميلة .. التى أدت إلى شفاء إليزابيث .. وجعلت الناس تطلق على الاثنين (روميو وجولييت القرن التاسع عشر) ! وتحدث الناس وقتها كثيراً عن (الحب صانع المعجزات) ! وكان الكثيرون من أنصار فرار العاشقين إلى فلورنسا يرسلون بهداياهم إلى فيلا (كازا جيدي) التي شهدت مولد أعظم انتاج الشاعرين .. وأشهر أدباء العالم ، وهم يزورون بيت روبرت واليزابيث .. حتى بدون سابق معرفة أو موعد ! .

ومن الغريب أن الشاعرة الرقيقة التي كتبت من وحي حبها لزوجها أروع انتاجها ، وهو « أغنيات برتغالية » فى ١٨٥٠ – إلى حد أن زوجها كان يسميها بالبرتغالية الصغيرة لسمار بشرتها ! – كتبت أيضاً «شعراً سياسياً» تطلب فيه تحرير الناس في ايطاليا وغيرها من بلاد العالم .. التى تحكمها دول أجنبية !

وانبثاقاً من شهرة الزوجين الشاعرين .. كانت شهرة إنتاجهما .. وخاصة قصيدة (زمار هاملين) .. وهي «ماساة مرحة» إن جاز التعبير ! ويدور مغزاها الخلقي حول ضرورة الوفاء بالوعود وصيانة العهود ! .

ومن عوامل شهرة (زمار هاملين) أيضاً .. محاولة الناس في كل مكان وزمان معرفة سر اختفاء أطفال بلدة هاملين .. وهي موجودة فى ألمانيا على ضفاف نهر الفيزر .. من زمان حتى الآن ! – باستثناء طفل واحد .. فقط !!

وبعد ستمائة عام من الجدل حول ذلك السر الغريب المثير .. ظهرت نظرية جديدة أكد فيها العلماء والمؤرخون المعاصرون بعد بحث منهجي وميداني مضن ومجهد .. أن الفيران والطاعون .. كانوا وراء ذلك السر الدفين !!

وقبل أن نسرد النظرية الجديدة المثيرة .. تعالوا نتعرف على القصة القديمة القصيرة الشهيرة ! .

زمار هاملين

في سالف الزمان وغابر الأوان .. كانت بلدة هاملين الجميلة تعيش حياة مرحة سعيدة على ضفاف نهر الفيزر البديعة .

ورغم ازدهار التجارة والصناعة .. وما حل بالبلدة من ثراء ونماء .. لم يكن أهلها سعداء .. وكان سبب الهم والغم ، والقلق والأرق ، والشقاء .. هو الفئران ! فبلا مقدمات اجتاحت البلدة الصغيرة اعداد من الفئران كثيرة .. وصلت جراتها – بل وحشيتها – حدوداً مثيرة .. فهي تقاتل الكلاب .. وتلتهم القطط .. وتعض الأطفال .. وتاتي على الأخضر واليابس .. وكلما طاردها الرجال .. عاودت كرتها مرات ومرات .. حاملة الوباء والوبال .. حتى أنها بنت جحورها داخل قبعات الرجال !! .

والأدهى والأمر .. أن ما تصدره من



صخب وضجيج .. حرم النساء من ألذ عاداتهن .. حب الثرثرة كثيراً كثيراً ! .

ولما تفاقمت الأزمة .. قصد أهالي البلدة قصر العمدة .. وطالبوه بانقاذهم من تلك الغمة ..

ودعا العمدة إلى عقد مجلس المدينة .. وطلب من أعضائه النصيحة .. وتوصلوا إلى حل يكتب لهم الخلاص .. وللفئران الفناء .. وهو استخدام كميات هائلة من المصايد .. ولكن الفئران دبرت أمرها – هي الأخرى – بليل .. وسخرت من المصايد !

ولما توالت المصائب عقد العمدة اجتماعاً لحكماء القوم .. للبحث عن وسيلة خلاص أخرى من تلك المتاعب .

ولما حمى وطيس الجدل ، وتحدث حتى كل سلبي وساكت .. طرق باب قاعة الاجتماع طارق .. ولما أذن العمدة للطارق .. دخل القاعة رجل أجنبي له سمات عجيبة ونظرات غريبة .. ويرتدي ملابس صفراء وحمراء .. ويتدلى من عنقه شريط فى نهايته مزمار .. ولا تستقر يداه على حال .. فهما تمسحان دائماً على ثقوب المزمار .. وقال الغريب :

– أنا الزامر الساحر .. وعندما أعزف على المزمار .. يتبعني كل مخلوق إلى أي مكان حتى نهاية المشوار .. وانا بذلك الوحيد القادر على تخليصكم مما تعانونه من كرب وبلاء .. وأطلب منكم منحي ألف جنيه .. عندما أنجيكم بهمتي القعساء .. من الفئران وما تسببه من وباء .. بفضل مزماري وأنغامي .. التى تسحر كل انسان .. وحيوان ! .

ووعده العمدة خيرات وفيرة وأموالا كثيرة .. لو خلص البلدة من الفئران الشريرة .

وخرج الزمار الغريب بزيه العجيب إلى الطريق .. وبدأ يعزف لحناً حلواً عذباً ناعماً ناعساً .. وفجأة تحول الهدوء .. إلى دوي زلزال محموم مجنون مهووس .. وإذا عرف السبب بطل العجب .. فقد كان مصدر هزيم الرعد .. ودوي البركان .. وقع أقدام آلاف الفئران وهي تندفع من كل مكان .. من البيوت .. من الحقول .. من الجحور .. حتى من قبعات الرجال والنساء المحفوظة فى الدواليب والخدور !! وكانت الفئران من كل صنف ونوع وسن وحجم .. ولكن معظمها كانت من الفئران .. السمان .. مهما تفاوتت الأنواع والأحجام .. لمختلف فئات الجرذان

"زمّار هاملين" بين الحقيقة والخيال

وسار الزمار ، وهو يواصل الحانه الشجية .. وتبعته الفئران سعيدة مرحة خلية .. وعندما وصل الى شاطىء النهر .. ألقت الفئران جميعها بنفسها في مياه (الفيزر) بحركة تلقائية .. وغرقت جميعها .. وسَعِدَ الناس في هاملين كلها .. ودقوا الأجراس .. ورقصوا فى الطرقات .. وأقاموا الزينات وأشادوا بعمدة البلدة وبما تحقق في عهده من منجزات ومعجزات .

و .. طرق باب العمدة طارق .. وأذن العمدة للطارق .. فدلف إلى القاعة الزمار الغريب .. وفي أدب وبسمة دافئة وصوت خفيض ..طلب تنفيذ الوعود وإنجاز العهود طلب .. حقه !! طلب .. الألف جنيه !! و .. ولكن العمدة أبى واستكبر ..واستكثر المبلغ .. وقال للزمار الغريب :

ـ سأعطيك خمسين جنيهاً فقط .. وانها لكافية مقابل اللحن الذي عزفته .

فرد الزمار في هدوء :

ـ إعطني حقي الكامل .. كما يجب أن يفعل كل عمدة عادل .. وإلا فانك ستأسف على تصرفك غير العاقل !

وأصر العمدة على مسلكه

وعنف بالزمار الغريب وأغلظ له القول .. وسخر من تهديده .. وطرده من داره .

وخرج الزمار الساحر وهو يبتسم فى هدوء وثقة الواثق الماكر . وسار في طرقات البلدة .. وأخذ يعزف على مزماره لحناً آخر شجياً ساحر الوقع لطيف الايقاع جذاب النغمات .. يوحي بمشهد صبية يلهون في مرح وفرح .. وبعد ذلك تناهت الاسماع وقع أقدام .. أقدام كثيرة تسرع وهي منجذبة إلى مكان الزامر الساحر .. وتصاعدت ضجة الأقدام مع تصاعد عدد من جذبتهم ألحان الزامر الساحر .

ونظر العمدة من نافذته ليستجلى الخبر .. فذهل عندما رأى كل أطفال البلدة يسيرون وراء الزمار الغريب .. في مرح وفرح !

وخرج الموكب السعيد من بوابة البلدة المقوسة الجدران .. إلى ما وراءها من تلال وجبال .

وصاح العمدة ملتاعاً :

ـ إنهم لن يستطيعوا عبور التلال والجبال .

و .. لكن الزمار واصل المشوار حتى وصل إلى باب صخري ذي قوس جبار .. وانفتح الباب .. وكان قوة خارقة ترغمه على الطاعة والولاء .. ومر الزمار من تحت الباب وتبعه أطفال البلدة جميعهم باستثناء طفل أعرج كان يحاول عبثاً اللحاق برفاقه وأقرانه . وانغلق الباب من ورائهم .. ولم يعودوا أبداً إلى أوطانهم .. ولم يسمع أحد بأخبـــارهم .. فعاشـــت البلدة فى هم وغم .. وقلق وأرق .. وتحولت البسمات الى دمعات .. والأفراح إلى أتراح .. لأن واحداً من أهلها وعد .. ولم يف بوعده .. ولم ينجز عهده .. و .. وعد الحر دين عليه !

وعند هذا الحد .. انتهت القصة .

تحليل علمي قديم وحديث !

وقد كان لسان الانسان ـ منذ القدم ـ هو أول وسائل الاعلام .. وعن طريق الرواة ذاع نبأ فاجعة « هاملين » ومغزاها الخلقي .. وقال الكثيرون إن ما حدث ليس حقيقة ، بل مجرد أسطورة وهمية وخيالية .. وأخذت أمهات أوروبا وجداتها تتناقل «الحدوتة الشعبية» للأبناء والأحفاد .

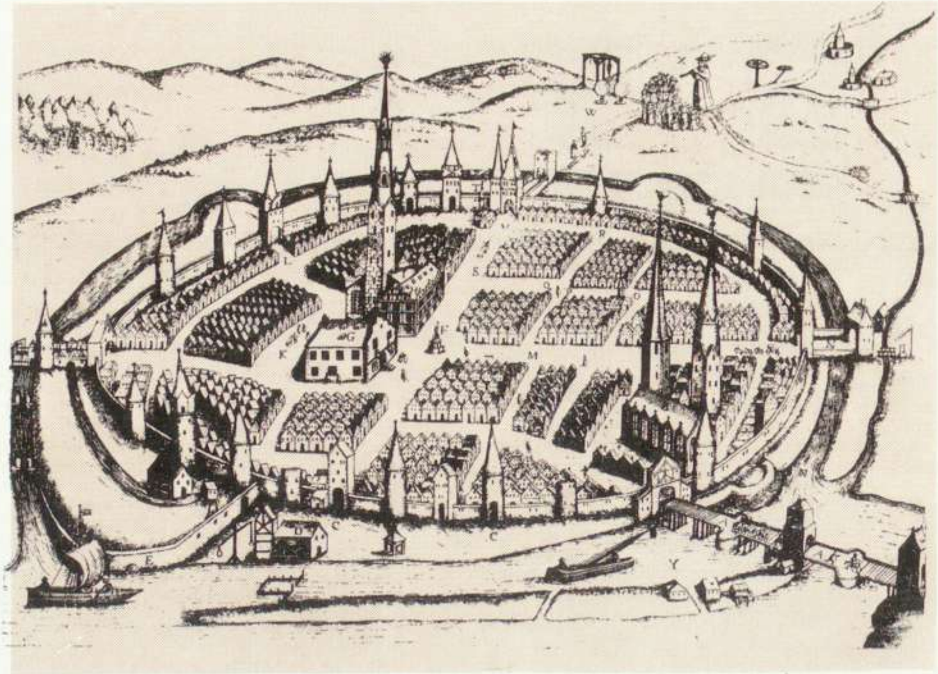
وبدأ بعض علماء عصر النهضة ـ الذي يلى العصور الوسطى أو المظلمة ـ تحليل الأسطورة تحليلا علمياً .. في محاولة لاستبعاد الوهم والخيال .. والوصول إلى حقيقة الأحوال .. وقالوا إن رداء الساحر الزامر الذي اختفى مع أبناء «هاملين» فى كهف في تلال كوبيلبرج .. ليس سوى « المـــوت » ! فقـــد كان الرداء نصـــفه أحمر ونصفه الآخر أصفر .. وهي ألوان الانسان الذي يصيبه الطاعون الدملي !!

وقال علماء ومحللون اخرون إن ما حدث لم يكن سوى ما عرف فى عام ١٢١٢ «بحرب الأطفال الصليبية» عندما جمع نيكولاس ـ وكان من أهالي مدينة كولونيا الألمانية ـ حوالي عشرين الف طفل وطفلة ، وكون منهم جيشاً لتخليص الأراضي المقدسة في فلسطين من أيدي المسلمين لتسليمها إلى البابا « إينوسنت الثالث » . وقد ضاع ذلك الجيش وتبدد فى إيطاليا بسبب الجوع والزمهرير وسوء القيادة والادارة .. ولم ينج منه ـ وكان جيشاً فرنسياً المانياً ـ سوى عدد قليل من الصبية والصبايا .. الذين كانوا للتعصب ضحايا !

ويؤكد الأستاذ «وولفرز» الأستاذ في كلية طب جامعة لندن والمتخصص فى الصحة العامة ، وطب المناطق الحارة (حاليا) أن الطاعون الدملي اجتاح هاملين مرتين بفاصل ١٣ عاماً في ١٣٤٨ و ١٣٦١ بسبب براغيث الفئران والجرذان .. التى كانت تهاجم في ضراوة مطاحن هاملين ـ وهي بلدة مطاحن ـ الغنية بالحبوب المختلفة ! ، وكان الوباء يقتل الانسان والحيوان معاً .. والنهر عند البلدة عميق سريع الجريان وعنيف التيار .. وهو يرجح أنهم كانوا يجمعون الفئران ويلقونها فى النهر .. ويعلل الدكتور «وولفرز» أسطورة الصبي الأعرج الذي كان الوحيد الذي نجا من الاختفاء في بطن الجبل مع بقية أقرانه .. بأن من يصاب بالطاعون وينجو منه .. فانه يكتسب مناعة تحميه منه .. وأن هذا الأعرج كان الناجي الوحيد عندما عاد الوباء بعد ١٣ عاماً .. وكان قد تحصن بالمناعة من الوباء الأول ! والملاحظ أن الفاصل يشكل الرقم ١٣ وهـــو رقـــم لا يتفاءلون به في أوروبا كثيراً .. وأن عدد الضحايا من الأطفال كان ١٣٠ وهو رقم النحس مضروباً في عشرة .. دلالة على شدة النكبة ! .

وأحس أهالي هاملين بالعار والشنار .. وأرادوا إخفاء مصيبتهم .. فجمعوا ضحايا الوباء ودفنوهم في تل كوبيلبرج بدلا من مدافن البلدة .. حتى ينسوا فاجعة البلاء !

ويقول الدكتور « وولفرز » إن الدفن فى بطن التل .. هو رمز لعملية دخول الزمار والأطفال من باب صخري سحري .. واختفائهم وراءه أبد الدهر ! كما كانوا فى العصور الوسطى يرمزون للموت بهيكل



بلدة « هاملين » عام ١٦٢٢ ، من واقع صورة محفوظة فى الأرشيف !

عظمي راقص يقود مركباً جنائزياً .. يضم الموتى وهم فى طريقهم إلى مثواهم الأخير .. وعليه فموكب الزامر الساحر والأطفال .. هو ذلك الموكب الجنائزي ! .

والطريف أن براونينج عندما صاغ فاجعة هاملين «المرحة» شعراً صدر يوم ٢٢ يوليو ١٣٧٦ كيوم الموكب الحزين .. وسخر بعض المؤرخين وقالوا (هل هناك تواريخ ثابتة لأساطير الأولين) ؟! .

ويبدو أن براونينج اقتبس حديث الدكتور فينسيليوس الذي كتب في ١٥٥٦ قصة مأساة « هاميل » وهي «هاملين» الحديثة المعاصرة .. قائلا :

ـ سأروي لكم قصة من الحقيقة وليس من الخيال وإن اعتبرها الكثيرون أقرب إلى الجنون والخيال .. قصة تكشف شرور وسطوة الشيطان .. فمنذ حوالي ١٨٠ سنة في بلدة «هاميل» .. على ضفاف نهر الفيزر فى اقليم ساكسوني .. وفي يوم عيد القديسة مرجريت ...

ولكن التاريخ الذي ذكـره الدكتـور فينسيليوس عام ١٥٥٦ لم يكن دقيقا .. فالكتابات القديمة الموجودة على أبواب بعض بيوت هاملين القديمة تشير إلى أحداث مأساوية وقعت فى ٢٦ يوليو عام ١٢٨٤ وأكد ذلك التاريخ مسافر أجنبي كتب فى القرن السادس عشر الميلادي مذكرات عن سياحته في ألمانيا .. ووصف قوساً صخرياً عليه كتابات قديمة تعود إلى مائتين وخمسين سنة !

ومن الطريف أن الأساطير الهندية تقول إنه عند وفاة بوذا .. أصبحت مهمة الفئران المقدسة .. القضاء على الجنس البشري .. على مدى ألف سنة .

ومن الآراء الأخرى التى تحلل الأسطورة رأي طريف يقول إن الزمار كان مندوب مطران «أولموتز» الذي أغرى كثيراً من الشباب فى أواخر القرن الثالث عشر بالهجرة إلى مورافيا واستقروا فيها فعلا بعد أن هجروا مختلف مدن ألمانيا .

و «أكدت» شائعات أخرى أن ما حدث كان عملية اختطاف للأطفال قامت بها عصابة من قطاع الطرق .. فالشائعات من زمان حتى الآن «تؤكد» ولا «ترجح» !!!

السياحة .. أعظم صناعة !

وتشكل السياحة ـ حالياً ! ـ مورداً هائلا من موارد الكثير من الدول .. حتى الدول الغنية والثرية .. وعلى رأسها أمريكا وبريطانيا وفرنسا و .. ألمانيا !! و .. وعلى فكرة .. فعلماء الاقتصاد يؤكدون أن السياحة هي أعظم صناعة .. وخير ركيزة لتنمية الاقتصاد الوطني !!!

ويستغل مسئولو السياحة في ألمانيا قصة .. ـ أو أسطورة ! ـ زمار هاملين .. لتحقيق ازدهار وانتعاش السياحة في ألمانيا عامة .. واستقطاب مئات الآلاف منهم لزيارة هاملين خاصة . ففي مسرح مكشوف وعلى مدار فصل الصيف .. يقدم فنانو هاملين كل يوم أحد .. مسرحية (زمـار هاملين) طبقاً لأصدق نصوصها التاريخية الواردة فى صفحات كتب المؤرخ الإخباري القديم الشهير (فيرشتيجن) ـ والتاريخ الاخباري هو التاريخ للأحداث حسب تسلسل الأعوام ـ ويعتز أطفال «هاملين» الحديثة بأداء دور أسلافهم أطفال عام ١٢٨٤ الذين سحرتهم أنغام الزامر الساحر ولم يعودوا إلى ديارهم حتى الآن لأن عمدة «هاملين» لم يف بالوعد ! ، ومن الطريف أن المسرحية تبدأ كل يوم أحد بموكب تاريخي ـ بالملابس التاريخية ـ ينتهي عند المسرح غير المسقوف قرب دار البلدية .. مقر عمدة « هاملين » المعاصرة .. الذي يفي بالوعود! ويجن السـيـاح بالموكب والمسرحيـة ويلتقطون لها ملايين الصور .. في كل صيف ! ويقوم بدور الزمار حالياً المواطن الألماني الشهير سيجفريد ساشر ـ وهو موسيقار متخصص في آلة المزمار فعلا ـ والذي يعمل في شركة انجليزية حصلت على عقد تنظيف «هاملين» .. وتحصل على حقها كل ثلاثة شهور .. « مقدماً » ! طبقاً .. للعقد الرسمي حتى تضمن .. حقها .. !!! وحتى لا تتكرر المأساة القديمة ثانية . و «هاملين» الجديدة .. بلا فئران .. فعلا ! والفئران الوحيدة فيها هي تماثيل من الخبز والسكر يلتهمها السواح في شغف .. أو من الخزف .. والتى يحرص ملايين السياح الأجانب على اقتنائها لأنها تذكرهـم «بالفاجعة المرحة» ! والطريف أن أشـهر محلات بيع التماثيل التى تعيد المأساة المرحة إلى الأذهان ، تقع بالقرب من دار اسمها (الراتنفانجرز) أي (صيادو الفئران) وهي دار على مقربة من (بوجلوسن شتراوس) وتعني بالألمانية (شارع بلا طبول) .. فالأسطورة القديمة تؤكد أنه منذ مأساة ذلك الناي السحري .. منعت سلطات المدينة .. ظهور أية أدوات موسيقية في كل شوارع المدينة !

وإن كنت لا تصدق ياعزيزي القاريء .. فلماذا لا تقوم بزيارة «لهاملين» القديمة .. أو «هاملين» الجديدة .. لتشهد الموكب التاريخي والمسرحية الناجحة المسلية .. ولتشتر فئراناً خزفية .. تذكرك بقصة مثيرة خرافية .. يؤكد الكثيرون أنها قصة مثيرة حقيقية ! وسواء كانت أسطورية خرافية أو مأساة حقيقية .. فهي القصة القصيرة الوحيدة .. التى أثارت جدلا طويلا طويلا طويلا .. على مر الأيام وكر الأعوام !!! .

عادل شريف

أضواء

كتب جديدة





● اشهدى يا قدس ـ شعر ـ تاليف سليم سعيد ـ ٢٥٠ صفحة ـ صدر فى قطر .

● الأديب الكاتب ناصر الخيرى ـ من سلسلة عن اعلام الخليج العربى ـ الجزء الثالث ـ تاليف مبارك الخاطر ـ ١٢٠ صفحة ـ اصدار وزارة الاعلام بدولة البحرين .

● المواصلات فى الوطن العربى ـ لمجموعة من الباحثين ـ ٤٠٣ صفحة ـ اصدار مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ـ لبنان .

● اغنيات قلب ـ ديوان للشاعر مصطفى عبد الرحمن ـ ٢٠٤ صفحة ـ الناشر المكتبة العربية ـ القاهرة .

● جماليات القصيدة المعاصرة ـ تاليف د. طه وادى ـ ٢٠١ صفحة ـ الناشر دار المعارف ـ القاهرة .

● لا تحجبى الطيف ـ ديوان شعر لمحمد عبد العزيز الانصارى ـ ٥٥ صفحة ـ الناشر مطبعة حسان ـ القاهرة .

● اعترافات أدبائنا فى سيرهم الذاتية ـ تاليف علي عبده بركات ـ ١١٨ صفحة ـ الناشر مطبوعات تهامة ـ جدة ـ السعودية .

● فى جوف الليل ـ مجموعة قصص ـ تاليف محمد مثنى ـ ١١٤ صفحة ـ الناشر دار الهنا للطباعة .. ولنفس المؤلف مجموعة قصص أخرى بعنوان : الجيل يبتسم أيضاً ـ ١٢٥ صفحة ـ الناشر وزارة الاعلام والثقافة ـ صنعاء .

● الرصيد السكانى لدول الخليج العربى ـ ٣٩٦ صفحة ـ اصدار مركز الوثائق والدراسات الانسانية بجامعة قطر .

● البحر الاخضر ـ رواية ـ تاليف كاظم معلة ـ ١٥٦ صفحة ـ الناشر مطبعة السلام ـ فاس ـ المغرب .

● دلال المغربى ـ قصة شعرية للأطفال ـ تاليف الشاعر محمد الظاهر ـ دار الشروق للنشر والتوزيع ـ الأردن ـ عمان .

● التعليم المصغر كتقنية متطورة للتدريب ـ تاليف الدكتور أحمد الخطيب الأمين العام المساعد لاتحاد التربويين العرب ـ الناشر دار الشعب ـ عمان ـ الأردن .

● أهزوجة السلاح ـ ديوان شعر ـ للشاعر طه عبد الغنى مصطفى ـ ١٧٠ صفحة ـ الناشر دار الخليج بالشارقة ـ الامارات العربية المتحدة .

● قضايا القصة العراقية المعاصرة ـ تاليف عباس عبد جاسم ـ الناشر وزارة الثقافة والاعلام العراقية .

أخبار ثقافية

● يشارك الدكتور احسان عباس فى الموسم الثقافى الأول الذى يقيمه مجمع اللغة العربية الأردنى ، وذلك بالقـاء محاضرة بعنوان « تصنيف العلوم عند العرب » .

● تقدم فرقة المسرح الحر بجامعة الامارات مسرحية « مأساة الحلاج » للشاعر الراحل صلاح عبد الصبور ، وذلك فى تصور جديد أعده أحمد راشد ثانى ويخرجه ابراهيم الجزولى .

● يلتقى كتاب افريقيا والوطن العربى فى مدينة الجزائر من ١٦ ـ ١٩ مايو فى ملتقى الكتاب العرب والأفارقة الذى ينظمه اتحاد الكتاب العرب والاتحاد الافريقى من أجل توسيع التفاهم والحوار المشترك بينهما .

● فى الشهور القادمة يتم بث الجزء الثانى من المسلسل التربوى التعليمى « افتح ياسمسم » فى أجهزة تليفزيونات دول الخليج ، وهذا الجزء يتكون من ١٣٠

كلمات من القلب



رجا جارودى



يوسف الخطيب



احمد عبد المعطى حجازى

● يجب أن نبذل جهداً كبيراً لاعادة تقييم مجمل علاقتنا الاجتماعية ومشاكلنا الاقتصادية والسياسية من خلال منظار الوحى القرآنى .

المفكر الفرنسى المسلم
رجا جارودى

● التراث الشعبى الفلسطينى هو الوجه الحضارى فى المعركة التى يخوضها شعبنا من أجل تكريس وجوده واسترداد حقوقه الوطنية . فهى ثقافة تقف فى وجه الدرع بتصديها لعمليات التشويه والتخريب والسرقة والانتحال من أجل حماية الشخصية الوطنية الفلسطينية من الاندثار والتبديد .

الناقد الفلسطينى
فاروق وادى

وقفت حافياً .. وراء باب أمتى العظيمة
أدقه على قلوب مغلقة
فى الليل .. والثلج فى مخالب الجريمة
حتى غدت يداى مطرقة
وصرخت صيف أمتى .. وصار جسمى الوليمة
وهيأت لي .. خيمة ومشنقة
ولم أزل أساق .. من مرحلة لمرحلة
من قصيدة «أنهض من جنازتى .. وأمشى»
للشاعر يوسف الخطيب

● أعيش فى ظروف أجهل فيها نفسى ، وقد يكون الجهل فى بعض الأحيان فى أعلى مرتبة من مراتب المعرفة .

الشاعر عمر أبو ريشة

● إننى أتفق مع كاتب المسلسل التليفزيونى أبو الطيب (المتنبى) أن عصر المتنبى كان عصر الغربة فى الوطن ، وأنه لم يكن نقياً كل النقاء ، ولم يكن خالياً من الفساد والاضطهاد الفكرى والنفسى ، ولكنه فساد تقليدى واضطهاد تقليدى ، لم تعمل المخترعات العصرية على تطويره ، ولم تساعد قوانين التقدم والحرية على تحديثه وتحويله الى واقع يقطر دماً وزيفاً وإرهاباً .

د. عبد العزيز المقالح

● الكتاب فى بلادنا لا يمكن إلا أن يكون عربياً ، فان صار محلياً مات .

الشاعر : أحمد عبد المعطى حجازى

حلقة ، مدة كل حلقة نصف ساعة .

● يجرى العمل على قدم وساق فى بغداد لاعداد بانوراما ضخمة فى أكبر صالة فنية فى العالم تقام ضمن بناية الجندى المجهول وتؤرخ لمسيرة الانسان فى العراق بداية من الحضارة السومرية حتى عصرنا الحاضر ، ويشرف على هذا العمل الفنان خالد الرحال .

● أول مهرجان للمسرح العربى الافريقى الدولى يتم تنظيمه فى تونس فى الفترة ما بين ٤ و ١٥ نوفمبر ١٩٨٣ ، وسيكون المهرجان على غرار أيام قرطاج السينمائية يقام كل سنتين بالتناوب ، وستتاح معه فرصة الحوار بين الثقافات العربية والافريقية المتنوعة .

● ينعقد المؤتمر السادس عشر للاتحاد العام للكتاب والأدباء العرب فى بيروت خلال شهرى أغسطس وسبتمبر ، ويضم وفوداً من اتحادات الكتاب والأدباء فى الأقطار العربية ، والمعروف أن المؤتمر الأول عقد فى لبنان عام ١٩٦٣ .

● أوراق المرحوم العلامة ساطع الحصرى والتى تتضمن مئات الرسائل بينه وبين عدد من المفكرين والسياسيين والأدباء العرب ستصدر فى كتاب يتضمن مذكراته ويحققه الباحث نجدت فتحى صفوت .

أضواء

يوم المسرح العالمي على مسرح قطر الوطني

بشرى ناصر



غانم السليطى وأمينة القفاص فى مسرحية المناقشة



جبر الفياض وعلي سلطان فى مسرحية «انشودة الدم »



مريم راشد ، علي ميرزا ، سنان المسلمانى ، غازى حسين ، هدية سعيد فى « ومات بطلا .. إذن »

حرصاً على خلق مسرح ذى قواعد ثابتة وقادر على الايصال والتوضيح ، دأبت وزارة الاعلام ـ ادرة الثقافة والفنون ـ على رعاية احتفالات يوم المسرح العالمى ، ليكون فرصة للمسرحيين والجمهور من أجل الارتقاء الذهنى ، فالمسرح ظاهرة ثقافية خالدة ، وهو رسالة اجتماعية تتبنى قضايا الانسان فى كل زمان ومكان ..

لذا ، وكما اعتدنا ، فاننا نحتفل سنوياً باليوم العالمى للمسرح الذى أختير ليكون فى السابع والعشرين من كل عام .. وفى هذه المناسبة الهامة قدمت البيوت الثلاث فى قطر ثلاثة عروض .. كانت على التوالى مسرحية « انشوة الدم » لفرقة الأضواء ، تاليف الدكتور مصطفى محمود ، اخراج امام مصطفى ، وابتدأت الاحتفال لأن استعدادها كان سابقاً للفرق الأخرى ، وكانت مدة العرض نصف ساعة تقريباً ، وقام ببطولتها علي سلطان .. وجبر الفياض ..

أما المسرح القطرى فقد قدم مسرحية « مات بطلا اذن » .. للكاتب السورى محمد علي الخطيب ، واخرجها الفنان القطرى علي ميرزا محمود ، وقام ببطولتها كل من غازي حسين ، سنان المسلماني ، هدية سعيد ، علي ميرزا ، مريم راشد ..

واختتم العروض « مسرح السد » بمسرحية « المناقشة » لكاتبها حمد الرميحي واخراجه ايضاً .

وقد تميز عمل فرقة السد بطول مدة العرض عن بقية المسارح المشاركة ، ومحلية النص ، وايضاً تعدد طاقم الممثلين الذين وصلوا إلى ١٢ ممثلا .

وقد نستطيع أن نتوقف هنا قليلا من حيث الرعاية التى تقدمها وزارة الاعلام للفن والمسرح على وجه الخصوص ومساهمتها بتقديم مبنى مسرح قطر الوطنى للعرض ، واشراف وزير الاعلام الاستاذ عيسى غانم الكوارى والسيد وكيل الوزارة محمد عبد الرحمن الخليفى على هذا الاحتفال المسرحى ، وذلك لادراك المسئوليين أهمية يوم كهذا ، لتميزه بالتجريبية من ناحية العروض المطروحة والأساليب الاخراجية من ناحية أخرى ، والجمهور الذى يكون غالباً فئة خاصة هى على الأخص فئة مهتمة بالمسرح والثقافة فى قطر .

ومن هنا تتاتى أهمية هذا الاحتفال ، فالمسرحيون يحاولون دائماً ايجاد الخيار الأوضح ، لخلق مناخ ثقافى وأجواء نقاشية وحوارية توصل بالتالى الى تبادل الفكر والراى تنتج عنها دائماً رؤى متجددة تتيح .. للجمهور الاطلاع على التجارب المسرحية الجديدة ، وتشحنهم بمفاهيم جديدة عن المسرح وما يتعلق به

وما يستحق التنويه به أن الجمهور كان هذا العام بكمه أكبر من الأعوام السابقة ، ولم يعد يقتصر على المهتمين بشؤون المسرح فقط ..

ولو اننا افتقدنا هذا العام التكريم والاحتفاء بالعاملين فى المسرح ، وحرمنا من تصنيف للمسرحيين كما حدث فى العام السابق ، فاننا لا نستطيع ان نغض الطرف عن افتقادنا للجو النقاشي الثرى الذى كان يتوجب أن يختتم كل عرض للفرق حتى يكتمل الهدف المرجو من اقامة الاحتفال بهذه المناسبة الهامة ..

ولكنه يبقى أن نقول أن يوم المسرح العالمى من الأيام التى لها طعم خاص لا يتغير فى الذاكرة ولا ينتهى !

لعبة المطاردة

شعر: وفاء وجدي

حَديثُنا يا إخوتى
ما عَادَ شَيّقا فى حَلْقَةِ السَّمَرْ
ففى الرَّبيع يَذْبُلُ الشَّجَرْ
وتَسْقطُ الأوراقُ فى اخْضِرَارِهَا
فى شَهْقَةِ العُمُــــرْ

●●

لا تَسْألُونى فالغِنَاءُ يا أحِبَّتى
قد غُصَّ بالشَّجَنْ
والعُودُ منزُوعُ الوتَرْ
فنحنُ يا أحِبَّتى محاصَرُونَ بالزَّمنْ
ونحن رفقةُ الأحزَانِ فى السَّفَرْ
والحزْنُ يُثْقِلُ القلوبَ والعيونْ
كأنه قَــدَرْ

●●

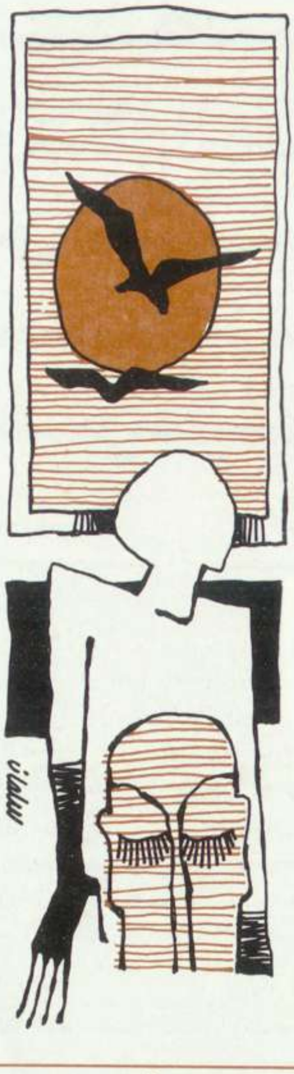
الليلُ موحِشٌ بلا غِنَـــاءْ
لكننا لا نملكُ الغِنَـــاءْ
فكلنا فى حَلْقَةِ السَّمَرْ
محدّقو العيون فى الخُوَاءْ
ننتظرُ الحرَّاسَ كلَّ لحظَةٍ
أن يُطلقوُا الرَّصَاصَ دونما عَنَاءْ
فيسقطونَا واحداً فواحداً
فى لُعْبَةِ المطَـــارَدَهْ

ولا تزالُ فى العيون رِجْفَةُ السؤالْ :
ـ مَنِ الذى يأتى عليه الدَّورُ فى الخَـفَاءْ
فتقصفُ الرياحُ عودَهُ الرطيبْ
ويصبح المــكانُ شاغراً من بَعْدِه
فى حلقةِ السَّـــمَرْ ؟
لعلّه أنا .. أو أنتَ .. أو نحنُ معاً
فكلنا مطاردٌ غريبْ .

●●

يا رفقَةَ السنين نحْنُ جيلْ
قد خَضَّلَ الأعلامَ بالدمَاءْ
وقدَّمَ الحياةَ دونَ أنْ يَمُنَّ بالعَطَاءْ
لكنَّه لم يعرف الطريقَ للفرحْ
ولم يشاهدْ مَرَّةً
فى زحمة الحصارِ دَمْعَةَ الوَفَاءْ

جيلٌ على أكتافِهِ أوزارُ من سَبَقُوهْ
ولعنةُ الذين بعده سَيُقبِلُونْ
جيلٌ يعيشُ فى العَرَاءْ
لم تحتَضِنْهُ الأرضُ أو تَرْثى له السَّمَاءْ
جيلٌ تمزِّقُهُ سياطُ من عادُوهْ
جيلٌ يضيعُ تحتَ صمتِ الأصْدِقَاءْ
يا إخوتى ..
لمن نقدمُ العزاءْ ؟!
فيمَنْ نقدمُ العزاءْ ؟!



● وكالات الأنباء العالمية ومراكز الأمم المتحدة يعتمدون وكالة الأنباء القطرية مصدرًا أساسيًّا موثوقًا لأخبار منطقة الخليج

● ٨٠٪ من تدفق الأنباء تحتكرها الوكالات العالمية لتحقيق مصالح دولها

● متابعة الأحداث الدولية الهامه وتحليلها وتفسيرها والتعليق عليها من أهم وظائف قسم الأبحاث والدراسات

● من خلال اتحاد الوكالات العربية يتم التنسيق بين جميع الوكالات الشقيقة للتصدي للإعلام الغربي

وكالة الأنباء القطرية

كيف تتصدى للإعلام الغربي من أجل قضايانا العربية ؟

بقلم : مريم آل سعد



قسم الارسال الخارجى والداخلى (التيكرز) حيث يتم ارسال الاخبار

أصبحت الدعاية السياسية الحديثة تتخذ شكل الاعلام الثقافي الذي يتلاءم مع روح العصر وتطوره ، وقد تفوقت فى هذا الدور وكالات الأنباء العالمية الخمس التى تسيطر على إعلام ٩٨,٧٪ من سكان العالم وهي «الاسوشيتد برس» و «اليونايتد برس» و « رويتر » البريطانية و « وكالة الأنباء الفرنسية» و « وكالة تاس » السوفيتيـة .

● ●

وكما انه بفضل نجاح ونشاط هذه الوكالات تحول الاهتمام من المقال إلى الخبر ، وتصاعدت أرقام توزيع الصحف إلى مؤشرات هائلة ، إلا أنها أيضاً مارست – ومازالت – سياسة احتكارية رهيبة على تدفق الأنباء وتحكمت في بثها بما يناسب مخططات ومصالح دولها داخلياً أو خارجياً خصوصاً وأن تقدم الوسائل والتكنولوجيا العلمية والدراسات النفسية كفل لها أسلوب صياغة هذه الأخبار بما لا يدع مجالا لنشاة اية مقاومة فكرية أو نفسية عند الجماهير المتلقية .

وكما أنها قسمت العالم الى مناطق نفوذ فيما بينها ، فانها احتوت بعض الوكالات المحلية التى ظهرت فى بعض هذه الدول مستغلة افتقارها إلى العامل المادي الذي يغطي حجم الانفاقات الرهيب ، الذي تستطيع به أن تمارس عملها وتستمر فيه .

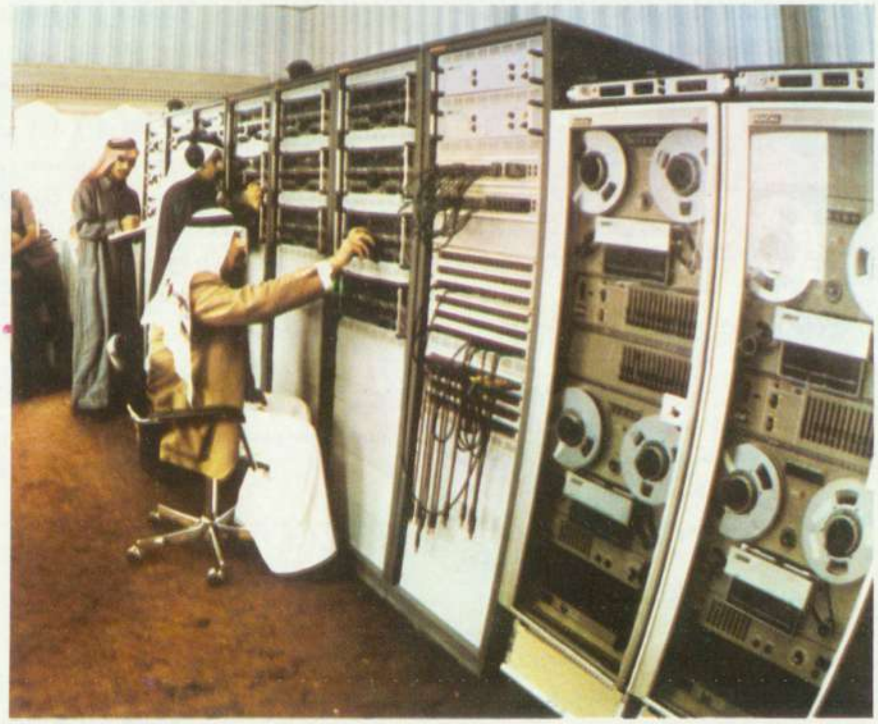
وهذا يفسر سماحها بنشر اسم هذه الوكالات المحلية على الأخبار التي تبثها مقابل نشرها فى أقطارها ، ولتؤكد كونها بوقاً لهذه الوكالات العالمية تحت ستار حرية نشر الأنباء وتداولها .



قاعة التحرير العربى .. حيث يتم تلقى الأخبار واعدادها للنشر



علي سعيد الكوارى : مدير الوكالة



داخل قسم الرصد الاذاعى ، حيث يتم تسجيل ٣٢ إذاعة فى وقت واحد لمدة ٢٤ ساعة

وقد استقبل العالم مزيدا من ظهور هذه الوكالات المحلية في انحائه المختلفة ، فبعد أن كانت هناك ٢٤ وكالة بدأت عملها بين عامي ١٩٤٥ و ١٩٤٩ ، فقد كان عام ١٩٥٠ موعداً لنشاة وكالات جديدة فى آسيا وشمال وجنوب أمريكا وأوربا وكذلك في أفريقيا .

أما الموجة الواسعة الثانية لانتشار وكالات الأنباء المحلية فكانت في الستينات عندما نشأت ٢٣ وكالة في كل من أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية .

وبين سياسة الاحتكار التى تفرضها وكالات الأنباء الكبرى وأسلوب التبعية الذي تنشر من خلاله بعض الوكالات الصغيرة المخططات الاستعمارية وتساعد على سريانها بين شعوبها كان لزاماً أن تنشأ وكالات قومية واعية تقف بالمرصاد لهذه الموجات المسمومة

ووكالة الأنباء القطرية التي تم إنشاؤها بناء على مرسوم أميري في مايو ١٩٧٥ تعتبر واحدة من هذه الوكالات المحلية التى تسعى بثبات إلى تاكيد وجودها كمصدر لنشر الأخبار الصادقة .

الوكالة القطرية

ويوضح مدير وكالة الأنباء القطرية الأستاذ علي سعيد الكواري دور الوكالة ويكشف عن مدى طموحاتها التى تتعدى النطاق المحلي لتعبر عن جميع القضايا العربية لانها الرابط الاساسي .

وكالة الأنباء القطرية

يقول الأستاذ علي الكواري موضحاً أهداف الوكالة :

نسعى إلى توزيع أخبار دولة قطر وأخبار الدول الخليجية الشقيقة في جميع الدول العربية باللغة العربية ، وفي الخارج باللغة الانجليزية وتعامل الوكالة أخبار الدول الخليجية بنفس معاملة أخبار دولة قطر من حيث التزام الموضوعية .

وقد بدأ نشاط الوكالة ولم يكن في منطقة الخليج إلا وكالة الأنباء السعودية والوكالة العراقية .

كما رأت وكالة الأنباء القطرية منذ البداية أن من واجبها أداء هذه الرسالة بالنسبة لدول المنطقة بتشجيع من كبار المسئولين بدولة قطـر .

وهذا ما دفع وكالات الأنباء العالمية ومراكز الاعلام ، بل ومراكز الأمم المتحدة إلى اعتبار الوكالة القطرية مصدراً أساسياً من مصادر الأخبار الموثوق بها والمعتمدة بالنسبة للمنطقة ، وكثيراً ما تنقل وكالات الأنباء العالمية والاذاعات وصحف دول المنطقة أخبار الدول الخليجية عن وكالة الأنباء القطرية التي تلتزم الموضوعية التامة في معالجة الخبر والابتعاد عما يسمى تزوير أو تلوين في الأخبار . علاوة على اهتمام الوكالة بالخبر الذي يجمع بين دول المنطقة ويعمل على تآلفها ويكون جيداً ذا قيمة اخبارية .

نسبة الأخبار إلى مصادرها

● كيف يتم حصول وكالة الأنباء القطرية على أخبارها ؟ .

ـ يتم الحصول على الأخبار عن طريق المراسلين المعتمدين في العواصم العالمية مثل لندن ـ باريس ـ واشنطن ـ نيويورك ـ طوكيو .

والعواصم العربية والاسلامية مثل : القاهـــرة ـ دمشق ـ تونس ـ الرباط ـ الخرطوم ـ مقديشيو ـ عمان ـ بغداد ـ الرياض ـ بيروت ـ الكويت ـ أبو ظبي ـ مسقط ـ صنعاء ـ اسلام آباد .

والوكالة تتلقى الأخبار من هؤلاء المراسلين عن طريق الهاتف أو شبكة اتصال دوبلكس وسيمبلكس تربط بين المركز الرئيسي في الدوحة ومكاتب المراسلين . وهناك أخبار تحصل عليها الوكالة القطرية من الوكالات الخليجية والعربية وتنسب هذه الأخبار إلى مصدرها في حالة استخدامها في نشرة الوكالة .

وهناك قسم الرصد الموجود بالوكالة والذي يرصد جميع الاذاعات الخليجية والعربية والأجنبية بما فيها الاذاعات الاسلامية ، ويغذي قسم التحرير العربي «المركزي» بالأخبار التي تنسب إلى مصادرها في حالة إذاعتها على نشرتنا .. ونحن حريصون جداً على ذلك .

أما الوكالات العالمية ، فاننا لا نستخدم اخبارها على نشرتنا باعتبار أن هذه الوكالات معروفة ولها مصادرها ومشتركوها الذين تقوم بتوزيع أخبارها عليهم .

● كيف يتم توزيع نشرات الوكالة ؟

يجيب مدير وكالة الأنباء القطرية بقوله :

ـ يتم توزيع نشرة الوكالة سواء بالعربية أو الانجليزية عن طريق خطوط مباشرة مع المشتركين داخل دولة قطر وخارجها عبر الأقمار الصناعية وكذلك هناك ارسال عن طريق شبكة وكالة أنباء الشرق الأوسط لمدة ثلاث ساعات يومياً . ويبلغ عدد أخبار الوكالة القطرية حوالي ١٣٠ خبـراً يومياً .

وترسل بالبريد العاجل النشرات المطبوعة اليومية باللغتين العربية والانجليزية إلى السفارات القطرية بالخارج وإلى عدد من المشتركين من هيئات ومؤسسات صحفية .

وإلى جانب النشرات اليومية المرسلة إلى المشتركين عبر الخطوط المباشرة ، كذلك هناك نشرة اقتصادية تذاع أسبوعياً بشكل مؤقت وستصبح عن قريب يوميه .

تعرية الأخبار المدسوسة

● « الأخبار لها قابلية للغش ، ويمكن عرضها بكثير من التلوين والمبالغة بالحذف أو الاضافة وخصوصاً إذا كانت قادمة من الجهـات ذات التوجه الاستعماري » ..

فما هي الاجراءات التي اتخذتهـــا وكالة الأنبـــاء القطرية لتعريتها والتصدي لها ؟

ـ لا تستخدم الوكالة هذه الأخبار على شبكتها الخاصة وتقوم بالرد على تلك الأخبار المدسوسة لتعريتها ببث أخبار موثوقة من مصادرها الحقيقية بما يدحض تلك الأخبار المدسوسة أو الملفقة ، وينقل صورة صادقة لما يجري على الساحتين العربية والعالمية .

● ●

● الوكالات العالمية الخمس تمارس احتكاراً إعلامياً وفكرياً بعيد المدى على عقول مئات الملايين الذين يتلقون أخبارها من خلال الصحف والاذاعات وغيرها .. فهل يوجد هذا التأثير الاحتكاري وبسط النفوذ أيضاً في تعاملها مع وكالات الأنباء الاقليمية الصغيرة ؟؟

ـ تقوم فعلا وكالات الأنباء العالمية الكبرى بدور كبير في فرض الأنباء التي تخدم مصالح دولها بصرف النظر عن تحري الصدق والأمانة وهدفها الوحيد هو بث وجهة نظرها التي تكون في أغلب الأحيان وجهة نظر متحيزة لهذه المصالح .. فالوكالات الخمس الكبرى تحتكر فيما بينها نصيب الأسد من الموارد المادية والطاقات البشرية

وبينما يكون نصيب اصدار الوكالات العالمية حوالي ٨٠٪ من تدفق الأخبار العالمية إلا أنها لا تكرس لأنباء البلاد النامية إلا نسبة تتراوح بين ٢٠٪ أو ٣٠٪ من تغطيتها الاعلامية على الرغم من استحواذ البلاد النامية على ما يقرب من ¾ البشرية . ومقياساً لهذا الحديث ، فان وسائل الاعلام في البلاد المتقدمة ولا سيما في الغرب لا تهتم بمشكلات البلاد النامية بل تصنفها كدول مستهلكة للمعلومات التي تبيعها إياها كأية سلعة . وأبلغ دليل على ذلك أن وكالات الأنباء العالمية تنتهج وجهة نظر استعمارية صهيونية في تغطية أخبار القضية الفلسطينية وموضوع العلاقة بين الدول الصناعية الكبرى والدول النامية ومشكلة الطاقة وأسعار النفط وغيرها من القضايا العالمية السياسية . حيث نجد أن أخبار الوكالات العالمية مصوغة حسب وجهة نظرها وحاملة رأيها بين سطور الخبر أو في طريقة تحريره لذلك تتعامل وكالة الأنباء القطرية مع هذه الوكالات من منطلق الحذر وعدم السماح لها مطلقاً بممارسة أي احتكار إعلامي أو فكري عليها . وتعتمد الوكالة القطرية فقط على الأنباء الدقيقة الصادقة من مصادرها الخاصة بها

التعليق والتفسير والتحليل

● « وظيفة وكالات الأنباء يجب الا تتوقف عند نشر الأخبار كمعلومات مجردة وانما عليها واجب آخر هو تفسير هذه الأخبار ما دامت تخاطب الملايين »

ما رأيك في هذه العبارة وهل توجد في الوكالة أقسام متخصصة للتفسير والتعليق والتحليل الاخباري ؟

– تقوم وكالة الأنباء القطرية باعداد نشرتها الاخبارية اليومية بحيث تكون واضحة تماماً لا لبس فيها ولا إبهام معتمدة في ذلك على معلومات إضافية تزيد من وضوح الخبر وتدعيمه بحيث يعطي فكرة واضحة وشاملة تغطي جميع النواحي الفنية في تحرير الخبر واهمها الاجابة التقليدية على أدوات الاستفهام من وأين ومتى ولماذا وكيف معتمدة في ذلك على اقسامها المتخصصة واهمها قسم الابحاث والدراسات الذي يتابع الأحداث الدولية الهامة وبالأخص الأحداث العربية ويقوم بتحليلها وتفسيرها والتعليق عليها وذلك عن طريق ثلاث وسائل أولاها البث المباشر على شبكة الوكالة الخاصة وثانيها النشرة المطبوعة بنسختيها الانجليزية والعربية والثالثة اعداد كتب وثائقية تضم أهم الوقائع الخاصة بالمؤتمرات الخليجية الهامة كمؤتمرات القمة الخليجية العربية وغيرها .. بحيث يستفيد رجال الفكرة وأجهزة الاعلام والصحافة والمتخصصون من هذه الكتب .

● هل تقوم الوكالة باعداد بحوث أو دراسات أو وثائق لمناسبات معينة أو قضايا معينة ؟

– تقوم الوكالة باعداد كتب وثائقية تسجل الأحداث التي بالخليج العربي والوطن العربي منها كتاب قضية الشرق الأوسط ، وزيارة الرئيس السادات لاسرائيل وتم اصدار أربعة أجزاء منها حتى الآن .

وهناك كتاب أم القرى وقد تناول مؤتمرات القمة الاسلامية الثلاثة : مؤتمر القمة الذي عقد بالهند – والثاني الذي كان بالمغرب – والثالث وهو الذي تم بمكة المكرمة ..

وهناك كتابان صدرا حتى الآن والكتاب الثالث تحت الاعداد عن « وثائق مجلس التعاون الخليجى » ويشتمل على احداث المنطقة من اجتماعات ومؤتمرات واتفاقيات تخص دول المجلس الست ، وهو عبارة عن تسجيل وثائقى لنشاطات دول المجلس فى ظل التعاون والتكامل الخليجى .

وقد صدر مؤخراً كتاب وثائقي مهم عن الغزو الاسرائيلي للبنان ، ومجزرة صبرا وشاتيلا . وهو كتاب يسجل الجرائم البشعة لاسرائيل في المنطقة العربية وبالذات في بيروت والجنوب اللبناني والجرائم القذرة التي ارتكبتها اسرائيل هناك .

الاعلام المحلي

● ما هي علاقة وكالة الأنباء القطرية بالصحافة والاذاعة المحلية ؟

أكد مدير وكالة الأنباء القطرية على تشابك وامتداد هذه العلاقة عندما قال :

– توجد علاقة وثيقة بين وكالة الأنباء القطرية والصحافة والاذاعة المحلية والتلفزيون القطري منذ انشاء الوكالة عام ١٩٧٥ وحتى الآن . حيث تقدم الوكالة لها أعلى مستوى من الخدمة الصحفية في مقدمتها الأنباء الدقيقة الصادقة المستقاة من مصادر موثوقة في داخل وخارج دولة قطر .

وتزود الوكالة ايضاً جميع وسائل الاعلام القطري من صحافة يومية ومجلات اسبوعية وشهرية والاذاعة والتليفزيون بالخدمة الصحفية الاضافية التى تشمل التعليقات والدراسات واستخلاص الراي العام في الداخل والخارج كما تزودها بالصور الفوتوغرافية السريعة للاحداث العالمية في مختلف دول العالم .

● ما مدى علاقة وكالة الأنباء القطرية باتحاد وكالات الأنباء العربية ؟

– هناك علاقة ودية متينة بين وكالة الأنباء القطرية واتحاد وكالات الأنباء العربية وعن طريق هذا الاتحاد تتعاون الوكالات العربية فيما بينها وتعقد الاجتماعات التي تدرس فيها الوسائل وسبل دعم هذا التعاون .فبناء على دعوة الجامعة العربية عقدت معظم الوكالات العربية اتفاقات اخبارية فيما بينها وذلك لتنسيق التعاون والتبادل الاخباري والزيارات والخبرات الصحفية والفنية وتقديم المنح الدراسية من صحفية وفنية للوكالات العربية الاخرى التى ما زالت قدراتها الصحفية والفنية تحتاج الى تدعيم لتنهض بمستواها الاخباري وتؤدي دورها ورسالتها الاعلامية على أكمل وجه .

والوكالة القطرية تنسق مع الوكالات العربية الشقيقة – من خلال الاتحاد – في كيفية التصدي للاعلام الغربي المغرض والذي يعمل على احتكار الأنباء الواردة من الدول النامية ودول الشرق الأوسط .

واعتقد أن نشاط الوكالة القطرية خير دليل على دورها الفعال والايجابي في خدمة القضايا العربية المشتركة وفي مقدمتها القضية الفلسطينية .

● العاملون في وكالات الأنباء .. لهم مواصفات دقيقة تتيح لهم فك رموز توجهات الأخبار المختلفة .. فماذا اعدت لهم وكالة الأنباء القطرية ؟

– سعت الوكالة إلى توفير الاستقرار النفسى للموظف خاصة وأن عمل الوكالات يحتاج الى تفكير ذهني وتركيز جيد في معالجة جميع الأخبار حتى لا يخرج الخبر بشكل رديء شكلا ومضموناً ، والسرعة في انجاز الأخبار وتقديمها الى الراي العام .

نحن نعطي أهمية للخبر وأهمية للوكالة نفسها .. فلابد من توفير المناخ المناسب لعمل الصحفى وتلبية طلباته بحيث يعمل وهو مرتاح الذهن والأعصاب .

● هل توجد إتفاقيات تبادل بينكم وبين بعض الوكالات العالمية ؟

نفى الاستاذ علي سعيد الكواري وجود هذه الاتفاقيات واضاف :

– ليس هناك اتفاقيات تبادل مع الوكالات العالمية ولكن هناك تعاون فقط في مجال الأنباء واتفاقيات التبادل متواجدة بيننا وبين الوكالات الوطنية الشبيهة بوكالة الأنباء القطرية .

وهناك مراسلون لبعض الوكالات العالمية تقدم لهم وكالة الأنباء القطرية التسهيلات التي تكفل لهم إرسال الأنباء والصور الفوتوغرافية الى وكالاتهم ولهم حرية إختيار الأنباء التي يريدونها .

مريم آل سعد



نهاية العصر الذهبي للغوص وتجارة اللؤلؤ!

بقلم: أحمد العناني



لقطتان : الاولى لطاقم مركب الغوص اثناء رحلة البحث عن اللؤلؤ .. والثانية لحبات اللؤلؤ التى كانت المصدر المباشر لحياة اكثر من تسعين بالمائة من سكان قطر قبل عام ١٩١٣ !

على مدى التاريخ الحديث لقطر خلال القرنين الماضيين ربما كان عام ١٩١٣ هو اهم الاعوام المئتين واحفلها بالاحداث ، واجدرها بان يكون عام التحول الحقيقى الحاسم لا ينافسه فى ذلك إلا عام ١٨٦٨ الذى شهد ظهور قطر ككيان اقليمى متميز ، وعام ١٩٤٩ الذى تم فى نهايته تصدير أول شحنة من البترول القطرى ، وعام ١٩٧١ الذى تخلصت فيه البلاد من سائر قيود



المعاهدة المانعة التى وقعت عام ١٩١٨ فاخذت زمام امرها بيدها ، ودخلت عصر الانجاز الرائع فى مختلف المجالات الحياتية .

إن عام ١٩١٣ هو العام السابق لقيام الحرب العالمية الأولى بسنة واحدة ، وفيه توفى زعيم قطر ومؤسس كيانها المستقل المغفور له الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى ، وفيه أيضاً وقع زعماء تركيا الذين كانوا خلعوا السلطان عبد الحميد ما عرف باسم الميثاق الانجلو ـ تركى ، وهو ميثاق وقع بالأحرف الأولى فقط وحالت الحرب العظمى التى دخلتها تركيا الى جانب معسكر الوسط الألمانى ـ النمساوى ضد بريطانيا وحلفائها دون توقيعه توقيعاً كاملا ومع ذلك فان بريطانيا التى كان الميثاق فى صالحها مضت فى تنفيذه دون تردد . وقد حدد الميثاق المذكور ، بموجب «الخط الأزرق» المشهور ، حدود ما سمي بامارة نجد اعتباراً من نقطة تقع على مسافة عشرة أميال من جنوبى العقير ، وامتداداً بخط مستقيم الى الربع الخالى جنوباً .

وفى هذا العام نفسه الذى تولى فيه الشيخ عبد الله بن قاسم مقاليد الحكم فى مكان والده قام الملك (الأمير عندئذ) عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل

نهاية العصر الذهبي للغوص وتجارة اللؤلؤ!

سعود باجتياح إقليم الإحساء وطرد الحاميات التركية منه بعد إقامة لها فيه دامت من عصر باشوية مدحت باشا المشهور فى بغداد (١٨٧١) الى ١٩١٣ .

البحر واللؤلؤ

لقد كان مجرد جلوس الشيخ عبد الله فى مكان والده المتوفى ينطوى بحد ذاته على خطر كبير لضخامة الفراغ الذى تركه ذلك الرجل الذى كان اعظم شخصية فى المنطقة باسرها ، واشدها وقاراً وهيبة وعزيمة ... لكن ذلك لم يكن هو التحدى الوحيد ، فقد انطوى تغير الأوضاع فى الاحساء الى ظهور مصاعب قبلية مستجدة .. لكن كل شىء كان يتضاءل أمام ركود أسواق اللؤلؤ فى الهند والقارة الأوروبية على السواء .. وهو ركود سرعان ما أفضى الى جمود مطلق بل وتوقف تام لكل انواع المتاجرة باللؤلؤ .. لقد كان واضحاً من تطور الصراع الدولى فى البلقان ان حرباً هائلة كانت ستندلع حتماً ، وقد اندلعت بالفعل صيف عام ١٩١٤ ، ومعروف ان الحروب وتجارة اللؤلؤ لا يلتقيان ، فاللؤلؤ بضاعة سلم وترف ومباهاة فى الصالونات والحفلات ، وهى امور لا تترك الحروب الكبرى لها مجالا ... إن البضائع التى تشغل أذهان الناس فى الحروب تكاد تقتصر على المواد الغذائية .. بل إن التوترات الدولية التى سبقت تلك الحرب قد ادت الى تراخ شديد فى أسواق اللؤلؤ فى البحرين وبومباى وباريس ولندن على السواء ، ولدينا مجموعة ملحوظة من المراسلات فيما بين الشيخ قاسم بن محمد الذى احتمل خسارة هائلة بلغت بضعة ملايين من الروبيات فى وقت كانت فيه الروبية الهندية تعادل بقيمتها الشرائية أكثر من ثلاثين ضعفاً مما هى عليه الآن ، وبين مجموعة من تجار اللؤلؤ كالسيد محمد عبد اللطيف المانع وغيره ، وهى رسائل تشير الى شدة حساسية السوق حيال الأوضاع الدولية ، بحيث كان الشيخ قاسم يطلب باستمرار من هؤلاء الوكلاء وغيرهم تقارير عن الأوضاع السياسية الدولية وتطوراتها ..

وأيما كان الحال فان وفاة الشيخ قاسم جاءت قبل التوقف التام للسوق ، ففى بداية عام الحرب ١٩١٤ كان القماش «اللؤلؤ» يتكدس لدى تجاره فى البحرين وبومباى لتوقف الطلب عليه ...

لقد كان الأمر مأساة رهيبة بكل معنى الكلمة ، وكان بالنسبة للقطريين بخاصة مصيبة تقصم الظهر فقد كان اللؤلؤ هو المصدر المباشر لحياة أكثر من تسعين بالمئة من سكان قطر الذين كانوا يقضون من اعمارهم فوق ظهور السفن اكثر بكثير مما يقضون فى البر . لقد كان للقطريين حوالى الف سفينة ومركب يعمل سوادها الغالب معظم العام فى المغاصات ولك أن تتصور مدى الفجيعة فى كل بيت قطرى حين يمتنع بيع حصاد الموسم كله من اللؤلؤ ، فقد كان الناس ينتظرون العام كله لاستلام ثمن اللؤلؤ لسداد ديون الشتاء ولشراء احتياجات الطعام والملابس .

ولكن الحاجة للحياة هى اشد إلحاحاً من أن يقبل الناس ذلك الواقع المرير بمجرد التسليم والموت جوعاً .. فقد كان أكثر الناس ينطلقون للعمل فى تجارة السلاح ، وهى تجارة كان الانجليز المهيمنون على البحر يحظرونها حظراً تاماً إلا بترخيص منهم لا يكادون يعطونه احداً ... لكن قطر كانت هى والإحساء الموقعين الوحيدين الناجيين من هيمنة الانجليز الأمر الذى كان يجعل من قطر السوق الوحيدة المكشوفة لتلك المتاجرات . ولعله بسبب تلك الميزة التى انفردت بها قطر أن الانجليز حرصوا فى مطلع الحرب العالمية الأولى على طرد الحامية التركية من قلعة العسكر فى«البِدْع»ابتغاء مد نفوذهم الى قطر والهيمنة بالتالى على تجارة السلاح فى سائر منطقة الخليج . وبالفعل فقد انزلوا قواتهم من البحر فى الدوحة عام ١٩١٥ . وبمساعدة من الشيخ عبد الله بن قاسم والقطريين تمكنت الحامية التركية من الانسحاب بسلام ، ومنذ ذلك التاريخ بدأ ضغط الانجليز للحصول على معاهدة مانعة مع قطر على غرار سائر المحميات فى المنطقة لكن الشيخ عبد الله استمسك بثبات بممانعته السماح لأى أجنبى بالنزول فى قطر أو السماح حتى لوكيل سياسى بريطانى بالوجود فى البلد . ولدى موافقة بيرسى كوكس المقيم السياسى البريطانى فى بوشهر بارفاق رسالة منه فى صلب المعاهدة . يتعهد فيها بقبول مبدأ وقف العمل بالبنود الخاصة بالرعايا الانجليز فى قطر فقد تم توقيع تلك المعاهدة فى نوفمبر عام ١٩١٨ . ولم تف بريطانيا بالتزاماتها بتزويد الشيخ بكمية السلاح التى نصت عليها المعاهدة لقاء حظر تجارة السلاح القطرية كما رفض الانجليز كل التزام صريح بالدفاع عن الحدود البرية القطرية لأسباب كشفت عنها ظروف الثلاثينات من هذا القرن .

وأدى تدخل الانجليز فى حرية القطريين بالمتاجرة بالسلاح الى تفاقم الأزمة الاقتصادية فى البلد

• •

ولم تنفرج ازمة اللؤلؤ إلا بعد حوالى ثلاث سنوات من بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى فى نهايه عام ١٩١٨ وخلال هذه الفترة الطويلة كانت قطر قد خسرت الكثير من سفنها ومراكبها كما ارتحل عن البلاد عدد من سكانها نتيجة الضائقة الاقتصادية ... ولم تعد أحوال الغوص الى وضعها المزدهر قبل عام ١٩١٣ فان سجلات المقيمية البريطانية في بوشهر تشير إلى أزمة اللؤلؤ اعتباراً من عام ١٩٢٨ في نطاق الأزمة الاقتصادية الدولية وظلت احوال السوق العالمية مضطربة إلى أن دخل السوق اللؤلؤالصناعي الياباني أوائل الثلاثينيات ثم تكرر التازم الدولي منذ منتصف الثلاثينيات وما لبثت الحرب العالمية الثانية أن وقعت عام ١٩٣٩ فكان ذلك ختام حياة السوق اللؤلؤية .

ويجب اعتبار عام ١٩١٣ من منظور التاريخ الاقتصادى والاجتماعى هو عام التحول الحاسم في قطر الذي ظل يتواصل إلى أوائل الثلاثينيات مغيراً صبغة البلد من برمائي ذي اقتصاد قائم على الغوص وحياة جوهرها قبلي تقليدي ، إلى حياة مستجدة يشكل دخول الأجور السريعة وأعمال التجارة والنقل البحري فيها عصب الحياة الاقتصادية . والواقع أن انتقال الناس من المغاصات إلى حياة أخرى قد بدأ

في ذلك الوقت .. لقد وجد شيخ قطر الجديد عام ١٩١٣ أمامه مشكلة تحمل الكثير من العبء الاجتماعي والاقتصادي الناجم عن انهيار صناعة الغوص واللؤلؤ. ويظهر أن الوضع المالي لوالده الشيخ قاسم كان معظلم الوقت أفضل من وضعـــه بكثير .

الحقيقة أننا لحسن الحظ نملك وصية الشيخ قاسم مكتوبة بيده وهى تشمل تركة جيدة بكل المقاييس ، لكنها بمجموعها لا ترقى الى ثلث الخسارة الكبرى التى تعرضت لها تجارة الشيخ فى عام واحد من أوائل القرن الحالى فمن أين كان يمكن أن تأتى الثروة الى الشيخ عبد الله بن قاسم لكى يواجه مئات الأسر التى انكشف حالها فى الأوضاع الجديدة ...

لقد كان الشيخ الراحل قاسم أشبه بجدار ضخم يستند له الناس فى قطر حيـــال كل مشكلة تعصف بهم ... وكان الرجل هلينا بكل معنى الكلمة . لقد كان يعرف ظروفه حق المعرفة ، وعلى الرغم من حقيقة زهده وترحيبه بكل فرصة مواتية للتوجه الى الصحراء أو أى من معتزلاته الكثيرة التى كان ياوي اليها كلما تأزمت الأمور فى البدع كالووسيل ومسيمير ، إلا انه كان يقدر المال حق قدره فى دفع الأزمات واستمالة القبائل وسداد حاجات الناس ، لكنه والحق يقال لم يتعرض طوال حياته لأزمة من نوع الأزمات التى تعرض لها الشيخ عبد الله فى المجال الاقتصادى . صحيح أن فترات من الكساد وتخلخل الأسعار كانت تعترى السوق أما أن يتوقف كل شيء فذلك ما لم يحدث فى عهده على الاطلاق ، لذلك كان المال الاحتياطى الذى يدخره كافيا فى جميع الحالات ، وما كذلك كان الوضع بالنسبة لولده عبد الله .

واقع الأزمة

وقد كان من ابرز الفروق بين مفهوم قطر المعاصرة وقطر عام ١٩١٣ هو عدم توفر ميناء مواتية لرسو السفن التجارية الكبيرة فى قطر . لقد كان على السفن أن تقف الى مسافات متطاولة فى عرض البحر ثم تتولى القوارب الصغيرة نقل محتوياتها ، وبالنظر لهذه الصعوبة وللضيق المتناهى الصغير للسوق المحلية القطرية فقد كان على القطريين الاعتماد فى مشترياتهم على دبي أو البحرين ، وكان هذا من جملة العوامل المشجعة للبحث عن وسيلة للرزق خارج البلاد ولو الى حين .

وخلال هذه الظروف بالذات ارتحل كثيرون من القطريين الى خارج البلاد ولاسيما فى البحرين والامارات وربما لمهاجر ابعد من ذلك ، بينما تحدى الكثيرون كل التحذيرات الموجهة لهم بالتوقف عن تجـــــارة السلاح ، وظلوا يمارســـــون هذه التجارة فى وجه مخاطر جسيمة للغاية . لكن اندلاع الحرب العالمية الأولى أضعف كثيراً عمليات توريد السلاح الى مسقط التى كان المتعاملون المحليون بالأسلحة يغشونها لشراء ما يشترونه .

وهكذا يمكن القول بان أول درس قاس للقطريين حيال توقف مواردهم الاقتصادية وما يعنيه ذلك فى حياتهم من الترحل هو ما حصل عام ١٩١٣ والأعوام التى تلته .

ومن بالغ الأسف اننا لا نملك سوى أوراق قليلة جداً فى وصف المشاق الجسيمة التى نجمت عن تلك الحالة المؤسفة . إن ما بين أيدينا بعض مراسلات بين الشيخ عبد الله وبين التاجر البحرينى يوسف كانو وفيها نرى الشيخ يشكو بلهجة المتصبر الذى يعالج كتمان آلامه النفسية بمشقة هائلة ، من إلحاح بعض أقربائه فى طلب مال منه ، وهم يجهلون ما يعانيه هو صامتاً بينما يحسبون هم أن لديه ما يخفيه عنهم وهو أمر غير صحيح بالفعل ...

على أنه إذا ما أعيا علينا تقديم صورة واضحة لتلك الأحوال المفجعة فان ذلك لا يحول دون تصور ما يمكن أن يكون عليه الحال ، وذلك بالمقارنة فى القياس على الأحوال التى سارت خلال مجاعة الحرب العالمية الثانية حين هبط عدد السكان الى أقل من النصف من جراء الهجرة والمجاعة معاً ، وذلك بالرغم من أن الشيخ عبد الله خلال الحرب الثانية كان يتقاضى من شركة الامتياز البريطانية بعض المال على هيئة جعل نص عليه فى بنود امتياز البترول الأمر الذى كان يجعل مركز الشيخ أهون مما عاناه فى الحرب الأولى ...

لقد كان وقع الأزمة أشد ما يكون فى الدوحة والوكرة والخور حيث كانت هذه المواقع المستقرة تعتمد أساساً على سوق اللؤلؤ . أما قبائل قطر البدوية فانها كانت تتنقل بحرية ناحية الاحساء وتستطيع أن تعيش على الحد الأدنى من عطاء ماشيتها وما تحصل عليه من التمور . ومع ذلك فانه يستحيل الجزم بان تلك القبائل لم تعان هى الأخرى معاناة شديدة نتيجة لضمور موارد الحياة فى مدن الساحل وقراه ...

التحدى الكبير

وهكذا نرى أن عام ١٩١٣ قد اغلق العصر الذهبى للغوص وتجارة اللؤلؤ كما انتهت فيه حياة الرجل العظيم الذى كان رائد ذلك العصر وبطله كما انه جاء باعتراف دولى من تركيا وبريطانيا بقيام دولة قطر ككيان سياسى إقليمى برياسة أسرة آل ثانى ، كما وجهت بريطانيا رسالة لتأكيد تفاهمها مع الملك (الأمير عندئذ) عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود بتاريخ العشرين من ديسمبر عام ١٩١٣ على الاعتراف نهائياً بهذا الكيان السياسى الاقليمى وهو ما أكد لاحقاً فى معاهدة العقير بين سير بيرسى كوكس ممثلا لبريطانيا وبين الأمير عبد العزيز عام ١٩١٥ للميلاد .

على أن ذلك العام نفسه أبرز للمرة الأولى التحدى الكبير الذى واجهته قطر قروناً عديدة باعتمادها الضخم على مورد حياتى واحد ، وقد شاءت الاقدار أن يتكرر التحدى خلال الحرب العالمية الثانية بالرغم من ظهور البترول أوائل تلك الحرب. لقد أدى تكرر تلك المأساة الى هبوط عدد السكان فى شبه الجزيرة القطرية الى حوالى ثلث ما كان عليه أيام الشيخ قاسم ابن محمد .

من هنا يبدو الجهد الحثيث لقطر المعاصرة بزعامة سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى الأمير المفدى فى تنويع مصادر الدخل القطرى فى حقيقة ابعاده وخطورته ، ولقد اردت ايضاً بهذا المقال ان أبرز بعض ملامح الحياة القديمة ليس بالنسبة لقطر وحدها ولكن لسائر دول المنطقة ، كما أريد فى الواقع أن الفت نظر شباب الخليج بعامة ، وقطر بخاصة الى الأهمية الكبرى لاقتدارهم الذاتى على ادارة سائر الصناعات والاستثمارات المنوعة لمصادر الدخل الخليجى ، والله الموفق لسبيل الرشاد ..

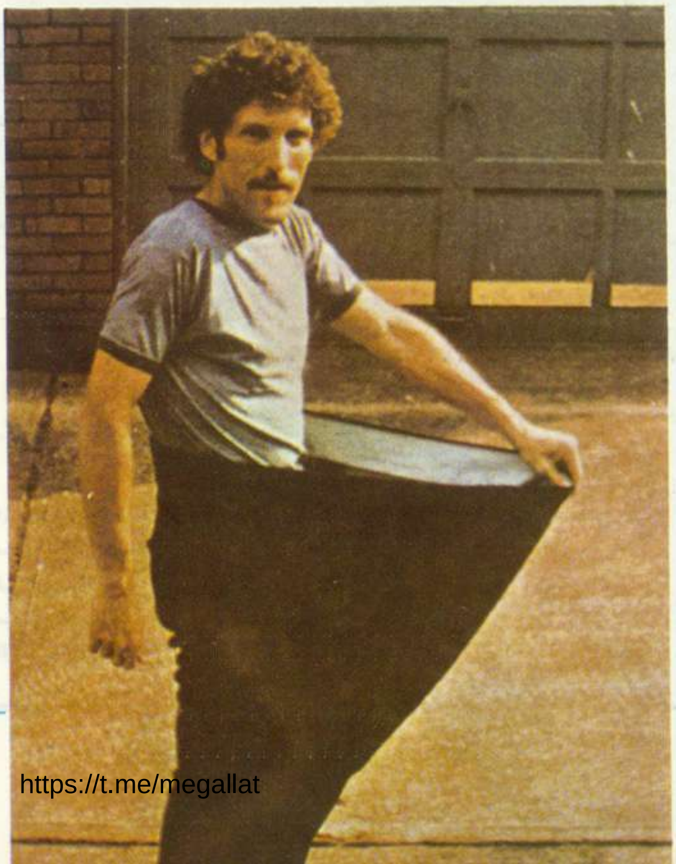
أحمد العنانى

لقطات من الكون المثير

حتى الطيور تمرح وترفّه عن نفسها

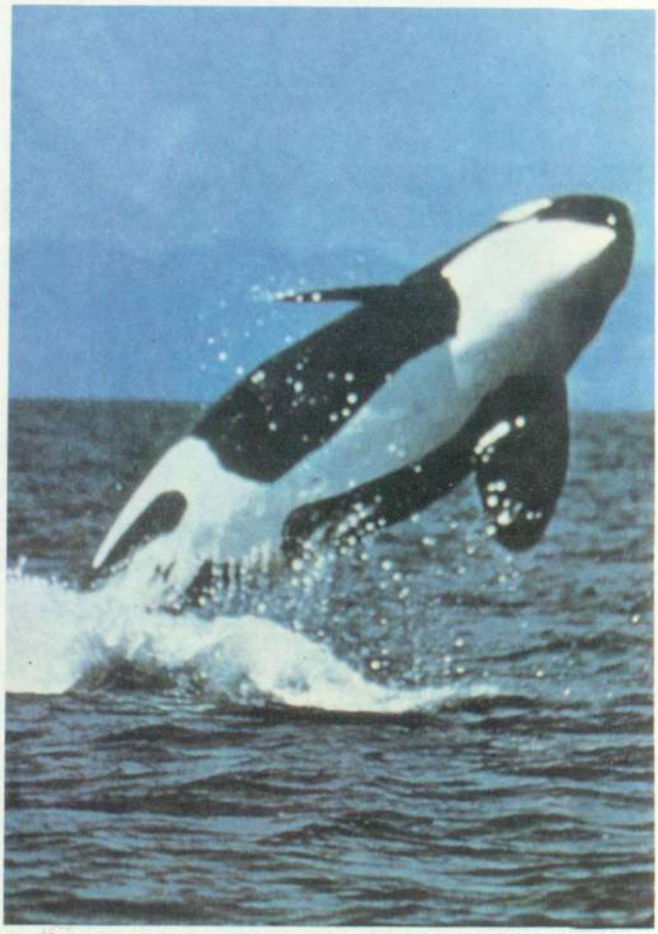
كالبشر الذين يستمتعون بوقت فراغهم ، ويثبتون جدارتهم فى التصويب برصاصاتهم على أهداف تندفع الى الهواء ، كما هو الحال فى نوادى الصيد مثلا ، يقوم هذا الطائر الافريقى المعروف باسم «السكرتير» بتجهيز ربطة من العشب ، ويأخذها بين مخالبه ، ويرتفع بها الى أعلى ، ثم يسقطها ، ويندفع وراءها فى حركات بهلوانية مثيرة ، لينقض عليها بمنقاره أو مخالبه ، ثم يدعها لتسقط ، حتى اذا ابتعدت عنه بمسافة معقولة ، هوى مسرعاً خلفها ، وتتكرر منه هذه الحركات الغريبة التى لا يعرف أحد لها تفسيراً .. البعض يقول ان الطير يمرح فى وقت فراغه ، وهو مرح مفيد على أية حال ، إذ يبدو أن الطير تتقن بذلك تدريباتها على الصيد فى الهواء !





ليس معتوهاً !

ماذا يريد هذا الشاب أن يقول لنا من خلال هذا العرض الغريب ؟ .. الواقع أنه يستعرض ثوبه القديم ، فلقد كان هذا البنطلون مقاسه الحقيقى قبل أن ينقص وزنه من ٢١٦ كيلوجراماً الى ٥٩ كيلوجراماً ـ كما نراه الآن ، أى فقد من وزنه ١٥٧ كيلوجراماً فى غضون ثمانية أشهر لا غير ، فلقد عاش على طعام تتراوح سعراته الحرارية ما بين ٣٠٠ ـ ٦٠٠ سعر حرارى يومياً (الانسان العادى يحتاج ما بين ٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ سعر حرارى يومياً) .. الصورة فى كتاب جينيس للأرقام القياسية .



طوربيد.. بحر/جوّ

كأنما هو ذاك ، لأن هذا الحوت (طوله حوالي عشرة أمتار) ينطلق فجاة من الماء الى الهواء كقذيفة ضخمة ، لكنه سرعان ما يعود الى الماء ، وقد يكرر نفس الحركة ، ولقد أرعب هذا السلوك الناس ، وخاصة البحارة ، فكانوا أن أطلقوا عليه اسم «الحوت القاتل» ، ولكن معظم العلماء يميلون الى تبرئته من هذه التهمة الجائرة ، إذ لم يثبت انه متعطش لدماء البشر أو لشحمهم ولحمهم ، كما تقول الحكايات ، ولا أحد يعرف لماذا يقوم الحوت بهذا الانطلاق الفجائي فى الهواء ، خاصة وأنه يستهلك فيه طاقة هائلة ، لكن هناك أراء تشير الى أن الحوت قد يستشعر الخطر ، فيندفع ليهرب ، أو ليثير حالة من الرعب على من حوله ، ويقال أيضاً انه نوع من استعراض العضلات أثناء فصل التزاوج ، وهو الرأى الأرجح ، والله أعلم !



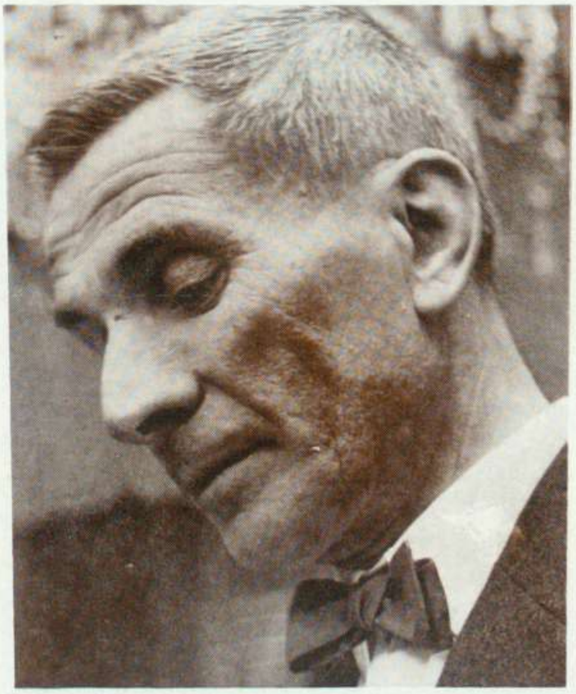
حفّــارحيّ !

يبدو أن الحياة كانت غنية للغاية فى أفكارها ، وبحيث لم تترك فكرة إلا وطرقتها ، فهذا «الدبور» الذى يقف على فرع نبات يمثل لنا فكرة الحفار الذى نبحث به عن البترول فى باطن الأرض ، لكن هذه الأنثى تبحث عن شىء آخر مختلف ، إذ لديها حاسة كيميائية مذهلة ، بحيث تستطيع أن ترصد أية دودة مختفية داخل نسيج النبات ، وبعد تحديد الموقع بدقة تامة ، تاخذ وضع الاستعداد ، وتثبت أقدامها على النبات ، وتوجه «ابرة» الحقن الى جسم الدودة فى مخبئها (الجزء الأسود المستطيل بين أرجلها والقادم من البطن الممتلئة) وتحقن عدداً من بويضاتها ، لتفقس على هيئة يرقات ، فتتغذى على الضحية ، ولن تتركها إلا جلداً خاوياً ، ورغم ما فى هذه العملية من قسوة ، إلا انها تنطوى على رحمة ، إذ تنقذ النباتات من تدمير تلك الديدان المؤذية ، وهكذا لا يفل الأذى إلا الأذى ، كما لا يفل الحديد إلا الحديد .

ذكريات أدبية مع :

الروائي الذكي تسلق جبال الألب

بقلم : الدكتور عيسى الناعوري



الروائى والقاص والرسام الايطالى « دينو بوتساتى »

حين وصلت الى ميلانو لاول مرة ، فى أول تشرين الثانى عام ١٩٦٠ ، كان همى أن اعرف أكبر عدد ممكن من كبار الكتاب والشعراء الايطاليين ، وأن أزورهم فى بيوتهم أو فى مكاتب عملهم ، لاعقد معهم احاديث أدبية ، ولأوطد معهم علاقات صداقة شخصية . وقد تعرفت فعلا بعدد غير قليل منهم خلال الفترة التى قضيتها فى ميلانو ، وهى سبعة عشر يوماً .

من اطرف الشخصيات الادبية التى عرفتها هناك ، الكاتب القصصى والروائى ، والرسام ، ومتسلق جبال الالب ، «دينو بوتساتى» .

بحثت عن اسم «بوتساتى» فى دليل الهاتف ، فوجدته ، واتصلت به ، فرد علي صوت فى الطرف الآخر من الخط يقول : «برونتو» – وهى كلمة ايطالية تقابل «هالو» .

فقلت : البروفسور دينو بوتساتى ؟

فرد علي الصوت بلهجة جادة وغير ودية : انا لست بروفسوراً ...

فسالت من جديد : الدكتور بوتساتى ؟

فعاد الصوت يقول باللهجة الجادة عينها : ولست دكتوراً ...

فابتسمت فى سرى .

وعدت اسال من جديد : – السيد بوتساتى ؟

فاجاب الصوت اقل حدة هذه المرة : نعم ، انا السيد بوتساتى «حاف» ، دون القاب اخرى ...

فقلت : معذرة اذا كان فى تلقيبى إياك بالبروفسور ، او الدكتور اى اساءة ؛ فانا ما قصدت الى شىء من ذلك .

فقال مطمئناً : لا عليك من ذلك ؛ فلعلك اعتدت ان تعرف ان كل الايطاليين يحبون ان يدعوا بلقب (بروفسور ، او دكتور ، او كومنداتور ...) هل لي ان اعرف من المتكلم؟

فقلت له اننى كاتب عربى من الاردن ، واننى هنا لكى اتعرف بالكتاب الايطاليين ، وبالادب الايطالى المعاصر ، واننى ارغب فى لقائه ، إذا لم يكن لديه مانع .

فرحب بى ، واعطانى موعداً : الساعة العاشرة من صباح الغد فى مكتبه فى رئاسة تحرير جريدة (كورييري ديلا سيرا) . وذكر لي اسم الشارع الذى تقع فيه الادارة ورقم العمارة التى فيها الجريدة ؛ وهى بجوار دار الأوبرا الشهيرة (لا سكالا) .

هكذا كان اتصالى الهاتفى الأول مع

بوتساتى غريباً ، ومثيراً للفضول .

وفى صباح اليوم التالى ذهبت الى (شارع سولفرينو ، رقم ٢٨) ، وسالت عن دينو بوتساتى ، فخرج لي شاب لطيف : كان هو الشاعر الشاب البريكو سالا . فقدم الي نفسه ، وقال ان صديقه «انتسو فابيانى» قد حدثه عنى مساء اليوم السابق .

ألا يبدو هذا غريباً ؟

وفعلا كنت فى مساء اليوم السابق عند «فابيانى» ، فى مكتبه فى دار روسكونى للنشر ، ووعدنى بان يعقد اجتماعا فى منزله ، يدعو اليه عدداً من اصدقائه الشعراء الشباب لكى يقدمنى اليهم ، ويقدمهم إلي .

من حديثى مع «البريكو سالا» عرفت انه شاعر ، ومحرر فى جريدة (كوريري ديلا سيرا) . وتفضل فاهدى إلي نسخة من ديوان شعرى له ، عنوانه «نقوش واغان» . ثم رافقنى الى مكتب «بوتساتى» .

استقبلني «بوتساتي» مرحباً ببشاشة لمعرفته انني كاتب عربي ، وانني قد جئت من بلادي البعيدة لأعرف الكتاب والشعراء الايطاليين ، وأطلع على أدبهم ، ثم أحاول أن أعرف القراء العرب باشياء من الأدب الايطالي المعاصر .

وسال بوتساتي : القراء العرب فى اى بلد ؟

– في كل البلاد العربية فى اسيا وأفريقيا الشمالية .

– ولكن أنت ، من أى بلد عربى ؟ معذرة عن السؤال ؟

– انا من الأردن .

– من الأردن ؟ ولا تكتب للأردنيين وحدهم ، كما أكتب أنا للايطاليين وحدهم ؟

فابتسمت ، وقلت : كل العرب فى كل أقطارهم يكتبون ويقرأون اللغة عينها ، والأدب نفسه ، على الرغم من انهم يتكلمون فيما بينهم مئات اللهجات ، التى قد لا يفهمها الآخرون بين قُطر وقُطر ، أو قد يفهمونها بصعوبة ، تماماً كما هى الحال فى إيطاليا : فابن روما قد لا يفهم شيئاً من لهجة ابن بولونيا ، أو ابن فلورنسا ، أو ابن البندقية ، مثلا ، ولكنهم جميعاً يفهمون الايطالية الأدبية .

فسال «بوتساتى» بلهجة فيها استغراب كثير : ألا يبدو هذا غريباً ؟

فاجبت : قد يبدو هذا غريباً لغير العربى ، ولكنه ليس غريباً علينا نحن العرب الذين يكتبون ويقرأون اللغة الفصحى الوحيدة منذ اجيال لا حصر لها .

فقال : هذا حقاً مثير للاستغراب . ألا يبدو لك الأمر كذلك ؟

استغرق اللقاء نحو نصف ساعة فقط ، وحدثنى بوتساتى عن أعماله الأدبية : عن روايته «صحراء التتر» ، وعن روايته الأخرى «الرسم الكبير» . وقال لي انه ولد فى (بيللونو) عام ١٩٠٦ ، وانه درس الحقوق فى جامعة (بافيا) ، ولكنه بدلا من المحاماة فضل العمل فى الصحافة ، وانقطع لها منذ عام ١٩٢٨ ، حين التحق بجريدة (كوريرى ديلا سيرا – أى بريد المساء) ، وقد كتب عدداً غير قليل من الروايات والأقاصيص الطويلة والقصيرة .

وذكر لي بوتساتى انه رسام كذلك ، وانه اقام عدة معارض لرسومه . ووعدنى بان يهدى إلي فى مكان إقامتى فى روما بعض مؤلفاته . وفعلا ، عندما عدت الى روما بعد ذلك ، وجدت فى منزل الطلاب الذى كنت اقيم فيه ، روايتى بوتساتى : «صحراء التتر» و «الرسم الكبير» ، ومعهما روايته الأولى «برنابو ابن الجبال» .

ومثل بقية الادباء الايطاليين الذين عرفتهم ، اتصلت المراسلة بعد ذلك بين بوتساتى وبينى .

فى احدى المرات ، فى ٢٢ حزيران ١٩٧٠ ، كتبت اليه اطلب الاذن بترجمة اقصوصتين له الى اللغة العربية ، هما (الجرذان – والمعطف) ، وذكرت له ان روايته «صحراء التتر» قد ظهرت باللغة العربية فى مصر ، وسالته ان كان لديه علم بذلك .

ورد علي بوتساتى بتاريخ ٢٩ حزيران نفسه برسالة اعتبرها ذات أهمية خاصة ، لانها غير اعتيادية . وهذه ترجمة الرسالة .

النقود فى بطاقة معايدة

عزيزى السيد عيسى الناعورى :

«أشكرك على رسالتك اللطيفة . اننى بكل سرور آذن لك بترجمة اقصوصتى (الجرذان – والمعطف) الى اللغة العربية . إلا انه من المستحسن ان تنبه ناشرى الى ذلك ، وعنوانه (شارع بيانكا دى سافويا ، رقم ٢٠ – ميلانو) » .

ثم يضيف بوتساتى فى الرسالة قائلا :

«لم اكن اعلم أن «صحراء التتر» قد ترجمت الى العربية . وبهذه المناسبة ، إن لم يكن فى طلبى ازعاج لك ، هل فى وسعك أن تزودنى بنسخة من الترجمة ؟» .

(ولقد زودته فعلا بالنسخة الوحيدة الموجودة منها لدى ، ولم استطع ان اعثر على غيرها) .

ويضيف بوتساتى بعد ذلك قائلا :

«والآن ، شيء مثير للغرابة : اننى لا استخدم حافظة نقود فى العادة ، بل احتفظ بنقودي مثنية داخل اربع بطاقات او خمس ، من البطاقات التى تصل الي من بعض الأصدقاء . ومن الطبيعى ان أرانى ، من حين الى آخر ، مضطراً الى تغيير هذه البطاقات بسبب التلف .

حسناً . لا ادرى لماذا ، ربما لاننى ارى ذلك من حسن الفال ، ودون قصد ، منذ عيد الميلاد عام ١٩٦٤ احتفظ بنقودى داخل حافظة مزعومة من بطاقة معايدة جاءتنى منك . وقد اصفرت ، بطبيعة الحال واهترات . ومن يدرى الى متى ساظل أحتفظ بها ...» .

هذا الجزء الأخير من الرسالة هو الذى اعتبره شيئاً نادراً وغريباً ، فى الواقع ، وله ، لأجل ذلك ، اهميته الخاصة لدي .

ويختتم بوتساتى الرسالة بتوقيعه وعنوانه :

«دينو بوتساتى – شارع فيتوريو فنتو ، رقم ٢٤ – ميلانو» .

ولم تكن هذه حتماً آخر رسالة تلقيتها من بوتساتى .

وحين علمت أن بوتساتى قد غاب فى ٢٨ كانون الثانى عام ١٩٧٢ ، حزنت عليه حزناً شديداً ، ورثيته بمقال مصور ، استغرق صفحة كاملة من احدى الجرائد الأردنية اليومية ، صدرت يوم الثلاثاء ١٩ نيسان ١٩٧٢ ، وأرسلت نسخة منها الى ارملة بوتساتى ، السيدة المرينا بوتساتى .

النمر

أقوى وأجمل القطط المفترسة

بقلم: محمد أدهم أديب



يعتبر النمر اقوى وأشرس وأعنف القطط الضخمة التى تعيش فى الغابات والبرارى الآسيوية وغابات وجبال أمريكا الجنوبية على الاطلاق .. وهو سيد هذه القطط الضخمة بعد الأسد بلا منازع .

والنمر حيوان ثديي ضخم يرجعه علماء الحيوان الى القطط الكبيرة الحجم .. شانه بهذا كشان الأسد والفهد والبوما والببر واللبوة .. وغيرهم ..

وهذه القطط الكبيرة الحجم المذكورة تنتمى بدورها الى الفصيلة السنورية ، التى تنتمى اليها الكلاب والثعالب والذئاب والدببة والضباع وبعض الحيوانات الأخرى ، اضافة الى القطط الكبيرة والصغيرة ..

والفصيلة السنورية أيضاً تنتمى الى رتبة أكلة اللحوم التى تنتمى الى طائفة الثدييات .. والثدييات تنضوى تحت قسم الفقاريات .

والنمر بعكس الأسد تماماً فهو غير اجتماعى ويعيش بشكل انعزالى عجيب يستغرب له العلماء كثيراً .

كما يعد النمر من أمكر القطط الضخمة وأكثرها مهارة فى الصيد .



النمر البنجالى وسط الأحراش

الصفات الرئيسية

يعد النمر من أجمل الحيوانات بعد الأسد على الرغم من شراسته الشديدة ، ويصل طوله الى أكثر من ثلاثة أمتار وذيله ممدود .. والى أكثر من مترين ونصف باستثناء ذيله .

ويبلغ وزنه فى معظم الأحيان حوالى (٢٢٠) كغ .. ولكن قد يزيد وزنه فى بعض الأحيان فيصل الى (٣٠٠) كغ .

ويتناول النمر فى اليوم أكثر من ثلاث وجبات .. يصل وزن كل وجبة الى أكثر من (٥٠) كغ وفى بعض الأحيان الى ٧٥ كغ .

ويصل ارتفاع النمر عن الأرض الى متر و ٢٠ سم .. وأحياناً يصل ارتفاعه الى (١) متر و (٤٠) سم .

ويعيش النمر عمراً قصيراً يصل الى (١٥ سنة) فى الحالات العادية و (١٧) سنة فى الحالات المتوسطة و (٢٢) سنة فى الحالات القصوى القليلة .

ويستطيع النمر أن يقفز قفزات طويلة وعديدة تصل كل قفزة احياناً الى أكثر من (٦) امتار ، وعددها الى أكثر من (٥) قفزات فى الثانية .

ولأنثى النمر أربعة أثداء صدرية وأخرى بطنية .. ويتميز بانه يملك أنياباً طويلة وكبيرة وصلبة وحادة ومقوسة من الأمام ، وانه يمتلك أضراساً قوية حادة لها رؤوس مدببة تساعده فى طحن الفريسة ،



لقطة توضح شراسة وعنف النمر المنتشر فى أدغال التبت ومنغوليا

أما القواطع فهى صغيرة الحجم .

وجلد النمر بنى اللون مخطط أو منقط باللون الأبيض والأسود .

أنواع النمر

وللنمر أنواع كثيرة تنتشر فى كل أنحاء العالم أهمها النمور الآسيوية التى تتميز بكثرتها .

ويبلغ عدد النمور حالياً حوالى (٨٠٠٠) نمر بعد أن كان عددها يصل الى (٤٥٠٠٠) نمر . أى أن النمور تنقرض شيئاً فشيئاً مع مرور الأيام .

ومن المؤكد اننا سنجد فى يوم من الأيام أن النمور قد انقرضت تماماً من الغابات الآسيوية والافريقية .. والأوروبية والأمريكية ، ولم يبق منها أى نوع فاصبحت أثراً بعد عين .

ويمكننا أن نقسم النمور الآسيوية الى :

● النمر السيبيرى : وهو من النمور الكبيرة الحجم .. يعيش فى الاتحاد السوفيتى بشكل عام وسيبريا بشكل خاص .. وهو يتحمل الجو القاسي الذى يتصف بالبرودة الشديدة شتاء والحرارة العالية صيفاً ، بالرغم من انه لا يحب الحرارة العالية كثيراً .

النمر

أقوى وأجمل القطط المفترسة

ويعيش هذا النمر عادة فى السهول والجبال التى لا يزيد ارتفاعها عن (٢٠٠٠) متر فوق سطح البحر .

● النمر الصينى : وهو من اندر انواع النمور .. ينتشر اكثر ما ينتشر فى الصين والتبت ومنغوليا .. وهو يكاد ان ينقرض بسبب هجوم الانسان المتكرر عليه .

● النمر الهندوصينى : وينتشر فى انحاء كثيرة من آسيا مثل تايلند ولاوس وفيتنام وبورما وكمبوديا وسيام وجزء من الصين .

● النمر البنغالى : ويعيش فى الهند وباكستان وايران وبلاد الافغان .

● النمر الجاوى : ويوجد فى جزيرة جاوا وسومطرة ، كما يوجد بشكل ضئيل جداً فى بورنيو وبعض جزر الهند الشرقية . وهناك انواع أسيوية اخرى من النمور .. منها النمر السومطرى والنمر المنغولى والنمر البالى والنمر القزوينى والنمر السيامى . ومن أهم انواع النمور الأفريقية : نمر الكنغو .. ونمر روديسية والنمر النيجري .. ونمر انغولا .

● ومن أهم أنواع النمور الامريكية : النمر الأمريكى .. والنمر المكسيكى ونمر الامازون

● ومن اهم انواع النمور الاوروبية : نمر سيبريا .. والنمر الانكليزى .

حياته الخاصة

وللنمر حياة خاصة به ، شانه بهذا شان الحيوانات الأخرى الفقارية واللافقارية .

فيعد النمر كبيراً ناضجا بحيث يمكنه أن يتزوج .. عندما يصبح فى السنة الرابعة من عمره .

وتنجب الأنثى فى كل مرة اكثر من خمسة أشبال ، تظل أعينهم مقفلة لا ترى طوال مدة (١٥) يوماً .

ويبلغ وزن النمر عادة عند ولادته حوالى (١) كغ .. وقد يصل وزنه الى (١,٥) كغ .

ويظل النمر خاضعاً لاوامر والديه حتى يبلغ سن الزواج .

وفى خلال هذه الفترة يخرج الشبل مع والده وهو فى السنة الأولى من عمره ليتعلم . وبعد مرور عام آخر يزاول الشبل الصيد بنفسه .

ثم يتزوج عندما يبلغ عمره (٤) سنوات

ويخرج النمر عادة للصيد فى الليل بحيث تكون الفرائس نائمة فيسهل اصطيادها . وهو إذا اضطر الى الصيد فى النهار فانه يكمن قرب الانهار والسواقى بانتظار اى كائن كان يريد الشرب من ماء النهر . حتى لو كان هذا الكائن اكبر منه . خاصة إذا كان النمر جائعاً جداً .

الحياة العامة

يعيش النمر على اكل كافة انواع الحيوانات المتوافرة .. فهو لا يتجاسر عن اقتناص اى حيوان كان . سواء اكان ذلك الحيوان كبيراً أم صغيراً – كما اسلفنا سابقاً ..

ويهاجم النمر فى بعض الأحيان الانسان إذا وجد .. خاصة اذا كان هذا النمر فى أقصى حالات الجوع .

كذلك يهاجم النمر الخنازير المتوحشة والغزلان والأسماك والابقار والأيائل .

كما يهاجم النمر الدببة وصغار الفيلة .

ويستطيع النمر السباحة بشكل ممتاز بحيث انه يصطاد فريسته فى معظم الأحيان بواسطة السباحة .

ويعتقد البعض أن النمر يستطيع تسلق الأشجار بمرونة وسهولة .. ولكن الحقيقة انه يقفز قفزة واحدة تمكنه من ان يصل الى اقرب الأغصان المتينة المتواجدة فى أسفل الشجرة .. فيختفى وراء أوراقها .

وعندما يغضب النمر فانه يطلق أصواتاً حادة تثير الرعب والفزع تسمى بالزئير .. وهو يطلقها ايضاً عندما يخاف .

ومما يعرف عن النمر انه لا يتخلى عن مسقط رأسه ابداً .. فهو وإن بعد فلا يبعد كثيراً عن المكان الذى ولد فيه .

ومن طريف ما يذكر عن النمر انه يحدث فى بعض الأحيان فى حدائق الحيوان أن يتزوج نمر من أسد فياتى مولود غريب صفاته تجمع بين صفات النمر والاسد ويسمى اما (تايجونز) أو (ليجرز) .

جسم النمر

ويمتاز النمر عن غيره من الحيوانات بانه يملك انياباً كبيرة وحادة مقوسة من الأمام بحيث يستطيع ان يغرزها فى جسم الفريسة التى يصطادها فيقطعها إرباً إرباً .

كما يملك النمر أيضاً عموداً فقارياً طويلا يضم اليه هيكلا عظمياً ضخماً .

وللنمر أضراس حادة قاطعة ومدببة يقوم عن طريقها بتقطيع جسم الفريسة وطحنها ليسهل هضمها .

وللنمر أيضاً قواطع صغيرة واصابع خمس تحتوى على مخالب حادة تكون منكمشة فى الحالات العادية وبارزة فى الأوقات الخطرة التى يكون فيها النمر إما مهاجماً او مدافعاً .

اما الأنثى فان فترة الحمل عندها تدوم الى اكثر من (١٠٠) يوم وهى تنجب فى كل ولادة من (٣) – (٦) اشبال واحيانا اكثر . وتستطيع الأنثى ان تنجب من زوجها طوال حياتها اكثر من عشر مرات .

وللنمر عدة ميزات هامة .. فاولا وقبل كل شىء ينفرد النمر بكونه من أهم الحيوانات الانعزالية التى لا تتصف بالاجتماعية (مثل الحيوانات الأخرى كالأسد والذئب اللذين يتصفا بانهما من اكثر الحيوانات حبا للاجتماعية) .

واهم فائدة فى جسم النمر هو جلده الجميل المخطط الذى يعد من اغلى انواع الجلود فى العالم (ولهذا السبب تعرضت النمور منذ الأزمنة القديمة لحملات صيد واسعة وكثيرة من قبل التجار والصيادين والاغنياء – وخاصة فى الهند – مما ادى الى انخفاض كبير فى عددها .. وقد اشرنا الى هذا من قبل) .

ومما يذكر أن الصينيين كانوا فى قديم الزمان يقدسون النمر ويخافونه ويعتبرونه وسيط القوى الالهية الخارقة فى الأرض والحياة .

واليوم كثيراً ما نشاهد النمور فى السيرك وهى تقفز فوق الحبال أو تدخل فى اطارات النار او تؤدى ادواراً مخيفة مع الأسود والمدربين .

وتحاول الدول التى تعيش فى غاباتها النمور اليوم قدر المستطاع الحفاظ على هذه الحيوانات الشرسة .. وذلك منعاً من انقراضها ..

ثم لا يبقى إلا ان اقول أن النمور تظل أجمل القطط المفترسة بعد الأسد .. بل بعضها يتجاوز جماله جمال الأسد .

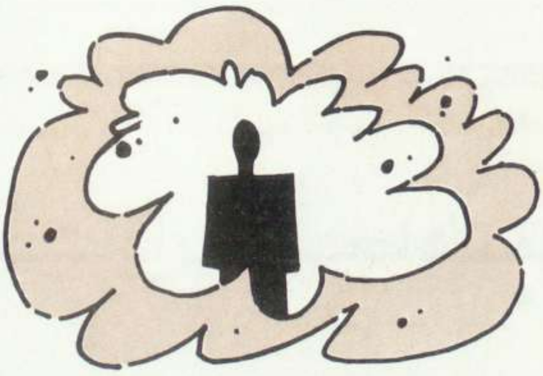
والنمر الأبيض المخطط باللون الأسود هو من أندر وأجمل انواع النمور .. وقلما نجد نمراً من هذا النوع .

ويظل منظر النمر بشكل عام مبعثاً للخوف والرهبة والقوة والشموخ والشراسة .. وقد حق للصينيين ان يعتبروه وسيطاً للقوى العظيمة الخارقة .

محمد أدهم أديب

رماد الياسمين

شعر: فتحي سعيد



عبَر الصيفُ ..
فمرَّت ريحُهُ الجرداءُ دُونى
فاعْبُريها .. واعْبُرينى !

● ●

إن نأى قلبى ..
خذيهِ واحتوينى ..
أودَنَـا دربى ..
فقومِى .. واسبقينى
أو سجَى ليْلِى ..
نَرِيه .. واتْبَعينى . !
وإذا بُحْتُ فَدَارِينى .. دَفِينى
وإذا غلَّقتُ بابِى ..
فاطْرُقينى ..
وإذا عرَّيْتُ مَابِى ..
فاسْتُرينى ..
قبل بَيْنى .. قرِّبيني
ربما أعرف شكِّى من يقينى
وشمَالى .. من يَمينى
واغفرينى . !

● ●

أيها الوجْـهُ الذى غابَ طويلاً ..
عن عُيــــونى
أيها الوترُ الهاربُ من ليلِ لحونى ..

خشبُ العود الذي يشجيـكَ ... ،
لم يدْرِ أنيني ..
فاعْزفينِي .. !

● ●

أورقَ الكرمُ على عرشِ الجبينِ
وغفا العنقودُ فى الصدرِ الحزينِ
طفلنا جاوزَ « حد الأربعين . ! »
فارحميـه وارحمينى ..
أدركينى !

● ●

مر دهرٌ لَمْ تكونى ..
لم يعد باقٍ سوى ظلِّ السنينِ ..
وشتاءٍ شاحبِ الأوراقِ .. ،
ظمآن الحنينِ ..
وخريفٍ .. من رَمَادِ الياسَمينِ . !

● ●

فَدَعِينى ...
موجَـةٌ تطفو على نهر جُنُونى
نجمةٌ .. تركضُ فى صيفِ ظنونى ..
واذكرِينى ..

الثقافة العربية والإسلامية في إفريقيا

لماذا تجاهلها؟

بقلم: عبد القادر سيلا

من نافلة القول الاشارة الى أن لقاء وحوار الثقافات يتمخض عنهما حصاد فكرى طائل خصوصاً في عصر لم يعد فيه الانزواء و « النرجسية » مقبولا فى العلاقات الدولية . فقداصبحت مختلف الشعوب تعى موضوعياً أن عالم الغد لن يفسح المجال إلا لحضارات عالمية متفتحة . أضف الى أن المجتمع الدولى اليوم ، لتعقده ، يستدعى لقاءات عالمية من أجل الحوار بين تجارب الأمم ، حوار من شأنه أن يحرر الأفكار من عقالها ويهيىء الفرص لالتقاء العبقريات .

تفرض الظروف والملابسات الدولية على العرب والافارقة ان يبحثوا سوياً عن اسس ووسائل لتنمية التعاون بينهم وبالأخص فى مجال التبادل الثقافى ويشرعوا عملياً فى تنفيذ ما قد يتفقون عليه فى هذا الميدان حتى يتداركوا ما فوتته عليهم حقب الاستعمار لاسيما وقد تغيرت الظروف التى عاقت سابقاً من استمرار العلاقات الطبيعية بين الجانبين .

يعتز كل جانب من طرفى هذا الحوار بماض عريض وغنى متلون الجوانب ، وتتوفر لديهما إمكانيات بشرية هائلة وتتشابه مصالحهما السياسية والاقتصادية . ونتيجة لذلك لاينقص الجانبين إلا التفكير الخلاق والارادة السياسية المتبعة لاخراج التعاون بين هذين الكيانين الثقافيين إلى حيز الوجود . على أن هذا الحوار الموضوعى المقترح هنا لا يجوز أن يتشرنق فى زاوية منعزلة ، وإنما يطمح فى فتح مجال أوسع للثقافة العربية الاسلامية والافريقية لتطل على الحضارة العالمية للأخذ والعطاء . وسيكون للثقافة الاسلامية العربية بطبيعة الحال ، مركز الصدارة بالنسبة لبعض الدول الافريقية المسلمة حيث يصعب تصور لغة عربية مجردة او بعيدة عن الدين الاسلامي،لا غرو فى ذلك ، لان هذا الاخير هو الذى ذلل لها الصعاب وساعدها فى تلك المناطق واوجد لها أسسا تستطيع ان تستفيد منها فى دول مثل السنغال وشمال نيجيريا ، فى حين يتطلب الحوار الثقافى بين العرب وبعض دول القارة جهوداً اكبر وتجلداً اطول لاسباب تعود إلى اعتبارات دينية وتاريخية وأيديلوجية ..

هذا ، ومن الاهمية بمكان التاكيد هنا على اسبقية لقاء الثقافة الاسلامية العربية بافريقيا بعدة قرون للقاء هذه القارة باوربا .

فقد تغلغلت الثقافة الاسلامية فى تراث عدد من شعوب افريقيا السوداء حيث نشط التبادل ونمت الروابط من انواع مختلفة وتكثفت الاحتكاكات بين الشعبين . وبفضل انتشار الفكر والفن والاخلاق والكتابة العربية وتطور استعمال الحروف العربية فى افريقيا استوعب نفر غير قليل

من الافريقيين الثقافتين . كان قيام الأهالى الأفارقة أنفسهم بعبء نشر هذه الثقافة عاملا حاسماً فى عملية اندماجها فى المجتمع الافريقى المسلم ، لأن وظيفة اللغة العربية ، حاملة القيم الثقافية ، تتجاوز نطاق العلوم البحتة والآداب والفنون الجميلة شأن اللغات الحية العالمية . فالى جانب تلك الوظائف تنهض العربية بمهمة أخرى لا تقل شأنا عن مهام اللغات الدنيوية للدلالات المختلفة ، وهى إقامة المعتقد الدينى فى نفوس أصحابه على أساس دلالات ألفاظها وموحيات معانيها ، فهى لغة القرآن ومن خلالها ينظر المسلم – أيا كان أصله أو جنسه – إلى كتاب الله كلغة للحضارة الاسلامية الأولى ولغة التقدم الهائل الذى كان قد حققه المسلمون فى القرون الوسطى تحت ظلال الاسلام .

ولم تنتشر اللغة العربية يوماً من الايام بتأثير السيادة العربية ولا بفضل قوة مادية كانت بيد الحكومات العربية ، شأن انتشار الفرنسية والانجليزية بتأثيرات الامبراطوريات الاستعمارية لتلك الدول ، بل انتشرت اللغة العربية تحت حماية الاسلام . بفعل تضافر جهود كل المسلمين تطورت لغة القرآن تطوراً لم يسبق له نظير .

غير أن حدثا تاريخيا مشئوما تدخل لوقف السير الطبيعى للغة العربية فى أقطار عدة من افريقيا السوداء المسلمة .

فقد بذلت الادارة الأجنبية الاستعمارية جهوداً مكثفة ، إبان سيطرتها على تلك الأقطار الافريقية ، لتقليص العلاقات الثقافية بين العرب والافريقيين بهدف الحيلولة دون تسرب عدوى الأفكار الواردة من العالم العربى الاسلامى . ولم يفوت الاستعمار فرصة سنحت له إلا واستغلها من اجل التقليل من اللقاءات بين افريقيا والعالم الخارجى بصفة عامة والعالم العربى بصفة أخص مما ساهم على تقهقر اللغة العربية فى منطقة افريقيا المسلمة . ومن المعلوم أن الادارة الاستعمارية شجعت الاجراءات الهادفة الى عزل الكوادر الاسلامية المحلية عن كل تيار اسلامى أو عربى . بيد أن تلك المساعى باءت بالفشل إذ على الرغم من أن اللقاءات بين الجانبين ظلت محدودة فان أذهان عدد كبير من الأفارقة تفتقت للثقافة الاسلامية .

انكماش أفريقيا

وعندما ارتقى معظم البلدان الافريقية إلى مصاف الأمم المستقلة ، كانت قياداتها بيد أفراد متأثرين بالثقافة الغربية ، فلم يكترث هؤلاء كثيراً بالحوار العربى الافريقى الذى كان غريباً عنهم وبالتالى جديداً عليهم بحكم تكوينهم الثقافى الأوربى وباعتبار علاقاتهم السياسية والاقتصادية المتواصلة مع الغرب ، مما أدى الى انكماش افريقيا على نفسها تجتر تاريخا مليئا بذكريات مؤلمة ، وتبعاً لذلك بقيت أجواء العلاقات الثقافية بين الأفارقة والعرب ملبدة بسحب من الحذر والفتور . وكان ذلك من العوامل التى أحدثت ثلمة بين الجانبين تسللت منها الصهيونية لتربط علاقات ديبلوماسية واقتصادية مع عدد من دول القارة السوداء فى بداية الستينات .

على انه ما فتئت العلاقات العربية الافريقية أن شهدت تطوراً سريعاً : تعددت اللقاءات بين الطرفين فى كل المستويات

وتوطدت الروابط بتوثق التعاون سواء فى مستوى العلاقات العامة أو فى مستوى العلاقات الثنائية . وأخذ التبادل واجهة جديدة ينمو يوماً بعد يوم ونشطت الزيارات للاتجاهين التى تهدف الى الوقوف على امكانيات ومجالات التعاون ،

ونقل العرب رؤوس أموال طائلة الى حكومات افريقية لمساعدتها ، واستفادت منظمات اسلامية افريقية من تاييد بلدان عربية كثيرة ، وتأسست بنوك مشتركة بين الجانبين – من ذلك البنك السنغالى ، الكويتى بداكار – وتمت اجتماعات رسمية بين جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الافريقية .

بيد أن ما يعنينا هنا فى هذه العجالة هو اثارة أهمية الحوار الثقافى بين هاتين المنطقتين اللتين تتكافلان فى أكثر من ميدان والاشارة الى أن تحقيقه تكتنفه صعوبات جمة نظراً للظروف التاريخية الدقيقة التى تجتازها العلاقات الدولية . هذا الحوار ، كما نتصوره لا يحسن أن يكون مجرد عواطف جياشة عابرة ولا شكل اتفاقيات ثقافية تصاغ فى إطار زيارات رسمية ثم تظل حبراً على ورق .

كيف نتصور هذا الحوار الثقافي ؟

ينبغى أن يكون التفكير الموضوعى الصريح الاطار والدافع والأساس لأى حوار ثقافى بين العالم العربى الاسلامى وافريقيا . فتعاون أساسه الثقة والاحترام المتبادل للهويات الثقافية للأطراف كفيل بان يؤدى الى نتائج مثمرة . لأن تداخل الأمم المتزايد والتضامن الناتج عنه جعل حوار الثقافات أمراً مستعجلا وضرورياً .

ففى الوقت الذى تزداد فيه علاقة افريقيا بالعالم العربى متانة وكثافة ، خصوصا فى مجال التبادل الاقتصادى فان فتح حوار ثقافى بينهما يصبح مطلباً ملحاً . علماً أن تحليل هذا المشروع ليس بالأمر اليسير لخضوعه لظروف اقليمية وعالمية فى تميع دائم ولأنه يبطن جيوباً تساهم فى استعصاء دراسته بشكل شامل وواف .

وليس فى هذه السطور مكان يخصص للحديث عن كل حالة على حدة ، مع الاعتراف أن بعض الحالات فى بلدان معينة تكتسب دراستها أهمية قصوى لاستكمال تصوراتنا للعلاقات العربية الافريقية فى دنيا التبادل الثقافى . فغايتنا لا تعدو أن تكون محاولة متواضعة لاثارة الوسائل التى يمكن أن ترد إلى العلاقات الثقافية بين العرب والأفارقة حركيتها وصياغتها فى قالب الدوام التاريخى الذى يميزها مع عدم اهمال المشاكل التى تحتضنها .

تبرز فى إطار هذا الحوار مواقف متمايزة :

يتميز أولها بالتقريظ المفرط والحماس للروابط الثقافية بين افريقيا والعالم الاسلامى العربى ، ويولى اهتماما خاصاً للتضامن والتآخى بين الجانبين ويخفى بحسن نية الاختلافات والتعارضات ، ويبتعد من كل تمحيص موضوعى لثنايا

الثقافة العربية والإسلامية في إفريقيا

لماذا تجاهلها؟

تلك العلاقات . لاشك أن هذا الاتجاه على صواب حينما يعطى أهمية للعطاء الايجابى للحضارة العربية نحو الحضارة الافريقية عبر قرون عديدة ، لكنه يكاد يهمل دور الثقافة الافريقية . لا ينكر احد مساهمة الثقافة العربية الاسلامية فى افريقيا كلها كما أن عطاءات الثقافة الافريقية تستحق كل تلميح . وكان الاسلام قد اتخذ فى القارة السوداء موقف العطاء والقبول والانفتاح والحركية أمام الثقافات الافريقية التى التقى بها ، دون أن يفضى ذلك الى تغيير من أسسه أو تشويه لحقيقته . وقد تم هذا اللقاء بفضل شبكات التبادل والنفوذ ذى الاتجاهين والاحتكاكات الاجتماعية الدائمة بين الطرفين .

أما ثانى المواقف فيهتم بالدرجة الأولى باحصاء نقاط التباين بين طرفى الحوار وإبراز مواطن الخلافات وتغذية سوء التفاهم وافتعال جدل عقيم .. ويسعى هذا التيار الى بث المشاحنات وزرع الوسوسة فى الرأى العام السياسى الافريقى ونبش النزاعات عن طريق اشاعة الأكاذيب .

ويستغل أنصار هذا الاتجاه ذكريات تاريخ مشترك كان فى بعض فتراته مؤلما وعنيفا، بهذه الشاكلة تدخل العلاقات العربية الافريقية فى عاصفة من خلافات خطيرة . ولعل من خاصية هذا الموقف الثانى انه يضيق من دائرة العالم العربى حتى لا يشمل سوى الدول العربية المنتجة للبترول وهو لذلك يجهل أو يتجاهل الواقع التاريخى الراهن ليس للعالم العربى فحسب بل للعالم أجمع .

ويقابل الاتجاهين السابقين اتجاه ثالث : ويتميز هذا الأخير بالتعميم مهملا التنوع والتعقيد الناتجين عن تباين الطرفين جغرافيا ولغويا .. ويعتبر هذا التيار العالم العربى والافريقى ككيانين مختلفين ثقافيا ولا تربطهما أية علاقة .. ولا يخفى على أحد خطل هذا التقسيم الساذج لأنه يغفل كل تاريخ للتأثير المتبادل والحركية الاجتماعية والتبادل التجارى والامتزاج البيولوجى حيث أصبحت الحدود بين « الافريقية » والعروبة جد فائقة وغير ذات إطار متصلب . ويتجلى هذا الامتزاج فى أحلى صوره فى شرق السودان وجنوب موريتانيا وشمال السنغال .

هذه التقسيمات الثلاثة التى مررنا بها آنفا لا تعدو أن تكون مجرد تقسيم أكاديمى لا تعكس بالضرورة الحقائق المعاشة حاليا .

أساس هذا التعاون

لابد أن تدخل مساهمة الثقافة العربية الاسلامية فى افريقية فى اطار برنامج عام للتنمية حتى لا تبقى اللغة العربية غائبة عن النشاطات الخلاقة . لهذا تستحق التربية الاسلامية والعمل الثقافى العربى اهتماما خاصا فى المناطق المسلمة من القارة الافريقية . وفى هذا المجال ، يظل تحديد وظيفة اللغة العربية على الخريطة الثقافية لافريقيا ذا أهمية قصوى بتنسيقها مع اللغات المحلية خوفا من أن تتخصص العربية بميدان الدين كما هو الحال اليوم ، خصوصا فى الأوساط الريفية . فطالما وصفت هذه اللغة بالعتاقة والتقليدية والمحافظة بحكم اتصالها المباشر بالأوساط الدينية فى مناطق كثيرة من افريقيا المسلمة ، والحال أن تعليم اللغة العربية الذى يوضع فى قالب سياسة لغوية وثقافية عامة ومدروسة باستشارة المعنيين أنفسهم وباعطاء اعتبارات للتنوعات القومية والاقليمية سيجعل من اللغة العربية أداة انفتاح وتقدم للانسان الافريقى .

ومن المهم أن يكون اصلاح تعليم العربية فى الدول الافريقية التى أدخلته فى مدارسها ـ النيجر والسنغال ـ فى تناسق مع السياسة الثقافية الوطنية لتلك الدول ، بدلا من أن يصبح نشاطا موازيا ومنافسا قد يثير التحفظ والحذر ، وستساهم المدرسة القرآنية المنتشرة فى ربوع افريقيا المسلمة ، اذاما تم توجيهها ، فى محو الأمية والقضاء على التخلف الفكرى ، وسيكون فى مستطاعها اذا ما اندمجت فى برنامج للتنمية عام أن تصبح ملتقى بين القديم والجديد والزمنى والروحى وتؤدى الى مساهمة فعلية فى التكوين الفنى الضرورى لتقدم المجتمعات الريفية التى لا تخفى عداءها للمدرسة الحديثة العلمانية .

ولن نختتم دون أن نلح على أن يكون محور الحوار بين افريقيا ، التى لا تزال تبحث عن هوية ثقافية قومية متميزة ، وبين العالم العربى الاسلامي ، الذى يجد من ورائه تراثا ثقافيا ثريا ، التعارف والاطلاع المتبادلين ، حتى تزول الصور المشوهة التى تمثل خطأ كلا الجانبين . وفى هذا المضمار ستلعب المؤسسات المتخصصة والوسائل الاعلامية المتوفرة من لدن الطرفين دوراً طليعيا . ولا يجوز أن تكون معرفة القارة السوداء أو العالم العربى أو شعوبهما حِمًى لا يرتاده إلا المتخصصون .

عبد القادر سيلا

كتاب مجمع الأحياء للعقاد

بقلم
فاضل خلف

فى مطلع عام ١٩٥٦ ، قابلت المرحوم ، عباس محمود العقاد ، فى مكتبة الانجلو المصرية ، فى القاهرة بعد مكالمة تليفونية كان المراد منها مقابلة العقاد فى بيته ، ولكن المقابلة تمت فى المكتبة المذكورة ، لأن الموعد الذى اقترحه كان فى بيته ، وفى ندوته الأسبوعية يوم الجمعة ، إلا أن موعد سفرى من القاهرة قبل يوم الجمعة ، حل دون ذلك ، فكان اللقاء فى يوم الثلاثاء فى المكتبة .. وكان ذلك اللقاء أحد اللقاءات التى لا تنسى ..

ولكن كيف تم أول لقاء بينى وبين العقاد فى دروب الأدب ؟

كان ذلك فى أواخر عام ١٩٤٤ ، حين زرت «مكتبة التلميذ» ، لآخذ نسختى من مجلة «الرسالة» فوجدت فى واجهة المكتبة بعض الكتب الجديدة ، استوقفنى منها كتابان ، امريكا الضاحكة لمصطفى امين ، و «مجمع الأحياء» لعباس محمود العقاد .

واقتنيت الكتابين .



عباس العقاد .. كان كتابه «مجمع الأحيــاء» من الكتب الفلسفية العميقة !

اما كتاب امريكا الضاحكة ، فقد كانَ كتاباً وضعه صحفى «رائد» فى عالم الصحافة العربية وقد جاء فى مجموعه كتاباً للتسلية ، باسلوب شائق ، يغرى هاوى الأدب بتتبع فصوله ومسايرة صفحاته ، بلذة وشوق ... ثم فرقت بينى وبينه الايام ، فلم اعثر على نسخة ثانية منه ، حتى كتابة هذه السطور وان كان بى شوق ملح للعثور عليه ، بعد كل هذه الأعوام ألتى بلغت سبعة وثلاثين .. وهو فى الواقع شوق يتوثب فى الأعماق لأيام الشباب ، قبل ان يكون شوقاً للكتاب نفسه ، فلتلك الأيام الخوالى ، منزلة فى النفس ، يخفق القلب لذكرها ، ويتلهف كلما سمع عنها نبأ او احس منها حركة ..

واما كتاب «مجمع الاحياء» ، فقد فرقت بينى وبينه الأيام ، كذلك ، إلا ان كتب العقاد توجد فى كل مكان ، وتلتقى فى كل ربع .. فهى كالطيور المهاجرة تنتقل من بلاد الى بلاد بصورة مستمرة وتتكاثر فى المدائن العربية ، بكيفية عجيبة .. بفضل دور النشر الكثيرة ، التى توزع هذا النسل المبارك ، مشرقاً ومغرباً ، ولاسيما فى لبنان أعاد الله الانس الى ربوعها وجعلها اشعاعاً للفكر والنور مرة اخرى ، وابعد عنها هذا الكابوس المخيف الذى جثم على فراديسها فتفرق الشمل ، وعم الدمار ، وانفرط عقد الحب .. وكان ما كان مما لست اذكره ، تجنباً لاثارة الالم والأحزان .

نرجع الى العقاد .. والى كتابه «مجمع الأحياء» ، الذى فرق الزمن بينى وبينه ، وكان حنينى اليه لا يقل عن حنينى الى زميله «امريكا الضاحكة» لمصطفى امين . حتى وجدت نسخة منه منذ أيام ، بعد أن طبعته المكتبة العصرية فى لبنان ، مع جملة من كتب العقاد الأخرى .. و «مجمع الأحياء» ، يختلف عن «امريكا الضاحكة» ، فهو كتاب فلسفى عميق ، بينه وبين التسلية من البون ، ما بين الكاتبين نفسيهما من اختلاف فى المزاج ، وفى الأسلوب ، وفى المكانة ..

وكنت عندما اقتنيت «مجمع الاحياء» لأول مرة فى أواخر عام ١٩٤٤ ، او مطلع عام ١٩٤٥ حفظت مقاطع من بعض فصوله ، وصرت أرددها بعد ذلك بينى وبين نفسى ، معجباً بالفخامة فى أسلوبها ، مثل قوله فى فصل الغاب :

«أين انا ؟ وماذا ارى ؟ ومن ذا جاء بى الى هنا .. ويقظة هذه أم حلم فى الكرى ؟ أم جاء بى الى هذه الأرض النائية متصرف فعال لما يريد ، احب ان ينزل فى روعى ، أن الدنيا ليست كلها قصوراً باذخة ، وارائك شامخة ، ومعامل وأسواقاً ، ومحابر واوراقاً ، ومحافل وجحافل ، ومساهر ومساخر ، ودرهماً وديناراً ، وفضة ونضاراً» .

لقد قرأت هذا الكتاب عدة مرات ، وحفظت منه مقاطع كما قلت ، فترك فى نفسى أعمق الأثر عن العقاد وادبه ، وعن فنه وأسلوبه ، ومعروف عن العقاد أن كتابته ليست سهلة المنال لهواة الأدب ، بل هى على العكس صعبة قد تصل احياناً الى درجة عسر فى الهضم ، فلا تفهم إلا بعد اعادة فى القراءة ، وتامل فى المطالعة .. ولكننى اقتحمت محراب العقاد فى اصعب كتبه الفلسفية ، وأنا دون العشرين ، وحاولت بكل ما اوتيت من قوة وعزم واصرار ، أن أفهم مرامه فى فصول ذلك الكتاب ، حتى حفظت كثيراً من عباراته غيباً ، فكان هذا الكتاب بعد ذلك ، عاملاً فعالاً لمعرفة العقاد فى سائر كتبه ، التى قرأتها واحببتها كما احببت العقاد نفسه .. فقررت ان اجتمع به فى

كـــتــاب
مجمع الأحياء للعقــاد

اول فرصة سانحة هياتها زيارتى الى القاهرة فى مطالع عام ١٩٥٦ .. فتم اللقاء فى مكتبة الانجلو المصرية .

لقد بسط العقاد جناحيه الحانيين ، فى سماء الأدب ، اكثر من نصف قرن ، وانتزع احترام الأوساط الأدبية ، فى كل مكان ، وفرض شخصيته الباسقة ، على أهل زمانه ، حتى انه قال للوسيط الذى جاءه يوماً ، يعرض عليه منصباً من مناصب الحكومة ، بشرط ان يتصل بمسئول كبير ـ تلفونياً ـ يبدى فيه موافقته على هذا الترشيح ، سواء أكانت الموافقة مشفوعة بكلمة شكر ، ام كانت بدونها .. قال لذلك الوسيط الحكومى .. ان اجرة الاتصال بالمسئول الكبير ، ثلاث تعريفات (والتعريفة عملة مصرية ، تساوى خمسة مليمات) وان هذه التعريفات الثلاث ، لهى عندى اعز واغلى ، من هذا المنصب الحكومى ، الذى جئت تعرضه علي يا هذا .. وهذه القصة سمعتها من العقاد نفسه فى تلك الجلسة التى تمت فى مكتبة الانجلو المصرية فى القاهرة .. فى أول لقاء مع العقاد ، فى مطلع عام ١٩٥٦ ، والذى كان مع الأسف اخر لقاء ..

لقد فرض العقاد شخصيته الأدبية الشامخة ، ليس فقط على عصره الذى عاش فيه ، وإنما فرضها ، على جميع العصور حتى خاطبه الدكتور طه حسين ، وهو يهديه كتاب «دعاء الكروان» بقوله : «الى صديقى الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد .. سيدى الأستاذ . انت اقمت للكروان ديواناً فخماً فى الشعر العربى الحديث ، فهل تاذن فى ان اتخذ له عشاً متواضعاً فى النثر العربى الحديث ، وان أهدى اليك هذه القصة تحية خالصة من صديق مخلص» .

هذا هو العقاد الذى عرفته لأول مرة ، فى كتابه الفلسفى العميق «مجمع الأحياء» ، وفحواه كما يقول العقاد نفسه : «ان الخير والشر فى هذه الدنيا ، لا ينفصلان ، وان اشرف ما يعرفه الناس من الحق ، غيرتهم على ما يعتقدون انه الحق ، وان الحق الذى نعرفه ونغار عليه غير الحق الذى تتوخاه حركات الكون المتجلية ، فى تاريخ البشر ، فليس ما نعتقده حقاً ، إلا اداة موصلة الى الحق العميق المكنون عنا ، والذى يرتسم طرف منه فى عقائد الطبائع القوية السليمة» .

ويستمر العقاد فى تفسيره لهذا الكتاب .. بهذا الأسلوب الذى يقصم ظهر كل هاو للأدب .. قبل ان يصل الى فهم اسرار ذلك الكتاب .. ويجعله غير قادر على مواصلة القراءة ، فيتوقف وهو لاهث متقطع الأنفاس .. ولكننى أصررت على مواصلة قراءة الكتاب ، ثم اعدت قراءته حتى حفظت منه جملا ومقاطع ، مازلت أرددها حتى اليوم .. وبواسطة هذا الكتاب نشات بينى وبين العقاد مودة ازدادت على الأيام رسوخاً ، ولم يزدها تقادم العهد إلا حماساً فوق حماس .. وحباً فوق حب .

رسالة وليدة الحرب

كتب العقاد كتاب «مجمع الأحياء» ، ونشره فى الحرب العالمية الأولى ، ثم أعاد طبعه للمرة الثالثة ، وذلك فى عام ١٩٤٤ وهى الطبعة التى اقتنيتها فى أواخر عام ١٩٤٤ ، كما قلت قبل قليل .

ويقول العقاد فى تصدير الطبعة الثالثة : «هذه الرسالة وليدة الحرب العالمية الماضية ، شغلنى موضوعها يومئذ لأنه موضوع الصراع فى الحياة الانسانية ، بل فى الحياة العامة ، واحببت ان اعرف لهذا الصراع معنى يطمئن اليه الضمير ، فانتهيت بالرسالة الى معنى فيه بعض الاطمئنان ، أو كل الاطمئنان ، وهو ان الحق والنواميس الطبيعية يتلاقيان » .

ويواصل العقاد حديثه فيقول : «واعدت طبع الرسالة بعد الحرب الماضية بسنتين ، فقلت فى مقدمة الطبعة الثانية :لا ازال اعتقد بعد الحرب كما كنت اعتقد قبلها ان الغيرة على الحق ، هى روح الانسانية ، أو هى مظهر أنانيتها ، وحب البقاء فيها . فاذا هى رضيت لأمة ان تستنزف موارد الأمم بغير الحق ، ثم اطمانت الى هذه الحالة ، فقد أذن ذلك بانحلالها ، وكان منها بمثابة ضعف الوطنية فى الأمة ، وضعف الحيوية فى الفرد ، وكلاهما نذير الفناء» .

ويستمر العقاد في الحديث فيقـــول : « وها هى ذى الطبعة الثالثة لمجمع الأحياء ، تصدر والدنيا مشغولة بحرب عالمية أخرى ، هى أشد هولا وأوسع مدى ، وأقوى اختلافاً على المبادىء والآراء ، من الحرب التى نشبت قبل ثلاثين سنة .. فاذا كان هناك خاطر يرد على الذهن فى تصدير هذه الطبعة ـ خلال هذه الحرب القائمة ـ فذلك الخاطر مما يزكي موضوع الرسالة ، ويؤيد نتيجتها ، أو يسير بنا فى وجهها ، وهى أن الصراع الاكبر الذى تشهده اليوم ، سينتهي أيضاً إلى عاقبة بعض الاطمئنان ، أو كل الاطمئنان ، لأنها تناقض القوة العمياء : قوة الحديد والنار ، وتشايع القوة البصيرة : قوة العدل والحرية » .

إن اهتمامي بكتاب مجمع الأحياء قد يكون راجعاً الى انه أول كتاب عميق الفكرة مشحون بالآراء الفلسفية ، التى سيطرت على وجدانى وانا دون العشرين ، بثلاث سنوات .. فختمت بلمساتها الحانية الغامضة احياناً ، والواضحة احياناً اخرى ذلك الوجدان الحائر بزاد فكرى شهي لا يكف عن العطاء ، منذ اكثر من ثلاثين سنة .. وقد يكون ذلك راجعاً الى ان كتاب « مجمع الأحياء » ، هو أول كتاب ادبي فلسفي ، رافق مسيرتى الادبية منذ فجر الشباب ، فبقى حياً فى الوجدان ، متلألئاً فى النفس ، نابضاً فى القلب ، بكل معاني الشوق والحب والحنان ، فاذا اهتممت بذلك الكتاب ، فانما الاهتمام لأيام الشباب ، وما أصدق أبا العلاء المعرى فى قوله :

تشتاق ايار نفوس الورى
وانمـــا الشوق الى ورده

فاذا اشتاق الناس الى شهر ايار وهو شهر « مايو » فانما شوقهم الى ورده الذى يعطر الاجواء ، فينعش النفوس ويطرب القلوب .. واذا اشتاقت النفس لكتاب مجمع الأحياء فهل هو شوق أيضاً إلى ايام الشباب ، التى عرفت فيها ذلك الكتاب الأدبى الفلسفي ، الذى كتبه العقاد فى أيام شبابه ، وافرغ فيه من فلسفته ، وارائه فى الحياة ما يجعله من الكتب المحببة الى نفوس الشباب ، فى عصره؟ فليس شباب العقاد الا شباب كل اديب طامع للمعالى ، ينشد المعرفة فى مسالك النور ، ويلاحق المجهول حتى يصبح معروفاً فى عـــوالم الضياء ..

ليس قصصاً وحكايات

نعود الى كتاب « مجمع الأحياء » لعباس محمود العقاد ، هذا الكتاب الذى كان اول كتاب قراته لهذا الأستاذ الرائد ، فى مسيرتى الأدبية ، ولم يكن الكتاب ـ كما ذكرت ـ من الكتب السهلة بل كان من الكتب الفلسفية العميقة ، وقد عالج فيه المؤلف قضايا مختلفة فى شئون الحياة ، باسلوب غريب ، نستطيع ان نشبهه باسلوب كليلة ودمنة ، ونستطيع كذلك ان نشبه الكتاب نفسه ، بكتاب كليلة ودمنة .. واذا كان هناك اى فرق بين الكتابين ، فهو فرق فرضته الأزمان المتعاقبة ، التى تجاوزت الألف من السنين ، باكثر من مائتين .. وما تحمله هذه الازمان من تطورات ، فى نهج الحياة ، وأساليبها ، وعاداتها وتقاليدها .. فزمان كليلة ودمنة ، غير زمان مجمع الأحياء وزمان ابن المقفع ، غير زمان العقاد .. والفلسفة التى كانت سائدة قبل الف عام ، غير هذه الفلسفة التى كانت تحيط بالعقاد بعد ان هبت رياح التقدم فى أوربا ، فمرت مرور الشعاع فى اقطار الأرض ..

وكتاب « مجمع الأحياء » ، ليس قصصاً وحكايات كما هو الأمر مع كتاب كليلة ودمنة ، وانما هو مجموعة من الخطابات ، يتوجه بها إلى مجموعة من الكائنات الحية ، الى جانب خطاب الحياة ، وخطاب الغاب ، وخطاب

الطبيعة .. اما الكائنات الحية فهى الانسان ، واليمامة ، والثعلب ، والقرد ، والمراة ، والأسد .. وكل واحد من هذه التشكيلة العجيبة ، يحاول بسط نفوذه على الآخرين ، بطريقته الخاصة التى هيأتها له الحياة ، فاليمامة مخلوق رقيق فهي تدخل المعمعة عن طريق السرقة ، والثعلب معروف بالخبث ، وهو يقتحم الميدان بسلاحه الذى اشتهر به فى الحياة ، والأسد لا يعرف الا السيطرة والغلبة فاسلوبه فى العيش هو أسلوب القوة ، التى لا تعترف بالضعف ولا يعيش معها الخوف ، فى مكان واحد .

اما المراة فى نظر العقاد وفى كتاب «مجمع الأحياء» بالذات ، فهى المراة فى كل مكان ، وفى كل زمان ، فهى تحاول التمرد على وضعها ، وهى تعمل بكل جد لهدم الأسوار بينها وبين الرجل . وهى تدعو الى المساواة معه فى كل شىء .. والعجيب ان الفرد يدعو للقوة كذلك ، ولكن بطريقة اخرى غير طريقة الأسد ..

وأما الانسان فى كتاب «مجمع الأحياء» ، فهو الرجل .. الذى يقول فى الرد على خطاب المراة :

«قامت المراة بينكم اليوم تطالب بشىء ليس من ضروريات حياتها ولا هو مما يلزمها ، لأداء وظيفتها الطبيعية ، وإنما نراها تطالب بضرب جديد من الزينة ، سمعت باسمه فتعلقت به ، كما يتعلق الطفل بما يسمع عنه ، ولو كان مقره وراء النجوم .

فلا تصدقوا معشر الأحياء ان المراة تطلب الحرية ، لأنها تفهم الحرية ، ولكنها تطلبها كما تطلب قرطاً نفيساً ، أو ثوباً من الزى الأخير ، ولو صبغنا لها الحرية باللون الذى ألفت به الاستبعاد لما استطاعت أن تميز بين هذين النمطين من الثياب . ثياب النفس لا ثياب الجسد .

وأما الحياة فى كتاب «مجمع الأحياء» فهى الحياة أبداً .. والحياة غير الموت ، لذلك فهى تقول لخطباء المهرجان :

«فاليوم اجمعكم فى هذه الغاب ليمشى بعضكم الى بعض بالسلم فتعتصموا به ، وتتناصحوا فيما باعد بينكم ، واولع بعضكم ببعض فتقلعوا عنه ، ذلك أولى لكم من هذه الشحناء التى شقت عصاكم ، واشمتت الجماد بكم ، وصيرت بعضكم يتمنى لو انه صخرة جامدة أو جثة خامدة ، ويحسب الحياة لعنة عليه وعلى الخلق اجمعين» .

وأما الغاب ، فهى الغاب فى كل مكان وهى التى تغنى بها ابو القاسم الشابى بقوله

إننى ذاهب الى الغاب يا شعبى
لأقضى الحياة وحدى بيأس
إننى ذاهب الى الغاب علّي
فى صميم الغابات أدفن بؤسى
سوف أتلو على الطيور اناشيدى
وأفضى لها بأشواق نفسى
فهى تدرى معنى الحياة وتدرى
أن مجد النفوس يقظة حس
ثم أقضى هناك فى ظلمة الليل
وألقى الى الوجود بيأسى

إنها الغاب التى يقول فيها العقاد فى كتابه «مجمع الأحياء» على لسان الغاب نفسها ، وفى خطابها الحنون :

«سلاماً يا ساكنى الغاب ، سلاماً يا ابناء الحياة سلاماً يسل غل الصدور ويصلح ما بين الواتر والموتور .. الي يا ابنائى ، فانا امكم الحياة ، جئت فى يد القدر أدعوكم لأمر خطير» .

إن فى كتاب «مجمع الأحياء» دروساً وعبر ، يجدر بكل محب للحياة وعاشق للادب ان يتعمق فى كلماتها ، فهى ليست فى مجموعها إلا صوراً فلسفية ساخرة تلوح على مسرح الحياة يومياً فى تناقض عجيب ، يحير اولي الألباب ، فقد ورد على لسان الثعلب قوله :

«إن شئتم ان تستقيم احوالكم ، ويهدأ بالكم ، ويعرف كل منكم مقداره ، فانبذوا من بينكم هذه الكلمات الفارغة : العدل والحق والواجب والضمير . فانها اوهام يضيع الجهد وراءها هدراً ، وعلالات تخدع أصحابها ، ولا ترد عنهم ضرراً» .

إن كتاب «مجمع الأحياء» فى فلسفته الساخرة الهادفة ، وفى آرائه الجادة الرائدة ، هو الكتاب الذى ارغمنى على السير فى دروب الأدب ، فقد وجدت نفسى عندما اقتنيته لأول مرة فى عام ١٩٤٤ كالهائم فى مجاهل الغاب ، وكان يخيل إلي باننى اسمع عصف الرياح ، وانهمار المطر ، ودوى الشلال .. وحفيف الشجر .. وشدو الجداول وزمجرة الأعاصير وأصوات الحيوانات المختلفة .. وقد وجدت فى هذا الكتاب ، ما كنت أبحث عنه منذ ان عرفت طريقى نحو الكتب ، من تفسير لظواهر الحياة المختلفة .. وعندما اجتمعت بالعقاد فى مطلع عام ١٩٥٦ ذكرته بهذا الكتاب ، الذى هيأ لي هذا الاجتماع الذى دام اكثر من ساعة كاملة كان فيها العقاد يتنقل من موضوع الى آخر كالبحر المتدفق الذى لا يكف عن الهدير ، وكان من تلك الموضوعات « نفط الكويت » .

● ●

كان العقاد يتنقل من حديث الى آخر كالسيل الهادر بدون أن يتعثر بكلمة أو يتذكر حادثة ، وكأنه كان يغرف معلوماته من بحر أو سحاب . وكل هذا لا غرابة فيه ، فهو معروف تمام المعرفة فى ميادين الأدب والثقافة والعلوم الاجتماعية ، بانه موسوعى لا تفوته شاردة أو واردة فى دنيا المعرفة ، ولكن الغريب فى الأمر ان يتحدث العقاد عن «نفط الكويت» بنفس السهولة التى يتكلم فيها عن الشئون الأدبية والثقافية والعلمية ، ولا اكذبكم انه بدأ الموضوع عندما سألنى عن نفط الكويت ، وقد تحدثت بما أعرفه من معلومات عامة يعرفها كل مواطن كويتى ، فى ذلك الوقت قبل ان يكثر الحديث عن النفط ، وقبل أن تتولى الصحف والاذاعات نشر المعلومات الشاملة عن اكتشافه وتوزيعه فى أقطار الدنيا .. فما راعنى إلا تدفق المعرفة بشئون النفط الكويتى يفيض من العقاد كأنه مهندس نفطى أتم فى الحال كتابة تقرير مفصل عن نفط الكويت ..

فأيقنت عند ذلك صدق الروايات التى يتحدث بها المتحدثون عن اتساع آفاق العقاد فى عالم الفكر والمعرفة والاطلاع ، فقد كان المقربون اليه يتحدثون عن معرفته فى الطب والهندسة والطبيعة والكيمياء وعلوم النبات والحيوان وطبقات الأرض ، وكنا نحن هنا على ضفاف الخليج ، نتلقى هذه الأنباء بشىء من الحذر ، شكاً فى رواية الأشياع الذين كانوا يذيعون عنه أخباره وينشرون غرائبه وأعاجيبه فى مجال الاطلاع .. فلما رأيت من العقاد ما رأيت من سعة الحفظ والرواية ليس فى دنيا الأدب والفلسفة والثقافة والعلوم الانسانية .. وإنما فى شئون هندسة النفط ... وأين ؟ فى الكويت .. أيقنت عندها أن العقاد هو العقاد .. وأن الذين نقلوا الينا ما نقلوه عنه من حكايات غريبة وقصص عجيبة فى الاطلاع والحفظ ، والاستيعاب لما يقرأه من ثقافات متعددة كانوا صادقين فى حديثهم ، وأن الشك الذى ساورنى قبل ذلك اللقاء ، كان سراباً تبخر أمام الحقيقة الناصعة التى شهدتها تتلألأ حول العقاد فى مكتبة الانكلو المصرية ..

ومن شاء الدليل على هذا الكلام فاحيله الى مصدر حى موجود فى مصر اليوم ، وكان يقيم فى ذلك الوقت فى الكويت خبيراً لدائرة المطبوعات والنشر .. وقد شهد معى ذلك اللقاء الموسوعى .. وأقصد به الدكتور ابراهيم عبده ، أستاذ الصحافة فى جامعة القاهرة ، وصاحب التأليف الكثيرة فى تاريخ الصحافة .. ولولا خشية الاطالة هنا لنقلت الى حضرات القراء الكرام ملخصاً عما دار فى ذلك اللقاء عن النفط الكويتى ، يتحدث به عباس محمود العقاد الأديب العربى الكبير ، الذى كان يتتبع فى مسيرته الفكرية كل صغيرة وكل كبيرة فى رياض المعرفة ، لذلك اكتفى بما ذكرته على هامش النفط ، لكى لا يتحول الحديث من الأدب ، الى النفط .

وبهذا نختتم الكلام عن العقاد وعن كتابه «مجمع الأحياء» الذى حبب إلي العقاد ، فنشأت بينى وبينه مودة حانية لا يزيدها تقادم العهد إلا صدقاً فوق صدق .. هذا وقد فارق العقاد عالمنا وهو عالم الأحياء الذى تغنى به العقاد كثيراً . ولكنه بقى بيننا ، وسوف يبقى الى آخر دولة الأدب أديباً خالداً وموسوعياً كبيراً يندر أن يجود الزمان بمثله فى مقبل الأيام .. وعندما فارق عباس محمود العقاد عالم الأحياء ودعته الأوساط الثقافية فى تونس فى دار الثقافة «ابن رشيق» بحفل أدبى مشهود وقد قلت فى ذلك الحفل قصيدة مطلعها :

من أسكت الغريد عن انشاده
فجفا الغناء وكان من رواده

فرحم الله العقاد .

فاضل خلف ـ الكويت

الجائزة

قصة قصيرة بقلم : وداد عبد اللطيف

نقد وتعقيب : الدكتور محمد عبد الرحيم كافود

عينت بعد تخرجي وحصولي على الشهادة من كلية الآداب قسم التاريخ ، في احدى المدارس الاعدادية للبنات ، وحين دخلت الصف لأول مرة ، شدت انتباهي فتاة صغيرة . عينان تلمعان بحزن يائس وشعر بني خشن قص بصورة منفرة ، بدا الجانب الأيسر أطول من الجانب الأيمن وكان قميصها الواسع يشعرك بانه ملك لأخرى .

أثناء الدرس كنت أبذل محاولات فاشلة لأبعد نظري عن وجهها المتشح بحزن يائس .. كان الصف مليئاً بفتيات لايجمع شيئاً بينهن إلا وحدة المكان ، وانتظار صوت الجرس معلنا انتهاء الدرس بفارغ الصبر . كنت أحس بأربعين عيناً ترقبني بفضول ، واشعرني هذا الاحساس بقربي منهن ، وبرغبة شديدة لمعرفة أدق خصائصهن الصغيرة ، حتى أصل الى قلوبهن النضرة وألغى الحاجز الذى يقف سدا بين المدرسة والطالبة ... الحاجز الذى طالما عانينا منه فى الماضى البعيد حين كنا طالبات .

كانت لولوه ... الطالبة ذات العينين الحزينتين والشعر البني المقصوص بطريقة منفردة ، فتاة ذات ذكاء حاد ، واكاد لم أكتشفه الا بعد فترة طويلة ومحاولات عديدة من جانبي لأصل الى خبيئة نفسها ، ولأدفعها للدرس والتحصيل دون نتيجة :

– لولوه ما الذى يشغلك عن دراستك الى هذا الحد ؟

– أخوتى « يأبله » أنا مضطرة لرعايتهم طوال النهار .

– ووالدتك ؟

وتترقرق دموع بائسة فى عيون حزينة ثم تهمس بصوت مخنوق :

– والدتى مريضة لاتكاد تقوى على الحركة .

ولعدة أيام لم استطع أن انزع صورتها من قلبي ، وهى تبذل جهداً فى اجابتها وتحول دون نزيف الكلمات فتفضحها عيناها ، كنت اتصورها حين تعود من المدرسة فترمى حقيبتها وتشمر عن قميصها المهلهل لتدخل المطبخ ، ثم تعود بعد ان تعد وجبة فقيرة لأخوتها الصغار ، لترتيب البيت والقيام بواجبات أمها المقعدة ، ثم تنهار آخر النهار فى نوم متقطع تتخلله صيحات الصغار أو طلبات المريضة .

وفى أحد الأيام رأيتها تبذل جهداً جباراً كى تطرد النعاس من عينيها ، وعبثاً تجاهلتها .

طوال الدرس ، كانت عيناي تجـولان فى الفصل ثم تعودان اليها باصرار غريب ، ولم أدرك السبب فى اهتمامى بها هى بالذات ربما أرى فيها طفولتى اليتيمة وإحساسى بالوحدة والأهمال . احساس عانيت منه طوال فترة دراستى ، وحتى الآن ، وبعد أن كبرت ، وصارت لدى صداقات كثيرة . لم أنس مرارة الاحساس بالوحدة ، حين كنت أجلس فى الفصل بين طالبات سعيدات ، ... مقروحة العين ، دامية الفؤاد ، أرتعش من وحدتى ومن برودة الشتاء ، وها هو الشتاء يعود بعد عشر سنوات ليلسع بسياطه فتاة أخرى تجلس مكانى ...

وبذلت جهداً مضاعفاً فى ماض عذبنى كثيراً ، لأتم درسى الذى بدأته .

وانتهت الحصـــــة وهرعت الطالبات يتدافعن بالأكتاف ليخرجن بسرعة من الفصل وبقيت أنظر الى لولوه التى شعها خجلها من الاستسلام للنوم . دنوت منها ببطء وعيناى تطوفان بشعرها المشوش بدفء وحنان :

لم تنامى جيداً ... أليس كذلك ؟ .

– نعم

– هل أمك بخير ؟

بذلت جهداً لتفتح عينيها المتعبتين ، ولاحظت ضيقاً على وجهها أخفته بسرعة وأطرقت بعينيها ولدهشتى سمعت صوتاً أشبه بخشخشة الخشب حين يحترق كان صدرها يعلو ويهبط بصورة غريبة :

– أنها .. .. بخير ، أخى الصغير كان متعباً أضطررت للسهر بجانبه و .. .



انفجرت ببكاء مرير وانفها المزرق يرتعش مع اهتزازات جسمها الصغير ، ولم أجد ما قوله لمواساتها . أمسكتها بكلتا يدى ورفعتها من على المقعد دون جهد يذكر ، كانت رقيقة نحيلة وخائفة وحين أصبحت بمواجهتى وضعت رأسها المتعب على صدرى ، واستغرقت فى بكاء حاد متواصل ضممتها الى صدرى بقوة وبذلت جهداً فائقاً حتى لا أنهار معها .. .. ..

بعد أن هدأ بكاؤها ، اجلستها على المقعد الخشبى ، وطلبت منها بصوت خافت أن تخلد الى النوم ، ولم تكن بحاجة الى نصيحتى ، فما هى الا لحظات حتى غطت فى النوم ورأسها الصغير يتوسد الدرج الخشبى ، ولم تفق من نومها حتى بعد أن علا صوت جـرس المدرسة معلناً انتهاء الوقت .

انسحبت بهدوء تاركة مهمة ايقاظها للعفاريت الصغار ، وهذا اصطلاح اطلقته احدى المدرسات على هذا الفصل بالذات ، فاصبح بمرور الأيام اصطلاحاً متداولا بين جميع المدرسات .

قبل أيام كنت ابحث عن طريقة أدخل بها الى حياة « لولوه » دون أن أجرح شعورها باهتمام قد تظنه فضولا ، وها قد جاءت الفرصة التى حطمت الحاجز بيننا وقربتنى منها بصورة مدهشة .

إن الحوادث الصغيرة دائماً تكون بداية لحوادث أكبر واعظم ... وكانت البداية حين رأيتها فى ساحة المدرسة تنحني بجهد لتلتقط الورق والزجاجات الفارغة وتضعها فى صندوق خشبى تحمله على كتفها ... بينما حبات العرق تتناثر على وجهها فتمسحها بذات اليد التى تلتقط أوراق النفايات . ناديتها بصوت غاضب :

ـ لولوه تعالى هنا حالا .

أنزلت الصندوق ببطء ووضعت احدى يديها على جبينها لتحجب اشعة الشمس الحارقة التى تمنعها من رؤية صاحبة الصوت ، وما أن رأتنى حتى اقتربت بخطوات خجلى .. .. وقفت تفصلنى عنها درجات اربع تؤدى الى ساحة المدرسة :

ـ ماذا تفعلين ؟

ـ انظف الساحة .

ـ من أمرك بذلك ؟

ـ أنها ست « ..... » .

ـ عودى الى فصلك ولا تقومى بهذا العمل مرة أخرى .

شعرت بالمهانة والمذلة وكأننى أنا التى أهنت ، اندفعت الى غرفة المدرسات وأبخرة الغضب تعمينى عن الرؤية ، وكلماتى تحرق جوفى :

ـ لماذا أمرت لولوه بالقيام بهذا العمل ؟

ـ وماذا فى ذلك ، لديها حصة فراغ احببت أن تشغلها بشىء مفيد .

ـ ولم هى بالذات . ؟

ـ لولوه فتاة مطيعة بخلاف الأخريات .

ـ ولأنها مطيعة ، تستغلين طاعتها بتكليفها بعمل مهين ؟

ـ لا أسمح لك بهذا الوصف ، ثم انه ليس عملا مهيناً .

ـ انه ليس عملها ، وكان الأجدر أن تكلـفيها بعمل لايتنافى مع وضعها كطالبة

وأحتدم النقاش بيننا وانقلب بعد لحظات الى سباب ، ولولا تدخل الزميلات لتشابكنا بالأيدى ... وحلت المشكلة على يد مديرة المدرسة ، بتوجيهها لفت نظر لكل منا ... وبقطيعة جافة منى لهذه المدرسة التى تجاوزت حدودها ... لم أقتنع ابداً بالحق الذى اعطته بعض المدرسات لأنفسهن ، الحق فى توجيه الأوامر المنفردة لطالباتهن دونما مبرر ، وقد اتخذت منذ البداية خطاً مختلفاً فى علاقتى بتلميذاتى فاكتسبت حبهن واحترامهن وفقدت الكثير من حب زميلاتى المدرسات .

فى اليوم التالى ، استدعيت لولوه الى غرفة المدرسات وصارحتها برغبتى فى استدعاء والدها لمناقشته فى علاماتها المدرسية ، ولأطلب منه تفرغها للمذاكرة خاصة وان الامتحانات النهائية قد دنت .

ـ والدى متوفى .

لم يذهلنى النبأ بقدر ما أدهشنى صوتها وهى تنبئنى بذلك ، وكان المتوفى والد أحد زميلاتها لا والدها ، ولكنى عدت وقلت لنفسى ربما مضى على هذا وقت طويل فبرأت الجراح .

ـ هل بامكانى زيارة والدتك ؟

الجنازة

– لا أنها مريضة ولا ترغب فى رؤية أحد.

شعرت برجفة لنبرة صوتها الجافة وهى تؤكد لى أننى شخص غير مرغوب فى رؤيته ... تمالكت دهشتى وعدت أقول بصوت رقيق :

– عدينى بأن تدرسى قليلا ، لم يبق سوى شهر على الامتحانات .

– ساحاول يا « ابله » اعدك بذلك .

بعد أيام وصل الى سمعى بأن مدرسة اللغة العربية عاقبت لولوه لكسلها فى اداء الواجب ، بأن أوقفتها طوال الحصة فى الممر الرئيسى ، وحينما عاتبت الزميلة المدرسة على قسوتها ... انبرت تقول بأنها فتاة كسولة وكان يجب أن تضربها لولا أن الضرب ممنوع ، عدت أقول :

– انها يتيمة ويجب أن تعامل معاملة خاصة ... لا أن تعاقب .

ولفظت مدرسة اللغة العربية كلماتها التى أدارت رأسى بصوت حاقد :

– يتيمة ؟ إن اباها رجل قادر يهز الدنيا بنقوده !

– أبوها هى ؟

– هل كذبت عليك أنت ايضا ، لو أن هذه الفتاة تبذل فى دراستها نفس الجهد الذى تبذله فى أكاذيبها ، لكانت الأولى دون مزاحم .

هالنى أن الصغيرة التى احببتها ، قد استدرت عواطفى بأكاذيب ملفقة ، واننى بطيبة ساذجة كونت لها صورة جميلة ... صورة فتاة بائسة لاحول لها ... فاذا بى اكتشف أنها مضللة ، واخرجنى من ذهولى صوت المدرسة الحقود :

– سأستدعى زوجة أبيها لتقوم بتأديبها نيابة عنى .

إذن هى تعيش مع ابيها وزوجته وكل الاشياء التى اخبرتنى بها ، عن والدتها واخوتها ووالدها المتوفى ما هى إلا أكاذيب

– ايتها الكاذبة .

اقتلعتها كلماتى من درجها الخشبى ، ووقفت امامى ترتجف كريشة حائرة ، وأخذت عيناها تجوسان فوق وجهى بخوف ظاهر دفعنى الى التراجع قليلا :

– لماذا كذبت على ، إن والدك على قيد الحياة .

– قتل أمى .

– هه ، هل هذه كذبة أخرى من أكاذيبك التى لاتنتهى .

ضاقت عيناها وامتلأتا بالدموع ، ولم يكن هناك مجال للتراجع ، عدت اقول وقد لان صوتى قليلا :

– لماذا تكذبين بهذه الصورة ؟

– لااكذب يا ابله .. لقد ماتت بين يدى ، لقد ذهبت مع جيراننا لأستقبالها فى مركز السعودية ... وكانت تحج للمرة الأولى ... لم تكن تعرف أن ابى طلقها وهى هناك فى بيت الله ، وتزوج من أخرى ... كانت تجهل وهى فى طريقها الينا انها باتت بلا مأوى وبلا زوج وأن جيراننا تطوعوا لاستقبالها فى بيتهم حتى تجد حلا لمشكلتها ... وكان الله أرحم بها منهم.ماتت وهى تعبر المسافة القصيرة التى تفصل بينى وبينها . دهستها شاحنة كبيرة . ماتت وذراعاها المفتوحان لاحتضانى معلقان فى الهـواء ، أحتضنها الموت قبلى .

شعرت بغصة وأنا اصغى للصوت المنبعث من صدرها والشبيه بخشب يحترق ... ولكنى خشيت أن لا تكون صادقة مرة أخرى :

– لماذا قلت انك تعيشين مع أمك ؟

– لاأستطيع أن أخبر أحداً بما الاقيه على يد زوجة أبى ، انها تبخل على بساعات النوم القليلة ، وتفرغنى لرعاية أولادها .

واستطردت بعـد صـمت مشحون بالألم وعبراتها تنهمر بغزارة :

– ثم أن أمى لم تمت . انها دائماً معى ابثها شكواى ، وتساعدنى على التحمل والصبر !

لم يعد هناك ما يقال ، انصرفت عنها ومأساتها تثقل على صدرى ، من أين لها هذه القدرة العجيبة على الكتمان والانغلاق ، وكيف استطاعت بأكاذيبها الصغيرة ابعاد الناس من التغلغل فى اعماقها الممزقة ...

لم تعد مأساة « لولوه » تخصها وحدها ، لقد تغلغلت فى حياتى بشكل عجيب ومؤلم ، وقبل أن يتسنى لى أن أفعل شيئاً من أجلها فوجئت بانقطاعها عن المدرسة ولم أجد اجابة شافية من صديقاتها أو مدرساتها تطمئننى عليها ، وقررت آخر الأمر أن أنتهز نهاية الأسبوع وأذهب لزيارتها .

كانت المرة الأولى التى أذهب فيها لزيارة خاصة لاحدى تلميذاتى ، ولكن « لولوه » لم تكن مجرد تلميذة فقط ، كانت شخصاً حبيباً الى نفسى يجمع بيننا شعور واحد بالمأساة التى تعانيها ، وحين خطوت داخل البيت التقت عيناى بعينيها كأول مرة حين دخلت الفصل ، كانت تجلس على مقعد طويل يشاركها فيه رجل قدرت أنه والدها وعيناها الواسعتان تطلان على الجمع المحتشد من حولها بدهشة أو حزن ... لاأدرى .

– أنه أكبر منها بعشرين سنة ، حرام عليهم أن يزوجوها وهى فى هذا السن !

– لقد اختارته زوجة ابيها وكلمتها هى الأخيرة .

عدت أمعن النظر اليها ، ثوبها الأبيض يبدو مترهلا عليها كأنه لأخرى ، وخصلتا شعرها البنى لازالتا غير متناسقتين فى الطـول . والتقت نظراتى بنظراتهـا ... نظرات خالية من الحياة .. أنها لاترانى ، لا ترى أحداً ...

نظراتها فارغة كأنها تنظر من خلالنا الى شىء اسمى وأصدق .....

وعدت الى البيت . وحين سألونى عنها فى المدرسة قلت ونظراتها الخاليـة من الحياة محفورة فى قلبى :

لقـد ماتت ..

وداد عبد اللطف

نقد وتعقيب

تبدأ الكاتبة قصتها بتلك المقدمة التى يشعر القارىء حين يطالعها بانها تكون منفصلة عن الحدث وربما تكون مثل هذه المقدمات من سمات القصة فى بداية نشأتها وهى ظاهرة تجاوزتها القصة المعاصرة ، وخاصة فيما يتصل بالقصة القصيرة . وكان بامكان الكاتبة أن تبدأ قصتها دون أن تلجأ الى هذه المقدمة التى حاولت فيما اعتقد من خلالها بالدرجة الأولى التكيد على واقعية القصة .. ثم هذا الوصف المباشر للبعد الجسمانى لبطلة القصة التى أوردته الكاتبة فى هذه المقدمة كان بالامكان

أن تعرضه من خلال القصة ـ وهو ما قد حصل بالفعل ـ ولذلك تكرر هذا الوصف بين المقدمة وبين بداية القصة ..

تثير هذه القصة بعد ذلك مجموعة من القضايا أو المشاكل أو قل ان الكاتبة تريد أن تبلور مثل هذه المشاكل والجوانب السلبية لها وفى مقدمتها مشكلة (الطلاق) وما يترتب عليه من تفكك أسرى وتمزق اجتماعى ونفسى يكون ضحيته أولئك الأطفال الأبرياء الذين يظلون يعانون من سلبياته فى أحيان كثيرة حتى بعد أن يكبروا .. والاشكالية الثانية التى تثيرها هذه القصة ومترتبة ـ هنا ـ على المشكلة السابقة هى تزويج الفتاة بمن يكبرها سناً وما يترتب عليها من مآس تكون ضحيتها تلك الفتاة المغلوبة على أمرها ..

وهذه القصة تتمازج فيها واقعية الحدث أو الأحداث حتى لا يستبعد القارىء أنها قد حدثت بالفعل ، وان الكاتبة قد انتزعت مادتها هذه من أرض الواقع .. وتقتحمها فى مواضع كثيرة خواطر وأفكار الكاتبة بصورة مباشرة ، ودون مبررات كافية لتتحدث ـ أى الكاتبة ـ عن مأساتها التى كانت شبيهة ـ كما تقول ـ بمأساة بطلة قصتها : (ربما أرى فيها طفولتى اليتيمة واحساسى بالوحدة والاهمال ، احساساً عانيت منه فترة دراستى ، وحتى الآن وبعد أن كبرت وباتت لدى صداقات كثيرة لم أنس مرارة الاحساس بالوحدة ...) .

فهذا التعليل والتبرير لموقف الكاتبة من بطلة القصة ربما يعد خروجاً عن موضوعية القصة واطار الحدث الى الحديث عن خواطر الكاتبة وذكرياتها ... وهو تعليل وتبرير غير مقنع الى حد ما ، ونحو ذلك قولها : (وقد اتخذت منذ البداية خطا مختلفاً فى علاقتى بتلميذاتى فاكتسبت حبهن واحترامهن وفقدت الكثير من حب زميلاتى المدرسات ..) .

نحن لا نختلف أن النص الأدبى أو الأدب بمختلف فنونه يحمل أو يعبر عن الكثير من أحاسيس ومشاعر وأفكار واتجاهات كاتبه مهما حـــــاول الالتزام بالموضوعية .. فالذاتية تطل برأسها ، والنص ينم عنها تارة بصورة قوية واضحة وتارة فى صورة ومضات تعلو وتخفت حسب المذهب الذى يدين به الكاتب وحسب الموضوع الذى عبر عنه . ولكن هذه الذاتية يجب أن لا نقحمها بأسلوب تقريرى مباشر ـ خاصة فى مجال النص الفنى ـ فبامكان الكاتب أن يخلع الكثير من أفكاره ومشاعره وأحاسيسه على شخصيات وأبطال قصصه ولكن كل ذلك يجب أن يأتى بصورة غير مباشرة .. فالكاتب يستطيع أن يجعل القارىء يحس بمعاناته من خلال تصويره لحياة شـــخصياته ، ومايبثه من خلالها من أفكار وقيم تتبلور نتيجة لذلك الصراع الذى يحدث بين الشخصيات بعضها البعض أو بينها وبين الواقع ، وما يعترضها من عادات وتقاليد تقف فى طريقها وتحرمها من نيل حقوقها .

وهناك الكثير من الأدباء الذين عبروا عن معاناتهم وعن مواقفهم تجاه الحياة وتجاه بعض القضايا التى تشغلهم من خلال أعمالهم الأدبية . ولكنه تعبير نستشفه من خلال هذا العمل أو ذاك عن طريق الايحاء متمثلا فى تصرفات هذه الشخصية أو تلك وقد نستدل نفسية وأفكار الكاتب من خلال العمل الأدبى ككل .. وهناك العديد من النماذج لشخصيات قصصية يرى النقاد أن هذه الشخصيات تمثل حياة كتابها منها على سبيل المثال : شخصية (محسن) فى قصة (عودة الروح) التى تمثل حياة توفيق الحكيم ..

الذى نريد أن نصل اليه أن الكاتب يمكنه أن يعبر عن حياته ومعاناته من خلال العمل الأدبى ، أو أن يتخذ من احدى الشخصيات نموذجاً يمثله ، ولكن بشرط ألا يكون بتلك الصورة المباشرة فى التعبير والكشف عن ميول الكاتب ومعاناته ، والا تحولت القصة الى خواطر ذاتية ، وفرق بين الخاطرة ، وبين القصة ، هذا فن وذاك فن آخر .. والى جانب هذا الأســـلوب التقريري المباشر فى التعبير عن ذاتية الكاتبة ، أو فى سردها لأحداث القصة ، نجد ذلك الأسلوب التصويرى الشعرى ذا الطابع الرومانسى كقولها : (وتحول دون نزيف الكلمات فتفضحها عيناهـــا ..) (واستغرقت فى بكاء حاد متواصل كان له طعم مر فى حلقى ...) ومع ذلك فاسلوبها يتسم بالبساطة فى التعبير عن أفكارها .

وتنهى الكاتبة قصتها بتلك النهاية الحزينة (وحين سألونى عنها فى المدرسة قلت ونظراتها الخالية من الحياة محفورة فى قلبى ... لقد ماتت) .

هى لم تمت حقيقة ، ولكن المأســـاة الجديدة التى كبلت حياتها بهذا النوع من الزواج اعتبرته الكاتبة نهاية لحياة بطلة قصتها فانهتها بهذه الصورة الدرامية .. .. فالقضـــية هنـــا عرض فنى لموقف اجتماعى انسانى فى وقت واحد . وتوفيق الفنان فى هذا العرض يعود الى منطق الفن المعروض ، ومن الواضح أن الكاتبة قد نقلتنا عدة نقلات من الخاطرة الى الحدث الى النهاية المفجعة دون أن نحس بالمركب الفنى المقصود . ولعل الموازنة توضح ذلك حين نأخذ هذه اللقطة من قصة كلثم جبر بعنوان (امرأة حاقدة) تصور نفس الموقف (واشمئز من أنفاسه ... وأحس به كالزيت المندلق يزحف نحوى ... فأكرهه أكثر . وأشعر باشمئزاز منه .. من أنفاسه .. ورائحة جسده .. وأحس بمنتهى السعادة .. عندما يغادر المنزل . وأمنيتى الخلاص منه . وهذا ليس بالشىء السهل .. فعائلتى متعصبة جداً . ولا تؤمن بالطلاق الذى يجلب العار عليها . وكنت فى الخامسة عشرة .. عندما تزوجتــــه . وهــــو فى الثلاثين (١) ...) .

وبعد ، هذه محاولات لكاتبة ناشـــئة لا زالت فى بداية الطريق ولكنها بدايات تبشر بخير نأمل لهذه المحاولات والكتابات أن تستمر وتنمو ، والاستمرارية والنمو هما السبيل لتحقيق التطور ..

هامش

١ ـ « أنت وغابة الصمت والتردد » : كلثم جبر ص ٥٣ .

الأخطبوط

هل الإنسان أقل ذكاء بحيث لا يفهمه؟

بقلم مهندس: حسام جميل المدانات



الاخطبوط .. إنه فى نظر الناس سمكة قاتلة للبحارة ، رغم انه مخلوق يثير فى نفوس العلماء الاحترام والدهشة !

هل يعقل أن يوجد فى البحار حيوان ذو ذكاء يندر وجوده بين الثدييات البرية أو البحرية على حد سواء ؟ حيوان يفكر أفكاراً غريبة ، بينما هو يراقبنا نسبح بجواره .

إن الأخطبوط هو هذا الحيوان !

قد يكون غريباً أن يتميز حيوان لا ينتمي للثدييات بالذكاء ، وخاصة إذا كان هذا الحيوان من الرخويات Mollusks والتى تقع في أدنى السلم الحيواني من ناحية التطور . فالأخطبوط Octopus مثل قريبه الجبار السبيدج Squid ، له عيون تكوّن صوراً مشابهة للأجسام المنظورة ، وله أطراف معقدة ، ودماغ كبير . وواضح أن تطور الدماغ فى الرخويات قد تم منفصلا عن تطوره في الفقاريات . فالرخويات تطورت عن حيوان صغير أنبوبي الشكل يشبه الهيدرا . إن الرخويات بدماغها ومنطقها الغريبين ، قد تملك ما يمكن أن نتعلمه منها عن ذكاء لا نعرفه في عالم مختلف !

لقد كان للرخويات وللفقاريات طريقان في التطور منفصلان . ولكن كليهما قد طور خصائص متشابهة : اطرافاً لينة مرنة تنثني وتقوم بحركات تتطلب مهارة . ودماغاً مركزياً ، وعينين بعدسات . ولكن هناك اختلافات هامة : فللثدييات اربعة اطراف ، بينما للاخطبوط ثمانية . ودماغها مكون من جزئين كل منهما كتلة من الأعصاب ، ومَوْقِعُهُ فوق الفم ، بينما دماغ الأخطبوط مكون من خمسة اجزاء على شكل حلقة تحيط بالبلعوم خلف الفم . والجهاز الدوري فى الاخطبوط مكون من ثلاث مضخات تنفخ سائلا نحاسياً اخضر ، بالمقارنة مع قلب الانسان الذي يضخ دماً أحمر لاحتوائه على الحديد . كل هذه الاختلافات تجعل الاخطبوط يبدو غريباً ، رغم انه عاش بجوارنا منذ القدم .

والاخطبوط بالنسبة للبعض هو سمكة شيطانية او وحش قاتل للبحارة . ولكن نظرة قريبة لهذا الحيوان ، تكشف عن مخلوق يبعث على الاحترام والدهشة .

وعندما يتسلل عبر الرمال على اقدامه المنثنية ، أو ينزلق عبر القيعان الصخرية للبحار بزوائده اللحمية التى تتبع الشقوق

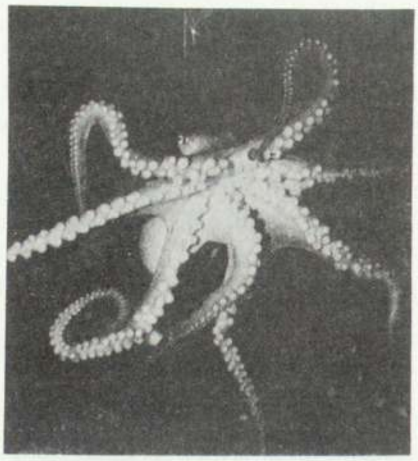
والانحناءات ، تراه يسير بجسمه اللدن متخذاً شكلا انسيابياً ، مقللا من مقاومة الماء لحركته .

يختلف الأخطبوط عن الرخويات الأخرى بكونه قد استغنى عن الصدفة القاسية لتحميه من الأخطار . واستبدل ذلك باعتماده على سرعة الحركة ، وعلى زيادة قوته الخاصة الجسمية والعقلية ليكون مهاجماً أكثر منه ضعيفاً أو مدافعاً . وأثناء هذه العملية التطورية نما له دماغ يفوق بما لا يدع مجالا للمقارنة دماغ الرخويات الأخرى من حلزون وصدف .

ليس هناك ما هو أكثر تعرضاً للأذى من الأخطبوط بجسمه اللحمي الطري غير المحمي ، خاصة في بحار يأهلها حيوانات خطرة مثل سمك القرش الشره ، وغيره من الأسماك الأخرى ذات الأسنان الحادة . ولكن حتى تتمكن هذه الحيوانات من التهام الأخطبوط ، فلابد لها من إمساكه أولا . ولكن ليس مثل الأخطبوط مهارة في طرق الهرب والتخفي . إن للأخطبوط القدرة على تغيير شكله وبنيته السطحية وحتى لونه ليتخلص من مطاردة أعدائه وليخرج من دائرة ملاحظتهم . وإذا فشلت وسائل التخفي والتمويه هذه ، فبإمكانه أن يضغط جسمه ليدخل في أصغر مكان يجده ليختبيء .

وقد يمر غواص مدرب بجانب العشرات من الأخطبوط دون أن يلاحظها ويحتاج الأمر لعين مدربة ، لتميز الأخطبوط من الصخور والفروع المرجانية التي يلتصق عليها .

وترجع القدرة العالية على التخفي لهذا الحيوان إلى احتواء جلده على نوعين من الخلايا الملونة Chromatophores ، وذات اللون الداكن منها تنتج الألوان البنية والحمراء ، بينما ذات اللون الفاتح تعطي اللونين البرتقالي والأصفر . وعند الولادة يحتوي جلد الأخطبوط على سبعين خلية ملونة فقط . ومع نمو الأخطبوط يزداد عدد هذه الخلايا حتى تصل كثافتها إلى مئة خلية في المليمتر المربع الواحد من الجلد . وهكذا فالحيوان البالغ يحتوي على ملايين من هذه الخلايا يسيطر عليها الجهاز العصبي . وتساعد عضلات متخصصة على شد هذه الخلايا ، مما يزيد قطرها إلى عشرين مرة من قطرها الأصلي . وبامكان الأخطبوط أيضاً أن يظهر ظلالا ذات



أظهرت إحدى التجارب العلمية أن للأخطبوط قدرة سريعة على التعلم !

انعكاسات زرقاء وخضراء إذا ظهر على خلفية صافية فاتحة اللون . فالخلايا الملونة تحوي على صفائح عاكسة من بلورات عضوية مشابهة للمخروط الزجاجي الذي يحلل الضوء إلى أطيافه ، ويعتمد اللون المرئي على الزاوية التي ينظر بها الى هذه الصفائح . وهذا يشبه ما يظهره العصفور الطنان من ألوان ، وبالمثل تلك الألوان التي نراها عند النظر للماس وبعض الجواهر .

وهكذا ، فعندما يتحرك الأخطبوط ، فان الأنماط اللونية لجلده تنساب في اتجاه معاكس لحركته . وحتى عندما يندفع سريعاً هارباً من الخطر ، فانه يبدو وكأنه لا يتحرك نتيجة هذه الحركة العكسية الظاهرية للألوان .

إنه خداع بصري عمل على إنقاذه من أكثر من عدو مفترس .

أما بنيته السطحية فتتم سيطرته عليها بشكل مستقل عن الخلايا اللونية ، فالعضلات تعمل في أجزاء صغيرة من الجلد ، وتستطيع أن تجعل الجلد يبدو ناعماً ، أو أن تجعله متجعداً خشناً كسطح رملي .

الاتصالات الاجتماعية

إن هذه القدرة العالية للأخطبوط على تقليد الوسط الذي يكون فيه ، تدل على امتلاكه لقدرة عقلية ذات مستوى مرتفع وذات سيطرة كبيرة على العمليات الجسمية . وبما أن الأخطبوط يمتلك حاسة إبصار قوية ، فمن المحتمل أنه يستعمل النماذج اللونية لجلده ، ليقوم بالاتصال مع الأفراد الأخرى بتركيبات صورية كاملة . وإذا صدق المثل القائل بان صورة واحدة لها قيمة ألف كلمة ، فان بامكان الأخطبوط أن يتخاطب بسرعة تفوق قدرتنا بالاف المرات .

وقد يمتلك الحبار الذي يعيش في أعماق البحار قدرة مشابهة على التخاطب . والحبار قريب للأخطبوط ، وهو يمتلك في جلده خلايا متخصصة تولد ألوانها المشعة الخاصة بها . وبعض هذه البقاع المضيئة تعتبر كعيون بما تحتويه من فتحات بؤبؤية وعدسات . ويقوم دماغ الحبار بالسيطرة على عرض الألوان هذا حسب ردود فعله للمثيرات والظروف المحيطة . وقد تكون هذه العروض اللونية المضيئة نوعاً خاصاً من الاتصالات الاجتماعية .

القدرة على التأقلم والتعلم

أظهرت بعض التجارب على الأخطبوط ، أنه يمتلك قدرة كبيرة على التعلم السريع . ويظهر أحد الأفلام رد فعل أخطبوط أثناء تعرضه لتجربة « القرد والموز » ، (حيث قام القرد باستعمال صندوق وعصا لتناول الموز المعلق عالياً بعيداً عنه) . وفي هذه التجربة ، وضع أمام الأخطبوط دورق زجاجي مملوء بالماء وبالسرطان البحرى الذي يشكل غذاء مفضلا له ، وأغلق الدورق بقطعة فلين . فلوحظ أن الأخطبوط أمضى وقتاً طويلا يدور حول الدورق ، ويتلمس جوانبه الملساء وقمته الفلينية الخشنة . وفي عدة مرات كان يعود بعد تلمسه هذا إلى مكانه في إحباط واضح . وفجاة ترك مكانه واتجه بدون تردد نحو الدورق ، حيث لف ثلاثة أطراف له حول الدورق ، ومد طرفاً نحو الفلينة وأخذ يجذبها ، وخلال لحظات اندفعت الفلينة خارجة ، وبدأ الأخطبوط يتناول وجبته .

وتدل تجربة أخرى على قدرة الأخطبوط السريعة على التعلم . فقد قام الباحث بوضع قرص أسود اللون في حوض الأخطبوط ، وعندما لمسه الحيوان تلقى مكافأة فورية على شكل قطعة من سمكة . ثم أدلى له في الحوض بقرص أبيض اللون وعندما لمسه أصيب بصدمة كهربائية خفيفة جعلته ينزوي مستنكراً في أحد أركان الحوض .

الأخطبوط

هل الانسان أقل ذكاء بحيث لا يفهمه ؟

وعندما وضع القرص الأسود للمرة الثانية ، اقترب منه الأخطبوط ولمسه بدون تردد ، حيث تلقى مكافاته ، بينما عندما راى القرص الأبيض نظر نحوه ، ولكنه لم يحاول أن يلمسه . إن سرعة التعلم في هذه التجربة تدل على ذكاء متطور .

وقد دل رد فعل الأخطبوط لرؤية المرآة على منطق متطور أيضاً ، فمعظم الحيوانات البحرية تفترض ان انعكاس صورتها في المرآة ما هو إلا منافس لها ، وتحاول ان تبعده . ولا تتعلم مطلقا ان هذا ما هو إلا جهد ضائع . اما الأخطبوط ، وهو معتاد أن يطرد المتطفلين من افراد جنسه ، فانه قد نظر نحو انعكاس صورته فى المرآة لفترة طويلة ، ثم مد احد اذرعه حتى لمست سطح المرآة ، وحرك ذراعه جيئة وذهاباً على طول صورته كانما يحاول ان يمحو الانعكاس فى المرآة . وبعد ان امضى دقائق قليلة فى ذلك ، انسحب إلى جحره ورفض أن يخرج . وكان يبدو انه مضطرب بعمق . لقد كانت تجربة مواجهة نسخة خيالية لا تُلمس عن نفسه .. تجربة اقسى من ان يتحملها فى ذلك اليوم .

وماذا عن النوم ؟

إن الأخطبوط يستريح كل يوم ، إذ يبقى في وضع سكون تام ، ويخفض من معدل تنفسه كما تفعل الثدييات . وواضح ان ساعات النوم هذه خطره ، حيث يمكن للحيوانات البحرية المفترسة ان تهاجمه بسهولة اثناءها .

وحقيقة ان حيـوانات ذكية مثـل الرخويات وجدت نفسها بحاجة للنوم ، حقيقة قد تقودنا لاعطاء تفسير لهذا التصرف الغريب « النوم » . فقد لا يكون الهدف الأسلسي من النوم هو الحصول على الراحة الجسدية ، وإنما قد يكون الكائن الحي ، المتمتع بمستوى عال من النشاط العصبي ، بحاجة للنوم لاعادة برمجة وتنظيم ما حصل عليه من معلومات خلال يومه ، وليضع التجارب الأكثر اهمية فى اماكن التخزين الدائمة .

يتمتع الأخطبوط بحاسة إبصار ممتازة ، وتشبه عيناه عيون الفقاريات ، رغم ان كلا منهما قد تطور بطريقة منفصلة ومستقلة . ووجه التشابه أن العيون في كل من الرخويات والفقاريات لها أجفان ، وفتحات بؤبؤ ، وعدسات بلورية ، وشبكية . ولكن هناك اختلافات بسيطة وهامة . فالبؤبؤ فى الأخطبوط عبارة عن فتحة خطية عريضة وافقية تظهر فى مركز عينه الصفراء . وتحتوي الشبكية على عدد اقل من خلايا الحس بالمقارنة مع الانسان ، وهكذا فان نظره أقل دقة من نظرنا . ولكن هناك تحسين هام في عين الأخطبوط . فالعصب البصري عنده يتصل مع مؤخرة العين بالمقارنة مع العصب البصري عند الانسان والذي يتصل مع الشبكية مكوناً ما يسمى بالنقطة العمياء الخالية من خلايا الحس البصري ، والتى بالتالي لا تتكون صورة إذا سقطت عليها الأشعة . وهكذا فلا نقطة عمياء فى عين الأخطبوط .

اما حاسة اللمس عند الأخطبوط ، فهي متطورة اكثر منها عند الانسان ، ففي حين تعتمد حاسة اللمس عند الانسان على الضغط فقط ، فان الأخطبوط (يرى ويشم) بواسطة جلده ، خاصة الجلد ذي الحساسية الفائقة المحيط باذرعه الثمانية فعند لمسه من طرف احد اذرعه ، فانه يعرف فوراً شكل ، ومدى نعومة او خشونة الحجم الذي يلمسه ، بالاضافة إلى رائحته وطبيعته الكيماوية .

وحسب ما نعرف ، فالأخطبوط اخرس لا يتكلم ، رغم ان بعض انواع الحبار تتكلم ، وقد تم تسجيل اصواتها على اشرطة . ولكنه يعوض عن هذا الخرس ، بالتعبير عن افكاره ومشاعره عن طريق الجلد . ويستطيع الغواصون المجربون أن يعرفوا متى يكون الأخطبوط خائفاً او غاضباً من تغيرات الشكل واللون فى جسمه ، ولكن رغم انه لا يتكلم فهناك ادلة على انه يسمع

وعندما يتعرف الأخطبوط إلى شخص معين ويتغلب على خوفه الطبيعي وحذره تجاهه ، فانه يبدي رغبة في أن يربت عليه ويدلل . ولكن يجب ان يتم لمسه بلطف . فالجهاز العصبي الحساس للأخطبوط سهل العطب . وبعض افراده اصيب بصدمة ومات نتيجة إمساكه بنوع من الخشونة ، رغم عدم ظهور إصابة واضحة فى جسمه .

هل نحن اقل ذكاء ؟

الأخطبوط حيوان بحري ، فهو يتنفس عن طريق الخياشيم وليس الرئـــات ، ولكنه يستطيع أن يبقى لعدة ساعات خارج الماء إذا بقيت الرطوبة على جلده . ولكن جسمه أضعف من ان يتحمل المعيشة على اليابسة فهو كتلة لحمية طرية بدون عظام ، والحياة على اليابسة تتطلب بناء متيناً يحمل ثقل الجسم ويتحمل الصدمات .

وهكذا ، فهناك حدود لقدرات الأخطبوط ، حـدود تستبعد إمكانية ان يستغل ذكاءه يوماً ما فيما يمكن أن يشابه ما قام به الانسان . واحد الحدود الانسانية لقدرات الأخطبوط تاتي من تركيب دمه الأخضر اللون . فالنحاس هو المادة التى تلتقط الاوكسجين من الهواء وتنقله إلى خلايا الجسم . والنحاس يحد من قدرة امتصاص الاوكسجين إلى حوالي ٤٪ ، بينما نجد أن كريات الدم الحمراء المحتوية على الحديد ، لها قدرة تتراوح بين ثلاث وخمس مرات على امتصاص الاوكسجين .

وإذا تذكرنا ان الأخطبوط حيوان لا يحتوي هيكلا عظمياً او شوكياً ، فانه يظهر واضحاً مدى الجراة التى تميز حياته . فبعد أن تخلى عن بيته الصدفي الذي يميز الرخويات الاخرى ، فانه قد تحول إلى حيوان مفترس مهاجم ، بدل أن يكون طريدة دائمة الهرب .إنه يمشي ويسبح ويندفع مهاجماً أو مدافعاً عند قيعان المحيط كما لو كان مخلوقا متفوقا غير عادي . وهو يظهر ذكاء يستحق الاعتبار ، ولكنه ذكاء مختلف

وبعد .. لم يكن من السهل على الانسان ان يحقق الاتصـال مع تلك الثدييـات مثل القرد والدلفين ، رغم انها تمتلك ذكاء مشابهاً بطبيعته لذكاء الانسان ، ولو انه محدود .

وهل يمكن أن يكون الأخطبوط غريباً لدرجة اننا لسنا اذكياء بدرجة كافية لنفهمه حق الفهم ؟ .

وإذا حقق الانسان فى المستقبل احلامه بزيارة عوالم غريبة تعمرها حياة من نوع غريب ، فهل سيكون من الممكن أن نميز إذا كانت هذه المخلوقات الغريبة ذكية ؟ وهـل سيكون من الممكن تحقيق الاتصال معها ؟ .

إن معرفتنا الطويلة بحيواننا البحري الأخطبوط ، قد تساعد ، فهو مثال قريب على حيوان غريب من ذكاء مختلف .

مهندس حسام جميل المدانات
الأردن ـ عمان



هل تعلم

عبد العزيز السيد المصري

لماذا كانت ألوان قوس قزح بالترتيب الذي نراها عليه؟

نحن نصف الضوء العادى بأنه الضوء الأبيض أو ضوء الشمس . والحقيقة أن هذا الضوء هو خليط من عدة ألوان .. فعندما يسقط ضوء الشمس على طرف مرآة مشطوف أو على حرف منشور زجاجى أو على سطح فقاعة صابون نرى هذه الألوان مجتمعة فى الضوء .. ما حدث هو أن الضوء الأبيض تكسر فى موجات مختلفة الأطوال أشبه بحزمة من الخطوط نرى فيها بأعيننا اللون الأحمر والبرتقالى والأصفر والأخضر والأزرق النيلى والبنفسجى .. وترتب حزمة هذه الخطوط على حسب كل موجة ... ونسمى هذه الحزمة « الطيف » أو « طيف الضوء » ونجد اللون الأحمر فى طرف الطيف دائماً والأزرق النيلى والبنفسجى فى الطرف الآخر .. ويقرر ذلك كما ذكرت أطوال موجاتها المختلفة .. وعندما ترى قوس قزح فانك ترى قوس طيف عظيم تسبب عن تكسر ضوء الشمس .. فعندما ينفذ ضوء الشمس من قطيرات المطر فانه يتكسر .. تماماً كما يحدث له عندما ينفذ خلال منشور زجاجى. ولهذا فاننا نرى داخل قطرات المطر الألوان المختلفة بادئة من جانب النقطة مرتبة إلى الجانب الآخر .. وبعض هذه الأضواء الملونة يكون منعكساً من جانب بعيد من قطرات أخرى خلف القطرات التى نراها ...

وينفذ الضوء من بين القطيرات فى اتجاهات مختلفة على حسب اللون. وعندما تنظر إلى هذه الألوان فى قوس قزح تراها مرتبة ابتداء من الأحمر فى القمة إلى البنفسجي أسفل القوس .

ونرى قوس قزح عندما يرش المطر وتكون الشمس ساطعة فى نفس الوقت ولكن فى الجانب المقابل للناظر .. فلكى ترى قوس قزح عليك أن تكون بين الشمس وقطيرات المطر على أن تكون الشمس من خلفك حيث يجب أن تكون الشمس وعيناك ومركز منحنى قوس قزح جميعاً على خط مستقيم .

لماذا يحتاج الإنسان إلى فيتامين "ج"؟



هناك طريقة غريبة للاجابة على هذا السؤال .. هل عرفت أن البحارة البريطانيين كانوا يسمونه « الليمونيين » والسبب أنه منذ سنة ١٦٠٠ عندما بدأت شركة الهند الشرقية تزود سفنها بالفواكه الطازجة كان البحارة يعطون الفواكه الحمضية « الليمون والبرتقال والليمون الحلو » ليأكلوها ، لماذا كان ذلك؟ للوقاية من مرض مخيف يسمى الأسقربوط ... فقد عاش البحارة مئات السنين وهم فى رعب من هذا المرض .. فهو يصيب الناس الذين يعيشون فترات طويلة على اللحوم والأطعمة المحفوظة ولا يستطيعون الحصول على خضروات أو فواكه طازجة . والليمونادة أو عصير الليمون هو الذى كان يقى من هذا المرض .

لقد كان واضحاً أن هناك شيئاً ما فى هذا العصير يحتاجه الجسم الانسانى ليقوم بوظائفه العادية .. الآن . نحن نعرف أن تلك الشىء هو فيتامين « ح » . وإذا كان البحارة يتناولون كمية كبيرة من الطعام فلماذا لا يحصلون على فيتامين « ح » لأن فيتامين « ح » تفسده الحرارة بسرعة وكذلك التخزين أو التعرض للهواء .. وعندما كانت تعد معظم الأطعمة للتخزين فى الأزمان السابقة كان فيتامين « ح » يفسد فيها فيفقد فاعليته .

وهناك مشكلة أخرى تتعلق بفيتامين « ح » هى أن جميع الحيوانات الثديية ــ تقريباً ــ تعد حاجتها من فيتامين « ح » فى أكبادها ، ولهذا فانه لا يمكن أن تعانى من نقص فيتامين «ح» ولكن الانسان والقرود وخنزير غينيا من الثدييات التى لا تنتج فيتامين « ح » فى أجسامها. ولذا فان علينا أن تحصل عليه من الطعام .. وفيتامين « ح » لا يسهل تخزينه .. وهو لا يخزن الا بكميات صغيرة تفى بالحاجة وعلينا أن نتناول فيتامين « ح » باستمرار وأفضل مصادر هذا الفيتامين هى : البرتقال والليمون ، والفراولة ، والجريب فروت . وطبيعى أن كثيراً من الناس يتناولون حبوب الفيتامين « ح » ليكملوا القدر الذى يجب أن يحصلوا عليه من الطعام .

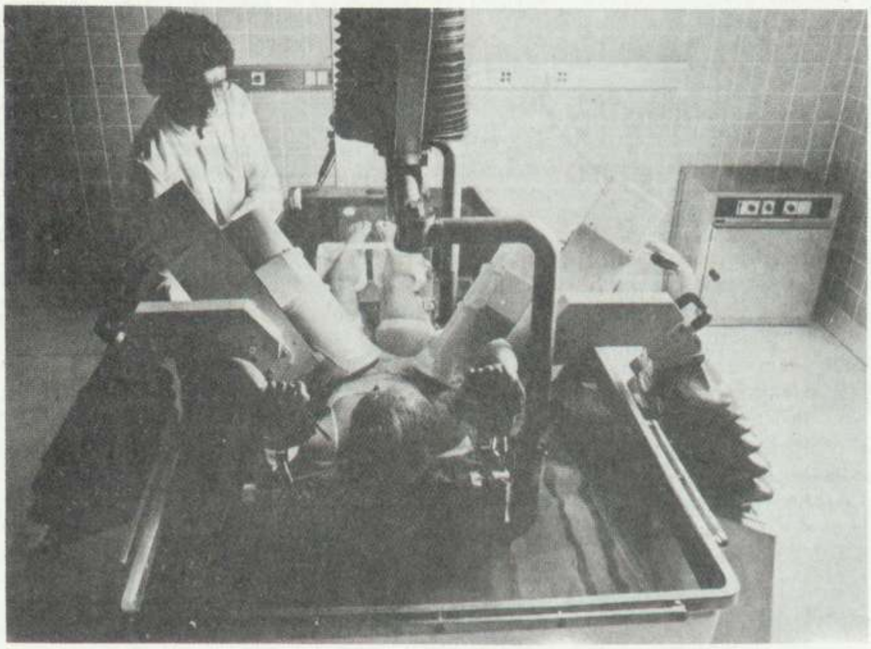
وأفضل شىء تعمله هو أن تكون متأكداً من أن طعامك يحتوى كمية متوازنة من الفيتامينات التى يحتاجها جسمك وأن تستشير طبيبك قبل استخدام أي نوع من الفيتامينات .

بقي أن نتساءل ماذا يحدث إذا نقص فيتامين « ح » من الجسم ؟ تصير الأوعية الدموية هشة تنزف بسرعة ، وتبدو هالات سوداء وزرقاء على الجلد قرب العينين ، وتنزف اللثة لأقل سبب ، ولا تؤدى الهرمونات ولا الأنزيمات وظيفتها كاملة فى أجسامنا وتقل مناعتنا ضد البكتريا وتظهر الالتهابات فى الحلق .

العلم هو المستقبل

تقديم : لبنى الريدي

الشرارة الكهربية وعلاج حصوة الكلى



المريض يرقد فى حوض الماء اثناء عملية تفتيت الحصوة

نجح الأطباء الالمان فى تخليص ٤٥٠ مريضاً من حصوة الكلى دون اللجوء الى الجراحة وبدون استخدام اشعة الليزر .

وتتلخص الطريقة الجديدة فى توليد موجة كهربية نتيجة تكون شرارة بين قطبين، وهى ظاهرة تحدث عندما تنطلق طاقة كهربية كبيرة فى زمن قصير جدا . وتنعكس هذه الموجة داخل جهاز عاكس بيضاوى الشكل يعمل كمرآة مقعرة . بحيث يتم تركيز طاقة هذه الموجة فى بؤرة لا تزيد مساحتها عن سنتيمتر واحد وهى بؤرة الجهاز العاكس، ويكفى وضع الحصوة المطلوب تفتيتها فى هذه البؤرة لكى تتركز عليها كل الطاقة المتولدة وتفتتها .

فبفضل نظام اشعة خاص يتم تعيين موضع الحصوة بشكل دقيق للغاية وتظهر على الشاشة فى شكل بقعة بيضاء كما يتضح من الصورة. ويرقد خلال ذلك المريض فى حوض من الصلب مملوء بماء دافىء خالي من الغازات تماما لتفادى حدوث رنين للموجة الكهربية. وباطلاق عدد من الموجات المتكررة يتراوح عددها بين ٥٠٠ و ٨٠٠ موجة متتالية تتفتت الحصوة وتتحول الى رمال لا يزيد قطر حباتها عن ملليمتر واحد بحيث تطرد مع البول . ويختلف عدد الموجات تبعا لصلابة وحجم الحصوة . وتستغرق هذه العملية ما بين نصف ساعة وثلاثة أرباع ساعة .

وبعد ثلاثة أيام يستطيع المريض مغادرة المستشفى .

ولكن يجب مراعاة ان هذه الموجات الكهربية لا تستخدم الا فى حالات الحصى الصغيرة نسبيا اى لا يزيد قطرها عن ثلاثة سنتيمترات وذلك لأن كمية الرمل الناتجة عن تفتيتها ستكون كبيرة جدا وسوف يصاحب التخلص منها نوبات مغص كلوى عنيفة . كما لا يتعين استخدام هذه الطريقة فى حالة وجود التهابات فى المسالك البولية .

نظارة شمسية تلتقط الصور

تمكن مخترع نيوزيلندى من ابتكار نظام تصوير فيديو جديد يعتمد على كاميرا الكترونية متناهية فى الصغر ومثبتة فى نظارة شمسية . ويعتمد هذا النظام على أكثر التقنيات تطوراً . اذ يتكون من رقيقة من اشباه الموصلات تضم كل الدوائر الالكترونية التى تحتاجها الكاميرا الفيديو التقليدية . ولتصور مدى صغر حجم هذه الرقيقة يكفى معرفة انها مثبتة خلف كوبرى النظارة المرتكز على الانف بحيث تبدو هذه النظارة وكأنها نظارة شمس عادية ذات عدسات عاكسة .

ولكن احدى عدساتها تخفى وراءها لوحاً صغيراً من البللورات السائلة ليقوم بعمل ويدور العدسة الاضافية الموجودة فى آلات التصوير والتى من خلالها يحدد المصور ما ستشتمل عليه الصورة .

وتتصل عدسات النظارة بواسطة سلك بمسجل صغير يحمله المصور فى حزامه أو على كتفه اذ لا يزيد عرض هذا المسجل الفيديو عن خمس بوصات، وسمكه عن ست بوصات ونصف، وهو يستخدم شريط فيديو فى حجم الثقاب الا ان سعته التسجيلية ساعتان كاملتان ، ، .

ويتم تشغيل الجهاز والقيام بكل عمليات الضبط والتصوير بواسطة أزرار جهاز التسجيل . وتتعدد استخدامات هذه النظارة الشمسية خاصة بالنسبة للمجالات العسكرية مثل المراقبة السرية وبالنسبة للتسجيلات الرياضية .

كاميرا تكتب على الصور

تحولت الكاميرا فى السنوات الأخيرة الى وحدة مركزية للتصوير يمكن توصيلها بوحدات اضافية عديدة ابتداء من اجهزة التصوير الميكروسكوبى الى



الكاميرات ذات الطباعة

التحميض مرورا باجهزة التوجيه من بعد. فقائمة المعدات التكميلية لبعض مجالات التصوير تزداد كل يوم .

واخر هذه الابتكارات طباعة تثبت على ظهر الة التصوير بحيث تسمح بكتابة تعليق أسفل كل صـــورة يتم التقاطها . وتضم هذه الطباعـــة التى لا يزيد وزنها عن ربع كيلوجرام لوحة بها الحروف الابجدية والارقام من صفر الى تسعة . وتستطيع هذه الطباعة الصغيرة كتابة تعليق يتكون من ثلاثين حرفا او رقما يبلغ ارتفاع كل منها حوالى سنتيمتر واحد . بحيث يتم طبع الرسالة على الفيلم مباشرة .

وكما تبين الصورة فهناك شاشة من البللورات السائلة تظهر عليها الكلمات والارقام المبرمجة لكى يستطيع المصور التحكم فيها قبل طباعتها وتستغرق عملية الطبع خمس ثوان فقط ومن ثم يسجل التعليق المصاحب لكل صورة بمجـــرد التقاطها .

وفى حالة التصوير العلمى فهى تسمح بتدوين المعطيات العلمية الخاصة بكل صورة مما يسهل على الباحث بعد ذلك عملية التجميع وكتابة التقارير العلمية . وتحتاج هذه الطباعة الى بطـــارية ٩ فولت لتشغيلها .

اشعة الليزر وقتـــل الخلايا السرطانية

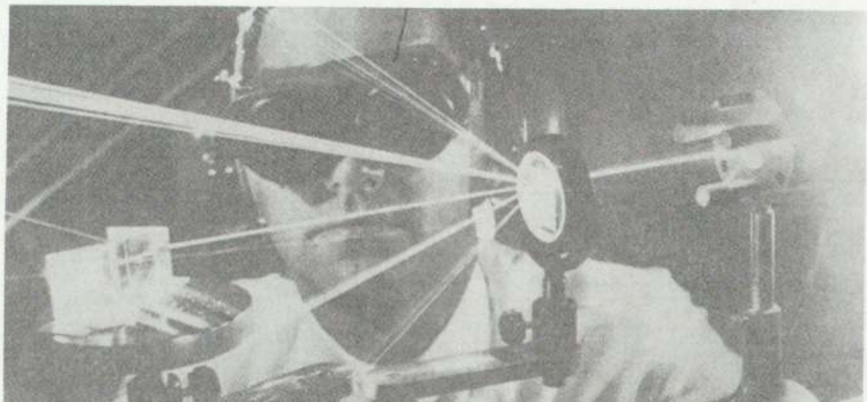
لم يعد استخدام اشعة الليزر فى الجراحة شيئاً جديداً إلا ان هذه الاشعة السحرية لا تكف عن ابهارنا كل يوم بامكانياتها المتجددة . يجرب الجراحون طريقة مبتكرة لاكتشاف الاورام السرطانية والقضاء عليها باشعة الليزر بدون جراحة أو استئصال للاورام .

لقد اثبتت هذه الاشعة فاعلية أكبر من الجراحة التقليدية بالنسبة لاستئصال الاورام السرطانية اذ تتميز بدقة أكبر ومعدل نزف اقل بالاضـــافة الى ان احتمالات التلوث غير واردة .

إلا ان اشعة الليزر لا تســـتطيع الوصول الى جميع اجزاء الجسم بينما الطريقة الجديدة تجمع بين قوة العلاج بالاشعاعات وقدرتها على النفاذ الى داخل الجسم وبين دقة وتحديد الجراحة بالليزر .

وتعتمد الطريقة الجديدة على مادة كيمائية مســـتمدة من الهيموجلوبين المنحل فى دم الابقار فعندمـــا يحقن الانسان بهذه المادة تنتشر فى جميـــع الخلايا الى أن يتم التخلص منها عن طريق الوظائف الطبيعية لهذه الخلايا . الا انها تبقى مدة اطول فى الخلايـــا السرطانية بحيث يستطيع الاطباء تحديد مواطن الاورام مهما كان حجمها صغيراً وذلك بفضل حساسية هذه المادة للضوء اذ تتوهج الخلايا المحتوية على المادة بلون أحمر عند اضاءتها بشعاع بنفسجى من اشعة الليزر . وبالتالى يستطيع الطبيب اكتشاف الخلايا السرطانية فى وقت مبكر مما يساعد على الشفاء . وبعد تحديد مواقع الاورام بدقة يوجه اليها ضوء أحمر من أشعة الليزر ليحدث تفاعل كيمائى ضوئى ينتج عنه تولد أكسجين ذرى يقوم بقتل جميع الخلايا الحية المجاورة .

ولقد حققت التجارب التى استمرت لمدة خمس سنوات نجاحاً مع جميع أنواع السرطان بما فى ذلك سرطان الرئة فى مراحله الأخيرة . وتستخدم هـــذه الطريقة حالياً فى ثمانى مستشفيات فى الولايات المتحدة .



اشعة الليزر والقضاء على الأورام السرطانية



«نور الشريف» يعود إلى سيارته التاكسى ، بعد ان سرقها منه اللصوص ذات ليلة فى احد الشوارع الجانبية .

سينما

رؤوف توفيق

فيلم الجوائز والمهرجانات

"سوّاق الأتوبيس"

والحرب الخامسة لجيل لم يستمتع بحياته!

هناك نوع من الافلام ، تشعر انك تحمله بداخلك .. ولا تدرى بالضبط ، هل هذا الفيلم جزء منك .. أم انك انت جزء منه ؟ !

ذلك لأنه فى لحظات كثيرة .. تتراءى لك بعض مواقف الفيلم .. ويرن فى أذنك صدى بعض من حواره .. وتشعر أنك اشتركت فى هذه المواقف من قبل .. أو قلت هذا الحوار ، أو تمنيت أن تقوله !

وهذا النوع من الأفلام .. قليل ونادر ..



عندما ذهب إلى بورسعيد ليستنجد بشقيقته « نبيلة السيد » فوجدها غارقة فى البضائع التى ملأت البيت .. أما زوجها « وحيد سيف » فلم يعد يهتم بشىء إلا تنمية تجارته !

كندرة الصدق فى حياتنا .. ولهذا يبدو كجوهرة أصيلة ، وسط ركام الزيف والافتعال وهوجة ركوب الموجة .

وفيلم « سواق الأتوبيس » جوهرة حقيقية فى السينما المصرية عام ٨٣ .. ورغم أنه لم يعرض حتى الآن للجمهور العريض فى مصر .. الا أن سمعته الفنية سبقته .. وتخاطفته العروض الخاصة ، تزهو به ، وتستعيد رؤيته أكثر من مرة .. حتى أنه فى خلال الشهور القليلة الماضية عرض أكثر من خمس عشرة مرة ، لعل أهمها ليالى الاسكندرية السينمائية .. ومهرجان القاهرة السينمائى .. وأسبوع افلام نور الشريف فى مدينة بنها .. ثم عرضه مهرجان جمعية الفيلم فى ختام أيامه .

واشتركت مصر بهذا الفيلم فى ثلاث مهرجانات سينمائية دولية .. مهرجان قرطاج السينمائى ، حيث حصل الفيلم على جائزة العمل الأولى لمخرجه « عاطف الطيب » .. ثم عرض الفيلم فى المسابقة الرسمية لمهرجان نيودلهى السينمائى ، وحصل الفنان نور الشريف على جائزة الطاووس الفضى كاحسن ممثل عن دوره فى هذا الفيلم .. وجاءت هذه الجائزة الكبرى تكريماً لفنان مصرى استطاع أن يحقق أعلى مستوى فى الأداء .. واستحق أن يأخذ مكانه على القمة بين نجوم التمثيل فى العالم ..

ثم عرض الفيلم بعد ذلك فى مهرجان « مانيلا » السينمائى بالفلبين - خارج المسابقة الرسمية - تحوطه موجة ملحوظة من اهتمام نقاد السينما ومراقبيها .

سينما النقد الاجتماعى

وقد شاهدت هذا الفيلم ، ثلاث مرات .. متعمداً أن أختبر مشاعرى ، وصدق حكمى ، بعد انفعال المشاهدة الأولى .. ولكن اكتشفت أنه كلما شاهدت الفيلم ، كلما أحببته أكثر ، وارتبطت به أعمق .. واكتشفت ما هو أغرب .. إنه فى كل مرة تخنقنى الدموع ، وتطفو على وجهى .. لم يكن نوعاً من التاثر الوقتى .. بل كان حزناً يملأ القلب .. وكان الفيلم يضغط علينا لنشعر بفداحة ما جرى لنا ، سواء أكنا ننتبه له ، أو تعودنا عليه حتى كاد أن يصبح جزءاً من نسيج حياتنا . !

ففيلم « سواق الاتوبيس » يلقى نظرة متاملة محللة لما حدث فى العلاقات العائلية داخل بعض الأسر المصرية .. بعد أن أصبحت «النقود» و «المصالح الشخصية» هى المحرك الأول للعواطف .. وللقرارات الأخلاقية .. فانهارت قيم أصيلة ، وسادت قيم مادية ، غريبة تماماً عن المجتمع المصرى .. ولكنها جاءت نتيجة السياسات الخاطئة التى صاحبت «الانفتاح الاقتصادى» .

وقد تناولت السينما المصرية ،

سينما

فيلم الجوائز والمهرجانات

"سواق الأتوبيس"

والحرب الخامسة لجيل لم يستمتع بحياته!

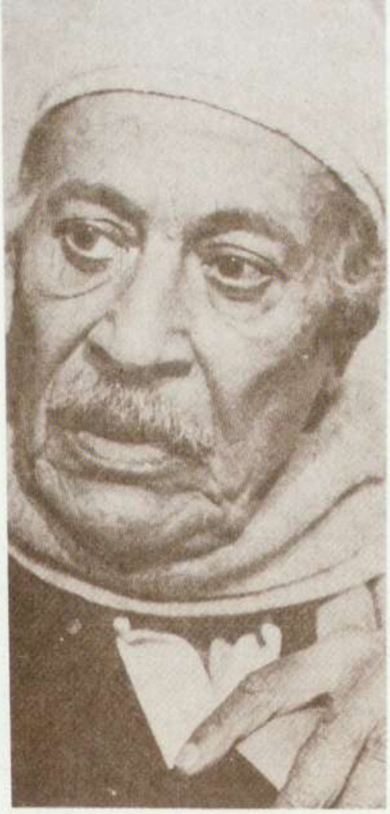
الانعكاسات الاجتماعية التى حدثت نتيجة فتح الأبواب بلا ضوابط لما سمي بالانفتاح الاقتصادى .. وظهرت أفلام عديدة على مستوى فني جيد ، ولا تنقصها الجرأة ، لرصد ونقد ما حدث ..

من هذه الأفلام نذكر : «انتبهوا أيها السادة» للمخرج محمد عبد العزيز .. «.. ولايزال التحقيق مستمرا» لأشرف فهمى .. ورائعة المخرج علي بدرخان «أهل القمة» .. وعودة المخرج علي عبد الخالق لصفوف الأولى المؤثرة وفيلم «الحب وحده لا يكفى» .. ومحاولة المخرج محمد راضى لاستعراض نماذج الانهيارات الاجتماعية فى فيلم «أمهات فى المنفى» (راجع مقال السينما فى عدد ديسمبر ٨١ من الدوحة) .. ثم عاود المخرج علي عبد الخالق تالقه الفنى فى فيلم «العار» من خلال قضية اختلال القيم ومحاولات التبرير الخادعة للاحتفاظ بالمستوى الاقتصادى المرتفع مهما كان أصله !

ثم ياتى فيلم «سواق الأتوبيس» ليقول كلمته فيما حدث بنظرة واعية .. وبكثير من الصدق والجراة .. يدعونا لأن نفتش داخلنا ، ونضع أصابعنا على الميكروب الخبيث الذى تسلل الينا وكاد يفتك بنا ..

ما بين البداية والنهاية

يفتتح فيلم «سواق الأتوبيس» بحادثة نشل داخل أحد أتوبيسات القاهرة .. وينتهى الفيلم أيضاً بحادثة نشل داخل نفس الأتوبيس .. السائق هو نفسه لم



الأب « عماد حمدى » أثناء محنتــه أمــام لذين تخلوا عنـــه فى وقت الشـــدة !

يتغير .. ولكنه كما رأيناه فى أول الفيلم يهم بمطاردة النشال ومعاقبته وعندما يكتشف أن النشال أسرع منه في الحركة والاختفاء .. يتراجع عن مطاردته ويعود الى مقعده مستسلماً ليقود الأتوبيس وكان شيئاً عادياً قد حدث ..

بينما فى نهاية الفيلم .. يتغير موقفه .. يصبح أكثر جراة وضراوة .. يقفز من مقعده ليطارد النشال ، ويحاول النشال أن يرعبه بمطواة حادة يشهرها فى وجهه .. ولكن السائق يلعن كل حواجز الخوف .. ويقتحم الخطر .. وبكل الألم والمرارة والغيظ الذى يعتمل فى داخله ، ينهال على النشال .. لكماً وصفعاً .. وهو يلعنه فى صيحة غضب «يا أولاد الكلب .. يا أولاد الكلب» ..

وينتهى الفيلم بهذه اللعنات وهى تدوى ..

ما الذى تغير فى شخصية هذا الشاب سائق الأتوبيس ؟ .

إن فعل النشل واحد ، فى بداية الفيلم ونهايته .. وأيضاً ألم الضحية واحد ، فى بداية الفيلم ونهايته .. ولكن سائق الأتوبيس لم يعد كما كان ..

كان مراقباً للأمور ، بوعي ، وفهم .. ولكن كانت تنقصه القدرة على الفعل ، ليس خوفاً من المواجهة .. وإنما لاحساسه انه يغير شيئاً من الواقع ..

وفى نهاية الفيلم .. نرى هذا الشاب سائق الأتوبيس .. يتخلى عن حذره وتردده .. ويدخل المواجهة .. ليس النشال فى حد ذاته هو المقصود .. ولكن كل هذه القوى الفاسدة التى خلخلت القيم الأصيلة ! .

فهذا النشال هو رمز للذين سرقوا الحياة .. وأجهضوا الأحلام .. وحولوا الأيام الى عملية حسابية ، أرباح وخسائر ، أرصدة ومصالح خاصة ، سمسرة ومضاربات .. وعلاقات تقوم على النقود .. وتوارى الحب والحنان .. وتحولت الروابط الأسرية الى هياكل من الورق ! .

هل انتهت المعارك ؟

سائق الأتوبيس (نور الشريف) شاب أنضجته أربعة حروب خاضها .. فقد اشترك فى حرب اليمن .. وحرب ٦٧ .. ثم حرب الاستنزاف ثم حرب ٧٣ .. شاب مصرى عاش أجمل سنوات عمره بين البارود والنار .. يواجه الخطر فى كل لحظة .. ومع اشراقة الشمس كل صباح كان لا يدرى هل سياتى عليه الليل حياً أم يكون شهيداً .. أيام لا يعرف طعمها إلا من عاشها : (قعدت ثلاث سنين راقد فى خندق أيام حرب الاستنزاف .. وعديت مع اللي عدوا فى ٧٣ .. قابلت كثير .. وعاشرت كثير .. ولكن عمرى ما حا أنسى زميلنا صادق اللي مات فى ٧٣ .. عدى معانا .. رقصنا .. فرحنا كلنا .. وما كنش يعرف انه حيموت بعد لحظات .. مات قدامنا وبين أيدينا) .

هذا الشاب بكل تجربته العظيمة ، وبكل مشاعره النبيلة .. يعود الى أهله وبيته .. ليخوض معركة جديدة ليتزوج من الفتاة التى أحبها وأحبته (ميرفت امين) ويتحمل بكل الصبر أهانات أم زوجته (زهرة العلا) وتنديدها المستمر بأن ابنتها ارتضت أن تتزوج سائق أتوبيس ..

ولكن الحب بينهما لم يسمح بهذه الاعتراضات أن تهدد حياتهما .. وأنجب منها طفلا جميلا .. وباعت مصوغاتها لتشترى له سيارة تاكسى ليعمل عليها فى وقت فراغه ، ويسدد أقساطها من عائدها ..

ولكن هل انتهت المعارك ؟ لا .. فهناك أشرس معركة قدر عليه أن يخوضها .. معركة داخل أسرته بين أخوته البنات وأزواجهن وقد تفرق كل منهم فى عالمه الخاص بينما والده يعانى ازمة مالية خطيرة وقد سقط مريضاً من هول الصدمة .. فقد فوجىء الأب بأن هناك ضرائب متأخرة عليه وصلت الى عشرين الف جنيه .. إما أن يسددها فوراً أو تباع ــ فى المزاد العلنى ــ ورشة الأخشاب التى يملكها ويعيش فيها ولها .. فقد بنى هذه الورشة طوبة طوبة .. وصنع آلاتها بنفسه .. واتسعت بمجهوده واصراره حتى أصبحت من الورش ذات السمعة الطيبة فى السوق

.. فهل بعد هذا العمر كله يضيع كل شيء فى لحظة ؟!

انها معركة جديدة عليه أن يخوضها لصالح والده .. بحثاً عن الحق الضائع ..

لقاء الذكريات

ومن هذه المعركة .. يبدأ الفيلم أحداثه الحقيقية ..

فالفيلم لا يخوض فى تفاصيل الحروب التى خاضها سائق الأتوبيس من أيام حرب اليمن الى حرب ٧٣ .. وإنما يوجزها المخرج عاطف الطيب فى مشهد بالغ الرقة والشفافية .. عندما يتجمع رفاق السلاح فى نزهة خلوية عند سفح الأهرام فى ليلة قمرية .. وصدى أغنية قديمة لعبد الحليم حافظ تتردد من مذياع السيارة التاكسى .. وتدريجياً تتلاشى الأغنية .. ليبدأ توزيع موسيقى جديد لنشيد «بلادى بلادى» فى ايقاع حزين .. ومجموعة الأصدقاء يتذكرون أيام الحروب .. وقد صورتهم كاميرا الفنان «سعيد شيمى» ورمال سفح الهرم تحيط بهم .. والهرم ببنائه الفخم المعجز يطل عليهم .. وهم متناثرون فى حلقة دائرية .. وكأنهم جزء من تاريخ مصر الطويل ..

جيل من الشباب أعطى وضحى .. وعاش لحظات البطولة والانكسار .. وتفرق منهم من تفرق .. بالموت أو الغربة عن الوطن .. أو الغربة داخل مجتمع لا يعرفون ما الذى جرى له ؟!

انه مشهد من أهم مشاهد الفيلم .. وأكثرها تعبيراً عن فن المخرج «عاطف الطيب» .

والمشهد يقطر بالحزن والشجن .

الحزن يغلف الرحلة

وهذا الحزن النبيل يطرز الفيلم من بدايته الى نهايته .. فنحن منذ البداية ورغم التوزيع الموسيقى الجديد للحن سيد درويش «طلعت يا محلا نورها» على رحلة أتوبيس داخل شوارع القاهرة المزدحمة .. إلا أننا نشعر بأن شيئاً ما سينكسر ! .

ومع الايقاع المتدفق بالحيوية ، والذى يتشكل من عشرات من التفاصيل الانسانية الصغيرة والتى تعبر عن الحياة اليومية المصرية .. يأخذنا الفيلم الى رحلة هذا الشاب سائق الأتوبيس ليحصل لوالده على حقه الضائع .. وليعيد اليه حياته وعافيته مع دوران آلات الورشة التى صنعها .





لقطتان .. الأولى لسائق الأتوبيس البسيط الشريف مع زوجته التى باعت مصوغاتها لتشترى له تاكسى .. واللقطة الأخرى لسائق الأتوبيس مع والده يواجهان الأزمة التى تهدد حياتهما !



عندما تغيرت شخصية الشاب « سائق الأتوبيس » وانهال على النشال لكما وصفعا !

والرحلة مريرة .. ساخرة .. تعرى الوجوه القبيحة التى أعمتها النقود حتى لم تعد تدرى موضع قدميها .. والى أى جذور تنتمى ..

فالأخوة البنات .. كل منهن أغلقت باب بيتها على نفسها .. وعاشت عالمها الخاص مع زوجها وأولادها .. ولا يستطعن تقديم المساعدة لوالدهن فى أزمته الحادة ، سوى



الزوجة « ميرفت امين » عاشت قصة وفاء مع زوجها ، ولكنها بدأت تعطى اذنيها للآخرين !

سينما

فيلم الجوائز والمهرجانات

"سواق الأتوبيس"

والحرب الخامسة لجيل لم يستمتع بحياته!

ترديد الكلمات الطيبة والدعوات .. وكان كلمات المجاملة ستحل المشكلة .. ولكن هذا لا يهمهن فى الحقيقة .. بقدر ما يسعين الى ازاحة المشكلة خارج أبواب بيوتهن ..

أما الأزواج .. فكل منهم شق طريقه فى التجارة .. أحدهما استولى على ايراد ورشة الأخشاب ووظفها لحسابه الخاص .. والثانى وجد طريقه فى أسواق بورسعيد حيث يتاجر فى كل شىء .. ولا يهتم بأى شىء سوى أرباحه .. والثالث استقر فى دمياط تاجراً للأثاث .. ولا يكاد يتعرف على شقيق زوجته .. فالصلات مقطوعة منذ زمن طويل .. وهو مشغول بتنمية ثروته .. ويماطل ويتلون عندما يدرك المهمة التى جاء من أجلها شقيق زوجته .. فاذا كان الوالد مريضا فالف سلامة وتمنيات بالشفاء .. واذا كانت الورشة محجوز عليها للضرائب .. فهو مستعد لشرائها وهدمها لتحويلها الى عمارة .. أما ما عدا هذا فليس عنده وقت للمناقشة ..

وكما يبرع سيناريو «بشير الديك» فى رسم الشخصيات .. فهو أيضاً يضع على لسانها عبارات الحوار المعبرة والمركزة والتى تنم عن فهم كامل لأسلوب هذا النوع من التجار .. فالعمل اليومى يبدأ وينتهى بالنقود .. ولكن لا مانع من بعض الطقوس كستار لاستكمال الشكل الخارجى !

ممثلون فى أدوار جديدة

ويتوقف المخرج «عاطف الطيب» ليلخص هذه المواقف والنماذج داخل صورة سينمائية خالصة .. فكل لقطة تضيف معلومة جديدة .. وترسم أبعاد الشخصيات من خلال أسلوب الأداء وطريقة النطق بالكلمات ..

ورحلة الشاب لانقاذ والده .. تزداد مرارة وحزنا .. حتى زوجته التى عاش معها قصة حب رائعة .. تنتهى القصة بمأساة .. فالزوجة ترضخ لكلمات أمها وأحد أقاربها ، للخلاص بنفسها من هذه الحياة التى تعيشها مع سائق الأتوبيس .. ويأتى مشهد الانفصال رائعاً حزيناً ينعى كل هذا الحب الذى كان .. والأحلام التى ستكون ..

وقد اختار المخرج «عاطف الطيب» مجموعة من الممثلين بعناية واضحة .. ووضعها فى اطار الفيلم لتخدم الموضوع بكل تفاصيله الصغيرة .

ولهذا رأينا فنانين لا يمثلون أدواراً .. بل يعيشون حياة كاملة .

على القمة يأتى نور الشريف الذى أعطى خلاصة تجربته الفنية فى شخصية تعبر عن جيل من الشباب يحارب أكثر من معركة من أجل الحق والعدل ..

وانعكس على وجه نور الشريف كل عذابات تفاصيل معركته لانقاذ والده .. فالعينان تخبئان كلاماً كثيراً لا تقوى الشفتان على البوح به .. ولكن كل الكلمات تصلنا .. ونرددها معه ..

ميرفت أمين .. عادت الى الشاشة أكثر نضجاً .. عماد حمدى فى دور الأب أعظم تتويج لهذا الفنان العظيم وهو ينهى الآن حياته الفنية .. فى هذا الفيلم لم يكن أباً عادياً .. ترتعش الكلمات على شفتيه من الحزن والصدمة .. ولكن كان أباً يعبر عن

معنى جحود الأبناء ، وضياع العمر ..

حتى الممثل الهزلى «وحيد سيف» تخلى عن لزماته المتكررة وخضع للدور الذى يمثله .. تاجر من بورسعيد .. بكل ما توحى هذه الكلمة من فهلوة وثراء سريع بلا أساس ..

ولعب «علي الغندور» و «حسن حسنى» و «محمد شوقى» أهم أدوارهم السينمائية حتى الآن ..

وقدم الفيلم على نفس المستوى من الاهتمام أدوار الممثلين الشبان : «صفاء السبع» ـ «شعبان حسين» ـ «سمير وحيد» ـ «محمد كامل» .

وكذلك قدمت «نبيلة السيد» مزيجاً من خفة الدم ، وسلبية الزوجة التى تخاف على مشاعر زوجها .. وهى نفس السلبية التى يؤكدها الفيلم من خلال شخصية زوجة تاجر دمياط «علية عبد المنعم» .. وأيضاً شخصية الأم «عزيزة حلمي» .

إن المرأة هنا .. هى المرأة المغلوب على أمرها !

كيف كتبوا الفيلم ؟

وإذا كان فيلم «سواق الأتوبيس» يعتبر شهادة ميلاد فنية للمخرج الشاب «عاطف الطيب» .. فان الفيلم يؤكد من جديد براعة المصور «سعيد شيمى» أحد الشبان الموهوبين الذين يصنعون السينما المصرية الآن بحب وفهم وجمال ..

ويؤكد الفيلم أيضاً على هذا الاحساس المتوهج فى المونتاج للفنانة نادية شكرى .. والتى حافظت على ايقاع الفيلم ساخناً ، ومريحاً ..

وكشف الفيلم عن موهبة الموسيقار «كمال بكير» الذى طوع الألحان القديمة المتداولة ، ليصنع منها موسيقى لها مذاق خاص كانت من أهم دعائم نجاح الفيلم ..

إنه فيلم صنعه حب الذين تعاونوا فيه .. وإيمانهم بالرسالة التى يريدون ابلاغها للجمهور ..

وقصة الفيلم كتبها المخرج «محمد خان» والذى يعتبر من أهم علامات السينما الجديدة في مصر .. شاب موهوب يبحث ويقرأ ويفكر ويتعلم دائماً .. وهو صديق شخصى لكاتب السيناريو «بشير الديك» وللمخرج الشاب «عاطف الطيب» .. وفى كل لقاءاتهم تشغلهم مسألة تقديم شخصيات ومواقف غير تقليدية . والتى استهلكتها السينما المصرية على طول تاريخها .. انهم يؤمنون أن المجتمع بكل أحداثه اليومية يصلح لصنع سينما مختلفة ، لها طابع مصرى متميز ، وتستطيع أن تغزو العالم ..



المخرج : عاطف الطيب

وقصة فيلم «سواق الأتوبيس» ولدت فى احدى لقاءاتهم هذه .. واعيد كتابة السيناريو اكثر من مرة حتى وصل الى الصورة التى ظهر بها الفيلم ..

جيل لم يستمتع بحياته

والمخرج عاطف الطيب عمره الآن ٣٥ عاماً .. تخرج من معهد السينما بالقاهرة عام ١٩٧٠ .. وقضى خمس سنوات فى الجيش .. وهذه الفترة شكلت جزءاً من شخصيته والتى انعكست فى رؤيته لبطل فيلم «سواق الأتوبيس» .. يقول لي عاطف الطيب :

ـ نحن من جيل لم نستمتع بحياتنا .. تخرجنا .. دخلنا الجيش .. خرجنا الى المجتمع لنفاجأ بقضايا الفساد .. وجشع التعامل بالنقود .

وعاطف الطيب .. تمتد جذور عائلته فى صعيد مصر .. والده انسان بسيط عاش أزمات كثيرة ولم يعرف راحة البال إلا قليلا .. يقول «من حكايات أبى .. عرفت الكثير عن صعيد مصر .. كنت أشعر من كلماته .. انهم أناس من معدن جيد ولكن لم يأخذوا حقهم فى الحياة» .

كان أول فيلم قدمه «عاطف الطيب» .. فيلم تسجيلى قصير عام ٧٦ بعنوان «مقايضة» يحكي فيه رحلة فلاح بسيط يعمل طوال العام فى حقله .. ثم عندما يبيع المحصول .. يذهب الى المدينة ليشترى راديو ترانزستور .. لينقل له الراديو اعلانات البرفانات والشامبو !!

أول فيلم طويل اخرجه عاطف الطيب كان عام ٨١ .. والفيلم بعنوان « الغيرة القاتلة » ـ أول عرض له فى القاهرة كان فى مارس ٨٣ (!!) ـ قام عاطف الطيب بانتاج هذا الفيلم لحسابه حتى يجد مكانا له على الشاشة .. « ولا انكر فضل نور الشريف فى مساعدتى لانتاج هذا الفيلم .. ولكن عندما عرض الفيلم فى عروض خاصة .. كتب بعض النقاد يهاجمون الفيلم .. يومها بكيت بدموع غزيرة .. وشعرت اننى لن اقدم شيئاً ناجحاً على الشاشة .. واننى ابتعد عن حلمى بمسافات طويلة .. السينما هى هوايتى وحياتى .. فكيف أخرج من هذا المأزق .. ظللت فترة طويلة متردداً .. خائفاً .. وحتى بعد ان انتهيت من فيلم « سواق الأتوبيس » لم اكن متأكداً من نجاحه .. وتصورت ان هذا الفيلم لو فشل .. فلن أعمل مرة أخرى فى السينما » .

البحث عن سينما خاصة

ونجح الفيلم .. ولكن مازال « عاطف الطيب » يمر بلحظات التردد والخوف .. يقول لى .. انه بعد نجاح الفيلم .. انهالت عليه عروض العمل فى افلام أخرى .. وصل عدد السيناريوهات التى قدمت له حوالى ٢٥ سيناريو .. ولكنه رفضها كلها .. لأنه ـ على حد تعبيره ـ لا يريد أن يفقد نفسه بعد المستوى الذى وصل إليه .. وأخيراً بدأ يفكر مع كاتب السيناريو « بشير الديك » فى موضوعين لفيلمين .. ربما لعبت أحدهما الممثلة الكبيرة فاتن حمامة التى أبدت اعجابها الشديد بفيلم « سواق الأتوبيس » وطلبت رؤية هذا المخرج الذى صنع فيلماً بهذا الجمال والقوة .

ما الذى يحلم به مخرج شاب لاقى كل هذا النجاح ؟

يجيب عاطف الطيب على سؤالى :

« اهم قضية بالنسبة لى ان احافظ على نفسى .. وان أكون صادقاً دائماً ولا انحنى لاغراءات السوق .. اننى اتمنى ان اكون فرداً وسط مجموعة من السينمائيين تهدف الى خلق سينما خاصة متطورة .. لها روح وطعم مصرى .. وتلعب دوراً هاماً فى اثارة الفكر والحيوية عند المتفرج » .

• •

ان فناناً له هذا المنطق .. وهذا الهدف .. لا يسعنا الا ان نقف بجواره ونشجعه ونحميه حتى يحقق لنا هذا الحلم .

« رءوف توفيق »

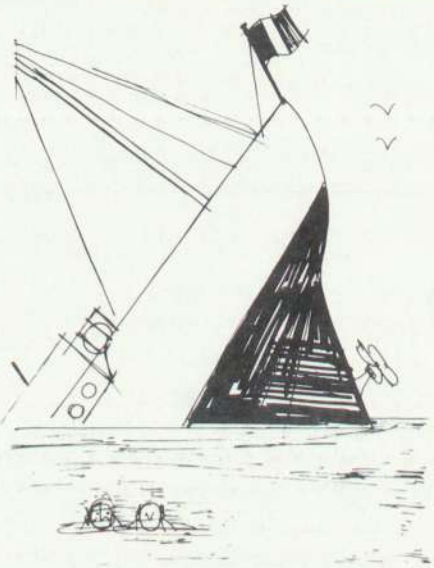


ضحكات الشهر

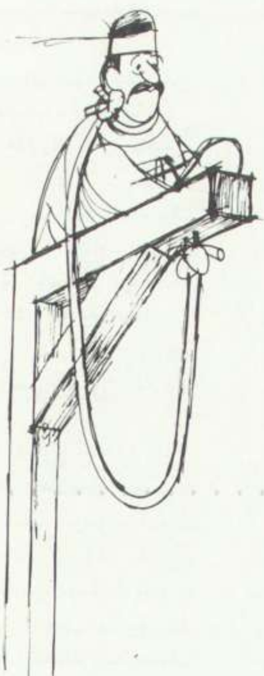


(مزيكه)

ـــ .. وأنت « عازف » ... ولا متجوز .. ! !



ـــ .. تشترى ساعة ووتر بروف .. ؟ ؟



بدون كلام .. ! !



بدون كلام .. ! !

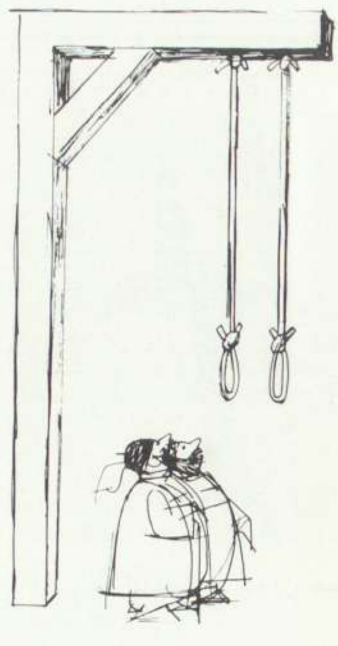


بدون كلام .. ! !

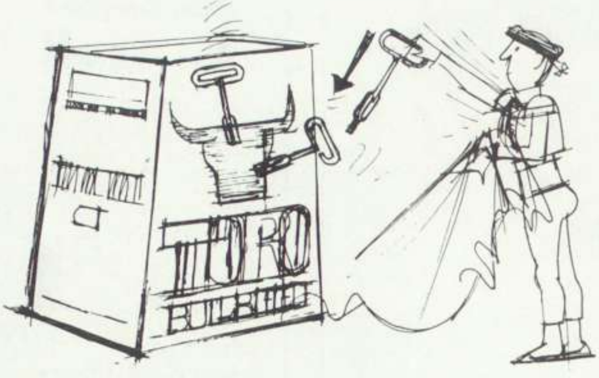


(مشكلة المواصلات فى المدن)

مارى انطوانيت ـ .. وليه الشعب مايركبش طيارات ؟؟



ـ ... مشنقه بروحين .. ! !



بدون كلام .. ! !

دوحة القراء



حاول أن تعرف



صورة (١) سوق لعرض أنواع «الجبن» فى دولة أوربية .. يقام هذا السوق فى صباح كل يوم جمعة من شهر مايو الى شهر أكتوبر .. وهذا السوق يحظى بشهرة عالمية ويعتبرونه من ضمن المعالم التى تميز هذه الدولة .. هل يمكنك التعرف على اسم الدولة ؟ .



صورة (٢) إنه أحد كبار الشعراء فى العصر العباسى .. ولد فى محلة كندة فى الكوفة ودرس بها ، واتجه الى البادية بين العراق والشام ، وأتقن اللغة العربية ، واحترف نظم الشعر ، واتصل بسيف الدولة الحمدانى وصار شاعره وصديقه وقتل هو وابنه محمد وبعض رفاقه فى عام ٩٦٥ هـ .. هل يمكنك التعرف على هذا الشاعر ؟ .

؟ ؟ مسابقة الدوحة ؟ ؟

يرجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة «دوحة القراء » كما يرجى كتابة اسم المسابقة وكتابة الاسماء والعناوين بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

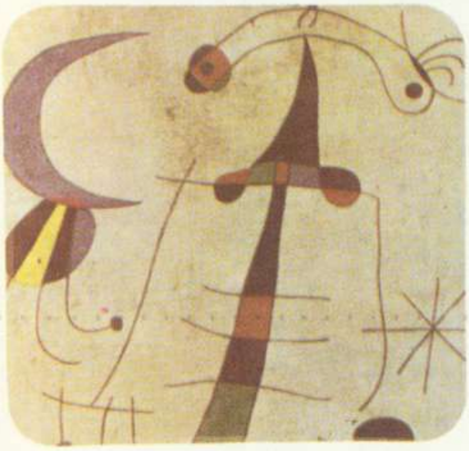
حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٨٧



الصورة الأولى : قاسم أمين

الفائز : زهير مصطفى / المغرب

الفائز : رجاء سليم عدي / الامارات



الصورة الثانية : جوان ميرو (ولد سنة ١٨٩٣) .

الفائز : عبد العاطي الطحاوى / مصر

الفائز : ابراهيم خليل محمد خليل / مصر

رجع بخفي حنين

قيل كان حنين اسكافياً من أهل الحيرة . ساومه اعرابى بخفين فلم يشتر منه شيئاً فغاظه ذلك . فخرج فعلق أحد الخفين على شجرة فى طريقه وتقدم قليلا وطرح الأخرى وكمن .

وجاء الاعرابى فرأى أحد الخفين فوق الشجرة فقال .. ما أشبهه بخف حنين لو كان معه الآخر لتكلفت أخذه . وتقدم .. فرأى الخف الآخر مطروحاً فنزل وعقل بعيره وأخذه ورجع ليأخذ الخف الأول . فخرج حنين من الكمين فأخذ بعيره ورجع الاعرابى الى حيه بخفى حنين . وصارت مثلا .

محمد أحمد حجاج ــ مصر

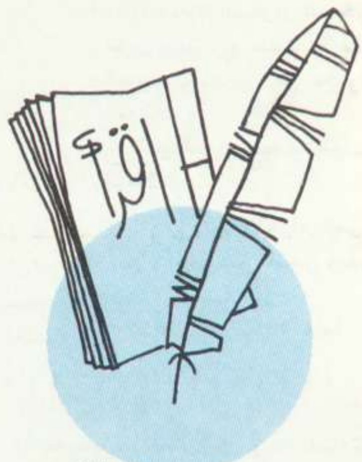
لقطة الشهر



صداقة غير مأمونة العواقب !

فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى القارىء : طارق أحمد علي ــ القاهرة

أحلى الكلام



● إن حب الاستطلاع فى العقول العظيمة السخية هو أول وآخر حب .

«صمويل جونسون»

● النزاع الطويل يعنى أن كلا الطرفين على خطأ . «فولتير»

● إن مأساة الحرب .. هى أنها تستخدم أفضل ما فى الانسان لاحداث أسوأ ما يصيب الانسان .

«هاري ايمرسون»

● تستغرق مناقشة المسائل التافهة وقتاً طويلا لأن بعضنا يعرف عنها أكثر مما يعرف عن المسائل الهامة ! «جوته»

محمد الحسن سالم ــ ج . م . ع

وقــالــوا..

● قيل للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه .. أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ . قال : هو أكبر منى وأنا ولدت قبله .

● نظر زاهد الى فاكهة فى السوق فلما لم يجد معه شيئاً يبتاعها به قال .. يا فاكهة موعدى وإياك الجنة .

● قال شبيب بن شبيبه .. اطلب الأدب فانه دليل على المروءة ، وزيادة فى العقل وصاحب فى الغربة ، وصلة فى المجلس .

● قال الجاحظ .. سمعت بعض العلماء يقول ، طبقات الشعراء ثلاث .. شاعر ، شويعر ، وشعرور .

عبد الكريم محمد العبيدى ــ العراق



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

؟ ؟

؟ ؟

مَن ؟

● الملك الأوروبى الذى هزمه طارق بن زيـاد اسمه المعرب من خمسة أحرف :

٢ ـ ١ مهانة وسوء حال .

٥ فعل أمر .

٣ ـ ٤ امتلاء بالماء .

أين ؟

● المكان الذى انهـزم فيه العدو أمام طارق بن زياد ، اسمه من كلمتين فى سبعة أحرف :

٧ ـ ١ ـ ٤ عشق .

٢ ـ ٣ ـ ٥ ـ ٦ أقودك فى الطريق .

ما ؟

● صفة تميز بها العرب واشتهر بها لسانهم ، قبل أن تطغى العاميـات الدارجة فى اقطارهم ، الكلمة من سـبعة أحرف :

٥ ـ ٢ ـ ٤ ـ ٦ ـ ٧ العافية .

١ ـ ٣ ـ ٢ غاب أو اختفى تحت الأفق .

الإجـابـة الصحيـحـة

(١) ثلاثة من الافاوية والعطور الآتية ورد ذكرها فى القرآن الكريم القيصوم ـ الزنجبيل ـ القرنفل ـ الكافور ـ المسك ـ الزعتر ـ الشيح

(٢) « يلتقط الغواصون نبات الاسفنج من قاع البحر الابيض المتوسط » هل هذه العبـارة صحيحة علميا ؟

(٣) معدنان من المعادن التالية يدخلان فى صناعة الألومنيوم : التورمالين ـ البـوراكس ـ البوكسايت ـ الكرايولايت ـ الزيولايت .

(٤) الاسم الدارج لسمك القرش فى دولة قطر هو : الجرجور ـ الخثاق ـ النهم ـ الناشوش .

(٥) واحد من الشعراء العرب الآتيـة أسماؤهم كـان يـدين باليهودية : امرؤ القيس ـ السموأل ـ الأخطل ـ عنترة .

(٦) انفصلت دولة بنجلاديش عن الباكستان فى سنة : ١٨٧١ ـ ١٩٠٧ ـ ١٩٧٠ .

(٧) الموطن الأصلى للجمل كما اثبتت دراسـات الحفـريات المستحجرة هو : امريكا الشمالية ـ أسيا ـ استراليا ـ الربع الخالى

(٨) مؤلف كتاب الخصائص فى القرن الرابع الهجرى هو : أبو الفتح عثمان بن جنى ـ ابو ذؤيب الهزلى ـ ابو المسك كافور

(٩) نبات السكران الصحراوى الذى نستخرج منـه عقـار الهيوسـيامين من مجموعـة النباتات : النجيلية ـ الباذنجانيـة ـ الزنبقية .

(١٠) عدد الأعوام التى مرت بين مذبحة دير ياسين ومذبحـة صبرا وشاتيلا هو : ٣٤ ـ ٤٤ ـ ٥٤ عاماً .

حل مسابقـة العـدد ٨٧

من ؟ : روجيه جارودى .

أين ؟ : فرنسا .

ما ؟ : الصهيونية .

الأجوبة الصحيحة

١ ـ بيت لحم .

٢ ـ الكومـوروس ـ مدغشقر موريشسيوس .

٣ ـ الآزوت .

٤ ـ الطين .

٥ ـ نعم .. صحيحة .

٦ ـ محدبة .

٧ ـ كجلمود صخر حطه السيل من عل . لامرىء القيس فى وصف حصانه ومن بحر الطويل .

٨ ـ الأزتيك ـ الانكا ـ المايا .

٩ ـ المصرية .

١٠ ـ الأبقار .

أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ أصل وصورة :

الحل : كلمة «ماركت ـ شعر البائع ـ عيونه ـ شاربه ـ شعر المرأة ـ فمها ـ حذاؤها» .

الفائز : عبد الهادى ساتى محمد / الامارات

الفائز : محمود محمد السيد أبو ركبه / مصر

٢ ـ لأقوياء الملاحظة :

الحل : طائر ـ جزرة ـ وردة ـ كرة ـ تفاحة ـ حذاء .

الفائز : سليمان سعيد حماد العيرى / عمان

الفائز : دينا عبد الحبيب سلام / اليمن الديمقراطية .

٣ ـ المثل يقول :

الحل : يا قاعدين يكفيكم شر الجايين .

الفائز : حياة علي محمد / مصر .

الفائز : أحمد سند عبد الله / مصر .

قرأت المـــرأة وطوابـــع البريـــد

ـ صدر أول طابع بريد يحمل صورة سيدة فى العالم فى ٦ مايو عام ١٨٤٠ للملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا العظمى .

ـ أما فى الولايات المتحدة الأمريكية فقد صدر أول طابع تذكارى فى العالم عام ١٩٠٣ م يحمل صورة « مارتا واشنطن » زوجة جورج واشنطن أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية .

ـ ومن ايطاليا صدر طابع بريد يحمل صورة سيدة تدعى «كريويره دى سليتا» التى أحبها غاريبالدى أحد زعماء ايطاليا والتى كانت مثالا لجهاد المرأة لتحرير وطنها .

ـ واحتلت «فلورنس نايتنجيل» أحد طوابع البريد الألمانية تقديراً لجهودها فى خدمة الجنود الانجليز أثناء حرب القرم .

ـ أما عالمة الذرة «مدام كورى» فقد كانت أول امرأة يصدر لها طابع بريد فى إمارة موناكو .

ـ وأصدرت فرنسا طابعاً تذكارياً يحمل صورة الممثلة الفرنسية الشهيرة «بريجيت باردو» .

ـ وتكرر اصدار طوابع بريد تحمل صورة امرأة فى جمهورية مصر العربية .. الأول صدر عام ١٩١٤ يحمل صورة الملكة «كليوباترة» وهو من المجموعة السياحية والثانى صدر عام ١٩٤٧ بمناسبة المعرض الدولى للفنون الجميلة وكان يحمل صورة الملكة «نفرتيتى» .. كما حمل الطابع الثالث الذى صدر عام ١٩٦٠ بمناسبة الدعوة لانقاذ آثار النوبة ـ صورة الملكة «ايزيس» .

وكان الطابع البريدى المصرى الوحيد الذى حمل صورة امرأة عادية من عامة الشعب للفلاحة المصرية العريقة .



كارم بخيت شحاته ــ مصر

جائـزة نوبـــل .. والفائـزون الأوائـل

جائزة نوبل أسسها رجل الصناعة وعالم الكيمياء السويدى «ألفريد نوبل» الذى ولد فى ستوكهولم عام ١٨٣٣ م وتوفى عام ١٨٩٦ م . وقد توصل الى اختراع مادة الديناميت عام ١٨٦٦ م ولكنه أصيب بخيبة أمل كبيرة حين تحول اختراعه الى وسيلة لنشر الخراب والدمار بدلا من الاستفادة به فى الأغراض السلمية . وقد دفعه هذا الى تخصيص جوائز تمنح للشخصيات والعلماء الذين يعملون لخير البشرية وتقدمها ويسعون لنشر السلام .

وقد منحت جوائز نوبل للمرة الأولى عام ١٩٠١ م فى كافة المجالات عدا المجال الاقتصادى الذى بدأ توزيعها فيه عام ١٩٦٩ م .

عبد الله سليمان الجابرى ـ سلطنة عمان

أسـماء الفـائزيـن

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : مصطفى عميره ـ الدوحة ـ قطر .

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : أبو القاسم محمد ابراهيم ـ السودان .

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك صدة نصف سنة القارىء : غسان توفيق غنام ـ سوريا .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ علي محمد احمد الحسن ـ قطر
٢ ـ صلاح الدين عبد العزيز شرف ـ مصر
٣ ـ يوسف عبد الله الشبعان ـ البحرين
٤ ـ رعد حسن فخر الدين ـ لبنان
٥ ـ منى وحيد مناع ـ الكويت
٦ ـ بابكر حامد ابراهيم ـ قطر
٧ ـ خالد حسن المهدى ـ الامارات
٨ ـ أشرف مصطفى الهندى ـ مصر
٩ ـ خالد اللبابيدى ـ سوريا
١٠ ـ عبد الرحمن أبكر سليمان ـ السودان

استراحة الدوحة العدد ٨٧

٤ ـ لوحة لم تتم : الحل : يوسف وهبي .
الفائز : محمد عبد الحسين عبد علي / البحرين .
الفائز : عماد حمودة / سوريا .
٥ ـ لعبة الظلال :
الحل : رقم ٣
الفائز : الخلفانى رحال / المغرب .
الفائز : مروان محمود مصلح / قطر .
٦ ـ يخلق من الشبه أربعين :
الحل : رقم ٣
الفائز : رياض فضلون / تونس .
الفائز : تركى محمد النهار / الاردن .
٧ ـ هات أجمل تعليق :
التعليق : مين طفى النور .
الفائز : عبد المعز عوض / سوريا



استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رووف

دوري الكاريكاتير



● اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كا لصاروخ ، وسجل هدفاً قوياً فى مرمى الخصم .. هل تستطيع أن تحدد من هو صاحب هذا الهدف وما رقم فانلته ؟ .. إذا عرفت الحل .. ارسله الينا ولك جائزة (٦٠ ريالا)

بالماكياج!



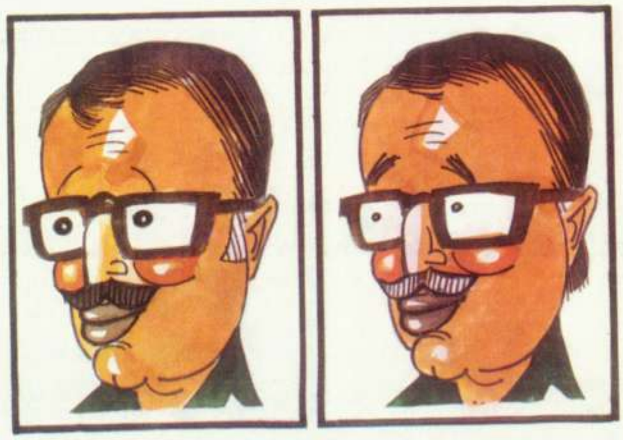
● دخل هذا الفنان غرفة الماكياج وخرج منها على هذه الصورة .. ليؤدى دوراً جديداً .. هل تستطيع ان تتعرف على هذا الفنان مع العلم بانه فنان عربى محبوب . ؟
ولك جائزة (٦٠ ريالا)

لأقوياء الملاحظة فقط!



امامك رسوم لستة اشياء متداخلة . هل تستطيع التعرف عليها ؟ .. إذا عرفت الحل ارسله الينا لتحصل على جائزة (٦٠ ريالا) .

أصل وصورة



● بين اصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيري .. هناك سبعة اختلافات طفيفة .. هل تستطيع التعرف عليها .. ؟ (الجائزة ٦٠ ريالا) .

هات أجمل تعليق :



هل تستطيع ان تكتب تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى .. حاول ربما حصلت بخفة ظلك على جائزة (٦٠ ريالا) .

لعبة الظلال



هل يمكنك مساعدة هذا اللاعب فى العثور على ظله الصحيح بين هذه الظلال الثلاثة ؟ .. الجائزة (٦٠ ريالا) .

يخلق من الشبه أربعين



الصور الستة المنشورة هذا الشهر لستة اشخاص يشبهون الفنان الراحل « عبد الحليم حافظ » الذى كانت تلقبه الجماهير بالعندليب الأسمر .. إلا انك لو دققت النظر لاكتشفت ان هناك إختلافات بسيطة موجودة فى هذه الصور فيما عدا صورة واحدة تشبهه تمام الشبه .. هل تستطيع التعرف عليها ؟ .. حاول لتكسب (٦٠ ريالا) .

النورس .. والعصفور

بقلم: إسماعيل تامر

تقفين على الف شاطىء .. وترسمين الف درب .. ولدى رسالة واحدة أبعثها إليك تبتعد عنها الشواطىء بقدر لهفتها للوصول .. وتضيع منها الدورب بقدر شوقها للوجود وتبقى رسالتى هائمة على وجهها ، حزينة كقلبى .. جامدة كمرآة على حائط ..

– «بحسرة» لو كان لي حزنك هذا .. ؟!

– هل تحسدنى أيها العصفور ؟

– بل أدفعك أيها النورس .

– «باستخفاف» أنت تدفعنى !!

– «باعتداد» إن الكلمة لا يضعفها أن تخرج من فم صغير .

– هل تعرض بي أيضاً .. إياك .. إنك لا تحتمل أكثر من خفقة بجناحى على أم رأسك .

– «متحاشيا» لقد دافعت عن نفسي .. فهل أستحق عنفك هذا ؟

– اسمع انا لا احب الجدل ، ولا أسلوب لف الكلام على بداياته

– يا عزيزى النورس ، إنك تنظر إلي بعدوانية شديدة لا أكاد أجد لي منفذاً من حصارها .

– لا يهمنى . ذلك شانك .. يكفينى همومى وأحزانى .

– ولماذا لا تشركنى فى همومك هذه .

– أشركك أنت ؟!

– «بنرفزة عصفورية» أقول لك .. لماذا لا تغلق عينيك وأنت تستمع إلي .

– «ضاحكاً» مع ذلك ، سيظل صوتك صغيراً .

– خذ صوتى الذى بحجم كلماتى .

– ألا تقول لي ما الذى تريده منى بالضبط !

– أبداً .. هذا يتوقف عليك .

– ولكن كيف ؟

– هل تسالنى بقوة ؟

– بقوة تعادل حزنى .

– هل يهمك أن تغسل هذا الحزن ؟

– هل يعقل ذلك ؟

– بل يعاش !

– كيف ؟!

– تسمع هذه الحكاية عن النورس الذى ذهب الى الغابة ذات الأبواب السبعة .

– ذهب للغابة وترك البحر ؟!

– إن السمك لا يهرب من البحر !

– قل لي هذه الحكاية .

واتكا النورس على جانحه .. بينما ذهب العصفور الصغير يحكي له عن النورس الذى ذهب الى الغابة ذات الأبواب السبعة ..

– يحكى أن نورساً حزيناً عاش فى فترة لا يحسبها الزمان .. ذهب للغابة ليغسل حزنه .. كل شيء كان مثيراً فى بابها الأول .. تكاد التفاصيل تخنق من يعيش هناك وكل شيء مباح فيها والمتعة لا تصدق .. !!

– وبعد ؟

– خيل للنورس الحزين ، أنه لن يشبع أبداً وهو غارق هناك .. لكن الزمان لا يمل السير للامام وبدا على النورس أنه بات يشعر برتابة الأشياء .. خاصة عندما شعر أن الباب الثانى صار قريبياً منه .

– وهل ذهب للباب الثانى .

– نعم !!

– وما الذى حدث له هناك ؟

– تغير كل شيء رغم أن التفاصيل الجديدة نفس التفاصيل القديمة ..ولكن بهندسة أجمل .. وعاش هناك سابحاً .. لكنه سرعان ما أحس بان شوقه يكبر .. ولم يدر إلا وهو يقف على عتبة الباب الثالث فقد كان مفتاحه الشوق .

– «باستسلام» ثم ماذا ؟!

– تغيرت الأحوال ، وكادت التفاصيل أن تختفى .. وبدأ شيء ينمو ويكبر فى داخله يريد أن يتجاوز كل شيء .. يجمع كل التفاصيل بلون الغابة وينشرها بلون الحزن ! وعندها دخل ففى الباب الرابع .. حيث لا يجد هناك الأشياء .. بل عناوينها !!

– وبعد ؟

– ترك نفسه للطريق الذى يصل الى الخامس والسادس !!

– ولماذا الخامس والسادس معاً ؟

– لأنهما بابان ولكن مفتاحهما واحد .. وهناك .. وجد لافتة من أوراق الغابة مكتوباً عليها : احذر .. إنك حتى هذه اللحظة لديك الخيار للرجوع .. أما إذا دخلت فيجب أن تكمل الطريق الى النهاية .

– الى النهاية ؟!

– هناك .. حيث الباب السابع !!

– وهل ذهب الى هناك ؟!

– دعنى أحكي لك أولا عن الباب السابع .. هناك .. حيث يتوحد كل شيء .. وتعيش جمعك بعد تفريقك .. هناك حيث لا أنت ومن أنت وكيف أنت .. هناك حيث لو بقي لديك شيء من ارادتك أو ذاكرتك لوجب عليك أن تقفز من نافذة الباب السابع الى عمق الغابة حيث تحترق الى الأبد !

ولحظتها .. نظر النورس الى حزنه الذى بلون جناحيه وهمس لقلبه المذعور أن يخفق بعيداً عن العصفور .. وعند ذاك ناداه العصفور قائلا :

– ألا تريد أن تذهب الى الغابة ذات الأبواب السبعة ؟؟!

– لا أريد أن أرجع للبحر .

– وحزنك الذى تريد أن تغسله ؟

– إنني لا أثق بحكاية عصفور !!

– ألم أقل لك أن تغمض عينيك .. وأنت تستمع لصوتى .

– أفضل ذلك .. عندما أصطاد سمكة جاءت تبحث عنى !!!

– إن السمك لن يهرب من البحر .

– سيهرب لو صدقت الحكاية !!



إرو عَطشَك مَع

تيم



"فرسان" .. للفنان القطري : محمد الجيدة

العدد ٩٠ - شعبان ١٤٠٣هـ - يونيه ١٩٨٣م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية



● العروبة والإسلام معًا
بقلم: محمد الغزالي

● لا مفرّ من مصالحة عربية مع النفس
بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

● كوكب الغيرة
قصة جديدة بقلم د. عبد السلام العجيلي

قصة الحضارة العربية في حروف جميلة


MIRINDA
ميرندا
بطعم البرتقال الطبيعي

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

● السودان
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم

● مصر
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء - القاهرة

● سوريا
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكة - تجاه ثانوية فايز منصور
ص . ب ٤٩٠٢ - دمشق

● العراق
الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة
ص . ب ٦٢٤ - بغداد

● ليبيا
المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازى : ص . ب ٣٢١ - بنغازى

● الاردن
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب ٣٧٥ - عمان

● البحرين
دار الغد
١ شارع المعارف - بناية الدرازى
ص . ب ٥٠٥ - المنامة

● سلطنة عمان
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر
ص ب ١٠١١ - مطرح
مسقط

● تونس
الشركة التونسية للتوزيع
٥ شارع قرطاج
ص . ب ٤٤٠ - تونس

● السعودية
مؤسسة الجريسى للتوزيع والاعلان
ص ب ١٤٠٥ - الرياض
مكتبة ومطبعة ضياء - المدينة المنورة

● الكويت
شركة دار الكويت للصحافة
ص . ب ٢٣٩١٥ - الصفاة
الكويت

● لبنان
الشركة العربية للتوزيع
ص . ب ٤٢٢٨ - بيروت

● الجمهورية العربية اليمنية
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء

● جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية
مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع
ص . ب ٤٢٢٧ - المحافظة الاولى
عدن

● الامارات العربية المتحدة
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام - عمارة ثاني بن محمد
ص . ب ٧٩١ - ابو ظبي

● المغرب
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ص . ب ٦٨٣ - الدار البيضاء
MAROC :
SOCHEPRESS
B. P. No 683
CASABLANCA.

● الجزائر
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر
ALGERIE
S. N. E. D.
20 RUE DU LIBERTE
ALGER.

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٩٠ - شعبان ١٤٠٣هـ - يونية ١٩٨٣م

المراسلات :

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تيلكس : 4521 MAGDO DH -
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
مدير التحرير : ٤٢١١٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٦٠ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٦٦ ريالا قطريا
باقى الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها .
فى باقي دول العالم ٧٢ ريالا قطريا .
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٢٥ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٣٢ ريالا قطريا
فى باقي دول العالم ١٤٠ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

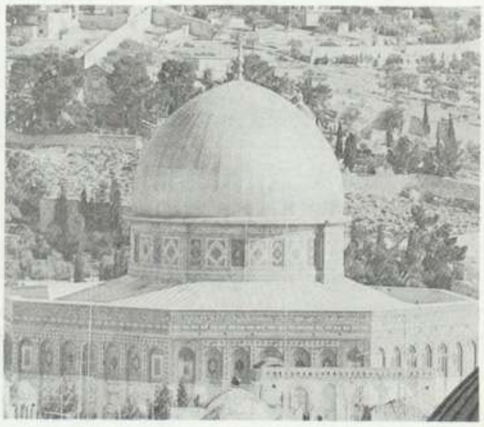
قطر : ٥ ريالات
البحرين ٣٠٠ فلس
الامارات العربية ٥ دراهم
عمان ٢٥٠ بيسة
الكويت ٣٠٠ فلس
السعودية ٥ ريالات
الجمهورية اليمنية ٣٠٠ فلس
اليمن الديمقراطية ٣٠٠ فلس
العراق ٣٠٠ فلس
المملكة الاردنية ٢٥٠ فلسا
سوريا ٢٥٠ قرشا
لبنان ٢٥٠ قرشا
مصر ٢٠٠ مليم
ليبيا ٤٠٠ درهم
السودان ٢٥٠ مليما
تونس ٤٠٠ مليم
الجزائر ٤ دنانير
المغرب ٤ دراهم

باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين

● جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
● الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولاتعبر بالضرورة عن رأي وزارة الإعلام أو رأي المجلة
● المواد لاتعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

في هـــذا العـــدد



المسجد الأقصى رحلة تاريخيـــة بين البطولة والمحنـــة ص ٥٢



د . سهير القلماوى : طه حسين كان يحرضنى على الشجاعة ص ٨٢



مع التواشيح الأندلسية والفن المغربي الأصـــيل ص ٧٢

● دراسات ومقالات ●

● لا مفر من مصالحة عربية مع النفس .... د. محمد جابر الأنصارى ٦

● العروبة والاسلام معاً : قبلة العالم فى أرضنا ، فما معنى هذا ؟ .... محمد الغزالى ٩

● كتب قيمة من التراث ترى النور لاول مرة .... وجيه الشربجى ١٢

● حاييم هيرتسوج على خطى بن جوريون .... عصام شريح ٢٠

● خواطر تسر الخاطر .... زكريا تامر ٢٤

● ... وهكذا كان نعمان ! .... محمود السعدنى ٢٦

● دور العمائم فى تاريخ العرب الحديث : ثائر يتحدى اللورد ! .... فتحى رضوان ٣٠

● قصة من تاريخ العريش : الخواجة شمعون .... درويش مصطفى الفار ٤٠

● الشيخوخة ليست نهاية الشباب ! .... د. عز الدين فراج ٤٦

● المسجد الأقصى : رحلة تاريخية بين البطولة والمحنة ..... حسنى شحادة ٥٢

● انهم يتلاعبون بهندسة الوراثة .... د. عبد المحسن صالح ٦٦

● آراء حرة : الذى سقط سهواً من السعدنى ! .... د. علاء عباس الأسوانى ٧١

● سمكة البعوض والحشرة التى حيرت العلماء .... د. خليل ابو الحب ٩٦

● مجتمعات تعيش فى الماضى : مازالوا يرقصون بالثعابين .. ويرتدون الأقنعة !! .... وليد عياد ١١٠

● جزيرة الكنز والفنان الذى أحبه ملايين الأطفال .... جمال الكنانى ١٢٢

● الورقة الأخيرة : ما ينقصنا فى الحياة ؟ .... د. خليل قطاطو ١٤٦

● شؤون الخليج ●

● أوراق من البحر : أم راشد .. تزرع الفرح على وجوه النسوة ! .... عبد الرحمن المناعى ٧٢

● أسبوع الثقافة المغربى فى الدوحة : مع التواشيح الأندلسية والفن المغربى الأصيل .... سنان المسلمانى ٧٦

● خليفة القطان .. فنان كويتى يقتحم عقل المشاهد بالأفكار ! ..... يوسف احمد ١٠٢

● أدب وفنون ●

● ازمة الانسان العربى فى رواية معاصره .... يوسف الشارونى ١٦

● مجمرة الرماد «شعر» .... حسن عبد الله القرشى ١٩

● مراثى الشهداء «شعر» .... محمد الظاهر ٢٩

● اتجاهات جديدة فى القصة السكندرية القصيرة المعاصرة د. محمد مصطفى هدارة ٣٦

● مدريد تستعيد وجهها العربى القديم : فى اسبانيا احتفل العالم بالذكرى العاشرة لعميد الأدب العربى ....
فتحى سعيد ٤٢
● الأيام الأخيرة فى حياة شاعر عالمى من ايطاليا ! ....
د. عيسى الناعورى ٧٤
● حفنة نور «قصة» ....
ابراهيم أصلان ٧٩
● أضخم مهرجان للفنون الاسلامية فى اسطنبول ٨٠
● د. سهير القلماوى : طه حسين كان يحرضنى على الشجاعة ! .... مفيد فوزى ٨٢
● زيلوس كوكب الغيرة «قصة» ....
د. عبد السلام العجيلى ٨٦
● نجمة «شعر» ....
علام عبد الله ٩٥
● حوار مع مصطفى العقاد : الطائر العائد من خلف المحيط ! .... جميل العابد ١٠٤
● رمزية باج : فنانة تنتقى ألوانها دون صخب ! ....
بشرى ناصر ١١٤
● اقتحام «قصة» ....
وليد اخلاصى ١١٦
● حين تستعصى المسافة «قصيدة» ....
عبد الرحيم عمر ١٢٦
● حينما يتداعى الانسان «قصة» ....
كلثم جبر ١٣٠
● ظاهرة جديدة فى السينما الامريكية : العزاء والأمل للضائعين فى الزحام .... رءوف توفيق ١٣٢

● أبواب ●

● دائرة المعارف القرآنية : أداء الواجبات ....
د. محمد البهى ٤٩
● حتى لا ننسى : المخطط الاسرائيلى فى قلب البحيرة المغلقة .... نبيل خالد الآغا ٥٠
● كتاب الشهر : ديوان الخط العربى .. قصة الحضارة العربية فى حروف جميلة .... مجدى نصيف ٦٠
● من روائع الفن العالمى : بين النسيان وصمود العبقرية ...
جمال قطب ٩٨
● لقطات من الكون المثير ١٠٠
● قف . هل تعلم ؟ ....
عبد العزيز السيد المصرى ١٢١
● العلم والمستقبل ....
لبنى الريدى ١٢٨
● ضحكات الشهر ....
صلاح الليثى ١٣٨
● دوحة القراء ١٤٠
● مسابقة الدوحة ١٤٢
● استراحة الدوحة .... رءوف ١٤٤

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

لنتجاوز المحنة :

لامفرّ من مصالحة عربية مع النفس

بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري

أن تحل بالأمم الكوارث والنكبات .. ذلك أمر طبيعي يحدث لكل أمة على وجه الأرض ، فى مختلف مراحل التاريخ .

ولكن أن يستمر الضياع .. ويستمر العجز أمام الكارثة ، ذلك ما ليس بطبيعى .. وذلك ما يبعث على القلق والتشاؤم والمأساوية وما يتطلب مواجهة عاجلة بأقصى درجات الوضوح الفكري واقصى درجات الانضباط والعمل الارادي الدائب .

والخطير ليس أن نصاب بالمرض .. الخطير أن نتهرب من واقع المرض ، وأن نعجز عن تشخيصه بشكل صائب ، وأن نخفق فى اتخاذ الخطوات الضرورية الفعلة على طريق العلاج .. وأن ينتقل المرض من الجسم الى النفس والعقل والروح والارادة .. فتلك هى الكارثة الحقيقية .

ويبدو ان القوى المعادية التى استغلت السلبيات العربية العديدة وأوصلت الامة العربية الى ما هى عليه الآن ، أى الى وضع المرض المستفحل المؤلم ، تعمل الآن بشراسة من اجل المرحلة التالية ، الأخطر والأفدح ، وهى مرحلة تعجيز العرب عن التفكير السليم فى الكوارث النازلة بهم ، وتعجيزهم عن اتخاذ اية خطوة فى سبيل استرداد العافية ، بعد أن تم تعجيزهم عن مواجهة التحديات الأجنبية التى أحدقت بهم من كل جانب ونفذت الى عمق كيانهم .

ومرحلة التعجيز عن الوصول الى أى علاج سليم هى بمالا يقاس أخبث كثيراً من مرحلة التعجيز عن المواجهة الخارجية ، لأن ذلك يعني استمرار تحطيم الحصانة الداخلية للجسم بعد ان اخترقته الجراثيم المندفعة من الخارج .

وما يحدث اليوم للعرب ، بعد أن تمت مرحلة اختراق الجسم العربى ابتداء بكارثة حزيران ١٩٦٧ وانتهاء بمذابح صبرا وشاتيلا ١٩٨٢ ، هو انه يراد الآن تشويه المعاناة العربية للكارثة ، وصرفها عن مواضع الوجع الحقيقى ومواضع السرطان المتنامي الى الانشغال بمضاعفات أخرى جانبية أو مصطنعة أو الى علاجات خاطئة تزيد الداء استفحالا ، كل ذلك حتى لا تصحو هذه الأمة على وجعها الحقيقى وعلى ألمها الحقيقى وتقول هنا ألمى ، وهذا هو بالتحديد دائى ، ومن هنا يبدأ العلاج ، وهكذا يكون الرد .

نعم .. لا يريدون لهذه الأمة أن يكون جرحها نقيا . فبعد أن جرحوها فى العمق ، يريدون للجرح أن يتلوث ويتعفن ويبقى كذلك ، حتى يتسمم ويؤدى بها الى الموت .

هذه هى طبيعة المرحلة الراهنة ، وهذا هو شعارها : أن تحرم الأمة من المعاناة النقية السليمة .. أن تمنع من التفكير السليم والتشخيص الصحيح لجرحها العميق ، تمهيداً لاكمال عملية الافتراس .

والعرب من جانبهم لا يمكنهم التهرب من واقع الجرح اليوم . الجرح موجود وقائم فى الصميم .

ولكنهم قادرون على منع تلويثه وتسميمه قادرون على تحويله الى معاناة نقية ، والى ألم مطهر للنفس وجعله من تلك الآلام

النبيلة التي تصيب الأمم فتجعلها أكثر وعياً ، وأكثر مناعة ، واقدر على شرف المواجهة وعلى تحمل أعباء الحياة .

● المزيد من التشرذم أم الرد الوحدوى ؟

وكمثال واحد على تشويه المعاناة العربية ، بين أمثلة كثيرة ، هو أنهم عندما نجحوا فى استفراد كل بلد عربى وحيداً فى الساحة بمفرده ، واقتطعوا منه ما أرادوا ، **وفرضوا عليه المخطط الموضوع ، بادروا فوراً الى تعميق خلافاته الداخلية وأشعالها ليتحول كل كيان عربى الى عدة كيانات متصارعة ومتشرذمة ومنقسمة فيما بينها الى ما لا نهاية ، تدور بلا حول ولا قوة ، فى فلك** الارادة المعادية والهادفة الى سلب ميراثها **ذلك لأنهم يدركون تماماً أن كل قطر عربى ،** تم استفراده تحت ظروف قاهرة لابد وأن يعود الى أشقائه العرب الآخرين ، لوصل ما انقطع ، والتعويض عما تم التفريط فيه ، وإحياء الرابطة العربية الشاملة التى لا بديل عنها ولا علاج غيرها .

ولوأد هذا الإحياء ، وقطع الطريق على هذه العودة ، وتشويه رد الفعل العربى ، تأتى المرحلة التالية فى مخطط العدو لتفتيت كل قطر عربى بمختلف وسائل التقطيع من طائفية واقليمية ومن إرهاب وتكبيل وافقار ، لكى لا تتاح فرصة استرداد الأنفاس ، والعودة الى خط الارادة العربية المشتركة .

وهكذا يتحدد طابع الصراع الفكرى ـ النفسى بيننا وبين العدو فى المرحلة الراهنة : بعد شق الصف العربى يصمم العدو الآن على شق الصف الداخلى والارادة الداخلية فى كل قطر عربى ، ويتوجب أن يكون جوابنا عليه العودة الى الرابطة العربية الكبرى الواحدة حتى لا نجد كل بلد من بلداننا وقد تحول الى بلديات ومتصرفيات ومدن معزولة تدور فى فلك الارادة المعادية لنا جميعاً ، لنا كأمة ، ولنا **كأقطار** ، ولنا كطوائف وأقليات وأغلبيات ، على حد سواء ، ودون تمييز . فالعدو ، كما اتضح فى سلوكه فى لبنان ، لا يميز فى حقيقة الأمر بين طائفة وأخرى ، ولا بين مذهب وآخر ولا بين أقلية وأكثرية .

أنه يريد أرض الأقلية والأكثرية وسيادة **الأقلية والأكثرية** ، وخيرات **الأقلية** والأكثرية بلا استثناء .

فهل نستسلم للمخطط المكشوف ، ونترك العدو يفعل بنا ما يشاء ، ويوصلنا الى هدفه النهائى وهو تحويل كل جزء من أوطاننا الى محمية تابعة لفلكه ، أم نقلب مجرى الأحداث فى وجهه باصرارنا على تنقية المعاناة وتصحيح العلاج وذلك بالعودة الى وحدة الوطن ، وحدة كل وطن من أوطان العرب ، ثم تسييج هذه الوحدة الوطنية بالرابطة العربية الأكبر والأشمل بعد تنقيتها من الشوائب التى علقت بها فى الماضى ، وتطويرها فى ضوء المتغيرات الجديدة لتتناسب مع طبيعة المواجهة واحتياجات الأمة ، وواقعها ، وتطلعاتها ؟

● ● ●

إن الأعداء يدركون بأن أمة عريقة ، واسعة الأرجاء غنية التجربة ، راسخة الجذور ، كأمتنا لابد أن تنهض وأن تستفيد من دروس الكارثة اذا عرفت كيف تعانى آلامها الحقيقية وكيف تعالج جروحها البليغة .

لهذا فهدفهم اليوم هو تشويه المعاناة واخفاء الداء الحقيقى الذى هو التجزئة والتفرقة والتخلف ، واصطناع أعراض **مزيفة كالخلافات المذهبية والمحلية والاقليمية ، وخلق صراعات مصطنعة** كالجدل بين التقدميين والتراثيين ، وكالجفاء بين العروبيين والاسلاميين ، وبين القوميين والدينيين ، وما الى ذلك من معارك جانبية لتصبح هى الصراع الحقيقى وليتحول صراع الأمة ضد **أعدائها** وضد تخلفها الى الظل والى الهامش ، فيصبح العدو صديقاً وشريكاً ، ويصبح الأخ والشريك عدواً .. وهكذا .. تنقلب كل المفاهيم والبدائه والمسلّمات فلا يعرف العرب كيف يتحركون للخروج من المأزق التاريخى الذى وقعوا فيه ، ولا فى أى اتجاه يتجهون ، فتكتمل مرحلة الكارثة بمرحلة الضياع وما بعد المرحلتين إلا مرحلة **النهاية** .. لا سمح الله .

ولننظر كيف فعل الغرب بمصير تركيا .. لندرك ولنتعظ . كانت تركيا تقود عالماً اسلامياً واسع الأرجاء . وكانت تتصدى بقيادتها هذه لمخططات الغرب فى المنطقة **الاسلامية كلها** .

وأدرك الغرب أنه للاستفراد بالمنطقة يجب فصل تركيا عن جسمها الشرقى الاسلامى كله ، واستفرادها ثم استفراد كل بلد فى هذا الشرق على حدة .

وباسم الانتماء للحضارة والتقدم ، **وباسم التحالف مع الغرب** وباسم المساعدات الغربية ، أغروا تركيا بالتنكر لاسلامها وتراثها وتاريخها العثمانى وحروف قرآنها .. (كما يغرى الغرب اليوم دولا عربية بمساعداته ، وتحالفاته ، وصداقته) .. فوقعت تركيا فى الشرك .. ووقعت فى المصيدة . وهى اليوم لم تعد تنتمى لشرقها الاسلامى الكبير ، ولم يقبلها الغرب سوى تابع لحلف الأطلسى ، وحتى رفضوا دخولها السوق الأوربية المشتركة رغم أنهم قبلوا جارتها اليونان .

واليوم تركيا الى أين بعد أكثر من خمسين سنة من الولاء للغرب **والقطيعة** مع الاسلام والعرب ؟

أى مصير ؟ أى مكانة ؟ أى شخصية وهوية وانتماء ؟؟

وليس سراً أن دولا عربية وقعت أو على وشك أن تقع فى مصيدة شبيهة بالمصيدة التركية .. فهل ستقبل بهذا المصير .. وهل سترضى بالموضع الذى كبلوها به وفرضوه عليها ؟

ذلك سؤال مصيرى من أسئلة المعاناة الواجبة ومن وسائل تنقية الجرح ، كي يلتئم ، لا كي يبقى متسمماً كما يريدونه .

والواقع أنه كلما طال أمد القطيعة العربية ، كلما طرأت ظروف ، وتراكمت مضاعفات تمنع العودة وتخلق واقعاً انفصالياً جديداً .. كالواقع الذى وجدت تركيا نفسها فيه فى نهاية المطاف . وعلى العرب جميعاً أن يتحركوا باتجاه بعضهم قبل نسف الجسور نهائياً وقبل فوات الأوان .

● بين الأصولية والتقدمية : لا مفر من الحوار

ثم لننتبه الى لعبة أخرى ، بل مؤامرة أخرى مستمرة دائمة ، لا تقل خطورة .

وهو ان أعداء الأمة ، بالاضافة الى تفريقهم لها على أساس الفروق الاقليمية والحساسيات الجغرافية بين قطر عربى

لامفرّ من مصالحة عربية مـع النـفـس

وآخر ـ وهذا هو التمزيق الأفقى ـ عمدوا أيضاً الى تمزيقها عمودياً فى العمق باشعال النار فى كل مرحلة بين التيارين الرئيسيين فيها : التيار التقدمى والتيار الأصولى ، التيار العصرى والتيار السلفى ، التيار القومى والتيار الدينى .

وكان اللعبة تقتضى أن يقف الأعداء فى صف التيار الأضعف عندما يقوى التيار الآخر ويبدو أنه على وشك توحيد الأمة والأخذ بيدها نحو التحرر والخلاص .

فعندما كان التيار الدينى الأصولى هو السائد لدى الأغلبية أو هو الغالب ، عمد الغرب الى تغذية التيار القومى العصرى ، لا حباً فيه ، ولا رغبة فى انتصاره ، وإنما لتفجير الصراع داخل جسم الأمة بين العروبيين والاسلاميين ، وبين العصريين والسلفيين ومنع قيام الجبهة الموحدة الضرورية بين الجانبين .

وعندما بدا أن التيار القومى العصرى قد أصبح الصيغة الغالبة ، وأنه على وشك احداث التغيير المنتظر فى مسار الأمة ، تظاهر الغرب بتأييد التيار المحافظ ، لا حباً فيه أيضاً بطبيعة الحال ، ولكن لموازنته فى الصراع المرير ضد التيار الآخر .. وهكذا ..

هكذا يريدون الصراع فى جسم الأمة .. دائماً مريراً لا هوادة فيه ولا رحمة ولا نهاية له ، حتى يسقط التياران معاً ، وتسقط معهما الأمة كلها .

ولقد آن الأوان لنكتشف هذه اللعبة الجهنمية التى يلعبونها بنا .

آن الأوان أن ندرك أن كل أمة تنقسم فى عصر نهوضها الى من يرى رأى التقدميين ومن يرى رأى الأصوليين .. والى من يرى رأى القوميين ، ومن يرى رأى الدينيين ، وأن هناك قواسم مشتركة ومصائر مشتركة وأهدافاً مشتركة بين الجانبين ، وأن لكل فكرة دورها المشروع فى نطاقها المشروع ، **فللتقدم مجاله فى العلوم والتقنية** والمخترعات والتصنيع ، وللتراث مكانته فى نطاق الروح والقيم والأخلاق والتشريع.

كما للقومية مكانتها فى مجال الترابط الاجتماعى اللغوى الثقافى،وللدين مكانته فى مجال العقيدة والايمان والعبادة والعمل الصالح والتوجيه السليم والتوحيد بين كل القوميات والأمم المسلمة .

فلماذا نندفع لخدعة الحرب الأهلية فيما بيننا فى الوقت الذى نتحدث فيه عن السلام مع الآخرين ؟!!

سلام مع الآخرين ، وحرب داخلية طاحنة مع النفس ؟ أن يتحارب العصرى العربى والسلفى العربى ليتصالحا مع العدو ؟؟ .. والى أين نريد أن نصلُ من هنا ؟ أيؤدى ذلك الى غير الكارثة النهائية ؟

● حقيقتان

ويبقى أخيراً أن نتنبه الى حقيقتين :

الأولى أن الخطر المحدق يشمل الجميع بلا استثناء . ولا يتصورنَّ أحد أنه سيكون بمنجى من العاصفة لأن الفيضان لم يصل الى داره بعد . والذين يتحدثون اليوم عن سياسات اقليمية ومحلية منفصلة عن **الرابطة العربية الاسلامية الشاملة** سيكونون الضحايا فى وقت أقرب مما يتصورون .

والحقيقة الثانية أن الكارثة هذه التى شملت مختلف اتجاهات الأمة من عصرية وأصولية ، ومن عروبية واسلامية ، يجب أن تدفع مختلف الأطراف المتصارعة الى الادراك أنهم يجب أن يدافعوا أولا عن الأرض والمصير المشترك والوجود المشترك لهم جميعاً ليبقى لهم فى النهاية وطن يختلفون فيما بعد ، بعد زوال الخطر ، على تقرير اتجاهه الفكرى ، عصرياً أو سلفياً .. عربياً أم اسلامياً ..

أما الصراع اليوم ، الصراع الأعمى من أجل التدمير الذاتى وقهر التيارالآخر باى ثمن .. فذلك ثمنه واضح لا شبهة فيه ، وستدفعه الأمة كلها من مصيرها .. ثمنه هو **زوال الأرض كلها ليجد العصريون والأصوليون انفسهم لاجئين معاً فى لا مكان** .. فهل هذا ما يريده العصريون العرب .. والأصوليون العرب لأنفسهم ؟

إذن لا مفر من الحوار . لا مفر من الاحترام المتبادل والتفهم المتبادل بين جناحى الأمة . لا مفر من التسامح فيما بيننا (طالما أننا نتسامح اليوم مع الآخرين) ولنقل لا للتخوين ولا للتجريح ، ولا للتكفير .. لا لكل الاساءات المتبادلة بين الجانبين ، فالأصوليون هم أساس الأمة وأصلها وسندها ، والمثقفون هم خيرة شباب الأمة ورجالها وطلائعها ، واختلاف الرأى لا يفسد للود قضية .. فكيف إذا كانت هذه القضية هى قضية وجود الأمة ومصيرها وخروجها من كل المحن الطاحنة التى تعتصرها ؟

وهادينا لمثل هذا الحوار الذى لا بديل عنه قوله تعالى :

«أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن» .

واذا كان هذا الأدب الرفيع ملزماً للمسلم فى تبليغه وفى اقناعه لغير المسلم .. فهل يليق والحالة هذه بالمسلمين أن يتعاملوا فيما بينهم ، ويتحاوروا فيما يخصهم ، بغير التى هى أحسن ؟

هذا من حيث المثل الأعلى الذى أدبنا به الاسلام .

أما من حيث الضرورة التاريخية ، فليكن **واضحاً لدى مختلف الاتجاهات** والاجتهادات العربية والاسلامية بأن هذا هو زمن المصالحة التاريخية الحتمية فيما بينها لانقاذ وجود الأمة .. وإلا فانه سيكون زمن **الفناء** المشترك لها جميعاً .

د. محمد جابر الأنصارى

العروبة والإسلام معًا:

قِبلَةُ العالم في أرضنا.. فما معنى هذا؟

بقلم: محمد الغزالي

قبل بضعة أسابيع من معركة بدر وقع حدث له دلالاته العميقة فى صلة المسلمين بأهل الكتاب . فقد كان بيت المقدس القبلة التى يتجه إليها أصحاب الأديان السماوية جميعاً .

ثم صدر الأمر إلى المسلمين أن يتحولوا من بيت المقدس إلى مكة المكرمة !

ما سر هذا التحول ؟

الواقع أن أهل الكتاب ما كانوا سعداء بالدين الجديد ! ولا فهموا من وحدة القبلة أن قرابة مشتركة تربطهم باتباعه !

الذى حدث أنهم ضاقوا أشد الضيق بالنبى العربى ، وعدوه منافساً محذوراً كأن الأمر صراع على مغنم عاجل ، أو مأرب قريب !

ولو كان اهل الكتاب مخلصين لأديانهم لكان لهم موقف آخر ، فان العرب كانوا عبّاد أصنام ! حتى عرّفهم محمد بالاله الواحد . وكانوا يعيشون ليومهم حتى اقنعهم بالعمل لليوم الآخر . وكانوا لا يدرون شيئاً عن نبوّةٍ سبقت حتى حدثهم عن موسى وعيسي وغيرهما من المرسلين !

فلم الضيق بهذه الرسالة ؟ ومخاصمة صاحبها ؟

بَيد ان الامر تجاوز الخصومة المحتملة إلى ضرب من اللَّدد يثير الاشمئزاز . تدبر قوله تعالى « وَدَّ كثيرٌ من اهل الكتاب لو يَردُّونكم من بعد إيمانِكُم كفاراً ، حَسَداً مِن عندِ انفسِهِم من بعدِ ما تبيَّن لهمُ الحقّ ، فاعفُوا واصفَحُوا حتى ياتِيَ اللهُ بامرِه .. » (١) .

وإذا كانت للمسلمين مساجد تنبعث من منائرها صيحات التوحيد وتستقبل سلحاتها الركع السجود ، فان اهل الكتاب تَواصَوْا بصرف الناس عن هذه المساجد ، وتامروا على تهديمها « وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ ان يُذكَرَ فيها اسمُهُ وَسَعَى فى خَرَابِهَا .. » (٢) ؟ .

فلم يبق بعدئذ مساغ لمشاركة هؤلاء الحاقدين قبلتهم ، وانبعثت فى نفس الرسول الكريم الرغبة فى الاتجاه إلى القبلة الاولى ، إلى الكعبة التى بناها جده الأكبر ابراهيم الخليل ، ولكنه لا يستطيع ذلك إلا باذن من الله ، فلينتظر ، وليؤمل ... !

ثم جاء – على تلهفٍ وشوقٍ – الامر الآلهى « قد نَرَى تقلُّبَ وجهِكَ فى السَّمَاءِ فلنوَلِّينكَ قِبلَةً تَرْضَاها فَوَلِّ وجهَكَ شَطرَ المسْجِدِ الحَرَامِ ... » (٣) . فاتجه المسلمون إلى الكعبة المشرفة بعد قرابة سبعة عشر شهراً من الصلاة إلى بيت المقدس ..

كانت هذه المدة كافية لفضح ضغائن اليهود ، واثرتهم المفرطة ، وظنهم ان الدين مؤسسة احتكارية يديرها حكماء صهيون كمصلحة جنس من الاجناس ، إنهم لا يفهمون ولا يريدون أن يفهموا أن الدين علاقة سمحة رحبة بين الناس ورب الناس

وقد بدا لى من تجارب كثيرة ان المتاجرين بالحق قد يكونون شراً من

المخدوعين بالباطل ، وان العرب الأميين كانوا – بنقاء سرائرهم – أصلح للحياة والأحياء من أهل الكتاب المستكبرين الشرهين ..

كان أولئك العرب يعتزون بكعبتهم ، ويرغبون طول عمرهم فى استقبالها ، وهم لم ينسوا أن الله حماها عندما أراد نصارى الحبشة هدمها ! وان قوى السماء هى التى تصدت للمغيرين لما عجز أهل الأرض عن الدفاع ، فاذا الجيش المعتدى يلقى « طيراً أَبَابِيلَ ، ترميهِمْ بحِجَارَةٍ من سِجِّيلٍ ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأكُولٍ » (٤) !!

مع ما كان للمسجد الحرام من هذه المكانة الوطيدة ، فان الصحابة قبلوا عن طيب خاطر ترك استقباله لما هاجروا ، ولبوا أمر الله باستقبال بيت المقدس !

كان امتحاناً صعباً غير أنهم نجحوا فيه « وَمَا جَعَلْنَا القِبْلَةَ التى كنتَ عَلَيْهَا إلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يتَّبِعُ الرَّسُولَ ممن يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ، وإن كانَتْ لكَبِيرَةً إلاَّ عَلَى الذين هَدَى اللهُ ... » (٥) .

وعندما يحتدم النقاش حول القبلة التى يتجه الناس إليها يذكر الاسلام حقائق رفيعة ، يلقيها فى مسامع كل من ينتسبون إلى دين ! حقائق لا يقررها إلا الاسلام وحده ! إنه يتساءل : ما هذا اللغط حول الاتجاه إلى شمال أو جنوب ؟

إن الكمال البشرى لا يصنعه استقبال مكان هنا أو مكان هناك ! الكمال المنشود عمل حقيقى داخل النفس الانسانية تزكو به وتسمو.

العظمة الانسانية ، هى اليقين الراسخ والاستمساك بالله وإن هاجت العواصف ! وبذل المعروف وإجابة الملهوف ، ومساندة الضعفاء وإيتاء المحرومين !

وهى الثبات على المبدأ وإن كثرت المغريات ، والمضى فى الجهاد وإن فدحت المغارم !

إن اتجاه المسلمين إلى المسجد الحرام فى صلواتهم حق لاريب فيه ، وهى قضية تنظيمية سنشرح بعد قليل أبعادها ، بيد أن ذلك لا يعنى نسيان الحقيقة فى الوصول إلى الكمال الانسانى والرضوان الالهى ، وتدبر قوله تبارك اسمه : « لَيْسَ البِرَّ أن تُوَلُّوا وجُوهَكُم قِبَلَ المشْرِقِ والمغْرِبِ ولكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ باللهِ واليومِ الآخِرِ والملائِكةِ والكِتَابِ والنَّبِيِّين وآتَى المَالَ على حُبِّهِ ذَوِى القُرْبَى واليَتَامَى والمساكينَ وابنَ السبيلِ والسَّائلينَ وفى الرقابِ وأقامَ الصلاةَ وآتَى الزكاةَ والمُوفُونَ بعهدِهِمْ إذا عاهَدُوا والصابرينَ فى البأساءِ والضَّرَّاءِ وحينَ البأسِ أولئك الذين صَدَقُوا وأولئك هم المتقونَ » (٦) .

ان اليهود يلتمسون الشرف من الانتساب إلى نبى الله يعقوب ! والأب العظيم لا يرفع شأن بنيه إذا كانت أعمالهم هابطة ! وهم يرتبطون بالقدس والأرض المقدسة ، والأرض لا تقدس أحداً ، إنما يتزكى المرء بالهدى والتقى والعفاف والعدالة !

والخلاف بين الناس باق إلى قيام الساعة ، إنه جزء من طبيعة الحياة ، وهو بعض الحكمة فى خلق الناس !

لكن الخلاف مهما اتسعت شقته لا يجوز أن يكون مثار عدوان وتظالم ، ولا يجوز أن يجعل الحيف حقا ، ومن ثم قال الله لنبيه : « وَلَئِنْ أَتَيْتَ الذين أوتُوا الكتابَ بكلِّ آيةٍ ما تبِعُوا قِبْلَتَكَ وما أنت بتابعٍ قِبْلَتَهُمْ وما بعضُهُم بتابعٍ قِبْلَةَ بعضٍ ، ولئن اتَّبَعْتَ أهواءَهُمْ من بعد ما جَاءَكَ من العِلْمِ إنك إذاً لَمِنَ الظالِمِين » (٧) .

والجملة الأخيرة فى الآية الكريمة تشير إلى خصائص أمتنا ، وإلى الرسالة التى كلفت بحملها إلى آخر الدهر ..

إن العرب عندما يحملون للناس حضارة فهذه تنفرد بأنها موصولة بالسماء ، تعرف الله ، وتلتزم هداه ، وترفض الفلسفات المادية ، والرغبات المجنونة فى عبادة الحياة ونسيان ما بعدها ..

وقد شاء الله أن يذكر للعرب وظيفتهم الدولية ، عندما جعل قبلة العالمين فى أرضهم ، وعندما طالب البشر فى كل مكان أن يولوا وجوههم شطر المسجد الحرام !

فما معنى هذا ؟

إذا قيل : إن موسكو قبلة الشيوعيين فى العالم ، فليس معنى ذلك اتجاه اليساريين إلى جدار فى « الكرملين » ! بل المعنى أنهم يستقون أفكارهم ويتلقون توجيهاتهم من هناك !

والواقع أن القرآن الكريم فى سياق تحديده للقبلة قال للعرب فى جلاء : « وكذلك جَعَلْنَاكُم أمَّةً وَسَطاً لتكونوا شهداءَ على الناسِ ويكون الرسولُ عليكم شهيداً » (٨) . والآية توضح الوظيفة التى اختارها القدر لأمتنا ، فان الله اختار محمداً ليحمل أمانات الوحى ، وليكون بسيرته وسنته أسوة حسنة ! وقد تلقى العرب ذلك كله منه ليعلموا الناس كما تعلموا ، وليهدوهم كما اهتدوا ، أو ليكونوا أساتذة للعالم كما كان محمد أستاذاً لهم ! تلك وظيفتهم التى رفعهم الله إليها ، والتى لابد من حسابهم عليها ..

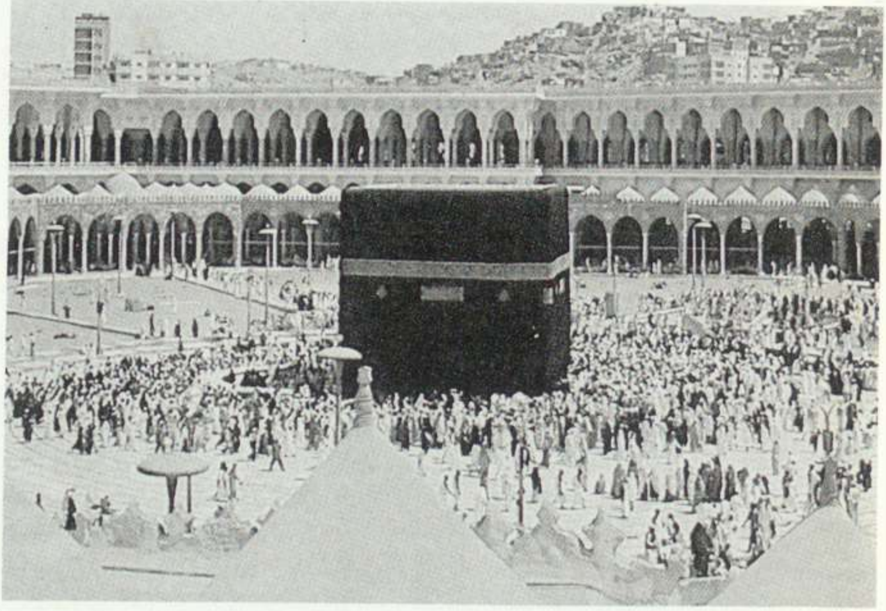
والشهادة على الناس منزلة فوق التبليغ العادى ! قد يكون المرء شاهداً فى قضية لا علاقة له بوقائعها ، كل دوره فيها أنه رأى وأنه يقول الحق ، فهل هذا دور الأمة العربية فى تاريخ البشرية ؟ كلا ، ربما تحول الشاهد إلى متهم إذا تبين من التحقيق أن له أصابع فى وقوع الجريمة !!

والعرب مذ حملوا رسالة الاسلام وجب عليهم أن يستنيروا بها وأن يرفعوا منارها ، وأن يستطبوا بأدويتها ، ويعالجوا علل العالم بدوائها ، فمسئوليتهم مضاعفة . الرسول أمام الله يشهد عليهم بأنه علمهم من جهالة ، وأقامهم من عوج ، وهم أمام الله كذلك مطالبون بالشهادة على سكان الأرض ، أنهم بلغوهم الوحي الأعلى ، وقدموا من أنفسهم نماذج عملية للتقوى والاصلاح والانصاف ! ترى هل قام العرب بهذه الأمانات ؟

إن رباط العروبة بالاسلام وثيق ، وهذا الرباط وحده هو الذى يجعل العرب أمة قائدة رائدة فاذا وهت صلتها به ، فهى تخون أساس وجودها ، وهي ستتحول حتماً من رأس إلى ذنب ! أو من أمة تدفع غيرها نحو الخير ، إلى أمة يدحرجها الآخرون إلى الشر أو إلى الهاوية !

وقد تأكد هذا المعنى مرة أخرى فى سياق تحويل القِبْلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام وذلك فى قوله تعالى « وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وجْهَكَ شَطْرَ المسجدِ الحَرَامِ ، وحيثُمَا كنتم فولّوا وجوهَكُم شَطْرَه لئلاّ يكونَ للناسِ حُجَّةٌ .. » (٩) أي حتى تنقطع حجج العرب الحراص على كعبتهم الضائقين بالاتجاه السابق إلى بيت المقدس ! أما أهل العناد والمتشبثون بالجاهلية الأولى ، فلا تخافوهم ، فأمرهم إلى إدبار ونارهم إلى رماد « .. إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشَوْهُم واخْشَوْنِ ، ولأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ ولعلكم تهتدون (١٠) »

أى أن الله باختياره المسجد الحرام قبلة لكل مصل فى الدنيا ، يضاعف على العرب مِنّته ، ويتم عليهم نعمته .. وقد بدأ الانعام عليهم بانبعاث الرسول منهم « كَمَا أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكّيكُم ويعلمُكُم الكِتَابَ والحِكْمَةَ ويعلمكُم ما لم تكونوا تعلَمُون (١١) »



والمعنى أن العرب بهذا الدين أضحى لهم تاريخ جديد ، وافتتحوا به صفحة مجد باذخ ما كان لهم به عهد من قبل ، ذلك انهم يتلون آيات الحق ، ويمهدون طريق التربية الفاضلة ، ويخطون مَعْلَمَ الحكمة والرشد ، فليعرفوا لله حقه وليقدروه قدره « فاذكرونى اذكركُمْ واشكروا لى ولا تكفرون (١٢) » وهكذا يخاطب الله العرب ويشرح لهم ما أسدى إليهم من جميل ! فهل نذكر ونشكر ؟؟

والانبياء شهود على اممهم بالبلاغ المبين ، وقد كان رسولنا صلى الله عليه وسلم وهو يخطب الناس فى حجة الوداع يقول : اللهم قد بلغت ! اللهم اشهد !

وهناك قبل شهادة الأنبياء مواثيق الفطرة التى أخذها الله على ابناء آدم . إن الله أودع فى كل ضمير صوتاً يذكر بالله ويدفع إلى صراطه المستقيم ، ويقاوم التقاليد المنحرفة والأصوات الزائفة ، وما من إنسان إلا وهو مسئول عن هذا الميثاق : « وإذا اخذ ربك من بنى آدمَ مِنْ ظهوُرِهِم ذرِّيَتَهُم واشْهَدَهُم على انفسِهِم الَسْتُ بِرَبكم° قالوا بلى شهِدْنا ! ان تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أوْ تقولوا إنما أشْرَكَ آباؤُنا من قَبْلُ وكنا ذرِّيةً من بعدهم أفتُهْلِكُنا بما فَعَلَ المبطِلُون (١٣) » ؟

ويتضح من ذلك أن العدل الالهي يستظهر على كل مخطىء بشاهدين من العقل والنقل ! ومع ذلك ، فان ناساً يوم الحساب سيحاولون بالكذب الافلات من مصيرهم !

مشركون يقولون : « واللهِ رَبِّنا ما كُنا مُشْرِكين (١٤) » ودجالون مَرِنُوا على الاحتيال والمخادعة فى الدنيا يحاولون فى الآخرة أن يقوموا بالدور القديم « يَوْمَ يَبْعَثُهُم اللهُ جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسَبُونَ انهم على شىءٍ ألاَ إنهُم هُمُ الكاذبون (١٥) »

وهيهات أن يجدي هذا التملص مهما صاحبه حلف ... !

ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم شهيداً على العرب فسيجاء به يوم القيامة وبالكتاب القيم الجامع الذي بلغه ، وسيرى عندئذ من وفى ومن غدر؟! بل من آمن ومن كفر ؟ قال الله سبحانه « وَيَوْمَ نَبْعَثُ فى كلِّ أمةٍ شَهِيداً عليهم من انفُسِهِم وجِئْنا بك شهيداً على هَؤُلاَء ، ونَزَّلنَا عليكَ الكتاب تِبْيَاناً لكل شىءٍ وهُدًى ورحْمَةً وبُشْرَى للمسلمين (١٦) »

إننى احببت أن أشرح هذه القضية لأن العرب من أمد قريب أو بعيد شرعوا ينسون أو يتناسون رسالتهم ! بل بدا لهم أن يستقيلوا من الوظيفة الشريفة التى آثرهم الله بها أو اصطفاهم لها .

وسمعنا من يقول فى جهل فاضح : إن العروبة شىء ، والاسلام شىء آخر ! وإن العروبة يمكن أن تشق طريقها بغير دين إلى مستقبل مكين !

وقد استجاب نفر من الأغرار لهذه الفرية ، فاذا الأمة المسكينة تتراجع فى كل ميدان ، وتلاحقها الهزائم الشائنة فى كل افق ، ولولا بقايا إيمان مبثوثة هنا وهناك لحل بها خزي الأبد ، ولكنها تقاوم اليوم ببأس شديد معتمدة على مواريث الاسلام وحده .

هل للعرب فى قديم الزمان وحديثه رسالة اخرى غير الاسلام يمكن أن يؤدوها للعالم ؟

إن لمحمد كتابًا وسنة قامت عليهما دولة وأينعت حضارة ! وتصدرت قافلة البشرية أمة تعتز بهما وتبنى عليهما ، فماذا لغيره فى الأولين والآخرين ؟ وما قدر العرب من غير محمد والاسلام ؟

قال شخص غر : وهل ضروري أن تكون لأمة ما رسالة سماوية حتى تقتعد مكانة مرموقة فى العالم ؟ ما أكثر الشعوب التى استراحت واستقرت برسالات أرضية !!

قلت : هذا الكلام قرة عين الاستعمار والصهيونية ! إنهما ما يريدان أكثر من تجريد المسلمين من عقائدهم وتاريخهم حتى يقفوا أمام أعدائهم عزلا من كل سلاح فعال .

وعندما يفقد عرب فلسطين أساسهم الديني أمام أتباع التوراة فستضيع فلسطين !

وعندما يزهد غيرهم فى معتقداته الاسلامية فسينطلق التبشير العالمى دون عائق ، وتكسب الصليبية جولتها الجديدة

لا بل إن الوثنية التى ذبحت المسلمين فى « آسام » ستقطع شوطاً أوسع فى الاجهاز على مبدأ التوحيد !

إن تحقير الثقافة الاسلامية وتوهين أركانها لابد أن ينتهى بهذه النتائج !

أما يحق لنا أن نحصن الأجيال الجديدة ضد هذه الخيانات الفكرية والاجتماعية ؟؟

محمد الغزالي

هوامش

(١) البقرة : ١٠٩ ـ (٢) البقرة : ١١٤ ـ (٣) البقرة : ١٤٤ ـ (٤) الفيل : ٣ ـ ٥ ـ (٥) البقرة : ١٤٣ ـ (٦) البقرة : ١٧٧ ـ (٧) البقرة : ١٤٥ ـ (٨) البقرة : ١٤٣ ـ (٩) و (١٠) البقرة : ١٥٠ ـ (١١) البقرة : ١٥١ ـ (١٢) البقرة : ١٥٢ ـ (١٣) الأعراف :١٧٢ ـ ١٧٣ ـ (١٤) الأنعام : ٢٣ ـ (١٥) المجادلة : ١٨ ـ (١٦) النحل : ٨٩ ـ

اكتشاف مخطوطات عمرها تسعة قرون

كتب قيّمة من التراث ترى النور لأول مرّة

بقلم: وجيه الشربجي

ان الغوص العميق فى بحر التراث العربى ، طموحاً الى وضعه تحت الضوء ، مدروساً ومنظماً ، والبحث فى الصرح الثقافي المخطوط عن كنوز المعرفة ، والمنجزات الحضارية ، كشف لمزيد من الشواهد على أصالة الأمة العربية ، ودورها الحضارى عبر مسيرة الانسانية الى الامام . وان العمل على إحياء ثمار عقول السلف ، وابراز التراث العربى ثانية الى النور بعد ان طوته لزمن طويل قرون من العجمة والتخلف والامية ، تجذير متواصل لحضارتنا العربية والاسلامية ، تلك الحضارة التى تفيأت الانسانية بظلال إشراقاتها ، حيناً من الدهر كان مذكوراً وخالداً .

من هنا .. نرى ان الانسان العربى بدافع من تاكيد هويته القومية ، يعيش مع العطاء الفكرى النابع من كتب التراث لحظات اتحاد ذاته مع اسلافه .

ويجد بين سطورها رائحة التاريخ وشذى الاوطان ، ويتوق لان يغرف من هذا التاريخ ما استطاع اليه سبيلا .

وعلى طريق إغناء المعرفة الانسانية والمراكز الثقافية العالمية بكنوز التراث العربى العلمى والادبى والفنى ، تقوم دار الكتب الظاهرية بدمشق بخطوات جادة وموضوعية لتصنيف وتوثيق المجموع، المخطوطي الكامن تحت قبتها ، والذى قام بجمعه طائفة من العلماء من دور ومساجد ومدارس مدينة دمشق فى نهاية القرن الماضى .

وقد عهدت الظاهرية الى فئة من الاساتذة المحققين مهمة البحث العلمى فى تلك المخطوطات ولمّ شمل ما تناثر منها وما تبعثر .

ومدت جسوراً ثقافية بينها وبين المؤسسات التراثية فى انحاء العالم لتبادل صور وافلام المخطوطات العربية والثروة الفكرية الاسلامية التى شردت الى دور الكتب الأجنبية فى ظروف خاصة وذلك تمهيداً لنشرها تباعاً واخراجها من ظلمات الخزائن الى عالم القراء الواسع .

واستطاع الباحثون فى الظاهرية اكتشاف خمس وعشرين مخطوطة من انفس كتب التراث العربى موضوعاً وفكراً وذلك خلال عملية التمحيص والاحاطة التى جرت فى العامين الاخيرين ١٩٨١ / ١٩٨٢ م .

وتستمد هذه المخطوطات قيمتها العلمية كونها لكبار قادة الفكر العربى ، ولجمهرة من اعلام الحضارة العربية والاسلامية ، اضافة الى ان بعضها كتب بخط يد العلماء انفسهم .

وقد تبين ان قسماً منها يزيد عمره على تسعة قرون ، ولا يوجد منه الا نسخة وحيدة تحتفظ بها الظاهرية دون سواها من المكتبات العربية والاجنبية الاخرى .

ونضع فى متناول المهتمين بشؤون



فهرس مخطوط « قاموس الاطبا » الذى يعتبر من كنوز التراث العربى العلمى

تراثنا الفكرى تعريفا مكثفا لمخطوطتين هامتين الاولى فى الطب ، والثانية فى فقه اللغـة اخترناهمـا من تلك المخطوطـات الثمينة التى عثر عليها مؤخراً بعد جهد متواصل من التحقيق والتدقيق .

قاموس الأطبا وناموس الالبّا

مؤلف هذا المخطوط « مدين بن عبد الرحمن القوصوني » علم من اعلام الطب فى القرن الحادى عشر للهجرة . رفعه حذقه فى صناعة الطب الى ان اصبح رئيس الاطباء فى « دار الشفاء » بمصر التى انشـاها سيـف الديـن قـلاوون الالفـى الصالحى فى عام ٦٨٣ هـ ، وكان القوصوني الى جانب مهارته فى الطب ذا باع طويل فى التاريخ واللغة .

وقد جاء على هامش كتابه بخط يده انه ولد عام ٩٦٩ هـ فى مصر . اما تاريخ وفاته فموضع خلاف . فقد تحدث عنه المحبى فى خلاصة الاثر بقوله « سعيت جهدى فى تحصيل وفاة القوصوني فلم اظفر ، لكن غاية ما حققت من خبرة انه كان فى سنة اربع واربعين والف موجوداً مع الاحياء» .

يعتبر « قاموس الاطبا وناموس الالبا » من اجود كتب علم الامراض والتشريح . فقد اودعه القوصوني خلاصة ما توصل إليه الطب فى الحضارة الاسلامية حتى عصره من معارف،وعصارة ما قام به افذاذ الطب من تجارب وابحاث افاد منها الطب الحديث فى وقتنا الحاضر .

يقع الكتاب فى نحو سبعمائة صفحة من الحجـم المتوسـط . ويتالـف من مقدمـة وابواب وفصول نسقت حسب الحروف الهجائية . ومنهج القاموس المحيط . كتب بالمداد الأسود . وقد نسخ هذا المخطوط فى عام ١٣٤٠ هـ محمود صدقي النساخ بدار الكتب السلطانية نقلا عن نسخة الاصل المحفوظة بالدار المذكورة . وكتب عناوينه بالمداد الأحمر وبخط واضح جميل فارسي مشرق .

عرض المؤلف فى المقدمة اسباب تاليفه الكتاب وطريقة ترتيبه له . فقال فى شرح ذلك بعد ان ذكر ما يدل على شرف صناعة الطب « شرعت فى هذا الكتاب الذى لم اسبق الى مثاله ، ولم ينسج على منواله لما اشتمل عليه من ذكر انواع المفردات من المعدن والحيوان والنبات وما يحتاج اليه كل فرد منها من معرفة ضبط لفظه مما ذكره ائمة اللغة باصح ضبط واوضح تبيان . ومن ذكر اسماء المركبات وضبط كل فرد منها مع بيان . وقد ذكر صفة تركيب بعضها كالترياق . ايضاحا لما خفي من غامضه على الاذهان . ومن ذكر بدن الانسان ، وضبط كل فـرد منهـا مع ذكـر تعريفـه وتشريحه وتوضيحه باوضح بيان . ومن ذكر الامراض وضبط كل فرد منها . مع ذكر تعريفه وسببه وعلامته وعلاجه بحسب الوقت والزمان .

ومن ذكر امور مهمة وفوائد كثيرة جمة لها تعلق بما تقدم ذكره لمريد زيادة الامعان وقـد رتبتـه على ترتيب القاموس ابوابـا وفصولا . وحذوت حذوه فروعاً واصولا .. »

ثم ذكر على الهامش انه فرغ من تاليفه لهذا الكتاب فى العشر الأول من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين بعد الالف .

كتب قيمة من التراث ترى النور لأول مرة

وتحدث المؤلف فى فصول الكتاب عن امراض كثيرة منها :

الصداع ـ الفالج ـ السعال ـ القيء ـ الهيضة ـ البرص ـ السكتة ـ الحصبة ـ الصرع ـ النمش ـ الخفقان ـ الأرق ـ الطحال ـ الحدب ـ الطرش ـ امراض المعدة ـ الطمث ـ اللثوع ـ الجرب ـ امراض العين .

وجاء فى بعض ابواب المخطوط وصف لأعضاء جسم الانسان مع تشريح دقيق لكل جهاز وذكر وظيفته وطريقة عمله .

وفيما يلي : فقرة يصف فيها القوصوني « حصاة الكلية » بموضوعية ويشرح اسباب تشكيلها وسبل التخلص منها ويفند الداء ويصف الدواء .

حصاة الكلية

« محركة رطوبة غليظة لزجة ، تتحجر فى الكلية والمثانة عن حرارة خارجة عن الاعتدال . إما لازمة او عارضة تعب او تناول مسخن وسبب الرطوبة إما اغذية غليظة كالالبان . وخصوصا الخاترة . والاجبان وخصوصا الرطبة ، واللحمان كلحم البقر والجاموس ولحوم الطير . والطحينات كلها والخبز الفطير والني . وإما فواكه عسرة الهضم كالتفاح ، والخوخ ، والكمثرى التى لم تنضج . وإما مياه كدرة .

وعلامة حصاة الكلية بول فيه رمل يضرب الى الحمرة . وثقل فى القطن حتى يجد العليل كان شيئا معلقا من قطنه وخصوصا اذا انبطح .

واشتداد الوجع عند امتلاء الامعاء . وخصوصا فى الكلية العليلة . وربما عرض وجع فى الخصية المحاذية للكلية العليلة . وفى الرجل المحاذية لها . مع خدر . وذلك لمشاركة ما بينهما من العروق .

اما علامة حصاة المثانة . حكة فى العانة وبياض فى البول . ورقة وعسر البول . واكثر من يصيبه حصاة بالكلية يكون سمينا . واكثر من يصيبه حصاة المثانة يكون نحيفا .

والعلاج : الحمية عن المغلظات وادامة الادرار . قال بعضهم واما عند هيجان الوجع فينبغى ان يفصد ان كان الدم غالبا . وتحقن ان كان الطبع يابسا . اما الأدوية المفتتة لها والمخرجة لها . فهى مثل القسط وماء الحمص الأسود . والعنصل والكرفس وخصوصا الجبلى . وبزره وحب البلسان ودهنه قوى جدا . او بزر الخيار البرى . والبورق الارمنى المعجون بالعسل . يستعمل منه كل يوم قدر مثقال بماء الفجل ثلاثة ايام . وذكر بعضهم ان زرق الديك ان سقي منه الكبير وزن درهمين ، وللصغير وزن نصف درهم مع مثله سكر ، اخرج كل حصاة . وربما جعل معه شيء من النعنع والملح . فى حصاة المثانة حب المحلب المقشر المدقوق . اوقية زعفران من كل واحدة منهما ثلاثة دراهم . الشربة مثقالان قال الشيخ «ابن سينا» والترياق يعنى الفاروق الذى لم يعتق . بل هو الى الطراوة وقوة الافيون فيه باقية . ينفع من وجوه كثيرة من جهة الترياقية . ومن جهة الادرار وتفتيت الحصاة ومن تخدير الوجع ..... انتهى)

وفى تشريحه لطبقات عين الانسان ووظيفتها يقول «العين بالفتح حاسة البصر والرؤية . وقال ابن السكيت العين التى يبصر بها الانسان مؤنثة . والجمع اعين . وجمع الكثرة عيون . وجمع الجمع اعينات . والتصغير عينه . وقال الأطباء : هى عضو آلي حساس آلة للبصر . كما ان اللسان آلة للذوق . وليست باصرة وإلا لرؤى الشيء الواحد بالعينين اثنين . وتتم منفعة هذه الآلة بالروح الباصر . وهى للبدن كالطليعة والحارس . وخلقت فى مقدمة البدن . لان ذلك هو من جهة تحركه . وهى مؤلفة من ثلاث رطوبات وسبع طبقات . اما الرطوبات فاولها الجليدية . وهى نيرة مستديرة مفرطحة من قدام ومستدقة من خلف يسيرا . موضوعة فى الوسط وبها الابصار . وما عداها من جميع اجزاء العين فانما خلق لخدمتها . إما لدفع آفة عنها . أو لجلب منفعة لها . وثانيها الزجاجية وهى تحيط بالجليدية من ورائها الى نصفها . وثالثها البيضة وهى امام الجليدية . واما الطبقات فان العصب النورى الأجوف المشتمل على الروح الباصر إذا اخرج من القحف الى عظم العين صحبه العشان اللذان احدهما رقيق يلاقى الدماغ ويسمى بالأم الرقيقة . وثانيهما غليظ ويسمى بالأم الغليظة . واتسع وعرض طرف كل واحد منهما واحتوى على الزجاجية كاحتواء الشبكية وهى الاولى . وينبت من طرفها نسيج عنكبوتى يتولد منه صفات لطيف حاجز بين الجليدية والبيضية لئلا يختلطان ، يسمى بالعنكبوتية وهى الثانية . ثم ينبسط طرف الرقيق وينتج عروق كثيرة ويحيط بالرطوبات الثلاثة ، وبالشبكية والعنكبوتية . والنصف الموجز من هذا الغشاء يلتحم عند التحام الشبكية ويسمى بالمشيمية ، لاشتمالها على الشبكية وهى الثالثة . والنصف من هذا الغشاء يصير صفاقا الى غلظ كنصف عنبه وهى العنبية وهى الرابعة . وفيها ثقب من قدام لئلا يمتنع الابصار . وهذا الثقب يسمى بالحدقة وهو مملوء رطوبة ......» الخ ..

فى فقه اللغة

هذا الكتاب جوهرة من الجواهر الكامنة فى دار الكتب الظاهرية . صاغها عالم اللغة الكبير ابو منصور الجواليقى . وشاءت لها الظروف ان تبقى مخبوءة حتى يومنا هذا . الى ان هُيِّىء لهذا الكتاب ان يرى النور لاول مرة . فيضيف الى قائمة العلماء الذين كتبوا في «فعلت وافعلت» اسما جديدا هو الجواليقى . وسيزيد فى كتب الجواليقى المعروفة والكثيرة كتابا لم يات احد على ذكره من قبل. وقد جاء هذا الكتاب سهل المجتنى ، مستساغا . يضع بين يدى كل حريص على سلامة استخدام اللغة افعالا عديدة مرتبة هجائيا . يكثر تداولها على الألسنة ، ويحار المرء فى صيغتها «فعلت» او «افعلت». وقد تناول علماء العربية هذا الموضوع وكتبوا فيه امثال : ابن السكيت ٢٤٦ هـ وابن دريد ٣٢١ هـ ـ وابن درستويه ٣٤٧ هـ ـ والزجّاج ٣١٠ هـ .

وصف المخطوطة : تقع ضمن مجموع فى الظاهرية رقمه ٧٣٠٥ يضم احد عشر كتابا . تبدا من الورقة ١١٣ «ا» وقد كتب فى هذه الصفحة العنوان «ما جاء على فعلت وافعلت بمعنى واحد مؤلف على حروف المعجم» وتنتهى المخطوطة بالورقة ١٢٣ «ب» .



الصفحة الأولى من « قاموس الأطبا » الذى الفه عالم عربى فى القرن الحادى عشر للهجرة

– كتبت بالنقس «المداد» الاسود . بخط نسخى جميل مشكول شكلا تاماً . والعناوين بالنقس الاحمر . ووردت فى الهوامش كلمات قليلة كتبها الناسخ نفسه .

– عدد أوراقها عشرة مسطرتها ١٤X١١ والهامش ٢,٢٥ س.م وفى كل صفحة خمسة عشر سطراً . وورقها جيد لم يتاثر بشيء .

– تبدأ بباب الباء وتنتهى بباب الياء . ويبدو انها منسوخة عام ٦٦٧ هـ .

– وتعتبر من مفاخر كتب التراث العربى اللغوى . فقد وصفها ابن الجوزى بانها «قطعة من اللغة» .

وتحتل مكانة تراثية خاصة . نظراً لعدم وجود نسخة ثانية . فالنسخة التى عثر عليها فى الظاهرية هى النسخة الوحيدة والفريدة فى مكتبات العالم .

اسم المؤلف ونسبه

موهوب بن احمد بن محمد بن الخضر ابن الحسن ، ابو منصور الجواليقى . و «الجواليقى» نسبة الى عمل الجوالق ولبيعها . وهى نسبة شاذة لان الجموع لا ينسب اليها بل ينسب الى احادها . والجوالق بالعامية للشوال ..

ولد فى بغداد فى شهر ذى الحجة ٤٦٦ هـ الموافق شهر آب ١٠٧٣ م . وهو شيخ اللغة فى عصره . درس فى المدرسة النظامية فى العراق . وكانت له حلقة فى جامع القصر يقرىء فيها الأدب كل جمعة . قرا عليه اكثر فضلاء بغداد وكان فى اللغة امثل منه فى النحو .

من صفاته : انه ورع – ثقة – غزير الفضل – كثير الضبط – متواضع فى جلسته ورئاسته – كثير الصمت – وكان فيه لكنة – لا يقول الشيء إلا بعد التحقيق والفكر الطويل – وقد اخذ العلم عن الجواليقى كثير من العلماء الائمة الكبار منهم : ابن الجوزى وهو امام كبير معروف – وابو اليمن الكندى المحدث الحافظ اللغوى – وابن الانبارى وهو مؤلف نزهة الالبا فى طبقات الادباء .

وقد اجمع الذين ترجموا للجواليقى ان له مصنفات كثيرة عرف منها : غلط الضعفاء من الفقهاء – شرح ادب الكاتب – العروض – وقد اضاف المستشرق بروكلمان – المختصر فى النحو – وشرح مقصورة ابن دريد . وعلى الرغم من الاجماع على علم الجواليقى وفضله . فانه لم ينج من لسان شاعر حاقد حاسد مستغلا كثرة نعاسه فى مجلسه .

كون الجواليقىِّ فيها ملقيا
ادبا وكون المغربىِّ معبرا
فاسير لكنته يمل فصاحة
وغفول يقظته يعبر عن كَرى

وفيما يلي : فقرة من الفصل الأول باب (الحاء) . يذكر فيها بعض الأفعال التى وردت على فعلت وافعلت بمعنى واحد .

«خلسَ رأسُ الرجل واخلسَ فهو خليس ومخلِس ، اذا اختلط سواده ببياضه . خطئتُ الشيء اخطؤه خطا واخطاتُه إخطاء. خضعه الكبر واخضَعَه . خفق الطائرُ بجناحيه واخفق صفّق بهما .

خنِبَ الرجل واخْنَب إذا هَلك – خمَّ اللحمُ واخم تغيَّرت رائحته – خلَق واخلَق صار خلقا . خَلف فم الصائم واخلَف تغير – وعبد خالف ونبيذ خالف إذا خالف تقديرك فيه – خرطت الشاة واخرطت اذا تحدَّر لبنها فى ضرعها – خدَجَت الناقة واخدَجَت اذا القت ولدها لغير تمام» .

وجيه الشربجي
دمشق

أزمة الإنسان العربي في رواية معاصرة

بقلم : يوسف الشاروني

أحاول هذه الأيام أن أقاوم شعور الاحباط بسبب ما يجرى فى عالمنا العربى ، فألوذ بالتاريخ عسانى أرفع معنوياتى . لكم تعرضت منطقتنا لجحافل الغزاة ولمحاولات الابادة التى نجحت بعض الوقت لكنها لم تنجح أبداً كل الوقت . وما أشبه ما يحدث اليوم من استعمار استيطانى غربى اسرائيلى بما حدث منذ قرون من استعمار استيطانى غربى صليبى . لقد دام ذلك الاستعمار مئات السنين لكنه إندحر فى النهاية . هكذا أقول معزياً نفسى ، وأنا بين التفاؤل والتشاؤم ، لا أريد أن أخدر نفسى ولا أريد أن أدعها فريسة الاحباط .

لكننى ككاتب اشعر باحباط اعمق متسائلا : ماذا فعل جيلى من الكتاب والأدباء ، وماذا فعلت أجيال الكتاب من قبلنا وبعدنا ، ولمن نكتب بل ولماذا نكتب ؟ صحيح أن الأديب ليست مهمته ان يخطب او يعظ ، لكنه ـ على الأقل ـ كشاهد على عصره ، يأمل عن طريق نظرته التى يدفعها الاحتجاج فى معظم الاحيان ان يتطور مجتمعه الى الأفضل دائماً . لكننا ـ ككتاب ـ نجد أن مجتمعنا العربى قد ازداد تأخراً ، وانه ما تخلص من استعمار إلا ليقع فى براثن استعمار اعتى ـ استعمار استيطانى هذه المرة كهذا الذى حاوله الايطاليون فى ليبيا والذى حاوله الفرنسيون فى الجزائر ـ وانه ما اغراه بهذا إلا ضعفنا وفرقتنا ، وانه يعمل على تحويلنا الى هنود حمر فى تفكيرنا وقوتنا فى محاولة للقضاء علينا حضارياً . لماذا نكتب إذن ؟ ويبلغ الاحباط ذروته حين يخيل للكاتب انه يكتب لمن هم مقتنعون من قبل بفكره لمجرد ان يؤكدوا ذواتهم ويشعروا انهم ينتمون الى مجتمع اعضاؤه هم قراء هذا الكاتب او ذاك ، هذا فضلا عن بحر الأمية الهائل ، الأمية الابجدية والأمية الثقافية كما يقولون ، والتى تحول دون الكاتب ووصول كلماته الى السواد الأعظم من ابناء لغته .

وسط هذا الاحساس باعادة النظر فى مدى جدوى الكلمة العربية فى لحظتنا الحضارية ، أعدت أخيراً قراءة رواية عبد الرحمن منيف «الاشجار واغتيال مرزوق» . ورغم أن طبعتها الأولى كانت عام ١٩٧٣ إلا اننى وجدت انها ـ الى جانب انها عمل فنى متكامل ـ تلقى الضوء على كثير مما وصل اليه واقعنا العربى بعد اكثر من عشر سنوات من نشرها .

فالبطل منصور عبد السلام كان استاذاً لمادة التاريخ الحديث بالجامعة . ثم احس ذات يوم أن محاضراته مراقبة ، ومنذ تلك اللحظة تعكرت حياته تماماً . احس انه تحول الى قارىء للكتب الرسمية ولم يعد مدرساً للتاريخ . اصبح يرتد الى داخله مثل ارنب مذعور .. القط الأسود الرابض على سور الحديقة المجاورة مخبر فى جلد قط ، وبائع الحليب امسك بتلابيبه ذات صباح وقال له : إن دققت بابى مرة ثانية اطعمتك للجرذان .. اذهب لا اريد ان اراك . وتحولت قاعة المحاضرات الى سجن ، وكلماته قطع من الحديد الصدىء ، كما اصبح يرفض الاجابة عن اية اسئلة ، ومع ذلك لم يستطع ان يتجنب النهاية الكئيبة التى وصل اليها ، فقبل نهاية السنة الدراسية بثلاثة اشهر تلقى قرار التسريح . وحاول ان يجد عملا آخر لكنه وجد الكل يخافون أن يوظفوا شخصاً سبق



الكاتب الروائى عبد الرحمن منيف



إلى جانب ان هذه الرواية عمل فنى متكامل .. فهى تلقى الضوء على كثير مما وصل إليه واقعنا العربى بعد اكثر من عشر سنوات من نشرها .

تسريحه ، ارسلوا له عن طريق صديق يقولون : لن نكرمك مثلما فعل غيرنا بان ندخلك السجن لكى تصبح بطلا وشهيداً ، ولكن لن نعطيك فرصة بان تعيش براحة مادمت عنيداً هكذا (عبد الرحمن منيف ، الأشجار واغتيال مرزوق ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٧٩ ، ص ٢٧٩) . وقدم طلباً للحصول على جواز سفر فكانت اطول رحلة فى حياته ، لم يستطع ان يصل الى نهايتها إلا بعد سنتين وسبعة شهور حتى بدا يستدين الى ان اصبح يخجل من اصدقائه متسائلا هل تحول الى شحاذ ؟ حتى عندما حاول ان يكسب لقمته عن طريق الترجمة رفض الناشرون نشر ترجمته . وهكذا لم يكن منصور عبد السلام إلا واحداً من ملايين المواطنين الذين خصتهم سلطاتهم فى معظم الدول فجعلت منهم شخصيــات سلبية كل مهمتها فى الحياة ان تهرب وان تختفى . وكان قد قرا اعلاناً يطلب مترجماً للعمل مع إحدى البعثات الفرنسية للتنقيب عن الآثار ، فارسل طلباً قوبل بالموافقة . وحصل على جواز السفر اخيراً . وفى القطار تقابل مع شخصية اسطورية هى شخصية إلياس نخلة الذى قص تاريخ حياته على منصور عبد السلام فكانت قصة داخل القصة ، بحيث نستمع فى القسم الأول كله الى قصة إلياس نخلة ، وهى تشغل حوالى نصف حجم الرواية ، وروايتها تلتزم الترتيب الزمنى للاحداث بينما لا تلتزمه القصة الأخرى ، قصة منصور عبد السلام التى نسمع اطرافاً منها تنبعث من عالمه الداخلى اثناء استماعنا لقصة إلياس نخلة . فنسمعه يقول : بقيت لي بضع ساعات فى هذا البلد ، وبعدها اغادره ، لن ارجع مرة اخرى . نعم لن ارجع ، وحتى لو رجعت فلن يكون قبل عشرين سنة . ساتلاءم مع عملى الجديد ، وإذا طردت منه فسوف اجد عملا ثانياً ، اما إذا لم يلائمنى البلد فسوف افتش عن بلد آخر . المهم : ان لا ارجع (ص ١٧) .. ما الوطن ؟ الأرض ؟ التلال الجرداء ؟ العيون القاسية التى ينصهر منها الحقد والرصاص وكلمات السخرية ؟ الوطن ان يجوع الانسان ؟ ان يتيه فى الشوارع يبحث عن عمل وراءه المخبرون ؟ ... الوطن المكان الذى يعمل فيه الانسان بين الرجال الذين يعرفهم ويحبهم (ص ٢٥) ثم يعود بنا الى الماضى حين سرح من الجامعة . وهكذا نستمع الى قصتين فى وقت واحد : قصة إلياس نخلة المرتبة ترتيباً زمنياً تتخللها قصة منصور عبد السلام التى تقفز بين أزمنة مختلفة .

وحتى عندما غادر الياس نخلة القطار وخلا الجو لمنصور عبد السلام «لان يقول شيئاً على حد تعبيره ، فقد ظل عدم الترتيب الزمنى ســائداً ، والسبب فى ذلك منطقى . فقد كان إلياس نخلة يروى قصته على آخر ، وانت عندما تروى قصتك على آخر فعادة ما ترتب حوادث قصتك ترتيباً زمنياً حتى يمكن متابعتها . اما قصة منصور عبد السلام فهى منولوج طويل ، إنها مجرد ذكريات تطفو وتغيب ، إنه يتعرى بحرية بينه وبين نفسه ، والمؤلف يسمح لقارئه بان يطل عليه من احد الثقوب ليطلع على هذا العالم الداخلى الذى يموج بالانفعالات والذكريات حيناً ويضطرب بين عالمى الداخل والخارج حيناً آخر . «.. وعليكم أيها السادة الا تصدقوا كل ما يقوله ، نعم لا تصدقوا ، لان الهلوسات تختلط بالوقائع الصغيرة .. بالأحلام ، واحياناً بالأكاذيب . ومن كل ذلك يتصور منصور عبد السلام حياته أو يتوهمها .. فاحذروا (ص ١٥٨) .

وهكذا نتعرف على طفولة منصـــور عبد السلام ، وهى طفولة شقية لطفل يتيم الأب : عمل فى محل بيع اقمشة ثم فى إحدى المكتبات حيث لقى الاهانة هنا وهناك فهرب من كل منهما . ثم نتعرف عليه فى حاضره ، رجلا فى الخامسة والثلاثين ، كان يحتفظ بمكتبة صغيرة فى بيته حتى وقت قريب ، وكانت بعض كتبها تتمتع لديه بميزة تفوق اى شىء فى هذا الوجود « ولكنى تاكدت مؤخراً أن الكتب بلاء يجب ان يحاربه الانسان ويتخلص منه ، ومن اجل ذلك جعلت نفسى قدوة عندما احرقت اغلب الكتب التى احتفظت بها سنوات طويلة » (ص ١٨٤) ، ثم نعرف انه قبل ذلك كان قد سجن بسبب افكاره ، وان اباه كان يحب السياسة رغم انه كان يقرا الجرائد بصعوبة مما ادى الى نفيه الى الهند خمس سنوات ، فلما مرض عاد الى اهله ليموت بعد سبعة شهور .

ثم يحكى لنا عن علاقاته النسائية ، غراماً عاطفياً ، او حلم يقظة عاشه ، او محاولات زواج فاشلة ، ليلى .. وداد .. رحاب .. ممثلات السينما ، زوجات الاغنياء بنات الجامعة سهام زهدى الصناديقى ، اما كاترين البلجيكية فهى التى عن طريقها عبر المؤلف عن استحالة اللقاء بين الغرب والشرق ، تعرف بها اثناء دراسته التاريخ فى جامعة بروكسل ، كانت واضحة جريئة لها إرادتها وشخصيتها ، شانها فى ذلك



أزمة الإنسان العربي في رواية معاصرة

شان جميع بطلات الروايات التى عبرت فى ادبنا العربى المعاصر عن الصراع بين الشرق والغرب ، قنديل أم هاشم ليحيى حقى ، الحى اللاتينى لسهيل ادريس ، موسم الهجرة الى الشمال للطيب صالح .. الخ ، فحين يعلن لها ان حرارة بلاده قاسية تبلغ المائة قد لا تتحملها ترد عليه : لاتخف تحمل الجحيم ، ولا اريد بعد الآن هذا الثلج اللعين (ص ٢١١) . لكنه اجابها : انتم فى نهاية الحضارة .. وتسامون .. ماذا نقول نحن ؟ الاشياء التى تكرهينها نشتاق اليها فى بلادنا ، نموت من اجل ان تكون .. والأشياء التى لا نحبها تتلهفين لكى تريها (ص ٢١٢) .. كاترين نحن عالمان ، التقينا بالصدفة ، وبعد قليل سنفترق ، إن لقاء مثل هذا لا يمكن ان يستمر مهما حاولنا» (ص ٢١٤) .. «لا أريد أن احزنك يا كاترين ، ولكن كل شىء فى بلادنا مقلوب على رأسه .

وعندما عاد الى بلده واراد ان يتزوج سهام زهدى الصناديقى وكان ابوها يساومه على مقدار ما يدفع ، كانت سهام تنظر دون اهتمام كان الأمر لا يعنيها . قالت : ليس لي رأى ، المهم ان تتفق مع بابا .. ولكنك انت التى ستتزوجين يا سهام .. اعرف ولكن بابا هو الذى يقرر كل شيء .. وانت ماذا تقررين .. هل تريد ان تحرجنى (ص ٢٢٧) . علاقة هى الأخرى محكوم عليها بالفشل لأسباب تختلف تماماً عن العلاقة السابقة . ترى ما الذى اغرى استاذ الجامعة المثقف بسهام زهدى الصناديقى وما الذى جذبه نحوها ؟ ليست هناك كلمة حتى عن جمالها الحسى . أما الحب فهو لا يشير اليه لانه ـ كما هو واضح ـ علاقة مستحيلة بينهما .

ويلوذ منصور عبد السلام بذكرياته باحثاً عن صدر احتضنه ذات يوم ، فينقب فى ماضيه حتى يعثر على مغامرة صغيرة عاشها ثلاثة أيام حين كان على ضفاف البحر الأسود ، حين تشبثت به احدى الفتيات لكنه تملص منها عندما كان عليها ان تسافر لموعد مع امها فى بودابست .

ويخرجنا منصور عبد السلام من عالمه الداخلى ليشارك حاضره بدوره فى هذه المقارنات الحضارية ، إذ تدخل امراة الى حيث يجلس فى القطار ووراءها شابة لا تتجاوز العشرين ، نفهم من حديثهما انهما غادرتا مكانهما السابق بالقطار لان العجوز اعترضت على أن تتحدث الفتاة مع رجال يشاركونها المكان «فالبنت المؤدبة يجب الا تعطى عيناً للرجال .. هذه عادة الرجال دائماً : اول مرة يسال عن الوقت واخر شىء يعتدى عليك ، انا اعرف الرجال» (ص ٢٣٥) . وهكذا اغلقت البوابة وسدت فى وجهه الطرق على حد تعبيره .

وبعد عودة منصور عبد السلام من الخارج دعي لخدمة الوطن لمدة ثلاث سنوات أصيب بعدها بازمة نفسية . كان يقول : افهم ان نهزم مرة . وافهم ان نهزم مائة مرة . لكن الشىء الذى لا افهمه هو ان نتصور هزيمتنا انتصاراً (ص ٢٤٨) . وقد ظل يعانى من حالة الكابة والعزلة فترة طويلة ، ولم يتوازن إلا بعد ان عين فى الجامعة لتدريس مادة التاريخ المعاصر وهو يؤمن أن التاريخ قصة طويلة وحزينة تمتلىء بالأكاذيب (ص ٢٥١) .

وكان عليه أن يعبر الحدود لينضم الى بعثة التنقيب عن الآثار . وعند الحدود احس انهم يتطلعون اليه بسخرية قاسية . وبعد ان امطروه وابلا من الأسئلة واذنوا له بالسفر دخل عليه اثنان وبدءا استجوابه من جديد ، ثم اتضح انهما من رجال الجمارك يستفسران عن صديق رحلته إلياس نخلة الذى تعرف عليه فى رحلة القطار ونزل عند محطة الحدود ، لكنه ذعر منهما واصابه الخوف والتردد وهو يجيب على أسئلتهما مع انهما موظفان صغيران لا يستطيعان منعه من السفر . لهذا احس انه تخلى عن إلياس نخلة عندما اعلن لهما انه لا يعرفه أبداً ، لم يره من قبل ، وحتى اسمه التقطه فى اللحظات الأخيرة والقطار يسير (ص ١٧٢) .

وهكذا نتعرف على قصتى الياس نخلة ومنصور عبد السلام من خلال حركة القطار رمز الحياة ، وإن كنا نتعرف على قصة الشخصية الثانوية اولا لتنكشف لنا من خلالها قصة الشخصية الرئيسية كانما عرضاً . ثم تنتهى روايتنا بيوميات منصور عبد السلام عن عمله فى الموقع الذى يعمل به مع بعثة التنقيب عن الآثار . وهكذا تجمع روايتنا بين ثلاثة أساليب من اساليب الحكى الروائى : أسلوب الاعتراف او الافضاء الشفاهى الى شخص حاضر ، وأسلوب المنولوج أو الافضاء الصامت ، وأخيراً أسلوب اليوميات وهو إفضاء مكتوب الى شخص مجهول .

يكتب منصور عبد السلام فى يومياته انهم كانوا «ثلاثة عشر رجلا ، لا توجد رائحة امراة فى مساحة نصف قطرها خمسة عشر كيلو متراً» (ص ٢٨٩) . كان يقول للفرنسيين «نحن فى الشرق لا نحتمل فقط وإنما نهوى أن نعذب انفسنا .. الشرق موطن الاحتمال . لقد تحول الشرق الى حمار . ضحكوا للكلمة الاخيرة» (ص ٢٩٥) وقرأ فى الصحف نبا قتل رفيق كفاحه مرزوق (ولعله يرمز بذلك الى قتله هو فمرزوق على وزن منصور الذى كان يبحث عن وسيلة للرزق ولم يكن منصوراً فى حياته أبداً) ، فكتب يقول «الوطن هذا الوشاح الأسود الذى يلبسه كل الناس ، يلبسونه فى الليل ، فى النهار ، وهم نائمون وهم ياكلون .. الى متى تبقى كذلك ايها الوطن ؟ الجوع والعذاب ، واليوم : القتل (ص ٣٠١) . ويكتب فى يومية اخرى «يجب ان اخترع طريقة استطيع بواسطتها القضاء على كل شىء فى الوطن : الأشجار ، الماعز ، الخيانة ، الهزيمة ، الحفر فى الشوارع والبذاءه» (ص ٣١٦) .

ويبدو ان عبد الرحمن منيف كان يمهد بذلك لجنون بطله الذى لم يجد طريقة سواها لخلاصه .

واخيراً أطلق منصور عبد السلام النار على شبحه فى المراة . وخلال نصف ساعة جاؤوا واخذوه الى مستشفى المجانين .

إن رواية الأشجار واغتيال مرزوق من روايات تانيب الذات الذى يجتاح الضمير العربى فى هذه الفترة التاريخية التى نمر بها . وهى بما تحتشد به من أساطير ورموز قد استطاعت ان تقدم واقعاً وفناً ونبوءة .

يوسف الشارونى

مجمرة الرّماد



شعر:
حسن عبد الله القرشي

قد تحجَّرتُ فالتمسى النّارَ
فى غيرِ قلْبى
ولا تغْرقِى فى شُعَاعِ النجومِ
ولا تسالى لِمَ قلبى تحجَّرَ
من بعدِ أن كانَ يرقُصُ
فوق حدائقِ شمس النّهار ؟!

● ● ●

كان قلبِى السؤالَ
وكنت إجابة هذا السؤالِ
وكنتِ المحبةَ
فانغلقت رؤيةُ الحبِّ
واختنقتْ
فى خضمِّ المسافاتِ
فى صمْتِ كل الجَنَائزِ
اجنحةُ الوردِ .. واليَاسمينْ !
كنتِ لي .. كنتِ
لكن أذرعةَ الغَيبِ
حينَ اختبات
وحِينَ تَرَاكَضَ فى شَفَقِ الحُلْمِ
ظلُّك ، وانجابَ ظِلِّي
وحين تغرَّبتِ
فوقَ شَوَاهِدِ كلِّ المقَابِرِ
قد عدتِ وَهْماً
حقيقته انطمستْ وتعرَّتْ
فأصبحتِ مطمورةَ الهمْسِ
غائبةً فى مَدَارِ السِّنينْ

● ● ●

لَمْ أعُدْ ذلك المشفِقَ المتأنىِّ
فَتَحْتَ القِبَابِ
أرى النَّهْرَ مستَخْذِياً
واحِسُّكِ أَبْعَدَ .. أَبْعَدَ
راجفةً كدبيب النِّمَالِ
كمجمرة عبِّئَتْ بالرّمَادِ
فَلا فَوْحَ تَنْشُرُهُ
لا شُعَاعاً
سوَى قبْضَةٍ من هَبَاءٍ
وذَرَّاتِ سَجْنَى التوابِيتِ
ساقطةً من حُطَامٍ مهين !!





حاييم هيرتسوج

حاييم هيرتسوج

على خطى بن جوريون

بقلم: عصام شريح

بتاريخ ٢٢ ـ ٣ ـ ١٩٨٣ ، انتخب الكنيست الاسرائيلى حاييم هيرتسوج رئيساً «سادساً» للكيان الصهيونى ، خلفاً لاسحق نافون الذى انتهت مدة رئاسته في الرابع من أيار (مايو) الماضى . وقد فاز هيرتسوج بمنصب الرئاسة كمرشح لحزب العمل المعارض وضد مرشح حزب الليكود الحاكم قاضى المحكمة العليا «مناحيم إيلون» ، وجاء فوزه على إيلون بأكثرية ٦١ صوتاً مقابل ٥٧ صوتاً لمنافسه ، وبعد أن «خان» خمسة من النواب الأعضاء فى الليكود حزبهم وصوتوا لصالح هيرتسوج . وقد أحدث انتخاب هيرتسوج صدمة لحزب الليكود ورئيسه مناحيم بيجن ، لكن وزير الداخلية يوسف بورج وصف ما حدث بأنه ليس أكثر من نكسة صغيرة ، أو «بنشر» فى سيارة الليكود ، وقد أمكن اصلاح «البنشر» واقلعت السيارة من جديد

وقد عزا المراقبون نجاح هيرتسوج على مرشح الليكود ، الى مرونته وعدم تعصبه الحزبى حيث يعتبر من تيار الوسط داخل حزب العمل المعارض ، اضافة الى أن منافسه على المنصب القاضى «إيلون» لم يكن شخصاً معروفاً .

والمهم هنا أن نعرض لبعض مناحى تفكير هيرتسوج ، للاسهام فى تقييم واقعى لاتجاهاته السياسية والفكرية ، وذلك انطلاقاً من القاعدة التى تقول : «اعرف عدوك» .

من هو ؟

ولد حاييم هيرتسوج فى ١٩١٨/٩/١٧ بمدينة بلفاست عاصمة ايرلندا ، وكان والده الحاخام الأكبر فى ايرلندا ، وأصبح فيما بعد الحاخام الأكبر فى الكيان الصهيونى . وهاجر هيرتسوج مع عائلته الى فلسطين فى عام ١٩٣٥ ، وانضم الى منظمة «الهاجانا» - احدى العصابات الصهيونية المسلحة التى شكلت فى فلسطين قبل الاعلان عن قيام اسرائيل فى عام ١٩٤٨ - وتجند فى الجيش البريطانى فى عام ١٩٣٩ ، وحارب فى صفوفه خلال الحرب العالمية الثانية ، وجرح على مشارف مدينة «بريمن» الألمانية الساحلية ، بعد أن شارك فى معركة «ارنهايم» لعبور نهر الراين ، وكان ضمن افراد أول فرقة للحلفاء دخلت الأراضى الألمانية ، وبسبب معرفته اللغة الألمانية ، تم تحويله الى وحدة الاستخبارات الخاصة التى طاردت زعماء النازيين ، وكان هيرتسوج ضمن الضباط الأربعة الذين ألقوا القبض على رئيس جهاز الاستخبارات الألمانى المعروف باسم «الجستابو» - هنريخ هيملر .

بعد ذلك عاد الى فلسطين ، ونشط داخل أجهزة الوكالة اليهودية فعين فى عام ١٩٤٧ رئيساً لشعبة الأمن فيها ، وخلال الحرب العربية - الاسرائيلية فى عام ١٩٤٨ ، عمل هيرتسوج ضابط عمليات فى اللواء السابع ، وحينما أنشىء جهاز الاستخبارات العسكرية فى الجيش الاسرائيلى - كقسم من شعبة الأركان العامة فى أواخر عام ١٩٤٨ - عين رئيساً لهذا الجهاز ، وفى عام ١٩٥٠ نقل من هذا المنصب لكى يعين ملحقاً عسكرياً فى الولايات المتحدة وكندا ، وفى عام ١٩٥٤ ، عين قائداً للواء القدس ، ثم عين فى عام ١٩٥٧ رئيساً لأركان المنطقة الجنوبية ، وقائماً باعمال قائدها أنذاك ، وفى أيار (مايو) ١٩٥٩ ، عين رئيساً لشعبة الاستخبارات العسكرية ، وأنهى خدمته فى هذا المنصب فى عام ١٩٦١ مختتماً بذلك حياته العسكرية الرسمية .

بعد خروجه من الجيش عمل هيرتسوج فى عدة مجالات رسمية وغير رسمية ، ففى أعقاب احتلال الضفة الغربية فى حرب عام ١٩٦٧ ، عين أول حاكم عسكرى على الضفة الغربية المحتلة ، وكان قد عمل فى السنوات السابقة فى المجال الصناعى ، واشترك مع مجموعة من المحامين المتخصصين بقضايا الصناعة والاقتصاد ، كما عمل فى ميدان الصحافة والاعلام . وخلال حرب عام ١٩٧٣ ، اشتهر بتعليقاته عن هذه الحرب ، كما فعل فى أعقاب حرب عام ١٩٦٧ . وفى الفترة ما بين ١٩٧٥ - ١٩٧٨ شغل هيرتسوج منصب مندوب اسرائيل لدى الأمم المتحدة ، ومنذ عام ١٩٨١ وحتى انتخابه لرئاسة الكيان الصهيونى فى ٢٢ آذار (مارس) الماضى ، كان يحتل أحد مقاعد الكنيست عن حزب العمل المعارض .

هيرتسوج وأميركا

تشكل «رؤيا» هيرتسوج لنمط السياسة الاسرائيلية الواجب اتباعها نحو الولايات المتحدة ، ومعها ، جوهر فكر الرجل على الصعيد السياسى والاستراتيجى ، وهيرتسوج لا يبدو خلاقاً فى هذا المضمار بقدر ما يبدو - مثل غالبية قادة حزب العمل - تلميذاً نجيباً لـ «دافيد بن جوريون» صاحب الفكر السياسى الاستراتيجى الحقيقى حتى الآن فى الكيان الصهيونى .

وانطلاقاً من «تعاليم» معلمه إبن جوريون ، يحاول هيرتسوج أن يصوغ مواقف سياسية تكتيكية لمعالجة المشاكل والأزمات الطارئة التى تواجه اسرائيل فى صراعها مع العرب . ومن هذه المواقف التكتيكية على سبيل المثال - لا الحصر - دعوته الى وضع السياسة الاسرائيلية فى خط مواز للسياسة الأميركية والمصالح الأميركية فى المنطقة ، كما حدث مثلا عندما قامت حكومة مناحيم بيجن بضم هضبة الجولان السورية المحتلة رسمياً الى الكيان الصهيونى ، فقد حمل هيرتسوج بشدة على حكومة بيجن بسبب هذا القرار ، لأنه عكس فى رأيه اخفاقاً فى فهم نوعية ادارة الرئيس الأميركى السابق جيمى كارتر ،

ولأن بيجن وقف «فى مواجهة ادارة مختلفة كلياً ، تعكس فى ردود فعلها الطبيعية معايير الحياة السياسية المحلية فى الولايات المتحدة» . واتهم هيرتسوج بيجن فى مقال تحليلى كتبه فى صحيفة «معاريف» بتاريخ ٢٥ - ١٢ - ١٩٨١ ، بعدم فهم الخارطة السياسية فى واشنطن ، وبالتالى بانعدام القدرة على التقدير الصحيح للدوافع المؤثرة على التفكير السياسى الأميركى . وفى تقدير هيرتسوج ، أنه ليس مهماً أن تكون الخطوة السياسية التى تخطوها الحكومة الاسرائيلية «صحيحة ومحقة» ، بل ان المهم هو أن لا تتقاطع هذه الخطوة مع الخط السياسى الأميركى فى منطقة الشرق الأوسط أو غيرها من المناطق ، بحيث تؤثر سلبياً على الموقف الأميركى خاصة والموقف الغربى عامة إزاء السياسة السوفيتية ، أو بحيث تقود الى تماثل فى الموقفين الأميركى والسوفيتى ، وهو أخطر ما يمكن أن يواجه اسرائيل - على حد قوله .

ويسوق هيرتسوج مثلين على ذلك فيقول «لقد عملت السياسة الاسرائيلية دائماً بشكل يمنع حصول تماثل فى المصالح أو السياسات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ، إذ لا توجد قوة فى العالم تستطيع الصمود على المدى البعيد فى وجه إجماع القوتين الأعظم ، وجميع إنجازات اسرائيل بعد حرب الأيام الستة - قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، ونتائج حرب «يوم الغفران» ، والمفاوضات مع مصر خلال التسويات المرحلية وما تبعها - ما كان بالأمكان تحقيقها بهذا الشكل لو لم تكن الدولتان الأعظم فى حالة مواجهة فيما بينهما حول قضية الشرق الأوسط» .

ويضيف هيرتسوج قائلا : «فى عام ١٩٤٨ ، وفى أعقاب القرار التاريخى لدافيد بن جوريون بالاعلان عن قيام دولة اسرائيل ، كان العامل السياسى الرئيسى الذى ساعد فى مسار إقامة الدولة ، موافقة الدولتين الأعظم ، وفى سنة ١٩٥٦ ، تشكل مرة أخرى تماثل فى التوجه بين الدولتين الأعظم - الأمر الذى جعل الانسحاب من سيناء إجبارياً» .

الأستاذ ابن جوريون

من كل هذا يخلص حاييم هيرتسوج الى صياغة موقف استراتيجى هو فى الواقع موقف مستمد من الخط السياسى الاستراتيجى الذى وضعه بن جوريون . ويقوم الموقف الذى صاغه هيرتسوج على أساس أو أساسين متكاملين هما : إبقاء المشاكل معلقة دون حلول فيما يتعلق بالصراع مع العرب ، بحيث تبقى المبادرة فى يد اسرائيل دوماً ، ثم العمل من خلال المفهوم المرحلى فى السياسة ، ونبذ العمل «الطفروى» أو الانفعالى فى هذا المضمار .

ويشرح هيرتسوج هذين الأساسين فى بناء مواقفه - أو المواقف الاسرائيلية - فيقول : «لقد كان دافيد بن جوريون كبيراً بما فيه الكفاية ، ليعرف الى أى مدى يستحسن السير الى الأمام ، ثم الانتظار هناك ، حتى المرحلة التالية» .

حاييم هيرتسوج

على خطى بن جوريون

ويضيف « ان أمام اسرائيل خطين مركزيين تجنبت الحكومات السابقة (حكومات حزب العمل) الخروج عليهما ، «فلقد حذر دافيد بن جوريون دائماً من الاسهاب فى شرح المواقف أكثر مما يجب ، حيث فى تقديره ،

أن انعدام الوضوح فى الكلمات والعبارات مـن جهــة ، ووجودنـــا (أى وجــود الاسرائيليين) على الأرض من جهة أخرى ،

هما «الثنائى الأفضل» ـ حيث أن طابع المشكلات التى تواجه اسرائيل ، وانعدام الاستقرار فى المنطقة وصعوبة رؤية المستقبل وحساسية وضعنا ، اجتمعت معاً لتفرض علينا سياسة تقضى بابقاء المشاكل معلقة فى الهواء ودون حل ـ من أجل الاحتفاظ بالمبادرة على الأرض فى أيدينا» .

وفى سياق تبريره لهذه السياسة ، يقول هيرتسوج «ان ابن جوريون قد عارض بشدة تعيين حدود الدولة فى وثيقة الاستقلال ، ولقد وصلنا الى حافة حرب تهدد وجودنا ، ولم يقبل ابن جوريون بتكبيل أيدينا ، والأمر نفسه ينطبق على اتفاقات الهدنة المتعلقة بالمناطق المعزولة ، حيث كان الموقف منها غامضاً ، ولكن مع مرور الســـنوات ، أصبحت تلك المناطق جزءاً لا يتجزأ من اسرائيل » .

من كل هذا نستنتج أن موقف حاييم هيرتسوج ـ الذى يعكس بالضرورة الموقف الرسمى لحزب العمل ـ لا يختلف عن موقف مناحيم **بيجن** وبالتالى حزب الليكود الحاكم حالياً ، من حيث الجوهر ، وان كان يختلف عنه من ناحية الشكل والمظهر ،

فهيرتسوج كما هو واضح فى أقواله يسعى الى قضم الأراضى العربية ، وتحقيق السياسة الصهيونية التوسعية ، ولكن دون حرق المراحل ، ودون اللجوء الى أساليب الدعاية والاثارة التى تضر فى نهاية المطاف بسمعة اسرائيل فى الخارج ، وتنعكس سلباً على علاقاتها مع حلفائها الغربيين ،

وتثير الرأى العام العالمى ضدها ، اضافة الى أنها تفتح عيون العرب على سياساتها التوسعية .



دافيد بن جوريون



مناحيم بيجن



اسحق نافون

تناقص عدد اليهود

فى أواسط السبعينات طرح هيرتسوج مسـألة التكاثــر الطبيعــى للعــرب الفلسطينيين فى مقابل الانخفاض الحاد فى عدد اليهود فى العالم ، وقال ان هذه المعادلة ليست فى صالح اسرائيل على المدى الطويـل ، لأن الفلسطينيين سيتكاثرون باضطراد نتيجة لعملية الانجاب المبكر بالنسبة للزوجين وغير المحدودة أيضاً . فيما سيصبح اليهود أقلية فى المستقبل اذا استمر تناقصهم على المنوال الحالى ، سواء فى اسرائيل ، أو فى العالم . وعزا هيرتسوج هذا التناقص الى انخفاض عملية التكاثر الطبيعى أولا ، ثم للزواج المختلط ، واندماج اعداد من اليهود وانصـــهارها فى المجتمعات الأوروبية والأميركية ، وغيرها .. ولتعزيز وجهة نظره هذه قدم بعض الاحصاءات فى هذا المجال فقال انه قبل مائة سنة فى أوروبا الشرقية ،

وقبل بضع عشرات من السنين فى أوساط يهود آسيا وافريقيا ، كان متوسط عدد الأولاد الذين ولدوا لأم يهودية ، يبلغ سبعة أولاد ، فى مقابل ولدين فقط للام اليهودية التى تعيش خارج اسرائيل ، وأضاف هيرتسوج أن الزيادة السنوية بالألف بين اليهود فى العالم كانت قبل مائة سنة ١٧ ، وقبل خمسين سنة ٧ ، فيما انخفضت هذه النسبة الى ٤ قبل ربع قرن ، وغدت سلبية فى السنوات الأخيرة ، لأن الاحصاءات فى بعض الدول الأوروبية ،

تشير الى زيادة نسبة الوفيات على نسبة الولادات . وأشار أيضاً الى انه عندما نترجم تلك المعطيات بالمقارنة مع عدد اليهود فى العالم ، فان النتيجة ستكون «مذهلة» ، إذ ان عدد اليهود فى العالم اليوم لا يزيد على تسعة ملايين ونصف المليون نسمة ، فاذا أضفنا اليهم يهود اسرائيل ، فان العدد لا يتجاوز اثنى عشر مليوناً ونصف المليون نسمة . وطبقاً لتوقعات هيرتسوج ، فان عدد يهود العالم باستثناء اسرائيل ، سينخفض إذا استمر التراجع الحالى فى حركة التكاثر الطبيعى من تسعة ملايين ونصف المليون الى حوالى ثمانية ملايين مع نهاية القرن الحالى ، والى خمسة ملايين ونصف المليون فى الربع الأول من القرن الحادى والعشرين . ومع أن هيرتسوج يتوقع أن يصل عدد اليهود فى اسرائيل بعد عشرين سنة ، الى أربعة ملايين ونصف المليون يهودى ، والى ستة ملايين ونصف المليون فى الربع الأول من القرن القادم ، بيد أنه يعرب عن قلق عميق إزاء نسبة التكاثر الطبيعى العالية بين الفلسطينيين خاصة

والأمة العربية بوجه عام ، ويدلل على ذلك بالاشارة الى أن التكاثر الطبيعي لدى الفلسطينيين حتى عام ١٩٧٧ ، كان أكثر من مثيله لدى اليهود بضعفين ونصف .

ومجمل القول هنا ان هيرتسوج لا يخفي خشيته وقلقه البالغ إزاء تزايد عدد الفلسطينيين المضطرد سنة بعد أخرى ، فى مقابل تناقص عدد اليهود ، لأن هيرتسوج يدرك أن عدد السكان له دور حاسم فى نهاية المطاف بالنسبة للصراع العربى – الصهيونى . وقد حذر رئيس المؤتمر اليهودى العالمى السابق ناحوم **جولدمان** من هذا الواقع ، ورأى فى «عقدة التفوق العددى المطلق للعرب فى مقابل أقلية يهودية فى الكيان الصهيونى ، وضعاً لا يمكن زحزحته وجعله ينقلب لصالح اسرائيل ، اضافة الى أن التفوق النوعى لاسرائيل لن يستمر طويلا ، وعندما يبدأ العرب فى منافسة اسرائيل فى هذا المضمار فان تصفية الكيان الصهيونى ، تصبح مسألة وقت ، وتحصيل حاصل .

وهذه النتيجة التى وصل اليها **جولدمان** هى فى الواقع ما وصلت اليه سيئة الذكر ، جولدا مئير عندما قالت : «إن كل طفل فلسطينى يولد ، يشكل هاجساً بالنسبة الي» ، ويبدو واضحاً أن حاييم هيرتسوج يعانى هو أيضاً من هذا الهاجس الفلسطينى والعربى الذى هو التكاثر الطبيعى ، كما يبدو واضحاً من الصورة المرعبة التى طرحها هيرتسوج عن تناقص عدد اليهود ، وارتفاع عدد الفلسطينيين فى مقابل ذلك ، أنه يشارك جولدمان فى تأكيده على استحالة مواجهة اسرائيل للعرب فى هذا المجال .

هيرتسوج رجل الاستخبارات

كان العمل الاستخبارى أبرز مجال حاز على اهتمام حاييم هيرتسوج ، ولهذا نراه يبدأ حياته بصورة عملية بالعمل الاستخبارى ضمن الجيش البريطانى وقوات الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية ، حيث عمل ضمن وحدة المخابرات البريطانية الخاصة التى لاحقت زعماء اليهودية فى عام ١٩٤٧ ، قبل الاعلان عن قيام اسرائيل ، وبعد الاعلان عُيّنَ أول رئيس لجهاز الاستخبارات العسكرية فى الجيش الاسرائيلى ، حيث قضى نحو عامين فى هذا المنصب ، وعاد الى رئاسة نفس جهاز الاستخبارات فى عام ١٩٥٩ ، حيث بقى على رأس الجهاز زهاء ثلاث سنوات .

وفى الواقع فان هيرتسوج بنى القسط الأكبر من شهرته و «مجده» الشخصى على نشاطه الاستخباراتى ، ليس لأنه رجل محب للظهور كما يصفه كثير من عارفيه فحسب ، وإنما لأنه يقيم لهذا النشاط الوزن الأكبر فى «نجاح» اسرائيل فى حروبها مع العرب ، وفى اتقاء ضربة عربية قاضية .

ولذلك نرى هيرتسوج يحدد فهمه للعمل الاستخباراتى ولرئاسة جهاز الاستخبارات العسكرية على النحو التالي : «إن قضية الاستخبارات العسكرية ، هى احدى المهام الهامة جداً ، ولولا وجود جهاز استخبارات ممتاز ، لما كان بامكان اسرائيل قصف المفاعل الذرى العراقى وتدمير الصواريخ السورية فى البقاع .

أما بالنسبة لرئيس جهاز الاستخبارات العسكرية ، فانه يشعر دوماً بانه مسئول عن خط الدفاع الأول فى الدولة ، التى هى معرضة دائماً للخطر ، لهذا فان عليه واجباً يومياً ، بل وأكثر من يومى ، انه واجب فى كل ساعة ، ولأن كل ما يفعله يتحمل مسئوليته ، فاننى أشك فى أن رئيس جهاز الاستخبارات العسكرية يستطيع أن ينام ملء جفونه ولو ليلة واحدة . وفى هذا المنصب نكران للجميل فقد ينجح رئيس الجهاز فى ٩٩ بالمائة من عمله ، بينما يقضى فشله فى عمل واحد على كل هذا النجاح ، ففى مثل هذا الجهاز تشكل نسبة واحد بالمائة من الفشل أمراً خطيراً جداً ، كما حدث فى حرب يوم الغفران ، حيث ينسى (**المسئولون ...**) الـ ٩٩ بالمائة من النجاحات التى حققت» .

وبالرغم من المبالغة فى الأطناب بدور جهاز الاستخبارات العسكرية ، فان هيرتسوج يعترف مع ذلك بان الجهاز أخطأ أكثر من مرة ، وانه كانت هناك «أخطاء صعبة ، كما كانت هناك أخطاء أقل صعوبة» ، لكنه يعزو هذه الأخطاء غالباً ، الى أن الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة كان لديها ميل كبير جداً «للاعتماد على تقييمات جهاز الاستخبارات العسكرية ، دون القيام بتقييم منفصل لها» ، وكانت حرب عام ١٩٧٣ ، شاهداً على هذا الخلل ، الذى «بدأ إصلاحه» بعد ذلك .

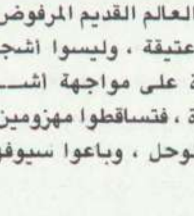
ومن خلال هذا الفهم لدور العمل الاستخبارى فى مسيرة الكيان الصهيونى ، فان هيرتسوج يلقى على جهاز الاستخبارات العسكرية جميع المهمات الصعبة والشائكة التى تواجهها اسرائيل فى الحاضر والمستقبل ، لأن هذا الجهاز هو الذى يضع قرارات الحكومة الاسرائيلية عملياً عبر تقييماته ، التى تعتمد من قبل الحكومة دون مناقشة .

هيرتسوج .. الرئيس !!

على الرغم من أن منصب رئيس الكيان الصهيونى – «رئيس الدولة» – هو منصب فخرى ، يحاول الاسرائيليون من خلاله فرض وقار العلم والثقافة والأدب على كيانهم المصطنع ، حيث حددت القوانين الاسرائيلية «وظيفة» الرئيس فى القيام بأعمال بروتوكولية والانصراف الى النشاط الثقافى والأدبى والعلمى ، فانه من الصعب أن يحصر هيرتسوج نفسه عملياً ضمن هذا الاطار الشكلى والمسرحى من المسئولية ، خاصة وأنه شغل منصب رئيس جهاز الاستخبارات العسكرية مرتين ، وقضى فى العمل بهذا الميدان القسط الأهم من حياته. واذا أخذنا بتصريحاته التى أدلى بها عقب انتخابه رئيساً ، وقال فيها انه سيعمل على مواجهة الفروقات الاجتماعية القائمة بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين ، ويخفف من حدة النزاع القائم بين الفئات المتدينة وغير المتدينة ، فان الرجل – الذى قضى سحابة عمره فى صفوف حزب العمل (حزب اليهود الغربيين) ، لا يمكن فى رأينا أن يتنازل عن العمل لصالح حزبه وأفكاره التى شغلته حوالى ستين عاماً أو أكثر ، ويقبل بالانزواء فى قصر صغير لا يمارس فيه سوى العمل البروتوكولى المحض ، وفى رأينا أيضاً أن فترة رئاسة هيرتسوج للسنوات الأربع القادمة سوف تشهد احتداماً فى الصراع الحزبى والطائفى فى الكيان الصهيونى .

عصام شريح

خواطر تسرّ الخاطر



بقلم: زكريا تامر

كانوا صقورا

يقال إن الصقر هو العاشق الأصيل للحرية ، والذي تتجسد فيه الانفة والكبرياء والشموخ ، فلا يأكل الا ما تصيده مخالبه ، ولا يدنو من جيفة مهما تضور جوعاً ، ولكنه ما إن يقتنصه الانسان حتى يتبدل ، فيتحول بعد أشهر من الترويض إلى مخلوق ذليل مستكين ، ينفذ أوامر سيده ، متجاهلا شوق اجنحته الى الانطلاق بعيداً عن أي قيد .

وكثيرون من الكتاب العرب يشبهون الصقور ، اذ كانوا فى بداية حياتهم الأدبية مفعمين بالحماسة لكل ما هو نبيل ورائع وجميل فى الكون ، تواقين الى حياة تسودها قيم تدرأ الظلم عن البشر ، وتعيد إليهم حريتهم وفرحهم ، ولكنهم بعد أعوام من الصدام مع الواقع ، انطفأت نارهم ، واتضحت حقيقتها ، فاذا هي نار أعواد ثقاب ، وليست نيران البراكين التى ستجتاح أنقاض العالم القديم المرفوض ، واذا هم جوارب عتيقة ، وليسوا أشجار السنديان القادرة على مواجهة أشد العواصف ضراوة ، فتساقطوا مهزومين ، تاركين راياتهم للوحل ، وباعوا سيوفهم وجيادهم ووردهم الأبيض ، وأمست أقلامهم لا تتقن سوى تنظيف الاحذية ، ولم تعد من الأقلام الحالمة بأن تبني للانسان مدناً جديدة سعيدة ، وأصبح كل ما يبغون الفوز به لا يتعدى المغنم الشخصي المادى ، فاستخدموا النفاق والكذب والرياء والخنوع والتملق أسلحة تمكنهم من الظفر بمآربهم ، متأهبين دائماً لتقديم الخدمات لكل من كان قادراً على دفع الثمن .

لقد تخلوا عن البيت الذى ولدوا فيه ، وتحولوا إلى حيوان مفترس ، محاولين تلطيخ كل أديب بالوحل حتى يصير شبيهاً بهم ، معلنين الحرب على الاصالة والموهبة والامكانات الحقيقية ، فكل اديب مازال يقاتل، هو مرآة يشاهدون فيها وجوههم المشوهة ، ولذا فهم يسعون لتحطيم تلك المرآة حتى يصبح الشرخ فى المرآة لا فى حياتهم .

ولكن وجودهم ليس أبدياً لكونه مرتبطاً بالتخلف السائد حالياً ، وهو تخلف لن يستمر حياً ، ولابد من أن الجياد الأصيلة ستطاهم يوماً بسنابكها ، وتقذف بهم الى أكثر القبور ظلمة .

المثقفون الطبول

يتصف الوطن العربى بصفات كثيرة ، منها ان هناك اناساً مازالوا يعيشون فوق أرضه ، زاعمين بتجهم ووقار انهم المثقفون القائلون القول الفيصل ، ولا شيء ينال اعجابهم سوى ما يصدر عن أشخاصهم ، فاذا كتب كاتب ما نقداً صارياً مراً لواقع فاسد ، فنقده فى رأيهم تنفيس لنقمة الجماهير ، أما اذا كتبوا هم عن تربية الخنازير ، فما كتبوه هو الصوت الحقيقى للشعب والمعالجة البناءة لمشكلاته .

واذا امتدح شخص حديقة خضراء ، فهذا المديح تملق رخيص ، اما اذا اقدموا هم على تقبيل الأقدام ، فسلوكهم مجرد تكتيك مرحلى يخدم استراتيجية بعيدة المدى وخطيرة الشان .

واذا مات مواطن جوعاً ، فموته تعبير عن هروب وتجاهل للتطور الحتمي لتاريخ الشعوب ونقص فى الوعى الصحى والأيديولوجي ، أما اذا مس رؤوسهم طيف صداع ، فالامبريالية هى المتآمرة والسبب الأوحد .

واذا دخن مواطن سيجارة أجنبية الصنع ، ففعله تفسخ ودعم لعالم الاستغلال .

أما اذا قاموا هم بجولة فى ملاهي أوربا تستمر أشهراً ، فان جولتهم تلك تصبح لا هدف لها الا الاطلاع على تحلل العالم الرأسمالي وانهياره .

ان التخلف له نفوذه وقيمه وعدائه وتقاليده ، وله أيضاً ممثلوه فى شتى مجالات الحياة اليومية ، كما ان التقدم له أيضاً قيمه وسيطرته ، وله ممثلوه الصادقون والمزيفون . وهؤلاء المثقفون المزعومون ليسوا إلا ممثلين متخلفين للتقدم ، ودورهم فى الحياة اليومية أكثر خطراً من المدافعين عن التخلف بالمخالب والأنياب ، فمن المؤكد أن المتخلف المعلن بتخلفه أقل خطراً على قضية التقدم من متخلفين يختبئون تحت رايات التقدم ، مستمدين منها الحماية والحصانة ، ومتى تطرد تلك الرايات النائمين تحت ظلالها ، والذين لا يستيقظون الا فى أوقات توزيع الأسلاب ؟

الطوفان نائم أم مهمل؟

أي أجنبي يزور البلاد العربية بوصفه سائحاً لا محتلا ، سيلاحظ ان ميزان العدل منصوب ، ولكنه لن يتمكن من التنبه إلى أمر مهم طريف ، وهو التالي :

من يسرق مكنسة ، يعتقل ويستجوب ويحاكم ويسجن ، أما من يسرق قصة أو قصيدة أو دراسة نقدية ، وينشرها بعد تعديل طفيف أو غير طفيف على أنها من تاليفه ، فلا يطارد ولا يعتقل ولا يستجوب ولا يحاكم ولا يسجن ، بل يسارع بعض محرري الصفحات الأدبية في الجرائد والمجلات إلى تمجيده والثناء على مواهبه كانه نال جائزة نوبل للأدب مرتين .

وما دامت المكنسة تجد من يدافع عنها ويحميها من اللصوص ، ومادام الأدب لا يجد أي حماية ، فهل الأدب أقل أهمية من المكنسة ؟

ولابد من المسارعة إلى التنويه بان هذا السؤال يخلو من التعريض بالمكنسة ، ولا يحاول التقليل من مكانتها ، فالمكنسة لها دور بناء في تطوير الحياة الأدبية ، ولكنها تهمل القيام بدورها التاريخي بحجة أن الأدعياء باتوا أغلبية وتاديبهم من مهمات الناقد المسمى بالطوفان .

ناطحو صخرة

من المعتقدات الشعبية الشائعة ان الحمار إذا وقع يوماً في حفرة ما ، فهو في المرة الثانية سيتنبه إلى تلك الحفرة ، ويتجنبها ، ويحاذر الوقوع فيها ، ولذا فان الحياة الأدبية العربية ستصبح أكثر أصالة وقوة وصحة ونظافة إذا قلد بعض أدبائها الحمار واتخذوا منه قدوة ، خاصة الأدباء الذين يزعمون انهم ينتجون أدباً متقيداً بالنظريات السياسية ، فهم منذ الخمسينات وحتى اليوم لم يحصدوا في المجال الأدبي سوى الاخفاق تلو الاخفاق ، وظل أدبهم مجرد جعجعة لها قراؤها الأميون فنياً وفكرياً ، فالقصة مقال ، والقصيدة تعليق سياسي حماسي سطحي والمسرحية حوار سمج يتناول مسائل فكرية جامدة ، وينتهي بمقدم الفجر وصياح الديكة .

ولم يدرك هؤلاء الأدباء حقيقة بالغة الخطورة وساطعة كشمس افريقية ، وهي ان الكتابة الرديئة فنياً إساءة كبرى الى الأفكار التي تتناولها ، فالتزام أديب ما بأفكار معينة تمنح نتاجه قيمة اجتماعية ، أما القيمة الفنية فلا يمكن الحصول عليها الا عن طريق الموهبة والأصالة ، والأثر الأدبي الذي لا يشتمل على قيمة فنية هو مجرد كلمات جوفاء تحيا أعواماً بفضل الدعاية .

وهكذا فان النظريات السياسية اذا كانت تحارب في الميادين الأدبية ، فالناطقون باسمها هم الذين يحاربونها الحرب الحقيقة التي تشوه ، وتجعل القارىء الواعي يشهر سكيناً لحظة يلمح أديبا يدعي أنه المناضل من أجل غد أفضل .

ومن المستحسن التذكير بان الغراب اذا ظل مدة سنوات تلميذاً في مدرسة البلابل ، فانه حينما يفتح فمه لن يستطيع إلا أن ينعق فقط ، وسيظل مضطراً الى البحث عن معجبين بين الغربان .

وإذا كان عدد الغربان في الأونة الأخيرة قد ازداد ، فهذا ليس بالدليل على انها من الفئة المغردة .

الحمار الذكيّ

فكر الحمار طويلا ، باحثا عن مهنة ما مناسبة لمواهبه وامكاناته ، ثم قرر ان يصبح مغنياً ، فاستنكر كثيرون اختياره ، واتهموه بالحمق والغباوة ، فقال لهم الحمار : « إذا لم أتصف بالحمق والغباوة فلن أكون حماراً ، فلماذا الاستنكار ؟ » .

ومن المؤكد أن جواب الحمار لا يعوزه الذكاء ، وجدير بالأعجاب .

النجاة في الكذب

الكتاب المؤمنون بالصدق وحده ، والذين فرض عليهم قدر غريب الأطوار ان يكتبوا باستمرار في الجرائد ، يجدون أنفسهم في معظم الأحيان فريسة للهلع ذاته الذي يحس به من تعصب عيناه وينتظر سماع الأمر باطلاق النار ، أما اذا دفنوا رؤوسهم في الرمال ، وتجاهلوا القاتل والقتيل ، وقرروا الا يكتبوا إلا عن الفن والفنانين والفنانات ، فان المتاعب والاخطار تظل تطاردهم أيضا ، فاذا قالوا إن سعاد حسني في بعض أفلامها جميلة شبيهة بشجرة خضراء في شتاء قاس فان نجلاء فتحي تلطم الخدود ، وترسل برقيات الاحتجاج إلى مجلس الأمن الدولي .

واذا قالوا ان فاتن حمامة ممثلة بارعة ، فان ماجدة ترغي وتزبد ، وتعلن بمختلف اللغات عن مناقصة عالمية لاستئجار « ناقد محترف » .

واذا قالوا ان فهد بلان ملاكم ومصارع يغني ، فهم العملاء الذين تبرهن الأدلة على انهم قبضوا الرشاوى من بتهوفن وفاجنر وشركة لوكهيد .

واذا قالوا ان ماري منيب أكثر حياة من الكلام الذي يحكي عن وجود فن أصيل ، فان المرحومة ماري تغضب وتعتبر المقارنة إهانة لا يمحوها إلا الدم وحده .

ولذا فلعل الكتابة الوحيدة الكفيلة بان تتيح لكاتبها أن ينام قرير العين هي الكتابة التالية : « هذا وذاك واولئك وهاته وهاتان وهؤلاء وهاتيك وهنا وهناك وهنالك والذي واللواتي والتي ومهما ومتى وأين وكيف وأينما وكيفما ولكي وحتى وحيثما وأوشك .. » .

ولكن حتى هذه الكتابة قد لا تنجو من منجّم يتبرع بتفسيرها الذي يجعل شعر الرأس يتحول إلى غابة شوك ، وأسباب هذا التحول قد تكون غامضة قليلا ، ولكن غريزة حب البقاء تحتم ألا يتناولها أي توضيح .

مسافر على الرصيف



.. وهكذا كان نعمان!

بقلم: محمود السعدني

لم يكن عمرى يتجاوز الثالثة عشر عندما رأيت نعمان عاشور لأول مرة . فقد كنت زميل دراسة لشقيقه الصغير . وكان يبدو على اسرته انها على شىء من اليسر ! لم يكونوا أثرياء ولم يكونوا فقراء ، ولكنهم كانوا «ناس طيبين» بالتعبير المصرى الفلاحى . ثم اعتدت رؤية نعمان بعد ذلك وهو جالس فى ندوة انور المعداوى على قهوة عبد الله ، فقد كان عضواً اصيلا فى الندوة ، بينما كنت اجلس مع شلتى بعيداً عنها ، فلم يكن السن يسمح بعد بالاقتراب من مجلس الأساتذة الكبار ! ولكن عندما حدث اللقاء بينى وبين الندوة عن طريق العم زكريا الحجاوى ، اكتشفت ان نعمان عاشور هو اقرب اعضاء الندوة الى العبد لله ، فقد كان فى منتصف الطريق بينى وبين زكريا الحجــاوى وعبد القادر القط والشيخ قطامش . وكانت تعليقاته حارة وساخرة ، ولكنه كان يتلفت حوله فى حركة غير ارادية كلما صدر عنه تعليق من هذا النوع . ثم ادركت السر عندما علمت انه كان ضمن المعتقلين الذين ساقهم اسماعيل صدقى باشا الى السجن ، وكان نعمان ضمن الذين افرج عنهم رهن المحاكمة ! وبالرغم من استقراره النسبى فى وظيفة حكومية محترمة إلا انه كان دائم القلق . وربما كان خوفه الدائم من الحكومة هو الذى دفعه الى العمل كسكرتير صحفى للدكتور زهير جرانة وزير الشئون الاجتماعية فى عهد فاروق ! ومن المؤكد ان قيام ثورة جمال عبد الناصر قد خففت من قلقه ، وكان فى اسعد ايامه عندما جاء الى وزارة الشئون الاجتماعية رجل فاضل من ريف مصر ، تثقف فى جامعات أوروبا وامريكا ، وانبهر بنظم الحياة ، وعاش على امل أن يسود مصر مناخ مثل هذا المناخ الذى عاش فيه يوماً ما فى الغرب . كان الدكتور عباس عمار هو الذى بث الطمانينة فى قلب نعمان عاشور . ومن المؤكد أن نعمان بدأ يمارس الكتابة للمسرح فى تلك الأيام المبكرة من ثورة جمال عبد الناصر . وعندما كتب «وابور الطحين» لم تحدث الاثر الذى كان يرجوه . كانت أول تجربة . ولذلك جاءت باهتة ، ليصدق عليه المثل المصرى «المليح يبطىء» ومعناه ان الحصان الجيد لا يتقدم فى أول الشوط ! ولم يراوده الياس بعد الشحوب الذى لازم تجربته الأولى ، فكتب «الناس اللي تحت» . وكانت هذه المسرحية هى شهادة ميلاد اب المسرح المصرى الحديث . كان المسرح قبل نعمان عاشور روايات شعرية على طريقة روايات المدارس الثانوية للشاعر عزيز اباظة الذى كان يتولى لمدة طويلة من الزمان وظيفة مدير مديرية اسيوط ، وهى وظيفة بوليسية لأن الأمن العام كان اهم المسئوليات المنوطة بالمدير ! وكانت مسرحيات توفيق الحكيم لوناً من الترف الثقافى تصلح للقراءة ولا تصلح للتمثيل .

نعمان عاشور



والى جانب هذه المسرحيات كانت هناك مسرحيات الريحانى وعلي الكسار . وهى كلها مسرحيات فرنسية ممصرة ، ولكنها أبداً لم تتناول مشاكل مصر الحقيقية ، ولم تتعرض لهموم المصريين من قريب أو بعيد ! لم يكن قبل نعمان عاشور إلا مسرحيات يوسف وهبى ، وهى مسرحيات خطابية اغلبها ، وإن كان بعضها قد تعرض لمشاكل مصرية حقيقية ، غير أن الفنان يوسف وهبى كان من المؤمنين بشعار «خف تعوم» ولذلك لم يحاول الغوص فى الأعماق قط ! كانت مسرحية «الناس اللي تحت» هى أول مسرحية مصرية حقيقية تعرض على المسرح المصرى وكان حوارها الموحى الذكى هو أول حوار ينطق بلسان الناس العاديين ، البواب والكمسارى وصاحبة البيت والنصاب ورجائى الثرى الذى تدحرجت به الاحوال الى السرداب ، واحدثت المسرحية زلزالا فى عموم مصر ، وكانت هى السبب المباشر الذى فتح الطريق امام مواهب كثيرة اقتحمت المسرح المصرى بعد نعمان : الفريد فرج ، وسعد وهبه ، ويوسف إدريس ، وعلي سالم ، ومحمود دياب . ولكن ما كاد نعمان يستقر ويشمر عن ساعده استعداداً للكتابة ، حتى حدث ما لخبط كيانه من جديد وافقده التوازن ! لقد اختفى الدكتور عباس عمار وجاء الصاغ كمال الدين حسين الى الوزارة ومعه طاقم من ضباط المخابرات احتلوا مكتب نعمـــان عاشــور وراحوا يصدرون الأوامر . وكان نعمان مستعداً فى كل لحظة الى التنازل عن مقعده خلف المكتب لأى واحد من هؤلاء حتى «سيادة الصول» الذى لم يكن يؤدى عملا معيناً فى الوزارة !

وعندما غاب كمال الدين حسين وانتقل الى وزارة التربية والتعليم حل محله البكباشى حسين الشافعى . وجاء حسين


إسماعيل صدقى


عزيز اباظة


نجيب الريحانى


يوسف وهبى


على سالم

الشافعى ومن خلفه مجموعة من صغار الضباط الذين خدموا معه فى المعسكرات . واحتل هؤلاء مكاتب وزارة الشئون ، وكان مكتب نعمان عاشور فى مقدمة المكاتب التى احتلت ، وانزوى نعمان يجلس احيانا فى مكتبه ولكن فى المكان المخصص لجلوس الضيوف. وعاوده الشعور بالقلق والخوف من المستقبل . وفى تلك الأيام عكف على كتابة «الناس اللي فوق» وجاءت صورتها فى النهاية مهزوزة كحالة نعمان سواء بسواء ! ولكن حظ نعمان الحسن اوقعه فى طريق زميلين من كبار الموظفين ، كانا السبب المباشر فى تهدئة روح نعمان القلقة . سعيد قدرى الذى كان مديراً للعلاقات العامة بالوزارة ، ومدحت حمدى الذى كان سكرتيراً خاصاً للوزير . وكان سعيد قدرى واحداً من الموظفين الذين اشتركوا فى تاسيس وزارة الشئون الاجتماعية . وكان بفكره ومعتقداته تلميذاً مخلصاً لحزب الفلاح الذى ضم نخبة من المثقفين الذين تناقضوا مع العهد قبل الثورة. وهو الحزب الذى تعاون مع الثورة فى بداية عهدها ، ومثله فى الحكم الدكتور احمد حسين ، والدكتور عباس عمار ، والدكتور فؤاد جلال . وكان رجال هذا الحزب قد تلقوا تعليمهم فى امريكا وتاثروا باسلوب الحياة هناك . وكانوا يحلمون بمجتمع عصرى وسلوك حضارى ، ولذلك كانوا يذهبون الى مكاتبهم بالقميص والبنطلون . وبعضهم كان يرتدى القبعة لحماية راسه من الشمس الحارقة . وكان سعيد قدرى يتعامل مع موظفيه كانهم مجموعة من الأصدقاء . وبالطبع وجد سعيد قدرى فى نعمان عاشور ما هو اكثر من الصديق . فقد كان نعمان هو الفنان الوحيد الذى يعمل بالوزارة . وهو المثقف الوحيد ايضاً الذى يهتم بما هو اوسع من قوانين العمل وخطوات تطبيق الضمان الاجتماعى ! وكان مدحت حمدى من جيل نعمان ، وكان من اسرة تشبه اسرة نعمان ، الفرق الوحيد ان نعمان كان ينحدر من اصول ريفية بينما مدحت كان من اسرة عاشت فى المدينة وشغل افرادها المناصب العليا فى الادارة والشرطة وقيادة الجيش . وبقدر ما كان نعمان قلقاً كان مدحت حمدى واثقاً من نفسه ، وبقدر ما كان نعمان متردداً كان مدحت مقداماً . وكان يتعامل مع الوزراء الذين عمل معهم من موقع الند . وكان لا يخفى رايه فى احرج المواقف واشدها حساسية ! يردد رأيه

فى اسلوب العمل وينتقد ممارسات الثورة امام ضباطها . وكان لهذه الصحبة اثرها فى نفس نعمان . ولعل هذا الشعور الجديد بالاطمئنان هو الذى انتج فى النهاية اعظم روائع نعمان عاشور وهى مسرحية «عيلة الدوغرى» ! ولقد خسر نعمان عاشور كثيراً حين ترك مجال الوظيفة واتجه الى غابة الصحافة . خصوصاً وان نعمان ليس صحفياً ولكنه فنان واديب ومفكر . كما ان اى كاتب صحفى تمرس على هذا العمل واعتاده كان باستطاعته ان يخطف انتباه القراء من نعمان عاشور . ولذلك اصبح نعمان هو القلق بعينه بعد ان كان يعانى القلق فحسب !

وضاع نعمان عاشور فى خضم التيارات المتضاربة ، ولم يرحمه هؤلاء الذين كانوا يكافحون ضد السلطة ويمنون على الناس كفاحهم ويعيرونهم احيانا . ولم يرحمه ايضاً هؤلاء الذين كانوا يؤمنون بان السلطة هى روح الشعب ، وان الشرف الحقيقى يكمن فى الوقوف معها ومطاردة اعدائها . واخيراً وجد نعمان نفسه فى الشارع مفصولا مع عشرات غيره من الصحفيين ، ولم ينقذه من هذه الورطة إلا مصطفى امين ، فقد كان يقدر مواهبه ويعتقد انه الطبعة العصرية والشعبية من توفيق الحكيم !

واشتغل نعمان عاشور كاتبا فى اخبار اليوم ولايزال . وكان هو الوحيد الذى اشتغل بالكتابة من افراد الدفعة التى فصلت فى العام ١٩٦٥ . ولكنه عاد الى شرنقته القديمة محتمياً بحذره وقلقه وتطيره الشديد . وكتب مسرحيات كثيرة بعضها صادف نجاحاً ، والبعض الآخر لم يلمع ، ولكنه بكل المقاييس والمواصفات عراب المسرح المصرى الحديث ، وبالتالى فهو عراب المسرح العربى الحديث كله . وهو رائد النهضة المسرحية الحديثة التى انفجرت كالقنبلة فى الستينات من هذا القرن ولايزال صداها يتردد عبر السنين . و «رجائى بك» فى «الناس اللي تحت» و «الطواف» فى «عيلة الدوغرى» سيخلدان فى تاريخ مسرحنا طالما هناك مسرح ورواد وعاشقون ! وليس هناك احد ممن تبعوه ومضوا على طريقه استطاع ان ينافسه او يقترب من قمته . ولو كان لنعمان عاشور جسارة يوسف ادريس ، واعصاب سعد وهبة لصار للعرب نجم لامع وعلى قدم المساواة مع إبسن ! ولقد استطاع نعمان عاشور بفضل حذره الشديد ان ينجو من المعتقلات والسجون ، فى الوقت الذى ضمت فيه هذه السجون كل ادباء مصر تقريبا ما عدا قلة قليلة . إلا انه استطاع بالرغم من كل شىء ان يكتب مسرحيات لامعة ، وتعرض لمشاكل اجتماعية شائكة . ولكن نعمان غاب فى العصر الساداتى فلم يكتب شيئا ذا قيمة حقيقية . فقد اغلق مسرح الدولة ابوابه فى وجهه ، وعندما اتجه الى المسرح الخاص لم يستطع ان يثبت اقدامه عليه ، فقد كان الانهيار قد شمل كل شىء فى البلاد ، وحط

..وهكذا كان نعمان!


سعد الدين وهبه


صلاح عبد الصبور


محمود دياب

الخراب على كل مجالات الفنون وخصوصاً مجال المسرح . واكتفى نعمان فى النهاية بتدوين مذكراته او ذكرياته .

ونعمان هو افقر الادباء المصريين «الكبار» فكلهم والحمد لله يرفلون فى العز . وبعضهم يملك الضياع والقصور . ولكن نعمان خرج من الدنيا بفيلا على حافة الصحراء الشرقية فى ضاحية المعادى ، ويعيش وحيداً تقريباً بعد ان رحلت السيدة زوجته منذ اعوام عن دنيانا. والسبب انّ نعمان لم تسمح له ظروف «كتابته» بالاسترزاق الواسع . فهو كتب للمسرح اعظم انتاجه عندما كانت اعظم مسرحية تباع بخمسمائة جنيه . وكتب بعض انتاجه للاذاعة عندما كانت المسلسلة الشهرية يدفع عنها ثلثمائة جنيه ! وهو اهتم فى بداية حياته بكتابة فصول عن تاريخ مصر. وهو لا يخفى إعجابه بالمعلم الاكبر عبد الرحمن الجبرتى الذى كتب تاريخ مصر فى يوميـــات قصيرة اشبه بالمسرحيـــات . ثم حاول كتابة القصة القصيرة ولكنه لم يوفق فيها ، وان كان من خلالها قد اثبت مقدرته الفذة على رسم الشخصيات . كما ان حوار الشخصيات فى قصصه القصيرة كان حواراً مسرحياً بلاشك . ولعل اشهر اصدقائه هو العم «أبوعبادة» وكان صعيدياً يبيع القازوزة على مقربة من منزل نعمان فى صباه . وكان «ابو عباده» يتمتع بمواصفات جسدية تؤهله لبطولة العالم فى الملاكمة ، ولكنه كان غبياً الى الحد الذى لم يكن يستطيع الحصول على قوت يومه إلا بصعوبة . وهذا التناقض الحاد فى شخصية «ابو عبادة» ، سيكون هو محور شخصيات نعمان عاشور ، كما ان«عبادة» مجنون قهوة عبد الله الهم نعمان بدون شك اشياء كثيرة . ولكن شخصية نعمان الحذرة المترددة المتوجسة من كل شىء منعته من ان يكون له صلات واسعة بالشارع المصرى كزكريا الحجاوى ، كما حالت بينه وبين عقد صلات قوية بالوسط الادبى كانور المعداوى ، واكتفى كتوفيق ـ الحكيم بالمشاهدة دون المشاركة ، وبالمراقبة دون الالتحام . ولكنه على عكس توفيق الحكيم لم يلجا الى برجه العاجى قط ، ولم يفقد وعيه لحظة ، بل كان يتامل من الشارع نفسه ، ويراقب وهو وسط الجماهير ، ويحلم واحدى عينيه مفتوحة والأخرى نصف مغلقة !! ولذلك حمل قضية الجماهير على كتفيه ، وحارب فى صفها ، ولم يكتب حرفاً واحداً فى حياته ضد مصالحها . وبالرغم مما قدمه نعمان عاشور للمسرح العربى بقدر ما تجاهله نقاد النظريات إياها التى روجت كثيراً لأعمال اقل شاناً من اعمال نعمان عاشور ، والتى ذهب بعضها بعيداً فرفع ميخائيل رومان ـ وهو للعلم كاتب مصرى وليس كاتباً اجنبياً ـ درجات فوق نعمان عاشور . وهو موقف غريب من هذه الاقلام سبق ان وقفت موقفاً مشابهاً له حين توجت عبد الرحمن الشرقاوى اميراً للرواية العربية ، واغفلت ذكر نجيب محفوظ !! وفى المقابل تخصصت اقلام من نوع اخر فى مهاجمة نعمان عاشور ، وطاردته تلك الاقلام العفنة حتى فى الفترات التى اعتكف فيها نعمان ، وكف فيها عن الكتابة ! ولكن المؤكد انه سيذكر فى تاريخ مصر الجديدة انها انجبت نجيب محفوظ فى الرواية ويوسف ادريس فى القصة القصيرة ونعمان عاشور فى المسرح وصلاح عبد الصبور فى الشعر . وإذا كان سعد وهبة قد تحول الى منتج ، ويوسف ادريس الى كاتب مقالات سياسية ، ومحمود دياب الى راهب ، والفريد فرج إلى مهاجر بدون سبب ، فان نعمـان عاشـور وحده هو الذى بقى فى المسرح وحده ، يعانى اللهب والوحدة والصراخ ، وهو الذى سقطت على راسه شظايا البيت المسرحى عندما نسفه المتامرون ، ومع ذلك ظل يصرخ بقدر ما اوتى من قوة ، غير ان صراخه كان خافتاً ، وربما لم يكن مسموعاً وسط ضجيج الانفجارات ! وللتاريخ اقول انه لم يقف مع نعمان ولم يثبت مكانه إلا على سالم ، وإن كان هو الآخر قد اضطر الى الهجرة بعض الوقت ، وعندما اشتدت الضربات ، وتم احكام الحصار حول أصحاب المواهب .

واذا كان لنا ان نضيف شيئاً لأمجاد نعمان فلابد ان نقرر مطمئنين انه كان صاحب الفضل الأول على بزوغ نجم فرقة المسرح الحر ، وهى التى كانت البـــداية الحقيقيـة للنهضة المسرحية التى بلغت ذروتها فى الخمسينيات . والتى انجبت فرقة الخميسى ، وهى الفرقة التى لفتت نظر السلطة الى خطورة المسرح ، فكانت فكرة انشاء مسارح التليفزيون ، التى بدات بشكل جيد وانتهت بكارثة حقيقية ، بسبب تدخل عدم الموهـوبين واشراف الجهلاء من « دكاترة » السلطة !

ولو كان فى مصر رغبة حقيقيـــة الآن فى اعادة الروح الى المسرح المصرى ، فان مكان نعمان عاشور الطبيعى اليوم هو حجرة المدير فى المسرح القومى ، او حجرة رئيس مجلس الادارة فى مؤسسة المسرح . ولكن عيب الذين يظهرون الرغبة فى تجديد المسرح المصرى ، انهم يريدون التجديد ولكن فى اطار نفس الوجوه التى اغلقت المسرح وشردت ابناءه !

وعلى كل حال ، واذا كانت العبرة بالخواتيم ، فان خاتمة نعمان كانت على خير ما يرام . فهو قد ادى واجبه نحو امته ، وبذل كل ما لديه للمسرح ، وإن كانت ظروف استثنائية قد حرمت المسرح من كل ما لديه . وهو احد ابناء مصر العظام الذين اسهموا بجهد خلاق فى إثراء روح مصر العظيمة ، وهو واحد من بناة مصر الحديثة واثره فيها لا يقل عن اثر مختار فى النحت وحسن فتحى فى العمارة . وهو فى النهاية واحد من شلة ندوة قهوة عبد الله ، زميل انور المعداوى وزكريا الحجاوى والشيخ عبد الحميد قطامش . ولكنه وحده كان له الفضل فى الصعود على خشبة المسرح بالناس العاديين. صعد بهم وبمشاكلهم وباحلامهم وبالامهم ، ومنحهم الفرصة ليعرضوا مشاكلهم تحت الاضواء وبمصاحبة المؤثرات الصوتية والضوئية ، ولعل هذا هو السبب الذى جعله موضع اضطهاد من السادة أصحاب المصلحة فى كل العهود .

طوبى لنعمان عاشور .

محمود السعدنى

مراثي الشهداء

شعر: محمد الظاهر

(مهداة للشهيد وليد أحمد جبريل المناصرة ، الذى استشهد فى الجنوب اللبناني بتاريخ ٢٠ / ٣ / ١٩٨٢)

لوليـــدْ
لانفجارِ اللحظةِ البكرِ منَ الموتِ المحتَّمْ
للشـــهيدْ
للدَّمِ النازفِ من جرحِ المخيم
يورقُ الحرفُ
وينحازُ النشيدْ

●

كانَ تلميذاً على دربِ القضيَّهْ
يتهجَّى السَّطْرَ من أوَّلِهِ
فيَرى فيما يَرى
شارَةَ النصرِ على زندِ مقاتِلْ
وحديدِ البندقيَّهْ
وَيَرى
وطناً يخفقُ فى تِلْكَ الذُّرى
خارجاً من فورةِ الدَّمْ
على شكلِ هويَّهْ
كان مسكوناً بأوجاعِ الوطَنْ
وصُدَاعِ الأسئِلَهْ
كان يلوى عنقَ الوهْمِ
ويجتازُ التخُومَ المهْمَلَهْ
يسحبُ التاريخَ من أكفانِهِ
ويعرِّى الزيْفَ من عُنْوانِهِ
ويلاقى الشــهداءْ
فى مداراتِ النضالِ المقبلَهْ
كان فى الصمْتِ الذى يسكُنُهُ
موسمُ الخصبِ
وسرُّ الســنبَلهْ
كان فى القلبِ الذى يحملُهُ
رقةُ الوعْــدِ
وعنْفُ المرحَلهْ

كان إنساناً
بحجمِ القنبلهْ

●

أيها الطفل الذى حوَّلَنا
لحظةَ الموتِ زناداً وفتيلا
أيها الطفل الذى عبَّأنا
لحظةَ الموتِ مَرايا وَوصَايا
أيها الطفلُ الذى فجَّرنا
لحظة الموتِ ضحايا وشظايا
كنتَ تمضي فى ثنايانا
فتياً أو شهيداً أو قتيلا
شامخاً مثلَ الجيادِ الجامِحَهْ
حاملاً ألفَ بديلٍ وبديلْ
أيها الجرحُ النبيلْ
دَمُكَ الآنَ على كلِّ الدروبِ الجارحهْ
يتحدّى المستحيلْ

●

يا وليدْ
أنت من يحملُنَا
من قبورِ اليأسِ للحلمِ السَّعيدْ
فلتفجرِ صمتَنا
ولتشكِّلْ هيكَلَ الدَّمِّ الجديدْ
خيْمَةً
أو خنْدقاً
أو وَطَنا

محمد الظاهر ــ عمان

ثائر يتحدّى اللورد!

بقلم: فتحي رضوان

لم يخض احد من أبطال وثوار مصر الحديثة ، من المعارك مثلما خاض الشيخ عبد العزيز جاويش ، وقلمه الذى كان من حدته ، وجرأة صاحبه وشدة يقظته لما يصيب الحرية وحقوق الشعب ، من صنوف العدوان ولو كان خفياً غير ظاهر ، أو كان شروعاً غير كامل ، أن ألب عليه الأعداء ، فجمعوا كيدهم ، ولاحقوه بالاتهام والمحاكمة ، وسلطوا عليه الأقلام والألسنة ، لتفت فى عضده ، وتثنيه عن العمل فى جريدته ، والبقاء فى حزبه ، ولكنه استمسك بعقيدته ، وصبر على الأذى ، وواصل منهجه فى منازلة أعداء الوطن وأعداء حريته ، وكأنما هو الفارس امتشق سيفه ، وقد أحاط به المنازلون من كل جانب ، وهو فى وسط الدائرة ، يخز هذا فى جنبه ، ويطعن ذاك فى صدره ، وهو لا يهن ولا يضعف ، ولا يمل ولا يكل .

وقد كانت من أوائل معاركه ، وأجدرها بالتسجيل ، معركة من أجل الدستور ، والمعروف ان الدستور كان احد المحورين الذى دار حولهما برنامج محمد فريد بعد مصطفى كامل ، وكان المحور الثانى هو الجلاء ، أى جلاء الجيوش البريطانية عن مصر .

وقد استثير غضب الشيخ جاويش ، لما صرح أحمد شوقى أمير الشعراء ، فى سبتمبر ١٩٠٨ بان الخديو لا يستطيع ان يمنح الدستور للبلاد الا بموافقة الانجليز وكان شوقى مقرباً الى الخديو عباس ، فاخذ التصريح الذى أدلى به ، كانه تصريح من الخديو نفسه ، وقد جاء فى أعقاب هذا التصريح ، تصريح آخر أدلى به فى السنة نفسها السير إلدون جورست المعتمد البريطانى ، الذى خلف اللورد كرومر ، قال فيه ، إن بريطانيا لن تمنح مصر دستوراً ، وانه لا يغير من موقف بريطانيا أن يكون السلطان عبد الحميد سلطان تركيا قد منح بلاده دستوراً ، إذ لا تاثير لما يجرى فى تركيا على مجريات الأمور فى مصر ، فانهال الشيخ جاويش على كل من شوقى والدون جورست لوماً وتقريعاً .

وحدث ان خطب اللورد كرومر فى بريطانيا بعد عزله من منصبه كمعتمد لبريطانيا لا حدود لسلطانه ، ولا معقب على أوامره طيلة ثلاثة عشر عاماً ، فقال فى خطابه هذا ، ما يكاد يكون رجع الصدى لحديث خليفته من بعده ، وتلميذه الدون جورست ، فاكد ان منح سلطان تركيا للأتراك دستوراً ، لا يعنى أن تتخذ بريطانيا من السلطان قدوة فتمنح المصريين دستوراً . وثنى بعد هذا القول ، بسب المصريين والتهجم عليهم ، فرماهم بانهم لا يهتمون بانتخاب أعضاء مجلس الشورى للقوانين ، ولا يحرصون على تعليم أولادهم ، وفات اللورد الذى كان يلعق جراحه بعد انزاله من عرشه ، اثر حادثة دنشواى ، أن المصريين اذا صح انهم لا يقبلون على صناديق انتخاب أعضاء مجلس الشورى ، فالسبب هو ضعف اختصاص ذلك المجلس وحرمانه حسب قانونه من محاسبة الحكومة ، محاسبة جدية ، وعدم السماح لهم بتقديم مشروعات قوانين ، ولا الاعتراض على القوانين المقترحة من الحكومة ، فهو مجلس تشريعى صورة بلا روح ، وأن عدم الاقبال على التعليم مرده أن الانجليز ألغوا المجانية فى المدارس الابتدائية والثانوية ، وقد كانت مقررة فى عهد الخديو اسماعيل فى جميع درجات التعليم ، ولأن عدد المدارس كان من القلة بحيث كان ارسال أولاد الفقراء لتلقى العلم فى مدارس كانت بعواصم المحافظات فقط ، دون المراكز والقرى ، كان يكلف الفلاح الفقير فوق طاقته ، وقد واظب الحزب الوطنى على تقرير مجانية التعليم من جهة وعلى نشر التعليم فى جميع أنحاء مصر ، وتقريبها من التلاميذ حتى لا يضطروا الى ترك أهليهم والاقامة بعيدين عنهم .

هنا خرج عبد العزيز جاويش ، وقد رأى فى هذه التصريحات الجارحة للشعب المصرى ، والمنكرة عليه رأس الحقوق الوطنية ، وهو الدستور ، فانطلق كالسهم يهاجم خصومه بما عرف عنه فى مثل هذه المواقف ، من شدة فى القول ، وعنف فى النقد وتنديد صارخ بأعداء الأمة ومواقفهم وكان الشعب لا يقرأ مقالاته ، ويعجب بها فقط ، وانما كان يحفظها ويرددها ، ويعدها



عبد العزيز جاويش .. صفحة جريئة
فى الكفاح من أجل الاسلام والعروبة

معركة يشارك فيها بالتأكيد ، ونشر فكرتها بين الناس فى المدارس والمعاهد والمزارع والمصانع ، بحيث امتلأت جموع الشعب كله بروح الحزب الوطنى ، والايمان بمبادئه وكره الاحتلال البريطاني والسخط عليه ، ومال بعض أعضاء مجلس شورى القوانين الى ممالأة الانجليز فى هذه المعركة ، فشن عليهم جاويش حملة ضارية ، وندد بضعفهم ، فجاءت جريدة (الجريـدة) لسان حال حزب الأمة المعتدل ، الحريص على ود الاحتلال البريطانى ، والمعجب بما يسميه اصلاحات اللورد كرومر ، جاءت (الجريدة) لنجدة هؤلاء الأعضاء الضعفاء ، ودافعت عنهم ، متهمة الشيخ جاويش بالتهور والضعف ، فاصلاه جاويش ناراً حامية ، وذكره بمواقفه غير الودية من مصطفى كامل أثناء حياته ، ومن تطاول عليه ، ثم ذكره بعجزه وسوء موقفه فى الدفاع عن فلاحى دنشواى الذين حاكمتهم المحكمة البريطانية المخصوصة سنة ١٩٠٦ ، وهو موقف اتسم بالضعف الشديد ، والتلطف للاحتلال والاعتذار عن هؤلاء الفلاحين المساكين ، الذين كانوا ضحايا ولم يكونوا قط مجرمين .

والحق ان الشيخ جاويش كان فى غير حاجة إلى ما يستثيره للدفاع عن الدستور والهجوم على المعتمد البريطاني ، وعلى الحكومة البريطانية ، اللذين ينكران على المصريين حقهم فى أن تحكمهم حكومـة ينتخبونها ثم يحاسبونها ، فاذا لجت فى الخطا عزلوها ، اى حقهم فى دستور يبين واجبات الحكومة ، ويحدد سلطاتها ، ويعلن حقوق الشعب ، ويرسى قواعد سيادته . وفى هذه الأثناء ، صرح شاه إيران لوكالة رويتر فى ٢٤ نوفمبر ١٩٠٨ بأن المتعلمين من أفراد شعبه ، لا يرغبون فى مجلس نيابى ، وان علماء الدين فى إيران ، افتوا بان المجلس النيابى مخالف للشرع ، فتفجر غضب الشيخ جاويش فى مقال يندد فيه بتلك الفتوى .

• • •

كان اللورد كرومر إبان سلطاته فى مصر يرخى الحبل لصحف الحزب الوطنى ، أكبر الأحزاب آنذاك ، وحامل لواء المعارضة فى مصر ، لا إيماناً منه بحرية الرأى ، ولا صبراً على النقد ، ولكن استهانة بما يستطيعه « اللواء » وما تستطيعه خطب مصطفى كامل ، ولكن لم يكن كرومر ليحتمل وطأة الحزب الوطنى لو قدر له البقاء فى منصبه ، بعد حادثة دنشواى فى ١٣ يونيو ١٩٠٦ ، فقد ظهر للانجليز وللأجانب جميعاً أن الحركة الوطنية المصرية ، أعمق ممـا تصوروا ، وأقوى مما قدروا ، وأنها لا تقتصر على تأييد الطبقة المتعلمة من طلاب المدارس العليا أولا ، ومن بعض صغار الموظفين ثانياً ، وأصحاب المهن الحـرة – وكانوا قليلين – من أمثال المحامين والأطباء ثالثاً ، ورأوا أنها تعبير عن شعور شامل غامر ، وأنها تزداد مع الأيام اتساعاً وشمولا .

وقد كانت دعوى الاحتلال ، أن الفلاحين معه ، وأنهم يذكرون له أفضاله عليهم وأن من بين تلك الأفضال ، إبطال السخرة واستعمال (الكرباج) ، فلما وقعت حادثة دانشواى ، وثبت أن الذين تشاحنوا مع ضباط الاحتلال ، فلاحون من صميم فلاحى مصر الفقراء ، سقطت حجة الاحتلال ، ولم يعد يعرف كيف يلفق لنفسه دفاعاً ، لذلك لم يكن هناك بد من أن يبدل قانون المطبوعات المحدد لنطاق الحرية المسموح بها للصحف ، فعدل ، وأصدرت الحكومة قانوناً جديداً فى ٢٨ مارس ١٩٠٩ ، وأصبح بمقتضاه من حق الحكومة أن توقف الصحف إدارياً ، أى بغير حكم يصدر من المحكمة ، بعد محاكمة علنية كاملة ، تلقى فيها المرافعات ، كما احيلت قضايا الصحف الخاصة بنقد الحكومة أو إهانة المسئولين أو المساس بهم ، إلى محكمة الجنايات لتفصل هذه المحاكم فى تلك القضايا على درجة واحدة فى حين أن تلك القضايا ذاتها ، كان يتم الفصل فيها على درجتين (ابتدائية واستئنائية) ، هذا من جهة ، ومن جهة أخـرى فان من قضاة محكمة الجنايات أجـانب بل وانجليزا يجلسون مع زملائهم المصريين ، ويؤثرون ، لما للأجنبى فى تلك الحين – بفضل الاحتلال – من هيبة .

وكانت الحكومة قد فقدت ثقتها فى القضاء الابتدائى والاستئنافى ، بعد أن برىء الشيخ عبد العزيز جاويش من تهمة إذاعة أسرار حربية فى قضية (المكافلين) التى سبقت إليها الاشارة ، لذلك كان على الشيخ جاويش أن يخوض معركة حرية الصحافة ، وقـانون المطبوعات ، فخاضها كعادته ، صريحاً حاداً عنيفاً جريئاً ، وقد بدأ الحملة بمقال نشر فى ٢٣ مارس ١٩٠٩ ودع فيها قلمه بقوله :

« أيها القلم » !

« لو كنت سيفاً لأغمدتك فى صـــدر من

يحاربونك ، أوسهماً لأنفذتك إلى أعماق قلوبهم ولو كنت جواداً لوجدت لك فى ميادين النزال مجالا للكر والفر» .

« أيها القلم » !

« استلانوا عريكتك ، واستهانوا بقوتك ، وامنوا جانبك ، فمدوا إليك يداً محرقة ما كان أولاها أن تقطع » .

وقد منحت معركة حرية الصحافة الوطنية زاداً جديداً ، فخرجت هذه الحركة من نطاق المقالة فى الجريدة والمجلة ، والخطبة فى النادى ، وأصبحت عملا ضخماً ، تقوم به الجماهير فى شوارع القاهرة وميادينها ، تتجمع له تلك الجماهير فى أعداد ضخمة ، ثم تتدفق بأعلامها ، يتقدمها شباب يهتف بسقوط القانون الظالم ، وبسقوط الاحتلال الغاشم ، والحكومة المعتدية ، فيطل النساء والفتيات من النوافذ والشرفات ، ويتجمع أصحاب الحوانيت والمقاهى على الصفين ، ويصفقون ويرددون الهتافات ، ومنهم من تجرفه الحماسة فينخرط فى صفوف المتظاهرين ، فيبدو الشعب كله جبهة واحدة معترضة ومحتجة .

وقد عقدت تلك الجموع اجتماعها فى حديقة الجزيرة ، فى أول ابريل سنة ١٩٠٩ ، ثم تدفقت جموعها ، على كوبرى قصر النيل ، متجهة الى ميدان عابدين ، ومنه الى ميدان الأوبرا ، فهال الحكومة ضخامة هذه الجموع ، فارسلت عدداً ضخماً من عساكر الشرطة بقيادة قائد الأمن ومديره فى العاصمة ، وكان جنرالا بريطانيا سابقاً هو (هارفى باشا) ، وقد أحاط به المتظاهرون ، وأسقطوه من فوق صهوة جواده ، فاستعانت الحكومة بخراطيم مياه المطافىء لتفريق الجموع المتكاتفة ، فلما لم تفلح خراطيم المياه بعد عصي الجنود ، استعانت الحكومة بفرقة من فرسان الجيش ، وكان نزول الجيش الى الشوارع فى هذه المرحلة المتقدمة من حياة الحركة الوطنية ، دليلا مادياً على أن هذه الحركة ، لم تعد كلاماً يكتب ، بل صراع بالأيدى بين الشعب الأعزل من جهة ، والجيش المسلح من جهة أخرى ، ولم تتفرق الجموع يومذاك إلا بعد أن خطب فيهم بحديقة الأزبكية عدد من كتاب الحزب الوطنى فى مقدمتهم الكاتب أحمد حلمى الذى كان أنذاك ، الساعد الأول لعبد العزيز جاويش فى تحرير اللواء ، وتابع اللواء حملته بقيادة جاويش ، بالمقالات والبحوث ، منها قصيدة للشيخ علي الغاياتى الذى كان أنذاك طالباً فى المعهد الدينى بدمياط ، جاء فيها فى الخديو عباس :

أعباس هذا آخر العهد بيننا
فلا تخش منا بعد ذاك عتابا
ونيأس من آمالنا فيك كلما
قضيت علينا أن نكون غضابا
ألا أمطر الله الوزارة نقمة
ولا بلغت مما تروم مراما

• • •

ولم يكن ممكناً أن تسكت الحكومة على ما صدر من الشيخ عبد العزيز جاويش من تحريض صريح للرأى العام ، للوقوف فى وجه الحكومة ، فهنا ، تخرج الحكومة عن حلمها الذى تدعيه ، وصبرها الذى تصطنعه ، وانتهزت فرصة نشره فى ٢٨ يونيو ، مقالا بعنوان (فى ذكرى دنشواى) فاعتبرت انه ينطوى على قذف فى حق (بطرس باشا غالى) رئيس المحكمة التى قضت على أربعة من فلاحى دنشواى بالموت شنقاً ، وبجلد نحو سبعة ، وبسجن نحو تسعة مدداً مع الأشغال الشاقة ، فدعته للتحقيق معه فى ٧ يوليو سنة ١٩٠٩ ، وقدمته للمحاكمة فى ١٧ من الشهر نفسه ، وفى ٢٧ من أغسطس صدر الحكم بحبسه ثلاثة أشهر ، فاثار الحكم سخط الشعب ، وتألفت المظاهرات احتجاجاً عليه ، ولما زج بالشيخ جاويش الى السجن امتلأت صحف الحزب الوطنى بمقالات غاية فى العنف ضد الحكومة .

ونظم الشاعر أحمد نسيم قصيدة كان مطلعها :

يا نازل السجن محفوفاً باكبار
هون عليك فما فى السجن من عار

وخرج محمد فريد وجدى ، الفيلسوف والمفكر ، صاحب الأسلوب الهادىء الرصين ، خرج عن هدوئه وقال فى قصيدة نشرها بجريدة الدستور :

وما على التبر عارٌ
فى النار حين يُغلّفْ

فى حين قال الشيخ علي الغاياتى :

أنت البرىءُ ومن يخا
لُكَ مجرماً هو مجرمُ

وفيما كان الشيخ جاويش فى السجن يقضى مدة العقوبة ، اكتتب أنصار الحزب الوطنى والمعجبون بالشيخ وبجهاده ، بمبلغ كبير ، اشتروا به وساماً من حرير ثمين ، مزين بثلاث قطع ذهبية مرصعة بالأحجار الكريمة ، فلما أطلق سراحه ، أقاموا له احتفالا ضخماً فى فندق شبرد ، وسلم له الوسام .

وفاض معين الشعر فى هذه المناسبة ، فنظم الشعراء قصائد جميلة ، فى تحية البطل الذى دخل السجن من أجل حرية أمته ، وصحافتها ، وكان من الشعراء شاب لم يكن أحد يعرفه شاعراً ولا كاتباً ، ولكن شعره استفاض بعد ذلك ، هو الشيخ طه حسين الذى قال :

الآن حق لك الثناء
فلتحى وليحى الثناء

وكان الاحتلال يمنى نفسه بان السجن سيوهن من عزم عبد العزيز جاويش ، ولاسيما أن دخول السجن فى تلك الفترة من حياة الحركة الوطنية ، لم يكن مألوفاً ، ولذلك كان مرهوباً ، ولكن السجن عنده ، وحفاوة الشعب به ، لم يزده إلا ضراوة فى القتال ، وإصراراً على المقاومة ، وحرصاً على النزال ، فتربصت به الحكومة الدوائر واتخذت من صدور ديوان «وطنيتى» لعلي الغاياتى ، الشاعر الوطنى الشاب ، ذريعة لتحقيق غرضها ، وكان ذلك فى يونية سنة ١٩١٠ ، وكان الديوان مجموعة قصائد للغاياتى ، نظمها فى مناسبات متعددة ، وكان صاحب الديوان قد عرضه على كل من محمد فريد رئيس الحزب الوطنى ، والشيخ عبد العزيز جاويش رئيس تحرير «اللواء» ، ورجاهما أن يكتبا للديوان مقدمة وتصديراً ، فلم يتأخرا عن تلبية رجاء شاب وطنى يستفتح حياته الأدبية والوطنية بهذا الديوان . وكانت القصائد التى احتواها ، قد سبق نشرها جميعاً فى جريدة «اللواء» ، وهى أنذاك أكثر جرائد مصر رواجاً ، وكانت سلطات الأمن والنيابة تقرأ كل حرف فى

ثائر
يتحدى اللورد!

اللواء ، نثراً كان أو شعراً ، لتصيد التهم لمحرريه . ولذلك كان غريباً أن تحرك النيابة الدعوى العمومية ضد صاحب الديوان ، وضد محمد فريد وعبد العزيز جاويش اللذين قدما هذا الديوان .

وحقق مع الشيخ جاويش في سرعة ، وسيق الى المحكمة فور انتهاء التحقيق فقضي ضده بالحبس ثلاثة أشهر في ٧ أغسطس سنة ١٩١٠ ، وخرج منه في ٤ نوفمبر في السنة ذاتها ، لا ليتقى كيد الحكومة ، ويؤثر السلامة ، بل ليكون في محاربة عدويه الدائمين : الاحتلال ، والحكم الفردي المطلق ، أكثر صلابة ، وأشد عناداً .

ولكن يتعين علينا أن نعرف ماذا كتب في مقدمة ديوان (وطنيتي) ليحبس ، فان هذه المقدمة أصبحت بما جرته على كاتبها من عذاب السجن ، وثيقة تاريخية ، وهي كذلك في ذاتها ، لأنها تتضمن رأياً أدبياً ، فيما يجب أن يكون عليه الشعر ، من البعد عن الصنعة ، والتميز بالصدق في وصف مشاعر الشاعر . قال عبد العزيز جاويش :

«قد يتوهم بعض المتشاعرين ، أن الشعر هو تلك الجمل الموزونة ، ذات الروي الملتزم ، فتراهم أجرأ ما يكونون في تقصيد القصائد ، والانتساب الى دعوى الشعر ، معتمدين على جهل كثيرين بأسرار الشعر ومزاياه . إذا شئت أن تعرف جيد الشعر ، فدع عنك تفاعيل البحور ، والتزام الحروف ومحسنات الألفاظ ، واعتبر بما يتركه في نفسك من الأثر» .

• • •

ولكن كان أمام الشيخ عبد العزيز جاويش معركة ضخمة في حياته وحياة مصر عليه أن يخوضها ، كالعهد به ، لا يدع معركة تحسم لمصر شراً ، أو تجلب لها خيراً أو تحقق لها مصلحة ، إلا واندفع بكل جارحة في نفسه ، ممتشقاً سيفه ، ممتطياً جواده ، طاعناً في صدور أعدائه ، في صدق عزيمة وقوة إرادة .

كانت تلك معركة قناة السويس ، التي وقعت أحداثها في سنة ١٩٠٩ ، إذ اتفقت الحكومة برياسة بطرس باشا غالي ، سراً ، مع شركة قناة السويس على مد امتياز الشركة أربعين سنة ـ بعد نهاية هذا الامتياز سنة ١٩٦٨ ـ مقابل أربعة ملايين جنيه تدفعها الشركة للحكومة المصرية على أقساط . وقد استطاع محمد فريد رئيس الحزب الوطني في أكتوبر سنة ١٩٠٩ الحصول على نسخة كاملة من هذا المشروع فاجتمعت في الحال اللجنة الادارية للحزب الوطني ، وهي بمثابة مجلس ادارة للحزب ، وطالبت بعرض المشروع على الجمعية العمومية التي كانت وقتذاك المجلس النيابي في البلاد ، دون أن يكون لها من اختصاصات المجالس التشريعية في الدول التي تتمتع بالحقوق الدستورية. وكتب عبد العزيز جاويش في هذا الصدد سلسلة من المقالات ، حمل فيها على المشروع وعلى الحكومة التي تعاقدت عليه سراً ، وبينت ما فيه من تفريط في حقوق البلاد بالموافقة على مد امتياز القناة نحو نصف قرن بعد نهاية هذا الامتياز ، في حين كان الواجب استرداد هذا المرفق ، لأنه ملك لمصر

قال في ٢٦ من يونية سنة ١٩٠٩ ، وكأنما يقرأ المستقبل في كتاب مفتوح أمامه:

«يقرأ المصري كل يوم ما تنشره شركة القناة من التقارير الدالة على ما يجني ملاكها من الغلات العظيمة ، والربح الزائد في كل عام ، فيفكر في نفسه : متى ؟ متى يعود ملك هذه القناة الى مصر ؟ متى ينقضي أمد امتياز هذه الشركة القابضة على مفتاح هذا الكنز حتى تتمكن من استرداد فينها المسلوب ، مع ثرائها المنهوب ؟

متى يضاف الى مالية مصر من غلة هذه القناة عدة ملايين كل عام ، فتستطيع بذلك أن تقضي ديونها ، وتصلح من شئونها ، وتحقق مالا يزيدها أمام الأعداء قوة وبأساً ؟» .

واضطرت الحكومة تحت ضغط مقالات محمد فريد والشيخ جاويش ، وما تنشره جريدة اللواء لباحثين وقانونيين ورجال مال ، من مقالات ودراسات وإحصائيات ومقارنات ، أن تعرض المشروع الذي كان سراً على الجمعية العمومية ، وأعلنت التزامها بالقرار الذي يصدر من هذه الجمعية أياً كان منطوقه .

ولكن الحكومة أخذت ـ بعد أن أعلنت ذلك ـ تضغط على أعضاء الجمعية العمومية بالترغيب والترهيب ، حتى يصدر القرار في مصلحتها ومع وجهة نظرها ، فأخذ عبد العزيز جاويش يبصر أعضاء الجمعية العمومية بواجبهم ، ويدعوهم الى الصمود والثبات ، وقال فيما قاله للأعضاء «إن بريطانيا كانت تبرر احتلالها لمصر بأن لها وراء قناة السويس أملاكاً ، وأن لها في شركة قناة السويس أسهماً ، فاذا امتد أجل شركة القناة أربعين سنة بعد مدته المنصوص عليها في العقد الأصلي فكأننا نطيل أمد الاحتلال» .

وكانت رياسة الجمعية معقودة لحسين كامل شقيق الخديو عباس ، فلما خرج عن واجب الحيدة الذي يجب على رئيس كل هيئة احترامه ، لم يتردد الشيخ جاويش في تعنيفه ، ولم يرده عن ذلك مكانته ، ولا شدة قربه من الخديو ، إذ قال :

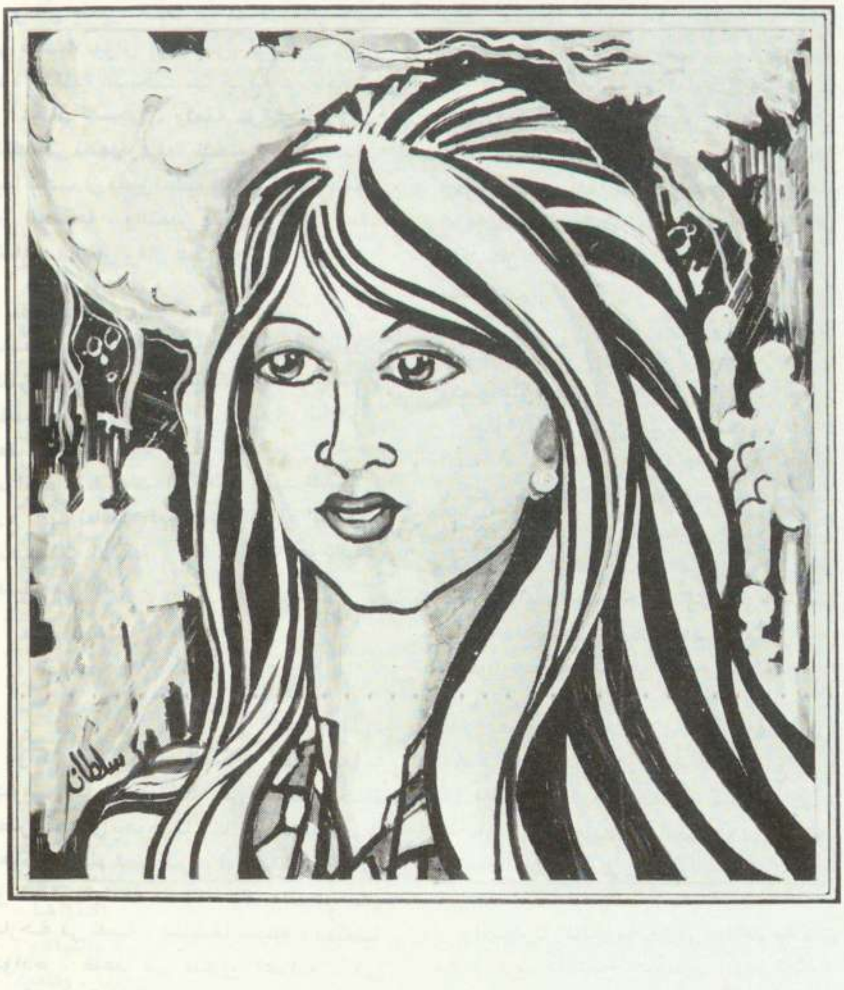
«كنا نرى فلتات ـ يظهر فيها بمظهر الهازي بواجب الحيدة ، الكاره لحرية الآراء ، الميال لتعضيد الحكومة ، وأخذت تلك الفلتات ، تزداد في الأيام الأخيرة ، حتى بدا حسين كامل يظهر شيئاً فشيئاً بمظهره الحقيقي ، وجاءت مسألة قناة السويس ، فاذا به قد خرق أكبر صفة يتحلى بها رؤساء المجالس النيابية ، وهي التزام الحيدة» .

وتدور المعركة في الجمعية العمومية ، ويقف سعد زغلول وزير المعارف آنذاك ليدافع عن امتياز القناة ، باذلا كل جهد ، منتفعاً بكل حجة ، مستعيناً بقدرته الخطابية ، ولكن الجمعية العمومية رفضت المشروع ، بما يشبه الاجماع ، إذ لم يشذ عن هذا الاجماع إلا عضو واحد هو المرحوم مرقص سميكة .

فتحي رضوان

رجل من الحيّ القديم

قصة بقلم : علي حمد إبراهيم



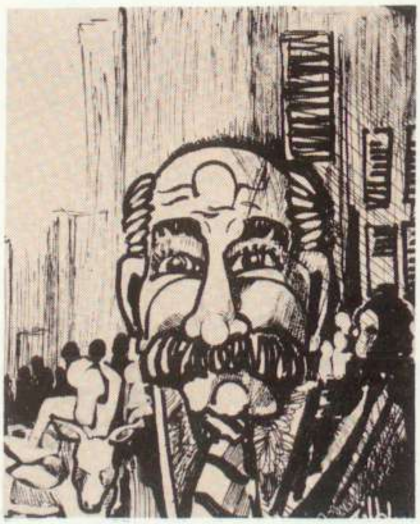
أستطيع ان اكتب بحرارة شديدة هذا المساء .. انك تعرفين أننى اختار المساء دائما موعداً لكتابة خطاباتى اليك .. ليل هذه المدينة يعطينى قوة لامتلاك قلمى ، ولغة الاسترسال المجنون . أنها مدينة تعج بالأخبار والناس ، كأنها سوق كبيرة للحوم .. والبقول والخضروات . فى خطابك الأخير طلبت منى أن أكتب اليك أخبار المدينة الليلية والنهارية .. أنه طلب تستحيل الاستجابة له بالكامل ، لأن الناس فى هذه المدينة يبتكرون كل لحظة أخباراً واشاعات كثيرة . لكن لابأس . سأحكى لك طرفاً مما يتحدثون به هذه الأيام .. ولكنى أبدأ بالحديث عن حينا القديم . انك تذكرين أننى أتحدث كثيراً عن هذا الحى ، فهو ما زال بريئاً وساذجاً وغافلا .. أذكر أنك لم تكونى راضية أن يظل هذا الحى ساذجاً وغافلا الى الأبد ، ولكنك لم تفعلى شيئاً لتبديل هذه الحقيقة ، المهَمّ أنه نفس الحى : بصقة القذى القديم على عينيه ما زالت ، وجفنه المشمول بالورم وظلامه الدامس وكلابه الكثيرة النباح رغم أنها لم تفلح حتى الآن فى أن تعض لصاً واحداً من لصوص الحى الكثيرين ، لقد أصبح اللصوص **كثيرين** جداً فى جميع الأحياء ، حتى أن عمّى قال أنهم يفكرون فى عمل نقابة لهم أسوة بجميع الناس . أن لصوص حينا بالذات أصبحوا لايخافون كلاب الحى أو غيرها من الكلاب ، لقد بطل الظن بأن تلك الكلاب يمكنها **مكافحة اللصوص بصورة من الصور . لقد سرق هؤلاء اللصوص سحارة حاجة كلتومة وحذاءها** الجميل الذى أهداه لها حاج الطاهر يوم أن قدم أول مرة من القرية .. تذكرين اللغط الذى ثار فى الحى حول تلك الهدية حتى أن حاج الطاهر اضطر الى نفى ذلك اللغط بعد صلاة الجمعة

في الجامع ثم بكى حتى بانت اسنانه الصفراء من أثر السعوط .. لقد كنا نقول أن سحارة حاجة كلتومة كانت تمثل ممتلكاتها الثابتة بينما يمثل حذاؤها ممتلكاتها المنقولة .. لقد كنا **أولاداً أشقياء نضحك مع الدنيا بفرح عظيم .** لقد سرق اللصوص مع ما سرقوا من اشياء سحارة حاجة كلتومة وحذاءها الجميل وتركوا في فمها طعم الملح الاجاج . لقد حزن الناس فى الحى لما رأوا حزنها وبكاءها وتبرعوا لها ببعض المال ولعنوا كلاب الحى التى لم تكافح اللصوص ، الا الولد الشقى (حامد تور الحلة)

لقد أطلق اشاعة بأن حاجة كلتومة باعت السحارة والحذاء ودفعت المال مهراً لحاج الطاهر .. الله يلعنه ذلك الولد دائماً تفكيره مخالف لتفكير الناس .. هذا ما كان من أمر الحى الذى مازالت بصقة القذى على عينيه ..

أما أهم خبر على نطاق المدينة ، فهو يتعلق **(بالضو ود ساكت) هل تذكرين (الضو ود ساكت)** لابد انك تذكرين جيداً ، لقد كان الضو بائع الفحم الوحيد فى حينا ، ، تذكرين ذلك .. جيداً .. حماره النحيف الطويل الأغبش وعمامته الصفراء وجلابيته الداكنة المجللة بلون الفحم والغبار وعينه اليمنى المشلوحة وشلخه اللولبى الخفيف وفمه الأهتم . ولكن كيف أحكى لك عن شخصية الضوود ساكت الجديدة دون أن أثير لديك الشك والفضول . أعرف أننا جميعاً نؤمن بالقضاء والقدر وبليلة القدر أيضاً . انهم يقولون أن ليلة القدر تقع على العابدين المنقطعين للعبادة والذكر خصوصاً فى الجزء الأخير من رمضان .. ورغم أن أحداً لايعرف الى أى مدى يعتبر الضوود ساكت رجلا صالحا إلا أن كل الناس تقول أن ليلة القدر قد وقعت عليه فى العام الماضى خلال شهر رمضان ، وظلت تقع عليه على مدار السنة وكل يوم صباحاً ومساء .. كل المدينة تقول ذلك . وكذلك حينا الذى لم تزل بصقة القذى القديم على عينيه .. وأيضاً حاج الخير مؤذن الجامع ، ولكن « فكى مرسال » امام الجامع غير متأكد بصفة قاطعة .. « يمكن الراجل ده حرامى تموين . ياجماعة ليلة القدر دى أمرها عجيب ولا بتشبه الفحامى ده » ..

على أى حال . لقد أصبح الضوود ساكت واحداً من أغنى رجالات المدينة . المدينة كلها تتحدث عن المليونير الفحامى ولكن لا تجد احداً يحدثك كيف لمّ هذا الرجل هذا المال وبهذه السرعة . انهم يعطونك بعض المؤشرات العابرة ، مثلا يقولون انه صادق موظفاً كبيراً



يدير مرفقاً تجارياً . وأن هذا الموظف أستعمل الضو فى تجارة الليل .. ثم أصبح الضو شريكاً لذلك الموظف الكبير وبعد سنة واحدة شوهد الضو يتعلم السياقة فى طرقات المدينة .. قالوا صدم معزة وحمارة وكذلك الفكى مرسال امام الجامع .. لقد أصبح الضوود ساكت حديث المدينة مرتين هذا الشهر .. مرة عندما أكمل بناء منزله بالدرجة الأولى . قالوا ان الرجل دعا كل المدينة وكذلك أهل حينا الذى لم تزل بصقة القذى القديم على عينيه .. وكان زملاؤه القدامى مندهشين أكثر من أثرياء المدينة الذين زاد عددهم واحداً هو (الضوود ساكت) المليونير من منازلهم . يوسف الفحيل كان يفرك يداً بيد متعجباً من الدنيا التى « لاتدى حريف » « يمين الضوود كان خامل ساكت . والفحم بتاعوا نصو كان عيدان تقوم نلقاه بقى مليونير » ـ كان ود الفحيل يدلى بتلك الملاحظات بصوت خفيض مراعاة لمصالحه الخاصة التى ينتظر أن يرعاها زميله القديم الضوود ساكت . وظل الناس فى المدينة وكذلك فى حينا الذى لم تزل بصقة القذى القديم على عينيه ـ ظلوا يتحدثون أياماً كثيرة عن منزل الضوود ساكت الجديد . العفش من ايطاليا الأبسطة من ايران . الطنافس من باريس والمانيا . الستاير من بلجيكا وعدة الأكل من لندن . خارج من خارج الى آخر الأقاويل والاقاصيص حول الضوود ساكت الذى وقعت عليه ليلة القدر من السماء .

تعرفين هذه المدينة جيداً انها تخلق الأساطير والقصص لتملأ فراغها العريض . أذكر أنك كنت تقولين انها مدينةٌ مثل كرش الفيل وعقلها « زى عقل السخلة » الضوود ساكت نفسه أيّد هذا الرأى يوم أحتفاله الكبير لقد سمعته يوم العزومة وقد تحلق حوله المنافقون واصحاب الحاجة وهو يحدثهم بصوته الأبح الأجش بنكات « بايخة » صنعها فى وقتها وهم يموتون من الضحك المغتصب « ناس المدينة دى زى بهايم الزريبة .. تسوقها الى المذبح تجعر .. تسوقها الى المرعى تجعر » وضحك الحاضرون من مستمعى الضوود ساكت حتى كادوا يموتون . أما أنا فقد تذكرت عالم الضو القديم .. عالم الفحم والزريبة وعرفت أن فى هذه المدينة يمكنك أن تصبح أى شىء وفى أى لحظة اذا صادفتك ليلة القدر ..

ولكن المدينة لاحقت الضوود ساكت فى الأسبوع الماضى أيضاً وأسقطت عليه المزيد من الأضواء .. انني أشعر بالحرج الشديد كيف احكي لك على الورق ما يقال بالالسن عن الضوود ساكت فى هذه الأيام .

لقد ذهبنا جميعاً الى محكمة المدينة فى يوم الاثنين الماضى وجلسنا القرفصاء فى ساحة المحكمة ومعنا أصدقاء الضوود ساكت القدامى والجدد والمنتفعون وكذلك رابطة أصدقاء المحسن الكبير الضوود ساكت تلك الرابطة التى نشأت فى الجانب الشرقى من حينا القديم قريباً من كوشة الفحم العائدة للضو فى الأيام الخوالى . وعندما قرأ القاضى الحكم على الضو بان على وجوه اهل حينا القديم خجل شديد .. حقيقة لقد كان الأمر مخجلا . خصوصاً مناقشة المحامي وممثل الاتهام مع الصبى الصغير . لقد خرجنا من قاعة المحكمة على اختلاف تام حول قانونية الحكم الكبير .. أربعة عشر عاماً من السجن مع الأشغال الشاقة . كان بعضنا يرى انه حكم قاس جداً وآخرون قالوا انه حكم عادل .. أما يوسف ود الفحيل فقد قال ان الضو كان خملة طول عمره ، ولما وجد المال اراد أن يجرب حظه فى حاجة جديدة . وضحك ود الفحيل حتى أصبح قصيراً رغم أنه كان عضواً فى رابطة أصدقاء المحسن الكبير الضو ود ساكت قبل سجنه . هذا أهم حدث فى المدينة فى هذا الشهر .

ملحوظة : تقولين فى خطابك الأخير انني لا أهتم كثيراً بذكر التاريخ . لقد كدت أن أنسى مرة أخرى . لقد حدثت (كشة) الضو ود ساكت فى يوم الخميس أول رمضان ..

اتجاهات جديدة

في القصة السكندرية القصيرة المعاصرة

بقلم : الدكتور محمد مصطفى هدارة

تطور مفهوم الفن وغايته تطوراً كبيراً فى العصر الحديث بتطور الانسان المعاصر نفسه الذى بلغ الذروة فى استكشاف أسرار العلوم الطبيعية ، ووصل إلى النهاية فى استخدام وسائل الترف المادية ، واستغل الطاقات الدفينة للعقل البشرى فى سبيل تحكم الانسان وسيطرته على قوى هائلة لم تكن تدين له ، أو لم يكن يعرفها .

ولكن هذا التقدم العلمى وتلك السيطرة المادية لم يوفرا للانسان المعاصر الاستقرار النفسى ، ولم يهيئا له السعادة التى كان يحلم بها منذ فجر البشرية ، بل أحدثا ـ على النقيض من ذلك ـ دماراً فى نفس الانسان وتركا فيها مساحات هائلة من التوتر والقلق والاحساس بالغربة والضياع .

وإذا كان المحللون النفسيون يستخرجون الأسباب والعلل التى كانت وراء هذا الدمار النفسى فى أوروبا وأمريكا ، أو بالأحرى فى العالم المتقدم علمياً وتكنولوجيا ، فان بعض الباحثين العرب يرون أن الانسان المعاصر فى العالم العربى يدعى وجود هذا الدمار الذى يعكسه فى فنونه وآدابه ، مضاهاة لانسان العالم المتقدم . وهذه فرية لا تصح عقلا ، فالمضاهاة لا تكون فى الدمار النفسى ، فان كانت فى ظواهر هذا الدمار ، فلنبحث فى أصوله ودوافعه ، ولن نعدم وجود دوافع أصيلة وراء دمار نفس الانسان العربى من واقع تمزقه السياسى ، ووقوعه فى دوامة الصراع من أجل البقاء أحياناً ، ومن أجل الكرامة الانسانية أحياناً أخرى ، ومن أجل الحد الأدنى للحياة الانسانية دائماً .

ويكفى لوجود هذا الدمار احساس الانسان العربى بالقهر السياسى بعد مأساة فلسطين ، والقهر الاجتماعى بوجود هذه الفجوة الواسعة بين العالم الغنى المعتمد على التكنولوجيا المتطورة ، وعالمه الفقير الذى تطحنه الصراعات والمجاعات ، والذى تجعله الدول الكبرى ميداناً لتجربة أسلحتها التقليدية والمتطورة .

وما من شك فى أن إلغاء الحواجز والمسافات بين الثقافات فى العالم قد أتاح للمثقفين العرب فرصة الاطلاع على الفلسفات المتشائمة فى أوروبا ، التى عبرت عن دمار نفس الانسان ، كالعبثية والوجودية اللتين كان لهما تأثير مباشر فى الآداب المعاصرة ، من حيث تعميق معنى الاحساس بالضياع والغربة والقلق والغثيان والاحباط .

تطور مفهوم الفن وغايته إذن بفعل هذه العوامل فلم يعد إمتاعاً وتسلية فى شكل قصيدة مباشرة المعنى ، تدغدغ العواطف والأحاسيس ، أو فى شكل أقصوصة تقدم نموذجاً لشخصية انسانية نمطية التفكير والاحساس ، أو تقدم حكاية للمسامرة ، تنقل القارىء على جناحها السحرى حدثاً وراء حدث ، حتى تبلغ به الذروة التى يحبس عندها أنفاسه ، ثم تضع بين يديه المفتاح للنهاية السعيدة أو المأساوية المترقبة . وكيف يمكن أن يبقى الفن كذلك ، والحياة من حولنا تضج بالثورة والعنف والتطور ، وتهزأ بالنمطية ، وتعلو على المنطق ، وتهب عليها رياح التغيير قوية عاتية ، بحيث أصبح الانسان المعاصر فى أى مكان ـ وبغض النظر عن انتمائه إلى العالم المتقدم أو المتأخر ـ كأنه من سلالة أخرى لا تنتمى لتاريخ البشرية الذى عرفته الأجيال الماضية .

ليس غريباً إذن أن تتطور الأقصوصة فى وقتنا الراهن تطوراً واضحاً فى الغاية والمفهوم والأداء ، وأن تحدث بها ثورة فى البناء والحرفية القصصية ، وأن تتجاوز مرحلة الحكاية والسرد والنموذج الانسانى العادى الذى يرتبط بزمان ثابت ومكان معين . ونزعات بشرية واضحة الدلالة والغايات .

لقد نشأ فن القصص فناً شعبياً يعتمد على تكديس الحوادث والمفاجآت والتصرفات الخارقة للأبطال ، ولكنه فى عصرنا الراهن ، وبعد التقدم العلمى الهائل تخلص من حيل الفن الشعبى ووسائله ، واكتسب الصفات التى تلائم الفكر العلمى القائم على التحليل والاكتشاف . وأصبحت العناصر الأساسية فى القصة ، بل فى أى عمل أدبى ، وخاصة عند النقاد الشكليين ، تعتمد أساساً على الكلمات والصور والرموز أكثر مما تعتمد على الشخصية والفكرة والحبكة (١) .

ولم يعد للاتجاه الموباسانى السطوة والنفوذ على كتاب الأقصوصة المعاصرة ، حتى الاتجاه التشيكوفى زالت عنه هالته وتأثيراته على الكتاب المعاصرين الذين يحيون فى أعماقهم الحياة بلا نظام ثابت ، وقد سادت أجزاءها الفوضى ، واختلط الواقع المرير بالرؤى والخيالات ، ووقع الانسان فريسة للصحة والمرض ، والشجاعة والجبن ، والسمو والحضيض ، وكل أنواع المتناقضات التى تضرب بأنيابها وهى تضغط عليه لاثبات تفاهته وخوائه ، بينما يحاول بعقله أن يثبت تفوقه وقدراته التى لا حدود لها .

يقول روبرت لويس ستيفنسون Robert Louis Stevenson (٢) :

« الحياة فظيعة رهيبة ، ومعدومة الحدود ، ولا منطقية ، وفظة ومؤلمة وموجعة ، أما العمل الفنى فهو بالقياس إليها شىء مرتب محدود ، ومحيط بذاته ، وعقلانى ومتدفق ومنقح . ان الحياة تفرض ذاتها بقوة غاشمة كالرعد الأرعن ، ولكن الفن ـ ممثلا فى لحن اصطنعه اصطناعاً موسيقى

حصيف - يستأثر بالاصغاء من الأذن فى غمرة الأصوات الأشد صخباً ، التى تحيط بتجربتنا الحياتية . إن القصة لا تحيا بفضل وجه شبهها بالحياة ، فهذه الأوجة مفروضة ومادية ، مثلها فى ذلك مثل الحذاء الذى يجب أن يظل من الجلد ، انما تعيش بفضل مالا يحصى من أوجه تباينها عن الحياة ، فهذا التباين مقصود وذو مغزى ، وهو في أن واحد منهج العمل الفني ومعناه» .

وفى ضوء هذه العلاقة بين الاتجاه القصصى المعاصر والحياة ابتعدت القصة إلى حد كبير عن المذهب الكلاسيكى المعتمد على العقل والتسلسل المنطقى ، وعن المذهب الرومانتيكى ذى الاستغراق الذاتى وعن الواقعية التى ترتبط بالمجتمع فى قوانين حتمية، واصبحت فى اتجاهها الجديد لا تتحدث عن شئون واقعة ، بل عن لحظات شعورية ، وتصور ميلا باطنياً للتعبير عن خطرات التجربة العقلية ، وهو ما أطلق عليه فى بعض تسمياته (تيار الوعى) ، أو قصة الحوار الفردى الداخلى الصامت (٣)

وفى هذا النوع من القصص ينحّى المؤلف نفسه ويواجه القارىء بالتجربة العقلية لشخصيات قصصه . وقد استلزم ذلك تفسيراً هاماً فى طريقة السرد أو الحكاية ، كما استلزم تغييراً كلياً فى البناء الفنى للقصة ، فلم تعد لها بداية ووسط ونهاية ، ولم تعد لها ذروة وحبكة ، ولم يعد لها نظام ، وأصبح القارىء مطالباً باليقظة التامة وحدة الوعى ، ومحاولة إيجاد نظام من خلال فوضى الأفكار وتبعثرها .

يقـــول فى ذلك ويـنـــدهام لويس Wyndham Louis : « ان كاتب هـــــذا النوع من القصص يجرد العمل الفنى من كل الخطوط والحدود التى تجعل له شكلا معيناً .. فالحياة الداخلية للشخصية ، بما فيها من حدود ، تستحيل إلى نسيج هلامي مختلط ، يخلو من كل العقد والمفاصل » (٤) أن هذا الاتجاه الجديد فى القصة ، الذى تجاوز الواقع لأنه لا يحاول تسجيله ، بل يحاول أن يبعث الحياة فيه من جديد ، يرفض نمطية التفكير والأداء ، ويسخر من السرد والحكاية ، ويستحب الخروج على المألوف ليحدث هزة عقلية فى الفكر ، وينسحب من الواقع إلى داخل النفس ليرصد كل خطراتها وأفكارها التى تجرى بلا نظام ، والتى تتبعثر مشرقة ومغربة ، دون أن تفقد الخيط الذى يربطها وهو الانسان ، البنية الحية فى المجتمع الصغير الذى يعيش فيه ، وفى المجتمع البشرى الكبير الذى تنعكس كل مشكلاته على الملايين الذين ينتمون إليه . وقد ارتبط الاتجاه الجديد فى القصة بمعطيات التحليل النفسى ، وبالمذهب الرمزى ، ارتباطاً وثيقاً ، فاصبحت القصة تعبر عن تداعيات الأفكار العابرة ، وتصور عـــالم التخيل الباطنى ، الزاخر بكل أنواع التجارب الحية ، والأحاسيس الانفعالية ، وأحلام اليقظة .

ولاشك فى أن نظرية « فرويد » فى الأحلام قد حطمت ذلك الحاجز الوهمى الذى يفصل بين اليقظة والحلم . ولهذا نجد القصة الحديثة تستخدم الصور والرموز فى استحضار التجربة ، طبقاً لما يؤمن به الرمزيون فى مجال الأدب خاصة ، ومن هنا اصبحت لهم لغة خاصة ، أو دلالات جديدة للغة ، مع تركيب أسلوبى جديد ، يعبر عما فى الذهن بصورة تجريدية .

وفى ذلك يقـــول إدموند ولســــون Edmond Wilson « يتباين كل شـــعور وإحساس بعضه عن بعض ، وكذلك تتباين كل لحظة من لحظات الوعى ، وتبعاً لهذا فان من المستحيل أن نستطيع التعبير عن أحاسيسنا كما نمر بها تماماً إذا حاولنا أن نصفها باللغة التقليدية الشائعة العادية . وإن لكل كاتب شخصيته الفريدة ، وإن كل لحظة من لحظاته تتميز بوقع خـــاص وتركيب عضوى مميز . ومن واجب الشاعر أن يوجد اللغة الخاصة القادرة على التعبير عن شخصيته وأحاسيسه » (٥) . وما يقوله هذا الناقد عن الشعر ينطبق تماماً على الاتجاه القصصى الجديد ، الذى يقترب من طبيعة الشعر وعناصره اقتراباً شديداً . وعلى الرغم من ظهور الاتجاه القصصى الجديد ذى النزعة السريالية ، المعتمد على تيار الوعى وإسقاط السرد والحكاية ونموذج الشخصية الانسانية ، والذى يستخدم عقل احدى الشخصيات ، أو عقول عدة شخصيات ، فى إنارة الموقف والشخصيات التى يعرضها ، والذى يتوسل فى تعبيره باستخدام اللغة بطريقة جديدة مشحونة بالرموز والدلالات منذ الربع الأول من القرن الحالى فى أوروبا ، فانه قد ظهر فى مصر على استحياء شديد فى فترة الأربعينيات ، ثم أكد وجوده بعد ذلك تباعاً ، حتى استقر الآن فى أيدى الشباب من كتاب القصة القصيرة فى الاسكندرية بوجه خاص ، وهم الذين سوف أحلل أعمالهم من خلال هذا الاتجاه فى هذا المقال . وقد برز فى هذا الاتجاه بروزاً واضحاً محمد حافظ رجب (٦) ، ومحمود عوض عبد العال (٧) ، وتعلق باطراف منه إدوار الخراط (٨) ، والسعيد الورقى (٩) ، وهناك غيرهم ممن لم يقع نتاجهم فى يدى .

وما من شك فى أن كل كاتب له أسلوبه الخاص ، وأداؤه المتميز ، الذى يفرق بينه وبين سواه من كتاب الاتجاه نفسه . كذلك نجد لكل كاتب عالمه وقضاياه والوان معاناته وشخصيته وثقافته ، وان ظلت هناك صفات مشتركة تجمع بين ذوى الاتجاه الواحد .

شخصيات عالم القاع

وأول ما يطالعنا من العناصر الأساسية المشتركة بيـن الموغـــلين فى هـــذا التيار الجديد مـن القصاص السكندريين المعاصرين تقديمهم شخصيات تمثل اليأس والغربة والضياع والغثيان والملل والرفض للحياة الواقعية بكل ما فيها من معاناة وألم فشخصيات محمد حافظ رجب تشكو دائماً (الاستمرار البليد) (١٠) ، و (الوهم والملل والتذمر والغضب من طول الانتظار العقيم) (١١) ، والضياع كمـــا يمثله (رأس صغير غارق فى أحلام العذاب ، ورأسان تائهان فى أكـــواخ غربـــال الصفيح) (١٢) ، والغربة والاحبـــاط والاحساس بالأسر ، وكل هذه المعانى تحسها الشخصية التى يقدمها فى (عظام الجرن) ، (فالمعلم سجان الدكان يحبسه فى الرغيف ، والمرأة سجانة هذه اللحظة تحبسه تحت لحاف ليمونى أصفر) (١٣)



اتجاهات جديدة

في القصة السكندرية القصيرة المعاصرة

ومحمود عوض عبد العـــال يعكس فى أقاصيصه ألواناً من المعاناة والحزن والقلق ، ويتمثل ذلك فى السؤال الذى تطرحه شخصية أقصوصة (جدول معلق) « كيف يغنى عصفور فى قفص فوقه مروحة وتحته مدفأة ؟ » (١٤) .

ونحس كل معانى الاحباط والألم فى (كلمات أسير) (١٥) ، والغربة والحزن فى شخصية (تكوين) أو الطير المهاجر الكئيب (١٦) . ونحس معانى الضياع فى (تكوينـــات) (١٧) و (المفتـــاح العمومى) (١٨) ، و (امتـــداد) (١٩) و (الفنان) (٢٠) وغيرها .

وشخصيات إدوار الخراط تحس دائماً الفراغ والخواء والحزن والمعاناة (٢١) ، أما شخصيات السعيد الورقي فيحاصرها دائماً الموت والملل والغثيان ، حتى فى عنوان المجموعة التى سماها (ايقاعـات حزينة من زمن الموت) (٢٢) ، وفى إهدائه المجموعة (إلى الموت الحق والمطلق) . ونرى فى أقصوصة (معزوفة) الاحساس بالملل والغربة فى (مدينة الدمى) (٢٣) . ويتردد ذلك الاحساس فى (المحاصرة)(٢٤) وفى (محاولة) (٢٥) ، التى نحس فيها الغثيان أيضاً . أما الرفض فيتمثل لنا فى (العودة) (٢٦) ، وفى (الوسام) ، حين يعلق البطل الوسام الذى منحه له المجتمع فى رقبة كلب أجرب (٢٧) .

وشخصيات محمد حافظ رجب ومحمود عوض عبد العال وإدوار الخراط أغلبها من قاع المجتمع ، (فمخلوقات) محمد حافظ رجب عامل جرن يتمنى أن يصبح عاملا فى مصنع بذرة قطن (٢٨) ، وماسح أحذية وقهوجى يونانى وبائعة يا نصيب وعويس القزم السارق (٢٩) ، وحربى الخادم الذى استشهد فى سبيل إحضـــار (البيرة) للمدام (٣٠) .

والجو الذى تتحرك فيه الشـــخصيات يتلاءم معها تماماً ، فهى أحياء عالم القاع ، حيث (الخيش) و (أكواخ الصفيح) (٣١) .

وتتحرك شخصيات محمــــود عــــوض عبد العال فى بيئات فقيرة : سوق باكوس (٣٢) ، و « بضعة هلاهيل وأقمشة وأخشاب قديمة وأقفاص فى شكل مسكن محشو بالسكان » (٣٣) ، وهم فى الغالب من الطبقة العاملة ، وقد خص فى بعض قصصه مصنع النحاس (٣٤) .

أما شخصيات إدوار الخراط فهى من قاع القاع ، وهو يستغرق فى قصصه القصيرة الطويلة فى وصف حياتهـــا الظاهرية ، ويهتم – على وجه الخصوص – بكل ما يراه من ظواهر الحياة المادية العفنـــة القديمـــة المهترئـة فى تلك البيئات (٣٥) .

وتبعد شخصيات السعيد الورقى عن هذه الأجواء ، ولا تحس فيها الطـــابع السكندرى المحلى الذى تجده عند الثلاثة الآخرين ، وخاصة محمد حافظ رجب ، ومحمود عوض عبد العال ، والطابع المحلى ليس مستنكراً فى الاتجاه القصصى القديم أو الجديد ، فقد كان واضحاً فى كتابات قصاص عالميين من أمثال كاترين مانسفيلد التى أبرزت موطنها نيوزيلندة (٣٦) ، وجيمس جويس الذى كتب مجموعة قصص قصيرة عن موطنه بعنوان « أهل دبلن » Dubliners

وليس هناك شخصية محورية دائماً فى أقاصيص هؤلاء الكتاب . ولم يحدث – كما يقول أوكونور بحق – أن كان للقصة القصيرة بطل واحد ، وإنما نجد بدلا من ذلك مجموعة من الناس المغمورين ، تختلف طبائعهم وصفاتهم من كاتب لآخر ، وان اشترك أفراد هذه المجموعات فى الفقر المادى والروحى ، وفى الاحساس الحاد بالغربة والضياع والملل (٣٧) . وعلى أية حال فالاتجاه الجديد فى الأقصوصة لا يعطى اهتماماً كبيراً للشخصيات فيها ، وان كان ذلك لا يمنع من توجيه الاهتمام نحو شخصية بعينها ، يرى هنرى جيمس أن تكون ممتازة الوعى ، ولهذا يخرج من أقاصيصـــه المغفلين ومحــــدودى الذكاء (٣٨) . وهذه فكرة مهمة ، إذ تكون الشخصية عندئذ قادرة على استخلاص عناصر رئيسية من التجربة والبناء عليها ، ولا تكون مجرد شريط لتسجيل الأحاسيس والأفكار . ونجد ذلك متحققا فى معظم شخصيات الكتاب السكندريين .

ولا نحس رغبة من القصاص فى الوصول إلى هدف اجتماعى ، أو حتى مجرد تصوير مجتمع القاع ، بل يتجلى ذلك من خلال الخواطر التى تنثال من عقول الشخصيات التى يحركونها . وهذا الحضور الاجتماعى ماثل تماماً فى أقاصيص محمود عوض عبد العال ، فنرى فى (كلمات أسير) التزاحم على اللحوم والدواجن والبيض والكبريت (٣٩) . ونرى فى الأقصوصة ذاتها الممرضة التى تسرق طعام المرضى ، والباعة الجائلين بين الأسرة فى المستشفيات الحكومية . وترى فى (أوديب قابل أخته) المستشفى مهدداً بالسقوط على المرضى بعد انهيار جزء منه ، ومازال ينتظر الانتقال إلى مبناه الذى بدأ العمل فى ترميمه منذ ثلاثين عاماً ، وغرفة العمليات مفتوحة على الممر العمومى ، ودورات المياه لا تستر من بداخلها ، وأجهزة التعقيـم الخاصـــة بالعمليـــات فى الحمام (٤٠) . ونرى فى « حس البيت » الكبريت الذى لا يشتعل ، والنور الـــذى ينقطع ، ونسمع أصوات الباعة الجائلين وعربات الكارو ، وصراخ أولاد الكـرة الشراب (٤١) . كذلك نجد المخدرات شائعة بين أفراد قاع المجتمع . ويبدو ذلك فى أكثر من أقصوصة (٤٢) .

ويبلغ محمود عوض عبد العال فى المزج بين الواقع والخطرات المنسابة فى تيار الوعى ، أو بين الحقيقة والحلم . وهو فى هذا يتابع بدقة منهج جيمس جويس فى أقاصيصه التى كانت غالباً تمثل صراعاً بين « دون كيشوت » و « هاملت » ، كما كانت تتميز بأنها ملهاة البطولة الساخرة ، إذ يضعها فى صورة تقابل بين الأضداد ، وكذلك يفعل محمود عوض . وأبرز أقاصيصه التى تمثل هـــذا الاتجـــاه (إعلانات مبوبة) ، وقد حصرها فى طلب وظائف ، وعطاءات ، وأشياء للبيـــع ، وتفاليس (٤٣) .

ونرى فى « علامة الرضا » طفلا فى الثامنة (يدخن سجائر مستوردة ، دفاعاً عن مرض خبيث فى جسده) (٤٤) .

أسلوب تيار الوعى

ويختلف المدى بين هؤلاء الكتاب فى استخدامهم أسلوب تيار الوعى ، فبينما نجد محمود عوض عبد العال يستخدم كل عناصر تيار الوعى الممتزج بالاتجـــاه السريالى فى إدراك واقتدار ، ويســـقط (الأحدوثة) تماماً من أقاصيصه ، ويبتعد عن السرد وتقديم نماذج إنسانية نمطية ، ويستخدم الرمز والصور المجازية والأفكار المبعثرة ، نرى محمد حافظ رجب مبقياً على قـــدر مـــن السرديـــة والحكاية ، إلى جانب استخدامه تيار الوعى والعناصر السريالية . وإدوار الخراط والسعيد الورقى يكادان يبتعدان عن تخوم السريالية وعن عناصر كثيرة فى البناء الفنى لتيار الوعى ، ويعتمدان – فى معظم الأحيان – على الحدث والحكاية . ويهتم إدوار الخراط بالأسلوب الوصـــفى الفوتغرافى المدقق ، الذى يرسم الشخصية والبيئة بالطريقة المألوفة (٤٥) . ونحن نعلم أن تعرف الأماكن فى هذا النوع من القصص لا يتم عن طريق الوصف ، بل عن طريق إثارة الأحاسيس والعواطف .

وتعد أقصوصة (مريض) لمحمود

عوض عبد العال من النماذج الدالة على انسياب تيار الوعى ، وتناثر جزئيات الأفكار بأسلوب سريالى . يقول فيها « لا أعرف أبداً إلى أين أنا ذاهب على وجه التحديد .. آه .. التى تناولت كوب الماء المعطر .. عطشانة صحرائى .. هات يديك لأقرأ حظى حسب التقدير الفلكى وأسجد .. (تؤول الحياة فى مشاجرة عائلية إلى أمور لا معنى لها ..) . جذبت ياقة قميصى من تحت ثنية رقبتى على النقالة .. الخجل مر بيده على مكان .. مسح عرقه .. لم تهضم سوء نيتك ، ملابسك الصحراوية متربة .. الطيور المسافرة على صـدره مجهدة .. فداؤك باق ، سحاب صحراء مقطوعة النور .. تاه على أرضها ، يحمل أحزان النفى والموت .. المطبات فى الطريق تدبر مؤامرة اغتيال مجانية .. على حافة النقالة يرجون رأساً .. سقوطاً من نافذة الرحالة المنبوذين على رمل التية .. على مهلك .. لأمسك مطرقة .. تدلى أصواته .. ها هم مندفعون إلى المخابىء .. فى الزحام أمن .. كرهوا رائحة عرقهم .. عفن الريح من حجرة البيانات ، قعد وجه غريب مريض لم أتعوده .. أنت . من حيث بدأ يخطو ، حصد الخـــرس والملل فى بيت لا يكنس فيه عقب السيجارة .. وجهها محروق تحت قدمى تمثال نصفى .. نعاها فى صمت أول .. شارع وسلالم وصمت يفتح باباً موصداً فى وجه البحر » (٤٦) .

وهذا التقطيع الفكرى قد استطاع أن يعبر عنه التقطيع الأسلوبى مع تكثيف الصور المجازية والرموز . وقد لاحظ من قبل « ليون إيدل » أن بعض القصص الحديثة تبدو أشبه بسلسلة من الصور ، أكثر من كونها سلسلة الخواطر (٤٧) . ولاشك فى أن الصور المجازية أساس فى الأدب الرمزى. ومن البدهى أن القارىء يستخلص من الرموز الدلالات التى ترد فى التعابير الواعية للشخصية ، كما أن الكاتب لا يمكنه التعبير عن التجارب التى عاناها فى مخيلته إلا عن طريق استخدام الرمز ما دام منساباً فى تيار الوعى . وتجربة الكاتب وهو فى حالة شعورية تتسم بالتعقيد والغموض ، ولابد للقارىء أن يعانى تلك الحالة الشعورية للكاتب حتى يمكنه أن يحل معضلات رموزه التعبيرية .

والرمز عند كتـــــاب الأقصوصـــــة السكندريين يلعب دوراً مهماً فى بناء الأقصوصة عندهم ، وقد يكون رمزاً واضحاً كتلك الرموز الجنسية التى وردت فى أقصوصة (فى القطار) (٤٨) من أمثـــال « رحلة الحفر » و « الغصن يتأرجح من الاجهاد » لمحمود عوض عبد العال ، ومثل « السحب السوداء » و « السماء ينقطع ماؤها » فى أقصوصة (معزوفة) للسعيد الورقى ، (٤٩) واستخدم السعيد بعض الأساطير ، كسيزيف وعشتروت ، رمزاً فى الأقصوصة نفسها ، وهو رمز واضح بدلالة الأسطورة ذاتها . كذلك نجد من الرموز الواضحة الرموز الجنسية عند محمد حافظ رجب ، مثل (الجرح) الذى برزت من خلاله عيون مذعورة تقطر دماً ، ووجه غول ممزق فى الداخل ، وغير ذلك من الرموز التى تزخر بها أقصوصة « ذراع النشوة المقطوع » ، التى تصور النهم الجسدى ، والحب الفاشل والزوج المخدوع الذى يحب فى (طفولية) وكأن المرأة لعبة لا يستطيع أن يستغنى عنها (٥٠) كذلك نجد عنده الساعات رمزاً للسنين حين يتابعها بطريقة متوالية قفزاً ، وفى بعض السنوات يتوقف عند ظهيرة الساعة الخمسين ثم عند ليلها (٥١) .

وقد يكون الرمز مغرقاً فى الغموض والضبابية ، كما نتمثل فى أقاصيص كثيرة لمحمود عوض ، مثل (تكوينات) و (شاب يغنى) (٥٢) ، وفى مثل صوره المجازية الرمزية (الجرائد مليئة بالثقوب ، مريضة باللوزتين) (٥٣) ، وفى استخدامه لعبة الشطرنج رمزاً لقضايا إنسانية كما فى أقصوصة (مارش عسكرى غائب) (٥٤) .

د. محمد مصطفى هدارة

بقية البحث فى العدد القادم

هوامش البحث

(١) انظر القصة الحديثة فى ضوء المنهج الشكلى ـ تاليف وليم هاندى ـ ترجمة شفيع السيد ـ نشر مكتبة الشباب بالقاهرة .

(٢) انظر القصة السيكلوجية ـ دراسة فى علاقة علم النفس بفن القصة ـ تاليف ليون ايدل ـ ترجمة محمود السمرة ـ نشر المكتبة الأهلية ـ بيروت ١٩٥٩ : ٤٢ .

(٣) انظر المرجع نفسه : ٢٠

(٤) انظر المرجع نفسه : ٢٠٠ .

Axel's Castle by Edmond Wilson, ,Newyork, 1931 : 76

(٦) أصدر ثلاث مجموعات : الكرة ورأس الرجل ، غرباء ، مخلوقات براد الشاى المغلى .

(٧) اصدر مجموعة «الذى مر على مدينة» ، ونشر قصصا قصيرة أخرى تطبع الآن فى مجموعة بعنوان «تحت جناحك الناعم» .

(٨) أصدر مجموعتين : الحيطان العالية ، وساعات الكبرياء

(٩) أصدر مجموعتين بعنوان : إيقاعات حزينة من زمن الموت .

(١٠) انظر أقصوصة (رجل معلق فى دوسيه) ـ مجموعة مخلوقات براد الشاى المغلى ـ نشر دار اتون ـ القاهرة ١٩٧٢ .

(١١) انظر أقصوصة (مخلوقات براد الشاى المغلى) ـ المجموعة نفسها .

(١٢) انظر أقصوصة (أصابع الشعر) ـ المجموعة نفسهـا . وغربـــال حي من الاحيـــاء الشـــعبية بالاسكندرية .

(١٣) انظر أقصوصة (عظام فى الجرن) . المجموعة السابقة .

(١٤) من مجموعة (الذى مر على مدينة) ـ توزيع دار المعارف بمصر ـ القاهرة ١٩٧٤ .

(١٥) من مجموعة (تحت جناحك الناعم) .

(١٦) من المجموعة السابقة .

(١٧) من مجموعة (الذى مر على مدينة) .

(١٨) من المجموعة السابقة .

(١٩) من المجموعة السابقة .

(٢٠) من مجموعة (تحت جناحك الناعم) .

(٢١) انظر (تحت الجامع و (اخر السكة) و (جرح مفتوح) فى مجموعته «ساعات الكبرياء» نشر دار الآداب ـ بيروت ـ ١٩٧٢م .

(٢٢) طبع مطبعة الجيزة بالاسكندرية ـ ١٩٨١ .

(٢٣) من المجموعة السابقة .

(٢٤ ـ ٢٧) من المجموعة السابقة .

(٢٨) انظر أقصوصة «عظام فى الجرن» من مجموعة «مخلوقات براد الشاى المغلى» .

(٢٩) انظر أقصوصة «مخلوقات براد الشاى المغلى» للجموعة نفسها .

(٣٠) انظر أقصوصة «أصابع الشعر» . المجموعة نفسها .

(٣١) انظر الاقصوصة السابقة .

(٣٢) انظر «زمن حدوث» مجموعة (الذى مر على مدينة) .

(٣٣) انظر «الفنان» مجموعة (تحت جناحك الناعم) .

(٣٤) انظر «كلمات أسير» المجموعة السابقة .

(٣٥) انظر «تحت الجامع» ، «أخر السكة» ، «الاميرة والحصان» من مجموعة (ساعات الكبرياء) .

(٣٦) انظر
the Lonely Voiee by F. O.' Connor
ترجمة محمود الربيعى ـ نشر الهيئة العامة للتاليف والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٦٩ .

(٣٧) المرجع نفسه : ٩ .

(٣٨) انظر القصة السيكلوجية : ١٠٥ .

(٣٩) من مجموعة (تحت جناحك الناعم) .

(٤٠) المجموعة السابقة .

(٤١) المجموعة السابقة .

(٤٢) انظر (كلمات أسير ، و (امتداد) ، (الفنان) من للجموعة السابقة .

(٤٣) انظر مجموعة (الذى مر على مدينة) .

(٤٤) انظر مجموعة (تحت جناحك الناعم) .

(٤٥) انظر بصفة خاصة (تحت الجامع) و (الاميرة والحصان) من مجموعته (ساعات الكبرياء) .

(٤٦) من مجموعة (الذى مر على مدينة) : ٦٤ .

(٤٧) انظر القصة السيكلوجية : ٦٤ .

(٤٨) مجموعة (الذى مر على مدينة) .

(٤٩) مجموعة (ايقاعات حزينة من زمن الموت) .

(٥٠) مجموعة (مخلوقات براد الشاى المغلى) .

(٥١) أقصوصة (مخلوقات براد الشاى المغلى) من للجموعة السابقة .

(٥٢) مجموعة (الذى مر على مدينة) .

(٥٣) أقصوصة (تكوينات) من المجموعة السابقة .

(٥٤) مجموعة (تحت جناحك الناعم) .

قصة من تاريخ العريش

الخواجة شمعون

بقلم : درويش مصطفى الفار

من المضحكات في التاريخ ، أن البريطانيين ، أثناء احتلالهم لمصر ، بذلوا جهداً علمياً ممتازاً ، لاثبات أن حدود مصر الشرقية هى الخط الممتد بين رفح شمالا ورأس خليج العقبة جنوبا ، وكان ذلك سنة ١٩٠٦ أثناء نزاعهم مع الدولة العلية إثر حادثة بير طابا التى افتعلوها أنذاك ، وأعلنوا للعالم أن شبه جزيرة سيناء كلها ، أرض مصرية منذ فجر التاريخ ، وكانت شبه الجزيرة قبل حفر قنال السويس سنة ١٨٦٩ وقبل الغزو البريطانى سنة ١٨٨٢ تنقسم الى ثلاثة أقسام أساسية ، فيطلق على جنوبها الوعر الشاهق الذرى اسم طور سيناء ، دون أى سند علمى محقق على أنها سيناء التوراة والانجيل والقرآن الكريم ، وكان أقصى شمالها يسمى أرض الجفار ، أى الآبار الواسعة غير العميقة ، وكان الجفار مشهوراً بنخيله ورمانه وأعنابه وأسماكه ، وبين طور سيناء والجفار كان ما يسمى بلاد التيه ، زعماً أن تيه أتباع موسى أربعين عاماً كان فيه ، دون حقائق علمية أيضاً يستند اليها ... واجتاح الأتراك مع حلفائهم الألمان شبه جزيرة سيناء منذ أوائل الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) واتخذ القائد الألمانى كريسن فون كريسنشتاين مقر قيادته لدى بير المغارة وبير مويرب فى شمالى سيناء ، ولعبت الخيانة دورها العتيد ، على أيدى متعهدى التموين للجيش التركى الرابع ، فكان الماء والغذاء لا يصلان بالقدر الكافى ولا فى المواعيد المنتظمة ، فاستطاع البريطانيون أن يعيدوا سيناء الى قبضتهم إثر معارك الرمانى والمقضبة وبير الدويدار وانسحاب العثمانيين ، فأفتى مفتى السياسة فى بريطانيا العظمى ، بأن سيناء أرض عدو حررها الانجليز بدماء الاستراليين والنيوزيلنديين والهنود والأفارقة وغيرهم من عسكر الامبراطورية ، فهى إذن أرض (بريطانية) وليست أرضا مصرية !!! علماً بأن من هلك من المصريين ، بدوا وحضرا ، من سائقى (جمال السلطة) وعمال السكة الحديد ، كانوا أكثر ممن هلك من البريطانيين ... ومن منطلق أن سيناء المحررة من الأتراك تابعة للتاج البريطانى ، كان اختيار الميجر (الرائد) كلود سكودامور جارفس سنة ١٩٢٣ الذى كان أحد ضباط جيش اللنبى ، محافظا لسيناء خلفاً للكولونيل الفرد باركر (بركل بك) ابن أخت اللورد كتشنر ...

كان جارفس رجلا قصير القامة ، تكسو سمعه مسحة من صمم ، حتى سموه فى سيناء (الأطرش) ، وكان يلبس فوق رأسه طربوشاً مصرياً أحمر يميله نحو أذنه اليمنى باعتبار أنه موظف فى حكومة جلالة ملك مصر ، بيد أنه كان يعتبر سيناء مملكة خاصة داخل المملكة المصرية يتصرف فيها كما يشاء ، على أساس أنه (مسنود) من الغرب بجيش الاحتلال البريطانى وفخامة المندوب السامى بقصر الدوبارة فى القاهرة ومن الشرق بحكومة الانتداب البريطانية صاحبة الحول والطول فى البادية والحاضرة بكل من فلسطين وشرقى الأردن ... وظل الاميرالاى جارفس بك محافظا لسيناء حتى سنة ١٩٣٦ ، وألف عنها من الكتب ونشر من المقالات ، ما لم يكتبه محافظ قبله ، ولا بعده ، عن أية محافظة فى أى دولة فى العالم كله ...

وللحقيقة والتاريخ ، وباعتبار أن سيناء مملكته الخاصة ، فقد بذل الأطرش جهوداً ، لاتزال اثارها باقية ، (لتحديث) سيناء وتمدينها ، طبقاً لوجهة نظره كبريطانى فى المدنية ، فعبد الطرق ، ليسهل على السائحين ارتيادها واختراقها فى رحلاتهم بين مصر وفلسطين ، وأقام الجسور والسدود وأنشأ الاستراحات وأدخل رياضة الصيد براً وبحراً ، ومد أسلاك التليفونات والكهرباء ، وعين أول مجلس بلدى لمدينة العريش ورصف فيها أول طريق بالأسفلت ، واستورد من بريطانيا الآلات لضخ المياه من الآبار وتوزيعها عبر شبكة من المواسير (البريطانية الصنع طبعاً) فى أرجاء البلدة ...

وكان جارفس ، شأن أى خواجة يتولى حكم منطقة عربية ، يرى أن الاختلاط بالخواجات ضروري لتمدين وتحضير العرب ، ومن هنا سمح ليونانى يسمى (الخواجاتوما) بانشاء (حانة) فى السوق الكبير ، ومنح إقامة دائمة لخياط مالطى وزوجته (كمريرا مدام مولكون) لتفصيل الملابس الافرنجية للموظفين ، ولمن يغريه اللباس الافرنجى من (الأفندية) من الأهالى ، وعاون قبرصياً يونانيا فى انشاء (ورشة) للنجارة ، اشتهرت سنوات فى العريش بورشة (الخواجا



هكذا كان يبدو الخواجة شمعون .



الميجور «جارفس» يتفقد طابور الشرف المصطف لاستقباله عند عودته من الاجازة .. الطابور من رجال سلاح الحدود المصرى الذى انشاه الانجليز عام ١٨٩٧

خريستو) واستجلب (المسيو ارتين) ليصبح فى العريش الساحر الأوحد فى صناعة الصور (الفوتغرافية) التى كان الناس يحملقون فيها مشدوهين مبهورين ..

وكان ، الذى نحن بصدده اليوم ، الخواجة شمعون ، يهوديا يمنيا ، يقيم فى فلسطين منذ الت حمايتها الى بريطانيا العظمى ... وكانت بريطانيا العظمى يعنيها لحاجات فى أنفس أبناء يعقوب ، تيسير العوائق وتسهيل تنقل (رعاياها) بين مصر وفلسطين ، لأعمال التجارة والمعاش ، فى نفس الوقت الذى كانت فيه تجعل من قناة السويس ، عند القنطرة ، والشط ، الحدود العملية بين مصر وفلسطين ... فكان (الخواجة شمعون) ياتى الى العريش فى موسم معين لشراء كميات من سعف النخيل الذى يستخدم فى بعض الطقوس الدينية لدى اليهود والنصارى ، وكان جارفس قد اخترع إقامة معرض سنوى فى العريش تحت اسم (المعرض الزراعى الصناعى) ليتبارى فيه الناس فى عرض مزروعاتهم ومصنوعاتهم اليدوية ، فطرأت لشمعون فكرة المشاركة فى هذا المعرض ببعض الأدوات التى تصنع من الخوص وجريد النخل ، ومليتقن بنو جلدته من يهود اليمن صناعته من الحلى الفضية المزركشة ، فتعرف عليه جارفس ، واغراه بالعيش فى العريش واقنع احد الأهالى بتاجير بيت له فى شارع (المصابحة) ...

استقر الخواجة شمعون فى العريش وافتتح دكانا فى بيته لبيع الأقمشة والصابون والعطور والحلى الذهبية والفضية ، واصبح بحسن التصرف واللباقة انسانا مشهورا لدى البدو والحضر على السواء ... وكان رجلا هادئا باسما ممتلىء الجسم ذا لحية رمادية كثة مسترسلة ، وكان يلبس قفطانا اسمر ويتمنطق بحزام ، ويضع على راسه طربوشا أسود لا بالطويل ولا بالقصير صيفا وشتاء ويسير برزانة متوكئا على عصا من فروع شجر اللوز واختلط بالناس ، فهو يقدم الهدايا فى الأفراح ، ويمشى للتعزية هو وزوجته (أم حاييم) فى المآتم ، ويمتنع عن الطعام والشراب فى نهار رمضان ، ويصبر على المديونين والمعذورين ، ويدفع عدا ونقدا أثمان ما يشتريه من سعف النخيل . وتمار الحنظل التى كان يرسلها على ظهور الابل لأحد المصانع الكيماوية فى فلسطين ...

وكان اليهود منذ ١٩٠٩ ، قد بدأوا فى بناء ضاحية لهم فى مشارف يافا ، أسموها (تل - افيف) أى جبل الينبوع ، او تحريف (تل عفيف) كما تقول إحدى الروايات ...

ولما كانت من خصائص اليهود الأزلية ، البحث والتحرى عن كل شىء ينفع فى التجارة ، فقد عثر الخواجة شمعون على كنز ثمين على شاطىء البحر الأبيض غرب العريش .. إذ من المعروف أن براكين جنوب أوروبا وخاصة فى صقلية وجزر الأرخبيل حول اليونان ، قذفت بملايين الأطنان من الرماد البركانى الذى يعرف بحجر الخفاف أو (الخفاف) كمايسميه اهل العريش ، حيث تستخدمه النساء فى الحمامات لازالة القشف وتطرية الجلد ... وتحمل الأمواج ذلك الخفاف عائما على سطح الماء الى الساحل الجنوبى للبحر المتوسط حتى يصل كم هائل منه الى ساحل سيناء الشمالى ، ويستقر هناك تحت طلب العارفين ... فلما شرع بنو شمعون فى بناء العمارات بالأسمنت المسلح ، بحثوا عن مصدر لمادة خفيفة الوزن تخلط بالأسمنت بدل الحصى الثقيل وتقوم مقامه من حيث التحمل والمتانة ، فوجدوا ضالتهم من دفتر المعلومات عند الخواجة شمعون بالعريش

وشهدت الثلاثينات قبل الحرب العالمية الثانية قوافل الابل المحملة بالخفاف تاخذ طريقها ، الدرب السلطانى ، بين ساحل سيناء الشمالى وتل أبيب تسير بلا أناة ، لتفرغ أحمالها هناك ، وتعود محملة بخيرات فلسطين من البرتقال والزبيب وزيت الزيتون والصابون ...

وفجأة اختفى الخواجة شمعون ...

وقام العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ ...

وفوجىء احد سكان شارع المصابحة يوما ما ، بضابط اسرائيلى يطرق بابه ، ويعرف نفسه قائلا :

أنا حاييم ابن الخواجة شمعون !!!

لقد ولدت فى هذا البيت ، الذى لم يستطع أبي أن يشتريه منكم وكان يتمنى ذلك ليقضى بقية عمره فيه ، بعيدا عن ذلك الجحيم الذى أوقعتنا فيه نظريات الهوس العنصرى الصهيونية ، التى ساعدتموها أنتم معشر العرب ، وأنتم لا تشعرون .....

مدريد تستعيد وجهها العربي القديم

في أسبانيا

احتفل العالم بالذكرى العاشرة

لعميد الأدب العربي

بقلم : فتحي سعيد



د. طه حسين الذى احتفل العالم بذكراه العاشرة فى اسبانيا

مدريد عربية !

نعم .. استعادت مدريد وجهها العربى القديم عبر ستة أيام فى الشهر الماضى، بعد أن عاشت به ثمانية قرون كاملة ،تزهو على العالم من خلال نافذة الحضارة القديمة التى تطل على أوربا ، وافريقيا ، والبحر الأبيض ..

تألق وجه طه حسين عميد الأدب العربى تحت سماء اسبانيا وربوع الأندلس وكأنما يحمل معه فى ذكراه العاشرة ريحاً عربية تفوح بعطر الشرق وتعانق مهدها العربى القديم .. وتغتسل بأمطار مدريد الربيعية ..

لم يمنع تساقط المطر المنهمر ، وموجات البرد المفاجئة من توافد الكثيرين للمشاركة فى الاحتفال بالذكرى العاشرة لطه حسين فى قاعته الكبرى المسماة باسمه فى قلب المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، الذى انشاه طه حسين فى نوفمبر عام ١٩٥٠ ، ليكون منارة اشعاع اخرى تضاف لآثارنا العربية التى تملأ ربوع أسبانيا ، ولينشر الثقافة العربية عبر الأسبان من خلال الدراسات والحلقات والمكتبة العربية النادرة (٢٥ الف كتاب) والمهداة من الأسكوريال ..

فى قلب قاعة طه حسين الكبرى افتتح مهرجان الذكرى فى الخامس والعشرين من شهر ابريل المنصرم .

ولم ينفرد المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بالاحتفال بهذه الذكرى ، ولكن شارك فيها المعهد الأسبانى العربى للثقافة وجامعة مدريد المستقلة ، وجامعة غرناطة .

اشترك فى المهرجان الكبير وفود من مختلف بلاد العالم .. وقد مثل وفد مصر من الادباء ورجال الجامعة : الدكتور ابراهيم مدكور رئيس مجمع اللغة العربية ، والأديب يحيى حقي ، والدكتور عز الدين اسماعيل امين المجلس الأعلى للثقافة ، والدكتور أحمد هيكل عميد كلية دار العلوم والدكتور رمضان عبد التواب عميد آداب عين شمس ، والدكتور محمود علي مكي رئيس قسم اللغة العربية بكلية آداب القاهرة والدكتور عبد الحميد ابراهيم .. جامعة المنيا ، والدكتورة هدى وصفى الأستاذة بآداب القاهرة ، والدكتور جابر عصفور الأستاذ بآداب القاهرة ، والدكتور صلاح فضل المستشار الثقافي لمصر فى مدريد وعميد المعهد المصرى للدراسات الاسلامية والدكتور محمد حسن الزيات وحرمه عن أسرة طه حسين .

ظاهرة تاريخية

افتتحت الندوة الدولية فى السادسة مساء بكلمة صلاح خليفة سفير مصر فى



اشترك فى الاحتفالات وفد مصرى من الأدباء وأساتذة الجامعة وهم من اليمين الى اليسار : د. محمد حسن الزيات ، يحيى حقى ، صلاح خليفة ، ود. بيومى مدكور ، ود. عز الدين اسماعيل .

مدريد ، رحب فيها بالسفراء العرب الذين حضروا الافتتاح ، وقال ان هذا المعهد ثمرة من ثمرات طه حسين لذلك فهو انسب مكان للاحتفال به .

ثم افتتح الندوة المستشار الثقافى لمصر د . صلاح فضل بكلمة نوه فيها بدور طه حسين فى الأدب العربى وبالذكرى العاشرة التى يحتشد لها هذا الحفل من كل فج لتكون هذه المناسبة العاطرة فى قلب القاعة التى تحمل اسم العميد تكريماً له واعترافاً بفضله فى إنشاء هذا المعهد الذى كافح طه حسين طويلا ليكون منارة اسلامية فى قلب أوربا ..

ثم رأس الجلسة د . ابراهيم مدكور رئيس المجمع اللغوى ، وتحدث عن معاصرته لطه حسين وصلته الفكرية ، والتى استمرت خمسين عاماً ، عمل خلالها معه أستاذاً . وكان طه حسين عميداً للآداب حيث انضم لمجمع اللغة العربية عام ١٩٤٠ ، ولحق به الدكتور مدكور عام ١٩٤٦ وطالت الصحبة بينهما فى أروقة مجمع الخالدين .

وتحدث الدكتور مدكور عن حفاوة طه حسين بالتراث العربى واهتمامه ببعثه واحيائه وكيف صدر كتاب ابن سـينا « الشفاء » ثم كتاب مجهول هو « المغنى للقاضى عبد الجبار » « وكتاب الـدين للشيبانى » ، ثم المعجم الكبير الذى اضطلع بعبء إخراجه وأبى أن يشاركه أحد رغم قيامه بأعباء الوزارة واستغرق هذا العبء عشر سنوات .

وتحدث الدكتور مدكور عن أمنية طه حسين فى أن يكون للمجمع اللغوى دار مستقلة لائقة ، وكان يشبهه بقوله : « إن مجمع اللغة العربية أشبه برجال البادية ينتقلون من نجع إلى نجع فهل يكون لهم دار » .

وتم بناء الدار ولكن بعد رحيل العميد ولو كان حيا لافتتحها اليوم . !

واحة فى قلب المعترك

وتحدث الأديب يحيى حقي فقال :

« من عالم ممزق تملؤه الحروب والتلوث لا فى الغبار والهواء فحسب بل تلوث هذا السيل من الأسلحة الفتاكة حتى ترى الزنجى مريضاً فى الغابة وبقرته مريضة بجواره ويحمل بين يديه سلاحاً فتاكاً بدلا من أن يحمل فأساً أو غصناً .

فى هذا المعترك .. نلوذ بهذه الندوة كأنها الواحة فى ظل طه حسين الذى وهب حياته لبلاده حباً وعملا ليحقق الصلة بين حضارة مصر وحضارة البحر الأبيض . لقد وضع طه حسين أمامه سؤالا واحداً : ماذا نأخذ من الحضارة وماذا نترك ؟ ذلك بأن نقتبس المنهج العلمى السليم الذى قفزت به أوربا قفزة حضارية واسعة وأؤكد لكم أن القضايا الفكرية التى نعيشها اليوم عام ١٩٨٣ هى نفس القضايا التى اهتم بها طه حسين .. ولأن المستنقع كان كبيراً فكان لابد أن يلقى طه حسين حجراً كبيراً ليحرك هذا الركود ويبعث الحياة فى أوصال الأدب والنقد الحر .. ولقد هوجم كثيراً وأغلظوا له القول .. ورد على مهاجميه فلم يذكر كلمة نابية واحدة أو لفظاً فاحشاً بينما المحوا هم إلى عاهته وعماه . ! » .

واختتم يحيى حقى كلمته بقوله : « إن طه حسين صاحب جوانب كثيرة ومعارك أكثر .. الجامعة وكيف نشأت على يد لطفى السيد ويديه .. فى الصحافة الأدبية .. فى المسرح .. فى الترجمات من أدب اليونان والفرنسيين .. الاهتمام بالفرقة القومية .. احترامه للفصحى وكم سحرنا بصوته العذب وأثبت اللغة فى آذان المستمع . ومازلت أذكر فى إحدى زياراتى له .. حين وجدته جالساً على مقعد كبير فى ركن الحجرة وقلت لنفسى هذا الرجل القادم من الصعيد يجلس ويبدو كفارس من فرسان العصور الوسطى لمهابته وفرط جلاله وترنمت بهذا البيت :

يغضي حيـاء ويغضي من مهابته
فلا يـكلم إلا حين يبتسـم

كيـان كامل

والقى الدكتور عز الدين اسماعيل أمين المجلس الأعلى للثقافة كلمة قال فيها :

« كان طه حسين ظاهرة تاريخية تحمـل مسئولية تجديد الأدب العربى فى العصر الحديث ، ومهمة تمحيص الأدب الجاهلى وإجلاء صورته فى الأذهان لم تكن أقل خطراً من الأدب الحديث . وأدرك طه حسين ببصيرته النفاذة أن الحياة الأدبية لكى تنهض لابد لها أن تنفتح على الحضارة الغربية بدءا من تراثها الاغريقى حتى المعاصر ، فأنشأ قسماً للدراسات اليونانية واللاتينية بكلية الآداب وهيأ مناخ التفاعل بين الأدب العربى وغيره من الآداب .

ومن الهموم التى حملها طه حسين فى قلبه وعقله إعادة صياغة تاريخ البعثة المحمدية وما أعقبها من أحداث فى « هامش السيرة ـ الفتنة الكبرى ـ الوعد الحق » .

واقتحم فن الرواية والسيرة الذاتية فأبدع « الأيام » ـ « دعاء الكـروان » و « المعذبون فى الأرض » و « شـجرة البؤس » .. وهو ابداع أدبى استطاع أن يشق له لغة خاصة تنم عليه وتظل نموذجاً يحتذى فى تماسك بنائها وموسيقاها .

كل هذا يجعل من طه حسين ظاهرة تاريخية وليس شخصية أدبية فلا يمكن حصره فى تلك الدروب فتتحدث عنه كاتباً روائياً وأديباًومنظراً ثقافياً .. لأنه لم يكن واحداً من هؤلاء ولا مجموع هؤلاء ..

ولكنه كان كياناً كاملا سطع فى حياتنا



جانب من الندوة التى احتشدت فيها مجموعة من مفكرى وادباء العالم .

فى أسبانيا احتفل العالم بالذكرى العاشرة لعميد الأدب العربى

منذ كان ذلك الفتى الضرير الفقير القادم من احدى قرى الصعيد ليكون ذلك العلم الرفراف فى سماء حياتنا الأدبية » ..

هذا المعهد الاسلامى

وتحدث دكتور محمد حسن الزيات وزير خارجية مصر السابق وزوج السيدة امينة طه حسين التى صحبته فى الندوة الدولية لذكرى والدها .. فقال :

« إن هذا المعهد المصرى للدراسات الاسلامية فى مدريد .. كان حلماً من احلام طه حسين منذ ان زار غرناطة والاندلس .. فحلم ان ينشىء هذا المعهد ليكون منارة إشعاع عربى واسلامي .. فى مهد عريق أثراه العرب طوال ثمانية قرون وها نحن نتحدث فى ذكراه من قلب هذا المعهد بعد ان صار حقيقة ومن قاعته الكبرى المسماة باسمه رمزاً للوفاء .

واذكر فى الأربعينيات ان جامعة اكسفورد اخرجت كتاباً للعالم الكبير (إديلا اوف باف) الذى ضاق بالدراسة فى جامعة اكسفورد فى منتصف القرن الخامس عشر وهاجر إلى باريس فضاق بجامعتها واساتذتها ايضا فتركها إلى أسبانيا حيث اقام فى جامعة طليطلة ، وكان العرب هم الأساتذة والطلاب ، فتعلم العربية وترجم أمهات الكتب القديمة ، واخذ يبعث برسائل إلى اصدقائه فى جامعة اكسفورد يقول فيها : « إن العلم هو علم العرب » .

اذكر اننى عرضت فصولا من هذا الكتاب على الدكتور طه حسين فاختار لها عنوانا (قابس النار) ورأى ان المؤلف قبس نار العرب ليشعل عصر النهضة فى اوربا ، وترجمها طه حسين ، ونشرها فى الاهرام تحت هذا العنوان » .

وختم الدكتور الزيات كلمته بشكر المعهد المصرى وعميده والمحتفين والوفود العربية والاجنبية ، وردد قول طه حسين المأثور : « بارك الله هذا الثمر الكريم فى هذا الغرس الكريم » .

معرض الكتاب

وانتهت كلمات الافتتاح للندوة الدولية فى ذكرى طه حسين العاشرة . حيث قام السيد / صلاح خليفة سفير مصر فى مدريد ، بافتتاح معرض الكتاب وكان قد القى كلمة رحب فيها بالوفود وبالسفراء العرب الذين حضروا الافتتاح وبالأساتذة المتحدثين قائلا :

« إن هذا المعهد كان ثمرة طيبة من ثمرات طه حسين ، ولهذا فان قاعات هذا المعهد هى انسب مكان للاحتفال بعميد الأدب العربى » .

وقد ضم معرض الكتاب الذى اقامته هيئة الكتاب ، ودار المعارف ، والاهرام العديد من مؤلفات طه حسين فى طبعات مختلفة والعديد من الدراسات التى كتبت عنه .

وسام الفنون

وتتابعت أيام المهرجان على مدى الأسبوع بين مدريد وغرناطة فتحدث فى اليوم الثانى د . عبد الله الطيب مدير جامعة الخرطوم السابق عن «طه حسين فى نقد الشعر » .. مركزاً حديثه على كتاب « حديث الأربعاء » خاصة ، وما حفل من عرض منهجى لشعراء الجاهلية والاسلام .

وأعقبه د . شارل فيال من فرنسا ، فتحدث عن « طه حسين الروائى » عبر أعماله الروائية وسيرته الذاتية .

وتحدث دكتور رمضان عبد التواب عميد آداب عين شمس عن « طه حسين فى مجمع الخالدين » فالتقط الجانب الآخر فى طه حسين .. وهو جانب عضو المجمع اللغوى ودوره فيه وإسهامه فى بعث التراث وتوطيد اللغة العربية ..

وتحدث الدكتور انور لوقا « سويسرا » عن الأيام والغرب من رفاعة الطهطاوى الى طه حسين . وكان مسك الختام حديث الدكتور العلامة محمود علي مكي (جامعة القاهرة) وهو احد القلائل العرب الذين ترجموا الأدب الأسبانى الى العربية عبر ثلاثين عاماً من الدراسة والاقامة فى اسبانيا .. وهو احد القلائل ايضا الذين عينوا عضواً بالجمعية الملكية الأسبانية ، والذين حصلوا مؤخراً على وسام الدولة الأسبانية فى العلوم والفنون وهو صاحب كتاب « مدريد عربية » « ولوركا » وعشرات الدراسات عن الشعر الأسبانى .. والمسرحيات الأسبانية ..

وقد تحدث الدكتور محمود مكي عن « طه حسين والمتنبي » من خلال كتاب العميد « مع المتنبي » .

وتوالت عبر ايام الأسبوع كلمات الوفود فتحدث الشاعر العراقى عبد الوهاب البياتى عن التاثير الفكرى لطه حسين على حركة الشعر الحديث .

وتحدث كورنو لويس نيهلاند « هولندا » عن « دعاء الكروان رواية ذات رسالة » .

والقى الدكاترة عبد السلام المسدى « تونس » وهدى وصفى « مصر » بحثين عن طه حسين ومقولة الاجناس الادبية نموذج السيرة الذاتية و « اوديب بين أسطورة سوفو كليس وواقع طه حسين » .

وتحدث د . عبد الحميد ابراهيم «جامعة المنيا» عن الشكل القصصي عند العميد واختلاف تجربته من خلال اعماله شهرزاد ، وأوديب ، وشجرة البؤس .

شيخ المثقفين العرب

وفى مقر المعهد الأسبانى العربى للثقافة .. وهو مبنى عتيق من الطراز العربى الأصيل الذى تفوح من قاعاته الرحبة رائحة الشرق .. وتنتشر على جدرانه وسقوفه ونوافذه الرسوم والخطوط العربية القديمة بالوانها الزاهية اللامعة حتى اليوم ..

وفى قاعة المحاضرات الكبرى .. القى الدكتور بدرو مارتينث المستشرق الأسبانى العلامة الذى ترجم كثيراً من امهات الكتب العربية إلى اللغة الأسبانية ويقوم حالياً بترجمة مختارات من الشعر العربى الحديث .. القى بحثاً مطولا عن طه حسين كشخصية رائدة واساسية فى تاريخ الفكر العربى المعاصر واعتبره شيخاً للمثقفين العرب المعاصرين وشاهدا على عصره ، عاصر اهم فترات بناء مصر الحديثة ليس فقط فى المجال النظرى والفكرى ، ولكن فى الحياة اليومية ، مؤكداً ان الحضارة المصرية والعربية هى التى انجبت طه حسين .

وفى صباح الخميس الثامن والعشرين من ابريل .. عقدت ندوة كبرى فى جامعة مدريد المستقلة ادارها د . بدرو ، واشترك فيها الدكاترة : محمود علي مكي ، وماركوس مارين ، وصلاح فضل عميد المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، وكارمن رويث من جامعة مدريد .

وفى مســاء نفس اليوم .. واصلت الندوة احتفالاتها فتحدث دكتور محمــد برادة « المغرب » عن مفهوم الحداثة عند طه حسين ، حيث عرض لهذا المفهوم من خلال كتابين هما « حافظ وشــوقى » و « حديث الأربعاء » باعتبار ان الحداثة عنصر اساسي فى إشكالية النهضة العربية منذ بدايتها حتى الآن .

اما الدكتور كمال ابو ديب « الأردن » ، والدكتور جابر عصفور « القاهرة » فقد القيا بحثين جديدين أثارا كثيراً من اللغط بين المحتفلين . حيث تحــدث ابو ديب عن « شعريات للسمع » شارحاً الفرق بين التاليف البصرى الذى يعتمد على المشاهدة والتاليف السمعي الذى يعتمد على السماع ، وطبق ذلك على نتاج طه حسين الأدبى .

وتحدث جابر عصفور عن طه حسين والمرايا المتجاورة ومدى انعكاس الصــور الادبية فى عالمه الخيالى .

والقي د . محمود صبح « فلسطين » بحثاً عن طه حسين وثقافة البحر الابيض المتوسط باعتبار ان هذا البحر ضفاف عربية حملت إلى الغرب ثقافة العرب كما حملت إلى العرب ثقافة الغرب .

غرناطة مملكة القرنفلة

وفى اليوم الخامس للندوة الدولية .. سافرت الوفود المشتركة إلى غرناطة بدعوة من جامعتها .. حيث قامت بزيارة قصر الحمراء ، تحفة العرب الخالدة الشماء التى تطل على ميدان البيازين الشهير ، والذى تنتشر على جدرانه العالية ايات القرآن الكريم ، وابيات من الشعر لابن الخطيب وغيره من شعراء الأندلس ..

وغرناطة .. مهد لوركا .. شاعر اسبانيا الكبير .. ومعناها القرنفلة ، وهى رمز هذه المدينة التى تفوح فى اجوائها رائحة الخضرة والزهور النادرة .. وتحتضنتها من كل جانب القلاع والحصون العربية الرابضة كانها اطلال العرب الخالدة مع العصور .. والتى اوحت لجمالها وطبيعتها الخلابة لكثير من الشعراء باروع القصائد التى يجرى فى عروقها الدم العربى امثال « مانويل » الذى يقول معترفاً بذلك :

.. أنا من جنس عربى .

جنس كان صديقاً قديماً للشمس .

وروحى هى روح الزنابق العربيــــة الأسبانية .

وفود المؤتمر

- الدكتور عبد الله الطيب : مدير جامعة الخرطوم .
- الدكتور انور لوقا : جامعة جنيف .
- الدكتور والمستشرق الأسبانى بدرو مار تينث : اسبانيا
- عبد الوهاب البياتى : المستشــار الثقافى لحكومة العراق فى مدريد .
- كورنو لويس نيهلاند : عن جامعة امستردام بهولندا
- عبد السلام المسدى : جامعة تونس
- د . كمال ابو ديب : جامعة اليرموك بالأردن
- د . محمد برادة : جامعة المغرب
- د. محمود صبح : فلسطين
- دكتور انطونيو جاييجو : مدير جامعة غرناطة .
- الدكتور الأب داريو كابانيلاس رئيس قسم اللغة العربية بجامعة غرناطة .

ومثل جارسيا لوركا .. ابن احدى قرى غرناطة « فونتى فاكيروس » والذى يقول واصفاً موطنه غرناطة : « اما غرناطة فتقوم على جبلها وحيدة منفردة منعزلة لا منفذ لها تطل منه على العالم إلا من اعلى من قبل السماء والنجوم » .

وتحت رذاذ المطر المتواصل والسماء الملبدة بالسحب وقطرات البرد .. اقيم اليوم الختامى السادس لندوة طه حسين الدولية حيث اقيم الاحتفال فى مبنى المدرسة العربية العتيقة الملحق بجامعة غرناطة فالقى الدكتور انطونيو جاييجو مدير الجامعة كلمة ترحيب بالوفد وبصاحب الذكرى ، واعلن منح جامعة غرناطة الدكتوراه الفخرية لطه حسين التى تم التوقيع عليها اليوم احتفالا بهذه الذكرى الغالية .

والقى الدكتور صلاح فضل المستشار الثقافى المصرى فى مدريد رسالة الدكتور جارثيا جومث تلميذ طه حسين وصديقه الذى تحدث عن هذه الصداقة فى كلية الآداب بالقاهرة ، حيث تعلم من طه حسين الكثير ، وكم تمنى لو حضر العميد منذ سنوات ليتسلم بنفسه الدكتوراه الفخرية ، ومن شروطها حضور صاحبها ليتسلمهــا بنفسه ، ولكن الجامعة اعفت طه حسين من هذا الشرط الأساسى واعلنته بذلك .

وفى الختام القى الدكتور احمد هيكل عميد كلية دار العلوم كلمة جامعة القاهرة فتحدث عن « جانب الجامعية » عند طه حسين .. وكيف كان جامعياً بمعنى الكلمة يحرص على كرامة الجامعة وكرامة استاذها ، ويحرص على حرية الطلاب .. ولا يخضع لغير إرادته ومصلحة الجامعة العليا ..

● ●

واخيراً .. انتهت الندوة الدولية لذكرى طه حسين العاشرة بعد ستة ايام متوالية ، تحت سماء مدريد ، وغرناطة وقد تالق وجه عميد الأدب العربى عبر الافق .. يرى كيف يحتفل الغرب بذكراه وفضله .. وكان روحه تحلق عبر الربوع العربية العريقة يدور حول الديار ويتنسم عبير الماضى وهو يردد بيت الاحوص الاثير لديه :

ادور ولولا ان ارى ام جعفــر بابياتكم مـــادرت حيث أدور !

فتحي سعيد ـ مدريد

بعض العظماء وصلوا إلى القمّة بعد السبعين

الشيخوخة

ليست نهاية الشباب!

بقلم: د. عزالدين فراج

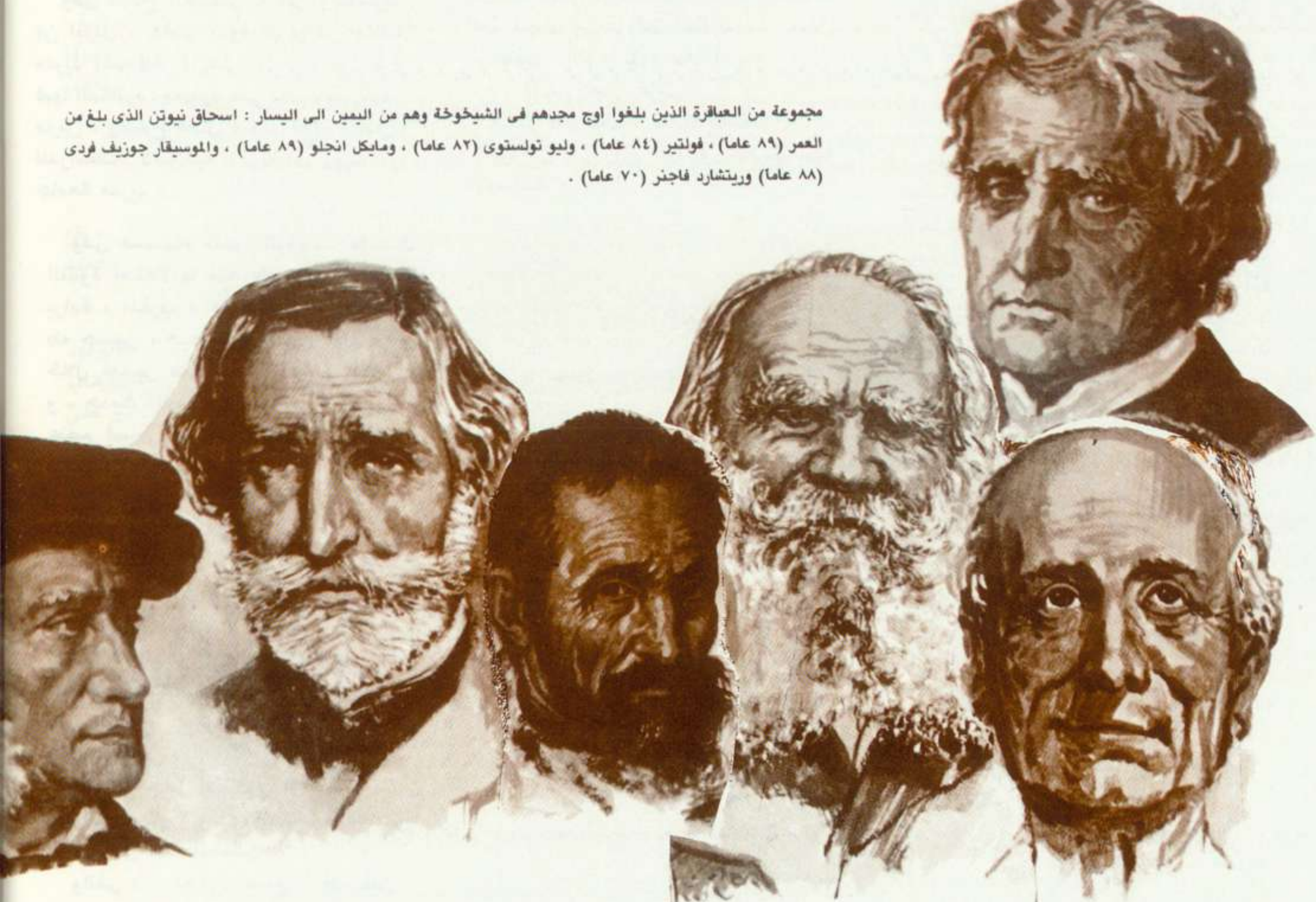
أعمار الناس لا تقاس بالسنوات ، فهذه الصفحات التى نقطعها من مفكرة الحائط كل صباح بأسمائها وأرقامها لا تعنى سوى مجرد نظام صنعناه نحن بايدينا ، نحدد بها حياتنا وعلاقتنا بهذا الكون الواسع وكل ما يحدث فيه . قالوا ان العمر ساعات وان للحياة مقاييس زمنية . وكل هذا صنعناه بانفسنا .. صنعناه لنحدد حياتنا بالدقائق والساعات التى حولت الحياة البسيطة الى الة معقدة .

نسينا أن عمر الانسان هو ما يشعر به من حيوية ونشاط يدفعه الى الاقبال على الحركة والعمل وما يشعر به الانسان على قدرته على التركيز والتفكير .

وللشيخوخة مظهران ، مظهر بدنى يتعلق بحالة الجسم وشكله ، ومظهر نفسانى يتعلق بالمشاعر وحالة النفس ، ومن المظاهر الجسمانية، فالجلد يبدأ فى الجفاف منذراً بتكوين التجاعيد ، والشعر يصير رمادياً وفى معظم الأحيان رفيعاً . أما العين فتاخذ عدستها فى التعتم كما يفقد الجهاز السمعى بعض كفاءته. وبالاضافة الى ذلك يميل الجسم إلى السمنة في حين تنكمش العضلات وتتيبس المفاصل وربما تتورم .

وبخلاف ما تقدم فان الأجهزة الداخلية فى الجسم يصيبها ضعف القلب وضعف كفاءته تدريجياً وتصبح الأوعية الدموية اقل ليونة ، ويضعف نشـــاط الرئتين والكليتين .

مجموعة من العباقرة الذين بلغوا اوج مجدهم فى الشيخوخة وهم من اليمين الى اليسار : اسحاق نيوتن الذى بلغ من العمر (٨٩ عاما) ، فولتير (٨٤ عاما) ، وليو تولستوى (٨٢ عاما) ، ومايكل انجلو (٨٩ عاما) ، والموسيقار جوزيف فردى (٨٨ عاما) وريتشارد فاجنر (٧٠ عاما) .



وليت الأمر يقتصر على ذلك بل تضعف مقاومة الجسم للأمراض المعدية ويصبح لقمة سائغة لها ، فضلا عما يتربص له من أمراض كتصلب الأوعية الدموية والسكر والسرطان .

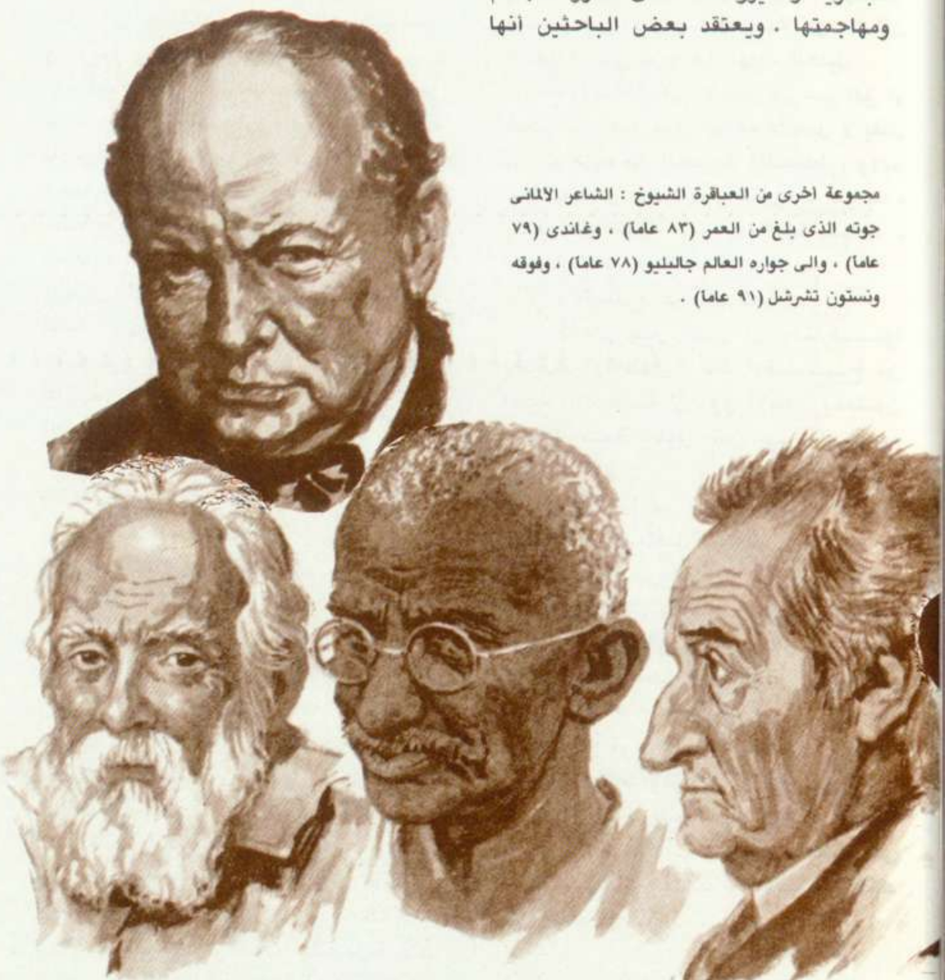
ويرى بعض الاخصائيين أن الشيوخ عرضة للاصابة بالاضطرابات العاطفية وضعف الذاكرة والشعور بالضعف العام والميل الى العزلة . وتعتبر هذه الأمراض من الأمور العادية ولا تحتاج لعناية خاصة وإن كان بعض الأطباء يخالف هذا الرأى. وفى اعتقاده أن الرعاية الطبية لهؤلاء الشيوخ قد تمنع تدهورهم .

إطالة العمر

والانسان يشيخ بسبب ضعف جهازه المناعى . فالأجسام المضادة وبعض كريات الدم البيضاء التى ينتجها الجهاز المناعى قد أودع فيها المولى قدرة التعرف على البكتريا والفيروسات التى تغزو الجسم ومهاجمتها . ويعتقد بعض الباحثين أنها تقوم أيضاً بمعرفة وتدمير الخلايا السرطانية الأولية عند ظهورها فى الجسم . ولكن عندما يتقدم الانسان فى العمر فان هذا الجهاز المناعى يفقد القدرة على التفرقة بين ما هو عدو وما هو صديق . ويقرر الدكتور « روى ولفورد » أن انتاج الأجسام المضادة لا يضعف مع تقدم السن فحسب بل ان الأجسام المضادة الذاتية ـ التى تهاجم أنسجة الجسم نفسه ـ تأخذ فى الزيادة .

لذلك لا غرابة أن تجرى الأبحاث بهدف اعادة هذا الجهاز المناعى الى حالته الطبيعية . من ذلك ما قام به الدكتــور ماكينودان من تعريض صغار الفئران للعدوى بالميكروبات لحثهم على انتاج خلايا ليمفاوية . وعندما حقن هذه الخلايا فى فئران كبيرة وجد أنها اكتسبت مناعة ضد جرعات مميتة من البكتريا لمدة أشهر ويرى هذا الطبيب أنه يمكن للانسان تخزين بعض الخلايا الليمفاوية وهو شاب فى حالة تجمد والاستفادة بها عندما يكبر فى تنشيط جهازه المناعى .

كما يقول أن الفيتامين دال ـ وهو عامل ضد الأكسدة قد يطيل الأعمار .



مجموعة أخرى من العباقرة الشيوخ : الشاعر الألمانى جوته الذى بلغ من العمر (٨٣ عاما) ، وغاندى (٧٩ عاما) ، والى جواره العالم جاليليو (٧٨ عاما) ، وفوقه ونستون تشرشل (٩١ عاما) .

الحرارة والانسان

وقد لا يقل أهمية عن الغذاء ما شاهده الدكتور « الكسندر ليف » بطب هارفارد ـ وقد قضى سنتين بين سكان تلك المناطق ـ عن وضع المعمرين بين السكان . لقد أوضح فى تقريره أن هؤلاء المعمرين يتمتعون بمكانة اجتماعية محترمة بين السكان وأنهم مع تجاوزهم المائة عام مازالوا يمارسون بعض الأعمال ولا يعترفون بما يسمى (بالاحالة إلى المعاش) وهؤلاء المسنون يقدرون أهمية الحياة الهادئة الخالية من كل ما يكدرها .. ويقرر الدكتور « ليف » أن الناس هناك يأملون أن تكون حياتهم أطول من ذلك . وأن من يعيش حتى المائة عام يعتبر فى نظرهم شيئاً عادياً .

ومن العوامل البيئية المعروفة منذ زمن والتى تطيل العمر ـ على الأقل فى حيوانات الدم البارد ـ خفض درجة حرارة الجسم . وقد تمكن أحد الباحثين من مضاعفة عمر بعض الأسماك عندما خفض درجة حرارة الوسط الذى تعيش فيــه بمقدار ٥ ـ ٦ درجات . وعلى هذا الاساس يرى الدكتور « سترهلر » أن تخفيض درجة حرارة جسم الانسان بمقدار درجة أو درجتين ـ ربما بالعقاقير ـ قد يضيف الى عمره من ٢٥ ـ ٣٠ سنة .

هوايات التقاعد

وثمة شىء آخر : عليك منذ حداثتك أن « تضع عينيك » على هواية تستمتع بها بعد التقاعد ، فلا يخطرن ببالك أنك ستسعد فى تقاعدك بقضاء السنوات فى لف أحد ابهاميك حول الآخر ، أو فى عد حبات المسبحة ، وأنت تحملق فى السماء أو فى المــــاء .

ومن الهوايات الجميــــلة القــراءة ، والموسيقى ، وصنع السجاد ، والرسم ، وجمع طوابع البريد ، وعلم الحشرات ، وما الى ذلك .

وهناك خطأ شائع جداً ، هو أن التقاعد يقصر العمر ، ويذكرون مثلا لذلك حالات

الشيخوخة

ليست نهاية الشباب!

رجال كانوا باتم صحة وهم يعملون ، فلما تقاعدوا لم يمهلوا طويلا حتى ماتوا .

وتعليل ذلك عندى يسير : فان طول مدة العمل تضعف المقاومة ، فاذا توقف الانسان مرة واحدة عن العمل ولم يكن عنده ما يشغله اطلاقاً - كالهوايات التى ذكرت آنفاً - كان ذلك أشبه بنزول الشخص من القطار وهو يجرى باقصى سرعته . ذلك ان أجهزته كلها معقودة على روتين مجهود معين بسرعة معينة . فايقافه فجاة يحدث هزة شديدة ، هى التى تسبب ذلك الانطفاء السريع بالوفاة ، أو بالعته .

احذر الغضب

من بين هذه الميادين ، التحذير من السلوك العصبى باعتباره إحدى الطرق المؤدية الى الشيخوخة المبكرة للوجه ولكل أعضاء الجسم تقريباً . فالانسان العاجز عن مواجهة مشاكل الحياة بهدوء وتعقل ، يخسر مع كل انفعال بعض قدرات قلبه واعصابه .. والأجهزة الطبية خير شاهد على هذه الحقيقة .. فالغضب يرفع ضغط الدم فى الحال .. ولا يعود الى حالته الطبيعية ، إلا عندما يعود الهدوء الى العقل والجسم .. وتلك ظاهرة تؤدى مع تكرارها ، الى نتائج خطيرة تهدد القلب وشرايينه .. وأفضل السبل للوقاية من شيخوخة القلب والشرايين ، تكمن فى التدريب على تحمل مشاكل الحياة دون ثورات عطبية متلاحقة .. ومقاومة اغراء الطعام الحافل بالمواد الدهنية .. والاقتناع بأن النصيحة القديمة المتعلقة بضرورة اعطاء الجسم حقه من الحركة والنشاط ، حتى لو تم ذلك عن طريق (المشى) داخل الشقة التى نعيش فيها .

وممارسة الرياضة البدنية تكسب الانسان صحة وتساعد الشيوخ على التخلص من زيادة الوزن . فضلا عن الفوائد الأخرى العديدة .. من ذلك زيادة قدرة الانسان على أخذ كميات كبيرة من الاكسجين - هذا أدق مقياس لحيوية الجسم - ورفع كفاءة الدورة الدموية من قلب وأوعية وتجنب الاضطرابات العصبية .

ومن الالعاب الرياضية التى تناسب الشيوخ المشي والسباحة وغيرها . على ان يكون لها خطة مرسومة تلائم قدرة الشخص .

مخاوف الشيخوخة

وعلى الشيوخ أن يستشيروا أطباءهم بصفة منتظمة لاكتشاف الأمراض في أولها وقبل استفحالها لأن أجسامهم لا تقوى على تحمل وطاة الأمراض كاجسام الشباب .

ويبدو أن أسعد الشيوخ حظاً وربما أطولهم عمراً من خططوا لشيخوختهم مسبقاً ، بحيث يظلون محتفظين بنشاطهم ممارسين لهواياتهم .. وتبقى الصلة باهلهم واقاربهم وأصدقائهم .

والتدخين وتناول الخمور ، وفضلا عن علاقة التدخين بسرطان الرئة والاصابة بالامراض القلبية،فان له دوراً فى تقصير العمر . وتشير الدلائل الحديثة الى أن كثرة التدخين تساعد على ظهور التجاعيد الجلدية قبل أوانها وخاصة حول العين ويعزى ذلك إلى عدم وصول الدم بكميات كافية لانقباض الشعيرات الدموية بفعل النيكوتين . وقد يؤدى نفس السبب إلى خلل فى الدورة الدموية بالاطراف وظهور آلام بها .

والخوف الذى يعسر على الطبيب أو الفيلسوف علاجه هو الخوف من الشيخوخة ذاتها برغم أن الكثير من الأعمال النافعة فى هذه الدنيا يقوم بها رجال ونساء أوغلوا فى العمر . ونحن نرى كثيرين حولنا جاوزوا السبعين بل والثمانين ، يعيشون أصحاء سعداء راضين .

والخوف من الشيخوخة خوف مركب يتضمن الخوف من العجز البدنى أو الاضطراب الذهنى أو الاحساس بالوحدة . ولكن هذه المخاوف يمكن التغلب عليها بقوة الخلق والايمان . وفوق مكتب الجنرال ماك آرثر ، لافتة كتب عليها : « الشباب ليس حقبة من العمر .. إنه حالة من حالات العقل .. فانت شاب بقدر ايمانك وشيخ بقدر شكك ، شاب بقدر ثقتك بنفسك ، وشيخ بقدر خوفك ، وشاب بقدر رجائك ، وشيخ بقدر يأسك » . وهذا صحيح إلى حد كبير .

احفظ شبابك فى وقت الشباب . احتفظ به إنه ذخر الكهولة وزاد الشيخوخة ، واقتصد بما تنفقه من شبابك ، ولا تحسبه ينبوعاً دائماً . إنه ينبع إلى حين ، فاذا انقضى، تطلبه فلا تجده فتندم .

القواعد الذهبية

ولكى تحفظ شبابك وحيويتك وتؤخر شيخوختك فعليك بالقواعد الذهبية التالية

١) العمل على طرد المشاغل المحزنة والاكثار من المرح والسرور .

٢) أخذ القسط الواقى من النوم والراحة البدنية . والنوم العميق لا يتاتى الا بطرد الأفكار المقلقة وعلاج عسر الهضم

٣) التغذية الصحية بلا اسراف او تقتير .

٤) الرياضة البدنية ، واجبة وأهمها السير على الأقدام ، وخاصة فى الاماكن الخلوية التى يسودها الهواء العليل .

٥) الاشتغال فى الأعمال فى غير قلق أو ضجر أو ارهاق فوق الطاقة فالعمل لا يقتل بل هو يزيد من الحيوية والنشاط ، ولابد للمتقاعد عن الأعمال أن تكون له هواية ، يشغل بها نفسه ، ويجدد بها نشاطه ، فالحياة بغير عمل كالماء الراكد .

٦) الامتناع عن التدخين .

٧) على كبار السن أن يختلطوا بالشباب والأطفال ، فقد اتضح من احصاءات علمية أن ذوى الأطفال يعيشون بصحة جيدة أطول ممن ليس لديهم أطفال .

٨) انس الماضى ، وانظر إلى الحاضر ، وتطلع إلى المستقبل في أمل ورجاء .

ويهتم دكتور « ليزل جريز » الخبير النفسانى العالمى بالحالة النفسية للمسنين فيرى ان المسن لا يجب أن يشعر بان نهايته هى الموت ،بل يجب أن يعمل ولا يعتبر كبر السن مرضاً .

وأخيراً تذرع بالايمان بالله .. واقبل الحياة بحلوها ومرها .. وتذكر دائماً أن الورد الجميل به شوك ، فلا ورد بلا شوك ، ولا حياة بلا شوك .. بهذا كله تحافظ على صحتك وشبابك ونفسك ومشاعرك وراحتك أطول مدة من حياتك .

د . عز الدين فراج

دائرة المعارف القرآنية



بقلم: الدكتور محمد البهي

أداء الواجبات

يقول القرآن الكريم : «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها» .

صدق الله العظيم

المقصود بأداء الأمانات هنا : هو أداء الواجبات التى يسأل عن أدائها كل مؤمن أمام الله أولا وبالذات . فالعامل مسئول عن أداء الأمانة لديه . وهى أداء واجبه فى العمل ، كما ، وكيفا .

ورب العمل مسئول عن أداء الأمانة لديه . وهى أداء واجبه فى الأجر على العمل حسبما اتفق عليه ، أو حسبما يجب .

والزوجة مسئولة عن أداء الأمانة لديها ، وهى واجبها نحو زوجها ، وأسرتها وأولادها .

والزوج مسئول عن أداء الأمانة لديه وهى واجبه فى الانفاق ، والرعاية والوقاية لزوجته وأولاده وأسرته .

والموظف مسئول عن أداء الأمانة لديه . وهى واجبه فى توصيل الخدمات لأصحابها ، فى غير بطء أو اهمال .

والوالى على اختلاف درجاته مسئول عن أداء الأمانة . وهى واجبه فى وظيفته . وهكذا .

والأمر بأداء الأمانات الى أهلها مبدأ يتميز به الاسلام عن نظم الحكم المعاصرة . إذ هو يرى : البداية والمنطلق لكل مؤمن يؤمن بالله ليس فى تحصيل الحق الذى له عند الغير .

وإنما فى أداء الواجب الذى هو عليه لغيره . وبأداء الواجب يصل الحق الى صاحبه . فالواجب ، والحق اعتباران ، أو وجهان لشىء واحد . فالأجر على العمل حق للعامل ، وفى الوقت نفسه واجب على رب العمل . والعمل حق لصاحب العمل ، وفى الوقت ذاته واجب على العامل . فاذا أدى العامل العمل وهو واجبه ، وصل هذا العمل الى صاحبه ، وهو حقه . واذا دفع صاحب العمل أجر العمل وصل حق العامل عن العمل الذى أداه وهو حقه أيضا .

فالمطالبة فى الاسلام بأداء الأمانات أو الواجبات هو المنطق الطبيعى فى ارتباط الناس بعضهم ببعض ، وفى قيام المجتمع ، وفى استمرار بقائه .

أما المطالبة بالحقوق أولا فهى عكس هذا المنطق . لأنها تشعر بأن ما يسمى بالحقوق أمور مفروغ منها . مع أنها أمور مرهونة بأداء المقابل لها . ثم فى الوقت نفسه تحمل على التراخى فى أداء هذا المقابل .

ولكن المطالبة بأداء الواجب : توجه كل نفس مسئولة الى مباشرة الأداء أولا لهذا الواجب ، على أنه واجب يؤدى ، وأنه لا مفر من المسئولية عن أدائه ، وأمام الله أولا ، قبل أن يكون أمام الضمير ، أو أمام الرقيب عليه .

وبأداء الأمانات جميعها وهى الواجبات تصل الحقوق الى أهلها بدون تراخ .. لأنها هى ذاتها حقوق ، باعتبار أن للآخرين حقا متعلقا بها .

والمسئوليات عن أداء الواجبات هى مسئوليات مضاعفة :
مسئولية أمام الله ،

ومسئولية أمام ضمير المؤدى لواجبه

ومسئولية، أخيرة أمام الرقابة الخارجية المباشرة .

وكل هذه المسئوليات الثلاث تؤرق من لديه أمانة ، ولا يؤديها الى أهلها فى وقتها المناسب .

والأخذ بنظام الاسلام فى الحكم يبعد ما درج الناس على تسميته بالتسيب ، أو الاهمال ، أو التواكل .

ولكن الأخذ بنظام الاسلام ليس مواد تصاغ فى تشريعات تصدر . وإنما هو تربية وصياغة للانسان المؤمن ، بحيث تتكفل ذاته بالايمان وبالالتزام ، وبأداء الواجب الذى نيط به . فالمؤمن ديمومة من الحركة الموجهة للبر والتقوى ، لنفسه وللأمة كلها .

حتى لا ننسى :

المخطط الإسرائيلي في قلب البحيرة المغلقة

نبيل خالد الأغا

تمثل هذه اللوحة البانورامية الخلابة جانباً من شاطىء البحر الميت ساعة شروق الشمس ، وانتشارها على ربوع وطننا الفلسطيني السليب .

والبحر الميت ليس «بحراً» بمعناه العلمي الدقيق ، إنما هو «بحيرة» مغلقة تقع على الحدود بين الأردن شرقاً وفلسطين غرباً . وتعرف المنطقة الممتدة من البحر الميت حتى خليج العقبة جنوباً باسم وادى عربة ، بينما تعرف المنطقة الممتدة منه حتى بحيرة طبرية شمالا باسم وادى الأردن .

وقد قامت بالمنطقة المحيطة به مجتمعات بشرية عديدة فى فترات زمنية سحيقة . ولعل أوضحها فى الذاكرة الانسانية مجتمعات المعصية فى مدينتى الاثم والمنكر سدوم وعمورة ، حيث غرق أهلهما فى مستنقع الخطيئة التى لم يسبقهما اليها أحد من العالمين . ولما لم يستطع سيدنا «لوط» هدايتهم واصلاحهم انتقم الله منهم «فأخذتهم الصيحة مشرقين ، فجعلنا عاليها سافلها ، وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل» . ويقال بان الأرض تحولت بعدئذ الى ملح اجاج ماتت فيه الحياة .. ومن هنا أطلق عليه الاغريق «البحر الميت» ، وأسماه اليهود «بحر الملح» ، ودعاه الرومان «بحر الاسفلت» ، بينما عرفه العرب ب «بحيرة لوط» .

والبحر الميت مستطيل الشكل تقريباً ، ويبلغ طوله ٧٦ كم ، وعرضه ١٦ كم ، ويصل عمقه الى ٣٠٠ م ، ويبعد عن القدس مسافة ٢٤ كم ، وحوالى ١٤ كم عن مدينة أريحا .

ويمتاز البحر الميت بعدة ميزات خاصة ، فهو أكثر نقاط الكرة الأرضية انخفاضاً ، حيث يصل عمقه الى ما يزيد عن ٣٩٠ متراً عن مستوى سطح البحر الأبيض المتوسط .

اضافة الى ذلك فان حرارة الطقس فى المنطقة مرتفعة جداً يصل حدها الأقصى الى ٥١ درجة مئوية صيفاً ، وبسبب ذلك فان المرء يلاحظ بعينه المجردة تشكل طبقات ضبابية كثيفة على سطحه نظراً لتبخر مياه الطبقة العليا من البحر .

ويعتبر نهر الأردن المصدر الأساسى لتغذية البحر الميت بالماء العذب ، اضافة الى أربعة جداول صغيرة . تبلغ كمية المياه الاجمالية حوالى ١٩٠٠ مليون قدم مكعب تصب كلها سنوياً فى البحر الميت ، غير أن شدة حرارة المنطقة سرعان ما تتولى تبخير الكم الأعظم منها .

ونتيجة لهذا التبخر الكثيف فقد تخلفت فيه كميات كبيرة من الأملاح المعدنية التى لا تسمح لأى كائن حي بالحياة فيها باستثناء بعض أنواع البكتيريا !

أما بشأن الأسماك التى يسوقها الحظ العاثر ، وتنجرف مع تيار نهر الأردن فسرعان ما تختنق بعد لحظات من ملامستها مياه البحر الميت ، ومن ثم تتحول الى طعام شهي للطيور الحائمة على السطح .

وإذا أجرى المرء دراسة مقارنة لنسبة الأملاح التى يحتويها ماؤه ، فسيثبت لديه بأن نسبة ملوحة البحر الميت تصل الى ٥٥ بالمائة ، وهى الأكثر فى عالم الماء ، أى تزيد تسعة أضعاف عن ملوحة المحيطات التى تبلغ ٦ بالمئة فقط !

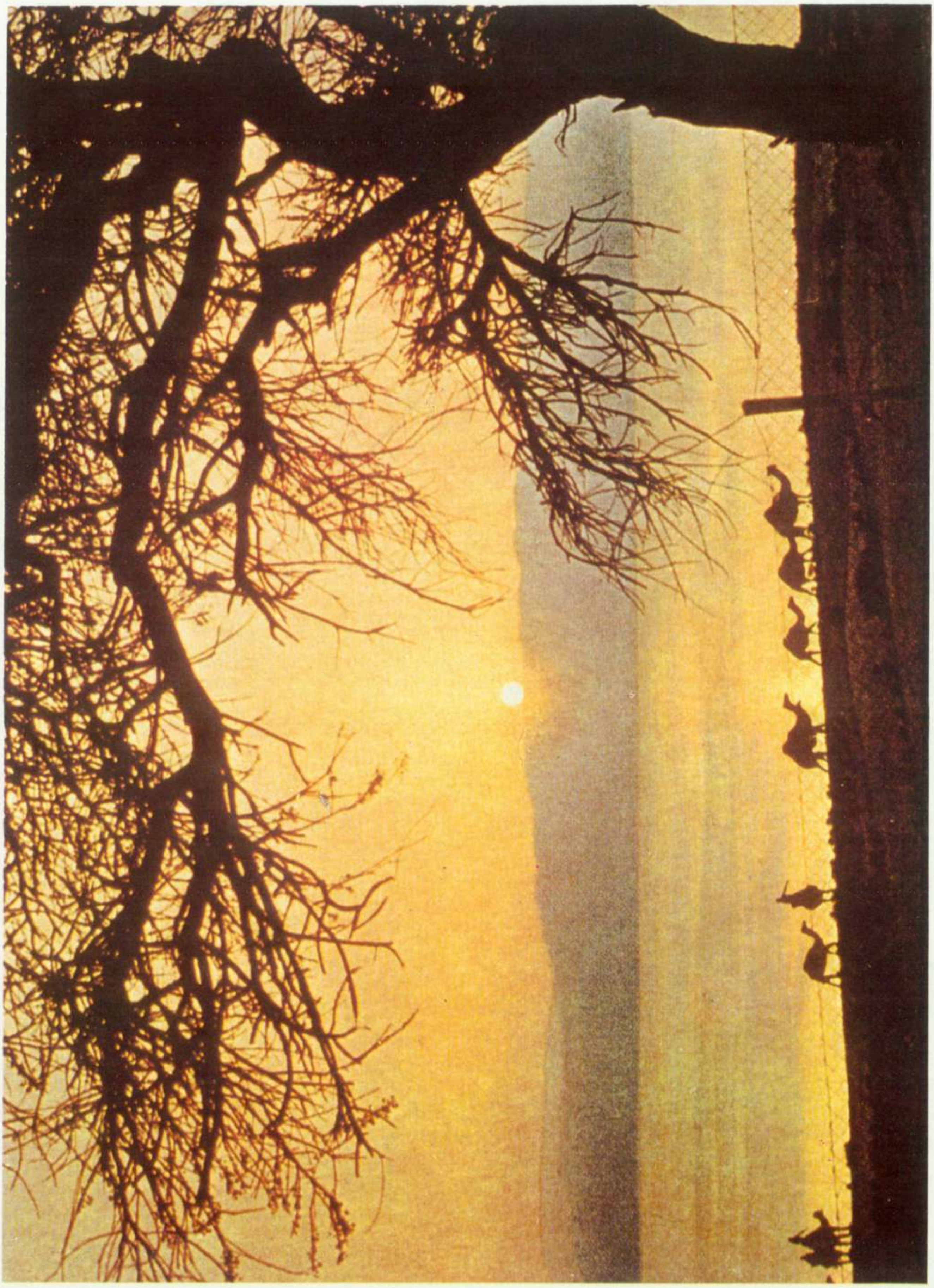
والذى يريد السباحة فى البحر الميت فانه يستطيع براحة تامة أن يقرأ صحيفته وهو مستلق على ظهره فوق سطح الماء ، لكنه لو أراد أن يمارس فن العوم فلن يستطيع أن ينزل كتفه بسهولة تحت الماء ، لأن المياه الثقيلة تعاكسه وتدفع جسمه الى السطح بصورة تلقائية .

أما بشأن الثروات المذهلة فيه فحدث عنها ولا حرج ، فقد قدرها المختصون بأنها تفوق ثروة الولايات المتحدة الامريكية ، ففيه كميات هائلة من كلوريد البوتاسيوم ، وبروميد المغنيسيوم ، وكلوريدات الصوديوم ، والمغنيسيوم ، والكالسيوم ، إضافة الى انواع أخرى وفيرة من المعادن والعناصر .

وكعادة اسرائيل ، فهى تسعى دوماً لانتهاز الفرص المتاحة لها ، وتثبيت دعائم وجودها فى فلسطيننا العربية المحتلة ، وقد عمدت من جانبها الى استغلال طبيعة البحر الميت حيث أنشأت عدة مصانع على الضفة الغربية منه ، ، وتعمل الآن بمثابرة وجدية على إحياء مشروع صهيونى قديم لشق قناة ضخمة تصل البحر الأبيض المتوسط بالبحر الميت تعود عليها بفوائد عظيمة ، وعلى الأردن وفلسطين بمصائب عظيمة أيضاً .

والقناة المفترحة ستبدأ من ـ شاطىء ـ قطاع غزة المحتل غرباً ، وتمر بجنوب بئر السبع لتصل الى البحر الميت ، حيث يبلغ طولها ١١٠ كم . وحين يكتمل المشروع (لا قدر الله) فستستفيد اسرائيل من ثمرات مشروع هيدروكهربائى ضخم ، وفى تبريد محطات الطاقة الكهربائية والنووية ، اضافة الى انشاء بحيرة صناعية كبيرة ، وزيادة الدخل السياحى ومكتسبات أخرى كثيرة لا يتسع المجال لذكرها . لكنها تبقى فى النهاية مؤشراً خطيراً على تثبيت الوجود الصهيونى الدخيل فى منطقتنا العربية ، وحافزاً أيضاً لكل العرب والمسلمين من أجل العمل الجاد لتقويض المخططات اليهودية الاجرامية ...

نبيل خالد الآغا



لوحة خلابة تمثل جانبا من شاطيء البحر الميت ساعة شروق الشمس



المسجد الأقصى

رحلة تاريخية بين البطولة والمحنة

بقلم: حسني شحادة

فى مثل هذا الشهر منذ ستة عشرة عاماً أحتل العدو الصيهونى مدينة القدس ... ومنذ ذلك التاريخ الحالك السواد ومدينة السلام تواجه هذه الطغمة الظالمة التى أصبحت تسيطر على كل شبر فى المدينة الخالدة ، بما فى ذلك المسجد الأقصى الذى يرنو إلى صلاح الدين الأيوبى متطلعاً إلى منقذ يعيد إليه الحرية التى حاصرتها فلول الغزاة !

قبة الصخرة المشرفة وجبل الزيتون فى قلب مدينة القدس التى مازالت اسيرة الاحتلال الصهيونى



المسجد الأقصى



شارع فى القدس القديمة بعد احتلالها عام ١٩٦٧ .. وإلى اليسار لقطة لجزء من قبة الصخرة محلى بالخطوط والزخارف الاسلامية

فى بيت المقدس الشهداء وحدهم الأبطال ، والدماء دوماً هى الأغلى ، والشهداء هم الاعلون ، لذلك كانت القدس جدة التاريخ ، تحكى للأبناء قصة الأرض المقدسة . جبالها عالية باباء ، ووديانها سحيقة ، وماؤها عذب ، وهواؤها نسيم عليل ، وعواصف هوج ، وأهلها قوم جبارون ، ينطلق منها الفداء مجاهداً ، فيتراجع الظلم وينهزم الاعداء وتنفلت من الاسر ، فتطارد الذين خذلوها ، وتضرب طاعنيها وتنتصر .

القدس مدينة تاريخية ، من أقدم المدن التى عرفها التاريخ ، انها ليست بنت قرن من القرون ، أو وليدة عصر من العصور ، وانما هى بنت الأجيال المنصرمة كلها ، ورفيقة العصور الماضية جميعها ... من اليوم الذى سطر التاريخ فيه صحائفة الأولى الى يومنا هذا ...

إنه لتاريخ مجيد ، تاريخها ، ذلك لأنها صمدت لنوائب الزمان بجميع انواعها ، وطوارىء الحدثان بجميع الوانها ، حتى انه لم يبق فاتح من الفاتحين ، أو غاز من الغزاة المتقدمين والمتاخرين إلا ونازلته ... وظلت قائمة على هذا الوجود ... وظل اسمها مذكوراً فى طليعة المدن ، لأنها بيت بنته الانبياء ، وعمَّره المؤمنون ، ففى كل شبر فى بيت المقدس مسجد نبى ، فهى مدينة تحن اليها الجنة ، وأهلوها دوماً ينشدون : ياريح الجنة هبى .. ويانصر الله اقترب .

القدس سجل يضم واقعاً امتزجت فيه القرون ، فكانت ولا تزال ملحمة جهاد امتدت فى اعماق التاريخ الانسانى ولاتزال تمتد فى آفاق المستقبل ، فحجارة القدس القديمة تحكى قصة الانسان مذ كان ، فمنها انبلج فجر معارفه ، ومن آفاقها امتلأت سماء الدنيا بالايمان ، فكانت ملتقى الاديان السماوية الثلاثة ، لذلك كانت مطمع الباغين منذ اقدم العصور ،



جـــاؤوا اليهـــا جحافل تترى ... أربعون مرة تنتقل من يد الى يد ، استهدفت لكل ضروب التدمير ولكنها لم تقل قاسيت من ظلم الزمن ، لأن قلبها الطافح بالعزم ، تخطى كل صعب وانتصر .

المسجد الاقصى

أطلق اسم (١) المسجد الأقصى فيما مضى على الحرم القدسى كله وقد اقتبسه المسلمون من حادثة الاسراء ، يوم اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، وفى ذلك نزلت الآية الكريمة ، وهى الآية الأولى من سورة الاسراء :

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله ، لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » (٢) .

فصار هذا المسجد مقدسا لدى جميع المسلمين ، فهو أولى القبلتين ، إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يولى وجهه ، وهو يصلى شطر الأقصى ، حتى نزلت الآية الكريمة :

« ... وماجعلنا القِبْلَةَ التى كنْتَ عليها إلا لنعلَمَ مَنْ يتَّبِع الرسولَ مِمَّن ينقلبُ على عقبَيْه وإن كانت لكبيرةً إلا على الذين هَدَى اللهُ وما كان اللهُ ليُضِيعَ ايمانَكُم إن الله بالناسِ لرؤوفٌ رحيمٌ » (٣) .

« قد نرى تقلُّبَ وَجْهِك فى السماءِ فلنولِّينَّك قِبْلَةً ترضاها فولِّ وجهَكَ شَطْرَ المســجدِ الحرامِ وحيث ماكنتم فولّــوا وجوهَكُم شَطْرَه وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون » . (٤) .

والمسجد الأقصى هو ثالث الحرمين الشريفين ، اللذين خصهما الله بالشرف والتعظيم : المسجد الحرام بمكة المكرمة ،



منبر صلاح الدين فى المسجد الأقصى المبارك الذي احرقه الصهاينة عام ١٩٦٩

المسجد الأقصى

والمسجد النبوى بالمدينة المنورة ، وقد جاء فى الحديث الشريف :

« لاتشد الرحال إلا لثلاثة : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا والمسجد الاقصى »

كيف تم البناء ؟

عندما حاصر أبو عبيدة عامر بن الجراح القدس لمدةاربعة شهور رأى أهلها التسليم الى القائد مستأمنين ، يتقدمهم قائدهم «صفرونيوس» حاملا على صدره الصليب ، وعلى جانبيه القسس والرهبان ، وطلبوا الصلح . فتلقاهم أبو عبيدة بالترحيب ، ولكنهم اشترطوا ألا يسلموا مدينة «إيليا» القدس ، إلا لشخص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فكتب أبو عبيدة الى أمير المؤمنين ، فسار عمر الى بيت المقدس ، وفى ذلك يقول زياد بن حنظله :

سما عمر لما أتته رسائل
كاصيد يحمى صرمة الحي اغيدا
وقد عضلت بالشام أرض بأهلها
تريد من الأقوام من كان انجدا

فكان أول ما قام به عمر بن الخطاب بعد فتحه بيت المقدس ، أن زار كنيسة القيامة ، ولما كان داخل الكنيسة حان وقت الصلاة فأشار عليه البطريرك «صفرونيوس» أن يصلى داخل الكنيسة قائلا : «مكانك صل » ، ولكن عمر أبى ، وخرج من الكنيسة ، وصلى فى مكان قريب منها لجهة الجنوب ، وبعد أن أتم صلاته قال للبطريرك :

«إئذن لي أيها الشيخ .. إنني لو اقمت الصلاة فى كنيسة القيامة ، لوضع المسلمون عليها الأيدى من بعدى ، فى حجة إقامة الصلاة فيها ، وإنى أبى أمهد السبيل لحرمانكم منها ،وأنتم لها أحق وأولى» .

يقول الأستاذ محمد الخضرى صاحب كتاب «تاريخ الأمم الاسلامية» فى بحث نشره بمجلة المقتطف فى الصفحة ١٩٦ من المجلد ٦١ لسنة ١٩٢٢ ما يلى :

«قال سيدنا عمر بن الخطاب للبترك : أرنى موضعاً أبنى فيه مسجداً ، فقال : على الصخرة ، فوجد عليها ردما كثيرا ، فشرع فى إزالته ، وتناوله بيده برقعة فى ثُوبه ، واقتدى به المسلمون كافة ، فزال لحينه ، وأمر ببناء مسجد (٥) » .

ويقول مجير الدين فى كتابه «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» الذى روى فى وصفه للمسجد الاقصى كما كان فى عهده :

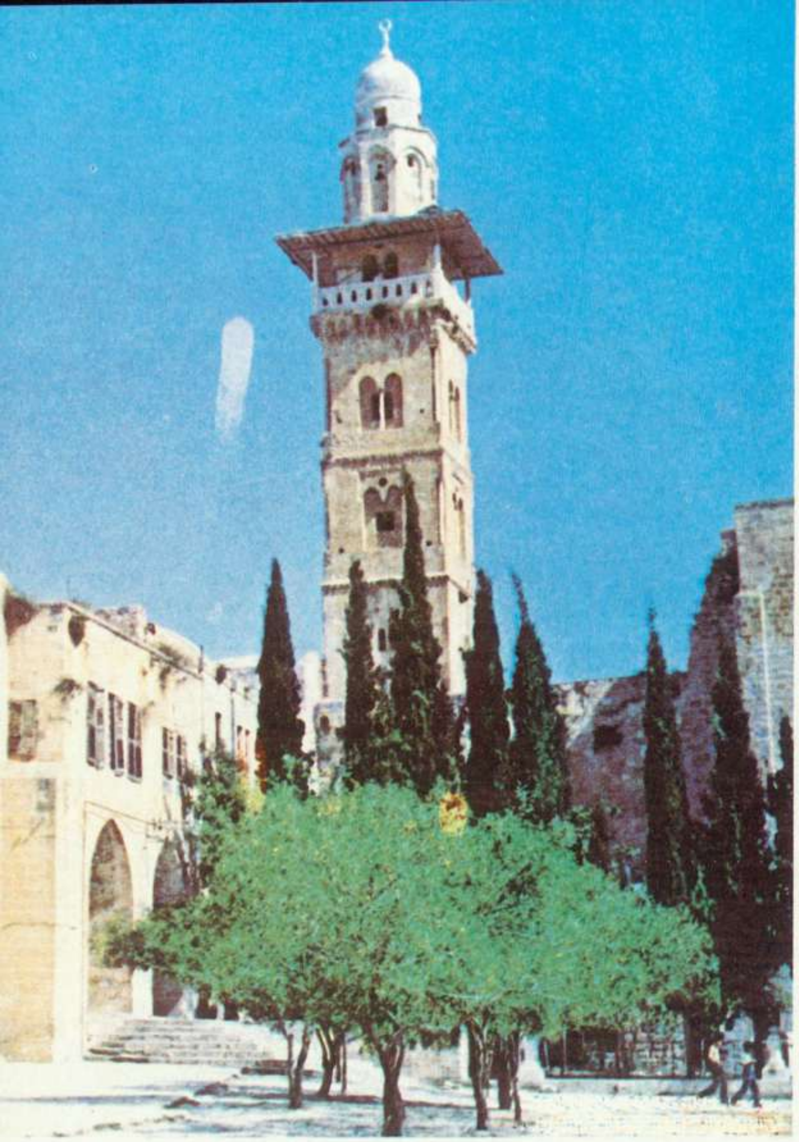
«وبداخل هذا الجامع ، وفى صدره من جهة الشرق ، مجمع معقود بالحجر والشيد ، به محراب ، ويقال لهذا المجمع «جامع عمر» وتسميته بجامع عمر ، لأن هذا البناء هو بقية بناء عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، الذى كان قد جعله عند الفتح (٦) » .

ويقول مجير الدين فى موضع آخر من كتاب «الأنس الجليل» :

«وبظاهر الجامع من جهة الغرب ، فى صحن المسجد ، مكان معقود يعرف بجامع المغاربة ، يظهر أنه من بناء سيدنا عمر بن



لوحة نادرة للقدس فى العصر العثمانى (القرن الخامس عشر) ونرى قبة الصخرة بين المنارتين



مئذنة جامع الغوانمة ومدرسة المماليك فى الزاوية الشمالية الغربية للحرم القدسى الشريف

الخطاب ، لما روى عن شداد ، أن عمر لما دخل المسجد الأقصى مضى الى مقدمه مما يلى الغرب ، فجثـا فى ثوبه من التراب ، وجثونا معه فى ثيابنا ، ومضى ومضينا حتى ألقيناه فى الوادى ، الذى يقال له «وادى جهنم» ثم عاد وعدنا بمثلها حتى صلينا فيه» .

قال «البكرى» «وابن حبيش» ، إن عمر بنى مسجده أمام الصخرة المشرفـة ، بعد أن رفع الركام الذى كان قد تراكم فوقها مع الزمن ، وكذلك قال «المقريزى» فى خططه ، وجمال الدين أحمد فى كتابه«مثير الغرام».

هذا بعض ما ذكر عن المسجد الأقصى الأول كما أطلق عليه الأستاذ «عارف العارف» رئيس بلدية القدس الأسبق ، وصاحب كتاب «تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك» .

أما المسجد الأقصى الحالى ، فيطلق على المسجد القائم من الناحية القبلية من الحرم ، وعلى بعد خمسمائة متر بوجه التقريب من مسجد الصخرة الى الجنوب .

أما من بنى هذا المسجد الأقصى ، فيجمع عدد كبير من المؤرخين أن عبد الملك بن مروان هو الذى بناه عام ٧٤ هـ ـ ٦٩٣ م ، أما «المقدسى» والسيوطى فيقولان إنه بناه سنة ٧٢ هـ ـ ٦٩١ م ، ومهما كان التاريخ الذى بنى فيه ، فانه مما لاشك فيه ، أن عبد الملك بن مروان هو الذى بناه ، وقد أيد هذا القول «المقدسى» فى كتابه «أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم» ، وأيده فى قوله أكثر المؤرخين.

أما «محمد كرد علي» فى كتابه «خطط الشام» ، فقد قال بان الوليد هو الذى غشى قبة الأقصى بالنحاس ، ويقول «العمرى» فى كتابه «التعريف» بأن الوليـــد أتى بالفسيفساء ـ أى الترابيع الزجاجية المطلية بالذهب ـ من القسطنطينية ، ليزين بها مساجد الشام ومكة والمدينة والقدس . ولم يبق منها مع تقادم العهد سوى النـذر اليسير فى «قبة الصخرة» .

المسجد والعهود الاسلامية

لم يبق المسجد الأقصى على حاله القديم بل طرأت عليه تغييرات كبيرة ، بسبب المؤثرات الطبيعية والزمنية . وهذا سنراه فى العهود الآتية :

● فى عهد بنى أمية :

كان المسجد فى أوائل العهد الأموى ، أوسع مما هو عليه الآن ، من الناحية الشرقية ، وأضيق من الناحية الشمالية ، وكانت أرضه مرصوفة بالرخام ، وكانت أرضية المسجد أقل انخفاضاً من أرضه الحالية ، ونرى حتى اليوم ، فى الـرواق الكائن شرقى القبة ، بعض الأعمدة التى ترجع الى العصر الأموى .

وجاء فى «مثير الغرام» عن عبد الرحمن ابن محمد بن منصور بن ثابت عن أبيه عن جده ، أن أبواب المسجد كلها كانت فى خلافة عبد الملك بن مروان ، ملبسة بصفائح الذهب والفضة .

وفى أواخر العهد الأموى ، حدث زلزال سنة ١٣٠ هـ ـ ٧٤٦ م وسقط بسببه شرقى المسجد وغربه .

● فى العهد العباسى :

لما قدم «أبو جعفر المنصور» ، ثانى الخلفاء العباسيين ، أمر باعمار المسجد الأقصى ، فقلعت الصفائح الذهبية



ام من سكان مدينة القدس مع طفلها الذى يعيش مع الاف الأطفال العرب حياة قاسية تحت وطاة الاحتلال

المسجد الأقصى

والفضية التى كانت على الأبواب ، وضربت دنانير ودراهم ، وانفقت على إعماره حتى فرغت سنة ١٥٤ هـ ـ ٧٧١ م .

وفى عام ١٥٨ هـ ـ ٧٧٤ م ، حدث زلزال آخر ، فوقع البناء الذى عمره المنصور ، وقيل ان الجزء الأعظم من المسجد قد هدم يومئذ ، خلا القسم الذى حول المحراب .

ولما قدم المهدى ، كان المسجد خراباً ، فامر ببنائه ، وقد وصف «المقدسى» فى كتابه «أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم» ص ١٦٨ :

«أعيد إعمار المسجد ، فاصبح يتكون من رواق أوسط كبير ، يقوم على أعمدة من الرخام ، ويمتد من الشمال الى الجنوب ، يغطيه جملون عظيم ، وينتهى من الجنوب بقبة عظيمة ، وتكتنف الرواق الأوسط من كل من جانبيه سبعة أروقة موازية له ، واقل ارتفاعاً منه ، محمولة جميعها على أعمدة اسطوانية ... وكان للمسجد يومئذ ستة وعشرون باباً ... ويعتبر هذا الاعمار الرابع للمسجد الذى قام به الخليفة المهدى . (٧) .

● فى العهد الفاطمى :

فى الخامس عشر من شهر محرم سنة ٤٢٥ هـ ـ ١٠٣٣ م ، حدث زلزال خرب المسجد الأقصى الذى عمره المهدى خراباً ظاهراً ، فعمره الخليفة الفاطمى «الظاهر لاعزاز دين الله» فى السنة التالية ٤٢٦ هـ ، مبقياً ما أمكن ابقاؤه من البناء السابق ، ولم يغير فى تخطيطه العباسى ، سوى تضييقه من الشرق والغرب ، بحذف اربعة أروقة من كل جانب .

وظل الكثير من بناء الظاهر قائماً الى ما قبل التعميرات التى تمت مؤخراً ، مثل العقود التى تحمل القبة ، والفسيفساء الذهبية التى لازالت موجودة حتى الآن والرواق الأوسط بأعمدته .

وفى سنة ٤٥٨ هـ ـ ١٠٦٦ م ، أمر الخليفة الفاطمى المستنصر بالله ، تجديد الواجهة الشمالية ، وسجل هذا التجديد فى كتابة كوفية حفرت على الواجهة المذكورة للرواق الأوسط .

● الأقصى فى قبضة الصليبيين :

عندما احتل الصليبيون بيت المقدس ٤٩٢ هـ ـ ١٠٩٩ م . بقيادة «غو دفرى دو بويون» ، استعملوا المسجد الأقصى لأغراضهم ، فاتخذوا جانباً منه سكناً لفرسان الهيكل ، والجانب الآخر مستودعاً ، وغيروا معالم المسجد كثيراً ، واضافوا الى المسجد من الناحية الغربية ، وعلى طول حائط الحرم القبلى صفاً مزدوجاً من القناطر المعقودة ، واتخذوها مخازن للأسلحة .

● فى العهد الأيوبى :

استرد البطل المؤمن صلاح الدين الأيوبى بيت المقدس من الصليبيين ، وأعاده الى حظيرة الاسلام سنة ٥٨٣ هـ ـ ١١٨٧ م ، فامر باصلاح المسجد الأقصى ، فأعيد البناء الى حاله الصحيح . وبذل كل ما فى وسعه لتحسينه وتدقيق نقوشه ، فأحضر من الرخام ما لا يوجد مثله ، ومن الفص المذهب القسطنطينى مما ادخر على طول السنين ، ومحا كل ما فيه من الصور .

لقد جدد صلاح الدين محراب المسجد ، وزينه بالفسيفساء ، وهناك كتابة بالفسيفساء المذهبة فوق المحراب ، تشير الى ما فعله صلاح الدين ، وهى :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بتجديد هذا المحراب المقدس ، وعمارة المسجد الأقصى ، الذى هو على التقوى مؤسس ، عبد الله ووليه يوسف بن أيوب أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين ، عندما فتحه الله على يديه سنة ٥٨٣ هـ ، وهو يسأل الله اذاعة شكر هذه النعمة ، وإجزال حظه من المغفرة والرحمة» .

وأتى صلاح الدين بالمنبر الجميل المصنوع من الخشب من أرز لبنان والمنقور المرصع بالعاج والصدف ، وهو من أجمل المنابر الأثرية وأدقها .

ولقد أحرقته الأيدى الصهيونية الآثمة بعد الاحتلال الصهيونى للقدس فى حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ .

ومن ملوك بنى أيوب الذين لهم آثار بالمسجد الأقصى ، الملك العادل سيف الدين بكر أخو صلاح الدين ، والملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه ، والملك الأفضل نور الدين علي ، والملك العزيز عثمان ، والملك المعظم عيسى ، وكان هؤلاء ينظفونه ويغسلونه بماء الورد ، ويصرفون الأموال الطائلة على الفقراء .

وفى سنة ٦١٤ هـ ـ ١٢١٧ م أمر الملك عيسى بانشاء الرواق الذى يكون الواجهة الشمالية لهذا المسجد ، وهو يشتمل على سبعة أقواس ، ويقابل كل منها باب من أبواب المسجد السبعة ، وهذا الرواق تغطيه سبعة اقبية ، وقد ثبتت على واجهة الرواق الأوسط بلاطة من الرخام كتب عليها :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، انشا هذه الأروقة سيدنا ومولانا السلطان الملك المعظم أبو العزائم عيسى بن الملك العادل سيف الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين أبى بكر بن أيوب خلد الله ملكه وذلك سنة ٦١٤هـ» .

● فى عهد المماليك :

توالت بعد ذلك أعمال التعمير والاصلاح بالمسجد الأقصى فى عهد المماليك ، وتدل الكتابات التى عثر عليها فى جنبات هذا



نقوش متنوعة من تصميمات «السيراميك» على الجدران الخارجية ومكتوب في وسطها : الله الباقي

المسجد على ما كان للمماليك من فضل فى إعماره .

فالملك المنصور سيف الدين قلاوون ، هو الذي عمر سقف المسجد الأقصى من ناحية القبلة ، عند جامع الأنبياء ، وكان ذلك سنة ٦٨٦ هـ ــ ١٢٨٧ م .

وفى زمن ولده الملك الناصر محمد أمين الملك المنصور قلاوون ، جددت قبة المسجد الأقصى ، وقيل ان الملك الناصر لم يجدد القبة نفسها ، وإنما جدد تذهيبها سنة ٧٢٨ هـ ــ ١٣٢٧ م وكذلك أمر الملك الناصر بوضع الرخام على صدر المسجد سنة ٧٢٩ هـ وقد تم ذلك بمعرفة الأمير ناظر الحرمين فى القدس والخليل .

وجددت أبواب المسجد الأقصى الخشبية فى عهد أولاد الملك الناصر ، السلطان شعبان والسلطان حسن ، وفى زمن الملك إينال عمرت أجزاء من المسجد .

وجرت إصلاحات فى عهد الملك الأشرف «قايتباى» وقد ذكر ذلك مجير الدين فقال : «جدد عمل الرصاص على ظاهر المسجد الأقصى» .

وهناك تعمير آخر جرى أيام الملك قانصوه الغورى .

● فى عهد العثمانيين :

اهتم العثمانيون بالمسجد الأقصى ، فمن سلاطينهم الذين تولوا ترميم هذا المسجد :

السلطان سليم القانونى ، السلطان محمود الثانى ، السلطان عبد المجيد ، والسلطان عبد العزيز ، والسلطان عبد الحميد الثانى .

فقد جدد السلطان محمود ترميم القبة الشريفة ، أما السلطان عبد العزيز فاليه يعزى الفضل فى تركيب الزجاج الملون الموجود فى الشبابيك ، وقد بعث السلطان عبد الحميد الثانى بالشطر الأكبر من السجاد العجمى المفروش على أرض المسجد والذى يصلى عليه المصلون .

● فى عهد المجلس الاسلامى الأعلى :

طرأ على المسجد الأقصى مع طول العهد وتقادم الزمن ، وهن ، فضعفت الأسس . وقد اكتشف ذلك المجلس الاسلامى الأعلى الذى انتخبه المسلمون بفلسطين سنة ١٩٢٢ ، والذى يرأسه المرحوم سماحة الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين ، فسارع الى القيام بمشروع واسع من أجل اعماره ، وقد ساهمت الدول العربية والاسلامية وشعوبها بالتبرع ، وباشرت عمليات الاعمار سنة ١٩٢٥ ، فقوت الأقواس والعقود ، واستبدلت الأعمدة القديمة البالية التى تقوم عليها القبة بأعمدة جديدة ، وهدم سقف الجناح الغربى الذى كان على وشك الانهيار ، واستبدل بسقف آخر ، وعمر السقف الخشبى لجناح القبة الشرقى ، وزخرفت واجهة الممرات ، ورممت القبة وأنشىء تحت الأقواس القديمة أقواس جديدة للتقوية .

إن من يقف أمام محراب الأقصى . يرى فوق المحراب بين القبة والجدار ، عبارة تقول :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، جدد قبة هذا المسجد الأقصى المبارك ، وأزال ما طرأ عليها من خطر فى نقوشها ونوافذها وزخارفها ، المجلس الشرعى الاسلامى الأعلى سنة ١٣٤٦ هـ ــ ١٩٢٧ م .

وما كاد هذا التعمير يتم ، حتى حدث زلزال سنة ١٩٢٧ م ، تضرر المسجد بسببه ولكن آثاره لم تظهر إلا فى سنة ١٩٣٦ ، فقام المجلس الشرعى الاسلامى الأعلى باصلاحات واسعة المدى ، وأضيء بالكهرباء عام ١٩٤٥ م .

المسجد الأقصى وحرب فلسطين

لم يسلم المسجد الأقصى من أذى اليهود فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ ، فكان اليهود يصوبون نيران مدافعهم على المسجد ، وأغاروا عليه فى السادس عشر من تموز ١٩٤٨ . وقصفوه بالمدافع التى أصابت قذائفها بعض المصلين .

ولما وقف القتال ، وسيطر الجيش العربى الأردنى على المنطقة أمر جلالة الملك عبد الله بن الحسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية باصلاح ما دمرته القنابل الصهيونية وكان ذلك عام ١٩٥٢ .

وفى الخامس من حزيران ، سقط المسجد الأقصى أسيراً فى يد العدو الصهيونى بسقوط القدس . وباشر العدو باجراء الحفريات حوله آناً وبانتهاك حرماته آناً . حتى محاولة إحراقه عندما دبرت سلطان العدو المحتل عملية احراقه فى الحادى والعشرين من شهر أغسطس ١٩٦٩ ، فثارت ثائرة الشعوب الاسلامية ، وعقد مؤتمر القمة الاسلامى الأول فى مدينة الرباط فى شهر سبتمبر فى عام ١٩٦٩ م وانبثقت عن المؤتمر «منظمة المؤتمر الاسلامى» ، وانيط بها متابعة موضوع القدس والمسجد الأقصى . (٨)

ولازالت المحاولات الصهيونية جارية لتغيير معالم المسجد الأقصى ، من اعتداء على المصلين ، ومحاولة احراقه مرة أخرى

ولكن مواكب الزمن ، التى عزفت لبيت المقدس نشيد النصر ،ستعيد للمجد ذكرى البطولات لشعبها ، الذى ما تخلى يوماً عن ميراث الشهادة

حسنى شحاده

هوامش

(١) القرآن الكريم

(٢) تاريخ قبة الصخرة المشرفة ــ عارف العارف ص ١٤٩ .

(٣) سورة الاسراء ــ اية رقم (١) .

(٤) سورة البقرة ــ اية رقم (١٤٣) .

(٥) المقتطف مجلد ٦١ لسنة ١٩٢٢ ص ١٩٦ .

(٦) تاريخ قبه الصخرة المشرفة ص ١٥١ .

(٧) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ١٦٨ .

(٨) موقف العالم الاسلامى من قضية فلسطين ص ١٤ .



كتاب الشهر

ديوان الخط العربي

قصة الحضارة العربية في حروف جميلة

رسالة المغرب من : مجدي نصيف



هذه اللوحة البديعة التي نرى فيها مجموع حركة الخط العربي ومايتولد عنها من اشعاع شاعري ، كتبها في القرن السادس عشر الخطاط صالح محمود النيسابوري

هذا كتاب جديد عن فن مرتبط بحضارتنا ولغتنا العربية ، فن لابد من الاحتفاء به ، حتى لا تقضى عليه التكنولوجيا والآلات الحديثة وصناعة «الليتراسيت» وعالمه الرحب الذى يتسع باستمرار .

الكتاب هو «ديوان الخط العربى» من المغرب العربى .

والمؤلفان أستاذان مغربيان هما : عبد الكبير الخطيبى الأستاذ الباحث فى جامعة الرباط ، وهو كاتب ومؤلف لمجموعة من الكتب فى الفكر والادب . والدكتور محمد السجلماسى ، الدكتور فى طب الأطفال ومؤلف لكتابين حـــول الفنـــون الشعبية والفنون التشكيلية فى المغرب ، ويساهم الدكتور عبد الغنى العانى فى انتاج هذا الكتاب – فى طبعته العربية – بكتابة بعض الصفحات الخطية ، وهو دكتور فى القانون ، واستاذ للخط العربى .

لقد الف هذا الكتاب باللغة الفرنسية ونشر كذلك بتلك اللغة ، وترجم ونشر باللغتين الانجليزية والالمانية ، وسينشر خلال أشهر باللغة اليابانية .

كذلك فان الذى قام بترجمته الى اللغة العربية هو الكاتب المغربى محمد برادة .

ومن الواضح إذن من تخصصات المؤلفين انهما من عشاق فن الخط العربى ، لذا فهما يكتبان فى تمهيدهما للكتاب :« انه يحتفل بفن الخط العربى احتفال عاشق مشدود الى المسالة الأولية المتصلة بخيال العنصر الأبدى للفن فى الاسلام » .

وهما يعرفان الكتابة العربية بقولهما : «انها تمتد على خط افقى تتموضع وتتحرك فوقه وتحته ، إشارات تصويتية وتنقيطية .. وهذه التشكيلة تؤسس حقلا خطياً لا محدوداً ، يجعل البصر يرتعش فوق صفحة ، او جـــدار مكتوب ، وكل ما يمكن ان يزينـــه الخط العربى» .

«إن مجموع حركة الخط ، وما يتولد عنها من إشعاع موسيقى مطابق لشاعرية



الخط المغربي المعروف باسم « المجوهر »

مرتعشة ساعية نحو اللامرئى ، كل ذلك يحدد ايقاع النص بالنسبة ليد الخطاط الراقصة» .

ويعرف المؤلفان فن الخط العربى بأنه «زخرفة ، أى أنه نص فى مرآة يعكس الحلم الخالص بانتزاع اللغة من حقيقتها البشرية ، وتقديمها في شكل فني . وبشكل أكثر تحديداً فان فن الخط هو الفن الذى يعتبر نفسه متوفراً على هذه الصفة ، وقائماً على بنية متميزة ، وقواعد هندسية وزخرفية . وعندما نقول فن قائم الذات ، فاننا نعنى أنه يستتبع فى تخطيطه نظرية فى اللغة وفى الكتابة . وقبل كل شىء ، فان هذا الفن يدخل فى نطاق البنية اللسنية ، ويشكل معجماً ثانياً للرموز ، منحدراً من اللغة ، إلا أنه يلعب بها ، ويضاعفها عن طريق حركة مرئية» . ومن ثم «فنحن نستبعد جميع التعريفات العائمة التى تطلق فن الخط على كل رسم تلقائى أو تجريدى يذكرنا بالكتابة بدون أن يخضع لمصطلحاتها . ذلك أن فن الخط لا تكون له أهمية حاسمة ، إلا إذا اقترن باللغة . ورغم أن فن الرسم يلتقى أحياناً بمنطلقات فن الخط ، فان هذين الفنين يختلفان فى طريقة إبراز الاشارة المستمدة من الحروف ، وكذلك فى طريقة إضفاء الحياة عليها» .

فالخط ، «فن للكتابة ، بدون شك ، إلا انه ليس عملا كونيا . ذلك أن كثيرا من الشعوب لا توليه عناية خاصة ، لكن بعضها يعتبره فنا ساميا . فاليابانيون ، مثلا ، إذا أرادوا أن يصفوا شخصا بالجمال والرقة ، قالوا إن له خطا جميلا . ويعتقد الخطاطون العرب ، أن فنهم هندسة للروح يتلفظها جسد الحرف وفقا للمتعة التى يوحى بها» .

ثم يضيف المؤلفان : «إن الخط العربى المقنن ، يفترض ابتكارا شكليا (للتنقيط والتصويت) تم وضعه شيئا فشيئا قبل ظهور الاسلام وبعده . وارتبط بالتدوين الشاق . الا أن الخط كان عملا تضطلع به طائفة من الخطاطين استهدفت أن تطبع المجتمع بنظام سياسى. وكان ابن مقلة هو الذى جدد معجم رموز الخط العربى . انه رجل تقلد الوزارة ثلاث مرات ، وخاض الجهاد ثلاث مرات ، ودفن ثلاث مرات : الأولى فى السجن حيث مات بالفعل ، والثانية فى منزله ، والثالثة فى المقبرة . وكان الخليفة الراضى بالله قد قطع يده اليمنى» .

ملاحظات

ويسجل المؤلفان بعض الملاحظات فى تمهيد الكتاب :

أولا : ان العرب وبعض الشعوب الاسلامية التي استعملت الكتابة العربية ، بذلوا جهوداً ملحوظة لجعل هذا الفن كونياً لكن الهدف هو صوغ مسألة الخط صياغة متحررة من كل الأحكام المسبقة .

ثانيا : لما كانت الوثائق غزيرة ، فقد اضطر المؤلفان الى إغفال كثير من الأساليب المتلالئة والصفحات الجميلة . لذلك فان جميع الأقطار العربية والاسلامية ليست ممثلة بطريقة استقصائية .

ثالثا : النماذج التي ادرجت في الكتابة لا تمثل إلا الخط المكتوب ، ونحيت جانبا ابداعات خطية أخرى لاتقل روعة ، مثل الخطوط المنقوشة على جدران المعمار .

رابعا : انجز المؤلفان جميع صور الكتاب بانفسهما ، ويضم الكتاب ٢٢٨ صورة ، ٥٤ صورة بالألوان ، ١٧٤ صورة بالأبيض والأسود . وقد اخذها المؤلفان من مخطوطات لم يسبق نشرها ، توجد موزعة في أرجاء العالم الاسلامي .

إشكالية علم الخط

« لم يتم تدوين القران بكيفية منهجية إلا في عهد الخليفة عثمان بن عفان فيما بين سنة ٢٣ ، ٣٥ هجرية . ويمكن ان نقول إن فن الخط ـ غير المتوفر على قواعد ـ قد



الخط المغربي المتعدد الالوان حيث نرى التمـــاثل الهندسي القوي وهو يكسبـــه شكـــلا لا يمكن تقييده



هكـــــذا تعاكست الألوان بين الحروف والحركـــــات في هــذه الصفحـــة التي كتبهــــا « القندوسي » بالخط المغربي القــــديم



لوحة زخرفية جميلة ، احتوت على « منمنمات » زخرفيـــة مورقـــة ، وفي وسطهـــاخطوط عربيـــة متداخلـــة في تنـــاسق بديـــع

ولد في هذه الفترة ، ليربط القرآن بجذوره المعجزة » .

ونجد أن ما كان يشغل ابن خلدون في مسألة أصل اللغة ، هو ايجابية الأحداث : « ... فالقول أن أهل الحجاز انما لقنوها في الحيرة ، ولقنها الحيرة في التبابعة وحمير هو الأليق في الأقوال . وكان لحمير كتابة تسمى المسند ، حروفها منفصلة ، وكانوا يمنعون في تعلمها إلا باذنهم » .

إن فرضية ابن خلدون ، تدعم أقوال معظم المؤرخين . ولكن ما يتصل بحديثنا هو فرضية الاصل السرياني للكتابة التي يلخصها البلاذوري فيقول : « كان هناك ثلاثة أشخاص اجتمعوا في بقعة وانشأوا الأبجدية العربية على الطريقة السريانية . ومن هناك ، نزحت تلك الأبجدية الى الانبار ثم الى الحيرة ثم الى مكة وهكذا دواليك . »

ليس هناك ما يبعث على الاستغراب في هذا اللقاء بين علم الخط العربي والمعرفة الاسلامية ، ذلك لأن علم الخط يحاول أن يرجع مختلف الكتابات الى اصل ومنبع مشتركين . كيف إذن نستطيع أن نعيد تركيب أثار تلك اللغات ؟

يتحتم على الانسان في هذا الحال ، ان يكون متجولا متوحدا ، يربطه حنين جارف الى الأصل الميتافيزيقي . كيف يتسنى إعادة تركيب الأثار المكتشفه هنا وهناك ، واعادة النطق بتلك الجمل التي نصادفها مكتوبة على شواهد القبور ؟

وكما استشهد الفيلسوف النظام ، فالخط كالنحلة المحمولة بقوة روحية ، قد تعلم منذ ولادته الطفرة . وفي حالتنا ، ستكون الطفرة أقل خطرا ، لأن الأبجدية العربية الحديثة ، حديثة العهد . فاقدم وثيقة بها تعود الى عام ٣٢٨ ميلادية .

نعود بعـــد كل هـــذا الى تحليل مسالة الكتابة وأصلها .

الشيء الأول المفروغ منه ، هو أن الكتابة السامية المرتبطـــة بالفينيقية هى كتابة تتميز أساسا بالاعتماد على الصوامت ، وبالتوفيق المنهجي بين الجذور ، وكتابة الرسم الخطي من اليمين الى اليسار .

والشيء الثاني : نقوش النحارة . وحجرزبد ، وحران ، وام الجمال ، ورق انكادي . وتسمى هذه النقوش الأربعة إجمالا باسم



طريقة خط الثلث في القلب ، وهي
طريقة تقرأ فيها السطور عكسا وطردا

المجال السوري ـ الفلسطيني
النحارة : نقش على القبور .
حجر الزبد : نقش مزدوج اللغة .
حران : مكتوب بلغات ثلاثية (يونانية وسريانية وعربية)
وأم الجمال : التاريخ المحتمل ما بين ٢٥٠ الى ٢٧١ ميلادية .
ويمكن الرجوع الى تنقيح لهذه النقوش في الكتاب الهام بعنوان : سجل تاريخي للنقوش العربية .
إن أصل الكتابة العربية نبطي . فهي كتابة متفرعة عن الكتابة الآرامية التي تفرعت بدورها عن الفينيقية .
فهل الكتابة « النبطية » العربية هي ما يسميه العرب بـ « الخط المسند » ؟

عمد الباحث « ب . موريتز » بصفته احد المدافعين بحرارة عن الفرضية « النبطية » الى عقد مقارنة بين الحروف النبطية القديمة ، والحروف العربية القديمة . واستخلص من هذه المقارنة عدم وجود خط القاعدة الأفقية . وهو يعتقد أن إدخال النقط على الحروف قد تم قبل الاسلام .
ويبرر الباحث ج . سورديل ، هشاشة هذه الفرضية ، فيقول :

ـ « إذا حكمنا اعتماداً على اسم العلم وعلى بعض الآثار ، فان النبطيين كانوا يتكلمون لهجة عربية ، إلا انهم كانوا يستعملون اللغة الآرامية كلغة مكتوبة ، باعتبارها اللغة التجارية في الشرق القديم . وبعد انحطاط المملكة النبطية ، في القرن الميلادي الأول ، اضطرت العربية الى أن تتخذ ماوى لها في اللغة ـ الجد .

إلا أن البروفيسور « ج . فيقربى » وضع خصائص مميزة للغة العربية القديمة :

ـ الأبجدية النبطية مكونة من ٢٢ وحدة ، أما الابجدية العربية فهي مكـونة من ٢٨ حرفاً ، وقد تكيفت اللغة العربية بواسطة حركات الشكل .

ـ استخدام حركات الشكل والتنقيط كان موجوداً قبل الاسلام .

ـ ورثت الكتابة العربية عن النبطية الخطوط الرابطة بين الحروف .

ويقول « ستاركى » الذي يبرز الفرضية العربية ، ما معناه: أن الكتابة العربية ذات التجانس النسبي ، تنحدر كلها من السريانية ، وباعتبار الكتابة العربية موضوعة على السطر ، فبذلك تكون مثلها مثل الكتابة السريانية . بينما تكون تتمة الحروف النبطية معلقة فوق نفس السطر .

ويدور الحديث في النصوص العربية أحياناً ، حول المسند ، وأحياناً حول الجزم، **ويعتقد** « ناجي زين الدين » ان الجزم مشتق من المسند ، والمسند حسب علم الخط ، هو « الكتابة الأولية للعربية » ، وهي كتابة متنوعة ، أشهرها الصوفية والتمودية واللحيانية .

لكن جميــــع هــذه الفروق والاطروحات تحمل داخلها ، تناقضات تكوينية .

لقد أثبتنا بعض الأحداث ، مع ايراد نقد **أوّلي لهـــاء،ولاشـــك** أن علمى الخط والنصوص القديمة يتحركان وفقاً لمحور ميتافيزيقي قطري . فانهما لم يفلتا في فكر محدود متصل بالأصل .

القواعد الهندسية

ويقول المؤلفان إن الخط العربى يقـوم على قواعد هندسية وزخرفية ، وبالتالي فان « قياسة الحروف ، تدخل لعبة الوجوه الخطية » ويشبهانه بالايقاع الموسيقي الذي يمعضل انغام الموسيقى .

ويقولان بان « القواعد الهندسية هذه ، اخترعها وابتكرها ابن مقلة » .

ولكن ليس أبدع مما كتبه المؤلفان عن الخط العربي ، سوى اللوحات التي جمعاها من متاحف العالم أجمع . انه جهد عظيم لا يقوم به سوى أناس يحبون الخط العربي مثل **المؤلفين** .

مجدي نصيف



شكل (١) بطيخ .. باذنجان .. بازلاء .. طماطم .. ذرة .. فى نبات واحد ؟ ! .. والصورة لاشك خيالية ، أو هو تصور ممعن فى الخيال ، لكنه يعكس بعض الجهود التى بدأ العلماء ممارستها الآن فى مجال جديد اسمه هندسة الوراثة) لمزيد من التفاصيل راجع المقال) .

إنهم يتلاعبون بهندسة الوراثة

بقلم : د . عبد المحسن صالح

كل شيء يتطور حولنا بسرعة مذهلة ، ودون أن ندري ، أو ندري .. لست ادري ! لكن الذي ندريه حقا أن هذا التطور يتم على مراحل ، ولكل مرحلة - بطبيعة الحال - عصرها ، وبحيث تحجب كل مرحلة لاحقة ، ما سبقها من مراحل سابقة ، فعاش السابقون مثلا في عصر البخار ، ثم تلاها عصر الكهرباء ، ثم عصر الطاقة النووية ، ولازلنا نعيش الآن في عصر العقول الالكترونية ، والسفن الفضائية ، وقطع الغيار البشرية ، والقلوب والكلاوي والرئات الصناعية ، وبحيث يبدو لنا أن طموح الانسان في التغيير او التطوير لا تحده حدود .

الأساطير القديمة

لكن بدون فلسفة أو لف أو دوران ، كان علينا ان نستدرك ونقول : بطيخ ذرة طماطم بازلاء باذنجان ، واضف الى ذلك ما تشاء .. **وقد يبدو ان كلامنا هذا هراء في هراء .. وقد** يعلق عليه البعض ويقولون : هل هذا كلام عقلاء ؟

ليس ذلك حق كذلك ، لكن ما حيلتنا في التمهيد لموضوعنا الغريب والمثير ، الا أن نقدمه بهذه الصورة الخيالية التي في صدر هذا المقال ، (شكل ١) .

فكانما هذه الصورة التى نشرتها مجلة «مختارات العلم» مؤخراً ، تعيد الى اذهاننا بعض التصورات الرديئة التي سيطرت على عقول الناس في العصور القديمة ، فتخيلوا وجود مخلوقات لها رأس انسان وجسم اسد وذيل حية ، او قد تاتي برأس اسد وجسم ماعز وذيل تنين ، او بجسم طائر وسيقان حصان ووجه افعى .. الى **آخر هذه التصورات التى ذكرتها الاساطير .**

وعلى الوتيرة ذاتها يذهب الخيال في عصرنا الحديث الى شطحات قد تكون اكثر رداءة من شطحات الأقدمين ، فيأتي نبات ليعطي ثمرا من باذنجان وبطيخ وذرة وفاصوليا و .. و .. الخ !

لكن .. ما الذي دعانا حقا الى تناول مثل هذه الصور الخرافية في لب موضوع علمي له احترامه ومعناه ؟ .. ثم أو ليس ذلك نكسة في الفكر ، ورجوعا الى خزعبلات .. دعنا نرى :

بين الحقيقة والخيال

لاشك ان مجيء نبات أصله واحد ، وعليه ثمرات مختلفات هو تصور فج في وقتنا الحاضر ، أو حتى لأجيال قادمة ، لكن هذا التصور انعكاس لما يجري في معامل العلماء الآن من بحوث غريبة على عقولنا وزماننا ، ذلك أن العلماء يلعبون الآن لعبة خطيرة أبسط ما نعبر عنها أنها بمثابة القنبلة البيولوجية في علم الوراثة ، تلك العلوم التي بدأت بسيطة ، ثم تطورت وتقدمت بصورة مذهلة ، بحيث نستطيع ان نقول اننا نعيش الآن في عصر جديد سوف **تكون له في المستقبل آثار ونتائج قد تبدو** أغرب من الخيال ، ولقد بدأ هذا العصر **يحقق** بعض الانجازات التي لم يكن يحلم بها العلماء القدامى - مجرد حلم ، ولهذا سمي بعصر هندسة الوراثة ، بمعنى انه بالامكان اجراء تعديلات في صفات الكائنات ، او نقل صفة او صفات من كائن الى كائن آخر ، لتصبح جزءا من جهازه الوراثي .

الصفات الوراثية

لكن قبل ان نبدأ حديثنا عن **تلك** الكائنات « المعدلة » أي التي اكتسبت صفة جديدة لم تعرفها أسلافها ، دعنا اولا نمهد لهذا الموضوع المثير والغريب ، رغم أننا قد مهدنا له بثلاث او أربع مقالات سابقة على صفحات هذه المجلة ، وفيها تناولنا التكوين الدقيق للخلية الحية .. اية خلية تشاء ، من أي كائن تريد ، ذلك أن الخلايا جميعها تشترك في وحدات متشابهة ، أهمها على الاطلاق أشرطة وراثية سجلت عليها صفات الكائنات .

لهذا خذ خلية من انسان او نبات أو حيوان ، وافحصها فحصا جيدا باحدى وسائل العلم الحديثة ممثلة في الميكروسكوبات الضوئية او الاليكترونية ، أو من خلال التحليلات الفيزيائية والكيميائية ، تجدها جميعا تحتوى على غشاء أو سور يحدد لها شكلها ومعالمها .

وفي داخل الخلية توجد مادة الحياة التي تنتشر فيها مرافق شتى تدير بها عملياتها الحيوية ، والادارة ممثلة في نواة ، والنواة تحتوى على كروموسومات ، وعلى الكروموسومات تتراص جينات أو مورثات ، وكل مورثة مكونة من شريط وراثي دقيق غاية الدقة ، والشريط ذاته يتكون من مركبات كيميائية اربعة هي : أدينين وثايمين وجوانين وسيتوزين ، أو أ ، ث ، ج س (شكل ٢) .. أخذنا الحرف الأول من كل كلمة من باب الاختصار ليس إلا ، وفي هذه المركبات أو الحروف الأربعة تشترك كل الكائنات ، وبحيث اذا نظرت الى الشريط الوراثي تحت الميكروسكوبات الاليكترونية فلن تستطيع أن تحدد أن كان هذا الشريط قد جاء من خلية من خلايا القرد أو الحمار أو الفاصوليا والبطيخ والباذنجان .. الخ ، فجميعها متشابهة تماما ، مثلها في ذلك كمثل أشرطة التسجيل ، فانت لا تستطيع أن تميز بين شريط وشريط ، الا اذا وضعته في آلة التسجيل ، وعندما تسمع ، تستطيع أن تعرف وتحدد !

كذلك الحال مع أشرطة المخلوقات .. انها في الظاهر متشابهة ، لكن التباديل والتوافيق بين حروفنا الأربعة مختلفة ، ومن هذا الاختلاف ، تختلف صور الكائنات ، وعندما تدير الخلية أشرطتها بوسائلها الخاصة ، وتترجم شفراتها المسجلة عليها ، فان الترجمة تتحول الى خطة عمل .. الى صفات وراثية تميز كل كائن عن أي كائن آخر .

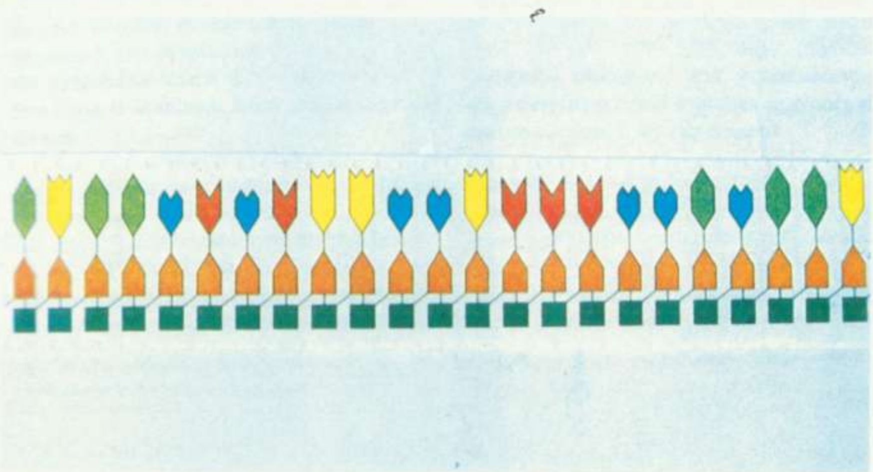
نقل الاشرطة وزراعتها !

وكالمريض الذي يزرع له الجراحون قلبا طبيعيا أو صناعيا ، اذا ما فسد قلبه ، أو آخر فشلت كليته ، فتزرع له كلية سليمة من شخص آخر ، أو كبداية السيطرة على عمليات الاخصاب في الأنابيب او الأطباق ،

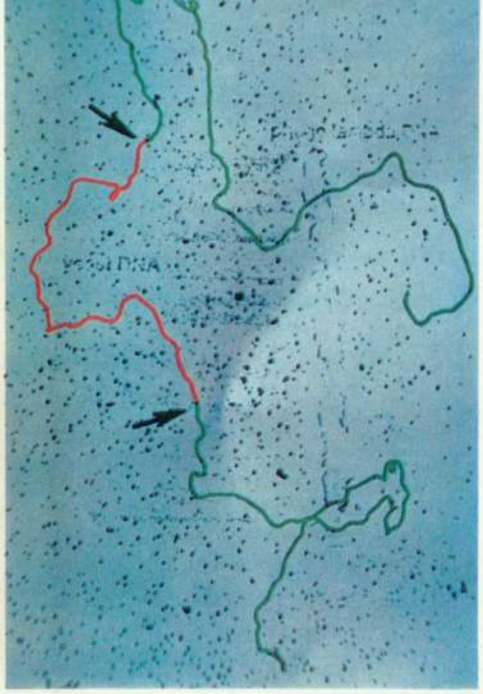
ثم تزرع بدايات الأجنة بعد ذلك في الأرحام لتواصل فيها نموها حتى تولد أطفالا سوية ، كذلك بدأ العلماء في الدخول الى ميدان جديد ومثير ، وبه بدأوا زراعة الجينات في خلية من خلية أخرى لا تمت لها بأدنى صلة ، وحققوا في ذلك بعض النجاح ، رغم أن البدايات في هذا المجال متواضعة ، الا أن السنوات القادمة سوف تتمخض عن

انجازات مذهلة ، وبها ستتحقق ثورة في العلوم البيولوجية ، بحيث تضعنا على أعتاب عصر جديد يفوق في خطورته عصور

إنهم يتلاعبون بهندسة الوراثة



شكل (٢) نموذج مبسط لجزء ضئيل جداً من الشريط الوراثي ، وعليه تتراص الشفرات الكيميائية الأربعة ا ، ث ، ج ، س (وهي التي تظهر في النموذج بألوانها الحمراء والصفراء والخضراء والزرقاء من باب التبسيط ليس إلا) .. وكل الكائنات الأرضية تشترك في هذه الشفرات التي تنتظم في أشرطة .



شكل (٣) (أ) جزء من شريط وراثي كما يظهر مكبراً عشرات الألوف من المرات وبهذا الجزء أمكن وصل جزء آخر من شريط وراثي (المحصور بين سهمين)

الطاقة النووية ، أو العقول الاليكترونية ، أو السفن الفضائية ... الخ .

ولاشك اننا ننظر الى الأنسجة والأعضاء . بشيء من الدهشة والاكبار ، لكن ذلك يعتبر انجازاً متواضعاً ، لأنه محدود بحياة انسان تلف منه عضو ، فاستبدله الجراحون بعضو آخر ، لكن الغرض من نقل الجينات أو وحدات الوراثة وزراعتها على مستوى الخلايا ، له أهداف أخرى أعظم وأخطر وأنفع من زراعة الأعضاء ، إذ أن ذلك قد يحقق للبشرية ثروات هائلة في الزرع والضرع ، أو في السيطرة على بعض الأمراض الوراثية ، أو في استخدام الخلايا « المعدلة » في عمليات صناعية نجني من ورائها خيراً كثيراً .

ولن نستبق الأحداث هنا ، بل علينا أولا أن نوضح ماذا نعني بخلايا معدلة ، انها الخلايا التي وضع لها العلماء في بروجرامها الوراثي جزءاً من بروجرام خلية أخرى ، فتظهر فيها صفة وراثية جديدة ، تؤدي الى خطة عمل محددة ، تتمخض عن عملية كيميائية لم تكن موجودة في أسلافها أما كيف يحدث ذلك ، فشرحه يطول ، لكن علينا أن نبسط ذلك بمثال من واقع حياتنا ، وليكن هذا في شريط من أشرطة التسجيل التي نعرفها تمام المعرفة ، فمن الميسور مثلا أن نصل قطعة من شريط في شريط آخر ، وعندما ندير الشريط الموصول ، نسمع فيه ما أوصلناه بالشريط الأصلي ، فان كان فيه موسيقى أو أغنية ، واقحمنا فيه زقزقة عصفور ، أو نهيق حمار ، أو ازيز طائرة .. الخ ، فلاشك أن هذه الأصوات الغريبة سوف تعبر عن نفسها عند مرورها في جهاز التسجيل !

أو لنفرض أن هناك مصنعاً آليا يقوم بتصنيع سيارة حسب بروجرام محدد على خطوط التشغيل أو التجميع ، ثم أريد ادخال تعديل على التصميم ، عندئذ لابد من اضافة هذا التعديل في بروجرام التصنيع ، ليدخل على خطوط التشغيل ، فيخرج « الموديل المعدل » الى الاسواق .. وبنفس هذه الفكرة يتلاعب العلماء بالأشرطة الوراثية ، فهي أيضا بمثابة بروجرامات ، تترجم الى تصنيع بروتينات على خطوط التشغيل في الخلية ، وبالبروتينات تدير الخلية شئون ملكوتها الدقيق .

اذن .. ما على العلماء إلا أن يختاروا جينة من خلية ليزرعوها في خلية أخرى ، وبطرق لن نتعرض هنا لتفاصيلها ، حتى لا تباعد بيننا وبين موضوعنا ، المهم أن الخلية تتقبل الجينة المزروعة ، وتقوم هي بعد ذلك بتنفيذ الخطة ، اي عليها أن تصل الشريط الوراثي للجينة الغريبة باشرطتها الوراثية ، وتكتسب بذلك صفة جديدة ، أو خطة معدلة (شكل ٣) .

ومن حسن الحظ أن الخلايا لها أدواتها « الجراحية » الدقيقة التي تستخدمها في قص الاشرطة ثم حياكتها من أطرافها المتحررة ، لتصبح متكاملة ، والواقع أن هذه الادوات التي تستخدمها الخلايا في اجراء عملياتها الجراحية على مستوى الأشرطة الوراثية ، قد أمكن عزلها والتعرف عليها ، وما هذه الأدوات إلا أنزيمات أو خمائر تستطيع أن تبتر وتخيط وتضمد ما تهلهل منها ، أو ما دخل فيها من أشرطة غريبة (شكل ٤) .

أول الغيث قطرة !

وبدون الدخول في التفاصيل نقول : ان العلماء قد حققوا في هذا المجال نتائج رائعة ، رغم انها لازالت متواضعة ، من ذلك مثلا انه أمكن تحويل ميكروب مسالم الى ميكروب « شرير » يصنع السموم ، ويسبب المرض ، وقد يجلب الموت ، وذلك بنقل جينة أو عدة جينات من الميكروب الممرض الى الميكروب المسالم ، فأصبحت من صفاته العدوانية والغزو والتدمير في أنسجة العائل الذى يدخله غازياً ، هذا رغم ان اترابه من المسالمين !

وطبيعى أن بحوث العلماء فى هذا المجال ليست للتدمير ، لكن ليس ببعيد ان يستغل هذا السلاح فى انتاج نمط من ميكروبات معدلة يحمل كل الصفات السيئة التى تتسبب فى احداث أمراض بالجملة ، وبحيث لا ينفع معها طب الأطباء ، ولا قوائم الدواء ، وعندئذ تنتشر كوباء لا يبقى فى البشر ولا يذر .. أى أنه قد يستخدم كسلاح بيولوجى أقوى فتكاً من القنابل النووية أو النيوترونية !

نعود لنقول أن بحوث العلماء موجهة فى الوقت الحاضر لفائدة البشرية ، بمعنى أن الهدف هو انتقاء أحسن الجينات أو المورثات ذات الصفات المرغوبة وزراعتها



شكل (٣) (ب) صورة توضح زراعة جزء من شريط وراثى فى شريط دائرى لميكروب (الجزء المزروع موضح بلون أحمر) .



شكل (٤) للخلايا أدواتها «الجراحية» ممثلة فى أنزيماتها التى تقطع بها الأشرطة الوراثية أو توصلها ، أو تعيد بناء ما يعطب منها .. الخ ، والنموذج يبين خطوات أربعة تتم فى الشريط الوراثى الذى حدث فيه خطأ .

فى الخلايا ،

او يمكن استخدام هذه الخلايا المعدلة لانتاج مركبات أو أدوية أو هرمونات أجســام مضادة (بروتينات المناعة) .. الخ ، يصعب الحصول عليها فى الوقت الحاضر بكميات كبيرة .

ولكى نوضح معنى ذلك ، دعنا نضرب له مثلا ومثلا .. ولنفرض هنا اننا أردنا انتاج نوع من البطيخ يجمع بين الحلاوة والرائحة والمذاق ، عندئذ كان لابد من اقحام مورثات أوجينات أخرى فى خلايا البطيخ تجمع هذه الصفات ، فمن أراد بطيخاً بطعم الفراولة أو التفاح أو الخوخ ، فما عليه الا أن يعزل الجينة أو الجينات المسئولة عن انتاج المادة الكيميائية المرغوبة من خلايا هذه النباتات ، ثم يقوم بزراعتها فى خلايا البطيخ ، ثم السيطرة على هذه الخلايا ودفعها لتنتج نباتات البطيخ ، بدلا من الاعتماد على زراعة هذا النبات بواسطة الطرق التقليدية ، أى باستخدام البذور .

وهل يمكن حقاً ان تنتج الخلايا المعدلة نباتات كاملة ذات جذور وسيقان وأوراق وزهور وثمرات ، خاصة وان ذلك حيود عن الطريق الطبيعى الذى عرفه الانسان من قديم الزمن ؟

نعم .. فلقد تحقق هذا الهدف فى وقتنا الحاضر .. اى امكن انتاج نباتات سوية بطريق الخلايا دون البذور ، لكن ذلك موضوع آخر مثير سوف نتعرض له فى دراسة قادمة ، لنعرف المفاجآت الغريبة التى يمكن أن تتحقق فى المستقبل .

أو لنفرض اننا أردنا انتاج نوع من ثمار الطماطم يحمل طعم الفلفل والبقدونس والنعناع ، فما علينا الا أن نحصل من الفلفل على الجينات التى تعطيه طعمه ، ومن البقدونس والنعناع على جيناتهمـا التى تحدد مذاقهما ، ونزرع ذلك كله فى خلايا نبات الطماطم ، عندئذ تعبر هـذه الجينات بصفاتها فى خلايا نبات الطماطم المعدلة ، ثم نبدأ زراعتها ورعايتها لتعطينا ثمرات طماطم مفلفلة ومنعنعة ولها ايضاً مذاق البقدونس أو الكمون أو أى نوع من البهارات المستملحة !

الخيــــال يتحقق !

وقد يبدو أن ذلك من شطحات الخيال ، أو هو أقرب الى فكرة النبات الذى يحمل بطيخا وباذنجاناً وطماطم .. الخ ، وهو الذى عرضنا له صورة خيالية فى صدر هذا المقال ، لكن ذلك ليس خيالا محضاً ، بل أمكن تحقيقه فى نقل جينات من خلايا أرقى مخلوق الى خلايا أضأل مخلوق ، أى بين انسان وميكروب ، ولقد بدأ العلماء بتحقيق هذا الهدف لأهمية ذلك فى علاج مرض السكر الذى يعانى منه فى عالمنا المعاصر عشرات الملايين .

إن حرق السكر فى خلايانا وخلايا الحيوان يحتاج الى هرمون الأنسولين ، والأنسولين تنتجه خلايا خاصــــة فى البنكرياس ، ولانتاجه خطة ، والخطة موجودة على جينة أو جزء من الشريط الوراثى ، ومن الممكن فى وقتنا الحاضر عزل هذه الجينة ، أو حتى تخليقها فى المعامل ، ثم يمكن نقلها وزرعها فى خلايا بكتيرية ، وبالتحديد فى نوع خاص من البكتيريا التى تسكن فى امعائنا الغليظة (البكتيريا القولونية) ، ولقد تقبل هذا النوع جينـة انسولين الانسان ، وأصبحت جزءاً من جهازه الوراثى ، وبحيث تتكاثر معه اذا تكاثر الميكروب ، وتنتقل الى ذريته واجياله القادمة ، وكأنما هذا الشريط الوراثى الذى يحمل خطة تكوين هرمون الانسولين ، قد أصبح جزءاً لا يتجزأ من الجهاز الوراثى للبكتيريا ، ليس هذا فحسب ، بل امكن لهذه البكتريا ان تجعلــه جـزءاً من بروجرامها ، ووضعته فى خطة التشغيل لحسابها ، وبالاختصار ، فقد انتجت البكتيريا هرمون الانســـولين ، وهى لا تحتاجه فى قليل أو كثير ، ومن ثم فقد أمكن استخلاصه منها بحالة نقية ، وجرب هذا الانسولين على مرضى السكر ، فاشتغل فيهم بنفس الكفاءة التى يشتغل بهـــا الانسولين البشرى فى البشر ، ذلك أنه صورة طبق الأصل منه ، وكان ذلك فى حد ذاته انتصاراً عظيماً شجع معاهد البحوث والجامعات وشركات الأدوية على الدخول الى ميدان جديد ، أدى الى تنافس شديد ، وسار فى شتى الاتجاهات ، لأن ذلك سوف يدر عليها أموالا طائلة .

ثم تحقق بعد ذلك انتصار آخر كبير ، فالمعروف أن اجسامنا تستطيع ان تنتج مادة بروتينية اسمها « انترفيرون » ،

والانتاج لا يتم الا اذا غزت الفيروسات أجسامنا ، لكن لولا وجود هذا الانترفيرون ، لما كانت لها مقاومة تذكر ، ذلك ان تلك المادة تصنع وتفرز بكميات ضئيلة غاية الضالة من الخلايا المصابة بالفيروسات ، ثم ينتشر منها الانترفيرون الى ما حولها من خلايا سليمة ، وينذرها بأن البلاء قادم ، وبطريقة لسنا ندرى كل تفاصيلها بعد ، تقوم الخلايا بتغيير بعض خططها الحيوية ، بعد ان تكون قد استجابت لهذا الانذار الانترفيرونى ، فاذا جاءتها الفيروسات غازية ، وجدت الاستحكامات الخلوية قائمة ، والأبواب موصدة ، فلا تستطيع دخولا ولا غزواً ، وبهذا ينجو الانسان ، وتندحر الفيروسات ، لكن ليس ذلك فى كل الأحوال ، اذ تختلف استجابة الخلايا لهذه الانذارات الكيميائية ، ومن يستجب لها أسرع ، تكون فرصة النجاة أكبر !

ولاشك أن هذا الانترفيرون سلاح جبار بين أيدى العلماء والأطباء ، اذ به يمكن اكساب الأجسام مقاومة ضد غزو الفيروسات ، بداية من الانفلونزا وشلل الأطفال والتهاب الكبد الفيروسي والسعار (داء الكلب) وغير ذلك من أمراض فيروسية ، وانتهاء بكثير من أنواع داء السرطان ، خاصة تلك الأورام التى يقال أنها تنشأ من غزو فيروسى .

لكن المشكلة العويصة تتركز فى عدم امكان عزل هذا الانترفيرون بكميات تسمح باستخدامه فى العلاج ، لأن الخلايا تفرزه - كما سبق ان ألمحنا - بكميات ضئيلة غاية الضالة ، كما أن الانترفيرون المعزول من الحيوان لا ينفع مع الانسان ، وكل ما حصل عليه العلماء يكفى فقط للتجارب العلمية ، والقليل جداً قد استخدم فى علاج بعض حالات السرطان ، لكن الجرعات الضئيلة التى يتقبلها المريض الواحد تصل تكلفتها الى حوالى ٤٠ ألف دولار !

وأخيراً ظهر الأمل فى هندسة الوراثة ، وأمكن زرع الشريط الوراثى المسئول عن انتاج الانترفيرون فى الانسان فى ميكروب ، وتقبله قبولا حسناً ، فأصبح بذلك ميكروباً معدلا لانتاج الانترفيرون البشرى .. صحيح أن الانتاج لا يزال متواضعاً ، لكنها بداية موفقة على أية حال ، فأول الغيث قطرة - كما يقولون - لكن مما لاشك فيه ان كل شيء يتطور الى الأحسن ، وبمزيد من الادراك والفهم لأسرار الحياة ، يمكن السيطرة على هذه العمليات ، فتمنحنا من خيراتها باليمين وباليسار ، لتنقذ البشرية من آلامها وأمراضها .

أهداف أخرى تتحقق

ان المبدأ العام الذى يرتكز عليه علماء هندسة الوراثة الآن أنه بالامكان نقل أية صفة وراثية من أى نوع من الكائنات الى أى نوع آخر ، والصفة أو الصفات ذاتها مسجلة على أشرطة ، والأشرطة موحدة فى الفكرة ، وموحدة فى الشفرة ، لكن الاختلاف بين صفة وصفة ، أو بين نوع من الكائنات ونوع آخر ، يرجع الى التباديل والتوافيق التى تتم فى تنظيم الشفرة على الأشرطة ، كما أنه قد أصبح متاحاً الآن تبادل شفرات الوراثة بين المخلوقات ، أو التحام شريط من كائن فى شريط كائن آخر ، ليعطيه صفة من صفاته ، ولا يهم بعد ذلك ان كانت هذه الصفة أو الصفات المكتسبة متبادلة بين انسان وميكروب ، أو بين حيوان ونبات ، أو حيوان وحيوان ، أو نبات ونبات .. المهم ان نحدد أولا الصفة الوراثية المرغوب نقلها وزرعها ، ثم نعزل شريطها ونقحمه على الجهاز الوراثى فى خلية أى كائن آخر ، لتقوم الخلية باجراء عملية « جراحية » على أدق المستويات ، فتقطع وتوصل وتضمد ، وبهذا يصبح الشريط المزروع جزءاً منها لا يتجزأ ، فيكسبها صفة جديدة لم تعرفها اسلافها .

لكن العلماء يركزون على الأهم

ثم المهم ، فأهم ما تحتاجه البشرية الآن أدوية تشفى امراضها ، أو تخفف آلامها ، أو تنقذ ضحايا شلل الأطفال والسرطان وكثير من الأمراض الوراثية وعلى رأسها أنماط التخلف العقلى المختلفة .. الخ ، والأمل معقود على هندسة الوراثة ، أى نقل خطط التشغيل الوراثية التى أصابها العطب فى الانسان ، لادارتها فى الميكروبات ، ثم ارجاع انتاجها الى الانسان المعطوب ، فلعلها تعوضه عما فقد !

لقد أصبحنا نسمع الآن عن شركات ومؤسسات أسماء غريبة تدل على أننا مقبلون على عصور غريبة لم تكن تراود أحلام العلماء منذ حوالى عشرين عاماً فقط .. من ذلك مؤسسات مثل « جينتك » و « جينكس » و « بيوجين » .. الخ (Genetec, Genex, Biogen) تحمل فى مضمونها كلمة « جين » - أى وحدة الوراثة ، فكأنما نحن امام شركات قد تخصصت فى نقل وزراعة وحدات الوراثة ، لتتمخض عن تكنولوجيا الوراثة .. أى تشغيل الخطط الوراثية المزروعة على خطوط تشغيل الخلايا ، أسوة بما يحدث فى خطوط تشغيل الآلات التى تديرها عقول اليكترونية .

وعلى الجانب الآخر انشئت شركات ومؤسسات لانتاج خلايا نباتية معدلة ، تتمخض عن نباتات معدلة ، وبسيطرة العقول البشرية الخلاقة ، منها على سبيل المثال لا الحصر مؤسسة كالجين ، وسنجين وفيتوجين Calgene, Sungene, Phytogene .. وكلها تشترك فى تكنولوجيا الجين النباتى ، أو هندسة الوراثة النباتية ، وعلى هذا يعلق البروفيسور روبرت شيبرد استاذ علم أمراض النبات بجامعة كاليفورنيا ، فيقول « ان أصول الزراعة فى غضون الخمسين سنة القادمة سوف تختلف اختلافاً جذرياً عما هى عليه الآن ، اذ سيكون لدينا أنواع كثيرة من نباتات محاصيل جديدة » .. ويعنى هذا أننا فى الطريق الى احداث ثورة خضراء قد يصعب التنبؤ بأبعادها .

بقى ان نذكر أن انتاج الخلايا المعدلة ، وبمواصفات وراثية محددة ، والسيطرة عليها بطرق معقدة ، قد أدى الى انتاج عقاقير وهرمونات وبروتينات وانزيمات ولقاحات .. الخ ، وأن بعض هذه المركبات قد جاءت من أشرطة وراثية فى خلايا مخ الانسان نفسه ، لكنها اشتغلت فى الميكروب ، لتعطى ما عجز المخ عن انتاجه ، نتيجة لخطأ عارض أو وراثى حل فى بعض جيناته ، وبهذا يقوم أدنى المخلوقات بمساعدة أعلى المخلوقات ، ومن وراء ذلك بحوث ناجحة ، وعلوم نافعة ، وتطبيقات مثمرة .

د . عبد المحسن صالح

الذي سقط سهواً من السعدني!

بقلم: الدكتور علاء عباس الأسواني

في العدد الصادر في ابريل الماضي ، كتب الأستاذ محمود السعدني مقالا تحت عنوان « المأساة الأسوانية » ، تحدث فيه عن صديق عمره الكاتب المرحوم عباس الأسواني .

وقد وصلتنا رسالتان للرد على بعض ما ورد في مقال السعدني . أحدهما من الأستاذ صلاح الأسواني المحامي . والثانية من د . علاء الأسواني ، نجل عباس الأسواني ، ونكتفي هنا بنشر رسالة الدكتور علاء الأسواني تعقيباً على مقال السعدني :

عزيزي الأستاذ محمود السعدني ....

قرات لك مقالا فى « الدوحة » عن عباس الأسواني .. اخترت له انت عنوان « المأساة الأسوانية » .وبالرغم من الحب الذي تخلل عباراتك عن الكـاتب الراحـل - الذي هو أبي - إلا أن مقالك قد جاء حافلا باخطاء ... هي مدهشة حقاً ... !

وليس المدهش انك اخطات .. فسبحان المعصوم ، ولكن العجيب انك غفلت - اقول غفلت - عن حقائق ووقائع كنت اظنك تعرفها .. جيداً ..

وبما أن عباس الأسواني - الراحل - لا يملك الآن دفاعاً عن نفسه .. فلتسمح لي ياأستاذ سعدني أن أبين انا ما خفي في مقالك ... من الحقائق :

أولا : ذكرت في مقالك أن عباس الأسواني كان مرتبطاً بطبقة الباشوات الذين كانوا أصحاب الفضل في تعليمه .. ولهذا كان يكره ثورة يوليو ووقف ضدها .

ووجه الحقيقة أن الأستاذ عباس الأسواني تعلم في كلية الحقوق حتى حصل على الليسانس ، ولم يدفع - هو أو غيره - مليماً من المصاريف . اذ كان - رحمه الله - حاصلا على المجانية لتفوقه في البكالوريا ... ! أما ارتباطه بالباشوات فقد ذكرت بنفسك - في نفس المقال . أن عباس الأسواني اعتقل عام ٥٢ وكاد أن يحكم عليه بالاعدام .. بسبب انتمائه لحزب مصر الفتاة .. فكيف يتفق أن يقتنع المرء بمبادىء حزب مصر الفتاة ، وحكم الباشوات في آن واحد .. ؟ !

سؤال اترك إجابته لثقافة الأستاذ السعدني .. التي أثق فيها كثيراً .

ثانياً : تعجبت فى مقالك وقلت أنك لم تفهم لماذا عادى عباس الأسواني حكم عبد الناصر .. وهو العهد الذي لمع خلاله ككاتب وفنان .. ثم رحب بعد ذلك ببداية عهد السادات بالرغم من أنه - الأسواني - قد خرج من مولد الانفتاح بلا حمص - كما قلت .

ويكفي عباس الأسواني أنه فعل ما لم تفهمه أنت - للأسف - إذ لم يكن الرجل يحسب موقفه من أي عهد بقدر ما يأخذه أو يمنع منه ..كما أن مصدر رزقه الرئيسي كان من المحاماة - مهنته الأولى - وأظنك عرفته محامياً بارعاً في قضاياك الكثيرة .. يا أستاذ سعدني ..!!

وقد اختلف عباس الأسواني مع عبد الناصر وثورة يوليو حول نقطة واحدة .. لم تلتفت إليها الثورة .. وكانت حجر الزاوية في فكر الأسواني . كان الخلاف حول الديمقراطية والحريات العامة .. ولعلك يا أستاذ سعدني لو رجعت إلى محاضر اللجنة المركزية « جلسات مارس ١٩٦٨ » ، لقرات فيها كيف أن عبد الناصر نفسه استشعر فداحة المنع الديمقراطي في مصر واعتبره سبباً هاماً من أسباب الهزيمة ..

ترى هل كان الأسواني مخطئاً في خلافه مع الثورة ؟ !

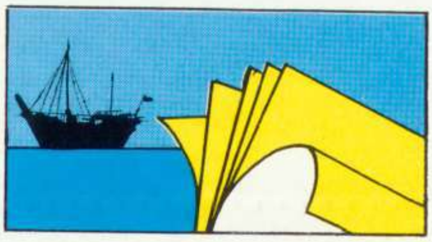
ثالثاً : ذكرت في مقالك أن عباس الأسواني « أراد أن يحتفظ بفنه طاهراً فتكسب بفن مجلوب .. »

والحق أن عباس الأسواني لم يتكسب بفنه قط ..! ولو أنه فعل .. ، لما قدر لمحمود السعدني يوماً أن يكتب عن مأساته ... !!

ودعني أذكرك بالقرار الذي أصدره أنور السادات في عام ١٩٧٢ بمنع عباس الأسواني من الكتابه - ضمن من منعوا حينئذ - وأذكرك أيضاً بأن عباس الأسواني لم يكتب حرفاً في مدح أو مداهنة مسئول . أما قصيدته التي جاء ذكر السادات فى بيت منها .. فقد كتبها عباس الأسواني في يوم ١٤ أكتوبر عام ١٩٧٣ ... ومن منا لم يكن مؤيداً لأنور السادات في ذلك اليوم ؟ !

كلمة أخيرة .. أهمس بها في أذن العم العزيز محمود السعدني :

إذا كان عباس الأسواني - في رأيك - مسدساً بغير طلقات كما قلت .. فمن المؤكد أن أحداً - صغيراً كان أو كبيراً - لم يكن يملك أن يطلقه على أحد ... !! شكراً ..



بقلم : عبد الرحمن المناعي
ريشة : سلطان السليطي

أم راشد .. تزرع الفرح على وجوه النسوة !

عندما ذهب الجميع الى الشاطىء لوداع السفن الراحلة الى مصائد اللؤلؤ .. لم تجد « أم راشد » سبباً للمشاركة .. فلقد ودعت زوجها وأبناءها الثلاثة منذ زمن بعيد .. لم تعد تكترث لرحلة الغوص وبيتها الذي تقلص الى مساحة صغيرة « الكبر » . الوحيد الذي لم يعد يضم غير سنواتها الستين ، وذكرياتها الموجعة عن البحر .

وعلى صوت قرع الطبول القادمة من بعيد .. بدأت في تخطيط الأرض التي تفصل بين كوخها .. وبوابة البيت .. بينما تحصر في عقلها عدد نساء الحي ، لتخصص لكل امرأة مكان مناسب .

وعندما خفتت الأصوات على الشاطىء وبدأت الهمسات الحزينة تدور في أزقة القرية .. كانت أم راشد قد انهت حرث الأرض واسندت رأسها المتعب على الحائط الطيني تنصت للنساء ، وهن يطيبن خواطر أبنائهن الصغار .

وتبتسم أم راشد في حزن ، لمعرفتها بنساء القرية ، وطيبتهن المتناهية .

وعندما اختفى آخر شراع في الأفق كانت أم راشد قد أنهت زراعة الأرض ببذور « المشموم » .

بعد شهر :

في بيت النوخذة .. دارت الفناجين .. واجتمعت النسوة في جلسة صباحية افترشن « الصبان » والأبواب مشرعة .. القرية لا تضم إلا النساء والأطفال والعجزة .. زوجة النوخذة تؤكد على تفاؤلها هذا العام .. فبعد مرور شهر .. لم تشهد المنطقة أي رياح قوية . ودرجة الحرارة لا زالت مناسبة ..

كانت تريد تأكيد معرفتها كزوجة لقائد السفينة بالبحر وأحواله .. وبمرور الوقت تستيقظ العيون .. وتراقب الأبواب بشوق ... فحديث امرأة « النوخذة » لا يغني عن حكايات الحجية أم راشد ...

وعندما تلج الباب بعكازها وابتسامتها الرزينة .. يبادر الجميع الى سؤالها : ما أخبار المشموم يا أم راشد .؟ وعندما تبدأ الحديث عن المشموم ونموه بشكل جيد ، وكيف يجدل مع الضفائر السوداء .. تكون الأمواج قد حملت السفن الى الشاطىء . عندها تنبذ الليالي الموحشة والمضنية .. وتنجز أم راشد عملها السنوي .. برضى كبير .. حيث انها نذرت نفسها من سنين بعيدة لتجميل النساء في القرية بالمشموم .. فهي لا تكتفي بزراعته ورعايته .. بل انها تخيط أوراقه على شكل كور صغيرة مطعمة ببعض ازهار الياسمين البيضاء .. وتربط كل أربع أو ست أو ثمان كور مع بعضها حسب طول شعر صاحبته .. وعندما تزف البشرى ، وتعود السفن .. تسارع النسوة إلى الحجية .. « كان ابنها سيتزوج بعد عودته من الرحلة ولكنه لم يعد » !

● بعد شهر آخر :

ما أخبار المشموم يا أم راشد .. ؟؟

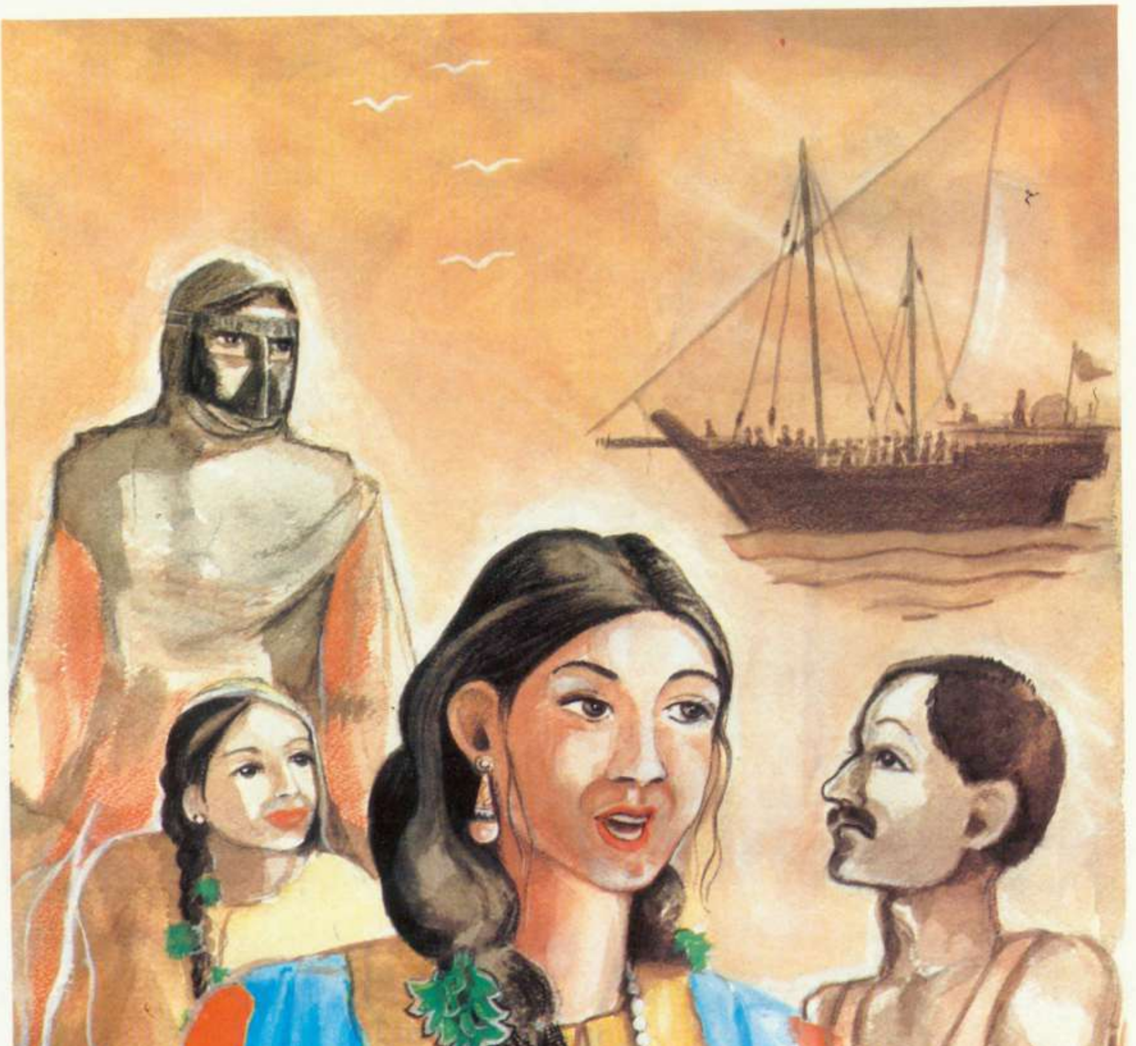
تبتسم لزائرتها .. وتتناول طبق الأرز والسمك .. تجلس في الظل أمام الكوخ .. تتناول وجبتها .. بينما زائرتها تداعب أوراق المشموم الخضراء بفرح عارم ... وتنصرف بورقة واحدة تفركها بين راحتيها . أم راشد تزرع ولا تطبخ ... فهذا هو المقابل .. كل وجباتها من جيرانها وما عليها إلا زراعة الفرح على وجوه النسوة العابرات .

واقترب الموعد .. وبدأت بذور المشموم تنبثق فى أعلى الغصون ضاربة الى اللون البنفسجي .. مشيرة الى تمام اخضرارها ..

انصرفت أم راشد في الأيام الأخيرة الى تجهيز المشموم بجانب قيامها بنقش أكف النساء وارجلهن بالحناء .

وانتهى الموسم .. لم تعد السفن .. تأخرت .. والمشموم لابد أن يبقى أخضر فالمزيد من الجهد يا أم راشد .. يجب أن يفرح الجميع .. وعندما صرخ الأطفال على الشاطىء : « بين البوم .. ردوا الغواويص » توافدت النسوة الى أم راشد .. كل تخطف نصيبها وتجري فرحة إلى اتمام زينتها .

وأم راشد مستندة الى كوخها ترقبهن



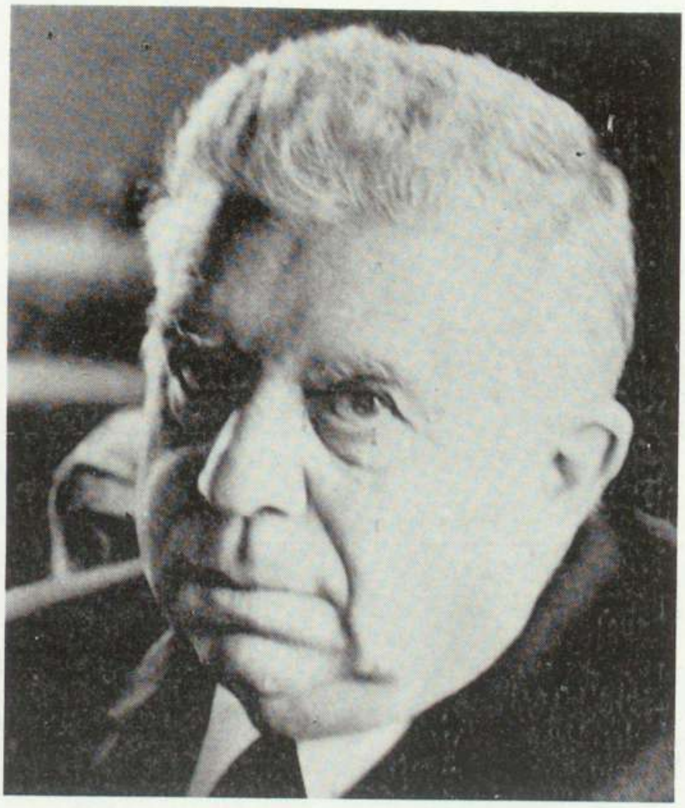
وهن فرحات .. وأصوات الأطفال مع الطبول القادمة من البحر .. تشيع الفرح في سماء القرية .. **والمساحة** المتدة من الكوخ الى الباب اصبحت جرداء .
عندما رحلت الشمس .. كانت أم راشد **لا تـــزال ترقب الأرض .. وتســـتشف** الضحكات من خلف الجدران الطينية .

في الصباح اقبلت النسوة بالأطباق الشهية إلى أم راشد .. لكنها لم تزل مستلقية هناك .. وشبح ابتسامة .. لا يزال على شفتيها .. !

الكبر : كوخ يشيد من سعف النخيل وجذوعه وسقفه يكون على شكل مائل .. وبعض الاكواخ يبنى الجزء الأســـفل منها .. من الحجارة والطين .. والجزء الأعلى بسعف النخيل .

المشموم : أو « الريحـــان » أوراق خضراء ذات رائحة زكية . دابت النساء قديماً على استخدامه لزينتهن .. وذلك بتجميع الوريقات فى كور تعلق مع جدائل الشعر .. كذلك يستخدم لتحضير بعض العطور.

الصبان : نوع من انواع القواقع الصغيرة جدا .. تتجمع على الشواطىء بكميات كبيرة .. تجمع وتجفف وتفرش بساحات البيوت حيث انها تحافظ على نظافة البيت .



الشاعر الايطالي ايوجينيو مونتالي .. اخر شعراء ايطاليا العظام !

الأيّــام الأخـــيرة في حياة شـاعر عـالميّ من إيطاليا !

بقلم : الدكتور عيسى الناعوري

في اليوم نفسه الذي قابلت في صباحه الروائي الايطالي دينو بوتساتي في دار جريدة (كورييري ديلا سيرا) ، زرت عند أصيله الشاعر الكبير ايوجينيو مونتالي في بيته : يوم الثلاثاء ، ١٥ تشرين الثاني ١٩٦٠ .

منذ الأيام الأولى لوصولي الى ميلانو ، كنت أود معرفة مونتالي ؛ ففي ايطاليا كان الجميع يحدثونني عنه ، باعتباره أحد الشعراء الكبار ، الذين يتربعون على قمة الأولمب من الشعر الايطالي المعاصر .

في اليوم التالي لوصولي الى ميلانو ، حاولت مخاطبته هاتفياً ؛ فقيل لي إنه في باريس يشارك في إحدى المناسبات الشعرية المهمة ، وانه قد يعود خلال عشرة أيام .

وفي مساء ١٤ تشرين الثاني حاولت مرة ثانية أن أهاتفه ، فرد «مونتالي» نفسه ، وضرب لي موعداً للقائه في منزله الساعة الرابعة من أصيل الغد .

الساعة الرابعة تماماً وصلت الى «شارع بيليي رقم ١١» ، وصعدت بالمصعد الى الطابق الرابع ، ولما فتحت باب المصعد لأخرج ، كان «مونتالي» يقف هناك في انتظاري . فقدم إلي نفسه حالا ، وقدمت نفسي . فسار أمامي على مهل الى غرفة مكتبته .

كان عمر «مونتالي» يومذاك خمسة وستين عاماً ، ولكنه بدا لي أكبر من ذلك

بكثير . وقارنت فى سرى بينه وبين زميله الشاعر الكبير دييجو فاليرى ، فى البندقية: كان عمر «فاليرى» حين لقيته فى البندقية قبل ايام ، اربعة وسبعين عاماً ؛ اى انه اكبر من «مونتالى» بتسع سنوات ، ولكنه فى الحقيقة كان يبدو اصغر منه بتسع سنوات او عشر . لقد جاء للقائى ماشياً من منزله الى الفندق تحت المطر الشديد ، لأنه كان يخشى علي من الضياع لو غادرت الفندق لأزوره فى منزله ، فى تلك المدينة المائية التى لا يمكن أن يستاجر فيها المرء سيارة ، لأن لا سيارات فيها ؛ وانا لا أعرف المدينة ، بل أزورها لأول مرة .

شرحت لمونتالى الغرض من زيارتى ومن وجودى فى ميلانو . وحدثنى هو عن حياته وعن أعماله الادبية . ثم نهض وتناول من احد رفوف مكتبته نسخة من كتابه الشعرى (العاصفة) ؛ وبيد مرتعشة من اثر الشيخوخة والضعف ، كتب على الصفحة الأولى من الكتاب كلمة اهداء قصيرة : «الى عيسى الناعورى ، تذكاراً من : ايوجينيو مونتالى – ميلانو ١٩٦٠» . وعلى ورقة مستقلة كتب ايضاً باليد المرتعشة عينها ، نبذة قصيرة خاطفة عن حياته وعن أعماله الشعرية – لا ازال احتفظ بهذه الورقة داخل ديوان «العاصفة» – ثم قدم الي بعض صوره الشخصية ، وعليها توقيعه .

استغرق اللقاء ساعة : من الرابعة الى الخامسة مساء . وكان «مونتالى» يتكلم ببطء وبصوت خافت ، بادي التعب . قال لي إن لديه من الأعمال الشعرية المنشورة حتى ذلك الحين : « عظام السبيدج » ، و «المناسبات» ، و «العاصفة» . واوصانى بان اذهب الى ناشر كتبه – دار موندادورى – ليهدى الي ديوانيه الآخرين : (عظام السبيدج – والمناسبات) . وذكر لي انه يعمل رئيس تحرير لجريدة (كوريبرى ديلا سيرا) .

ان شعر «مونتالى» ، بالنسبة الي ، يختلف عن شعر زملائه الثلاثة الآخرين : أونجاريتى ، وكوازيمودو ، ودييجو فاليرى ؛ فشعر هؤلاء الثلاثة اسهل كثيراً على الفهم وعلى الأخص شعر «فاليرى» السهل ، الناعم ، الواضح . اما « مونتالى » ، فان لغته الايطالية هى بالأحرى لغة «مونتالية» خاصة به ، ولكى اتمكن من فهمها لابد لي من أن أقراها مرة ، وأعاود قراءتها مراراً . كذلك فعلت ، وكذلك افعل كلما فكرت فى أن اترجم الى العربية شيئاً من شعر مونتالى .

وحين فاز مونتالى بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٧٥ ، كنت العربى الوحيد الذى كتب عنه فى الصحف العربية معرفاً به وبشعره ثم نشرت فى مجلة «الآداب الأجنبية» ، فى دمشق ، العدد ٤ ، نيسان ١٩٧٦ ، دراسة تقع فى ٤٣ صفحة ، مع ترجمات لثمان واربعين قصيدة من شعره اخترتها من جميع كتبه الشعرية ، وعددها خمسة كتب .

جينا : أتعرفين هذا السيد ؟

تلك الزيارة فى شهر تشرين الثانى عام ١٩٦٠ ، لم تكن الزيارة الوحيدة ، فقد اسعدنى الحظ بعدها بزيارة ثانية فى تشرين الثانى ١٩٧٣ ، ثم بزيارة ثالثة فى تشرين الأول ١٩٧٩ .

حين زرت «مونتالى» الزيارة الثانية ، كان فى المنزل وحيداً مع خادمته السيدة «جينا» . واستقبلنى جالساً . وعلمت انه فقد زوجته قبل بضع سنوات . كان متداعى الجسم ، وقد بدا كانه ابن تسعين عاماً أو اكثر . كان يتكلم ببطء شديد ؛ وبدا كانه طفل : كانت «جينا» تسقيه القهوة والحليب بيديها ، وحين يطلب منها سيجارة ، كانت تقسمها له نصفين ، ولا تقدمها اليه حالا ، لئلا تدعه يدخن كثيراً – ولابد ان هذا كان بامر الطبيب .

وقدمت له نسخة من مقال كنت قد نشرته عنه فى احدى الصحف الأسبوعية الأردنية وفى المقال صورة له مع الكاتب الروائى «فاسكو براتولينى» ، وهما يتبادلان التهانى بمناسبة صدور رواية لبراتولينى . وهذه الصورة كانت من الصور التى أعطانيها «مونتالى» نفسه فى زيارتى الأولى ، ولكنه نسيها تماماً ، ونسي مناسبتها ، ونسي انه التقى مع «براتولينى» فى حفلة . ولذلك راح ينادى الخادمة : «جينا ! جينا !» . فلما جاءت ، سالها مغتبطاً بلهجة طفولية عجيبة : «جينا ! اتعرفين هذا السيد ؟» فقالت جينا : «هذا انت يا استاذ» . فقال : «ولكنها صورة جميلة ، وانا هنا شاب» ؟ فقالت جينا : «انت دائماً شاب ، ودائماً جميل ، يا استاذ» . فضحك «مونتالى» مغتبطاً كالطفل .

وكان يهمنى أن أعرف شيئاً . فقلت أساله : هل مازال يذهب الى جريدة (كوريبرى ديلا سيرا) ؟ فقال انه لم يذهب اليها منذ سنتين ؛ ولكنهم هناك لايزالون يعتبرونه رئيس التحرير ولايزالون يدفعون له راتبه على هذا الأساس .

وليس من شك فى أن هذا كان تقديراً واعترافاً من الادارة بفضل «مونتالى» . ولكن هل ظل الأمر كذلك الى آخر حياة الشاعر يا ترى ؟ ليتنى أدرى !

الشيخوخة قبل الموعد

كانت زيارتى الثالثة لمونتالى فى اكتوبر ١٩٧٩ ، وكان يرافقنى الصديقان المستعربان الشابان «سيرجيو نويا» ، و «ميكيلى فلارو» ، من اعضاء الهيئة التدريسية فى الجامعة الكاثوليكية فى ميلانو . وكان «مونتالى» لايزال يقيم فى المنزل نفسه الذى زرته فيه فى المرتين السابقتين ، رقم ١١ ، شارع بيليي . وكان ساعتئذ فى المنزل ومعه صديق له ؛ وكانت جينا لاتزال هناك ايضاً .

كان الشاعر حينذاك فى الثالثة والثمانين من عمره ؛ وقبل أربع سنوات كان قد فاز بجائزة نوبل العالمية للآداب – حلم العمر لكل أديب وشاعر – .

من المؤسف ان ذاكرة الشاعر كانت قد بلغت منتهى الضعف : كان يسال السؤال ، ويسمع جوابه ؛ ولكنه سرعان ما كان ينسى انه سال ، وانه سمع الجواب ، فيعود يسال السؤال نفسه من جديد ، ويسمع الجواب عينه مرة اخرى . وكان يبدو انه يسبح فى عالم آخر غير منظور . كان يجلس معنا ، ولم يكن معنا .

كان يبدو أن الشاعر الايطالى الكبير ، الذى تربع على عرش العالمية ، كان إذ ذاك يعيش على الأرض بجسم متعب منهوك ، وبالقليل من الروح الباقية له . والواقع ان «مونتالى» بلغ الشيخوخة قبل أوان الشيخوخة بكثير ؛ وهذا ، بكل تاكيد ، نتيجة الأمراض التى تعاقبت عليه منذ الصغر ، والتى حرمته من مواصلة الدراسة الى ما بعد المرحلة الاعدادية ، ورافقته الى مدة طويلة من عمره . وهكذا كان يبدو شيخاً هرماً منذ ان كان فى الستين من عمره .

لقد تيقنت فى تلك الزيارة من أننى لن أرى «مونتالى» بعد تلك الزيارة . ولم اقل هذا لنفسى فحسب ، بل قلته للصديقين : «نويا» و «فلارو» بعد خروجنا من عنده . وهذا ما وقع فعلا .

ففى ١٢ أيلول عام ١٩٨١ اختفى مونتالى ، فشعرت بحزن شديد عميق لوفاته . وكتبت حينئذ مقالا فى جريدة (الدستور) الأردنية الصادرة يوم الجمعة ٢ اكتوبر ١٩٨١ ، أرثى فيه الشاعر الصديق الراحل .

ولا اعرف عربياً غيرى كتب يرثيه فى صحيفة عربية .



فرقة التواشيح الأندلسية التى تذكرنا باجمل ليالى الاندلس العربية

اسبوع الثقافة المغربي في الدوحة

مع التواشيح الأندلسية والفن المغربي الأصيل

سنان المسلماني



باقة من الأزهار مهداة للفنانة ماجدة عبد الوهاب بعد الانتهاء من وصلتها الغنائية



مشهد من مسرحية «قاضى الحلقة» للكاتب المسرحى المغربى أحمد الطيب العلج



الأستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام القطرى والى جواره وزير الثقافة المغربى د. سعيد بن البشير والأستاذ احمد الرعينى وزير العمل والشئون الاجتماعية اليمنى .. وذلك فى حفل افتتاح الأسبوع الثقافى المغربى فى الدوحة .

امتد الجناح الغربى للوطن العربى ليحتضننا ونحتضنه فى الأسبوع العربى المغربى الذى عايشناه وعايشنا فى الدوحة .

امتزج بنا وامتزجنا به ، فأعاد الينا ذكريات حبيبة الى نفوسنا طالما تقنا الى استعادتها والرحيل من خلالها الى ذكرى الوطن الواحد والدم الواحد والروح الواحد بلا حدود أو أسلاك ، تجمعنا اللغة العربية والدين الاسلامى .

لقد جسد لنا الأسبوع الثقافى المغربى العربى كل أصالة الانسان العربى من خلال العروض الموسيقية والمسرحية ومن خلال معرض الكتاب وصور العمارة الاسلامية والفنون الأصيلة ، التي إن دلت على شيء فانما تدل على الفلسفة المتبصرة الهادفة التى ميزت منجزات هذا الانسان برقة الحس ودقة الصنع والصدق فى التعبير ومدى القدرة على صهر كل التيارات الحضارية التى عايشها الانسان العربى ، والتى تركت بصماتها وآثارها على معالم مدنه التاريخية والعمرانية والثقافية ، ليسهم بقدر وافر فى بناء حضارة خالدة تضرب جذورها فى أعماق جسد التاريخ وتنتشر فروعها الخضراء المعطاءة على مدى العصور والأجيال .

فمنذ أن أشرق نور الاسلام على المغرب حدث التمازج العظيم والمدهش والخلاب بين حضارات المغرب القديمة وحضارة الاسلام التى زادتها قوة وعمقاً ووجهت



فرقة «تاكادة» التى تعتبر نموذجاً للظواهر الفنية الجديدة فى المغرب



الموسيقى المغربية العصرية، عكست قدرة الانسان العربى فى المغرب على التفاعل مع الانسان العربى فى المشرق

مع التواشيح الأندلسية والفن المغربي الأصيل

مسارها كحضارة إنسانية خالدة فاعلة .

وعن هذا التمازج نشأ طراز مغربى اسلامى تجلى فى كل شىء ، بداية من هندسة تشييد المدن والمؤسسات الاجتماعية والقناطر والجسور وغيرها من فنون العمارة ، الى الزخرفة والنقش وصياغة الحلي والمعادن النفيسة ونسج النسيج وتزويق المخطوطات وكتب التراث وغير ذلك من الانتاجات التى أفلتت من زيف الحضارة المادية لتظل شاهدة على أصالة الشخصية المغربية .

وكما تجلى هذا التمازج فى فن العمارة وفى الصناعات اليدوية الأصيلة ، فقد تجلى أيضاً فى الفن الموسيقى الغنائى المغربى ، ذلك الفن الزاخر المعبر عن أصالة الفنان المغربى ومدى ارتباطه بجذوره ، لو أردنا أن نحدد أطره ، أو أن نسمى صوره من خلال مشاهداتنا له فى العرض الفنى ، لما خرجنا عما ارتضاه هو لنفسه من مسميات ، واتجاهات ، ونحن عندما نحاول رصد أشكاله ، فسنجد أنفسنا نسبح من خلال هذا الفن الرفيع والشيق والممتع فى ثلاثة أشكال ، فى ثلاثة أنهر موسيقية حالمة وصاخبة .

فالنهر الأول هو نهر الموسيقى الأندلسية هذا الاتجاه الأصيل الذى يعيدك رغماً عنك الى ليالى الأندلس وتلك الذكريات العزيزة، ويوقظ فيك أحلى ذكرى عاشتها النفس العربية .

هذا النهر جسد قدرة هذا الانسان العربى على التمازج ثم الاحتفاظ بهذا الفن الأندلسى القديم ، ليتمثل بداخله اتجاهاً محدداً يخترق حاجز الزمن ، ويصل الماضى بالحاضر ، ويصل بعزمه الحاضر بالمستقبل .

والنهر الموسيقى الثانى ، كان يمثل الموسيقى المغربية العصرية هذه الموسيقى التى عكست أيضاً قدرة الانسان العربى فى المغرب على التفاعل مع الانسان العربى فى المشرق .

ومحاولة مد الجسور من خلال التفاعل مع موسيقى الانسان فى المشرق العربى ، فلقد ظهرت البوادر الأولى للموسيقى المغربية العصرية مع مطلع القرن العشرين إذ كان لوفود الفرق الغنائية العربية وخاصة الفرق المصرية ، أثر قوى فى زرع البذور الأولى لهذه المدرسة ، كما كان للموسيقى المبثوثة عبر الأجهزة الاذاعية دور كبير فى خلق هذا الاتجاه وتأكيده .

ولقد كان يمثل هذا الاتجاه الجديد مجموعة من الشباب العربى المغربى ، إذ قاموا بحفظ الأدوار الموسيقية المصرية والموشحات الحلبية ، كما كانوا يرددون المواويل . وما هى إلا سنوات قليلة حتى أصبح لبعض هؤلاء يد طولى فى مجال الموسيقى الشرقية ، فيهم الملحن المبدع وفيهم المغنى البارع ، وهذا ما لمسناه بصدق من تلك الفقرة التى ضمت الموسيقى المغربية العصرية . والتى أوضحت مدى مصداقية هذا التفاعل الحسى الرائع .

أما النهر الموسيقى الثالث ، فتمثّل فى مجموعة (تاكادة) هذه المجموعة التى تشكل نموذجاً للظاهرة الفنية الجديدة بالمغرب ، إذ أنه مع بداية السبعينات عرفت الأوساط الموسيقية فى المغرب ظاهرة فنية جديدة ، تمثلت فى (فرق الأجيال) انطلقت بظهور جماعة (ناس الغيوان) ثم تلتها فى الظهور مجموعات أخرى كجيل جيلاله وفرقة المشاهب وتاكادة وجيل الصحراء .

وكان قوام هذه المجموعات عناصر شابة ولجت الى عالم الغناء والموسيقى بدوافع شتى .

وكان الاعتماد الأساسى والأول لهذه الفرق يقوم على القصائد الملحنة سابقاً ، تعتمد كل مجموعة فى غنائها لهذه القصائد على طريقة مختلفة عن الفرق الأخرى ولقد استعملت هذه الفرق الآلات الموسيقية التقليدية مثل البنذير والطبل والدعدوع ، وأضافت اليها آلات مستحدثة كالجيتار الكهربائى والبانجو .

وتعتمد هذه الفرق الغناء الجماعى الذى يمثل الوحدة والمشاركة والتمازج ، كما تعمد الى الغناء فى طبقات صوتية عالية شديدة الحدة والقوة ، والى جانب القصائد الملحنة والمغناة ، عملت فرق الأجيال ومن بينها مجموعة تاكادة على تطوير نص الأغنية المغربية ، وخرجت على الجماهير بموضوعات جديدة وشيقة ومعبرة عن الواقع المغربى بكل ما فيه من أصالة ووعي حسي لدى الفئات الاجتماعية.

واستطاعت هذه الفرق أن تحرك وجدان الشباب المغربى من خلال المضامين الشعرية التى تطرحها والتى تعبر بصدق عن إحساس هذا الشباب الواعي بالقضايا المصيرية للوطن العربى وبقضاياه المعيشية .

وأخيراً من خلال هذا النموذج للفرق التى تمثل الظاهرة الفنية الجديدة فى المغرب ، نستطيع أن نقول ان كل الأسلاك والحواجز والحدود لم تستطع أن تمنع التفاعل الصادق والمؤثر بين المشرق والمغرب ، هذه الأسلاك ، هذه الحدود التى وضعها المستعمر الباغى لم تستطع أن تقطع التواصل الفكرى والنفسى ، هذا التواصل الذى جسده هذا الأسبوع بكل فعالياته من عروض مسرحية وموسيقية وفنية تشكيلية وكتب ..

هذه الحدود لم تستطع أن تقتل الاحساس فينا نحن العرب ، وتحجب عنا هذا الفن العربى الممتع والأصيل .

وأتمنى أن تظل عرى الصداقة والتواصل ممتدة من مشرقنا الى مغربنا ، لتجسد للعالم حقيقة حية أمامنا تقول : اننا برغم الحواجز ، استطعنا أن نتعلم القفز واستطعنا أن نمد الجسور لنصل ما انقطع .

سنان المسلمانى

حفنة نور

بقلم : إبراهيـم أصـــلان

النور انقطع فجأة على أم عبده وهى قاعدة تتفرج على التليفزيون . أم عبده اترعبت لأنها لا تخاف من شىء فى الدنيا مثل العتمة . ونزلت من على الكنبة ومشت خطوة واحدة ووقفت ، فى انتظار «أبو عبده» الذى كان عند جابر البقال . وعندما تبينت حفيف الجلباب عند الباب قالت :

«أبو عبده ؟» .

أبو عبده قال : «أيوه» ودخل المطبخ . وهى وقفت لغاية ما سمعت يده وهى تنكش فى الدرج بحثاً عن الكبريت ، ورأت النور الخفيف وهو ياتى من الطرقة ، وراقبت خيال الفوطة المعلقة على المسمار وهو يكبر على الحصيرة ثم ينسحب على الجدار ويصغر أمام لمبة الجاز التى جاء أبو عبده يحملها بيديه الاثنتين . وأبو عبده رأى أم عبده وهى فى هذه الحالة وابتسم ، ووضع اللمبة على التليفزيون ومسح زجاجها بكفه وعلاها ، وسألها عن علبة الكبريت التى طلب منها أن تحتفظ بها وتنور لنفسها إذا النور انقطع ، وهى رجعت مكانها وقعدت على الكنبة وقالت إنها غلبت من عيال محاسن ابنتها الذين لا يتركون شيئاً فى مكانه .

وأبو عبده سمعها وأخرج ورقة اسبرين من جيب الجلباب وهو واقف ، ووضع القرصين على لسانه وتناول القلة من جنب التليفزيون وأخذ شربة ماء وابتلعهما ، وقعد على الكنبة الأخرى ومد يده الممسكة بالمسبحة على ركبته المثنية ، وركن الشمال على المسند ، وأخبرها أن أم حسين البقالة أعطته قبل الظهر ربع جنيه قديم ، وأنه أعاده الآن الى ابنها جابر ، وان جابر أخذه منه ، ولمس جانب فمه باطراف أصابعه . وأم عبده سألته إن كان ضرسه لايزال يؤلمه وأبو عبده قال : «آه» .

– «طيب يا اخويا اخلعه» .

– أبو عبده هز دماغه وقال : «يا ستى» .

– «مادام بيوجعك» .

– «أنا لسه حاخلع واعمل يا أم عبده ؟» أم عبده قالت ان كل الناس تفعل ذلك فى مستشفى الموظفين ، وان وجع ساعة ولا كل ساعة : «ولا انت يعنى عليك ذنب ، تفضل طول عمرك وانت تعبان منه ؟» .

– «لا طول عمرى ولا حاجة . أهو شوية كده وشوية كده لغاية الواحد ما يروح لحاله» .

أم عبده سكتت وفكرت فى أسنانهاالتى كانت تعوم وتقع فى فمها دون أى وجع ، وقالت : «أنا اللى سنانى خابت لوحدها» ، وأنها كانت ترميها من الشباك : «سليمة وزى الفل . النور اتاخر» .

– «زمانه جاى» .

– «يا ترى مقطوع عن الجامع ؟» .

– «آه» .

– «ومحاسن ؟» .

أبو عبده قال : «يمكن عندها» ، وقال ان العيال لم يظهروا ، لم ير أحداً منهم . لكن أم عبده قالت ان الولد وليد كان هنا .

– «إمتى ؟» .

– «وانت نايم» .

وأخبرته أنه قعد هنا وقال : «هاتى شلن يا ستى» أخذه وهبد الباب وراءه وخرج . أبو عبده ابتسم وقال ان هذا الولد بالذات يذكره براشد الذى كان فى البلد : «فكراه يا أم عبد الرحيم ؟» .

أم عبد الرحيم عدلت جسمها على الكنبة وقالت : «فكراه قوى» ووصفت له جلبابه المقطوع وطاقيته المدورة ، وقالت انها كانت تجرى وراءه هى وأولاد يحيى وأولاد دبور يعاكسونه من عند دار الطناحى لغاية سيدى علي الشمبابى . أبو عبده هز دماغه وقال : «سبحان الله» ، وأخبرها أن راشداً هذا كان يقف أمام باب سيدى علي ويهمس فى خرم المفتاح ويقول : «واد يا على ، سلام عليكم ، افتح يا واد ، أنا راشد» ، وحينئذ كان باب الجامع المقفول بترابيس النحاس من الداخل يفتح من الناصيتين ، وراشد يدخل ينام ، والباب يقفل من ورائه .

– «ده من عيلة اللبودى يا أبو عبده» .

– «عارفه ، وعارف ولاد عمه كلهم . ارضهم كانت على المصرف البرانى» .

– «شوف الدنيا . يا ترى راشد مات يا أبو عبده ؟» .

أبو عبده قال : «تلاقيه مات من زمان» .

أم عبده مصمصت بفمها الخالى وقالت : «يا دى الخيبة على حكاية النور دى يا اولاد . يا ريتك يا أبو عبده لما أموت توصل لي سلك بلمبة فى التربة» .

– «إزاى الكلام ده ؟» .

– «تعرف ، ولو أسبوع واحد» .

أبو عبده كان أول مرة يسمع كلاماً بهذا الشكل ، وقال : «دى تضرب يا وليه» .

أم عبده قالت : «أبداً ، والنبى ما يجرى لها حاجة» .

أبو عبده سكت وتهيأ له أن اللمبة لن تضرب : «صحيح ، إيه اللي يخليها تضرب ؟» . لكن مع التفكير عقله راح ناحية الملكين والحساب واستغفر ربنا ، وهرش رجله الشمال وبدا له أن الموضوع غير ممكن ، وقام من على الكنبة ودخل المطبخ وأتى بعدة الشاى . وأم عبده رجعت تقول انه يقدر ياخذ وصلة سلك من عند عبد الخالق الحانوتي ، ويشترى لمبة بربع جنيه ودواية : «يعنى عمرها ما تتكلف خمسين قرش ، ولا يمكن أربعين . أسبوع لغاية بس ما اخذ على الضلمه» .

أبو عبده وضع السكر فى الأكواب وهو يقول لنفسه : «وصلة إيه يا اخويا ؟» . وفكر ان السلك بعد تركيبه فى المقبرة لابد يردم عليه ، ويخرجه من تحت الأرض ويوصله بالفيشة عند عبد الخالق فى الناحية الثانية ، وممكن يتعرى من الرطوبة ، وممكن يدوس عليه أى واحد ويتكهرب : «ده يموت ، وتبقى دوشه» ، وأشعل وابور السبرتو ووضع عليه البراد ، ومد لها يده بعلبة الكبريت وطلب منها أن لا تضيعها هذه المرة ، وأم عبده أخذتها منه ووارتها تحت المسند ، وقالت ان أولاد محاسن شياطين ، لا يتركون شيئاً فى مكانه ، أبداً .



كان من ضمن معروضات المهرجان ، مصحف سيدنا عثمان رضى الله عنه ، الذى يقال انه استشهد بجانبه .



رئيس الوزراء التركي «بلند اولوسو» يفتتح مهرجان الفنون الاسلامية فى اسطنبول



سجادة صلاة تعكس التراث الحضارى الاسلامي ..

أضخم مهرجان للفنون الإسلامية في اسطنبول

اسطنبول : خاص بالدوحة

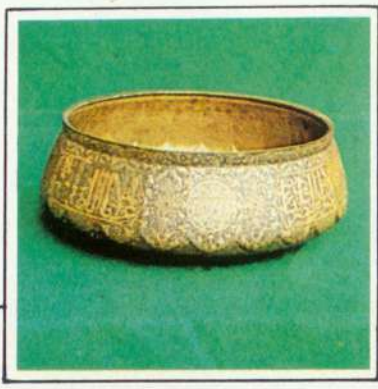
تشهد تركيا ـ وعلى مدى خمسة شهور ـ مهرجاناً للفنون الاسلامية يأتى ضمن احتفالات العالم الاسلامى بمقدم القرن الهجرى الخامس عشر .

وقد افتتح المهرجان فى اسطنبول السيد «بلند أولوسو» رئيس الوزراء التركى فى العشرين من ابريل بحضور السيد الحبيب الشطى الأمين العـــام لمنظمة المؤتمر الاسلامى والدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة السورية وعدد كبير من المدعوين يمثلون الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الاسلامى (٤١ دولة) .

ويشتمل المهرجان على معرض «للأمانات المقدسة» ويقام فى قصر «توب كابى» ويقال ان هذه الأمانات هى من اثار الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام وتشتمل مما تشتمل عليه خاتم الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته الى المقوقس حاكم مصر ، وبردته وعلم اللواء الشريفة ، وأشياء اخرى .

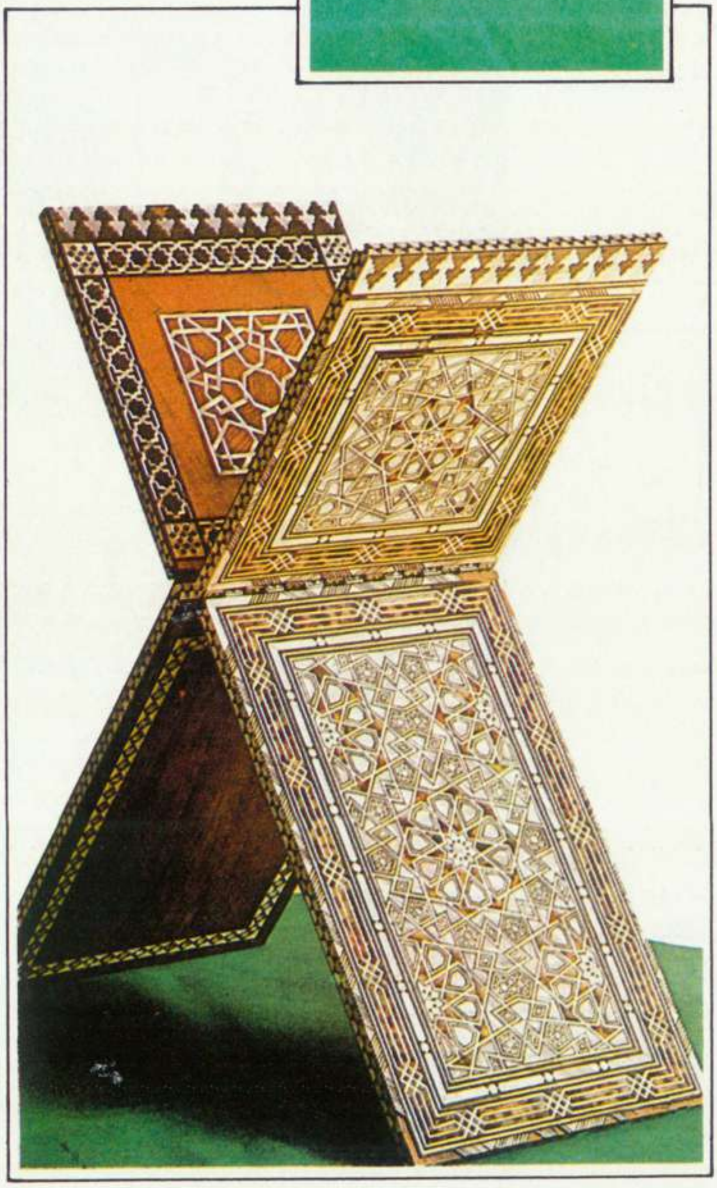
ويقام فى نفس القصر معرض للأدوات المتعلقة بالعبادات مثل المصاحف وكراسيها وسجاجيد الصلاة التى كان يستخدمها السلاطين العثمانيون ، والمسابح وأوانى الوضوء وغيرها . ومن المصاحف المعروضة «مصحف عثمان» رضى الله عنه والذى يقال إن سيدنا عثمان كان يقرأ فيه عندما استشهد .

وفى أماكن أخرى من المبانى والمساجد والقصور الاسلامية فى اسطنبول التى كانت آخر عاصمة للخلافة الاسلامية ،





مهرجانات أثناء حفل افتتاح معرض الفنون الاسلامية فى قصر «توب كابى» باسطنبول



نماذج من الفنون المعدنية والخشبية الاسلامية



خزينة ذهبية كان يحفظ فيها السلاطين العثمانيون المقتنيات النادرة

اقيمت معـــارض للخزف الاســـلامى والسيراميك المعاصر ومعرض للسجاد والبسط ، ومعرض لفن الخط والأدوات **التى كانت تســـتعمل فى الكتـــابة ،** والمخطوطات ، والمنمنمات والفرامانات السلطانية . كما تم افتتاح معرض اخر للفنون المعدنية والخشبية الاسلامية الى جانب معرض بالصور للآثار العمرانية والفنية بالعالم الاسلامى .

وقد أقيمت قبيل المؤتمر ولمدة أربعة أيام ندوة حول «المبادىء والمكونات المشتركة فى الفن الاسلامى» حضرها عدد كبير من رجال الفكر والثقافة والأدب فى العالم الاسلامى ، وقد افتتح هذه الندوة السيد «الهان أوليا **اغلو» وزير الثقـافة والسـياحة التركى** وبحضور السيد الحبيب الشطى ، الأمين العام للمؤتمر الاسلامى .

ومما تجدر الاشارة اليه أن هذا المهرجان **يقـام بالتنسيق بين الحكومة التركيـة** ومنظمة المؤتمر الاسلامى ومركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية فى اسطنبول والتابع لمنظمة المؤتمر الاسلامى .

إنه مهرجان كبير تعيشه تركيا المسلمة **بقلبها وجـذورها وتاريخها وخاطرهـا** ومستقبلها ، ليحكى جانب مضيئا من جوانب الحضارة الاسلامية التى شعت بنورها على تركيا والعالم الاسلامى وجانب **من أوربا لقرون طويلة ، ومازالت تشرق** باشعاعاتها على الانسانية جمعاء والى أن يشاء الله .

مفيد فوزي .. يحاور:

د. سهير القلماوي

طه حسين: كان يحرضني على الشجاعة!



د. سهير القلماوى .. استاذة الجامعة التى كان حلمها يوما ان يصبح فى كل بيت مكتبة ، فيها كتب رخيصة الثمن ، انيقة الطباعة !

كنت أنطوى على احترام شديد لها ولازلت .

ولم أكن فريداً فى هذا الاحساس . كانت هى ولاتزال دائماً فى حدقات العيون . ربما لشخصيتها المتزنة . ربما لريادتها ، فهى واحدة من جيل سبق عصره ودخل الجامعة . ربما لأنها كانت تلميذة لعميد الأدب العربى د. طه حسين .

لكنى كنت أنطوى على احترام شديد لها ، عبرت عنه مرتين :

● مرة ، وأنا طالب بالجامعة ، ذهبت أسألها عن الكتب التى يمكن لدارس الآداب أن يستعين بها اذا أراد احاطة بالأساطير الشعبية فلسفتها ، وعمقها ، ومدلولها !

● مرة ثانية ، عندما ، ذهبت أسجل برنامجاً للشاشة الصغيرة عن «القمم العربية» فى الفكر والفن ، وكانت متواضعة وكأنها لم تبرح مقعدها فى مدرج ٧٨ بكلية الآداب وهى شاردة يرن فى أذنها صوت المحاضر العظيم طه حسين !

وكلما قابلت الدكتورة سهير القلماوى . شعرت أنها «الأستاذة» . فهى تعطينى هذا الشعور بشدة . ملامح وجهها . صوتها . طول قامتها . انصاتها . عقلها . تواضعها الجم !

وكثيراً ما تصورت أنى سأقرأ يوماً اسم «سهير القلماوى» فى أى تشكيل وزارى . وكنت أحسب أن تصورى سيسعدها فاكتشفت أنها لا تعشق المناصب . وإنما أعظم «مواقعها» فى العمل العام هو : أستاذة الجامعة .

وهذا حقيقى ، إن مبعث فخر الأستاذة الدكتورة سهير القلماوى انها «أنجبت» جيلا من التلميذات ، تبوأن المناصب فى عواصم عربية ، يشعرن بالأمومة والانتماء للجامعة .



قالت الدكتورة سهير القلماوى ان استاذها طه حسين كان يحرضها على الشجاعة ، وتعلمت منه معنى الالتفات الى العقل !

حين طلبت «محاورة» الدكتورة سهير القلماوى . قالت لي بأدب هامس :

- ما الموضوعات التى سوف تطرحها للنقاش ؟!

وأدهشنى السؤال ، فقلت لها تليفونياً : موضوعات أدبية بحتة .

قالت د. سهير القلماوي : أحب أن «أستعد» للحوار . أحب أن أكون عارفة حاتكلم فى إيه !

وأدركت أن سهير القلماوى مخلصة لأسلوبها فى الجامعة إنها «الأستاذة» دوماً . تحب أن تستعد لموضوع ما ، سوف تتحدث فيه . إنها لا تفضل الثرثرة ، لمجرد الثرثرة ! إن سهير القلماوى تريد أن تضيف لقارئها أو سامعها شيئاً ، فاذا اكتشفت انها لن تضيف كفت عن الحديث واعتذرت !

ولما قلت للدكتورة سهير القلماوى اننا سوف نتحدث عن أستاذها العميد د. طه حسين ، شعرت بسعادة . وظهرت السعادة فى رنة صوت الدكتورة .

وكان بيننا «مسجل صوت» ، وظيفته أن يلتقط كل كلمة ، حتى الهمهمات والسكنات .. والهمسات ، فان سيمون دى بوفوار تقول عن زوجها الراحل سارتر ، «ان همسته أو صمته أو همهمته أو حتى سعاله المفاجىء ، له مغزى . انه يسيطر جيداً على عقله ويعرف كيف يجيب على سؤال ما . إن كل صوت يصدر منه هو إجابة» !

وقد حرصت أن أترك المسجل يعمل بلا توقف ، لأحصل على اجابة سهير القلماوى عن كل سؤال طرحته !

ولكن أسلوب «السين والجيم» ، أسلوب تقليدى عند الحوار . فما يهمنى هو أن أنقل أفكار د. سهير القلماوى . وكان جون جنتر ، واحداً من أعظم المحاورين فى دنيا الصحافة يقول «اترك لقارئك يتصور سؤالك انه يحب أن يشترك فى لعبة الحوار . ان اشراكه معناه دخوله حلقة النقاش فلماذا لا تجعله يستمتع بخياله الخاص» !

ولست أقلد جون جنتر ، ولكنى أريد أن أقدم لكم - عبر حوار - مع الأستاذة خلاصة أفكارها .. ومنهجها .

تذكرت - فجاة - اننى قبل زيارة د. سهير القلماوى فى بيتها الهادىء فى ضاحية المعادى أحد ضواحى القاهرة الغارقة فى الصمت والهدوء .. انى «تسلحت» ببعض آراء عن الدكتورة ، لعل هذه الآراء ، تتحول الى جسور حوار ، أمدها .. لأفهم عقلها ومنهجها أكثر .

مثلا : عرفت أن الدكتورة سهير من أوائل من «تمردن على غرفة الصالون» فى البيت العربى .

مثلا : عرفت أن الدكتورة سهير كان مقدراً لها أن تصبح دكتورة طبيبة وليست دكتورة فى الأدب ، لكن خط مسارها تغير !

مثلا : عرفت أن الدكتورة سهير القلماوى وجه عربى ، فقد كانت فى وقت ما ، رئيسة لاتحاد النساء العربيات .

مثلا : عرفت أن الدكتورة سهير القلماوى اشرفت يوماً ما على الكتاب وكان حلمها أن يصبح فى كل بيت مكتبة ، فيها كتب رخيصة الثمن ، أنيقة الطباعة .

حينما جلست فى غرفة مكتبة الأستاذة قالت لى وكأنها ترد على تساؤل جال بخاطرى ... «قلت لنفسى لما اتجوزت ، مفيش حاجة اسمها صالون . فيه غرفة مكتب وغرفة معيشة واللي يحب يقعد معايا فى مكان زى ده ، أهلا وسهلا واللي مش عاجبه ، بلاش يزورنى ! فكرتى باختصار ان الجمال عندى وظيفى يعنى المكان اللي له وظيفة يبقى جميل ، لكن الصالون رمز للاستعراض ، وأنا أكره هذا الأسلوب . أنا فخورة بعدد الكتب فى بيتى أكثر مما أفخر بنوع السجاد الذى يغطى أرضية بيتى ، أو نوع الكراسى التى تزين الصالون» !

تستطرد الأستاذة الدكتورة سهير القلماوى ، وكأنها تؤصل تفكيرها :

- «والدتى تعلمت فى مدارس الجاليات تعلمت اللغة الفرنسية واللغة الايطالية . وكان جدى رجلا متحرراً بالنسبة لجيله ، فلم يكن يزوج بناته قبل سن العشرين . كان يرفض الزواج المبكر ويعتبره مأساة أسرة صغيرة ! فى طفولتى لم أعرف فرقاً بين الرجال والنساء وربما كان هذا مدخلا



د. سهير القلماوي

طه حسين: كان يحرضني على الشجاعة!

● التليفزيون لم يحجب الكتاب!

● كانت في حياة عميد الأدب ثغرتان!

نفسياً طبيعياً لي عندما دخلت الجامعة ، فانا لم ارتبك مطلقاً أمام تجربة الاختلاط . لم أشعر أن هناك «حاجة غلط» . ولذلك مرت سنوات الجامعة بيسر شديد ، واكتسبت خبرات هامة فى وقت متقدم ، وتفتحت مسام ذهنى . ومن هنا ، عرفت الجدية والالتزام والمسئولية فى وقت كانت بنات جيلى غارقات فى اللهو والمرح ! لعلك لا تعلم مثلا أن أمى شركسية والدها كردى وكانت القسوة سمتها الأساسية ، اننى اتذكر اننى دخلت الجامعة ولم يكن مسموحا لي أن ازور او ازار ! كانت تتصل بالجامعة فى الثانية ظهراً لتسال بلهجة حاسمة «البنت مارجعتش ليه ؟؟ وكان ابى هو نافذة الحرية . كان طبيباً يحلم بان اكون مثله طبيبة ، ولكنى لم اعشق مهنة الطب وكنت دائما اعتقد انها مهنة يناسبها «تكوين» خاص ! وقد كان من الممكن أن أصبح طبيبة لولا الدكتور طه حسين الذى ذهبنا اليه للاستشارة فى مستقبلى ، فاشار علي دخول قسم اللغة العربية بكلية الآداب وتغير مسارى ! » .

تقفز الدكتورة سهير القلماوي فوق السنين ، وتتوقف عند « القيم » التي استفادتها من لقائها الفكري بالدكتـور طـه حسين :

« أول قيمة اذكرها جيداً هي الصلابة . ولو لم يكن طه حسين صلب الارادة لما وصل الى المكانة التي وصل اليها . كان يقول بصوته المميز الرنان « حنبقى ضعاف ليه » وكنت أحس أنه يحرضني على الشجاعة . كان د. طه حسين يقول « الحياة مواقف ، والأديب موقف والمشتغل بالفكر موقف » وكنت احس انه يبذر في أعماقي أهمية الشعور باتخاذ المواقف . تعلمت من طه حسين التمسك بالحق . كان يقول « من لايتمسك بحقه ، يفرط في نفسه » . وتعلمت أن الاعتراف بالخطا فضيلة ، بل أهم الفضائل لأنها تنم عن تواضع مع علم . تعلمت معنى الالتفات لعقلي ، فانا من جيل كان يطل عليه عمالقة كطه حسين ولطفي السـيد وكانا يؤمنان بتعليم البنت لانـه « سياج حقيقى لكيانها » .

تعلمت من د . طه حسين أن الجامعات **لها مكانة سامية . كان يقول** «إن اهم جامعات في أوربا اصلها كنائس ، وان الرواد في مصر والعالم العربي ، ذاكروا في الجوامع وكان يركز على **أهمية** المعهد العلمي والجامعة وكيف انه مرادف للجدية والاحترام ولعلك لا تعلم ان د . طه حسين كان اذا دخل مدرج الكلية ، شعرنا بهيبته . كانت نظرته الى أعلى تقول لنا « هذا مكان عقول ولابد لها من السمو » . كنت أحس أن د . طه حسين يتمتع بالبصيرة ، وان حرمته الأقدار من .. البصر . ربما لا تعلم أن د . طه حسين هو صاحب فكرة رسالة الدكتوراه التي قدمتها ، وكان الموضوع : الف ليلة وليلة ! ومن المهم جداً أن نتوقف عند سؤالك الاعتراضي هذا .. هل طه حسين مفكر أم أديب ، أم فنان ؟ في الواقع ، أنا أراه أديباً فناناً ، لقد كان تكوينه مميزاً وفريداً . لقد بدأ حياته رجل الأزهر الذي اتقن اللغة ولا شك ، وكان نطق طه حسين للكلمات له رنين خاص . وعندما سافر طه حسين الى فرنسا ، انفتح عقله على عالم فكر لا حدود له .. وقرأ « ديكارت » وفهمه وهضمه . ثم تعمق في ابن خلدون . كان يجتذب العميد أمور الفكر ربما أكثر من أمور الأدب » .

●

طه حسين الانسان والفنان والاديب ، بعدسة مكبرة للدكتورة سهير القلماوي ..

« طه حسين ، ولابد ان تضع الضمة على حرف الحاء . كانسان جياش العاطفة ولاشك ، وتعلقه بزوجته كان وطيداً ، ولكن كانت هناك « ثغرتان .. »

١ ـ الأولى : انه كان يرى الحياة من خلال زوجته السيدة الفاضلة سوزان . فقد كانت كما يصفها « نور عينيه » . فالنظرة لم تكن مصرية خالصة . وكان هذا يعكس عن العميد الكثير من القيم . لم يكن «متفرجاً» ولكن نظرته للأمور على اي حال ، لم تكن نظرة « عربية » .

٢ ـ الثغرة الثانية : تاثر د . طه حسين باراء السيدة العظيمة زوجته وضع مائة خط تحت كلمة العظيمة .. لأنها الواقع . فكونها سيدة فرنسية لا يعيبها ، ولكن هذا أعطى للدكتورطه حسين مزايا وعيوب .

● تعلمت من طه حسين الصلابة والتمسك بالحق والاعتراف بالخطأ !

● تقييد الغرائز مطلب إنساني !

مزايا الانفتاح على الثقافة ، يعني السيدة سوزان كانت تقرأ لطه حسين حتى سن الستين .. وتلخص له الكتب ولا أظن أن هناك زوجة مصرية قادرة على هذا بأي حال ، بل لا أعتقد أن هناك مصرية ترضى بالزواج من رجل ضرير الا نادراً !

لقد سكبت السيدة سوزان في وجدان زوجها الراحل « القيم المادية الغربية » ولم يكن هذا عيباً ، بقدر ما كانت النظرة اليه بعين مصرية ، خطأ ! أنا مثلا ، لم يكن مستساغاً لي كتلميذته أن يعود لجريدة كوكب الشرق بعد أن اختلف معها بشدة وكان الخلاف فكرياً . ولكن عاد لأمور .. مادية . ان أي سيدة عربية أو مصرية تصمد جيداً اذا أضير زوجها لسبب أو آخر ، ولكن مدام طه حسين لا تتحمل الخسارة !

●

عندما قلت للأستاذة الدكتورة سهير القلماوي أن هناك قولا يرى ان « القاهرة هي مركز الأدب والعراق مركز القراءة ولبنان مركز الطباعة » قالت بهدوء :

ـ في القول شيء ما من الحقيقة . لكن أخاف أن نركن الى هذا الكلام . القاهرة في قلبي وقلوبنا جميعاً ، ولكننا في الواقع لا نشعر أن هناك منحدراً خطيراً يجب أن ننتبه له !

١ ـ المنحدر ، أن الكتاب في مصر ، مخنوق ، واسمح لي أن أفكر أمامك بصوت عال « أمتنا ، لا تقرأ » ! وهذه عملية غير طبيعية ، واذا كانت العراق تقرأ وسوريا تقرأ ولبنان تقرأ ، فنحن شعب غير قارىء ! ولعلك تريد تأصيلا لقولي «**أمتنا لا تقرأ**» أن أسلوب التعليم في بلادنا خطأ . وعلاقة التلميذ في المدارس بالكتاب خطأ . وعلاقة الكبار بالكتاب خطأ . وغير صحيح أن التليفزيون هو الذي حجب الكتاب . من الممكن أن يرشد التليفزيون الناس للقراءة .

٢ ـ المكتبة في حياة البيت العربي لا تأخذ « ركنا » صغيراً فيها . والتليفزيون ومن بعده **الفيديو** ، يأخذ أهم مكان . انها النظرة للكتاب والكلمة والحرف التليفزيون يمكن توظيفه في شعوب العالم الثالث بشكل أمثل : في التربية في نشر التذوق . في محو الأمية . في الترويج لموسيقى أفضل .

●

القراءة عند د . سهير القلماوي « حب وهواية » . والموسيقى عندي غذاء وخبز . ذوقي في الغناء يتمركز في فيروز وأم كلثوم تسألني عن مفهومي للسياسة أقول لك « الاحساس بالمجتمع . بمشاكله اليومية البسيطة » . يجب أن نحيا في عصر «الالتفات للمجتمع» . يجب أن نشد الانتباه للعطاء الاجتماعي ، فهو بحق صميم العمل السياسي . ثلاثة أرباعنا . مغلق على نفسه وماشي جنب الحيط ، وهذا منتهى السلبية لازم أعرف المجتمع المحيط بي . لازم الوطن العربي يتعرف على نفسه جيداً . لابد أن يحيط الانسان بكل ما في عصره من قيم ومصطلحات . اننا في عصر الثقافة ، والتخلف معناه الموت الأدبي .

●

أزمة فكر . هل نعاني ـ يا دكتورة ـ أزمة فكر ؟

الأستاذة ترد : نعم هناك أزمة فكر ، واعتقد أن الكتاب في أوربا لا زال يتحسس طريقه . لو تلاحظ بمرصد واع الانتاج العالمي للكتب سوف تكتشف ان هناك اتجاهاً خطراً في تأليف الكتب . الاتجاه أن الساسة يكتبون مذكراتهم وهي أن الرجل العظيم يكتب تجربته لكي تصبح فيلماً في السينما . هذا ليس فكراً خالصاً لوجه الفكر خذ مثلا « ترودو » رئيس وزراء كندا . انني أقرأ سيرته الذاتية انني أشعر انها مكتوبة كأدب سينمائي عبارة عن مشاهد حياة وليس عمق تجربة انسانية تضاف الى ثراء السير الذاتية .

●

للدكتورة سهير القلماوي رأي هام . «لست أدري أين المفكر الذي يرصد حركة المجتمع الآن . أين الكاتب الذي يبشر بالقيم الأصيلة النابعة من الاسلام . يجب الا نحكم على المجتمع ببعض مظاهر قشرية على سطحه . المجتمع هو السواد الأعظم من الأمة ، وهو في نظري بخير . فالمرأة أساساً طهارة وترفع عن الانقياد وراء الغرائز ، والانسان الذي لا يقيد غرائزه لا يستحق أن يسمى انسانا . هذه قيود نحبها ونقدرها ونقدمها بأيدينا لأنفسنا لأنها عنوان انسانيتنا .

قلت للدكتورة سهير القلماوي

ـ ما أزمة جامعاتنا ؟

قالت بصراحة شديدة : أزمتها مجانية التعليم بلاجدال !

قلت بسرعة : عودة لطه حسين ! ؟

قالت الاستاذة : طه حسين قال مجانية التعليم في مرحلة « الثانوي » وأنا معه ، أما مجانية في الجامعة : لا !

قلت لسهير القلماوي : ما علاقتك بالاذاعة أعرف انك تحبين هذه القناة ؟ قالت : الراديو ، هو فن الهمس المسموع . الراديو يصل لكل الناس . وأنا كنت أقدم أحاديث اذاعية كل يوم ثلاثاء على الهواء مباشرة وكنت أشعر بمدى « الاتصال » بيني وبين الناس .

سألت د . سهير القلماوي : متى قرص د . طه حسين أذنك بنصيحة ما ؟

قالت ضاحكة : قال لي مرة بحدة « الأدب يحتاج لتفرغ مش تنطيط بين الاذاعة والصحافة . الأدب مشوار كبير ... » .

قلت لسهير القلماوي : ماذا أضافت اليك تجربة العمل العام .

قالت : التجربة أعظم سياج للانسان . الرؤية . الناس .

قلت لسهير القلماوي : أسمع صوت عصافير ...

قاطعتني وقالت : هذا هو الطائر الوحيد الذي أحبه .. مثلما تحبه حفيدتي .

قلت لسهير القلماوي الحوار معك قصير مهما طال ...

وصمتت الأستاذة خجلا ...

وشعرت أني كنت في ضيافة عقل عربي لا يعترف بتاء التأنيث !

« مفيد فوزي »

زيلوس

كوكب الغيرة

قصة بقلم :
الدكتور عبد السلام العجيلي

هذه قصة حدثت فى المستقبل ، ربما عسر على القارىء فهمها أو أدرات رأسه وقائعها ، الا انه لا حق له فى عدم تصديق هذه الوقائع لمجرد انها لا تخضع لمسلمات علمية متعارف عليها فى عام ١٩٨٣ للميلاد . على القارىء ان يتذكر ان احداث هذه القصة تجرى ، ليس فى ايامنا هذه بل فى أيام آتية ، فى العام الميلادى ٢٠٨٣ .

« ... فى أول توجهي اليكم ، فى اجتماع دائرة ابحاث الترحيل بين النجوم هذا ، لابد من ذكر المبدأ الذى انطلقت انجازاتنا من تطبيقه ، على الرغم من معرفتى بان ما اقوله هو من بديهات تفكيركم . المبدأ هو ان الفرق بين المادة والطاقة هو فى الحركة وفى سرعة الحركة . فالمادة طاقة ساكنة ، والطاقة مادة متحركة ... ليس كل حركة بل الحركة التى تبلغ سرعتها أو تتجاوز هذه السرعة رقماً اعتقد اسلافنا الأولون ، حتى نهاية القرن الفائت ، القرن الميلادى العشرين ، باستحالة بلوغه . واعني بهذا الرقم مقدار سرعة الضوء البالغة مائتين وتسعة وتسعين ألف كيلومتر وسبعمائة وثلاثة وتسعين كيلومتر فى الثانية فى الفراغ .

طريق الوصول من المبدأ الى التطبيق واضحة . أسلبوا موجة الضوء حركتها اجعلوا سرعتها صفراً أو ما يقارب الصفر ، تتحول فوتاناتها حينئذ الى مادة . الى مادة ملموسة . وبالمقابل اعطوا المـــادة التى تختارونها سرعة ٢٩٩ ٧٩٣ كليومترا فى الثانية تتحول تلك المادة عندها الى اشعاع ربما الى نور غير مرئى ، أعنى الى طاقة مشعة يمكنكم بثها الى اى مكان تريدون .

نحن فى هذا الزمن ، فى أواخر القرن الواحد والعشرين وفى عام ٢٠٨٣ على التحديد ، قد فعلنا هذا . لقد حولنا المادة الى اشعاع ، ثم استطعنا أن نعيد تحويل الاشعاع فنرده الى مادة ، وذلك عن طريق سيطرتنا على عامل السرعة سلباً وايجاباً . ونتيجة لتوصلنا الى عملية التحويل المزدوج هذه قدرنا على أن نقوم بترحيل ما نريده ومن نريده ، بسرعة لم تكن تخطر على بال الأوائل ، ترحيلا بين الكواكب السيارة ، ثم بين النجوم الثوابت ، فى سبيلنا الى الاسفار بين المجرات وهذا ما عجز أسلافنا عنه ، فى القرن الفائت وما قبله ، بل ما حكم أولئك الاسلاف بانه مستحيل الامكانية والتحقيق .

لماذا عجز الأولون عن هذا وهم قد عرفوا تلك المبدأ مثلنا وقبلنا ؟ نعم إنهم عرفوه . بل انهم طبقوه ، وان ظل تطبيقهم له محدودا . طبقوه على المادة ذات البعد الواحد ، فحولوا الصوت الى امواج كهرطيسية بثوها فى الأثير بسرعة النور فى الاذاعة الصوتية ، أو ما كانوا يسمونه الراديو . وطبقوه على المادة ذات البعدين فيما سموه التلفزيون . حولوا الصورة واللون فى اجهزة التلفزة المرسلة الى امواج معدلة ، كهربائية مغناطيسية ، تتلقاها اجهزة مستقبلة لتردها الى صور والوان . فعلوا كل هذا وتوقفوا . عجزوا عن تحويل المادة المجسمة . المادة ثلاثية الأبعاد ، الى اشعاعات قابلة للبث والارسال ... لماذا ؟

ربما كان عجزهم لأنهم افتقدوا الشجاعة على المضى فى الطريق الى نهايته . والأصح لانهم وقعوا فريسة تضليل فئة قصيرة النظر والادراك من العلميين كانت تؤمن بقيم مطلقة عصية على البلوغ والتجاوز . سرعة الضوء ، وهى ٢٩٩٧٩٣ كليومترا فى الثانية ، كانت عندهم قيمة حدية نهائية لايمكن الصعود فوقها . درجة الحرارة ــ ٢٧٣,١٥ مئوية تحت درجة تجمد الماء المقطر كانوا يسمونها الصفر المطلق ويعتبرونها قيمة حدية نهائية لايمكن النزول دونها ، تلك القيم التى توهموا استحالة تجاوزها كانت اغلالا

كبلت ايديهم وعقولهم وحالت بينهم وبين متابعة البحث المؤدى الى السفر بين الكواكب ثم الى التجول بين المجرات . كان اكثر ما افتخروا به وتشدقوا هو نزولهم على تابع أرضنا الصغير ، القمر ، الذى لايبعد عن منازلهم الا ٣٨٤٥٥١ ثلاثمائة وأربعة وثمانين الف كيلومتر وخمسمائة وواحد وخمسين كيلومترا ....

اعرف أن صغار ابنائنا ، الذين يروننى الآن على شاشات منصاتهم ، يضحكون من افتخار اسلافنا بنزولهم على القمر ، لابد أن نعذر هؤلاء الصغار فى ضحكهم ، فقد فتحوا اعينهم على أسفار منظمة لمؤسسة الترحيل بين النجوم ننقل بها الباحثين ثم الزوار الى فوبوس وديموس ، قمرى المريخ الصغيرين ، والى مستعمراتنا القائمة على سطح كوكب الزهرة . اسفار لم يحلم بها الأولون لانهم ما تمكنوا من الوصول الى الطريقة الصحيحة للترحيل ، اذ عجزوا عن التحكم بالسرعة تحكما يتيح لهم تحويل المادة الى اشعاع ثم رد الاشعاع أو الطاقة ، الى مادة . وها أنا الآن اعلن لكل من يلتقط كلماتى باذنية أو يقرأها على شاشة منصته ، عن افتتاح جدول السفر التابع يابيتوس ، العاشر من اقمار الكوكب زحل . من هناك ، من مخبر الاستقبال فى دائرتنا على ذلك التابع ، تنظم الرحلات الى الحلقة الأولى من نطاق زحل ، وبعد عبور شق كاسينى الفاصل بين الحلقتين الأولى والثانية من ذلك النطاق يمكن القيام بجولة تصل الى سطح زحل نفسه ...

اعلن هذا اليكم الآن من منصتى فى دائرة الابحاث لاننا فى هذا اليوم ، وفى هذه الساعة ، نقف فى منتصف النافذة الزمنية التى منها يمكن الولوج الى عالم زحل . تعرفون ، أو يعرف من له علم منكم بمبادىء الأسفار فى الفضاء بين الكواكب ، ان زحل يتم دورته حول الشمس فى تسعة وعشرين عاما من اعوامنا الأرضية ومائة وسبعة وستين يوما . منذ نصف هذه المدة اعنى منذ أربعة عشر عاما ومائتين وستة وستين يوما ونصف اليوم ، كان زحل بنطاقه واقماره العشرة فى ذروة ابتعاده عنا وراء الشمس . وقد أخذ منذ ذلك الحين يقترب من أرضنا حتى أتم نصف دورته وصار فى هذا اليوم بالذات فى اقرب مواقعه الينا ، على بعد يبلغ ١,٢٧٢,٥٨٧,٠٠٠ ، مليار ومائتين واثنين وسبعين مليونا وخمسمائة وسبعة وثمانين الف كيلومتر . هذا البعد الذى يبدو شاسعا ليس كذلك بالنسبة لنا فى دائرة ابحاث الترحيل بين النجوم . والاشعاعات التى نبثها ، سواء كانت أمواجا ضوئية أو مجردة أو مادة مجسمة حولتها اجهزتنا المرسلة الى فوتونات ، تقطع هذا البعد بمدة واحد وسبعين دقيقة ، تنقص اثنتى عشرة ثانية فى حالة ما يكون البث الى القمر يابيتوس وليس الى زحل ذاته .

ولكن زحل ، ابتداء من هذه اللحظة التى اكلمكم فيها ، سيزداد ابتعادا عنا باستمرار فى مداره حول الشمس ، الى أن يصبح بعده سحيقا بحيث يدركنا الجهد فى اللحاق به بعد ستة شهور . فالنافذة الزمنية التى يسهل علينا من خلالها البث المتكامل الى هذا الكوكب النائى لايتجاوز مداها العام الواحد . مضى من فترة هذه النافذة ستة شهور قضيناها فى تجارب كانت كلها ناجحة وبقى منها ستة شهور علينا أن نغتنمها لنبث فيها ، بشروطنا الخاصة ، ما نريد ومن نريد الى يابيتوس . والا فاننا سننتظر تسعة وعشرين عاما اخرى قبل أن تنفتح لنا النافذة التى وصفتها لكم .

بعد هذه المقدمة المبسطة سافصل لكم ما ياتى ....

— ٢ —

هذه المقدمة المبسطة كما سماها ملقيها ، وهو العالم هامان رئيس دائرة ابحاث الترحيل بين النجوم ، هى مدخل الحديث الذى توجه به الى مستمعيه ، سواء الحاضرين منهم باجسادهم فى قاعة الاجتماع الاهليلجية أو المتابعين له على شاشات اجهزتهم المستقبلة ، فى مدن الأرض وعلى قمر الأرض وفوق الأقمار الجيوستاتيكية حول الأرض بعد هذا المدخل جاء دور الأبحاث الرياضية الفيزيائية المعقدة التى كانت عناصرها ترسم على شاشات المشاهدة من قبل روبوتات الكترونية وعقول كهرضوئية يسيّرها ، كما يسيّر المايسترو بعصاه عازفى أوركستراه ، العالم هامان وهو واقف على المنصة بقده المشيق الفارع .



من تقع عينه على هامان مرة واحدة لاينسه ابد الدهر . رجل طويل مستقيم القد ، تنطق بفحولة مثيرة تقاطيع وجهه وارتسامات تكوينه . ويحار الناظر الى هذا العالم الطائر الصيت بين ابيضاض تاج الشعر الكثيف على هامته وبين حيوية الشباب المتفجرة فى نبرات صوته والطافحة من فتاء ملامحه ، فلا يعرف اى قدر من العمر يعطيه . عيناه الزرقاوان ، بقدرتهما البصرية الكاملة تومضان باشعة مباشرة لايبدو انها تمر باية عدسة لاصقة ، مما يؤكد ان الفتاء فيهما بيولوجى وليس مصطنعا . فى مظهره ، وفى سلوكه ، يبدو هامان النموذج المتكامل للبشرى العلمي ، أومو سابا نتيفيكوس ، العقلانى ، الذى تعالى عن المشاعر والقى الاحاسيس العاطفية فى الادراج المهملة من مكتبه . الا ان الذين يلازمونه فى عمله فى دائرة الأبحاث يعرفون له وقفات ، فى ادق لحظات التنفيذ التكنيكى ، توحى بانه يخضع فيها لخوالج شعورية قاطعة مسار تفكيره الرياضى وملقية ضباب السهوم على زرقة عينيه . ويرد المطلعون على سيرة حياته من رفاقه ومريديه تلك الوقفات الى زمن معين ، هو الزمن الذى فقد ثالثة واحدة من مرافقاته ... فقدها فى حادث مفاجىء لم تتنبأ به نقاط التصالب لخطوط حساب الاحتمالات البيانية فى اربعة عقول كهرضوئية تعمل ليل نهار فى مكتب العالم هامان فى دائرة ابحاث الترحيل بين النجوم .

منذ ذلك الزمن المعين ، المضبوط باليوم والساعة ، لم يشرك هامان فى حياته الشخصية امراة ، اية امراة . هل ذاك لانه تقدم فى السن ، فشاخ وعجز ؟ .. ما من احد من تلامذته ، ومن تلميذاته بصورة خاصة ، اعتقد بهذا . ومع ذلك فان هاتيك التلميذات يرينه قد أغلق باب مخدعه أمام كل من سولت لها نفسها ان تاخذ بقربه مكانة مرافقته الثالثة . يحدث احيانا ان تظن واحدة من معاوناته الفتيات ، وكلهن يجمعن الى جانب الذكاء ومؤهلات المعرفة

زيلوس

كوكب الغيرة

الجمال الجسدى المتكامل ، يحدث أحياناً ان تظن واحدة منهن ان رعايته لها تعنى القرب منه . فاذا بدرت منها بوادر تصرف موح بما تظن ابتسم لها هامان برفق ونقل مسار العقل الكهرضوئي الذى كان يلقمه بمعادلاته الى برنامج جديد يبحث فيه لتلميذته عن فتى من معاونيه تتوافق خطوط القوى فى شخصيته مع خطوط قوى شخصيتها ، فاذا وجده اشار لها اليه .. وربما اعطاها الرقم الحميم الذى ما ان تنقر به على لوحة الضوء على باب غرفة ذلك الفتى حتى ينفتح لها على مصراعيه مرحباً بقدومها ..

كان ذلك تصرف اشتهر به هامان عند اصدقائه وزملائه . والى هذه الشهرة ترجع الرسالة التى تلقاها هذا العالم عقب انتهائه من عرضه التاريخى عن خطة البث الى نطاق زحل وقمره العاشر كما قررتها دائرة الترحيل بين النجوم . انها رسالة وجهها اليه زميل قديم فى دائرة الضوئيات تقول كلماتها : « لم تأت فى محاضرتك على ذكر لطريقتك التى سمعت بها واعجبتنى فى معاملة شباب هذا الجيل . الفتيات نسين الأنوثة ، والشباب معجبون بأنفسهم. ارسل اليك سامارا ، ابنتى ، لعل احد عقولك الكهرضوئية يجد لها سعادتها ، فقد اعيتنى ياهامان ... » .

– ٣ –

كان الى جانب هامان ، عندما تبلغ تلك الرسالة مرتسمة احرفها على لوحة التخاطب امامه ، أقرب معاونيه اليه واشبههم به ، وهو الباحث رامي . قال رامي :

– هل عندك وقت تضيعه فى ارضاء نزوات آباء ضاقوا ذرعاً بسلوك بناتهم ؟ سامارا هذه ؟!

ابتسم هامان وقال : لعلك صدقت ما قاله زميلى القديم ! انها وسيلة لادخال ابنته الى دائرتنا . سامارا ، اعرفها منذ الصغر ، واعرف ما حوته التقارير عن مؤهلاتها حين شبت . ستنجح فى الاختبارات وستملأ شروطنا الخاصة .

هز الباحث الشاب رأسه كان شكا يخامره فى ما قاله استاذه العالم ، الذى كان له بمثابة الأب . حين يقف الاثنان ، العالم والباحث ، امام منصة التخاطب بعيد المدى يتبادر الى ذهن الرائى انهما حقاً اب وابنه . الطول واحد ، وتقاطيع الوجهين متشابهة . لابد ان المكونات الانسالية عند والدى كل منهما قد اخضعت لنفس الأساليب البيولوجية فى الاصطفاء والتوجيه ، وان كلا منهما ، قبل الولادة ، تلقى فى حبله السرى نفس كميات الأوكسيجين المشع . الا ان طرق التنظيم الولادى المتقدمة لم تمح كل الخصائص الشخصية للمورثات فى صبغيات خلايا تكوين الرجلين : فبينما بشرة العالم بيضاء موردة وعيناه زرقاوان واللمعة الذهبية فى بياض شعره توحى بشقرته قبل ان يشيب ، ترى بشرة رامي سمراء نحاسية وعينيه الواسعتين خضراوين ولمة رأسه الكثيفة فى لون الليل الحالك .

عاد هامان الى الكلام عن ابنة صديقه بعد ان انشغل لدقيقة أو دقيقتين فى تتبع معادلات راحت تعرضها لعينيه شاشة احد العقول الكهرضوئية ، قال :

– اعرف ما تطمح اليه سامارا . رغبتها ليست فى العمل فى دائرتنا هنا ، بل إنها تريد ان نرحلها الى مخابرنا حول زحل ، الى يابيتوس .

قال رامي بلهجة المستنكر لطموح هذه الفتاة التى لم يسبق له ان سمع باسمها :

– كانك رايتها قبل الآن يا هامان !

قال العالم : كلمتنى من مخبر ابيها ، امس . وهى الآن فى طريقها الينا .

وقبل ان يعقب رامي بكلمة سطع فى جو القاعة ضوء بنفسجي يشير الى ان قادماً قد اخترق نطاق المخابر العاملة . وبرزت ، بعد ثوان ، من المدخل ، سامارا وعلى شفتيها ابتسامة هادئة ، لا يرتسم على ملامحها اى انفعال ، مما يوحي بان التردد على معاهد الابحاث فوق العالية من مألوفاتها . صبية دقيقة الملامح ذات قد نحيل ، لا يبدو على تكوينها اثر التدريب الرياضى المنهجى والمعالجة الهورمونية الذى طبع افراد العنصر النسائى فى دائرة ابحاث الترحيل بين النجوم بطابع موحد ، طابع التناسق الاندروجينى ، المسترجل . قال هامان للفتاة بعد ان رد على تحيتها بتودد :

– هذا رامي . سمعت بلاشك بأبحاثه . نحن ندين له بتحقيق فكرة القناة الوحيدة لبث المادة ثلاثية الابعاد .

مدت سامارا يدها الى الباحث ، فاستدار هذا فى مقعده ليتلقى تحيتها . قالت لهامان وقد اتسعت ابتسامتها :

– هل هو متعجرف ؟ إنه يمد يده دون ان يتحرك من مكانه . معك الحق يا رامى فى إعجابك بنفسك .. لولا القناة الوحيدة لتبددت مادة المبثوثين على مختلف المستقبلات فى مخابر الكواكب البعيدة ، ولكان حظى ضئيلا فى الوصول سالمة الى مختبر يابيتوس .

قال رامى ، دون ان يخفى امتعاضه من هذا الثناء المبطن بالتقريع : انت تحلمين بالسفر الى يابيتوس . يجب أن تعرفى قبل ذلك ان العودة الى بيت أبيك ، على كوكبنا الأرضى ، لن تتاح لك قبل ان يتم زحل وتوابعه الدورة المقبلة حول الشمس .. اعني قبل تسعة وعشرين عاما وبضعة شهور . هذا عدا مخاطر تحولك من مادة حية الى اشعاعات مبثوثة . اما تخافين ؟

قالت ، وهى تنقل طرفها بين العالم والباحث : انى اثق بهامان .. واثق بك .

ثم ابتسمت قبل ان تضيف : الخوف ياتى من الجهل . وانا على معرفة بابحاثكم وبتجاربكم وانجازاتكم . فى مخبركم على يابيتوس ، الدائر حول زحل فى مدار نصف قطره ثلاثة ملايين وخمسمائة وثلاثة وستين الف كيلومتر ، جهاز استقبال مكتمل تلقى قبلي نماذج من الصخور والمواد العضوية وصلت اليه على شكل اشعاعات مبثوثة فاعاد تحويلها الى صخور . ونفس المواد العضوية لم ينقص من تكوينها او يغير مكانه فى تكوينها بروتون واحد . وارسلتم اليه بعد ذلك سلاسل من الحموض الأمينية ، وفيروسات ، وفئران مخابر ، وشمبانزى ، ثم متطوعين من الشاذين ممن لم تفلح المعالجات البيوكيميائية فى تقويم سلوكهم ..

فقاطعها رامي ، وتطلع الى استاذه بنظرة المعاتب ، قائلا : من اخبرها بهذا ؟

فابتسم هامان وهو يقول : هذه أبسط معلوماتها . إنها تعرف كذلك ان نافذة البث الى توابع زحل ونطاقه لن تظل مفتوحة إلى أبعد من بضعة شهور ، واننا لن نستطيع ان نبث أحداً الى يابيتوس بعد ذلك .

واذ رأى ان رامي لا يزال يحدجه بنظرة العتاب الناقم ، ضحك وقال مجيباً على



سؤاله عمن زود الفتاة بالمعلومات :

ـ لست انا على كل حال . ثقة ابيها بها كبيرة ، ومركزه فى الهيئة العليا يبيح له ان يبوح بما يراه مناسباً لمن يراه مستحقاً لا تقطب حاجبيك هكذا يا رامي ... مادامت سامارا مصرة على ان تُبَثّ مع معرفتها بالظروف والمخاطر فستتولى أنت تهيئتها لذلك . أنت الذى تتولى تحويل مادتها الى طاقة قابلة للبث . هذا قرارى .

فتطلع رامي الى الفتاة بنظرة المتفحص. احس ببعض النقمة عليها ان وجد نفسه فى موقف ضعف امامها ، ولكنه لم يملك إلا أن يعترف بينه وبين ذاته انها فتاة جميلة ليست هى فى تركيب من يحب،قال، محاولا ان يتظرف فى هذه المرة :

ـ سافعل . أنت يا هامان غير مشفق على هذا التكوين الدقيق من أن يتفكك الى ذرات فى برودة ما تحت المطلق لتتحول بعدئذ الى فوتونات فى اسطوانات مفاعلاتنا التى تعطيها سرعة ما فوق سرعة النور . اطمئنى يا سامارا ... ستصلين الى مخبرنا فى يا بيتوس فى ساعة وربع الساعة ، شرط ان تتحملي عمليات التحويل الى اشعاع قابل للبث .

قالت الفتاة : ادرك انها عمليات مضنية ولكنى قادرة على تحملها .

قال الباحث الشاب : اذن لن نضيع وقتاً، امامنا أربع وستون ساعة قبل بدء الاختبارات . تجدين التعليمات فى كراس ينتظرك عند المدخل . أشدّد على ان تبتعدى عن تناول أى غذاء مشع فى هذه الفترة .

وبدا ان سامارا على الرغم من ثقتها بنفسها ومن تصميمها لم تطمح الى أن تتحقق رغبتها بهذه السرعة . فقد تحولت عن رامي منطلقة الى العالِمْ . قبل ان تهتف قائلة : ـ شكراً ... شكراً يا هامان .

فقطب العالم الوقور ما بين حاجبيه وربت على كتفي الفتاة وهو يقول :

حسناً فعلت . أكثر من ستجدينهم فى محطتنا فى يابيتوس شاذون . عليك الآن فى السير وراء رامي . انه هو مديرك . لا تنخدعى بخضرة عينيه فتظنين بها الرأفة. انه فى بعض الأحيان بربرى جلف . ولا تعتمدى عليَّ ، فقد نفضت يدى منك .. ربما على الرغم مني !

نطق هامان بجملته الأخيرة مازحاً ، وهو يتصنع الأسى . الا ان نبرة فى صوته اوحت الى رامي ، وربما للفتاة ، بان ذلك الأسى ليس كله مصطنعاً ، وان اثراً من الحزن الحقيقي قد تسرب إليه .

ـ ٤ ـ

من سامارا الى ابيها ، عالم الضوئيات :

« ... انى لا ازال فى البدايات . حيث يقول لي رامي اني اجد مشقة ، وعناءً ، وألماً ، اجد لذة المعرفة .. لذة عيش المعرفة. اترقب اللحظة التى ادخل فيها حجرة التهيئة الأولى ، تلك التى درجة حرارتها ١٥ ، ٢٧٣ تحت درجة تجمد الماء المقطر ، استعداداً للتحول إلى عناصر تكوينى البسيطة . لا ، لست خائفة . ولكنى قلقة من فقدان الادراك ، ادراكى لذاتى . سالت هامان عن هذا ، وهل اظل مدركة لتحولى من مركبات عضوية الى مجموعة عناصر ، ومن عناصر بسيطة الى ذرات مفككة ؟ قال لي بحدة : اسالي رامي ! أحسبه لا يريد أن يضيع وقتاً معي . ام لعله لا يريدنى ان افتتن به كما افتتنت به كل فتيات دائرة الابحاث ، كما اخبرتنى نورا أمس ، فهو يحيلنى دوماً الى رامي ...

وعن رامي .. ستضحك من بنتك . صحيح ان هامان ، صديقك ، جدير بان تنجذب اليه كل فتاة ،الا ان عينى رامى تعجبانني . انهما خضراوان ، تهدئان قلقى وتعطيانني أملا . امس قلت لهامان ، وانا اذكر ما هو معروف عنه من استشارته العقول الكهرضوئية فى تصالب خطوط القوى عند فتياته وفتيانه ، قلت له : ما رأيك فى ان تدقق فى خطوط القوى لشخصيتنا ، انا ورامي ، فانى اجد فى نفسى ميلا اليه ؟ فقطب صاحبك فى وجهى وقال : ستدخلين قريباً جداً فى مرحلة التحويل إلى أشعة مبثوثة ، فدعى هذه السخافات البسيكوباتية لفتيات ليس لهن أب مثل أبيك ..

هل فى هذا الطلب مني اساءة يا أبي ؟ اضحك مني اذا شئت » ..

ـ ٥ ـ

من حديث هامان الى نفسه ، منقولا من المسجلات الليلية :

« يبدو أني شخت . وإذا استمرت الحال على هذا فان مردودي من الانتاج العلمى لن يعود متناسباً مع طاقتى وجهدى ، وعليَّ حينئذ ان أنسحب الى معهد الاستشارات تاركاً دائرة الأبحاث الى من هو أكثر مني ايجابية ..

إنها سامارا . تاتيني فى كل مساء لتعدد أمامى الاختبارات التى أجراها عليها رامي والتمارين التى اجراها لها . تاخذ وقتى ، وعلي ان اردها فى كل مرة، الى رامي . اعترف بانى لا افعل هذا دون جهد . بصعوبة اتغلب على ميل نفسى الى استبقائها والى اعطائها وقتاً أكثر . ثم إنها لا تنسى ، فى كل مساء ، ان تقول لى ان عينى رامي خضراوان . ما دخل هذا بغرفة التبريد الى ما دون الصفر المطلق ، وفى التحويل من عناصر الى ذرات الى فوتونات ؟! » .

ـ ٦ ـ

من حديث هامان الى نفسه فى ليلة أخرى :

« ... سالتني مجدداً ان أبحث لها فى تلاؤم خطوط القوى فى شخصيتها مع خطوط قوى شخصيته هو .. رامي . هذه المرة لم تطلب مني ذاك مازحة . جاءتنى مجهدة بعد اختبار عنيف وقالت انه يهيئها للنزول الى البرودة المفرطة ، وانها تريد ان تعرف ذلك قبل أن يبثها الى يابيتوس ، فى مدار زحل . تريد ان تعرف .. وهو ، الا يريد ان يعرف ؟ » .

ـ ٧ ـ

وفى ليلة أخرى :

« هى تلح ، وانا احاول صرفها عن طلبها المضحك . هل اقول لها انها تضايقني بهذا الطلب ؟! لن اكذب اذا قلت لها ذلك . لماذا تحدثني عن خضرة عينيه كان لاجمال الا فى العيون الخضر ؟ ليس أجمل من عينيها العسليتين . هل بدات أضعف ، لانى بدأت اشيخ ؟

يجب أن أعترف بأن حكاية تقصي خطوط القوى فى العقل الكهرضوئي قد اخترعتها ، ابتدعتها ، لاتخلص من فتيات دائرة الابحاث اللواتى يضايقنني . وحين تطلب مني سامارا ان اطبق عليها ما كررته على زميلاتها أتضايق . ما معنى هذا ؟

لنفرض .. لنفرض اني وجدت الخطوط ، فى شخصيتها وشخصيته ، تتصالب فى نقاط التوافق ، فماذا يفيدها هذا ؟ حتماً لن تجد طريقها اليه . فبعد ستة وثمانين ساعة واثنتين وعشرين دقيقة من هذه اللحظة سيتلقى جهاز الاستقبال فى محطتنا فى يابيتوس ذرات جسدها على شكل فوتونات ثم الى ذرات فعناصر ثم الى سامارا ، ذات العينين العسليتين والقد الأهيف ، وذلك على بعد مليار ومائتين وتسعة وستين مليونا وأربعة وعشرين ألفاً من

زيلوس

كوكب الغيرة

الكيلومترات من قاعة التجارب فى دائرتنا للابحاث على كوكبنا الأرضى .. اعني عن رامي !

لا .. خطوط القوى هذه ، لن احسبها » .

— ٨ —

فى أواخر القرن الفائت ، اعني اواخر القرن العشرين ، حين كان بنو البشر يتناقلون الأخبار والأفكار بوسائل معقدة ومربكة يسمونها الصحف ، وهى مساحات من الورق مسجل عليها الكلام بحروف ملونة ، سوداء فى الغالب .. فى ذلك الزمن ورد فى واحدة من تلك الوسائل جواب من مختص بالسلوك الاجتماعى ، عالم بالنفس على سؤال وجه اليه حول أسباب الكوارث التى تلحق بالجنس الانسانى من جراء الخلافات الجماعية ، تلك الكوارث التى تدعى حروباً . فى جوابه على السؤال رد المختص السبب الى التفاوت بين نمو جهاز الفكر فى الكائن البشرى ، وهو العقل ، ونمو جهاز الشعور فى هذا الكائن ، وهو النفس . فالعقل ينمو ويتطور باستيعابه وبابداعه المتمثلين بالعلم ، بينما تظل النفوس الانسانية مرتبطة بالغرائز البدائية لا تملك فكاكاً من قيودها . وقال المختص لمحاوره : خذ قضيبين متساويين بالطول والثخن ، احدهما نحاسي والآخر من الحديد ، والصقهما ببعضهما على طولهما ثم الحمهما ، تحصل على قضيب واحد متماسك ومستقيم . لنفرض أنك عرضت هذا القضيب المزدوج التركيب الى منبع حرارى . إن اختلاف عامل التمدد بالحرارة فى النحاس عنه فى الحديد يجعل كلا من شطرى القضيب يتمدد بقدر يختلف عن قدر تمدد الآخر ، وينتهي ذلك بالقضيب الى الانحناء ، ثم إلى التفكك وربما إلى الانقصاف . وهذا ، كما قال المختص ، تفسير اختلال التوازن فى السلوك الانساني أمام مؤثرات يستجيب لها كل من مكوني أفراد الجنس البشرى ، ويعنى العقل والنفس ، بشكل يختلف عن استجابة الآخر ، فتسبب استجاباتهما المتباينة المآسي الفردية الصغيرة لعناصر هذا الجنس مثلما تسبب كوارثه الجماعية

هذه مقولة أوردها ذلك المختص منذ حوالى مائة عام ونقلتها تلك الوسيلة من وسائل بث المعلومات ، وعلى التحقيق نقلتها صحيفة صادرة فى يوم من أيام عام ١٩٨٣ . ويبدو أن المقولة نفسها لا تزال صادقة فى هذا الزمن ، فى عام ٢٠٨٣ بالذات ، على الرغم من تدخل العلم الحديث فى تطور النفس البشرية عن طريق أساليب التربية المبرمجة والمدعمة بما انتجته أبحاث الزمن الحاضر من المبدلات البيوكيميائية للسلوك . لا تزال المقولة صادقة ، اذا لم يكن فى كل الحالات ففى بعض الحالات التى ظلت بها النفس الانسانية عصية على البرمجة وعلى التبديل السلوكي .. ومنها حالة هذا الثالوث المؤلف من هامان وسامارا ورامي .

— ٩ —

من كلام رامي ، أو لعلها خواطره ، بعد عملية الارسال :

« — اجتازت كل الاختبارات وتحملت كل التجارب ، وكنت بذلك سعيداً .. سعيداً لسعادتها . وعندما سارت لوحدها نحو آخر المفاعلات فائقة البرودة فى طريق التحول الكبير الذى سيطبق على كيانها المادى الحي ، انتابنى الضعف الذى ما زلت ألوم نفسى عليه . انا مبتكر القناة الوحيدة وقد سلكت فيها ، بعد تحويلها فى سلطة أجهزة الارسال الى فوتونات ، الجمادات والأحياء ابتداء من ذرة الهيليوم وانتهاء بأفراد الطاقم المقيم فى مخبرنا فى يا بيتوس مروراً بالصخور والفيروسات والجمل ذى السنامين ... انا رامي ، أى خوف انتابني من أن تعجز هذه القناة عن استيعاب الفوتونات التى تحولت اليها ذرات عناصر أعضاء جسد سامارا؟! ماذا لو .. ماذا لو ... ماذا لو ؟! ياله من شك مريع ذاك الذى تسلل إلى وجدانى وانا أرى سامارا تتقدم ، بعد ان قبلتنا جميعاً ، اباها وهامان وانا ، تتقدم نحو الباب السيليكوني لمفاعل التبريد !

شك مريع تكشف ، فى دقائق قليلة ، عن وهم لا مبرر له . ها هى الآن ، وقد نقلتها القناة الوحيدة أمواجاً نورانية ثم اعادها الجهاز المستقبل فى يابيتوس إنسانة سوية ، تنقل خطاها فى حجرات مخبرنا هناك .. هنـــاك ، على بعـــد (٠٠٠ ٠٢٤ ١٢٦٩) كيلومتراً ، وتخاطبنا من هناك . بل انهـا تخاطبني انا ، رامي ، فيخترق صوتها الأثير امواجاً كهرطيسية تحولها اجهزتنا الى صوت سامارا برنته البلورية الصافية ،

فكأني احس بانفاسها تلهب صفحة خدى حين همست فى اذني ، قائلة : لا تقلق علي .. أحبك ! » .

— ١٠ —

عودة الى حديث هامان لنفسه :

« — ضعفت . لم يعد لي شك فى ذلك . احسست بالضيق يمسك عليّ انفاسي حين رأيتها ، بعد ان قبلت اباها ثم سمعتها ، على الرغم من خفوت صوتها ، تقول له : أحبك !

تحبه .. انا الأحمق الذى هيأتها لذلك . انا الأحمق ، تعاليت عليها ، وعاملتها بما عاملت به أولئك المتهافتات على الحظوة مني الراغبات فى حلول محل مرافقتى الأخيرة . وعندما تبينت انها من طبيعة أخرى ، ومن تكوين جسمانى ونفسي آخر ، تعلقت ميولي بها فاحببتها . حدث هذا بعد فوات الأوان ، بعد ان سحرت بعينى رامي الخضراوين .

والآن ؟ الآن لا يبرد من الحرقة فى صدرى على فراقها الا علمي بأن هذا الفراق قد جعل بينها وبين رامي فى غرفته فى مساكن الباحثين مسافة تفوق المليار وربع المليار من الكيلومترات فى الفضاء ما بين النجوم ..

ضعفت . أقر بهذا على نفسي . فى منجزات الترحيل بين النجوم والابحاث التى ادت الى تلك المنجزات ، انا رأس الحربة . وانا الذى أصبح اسمه رمزاً للتقدم الحضارى فى العشرة التاسعة من هذا القرن ، الواحد والعشرين الميلادى . منزلتى عند العلميين ليس فوقها منزلة ، واكبار معاوني لي ليس له حدود ، وثقتى



بنفسي لا تقل عن هذا وتلك .. الا ان سامارا كشفتني وعرفتني بضعفي . تبينت امامها اني في هذا الضعف انتسب الى الجيل الذي ولدت فيه ، جيل ابناء العشرة الأولى من هذا القرن .

كيف رضيت بارسال سامارا بعيداً بعيداً .. الى يا بيتوس ؟ ربما كان هذا هو جنوني الصحيح . اما كان ممكنا ، لو انها بقيت معي على كوكب الأرض ، ان تصبح لي المرافقة الرابعة ، على الرغم من أن عيني زرقاوان ؟

ــ ١١ ــ

« احبك » ، قالتها سامارا لرامي .

« تحبني » ، قالها رامي لنفسه .

« احببتها » ، رددها هامان في حواره مع ذاته .

كل هذه أفعال نصف الحب في أزمنته المختلفة . والحب ، كما يعرف كثير منكم ، عامل من عوامل التكوين العاطفي للنفس البشرية لا يزال ذا فعالية مؤثرة فيها لأنها ، أي النفس ، لم تتطور في المنحي الايجابي الذي تطور فيه العقل في هذا الزمن ، وذلك على الرغم من أساليب التربية المبرمجــة وتطبيقاتها الموجهة نحو هذا المنحى . كل ما توصل اليه التدخل العلمي في مجال عامل الحب هذا هو دراسة تاثيره وكشف مساراته بصورة أصبح معها من الممكن رسم هذه المسارات بشكل خطوط قوى بيانية تستطيع العقول الكهرضوئية ان تبين نقاط تلاقيها وتعين زوايا تباعدها . وهذا ما كان يعهد به هامان ، أحياناً ، الى عقول معهد الأبحاث لحل مشاكل معاوناته المتورطات والمتورطين في متاهات ذلك العامل العاطفي .

ونحن نعرف على التأكيد سبب احجام هامان عن تطبيق طريقته هذه على ما أخذ يقلقه ، ويؤرقه في قضية المشاعر التي تربط بين الثلاثة ، هو ورامي وسامارا . لعله احجم ، كما حدث نفسه عن نفسه ، لأنه شاخ وضعف فلم يعد قادراً على تحمل الحقيقة وعلى القبول بواقع الحقيقة ، كما هو منتظر ممن هو في منزلته بين العلميين المهيمنين على الحقيقة معرفة وتطبيقاً . ولعله لو فعل لرسم العقل الكهرضوئي لعينيه محصلتي خطوط قوى الفتاة ابنة صديقه والباحث تلميذه كمسارين لولبيين ملتوين احدهما على الآخر ، متعانقين كتعانق سلسلتي الجذور الأمينية في ذرة د . ن . أ . ، حامض الديزوكسي ريبونوكلييك . اما مسار خطوط قوى شخصيته هو فسيبدو له مستقيماً ، منحرفاً عن ذينك المسارين المتعانقين بزاوية تزداد انفراجاً بازدياد البعد بين مخابر دائرة الأبحاث على سطح كوكب الأرض والجهاز المستقبل على تابع زحل الذي بثت الفتاة اليه ، يا بيتوس .

من أقوال آبائنا الأولين في القرون السالفة تشبيههم البعاد بالنسبة للحب بالريح بالنسبة للنار . نسمة الريح الخفيفة تزيد النار اشتعالا ، والريح القوية تخمد الجذوة المشتعلة وتحيلها رماداً . ولو قسنا بعد سامارا عن عاشقيها بمقاييس أولئك الأولين الكيلومترية لحكمنا بخمود جوى الحب في صدور هذا الثلاثي منذ الساعة الأولى لارســــال الفتاة الجميلة الى يابيتوس ، فبعد تلك الساعة أصبح بعدها عن العاشقين مقدراً بمئات الملايين من الكيلومترات بل بآلافها ... تستغرق اسرع مركباتهم في قطعها ما يزيد عن الخمسين عاماً ، اذا تلك المركبات كانت تنطلق بسرعة ثمانية كيلومترات في الثانية ، وحين تفرط في السرعة تبلغ ، في الثانية ٣ ، ١١ كيلومترا ! الا ان متيمينا الثلاثة يعيشون في عصرنا الحاضر ، في القرن الواحد والعشرين وفي اواخره ، في زمن الترحيل بين النجوم . في زمنهم هذا لم يعد زحل ونطاقه وتوابعه ، وبينها يابيتوس تبعد عن كوكبنا الأرضي أكثر من ساعة وربع الساعة . فلا عجب ان يؤثر هذا البعد المختصر زمنياً في عواطف ابطال قصتنا ما تؤثر به النسمة الخفيفة على الجذوة المشتعلة ، فتنعشها وتزيدها وقداً والتهاباً

وهذا ما حدث بالضبط في مشاعر كل من افراد الثلاثي . هامان ، كما رأينا ، أصبح موزعاً بين عذاب نفسه بهوى عقيم وبين عزائه لتلك النفس في ان المحبوبة قــد بعدت فلن يظفر بهواها غيره . ورامي الذي عادت به همسة من سامارا الى تحليل عواطفه فاكتشــف ان تعلقه بالفتاة كان وراء حماسته في تأمين بثها الى يا بيتوس في أكمل الشروط ، أصبح ينقم على نفسه انه هو الذي ابعد الحبيبة وقذفها الى قرابة مليار وثلاثمائة مليون كيلومتر في الفضاء بين الكواكب . اما سامارا نفسها ، فهي أوضح رؤية من كلا الرجلين لمشاعرها واجرأ تعبيراً عما تحس به واصرح فيما تريده . دليل انها أخذت تشغل نصف وقت التخاطب المحدد لاتصال مخبر الدراسات في يا بيتوس مع دائرة الابحاث في كوكب الأرض ، بكلام شخصي تصف به شوقها الى رامي وحلمها في ان تراه الى جانبها على هذا التابع الدائر حول زحل .

أخذت سامارا تشغل بهذا الكلام نصف الوقت في المرتين النظاميتين المحددتين يومياً . وفي بعض المرات استبدت بوقت غير مخصص لها وراحت تنادي فيه رامي . واحنق هذا التجاوز على النظم المرسومة هامان ، فسجل للمرة الأولى،على الصفحة المضيئة في عدد من منصات دائرة الترحيل كلمات تقريع لكل من رامي وسامارا لسوء تصرفهما وتبديدهما طاقة علمية جوهرية في أحاديث نفسية ، سطحية وتافهة .

ــ ١٢ ــ

لم تفلح كلمات التقريع في صرف سامارا عن أحاديثها ، غير المرتبطة بمهمتها العلمية ، مع رامي ومن ردود رامي عليها . نستطيع ان نسمي تلك الاحاديث نجوى متبادلة بين حبيبين عبر الأقضية بين الكواكب ، لولا أنها لم تقتصر على الحبيبين . اذ أصبح يشاركهما فيها ، وربما على رغمه ، العالم هامان . فهو اذا صرف نظره عن سامارا التي ينقل الجهاز المستقبل صورتها له وصم اذنيه عن سماع صوتها ، وجد نفسه محكوماً بالاطلاع على عباراتها بالفاظها حين يستعرض في نهاية يوم العمل تقارير محطة الارســــال في يا بيتوس . لا مناص له في كل ليلة من ان يقع في ثنايا المعادلات الرياضية وتعرجات الخطوط البيانية على كلمات الفتاة العاشقة التي تحول جداول الارقــام والحسابات الفلكية إلى قصائد شوق ملتهب يزداد وقدها يوماً بعد يوم ويزداد لها حنق العالم على تصرف بنت صديقه وعلى استجابة تلميذه لهذا التصرف ، أو لتنعمه بهذا التصرف ، يوماً بعد يوم .

ما الذي يقوى به هامان على الفتاة التي تتصرف بهذا الشكل ؟ انها الآن منه على بعد متزايد ، اقل قيمة له مليار ومائتان وسبعون مليون كيلومتر ، في رحلة مبرمجة على تسعة وعشرين عاماً ومائة وسبعة وستين يوماً أرضياً . فهو لا يملك ، ولا يحق له ، ان يعيدها الى مخابر دائرة الابحاث على كوكب الأرض قبل انقضاء امد البرنامج . وتراه ، لو ملك ذلك ، راغباً في اعادتها الى الأرض لتلقي بنفسها بين ذراعي رامي كما تتمنى هي ذلك وتعبر عنه بصراحة تتمادى بتمادي أحاديث شوقها الملتهب ؟ !

حنق العالم هامان الذي لم يكن له متنفس على الفتاة . انقلب على التلميذ العاشق ، رامي الذي كانت تربطه به ، قبل ان تتدخل سامارا بينهما ، رابطة أب بابنه . لم يكن قادراً على انكار مكانة الفتى بين

زيلوس

كوكب الغيرة

باحثى ادارة الترحيل ولا الاستهانة بانجازاته ، ولكنه لم يعد قادراً على ان يتلقاه بنفس الحنو والعاطفة الأبوية التى كان يتلقاه بهما قبلا . وذلك تبدل لم يخف على رامي ، ولكنه كان من الانصاف ومن التقدير بحيث لم يلق لوماً فيه على استاذه بل وجد له فيه العذر فى تجاوزاته هو وسامارا على الاعراف المتبعة فى حلقات الدراسات الكونية ، باتخاذهما عناصر البحث العلمي مطية لهواهما الشخصي .

وجاء يوم قرر فيه رامي ، وهو يرى فى معاملة هامان له جفاء يقارب القطيعة ، ان يفضى الى العالم بكل مشاعره ، من هوى لا يملك الفكاك من اسره ، ومن شعور بالذنب ، ومن إقرار بالخطا فى التصرف ، وان يطلب اليه ان يشير عليه بالحلول التى يرتئيها لواقعه فى ضوء معرفته السامية وعقله الراجح وتفكيره الموضوعي .

— ١٣ —

قال رامي وهو يتحدث الى استاذه العالم :

— اشعر بالضعف امامك يا هامان . فعلى الرغم من اني ، لفارق الزمن بين جيلينا ، قد تلقيت فى صباى من دورات التربية المبرمجة أكثر مما تلقيته انت فى صباك ، اجدني عاجزاً عن التباعد عن المشاعر الغريزية ، التى حقنتنا تلك التربية بمصول المناعات عليها . على المشاعر الغريزية اعني . معك الحق فى ان تبعدني عن اهتمامك وان تجفونى . خيبت ظنك وارتبطت بالخصوصيات النفسية ، مما لا يجدر بتلميذ مقرب منك . ولكني لا أستطيع أن أرائي وأخفي أحاسيسي .. اني متعلق بسامارا تعلقاً لاحدود له . انت مسؤول عن هذا . لا اقول ذاك لالومك بل لاشكرك .. منحني هذا التعلق سعادة لا تفوقها سعادة ، لولا ..

وقطع رامي كلامه كالمتردد ، فتطلع اليه هامان بنظرة جامدة ، تبدو خلواً من كل محتوى حسي ، وسأل :

— لولا ماذا ؟

قال الشاب : لولا نقمة أشعر بها على نفسي اني أبعدتها ، بيدى ، عني جسمانياً فى اللحظة التى كانت فيها اقرب ما تكون إلى روحي . وانت كذلك مسؤول عن هذا . أليس هو قرارك ان اتولى انا بثها الى يا بيتوس ؟

قال هامان ، بلهجة من نفذ صبره : ماذا تريد منى ؟

فاجابه رامي : ان تفتح لنا طريق الاجتماع ، انا وسامارا .

فسكت هامان لحظة . ولما عاد الى الكلام راح يلفظ كلماته كانه يتلذذ بتقرير معانيها قال :

— إنها فى يا بيتوس . أنت الذى بثثتها وتوليت برمجة رحلتها التى لن تنتهى قبل ان يتم زحل دورة كاملة له حول الشمس .. اعني قبل ثلاثين عاماً تنقص بضعة شهور لا يمكن لأجهزة يا بيتوس المرسلة ان تعيد بثها إلينا قبل ذلك .

قال رامي : اعرف هذا ونحن ، سامارا وانا ، نقبل به . هى لن تعود قبل ختام برنامجها ، ولكني شخصياً لست مرتبطاً ببرمجة ذات موعد محدد . ما اطلبه منك هو ان تبثني انا اليها .. الى يا بيتوس .

فوجيء العالم بهذا الطلب من تلميذه ، فقال بلهجة أقرب ما تكون الى الاستنكار :

— انت ؟!

قال رامي : نعم . أرجوك ، رحلني الى يا بيتوس . انا على استعداد لخوض كل الاختبارات والمرور بالتجارب التى اخضعت لها قبلا من بثثتهم ، تحت اشرافك الى يا بيتوس . ولقد ابتكرت انا ايضاً ، تحت اشرافك ، القناة الوحيدة ، واريد منك الآن ان تسلكنى فيها . لا أريد ان أضيع الوقت ، فما تبقى من زمن نافذة البث الى مدار زحل ليس كثيراً . إبدأ بتأهيلي ، اذا لم يكن اليوم ففى هذه الأيام القليلة القادمة .

قال هامان : يبدو لي انك فقدت توازن عناصر المحاكمة فى تفكيرك . كل هذا من اجل سامارا .. من اجل امراة ؟

فقال رامي بلهجة فيها الاحترام ، وفيها الرثاء ، وفيها الشعور بالغبطة :

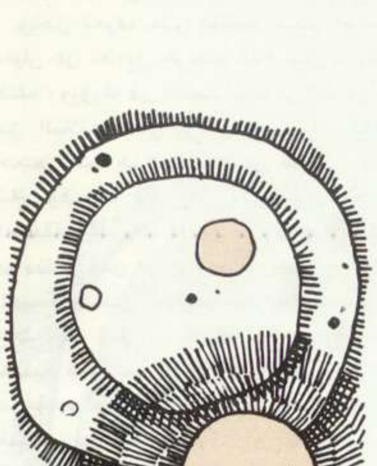
— كل هذا لأني احبها . تفكيرك يا هامان يحلق فى عوالم تسمو على الحب ، ولذا فاني لا الومك اذا لم تفهمني ..

— ١٤ —

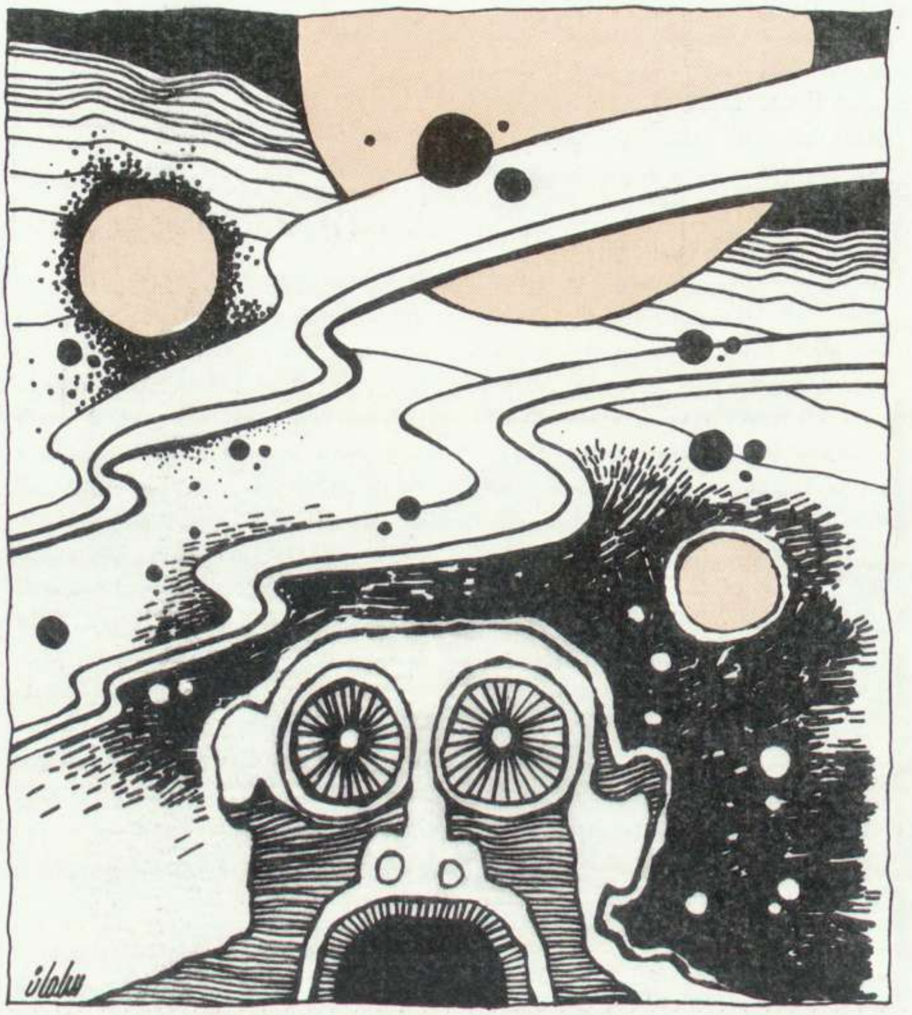
ليس صحيحاً إن هامان لا يفهم رامي ومشاعره ودوافعه . وليس صحيحاً كذلك ان تفكيره ، تفكير هامان نعني ، يسبح فى أجواء تسمو على عاطفة الحب .

ففي الفترة الأخيرة ، فى الأيام المتتالية التى اعقبت انتقال سامارا الى يا بيتوس ، أسَفَّ تفكير هذا الانسان العلمي الخطير ، ملتقى الأضواء فى محافل الدراسات والانجازات المفرطة التعقيد ، حتى انغمس فى دنيا المشاعر وعالم العواطف والأحاسيس المعنوية . نحن نقول أسَفَّ ، على الرغم من أن بعضاً من الناس يعتبر هذا الاسفاف سمواً . ولعلنا نوافق بعض الناس أولئك فى اعتبارهم لو ان تحول تفكير هامان كان إلى عاطفة الحب وحدها . ذلك ان هذا التفكير قد تحول ، فيما عدا الحب ، الى الأسى على مافات والحرقة على ما لم ينله صاحبه ، ثم الى الحقد الوضيع الذى لا يليق بشخص متميز مثله .. الحقد على الفتى رامي لأنه نعم بحب حرم هو منه .

واذا كان هامان قد عزف فى أول الأمر عن شهود تناجي الحبيبين عبر الأفضية بين الكواكب فى صورة وصوت مباشرين ، مكتفياً بالاطلاع على فحوى ذلك التناجى فى تضاعيف محاضر الأرسال والاستقبال بين دائرة الابحاث ومخابر يا بيتوس ، فانه لم يلبث ان وجد نفسه مدفوعاً الى رؤيتهما بعينيه وسماعهما باذنيه ، على لوحات المنصات فى قاعات العمل ، وهما يتطارحان الصبابة ويشتكيان من طول فترة التباعد التى تحول دون لقائهما . وكان هو ، هامان بين لذع الفؤاد بما يسمع وما يرى وبين برد التشفي بمعرفته أن الوصال الذى يتحرق فى انتظاره الحبيبان أمنية مستحيلة .. مستحيلة على الأقل فى الوقت القريب .



ولكن .. ولكن هذا هو تلميذه يحطم النهج العقـــلاني ويطلب ان يبث الى يا بيتوس ، الى حيث تتلقاه ، سامارا مفتوحة الذراعين متلعة العنق والصدر مستسلمة ! إنه ، فيما يأمل ، مجنون . من يملك ان يسمح ببثه ، ومن يستطيع بثه غير هامان ؟ ومن يشقى بوصـــوله الى يا بيتوس غير هامان ؟ ... ومع ذلك ، فانه يطلب ما يطلب من هامان !



ـ ١٥ ـ

تحولت الأيام التى اعقبت ذلك الطلب الجرىء من رامي الى استاذه ، إلى ساحة تضاربت فيها مشاعر ثلاثي قصتنا واحاسيسهم تضارب الحمولات الالكترونية والكهرطيسية والكهرضوئية فى مجـــالات التجارب الكونية .

هذه ، مثلا ، نداءات سامارا إلى رامي ، وما توجهت الفتاة قط بنداءاتها الى هامان. لقد اخذت تلك النداءات تحتل من برامج التخاطب على الموجات بالغة القصر ، وكلها من فئة المليمتر طولا ، بين محطتى دائرة الأبحاث فى الأرض وعلى يا بيتوس ، قول أخذت تحتل مساحات تزداد اتساعاً كل يوم ويزداد محمولها من الشوق والتوق لعله جو التابع الدوار يا بيتوس هو الذى حول هذه الفتاة المفرطة الذكاء من باحثة نصيب العقلانية فى تفكيرها ٦ ، ٩٦٪ ، كما هو مثبت فى جدول مؤهلاتها ، الى كائن عاطفي تتضاءل العقلانية فى تصرفاته إلى نسبة مئوية دنيا . ولعل ذلك الجو هو الذى اعطاها هذه الجراة وفصاحة التعبير فى التصريح بميولها الروحية ورغباتها .

نداءات صارخة ، ملتهبة وجارحة ، وما كان يسمعها سوى رامي واستاذه ، ولابد لكل منهما أن يتأثر بها تأثراً عميقا . وواضح أن مسار التأثر عند كل منهما كان يعارض الآخر فى اتجاهه معارضة قطبية . فبينما يندفع رامي ، مدفوعاً بتلك النداءات فى الحاح على المعلم أن يلبي رغبته فى الرحيل الى يـــابيتوس ، يتصلب هامان مدفوعاً بالحنق الذى تؤججه فى صدره النداءات ذاتها مقرراً أن يظل لقاء الفتاة على تابع زحل مستحيلا . لا .. كان هامان يقول لنفسه .. لا ، لم يبق من النافذة الزمنية لاطلاق المادة ثلاثية الابعاد الى يا بيتوس غير اسابيع قليلة ، ولن اسمح لهذا الصبى ان يعبرها مبثوثا الى حيث سامارا بذراعيه الطويلتين !

ويلح رامي ، ويلح . ويا عجباً ! .. ففى ذات صباح ، وبعد ليلة مؤرقة ملأت اذني هامان أحاديث الغزل الملتهبة بين الحبيبين ، فكادت نفسه تزهق حسرة وتألما ونقمة ، نادى اليه تلميذه الباحث ليقول له بصوت حاول ان يعيد اليه لهجة العلمي الذى كل الآخرين عنده ، حتى اقرب للقربين اليه ، مواد تجربة وتطبيق .. ناداه ليقول له :

ـ هيىء نفسك للنزول تحت الصفر المطلق . سترحل الى يـــابيتوس ، مادمت مصراً . لست بحاجة إلى دراسة للتعليمات ومتى ما أجريت عليك الاختبـــــارات الروتينية ، ستُبَثّ !

وفتح رامي عينيه الخضراوين باكبر سعتهما وقد امتلأتا دهشة ، وغبطة ، وهم بالكلام . إلا أن هامان لم يترك له فرصة لذلك ، اذ اضاف :

ستسلك القناة الوحيدة . انها قناتك ، ولك الأفضلية فى سلوكها .

لم يكن فى هذه الأقوال أى إشارة الى سامارا ونداءاتها . فكان هامان اراد ان يعلم الفتى ان الأمر امر تطبيق علمي مجرد ليس للشعور الانساني به دخل او علاقة .

وهكذا خطا رامي خطوته الأولى فى الرحلة الى تابع زحل فى فلك ذلك الكوكب السيار .

ـ ١٦ ـ

لأول مرة تتوجه سامارا عبر الأفضية بين الكواكب بالحديث الى هامان . محياها يتألق فرحاً ، وابتسامتها تكاد تطفر من شاشة المنصة لتنير القاعة الاهليلجية المتسعة التى يتصدرها مكتب العالم . قالت وهى تقصد هامان :

ـ كنت واثقة من أنك لا ترضى بان تتركنى لنار الشوق ، احترق بها تسعة وعشرين عاماً ، قبل ان التقي برامي . واثقة بأنك ستبث لي حبيبي قبل اغلاق النافذة الزمنية واستحالة الارسال . انا أطير فرحاً .. ألست ترى هذا على وجهي لن آخذ بعد الآن دقيقة واحدة من وقت البرامج ما دام رامي ، فى مرحلة التهيؤ ، لا يتاح له أن يحاورني ، الى اللقاء بعد اثنين وعشرين

زيلوس

كوكب الغيرة

يوماً ... سنتوجه اليك حينذاك بالتحية والشكر ، وترانا امام عينيك ، بعيدين عنك وقريبين منك ، متعانقين انا ورامي ..

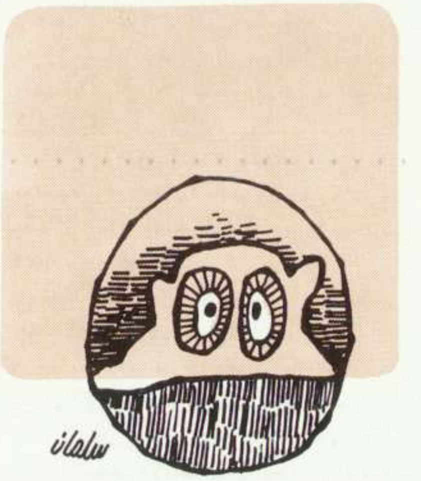
واختفى وجه سامارا من الشاشة بينما كان رامي فى طريقه الى غرفة تطبيقات البث لينزل الى برودة الصفر المطلق ، ثم الى ما دونها بدرجات ، حيث يتحول تكوينه الى عناصر ثم الى ذرات ، ثم الى مركباتها التى تنطلق على شكل فوتونات بسرعة ثلاثمائة الف كيلومتر الا بضع عشرات من الكيلومترات فى الثانية نحو فلك زحل ، فتبلغ الجهاز المستقبل بعد ثلاث وسبعين دقيقة وبضعة اجزاء من الدقيقة ، لأن ابتعاد موقع يا بيتوس على ذلك الفلك ، ما بين بث سامارا اليه وبث رامي ، يزيد أمد رحلة الأخير هذه الدقائق القليلة الفائضة .

— ١٧ —

اسمحوا لنا بالتوقف هنا قليلا . انتم تتصورون ، فيما نحسب ، ان قصتنا قد انتهت ، وبخاتمة لا تختلف عما تنتهى به حكايات أسلافنا الأولين ، حين تختتم كل قصة باجتماع شمل الحبيبين واقامة الأفراح والليالى الملاح . ولعلكم تاسفون على ما اضعتم من وقت فى تلاوة هذه الصفحات التى لم يختلف محتواها عن تلك الحكايات الساذجة الا بان الابطال المتباعدين كانوا هناك يركبون العربات والطيارات ، أو الصواريخ ، بينما أبطال قصتنا يمتطون ذرى الأمواج الجيبية للنور أو الدفقات الكوانتية للطاقة المبثوثة .

ولكن مهلا . كان أحب الينا ان يصدق ما تتصورون ، لولا أن بقيت لنا كلمة نعود فيها الى ما كنا ذكرنا ، فى الفقرة رقم ٨ من هذه الصفحات ، عن التباين بين تطور عقل الفرد البشرى وتطور النفس عند هذا الفرد مما يؤدى الى التشوه والتقصف ووقوع الكوارث . عند هذه النقطة من قصتنا يحتل ذلك التباين محله . إنه التباين بين التطور المذهل الذى بلغه العقل الانسانى فى عام ٢٠٨٣ للميلاد ، ممثلا بمنجزات التقدم الذى يتركز فى ضغطات أنامل العالم هامان على لوحات مجموعة العقول الكهرضوئية فى مركز أبحاث دائرة الترحيل بين النجوم وبين انشداد النفس الانسانية الى غرائزها الحيوانية ، انشداداً تمثل بتصرف هامان ذاته تصرفاً كارثياً نتيجة لتاثره بحب يائس . ومن يحلل سلوك هذا العالم الشهير يجد واضحاً انه كان ردة فعل لمجموعة مشاعر حَسِبَ مختصو الدراسات النفسية فى قرننا الواحد والعشرين هذا ان نشاطها قد امّحى منذ زمن بعيد . انها المشاعر التى كان اسلافنا فى القرون الماضية يطلقون عليها اسماء تختلف من لغة الى لغه ، وفى اللغة العربية يسمونها خصلة الغيرة أو شعور الغيرة .

هذا التصرف الكارثى الذى تصرف به هامان ، ما كان ممكناً ان يقوم به من هو دونه منزلة ومعرفة وقدرة على التحكم بمعطيات التقدم العلمي الفائقة . رامي ، ذلك العلمى الفذ ، ها هو قد اجتاز كل اختبارات البث وأصبح ، فى النطاق المصمت للجهاز المرسل الذى يديره هامان ، فى مرحلة الاعداد الختامية ليشحن بالسرعة المعينة منطلقا الى يا بيتوس . المنصات فى كل شُعَب دائرة ابحاث الترحيل كانت تتابع على شاشاتها ترحيل الباحث القدير واعين العلماء والعالمات من الكهول ، والباحثين والباحثات من الشباب معلقة باطراف أصابع هامان المتنقلة بين أزرار تشغيل العقول الكهرضوئية انتقال انامل العازف على آلته . وكما يتحول الصوت فى بث المادة ذات البعد الواحد إلى موجات كهربائية مغناطيسية متباينة الشدة ، فى التواتر أو فى الارتفاع ، وكما تتحول الصورة ، فى بث المادة ذات البعدين الى مجموعة نقاط يترجمها الجهاز المرسل إلى شدات من نفس النوع ، اخذت المادة الحية ثلاثية الأبعاد التى هى جسد



رامي تتحول ، بعد تحولها إلى عناصر فذرات فجزئياتها ، الى طاقة ستخترق الفضاء بين الكواكب اختراق الصورة والصوت بعد تحويلهما الى طاقة . والفرق بين مصير هذين الأخيرين ومصير فوتونات جسد رامي ان هذه الفوتانات لن تتوزع فى الأثير ليلتقطها كل جهاز مستقبل مؤهل . انها ستسلك القناة الوحيدة إلى بؤرة محطة الاستقبال القائمة على سطح عاشر أقمار زحل ، التابع يا بيتوس .

تلك القناة الوحيدة ! أى جزء من مليار جزء من مكوناتها على مسارها الطويل قد تخلخل من مكانه حتى جرى ما جرى ؟ جمدت أمام اللوحات المضيئة فى المنصات أعين المتتبعين ، من علماء وباحثين وتلاميذ ، وهلعت قلوبهم . شىء ما فى جزء من الثانية التى تلت ضغط أصبع هامان على آخر أزرار الارسال قد حدث فى آلة البث المتشابكة . قبل ذلك الجزء من الثانية كان جسد رامي قد انطلق بصورة طاقة مرسلة من جهاز دائرة الترحيل نحو يا بيتوس ، ليبلغ جهاز الاستقبال فى هذا التابع بعد ثلاث وسبعين دقيقة ، مخترقا ملياراً وما يزيد عن أربعمائة مليون من الكيلومترات . إلا أن اضطرابا غير متوقع قد بدا فى حركات أصابع هامان وهى تنتقل على لوحة الأزرار الرئيسية . وفى نفس اللحظة اشتعل فى كل من العقول الكهرضوئية فى جوانب قاعة العمليات ضوء أحمر ينذر بأن القناة الوحيدة التى سلكتها فوتونات ذرات المادة المبثوثة قد أصيبت بتخلخل . يا للكارثة !

وانها لكارثة . أترى هذه الفوتونات المبثوثة تصل الى فلك زحل ، ثم الى يا بيتوس ، ثم الى جهاز الاستقبال فى محطة الأبحاث ليعود رامي ، هذا الفتى الباحث ، إنسانا سويا تتلقاه فى حضنها الدافىء حبيبته سامارا ؟!

— ١٨ —

أهي القناة الوحيدة التى اصابها خلل ، ام انها أصابع العالم هامان التى ضلت طريقها على أزرار البث والارسال ؟ الذى نعرفه أن رامي ، ذلك المنكود الحظ ، قد انطلق إشعاعاً من مخابر دائرة ابحاث الترحيل بين النجوم فى كوكب الأرض ، ولكنه لم يلتقط فى جهاز الاستقبال فى تابع يا بيتوس جسداً آدمياً .

وقد دلت الأبحاث التى أجراها رصفاء هامان ، الذى أصيب بانهيار عصبي بعد تلك الحادثة الكارثة ، على ان الكتلة الاشعاعية التى نجمت عن تحول المادة

ثلاثية الأبعاد فى جسد رامي الى طاقة قد بلغت فلك زحل حقاً ، إلا أن القناة الوحيدة التى سلكتها لم تتوقف بها فى مـــدار يا بيتوس . الذى جرى هو أنها استمرت فى مسيرها حتى بلغت حزام زحل ، وهو كما تعرفون نطاق مشكل من أربع حلقات دائرية متفاوتة فى الاضاءة وفى الانشـــحان الالكتروني ، ويفصل بين أولها وثانيها شق كاسيني المظلم المشهور . كل حلقة من تلك الحلقات الأربع تتكون ، كما بينت أبحاث العلماء القدماء ، لا من ذرات نور بل من أجسام مادية بالغة الصغر ، يمكننا ان نعتبرها توابع وأقماراً متفاوتة فى ضالة الحجم ، وهى تدور حول زحل بسرعات تتناسب مع احجامها ومع بعدها عن مركز ذلك الكوكب السيار .

عند الحافة الخارجية لحلقة حزام زحل الأولى تضاءلت سرعة فوتونات جسد رامي المبثوث حتى قاربت الصفر ، وبذلك تحولت من طاقة إلى مادة مجسدة . الا أنها لم تجد أمامها جهاز الاستقبال الذى يعيدها إنساناً ســوياً . ولا حتى مــادة حية . لقد أصبحت مزيجاً من العناصر ، وربما كتلة من المركبات المعدنية والعضوية ، انضمت الى مجموعة الأقمار الدقيقة والتوابع الصغيرة الدائرة فى الحلقة الأولى من حلقات الحزام ، مكونة فيها تابعاً جديداً . وهذا ما أكدته الاستكشافات والدراسات التى أجرتها هيئة خاصة ألفت بغاية البحث عن مكونات جسد رامي . واذا كانت أعمال هذه الهيئة قد توصلت الى معرفة مصير ذلك الجسد فانها قد باءت بالفشل فى محاولة اعادة عناصره إلى مخابر دائرة الأبحـــاث فى يابيتوس أو على كـوكب الأرض .

وهنا ، فى ختام قصتنا هـــذه ، نورد ما أثبته التقرير النهائي لتلك الهيئة الخاصة ، ألا وهو الاقتراح الذى تلقته تلك الهيئة من الباحثة سامارا ، المقيمة فى محطة دائرة الأبحاث على التابع يا بيتوس طالبة رفعه الى مجلس التسميات الفلكية . فقد طلبت هذه الباحثة ، ولسبب لم يكن يعرفه الا قليلون ، ان يطلق على هذا التابع الجديد الذى تم تحديد صفاته المميزة اسم « زيلوس » ، وهى الكلمة التى يعادلها فى اللغة العربية لفظ « الغيرة » .

وهذه حكاية الكوكب زيلوس ، كوكب الغيرة الدائر فى فلك زحل وعلى هامش الحلقة الأولى من حلقات حزامه ، فى قلب المجموعة الشمسية التابعة للمجرة الكبرى فى كوننا المنظور .

د . عبد السلام العجيلى

نـــجـــمـــة

شعر : عــــلام عبـــد الله



● (تعاطفت معي أكثر من صمتي ...)

عندما تخضرُّ نفسي
أو تناجي الأرضَ ماءً من وريدْ
آهِ
لا مِنْ سامع ، عينٌ
ولا أذنٌ تحاورْ
أضرب الصمتَ برأسي
فأراه خشباً .. أو حائطاً
لا يستمعْ
فى انشغالِ الكدحِ والهمِّ المُراقْ
فى بساتينِ الليالي الغافياتْ
إنني أبحث عن ظلٍّ لصوتي
حيث لا مِنْ سامعٍ ، عينٌ
ولا أذنٌ تحـاورْ
أين أنتِ .. ؟
أين أنتِ .. ؟
أضربُ الرأس برأسي
رجةٌ تبحرُ من قلبى
وأخرى فى اللسانْ

رسَّبَتْ كلســاً ..
وسدَّتْ مخرجَ الصمتِ
وصمتي فى انحصارْ

أضرب الكلسَ بصمتي
تستشفُّ الآهَ مني طفلةٌ
سنبلتْ جرحاً خليجياً بقلبي
سنبلَتْني
انهكتْني السنبلهْ
أضرب النفسَ برأسي
لا أرى شـــيئاً

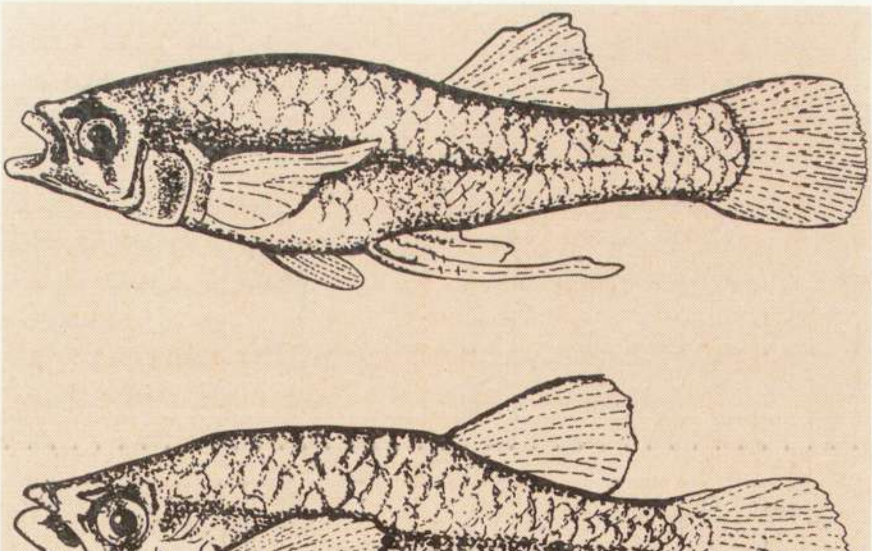
سوى ريش من البسمة
أو بؤرةِ رملٍ فى حجرْ
همسةِ نارٍ فى جسدْ
مثلما يحتضنُ الغيثُ نجيّهْ
ها أنا أحتضنُ الطفلةَ
من دونِ زَغَبْ

سمكة البعوض

والحشرة التي حيرت العلماء

بقلم : الدكتور خليل أبو الحب

لا يختلف اثنان فى أن البعوض من أهم الحشرات التى يعانى منها الانسان ويشارك الذباب «بشرف» كونهما عَدُوّي الانسان رقم واحد من الحشرات الطبية ، فالبعوض يلسع ويمتص الدم ويترك أثراً بالغاً من جراء حقنه اللعاب فى الجرح ليمنع تخثر الدم. وتصل حساسية بعض الناس لهذا اللعاب من الشدة الى الحد الذى يحتاج فيه المرء الى التطبيب. والبعوض كثيراً ما نغص الحياة فى الريف والمصايف والمتنزهات بدورانه ولفه حول الرأس والوجه وتساقطه فى العين والأذن ، حتى فى حالة عدم اللسع والعض . وبالاضافة الى هذا وذاك ، والأهم من كليهما ، أن البعوض ينقل للانسان – وللحيوانات ايضاً – كثيراً من مسببات الأمراض مثل الرشحيات (ذات السحايا النزفية وحمى الضنك والحمى الصفراء) والأوالى (الملاريا) والديدان الخيطية (الفلاريا مسببة داء الفيل) وذلك بحكم طبيعته الطفيلية واعتماده على الدم فى التغذية وانتاج البيض .



رسم تخطيطي توضيحي لذكر وانثى سمكة البعوض التى تعيش فى المياه العذبة وتتغذى على يرقات البعوض

عانى الانسان من البعوض والأمراض التى ينقلها كثيراً منذ الأزل ولم يتمكن من مكافحتها الى الحد المرضي والجيد إلا بعد تصنيعه المبيدات العضوية الحديثة وعلى رأسها مادة الـ « د.د.ت » الشهيرة .

وقد تنفس العلماء الصعداء وظنوا انهم أخيراً وجدوا الدواء لهذه الحشرات اللعينة وما تسببه من مآس للانسان بنقلها الأمراض المختلفة . حتى لقد وصل بهم التفاؤل الى حد ان منظمة الصحة الدولية أصدرت قرار إبادة الملاريا عام ١٩٥٥ وراحت الدول الصغيرة والكبيرة ، المتقدمة والنامية تعمل على تطبيق القرار .

ولكن مع الأسف لم تطل الفرحة ، فقد ابت الطبيعة أن تنصاع بهذه السهولة للانسان وتراجع الانسان أمامها فى قضية مكافحة الحشرات – وهنا البعوض – بإستعمال المبيدات والاعتماد عليها كليا . فالحشرات لا تموت بالمبيد كما كانت لنشوء المقاومة لديها ، والمبيدات نفسها احدثت ضجة وصرخة عالية نظراً لما تسببه من

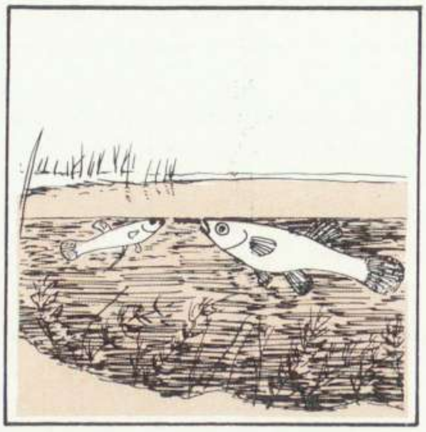
تلويث للبيئة وما قد يسببه هذا التلوث من اخطار ومشاكل للانسان . عندها إتجهت الأنظار الى البديل او البدائل للمبيدات فى مكافحة البعوض . وكانت من هذه البدائل إعقام الذكور سواء بالاشعاع أو المعقمات الكيمياوية وعن طريق الهندسة الصحية فى ترشيد وتنظيف وردم ومنع هدر المياه لكى لا تكون محلا صالحا لتكاثر البعوض ،

وعن طريق تسخير الهندسة الوراثية فى المكافحة ولكن من أهم واحسن هذه البدائل هى اللجوء اكثر فاكثر الى المكافحة الحيوية وذلك بتسليط الطفيليات المرضة للبعوض أو المفترسات للبعوض . المكافحة الحيوية ليست بالأمر الجديد فقد استعملها الانسان - وبنجاح - ضد الحشرات الزراعية ولكن استعمالها ضد الحشرات الطبية كان على حد اقل وقد ظهر ان استعمال الأسماك كان من انجع الطرق فى مكافحة البعوض حيويا واحسن الأسماك فى هذا المضمار هى سمكة جامبوسيا افينس Gambosia Affinis

سمكة جامبوسيا .. لأول مرة

بدأ الاهتمام باستعمال السمك للمكافحة بعد أن عرف العلم علاقة البعوض بالملاريا ولكن ظهور الـ «د.د.ت» والمبيدات المصنعة الأخرى قللت ، لفترة ، الاهتمام بالسمك ، والآن وبعد حديث التلوث على البيئة وخطر المبيدات على الانسان ، أخذ الاهتمام يتصاعد مجدداً . ففى سنة ١٩٦٨ ظهرت قائمة بابليوغرافيا لـ ٦٨٦ بحثا عن استعمال الأسماك فى المكافحة ٤١٪ كانت عن سمكة الجامبوسيا افينس .

كانت هذه السمكة قد وصفت لأول مرة عام ١٨٥٤ . ومنذ أوائل هذا القرن صارت تنقل من محل لآخر لغرض المكافحة . فاول مرة نقل منها (١٥٠) فرداً من تكساس - الولايات المتحدة - الى جزر هاواى كان فى ١٩٠٥ ، وفى ١٩٠٧ اثبتت إنها كفوءة وفعالة . وفى ١٩١٣ وصلت الى الفيلبين ومنها الى بلدان الشرق الأقصى . وفى عام ١٩٢١ وبواسطة الصليب الأحمر دخلت أسبانيا ومنها الى إيطاليا ثم دول البلقان وروسيا . وفى بلادنا العربية فانها دخلت الجزائر ١٩٢٨ وبعدها وصلت مصر وقبرص وسوريا والسودان وفى العراق دخلت حوالى ١٩٤٥ . ثم إنها دخلت امريكا



وضع سمكة البعوضة (ذكر وانثى) اثناء التغذية على سطح الماء فى شراهة لا مثيل لها بين عالم الاسماك

اللاتينية عن طريق مؤسسة روكفلر . وبذلك تكون قد انتشرت من أصلها فى تكساس الى جميع انحاء العالم بفترة لا تتجاوز النصف قرن .

هذه السمكة

تعود السمكة الى عائلة Poecilliidae وهى اسماك تعيش فى العالم الجديد وقد جاء اسمها العلمى من اللغة الاسبانية يعنى «لا شىء» أى أن من يصطاد هذه السمكة فكانه صاد لا شىء .

رأسها مفلطح ، جسمها صغير وفمها ممتد الى الأمام . التباين الجنسى واضح ويظهر بعد فترة من الولادة . تصل الأنثى الى حد ٦٠ مللم فى الطول وهى دائمة النمو ، ولكن الذكر لا يتعدى ٤٥ مللم ولا ينمو بعد بلوغه الرشد . الزعنفة الشرجية فى الأنثى صغيرة ومستديرة واشعتها (أو عروقها) تتصل مع بعضها بغشاء والأشعة غير متحدة . أما فى الذكر فان هذه الزعنفة محورة الى عضو جماع .

توجد بقعة أرجوانية على جانب البطن فى الأنثى . الزعانف عادة صغيرة والحراشف كبيرة بالنسبة لحجم السمكة .

كيف تحيا ؟

تعيش هذه السمكة فى المياه العذبة فى المناطق الدافئة من العالم ولكنها تقاوم البرد فى محلات استعمالها وادخالها ، تفضل المياه البطيئة الجريان والضحلة ولكن قد توجد فى أنواع أخرى من المياه إلا إذا كانت ملوثة وحامضية . تعيش وتتغذى على انواع كثيرة من الحشرات والنباتات المائية مثل العوائم والقشريات والأشنات والديدان . تفضل التغذية فى أول وآخر النهار وتهدأ فى الليل والظهيرة . لا يبعد نظرها أكثر من (٤ - ٥) انجات ولكن حركة الفريسة تساعدها،لذلك نشاهد إن يرقات البعوض تبقى هادئة عندما توجد أفراد السمكة فى المنطقة ، غريزة نمت للدفاع عن النفس .

ماذا عن كفاءتها ؟

لقد أثبتت هذه السمكة جدارة وقدرة وكفاءة فى مكافحة الأدوار المائية للبعوض للأسباب التالية :

● تبحث عن غذائها على سطح الماء ويساعدها بذلك رأسها المفلطح وفمها الممتد وتصل الى محلات لا يمكن أن يصلها السمك الكبير الحجم وتلائم يرقات البعوض .

● تتكاثر بكثرة وبسرعة . فهى تلد ولادة ولا تضع البيض وبذلك خلصت من الخسائر التى يسببها وضع وفقس ومعيشة البيض . قد لا تحتاج الأنثى الى التزاوج المتكرر ، مدة الحمل (٢٣ - ٢٤) يوماً ، تلد الأنثى على فترات ، فى كل مرة تلد (٤٠ - ١٠٠) فرد وقد تلد (٣ - ٤) مرات بحياتها . الأنثى تعيش أطول من الذكر لمدة (٤ - ٥) سنوات .

● تعيش وتنتعش فى وتحت ظروف مختلفة جداً وأحياناً تقاوم الصعوبات ، فانها توجد فى الآبار ومياه النزيز وتجمعات المياه الآسنة وفى البرك والأحواض .

● سهلة النقل والتربية والادارة والتداول ، لذلك أمكن نقلها من محلات بعيدة وبوسائط مختلفة على الحيوانات أو الطائرات ، وفى الأحواض والأكياس .

● شرهة التغذية ، ففى ساعة واحدة أكلت سمكة واحدة ٢٢٥ يرقة وخادرة بعوض ويصل إستهلاكها الآلاف .

لكل هذه الاسباب نجد أن هذه السمكة تجد إقبالا واسعاً فى استعمالها بمكافحة البعوض الناقل للملاريا وللحمى الصفراء وتهتم بها الدول ومنظمة الصحة الدولية وتحاول تكثيرها جهد المستطاع .



جان فيرمير (١٦٣٢ ـ ١٦٧٥)

بين النسيان وصمود العبقرية

بقلم : جمال قطب

فناننا اليوم هو (جان فيرمير) أحد أقطاب المدرسة الهولندية التى ازدهرت إبداعاتها بصفة خاصة فى القرن السابع عشر ، وهو عصر تألقت فيه روائع الفن الهولندى فى أوروبا ، حتى أنه يمثل فى التاريخ عصر نهضة حقيقية بعد أن سيطر عصر النهضة الايطالى فى القرن السادس عشر من قبل .

ويعتبر فيرمير من أقل الفنانين العالميين حظاً ، وأكثرهم معاناة من الجحود وعدم التقدير والانطواء الذى فرضه عليه معاصروه .. حتى أنه مات وهو فى ريعان شبابه فى الثالثة والأربعين تاركاً زوجته وأطفاله الثمانية وهم فى أشد حالات العوز والفاقة .. بل كانوا مطالبين كذلك بتسديد ديونه المتراكمة ! مما اضطر الأرملة المسكينة الى أن تسدد الديون بعشرات من لوحاته . فحملتها لكى توزعها على الخباز والبقال والقصاب وكثير من المتاجر .. !

وحتى بعد وفاته ، فقد أسدل عليه ستار النسيان نحو مائتى عام ، ثم بدأ العالم يعترف بعبقريته وكان ذلك بفضل الفنان البريطانى الشهير (السير رينولدز) أول رئيس للأكاديمية البريطانية ، عندما زار هولندا فى أواسط القرن الثامن عشر ، فأتيحت له فرصة مشاهدة أعمال فيرمير ودراستها بامعان .. ثم أعلن على الملأ أن فيرمير يعتبر أحد عباقرة الفن فى التاريخ .

ولم يترك الفنان فى حياته القصيرة إلا نحو أربعين لوحة .. وهو عدد قليل ـ نسبياً ـ يتهافت عليها جامعوا الصور وأصحاب المتاحف .. وقد بلغت أثمان لوحاته حالياً أرقاماً مثيرة .. تعد بالملايين !

بل إن لوحة واحدة من أعماله تمثل اليوم ثروة طائلة لمن يمتلكها .. ولكننا إذا رجعنا عبر التاريخ لثلاثة قرون خلت رأينا أنه فى عام ١٦٦٣ يقول (دى مونكنيز) ـ وهو من كبار النبلاء حينذاك ـ : «قابلت فيرمير فى بلدته (دلفت) ، ورأيت لوحة له فى منزل أحد الخبازين اشتراها بمبلغ ستمائة فلورن ، وفى نظرى أن ستة بستولات كثيرة عليها» ! والبستول عملة أسبانية صغيرة لا تكاد تساوى شيئاً . ومن العجيب أن هذه الصورة التى تحدث عنها مونكنيز وهى اللوحة الشهيرة (خادمة تصب اللبن) ..

هى نفسها التى حظيت باعجاب فنان بريطانيا الكبير (رينولدز) وقال عنها : «إنها أحسن ما رأيت من أعمال فيرمير الرائعة» !

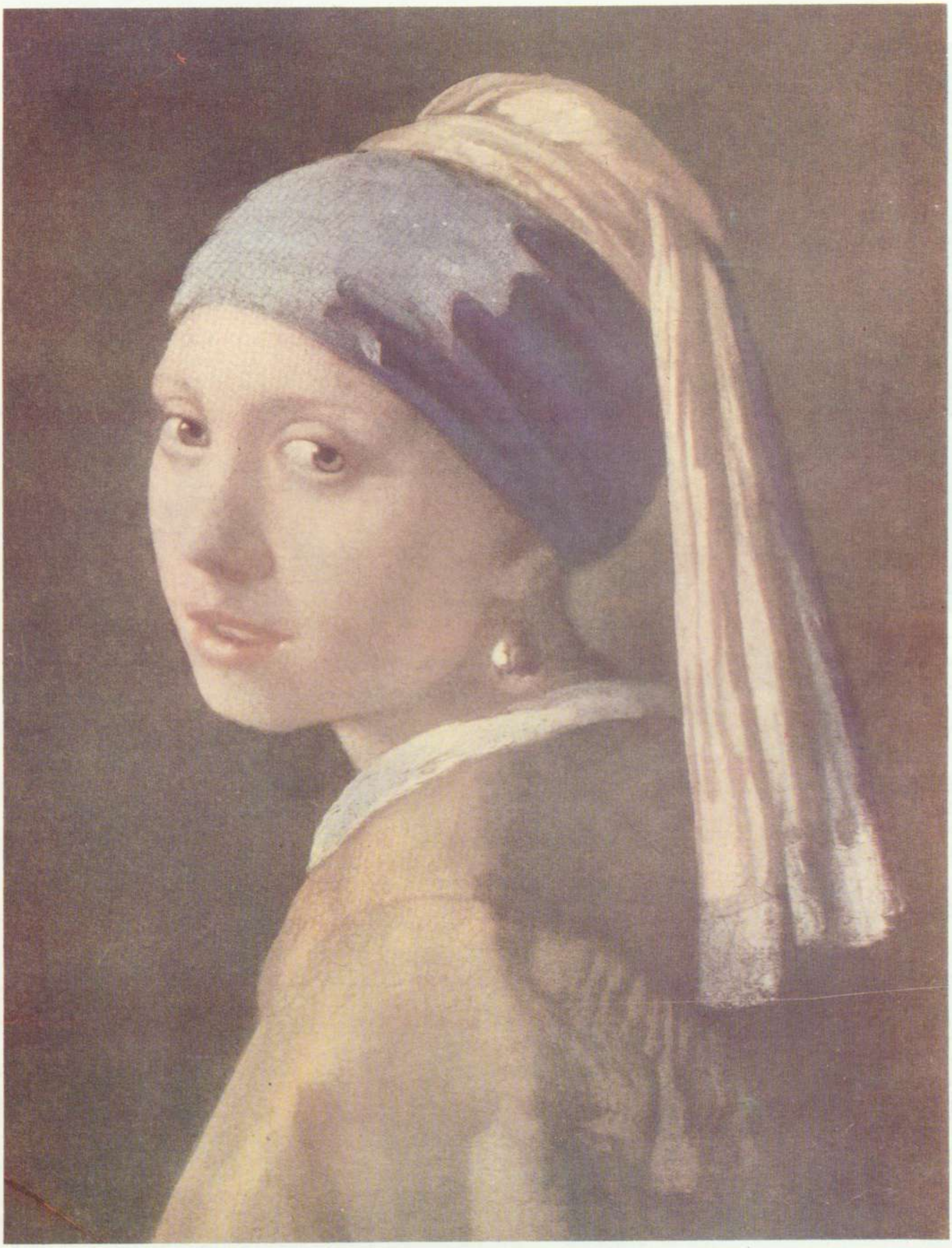
ومن عجائب القدر كذلك ، أنه بعد انتهاء الحرب العالميـة الثانية ، تحدثت صحافة العالم عن فضيحة كبرى : فقد قام فنان هولندى يدعى (فان ميجرن) بتقليد أعمال فيرمير ، وظل يقوم بهذه العملية ما بين عامى ١٩٣٥ و ١٩٤٥ .. واستطاع أن يقلد ست لوحات أكسبها طابع القدم بطريقة فنية خاصة ثم باعها بنصف مليون جنيه حينذاك ، على أنها مقتنيات أثرية من أعمال فيرمير ، وقد باع اللوحة السادسة لأحد قواد النازية هو (الماريشال جورنج) . وكان يمكن أن يظل (ميجرن) مستمراً فى تقليده وحصوله على الملايين ، لولا انكسار النازية فى الحرب وحصر ممتلكات قادتها .. فقد وجدت اللوحة ضمن مقتنيات جورنج ، وقبض على (ميجرن) بتهمة التضامن مع العدو وبيعه احدى لوحات فيرمير للقائد النازى !! .. وأسقط فى يد الرجل .. ولم يجد بداً من أن يعترف بالتزوير .. وفضل هذه التهمة على أن يعتبر خائناً لبلده ! وهكذا كشف نفسه ، وما كانت هذه الواقعة لتعرف فى العالم لولا أن اعترف (ميجرن) بنفسه ، فقد بلغ من دقة التقليد أن صنع ألوانه من المواد الخام التى كان فيرمير يصنع ألوانه منها

بنفسه . كما كان يرسم لوحاته على قماش بالغ القدم يحصل عليه من مخلفات أثرية بطريقته الخاصة ! .

وهكذا كان فيرمير .. عاش مهضوماً ومات بائساً .. وهو الموهبة الفذة التى لم يعترف بها العالم إلا بعد رحيله بقرنين من الزمان .. وأثرى الآخرون والمزورون من الاتجار باسمه ولوحاته !

ولكنه ترك لنا فناً خالداً وتراثاً عبقرياً نعتبره الآن من أبرز المنارات فى مسيرة الفكر الانسانى على مر القرون !

جمال قطب



وجه .. للفنان الهولندى « جان فيرمير »

لقطات من الكون المثير



التاكسي العائم !

يقولون فى الأمثال « ابن الوز عوام » .. لكن هذا الابن أو البنت الصغيرة قد ضربت بهذا المثل عرض الحائط ، وارادت أن تثبت شيئاً من دلال الأطفال ، وفى هذا لا يختلف طفل أوزة .. عن طفل قطة أو قرد أو انسان .. فرغم ان هذه الأوزة الصغيرة تستطيع ان تسبح بسهولة تامة منذ خروجها من بيضتها ، رغم ذلك ، فقد اتخذت امها بمثابة « تاكسى » عائم ، لتنعم بسفر مجانى ، ولهذا استكانت بين جناحيها ، لتنعم بالدفء والحنان والأمان انها - على اية حال - غريزة الأمومة الحانية ، والطفولة المدللة - حتى على مستوى « الوز » !



مخلوق غريب

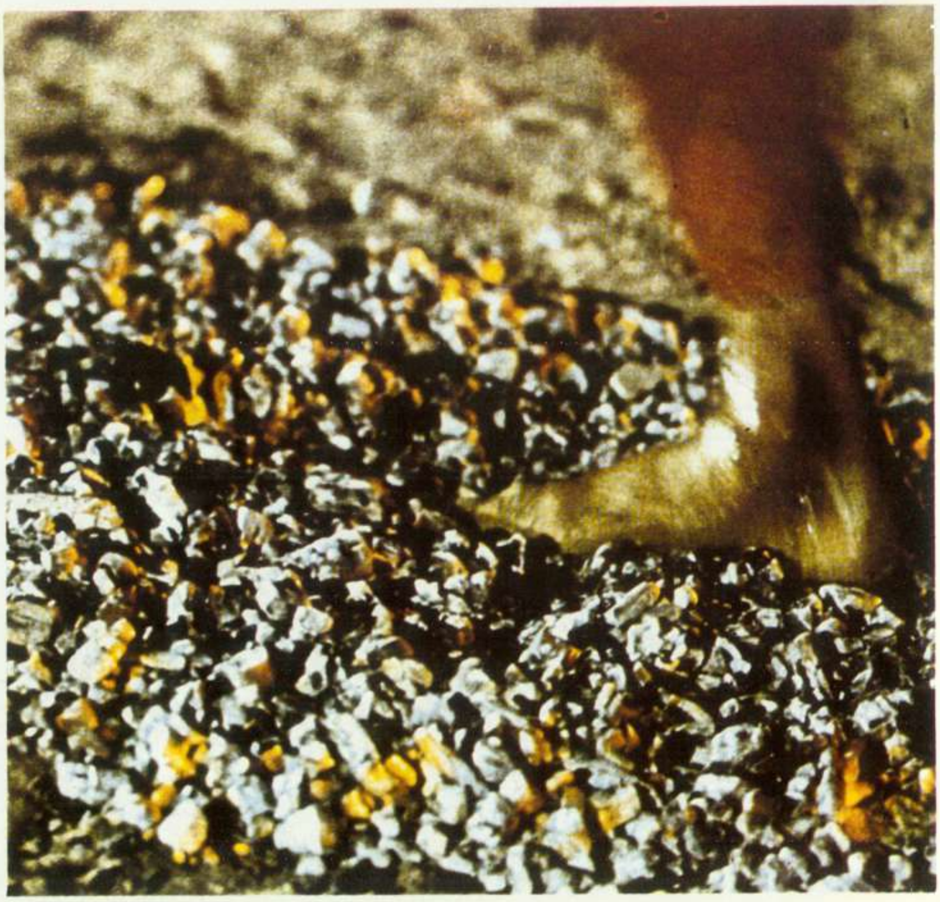
فى جعبة الحياة خطط غريبة ، وافكار مثيرة ، فيتجسد ذلك على هيئة مخلوقات تثير العجب والحيرة ، فرغم أن هذا الكائن يبدو كقطع موصولة من القش الجاف الرفيع المتراكب ، وبحيث يصعب تمييز رأسه من رقبته من بطنه .. الخ ، رغم ذلك ، فهو مخلوق متخشب نهاراً ، ومتحرك ليلا ، ولهذا يعرف باسم الحشرة العصا ، لأنها تشبه العصى الصغيرة المتراكبة ، ولقد جاءت بهذا التكوين العجيب لتلعب لعبة من ألعاب التمويه أو التخفى ، اذ عندما تقف ساكنة بين الأغصان الجافة الساعات الطوال ، تبدو كأنما هى جزء من الأغصان ، فتهرب من عيون الأعداء ، وهكذا جاء كل كائن لما هو ميسر له .



هل يطرح السقف ثمارًا؟

مزرعة غريبة لمحصول من الطماطم فى احدى المناطق الجبلية المعزولة ، وقد علقه أصحاب البيت فى سقف منزلهم بعد ان قطفوه غضاً او اخضر ، لينضج بعد ذلك بالتدريج وهو لا يزال متصلا بجزء من النبات المقطوف ، وكلما نضجت بعض الثمار قطفوها ليستفيدوا بها ، والغريب ان هذا المحصول - الذى يقدر وزنه هنا بحوالى ٨٠ كيلو جراما - يظل صالحا للطعام فترة قد تتجاوز عشرة شهور ، مالم يعبث احد بالمحصول ، ولاشك ان هذه فكرة طيبة تمخضت عنها عقول هؤلاء الناس للاكتفاء الذاتى بمحصولهم ، وبهـــذا لا يستوردون ولا يصدرون ، نظرا لصعوبة المواصلات فى مناطقهم الوعرة التى جعلت منهم مجتمعا فريدا فى نوعه يسكن حتى الآن فوق جبال البيرينيز الواقعة بين فرنسا واسبانيا !

هل يمشي حقًا على النار؟



بالتاكيد نعم .. فلقد التقطت هذه الصورة للمدعو فيرنون كريج الذى اطلق على نفسه اسم « كومار » فى الاحتفال الدولى « لليوجا » الذى اقيم بانجلترا فى ١٤ اغسطس عام ١٩٧٦ ، وفى هذا المشهد - الذى جمع عدداً غفيراً من الناس - فرشت الأرض بجمرات متوهجة من الفحم ، ومشى عليها كومار (من ولاية أوهايو الأمريكية) عارى القدمين ، ولمسافة أربعة امتار ، ولقد قيست درجة حرارة الجمرات بواسطة البيرومتر (ترمومتر لقياس درجات الحرارة العالية) ، فسجل ٨١٢ درجة مئوية ، وهى اعلى كثيراً من درجة الحرارة اللازمة لشواء اللحم (فى حدود ١٦٣ درجة مئوية) ، ولقد ذهب البعض فى تعليل ذلك مذاهب شتى ، فمن قائل أنه سار منوماً ، ومن قائل انه أوحى الى نفسه أن النار تحت قدميه ستكون برداً وسلاماً ، ومن قائل انه درب « روحياً » على هذا الأمر ، أو أن لديه قوة فائقة لتحمل الألم ، ولما سئل عن ذلك قال : انها سمو الروح على الجسد .. ربما ! .. فمن يدرى ؟ !



« الدوران .. اللف » .. إحدى اللوحات التى حاول الفنان أن يبرز فكرتها عن طريق أسلوب الفن الدائرى

الفنان الكويتى خليفة القطان .. خاطب عقل المشاهد من خلال موضوعات وأفكار جذابة



خليفة القطان

فنان كويتى يقتحم عقل المشاهد بالأفكار!

بقلم: يوسف أحمد

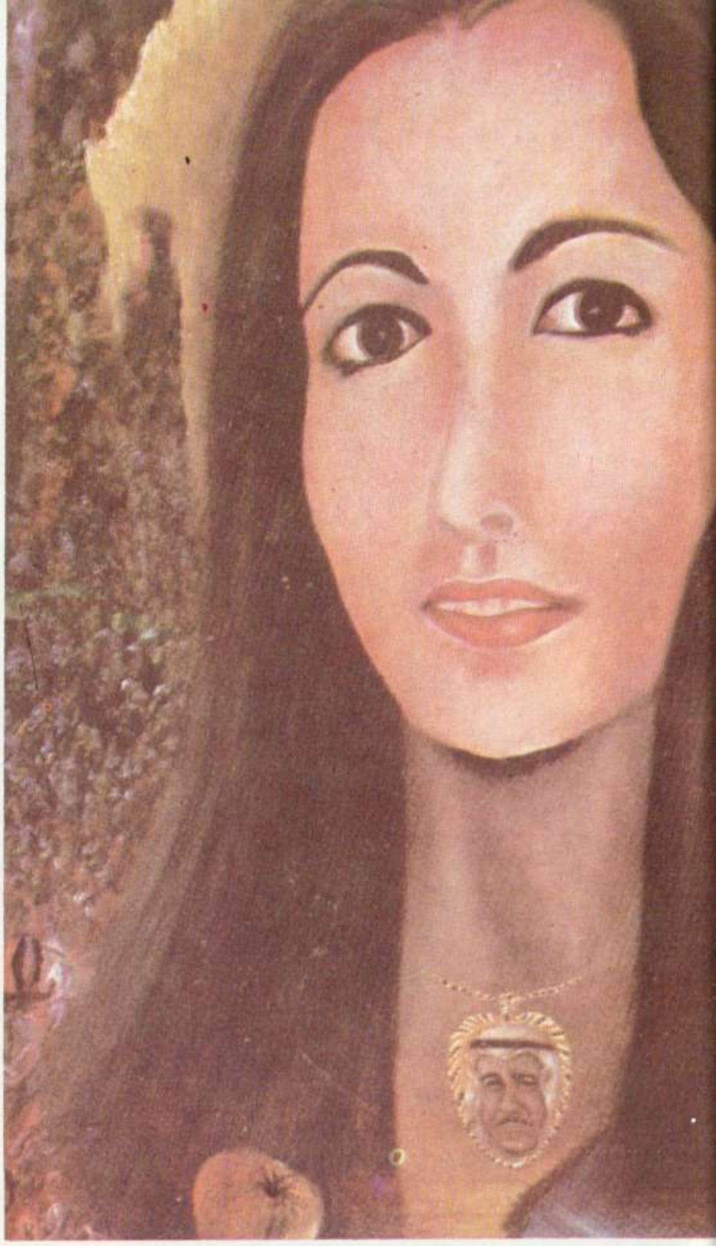
لا يذكر الفن التشكيلى فى الخليج العربى ، إلا ويذكر الفنان الكويتى خليفة القطان صاحب مدرسة (السر كلزم) أو الفن الدائرى فى التصوير الحديث .. فهذا الفنان الذى ولد فى عام ١٩٣٤ ، بدأ يمارس الفن منذ ثلاثين عاماً مضت ، استطاع أثناءها أن يعبر عن فنه بصدق ويقدم معاناته المليئة بالرؤى والأفكار المتعددة التى تدل على جدية الفنان وأصالته وموهبته المتميزة التى جعلت الكثير من النقاد يتحدثون عنه من خلال آراء مختلفة وإن كانت فى مجموعها تؤكد عبقرية ريشته فى لوحاته الذكية الموحية وانسجام الألوان والظلال مع وحدة الموضوع فى كل عمل فنى قدمه لنا !

والواقع أن الفنان خليفة القطان هو احد الفنانين التشكيليين الذين شغلتهم قضايا الحياة فاقتحموا عقل المشاهد من خلال موضوعات وأفكار جذابة ، تثير فى النفوس خاصية الاستمتاع والتامل ورقة الاحاسيس ، فى اطار يتعدى الحدود التقليدية للوحة مع الغوص إلى اغوار النفس الانسانية بما تنطوى عليه من مركبات وخصائص نادرة وقيمة فى وقت واحد !

وأعمال الفنان خليفة القطان تتميز - أيضاً - بدرجات الألوان الحارة والباردة ، فهو يستخدم التناقضات اللونية فى بناء العمل الفنى وتحديد شخصيات اللوحة بتعابير معينة تخدم الفكرة الأساسية التى يسعى إلى ابرازها ، ولهذا رأينا فى لوحاته الوجوه الزرقاء والصفراء والخضراء وهى تختلط تارة باشكال « التفاحة » أو « البيضة » لتترجم ما يدور من أفكار ومعاناة فى أعماق نفسه !

ويلخص الفنان فكرته عن المدرسة التى يقدمها وهى مدرسة « السركلزم » أو الفن الدائرى بقوله : « كلمة واحدة هى التطور تعطى المعنى العام لطريقة السركلزم ، فالسركلزم دراسة بواسطة الفن عن طريق الخطوط المنحنية والألوان ، إذ أن الفنان يحاول أن يعبر بها عن القصة الكاملة للموضوع المقصود .. فكل شيء من حي أو جماد على الأرض أو بداخلها فى البحر أو فى الجو بل وجميع ما فى الكون من مرئى وغير مرئى يخضع لقانون واحد ثابت هو التحرك الدائرى المستمر » ..

ويرى الفنان أن لطريقة الفن الدائرى قواعد محددة ثابتة يستطيع بواسطتها الفنان التوصل إلى نتيجة طيبة ، وهذه القواعد هى الخطوط ، وتكون على منحنيات أو على أشكال دائرية ، وهى القاعدة الأساسية للتعبير عن التطور وعن الحياة ، فمثلا إذا بدأنا السير من نقطة معلومة ، وواصلنا السير قدماً لانتهينا إلى النقطة التى بدأنا منها ، وهذا لا يعنى أن



الثمرة الخيرة



الموج .. النار .. العواصف



الرحمة .. الانقاذ من الوحل

السير قد انتهى بل سيستمر على هذا المنوال إلى مالا نهاية ويعنى ايضاً أن التطور الدائم موجود فى هذا الكون ، وأن الغرائز مثلا لا تنتهى بانتهاء الأفراد ، فهى مستمرة ، لانها تولد مع الفرد ، وهى تدور وجوداً وعدماً مع البشرية !

ويحدد الفنان خليفة القطان فكرة اللون بان لكل لون مدلوله الذى يرمز إليه ، وبواسطة هذه الالوان يمكن التعبير عن الغرائز والانفعالات ، فمثلا اللون الأسود يرمز إلى الغموض والموت ، واللون الابيض هو العفة والصفاء ، واللون الاحمر هو الحب والخطر ، واللون الأزرق يعنى الطمانينة والبرودة ، واللون الاخضر هو الشباب والحسد ، وبينما نرى فى اللون الأصفر الرفاهية والحقد ، فان اللون البنفسجى هو الحظ والقوة الخ !

ويرى أن الطبائع والعادات والأفكار والاحاسيس وغيرها موجودة فى جميع المخلوقات لا يمكن رؤيتها ، ولكن بواسطة السركلزم يمكننا رؤيتها ، وذلك عن طريق الخط واللون والأرضية !

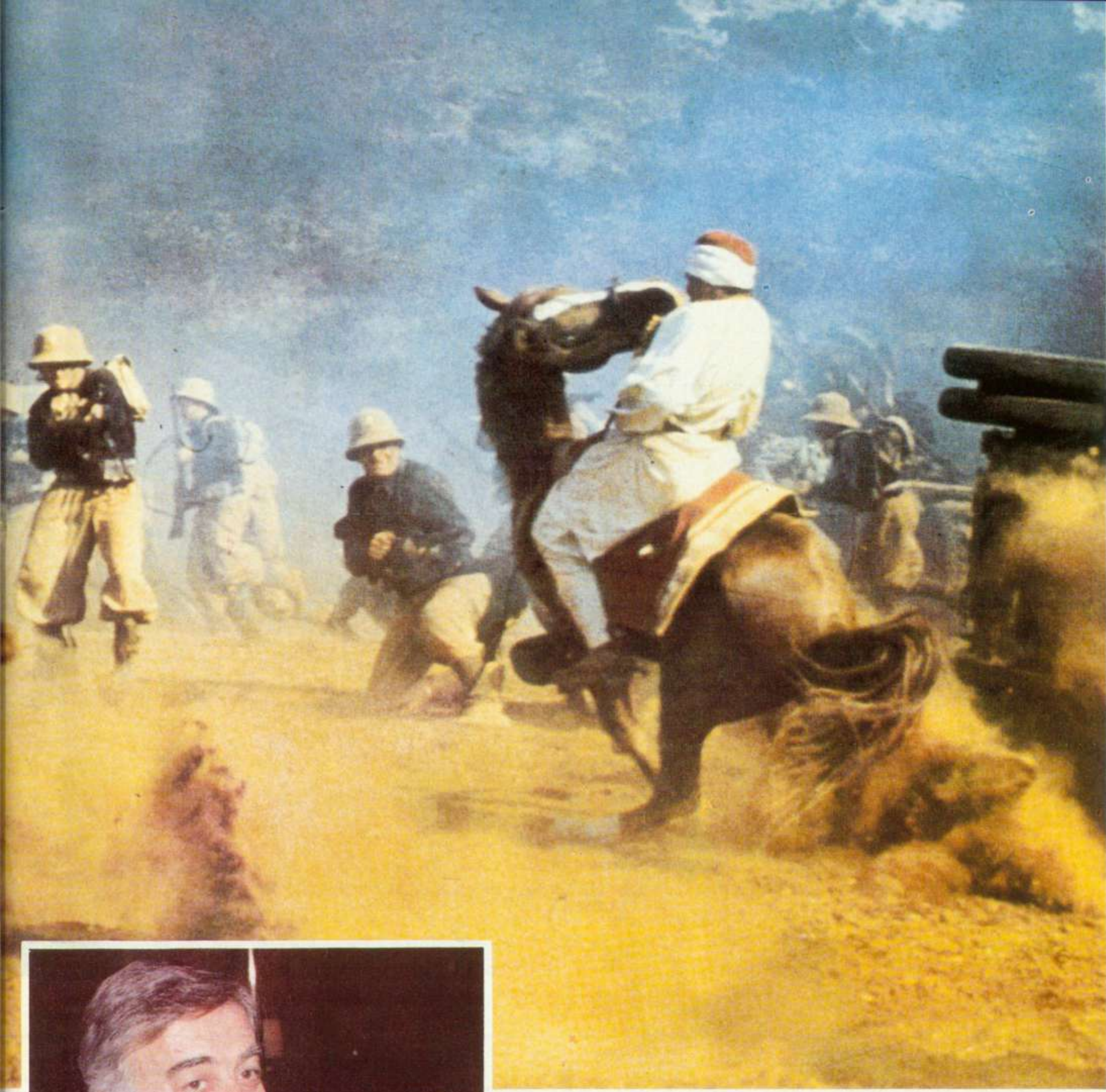
ويعتبر الفنان خليفة القطان صاحب أول معرض شخصى فى الكويت ، أقامه عام ١٩٥٣ بالمدرسة المباركية بعد أن وجد نفسه متجهاً الى الفن منذ نشاته وقد اتيحت له فرصة لدراسة فن النجارة فى بريطانيا ليعود ثانية إلى الكويت عام ١٩٥٨ لياخذ مكانه فى هيئة التدريس بالكلية الصناعية وانتقل بعد ذلك إلى وزارة الاعلام ليشتغل مشرفاً بالقسم الهندسي ، وقد ظل فى هذه الوظيفة حتى منح حق التفرغ ، وأصبح ثانى فنان كويتى يعطى هذا الحق بعد الفنان عيسى صقر !

ويعتبر خليفة القطان صاحب أكبر رصيد بالمشاركة فى المعارض سواء على المستوى الشخصى أو المستوى الجماعى ، فقد أقام أكثر من أربعين معرضاً شخصياً فى الكويت والبلاد العربية والأجنبية ومنها ايطاليا ، امريكا ، لندن ، باريس ، ألمانيا الشرقية ، وغيرها من عواصم العالم .. وكذلك اشترك فى أكثر من ثمانين معرضاً مشتركاً مع فنانين كويتين وآخرين !

لقد زار الفنان خليفة القطان دولة قطر مرتين الأولى عام ١٩٧٦ لحضور حفل افتتاح المعرض الثالث للفنانين التشكيلين القطريين ووقتها أبدى اعجابه بالمستوى الذى وصل اليه الفن التشكيلى القطرى .. أما الزيارة الثانية فكانت عام ١٩٧٧ حينما أقام معرضاً خاصاً لأعماله التى تميزت بالأصالة والابداع ..

وباختصار فان خليفة القطان فنان له ريشة يجسد لنا من خلالها حرفية متطورة فى سبيل التعاملمع الحدث والزمن واللون .. وهو صريح حتى العمق .. وموجع حتى العظم .. وصادق كل الصدق !

يوسف أحمد



مشهد رائع من فيلم « عمر المختار » يمثل المواجهة بين الجيش الايطالى المزود بكامل العتاد الحربى ، وبين اتباع القائد الليبي من رجال الصحراء الذين رفضوا الخضوع او الاستسلام ثم المخرج السورى العالمى مصطفى العقاد .



حوار مع
مصطفى العقاد

أجراه :
جميل العابد

الطائر العائد من خلف المحيط!



« ... أعود الى الوطن بين الحين والآخر ، لمجرد الاحساس بالأصول التى تربطني به ، ولكى أتنفس هواء فيه بلسم لصدورنا التى هجرها الدفء » .

« ... تمر السنون ونحن غرباء . يغالبنا الحنين الى التراب .. الى الشمس التى لفحت وجوهنا ونحن صغار .. الى الأم التى رضعنا فى لبنها الحب الذى لم ننسه » .

« ... أعود لكى أغرف من ينابيع أرضنا .. لأسمع لغتى ، ولأزود روحى بشحنات قومية وعاطفية تساعدني على المضي فى الدرب الشاق » .

أصغيت للطائر العائد من خلف المحيط . ورأيته ، من خلال كلماته ، وهو يحط على غصنه المحبب .. يختال تيهاً بعليائه وبالأفق الواسع أمامه .

تابع كلامه يقول لي :

« اننا أصحاب حضارة . العالم يعرف ذلك . والحضارات وان اندثرت أعمدتها ، فان حكمتها تبقى كنزاً انسانياً لكل بنى البشر . هل تعلم أننا ساهمنا بالهبوط على سطح القمر .. وأن نظريات العرب فى علوم الفلك والكيمياء والرياضيات مازالت شاهداً على أقدم المنارات التى أضاءت ظلام عهود مضت ؟ » .

وأردت أن أبدي رأياً حول هذه النقطة ، لكنه استطرد : « المنطق يحتم علينا أن نستلهم من شخصيتنا الحضارية طريق المستقبل . والمنطق يحتم علينا أن ننهض بأعباء التحدي الكبير الذى يواجه أمتنا ، فنحارب على الجبهات فى الداخل والخارج » .

هنا عرفت اني أمام تجربة ، واني أواجه بذرة طيبة من هذه الأمة .

بدأت كلماته تتراءى لي ، بالاضافة لمعانيها ، صوراً تتابع بسرعة ، وتختلف ألوانها باختلاف المشوار العربى والتاريخ العربى الذى وعاه ويتصدى الآن لاظهاره كما يحق له أن يكون .

إنه مصطفى العقاد . المخرج السينمائى العربى الذى قدم للعالم حديثاً ، من بين ما قدم ، فيلمى « الرسالة » و « عمر المختار » . فعل ذلك بعد أن أينعت خبرته ، ويوحي من تمسكه واعتزازه بالقيم



ثلاث شخصيات .. الممثل العالمى « أنتونى كوين » الذى لعب دور عمر المختار .. والممثل « أوليفر ريد » فى دور الجنرال « رودولفو جرازيانى » الذى قاد المعارك بقسوة .. ثم الممثلة الكبيرة « أيرين باباس » التى لعبت دور مبروكة

والمعاني التى حملها فى ثنايا ملابسه وخلايا روحه وهو يقلع من مطار دمشق ، فى سن التاسعة عشر ، الى العالم الجديد

وقد عرفت الرجل فى فيلم « عمر المختار » الذى عرض هنا فى الدوحة قبل سنتين تقريباً . وكنت قرأت فى الصحف والمجلات المحلية والأجنبية ، فى أواسط العقد الماضى ، خبراً أثار فى نفسى مزيجاً من الأمل والقوة ، مفاده أن مخرجاً عربياً اسمه مصطفى العقاد قد حط الرحال فى الصحراء الليبية على رأس جيش عرمرم من ألمع النجوم فى العالم ، وفى مقدمتهم الممثل الأسطورة « أنطوني كوين » ، وأنه ، حينذاك ، يوجه تلك الجحافل الفذة لتصور سيرة ذلك البطل الخالد .

لم يدهشني ، فى ذلك الوقت ، أن مشروعه رصدت له عشرات الملايين من الدولارات ، بقدر ما أدهشنى وهزني كون ذلك العمل سيخرج من قلب الصحراء العربية حقيقة ناصعة البياض .

هل تعلمون لماذا « أنطوني كوين » ، ونجوم هوليود ، واللغة الانكليزية ، فى عرض قصة ذاك البطل ؟

الجواب بسيط :

استخدم العقاد تلك الوسائل والطاقات لكى يتمكن ببراعة مذهلة وقدرة واعية من التسلق فوق الأسوار المنيعة عبر البحر الأبيض وعباب الأطلنطي ، وكسر العوائق والحواجز الطبيعية القائمة ، ثم اقتحام بلاط القيصر والدخول اليه والجلوس على مائدته ، ومخاطبته بلسان يفهمه هو وحاشيته .

ولأن القيصر وحاشيته يفقهون الفلسفة والبلاغة وعلوم المنطق ، فقد بدأ العقاد جهاده وهو واثق من احراز النصر فى النهاية !؟

دخل كل بيت ، وتحدث مع المجتمعات الغربية فرداً فرداً . حدثهم عن عمر المختار ، وقبله عن الرسالة المحمدية ، ولم يغب عن ذهنه أن يوحي لهم جميعاً بأن هناك حقائق عديدة أخرى .



بعد فشل أكثر من محاولة للقضاء على عمر المختار ، استدعى موسولينى أكثر قواده العسكريين شراسة لسحق أسد الصحراء بأى ثمن !

الحضارة الاسلامية

كان كل ذلك فى ذهنى وأنا أحاور الفنان العربى مصطفى العقاد .

● سألته ، بداية أن يحدثنا عن الأهداف التى حققها من زيارته لدولة قطر .

أجاب :

ـ « لقد تشاورت وتبادلت الرأي مع سعادة وزير الأعلام الأستاذ عيسى غانم الكواري حول مشاريع اعلامية على المستوى العالمي ، ولها علاقة بالوطن العربى . إن الأخ عيسى من المشجعين والمتفهمين للاعلام الخارجي » .

● هل هناك مشروع معين قيد البحث ؟

ـ « نعم . فيلم عن الأندلس والحضارة الاسلامية هناك ، بالاضافة لمسلسلات تليفزيزنية عربية ذات أهمية على مستوى عالمى » .

● إذن ، هناك توجه عام لتعريف الغرب بالثقافة والتاريخ العربي ؟

ـ « اني لا أهتم بالاعلام السياسي . ما أهتم به هو البعد الحضاري للاعلام ..

اعلام يشمل كل الأمة العربية كوحدة . لقد شرحنا الرسالة وما هى الرسالة . شرحنا أفكاراً عن الجهاد وعن المقاومة . أريد أن أقول للغرب اننا لسنا كما يتصورون أمة ترعى الجمال وتسكن الخيام وتفترش الصحراء . لقد كان لنا فى الأندلس حضارة .. لذلك سأحاول أن أقدم فيلماً ذا خلفية حضارية ، ويشمل فترة عبد الرحمن الناصر التى تعتبر الفترة الذهبية لحضارتنا وأوج ازدهارنا . هناك أيضاً فكرة « الفتح » . وطبعاً ليس بامكاننا طرحها للعالم ، لأن

بانجازاتك ، والأمة العربية تعتز بك وبأمثالك . ونحن نتساءل .. هل مصطفى العقاد هو مخرج فقط ؟

ـ « نحن كلنا أبنـــاء هذه الأمـــة .
وإذا كان لي أى نجاح فى الغرب بعد تغربي ، فهو يرجع الى البيئة والتربية .. الى العائلة .. الى الوطن » .

« يسافر البعض الى الخارج سنة أو سنتين ، ثم يعود وهو ينطق بلكنة غريبة ، (يلوى حنكه) وينسى لغته . معنى ذلك ان تاثير بيئته عليه كان ضعيفاً . إن تاثير البيت والمدرسة والأمة ، عندما يكون بالدرجة الكافية فانه يستقر فى دورة الانسان الدموية ، ولا يفارقه أينما كان » .

الجذور العربية

اسمحوا لي هنا أن أقطع عليكم حديث العقاد ، وأستاذنكم بمنحه اعترافاً يضيف (نيشاناً) براقاً على بزته الفنية التى بدأت تزدان بالأوسمة نتيجة لوفائه وجدارته . ان موقفه من تراثه يلوح ، أيضاً فى نبرته العربية (الحلبية) الصافيـة التى حافظ عليها على مدى أكثر من ثلاثين عاماً ، وبلا ريب حافظت عليه .. وعلى مصداقيته حين يتحدث عن ضرورة التشبث بالأصول ، ويدعونا لكى ناخذ من الاناء الذى يضم ويصون عراقتنا .

ـ « بالنسبة لنا » ، يتابع المخرج ، « لدينا مشاعر أكبر من الكلمات وأعمق من الشكوى ، لاننا ، نحن الذين نعيش فى المهجر ، لا نملك المتنفس القومى والعاطفى. انتم هنا تستمتعون بصوت الآذان ، بسماع خطبة شعرية ، أو تصريح سياسي ، فترتاحون . الحمد لله انتم (عاطفياً) بخير . أما هنالك ، حيث نرى العوامل المضادة من مصادرها الأجنبية السامة ، فان أعصابنا تبقى دائماً مهتزة ومكبوتة . لدينا كبت قومى عاطفى . ان الدم العربى يجرى فى عروقنا ، والجنسية الأمريكية هى مجرد جنسية عملية .. لكن الدم عربى ، والشعور عربى ، والاحساس عربى . ومهما يكن،فاننا نؤدى واجباً فى سبيل أمتنــا وأنفسنا . وكما قلت لك ، نحن بحاجة لأن نتنفس قومياً لكى نرتاح » .

● وكيف تلائم بين ارتباطك الشديد بجذورك العربية وبين العالم الجديد الذى تعيش فيه ، فى الولايات المتحدة الأمريكية. وهل تفكر باقامة مؤسسة سينما عربيـــة (جديدة) على المدى البعيد ؟

ـ « ان أمريكا هى تجمع اقتصادى



حشود من الجيش الايطالى تحاصر رجلا واحداً طالما قاومها ببسالة .. عمر المختار فى الأسر بعد أن وقع من فوق جـــواده !



ضراوة المعارك الحربية ، والقوة الهائلة التى جندها موسولينى ، أمام مجاهـــدين كان ســـلاحهم الأكبر هو الايمـــان

الفتح يعتبر بنظرهم استعماراً . من أجل هذا ، سوف نبحث امكانية عمل أفلام عن طارق بن زياد وعبد الرحمن الداخـــل لجمهورنا العربي فقط » .

« ان الفترة الأخيرة ، وهى سقوط الأندلس ، تشكل أهم الفترات التى يجب أن نتعلم منها . إنها تصور كيف كان العرب متفرقون ، مما أتاح الفرصة لايزابيلا وفرناند للاستيلاء على غرناطة ، وكيف بكى عبد الله الأحمر الصغير عندما سلم المفاتيح .
هذا الفيلم أيضاً لا يمكن عمله عالمياً . إنه للعالم العربي » .

« يهمنا أن يكون فى السينما حقائق ، تهز المواطن العربى .. لا أن نتركه يعيش على أمجاده الماضية ويخرج من مشاهدة الفيلم (مبسوط) وهو يقول « الحمد لله ، نحن كنا » . نريده أن يهتز ويشعر بالخطر ، لعله يفعل شيئاً » .

« اعلامنا يجب أن يتوجه الى العالم العربى قبل الغرب . يجب أن نعرف انفسنا قبل أن يعرف عنا الغرب . لكن الوسائل تختلف . هناك خطة للتوجه الى جمهورنا . وهناك خطة أخرى للتوجه بها صوب الغرب » .

● كيف تفسر هذه الرؤية الصافية فى أفلامك .. هل كان التـــاريخ من ضمن اختصاصكم ؟

ـ « إن معرفتي بالتاريخ ليست معرفة عميقة . أحب قراءة التاريخ ، لكن قراءاتي عادية .. لا أختلف فى ذلك عن أى شخص آخر . فى حال التعرض لنقاط تاريخية فى أفلامي ، فان هناك دائماً مؤرخين ، يقدمون المشورة وصقل الرؤية ، ويفحصـــون السيناريو الموضوع من قبل كتاب أجانب لاعطائه الروح القومية . لذلك فانني لست ضليعاً بالتاريخ.

● لاشك ان المواطن العربى يفخـــر

دستورى يضم جميع الأجناس .. أفق عالمى واسع ومجالات واسعة لأصحاب الطموح العلمى . وقد حصل انى تمكنت من الانطلاق فى مجالى هناك . لكنى لم أحاول هجر عاداتى ، وأطباق طعامى ، والموسيقى التى اعتدت سماعها. لذلك تجدنا نصارع حنيناً دائماً للعودة » .

« الا ان خلق مؤسسات (سينمائية) هو عمل الحكومة . وانا لا أملك المقدرة ولا الامكانيات لكى أعمل مؤسسة من هذا النوع . وبعد ان انطلقت عالمياً ، فانى أريد أن أتابع . ومع ذلك ، أشترط فى عقدى مع الفنان العالمى أن يكون معه ممثل عربى واحد او اكثر ، للتدريب وخلق نواة . وقد فعلت ذلك فى كل أفلامي » .

● وكيف كانت انطلاقتك إلى العالمية ؟

ـ « المهم هو التخلص من مركب النقص وهذا المركب يصيبنا عندما نسافر الى الخارج نفكر أن الأجنبى هو الأقوى والأحسن دائماً ! ! » .

« على طاولة الدراسة ، فى جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس ، وبين طلاب من جنسيات مختلفة ، كانت ثقتي بنفسي تنمو وأنا ألمس تفوقي عليهم . الشرارة يجب أن تكون من الداخل . وعندما يختبر الانسان نفسه مع زملاء من جميع أنحاء العالم ، وفى جو من التنافس ، يجد ان قصوره وهم وعجزه خرافة . وهكذا تكونت لدى الثقة بالنفس ، فانطلقت ، بعد تخرجى من الجامعة ، متعطشاً للعمل » .

« كنت أحمل شهادة ماجستير فى الاخراج ، وكان عنوان اطروحتي "الحيل السينمائية فى التصوير الخلفي" . وكان من الصعب على أى متخرج جديد أن يلقى قبولا سهلا فى الاستوديوهات ، لأنها مغلقة ولا تفتح لأى كان » .

● وكيف فتحتها ؟

ـ « بتعرفي على المخرج الأمريكى سام بيكنباه الذى عمل فيلم «الزمرة المتوحشة» الشهير . وكان ذلك المخرج ، آنذاك ، ينوى عمل فيلم عن ثورة الجزائر ، واختارني لمساعدته » .

« أثناء التحضير لذلك الفيلم ، الذى لم ينجز ، نالت الجزائر استقلالها ، وكان التعارف الجيد بيني وسام قد تم » .

« بعد ذلك ، قرر أن أكون مرافقه ومساعده فى فيلم Rise up the high country . وكان معنا فى ذلك الفيلم نجما الكاوبوى المعروفان جون ماكراى وراندولف سكوت، ساعدته فى كل جوانب الفيلم بما فى ذلك كتابة السيناريو . وتولدت لدى خبرة عملية أضيفت الى الخلفية النظرية الصحيحة ، بل كنت أمتاز عن « سام » بهذه الناحية ، لأنه كان يملك الخبرة العملية فقط .

« .. من هناك انطلقت الى التليفزيون والأفلام الوثائقية . واشتغلت مدة عشر سنوات قبل أن أبدأ العمل بفيلم «الرسالة» الذى جاء وليداً للقلق اليومي الذى عانيته: كنت أرى أولادى يكبرون فى مجتمع غربي فى مجتمع يصعب علينا فيه أن نلقنهم دينهم وحضارتهم ولغتهم . لم أكن وحدى فى تلك المعاناة .. ان تلك مشكلة الجاليات العربية الكبيرة جداً ، والمزروعة فى أنحاء شتى من الولايات المتحدة الأمريكية . نحن نخشى على أولادنا من الضياع ، ومن فقدان ذلك التعلق الأبدى بالوطن .. فهم عرضة للتأثر بالعوامل الخارجية فى الشارع والمدرسة ، ومن خلال شاشة التلفزيون . هذا هو الخوف الأكبر » .

« بدأ أولادى يوجهون اليّ أسئلة دينية وقومية ، ووجدت نفسي عاجزاً عن الاجابة عليها ، لأني لم أكن أملك الوسائل السمعية البصرية المتوفرة عادة لدى الجاليات من أديان أخرى . لذلك أردت من خلال فيلم « الرسالة » أن أشرح لأولادى وأولاد غيرى من أبناء الجالية .. أردت أن أقول للأطفال .. ما هو الاسلام ، ولم يكن قصدي مخاطبة رجال الدين والفقه » .

● ومن يساعدك فى توضيح الأحداث التاريخية فى أفلامك ؟

ـ « المختصون فى مجالاتهم . فى « الرسالة » ، اخترنا مجموعة من كبار المفكرين ، للمساهمة فى العمل . وفى فيلم « عمر المختار » ، اعتمدنا على مختصين فى التاريخ الليبي أمثال علي التليسي وخليفة التليسي . وفى فيلم « الأندلس » ، سيكون هناك المؤرخ المختص أيضاً » .

● هل كنت خائفاً من الفشل وأنت تخرج أول عمل عالمى لك ؟

ـ « كان هناك خوف من عدم الوصول الى المستوى المرموق . وبدون الخوف ، لن يجيد الانسان ولن يبدع . اني أخاف فى كل عمل مهما كان سهلا ، ولا يلاحظ ذلك أحد ممن يعملون معى ، إذ أملك مقدرة عدم اظهار هذا الخوف . يظن الناس ان أعصابي حديدية ، بينما أعصابي تتآكل من الداخل . وكل الخطر ، أن يظهر المخرج خوفه أو نرفزته ، فذلك ينعكس على من حوله ، ويشل العمل . لكن الخوف موجود دائماً » .

« من ناحية أخرى ، أنا لا أحب الجلوس أو العمل مع متشائم . كما لا أحب التكلم عن الماضى الذى ذهب ، وأحرص على أن لا أضيع دقيقة واحدة بالتفكير فيه . المخرج هو قائد ، وطبيب نفساني . هو الأب الذى عليه أن لا يهتز أو يضطرب ، والا انشلت العملية كلها . وأعتقد ان رباطة الجأش هي عامل لازم للنجاح . وفي تفكيري الدائم بالمستقبل ، تراني لا أنطلق إلا من زوايا ايجابية نحو العمل . »

● ما هو الالهام الذي يدفعك لبذل الجهد ؟

ـ « أليس إلهام الانسان هو حلمه الذي يسعى لتحقيقه ؟ هناك ما اعتبرته حلماً ووصلت اليه . لم أتوقف عن الحلم ... وكلما حققت واحداً ، أخلق لنفسي حلماً آخر أسعى اليه . إن حلمي هو كل الخطوات التي قطعتها : من التفكير بدراسة الاخراج .. الى هوليوود .. الى العالمية . كل تلك الأحلام كانت تتوالى . كنت دائماً أضع هدفاً أمامي .. والأهداف الصعبة هي ذاتها الأحلام التي بدونها تصبح الحياة بدون محتوى .. تصبح فارغة » .





أسد الصحراء الليبي عمر المختار فى لقطة وثائقية .. ثم أنثونى كوين الذى أعجب به ومثل دوره

.. والناس يتذمرون من تدنى المســـــتوى ..

« وهناك مشكلة كبيرة أخرى تعاني منها السينما العربية ، ألا وهى عدم توفر كتابة السيناريو الجيد . عندنا أدباء وكتاب قصة لكن تحويل القصة الى سيناريو سينمائى ، عملية تحتاج لحرفية وتقنية لا يملكهـــا كتابنا » .

● إذن ما هو هدف السينما ؟

ـ « التسلية » ..

« أنت لا يمكنك تحديد الهدف . ان الهدف يحدده الجمهور الذى يدفع من جيبه لمشاهدة الفيلم ، والجمهور يفعل ذلك من أجل التسلية فقط . هل رأيت احداً يدفع دراهم لسماع محاضرة ؟! لا اظن . والسينمائى الناجح هو الذى يولد الأثر المطلوب فى نفس المشاهد عن طريق التسلية والاثارة ، أى بشكل غير مباشر » .

« السينما الهادفة ، والسينما الثائرة ، كل هذه تسميات مخرجي مقاهى ! إذ عليك أن تتمكن من جعل الجمهور يتفاعل مـــع الشاشة . ما الفائدة من عمل تحفة سينمائية إذا لم يشاهدها الجمهور ويتفاعل معها ؟ هناك مخرجون يعملون أفلاماً بهدف نيل جوائز فى المهرجانات . وبعد أن تعرض هذه الأفلام فى السينما للمواطن العادى ، لا يأتي لمشاهدتها أحد ، فتسقط جماهيرياً .

« السينما هى تسلية .. فن يجمع فنوناً سبعة ، من تصوير وصوت وموسيقى وتمثيل واخـــــراج ، وغير ذلك . انهـــا مجموعة فنون فى فن واحد » .

شعرت وأنا أغادر مجلسي مع العقاد ، بأني أودع محارباً يتاهب للجولة التالية . ولأنى أؤمن ايماناً شديداً بنبل مسعاه وأهمية هدفه ، فقد اعتراني حزن ، لعلمي بأنه لا يملك العدد المطلوب من الألوية وقادة الفصائل للانتشار فوق الهضاب ووراء السهول ، وبأنه ، فوق ذلك ، يمتشق سلاحاً (فردياً) يواجه به أبواق التحدى السافر وطبول الصلف الأعمى .

ابتعدت وأنا أفكر بالانجاز الكبير الذى حققه هذا الرجل عندما جعل ما يقارب مائة مليون أوربى وأمريكى يشاهدون ويتأثرون بقصة البطل العربي عمر المختار .. وأترقب بحماس بالغ وعده القادم عن « الأندلس » ثم « صلاح الدين الأيوبي » .

جميل العابد



عدو عمر المختار اللدود فى لحظة من نشوة الانتصار على انقاض قرية الكفرة وأهلها الذين تم افناؤهم بطريقة وحشية ! !

هبوط السينما العربية

● هل ترى فى العالم العربى اتجاهاً نحو سينما مرموقة .. ما هى سماته ، وإلا بماذا تنصح لتحقيق هذا الهدف ، وكيف تحدد المشكلة الجوهرية التى تعاني منها صناعة الفيلم العربي ؟

ـ « بامكانك القول : يجب أن نرى السينما العربية محترمة . أما أن تصبح السينما العربية عالمية ، فمستحيل . السينما الأمريكية هى وحدها العالمية ، نجوماً ولغة وأسلوباً . انها طاغية فى كل شىء » .

« السينما الفرنسية والايطاليـــــــة والانكليزية واليابانية ليست عالمية ، والسينما الهندية ، التى هى أضخم من الأمريكية ، مازالت محلية ، الا انها قوية ومحترمة .. عندهم مستويات عالية فى الاخراج والفن والتوزيع » .

« اننا نأمل أن تصبح السينما العربية مرموقة .. لكن مشكلتها هى كونها مخنوقة اقتصادياً يجب اطلاق الحرية الاقتصادية للسينما ، ولابد من حرية التـــــوزيع . إذ لا يمكن لمنتج أن يصرف على فيلم أكثر مما يمكنه أن يسترد من عائدات ذلك الفيلم . ومع الأسف ، كل الدول العربية أقامت مؤسسات حكومية تستغل التوزيع .. وأصبح المنتج يأخذ مبلغاً مقطوعاً . ومعنى ذلك انه لن يقدم مستوى أرفع لأنه لن يملك ايراداً من وراء الفيلم . لذلك هبط المستوى . فى الماضى كانت الأفلام العربية أقوى بكثير لأن المستثمر كان يربح ، كما ازداد عدد الذين وظفوا أموالهم فى السينما وبدأ الشباب يتخصصون فى هذا الفن » .

« أما الآن .. فقد تعثرت السينما العربية



تعتقد قبائل « أوكوس » الهندية أن هذا القناع يساعدها فى الحصول على محاصيل زراعية وفيرة !



فتاة من قبائل « الجولجوس » أمام بيت منسوج من شعر البقر الأسود !

بقلم: وليد عياد

مجتمعات تعيش في الماضي

مازالوا يرقصون بالثعابين .. ويرتدون الأقنعة !!

هذا العالم المليء بالمتناقضات ، مازال أناس فيه يعيشون حياة الماضى ، ومازالت قبائل عديدة فى أرجائه تمارس أغرب العادات والتقاليد ، فبينما نرى فى بعض مدن اسبانيا من يستعملون «التنور» فى تجهيز طعامهم ، نجد أن قبائل «النباخو» الأمريكية يرقصون والثعابين السامة معلقة فى أفواههم ، ونجد بدو الصين يصرون على قطع خصلة شعر من ضيوفهم ، وبعض القبائل الهندية ترتدى الأقنعة وتضيء الشموع فوق قمم الجبال الثلجية ، وهذا بخلاف زعيم احدى القبائل فى أفريقيا الذى يستخدم مكبر الصوت كوسيلة لنقل الأخبار !



الأطباق الفضية على ظهر فستان الفتاة وهى فى كامل زينتهـــا !



زعيم القبيلة يحمل مكبر الصوت كوسيلة لنقل الأخبار بدلا من قرع الطبول ، فهناك بعض المبتكرات التى لم ترحل مع رحيل الاستعمار

ولعلنا سمعنا عن قبائل «الجولجوس» التى تعيش فى مناطق جبلية ترتفع حوالى أربعة الاف متر فوق سطح البحر ، ويبلغ تعدادهم حوالى مائة الف نسمة !

إن أبناء هذه القبائل يعرفون المعنى المباشر لتسميتهم بذلك الاسم (جولجوس) .. إنه يعنى الرؤوس المعكوسة ، وذلك لشدة عنادهم

وحتى علم ١٩٨٢ لم يجرؤ اى غريب او او سائح على الوصول إلى منطقتهم التى تقع فى اواسط الصين ، وذلك لكثرة الخرافات والأساطير التى حكيت حول بطشهم وشراستهم .

وفى الخمسينات من هذا القرن ارسل (ماوتسى تونغ) جيوشاً جرارة (لتدجينهم) وبعد معارك ضارية وسقوط الاف القتلى من كلا الطرفين قررت حكومة (ماو) ان تمنحهم حكما ذاتيا خاصا وبالتالى الغت المشاريع التى كانت تنوى إقامتها هناك .

ومن غريب عاداتهم انهم إذا ارادوا ان يظهروا صداقتهم ومودتهم لزائر ما ، فان المضيف وبدون سابق انذار يستل سكينا حادة ويقطع خصلة من شعر الزائر ، ويقطع خصلة اخرى من شعره ، وثالثة يقصها من ذنب فرسه ، ويجدل الخصل الثلاث حتى تصبح مثل الكرة ليقدمها لناسك المعبد ، وبناء على ذلك إذا ما رايت حصان إحدى (الجلاجسة) قليل الشعر فى ذيله فذلك يعنى ان صاحب ذاك الحصان لديه اصدقاء كثيرون .



وتقطن قبائل (الجولجوس) فى غالبيتها بيوت الشعر المنسوجة من شعر بقر (القطاس) الأسود ، وبيوت الشعر تلك مثبتة فى الأرض لدرجة انها تقف ثابتة امام رياح واعاصير تصل سرعتها الى ١٠٠ كيلو متر فى الساعة .

ومن **عادات** التزين والتجميل عند نسائهم هو تعليق عدد من الصحون **الفضية على ظهورهن (يصـــل وزن هــذه** الصحون احيانا الى ٥ كيلو جرام) وكذلك يقمن بتجديل شعورهن الى (١٠٨) جدلات. وهذا الرقم بالذات له اسباب ويعتبر سرا من اسرارهم !

النبع الصغير

وتزخـــر المـــدن الاسبانيـــة بعادات ومعتقدات لا تمت الى واقعها الأوروبى الصناعى بصلة ، ومن تلك المعتقدات حرق تماثيل مصنوعة من الخشب والكرتون فى الميادين العامة !



بيت من الشعر فى أواسط الصين حيث يحرص سكان هذا البيت على أخذ خصلة من شعر الضيف الزائر !

مجتمعات تعيش في الماضي

مازالوا يرقصون بالثعابين ويرتدون الأقنعة !!



مهرجان شعبى تستخدم فيه الألوان الزاهية والمساحيق وعقود الخرز والريش وأيضا القبعات

وقد حاول الدارسون معرفة المبررات العقائدية التى تقف وراء تلك العادة ، ولكنهم لم يصلوا الى نتيجة معقولة ، إلا أن البعض يعتقد انها عادة استشرت فى دمائهم قبل الفتوح العربية وانقطعت إبان الحكم العربى وعادت الى الظهور ثانية بعد خروج العرب من الأندلس عام ١٤٩٢ ميلادى !

ويعتقد آخرون أنها مظهر من مظاهر القوة والحكمة التى نقلوها عن طارق بن زياد عندما حرق اسطوله على شواطىء الجبل المعروف باسمه ..

ومن عاداتهم أيضاً تبادل الخبز والملح مع الجار الجديد الذى سكن فى حارتهم !

وفى العديد من القرى الاسبانية مازال الأهالى يستعملون (التنور) فى تجهيز طعامهم ، حيث يضعون الطعام (مكشوفاً) فى طرف التنور وفى الطرف الآخر يشعلون النار فى الحطب ، ولكل نوع من المأكولات له نوعية معينة من الحطب والأعشاب البرية ، فقطعة حطب من شجر البلوط مع قليل من اعشاب (كف مريم) ليستعملونها فى شواء لحم الضان ، وحطب شجر اللوز لشواء لحم الأرانب .. وهكذا .. وذلك كي تمتص الأطعمة الرائحة الزكية لمختلف الأعشاب البرية .

ومن العادات التى تثبت وفاء جزء كبير من أهالى (طليطلة) لأسلافهم الأندلسيين وهم بقايا العرب المسلمين الذين يطلق عليهم (AL MOZARABES) هو أن نساءهم يلبسن الشال الكبير الذى يساعدهن على إخفاء وجوههن فى حالة مرورهن بالقرب من إنسان غريب عن منطقتهن .

ومن المعتقدات التى يتناقلونها أباً عن جد هى قصة نبع صغير يسمى (تنهدة العربى) . يقع هذا النبع على تلة قبالة مدينة غرناطة الشهيرة ، حيث انه وفى نقطة معينة وعندما هبط (عبد الله الصغير) تلك التلة فى طريقه الى منفاه الأبدى واختفت عن ناظريه معالم غرناطة الرائعة سقطت من عينه دمعة حارقة على الأرض التى فجرت ينبوع ماء رقراق ، لم يزل (بخريره) يبث شجونه الى العديد من الأندلسيين الذين يذهبون اليه لقضاء فترات من الاستجمام !

بطارية الميكرفون

وعلى صدى دقات الطبول يجرى تناقل الأخبار والمعلومات بين القبائل التى تسكن «غينيا الجديدة» والمكونة من قرابة ٦٠٠ جزيرة ، والواقعة الى الشمال من إستراليا فى المحيط الهادىء ..

ويحاول أبناء البلد الذين يصل تعداد سكانهم الى أكثر من ثلاثة ملايين نسمة أن يتفاهموا بين بعضهم البعض بأكثر من ٧٠٠ لغة ولهجة وأن يتقدموا الى نهاية القرن العشرين بخطى ثابتة بعد أن امتص الاستعمار البغيض خيرات بلادهم على مدى قرن من الزمان ولم يترك لهم سوى طرق معبدة وسيارات شحن قديمة ومحطات بنزين تتباعد عن بعضها البعض مئات الأميال !

لقد رحل الاستعمار منذ قرابة العشر سنوات ومع قصر هذه المدة لم يستطع أبناء (غينيا الجديدة) الحفاظ على اللغة الانجليزية التى تركها لهم الاستعمار البغيض ، حيث قاموا بتحريفها حسب الجرس النطقى البدائى لكل قبيلة .

ومما يميز قبائل «غينيا الجديدة» عن بقية شعوب الأرض أنها إنتقلت من العصر ما قبل الحجرى الى القرن العشرين من دون المرور بالعصر الحديدى او النحاسى .. الخ

وهذا من دون شك يرهق عقولهم حيث أنهم يقومون بالتقليد الأعمى لعادات لا تتناسب مع طبيعة حياتهم اليومية .

وقد أخذوا بتسمية أبنائهم بأسماء لا تمت الى واقعهم بصلة مثل (فلاش جوردون) (توم توم) و (جوزيف ستالين) !

كما أن بعض المبتكرات لم ترحل مع رحيل الاستعمار البريطانى الذى سبقه الاستعمار الألمانى وتلاه الاستعمار الاسترالى وذلك مثل الشمسية التى تقي الشمس عن رأس صاحبنا فى الأدغال ، ومكبر الصوت الذى اتخذه زعيم القبيلة وسيلة لنقل الأخبار بدلا من قرع الطبول !

وهناك قبائل (أوكوس) الهندية التى تقطن فى القرى المحيطة بمدينة (كوزكو) فى (البيرو) الواقعة على الشاطىء الشمالى الغربى لأمريكا الجنوبية .

ويقول المؤرخون ان قبائل تلك المناطق مازالوا يمارسون طقوس غريبة تناقلوها أبا عن جد منذ آلاف السنين وحتى يومنا هذا !

ومن غريب عاداتهم انهم فى منتصف شهر (يونيو) من كل عام يصعدون الى قمم جبال شامخة ترتفع قرابة خمسة آلاف مترا فوق سطح البحر حاملين معهم صولجانات مزينة بمختلف أنواع ريش الطيور ، متجهين للسماء الى حيث تشرق الشمس ، غير أبهين الى تدنى البرودة هناك الى عدة درجات تحت الصفر !

وحال وصولهم الى قمة جبلهم يقيمون المخيمات ويشعلون الشموع فوق الثلوج التى تنصهر بدورها مكونة حفرا صغيرة تتراقص فى جوانبها تعابير لانعكاسات ضوئية ، يحورها تفكيرهم المحدود الى تصورات خرافية ، معتقدين أن هذه الجبال الجليدية ما هى إلا مقابر أرواح سلفهم والتى أتت على صورة رياح وأعاصير لتسكن تلك القفار على مقربة منهم .

وقبل عودتهم من بين الغيوم يقومون بنشر كتل من الجليد ويربطونها على ظهورهم ويهبطون بها الى قراهم حيث يوزعون قسما منها على المرضى معتقدين أن فى ذلك شفاء لهم ، وجزء اخر من هذه الكتل الجليدية يغلونه فوق النار مع الشعير ويتركونه لكى يبرد ليشربوه خارج أكواخهم فى الليالى المقمرة !

وما تبقى من جليدهم يحتفظون به على شكل سوائل فى زجاجات لاستخدامه على مدار السنة !

ومن العادات المتبعة لديهم اعتقادهم بأن أرواح الحقول قد تكون غير راضية عنهم ، ومن الجائز ألا تعطيهم محاصيل وفيرة فى الموسم ، لذا فهم يلبسون الأقنعة ويخرجون بها لايهام أرواح الحقول بأنهم أناس آخرون مختلفون عمن سكن الديار السنة الماضية ، لعل تلك الأرواح تعطى هؤلاء القادمين (الجدد) محاصيل أكثر وفرة !

الرقص بالثعابين

ومن المعروف أن قبائل (النباخو) الأمريكية كانت تسيطر على معظم أراضى أمريكا الشمالية من مشرقها الى مغربها إلى أن وصل إليها الرجل الأبيض وبقوة المدفع والبندقية التى لم يكن يجابهها سوى بطولة الهندى الأحمر الذى لا يحمل من السلاح سوى قوسه أو رمحه ، أخذت تتقلص أراضى قبائل (النباخو) كما حدث وشاهدنا العديد من أفلام رعاة البقر !

وفى عام ١٨٨٢ قررت السلطة الحاكمة فى واشنطن تطويق القبائل المنشقة ، ومصادرة أراضيهم وحصرهم فى بقعة أرض قدرت مساحتها بـ ٢,٥ مليون هكتار . وفى عام ١٩٨٢ رأت الحكومة فى واشنطن أن تستولى على أراض أخرى وقلصت البقعة التى يعيشون فوقها الى ١,٨ مليون هكتار !

ولكن ومع كل هذه التحديات بقي الهندى الأحمر صامدا فى أرضه ورافضا انتزاع جذوره من الأعماق ولم يهاجر على الرغم من شدة التعسف الطبقى والاجتماعى الذى لاقاه ومازال يلاقيه على أيدى الرجل الأبيض ولم يزل محافظا على (عادات ومعتقدات) توارثها أبا عن جد .

ومن عاداتهم الذهاب الى (قبب ملحية) توجد على مقربة من (جران كانون) . حيث انهم فى إحدى شقوق القبة الملحية يضعون بعض (عرانيس الذرة) التى يغطونها بريش من نسر ويقوم أكبر المتواجدين سنا باشعال عشب معين ذى رائحة زكية فى غليون مصنوع من الفخار ويأخذ نفسا من ذلك الغليون وينفخه فوق الريش الذى يغطى (عرانيس الذرة) ، وفى اليوم التالى يعودون الى نفس المكان ويرفعون (العرانيس) الى السماء وبصوت عال يبدأون فى دعوة الأرواح من حولهم بأن تأتى لمشاركتهم فى طعامهم ، وأما عن أمكنة هذه الشقوق فتبقى سرا لا يعرف مكانها سوى الكبار منهم !

ولأعراسهم عادات غريبة فهم يربطون الأجراس والقواقع على سيقانهم وعلى إيقاع نغمات ناي من القصب يستمرون فى الرقص حتى صباح اليوم التالى ، ويلى ذلك معركة يتقاذفون بها الشتائم وكتل الطين وهذا جزء مهم من طقوس أعراسهم .

وفى طلبهم (للمطر) يقومون فى البحث بين الحقول عن الثعابين السامة وعندما يحصلون على كمية منها يحملونها معهم الى ساحة القرية ويمسكون رؤوس الثعابين فى أفواههم (الثعابين السامة تلك



الصعود إلى قمة الجبل ، حاملين صولجانات مزينة بمختلف أنواع ريش الطيور

تسمى أمهات الأجراس) ويأخذون فى الرقص والثعابين معلقة ، حتى يتناصف الليل ، وإن حدث خلال الرقصات أن لدغ ثعبان أحد الراقصين فى فمه فذلك يعود حسب اعتقادهم أن ذلك الشخص قد تفوه يوما ما بكلام بذيء وبعد أن تنتهى حفلة (الاستسقاء) يطلقون الثعابين لتذهب الى جحورها من دون أن يصيبوها بأذى . ومن يشاهد تلك الثعابين وهى هاربة من ساحة القرية يقول : إنها تشبه فرقة من المشاغبين قد خرجت لتوها من حفلة (ديسكو) .

ومن كل ذلك وغيره ، نرى كيف أن العالم مازال يزخر بأغرب العادات والتقاليد ، ومازال يحيا فى طقوس قديمة لم تقترب منها عصا القرن العشرين ، ولعل هؤلاء فى عاداتهم البسيطة الساذجة أسعد حالا من الذين ينفقون كل وقتهم فى انتاج أسلحة الدمار وهم يرتدون أحدث أزياء العصر ويمارسون أحدث تقاليد وعادات المجتمع الراقى !

وليد عياد



لوحة زيتية من ٢٧ لوحة شاهدناها للفنانة فى المعرض الذى اقيم بفندق الخليج فى الدوحة ، وكان مثار اهتمام الكثير من النقاد والجمهور



الفنانة الأردنية رمزية باج .. اقامت معرضها مؤخرا فى مدينة الدوحة

رمزية باج

فنانة تنتقي ألوانها دون صخب!

بشرى ناصر

الرحيل : هو البداية .. وهو النهاية .. منه نبدأ .. وعنده ننتهى .. والكائن البشرى محاصر بهموم الحياة .. مغرم بالترحال والتجوال .. مشبع بالبحث عن أسرار المستقبل ..

ورمزية باج انسانها متعب .. يظل يعدو .. ويعدو .. قد يصل .. وقد لا يصل ..

وقد التقيت بها فى معرضها الذى أقيم فى فندق الخليج بالدوحة ، كانت تسير بحيوية ورشاقة ، لا تثقل خطواتها المساحيق أو البهرجة . فعالمها بسيط .الاهتمام فيه بالأعماق أكثر من الاهتمام بالمظهر . ودون جلسات تحضيرية وجدتنى أجلس أمامها .. أنصت إليها فى شغف .. فهى فنانة تنتقى مفرداتها كما تنتقى الوانها ، دون صخب !

ببساطة متناهية تتحدث :

● نادرا ما أقوم بعمل تخطيط على الورق أو وصف تشريحى للعمل الذى انوى الابتداء به .. كل الطقوس تعتمل فى الذاكرة .. حين أشعر بالفكرة قد بدأت تكتمل فى تكوينها ونضج ملامحها ، وأنها قد تبلورت تماماً ، اطلق سراحها وأبدأ فى معايشتها على القماش ولأذكر على سبيل المثال عملي « الحرب الأهلية » . اخترت منذ البداية أرقام ١ ، ٢ ، ٣ .. ولكنى لم اقدم لنفسي شروحات أكثر ، لأنها معي .. هنا فى الذاكرة .. وربما حين اعمل تكوينات لونية أولية .. تفقد اللوحة كثيرا من طفولتها .. الحلم .

قد تمتد المسافة بي فى تحويل اللحظة الابداعية من الحلم إلى الواقع ، ولكن امام تلك اللحظة أجد صرامة كبيرة ، فلا اسمح لشيء ما يتعبني أو يحول بين أن انتهي من حالة المخاض تلك . وتجدينني بين كل فترة وأخرى اتوقف لأدور مع اللوحة فى حوارات وأسئلة : إن كانت راضية عني .. أم لا ؟ ما أريد قوله . أننى لا اصنع « الاسكتش » كاملا بالوانه كشكل مبدئى . لأنى احب الاحتفاظ بأفكارى عن العمل الابداعي دون

تسربه فى عمل تخطيطات واستعدادات ، تعرضه للارهاق ، وقد لا يكون ساعتها بكرا كما أحب .

● ... المواضيع التى استهدفها فى أعمالى مختلفة متنوعة . ولأكن أكثر تحديدا . فمنذ ١٩٧٥ تقريبا ، وجدتنى أغرم بموضوع الانسان .. طالما أنه واحد لا يختلف فى كل أقطار العالم بكل ما فيه وما يحمل . ومن هنا اتجهت لأجسده بكل ما يعتمل بداخله بكل حالاته .. وبكل تطلعاته وهمومه . وحين نلتقى بالتاريخ . نقرأه ، ونراه . نجد الانسان قد كون التاريخ وحده وقراءاتي دائماً توحي لي بالرحيل ..

كيف يحمل الانسان الأول جسده ويشدنى باندفاعه البشرى ؟ وتخصب خيالي حركته الجسدية ، من أجل الحركة والتنقل بما فيه من شاعرية ؟ ..

● إضافة إلى روعة اللحظة تلك .. لحظة المحطات والتجوال .. التوقف والمسير .. اللقاء والوداع .. الذكرى والنسيان .. ودراسة التاريخ تثرينى من ناحية فنية .

وتشكيل الأفكار بصورة متكررة دون محاولة للتجديد أو تطوير المواضيع مهما كان الموضوع مثيرا ، فلن يجد تأثيرا لدى الجمهور .. والحدث الفني فى اللوحة مهم .. ومهم جدا . ولكن ليس على حساب « تكنيكيته » ومحاولة التجديد فى إخراجه .. وإلا فلن يكون الفنان الذى يسير على خطى غيره سوى نسخة !

وبالنسبة لي الطموح دائم الاشتعال .. يهمني كثيرا أن اختط لنفسي مسارا وطريقا جديدا وليس تقليديا . وهو الذى يدفعنى دائما لسؤال اللوحة حين استريح معها : أما زلت معك ؟

● ... تكرار الموضوع فى عدة أعمال يزيد فى تأكيد المفهوم وترسيخه لدى المطلع أو المتفرج .. ويفيده .

قد أجيء بالترحال واصنع منه عشرين لوحة .. فى كل لوحة أجد ما أقوله فيه وبشكل مختلف ..

● أحاول حين أرسم .. أن اختزل .. دون بهرجة أو تشتيت للموضوع . الغناء القصصي .. جمالية الخيال .. رقة المشاعر ورهافتها .. كل ذلك ليس بالضرورة أن يتحقق حين أضيع وسط الألوان والخطوط وتجسيد العين والشفاه .. وعموما عملية الاختزال دائما أصعب سواء كان ذلك بالريشة أو بالحرف .. فأناحينها أحتاج الى كثير من الالمام والتكثيف .. وكما قلت طالما كان الانسان همى .. فاهتمامي ينصب فى التركيز على إيماءاته .. إشاراته .. تحركاته .. بكل ما فيه من سكنات وتحركات .. وليس فيما يلبس أو تحتوي تقاطيع وجهه . وقد تتجه انظارنا ساعات طويلة إلى شيء ما .. لا نحس به .. ولا ندري بوجوده !

أنا هنا افكر بالعمل من هذا المنطلق .. لا أحادث عينيك .. وإنما أقوم بمخاطبة شعورك .. الدخول الى أعماقك .. وحتى أوصل لك رسالتى ، وبشكل جيد ، فانى أحتاج إلى الامساك بيدك لأوصلك إلى ما أريد ، دون تضليل فى مسارات مبهمة وأمور هامشية .

● يفقد الانسان كثيرا فى يومه .. الفن التشكيلي باستطاعته أن يعيد اللحظات التى لا تعاد .. يجسدها أمامه .. ليعيشها فترة أطول والفن التشكيلي له أدوار كثيرة في التسجيل بحرارة وبعاطفية كبيرة ..

الفن يعطيك طعم الموسيقى .. ومذاق اللون ...

وقد يكون العمل الفني تجريدياً ، لا يعبر بالضرورة عن شيء ما ، ولكنه يظل بالنسبة للمبدع أو لنقل الفنان عبارة عن فعل .. ورد فعل .

● المفردات لدى الكاتب مختلفة .. لكل مفردة مجموعة أحرف .. ثمة مفردة طويلة .. وأخرى قصيرة ... هناك كلمة لها وقع جيد .. أو بشكل معاكس .. أحياناً تحس بلفظ كلمة ما .. ناعماً .. الكلمات عموماً كل كلمة لها شخصية معينة ... الألوان لدى الفنان .. كل لون يحمل جمالية وطابعاً وشخصية مميزة ... البعض يفضل لوناً ما دون بقية الألوان الأخرى، والتذوق العادي في هذه الحالة قد يضم اللون .. لأن اللون جميل .. ولكن اختياره إلى جانب لون آخر ، أو تشكيله في مجموعة متناسقة ، هو الذي يجعل اللون الواحد مزهواً بجماله .. ممشوقاً .. وسعيداً .

والانشاء التصويري هو الذي يعمل في أن يظهر لكل لون شخصية .. ذلك هم من هموم الفنان التشكيلي إلى جانب مهمة ترويض الفكرة لتتولد على القماش بشكل متعافٍ وصحيح البنية .. وليس مشوهاً على الأقل بالنسبة له . وذلك أمر يحتاج كثيراً من ذات الفنان ، ولنذكر الخيال هنا .. فهو حصان جامح .. لا يحده طوق ولا تعب .. يطير بأجنحة لا ترى .. ولكن يبقى التنفيذ هنا وكيف يستطيع الفنان أن يركض وراء ذلك الحصان ولأبعد حدود يصلها كي يمسك به الفنان ...

● كل عمل فني له أهميته بين الأعمال الأخرى . وبشكل منفصل قد يحدث أن يوحي لي عمل ما بعمل آخر ، يتصل أو يبتعد عنه . ولكن عموماً أعمالي أغلبها — وكما لاحظ كل من ارتاد معرضي الاخير — نفس الموضوع يتدرج في أكثر من لوحة وبشكل ترقيمي .. ولكل لوحة نكهتها ومذاقها ..

● المرأة لا تختلف عن الرجل وقد تتفوق عليه أحياناً من ناحية قدرتها على الاحتمال ... الرجل في كثير من الاحيان نظلمه حين نعتقد انه يفرغ نفسه تماماً لابداعه ... على العكس تماماً من وضع المرأة التي تضيع ما بين متطلبات الحياة اليومية وارهاقاتها . الرجل ليس كائناً مسخاً ، بل يتحمل اضعاف ما تتحمل المرأة من هموم يومية ومتاعب في توفير المستوى الاقتصادي الجيد . والرجل لابد أن يخرج من بيته وبشكل الي . المرأة قد تظل ملازمة البيت إذا لم تكن موظفة ، فتجبر على منح كل مسألة حقها وهنا تتأتى أهمية توفير الوقت لكل جانب ، دون أن يضيع حق أمر على آخر ...

ولابد في هذه الحالة من وضع برنامج ومنهج ليومها ، حتى لا تفقد في النهاية أهم ميزة تتمتع بها ، واهم حقوقها في أن تكون مبدعة . فتتحسر ساعتها ، وتلقي باللوم وتسلط جام غضبها على المسؤولية ومتاعب الحياة .. وتظل اخيراً المحافظة على القدرة الابداعية وتربيتها والحفاظ على عافيتها : مهمة المبدع وحده دون أي تدخل من غيره ..

بشرى ناصر

الفنانة في سطور

● رمزية باج .. من مواليد عمان .
● درست الفن أكاديميا على يد الفنان فائق حسن في بغداد .
● تخرجت عام ١٩٧٢ م . حصلت على بكالوريوس في الفنون الجميلة بدرجة شرف سنة ٧٢ م .
● حصلت على بعثة من المجلس الثقافي البريطاني سنة ١٩٧٤ م للدراسات العليا في كلية الفنون في برايتون .. وتخرجت بامتياز .
● استقرت ثلاث سنوات في يوغسلافيا .. ثم انتقلت الى القاهرة .. قدمت الى الدوحة سنة ١٩٧٩ وعملت كمحاضرة في التذوق الفني بجامعة قطر ما بين ٨٠ — ٨١
● أقامت معرضا في عمان ١٩٧٤ بالاشتراك مع الفنان محمود صادق .
● معرض خاص في برايتون — انجلترا — عام ١٩٧٥
● معرض في بلجراد عام ١٩٧٨
● معرض في القاهرة عام ١٩٧٩ .

اقتحام

بقلم: وليد إخلاصي

— ١ —

كان هناك رجل يتمدد على أرض الغرفة . الغرفة كانت عارية وموحشة . وكان ثمة بساط صوفي قديم يغطي البلاط بالألوان الباهتة ، فيخفف من تلك الوحشة المزمنة ، ولكن زخارفه تمازجت بآثار تراب الحذاء الذى رسم الحيرة عليه أقدام مشتته ، فبدت الأرضية وكأنها طلاسم تحيط بالجسد المنهك .

وها هي الجدران تنتصب شاهقة ، تطل ساكنة على الفراغ المستسلم لضوء خفيف بينما جدار منها قد غطي بنافذة معلقة ، فيما الجدران الباقية قد استخدمت لتسجيل كتابات غريبة ورسوم مختلفة ، خطها بيده المرتعشة الرجل الوحيد الذى يسكن الدار ، عبر أيام طويلة من الانتظار والخوف والتردد فى الاستسلام .

قلق عبرت عنه الأقدام الحائرة تجوب الغرفة ، وخطوط التصقت بدهان الجدران القديم . تلك كانت أشياء سابقة ، ولكن القرار الأخير الذى اتخذه ساكن الدار ، كان حاسماً لا رجعة فيه . أن يتمدد أرضاً بكل ثقله الذى يحمله جسده الناحل ، بينما عيناه تتأملان العدم الذى اجتمع فى السقف رطوبة بيضاء ، خالها لفترة زبداً نبذته أمواج الصور المتلاحقة ، فطارت من فوقه كالحلم الميت .

يوم إثر يوم ، فتصبح السنة مكتملة . الزمن يمشي بطيئاً فى جسد الأيام ليصبح عمراً . الأيام تموت . الأيام تاتي ، والرجل يتعلم لعبة الانتظار . لم تعلمه مهنة التدريس فضيلة الصبر ، ولكن ما يحدث للدار هو الذى جعله يقاوم التآكل .

فى الفترة الأخيرة ، اختفى اسمه من شفاه الجيران وذاكرتهم ، وبات اسمه (الحكاك) . جاء الحكاك ، ذهب الحكاك ، اختفى الحكاك ، الحكاك يكلم نفسه . وكان من الممكن أن يصبح اسمه (المخبول) ، لولا احترام اهل الحي لمهنة التعليم . ويبدو أن المعلم قد استسلم للاسم الجديد ، وما عاد يعيره أى اهتمام ، وسقط على أرض الغرفة لا يحس بالزمن الا اذا سُمعت ضربات المعول فوقه تنهش سطح الدار . واذ تتوقف تلك الضربات المتواترة ، يموت الزمن الا من نبض الانتظار .

وكان جهاز الهاتف بارداً ، لم يُسمع له صوت منذ أيام كثيرة . وتوقف الماء فى الأنابيب ، فلم يبق له وجود فى الدار الا فى الزير الذى ملأه المعلم بنفسه منذ يومين من حنفية السبيل القريبة . وقد مر على انقطاع الكهرباء أسبوع كامل ، فبدت آثار الشمع على الأرض وكأنها مرض جلدى تناثرت بثوره على كل بقعة . لقد انقطعت كل صلة بالعالم ، وظهرت الدار معزولة عن الحياة ، ولولا نبض قلب الحكاك وحركاته المتخبطة ، لبدت وكأنها مقر للاشباح .

كانت الدار آخر عمارة تقاوم . والمعلم آخر المتشبثين . ومع انتشار الخراب ، تحول الحكاك الى حكاية تثير فضول الجميع . ويتنادى أطفال الحارة ، الذين ملأ التراب عيونهم وأنوفهم ، إلى تسلق السلم الخشبي الذى ارتكز على الحائط الشرقي ، يحاول كل منهم أن يسرق نظرة من المعلم عبر النافذة التى يلصق وجهه بزجاجها المتسخ مرسلا بعينيه تبحثان عن المعلم ، فاذ به يتمدد على الأرض كالمجنون الميت ، فلا يلبث ولد اخر أن يستحثه بالتخلي عن مكانه على السلم كي يأخذ نصيبه من الفرجة .

« دعني أرى الحكاك . جاء دوري . لا تكن أنانياً واعطني مكانك » .

ولكن المعلم الذى تصله أصوات الأطفال كخربشات على لوح الزجاج ، لا يبدى أى اهتمام ، ولا يعير فضول الأولاد المشاغبين أهمية ، وهو الذى يعرف أسماءهم فرداً فرداً .

تعود المعلم ، وهو يمر في الشارع أن يجيب على أى سؤال يطرح عليه فى اللغة العربية أو الحساب . كان صديقاً لكل الأولاد ، وهو الذى يجمعهم عادة قبيل الامتحانات السنوية فى صحن الجامع الأثرى كي يشجعهم ويشرح لهم ما خفي عنهم من معلومات . ثم أنه هو الذى تجاهل بعد ذلك تعليقاتهم ولمزاتهم ، منذ أن دخلت آليات الشركة على الحي ونشرت الخراب في أرجائه . وعندما تسلق فضولهم على درجات السلم الخشبي ، ظل مستمراً في التمدد على الأرض في الغرفة العارية ، فاتحاً ساعديه وساقيه كاشارة الضرب ، بينما عيناه تتعلقان بنقطة ثابتة فى السقف تتوالد فيها الصور والأيام ..

— ٢ —

تحولت العمارة الصغيرة إلى قلعة وحيدة هجرها العمران من حولها . وكانت آخر بناء يزحف الهدم نحوه من الطرف الشرقي فى الحي القديم ، ثم لا يلبث أن يتوقف تزمجر آلياته غضباً من عناد المعلم آخر الأحياء في العمارة الباقية .

كان الرجل هو الوحيد الذى وقف فى وجه الشركة ، فلبثت « البلدوزرات » حائرة تنظر بحقد ظاهر الى ذلك المستطيل من الحجارة المتفاعلة مع الزمن وقد استعصت عليها . وبدت الدار الباقية ، وكأنها البيت العتيق وسط صحراء من تلال التراب والأحجار والأخشاب التى خلفها الخراب الشامل .

وها هى العمارة التى كتب على مدخلها يوم بنائها فى القرن الماضى « ادخلوها بسلام آمنين » ، تبدو كالمهجورة بعد أن غادر الدار العليا فيها أهلها ، ولم يبق سوى المعلم فى الدار التى طوقتها الحديقة الميتة كانت العائلة قد باعت حصتها الى

الشركة ورحلت مع الصبية «حياة» . وقد لبث المعلم ذاهلا يوم الرحيل ، يراقب نزول الاثاث بصمت خاله الجيران المغادرون وداعاً فظاً ، فاكتفوا بالقاء تحية وداع مقتضبة لا تليق بجيرة آباء وأجداد امتدت سنين طويلة .

ما عاد الدرج مصدر انس تـدب عليه الأقدام نزولا وطلوعاً ، وباتت الدار العليا فترة وكأنها سكن للأشباح ، وعندما اقتلع عمال الشركة الأبواب والنوافذ تحولت الى مصدر للعواء اذ تدخل الريح من كل جانب.

ويوم الرحيل ، اقبلت الصبية « حياة » من بين سحب الغبار ، لتقول له برقة لم تحرك عنده سوى البكاء الخفي :

« الن ترحل أنت أيضاً ؟ » .

ثم قالت وهى تحدجه بعينيهـــا المعاتبتين :

« لم يبق الا انت » .

فهز برأسه يميناً وشمالا ، ثم حك جبينه بعصبية ، ولم يستطع أن يقول كلمة واحدة ، بينما هى قالت بمرح :

« نحن راحلون » .

فهتف بلهفة مكبوتة :

الن أراك بعد اليوم ؟!

فقالت وهى تستند بظهرهـا الى الحائط الذى رسم عليه منذ سنين صـــورة للكعبة :

« ومن قال إننا سنغادر حلب » .

ثم هتفت بشىء من التفاخر ردده فضاء الدرج :

« سنسكن فى الخالدية » .

وهو لا يعرف من حلب الا هذا الحي ، وبالرغم من تجواله مع طلابه فى كل انحاء المدينة ، الا أنه رفض أى توسع لها خارج الحدود القديمة . وقال باسى :

« منطقة بعيدة والمواصلات إليهـــا صعبة » .

ثم يهتف بقوة تزيل أى شك فى رغبة بالبكاء وقد تولدت عنده :

« لن أغادر » .

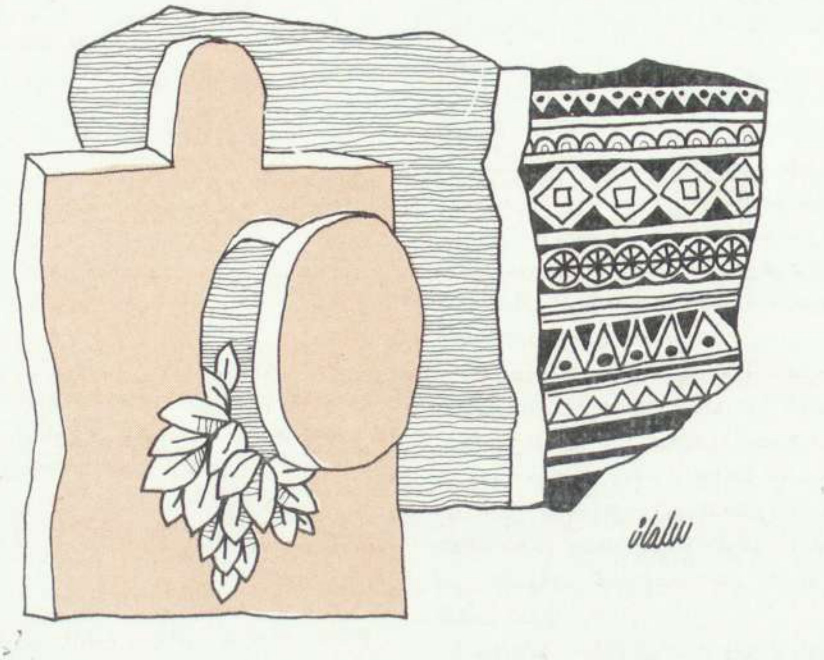
وبقوة اكبر :

« لم أولد الا فى حينا هذا ، وســـأبقى فيه » .

فتنظر إليه بدهشة ، ثم تبتسم ، ثم تغيب . فيلحق بها عن بعد ، بينما يتواتر صوت الأولاد فى الحارة المقابلة :

« جاء الحكاك .. راح الحكاك » .

وينظر من شرفة المطبخ الذى شهد فى أيامه الغابرة حركة النسوة يعددن الطعام للضيوف ، فيرى نفسه وكأنه أصبح فى جزيرة . الأرض قد سويت عن طرفي البناء وظلت الحارة المجاورة بتفرعاتها الضيقة



تغلي بالناس . وها هم تجارالأنقاض يأتون بعمالهم المهاجرين حديثاً من مدن محتلة ليقوموا بعمليات الفرز والتصنيف لبقايا الابنية المزالة عن وجه الأرض . جعلوا يفرقون ما بين الأخشاب والاحجار والمعادن المختلفة من نحاس ورصاص وأسياخ حديد وكان الرجل يقومون بتقطيع الأخشاب بفؤوس مسنونة ، واما تلك التى حملت الواناً وطرزت بالرسوم أو بالفسيفساء فقد حملت بعناية على ظهور الشاحنات التى تنطلق بها بعيداً . كما أن المقرنصات والاحجار المنقوشة ، والأعمدة التى تهاوت بتيجانها ، فقد تجمع حولها قلة من الهواة يتفحصونها ويساومون عليها ليتم شراؤها بعد ذلك بأثمان تتفاوت وفقاً للمنافسة التى يظهرها أولئك الهواة . وقد حظيت الأحجار التى كتبت عليها الآيات أو الأشعار ، باهتمام تجار الآثار الذين جاؤوا متأخرين ، فباتت لتلك الأحجار سوق رائجة ، وبخاصة بعد أن انضم اليهم خبراء فى الترميم . ولكن سوق الآثار تلك لم تعمر طويلا بعد أن اكتشف مسؤول فى الشركة قيمة تلك الأحجار فاحتجز ما بقي منها لنفسه .

لم تدخل الآليات الضخمة فجاة الى الحارة . سبقتها اشاعات تضاربت ، فلم يأخذها المعلم فى البداية على محمل الجد قيل إن جهة حكومية تأخذ على عاتقها فتح شارع عريض لن يمس بيوت الناس ، وقيل إن رجلا ثرياً يريد أن يشترى الحي بأسره ليبني قصراً ، وقيل إن محسناً كبيراً يخطط لبناء مركز ديني يضم اليه مسجداً ومدرسة لتعليم الفقراء . ولكن شـيئاً من تلك الاشاعات لم تؤثر على المعلم الذى اعتبر أن الأمر لا يعنيه ، وعندما تهاوت أحجار أول عمارة ، وتراكض الناس لبيع بيوتهم ، تطلع المعلم الذى جف حلقه من دروس الصباح ، فقدحت عيناه بالغضب إذ يعلم أن أهل الحارة بدأوا فى تسلم المال ، ثم مالبث أن حك شعر صدره الكثيف بعصبية وتمتم بكلمات غير مفهومة ، فسرها أهل الحي بعد قليل على أنها بداية لنوبة الجنون . قال المعلم محذراً .

« أين تذهبون اذا فقدتم بيوتكم ؟ » .

ويجتمع بالرجال فى المقهى ، يحاورهم ، يتمنى عليهم أن يوقفوا موجة الخراب ، فلا يصغي إليه أحد ، فيخاطب أهل الحارة الغربية التى لم تقترب منها الشركة بعد :

« احذروا فالدور قادم عليكم » .

وتنتقل أصابعه إلى رقبته تعمل فيها خمشاً رقيقاً ولكنه لا يتوقف :

« لم يبق من هذه المنطقة التى شهدت تاريخاً عظيماً الا أكوام التراب » فيرسل رجل ضحكة تختلط مع التمني :

« نحن هنا ننتظر رجالهم كي يدفعوا لنا .. كما دفعوا لكم » .

فيهتف وهو لا يتوقف عن حك أجزاء من جسده :

« ما نفع المال اذا فقدنا البيوت التى ولدنا فيها » .

فينظر اليه الرجل باستغراب :

« إنهم يدفعون بالعملة الصعبة » .

ثم يقول له :

« الحساسية مرض العصر يا حضرة المعلم ، أليس كذلك ؟ » .

اقتحام

ثم يحاول أن يكلم الناس ، فينفضون عنه وكانه بات مصدراً للعدوى .

– ٣ –

جعل المعلم يراقب تفتحها بمتعة واهتمام . الصبية الصغيرة حياة تتفتح يوماً بعد يوم ، وكان زمنها له خبرة فى كشف الستار عن روعة النمو خطوة فخطوة او طبقة فطبقة . قال آنذاك لنفسه :

« هذه الصبية مثل البقلاوة » .

طالما راقب وقع خطواتها السريعة وهى تركض على السلم كالجنية فى صيف جاء مبكراً ، اعترضها المعلم عند المدخل ، وقدم لها فلة مكتنزة من الشجيرة التى قيل إن جدته زرعتها بنفسها فكانت تسقيها بملعقة من الفضة فاخضرت وتفرعت وباتت لها شهرتها فى أكثر أحياء المدينة التى تطل عليها القلعة مباشرة . قال المعلم آنذاك :

«لو كانت جدتي رآتك لسمت فلتها حياة» .

فابتسمت الصبية كشيطانة ، وهربت من بين يديه بخفر ظل يحفر فى نفسه حتى أنساه أن يسقي الجنينة التى تحيط بالعمارة بالنارنج والياسمين والفل وأعشاش العصافير التى ستهاجر بعد ذلك مذعورة مع أول ضربة معول فى أحجار الدار العلوية .

كان حباً صامتاً تغزله دودة الصبر بمهارة ، فامتد سنوات . ومنذ طفولة « حياة » التى خلقت الضجة المحببة ، والى تفتح صباها وهى تنشر الاحلام المعطرة ، كان المعلم يضع المشاريع السرية فى الاحتفاظ بالصبية التى يعتقها دفء الشوق ، زوجة . وكان يخطط للغرفة الغربية فى الدار مسكناً للحب الذى سيعيد للحارة أمجادها فى صنع الفرح الذى طالما أثار فى الماضى غيرة الأحياء المجاورة .

وعندما ماتت أم المعلم التى اشتهرت بين النساء بجمال عينيها ذات يوم فلحق بهما العمى مع زحف الشيخوخة ، قال المعلم الحزين :

« سأنتظر يوم الأربعين ، ثم أطلب يد الصبية » .

وكانت أمه الطيبة قد أطلعته فى مرضها على (الكردان الذهبى) الذى تحتفظ به ليوم زواجه الذى تحلم به . فقام الى الصندوق يكشف عن الهدية الغالية فيتصورها تزين صدر حياة ، فتختلط عنده الأشواق بالحزن العميق على رحيل الأم .

ثم يحدث بعد ذلك ، ما يعيق تحقيق الحلم ، فقد غرقت أخته العانس فى الجب بينما هى تنادى على مياهه المسحورة ان تفرج عن حظها الذى قيدته كتابات الحساد وقد خيل آنذاك أن رأس العانس الذى أثقلته أحلام انتظار الزوج الموعود ، هو الذى جذبها الى عمق مياه الجب الآسنة ، فقضت نحبها .

وهكذا بقي المعلم فى الدار وحيداً ، وما عاد له أحد يطلب الصبية ابنة الجيران زوجة له . ولكن الانتظار الذى عشش فى الصدر ، أطلقه ذات يوم إلى اتخاذ خطوة حاسمة ، فقرر أن يدق باب الدار العليا بنفسه ، ولكن الجيران كانوا قد استسلموا لاغراء الشركة التى كانت قد وضعت يدها على كل الابنية فى الحارة ، وضاع كل شىء .

– ٤ –

فى البداية ، كان اتصال ادارة الشركة بالمعلم مهذباً وقانونياً .

« يسر إدارة الشركة العربية للاعمار والتقدم ، أن تتقدم بعرضها اليكم ، لبيع عقاركم بالسعر المجزى . كما ويسر .. » .

وكان مصير الكتاب التمزق .

ثم ، دفعته الغيرة على الحارة ، فمشى بقدميه الى مكتب الشركة ، يريد أن يضع لمطامحها حداً . وكان مندوب الشركة مهندساً شاباً يلبس الجينز ويختبىء وراء نظارة غامقة اللون . وكانت شارة الجامعة الامريكية تبرز كالوشم على الخاتم الذهبى الذى احكم التفافه على خنصر اليد التى تلوح فى الهواء كلما أراد المهندس أن يبرهن للمعلم على أهمية أهداف الشركة فى إعمار البلد وتقديم الخدمات للناس .

ثم ، دفعه العناد إلى رفض كل الاخطار التى طرحها المهندس الشاب . وكان المندوب قد قرر أن يغير من لهجته ، فهدد وتوعد من يقف فى وجه التقدم ، فتحرك الخاتم كالسحر على المخطط الملون الذى كان الشاب يستخدمه سلاحاً يصور به مستقبل المنطقة بأسرها .

« هنا سترتفع ناطحة السماء تدل على قدرة الانسان فى التفوق على الطبيعة . وعلى هذه البقعة ستتجمع أسواق تقدم الخدمات من كل لون . وسيتحول باطن الارض الى مخازن وكاراجات وأماكن للتسلية . ومن يستطيع أن يبني بمثل هذه القوة ، يستطيع أن يزيح من طريقه كل من يعارض خطوات البناء والتقدم والتفوق و ... » .

وكان أن تطلع المعلم الى الشاب الذى توقد حماسة ، وسأله :

« من أين يمكن للمرء أن يشترى مثل هذا الخاتم ؟ » .

فافرج المهندس عن عينيه ، وتطلع بهما تغطيهما الدهشة من جديد ، نحو الرجل الذى لم يشك لحظة فى جنونه .

ثم جاء دور محامي الشركة ، بلباسه الانكليزى العريق وغليونه الذى لم يشتعل سوى مرة واحدة . كان المحامي أكثر هدوءاً ووقاراً ، وكان يتكلم ببرود آثار المعلم ، فلم يسمح لخصمه أن يسترسل فى الحديث ، وهتف برفضه القاطع لأية عملية بيع للدور التى لها علاقة بالتاريخ المثير للذكريات . ولم يستطع محامى الشركة بوعيده الهادىء أن يتفوق على حيوية المهندس واندفاعه .

ويأتى نائب المدير العام للشركة المختلطة ، والتى امتدت شهرتها من الخليج الى التخوم الشمالية ، ليقابل المعلم بنفسه . ولم يتوقف المعلم آنذاك لحظة عن حك شعر صدره الكثيف ، وكأنه مصاب بمرض يثير خوف من يفكر بالاقتراب منه . كان النائب متمرساً فى ترويض من يقف عادة فى وجه خطط الشركة ومشاريعها ، الا انه عاد يائساً بدوره ، فالمعلم لا يلين ولا يستجيب لاغراء وقد دفعت فى داره أعلى الأسعار ، كما انه لم يجب على أسئلة محاوريه الا بكلمات مبهمة أو انها لا تمت بصلة الى الموضوع .

وما عاد هناك من أمل أمام الشركة لمواجهة منطق المعلم الغريب الا بمضايقته ، قطعت أسلاك الكهرباء من الدار ، وتفجرت مواسير المياه ، وعمل المقص على بتر خط الهاتف ، وعملت المعاول على هدم الطابق الثانى من العمارة بعد أن بات ملكاً للشركة ، واستعرضت « البلدوزرات » عضلاتها أمام المعلم فى تظاهرة ترسل الضجة فى الليل والنهار . ولكن المعلم لم يستسلم .

وقد قال مدير المدرسة الابتدائية التى يدرس فيها المعلم :

« لم لا تتعقل يا رجل » .

فقال المعلم مستغرباً وهو يقاوم غليان شعر حاجبيه :

« كيف للعاقل أن يتعقل ! » .

وهتف المدير بغضب أبوى :

« لا تقاوم إغراء الشركة . تستطيع بالمبلغ الذى يدفع لك أن تشترى داراً أفضل ، ويتوفر لك مال زائد فتتزوج به أو تنشىء مشروعاً تجارياً رابحاً يدر عليك مالا .. وقد تصبح من الأثرياء خلال فترة من السنين» .

فنظر المعلم الى محدثه ، مستسلماً للحك الذي امتد من الحاجبين الى الصدر ، فقال المدير مؤنباً :

«ثم إنك تتاخر في هذه الأيام عن المدرسة ، وهذا أمر يسيء الى العملية التربوية» .

ويقول متقززاً :

«عليك أن تداوي مرض الحك الجديد هذا ، فهو يثير شغب الأولاد» .

ولم يتورع المدير بعد ذلك ، عن تنظيم كتاب شديد اللهجة ، يهدد به المعلم بالتسريح إذا لم يلتحق بالعمل لتوه ، بعد أن اعتصم الرجل في الدار أياماً طويلة .

— ٥ —

دخلت عليه «حياة» . تقدمت بالضفيرتين وهما يحيطان بصدرها الذي بات صالحاً للامومة . كانت تتقدم بخفة كفراشة ، فلم يسمع لخطواتها وقع على البلاط المرمري الذى انهكت بتلميعه ذات يوم نسوة الدار . همت «حياة» مسرعة ، ثم تمهلت ، ثم دارت في أرجاء الغرفة كنسيم رقيق يواسي عزلة الجدران العالية . وكان يحس بلهاثها يومض كدفق يساعد القلب المثقل بالأحزان على الاستمرار في النبض . وطارت «حياة» لتمر فوق الجسد المسجى على البساط ، ثم ما لبثت ان كررت القفز من فوقه برشاقة دون أن تنطق بكلمة . هتف المعلم من مكانه :

«أعلم .. أنك لن تعودي» .

فسمع صوتها ياتي من الزوايا كالصدى المتداخل مع الدوي الذي تحدثه المعاول :

«أعلم أنك عنيد . ابق حيث انت ، وستاخذك الجرافات في طريقها» .

ويفتح المعلم عينيه ببطء شديد يبحث عن الصبية ، فلا يجدها . يحرك راسه في اتجاهات السقف الأربعة ، فلا يكون لها أثر . لكن صوتها ما يلبث أن يدخل سمعه قوياً ليتلاشى لحظة فلحظة .

«إبق حيث تموت .. ابق حيث تموت .. إب .. حي .. ت ..»

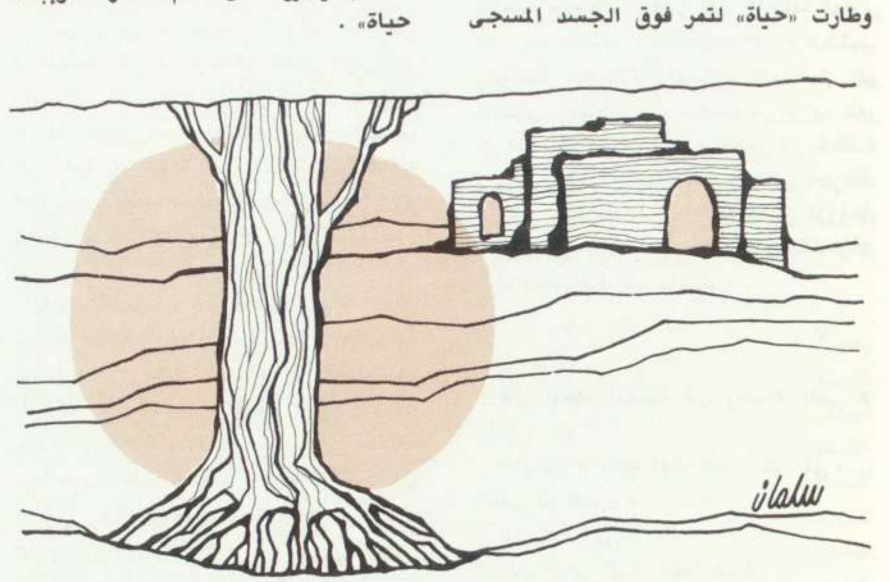
يهتف صامتاً باسم حياة ، ويغمض من جديد .

وتسمع بعد هدوء ، أصوات العمال يتحركون في الدار العليا ، وتدق معاولهم الجدران ، فيتراقص السقف يوحي بانه قد يسقط في أية لحظة . يقول المعلم لنفسه ، وقد عجز تماماً عن حك صدره:

«من يجرؤ على هدم الدار .. من يجرؤ على هدم ما بناه الأجداد !» .

كان جده لأبيه من الذين حسبت لهم السلطة العثمانية حساباً ، فلم تولـه منصباً أو تستوزره على أمر ، ولكنها لم تجرؤ على اعتقاله أو التعرض له بمكروه . وظل مراقباً بعيون السلطة الى أن لدغته الأفعى ذات يوم فانزاح عن كاهلها عبء ثقيل . وهتف المعلم بصوت ضعيف :

«من يجرؤ على هدم الدار . وإبعاد حياة» .



واما خاله لامه ، فقد فرض هيبته على نصف المدينة لبسالته وجراته في قول الحق وحمٰية المظلوم . وقد قتل الرجل برصاصة قيل ان جندياً اخطا في تصويبها الى طير عابر . وصاح المعلم :

«من يهدم الدار .. من يقتل الفل والياسمين .. من يحرمني من حياة ؟» .

في البداية ، ومع انقطاع الماء والكهرباء تقدم المعلم بالشكوى الى مخفر الحي . وقد ردت الشرطة طلبه الذى يتهم فيه الشركة بحرمانه من حقوق لا سلطة لها عليها . وفى الدعوى الثانية كان المعلم يشكو العمال الذين يتقصدون بضرباتهم القاسية تصديع بنيان داره ، وكان محامى الشركة الوقور حاضراً عند تقديم الشكوى ، فنظر المعلم انذاك الى الأوراق بدهشة ملات تجاويف وجهه ، وتمتم قائلا :

«لم أكن أعلم أن ملكية دار الأجداد بحاجة الى أوراق» .

وقال له الرقيب العابس الذى تصدر المخفر الذى كان اسطبلا ذات يوم : «يا ولدى .. لا يمكن لك ان تقف في وجه شركة كبيرة مثل هذه» . وربت العسكرى كتفه مواسياً ، وهمس فى أذنه :

«انفد بجلدك قبل فوات الأوان» .

ولكن المعلم خرج هائماً على وجهه . طاف الحوارى ، سمع باذنيه الاطفال يتصايحون والرجال يتهامسون . القى نظرة على الخراب ، وشاهد بعينيه المتعبتين تلك المعاول تنهش جسد الدار التي سكنتها حياة ، والتى عرشت على جدرانها ياسمينة امه التى قالت له ذات يوم انها شهدت مولده ، وانها تتجدد سنة بعد سنة تبحث عن جدار مرتفع لتؤكد انها التى لا تموت .

وهكذا ، خيمت سحابة من التراب على الجو ، ثم تساقط التراب على كل الأشجار والنباتات المحيطة بالدار ، فمسح معالمها ، ثم أنهك خضرتها ، ليدفنها بعد ذلك . وقد تناثرت الاحجار الصغيرة على مدخل العمارة ، فكان المعلم فى البداية يحصيها ، ثم يجمعها فى ركن من الحديقة ، ولكن سرعان ما تضخمت كومتها وكادت أن تسد الطريق ، فكف بعد حين عن ذلك العمل الذى لم يجد منه فائدة ، وترك الحجارة تستقر حيث تقع .

وكانت امراة عجوز فى الحي المقابل ، وهى التى شهدت ولادته ، قد قدمت له نصيحة لم يفهم منها كل كلماتها ، ففمها الخالى من الأسنان ، حول النصيحة الى تمتمات مبهمة . إلا أن الوجه الذى رسم الزمن عليه باظافر حادة ياساً حكيماً ، قال له :

اقتحام

«يا ولدى .. حرام على شبابك أن يدفن تحت التراب» .

وسمع شفتيها تقولان :

«ألاتهم تسكنها العفاريت ، فمن يقاوم العفاريت» .

فلم يصغ اليها . قام لتوه الى الدار يعتصم بها . أغلق النوافذ ، واحكم اقفال الباب . واشعل شمعة وجدها بين ملابس أمه ، ومثلها كان يستخدم للنذور ، لكن الشمعة ما لبثت أن ذابت فى الصحن النحاسى الذى رافقه مع أمه أيام طفولته الى حمام السوق ، وكانت تملؤه بالبيلون أحياناً أو بمخلل اللفت أحايين أخرى . كان يحب ذلك الصحن ، الذى كانت أمه تصر على أنه طاسة مباركة تستخدم لأيام الحرب والفزع ، يشرب منها الخائف فيهدأ . وعندما غطى الشمع السائل نقوش الصحن لم يملك المعلم قوة فى اقتلاعه ، وارتمى أرضاً يتأمل السقف ويصغى الى أصوات الهدم تمشى فوقه وكأنها خطوات الجن والعفاريت أيام الخوف .

— ٦ —

رآهم من النافذة العالية يطلون برؤوسهم الصغيرة ، ولكنه لم يسمع كلمة واحدة من همساتهم المتشفية . كان يراقب العيون الفضولية بطرف عينيه نصف المغمضة . هو يفكر فى الآلات الغريبة التى داست تاريخ طفولته وأرعبت "حياة" فطارت كالحمامة المذعورة ينقض عليها الصقر . ولكنه لم يتحرك ، وظل ممدداً على البساط .

كان أولاد الحي يتناوبون فى إلقاء النظرات على الحكاك الذى بدا للوهلة الأولى ميتاً ، ثم أكدت تلويحات ذراعيه فى الهواء ، كمن يهش عنه الذباب ، على انه مازال على قيد الحياة . وكان الأولاد قد حملوا فى نفوسهم منذ فترة فكرة عن جنون المعلم . وقد سمعت مثل تلك الملاحظة عنه أكثر من مرة فى مجالس الآباء وفى اجتماعات النساء ، قيل مثلا ان الصبية «حياة» قد انتقلت الى حي جديد آخذة معها عقل المعلم . وقيل أن كنزاً فى القبو يقوم الرجل على حراسته ولا يريد لأحد أن يشاركه به . وتردد فى الأحياء المجاورة أن المعلم ورث السحر عن جد له جاور ضريح الولي (ابن العربى البشلاقي) ، فهو لا يستطيع أن يغادر داره إلا بأمر منه .

وتطل عليه العيون بخبثها وفضولها ، وتتحرك الشفاه . ويقع طفل من على السلم ليسمع صوته مستنجداً أو باكياً . وكان المعلم يحس بالأنس بالرغم من كل ما يحدث . هو يحبهم ، وقد فعل ذلك دوماً ، وحفظ اسم كل واحد منهم فى الحي ، وتنبأ لكل واحد بمستقبل معين :

«أنت طبيب رحيم بالناس . اما انت فلا تفكر بالطب أبداً» .

«لاشك في انك ستصبح جندياً باسلا ، ابعد الله عنك الموت المبكر» .

«وانت أيها الذكي .. فلا تعمل بالتجارة فقد تملك السوق وتتحكم برقاب العباد» .

«قليلا من الاهتمام بالحساب وتصبح مهندساً يحفظ لهذه المدينة شخصيتها» .

ولكن المعلم في تلك اللحظات ، لم يستطع أن يربط الأسماء بالوجوه المتعاقبة على زجاج النافذة . بدأ النسيان يختلط بالتشويش الذى خاضته "حياة" فى الغرفة .

وزادت حركة الأقدام على السطح ، وسمع للازميل الكهربائى صوت يفتك بالعقل ، فصاح مستنجداً بأمه ، إلا أن السكون عاد من جديد ليطغى على كل ما عداه ، وتنبه المعلم بعد لحظات وهو يصغي بكل جلده المتحفز الى طرقات عنيفة تدق الباب الخارجى للدار .

ثمة قبضات واثقة تؤكد باصرار على أن يفتح لها . ضربات متوترة وعنيدة يرتج لها فراغ الغرفة نفسه ، فاستوى جالساً ، بينما وجوه الأطفال المتطفلة تختفى من ساحة النافذة . يصغى بكل خوفه الى تلك الطرقات وهى تلح وتزداد شراسة ، يفكر فى كل الاحتمالات فلا يستطيع أن يعرف شيئاً عن القـــادم ، وربما عن القادمين الـــذين ما عادوا يترفقون بالباب .

النهار فى منتصفه ، وهو قد قرر الاعتصام فى داره مهما كانت اجراءات الشركة والتى يمكن لها أن تصل حد هدم السقف فوق رأسه ، ولكن الباب الذى لم يقرع منذ زمن طويل شده اليه . مشى كالقط الحريص باتجاه الباب الخارجى ، ثم ألصق أذنه بالخشب الذى كان يتنفس أيضاً .

كانت الضربات قد توقفت فجأة ، وقد بلغته آنذاك أصوات مختلطة لرجال لم يستطع أن يقدر عددهم ، فاحتبست الأنفاس فى صدره بانتظار شيء ما قد يحدث . وفجأة عاودت القبضات الغليظة دقها على الباب ، وهتف به صوت خشن من الخارج ، وكأنه يخرج عن فم كمم بكيس من القنب : «افتح الباب» .

فلبث صامتاً تتملكه حيرة لم يعرف لها حدوداً : «افتح الباب بالحسنى» .

فعض على شفته فتألم ، ولكن عقله كان لا يعمل .

واستطاع المعلم بعد قليل أن يتبين قول واحد من الرجال يتحدث : «مادام لن يفتح الباب ، فلنقتحمه اذن» .

ثم همس آخر بليونة رجال المكاتب ، فاخترق الهمس خشب الباب المعتق وكذلك جدار القلب المرتعش :

«اكسروا الباب ، وهناك سنجده مشنوقاً بحبل الغسيل» .

وأكمل بانتصار مرح :

«لن يسأل احد عن رجل مجنون له هواية فى شنق نفسه» .

آنذاك تراجع المعلم مذعوراً ، فى اللحظة التى كانت فيها كتلة ثقيلة تدفع الباب باصرار متواتر لا يعرف التراجع .

كان الرجال فى الخارج قد تحولوا كما بدى له الى كتلة متماسكة تضغط الباب الخارجي ، فتتخلخل المفصلات الحديدية الضخمة ،، وكأنها ضرس يقاوم كلابة الطبيب . وعرف المعلم أن الباب سيسقط لا محالة أرضاً خلال لحظات معدودات ، وهو الذى اعتز به الأجداد لصلابته يقف فى وجه الجنود الغرباء أو اللصوص . آنذاك قرر الا يستجيب للانذار الأخير الذى وصله عبر الباب المتهاوى تحت اقدام المقتحمين ، فهرع مسرعاً كالبرق الى غرفته يغلق الباب فبلغه صوت المعاول تزداد حيوية ترتج لها الجدران والأرضية وكذلك البساط من تحته .

نظر المعلم بأسى الى التراب المتساقط من السقف ، ثم واجه الرجال الذين كسروا باب الغرفة الذى لم يكن أصلا بقوة باب الدار ، وتدفقوا نحوه ، واجههم بنظرة لم تحمل أى معنى . وفى تلك اللحظة تهاوى جزء من السقف ، وطقطقت اعمدة الخشب بألوانها الجميلة لتتساقط الواحدة تلو الأخرى ، فتلحق بها عاصفة من تراب طمر كل شيء فى المكان ، الذى تحول فى غمضة عين الى شيء أشبه بالمقبرة التى أخرجت الزلازل احشـاءها ، فاختلطـت الرؤوس بالأيـادى بالسـيقان بالأحذيـة بالنظرات الجاحظة بالخراب بالمعاول ...

— ٧ —

قال المعلم لنفسه فى وحدته التى لا تطاق :

«لاباس ، باع أهل الحي كل شيء .. ولكني لم أفعل» .

ثم زفر بأسى :

«لن أغادر الدار مهما حدث» .

وليد إخلاصي — حلب



هل تعلم

عبد العزيز السيد المصري

ماذا يحدث لو لم يكن في الجو غبار؟

هل يكون العالم أفضل مما هو عليه الآن إذا لم يكن هناك غبار ؟ علينا أولا أن نعرف ماهية الغبار ومكوناته .. فهو يتكون من جزيئات دقيقة من التربة أو من مواد صلبة أخرى .. وتكون هذه الجزيئات خفيفة إلى درجة أن الرياح تستطيع حملها . من أين تأتى تلك الجزيئات أو الذرات ؟ ربما من نباتات ميتة أو مواد حيوانية متحللة أو من أملاح البحر أو من رمال الصحراء أو من حمم البراكين أو من رماد المحروقات أو من الهباب المتصاعد من المداخن أو عادم السيارات والآلات الأخرى .

ونحن ـ عموماً ـ لا نحب الغبار ولا نرغب فيه لما يسببه لنا من ضيق وأمراض ، ولانكاد ندرك له أية فائدة .. وربما يدهشنا أن نعلم أن هذا الغبار الكريه يؤدى وظيفتين هامتين أحدهما جمالية فنية فهو يساعد على جعل عالمنا الأرضى أكثر جمالا وبهاء فلولاه لما كانت أضواء الفجر والغسق الرائعة التى تنشرها ذرات الغبار المعلقة فى الهواء حين تعكس أشعة الشمس فتجعلنا نرى ضوءها على الأرض قبل الشروق وبعد الغروب ولما كانت الألوان المختلفة لضوء الشمس الساحرة التى تحدث عن انعكاس أشعة الشمس بزوايا مختلفة على ذرات هذا الغبار أو بخار الماء السابحة فى الهواء .. ولما اصطبغ الأصيل بلون الذهب والشفق بلون الورد حيث تجعل هذه الذرات أشعة الشمس الحمراء آخر ما يختفى من المنظر ..

أما الوظيفة الأخرى للغبار فهى دوره الأساسى الذى يقوم به لاسقاط المطر ، فبخار الماء المعلق فى الهواء ما كان ليتحول بسرعة إلى سائل إذا لم تكن هناك جزيئات الغبار الدقيقة التى تتحول كل منها إلى مركز أو نواة لكل قطرة ماء ولهذا فان السحب والظل ، والضباب ، والمطر إنما هى فى أعداد لا حصر لها من ذرات الغبار المحملة بالرطوبة .

لماذا لم يكن للمرأة لحية وشوارب؟



كما تتميز الطيور بالريش تتميز الثدييات ومن بينها الانسان بالشعر . لماذا كان للثدييات شعر ؟ هناك أسباب متعددة تعال نتأمل بعضها .

إن القيمة الأساسية للشعر هى أنه يصون حرارة البدن . ولكنه فى المناطق الاستوائية يؤدى وظيفة مغايرة ، فهناك أنواع معينة من الحيوانات الاستوائية يحميها الشعر من ضوء الشمس المباشر . والشعر الطويل جداً الذى ينمو على أجزاء معينة من جسم الحيوان يؤدى عادة بعض الخدمات الخاصة فمثلا شعر اللبدة أو العرف قد يحمى رقبة الحيوانات من أسنان أعدائها ، كما تعمل الذيول كذبات (كمنشات) لطرد الحشرات . كما أن العرف له أثره فى اجتذاب الجنس الآخر . ويتحول شعر القنفذ الى درع من الأشواك الحادة تمكنه من مهاجمة عدوه .. ويقوم الشعر أحياناً بوظيفة عضو اللمس .. فشوارب القطط بها أعصاب خاصة تستجيب سريعاً للمس .

وهكذا ترى أن الشعر يؤدى وظائف وخدمات مختلفة للثدييات المختلفة .. وماذا عن الانسان ؟ نعرف جميعاً كيف يجذب شعر المرأة الجميل الرجال .. ولكن علينا أن نعترف بأن شعر الانسان كان يلعب قديماً دوراً عملياً أكثر مما هو الآن .

عندما يولد مولود يكون مغطى بوبر ناعم رقيق وسرعان ما يحل محله شعر ضعيف نلاحظه فى كل طفل ، ثم تأتى مرحلة البلوغ وتتحول هذه الطبقة من الشعر الى طبقة الشعر التى عند كل بالغ . وينظم نمو طبقة الشعر عند البالغ غدد الجنس . فهرمونات الجنس عند الذكر تعمل على نمو اللحية وشعر الجسد كله بينما تحد من نمو شعر الرأس .. أو تعمل على أن ينمو لكن ببطء . أما عمل هرمونات الجنس عند الأنثى فهو العكس .. إذ يطرد نمو شعر الرأس بينما يكف نمو اللحية وشعر الجسد كله .. وهكذا لا يكون للمرأة لحية بسبب أن غدداً وهرمونات متنوعة تعمل عمداً على منع هذا النمو .

ولكى نوضح لماذا كان الأمر كذلك .. لماذا تعمل غدد وهرمونات الرجل على المراد نمو لحيته .. قد يكون علينا أن نرجع إلى تاريخ الانسان الأول .. إلى الوقت الذى كانت فيه وظيفة اللحية أن تميز الرجل من المرأة بسهولة من مسافة بعيدة .. وربما كانت أيضاً اعطاء الرجل مظهراً للقوة والجلال .. وكذلك تجعله أكثر جاذبية وإثارة للمرأة .. فقد كانت الطبيعة تساعد الرجل على أن يجتذب الجنس الآخر تماما كما تفعل مع المخلوقات الأخرى .

وتختلف كمية الشعر من أناس إلى آخرين فذوو الشعر الأشقر يكون شعرهم أنعم وأكثر من ذوى الشعر الأسود أما ذوو الشعر الأحمر فشعرهم أخشن وأقل من غيرهم .

وقد قيست نسبة نمو الشعر ووجد أنها تصل إلى نصف بوصة فى الشهر . ولكن الشعر لا ينمو بنفس النسبة طول اليوم ويبدو أنه يتبع نوعاً من الايقاع . ففى الليل ينمو الشعر ببطء وما إن يبدو النهار فان النمو يزداد ويبلغ أقصى سرعته فيما بين الساعة العاشرة والحادية عشرة صباحاً ثم ينمو الشعر ببطء مرة ثانية ثم تزداد سرعته فيما بين الساعة الرابعة والسادسة بعد الظهر ثم يعود إلى البطء بعد ذلك . وطبيعى أن هذا الاختلاف فى سرعة النمو يستحيل ملاحظتها ، فلا تتوقع أن تقف أمام المرآة الساعة العاشرة صباحاً لتتمكن من رؤية شعرك وهو ينمو ممتداً إلى أعلى .

لقد قيل لو أن الشعر الذى ينمو على جسم إنسان ما نما على شكل سلك واحد متصل لكانت نسبة نموه فى الدقيقة هى ١٫٢ بوصة فى الدقيقة ولوصل طوله فى نهاية العام إلى ٣٧ ميلا .

جزيرة الكنز

والفنان الذي أحبه ملايين الأطفال

بقلم: جمال الكناني

قد يتبادر للأذهان ان الأديب الذى ينتج مثل هذه القصص الخالدة لابد وان يكون قد كرس حياته ووقف جهوده على ناحية القصص من الأدب ... لكن الواقع يخالف ذلك تماماً فى حالة «روبرت لويس» لأن حصاده من الشعر الرصين مثلا - غير ما كتب من مقالات وكتب - يجعله بحق احد فحول شعراء اسكتلندة ، فهو عند مواطنيه من الاسكتلنديين لا يقل عن «روبرت بيرنز» .

ولد «روبرت لويس ستيفنسن» فى يوم ١٣ نوفمبر ١٨٥٠ فى مدينة «ادنبرة» عاصمة اسكتلندة ... وكان ابوه مهندس منارات وموان ، وهى مهنة احترفها اجداده فكان من الطبيعى بعد ان التحق الابن «روبرت لويس» بجامعة «ادنبرة» فى نوفمبر ١٨٦٧ ان يتوقع ابوه منه ، ان يدرس الهندسة ليكون كابيه وجده وجده الأكبر مهندساً للمنارات والموانى . ولكن كان للابن رأى آخر احتفظ به لنفسه أول الأمر .

كان «روبرت لويس» غلاماً مبكر النضج قضى طفولته منطوياً على نفسه مطموراً فى تلافيف خياله ويرجع ذلك من ناحية الى ان الغلام كان مصدوراً .. وكانت اسرته لذلك تقضى فترات فى الريفييرا الفرنسية نظراً لدفء جوها .. وكان الغلام كثير القراءة ، تعرف منذ البداية على شكسبير ومسرحياته ، وكانت امه تقرأ له «ماكبث» بصوت مسموع .. واكتشف «روبرت لويس» بعد ذلك «دوماس» و «سكوت» و «ثاكرى» ، وبدأ يقلد فى كتاباته اساليب هؤلاء الكتاب ويكتب القصائد والمقالات واخذ ابوه يشجعه وينمى فيه ملكة الكتابة دون ان يجول بخاطره ان ابنه قد يحترف الكتابة ويتخذها مهنة لكسب قوته ... فلما دخل روبرت لويس الجامعة اصطدمت رغبته فى احتراف الأدب برغبة ابيه الذى اراده ان يحتفظ بتقاليد الأسرة ويدرس الهندسة .

وتظاهر الابن أول الأمر بالامتثال لرغبة ابيه ولكن ميله للأدب كان شديداً لا يقاوم .. وتصادم مع ابيه وتوترت العلاقات بينهما وانتهى الأمر بان اقترح الابن حلا وسطاً وهو ان يدرس القانون ، وكان يعرف إذ ذاك عدداً من مشاهير الكتاب ممن درسوا القانون .

ولم يقتصر الخلف بين الأب وابنه على مادة الدراسة وحدها بل تعداها الى اتجاهات الابن السياسية والاجتماعية والدينية .. وكان الأب «كالفينا» متزمتاً .. وانضم الابن لجماعة تنادى بالحرية والعدالة . ويذكر «روبرت لويس» ان جدلا شديداً حول الدين دار بينه وبين ابيه فقال الأب «لقد شقيت من اجلك وبذلت جهدى لاسعادك وفى النهاية اجد انك تعارض تعاليم السيد المسيح ..... خير لي الف مرة ان اراك مسجى فى قبرك عن ان اراك تزعزع إيمان غيرك من الشباب وتجر العار على بيوت اخرى كما جلبته على بيتنا» .

هذه هى الطريقة

وتاثر روبرت لويس نفسيا بما حدث وكتب فى ذلك لسيدة فاتنة ذكية تكبره باثنى عشر عاماً كان قد تعرف عليها فى صيف ١٨٧٣ ، اسمها «مسز ستلويل» ، كانت تعيش مع ابنها .. أما سبب شكوى «روبرت لويس» لهذه السيدة فهو انه كان قد اعلن لها حبه وانه وقع فى غرامها .. وحاول ان يبنى معها علاقة قوية ولكنها صدته فى رفق .. وكان اقرب اصدقاء هذه السيدة هو «سيدنى كولفن» ، الناقد الفنى الذى صادق «روبرت لويس» مدى حياته رغم علمه بانه مغرم بالسيدة التى كان هو -كولفن - يعتزم الزواج منها .. بل وتزوجها فى آخر الأمر .

ووضع «روبرت لويس» لنفسه برنامجاً يدرب نفسه بموجبه على الكتابة بعد ان كان قد قرأ كثيراً وجرب الكتابة باساليب مختلفة فى الشعر والنثر جميعاً ... وكان على حد قوله : «يعيش منذ طفولته مع الكلمات» . ولقد حاول الكتابة اولا بالأسلوب الوصفى ولكنه ادرك انه لن يصل الى هدفه عن هذا الطريق فبدأ مرحلة التقليد .. تقليد اساليب الأدباء ..

وهو يقول فى ذلك «كلما قرأت كتاباً او فقرة اعجبتنى بصفة خاصة لما فيها من قوة ظاهرة ، امسكت بقلمى وحاولت تقليدها . وكنت افشل فى ذلك وادرك مدى فشلى فاحاول ثانية وافشل ... ويتكرر الفشل ، ولكنى رغم عدم توفيقى استطعت ان اكتسب الخبرة والقدرة على التحكم فى الايقاع والهارمونيا وبناء الجمل وتنسيق اجزائها وهكذا لعبت دور المقلد المجد المثابر ، لأدباء مثل «هازلت» و «لام» و «وردزورث» و «ديفو» و «مونتانى» و«بودلير» ، وهذه شئت او لم اشأ هى الطريقة التى تعلم الكتابة ... وسواء افدت منها ام لم افد ، فهذه هى الطريقة».

ولم يكتف هذا الشاب المقلد بالتقليد بل انه عمل جاهداً على اتخاذ موقف يمكنه من مراقبة غيره من الناس ... واحس كلما اكتمل نضجه بوجود غوامض اخلاقية فى الطبيعة البشرية كما احس بالصعوبات التى يصادفها الانسان إذ يحاول ان يفرق

أجيـــال من أطفال العالم قرأوا قصـــــة « الدكتور جيكل » ومستر هـــايد » لكنهم ـ ربما ـ لم يعرفوا أن مؤلف هـــذه القصـــة « روبرت لويس ستيفنسون » هو أول كاتب استطاع أن يبلور فكرة الخـــير والشر ، وأن يجمعهما فى جســد واحـــد . ولــو أن « ستيفنسون » لم يكتب غير هـــذه القصـــة لكتب لـــه من الخـــلود فى عـــالم الأدب ما يتمتع به اليوم .. لكن «ستيفنسن» كتب ما هو أفضل من «الدكتور جيكل والمستر هايد» فهو صاحب أحسن قصة مغامرات كتبت للأولاد فى أى أدب .. ونعنى «جزيرة الكنز» التى ظهرت على الشاشة البيضاء أفلاماً متعددة ناطقة بلغات عدة ... أما القصة ذاتها فستبقى على الدهر أحب القصص الى قلوب الأولاد على اختلاف أجناسهم .. وهناك كذلك قصته المشهورة «اختطاف» ، ولها بين القراء شعبية خاصة .. أما أروع ما كتب «ستيفنسن» وهى قصة «سيد بالانتريه» والتى نشرت فى سبتمبر عام ١٨٨٩ ، بعد «الدكتور جيكل» بثلاثة أعوام ، و «جزيرة الكنز» بثمانية أعوام ، فتكاد أن تكون غير معروفة بين عامة القراء .

تفريقاً مطلقاً بين النواحى الاخلاقية المختلفة .

واقبل اديبنا الشاب اثناء فترات إقامته فى فرنسا على دراسة تاريخها وادبها فى القرن الخامس عشر وظهرت آثار ذلك فيما كتب من مقالات عن «تشالز اورليان» . و «فرانسوا فيون» . وفى زيارة من هذه الزيارات المتكررة لفرنسا ، قابل روبرت لويس سيدة امريكية متزوجة ، تكبره بعشرة اعوام ، تعيش فى فرنسا بعيداً عن زوجها الأمريكى الذى كان يعولها رغم بعدها عنه .. وللمرة الثانية وقع «روبرت لويس» فى غرام إمراة تكبره سنا إذ وقع فى حب هذه الأمريكية ، التى كانت تدعى فرانسيس فانى ماتيلدا فان دى جريفت من مواليد ولاية إنديانا عام ١٨٤٠ ... وكان لهذه السيدة مع زوجها قصة طويلة ليس هذا مجال سردها .. وتم انفصال الأمريكية عن زوجها بعد حوالى عامين من لقائها بالاديب «روبرت لويس» الذى حاول جاهداً ان يقنع ابويه بقبول فكرة زواجه من سيدة غير اسكتلندية ، تكبره سنا ، مطلقة وام لأطفال من زوجها الأول ... واستعان رروبرت لويس فى ذلك باصدقائه ومن بينهم حبه الأول ـ مسز ستلويل ـ وكانت لها كلمة مسموعة عند ابويه .

ووافق الأبوان فى نهاية الأمر على الزواج ... وتزوج «روبرت» من «فانى» يوم ١٩ مايو ١٨٨٠ ولعلنا نذكر هنا ان هذه الزيجة رغم فارق السن واختلاف الجنسية كانت زيجة موفقة للغاية وكانت «فانى» بحكم سنها تحنو على زوجها حنو الام ، وهو ما كان فى امس الحاجة اليه بسبب العلة التى كانت تاكل صدره .

كان «روبرت لويس ستيفنسن» مصاباً بذات الرئة ، تنتابه نوبات نزيف حاد يلزمه الفراش ، وكانت حدة النوبات تهدد حياته باستمرار ، فعاش يتوقع الموت كل لحظة .. وهذه العلة ذاتها هى التى اضطرته لهجرة بلاده التى كان يتفانى فى حبها ... كان يقضى فترات من عمره فى فرنسا وسويسرا وانتهى به الامر ان رحل الى جزر ساموا فى المحيط الهادى وفيها وجد المناخ الذى يناسب صحته فقضى اخر ايامه فيها ينعم بشىء من العافية وقسط من السعادة . واحبه اهل ساموا وشيوخ قبائلها وتفانوا فى خدمته لانهم لمسوا حبه لهم ولبلادهم وعرفوا انه اوصى بان يدفن فيها على رأس تل يجاور داره .... فلما وافته المنية حمل السكان فؤوسهم وشقوا طريقاً على سفح التل ، وعند قمته حفروا قبره ودفنوه فى البقعة التى اختارها مستقراً له .



روبرت لويس ستيفنسون
كتب احسن قصة مغامرات للاطفال

كان ستيفنسن اديباً لا يدع فرصة تفلت من يده ، فقد حدث مثلا ان سمع باستقالة أستاذ التاريخ بجامعة ادنبرة ، ففكر فى التقدم لملء هذا المكان الشاغر وعكف لفترة على البحث فى تاريخ اسكتلندة لكى يؤهل نفسه لشغل المنصب الجامعى ... والبحوث التاريخية التى قام بها لها دلالة كبيرة ، إذ انه اكتشف حقبة من تاريخ اسكتلندة اتخذها فيما بعد اساساً نسج حوله قصته «اختطاف» .

وبالمثل نجد انه افاد من مشاركته للاديب «وليام إرنست هنلى» عام ١٨٧٨ فى كتابة مسرحية «ديكون برودى» وبطلها نجار اثاث ماهر كان له مركز اجتماعى محترم فى ادنبرة ، رغم انه كان لصاً ليلياً مرعباً لم يكشف الناس سره . وما كان من ستيفنسن بعد ذلك إلا ان كتب فى عام ١٨٨٥ قصته الخالدة «دكتور جيكل ومستر هايد» التى نشرت فى يناير ١٨٨٦ وبيع منها فى بريطانيا وحدها اربعون الف نسخة خلال الأشهر الستة الأولى وقراها من الناس من لم يقرا القصص الخيالية من قبل واقتبس منها الخطباء وزخرت الصحف والمجلات بالحديث عنها والاشارة اليها . وموضوع الرواية هو الخير مجسماً فى دكتور جيكل والشر ممثلا فى مستر هايد ... الخير والشر معاً فى طبيعة الشخص الواحد . وتعتبر هذه القصة اقوى ما كتب عن ازدواج الشخصية او انفصامها . وهى تلقى ضوءاً قويا على الطبيعة البشرية وتشرح بعض ما فيها من متناقضات .

قضى «روبرت لويس» فترة فى مدينة بورغلوث فى جنـوب انجلترا سعياً وراء

جزيرة الكنز
والفنان الذي أحبته ملايين الأطفال

الدفء والعافية قبل ان يرحل الى امريكا ومنها الى البحار الجنوبية التى زار فيها تاهيتى وهونولولو وجزر جلبرت وساموا فى نهاية مطافه ... وفى بورنماوث تعرف على عدد من الأدباء وفيها كون صداقة من اقوى الصداقات واعزها ، مع شيخ الادباء هنرى جيمس ...

كان جيمس قد نشر مقالا بعنوان «فن القصة الخيالية» فى مجلة لونجمان فى سبتمبر ١٨٨٤ وقرأ ستيفنسن ذلك المقال واعجب به كثيراً لان الكاتب اكد فيه مسئولية الكاتب القصصى الفنية . وكان فى المقال ما حرك شهية روبرت لويس على معارضة بعض ما ذهب اليه هنرى جيمس .. كما احتوى اشارة تقريظ ومجاملة لرواية «جزيرة الكنز» ... ورد روبرت لويس على هنرى جيمس رداً رقيقاً مهذباً نشرته مجلة لونجمان نفسها .. واحتوى الرد رأى روبرت لويس ونظريته الخاصة بالقصة الخيالية .. جاء فى المقال ..

«الحياة بشعة رهيبة ، لا نهائية لا منطقية ، مفاجئة حادة ، اما العمل الفنى فهو بالمقارنة رتيب له نهاية وحدود ، له اكتفاء ذاتى ، عقلانى ، سلس ، عاجز ..

والحياة تفرض ارادتها عن طريق طاقة وحشية كالرعد الهادر ، اما الفن فيجذب السمع كالهواء الذى تدفعه آلة موسيقار رقيق .

كان جيمس قد ذهب فى مقاله إلى ان الروائى فى الواقع ، ينافس الحياة .. ورد عليه ستيفنسن بقوله «إن النظرية الهندسية لا تنافس الحياة ، والنظرية الهندسية قرين مقبول للعمل الفنى ..

كلاهما معقول وكلاهما يدخل ضمن الطبيعة دون ان يمثلها ايهما ، وتتواجد القصة التى هى عمل فنى لا بما فيها من شبه للحياة ، وهو مادى مفتعل ، ولكن بما فيها من فروق واختلاف عن الحياة» ...

واستطرد المقال فى تحليل ما ذهب اليه جيمس والرد عليه فى ادب ورقة .. وفرح جيمس إذ وجد اديباً يستطيع ان يناقش موضوع القصة الخيالية مستعيناً بارائه



وافكاره الخاصة .. فكتب الى روبرت لويس رسالة بتاريخ ٥ ديسمبر ١٨٨٤ جاء فيها «انها لمتعة حقا ، فى هذا العصر اللااخلاقى ، ان اصادف شخصا يستطيع الكتابة ويعرف طبيعة هذا الفن الجميل تماماً» ورد روبرت لويس معبراً عن امله فى ان يستمر الحوار .

بعد ذلك زار جويس ذلك الاديب الذى ادخل السرور على قلبه ، ونمت بين الأديبين صداقة متينة ، فلما اضطر ستيفنسن للرحيل عن انجلترا كان جويس الوحيد من بين اصدقائه الذى قدر تماما ضرورة ذلك الرحيل ، رغم انه اسف عليه وحزن لفراق صديقه .

قضى روبرت لويس بعد رحيله من انجلترا فترة طويلة على ظهر احدى السفن التى كانت تبحر من جزيرة الى جزيرة فى المحيط الهادى ، فكان اشبه ما يكون بملاح تائه ، وعبر هو عن ذلك بقصيدة جميلة جاء فيها :

لم يعد الوطن وطنى .. فاين اجول ؟
الجوع يدفعنى فلاذهبن الى حيث يقضى القدر
ريح الشتاء تهب صرصراً فوق التل والنجيل
والمطر يهطل مدراراً ولا سقف لي غير التراب

وحدث ان مات ابن مسز ستلويل ، حبه الأول ، فحزن عليه روبرت لويس حزنا عميقا ونظم قصيدة تعتبر من اروع شعره ، جاء فى مطلعها :

واذكر ايها القلب المكلوم ، تذكر ، تذكر
كيف عاش احلى ايامه فى دفء الحياة
واينعت زهور نيسان ، وما هبت
ريح ديسمبر الباردة على راس او على قلب

بعيداً عن الوطن

كانت «فانى» زوجة روبرت لويس ستيفنسن لا تدخر جهداً فى العناية به ورعايته وإبعاد كل ما يمكن ان يقلقه .. وفى سبيل ذلك ، كانت تصطدم باصدقاء صباه الذين رافقهم ايام عزوبته بل وكانت تختلف مع زوجها للسبب نفسه . وكان قلقها على صحته يتجلى فيما يرتسم على وجهها من وجوم وفى إمعانها فى «النق» على زوجها .. وكتب لويس ستيفنسن فى ذلك لصديقه جيمس فى يناير ١٨٨٧ يقول «زوجتى كما تعرف ، امراة لها فى الفن نصيب ، فن استخلاص وجوم الكسوف من ضوء الشمس ، ولقد بذلت مؤخراً فى ذلك جهداً كبيراً ... اختلفت مع زوجتى ذات ليلة فهاجمتنى فى وحشية لانى لا اريد ان اعيش كما يعيش طير الكنار ، ولا اريد ان تصبح حياتى كحياة «الملك لير» ... وسرعان ما تبينا ، انا وهى ، ان جثتى المتصارعين مطروحتان على ارض المعركة ، اردى كلا منهما سهم الحق ... فحمل كل منا جثة صاحبه فى رفق وحنان» .

فى يوم ٨ مايو ١٨٨٧ مات الاب طوماس ستيفنسن ، وكان ابنه روبرت لويس قد عاد الى ادنبرة لما علم ان اباه فى النزع الاخير .. والمؤلم انه لم يستطع الاشتراك فى جنازة ابيه لان وعكة شديدة الزمته الفراش ... وبموت الاب اصبح روبرت لويس فى حل من كل ارتباط باسكتلندة او بريطانيا باسرها فحمل ما

ورث عن ابيه - ٣٠٠٠ جنيه - وصحب زوجته وابنهـا وامه وخادمة وابحروا على ظهر الباخرة «لدجيت هل» يوم ٢٠ اغسطس ١٨٨٧ . وادرك روبرت لويس عند وصوله الى امريكا ان له مكانة مرموقة فى عالم الادب هناك وانهالت عليه العروض ، وقبل ان يكتب ١٢ مقالا فى السنة لمجلة «الكاتب» لقاء مكافاة سنوية قدرها ٧٠٠ جنيه ... والحت عليه العلة فلم يطل مقامه بامريكا بل اضطر للرحيل الى بحار الجنوب ينشد فيها الدفء والصحة والعافية .

ولم تنقطع صلة روبرت لويس بصاحبه هنرى جيمس رغم بعد المشقة ، فكانا يتبادلان الرسائل بانتظام . ونذكر ان روبرت لويس احس وهو يكتب رائعته «سيد بالانتريه» ان القصة ستكون احسن ما كتب ولم يشا ان يحتفظ لنفسه بهذا السر فكتب لجيمس فى مارس ١٨٨٨ يقول «قصتى الجديدة تراجيديا ، اتممت منها اربعة اجزاء من ستة او سبعة ... الخمسة اجزاء الاولى عن ماساة إنسانية ، وهى جيدة ، ولكنى آسف ان اقول إن الجزئين الاخيرين ليسا على ما يرام ... انا لم احسن تصميمهما واكاد اتردد فى كتابتهما .. فيهما ما قد يشين او يحط من قيمة الاجزاء الاولى ... ليتنى اعرف العلاج ... هكذا طافت القصة بخاطرى .... الاخ الاكبر يرحل ويبقى الاخ الاصغر . ويحصل الاصغر على اللقب والممتلكات ويتزوج خطيبة الاخ الاكبر وكان يحبها ... لكنها تحب الاخ الاكبر ... هذا هو الموقف .. هل اتضح لك ؟ ... يختفى الاخ الاكبر لفترة ثم يعود ويعيش مع الاسرة ويبتز مالها .. وهنا مصدر الماساة الحقيقية .. صراع بين شقيقين !!

وتتميز القصة بما اصاب ستيفنسن من نجاح هائل فى ربط ما فيها من حركة وافعال بما لها من جو ثم ربط الاثنين بطبيعة المكان ... وقصة «سيد بالانتريه» عمل ادبى رائع افرزه جهد روائى متمكن استطاع ان يستعرض ويحقق فيها كل مواهبه ... وكتب ستيفنسن الى صديقه كولفن - زوج مسز ستلويل الثانى - فى يناير ١٨٨٩ يقول ان هذه القصة «تحتوى من العمل الانسانى اكثر مما تحتويه اية قصة من قصصى فيما عدا «الاختطاف .

كان ستيفنسن وهو فى غربته بعيداً عن وطنه اسكتلندة يحس بحنين جارف لذلك الوطن ولاصدقائه فيه ويحس فى قرارة نفسه انه خذلهم ببعده عنهم وهجره لهم فكان يكثر من كتابة الرسائل يرد بها على من يطالبون بعودته .. من ذلك انه كتب لصديقه كولفن «احس وكانى خائن للصداقة ولكن قد تغفر لي إذا عرفت كيف يصلح هذا الجو الاستوائى صحتى ... تذكر حالتى وانا فى ارض الوطن ثم تصورنى اليوم اسبح فى البحر وازرع الارض مشيا ، سعيداً محبوراً ، ولابد انك ستعترف بان ما انا تحته من اغراء ، قوى للغاية ... ولما كانت إقامتى هنا تعود علي بالنفع والفائدة فمن الجنون والحماقة ان اعود الى الوطن» .

وكتب لصديقه هنرى جيمس يشرح الموقف نفسه «انا لاشك غير مخلص للصداقة ولكن تامل موقفى ثم احكم علي .. لقد نعمت بقسط من سرور ومتعة خلال الاشهر الماضية يزيد عما شعرت به طول حياتى قبل ذلك ، واحسست بقدر من الصحة والعافية اكبر مما شعرت به خلال السنوات العشر الماضية» ... وكان جيمس وحده هو الذى قدر الموقف وفهم ما قال صاحبه المريض فكتب اليه يقول «غاية ما كان يمكن ان يصادفنى من حظ سعيد هو ان اقرا ما خطت يدك من انك تحس الآن بشيء من الصحة والعافية ، ولو انك استطعت ان تستكمل صحتك تماما خلال عام فسوف اصبر على فراقك طول اشهر عجاف ... ومع ذلك فستكون وحشتى اليك شديدة» .

عند رأس التل

واستقر المقام بروبرت لويس ستيفنسن فى ساموا واشترى حوالى ٣١٤ فداناً من الارض قررت زوجته «فانى» ان يزرع فيها الكاكاو والاناناس والفانيليا ، وعمل هو على توسيع البيت الذى كان يسكنه حتى اصبح الطابق العلوى يتالف من خمس غرف للنوم ومكتبه والطابق الارضى من ثلاث غرف وحمام ومخزن وقبو وشرفة على طول واجهة الدار ... وكان السكون يخيم على جو البيت فلا يسمع فيه إلا هدير امواج البحر وهى ترتطم وتتحطم على رمال الشاطىء .. وكانت «فانى» زوجة روبرت لويس مضيافة تكثر من إقامة الحفلات تدعو اليها قناصل الدول وكبار الموظفين وكان هو يوجه الدعوات لرجال البحرية وشيوخ القبائل واعيان الجزيرة .

ولقد ثبت بالدليل القاطع ان روبرت لويس قضى آخر عامين من حياته فى هم وقلق على حالة زوجته العقلية وتصرفات بعض افراد الاسرة ومنهم «لويد» ابن زوجته «فانى» الذى كان يعاشر احدى فتيات ساموا معاشرة الازواج مما سبب لامه وزوج امه هما شديداً .

فى يوم ٣ ديسمبر ١٨٩٤ بدا ستيفنسن يومه نشيطا متحمسا للعمل فعكف على الكتابة ولم يتوقف إلا بعد الظهر ، ليرد على بعض الرسائل ، ثم نزل الى الطابق الارضى ليرفه عن زوجته ويطرد عنها ما كانت تحس من قرب وقوع كارثة ... ثم نزل الى القبو ليحضر زجاجة شراب للعشاء وعاد الى الشرفة حيث كانت «فانى» ... وعاد يلاطفها .. وفجاة رفع يديه الى راسه وصرخ «ما هذا ؟» ثم قال «هل ابدو لكم غريبا ؟» وما ان اتم سؤاله حتى سقط على ركبتيه امام زوجته وغاب عن الوعى .. ونقل الى فراشه ولكنه لم يعد الى وعيه ثانية ومات فى الساعة الثامنة وعشر دقائق من ذلك المساء .

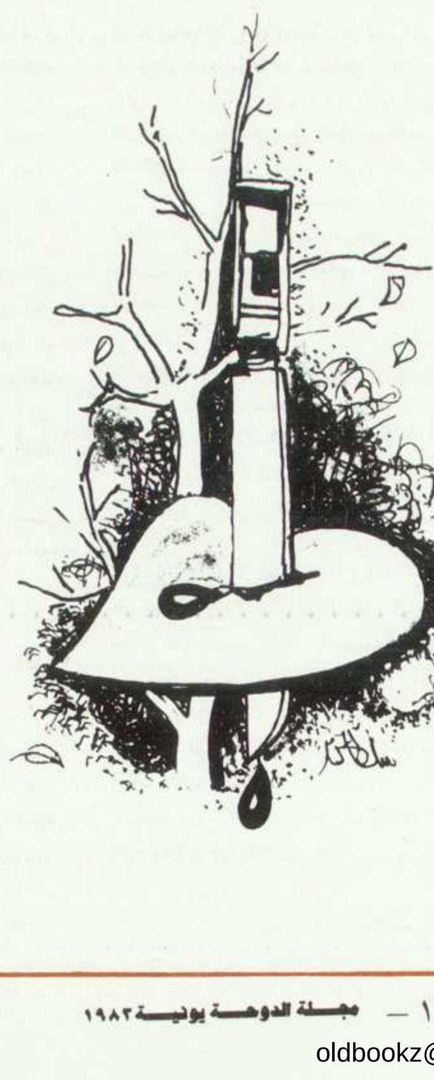
ووجم اهل الجزيرة ، ثم راحوا الى سـفح التـل القريب من بيت عزيزهم الراحل وشقوا طريقا . وعند راس التل حفروا له قبراً ... وبعد ظهر اليوم التالى لموت ستيفنسن حمل الاهالى نعشه على اعناقهم ثم واروه التراب .. ونقش على القبر ابيات من قصيدة كان قد كتبها الراحل قبل ان يعرف انه سيقضى بقية ايامه بعيداً عن وطنه :

هنا يرقد حيث تمنى ان يكون
عاد الملاح لوطنه ... عاد

جمال الكنانى

حين تستعصي المسافة

شعر: عبدالرحيم عمر



بيني وبين أحبتي دهرٌ من الأشواق
دلّوني على دربٍ نهايتُهُ الوصالْ .
بيني وبينهم « بريد الجسر » و « البثُّ المباشرُ » والمحال
والبعدُ : عَرْضَ النّهْرْ
والأردنّ غاص وضاق لكنّ اجتياز الماء
حُلْمٌ بات يَخْشاهُ الرِّجالْ

● ●

ياحادي حادي العيس الذى ملأت قصائدُهُ البوادي السّاهره
من لي بحادى النّهر
يوقفه لتجتاز الجموع الصابرة ؟

● ●

جُـرّعتُ ضيم القَهْر
فى المنفى ، وصـابَ القرّ ،
ما بين الشعاب الموحشات وبين لفح الهاجره
ودفعت أغلى المَهْر
أضعافاً مضاعفةً وَسلمى خلف جَهْم الأفق يُغْريها التمنُّع والدلال

● ●

لدميتِ أيامي .
وأنت على تخوم الضفَّة الأخرى عروسٌ فى الحديدِ
وقد تناضل دونها العشاق
تبكي ، ثم تبسمُ والأحبة ينزفون وينزفون ولا كلال
وتكاد رغم الموت تترك قلبها
ليميل طوع النَّار والدَّم والحديدْ !

● ●

يا ليت أن الفارس « البرَّاق » لم ينهدْ
ولا غَدَرَتْ بمهرته الدُّروبُ العاثرة !
لو جاء من دربٍ لَهُ فيه الموالي
لا فجاءات الليالي الجائرة !
يا ليته أسرى وقوصُ الغور يَحْجُبُه وتحرسه الجبالْ
فيظل حرزاً نرتجي إن حال حالْ
لو كشرت عن نابها فى ليلةٍ متامره !

● ●

يا ذلِّيَ الدامي
ووتْرى لا يزال يهزُّ نافذتي ، ويهتف بي ،
وانتِ على صليبكِ واتره !
تتناوش الآلام حسنك والزَّوالْ
فاهبِّ مرتاعاً وافْجَعُ ،
لم يعد فى جعبتي إلاّ ابتهالْ :



يا واهب الصبر الجميل !
أنِلْ مغنِّيك المعنَّىَ كلَّ مَا فى الكون من صبرٍ جميل
فتشيعُ فى الأغوار غمغمةٌ ،
كأنَّ صدًى من الأعماق راح
يرجِّع : « الصبر الجميل » .
بذلَّةٍ مخبوءةٍ تطفو فيصفرُّ السُّؤالْ

● ●

عشنا وشفنا ألفا معجزةٍ يحار لها الخيال
هابيلُ يُقْتَلُ كلَّ يوم ،
والقاتل الجانِي الذى حطَّت مراكبه على ألَقِ النُّجوم
ما زال يعمل وِفْقَ شِرْعة جدِّه قابيل فى الغاب القديم
والخيل ما زالت سنابكها تخوض دماءنا
فى القدس حتى اليوم
وكأنَّها أوْدَتْ بسالفها النِّصال

● ●

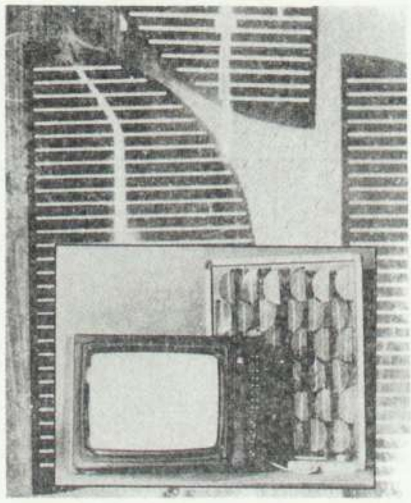
ولو انَّ وجهك خلف أبعاد المهامه لاح
يسطع فى الدُّجى
فتسابق الأحبابُ يحدوهم جمالُك والنَّوالْ
ولو انَّ منهم واحداً يوماً بمعجزة نجا
ليحدث السَّارين عن هَوْل الطريق
لرميت روحى غير غالية على ذاك الطَّريق
لو كنت برَّرت اعتذارى بالمسافات الأبية ،
والهواجرِ ، والوجى .
لكن صوتَك مستغيثاً بي يُسافر فى دمي
فاراك فى عينيَّ ماثلةً ،
وفى جرحي الجديد ، وفى اغترابِي .
وأراك طول الليل طارقة لبابي
وأراك فى حلمي الظَّمي
وأراك مرثاة وملهاة تقيم على فمي
وأراك فى حلقي شجى .
وأراك فى شعرى ، وفى كلماتى الولهى
وصوتك لا يزالْ
يستنهض الأمواتِ والأحياء .. لكن لا مجالْ
فالبعد عرض النَّهر
تقطعه العصافير الصغيرة والجنادب ، والنِّمال
أما لنا ، فالبعد عمق القهرِ ،
عمق البَحْرِ
عمق الدَّهْر
ماساة يقالُ لها المالْ .

عبد الرحيم عمر ـ عمَّان

العلم والمستقبل

تقديم : لبنى الريدي

تليفزيون شمسى !



التليفزيون الشمسى

اصبح استخدام الطاقة الشمسية لتشغيل العديد من الأجهزة ابتداء من السخان وجهاز التدفئة الى الراديو والآلات الحاسبة أمراً عادياً لا يثير أدنى قدر من الدهشة .

ولكن الفنلنديين يقدمون لنا الجديد فى هذا المجال.وهو جهاز تلفزيون يعمل بالطاقة الشمسية . ويتطلب تصميم مثل هذا الجهاز درجة عالية من الاتقان لتحقيق جميع الشروط اللازمة لعملية الاستقبال والتشغيل .

ولا تقل امكانيات التلفزيون الشمسى عن أى تليفزيون آخر.فهو يستقبل الأنظمة العالمية الثلاثة ويعمل بالتوجيه عن بعد . كما انه مزود بجهاز بحث أتوماتيكى عن المحطات يتيح اختيار ١٥ محطة مسبقا بحيث يحتفظ بها فى ذاكرته .

ويتصل بهذا التلفزيون ألواح من الخلايا الشمسية عرضها ٤٧ سنتيمتراً وارتفاعها ٥٥ سنتيمتراً وهى تضم ٣٦ خلية شمسية مثبتة بين مرآتين بالاضافة الى منظم للتيار وكابل توصيل .

ويحتاج التلفزيون الشمسى الى طاقة كهربية تتراوح بين ١٢ فولت و ٢٤ فولت .

إلا أن الخلايا الشمسية لا تستطيع امداده بأكثر من ١٧ فولت ولذلك يستخدم بطارية مثل المستخدمة فى السيارة تشحن بواسطة الخلايا الشمسية لتمد هى التلفزيون بالكهرباء . وتستطيع هذه البطارية تامين تشغيل التلفزيون لمدة ثلاثة أيام . أما المنظم فيحول دون تسرب الشحنات من البطارية ليلا .

ولا يحتاج هذا التلفزيون الى شمس ساطعة فهو يعمل فى ظل سماء ملبدة بالغيوم بل وفى الأيام الممطرة أيضاً .

جهاز إنعاش يتحدث إليك

لا غنى لفرق الاسعاف عن جهاز توليد الصدمات لدفع القلب للعمل مرة أخرى فى حالة الاصابة بازمة مفاجئة . إلا ان هذا الجهاز يحتاج الى عناية كبيرة والى تدريب على استخدامه .

ولذلك ابتكر الباحثون الامريكيون جهازاً روعى فى تصميمه امكانية استخدامه فى الاماكن العامة مثل المكاتب أو الملاعب الرياضية أو حتى فى منازل المرضى المعرضين لخطر الازمات القلبية .

ويتميز الجهاز الجديد بالاضافة الى صغر حجمه وسهولة نقله بامكانية ان يعمل ذاتيا دون الحاجة الى ممرض متمرن أو طبيب . فبمجرد ربط اقطاب الجهاز الكهربية بجسم المريض يستطيع الجهاز تحديد ما اذا كانت انقباضات القلب ضعيفة بحيث لا تقوى على امداد الجسم باسباب الحياة . وفى هذه الحالة ينطلق صوت الجهاز ليطلب من الاشخاص الموجودين حول المريض ان يبتعدوا ليقوم هو خلال ثوان معدودات باعطاء المريض الصدمة الكهربية التى يحتاجها قلبه .

ويستمر الكمبيوتر الموجود داخل الجهاز فى مراقبة حالة المريض للتأكد من انه لا يحتاج لمزيد من الصدمات . وعند انتهائه من مهمته ينطلق صوت الجهاز مرة أخرى ليطلب ممن يقوم بتشغيله فصل الاقطاب الموصلة بجسم المريض ويشير عليه بالطرق العلاجية الأخرى التى قد يحتاجها .

وبالتالى يستطيع أى شخص غير متخصص استخدام هذا الجهاز فالتدريب عليه لا يستغرق أكثر من عدة ساعات .

أحدث كاميرا فيديو



الكاميرا وجهاز التسجيل فى وحدة واحدة

الكاميرا الفيديو القادمة مصممة بحيث تشبه مجفف الشعر كما تبين الصورة . وهى أصغر وأخف كاميرا فيديو أنتجت حتى الآن إذ لا يزيد وزنها عن ٦٩٠ جراماً .

وتعتبر الكاميرا الجديدة خطوة هامة فى سبيل الوصول الى جهاز واحد يضم آلة التصوير وجهاز التسجيل . فلايزال أصغر جهاز تسجيل فيديو يحمل حتى الآن على الكتف ويرتبط بالكاميرا بكابل غير عملى . ولقد سهلت أشرطة التسجيل الصغيرة المعروفة بـ ٨ ملليمتر عملية دمج الكاميرا وجهاز التسجيل معاً فى وحدة واحدة بحيث تبدو وكانها كاميرا تصوير سينمائى تقليدية .

ومن ناحية أخرى تقدم شركة يابانية أخرى جهازاً يضم الكاميرا وجهاز التشغيل ولكنه يستخدم أشرطة بيتاماكس عادية .

الروبوت العنكبوتى

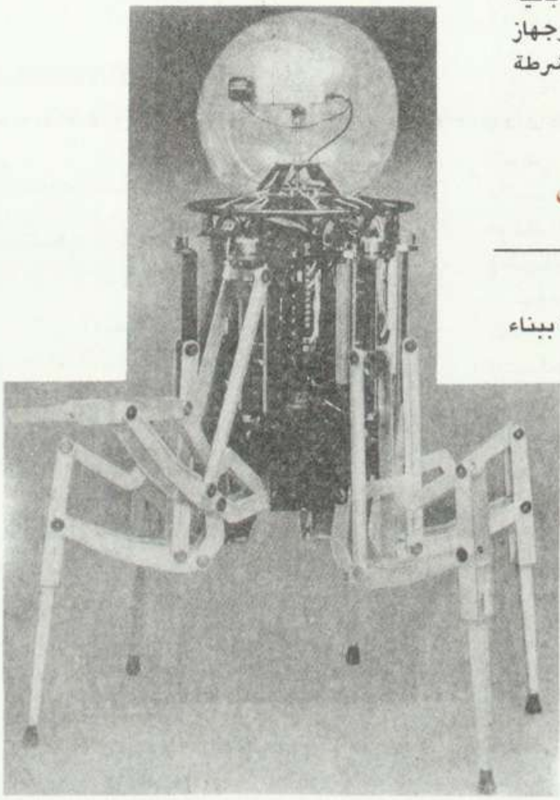
يحلم المهندسون من فترة طويلة ببناء آلات تستطيع المشي وتسلق الدرج وتخطى الحواجز والعراقيل . ولقد نجحوا فى تحقيق هذا الحلم إلا أن هذه الآلات ظلت أجهزة تجريبية . ولذلك يعد هذا الروبوت ذو الأقدام العنكبوتية المبين فى الصورة تقدماً مدهشاً بالنسبة لقابلية الآلة للحركة والانتقال ذاتياً .

ولكن «أودكس» وهذا اسمه متعدد المواهب فهو يجمع بين الرشاقة والقوة . ففى العرض التجريبى الذى قام به تمكن من الصعود على قاعدة مرتفعة قطرها ٢٤ بوصة فقط دون أن يفقد توازنه . كما تسلق مؤخرة شاحنة «بيك أب» .

ومن ناحية أخرى فكل قدم من أقدامه الستة المصنوعة من الألومنيوم تستطيع رفع ٤٥٠ رطلا الى أعلى ، وفى وضع الثبات بامكانه حمل ١٨٠٠ رطل إلا أن حمولته تقل بعض الشىء أثناء الحركة لتصل الى ألف رطل .

وتتميز أقدامه المفصلية بمرونة كبيرة بحيث يمكنه تغيير أوضاعها لتناسب الاحتياجات المختلفة التى تواجهه . فلتخطى العراقيل مثلا يمكنه رفع أقدامه كل زوجين معاً . كما يستطيع تقريبها من بعضها .

ويعتقد مبتكروه أنه مفيد جداً لأعمال المناجم وللاستخدامات العسكرية كما من المتوقع أن ينطلق «أودكس» قريباً الى الفضاء .



الروبوت العنكبوتى

مدلك آلي

يقدم اليابانيون سرير تدليك آلي يدلك على الطريقة اليابانية . وهو تدليك عميق تقوم فيه أطراف الأصابع بتنبيه نقاط ضغط معينة فى الجسم .

ولكن بدلا من أصابع المدلك الحساسة ثبت تحت الغطاء البلاستيك لهذا السرير المبتكر صف من البكرات الآلية المختلفة الأشكال والأحجام . وبتوصيل السرير بالتيار الكهربى تدب فيه الحياة وتبدأ البكرات فى الحركة والدوران فى مدار يتخذ شكل حرف «اس» فى اللغة الانجليزية . بحيث تقوم هذه الحركة المميزة الشبيهة بالنبض بملامسة وتدليك عدد من نقاط الضغط فى جسم الشخص المسترخى . وعدد هذه النقاط اثنتا عشرة موزعة ما بين العنق والقدمين .

ولقد روعي أن تكون البكرات القريبة من محيط السرير اسطوانية الشكل سطحها متعرج بعض الشىء بينما تلك المجاورة للعمود الفقرى فبيضاوية وبها بروزات مستديرة .

وعلى عكس الأسرة والمقاعد التى تهتز فقط فان بكرات هذا السرير المكسوة بالمطاط صنعت بشكل ، ووزعت على مواضع تجعل حركتها أشبه بحركة أطراف أصابع مدلك يابانى متمرس .

بالون طبى

قد تغنى بالونات صغيرة لا يزيد قطرها عن ملليمترين عن اجراء عمليات جراحية خطيرة . فهذه البالونات المصنوعة من السليكون أو من الألياف الصناعية يمكنها توسيع الشرايين الضيقة وفى حالات النزيف الخطيرة تسد الأوعية الدموية لوقف النزيف . كما يمكن استخدامها لمنع وصول الدم الى الأورام السرطانية مما يساعد فى قتلها .

أما بالنسبة للأطفال الذين يعانون من ثقب فى القلب فان هذه البالونات تستطيع سد الثقب دون الحاجة الى جراحة .

ويتم ادخال البالون الى مكانه المحدد بواسطة قسطرة بلاستيكية دقيقة تستطيع الوصول الى أى وعاء دموى ومنه الى أى عضو أو جزء من الجسم . ويساعدها فى ذلك استخدام التصوير بأشعة إكس إذ تظهر الصورة على شاشة تلفزيونية لتوضح للجراح الطريق

وعند وصول البالون الى موضعه الصحيح ينفخ بملئه بصبغة معتمة ويصل قطره عندئذ الى ١٢ ملليمتراً كحد أقصى . وبفصل القسطرة عن البالون يظل فى مكانه على الدوام .

كما يمكن تزويد القسطرة بآلة جراحية بدلا من البالونات لتفتح أى انسداد فى القناة المرارية أو الحالب .

حينما يتداعى الإنسان

قصة قصيرة

بقلم : كلثم جبر

« ١ »

« منذ الأمس وانا ازحف فوق تلال ذاتى. رمالهاخشنة مزقت جلدى تراكمت فوقها .. وما زلت ازحف . جنود ذاتى حاضرة ثكلى وانا ازحف »

وهو يقبع امامى .. للمرة الألف يستنطق الحزن بداخلى والغربة بعيني .

« وانا ازحف فوق تلال ذاتى واتكوم «كقنفذ برى» فوق جحور حزنى »

الامواج متلاطمة والملوحة تغطى وجهى .. وعينى وأدمعها تتسرب الى أحداقى ، واصمت . تمتد يداه تمسح القطرات المالحة من فوق وجهى .. اغمس قدمى بالماء واخوض الشاطىء اصل الى منتصفه .. يداه اقرب الى كتفى من الأمواج المتلاطمة .. يعيدنى للشاطىء ثانية مبللة الوجه والقدمين .

« وهذا الاحتضار أليس له نهاية ؟ وسؤال أمى المتكرر . أليس لهذا الحزن من نهاية ؟ كيف أضع نهاية حزنى يا أمى وأنا الحزن ذاته ؟ كلما حاولت أن اغرس الفرحة داخلى تموت قبل أن تصل أرضى ! »

أصابعه تعصر قطرات الماء المالحة .. العالقة باطراف شعرى .. يقترب بوجهه ...

ــ اتودين الغرق ؟ وتتركينني لمن ؟

« كلما حاولت غرس نبتة الفرح بداخلى تموت ! فرحتى به أثناء نقضى لمعاهدة بيننا مدتها يومان أن لا نتحادث خلالها حتى أوازن بين حزني وفرحي وأعود انسانة واعية ، عاقلة كما كنت دائما .. همست له يومها « فرحة انا لنقضى المعاهدة » صوته يزغرد ...

« نقضتها قبلك . ألم أكن البادىء بالاتصال ؟ عاقلة أنت بدون أن نمتنع عن الحديث ولو لمدة يومين »

« فرحة انا بنقضى للمعاهدة » زغرد صوته ثانية .

ــ « نقضتها قبلك رغم اقتناعى بعقلك .. واقتناعي أيضا بأنها قد تكسر من حدة روتين الاتصال اليومى .. و . »

المياه المالحة ما زالت تقذف برذاذها فوق وجهى وتبلل شعرى ثانية ..

« أين أنت أمى لتشهدى إجابة سؤالك : أليس للحزن من نهاية ؟ وانا أصرخ ملء قلبى يا أمى أليس للاحتضار من نهاية ؟ » واعود أغمس قدمى فى الماء وتعلو الأمواج وينساب الرذاذ فوق وجهى وعنقى .. ويضحك الوجه المحفور فى الذاكرة ، ونبرات صوته تقترب من مسامعى ...

ــ رحلة جميلة اليس كذلك ؟

« ٢ »

يجمعنا المنزل والصمت وصوت فيروز .. وصراخ إخوتى بفناء الدار وصوت الخادم ينادى الصغار للدخول الى الفناء ، خوفا من خطر الشارع . وانا اتكوم امامه ثانية فوق المقعد «كقنفذ برى» . نظراته الهادئة من المقعد الآخر ترمقنى .. برقة ترمقنى .. بحزن ترمقنى ــ للمرة العاشرة . أستحلف الحزن بداخلك أن يرحل . قاسية أنت عندما تحزنين !

«حين ولادتى تناولتنى القابلة . ابتسمت وداعبت والدتى : ــ « إنها أول طفلة تستقبل الدنيا بابتسامة عظيمة ستكون ابنتك هذه . »

وهـا أنذا أزرع الحنظـل بداخلي وأمتص عروقه .. بعد أن استقمت وتطاولت كجذوع النخل الباسقة والقيت ذوائبى تئن فوق ظهرى كشلال فقد مجراه وتبعثر فوق أرض جافة ترفض الامتصاص . »

أدار وجهه .. ومن ثم عاد يرمقنى بهدوء ..

ــ هل تصدقين ؟ حتى حزنك أعشقه !

« تنفس الحزن بداخلى وهذا الصمت الموجع يقيدنى ، وعينا ابى تطلان من الذاكرة تغزوان حقيقتى وتحملقان فى وجهى : « مؤلمة أنت حينما تصمتين ! » أسحب وجهى وذوائبى بعيداً عن نظراته وأدعها حيرى فوق وسادة المقعد كأصابعه التى يرسم بها خطوطاً متوازية فوق الجدار الملاصق لمقعده .. نبراته الهادئة تحاول أن تعلو ثانية»..

ــ لم تفعلين بنفسك هكذا ؟

« تذكرت بوذا فى احدى قراءاتى حينما هب فجأة من الريش الوثير والدثار وتلفع الثوب الخشن الذى اهداه له الصياد إثر مقايضة بينهما أخذ مقابله ثوبه الحرير وسار بعيداً عن قصره يبحث عن الحقيقة .. أفى عيون الصغار تسائل ؟ أم فى ذلك الرجل العجوز المثقل بالمرض والكهولة الملقى على قارعة الطريق ؟ أم ذلك المشاع المحمول فوق الأكتاف .. أم ؟ وبقى السؤال يبحث عن إجابة . »

ــ لماذا لاتتفاءلين ؟ الغد سيكون خيراً باذن الله ... سوف يحمل حزمة شعاعه ويلقيها تحت اقدامنا . سيعمنا النور .. لن نرى ظلا ما بعد ذلك .

« تفاءلت وانا انسق الزهور انثرها بأرجاء المنزل بزغت الفرحة من خلف الجفون اطلت وضحكت .. وأضحكت الوجوه المحيطة بي فرح ابى .. وتنهدت أمى وهى تهمس .. « لابد انها تنتظر شخصاً ما . » كان يوماً حارقاً رغم ذلك كانت نسيماته لطيفة بداخلى القيت خلاله برحالى وجدائلى فوق السجادة الوثيرة احتضنت الهاتف وعقارب الساعة انتظر الرنين والموعد .. وأزيز الطائرة القادمة أشعر بداخلى وأرى قدمه بعين الاحساس والخيال تعانق أرض الوطن وهو يطؤها وتتعالى دقات قلبى والرنين .. التقطت السماعة بفرح طفولى .. احتضنتها وهمست بفرح « الحمد لله على سلامتك » عندها تهاوت تلال الانتظار والقلق وتفتحت براعم الفرحة وأصبحت رمالاً ناعمة تزحف بأمسية قمرية ببرودة لطيفة تعانق عينيه وصوته من خلف الأسلاك . وأمد شوقى ولهفتى وأهمس ثانية : ــ « فرحة انا بعودتك كما لم أفرح من قبل » وغفوت وقتها بمتعة عجيبة لم أشعر بها طوال فترة غيابه . »

« ٣ »

الصوت الهادر من داخلى .. يطغى على ضجة الأصوات حولى وفيروز أعشقها وأطلبها أينما كنت .. تهامست الأصوات بعدها واختفى الضجيج بعد أن تعانقت اصابعنا وابتعدت اقدامنا عن الوجوه المتواجدة .. اعشق البحر وفيروز وأطلب تواجدهما أينما كنت .. وها أنذا اعتلى صخرة تهدر الأمواج وتضرب جذورها وهى تتعالى بكبرياء ، فوقها انا .. برودة البحر تخفف من حرقة ذاك اليوم والشمس فـى محـاولـة

للاستسلام استعداداً للهبوط الى الأعماق . ويقبع من تحت الصخرة .. نراقب الغروب بحزن عجيب .. وقدماه تداعب الأمواج ونظراتى تترك الغروب وتغزو الوجوه المتناثرة على الشاطىء .. صوته يصلنى .. يجعل نظراتى تقطع رحلة الوجوه المتناثرة وتغزو اصابعه تمر بالخاتم الذهبى المحيط باصبعه .. « وأتنفس حزناً » يحفر بأصابعه خطوطاً بالرمال يمحوها الموج .. تمتد يداه من فوق الصخرة تنزلنى .. تتقارب خطواتنا وتتعانق اصابعناونحن نودع البحروالوجوه .. أراقب آثار أقدامنا السائرة فوق الرمال .. ونبرات صوته حزينة .. وعيناى تحسبان خطواتنا فوق الرمال ...

ـ لقد اخترت الطريق الوعر . تركت العمالقة واخترت أصغر الأقزام واتيت تطرقين أبوابى . أنا كالطفل الذى يعشق أمه ولا يملك سوى أن يقول إنه يحبها ولا يستطيع البعد عنها .

تنبت غابات بداخلى تتماوج الكلمات بشراسة عجيبة تفترسنى والأمسية الغافية فوق الحلم أين هى ؟ والحلم أين هو ؟ منذ عودته والحلم لم أعد أوافيه . بحثت عن حلمى وأملى طويلا ، فى دروبه فلم أجدهما . بحثت عن أصابع صغيرتى التى تسكننى منذ عرفته فلم أجدها . بحثت عن وجهها الصغير وعيونها الشبيهة بعينى وهدير شعرها كشعرى . وانفها الشبيه بانفه فلم أجدهم فعاد وجهها بعيداً عن دروبه . » يفتح الباب .. أتوارى بالمقعد الأمامى فى السيارة .. يغلق الباب .. ويفتح الآخر . أمام المقود يجلس .. عيناه في مواجهتى تطلب الصفح «وأنا تزحف الرمال من خلف بقايا الشمس والجفاف فوق وجنتى وشعرى وتجتاح داخلى بهدير صارخ » صوته الهادىء يطرق أبواب صمتى برجاء ...

ـ استغفرك أملى وأهوى هدير شعرك وعينيك وحكمتك وإحساسك وأستجير وأطلب العفو بداخل ذاتك .

الطريق الممتد الموصل للمدينة كأفعى يمتد ويتلوى أمامنا .. ونحن نراقب هروب الشمس وانطفاءتها وتوغلها فى جحافل الظلام القادمة من خلف المجهول نتوسد مقعدينا فى السيارة العائدة بنا الى المدينة .

« ٤ »

« استضفت الصمت .. والمساء الموحش وأنا امرأة شاحبة صفراء الوجه .. جاحظة العينين ، أنظر لذاتي بوحشية ، واتلذذ باحتضارها .. ألف امرأة فى أعماقى صرخن احتجاجاً .. قبيلة النساء بداخلي هاجمت قسوتي .. وحطمت وجهي وقدمي ولكن بقيت امرأة الألم » أنظر الى الهاتف ،رنينه المتواصل وذاتي اللهفي بقسوة عجيبة .

انتهى الرنين المتواصل فى الصباح المبكر .. حينما رفعت السماعة والقيتها فوق السجادة وتركت صوتاً ينادي خلالها .. لا أرد عليه .

« انتهت لحظتي بانهيار ذاتي وانا جاحظة العينين وأيدي قبيلة النساء بداخلي امتدت حطمت وجهي .. وانبثقت دمائي ولكن فتحت فمي وابتلعت جميع النساء وبقيت امرأة الصمت » .

كان اليوم ظهراً وأنا لم أزل الازم جدران غرفتي .. والرنين متواصل .. منذ الامس .. وفجأة التقطت السماعة واجبت الصوت الصارخ عبر الأسلاك بعد يوم كامل بصمت آخر .

ـ حسبت الشوق انطفأت جذوره بداخلك . مخطىء أنا يا ذاتي ولكن سأصلح خطئي . أعدك بذلك . أن تتركيني فهذا يعني نهايتي .. أنت الفرح الذى أبحث عنه . وأنا الضياع الذى اجتاح أمسياتك وجعلك امرأة قاسية بعد أن كانت نسيماتك تحيل الجفاف ارتواء .

« جنود ذاتي حاضرة .. ولكنها تنهار .. أحسها تنهار .. منذ ألف قرن وهو يسكن الذاكرة . أعشق الحلم فى عينيه كلما لذت بوسادتي وغفوت .. وألثم الحزن القابع فى خطوط وجهه وأصدق همسه « إن إرتباطه بالأخرى كان نتيجة ظرف ما .. يقبع بذاته حتى اليوم ولا يعرف الدرب الموصل إلى الفكاك منه » .

ـ أرجوك صدقيني ارتباطي بالأخرى يعني ظلماً لي ولها وإن اخطأت فسأصلح خطئي .



« ٥ »

الباب يقرع .. الخادم يضع فناجين الشاى وظله فوق الطاولة الصغيرة .. تتصاعد الأبخرة الساخنة وبرودة « جهاز التكييف » وصوت فيروز .. وحزني القابع بداخلي .

«تؤلم ذاكرتي الأشياء ، ولكن اجترها ببله طفولى جاوز المائة» .

صوت حزين ..

ـ كان الصمت رفيقك حتى فى سفرى . لم تكتبي شيئاً ما .. ولم تقولى شيئاً .. الانتظار آلمني .. و ..

« الانتظار رافقته منذ رحيله والصمت غزا لحظتي فور تسلمي أولى رسالته التى كانت تحمل اسماً غير اسمى » .

ـ أود تواجدك بقربي ابداً حقيقة أقسم بها .

نظراتي تغزو أصابعه من جديد تلاحق الاطار الذهبي المحيط باحداها ..رفع أصابعه أمام ناظري . خلع الخاتم . قربه من وجهي وهمس ..

ـ إنه اسمك .. وتاريخك لم أخلعه قط وسيكون حقيقة باذن الله .

« الأخرى تفرح .. وأنا أحزن .. والفرح والحزن ضدان لا يلتقيان » .

يعيد الخاتم لاصبعه .. ينتظر إجابة .. رداً مـــا ..

« وأنا اجتر ذكرى تلك الأمسية التى تلت مجيئه أستحضر بها الحزن والنزيف واختزنها بالذاكرة » .

ـ والدى طلب مني الارتباط بها . وصمتك كان دافعاً لذلك . سوف أصلح خطأ ارتكبته بحق نفسي ونفسها .ساكون عادلا أمام الله وأصلحه .

« هببت واقفة كالاعصار «مفجوعة ..تهاوى الفرح بداخلي ..والرمال الخشنة تزحف تمزق جلدي .الحزن يتكاثف كالجليد بداخلي » .

صوته يتباعد .. وانفاسي تتلاحق .. وخطواتي واسعة مغادرة ويداه تلحقان بي . تقبضان بي .

« والحزن ينزف كادمعي وهذا الاحتضار أليس له من نهاية ؟ » .

كلثم جبر

سينما

ظاهرة جديدة في السينما الأمريكية

العزاء والأمل .. للضائعين في الزحام

بقلم: رؤوف توفيق

« داستين هوفمان » يتنكر فى ثياب امراة ليحصل على دور تمثيلى فى مسلسل تليفزيونى .. إنها لقطة من فيلم « توتسى



« ميريل ستريب » : فازت بجائزة احسن ممثلة عن دورها فى فيلم « اختيار صوفى »



هنـــاك خيط واحـــد يجمع بين صفوة الأفلام الأمريكية التى رشحت لجائزة الأوسكار هذا العام ..

هذا الخيط .. هو الاقتراب من الانسان العادى الذى يحاول أن يثبت ذاته ، وأن يحقق التوازن والنجاح .. وسط مجتمع شديد القسوة ، تسيطر عليه الآلة ، وتدفعه لأن يجرى ويلهث دائماً ..

وطبيعة هذا المناخ الاجتماعى الحاد .. تعزز الأقوياء بالمال والنفوذ والعنف ، كما تعزز البسطاء الذين يصارعون فى كل لحظة من أجل البقاء واثبات وجودهم ..

والأغلبية بالطبع من هؤلاء البسطاء الضائعين ..

وقد اختارت السينما الأمريكية - بذكائها المعهود - أن تقف بجانب هؤلاء البسطاء ، لا لسبب انسانى ، ولكن لسبب تجارى محض .. ذلك لأن هؤلاء البسطاء يشـــكلون النســـبة الغالبة من جمهور المشاهدين .

وقد أصبح الاحتفاظ بهؤلاء المشاهدين ، مسألة حياة أو موت بالنسبة للشركات السينمائية ، التى تصارع هى الأخرى فى حرب البقاء وسط ضغوط اقتصادية مختلفة .. وأيضاً وسط منافسة ضارية مع شبكات التليفزيون بكل اغراءاتها وتنوعها وجاذبيتها !

بالونة اختبار

وربما كانت البدايات الأولى لهذا الاتجاه فى السينما الأمريكية .. ثم اختبارها من خلال فيلم «روكى» - عام ٧٦ - والذى حقق نجاحاً تجارياً ، كان مفاجأة على جميع المستويات .. ثم اكتمل تتويجه بثلاث جوائز أوسكار هامة (عام ٧٧) وهى جائزة أحسن فيلم وأحسن اخـــراج وأحسن مونتاج .

وفيلم «روكى» يحكى قصة ملاكم شاب مغمور يحمل هذا الاسم .. يعيش فى قاع المجتمع الأمريكى .. يسكن وحيدا فى بيت

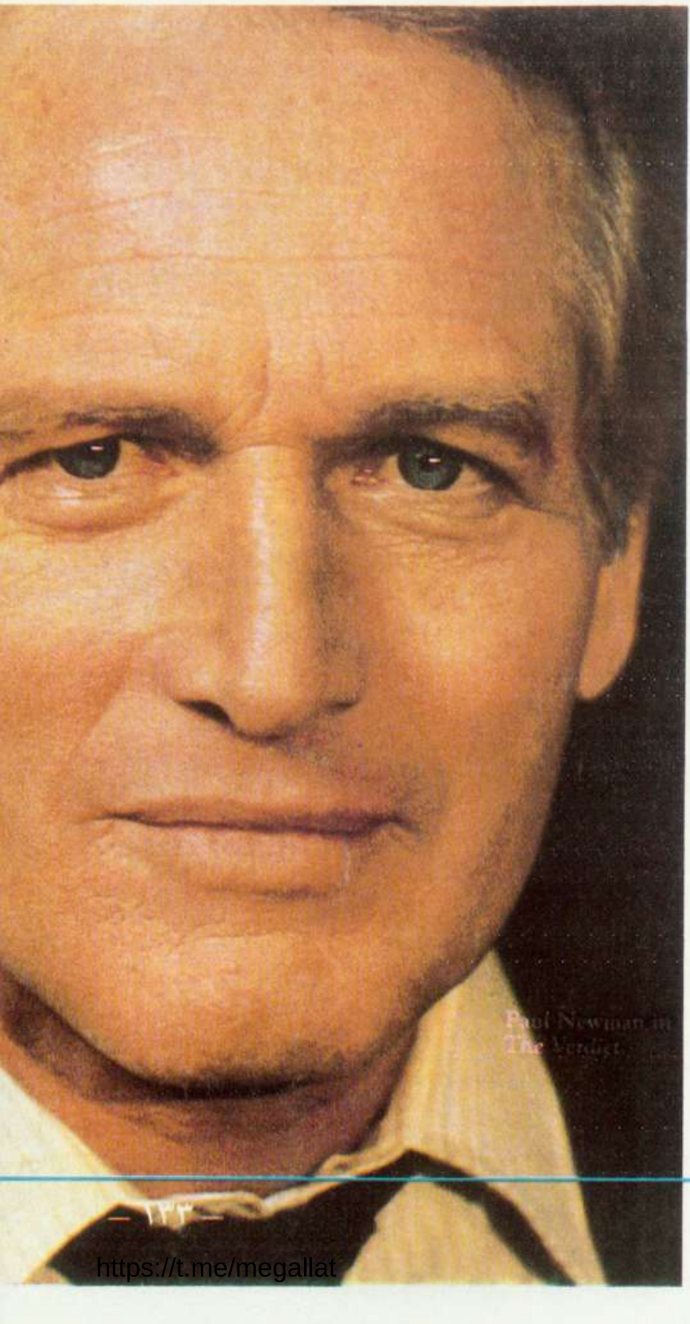
« سيلفستر ستالون » الذى كتب ومثل « روكى » وتحول « روكى » إلى أسطورة



« جيسكا لانج » التى فازت بجائزة احسن ممثلة مساعدة .. فى لقطة مــع « داستين هوفمان » وقد كشف عن شخصيته الحقيقية فى الجزء الأخير من فيلم «توتسى»



« بول نيومان » المحامى الفاشل يبتسم لنجاحه فى نهاية فيلم « الحكم »



العزاء والأمل .. للضائعين في الزحام

متواضع جداً ، يتكون من غرفة واحدة حيث ينام وياكل ويحدث مجموعة من الأسماك فى صندوق زجاجى صغير ، وبعض السلاحف التى يأتنس بأنفاسها ..

وهو انسان قوى البنية .. يحمل مشاعر طفل برىء .. يتلعثم فى الكلام ولا يجيد المحادثة .. ولا يعرف الكذب أو المراوغة .. ليس هناك أحد يهتم به .. وهو يعيش على هامش الحياة .. يكسب قوته من الملاكمة ! .. لماذا الملاكمة بالذات ؟ . يجيب هو ببراءة متناهية : «اننى لا أعرف حرفة أخرى .. فانا لا أستطيع أن أغنى أو أرقص .. لست رشيقاً .. ولكنى أضرب بسرعة فى حلقة الملاكمة .. عندما ولدت قال لي أبى .. لم تولد بعقل راجح فاستخدم جسمك .. وهكذا أصبحت ملاكماً» !

ويتعمق الفيلم فى تحليل هذه الشخصية الشديدة الطيبة والبساطة ، والتى تواجَه دائماً بالاهانات والسخرية ..ولهذا يبدو وكأنه انسان غريب فى عالم الخبثاء والأشرار !

ولكن «روكى» من حيث لا يدرى .. يجد نفسه فى مواجهة مع بطل العالم فى الملاكمة .. إنه لم يخطط اطلاقاً لهذه المواجهة ولم يفكر فيها يوماً ما .. أو حتى يحلم بها .. وإنما كانت حيلة دبرها خبراء الدعاية لبطل العالم فى الملاكمة والذى أصيب بشرخ فى عظام الكتف .. أن يفاجىء عشاقه بعودته الى حلبة الملاكمة ، وأن يستعيد كل الدعاية والأضواء التى غابت عنه لاصابته .. ومن هنـا كانت الفكرة أن يختار ملاكماً مغموراً لكى يمنحه شرف الملاكمة معه .. ووقع الاختيار على «روكى» لا لشىء .. إلا لأن له اسماً مميزاً له إيقاع غريب !

لقد أرادها بطل العالم ، استعراضاً لقوته ، واستمراراً لشهرته ومكاسبه ..

بينما روكى يعتبرها قضية حياته .. اما الفشل التام .. وإما أن يثبت وجوده !

ومن هنا كانت المعركة عنيفة .. و «روكى» يتدرب ليل نهار .. ويقاوم .. ويدخل حلبة الملاكمة مجهولا .. ولكنه يخرج منها والأصوات تهتف باسمه .. لقد نجح ! .

ويلتقط المشاهدون أنفاسهم .. فلقد أثبت واحد منهم انه يستطيع تحدى القوى الضاغطة فى المجتمع .. وأن ينتصر ..

وقصة فيلم «روكى» تشبه الى حد ما ، قصة حياة مؤلفها وممثلها الذى لعب دور البطولة «سيلفستر ستالون» .. فقد حاول من قبل أن يغزو السينما ممثلا ولكنه فشل .. كما فشل فى المسرح .. ولم ييأس .. وكتب سيناريو هذا الفيلم فى ثلاثة أيام متصلة ليلا مع نهار . وكان بداخله قوة مكبوتة تريد أن تنفجر .. وأصر على أن يلعب دور البطولة حتى بدون مقابل .. ووافق المخرج «جون أفيلدسون» الذى قام بتصوير الفيلم فى الأحياء الخلفية بكاليفورنيا ..

وتحول نجـــاح «روكى» الى أسـطورة سينمائية .. وظهر بعده «روكى - الجزء الثانى» و «روكى - الجزء الثالث» لنفس المؤلف والممثل «سيلفستر ستالون» والذى تحول الى الاخراج .. فاخرج الفيلمين التاليين لملحمة «روكى» !

المخرج « سيدنى بولاك » يشترك فى التمثيل مع « داستين هوفمان » فى فيلم « توتسى »



ويأتى فيلم « الحكم »

ويتكرر نفس الموضوع تقريباً فى فيلم « الحكم » الذى رشح لخمس جوائز أوسكار هذا العام .. منها أحسن فيلم .. وأحسن مخرج (سيدنى لوميت) . وأحسن ممثل (بول نيومان) .

وفيلم الحكم يقدم نموذج الانسان الذى واجه الفشل فى حياته الخاصة والعامة .. وغرق فى بحار اليأس .. حتى تلوح له بارقة أمل فى أن يعيد اكتشاف نفسه واثبات وجوده .

وهذا الانسان الفاشل .. هو المحـــامى (بول نيومان) الذى خسر كل القضـايا التى أوكلت له فى السنوات الأخيرة .. وقد تعدى الخمسين من عمره .. ولم يعد له من أمل ، بعد أن تردى فى الفشل ، وأصبح يلوذ بالحانات ليستهلك وقتـــه وينسى ضياعه ..

ويفاجـأ ذات يوم بامرأة متوسطة الحال تلجأ إليه كمحام ليرفع قضية ضد احدى المستشفيات مطالباً بتعويض للأضرار التى لحقت بشقيقتها نتيجة علاج خطأ فى هذا المستشفى أدى الى انها تعيش فى غيبوبة مستمرة .

ويتحمس المحامى للقضية الساخنة التى وقعت بين يديه .. إنه يكرس كل حياته وجهده وخبرته فى جمع الوقائع والمستندات ضد هذه المستشفى .. ولكنه يفاجـأ بمدير المستشفى يعرض مبلغ مائتى ألف دولار فى مقابل الصمت وعدم المساس بسمعة المستشفى ..

ويرفض المحامى هذا المبلغ بأصرار وعناد .. مما يجعل المرأة التى لجأت اليه لرفع القضية ، تثور ضده .. فهى لا تضمن نجاح القضية ، وقد كان هذا المبلغ الضخم حلماً لم تتوقعه بهذه السرعة .

ولكن المحامى لا يريد الحل السهل .. انه حل يؤكد فشله .. وهو يريد أن يعيد الثقة الى اسمه .. ويريد أن يؤكد لنفسه انه مازال قادراً على العمل والنجاح ..

ولهذا فهو يتحدى كل الضغوط والعقبات التى تدبرها له ادارة المستشفى ، ويزيده هذا أصراراً على القتال .

انها معركة حياة أو موت بالنسبة له .
وينجح المحامى فى كسب القضية ..

ويولد من جديد .. فقد اقنع الشهود بأن يتكلموا ويقولوا الحقيقة .. وأقنع المحلفين الغاضبين ان يحتكموا للعدل ..

وتحقيق الحرية

ويعبر الممثل الامريكى « بول نيومان » عن اقتناعه بالشخصية التى يلعبها فى هذا الفيلم بقوله : « أنا هنا لست الا رجلا عادياً .. يعيش حجمه العادى الذى لا يملك أن يكون سواه » .

ويستطرد قائلا : « إن هذا الدور يعتبر بمثابة الصحوة لى بعد أدوار الفتى الأول الجذاب .. لقد اعجبتنى قصة الفيلم لأنها ليست مجـرد قضيـة انحراف .. انما هى قضية الانسان الذى يحاول أن يحقق الخلاص والحرية لنفسه ، بعد أن أصبح منبوذا .. ليس لأنه رجل سيىء .. فهو ليس أسوأ من أغلب الناس .. وانما لأنه غير قادر على حل مشاكله .. وغير قادر على أن يحصل على مساعدة الأشخاص الذين يرون ما يحدث له .. ويعرفون كل الحقيقة »

أما مخرج الفيلم « سيدنى لوميت » فقد علق على النجاح الهائل الذى صادفه الفيلم عند عرضه بالولايات المتحدة .. فقال :

« ليس هناك من سر .. سوى أن هذا الفيلم عن الانسان العادى فى معركته



المخرج « سيدنى لوميت » يشرح تفاصيل مشهداً قبل التصوير .. وأمامه الممثل « بول نيومان »



رغم التوقعات لم يفز هوفمان بجائزة احسن ممثل

سينما

العزاء والأمل .. للضائعين في الزحام

اليومية مع النفس .. ومع الآخرين الذين **ينكرون الحق لأنهم خائفون على مصالحهم ..**

ممثل مسرحى مغمور

ويتكرر نفس الموضوع بشـــكل آخر وبأسلوب ضاحك ساخر فى فيلم « توتسى » الذى لعب بطولته الممثـــل الأمـــريكى « داســتين هوفمان » مع الممثلة « جيسكا لانج » .

وقد رشح فيلم « توتسى » لعشر جوائز أوسكار .

والفيلم يقدم قصة هذا الممثل المسرحى المغمور (يلعب الدور داستين هوفمان) الذى يتكرر فشله فى الحصول على دور فى المسرح أو فى التليفزيون .. والعيب ليس فيه كممثل ، فهو يستطيع العمل بدرجة كبيرة من الجودة .. ولكن العيب فى شخصيته فهو كثير الأسئلة .. يناقش كل شىء .. وله وجهة نظر .. ولا يقبل المطلوب منه الا بعد استفسارات كثيرة ترهق كل من حوله .. ولهذا يهرب منه المخرجون .

انهم يريدون الممثل المطيع .. وهو ليس كذلك .. والنتيجة انه أصبح بلاعمل .. واضطر أن يعمل كجرسون فى مقهى ليحصل على أى نقود تعاونه على الحياة .. وهو فى عمله بالمقهى لا يستطيع أن ينسى حبه للتمثيل ، فيقوم بتدريب بعض الممثلين الجدد .. إنه يحاول ان يغطى فشله الخاص .

حتى تاتيه الفرصة .. مطلوب ممثلة فى أحد المسلسلات التليفزيونية .. ويقرر بسرعة أن يغير شخصيته .. ويتنكر فى ثياب امرأة .. ويختار له أسماً جديداً .. وينجح كممثلة .. ولكنه بينه وبين نفسه يريد أن يكون . كما هو .. رجلا وليس امرأة .. ولابد من هذه اللعبة ان تنتهى بعد ان تورط فى مواقف شائكة ..

وينتهز الممثل فرصة برنامج يذاع على الهواء مباشرة .. ويواجه جمهور المشاهدين بالحقيقة .. يخلع ملابسه .. ويزيل الماكياج .. ويكشف عن نفسه .

وتقع المفاجأة المذهلة بالنسبة لجمهور المشاهدين .. ويتعلقون أكثر بهذا الممثل ..

« داستين هوفمان » يندمج فى شخصيته الجديدة .. حتى وهو يلاعب طفلة .. لقطة من فيلم « توتسى »



ولكن اهم ما حدث له ان استعاد ثقته بنفسه وخرج من دائرة الفشل ..

يقول « داستين هوفمان » انه يقدم هذا الفيلم تحية الى الاف الممثلين العاطلين والذين يبحثون عن فرصة لاثبات مواهبهم ..فالفشل ليس فيهم .. ولكن فى المجتمع الذى يعيشون فيه .

وقد صنع المخرج « سيدنى بولاك » هذا الفيلم بحب واضح .. وانعكس هذا فى مدى النجاح الجماهيرى الساحق الذى قوبل به الفيلم .. وتصدرت صور « داستين هوفمان » وهو فى ثياب امراة .. اغلفة المجلات .

ولعب المخرج بنفسه دورا فى الفيلم كوكيل أعمال هذا الممثل الفاشل .. والمخرج « سيدنى بولاك » يعرفه جمهور السينما من خلال أشهر افلامه : « انهم يقتلون الجياد .. أليس كذلك » .. و « ثلاثة أيام عصيبة » .

وهو فى هذا الفيلم يقدم نموذجا راقيا لفن الكوميديا التى تعتمد على المفارقات دون اسفاف أو تكرار .. رغم ان مسالة تنكر الممثل فى ثياب امراة لم تعد تثير الضحك فقد تكررت كثيرا فى الأفلام الأجنبية .. والمصرية ايضا .. ولكنه هنا يستخدم التنكر كحل لمسالة انسانية .

« غاندى » .. وما يعبر عنه

وتاتى نتائج الأوسكار لهذا العام .. ليحصد فيلم « غاندى » ثمان جوائز هامـة (أحسن فيلم .. واخراج .. وتمثيل .. وسيناريو ..وتصوير وديكور ومونتاج وموسيقى) ..

حتى اصبح فيلم غاندى يستحق أن نطلق عليه « سلة جوائز هذا العام » .

والفيلم (راجع مقال السينما فى عدد مارس من الدوحة) يقدم قصة كفاح غاندى وثورته السلمية فى الهند .. كنموذج لكل صاحب مبدأ .. ودرس لكل مؤمن برسالة .. اننا لا نستطيع أن نغير صورة المجتمع ونتحدى كل الضغوط .. الا بايمان كامل .. وصبر .. واقناع .. وقدره .. ومواصلة الكفاح مهما تعاظمت الضغوط ..

ونجاح فيلم « غاندى » .. هو صدى لحلم البسطاء الذين لا يملكون شيئا من مال أو سلاح .. ولكنهم يملكون الايمان بمبدأ .. والقدرة على الاستمرار .

فالذين يعملـــون للحق وبالحـق .. وينشرون السلام والعدل والحرية .. هم عماد الحياة ، وبدونهم يسود الظلام وتمرح الخفافيش ويصبح الجو ملوثا تماما .

لم يفز فيلم « الحكم » بأية جائزة .

ولم يفز فيلم « توتسى » الا بجائزة واحدة ذهبت للممثلة « جيسكا لانج » كاحسن ممثلة مساعدة .

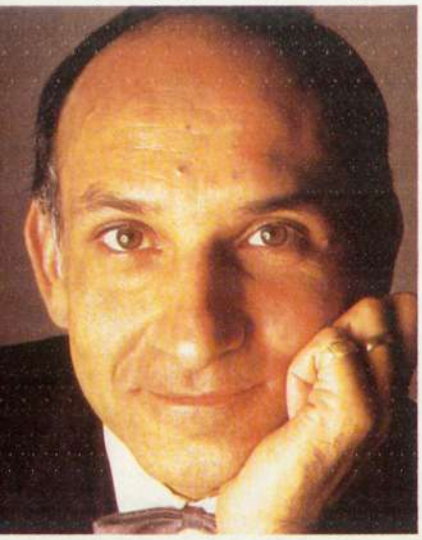
ورغم هذا .. فان نجاح فيلم غاندى وفوزه بكل هذا العدد من الجوائز .. هو نجاح لمبدأ اعتنقه غاندى .. وأصبح نموذجا للكفاح على مر الأجيال .

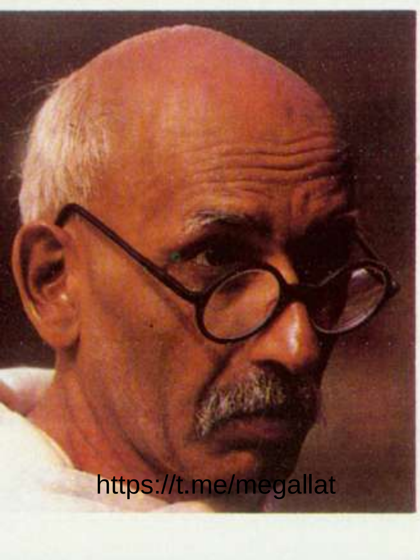
ويكفى الضائعين بين أمواج الفشل واللامبالاة من المجتمع .. والتائهين بين الأزمات الداخلية والخارجية .. يكفيهم عزاء أن السينما بدأت تعبر عنهم .. وتقف بجانبهم على أمل استعادة التوازن .

لقطة من فيلم غاندى الذى حصد اهم جوائز العام (٨ جوائز أوسكار) .



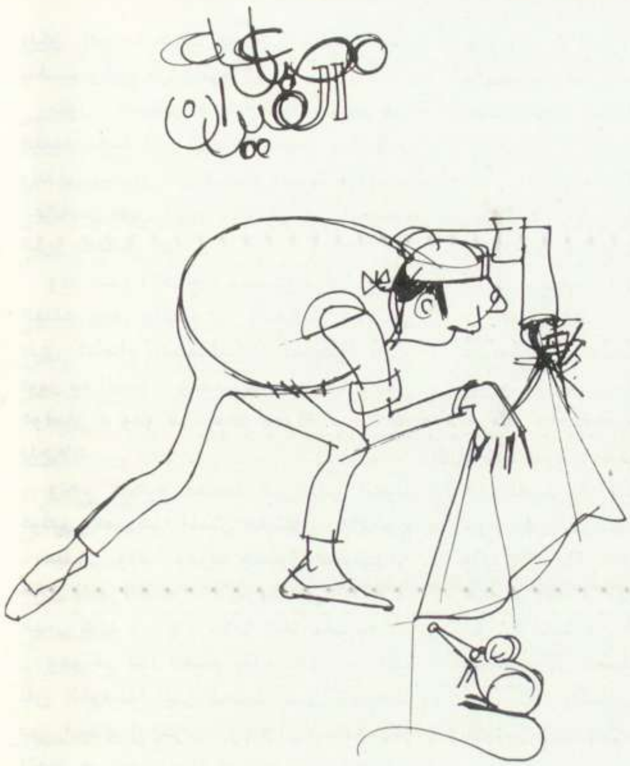
الممثل « بن كنجسلى » فى الحقيقة و كما ظهر فى فيلم «غاندى» واستحق جائزة احسن ممثل .



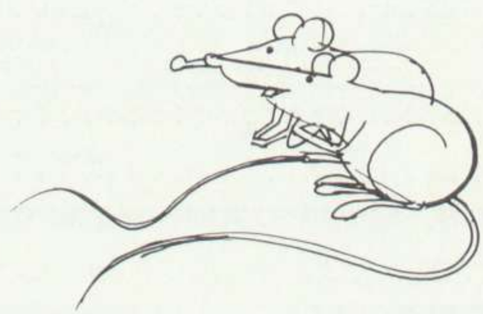




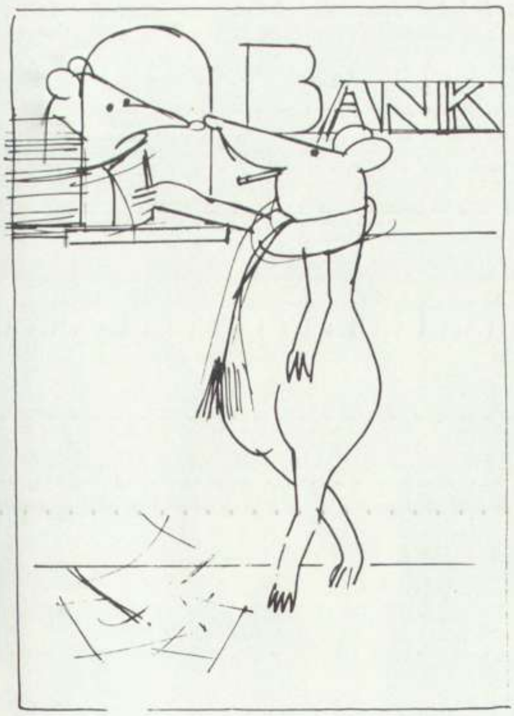
ضحكات الشهر



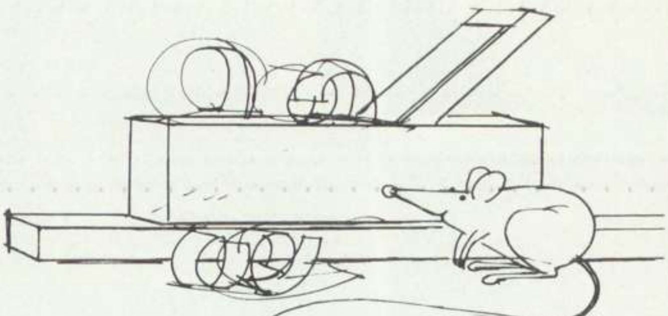
ـ بدون تعليق .. ! !



ـ .. رايح امريكا اشتغل ميكى ماوس .. ! !



فأر ـ « أطلب » قرضـاً .. ! !



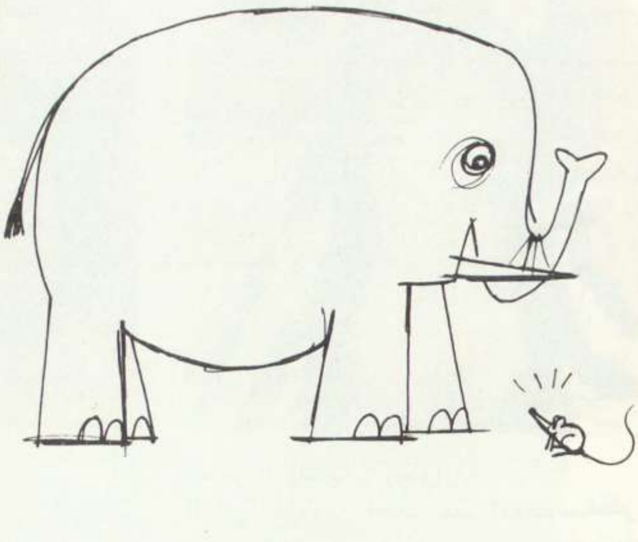
فار ـ تتجوزينى يا فاره .. ؟ !



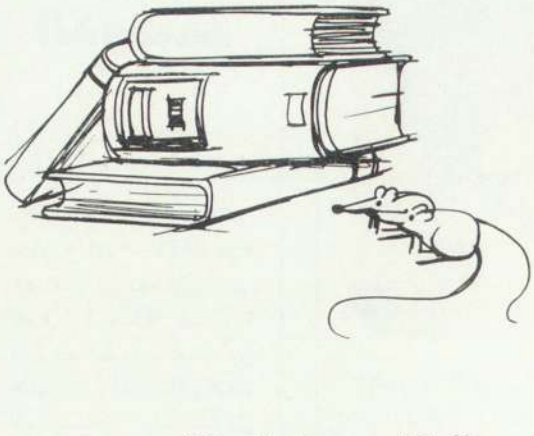
ـ .. واخده على البيت أكافحه .. على راحتى .. ! !



ـ بدون تعليق .. ! !



فار للفيل ـ .. يا واد .. يا تقيل .. ! !



فأر لفأر ـ يعجبنى قوى كتابين ...
(الفار أبى) و (ابن القارض) .. ! !



حاول أن تعرف

الصورة الأولى: لوحة معاصرة تصور معركة حربية بين الجيش الفرنسى الذى حقق انتصاراً ، وبين الجيش النمساوى عام ١٨٠٩ م .

هل يمكنك التعرف على القائد الفرنسى الذى حقق الانتصار ؟



الصورة الثانية :

فيلسوف ورياضى اغريقى عاش منذ ٢٥٠٠ سنة تقريباً .. كان مفتوناً بالأرقام وهو أحد مؤسسى نظام البرهان الهندسى كما يدرس حتى الآن فى المدارس . وله نظرية رياضية باسمه ومن أهم اكتشافاته العلاقة بين الحساب والموسيقى فمن هو عبقرى الرياضيات هذا ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٨٨



الصورة الأولى : جو تنبرج

الفائز : اسماعيل فارس - الرياض

الفائز : يوسف أحمد آدم - السودان



الصورة الثانية : رينوار .

الفائز : فردوس أحمد عبد المنعم - مصر

الفائز : عبد الرحمن عيسى التجانى - قطر



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

يرجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى كتابة اسم المسابقة وكتابة الاسماء والعناوين بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

للرجـــال فقـــط !



قال بلزاك فى كتابه « فسيولوجية الزواج » موجهاً حديثه الى الرجال : « لا تأبهوا بأنات النســـاء ، وصرخاتهن والامهن ، فان الطبيعة نفسها هى التى وضعت المرأة تحت تصرف الرجل ، وهى التى أرادت لها أن تنوء بالأطفال والأشجان ، وان تتحمل ضربات الرجـــل وشروره ، لا تتهموا أنفسكم بالقســـوة أو الصلابة .. ففى كل قوانين الأمم التى نعـــدها متحـررة ، كان الرجل هو الذى يضــــع الشرائع المحددة لمصير النساء مستنداً فى ذلك الى العبارة الحاسمة : الويل للضعفاء ، الويل للمهزومين » .

عادل الدمرداش ج . م . ع

من يفـــوز بالرهـــان؟

اجتمع جرير والفرزدق والأخطل فى مجلس عبد الملك بن مروان فأحضر لهم رهاناً من المال وقال : ليقل كل امرىء فى مدح نفسه وأيكم غلب وظفر فله هذا الرهان . فقال الفرزدق :

أنا القطران والشعراء جربى
وفى القطران للجربى شفاء

فقام الأخطل فقال :

فان تك زق زاملة فانى
أنا الطاعون ليس له دواء

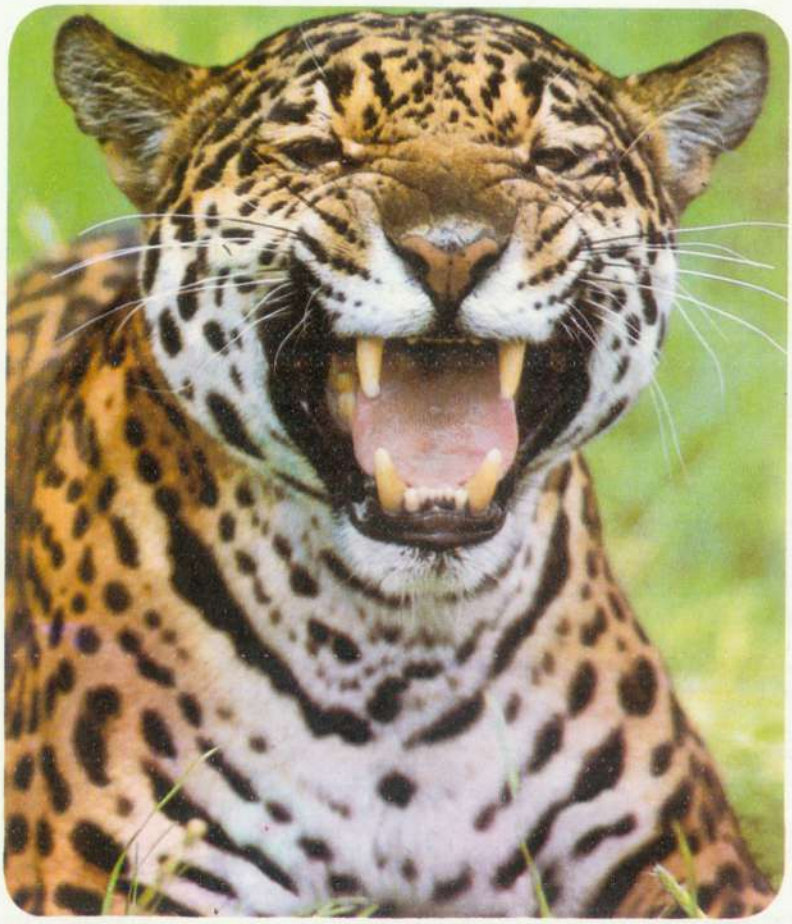
ثم نهض جرير وقال :

أنا المـوت الذى آتى عليكم
فليس لهارب منــــه نجاه

فقال عبد الملك لجرير : لك الرهان غلبت خصميك فلعمرى أن الموت يأتى على كل شىء .

عبد الوهاب حامد
السودان

لقطة الشهر



الغـــضـــب

فاز بالجائزة وقدرهـــا ١٠٠ ريال قطـــرى
القارىء : محمد قاسم يونس ـ القاهرة . الجيزة

قـــرأت
مـــاذا تعـــرفـــ عن البـــيانـــو؟

تنتمى الآلات الموسيقية الى احدى هذه المجموعات الثلاث : الآلات الوترية ، الات النفخ ، وآلات النقر (الايقاعية) ..

والبيانو لا يتبع أيا من هذه الانواع لانه يعتبر الة وترية والات نقر فى ان واحد ، فهيكله يتكون من عدد كبير من أوتار معدنية مشدودة فوق صندوق الصوت ، وكذلك توجد مطارق (شواكيش) خشبية مغطاة باللباد ، تقرع على الأوتار عند الضغط على اصابع البيانو الى اسفل اثناء العزف ..

والبيانو المعتاد يحتوى على ٨٨ اصبعا : ٥٢ بيضاء و ٣٦ سوداء تختلف درجة صوت كل منها عن الاخرى .

ولكل بيانو اثنان او ثلاثة بدالات وبالضغط على البدال المناسب بقدم العازف يمكنه الحصول على ما يريد من قوة الصوت او لينه او امتداده لمدة اطول .

ويتم العزف بجميع اصابع اليدين .

رامى نبيل الدارى
عمان / الاردن

مَن ؟

● أول حاكم عربى سك النقود الاسلامية اسمه من ثلاث كلمات فى خمسة عشر حرفا :
١٤ ـ ٥ ـ ١١ ـ ٣ ـ ٦ ـ ٤ ـ ٨
الصف من الطوب فى البناء .
١ ـ ١٥ ـ ٩ فاكهة .
٢ ـ ٧ ـ ٧ ـ ١٣ ـ ١٢ من قشرة الأرض .
١٠ ـ بدء احدى سور القران الكريم .

أين ؟

● الأسرة الحاكمة التى ينتمى اليها ذلك الحاكم ، اسمها من كلمتين فى سبعة أحرف :
٦ ـ ٣ ـ ٥ ليلة ونهارها .
٤ ـ ١ ـ ٢ ـ ٧ بنت .

ما ؟

● ضرب من الكماة يغرم به أهل المشرق العربى ، اسمه من خمسة احرف :
٥ ـ ٢ ـ ٤ ديدان مائيــة تستخدم فى الحجامة .
١ ـ ٣ لا تقال لوالد ولا والدة من مؤمن .



دوحة القراء

الإجابــة الصحيحــة

(١) « يتكون اللؤلؤ فى المحارات الصدفية من نقط المطر » .
هل هذه العبارة صحيحــة علمياً ؟ ؟

(٢) وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى ..
أكمل هذا البيت وانسبه إلى قائله .

(٣) قشور بيض الدجاج تتكون من :
كربونات الكالسيوم ـ كبريتات الكالسيوم ـ بروميد الكالسيوم .

(٤) شجرة المطاط تنتمى الى طائفة أشجار :
التين والجميز ـ التفــاح والخوخ ـ النخيل والدوم .

(٥) كان الخامس من يونيــو (حزيران) سنة ١٩٦٧ هو يوم :
السبت ـ الاثنين ـ الثلاثاء .

(٦) تقع جزر فولكلاند التى اغتصبتها بريطانيا من الأرجنتين على خط طول غرب جرينتش درجته :
٦٠ ـ ٧٥ ـ ١٢٠ .

(٧) تتميز الحشرات عن العناكب بان :
العنكبوت له ...... أرجل .
والحشرة لها ...... أرجل .

(٨) ثلاثة من الشعراء ادناه من أصحاب المعلقات :
المتنبى ـ الأعشى ـ بشار ـ زهير ـ عنترة .

(٩) الأشعة تحت الحمراء بالنسبة للاشعة فوق البنفسجية :
أطول موجة ـ أقصر موجــة ـ متساوية طول الموجات .

(١٠) أى المساجد فى العـــالم لا يوجد له محراب ؟ ؟

مسابقة الدوحة

حل مسابقة العـــدد ٨٨

من : الهرمزان .
اين : فارس .
مـــا : التقوى .

الأجوبة الصحيحة :

١ ـ ق ـ ره ـ اقض .
٢ ـ طسم ـ جديس .
٣ ـ العبارة صحيحــة علمياً .
٤ ـ رب ثاو يمل منه الثواء الشاعر الحارث بن حلزه اليشكرى .
٥ ـ سنة ١٩٦١
٦ ـ ترومان .
٧ ـ هانيبال .
٨ ـ الشمال الغربى .
٩ ـ أفريقيا .
١٠ ـ القار ـ الشمع الديزل ـ الكيروسين البنزين ـ البيوتين .

أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ أصل وصورة : الحل : عين الفتاة ، اسنانها ، حذاؤها ، شعر الصبى ، أذنه ، بنطلونه ، حذاؤه . الفائز : عبد الله يوسف / قطر . الفائز : عبد الناصر جداوى سلطان / مصر .

٢ ـ المثل يقول : الحل : موت وخراب ديـــار الفائز : حسين أحمد مصطفى النواوى / مصر الفائز : محمد عمر عبد المالك / مصر .

٣ ـ لأقوياء الملاحظة : الحل : بقرة ـ سمكة ـ حمامة ـ حقيبة ـ ثعبان ـ قوقعة . الفائز : عبد العزيز بن الصادق / تونس الفائز : ممدوح محمد نمر ابو كوان / الأردن .

٤ ـ دورى الكاريكاتير : الحل : رقم (٩) الفائز :

أسـمـاء الفـائـزيـن

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك نصف سنة .

القارىء : محمد عبد الجليل ناصر / مصر .

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك نصف سنة .

القارىء : مروان احمد بشار / أبو ظبى ـ الامارات .

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك نصف سنة .

القارىء : اسماعيل عبد العزيز محمد / السودان .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ أمجد محمد ضيف الله	الكويت
٢ ـ مرفت محمد محمد شاهين	مصر
٣ ـ عبد المنعم عبد الله عجب الغيا	السودان
٤ ـ ليلى عبد العزيز فؤاد	مصر
٥ ـ وداد مامون	السودان
٦ ـ ميسون يوسف غانم	الأردن
٧ ـ خضر فوزى عوض مصلح	السعودية
٨ ـ محمد حسن عباس	الامارات
٩ ـ الشرقى محمد	المغرب
١٠ ـ محمد كمال الريس	الامارات

استراحة الدوحة العدد ٨٨

جمعه الحبيب / سوريا . الفائز : أحمد علي محمد الفطيس / ليبيا .

٥ ـ يخلق من الشبه أربعين : الحل : رقم (٥) . الفائز : عبد اللطيف محمد عبد اللطيف / مصر . الفائز : ميرزخاشع السلطان / الكويت .

٦ ـ لعبة الظلال : الحل رقم (٢) الفائز : محمد الشنطى / بلكستان . الفائز : اخلاص صالح أحمد اليمن الديمقراطية .

٧ ـ هات أجمل تعليق : التعليق : فى المرة القادمة حاول تخفيف السرعة. التعليق : زوجك يا هانم عنده عقدة مرورية . الفائز : محمد سراج الدين / سوريا . الفائز: وليد محمد محمد السعدنى مصر .

من آداب المشـورة والنصيـحة

● قال الله تعالى : فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر (آل عمران) .

● وقال تعالى : الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب (الزمر) .

● وقال الرسول عليه الصلاة والسلام :
ـ الدين النصيحة .
ـ اذا استنصحك أخوك فانصحه .
ـ لا خاب من استخار ، ولا ندم من استشار .
ـ الدال على الخير كفاعله .

● وقال الحسن بن علي بن ابى طالب : الرجال ثلاثة رجل ونصف رجل ولا رجل. أما الرجل فذو الرأى والمشورة، وأما نصف الرجل فالذى له رأى ولا يشاور، وأما الذى ليس برجل فالذى لا رأى له ولا يشاور .

● قال عبد الملك بن مروان : لأن أخطىء وقد استشرت أحب الى من أن أصيب وقد استبددت برأيى من غير مشورة .

● وقال الحكماء :
ـ رحم الله من هدانى الى عيوبى .
ـ المشورة عين الهداية وقد خاطر بنفسه من استغنى برأيه .
ـ اياك ومشاورة رجلين ، شاب معجب بنفسه قليل التجارب ، أو كبير قد أخذ الدهر من عقله كما أخذ من جسمه .
ـ من أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله ذل .



خالد كليلى بن محيى الدين
حلب ـ سوريا

كلمات لها معنى

● لا تظن بكلمة من أحد سوءا وأنت تجد لها من الخير محتملا
« علي بن أبى طالب »

● يا بنى قد ندمت على الكلام ولم أندم على السكوت
« لقمان »

● لو كان بينى وبين الناس شعرة ما قطعتها
« معاوية بن أبى سفيان »

● يارب لا تجعلني أتهم بالخيانة من يخالفنى فى الرأى
« طاغور »

● والله ما ذل ذو حق وان طبق العالم عليه .. ولا عز ذو باطل ولو طلع القمر من جبينه
« المنتصر بالله »

● انما النساء أغلال فليختر الرجل لنفسه اخفها عليه
« هند بنت عتبه »

خالد أحمد الرحبى
الحسكة ـ سوريا

استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

روءوف



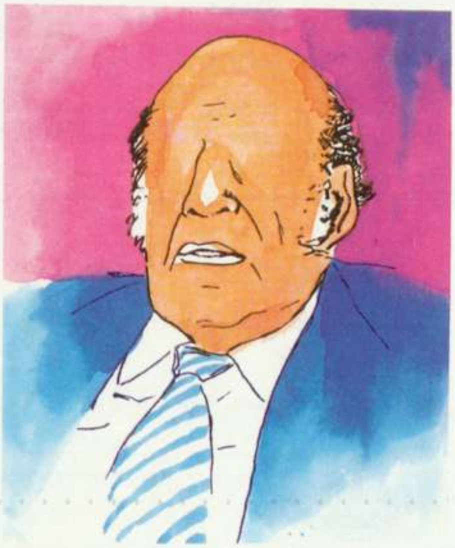
الجائزة لكل فائز فى هذه المسابقة ستون ريالا قطرياً

أصل وصورة



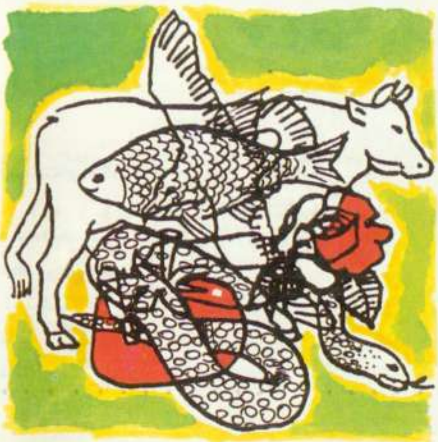
● بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيري .. هناك سبعة اختلافات طفيفة .. هل تستطيع التعرف عليها .. ؟

لوحة لم تتم



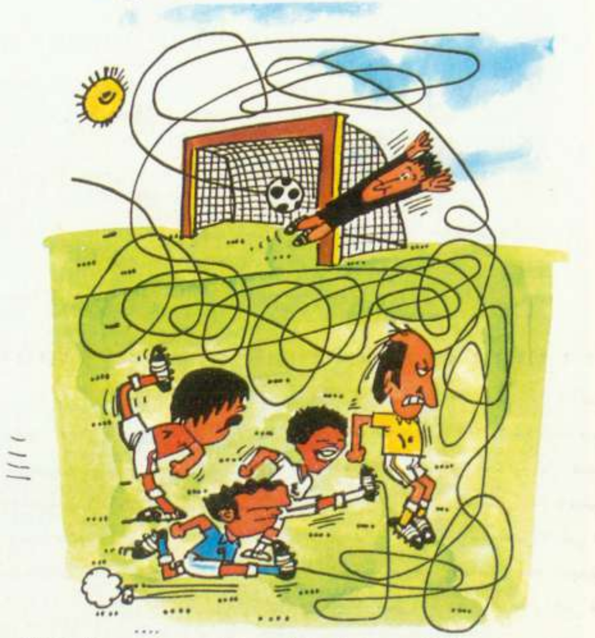
هذه اللوحة لصحفى عربى مشهور ، نشا فى بيت الزعيم سعد زغلول ، ولعب دوراً هاماً فى الصحافة العربية ، وما زال قلمه يعالج ادق القضايا المتعلقة بحرية الوطن والمواطن .. هل تستطيع اكمالها والتعرف على شخصية هذا الصحفى ؟

لأقوياء الملاحظة فقط!



● أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ إذا عرفت الحل أرسله الينا

دوري الكاريكاتير



اقتحم احد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ وسجل هدفاً قوياً فى مرمى الخصم .. هل تستطيع أن تحدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ؟ .. إذا عرفت الحل ارسله الينا

هات أجمل تعليق :



● هل تستطيع أن تجد تعليقاً خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيري .. ؟ .. حاول وارسله الينا

لعبة الظلال



● هل تستطيع أن تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقي ؟ .. إذا عرفت .. ارسل الحل الينا

يخلق من الشبه أربعين



الصور الست المنشورة للقائد والسياسى الفرنسى الراحل شارل ديجول ، الذى اسر فى الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٦ ، وحكم عليه بالاعدام غيابياً فى الحرب العالمية الثانية ، وانتخب رئيساً لفرنسا عام ١٩٤٥ ، واعيد انتخابه ليصبح اول رئيس للجمهورية الخامسة (١٩٥٩) .. ومن بين هذه الصور واحدة تشبهه تماماً .. هل تستطيع التعرف عليها ؟

ماينقصنا في الحياة؟

بقلم: الدكتور خليل قطاطو

يخيل لي أحيانا أن الحياة لحظتان ، لحظتان فقط ، لحظة الميلاد أو الوجود ، ولحظة الموت أو العدم ، وما بينهما من عمر طال أو قصر ، زمن يعد بعشرات السنين ، لا يحمل وهج اللحظتين .

لحظتان تحددان لنا البداية والنهاية لحظتان قدريتان ليس لنا الخيار فيهما ، وإن كان لنا «الخيار النسبى» فيما بينهما من التفاصيل .

لحظة الميلاد تنتظرها الأم بشىء من السعادة والخوف معاً ، تحلم بها ، وبالقادم الجديد ، أتراه يكون مولوداً سعيداً أم بائساً ، موفقاً أم متعثر الخطى ، ماذا يخبىء المستقبل له ، أترى هذا الغيم الساكن فى الأعالى يحمل مطراً أم زوابع !

ليس أمراً سهلا وصف آلام الولادة ، وليس من باب التلاعب بالألفاظ لو قلنا أنه ألم ممتع ، ومتى كان الألم ممتعاً ؟ ليس الألم مجرد انقباضات عضلية فى جدار الرحم تصل الى مراكز الاحساس فى الدماغ فيدركها الجسم على أنها أحاسيس مؤلمة وحسب ، بل ان العامل العاطفى يتفاعل مع الجانب الادراكى للاحساس ليخفف من حدة الألم ، ومادام هذا الألم العظيم سينتهى بحدث سعيد ، إذاً فلابد من الصبر ، واقناع النفس بالاحتمال والتعايش معه هذه الساعات المعدودة .

تعانى الأم وتكابد هذه الآلام ، وتزداد حدتها بمرور الوقت حتى تصل **الذروة** لحظة الولادة ، اللحظة المضيئة المتوهجة ، ثوان قليلة أو جزء من ثانية يفصل بين قمة المعاناة وقمة السعادة ، يبكى الطفل معلناً مجيئه ، فيشرق وجه الأم بالغبطة .

كنت خلال دراستى للطب عندما أشاهد عملية ولادة أعتقد أن هذه المرأة لن تفكر بالحمل والولادة مرة أخرى ، وكانت بعض النساء يصرخن فعلا أن هذه الولادة ستكون الأخيرة ، وفى اليوم الثانى أشاهد العكس تماماً ، الأم ممتلئة فرحاً وسعادة ، وكأن يد القدر محت من ذاكرتها كل المعاناة بمجرد أن يرنو الصغير الى وجهها وينجذب الى صدرها .

لو رأى الأبناء كيف تلدهن الأمهات ، لأصبح العقوق من رابع المستحيلات .

وتسير الحياة بنا فى دروبها الوعرة ، نكد ونعمل ونبنى أحلاماً وأمانى ، نصارع من أجل لقمة العيش ، ومن أجل البقاء ، رويداً رويداً وبدون أن نشعر نقترب من اللحظة الأخيرة .

الانسان ، هذا المخلوق الذى يملأ **الدنيا نشاطاً وحركة ، وصراخاً** ، يستقبل هذه اللحظة بهدوء غريب ، ينظر متأملا العيون المحملقة فيه ، يريد أن يستودعهم سر الحياة ولكن هيهات فلسانه عاجز عن النطق ، وأطرافه عاجزة حتى عن الاشارة ، أتراه فى هذه اللحظة يمر شريط حياته أمام عينيه ، هل هو نادم على ما فعل ؟ أم راض قرير العين ؟

هذى هى الحياة ، لحظتان عميقتان لو تأملناهما جيداً لعرفنا كيف نعيش **دونما تكالب على ماديات زائلة** ، وتفاهات زائفة ، ولما كنا تائهين ضائعين نبحث عن السعادة فى دروب مظلمة ، نركض وراء سراب ، لماذا نقلب حياتنا الى غابة ، يأكل القوى فيها الضعيف ، هل بوسعنا أن نحول دنيانا الى جنة ، وأن نكون أشباه ملائكة ، ليس هذا ضرباً من المستحيلات ، ما ينقصنا هو **الصدق ، الصدق مع انفسنا** ، ومع الآخرين ، والايمان . الايمان بغاية وجودنا ، وتحقيق الهدف الأسمى الذى من أجله خلقنا .

الخير والشر ، فى صراع أزلي ، وليست المسألة نسبية ، فالخير قيمة سامية مطلقة ، والشر صفة مطلقة أيضا . المعركة لم تحسم بعد ، ولكن دور المتفرج لا يليق بالانسان ، فلتأخذوا مواقعكم أيها السادة فعسانا نلون هذا الأفق القاتم بألوان زاهية .




PEPSI
مشروب الجيل الصاعد
بيبسي

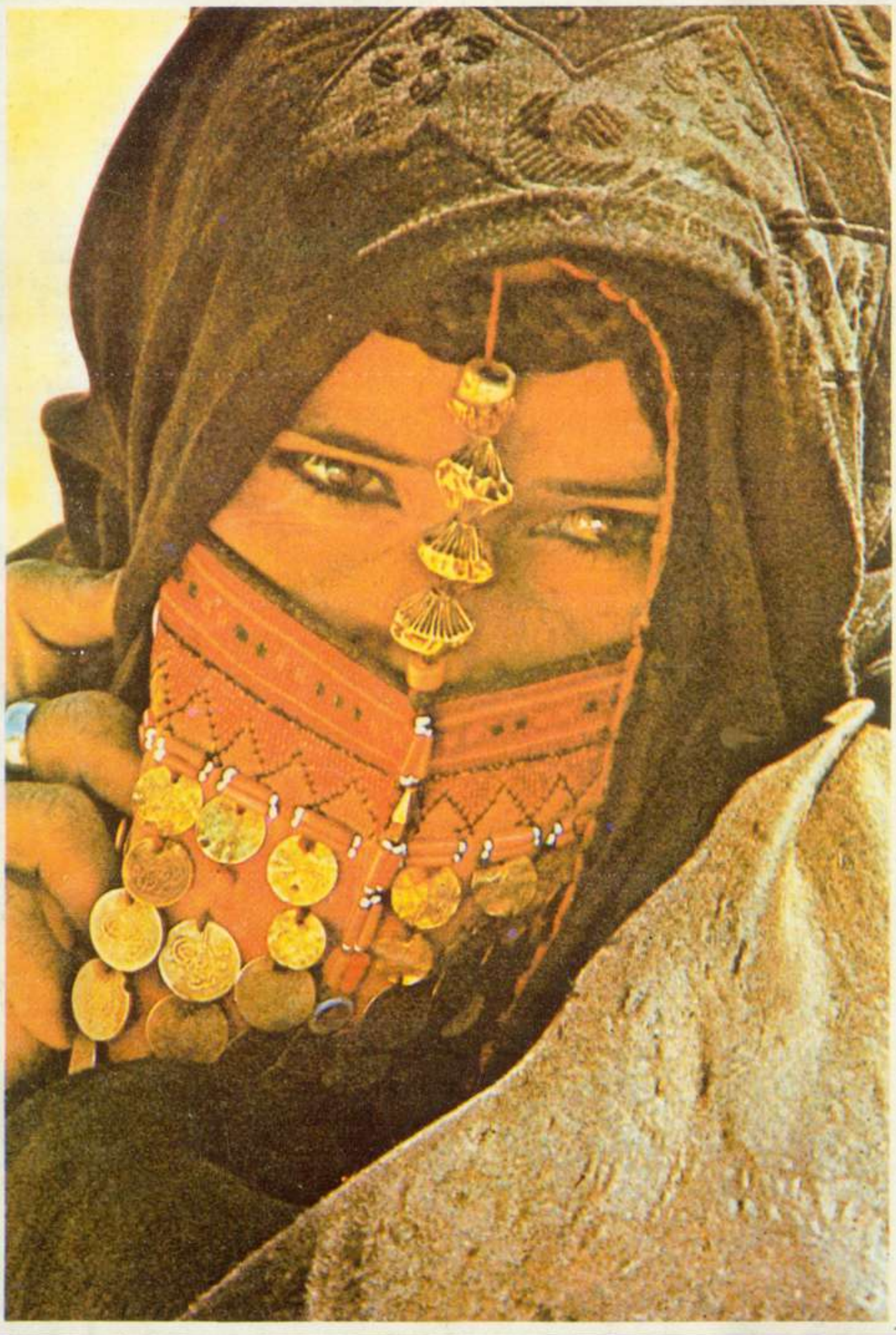


الحضارة: بريشة الفنانة القطرية وفيقة سلطان

العدد ٩١ - رمضان ١٤٠٣هـ - يوليـة ١٩٨٣م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية



● لماذا الهجوم على محمد عبده والأفغاني؟!
بقلم: محمد الغزالي

استمرار النهضة وإجهاض الرِّدَّة الفاشية
نظرات في الظاهرة اليابانية
بقلم: د. محمد جابر الأنصاري

● موتنا شعرنا
قصيدة جديدة
للدكتور غازي القصيبي

الثوب الفلسطيني يواجه لصوص التراث!



بيبسي

إجعَل نهارك عيد مَع

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٩١ - رمضان ١٤٠٣هـ - يولية ١٩٨٣م

المراسلات :

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تيلكس : - 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
مدير التحرير : ٤٢١١٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٦٠ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٦٦ ريالا قطريا
باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها .
في باقي دول العالم ٧٢ ريالا قطريا .
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٢٥ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٣٢ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ١٤٠ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشأنها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر	٥ ريالات
البحرين	٣٠٠ فلس
الامارات العربية	٥ دراهم
عمان	٢٥٠ بيسة
الكويت	٣٠٠ فلس
السعودية	٥ ريالات
الجمهورية اليمنية	٣٠٠ فلس
اليمن الديمقراطية	٣٠٠ فلس
العراق	٣٠٠ فلس
المملكة الاردنية	٢٥٠ فلسا
سوريا	٢٥٠ قرشا
لبنان	٢٥٠ قرشا
مصر	٢٠٠ مليم
ليبيا	٤٠٠ درهم
السودان	٢٥٠ مليما
تونس	٤٠٠ مليم
الجزائر	٤ دنانير
المغرب	٤ دراهم

باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

● **السودان**
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم

● **مصر**
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء - القاهرة

● **سوريا**
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكة - تجاه ثانوية فايز منصور
ص . ب ٤٩٠٢ - دمشق

● **العراق**
الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة
ص . ب ٦٢٤ - بغداد

● **ليبيا**
المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازى : ص . ب ٣٢١ - بنغازى

● **الاردن**
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب ٣٧٥ - عمان

● **البحرين**
دار الغد
١ شارع المعارف - بناية الدرازى
ص . ب ٥٠٥ - المنامة

● **سلطنة عمان**
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر
ص ب ١٠١١ - مطرح
مسقط

● **تونس**
الشركة التونسية للتوزيع
٥ شارع قرطاج
ص . ب ٤٤٠ - تونس

● **السعودية**
مؤسسة الجريسى للتوزيع والاعلان
ص ب ١٤٠٥ - الرياض
مكتبة ومطبعة ضياء - المدينة المنورة

● **الكويت**
شركة دار الكويت للصحافة
ص . ب ٢٣٩١٥ - الصفاة
الكويت

● **لبنان**
الشركة العربية للتوزيع
ص . ب ٤٢٢٨ - بيروت

● **الجمهورية العربية اليمنية**
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء

● **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية**
مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع
ص . ب ٤٢٢٧ - المحافظة الاولى
عدن

● **الامارات العربية المتحدة**
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام - عمارة ثاني بن محمد
ص . ب ٧٩١ - ابو ظبى

● **المغرب**
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ص . ب ٦٨٣ - الدار البيضاء
MAROC :
SOCHEPRESS
B. P. No 683
CASABLANCA.

● **الجزائر**
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر
ALGERIE
S. N. E. D.
20 RUE DU LIBERTE
ALGER.

● جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
● الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي وزارة الإعلام أو رأي المجلة
● المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

طبعت بمطابع على بن على
Ali Bin Ali Printing Press - Doha

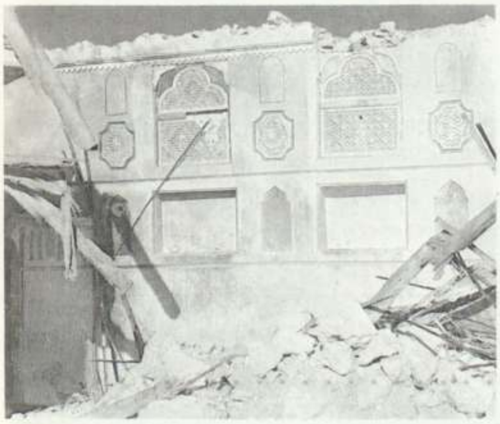
في هـــــــــذا العـــــــــدد



مراكش ..
مدينة العلماء وفرسان الاندلس ! ـ ص ٥٨



أمل دنقل
..حياته ، وأدبه ، ومأساته ـ ص ٢٠



حتى لا تضيع
فنون البحر والبادية ولمسات الصانع الشعبي ـ ص ١٠٤٤

● دراسات ومقالات ●

● وجهة نظر في اقدار الرجـــال : لماذا الهجوم على محمـــد عبده والأفغاني ؟... ... ... محمد الغزالي ٦
● استمرار النهضة ، واجهاض الردة الفاشية . نظـــرات في الظاهرة اليابانية ... ... د . محمد جابر الانصاري ٩
● حسين جعفر : الألماني الذي أراد أن يحكم مصر ... ...
د . السيد فهمي الشناوي ١٣
● كيف نحمي العروبة من عقدة النقص ، والتعب التاريخي
الياس سحاب ١٦
● الاعلام العربي بين النظرية والتطبيق ... ...
أحمد عبد الملك ٢٤
● من تراث سيناء « الرمال السوداء » ... ...
درويش مصطفى الفار ٢٦
● أجرأ فكرة عصرية في التعليم العالي : الجامعة المفتوحة
د . أحمد الخطيب ٣٢
● سجين محكمة طنطا ... ...
خالد محسن اسماعيل ٣٦
● مفكر يهودي أوربي يدافع عن العرب : مكسيم رودنسون والقضية الفلسطينية ... ...
عصام شريح ٤٦
● مراكش مدينة العلماء وفرسان الأندلس ... ...
نزار مؤيد العظم ٥٨
● محاكمة هتلر ... رواية انجليزية تثير ضجة عالمية ... ...
د . عبد الوهاب المسيري ٦٧
● انهم يزرعون الحقول دون بذر البذور ... ...
د . عبد المحسن صالح ٩٨
● بعد رؤية جديدة بالكمبيوتر لقرص الشمس : هل يصلنا العصر الجليدي ؟ ... ...
١٠٨
● قلعة دمشق في مواجهة اعداء الحضارة الاسلامية ... ...
وجيه الشربجي ١١١٦
● محاولة لاجهاض الحركة المسرحية ... ...
نعمان عاشـــور ١٢٢
● الحب عند الحيوان ... ...
د . عز الدين فراج ١٢٨

● شؤون الخليج ●

● ماذا يعني قيام مؤسسات ثقافية واعلامية في دول الخليج ؟ ...
خالد عبد الله زيارة ٢٨
● الوطن والبحر ولوعة الفراق في لوحات فنان كويتي ... ...
يوسف احمد ٦١٤
● قضايا خليجية : اطرح الأسئلة انها قوتك الوحيدة ... ...
عبد القادر عقيل ٧٦٦
● حتى لا تضيع فنون البحر والبادية ولمسات الصانع الشعبي !
يوسف الحرمي ١٠٤٤
● أوراق من البحر : الدرس الأول ... ...
عبد الرحمن المناعي ١١٢٢

● أدب وفنون ●

● فتنتظر المراثي ! ! ....
أحمد عبد المعطي حجازي ١٨
● موتنا شعرنا « قصيدة » ... ...
د . غازي القصيبي ١٩
● أمل دنقل ..حياته ، وأدبه ، ومأساته ... ...
حسن طلب ٢٠٠

● تحية البها «شعر» ... ...
د . محمد فوزي مصطفى ٢٥
● الصدى لغتي الثانية «قصيدة» ... ...
م . كجراي ٤١
● اميل زولا مصوراً .. ! ... ...
مجدى نصيف ٤٢
● اتجاهات جديدة فى القصة السكندرية القصيرة المعاصرة ...
د . محمد مصطفى هدارة ٧٢
● الثوب الفلسطيني يواجه لصوص التراث ... ...
حسني شحاده ٥١
● من وادى النسور ينطلق العود والمزمار والموال الشعبى ... ...
جميل العابد ٨٤
● حامد عويس : فنان عربي يتسابقون على طبع لوحاته فى أوربا
صبحي الشاروني ٩٢
● ليلة ممطرة ... قصيدة لم تنشر ... ...
محمد المهدي المجذوب ١٠٣
● قراءة الشعر : جيمس ريفز ... ...
علي جعفر العلاق ١١٠
● «احد هذه الايام» قصة جابريل جارسيا ماركيز ... ...
ترجمة صلاح حسن احمد ١١٤
● صهيل النهر «قصيدة» ... ...
محيي الدين فارس ١١٥
● المشبوه «قصة» ... ...
حمدي الكحلوت ١٢٦
● المقياس «شعر» ... ...
محمد عبده غانم ١٣١
● قليل من الابتسامات ، كثير من خيبة الامل ! ... ...
رءوف توفيق ١٣٢

● أبــواب ●

● دائرة المعارف القرآنية : النصر ... ...
د . محمد البهي ٣٥
● أوراق خضراء ٧٧
● من روائع الفن العالمي : سحر الشرق وتدفق الحياة ... ...
جمال قطب ٨٢
● لقطات من الكون المثير ٩٠
● العلم والمستقبل ... ...
لبنى الريدي ١٢٠
● هل تعلم ؟ ... ...
عبد العزيز السيد المصري ١٣٠
● ضحكات الشهر ... ...
صلاح الليثي ١٣٨
● دوحة القراء ١٤٢
● استراحة الدوحة (رءوف) ١٤٤
● الورقة الأخيرة .. شيء من التواضع ... ...
عبد الله الشيتي ١٤٦

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

وجهة نظر في أقدار الرجال:

لماذا الهجوم على محمد عبده والأفغاني ؟!

بقلم: محمد الغزالي

أكره التعصب المذهبى ، وأراه ضيق عقل وقلة علم ، أو ضيق خلق وقلة مروءة !

وأستحب التقليد المذهبى للعامة وأشباههم ، وللاخصائيين فى علوم الكون والحياة وشئون الدنيا ، حتى لا تشغلهم الفضول عن الأصول ! ! وأعنى بالأصول ما توفروا عليه من مهارات فنية وحيوية ، مدنية أو عسكرية لابد منها لدعم أجهزة الجهاد ورفع كفايتها ، فان مصاب المسلمين فى هذه الميادين فادح أو فاضح ... !

أما المشتغلون بعلوم الدين التقليدية ، فلا بأس أن يوازنوا بين وجهات النظر المختلفة ويرجحوا دليلا على دليل ومذهباً على مذهب ..

مع إكنان الاحترام للرجال الذين قادوا ثقافتنا القديمة ! وليس هذا تفضلا عليهم نتطوع به ، بل هو أدب ننزل به على قول رسولنا الكريم « ليس منا من لم يوقر كبيرَنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه » .

واحترامى لك لا يعنى بتاتا أن اسلم بكل ما تقول ، وتخطئتى لانسان ما لا تعنى ابداً أنى افضل منه ، إن حقيقة الفضل لا يعلمها إلا الله والأئمة الراسخون قد تقع منهم هنات ، وما يهدم ذلك مكانة حصلوها بالسهر والاخلاص والداب والتفانى ..

وقد نبتت فى عصرنا هذا نابتة سوء ، تغمز الاكابر بما تراه ماخذا عليها وتتعامى عن كل مالهم من حسنات .. !

من المعروف ان الامام الشافعى هو احد مجددى الاسلام ، وهو واضع علم الأصول ، والمحامى المجيد عن السنة النبوية ، ومع ذلك فان البعض لا يذكرونــه إلا بانــه يبيح زواج البنت من الزنى ، ويقترف بدعة القنوت فى الفجر .. وتوافه اخـــرى يذكرونها ..

وبهذا المنطق الصبيانى لا يبقى فى تاريخ المسلمين رجل موضع ثقة ! !

فمن من عباقرة الأرض رزق العصمة .. ؟ ذاك لو سلمنا بان ما ذكروا مآخذ .. ! اقول ذلك لمناسبة ما قرات من تهجم على الشيخ محمد عبده وهو احد رواد الاصلاح الحديث ، وروح الفقه المتجدد فى مدرسة المنار ..

أول ما عرفت الشيخ فى كتابه « رسالة التوحيد » وهو عرض جديد لعلم الكلام ردم الفجوة بين السلف والخلف ، وشرح العقائد شرحاً يمزج بين العقل والنقل ، وتجاوز الترف العقلى والجدل اللفظى ومنهج المتون والشروح ، وقدم أصول الاسلام تقدمة دقيقة جيدة ..

ثم قرأت كتابه عن الاسلام والعلم الذى رد به على وزير خارجية فرنسا ، فرأيت رجلا عليماً بالاسلام وتاريخه وفضله على الحضارة الانسانية ، عليماً فى الوقت نفسه بالنصرانية والهندوكية وتاريخها وما يكتنفه من غيوم ..

وقد ألف الكتاب فى ليلة واحدة لشدة غضبه من الهجوم الفرنسى ، وملأه بالوثائق التى تشرف الحق وتخزى الباطل .. !

من من علماء المسلمين فى عهده تحرك بهذه العاطفة ورد بهذا الرسوخ ؟ ؟

ثم قرأت تفسيره للقرآن الكريم ، ووجدت بواكير التفسير الموضوعى للسورة فيما كتب ، اهتدى إليها ذهن لماح مستوعب ، وبصر حديد فى إدراك الخيوط التى تشد أجزاء السورة ، كما تشد الأعصاب أجزاء الكائن الحى ..

ويمكن عند متابعة المنار أن يعرف فضل الرجل فى تجلية المعنى والحكمة ، ودفع الشبهات ودعم اليقين ..

قال صديق : لا تنس أن الرجل ـ من الناحية العلمية ـ متهم بتجاوز أحاديث صحاح ، وهو اتهام لو صح يسيء إلى مكانته ! قلت : نعم ، إن الذين يرفضون السنة النبوية مصدراً للتشريع بعد القرآن الكريم أقرب إلى الكفر منهم إلى الايمان ، وإذا كان رفضهم للمتواتر والآحاد جميعاً فهم كافرون يقيناً .. ! بيد أن هنا خلطاً مزعجاً ينبغى كشفه ، فان جماهير أهل العلم تعترف بالسنة جملة ، ويقوم لديها بعدئذ من الأسباب الوجيهة ما ترد به حديثاً من مرويات الآحاد .

والذين يفعلون ذلك لا يُسَمَّوْن مكذبين بالسنة ، فان ردهم لهذا الحديث إنما وقع لأنهم يستبعدونه من السنة المطهرة ، كأنهم يقولون عنه : هو موضوع ، أو فاقد لشرط من شروط القبول المقررة ..

قال : إنك تعلم دقة الشروط التى وضعها علماء هذا الفن لميز الصحيح والحسن والضعيف ! فهل تتهم ما ارتضوه من قواعد ؟

قلت : بل أنزل وينزل غيرى عندها ! فهى شروط جامعة مانعة ، لو نظر فيها رجل مادى لارتضاها فى ضبط الأخبار وتأصيلها !

وما حدث أن تساهلا وقع فى تطبيق هذه الشروط ..

فان حديث الثقات إذا ورد مخالفا لمن هم أوثق وصف بالشذوذ ، وان كان سنده صحيحاً ..

كيف تقع هذه المخالفة ؟ ان الراوى بشر قد يخطىء الفهم أو يغلبه النسيان وهنا تجيء المقابلة بين حديث وحديث وسند وسند ، ومع التحرى والاستقصاء يظهر الحق .. !

وقد تجيء المقابلة بين الدلالات المأخوذة من آية قرآنية ، وبين الخبر المروى عن طريق الآحاد ، ومن غرائب ذلك أن أبا حنيفة يبيح أن تباشر المرأة عقد زواجها بنفسها ويرد ما روى بالمنع ، لأن الله يقول « لا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف » ويقول « ... حتى تنكح زوجاً غيره » فنسب العقد إليها ، وهذا الاسناد حقيقى ولا داعى للقول بالمجاز .. الخ .. وأغلب الفقهاء يرفض هذا المذهب لضعف الاستنتاج ، وان أيده كثيرون والذى نلفت النظر إليه أن أحداً لا يرد حديثاً بالهوى ، أو لأنه لم يعجبه ، فذلك مسلك كما قلنا أقرب إلى الكفر منه إلى الايمان .

.. مع الامام مالك

ونتأمل فى مسلك امام فقيه محدث ، هو مالك بن أنس رضى الله عنه، يرى مالك أن للدينة المنورة على عهده ورثت علم الصحابة والتابعين ، وهم القرون المفضلة فى هذه الأمة ، وأن ما أجمع عليه أهل المدينة هو الصورة الدقيقة لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فاذا جاء حديث مخالف لما عليه العمل عند أهل المدينة تجهم له مالك ، وتوقف فى قبوله !

إنه وان رواه الثقة فقد خالف الثقات ، أى أنه وفق مصطلح أهل هذا الفن شاذ ، ومن ثم رفض مالك النافلة قبل المغرب ، ورفض تحية المسجد والامام يخطب من ورود أحاديث تجيز ذلك ، بل تستحبه .. إن موقف مالك من هذه المرويات كموقف عمر بن الخطاب من حديث فاطمة بنت قيس فى سكنى ونفقة المطلقة ثلاثا ، لقد رد الحديث ـ على صحته ـ قائلا : لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لحديث امرأة لا ندرى حفظت أم نسيت ! إنه لا يرد السنة وحاشا له ذلك ، إنه ينكر أن هذا الحديث سنة .. !! قال الشيخ عبد الله كنون كبير علماء المغرب ـ وهو مالكى المذهب .

« نلمح إلى رأينا فى تقديم مالك لعمل أهل المدينة على الخبر الصحيح الذى يروى عن طريق الآحاد فانا نرى أنه ذهاب منه إلى وجوب النظر فى متن الحديث كما ننظر فى السند . ان متن الحديث إذا وجد له معارض من الأصول والحقائق الثابتة المسلمة ، وكان من رواية الآحاد ، أى لم يكن متوتراً فيعلم بالضرورة أنه من الدين ، فانه يمكن وضعه موضع البحث ، ويتوقف العمل به حتى يبت فيه أهل العلم » .

قال : « مما يستأنس به لهذا ما روى عن ابن المعذل أنه قال :

سمعت انساناً سأل ابن الماجشون : لم رويتم الحديث ثم تركتموه ؟

فقال : ليعلم أنا على علم تركناه » ..

وهذا القول يرد على من زعم أن الامام مالكاً ترك العمل بالحديث لأنه لم يبلغه ، لا ، إنه بلغه ، ولكن ثقته برجحان ما عنده يأباه ..

ان الآحاد لا ترد الاجماع أو شبه الاجماع وهو يرى أن ما خالف اجماع أهل المدينة مرفوض ..

ويرى أبو حنيفة أن حديث الآحاد يفيد الظن الراجح ، فكل دلالة أقوى ترجح عليه كظاهر القرآن ، والقياس القطعى ..

مع الامام محمد عبده

وخصوم محمد عبده يكادون يتهمونه بالزيغ لأنه رفض حديث سحر الرسول صلى الله عليه وسلم مع أنه رفضه تعلقاً بظاهر القرآن الكريم ، وإعلاء لقدر المصطفى .

وأخلص من هذا التطويل إلى أن اتهام الرجل برفض السنة كلها لأنه اعترض أثراً محدداً جور شديد ، ومدرسة المنار شديدة الاحترام للسنة ولكن القرآن عندها الدليل المقدم ، ومن يعترض هذا ؟

قال الصديق : فى كلامك وجهة نظر قد

لماذا الهجوم على محمد عبده والأفغاني ؟!

تقبل ! لكن مالا يقبل تطويع القرآن لنظريات علمية أو مفاهيم حديثة ، ان تفسير الشيخ للملائكة ، وللطير الابابيل لا مساغ له ! قلت : قد يكون تطرف فى تقريب المعانى من أذهان المعاصرين ، ولست ممن يرتضون هذا المنهج ! ! غير انى اتساءل : لماذا يحسب عليه ذلك ولا يحسب له تفسيره القيم النقى لآيات سورة الأحزاب فى زواج بنت جحش ، وتفسيره الرائع لآيات سورة الحج « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشيطان فى أُمْنِيَّتِه ... » ! !

إن الرجل دمر خرافة الغرانيق التى وجدت لها أسانيد عند بعض المحدثين الكبار . ! وذاد عن السيرة الشريفة أوهاما تعكر صفاءها ، وبدا من أسلوبه فى الاستدلال انه استدرك على بعض المحدثين اهتمامهم بالسند وذهولهم عن المتن ، وانه رفض تقوية الفرع على حساب توهين الأصل ..

والواقع انه لا يرد أوهام المستشرقين ، ولا يصد مفتريات المبشرين إلا فكرعلى هذا الغرار ، فهل ذلك عيبه ؟

صحيح ان الجانب السياسى فى حياة الرجل موضع اخذ ورد ، واعرف انه كان فى وضع لا يحسد عليه بين محتل غاشم وقصر خائن وليست لى دراسة مفصلة لهذا الجانب ، وإنما اعلم ان دواعى التزكية والترجيح ، والاهانة والتجريح طيعة لمن أراد المدح والقدح والمصير إلى الله الخبير بالنيات ، وإنما عنانى فقط الجانب العلمى الذى يعنى المسلمين كلهم ، وله بحاضر المسلمين ومستقبلهم علاقة وثيقة ..

.. مع جمال الدين الأفغانى

واذكر فى سطور قلائل رايى فى جمال الدين الأفغانى ، لوددت أن يكون علماء الدين على صفته فى عزة النفس وشموخ الأنف والتوكل على الله ! عندما ذهب إلى الآستانة طلب منه السلطان عبد الحميد أن يدع مهاجمة شاه إيران ، وانصت جمال الدين دون أن يرد ، فلما طال إلحاح السلطان عليه قال منهيا الحديث : قد عفوت عنه ! !

وشده السلطان ! وذعرت الحاشية ! قد عفوت عنه ؟ العهد بعلماء الدين أن يكونوا مدفوعين بالباب ينتظرون الجدا ويشكرون الندى ! فما بال هذا الرجل يناصى الملوك ويحاكم اخطاءهم ؟

قال المؤرخون : ما كان جمال الدين يرى نفسه دون الخليفة !

وتذكرت وأنا أقرأ الحكاية بيتى الشريف الرضى ، وهو يعاتب الخليفة العباسى فى بغداد قائلا :

مهلا أمير المؤمنين فاننا
فى دوحة العلياء لا نتفرق !
إلا الخلافة ميزتك فاننى
انا عاطل منها وانت مطوق !

هل هذا السمو خلق عميل للماسونية كما يقال ؟ إنه خلق متوكل وثيق الصلة بربه ، راسخ القدم فى دينه ، وما سمعت قبله ولا فى عصره من كشف احقاد الصليبية العالمية والب الجماهير ضدها وشن الغارات شعواء على المستبدين والظلمة ، ونفخ من انفته فى الشعوب الراكدة المستعبدة يحضها على العمل لدينها ودنياها ، ان الرجل وحده كان صاحب هذا الصوت ويظهر ان تلك كانت جريمته .. ! !

قالوا : كان منتسباً لاحد المحافل الماسونية ، ولا انفى هذا ، وإنما اسال : فى اى كتاب اسلامى شرحت آثام الماسونية وحذر المسلمون منها قبل عصر الافغانى ؟ إنه خدع بكلمات الاخاء والحرية والمساواة كما خدعت امتنا اليوم فى المؤسسات العالمية الكثيرة ، والمهم انه منذ ظهر إلى أن مات عليلا أو قتيلا لم يؤثر عنه إلا العمل على استنهاض المسلمين وإحياء جامعتهم وحضارتهم ورسالتهم .. وذاك حسبه من الشرف ..

اذكر أن « بابا روما » الاسبق مات عقب مرض الم به فالف طبيبه الخاص رسالة لا ادرى ما فيها عن حياته الخاصة ، فصودرت الرسالة ، وفصل الطبيب من النقابة ، وانتهت حياته الاجتماعية .. !

وقد الفت عشرات الكتب عن « نابليون » تنوه بامجاده ، وتتواصى بالسكوت عن غدره وشذوذه وخسته .

القوم ان رأوا من عظمائهم خيراً اذاعوه وان رأوا شراً دفنوه ! اما نحن فمبدعون فى تضخيم الآفات ان وجدت ، واختلاقها ان لم يكن لها وجود ، والنتيجة انه لن يكون لنا تاريخ ..

وقد نظرت إلى علماء الدين الذين تناولوا الأفغانى بالسوء فرايتهم يحيون فى إطار تتبع الاستعمار الشرقى أو الغربى ، وانهم فى مواجهته ومواجهة سماسرته خرجوا بالصمت عن لا ونعم .. إن الهيابين لا يجوز أن يشتموا الشجعان .. !!

التعاون المثمر

واخيراً .. اريد ان اقترح تعاونا مثمراً بين مدرستى الأثر والراى فى ثقافتنا الاسلامية ، فان استباحة احد الفريقين للآخر وخيم العقبى على امتنا المنهكة المحاصرة ..

اذكر وانا طالب فى المرحلة الابتدائية انى قرات للزمخشرى هذين البيتين فى شتم معارضيه من أهل السنة .

لجماعة سموا هواهم سنة
وجماعة حمر لعمرى موكفة
قد شبهوه بخلقه من جهلهم
وتستروا فى زعمهم «بالبلكفة»
اى بلا كيف

ويظهر ان الرجل احب ان يهين من فسقوه ، فتناولهم بهذا الاقذاع وهو مخطىء بلا ريب .. !

ربما تحمل المسلمون إبان ملكهم العريض ، ودولتهم الكبرى نتائج هذا الشطط ، اما اليوم وهم كما قال الله فى اليهود قديماً « وقطعناهم فى الأرض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك » .

اما اليوم وهم غنائم باردة لما هب ودب فليغيروا من سلوكهم وليحسنوا ادبهم مع الله ومع انفسهم .. فجمع الشمل اولى والتلاقى على اركان رسالتنا اهم من التخاصم على سفاف الأمور .

محمد الغزالى

ترجمها عن الفرنسية : الدكتور محمد جابر الأنصاري

استمرار النهضة.. وإجهاض الرِّدَّة الفاشية

نظـرات في الظـاهـرة اليـابانيـة

مع هذه الرؤية الفرنسية المعاصرة لخصوصية التجربة اليابانية ، التى تتمثل فى كتاب الاخصائي الفرنسى روبير جيلان : « اليابان ، العملاق الثالث » ، نلقى نظرة شمولية ومتعددة الأبعاد على يابان القرن العشرين ، بعد اجتيازها لعهد النهضة الأولى ، أو عهد « الميجي » أي الحكم المستنير .

فى هذه القراءات المتتابعة عن التجربة اليابانية ، وقبل الشروع فى دراستنا المقارنة بين هذه التجربة والتجارب العربية فى عدد مقبل ، نمضي مع تصاعد النهضة اليابانية فى بداية القرن ، ثم تحولها الى الفاشية العسكرية التوسعية مع هبوب الرياح الفاشية العاصفة فى ايطاليا والمانيا ، ثم دخولها الحرب ضد الحلفاء الغربيين من بوابة « بيرل هاربر » ، أول هزيمة لأمريكا على يد قوة شرقية .

ولكن الحسابات اليابانية الحاذقة تخونها مفاجآت التاريخ الذى لا يرحم أحداً ! فتنتهى كل منجزات النهضة اليابانية فى المحرقة النووية الهائلة التى خططت لها الولايات المتحدة بتعمد واصرار للانتقام مَن اليابان وكل قوة شرقية تفكر فى رفع الرأس .. وتصبح اليابان دولة محتلة لأول مرة فى تاريخها .

غير أن الروح القومية اليابانية تثبت انها أقوى من التدمير النووى . وكالنهر القوى المتدفق تحول اتجاهها من طريق السياسة المسدود بفعل الاحتلال الأمريكى ، الى طريق التفوق الاقتصادى والتكنولوجى .. فيستفيق العالم على المعجزة اليابانية الثانية التى مازالت تنمو أمامنا ...

استمرار النهضة..
وإجهاض الرِّدَّة الفاشية

● بدايات القرن :
استمرار الإنطلاقة

كان مطلع القرن العشرين عصراً ذهبياً فى التاريخ اليابانى على الصـــــعيد الاقتصادى ، وعلى الصعيد السياسى ، سواء بسواء .

وتميزت السنوات ١٩٠٥ ــ ١٩١٣ بانها سنوات ازدهار BOOM أصابه

بعض الركود مؤقتا ، ثم استانف صعوده بسرعة عام ١٩١٥ بفضل مؤثرات الحرب العالمية الأولى ، وحتى سنة ١٩٢٠ ، تلي ذلك فترة تقدم اخرى بين ١٩٢٠ ــ ١٩٢٩ لكن ليست دون ضربات معاكسة :

(زلزال عام ١٩٢٣ ، بالاضافة الى مشكلات زراعية) .

ومنذ عام ١٩٢٩ ــ عام بداية الأزمـــة الاقتصادية الأمريكية الكبرى ــ تمر على اليابانيين ثلاث سنوات عجاف . إلا ان تخفيض العملة اليابانية عام ١٩٣١ ينعش الصادرات ، فيتواصل الازدهار الاقتصادي بين ١٩٣١ ــ ١٩٣٧ . غير ان الوضـــع السياسى فى هذه الفترة يتصف بالتازم المشوب ببوادر الكارثة حيث تتصاعد الروح العسكرية وتسرع اليابان خطاها نحو الحرب .

وتتضاعف الصادرات اليابانيـــة الى الأسواق العالمية ، فتثير ردة فعل أوربيــة تتمثل فى زيادة الحواجز الجمركية .

ويمكن القول ان اليابان الآن (فترة ما بين الحربين العالميتين) قد حققت نموها الاقتصادى الكامل فى ظل قيادة مجموعة من العائلات الكبيرة (الزيباتسو) التى تقاسمت الصناعات الكبرى والنشـــاط التجارى ، مؤكدة نفوذها ، مواجهة فى الوقت ذاته ، نفوذ العسكريين ، موازنة إياه .

كانت هذه الفترة فترة النجاح الأولى .

وبالتاكيد فقد كانت هناك نقاط ظل تبدو على اللوحة العامة ولكن مساحة الضــوء كانت هى الكاسحة ، ويمكن إرجاع هذا التقدم المؤاتي بالدرجة الأولى الى معطية أولية أساسية هى : نوعية الرجال .

فقد كان جيل الميجي متميزاً على مختلف الصعد من حكومية وصناعية وعسكرية وفنية وأدبية . وكان الرجال على مستوى رفيع من النوعية التى خلقتها ثورة اليابان الجديدة خلال ثلاثين سنة من التحولات الكبرى منذ منتصف القرن (التاسع عشر) والتى طبعتها بطابعها مؤثرات تاريخية شديدة القوة . ورغم ذلك فان أولئك الرجال طبعوا زمنهم بطابعهم ، وكانوا كوكبة من الشخصيات المؤثرة التى تركت بصماتها على تاريخ اليابان بصفة دائمة .

....

لقد كانوا واقعيين وتجريبيين ، واكثر من كونهم مثاليين ، وكانوا فى الأغلب خشنين أكثر مما كانوا رقيقين ، لكنهم كانوا على كل حال اقوياء الشخصية يوحدهم نفس الدافع المشترك : خلق الأمة .

وعندما قدموا للبلاد دستورها ــ رغم انهم حكموا لمدة عشرين سنة بدونه ــ فقد قدموا لها دستوراً يصلح لخلق دولة محافظة ومعتمدة على قيادة القلة الى حد كبير .

ولكن بالمقابل ، اظهر قادة عهد الميجي ، منذ البداية ، انهم كانوا تقدميين للغاية فى ميدان له أهميته القصوى فى تطوير البلاد ألا وهو حقل التعليم .

فقد فرضوا ، على الفـــور ، التعليم الابتدائى الالزامى ونظام المدارس الموحدة تحت اشراف الدولة . وجلس ابناء الأغنياء وابناء الفقراء جنباً الى جنب ، بما فى ذلك ابناء الفلاحين ، فى تكافؤ تام للفرص . ولم يكن لهذه الروح التحرريـة (الليبرالية) شبه أو نظير بأوربا فى ذلك الوقت ، إلا فيما ندر . وهكذا سقطت

الحواجز الاجتماعية واصبحت امكانية الصعود السريع متاحة للجميع مما أدى الى الاستفادة من أفضل العناصر فى البلاد دون تمييز ، وفى وقت مبكر وجدت هذه العناصر أبواب المعاهد العليا مفتوحة كجامعة طوكيو ، والمدرسة الحربية ، والمدرسة البحرية دون اى حاجز اجتماعى .

وبانتظار نتائج هذا التعليم ، كان قادة اليابان المنوطة بهم مسئولية بناء الاقتصاد لا يملكون فى الغالب غير معارف متواضعة جداً تعوض عنها على اى حال حماستهم الفائقة للعمل . كما كانت خصوبة افكارهم تعوض عن قلة تجاربهم التى اكتسبوها فيما بعد بحكم انغماسهم المبكر فى تولى المسئولية .

....

وقد سيطرت حماسة مماثلة على مختلف المستويات بما فى ذلك مستوى الصناعات الصغيرة الجديدة . وساروي هنا قصة أول مصنع غزل للحرير فى اليابان الحديثة . وهو مصنع اقيم فى توميوكا بجزيرة فقيرة من جزر الجنوب ، بمشاركة مهندسين فرنسيين جاءوا من مدينة ليون . وقد تركت لنا إحدى العاملات اليابانيات فى المصنع واسمها هايدكو وادا قصة البداية فى دفتر مذكراتها الخاصة الذى عثر عليه مؤخراً :

● قصة مصنع ياباني

تولى إدارة المصنع رجل عجوز فقير ينتمي الى « الساموراي » التى تمثل اصلا فئة المحاربين فى النظام الاقطاعى . ولم يكن هذا الرجل يملك خبرة سابقة فى هذا النوع من العمل . وقد بدأ بمحاولة توظيف بنات الفلاحين كعاملات فى المصنع . إلا ان آباءهن رفضوا ذلك لأن للمصنع ماكينـــة بخارية ومدخنة تنفث الدخان . وقالوا : ان هذه الآلة ستمتص دماء بناتنا !

بعد أن يئس من الفلاحين ، توجه المدير بلاعمال الى بنات « الساموراي » لكنه جوبه بنفس الرفض ، غير أن واحدة منهن فقط تقبل العرض ولم تكن هذه الواحدة غير ابنته .

وقد شجع قرارها بعض الأخريات فحذون حذوها ، وكانت بينهن « هايدكو » التى تركت لنا هذه القصة فى مذكراتها .

كن جميعهن بين السادسة عشرة والسابعة عشرة ، وعلى اكتافهن قام المصنع واستمر ، بالكثير من الجهد المدهش والمهارة والبساطة المتقشفة .

وبعد عام ، تمكنت الفتاة هايدكو من توفير خمسة ينّاتْ وهو مبلغ زهيد ، فقدمته إلى أبيها ليشترى به قميصاً يابانياً (كيمون) . ولكن الأب رفض شراء القميص واشترى بالمبلغ عوضاً عنه خضاراً مجففة وأرسلها كهدية الى عاملات المصنع ..

وكتبت الابنة فى مذكراتها : « أبي كان على حق .. » .

واليوم فان الافارقة والهنود وغيرهم يمكنهم أن يقتدوا بهذا المثل ويأخذوه قدوة لهم ..

● الجانب الآخر من الصورة

غير أن للصورة جانبها الآخر : فوضع العمال فى بداية عهد الميجي لم يكن وضعاً يحسدون عليه ، والطريقة التى عومل بها الشعب لم تكن طريقة يضرب بها المثل أو تستحق الاقتداء .

ولقد تحقق التصنيع باستغلال مكثف لطبقة الفلاحين وللأرياف ، حيث كان المزارعون الفقراء يدفعون ٥٠٪ من قيمة محصولهم لملاك الأرض . وتعرضت النساء لاستغلال اخر : ففى كثير من المصانع ، وعلى الأخص مصانع النسيج ، قلعة الرأسمالية اليابانية الوليدة ، كان العاملون من النساء ، وكانت غالبيتهن من بنات الفلاحين الفقراء اللاتى كن يشتغلن لتحصيل قيمة مهرهن قبل الزواج . وحتى عام ١٩٣٠ كان نصف القوة العاملة فى الصناعة من الاناث .

وبالنسبة للعمال - نساء ورجالا على حد سواء - كانت الرواتب متدنية بشدة ، وظروف العمل قاسية الى حد لا يصدق ، ولم تكن هناك أية ضمانات لهم . « أياً كان الأمر ، فهذه شهادة للتجربة اليابانية لا عليها ، فهؤلاء العمال لم يقولوا نحن غير منصَفين فإذن لن نعمل بجد ، ولكنهم تحملوا المصاعب من أجل اليابان وبنائها ، واذا كانت الرأسمالية اليابانية تلام على هذه القسوة فان الشعب اليابانى يستحق التقدير لاحتمالها صابراً من أجل بناء الوطن - المترجم » .

ولقد سهل وقوع هذا الاستغلال تدفق أعداد هائلة من فلاحي الأرياف على المدن مما أعطى لأصحاب العمل فرصة الحصول على اليد العاملة الوفيرة باجور زهيدة ، وتعبئتها فى عملية التصنيع ، وفى فترة تالية ستتحول هذه التعبئة البشرية الوافرة الى ميدان الحرب أيضاً .

ومن ناحية اخرى ، فان سلسلة النجاحات لن تستمر دون انقطاع بعد وفاة الامبراطور ميجي عام ١٩١٢ عن عمر يناهز الستين .

ولقد تغير اتجاه الرياح منذ حوالى ١٩٠٩ بحادث اغتيال بطل الدستور اليابانى ، الأمير « إيتو » فى « خاربين » على يد أحد الوطنيين الكوريين المتحمسين ، الذى أراد الانتقام من اليابان لاحتلالها بلاده فى تلك الفترة . كما جاء انتحار الجنرال « نوجي » والوصية التى تركها فى إدانة الملابسات الأخلاقية التى كشف عنها تطور الأوضاع ، جاء ذلك كله بمثابة فأل سيء ونذير شؤم بالنسبة لمسار الأحداث .

فبعد الحرب العالمية الأولى أخذ يتكشف النجاح الياباني وينحسر عن ملامح الكارثة على مدى ربع القرن التالى .

فكيف نفسر هذا التراجع والانتكاس المستغرب ؟

يحاول اليساريون اليابانيون تفسير ذلك باسقاط التقييم الايجابي الشائع لاصلاحات عهد الميجي ، وبادانة هذا العهد بصورة شاملة ، لأنه كان يحمل ، فى نظرهم كل بذور الروح العسكرية والفاشستية التى طغت على اليابان فيما بعد . وهم يرون ان النجاح الخاطف لليابان فى بداية النهضة كان نتيجة مجموعة من التناقضات الكامنة فى صميم حقبة الميجي التى ظلت حقبة إقطاعية فى الجوهر ولم تتطور الى رأسمالية عصرية حقيقية .

ولكنا نرى ، مع المراقبين والمؤرخين والنقاد اليابانيين الآخرين ، ان هذا التفسير تبسيطي للغاية لأنه ينظر إلى مفهوم « الاقطاعية » وكأنها خطيئة أصلية ويختصر كل الأمور والقضايا من خلالها .

إن واقع الرجال والقضايا يبدو فى الحقيقة اكثر تعقيداً ويتطلب تحليلا اكثر إحاطة وتفصيلا .

فمن حيث نوعية الرجال تدنت المستويات بصفة عامة مع الجيل الثالث بعد الميجي .. ورغم أن النظام استمر فى إعداد إداريين اكفاء إلا ان الرجال ذوي الرؤية البعيدة والقرارات التاريخية أخذ يتناقص عددهم مما أدى الى عقم على مستوى القيادة ..

وأخذت الدولة تنقسم إلى نوع من الأحلاف العائلية المتنافسة دون أن تكون هناك قوة توفيق أو سلطة دستورية عليا قادرة على إزالة الخلافات أو التقليل منها .

وياتي الجيش ليستفيد من حالة الارتباك والبلبلة . ومنذ البدء كان هنك تركيز على أهمية الجيش ، وتبرير لدوره باعتباره قوة ضرورية لا غنى عنها للدفاع عن الأمة الصاعدة ، ولكنه تجاوز هذا الحد ليتحول إلى قوة هجومية فى السياسة الداخلية والخارجية على حد سواء .

● مسئولية العسكريين فى اليابان

ولقد ظهرت فى الواقع أحزاب سياسية

استمرار النهضة..
وإجهاض الردّة الفاشية

المنطقة الصناعية بين طوكيو ويوكاهاما التى تنتج فيها اضخم الصناعات التعدينية والكيماوية والبتروكيماويات



وتحقق تقدم معين فى التجربة الديمقراطية ، ولكن جاءت الروح العسكرية (أو عملية التجييش ، ان صح التعبير) لتمثل عائقا أمام ذلك التقدم الديمقراطي .

وأعطى الجيش لنفسه حق الاتصال بالامبراطور مباشرة من فوق رؤوس الوزراء المدنيين .

وهكذا استطاع العسكريون ودعاة الفكرة العسكرية فرض اتجاههم المتشدد على شعب ممتاز ، لكنه مازال مفتقراً الى النضج السياسى ومع تعدد المشكلات وتفرعها فى « فترة ما بعد الميجى » ، كان العسكريون المحدودو النظر يسارعون الى فرض حلولهم فى اغلب الاحوال .

كانت هذه المشكلات مشكلات اجتماعية قبل كل شىء وذات طبيعة متفاعلة وحافلة بالمضاعفات ولدها التصنيع السريع المتراكم وانفجار المدن بالسكان ، وتصاعد البروليتاريا العاملة ، وإفقار الارياف ، واستخدام قسم محدود من اليد العاملة ، وانتشار البطالة .

وقد صاحب الصعود الحاد لقوة اليابان الجديدة ، ارتفاع متزايد فى عدد السكان ، فقد قفز من حوالى ثلاثين مليونا فى بداية عهد الميجي الى أربعة وأربعين مليونا عام ١٩٠٠ ، فالى ثلاثة وسبعين مليونا عام ١٩٤٠ . وهكذا ابتلعت الزيادة السكانية النمو الاقتصادى والغت أثره فى حقيقة الأمر (١) .

وفى الوقت ذاته ، غدت اليابان بتاثير عملية التصنيع والتحديث أكثر اعتماداً ، وبشكل متزايد ، على الخارج . وتحتم عليها أن تزيد من حركة الاستيراد ، والتصدير ، بكميات متنامية .

ومن وجهة نظر العسكريين فان هذه المشكلات ذات الطبيعة الاجتماعية والديموغرافية (السكانية) والسياسية ، لم تكن تجد لها غير حلول عسكرية : فالتجنيد والفتوحات الاستعمارية هى وسيلة الحصول على المؤن والاغذية والمواد الخام فضلا عن تامينها للأسواق .

وشيئا فشيئا اخذت اليابان تتعود على استخدام القوة كوسيلة لحل مصاعبها الداخلية والخارجية . ومنذ احتلالها لمنشوريا عام ١٩٣١ صار تقدمها يعتمد ، بشكل وثيق ، على مدى ما تحققه من توسع عدوانى فى القارة الآسيوية .

هو الحل لمشكلة البطالة ، والتسلح هو السبيل لانعاش الصناعة ودفع مسيرتها ،

والأسوأ من ذلك ، انها اعتقدت ، فى ضوء تصاعد الأحداث الأوربية ، أن رياح التاريخ تهب فى العالم لصالح الفكرة الفاشية .

واقتنعت أنها ، بالمراهنة على انتصار هتلر ، سوف تضمن لنفسها حصة الأسد فى عملية اقتسام العالم المقبلة ..

وتحت تاثير الحصار الاقتصادى ، والارتباط بمعسكر المحور ، انتهت اليابان بقذف نفسها فى مغامرة «بيرل هاربر» المجنونة (٢) ..

د . محمد جابر الأنصاري

هوامش :

١ ــ ان ظاهرة ابتلاع الزيادة السكانية للنمو الاقتصادى ظاهرة يعانى منها الى الآن اكبر بلد عربي وهو مصر . ومن المفيد دراسة الكيفية التى وازنت بها اليابان بين الناحيتين، والجدير بالذكر ان الرئيس المصرى حسنى مبارك قد اشار فى احدى المناسبات الى ضرورة الاستفادة من التجربة اليابانية بصفة عامة ، خاصة ما تعلق بالعمل والانتاج ــ المترجم

٢ ــ تختلف وجهات النظر بشان قرار اليابان ضرب القاعدة الامريكية فى بيرل هاربر اثناء الحرب العالمية الثانية . وليس من الضرورى ان نعتبر ضرب اليابان للقوة الامبريالية الامريكية فى المحيط الهادى مغامرة مجنونة ، فى حد ذاتها ، إلا باعتبار ما جلبته عليها من انتقام نووى امريكى وهذا ما قصده المؤلف المترجم .

(يتبع الحلقة ٤)

حسين جعفر

الألماني الذي أراد أن يحكم مصر

بقلم: الدكتور السيد فهمي الشناوي

هذه قصة مغامر سياسى أراد أن يحكم مصر فى الاربعينات ، أثناء الحرب العالمية الثانية ولو أن المانيا خرجت منتصرة فى هذه الحرب ، لكان هذا المغامر قد استقر فى مصر ، واستطاع أن يحكمها فى ظل النفوذ الالمانى ، ولكن «روميل » القائد الألمانى العبقرى فشل فى دخول مصر بعد أن أصبح على بعد تسعين كيلومترا من الاسكندرية ، وكان سبب فشله الرئيسى فى دخول الاسكندرية ومصر كلها بعد ذلك أن هتلر عجز عن تزويده بالامدادات البترولية والعسكرية التى كان بالامكان أن تساعده على دخول مصر واحتلالها . ولقد كان هناك أسباب أخرى لفشل الغزو الألمانى لمصر سوف نتعرض لها هنا مع قصة ذلك المغامر الألمانى العجيب الذى أراد أن يحكم مصر .

وقد أصدر هذا المغامر الألمانى الذى يعيش فى باريس الآن كتاباً جديداً شرح فيه مغامرته الكبرى وألقى فى هذه المذكرات أضواء على الواقع السياسى والعسكرى فى مصر خلال الحرب العالمية الثانية .

فى السنوات الحرجة من الحرب العالمية الثانية ، وعندما اقترب القائد الألمانى « روميل » من الحدود الغربية لمصر ، حاول ضابط مصرى لامع هو « الفريق عزيز باشا المصرى » أن يهرب من مصر ليلتقى بالقائد الألمانى ، ويساعده على دخول مصر ، وقد قام عزيز المصرى بهذه المحاولة أربع مرات ، وكان أشهرها تلك المحاولة التى هرب فيها بطائرة كان يقودها الضابط الطيار حسين ذو الفقار صبرى « الذى أصبح بعد ثورة ١٩٥٢ نائباً لوزير الخارجية ثم مستشاراً سياسياً لجمال عبد الناصر » ، وهذه المحاولة بالتحديد هى المحاولة المعروفة ، أما المحاولات الأخرى فمجهولة ، وقد سقطت طائرة عزيز المصرى وحسين ذو الفقار فى القليوبية ، وفشلت محاولة الهروب إلى الألمان .

فى هذا الوقت نفسه سنة ١٩٤٢ ، نجح شاب فى الخامسة والعشرين من عمره فى الوصول من مقر روميل إلى القاهرة . هذا الشاب صاحب القصة العجيبة هو حسين جعفر ، وذلك هو الاسم المصرى له ، أما اسمه الألمانى فهو « جون ابلر » ، وقد وصل حسين جعفر هذا ، من مقر قيادة روميل إلى القاهرة ، دون أن يستخدم غواصة او طائرة ، بل استخدم سيارة عسكرية مشابهة لسيارات الجيش البريطانى ، ولبس الملابس العسكرية البريطانية وكان يصحبه اربعة من بينهم إيطالى هو « الكونت ألمازى » ، وكان « الكونت ألمازى » هذا قد عاش فى مصر وجاب صحراءها واكتشف إحدى واحاتها وسماها باسم « الزرزور » وذلك لان هذه الواحة كانت مليئة بطائر الزرزور الذى يشبه العصفور أو هو بالأحرى نوع من العصافير ، وعندما وصلت هذه المجموعة ـ مخترقة الصحراء الغربية ـ إلى مشارف أسيوط تركوا حسين جعفر أو « جون ابلر » ومعه شخص واحد مختص بالاتصال اللاسلكى ، وتسرب حسين جعفر ومعه رفيقه إلى أرقى أحياء القاهرة فى الزمالك حيث سكنا فيها ثم انتقلا إلى عوامة على النيل حيث اقاما بجوار مساكن اكبر قادة الامبراطورية الانجليزية .

الباب الأمامى والباب الخلفى

كان الهدف من هذه المغامرة الألمانية ، هو تحقيق مبدأ حرصت عليه ألمانيا خلال الحرب الثانية ، هذا المبدأ هو الذى يقول : إنه فى الوقت الذى تطرق فيه الباب الأمامى لبلد تريد غزوها ، فلابد من وجود عميل لك يطرق باب هذا البلد من الخلف .

وكان حسين جعفر هو العميل الألمانى الذى كانت مهمته تامين حركة التجسس الألمانية ضد الانجليز داخل القاهرة .

حسين جعفر

الألماني الذي أراد أن يحكم مصر

وبعيداً عن هذه المغامرة ، فلقد فشلت ألمانيا فى غزو مصر لسببين : الأول انها حاولت الغزو من جهة الغرب ، بينما كانت مصر على مدى التاريخ ، ومنذ سبعة آلاف سنة لا تتعرض للغزو أبداً إلا من الشرق او من الشمال « عن طريق البحر الأبيض المتوسط كما فعل الاسكندر ونابليون والانجليز » ، اما السبب الثانى لفشل الألمان فى غزو مصر فهو ، كما يروى حسين جعفر موضوع هذا المقال نقلا عن روميل نفسه : أن هتلر فاته أن يغزو مالطة قبل غزوه لمصر ، وشغل نفسه بفتح « مقبرة كبيرة » لألمانيا – على حد تعبير روميل – فى البلقان وغربى روسيا . وبذلك ظلت مالطة حاملة طائرات بريطانية ، وكانت تمنع وصول ٦٠٪ من الامدادات العسكرية والبترولية إلى قيادة روميل فى شمال إفريقيا .

ولقد كان تشرشل أكثر إدراكاً لحقيقة التاريخ من هتلر ، فعرف أن مصير العالم والحرب لا يتقرر فى اوروبا ، وعندما كانت بريطانيا مهددة بالغزو لم يكدس السلاح فى بريطانيا ذاتها ، إنما كدسه فى مصر ، فقد كان يعلم أن مصر هى أهم موقع جغرافى فى العالم كما قال نابليون ، أو هى « رقبة العالم » كما قال ايزنهاور .

ألمانى فى مصر ..

نعود إلى موضوعنا الأصلى ، وهو المغامر السياسى حسين جعفر أو « جون ابلر » .. إن صاحب هذه الشخصية الغريبة مازال حيا ، وهو يقيم فى باريس فى شقة فاخرة على نهر السين ، ولكنه يقول فى مذكراته : إن مصر هى اجمل بلد فى العالم كله .. بشرط أن تكون غنياً ! .

ولد حسين جعفر من أم ألمانية وأب ألمانى ، وكانت أمه تملك فندقاً متوسطاً بالاسكندرية ورثته عن عمة ألمانية كان تعيش هى الأخرى فى الاسكندرية ، وقد ولد حسين جعفر مسيحياً وتعمد فى الكنيسة ، ثم مات أبوه وهو صغير ، وتزوجت أمه من ثرى مصرى كان يقيم فى فندقها كلما نزل إلى الاسكندرية ، وهذا الثرى هو « صلاح جعفر » ، وعندما تم هذا الزواج بين الثرى المصرى وصاحبة الفندق الألمانية ، كان ابنها من زوجها الألمانى لم يتجاوز الشهور الأولى من عمره ، وهنا تقدم الزوج المصرى الجديد واتفق مع زوجته الألمانية على تبنى الطفل بصورة كاملة ، وبدأ صلاح جعفر ينظر إلى الطفل على أنه ابنه فعلا ، وأسماه « حسين جعفر » وختنه كأى طفل مسلم ، وجاء له بمدرس ساعده على حفظ جزء كبير من القرآن ، بل إن حسين جعفر قد أدى بعد ذلك فريضة الحج ، وعاش ٢٥ سنة فى مصر يأكل طعام أهلها ، ويتذوق الفولكلور المصرى ويعشق حوارى الجمالية وباب النصر والمغربلين ويصفها على صفحات مذكراته فى لوعة وحسرة .

ولكن العرق دساس ، أو كما يقول المثل الشعبى فى مصر : يا مربى فى غير ولدك ، يا بانى فى غير أرضك !

لقد رزق الأب « صلاح جعفر » بولد آخر من الزوجة الألمانية ، ولكن هذا الأب ظل يعتبر « حسين » ابنه الأول ، وكان يحبه ويهتم به أشد الاهتمام ، ومع ذلك فلم يكد حسين جعفر يبلغ سن الشباب حتى طغت عليه ألمانيته ، ووهب نفسه تماماً ليلعب دوراً تاريخياً يخدم به وطنه الأول ، وهو وطن لم يره ، ولم يشرب ماءه ، ولم يستنشق هواءه .

وعندما قام حسين جعفر أثناء الحرب العالمية الثانية بمغامرته الكبيرة ، وانتهت هذه المغامرة بأن اكتشفت السلطات البريطانية أمره وقبضت عليه ، كان لسجنه أثر كبير على والده المصرى « بالتبنى » ، فمرض الرجل مرضاً شديداً حزنا على ابن زوجته ، وقد تمت محاكمة حسين جعفر أو « ابلر » أمام محكمة عسكرية حكمت عليه بالاعدام هو وزميله المتخصص فى اللاسلكى والذى كان يرافقه فى مغامرته . وهنا وقف والده المصرى بالتبنى ، ليستخدم نفوذه ونفوذ عائلته الثرية بما لها من علاقات سياسية واسعة للتوسط لابنه بالتبنى لدى الانجليز حتى يمكن انقاذه من حكم الاعدام . وقد وصلت هذه الوساطات إلى تشرشل نفسه فى زيارة له إلى مصر ، وطلب تشرشل مقابلة « ابلر » وناقشه فى تفاصيل مغامرته ، ووعده بالعفو عنه إذا صدق معه ، ثم انتهى الأمر بتخفيف حكم الاعدام إلى السجن لمدة سنوات قليلة . وقد قال تشرشل وهو يصدر القرار بتخفيف حكم الاعدام إن حسين جعفر أو « ابلر » وزميله كانا يؤديان دوراً وطنياً من وجهة نظرهما ، ولذلك ، فهما يعتبران من الخصوم السياسيين ، وعلى أساس هذا التفسير تم تخفيض حكم الاعدام .

المغامر فى نشأته ..

ونتوقف هنا لنشير إلى بعض المعانى الانسانية فى هذه المغامرة السياسية ، المعنى الأول هو أن هذا الأب المصرى لم يترك ابنه بالتبنى فى أزمته ، ولم ينفض يده من القضية ولم يستنكر ما حدث ولم يحتج عليه ولم يتبرأ من الابن ويعلن انه ليس من صلبه ، بل إن هذا الأب لم يترك شخصية سياسية لها نفوذ فى مصر من غير أن يحركها للتوسط لابنه بالتبنى لدى الانجليز .

أما المعنى الانسانى الثانى فيتضح لنا عندما نعلم أن هذا الأب المصرى « صلاح جعفر » عندما علم بأن ابنه بالتبنى قد حصل على قرار بتخفيف حكم الاعدام عليه ، فانه تمتم بكلمات الشكر لله ثم مات على الفور !

كان هذا الوالد من أبناء سيناء ، ومن كبار الأغنياء فيها ، وكان له قصر كبير يقوم على نيل المعادى ، إحدى ضواحى القاهرة ، وفى هذا القصر الكبير تربى حسين جعفر أو « ابلر » منذ طفولته ، وكان يستطيع من قصره فى المعادى أن يرى الأهرام على الشاطىء الثانى من النيل ، وكان يستطيع أن يرى أقدم مقبرة فى العالم وهى مقبرة : سقارة . وفى هذا القصر كان هناك خدم كثيرون ، كما تعود عربان سيناء والصحراء الغربية أن يأتوا إليه فى المناسبات . وكان هناك مقرىء للقرآن يقرأ فى القصر كل يوم بضع آيات . وفى هذا الجو الذى نشأ فيه حسين جعفر أو « ابلر » ، استطاع أن يتعلم اللغة العربية ويجيدها إجادة تامة ، وكان يتكلم اللهجة المصرية مثل المصريين تماماً .

عملية كوندور

وقد كان الأب المصرى يعمل سمساراً ومقاولا لدى شركات البترول والتعدين فى سيناء ، ومن هذا العمل كون ثروة ضخمة وعاش فى ترف كبير ورخاء واسع ، وكان الأب يصحب ابنه بالتبنى معه إلى صحراء سيناء ، بل لقد قضى فترة رضاعته وطفولته فى سيناء ، وعندما شب الصبى أخذه عمه « بالتبنى أيضاً » اسماعيل جعفر معه ليجح على ظهور الجمال . ويقول « حسين جعفر » أو « ابلر » « إن هذه الرحلة ، وركوب الجمال ، والحياة مع البدو فى الأكل والكلام والنوم هى التى نزعت من قلبه الخوف وحب الدنيا والأعراف العربية المستقرة فى النفس المتحضرة ، ومن هنا ، وبهذه النفسية بدأ حسين جعفر حياة المخاطرة والمغامرة فى سبيل ما يعتقده من مبادىء وأفكار .

وقد وصل حسين جعفر إلى القمة فى مجاله ، فقد كان الوحيد من بين رجال المخابرات الألمانية الذى يستطيع أن يتصل مباشرة بهتلر ووزير خارجيته روبنتروب . وقد عاش هذا الرجل فى مخابىء القاهرة فى ذروة الوجود الانجليزى أثناء الحرب العالمية الثانية ، وسافر إلى تركيا والعراق وسوريا ولبنان وإلى دول أوروبية كثيرة أخرى ، وكانت له منازل للاقامة فى الاسكندرية وبوخارست وبرلين فى وقت واحد . هذا المغامر اختارته ألمانيا لكى يساعد « روميل » فى غزو



عزيز المصرى



تشرشل



روميل



الحاج امين الحسينى

مصر ، ويكفى لتقدير الجهد الذى بذله هذا المغامر ان نذكر انه عبر الصحراء التى تفصل ليبيا عن مصر فى وقت لم يكن فيه اى خرائط لهذه الصحراء على الاطلاق ، وقد سبق ان تاه فى هذه الصحراء نفسها ، وفى ايام السلام ورغم الامكانيات ، ابطال ومغامرون . ولكن هذا المغامر ذا الأصل الالمانى استطاع ان يعبر هذه الصحراء المخيفة فى عز ايام الحرب والصراع الدولى دون ان يضل الطريق .

كانت مغامرة حسين جعفر تحمل اسماً سرياً هو « عملية كوندور » ، وقد روى الرئيس الراحل انور السادات والمؤرخ محمد صبيح طرفاً قصيراً منها فيما كتباه عن فترة الحرب العالمية الثانية .

كان ابلر أو حسين جعفر هو الذى قام بتهريب مفتى فلسطين الحاج امين الحسينى إلى المانيا ، وكان المفتى مختبئاً فى بيروت ، ولم تستطع المخابرات الانجليزية ان تصل إلى مخبئه ، ولكن حسين جعفر وصل إلى المخبأ ، واستطاع ان يتولى عملية تهريب المفتى إلى برلين بصورة دقيقة .

وبعد هذه العملية الكبيرة طلب منه المسئولون عن المخابرات الالمانية ان يعود إلى مصر ليؤدى دوره فى جمع المعلومات وتسريبها إلى الالمان .

وهنا تبدأ المغامرة الكبيرة .

فقد بدأ حسين جعفر مغامرته من معسكرات روميل فى شمال افريقيا ، ليخترق الصحراء التى تفصل بين ليبيا ومصر ، حتى يصل إلى القاهرة ، دون أن يقع فى ايدى القوات الانجليزية التى تملأ الطريق بمعسكراتها الكثيرة . كان الوقت هو مايو ١٩٤٢ ، والصحراء فى هذا الوقت تبدو وكانها قطعة من جهنم ، أما الطريق الذى كان على حسين جعفر ان يخترقه فقد كان طوله الف كيلومتر . وقد قطع حسين جعفر هذا الطريق كله وانتقل من واحة إلى واحة ، ولم ينس أن يسجل فى مذكراته « أن نساء الواحات هن اللائى يحافظن على الشخصية الشرقية عبر التاريخ كله ، وهن اللائى يحفظن للشرق اسراره وتقاليده وتراثه وتاريخه ، والمرأة فى الواحات هى اكثر نساء الأرض امانة وصلابة وحفاظاً على عقائدها المختلفة » .

أسرار الجيش الانجليزى

كانت مغامرة حسين جعفر فى اختراق الصحراء مغامرة صعبة ومحفوفة بالمخاطر . ولكنه فى أخر الأمر استطاع أن يصل إلى القاهرة بعد أن كاد الانجليز يعتقلونه عند أسيوط ولكنه اقنع المحققين الانجليز انه مصرى من عائلة جعفر واظهر باسبوره الذى يثبت ذلك ، أما الذى معه وهو ساندى فقد كان يحمل باسبوراً أمريكياً مزوراً لم يكتشف الانجليز تزويره ، ولذلك سمحوا لحسين جعفر وزميله ساندى بدخول مصر . والغريب انه كان يحمل حقيبة مليئة بالاف الجنيهات الاسترلينية المزورة فى المانيا . كما كان زميله يحمل حقيبة اخرى مليئة باجهزة لاسلكية ، لاستخدامها فى ارسال المعلومات إلى القيادة الألمانية ، واستاجر حسين جعفر صبياً نوبياً من اسيوط ليحمل الحقيبتين معه حتى لا يثير الشك فيه وتتعرض الحقيبتان للتفتيش ، ونجحت المغامرة باكملها ووصل حسين جعفر إلى القاهرة ومعه رفيقه ساندى والاف الجنيهات الاسترلينية المزورة تزويراً دقيقاً واجهزة اللاسلكى المطلوبة .

وتتابعت احداث المغامرة الكبرى بعد ذلك .

سكن حسين جعفر فى الزمالك هو وصاحبه ساندى ، واتصل بالأحزاب المصرية ، بل واتصل بحاشية فاروق ، وخاصة سكرتيره الخاص « انطون بوللى » ، واتصل أيضاً بعدد من ضباط الجيش وعلى رأسهم انور السادات ، كما اتصل براقصة معروفة هى « حكمت فهمى » التى كانت تجمع المعلومات وتقدمها إليه ، وذلك من خلال اتصالها بالجنرالات الانجليز الذين كانوا يسهرون فى ناديها الليلى ، وكان من بين المعلومات التى حصل عليها حسين جعفر : عدد الألغام المرسلة إلى الصحراء ونوعيات الأسلحة ، وكان تسرب هذه المعلومات إلى الألمان سبباً فى طرد احد كبار القواد الانجليز فى مصر . وقد تطور الأمر فاستاجرت الراقصة حكمت فهمى عوامة على النيل ليستخدمها حسين جعفر ويرسل منها معلوماته إلى القيادة الألمانية ، وقد اشترك السادات مع حسين جعفر فى كثير من هذه العمليات ، على اعتبار أن مساعدة المخابرات الالمانية كان عملا ضد الاحتلال الانجليزى ، وكان السادات يساعد حسين جعفر فى ترتيب لقاءات له مع عزيز المصرى فى احد البيوت فى حى « المنيل » .

يهودية تكشف السر

وبقي حسين جعفر يقدم المعلومات الهامة إلى قيادة روميل حتى تم كشف شبكته عن طريق بعض اليهود المقيمين فى مصر ، فقد تعرف حسين جعفر على فتاة يهودية اسمها « اديث » وكانت هذه الفتاة اليهودية مرتبطة بعصابة « شتيرن » الصهيونية المعروفة ، وقد استطاعت « اديث » ان تكشف حقيقة حسين جعفر وابلغت معلوماتها للمخابرات الانجليزية فتم القبض على حسين جعفر وزميله ساندى ، وانور السادات ، وحكمت فهمى .

وانتهت القصة كما روينا فى البداية بتخفيض حكم الاعدام عن حسين جعفر وزميله ساندى ، وبقيا فى السجن بضع سنوات ثم افرج عنهما .

مازالت حكمت فهمى تعيش إلى اليوم فى الصعيد بعد ان قضت عاماً واحداً فى السجن بسبب هذه القضية . أما حسين جعفر فهو يعيش فى باريس مع زوجته « دينيس » ..

لقد قال « سانسوم » رئيس المخابرات البريطانية الذى قبض على حسين جعفر :

« عندما التقينا وجهاً لوجه ادركت ما بيننا من شبه . كلانا يتكلم العربية كاهلها ، وكلانا تربى فى مصر ، وكلانا يخدم بلده . ويكفى حسين جعفر انه نبذ حياة الرفاهية التى كان يمكنه أن يعيش فيها من خلال انتمائه لعائلة جعفر ، وذلك ليخدم المانيا التى لم يولد فيها ، وزعيماً لم يعرفه من قبل هو هتلر » .

لو أن روميل كان قد نجح فى غزو مصر ، واستطاع حسين جعفر أن ينجو من اكتشاف الانجليز له .. فان حسين جعفر بالتاكيد كان سوف يصعد إلى القمة فى حكم مصر فوق أسنة الحراب الألمانية .

السيد فهمى الشناوى

كيف نحمي العروبة

من عقدة النقص والتعب التاريخي؟

بقلم: الياس سحاب

● إن شعباً ليست لديه خصوصيات يضيفها إلى الحضارة الإنسانية العامة لا يشعر أصلاً بالحاجة إلى تحمل مشقات القرارات السياسية المستقلة

● إن أخطر ما يواجهنا به الغرب هو التغلغل في خزان الوجدان الشعبي العربي .. خط الدفاع الأخير في معركة الاستقلال الحضاري

كنت دائما اتساءل : ما الذى يجعل المثقف العربى ، كلما شعر باهتزاز مواقفه السياسية ، يهرع الى بيئته الشعبية (كالطفل الذى يهرع الى حضن امه) يلتمس فيها ومنها تصحيح بوصلته السياسية ؟ .

وكنت اتساءل ايضا عن سر تفشي هذه الظاهرة بشكل ملفت للنظر فى الفترة التى اعقبت هزيمة حزيران ١٩٦٧ بالذات .

وكان الجواب عن السؤالين واحداً ، وهو ان البيئة الشعبية الأقدر من المثقفين على الاستقلال الحضارى عن العدو السياسي الرئيسي (الغرب) ، هى الأقدر ايضاً على صياغة اساسيات المواقف السياسية السليمة ، فى مسيرة الصراع السياسى المفتوح مع الغرب .

ومع كل ذلك ، ولأن الصفوف الامامية لقوات الاستقلال الحضارى العربى كانت ضعيفة الانجازات المعاصرة الجذرية ، كثيرة الاعتماد على خطوط الدفاع الخلفية التى تشكلها البيئة فان الخيبات المتكررة ، قد جمعت كل رواسبها على ما يبدو فى الهزيمة العسكرية لعام ١٩٦٧ .

فمع ان الظروف العربية قد اثبتت ، حتى بعد رحيل عبد الناصر ، ان الهزائم العسكرية ليست بالضرورة نهاية المطاف لدى الأمم الحية ، ومع ان هذه الهزيمة كانت على العكس مما أريد لها ، مناسبة لنسف كل الحواجز التى كانت تحول دون بناء قوة عسكرية عصرية فى قاعدة الحضارة العربية المعاصرة بمصر ، ومع ان هذا الجيش العصرى تمكن ـ حتى بعد رحيل قيادته السياسية المتقدمة ـ من خوض أول حرب عربية معاصرة منتصرة ، فان كل ذلك لم يستطع ان يحمى خزان الوجدان الشعبى الذى انهك من كثرة الاستقاء من معينه ، عندما حلت به لحظة « التعب التاريخى » .

إن اية مقارنة بين العقد العربى الاخير ، وبين اية فترة صعبة اخرى فى الحياة العربية المعاصرة ، تؤكد لنا انه اذا كان العرب لم ينجزوا فى اية فترة سابقة وحدتهم القومية ، فان هذه الوحدة المنشودة لم تكن مهددة مثلما هى اليوم ، حتى ليهيأ لنا احيانا ان كل بذور التجزئة والتفكك التى ما فتىء الاستعمار الغربى يزرعها فى بلادنا منذ ثلاثة قرون ، بشتى وسائله الثقافية اولا ، ثم السياسية والعسكرية والاقتصادية ، قد اينعت كل ثمارها دفعة واحدة فى هذا العقد الأخير .

كنا قبل ذلك ، نظن ان اخطر ما يمكن ان يواجهنا به الغرب ، هو زرع عقد النقص إزاءه فى أدمغة المثقفين العرب ، فيصبح الغرب بقيمه ومثله وفلسفته ومزاجه واسلوب حياته ، المثل الحياتى الاعلى فى نظر حتى اولئك المثقفين الذين يعلنون العداء السياسي للغرب .

كنا نعتقد ان تلك ذروة الاقتحام الغربى لنا ، وكنا كلما هزمنا فى تلك الصفوف الامامية ، نلجأ الى خط الدفاع الأخير ، البيئة الشعبية العربية هناك . ولكن السنوات العشر الاخيرة حملت لنا النذير الكبير : لقد بدأ الاقتحام



جمال عبد الناصر .. محاولة حضارية للقضاء على عقدة النقص امام الغرب



السلطان عبد الحميد .. كانت النهضة العربية فى البداية تمايزاً عن العثمانية

الغربى يصل الى خط دفاعنا الاخير ، أو يصل على الأقل الى مساحات متقدمة منه ، دون ان يكون هناك ـ فى حال استمرار الوضع الراهن لميزان القوة الحالى ـ ما يمنع توسيع هذه المساحات المخترقة ، حتى حدود الخطر التاريخى الكبير .

واذا كان التعمق فى جذور هذا الوضع وفى افاقه يحتاج الى دراسات عديدة ، فان هذه المقالة الموجزة قد حملت فقط مهمة الاشارة المباشرة الى العلاقة الوثيقة بين الحضارى والسياسى . ومع ان مثل هذه المهمة صعبة عادة ، لان العلاقة بين الحضارى والسياسى تظل فى معظم الظروف غارقة تحت السطح ، الا اننا نعيش ظرفاً تاريخياً استثنائياً ، نشم فيه راسا رائحة الاستقلال الحضارى فى كل قرار سياسى مستقل (على ندرة هذه القرارات فى تاريخنا المعاصر) كما نشم رائحة التبعية الحضارية فى كل قرار سياسى تابع (وما اكثر هذا النوع من القرارات) .

يلاحظ الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله فى مساهمته الممتازة فى الندوة التى اقيمت فى باريس عن « الناصرية والنظام العالمى الجديد » ان اكثر ما كان يميز شخصية عبد الناصر عن مثقفى عصره ، انه لم يكن لديه اية عقدة نقص حضارية ازاء الغرب ، بل كانت قيمه الحضارية مستقاة بكاملها من بيئته الشعبية ، وان تلك القيم كانت المعدن الذى يصنع به قراراته السياسية التاريخية .

غير اننا ، نرى انفسنا مضطرين ، استكمالا للوضوح ، الى طرح السؤال التالى : هل معنى ذلك ان الغرب عدو حضارى ، مثلما هو عدو سياسى ، وانه آن الاوان لنعامله على اساس العداءين ؟

لقد حكمت ظروف الانبعاث المعاصر للعروبة ان تتشكل العروبة المعاصرة فى بداياتها على انها تمايز عن العثمانية ، ولقد ذهبت فى هذا التمايز احياناً الى حد الاستعانة على العثمانية بالغرب ، ليس كعدو للعدو فقط ـ وهذه مسالة سياسية مباشرة كان يمكن ان تبقى ذات آثار محدودة ـ بل كمصدر اوحد للتقدم ، ونموذج شامل له .

ومع ان النضالات السياسية العربية بعد ذلك قد وضعت العروبة دائماً فى تصادم دائم ، ومصيرى ، مع الغرب ، فقد ظل الغرب يمثل لنا بشكل عام حالة مزدوجة : فهو العدو السياسي المصيرى ، وهو فى الوقت نفسه المثال الحضارى المحتذى .

لقد شكلت هذه الازدواجية مأساة معظم ، بل ربما كل القوى الوطنية العربية فى النصف الأول من هذا القرن ، ولم يحقق عبد الناصر تحولا نوعياً هائلا فى العلاقة بين القيادة السياسية الوطنية والوجدان القومى ، الا بتمايزه عن القيادات الوطنية السابقة فى هذه النقطة بالذات .

الا ان هذا التمايز لم ياخذ الفرصة الكافية ليتجسد فى كل انواع التغيير العميق التى كانت الحياة العربية ومازالت بحاجة اليها ، حتى تصحح ميزان القوى نهائياً بينها وبين الغرب .

مرة اخرى نعاود طرح السؤال : هل الغرب عدو حضارى اذن ، كما هو عدو سياسي ؟

اعتقد ان الغرب ـ على الاقل ـ هو « آخر حضارى » ، ولكن هذا الآخر الحضارى هو من غير شك عدو سياسى سافر الاطماع ، واقل اطماعه فى منطقتنا ان يمنع الى الابد او يؤخر ما استطاع ، عودة هذه المنطقة الى تماسك سياسى وحضارى يرتفع بها الى مستوى قوة عالمية رئيسية ، فى هذه المنطقة الاستراتيجية الحساسة من العالم .

وعندما يكون الآخر الحضارى عدوا سياسياً تصل عداوته الى حد التهديد الكامل لوجود العرب كامة ، فان التمييز بين العداء الحضارى والتمايز الحضارى يظل صعباً على الصعيد العملى ، حتى لو كان سهلا على الصعيد النظرى المجرد ، الى ان ياتي اليوم الذى يشعر فيه المواطن العربى أن صناع القرار فى بلاده تنعدم المسافة بين حساباتهم وقراراتهم السياسية ، وبين مصلحة الوطن كما يراها المواطن العربى العادى ، تماماً مثل ايام تاميم قناة السويس .

بقي ايضاح ضرورى عن العلاقة المتداخلة المتبادلة بين الاستقلال السياسى والاستقلال الحضارى أو بعبارات اخرى بين العصب السياسى والخصوصية الحضارية ، غالباً مالا تمر عندنا « الاستقلال الحضارى » أو « الخصوصية الحضارية » ، من غير ان تشفع بتحذير من التقوقع الحضارى او العزلة الحضارية ، والحقيقة ان هذا « الخطر » هو ضرب من الوهم النظرى ، فثورة المواصلات ، والاتصالات والاقمار الصناعية ووسائل الاعلام البصرى والسمعي فى العصر الحديث ، لم تعد لتسمح لاحد بالعزلة ، مهما احكم الاسوار حول نفسه . فاذا عدنا قروناً الى الوراء ، فاننا نرى ان المد الحضارى العربى الذى صبغ المنطقة بلونه الخاص منذ الفتوحات الاسلامية ، لم يتكون فى الأصل الا لخلاصة مركزه لكل المخاض التاريخى السابق ، دينياً ولغوياً وعرقياً وفلسفياً وفكرياً واسلوب حياة ، بمعنى ان العربية ولدت لخلاصة حضارية فى هذه المنطقة وليس لخلاصة عرقية أو عنصرية .

كما ان هذا المد لم يتطور اصلا ويزدهر ليعطى للمنطقة باسرها هويتها العربية الواحدة ، الا عبر حركة تفاعل مستمر مع رياح الحضارة اليونانية والبيزنطية والفارسية والهندية ، غير ان كل ذلك التفاعل فى مرحلة النمو ، ثم فى مرحلة التطور والانتشار ، ما كان يمكن له ان يشكل حضارة قائمة بذاتها ، لولا العصب السياسى الذى كان اتجاهه توحيدياً فى مواجهة التفكك الداخلى استقلالياً فى مواجهة المطامع الخارجية .

هذا عن العصب السياسى فى الحضارة ، اما عن الخصوصية الحضارية فى السياسة ، فعلى الارجح أن شعباً ليست لديه خصوصيات يضيفها الى الحضارة الانسانية العامة ، لا يشعر اصلا بالحاجة الى تحمل مشقات القرارات السياسية المستقلة . بل ان هذه المشقات الجسيمة فى هذا العصر ، تصبح فعلا بلا أى مبرر واقعي .

فلتنتظر المراثي !!

بقلم : أحمد عبد المعطي حجازي

لتنتظر المراثي ، فامل دنقل لم يتوقف بعد عن الكلام . لتنتظر كثيراً مراثينـــا فمازال الذى سيقوله اكثر وادعى للانصات لقد ذهب الموت بشـعر راسه وبسـنته اللؤلؤية ، لكنه لم يذهب بصوته أبداً .

قال لي فى رسالة أخيرة « اصارحك القول باننى قررت ألا اموت . واذا كان الموت يريدنى فليبحث عن طريق آخر غير السرطان» . وقد صدق ما وعد ، فقد ظل عامين اثنين يصارع الوحش اناء الليل واطراف النهار ، لم يفقد ولو للحظة واحدة يقينه بانه منتصر فى النهاية .

كان السرطان ياخذ من جسده الناحل فتزداد روحه تالقاً وجبروتاً حتى كان باستطاعة زواره وعائدية أن يروا صراعه مع الموت رأى العين . صراع بين متكافئين الموت والشعر وفى اللحظة التى وقع فيها الجسد بكامله بين مخالب الوحش ، خرج أمل دنقل من الصراع منتصراً . لقد اصبح صوتاً محضاً ، صوتاً عظيماً سوف يتردد أصفى وانقى من أى وقت مضى .

نتوه فى القاهرة العجوز ، ننسى الزمنا
نفلت من ضجيج سياراتها
واغنيات المتسولين
تظلنا محطة المترو مع المساء متعبين
وكان يبكى وطنا
وكنت أبكى وطنا

لم يكن السرطان وحده يعادى امل دنقل ، بل أن السرطان لم يكن يعـــادى فى امل دنقل الا جسده فقط ، لكن سرطانات خبيثة أخرى كانت تعادى صوته بالذات ، كانت تخافه وتكرهه وتتظاهر بالانشغال عنه بينما تتهاوى وتتصدع تحت نبراته الواضحة وكلماته العميقة الجارحة .

كانت تفرغ الهواء من حوله ، وتغلق فى وجهه الأبواب ، وتحاصره فى مكانه وهى لاتعلم انه أحرص منها على التشبث بهذا



امل دنقل

المكان ، وانه فى البساطة والوحشة اشد منها باساً وأعظم انسا واقرب ما يكون الى الرجل الذى اراد أن يكون .

وانا كنت بين الشوارع وحدى
وبين المصابيح وحدى !
اتصبب بالحزن بين قميصى وجلدى
قطرة ، قطرة ، كان حبى يموت
وانا خارج من فراديسه
دون ورقة توت !

شاعر انطق الكائنات الهجينة والمنسية بعد دهور من الصمت والعجمة . اعطى المقاهى والفنادق وصعاليك المدن وقططها الضالة .. أعطى سنوات الهزيمة والقحط وأيام الغضب والتمرد وجثث الشهداء والثرثرات اليومية قوافى لم تكن لها من قبل ، ولن يكون لها من بعد ما ينسجها ..

نعم ، فشعر امل دنقل فى هزائم المدن وحياتها السفلية شعر اول .

كل شعر بعده فى موضوعاته مبنى عليه ومنتسب اليه ، كما ينسب الطلل لامرىء القيس والغزل لابن ابى ربيعة . قبله كانت المدن الصغيرة ، ورائحة البحر ، والشعور بالعجز والمهانة اوابـد خرساء لا لغة لها فى الشعر ولا صورة ولا قافية . بعده صار لها ما للغزلان والقطا وبقر الوحش فى الشعر العربى من رسوم وأمارات .

رأيت العمال يهبطون من قطار المحجر العتيق يتعصبون بالمناديل الترابية يدندنون بالمواويل الحزينة الجنوبية ويصبح الشارع دربا ، فزقاقا ، فمضيق فيدخلون فى كهوف الشحن العميق وفى بحار الوهم يصطادون أسماكاً خرافية .

كثافة عصرية نفاذة ، وايقاعات من فطرة اللغة ومن صلب تراثها . ولا يتنطع فيتنكر لخبرته الحية من اجل قافية ميته ، ولا يتخلع فيستعير قناعاً لوجه هو بدوره وجه مستعار ، وهذا هو سر قربه منا ونفاذه الى اعماقنا ، لم يكن مهيجا أو خطيباً ، وكيف وشعره سخرية سوداء وعذوبة دامعة وتلميحات جارحة ؟ لكن الطبع القوى ليس فى حاجة للخطابة حتى يبعد تاليف الشتات ويستعيدنا للغة من جديد .

عندما تتساءل عن الصوت الذى استشعر الهزيمة قبل أن تقع سنجده صوت أمل دنقل . وعندما نتساءل عن الصوت الذى وقف معنا بعد أن وقعت سنجده صوت أمل دنقل .

زمن الموت لا ينتهى يا ابنتى الثاكلة
وأنا لست أول من نبـأ الناس عن زمن الزلزلة

وأنا لست أول من قال فى السوق :
إن الحمامة ـ فى العش ـ تحتضن القنبلة

قبلينى لانقل سرى الى شفتيك
لانقل شوقى الوحيد
لك ، للسنبلة
للزهور التى تتبرعم فى السنة المقبلة .

موتنا شعرنا!

إلى أمل دنقل



للشاعر الدكتور : غازي القصيبي

«١»

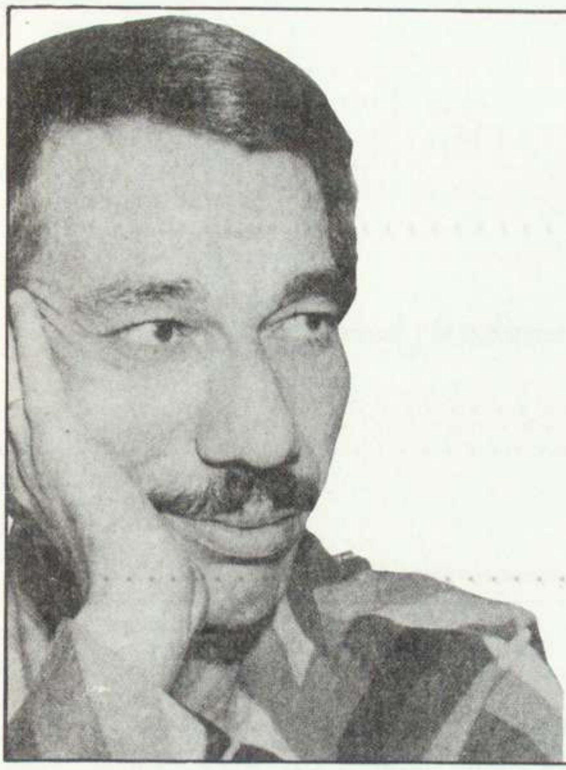
يا رفيقَ الحروفِ التي
اغتَسَلَتْ فى صَمِيمِ النَّقَاءْ
قُلْ لنا كِلْمَتَيْن !
عن رفيقِ الحُروفِ . القديمِ الجَديدْ
العنيفِ الرقيقْ . العدوِّ الصديقْ .
المسمَّى الفَنَاءْ
لونُه ؟
أبيضٌ قاتمٌ
كخريفِ الشِّتاءْ ؟!
أسودٌ مشرقٌ
كشحوبِ العَنَاءْ ؟!
طعمُهُ ؟
حارقٌ مؤلمٌ
مثل طعْمِ الدَّواءْ ؟!
قل لنا كيفَ جَاءْ :
باسماً ؟
واجماً ؟
صامتاً ؟
شامتاً ؟
طرقَ البابَ ــ مستأذناً ــ طرْقَتَيْن ؟
أم أتى في الخَفَاءْ
من أقاصي الدِّمَاء ؟

«٢»

قل لنا كِلْمَتَيْن !
عن عناد الطيور التي
أقسَمتْ أن تبيضَ على
كوكبٍ
مبحرٍ في الفضَاءْ
تركتْ خَلْفَها
عُشَّها
بقعةً من حَيَاءْ
يا زَمَانَ الهمُومْ !
كيف يحلُو الغِنَاءْ
وعلى الرَّوْض بُومْ
ناعقٌ : يا كُليبْ !
لم تمت مرةً
لم تمت مرَّتَيْن
مُتَّ موْتَ الإمَاءْ

«٣»

قل لنا كِلْمَتَيْنْ !
أيَّ موت هو الشعر ...
في عالم يَئِدُ الأبْرياءْ !
أي شِعْر هو الموت ...
لمَّا تشيخ بنا الكبْرِيَاءْ
شعرُنا موتُنا !
موتُنا شعرُنا !
هذه :
ــ يا رفيقَ الحروف التي
اغتَسَلَتْ في صميم النقاءْ ــ
قصةُ الشعراءْ !



أمل دنقل
حياته وأدبه ومأساته

معلّق أنا على مشانق الصباح
وجَبْهتي بالموت مَحْنِيَّة
لأنني لم أحْنِها حَيَّة
أمل دنقل

بقلم : حسن طلب

لم يكن موت الشاعر المصرى الكبير «أمل دنقل» ـ يوم السبت الموافق ٢١ من شهر مايو الماضى ـ مفاجأة لأحد ، فقد وقع الشاعر فريسة للمرض الخبيث الذى بدأ يغزو جسده الفارع النحيل منذ أكثر من ثلاث سنوات ، الى أن الجاه ـ فى خريف عام ١٩٧٩ م ـ الى المستشفى لاستئصال أول ورم خبيث ، وبدا كأن الشاعر قد تماثل للشفاء ، الى أن عاود نفس المرض الشرس هجومه من جديد فى ربيع سنة ١٩٨٢ ، وظل الشاعر يقاوم بعناد طيلة هذه السنوات ، ولم يكن هناك ما يواجه به هذا الداء المستعصى إلا إرادته الصلبة ، وشعره الذى كان سلاحه الوحيد فى مواجهة الواقع العربى ، والآن فقد أصبح سلاحه ضد المرض الفتاك ، أشهره فى وجهه منذ اللحظة الأولى ، ولم يسقط من يده إلا ساعة أن أسلم الروح .

إذن فقد كانت المعركة فى جوهرها واحدة ، سواء تعلقت بجسد الشاعر المريض ، أو بالواقع العربى الأشد مرضاً . وكان السلاح واحداً أيضاً ، ألا وهو الشعر ، ولاغرابة فى ذلك ، فقد كان « أمل » يؤكد دائماً على انتمائه للمدرسة التى تعتبر الشعر سلاحاً ، الى جوار زملائه الشعراء : «أحمد عبد المعطى حجازى» و «سعدى يوسف» و «حسب الشيخ جعفر» وغيرهم . وكما قاتل بهذا السلاح ضد الواقع المريض مخلفاً لنا روائع من الشعر الخالد ، قاتل أيضاً وهو على فراش المرض ، واستطاع كعادته أن ينتصر ، وآية انتصاره هذه القصائد الرفيعة التى كتبها فى حميا المرض والألم الممض ، ولنقرأ نموذجاً منها ، هو قصيدته (ضد من) ، التى كتبها منذ عام ، ويقول فيها :

فى غرف العمليات :
كان نقاب الأطباء أبيض
لون المعاطف أبيض ،
أردية الراهبات ،
الملاءات ،
لون الأَسِرَّة ،
أربطة الشاس والقطن ،
قرص المنوم ،
أنبوبة المصل ،
.. كوب اللبن .
كل هذا يشيع بقلبى الوهن
كل هذا البياض يذكرنى بالكفن !
فلماذا إذا مت :
يأتى المعزون متشحين ..
بشارات لون الحداد ؟
هل لأن السواد ..
هو لون النجاة من الموت ،
.. لون التميمة ضد الزمن ؟
ضد من .. ؟

ومتى القلب ـ فى الخفقان ـ اطمأن ؟!
بين لونين : استقبل الأصدقاء ..
الذين يرون سريريَ قبراً
وحياتيَ .. دهراً
وأرى فى العيون العميقةِ :
لون الحقيقةِ ،
لون تراب الوطنْ !

ولأن معركة الشاعر كانت فى جوهرها واحدة ، فقد كان قادراً ، حتى وهو على فراش المرض ، أن يتأمل ويغنى من أجل (تراب الوطن) ، فالناس يجيئون ويذهبون ، ويبقى هو (الحقيقة) الأكيدة الخالدة .

وداء (السرطان) هو السبب المباشر البادى للعيان فى وفاة الشاعر الكبير «أمل دنقل» ، ولكننا أمام ظاهرة تساقط الشعراء فى (مصر) واحداً بعد الآخر ، علينا أن نجد سبباً أكثر معقولية ،وبالتالى أقدر على الاقناع ، فقد سقط فى بضع سنوات ستة شعراء مصريين ما بين رائد مشهور وشاب مغمور : « نجيب سرور » و « فوزى العنتيل » و «صلاح عبد الصبور» ، وأخيراً «أمل دنقل» ، ومن قبل هؤلاء جميعاً الشاعران «علي قنديل» و «عبد الصبور منير» .

وليس من المعقول أن يكون هذا الفناء الشامل والموت الجماعى للشعراء من قبيل الصدفة !! صحيح أن «أملا» أصيب بداء السرطان ، وأن « العنتيل » كان يعـانى من الربو . وأن «صلاح عبد الصبور» داهمته نوبة قلبية مفاجئة ، الى آخر هذه العلل والأسباب الظاهرة ، ولكن الصحيح أكثر ، أن خلف هذا كله واقعاً مؤلماً ، هو الذى أدمى قلوبهم وسمم أجسادهم ، وعقد ألسنتهم بالمرارة ، وألقى فى دمهم بجرثومة الداء الوبيل ، فعجل برحيلهم وهم فى أوج الحيوية والعطاء .

وهكذا مـات من مـات من الشـعـراء الوطنيين المخلصين ، وبقي من بقي مهزولا سقيماً يترنح بين الموت والحياة ، بينما هرب البعض الآخر بحثاً عن هواء أقل تلوثا لكى يتنفسه ، أو عن حلول جـذرية لمشاكل الحياة الباهظة وأعبائها المثبطة ـ (أحمد عبد المعطى حجازى ومحمد عفيفى مطر مثلا) ـ أما الرسميون من الشعارير والمتشاعرين ، فما يزالون ـ على ما حل بالأمة من كوارث وانتاب الوطن من محن ـ يتمتعون ـ أطال الله فى اعمارهم الميمونة المباركة ـ بصحة موفورة وحياة رخية هانئة ، لايعكر صفوها معكر !!

ومع كل ذلك ، فليس ثمة ما يدعو لليأس ، فلا تزال هناك فرصة للأمل يتوسمها المرء فى هذه البراعم الجديدة ، التى تحارب بالظفر والناب ، لكى تشق لنفسها طريقاً فى الصخر ، وتقول كلمتها بعيداً عن أية وصاية عن طريق هذه المطبوعات الفقيرة شكلا ، والغنية محتوى ، والتى اصبحت تملأ أرصفة الشارع الثقافى فى (القاهرة) وغيرها من عواصم الأقاليم .

نعم لقد ذهب «أمل» ضحية لهذا الواقع المرير ، فبجانب وطأة الألم الحسى الذى أتى مع المرض ، كان هناك كابوس ثقيل من الألم المعنوى الأشد وطأة ، ومنذ بضع عشرة سنة ، و « أمل » يصرخ :

رؤوسنا تسقط ، لايسندها ..
إلا حواف الباقة المنتصبة !
فارحم عذابى أيها الألم ..
واسند حطامى المنهار .

لقد كان هذا الألم فى الواقع ، هو المرض الحقيقى الذى أصاب «أملا» وغيره من الشعراء الحقيقيين ، ففتك بهم وأودى بحياتهم بعد طول عذاب ومعاناة .

غريب فى وطنه !

هناك مفتاح أساسى لأية شخصية يتعذر فهمها بدونه ، وفى رأيى فان مفتاح شخصية «أمل» ، هو الشعور الحاد بعدم الانسجام بينه وبين الناس والواقع من حوله ، أى ـ بمصطلح أصحاب الدراسات الانسانية ـ الشعور بالاغتراب ، فمنذ أن ولد «أمل» فى ٢٣ ـ ٦ ـ ١٩٤١م ـ باحدى قرى محافظة (قنا) بالصعيد الأعلى ثم تلقى تعليمه الأولي ، واستطاع فيما بعد أن يستوعب القرآن ـ مما كان له أثره البين على نضج الحس اللغوى والبيانى فى وقت مبكر لديه ـ ثم وجدت جرثومة الشعر طريقها الى فؤاده ، منذ ذلك الحين كان لابد للفتى «أمل» أن يحس باغترابه عمن حوله ، وربما كان هذا الشعور بالاغتراب فى بواكيره الأولى مزيجـاً من (الاغتراب السيكولوجى) فى جانبه السوى والذى يعنى حالة (السرحان والشرود الذهنى الذى ينشأ نتيجة اهتمام الانسان بأمور معينة) ، و (الاغتراب الاجتماعى) ، الذى يشعر فيه المرء (بالبعد والانفصال عن مجتمعه أو جماعته ، وما يشيع فيها من آراء ومعتقدات ، والمغترب هنا لا ينتمى الى المجتمع ، ولا يحب الاختلاط بالناس ، لأنهما فى نظره من عوامل ضياع ذاته الحقيقية ، وشخصيته الفردية الأصيلة .

لم يكن أمام الفتى الصعيدى المغترب إذن ، إلا أن يحمل اغترابه ، وملامحه الفرعونية الشامخة ، وشاعريته الآخذة فى التعرف على ذاتها ، وينطلق الى الشمال ، فى طريق سلكه قبله ، وسيظل يسلكه بعده الآلاف من أبناء الصعيد الذين ضاق بهم شريط الوادى ، أو ضاقوا هم به ، فيمموا وجههم صوب الشمال ، يبحثون عن العلم والثقافة ، أو ربما عن الضوء والشهرة ، أو حتى عن لقمة العيش .

عاش «أمل» فى (القاهرة) زمناً وفى (السويس) زمناً ، وفى (الاسكندرية) زمناً ، الى أن قر به القرار فى العاصمة ، وكان عليه أن يواجه صدمة المدينة ، بحياتها الصاخبة ، وإيقاعها السريع ، وناسها الملونين ، وهى نفس الصدمة التى تلقاها من قبل شاعر ريفى آخر ولكنه كان قادماً هذه المرة من الشمال ، أى من قلب (الدلتا) الى الجنوب حيث العاصمة ، وقد عبر هذا الشاعر عن اغترابه فى المدينة بقصائد عديدة ضمها ديوان مشهور ، والشاعر هو «أحمد عبد المعطى حجازى» ، أما الديوان فهو (مدينة بلا قلب) . لقد أضافت (صدمة المدينة) الى الفتى الصعيدى المغترب «أمل» ، نوعاً جديداً من انواع الاغتراب ، هو الاغتراب التكنولوجى ، الذى يرتبط بتكدس الملايين فى المدن الكبرى ، معزولين عن الطبيعة ، ويرتبط أيضاً بالثورة الصناعية وبالتيار الجمعى المتصل بالانتاج الآلى ، ممايؤدى فى أى مجتمع الى حال لا تحتمل من التجمد لبنائه الأساسى ، والى استئصال شـخصية الانسان وتفتيتها ، وقد عبر «أمل» فى إحدى قصائده المبكرة تعبيراً متواضعاً عن هذا الاغتراب ، فقال :

الناس هنا ـ فى المدن الكبرى ـ ساعات
لا تتخلف
لا تتوقف
لا تتصرف
آلات ، آلات ، آلات .

وهناك قصيدة أخرى عنوانها : (مقتل القمر) ـ وهى التى تسمى باسمها أحد دواوين الشاعر ـ يعبر فيها أمل عن نفس الاحساس ، من خلال مقابلة دالة ، بين جفاف حياة المدن وجفاء ناسها ـ الذين (قتلوا القمر) ـ من جهة ، وبين دفء الحياة وبساطتها فى ريف الصعيد من جهة أخرى . وفى قصيدة مبكرة أخرى ، عنوانها (رسالة من الشمال) ـ وفى العنوان ما فيه من دلالة قوية على الشعور بالاغتراب المكانى ، والحنين للأهل فى الجنوب ، تماماً كالصعيدى العادى البسيط الذى يكون عليه بمجرد استقراره فى المهجر ، أن يبعث الى أهله برسالة يطمئنهم بها ويطمئن عليهم ، ويبثهم لواعج الشوق والغربة ! ـ يقول «أمل» فى هذه القصيدة ، التى كتبها فى (الاسكندرية) أو فى (شمال الشمال) على حد تعبيره :

هى (اسكندرية) بعـد المسـاء
شـتائية القلــب والمحضــن
ملاكـى : تـرى مايزال الجنوب
مشـارق للصيـف لم تعلــن ؟!
سـاتى إليـك اجـر المسير
خطـى فى تصلبهـا المذعــن
انـا قـادم مـن شـمال الشـمال
لعينيــن ـ فى موطنـى ـ موطنى

ولعل أهم ما يلفت النظر فى هذا النص الهام ، هو أن الشاعر لم يستطع أن يتكيف مع حياة المدينة وناسها ، وفشل فى تحقيق السلام الداخلى المنشود ، أو حتى الحد الأدنى منه ، فاتخذ قراراً (فنيا) بالعودة الى أهله فى الجنوب ، حيث ناس الصعيد من البسطاء الطيبين ، الواضحين كملابسهم وعمائمهم البيضاء ، ولكن هذا القرار الفنى لم يتحول الى قرار عملى ، لأن الشاعر كان يعلم تماما انه إذا رحل الى الجنوب وضحى بما فى المدينة من مناخ ثقافى ووسائل اتصال ليس بوسع الفنان أن يستغنى عنها ، فهو إنما يستبدل اغترابا باغتراب ، وهكذا فقد بقي الشاعر حيث كان لابد أن يبقى ، وبقي داخله هذا الصراع ، أو الاغتراب المعقد بابعاده : الاجتماعية،والسيكولوجية ، والتكنولوجية مضافا اليها الاغتراب الابداعى ، بعد أن أصبح نتاج الشاعر معروفاً ورائجاً بين القراء .

أما الأمر الثانى اللافت للنظر فى النص الهام السابق ، فهو أن الشاعر يسمى الصعيد : (موطنى) ، وكأنه لم يرحل من إقليم أو محافظة الى اخرى داخل حدود نفس الوطن ، وإنما رحل الى وطـن غير الوطن وبلاد غير البلاد ، إذن فقد احس فى العاصمة الثانية (الاسكندرية) ، بانه مجرد أجنبى غريب ، وهو إحساس يتجسد بشكل أتم ، حين يلتقى الفتى الصعيدى الغريب ، بفتاة يونانية مقيمة فى (مصر) ، فيتعاطف معها لأن كليهما غريب عن وطنه !! ويخاطبها هكذا :

... فانا مثلك كنـت صغيـراً
ارفـع عينـى نحو الشمس كثيراً
لكنـى منـذ هجـرت بـلادى ..
والأشواق
تمضغنـى ، وعرفـت الاطـراق
مثلك منـذ هجـرت بـلادك
وانا اشتاق
أن أرجـع يومـاً للشـمس
أن يورق فى جدبى فيضـان الأمس

ولم تكن (القاهرة) أرحم بالشاعر المغترب من (الاسكندرية) ، فبقي فيها طائعا أو راغماً ، يحمل اغترابه على ظهره



وكأنه قدره ، فيهرب الى ليلها من نهارها ، والى أزقتها من ميادينها وشوارعها الكبيرة والى غربائها من أهلها ، يقول مخاطباً صديقه الفلسطينى «مازن جـودت أبو غزالــة» ، المقيـم مثلـه فـى (القاهرة) :

نتوه فى (القاهرة) العجوز . ننسى الزمنا
نفلت من ضجيج سياراتها ، واغنيـات المتسولين
تظلنا محطة المترو مع المساء .. متعبين

وهكذا ، فان الاحســـاس بالاغتراب ـ بجميع ابعاده السابقة ـ يشكل نقطة هامة جداً فى الحديث عن تجربة « امل دنقل » الحياتية والفنية ، وذلك لسببين أساسيين : الأول هو أن هذا الاحساس يصلح مفتاحا لفهم شخصية « امل » وتكوينه النفسى ، بعد ان انعكس اغترابه على اسلوب حياته وسلوكه وعـلاقاته بالآخرين . والسبب الثانى ، هو أن هـذا الاغتراب لم يكن إحساساً وقتيا عابراً بفعل الصدمة الأولى ، ثم ذاب بالتدريج مع مرور الزمن كما حدث مع « احمد عبد المعطى حجازى » كلا ، فقد حدث العكس مع «امل» إذ ظل إحساسه بالاغتراب يتنامى ويتضخم مع الأيام ، ولم يستطع خـلال ما يقرب من ربع قرن أن يحس بالاستقرار أو الانسجام بينه وبين الواقع والناس من حوله ، ولم ينس يوماً انه صـعيدى او (جنوبى) على حد تعبيره ، فها هو يقول فى قصيدة نشرت قبيل وفاته عنوانها ـ ولنا ان نتامل العنـوان جيـداً ـ : (الجنوبى) :

صرت عنى غريبا
ولم يتبق من السنوات الغريبة
إلا صدى اسم ..
واسماء من اتذكرهم فجاة
بين اعمدة النعي ..

إذن فقد كانت حياة الصعلكة واللاقرار التى كان « امل » يستسلم لها ويهرب إليها ، هى لون من الحياة يلائم روحه المغتربة المتمردة وشخصيته المتفردة الشـديدة الخصوصية .

الشاعر سيد نفسه

على أن اغتراب « امل » لم يصل به يوما إلى حد العدمية والاغتراب الوجودى المدمر ، وصعلكته لم تقده إلى حيــاة البوهيمية واللامبالاة ، بل ان هـــذين ـ الاغتراب والصعلكة ـ كانا عاملين إيجابيين تمكن من خلالهما الشاعر أن يحقق لنفسه نمطا فريداً من الحياة يتيح له أن يظل شاعراً ، وشاعراً فقط ، وربما كانت هذه هى إحدى القيم الأساسية فى حياة « امل » ، فقد رفض كل انواع المغريات الاجتماعية ، مثل الزواج ، والاستقرار وإنجاب الاطفال ،والوظيفة والحيــاة السعيدة الوادعة ، وتمرد ضد كل اشكال الوصاية الفكرية أو الأدبية او السياسية ، لقد خلق « امل » من نفسه قانون نفسه . فصار نسيج وحده فى شعره وفى حياته جميعاً ، ويشهد احد الذين عايشوه طويلا من شعراء جيله ـ وهو الشـاعر « بدر توفيق » ـ بانه لم يسمح لأى شىء اخر غير الشعر أن يشغله ، فقد وجد الشجاعة الكافية منذ وقت مبكر ، لكى يتخلى عن وظيفته بالجمارك ، وقد كانت بلاشك تعيق نموه الفنى ، وفضل ان يعيش هكذا متنقلا بين غرف الأصدقاء والفنــادق المتواضعة المنتشرة وسط القاهرة ، قد يعرف قدره مسؤول فيمنحه تفرغا ، وقد يساعده مسؤول اخر فى إيجاد وظيفة شكلية بمنظمة التضامن الأفرو ـ اسيوى ، ولكنه خلال ذلك كله ، بقى سيد نفسه الذى لا ينحنى ولا يهادن ولا يعرف ولاء إلا للشعر وقد بقى هكذا إلى اخر لحظة فى حياته ، وحتى حينما تخلى عن بعض قناعاته الاجتماعية واقدم على الزواج فى ديسمبر ١٩٧٨ بعد قصة حب ربطته بالصحفية الشابة التى تحب الشعر والشعراء : « عبلة الروينى » ، فانه لم يتزوج إلا على طريقته فاقام مع عروسه باحد الفنادق تماماً كما كان يفعل وهو اعزب ! ولم ينتقل لكى يقيم فى منزل اسرة عروسه إلا بعد أن داهمـه المـرض الفتاك ، وربما كان سوء الحظ هو الذى اخر لقاءه بـ « عبلة » إلى السنوات الأخيرة من حياته ، فلو انه كان قد لقيها فى

وقت مبكر من حياته ، لكان الأمر قد تغير كثيراً ، فهي إنسانة متفانية إلى اقصى حد ، وكان وجودها إلى جوار الشاعر كفيلا بخلق حالة من التوازن النفسى والسلام الداخلى افتقدهما «أمل» كثيراً فى حياته المضطربة العاصفة .

على أية حال ، فقد كانت هذه الحياة القصيرة - بغض النظر عن بعض سلبياتها - نموذجا فذا لقيم الاخلاص الحقيقى للفن ، والصمود امام المغريات المتاحة ، وما اكثرها ، ومنها مثلا ان عم « أمل » كان مليونيراً ، وكثيراً ما اغرى ابن اخيه بالمال لكى يعمل معه ، ولكن الشاعر كان يعرف طريقه جيداً ، ولم يكن على استعداد لأن يساوم عليها .

أزمة الشعر .. ودور الشاعر

تسلح « امل دنقل » - كما لابد للشاعر الحقيقى ان يفعل - بثقافة عامة شاملة ، احتوت على الحد الأدنى المفروض فى اى شاعر كبير ، من الاطلاع على ذخائر التراث الانسانى فى الأدب والتاريخ والفلسفة وغيرها من فروع المعرفة ، ثم احتوت ، وهذا هو الأهم ، على استيعاب واع وتمثل عميق لتراث العربية الخصب ، شعراً ونثرا .

لقد وضع « امل » يديه على حقيقة هامة هى ان الشاعر الحق ، لن يتمكن من ان يكون كذلك ، إلا إذا استطاع ان ينفذ ببصيرته إلى العناصر الفاعلة فى تراث امته ، وان يسيطر على ادق اسرار لغته ، ولا يعنى ذلك إغفالا للتراث الانسانى العام ففى قصائد امل واحاديثه ما يشهد بعكس ذلك ، ولكن ما نريد ان نؤكد عليه ، هو ان التراث العربى والاسلامى يشكل حجر الزاوية فى ثقافة « امل دنقل » ، وقد كان هذا طبيعيا ومنسجما مع انتماءاته القومية ، وهمومه العربية الكبرى ، وقد انعكس ذلك بشكل واضح على نتاجه الشعرى ، فبينما تنتشر فى قصائده الأساطير والرموز والشخصيات التاريخية العربية (زرقاء اليمامة - كليب - جساس - عنترة - ابو موسى الأشعرى .. الخ) ، لانكاد نجد للاساطير والرموز الفرعونية - التى كثيراً ما يلوكها شعارير (مصر) - حضوراً ذا بال لديه .

لقد غاص « امل دنقل » كثيراً فى بحر التراث العربى ، وكانت له آراء جديرة بالاعتبار فى ادق المسائل فيه ، بدءاً من قضية نشاة القصيدة الجاهلية ودور القافية فيها ، إلى القضايا الحية المثارة الآن حول (التراث والتجديد) او (الأصالة والمعاصرة) ، وفى هذا المقام فقد كان « امل » يرى ان عودة الشاعر إلى تراثه تستند على حقيقة موضوعية هامة ، هى ان من لا يعرف القديم ، ليس بوسعه ان ياتى بجديد .

وقد انعكس هذا التمثيل الواعى للتراث العربى على نتاج « امل » الشعرى بما يخدم هذا النتاج ويثريه ، مما مكن الشاعر من الاضطلاع بدور هام فى الكفاح من اجل الخروج بالقصيدة العربية المعاصرة من ازمتها التى اسماها البعض : (كلاسيكية الشعر الحر) ، واسماها البعض الآخر (النمطية فى التعبير) ، وهى الأزمة التى اناخت بكلكلها على الشاعرية العربية منذ الشيخوخة المبكرة لرواد الشعر الحر ، تلك الشيخوخة المواكبة تقريبا لبدايات انحسار المد الوطنى على مستوى العالم العربى ، وقد كان لـ « امل » نصيب ملحوظ فى الانجازات الشعرية المتجاوزة التى غطت الساحة العربية خلال هذه الأزمة ، والتى تمثلت فى نتاج كوكبة من الشعراء المتميزين ، منهم إلى جوار «أمل» : « احمد عبد المعطى حجازى » و « ادونيس » و « محمد عفيفى مطر » و « سعدى يوسف » و « محمود درويش » و « محمد ابراهيم ابوسنة » وغيرهم

وقد تميز شعر « امل » بين زملائه هؤلاء واستطاع ان يكون صوتا متفرداً ، ويكفى ان نقارن مثلا ، بين الحضور الحى للعناصر التراثية المضيئة فى شعره ، مما يشكل خصيصة تكنيكية لديه ، وبين الاستحضار المفتعل فى كثير من الأحيان ، لمعطيات التكنيك الشعرى الغربى فى اشد حالاته تطرفا وإغرابا لدى غير واحد من الشعراء العرب ، المشهورين وغير المشهورين

ليس بوسع الشاعر أن يموت

هذا هو « امل دنقل » الذى سقط صامداً مرفوع الراس ، ومات واقفا كما تموت الأشجار ، فهل لابد من صرخة استجداء اخرى كتلك التى اطلقها الدكتور « يوسف إدريس » منذ عام لكى يتكرم المسؤولون بالتحرك لنجده الشاعر المريض ؟! هل لابد من صرخة كهذه لكى يهتم المسؤولون عن اجهزتنا الثقافية بجمع تراث الشاعر الكبير - (شعره واحاديثه وحواراته) - قبل ان تعبث بها يد الضياع وتتشتت هنا وهناك ؟! إن هذا التراث الباقى الذى هز ضمائرنا يوما ، ومازال قادراً على ان يهزها ، حقيق بان نتمسك به ونحافظ عليه حتى يظل للمقبل الأجيال قيمة ونبراساً .

وسواء شئنا ام ابينا ، فسيبقى « امل دنقل » حياً بيننا ، بقصائده ،وبصموده وترفعه . فالشاعر الحقيقى لا يملك ان يموت ، تماماً كما قال « امل » من قبل ، وهو يحاور قلبه :

- التحيات « مساء الموت » يا قلبى .
فلا تلق التحية
- من ترى مات ؟
- انا ..
- انت !
- اجل .
- انت لا تملك يوما ان تموت

حسن طلب

كلمات من «أمل دنقل»

العمر اقصر من طموحى ..
والأسى قتل الغدا

• • •

اكل عام نجمة عربية تهوى
وتدخل نجمة برج البرامك ؟!

• • •

لم يبق من شىء يقال
يا ارض :
هل تلد الرجال ؟!

• • •

مصفوفة حقائبى على رفوف الذاكرة
والسفر الطويل
يبدأ دون ان تسير القاطرة
رسائلى للشمس
تعود دون ان تمس
رسائلى للأرض
ترد دون ان تفض
يميل ظلى فى الغروب دون ان اميل

• • •

لا تصالح
ولو قلدوك الذهب
اترى ..
حين افقا عينيك
ثم اثبت جوهرتين مكانهما
هل ترى !!
هى اشياء لا تشترى

الإعلام العربي بين النظرية والتطبيق

بقلم : أحمد عبد الملك

الاعلام كعلم حديث .. وفن جديد لانماط متعددة من وسائل الاتصال يحظى فى الوقت الراهن باهتمام بارز من قبل الدول والحكومات التى تنظم الجماعات لتحقيق الاهداف والغايات ، ويحظى الاعلام ـ فى نفس الوقت ـ برغبة المجتمع وتشوقه لما يرسله هذا الاعلام من رسائل .

ولعل التعريف الشامل لدور الاعلام هو ما أقره الكثيرون من المتخصصين فى هذا المجال وهو : محاولة التأثير على الآخرين للتصرف **بشكل معين ما كانوا يتصرفونه فى غيابه ..** أى انه الاتصال بغرض الاقناع من خلال وسائل الاعلام ، وذلك لتغيير الآراء تجاه مسائل **معينة .**

أما ميكانيكية عملية الاتصال فهى تقوم على ستة عناصر أوردها « ديفيد بيرلو » فى كتابه « عملية الاتصال » .. وهى : المصدر ـ المرسل ـ الرسالة ـ القناة ـ المحول ـ المستقبل . ولعلنا نلاحظ هنا أن المصدر هو نفسه المرسل ، وكذلك المحول والمستقبل وبطبيعة الحال فان الانسان لا يمكن بحال من الأحوال ان يكون مصدراً للمعلومات الملفوظة (الكلامية) ما لم يكن محولا .. أو مترجماً للأفكار المطروحة بالكلمات أو أية اشكال اعلامية يمكن ان يفهمها الناس .. وعملية تلقى الرسالة هى فى الواقع تحويل **الرسالة .**

ولقد أوضحت النظريات الاغريقية القديمة أن المتصل أو المرسل يجب ان يكون لديه معلومات غزيرة عن الموضوع وعما يدور فى **عقل الجمهور .. وكان لابد من وجود نوع من التنظيم فى عملية الاتصال حتى لا يصاب** المجتمع بالتخبط .. والتصادم .. من هنا جاءت النظريات الخاصة بقواعد الاعلام وهى :

١ ـ قانونية : تنشأ بواسطة الدولة .. ويقوم الأشخاص المعينون بواسطة الدولة بادارة الاعلام على المستوى المحلى أو القومى . ويختلف هؤلاء الاشخاص من أمة الى أمة .. لكن الهدف غالباً ما يكون واحداً .

والهيئات التى تقوم بتطبيق القواعد القانونية بطبيعتها المحافظة تسعى لادارة تأثير الاعلام فى المجتمع .

ففى الولايات المتحدة مثلا تقوم الهيئات القانونية بتوجيه الاعلام على المستوى المحلى بالتعاون مع الكونجرس ، الذى هو بطبيعة الحال أنشأ تلك الهيئات لادارة المشاريع الاعلامية المتعددة ، ومن هنا أنشئت وكالة الاتصالات الفيدرالية بواسطة الكونجرس لادارة الاعلام .

٢ ـ اقتصادية : ان انتاج برامج قيمة لابد ان يكون لها مردود مادى مجز . ويتضح ذلك من خلال وسائل الاعلام الامريكية ومحطاتها ذات الاعتماد الواسع على الاعلان لتمويل البرامج التى تنتجها هذه المحطات ، إذا علمنا أن نصف مليون من البشر يعملون فى مجال الاعلام فى الولايات المتحدة لأدركنا الأهمية البالغة لتلك المهمة .

٣ ـ اجتماعية : التأثير الاجتماعى لوسائل الاعلام يتصل بتفسيرات فلسفية .. وبالطبع فان التأثير القانونى والاقتصادى سوف يستر البرامج ، المقالات ، والافلام التى تخالف التذوق العام .. وبالتالى تقوم المؤسسات الاعلامية بخطوات ملحوظة فى هذا الخصوص . وهذا ليس أن وسائل الاعلام يجب أن تتبع كل توجيه فلسفى للمجتمع ، لكن بدلا من ذلك لابد أن تعرف هذه الوسائل الى أى مدى تختلف مواقفها عن مواقف المجتمع . وهذه نتيجة محورية تساعد فى توجيه وقيادة فلسفة الاتصال .

الاعلام والقضايا الهامة

بعد هذه المقدمة ندخل فى موضوعنا محاولين قدر الامكان تشريح الاعلام العربى كعامل مؤثر فى القضايا المحلية والقومية التى تمس حياة الشعب العربى .

ففى كثير من البلاد العربية جاء الاعلام وليد تطور تقنى ، افرزته الحضارة الجديدة ، فجاء محدود الأطر والأهداف ، وقد قامت المؤسسات الاعلامية التى ترعاها الدول بهدف ترفيه المجتمع وتوجيهه الى السياسة العامة للدولة .. ولذلك نجد ان البرامج الترفيهية والافلام بنوعيها العربى والاجنبى طاغية على غيرها من البرامج ، بل نجد أن البرامج الموجهة لا تظهر على مخطط برامج الاذاعة والتليفزيون الا فى وقت الأزمات ، كالحرب والكوارث ، ومن هنا نشأ جيل من المشاهدين آمن بان الاذاعة والتليفزيون استراحة عن استخدام الفكر ، ونشاط سحرى لقضاء وقت الفراغ ، وهكذا صعب تغيير ذلك المفهوم فى الظروف الطبيعية ..

ولقد ساعد على ذلك الاتجاه ، النقص الشديد فى الكوادر الاعلامية القيادية ، وعدم الاعتماد على بحوث ميدانية توضح دور الاعلام فى المجتمع .

واقع التطبيق

ومحاولة لتطبيق النظريات سالفة الذكر على واقع الاعلام العربى نجد الآتى :

١ ـ فيما يتعلق بالقواعد القانونية : تقوم الدولة بتعيين قائمين على الاعلام لتنفيذ سياستها .. وغالباً ما يكون المنصب القيادى سياسى الوجهة ، توجيهى الموقف خاصة وان هذه الدول توصف بالنامية ، فنجده محدود التفاعل مع المجتمع ، ويكون كالحب من طرف واحد كما يقول العاشقون ، اذ انه من المعروف اعلامياً أنه عندما لا يكون هنالك رد فعل تجاه الرسالة المرسلة يكون الاعلام ناقصاً ، أو يصل الى هدفه .. كما ان الكوادر المؤهلة فى العالم العربى قليلة ، وتحتاج لسعة اطلاع نتيجة لاعتبارات اجتماعية وسياسية ، وغالباً ما تكون ـ فى البلاد قديمة العهد بالاعلام مرتبطة بمنهج لا يناسب المواقف الجديدة للاعلام .

ولقد عانى العالم العربى من المركزية فى الادارة ، وهذه المركزية أوقعت الاعلام العربى فى مازق كثيرة لا مجال لذكرها هنا . من هنا تلح الحاجة الى تأهيل كوادر اعلامية جيدة .. وايجاد التفاعل المطلوب والحتمى بين أجهزة الاعلام والمجتمع ومواصلة البحوث لمعرفة اثر ما يقدمه الاعلام على المجتمع .

٢ ـ فيما يتعلق بالقواعد الاقتصادية : لا تعانى معظم المؤسسات الاعلامية العربية من عقبات مالية فيما يتعلق بانتاج البرامج .. وانشاء المرافق الاعلامية .. والمشاريع الاعلامية ليست بالدرجة التى تسمح بايجاد نظام

اقتصادى فعال لخدمة جميع بلدان العـــالم العربى .. حيث نلاحظ أن بعض الـدول تنتج مسلسلات تكلفها مبالغ ضخمة تبثها مرة واحدة ثم تخزنها فى المكتبة ، كما نجد أن بعض الدول تنشىء مرافق وادارات كثيرة تكون عبئاً على ميزانية الدولة دون انتاجية أو دور يخطط لها .

ونظراً للتفكك السياسى .. تظل كثير من القرارات طى الكتمان .. وترقد فى ملفاتها رغـم التوقيع عليها .. فتتشعب التوجـهات الاعلامية .. والنتيجة الحتمية هى اهدار الجهود دونما تخطيط .. بل دونما اقل مستوى من المردود المرجو . وكما نعرف فان المؤسسات الاعلامية العربية تكلفها ماليا الدولة ،وهى ليست بحاجة الى مردود الاعلان ــ رغم ان الاعلان فى الوقت الراهن يسير ويمول محطات عالمية .. وهكذا نجد أن المؤسسات الاعلامية العربية مؤسسات مستهلكة الى أقصى حد .

٣ ــ أما فيما يتعلق بالقواعد الاجتماعية : فانها من الأهمية بمكان بحيث تشكل قالب التوجه الاعلامى .. فالذوق العام يجب أن تكون له الأهلية والفاعلية فى البرامج والافلام والمقالات ، ورغم صعوبة تطبيق هذه القواعد الاجتماعية الا أن معرفة مواقف المجتمع تجاه قضية من القضايا ، ومواقف الاعلام منها ، ومدى المزاوجة بين الطرفين ، يظهر مدى نجاح وسائل الاعلام .. ومتى استطاع القائمون على اجهزة الاعلام الوصول الى مواقف المجتمع ، استطاعوا تحديد منهاج السياسة الاعلامية حسب توجهها المرغوب .

وإذا كان الاعلام العربى مازال بعيداً عن فهم احتياجات المجتمع .. فالأمر الطبيعى أن تنتج هوة سحيقة بين الطرفين ، وأن يتغلغل الاعلام الغربى فينا ، لأنه يلبى ما ينشده المجتمع من برامج واخبار ومواقف .. لـــذا لا نستغرب ان نسمع العربى يستقى اخبار العالم العربى من لندن أو صوت أمريكا ، ويستهجن الانتاج العربى ، ويمجد الانتـــاج الغربى .. ومرد ذلك كله .. وفى النهاية هو عـدم التفريق بين الموقف السياسي والرســـالة الاعلامية .

ان تحديد دور أجهزة الاعلام ، وتحديد دور المجتمع امران هامان فى نجـــاح المسيرة الاعلامية ، وفعالية الاعلام لا تكون بتعدد قنوات التليفزيون وموجات الاذاعة واصدارات الصحف وجماليات المبانى الاعلامية .. ولكنها يجب أن تكون بالانسان .. فكل هذه المؤسسات الاعلامية من اذاعة وتليفزيون وسينما ومسرح وصحافة وجدت من أجل الانسان ، وإذا لم يكن هنالك مجال للانسان فيها فلن يكون لها دور مهما تعددت أشكالها وميزاتها !

● احتفلت جامعة قطر بالعيد العاشر لتأسيسها فى اليوم الرابع من يونيو ١٩٨٣ ●

تحيّة إليها

شعر : د. محمد فوزي مصطفى
قسم اللغة العربية ـ جامعة قطر

يا ابْنَةَ الشعْرِ هَلمّى واستَفِيضِى
وَاعْزِفِى القيثَارَ عَذْباً من قَرِيضِى
واكْشِفِى سَتْراً على خِدْرِ قَصِيدِى
عَلَّ فى الخِدْرِ تَرَانيمَ «الغَرِيضِ» (١)
مُسْتَطَارَ الحِسِّ كالنجْمِ تَلالا
فى شِغَافِ النُّورِ لمّاحَ الوَمِيضِ
فالسُّنُونَ العشْرُ قَدْ فَاضَ سَنَاهَا
مُفْعَمَاتٍ بِحُقُوقٍ وفُرُوضِ
باسْمِكَ اللّهُمَّ قَدْ كَانَتْ شِعَاراً
بَلْ خِيَاراً من عَطَاءٍ مُسْتَفِيضِ
بَلْ خَلِيجاً شَادَ للعِرْفَانِ صَرْحاً
قطرياً سَارَ فى المَجْدِ المُفِيضِ
والشبابُ الغَضُّ قَدْ صَارَ رِجَالاً
وَوَلاءً وَرَجَاءً للنهُوضِ
وإذَا العِيدُ بَتُولٌ وَفَتَاةٌ
تَبْلُغُ المأمُولَ بالصَّوْتِ الخَفِيضِ
واذا الأفْوَاجُ تَتْرَى للمَعَالى
فارْتِقَاءٌ مِنْ نَقِيضٍ لنَقِيضِ
هَذِهِ الجُلّى لوَجْهِ اللّهِ زُلْفَى
فهنيئاً دَوْحَةَ الصَّرْحِ العَرِيضِ

(١) المغنى العربى الشهير فى القرن الأول الهجرى .



الرمال السوداء على عتبة البحر مباشرة ، وعلى السطح كانها طريق من الاسفلت الأسود

من ثروات سيناء

الرمال السوداء

بقلم : درويش مصطفى الفار

كانت الحاجة أم دهشان ، فى صحبة زوجها ، عبد الله بن سلامة ، تسعى لرزق بناتها « كاملة » و « وضحة » و « صبحة » فتصطاف فى موسم حصاد القمح والشعير بصحراء بير السبع ، اذ كان الكثيرون من أهل سيناء من قبل أن تبتلى فلسطين بالاحتلال الانجليزى ، وحتى قيام دولة اليهود بمساعدة بريطانيا العظمى سنة ١٩٤٨ ، يلجاون الى فلسطين ، اذا اصابهم القحط وشحت لديهم أمطار الشتاء ، فيحصلون على كفايتهم لعام قادم من التبن لدوابهم والشعير والقمح لطعامهم ، فقد كانت فلسطين أقرب لهم منالا ، فضلا عن أن عبور قناة السويس كان مشقة لا يحتملها الضعفاء بابلهم واتنهم .. وفى إحدى السنين ، أصيب عبد الله بالملاريا ، من جراء الناموس الذى كان منتشراً فى مستنقعات الشريعة ، بمنطقة بير السبع ، فعادت الحاجة أم دهشان ، أرملة شابة بعد ان دفنت زوجها ، حسب وصيته ، فى وادى النمل ، الذى يحتمل أن يكون مسرح القصص المذكور عن سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام ، فى القرآن الكريم .

قررت الحاجة أم دهشان أن تجابه همومها ، بتغيير مجرى حياتها ، وذلك بالعودة إلى حياة البحر ، وصيد السمان ، وتمليح البطارخ والفسيخ ، اذ انها كانت من عائلة ذات علاقة وتاريخ مع البحر ..

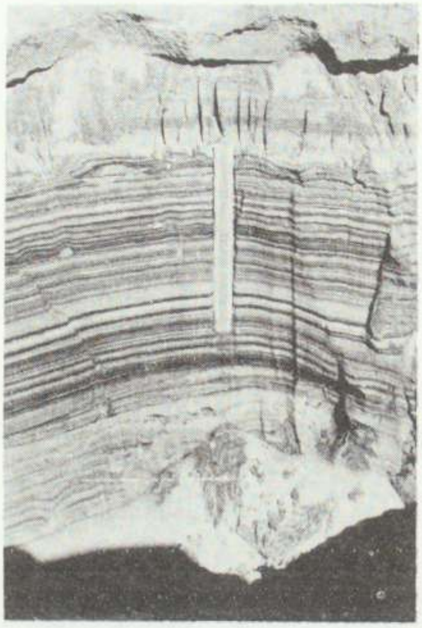
فاصبحت تشد الرحال ، فى أواخر اغسطس من كل عام ، لرحلة يسميها أهل شمالى سيناء رحلة (المناصب) ويخرجون فيها زرافات ، حيث ينصبون الحبائل والشباك فى الشريط الساحلى بين سبخة البردويل وشاطىء البحر ، لاصطياد السمان ، الذى يغادر أوروبا قبل حلول الشتاء والصقيع ، إلى حيث الدفء فى أفريقيا وآسيا .

ولقد تعود بعض الأطفال ، أن يصحبوا موكب المناصب ، حتى مشارف العريش الغربية نحو نخيل المساعيد ، ثم يقفلون راجعين ، بعد أن ينهكهم العوم والجرى وراء سرطانات البحر وبعد ان تتسخ ثيابهم وأقدامهم الحافية ببعض ما علق برمال شاطئهم الجميل من كريات القار السوداء اللزجة المتخلفة عن السفن التى تمخر عباب البحر بعيداً الى الشمال .

كانت مياه البحر عند ساحل العريش ، فى اواخر اغسطس ، تصطبغ بلون بنى احمر ، هو لون غرين النيل القادم من هضبة الحبشة البركانية والذى كانت مياه الفيضان تصبه فى البحر عند رشيد ودمياط ، ومن ثم تحمله التيارات البحرية نحو الشرق .. وذلك قبل السد العالى .. وعند عودة الحاجة أم دهشان ، من موسم المناصب ، كنا نستمع إليها فى شغف ، وهى تحكى للكبار ، عن متاعب ومغامرات موسم المناصب ، وتتحدث عن قلة (الفر) أى السمان وكثرة الطيور المهاجرة الأخرى مما لا يجد سوقاً رائجة فى بورسعيد أو (البلط) مثل المراعى والزنازيل ، والبرشلات ، والزرازير ، والشحاحيم والحمارى ، والصرد ، واليمام ، والخضارى ، والصقور ، وغيرها من البغاث الذى يقع فى شباك او تراكيب المنصب .. وتذكر كيف كانت اقدام بعض الناس هنالك تتسلخ وتتشقق من جراء المشى بلا نعال ، فوق رمال سوداء فاحمة اللون ، تكاد تشتعل من شدة حرارة الشمس ، وتبدو رمضاؤها على البعد كما لو كانت طريقاً معبدة بالاسفلت خاصة عند القطفة والكليخة وروس العبيد وأبى مزروع والبوغاز الغربى .. وكانت الحاجة أم دهشان تحمل عند عودتها من المناصب ، شيئاً من احجار (الخفخاف) والبطارخ المملحة والفسيخ ، على سبيل الهدايا لصويحباتها واقاربها ، ومن يحتفلون بسلامة عودتها .

وكان (الأسطى) على اسكندر ، مـــدير (ورشة) إصلاح تليفونات المحافظة يحظى بنصيب من البطارخ المملحة ، احمله اليه ، كى يكافئنى بمغناطيس قديم من التليفونات الخربة يشبه رقم السبعة وأحياناً يشـــبه حـــدوة الحصان ..

وكان كل حظى من المعرفة فى أوائـــل الثلاثينات من هذا القرن الميلادى لا يتعدى ملاحظتى بأن المغناطيس يلتقط الحـــديد ولا يلتقط النحاس والخشب ولم تك عندى ولا عند احد ممن أعرف بالعريش اية فكرة عن قوانين « جاوس » أو معادلات « كلارك ماكســـويل » ، وكان سر اهتمامى باقتناء مغناطيس من مخلفات العم على إسكندر ، التسلية بدفن قطع من الاسلاك والشفرات والمسامير القديمة فى الرمل ثم التقاطها من التراب بتحـريك المغناطيس فوقها .



بعيداً عن شاطىء البحر بحوالى ثلاثين متراً ، إذا حفرت إلى عمق ١٢٠ سنتيمتر تجد الرمال السوداء فى راقات متعاقبـــة مع الرمال البيضـــاء .. ثروة معدنية لازالت مهملة فى شمال سيناء بمصر !

وكان يضايقنى ما يعلق بمغناطيسي حين اجيله فى التراب ، من حبيبات سوداء دقيقة أصغر من حبات الرمل ، لا أعرف من اين جاءت ويضيع الكثير من الوقت للتخلص منها ، ولكنها كانت موجودة فى كل رمل تحتويه شوارع العريش وحواريها وازقتها ..

وبعد ربع قرن من الزمان ، أبدت المساحـــة الجيولوجية المصرية اهتماماً برواسب الرمال السوداء حول مصب النيل عند رشيد الى الشرق من الاسكندرية ، وذلك بحثاً عن توفير خامات الالمانايت والثوريوم والزرجون وغيرها من فتات الصخور والحجارة التى تحملها مياه النيل من قلب افريقيا وهضابها ، بمعدل ثلاثين مليون طن فى العام ، بالاضافة الى الطين العالق والغرين ، وتلقى بها فى البحر المتوسط ، وتقوم الأمواج بفرزها وتصنيفها طبقاً لكثافاتها النوعية ، وتلقى بها قرب الشاطىء حيث يستقر الثقيل منها ويطير الخفيف مع الريح بعيداً عن البحر .. وفى خضم الاهتمام بالرمال السوداء ، تذكرت أحاديث الحاجة أم دهشان ، وكانت قد انتقلت الى رحمة الله ، وتذكرت مغناطيس العم على اسكندر وحبيبات معدن المجنيتايت التى كان يلتقطها من رمال العريش ، وتذكرت مياه ساحل العريش التى كانت تعكرها مياه النيل الدافقة فى موسم الفيضان ، فكان لابد ان أرسل صديقاً ليأتينى بشىء من تلك الرمال السوداء ، على ظهر بعير ، اذ لم يك هناك ، والى اليوم ، طريق للسيارات بين بحيرة البردويل وشاطىء البحر الأبيض المتوسط .

جاءت العينة ، وخضعت للفحص المجهرى ، وثبت انتماء الرمال السوداء فى ساحل سيناء الشمالى لرواسب النيل .

وكان على أن أدرس تواجـــد تلك الثروة المعدنية فيما بين رفح شرقا ، وبور فؤاد غرباً .

وهمس المعوقون والمرجفون ، وما اكثرهم حتى فى الأوساط العلمية العربية ، وادعوا انهم قد قتلوا ساحل سيناء الشمالى درساً واستقصاء ، وافتوا بانه لا توجد رمال سوداء هناك . وكان الفيصل ، القيام بعدة رحلات جوية بين العريش وبورسعيد بطائرة ابحاث خاصة بلجنة الطاقة الذرية المصرية ، ثبت من خلالها أن على ساحل سيناء الشمالى كميات هائلة من تلك الرمال . اتخذت لى معسكراً من عدة خيام على السيف مباشرة مقابل نقطة البردويل غرب العريش ، كيما اتفهم المفتاح الاكاديمى لصور ترسيب تلك الأحمال من الرمال السوداء ، فوجدتها اربعاً لا خامس لها بعد حفر سلسلة من الحُفَر فى صفوف متعامدة مع الشاطىء فى كل صف عشر ، وبين كل صف والآخر ثلاثون متراً ، ونشرت خلاصة العمل كله فى مجلة المجمع العلمى المصرى بالقاهرة إثر محاضرة تشرفت بالقائها هناك فى الثامن من نوفمبر سنة ١٩٦٤ .

ويدفعنى الحديث عن الرمال السوداء بساحل سيناء الشمالى الى تساؤلات :

● هل ستظل الثروة المعدنية العربية جملة وتفصيلا ، بما فيها معادن الرمال الســـوداء (المذكورة اعلاه) مبعثرة هكذا بين المحيط والخليج دون رابط (عربى) يربطها ، علمياً واقتصادياً ؟

● إلى متى سنبقى توابع تكنولوجيـــة وسياسية لغيرنا فيما يخص ثرواتنا المعدنية ؟

● هل لدى اية جهة عربية معلومات متكاملة عن مواطن وكميات الثروات المعدنية العربية ، بما يكفل تكاملا صناعيا عربياً سليماً أم ان حقيقة المعلومات عن ثرواتنا المعدنية العربية ستظل وقفا على الأجانب والموالين لهـم بين ظهرانينا ؟

● متى ستتجاوز هيئاتنا العلمية والبحثية بالنسبة لثرواتنا المعدنية العربية بالذات مرحلة الألقاب العلمية والفقه البيزنطى الذى لا يفتح منجماً ولا يحول خاماً بأيـد عربية نظيفة إلى منفعة عملية ؟

● أم أننا وصلنا إلى مرحلة من الجمود والتحجر والتبعية بحيث لا نستطيع إلا طرح مثل هذه الأسئلة حتى تقوم القيامة ؟

ماذا يعني قيام مؤسسات ثقافية وإعلامية في دول الخليج؟

بقلم: خالد عبدالله زيارة



الأستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام القطرى يلقى كلمته فى بداية الاجتماع التاسيسى لمركز التراث الشعبى لدول الخليج العربيـة الذى عقد فى الدوحة فى نوفمبر عـام ١٩٨١



الأستاذ محمد عبد الرحمن الخليفى وكيل وزارة الاعلام القطرى يراس الاجتماع التاسيسى لمركز التراث الشعبى لدول الخليج العربيـة اثناء انعقاده فى الدوحـة

تحتل منطقة الخليج العربى فى عالمنا المعاصر أهمية كبيرة ووضعية فريدة ، ليس لكونها تمتاز بقدرتها الاقتصادية الناجمة عن موارد النفط فحسب ، بل أيضاً لموقعها الاستراتيجى الهام ، فضلا عما تشهده من تطور اجتماعى ووعي ثقافى فى مجالات التعليم والاعلام والصناعة والعمران والخدمات وغيرها من المجالات الهامة التى تطل على ثقافات وعلوم العصر مع الحفاظ على جذور تراثها العربى الاسلامى .

ومن هذا المنطلق أخذت الدول الخليجية تولى شئون ثقافاتها وتراثها الحضارى أهمية خاصة ، فشكلت العديد من المؤسسات والادارات الثقافية ، وبدأت العمل على اعداد الكوادر الوطنية المتخصصة فى هذه المجالات ، كما سعت الى عقد اتفاقات ثقافية مع بعض الدول العربية لاستقدام خبراء عرب للعمل وتدريب الكفاءات الوطنية .

ودولة قطر هى احدى دول الخليج العربية السبع . ويمتاز الاعلام بها بأهمية خاصة يوليها المسئولون القائمون على شئونه ، وعلى رأسهم سعادة الأستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام الذى لم يال جهداً فى السعي الى تطوير هذه الوزارة الهامة والتى ينبثق عنها العديد من الادارات تعمل جميعها لتحقيق الأهداف المنشودة ، وأبرزها بلاشك اعطاء الصورة الواضحة عن تفاعل الاعلام القطرى باعلام أشقائه العرب فى دول الخليج ودول العالم العربى والاسلامى ..

ولذلك فان الاعلام القطرى يعمل جاهداً للاعلام خارجياً عن قطر وله فى هذا قنواته المختلفة بالنسبة لاتصاله بالعالم العربى والاسلامى .. وهذا بالاضافة الى الدور البناء الذى يقوم به فى الداخل من أجل التوعية والتثقيف .

وفى نطاق اجتماعات وزراء اعلام دول الخليج استطاع الاعلام القطرى بالجهود الخليجية المشتركة أن يبذل مع القائمين على شئون الاعلام فى المنطقة جهوداً خاصة للتعريف بمنطقتنا ولاعطاء العالم فكرة كاملة حتى لا ينظر الينا على أننا دول بترولية فحسب .. فدول الخليج العربية لها مسئوليتها الكبيرة ولديها الكثير من الآمال وعندها قيمها الدينية والتاريخية والثقافية وفى نطاق هذا الاطار قامت مشاريع

الاعلام والاتصال بين دول الخليج لترسخ واقع التعاون والجهود المشتركة

التراث الشعبى

فى المؤتمر الخامس لوزراء الاعلام فى دول الخليج الذى انعقد فى الدوحة فى ٩ فبراير ١٩٨١ ، تقرر توحيد الجهود لتدوين وجمع التراث الشعبى لدول منطقة الخليج العربية .

والمعروف أن لكل دولة من دول الخليج اهتماماتها الخاصة بجمع التراث وتسجيل وتدوين الحكايات والازجال والامثال الشعبية وغيرها .. وورقة العمل القطرية انطلاقاً من مبدأ توحيد الجهود ترى ضرورة احياء هذا التراث وتوحيد كافة الجهود المبذولة فى هذا المجال برؤية اعم واشمل بحيث ينشا جهاز او مركز متخصص لوضع خطة عمل خليجية موحدة بهدف اجراء مسح شامل للمنطقة ورصد منابع التراث الشعبي وجمعه وتصنيفه وتنقيحه ، الى جانب اجراء الدراسات والبحوث وتشجيع المؤلفات والعمل على نشرها بحيث يعطي ناتجها صورة صادقة للتطور الثقافي التاريخي فى المنطقة ويكون دالة على عظمة الماضى ومرآة صادقة للاجيال الحاضرة وهادياً ومرشداً للاجيال المقبلة .

وانطلاقاً من الدراسة الشاملة لتراثنا الفلكلورى العربى ياتى اهتمام دول الخليج العربية بتراثها الشعبى لمعرفة أصوله ومكوناته وخصائصه ومدى تفاعله بحكم الجوار مع منطقة الفلكلور والاساطير الارية ، ومن ثم ربطه بالتراث الشعبى العربى فى محاولة تعرف ودراسة ملامح وموروثات شرقنا القديم او مجموعة الاقوام السامية بقصد تحديد دور ومكان تراثنا العربى منها .. وقد ساهمت كل الدول الخليجية فى بلورة التصور المطروح لانشاء مركز للتراث الشعبى لدول الخليج واغنائه وتقريبه من الواقع والظروف .. وقد امكن بذلك التوصل الى قناعة واتفاق مبدئي على تصور عام لنوعية هذا المركز وذلك من خلال الاهتمام والرغبة الجماعية فى أن تحقق هذه الفكرة واقعاً عملياً يخدم المصالح والأهداف المشتركة .. وعلى أثر ذلك اصدر المؤتمر السادس لوزراء الاعلام بدول الخليج العربية فى مسقط فى الفترة من ٧ ـ ١٢ مارس ١٩٨١ م فى الفقرة السابعة من التوصيات والقرارات ما يلي :

« اطلع المؤتمر على الورقة المقدمة من دولة قطر بشأن المشروع المشار اليه ، وقرر انشاء مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية فى دولة قطر مع تكليف وزارة الاعلام القطرية بوضع تصور لهيكل تنظيمى ووظيفى للمركز كمرحلة تمهيدية لاقامته » .

وتنفيذاً لهذا القرار قامت وزارة الاعلام القطرية بتعيين احد المختصين فى مجال التراث الشعبى مشرفاً على مشروع تأسيس مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية وكلفته بالاشراف على اعداد مشروع وثائق تأسيس المركز .

ومنذ تاريخ القرار والمركز يعمل وفق خطة علمية ومنهجية للقيام بعملية مسح ميدانى لكل منطقة الخليج من أجل الجمع والتدوين والتحقيق والتوثيق والدراسة لاشكال ومضامين التعبير الشعبي بالمنطقة ويستعين لتحقيق ذلك بالطاقات المحلية والعربية والعالمية والجهود السابقة فى هذا المجال ويستخدم جميع الوسائل العلمية المتطورة لتحقيق الهدف .

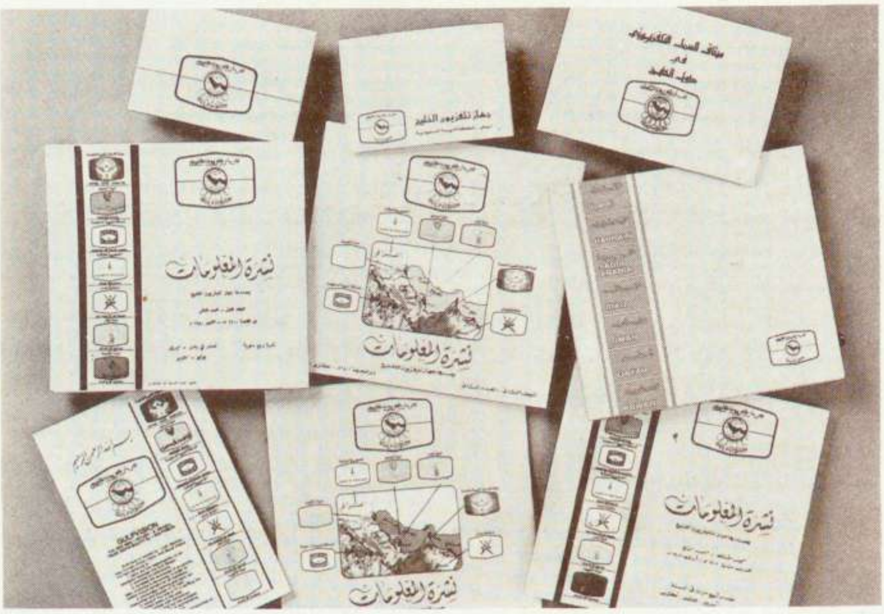
وتقع على كل فرع من الفروع التى انشاها المركز فى كل عاصمة من عواصم الخليج السبع مهمة الجمع والتدوين والتحقيق وارسال النسخ من المواد الى المركز الرئيسي بالدوحة الى جانب تشجيع وتوجيه جهود الأفراد الشخصية ويتولى المركز الرئيسي بالدوحة مراجعة تحقيق المادة ومقارنتها بمثيلاتها من الفروع الأخرى ومن ثم توثيقها علمياً ووضع الدراسات والابحاث حولها وتوفيرها كمراجع لأى دارس أو باحث .

ومن الأهداف الرئيسية التى أنشىء من اجلها يتولى المركز انشاء مكتبة مركزية للتراث الشعبى الخليجى بأحدث الاساليب العلمية ..

كما يقوم بنشر نتاجه وانجازاته العلمية ويساعد على نشر الدراسات المثيلة للافراد .



مسلسل الأطفال « افتح يا سمسم » كان باكورة انتاج مؤسسة الانتاج البرامجى المشترك لدول الخليج العربية



مطبوعات جهز تليفزيون الخليج

ماذا يعني قيام مؤسسات ثقافية وإعلامية في دول الخليج؟

تليفزيون الخليج

وفى المؤتمر الثانى لوزراء الاعلام لدول الخليج الذى عقد فى الرياض فى شهر فبراير ١٩٧٧ م أبرمت اتفاقية انشاء جهاز تلفزيون الخليج الذى يعد حلقة الوصل بين تلك المؤسسات الاعلامية الخليجية سواء من حيث اعداد الخطط والبرامج أو من حيث التنسيق والتعاون فيما بينها ، ولذلك فهو يعتبر بمثابة شبكة تلفزيونية مشتركة لدول الخليج العربية لتحقيق مزيد من التعاون والتقارب بين اعضائه لانتاج وتبادل البرامج التلفزيونية وتزويد دول الخليج ـ من خلال مؤسساتها الاعلامية ـ بكل ما يهمها من اخبار ومعلومات ودراسات

وتمشيا مع اهداف جهاز تلفزيون الخليج المبينة اعلاه واهمية إنشائه فقد قام الجهاز بوضع «ميثاق العمل التلفزيونى فى دول الخليج» عام ١٩٧٩ م فى اطار الميثاق الاذاعى العربى الذى اقرته الجمعية العامة لاتحاد اذاعات الدول العربية فى دورتها العادية الثانية فى عمان سنة ١٩٧٠ م ، وميثاق الشرف الاعلامى العربى الذى أقره مجلس وزراء الاعلام العربى فى دور انعقاده العادى الثالث عشر فى تونس سنة ١٩٧٧ م ، وتمشياً مع المبادىء الأساسية التى اقرها المؤتمر الاستثنائى لمجلس وزراء الاعلام العرب فى بغداد عام ١٩٧٩ م التى استهدفت تعميق الخط الاعلامى والتربوى لسائر أجهزة الاعلام العربية .. وعلى ضوء ذلك وضعت صيغة مشتركة لتوحيد الجهد الاذاعى فى دول الخليج عن طريق التاكيد على الحفاظ على روح الانتماء العربى .. كما تؤكد صيغة الميثاق على (حق الاعلام) للمواطنين فى الخليج العربى على الأصعدة المحلية والقومية والعالمية ضمن إطار الشعور بالمسئولية ويتصل بهذا ضرورة الحرص على عدم حجب الأخبار التى لها أهمية من وجهة نظر الجمهور بصرف النظر عن درجة وقعها عليه .

كما أخضع ميثاق العمل التلفزيونى فى دول الخليج الاعلان الاقتصادى الى معايير وضوابط تمنع بموجبها نشر الاعلانات ـ المباشرة وغير المباشرة ـ ضمن البرامج الدينية ونشاطات الأخبار والبرامج السياسية وبرامج الأطفال وضرورة عدم اساءتها للمعلنين المنافسين أو تضليل الجمهور .

ومن الانجازات التى حققها جهاز تلفزيون الخليج ضمن إطار العمل المشترك عملية تبادل البرامج فيما بين الدول الاعضاء وفق استثمارات خاصة توزع على الدول الأعضاء لبيان البرامج المرشحة للتبادل ، كما قام بتاليف لجنة متابعة تابعة للجهاز وضعت الأسس العامة التى تضمن تدفق المعلومات وتنسيق الاتصالات فيما بين الجهاز والدول الأعضاء .

وفى نطاق التبادل البرامجى بين تلفزيونات الدول الأعضاء فقد بعثت دولة الكويت بـ (٧٩) برنامجا تبلغ مدتها (٨٠٣٤) دقيقة الى الدول الأعضاء الأخرى فى الجهاز .. كما تم فى هذا الاطار تبادل العديد من البرامج بين الدول الأعضاء وفق الخطة الموضوعة .

وقد ساهم جهاز تلفزيون الخليج فى اعداد برامج السهرات الخليجية سنة ١٩٨٠ م ومهرجان الخليج للانتاج التلفزيونى فى الكويت ، وانتاج وبث برنامج صلاة عيد الأضحى المبارك الى العالم عن طريق الاقمار الصناعية ، والمهرجان المسرحى الخليجى فى الكويت كما قام بالاعداد لندوة (التخطيط لانتاج برنامج تلفزيونى خليجى مشترك لخدمة أهداف التنمية والتعليم بالمنطقة) يتم بثه عبر القمر الصناعى العربى بعد اطلاقه الى الفضاء ، اضافة الى ندوة (استخدام الأقمار الصناعية فى اغراض البث الاذاعى والتلفزيونى) التى عقدت فى الرياض خلال الفترة من ٢٣ الى ٢٦ مارس سنة ١٩٨١ م .

وعلى الصعيد الدولى قام جهاز تلفزيون الخليج بتنظيم الأسبوع الثقافى العربى الأول لدول الخليج على قاعات اليونسكو فى باريس خلال الفترة من ٣ ـ ١٢ مارس سنة ١٩٨١ م حيث لقي نجاحا باهرا وكان بمثابة تظاهرة اعلامية وثقافية وفنية لأقطار الخليج خاصة وللعرب عامة تجلت فيه الأخوة والتعاون والعمل العربى المشترك .. وقد قامت مؤسسة الاذاعة العراقية بانتاج فيلم سينمائى وثائقى عن هذا الأسبوع تم توزيع نسخ منه على الدول الاعضاء فى الجهاز .. كما انتهز الجهاز هذه الفرصة لتسجيل سهرة خليجية مشتركة من مسرح اليونسكو ، والتى قام باعدادها فريق جهاز تلفزيون الخليج بالتعاون مع شركة فرنسية .

الانتاج البرامجى المشترك

وإذا كان الحديث عن التعاون بين دول منطقة الخليج فى المجال الاعلامى يمتاز بصبغة خاصة ينفرد بها فان الخطوط الرئيسية لاعلام الخليج هى المؤشر الذى تنطلق منه دول المنطقة فى سبيل دعم التعاون الاعلامى فيما بينها .. فقد حددت هذه الخطوط بالعمل على خدمة اهداف الخليج ومعالجة قضاياه بالأساليب العلمية الصحيحة ومن خلال التعبير الموضوعى والكلمة الصادقة .. وتوجيه العناية للكشف عن الأصول الحضارية والثقافية للمنطقة والتعريف بآداب وفنون وتراث البيئة .. وابراز معالم النهضة والتنمية الاقتصادية والاجتماعية فى الخليج وتجسيد مظاهر قوته وازدهاره .. وتنقية صورة الخليج من الشوائب التى بثتها وسائل الاعلام المضادة والتصدى لحملات التشكيك .. وتكثيف العمل على غرس تعاليم الدين الاسلامى القويم والحث على التمسك بمبادئه ومثله السامية والدعوة الى نشره .

وقد اخذت مؤسسة الانتاج البرامجى المشترك لدول الخليج من خلال تفاعلها مع المؤسسات والمراكز الاعلامية المشتركة فى دول المنطقة ، تكرس جهودها على ضوء هذه الخطوط الرئيسية لاعلام الخليج فتولت انتاج برامج مشتركة اذاعية وتلفزيونية تبرز السمات المميزة لشعوب المنطقة وتتعامل مع مشاكلها البيئية ، وتقوم بالتعريف بامجادها وبطولاتها وتربطها بتاريخها وتراثها فى مختلف مجالات الآداب والفنون .

وقد تمت الموافقة على انشاء هذه المؤسسة بتاريخ ٣ محرم ١٣٩٦ هـ الموافق ٤ يناير ١٩٧٦ م ومقرها الكويت ، وتضم

فى عضويتها دول الخليج العربية السبع ويتولى ادارتها مجلس ادارة مؤلف من ممثل واحد لكل دولة من الدول الاعضاء ويضم المجلس وكلاء وزارات الاعلام بدول الخليج العربى أو من ينوب عنهم ، ويعتبر مجلس الادارة السلطة العليا فى المؤسسة يرسم سياستها العامة ويوجه نشاطها ويضع القواعد التى تسير عليها ، ويجتمع المجلس مرتين على الأقل فى السنة .

ومن الأهداف الرئيسية التى تسعى مؤسسة الانتاج البرامجى لدول الخليج لتحقيقها :

● انتاج برامج اذاعية وتلفزيونية مشتركة تبرز السمات المميزة لشعوب المنطقة وتعمل على ربط تاريخها الحديث بتراثها القديم وتظهر مختلف جوانب تقدم الفنون والآداب فيها .

● الارتفاع بمستوى الانتاج الفنى للبرامج الاذاعية والتلفزيونية وإلقاء الضوء على ما يصدر عن ابناء الخليج من انتاج أدبى وفنى وعلمى .

● إحياء التراث الخليجى وبخاصة الفنون الشعبية والعمل على تسجيلها تسجيلا وثائقيا لتكون مرجعاً تاريخياً ومصدراً للنهوض بمستوى الفنون والآداب الخليجية فى مختلف المجالات .

● اتاحة الفرصة للعاملين فى المحطات التلفزيونية والاذاعية فى الدول الاعضاء لرفع كفاءتهم الفنية والمهنية واكتساب خبرات مختلفة ، نتيجة للاحتكاك المستمر بين العناصر المشاركة فى أعمال الانتاج .

● كشف البراعم الناشئة فى مختلف مجالات الفنون والآداب والعلوم والعمل على تدريبها واظهار مواهبها وتشجيعها بمختلف الوسائل الاعلامية .

● تطوير الامكانيات والكوادر المحلية المختصة بالانتاج السينمائى والتلفزيونى وتنميتها واتاحة الفرصة لها لممارسة نشاطها ضمن ظروف متقدمة .

● إحياء التراث العربى الاسلامى وابراز المثل العليا لدين الاسلام الحنيف والتعريف بامجاد الاسلام وسير أبطاله وقادته .

ومنذ انشاء المؤسسة والعمل سار بشكل مضطرد ، وقد تم انجاز العديد من المشاريع ويمكن حصر تلك المشاريع التى تم تنفيذها فى التالى :

● الخليج حضارة وبناء : ويضم مجموعة من الأفلام التسجيلية التى يتم من خلالها رصد مظاهر التطور المختلفة فى دول الخليج العربى .. وقد أنتج من هذه السلسلة ١٤ فيلماً .



التراث الشعبى الخليجى يؤكد وحدة الفن والثقافة فى المنطقـــة

● قصص خليجية : وهو برنامج درامى من ١٣ حلقة . حيث تم تحويل عدد من القصص الأدبية الخليجية الى دراما تلفزيونية تساهم فى تعريف نتاجات أدباء الخليج العربى ومساهماتهم الكبيرة فى الأدب العربى .

● حياتنا : وهو مسلسل تربوى يقع فى ١٣ حلقة ويناقش القضايا التربوية والنفسية والاجتماعية .

● بيت بوخالد : يتعرض العمل ومن خلال صياغة درامية شائقة لحياة عائلة خليجية حيث ندرك من علاقات افرادها التغييرات التى طرأت على المجتمع الخليجى كانعكاس مباشر للتغييرات الاقتصادية والاجتماعية التى طرأت على المجتمع .

● سلامتك : يهدف هذا البرنامج الى الارشاد والتثقيف الصحى عن طريق التلفزيون والاذاعة مسلطاً الضوء على أهم ما يجب أن يقوم به الأفراد انفسهم تجاه صحتهم وصحة الأسرة والمجتمع .. كما يهدف الى عرض المفاهيم الصحية الاسلامية .

● أفلام تسجيلية وهى : نحن نرسم البحر بالألوان ـ أعماق الخليج ـ بناء السفن الخشبية القديمة .

● انتاج قسم الدوبلاج : قام قسم الدوبلاج بالمؤسسة بدبلجة الأعمال التى تعتمد على الأعمال الأدبية العالمية ومنها : حول العالم فى ٨٠ يوم ـ حكايات من هنا وهناك ـ قصص عالمية ـ الرجل الحديدى .

● افتح يا سمسم : يقع هذا المسلسل فى ١٣٠ حلقة موجهة للاطفال من سن ٣ الى ٩ سنوات .

● مسرحية «مدينة اللؤلؤ» : حلقة نموذجية فى ساعتين من مشروع «مسرح التلفزيون» .

وعن المشاريع المستقبلية التى تسعى المؤسسة فى انتاجها فيمكن حصرها فى تصوير الجزء الثانى من البرنامج الصحى «سلامتك» بالاضافة الى اصدار مجلة شهرية بعنوان «سلامتك» .. كما انتهت المؤسسة من تصوير كنوز الخليج وهى منتجة على مستوى عالمى تتكون من ستة أفلام تسلط الأضواء على ثروات الخليج وكنوزه والحياة المحيطة به يرافق عرضه كتاب «كنوز الخليج» ويتكون من ٣٠٠ صفحة عربى وانجليزى بطباعة فاخرة يتضمن ١٨٠ صورة نـادرة وحديثة لدول المنطقة .

وقد اقر مجلس ادارة المؤسسة تنفيذ برنامج «العلم للناشئة» فى النصف الثانى من هذا العام وهو برنامج علمى يدعو الى البحث والدراسة العلمية وسيتم تصويره فى الأندية العلمية لدول المنطقة .

وأما على المستوى العربى فهناك برنامج عن محو الأمية لاتزال البحوث والدراسات تجرى عليه وينتظر أن تبدأ فى تنفيذه فى نهاية ١٩٨٣ م ويكون جاهزاً للعرض فى بداية ١٩٨٥ م .

وفى نطاق سلسلة الحضارة العربية الاسلامية التى كانت المؤسسة قد أصدرت الحلقة الرائدة منها عام ١٩٨١ م ، فقد تمت الموافقة على تصوير عشر حلقات تظهر عظمة التاريخ الاسلامى والحضارة العربية التى عمت أرجاء الدنيا ، وتم تكليف مجموعة من ابرز الكتاب العرب للمساهمة فى كتابة هذه الحلقات التى يتوقع انجاز خمسة منها خلال العام الحالى .. والمعروف أن هذا المشروع يتضمن ١٦٠ حلقة ، مدة الحلقة ساعة ، وستتم على فترات ، وتناقش شئون الدين والطب والعلوم والاختراعات وكل مظاهر الحضارة العربية والاسلامية .

كما تقوم المؤسسة بانجاز برنامج «المراية» وهو يتكون من ٣٠ حلقة تعكس عظمة الاسلام ودوره الحضارى

خالد عبد الله زيارة
وكالة الأنبـاء القطرية

في العـدد القـادم :

● التدريب الإذاعي والتلفزيوني
● وكالة أنباء الخليج
● مركز التوثيق الإعلامي

الجامعة المفتوحة

بقلم : الدكتور أحمــد الخطيب

تعتبر الجامعة المفتوحة أكبر تطور جرى بعد الحرب الأخيرة فى مجال التعليم الجامعى ، فقد انبثقت الفكرة من خطاب أطلقه هارولد ولسون فى جلاسجو فى الثامن من أيلول سنة ١٩٦٣ . ثم تأسست بموجب براءة ملكية عام ١٩٦٩ ، لكن تجسيدها بدأ بالتحاق الطلبة بها لأول مرة سنة ١٩٧٠ ، وبدأت الدراسة بها عملياً سنة ١٩٧١ حيث ارتفع عددهم فى السنوات الثلاث اللاحقة على ما يربو عن ٤٠ ألف طالب .

والجامعة لا تتبع أية جامعة أخرى فى نظامها ، ولديها صلاحية منح الدرجات العلمية كغيرها . وكغيرها من الجامعات البريطانية ، يديرها مجلس تنفيذى ، ومجلس أمناء ، فالمجلس التنفيذى أو الادارى يشرف على العمليات الادارية البحتة ، بينما يتولى مجلس الأمناء رسم السياسة الأكاديمية ، فللجامعة رئيس ، ومدير ونائب رئيس ، ومدير للشئون المالية وثلاثة مساعدين للرئيس ، وسكرتير عام . وتمولها الحكومة بنسبة ٨٥٪ ، بينما تغطى اشتراكات الطلبة النسبة الباقية .

وللجامعة حرم يقع على مساحة حوالى ٧٠ فداناً فى منطقة يسهل الوصول اليها ، وتبعد ٥٠ ميلا شمال غرب لندن . وليس فى الجامعة أية تسهيلات للنشاطات الطلابية فى حرم الجامعة ما عدا حيز بسيط للمعمل يعطى لطلبة البحوث العليا ، غير أنه توجد رابطة طلاب وطنية لها مكتب رئيس فى مبنى الجامعة .

ما معنى الجامعة المفتوحة ؟

إنها مفتوحة للجميع فى بريطانيا من حيث الأمكنة ، والأفكار ، والأساليب ، فهى مرنة بالنسبة للمتطلبات المختلفة للطلبة ، إذ من الممكن أن يسرع الطالب فى تحصيله أو يتباطأ ، أن يتوقف أو يستمر ، أن يجمع بين المساقات أو يبعدها وأن يعود للدراسة حينما يشاء بعد أن ينقطع عنها .

هذا وكانت فكرة الجامعة المفتوحة قد انطلقت من ثلاثة اتجاهات تربوية حدثت بعد الحرب ، أولاها تتعلق بتطور فكرة تعليم الكبار ، وثانيها تزايد التعليم الاذاعى ، وثالثها الهدف الأساسى لتوسيع نطاق المساواة فى التعلم .

ولقد كانت الدوائر المتخصصة فى الجامعات قد دأبت على الاهتمام ببرامج الدراسات الخارجية (أى صفوف خارج جدران الجامعة) التى انشئت أصلا لنشر وبسط التأثير الثقافى للجامعات الى الناس الكبار فى مواطنهم . ومنذ البداية فان الكبار الذين دخلوا فى الصفوف خارج الجدران كانوا فى غالبيتهم من الطبقة الوسيطة . وبعضهم كان قد أفاد من التعليم العالى . وبذلك فانهم يعطون فرصة لتنمية اهتماماتهم ومعارفهم . ولقد كانت حوالى ٧٥٪ من تلك الصفوف تتخصص فى الآداب أو الدراسات الاجتماعية . وبمعنى آخر كادت تكون كلها غير مهنية ، ولا توفر للمشتركين فرصة للجلوس للامتحان أو الحصول على شهادة أو دبلوم . فهذه كانت مساقات بدون تقدير برمجت خصيصاً لملاءمة أولئك الذين يريدون أن يدرسوا لمجرد تحقيق الذات فحسب ، أما الجامعة المفتوحة فتختلف عن ذلك اختلافاً جذرياً .

إن الفكرة التى تقول إن المواطنين المثقفين وحدهم هم الذين يستطيعون أن يتحملوا مسئولياتهم فى الحكم الذاتى هى فكرة مختلفة عن تلك التى ترى أن النخبة الممتازة من الأمة هى التى تقع على عاتقها المسئولية الخلقية نحو التربية . إن كلا الفكرتين مجتمعتان فى الجامعة المفتوحة وبهذا المفهوم يتكون ادراك وتجسيد للمساعدة الثقافية الذاتية ، ومفهوم جديد للتغلغل الثقافى فى الأوساط الدنيا .

وهكذا فان الهدف العام للجامعة المفتوحة هو إتاحة فرصة التعليم العالى للكبار الذين لم يتمكنوا من الافادة من الفرص المحدودة التى تقدمها مؤسسات التعليم العالى لدى تخرجهم من المدرسة الثانوية أو بعد ذلك بقليل . ومن أهداف الجامعة أيضاً أن تصبح ركيزة لاستمرارية التعليم العالى . واستمرارية التعليم بشكل عام مدى حياة الكبار ، وبذلك يتحقق مبدأ التربية المستديمة ، حيث أن أعمار طلبتها تتجاوز الواحد والعشرين سنة ، وهم يدرسون فى أوقات فراغهم من العمل .

أما منتسبو الجامعة فتحدوهم فكرة تحسين ذاتية وحرة لشخصياتهم ، والتغيرات التى ينشدونها هى تغييرات فى المقدرة العقلية ، ووجهات النظر ، والمعرفة وهى تغييرات يعتقدون أن بمقدورهم أن يحدثوها فى انفسهم ، حتى ولو بقي كل ما فى المجتمـــع ثابتاً بدون تغيير . ان حوافز الدارس للحصـــول على شهادة الجامعة المفتوحة كثيرة . فمعظم الدراسين يحبون الحصول على مؤهل علمى يخولهم حق الترفيع ، أو تغيير المهنة لأفضل منها أو لزيادة المردود المالى . وبكلمة أخرى ، من أجل تعميق حياتهم المهنية بصورة أتم وأشمل . وبعضهم ينتسب للجامعة من أجل تحقيق الذات وتحسين معارفهم وللاستمتاع

بالحياة بشكل أكمل .

ملامح الجامعة المفتوحة

تمتاز الجامعة المفتوحة بعدد من الخصائص المتطورة ومنها :

أولا : إن ميزتها الأولى تتجسد فى كونها تغض النظر عن متطلبات الدخول الرسمية المعمول بها فى الجامعات البريطانية الأخرى . فلا توجد لها متطلبات دخول ، بل إن الأساس فى القبول هو مبدأ الأولوية لأسبقية الطلب ، وذلك ضمن امكانية الجامعة فى الاستيعاب فى تخصص ما . والجامعة تعمل على توزيع القبول بالعدل وبنفس الكيفية فى جميع المقاطعات البريطانية وبين المجموعات المهنية المختلفة . وهكذا فان المعلمين مثلا بالرغم من انهم يشكلون ١,٦ ٪ من مجموع السكان الكبار فانهم يشكلون ٣٣,٤ ٪ من مجموع الطلبة المسجلين . وقد كانوا فى عام ١٩٧٥ يشكلون ٥٣,١ ٪ من مجموع الخريجين بالدرجة العادية . بينما القطاعات الأخرى كالعمال الزراعيين ، وعمال المناجم ، والصناعة ، والمواصلات والاتصالات الذين يشكلون ٢٢,٧ ٪ من مجموع السكان ، بلغت نسبة المسجلين منهم فى الجامعة ٢,٦ ٪ . وتخرج منهم نسبة ١,١ ٪ بنفس الدرجة وهكذا فان اندفاع المعلمين نحو الجامعـــة المفتوحـــة هو دليل واضح على مدى فشل الجامعات التقليدية فى تلبية رغباتهم وحاجاتهم .

ويخلو نظام الجامعة كذلك من أي تحديد زمني لاكمال المساقات المطلوبة للحصول على الدرجة العلمية . فكل طالب يعمل حسب جهده وطاقته . الا أن مستوى الدرجة الممنوحة تتعادل مع مثيلاتها من أيةجامعة أخرى .

ثانيا : هي جامعة للتعليم بالمراسلة في المكان الأول .فطلبتها هم متعلمون مستقلون منخرطون في أعمال شتى . ويتلقون المواد التعليمية ، ثم يعيدون اعمالهم ونشاطاتهم التحصيلية الى جهاز الجامعة بواسطة البريد ، حيث تقوم ، ومن ثم ترسل لهم ثانية كتغذية راجعة .

ثالثاً : طلبة الجامعة هم من الكبار الذين تجاوزوا في غالبيتهم سن الحادية والعشرين . لكن هناك تجارب على نطاق محدود على مجموعات أعمار أقل .

رابعاً : ان لها برنامجاً غير اعتيادي . فهي تبدأ عامها الدراسي في يناير ، وتنهي امتحاناتها في اكتوبر . فليس لها عطلة صيفية ، وبذلك فان عامها الدراسي أطول نسبياً من غيرها من الجامعات . كما أنه ليس فيها فصول ، ولا محاضرات تقليدية أو صفوف تقليدية . ويدرس فيها الطلبة حسب قدراتهم الذاتية .

خامساً : الدرجة العلمية التي تمنحها الجامعة مبنية على أساس النظام التراكمي للتقديرات المخصصة للمساقات ، فيعطي الدارس وحدة تقدير واحدة لدى اتمامه بنجاح مساقا كاملا ، يعطي على مدار السنة . علماً بانه يمكن للدارس ان ياخذ مساقين بوحدتي تقدير في السنة كحد أعلي . هكذا فان اتمام ٦ مساقات بنجاح يكفي لتخرج الدارس بالدرجة العلمية العادية ، وان اتمام ٨ مساقات يكفي لتخرج الدارس بالدرجة العلمية الأولى.وكذلك فانه يمكن اعفاء بعض الدارسين من بعض المساقات (قد يصل الاعفاء الى ثلاثة مساقات كحد اعلى) والتي قد اتموها بنجاح في أية جامعة أو مؤسسة تعليم عال اخرى قبل انخراطهم في الجامعة المفتوحة .

سادساً : يمكن للدارس أن يحصل على الدرجة العادية في مدة ٣ سنوات ، والدرجة الاولى في ٤ سنوات . هذا ويمكن أن يتخرج الطلاب الذين يتمتعون بحق الاعفاء من بعض المساقات في سنتين .

سابعاً : تستعمل الجامعة المفتوحة الاذاعة والتلفزيون كوسائط تعليمية . فلها برامج اذاعية ومتلفزة الى جانب برامج المواد المكتوبة التي تبثها الاذاعة البريطانية .وهذه البرامج المذاعة تستحوذ على ٥٪ الى ٨٪ من وقت الطالب الدراسي . أما المادة المكتوبة فترسل في صورة كتب . وقد تحتوي على مواد تعليمية غير معتادة مثل الطرود التجريبية البيتية التي يتلقاها طلبة العلوم والتى تشمل أدوات مخبرية متقدمة كجهاز ميكروسكوب مثلا .

ثامناً : يعتمد نظامها الدراسي على مزيج من المواد المعدة خصيصاً للدراسة بالمراسلة . وبرامج الراديو والتلفزيون ، والمساعدة الارشادية . وتعتمد كذلك على المساعدة التي تقدمها المراكز الاقليمية والمحلية للدراسة السمعية والبصرية . وهناك دورات صيفية قصيرة منتظمة .

ان مواطن التجديد والقوة في الجامعة المفتوحة لا تكمن في استخدام تلك الوسائل في التعليم فحسب ، بل في دمجها جميعاً مع بعضها البعض بشكل متكامل . هذا ويقوم اداء الدارسين بواسطة عمليات التقويم المستمر بما في ذلك الامتحانات .

تاسعاً : تنظيمها الهيكلي له بعدان ، مركزي ولا مركزي . فللجامعة مركز ثابت في والتن هول . في ملتن كنيز . بالقرب من بليتشلي في مقاطعة بكنجهام حيث رئاسة الجامعة . ومجلس ادارتها ومجلس امنائها وهيئتها التدريسية . كما تنتشر فى ربوع انجلترا ١٣ مركزاً وحوالي ٢٦٠ مركزاً محلياً . وكلها تعمل على تنفيذ برامج الجامعة المفتوحة في المناطق المحيطة بها .

عاشراً : وهكذا فان الترتيبات التعليمية تشمل توزيعاً جديداً للعمـل . فهناك فريق مركزي لتحضير مواد ووحدات المراسلة المطبوعة وبرامج الاذاعة المسجلة . أما في المراكز الاقليمية ، فهناك حشد من القوة البشرية التعليمية والارشادية على أساس غير متفرغ وهذه القوة تعمل على الاتصال بالدارسين بشكل مباشر . وبذلك يتمكن الدارسون والمرشدون من الالتقاء في تلك المراكز . هذا ويوجد استاذ مرشد لكل مساق يقوم بتصحيح اعمال الطلبة الكتابية . وقد يتواجد المرشدون في بعض الامسيات لاعطاء حصص ارشادية . أما الدورات الصيفية فتستغرق اسبوعاً واحداً لكل مساق . وحضورها اجباري لبعض المواد . وتشرف على التدريس فيها هيئة تدريسية غير متفرغة ايضاً .

حادي عشر : تعتمد الجامعة اعتماداً كبيراً على نظام الكمبيوتر في توزيع المواد في عمليات التقويم ، والشؤون الادارية والمالية .

ثاني عشر : تهتم الجامعة بتطوير مـواد ومساقات للطلبة أثناء الخبرة ، وكذلك تهتم بالدراسات العليا . أما الناحية الأولى فتتعلق بتحسين مستوى المهارة والمعرفة لدى الكبار العاملين في موضوع متخصص من خلال برنامج يستمر لمدة ستة شهور يمنحون في نهايته شهادة أو دبلوماً . فهذه البرامج موجهة أصلا لمن يرغبون في تحسين أو تغيير وظائفهم واعمالهم التي عملوا فيها بعض الوقت ، وهذه المساقات من شانها تسهيل امكانية تحويل ذوي الاطواق الزرقاء الى ذوي أطواق بيضاء . وقد تعطي مساقات خاصة مثل : المعوقين فى المجتمع ، العلاقات الصناعية ، المجتمع الاقتصادي الأوروبي ، والتدريب على نظام الكمبيوتر .

أما درجات الدراسة العليا فتمنح للبحث المبدع الخلاق ، الذى يتوج بتقديم أطروحة مقبولة . وهكذا فان الجامعة المفتوحة لا تهتم فقط بالدراسة للشهادة الاولى .

نظام التعليم في الجامعة المفتوحة

للجامعة هيئة تدريس متفرغة وأخرى

غير متفرغة . فالهيئة المتفرغة تعمل من موقع الجامعة الرئيسي أو من المراكز الاقليمية . أما أعضاء الهيئة غير المتفرغة فيعملون من بيوتهم أو مؤسساتهم الخاصة .

أما الدراسة في الجامعة فهي دراسة عن بعد . أي ليس فيها مواجهة وملازمة . ويقوم فريق مختص بتحضير مواد المساق . هذا الفريق يتالف في غالبيته من أعضاء الهيئة التدريسية المتفرغين . ترسل هذه المواد للطلبة على دفعات بواسطة البريد وفق برنامج محدد يستمر من تسعة الى عشرة شهور ، وعلاوة على طرود المراسلة هذه . هناك برامج اذاعية ومتلفزة تقدم على شبكة الاذاعة والتلفاز البريطانية .

فطرود المراسلة قد تحتوي على تعيينات تكون جزءاً من نظام التقويم المستمر الذي بدوره يكون على نوعين :

الاول : يصححه المرشد .

الثاني : يصححه العقل الالكتروني .

فبعد دراسة الاجزاء المقررة فى المساق يقوم الطلبة بانجاز ما تفرضه التعيينات من واجبات ، ثم يعيدونها لمرشدهم لتصحيحها أو يرسلونها مباشرة لدائرة الكمبيوتر فى الجامعة . ثم ترسل التقديرات والملاحظات الى الطلبة بواسطة البريد أيضاً اولا باول . وبامكان الدارسين ان يختاروا مركزاً قريباً من اماكن اقامتهم لحضور البرامج المتلفزة أو للاستماع للبرامج المسجلة . أو ليتلقوا الارشاد . أو للاجتماع بمرشدهم وزملائهم من أجل المناقشة . وما الى ذلك .

هذه اللقاءات قد تجرى مرة فى الاسبوع اما فى أمسيات ايام العمل أو صباح السبت والأحد . ويطلب من الدارسين الانتظام فى الدراسة وجهاً لوجه فى معظم المساقات وذلك خلال الدورة الصيفية القصيرة التى تمتد أسبوعاً واحداً لكل مساق . ويعقب هذه الدورة اختبار كتابي . وعلى ضوء النتائج التى يحصل عليها الطالب لدى ادائه الواجبات المطلوبة ، ونتيجة للامتحان فى نهاية الدورة الصيفية ، يتوقف نجاحه وحصوله على التقدير المطلوب للمساق .

اما المواد المعدة فتهدف الى تعليم الدارس عن بعد ، وليتعلم بنفسه . وأهم وسائطها الكتاب المقرر للدراسة بالمراسلة . وهذا الكتاب يحتوى على المادة المعروضة . والرسومات واللوحات والتوضيحات .. الخ كما يحتوى على مجموعة من التساؤلات ، والتمارين واسئلة التقويم الذاتى ، وفراغات خاصة يدلى فيها الطلبة بملاحظاتهم وتعليقاتهم ... الى غير ذلك من أنواع النشاطات المختلفة . كما يمكن ان يصحب الكتاب اسطوانات مسجلة ، واشرطة وافلام ، علاوة على بعض المواد الاضافية التى تشمل التعيينات والواجبات وأوراق عمل حول البرامج الاذاعية ، وقوائم ببرامج القراءة الاضافية ، أو اية معلومات أخرى يطرحها فريق تحضير مادة المساق .

وبالنسبة للمواد العلمية والتكنولوجية فيطلب من الدارسين القيام بتجارب فى البيت ، فترسل لهم الاجهزة اللازمة لذلك ، وخاصة للطلبة الذين يدرسون مساقات المستويات الدنيا . وذلك على شكل طرود تجريبية بيتيه قد تشمل اجهزة دقيقة ومواد كيماوية والزجاج اللازم ، وميكروسكوب ، وجهاز تلوين ، وجهاز كشف الضجيج ، وجهاز حاسب .. الخ وكذلك فان الطلبة المختصين بمادة الاحياء قد يتلقون طروداً تحتوى على اجهزة تشريح ، ومواد يتدربون عليها .

وبالنسبة للبرامج الاذاعية والمتلفزة ، فيكون بثها مساء ما بين الساعة الخامسة والنصف ، والسابعة والربع من كل يوم عمل ، وفى صباح أيام السبت والاحاد . وعلاوة على البرامج المرتبطة مع المساقات فهناك برامج مسجلة تعرض بانتظام على شاشة التليفزيون ، أو من خلال ميكروفون الاذاعة ، حيث تبحث فيها مشاكل جامعية ذات طبيعة عامة وذلك ما بين الطلبة والهيئة الادارية والتعليمية .

اما تقويم اعمال الطلبة فيتم على أساس سلم فضفاض من الحروف : أ ـ ممتاز ، ب ـ جيد ناجح ، جـ ـ واضح ناجح ، د ناجح ، هـ ـ هامشي راسب ، ورديء راسب .

وتمنح الجامعة المفتوحة درجات عادية وشرف ودرجات عليا وفيما خلا الدراسات التربوية فان كل كلية فى الجامعة تعطى مساقات اساسية وأخرى اختيارية على مستويات ثلاثة (المستوى الثاني ، والثالث والرابع) فللحصول على درجة .B.A عادية لابد أن ينجح الطالب فى مساقين اساسيين وأربعة مساقات أخرى من المستوى الثاني فاعلى . وللحصول على درجة .B.A شرف ، فلابد ان ينجح الطالب فى مساقين اساسيين ، ست مساقات من المستوى الثانى فاعلى (منها مساقان على الأقل من المستوى الثالث أو الرابع) .

والمساقات الاساسية تكون عادة فى حقول أربعة هى ، الرياضيات ، ومباديء العلوم ، والادب والثقافة ، ومباديء المجتمع وبعد ذلك تتاح للدارس فرصة الاختيار الحر من سلسلة كبيرة من المساقات (قد تربو على ٦٨ مساقاً اختيارياً) تقدمها كليات الآداب والرياضيات والعلوم والتكنولوجيا ، والعلوم الاجتماعية ، والدراسات التربوية وهكذا يصبح بامكان الدارس اتمام المساقات المطلوبة من احدى الكليات أو من عدة كليات .

نقد الجامعة المفتوحة

اما الجامعة المفتوحة ، فيمكن ان يوجه لها النقد كغيرها من الجامعات باعتبار أنها ما زالت منشغلة بالمستويات التقليدية ومحتويات الدراسة الاكاديمية ، وباعتبار أنها فشلت فى تقديم وبسط التعليم الموسع العريض للكبار الذى تبصر به رواد فكرة الجامعة قبل تاسيسها . وبالرغم من ذلك ، فما زال اثرها عميقاً . فقد تخرج منها ١٥٫٨٠٠ طالباً فى أول أربع سنوات من انشائها ، وحوالى ١١٪ من الذين حصلوا على درجات جامعية من الجامعات البريطانية سنة ١٩٧٦ مثلا ، حيث كان فى الجامعة المفتوحة فى تلك السنة خمسون الف طالب مسجل ونيف . هذا وقد بدأت الجامعة تتعاون حديثاً مع مؤسسات أخرى لتؤدى معاً دوراً أكثر نشاطاً فى حقل تعليم الكبار والتربية المستديمة .

ان هذا التعاون من شانه أن يقلل من العقبة الداخلية فى الجامعة ، والتى تكمن فى انها ليست مرنة ، وتقوم اساساً على نظام اتصال ذى اتجاه واحد ذلك النظام الذى يعتبر عادياً ومفيداً فى الجامعة التقليدية . وهو يتمثل فى التواصل اليومى بين المرشد والطالب .

ان نظام المنهج الذى لا يشارك الطلاب فى وضعه ، ولا يمكن تغييره لملاءمة حاجات كل طالب على انفراد ، هو نظام يخالف اتجاهاً قوياً فى الفكر التربوى الحديث والممارسة التربوية المعاصرة فى العالم ، بالاضافة الى انه يشكل استغلالا هائلا لعمليات النشر التربوى ، وبالتالى يشكل خطورة كافية وتهديداً باستغلال وتوزيع الأفكار .

د . أحمد الخطيب ـ الأردن

هامش : المساق : المقرر الدراسي .

دائرة المعارف القرآنية



النصر

بقلم : الدكتور محمد البهي

الله وحده هو الخالق ، والقادر ، والمدبر لا شريك له . هو وحده الذي ينصر المؤمنين وعندما يريد نصرهم لا يغلبهم ولا يهزمهم أحد . وكذلك عندما يتخلى عن نصرهم ليس هناك في الوجود من بعده يستطيع أن ينصرهم ، ويحول دون خذلانهم .

ولكن متى تتعلق ارادته سبحانه بنصر المؤمنين ؟ ومتى تقف ارادته دون نصرهم ؟ ان القرآن الكريم يوجه النداء في موضع آخر للمؤمنين ، يقول الله جل شأنه : « يا أيها الذين آمنوا انْ تنصُرُوا اللهَ ينصرْكُمْ ، ويُثَبِّتْ أقدَامَكم » .. فيحثهم على اتباع سبيل الله وهداه ، ويقطع وعداً على نفسه بنصره اياهم ، ان هم نصروه ، وبان يثبت أقدامهم في مواجهة أعدائهم ، ان هم واجهوهم من أجل الايمان بالله .

ومعنى نصر المؤمنين لله : أن يكون سلوكهم العملي تطبيقاً لأوامر الله ونواهيه، وأن تكون مواقفهم في الحياة هي تعبير عما يطلبه الله من المؤمنين به . وما يطلبه الله من المؤمنين به : أن يكونوا انسانيين ، يحافظون على القيم الانسانية في علاقاتهم ببعضهم البعض ، ويشاركون غيرهم ، بما يدفع عنهم الحاجة ويزيل عنهم الضرر . والانساني لا يلتقي مع الأناني ، ولا مع الانتهازي . انه يسلك الطريق واضحاً . وهو طريق المشاركة للآخرين في أحزانهم ومسراتهم ، على السواء .

والله سبحانه بما له من قدرة كاملة ليس في حاجة الى المؤمنين في هزيمة أعداء الايمان برسالته : « ولو يشاء الله لانتصر منهم » . وانما عندما يحث المؤمنين على أن يواجهوا أعداء الرسالة الالهية بالتصدي أو بالقتال ، يقصد الى اختبار ايمانهم ومدى صدقهم فيه : « ولكن ليبلوا بعضَكم ببعْض » .

وتقف ارادة الله دون نصر المؤمنين ، ان هم أعلنوا الايمان بالله شعاراً ، ولم يكونوا صادقين في أخذ أنفسهم بمبادئه . فان هم طبقوا بعض مبادئه في حياتهم السلوكية والعملية طبقوه رياء . وان هم قاتلوا غيرهم قاتلوهم من أجل الدنيا .. قاتلوهم من أجل زعامة أو ملك ، ولم يقاتلوهم من أجل دين الله .

واذا طالبت الآية هنا أن يتوكل المؤمنون على الله ان هم واجهوا أعداءهم فالتوكل خطوة أخيرة تسبقها خطوة العزم والارادة عندهم : « فاذا عزمْتَ فتوكّلْ على الله » ..

يخاطب الله رسوله عليه السلام وهو على رأس المؤمنين يشاور بعضهم بعضاً . وعزم الانسان عملية نفسية ، تأتي بعد دراسة وبحث ، وتحليل للأسباب والنتائج للاتجاه الذي يصمم عليه الانسان .

فاذا كان هناك موقف يجب أن يتخذ من أعداء الله : لا يتّخذ هذا الموقف ايجاباً أوسلباً الا بعد مراجعة الاعداد ، والعدة ، للمؤمنين ولأعدائهم معاً . فان رجح الجانب الايجابي فيجب التصميم والعزم .. ثم التوكل على الله عند التنفيذ . والتوكل على الله عندئذ : هو اعلان الصدق من جانب المؤمنين فيما آمنوا به : وسيلة .. وهدفاً ..

وانئذ تظهر روح التضحية والفداء والاستشهاد في سبيل الله . وهي روح توصل حتماً الى النصر . اذ بظهور روح التضحية تختفي الأنانية . والأنانية مصدر الكوارث والهزائم للانسان .

سجين محكمة طنطا..

بقلم: خالد محسن إسماعيل

فى افتتاحية العدد (٧٨) من « الدوحة » تساءل كاتب المقال بمرارة : لماذا نقتل الشعراء ؟ تعرض فيها لمحنة الشاعر أمل دنقل .. الذى توفى أخيراً .

وفى العدد نفسه أومأ كاتب آخر الى بعض قتلة شهيد الكرامة الأدبية أنور المعداوى رحمه الله ..

وساحة الفكر العربى تعرف سلسلة طويلة من الموهوبين والمبدعين الذين بزغوا فى سمائنا العربية وسارعنا الى رصدهم ومحاصرتهم والاجهاز عليهم لاطفاء جذوة العبقرية فيهم قبل أن يعم خطرها ويستشرى !

وعلى تباين مستويات الموهبة عند هؤلاء ، واختلاف أسباب محاصرتهم ، وتعدد أساليب اسكاتهم ، تبقى هناك حقيقة لابد من الوقوف عندها بأمانة ، ذلك أن منهم من قتل نفسه بيديه قبل أن تمتد اليه أيدى الآخرين ، ومنهم من استعدى الآخرين ، باصرار ، على قتله ، ومنهم من كانت أكبر جريرته أن أخلص لأمته ونذر نفسه للسمو بضميرها ، فنذر القتلة نفوسهم ، لوجه الله ، لاسكاته !

وإن كان الشاعر الساخط « عبد الحميد الديب » أوضح من يمثل الفئة الأولى ، والأديب الدكتور « زكى مبارك » خير من يمثل الفئة الثانية ، فان من نقف فى ظلاله خلال هذه الصفحات هو المثل البارز للفئة الثالثة من موهوبى هذه الأمة .

ويبدو للمتأمل أن هذه المحنة ليست (حالة) تطرأ اليوم لتختفى غداً ، بل هى (ظاهرة) متجددة قائمة فينا قيام الفكر والانسان والحياة ، لابد لها من (زكاة) ، وزكاتها هؤلاء الشهداء الموهوبون ! ..

وأمام كاتب عبقرى من هؤلاء الذين حاولنا اسكاتهم أقف بخشوع .. كان أقوى من كل من حوله . ولكننا ان عجزنا عن اسكاته ، فقد تمكنا – ولا فخر ! – من سجنه .. سجناه العمر كله كاتباً فى محكمة يقوم فيها بتقدير رسوم الدعاوى ، وهو الكاتب المتفرد مصطفى صادق الرافعى .. !

فمن هو الرافعى ؟

هو من الرجال الذين يعلمون ، ويعلمون انهم يعلمون ، يقول محمود محمد شاكر : (ولكن الرافعى خرج من هذه الفتن – التى لفّت كثرة الشعراء والأدباء والتقمتهم فمضغتهم ثم لفظتهم – وقد وجد نفسه واهتدى اليها ، وعرف حقيقة أدبه وما ينبغى له وما يجب عليه ، فامرّ ما افاد من علم وأدب على قلبه ليؤدىعنه) (١) .

ولهذا كان الرافعى كما يقول محمد سعيد العريان : (لا يبالى ان يكون منزله بين الناسفى موقع الرضا او موضع السخط والغضب ، ولا ينظر لغير الهدف الذى جعله لنفسه منذ يومه الاول ، وهو ان يكون من هذه الأمة لسانها العربى فى هذه العجمة المستعربة ، وأن يكون لهذا الدين حارسه وحاميه يدفع عنه أسباب الزيغ والفتنة والضلال ، وما كان – رحمه الله – يرى فى ذلك إلا أن الله قد وضعه فى هذا الموضع ليكون عليه وحده حياطة الدين والعربية) (٢) .

لقد كان الرافعى غرس الأصالة العربية المسلمة ، فهو منذ نيله الشهادة الابتدائية وإصابته بالتيفوئيد – مما ترك حبسة فى صوته ووقراً فى أذنيه من بعد – انصرف عن المدرسة الى علوم أمته ، دينها ودنياها يبنى بها فكره وقلبه ، حتى اجتمع له العلم والدين والعمل لهما فانكشفت له بذلك حقائق فى النفس والفكر والكون تفرد بها دون جمهرة الكتاب المسلمين . ولهذا يقول العريان ، وهو أعرف الناس به : (وأحسبه قد أجد على الاسلام معانى لم تكن تخطر على قلب واحد من علماء السلف وآراه كان يمثل تطور الفكرة الاسلامية فى هذا العصر) (٣) .

وهو الكاتب القرآنى ، وبحسب البليغ أن يكون له بالقرآن الكريم نسب ..

وهو المنشىء النادر المثال ، مولد المعانى منزل الأفكار من عليائها ، الذى جرت العربية على قلمه بما لم تجر على قلم احد



مصطفى الرافعى

غيره ..

وهو الذى قال سعد زغلول فى كتابه « اعجاز القرآن » : كانه تنزيل من التنزيل أو قبس من الذكر الحكيم ... وقال شيخ العروبة احمد زكى « باشا » فى كتابه « المساكين » : لقد جعلت لنا شكسبير كما للانجليز شكسبير ، وهيجو كما للفرنسيين هيجو ، وجوته كما للألمان جوته ..

وهو المنافح ، فى ذلك المعترك الدامى ، عن عقيدة الأمة وتراثها ولسانها وشخصيتها .. من كانت تتجه اليه ، لا الى أحد غيره ، القلوب والأنظار اذا حزب العرب أو الاسلام أمر ..

وهو صاحب الرباعية الفريدة فى الأدب العربى فى معانى الحب والجمال : « حديث القمر » و « رسائل الاحزان » و « السحاب الأحمر » و « أوراق الورد » ..

وهو .. وهو .. الرافعى العظيم هذا بقى قرابة أربعين سنة كاتبا فى محكمة !

كان أول عهده بالوظيفة فى نيسان ابريل ١٨٩٩ فى محكمة « طلخا » ، ثم تنقل فى سنوات ما بين محاكم « ايتاى البارود الشرعية » ، و « كفر الزيات » ، و « شبين الكوم » حتى انتقل الى « محكمة طنطا الشرعية » ثم « الأهلية » بعد ذلك بسنين – التى سميت ، من ثم ، بالوطنية – وبقى فيها حتى وفاته رحمه الله فى شهر / مايو ١٩٣٧ .

فكيف كانت الحال بين (الكاتب العظيم) و (الوظيفة) (٤) خلال هذه السنين الطوال ؟ هل سعد بها ؟ أو رضي عنها ؟ أو اطمأن اليها ؟

وهل أتاحت الوظيفة لهذا الكاتب – الذى جاء على موعد مع التاريخ – اداء دوره التاريخى فى معترك ذاك الصراع الشرس بين الأمة واعدائها كما ينبغى اداؤه ، أو أنها جنت عليه فأثقلته وأعاقته وكانت له ، العمر كله ، مصدر حسرة لا ينقطع لها زفير ؟

وتأسيسا على «رسائله» (٥) الشخصية الى محمود ابى رية ، وهى شهادات بوح صريح مستمر استغرق كل أيامه على هذه الأرض ، تعالوا نبحث عن جواب هذا التساؤل المر ..

● ●

٣٠ يناير ١٩١٦

وليت الزمن يهيىء لي أسباب التفرغ للكتابة والشعر يغنينى عن التكسب من الوظيفة التى أنا فيها – وهى المحكمة الأهلية هنا – ولكن ماذا أصنع والامة خاملة كما ترون ، فلا تكاد تقوم بعيش أديب واحد ليخدمها مدة عمره ..

٢٧ سبتمبر ١٩١٩

لقد اقترحت ما شاء لك الظن بالحوادث وما يستخلص منها وكأنك تكتب الى رجل يقيم فى السماء لا الى رجل يقيم فى محكمة طنطا . انك تريد قصيدة تقيم البلاد وتقعدها ، وهذه البضاعة ليست فى دكانى والأمة التى تريد أن يكون لها شعراء (ملك) لا يلزم أن تدع الشعراء فى أيدى غيرها (إيجاراً) والسلام .

٢٤ يناير ١٩٢٢

... فانى كنت مشغولا بنفسى ، وأرجو أن تجعل دعاءك لي دائماً أن لا يشغلنى الله بنفسى ولا بسواى . إن أمر النقل الى « المنصورة » كان لي هماً من الهموم لأنى لا استطيع نقل البيت والأولاد فى مدارسهم وقد دفعنا لهم الأقساط المدرسية ، فضلا عن أن مصالحى كلها هنا . ولهذا سعيت فى إبطال هذا النقل ، وأرجو ان ييسر الله ذلك ويتم الأمر قريباً وأبقى فى محلى ، فانى ان انتقلت الى « المنصورة » اضطررت للاشتراك فى سكة الحديد والرجوع الى « طنطا » كل يوم فيذهب الوقت ولا أستطيع ان أكتب شيئاً ، ويطوى كتاب « الأحزان » ... فاللهم سهل الأمر واكفنى هذا الشر .

أول مارس ١٩٢٢

.. أما معالجة الشعر والنزول الى الميدان كما تقول فلا أحب إلي من ذلك لولا هذه الوظيفة ، فانه لابد للموظف من مراعاة احوال السياسة .

١٥ يونيو ١٩٢٥

لا هم لي إلا المطالعة ولكن ببلادة ، فان أعمال المحكمة طمّت علينا ، إذ هو فصل الاجازات ، وعلي الآن أعمالى مع أعمال رئيس القلم وجزء من أعمال الباشكاتب ، ومع الحر والخمول والمضايقة ...

٢٥ فبراير ١٩٢٦

لقد قلت لك أنى شغلت بنفسى بعد هذا المرض ، فلا كتابة ولا مطالعة ولا شىء إلا شغل المحكمة ، ولعل هذا الشغل هو الذى أطال مدة المرض .

١٤ يونيو ١٩٢٦

.. لأن اجازتى تبدأ من نصف اغسطس وأريد الراحة ، فقد تعبت وسئمت لأن أعمال المحكمة كثيرة ومتعبة والحر تعب آخر .

٢٦ يناير ١٩٢٩

إنى فى هذه الأيام منصرف الفكر الى ترك الحكومة والخروج بالمعاش متى صدر القانون الجديد ، ثم أتفرغ إن شاء الله لأعمالي وأهمها عندى « أسرار الاعجاز » ومتى وفقت اليه تناولت سائر أجزاء « التاريخ » شيئاً فشيئاً . هذه الأعمال من غير الفراغ تهان إهانة شديدة ، لأن « أسرار الاعجاز » فوق كل أفكار هذا العصر وسترى فى مقالة « المقتطف » : (أؤمن بالدين) (٦) تأويل قوله تعالى (فى) وصف طعام أهل الجحيم (لا يسمن ولا يغنى من جوع) فترى ما لم يخطر بفكر انسان الى اليوم .

١٦ يونيو ١٩٢٩

أشاروا علي بالانصراف عن فكرة المعاش لأن فيها خسارة كبيرة وضياع فائدة مرجوة ان شاء الله والأمور بيد الله .

سجين محكمة طنطا..

٤ نوفمبر ١٩٢٩

وكلمة « المقتطف » زادتنى ألماً وتحسراً وضج قلبى الى الله أن يفرغنى لخدمة كتابه ودينه ولغة كتابه مع تيسير امر العيش ليجتمع البال على شيء واحد .

٦ نفومبر ١٩٣٠

اما مقال « المقتطف » ، فقبل كتابك بيومين جاءنى كتاب من اديب فى مصر كان يصحح الطبعة الجديدة من « إعجاز القرآن » للباقلانى ، وبعد أن ذكر مثل ما ذكرته انت قال انه يعد من الجريمة أن يشتغل صاحب المقال بخدمة الحكومة وينصرف بذلك عما ينتظر منه .

١٢ نوفمبر ١٩٣٠

اما الكتابة والتفرغ لها فانا منتظر ان تعلن وزارة الحقانية عن الوظائف التى ستلغيها ، ثم اسعى وقتئذ للخروج بقانون التشريع المؤقت ، وبغير قانون التشريع المؤقت يكون فى تركى الوظيفة ضرر كبير إذ يخرج الفرق بين المعاش والمرتب نحو عشرة جنيهات فى الشهر ، اما بذلك التشريع فالفرق خمسة وهو محتمل وان كان نفسه فرقاً يذكر .

١٦ ديسمبر ١٩٣٠

وهذا هو السبب الذى يجعلنى دائماً ساخطاً متبرماً محاولا الانصراف عن هذه الأعمال جهد الطاقة مادمت اعيش من عمل آخر يستغرق النصف الأطيب من النهار .

٣ فبراير ١٩٣١

وقد اصبحت اعتقد ان الاحوال ستتيسر إن شاء الله واستطيع الخروج من الحكومة ، وإلا فكيف نؤدى الرسالة يا ترى ؟

١٣ يوليو ١٩٣١

الاعمال الآن فى المحكمة كالطاحونة ، ولا اجد دقيقة واحدة ، وصحتى رديئة الآن .... وساتفرغ قبل كل شيء « لأسرار الاعجاز » ، وقد عقدت النية على ذلك .

٢٩ أكتوبر ١٩٣٢

كتبت امس من الصباح فكانت كتابة نشطة قوية لا ككتابة الليل (٧) ، والمجاورون هنا كانوا يريدون عمل مظاهرة حول المحكمة للمناداة بوجوب ترك خدمة الحكومة والانصراف الى خدمة الأدب والدين .

٣٠ نوفمبر ١٩٣٢

لعل الله يرزقنا رزقاً واسعاً يكون لنا عوناً على التفرغ الذى أطلبه ، وليس لنا إلا التسليم لمشيئته والأمل فى عونه وتوفيقه .

٢٨ يونيو ١٩٣٣

انا مشغول جداً فى هذه الايام ، فعمل الحكومة الذى كتبت عنه اخذ وقتى كله ولايزال عليه بضعة ايام .

٤ يونيو ١٩٣٤

ثم ما قولك يا ابا رية فقد جاءنا مفتش لئيم بينى وبينه حزازات ويريد ان ياخذ لي اغلاطا كثيرة ليشنع بها ، ولهذا اقبل على التفتيش بطريقة غريبة ، فاخذ يتصفح القضايا واحدة واحدة من ثلاث سنين ، وهو يفتش القضايا وحدها التى هى عملى وشغلنى هذا اللئيم وشغل افكارى .

١٨ يونيو ١٩٣٤

اما الرجل اللئيم ، اى المفتش ، فقد بدأ عمله قبل حضورك الى « طنطا » ، ولايزال الى الآن متفرغاً ، اى مدة ثلاثة اشهر ونصف ، وكلما ظفر بغلطة ظنها ربحاً ربحه . (٨)

● ●

الى هنا ينتهى ذكر (المحكمـــة) و (الوظيفة) و (الحكومة) فى رسائل الرافعى التى استمر يكتبها إلى أبي رية من ٢٠ ديسمبر ١٩١٢ تاريخ اول رسالة حتى ١٩ يوليو ١٩٣٤ تاريخ آخر رسالة .

والمتامل فيما اقتطفناه من فقرات ذات صلة بموضوعنا يجد أن الرافعى كانت تشده ثلاث قوى فى آن واحد :

– الرسالة التى وجد نفسه أمامها وجهاً لوجه ، لخدمة الدين وكتاب الله ولغة كتاب الله ، وعليه أن يقوم بها .

– الوظيفة بقيودها وتقاليدها وتعبها ومستلزماتها ، وعليه أن يقوم بها أيضاً .

– الأسرة بمسئولياتها وتلبية ضرورات الحياة والمستقبل الكريم لها ، وعليه أن يقوم بها كذلك .

● ●

ليت شعرى كيف كان يكتب الرافعى لو تفرغ لخدمة الدين والعربية والأدب ، بعيداً عن سجن الوظيفة وما تأتى به وما تذهب ، وهو مطمئن الى ضرورات الحياة له ولأهل بيته ولاولاده ؟

● ●

ولنا أن نسأل فنقول : كيف كان إذاً عمل الرافعي فى المحكمة ؟

كان رحمه الله كما يقول العريان : (قلما يجلس إلى مكتبه فى المحكمة إلا أن يكـــون له عمل ، فاذا لم يجد له عملا فى المحكمة انصرف لوقته إلى حيث يشاء غير مقيد بموعد من مواعيد الوظيفة) (٩) . لقد (نشأ فى الوظيفة نشأة الدلال أيضا ، لا يهتم أن بكر إليها صباحاً ، أو تركها لبعض شأنه عند الضحى) . (١٠)

وهذا الموقف من الوظيفة له سبب (١١) فهي عنده (متاع الغرور ، وهي سهمه من الدنيا ، حتى ليراها احيانا ضريبة على الحكومة تؤديها ديناً عليها ، وسداداً لما كانت اسرته قد قدمته لها من الراي والدالة ..... ثم لمكانة أبيه منها .... ولمكانته بعد ذلك) . (١٢)

اما اسرته فقد آل الأمر أن (اجتمع من آل الرافعي فى وقت ما أربعون قاضياً فى مختلف المحاكم المصرية ، وأوشكت وظائف القضـــاء والفتوى أن تكون مقصـورة على آل الرافعي ، وقد تنبه اللورد كرومر إلى هذه الملاحظة فاثبتها فى بعض تقاريره إلى

وزارة الخارجية الانجليزية (١٣)
اما هو فما كان هذا مكانه على الرغم من التزامه بجميع متطلبات هذه الوظيفة . وما كان أهل الراي بغفلة عن مكانته ، فيوم جاء « حفنى ناصف » إلى « طنطا » يحقق فى كتاب بعث به رئيس المحكمة إلى وزارة العدل يشكو فيه الرافعي (الكاتب الاطرش الذى لا يحسن التفاهم مع اصحاب المصالح .... الكثير التهاون بنظام المحكمة ومواعيد العمل ....) (١٤) ، استمع المحقق العالم إلى حجة الرافعي وتامل وجوه القضية وعاد إلى الوزارة بتقرير يقول فيه (إن الرافعي ليس من طبقة الموظفين الذين تعينهم الوزارة بهذه القيود إن للرافعي حقاً على الأمة ان يعيش فى أمن ودعة وحرية ، إن فيه قناعة ورضى ، وما كان هذا مكانه ولا موضعه لو لم يسكن إليه ، دعوه يعيش كما يشتهى أن يعيش ، ودعوه يعمل ويفنّ ويبدع لهذه الامة فى ادابها ما يشاء أن يبدع ، وإلا فاكفلوا له العيش الرخى فى غير هذا المكان.) (١٥)

وإن ذهبت صيحة « حفنى ناصف » صرخة فى واد .. إذ لم يتحقق للرافعي امن ولا دعة ولا حرية ولا عيش كما يشتهى الفنان المبدع أن يعيش ، فان الكاتب العظيم استطاع من تحت كل ذاك الركام ان ينهض بالمهمة ويفنّ ويبدع لهذه الامة فى آدابها ودينها ماشاء له الابداع !

● ●

ويبقى السؤال المهم بعد كل الذى وقفنا عليه : هل تركت الوظيفة آثارها فى نتاج الرافعي الفنان ؟ أعني هل كانت عاملا سلبياً اعاقته عن انجاز عمل ، او اتمام مشروع ؟

إذا تجاوزنا العذاب النفسى الذى لف الرافعي عمره كله وجرعه مرارة (السجن) الثقيل فى المحكمة ، وذهاب الوقت ، وضياع أطيب ساعات النهار ، ودسائس الخصوم ، ومضايقة بعض الرؤساء أو الموظفين له ، وشحة ما يتقاضاه من مرتب شهري ،لو تجاوزنا هذا لوجدنا أن للوظيفة آثاراً سلبية على نتاجه الفكري تمثلت فى أمرين كما افصحت عنهما رسائله الشخصية ذاتها :

● الأول ـ كُتُبٌ كان قد عقد العزم على تاليفها ، بعد ان نهضت موضوعاتها عنده ، ولم يتبق إلا المباشرة بها ، ولكنه ، رحمه الله ، لم يجد وقتا للفراغ اليها ، وهي

١ ـ معارضة « الدرة اليتيمة » لابن المقفع :

(٢٥ نوفمبر ١٩١٧

(فى نيتي أن أضع رسالة صغيرة فى معارضة « الدرة اليتيمة » لابن المقفع بنفس الأسلوب وعلى الطريقة الأولى فى الكتابة العربية .. طريقة المتقدمين) .

٣٠ نوفمبر ١٩١٨

فان قدر لي أن اكتب فى معارضـة « اليتيمة » وانا شديد الرغبة فى ذلك ، فانما يكون هذا بعد السنة إن شاء الله.

٢ ـ معارضة « أحزان فرتر » لـ « جوته »

وانت قرات « أحزان فرتر » وهذا الكتاب مشهور فى لغات أوربا وآدابها ، فانا اريد معارضته ، وقد قام فى ذهني انه لا راحة لي إلا إذا اخرجت مثله .

٣ ـ معارضة سفر من أسفار التوراة:

٥ يونيو ١٩٣١

ولايزال فى فكري ان اضع فى هذا الصيف كتاباً صغيراً يكون أشبه بقصيدة واحدة فى معارضة سفر من اسفار التوراة كأناشيد سليمان مثلا .

هذه كتابات لم تر النور ، وعاشت أمنيات عزيزة فى وجدان الرافعي حتى مضت معه إلى القبر !

● الثاني ـ كتب بدأ بكتابتها ، ونشر بعض فصولها ، ولكنه لم يتمها وهي :

١ ـ « كليلة ودمنة »

١٢ سبتمبر ١٩٢٦

وأنا بحسرة من « كليلة ودمنة » هذه ، فلو وفقنى الله إلى اتمامها كتاباً براسه لكان حادثاً فى تاريخ العربية كلها . (١٦)

٢ ـ « فُصَح الكلام » :

٢٥ يناير ١٩٢٨

وأما كتابي فى اللغة فهو كتاب يجمع فُصَح الكلام مما ورد فى الكتب المختلفة ، وهو أوراق غير مرتبة ولا كاملة ، وقد تركت العمل فيه من زمن ، وإذا اردت اتمامه احتجت إلى مطالعة سنة أو سنتين ، ثم احتاج بعد ذلك فى ترتيبه الى وقت وتعب . ولم يطلع احد على هذا الكتاب ، ولا انا مُطْلع أحداً عليه إلا أن تم إن شاء الله .

٣ ـ « أسرار الاعجاز » :(١٧)

١٠ ديسمبر ١٩٢٨

جاءني كتاب من جدة يقول فيه صاحبه انهم طاروا فرحاً بتفسير آية (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) ، ويقول إنك لا تملك الأجل فاذا استأثر الله بك اغلق على العالم الاسلامي هذا الباب قروناً طويلة ، ويلح في إظهار « أسرار الاعجاز » .

الملحق

٤ ـ مقالات فى النقد :

١٢ يناير ١٩٣٢

.. فان كل ما أتمناه من زمن بعيد هو ان أتفرغ لمقالات في النقد نحو سنتين أو ثلاث تهدم العصر كله من جميع نواحيه الضعيفة وتبنى عليه أدباً جديداً ، فان هذا العمل ينشىء جيلا قوياً جداً ، ويقضى على التدجيل الصحافي المتفشي الآن ، ويحدث فى الأدب واللغة نهضة تنبعث بالحياة ، ولكن هذا العمل لا يمكن إلا إذا تركت الوظيفة وتفرغت له وحده .

١٣ مايو ١٩٣٠

إن عملى إن شاء الله بعد « أوراق الورد » « اعجاز الاعجاز » قبل كل شيء .

١٢ نوفمبر ١٩٣٠

وساعمل فى هذه الأيام للفـــراغ مـن « أوراق الورد » تنقيحاً وتبييضاً ، ثم افرغ إن شاء الله لمواد « أسرار الاعجاز » من بعـد ، والنية معقودة عليه .

١٧ يناير ١٩٣١

« أسرار الاعجاز » فانا استعين بالله فى أمره وسابدأ فيه إن شاء الله من بعد رمضان المبارك ، وهذا عمل هائل جداً .

٣ ابريل ١٩٣٢

لا يستطيع شيء ان يزيدني رغبة فى اخراج « اسرار الاعجاز » ولكن الرغبة سهلة وما هي إلا اول العمل ثم يبقى العمل نفسه ، ولو كان الأمر كتابة فصل أو بعض فصول لهان ولكنه كتاب بحاله . ثم كتاب يوضع ليقاوم التاريخ المندفع بالناس الآن إلى المنحدر ، فهو ليس من السهولة بما يخيل إليك ، ولابد له من قراءة طويلة وتفكير مستمر وجهد وتفرغ ...

٨ سبتمبر ١٩٣٢

إني اعتقد ان كل المطلوب منى للغة العربية الآن هو « أسرار البلاغة » فهذا هو قبل كل شيء .

الملحق

٥ ـ « الكتاب النبوي » (١٨)

أول مايو ١٩٣٤

مقالة « وحي الهجرة » كان لها شان عظيم والحمد الله ، وقد أتممت مقالة « الاشراق الالهي وفلسفة الإسلام » (١٩) وأرسلناها للعراق وهى التى ستنشر إن شاء الله فى « الأهرام » يوم المولد الشريف ... وهذه المقالات هي النمط الذى كنت أريد كتابة السيرة به ، والحقيقة أن الشباب الاسلامي الجديد فى حاجة شديدة إلى كتابة من هذا النوع . ،هذا الكتاب سيكون أخاً « لاعجاز القرآن » وفى كل وقت أتمنى أن يوفقني الله له .

٤ يونيو ١٩٣٤

ولعلى أوفق إن شاء الله بعونه تعالى إلى المضي فى الكتابة والقوة بالله . وسانوع المواضيع كما رايت ، ويدخل فيها « الكتاب النبوي » بين الوقت والوقت إلى أن يتم . وأنا أقاسي فى كتابته الآن عسراً شديداً من الحر والتعب وحالة المعيشة الحكومية لعنة الله عليها .

تلك هي المشروعات التى تركها الرافعي وغادر دنياه وهي بين امنية عزيزة ، أو تاليف لم يتكامل هيكله ، أو كتاب لم تكتمل فصوله ، وهي تصرح بجناية الوظيفة على الكاتب العظيم وعلى الأدب العربي وعلى الأمة العربية المسلمة .

● ●

وبعد .. فما هي ثمرة هذه الصفحات

خالد محسن اسماعيل
بغداد

هوامش

●

(١) « حياة الرافعي » المقدمة ص ٧

(٢) محمد سعيد العريان : حياة الرافعي ، القاهرة ، الاستقامة ، ١٩٥٥ ، ص ١٥

(٣) المصدر نفسه ص ١٦

(٤) الوظيفة فى اللغة : ما يقدر للانسان فى كل يوم من طعام أو رزق ، فهي المرتب أو الراتب ، ولكننا استعملناها بالمعنى الذى انتهت إليه اليوم .

(٥) محمود ابو رية : رسائل الرافعي ، القاهرة ، عيسى البابي الحلبي ، ١٩٥٠ .

(٦) الفصل الاخير من كتاب « المساكين » : (الدين ولادة ثانية) ، وهو من زيادات الطبعة الثانية .

(٧) يقول ابو رية (الرسائل ـ هامش ص ١٨٦) : كثيراً ما كان الرافعي يشكو من ان وقت الصباح الذى هو وقت النشاط والراحة والجد يذهب كله (للحكومة) ولا تدع له الحياة إلا وقت التعب والخمود والملل .

ومن هنا نفهم قول العريان (حياة الرافعي ص ٢٦٧) : كان خير اوقات الكتابة عند الرافعي فى المساء حين يعتدل الجو وتسكن الحركة وتخف المعدة ، إذ كان عمله في المحكمة يملأ بياض نهاره .

(٨) يقول العريان (حياة الرافعي ص ٢٧١) : وعلى ان المفتش لم يظفر بشيء مما اراد بالرافعي فانه استطاع ان يشغله بنفسه ثلاثة اشهر او يزيد ، على رغم ما كان يبدو على الرافعي من إهمال شانه وعدم الاكتراث به .

(٩) حياة الرافعي ص ٢٧٣

(١٠) المصدر نفسه ص ٣٤

(١١) نومىء هنا إلى موقف الرافعي من (الصحافة) وتفضيل الوظيفة عليها . فمن هذه النشاة فى الوظيفة عاد يراها فى سنواته الاخيرة (مكانا ليس احسن منه فى حياتنا المعاصرة) البدري : الامام ص ٢٥٠

ولكن لماذا ؟ (ولو عرفت يا ابا رية الصحف واهلها لرايت ان العمل فيها من اشق الاعمال على النفوس الكريمة ، فهذه ليست صحفاً وإنما هي حوانيت تجارة ، وانا افضل عشرة جنيهات فى الحكومة على العشرين فى جريدة عربية لهذه العلة) الرسائل : ٣ فبراير ١٩٣٢ .. فتامل !

(١٢) مصطفى نعمان البدري : الأمام مصطفى صادق الرافعي ، بغداد ، على البصري ، ١٩٦٨ ، ص ٢٥٠

(١٣) حياة الرافعي ص ٢٤

(١٤) المصدر نفسه ص ٤٠

(١٥) المصدر نفسه ص ٤١

(١٦) يقول العريان (حياة الرافعي ص ١٦٦) : وان قارىء هذه الفصول (العشرة) ليرى فيها لونا طريفا من أدب الرافعي لو أن الظروف واتته لأتمه فانشا به في العربية انشاء جديداً له خطر ومقدار .

(١٧) هذا الكتاب الذى تردد عنوانه بين « اسرار الاعجاز » و « إعجاز الاعجاز » و « أسرار البلاغة » : (يتناول ايات من القران الكريم على اسلوب من التفسير يبين سر اعجازه فى اللفظ والمعنى والفكرة العامة) ـ حياة الرافعي ص ٣٥٢ ومن الكتاب فصول تامة ، منشورة ، وفصول اخرى اجمل الرافعي فكرتها أو أشار إلى مصادرها . ومن احتفاء الرافعي بهذا الكتاب وما نشر من فصوله نذهب إلى انه لو تم لكان هو كتاب الرافعي على الرغم مما صنف هذا الكاتب العظيم .

(١٨) اجتمعت فصوله لدى الدكتور مصطفى نعمان البدري ، وعسى أن يوفق فى اخراجها انظر : الامام ص ١٥١ .

(١٩) نشرت فى العدد ١٥٩ (ربيع الاول ١٣٥٣هـ) من مجلة « الهداية » لسان حال جمعية الهداية الاسلامية فى بغداد . وكانت المجلة تستكتب الرافعي لاعدادها السنوية فى ذكرى المولد النبوي . وانظر ايضاً : مقاله « الجمال الفني فى البلاغة النبوية » فى العدد ١٣٦ من « الهداية » الصادر فى ربيع الأول ١٣٥٢ هـ .

●

الصدى لغتي الثانية

شعر: م. كجراي
الخرطوم

أعذُرونى ، فقد طفْتُ أعبر فى رِحْلَتِى
بجناحيْن من حُلُمٍ وخُرَافَةْ
كنت أحسبُنى موغِلاً
فى محيطِ المدَى فوقَ مَوْجِ المسَافَةْ
غير أنىِّ بَقِيتْ
رغم إقْلاَعِ مَركِبَتِى فوقَ نَوْءِ الخَيَالْ
وتسمَّرْتُ فى الأرضِ مثلَ الجوَاسِيسِ والأشْقِيَاءْ
كانت الشمس غانية فى الفضاء المديد
نزعت ثوْبَها القرْمُزِىّ
وألقت به فى البعيدِ البعيدْ
وتعرَّتْ لتهمِسَ فى وجْهِ مرآتِها
مثل كلِّ النساءْ
حولَها تتطلَّعُ كلُّ العيونِ الكحيلةْ
والعيونُ التى اختَزَنَتْ
فى بَرَاءَتِها كلّ لَغْوِ الطفُولةْ
تشرئبُّ الأزاهيرُ فى وَجْدِهَا
تتفتَّحُ مبهورَةً فى اخْضِرَارِ الخَميلةْ
ها أنا أرقبُ الطلَّ ينثُرُ بَلّورَهُ
فوق سَطْحِ النباتْ
وأرى طائِرَ الزَّهْو سِرْباً
يَسِيرُ على الأرض مثل لفيف من الشاحبات
ها أنا أرصد البَحْرَ هذا الجميلَ المخيفَ العميقْ
أشهَدُ الفجْرَ يُولَدُ فى خَيْمَةٍ للظلاَمِ الصَّفِيقْ
فالتَّوارِيخُ تلعَقُ أرقامَهَا
تستعيدُ مجَاهِلَ أيامِهَا
وهى تعبُرُ كالضَّوءِ من عالمٍ كوكبىٍّ سَحِيقْ
والنّجُومُ الجَوارى
حَدَّقَتْ فوق عُمْقِ المدَى فى اتِّسَاعِ البرَارِى
وامَّحَى ضووُّها حينَ اقْبَلَتِ الغَادَةُ البَابِليَّةْ
وأنا مُترَعٌ بالحُرُوفْ
بالكَلَامِ المُمُوْسَقِ ،
يجْتَازُ كلَّ حدُودِ الرُّؤَى
فوق تَعْرِيشَةِ الجَاذِبِيَّةْ
الفَرَاشَةُ فى عَالَمِى
لُغَةٌ للقَصَائِدِ تَسْتَبْدِلُ اليَوْمَ ألوَانَها
تستحِمُّ على النَّبْعِ عارِيَةً
ثم تَلْبسُ فى لحْظَةِ الزهو فُسْتَانَها
حين تَعْبُرُ بى فى سَمَاءِ الحقُولِ
تعيدُ إلى لغَةِ الشِّعْرِ أوْزَانَها
هُوَ ذَا طَائِرُ الذكريَاتِ الجَمِيلْ
ظِلّ طَيْفٍ مَضَى يعْبُرُ الأفْقَ كالأُمْنِيَةْ
فرَحٌ يتدفَقُ خلفَ الشوَاطِىءِ
مُسْترسِلٌ دافِىءٌ
كانْسِيَابِ الترَاتِيلِ
فى هَدْأةِ الفجْرِ فى نَغَمِ الأغْنِيَةْ
هَا هُوَ النورْسُ الشَّاعِرِىّ
تَسَلَّلَ كالبَسْمَةِ الحَانِيَةْ
إننى أدركُ الآنَ أنّ الصَّدَى
كان لى لُغَتى الثانيةْ
إننى الآن أدرِكُ أن النَّهَارْ
لغةُ الضَّوْءِ ينضَحُ بالشوْقِ والانْبهَارْ
ولهذا أنا أمْقتُ اليوْمَ ظِلّ الجِدَارْ
هو ظل الفجيعَةِ
والسأم المستمِرّ فى قَاعَةِ الانتظارْ ؟



العائلة الصغيرة واليد فى اليد !



إميل زولا يقدم نفسه لنا فى الصورة



زولا مع كاميرته البسيطة .. الصندوق !

كتاب جديد

رسالة فرنسا من

مجدي نصيف

روائى فرنسى كبير يستخدم الكاميرا فى لوحات رائعة

إميل زولا مصوّراً..!

فى جاليرى « دى شاتو دى » بمدينة تولوز بفرنسا ، أقيم معرض للكاتب الروائى الفرنسى إميل زولا . والملفت للنظر أن المعرض قدم مجموعة من الصور الفوتوغرافية التى قام إميل زولا بتصويرها .. وليس لكتبه ! من هنا انطلقت للبحث عن هذا اللغز وسرعان ما شاهدت المعرض ووجدت هذا الكتاب . هكذا ، فان مؤلف «جيرمينال» الكاتب العظيم ، الروائى الفرنسى إميل زولا ، كان أيضاً مصوراً فوتوغرافيا عظيما ، لكن شهرته كروائى وكاتب له موقف سياسى ، طغت على شهرته كمصور .

من هنا كان هذا المعرض الذى يقدم جانباً آخر من جوانب حياة ونشاط هذا الروائى الملهم الذى أسس المذهب الطبيعى والذى يعكس الحياة فى أوروبا فى نهاية القرن الماضى ، وبداية القرن العشرين «بعدسة» إميل زولا .

الكتاب وضعه فرانسوا إميل زولا الابن الأصغر للكاتب الروائى .

ويحتل إميل زولا مكانة خاصة من تاريخ الرواية ، فهو مؤسس المذهب الطبيعى فى الأدب ، فحتى منتصف القرن التاسع عشر ، كان كتاب الرواية من الفرنسيين ، لايلتفتون كثيراً الى الصفات الجسدية للانسان ، ولا الى بيئته الطبيعية التى يعيش فيها ، وركزوا بدلا من ذلك على إضفاء عالم رومانسى عاطفى . لكن التغيرات الاجتماعية التى اجتاحت العالم فى القرن التاسع عشر ، خاصة تلك التى صاحبت «الثورة الصناعية» ، جعلت كتاب الرواية يعالجون فى رواياتهم مسائل أخرى ، ليقدموا صورة الحياة بكل تفصيلاتها . وقد عرف هذا المذهب الجديد باسم «الواقعية»

أما إميل زولا ، فقد أمسك بهذا الخيط وسار به حتى النهاية ، فكان يقدم وصفاً كاملا للحياة وللسلوك البشرى ، وبتعبيرات مادية للغاية ، تخطت الواقعية ، فعرف



نافورات المياه أمام القصر القديم .. من لقطاته البارزة



زوجة « زولا » الاولى بعدسته



زولا مع أولاده فى طريقه لمعرض اقيم عام ١٩٠٠

هذا المذهب باسم «المذهب الطبيعى» .

وإميل زولا من مواليد باريس العاصمة الفرنسية ، وهو من مواليد شهر ابريل عام ١٨٤٠ ، وهو بذلك شهد نهاية القرن التاسع عشر ، ومشارف القرن العشرين ، فكان احد الروائيين الذين عبروا عن هذا كله . وهو فى التصوير أيضاً قدم فناً جديداً آنذاك .

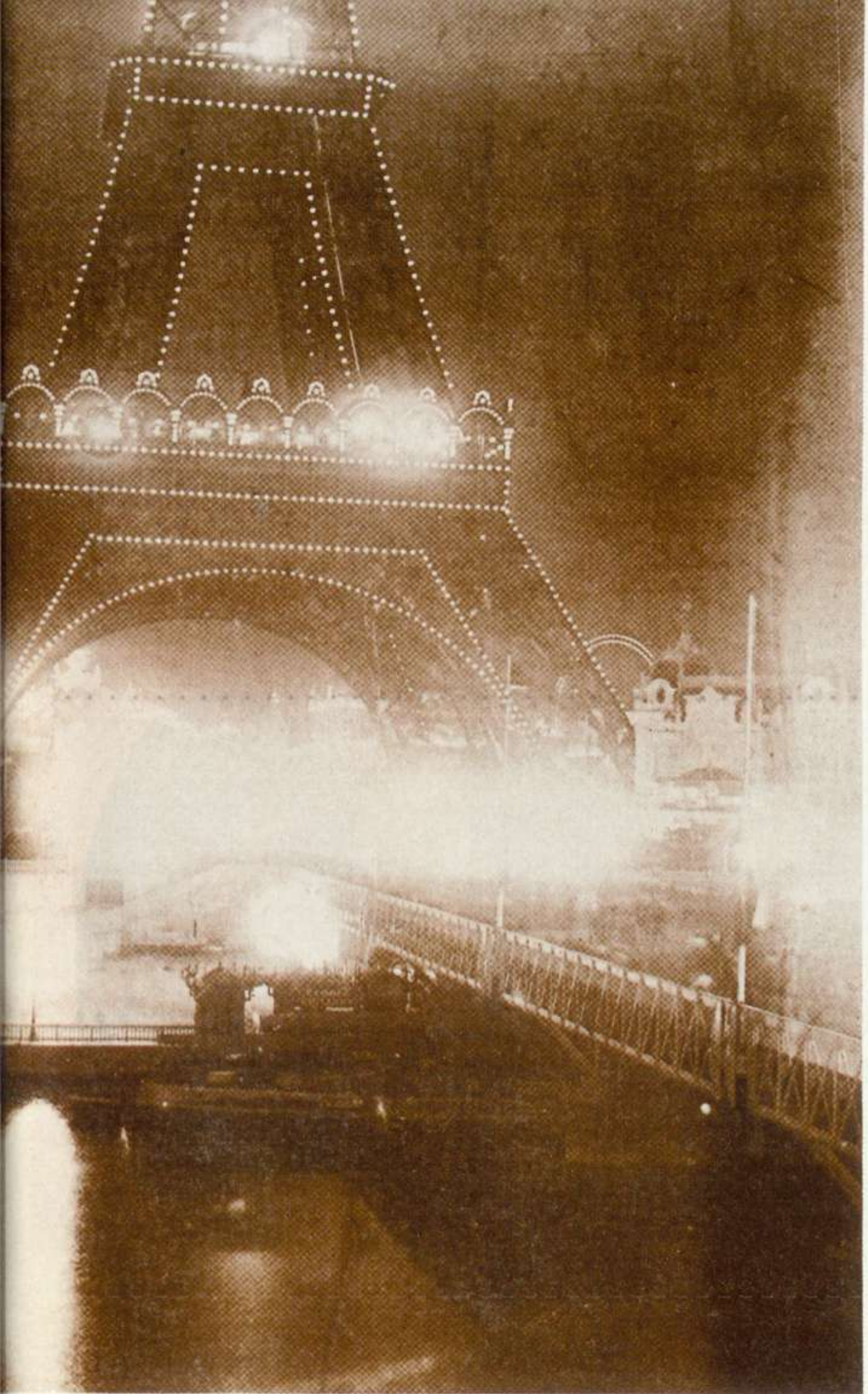
لقد اجمع النقاد الفنيون أن صوره تقف جنباً الى جنب مع صور «نادار» أفضل مصورى القرن التاسع عشر ، وهو مصور فرنسى محترف ، وتقف جنباً الى جنب كذلك مع صور المصور المعاصر لويس كارول .

تأثير العلوم

كانت «الثورة الصناعية» فى أوروبا قد بدأت . آنذاك كانت الآلة قد بدأت تغير حياة المجتمعات والناس . وأهتم إميل زولا بتأثير العلوم والتكنولوجيا على المجتمع وعلى الحياة البشرية ، وقد يكون هذا التأثير قد ورثه زولا عن أبيه الذى كان مهندساً عبقرياً ، ومستشاراً هندسياً لعدة شركات فى مجال بناء الطرق والأنفاق ومد السكك الحديدية وانابيب الغاز وكابلات الكهرباء . لقد أورث ابنه هواية «الماكينات» فانعكس هذا فى رواياته ، وأصبحت الآلة فيها رمزاً لشىء ما .

أخذ إميل زولا يقضى الساعات مع آلة التصوير ، وفى معمل الطبع والتحميض. امتلك ثمانى آلات ، وأسس معملين ليقوم بتحميض وطبع الصور التى يلتقطها بنفسه ويقوم بتكبيرها كذلك . بل لقد اخترع جهازاً صغيراً للتحكم فى عدسة الكاميرا من بعيد ، حتى يتمكن من التقاط صور لنفسه ، ولعائلته وهو وسطها ، وكان هذا الجهاز يعلق بآلة التصوير ويمتد عبر سلك لمسافة حتى يصل الى انبوبة يضغط عليها إميل زولا بقدمه ، بعد أن يتخذ

إميل زولا مصوراً ..!



باريس فى الليل .. احدى صوره النادرة التى فازت بجائزة

الوضع الذى يريده للتصوير .

كان زولا الكاتب الروائى ، والرومانسى الحالم ضعيف النظر للغاية ، وحتى الاربعينات من عمره ، كان يرفض أن يضع نظارات طبية ، فكان لايرى ما أمامه ومن امامه بوضوح ، اما آلة التصوير التى يستخدمها ، فكانت تبدد ظلماته ، وتجعله يرى الناس والاشياء .

أخذ يصور الناس والحركة والمناظر ، كان يصور الحياة والمجتمع فجاءت صوره لتعطى فكرة كبيرة عن الحياة والناس فى المدن التى زارها ، فكان فناناً مصوراً طبيعياً جريئاً ، فتح آفاقاً غير عادية .

المجتمع والناس

أخذ يصور نفسه وعائلته ومن حوله فى «كادرات» رائعة كانت جديدة على عالم التصوير الفوتوغرافى .

ورغم أن والده كان مهندساً ، إلا أنه مات وإميل مازال فى السابعة من عمره ، فربته والدته وجدته فى باريس فى فقر مدقع ، واضطر للعمل ليعولهما ، ومع ذلك نشأ خجولا «موسوساً» . ثم تزوج فتاة عاملة ، كانت بائعة زهور ، كان الزواج ناجحاً لكن دون أولاد .

وعندما اصبح زولا شهيراً وغنياً عاش حياة العائلات المتوسطة بطولها وعرضها وكانت زوجته خير من يمثل هذه الحياة ، فخورة بدورها كزوجة كاتب عظيم مشهور . كان الزواج اتحاداً نموذجياً لزيجات ذلك الحين ، واستمرت الحياة الزوجية مستريحة هادئة ، وكان الزوجان اكولين ، فبدأ زولا يعانى سمنة شديدة وهو لم يتعد بعد الاربعينات .

وجاء اكتشافه «للكاميرا» متزامناً مع إقامته صداقة مع فتاة جميلة ، جاءت

تكوين : بعض مؤلفاته وصورة وعمره ست سنوات



لتعمل بمنزله ، وغيرت حياته ، أحبها حباً جارفاً ، وكانت أصغر منه بثمانى وعشرين عاماً ، تزوجها وانجب منها طفلين . وأخذ يقوم بعملية «تخسيس» حتى يمكنه أن يتمشى مع رشاقة وشباب الفتاة المحبوبة .

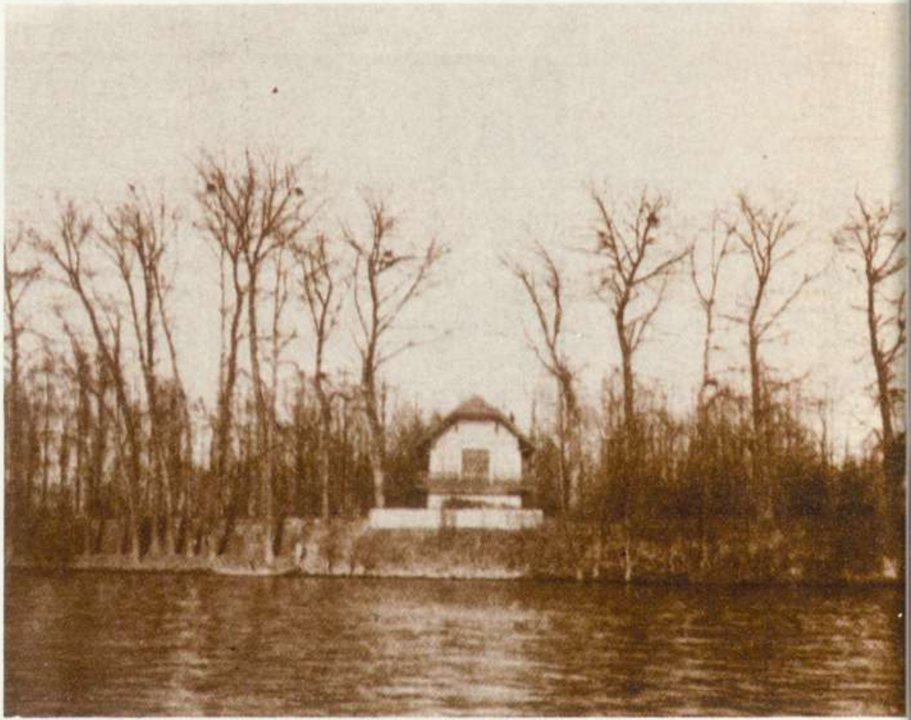
تسببت هذه العلاقة فى باديء الأمر فى صدام عنيف مع زوجته عندما اكتشفت ذلك لكنها تقبلت الوضع بعدئذ ، بل وتعاطفت مع الفتاة والاولاد ، وتعلم الجميع أن



الشتاء ..
حيث تهدأ الحركة والحياة



لقطة بانورامية لمبنى « التروكاديرو » الذى اقيم فيه عام ١٨٧٨ معرض عظيم



الجزيرة .. حيث تبدو لمحة من الشاعرية والجمال



فتاة صغيرة .. صورها فى عام ١٨٩٨

يعيشوا فى سلام ، فى وحدة منسجمة متناغمة حتى موت إميل زولا فى ٢٨ سبتمر عام ١٩٠٢ .

لقد التقط زولا صوراً حية لكل هذا ، لنفسه فى مراحل مختلفة من عمره ، لزوجته..لصديقته ولأولاده ، لأصدقائه ، وصحبه ، وزملائه ، للناس فى كل مكان زاره !

فى باريس تفتحت أمام المصور تشكيلة بانورامية هائلة من الأحداث ، مثل افتتاح «المعرض العظيم» والمعجزة الجديدة : «برج إيفل» . وعندما انتقلت العائلة بأكملها الى انجلترا هرباً من المحاكمة بسبب موقف زولا المعروف من قضية «دريفوس» التى هزت المجتمع الفرنسى ، أخذ إميل زولا يلتقط الحياة فى البلد الجديد بهمة ونشاط . وعندما عاد استمر فى هوايته .

وهذا الكتاب يقدم ناحية جديدة من انتاج الكاتب الروائى إميل زولا . وصحيح أن من يشاهد الصور سيعترف بقيمة إميل زولا الفنان المصور ، لكننى لا أعتقد أن هذا الجانب سيطغى على رواياته ، فقد عرف كمؤلف روائى ، وأعتقد أنه سيستمر هكذا ، وإن كان هذا الجانب الجديد سيضاف الى انتاجه .

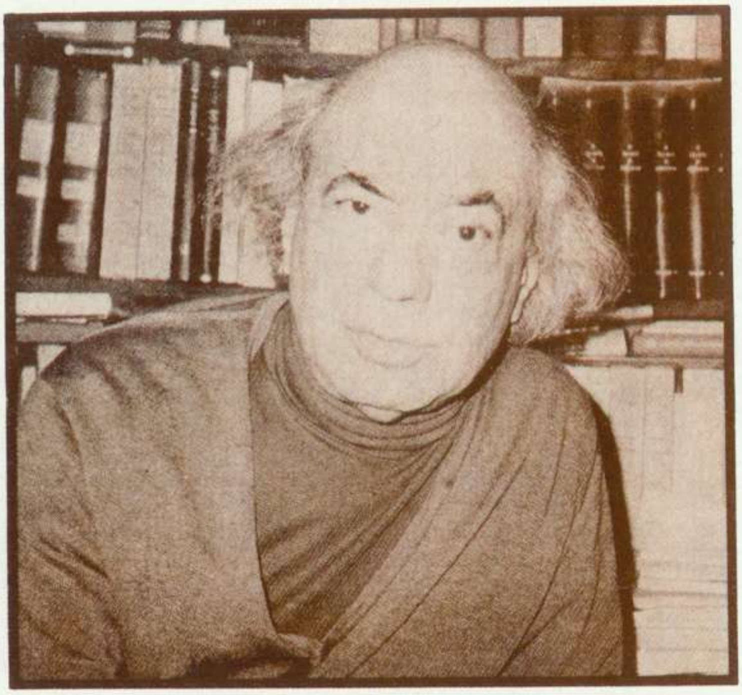
مجدى نصيف

مفكر يهودى أوروبى يدافع عن العرب

مكسيم رودنسون والقضية الفلسطينية

بقلم: عصام شريح

ماكسيم رودنسون



كعادته ندد البروفسور مكسيم رودنسون بالغزو الاسرائيلي للبنان ، وأعلن شجبه للوحشية التى اتسم بها هذا الغزو ، وكانت هذه المناسبة مدعاة لكي يعيد فيها رودنسون تاكيد مواقف سبق أن أعلنها منذ حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ - بصورة خاصة - وهى مواقف تدمغ السياسة الاسرائيلية بالعنصرية والتوسع .

وفى الواقع فان هذه المواقف قد لا تكون مثيرة بعد اليوم ، حيث تنهال الادانات وصرخات الشجب للممارسات الاسرائيلية التوسعية والعنصرية من اطراف عديدة وشخصيات بارزة على الصعيدين العلمي والسياسي فى الغرب بما فى ذلك الولايات المتحدة الامريكية نفسها (جورج بول على سبيل المثال) ، لكن أهمية مواقف الادانة للممارسات الاسرائيلية ودمغها بالعنصرية والتوسعية من قبل البروفسور رودنسون ، تنبع من كونه يهودياً - أو يهودياً سابقاً - على الأقل ، حيث ينطبق على وصف هذه

المواقف قولنا فى المثل العربى : « وشهد شاهد من أهله » ، إضافة الى الرؤية المتعمقة والقراءة النافذة للأحداث الجارية على مسرح المنطقة العربية ، بفعل العدوان والمطامع الاسرائيلية المتواصلة ، حيث لا يستبعد رودنسون أن تكون هذه الأحداث مؤشراً قوياً على اضمحلال اسرائيل . لكن .. وعلى الرغم من هذه المواقف الجريئة والشجاعة فى إدانة اسرائيل والحركة الصهيونية ، فان فهم رودنسون لما يوصف « بالتسوية أو الحل السلمي » للصراع العربي – الاسرائيلي ، هو فهم يقابله علامات استفهام كثيرة ، وهذا ما سنوضحه فى سياق كلامنا عن مواقف رودنسون من القضية الفلسطينية .



من اليمين إلى اليسار : الدكتور عصام السرطاوى ، والمفكر الفرنسي ماكسيم رودنسون . والجنرال الاسرائيلي بيليد

غزو لبنان

فى اعقاب الغزو الاسرائيلي للبنان الذى بدأ بتاريخ ٦ – ٦ – ١٩٨٢ ، كتب البروفسور رودنسون فى صحيفة «لوموند» الباريسية منددأ بذلك الغزو ، فقال : إن مناحم بيجن قام مؤخراً بتذكير العالم بأمرين كاد ينساهما وهما: أن المنطق الصهيوني يقوم على الاستبدال القسري للسكان (العرب) بغيرهم (اليهود) ، وفى القرن العشرين لا يمكن إلا أن تؤدى هذه العملية الى المقاومة والعمل المسلح من قبل السكان المعتدى عليهم ، ولن يفيد اسرائيل فى هذا المجال توسيع « حدودها » لمسافة خمسة وأربعين كيلومتراً مثلا ، لأن المعتدى عليهم ، والذين اغتصبت اراضيهم سيواصلون الكفاح المسلح مرة اخرى ، بدءاً من خط الحدود الجديد ، كما أن تدمير القيادة الفلسطينية ، لن ينهي النضال الفلسطيني ، كما يعتقد ذلك مناحم بيجن خطأ ، وإنما هو سيؤدي إلى ولادة قيادة فلسطينية جديدة .

ويضيف رودنسون ، أن من الواضح أن السياسة الصهيونية ترتكز على مبدأ الاستبدال القسرى للسكان بغيرهم ، ففى عام ١٨٩٧ ، عندما عقد أول مؤتمر صهيوني عالمي ، أعلن ذلك المؤتمر عن ضرورة انشاء دولة يهودية فى فلسطين فى الوقت الذى كانت فيه فلسطين تحت السيطرة العثمانية ، ولكنها كانت أرضاً عربية يسكنها مواطنون عرب ، وبما أن الصهيونية كانت تطالب بانشاء دولة يهودية ، فانها قامت باستخدام كافة الوسائل – بما فى ذلك العنف المسلح – لاستبدال السكان العرب بيهود أتوا من أنحاء العالم ، وتشريد هؤلاء العرب عن وطنهم بالقوة من اجل إنشاء « دولة اسرائيل » فى عام ١٩٤٨ .

أما الأمر الثانى الذى أيقظ مناحم بيجن العالم عليه من وراء غزو قواته للبنان ، فهو أسلوب برمجة القيم على الطريقة الاسبرطية ، النابع من مفهوم « الحرب الدائمة » و « السياسة العنصرية » وهذا الأسلوب فى التعامل مع القيم هو النتيجة المحتومة ، لمنطق التوسع الاسرائيلي .

المسألة اليهودية

يقول رودنسون ان الصهيونية هى بمعنى مّا نتيجة « اللاسامية » (العداء لليهود فى أوروبا) ، ويشير الى ان معظم اليهود (فى فرنسا على الأقل) كانوا فى حالة اندماج أو هم على هذا الطريق سواء فى أوروبا الغربية أو أوروبا الشرقية ، لكن ظهور النازية قدم فرصة نادرة للحركة الصهيونية ، وخاصة بعد عام ١٩٣٩ ، لوقف عملية الاندماج هذه أو اجهاضها فى معظم الحالات ، وإيقاظ المشاعر اليهودية لدى أعداد كبيرة من اليهود الذين ابتعدوا عنها قبل ذلك .

ثم يتهم – وربما كان محقاً فى ذلك بعض الشىء – الاعلام العربي ، وما يسميه ب « الدعاية العربية الديماجوجية » فى استقطاب اسرائيل ليهود العالم فى الفترة التى سبقت حرب عام ١٩٦٧ ، « حيث ظهر وضع اسرائيل مشابهاً لوضع يهود أوروبا فى الحرب العالمية الثانية !! » .

وبالطبع فان رودنسون فى رأينا وقع هنا فى مغالطتين : فى الأولى تجاهل تماماً طبيعة الصهيونية ، كحركة نابعة من الأساطير التوراتية المتحجرة (شعب الله المختار – أرض الميعاد – وعود يهوه .. الخ) ، وكون الصهيونية لا تختلف أبداً فى مبادئها عن تلك الأساطير ، ومن هنا فاننا لا نجد اختلافاً جوهرياً بين حقيقة الصهيونية وجوهر تلك الأساطير التى عفا عليها الدهر ، لذلك فان ربط ما يسمي « باللاسامية » فى أوروبا بالتفاف السواد الأعظم من اليهود الاوروبيين حول الصهيونية ، غير كاف من وجهة النظر المنطقية والتاريخية لتبرير اندفاع اليهود بالهجرة الى فلسطين ، والدعم غير المحدود ليهود العالم على كل صعيد ، لانشاء اسرائيل على أشلاء عرب فلسطين ، وان كانت موجة الاضطهاد واعمال الابادة الجماعية على أيدي النازيين قد طالت اليهود الاوروبيين كما طالت ملايين الاوروبيين انفسهم . فالصهيونية ، هى النتيجة المنطقية للأفكار التوراتية والتلمودية ، ولو انها لم تظهر على يد « هرتزل » فى أواخر القرن الماضى ، فانها كانت ستظهر على يد يهودي آخر فى مرحلة تاريخية أخرى ، عندما تتوفر لذلك الشروط الموضوعية .

وفى الواقع فان ظهور الحركة الصهيونية ، جاء متزامناً مع ظهور الحركة الاستعمارية فى أوروبا الغربية ، أي أن الشروط الموضوعية ، لقيام الصهيونية ، نبعت أصلا من المرحلة الاستعمارية

مكسيم رودنسون والقضية الفلسطينية

الأوروبية ، وقبل ظهور الحركة النازية فى لمانيا الهتلرية ، وكان من الطبيعي أن يتعاظم أمر الصهيونية ، مع تعاظم الاستعمار الغربي فى المشرق العربى ، ذلك الاستعمار الذى رأى فى وضع « جسم غريب – اليهود » فى فلسطين عاملا شديد الأهمية فى منع قيام وحدة عربية فى المستقبل تهدد النفوذ والمطامع والنهب الاستعمارى فى الوطن العربي .

لا نعرف فى الواقع لماذا تجاهل البروفسور رودنسون فى طروحاته عن « المسألة اليهودية » هذه الحقائق ، رغم انه يطرح نفسه على انه « معاد للصهيونية » أولا ، ثم بالرغم من انه يقول فى مجال التدليل على عقم الفكر الصهيوني « أن الثقافة التوراتية لم تعد تستطيع الصمود فى وجه حضارة ترفض كل ما هو ميتافيزيقي وذاتي » !!

أما بالنسبة لانتعاش الحركة الصهيونية بين يهود العالم قبيل حرب عام ١٩٦٧ ، ومسؤولية ما يسميه رودنسون ب « ديماجوجيه الدعاية العربية » ، فهو قول مبتور ، فاذا كنا لا نوافق على بعض الطروحات التى سار عليها الاعلام العربى فى تلك الفترة ، ومنها ما نسب للمرحوم احمد الشقيري من أن العرب فى طريقهم « لالقاء اليهود فى البحر » فان الاعلام الصهيوني المضلل كان يعمل بدأب منذ قيام اسرائيل ، بل منذ قيام الصهيونية على شحن يهود العالم بروح الكراهية ضد العرب ، وتحريضهم على « تطهير أرض الميعاد من الوحوش – (أى العرب) » !! ، ثم لماذا لا يذكر رودنسون عشرات بل مئات التصريحات لقادة الصهيونية واسرائيل حول ضرورة شن حروب متوالية لابادة العرب ، وتوطين اليهود مكانهم ، ومن تلك التصريحات الفظيعة مثلا قول مناحم بيجن فى كتابه المسمى « الثورة » والذى قلب فيه معادلة الفيلسوف الفرنسى ديكارت ، بقوله: « انا احارب اذن انا موجود .. وكن اخى (أى يهوديا) وإلا ساقتلك ! » .

وهنا نطرح سؤالا : هل لان رودنسون يهودى ، أو هو يهودى سابق على الأقل ، يكون له فعله وتأثيره على طروحاته حول « المسألة اليهودية » والقضية الفلسطينية بحيث نراه ، بالرغم من ادانته للصهيونية وعدائه لها ، ومواقفه العادلة من حقوق الشعب الفلسطيني ، نراه عاجزاً عن النفاد الى جوهر القضية وتلمس الحل الحقيقى والعادل لها ؟؟ – بالطبع فان الجواب هنا ليس سهلا ، لكن استناداً الى الواقع السيكولوجي للتكوين الفكري والنفسى للانسان ، نزعم أن خلفية الرجل كيهودي ، او يهودي سابق ، لها تأثير واضح فى التخريجات المنطقية التى يقدمها خلال معالجته للصراع العربي – الصهيوني .

الحل المطلوب

لن نسترسل فى اقتباس العبارات التى تبرهن على دعم البروفسور رودنسون لحقوق الشعب الفلسطينى ، واهمها اقامة دولة « مختلطة » ، بل نكتفي بايراد بعض هذه العبارات ، فهو يقول مثلا ان مطالب الشعب الفلسطيني بحد ذاتها ، مطالب عادلة ، فهو شعب جرد من ارضه بفعل الحركة الصهيونية ، ومن الطبيعي ان يثور على هذا المصير .. لكن رودنسون عندما يصل الى طرح الحل المطلوب للصراع العربي – الاسرائيلي ، نراه يتخبط ، ويحاول أن يدخل القارىء أو المستمع فى متاهات تقود فى النهاية الى اختلال فى الرؤية .

فبعد حرب عام ١٩٦٧ ، قال انه برغم عدائه للصهيونية ، « الا اننى اتساءل احيانا اذا كان عدائى مطلقا للفكرة التى حملها بعض اليهود بانشاء دولة لهم !! » ثم يضيف انه « كمواطن من اصل يهودي مندمج فى المجتمع الفرنسى على استعداد لقبول إقامة دولة يهودية فى مكان اخر غير فلسطين لو جاءت الصهيونية بحل حقيقى لمشكلة مجموعة من اليهود !! » .

ثم عاد ليقول : انه بالرغم من اعتباره « دولة اسرائيل » ظاهرة استعمارية ، الا ان تصفية الاستعمار الصهيوني الاستيطاني لا تعنى « طرد السكان الجدد وإعادتهم إلى مناطقهم الأصلية أو أن يصبحوا هم بدورهم تحت سيطرة السكان الأصليين » .

ثم يشير رودنسون الى أن هناك « أساليب متعددة » لازالة الاستعمار بهذا المعنى ، وانه شخصياً – وبحكم طابعه المسالم – يفضل الأسلوب الذى يقتضي اقل التكاليف فى الأرواح سواء بين المضطهدين (بفتح الهاء) أو بين المضطهدين (بكسر الهاء) !!

وفى سياق هذا المنطق التبريري – الذى يقود فى نهاية المطاف الى اختلال فى الرؤية – نرى رودنسون فى نفس الفترة (بعد عام ١٩٦٧ وقبل حرب عام ١٩٧٣) يتمادى فى تبرير الوجود الصهيوني فى فلسطين – وهو وجود اغتصابي – ، فيقول إنه « فى فلسطين التاريخية لا يشكل اليهود الاسرائيليون طائفة دينية حسب رأيي ، وتحديد هويتهم ليست سهلة : فربما كانوا شعباً جديداً أو مجموعة عرقية (أثنية) يهودية – اسرائيلية (أو اية تسمية أخرى) ذات ثقافة مميزة .. » .. وبالطبع فان القول بقومية يهودية – اسرائيلية فيه الكثير من المغالطة حتى لا نقول التزوير العلمي ، حيث لا نعرف مقياساً فى أي من مقاييس علم الاجتماع يمكن استناداً إليه القول بوجود قومية يهودية ، ثم ان القول بأن هناك مجموعة اثنية يهودية – اسرائيلية ، هو مغالطة أدهى وأمر ، لأننا لا نعرف أولا ما هي الحدود التى تفصل بين اليهودية و « الاسرائيلية » ، وجميع الشواهد وممارسات السواد الأعظم من يهود العالم تبرهن أن لا حدود بينهم وبين اسرائيل ، فالكل يهود والكل اسرائيليون ، أما قول رودنسون بأن الاسرائيليين يشكلون وحدة اثنية أو عرقية ، فهو قول مخالف لأبسط قواعد علم الانثربولوجيا ، الذى يقرر أولا ان وحدة السلالة الدموية ، هى مجرد خرافة لا أكثر ولا أقل ، حتى فى المجتمعات الأكثر بدائية فى حوض الكونغو كان هناك اختلاط بين الأقزام والزنوج من خلال التعامل الحياتي اليومي ، فما بال البروفسور رودنسون باليهود الاسرائيليين القادمين من أوروبا الشرقية وأوروبا الغربية والولايات المتحدة وكندا وبلدان امريكا اللاتينية ، ومن الهند وجنوب افريقيا والبلدان العربية ، وبعض بلدان جنوب غرب آسيا .. !! كيف يستطيع مثل هذا الجمع من الاثنيات المختلفة من اليهود البيض والسمر والسود (الغربيين والشرقيين) ، أن يشكلوا وحدة اثنية وقومية اسرائيلية – يهودية ؟؟!



عاش ماكسيم رودنسون فترة من حياته فى عـــدة عواصم عربية ، واطلع على التراث الاســلامى واثره على الغــرب

ثم أخيراً .. لماذا تجاهل البروفســور رودنسون واقع التفسخ الأثني الراهن فى اسرائيل بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين (الاشكنازيين والسفارديين) ؟؟!! . على اية حال فان طروحات البروفســور رودنسون بعد حرب عام ١٩٧٣ ، وبالتحديد فى السنتين الماضيتين قــد اختلفت نوعاً ما عن الطروح السابقة ، وربما يكون ذلك بسبب تطورات الأوضاع التى لحقت بحرب تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣ ، حيث كادت اسرائيل تسحق لولا الجسر الجوي الامريكي والدعم العسكرى الفورى لها من واشنطن ، ثم بسبب صعود المتطرفين الى السلطة فى اسرائيل بقيادة مناحم بيجن ، رغم أن رودنسون يقول فى بعض مقالاته المنشورة انه لا يفرق بين قادة حزب الليكود وقادة حزب المعراخ .. لكنه يرى فى الليكوديين بزعامة بيجن جماعة « تحاول فرض حقائقها الخاصة على العالم » ، سواء عن طريق الارهاب الأسود (الحرب والعنف) أو عن طريق الارهاب الأبيض (السياسة) كما حدد ذلك فلاديمير جابوتنسكي ، وفى ظل قياة كهذه فان رودنسون لا يخفي مخاوفه « من أن يضطر كل اسرائيلي إلى أن يصبح سائق دبابه » وهذا يمثل نهاية كارثية بالنسبة لاسرائيل ، لأن مفهوم القوة هذا سيرتد على أصحابه فى النهاية ، ويتحول إلى عامل ضعف بالنسبة للاسرائيليين الــذين لا يستطيعون البقاء فى الخنـــادق إلى الأبد .

ويشير رودنسون فى هذا المجال أيضاً الى أن الروح العسكرية بدأت تثمــر ما يسميه « بالعــامل التفتيتي » فى « المجتمع » الاسرائيلي ، وهذا ما تعبر عنه الأعمال الأدبية الأخيرة فى اسرائيل ، حيث يلاحظ ان هناك من يطلق صــيحات الاستغاثة منذ الآن .. وحتى واقع التفتت والتاكل الداخلي بالنسبة للاسرائيليين لا يمكن منعه بالقنبلة النووية التى يلوح بها قادة اسرائيل منذ سنوات . ويقول رودنسون « ان هذا لا يثير لدي سوى المزيد من التقزز والخوف على اليهود انفســهم .. إذ ما هو الرادع الذى يحول دون العرب وامتلاك السلاح المماثل ؟! هل تراهم يفتقدون المال أم التكنولوجيا ، أم الأسواق السرية التى تعرض للبيع حتى القنابل النووية الجاهزة ؟؟ » .

أما الحل الذى طرحه البروفســور رودنسون مؤخراً ، فهو نفس الحل الذى طرحته الثورة الفلسطينية فى أواخــر الستينيات : قيام دولة ديمقراطيــة فى فلسطين تجمع اليهود والفلسطينيين معاً

.. لكن رودنسون يشترط لذلك أولا شفاء اسرائيل من (مرض) الصهيونية .. وثانياً أن يرافق ذلك نمو حضارى لدى العرب يمكنهم من استيعاب المتغيرات التى حدثت فى الشرق الأوسط !! ـ اى التسليم بوجود الاسرائيليين كمشاركين فى « الدولــة الديمقراطية » المقترحة !! ورودنسون يعلق على قيام هذه الدولة « المختلطة » آمالا عراضاً ، ويقول انه « لو حدث هذا لانقلب وجه المنطقة رأساً على عقب ، ولا أبالغ اذا قلت ان حدود العالم ستكون فى تلك الحال مرشحة للتعديل ، ليس الحدود السياسية فحسب ، وانما الحدود الاقتصـــادية والحضارية أيضاً » !!

مكسيم رودنسون والقضية الفلسطينية

رودنسون والاسلام

ولاستكمال صورة المواقف التى اتخذها رودنسون من القضية الفلسطينية ، نشير الى موقفه من الاسلام ، لما لذلك من علاقة على منحى تفكيره بشكل عام ، وان كان هذا الموقف يبدو قاصراً عن الاحاطة بواقع الحضارة العربية ـ الاسلامية ، كحضارة متميزة ، وليس حضارة واسطةبين الحضارة اليونانية والحضارة الأوروبية ، كما يقول . فالبروفسور رودنسون يعتبر من كبار المستشرقين الاجانب الذين ابدوا اهتماماً خاصاً بالدين الاسلامي ، وآخر مؤلف له فى هذا المجال ، عنوانه : « إغراء الاسلام » وفى هذا الكتاب يقول رودنسون ، ان الاسلام كان منذ اربعة عشر قرناً ـ بشكل أو بآخر ـ احد الزوايا الاساسية لحضارة الغرب ، حيث كان ظهور الاسلام ، محرضاً على التنافس بين الشرق وأوروبا ، لاسيما وأن العالم الاسلامي ، هو الأكثر اقتراباً من الثقافة الأوروبية ، والمتوسطية منها بصورة خاصة ، وهذا الواقع شكل عامل إغراء بالنسبة للغرب بمثقفيه وسياسييه ، بل وكافة طبقاته الاجتماعية . وفى العصر الحديث ـ يقول رودنسون ـ أن فترة السيطرة الاستعمارية الغربية على العالم الاسلامي أو بالأحرى معظم أجزائه ، برز الاهتمام بالدين والثقافة الاسلامية لدى الغربيين ، لكن رودنسون يعترف الى جانب هذا بالتشوية الذى قدمه « بعض » المستشرقين عن الاسلام ، كما يعترف بان هؤلاء كانوا « عملاء » لدولهم وحكوماتهم ، همهم الحقيقي هو تقديم دراسات علمية وموضوعية عن احوال البلدان التى عنوا بدراستها .

أما بالنسبة لما يطلق عليه رودنسون وصف « الاسلام المعاصر » فهو فى نظره عبارة عن حركة بعث وإحياء فى عالمنا اليوم ، ويفسر مفهومه لهذه الحركة بانها تعني « اعادة الاعتبار الى الاسلام كعقيدة سياسية » ، لأن الاسلام فى نظره لم يتوقف يوماً واحداً عن التاثير والفعل فى الحياة الاجتماعية فى العالم الاسلامي ، ومن هنا يرى حركة الانبعاث الحالية ، حركة سياسية ، حيث جاءت متزامنة ، مع تزعزع عدد من القيم فى الايديولوجيات السائدة حالياً سواء فى الغرب او فى الشرق .

وبالطبع ، فاننا لا نوافق البروفسور رودنسون فى فهمه المجتزأ للاسلام ، حيث أن الدين الاسلامي عبر عن حضارة كبرى متكاملة وجسدها فى عصور وفترات تاريخية مختلفة ، لكن هذا لا يغمط هذا المفكر والمستشرق الفرنسي الكبير حقه ، فى رؤيته المتقدمة للدين الاسلامي ، قياساً على مستشرقين آخرين من أمثال « هنري جسب » و « نلسون » و « طومسون » و « ليفونيان » ، الذين زعموا أن « سيف الاسلام » أخضع شعوب افريقيا وآسيا شعباً بعد شعب ، وان المسلمين كانوا هواة حرب .. الخ .

ومن ضمن هذه الرؤية المتقدمة للاسلام ، رأينا رودنسون يقول « ان الطب الاسلامي هو الذى ساهم فى بناء الطب الحديث » إضافة الى مساهمات حضارية أخرى كبيرة ومتنوعة .

من هو ؟

البروفسور مكسيم رودنسون ، مدير قسم الشرق الأوسط فى المعهد التطبيقي للدراسات العليا بباريس (السوربون) ، حالياً ، وهو من مواليد باريس فى عام ١٩١٥ ، ورغم انه مختص بشكل محدد بتدريس لغات الحبشة وجنوب الجزيرة العربية القديمة ، إلا أنه بالنظر الى التزامه السياسي ومَنْشَئِهِ اليهودى أصلا ، سرعان ما انكب على دراسة قضايا الشرق الأوسط عامة ، والقضية الفلسطينية خاصة وهو اليوم من كبار الشخصيات الأجنبية التى لها اطلاع على جذور هذه القضية ومضاعفاتها وتطوراتها . والبروفسور رودنسون مفكر كبير وعلامة متعدد النشاطات الفكرية ، وهو بحاثة اجتماعي ، ومستشرق متعمق فى التراث الاسلامي ، فضلا عن كونه عليماً بلغات سامية عدة ، وبالاضافة إلى كل ذلك ، فان رودنسون يرأس لجنة يطلق عليها « لجنة السلام العادل فى الشرق الأوسط » وقد أهله لرئاسة هذه اللجنة اهتمامه الخاص بالصراع العربى ـ الصهيوني ، وكونه احد رجال الفكر والسياسة فى فرنسا ، الذى يعرف العالم العربي معرفة جيدة ، خصوصاً وانه عاش ردحاً من حياته فى القاهرة وبيروت ودمشق ويتوفر فى البروفسور رودنسون الشرطان اللذان طالما يطمح المفكرون عادة الى امتلاكهما ، وهما : منهجية الفكر الغربي ، والاطلاع المتعمق على التراث الاسلامي . ولرودنسون مؤلفات وابحاث ومقالات عدة ، معظمها جاء ثمرة أبحاث دقيقة ، وأحياناً بالغة التحديد ، مثل ابحاثه فى انثولوجيا شعوب الشرق الأوسط ، ودراسته حول اللفظ القديم للقاف العربية ، ومن كتبه المعروفة كتاب : « الاسلام والراسمالية » وله كتاب عن« النبى العربي»، ثم له عن القضية الفلسطينية كتاب : « اسرائيل والرفض العربي » ، كما انه أسس ويدير « مجموعة الأبحاث والعمل من أجل حل للمسألة الفلسطينية » ، وهو الى جانب ذلك يهتم منذ فترة طويلة بما يدور فى المنطقة العربية من تطورات وأحداث ، ومن هذا كله ، نظم البروفسور رودنسون فى ١٩ ـ ٧ ـ ١٩٨٢ مؤتمراً صحفياً ، هو الأول من نوعه الذى عقده فى باريس الدكتور عصام السرطاوى (فلسطين) والجنرال الاسرائيلي متتياهو بيليد . ويذكر ان الجنرال بيليد هو شريك « أوري أفنيري » فى قيادة حزب « شيلي » الاسرائيلي، وفيما يسمى « مجلس السلام الاسرائيلي ـ الفلسطيني » و « حركة السلام الآن » .

وما يهمنا من هذا المؤتمر الصحفي ، ليس مضمون الطروحات التى عرضت فيه ، والتى لنا موقف مخالف منها ، وإنما ما يهمنا هو تسليط الأضواء على الاهتمام المثير للانتباه الذى بذله ويبذله البرفسور رودنسون لعقد مثل هذه اللقاءات ، وهو اهتمام ينطلق من رؤية خاصة لرودنسون لاسرائيل ، وللصراع العربى ـ الصهيوني كونه يهودياً ، أو على الأقل « يهودياً سابقاً » ، كما عرضنا فيما تقدم .

عصام شريح

الثوب الفلسطيني
يواجه لصوص التراث!

بقلم: حسني شحادة

بعد أن اغتصبت الصهيونية الأرض الفلسطينية . عمدت الى طمس التاريخ ، وسرقة التراث ، فأقامت فى عواصم ومدن أوروبا وأمريكا ، معارض للأزياء الشعبية الفلسطينية المطرزة ، والفنون التطبيقية المختلفة المتمثلة فى فن الزجاج ، والفخار ، والصدفيات ، والتطعيم بالعاج والعظم والمنحوتات الخشبية ، والنحاسيات ، والحصير والخوص ، وأدعت زيفاً أنه تاريخها وتراثها الأصيل !

الثوب الفلسطيني كما يبدو فى لقطات ثلاث : الأول لفتاة فلسطينية ترتدى الزى الشعبى لمنطقة المثلث بينما يتدلى الحزام الحريرى المربوط خلف الفتاة .. واللقطة الثانية لفتاة ترتدى ثوب خليلى مطرز .. أما اللقطة الثالثة فنرى بساطة وجمال التطريز والحزام القماشى العريض الذى يتناسب مع شكل الثوب الفلسطيني









• ثوب الزفاف حيث التطريز على الأكمام والوحدات الزخرفية تكاد تملأ الثوب من الأمام



فتاتان .. الأولى ترتدى الثوب السبعاوى .. والثانية ترتدى الزى الشعبى الكامل لمنطقة طولكرم



علاقة الانسان بتراثه ، علاقة طبع متقدمة على تاريخه ، فى ثنايا الزمان ، هذا السديم الذى يتسع لكل شىء ، فالفنانون يعبرون تعبيراً أصيلا عن مصالح الشعب ، ومطامح أفراده ، وسيلتهم فى ذلك تفجير الطاقات الانسانية الخلاقة ، ورفع المستوى الروحى ، والخلقى ، والاجتماعى ، وتوليد الحاسة الابداعية للعمل والانتاج (١) .

فالفن الشعبى ذو رسالة أخلاقية فى الحفاظ على التراث ـ الثقافة الموروثة ـ لأن الفن الشعبى الأصيل ، يحتوى فى طياته ، على أساس كل فضيلة ، فيحقق مصلحة الشعب ، فى الحفاظ على مأثوراته ومثله العليا .

إن مفهوم الثقافة المعاصرة ، متسع ومتطور ، لا يقوم على النواحى المادية وحدها ، من علم وقوة انتاج ، وإنما يقوم ـ أساساً ـ على النواحى اللامادية ، كالمعتقدات ، والأخلاق والمعنويات ، كما يقوم على الجانب الوطنى ، وبث الروح الحضارية فى كل النفوس ، وتلعب الفنون الشعبية دوراً هاماً وفعالا فى هذه الجوانب





نموذج جميل من غزة .. ثم وحدة زخرفية مقربة تؤكد عراقة وروعة التراث الفلسطينى

ولها آثارها الايجابية ، ومدلولاتها العلمية ، التى تحكمها نظم لاعادة تشكيل الحياة ، ودعم مقومات العصر ، بحيث يتحقق للمواطنين ما قد رسموا لأنفسهم من سبل وغايات ..

ومن هذا المنطلق فان الفنون الشعبية هى المفتاح الحيوي للانفتاح على العالم بالأصالة والعراقة والتراثية ، وكل أمة أو شعب لا يملك هذه المقومات ، يمهد بأن يصبح مجتمعاً محدود الأفق ، ضيق النظرة ، سقيم الوجدان ، عديم القيم ، قليل الخبرة ، تنظر إليه المجتمعات الأخرى نظرة تدعو الى الشفقة (٢) .

السطو على التراث

وفى اغفاءة من الزمن العربى ، اغتصبت الصهيونية قلب الامة العربية ، فأقامت لها كياناً فى عام ١٩٤٨ ، بعد أن خططت لتأكيد أسطورتها الخرافية بأرض الميعاد ، وانطلاقاً من تأكيد ذاتيتها عمدت الى سرقة التاريخ والتراث الفلسطينى العربى الاسلامى ، فسرقت اسم فلسطين وغيرته الى اسرائيل ، ومزقت العلم العربى ليخفق على ساريته علم النجمة السداسية ، وزيفت الموضوعات والمعاجم ، ونسبت التراث الاسلامى العربى الفلسطينى الى اسرائيل ، وعرضته ، فأقامت فى عواصم ومدن أوروبا وأمريكا وأفريقيا معارض للأزيـاء الشعبية الفلسطينية ، بتطريزها البديع ، وجمالها الأخاذ ، وأقامت المهرجانات والحفلات والرقصات الشعبية ، وما يرافقها من الموسيقى والأغانى والأهازيج ، ونسبت كل ذلك بالزيف والتضليل لنفسها ، وادعت أنه تاريخها وتراثها الأصيل فى أرض الميعاد !

التحدى الفلسطينى

والواقع أن تاريخ الشعوب حافل بتراث شعبى أصيل ، بدأ ينحسر أمام المد الحضارى ، ويتراجع فى مواجهة مظاهر المدنية الحديثة ..

وإذا كانت المجتمعات تدفع بتراجع مأثوراتها ، واختفاء تراثها ، ضريبة هذا المد الحضارى ، وهذه المدنية الحديثة ، فكيف بالتراث الفلسطينى ، الذى يتعرض الى أعنف هجمة ، تريد نقل جذوره الى الصهيونية ، فى محاولة لتكتب لنفسها تاريخاً حضارياً ، يعتمد على تراث شعبى أصيل ؟!

وأمام هذا التحدى ، يقف الشعب الفلسطينى بما أوتى من صبر وصلابة ، وعمق وأصالة ، كشعب له تقاليد ، وعادات ومأثورات ، ميزت شخصيته العربية الاسلامية ، بثقافة حضارية ، تحافظ على التراث ، وتواكب ركب التقدم ، لأن الشعب الفلسطينى أيقن أنه يقف أمام تحد مصيرى ، ينذر بأن يكون ، ليبقى ، أو لا يكون ، فيزول . فبدأ فى مهاجر شتاته ، محتفظاً بتراثه الشعبى ، وبثقافته الأصيلة وحضارته الباقية ، يصورهما فى أنماط حياته ، وأساليب معاشه ، وطرائق تفكيره يسجلها فى أغانيه ، وأهازيجه ورقصاته ، وينسجها فى خياله وأمانيه وآماله ، يطرزها فى ملابسه وأزيائه .



٨●

الوعى الجمالى

لقد كان الشعب الفلسطينى فى وطنه ، على وعي بالجمال والفن ، يظهران فى جميع أنواع الفنون ، لأن هذا الوعى كان ضاربا جذوره فى عمق التاريخ ، فكان الفن الشعبى عصارة جذور حضارية قديمة ، تحكى علاقة الحب الكبير ، حب الناس ، وحب الأرض باشجارها وأنهارها ، وجبالها وسهولها ، وغورها وشعابها ، وبحيراتها وبحارها ، وبذلك زادت قدرة هذا الشعب على الدفاع عما يحب ، فكان تاريخ فلسطين ، تاريخ الجهاد المستمر على مدى الزمان . وكان ذلك حافزاً لهذا الشعب بالابداع فى التعبير الجمالى ، الذى كمن فى العمارة ، والزخرفة ، والتطريز والشعر والقصة والعلوم .. فكل هذه المعالم ، كانت تغنى للحياة . (٣)

وبعد النكبة الأولى عام ١٩٤٨ ، انفجر كقوة تعبير تستلهم المناهج الفنية المعاصرة ، فقد تغيرت التحديات ، فأصبحت صداقة بقاء أو فناء ، وصار للفلسطينى خصوصية ذات معايير جدية ، تفرض عليه أن يبقى عربياً اسلامياً فى عموميته ، وأن يكون فلسطينى الملمح والصورة ، فلسطينى الفن والتعبير ، فلسطينى الحركة والتغيير ، لأنه أمام تحديات كبيرة ، تهدد باقتلاع جذوره ، واجتثاث أصوله ، وطمس حقوقه المشروعة .

ففى غمرة هذا الصلف الصهيونى ، الذى ظن انه بانتصاره قد ملك الأرض والتاريخ ، نسي بانه يستطيع أن يمتلك الوعى الجمالى والفن التعبيرى الفلسطينى ، لانهما يمثلان جميع مواد الثقافة الموروثة التى نالت على مر الأجيال تقبلا عريضاً فأصبحت نتاجاً جماعياً ، واكتسبت على مدى الزمان خصائص تراثية ، حفرت فى الذاكرة الفلسطينية ، فأصبحت إبداعاً شعبياً ، يرثه الأبناء عن الآباء ، وبه يفاخرون .

إنه الوعي الجمالى الذى بقى نتاجه فى الآداب والفنون والعلوم ، وثيقة تاريخية ، مكتوبة بحروف النهار المضيئة على سويداء ظلام الليل ، تقرأ كلما طلعت شمس ، لأن جذورها ضاربة فى جبال فلسطين ، تغذيها الدماء التى أريقت على ثرى هذا الوطن على مر الدهور .

لقد جسمت الثورة الفلسطينية التى انطلقت فى الفاتح من يناير ١٩٦٥ ، هذه المعانى ، بأسلوب حضارى ، فجمعت هذا التراث الفلسطينى فى مؤسسات ثقافية عصرية حضارية ، وساهمت فى نشر هذا التعبير الجمالى ، ليساهم بدوره فى معركة الشرعية والبقاء ، وليساند البندقية ، لتصب فى بؤرة المعركة ، ولتقف جداراً شرعياً قوياً فى وجه الصهيونية ، التى ترنو الى طمس الملامح والحقوق الفلسطينية .

الأزياء الشعبية الفلسطينية

إن فن الأزياء الشعبية الفلسطينية ، هو جزء من التراث الفلسطينى ، وأهم ما يميزه ، فن الزخرفة «التطريز» التى تزينه ، هذه الزخرفة التى تختلف عن كل فنون الزخرفة ، فهى فن فطرى فيه صدق التعبير وهى فن موروث يتناقله الأبناء عن الآباء ، والآباء عن الأجداد ، وهكذا ، وتكون بدون مصمم معين ، بل هى تصميم الشعب عامة حيث يشترك أفرادها فى نقلها وبقائها تراثاً قومياً ، ووثيقة امتلاك الأرض .

والمتأمل للزخرفة الشعبية «التطريز» ، يجد أن هناك مدارس فنية ، تختلف باختلاف المناطق والقرى ، وتميز كل منطقة عن الاخرى ، حتى أن الفرد العادى ، يمكنه أن يحكم على الزي عندما يراه ، من حيث نوعه وزخرفته ولونه ، فنراهم يقولون فى فلسطين :

«الثوب المجدلاوى ، الجنة والنار ، البلتاجى ، أبو ميتين ، الثوب الدجانى ، ثوب الملكة ، ثوب الجلاية ، الثوب السبعاوى ، الثوب المرقم ، ثوب الملس ، ثوب العروق ، ثوب الغيانى ، ثوب الأطلس



هذا الثوب البدوى عادة ما تطرزه الفتاة بنفسها ، فهى تتعلم فن التطريز فى سن مبكرة ، حوالى العاشرة ، وكلما زاد سمك الخيط المستخدم ولمعانه والمساحة المزخرفة كلما زادت روعة الثوب

إلى اليمين : تقصيرة من بيت لحم مصنوعة من قماش القطيفة الأزرق الداكن ، وتفصيلتها تكون مثل تقصيرة القدس

أسفل : فتاة من غزة ترتدى زيا شعبيا فلسطينيا يتميز بالذوق والبساطة وأصـــالة التراث



الثوب السكناوى . (٤)

ومن خلال هذه الأسماء يمكن معرفة المدينة أو القرية التى ينتمى اليها الزي .

ويمكن أن تتأثر منطقة بأخرى ، فمثلا يمكن أن تظهر بعض الوحدات الزخرفية على ثياب منطقة أخرى غير منطقتها ، كأن توخذ زخارف منطقة بيت لحم على ثياب منطقة بيت دجــن ، فقد يعجب فتاة أو سيدة أن تنقل جزءا كاملا من أجزاء ثوب من بلدة أخرى ، أو تنقله كله ، لأن فن التطريز ، لا يقتصر على منطقة دون أخرى ،

تاريخ الأزياء

وقد عثر فى «تليلات» الغول بفلسطين على لوحات جدارية مرسومة بعناية ، وقد ظهرت الزخرفة الشعبية «التطريز» على الأزياء والأحذية ، ويعود تاريخها الى ٤٥٠٠ سنة قبل الميلاد . (٥)

وقد استمر انتاج الملابس المطرزة منذ ذلك التاريخ ، فقد عرف الفلسطينيون القدماء ، صناعة الغزل والنسيج ، وقد كانت من الصناعات الشعبية ، التى يزاولها كل فرد فى منزله ، فوجدت آثار مغازل من الحجر والعظم ، وأنعال من الطين تستخدم من أجل «الأنوال» التى ترجع الى الألف الثالث قبل الميلاد . (٦)

وكذلك اكتشفت كمية من الابر والدبابيس فى صناديق برونزية ، فالابر لها ثقوب ، بينما الدبابيس طويلة ومضلعة أو مشقوقة ، وذات رؤوس مدببة ، وهذا دليل على معرفة فن زخرفة التطريز ، خلال عصر البرونز المبكر والوسيط . (٧)

ففى «أريحا» ، عرفت الأزياء الشعبية المزخرفة بالتطريز منذ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد ، كالدماية ، والخلق ، والهدم ، والسروال ، والشملة ، والعباءة والقمباز ، وقد استمرت الأزياء الشعبية الفلسطينية الخاصة بالرجال والنساء ، خلال فترة الفتح الاسلامى ، واستمرت حتى اليوم ، وقد ترك الرحالة والمكتشفون والمستشرقون رسوماً وصوراً تؤكد ذلك . (٨)

فن الزخرفة الشعبية

والفن الشعبى يخضع عادة للتقاليد ، وهذا ما يميز التراث عن الفن التشكيلى الحديث ، ورغم ذلك فلا يوجد فن منفصل للتقاليد الموروثة ، ولكن من المعتاد أن تنكشف ، لتكون أكثر وضوحا من التراث أو الفنون الشعبية عنها فى الفن الحديث .

فمن التقاليد التى اتبعها الفنان الشعبى فى فلسطين ، انتهاج طريقة معينة فى التطريز ، واختيار الوحدة الزخرفية ، ولون القماش ، والمناسبة التى يلبس فيها الزى .

والتطريز على الأزياء الشعبية هو إحداث وحدات زخرفية ، بواسطة الابرة وخيط الحرير ، وهذه الوحدات موروثة عن الأجداد القدماء ، وتتكون من وحدات زخرفية نباتية كالأوراق والأزهار والورود والأشجار ، وأنواع من أشكال زخرفية أخرى ، ولكنها خالية تماماً من الأشكال الآدمية والحيوانية ، وتسمى هذه الوحدات الزخرفية باسم «العروق» . (٩)

ومن أهم أشكال الوحدات الزخرفية الهندسية فى التطريز ، المثلث ، النجمة الثمانية ، الدائرة ، المربع ، المعين ،



فلسطينية من الجنوب بزيها الشعبى الكامل فلكل منطقة ولكل قرية فى فلسطين ثوبها الخـــاص !

الثوب الفلسطيني
يواجه لصوص التراث!

الخطوط الزخرفية المستقيمة ، الخطوط المتعرجة بشكل لين أو بزوايا حادة أو منفرجة ، الخطوط المسننة ، الخطوط المتقاطعة .

والمثلث يعرف باسم الحجاب ، وهو من أساسيات ثوب منطقة النقب ويسيطر بصفة عامة على ثياب بدو فلسطين ، وأشـــهر وحداتــه الحجـــاب وشـــجر «السرو» . (١٠)

والنجمة الثمانية هى النجمة السائدة فى معظم الأزياء الشعبية الفلسطينية ، وقد ابتكرت منها عدة أشكال ، منها نجمة بيت لحم ، وتعرف شعبياً باسم «عرق قمر تبيت لحم» ، وهناك النجمة ذات الستة عشر فرعاً ، والنجمة ذات الأربعة وعشرين فرعاً، وتظهر فى ثياب منطقة الفالوجا ، وبيت جبرين ، والسوافير ، والقسطينة وغيرها من مدن وسط فلسطين وجنوبها . (١١)

وبالنسبة للدائرة ، فقد عرف التخطيط الدائرى منذ بداية العصر الحجرى المتوسط ، وذلك من فترة تعود الى حوالى ١٢٠٠ سنة قبل الميلاد ، وتظهر هذه الزخارف الشعبية فى تطريز الثياب الفلسطينية فى مدن وقرى شمال فلسطين «كالحولة» وطبرية ، وتوجد أيضاً على ثياب النساء فى غربى مدينة القدس وأريحا والبحر الميت ، وخاصة على الصدر والذراعين وفى التقصيرة .

وفــى قـرى «رام اللــه» و «الرملـة» و «الخليــل» يظهـــر الحجـــاب المربع ، وقد أطلقوا عليها اسم «عرق الحلوى» ، وهناك «المعين» ، الذى يظهر فى غالبية تطريز الأزياء الشعبية الفلسطينية وعلى معظم أجزاء الثوب ، من الأساور والذراعين والأكتاف والصدر والظهر والخلفية السفلى .

أما تطريز الخطوط الزخرفية الهندسية ، فهى عديدة ، وأهم ما يستخدم منها على الأزياء الشعبية فى فلسطين ، فهى الخطوط المستقيمة ، والمتقاطعة ، والحلزونية ، والمتعرجة بزوايا حادة أو منفرجة ، وغالباً ما تكون الخطوط المستقيمة متوازية .

وتظهر أشكال تطريز الخطوط فى ثياب النساء فى شمال فلسطين ، وتظهر أيضا فى ثوب «التقصيرة» فى قرى القدس وبيت لحم ، وفى «صديرى» الرجال فى مدن يافا وعكا ، وفى ثياب بيت جبرين والخليل .

وقد اهتم الكنعانيـــون ـ أجـــداد الفلسطينيين ـ بالزراعة ، وخصوا الأشجار بمكانة خاصة ، ظهرت فى زخرفة التطريز على الثياب ، فتظهر أشجار النخيل بشكل رمزى كالسعف أو الجريد ، كما هو فى ثياب منطقة الخليل ، وقد يأخذ شكلا حلزونيا ، كما هو فى ثياب «بيت جبرين» .



هل يمكننا ان نعثر على مثل هذا الثراء الزخرفى فى اى ثوب فى الدنيا ؟ .. انه الفن الفلسطينى الموروث الذى تناقله الابناء عن الاجداد ورغم ذلك حاولت اسرائيل اغتصابه

أما «النخل العالى» . فيظهر بجمال يفوق التصور فى منطقة «رام الله» .

وتظهر أشجار «السرو» ، مطرزة بزخرفة هندسية جميلة فى ثياب منطقة الفالوجة وقرى مدينة غزة . (١٢)

والمعروف أن شجرة العنب «الكرمة» ، شجرة قديمة ، عرفها انسان فلسطين منذ العصر الحجرى القديم ، وعثر عليها المنقبون فى كهوف جبل الكرمل ، كما اهتم الكنعانيون بزراعتها ، لذلك نراها مطرزة على الأزياء الشعبية فى معظم بلاد فلسطين .

أما شجرة الزيتون ، فقد عرفت فى فلسطين منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وظهر ذلك فى نقوش «راس شمرا» و «اجاريت» ، وقد ورد ذكرها فى القران الكريم والكتب المقدسة الأخرى ، وقد رسمت شجرة الزيتون ، داخل قبة مسجد الصخرة ، لذلك نرى هذه الشجرة وأوراقها مطرزة على معظم الأزياء الشعبية الفلسطينية وخاصة قرى غزة والرملة . (١٣)

ومن النباتات التى تظهر فى زخارف التطريز على الأزياء الشعبية الفلسطينية سنابل القمح ، وهى عنوان الخير والعطاء ونرى ذلك واضحاً فى زخارف التطريز على ثياب قرى غزة ورام الله والرملة . (١٤)

كما ينتشر تطريز الأزهار والورود على تلك الأزياء ، وخاصة زهرة الحنون ، وهى زهرة برية حمراء كزهرة شقائق النعمان ، وزهرة القرنفل ، وكثيراً ما تظهر فى زخارف الثياب السوداء فى قرى اللواء الجنوبى بفلسطين .

وقد يكون الرقم سبعة «٧» من أكثر وحدات التطريز الزخرفية شيوعاً فى الأزياء الشعبية الفلسطينية ، وقد ابتكر هذا الرقم فى التطريز بعد الفتح الاسلامى ، ويظهر بوضوح كبير فى ثياب منطقة الفالوجا والمجدل وغزة . (١٥)

وتخلو الأزياء الشعبية الفلسطينية من تطريز الحيوانات ما عدا الأسد والحصان ، فتظهر أشكال الأسود الخرافية الشكل مطرزة على أزياء منطقة القدس ، وغالباً ما يظهر الأسد فى ظلال شجرة زيتون كبيرة .

أما الحصان ، فقد تعلق به الكنعانيون منذ القدم ، وتجدد هذا الاهتمام بعد الفتح الاسلامى ، وظهر واضحاً فى التطريز على الأزياء خلال الثورة الفلسطينية الأولى عام ١٩٣٦ ، حيث ارتبط الحصان ، بالفارس الثائر ، فكان لا يطرز إلا على ثوب زوجة الفارس الثائر فقط ، ومازال يظهر حتى الآن على الصدر فى أزياء منطقة القدس . (١٦)

ومن خلال هذا العرض للوحدات الزخرفية الموروثة ، والمطرزة على الأزياء الشعبية الفلسطينية ، نجدها تحمل رموزاً تراثية تاريخية ، مرتبطة بالأرض ، ومعظمها يعود الى فترات موغلة فى القدم كدليل اصالة وعراقة ، وقد استمرت حتى يومنا هذا دونما انقطاع ، كهوية تدل على وجود الشعب الفلسطينى الضارب بجذوره فى أعماق التاريخ الحضارى على تراث وطنه فلسطين .

حسنى شحادة

المراجع

(١) دنى هويسمان ـ علم الجمال ص ١١

(٢) محمد النبوى الشال ، التذوق الفنى وتاريخ الفن

(٣) مجلة المعرفة ، الوعي والتعبير الجمالى لدى الشعب الفلسطينى عدد ١٥٩ سنة ١٩٧٥ ص ٧

(٤) عبد الرحمن المزين ، موسوعة التراث الفلسطينى جـ ١ ص ١٢٩

(٥) عبد الرحمن المزين ، الفن التشكيلى فى فلسطين عبر التاريخ .

(٦) فيليب حتى ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين جـ ١ ص ٩٩

(٧) فيليب حتي ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين جـ ١ ص ١٠١

(٨) انور الرفاعى ، قصة الحضارة فى الوطن العربى الكبير منذ فجر التاريخ حتى العصور الحديثة ص ٥٧ .

(٩) مجلة فلسطين المحتلة العدد ٢٠٥ ـ ١٩٧٩ .

(١٠) عبد الرحمن المزين ، الفن التشكيلى عبر التاريخ ص ٥٤ .

(١١) عبد الرحمن المزين ، موسوعة التراث الفلسطينى جـ ١ ص ٦٨ .

(١٢) عبد الرحمن المزين ، موسوعة التراث الفلسطينى جـ ١ ص ٧٦ .

(١٣) عبد الرحمن المزين ، الفن التشكيلى فى فلسطين ص ٣٣ .

(١٤) حسن الباشا ، التصوير الاسلامى فى العصور الوسطى ص ٢١ .

(١٥) عبد الرحمن المزين ، موسوعة التراث الفلسطينى جـ ١ ص ٨٦ .

(١٦) عبد الرحمن المزين ، موسوعة التراث الفلسطينى جـ ١ ص ٨٨ .



صومعة الكتبية التى انتقلت اليها ثقافة الاندلس واصبحت جامعة مزدهرة تذكرنا بامجاد دولة المرابطين

مراكش
مدينة العلماء وفرسان الأندلس

بقلم : نزار مؤيد العظم



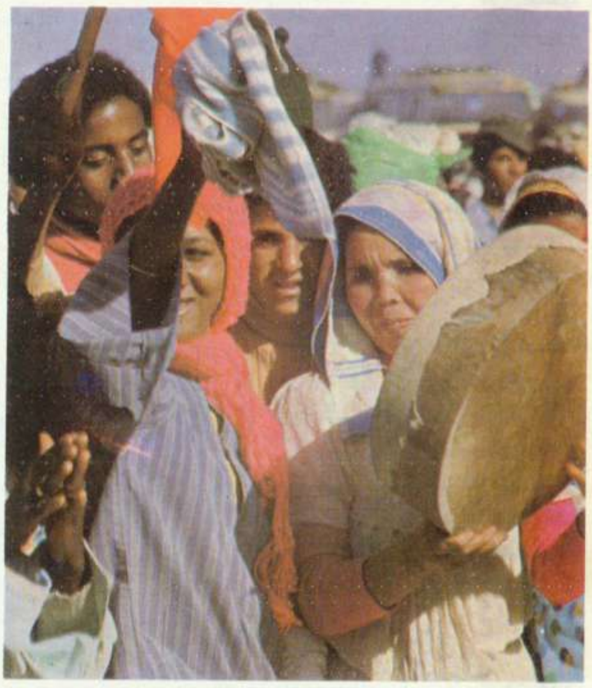
وجوه من مناطق متعددة جاءت لتشارك فى الغناء !

فى أواخر القرن الحادي عشر الميلادي كان الموقف دقيقاً في المغرب ، والأخطار تتهدده وتعصف به . ومن قلعة حصينة على ضفاف نهر السنغال خرجت فئة من الرجال بينهم الحسن بن ابراهيم قائد قبيلة لمتونة الصنهاجية وأخوه أبو بكر ، والحكيم عبد الله بن ياسين ، تتأجج في نفوسهم المترعة بالايمان العزيمة والطموح ، ويستحث خطاهم أمل كبير فى أن يجددوا كيان الامبراطورية المغربية ويعيدوا مجد المغرب الأقصى من جديد . وانطلق معهم ثلاثة آلاف مجاهد ليخوضوا معارك طاحنة سجلت انتصاراتها ملحمة المرابطين الخالدة .



على ايقاعات الدفوف نرى الوانا من الفن الشعبى الذى يبهر الأنظار بما فيه من اصالة وعفوية !





لقطتان من واقع المهرجان السنوى الذى يقام فى قصر البديع

وخلال تلك المعارك لمع نجم قائد مقدام هو يوسف بن تاشفين . ولم يلبث أن تسلم أمرة المقاتلين ، ووطد أركان الدولة الجديدة وابتنى مدينة مراكش على حافة الصحراء المغربية الجنوبية ، وجعلها عاصمة لدولة لم تلبث أن تحولت الى امبراطورية عظيمة الشأن ، اتسعت واتسعت حتى شملت اسبانيا الأندلسية والشمال الافريقى والصحراء الكبرى . وانتقلت اليها ثقافة الأندلس ، وغدت قبلة لطلاب العلم ، وازدهرت جامعتها التى عرفت باسم الكتبية . وما برحت جدرانها الضخمة وأبوابها الكبيرة ومئذنتها الشامخة المشابهة تماماً لمئذنة اللا خِرالدا المعروفة حتى الآن فى قرطبة قائمة تذكر الزائرين بأمجاد دولة المرابطين ، مع مجموعة لا حصر لها من القلاع والقصور والمنشآت العسكرية الناطقة بالمناعة والمزودة بالمدافع القديمة التى تذكر السياح بأمجاد الغابرين وتحكى أخبار الملوك الذين تعاقبوا عليها ، عبر عهود المرابطين والمرينيين والسعديين والعلويين .

وكلمة مراكش تتألف أصلا من لفظتين أولاهما عربية هى – مر – فحل أمر من المرور



لقطة نادرة لطبيعة المكان ، حيث نرى النخيل ومن خلفه صومعة الكتبية التى اقيمت فى القرن الحادى عشر

والثانية هى - كش - وأصلها لفظة بربرية تعنى - بسرعة - فاذا ضمت الكلمتان صارتا (مر بسرعة) لأن الموقع فى أساسه كان موقع قطاع طرق .وقتلة خطرين ، يفترض بالعابرين خلال منطقتهم ألا يتباطؤوا فى العبور خشية التعرض للأذى

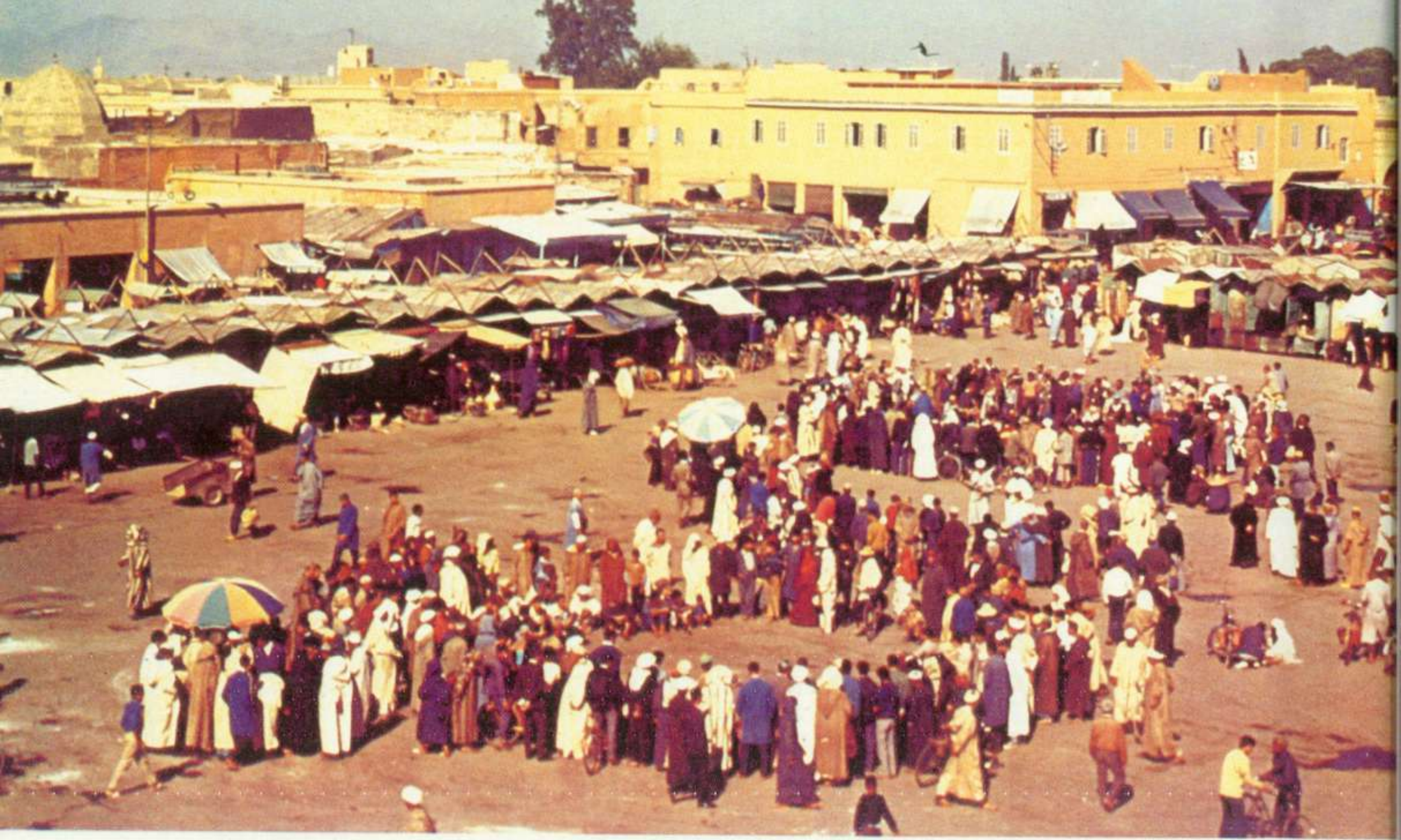
ومراكش اليوم تبدو منسجمة فى تكوينها البنائى .. فجميع مبانيها مطلية باللون القرميدى الأحمر ، مشكلة انسجاماً محبباً غدا تقليداً متوارثاً يشكل انسجاماً لطيفاً بين الأرض الحمراء ولون الدور . ومراكش كمعظم البلدان المغربية تتألف من قسمين أحدهما أوربى الطراز خلفه الاستعمار الفرنسى ، والآخر قديم يتسم بطابع مغربى أصيل ، كل معطياته توحى للزائر بأن الزمن يسير هاهنا متئداً غير لاهث ، وتهبه متعة فذة ... فهو يتعرف على الأوابد والمآثر العريقة الرائعة الجمال ، الناطقة بعظمة الفن المعمارى المغربى ، ويلحظ انتقال الثقافة والفن المعمارى الأندلسيين اليها حتى غدت قبلة لطلبة العلم .

والعجب العجاب فى مراكش أن منارة الكُتُبيَّة يراها السائح كيفما أقبل على مراكش ومن أية جهة تقصد قلب المدينة . وفى مراكش حتى اليوم وضواحيها تتعرف على قصور الباهية والســــلام والحمراء بأقواسها الأندلسية ومقرنصاتها ونقوشها وزخارفها الدقيقة الجميلة وبركها ومقاصيرها وحدائقها ، كذلك تتعرف قصر المنارة الناهض وسط غابات الزيتون والنخيل والليمون ، يطل على بحيرة اصطناعية بناها عبد المؤمن بن علي أحد ملوك الموحدين وجعلها بركة سباحة يدرب بها جنده ، وقد تحولت اليوم الى خزان ماء كبير يسقى ما حوله من بساتين نضرة ، وغير بعيد عن هذا القصر يقوم قصر تاريخى قديم آخر بين أدواح الزيتون وشامخات النخيل يدعى قصر أكدال وله كذلك بركة ماء كبيرة عميقة .

هايدبارك مراكش

وسط خضم سندسى مرصع بأشجار البرتقال والنخيل وبأنواع لا حصر لها من الورود والزهر ، راحت عربة مكشـــوفة (كوتشى) يجرها حصان تجتاز بى شارع محمد الخامس ، حتى أقبلت على ساحة كبيرة تزدحم بخلق كثير من جنســـيات لا حصر لها وقال محدثى المغربى المراكشى بلهجة تعبر عن الاعتـــزاز : هذه ساحة الفنا (بتسكين الفاء) وتستطيع أن تسميها هايدبارك مراكش ، وفعلا بدت لي ساحة عجيبة بل فريدة فى نوعها ومضامينها ومعروضاتها ومشاهدها ونوعية مرتاديها والعاملين فيها .. تزخر بالحركة منذ الصباح وحتى ساعة متأخرة من الليل ، وتعج بالصخب والمرح والرقص الفولكلورى والقصـــاصين والحـــواة والمشعوذين والمنجمين والمغنين ورواة سيرة بنى هلال وعنترة وأخبار الأولين ، ومروضى ثعابين مخيفة وسقائين بثياب تقليدية يحملون قرب الماء على ظهورهم ويعتمرون قبعات من القش تشبه القبعات المكسيكية مع شراشب وخيوط ملونة وزخارف تزينها ويقرعون طاسات نحاسية لدعوة الناس الى شرب الماء لقاء مبلغ زهيد . وكانت تهز سمعى قرعات طبول عنيفة قوية ذات ايقاعات افريقية صميمه . واتجهت لمصدرها أشق طريقى بصعوبة وعنقى مشرئب من وراء حلقة من المتفرجين والمتفرجات من جنسيات مختلفة ، فرأيت رجالا وصبية سوداً يرتدون ألبسة بيضاء يتواثبون برشاقة وحيوية ويهزون رؤوسهم بحركات متقنة على ايقاعات تلك الطبول العنيفة المزمجرة برفقة صناجات تصطفق متناغمة مع ايقاعات الطبول . ولاحظ المراكشى مرافقى نظرة التساؤل فى عينى فقال : هذه تدعى رقصة غناوة .. وهى فى أصلها رقصة كانت تقام لابعاد الأرواح الشريرة ومعالجة المصابين بأمراض العشق والوهم والصرع ، يؤديها زنوج أصلهم من غانا . ولعل لفظة غناوة - بتسكين الغين - تحريف للفظة غانا . وتركت رقصة غناوة بحركاتهـــا المروحيـــة واللولبية العنيفـة لأستعرض حلقات أخرى تتوزع بينها موائد المشويات والأطعمة الشعبية المغربية . فهاهنا حلقة يتوسطها شابان يؤديان دورين تمثيليين مرحين بلهجة مغربية صعبة الفهم إلا على من عاش طويلا فى المغرب ، وتلك حلقة يروى صاحبها لمن حوله قصة سيف الامام علي كرم الله وجهه ، ثم حلقات أخرى تتجمهر حول حاو يداعب حنشاً أو أفعى لهما فحيح يقشعر له البدن ويقف شعر الرأس ، ويتسارع وجيب القلب . وعلمت من مرافقى المراكشى المرح - والمراكشيون عامة يتميزون بالمرح والنكتة اللاذعة الذكية المهذبة التى تحار فى قبولها أو رفضها والغضب منها - علمت أن هذه الحلقات تعقد طوال أيام السنة كتقليد متوارث تتميز به مراكش الحمراء عن غيرها من مدن المغرب ، وبه تجتذب أعداداً هائلة من السياح الأجانب على مدار السنة.

ومن البديهى ، بعد هذه الجولة الواسعة المطولة فى ساحة جامع الفنا أن يعتريك الجوع وتجتذبك روائح الشواء .. حيث توجد أسواق خاصة له ذات أفران تقدم اليك لحم الخراف مشوياً بالبهارات



ساحة « الفنا » وهى فريدة من نوعها بما تضم من الوان مختلفة من الفنون الشعبية

المغربية والمقبلات المثيرة فتحتل مقعداً حول الموائد المشتركة وتطلب الشواء وتأكله بشهية ونهم ، مع الطاعمين .

بعد ذلك مضيت الى الأسواق العتيقة التى تتشعب من ساحة جامع الفنا وتغوص فى أعماق المدينة القديمة ..

أسواق ضيقة متعرجة ذكرتنى بأسواق بغداد والكويت والموصل ومصر القديمة والسوق العتيق بدمشق ، وأسواق حلب القريبة من القلعة وسوق الخضار ببيروت وشممت الرائحة نفسها .. الرائحة المطعمة بالتوابل التى كانت تصدم أنفى فى أسواق المشرق العربى . وأساليب العرض والمبيعات نفسها ، مع اختلاف المسميات .

وحدثنى مرافقى المراكشى أن هذه الأسواق شهدت زيارات عدد كبير من الشخصيات العالمية أمثال ونستون تشرشل زعيم حكومة المحافظين إبان الحرب العالمية الثانية الذى كان مولعاً بمراكش خاصة وكان يقضى بين ربوعها اجازاته ويرسم لوحاته وجاكلين كندى والامبراطورة التى غربت شمسها وشمس زوجها فرح ديبا ، وادوارد كندى وكثير غيرهم ممن كانوا ولازالوا يعتبرون عاصمة جنوب المغرب المجال الرحيب للترويح عن النفس والجو الموحى الأخاذ الذى تنفرد به جوهرة المرابطين عن غيرها من مدن المغرب .

غروب الشمس فى مراكش ظاهرة فريدة أخاذة

كانت الشمس تميل للمغيب حين صعدت الى برج فندق الرونسانس تاركاً رصيفه وموائده التى كان يجلس حولها خليط عجيب من المخلوقات البشرية المتباينة والمختلفة الجنسيات . من فتيات يرتدين المينى جيب المسرف فى القصر والمغربيات اللواتى يرتدين الجلابة البنفسجية أو البنية والقفطان المذهب والمينى قفطان ، ومغاربة يلبسون الجلابة ويعتمرون العمامة البيضاء البربرية – يسمون البربر هناك بالأمازيج – أو – الشلوح – وينتعلون البلغة الصفراء أو البيضاء ، هى الحذاء المغربى التقليدى الشائع حتى الآن ويصنع من جلد محلى يشتهر به المغرب ... ومن البيتلز والهيبيين بمظهرهم القذر الهامل ومشردى حى سوهو اللندنى ومونمارتر الباريسى ، والمثقفين الأفاضل والسياح الوقورين .

وانطلق بى المصعد الى – روف – فندق لارونيسانس – لأجد نفسى أمام مشهد مسائى أخاذ فذ وتسبح عيناى فى بحر لا حدود له من الخضرة المحيطة بمراكش الحمراء . كان المشهد أكثر من ممتع خلاب ، فثمة أكثر من مئة الف شجرة نخيل تنتشر فوق مساحة تبلغ ١٣ الف هكتار حول مراكش ، وثمة بينها عشرات الألوف من أشجار الليمون والبرتقال والزيتون والسرو والكاليبتوس ، تنبثق من خلالها عمارات شاهقة حمراء متجانسة تماماً فى اللون وأشبه ما تكون بطاقات ضخمة من الورود القرميدية اللون ترصع الشوارع الرحبة المتشابكة وسط البساط السندسى والمتجهة كلها نحو صومعة الكتبية ومسجدها . وفى المدى البعيد الى الشرق تسمو ذرى جبال الأطلس التى كانت الثلوج لاتزال تكللها منذ أيام الشتاء .. والتفت باتجاه الغرب غير البعيد فبدا لي تل العبيد الماحل الكالح المغبر أشبه بثؤلولة قبيحة وسط محيط أسر الخضرة . وخلف تل العبيد كان الأفق يصطبغ بالأرجوان ورقائق السحب تودع الشمس الغاربة فى حياء العذارى وتورد خدودهن .. فتنت بروعة المشهد ، وقلت لمرافقى المراكشى : حتى غروب الشمس عندكم يبدو ذا طابع فريد أخاذ . قلما تقع العين على مثيل له .

الفنون الفولكلورية فى قصر البديع

كان وقت وجودى فى مراكش متزامنا مع المهرجان السنوى الذى يقام فى قصر





مدينة مراكش تضيئها الأنوار بالليل لتعطيك صوراً وأخيلة متعددة لا تنسى !



الزى المألوف فى مدينة مراكش ..

وجه من الريف المغربى فى زيارة لمراكش أثناء الاحـ

مراكش
مدينة العلماء وفرسان الأندلس

البديع . وكانت بالنسبة لي فرصة من فرص العمر أن أشهد مهرجان الفنون الشعبية التاسع وهو الذى تنظمه عادة وزارة السياحة المغربية ، كل عام فى شهر مايو – أيار – لتعيش مراكش خلاله أياماً لا تنسى ، مترعة بالفن العريق والسحر والجمال والمرح .

هذا المهرجان – الفيستيفال – يحتفل به ربيع كل عام ، ويجتذب اليه أعداداً كبيرة من السياح ومحبي الفنون الشعبية العريقة المتنوعة الغنية فى معطياتها وموضوعاتها من كافة أنحاء الدنيا . يؤديه رجال ونساء مغاربة أقحاح قدموا من جميع انحاء المغرب وأريافه وجباله وصحاريه .. من أعالى الأطلس وبلاد الريف الشمالية والسواحل المغربية والسهول والسهوب .. يؤدونه مثلما كان يؤديه الآباء والأجداد على مر العصور فى أعيادهم وأفراحهم .

القصر البديع

النجوم ترصع السماء الصافية ، والقمر يطل من خلف جبال الأطلس البعيدة ، والجموع المختلفة الجنسيات تزحف الى القصر البديع العريق فى قدمه وذكريات مجده التليد وأسواره الشاهقة تغلفها مهابة القرون الغابرة .. وثمة كوكبة من الفرسان الامازيج بألبستهم البيضاء وعماماتهم الشبيهة تماماً بعمامات أهل اليمن وبواريدهم القديمة المحشوة بالبارود يستقبلون الوافدين عند مدخل القصر وقد اصطفوا على رتلين فوق خيول عربية أصيلة عنيفة متشنجة متواثبة لا تكاد تهدأ ورغوة الزبد تتساقط من أشداقها الملجمة .. ان هؤلاء الفرسان الأشاوس هم أحفاد الرجال المغاربة الذين أذاقوا الأسبان والبرتغال الويلات وجرعوهم كؤوس الهزائم ، زمن المرابطين والمرينيين والسعديين والعلويين.

وولجت باب القصر الكبير فطالعتنى ساحة مترامية الأطراف تحددها أسوار عارية متاكلة فى بعض أطرافها ، وبقايا قاعات وغرف وأبهاء ذهب البلى بسقوفها . ووسط الساحة وبين أشجار الليمون بركة كبيرة مستطيلة ذات رصيف يحيط بها ، تنغرس على جانبيه فوانيس زجاجية تنوس شموعها وتخفق مع نسمات الليل الحالم ، وفى قلب البركة العامرة بالمياه أقيم مسرح خشبي فسيح مفروش بالسجاد المغربى الصنع – ويسمى هناك زرابي – يشرف عليه مدرج يضم ألفاً وستمائة مقعد وبرجنى ثبت فى أعلاهما عدد من الأنوار الكاشفة ومكبرات الصوت .

النسيم الندى يمتزج بشذى عطور الحسان الوافدات ، وبرودة لطيفة منعشة تكتنف المدرج ، وصبايا مراكش السمراوات ساحرات العيون ، لبقات الحديث ، سريعات البديهة ، حاضرات النكتة يخطرن بقفاطينهن المذهبة والمفضضة المطوقة عند الخصور بنطاقات ذهبية مرصعة بالأحجار الكريمة الثمينة ... ونقيق ضفادع البركة الملحاح يختلط بلغط الرواد . وثمة فتيات وفتيان على المدرج يصفقون تصفيقاً ذا ايقاع أشبه ما يكون بايقاعات تصفيقات الخليجيين – وقد أذهلتني هذه الظاهرة – على بعد الشقة بين الخليج العربى والمغرب الاقصى ، وهو ايقاع يتميز بالمرح والقوة والتنوع .. ثم هدر دوى بواريد الفرسان معلناً بدء الحفل . وانبعث نغم متدفق متواصل مرتعش من بوقين تقليديين ، وتلاه زحف الفرق الفنية الفولكلورية على رصيف البركة بحركة استعراضية تمهيدية . ثم ساد الظلام والصمت خلا نقيق الضفادع .. وذبالات شموع الفوانيس التقليدية . ثم انبثقت حزمة من الضياء مسلطة من – بروجكتور – على رجل أبيض الثياب والعمامة ، وأطلق



شباك الصيد والصناعات الشعبية كثيراً ما تراها فى الاسواق القديمة المنتشرة فى المدينة ،وقد جذبت هذه الاسواق الكثير من الشخصيات العالمية !

صيحة مجلجلة جبلية ذات نغم يمور بالعنفوان والفرح وقوة الحياة ودفقها ، لكانما يريد أن يقول للحاضرين : مرة أخرى تتحقق المعجزة ، ومرة أخرى ستتشخص الحياة وتتجسد فى مولود يستعد لمواجهة نور الحياة ، فعلى الجميع أن يبتهجـوا ويفرحوا ، على الرغم من أن القدر شـاء للمرأة ـ كل امرأة ـ أن تضع مولودها وهى تتألم . فالحياة هكذا ، مزيج من الآلام واللذائذ والرخاء والشدة .

ـ الولادة : كانت أولى لوحات المهرجان تعبر رقصاتها وموسيقاها وأهازيجها عن فيض السرور لدى القوم ازاء مولد طفل جديد لهم ، فى عفوية وأصالة وروعة أداء وانسجام عجيب فى التأدية الفنيـة التعبيرية .. انه والحق يقال ، فن عريق ، أصيل ، صادق .

ـ اللوحة الثانية : ـ الختان ـ ها هو الطفل قد نما وترعرع ، وهو جميل قوى وجدير بالاندماج فى عالم الفتوة استعداداً للدخول فى مرحلة الرجولة ، وينبثق من صفوف المؤدين عدد من الفتية بقمصان حمر وسراويل بيض ، يحيطون بالطفـل ويدربونه على تصرفات الفتوة والرجولة ومظاهر القوة ، برقصات ووثبات فيها زخم الفتوة وطموحها وتطلعاتها ثم يزحف للمسرح موكب الصبايا وهن يحملن الرايات الزاهية والهدايا ، ويقابلن موكب الفتيان يتقدمهن الطبيب المطهـر « الخـاتن » وللختان فى المغرب تقاليد واحتفـالات لا تزال متبعة الى يومنا هذا بكل تقاليدهـا العريقة ـ ومن الرصيف المقابل يتقدم حشد من الرجال لانتزاع الفتى من أيدي النساء ، واعلان انتهاء مرحلة وصاية الأم عليه ، فتراه ينتفض ويرتعش ... فثمة برزخ يجتازه الآن بين مرحلتين ، وثمة وجل لديه من ولوج عالم الرجولة . وتتلقف الأيدي السمر القوية الفتى ، وتنفر الفتيات مبتعدات . ويبدأ الرجال برقصاتهم القوية النشطة على ايقاع الدفوف والمزاهير والمزامير ... ويشرع الفتى يحاكي هذه الرقصات ويتعلمها ، فهي رقصات قومه من الرجال وهى طقوسهم المتوارثة . وعليه أن يعيها ويجيد أداءها ، وعليه كذلك أن يتزود بالعلم ويقرأ ما يتيسر من أي الذكر الحكيم وللمرة الاولى سيضع العمامة ، رمز الرجولة على رأسه . ويتقدم ذووه منه ليتوجوا رأسه بها ، ثم تعلو دقات الدفوف وتهاليل النسوة وأهازيج الرجال ، وتنعقد حلقات الرقص ، وتتضوأ الألبسة الزاهية والأقراط والعقود ذات الطنين والبريق ، ثم تخبو الأضواء مشيرة لمرور الزمن ويسود الصمت لفترة تمهيداً للانتقال الى اللوحة الثالثة .

ـ اللوحة الثالثة : تنبثق حزمة من الضياء الى حيث تركنا الفتى على المسرح ، فاذا بها تكشف عن رجل قوي فارع الطول ، مفتول العضلات ، وتنبعث حزمة ضياء أخرى على الطرف الآخر من المسرح لتظهر العروس التي شاءتها الأقدار للرجل الذي عليه أن يتزوج الآن ويشيد بيتاً ويقيم أسرة ، وليسلم مكتسباته لمن سيولد من دمه . الخطيبة جميلة وتبدو رصينة خجلى في وجهها خفر العذارى ونضارة الصبا .

وتتقدم الفرق لتؤدى طقوس الفرح ، ويبسط الرجل ذراعيه لعروسه ، ثم يأخذ بيدها ويسيران معاً الى منصة عالية . وتتابع الرقصات والأهازيج بايقاعات فذة وعنف وأصالة أداء ... رقصات شعبية عريقة يعجز الوصف عن تحديد وقعها في نفس الرائى السامع ، ويشعر المرء ازاءها أنه فن أصيل ، عريق ، عفوي ، تلقائي ، لاتكلف فيـه ولا تصنيع ، ولا يؤديه راقصـون محترفون مأجورون ، بل أناس يجري حب الرقص فى دمائهم وعروقهم .. فن هو جزء لا يتجزأ من حياة هؤلاء الناس الريفيين والجبليين والصحراويين ، وركن أساسي من أركان حياتهم الاجتماعية يعيش معهم ويعيشون معه طيلة أيام العمر ، منذ نعومة الأظافير حتى الشيخوخة والهرم .

وينتهي المهرجان باجتماع الفرق كلها ، ويقف على المسرح أكثر من ثلاثمائة رجل وامرأة وفتى وفتاة وصبي وشيخ هرم انحدروا لمراكش من شوامخ الأطلس والريف والواحات ليعطوا بحفلة واحدة خلاصة تراث فني غني أصيل مغربي هو قمة في جماله ورفعته وعفويته .

وتترحل الفرق الفولكلورية الى قراها لتستأنف حياتها بين أهلها ، ويخلو القصر البديع من الأضواء والرواد وتهوم في جوه الوقور ذكريات أيام خالدات ماتعات ، ويتتابع نقيق ضفادع البركة الرحبة ، وترف طيور اللقلق من فوق أعشاشها على الأبراج العتيقة والصوامع ، وتسترسل الحياة في سيرها بانتظار مهرجان جديد في مثل هذه الأيام من الأعوام المقبلة .

انها أيام لا تنسى تلك التي عشتها في مراكش الحمراء عروس الجنوب المغربي ، وذاكرتي لم تزل تختزن ، على الرغم من مرور الأعوام الطويلة ، صوراً وأخيلة ذات نكهة خاصة تتميز بها مراكش عن سائر المدن المغربية الأخرى .

نزار مؤيد العظم



الفنان الكويتى محمد الدمخى

الوطن والبحر ولوعة الفراق

في لوحات فنان كويتي

بقلم: يوسف أحمد



الصياد .. لوحة من اعمال الفنان الكويتى محمد الدمخى الذى جعلته كلمات والده عن البحر ورحلات الصيد ينطلق ليعبر على الساحل بصخوره وامواجه وزرقة مياهه !

سيبقى الفنان الكويتى محمد الدمخى علامة بارزة وضاءة فى سماء حركة التشكيل الكويتى الحديث ، وسيظل جميع من يهوى النقد الفنى الحديث يتغنى بأعمال الدمخى وكيفية تاثيرها على المسار الفنى منذ أواخر الخمسينات وحتى منتصف الستينات .

فلقد شهدت مدينة الكويت القديمة يوم ١٥ فبراير ١٩٤٣ مولد فناننا محمد الدمخى فى فريق عبد الله بن عساف بعد عودة أبيه بثلاثة شهور من رحلة الغوص عن اللؤلؤ فى مياه الخليج ..

وبدأ الطفل ينمو ، ويترعرع بين أحياء الكويت الضيقة والملتوية ، ودرس عند المطوع كعادة أبناء الكويت زمان ، وتلقى قراءة القران الكريم والكتابة ..

وبالتدريج أخذت موهبة الرسم تقوى فى كيانه ، فأخذ يزين جدران منزله ومنازل أقاربه ، ويرسم على الورق كل ما يعتمل فى داخله من مشاعر وأحاسيس .. الى أن دخل المدرسة النظامية التى أتاحت أمامه الفرصة للتعرف على أدوات الرسم والألوان ، فبدأت العلاقة الودية تجمعه مع هذه الأدوات ، ليعبر عن كل الموضوعات التى تمنى أن يرسمها . فوق لوحات بيضاء !

وفى المدرسة وجد البيئة الخصبة والمناسبة لموهبته بتشجيع من أساتذته وزملائه ، وتدرج فى التعليم الى أن وصل الى ثانوية الشويخ ، فى نفس الوقت الذى كان فيه يتردد على المرسم الحر الذى أنشأته وزارة التربية والتعليم الكويتية ليكون مرتعاً للموهوبين عام ١٩٦٠ ، بقصد ممارسة النشاط الفنى فى الرسم والاحتكاك بالطلبة للاستفادة من ارائهم فى الأعمال التى كان ينجزها فى البيت ويجلبها معه



الغريق .. يد تبدو واضحة جلية تطلب
المساعدة من المراكب الشراعية البعيدة



احدى لوحاته التى تعبر ببساطة عن فتاة تلعب فى فناء دارها ،
وفى اللوحة نرى التناغم الواضح بين الخط والشكل واللـــون



تكوين .. من وحى الطبيعــــــة
بكل ما تزخــــر من الـــــوان



كانت معظم لوحات الفنان من وحى البيئة والحياة
القديمة .. واللوحة هنا لراعى غنم أمام بئر ماء !

للتحاور مع زملائه الملتحقين بالمرسم ومعرفة ارائهم فيها بصراحة !

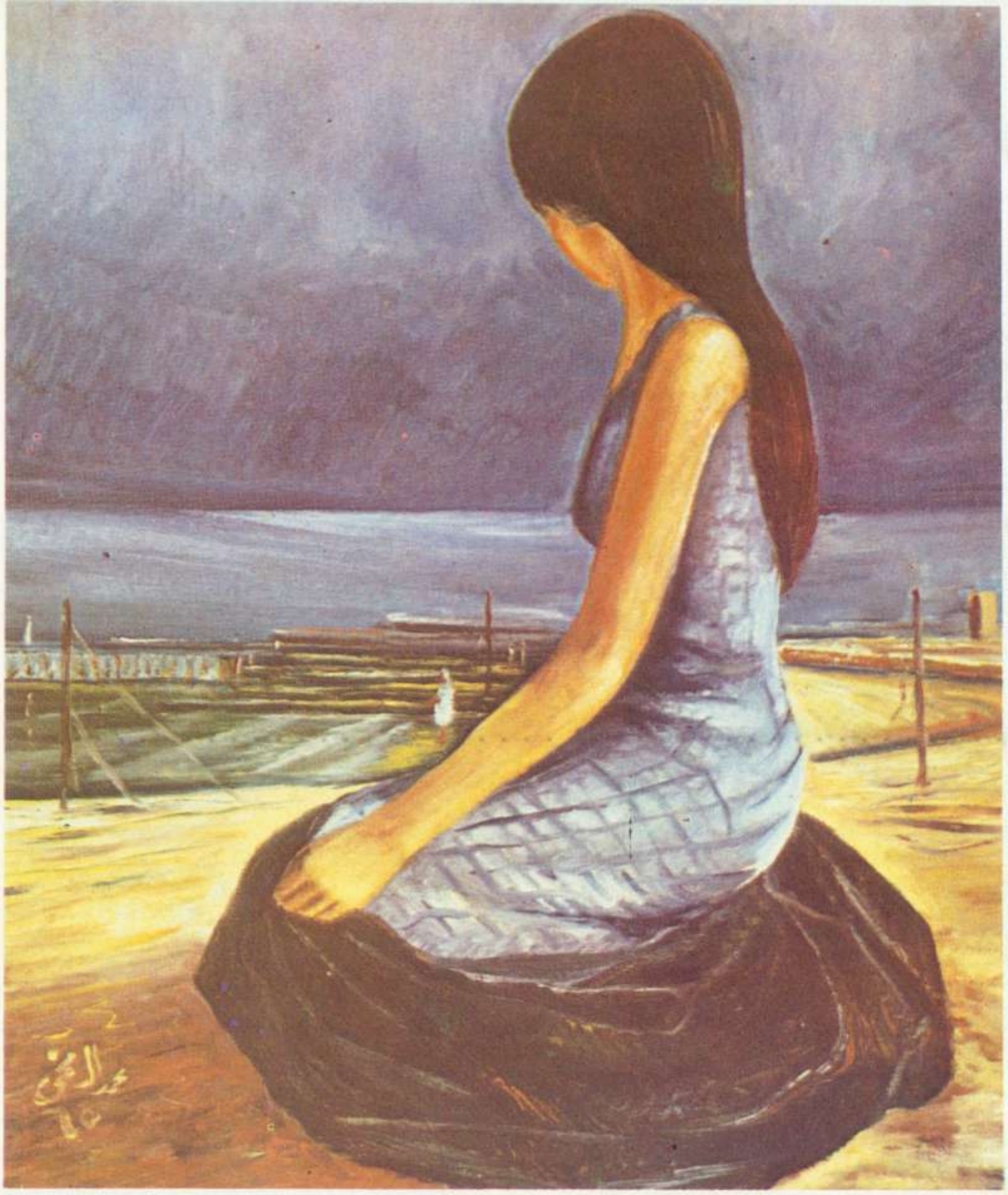
وقد كان الفنان محمد الدمخى بطبيعته خلوقاً مهذباً محباً لأصدقائه ، ويقول عنه صديقه النحات الكويتى سامى محمد أنه كان يتقبل النقد بصدر رحب ويحاول أن يطور أعماله من خلال اراء زملائه الجادة ..

وبسبب تعلقه بالحوارى الضيقة التى كانت تميز الكويت فى الماضى ومعايشته لها وقضاء معظم أوقاته على ساحل البحر متاملا لونه وسماءه وعواصفه وامواجه ، مخاطباً إياه بهمهمات تملأ عليه نفسه وتعمق أحاسيســـــه التى ارتبـــط بها عندما بدأت خفقات قلبه تنبض بالحب الصادق !

وبجانب هذه المشاعر نرى للفنان موضوعات تسجيلية قدمها فى لوحاته خاصة ما يتعلق منها بالصحراء والبحر مثل لوحات (صانع البشوت) والحراز (صانع الأحذية والحبال) ، (صائد الطيور) ، والحداق (صائد السمك) ، وبائعة الفول وغيرها من الموضوعات البيئية ..

وبعد ظهور قدراته الفائقة فى الرسم ، قرر أن يذهب الى القاهرة لدراسة الفن على أصول أكاديمية واعية ، وفى القاهرة حيث كليات الفنون وحيث المتاحف والآثار والمعارض المستمرة والفنانون أصحاب الخبرات العريضة والحضارات المتأصلة فى عهود غنية بالفن التشكيلى ، أمضى الدمخى المتعطش للمعرفة الشهور الأولى له فى القاهرة يتجول من متحف الى متحف ومن أثر الى اخر يقف الساعات الطوال متأملا وفاحصاً ودارساً هذه المآثر التى تركها الفنانون القدماء ..

وقد جمعته الصدفة بكلية الفنون



على الشاطىء .. حيث تستغرق الفتاة مع جمال الطبيعة التى تغنى بها فى لوحاته

الجميلة بأحد الأساتذة المهرة وهو الفنان المصرى المرحوم عبد الهادى الجزار ، الفنان العبقرى الذى مات فى ريعان شبابه أثر مرض خطير !

واستطاع أن يستفيد من هذه العلاقة فنياً ..

وقد غلبت على أعمال الفنان محمد الدمخى فى السنة الأولى لدراسته بالقاهرة البساطة والوضوح فى الأسلوب ، وذلك لايمانه التام بأن الفن لابد أن يكون لغة تفاهم بين الفنان والجمهور ، ولابد أن تكون هذه اللغة أيضاً مفهومة ومنطقية غير محيرة ، فقد اتخذ من هذه المقولة أساساً لبناء لوحاته الفنية !

إلا أن ما تلاحظه فى هذه اللوحات البسيطة الأسلوب هو صبغة الحزن ولوعة فراق الوطن والحبيبة التى كان ينزوى الى نفسه مخاطباً إياها بخواطر المحبين وعذاب الفراق ولوعته ، حتى جاءه من يخبره يوماً ما بزواجها فى ظروف لم تكن تخطر على باله فكتب ليقول لها حسب روايتها فى كتاب الفنان عبد الرسول سلمان عنه :

ـ « كنت أعلم أننا نصل أخيراً الى لحظة فيها نفترق ... وكنت أعلم أنها لحظة كالقدر لا يمكن أن نعد أنفسنا لها ... فانطلقت ، وحيدة ، وثائرة الى حيث لا أعرف ولا تعرفين وذكرياتنا ، وأحلامنا ، وخفقاتنا تبلورت جميعها فى كرة من الدم أخذت تغرق فى هدوء ...

وانطلقت حتى عبرت الشاطىء الآخر ، ناسية فى الضجيج المتعالى ، خفقات قلب شجاع صبور ...

وتزوجت .. فعذبنى أن يكون هناك من هو أكثر إخلاصاً لك منى هكذا وضع البعد غشاوة بينى وبينك ... » .

منذ هذه اللحظات المؤلمة أخذ اللون عند الفنان يتغير شيئاً فشيئاً الى الداكن ، أخذت الموضوعات المرتبطة بالحزن الانسانى العميق تطفو على سطح كل لوحاته ، وبدأت جميع عناصره التشكيلية تنعكس مع حالته النفسية متمثلة فى عدة لوحات بدأت بلوحة (وهبت العاصفة) الى لوحة (الفجر الحزين) !

ففى لوحته «وهبت العاصفة» نجد صورة لوجه فتاة تبدو عليها علامات الحزن والكآبة فى سماء ملبدة بالغيوم ، تنظر بحسرة الى قارب صغير جداً تائه فى أمواج البحر المتلاطمة لا يعرف تحديد مساره !

وفى لوحته « الغريق » نجد يداً تبدو واضحة جلية أمام اللوحة تطلب المساعدة من مراكب شراعية عبرت الأفق البعيد ، ولكن هذه الصرخة تدوى فى هذا الجو الرهيب ولا من منـاد ولا من منقذ لحالته التى وصل اليها !

وفى مرحلته الأخيرة صور بروعة بالغة وباحساس عميق صورة لتابوت فى مقدمة اللوحة ومن الجهة اليمنى صورة لشجرة جرداء انتهت منها الحياة ولم تعد تقوى على البقاء على هذه الأرض ، وجو أسود وسماء تبدو من الغروب فى احمرار شديد وهبوط دائرى يتجه الى الأعماق الدفينة !

لم يكن يتصور فناننا محمد الدمخى أن هذه اللوحة ستكون من اللوحات الأخيرة التى صور فيها بصدق كبير حالته المحزنة التى وصل اليها !

ولم ترحمه الحياة فقد بدأت اعـراض المرض تدب فى جسده وأصيب بنزلة شعبية حادة ، دخل على أثرها المستشفى ، وبعد ثلاثة أيام مات على سريره بين لفيف من أصدقائه الكويتيين الذين كانوا يدرسون معه ، وكان ذلك فى يوم السبت ٨ ابريل ١٩٦٧ م .

ونظراً لأهمية الفنان ومحاولة جمع شتات لوحاته التى أنجزها ، تقدمت الحكومة الكويتية لأسرة الفقيد بشراء جميع أعماله وهى الآن تنتظر المكان المناسب لعرضها أمام محبى الفنون ..

واننى إذ أحترم هذا الفنان فاننى أدعو جميع الأخوة كتاب الدراما فى التلفزيونات الخليجية ومؤسسة البرامج المشتركة بأن يتطرقوا الى قصته الانسانية والفنية ليراها المشاهدون فى الخليج ويعيشوا مع قصة كفاح وألم وموهبة .. من واقع الحياة !

يوسف أحمد

رواية إنجليزية تثير ضجة عالمية


هتلر


ايخمان

محاكمة هتلر

قصة روائى يتصور أن هتلر لم ينتحر وأنه اختفى فى أمريكا اللاتينية وأن اليهود استطاعوا العثور عليه فخطفوه وحاكموه .. وهذه هى أحداث الرواية المثيرة

بقلم : د . عبدالوهاب المسيري

الرواية التى بين أيدينا صدرت فى لندن عام ١٩٧٩ ، ولم تحدث ضجة كبيرة وقت صدورها ، ولكنها حينما تحولت الى مسرحية تعرض الآن على مسارح لندن ، فانها أصبحت حديث الناس وموضع سخطهم ومحط اعجابهم .

ومؤلف القصة والمسرحية هو عالم اللغويات الشهير جورج ستاينر الذى يعمل فى جامعة أكسفورد وله عدة دراسات عن موضوع اللغة والتراجيديا ، والترجمة ، وهى كلها دراسات تعد من الكلاسيكيات فى مجالها . ولكن الذى يهمنا فى هذا السياق هو ان جورج ستاينر مثقف يهودى ، وهو من هذا النوع الذى يعلن عن تعاطفه ، وأحيانا تأييده بل ولائه ، لاسرائيل دون أن يتخذ مواقف متشنجة .

وتأييد هؤلاء المثقفين لاسرائيل هو نتاج مجموعة من العناصر بعضها داخلى والآخر خارجى ، فهم يتخذون ما يتخذون من مواقف نتيجة للضغط الخارجى ، الاجتماعى والسياسى ، الذى تمارسه المنظمة الصهيونية العالمية والذى تمارسه أيضا الدول الغربية التى يعيشون بين ظهرانيها ، فهى دول تؤيد اسرائيل فى غالب الأمر دون تحفظ أو اتزان ، وترى ان مصالحها الاستراتيجية مرتبطة بمصالح اسرائيل . كما أن كون جورج ستاينر يهوديا يعنى أن لديه استعدادا داخليا كامنا للتعاطف مع أى حركة يهودية أو مدعية لليهودية . ولكن كما قلت مثل هؤلاء المثقفين لا يتبنون المثل الصهيونية دون تحفظ ، بل انه لمن الخطأ بمكان تسميتهم « صهاينة » ، ويمكن تسميتهم « بأصدقاء اسرائيل » . وهذا التمييز ليس أمرا أكاديميا ، وانما هو تمييز حقيقى له دلالته فهؤلاء المثقفون يمكن الدخول معهم فى حوار بشأن الصهيونية ذاتها ، كمثال

محاكمة هتلر

وكممارسة . وهو الأمر الذى يعد فى حكم المستحيل مع الصهاينة انفسهم . ولعل جورج ستاينر هو خير مثل على ذلك ، فها هو ذا فى روايته الجديدة يطرح تصورات وآراء تثير حفيظة الصهاينة ، وتبين أن « صديق اسرائيل » هذا ليس صديقاً « أزلياً » أو « مطلقاً » ، وانما هو ايضاً مثقف له ضمير أخلاقى وحضارى مستقل ، ولذا فهو على استعداد لمحاكمة الصهيونية ذاتها ، حينما تخرق القيم الاخلاقية والحضارية والانسانية .

ولكن يجب ان نقرر ابتداء ان هذه الرواية القصيرة ، نقل أ . هـ . الى سان كريستوبال ، ليست مجرد رواية سياسية محصورة فى نطاق الصهيونية ، وانما هى رواية ذات مجال بانورامى واسع ، تتناول عدة موضوعات بعضها سياسى والآخر فلسفى . ويمكننا القول إن الرواية تأخذ فى شكلها المباشر شكل « رحلة مغامرات » من النوع الشائع . فثمة شائعة تقول إن هتلر لم ينتحر وأنه لا يزال على قيد الحياة مختبئاً فى مكان ما فى أمريكا اللاتينية (كما فعل عدد كبير من الزعماء النازيين ، ومن بينهم ايخمان) . وتحكى الرواية كيف أن أحد اليهود الذين نجوا من معسكرات الاعتقال يؤمن بصدق هذه الشائعات ويقضى بضعة سنوات من حياته فى البحث عن أ . هـ . (ادولف هتلر) وفى اقتفاء أثره الى أن يتأكد من وجوده فى داخل أعماق غابات الأمازون فى البرازيل ، فيعد الخرائط والخطة اللازمة ويجند مجموعة من اليهود الاوروبيين والاسرائيليين الذين يؤمنون بنظريته لتعبر البحار والقارات ثم تخترق الغابات الى أن تصل البقعة المذكورة . وهناك تجد هتلر رجلا هرماً يعيش مع حارسين ، عندئذ يقوم أفراد المجموعة بقتل الحارسين ثم يحملون غنيمتهم البشرية الى سان كريستوبال فى البرازيل ، على أن يرسلوا به الى اسرائيل كى يحاكم هناك .

رواية مغامرات

الرواية اذن رواية مغامرات فى حبكتها (أو حدوتتها) مثل روايات شرلوك هولمز وأرسين لوبين ، ولكنها ولاشك اكثر من ذلك فهى أيضاً « رواية بحث » تتحول فيها الأحداث السطحية الى رموز مركبة وقضايا عميقة . فالبحث هنا يستمر لعدة صفحات وهو بحث يقوم به عدة أوروبيين فى مجاهل غابات الامازون المظلمة ، وهى فى هذا تشبه الرحلات ذات النمط الجوهرى المتكرر يترك البطل عالم التاريخ المألوف ليغوص فى الظلام وليواجه المجهول والشر (مثلما يحدث للسندباد البحرى فى رحلاته السبع ومثلما يحدث لمارلو فى قصة كونراد « قلب الظلمة ») . والبقعة التى يختبىء فيها هتلر توصف بأنها « جهنم الخضراء » ـ فهى جهنم التى يختبىء فيها الشيطان « فمياهها وصلت درجة الغليان » ، ورمالها المتحركة لا تظهر على أى خريطة ، وهى توصف بأنها أرض المستنقعات والهواء الكبريتى الجهنمى . فى هذه البقعة حينما يوقدون المصابيح يحيط بها الظلام الدامس ويلفها حتى يبدو وكان الضوء يتراجع تحت هجماته . وحينما تمطر السماء هناك فهى لا تمطر مطراً عادياً مثل الذى نعرفه ، بل هى تهطل كالشلالات السوداء التى تندفع لعدة أيام وليال ، تقتلع فى طريقها الأشجار السامقة وتحول التراب العطشان الى بحيرة يعلوها الزبد ، ولا يمكن لاى شخص أن ينجو فيها بحياته . حينما تمطر الدنيا فى هذه البقعة يتعاطى الهنود المخدرات حتى يسقطوا فى غيبوبة كاملة ، ولا تظهر بقعة واحدة من ضوء الشمس لعدة أيام ، بل إن الخفافيش التى تمتص دماء البشر ، والثعابين السامة والحشرات القاتلة تهاجم الانسان ، وتفتك به وتدمره أينما ذهب .

ولكن البقعة مع هذا توصف أيضاً بأنها « أقرب شىء الى الفردوس على الأرض » . فالانسان قد أصاب الاجزاء الأخرى بالبوار والخراب ـ فاقتلع الأشجار وشوه الغابات والقى فيها بالقاذورات . اما فى هذه البقعة فثمة أمثلة حية على الفردوس ـ الزهور اليانعة التى لا يعرف لها اسم ، مثل الذهب الحار ، أوراقها فى رقة خيوط العنكبوت ، يشع بريقها على حافة المستنقعات . والنجوم تندفع فى سكونها الى قبة السماء .

ولكن لماذا توصف البقعة بأنها جهنم والجنه ـ الجحيم والفردوس ، دار العذاب ودار الهناء ؟ لعل الروائى يود أن يرى البقعة كجنة تتحول إلى جهنم بوصول هتلر الثعبان لها . ولعله يرى أنها الجنة بسكانها الهنود الذين يعيشون فى وئام مع الطبيعة على عكس الانسان الأوربى الذى يحاول هزيمة الطبيعة وافتراسها ، ولعلها محاولة من جانبه ان يبين تداخل الحقيقة والزيف ، وهذا هو احد الموضوعات الاساسية فى الرواية .

والقصة كما قلنا « قصة بحث » ، ولكنه بحث لا يكلل بالنجاح ، اذ تبدأ القصة بأشياء واضحة أو شبه واضحة ، ومحددة أو شبه محددة . فنحن نعرف ان هتلر السفاح قد هرب الى غابات الأمازون واختبأ هناك ، وأنهم قد قبضوا عليه ، ولكن من البداية الى النهاية أو ما يشبه النهاية ـ ثمة خيط طويل متعرج ، فنعرف شيئاً من الحقيقة ثم نفقدها ، ونقترب منها ثم نبتعد عنها ، وما نكاد نمسك بالخيط حتى يفلت من بين أصابعنا . ولنأخذ هتلر ذاته ، هذا المركز الاساسى للرواية ، من يكون ؟ هناك أولا النظرية القائلة (التى يأتى ذكرها فى الرواية) أن هتلر قد احتفظ دائماً بشبيه له ، وانه حينما حانت اللحظة الحاسمة فان الذى انتحر هو الشبيه وليس هتلر ذاته . ولكن هناك دائما الاحتمال ان الشبيه هو الذى فر ، وان الذى انتحر هو الفوهرر ، ومن نصدق ؟ .

وثمة نظرية أخرى ، ترد ايضاً فى الرواية ، تقول أن هتلر كان فى واقع الامر يهودياً ، أو على الأقل تجرى فى عروقه دماء من اصول يهودية . وهذه النظرية الروائية لها أساس من الصحة فى التاريخ « ولذا فقد حرقت القرية التى ولد فيها أبوه » وحينما أصبح مستشاراً لألمانيا حرقت الأرشيفات فى قرية « لنز » بعد أسبوع من توليه ذلك المنصب . وشاهد المقبرة فى بوخارست ـ الذى كتب عليه اسم هتلر تحت نجمة داود . ادولف هتلر (وردت المعلومة الأخيرة فى الرواية ذاتها ، ولا ندرى هل هى من قبيل الحقيقة التاريخية ، ام من نتاج الخيال الخلاق ؟) . هل قتل هتلر كل اليهود لأنه كان فى واقع الأمر يهودياً حتى يصبح هو اليهودى الوحيد المتبقى ؟ « والا كيف تأتى له أن يفهم اليهود فهماً كاملا ؟ » .

هذه المقطوعات تتداخل فيها «الحقائق» المصمته ، بالنظريات المجردة ، بالشائعات التى لها أساس واه من الصحة ، بالأكاذيب التى ما أنزل الله بها من سلطان بالتأملات الفلسفية التى تخرج بنا عن دائرة الواقع المباشر لتدخل بنا فى عالم الانساق الفكرية ، بالأحاسيس الذاتية التى لا تتحمل الصدق أو الكذب لأنها مغرقة فى

الذاتية . من هو هتلر ؟ هل هو البديل ؟ هل هو جزار اليهود ؟ أم اليهودى الذى سأم اللعبة وقرر أن يفجرها وينهيها ؟ من هو هتلر ؟ .

رحلة الانتقام ؟

وما هو الهدف من رحلة الانتقام هذه ، الحدث الاساسي فى الرواية ؟ هل الغرض منها هو فعلا القبض على هتلر (أو شبيهه أو بقاياه) ان وجد ، لمحاكمته ؟ أليس من الأفضل الاحتفاظ باسطورة هتلر الذى ذبح الملايين من اليهود ، لأنه لو حوكم هتلر فانه قد يصبح انسانا أو مجرما عاديا ؟ وتوقيع القصاص عليه قد ينهى القصة أو القضية كلية وعند هذه النقطة تختلط الأمور فى عقل القناصة اليهود ، ويقترح احدهم اطلاق سراح هتلر والاحتفاظ بالاسطورة .

ونحن لا نعرف عن هتلر الا من خلال الآخرين ، فهو يصبح « جزاراً » أو شيئاً بعيداً نسمع عنه . فى البداية يشيرون الى الجزار الأكبر الذى يشير باصبعه الى الثعبان فيولى الثعبان مذعوراً . يشع من عيونه بريق غريب ، وتتحرك شفتاه أثناء نومه وكأنه لا يزال يدلى باحدى خطبه الشهيرة للجماهير الألمانية – وكأنه الساحر الذى ينيم الجماهير ثم يملى عليها إرادته . نعم هذا هو هتلر ، ولكنه بعد القبض عليه يصبح واحداً منهم – بل انه يحميهم فيحذرهم من الخفافيش ماصة الدماء ، ويكون بمثابة المرشد لهم فى الغابة وحينما يسقط من البطانية التى يحملونه فيها يضحك الجميع سوياً على ما حدث . وحينما يصاب احدهم بالحمى يرشدهم الى كيفية تمريضه ، بل ويساهم هو نفسه فى ذلك . ومن أطرف الاحداث فى الرواية – حادثة تنكو الهندى الذى يراقب هـــذه المجموعة من الرجال البيض التى تحمل رجلا ، فلا يرى فيه سوى رجل عجوز ، مثل رجال قبيلته من الكهول الذين يجلسون على مشارف الأبدية . ولذا « ذهب الهندى مباشرة الى حيث كان هتلـر منحنياً فوق ظله . فانحنى امامه ووضع هديته عند أقدام العجوز . اذ انه يعرف انه لابد من تكريم الكهول ، وان الذين بلغوا من العمر عتياً ، مثل هذا الرجل المنحنى القامة ، أثمن من الأحجار الكريمة . فتقدم اليه قائلا : « أيها الرجل القديم ، فلتوص أرواحك بى خيراً » . وحينما يسمع هتلر صوت الموسيقى لأول مرة بعد مرور ثلاثين عاماً ، فانها تشجيه ويطلب سماع المزيد ، ولكن قناصيه يرفضون ، وكأنهم هم ممثلو الشر فى هذه العلاقة ؟ وهكذا تختلط الحقيقة مرة أخرى فى شخص هتلر ذاته ، من هو الجزار ؟ ومن الضحية ؟ » .

مجموعة من الأضداد

والقصة تتكشف احداثها من خـــلال مجموعة من الأضداد ، أوروبا فى مقابل الغابة ، والحضارة فى مقابل الطبيعة ، والزمان فى مقابل اللازمان ، من موقع جريمة هتلر الى موقع يخلو من الجرائم . ولا يروى القصة شخص واحد ولا عـــدة أشخاص وانما يلجا الكاتب الى عدة وسائل قصصية ، فنعرف الشخصيات إما من خلال الحوار أو من خلال مختارات من مذكرات كتبتها احدى الشخصيات ، أو حتى من خلال اســـــــتجواب . ومعظم الشخصيات هام على مستوى الحــدوتة المباشرة ، ولكنها ايضاً شخصيات ذات دلالة سياسية ، ثم هى اخيراً نمـــاذج انسانية لا يمكن ردها الى مستوى القصة المباشر أو حتى الى المستوى السياسى الأقل مباشرة . ولناخذ « لايبر » اليهودى ، الذى اقتفى أثر هتلر ووضع الخريطة التى اهتدى بهديها القناصة ورسم الخطة التى اتبعوها ، فلناخذه ، كمثال على ما نقول . نحن لا نقابله مباشرة طيلة الرواية ، وانما نعرفه من خلال الشخصيات اليهودية الأخرى التى تتحدث عن حقده واصراره ، وتتحدث ايضاً عن عذابه فى معسكرات الاعتقال ، هذا العذاب الذى حوله الى شخصية متعصبة لأقصى حد ، مستوعبة استيعاباً كاملا فى أهدافها . ولذا فهم يرون أن لا وجود لهم خارج تصوراته واحلامه وأوهامه ، وهم يظنون أن « لايبر » لابد وان يكون فى انتظارهم بعد نجاح مهمتهم ، ولذا فهم يرسلون له الرسائل عن طريق اللاسلكى دون أن يتلقوا اية إجابة ، اذ يبدو انه قد مات . ومع هذا فيوجد فصل كامل عبارة عن اشارة لاسلكية يرسلهـــا لايبر (بعد موته الذى لم يعـــرف بــه الآخرون) يخبرهم فيها بما يجب ان يفعلوه مع هتلر ، وكان روحه تستمر معهم فى مهمتهم حتى بعد فناء الجسد : «وصلت الرسالة . هل تسمعوننى ؟ لا تدعوه يتكلم ، أو فليتكلم بضعة كلمات وحسب . أن يعبر عن حاجته ، أن يقول ما يبقيه على قيد الحياة . ولكن ليس اكثر من هذا .. ان رأيتم فيه رجلا عجوزاً ، تبلله المياه حين تسقط الأمطار ، يرتعد حتى العظام .. إذن سينتابكم الشك ، ستظنون انه مثلنا انسان وانه لم يرتكب ما ارتكب من جرائم . اسمعوا الى ما أقول . انى أناديكم ، هل تسمعوننى ، كمموه إن استطعتم فهو يرتدى قناعاً انسانياً . اخبرونى أنكم لازلتم تذكرون . جيكوب كابلان ، مؤلف تاريخ الفكر الجبرى فى شرق أوروبا ١٦٨٠ – ١٦٥٥ ، الذى فرض عليه أن يرقص على جثة ، فى وايت سبرنج ، أوهايو ، راشيل تادلمان ، التى تستيقظ كل ليلة ، فمها مبلل بالعرق لأنه منذ واحد وثلاثين عاماً مضت سحبها ثلاثة كلاب ، من الحرس الخاص».. ثم يمضى فى ذكر أسماء الضحايا دون أن يكمل جملة ودون أن يقص قصصهم كاملة ، فالمهم هو التذكر ، تذكر اسم الستة مليون ضحية ، وهو تذكر يتخطى الكلمات ، وقد ختمت الرسالة كما يلى :

«هذا لايبر ينادى
هذا لايبر
هذا» .

ونحن نعرف أيضاً الضابط الروسى نيكولاى ماكسيموفيتش جروزديف الذى تم استدعاؤه لموسكو لاستجوابه بخصوص ما يعرفه عن نهاية هتلر ، إذ يبدو أن هذا الضابط السوفيتى سيء الطالع ، كان ضمن القوات السوفيتية التى اقتحمت معقل هتلر الاخير . وقد عبر عن شكوكه فى حينها – فى واقعة انتحار الفوهرر ، فارسل الى معسكرات العمل معظم سنوات حياته الى أن غير موقفه وتبنى الخط الرسمى .. ولكن بعد أن بدأت الاشارات اللاسلكية من القناصة اليهود تخرج من الأمازون . يبدو أن الخط الرسمى ذاته يهتز . ولكن ماكسيموفيتش جروزديف كان قد تلقن الدرس ، ولذا فهو يخبر مستجوبيه انه الآن على استعداد ان يقول أى شيء يطلب منه .

وفى الحديقة العامة يقترب الضابط الكهل المتقاعد من احدى الطيور ، هو الذى يحمل فى «عظامه ذكريات الأحياء الموتى» ، هو الذى عذب كى ينكر ما يعرف . ليضحك بصوت عال ويقول : «– هتلر إذن لايزال حياً ؟

انحنى ، قائلا الكلمات للعصفور ، وكانت عيون الطائر الباهتة تلمع على بعد عدة بوصات من قدميه . وظل يكرر الكلمات همسة جامحة حتى طار العصفور بعيداً» .

وهناك الكاتب الانجليزى ، السير رايدر الذى كتب كتاباً موثقا عن كل لحظة من أيام هتلر الأخيرة ولكنه هو الآخر اخذ يشك فى نظريته . وهناك وكيل وزارة الخارجية الأمريكية الذى نعرفه من خلال حديث صحفى ، وكيف يميع الأمور كلها ويخفيها

محاكمة هتلر

باستخدامه المصقول للغة . وهناك البيروقراطى الفرنسى الذى يعشق النظام ولا ينطق إلا بالصيغ الجاهزة (المسيو كلشيه) . والطيار الأمريكى الذى يود أن يحرز سبقا صحفيا «يبيعه» لوكالات الأنباء .

ولكن هناك أيضا البروفسور جرفينس روتلنج ، المحامى الألمانى ، الذى تخصص فى الجوانب القانونية لقضية هتلر ، وقد جعل كل همه أن يجد أرضية فلسفية راسخة يمكنه انطلاقا منها ، أن يحاكم هتلر فى محكمة عادية وليس محكمة خاصة ففكرة المحكمة الخاصة ـ فى رأيه ـ فكرة تتنافى مع روح القانون ذاتها ، روح القانون التى قتلها هتلر ثم مثل بها . هو يبحث عن شىء من الثبات ولذا فهو يعشق الموسيقى ، فالموسيقى حسب تصوره تنجح فى خلق زمانها الخاص المختلف عن الزمان التاريخى ، إنها تخلصنا من ثعبان الماضى والحاضر والمستقبل الذى يزرع فينا عند الميلاد ولا يتسلل منا إلا عند الموت . وهناك الهندى تنكو والقناصة اليهود أنفسهم الذين نعرفهم واحداً واحداً عن قرب . اننا هنا فى حضرة الجنس البشرى على وجه العموم ، والحضارة الغربية على وجه الخصوص وهى الحضارة المسئولة عن الجريمة النازية ، كما تقول الرواية .

ليس جزاراً فقط !

والشخصيات كلها تكشف لنا عن شىء من الحقيقة ، كل من وجهة نظرها ، ولكن نظراً لتعدد وجهات النظر نجد أن عمليات الكشف المختلفة تتضارب ، وبدلا من أن تتعمق الرؤية نجدها تتهالك وتتآكل وتكاد تختفى كلية . وتستخدم الشخصيات لغات وأساليب مختلفة ، الأمر الذى يثير قضية فى غاية الخطورة وهى مدى جدوى اللغة كأداة للتعبير ، وهذا هو احد الموضوعات الأساسية فى الرواية . والمؤلف كما قلنا عالم لغة ، ولذا فالموضوع ولاشك يشغل باله ، وهتلر بالنسبة له ليس مجرد جزار اليهود بل هو أيضا القائد الذى نجح فى تحويل الكلمة من أداة للتعبير الى أداة للتدمير ، هو الذى أفسد اللغة ، تماماً كما أفسد تعذيب الضابط الروسى لغته فلم يعبر عن ذاته وإنما عن الخط الحزبى إياه تماماً كما فعل وكيل الوزارة الأمريكى الذى استخدم كلمات عديدة معسولة لبيرالية ديموقراطية ولكنه فى واقع الأمر لم يقل شيئاً . ولأن اللغة فاسدة نجد أن «لايبر» يحذر القناصة من الاستماع لحديث هتلر هذا الذى يعرف «نحو جهنم» . ويصغى البروفسور روتلنج للموسيقى عساه أن يصل للغة تعبيرية جديدة تقهر الزمان والفساد وتتخطى الحدود ـ لغة مبنية على التناسـق ـ « هـذا المحك النهائى لارستقراطية الانسان» .

وكما قلنا من قبل لا ترد الأحداث فى الرواية حسب ترتيبها الذى تقع فيه ، وإنما يخضع ترتيبها لمنطق الرواية الداخلى ، فتبدأ القصة لا مع بداية الأحداث ، وإنما مع أهمها ـ لحظة العثور على هتلر . وتبدأ الرواية على هذا النحو (وهذه كلمات فتى صغير كان ضمن القناصة اليهود) .

«ـ أنت !

الرجل العجوز يرخى شفتيه :

ـ أنت . أهو حقا أنت ؟ بحق السماء انظر الى نفسك الآن ، انظر الى نفسك . أنت . هذا الذى خرج من الجحيم ...

إنك حقا هو . أليس كذلك . ها نحن قد أمسكنا بك ... سيعرفك الجميع . كل العالم ولكن ليس بعد . إذ يجب أن نخرج بك من هنا . أنت فى أيدينا ، فى أيدينا . أنت تعرف ذلك ، أليس كذلك ؟ لقد أسلمك الله الى أيدينا . وها أنت ذا تتحقق .. لم تلزم الصمت الآن ؟ يا من صوته .. يقولون ان صوتك كان قادراً على ـ لم يكن الصبى قد سمع هذا الصوت قط .

ـ ان يحرق المدن . يقولون انك حينما كنت تتحدث . كانت تتحول أوراق الشجر الى رماد وكان الرجال يذرفون الدموع . يقولون ان النساء حينما كن يسمعن صوتك صوتك وحسب ، ان النساء حينما كن يسمعن صوتك . ثم توقف . كانت آخر امرأة يرونها على ضفاف نهر جيارو ـ على بعد عدة مستنقعات ـ لا أسنان لها ، جالسة القرفصاء بجوار البركة الخضراء ولم تلوح لهم .

ـ كن يمزقن ثيابهن ، لمجرد سماع صوتك ثم تملكه الغضب .

ـ لم لا تتحدث ؟ لم لا تجيب على ؟ سيرغمونك على الكلام ، سينتزعون منك الكلمات انتزاعاً . أنت فى أيدينا . نحن نمسك بك . بعد ثلاثين عاماً من محاولة اصطيادك . كابلان قد مات . وكذا فايس وآسل . بلى ، انك ستتكلم . حتى تنزع الجلد عن جسمك . وعن روحك .

كان الصبى يصيح الآن . يمتص الهواء ويصيح . نظر الرجل العجوز اليه وأغمض عينه ثم فتحها بسرعة وقال :

ـ أنا» .

يبدأ الفصل الأول بسؤال ، تتبعه عدة جمل معظمها غير مفيد أو ناقص ، كما أنه ينتهى بسؤال ؟ والسؤالان هما فى واقع الأمر سؤال واحد وكان الروائى يريد أن يربط ـ من البداية ـ بين الصيد والصياد وبين الفريسة والمفترس وبين هتلر واليهود .

الجريمة والقصاص

والرواية هى محاولة للوصول الى حقيقة ما ـ الذات الهتلرية واليهود ، أو الجريمة والقصاص ، أو التاريخ والأسطورة ولكننا لا نصل الى أى اجابة قاطعة أو غير قاطعة . وحينما نصل الى الفصول الأخيرة تتشابك الخطوط والموضوعات كلها إذ يقرر القناصة أن يعقدوا محاكمة هتلر على الحدود الفاصلة بين الأضداد المختلفة ـ الغابة والتاريخ ، والزمان واللازمان . وهم يقررون محاكمته بأنفسهم خشية أن يقع فى يد الحكومة الأمريكية أو الروسية أو الانجليزية أو غيرها من حكومات الأغيار (أى غير اليهود) فيحاكمونه على طريقتهم هم ، من وجهة نظرهم هم ، ثم يصدرون عليه الأحكام ويوقعون عليه القصاص ـ وكأنه مجرم عادى وبذا تضيع دلالته وتزول الأسطورة .

يعد القناصة العدة لمحاكمة هتلر ، فيعينوا من بينهم مدعياً ليقرأ الاتهام ومحامياً للدفاع عنه وشاهدين ، أحدهما تنكو الهندى الذى يضع كرسيا ليجلس عليه المتهم . ثم يعينون واحداً منهم قاضياً ليدلى بالحكم .

ولكن تحدث المفاجأة الكبرى فى هذه الرواية التى تتناول موضوع عدم جدوى الكلمات أو حدودها الضيقة ، إذ يتدفق صوت هتلر مدافعاً عن نفسه وكأنه الرعد أو السيل ، أو أذكر ما شئت من عناصر الطبيعة التى لا يمكن لأى كائن أن يوقفها ، حتى يصبح المتهم وكأنه هو القاضى الذى

يحاكم قضاته وكأنهم هم المتهمون . والفصل الأخير هو دفاع هتلر الذى سنترجم أجزاء طويلة منه ، فهو أهم أجزاء القصة وأكثرها دلالة بالنسبة لنا كعرب . وسنكتفى بالتعليق من أونة لأخرى . يقول هتلر دفاعاً عن نفسه :

«إرستربونكت (أى النقطة الأولى) لأنه يجب أن تفهموا اننى لم أخترع ـ لم يكن الجنس المتفوق من بنات أحلام أدولف هتلر ، الذى كان يحلم باستبعاد الشعوب الأدنى . أكاذيب . أكاذيب .. لقد تعلمت قوتكم الخفية هناك . قوة تعاليمكم الخفية . تعاليمكم أنتم . شعب مختار . شعب اختاره الله لنفسه . العرق الوحيد المختار على وجه الأرض ... وجعله الله فريداً دون كل البشر» .

ثم يقتبس هتلر من العهد القديم ، ويشير خاصة الى بطولات يشوع بن نوع ، بطل قومى / دينى يتواتر ذكره فى الكتابات الصهيونية ، الذى حرق المدن وخربها كلية وأباد سكانها ـ كل سكانها ، نساء ورجالا وأطفالا ، حتى الحيوانات ، هى الأخرى أبيدت بحد السيف ، ولذا فهتلر يرى أن كتاب اليهود المقدس تفوح منه رائحة الدم . ثم يضيف قائلا : «لقد تعلمت أن أى شعب لابد وأن يكون مختاراً كى يحقق مصيره ، والا يكون هناك أى شعب آخر فى نفس مرتبته : الأمة الحقيقية سر دفين ، جسد واحد خلقه الله بارادته ، وخلق دمها الطاهر ، خلقها سر الارادة والاختيار . أن تهزم أرضها الموعودة تستعبد كل من يقف فى طريقها ، وأن تعلن نفسها خالدة أبدية» .

ومن الواضح هنا أن المصطلح الذى يستخدمه هتلر يذكر المرء بالمصطلح الصهيونى ، وهو يعتقد أنه يتحدث عن الدين اليهودى ، ولكن اليهودية من هذا براء . ولكن مع هذا يجب أن نتذكر أن هتلر والزعماء النازيين ، قد عرفوا ما عرفوه عن المسألة اليهودية من خلال الكتابات الصهيونية التى كانت شائعة فى ألمانيا فى ذلك الوقت ، وهذا ما ذكره معظمهم أثناء محاكمتهم فى نورمبرج . ثم يستطرد هتلر قائلا : «لم تكن عنصريتى سوى تقليد هزلى لعنصريتكم أنتم ، تقليد جائع . ماذا يكون الرايخ الذى سيدوم ألف عام بالقياس الى صهيون الأبدية .. فلتصدروا حكمكم علي ولكن يجب أن تصدروا حكمكم على أنفسكم كذلك ـ أيها المختارون» .

والنقطة الثانية التى يثيرها هتلر هى نقطة فلسفية ، فهو يتهم اليهود بأنهم هم الذين اخترعوا فكرة الاله المفارق

يتهم هتلر اليهودية بانها أرسلت كذلك كارل ماركس بنزعتـــه الطوبـاوية التبشيرية بعالم جديد خال من الطبقات . ان اليهود بهذا المعنى قد زرعوا ميكروب اليوتوبيـــا فاليهودى كالنمو السرطانى الذى يجب استئصاله ، ومن هنا كانت ضرورة الحـل النهائى . ووجهة النظر التى يفصح عنها هتلر هنا هى وجهة نظر نيتشوية . ولكن لعل هتلر كان لا يعلم ان الصهيونية ذاتها فلسفة نيتشوية نخبوية حتى النخـــاع لا تؤمن لا باخلاق الضعفاء ولا بالعدالة ، كما أن إلهها ليس إلهاً مفارقاً ولا متسامياً ، فهو إله وثنى متجسد فى دولة إسرائيل . بل ان الصهيونية فى انتقادها لشخصية يهود الدياسبورا (الشتات) لتقترب الى حد كبير من وجهة نظر نيتشه فى انتقاده للمسيحية ومن وجهة نظر هتلر ذاته فى انتقاده لليهودية . واذا كان هتلر طرح الحل النهائى (أى التصفية الجسدية) بالنسبة لليهود وكاد ينجح فى انجازه ، فان الصهيونية هى الأخرى تهدف الى تصفية يهود المنفى تصفية كاملة بترحيلهم الى اسرائيل حيث يتخلون عن دورهم التقليدى ويصبحون أقوياء لا علاقة لهم بفكرة العدالة ويتخلون عن الله المفارق المتسامى ويعبدون العجل الذهبى الصهيونى أى دولة اسرائيل .

ثم بين هتلر ان ما فعله قـــد قـــوبل بالترحيب الخفى من الدول الأوروبية ، ويلقى فى وجه محاكميه ببعض الحقائق عن الحضارة الغربية ككل : « انا لم اخلق القبح ، ولم أكن اسوأ القبحاء . بل ان الأمر أبعد ما يكون عن ذلك . كم عدد التعساء الصـــغار الذين قتلهم اصدقاؤكم (المستعمرون) البلجيك فى الغابات ـ إما بشكل مباشر او بتركهم يموتون جوعاً او من مرض الزهرى حينما اغتصبوا الكونغو ؟ اجيبوا على يا سادة . أم يجب على أن اذكركم . عشرون مليون . هذه النزهة الخلوية كانت قد بدأت وانا بعد فى المهد صبياً ؟ . فى لعبة الأرقام السوداء لست اسوأ اللاعبين » ثم يؤكد هتلر أن ستالين قد ارتكب جرائم تفوق جرائمه هو كيفا وعدا .

أكثر النقاط أهمية

والنقطة الثالثة والأخيرة التى يثيرها هتلر هى أكثر النقاط أهمية ، فالنقطتـــان الأولى والثانية تشيران الى الصهيونيـــة بشكل غير مباشر ، أما الثالثة فهى واضحة ومباشرة :

« هذا الكتاب الغريب المسمى الدولـة اليهودية (كتـــاب هرتزل وانجيـــل الصهيونية) قراته بعناية بالغة . ان كلماته جاءت من أعمـــاق بســـمارك (والعسكرية البروسية) اللغة ، الأفكار ، وحتى النبرة ذاتها . انى اتفق معكم انه كتاب ذكى . صاغ الصهيونية على شـاكلة الأمة الألمانية الجديدة . ولكن من الذى خلق اسرائيل ـ هرتزل أم أنا ؟ انظروا الى السؤال دون تحيز ؟ هل كان من الممكن أن تصبح فلسطين اسرائيل .. دون مذبحـة الابادة التى قمت بها . ان مذبحتى هى التى اعطتكم شجاعة الظلم التى جعلتكم تطردون العربى من منزله وحقله .. لأنه كان يقف فى طريقكم. هذا هو الذى جعلكم قادرين على تحمل معرفة أن هؤلاء الذين قمتم بطردهم، يجلسون يكاد يأكلهم العفن فى معسكرات اللاجئين ، على بعد أقل من عشرة أميال ، مدفونين أحياء فى باسهم»

«ما لم يدركه هتلر ان تخطيط الابـــادة الصهيونى ضد العرب يسبق مخططه هو ، وان التصور الصهيونى لأرض فلسطين على أنها أرض بلا شعب كان يحمل فى داخله كل امكانيات إفناء العرب» . ثم يختتم هتلر المرافعة بهذه الكلمات :

« ايها السادة اعضاء المحكمة . لقـــد اخذت عقائدى منكم .. ان جرائم الآخرين فاقت جرائمى . ان الرايخ هو الذى ولد اسرائيل . هذه هى كلماتى الأخيرة .. فى وسط التردد وعدم اليقين تظل الأمور معلقة حتى يحين وقت كشف كل الأسرار » .

وهنا تنتهى مرافعة هتلر « التى لم يفهم كلماتها تنكو ، وانما أدرك معناها وحسب » أى أنها مرافعة من القوة واليقينية الى درجة أن معناها يصل الى الآخرين متخطياً الكلمات ، ولا يجيب القضاة ولا منـــدوب الاتهام على هتلر ولا يلقى المحامى بدفاعه . هل هذا يعنى ان المتهم قـــد أفحمهم جميعاً ؟ هل هذا يعنى انه لا يوجد دفع لما يقول ؟ لا ندرى ، ولا يحسم الروائى القضية ، اذ تنتهى الرواية بالعالم الخارجى يحدق بالقضاة والمحامى والمتهم . وتضيع الكلمات (وربما الحقيقة ايضاً ؟) فى ضجيج المحركات اذ نسمع صوت طائرة ثم أخرى ...

د . عبد الوهاب المسيرى

اتجاهات جديدة

في القصة السكندرية القصيرة المعاصرة

بقلم : الدكتور محمد مصطفى هدارة

في الجزء الأول من تحليل الدكتور « هدارة » للقصة السكندرية القصيرة المعاصرة ضمن الاتجاه القصصي ذي النزعة السرياكية ، المعتمد على تيار الوعي واسقاط السرد والحكاية ونموذج الشخصية الانسانية ، واستخدام عقل شخصية أو أكثر في انارة الموقف والشخصيات ، واستخدام لغة مشحونة بالرموز والدلالات .. أبرز الدكتور هدارة ما يشترك فيه الموغلون في هذا التيار من القصاصين السكندريين المعاصرين ..
ويواصل الدكتور هدارة تحليله بدءاً بالدور الذي يلعبه الرمز عندهم ..

يتأثر محمد حافظ رجب في رموزه بالخرافة حين يجعل الأشياء تتكلم وتفكر كالانسان ، بل نرى شخصياته دائماً داخل (الأشياء) . وهم يتحولون أحياناً إلى (أشياء) ، ولكنها زاخرة بالحركة والفكر والحياة . إنه يشعر دائماً بالاحتواء ، فالحمار يتكلم ، ثم يعود للحياة بعد ذبحه (٥٥) . و (فوجيء بالرجال المكاتب وقد ظهرت لهم أرجل خشبية زائدة ، كل واحد صار له ٤ أرجل ، وفي داخل قلبه ثقب لمفتاح يدور » . ثم جسم المعنى الرمزي بعد ذلك حين قال : « انتزع أوراق مكتبه من ثقب قلبه وحمل الدرج وألقى به من النافذة ، وابتلع المفتاح ، وحمل المكتب إلى نجار قريب : الآن سأقطع الأيدي الخشبية والأرجل الملتصقة بالغراء » ، ولا عجب بعد ذلك حين يطلب طعاماً للدرج والمكتب والمفتاح ، ولا عجب أيضاً (حين يفك مسامير جثته لينام) (٥٦) .

ويتحول بائع السجائر في المقهى إلى (مسجون داخل علبة سجائر فوق رف) (٥٧) ، ويحس الكاتب أن العاملين الدائمين في المقهى (مخلوقات براد الشاي المغلي) (٥٨) . وهناك أيضاً مخلوقات علبة التواليت (٥٩) . ويلعب الرأس دوراً كبيراً في رموز محمد حافظ رجب حين يقدم أحد أبطاله رأسه للاعبي الكرة (٦٠) . ويصبح رأس بطله الآخر محطة الرمل (٦١) ويغرق رأس في أحلام العذاب ، ويغيب رأسان في أكواخ الصفيح (٦٢) .

ويتميز فن محمد حافظ رجب بسقوط الحواجز بين الحلم واليقظة الشعورية ، وبين الوعي واللاوعي ، وبين الظاهر والباطن ، ولهذا نجد التخيل عنده جامحاً في أحيان كثيرة ، فرؤوس الشخصيات والحيوانات تقطع ولكنها تظل برغم ذلك قادرة على الحركة والتفكير وممارسة الحياة . ونرى عنده أرجلا وأذرعاً تبتر فتستقل بوجودها وحياتها ، وتمارس أدوارا في أقاصيصه . بل ان (محروس) بعد أن يموت ابنه تحت عجلات الترام ، يتحول إلى ساحر ينفض عن نفسه الذل والروتين والقيود (٦٣) . وبطله في (رجل معلق في نوسيه) شاهد ركاب القطار في قاع زجاجة اللبن (٦٤) .

وشخصية المرأة في (أصابع الشعر) مصابة بالثنائية : واحدة في الظل ليست موجودة ، والأخرى في المنطقة الحارة ، أي في الوجود (٦٥) .

وصوره المجازية تتميز بالغرابة الشديدة والخروج عن المألوف ، فالحزن يتجسم في هيئة رجل مهيب (٦٦) . و «فانجلي» اليوناني (كرة اللحم في مؤخرة الرأس «الصلعاء») . وقديماً وقف النقاد

العرب من أبى تمام موقف الرفض والاستنكار عندما قال (لا تسقنى ماء الملام) ، ولا أدرى ماذا يكون موقفهم حين يسمعون قول محمد حافظ رجب (فر ماء الانزعاج من عينيه) (٦٧) ، كذلك يستخدم محمود عوض الصور المجازية استخداماً جيداً فى رسم المواقف الشعورية ، كما نرى فى قوله (إغفاءة إرهاق تستند على مائدة ذات نتوءات) (٦٨) ، وقوله (انتفضت حوصلة العبوات) (٦٩) . ويتميز محمود عوض فى تصويره الفنى بتأثره بالقرآن الكريم وبعناصر تراثية أخرى تأثراً واضحاً فهو يقول : (أخرجنا منها ماءها ومرعاها) ، ويقول : (كان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً) (٧٠) ، ويقول (تراهم ركعاً سجداً) (٧١) ، ويقول (يأيها النمل ادخلوا مساكنكم) (٧٢) . ويستخدم من أقوال أسماء بنت أبى بكر عبارتها المشهورة (ما يضير الشاة سلخها بعد ذبحها) (٧٣) . ولاشك أن الكاتب بهذه الصورة القرآنية والتراثية كثف الرؤية الشعورية الى حد بعيد ، وأعطى بعداً وعمقاً للصورة التعبيرية . وكثيراً ما اختصر محمود عوض مساحات من الجمل بالقاء سؤال . فالأطباء فى المستشفى يسألون : انظروا أين نحن قبل أن تسألوا : لماذا لا نرتدى الأقنعة ؟ (٧٤) . وهذا السؤال يدل على مدى الاحباط نتيجة للفساد الذى يستشرى فى كل شىء . وهو يطرح سؤالا آخر فى أقصوصة (تحت جناحك الناعم) ، يكثف فيه معانى كثيرة ، وهو متى يمكننا رؤية ماء البحر ؟ (٧٥) .

ويدفعنا الحديث عن الرمز والصور المجازية لابراز فكرة تعدد الدلالة بسبب ما يكتنف الرمز والصور المجازية من غموض فى أحيان كثيرة ، ومما يساعد على هذا الغموض الاعتماد على تيار الوعى الذى يجعل الأفكار فى الأقصوصة منعدمة النظام ، متداخلة الأحاسيس والصور ، تفتقر الى التتابع الزمنى .

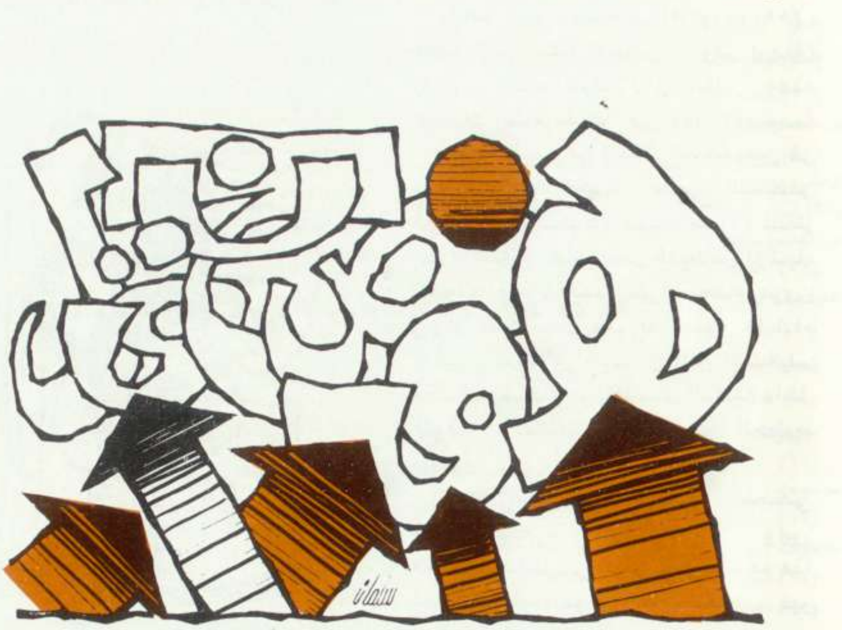
كذلك كان لزاماً على كتاب هذا الاتجاه القصصى أن يستخدموا لغة غير مألوفة فى نظامها وتركيب عباراتها ، وفى جميع مستوياتها البنائية . ولما كان تيار الوعي يعتمد على الاستبطان والتعبير عن حالات شعورية ، اقتربت القصة الى حد بعيد من الشعر ، وأصبحت وظيفة اللغة فيها إيحائية أكثر من كونها دلالية . ويقول فى ذلك «ليون ايدل» : ان قصة تيار الوعى قريبة جداً من الشعر ؛ لأن كاتبها لا يملك إلا وسيلة واحدة يستطيع بها أن يخلق عمله الفنى ، وهذه الوسيلة هى الكلمات . والكلمات شبيهة باللون عند الرسام ، والصوت عند الموسيقي . والكاتب من هذا النوع يبدأ محاولا بكلماته أن يعبر عن طيوف الحياة الزاهية وتفتحها ، أو يصوغ فى مقاطع اللحظات المضيئة والمعتمة من الذاكرة والشعور . وهنا لابد للكلمة أن تكون قادرة على رسم صورة ... ومن واجب الكاتب أن يستعمل الكلمة بطريقة تستطيع أن تنقل للقارىء شيئاً من هذه الأحاسيس التى مر بها فى لحظة استخدامها . وعلى هذا فالكلمة مكلفة بعمل يفوق طاقتها عندما يطلب منها أن تنقل تجربـــة الكاتـــب بكاملها (٧٦) .

ويقول «ايدل» فى موضع آخر : «لقد تحول الكاتب الى شاعر رمزى ، إذ كان يحاول أن يخلق صورة تخيلية لعقل يتدفق بالخواطر والصور والانطباعات ، فاستنجد بكل ما فى العروض من إشارات وحيل ، واستغل كل ما فى اللغة من إمكانات ، مؤمناً بأن مهمة الكاتب هى أن يجعل الكلمة تطابق الفكر ، كما تتجانس مع لغة الذهن ، ولو اقتضى ذلك أن يخلق لغة جديدة» (٧٧) .

لغة الأقصوصة

وواضح أن لغة الأقصوصة عند الكتاب السكندريين ليست لغة النثر العادية فى الحكاية السردية ، فقد أحدثوا فيها انقلاباً فى المستوى الصوتى والصرفى والمعجمى والنحوى والدلالى ، وأسقطوا الحواجز بين النثر والشعر ، وحققوا بذلك نبوءة «فرجينيا وولف» بأن القصة لا محالة سوف تصبح شعرية (٧٨) .

وفى أقصوصة (برهوتة والحمار المهموم) لمحمد حافظ رجب ، نجد الكاتب قد اقترب اقتراباً شديداً من لغة الشعر . يقول فى الجزء الأول منها : «العربات تهالكت ... استندت فى استهانة حول بعضها ... تثاءبت ... بجانبها وقفت الحمير .. غير عابئة بهـا .. انتهت علاقاتها بها .. بعد لحظة انتقل اليها التثاؤب ... أصبح المصير واحداً ... فى وسط الحمير .. حمار يبدو عليه الهم ، غارق فى الذهول الى حد الألم ... فى الخامسة ... والدنيا يخنقها الحر .. ظهر (برهوتة) فىحارة الحمير .. فارتعد الحمار المهموم .. برهوتة مضمد الجراح ... الشاش والقطن مزرعة حول عنقه .. خلف برهوتة صبيان وبنات ... مع برهوتة طبلة : ترم ... ترم ... ترم . صاح برهوتة : أجدع واحد ييجى : ترم ... ترم ... ترم .. فى الحتة دى ييجى ... ترم ... ترم ... ترم . ضرب مطـاوي .. ييـــجي



اتجاهات جديدة

في القصة السكندرية القصيرة المعاصرة

... ترم ... ترم ... ترم . ضرب سكاكين بيجى .. ترم ... ترم ... ترم» (٧٩) .

لقد استخدم الكاتب الأصوات المتكررة (ترم .. ترم .. ترم) وجعلها جزءاً من التجربة الشعورية . ولاشك أن اللغة كانت منذ فجر البشرية أصواتاً تترجم عاطفة معينة .

ونراه يغير فى ترتيب الألفاظ وتراكيب العبارات لتتواءم موسيقاها مع الحالة الشعورية العاطفية : فنراه مثلا يقدم الفاعل ويؤخر الفعل فى (العربات تهالكت) واحدث بذلك ما يشبه القافية بين (تهالكت وتثاءبت) ، وقدم الجار والمجرور فى عبارة (بجانبها وقف الحمير) ، واستخدم المصدر بدلا من الفعل فى عبارتى ضرب مطاوي وضرب سكاكين ، وهكذا .

وتوشك بعض أقاصيص محمود عوض عبد العال أن تكون قصائد شعرية كاملة من حيث عناصرها الفنية ، مثل أقصوصة (تكوين) (٨٠) ، التى يقول فى بعض أجزائها : «وحينما أضاء وجهنا ... ذلك الذى يظل كالسجين فى العيون .. لا يقال .. عرفت أننى شقاؤك وطيرك المهاجر الكئيب ، وأنك طفولتى وحلمى الغريب ... كنت قد نسيت يا حبيبتى ، غير أننى أفقت على أنامل التذكار تدق فوق كاهلى ، تعيد ما دفنته بداخلى» .

وهذا الأسلوب الشعرى المعبر عن خطرات النفس المنسابة يستلزم دقة متناهية فى اختيار الألفاظ ، بحيث لا نجد لفظاً واحداً زائداً حائراً لا مكان له ، أو هو من قبيل رص الكلمات طلباً للاطناب ، أو أى غرض بلاغى شكلى . وحين تكرر اللفظة أو العبارة لابد أن يقترن هذا التكرار بأداء نفسى متميز ، كما وجدنا فى الجزء الذى قدمته لمحمد حافظ رجب ، وكما نجد فى هذه العبارة من أقصوصة (كلمات أسير) لمحمود عوض (٨١) : «مراكب الشمس تتوافد .. بالبارود والسيوف ، خرج ولم يعد ، خرج ولم يعد ، الموسيقى ، البروجى ، ينكمش تحت أصابع اليد الواحدة ... الظلام وزنه ثقيل» . فتكرار عبارة (خرج ولم يعد) يؤدى موقفاً نفسياً مهماً فى رسم هذا الجو الكئيب الذى تنداح فيه خطرات اللاوعى . ولعلنا نلاحظ توفيق الكاتب فى استخدام الجمل الاسمية والفعلية حسب طبيعة الموقف النفسى ، بل إننا نلاحظ فى بعض الأقاصيص تغليباً للجمل الاسمية على الفعلية ، والنقيض من ذلك فى بعضها الآخر ، بحسب الحالة الشعورية للشخصية وما يقتضيه الموقف . ففى خاطرة من أقصوصة (كلمات أسير) لمحمود عوض (٨٢) تتوالى الجمل الفعلية على النحو التالى : «ملأوا مقاعد الانتظار .. يدخنون ، يشربون ، يحبون ، يصلون ، يتشاجرون ، يسرقون ، ينامون ، يتكلمون ، يصرخون ، يثرثرون ، يطلقون زوجاتهم ، يتزاحمون عند بائعى اللحوم والدواجن والبيض والكبريت ، حول جدارهم يبكون ... يدخلون السجن ... يخرجون من السجن .. نباتات البحر المالح فى خياشيمهم» .

ولعل القارىء يحس فى توالى هذه الجمل الفعلية تثبيت صفة الاستمرار وعدم التغير فى طبيعة هؤلاء البشر وما يأتون من أفعال ، والحركة الرتيبة فى حياتهم التى يصحبها الغثيان والقلق والتوتر والمعاناة .

إن الموسيقى – كما نرى – أصبحت عنصراً أساسياً فى لغة القصة بعد اقترابها الشديد من الشعر . وقد قيل إن قصة «يقظة فينجان» Finnegan's Wake تمثل ذروة القصة الوجدانية الشعرية ، ففيها مجموعة ضخمة من الأصوات وسيمفونية طويلة (٨٣) . وكان جيمس جويس شديد الشغف بالموسيقى ، فمن الطبيعى أن يظهر تأثيرها فى قصصه ، كذلك كان قصاصاً وشاعراً فى آن واحد (٨٤) . وكان الكاتب الفرنسى «إدوار دوجاردان Edouard Dujardin» يردد أن «فاجنر» ألهمه المونولوج الداخلى فى قصته (أشجار الغار المقطوعة) (٨٥) .



وبرغم اهتمام محمد حافظ رجب ومحمود عوض بشخصيات قاع المجتمع لا نجدهما يستخدمان العامية إلا نادراً ، إحساساً منهما فى الغالب بروعة الأداء الشعرى فى تحليل هذه المواقف النفسية ، وذلك بعكس ما نجده عند إدوار الخراط ، الذى يوشك ألا يستخدم غير العامية فى الحوار . ويقترب السعيد الورقى كثيراً من روح الشعر وأدائه فى أقاصيصه ، كما نرى فى (معزوفة) مثلا ، التى يبدؤها بقوله : «آه يا دفء اللحظات الرطبة ... يا شوق الأيام .. ما أمتع لقياك مصادفة ، كما تفارقنا مصادفة ... بك تكتمل المتعة ... اللحظة والشوق ، والشمس المزدهرة ، شىء رائع أن تتلألأ الشمس بعد ظلام وشتاء ... تتلألأ معها الأشواق ، تطفح بالذكريات واللحظات» (٨٦) . ويتقدم السعيد الورقى خطوة أخرى فى سبيل تحويل الأقصوصة الى شعر حين يبدأ أقاصيصه بأشعار يجعلها من بنية الأقصوصة ذاتها ، ففى (المحاصرة) (٨٧) يأتى بشعر لنزار قبانى يقول فيه :

يموت كل شىء
الماء والنبات والأصوات والألوان
تهاجر الأشجار من جذورها
يهرب من مكانه المكان
وينتهى الانسان

ويفعل الشىء نفسه فى (العودة) (٨٨) ، فيقدم أبياتاً لبلند الحيدرى ، وفى (رحلة) (٨٩) ، فيقدم أبياتاً لأمل دنقل . وهذه المقدمات الشعرية جزء من بنية الأقصوصة

وتتأثر أقاصيص الكتاب السكندريين فى هذا الاتجاه الجديد بالفن التشكيلى الحديث من حيث هو طريقة جديدة للنظر الى الأشياء ، تعتمد على خليط من الأشياء المألوفة ، يجذب العين فى استدعاء رمزى ، ويجبر الفكر على محاولة تفسير ما أداه البصر . كذلك من حيث إن الفن التشكيلى الحديث يضحي بالتفاصيل الدقيقة داخل اللوحة ، مكثفاً التعبير فى الخطوط والألوان .

كذلك يتأثر هذا الاتجاه القصصى الجديد بالدراما تأثراً واضحاً . وأبرز الكتاب السكندريين الذين يظهر عندهم هذا التأثر محمود عوض عبد العال ، فهو يستخدم الحوار استخداماً واسعاً حتى

لشكل عنده عنصراً مهماً رئيسياً فى أقاصيصه . وإذا افتقد الشخصيات التى يجرى بينها التحاور أدخل (صوتاً) ، كما نرى فى «علامة الرضا» (٩٠) ونراه يوضح (المنظــر) بطــريقة دراميــة فيصــف الشخصيات ، كما نرى فى (تكوينات) (٩١) فتى فوق الستين ، ثلاث فتيات : ز ، م ، ن وكما نرى فى (إعلانات مبوبة) (٩٢) ، حيث يصف المنظر فيقول (مكان صحراوى منخفض) ، ويقدم الشخصيات : شاب فى الخامسة والعشرين ، وفتاة شقراء فى الحادية والعشرين . ويتكرر ذلك أيضاً فى (المفتاح العمومى) (٩٣) و (ركوع القرد) (٩٤) ويتأثر السعيد الورقى بفن السيناريو السينمائى فى أقصوصته (المحاصرة) (٩٥) ، فيقدم خمسة مشاهد ، وكذلك يفعل فى (العودة) (٩٦) ، حيث يقدم ستة مشاهد ، يحاول أن يمزج فيها بين الحكاية وتيار الوعى ، وهو ما يمكن أن نسميه (تيار الوعى المنظم) ، وإن كان النظام يخالف طبيعة تيار الوعى ، فعدم الترابط عنصر أساسى فيه .

ويثير النقاد دائماً فكرة الذاتية والموضوعية فى هذا الاتجاه القصصى الجديد خاصة ، ولكن علاقتها بتيار الوعى وبالشعر يجعل فيها قدراً كبيراً من الذاتية . وهذا ما يجعل النقاد يقرنونها بالرومانسية فى أحد عناصرها . يقول والاس فاولى : «اعتمدت حركة ما فوق الواقع على المبدأ الرومانسى الذى يرى أن الرومانسى هو الفنان المتوحد المعتزل . إنه الفرد الذى يخالف المجتمع ، ويبحث عن مقاييسه الفنية فى ذاته . فالبحث فى الذات على مختلف مستويات وعينا لها من قواعد وأشكال لفن شخصى هو المنهج الرومانسى ، لكنه المنهج السريالى فى الوقت ذاته» (٩٧)

ويرى «إليوت» فى سيكلوجية الابداع الشعرى – وهو ما ينطبق أيضاً على القصة السريالية بوجه خاص – أن الشعر ليس فيضاً تلقائياً للمشاعر القوية ، أى ليس تعبيراً عن الذاتية ، وإنما هو تشكيل غير ذاتى للمشاعر ، يتطلب إحساساً متوحداً ، وتعاوناً بين الذهن والشعور ، لكى يوجد (المعادل الموضوعى) ، أو ما يمكن تسميته بالبناء الرمزى للعمل (٩٨) .

ويعد هذا الرأى توضيحاً لرأى «براونتج» بأن الشعر فيضان عقل الفنان ، وتعديلا لرأى «وردزورث» بأن الشعر استذكار لأشياء مضت ، وانبثاق تلقائى لأحاسيس قوية استعيدت فى حالة هدوء (٩٩) . وما حالة الهدوء هذه إلا إعمال للفكر ، يتعاون مع الشعور فى إيجاد المعادل الموضوعى . وهذا – فى رأيى – ينطبق تماماً على الاتجاه القصصى السريالى ، برغم ما يتسم به من بعثرة الأفكار وغموض الصور والرموز . وقد اختلف تردد القصاص السكندريين بين الذاتية والموضوعية ، ولكن غلب عليهم الجانب الذاتى ، حتى قيل عن محمد حافظ رجب إنه يقدم شخصيات تشترك فى نمط إنسانى يكاد يكون الكاتب نفسه ، وهو نمط الانسان الفقير المسحوق ، سواء أكان بائعاً جائلا أم عاملا فى مطعم أو مصنع . وربما استطعنا أن نضع أيدينا على عناصر ذاتية كثيرة إذا ألممنا بتفاصيل حياة هؤلاء الكتاب الذين تبرز فى أقاصيصهم – على الرغم منهم – بعض الظواهر العامة اللافتة للنظر ، كموقف محمد حافظ رجب من الأب الذى يظهره دائما مسيطراً متحكماً (١٠٠) ، ومن المرأة التى تتسم بالخيانة والنهم الجنسى ، ومن الرجل العاجز جنسياً ، المخدوع دائماً . وكموقف محمود عوض من الحرب التى تظهر بأشكال وآثار متعددة فى أقاصيصه . وكموقف السعيد الورقى من المرأة التى تبدو دائما فى أقاصيصه (طالبة) لا (مطلوبة) ، تحاصر الرجل وتخنقه برغبتها وموقفه من الرجل الزاهد دائما فى المرأة ، وفى علاقة منظمة مشروعة معها .

هذه هى الخطوط العامة للاتجاهات الجديدة فى القصة السكندرية القصيرة المعاصرة أرجو أن تكون قد ألقت الأضواء على بعض ملامح هذه الاتجاهات التى آمل أن تتاح لى فرصة أخرى لتجليتها فى وقفة متأنية .

د. محمد مصطفى هدارة

هوامش البحث

(٥٥) أقصوصة (أصابع الشعر) من مجموعة (مخلوقات براد الشاى المغلى) .
(٥٦) انظر أقصوصة (رجل معلق فى دوسيه) من مجموعة (مخلوقات براد الشاى المغلى) .
(٥٧) انظر أقصوصة (مخلوقات براد الشاى المغلى) من المجموعة السابقة .
(٥٨) انظر أقصوصة (مخلوقات براد الشاى المغلى) من المجموعة السابقة .
(٥٩) انظر أقصوصة (أصابع الشعر) من للجموعة السابقة .
(٦٠) انظر أقصوصة (الكرة وراس الرجل) فى المجموعة التى تحمل الاسم نفسه .
(٦١) انظر أقصوصة (حديث بائع مكسور القلب) فى المجموعة السابقة .
(٦٢) انظر أقصوصة (أصابع الشعر) فى مجموعة (مخلوقات براد الشاى المغلى) .
(٦٣) انظر أقصوصة (أصابع الشعر) فى مجموعة (مخلوقات براد الشاى المغلى) .
(٦٤) المجموعة السابقة .
(٦٥) المجموعة السابقة .
(٦٦) أقصوصة (براد الشاى المغلى) من المجموعة نفسها .
(٦٧) أقصوصة (رجل معلق فى دوسيه) من المجموعة السابقة .
(٦٨) أقصوصة (تتابع المنظر الصحفى) من مجموعة (تحت جناحك الناعم) .
(٦٩) أقصوصة (رسالة فى زمـــن الحرب) من مجموعة (تحت جناحك الناعم) .
(٧٠) أقصوصة (علامة الرضا) من مجموعــة (تحت جناحك الناعم) .
(٧١) أقصوصة (أوديب قابل أخته) من مجموعة (تحت جناحك الناعم) .
(٧٢) أقصوصة (كوع القرد) من مجموعة (تحت جناحك الناعم) .
(٧٣) أقصوصة (أوديب قابل أخته) من مجموعة (تحت جناحك الناعم) .
(٧٤) أقصوصة (أوديب قابل أخته) من مجموعة (تحت جناحك الناعم) .
(٧٥) أقصوصة المجموعة السابقة .
(٧٦) انظر القصة السيكلوجية : ٢٧٥ .
(٧٧) المرجع نفسه : ٢٧٩ .
(٧٨) المرجع نفسه : ٢٨٩ .
(٧٩) مجموعة (مخلوقات براد الشاى المغلى) .
(٨٠) مجموعة (تحت جناحك الناعم) .
(٨١) المجموعة السابقة .
(٨٢) المجموعة السابقة .
(٨٣) انظر : القصة السيكلوجية : ٢٩٨ .
(٨٤) انظر : الصوت المنفرد .
(٨٥) انظر : القصة السيكلوجية : ٢٠١ .
(٨٦ – ٨٩) (إيقاعات حزينة من زمن الموت) .
(٩٠) مجموعة (تحت جناحك الناعم) .
(٩١) مجموعة (الذى مر على مدينة) .
(٩٢) المجموعة السابقة .
(٩٣) المجموعة السابقة .
(٩٤) مجموعة (تحت جناحك الناعم) .
(٩٥) مجموعة (إيقاعات حزينة من زمن الموت) .
(٩٦) المجموعة السابقة .
(٩٧) عصر السريالية . تأليف دالاس فاولى – ترجمة خالدة سعيد . نشر مؤسسة فرانكلين بيروت – ١٩٦٧ ص ١٤ .
(٩٨) القصة الحديثة فى ضوء المنهج الشكلى .
(٩٩) القصة السيكلوجية : ٢٨٠ .
(١٠٠) (ذراع الشهوة « المقطوع ») و (مخلوقات براد الشاى المغلى) وغيرها .

قضايا خليجية

اطرح الأسئلة : انها قوتك الوحيدة

بقلم : عبدالقادر عقيل

احترام الكتّاب

تلقت الكاتبة الكويتية ليلى العثمان رسالة من مؤسسة الكويت للتقدم العلمى مفادها أن المؤسسة رشحتها لمهمة علمية تقضيها فى احد المراكز العلمية ، أو فى حضور مؤتمر أو ندوة ثقافية ، وستتحمل المؤسسة دفع ثمن تذاكر السفر ذهاباً وإياباً بالدرجة الأولى الى مكان المهمة ، وكذلك رسوم الاشتراك فى الندوة أو المؤتمر ، كما تخصص مبلغاً قدره الف دينار كويتى عن نفقات السفر .

وللرسالة معان ودلالات كثيرة أهمها :

أ – انها خطوة متقدمة أن تقوم هذه المؤسسة بتقدير الكتاب والأدباء ، وأن تدفعهم نحو ابراز قدراتهم ومواهبهم فى مواقعهم المناسبة . فلقد جرت العادة على أن الأدباء والكتاب ، فى هذه المنطقة ، هم آخر من يلتفت اليهم ، أو يحوزوا على الرضا والقبول . انهم دائماً مجموعة من «المختلين عقلياً» الذين لا أهمية لدورهم فى المجتمع . ولعل الموت هو الشفيع الوحيد لهم ، فالكاتب إذا ثوى فى لحده يفتح ملفه وقد يلقى بعض «الكلام» .

ب – ان الكاتب لا تعنيه تذكرة السفر «بالدرجة الأولى» ولا نفقات السفر ، ولكن يعنيه أولا أن يلقى الاحترام والتقدير فى موطنه ، الاحترام بصفته عضواً فاعلا فى المجتمع ، والتقدير على ما يقدمه من خدمة للنهوض بالثقافة فى وطنه . ان رسالة المؤسسة الى الأخت ليلى العثمان كانت تعبيراً واضحاً عن الاحترام والتقدير لجهودها الأدبية والثقافية فى مجال الكتابة القصصية والصحفية والتليفزيونية . ونتمنى أن يصبح احترام الأدباء والكتاب «عادة» ، وقد حان الوقت لاعادة الاعتبار اليه .

جـ – أن تحصل ليلى العثمان على هذا الامتياز من المؤسسة ، فهذا يعنى أيضاً أن المرأة فى الخليج قطعت شوطاً كبيراً فى التقدم نحو أخذ مكانتها الطبيعية واللائقة فى المجتمع ، فالمرأة الخليجية تصل اليوم الى مستوى تفرض فيه احترامها وكيانها فى المجتمع ، وهذا شىء مهم ومفرح ، ولابد من التاكيد عليه .

د – ان وجود مؤسسات معنية بالثقافة والفكر العلمى أمر ضرورى ، ووجود الأشخاص المؤهلين للاشراف على هذه المؤسسات ، ايضا امر ضرورى ، فهذه المؤسسات التى تتصل بالثقافة ، هى المرشحة للقيام بدور كبير فى النهوض بالثقافة والفكر ، وهى الجهة التى تعرف جيداً أهمية الأدباء والكتاب ، وضرورة تقديرهم واحترامهم .

الشعر والأسئلة

كثيرة هى الاتهامات التى تقذف على الشاعر . والاتهام الأول والسائد هو أن الشاعر المعاصر يكتب ما لا يفهم ، وان ما يكتبه لا يمثل هماً جماعياً .

وحين نتهم الشاعر بذلك ، فاننا نتهم انفسنا أولا ، اننا نقول لذواتنا باننا لا نفهم بينما اصابعنا تشير الى الشاعر .

فعل القراءة ، وتاسيس الثقافة الذاتية ، يستدعيان جهداً واخلاصاً ومثابرة ، هذا لنعرف كيف نقرأ ونفهم ، وإذا كان الشعر منتوجاً إنسانياً شديد الخصوصية ، يجىء من المجهول ، ويحتاج للكشف ، الا يستدعى ذلك منا ، أن نعرف كيف نقرأ الشعر . وأن لا نقرأ الشعر كقراءة خبر الجريدة ، وأسعار الخضروات وأخبار المجتمع ؟

كيف يمكن أن تصغى ليد القدر التى تقرع الأبواب فى السمفونية الخامسة لبيتهوفن دون أن تهب روحك للموسيقى ، دون أن ترتعش ، وتحلق فى العالم المجهول ؟ الذى يقرأ الشعر كقراءته للخبر، كالذى يستمع الى الموسيقى لينام .

الشعر ، مثل الموسيقى ، يحتاج الى صحوة روحية نشطة ، وعقل يقظ ، هذا سيساعدك فى أن تعرف ما هو الشعر ، وما هى الموسيقى .

يسال سائل : لكن الشعر يكتب للجماهير ، والجماهير لا تفهم الشعر .

نعم الشعر للجماهير ، والشاعر حين يبدع تهفو نفسه وتتوق لأن تقرأه كل الجماهير .

لكن ، ماذا بوسع الشاعر ان يفعل حين يواجه بـ ٧,٥ مليون أمى فى الخليج ، و بـ ٦٥,٥ مليون أمي فى الوطن العربى ؟

هل يتحول الشاعر الى مدرس لمحو الأمية ، هل هذه فعلا رسالته ، وابداعه ؟ وحتى لو أخذنا تلك النسبة الباقية التى هى تقرأ فعلا، هل يفهمون ما يقرأون ، وإذا لم يفهموا ، هل يكتفون بشتم الشاعر ، أم يحاولون بناء فهم جديد للثقافة واللغة ؟

ما نفع الشاعر إذا كتب وفقاً لمعايير قارىء محدود الثقافة ، ما نفع هذا الشاعر ، إذا تطورت ثقافة هذا القارىء ؟ سيهمل القارىء الشاعر ، وسيبحث عن مبدع اخر يفجر عنده مكامن الأسئلة .

على الشاعر إذن ، أن يكتب ، للزمان كله وعلى القارىء ، أن يسير مثلما سار الشاعر قبله فى طريق الثقافة الحقيقية .

لو أردت أن تجعل شخصاً ما يحب الموسيقى الراقية ، فهل تجعله يستمع الى «السمفونية السادسة» لجوستاف مالر ، أو «الهولندى الطائر» لفاجنر ، أو «طقوس الربيع» لسترافنسكى ؟

إنه بلاشك ، سيخرج بنتيجة واحدة وهى : كيف يسمى هؤلاء عظاماً ، بينما أعمالهم مجرد ضوضاء وفوضى موسيقية ؟

وسيفضل الرجوع الى فريد الأطرش ليستمع الى «بكائياته» التى تخلق عنده عالماً استيهامياً لا يكلفه شيئاً .

هل الخطأ فى موسيقى فاجنر ، أو سترافنسكى ؟

عاشق الموسيقى ، مثل عاشق الشعر ، عليه أن يتعب تعباً شديداً ، ويبتكر اذناً مرهفة وحساسة حتى يستمع الى أدق التفاصيل الموسيقية ، ويفهم ، ما هى الموسيقى . وهكذا فى الشعر .

لا تقرأ الشعر ، إذا لم تكن تفهم ما هو الشعر .

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

محنة الآنسة "مي"

بقلم : عبد الله مخلص
عضو المجمع العلمي بدمشق

تعرضت الأديبة العربية المعروفة « مى » لمحنة أليمة فى أواخر الثلاثينات ، وفى هذا المقال الذى جاء على شكل رسالة إلى الأديب الكبير أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة يكشف الكاتب وقائع المأساة المؤثرة التى تعرضت لها « مى » :

عزيزى صاحب الرسالة :

سلام الله عليك ورحمته . وبعد فقد ذكرتم فى العدد ٣٣٨ من (الرسالة) الغراء تماثل النابغة الآنسة (مى) زيادة من مرضها الذى لازمها نحـــو عامين ، وبشرتم أهل العلم والفضل بهذه البشرى التى أثلجت الصدور وأقرت الأعين ، فقمتم بعملكم هذا بحق الأدب عن كل أديب جزاكم الله خير الجزاء .

ولكن قارىء هذا الخبر يظن أن الآنسة (مى) حقيقة مريضة فى لبنان وانها الآن فى دور النقاهة . مما يخالف الواقع ويسدل ستاراً كثيفاً على المأساة التى أراد بعض من لا أخلاق لهم أن يمثلوها ويحولوا بين هذه العبقرية وبين ما كانت تنثره من الدرر الغوالى وتبديه من الأفكار النيرة وتخدم به المجتمع العربى .

وأظنكم لا تضنون على قادرى قـــدر (مي) وعارفى فضلها بإزاحة ذلك الستار الأسود عن تلك النفوس المريضة والوجوه السود التى قذفت بارقى شخصية أدبية فى المارستان ثم بالمستشفى تحت جنح الظلام ومنعتها من الاختلاط بالناس فجعلوا منها ميت الأحياء .

وعلى هذه العقيدة أكتب للرسالة الغراء ـ لا لك ولا لى ، ولكن للحقيقة والتاريخ ـ عما أصاب (مي) من المصائب ، وانتابها من النوائب ، فى خـــلال الســنتين المنصرمتين حتى عادت شبحاً من الأشباح تنقم على البشرية الظالمة وتعتب على جيرانها الأقربين ، وخصوصاً سيدات العرب اللائى انتصرت لهن فى كل مواقفها .

وإلى القارىء العزيز فصول هذه المأساة وله أن يحكم بنفسه فى أى عصر من عصور المدنية نحن ؟ وما هذا الذى يجرى فى معاهد العلم والفن من المآسى والمخازى التى تشيب لهولها الولدان وتضطرب الأفئدة ؟

لاشك فى أن كل أديب وأديبة فى لبنان ومصر وفلسطين وسورية والعراق وجميع بلدان العرب يعرفون فضل (مي) على النهضة العلمية عامة والنهضة النسائية خاصة ، ولكنهم ربما لا يعرفون أين نبتت هذه الزنبقة العطرة ، فرأينا أن نقتضب من سيرتها ما تجب معرفته .

الآنسة مي هى مارى ابنة المرحوم الأستاذ إلياس زيادة من عرمون غزير فى لبنان الذى كان مسقط رأسها ومنبت غرسها كما كانت مصر التى انتقلت إليها مهبط أنسها ومهوى نفسها .

وهناك فى بلد العلم فى العالم العربى

محنة الآنسة "مي"

بدأت حياتها المجدية المفيدة فنشرت كتاب باحثة البادية (١) وهو بحث انتقادى طبع سنة ١٩٢٠ ثم عززته بثان وثالث هما ابتسامة ودموع أو الحب الألمانى طبع سنة ١٩٢١، وكلمات وإشارات وهو يحتوى على خمس عشرة خطبة ألقتها فى مناسبات مختلفة وهو أول كتاب جمعت فيه خطب سيدة شرقية عربية وقد طبع سنة ١٩٢٢.

ثم كتاب بين الجزر والمد، ودمعة وابتسامة، وظلمات وأشعة، وقد طبعت جميع هذه الكتب فى سنة ١٩٢٣.

ثم كتاب الصحائف الذى طبع سنة ١٩٢٤ وكتاب سوانح فتاة والمساواة، غير الأبحاث الناضجة والآراء الاجتماعية الصائبة التى كانت تنشرها فى المجلات والصحف حتى وصلت إلى درجة كانت جريدة الأهرام الكثيرة الأنصار الواسعة الانتشار تفتح لرسائلها صدرها وتجعلها أولى مقالاتها.

ومما يدل على علو منزلة الآنسة (مي) أن بين الذين قرظوا كتابها (المساواة) الأمير شكيب أرسلان فكتب له المرحوم الدكتور يعقوب صروف أحد صاحبى المقتطف رسالة جاء فيها ما يلى :

« والمساواة مقالات نشرت أولا تباعاً فى المقتطف ثم جمعت وطبعت كتاباً على حدة فراقنى جداً وصفكم له، وأرجح أنها لم تترجم شيئاً ترجمة لأنها تتكلم معي فى كل الموضوعات الأدبية والفلسفية كما تكتب، فإنها قوية الذاكرة إلى حد يفوق التصور، وقد قرأت كثيراً من الكتب فى اللغات التى تحسنها : الفرنساوية والانجليزية والايطالية حتى لقد تستشهد فى كلامها معي بأبيات من شكسبير أو بيرون كما تستشهد بالمتنبي والمعرى.

وحفظت أيضاً كثيراً من قصائد شوقى والمطران وحافظ وأظنها تصوغ معانيها فى ذهنها بالفرنساوية والانكليزية قبلما تعبر عنها بألفاظها العربية ».

وشاء القدر أن تفقد مي والديها واحداً إثر واحد كما يفقد كل إنسان أبويه فى هذه الحياة، ولكن مي الشاعرة العطوف الرقيقة الحواس تزلزل منها هاتان الصدمتان قوتها واحتمالها، وتساورها الهموم والأحزان فتقبع فى عقر دارها تناجى نفسها وتندب حظها بفقد أعز الناس عليها، فيأتى إليها بعض ذوى قرباها فى ثياب الحمل وهم ذئاب خاطفة ويحملونها على السفر إلى لبنان وطنها الساحر على أمل أن تجد فى جوه الجميل ومائه النمير ومناظره الخلابة وجباله الشم ما يرفه عن نفسها المشوبة بالأكدار.

وتحقن مي بمصل مخدر سواد ليلة من الليالى فتصبح بياض نهارها بين المجانين فى مستشفى الأمراض العقلية المسمى بالعصفورية فى ضاحية بيروت فتثور ولكن على من ؟ وتستنجد ولكن بمن ؟ إنها أصبحت فى عداد الذين أفقدتهم صدمات الحياة الرشد وأقعدتهم المصائب هذا المقعد الأليم. وتنقطع مي عن الطعام والشراب إلا ما تسد به الرمق وتستبقى بواسطته الحياة.

وبعد أن تقضى السنة فى ذلك المارستان (٢) ينقلها أولئك الذئاب إلى مستشفى ربيز فى بيروت ولكن يحوطونها برقابة شديدة ويمنعونها من الاختلاط بأحد لئلا يطلع على ما بيتوا لها من شر مستطير وأعدوا لها من ظلم صارخ فتتم سنة أخرى بين العقلاء الذين لا تستطيع الدنو منهم والتحدث إليهم.

ويسعف الحظ فيؤتى بسيدة من آل الجزائرى فى دمشق إلى المستشفى وتوضع فى غرفة مجاورة لغرفة مي السجينة فتسمع (مي) صوت السيدة وهى تتململ فى فراشها من شدة الألم الذى أعقب عملية جراحية فتفتح الباب الموصل بين الغرفتين بجهد وتدخل إلى غرفة السيدة الجريح لمواساتها على تخفيف آلامها وتكرر مي هذه الزيارات ليلا فى خلسة من الرقباء.

وتستأنس السيدة الجزائرية بجارتها الحنون لاسيما بعد أن اندمل جرحها فتسألها عن حالها وسبب مقامها فى المستشفى فتنفجر (مي) بكل ما فى نفسها من آلام وتشكو أمرها وما تقاسيه من عنت الظالمين إلى السيدة التى تألم كثيراً لها وتستعين بأوليائها من الرجال على كشف مظلمتها ويقوم هؤلاء السراة الأمجاد أحفاد الأمير عبد القادر الجزائرى ويعملون على إطلاق سراحها.

وينتهى الأمر بتدخل إدارة الأمن العام وإخراج (مي) النابغة من سجنها.

فتعود الذئاب الخاطفة التى تخشى أن ترد إلى (مي) حقوقها الشرعية بالتصرف فى أموالها وحليها ومكتبتها الفنية التى وضعوا أيديهم عليها ظلماً وعدواناً وتصرفوا بها تصرف المالك فى ملكه اعتسافاً وطغياناً – يعودون إلى مزاعمهم الأولى من اختلاط عقلها وضعف مداركها ويلحون باستشارة أهل الاختصاص من الأطباء، وتكون النتيجة دعوة طبيبي مستشفى العصفورية وربيز لمعرفتهما السابقة بحالتها وطبيبين آخرين، فتقرر هذه الهيئة الطبية المستشارة أن حالتها الحاضرة تبعث على الرضى، ولكن بالنظر لضعف جسمها يخشى أن تتأثر أعصابها مرة أخرى، ولذلك يشيرون عليها بقضاء دور النقاهة فى منزل مناسب ببيروت.

وتنقل بالفعل إلى ذلك المنزل هى وممرضتها الموكول إليها أمر العناية بها والقيام على حاجاتها ولوازمها.

وعقيدة الطبيب فى مريض من مرضى العقول لها تأثيرها فى نفسه، فهو يظن به الظنون ولا يريد أن يقتنع بصحة مداركه مهما كانت ظواهره حسنة ولعل هذا هو الذى حدا بالطبيبين المداويين لها قبلا على الاصرار على رأييهما فيها إن لم يكن هناك دافع آخر يدفعهما إلى ذلك التعنت.

ويستمع الناس ولاسيما الطبقة المستنيرة إلى ما آل إليه أمر (مي) فيأتون زرافات ووحداناً إلى كعبة الفضل يحجون إليها ويكون فى طليعة هؤلاء الحجاج الكرام صديقنا فارس بك الخورى رئيس المجلس النيابي السورى وقرينته الفضلى. واستمع إلى ما يقوله هذا الرئيس الجليل لمندوب أكبر صحيفة يومية لبنانية عن الآنسة (مي) :

« يمكنني ان اقول بكل صراحـــة إنني تحدثت إلى اناس كثيرين في بيروت فلم أر فيهم من هو أعقل من الآنسة (مي) . وازيد على ذلك انني سمعت من بعضهم اخطاء لم تفه (مي) بواحد منها . فهي بحالة عقلية تامة ، ولكن صحتها الجســدية ضعيفة جداً .

ومما قالته لي والألم ينبعث من عينيها : « تصور مي زيادة على بعد عشرين دقيقة من بيروت قلب الشرق العربي وعاصمة لبنان الجميل الخالد ومهد الحضارة والنور وأم الجامعات والمؤسسات العلمية ودار الجمعيات الأدبية والخيرية ومركز جمعية النهضة النسائية . اجل تصور (مي) سجينة على بعد عشرين دقيقة من البلد الذى ذكرت » .

ثم تلتفت مي إلى السيدة قرينته فتقول لهـا :

« أهذا ما كنت أنتظره يا سيدتي ؟ أهذه هي المكافاة التى أعدتها لي المراة الشرقية بعد جهاد طويل ؟ أهذا ما تلقاه الأديبة في الشرق ؟ » .

ولم يقتصر عمل فارس بك على الادلاء بارائه إلى الصحف ، بل إنه ذهب وبرفقته الأمير عادل أرسلان إلى ندوة المجلس النيابى اللبنانى وتحدث عن زيارته لمي وعن الأثر المؤلم الذى تركته هذه الزيارة فى نفسه .

وشاع ما عوملت به مي من العمل السيء وذاع فى لبنان فراع الناس ما سمعوا وأذهلهم ما قرءوا فاندفع أنصار الفضيلة إلى الأخذ بضبعها وشد ازرها ورد عاديات العادين عنها ، وتقدم الجميع المحامي المشهور معالى الأستاذ حبيب أبى شهلا وزير الداخلية السابق فى الحكومات اللبنانية المختلفة ، وتطوع للدفاع عن حقها الهضيم وحريتها السليبة امام القضاء الذى أقيم لانصاف المظلوم من الظالم ، والأخذ للضعيف من القوى ، فسر الناس لهذه الغضبة المضرية والنعـــرة الانسانية ، وبدءوا يذكرونها بكل شفة ولسان ، ويكبرون هذا العمل من شخصية كبيرة مشهورة فى الأوساط القضائيـــة



مي زيادة

والادارية . وهم على مثل اليقين من حصول القصد ونجاح المسمى لما عرف عن معالى الأستاذ ابى شهلا من قوة الحجة ووفور العلم وصحة المنطق مما يضمن الفوز له فى هذا المعترك .

وبلغ أمر مي إلى اسماع الفلسطينيين الذين يجلون هذه النابغة ويبجلونها ككل عربى فقامت اقرب مدينة من فلسطين إلى لبنان وهى عكا تثار للفضيلة وتنتصر للعلم والأدب وتقدمت بواسطة الهاتف برسالة إلى المحامى الأستاذ ابى شهلا على يدى كاتب هذه السطور هذا نصها :

إن محدثكم الآن وحوله جماعة من ادباء وعلماء هذه المدينة التاريخية عكا يتوجهون بخالص الأمانى وكبير الرجاء إلى الوزير الذى لم تبطره النعمة ولم تمنعه من الدفع عن المظلومين لتتولوا بما عرفتم به من الهمة المشكورة والغيرة المحمودة الدفاع عن مفخرة اديبات العرب فى القرن العشرين ونابغة النساء فى الأقطار العربية الآنسة مي زيادة .

إن إنقاذها من هذه الكارثة يسجل لكم يدأ كبيرة مشكورة بيضاء فى خدمة الأدب العربى واللغة العربية فنرجو ان يحقق الله على يديكم هذه المبرة العظيمة لنهضة النساء فى هذا الشرق العربى المتطلع إلى المستقبل الباسم بهمة امثالكم وتقبلوا تحياتنا فى هذه المدينة ..

ومما اذكره عن (مي) اني كنت فى بيت المقدس فى اوائل سنة ١٩٢٣ فجاءته الآنسة (مي) زائرة دارسة وراح الأدباء والفضلاء للترحيب بها والتعرف إليها ، وقصدت أنا ورفيق لى إلى زيارتها فى النزل الذى نزلت فيه فلم نجدها إذ ذاك ، وفيما نحن عائدون قال لي صـــــاحبى وهو يحاورنى : أتدرى أن علم (مي) جنى عليها؟ فقلت له : افصح عما فى ضميرك فيظهر ان للكلام بقية . فقال : أنا احد الذين كانوا يرون السعادة كل السعادة فى الاقتران (بمي) لما وهبها الله من الخلق الجميل والصفات الطيبة ولكنى كنت ارى أن مستواها العلمى فوق مستواى فلم اجرا على طلب يدها . قال : وكان لي امثال كثيرون ولكنهم كانوا يرون رأيى فيها وكنا حين نلتقى بمي النابغة نشعر بعاطفة الاكبار والاجلال لأدابها الرفيعة .

والذى قال لي هذا القول لم يكن من عامة الناس بل هو من خريجي الجامعة الأميركية ومن أصحاب الثروات الطائلة والذين أثروا فى الحياة الاجتماعية والمدنية ، ولكنه كان يرى نفسه دونها فى العلم والفضل ويعترف بذلك ، فانظر ماذا كان مصير هذه العلوم والفضائل بين أعدائها الألداء ، عاملهم الله بما يستحقون وأذاقهم عذاب الهون .

عبد الله مخلص
١٩٣٨

هوامش :

(١) هو الاسم المستعار الذى كانت تتستر وراءه السيدة ملك ابنة العالم المصرى المعروف المرحوم حفنى ناصف فى كتابة مباحثها النسائية .

(٢) بيمارستان كلمة فارسية استخدمها العرب للمستشفى الذى يوضع فيه المرضى والأعلاء ولكنهم اليوم يطلقونه فى بلاد الشام على مستشفى الأمراض العقلية الذى اقيم فى بعض المارستانات القديمة ويقولون له مارستان كما عربوه قديما .

صرخة عمرها ٤٦ سنة ضد صعوبة النحو العربي

النحو...

بقلم : إبراهيم عبد القادر المازنى

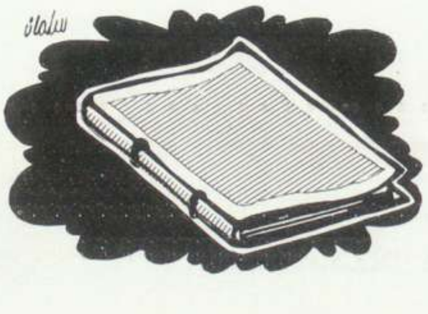
النحو علم لا اعرف منه إلا اسمه . وما اكثر ما اجهل واضال ما اعرف ! ولو كنت وجدت من يعلمنيه لتعلمت وما قصرت . وكيف بالله تنتظر منى ان اعرفه بالفطرة والالهام .. كان أول من قيل لنا إنه معلم نحو رجلا قاسيا سيء الطباع سريع البادرة وكانت له عصا قصيرة من الخيزران يدسها فى كمه ، حتى إذا أمن أن يراه الناظر اخرجها وسلطها على اجسامنا الصغيرة واهوى بها على ايدينا وجنوبنا ورؤوسنا فلا يتركنا إلا بعد أن ينقطع نشيجنا وتخفت اصواتنا وتذهب عنا القدرة على الصراخ والاستنجاد ، فلم يكن ابغض إلينا من درسه . ومن المضحك ان ذلك لم يكن يخيفنا منه ولا يزيدنا إلا إلحاحا فى معابثته . وكنت انا اثقل التلاميذ عليه وابغضهم إليه ، لانى كنت ـ واحسب انى مازلت ـ شيئا صغيرا جدا وخفيفا مستدقا لا استقر فى مكان ، ولا ازال انط من هنا إلى هنا ولا يكف لسانى عن الدوران . فكان نصيبى من هذه العلقات النصيب الاوفر وحظى هو الاجزل . وكان الناظر فيه سذاجة عجيبة لم تفتنا نحن الأطفال . وكيف كان يمكن ان يفوتنا التفطن إلى سذاجته ونحن مئات من الاطفال لنا مئات من العيون نفحصه بها ، ومئات اخرى من الآذان والرؤوس تسمعه وتتدبر امره وتجسه وتختبره .. فكنت اذهب إليه واقول له على سبيل الملق والدهان : « يا سعادة البك » فيلتفت بوجهه الكبير إلى ويقبل على بابتسامته البلهاء ، فقد كانت الرتبة جديدة وفرحه بها عظيما.ويسالنى « مالك يا امن (بالميم فقد كان اخن) عبد القادر » فاقول له : « يا سعادة البك ، الشيخ فلان يا سعادة البك معه عصا يخفيها فى كم القفطان ويضربنا بها يا سعادة البك » وكنت صادقا ولكنه لم يكن يعرف انى صادق ، غير انه كان يسمع « سعادة البك » تصافح اذنه مرات عديدة فى نصف دقيقة فيطرب ، ويصرفه الطرب عن التثبيت فيقول لى ـ متامرا معى ـ « طيب . رح انت إلى الفصل وعاكسه » اى والله كان يحرضنى على معاكسة الشيخ المسكين ليضبطه ـ كما يقال ـ متلبسا بالجريمة ، او كان يكتفى بان يامرنى بالعودة الى الفصل ثم يدخل هو ويفاجىء الشيخ بانتزاع العصا من كمه ويوبخه امامنا وينصرف . فتصيح اربعون حنجرة جديدة « هيه » فيكاد الشيخ يجن وينهال علينا ضربا باليدين والرجلين فتنكشف سراويلاته فيعلو الصياح من جديد ، ولكنه يكون قد تعب واضناه الجهد وبهر انفاسه العدو وراءنا فيقف وهو ينهج ويخرج المنديل من جيب القفطان ويمسح به العرق المتصبب ونحن جميعا نتكلم وليس بيننا واحد يصغى إلى ما يقال .

هذا كان أستاذنا فى النحو . ولو انه كان موفقا فى التعليم لكان الناظر وجده كفيلا بافساد الامر عليه . فقد كان يتظاهر بالعلم بكل شىء وهو لا يعرف شيئا . فاذا تورط ولم يسعه إلا الاعتراف بجهله قال « جاهل جاهل . لكن إدارى تمام » ومن ظريف ما اذكره من نوادره انه دخل علينا فى درس ترجمة وكان المعلم غائبا . ولم يكن هو يعرف ذلك وان كان فيما يزعم إداريا حاذقا . ولكنه سمع ضجتنا العالية فسال فقيل له إن هذه الفرقة ليس فيها معلم ، فلم ينتدب غيره بل جاء هو إلينا بنفسه وبطوله وعرضه وسالنا : « مالكم يا أولاد ؟ » قلنا « يا سعادة البك المعلم غائب » قال « الدرس إيه » قلنا « ترجمة يا سعادة البك » فانشرح صدره واغتبط وايقن انه سيظل يسمع منا ما يسره فقال : « طيب وايه يعنى ؟ » فقلنا « يا سعادة البك لم نفهم الدرس السابق يا سعادة البك » فسال عن هذا الدرس السابق الذى استعصى علينا فقلنا له انه كان يحاول ان يعلمنا النفى فى اللغتين العربية والانجليزية ولكنا لم نفهم عنه . فاعرب لنا بعبارات صريحة عن دهشته وتعجبه لوزارة المعارف التى تعين مدرسين لا يحسنون تفهم التلاميذ ، واكد لنا انه يعطف علينا لاننا نؤدى للوزارة اجور التعليم كاملة ولا نتعلم مع ذلك شيئا . ثم قال ان المسالة بسيطة وان النفى سهل جدا وان ادواته فى اللغة العربية معروفة وهى « لا ولم ولن الخ » والامثلة سهلة ومعروفة ، وشرع يسوق الامثلة . فلما بلغ « لم » قال « مثلا .. لم كتب . لم ضرب ، لم ذهب فانفجرنا ضاحكين وكان لنا العذر . وكيف لا نضحك من « لم كتب ولم ضرب » فلما سكنت العاصفة بعض السكون قال يوبخنا ويزجرنا ويعظنا : « تضحكون ؟ .. ابكون .. ابكون .. » فلم يبق منا طفل على مقعده من شدة الضحك . ولم يسكتنا الخوف منه وإنما اسكتنا الالم الذى صرنا

نحسه فى بطوننا من الضحك الطويل .

هذا فى التعليم الابتدائى . اما فى التعليم الثانوى فقد كان أول معلم فيه مصاباً بالربو ، فكان لا ينفك يسعل ويتفل حتى توجعنا بطوننا ، ولهذا كنا ننام فى درسه أو نهرب منه اتقاء لوجع البطن . ثم صار لنا معلم اخر وكان سياسياً ولكنه كان فى هذا نسيج وحده ، فكان يغلق النوافذ ليامن ان يسمع احد ما ينوى ان يقول — اعنى ما ينوى أن يفضى إلينا به من الاسرار ثم يشرع فى الحديث فيصف لنا كيف كان الحكم المصرى على عهد الخديو اسماعيل ظالماً ، فنجادله وينقضى الدرس كله فى هذا الجدل العجيب . ولست ادرى لماذا كان يجشم نفسه إغلاق النوافذ . ولو أن الناظر الانجليزى سمعه لكان حقيقاً أن يسر لا ان يغضب ، ولكنى احسبه كان يفعل ذلك ليكون تاثير كلامه فى نفوسنا ابلغ . والعجب بعد ذلك أن تلاميذه كلهم صاروا وطنيين متطرفين فى وطنيتهم لا خونة لبلادهم كما كان يشتهى هو أن يكونوا .

فممن كنت اتعلم النحو بالله ؟ . وما الذى كان يمكن أن يغرينى ان اتعلمه وحدى ؟ . ثم ما فائدة هذا النحو الذى لم اتعلمه ولم احتج اليه .. وعسى من يسال : « وكيف كنت تصنع فى الامتحانات ؟ فاقول إنى كنت اقرا ورقة الأسئلة واترك النحو إلى آخر الوقت ثم اتناوله واروح اجمع طائفة من الامثلة استخلص منها القاعدة فاجعل هذا جوابى . ولاشك انه كان لا يخلو من نقص ولكنه لم يكن خطا كله . هذه كانت طريقتى وقد استغنيت بها عن حفظ ما فى كتب النحو . وارانى الآن اصبحت كاتباً — وقد كنت فى زمانى شاعراً كذلك — وقد وسعنى هذا وذاك بغير معونة من النحو . بل من غير أن اتعلم العروض . واذكر انى وانا فى مدرسة المعلمين العليا كان الشيخ حمزة فتح الله هو الذى يتولى امتحاننا فى اللغة العربية — على الأقل فى احدى السنين — وكان من اعضاء اللجنة التى هو رئيسها الشيخ عبد العزيز شاويش وفتح الله بركات بك واستاذنا فى المدرسة ، وكنا ندخل على اللجنة واحداً واحداً كما هى



العادة فاخبرنى الذين سبقونى إلى اداء الامتحان ان الشيخ حمزة عليه رحمة الله يفتح كتاب النحو والصرف ويامر الطالب أن يسمعه الباب الفلانى ، وكانت هذه مبالغة ولكنا صدقناها ، فايقنت انى مخفق ووطنت نفسى على معركة . وجاء دورى فدخلت ، فناولنى مقدمة ابن خلدون وقال افتحها فى اى موضع واقرا ، ففعلت ، فامرنى ان اضع الكتاب وشرع يسالنى عن كلمة « العدوان » ما فعلها الثلاثى ولماذا يقال « اعتديا » — بفتح الدال للماضى — «واعتديا» بكسرها للامر . فلم اعرف لهذا جواباً ، فقلت : « هكذا نطق العرب وعنهم اخذنا » . فالح فى طلب الجواب المرضى فقلت « إن اللغة نشات قبل القواعد . وانا انطق واكتب واقرا كما كان العرب يفعلون من غير أن يعرفوا قاعدة أو حكما » فساءه جوابى ونهرنى وخشى الشيخ شاويش العاقبة فقال له : « يا مولانا . العصر وجب فنهض الشيخ حمزة لصلاة العصر وتركنى لزملائه فاسرعوا فى امتحانى قبل أن يفرغ الشيخ ويعود .

واحسب أن ما وسع العرب الاولين من معرفة العربية بلا نحو لا يعجز عنه ابناء هذا الزمان . ومن الميسور فيما أعتقد أن تحل قراءة الأدب العربى محل النحو . وليس يعجز رجال العربية عن وضع مختارات صالحة لكل سن . وإذا كان لابد من النحو فليكن ذلك عرضاً وأثناء القراءة وعلى سبيل الشرح وللاستعانة به على الفهم ، وعلى الا يكون ذلك درساً مستقلا يؤدى فيه امتحان. اما الطريقة التى يتعلم بها أبناؤنا العربية فانى أراها مقلوبة لانها تبدأ بما يجب الانتهاء اليه . ومن ذا الذى يتصور أن صبياً صغيراً يستطيع أن يفهم ما الفعل وما الاسم وما الحرف ، وأن هذا يكون حكمه كيت وكيت وذاك يجرى عليه كذا وكذا من .. وان هذه الفتحات والضمات والكسرات علامات إعراب أو لا أدرى ماذا هى ، وأن لفظاً يكون مسنداً ولفظاً آخر يكون مسنداً اليه إلى اخر هذه الالغاز التى لا يعقل ان يدركها طفل صغير . بل إنى انا الكبير أردت منذ بضعة أيام أن أراجع شيئاً فى النحو ففتحت وقرات فيه شيئاً ثم وضعته يائساً من الفهم ولجات إلى وسيلة اخرى كانت اجدى على من هذا الكلام الذى أراه يفهم ، وذلك انى كتبت الوجهين اللذين حرت بينهما واختلط على الأمر فيهما فلم أعد أدرى أيهما الصواب وايهما الخطا ، ثم ذهبت انظر اليهما فالذى سكنت اليه نفسى اخذت به وتبينت بعد ذلك أن ما اخذت به كان هو الصحيح وأن عينى لم تخدعنى وان نفسى إنما اطمانت إلى ما طال عهدها به من الصواب . اما ما لم تالفه اثناء مطالعاتى فقد رفضته . والطريقة التى اشير بها تجعل العربية سليقة على خلاف ما هو حاصل الآن فان ابناءنا يتعلمون العربية كما يتعلمون الانجليزية أو اية لغة اجنبية لا يشعرون بصلة بينها ، وبين نفوسهم . وكثيراً ما يتفق أن يخرج التلميذ وهو أعرف باللغة الأجنبية منه بالعربية . وليس بعد هذا فشل والعياذ بالله . واسال من شئت فلن تجد احداً لا يقول لك إن اللغة العربية انحطت — اعنى ضعف العلم بها — فى هذا الجيل . ولست أعرف لهذا سببلا إلا أن التلاميذ لا يتعلمون اللغة وإنما يحفظون نحواً وصرفاً وبلايا كثيرة اخرى مثل البلاغة الخ لا تعلمهم اللغة وإنما تبغضها اليهم ، فاذا كان التبغيض هو الغاية المنشودة فلا شك أن المعلمين قد وفقوا إلى ما لا مزيد عليه . اما إذا كان الغرض هو تعليم اللغة،فخير الأساليب هو الأسلوب الطبيعى الذى يتعلم به الطفل الكلام .

ابراهيم عبد القادر المازنى
١٩٣٧

من روائع
الفن العالمي



اوجين ديلاكروا (١٧٩٨ ـ ١٨٦٣)

سحر الشرق وتدفق الحياة

بقلم : جمال قطب

كان شاباً قلقاً منطوياً على نفسه خجولا مفرط الحساسية .. وذلك من هول ما عاناه طفلا أو صبياً أو شاباً ، حتى قدر له أن يتولى زعامة الحركة الرومانتيكية العظيمة تلك التى اقترنت باسم الكاتب الشهير «فيكتور هوجو» فى ميدان الأدب فى أوائل القرن الماضى .

إنه (ديلاكروا) الفنان الذى سجل فى التاريخ كاحد الرواد الذين حرروا الحركة الفنية من جمود الكلاسيكية وقيود الأكاديمية ، وجعل مثاليات الفن تتسع لتشمل قوة التعبير المباشر عن العاطفة المتوقدة والخيال المتوهج .. ومن هنا كانت المعركة التى نشبت بين الكلاسيكيين والرومانتيكيين فى النصف الأول من القرن التاسع عشر . فالكلاسيكيون قد اهتموا بالخطوط وحبكتها الهندسية ، وكان كل همهم بزعامة (دافيد) هو مثالية التعبير ووقاره المستمد من الميثولوجيات القديمة مهما كان هذا الوقار جامداً بارداً ، ومرة أخرى نجدهم يتحولون الى (الجمال) فى عهد زعامة (أنجر) .. جمال الخطوط المنسابة فى رقة ورخاوة . وبعد أن دالت دولة الكلاسيكيين ، وظهرت الرومانتيكية بزعامة (تيودور جريكيو) ومن بعده فناننا ديلاكروا .. فتحوا ابواب التعبير وتفاعل الوجدان على مصراعيه .. واستمتع الفنانون بتجربتهم الفنية مع الالوان والحركة وتدفق الحياة .

ومن الغريب أن ديلاكروا لم يكتف بعالمه الفني التشكيلى فحسب ، بل إن يومياته تصل الى اغوار النفس وتبحث فى أعمق الأعماق الوجدانية ، وعندما يتناول فى كتاباته موضوعات : الالهام والعبقرية والخيال والحلم ، متخذاً من نفسه ميداناً للبحث والتنقيب .. كان يصل الى قمة تالقه فى التحليل النفسى كاحد المتخصصين الرواد . وقد بلغ فى ذلك حداً جعله مصدراً من مصادر علم النفس ، حتى اننا رأينا (سيجموند فرويد) فى مؤلفاته عن التحليل النفسى بعد ذلك ، يتخذ من أفكار ديلاكروا مرجعاً من مراجعه الأساسية . ولم تقتصر مؤلفاته الأدبية على هذه المذكرات ، أو (اليوميات) التى تعتبر أبحاثا تاريخية فى الفن الفرنسى ، بل يشتمل تراثه الأدبى كذلك عى رسائل عامة هى أيات أدبية رفيعة المستوى تقع فى خمسة أجزاء ، أما كتاباته الفلسفية والنقدية عن مشاهير الفنانين ، فتقع فى مجلدين كبيرين ، بجانب العشرات من القصص والمسرحيات التى نافس بها كبار الأدباء المتخصصين !

ولعل هذا التاثير الأدبى يرجع الى ولعه باعمال مشاهير الأدباء والشعراء البريطانيين عندما سافر الى لندن (مرتع الرومانتيكية) عام ١٨٢٥ ، ودرس هناك ـ بجانب الفن ـ أعمال والتر سكوت وملتون وبايرون . كما عكف على استيعاب أعمال شكسبير الخالدة !

أما المرحلة الثانية التى كان لها وقع عظيم فى نفسه فهى رحلته الى المغرب والجزائر عام ١٨٣٢ . حيث بهرته أضواء الشرق وفتنته مناظر الطبيعة ، والجياد العربية الأصيلة ، فظلت إيحاءات هذه الرحلة عالقة بخياله طوال حياته ، وخلدها فى لوحات كثيرة تصور (نساء من الجزائر) والفرسان العرب، والسباق، والقنص وغير ذلك من مظاهر الحياة فى الشمال الأفريقى وطابعه وتراثه الاسلامى الأصيل .

أما اللوحة التى يراها القارىء على الصفحة المقابلة فهى لوحته الشهيرة التى رسمها عام ١٨٣٤ (نساء من الجزائر) وقد افتتن فيها بالطابع الشرقى ونقوش (الأرابيسك) المثيرة ، والبيوتات الموسرة بما تتميز به أنذاك من الدعة والسكينة والشاعرية والجمال .

واستمر أوجين ديلاكروا فى تالقه حتى صار ألمع الفنانين فى عصره ، حيث كلف بزخرفة قصور : بوربون ولوكسمبورج واللوفر .. مما جعله محط الأنظار فى أوروبا كلها ، وقد زخرت كتابات شعرائها وفلاسفتها بالثناء على عبقريته الفذة فى مجالات الفن والفكر والأدب على السواء .

ومات ديلاكروا عام ١٨٦٣ عن خمس وستين سنة عامرة بالعطاء الخالد ، والفكر الانسانى الرفيع .

جمال قطب



نساء من الجزائر : للفنان الفرنسي اوجين ديلاكروا (١٨٣٤)



تجربة فنية مثيرة

من وادي النسيان.. ينطلق العود والمزمار والموّال الشعبي

جميل العابد

فرقة كركلا تحمل جزءاً من تراثنا وتدور به شرقاً وغرباً . وهذا الجزء من التراث هو الاغاني والرقصات الشعبية التى أطربت أسلافنا فى دورهم وحقولهم وأعراسهم .

وقد استطاع عبد الحليم كركلا رئيس الفرقة أن يجمع المواويل القديمة المنثورة بين حشائش السهول العربية ، ويسمع رجع أصوات العود والمزمار والمجوز المنبعث من وادي النسيان ، ويشاهد الراقصين الذين رحلوا عن أعمدة بعلبك وسهل البقاع منذ زمن طويل ، تاركين وراءهم زاداً ثميناً من أشكال الفن و ألوان العشق !

فكثيراً ما نلمس فى الاغانى الشعبية ملامح أمة وخلاصة تجربتها الانسانية وعطائها الفنى .. وفى اغانينا ورقصاتنا القديمة نستشف نفحات من الوجدان الاجتماعى الذى كان سائداً فى وقت من الأوقات ، ونرى كيف كان ذلك الوجدان يحكم السلوك العام وحتى العادات الفردية، فنعيش من خلال الكلمة واللحن والايقاع (المتميز) حالة من حضور الماضى بكل ما فيه من شذى وعبق .

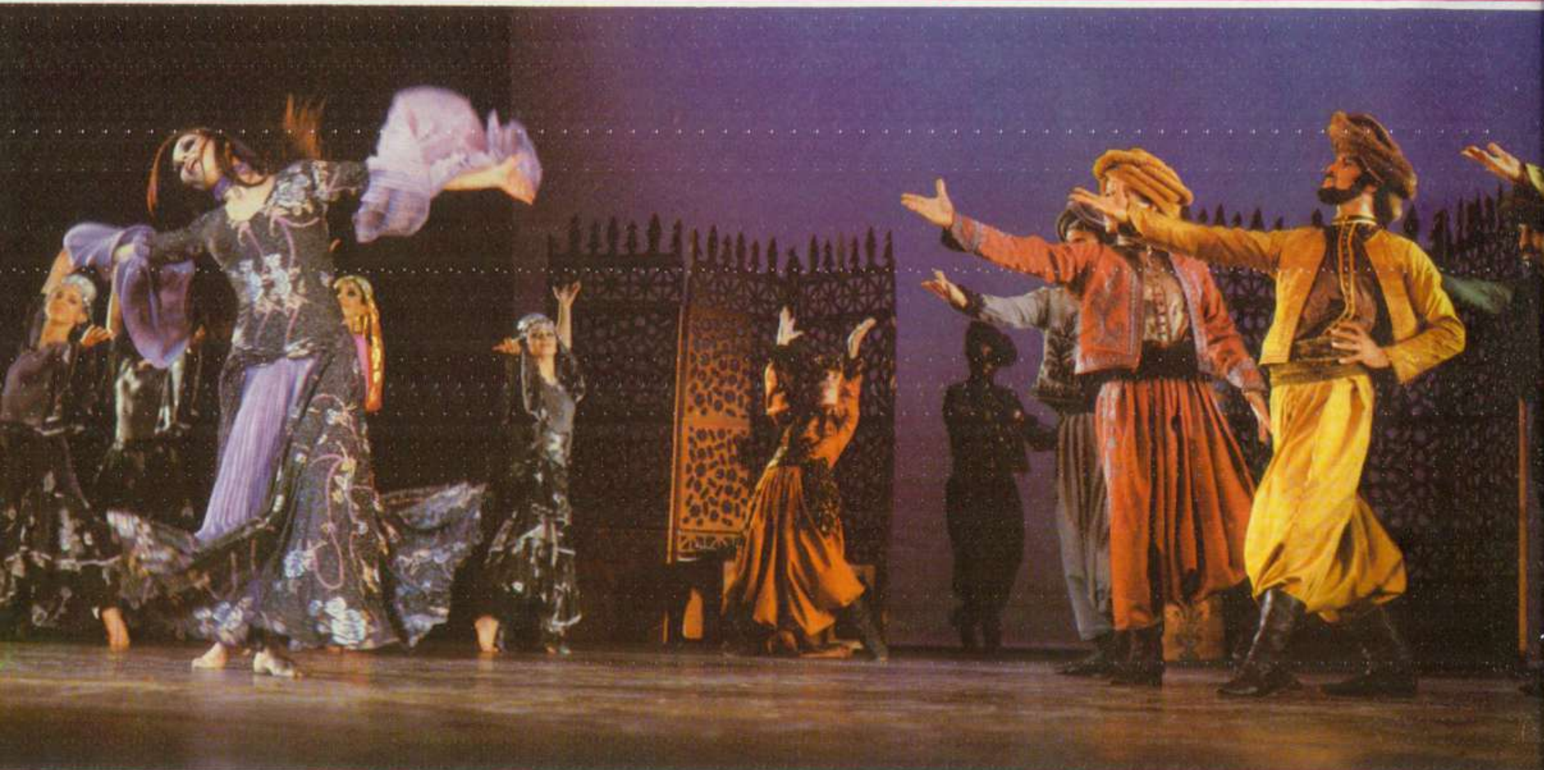
وهذا ما تحاول فرقة كركلا أن تقدمه لجيلنا من خلال عروضها التى كان آخرها « حكاية كل زمان » . فقد سبق لها منذ أن بدأت مسيرتها الفنية عام ١٩٦٨ أن قدمت أربعة عروض هى : اليوم ، بكره ، مبارح غرائب العجائب / الخيام السود / طلقة النور .

الروح العربية فى عرضها الأخير

لكن ما يلفت النظر فيما شاهدناه هو أن الفرقة تستعرض لوحات من الحياة البدوية فى اطار فني يجمع بين الجديد



لوحة تظهر خيال المخرج ورشاقة الحركة الفنية فى المسرحية الغنائية « حكاية كل زمان » التى تقدم صوراً من واقع الحياة القديمة فى المنطقة العربية ، حيث بث الانسان الكثير من روحه واحاسيسه المرتبطة بالأهل والأرض .



والقديم ، بين ما نعرفه وما سمعنا به ، بأسلوب يجعلك تتساءل : كيف تجاهلت ولم أعبأ بهذا النوع من الموسيقى وبهذه المعاني الجميلة العذبة وهذه الصور البديعة من قبل ؟

وهو بلاشك تساؤل على جانب من الأهمية أوقدته فى اذهاننا ، الآن وعلى حين غرة ، مشاهد الصحراء العربية الزاخرة بالصفاء . وهذه الأهمية تكمن فى أننا لم نعد نستلهم من نشوة الماضى فرح الحاضر ، وهى تذكرنا أيضاً باننا مازلنا (للأسف) نعتقد عموماً بأن الفن الريفي غير متطور ونترفع عليه ، بينما هو حقيقي ونابع من القلب .

ولم يكتف كركلا بان لملم القصائد الغنائية من دفاتر العربى القديمة ، ولم يكتف بجمع صور الفروسية من خلف التلال ليؤلف منها مكتبة هى الوحيدة من نوعها فى العالم العربي ، بل راح يستوحي من تلك المعانى والصور حركات راقصة تتعانق مع النشيد فى انسجام ونشوة ، ويصمم لتلك الرقصات أزياء طرزت بنسيج والوان بدوية أخاذة .

لقد نقل عبد الحليم الينا بالصوت والشكل والايقاع حدو الجمال وهى تسير على الرمل بتثاقل وكسل ، وأسمعنا صوتاً من تلك القوافل يقول :

طل الغزال الربربي
بحلتو المدهبى
بجبين عالي طلتو
بتقول ياشمس اغربى

كما نقل ولع أجدادنا بالخيول وروح الفروسية . وهنا أيضاً نموذج مثالي للتوافق الفريد بين الكلمة والايقاع فى الموسيقى الشعبية القديمة :



شـدوا لـي عـلى الهجين
يا محـلى رجوب الخيل
شـدوا لي على الشـقرا
اللي هي باول الخيـل

مواجهة للغناء الرخيص

ومع صوت (علي حليحل) البعلبكي ، الذى يملك قوة الصخر ونقاءه ، مصحوباً بحركة (غسان فضل الله) التى لا مست العفوية على المسرح ، عاد الزمن بنا فجاة مئتى عام الى الوراء ، فعشنا فى قلب التاريخ لحظات حقيقية تنسمنا فيها نفحة عطرة من تلك الأيام ، واقتربنا من موقد خيمة تصدح فيها الربابة ويعلو الموال الذى أطربنا من الأعماق :

هيجـالوا هيجالـوا
شال الضعن شـالو
ويا عيني ويـا روحـي
يا مـربط دلالـو

يـا حـامل الجـودي
جـودي على جـودي
لقعـد لك راشـودي
لشـد الحبـالو

يا لابسه مـرمح
مـرمح على مـرمح
بعـد حبـك روح
قبله ورد شـمالو

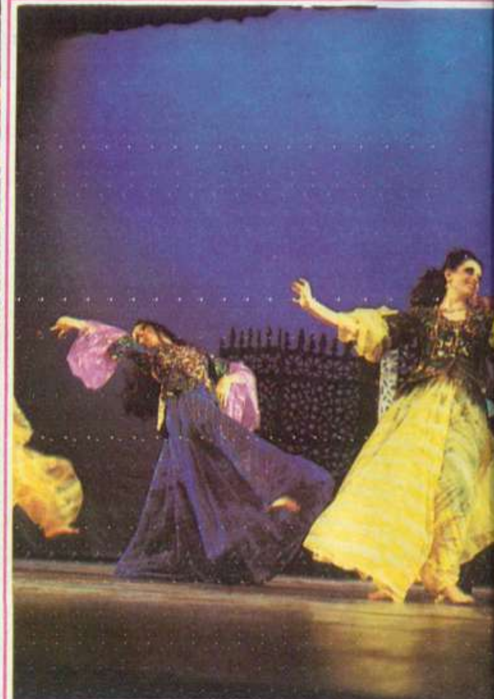
هيجالـو مين قالك
وعبيتي مـين دلك
وانا شـفتو شـالك
من جيبـة شروالـو

وكان السؤال فيما بعد : لماذا ، وفى تراثنا ذلك النوع من النغم الأصيل ، يترك العنان الى أخره لما نشهده فى هـذا الزمان من غناء رخيص والحان (كراكوزية) فقدت كل وازع أو ضابط .. وانطلقت بهمجية تجارية تخدش أسماعنا وتستهتر بتوقنا وحاجتنا لكى يكون لنا موسيقى ذات ملامح محددة، لها جذور ؟

الفرق بين عبد الحليم كركلا والسواد الأعظم من الفنانين العرب هو ان الأول يحاول أن يطور (بأصالة) . انه ينبش فى التراث ، تراثنا الفني والاجتماعي ، ويبرزه باطار فنى .. وهو بهذا العمل يساعد فى ايجاد استمرارية حضارية فى مجال الفن تصون ذوقنا من التشويه والتلاشي فى خضم ما يرد الينا من عبث داخل أشرطة الكاسيت والاسطوانات المصنوعة فى المانيا الغربية وكوبنهاجن ، (واقبية) سوهو و (خلتات) برودواي !



لقطات مختلفة وحركة لامست العفوية فى تصويرها للعادات والأفراح التى سادت فى منطقة بعلبك اللبنانية قبل مئات السنين .. ومن بين هـــذه اللقطات رفع بعض الشباب لوحة للفارس فى الحكاية الشعبية .



لماذا شكسبير ؟ !

أما « حكاية كل زمان » فهى ماخوذة عن مسرحية ويليام شكسبير الشــــــهيرة "TAMING OF THE SHREW" التى تحكى عن لعبة الأخذ والرد الأزلية بين الرجل والمرأة ، إذ يحطم الرجل العاشق جبروت زوجه وشراستها ، فتستسلم له ملبية عن قناعة وحب ، بعد أن كانت تزار وترعب كل من لامسـها أو اقترب منها ! يفعل (الزوج) ذلك بسلوك فيه مزيج مذهل من الحيوية الدافقة والرجولة الصلبة الحانية . وكان القصة تريد أن تقول لنا فى النهاية ان الطريق لترويض امراة شرسة وامتلاك قلبها يمر عبر ساحة الوعي وادراك الفعل ، لا مجرد اغداق العاطفة الدافئة على طريقة روميو .

وبالنسبة لهذا العرض فقد كنت اتمنى لو ان عبد الحليم كركلا لجا الى رواية من نفسه أو من مكتبته « التراثية الفريدة » .. من أى حدث تاريخى أو (تراثى) ينسجم مع الشكل الفنى الذى يقدم به عمله .

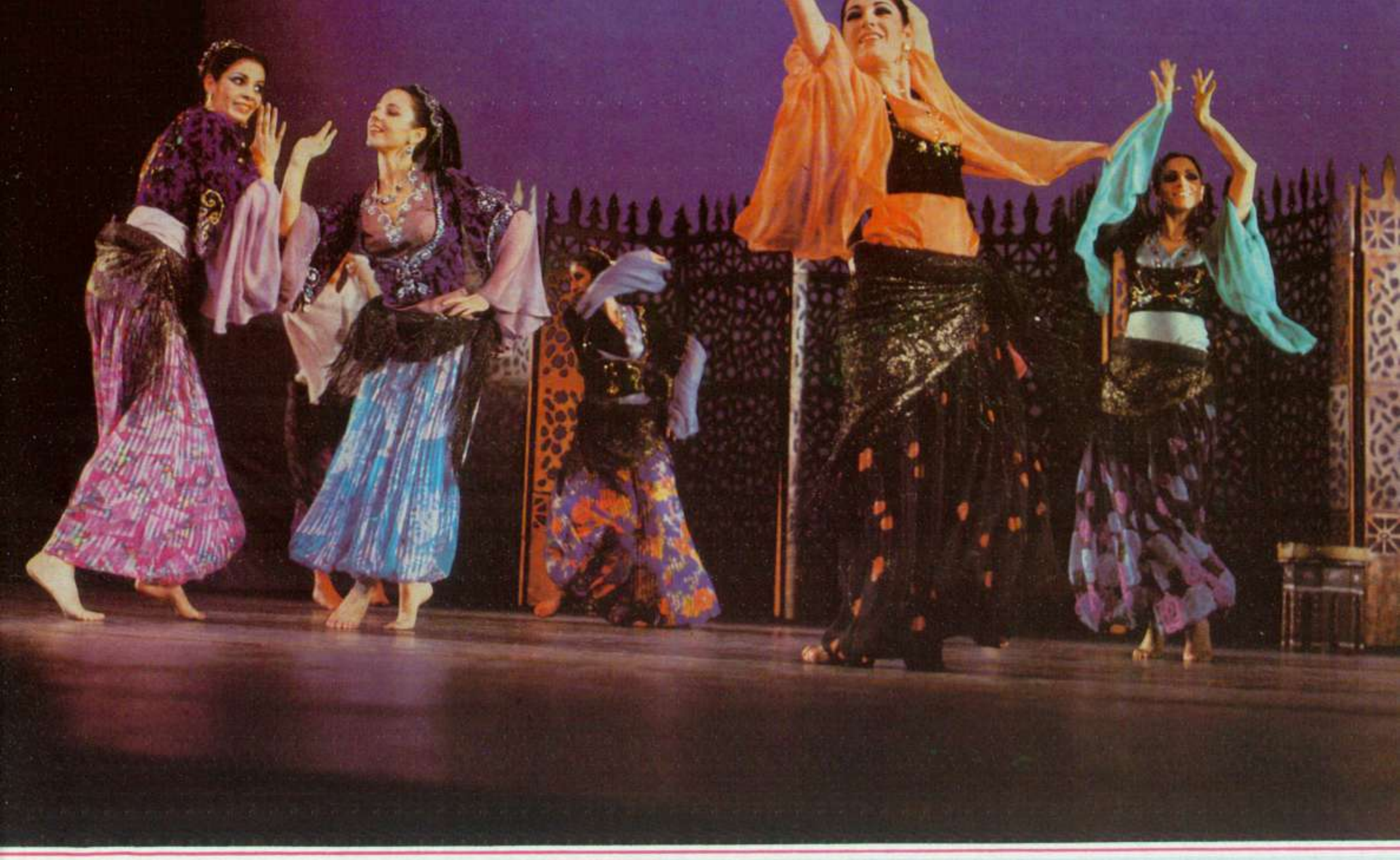
لقد أحسن تدريب الفرقة ، وأبدع فى الباسها حلة زاهية من تراثنا ، فكانت المشاهد أقرب ما تكون الى الواقعيـــــة الرومانسية والى الزمن السعيد الذى توارى . الا انه بالغ وانحرف عندما حشر شكسبير فى « قضية ابراز التراث العربى » التى يتصدى لها ويعمل من أجلها ! وتظهر هذه السقطة الفنية على نحو حاد فى اعتماد كركلا على تسلسل الأحداث ذاتها فى الأصل الانكليزى ! فان عظمة شكسبير تكمن فى (حواره) النافذ الذى يحلل الدوافع ويغوص فى الشخصية البشرية بشكل لا مثيل له ، كما يزخر بالرموز والاستعارة على نحو فريد . وفى « حكاية كل زمان » ، شاهدنا موضوعا (شكسبيريا) مفرغا من أى حوار ، ترافقه حركات راقصة ونغم عربى أصيل ! !

ولابد من القول ان الحركة ، وهى عماد هذا « الباليه العربى » ، أدهشتنا فى معظم مشاهد الفصل الأول ، الا انها مالبثت أن دخلت فى دوائر صغيرة من التكرار الممل فى الفصل الثانى .

لقاء مع الفنان

وقد استطعت بصعوبة أن أسرق بعضا من وقت عبد الحليم كركلا ، الرجل المثقف الطموح ، وطلبت منه أن يلخص لنا مسيرته ورسالته وأهدافه التى تحققت والتى لم تتحقق بعد ، فكان هذا الكلام :

« اني أملك أكبر مكتبة فنية تراثية فى



العالم العربى جمعتها خلال ١٥ سنة بمساعدة الدوائر الثقافية والاعلامية فى جميع الأقطار العربية . وقد جمعت مواد متنوعة عن تراث كل بلد أرجع اليها بشكل أساسى لتقديم أعمالى . لذلك تشاهد بعض الأغنيات تحافظ على أصالتها بالشعر الشعبى العفوي . فالشعر الذى نطق به الشعب هو أقوى وأقرب شعر الى القلب ، لأن الأصالة تسري فيه . والآن أصبح هناك (مركز كركلا للأبحاث الفولكلورية) ببيروت وفيه يتم تجميع كل المواد التراثية من ألحان وأغان وأزياء وقصص ، بالاضافة الى التراث الأدبى القديم . اني أنظر لروح الحركة الراقصة وأصنع خطوطاً جديدة لها لتعكس مميزات التحركات العفوية فى بيئتنا ونحن أيضاً نصمم التحركات (الكوريوغرافية) ونضع لها الايقاعات الجسدية التى تناسب حركات الجسم . ومن ثم ايكون هناك (ميلودي) خاصة نستوحى منها ايقاع الجسد . هذه الميلودي بالذات وهذا الايقاع نقدمه الى المؤلف الموسيقي مع الرسم الهندسي للمشهد ، فيقوم بدوره بوضع التوزيع الموسيقى الملائم لتتزاوج الموسيقى مع الحركة ، ولتأتي الحركة والموسيقى من نفس الروح . والمؤلفون الموسيقيون الذين أعتمد عليهم هم : الأخوين رحبانى ، زكى ناصيف ، مارسيل خليفة ، الدكتور وليد غلمية ، ومنير بشير – أشهر عازف عود فى الشرق (العربي) » .

«إن ما نقدمه هو خطوة ابداع فى تاريخ الفن العربى ، كما عبرت عن ذلك احدى الصحف الأجنبية . ويمكن أن ألخص رسالتنا وأهدافنا كما يلى :

– إحياء التراث العربى بشكل فنى يتناسب مع الحضارة المعاصرة .

– خلق مسرح راقص ، كما تفعل الأمم المتحضرة ، لتعريف الشعوب والعالم بحضارتنا القديمة والمعاصرة .

– توظيف النجاحات التى تقطفها الفرقة اعلامياً فى مختلف بلدان العالم ، كمستوى حضارى من بيئتنا وشعبنا العربى .

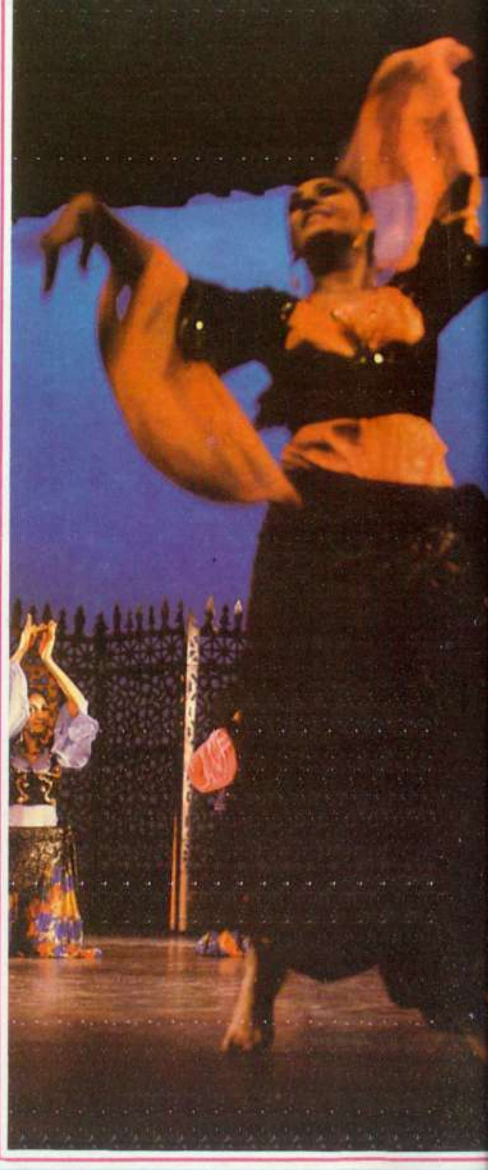
– مواصلة المحافظة على التراث وتعريف الجيل الجديد عليه . فبعد أن أخذت المادية تطغي على حياتنا الاجتماعية ، أصبح من اللازم ايجاد وسيلة ثقافية وفنية يمتصها الجيل الجديد ، وتعرفه على مضمون تراثنا الذى نتميز به عن غيرنا من الشعوب . وبما أننا نتغنى بحضاراتنا القديمة ونمجدها ، فلابد ، إذن ، من إحياء هذه الحضارة بواسطة هذا المسرح الراقى .

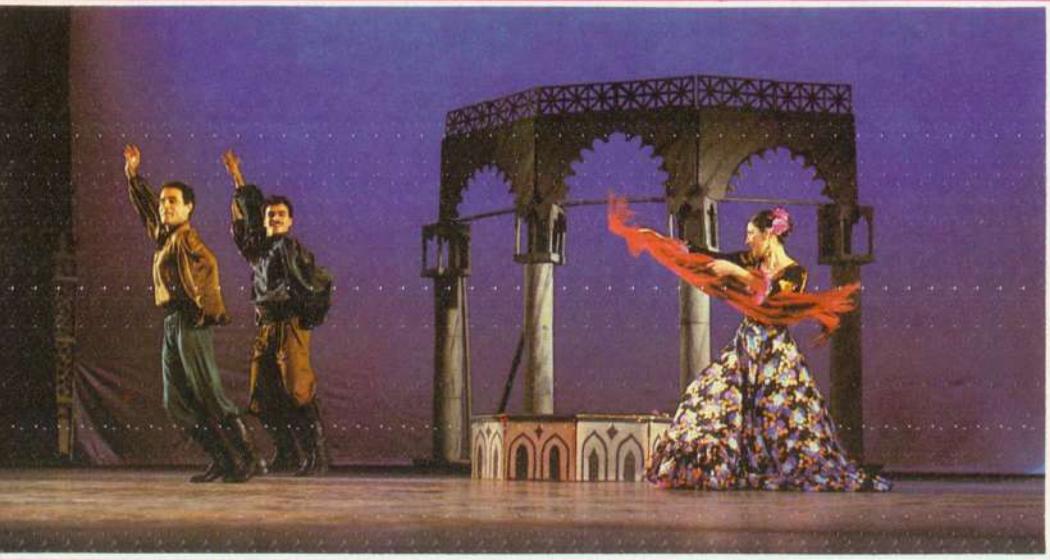
– خلق جمهور عربى يتذوق هذا النوع من الفن المسرحى .

– تصنيع الفولكلور كمادة أساسية مع المحافظة على أصالة هذه المادة وتطويرها بشكل يعطيها أبعاداً فنية عالمية تتعرف عليها الحركات الثقافية فى العالم . ومن



في اللقطات الاربع المنشورة من اليمين إلى اليسار نرى : فتيات الضيعة يتهامسن احلامهن ، ثم صبية تنطلق بحركة فنية بديعة نحو خيال وافق بعيد ، وفي اللقطة الثالثة نرى امكانية كركلا في التعبير عن التراث الشعبي من خلال الشكل الفني المدهش في بساطته ، وفي اللقطة الأخيرة نرى الشخصيتين الرئيسيتين في مسرحية « حكاية كل زمان » وحركة تثبت نجاح عبد الحليم كركلا في إيجاد باليه عربي متطور .





خلال خمسة اعمال لفرقة كركلا ، كانت النتيجة انتزاع اعلى مستوى من النقد العالمي لأعمال هذه الفرقة مع إعجاب كبير من الجماهير . وهذا ، طبعاً ، تاكيد على اصالة هويتنا التراثية وما تحتويه من مضمون انساني ، وهو ايضاً تاكيد للمستوى الفني الراقي الذي يتمتع به أفراد هذه الفرقة أثناء الأداء» .

عطاء التراث

وفي وقت لاحق ، اتصلت بالأستاذ عبد الحليم كركلا هاتفياً ، وسالته عن الأصول الجغرافية والسكانية لمادته الفولكلورية ، فقال :

«إن الايقاعات والأزياء في أعمالي مستمدة ومستقاة من بعلبك وسهل البقاع وشمال سوريا والموصل في العراق الى حدود الجزيرة العربية . وبالتحديد من قبائل المعدان والرولا والعنزة والشمر ، بالاضافة الى قبائل قرطاجة بتونس وتلمسان في الجزائر ، وتطوان في مراكش ، حيث الموسيقى الأندلسية القديمة» .

«الانسان العربي» ، اضاف عبد الحليم ،

«هو اول من أوجد الموسيقى الوترية وأشكالها الفنية ؛ مثل التربيع في الموسيقى الأندلسية والايقاعات المركبة . وهذا يرجع الى الأسلوب الشعري (البحر الشعري) الذي كان سائداً في الأندلس والعراق والشام .

لذلك ، فان التراث هو منهل حضاري دائم ومتواصل العطاء لبناء مقياس حضاري جديد» .

واترك الفنان ومازالت هذه الصورة عالقة في ذهني .

منذ مئات ، وربما آلاف السنين ، كانت حزم النور الصباحي تنسكب على تلال بعلبك وكروم الموصل ، فتوقظ الرعاة وتحرك وتيرة الحياة .. وكان صياح الديكة وثغاء الخراف وتغريد الطيور اكثر الأصوات اليومية إلفة لدى الرجال والنساء والأطفال (الفصل الثاني ـ المشهد الرابع) .

وكان الناس سعداء لا يدركون مقدار سعادتهم ماداموا في رحابها .. عرس (زفاف) احدهم في الضيعة أو البلدة هو عرس للجميع .. وحزن أي واحد منهم ما يلبث أن يتحول الى حداد عام . ولقد ربطت تلك الوحدة الانسان بالارض والعالم في وثاق من نور . وفي منطقتنا ، اكتسبت الحياة هذه الملامح النقية عبر العصور .

ووجدت صدى لها في الرسم والنقش ، كما في الرقص والغناء الشعبي .

فشكراً لفرقة كركلا اللبنانية التي تحاول ان تقدم لنا ، نحن أبناء هذا الجيل ، صورة حية للسلام الذي كان !

جميل العابد

لقطات من الكون المثير



هذه الفراشة ما رقمها؟

اى رقم تقصد ؟ .. هكذا ربما يتساءل البعض . صحيح ان السؤال يبدو بغير ذات معنى ، لأن الفراشات جاءت الى الحياة بدون أرقام ، إلا هذه الفراشة ، فلو دققت النظر على جناحها ، لوجدت الرقم ٨٩ واضحاً ، وهو رقم عربى لا افرنجى ، لأن الارقام الافرنجية هى فى الأصل عربية ولازال المغرب العربى يستخدم هذه الارقام ولكن ذلك ليس بيت القصيد ، إذ ربما يطرا على الاذهان تساؤل : لماذا جاءت الفراشة حقاً بهذا الرقم ؟ .. والسؤال لا جواب له ، وهو ايضاً بغير معنى ، بل جاء ذلك نتيجة لصدفة فى تداخل الخطوط والألوان ، وهو امر متوارث فى هذا النوع من الفراشات ، فان كنت تعرف تفسيراً معقولا لذلك ، فدعنا نعرف !



الطبيعة هي معمله !

هذا الرجل المسن ، ليس خالى شغل ، ليتسلى بتربية الأوز ، لكنه عالم كبير يدعى كونراد لورنز ، وهو خبير فى لغة الأوز ، وايضاً فى لغة الحيوان عامة ، والطبيعة هى معمله ،

ولهذا فقد جلس ببساطة الى جزء من عالمه ولقد امضى فيه معظم حياته ، ليدرس ويستنتج وينشر بحوثه فى المجلات العلمية المتخصصة ، فالصورة وان بدا فى ظاهرها الهزل ، لكن فى باطنها الجد ، لأن الرجل يتحدث لغة الاوز ، والاوز متفهم للغة الرجل ، وبينه وبينها تجاوب وتالف ،

بقى أن نضيف أن هناك معهداً فى ولاية بافاريا يسمى باسمه ، وهو معهد كونراد لورنز للسلوك الحيوانى .

صدفة في حكم المستحيل

الصورة لفتاة تدعى هيدى هينريكسن ومعها شقيقاها اولاف وليف مارتن من النرويج ، والصورة فى حد ذاتها عادية ، لكن الغريب والمثير حقاً انهم ولدوا فى شهر فبراير ، ويجىء تاريخ ميلادهم بالترتيب هكذا : ١٩٦ ، ١٩٦٤ ، ١٩٦٨ ، لكن الأغرب من ذلك انهم جميعاً يحتفلون بعيد ميلادهم كل اربع سنوات ، لأنهم ولدوا فى يوم ٢٩ فبراير ، وهى سنة كبيسة .. ومن الحالات الغريبة التى سجلت ايضاً فى السجلات الرسمية للولايات المتحدة الامريكية ان خمسة اخوة قد جاء تاريخ ميلادهم جميعاً فى يوم ٢٠ فبراير من اعوام ، ١٩٥٢ ، ١٩٥٣ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦١ ، ١٩٦٦ ، حدث ذلك فى ولاية فيرجينيا لوالدين يدعيان رالف وكارولين كامينز ، ومثل هذا الحدث لا يتكرر حسابياً إلا مرة واحدة فى كل ١٧,٧٩٧,٥٧٧,٧٣٠ حالة ، لكنه تكرر فى أمريكا بلاد العجائب !





أين صاحب هذه العين؟

تامل فى الصورة جيداً ، علك تتوصل الى سر اللعبة ، لأن اللعبة ذاتها هى الحد الفاصل بين الموت والحياة ، فمن اتقن اصولها عاش ، ومن تهاون فيها مات ، فصاحب هذه العين ضفدع صحراوى ، وله أعداء كثيرون ، حيات وثعالب وطيور .. الخ ، وهى جميعاً تطمع فى لحمه ، ولم يجد الضفدع سبيلا يحتمى به ويلجا اليه ، إلا لعبة الاختفاء أو التمويه ، مستعيناً على ذلك بخامات البيئة ، ولهذا لم يجد إلا الرمال يهيلها على رأسه وجسمه ، ليحمى نفسه ، ولم تظهر إلا عينه ليرقب بها الأعداء ، حتى العين ذاتها يمكن اخفاؤها تحت جفنه ، والجفن بدوره جاء بلون الرمال (كما هو واضح فى الصورة) ، فاذا اسبله على عينه ، اختفى كل شىء ليكون التمويه متقناً غاية الاتقان ، ولا نملك إلا أن نطاطىء رؤوسنا إجلالا لعظمة الله التى أبدعت هذا الاعجاز العظيم .

حــــامد عـــــويس :

فنان عربي يتسابقون على طبع لوحاته في أوروبّا

بقلم
صبحي الشـــــاروني

إنه واحد من ألمع نجوم الجيل الثالث من أجيال الرسامين المصريين حتى وصل إلى منصب عميد كلية الفنون الجميـــلة بالأسكندرية قبل بلوغه سن التقاعد ، وهو الآن أستاذ غير متفرغ بالكلية ونقيب الفنانين التشكيليين بمدينة الأسكندرية .

ويتميز «محمد عويس» عن كل أفراد هذا الجيل باخلاصه الشديد لفنه وفكره ، مع وعيه بدور الفن فى المجتمع واهتمامه بتفجير طاقات الابداع عند تلاميذه ، وحضهم على الاهتمام بالثقافة وتنمية الوعي بالأحداث الاجتماعية والسياسية .

إن الأثر العميق الذي حققه «عويس» في مسار الحركة الفنية بالأسكندرية ـ التى استوطنها منذ شبابه ـ يتمثل فى أجيال غزيرة العطاء ، لكل فنان من أفرادها تميزه الواضح ، وشخصيته المتماسكة وثقافته الواسعة .

السنوات الأولى

ولد الفنان في الثامن من مارس عـــام ١٩١٩م بقرية مجاورة لمدينة بني سويف بمصـــر ، وخلال دراسته الثانوية ظهرت موهبته الفنية ، فكان معروفاً بين الجميع بمهارته فى الرسم . ولأن كل سكان القرية ينتمون إلى عائلة واحدة ، فكان محمد عويس يرسم واجهات منازل الحجاج من أقاربه احتفــــالا بعودتهم من الأراضى المباركة .. وربما كانت هــــذه البداية المبكرة فى تنفيذ رسومه على الجدران بمساحاتها الضخمة ، ربما كان لها تاثيرها



لوحة السد العالى .. نلاحظ فيها صفات الفن الصرحى والتكوين الملحمى

على اسلوبه الفني الذي عرف به فيما بعد، والذي يوحي بالضخامة والتذكارية ، ويجعلنا نحس قرابة بين اشكاله واشكال لوحات الفن الحائطي المكسيكي الذي تالق فى حقبة الثلاثينيات .

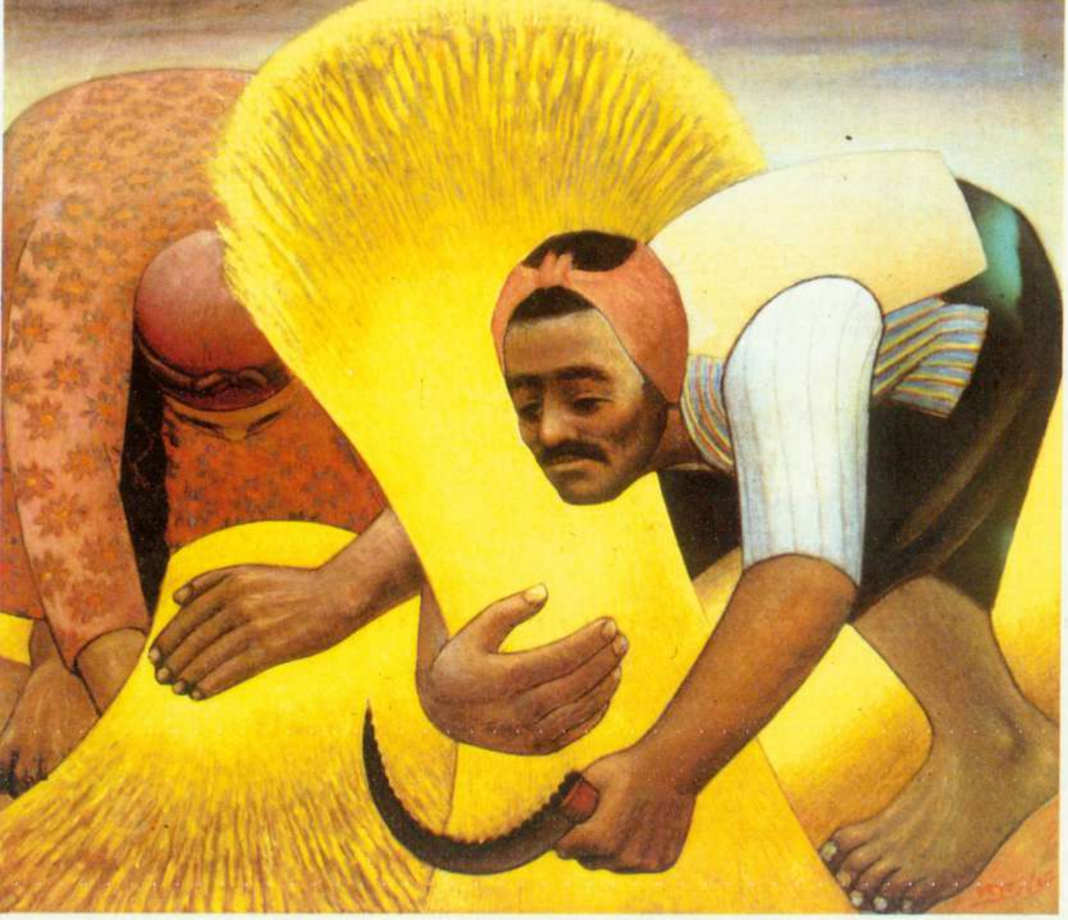
كان مدرس الرسم في المدرسة الثانوية «ببني سويف» يقول له إن مستقبله فى دراسة الفنون الجميلة ، ولكن والدته أرادت أن يصبح ابنها ضابط شرطة ، لانها كانت تشاهد كيف يهتز كيان القرية بعنف عند وصول ضابط شرطة لأي سبب من الأسباب .

وعندما انهى محمد عويس دراسته الثانوية عام ١٩٣٩ قام والده بالتقدم باوراقه الى «مدرسة البوليس» .. لكنه لم ينجح فى « كشف الهيئة » ، فحمل الفتى أوراقه وذهب إلى مدرسة الفنون الجميلة العليا .

ورغم هذا فيبدو أن «الزى العسكرى لمحمد» لم يكن رغبة الأم وحدها وانما كان يشاركها الابن فى هذه الأمنية ، فقد انخرط الفنان بعد قيام ثورة ١٩٥٢ فى الجندية وأصبح «ضابط احتياط» .. وعندما وقع العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ استدعى للخدمة العسكرية حيث عمل لمدة عام كامل فى معسكر الشاطبى بالاسكندرية وسرح عام ١٩٥٧ ..

فى القاهرة كان الفتى يقيم فى منزل أحد اقاربه فى حي بولاق المجاور لحي الزمالك حيث مقر مدرسة الفنون الجميلة .. كان يحلو له أن يتطلع إلى الاعلانات عن الأفلام السينمائية ، كانت تبهره الوانها وضخامتها فيطيل تاملها .. وعندما عرف الطريق إلى «فيلا أمينة البارودى» التى كانت قصراً لمدرسة الفنون الجميلة بالزمالك قبل توسعها لتضم فيلا الدكتور طه حسين وقصر عبود باشا الملاصقان لها ـ كان يحلو لعويس أن يتسكع حول سور المدرسة متطلعاً إلى الأعمال الفنية الاغريقية والمصرية القديمة التى لها نسخ فى حديقة الفيلا ، وكان الحارس يطرده عندما يلاحظ كثرة تسكعه هناك .

وصل الفتى الى مدرسة الفنون الجميلة العليا فى آخر يوم من الأيام المحددة للتقدم للالتحاق بها .. وتذكره الحارس فرحب به هذه المرة ... وأمضى عويس أسبوعاً فى التدريب على الرسم بالفحم ليجتاز اختبار القبول ، فكان ضمن ١٤ ناجحاً من بين ٢٠٠ طالب خاضوا هذا الاختبار .. وبعد السنة الاعدادية تخصص فى فن التصوير



الحصاد .. من أعمال الفنان الزيتية الرائعة التى رسمها فى عام ١٩٧٤

الزيتى الذى درسه على يدى الفنان الرائد أحمد صبرى ...

وانغمس الفنان فى النشاط الاجتماعى والرياضى خلال دراسته الجامعية ، فكان يشغل منصب وكيل اتحاد الطلبة الذى يرأسه عميد الكلية فى ذلك الوقت «شفيق زاهر» ، وقد تزعم طلاب قسم التصوير الزيتى فى المطالبة بالاستمرار فى دراستهم مع أستاذهم أحمد صبرى حتى بعد توليه رئاسة قسم الدراسات الحرة الذى انتقل اليه مع مساعده فى ذلك الوقت «حسين بيكار» ، وهكذا رسموا لوحاتهم خلال العامين الأخيرين قبل تخرجهم فى كلية الفنون الجميلة جنباً الى جنب مع هواة الرسم الملتحقين بالقسم الحر .

فى هذه الفترة بدأت تتفتح عينا الفنان على القضايا الاجتماعية والسياسية ، فى فترة الحرب العالمية الثانية وما بعدها .

انهى الفنان دراسته فى كلية الفنون الجميلة عام ١٩٤٤ فلم يجد عملا ، فتقدم للالتحاق بمعهد التربية الفنية للمعلمين ليعمل مدرساً للرسم بعد حصوله على المؤهل التربوى ، وقبل بالقسم الداخلى ، وبدأ يحقق دخلا من فنه عن طريق رسم وجوه جنود الحلفاء الذين كانت تعج بهم القاهرة خلال الحرب العالمية الثانية ، فكان

يتقاضى جنيهاً أو جنيهاً ونصف عن كل وجه يرسمه بالفحم .. وعندما حصل على دبلوم المعهد عام ١٩٤٦ عين فى مدرسة الخديوي اسماعيل الابتدائية مدرساً للرسم وبقى فيها ثلاث سنوات عمل خلالها بالفن وبالسياسة .. لقد كان شبابه مشحوناً بالجهاد .

انضم الى جماعة صوت الفنان التى كونها المثال جمال السجينى عام ١٩٤٤ وكانت تضم عز الدين حمودة وصلاح عبد الكريم وتهدف الى التحديث ليكون الفن : «عملا ايجابياً يهز وجدان الناس ويوقظ مشاعرهم .

وقد استاجر الفنان حامد عويس (بدروم) فى المنزل المواجه لمدرسة الخديوى اسماعيل الابتدائية التى عين مدرساً للرسم بها ، وجعل منه مرسماً له ومقراً لاجتماعاته مع زملائه .. بينما كان مقر جمعية صوت الفنان التى أسسها السجينى بمنزل صغير فى شارع الخليج المصرى .. لكن جماعة صوت الفنان تفرقت عام ١٩٤٦ عند سفر مؤسسها جمال السجيني الى بعثته فى الخارج ، فاسرع عويس ومن تبقى من زملائه الى تأسيس «جماعة الفن الحديث» .



كلام هام .. لوحة زيتية للفنان موجودة بمتحف كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية

حامد عويس:

فنان عربي يتسابقون على طبع لوحاته في أوروبّا

وسافر محمد عويس الى الاسكندرية لأول مرة عام ١٩٤٨ طالباً مقابلة الفنان الكبير محمود سعيد (بك) ليسهل لجماعة الفن الحديث اقامة أول معرض لها بالاسكندرية فى قاعة «الاتيليه» بالثغر .

وكان مقر «الاتيليه» يقع فى مبنى تشغل طابقه العلوى «جمعية الصداقة المصرية الفرنسية» وسعى محمود سعيد الى اقامة معرض الجماعة فى قاعة جمعية الصداقة بدلا من «الاتيليه» ، وكانت افضل كثيراً .. وبعد هذه الزيارة أحب محمد عويس مدينة الاسكندرية ، فبدا يفكر فى استيطانها .. وجاءت فرصته عام ١٩٤٩ عندما تقرر ترقيته الى مدرس رسم بالتعليم الثانوى خارج القاهرة ، فطلب نقله الى الاسكندرية وهكذا انتقل الى الثغر ، واستمر به حتى الآن .. أما جماعة الفن الحديث فظلت تقيم معرضاً لانتاجها فى القاهرة ثم ينتقل الى الاسكندرية سنوياً بانتظام حتى عام ١٩٥٤ وهو العام الذى توقف فيه نشاطها

وهكذا لم ينعزل الفنان عن قلب الحركة الفنية بالقاهرة بعد انتقاله الى الاسكندرية وكانت جمعية خريجى كلية الفنون الجميلة فى أوج نشاطها ، واعلنت عن رحلة فنية الى ايطاليا بمناسبة اقامة معرض بينالى البندقية عام ١٩٥٢ الذى عرض الفنان فيه عملين من انتاجه ، واشترك فى هذه الرحلة عدد كبير من الفنانين الشباب وغيرهم الذين تالقت أسماؤهم فيما بعد ، بل اشترك فيها أيضاً شباب من غير خريجى الفنون الجميلة مثل الكاتب انيس منصور والممثلة لبنى عبد العزيز ، وكانت تكاليف هذه الرحلة مائة جنيه مصرى للفرد ، وقد اشترى محمد عويس كتباً ومراجعاً فنية بمبلغ ٥٠ جنيهاً وقد اصطحب معه زوجته ، فزاروا متاحف ايطاليا وآثارها .. وقد وقعت أحداث ٢٣ يوليو قبل أن ترسو بهم السفينة التى اقلتهم الى فينيسيا ،

واستغرقت اقامتهم فى ايطاليا شهراً بعدها عاد الجميع ما عدا عويس وزوجته اللذين واصلا رحلتهما الى باريس لمدة شهر آخر ، عادا فى نهايته بحصيلة وافرة من الرؤية الفنية والمعرفة الثقافية .



الانتصار .. من أعمال الفنان التى يتضح فيها الأسلوب المبسط والتباين اللونى مع عدم التنافر

فى عام ١٩٥٦ قبيل العدوان الثلاثى على مصر استدعى الفنان للخدمة العسكرية كضابط احتياطى ، لكن الانخراط فى الجندية لم يعزل «عويس» عن النشاط الفنى حيث اشترك فى صالون القاهرة بلوحات أثارت الالتفات والاعجاب ، فتم ترشيحه ضمن عشرة فنانين لتمثيل مصر فى «جائزة جوجنهايم» العالمية فى أمريكا ، وجاءت لجنة تحكيم فرنسية اختارت خمس لوحات من العشر ، فكانت لوحة عويس : «عمال الدريسة» من بينها .. وعند اعلان النتيجة اذا بلوحته تفوز بالجائزة العالمية ومقدارها ألف دولار ، وهكذا تم تتويج الفنان والاعتراف بفنه محلياً وعالمياً وبدأت سنوات الحصاد ..

فنان الواقعية

لما رسخت اقدام الفنان بعد فوزه بالجائزة العالمية ، اصبح يشارك بانتاجه مع كبار الفنانين فى ذلك الوقت فى تمثيل الفن المصرى بالمعارض الدولية .. فعرض فى نيودلهى بالهند ضمن الجناح المصرى فى معرض الفن المعاصر عام ١٩٥٧ ، وفى نفس العام مثل مصر بلوحاته فى مهرجان الشباب العالمى بموسكو .

وعندما بدأ التفكير فى اقامة نظام التفرغ للانتاج الفنى كان عويس والسجينى واحمد لطفى هم أول مجموعة تمنح التفرغ لمدة عام واحد لينتجوا اعمالهم الفنية ويتقاضون نفس مرتباتهم ، مع تخصيص مرسم لكل منهم ..

وانغمس الفنان طوال عام التفرغ (١٩٥٧ - ١٩٥٨) فى انتاج لوحاته الواقعية فكان اغزر انتاجه وافضله حتى اليوم باعتراف الفنان .

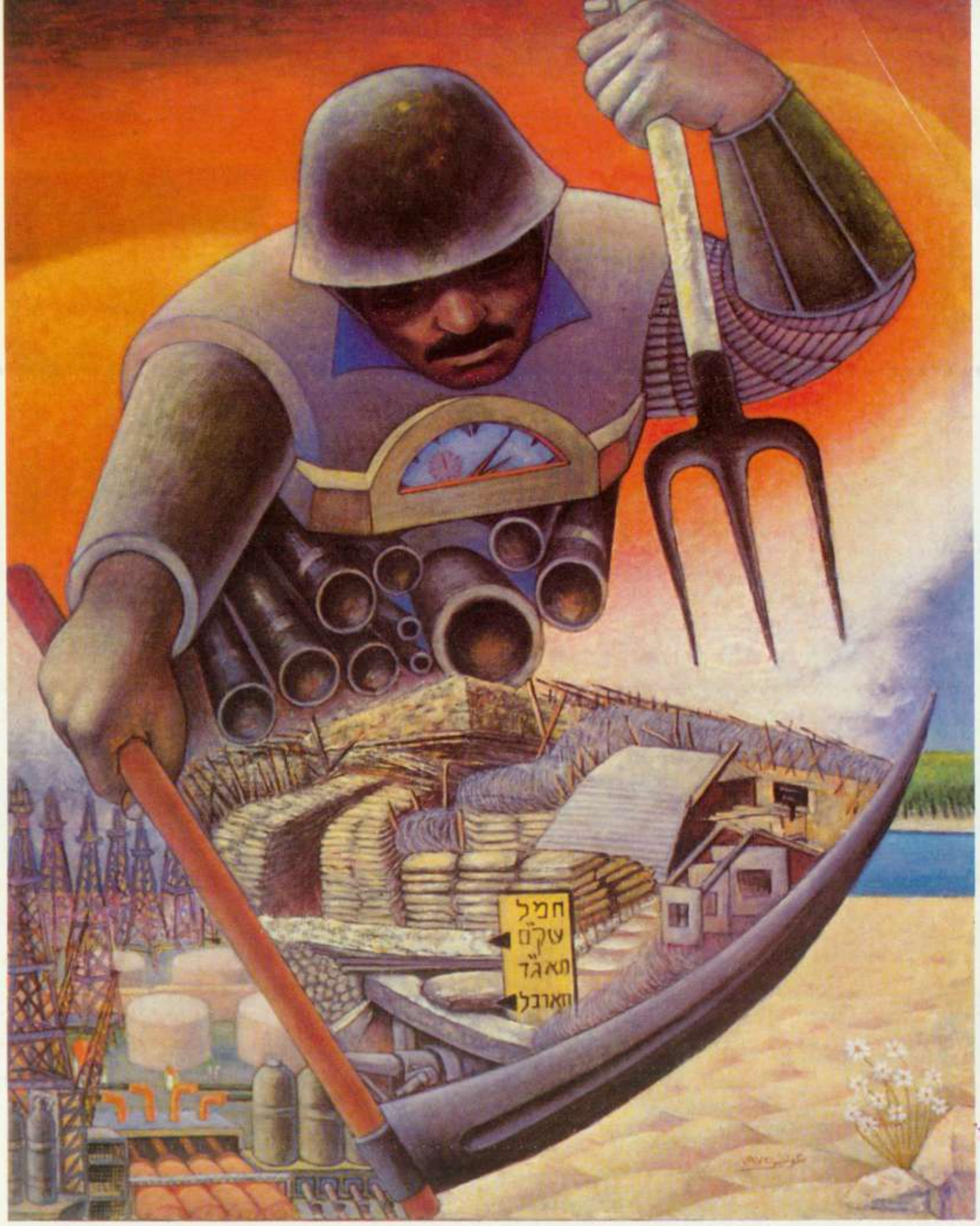
وفى عام ١٩٥٨ فاز بجائزة التصوير الزيتى الأولى فى معرض «صالون القاهرة» السنوى ، وسافر مع بعض اعماله ليمثل مصر فى بينالى البندقية فى نفس العام ، وبقى شهراً فى ايطاليا ، كما سافرت اعماله لتعرض فى معرض الفن المصرى المتجول والذى اقيم فى هولندا والمجر وتشيكوسلوفاكيا وألمانيا واسبانيا والاتحاد السوفيتى ، كما عرضت اعماله فى معرض الفن المصرى المعاصر الذى اقيم عام ١٩٥٨ فى موسكو ثم فى بكين .

وفى خلال عام التفرغ تأسست كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية ، فشارك عويس مع مؤسسها المثال الراحل «أحمد عثمان» فى البحث عن مكان لها .. وقد انتقل الى العمل بها أستاذاً لفن التصوير الزيتى ابتداء من العام الدراسى (١٩٥٨ - ١٩٥٩) .

وفى نفس هذا العام فاز بجائزة فن التصوير الزيتى على الجناح المصرى فى معرض بينالى الاسكندرية ، وهو المعرض الذى يتولى تحكيم الجناح المصرى به وتحديد الفائزين بجوائزه : المشرفون المرافقون لأجنحة الدول الأجنبية بالمعرض، وهى الدول المطلة على حوض البحر الابيض المتوسط .

وفى العام التالى ١٩٥٩ تلقى الفنان دعوة لزيارة بولندا وعرض اعماله هناك ، فسافر فى رحلة استغرقت ١٠ أشهر اقام خلالها معرضاً فى بوزنان واخر فى وارسو ، وقد اقتنى متحف بوزنان إحدى لوحاته .

وفى نهاية هذه الشهور العشرة سافر الفنان الى المانيا مع معروضاته وصدر عنه فى نهايتها كتاب متضمناً صور معظم لوحات هذا المعرض . وقد عاد الفنان فى مارس ١٩٦٠ بعد أن اقتنت وزارة الثقافة



٦ اكتوبر ١٩٧٣ .. من مجموعة الفنان الخاصة التى ابرز فيها عزم وشجاعة المقاتل العربى

حـــامد عـــويس:

فنان عربي يتسابقون على طبع لوحاته في أوروبا

الالمانية لوحة «الصيادين» .

وبعد بضعة اعوام أصدر متحف درسدن كتاباً عن اهم مقتنياته تضمن صورة لوحة «الصيادين» مطبوعة بالألوان .

وفى عام ١٩٦٧ سافر الفنان الى اسبانيا ليلتحق «باكاديمية سان فرناندو» بمدريد لمدة عام ونصف وذلك ليحصل على مؤهل معادل للدكتوراه طبقاً للتقاليد الجامعية .. وخلال هذه الاقامة اقام الفنان معرضين احدهما فى مدريد والآخر فى برشلونة ، واقتنى الاسبان معظم معروضاته فى المعرضين ، كما أصدر الناقد «كارلوس اريان» كتاباً صغيراً عن الفنان بالاسبانية والعربية .

وقد زار الفنان خلال عام ١٩٦٨ فرنسا وانجلترا والمانيا الاتحادية والنمسا ثم ايطاليا

وفي عام ١٩٧٦ تولى الفنان الاشراف على « متحف الفنون الجميلة والمركز الثقافي » بالأسكندرية ، ولكنه لم يستمر فى هذه المهمة اكثر من عامين .. إذ تولى منصب عميد كلية الفنون الجميلة بالأسكندرية عام ١٩٧٧ وظل يشغل هذا المنصب حتى سن التقاعد عام ١٩٧٩ ، واصبح استاذاً غير متفرغ لفن التصوير الزيتي بالكلية من ذلك التاريخ .

وفي مارس ١٩٨١ طار إلى الصين لمدة ثلاثة أسابيع شهدت خلالها معرضاً للوحاته فى مدينة بكين ، وزار خلالها عدداً من كبار الفنانين الصينيين وتعرف على اعمالهم .

وقد انتخب الفنان عام ١٩٨٢ ليكون نقيباً لفرع نقابة الفنانين التشكيليين بالأسكندرية .. اما لوحاته في مصر .. فتنتشر فى متحف الفن الحديث بالقاهرة ومتحف الفنون الجميلة بالأسكندرية ، وكذلك متحفي كليتى الفنون الجميلة بالقاهرة والأسكندرية .. فضلا عن المجموعات الخاصة .

« الواقعية الاجتماعية »

عندما انهى الفنان دراستة فى كلية الفنون الجميلة انتقل من الاسلوب الاكاديمى المدرسى ليبدأ بحثه الخاص عن شخصية متميزة ومتفردة ، فانشغل بالبحث فى الألوان والامكانيات المختلفة التى يمكن أن يستخرجها خلال تعبيره عن الموضوعات المختلفة ، أما اشكاله فى تلك المرحلة فكانت « تشويهية » بمعنى انه كان يعتمد على تحطيم النسب وتشويه الأشكال بالخروج على مماثلها فى الواقع ، مشاركاً بذلك فى التمرد العام الذى اجتاح شباب الفنانين فى الاربعينات ، كنوع من الثورة على الأساليب الاكاديمية والمدرسية فى الفن .

ويمكن أن نطلق على هذه المرحلة فى فن محمد عويس أسم « المراهقة الفنية » فمحاولة الاقتراب من عامة الشعب ، والتعبير عن مشاكله وقضاياه ، كانت تتطلب تقديم شكل يتلاءم مع درجة وعيه الجمالى ولا يتعالى عليه ، لكن هذا الجيل أثار ضجيجاً عظيماً حول موضوعاته وحول المضمون الذى تسعى الى ابرازه ، لكنها لم تحقق اي جماهيرية ولم يتعاطف معها المشاهدون الذين اجتذبهم الضجيج لزيارة معارض الشباب فى حقبة الاربعينات .

وسرعان ما تبين الفنان هذه الحقيقة فانتقل فى عام ١٩٥٠ الى البحث فى التجسيم وكيفية الايحاء بثقل الاجسام

واستدارتها وجرمها المجسم ، وتوصل فى عام ١٩٥٢ الى اسلوبه الفنى ليبدأ مرحلة واقعية استمرت حتى عام ١٩٥٧ ، تناول فيها شتى الموضوعات والمواقف البسيطة ، فى هذه المرحلة رسم الفنان لوحات جماهيرية تستطيع تذوقها القاعدة العريضة من المشاهدين .. موضوعاتها تتصل بمشاكل الناس وقضاياهم الاجتماعية ، معبرة عن امالهم وأمانيهم ،

فى هذه اللوحات احتلت الموضوعات مكان الصدارة ، واتسمت بديناميكية متفائلة ، فيها شموخ وصلابة وقوة فى البناء .

التعبيرية الاجتماعية

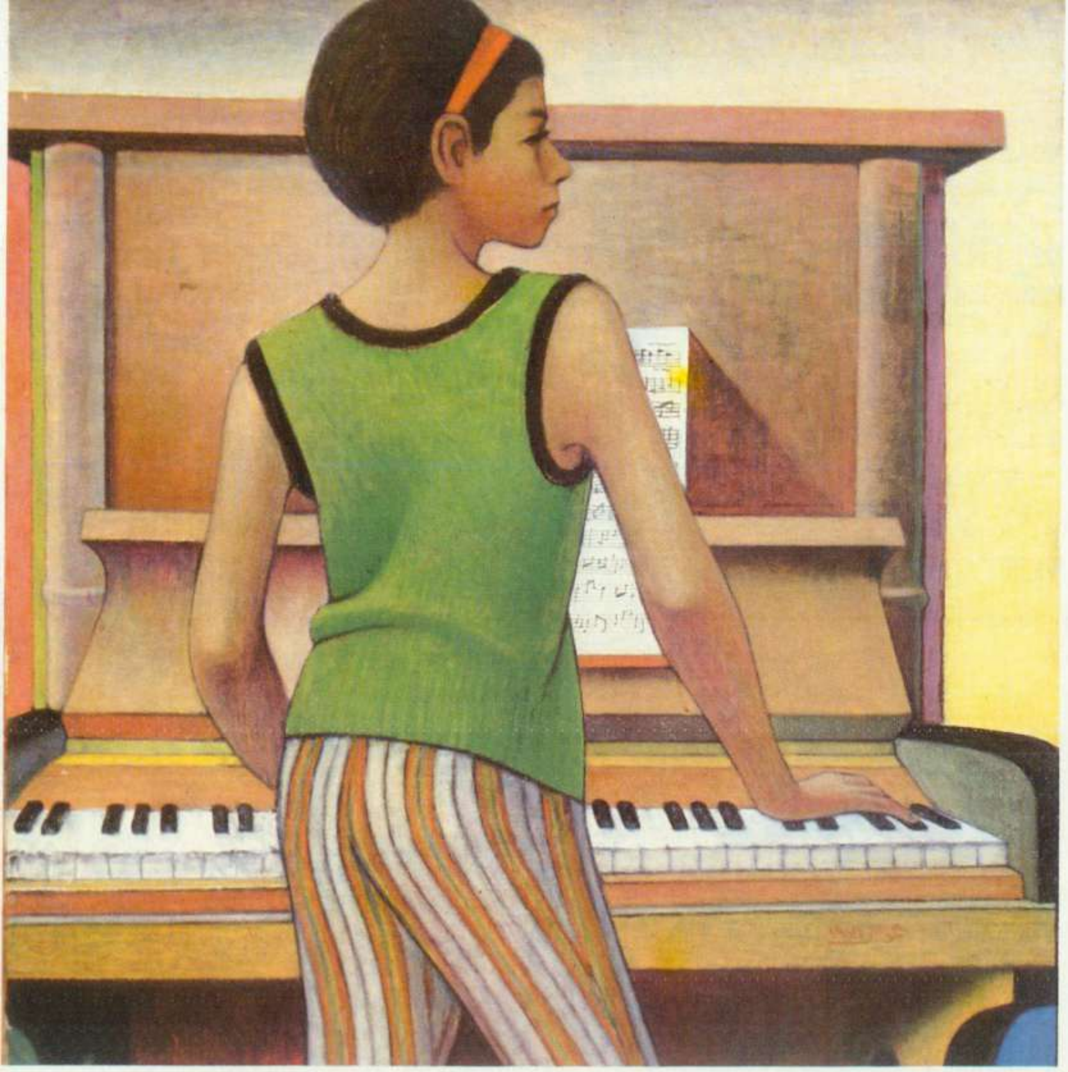
لم يتحرج الفنان من اللجوء الى بعض مميزات الفن الفطرى عند الرسامين البدائيين أمثال « هنرى روسو » كما فى لوحته « الطفولة السعيدة » حيث ينتشر جو اسطورى غامض

ونلحظ فى اعماله صفات الفن الصرحى والتكوين الملحمى ، والاخراج الضخم فالتكوين يشغل حيز الصورة بغير فراغات أو مساحات خالية .. ومن المعروف أن الاهتمام بشغل الفراغ هو من مميزات الفن الاسلامى .

أما الانسان فى اعماله يحجب كل شىء إنه البطل فى لوحاته ، بينما يكتنف الخلفية غموض سحرى كالذى نلحظة فى لوحات الفن السريالى .. وأخيراً يتمنى كل من يرى لوحات عويس لو رسمت على جدران ضخمة بمساحات فسيحة ، وهى صفة الفن الصرحى أو التذكارى « المونمنتال » .

وقد استمر تألق الفنان فى ريادته لهذا الاتجاه التعبيرى الاجتماعى حتى عام ١٩٧٠ .. وعرف كفنان واقعى بسبب تناوله للموضوعات الوطنية وتعاطفه الواضح مع الناس .. ولأن أسلوبه فى معالجة الاشخاص وطريقة الربط بينها وبين عناصر اللوحة تذكرنا بالرسم الحائطى المكسيكى . فالموضوعات المصرية رسمها باسلوب مبسط وألوان هادئة يحددها باللون الاسود الذى يكسبها وقاراً واتزاناً .

والفنان عويس يراعى فى لوحاته مجموعة من العناصر والمهارات التى تضمن نجاحها فنياً ، كسلامة الاتجاهات الخطية ، والتباين اللونى مع عدم التنافر ، والحرص على التعبيرات الحسية ، وذلك فى سهولة وبساطة واضحتين . بينما يعالج الموضوعات القومية بانفعال صادق. ان اعمال هذه المرحلة تتميز بالاتزان والوقار وقوة البناء .



اللحن .. من اللوحات التى يتضح فيها قوة البناء والحرص على التعبير فى بساطة ومراعاة كافة العناصر والمهارات الفنية

الرمزية الاجتماعية

بعد عام ١٩٧٠ انتقل الفنان الى مرحلة يمكن أن نطلق عليها « الرمزية الاجتماعية » يكثف فيها المعانى والأفكار فى رموز تعبر عن الاحداث الكبرى : كبناء السد العالى وحرب اكتوبر وأمثال هذه المواقف التاريخية فى حياة الشعب المصرى .

وطبقاً لما يتطلبه تكثيف الافكار فى رموز ظهر الاغراب من جديد فى لوحات الفنان انه امتداد « للاغراب » الذى مارسه فى شبابه الفنى لكن على مستوى الخبرات الطويلة التى أكتسبها عويس على مدى عشرين عاماً .. وهناك من يفضلون مرحلته السابقة على هذه المرحلة الرمزية ، ربما لغزارة انتاجه فى المرحلة التعبيرية الاجتماعية وتنوع الموضوعات التى تناولها بينما قل انتاج المرحلة الرمزية الاجتماعية لندرة المواقف الايجابية فى مجرى الأحداث وهى القادرة وحدها على هز مشاعره ودفعه الى تخليدها فى لوحاته منذ عام ١٩٧٠ .. وربما يرجع ايضاً الى التخلى عن البساطة والوضوح لما يتطلبه التعبير عن الاحداث الكبرى من رموز مباشرة تؤدى الى تضييق نطاق متذوقى تلك الأعمال وتقلل أيضاً من جماهيريتها بسبب الجهد المطلوب لشرح واستيعاب رموزها .

ورغم ما يوجه لهذه المرحلة من نقد ، فيبقى لمحمد عويس دوره التعليمى العميق الأثر وجماهيرية لوحاته التى بلغ الشغف بها أن طبعت كمستنسخات فى مصر وألمانيا وأسبانيا ، بينما قامت إحدى المجلات النسائية الألمانية بطبع لوحاته على مساحة صفحتين متقابلتين فى اعدادها المتتالية مع الاشارة الى امكانية نزع هذه اللوحة المطبوعة لوضعها فى اطار كمستنسخ يعلق فى بيوت القراء .

صبحى الشارونى

د . عبد المحسن صالح



شكل (١) هذا الحقل هو التجسيد الحقيقى للزراعة بطريق الخلايا الخضرية .. فكل نبات فيه قد نشأ من خلية حية واحدة (راجع المقال والصور التالية)

إنهم يزرعون الحقول دون بذر البذور!

عندما وقف عالم النبات فى معمله ، أمام جمع منزائريه ، ليشرح لهم طرقه الحديثة فى زراعة المحاصيل ، كان يمسك بين اصابعه انبوبة تحتوى على محلول غذائى به عكارة خفيفة ، ثم استطرد قائلا : اننى أستطيع أن أزرع عدة أفدنة من نبات البطاطس أو الطماطم من هذه الأنبوبة الصغيرة !

وسكت العالم هنيهة ، ووجم الزوار برهة ، وقد علت وجوههم علامات تدل على الدهشة حينا ، والاستنكار حينا اخر ، لان الرجل – فى عرفهم – ربما كان يهذى بكلام لا طعم له ولا معنى .. فلا الأنبوبة تحتوى على براعم ، ولا هى تنطوى على بذور ، ثم ان شيئا لا ياتى من لا شىء لكنه عندما

رأى الحيرة بادية عليهم ، استطرد قائلا : أرجو ألا تبتئسوا كثيراً بما ذكرت ، فنحن الآن فى طريقنا الى أحداث ثورة هائلة فى طرق الزراعة التقليدية ، فنحن لا نزرع كما يفعل الأقدمون ، ولا نستخدم البذور أو الدرنات أو العقل أو الشتلات ، بل بدأنا نسيطر على الزراعة بالخلايا الحية ، ففى هذه الأنبوبة وحدها مئات الألوف أو ربما الملايين من خلايا أو « نسخ » طبق الأصل من نبات البطاطس .. صحيح أنها لا ترى ، لأنها أصغر من أن ترى بعيوننا المجردة ، ومع ذلك ، فكل خلية منها بمثابة « الميكروفيلم » الذى سجلت عليه كل صفات النبات ، فاذا زرعت أعطت (شكل ١) .

ولنترك هذا العالم مع زائريه وأنابيبه وخلاياه ، ليحدثهم عن تجاربه ، ولنبدأ نحن جولتنا ، لنوضح ماذا يجرى فى هذا العالم من كشوفات وتطبيقات لاشك أنها ستطور حياة الناس ومفاهيمهم العلمية .

بين القديم والحديث

من الواضح – من مجريات الأمور – فى عالمنا المعاصر ، أن العلوم البيولوجية قد تقدمت تقدماً مذهلا فى وقتنا الحاضر ، وبحيث بدأت تغير المفاهيم التى عرفها الآباء والأجداد فى تنشئة الزرع والضرع ، والفضل فى ذلك يرجع الى معرفة أن الأصول فى كل الكائنات : خلية حية ، فأصل الانسان خلية ملقحة فى رحم أم ، وأصل الشجرة خلية ، ملقحة تحولت الى جنين ضئيل نائم يحيطه مخزون غذائى فى بذرة ، قد تستكين بدورها فى ثمرة .

والانسان – من قديم الزمن – قد مارس الاختيار فى شريك الحياة ، وأيضاً فى الزرع والضرع ، اذ بعقله المدرك يستطيع أن يميز بين الغث والسمين ، أو الصالح والطالح ، أو الحسن والردىء ، ولا يختلف على ذلك اثنان ، فالقوة والصحة وغير ذلك من الصفات الطيبة مطلوبة وعدا ذلك فمرفوض وليس ذلك من خلال تجربة الانسان وحده ، بل ان نواميس الحياة ذاتها تسير على تلك المبادىء ، فالمخلوقات القوية تبقى والضعيفة تنقرض ، وهذا ما يعرف بمبدأ الاختيار الطبيعى الذى سار على هذا الكوكب قبل أن يظهر الانسان عليه بمئات الملايين من السنين ، ثم جاء هو بدوره ليختار السلالات الممتازة ويرعاها ويحافظ عليها ، لكنه كان دائماً يهتم بالظاهر دون الباطن الا أن العلماء غاصوا الى أعماق الباطن وركزوا على أساسيتها ، وعندئذ بدأت الأمور تتخذ نغمة أخرى .. كيف ؟

ان الاختيار هذه المرة بدأ ينصب على الخلايا الجسدية أو الخضرية (فى النبات) دون الخلايا الجنسية ، وفى ذلك حكمة لا يخفى مغزاها على لبيب ، فكما يختلف البشر فى قاماتهم وسماتهم وألوانهم ومقاومتهم للأمراض أو لظروف الحياة ، وبحيث لا تجد بينهم اثنين متشابهين شبهاً مطلقاً (عدا التوائم المتماثلة تماماً) حتى على مستوى البصمات والأصوات والبروتينات ، كذلك يكون الحال فى عالمى النبات والحيوان ، اذ ليست أفراد النوع متشابهة تماماً ، حتى ولو بدت ظواهر الأمور غير ذلك .

إن سر هذا الاختلاف يرجع – فى المقام الأول – الى عمليات التلقيح والاخصاب التى تتم بين ذكور النوع وإناثه ، وبهذا لا يأتى الخلف طبق الأصل من السلف ، بل تظهر الذرية وهى تحمل صفات الأبوين ، ويرجع ذلك الى عمليات التباديل والتوافيق أو « التفنيط » بين الصفات الوراثية للوالدين ، وطبيعى أن الممثل الوحيد لهذه الصفات هو الخلايا الجنسية ، لأنها بمثابة « الميكروفيلم » الذى سجلت فيه صفات النوع ، ليكون البشر بشراً ، والقرود قروداً ، والقرع قرعاً ، والبلح بلحاً .. الخ ، لكن اختلاط مكونات الخلايا الجنسية الذكرية والأنثوية ، يؤدى الى « سبيكة » وراثية جديدة لا يمكن ان تتشابه مع سبيكة أخرى ويعنى هذا عدم تشابه أفراد النوع الواحد .. وطبيعى أن تجد بينهم الممتاز والجيد والمتوسط أو ما دون ذلك ، فهذا يتوقف على عوامل كثيرة ، يشارك الأبوان فيها بنصيب محمود أو غير محمود ، هذا بالاضافة الى العوامل الطبيعية والبيئية وما شابه ذلك .

هدف محدد

لكن دعنا نركز الآن حديثنا على عالم النبات ، فالنباتات التى تنضم تحت نوع واحد لاشك انك واجد بينها اختلافات على مستوى الأفراد والسلالات ، وحتى فى أفراد السلالة الواحدة قد يظهر بينها النبات الغنى بالثمرات نوعاً وكما ، وقد يكون بجواره نبات آخر من نفس سلالته ، لكنه قزمى ضعيف ، أو قد تجد واحداً مقاوماً للأمراض ، وآخر قليل المقاومة ، وطبيعى أن كل واحد منها قد نشأ من بذرة والبذرة جاءت من عملية خلط بين الخلايا الجنسية (حبوب اللقاح والبويضات) ، ويعنى هذا أنها « سبائك » وراثية مختلفة ، ولابد من الاختلاف بين ما ينشأ منها عند الانبات .. قوة وضعفاً ومقاومة وما شابه ذلك ، ومن أجل هذا بدأ الانسان منذ فترة غير قصيرة يختار النباتات الممتازة ، ويزاوج بين ذكورها وإناثها ، علها تعطيه بذوراً ونباتات قوية .

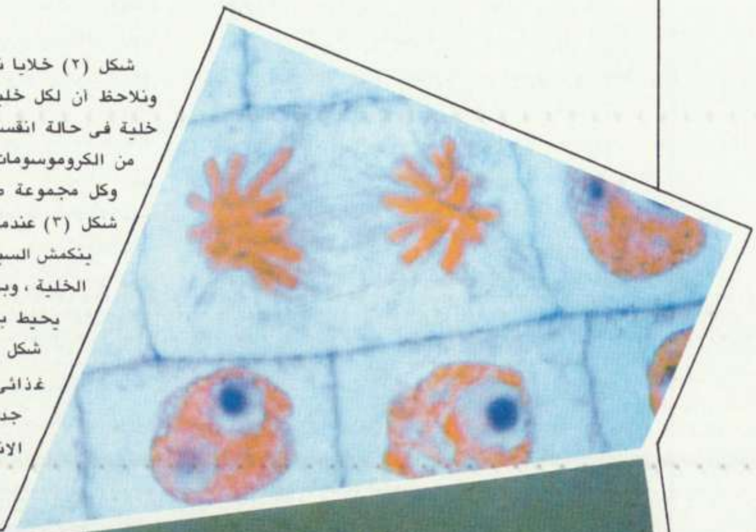
لكن علماء هذا الزمان لهم رأى آخر مختلف ، ذلك أن عملية التزاوج قد لا تؤدى احياناً الى النتائج المطلوبة ، اذ قد يحدث ان يكون الجيل الأول من النباتات ذا صفات ممتازة ، لكن هذه الصفات قد تبدأ فى الاضمحلال فى الأجيال التالية ، ويرجع ذلك الى عوامل وراثية وبيئية قد يتشعب فيها الحديث ويطول ، ومن أجل هذا راود الأذهان تساؤل ، وخيم على العقول هدف محدد : لماذا لا نختار الخلايا الجسدية أو الخضرية بدلا من البذور أو البراعم أو العُقَل أو ما شابه ذلك ؟

يعنى هذا ان الاختيار يجب أن يتركز على أقوى نبات فى السلالة ، وبحيث تكون له كل الصفات الممتازة ، ونستكثره دون غيره بخلاياه الخضرية ، وبحيث تعطى كل خلية نسخة طبق الأصل من هذا النبات الممتاز ، لأن خلاياه جميعاً قد اشتقت فى الأصل من « السبيكة » الوراثية التى جاءت فى بذرته ، وما دامت السبيكة الأصيلة قد تمخضت عن هذا النبات الممتاز من كل الوجوه ، فلابد ان كل خلية فيه تحمل أيضاً نفس السبيكة الوراثية ، لأنها نشأت منها بطريق الانقسام ، والانقسام يؤدى الى تكوين خلايا تحمل كل منها نواة تحتفظ بنفس السبيكة الممتازة (شكل ٢) .

لكن .. ما يدرينا أن كل خلية جسدية من النبات سوف تنقسم لتعطى نباتاً كاملا ذا ساق وأوراق وجذور وزهور وثمار ؟ .. ثم لنفرض أن الانقسام قد حدث ، أفلا يؤدى ذلك الى كتلة من الخلايا لا شكل لها ، ولا تناسق فيها ؟

ممكن أن يحدث هذا وذاك ، كل هذا يتوقف على الكيفية التى توجه بها العملية وتسيطر على الكتل الخلوية ، ومن هنا نشأ علم زراعة الخلايا والأنسجة النباتية فى الأنابيب والدوارق والأطباق ، أسوة بما يحدث فى خلايا الحيوان ، فلها أيضاً علم

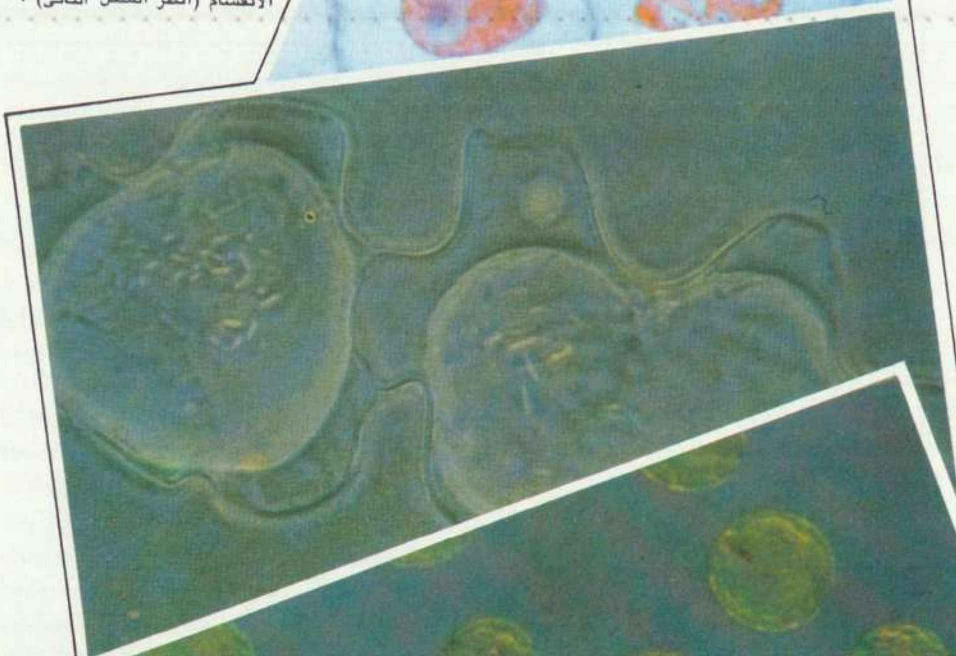
إنهم يزرعون الحقول دون بذر البذور

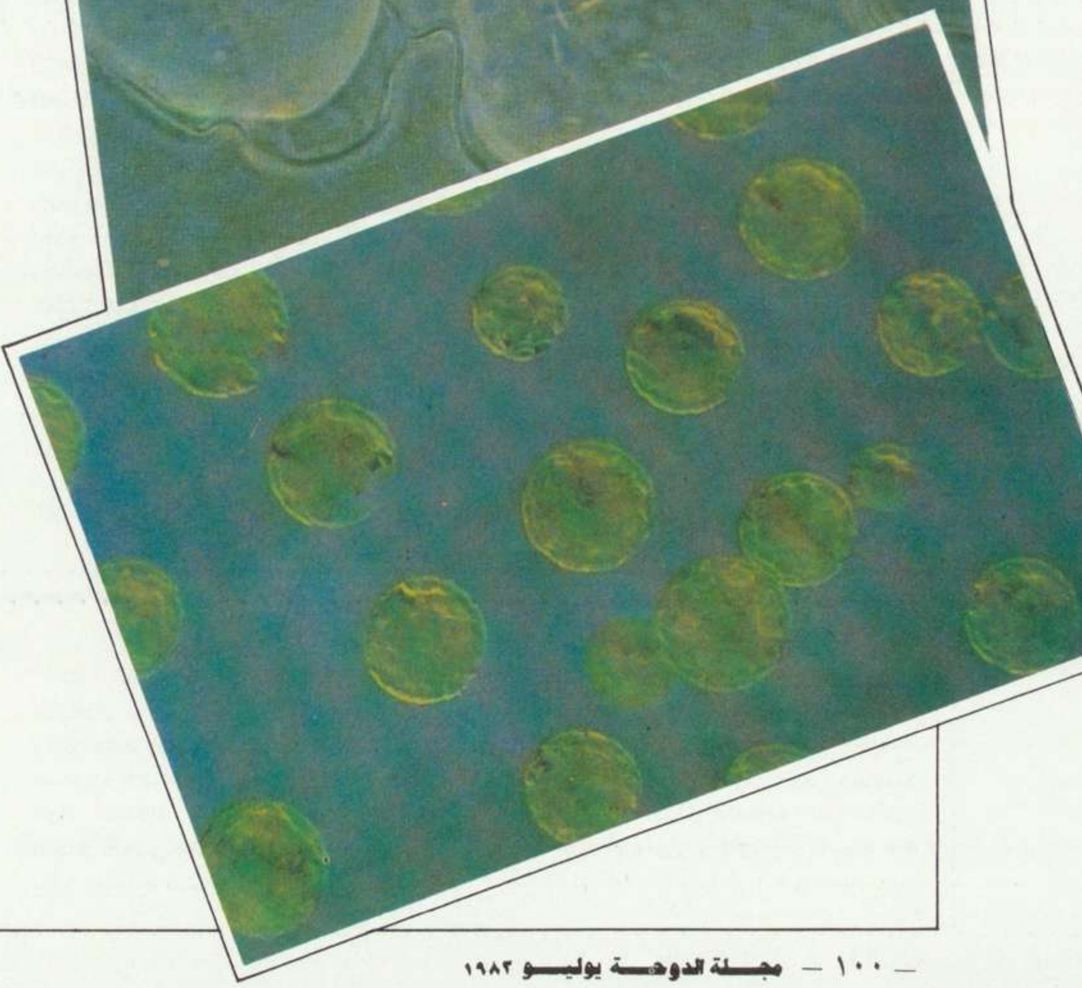


شكل (٢) خلايا نباتية نشأت بطريق الانقسام ، ونلاحظ ان لكل خلية نواتها ، وفى وسط الصورة خلية فى حالة انقسام ، وقد ظهرت فيها مجموعتان من الكروموسومات التى تشبه العلق الدقيق جداً وكل مجموعة طبق الأصل من بعضها .

شكل (٣) عندما توضع الخلايا فى محلول ملحى ينكمش السيتوبلازم الحي ، ويبتعد عن جدار الخلية ، وبهذا يمكن إذابة الجدار الذى تراه يحيط بالسيتوبلازم كخط دقيق متعرج .

شكل (٤) خلايا هائمة فى محلول غذائى خاص ، وسوف تبدأ فى تكوين جدار جديد ، ثم تبدأ بعده عملية الانقسام (انظر الشكل التالى) .





الزراعات الخلوية خارج الأجسام ، ولكل زراعة ما يناسبها بطبيعة الحال .

ولن ندخل هنا فى التفاصيل ، بل يكفى أن نقول ان العلماء الذين لهم اهتمامات وبحوث فى هذا الموضوع ، لهم أيضاً وسائلهم الخاصة فى انتقاء النبات المرغوب ، وليكن على سبيل المثال نبات البطاطس ، وتكفيهم فى ذلك ورقة غضة فى قمة النبات ، أو حتى جزء من ورقة ، وبواسطة انزيمات أو خمائر خاصة يفككون خلاياها ، فتصبح على هيئة وحدات خلوية شاردة فى محاليلها ، ثم يضعون مادة ملحية خاصة لتسحب جزءاً من ماء الخلايا فتتكور المادة الحية لكل خلية فى وسطها (شكل ٣) ، وتبتعد عن جدار الخلية الذى يذوب بدوره ويتفكك ، فيترك مادة البروتوبلازم عريانة، وتوضع الخلايا العارية فى محلول غذائى (شكل ٤) وتبدأ كل خلية فى تكوين جدار جديد ، ثم تنقسم كل خلية هائمة انقسامات متتالية ، تنتج منها كتل خلوية صغيرة غير مميزة (شكل ٥) ، ثم تنتقل الى نوع آخر من المحاليل الغذائية ، حيث تبدأ كل كتلة فى تكوين بداية للساق والأوراق ، وتكتمل العملية بتكوين بدايات الجذور عندما تنقل الى محلول غذائى ثالث (شكل ٦) ، ثم توزع وتزرع فى الحقول ، حيث يكتمل نموها على هيئة نباتات يافعة تسر الناظرين (انظر شكل ١) ، وكأنما هى نسخ او توائم طبق الأصل من بعضها ، مثلها فى ذلك كمثل كتاب له أصول ، ثم جمعت الأصول فى مطبعة ، لتطبع منها آلاف او عشرات الآلاف من النسخ ، وطبيعى أن النسخ جميعاً ستكون متشابهة ، لأنها اشتقت من أصل واحد ، وكذلك الحال مع هذا النبات أو غيره .. فالأصول الوراثية مسجلة فى جينات (مورثات) ، منتظمة فى كروموسومات ، محفوظة فى نواة ، وهى التى تنقسم وتنقسم .. الخ (انظر شكل ٢) ، لتنسخ من ذاتها نسخاً خلوية طبق الأصل من ذاتها ، ثم تعبر عن نفسها بانتاج نباتات كأنما هى صور بالكربون لبعضها ، وبتوجيه وجهد العلماء .

بين البدايات والنهايات

ودائماً ما تكون البدايات متواضعة ، لكنها تصقل وتتطور بمرور الزمن ، ومن وراء ذلك عقول ذكية تلاحظ وتتعلم وتستنبط وتطبق ، وغالباً ما يكون التطبيق نافعاً ومثمراً ، لأن الأصول الحقيقية



شكل (٥) كتل خلوية غير مميزة ، وكل كتلة من الخلايا نشأت بعملية انقسام متتالية ، وسوف تتمخض كل منها عن بادرة او نبات صغير (انظر شكل ٦) .

شكل (٦) لقد تميزت الكتلة الخلوية هنا الى ساق صغيرة وأوراق ، وبدت بدايات الجذور فى الظهور .

موجودة فى لب الحياة ذاتها ، أو ان المراجع التى يستقى منها العلماء علمهم «مكتوبة» ومسجلة فى ثنايا الكائنات الحية فكانما هى – اى الكائنات – ادق مصدراً ، واتقن مرجعاً نتعلم منه الأصول ، لكن ذلك لا يتأتى إلا بالبحوث الهادفة والعلوم النافعة ، والهدف منها توجيه دفة الحياة لصالح البشرية ، فخير لنا ان ننتقى اجمل ما فيها ، ونوجه سلالاتها بحكمة فائقة ، وعناية بالغة ، لتجود علينا بخيرات علها تشبع الأفواه الجائعة .. فمضاعفة انتاج المحاصيل الزراعية على نفس الرقعة من الأرض هو الهدف الأسمى من كل هذه البحوث ، مع الاحتفاظ بجودة المحاصيل بطبيعة الحال .

نعود لنقول : ان بعض النباتات فى الطبيعة يمكن أن تتكاثر بغير طريق البذور أى عن طريق خلاياها الجسدية او الخضرية لا الجنسية ، ففى واحد منها تبرز على طرف الورقة كتلة من الخلايا ثم لا تلبث أن تنفصل عن النبات الأصلى ، وتسقط على الأرض ، وتنبت على هيئة نبات كامل .

ولقد جذبت هذه الظاهرة اهتمام العلماء لكنهم حوروها بحيث امكن انتاج النبات من خلية واحدة – كما سبق أن قدمنا ، ولقد كان دكتور فريدريك استيوارد من جامعة كورنيل الأمريكية رائداً فى هذا المجال ، فاستطاع ان يفصص خلايا الجذر ، ويستخدمها فى انتاج نباتات كاملة بعد بحوث طويلة ومضنية (شكل ٧) ، ثم تبعه فى هذا المجال دكتور ايتارو تاكيبى اليابانى وزملاؤه فى استنبات نبات التبغ من الخلايا المفصصة ، وتحقق الهدف نفسه فى نبات البطاطس على يدى البروفيسور جيمس شيبرد أستاذ أمراض النبات بجامعة كانساس ، ونجحت المحاولات الكثيرة التى اجراها علماء آخرون على نباتات مختلفة .

ورغم أن استكثار النباتات الممتازة عن طريق الخلايا قد يحقق بعض النتائج ، إلا أن التجارب الهادفة لازالت سارية ، حتى يمكن فهم المزيد من الاسرار ، وتوضيح الكثير من الحقائق خاصة فى هذا المجال الحيوى الذى لايزال فى مهده ، إذ بجوار محاولات زرع الخلايا النباتية ، تتم محاولات اخرى فى اكساب هذه الخلايا بعض صفات جديدة مرغوبة لم تعرفها أسلافها من قبل .

إزالة الحواجز

ولكى نوضح معنى ذلك ، كان لابد أن نشير الى أن نجاح العلماء فى إذابة الأسوار أو الجدر التى تحيط بها الخلايا نفسها ، ثم احتفاظ مادة الحياة بقوامها وطبيعتها ، قد ادى الى دمج خلية من نوع مع خلية من نوع آخر ، إذ مادامت الحواجز بينها قد أزيلت ، فان سيتوبلازم هذه الخلية او تلك يميلان الى الاختلاط او الذوبان فى بعضهما ، وكأنما هذه لباس لتلك ، أى انهما يحيطان مادتهما المختلطة بجدار واحد مشترك ، من ذلك مثلا ما ذكره البروفيسور شيبرد من انه قد نجح هو ومعاونوه فى ادماج خلية من نبات الطماطم مع خلية من نبات البطاطس (شكل ٨) وكان الهدف من ذلك – على حد تعبيره – هو اكساب نبات البطاطس بعض جينات نبات الطماطم المقاومة لبعض الأمراض ، ثم يضيف قائلا : ان مثل هذا الانجاز سيمكننا من دمج مورثات الأنواع المختلفة من النباتات التى لا تقبل حبوب لقاح غيرها (يقصد استحالة التلقيح المختلط بين الأنواع المختلفة عن طريق خلاياها الجنسية ، إذ من المعروف سلفاً أن زهور التفاح لا تسمح بالتلقيح بحبوب لقاح النخيل .. وبهذا تصبح تلك التجمعات الوراثية فى الخلايا بمثابة الينبوع المختار لتنشئة نباتات جديدة ذات صفات لا يمكن التكهن بطبيعتها .

وعندما نجح العلماء فى دمج خلايا سرطانية معزولة من انسان مع خلايا ليمفاوية بشرية من ذلك النوع الذى يقوم بانتاج الاجسام المضادة (البروتينات المضادة المسئولة عن المناعة) نتج عن ذلك خلايا هجينة ، ليس ذلك فحسب ، بل لقد استمرت الخلايا الجديدة فى الانقسام الى ما لا نهاية – اى بدون توقف ، وكان الهدف أن تمنح الخلايا السرطانية «شبابها» الدائم للخلايا الليمفاوية ، وقد كان ، ومع كون ما كان ، بدأت ذرية الخلايا الهجينة فى انتاج كميات محدودة من أجسام مضادة نقية ، أمكن عزلها لتستخدم كسلاح من أسلحة المناعة ، ويامل العلماء فى اجراء تعديلات على هذه الخلايا ، علها تنتج – فى مزارعها الخلوية – هذه البروتينات بكميات وفيرة ، حتى يمكن تطبيق ذلك فى الصناعات الدوائية على أوسع نطاق .. ولهذا فان أول الغيث قطرة – كما يقولون ، لكن القطرات بدأت تنهمر عندما سار العلماء فى نفس الطريق ، وحصلوا على خلايا هجينة من مصادر متنوعة ، أى من خلايا سرطانية متباينة وخلايا سليمة من انسجة مختلفة .. ولا يهم ان كانت من انسان أو فئران ، المهم انها اندمجت وتكاثرت وانتجت اجساماً مضادة ومحددة لتستخدم فى امراض محددة كذلك ، مثل داء الكلب (السعار) او فى أمراض المناعة الذاتية (أى التى يعلن فيها الجسم الحرب

إنهم يزرعون الحقول دون بذر البذور

على نفسه) أو فى التهاب الكبد الفيروسى .. الخ .

عود على بدء

ولنعد الآن الى موضوعنا الأساسى لنذكر بضع نقاط هامة تحدث ثورة فى مجال الزراعة ، وذلك باستخدام التكنيك المعروف باسم هندسة الوراثة (انظر مقالنا السابق على صفحات هذه المجلة) ، وبه اكساب الخلايا النباتية المعزولة بعض صفات وراثية محددة ، ومنقولة الى جهازها الوراثى من كائنات نباتية لا تمت لها بصلة .

من ذلك مثلا ، ان البيئات النباتية مختلفة ، فمن النباتات ما يعيش فى الصحارى القاحلة ، أو فى الأراضى المالحة أو فى المناطق الباردة ، أو فى المياه العذبة .. الخ ، ولاشك ان كل نبات قد تكيف مع بيئته من خلال جيناته أو مورثاته ، لأن هذه تعطيه صفات محددة تلائم الوسط الذى يعيش فيه ، ويامل العلماء فى نقل هذه الجينات الى نباتات المحاصيل ، بعد تحديدها ، ثم عزلها ـ أى الجينات ـ وزرعها فى خلايا النبات المختار ، خاصة بعد أن أمكن تعرية الخلايا ـ أى تذويب «أرديتها» أو جدرها ، فيسهل اقتحام مادتها الحية باشرطة وراثية تحمل الصفات المرغوبة من نباتات أخرى .

يعنى هذا أنه قد يأتى اليوم الذى «يفصل» فيه العلماء الجهاز الوراثى لأية خلية نباتية ، أى يقومون بتعديل «بروجرامها» ليتلاءم مع أية بيئة ، فيمكن مثلا زراعة النباتات التى تعيش فى المناطق الباردة فى أية منطقة معتدلة أو استوائية ، أو يمكن رى المحاصيل بمياه البحار ، أو الزراعة فى الأراضى الملحية دون معالجة هذه الأراضى وغسلها .. الخ ، إذ ليس المهم فى البيئة هذه المرة ، بل الأهم ان يأتى النبات «معدلا» أو «مبرمجاً» بالأشرطة الوراثية المنقولة اليه لتلائم البيئة .

لكن أهم من ذلك كله هو سعي العلماء الجاد الآن فى تمكين نباتات المحاصيل من تسميد نفسها بنفسها ، أى دون أن نضيف الى الأرض أسمدة نيتروجينية تكوى الدول الفقيرة والنامية بغلائها ، خاصة بعد أن زادت أسعار الطاقة والعمالة ، فزادت أسعار الأسمدة تبعاً لذلك .

والقصة باختصار شديد معروفة ، فهناك أنواع من البكتريا والطحالب تعيش فى التربة الزراعية ، أو تعيش فى جذور النباتات البقولية ، ولها القدرة على استخدام نيتروجين الهواء وتحويله الى سماد (نيترات) .. ولن يتم لها ذلك إلا من خلال بروجرام وراثى ، وعزل هذا البروجرام من البكتيريا ، ثم زرعه فى خلايا نباتات المحاصيل غير البقولية ، ثم تنشئة هذه الخلايا وزراعتها فى الأرض ـ كما سبق أن قدمنا ، وسوف يكسبها هى واجيالها القادمة الخطة التى يمكن بها تثبيت النيتروجين الجوى ، فتسمد نفسها دون الاعتماد علينا .. وهذا هو الهدف الأسمى الذى يضعه العلماء نصب أعينهم فى الوقت الحاضر .. ثم ان هذا الأمل ليس ببعيد ، خاصة وأنه أمكن نقل الأشرطة الوراثية ذات البروجرامات المحددة بين خلايا أنواع مختلفة من الكائنات ، وهى تستخدم الآن فى الصناعات الدوائية .

لقد بدأنا بالفعل وضع أقدامنا على بداية عصر جديد ، لنخطو فى طريق مثير وغريب على عقولنا وزماننا ، ثم ان رحلة الألف ميل تبدأ عادة بخطوة ، ولقد تقدم العلماء خطوات فى هذا المجال ، متسلحين بوسائل العلم المختلفة ، فلكى تسيطر وتطبق ، فلابد أن تبحث وتتعلم ، وليس هناك انفع من علم نستقيه من مصادره المتقنة ، التى تدل على آيات فى الخلق مذهلة ، والمصادر هى شرائع الكون ، ونواميس الحياة «صنع الله الذى اتقن كل شىء» .

د. عبد المحسن صالح



شكل (٧) امكن انتاج نبات الجزر فى أنبوبة الاختبار من خلية واحدة على يدى العالم الأمريكى فريدريك استيوارد ـ الرائد الأول فى زراعة الخلايا النباتية والصورة تجسيد حقيقى لنجاحه فى هذا المجال .



شكل (٨) صورة مكبرة توضح بداية دمج خلية من نبات البطاطس مع خلية من نبات الطماطم (راجع المقال)

ليلة ممطرة

للشاعر السوداني الراحل
محمد المهدي المجذوب

هل تضيءُ البروقُ ظلمةَ نفسي   أم تَردُّكَ السيولُ هَيْكَلَ رِجْسِي
من عِظَامِي أقَمْتُهُ وظُنُونِي   فيه يَرْعَى جنُونُهَا كل نَجْسِ
في دجون الضمير تشردُ آثامي وتع   وِي لَدَى جَوَانِح خُرْسِ
غابة علمها السكونُ على الهوْلِ   وَمَا تتقى شَرَاهَةَ فاسِ
سكنت مثل صائدٍ وسقتها   فتكَات السباعِ أروحَ كاسِ
وعُيوني سهِمْن كالأفقِ السَّجوان   إذ دوت الظنون بهجْسِي

• • •

انظر السحبَ فوق تل تبرَّجْن   واقبلن في مواكب عُرْسِ
من مواعيد للوعودِ يطبقن   رحاب السماء من كلِّ جِنْسِ
بين سودٍ زَفَفْنَ بيضاً وشُهْبِ   راقصاتٍ مع الرياح وطُلْسِ
يتسمَّعْن للجفافِ لديه الحبّ   يشتاقُ في جمودٍ وحَبْسِ
وتسابَقْنَ في انسكابٍ فما غَادَرْن   من لهفةٍ تَئِز ويَبْسِ

• • •

رويتْ هذه البطاحُ فازهرْنَ   وقد حَرَّق المشاعرَ يأسِي
انا أرض فكيف تُنْبِتُ أرضٌ   ثمراً والشُّجونُ أروعُ غَرْسِي
لا حبيب ولا رجاءُ حبيب   وغَدِي نُهْبَةُ الشجون وامْسِي
وجَد البُحترىُّ سلوى وسَقَّاهُ   ابو الغوث من مُجاجة شفْس
لمحل من ال ساسان درس   يتسلَّى عن الخطوبِ ويأسِي
فرَّ عن همه القعيدِ وما الهمُّ   ما أبيضُ المدائن عنسي
تلك أسطورةٌ كما تخدع الخمرُ   وتُشفى الأسى بلذة خَلْسِ
قلبي العاثرُ المقيَّدُ في السودان   في الشاطئ المعذبِ يُرْسِي
نظر الورد في الصباح الى الشمسِ   وعيني الى غَيابَةِ رَمْسِي
ترعشُ الأرضُ في البوارق كالحسناء   ندت على مفاتن شُمْسِ
والانت وأسمحت فطواها   بَيْنَ حلو من العناقِ وهَمْسِ
وتضيء البروقُ للقطر كي يظفرَ   بالحب في اشتهاءٍ وحَدْسِ
والرعود انفجرنَ بالضحِك الحاني على   الأرض كم تتوقُ لعرْسِ
ياحبيبي خشيت! فانظرْ الى الاغصانِ   والريح في جِذَابٍ ونَهْسِ
من عناق على اتفاقٍ فان تزهد   أراحت الى سكونٍ وهمْسِ
اين تلك الغيوثُ تستنبتُ الصخْرَ   اما تهتدي لقفرة حسِّي
ليلتي سِتْرُها بليلٍ تبيح الغيث   أسرارها وتجْهَلُ يَبْسِي
انكرتْ اعيني تُذكرها الفجرَ   واردانُها تضيق بلمْسِي

• • •

ومحا الليلُ مَرْبَعي ومحا جسمي   وعيني وماج يقذِفُ راسِي
في خدور الدُّجَى وفي ظلمة الغَيْثِ   خدورٌ من اشتهاء وفَرْسِ
وهفا البرْقُ لحظة فكأنِّي الميْتُ   اصحو على غَضَارةِ امْسِي
عَجِلا نُوره فهاتيك لذَّاتٌ على   اوجُهِ الغدائِرِ ترْسِي
من غصونٍ يلُذْنَ بالورَقِ المُخضلِّ   كالغيدِ بين عُرْي ولَبْسِ
ونخيل خطرن بالسعفِ المبلولِ   في نشوة رعشن وانس
ومضى البرق والجوانح تبقيه   غديراً يصوغ طاقَةَ وَرْسِ
وطواه الظلامُ طيّاً فهل يخشى   سناءً له يبيت بنَفْسِي
أم ترى الغيبُ خاف كشفاً   لما يختار من بهجة أسْرٍ ونَحْسِ

• • •

سُحُبٌ قد شربْتُ منها بعينيَّ   وما قطرُها يطوفُ بجس
حينما اقلعتْ تنفست الأرضُ   كما ارتاح ذو الشجا للتاسِّي
وبأنفاسها ضروبٌ من الأرواح   شتى من ابتهالٍ ورِجْسِ
فهي عذراء غب طهر فإن تنجب   أهلَّت بكلِّ أروع قُدْسِي
فاعذر الشوكَ انه الـمُ الوضْعِ   وتعويذةُ الجمالِ المؤسِّي
وسِجارِي في الدجن شاطر عَيْني   سهراً واستفز جَمْرَةَ كاسِي
ويحه هامداً كجفْنيَّ والنومُ   يردِّيه بالظلامِ فيغسِي
فاذا ما نفضته نامَ واستلقيتُ   وحدي على محاضِن بُؤْسِي



ماذا يقول رئيس الفنون والصناعات الشعبية في قطر؟

حتى لا تضيع فنون البحر والبادية ولمسات الصانع الشعبي



يوسف احمد عبد الله
رئيس قسم الفنون والصناعات الشعبية

أجرى الحوار: يوسف الحرمي



حرفة الصياغة اتقنها الانسان القطرى منذ قديم الزمن ، ولذلك يجب أن نعمل باستمرار على احياء الحرف الشعبية وحمايتها من الاندثار



سفن الأجداد التى توغلوا بها فى رحلات البحر قديماً . وفوقها يجلس الرجال يؤدون فنونهم



العمارة الشعبية القديمة ، تبرز فيها مهارة الانسان الخليجى فى استخدام (الجص) واضافة اللمسات الفنية الدقيقة .. ترى لماذا لا نستخدم الجص فى مبانينا الحديثة ؟



بعض الاقراط الفضية التى استخدمتها المراة القطرية ، والى جوار هذه الاقراط كثيراً ما كانت تزين المراة نفسها بالمرتعشة او النقلص او المرامى. وغيرها !

فى هذه الحقبة التى لابد لنا فيها أن نعود الى تراثنا لكى نستلهم روحه ونستخلص قيمه ومثله العليا النبيلة ، يتطرق الحـــوار على كافـــة الأصـــعدة الثقافية حول قضايا التراث الشعبى بكل ما فيه من تعبير صادق لوجدان الشعب العربى ، ومن هنا كانت محاولات الحفاظ على التراث الشعبى وصيانته مطلباً وطنياً فى الدرجة الأولى لانها ليست مجرد محاولات قائمة على الاتجاه المطلق والأعمى للتراث ، بقدر ما هى قائمة أساساً على الرغبة القومية المشروعة من أجل الحفاظ على الهوية ودرء الخطر الثقافى الخارجى الذى يتسرب الى المنطقة العربية عامة والخليجية خاصة .

وفى هذا اللقاء تحدث يوسف أحمد عبد الله رئيس قسم الفنون والصناعات الشعبية بادارة الثقافة والفنون فى قطر عن مثل هذا الخطر ، وتحدث عن الجهود المبذولة من أجل المحافظة على التراث الشعبى الخليجى ، موضحاً ومحللا – بعقل المثقف المسئول – مستقبل الدراسات الشعبية فى منطقة الخليج !

● فى البداية نود أن نتعرف على الفنون الشعبية القطرية ؟

– الفنون الشعبية هى نتاج حضارى لأى مجتمع مهما كانت مقوماته ، وهذه الفنون تستمد روحها وهدفها من واقع البيئة التى ترتكز على الانسان أينما كان وفى أى زمان ، ويتميز الفن الشعبى عن



حتى لا تضيع فنون البحر والبادية ولمسات الصانع الشعبي

فن السامرى تؤديه الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية فى متحف قطر الوطنـي

غيره بالحس الجماعى والمشاركة الجماعية ومن هنا فان الفن الشعبى يعتبر الوجه الحقيقى للتعبير عن صور وتطور الحياة فى المجتمع بكل صدق وأمانة ، والفن الشعبى جزء أساسى من الثقافة الشعبية ، لهذا فاننا ندرسه فى إطار المفهوم العام للثقافة الشعبية ، ويمكن تقسيم الفنون الشـعبية القطريـة الى ثلاثـة أقسام هـى : فنـون البحـر وفنون البادية ، وفنون وافدة تأثرت بالبيئة وأثرت فى المجتمع وأصبح لها طابعها المميز مثل : فن الطنبورة ، وفن الليوه ، وفن الهبان ، ثم يجب ألا نغفل ذكر بعض الفنون والظواهر الثقافية الحديثة التى صاحبت تطور الحياة فى قطر ، إلا أننا لا نستطيع أن ندرجها فى التصنيف العام للفنون الشعبية القطرية إلا بعْد اجراء الدراسة الكافية لها ..

● ولكن كيف تنظرون الى مستقبل الفنون الشعبية فى دول الخليج العربى وما المطلوب عمله من أجل المحافظة على هذا الفن والتراث القديم ؟

– إن معظم الفنون فى دول الخليج العربى تكاد أن تكون متشابهة وإن اختلفت المسميات ، وذلك يرجع الى أن تاريخ وتراث المنطقة مشترك ، وليس معنى هذا انه لا توجد فنون مميزة فى كل دولة من دول الخليج العربى ، إلا أن التمايز والتشابه صفة غالبة ، وأعتقد أننا مازلنا فى حاجة الى إجراء دراسات طويلة وجادة حول هذا التراث ، بحيث تتضافر فيها الجهود وخاصـة جهـود علمـاء الاجتمـاع والأنثروبولوجيا فى كل دول الخليج ، فهناك بعض الباحثين الذين يميلون الى الاعتقاد بأن تشابه الظواهر الثقافية فى الخليج العربى نتيجة لارث ثقافى مشترك ، ولكننا لا نستطيع أن نعطى قولا مفصلا ودقيقا حول هذه الظواهر إلا بعد اجراء دراسة وافية تعتمد على جمع آلاف النماذج من الثقافة الشعبية فى دول الخليج العربى ، ونستطيع القول بان الانســان الخليجى انفرد بالايقاعـات البحرية لما للبحر من تأثير مباشر على الحياة فى الخليج العربى بشكل عام ..

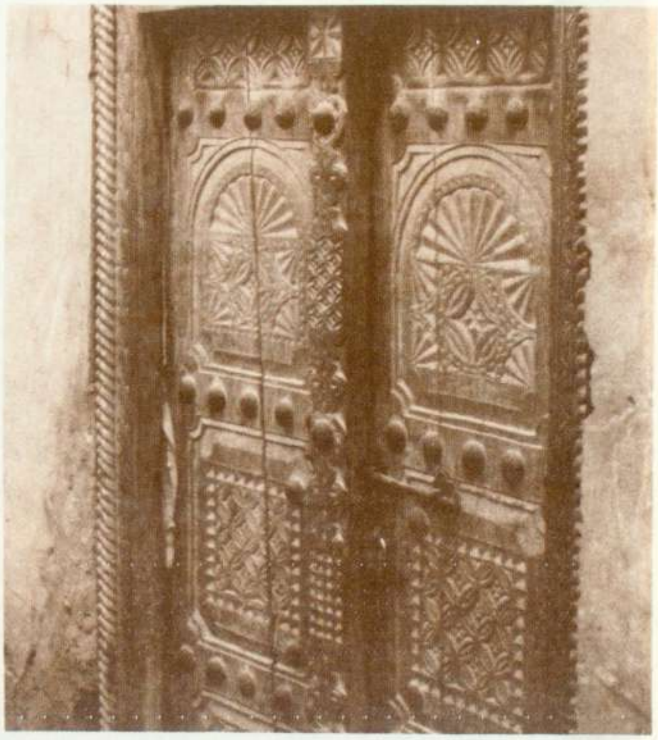
● إذن ما مدى اهتمامكم بالفنون الشعبية والتراثية فى سبيل الحفاظ عليها من الاندثار والنسيان ؟

– إن اهتمامنا بالفنون الشعبية أو التراث الشعبى عامة ينبع من أهمية هذه الفنون ودورها فى حياة الانسان وربطها للماضى بالحاضر ، ولهذا فنحن لدينا سبع عشرة فرقة شعبية ، تتلقى كل الدعم المادى والمعنوى ، وقد وفرنا لبعض الفرق مقراً مناسباً ، فضلا عن مشاركتهـم فـى الاحتفالات والمناسبات بفنونهم التى يجب أن نحافظ عليها من الاندثار وحتى يشارك الشباب فى هذه الفرق لاكتساب المهارات والفنون التى تركها لهم الأجداد .. وقد تم فى عام ١٩٧٧ إنشاء الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية لتعمل على إبراز وجه قطر الحضارى والثقافى والاعلامى أثناء مشاركتها فى المهرجانات والمناسبات الدولية .. وفى إطار السعي لمزيد من التقارب والتعاون لابراز الفنون الشعبية فى دول الخليج العربى ، فان الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية بصدد تقديم عرض يتضمن لوحة شعبية من كل دولة من دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة الرابع لدول المجلس بالدوحة فى نوفمبر عام ١٩٨٣ ..

وهذا بخلاف الدعوة الموجهة من قبـل المنظمة الدولية للفن الشعبى ومقرها النمسا من أجل انضمام دولة قطر الى هذه المنظمة الهامة التى من أهدافها إقامة المهرجانات الخاصة بالفن الشعبى وتبادل الفرق ونشر البحـوث الخاصـة بالفن الشعبى .

● هل أستطيع التعرف على الخطط المستقبلية لتطوير الفنون الشعبية ؟

– من أهم الخطوات التى سيتم تنفيذها هذا العام هو الأرشيف العلمى لتراث قطر ،



باب قديم من الخشب تتضح فيه دقة النقوش وجمالها وهى التى اتقنها الصانع القطرى



نموذج من زى شعبى قطرى يسمى ثوب النشل .. يتميز عن غيره من الثياب بتحويرات واشكال مطرزة بخيوط من الذهب

وتنحصر مهمة الأرشيف فى جمع ودراسة مظاهر التراث الشعبى بشقيه المادى والفكرى من جمع وتدوين وتحقيق ونشر . وسوف يتولى الاشراف على ذلك الدكتور مصطفى مبارك من جمهورية السودان ، الذى يتمتع بخبرة فى هذا المجال ، علماً بأن عملية الجمع سيقوم بها كادر محلى متدرب وأحب أن أنوه باننا عند قيام الأرشيف سندرس الثقافة الشعبية فى الماضى والحاضر والمستقبل .

وسندرس الثقافة المادية وهى كل ما يضعه الانسان ، ثم حضارته الروحية وهى الانتاج الذهنى للثقافة ، أسبابه ومبرراته العلمية . وهذه الطريقة فى الدراسة العلمية تقوم على أساس أن الفولكلور جزء من علم الأنثروبولوجيا الثقافية وتتيح لنا التعامل مع المصطلحات العلمية دون الوقوع فى الأخطاء الفادحة ، خاصة وأن الاستعمال العربى للمصطلحات العلمية الأجنبية فى هذا المجال موضع خلاف تحيط به كثير من الأخطار التى نتمنى أن نتحاشاها ونحن نضع اللبنات الأساسية لدراسة ثقافتنا دراسة علمية دقيقة .

● ولكن هل يوجد تعاون بين الفرق الشعبية القطرية والفرق المماثلة فى دول الخليج العربى؟ والى أى مدى وصل التعاون فى هذا المضمار ؟

ـ هناك بالطبع زيارات رسمية وزيارات خاصه تقوم بها بعض الفرق الشعبيه فى المنطقة ما بين كل فترة واخرى ، والمطلوب تكثيف هذه الزيارات ، وقد سبق لنا أن شاركنا فى مهرجان الفنون الشعبية الأول الذى أقيم فى بغداد ومهرجان الترويح السياحى الذى أقيم بالكويت وسنشارك فى مهرجان للفنون الشعبية لدول الخليج العربى الذى سيقام بدولة الامارات العربية المتحدة عام ١٩٨٤ ، وذلك بناء على قرارات المؤتمر الثامن لوزراء الاعلام الذى عقد بمدينة أبو ظبى فى ابريل من هذا العام ..

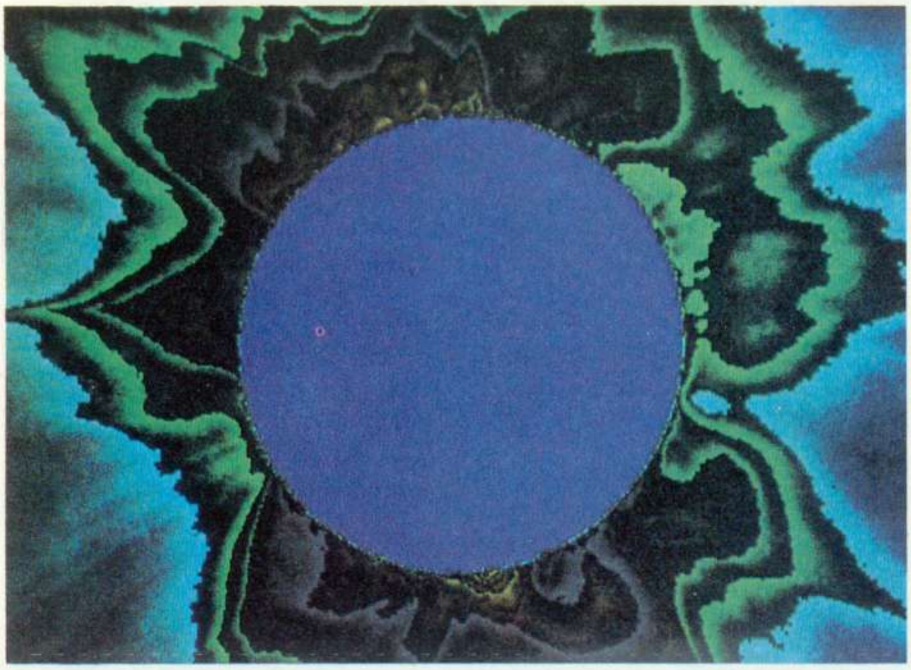
● ومـــاذا تتوقعون لمســتقبل الفنون الشعبية فى دول الخليج فى الوقت الراهن ؟ وما مدى اهتمام المسئولين بهذا الفن الشعبى ؟

ـ لا خوف على الفنون الشعبية والتراث الشعبى فى دول الخليج العربى ، لأن جميع هذه الدول مهتمة بتراثها وتعمل جاهدة على الحفاظ عليه ، ولعل مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربى ومقره الدوحة هو خير دليل على اهتمام المسئولين ، حيث سيكون هذا المركز بمثابة أرشيف عام لتراث الخليج ، ولا يخفى على احد أن للمنطقة تراثاً ثقافياً مشتركاً يجب الحفاظ عليه وتقويته والتصدى للتيارات الثقافية التى تحاول هدم تراث المنطقة حتى نحمى الأجيال القادمة . ونحن نهيب بالجهات والمراكز المهتمة بالتراث فى دول الخليج العربى بأن تعمل على تزويد مركز التراث الشعبى لدول الخليج بكل ما يتعلق ويتوافر لديها من تراث فى المنطقة ..

● قلت له : اخيراً هل يوجد لديكم عقبات امام تطوير التراث الشعبى ؟

ـ الحقيقة أن قضية التطوير غير واردة لدينا إطلاقاً فى المرحلة الحالية ، لأننا لازلنا فى المرحلة الأولى من جمع ودراسة التراث ، ولا يمكن تطوير تراث غير مكتمل ، ثم ان عملية التطوير لا يمكن الحكم عليها أو تقييمها التقييم الصحيح لأنها ربما تنقلنا الى الأفضل أو الى الأسوا ، ولذا يجب حالياً ألا نغير أو نطـــور ، لأن التراث ملك للجميع وليس مقصوراً على أحد لكى يتصرف به كيفما يريد ، ولو أننا أحياناً نجد أنفسنا مضطرين لتجديد بعض الفنون لأسباب خارجة عن ارادتنا ، ولكن دون المساس بجوهر الفن نفسه .. ويمكننا استلهام الفنون الشعبية فى أعمال فنية وفكرية جـــديدة من قبـــل المسرحيين والقصاصين والفنانين التشكيليين وهو أمر مشروع ولا غبار عليه !

يوسف الحرمى

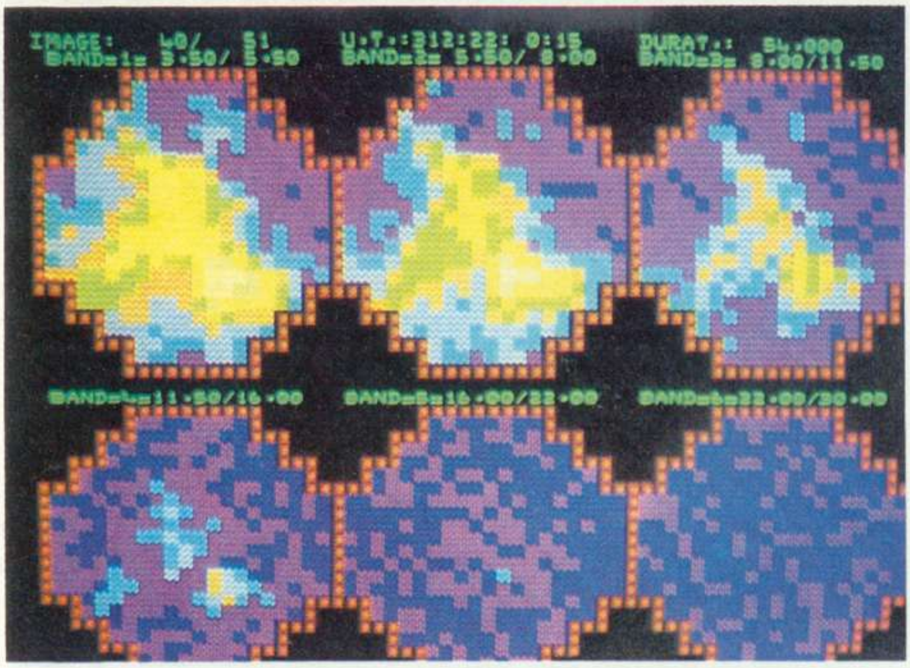


قرص القمر الصناعى وقد حجب وجه الشمس المشرق ، فاظهر الغازات الممتدة ملايين الأميال من هالة الشمس

جيل جديد ومتفرد من العلماء من امثال «جارى هكمان» .. وفرت لهم احدث الأجهزة لرصد نبض الشمس ..

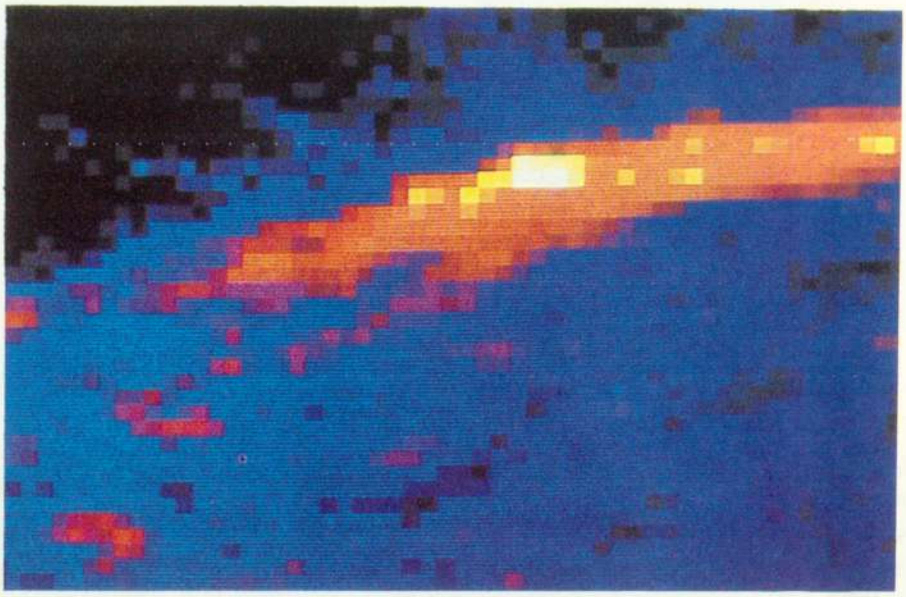


صورة بالأشعة السينية لميلاد واندثار وهج الشمس



بعد رؤية جديدة بالكمبيوتر لقرص الشمس :

هل يصلنا العصر الجليدى ؟

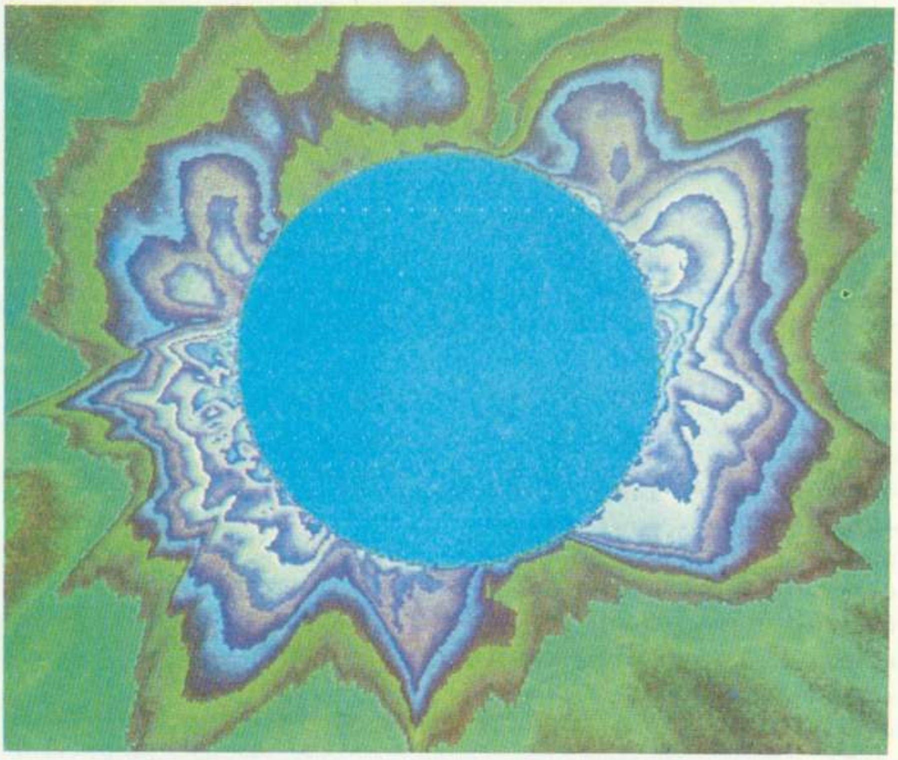


منظر توهج الشمس بعدسة التصوير الرقمى من القمر الصناعى

تلسكوب اخر لرصد الشمس من قمة جبل «كيت» بولاية اريزونا



الهالة الشمسية بفرشاة الكمبيوتر



فسيح هو الكون . وما شمسنا فى نظامه غير نجمة ضئيلة صفراء تتوقد فى اطراف المجرة . ولكن حين يتم رصدها عن كثب بعين التحليل الطيفى للقمر الصناعى فان أرضيتها تبدو حافلة بالألعاب النارية الملونة كما فى يوم عيد وتكشف هالتها عن بعض أسرارها النجمية التى يسجلها الكمبيوتر ــ ذلك الفنان الكونى الجديد ــ فى هذه الصور الفريدة .

وبواسطة اجهزة متطورة وحديثة كالقمر الصناعى الذى كان قد اطلق إبان قمة نشاط البقع السوداء على الشمس مؤخراً ، وحشد آخر من المراصد فى مواقع مختلفة وعلى قمم الجبال ، ظل علماء الفلك ودارسو العوالم الشمسية يرصدون فى صبر ويقظة ومنذ عشرات السنين ، ذلك الأتون النووى شمسنا .

ووفقوا فى السنوات العشر الأخيرة فى تحديد بعض ملامح الشخصية الزئبقية للشمس . فهى تتنفس : أي انها تتمدد وتنقبض . ولها رنين جرس عملاق . وبمقدورها أن تعتم بريقها بمقدار العشر بالمائة دون سابق انذار ولأيام عديدة ..

وهذا هو الاكتشاف الذى افزع العلماء لأن هذا التعتيم ان بلغ مقدار الواحد بالمائة ، لأرخى على الأرض عصراً جليديا كئيبا .

وأخيراً .. اكتشف عدد من علماء الفلك وجود أنهار مغنطيسية تجرى حول الشمس . ويعتقد أن اختراق هذه الأنهار المغنطيسية لسطح الشمس هو الذى يحدث البقع الشمسية التى تبدو مثل أقواس هائلة من اللهب .

ان الفصل الأخير فى دراسات علم الفلك الشمسى لم يكتب بعد . ولكن العلماء ليسوا على عجل .. وفسيح هو الوقت الكونى لدراسة هذه الجمرة التى ستظل متوقدة بلايين السنين .

قــــراءة الشـــعــر

بقلم: جيمس ريفز
ترجمة: علي جعفر العلاق

قبل وقت ليس بالطويل سئل عشرون شخصاً السؤال التالي : « هل تقرأ الشعر » كان هؤلاء الأشخاص من البالغين الذين تتراوح أعمارهم بين الحادية والعشرين الى حوالي السبعين ، ويمثلون شريحة من المجتمع تضم مدرسين ، عمال مصانع ، طبيباً ، موسيقياً محترفاً ، ثلاثة عمال زراعيين . وعدداً من موظفي المكاتب والمساعدين في المحلات التجارية .

واحدة من هؤلاء العشرين ، الذين سئلوا كافراد قالت : بانها تقرأ الشعر بشكل مستمر ، وتفضله على جميع وسائل التسلية الاخرى . وقال آخر انه يقرأ الشعر في الغالب ، خاصة القصائد المعاصرة في المجلات وكتب المختارات الشعرية . أربعة منهم قالوا انهم يقراون الشعر عرضاً ، وانهم قد يلتقطون كتاباً مرة خلال السنة . أما الأشخاص الاربعة عشر الباقون فقد أشاروا الى أنهم لا يقرأونه على الاطلاق . معظمهم ليسوا معادين للشعر ، مع أن اثنين أو ثلاثة منهم يعتقدون بانه هراء وكانوا معارضين له معارضة شديدة . الباقون ليس لديهم شيء ضده ، كل ما هناك انهم ليسوا مولعين به .

اذا كانت هذه العينات مقنعة ، مع أني متاكد انها كذلك ، فيبدو أن سبعين في المئة على الأقل ، من السكان البالغين لديهم رغبة قليلة في الشعر أو ليس لديهم رغبة أصلا . خمسة وعشرون في المئة يمكنهم الاستغناء عنه . واحد في العشرة فقط يعتبر الشعر ذا قيمة حقيقية . من الطبيعي أن اختيار العينات كان محدوداً جداً مما جعل من المتعذر على هذا الاستفتاء أن يكون علمياً . كما أنني لم أمض بالتجربة أبعد من ذلك لكي أحاول التعرف على خاصية الشعر الذى قرأه هذان الشخصان ووجداه ممتعاً ، ولا الاسباب المختلفة التي جعلت السبعين في المئة لا يجدون إلا ميلا ضئيلا اليه . لكني سألت سؤالا آخر :« هل قرأت الشعر ولو مرة واحدة ؟ » لقد أجاب الجميع ، عدا ثلاثة ، وبدون تردد : نعم . ويبــدو من ذلك أن كل شخص ، تقريباً ، كان قد قرأ بعض الشعر في المدرسة ، غير أن القلة هي التي استمرت على قراءته بعد ذلك . فهل الشعر مجرد شيء ما نتعلمه على مقاعد الدراسة ثم ننساه حين نخرج منها الى العالم ؟

في هذا الكتاب أحاول ، بشكل خاص ، الوصول الى طبقتين من القراء . أولا الرجل أو المـرأة ، الذي يشعر بتقبل عام وغامض للشعر ، لكنه فى الحقيقة لم يقرأ الشيء الكثير منه ، ولم يجهد نفسه من أجل تصنيف أفكاره عنه : الشخص الذى لديه قليل من القصائد المفضلة لكنه لم يشعر برغبة قوية في توسيع هــذه القائمة أبداً . ثانياً : أود أن أتناول الرجل ، أو المرأة ، النشيط والذكي ، عموماً ، والذي ليس لديه أى ميل الى الشعر ، لان الشعر بــدوره لا يحمل له ، أو لها ، بشكل خاص ، شيئاً ما : الشخص المحايد لكنه غير المعادي عداء فعالا . الشخص الذي يستمتع بالسمفونية أو معرض الرسم ، لكن الكلمة المكتوبة ، فى قالب شعري ، تكون كتاباً معلقاً بالنسبة اليه .

لقد بدأ الشعر مذ أصبح الانسان قادراً على النطق . وقد شغل اهتمام عدد كبير من الناس لقرون عديدة ، واجتذب الرجال والنساء المنغمرين بالحياة بعيداً عن السعي وراء النجاح المادي . كما حظي بالاهتمام العاطفي من قبل الناس ، رجالا ونساء ، من جميع الاصناف وخلال العصور كلها .

وما هو أكثر من ذلك ، ان من النادر أن يكون حب الشعر مجرد جنون ، إذ من الصعب التخلص منه حالما يتم اكتسابه .

صحيح أن بعض القراء يستمتعون بالشعر أيام الدراسة ثم يفقدون هذا الاستمتاع فيما بعد . لكن قد يكون السبب فى ذلك أنهم قد تعلموا اما بشكل ممتاز جداً أو رديء جداً . فمن المحتمل أن المدرس ، الذي صادف وان اعجبوا به ، قد زرع فيهم اهتماماً مؤقتاً بالشعر . أما المدرس الرديء فقد يلقي بهم بعيداً عنه لسنوات عديدة وربما طيلة حياتهم . غير أن القاريء الناضج ، الى حد ما ، والذي يكتشف في نفسه ولعاً بالشعر قد لا يفقد هذا الولع مطلقاً .

قضية استمتاع شخصي

ان عدوى التعلق بالشعر لا يمكن لاحد أن يكون في منأى عنها ، لكن الكثير من القراء المحتملين قد لقحوا ضدها بسبب من ظروف الحياة والتربية الحديثتين . ان الشعر قضية استمتاع شخصي ، ولقد مرت فترات ، قبل التربية الاجتماعية واختراع الطباعة ، كان الشعر خلالها وسيلة جماهيرية . وما زال له ، حين يكون على شكل أغنية عادة ، تأثير ثقافي جماعي في الأماكن ذات الحضارة البدائية ، أما في أوربا وأمريكا فقد توقف ذلك منذ زمن طويل . لقد بذلت محاولات ، وما تزال تبذل من خلال الراديو والوسائل الأخرى ، لاحياء الاستمتاع بالشعر باعتباره نشاطاً جماعياً . ولم تصادف هذه المحاولات نجاحاً كبيراً ، لذلك فان مناقشتها ستكون ، بالنسبة لي ، أمر لا جدوى منه .

عندما اتحدث عن « الشعر وانت » فانني اقصدك أنت شخصياً ، باعتبارك فرداً خاصاً . هناك الآن شيء من ردة الفعل ضد العناية بالفرد لذلك فنحن تحت رحمة الاعلام الجماعي أكثر فاكثر ، ونحن مجبرون ، اكثر فاكثر ، على اداء بعض الأنشطة باعتبارنا أعضاء في هذه المجموعة أو تلك . وهكذا تم اخضاع الشعر ، بشكل سيىء ، لتقييم المجموعة . ان في استطاعتنا أن نتذوق الموسيقى في صالة للعزف ونستمتع باللوحات في معرض فني . كما يمكننا أن نبدي اعجابنا بالاعمال المعمارية والهندسية الفذة علنا ونحن بين اندادنا الآخرين . ومع أنني لا أنوي التقليل من عمل أولئك الذين يقدمون قراءات شعرية عامة الا أن تلك القراءات ما تزال مساهمة صغيرة قياسياً الى المتعة بالشعر عند قراءته قراءة شخصية .

ربما يظن ان اختراع الطباعة ، والتي تعني اندثاراً فعلياً لطبقة الشعراء المغنين والاستمتاع الجماعي في صالات النبلاء العظام ، قد يعني نهاية الشعر . انه لا يدل على ذلك بل يعني ، على أية حال ، بأن الشعر قد اصبح أشد غوصاً للداخل . اصبح قضية للدراسة ، لغرف النوم ، ولأماكن الخلوة . ان الأمور قد تتغير مرة أخرى لكني لا أستطيع الكتابة عن الشعر الآن الا باعتباره شيئاً لامتاعك أنت بشكل شخصي ، أو على أكثر تقدير ، عندما تكون في صحبة واحد أو اثنين من أصدقائك . الأمر الآخر المرتبط بالشعر ، والذي بدأ يفقد سحره بالنسبة للناس الأذكياء هذه الأيام ، هو أن الشعر محلي بشكل أساسي مع أنه ليس مغرقاً في محليته . ان الناس المستقبليين مأخوذين بما يحتوي على سحر عالمي ، خاصة الرسم والنحت والموسيقى . وهم يقرأون النثر الأدبي ، من أي بلد كان ، مترجماً الى لغتهم الأم اذا كان ذلك ضرورياً مما يمنح حياتهم مظهراً من العالمية . غير أن الشعر وحده هو الذي يرفض الترجمة بعناد . ومع أنه يترجم وينشر مترجماً فان ذلك لا يغير من حقيقة الأمر شيئاً . وليس هناك من يستمتع بالشعر المترجم ، في الواقع ، الا اذا كان المترجم يمتلك أصالة في الذهن بحيث أنه يعيد ابتكار القصيدة بلغته الخاصة مرة أخرى . وقلة هم المترجمون الذين لديهم هذه المقدرة . ان ترجمة الشعر الحديث ترجع الى العالمية الجديدة أكثر من أي شيء آخر ممتع جداً أو أخاذ في حد ذاته . وذلك ، في الغالب ، برهان على النقطة التي اتحدث عنها ، اعني أن الشعر عصي على الترجمة .

من حسن الحظ أن العالم الناطق بالانجليزية عالم واسع ، ولم يحرم أحد ، إذا كان قد نشأ ليتكلم الانجليزية ويكتب بها ، من المشاركة فيما يعد أعظم موروث ثقافي شهده العالم : أي الشعر الإنجليزي . وحيثما استعملت هذه الكلمة فانني اعني بها الشعر المكتوب بهذه اللغة سواء كان كاتبه أمريكياً أو استرالياً ، أفريقياً أو شخصاً آخر يتكلم الانجليزية .

الشعر من شئون القلب

إن حب الشعر أمر مرتبط بالقلب ، وليس في مقدور أحد من الناس أن يقنعك بان تحب أو يحول بينك وبين ذلك . وليس في استطاعته أن يدفعك الى الولع بالشعر وتفضيله على أي شيء آخر . ان الوقوع في الحب يكون مفاجئاً وغير منطقي وفي وقت يكون احتماله أضعف ما يكون . وعلى اية حال فان الوقوع في حب الشعر يختلف في بعض الوجوه عن الواقع في حب انسان ما ، إذ من الممكن أن يتوقف احساسك بحب ذلك الانسان لعدم توفر أسباب كافية جداً وقد تقدر خطأ ، ونتيجة مشاعر غامضة ، انك في حالة حب . بينما من غير المحتمل أن يحدث ذلك بينك وبين الشعر إلا إذا كان تعرفك المبكر عليه خاطئاً

والأكثر من ذلك ، لا يمكن أن يكون بينكما حالة كحالة هذا الشخص غير المرغوب ، لان الشعر لا يستطيع أن يرفض صداقتك ، أو يرفض منحك قدر ما تمنحه . وليس من طبيعته أن يكون بارداً أو عنيداً أو جافياً .

ومحبة الشعر يجب أن تكون أمراً يرتبط بالذهن أيضاً ، فان الطفل في السنة الثانية من عمره قد يحب الحكايات الشعرية الخاصة بالاطفال لأصواتها اللطيفة . لكنها إذا لم تتضمن معنى ما ، أو شيئاً يجتذب عقله الذي يتفتح تواً ، فان حبه لها لن يكون متجذراً .

إن الشعر ، إذن ، شان من شئون القلب ، وليس في مقدور أي كاتب أن يجعلك تحبه بل افضل ما يمكنه عمله هو أن يعرفك بقصائد مختلفة ، ان يخبرك أي هذه القصائد تحظى باعجابه أكثر من سواها ، ثم يترك الأمر عند هذا الحد . ان افضل الشعر يميل الى أن يكون خجولا وبحاجة الى الكشف عنه . وبما اننا معنيون بقضية تتصل بالعقل ، كاتصالها بالقلب ، فان قدراً معيناً من الحديث والتفسير يكون ضرورياً. ان أحسن اجزاء كتاب ما ، وهو ما يكتشفه نقاد الصحافة الأدبية حتماً ، هي المقتطفات. لذلك إذا فشلت الأشياء الأخرى كلها فعليك أن تلتقط هذه المقتطفات ، أن تقرأها أن تتلوها بصوت عال ، أن تستمتع بها لذاتها إن استطعت . إن كان في مقدورك أن تلتذ بهذه المقتبسات فانك تستطيع الاستمتاع بغيرها .

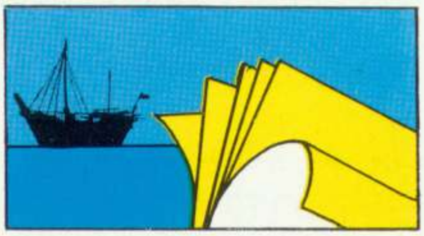
ستلتقي أنت والشعر خلال هذه الصفحات ، فلا تتوقع انه سيعينك على النجاح في الحياة ، فهو لن يفعل ذلك . ان الشعر هو ما يساعدك على أن تستمتع بالحياة حينما تنجح فيها ، أو عندما لا يمكنك النجاح فيها ، أو حين تكون ضجراً من هذه العملية كلها .

علي جعفر العلاق
ـ المملكة المتحدة ـ

هامش

● هذه المقالة تمثل الفصل الأول من كتاب كيف نفهم الشعر **Understanding Poetry** للشاعر والناقد البريطاني جيمس ريفز .

أوراق من البحر



بقلم : عبد الرحمن المناعي

ريشة : سلمان المالكي

الدرس الأول ..

ارتفعت أصوات «الهولو» مع الاشرعة البيضاء .. واخذت البيوت الطينية تبتعد عن أعين الرجال .. فقد خرجت السفن الى عرض الخليج فى مجموعات صغيرة مالبثت أن تفرقت هنا وهناك .. اختار كل قائد سفينة أقصر الطرق للحصول مبكراً على الرزق الوفير من محصول «الهير» الذى هو غاية المراد . وعادة ما يتركون «الهير» لعدة مواسم ثم يعودون اليه من جديد بعد نمو اللآلىء بداخله مرة أخرى . إلا أن الأمر – فى كل هذا – متروك «للنواخذة» وما على جميع بحارة السفينة إلا السمع والطاعة .

وتشق السفينة عباب البحر قبل أن تصل الى الهير .. وعلى ظهرها يقبع الرجال .. يحلمون .. يسترجعون الصور الجميلة وذكريات القرية ولياليها والزوجة والأولاد .. وكثيراً ما تهب نسمات الصيف القادمة من البحر فتلفح وجوههم الهادئة ، فيغوصون أكثر مع الاحلام الجميلة !

سارت سفينتهم بعزلة تامة عن السفن الأخرى ، وكانت فرحة «النوخذة» ما بعدها فرحة ، فقد كان أول الذين وصلوا الى المكان .. واخذت السفينة تحتل وضعها المناسب فى وسط الهير المهجور منذ فترة بعيدة .. ووقتها تأكد الرجال أن اصدافه استعادت قدرتها على انجاب «الدانات» ..

وعندئذ بدأ الغواص «بدر» يستعد للغوص .. تدلت ساقاه لتستمتع ببرودة المياه وهو على حافة السفينة يتأكد من أدواته وصلاحيتها لبداية العمل . إنفلت الحبل وترك «الحير» يسحبه الى الأعماق فاليوم يبدأ موسمه العشرين والمحار فى هذه المرة كثير جداً .. واستمر فى جمع المحار فى سلته بينما كان هناك غواص آخر يمر من فوقه .. كانت سكينه الصغيرة تنتزع المحار من فوق الصخور .. وفجأة أحس بشىء فوقه .. رفع رأسه متصوراً أنه غواص آخر ، إلا أنه ما أن رأى هذا الشىء حتى أدرك أن الهير المهجور تنمو بداخله دائماً كائنات خطرة .. نظر الى هذا الكائن بقلق إزداد عندما أحس أنه يقصده هو بالذات .. وهنا تذكر الدرس الأول الذى سمعه من الآباء والأجداد : «يا بنى إذا فاجاك «اليريور» فابق فى القاع قدر ما تستطيع» !

رفع رأسه مرة أخرى وهو قابع فى القاع إلا أن «اليريور» كان مازال متمسكاً بالمكان .. ومعنى ذلك أنه لو شد الحبل فسيسحبه القائم على السفينة ويهاجمه الوحش ، وإذا مكث أكثر فى القاع فانه لن يحتمل إلا لوقت محدود .. إذن لا طريق أمامه للنجاة إلا إذا خرج بهدوء الى أسفل السفينة مباشرة وأبقى عينيه مركزة على الوحش متجنباً كل ما يلفت نظره ..

وسمر عينيه على ذلك الوحش المرعب ، وأخذ يرتفع بهدوء مستعداً للحظة التى يتعرض فيها للهجوم عندما يصل الى سطح البحر ، فهو يعلم – من تجارب السابقين – أن ضربة على الرأس ستجعل هذا الوحش يلوذ بالفرار استعداداً لجولة أخرى !

وبدأت رحلته الصعبة من القاع الى السطح ، وهو يكاد أن يختنق والرهبة تدب فى كل جسده ولسان حاله يقول : « ها لا تغفل، لا تعطيه ظهرك أبداً» ..

وفجأة بدأت المواجهة .. إن الوحش يخترق الموج بسرعة متناهية .. لابد من أن يضربه على رأسه .. أضربه على رأسه !

اصطبغ البحر بالدماء ، ووصل الى سطح السفينة متهالكاً والكل يحمد الله على سلامته ، بينما رنت فى أذنيه كلمات تقول له : « الحمد لله ، لقد اكتفى الوحش بيدك فقط» .

وبينما أخذ الرجال يوقفون نزيف يده المقطوعة ، تذكر أنه عندما ضرب الوحش على رأسه انقلب فجأة ليطبق على يده بذلك الفك الرهيب ، ولم يشعر بفداحة الحادث والألم الذى ألم به لأن كل همه فى ذلك الوقت هو الوصول الى سطح السفينة مادام قادراً على العوم !

وعندما غادرت السفينة مكانها عائدة من رحلة الصيد .. كان وحده يجلس منزوياً فى أحد الأركان .. يناجى نفسه : يد واحدة يا بدر .. يد واحدة وأنت لازلت فى الثلاثين من عمرك .. غداً يرمونك على شاطىء القرية لتنضم الى طابور العجزة الذين يفترشون الشاطىء ويرقبون البحر كل مساء .. لا يدرى إن كانوا مشتاقين الى أمواجه ، أم ساخطين عليه !

● الهولو :
ترانيم البحارة أثناء العمل على السفينة .

● الهير :
وجمعها هيرات وهى مناطق الغوص التى تتميز بعمق بسيط به صخور وأعشاب ، حيث ينمو المحار وبداخله اللؤلؤ ، ويميز أهل الخليج الهيرات عن بعضها بأسماء خاصة ويستدلون عليها بواسطة النجوم .

● الدانات :
جمع دانة ، وهى اللؤلؤة الكبيرة الحجم ، الجميلة المنظر ، الصحيحة التكوين .

● الحير :
الثقل الرصاصى الذى يربطه الغواص فى رجله ليساعده على النزول الى القاع .

● المحار :
الصدفة التى ينمو بداخلها اللؤلؤ .

● اليريور :
سمك القرش .


سلمان

أحد هذه الأيام

• قصـــــــة •

جابرييل جارسيا ماركيز
ترجمة: صلاح حسن أحمد

ما إن صدرت رواية « مائة عام من العزلة » في عام ١٩٦٧ حتى صار مؤلفها جابريل جارسيا ماركيز أحد أهم الكتاب الذين أسمعوا العالم صوت الأدب الجديد في أمريكا اللاتينية . نيويورك تايمز كتبت : « بقفزة واحدة صعد ماركيز إلى حيث يقف جونتر جراس ، وفلاديمير نابوكوف » .
وكتبت صحيفة جارديان : « هذا نوع من الروايات يمكن أن يغير حياة الانسان » .
وعندما أتم ماركيز روايته الثانية «خريف البطريرك» ، قـــــرر ألا يعود إلى الكتابة إلا إذا أطيح بنظام الجنرال أوجستو بينوشيت القائم حتى الآن في شيلي . لكنه (من يأسه !) كتب في العام الماضي « أحداث موت معلوم سلفاً » عن رجل أساء إلى سمعة امرأة يوم زفافها وصار الموت ـ ممثلاً في أخويها ـ يلاحقه أينما ذهب ، نال ماركيز عن هذه الرواية جائزة النقد للأدب في أمريكا اللاتينية ، وقد ترجمت حتى الآن إلى حوالى ١٤ لغة . ولد ماركيز بكولومبيا عام ١٩٢٨ وتخرج من جامعة بوجاتا الوطنية ثم اشتغل بالصحافة متنقلا بين المكسيك وفنزويلا وفرنسا وأسبانيا . وفي بداية العام الماضي نفى نفسه إلى المكسيك بدعوى أنه ملاحق من قبل المخابرات الكولومبية . « أحد هذه الأيام » التي نترجمها هنا صدرت ضمن مجموعة قصص قصيرة .

فجر الاثنين كان دافئاً ودونما مطر . أوريليو ايسكوفار ، طبيب أسنان بلا مؤهلات علمية ، فتح باب عيادته في السادسة صباحاً لأنه تعود أن ينهض من نومه مبكراً ، ثم تناول من صندوق زجاجي طقم بعض أسنان صناعية كان لما يزل داخل قالب الجبس ووضع على الطاولة حفنة من المعدات رتبها تبعاً لحجمها وكأنه يعدها للعرض كان هندامه عبارة عن قميص مخطط ، دون ياقة ومحكم عند العنق بزرارين ذهبيين ، وبنطلون شد إلى أعلى بواسطة حمالتين . كان منتصب القامة ، جلداً على عظم . وكانت نظراته ، كما الأصم ، لا تناسب الموقف كما ينبغي .
عندما انتهى من أشيائه على الطاولة ، جر حفار الأسنان الذي كان يعمل ببدال ناحية مقعد المرضى ، ثم جلس وشرع في تلميع الأسنان الصناعية . بدا وكأنه غير مستوعب في عمله لأن الحفار ظل يدور أحياناً في مكانه وفي الهواء معظم الأحيان .
بعد الثامنة توقف عن عمله قليلا وراح إلى النافذة ناظراً إلى السماء فاسترعاه أنه رأى عصفورين مستغرقين في الاستحمام بضوء الشمس على عمود خيمة نصبت بالجوار .
مضى يعمل وكأنه يتوقع هطول المطر قبل موعد الغداء ، عندما جاءه صوت ابنه ذي الأحد عشر عاماً حاداً :
ـ « بابا » .
ـ « ماذا ؟ » .
ـ « العمدة يسأل عما إذا كنت ستخلع سنه » .
ـ « قل له إنني لست موجوداً » .
كان يلمع سناً ذهبية . رفعها أمامه بمقدار ذراع وجعل يتفحصها بإحدى عينيه عندما ناداه ابنه بصوت عال :
ـ «يقول إنك موجود لأنه يستطيع أن يسمعك»
ولكن الطبيب ظل يتفحص السن الذهبية .
وعندما انتهى من تلميعها وضعها على المنضدة وغمغم : « حتى الآن ، على ما يرام » ثم أخرج من صندوق كرتوني قديم عدة قطع من روابط راح يلمع الذهب فيها .
ـ « بابا » .
ـ « ماذا ؟ » قالها بنفس رنة الصوت .
ـ « إنه يقول إن لم تخلع سنه فسوف يطلق عليك النار » .
لم يحرك ساكناً . وبهدوء متناه أوقف البدال ، دفعه بعيداً ، جر إليه خزانة الطاولة السفلى حتى آخرها . هناك كان يحتفظ بمسدسه .
ـ « قل له فليتفضل بالدخول لقتلي » .
ثم جر مقعده بحيث صار مواجهاً للباب بينما ظلت يده ممسكة بطرف الخزانة حتى ظهر العمدة . كان نصف وجهه الايسر حليقاً . أما الأيمن فقد كان متورماً نبتت عليه لحية عمرها خمسة أيام . طبيب الأسنان استطاع بسهولة أن يحصي في عيني الرجل الليالي العديدة التي قاساها . وبأطراف أصابعه أغلق خزانته ثم قال له : « اجلس » .
ـ « صباح الخير » . قال العمدة
ـ « أهلا » قال الطبيب
عندما كانت معدات العمل تغلي في الماء الساخن أسند العمدة جمجمته إلى أعلى المقعد وأحس بالراحة قليلا . كانت أنفاسه باردة كالثلج كانت العيادة متواضعة للغاية : مقعد خشن عتيق حفار يعمل بالبدال ، وصندوق زجاجي . بمواجهة المقعد كانت هناك نافذة عليها ستار بارتفاع الكتف .
عندما أحس العمدة باقتراب الطبيب شبك كعبيه وفتح فمه . وعندما فحص أوريليو ايسكوفار السن المريضة تحت الضوء القادم من النافذة ضغط بحذر على فكي العمدة حتى أغلق فمه .
ـ « ستتم العملية دون استخدام مخدر » .
ـ « لماذا ؟ » .
ـ « لأن هناك دمل » .
ـ « حسناً » . قال العمدة ونظر إلى الطبيب محاولا الابتسام ولكن الأخير لم يرد ابتسامته ، بل وضع على المنضدة وعاء أدواته المعقمة وظل على مهل يخرجها بملقاط . ثم دفع المبصقة بطرف قدمه وشرع في غسل يديه بالماء . فعل كل ذلك دون أن ينظر إلى العمدة الذي لم يرفع ناظريه عنه .
كان ضرس العقل هو المراد خلعه .. باعد الطبيب بين ساقيه وأمسك بين فكي الكلبتين بالضرس . قبض العمدة على يدي المقعد ، شبك قدميه بكل قوته وأحس بفراغ ثلجي في كليتيه ، لكنه وبرغم ذلك لم يصدر صوتاً . حرك الطبيب رسغه فقط وقال بحدة رقيقة ودونما ضغينة :
ـ « ستدفع الآن قتلانا العشرين » .
أحس العمدة باصطكاك العظام في فكيه ثم اغرورقت عيناه دمعاً ولم يتنفس حتى خرجت السن . رآها من خلال دموعه وبدت له شيئاً لا يتناسب وحجم الألم الذي استوعبه في الأيام الخمسة الأخيرة . مال ناحية المبصقة وهو يتصبب عرقاً ، حل أزرار سترته العسكرية واستطاع بعد جهد أن يسحب منديله من جيبه . الطبيب أعطاه قطعة قماش نظيفة وقال له : « جفف دموعك » . وهكذا فعل . كان يرتجف . وعندما كان الطبيب يغسل يديه استطاع العمدة أن يرى سقف الغرفة المتهاوي ، خيوط العنكبوت والبيض الذي فرخه والحشرات الميتة . عاد اليه الطبيب بعد أن جفف يديه وقال له :
« اذهب الآن إلى سريرك وتمضمض بماء مالح »
وقف العمدة وودع الطبيب بتحية عسكرية عابرة ، ثم سار باتجاه الباب دون أن يربط أزرار سترته .
ـ « أرسل الفاتورة » . قال العمدة
ـ « إليك أم إلى المدينة ؟ » .
لم يلتفت العمدة . أغلق الباب وقال من وراء الستار :
« سيان » .
« سيان » .

صهيل النهر

شعر: محيي الدين فارس

أطفأتُ قِنديلي تركْتُ زَوَارِقي
للنهرِ والحيتانِ ... أشرعَتي لكفِّ الريح ..
... ظلِّي .. للثعابينِ المطلَّةِ من تجاويفِ الشقوقِ
وعلى يَراعَاتِ الجِبَالِ نثرتُ سُودَ مَلاحِفي
راوغْتُ في المرْسَى .. مصابيحَ المدينةِ ..
.. والتماعاتِ البروقِ
حولي .. جدار الصمتِ يرشَحُ ماؤُه الغَسَقيُّ
يصعدُ من مباخرِهِ الدخانْ
تتمدَّد الحياتُ .. يهربُ من يدى شبَحُ الزَّمانْ
وغَفَتْ فنارِاتُ البحارِ .. تفيَّأتْ ظِلِّي
ولا زمنٌ يجسِّدُ لحظةَ الرؤيَا . ولا وجْهَ المرايا
أواهُ ياليلَ الرزايا
الموتُ يضحكُ في الممراتِ الرهيبةِ ..
والرصيفُ يئنُّ كاهِلُهُ .. فيزحفُ للزوايا .. !!
ضيعتُ نجْمِيَ في غياباتِ السديمِ
وسقطتُ في ليل المغاراتِ العميقةِ .. في قراراتِ الجحيمِ
أواهُ يا نجمي .. فعيني في مداراتِ النجومِ
أبداً تحدِّق في البعيدِ .. تظلُّ ترفَعُ للسماءِ صَلاتَهَا
وتعودُ للقيعانِ .. ترتقبُ البشَارَهْ

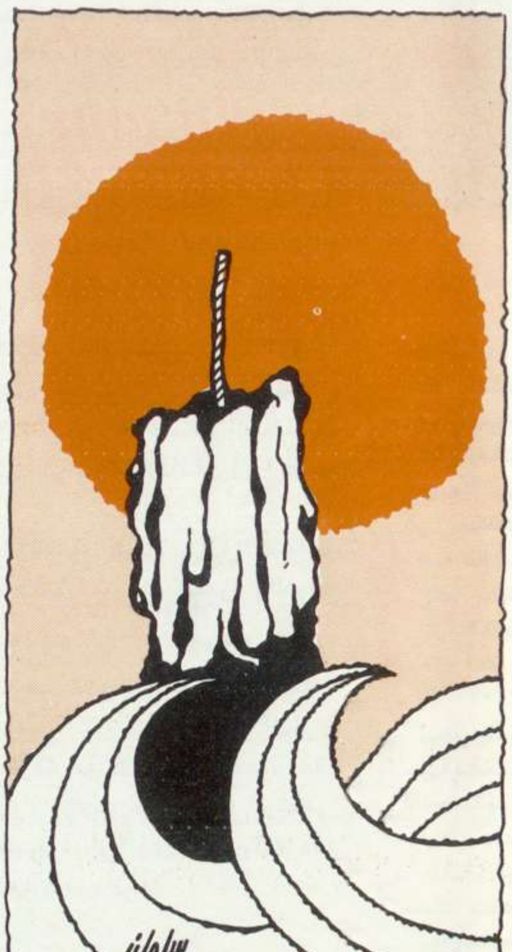
هذي بداياتُ التحاريقِ اللئيمةِ والجفاف
دقت نواقيسُ البداية .. أول الصيفِ المحمَّلِ بالوباءِ
آتٍ .. بيارقُهُ تزفزفُ في ثيابِ الريحِ ..
.. ترقصُ فوقَ أشلاءِ الضياءِ
تتساقطُ الأنوَاءُ .. لا يبتلُّ وجهُ النهْرِ ..
.. يرتعشُ الثَّرى الظمآنُ .. يحتضِنُ الزنَابِقَ وهي تجْنَحُ للأُفُولِ
ماتت على صدرِ الصخورِ عرائسُ الامواجِ ما أبقَتْ سوى زَبدِ السيول
الظل يرحلُ .. تركضُ الأشياءُ من حوْلي .. وتنبسطُ السهول
لكنني آت جيادُ الريح تحملُني إذا ماتَتْ على النهر الخيول

أبدا تحاصرني عيونُ الليل تمنعني رياحُ القاع ..
أختصر الكلام أميت في شفتيَّ نَبْضِي
لمحتهُ .. فانتصَبَتْ على الاعْقَابِ .. قاماتُ الجبال
تدْوِي .. بصوتِ الرعدِ . ترتطمُ البحارُ على البحار
وتكاد تسقطُ من محاجِرِهَا العيونُ ..
.. وتركضُ الطرقاتُ .. تلْقَى عن كواهِلِهَا ضحَايا الموتِ والطاعونِ
... ما جدوى البكاءِ على الطلول ؟

تنمو وتكبرُ في جوانح قلبِيَ الدامِي . تعاريشٌ من الأحْلامِ ..
أختزِنُ الرنين
وألقِّح الظلماتِ يا نجْمِي .. وأرتقِبُ الجنين

ماذا ... وخلف سرادِقِ الأيامِ .. مطرِقَةٌ عيونُ الخيلِ
أرهَقَها الحنين

لبستِ سروجَ الدَّمِّ .. ما نسيَتْ صهِيلَ النَّهر
يوقِظُ في حناجِرِها الصهيل



أســـرار هـــذا الحصـــن العظيم في تـــاريـــخ المنطقـــة العربيـــة

قلعة دمشق

في مواجهة أعداء الحضارة الإسلامية

بقلم : وجيـــه الشـــربـجي

القلاع والحصون الرابضة فى أرجاء الوطن العربى الكبير أوابد خالدة ووثائق مادية تنهض دليلا تاريخياً على أصالة الأمة العربية الاسلامية وتقدمها فى المضمار الانسانى والعمرانى .

تاريخ تلك القلاع المنتشرة على قمم الجبال والروابى وتخوم الصحارى والسواحل العربية جزء من تاريخ الحضارة العسكرية الاسلامية . وكل جهد يبذل ليستنطق حجارتها القائمة أو المتاكلة يضيف لبنة الى صرح حضارة هذه الأمة التى يتدفق المجد من أبراج قلاعها .

ومع اتساع نطاق وثبة الدراسات الثقافية العربية المعاصرة وشمولها تلك الأوابد الشامخة يزداد الاهتمام بدراسة تاريخ القلاع لكونها شواهد تاريخية ملموسة تستقطب المهتمين بشؤون الحضارات الانسانية القديمة والحديثة . وسيجدون البصمات الحضارية العميقة التى تركها عظماء العرب خلال ملاحم البطولة التى خاضوها دفاعاً عن أرضهم ومعتقداتهم فى حربهم ضد الغزاة الطامعين .

من هذا المنطلق .. نسلط الأضواء على تاريخ قلعة دمشق السياسى والعسكرى والاجتماعى لكشف أسرار المعارك الخطيرة التى دارت رحاها بين المسلمين والفرنج الحاقدين .

فشأن قلعة دمشق كشأن مدينة دمشق من حيث أهميتها فى تاريخ الأمة الاسلامية . فمواقفها الصلبة فى الصراع العنيد فى وجه الهجمات الصليبية البربرية والغزو التترى الأصفر ، يذكره المؤرخون المنصفون فى صفحات مضيئة مشرقة دونت لابراز أهمية هذا الحصن العظيم الذى كان له أثره فى تاريخ المنطقة العربية . ناهيك عن دورها الرئيسى الذى قامت به فى مختلف أوجه النشاط الثقافى والاجتماعى فهى المركز الذى كانت تدار منه شؤون البلاد والعباد السياسية والعلمية على مدى تسعة قرون من الزمن .



بين دمشق القديمة والحديثة ، تربض القلعة اليوم شامخة ، حيث يعيش الانسان العربى لحظات تامل مع تاريخ بطولات الأجداد

الأحداث الجسام التى سيطرت على منطقة الشرق العربى خلال العهدين الأيوبى والمملوكى . والتى رافقت إنشاء القلعة وتحصينها جعلتها تحتل مركزاً بارزاً فى الصراع العنيف الذى نشب بين المسلمين والصليبيين الذين قهرهم البطل الخالد صلاح الدين،والمغول الذين طردهم الملك قطز ومن بعده الظاهر بيبرس البندقدارى .

بدأ تشييد القلعة فى عام ٦٤٩ هـ / ١٠٧٦ م على يد الملك (اتزين أوق) الخوارزمى واكتمل بناؤها أيام الأمير السلجوقى تاج الملوك (تتن) .

ولما تسلطن الملك العادل الأيوبى ابو بكر محمد أمر بهدم القلعة القديمة ، وشرع ببناء قلعة جديدة فى مكانها وعلى أنقاضها فحلت قلعة دمشق الأيوبية محل قلعة السلجوقيين وربضت صامدة تتحدى صروف الدهر والزوال منذ عام ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م وحتى يومنا هذا .

دخل نور الدين بن زنكى دمشق لينقذها من حاكمها مجير الدين الذى بطش باهلها ، وجبن أمام الصليبيين ، فرضخ لطلباتهم ، واتخذ نور الدين من القلعة مربضاً له ومركزاً لحكمه وانطلق منها يطارد الطغاة المعتدين وأعد جيشاً قوياً أرسله الى مصر لتحريرها بقيادة أسد الدين شيركوه ، وابن اخيه صلاح الدين الأيوبى .

ونجح صلاح الدين بالقضاء على الخلافة الفاطمية واصبحت بذلك مصر والشام دولة واحدة يقودها السلطان نور الدين .

وحين توفى نور الدين تابع صلاح الدين تحقيق هدفه النبيل فواصل تحرير العالم العربى والاسلامى وتوحيده بكل عزم صادق .

وحينما عاد صلاح الدين الى دمشق . استعصت عليه القلعة بادىء الامر ، ثم سلمت له صلحاً بعد مفاوضات اجراها مع نائب القلعة . وبدأت مع تلك الحقبة مرحلة الشباب فى حياة القلعة فجعل منها صلاح الدين مقراً لقيادته واتخذها سكناً له ولاهله ولقادته .

وصارت محط أنظار الجميع فمنها كانت تدار شؤون البلاد وبها تعقد اخطر الاجتماعات الحاسمة . ومن القلعة اعلن صلاح الدين نبا قيام دولة الأيوبيين من مصر والشام ، فكان لهذا الحدث التاريخى صداه الواسع فى ذلك العصر .

ولما تسلم الملك العادل شقيق صلاح الدين الحكم عادت التحديات الأجنبية من جديد وهب الملك مستخدماً كل امكانيات الدولة للتصدى للغزو الفرنجى فشيد القلعة وحصنها وتبارى من بعده ملوك بنى

ليوب فى تدعيمها وصيانتها وفق مخطط عسكرى منيع .

ويذكر المؤرخون أن الملك الصالح اسماعيل شارك بنفسه أهالى دمشق فى ترميمها ، فرفع بيديه حجارتها ونقل ترابها .

القلعة سياسياً واجتماعياً

شيدت قلعة دمشق لهدفين اساسيين اثنين

اولا : لتكون دار امارة وحكم .

وثانيا : لتكون حصناً منيعاً للعالم العربى والاسلامى .

ولهذا شهدت القلعة فى أوج ازدهارها انشطة متعددة فاقيمت فيها مؤتمرات وحلقات سياسية على غاية كبيرة من الاهمية . فكانت الوزارة تشكل بها وتجتمع فى قاعة العرش أو تحت قبة الورد . ومنها ترسل الرسل الى أنحاء المعمورة ، ومعهم اخطر الرسائل الى حكام الارض .

وقد اعتقل الفاتح صلاح الدين فيها أسراه من ملوك الصليبيين وقادتهم فذاع صيتها ولفتت السمع والبصر فى البلاد الاجنبية والعربية .

وفى أيام نور الدين بن زنكى سطع اسم القلعة مع أهم المراكز الثقافية الشهيرة التى عاصرتها . فقد اقام فيها نور الدين زنكى مجالس العلم وحلقات التدريس والمناظرة بين العلماء والمفكرين ، واستقدم اليها كبار الأئمة والمدرسين وأسكنهم فى دورها .

وانصرفوا الى تلقين العلوم الدينية والدنيوية ، وحضر مجالسهم السلطان والأمراء حيث تحلقهم المريدون وطلاب العلم .

ومن اجمل الحفلات الاجتماعية التى اقيمت فى القلعة . حفل عقد قران السلطان صلاح الدين الأيوبى على أرملة السلطان نور الدين زنكى ، وكان قد اختص صلاح الدين نفسه ببرج يسهر الليل فيه مع قواده وفى القلعة توفى هذا البطل المولود فى شمال العراق عام ٥٣٢ هـ ، وصلي عليه فى جامعها ، ودفن بها ثم نقل الى مثواه الأخير قرب جامع بنى امية الكبير .

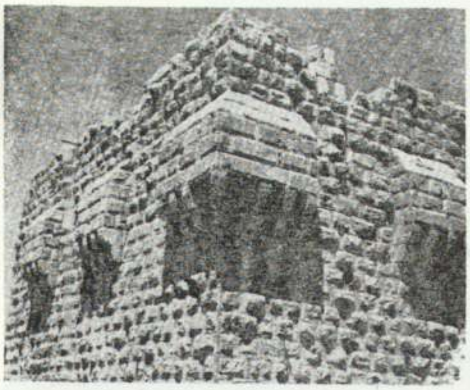
واقام شقيقه الملك العادل من بعده فى القلعة وتبعه المعظم عيسى ، والأشرف موسى ، والملك الكامل محمد ، وفيها وافتهم المنية جميعاً .

وإذا تابعنا سيرة القلعة فى العصر المملوكى وجدنا أن نشاطها السياسى والاجتماعى لم يتوقف .

بل ان الظاهر بيبرس جعلها المقر الثانى لحكمه بعد القاهرة . فكان كلما تردد على الشام اقام بها واستقبل فى قصرها رسل

قلعة دمشق

فى مواجهة أعداء الحضارة الاسلامية



احد ابراج قلعة دمشق

الخلافة العباسية وفيها تجرى اللقاءات والندوات السياسية والعسكرية . ومن غريب الصدف أن توافيه المنية فى ربوعها وتم دفنه فى مسجدها الى أن تم نقل رفاته الى المدرسة الظاهرية التى شيدها ابنه الملك السعيد بركة . ومن الطبيعى ألا يقتصر اهتمام المماليك بالقلعة على الظاهر بيبرس بل امتد الى جميع الملوك والسلاطين الذين تولوا الحكم من بعده .

فكانت لهم الحصن العتيد الحافظ لملكهم والصانع لانتصاراتهم ومن اغرب مظاهر الحكم (بروتوكول) التى كانت القلعة مسرحاً لها ، ما كان يحدث عند تعيين نائب (حاكم) جديد لدمشق فالمطلوب من الحاكم المعين حديثاً من قبل السلطان القابع فى القاهرة أن يذهب الى القلعة فور وصوله الى دمشق ويصلي ركعتين أمام بابها السرى بحضور نائب القلعة والجند من حوله . وعندما يفرغ من صلاته فله شان مع نائب القلعة . فان كان السلطان يريد به خيراً تركه نائب القلعة يسير فى موكب رسمى الى دار السعادة (مركز الحكم) والأمراء والأعيان يسيرون من ورائه . وان كان يراد به شراً اى ان السلطان قد أوعز الى نائب القلعة مسبقا وسراً بالتخلص منه فيقبض نائب القلعة عليه بعد الصلاة ويسوقه الى داخل القلعة ثم يرفع الجسر الموجود على الخندق ليفصل بين القلعة وأعوان الحاكم.

ولم تتوان القلعة عن مشاركة الشعب فى مناسباته الدينية وأعياده السنوية . ففى ليالى رمضان المبارك تفتح أبوابها يوميا لتخرج منها أطباق الحلوى والطعام فتوزع على الفقراء والمساكين فى المدينة ، وفى الأعياد ترسل اليهم الهدايا والثياب من السلطان ، ويزين الجند القلعة بالقناديل والشموع المضيئة وتوضع على ابراجها البسط والسجاجيد وغصون الأشجار احتفالا بعيد جلوس السلطان أو عند زيارته لدمشق .

الحصار والموقف العسكرى

تعرضت القلعة لحصار الأصدقاء والأعداء على السواء . فقد أقدم السلاطين ونوابهم على تطويقها خلال أعمال الشغب والتمرد التى كانت تحدث أحيانا داخل القلعة وخارجها . وواجهت القلعة أيضاً عدداً من حالات حصار الأعداء الغزاة لها فقاومتهم بضراوة وسجلت عليهم انتصارات خلدها التاريخ .

ففى عام ٥٤٩ هـ حاصر القلعة السلطان نور الدين بن زنكى حاكم حلب وفتحها واستقر بها ونقل مركز حكمه اليها . وفى عام ٥٧١ هـ استسلمت حاميتها للسلطان صلاح الدين الايوبى دون مقاومة تذكر بعد حصار دام عدة أسابيع .

وجاء حصارها مرة ثالثة على يد أولاد السلطان صلاح الدين فقد طوقوا عمهم الملك العادل داخل القلعة وضربوا حصاراً حوله مع اتباعهم فخرج اليهم العادل وفرق جمعهم وانتصر عليهم .

ولم يكن حصارها فى عهد المماليك من قبل الحكام والمنافسين فقط ، بل اتى أيضا من قبل الأعداء البغاة الطامعين ، فتعرضت خلال مرحلة قاسية لهجمات مغولية شرسة قصفت على اثرها ابراجها ، ودمرت منشاتها . فصمدت ودمرت الطغاة التتار فى المعارك العديدة التى جرت حول أسوارها .

يذكر التاريخ : بعد استيلاء التتار على العاصمة التاريخية دمشق عام ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م أثر معركة قازان الشهيرة بين التتار والمماليك الذين قادهم السلطان ناصر والتى تراجع فيها المماليك وتقهقروا ، هاربين الى مصر ، تاركين الشعب وحده فى دمشق يواجه التتار الفاتحين الذين أنذروا قائد القلعة على الفور بالاستسلام لعسفهم وجورهم ، فرفض القائد الانذار والاذعان ، وقام بتحصين القلعة ، وأزال

المبانى التى حولها خشية أن يستخدمها العدو فى قصف القلعة والمرابطين فيها .

عند ذلك . وضع التتار المجانيق فى الجامع الاموى القريب من القلعة وبدأوا بدكها . فارسل قائد القلعة وحدة فدائية اختارها من جنوده البواسل وأمرهم أن يتجهوا الى الجامع سراً ، فدخلوه ليلا واشتبكوا مع الحامية المغولية ، وحطموا المجانيق واقتادوا من أسروه منهم الى القلعة . وفى اليوم التالى أعلن قائد القلعة الحرب النفسية على الغزاة فبث اشاعة فى أوساط المدينة حطم فيها معنويات العدو فقد شاع بين الناس (أن الجيش المصرى عدده كذا ... بطريقه الى دمشق لانقاذها) وهنا دب الذعر والرعب فى صفوف التتار ، ووجدوا أن النجاة فى الفرار بعد أن استعصت عليهم القلعة فنزحوا عن دمشق وولوا هاربين .

حينئذ خرج القائد من القلعة واغلق أبواب سور المدينة الشهير (الذى دخل منه خالد بن الوليد وابو عبيدة الجراح أيام فتح دمشق) .

ووجه إنذاراً صارما الى الأهالى (من بيت بداره يشنق – على الرجال حمل السلاح والوقوف على سور المدينة الكبير للدفاع عن دمشق) .

وبذلك انجت القلعة دمشق من الاحتلال الهمجى وردت المغول الغاصبين على اعقابهم خاسرين .

الخصائص الهندسية للمنشآت الدفاعية

منشات القلعة وعناصرها المعمارية موسوعة قيمة من الدلائل الفنية على إبداع الفكر الهندسي العربي الذي جمع بين الجمال والمتانة والاشعاع الوظيفي ، وفاق مقتضيات الحاجة ومتطلبات الظروف والقلعة نموذج لعطاء العمارة الاسلامية التى وضعت تصاميمها بحيث تكون مؤهلة لتقديم الخدمات العسكرية والثقافية والاجتماعية كافة .

واول ما يلفت النظر فى موقع القلعة من دمشق كونها بنيت على سطح الأرض خلافا لما هو معروف عادة فى بناء القلاع على قمم الجبال والمرتفعات والثغور . ولهذا سميت بالقلعة (المترجلة) اي الفارس النازل عن فرسه الواقف على قدميه .

ولكن المهندسين العرب الذين اشتركوا فى تصميم مخططات القلعة عوضوا فقدان المرتفع الطبيعي بان خصوها بمزايا منيعة ذات شان عسكرى سواء فى قوة البناء او ارتفاع الابراج او نتوء الحجـــارة وكثرة المرامي واختلاف الرواشن . واضافوا إليها ميزة استراتيجية اخرى لاتقل اهمية عن وجودها على مكان مرتفع فشيدوها ضمن زاوية سور مدينة دمشق الكبير زيادة فى التحصين والقدرة الدفاعية .

تقع القلعة فى الزاوية الشمالية الغربية من المدينة القديمة ، وتاخذ شكلا قريباً من المستطيل ، مساحتها لاتقل عن ٣٣١٧٦ متراً مربعاً ، واستغرق بناؤها خمسة عشر عاماً .

بنيت بالحجارة الكلسية ووضعت بها حجارة سود بازلتية ذات نتوءات بارزة بلغت سماكة جدرانها ٤,٩٠ مترا .

والقلعة محاطة بخندق يملأ عند الحصار بمياه أحد فروع نهر بردي ضماناً للحيطة الحربية وتقوية للعناصر الدفاعية.

وللقلعة اربعة ابواب مقرنصة من جهاتها الأربع وفيها مداخل سرية إذ لا تخلو القلاع الأيوبية عادة من ابواب السر .

ويبدو الفن المعماري العسكري واضحا فى تصاميم ابراجها الشاهقة والمميزة بمرامي النبال الكثيرة . فتحتوي على (١٢) برجا . ومن اعظم ابراجها برجان مستطيلان ، وكل برج مؤلف من ثلاث طبقات ، وفي كل طبقة خمس كرات حجرية ضخمة تستعمل للرمي ، وكل سطح من سطوح البرج محاط فى اعلاه بشراريف فوقها كرات مستطيلة ومسننة .

وفي القلعة تتعدد الممرات الدفاعية منها الضيق الطويل ، ومنها الواسع الذي يؤمِّن الاتصالات والتحركات السرية بسرعة وسهولة . وعدد طوابق القلعة ثلاثة شيدت كذلك ليزيد عدد الرماة من الجند عند الدفاع .

وقد زينت جدران القلعة بنقوش جميلة ومعبرة .

أما منشاتها الداخلية فعديدة ومتنوعة وتدل دلالة واضحة على مهام القلعة العسكرية وأوجه نشاطها السياسي والاجتماعي . فالقلعة فى الحقيقة مدينة ضمن مدينة . ففي داخلها (قصور وقاعات عرش – دار صك النقود – معمل اسلحة – مدرسة – مساجد – بيوت للامراء والقواد – إيوانات – حمامات – دار رضوان – دار المسرة – سجن – طاحونة – جامع ابي الدرداء الشهير – (طامة) سرادق كبير يجلس فيه الأمراء لاستعراض الجند والجيوش) .

ولذلك وصفها عالم الآثار (بوكوك) الذي زار دمشق عام ١٧٣٨م بقوله (القلعة مدينة صغيرة) .

القلعة فى العهد العثماني

باستيلاء العثمانيين على دمشق عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م سيطر عهد يقطر تخلفاً وعزلة . فاهملت القلعة وبدات تتهدم تدريجياً وانهار بعض ابراجها وغاب خندقها تحت الاتربة والانقاض وتحولت الى ثكنة للعسكر الانكشارية وأصبحت مبعث شر مستطير لأهالي مدينة دمشق ، وبدل الاتراك اسم قائد القلعة من نائب الى اغا القلعة وانتهى دورها الطليعي وافل نجمها واضحت في آخر المطاف سجناً مركزياً . والقلعة اليوم بحالة عمرانية جيدة بعد ان عملت فيها يد الترميم والحماية .

قال المهندس المعـــــــماري البريطـــــاني (شريان) الأمين العام للهيئة الملكية في انكلترا وعضو اللجنة التنفيذية لجائزة اغاخان المعمارية :

(إن على المواطن العربي تفهم اهمية تراثه والاعتزاز به وعندها يتمكن من تطبيق حلول نابعة من الواقع العربي ذاته لحل المشاكل المنبعثة عن حاجة مدنه القديمة الى التطور والازدهار) .

وتقديراً من المسؤولين عن التراث الخالد لأهمية القلعة التاريخية ، فقد اعدوا مشروعاً ضخماً لتحويلها من سجن عام الى متحف حربي ، ورصد له ملايين الليرات لاخلاء الحوانيت وإزالة الأسواق المحيطة بسورها كي تضيء من جديد صرحاً أثرياً مرموقاً وشاهداً ناطقاً . ولا شك .. ان القلعة تستحق كل هذا الاهتمام فاسهام فرسانها البواسل فى القضاء على الموجة المغولية الوحشية التى حملت فى احشائها التهديد بالدمار للحضارة العربية الاسلامية جعل القلعة تصعد بفخر مدارج المجد والتاريخ .

وستبقى رمزاً للماضي التليد تشع منها ومضات مشرقة ومشرفة يحرسها شهداء استبسلوا على أسوارها دفاعاً عن الانسان والفكر والوطن ، وبدمهم امتزجت مياه نهر بردى الذى لازال يعانقها باعتزاز حتى اليوم .

وجيه الشريجي – دمشق

المراجع :

– ابن خلكان (شمس الدين احمد) سنة ٦٨١ هـ .
– ابن طولون (الشمعة المضيئة فى اخبار القلعـة الدمشقية) سنة ١٣٤٨ م .
– بحث عن قلعة دمشق : للمستشرقين الالمانيين فاتزنجر ووفولزنجر نشر سنة ١٩٢٤م .
– الدكتور عبد القادر ريحاوي (مدينة دمشـق : تراثها ومعالمها التاريخية سنة ١٩٦٩ م) .

العلم والمستقبل

تقديم: لبنى الريدي

دليل الكتروني للمسافرين

ابتكر الفرنسيون دليلا الكترونيا يساعد المسافر على الوصول الى الجهة التى يقصدها باسرع وايسر طريقة .

ويتميز النظام الفرنسى بانه لا يرتبط بكمبيوتر مركزى وانما يتكون من مجموعة من اجهزة الكمبيوتر الصغيرة المستقلة بذاتها والتى تضم ذاكرة كل منها مواعيد السفر الخاصة بطرق الانتقال المختلفة من سكك حديدية وطرق برية ومترو انفاق الخ ..

بالاضافة الى المعلومات التى تمكن المسافر من الوصول الى المكان الذى ينشده ، فما على المسافر سوى أن يتوجه الى هذا الجهاز المثبت فى الجدار فى اماكن التجمع الكبيرة مثل مترو انفاق باريس مثلا ويضرب على لوحة المفاتيح اسم المكان الذى يقصده محدداً وسيلة الانتقال التى يفضلها وبعد عشرين ثانية فقط يطبع الكمبيوتر تعليمات السفر على ورقة عرضها ثلاث بوصات مع تقدير تقريبى لزمن الرحلة . ويستطيع المسافر ان يقطع الورقة للاحتفاظ بها . وتقدم هذه الخدمة مجانا لجميع المواطنين .

ويمكن برمجة هذا الجهاز باى لغة من اللغات بما فى ذلك اللغة العربية .

أسطوانات فيديو جديدة

تتميز اسطوانات الفيديو بقدرتها التخزينية الكبيرة وبسهولة وسرعة استرجاع المعلومات المسجلة عليها اذ تستطيع الاسطوانة الواحدة والتى لا يزيد قطرها عن ثمانى بوصات اختزان ما يوازى عشرة آلاف صفحة .

ولكن يعيب هذه الاسطوانات التى تعمل باشعة الليزر بالمقارنة بالاسطوانات المغناطيسية وباشرطة الفيديو او الكمبيوتر ان المعلومات التى تسجل



اسطوانة الفيديو الجديدة

عليها لا يمكن تغييرها أو تعديلها ولعلاج هذا العيب ابتكر اليابانيون اسطوانة جديدة يمكن محو المعلومات المسجلة عليها وتعديلها مليون مرة حيث طلي سطح الاسطوانة بمادة معدنية خاصة يتأثر بريقها عند تعرضها لشعاع الليزر اثناء تسجيل المعلومات ويتحول سطحها الى نقاط لامعة واخرى معتمة . وعند مسح المعلومات لتعديلها يحول شعاع الليزر النقاط المعتمة الى نقاط لامعة مرة اخرى بحيث يمكن تسجيل المعلومات عليها مرة اخرى .

وتعتبر هذه الاسطوانات عنصراً جوهريا لنظام حفظ الملفات فى البنوك الكبيرة والمؤسسات التى تحتاج لحفظ كميات ضخمة من المعلومات والمستندات.

رئة صناعية من البلاستيك

بعد القلب الصناعى جاء دور الرئة فبعد شهور قليلة سوف تتم أول عملية زرع لرئة صناعية فى صدر خروف صغير . وهى عبارة عن مجموعة متشابكة من الأنابيب الدقيقة جداً المصنوعة من مادة بلاستيكية خاصة . وتسمح هذه الأنابيب بعملية تبادل الغازات التى تقوم بها الرئة الطبيعية .

ويتوقع الباحثون فى حالة نجاح عملية زرع الرئة ان يعيش الخروف حياة طبيعية . وتعتبر هذه التجربة بداية تهدف الى الوصول لزرع رئة صناعية للانسان .

ولتفادى تكون جلطات دموّية طليت هذه الانابيب البلاستيكية بمادة مضادة لتجلط الدم بحيث لا يلتصق الدم بالجدار الداخلى للرئة الصناعية اثناء مروره فيها .

ولكن الرئة الصناعية لا تستطيع امتصاص السائل البللوري ومنعه من التدفق فى التجويف الصدرى كما تفعل الرئة الطبيعية بواسطة اهداب الشعيبات الهوائية . ولذلك يتوقع الطبيب المشرف على ابحاث الرئة الصناعية انه يتعين فى المراحل الاولى اجراء بذل منتظم للسائل البللورى .

جهاز لقياس معدل تدفق الدم

يجرى الباحثون تجارب ناجحة على جهاز جديد يستطيع قياس حجم الدم المتدفق من القلب بمجرد وضعه على صدر المريض .

ويساعد قياس معدل تدفق الدم الطبيب فى تحديد العلاج المناسب لمرضى القلب .

وكانت الوسيلة الوحيدة المتبعة للحصول على مثل هذه المعلومات الحيوية هى ادخال قسطرة الى احد الشرايين الرئيسية ومنها الى القلب .

وتحمل هذه القسطرة بالرغم من دقة قياساتها احتمالات التلوث والالتهاب لأن الطبيب يضطر لشق فتحة لادخالها .

ويتكون الجهاز الجديد من كمبيوتر فى حجم جهاز تليفزيون صغير واداة على شكل قلم رصاص يثبتها الطبيب عند حنجرة المريض بحيث يتجه الطرف المدبب لهذا القلم الى اسفل فى اتجاه القلب . ويعمل هذا الجهاز

بالموجات فوق الصوتية التى تخترق الأنسجة .

وتصطدم بالدم المتدفق من القلب الى الاورطى الذى يردها مرة أخرى الى القلم حيث يتم ترجمتها بواسطة الكمبيوتر الى لتر فى الدقيقة .

ولقد تم تجربة هذا الجهاز فى عدة مستشفيات فى الولايات المتحدة .

التصوير الشمسى



كاميرا فيديو تعمل بالطاقة الشمسية

تستهلك كاميرات الفيديو المستخدمة للتصوير الصحفى طاقة كهربية كبيرة فلا تنتج بطاريتها أكثر من ٤٥ دقيقة من التصوير والعرض . مما يضطر المصور الى حمل عدة بطاريات معه وهو أمر مكلف بالاضافة الى انه غير عملى خاصة فى حالة التصوير فى الاماكن النائية حيث لا تتوفر كهرباء لشحن البطاريات .

وجاء الحل فى صورة جهاز شحن يعمل بالطاقة الشمسية وهو عبارة عن لوحة عريضة تضم ٣٢ خلية شمسية لا تزيد مساحة الواحدة منها عن خمسين ملليمتر مربع بحيث تبلغ مساحة اللوح الشمسى ٣٠ سنتمترا فى ٣٨ سنتيمتر اما وزن جهاز الشحن فلا يتعدى ٨٥٠ جراما اى اقـــل من الكيلوجرام الواحد .

ونظراً لصغر حجم وخفة وزن هـــذا اللوح الشمسى يمكن تثبيته على حقيبة ظهر او على جهاز فيديو متنقل يحمل على الظهر كما توضح الصورة . ويتيح جهاز الشحن الشمسى التصوير لمدة عشرين دقيقة متواصلة دون ان يؤثر ذلك على طاقة البطارية . كمـا يمنح الفيديو ساعة من التشغيل المستمر لكل ساعتين من الشحن .

الكمبيوتر والامضاء المزور

يكشف الكمبيوتر الشيكات المزورة من بين آلاف الشيكات اذ يتعـرف الكترونيا على امضاء صاحب الشيك .

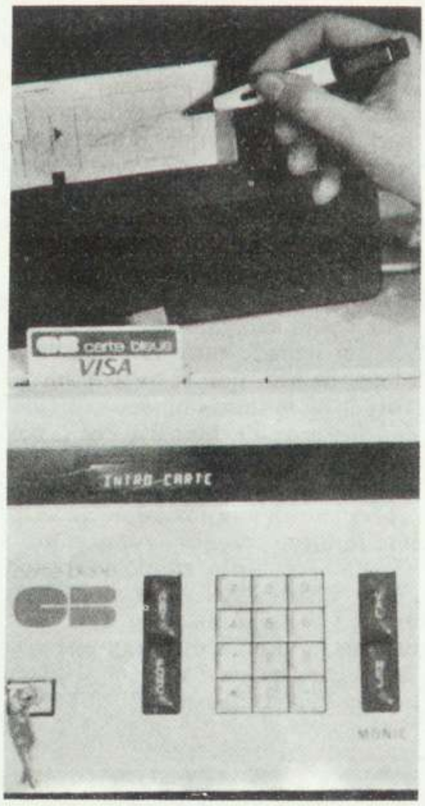
ويعتمد هذا النظام على احتفـــاظ ذاكرة الكمبيوتر بامضاء اصـــحاب الحساب وذلك بكتابة الامضاء خمس مرات بأى قلم على لوحة الكترونية .

ولكن كيف يستطيع الكمبيوتر التمييز بين الامضاء الصحيح والمزور؟! للقيام بهذه المهمة يقوم الكمبيوتــر بتحويل الامضاء الى مجموعـــة من الذبذبات تترجم انثناءات الخط ونقاط

تقطعه وتزايد سرعة الخط بين بداية الامضاء ونهايته . ويصل عدد الثوابت الخاصة بأى امضاء الى ٨٤ ثابتا يتم اختزانها فى ذاكرة الكمبيوتر . بحيث يقوم الجهاز بتحليل الامضـــاءات واكتشاف الامضاء المزور وذلك خلال خمس ثوان فقط . مهما اختلفت سرعة الامضاء وسن صاحبها ودرجة تعبـه أو حتى اختلاف وضع يده اثنـــاء الكتابة .



الكمبيوتر يحول الامضاء إلى ذبذبات لاكتشـــاف التزوير



عملية تسجيل الامضاء على اللوحة الالكترونية

ولا تهم لغة الامضاء سواء كان الاسم مكتوبا بالحروف العربيـــة أو الصينية كل ما يهم هو ايضاح الامضاء وبالتالى شكل وتردد الذبذبات.

رائد المسرح الجديد
يتـــذكـــر

محاولة لإجهاض الحركة المسرحية



بقلم : نعمان عاشــور

هذا هو ملخص الفصل الأول من الجزء الثانى من كتابى « المسرح حياتى » الذى استكمل كتابته .. وفيـــه اعرض لحياتنا المسرحية وما عانيناه أثناء تلك الفترة فى سبيل تدعيم المسيرة بالمسرح وتثبيت قيامه ووجوه ومحاولة الابقاء عليه فى ظل اعتى الظروف والمراحل الفاصلة فى حياة ثورة ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ ..

فى أعقـــــاب الستينات

وقفت بى الذكرى فى الجزء الأول من كتابى « المسرح حياتى » ونحن على مشارف الستينات والنشاط المسرحى يطغى على كل نشاط ادبى وفنى عداه ويجتذب اليه العديد من كتاب القصة والرواية والنقد والشعر . يوسف إدريس ، والفريد فرج ، ولطفى الخولى ، ثم سعد الدين وهبه ، وميخائيل رومان ، وصلاح عبد الصبور ، وعبد الرحمن الشرقاوى ، ونجيب سرور ، ومحمود السعدني وبعدهم محمود دياب ، ومن قبلهم رشاد رشدى . تلاحق إقبالهم على الكتابة للمسرح بعد أن سيطر على منطلقات التعبير الأخرى وتحول الى منبر ثقافى وبؤرة إشعاع فكرى وفنى . والحق أن هؤلاء الذين توافدوا على التـأليف للمسرح كانوا فى اغلبهم يمثلون التيـــار الثقافى الفكرى الذى سبق قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ومهد لها وكان لابد أن يشحذ وجودها ..

وتصاعدت موجات النشاط المسرحى فى هذا الاتجاه إلى حد جعل المسرح وكانه الكتلة المعارضة لكل التيارات التى كانت تحاول الارتداد وكبح جماح الانطلاقة التى اجتاحت الاوضاع السياسية فى أعقاب العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ والتى تمثلت فى المناداة بالعدالة الاجتماعية وما تطور بعدها ليصبح ما أسماه عبد الناصر حتمية الحل الاشتراكى ..

كنت حتى هذه الفترة اكاد أكون المؤلف الوحيد الذى تفرغ وتخصص فى الكتابة للمسرح .. وكان المسرح القومى يفتتح مواسمه المتتالية بانتظام وعلى التوالى منذ عام ١٩٥٧ حتى عام ١٩٥٩ بمسرحيـاتى المتتابعة « الناس اللى فوق » « وسيما اونطة » و « صنف الحريم » ومن قبلها ومن خلال المسرح الحر كفرقة هواة كنت قد قدمت مسرحياتى الأولى « المغماطيس » ثم « الناس اللى تحت » وهى التى أصبحت فيما بعد يؤرخ بها لبداية الحركة المسرحية الجديدة .. وكانت حركة تستند إلى التأليف الدرامى المباشر للمسرح وتستمد قوامها من الواقع الحى الذى يعيشه الناس بكل صراعاته ومتناقضاته وما يعج به من آمال وآلام وتطلعات باللغة التى يستطيع النفاذ بها الى أعمق اغوار الحيـــــاة الاجتماعية وحقائقها الموضوعية ـ مسرح اجتماعى واقعى يعالج المشاكل والقضايا الاجتماعية بلغة الحياة والناس الذين يعيشونها ..

محاولة اجهاض المسرح

كان التطور على ختام ١٩٥٩ قد أسفر عن وجود مسرح جديد كل الجدة يقوم على التاليف الدرامى المباشر ولا يداخلــــه الاقتباس أو الاعداد أو التقريب كما كان الشان فى المسرح قبلا .. وفى نفس الوقت يرتبط بالواقع الحى ليعبر عن آمال الناس وامالهم ثم يحاول تحديد رؤية اجتماعية مستقبلية لحياة افضل .. غير أن هذا المفهوم الجديد للمسرح كان يتعارض مع مرحلة الاهتزاز والتردد التى اجتاحت ثورة يوليو فى محاولة تحديد مسارها الحقيقى .. ايامها كان عبد الناصر ينادى بالحاجة إلى ما سماه « وضوح الرؤية » وكانت عناصر الردة تسعى إلى ضرب الثورة فى

اظهر واسطع وجوهها التعبيرية الثقافية الواثبة وهو المسرح .. فانتكست الحياة الثقافية عامة .. وخيم الظلام تماماً على المسرح امام الحملات المتتابعة التى كانت تشنها القوى المناهضة على جموع المثقفين لكن هذه الحملات الهوجاء التى شنت على جموع المثقفين واغلبهم كان له دوره البارز منذ نهاية الحرب العالمية الثانية فى التمهيد لقيام الثورة لم تستطع ان تؤثر على الحياة الثقافية بوجه عام ، وكل ما احدثته أنها أوجدت ما يشبه الفجوة فى المسيرة التى كان لابد وان تستمر لأنها لم تأت فجاة كما كان يبدو من حركة الضباط الأحرار الذين قادوها . إذ لم تكن ثورة يوليو مجرد حركة مباركة كما عرفوها بل ثورة تاريخية تشكل الاستكمال الطبيعى للصراع السياسى الضخم الذى احتدم فى أعقاب الحرب العالمية الثانية داخل مصر .. وهو صراع كان ياخذ طابعاً اجتماعياً واضحاً ولا يقتصر على مجرد المناداة بانهاء الاحتلال .. كانت ثورة ١٩٥٢ هى رد الفعل الأكيد لابرز نكسات ثورة ١٩١٩.

كان هذا هو الخط السياسى الواضح المتصل الحلقات وقد سارت عليه الثورة وكان لابد أن تتمه .. لهذا فشلت وتحطمت حملات الردة التى شنتها فلول الانتهازيين والمجموعات الاستغلالية الأخرى والتى وجهت بكل ثقلها لتصفية التعبير المنطلق المتزايد فى تأثيره وقوته داخل المنبر الجديد وهو المسرح .. وقد عبرت مسرحيتى « الناس اللى فوق » عن ذلك أوفى تعبير .. فهى تصور انهيار الاستغلال وفى نفس الوقت تشير إلى ظهور قوى جديدة فى شخصية خليل بك شقيق الباشا بطل المسرحية وهى الشخصية التى عاشت ترصد الثورة ومنجزاتها الاجتماعية لتنقض عليها وعلى



محمود تيمور

مكاسب الشعب منها مرحلة بعد اخرى .. ولتكون فى نهاية الأمر ما أصبح يعرف بالطبقة الطفيلية الجديدة حاملة لواء المجتمع الاستهلاكى الحالى .. تماما كما انبات مسرحية « الناس اللى فوق » عن نلك منذ ربع قرن مضى !!!

لكن ماذا عن المسرح فى أعقاب الستينات ؟!

انقطعت عن الكتابة للمسرح أكثر من عامين وانصرمت ثلاث مواسم طويلة وأنا احاول الوقوف على قدمى من جديد لمتابعة رسالتى الحقيقية فى هذا المجال .. كانت فترة تفريخ هياتنى لها الأوضاع السقيمة ولم تكن جميع المسالك قد سدت تماماً .. لأن المسرح كان لا يزال قائماً رغم المحاولات التى بذلت لطمس معالمه وتحويل مساره .. ثم أن المسرح وكتاباتى له كانت سندى الوحيد فى تمكنى من الاحتفاظ بكيانى وسط زوابع الطرد والأبعاد والاضطهاد الذى لاقيته وكانت مسرحياتى لا يزال يعاد عرضها ويتكرر تقديمها والمسرح بكل ما داخله من عوامل القصور وموجبات القمع لم يستطع الاستغناء عنها لأنه لم يكن هناك الا القليل غيرها .. أيامها راح الكثير من النقاد يستثيروننى لمتابعة الكتابة .. واتهمنى بعضهم بالكسل والتراخى وحذرنى البعض الآخر من اهدار موهبتى ..

واذكر بالمناسبة أننى كنت أيامها قد بدأت التدريس فى معهد التمثيل باقتراح من المرحوم الدكتور مندور .. لكى اقدم للطلاب تجربتى بعد كتابة ست مسرحيات ناجحة .. كما عينت فى عضوية لجان المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب . وبالذات لجنة القصة التى كان مقررها توفيق الحكيم ولجنة المسرح التى كان مقررها محمود تيمور وكلاهما هو الذى اختارني وأصر على وجودى فى لجنته نظراً لما كسبته مسرحياتى أو ما اكسبتنى إياه من مكانة أدبية .

ذات صباح وفى إحدى جلسات لجنة القصة بدأ الأستاذ توفيق الحكيم الجلسة بالحديث عن علة توقفى عن التاليف للمسرح رغم صرخات النقاد واستنهاضهم بى .. فكان جوابى أننى لم اتوقف أبداً وأن هناك مسرحية جديدة تعتمل فى داخلينى من سنوات ولكن شخصياتها التى اعايشها كما يبدو ، قد ملت صحبتى فتركتنى لتحتمى داخل حجرة مغلقة بعيداً عنى واننى فى هذه الأيام أدق الباب لتفتح لى وتدخلنى معها . وضحك توفيق الحكيم وتابع استفساره فاخبرته باننى احاول استدعاء هذه الشخصيات من داخل الحجرة وانها اذا لم تجاوبنى فلابد ان اقتحمها لاخراجها منها .. وكانت هذه هى شخصيات « عيلة الدوغرى » .

عيلة الدوغرى فى فترة التفريخ

وجلية الأمر .. أن فكرة المسرحية لا تجيئنى قبل كتاباتها .. ولكنى من شدة انغمارى فى الحياة ، وارتباطى المتصل العميق بواقعها .. اعايش الشخصيات فى داخل اطار الوضع الاجتماعى الكلى وما

محاولة لإجهاض الحركة المسرحية



محمد مندور



سعد الدين وهبه

يحيطه من ظروف سياسية وعلاقات اقتصادية واجتماعية .. ولهذا اعيش فى ارتباط دائم مع الشخصية بوعى أو بغير وعى الى أن انجذب اليها كلية لاختارها واستخرجها من عالم الواقع الذى تعيشه الى عالم المسرح الذى اجتذبها إليه لتعيش معى فيه .. وفى تلك المرحلة بالذات غلبنى الوضع السياسى العام بكل ما يحيطه من اهتزازات فى الحالة الاقتصادية والصلات الاجتماعية .. وصادف أثناءها أن جاءت تزورنا من البلدة التى ولدت ونشأت فيها ، السيدة التى ربتنى ورعتنى كمرضع وخادمة ورعت وقامت على تربية والدى من قبلى .. كانت فى الثمانين من عمرها .. هجرت المدينة وفزعت الينا فى القاهرة بعد أن عز عليها أن تجد القوت الضرورى .. وكانت تتخذ من مقابر العائلة هناك مسكناً لها ، كنت ارعاها وارسل لها شهرياً القدر من المال الذى يكفيها ولكنهم كانوا يسرقونه منها.جاءت وهى لاتزال حافية القدمين وكان فى نيتها أن تعود ولكننى اجبرتها على الاقامة معنا .. فمكثت عدة شهور ..

هذه المرأة بتاريخها وحياتها وظروفها ووضعها هى التى أوحت الي بشخصية « الطواف » .. كانت فى الثمانين من عمرها أى أنها وهى فى عام ١٩٦١ من مواليد ١٨٨٠ .. ولدت مع وقوع الاحتلال الانجليزى وعاشت تعمل خادمة للعائلة فى حياة جدى ووالدى ، ولا زالت تعيش إلى حقبة بعيدة من حياتى ، حملتنا جميعاً على أكتافها وبعد كل هذا العمر الطويل والعناء المتصل لا تزال تمشى « حافية » ولا تجد قوت يومها .. كانت الرعشة تجتاحنى كلما شاهدتها عيناى وكنت أجلس اليها دائماً أنا والأولاد ومعنا زوجتى رحمها الله نستمع الى ذكرياتها عن حياة العائلة وماضيها .. الهمتنى « أم جوهرة أو أمى جوهرة » كما كنت أناديها بالفكرة الاساسية المسرحية « عيلة الدوغرى » .. لكن من المستحيل أن أكتب المسرحية عنها .. فالمسرح فى فهمى وعلى خلاف بقية الفنون فن موضوعى لا يمكن أن يعبر عن الحياة الذاتية أو الشخصية للفنان أو لأى فرد آخر غيره . والمسرح الذى أكتبه بالذات كمسرح اجتماعى لا يحتمل إلا « التاريخ » الواقعى الشامل للحياة التى اعيشها ، لكن وجود « أمى جوهرة » كان بالفعل بمثابة المنظار الكاشف الذى استطعت أن انفذ من خلاله الى بقية الشخصيات الأخرى التى تداعت فى كيانى وأنا أعيش معها منذ أمد ويستعصى على تجميعها لتكون منطلقى لموضوع مسرحى جديد .. ومن هذا الضوء الذى كشف لى عنه وجود أمى جوهرة وضعت يدى على موضوع « عيلة الدوغرى » ..

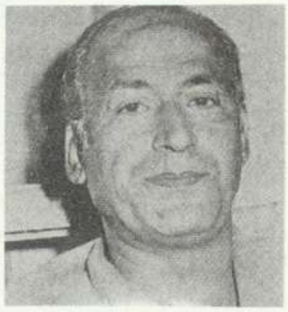
الاطار الدرامى

وبدأ تأملى للموضوع بالاطار الدرامى الذى يلفه . ما هو السر الحقيقى للمحنة التى اصبحنا نعيشها فى الستينات . إنه كان فيما جرى ولايزال يجرى على واقع حياتنا كامن فى حياة « أمى جوهرة » وتاريخها من بداية الاحتلال بقدر ما هو كامن فى المناخ العام الذى تعيشه الطبقة الوسطى .. الطبقة التى قادت ثورة ١٩١٩ والتى انتكس بها التطور بعد قيام ثورة ١٩٥٢ ثم أمام ما حدث من تغيرات فخمد نشاطها فى ظل قيام وريث جديد للماضى على صورة ما اسماه عبد الناصر « الطبقة الجديدة » وهى طبقة خرجت لتقضى نهائياً على ما تبقى من فلول الطبقة الوسطى التى لم تحقق انتصاراً حاسماً بعد ثورة ١٩١٩ واصبحت طبقة خاضعة خانعة تفتت كيانها تحت وقع اقدام الطبقة الانتهازية الجديدة ، هكذا كانت وجاءت عيلة الدوغرى .. وثيقة راكزة لما آلت اليه التركيبة الاجتماعية الجديدة والتى عدت الى تصويرها وتحديد معالمها فى مسرحيتى التى كتبتها بعد ذلك عن نكسة يونيو ١٩٦٧ وهى مسرحية « بلاد بره » ..

النظرة الانسانية

الانبعاثة اذن من نظرة انسانية انبتها وجود « أمى جوهرة » أو بمعنى آخر طواف عيلة الدوغرى .. ولكن الهيكل والبناء والامتداد والايحاء والرؤيا .. كانت على ضوء النظرة الاجتماعية الموضوعية التى تتابع التطور بعين واعية فاحصة لتتنبىء بمساره المقبل .. لهذا كانت عيلة الدوغرى الاستكمال الطبيعى لما تبدى من سلبيات ونقائص صورتها فى « الناس اللى تحت »

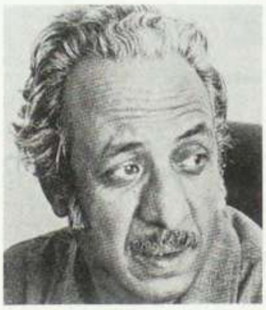
وما برز من قوى وأبعاد مهدت لقيامها فى « الناس اللى فوق » ثم ما انتهى اليه الحال فيما صورته « عيلة الدوغرى » وهو الانهيار أو التحطم الفعلى لأنشط واقوى واقدر القوى على حمل مشعل التطور وهى الطبقة الوسطى ..



محمود دياب



شفيق نور الدين



صلاح عبد الصبور

على ان مثل هـــذا الـوعى والادراك الاجتماعى لا ينفى أن الاحساس الانسانى المطلق هو المحرك الجوهرى لكل فن وهو الركيزة والأسس الأولى الذى تبنى عليه الأعمال الأدبية جميعاً من القصة الى الرواية إلى الشعر الى المسرح بل ان الموسيقى نفسها لا تنبع شامخة الا من الاحساس الانسانى الخالص وكذلك الرسم والنحت وكافة الفنون مهما كان نصيبها من التجويد وارجعوا فى ذلك الى سيمفونية بتهوفن التاسعة والعديد من رسوم بيكاسو .

عملية الخلق الابداعى

والآن وقد تكاملت مقومات هـــــذا الاحساس عندى .. كان من السهل على أن أشرع فى معاودة الرجـــوع إلى عيـلة الدوغرى بفضل شخصية « أمى جوهرة » أى شخصية الطواف .. ولم يشـــق على استدعاء بقية الشخصيات الأخرى التى تتشكل منه وتقوم عليها بقية الشخصيات الأخرى وبالتالى المسرحية بكاملها .. بل لم يشق على رغم مرور عامين كاملين من الأعراض عن الكتابة وبمجرد أن شرعت فى الامساك بالقلم لاخط الحروف الأولى من عيلة الدوغرى أن أدفع بالشخصيات جميعاً لتنفرط على الورق وتتلاحم مع بعضها فى احداث متتابعة لتبنى منها قصتها وموضوعها مستنداً فى ذلك الى وحي موهبتى خلال معاناة الخلق .. أى على مدار الكتابة واثناءها . والواقع اننى كتبت المسرحية على دفعات بدأتها مع شتاء ١٩٦٣ ثم استكملتها على نهاية الصيف من نفس العام .. واستغرقتنى ستة شهور .. ولكن معايشتها وما يسمى عادة بالتفريخ والبلورة والتفاعل والتامل .. كل ذلك كانت تمر به المسرحية فى داخليتى من قبل ولا ابالغ اذا قلت ان احساسى بها تكونت بذوره الأولى عام ١٩٥٩ .. ذلك أن موضوعها كان طاغياً على واعيتي مسيطراً على وجدانى نافذاً إلى اقصى ابعاد تأملى للاوضاع الاجتماعية وتطورها الجارف السريع المتلاحم ..

قضية الاخراج

أهل الموسم المسرحى لعام ٦٢/١٩٦٣ وبدأ الاستعداد لاخراج « عيلة الدوغرى » توطئة لعرضها .. لكننى كنت قد تأخرت فى تقديمها للمسرح القومى .. ولعدة عوامل ..

وهكذا سبقنى الزميل الصديق سعد الدين وهبه وكان قد بدأ يتجه للكتابة المسرحية فقدم أولى مسرحياته « المحروسة » وتأخر تقديم عيلة الدوغرى ولم تعرض مثل بقية مسرحياتى السابقة كمسرحية الافتتاح للموسم .. والواقع اننى الملوم لانى ترددت تلك اننى كنت أحس بقيمة المسرحية واهميتها فنياً وفكرياً واخشى من تجاربى السابقة أن تقع فى يد مخرج لا يهضـــم مضمونها ولا يدرك ابعادها ودلالتها ..

سيما وكانت موجة المخرجين الجدد القادمين من البعثات قد بدأت تزحف تحت شعار مدمر جديد .. هو أن المخرج صاحب العرض وله أن يتصرف فى نص المؤلف لأن مهمة المؤلف كما جاءوا يزعمون تنتهى بعد كتابة النص .. الشىء الذى لم يسبق ان حدث معى فى اى مسرحية من الخمس أو الست مسرحيات التى عرضت لى حتى الآن وكنت اتابع حراستها ليلة بليلة من أول بروفة حتى لايجور على النص مخرج أو ممثل وهو أخطر ما تعرضت له الحركة المسرحية فيما بعد ذلك. ولكن من حسن الحظ اننى التقيت بالزميل والصديق القديم عبد الرحيم الزرقانى وكان قد قرأ النص وتحمس له .. وتعاهدنا بعد عدة جلسات على ان يقوم باخراجها بعد أن تبين لى انه يشاركنى نفس الفهم .. وهو حتمية احترام المخرج للنص ومحافظته عليه والتزامه حرفياً به فى حدود الرؤية الدراسية التىيقدمها المؤلف أولا .. ثم ما يمكن ان يبرزها به المخرج من ابداعات فى تقديمها للجمهور .. وبذلك بدأ التعامل بيننا على فهم مشترك راسخ لا يزال الزرقانى يشاركنى فى حتمية الاهتداء به كأساس راكز لتطور ونشاط الحـــركة المسرحية .

وفى حديثى القادم سأتناول كيف تم اخراج المسرحية والاساس الذى حاولنـا وضعه لترسيخ قواعد الصلات وحقيقة الروابط التى يجب ان تقوم بين المؤلف والمخرج .. وهى قضية اصبحت فيما بعد من أهم القضايا التى شغلت المسرح بعد الستينات واثرت تأثيراً قوياً على قضية التأليف كعصب التطور والنهوض بالنسبة لأى حركة مسرحية .

نعمان عاشور

المشبوه

بقلم : حمدي الكحلوت

لم ترتفع الشمس فى كبد السماء فقط ، بل فوق يافوخه ، وفى عينيه ، وداخل شرايينه ، وفى مسامات جلده النازفة عرقاً وخوفاً وجوعاً . منذ ثلاث ساعات وهو واقف على قدميه تحت وهج الشمس خلف الأسلاك الشائكة .. رأسه يكاد ينفجر غيظاً وتعباً وأفكاراً وتساؤلات تنصهر فى رأسه أو تصهره على نار هادئة .

هل أنا موقوف ؟ .. هه .. وما معنى موقوف ؟ ولماذا يوقفوننى ؟ .. لا .. لا .. لقد سمعت هذه الكلمة من فم جارتنا أم خالد وهى تصف وضع ابنها الذى اعتقلوه منذ سنة ولم توجه اليه أية تهمة ولم يقدم لأية محاكمة .. قالوا لها فقط انه موقوف .. لماذا .. والى متى .. لا أحد يعلم .. ولا دموعها ولا كل المحامين استطاعوا الحصول على الاجابة .. إذن أنا لست من الموقوفين والا لما تركونى هنا «واقفاً» فى ساحة المركز كل هذه الساعات الطويلة المرة دون تحويلى الى مكان آخر .

الشمس تواصل صعودها ، تتعامد بأشعتها اللاهبة على رأسه وعينيه ، تتكور شحنة الغضب فى عروقه .. يصوب نظرة سريعة دون أن يحرك رأسه الى الجانب الأيمن .. نعم هو .. ضابط الداورية .. بلحيته الشقراء .. وقامته المديدة .. يمرح فى الظل .. ويلعب كرة الطاولة .. يقهقه .. وبين الحين والآخر يرفع عقيرته بالغناء فيغطى على صوت المذياع الذى تنبعث منه ألحان غريبة تزيد الجو غضباً وتحدياً ومهانة وانصهاراً .

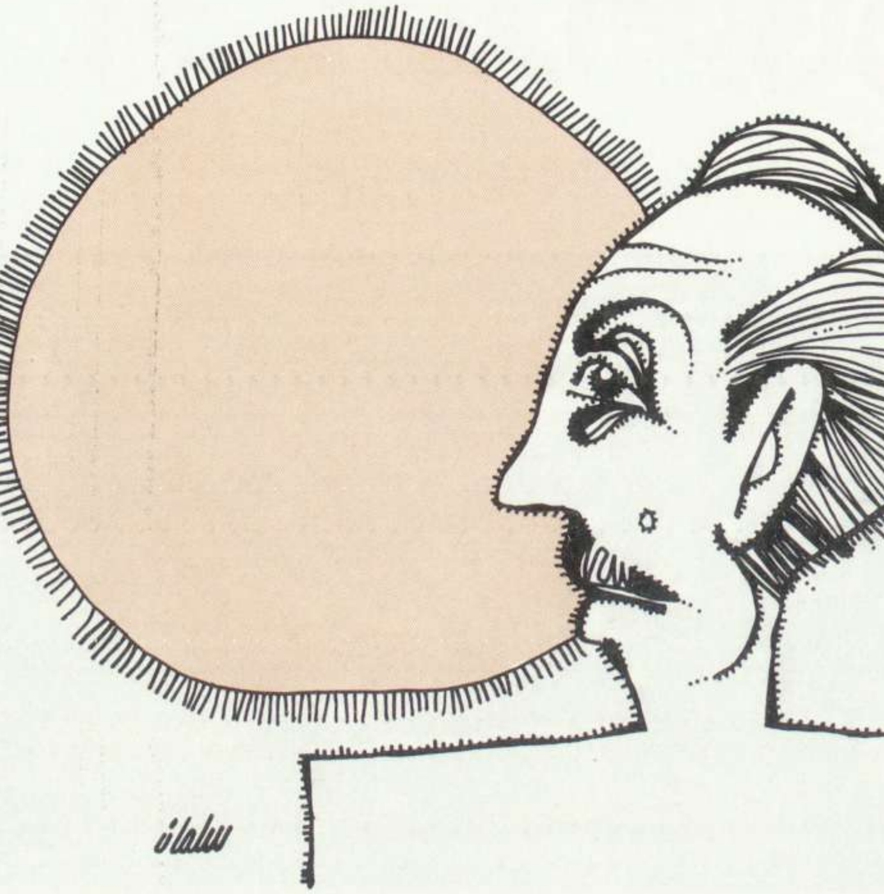
هل أنا مشبوه ؟! .. وما وجه الاشتباه فى رجل تجاوز العقد الخامس كان يجلس أمام بيته ويتحدث مع أولاده عندما مرت الداورية ؟! .. كنت أهم بدخول البيت مع الأولاد لنتناول طعام الغداء .. عندما ارتفع صوت غريب تبعه رطانة وقعقعة سلاح وأقدام تتراكض نحوى فى سرعة وذهول .. «تعال هون» .. وأتيت .. «ارفع ايديك» .. ورفعتهما .. وخير يا خواجة ؟! .. أم العيال أطلت تسأل ، الى أين ؟ .. صرخت .. وصرخ الأولاد .. وقادنى كعب البندقية وضرباته . الى هذا «الموقف» .. ولكنى لست موقوفاً .. ولا مشبوهاً .. ولم يحدث ما «يعكر» صفو أمنهم منذ أسبوع على الأقل .. قبل ذلك كانت أعصابهم فالته .. أقل حجر أو حركة .. اطلاق نار .. أو ضرب موت أو حبس وغرامات أو منع تجول .. حسب مزاج ضابط المركز ..

الشمس الآن تميل قليلا .. ظل عامود الكهرباء يوفر شريطاً رفيعاً من الحماية ضد الأشعة التموزية .. يلتصق به .. يدور مع تغير وضعه .. المهم وقاية الرأس .. شريط من الظل يساوى حجمه ذهباً .. ابتسم .. رغم الصداع .. والجوع .. والتعب .. والعرق .. والغضب .. لكنه سرعان ما أخفى ابتسامته .. ستغيظهم كثيراً .. يعرف ذلك جيداً .. أى حركة .. أو ابتسامة أو كلمة .. لمعتقل أو موقوف أو مشبوه تعنى السخرية منهم والتحدى .. ورد الفعل الضرب المجنون .. ولا ينقصه الآن شىء من ذلك .. اختلس نظرة جانبية الى مجموعة منهم تهبط من سيارة وصلت لتوها .. تبادلوا الحديث مع الضابط الذى مازال يلعب كرة الطاولة .. لا يفهم شيئاً من لغتهم .. أشاروا اليه .. تدخل فى الحديث الجندى القابع على سطح البناية خلف رشاشه .. حركة غير عادية تدب فى المكان .. وصلت سيارة أخرى .. تقافزوا منها كالجنـــادب .. توقف اللعب والغنـــاء والضجيج ولم يحدث أى جديد .

ماذا لو قفزت فى لمح البصر واجتزت هذا السلك الذ ُك ؟ .. فكرة .. ولكنها جنونية .. ولكنها قد تخلصنى من هذه الوقفة المميتة .. وقد تخلصنى من الحياة أيضاً .. بضعة أمتار بينى وبين الشارع .. ولا أستطيع الحراك .. ولا الكلام !! .. ماذا يقول المارة عنى ؟ .. تعبيرات وجوههم محايدة لا تنبىء عن معنى محدد .. فضولية .. تنظر من بعيد .. فيها بعض الاشفاق .. أحياناً .. وبعض الاحترام أحياناً أخرى .. قد يظنون أنى بطل .. وقد يظن البعض الآخر أنى لص أو أى شىء آخر .. جاسوس مثلا يقف فى ساحتهم .. لا .. لا .. الناس تعرف كل شىء .. وتفهم كل انسان من سيماه وحركاته .. الناس تعرف من هو «أبو سائد» .

تميل الشمس أكثر ناحية الغرب .. يقل تركيز حرارتها على المكان .. يتكوم الرجل فى ظل العامود .. لم يعد يشعر بالحرارة .. الصداع تحول الى دوار شامل يلف كل شىء فيه ومن حوله .. والجوع تحول الى ضعف عام يخدر كل خلية فى جسمه .. والغضب تكثف فى نظرات شرسة متقدة يصوبها الى كل جندى يقترب منه .. ورغبة جامحة تكاد أن تنطلق على شكل صراخ يهز المكان .. لماذا أنا هنا ؟ .. خمس ساعات فى الشمس والعطش والجوع دون سبب .. ما هى تهمتى ؟ .. ولماذا ؟ .. و .. و .. تنحبس الكلمات .. وتذوب فى الجسد الذى صهرته الحرارة والارهاق والغضب .. ولا أحد يهتم ..

المخيم .. ورائحة القهر .. ساعة الغروب .. ومجموعات من العمال تعود الى البيوت فى اعياء .. وسيارات الأجرة تفر عائدة الى أوكارها بعد عناء يوم ، وكلها حذر من الوقوع فى قبضة الداورية وتفتيشها



السمج الطويل ، والذى قد ينتهى بتوقيف لا مبرر له ولا دافع .. أو بسحب الرخصة أو التصريح .. وكشاف المركز بدأ فى مسح المنطقة بضوئه الساطع قبل الغروب .. وصوت المؤذن ينطلق من المسجد المقابل للمركز يبث الأمل والقوة .. الله أكبر .. الله أكبر .. ورجل م· ·ك قرب السياج يتمتم مكبراً ومسبحاً ومحوقلا فى إعياء وخفوت .

فجاة يدوى انفجار رهيب .. يلتمع المركز لثوان .. يتصاعد دخان كثيف ..
يهتز المكان .. ويرتفع الصراخ .. ويلعلع الرصاص ..

ثم يسود الصمت والظلام ..
صمت من نوع فريد ومميز .. ثوان أخرى .. وأستعيد نفسى من المفاجاة .. ينقشع الذهول .. مع انقشاع الدخان والغبار المتصاعد من بناية المركز المهدمة .. نشاط،حيوية وافكار جديدة تجعلنى اقفز تلقائياً من مكانى .. لم ألتفت يميناً .. ولا يساراً .. لم أدقق فى السلك أو البوابة .. قفزة واحدة .. أو قفزتان .. لم أعد أذكر ..

ووجدت نفسى حراً طليقاً .. أطلق ساقى للريح .. ولأزقة المخيم المليئة بالحفر والرمال والمياه القذرة .. المسكونة بالصمت والظلام .. لم أعد .. أرى من بعيد سوى باب بيتنا الذى غادرته منذ ساعات طويلة . بل دهوراً .. ولم أعد أسمع سوى ضربات أنفاسى صعوداً وهبوطاً تضرب الهواء الساكن من حولى بعنف .

لم أفتح الباب .. قذفت بحطام جسدى عندما لمحته يتحرك .. وامتدت غابة من الأيدى تقفله فى فرح .. وتنحط كلها مبللة بالدموع على رقبتى ووجهى تمطرنى بها وبالف سؤال وتعجب .. أسندت ظهرى الى الحائط .. تنفست الصعداء .. لم أكن أصغى للجلبة من حولى .. بل الى صوت كان ياتى من بعيد .. يختلط مع صوت سيارة الاسعاف الذى جاء يمزق الصمت .. يتداخل معه ويلح فى نبرته .. هل أنا موقوف ؟ أم مشتبه ؟ .. أم معتقل ؟ والى متى ؟ ولماذا ؟ .. حدق فى الأفق الكئيب ..

ارتشف جرعة ماء .. وأتى صوت آخر .. لا يحمل الاجابة .. بل يزيد الأمر غموضاً .. يعرفه جيداً .. مكبر الصوت بلونه الكالح .. وصوته المتلوى كافعى .. الناعق كغراب .. يلقى القبض على جميع السكان .. يامرهم بعدم الخروج من منازلهم .. ولاشعار آخر .. قد يكون اسبوعاً أو شهراً أو سنة وبدأ الرصاص يوقع على البلاغ الغاضب .. وعاث الجنود فى الطرقات يفتشون عن «الأشباح» .. يداهمون المنازل .. يسوقون الرجال الى الشاحنات المليئة بالعيون اللزجة واعقاب البنادق .

كأن الفرحة لم تكن .. عاد الوجوم الى الوجوه .. تاملت العيون باب المنزل .. تسمرت عليه .. بين اللحظة والأخرى ستدفعه قدم غليظة .. وتفح رطانة غريبة .. فيتسمم الهواء .. وتتكرر القصة .. ويسمع الجميع فى نشرة الاخبار بان القوات «تمشط» المنطقة .. وانها القت القبض على مجموعة من «المشتبه» بهم .

الحب عند الحيوان

بقلم : د. عزالدين فـــراج



الحب والأخوة عند صغار القطط

يسبق عملية التزاوج عند الحيوان تودد الذكر لأنثاه ومغازلتها ، لينال إعجابها ، وليكون موضع الرضا عندها . إنه يبـدى من الحركات والافعال ما يثير اهتمامها ، ويطلق من الاصوات ما يلفت انظارها .

قيثارة الحبيب

وكما ان المحب يقف بالقرب من نافـذة محبوبته يبثها هواه على أوتار قيثارته .. كذلك ذكور الضفادع إذا اجتمعت باناثها فى وقت الربيع وما بعده بقليل ، ارتفعت اصواتها بالنقيق ، معبرة عما يخالجها من حب وشوق وهيام .. والضفدع يحدث نقيقه بالهواء يدفعه من رئتيه زفيراً ، فيمر على احبال الصوت فى حنجرته ، فتهتز الأوتار ، وينشا هذا الصوت الذى نسمعه ، ولكن ترجع قوة هذا الصوت الى كيسين على جانبى فم الضفدع يمتلئان بالهـواء فيرنان مع الصوت رنيناً شديداً ، كما يرن جوف العود لما فيه من هواء كلما دق الموسيقى على أوتاره .

هذه قيثارة الضفدع ، هذه اصواته ونجواه .. يرسلها الذكر ليستهوى بها انثاه .. وليحرك فيها الغرائز والمشاعر .. وكانه روميو وقف تحت نافذة جولييت .. يطلب منها اللقاء والوصل .

ويظل هذا الذكر المحب يرفع عقيرته معبراً عن شوقه وهيامه ، وهو غارق فى مائه ووحله ، حتى يجد من يبادله شوقاً بشوق وهياماً بهيام ، لقد استطاع هذا الحيوان الضئيل فى حجمه أن يدرك بغريزته وفطرته أن اللقاء والوصل والحب والتزاوج أمور لا تفرض فرضاً ، ولا تاتى بالعنف والقوة ، إنما هى أمور تتصـل بالعاطفة اتصالا كبيراً .. ولا تتحقق إلا بالملاينة والاسترضاء .

ويظل الضفدع الذكر يسترضى انثـاه باسلوبه الخاص فى هذا الموسم المعلوم ، حتى اذا ما انتهى هذا الموسم كف ذكر الضفدع عن نقيقه ، وصمت كصمت الأنثى وفى الخريف عندما يبرد الجو ينـــام الضفدع نوماً طويلا ، فى شق بين الطحالب ، أو فى حفرة من الطين على مقربة من الماء .

والعنكبوت يستطيع أن يميز بين من جاء يهاجم ، ومن جاء يغازل ويداعب .. فمتى اقتربت من بيت العنكبوت حشرة غريبة ولمست خيطه أسرعت ربة هذا البيت إليها لتستقبلها وتعاجلها ببعض نفثاتها لتضعف فيها المقاومة ثم تمتصها بعد ذلك .

اما إذا اقترب من بيتها عنكبوت فلا تنقض عليه لأنها تستطيع ان تميز بين حشرة دخيلة وبين زميل مغازل ، جاء يعلن حبه بطريقته الخاصة .

انه يقترب من خيوط هذا البيت ويهز

منه خيطاً واحداً بكل حيطة وحذر .. ثم تراه يميل بجسمه ويتحرك فى نصف دائرة حول ربة الدار التى ظهرت مختالة بنفسها على سطح بيتها مندفعة نحوه ، ولكنه يصدها عنه ويبتعد عنها قليلا .. ثم يسرع كل منهما فى الدوران حول الآخر . ويلى ذلك فترة سكون يعود بعدها النشاط . واخيراً ينجو الزائر بنفسه ، وهكذا كان طريق الحب والغزل شائكا حتى مع أقل الحيوانات مرتبة .

اناث الحشرات تتبرج وتتعطر

ومن مظاهر الحب والغزل المألوفة فى دنيا الحشرات ، ما نراه عند بعض الاناث من إفراز مواد تفوح منها رائحة عطرة ، لتجذب إليها الذكور ، فيكون بينها لقاء ، فوصل ، فتزاوج ، فبقاء .

وقد وصف « جان هنرى فابر » احد علماء الحشرات فى مذكراته ، عرس فراشة ليلية تسمى « الطاووس الكبير » ، فقال :

« فى صبيحة يوم شاهدت أنثى من اناث هذه الحشرة تغادر شرنقتها ، فعزلتها تحت جرس معدنى .. وفى المساء دهشت عندما رأيت ليس معملى ، بل جميـــع دارى ، قـــد حطت عليها جموع من فراشـــات هذه الحشرة .

كان المنظر عجيباً .. فقد كانت أسراب ذكور هذه الحشرة تحوم حول هذا الجرس المعدنى ، وتصعد الى السقف ثم تدور وتروح وتغدو وقبلتها هذا الجرس . كان عدد هذه الفراشات فى المعمل وحده عشرين .. هذا عدا عدد آخر مماثل تناثر فى غرفة النوم والمطبخ .

وفى اليوم التالى ازداد هذا العدد حتى تضاعف ، وفى نهاية الأسبوع بلغ مائة وخمسين فراشة .. وكان بعضها جاء من مكان بعيد يقع على بعد ألفى متر .. إن لم يكن أكثر من ذلك » .

لقد فتحت هذه المشاهدات أمام هذا العالم آفاقاً من البحث والتفكير ، وتساءل كيف جاءت هذه الذكور ؟ وكيف عرفت بمولد هذه الأنثى وخروجها من شرنقتها ؟!

واخيراً انتهى بحثه إلى أن اناث هذه الحشرة تخرج رائحةً قوية جداً ، تشمها الذكور عن بعد وتُسَرُّ لها .. فتاتى طائعة مختارة فى شوق بالغ .. باحثة عن صاحبة هذه الرائحة .

لغة الهدايا !

وكما أن الهدايا يستعين بها المحب على كسب رضاء حبيبته وخطيبته ، كذلك بعض ذكور الحشرات والطيور ، فانها تقدم لاناثها بعض الهدايا بطريقة تتناسب مع بيئتها ومقدرتها ، فنجد مثلا ذكر ذبابة المخطار ، وهى ذبابة صغيرة سمراء اللون ، يبحث عن فريسة يقدمها هدية لأنثاه ، بعد أن يغلفها بنسيج حريرى أو بفقاعات يصنعها من لعابه .

ومتى أعد الذكر هديته بالطريقة السالفة حملها بين أرجله ، حتى إذا ما التقى بالأنثى المنشودة ، راح يمر أمامها مرة بعد مرة لاجتذاب انظارها واغرائها بما حمله من هدايا !!

منافسة .. ومشاجرات

وقد يشترك اكثر من ذكر فى التودد الى أنثى واحدة .. عندئذ تقع الواقعة وتشتد المنافسة والنضال .. وتنقاد الأنثى فى نهاية الأمر إلى الفائز ، حتى ولو لم تكن قد رضيت به من قبل ، ثم تذهب مع قرينها البطل . وقد تعود الكرة مرة اخرى فاذا بهذا البطل فى عداد المهزومين ، واذا بذكر جديد يصول ويجول ويصبح فارس الميدان وبذلك تتمكن الذكور الأصحاء الاقوياء من الحصول على زوجات .

وقد يشتد العراك بين الذكور ويبلغ حداً كبيراً ، إلى درجة اننا نرى المغلوب ملطخاً بالدماء ، منهوك القوى ، مشوه الوجه .

والقتال بين ذكور الطير يكون عادة بالأرجل والمناقير .. وعلى ذلك فالخسائر والاضرار تتوقف على ما فى الأرجل من مهاميز خارجة ، كما تتوقف أيضاً على حالة المناقير ودقتها .

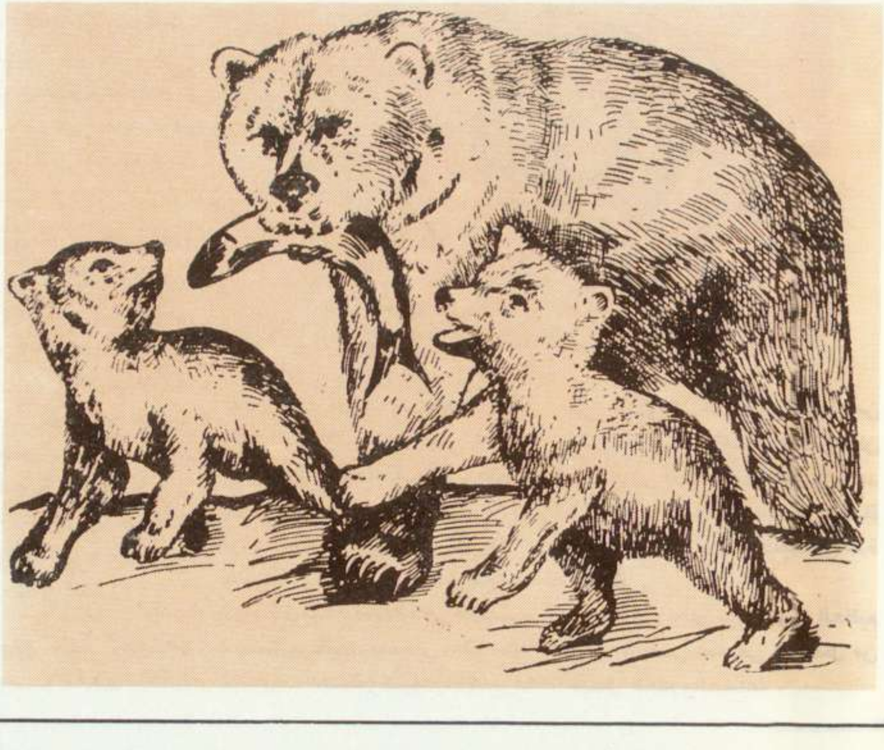
وكل من درس غرائز الحمام وطباعه يعرف أن الذكر يختص بأنثى معينة ويظل لها فى الغالب وفياً ، ولا يحاول الحصول على غيرها فى الغالب الا اذا فقدها .

ويعطينا الحمام مثلا عالياً فى التعاون بين الذكر والأنثى فيتعاون الذكر مع أنثاه فى بناء العش والرقاد على البيض وحضانة الصغار وتغذيتها .

وقد يكون بجوار ذكور الحمام حمامة أو أكثر لا اليف لها ، فتكون فتنة للازواج . وقد يحدث أحياناً عند الحمام — وهذا نادر — أن يخلو الذكر فى ساعات راحته باحدى هذه الحمائم العزاب التى لا أزواج لها .. ولكن أنثاه الغيور ترقبه وتلحظه ، فان رأت زوجها قد جاوز الغزل ، انقضـــت كالصاعقة وراحت تنقر تلك الأنثى الدخيلة لتبعدها عن هذا الحبيب .

د. عز الدين فراج

الدبة من اكثر الحيوانات حبا لصغارها





هل تعلم

عبد العزيز السيد المصري

لماذا يُعدّ الخبز دعامة الحياة؟

فى أى مكان قد تذهب إليه من العالم مهما اختلفت عادات الناس وتقاليدهم ولغتهم ولباسهم أو ذوقهم فى الطعام فانك تجد شكلا ما من الخبز .. فمن المؤكد ان هناك انواعاً من الخبز قد يصل عددها إلى عدد الأمم الموجودة على الأرض . فى الصين مثلا يصنع الخبز من دقيق الأرز . وفى الهند يصنعونه من الدخن ، أو الذرة العويجة . وفى المانيا ودول اسكندينافيا يصنع الخبز من نبات البراكة والشعير .. وهناك بلاد تستعمل الفول والبطاطس بل وجوزة البلوط فى صناعة الخبز . ولكن الخبز الذى يخطر على بالنا عادة هو ذلك المصنوع من انواع متنوعة من الحبوب (الغلال) . فهو أعظم الأطعمة اهمية لمعظم الشعوب ويرجع ذلك ـ ببساطة ـ إلى انه يحتوى على القسم الاكبر من مواد الغذاء الأساسية التى تحتاجها الصحة باقل مبلغ من المال . بدون الخبز كان يتحتم على الناس ان يتناولوا كمية كبيرة من الاغذية الغالية المكلِفَة مثل البيض ، واللبن والفواكه ليحافظوا على صحتهم . اما الخبز فيمَكِّن حتى افقر الناس من صيانة حياتهم ولهذا يسمى الخبز « دعامة الحياة » .

كان الانسان قديماً يمضغ بذور الحبوب ليحصل على الطاقة التى علم بخبرته انها تمده بها ومنذ اكثر من ثلاثة الاف سنة قبل الميلاد تعلم المصريون ان يطحنوا الحبوب بالرحى ، ثم يضيفون إلى الدقيق الماء ويحولونه إلى عجين وان يشكلوه على صورة كعك مستو ويخبزونه .

ويوجد الآن نوعان من الخبز الخبز المخمر والخبز غير المخمر فالخبز المخمر يحتوى على بعض من مادة تحدث فقاعات من غاز ثانى أكسيد الكربون وتجعل رغيف الخبز ينتفخ . اما الخبز غير المخمر فهو دائما جاف صلب . ومعظم الخبز العادى يخمر بالخميرة ، ولكن اصنافا مثل البسكويت والفطائر والكعك « والباش » عجينة الرقاق فانها تخمر « بالبكينج بودر » مسحوق الخبز او اللبن والصودا .

وبالرغم من ان الخبز يمكن صناعته من نباتات عديدة فان أفضل انواعه وانعمها هو الخبز المصنوع من القمح ، لأن القمح به مادة تسمى « الجلوتين » وهى مادة غروية تمسك الفقاعات فلا تتسرب من العجين فتكون النتيجة هو صناعة رغيف اخف وزنا .

من الذي اخترع "الميكروسكوب" المجهر؟

كلمة « ميكروسكوب » مكونة من كلمتين يونانيتين « ميكروز » أى صغير و « سكوبوس » أى مراقب فكلمة ميكروسكوب تعنى « مراقب الصغير أو الأشياء الصغيرة » وهو اداة تستخدم ـ كما نعلم ـ لرؤية الاشياء الدقيقة التى لا تراها العين المجردة ونسميها بالعربية المجهر بكسر الميم .

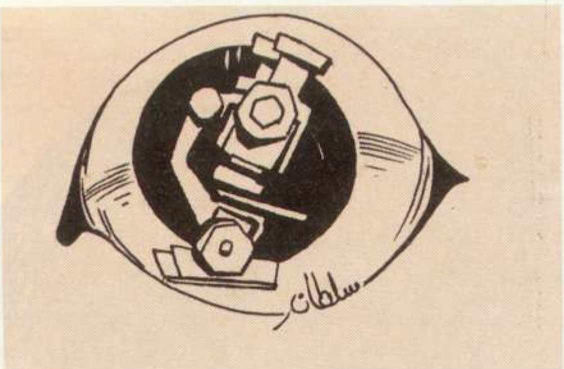
ان أى جسم تقربه للعين يبدو اكبر وتتضح رؤيته فاذا قربته إلى مسافة تقل عن عشر بوصات لا يزداد وضوحاً ولا كبرا .. ويقال إنه خارج البؤرة (وهى نقطة اتضاح المرئى) أما إذا وضعت عدسة محدبة بين العين وبين هذا الجسم فانه يصير بامكانك أن تقرب هذا الجسم من العين إلى اقل من عشر بوصات ومع ذلك يظل فى البؤرة .

نشهد ذلك بوضوح عندما نستعمل زجاجاً مكبراً ، ولكن الزجاج المكبر العادى هو فى الواقع «ميكروسكوب» مجهر بسيط .. وقد عرف الانسان هذا النوع منذ أزمان سحيقة ، ولذا فنحن حين نتحدث عن اختراع « الميكروسكوب » المجهر إنما نقصد « الميكروسكوب » المِجْهر المركب وهو الذى نعنيه عندما نذكر اسم المجهر فى عصرنا الحديث .

فما هو المجهر المركب ؟ هو هذا النوع الذى تجرى فيه عملية التكبير على مرحلتين : فهناك عدسات تسمى العدسات الايجابية وهى التى ينتج عنها الصورة المكبرة الأولى وهناك عدسات أخرى تسمى العدسات العينية أو البصرية وهى التى تعيد تكبير تلك الصورة الأولى .. وفى الحياة العملية نستعمل فى كل مرحلة عدة عدسات ولكن القاعدة تبقى أن هناك دائماً مرحلتين للتكبير .

وقد تم اختراع المجهر المركب فى وقت ما بين سنتى ١٥٩٠ م و ١٦١٠ م وليس فى استطاعة أحد التأكيد على وجه الدقة والجزم من هو المخترع الحقيقى .. ويسند شرف هذا الاختراع إلى « جاليليو » وأحياناً يسمى العالم الألمانى « ليووينهويك » والد الميكروسكوب .. وربما يرجع ذلك إلى مكتشفاته العديدة التى حققها « بالميكروسكوب » بالمجهر ، فقد اظهر ان سوسة الحنطة والبراغيث وغيرها من المخلوقات الصغيرة تفقس من بيض ولا تتكاثر تلقائياً كما كان الظن السائد فى عصره .. وكان أول من سعد برؤية هذه الأشكال الدقيقة من الحياة ورؤية الكائنات ذات الخلية الواحدة والبكتيريا .

ومازال المجهر يؤدى دوره العظيم الذى لا غنى عنه فى كل شكل من أشكال العلم والصناعة .



المقيــــــــاس

شعر: محمد عبده غانم
أبوظبي



تقيس ، تقيسُ
كيف تقيسُ ؟
من ذا يعرف المقياسَ ؟
كيف تقيس يا هذا ؟
تقيس البؤسَ ...... بالنِّعْمَهْ ؟
أم القسوة .... بالرحْمَــهْ ؟

•

يقالُ ...... يقالُ
كان البدءُ فى الظُّلمهْ
وجاءَتْ بعدَها الأنْــوارُ
والحِكْمَـــهْ
ولكن ضاعت الكِلْمَهْ
وعادت تحرِقُ الظلمةُ بالإنسَانْ
يجوعُ فتضحَكُ التخْمَهْ
تقهقه بين أكياسٍ
من القمح التى امتلأتْ بها الأجْرَانْ
يجوعُ وفى مزابلنا الملايينُ من الحباتِ
قد جادت بهـــا الفضَــلاتْ

•

فكيف تقيسُ يا هذا ؟
وعام الضوءِ لا يصلُحُ مقيَاساً
لما نلْقَى من الأشْجَانِ
والأحزانْ
وأفْلَتَ لم تَعُدْ منه ولا نَجْمَهْ
فكيف تقيسُ ، كيف تقيسُ يا هَذا ؟
تقيسُ بحبّةِ القمح التى جادَتْ بها التُّخْمَهْ
تقيس النورَ ..... بالظُّلْمَهْ
فيضحكُ ، يضحك الأعمَــهْ
لقد ولدتني أُمِّي هكذا .. أكْمَــهْ

•

لماذا تحمِلُ المقياسْ
دع الناسَ ، دع الناسْ
بلا نـــورٍ
يدورون مع العتْمَهْ
فخيرٌ لكَ أن تَحْيَـا
وان يحيوا بلا نِبْرَاسْ
ولا مقياسْ

«الدوحة» في مهرجان «كان» السينمائي ..

بقلم: رؤوف توفيق

فريق «مونتى بيتون» فى لقطة من احد مشاهد السخرية فى الحرب



قليل من الابتسامات .. كثير من خيبة الأمل!

عندما تتخيل ثلاثة آلاف وخمسمائة ناقد وصحفى ومراسل لشبكات التليفزيون من جميع أنحاء العالم ، يجتمعون فى مكان واحد لتغطية حدث فنى .. فلك أن تقدر أهمية هذا الحدث !

إنه مهرجان «كان» السينمائى الدولى .. الذى عقد هذا العام للمرة السادسة والثلاثين من عمره .. وسط عديد من المفاجآت ..

المفاجأة الاولى .. كانت فى صدمة المبنى الجديد الذى انتقل اليه المهرجان هذا العام والذى ظلوا يشيدونه لأربعة أعوام متصلة ، وتكلف حتى الآن – مازال تحت التجهيز – ما يزيد عن عشرين مليون جنيه .. ورغم كل هذا الجهد والامكانيات . جاء مخيباً للآمال .. فقد تكاتفت كل التعقيدات العصرية لكى تجعل المبنى كئيباً ومختنقاً .. حتى ان الصحافة



لقطة من احد مشاهد «النمو والتعليم» فى فيلم «معنى الحياة» .. ثم لقطة لإستعراض راقص فى فيلم معنى الحياة





« روبرت دى نيرو » اثناء اقتحامه البرنامج التليفزيونى لتقديم نوادره



بداية فيلم ملك الكوميديا ، بعد ان فرض الهاوى نفسه على صاحبى البرنامج الشهير « جيرى لويس »

● جائزة لجنة التحكيم ... لنكتة إنجليزية

الفرنسية أطلقت عليه تعبير «الدبابة» .. ووصفه بعض النقاد انه ديكور فخم لمعتقل نازى !!

رغم أن المبنى مقام على أجمل مكان فى مدينة «كان» على شاطىء البحر .. إلا أن التصميم المعمارى للمبنى أعلن عداوته للشمس والهواء ، ولم يسمح لهما بالدخول !

المفاجاة الثانية .. انه مع منتصف أيام المهرجان زحفت على مدينة «كان» اضرابات ومظاهرات طلبة كليات الطب والصيدلة فى فرنسا .. واحتشدوا أمام مبنى المهرجان ليجذبوا انظار هذا العدد الهائل من صحفيي ومصورى الجرائد ومحطات التليفزيون ، لقضيتهم فى المطالبة بتخفيض سنوات التعليم .

ومع المظاهرات والهتافات .. أسرعت عربات البوليس لتفرغ حمولتها من الرجال

قليل من الابتسامات.. كثير من خيبة الأمل!



الهاوى « روبرت دى نيرو » يتخيل لقـــاءه مع المذيع المشهور « جيرى لـــويس



المخرج « مارتن سكورسيس » يتوسط ممثليه « روبرت دى نيرو » و « جيرى لويس » أثناء تصوير الفيلم

الأشداء المدججين بالأسلحة والهراوات لتفريق هذا التجمع وحماية المبنى وضيوف المهرجان ..

ورغم انتهاء المظاهرات الطلابيـــة فى نفس اليوم .. إلا أن حصار رجال البوليس ، ظل قائما حول المبنى وداخل قاعاته ، حتى آخر لحظة من المهرجان !

المفاجأة الثالثة .. وهى اغرب المفاجات .. كانت فى نوعية الأفلام التى حصل عليها مهرجان كان هذا العام من حصيلة الانتاج السينمائى العالمى .. حيث غلب على الكثير من الأفلام موضوعات العلاقات الغير مألوفــة .. تلك الموضوعـات التى تعكس بوضوح مدى الأزمة التى وصلت اليها الحضارة الغربية فى ظل الظروف الاقتصادية المتدهورة ، والاحساس بعدم الأمان !

البداية .. بالابتسامات

ورغم كل هذه الاحباطات ، والجو المشبع بخيبة الأمل .. كانت هناك بعض اللمسات من الفن هنا وهناك .. وبعض الضوء فى أفكار عدد من المخرجين .. وقليل جداً من الابتسامات !

وقد اخترت أن ابدأ أولى رسائلى للدوحة من مهرجان كان .. بهذه الابتسامات القليلة .. كتشجيعا لكم ولي ، على الدخول بعد ذلك فى متاهات السينما العالمية وما وصلت اليه من أفكار واتجاهات .

ملك الكوميديا

بعد عشر سنوات من الصداقة والتعاون المشترك .. يقدم المخرج الامريكى الشاب «مارتن سكورسيس» نجمه المفضل «روبرت دى نيرو» فى فيلم «ملك الكوميديا» الذى اختير لان يكون فيلم الافتتاح لمهرجان كان هذا العام .

والفيلم يتعرض للحلم الذى يراود الكثير من أفراد الشعب الأمريكى .. بالشهرة !

وقد قيل فى أحد الأبحاث الأمريكية الأخيرة .. انه مع نهاية هذا القرن .. سيتحقق لكل فرد أمريكى خمس دقائق من الشهرة !

انه الأمل .. أو الوهم !

ولكن الفيلم يقدم باسلوب ساخر .. نموذجاً لشخص يسعى لأن يحصل على خمس عشر دقيقة من الشهرة .. من خلال أن يقدم نفسه فى أشهر برنامج استعراضى كوميدى يذاع فى التليفزيون الأمريكى .

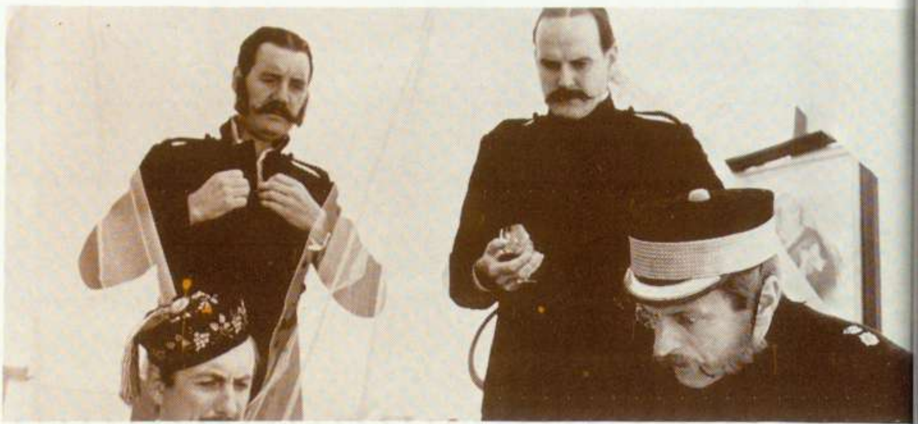
هذا الشخص هو «روبرت دى نيرو» الذى يعيش على حلم انه ملك الكوميديا ، والذى يجب أن يظهر للجمهور ويحصل على حقه من النجاح والاعجاب والتصفيق .. انه مستعد ان يفعل أى شىء فى سبيل أن يحقق هذا الحلم .

ولهذا فهو يطارد ـ منذ اللحظة الأولى للفيلم ـ صاحب البرنامج التليفزيونى الشهير (يلعب الدور جيرى لويس) ويفرض نفســـه عليه بحجة حمايته من جمهور المعجبين ، ويجلس بجواره فى سيارته ، منتهزاً الفرصة لكى يحدثه عن مواهبه فى الاضحاك .. وكيف انه لا يطلب شيئاً أكثر من فرصة الظهور فى برنامجه !

وحتى يتخلص صـــاحب البرنـــامج التليفزيونى من هذا الاقتحام والالحاح .. يعرض عليه اللقاء فى مكتبه ، حيث سيكون المكان والوقت أفضل للمناقشة والاتفاق !

ولكن كيف الوصول الى مكتبه وهو النجم الشهير الذى يدير مؤسسة ضخمة والذى يرتفع اسمه فوق إحـــدى ناطحات السحب الأمريكية ؟

الأمر بسيط للغاية ـ هكذا يقول صاحب البرنامج التليفزيونى ـ اتصل بسكرتيرتى



لقطة من فيلم معنى الحياة الذى يتعرض بالنقد لبعض الأطباء

لتحدد لك موعداً .

وتتوهج كل الآمال عند هذا الهاوى .. ويكرر اسمه حتى لا ينساه .. والآخر يؤكد له أنه لن ينسى !

من هذا اللقاء .. يبدأ الفيلم .. ليقدم المخرج الكثير من اللمسات الذكية والساخرة عن العالم الذى صنعه هذا الهاوى فى خياله .. وكيف توهم أنه أصبح بالفعل رجلا مشهوراً ..

ففى داخل غرفته الخاصة بمنزله .. صمم نموذجاً بالحجم الطبيعى لصاحب البرنامج التليفزيونى ، وللممثلة «ليزا مانيللى» ووضع مقعده بينهما .. ويتوهم أنه يحدثهما .. أو بمعنى أدق يحتفيان به !

وعلى حائط آخر من غرفته لصق صورة ضخمة بعرض الحائط لحشد من الجمهور يصفق .. ويتحرك أمام الصورة وكأنه يرد على تحيتهم !

وسجل بصوته شريطاً يلقى فيه نوادره مستخدماً كل المؤثرات الموسيقية التى تذاع فى البرنامج الذى يحلم به ..

ولا ينسى فى كل هذه التخيلات .. أن يطلق على نفسه لقب «ملك الكوميديا» .. ولا يعود الى الواقع إلا مع صوت والدته ـ التى لا نراها ولكننا نسمع نداءاتها عليه !

ويستطرد الفيلم فى تفاصيل هذا العالم الخاص الذى صنعه هذا الهاوى لنفسه .. فهو يحتفظ بالبوم خاص يحتوى على توقيعات كبار النجوم ابتداء من مارلين مونرو .. ونهاية بتوقيعه الشخصى .

ومع طوال الوقت يحاول الاتصال بصاحب البرنامج التليفزيونى .. ولكن السكرتيرة تعتذر بعدم امكانية تحديد موعد .. وتبلغه بلباقة أن يترك الشريط الذى سجله لنفسه .. حتى يسمعه صاحب البرنامج التليفزيونى فى الوقت الذى يراه مناسبا له .. ويستجيب للطلب .. ويظل ينتظر النتيجة .

وفى كل لحظات الانتظار يتصور نفسه أنه قد حقق نجاحاً ساحقاً وبدأ يفرض شروطه .

وتأتى النتيجة فى النهاية ـ على لسان السكرتيرة ـ أن ما قدمه ليس صالحاً .. وعليه أن يحاول مرة أخرى ..

ويصر هو على أن يقابل شخصياً صاحب البرنامج التليفزيونى .. والسكرتيرة ترفض .. والأبواب تغلق فى وجهه .. ولا يجد وسيلة غير محاولة اقتحام مكتبه .. ولكن سريعاً ما يأتى الحرس الخاص ليلقيه خارج المبنى كله .

ويفكر فى وسيلة أخرى .. أن يقوم باختطاف صاحب البرنامج التليفزيونى .. وتتفق معه صديقته الدميمة والتى تحلم هى الأخرى بالشهرة .. وبالفعل ينجحان فى اختطاف الرجل .. ويقومان بتكميمه وربطه بشريط لاصق من رأسه حتى قدميه .

ويقدم المخرج فى هذا المشهد نوعاً من السخرية للأسلوب الأمريكى الشائع فى

الممثلة التى لعبت دور احدى هاويات الشهرة وزميلة للبطل



التهديد والاختطاف .. حيث تبدو كل الأشياء ساذجة وطفولية .

ويحين موعد اذاعة البرنامج التليفزيونى .. وجميع المسئولين عن البرنامج يبحثون عن المذيع الذى اختفى .. حتى يظهر هذا الهاوى ، ليقدم نفسه على أنه هو الذى قام بالاختطاف .. ويسرع البوليس اليه .. ولكنه يشترط للادلاء بمكان المذيع .. أن تعطى له الفرصة فى الظهور بالبرنامج التليفزيونى ..

وبالفعل .. يظهر فى البرنامج .. ليحكى بعض نوادره .. ولا ينسى أن يطلق على نفسه لقب ملك الكوميديا .. ويضحك معه جمهور الاستوديو ويصفقون له .. بينما البوليس ينتظره ليقبض عليه !

وينتهى الفيلم .. بصور هذا «الهاوى» تحتل اغلفة أشهر المجلات الأمريكية .. وبتعليق واحد «ملك الكوميديا» .

ولا ندرى بالضبط هل هذا المشهد الأخير جزء من تخيلات هذا الهاوى .. أو انه حقيقة ما حدث لبطل الفيلم ..

ويبقى فى النهاية .. هذا الاحساس بمدى جنون الشهرة ، ومدى الانفصال الذى يحدث فى الشخصية بحيث يتجرد الانسان من كل العقل والحكمة .. ويقطع صلاته بكل من يعرفهم .. ولا يهتم إلا بذاته وتحقيق حلمه .. حتى ولو أدى هذا الى تحطيم حياته !

الأهداف الخاطئة

ويواصل المخرج الأمريكى « مارتن سكورسيس» فى هذا الفيلم .. وجهة نظره التى اكدها فى اغلب افلامه السابقة عن القيم الأمريكية والأهداف الخاطئة .

ودائماً ما يختار هذا المخرج ..أبطال افلامه الذين يسعون لتحقيق هدف ما .. حتى لو ادى هذا الى تحطيم انفسهم .

فلو تأملنا أفلامه السابقة .. كفيلم «سائق التاكسى» .. وفيلم «الثور الهائج» .. وكلاهما لعب بطولتهما «روبرت دى نيرو» .. نجد نموذج البطل الذى يريد أن يحقق حلماً .. فينتهى بالتعاسة .. سواء بالاندفاع فى جريمة قتل .. أو فقدان الذات !

وفى هذا الفيلم الجديد «ملك الكوميديا» رغم أنه ملىء بالتلميحات الساخرة عن الحياة الأمريكية .. ورغم المواقف الضاحكة التى قدمها المخرج فى مزيج ما بين الخيال والواقع ، وبأسلوب فنى متميز .. ورغم البراعة الشديدة التى أدى بها «روبرت دى نيرو» هذه الشخصية .. ورغم أن «جيرى لويس» قدم افضل ادواره فى



المذيع التليفزيونى « جيرى لويس » بعد اختطافه وربطه فى المقعد بشريط لاصق

سينما

قليل من الابتسامات.. كثير من خيبة الأمل!

السنوات الاخيرة .. إلا انه يبقى رغم كل هذا .. أن الفيلم اقل مستوى مما كنا نتوقعه من المخرج .. ربما لان موضوع الفيلم انشغل بشخص وبمشكلته الخاصة دون أن يتسع بدائرة التامل للظروف والمجتمع والقيم التى تخلق هـــذا النــوع من الشخصيات !

معنى الحياة

الابتسامة الثانية والاخيرة .. فى مهرجان كان هذا العام .. جاءت من السينما الانجليزية التى قدمت فيلماً قام ببطولته وكتابته واخراجه فريق «مونتى بيتون» .. وهو فريق اشتهر بتقديم الاسكتشات الاستعراضية الغنائية والموسيقية فى التليفزيون الانجليزى .. وانتقلت شهرته الى امريكا .. وحقق هناك نجاحاً هائلا .. وبعد خمسة واربعين عرضاً تليفزيونياً فى الولايات المتحدة ، والاقبال الشديد على اسطواناتهم وكتبهم الفكاهية .. كسب الفريق أرباحا وصلت الى عدة ملايين .. اقتطعوا منها عشرة ملايين جنيه وصنعوا هذا الفيلم» الذى يعتبر الفيلم الثالث لهم .

والفريق يتكون من ستة اشخاص .. اشتركوا جميعا فى كتابة السيناريو واخرجه واحد منهم «تيرى جونيز» .. واخرج الخدع السينمائية واحد منهم «تيرى جيليان» .

وباسلوبهم الخاص فى الفكاهة .. اختاروا ان يقدموا فيلمهم بقولهم :

«الفيلم يحتوى على كل شىء .. من نجوم السينما الى العربات الفاخرة ..

وهناك أيضاً فى الفيلم نكت فلسفية .. لكى تجعلك تفكر اكثر ..

لقد صنعنا هذا الفيلم ليس من اجل ان تضحك .. ولكن لكى نربح نحن اكثر ..» !

المبنى تحول لسفينة !

ويبدأ الفيلم بداية رائعة .. فنحن أمام مجموعة من الموظفين فى احدى المؤسسات .. واغلب هؤلاء الموظفين تعدوا الخمسين من عمرهم .. منهمكين فى أعمالهم المكتبية .. بينما رئيسهم يحثهم على الاسراع فى العمل .. ونراهم يتخيلون انفسهم كعبيد فى سفينة يجدفون تحت طرقعة السياط ويلهثون من شدة التعب والاعياء ..

وينتهى التخيل .. ليقرر الموظفون التعســـاء الهجـــوم على رؤســائهم والقائهم من نوافذ المبنى .. ويدخلون فى معركة مع رؤسائهم مستخدمين كل الادوات المكتبية التى أمامهم والتى تتحول الى سيوف وخناجر ..

ثم يقومون بتحريك المبنى ككل .. فنجد المبنى يشق طريقه فى الأرض وكانه تحول الى سفينة، وأحد الموظفين يمسك الدفة وبجواره بعض الموظفين وقد حولوا



« روبرت دى نيرو » يذيع امام المشاهدين برنامجه الفكاهى



زميلة «روبرت دى نيرو» الممثلة الجديدة «ساندرا بيراندت» التى ساعدته فى اختطاف المذيع المشهور



المخرج بين نموذج لصورتين بالحجم الطبيعى لممثلى فيلمه : ملك الكوميديا

ملابسهم الى ما يشبه بحارة السفن .. والمبنى يواصل طريقه حتى يصل الى قلب المدينة حيث تتزاحم ناطحات السحب .. ليقترب المبنى السفينة من احدى الناطحات ،ويحطم الموظفون زجاج احد الادوار .. ليقفزوا الى حيث صالة اجتماع ضخم يضم عدداً من رجال الأعمال .. ويتطاير الورق والملفات .. وتتوقف الأجهزة الاليكترونية .. ويقفز رجال الأعمال وراء الأوراق وأشرطة الكومبيوترز .. ولكن مجموعة الموظفين القدامى القادمين عبر المبنى السفينة .. ينقضون عليهم ويدخلون معهم فى معركة تنتهى لصالحهم .. والقاء رجال الأعمال من النوافذ .. ويصيح الموظفون القدامى صيحات النصر .. لتنتهى افتتاحية الفيلم .. وتبدأ الفصول الثمانية التى يتكون منها الفيلم .

الميلاد ـ النمو والتعليم ـ الحرب كل مع الآخر ـ منتصف العمر ـ زرع الأعضاء ـ خريف العمر ـ الموت ـ ما بعد الموت ..

وكل فصل من هذه الفصول تسبقه لوحة مكتوبة على الشاشة .. وهناك ست سمكات لها رءوس أعضاء الفريق .. وعيون السمكات تنظر لنا ..

ومن خلال نظرات عيون الأسماك يتوالى الفيلم ، وكأن المقصود من الذى سيأكل الآخر ..

والفيلم من خلال اسكتشاته الفكاهية الغنائية يسخر من كل شىء .. من استبداد البيت .. من نظم التعليم .. من أسلوب العلاج فى المستشفيات وعمليات زرع الاعضاء .. من الحروب .. ومن التخمة التى تؤدى الى الموت .

وربما كان من أبرع مشاهد الفيلم .. ذلك المشهد الذى يدخل فيه رجل شديد السمنة الى أحد المطاعم .. ليظل يأكل حتى ينفجر من شدة التخمة .. وتغطى محتويات أمعائه كل المطعم والزبائن .. وكأن قنبلة من الطعام قد انفجرت .

والفيلم مصنوع وكأنه فقرات تليفزيونية من ذلك النوع الذى اشتهر به هذا الفريق .. وربما كان هذا الأسلوب هو الذى أضعف من بناء الفيلم .

فالسينما تختلف كثيراً عن فقرات التليفزيون ومع ذلك فقد أتاح الفيلم بعض الضحكات وأثار بعض دهشتنا للجرأة فى الأسلوب الفنى وبراعة تنفيذ الخدع السينمائية .. وفوق كل هذا فالفيلم اغنية تمرد من الشباب .. فيها بعض الحكمة .. وكثير جداً من السخرية ..

وعندما سالوا هذا الفريق الذى صنع الفيلم .. ما الذى تقصدونه بعنوان «معنى الحياة» وما الذى تريدون أن تقولوه فى النهاية ؟

رد أحدهم بسخرية : «انه سؤال لا نعرف إجابته .. فقد حاولنا أن نسأل مجموعة من الناس .. سياسيين .. وأكاديميين .. وفلاسفة .. ولكن أحداً منهم لم يدلنا على الاجابة ، ويبدو اننا وجهنا لهم السؤال الخطأ» .

ورد واحد منهم بسخرية أكبر «إذا أردت ان تعرف معنى الحياة .. فان الثمن الذى ستدفعه هو عمرك» .

هل هى نكتة .. أم فلسفة ؟

انها ليست أكثر من ابتسامة .. وقد فازت هذه الابتسامة بجائزة لجنة التحكيم الخاصة .

● ●

وقد كانت هذه الابتسامات فقط .. هى كل حصيلتنا من مهرجان كان هذا العام ..

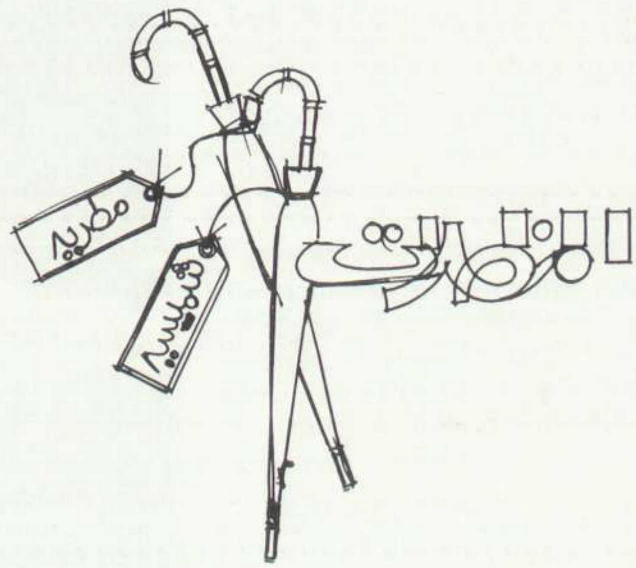
ألا يعنى هذا .. أن المزاج العالمى شديد التعاسة ؟

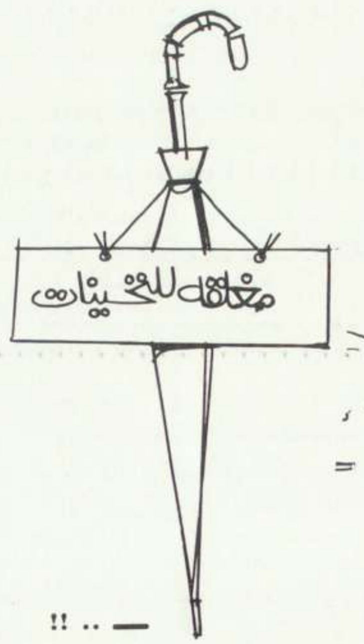
«رءوف توفيق»



ضحكات الشهر

صلاح الليثي





ـــ .. !!



ـــ .. كانت شمسية .. وأصبحت قمرية .. !!



ـــ .. ٦ صور « شمسية » .. بكم .. ! ؟؟



ــ .. بتجربى دموعك .. ولا الشمسية .. !!



ــ .. الصحافة على عينى وعلى راسى من فوق واللى ينكر دورها يبقى جاهل .. !!



ــ .. تكنولوجيا .. مظلة تعمل بالطاقة الشمسية .. !!



ــ .. خايف العمارة تقع على دماغى .. وانا نايم .. !!



دوحة القراء

؟؟ مسابقة الدوحة ؟؟

يرجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى كتابة اسم المسابقة وكتابة الاسماء والعناوين بوضوح حتى يمكن ارسال المكافات .

حاول أن تعرف



الصورة الأولى: هذا الجامع يقع فى أحد الأحياء الشعبية فى عاصمة عربية، افتتح للصلاة فيه عام ٩٧٢ م ، ويعتبر أقدم جامعات العالم ، فقد بدأ التدريس فيه عام ٩٧٥ م ، بينما انشئت جامعة بولونيا عام ١١٠٠ م وجامعة باريس عام ١١٥٠ م

ما اسم هذا الجامع وما اسم العاصمة التى تضمه ؟

الصورة الثانية :



كاتب عربى ولد بمدينة حلب ١٨٤٨ . نادى بضرورة اقامة تنظيم دولى يجمع الدول الاسلامية .. وتتجلى آراؤه فى كتابه المشهور « أم القرى » وهو أول مؤلف عربى ينادى بهذه الفكرة .. طاف مختلف الدول الاسلامية واستقر فى مصر .

هل يمكنك معرفة ذلك العالم ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٨٩



الصورة الأولى : هولندا .

الفائز : اسماعيل عبد السلام البيلى ج . م . ع .

الفائز : علي تركى / سوريا .



الصورة الثانية : ابو الطيب المتنبى

الفائز : مهدى علي العمرى / اليمن الديمقراطية .

الفائز : مبارك سلمان محمد / السودان .

أرقــام ريـاضيـة



ـ كان أكبر عدد لجموع المتفرجين لسباق الماراثون حوالى المليون ونصف المليون شخص تجمعوا على طـريق السباق فى بوسطن بالولايات المتحدة يوم ١٨ ابريل ١٩٧٧ .. والذى فاز فيه العداء الكندى جيروم درايتون .

ـ يبلغ عدد المشاهدين للسباق السنوى الفرنسى للدراجات ما يزيد على عشرة ملايين شخص فى فترة السباق البالغة ٢٤ يوما .

ـ يشاهد سباق السيارات السنوى الذى يقام فى لومانز بفرنسا نصف مليون مشاهد .

ـ كان أكبر جمهور من مشاهدى مباريات كرة القدم فى المباراة التى أقيمت يوم ١٦ يوليو ١٩٥٠ على استاد البلدية فى ريو دى جانيرو بالبرازيل بين فريقى البرازيل والاورجواى .. فقد بلغ ١٩٩٫٨٥٤ شخصاً .

ـ أما أكبر عدد من المشتركين بالسباقات فكان فى ميلانو بايطاليا يوم ١٦ ابريل ١٩٧٨ حيث اشترك ٥٠ ألف شخص فى سباق الجرى حول مدينة ميلانو وكان طول السباق ٢٢ كيلو متراً .

ـ وقد بلغ عدد مشاهدى التليفزيون فى العالم للمباراة النهائية على بطولة كأس العالم لكرة القدم سنة ١٩٧٤ ٤٠٠ مليون مشاهد .. وكانت المباراة بين فريقى ألمانيا الغربية وهولندا .

محمد المصمودى
صفاقس ـ تونس

لقطة الشهر

تحيـة القـائد



لوحة للفنان الفلسطينى عبد العزيز العقيلى وقد فاز بجائزة هذا الشهر. ومقدارها ١٠٠ ريـال قطـرى

أغـرب مصـيـدة

كنت متجولا فى فناء المنزل أبحث عن شىء ما ، عندما استوقفنى « بيت عنكبوت » قد بنى بدقة متناهية فى احد أركان السور ، ونشرت خيوطه فى مساحة واسعة .. فكانت اشبه بشباك الصياد .

وبينما أنا واقف أتأمل دقة وروعة هذا النسيج اذ بذبابة تقع فى الخيوط ولم تستطع الفكاك رغم محاولتها للخلاص .

وكم تملكنى العجب حينما رأيت عنكبوتاً اقبل على الذبابة ـ من حيث لا ادرى ـ بسرعة البرق ودون أن تنقطع الخيوط أو يختل نظامها . اقبل على الذبابة واحتضنها ، والصق فمه برأسها ، بعد أن احاط بها احاطة تامة بأرجله .. وغاب عن الحركة لمدة تصل خمس دقائق وانا واقف أتأمل بين مصدق وغير مصدق لما أرى وقد نسيت تماماً ما كنت ابحث عنه تحت غمرة الدهشة والتعجب .

وبعد هذه الدقائق عاد العنكبوت الى مخبئه ولم يبق من الذبابة الا جناحاها .. أما الباقى فقد تم امتصاصه .

محمود آدم بشير ـ السودان

دوحة القراء



مسابقة الدوحة

مَن ؟

● حاكم عربى معاصر يبذل جهده فى تطوير بلاده بحيث تواكب العصر متمسكة بتراثها العربى الاسلامى لتؤدى واجبها فى الأسرة الانسانية على الوجه الأمثل . اسمه من عشرة أحرف فى ثلاث كلمات : ١ ـ ٢ ـ ١٠ ـ ٥ ضاحية فى لبنان اشتهرت حديثا . ٧ ـ ٦ ـ ٣ مكلف بأمر الله تعالى . ٤ ـ ٨ ـ ٩ وقود مستحجر فى قشرة الارض

أين ؟

● عاصمة الدولة التى ينتمى اليها ذلك الحاكم العربى . اسمها من ستة أحرف :
٣ ـ ٤ ـ ١ ـ ٦ وعاء الحبر .
٥ ـ ٢ ـ ١ ـ ٢ ليس حراماً .

ما ؟

● عماد الدخل القومى فى تلك الدولة العربية : كلمة من سبعة أحرف :
١ ـ ٢ ـ ٦ ـ ٥ ـ ٧ زاحف صحراوى يشبه التمساح .
٤ ـ ٣ هلك وانقطع

الإجابة الصحيحة

١ ـ «كانت الدراهم فى الدولة العباسية تصنع من الفضة» .
هل هذه العبارة صحيحة علمياً ؟

٢ ـ كتاب «الحاوى» فى الطب من تاليف :
العلامة الرازى ـ علي باشا ابراهيم ـ أبو يوسف التيفاشي .

٣ ـ يطلق اليهود على مدينة الخليل الفلسطينية العربية اسم :
سامرا ـ حبرون ـ عتليت .

٤ ـ تقع جزيرة سوقطرة فى :
المحيط الهندى ـ المحيط المتجمد الجنوبى ـ المحيط الهادى .

٥ ـ ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب
انسب هذا البيت الى قائله .

٦ ـ تصنع أكبر نسبة من مادة (الجيلاتين) فى أوروبا وأمريكا من جلود الخنازير بعد غليها تحت الضغط فى :
الماء ـ الخل ـ الكحول ـ الجليسيرين .

٧ ـ الاسطرلاب آلة علمية طورها علماء المسلمين :
أ ـ لقياس أعماق البحار .
ب ـ للحسابات الفلكية .
جـ ـ لقياس درجة حرارة الارض .

٨ ـ يبلغ أكسيد الهيدروجين اقصى كثافته عند درجة حرارة :
٤ مئوية تحت الصفر ـ ٤ مئوية فوق الصفر ـ ٤ فهرنهايتية .

٩ ـ مؤلف كتاب الملل والنحل فى القرن الخامس الهجرى هو :
أبو الفتح الشهرستانى ـ أبو مسلم الخراسانى ـ أبو موسى الكرانى .

١٠ ـ جاء اسم سيدنا عيسى عليه السلام فى القرآن الكريم :
عشر مرات ـ خمساً وعشرين مرة ـ ثمانين مرة .

حل مسابقة العدد ٨٩

من ؟ : لزريق .
اين ؟ : وادى لكه .
مـا ؟ : الفصاحة .

الأجوبة الصحيحة :

١ ـ الزنجبيل ـ الكافور ـ المسك .
٢ ـ لا غير صحيحة علمياً لان الاسفنج حيوان وليس نباتاً .
٣ ـ البوكسايت ـ الكرايولايد .
٤ ـ الجرجور .
٥ ـ السموأل .
٦ ـ ١٩٧٠ م .
٧ ـ أمريكا الشمالية .
٨ ـ أبو الفتح عتمان بن جنى .
٩ ـ الباذنجانية .
١٠ ـ ٣٤ عاماً .

أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ اصل وصورة .. الحل : العينان ـ شنبر النظارة ـ الحواجب ـ شعر الجبهة ـ السالف ـ الشارب ـ الشعر الخلفى . الفائز : محمود محمد اسماعيل / الامارات . الفائز : ابو القاسم محمد البشير / السعودية .

٢ ـ دورى الكاريكاتير : الحل : رقم (٨) .. الفائز محمد سيد محمد سليمان / مصر الفائز : فيحاء محمد قيمه / سوريا .

٣ ـ بالماكياج .. الحل : محمود ياسين الفائز : عبد الله سعيد بامهير : السعودية الفائزة : احمد السيد مجيد ابراهيم / البحرين

٤ ـ لأقوياء الملاحظة .. الحل : دبوس ـ مفتاح ـ عقد ـ قلم رصاص ـ كتاب ـ لمبة كهرباء . الفائز : فاطمة يوسف علي الانصارى /

قرأت : صفات علي بن أبي طالب

قال العقاد يصف على بن ابى طالب كرم الله وجهه فى كتابه الامام علي .

هو علي بن ابى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف .

وعلي أصغر أبناء أبويه ، وأكبر منه جعفر وعقيل وطالب وبين كل منهم واخيه عشر سنين

قال واصفوه وهو فى تمام الرجولة انه كان — رضى الله عنه — رَبْعة أميل الى القصر واللحية طويلها ، ثقيل العينين فى دعج وسعة حسن الوجه واضح البشاشة ، أغيد كأنما عنقه ابريق فضة ، عريض المنكبين لها مشاش (رأس العظم) كمشاش السبع الضارى لا يتبين عضده من ساعده قد ادمجت ادماجا وكان أبجر (كبير البطن) يميل الى السمنة فى غير افراط ، ضخم عضلة الساق دقيق مستدقها ، ضخم عضلة الذراع دقيق مستدقها ، شثن الكفين ، يتكفأ فى مشيته على نحو يقارب مشية النبى (صلى الله عليه وسلم) .

وتدل صفاته على قوة جسدية بالغة فى المكانة والصلابة على العوارض والآفات .

واشتهر عنه أنه لم يصارع أحداً إلا صرعه ولم يبارز أحداً الا قتله .

ومن حكمه رضى الله عنه :

— لا تقل مالا تعلم ، بل لا تقل كل ما تعلم .

— كل وعاء يضيق بما جعل فيه الا وعاء العلم فانه يتسع .

— دليل عقل المرء قوله ، ودليل اصله فعله .

— راع أباك يرعاك ابنك .

حافظ أبو بكر اسماعيل — السودان



كلمات عصرية

- فى السوق اليوم أجهزة كثيرة لتوفير الوقت الى حد أن الانسان يضطر للعمل طول حياته لدفع ثمنها !
- كن مبتهجاً حتى العاشرة صباحا .. وسوف يتكفل بقية اليوم بنفسه !
- تبدو ضآلتنا فى الكون عندما تبرز النجوم فى السماء !
- ان كل ما رأيته يعلمنى أن أثق فى أن الخالق صنع كل ما لم أره !
- إن الخطيئة بالصمت فى الوقت الذى ينبغى فيه الاحتجاج .. تجعل الناس جبناء !
- لقد قطع التصنيع الآلى شوطا بعيداً جداً إلى حد أنهم أصدروا أخيراً كتابا للعقول الألكترونية عنوانه « كيف تفهم الناس » !

محمود خليفة محمود
القاهرة — ج . م . ع

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك نصف سنة .

القارىء : فرات رشدى عبد الغنى / الدوحة قطر .

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة .

القارىء : مسلم حسن بطمان / سوريا .

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة .

القارىء : خليل حسن فخر الدين / لبنان .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

الاسم	البلد
١ — احمد فوزى الجعيدانى	سوريا
٢ — آمال انور علي مشالى	مصر
٣ — واصف صبحى البيطار	السعودية
٤ — احمد عارف الفانى	لبنان
٥ — صالح رشدى يونس	الاردن
٦ — عبد الحليم ابراهيم آدم	السودان
٧ — زين العابدين اكريم	المغرب
٨ — فاطمة شلبى عبده خشبه	مصر
٩ — خضر فوزى عوض المصلح	السعودية
١٠ — طه احمد عبد الله	السودان

استراحة الدوحة العدد ٨٩

الامارات . الفائز : عبد الوهاب مشهور احمد : البحرين .

٥ — لعبة الظلال .. الحل : رقم (٣) . الفائز : عبد الرحمن سعيد الزبيدى / اليمن الشمالى . الفائز : ماجد عز الدين صالح / السودان .

٦ — يخلق من الشبه أربعين .. الحل : رقم (٤) . الفائز : عبد الله محمد بدوى / مصر الفائز : منال سعد سالم محمد / اليمن الديمقراطية .

٧ — هات اجمل تعليق . التعليق : الميه مقطوعة يا افندى .. !! التعليق : عفواً بعد قليل نواصل الارسال . الفائز : صلاح الدين التكريتى — قطر. الفائز : اسماعيل محمود صالح — السودان .



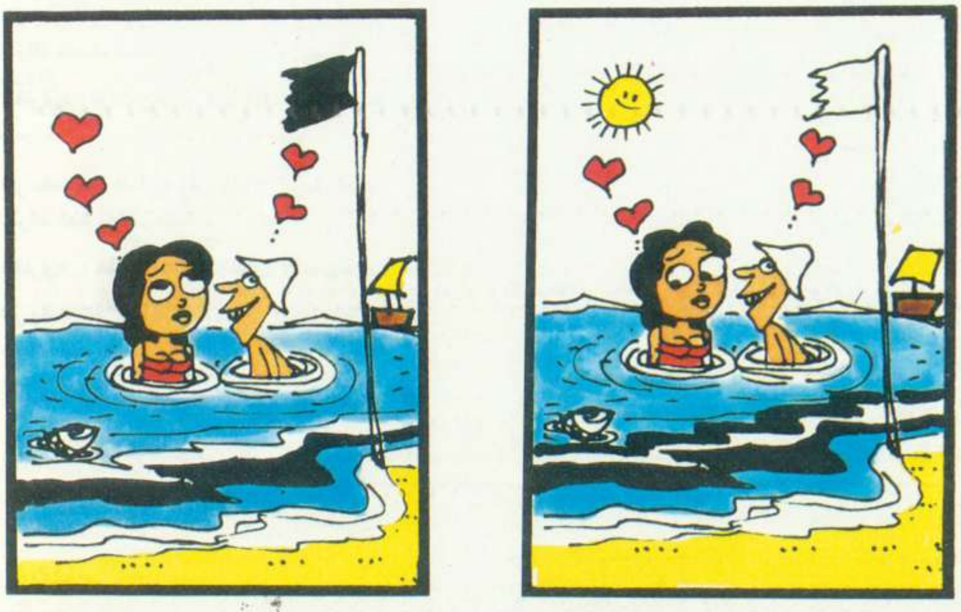
استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رؤوف

الجائزة لكل فائز فى هذه المسابقة ستون ريالا قطريا

أصل وصورة



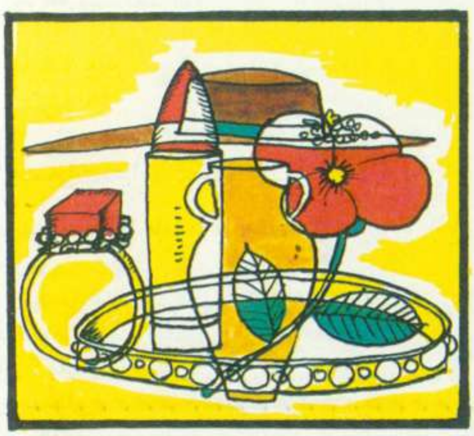
● بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيري .. هناك سبعة اختلافات طفيفة .. هل تستطيع التعرف عليها .. ؟

المثل يقول



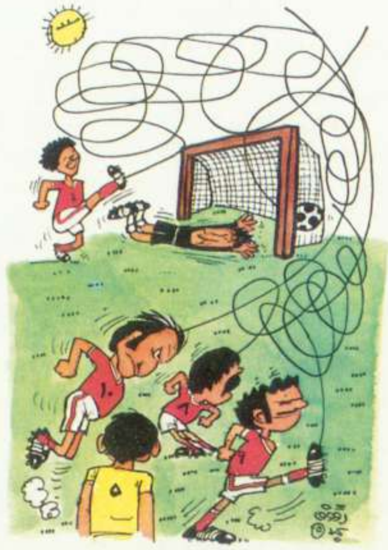
● إن هذا الرسم الكاريكاتيري يعبر عنه مثل شعبي عربي .. هل عرفته .. ؟

لأقوياء الملاحظة فقط!



● أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ إذا عرفت الحل أرسله الينا لتحصل على جائزة ..

دوري الكاريكاتير



● كانت أول بطولة لكرة القدم فى عام ١٨٧١ وهى بطولة كأس انجلترا ، وكان مقترحها هو «تشارلز الكوك» سكرتير اتحاد الكرة الانجليزى .. ومن يومها انتشرت اللعبة ليقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب ويسجل هدفاً قوياً فى مرمى الخصم ، ولو استطعت أن تحدد من هو صاحب الهدف ورقم فانلته فستحصل على جائزة

هات أجمل تعليق :



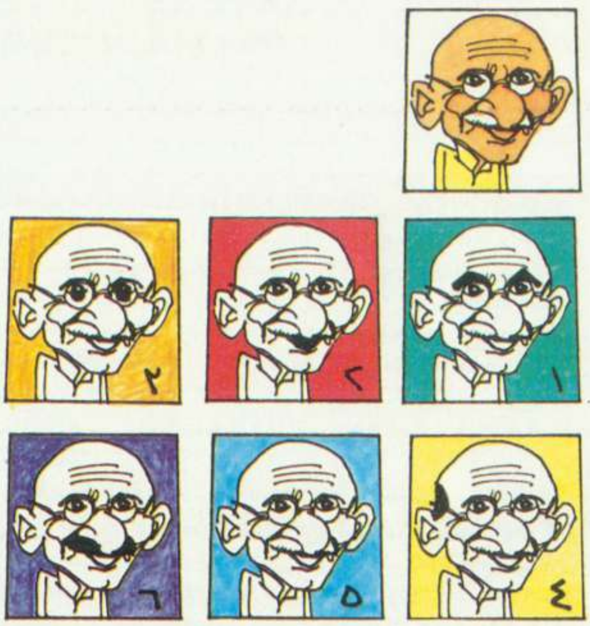
● قبل أن تجد تعليقاً خفيف الظل على هذا الكاريكاتير وترسله الينا لتحصل على جائزة ، نحب أن نقول لك ان فن الكاريكاتير فى الحضارة القديمة لم يعرفه البابليون ، ولكن بالتأكيد عرفته مصر القديمة وبلاد الاغريق ثم الرومان ، وانتشر فى القرن الثامن عشر فى كل أنحاء العالم خاصة فى أعمال الفنان الاسبانى جويا .

لعبة الظلال



● هل تستطيع أن تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقي ؟ .. إذا عرفت .. ارسل الحل الينا

يخلق من الشبه أربعين



الصور الست المنشورة لستة أشخاص يشبهون الزعيم الهندى المهاتما غاندى ، الذى اتبع سياسة التوازن بين العقل والقوة ، واغتيل فى يناير عام ١٩٤٨ بعد شهور قليلة من حصول الهند على الاستقلال .. ومن بين هذه الصور صورة تشبهه تماماً ، فهل يمكنك التعرف عليها ؟

شيء من التواضع

بقلم: عبد الله الشيتي

لا ريب ان « التواضع يرفع راس الانسان والتكبر يخفضه » ومن عجب انك تصطدم او تصدم ـ بضم التاء ـ باناس متكبرين مستكبرين على عباد الله ، كان واحدهم من طينة غير طينة البشر ، أو ان الله سبحانه لم يخلق سواه ، وشعار تعامله مع من هم حوله (يا ارض اشتدى ، ما حدا قدى) . والمغرور ، المتكبر المتجبر ، اشبه بذلك الديك الذى يعتقد ان الشمس لا تشرق الا لكي تسمع صياحه ..

وما اجمله من مثل ـ بين التكبر والتواضع ـ تعطيه لنا السنبلة الملآى بحبات القمح ، فاذا بها محنية الراس مثقلة بالخير والشبع ، فى حين تجد سنبلة القمح الفارغة ، منتصبة الراس ، مغترة بنفسها ، خادعة مخدوعة ..

لقد ضرب لنا ، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) أروع الأمثلة على تواضعه ورقة شمائله فها هو (صلى الله عليه وسلم) ، يقول لمن حوله ، مجسداً حقيقة التواضع الكريم « ما انا الا ابن امراة كانت تاكل القديد فى مكة » . وكان صلوات الله وسلامه عليه ، كما تنبئنا سيرته الشريفة ، دائم الدعوة الى الخير والتواضع والاحسان والبر ووصل الأرحام . والله سبحانه يقول فى محكم آياته البينات « لو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » . ويصف الكتاب الكريم نبي الاسلام العظيم بقوله تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) .

والخليفة العادل عمر بن الخطاب ، ما أعظم تواضعه واكثر شواهده على ذلك ، فمن حسن اصغائه الى محدثيه مهما كان شانهم ، الى تواضعه الجم حين وصل بيت المقدس وهو الذى ـ كان عليه الذور ـ في قيادة الراحلة وفوقها خادمه ، حيث كانا يتناوبان ركوب البعير . بحيث أذهل ذلك قساوسة ورهبان بيت المقدس ، ناهيك برفضه الصلاة فى كنيسة القيامة مخافة ان يقام في ذلك الموضع مسجد ، تقديراً منه لحرمة تلك الكنيسة واحترام عقيدة اهلها . ثم نراه وهو يحمل بنفسه السميد والسمن والحبوب الى بيت تلك المراة الفقيرة حين وقف على امرها وهى تطهو الحجارة لشدة فقرها لتسكت اطفالها المنتحبين من شدة الجوع فلم تقر له عين ولم يهدأ له بال حتى طهى لهم الطعام واخذ يطعمهم بيده الكريمة حتى ناموا هانئين . وامير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وقد اطلق عليه بعض المؤرخين لشدة عدله وعطفه وزهده وامانته الخليفة الخامس ، هو صاحب المقولة الشهيرة : ـ «قمت وانا عمر بن عبد العزيز وعدت وانا عمر بن عبد العزيز» ، يوم انطفأ السراج فقام اليه واشعله فقال من كان حوله : لم لم تكفنا مؤونة ذلك لنقوم نحن بمعالجة سراج النور . فاجاب رضي الله عنه : وما في ذاك ، قمت وانا عمر بن عبد العزيز وعدت وانا عمر بن عبد العزيز . وهل ننسى ان نسينا ذلك الموقف الرائع للامام علي بن أبي طالب حين كناه الخليفة العادل عمر بن الخطاب دون خصمه « اليهودى » حين اراد ان يقضي بينهما ، فى مسالة ، وخاطبه بـ « ابي الحسن » فاكد الامام علي رضي الله عنه ، انه فى الاحتكام امام عمر سواء بسواء . كان ذلك الموقف نابعاً من الحديث الشريف « لا فضل لعربى على اعجمي الا بالتقوى » .

كثيرة هى الأمثلة والحادثات التى تروى فى هذا الصدد ..

وكثيرة هى الأمثلة فى عصرنا الراهن ، حيث نسمع ونرى عن تواضع العديد من الملوك والامراء والرؤساء مع مواطنيهم ومن يلوذ بهم ، ضاربين أروع الأمثلة على الايثار والنبل ، فما يدوم الا وجه الله سبحانه والعمل الصالح والصيت الحسن ..

فما بال بعض الناس ـ وهم كثرة للاسف ـ يتصرفون على نحو منفر حين تراهم مغرورين ، متكبرين متعجرفين ، يحادثك واحدهم بالشوكة والسكين من فوق انفه كانه يتفضل عليك بذلك ، وقد يعرض عن مصافحتك او ملاطفتك او حتى رد التحية بمثلها ان لم يكن باحسن منها .. انها عقد نفسية ذميمة ينبغي العلاج منها . وان الانسان الحقيقي ذلك الذى يكون فى سلوكه الاجتماعي مع الناس من حوله وامامه محباً للناس ومحبوباً منهم. فان اتعس الناس طرا ، فى الحياة ، من لا يكون محباً ولا محبوبا ..

وبعد ، من تواضع لله رفعه ..



إرو عَطشَـــــكَ مَـــع

تيم



الــــرَّدَّة "عــــودة الغواصـــين" للفنـان القطـري : عــــلي الشريــف

العدد ٩٢ - شوال ١٤٠٣هـ - أغسطس ١٩٨٣م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية



● ظاهرة غير مألوفة في الفكر الصهيوني

●● أكبر لغز عرفته السينما العالمية

●●● لأول مرّة في اللغة العربية:

عشر قصائد لأكبر شاعر يوناني معاصر

آثار عربيّة تسرق المتاحف الأوروبيّة


بيبسي
إجعَل نهارك عيد مَـع
بيبسي

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٩١ - رمضان ١٤٠٣هـ - يولية ١٩٨٣م

المراسلات :

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تيلكس : - 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
مدير التحرير : ٤٢١١٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٦٠ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٦٦ ريالا قطريا
باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها .
فى باقي دول العالم ٧٢ ريالا قطريا .
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٢٥ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٣٢ ريالا قطريا
فى باقي دول العالم ١٤٠ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر : ٥ ريالات
البحرين ٣٠٠ فلس
الامارات العربية ٥ دراهم
عمان ٢٥٠ بيسة
الكويت ٣٠٠ فلس
السعودية ٥ ريالات
الجمهورية اليمنية ٣٠٠ فلس
اليمن الديمقراطية ٣٠٠ فلس
العراق ٣٠٠ فلس
المملكة الأردنية ٢٥٠ فلسا
سوريا ٢٥٠ قرشا
لبنان ٢٥٠ قرشا
مصر ٢٠٠ مليم
ليبيا ٤٠٠ درهم
السودان ٢٥٠ مليما
تونس ٤٠٠ مليم
الجزائر ٤ دنانير
المغرب ٤ دراهم

باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

● السودان
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب/٣٥ - الخرطوم

● مصر
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء - القاهرة

● سوريا
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكة - تجاه ثانوية فايز منصور
ص . ب ٤٩٠٢ - دمشق

● العراق
الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة
ص . ب ٦٢٤ - بغداد

● ليبيا
المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازى : ص . ب ٣٢١ - بنغازى

● الاردن
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب ٣٧٥ - عمان

● البحرين
دار الغد
١ شارع المعارف - بناية الدرازى
ص . ب ٥٠٥ - المنامة

● سلطنة عمان
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر
ص ب ١٠١١ - مطرح
مسقط

● تونس
الشركة التونسية للتوزيع
٥ شارع قرطاج
ص . ب ٤٤٠ - تونس

● السعودية
مؤسسة الجريسى للتوزيع والاعلان
ص ب ١٤٠٥ - الرياض
مكتبة ومطبعة ضياء - المدينة المنورة

● الكويت
شركة دار الكويت للصحافة
ص . ب ٢٣٩١٥ - الصفاة
الكويت

● لبنان
الشركة العربية للتوزيع
ص . ب ٤٢٢٨ - بيروت

● الجمهورية العربية اليمنية
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء

● جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية
مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع
ص . ب ٤٢٢٧ - المحافظة الاولى
عدن

● الامارات العربية المتحدة
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام - عمارة ثاني بن محمد
ص . ب ٧٩١ - ابو ظبي

● المغرب
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ص . ب ٦٨٣ - الدار البيضاء
MAROC :
SOCHEPRESS
B. P. No 683
CASABLANCA.

● الجزائر
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر
ALGERIE
S. N. E. D.
20 RUE DU LIBERTE
ALGER.

● جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
● الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي وزارة الإعلام أو رأي المجلة
● المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

طبعت بمطابع علي بن علي **Ali Bin Ali Printing Press - Doha**

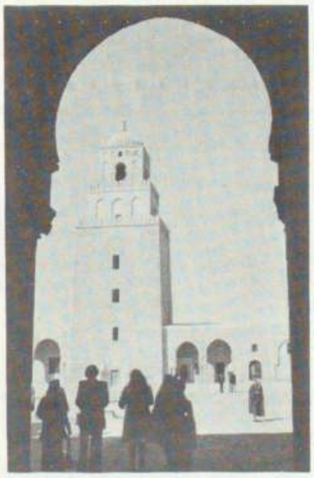
في هـــــــذا العـــــــدد



آثار عربية ..
تسرقها المتاحف الاوروبية ! ص ٥٢



بطل عربى فى ذكراه المئوية ..
الأمير عبد القادر الجزائرى _ ص ٧٠



القيروان .. مدينة عاشت ازهى
عصور الاسلام _ ص ٨٣

● دراسات ومقالات ●

● القيم الكبرى فى التراث العربى الاسلامي ......
عبد الله عبد الدايم ٦
● من المحرقة النووية إلى العملاق الثالث ....
د . محمد جابر الأنصارى ١٢
● أول احتفال أدبى من نوعه فى العالم ....
ماهر البطوطى ١٥
● العروبة بين وهم الثروة وتحدى المستقبل .....
إلياس سحاب ١٨
● خواطر تسر الخاطر ....
زكريا تامر ٢٠
● من تاريخ سيناء : سلّام خضر ابو فاضل ....
درويش مصطفى الفار ٢٢
● كنوز من المعرفة الاسلامية فى بلغاريا ....
وجيـه الشربجي ٢٤
● إرييه الياف : ظاهرة غير مالوفـــة فى الأدب الصهيوني ....
عصام شريح ٣٢
● منجزات العلم ونتاج الأدب والفن ....
نعمان عاشور ٣٥
● أمل دنقل : سيف فى الصدر .. جدار فى الظهر
قاسم حداد ٤٢
● فلسفة الالوان وآثارها فى حياتنا ....
د . عز الدين فراج ٥٠
● مشكلة تبحث عن حل :
آثار عربية تسرقها المتاحف الاوروبية ! ....
سمير صبحي ٥٢
● أول تجربة علمية من نوعها فى التاريخ : ....
كيف يسيطر الانسان على ثورة البركان ؟ ......
مجدى نصيف ٥٨
● أسرار فى عالم البحار :
أسماك سامة وأسماك لها أربعة عيون ! ....
ميساء ناجى ٦٤
● بطل عربى فى ذكراه المئوية :
الأمير عبد القادر الجزائرى ....
نديم خشفة ٧٠
● القيروان : مدينة عاشت ازهى عصور الاسلام ..
فوزى الخميس ٨٣
● النساجون الأوائل بين الحقيقة والأسطورة ...
د . عبد المحسن صالح ٩٢
● الثروات المدفونة فى أعماق المحيطات ....
محمد مروان جميل مراد ١٠٠

● شئون الخليج ●

● تنمية القوى العاملة فى الدول الخليجية ....
رسالة جامعية أعدها : ابراهيم الشيخ دره
عرض ومناقشة : د . عادل غنيم ٧٦
● قضايا خليجية : أزمة توزيع الكتاب الخليجي _ سوبرمان فى الخليج ....
عبد القادر عقيل ٩٩
● الطريق الصحيح امام فنانى البحرين ....
محمد علي عبد الله ١١٢
● أول مجموعة قصصية لكاتب سعودى يلفت النظر :
أبعاد الموت على الماء ....
حسين حمودة ١١٦
● الاعلام الخليجى فى ظل التعاون المشترك :
من أجل معلومات أكثر عن دول المنطقة ....
خالد زيارة ١٢٢

● أدب وفنون ●

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٩١ - رمضان ١٤٠٣هـ - يولية ١٩٨٣م

المراسلات :

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تيلكس : 4521 MAGDO DH -
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
مدير التحرير : ٤٢١١٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٦٠ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٦٦ ريالا قطريا
باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها .
في باقي دول العالم ٧٢ ريالا قطريا .
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٢٥ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٣٢ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ١٤٠ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشأنها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر	٥ ريالات
البحرين	٣٠٠ فلس
الامارات العربية	٥ دراهم
عمان	٢٥٠ بيسة
الكويت	٣٠٠ فلس
السعودية	٥ ريالات
الجمهورية اليمنية	٣٠٠ فلس
اليمن الديمقراطية	٣٠٠ فلس
العراق	٣٠٠ فلس
المملكة الأردنية	٢٥٠ فلسا
سوريا	٢٥٠ قرشا
لبنان	٢٥٠ قرشا
مصر	٢٠٠ مليم
ليبيا	٤٠٠ درهم
السودان	٢٥٠ مليما
تونس	٤٠٠ مليم
الجزائر	٤ دنانير
المغرب	٤ دراهم

باقي دول العالم : ما يعادل دولارين امريكيين

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

● **السودان**
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم

● **مصر**
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء - القاهرة

● **سوريا**
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكة - تجاه ثانوية فايز منصور
ص . ب ٤٩٠٢ - دمشق

● **العراق**
الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة
ص . ب ٦٢٤ - بغداد

● **ليبيا**
المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازى : ص . ب ٣٢١ - بنغازى

● **الاردن**
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب ٣٧٥ - عمان

● **البحرين**
دار الغد
١ شارع المعارف - بناية الدرازى
ص . ب ٥٠٥ - المنامة

● **سلطنة عمان**
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر
ص ب ١٠١١ - مطرح
مسقط

● **تونس**
الشركة التونسية للتوزيع
٥ شارع قرطاج
ص . ب ٤٤٠ - تونس

● **السعودية**
مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان
ص ب ١٤٠٥ - الرياض
مكتبة ومطبعة ضياء - المدينة المنورة

● **الكويت**
شركة دار الكويت للصحافة
ص . ب ٢٣٩١٥ - الصفاة
الكويت

● **لبنان**
الشركة العربية للتوزيع
ص . ب ٤٢٢٨ - بيروت

● **الجمهورية العربية اليمنية**
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء

● **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية**
مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع
ص . ب ٤٢٢٧ - المحافظة الاولى
عدن

● **الامارات العربية المتحدة**
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام - عمارة ثاني بن محمد
ص . ب ٧٩١ - ابو ظبي

● **المغرب**
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ص . ب ٦٨٣ - الدار البيضاء
MAROC :
SOCHEPRESS
B. P. No 683
CASABLANCA.

● **الجزائر**
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر
ALGERIE
S. N. E. D.
20 RUE DU LIBERTE
ALGER.

● جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
● الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي وزارة الإعلام أو رأي المجلة
● المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

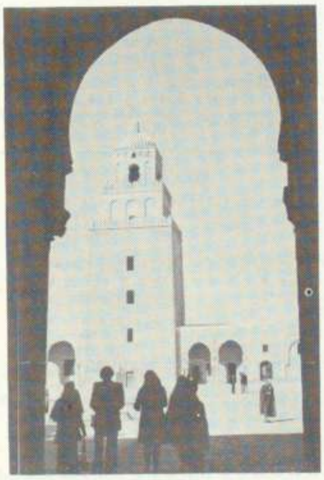
في هـــــــــذا العـــــــــدد



آثار عربية ..
تسرقها المتاحف الأوروبية ! ص ٥٢



بطل عربى فى ذكراه المئوية ..
الامير عبد القادر الجزائرى ـ ص ٧٠



القيروان .. مدينة عاشت ازهى
عصور الاسلام ـ ص ٨٣

● دراسات ومقالات ●

● القيم الكبرى فى التراث العربى الاسلامي ......
عبد الله عبد الدايم ٦
● من المحرقة النووية إلى العملاق الثالث ....
د . محمد جابر الانصارى ١٢
● أول احتفال ادبى من نوعه فى العالم ....
ماهر البطوطى ١٥
● العروبة بين وهم الثروة وتحدى المستقبل .....
إلياس سحاب ١٨
● خواطر تسر الخاطر ....
زكريا تامر ٢٠
● من تاريخ سيناء : سلّام خضر ابو فاضل ....
درويش مصطفى الفار ٢٢
● كنوز من المعرفة الاسلامية فى بلغاريا ....
وجيـه الشربجي ٢٤
● إرييه الياف : ظاهرة غير مالوفـــة فى الأدب الصهيوني ....
عصام شريح ٣٢
● منجزات العلم ونتاج الادب والفن ....
نعمان عاشور ٣٥
● أمل دنقل : سيف فى الصدر .. جدار فى الظهر
قاسم حداد ٤٢
● فلسفة الألوان وآثارها فى حياتنا ....
د . عز الدين فراج ٥٠
● مشكلة تبحث عن حل :
آثار عربية تسرقها المتاحف الأوروبية ! ....
سمير صبحي ٥٢
● أول تجربة علمية من نوعها فى التاريخ : ....
كيف يسيطر الانسان على ثورة البركان ؟ ......
مجدى نصيف ٥٨
● أسرار فى عالم البحار :
أسماك سامة وأسماك لها أربعة عيون ! ....
ميساء ناجى ٦٤
● بطل عربى فى ذكراه المئوية :
الأمير عبد القادر الجزائرى ....
نديم خشفة ٧٠
● القيروان : مدينة عاشت أزهى عصور الاسلام ...
فوزى الخميس ٨٣
● النساجون الأوائل بين الحقيقة والأسطورة ....
د . عبد المحسن صالح ٩٢
● الثروات المدفونة فى أعماق المحيطات ....
محمد مروان جميل مراد ١٠٠

● شئون الخليج ●

● تنمية القوى العاملة فى الدول الخليجية ....
رسالة جامعية أعدها : ابراهيم الشيخ دره
عرض ومناقشة : د . عادل غنيم ٧٦
● قضايا خليجية : ازمة توزيع الكتاب الخليجي ـ سوبرمان فى الخليج ....
عبد القادر عقيل ٩٩
● الطريق الصحيح أمام فنانى البحرين ....
محمد علي عبد الله ١١٢
● أول مجموعة قصصية لكاتب سعودى يلفت النظر :
أبعاد الموت على الماء ....
حسين حمودة ١١٦
● الاعلام الخليجى فى ظل التعاون المشترك :
من اجل معلومات أكثر عن دول المنطقة ....
خالد زيارة ١٢٢

● أدب وفنون ●

● لأول مرة فى اللغة العربية : عشر قصائد لأكبر شاعر يوناني معاصر ....
ترجمها عن اليونانية : د . نعيم عطية ٢٧
● مشاغل النورس الصغير « قصيدة » ....
علي الشرقاوى ٣٨
● بنفسجة الختام « قصيدة » ....
حسن طلب ٤٧
● الحصار « قصة » ....
كلثم جبر ٤٨
● امرأة تنتظر عربة الشمس « قصة » ....
نهى سمارة ٦٨
● حنين « قصيدة » ....
بدوى السيد راضى ٧٥
● سمفونية الينابيع والطقوس الأولى «قصيدة»
محيى الدين فارس ١٠٦
● اكبر لغز عرفته السينما العالمية : المخلوق الكونى العجيب الذى يكسب خمسة ملايين دولار فى اليوم !
مجدى نصيف ١٠٨
● احلام العجب ود حامد « قصة » ....
علي حمدى ابراهيم ١٢٠
● رسالة مهرجان كان السينمائى : عندما يتحول التاريخ إلى زخارف لتجميل قصة حب !
رءوف توفيق ١٣٢
● إلى قبرة « قصيدة » ....
شعر : برسى بيشى شيلى
ترجمة : عامر محمد بحيرى ١٣٨

● أبواب ●

● دائرة المعارف القرآنية : العدل ....
د . محمد البهي ٣٠
● لقطات من الكون المثير ٨٨
● من روائع الفن العالمى : الفنان المتمرد بين الافتعال والانفعال ....
جمال قطب ٩٠
● قف : هل تعلم ؟ ....
عبد العزيز السيد المصرى ١١٥
● أوراق خضراء :
ـ حفلة أدبية ....
احمد حسن الزيات ١٢٥
ـ السرقات الأدبية ....
ابراهيم عبد القادر المازنى ١٢٦
● العلم والمستقبل ....
تقديم : لبنى الريدى ١٣٠
● دوحة القراء ١٤٠
● مسابقة الدوحة ١٤٢
● استراحة الدوحة ١٤٤
● الورقة الأخيرة : بضاعة أم إبداع ؟
ديزى الأمير ١٤٦

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

القيم الكبرى
في التراث العربي الإسلامي

بقلم: الدكتور عبد الله عبد الدائم

يظهر هذا الشهر عن دار الآداب اللبنانية كتاب جديد للكاتب العربى الكبير الدكتور عبد الله عبد الدائم عنوانه « فى سبيل ثقافة عربية ذاتية » ، وقد تناول الكاتب فى كتابه الهام كثيراً من القضايا الرئيسية التى تشغل الفكر العربى فى المرحلة الراهنة ، ومن بين أهم فصول الكتاب هذا الفصل الذى تنشره الدوحة عن « القيم الرئيسية فى التراث العربى الاسلامى » ، وفى هذا الفصل يتعرض الكاتب بالشرح العميق والتحليل الدقيق لأمهات القيم فى التراث العربى والاسلامى :

١ ـ المسؤولية الفردية :

لعل من أهم قيم التراث ، على نحو ما أكدتها مبادىء الدين . أن كل فرد فى المجتمع مسؤول مسؤولية مباشرة عن أعماله . ولعل هذه السمة من اشد ما يميز التراث العربى الاسلامى . إنه مسؤول مباشرة عن نفسه وعن سلوكها القويم وعن ردها عن الخطأ والضلال ، وإنه مسؤول كذلك عن غيره وعن نصحه وإرشاده ورده إلى طريق الصواب . إن عليه أن يأمر نفسه وغيره بالمعروف وينهى نفسه وغيره عن المنكر . وأياً كانت السلطة القانونية القائمة والتشريعات الوضعية الموضوعة ، لا تسقط مسؤوليته الفردية . وليس هنالك فى التراث الاسلامى فصل بين الالزام القانونى والواجب الخلقي . والأخلاق داخلية نابعة من إرادة الفرد ، وليست خارجية مفروضة من المجتمع . وفى هذا يكمن فارق أساسى بين ما نجده من أخلاق لدى جمهرة الغربيين وما نجده من أخلاق لدى أبناء الثقافة العربية الاسلامية . فالأمانة فى المعاملات والصدق فى البيع والتجارة وسواهما لا يدفع إليهما عند الغربى عامة إيمانه الداخلى الذاتى بهما ، بل يدفع إليهما غالباً انهما أكثر نجعاً وفعالية من الناحية الاقتصادية . بينما العكس هو الصحيح لدى المتمسكين حقاً بالتراث العربى الاسلامى . وما يصدق على التجارة والاقتصاد يصدق على سائر الميادين . ومرد هذا إلى كبرياء وإباء وسمو فى النفس الانسانية ، برزت لدى العربى منذ الجاهلية كما سنرى ، وقوى الاسلام شوكتها .

ولا شك أن عدم وجود « كهنوت » فى الاسلام ، اي وسيط بين الخلق والحق كما يقول المتصوفة ، عزز هذه المسؤولية الفردية ، فالمحكمة هى محكمة الضمير ، والغفران ينبع من التكفير عن الذنب والمحاسبة الذاتية والتوبة الذاتية . والشعار ههنا يذكر ببيت زهير بن ابي سلمى :

> ومهما تكن عند امرىء من خليقة
> وإن خالها تخفى على الناس تُعلم

إن احترام الذات للذات هو الأصل ، وهذا معنى إنسانى عميق . والانسان يظل متهماً تجاه نفسه عن ذنب أو جرم اقترفه ، ولو برأه القضاء أو عفا عنه المجتمع . وفى

اعتقادنا أن هذا المبدأ يكون نظرية فى الأخلاق تبزّ أى نظرية أخرى قدمها الفلاسفة .

٢ ــ التضامن الاجتماعي ومحاربة الأنانيـــــة :

ويكمل هذا المبدأ مبدأ آخر هام يغنيه ويمنحه معنى جديداً ، نعني مبدأ التكافل الاجتماعى والمسؤولية عن الآخرين ونبذ الأنانية . فالسلوك الأخلاقى للفرد ذو قاعدة اجتماعة شاملة ، وليس مجرد علاقة بين فرد وفرد . إن الفرد لا يحمل عبئه وحده ، بل يحمل أعباء المجتمع كله ، وعليه أن يقدم له العون كما عليه أن يدله على الطريق القويم . ولا يقتصر هذا على تقديم العون للفقراء والمرضى والجهلة ، بل يتجاوز ذلك إلى العمل الاجتماعى المشترك لبناء مجتمع سليم متكافل متضامن . بل إن الاسلام فرض نفقات معينة على الموسرين لأقربائهم المحتاجين من آباء وأبناء وإخوة وأعمام واخوال وسائر ذوي الأرحام ، وتشمل هذه النفقة المأكل والملبس والمسكن والتعليم والتزويج والقيام بالخدمة أو تكليف من يقوم بها بالأجر لخدمة العاجز منهم والمريض . ولا ننسى أن من الأوقاف الخيرية التى كانت ذائعة ما ينفق على عمارة المساجد والزوايا والمدارس والمقابر وعلى إصلاح الطرقات العامة والجسور والقناطر ، بل كان منها ما ينفق على الفنادق للمسافرين والرباطات للمجاهدين ، وما يعطى من قرض حسن للتجار ، وما يعطى من معونة للعميان والمقعدين ومشوهى الحرب ، ولايواء اليتامى واللقطاء ولتزويج العزاب ، بل حتى لتطبيب الحيوان . ومن المعروف أن وقف المرج الأخضر بدمشق كان وقفاً للحيوانـــــات المريضةالعاجزة تظل ترعى فيه حتى تموت بل كان هنالك فى دمشق وقف من جران الماء لسقاية الكلاب . وأطرف من هـــــذا وقف « نقطة الحليب » وقد وقفه فى قلعة دمشق صلاح الدين الأيوبى لامداد الأمهات بالحليب والسكر لتغذية أطفالهن ، فكان فى أحد أبواب القلعة ميزان يسيل منه الحليب وميزان آخر بجواره يسيل منه ماء مذاب بالسكر .

ونحن حين نورد هذه الأمثلة المحدودة ــ وغيرها كثير ــ لا نعني بذلك أن مثل هذه النماذج التطبيقية لمبدأ التكافل الاجتماعى هى أفضل النماذج الممكنة ، ولا نعنى خاصة أن علينا اليوم أن نتمسك بصيغها الحرفية ، بل نعنى قيمة المبدأ الثاوي وراءها والذى يمكن أن يتخذ تطبيقه ألف شكل وشكل تبعاً لتطور الظروف وتغير الأحوال .

على أن أهم ما فى هذا المبدأ فى نظرنا ، وفى نظر التراث فيما نعتقد ، معنـــــاه الاجتماعى الانسانى قبل معناه الاقتصادى إن أسمى ما فيه هو هذه الروح الغيرية التى يؤكدها التراث ، والتى تخلق بين أبناء المجتمع جواً من «الحرارة الانسانية» و « الدفء الاجتماعى » والرعاية المتبادلة . ومثل هذه الحرارةالانسانية الاجتماعية هو ما تفتقده المجتمعات الحديثة اليوم ، ولاسيما المجتمعات الغربية . فما تئن منه هذه المجتمعات ذلك الشعور بالعزلة الفردية ، ذلك الصقيع الانسانى الذى يغشى حياة افرادها ، فلا تواصل ولا تراحم ولا تعاطف ، بل سعى فردى منهم لارواء الشهوات والمنافع الفردية ولو على حساب الآخرين . والمتأمل لحياة الفرد الغربى يدرك إدراكاً عميقاً أن الحضارة الحديثة ، وقد يسرت له أرقى أشكال الرفاهية ، لم تجعله أكثر سعادة واغتناء نفسياً ، بل عرضته إلى ما لا حد له من أشكال الضياع النفسي والأمراض النفسية والتساؤلات المصيرية ، نتيجة لشعوره خاصة بأنه ملقى فى هذا الكون وحده ، بلا عون أو سند ، يعانى مما يصفه بعض الوجوديين الألمان من واقع يجعله مرمياً فى هذا العالم (فكرة الـ (geworvenheit) كما يرمى بالحجر فى لجة الماء ، يبحث عمن يأنس إليه فلا يجد ، وينشد العطف فلا يلقى ، وقد يبلغ به الأمر أن يلتمس فى معاشرة الحيوان بديلا عن عقوق الانسان للانسان ، حتى يصدق عليه قول الشاعر :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى
وصـــــوّت إنســــان فكدت أطـــير

هذا إذا لم نذهب إلى أبعد من ذلك لنقول إن مجتمع الاستهلاك وما لحق به من تنافس خطير على الثروة والغنى ، خلق صراعاً حيوانياً بين الأمم وبين الأفراد ، وجعل من الانسان بحق ذئباً على أخيه الانسان ، على حـــــد تعبير « هــــوبس Hobbs » .

ويتخذ مفهوم التضامن الاجتماعى فى التراث أشكالا كثيرة لا حاجة إلى تعدادها ويمتد أحيانا ليشمل حق الملكية وحدوده الاجتماعية ، إذ جعل التراث من كثير من أنواع الملكية حقاً للدولة ، أى للمجتمع بكامله . ويتجلى هذا خاصة فيما سمـــى « بالركاز » ، وهو ما ركز فى الأرض من الثروات المعدنية وسواها . إذ وقع اتفاق الفقهاء على أن هذه الثروات والكنوز الأرضية لا تسلم لواجدها ، بل يكون جزؤها أو كلها للتكافل الاجتماعى العام . كذلك يتجلى هذا فى موقف التراث مما يسمى بأراضى الحمى التى اعتبرت أيضاً ضرباً من الوقف العام ، على نحو ما فعل عمر بن الخطاب حين اعتبر أراضى السواد فى العراق فيئاً عاماً لمصلحة الأمة كلها ويصدق هذا أيضاً على الغنائم وقسمتها العادلة ، إذ تقسم خمسة اخماس ، أربعة أخماس منها تعطى للغانمين ، والخمس الباقى يقسمه القائد بين أهل الخمس المذكورين فى الآية الكريمة « واعلموا أن ما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربي واليتامى والمساكين وابن السبيل » . ومعنى هذا أن الغنيمة ينال خيرها أيضاً غير المقاتلين من محرومين وذوي حاجة . ويؤكد هذا كله الحديث الشريف : « الناس شركاء فى ثلاث : المـــاء والكلأ والنار » .

ومن الجدير بالملاحظة ، كمــــا يبين « غارودي » فى محاضرة له حديثة (١) ، أن حقوق الانسان فى الغرب ، كما تبدو فى « إعلان حقوق الانسان والمواطن » الذى صدر أيام الثورة الفرنسية وكما تبدو فى اعلان حقوق الانسان الأمريكى وفى سواهما ــ لا تعدو أن تكون إعلانا لحقوق المالكين . فحرية الانسان فى مجتمع مكون من قوى غير متعادلة ، هى فى خاتمة المطاف ، « حرية الثعلب الحر فى أن يسطو على دواجن حرة » . أما المفهوم الاسلامى للحق فهو ، كما يقول ، النقيض لهــــــذا والنقيض لما نجده فى الحقوق الرومانية . فالحرية فيه لا تعرف ، كما تعرف فى الشريعة الرومانية والرأسمالية عامة ، بأنها حق الانتفاع واستغلال الانتفاع . وإدارة الأملاك فى الاسلام ، فيما يقول أيضاً ، وظيفة اجتماعية . والانتفاع بالملكية خاضع دوماً لغايات تتجاوز الفرد ومصلحته الخاصة .

ونعود فنقول إن المهم فى هذا كله هـــو المبدأ ، مبدأ التكافل الاجتماعى . وانطلاقاً من هذا المبدأ يمكن تصور الصيغ المختلفة لهذا التكافل فى ضوء تطور الزمن وتباين الظروف . وباب الاجتهاد فى هذا مفتوح على مصراعيه . كذلك نقول مرة أخرى إن البعد الانسانى لهذا المبدأ أهم من بعده الاقتصادى التنظيمي . وهذا البعد الانسانى ينبغى أن يكون حاضراً فى الذهن عند توليد أى صيغة محدثة للتكـــــافل الاجتماعى ، بحيث لا يفقد هذا التكافل معناه الأساسي ، معنى التعاضد والتآزر ،

القيم الكبرى

في التراث العربي الإسلامي

وبحيث لا نولد صيغاً زائفة قد تؤدى إلى مزيد من الاحتراب والصراع بين طبقات المجتمع . والرائد فى هذا كله قول الرسول الكريم « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » والآية الكريمة : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » . وقد عبر الرسول عن هذا المعنى أروع تعبير حين قال : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . الامام راع ومسؤول عن رعيته . والرجل راع ومسؤول عن رعيته . والمراة راعية ومسؤولة عن رعيتها . والخادم راع ومسؤول عن رعيته . وكلكم راع ومسؤول عن رعيته » . ولعل التجربة اليابانية تهدينا أيضاً فى هذا السبيل ، حيث قام نظام اقتصادى قومى ، ينطلق من الارادة المشتركة للمواطنين ومن التعاون بين العمال وأرباب العمل ، والتجربة السويدية أيضاً جديرة بالتامل فى هذا المجال .

٣ الحرية :

وما دمنا قد أشرنا إلى الحرية ، فى معرض حديثنا عن الحقوق وطابعها الاجتماعى فى التراث ، لنتوقف عند هذا المبدأ الهام من مبادىء التراث . وكلنا يعلم أن هنالك جدلا طويلا ومصطنعا أحيانا ، أيامنا هذه ، بين القائلين بتغليب الحقوق الفردية – أى الحرية الفردية – على الحقوق العامة أو على حقوق الشعوب كما يقال (أى الحرية الاجتماعية) وبين المنادين بعكس ذلك . والخوض فى هذا الجدل يذهب بنا بعيداً . وما يعنينا ههنا أن فى التراث موازنة سليمة بين الحرية الفردية والحقوق الفردية من جانب وبين الحرية الاجتماعية وحقوق الشعب من جانب آخر . وقد أشرنا فى الفقرة السابقة إلى أهمية الحقوق الاجتماعية العامة ، أى الحرية الاجتماعية أو الديمقراطية الاجتماعية فى التراث . غير أن التراث يؤكد فى الوقت نفسه مبدأ الحرية الفردية والديمقراطية الفردية ، بمعنى أنه لا يقبل باخضاع الناس لعبودية جديدة باسم تحريرهم من العبودية الاقتصادية . إنه لا يقبل أن يحل استعباد الرجال مكان استعباد المال ، ولا يرضى أن نكون امام « قرني الاحراج » كما يقول المناطقة أو امام اختيارين احلاهما مر .

إن تحرير الانسان من الاستغلال الاقتصادى والاجتماعى مبدأ واضح الح عليه التراث كما رأينا . غير أنه فى الوقت نفسه نادى بقوة وعمق بحرية الانسان الشخصية بابعادها المختلفة : حرية الرأى والعقيدة والعمل والتفكير والتعبير وسوى ذلك ، مما يتضمنه مفهوم الديمقراطية السياسية اليوم .

والأمثلة على هذا كثيرة نجتزىء ببعضها :

لقد جعل الدين الاسلامى العدوان على حياة فرد عدواناً على كل انسان حي ، وفى القرآن الكريم « أن من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكانما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكانما أحيا الناس جميعاً » . وقدس الحياة وضمن الوجود الجسدي للفرد HABEA CORPUS (كما يقال) ، والكرامة اللازمة لكل انسان . حتى أنه حرم على الانسان أن يلقى بنفسه إلى التهلكة والفناء .

وأكد التراث حرية الفكر وحق كل فرد فى النقد والارشاد . وكلنا يعلم مثال المراة التى خاطبت عمر بن الخطاب يوم تحدث عن المهور وعدم المغالاة فيها ، ورد عمر عليها بقولته الشهيرة : « أصابت امراة وأخطا عمر » . وكلنا يذكر الآية الكريمة « ولا يضار كاتب وشهيد » التى يمكن أن تحمل معنى أوسع من معناها الظاهر فتشمل حرية التعبير . بل كلنا يذكر ذلك الموقف الشهير للأحنف بن قيس حين جمع معاوية الناس ليضمن البيعة لابنه يزيد قائلا : هذا أميركم (واشار إلى نفسه) فان مات فهذا (وأشار إلى ابنه) ومن لم يشا فهذا (وأشار إلى السيف) ، وحين خاطب الاحنف متحدياً : ما رايك يا احنف ؟ فاجاب : يا أمير المؤمنين نخافك إن صدقنا ونخاف الله إن كذبنا » . ومن أقوال الرسول الكريم الرائعة : « إذا لم يبق فى الامة من يقول للظالم يا ظالم فقد تودِّع منها » . وفوق هذا وذاك ، يعج التراث عبر مسيرته الطويلة بالأمثلة التى تشهد على انتشار حرية الرأى والفكر ، والتى أدت إلى ظهور فكر متنوع حي ، وإلى معالجة المسائل الدينية نفسها من زوايا مختلفة ، أدت إلى ظهور علماء الكلام والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية والفلاسفة وسواهم .

ويلخص هذا كله قول عمر بن الخطاب الشهير : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » . ألم يفضل الرسول الكريم نفسه « رأى الشيخ » على « جلد الغلام » ؟ ألم يرجع الرسول عن رأيه وياخذ برأي أصحابه فى أمر الحرب ؟ كذلك ضمن التراث حرية العقيدة ، فأكد القرآن الكريم أن « لا إكراه فى الدين » (٢) ، وأمر بالدعوة إلى الحق عن طريق الحوار والمجادلة : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » . وقد سبق أن ذكرنا أن قتال الأمم الأخرى أو أبناء الديانات الأخرى لم يفرضه القرآن إلا فى حال رد الاعتداء والمعتدين : « فان اعتزلوكم ولم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » . وإن نذكر ما ورد فى تاريخ الدولة العربية الاسلامية من تضامن بين المسلمين وسواهم من أبناء الديانات الأخرى الذين عاشوا فى تلك الدولة . لقد كان بعض الخلفاء يحضرون المواكب الدينية لهؤلاء وأعيادهم ويأمرون بصيانتها بل كانت الدولة تامر فى حال انقطاع المطر باقامة مواكب يسير فيها النصارى وعلى رأسهم الأسقف ، واليهود ومنهم النافخون فى الأبواق . ومما يثير عجب مثل « متز Metz » « كثرة العمال والمتصرفين غير المسلمين فى الدولة الاسلامية . إذ كان النصارى هم الذين يحكمون المسلمين فى بلاد الاسلام . والشكوى من تحكيم أهل الذمة فى أبشار المسلمين وأموالهم شكوى قديمة » (٣) .

٤ – الشورى

ولا يكتمل مفهوم الحرية فى التراث إلا إذا أشرنا إلى مبدأ آخر متمم له هو مبدأ الشورى . وفى تقرير هذا المبدأ خطا التراث خطوات إنسانية جديدة لم تكن معروفة فى التشريعات التى سبقته . وهو يعنى بايجاز الالزام باخذ رأي الجميع فى أى شأن من شؤون الأمة دون تمييز بين أقلية أو أكثرية ثم وجوب العمل بالرأى الذى ظهر رجحانه بعد التمحيص . وقد ضرب الرسول مثالا حياً لهذا المعنى فى أول دولة أسسها « دولة يثرب » عندما وضع « الصحيفة » الدستورية باقرار الجميع . ولقد عدد فى صدر تلك الصحيفة طوائف المؤمنين باسمائها طائفة طائفة حتى بلغت تسع طوائف . ونذكر عابرين أن مما جاء فى تلك الصحيفة

ان « من تبعنا من اليهود فان لهم النصر والمساواة بالمسلمين غير مظلومين ولا متناصر عليهم » ، وعدد فيها طوائف اليهود التسع مع من تبعهم من حلفاء وقال : «إنهم مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، إلا من ظلم فانه لا يهلك إلا نفسه وأهل بيته » .

وقد حاول بعضهم أن يضيق معنى الشورى فى التراث ، فرأى أنه ينصرف إلى « رأى أهل الحل والعقد » ولا يتضمن بالتالى حكم الشعب بالشعب . وهذا تفسير خاطىء يرجع الى ما تم بعد وفاة الرسول يوم بيعة أبي بكر ، وما تم يوم بيعة عمر . وكلنا يعلم أن ما تم لم يكن يعدو اجتهاداً أملته الضرورة وأملاه الواقع إذ ذاك . وسنعود إلى هذا عند الحديث عن الامام والخلافة ونظام الحكم فى الاسلام .

وأياً كان الأمر ، فمسالة « من يمثل الشعب » وعن أى طريق تتم الشورى ، مسالة خاضعة للاجتهاد ، وخاضعة لتطور الظروف . وما يمكن أن يؤخذ به اليوم من صيغ لابد أن يكون مباينا للصيغ التى وجدت عبر التراث . والشىء الهام أن المبدأ واضح لا غموض فيه ، نعنى أن مشاورة الشعب فى شؤون حياته واجبة لازمة ، سواء أخذنا بالديمقراطية المباشرة ، أو بمبدأ التمثيل ، على أن يكون سليماً ، أو بأى صيغة أخرى . أما تزييف الشورى فشأنه معروف ، وهو شنشنة عرفناها عن الحكام فى مختلف العصور ، بما فى ذلك عصور التاريخ العربى الاسلامى . والحلال هنا بيِّن والحرام بيِّن ، لولا دعاوى القوم والغلواء ، ولولا مصالح الأفراد والحكام .

ولا يقتصر مبدأ الشورى فى التراث على الأمور المتعلقة بالحكم وسن التشريعات ، بل يتجاوز هذا إلى معنى أسمى وأوسع ، هو الشورى التى يقوم بها الأفراد بعضهم مع بعض فى أمور حياتهم ، سواء اتصل ذلك بعلاقة الرؤساء مع المرؤوسين أو باخذ الرأى والنصح فى القرارات الفردية أو سوى ذلك . وفى هذا تأكيد جديد لمعنى التضامن والتعاون الاجتماعى . وكل فرد مدعو إلى أن يشاور سواه فى حياته اليومية ، فى الأسرة والعمل وسواهما : فالزوج يشاور زوجته ، وحتى لو صح الحديث « شاوروهن وخالفوهن » ــ وهو فى ما نعلم غير صحيح ــ فانه يوصى بالمشاورة ولو أدت إلى المخالفة . والأب يشاور ولده ، والعكس صحيح ، والعالم يشاور المتعلم ، ورب العمل يشاور العمال ، الخ .. بحيث يتحقق ما يشبه مبدأ « المشاركة » الذى تنادي به الاتجاهات الحديثة فى الادارة والعمل والتربية وسائر المجالات . إن المجتمع كما رسمه مبدأ الشورى مجتمع مفتوح تتصل قنواته وتتاخذ ، وتسري فيه تيارات الفكر والرأى متعانقة متكاملة ، ويخصب ويمرع من خلال الحوار وتبادل التجارب ، ولا يستهان فيه برأى أو جهد مهما تكن منزلة صاحبه ، ولا يغني فيه إنسان عن إنسان ، ولا ينفرد فيه بالقرار أي مسؤول ، مهما تكن مواهبه وقدراته . وهل من احترام للانسان ، أياً كان أعمق من هذا الاحترام ؟

إن المجتمع الأصم ، المجتمع الذى توصد فيه الأبواب دون الرأى والمشورة ، هو المجتمع العقيم المجدب الذى يدعو مبدأ الشورى إلى إنكاره . وإن الغرور ، غرور صاحب الرأى برأيه ، ذلك الغرور الذى ينزع صمامات الأمان اللازمة لحياة المجتمع ، هو الذى يدعو إلى مجانبته . وقد قالوا قديماً : إذا ترك العالم قول لا أدرى أصيبت مقاتله . وقالوا أيضاً : يظل المرء عالماً ما طلب العلم فاذا ظن انه علم فقد جهل . وجاء فى الآية الكريمة : « وفوق كل ذي علم عليم » .

٥ ــ العدالة والمساواة :

بدهي بعد كل ما قلنا أن يكون من معالم التراث البارزة القول بالعدل والمساواة بين أفراد المجتمع بل بين البشر جميعاً ، لا فرق بين سيد ومسود ، ولا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ، بل « الناس سواسية كأسنان المشط » و « كلكم لآدم وآدم من تراب » . ولا تمايز بين الأفراد فى تطبيق العدالة : « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » « ألا إن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه ، وأقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له » . ومن هنا فان مبدأ المساواة والعدل يشمل مبدأ الحماية من التعسف : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب » . وليس من الصحيح القول إن فى الدين الاسلامى ما يبقى على التمييز بين الطبقات الاجتماعية ، فهذا فهم خاطىء لروح الدين وآيات القرآن ومثلها أحكام السنة ، ينبغي ألا تفهم إلا من خلال الروح العامة والاتجاهات الكبرى التى تسود سواها وتهب معناها لما قد يبدو مباينة لها ومخالفة . فروح الدين الاسلامى روح مساواة بين فئات المجتمع ما فى ذلك شك . وما ورد فى القرآن مما يوهم تفضيل بعض الناس على بعض جاء فى سياق خاص يتصل بالرزق والمعاش : « أهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » . فالشطر الثاني من الآية مفسر لشطرها الاول ، ولا يعني بالتالى الرفعة فى المنزلة والحقوق ، بل يعنى تقرير حقيقة واقعة وهى أن أرزاق الناس متباينة . غير أن تقرير هذه الحقيقة ينبغى أن ننظر إليه نظرة متكاملة مع دعوة الاسلام إلى التخفيف من الفروق الاقتصادية القائمة ، ومحاربته للغنى الفاحش ، وللاستغلال الاقتصادي لفئة على فئة . ولتحريمه لكل مال يكسبه الانسان بلا جهد ومعاناة . ومن هنا حرم الربا ومنع الاحتكار (لا يحتكر إلا خاطىء) وكبح الغلو فى كنز المال وتبذيره فى الشهوات والملذات . ألم يرد فى القرآن : « إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها » ؟ والاهلاك هنا مجازي بمعنى التردى الاقتصادى والاجتماعى . ألم يرد فيه أيضاً : « وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها » ؟ أوليس فى هذا تعبير عن أزمة نجدها فى المجتمعات الحديثة التى تشكو من عبادة «النمو الاقتصادى» وحده ، ومن آفات مجتمعات الاستهلاك والترف (البطر) ؟ ألم يبين ابن خلدون فى مقدمته أن من عوامل زوال الأمم انشغال الجيل الثالث بالترف والبذخ ؟

وفوق هذا وذاك دعت تعاليم الاسلام المختلفة ــ كما سبق أن بينا ــ إلى جعل الملكية وظيفة اجتماعية ، ووضعت أحكاماً لرفع مستوى الفقراء وتوزيع الملكية (الزكاة ــ الارث ــ الركاز ــ تاميم بعض المرافق العامة ، الخ ..) . وهل ننسى قولة علي بن أبي طالب الشهيرة : « إن فى أموال الأغنياء حقوق الفقراء ، وما جاع فقير إلا بما متع به غني ، والله سائلهم يوم القيامة عن ذلك » ؟

ان ما ذكره بعض المستشرقين والمفكرين من أن الاسلام نظام « أوليغارشي » يقوم على سلطة أصحاب المال ، مرده إلى بعض التطبيقات السيئة التى تمت عبر تاريخ الدولة العربية الاسلامية . وهذا المبدأ ، مبدأ العدل والمساواة . شأنه فى ذلك شأن مبدأ الشورى ، معروض بطبيعته للتحريف والتزييف ، بسبب رغبات الحكام ومنازعهم وضغوط أصحاب الأموال .ولولا ذلك ، فالروح التي يوصي بها التراث واضحة لا تقبل التاويل . إنها جزء لا يتجزأ من روح التراث الشاملة ، التي لم تؤكد شيئاً تاكيداً لاحترام الانسان والمساواة بين البشر

القيم الكبرى

في التراث العربي الإسلامي

والعدالة الاجتماعية ومحاربة العبودية للمال ولاصحابه . وههنا مرة اخرى نلمس كيف ان فهم التراث كان تابعاً في الاغلب لاتجاهات المفسرين وما يريدون الدفاع عنه لاسباب طارئة سياسية غالباً ، ولم ينبع من فهم نقي له مخلص لأهدافه الحقيقية . ومن هنا لعب في بعض الاحيان دور المعطل للتقدم ، المنافح عن الأوضاع القائمة ، المحافظ على بنية المجتمع كما يريدها اصحاب السلطان او الجاه ، المولد لعين النظام الاجتماعي الذي وجد فيه . لقد كان بوجيز العبارة في بعض الاحيان ضرباً من الجهد « لاعادة توليد النظام القائم » . وهكذا تناسل النظام القائم احيانا تناسلا مرضياً ، ضخم العاهات الموروثة ، ويسر السبيل لانتشار جرائيم الموت والفناء . وهكذا ندرك على نحو اوضح معنى ما ذكرناه منذ البداية ، حين قلنا كرة بعد كرة إن فهم التراث وتجديده شرطان للابقاء على قيمته وحيويته .

٦ ـ تقديس العلم :

مبدا تقديس العلم قيمة إنسانية كبرى اولاها التراث مكانة خاصة ، كثيراً ما اهملت ايامنا هذه او افقر معناها .وقد كان طبيعيا أن يقدس التراث العلم ما دام يحرص على مكانة الانسان على الأرض وعلى تسخيره للطبيعة وجعلها في خدمته وبهذا يتوقف اكثر من سواه من الديانات الكبرى عند هذه الصفة الحميمة اللاصقة بجوهر الانسان كانسان ، ويدعو إلى

استكناه أسرار الطبيعة والاستلقاء في احضانها باحثاً منقباً مبدعاً . والطبيعة فيه ليست ، كما كانت في العصور الوسطى الأوروبية ، وادياً للدموع ومسرحاً للخطيئة ، بل هي مخلوقة للتاثير فيها وتطويعها لارادة الانسان وسعادته .

والشواهد التي تشهد على تقديس التراث للعلم والعلماء اكثر من أن تحصى : « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات » . وفي الحديث « من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك به طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم » . وفيه « لَمَوْتُ قبيلة ايسر من موت عالم » .وفيه : « لا خير فيمن كان من امتي ليس بعلم ولا متعلم » . ومن اقوال الاحنف : « كل عز لم يؤيد بعلم فالى ذل يصير » . ومن اقوال الزبير ابن ابي بكر :« كتب لي ابي بالعراق : عليك بالعلم فانك إن افتقرت كان لك مالا ، وان استغنيت كان لك جمالا » . ومن اقوال بعض العلماء : « ليت شعري اي شيء ادرك من فاته العلم ، واي شيء فاته من ادرك العلم » .

ومن الأوهام التقليدية الشائعة الظن بان المقصود بالعلم في التراث العلم الديني . وهذا مثال آخر على التفسيرات الخاطئة للتراث ، المنطلقة من الادراك المتخلف له . فالعلم المقصود في اصول التراث مطلق كل الاطلاق .وقد اشار بعض اهل البيان الى ان التنوين الوارد فى نهاية الآية الكريمة : « وقل رب زدني علما » يوحي بالاستغراق والشمول ويشير الى اي علم . ويتاكد هذا المعنى الشامل إذا ربطنا ما جاء من آيات واحداث عن اهمية العلم بما جاء من نصوص اخرى حول التفكر « في خلق السموات والارض » ، وحول السير والنظر في الطبيعة والكون ، وحول العقل والتدبر والتفكر ، بل حول النظر في النفس الانسانية واستكناه اسرارها .

ومن هنا عرفت الحضارة العربية الاسلامية ذلك التطور العلمي الكبير ، في شتى ميادين المعرفة ، وظهر كبار العلماء في العلوم كلها ، وقامت « المعجزة العربية» كما يدعوها « فانتيجو » ، معجزة نقل العقل من الدوران حول ذاته ، كما عند اليونان ، الى الدوران حول الطبيعة والأشياء واستقرائها ومشاهدتها والتجريب عليها . ومن هنا خاصة ، ظهرت بذور البحث العلمي التجريبي الحديث لدى العرب وانتقلت عن طريقهم الى الغرب ، مولدة الحضارة العلمية التكنولوجية التى نشهد ونرى .

على أن السمة المميزة للحضارة العربية كما سبق أن ذكرنا ، انها اقامت توازنا بين الدراسات العلمية التجريبية وبين الدراسات الانسانية الشاملة ، وادركت ان اي حضارة معرضة للافول والتردي إن لم تجمع بين قطبين متكاملين : العلم والتكنولوجيا من جانب ، والدراسات والقيم المتصلة بالانسان والمجتمع والاخلاق من جانب آخر .

على ان من واجبنا ان نقول ههنا إن التراث في هذا المجال ، مجال العلم والدراسات العلمية والتجريبية ، ينبغي ان يكون مجرد حافز على معاودة ما انقطع ، وعلى الانطلاق في تجربة علمية جديدة في اطار العصر . ومن عجب ان ما نفعله اليوم لنبين دور العرب في نشاة العلم الغربي الحديث اكبر مما نفعل من اجل بناء تجربة علمية ذاتية حديثة . وكان التغني بهذا الماضي العلمي يعفينا من مسؤولية البرهنة من جديد على اننا قادرون على إستئناف المسيرة وتجديدها .

كذلك مما ينبغي التنبيه إليه في هذا المجال خطا المحاولات التي تجرب ان تجد في القران الكريم ما يشهد على الارهاص بالمكتشفات العلمية الحديثة اليوم ، معتمدة غالباً على مشابهات لفظية بسيطة في إثبات دعواها . فالقران ليس كتاباً في علم الطبيعة او علم الفضاء . وهدفه الاساسي هدف اخلاقي إرشادي . وكثيراً ما يخيل إلى دعاة هذا الاتجاه ان تجديد فهم التراث يعني مثل هذه المحاولات للربط بين نصوص الدين وبين ما جاء به العلم الحديث ، بل لعل بعضهم يحسب ان هذا من دلائل إعجاز القران ، اما نحن فنرى في مثل هذا جهدا عقيما لا يحسن الى التراث إن لم يسيء إلى مقاصده الأصلية ، ويصرف الأنظار عن المعنى الحقيقي لتجديد التراث . افتكون مهمتنا الحقة ، إخلاصا منا للتراث ، ان ننتظر الكشف العلمي لنقول بعد ذلك إن النصوص الدينية ارهصت به ، أم ان مهمتنا قبل ذلك ان نخلص للتراث وقيمه العلمية بان نكتشف نحن ونبدع ، وبان يكون لنا في بناء العلم شان ونصيب ؟

كذلك من واجبنا ان ننبه في مقابل ذلك إلى بعض التفسيرات التقليدية لنصوص القران التي تحاول ان تجد فيه ما ينافي بعض الحقائق العلمية ، من مثل كروية الارض ، انطلاقا من الآيات التي لا تعدو ان تصف ظاهر ما يبدو لنا من الأرض حين تقول : « والله جعل لكم الأرض بساطا » او حين تقول « والأرض مددناها والقينا فيها رواسي » . او من مثل نفي إمكان الصعود إلى القمر والكواكب انطلاقا من الآيات الكريمة « وجعلنا السماء سقفا محفوظا » . ومما اثار إعجابنا فعلا ما كتبه الدكتور صبحي الصالح في كتابه الحديث عن «الاسلام ومستقبل الحضارة» (٤) مبينا اتفاق الصياغة القرانية والنصوص الدينية مع نظرية « داروين » عن اصل الانواع ، مؤيداً ذلك بحجج واضحة .

على أن التراث لا يكتفي بتقديس العلم

بل يوصي ببذله للآخرين ويرى في التعليم شرطاً لقيام العالم بواجباته . وفي الحديث : « من كتم علماً يجيده ألجمه الله بلجام من نار » وإنفاق العلم في التراث واجب كانفاق المال . غير ان المال ، ككل شيء ، ينقص بالانفاق ، اما العلم فبالانفاق يزكو ويزيد . وقد فصل الادب التربوي الذي ظهر في عصور النهضة العربية الاسلامية في اداب العالم والمتعلم ، كما فعل الزرنوجي والسبكي وابن عبد ربه والقابسي وسواهم .

٧ ـ تقديس العمل :

ليس التراث العربي الاسلامي تراث زهد وقعود وعزوف عن العمل والسعي وانقطاع للعبادة . إنه على العكس من ذلك يحض على العمل والسعي في طلب الرزق والصناعة والتجارة والانتاج جملة . وقد كان شعار الدين الاسلامي العمل للدنيا والآخرة ، وان « الخلق كلهم عيال الله فاحبهم إليه انفعهم لعياله » . وقد ورد في الحديث : « عمل ساعة خير من عبادة سبعين سنة » . وزجر عمر بن الخطاب ، كما نعلم ، المتعبد الذي وجده في المسجد وقت العمل . ومن اقوال علي بن ابي طالب : « لا يقعدن احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني ، وقد علم ان السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة » . وكلنا يعلم أن الرسول الكريم اشتغل بالتجارة قبل البعثة ، وان ابا بكر كان بائعاً للخز .

وندرك شان هذا المبدأ إذا نحن ذكرنا ما كان عليه العرب ـ وبعضهم ما يزال على ذلك حتى اليوم ـ من كره للمهنة وازدراء بحياة الحضر وحرفه . حتى لقد عير الفرزدق جريراً بانه قين (حداد) وابن قين :

هو القينُ وابن القينِ والقينُ جدُّه
ولا خيرَ في قينٍ تحدَّر من قَيْنِ

كما عيَّره قائلا :

إني بَنَى لي في المكارم أولي
ونفخت كيرك في الزمـــان الأوَّلِ

ومن الأمور الهامة التي في التراث ، تاكيداً لاهمية العمل والاشتغال بالصنائع المختلفة ، ما نجده لدى الفقهاء ، من مثل الامام الشاطبي الاندلسي فى كتــــابه « الموافقات » ، من ربط بين العمل وبين فرض الكفاية . فمن فرض الكفاية عنده وعندهم ان يوجد في كل بلد من يسد حاجة من المآكل والمشرب والملبس والصناعات المختلفة . وعند الشاطبي ان فرض الكفاية يقع في مثل هذه الاحوال على صـــاحب الاستعداد الأوفر للصناعة المطلوبة . ومن هنا يقدم بذور نظرية ملفتة للنظر في التوجيه التربوي والمهني كما نقول اليوم .

على ان التراث لا يدعو الفرد إلى العمل فحسب بل يدعوه ايضاً إلى إتقان ما يعمل وفي الحديث : « إن الله يحب إذا عمل احدكم عملا ان يتقنه » . ومن هنا كان الغش في العمل والانتاج محرماً : « ليس منا من غش » .

ومن الظواهر الهامة في التراث ان العمل والعلم مؤتلفان وان العلماء لم يكونوا ، الا فى العهــــود المتــــاخرة متفرغين للعـــلم ، بل كانـــوا يجمعون الى العلم عملا من صناعة او تجارة . ومثلهم الفقهاء . وهكذا كان ينطبق على المجتمع العربي الاسلامي الوصف الذي ظهر في التربية الحديثة ، وصف « المجتمع المتعلم والمعلم » ، فكل فرد فى المجتمع عامل ومتعلم ومعلم . وهذا يلتقي مع احدث الاتجاهات التربوية الحديثة ، لا سيما تلك التي تود ان تقيم تناوباً بين العمل والدراسة .

وغني عن البيان ان هذه القيمة التراثية نعني تقديس العمل ، احوج ما نحتاج اليه اليوم فى مجتمعنا العربي . ففي الوقت الذي تشتد فيه الحاجة فى وطننا إلى المهارات والخبرات الفنية ، نرى بقايا النزعات تحول دون إقبال الكثير من الطلاب على الدراسات الفنية المهنية وتجعلهم يعزفون عن العمل المنتج . وههنا ايضاً نلفى المعنى الصحيح لاحياء التراث ولتجديد التراث . فمجتمعنا الآن لا يعتبر المقصر فى العمل والانتاج مخالفاً لمبادىء الدين والتراث ، ولا يولي مثل هذا الأمر كبير شان .

تلك بعض القيم الانسانية الكبرى التي يحملها التراث والتي يمكن ان تكون فى صلب النموذج العربي الثقافي الجديد الذي نبحث عنه ونود بناءه . ولا ندعي اننا احطنا بقيم التراث جميعها ، فهي كثيرة ، وحسبنا ان خطونا خطوات في هذا الطريق . ولقد كان جل قصدنا ان نقدم امثلة حية لما نعنيه بدمج التراث في اطار الصيغة الثقافية الجديدة التي نعمل على توليدها ، وللدور الذي يمكن ان يكون للتراث بين المحاور الاربعة التي نرى ان يتحلق حولها بناء النموذج الثقافي العربي الجديد ، بل حسبنا ان بينا الفارق الكبير بين الفهم التقليدي الجامد للتراث وبين الفهم الحي له .

وقد يكون من اهم نتاج هذه المحاولة انها كشفت ان التعلق بالتراث يحمل اكثر من معنى ، وان فهم التراث يضم اكثر من اجتهاد ، وان كلمة تراث نفسها كلمة غامضة عامة تحتمل التاويل وتحتاج إلى جلاء ، ولعلنا جلونا بعض معالمها . افلا يحق لنا ان نقول : ايها التراث كم من جريمة ترتكب باسمك ؟ إن كلا يدعي وصلا بليلى . وليلى غدت بمثابة المشجب الذي يعلق عليه كل منا ثيابه . بل لعلها غدت سحابة حلوة نتفيأ بها من الهجير ، بدل ان تكون ديمة مهطالا تروي الأرض العطشى . هذا إذا لم تصبح احياناً جنية تلعب بنا وتلهو لتحول بيننا وبين ان نعمل ، او «شهر زاد » تقص علينا الف ليلة وليلة لتمنعنا من اتخاذ القرار الحاسم . لقد كاد التراث يضعنا خارج الزمن ، فلنضف الزمن إلى التراث ولنجعله في صلب العصر والاحداث .

د . عبد الله عبد الدائم

هـــــــوامـــــــش

(١) Roger Garaudy: La crise actuelle de l'Etat et l'Islam. (Colloque international sur la vision morale et politique de l'Islam. = UNESCO, Paris 7 – 10 decembre 1982.

(٢) وقد أوَّل الإمام الرازي في تفسيره الكبير هذه الآية تأويلاً جميلاً .

(٣) متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة ، ص ٦٧ .

(٤) الدكتور صبحي الصالح : الإسلام ومستقبل الحضارة . دار الشورى ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٣٤ – ٣٨ .

نحو فهم عربي للقوة الصفراء ٤

ترجمها عن الفرنسية: الدكتور محمد جابر الأنصاري

من المحرقة النووية إلى العملاق الثالث

هذه آخر محطاتنا مع هذه القراءات الفرنسية، ذات الطابع الخاص، فى الظاهرة اليابانية. وتتفرع هذه المحطة الأخيرة الى عدة إطلالات مختارة على جوانب معينة من الظاهرة اخترناها من كتاب المسيو روبير غيلان «اليابان: العملاق الثالث» لدلالاتها الحضارية البالغة، ولما يمكن أن تمدنا من إضاءات للقيام بمقارنتنا المنتظرة ـ فى عدد مقبل من الدوحة ـ بين التجربة اليابانية والتجارب العربية للوصول الى أسباب نجاح الأولى وتعثر الثانية.

فى الاطلالة الأولى لهذه المحطة نرى كيف نهضت اليابان من ركام المحرقة النووية وهى لا تملك شيئاً على الاطلاق إلا روحها الداخلية ومعدنها البشرى الصلب، وكيف وصلت من هنا الى العملاق الثالث بعد القوتين الأعظم ... مع الالماح الى مخاوف الغرب المتجددة تجاه اليابان.

أما الاطلالة الثانية فعبارة عن وقفة فى ميدان من ميادين طوكيو .. وقفة تختصر لنا بعض أسرار هذه الظاهرة الاستثنائية وانسانها الصلب.

ونصل أخيراً للاطلالة الثالثة بعنوان: «جنة المثقفين» لنرى مدى تهافت الصورة الشائعة عن اليابان كاخطبوط صناعى بلا ثقافة وفنون ... وليرى العرب المنشغلون باستهلاك المنتوجات اليابانية، أن هذا الانتاج وراءه شعب يحب القراءة ويعشق الثقافة والفنون، وهذا من أسرار عظمته ..

١ ـ الأعجوبة اليابانية الثانية: ١٩٤٥ ـ ١٩٨٣

«أغسطس (آب) ١٩٤٥: لم تكن هيروشيما وحدها التى محيت من فوق الأرض، فى المحرقة النووية. فلقد حول القصف الجوى الأمريكى الفظيع كلا من طوكيو، ويوكوهاما، أوساكا، وناجويا، وكوبى .. الخ، وغيرها من المدن الكبرى، بالاضافة الى مئات المدن الأخرى، الى حرائق ودمار.

واستسلمت اليابان وهى تتضور جوعاً: مصانعها متوقفة عن الحركة، ومحاربوها مهزومون ومهانون، وقد أصبحوا فى واقع الأمر رجالاً عاطلين عن العمل فى أسمال بالية.

بينما أعداؤها المنتصرون يتقدمون فوق ترابها الوطنى الذى أصبح ممرغاً محتلا من قوة أجنبية لأول مرة فى التاريخ.

وكان من الممكن ان تدفعها الهزيمة والبؤس والاحتلال الى حلقة جديدة من العنف والعداء والاستعدادات السرية للانتقام، والانجراف نحو الشيوعية. فالمسافة بين الدكتاتورية العسكرية والدكتاتورية الماركسية ليست بعيدة.

ولكن مكان ذلك كله، وفى مفاجأة مدهشة لمحتليها المنتصرين، تنعطف اليابان للقبول بكل ما حاربته بالأمس: الصداقة مع الولايات المتحدة، الديمقراطية، الانفتاح على الغرب، ونزع السلاح الشامل (١) .....

الا يمكن أن يكون ذلك مظهراً خادعاً لن يستمر طويلا؟ على الاطلاق. فالبلاد كلها

تحولت تحولا كاملا الى شىء مختلف . ففى اللحظات الكبرى الحاسمة من تاريخها لا تسير هذه البلاد سيراً تطورياً بل تنقلب انقلاباً كلياً .

وما نراه الآن يابان اخرى قد تحولت تحولا عميقاً بفعل الدرس الذى استوعبته جيداً من اخطائها وشقائها .

وهناك ثلاثة مؤشرات جديدة كبرى بالقياس للعهد العسكرى : روح مسالمة حقيقية وملموسة بعمق فى كل شىء ، تولدت من التجربة المرة .

وإعادة اكتشاف لمعنى الحرية التى سيزداد اليابانيون بها تمسكاً كلما ذاقوا المزيد من فضائلها مع استمرار مضيهم فى مسارهم التصحيحى بعد الحرب .

واخيراً : روح جديدة من التفاؤل تحملهم على الاعتقاد ، بعكس عقيـدتهم القديمة ، بأن أرخبيلهم الضيق قادر على إعاشة كل الملايين المتكاثرة فوقه .

ولكن لابد لنا من التساؤل رغم هذا كله : إذا كانت اليابان قد اتجهت للتوسع فى أسيا عندما كان سكانها لا يتجاوزون السبعين مليوناً ، الن يكون محتماً عليها أن تعود سيرتها الأولى وقد تجاوز تعدادها المائة مليون ؟

ولقد بدأت الاجابة على هذا السؤال تتبلور فى حدود الستينات . وهى تتخذ الصيغة التالية : إن الانفجار السكانى اليابانى مستمر ولكنه قد غير الاتجاه . إنه الآن يتجه الى داخل اليابان . ولقد بدأت بالفعل مغامرة توسع جديدة ، لكنها مسالمة وهى تحديداً : فيضان اليابان على ذاتها من الداخل .

أما أول نتائج ذلك فهذا التمازج المتفجر بين أرض ضيقة وكثافة سكانية متزايدة ، وهو تمازج يقذف بالطاقات اليابانية ضمن دائرة منفردة مغلقة . اى أن البلاد التى تعانى من هذا الانفجار اليابانى هى اليابان ذاتها . (وليس كما حدث من قبل عندما توسعت على حساب غيرها) .

وأما النتيجة الثانية فهى أن اليابانيين أصبحوا مضطرين لاستخدام وسائل تفجرية ، إن صح التعبير ، من اجل تسيير الأعمال . أى بعبارة أخرى تحتم عليهم بذل مزيد من الجهد العنيف والمتزايد . وهذا يتفق تماماً مع تقاليدهم . ذلك أن نزوعهم القوى للعمل والحركة قد عاد من جديد الى الظهور مع فارق بسيط : إختفاء العسكريين وحلول المهندسين محلهم فى واجهة المشهد .

إن زخم الحركة الذى امتازت به هذه البلاد ، واعطاها طابعها المميز ، لم تنطفىء شعلته على الاطلاق ، وهو مازال يعبر عن نفسه بمئات الملامح المتعددة والمتنوعة ، وخاصة فى الايقاع المذهل لحركة التصنيع والتحديث .

ولكن .. هذا «الهياج» الجديد الن يعرض بلاد الشمس المشرقة لأحداث جديدة ؟

الن يؤدى التقدم المتسارع بشدة الى «تسخين» الآلة الاقتصادية اليابانية أكثر مما يجب ، فتقع حوادث رهيبة ؟

وفى الخارج ، الن تـؤدى المنافسـة اليابانية الى بعث المخاوف القديمة لدى الآخرين والى إحياء اجراءات الحمـــاية والحواجز المضادة ؟ (٢) .

٢ ـ وقفة فى ميدان طوكيو .. تختصر الملحمة

لنتوقف فى ميدان من ميادين طوكيو ..

جموع الناس التى تفوق فى كثافتها أعداد المارة فى ميادينا (الفرنسية) تبدو نظيفة ، حسنة الهندام ، وقد تزيت بالزي الغربى .

وتحيط بها معالم مدينة حديثة بمعنى الكلمة من حيث إطارها العام ، وإيقاع حركتها ونظامها : من حركة سيارات الى شوارع فسيحة تحيط بها العمارات الضخمة الى حركة القطارات والمترو .. الخ

ولكن فى قلب هذا «الديكور» وفى صميم هذا المشهد يكمن تناقض هائل : تصوروا أن هذه الجموع الكثيفة من اليابانيين لا يدخل فى ملابسها «جرام» واحد من قطن يابانى ، ولا خيط واحد من صوف يابانى .

وكل هذه المعادن الداخلة فى تركيب السيارات والحافلات والقطارات والجسور تأتى بلا استثناء من بلاد بعيدة فى شكل مواد خـام . والوقود الذى تسير به هـذه العربات والآلات مستورد كله فى هيئة بترول خام .. حتى آخر قطرة منه !

والمطاط المستخدم فى صنع إطاراتها مستورد أيضاً من الخارج .

ومن المواد الأساسية التى تستوردها اليابان ، بالكامل ، من الخارج يتصدر : النيكل ، والقصدير ، والبوكسايت ، والفوسفات وعدد غير قليل من المنتوجات الأخرى .

ومن المواد التى تستوردها جزئياً لعدم توفر الاكتفاء الذاتى منها : فحم الكوك والرصاص ، والخشب ، والملح ، والبوتاس والزجاج .. هذا حتى لا نذكر جميع المواد الغذائية !

فاليابان لا يتوفر لديها بيسر كمواد خام أولية إلا الفحم الحجرى (بنوعية فقيرة) ومواد البناء ، والطاقة الكهربائية من مساقط المياه .

والمفارقة المعجزة هى فى القدرة على إحياء وإعاشة وتطوير مجتمع عصرى وصناعى بدرجة عالية جداً فى ظروف وإمكانات كهذه التى ذكرناها . وهى مفارقة تزيدنا دهشة وإعجاباً إذا القينا نظرة على موقع اليابان المنعزل فى خريطة العالم وادركنا مدى الضغط السكانى الذى تعانيه .

لو كان انشاء المراكز الصناعية الكبرى فى العالم يخضع للخيارات المنطقية من كان سيختار قط الجزر اليابانية ليقيم عليها أعظم المجمعات الصناعية فى كوكبنا ؟ من كان سيختار هذه البلاد الفقيرة ، البعيدة والمفصولة عن بقية العالم ببحار ومحيطات .. هذه الجزر الشبيهة بالجزر البريطانية نوعاً ما ... مع إمكانات افقر وبسكان أكثر ؟

ولكننا لن نفهم هذه البلاد ، إذا لم نفهم هذه المفارقة ، بل المفارقات ، وندرك انها تمثل تحديداً أقوى للحوافز المحركة للحيوية الاقتصادية فى اليابان .

وانا أميل الى الاعتقاد بأن كل فرد من تلك الجموع فى شوارع طوكيو الطويلة يدرك فى وعيه بشكل أو باخر مشكلة الاضطرار لاستيراد القطن الذى يدخل فى نسيج قميصه ، والحديد الذى صنعت به حافلة المترو التى يركبها .

فكل شىء فى حياته اليومية ، وفى الصحف والمجلات بطبيعة الحال ، يقول له بأن اليابان الجديدة ليس أمامها ، إذا

من المحرقة النووية إلى العملاق الثالث

أرادت الحياة ، غير خيار واحد : أن تصبح مصنع تحويل للمواد الأولية الى مواد مصنعة ، وفى الوقت ذاته أن تكون بيت تجارة هائل للاستيراد والتصدير .

تلك هى إذن فكرة اليابانيين الثابتة : بناء المصنع الضخم «يابان» .. وتسيير تجارته . ومازالت لديهم الطاقة والقدرة لعمل ذلك .

ومنذ سنين والاقتصاديون الغربيون يتساءلون عن أسباب النجاح اليابانى ويقدمون لذلك مختلف التفسيرات والشروح ذات الطابع المثير فى الاغلب ، فيما يتعلق بالاستثمارات والهيكلية الصناعية والكثافة السكانية واليد العاملة والرواتب .. الخ وساتحدث بدورى عن ذلك كله فى مكان اخر (من الكتاب) بقدرة اكثر تواضعا ، غير انى أرغب فى القول هنا بانى قد عشت هذه التجربة اليابانية الناجحة اكثر من تعرفى اليها فى كتب الاخصائيين التى اعتقد انها تهمل عاملا مهماً لانه يصعب تبيانه فى التحليلات الاحصائية ، وهو فى حقيقة الأمر العامل الأهم والتفسير الأول .. ذلك هو عامل الرجال ونوعية الانسان .

عامل الرجال .. اى اليابانيين انفسهم وتوجهاتهم وكيفية سلوكهم طاقاتهم .

لماذا نجحت اليابان ؟ بفضل اليابانيين .

لأن اليابانيين يشكلون شعباً مجداً بقوة، تحركه إرادة عنيدة نحو التقدم ، ويتملكه حب لكل ما هو جديد ، ويتمتع بقدرة على العمل الذى لا يعرف الكلل فى سبيل النجاح ، وبنظام وانضباط مدهش ، وفى بساطة متقشفة قل نظيرها اليوم فى الغرب .

وبلاشك فان دور المدراء الجدد للاقتصاد وطبيعتهم المقدامة ، وفلسفتهم فى التعامل، كل ذلك يمثل المظهر الأول من نوعية الانسان اليابانى واثره فى خلق اليابان الجديدة .

ولكن صانعى المعجزة اليابانية ليسوا قلة قليلة من الرؤساء ، وإنما اغلبية كبرى من المرؤوسين كذلك . إنهم ليسوا نخبة من القادة ، ولكنهم ايضاً قاعدة عريضة من الناس البسطاء العاديين .

إن النجاح اليابانى ، فى التحليل النهائى ، يجب أن ينسب الى تلك الاعداد الهائلة من العمال اليابانيين الذين يمتازون بما يتعدى المزايا والنواقص ، بحماسة فائقة للعمل المدهش .

فى جنة المثقفين : عامل المصعد يقرأ «الفردوس المفقود» لملتون

فى حقل التربية والثقافة العامة ، نحن أمام ظاهرة توفير واستثمار تربوى ثقافى من جانب المواطنين انفسهم ، وبمواردهم المحدودة ، بما يتجاوز جهد الدولة فى هذا المجال بكثير ..

ولا يمكن تفسير هذه الظاهرة بالرغبة فى الصعود الاجتماعى فحسب . إن التفسير يكمن فى رغبة اليابانيين المجردة الخالصة فى التعلم والترقى .

وكما يقول أفضل العارفين الأمريكيين بالشئون اليابانية ، واكبر سفير للولايات المتحدة فى اليابان منذ الجنرال ماك آرثر ، البروفيسور إدوين ريشوير : «فانه لا توجد فى اى بلد آخر على الأرجح الرغبة فى التعلم كما هو الأمر فى اليابان ولدى الشعب اليابانى نفسه،ويندر أن يوجد بلد فى العالم يمكن مقارنته باليابان فى هذا الشان» .

وعندما نعيش مع هذا الشعب ونحتك به ، فانا نلمس لديه ، بالاضافة الى الثقافة العامة والذوق الاجتماعى الرفيع ، الذى يندر مثيله فى الغرب ، توقاً فنياً وادبياً ونزوعاً الى الانفتاح على العالم ، ليس لدى الخاصة فحسب ، وإنما لدى عامة الناس كذلك .

فاليابان هى البلد الذى يجيد الجميع فيه تقريباً فن الرسم . وتجتذب المعارض الفنية أعداداً من الناس لا تكاد تصدق . وبامكانك أن تسمع من النوافذ المفتوحة هواة الموسيقى وهم يعزفون على البيانو والكمان ، وأن ترى الناس فى «المترو» وهم يقرؤون باعداد كبيرة ليس الصحف والمجلات فحسب وإنما الكتب ايضاً . وبامكان تلامذة الريف أن يقولوا لك بشطارة لاباس بها من هو بيكاسو ، وديكنز . واوبنهايمر ،وليونارد دافنشى ،وبرتراندرسل وجان بول سارتر !

وبامكانك أن تقابل بنفسك صبياً يعمل فى مصعد ويقرأ فى الوقت ذاته «الفردوس المفقود» لملتون ، وسائق تاكسى يهتم بلوحات ماتيس ، وضاربة على الآلة الكاتبة تقرأ ستاندال ، وابنة صياد فقير تتعلم الرقص الكلاسيكى اليابانى، وحطاباً فى الجبل يتابع موضوع «الحياد السويسرى» ، وابنة موظف صغير تعزف الكمان فى أوركسترا سيمفونية للأطفال وهى فى الحادية عشرة ، وميكانيكياً فى مصنع يعزف بيتهوفن على آلته الموسيقية ... هؤلاء اشخاص حقيقيون ووقائع حقيقية شهدتها وخبرتها شخصياً أثناء إقامتى فى اليابان ، ومن الصعب أن تجد حالات كثيرة تشبهها فى بلاد اخرى .

خاتمة

لعل هذه الاطلالات على أوجه التجربة اليابانية فى مختلف جوانبها فى هذه الحلقات الأربع التى قدمناها تباعاً على صفحات «الدوحة» توفر مادة جديدة ، ونظرات جديدة للمهتمين بدراسة التجارب العالمية الانسانية المعاصرة فى الشرق والغرب ـ وفى الشرق خاصة ـ للخروج بما يفيد معاناتنا الفكرية العربية الراهنة ، والهادفة الى الخروج من المازق الحضارى التاريخى الذى نجد أنفسنا فيه .

وعلى ضوء هذه القراءات تصبح المقارنة الفكرية بين تجارب الآخرين وتجاربنا اكثر إمكاناً واوضح رؤية .

وذلك جهد يتعدى اى اجتهاد فردى ويستدعى تضافراً فكرياً جماعياً من جانب عدد لا يستهان به من مثقفينا العرب .

د. محمد جابر الأنصارى

هوامش

١ ـ ستثبت السنوات الأخيرة من تاريخ اليابان . انها لم تقبل بذلك كله كخيار وطنى استراتيجي دائم وثابت ، وانما كتكتيك مرحلي متوسط المدى لاعادة بناء القوة الذاتية ، بلاقتصاد والتكنولوجيا ان لم يكن بالسياسة والسلاح . وهاهي الآن اكبر خطر اقتصادي يهدد امريكا والغرب . فضلا عن ان امريكا صارت محتاجة الى صناعتها العسكرية ، وهكذا الامم الحية ـ المترجم .

٢ ـ من الواضح ان الأسئلة التي يطرحها الباحث الفرنسي المحايد هنا تدل على ان الغرب لم يصدق بان اليابان قد تغيرت مرة واحدة والى الابد وانهم مازالوا يضعون فى حسابهم انبعاث اليابان الكامل ... وهذا ما تخطط له اليابان بالفعل ـ المترجم

أول احتفال أدبي من نوعه في العالم

بقلم: ماهر البطوطي

فى يوم ١٦ يونيو الماضى ، احتفلت الأوساط الأدبية والفنية بنيويورك بما أصبح يدعى « يوم بلوم » وهو أصلا يوم ١٦ يونيو عام ١٩٠٤ ، الذى تدور فيه أحداث – أو لا أحداث – رواية جيمس جويس الملحمية « عوليس » . وقد تم تدشين الاحتفال باسم « يوم بلوم فى برودواى » ، وبرودواى هو اسم المنطقة الشهيرة التى تقع فيها دور المسارح والسينما والفن فى المنطقة الغربية من نيويورك .

اما آل بلوم فهم ليون بلوم بطل الرواية وزوجته ماريون (موللى) بلوم ، ثم الشاب ستيفن ديدالوس الذى يصبح فى نهاية القصة الابن الروحى لبلوم . وشمل يوم الاحتفال عدة قراءات قام بها ممثلون مشهورون لأجزاء من الرواية العظيمة ، وبعض المسرحة لمقاطع منها ، وبعضاً آخر مصحوبا بالموسيقى والغناء كما اذاعت احدى محطات الراديو تسجيلا لقراءة من الرواية بدأ من الساعة الثامنة صباحاً واستمر ١٧ ساعة حيث انتهى فى الواحدة والنصف من صباح اليوم التالى من انتهاء المونولوج الداخلى الطويل لموللى بلوم وعشية ذلك اليوم ، اشهر يوم أدبى فى التاريخ القصصى ، اذاعت المحطة رقم ١٣ للتليفزيون فى نيويورك ، التى تهتم بالبرامج الثقافية والفنية غير التجارية ، برنامجاً عن « عالم جيمس جويس » احتوى على لمحات عن حياة الكاتب ومؤلفاته . وكان المعلق على هذا البرنامج السمعى المرئى الممثل الايرلندى المعروف « بيتر أوتول » وتقصَّى البرنامج حياة جويس ، وذكريات طفولته التى بثها بعد ذلك فى جميع أعماله ، وركز على نهاية روايته



جيمس جويس

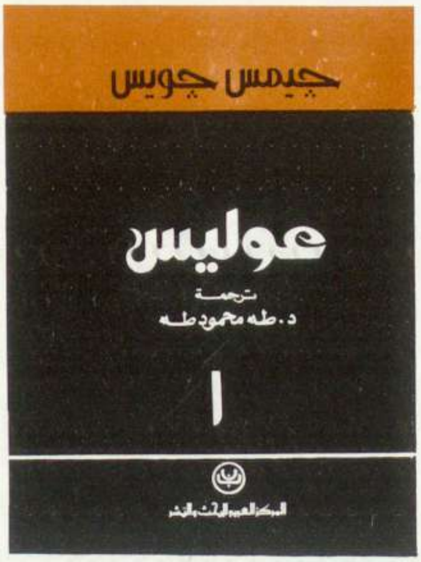
الأولى شبه الذاتية « صورة للفنان في شبابه » إذ هو يرحل عن وطنه ايرلندا إلى أوروبا كيما « اقابل حقيقة التجربة ، ولكى أضع فى مصهر روحى الضمير الذى لم يخلق لبنى جنسى » ، مستعينا « بالصمت ، والنفى ، والمقدرة » ، وداعيا « أيها الأب القديم ، أيها الصانع القديم ، فلتعضدنى الآن والى الأبد بروح من عندك » . وعرض البرنامج التليفزيونى تجوالات جويس

وأسرته فى « تريستا » و « زيورخ » و « باريس » ، وظروف كتابة ونشر اعماله المعروفة ، مركزاً على « عوليس » ثم روايته الأخيرة الأشد تعقيداً « يقظة فينيجان » ، كما ركز على المشاكل التى صادفها مع ناشريه الايرلنديين ، حتى انه خصص احدى قصائده للسخرية من الناشرين والطابعين وهى المعروفة بعنوان « غاز موقد » . وكان من الاسهامات النادرة لهذا البرنامج تقديم صورة صوتية لجويس يتلو مقاطع من « عوليس » ومن « يقظة فينيجان » ، وكذلك لمحات خاطفة من شريط سينمائى حى يصور جويس وزوجته فى زيورخ وباريس . كما شاهدنا على شاشة التليفزيون جولة للكاميرا فى بعض الطرقات والأماكن الشهيرة من مطاعم ومكتبات وتماثيل ظهرت فى « عوليس » أثناء تجوالات ليون بلوم وستيفن ديدالوس فى « دبلن » آنذاك . كما تعرفنا على « سيلفيا بيتش » صاحبة المكتبة المشهورة « شكسبير وشركاه » فى باريس فى فترة ما بين الحربين ، والتى دعمت وشجعت جويس وغيره من الأدباء العالميين المشهورين ، والتى نشرت

« عوليس » بعد أن أمنت بعبقرية جويس اللغوية والقصصية ، كما أنها هى التى أشرفت فى عام ١٩٢٤ على إجراء تسجيل بصوت جويس لبعض مقاطع روايتيه ، وهو من أوائل التسجيلات الفنية النادرة الموجودة لأصوات الشخصيات المعروفة ، وهو نفس التسجيل الذى قدم البرنامج التليفزيونى اجزاء منه . وظهرت أيضاً بالبرنامج تسجيلات نادرة لهاربيت ويفر ، وابنة **عمة** جويس ، وشقيقته ، وابنه ، وحفيده **ستيفن** .

تكفير عن ذنب أدبى

وربما كان هذا الحشد الكبير فى نيويورك للاحتفال بذكرى عمل روائى عظيم لكاتب عظيم ، تكفيراً عن ذنب سبق أن ارتكبته نيويورك بالذات فى حق جيمس جويس . فقد كان ميناء نيويورك هو المكان الذى صادر فيه رجال الجمارك النسخ التى وصلت إليه من « عوليس » للتوزيع فى الولايات المتحدة واحرقوها ، وذلك بدعوى أنه من الكتب الخارجة على التقاليد . والواقع أن الأمر قد تطلب بعد ذلك اثنتى عشرة سنة لنشر « عوليس » أخيراً فى الولايات المتحدة . وقد واجه جويس صعوبات جمة لنشر أى من أعماله فقد رفض جميع الناشرين فى ايرلندا نشر مجموعته القصصية « أناس من دبلن » لما كانت تحويه من إشارات صريحة ضد شخصيات معروفة فيها ، **وتعريضات** بالملكة فكتوريا وزوجها . وحتى حينما طبعها جويس بمعونة بعض أصدقائه ، قام بعض المحافظين بشراء جميع النسخ واحراقها خفية . كما أن نشر روايته الأولى « صورة للفنان فى شبابه » لم يصبح ممكنا إلا بعد تدخل راعية جويس الآنسة هاربيت ويفر فى الأمر واضطرارها إلى انشاء دار نشر خصيصاً ليصدر عنها هذا الكتاب . وبعد ذلك ، توسط « عزرا باوند » لدى صاحبتى المجلة النيويوركية الأدبية « ليتل ريفيو » لنشر « عوليس » على حلقات فيها ، الأمر الذى رحبتا به بحرارة . وظهرت فى المجلة **ثلاث** عشرة حلقة من مجموع الحلقات الثمانى عشرة التى تتكون منها « عوليس » ، وذلك فى الفترة من مارس ١٩١٨ حتى ديسمبر ١٩١٩ . وبعدها تفجرت فضيحة أدبية هائلة تمثلت فى قيام احدى جمعيات المحافظة على الأخلاق فى نيويورك أنذاك بمقاضاة صاحبتى المجلة



لسماحهما بنشر محتويات « عوليس » ، وكانت النتيجة أن منعت المجلة من نشر بقية الكتاب ، وتمت مصادرة ما هو موجود منها ، بل وأدرجت السيدتان « مارجريت اندرسون » و « جين هيب » ، صاحبتا المجلة ، فى عداد أصحاب السوابق ! وقد اعاق ذلك بالطبع أية امكانية لنشر الكتاب فى الولايات المتحدة .

وتروى سيلفيا بيتش مدى الحزن الذى سيطر على جويس حين انتهى تماماً من الكتاب بعد ثمانى سنوات طوال من العمل الدؤوب فيه وانتقل إلى باريس للعمل على نشره من هناك ، ثم فشله التام فى العثور على ناشر له . وحين رأت « بيتش » مدى حزنه ويأسه ، فاتحته فى أن تقوم هى بنشر الكتاب بالانجليزية عن المكتبة التى تمتلكها فى باريس ، وقبل جويس على الفور . وجرى العمل المحموم فى جمع سطور الكتاب للانتهاء من طبعه واخراجه فى تاريخ يوافق عيد ميلاد جويس الأربعين وفعلا تسلم جويس فى يوم ٢ فبراير ١٩٢٢ أول نسختين صدرتا عن المطبعة ، فاهدى واحدة إلى زوجته وأعطى الأخرى لسيلفيا بيتش فعرضتها فى واجهة مكتبتها ليراها من يريد من محبى الكاتب ومريديه . وقد بلغ من نجاح الرواية فى باريس أن قامت بيتش باصدار احدى عشرة طبعة منها بعد ذلك . وقد طبع من أول اصدار للرواية الف نسخة مرقمة ، أهديت النسخة رقم ١ منها إلى راعية جويس ، الآنسة « هاربيت ويفر» وقد وصل سعر النسخة من هذه الطبعة المرقمة . الآن ، إلى ما يقرب من اربعة آلاف دولار !

وفى مقابل النجاح الذى لاقته الرواية فى باريس ، كان الأمر مختلفاً بالنسبة للولايات المتحدة وانجلترا ، فقد صادرت الجمارك فى « فولكستون » كل النسخ المرسلة إلى انجلترا ، وصادرت جمارك نيويورك النسخ المرسلة للتوزيع فى الولايات المتحدة . ولم تكن هذه هى الضربة الوحيدة التى تلقاها جويس من نيويورك ، بل ان ما زاد الطين بلة ان عمد بعض لصوص النشر هناك الى طبع نسخ مزوره مما يعرف بطبعات **القرصنة** وبيعها سرا مما أضاع على جويس حقوقه فى النشر ، **بالاضافة إلى صدور تلك النسخ المزورة مليئة بالاخطاء نتيجة لظروف طبعها .** وقد عمل أصدقاء جويس على اصدار وثيقة احتجاج ضد هذه السرقة الأدبية المهينة ، وقع عليها عدد من ابرز أدباء وعلماء وفنانى العالم ، منهم اندريه جيد ، وت س . إليوت واينشتاين ود. هـ. لورنس وبيراند يللو وهـ . ج . ويلز وأونامونو وفيرجينيا وولف وهمنجواى . بل وصل الأمر بجويس ان رفع قضية فى احدى محاكم نيويورك ضد احد هؤلاء الناشرين ، ورغم صدور الحكم بايقاف ذلك الناشر عن مواصلة هذا العمل غير المشروع ، فان ذلك لم يمنعه أو يعيق غيره من المضى فى هذا التزييف المربح ، بكل ما يعنيه لجويس من ضياع حقوقه الأدبية والمادية . وقد استمر هذا الوضع المؤلم حتى ١٩٣٣ حين اقدمت احدى كبريات دور النشر بنيويورك – وهى « راندوم هاوس » – على مجابهة هذا الأمر وعلاجه بأن كلفت محاميها بالتقدم إلى **محكمة** نيويورك **الفيدرالية** بطلب بالتصريح لها بنشر « عوليس » فى الولايات المتحدة . وتابع الجميع اجراءات القضية بشغف وقلق ، وقدم المحامى آراء عديد من الأدباء والصحفيين والمعلمين وعلماء النفس والتربية فيما يتعلق بالرواية .

وتولى قاض يدعى « جون وولزلى » الفصل فى القضية بعد أن قرأ الرواية بامعان وفحص جميع وثائقها ، واصدر فى النهاية حكمه الموثق المشهور فى ٦ ديسمبر ١٩٣٣ بالسماح بنشر « عوليس » فى الولايات المتحدة . وكان نص الحكم وثيقة تاريخية هامة فى سجل حرية التعبير الأدبى والفنى نجح فيها ذلك القاضى المستنير فى ادراك قيمة « عوليس » الأدبية ومدى أهميتها فى اطار فن الرواية الحديثة . كان مما ذكره فى حيثيات الحكم « أن جويس قد سعى فى كتابته « عوليس » أن يقوم بتجربة جادة فى نوع أدبى جديد .. لقد حاول جويس ، بنجاح مدهش ، ان يبين كيف يحمل تيار الشعور – بكل ما يحويه من انطباعات

متغيرة دوما ، ليس فقط ما فى بؤرة ملاحظة المرء للاشياء المحيطة به ، بل وأيضاً مخلفات انطباعات سابقة ، حديثة وقديمة ، تطفو عن طريق تداعى الخواطر من مملكة **اللاشعور** . وهو يظهر كيف تؤثر كل هذه الانطباعات على حياة الشخصية التى يصفها وعلى سلوكها » . وقال الحكم أيضاً : « ولما كان جويس مخلصاً للأسلوب الفنى الذى اتبعه ، وحاول جهده ان يقص على نحو كامل ما تفكر فيه شخوصه ، فقد تعرض لهجوم شديد ، وكثيراً ما أسىء فهم مقصده . ذلك أن سعيه الى تحقيق هدفه قد تطلب منه — بصورة عرضية — استخدام بعض الكلمات التى تعتبر غير لائقة بصورة عامة .. وهذه الكلمات محل الانتقاد ما هى الا كلمات سكسونية قديمة ، معروفة لكل انسان ، وهى كلمات تستخدمها عادة الشخصيات التى يسعى جويس الى وصفها » . وقال فى النهاية « .. ان كتاباً مثل « عوليس » ما هو إلا محاولة مخلصة وجادة لخلق وسيلة أدبية جديدة لملاحظة البشر **ووصفهم** .. وبناء على هذا ، يمكن السماح بدخول « عوليس » إلى الولايات المتحدة » .

وبعد أن أذيع الحكم بدقائق ، أبلغ الى المسئولين فى دار نشر « راندوم هاوس » بالهاتف ، وعلى الفور بدأ عمال المطبعة فى صف حروف الكتاب تمهيداً لاصداره . وأخيراً خرجت أو ل طبعة من الرواية فى نيويورك فى **أول** عام ١٩٣٤ ولاقت نجاحاً منقطع النظير ، وأعيد طبعها مرات عديدة ويعاد طبعها كل حين الى يومنا هذا . وهكذا أصلحت نيويورك خطأها فى حق الكاتب العظيم آخر الأمر . بل أن ذلك قد تم قبل السماح بطبع الرواية فى انجلترا عام ١٩٣٦ .

ومن جانب آخر ، فاننا اذا نظرنا إلى جويس وأعماله فى اللغة العربية ، لوجدنا ان أول كاتب عربى تنبه إلى أعمال هذا الروائى كان مفكرنا وأديبنا المتجدد دوماً توفيق الحكيم . ففى كتابه « زهرة العمر » — وهو ترجمة ذاتية من خلال رسائل متبادلة بينه وبين صديق له فى فرنسا — نجده ، وهو المغرم بكل جديد غريب ، يحكى قصة اكتشافه لعوليس جيمس جويس إبان دراسته للدكتوراه فى باريس ، ويخصه بأربع صفحات كاملة فى احدى رسائله . وهو يصفه بانه كتاب عجيب ، يعتبر من قرأه آنذاك أديباً **ذواقاً** لا تخفى عليه خافية ، ويشرح فكرة جويس الرئيسية من ورائه ، ثم يتخذه ذريعـــة



د . طه حسين مترجم اعمال جويس

جويس مترجماً الى عربية

للمقارنة بين الروائيين الانجليز والروائيين الروس . ورغم ان الحكيم لم يكن متحمساً جداً للكتاب ، إلا انه يعترف بانه مدرك للقيمة الأدبية التى تكمن فى هذا العمل . أما من قدم للقارىء العربى « جويس » فى مجمله وفى تفصيله بعبارة مشرقة خلابة فهو الدكتور لويس عوض فى مقالاته التى جمعها بعد ذلك فى كتابه « فى الأدب الانجليزى الحديث » . وكان أول من ترجم بعض فقرات من الكتاب ، جاءت على قلتها مثالا رائعاً ونموذجاً يحتذى فى ترجمة لغة هذه الرواية الصعبة .

ثم توالت المقالات عن جويس ورواية تيار الوعى فى كثير من المجلات العربية . وجاء تصريح لنجيب محفوظ قال فيه ما معناه انه قد قرأ وتأثر بثلاثة من عمالقة الرواية الحديثة الغربيين ، هم جويس فى روايته « عوليس » ، وبروست فى « البحث عن الزمن الضائع » ، وتوماس مان . وقد دل ذلك القول ، الذى ورد فى مقابلة أدبيـــة مشهورة مع فؤاد دوارة ، شباب الأدباء والروائيين إلى ضرورة قراءة هؤلاء الشوامخ وآثارهم تلك التى تعتبر علامات على الطريق .

وقد صدرت فى الخمسينيات ترجمة عربية لمجموعة القصص « اناس من دبلن » فى سلسلة الألف كتاب ، وصدرت ترجمة « صورة للفنان فى شبابه » عن دار الآداب ببيروت ، وترجمت مسرحية جويس الوحيدة « منفيون » مرتين ، مرة فى مجلة « المسرح » القاهرية ، ثم صدرت ككتاب عن وزارة الاعلام فى الكويت . كما نشرت مجلة « الشعر » بالقاهرة ترجمة لعدد من قصائد جيمس جويس ، وذلك فى منتصف السبعينيات .

وفى عام ١٩٧٥ ، أصدر الدكتور طه محمود طه ، الذى كرس جل وقته وجهده لدراسة جيمس جويس ، السفر الفخم العظيم « موسوعة جيمس جويس » عن وكالة المطبوعات بالكويت ، التى جاءت والحق يقال موسوعة بكل معنى الكلمة لكل ما يتصل بجويس من قريب أو بعيد . وكأنما كانت تلك الموسوعة ارهاصاً بين يدى عمل عظيم تفخر به اللغة العربية ، صدر أخيراً عام ١٩٨٢ ، وهو الترجمة العربية التى قام بها الدكتور طه «لعوليس» وصدرت فى جزأين أنيقين عن المركز العربى للبحث والنشر بالقاهرة ، فى وقت متفق مع **الاحتفال** فى ذلك **العام** بالذكرى المئوية لمولد جويس . ويكفى ما ذكره المترجم القدير من انه قام بالترجمة على مدى عشرين عاماً ، سافر فيها إلى الاماكن التى عاش فيها جويس ووصفها فى روايته وراجع فيها شروح النص المختلفة مع كبار المتخصصين العالميين فى أدب جويس ، فكانت هذه الترجمة علامة فارقة على درب ترجمة الذخائر الانسانية الى اللغة العربية ، والتى يجدر ترشيحها لنيل جائزة الترجمة ، لا التشجيعية فحسب ، بل والتقديرية أيضاً . ولاشك أن أثرها سوف يبين على مدى الحقبة القادمة فى جيل القصاصين والأدباء العرب القادمين ممن كان يصدهم عنها صعوبة قراءتها فى لغتها الأصلية . وكل ما نرجوه هو أن يكتمل هذا العمل باصدار ترجمات للأعمال النقدية التى تناولت هذه الرواية بالشرح والتفسير كشرح « ستيوارت جلبرت » المشهور عليها ، الذى فض مغاليق كل فصل من فصولها ووازى بينه وبين الفصل أو الحدث المماثل له فى « أوديسة » هوميروس المشهورة . وذلك أن قراءة « عوليس » — حتى بالعربية — دون شروح من هذا القبيل سيفوت على القارىء العربى كثيراً من نقاطها الهامة . كذلك فان محبى جويس من أصحاب لغة الضاد لا يزالون يفتقرون إلى ترجمة لآخر أعمال جويس واشدها غموضاً وتعقيداً ، وهى رواية « يقظة فينيجان » . ويكفى للتدليل على مدى صعوبة ترجمتها إلى العربية أن نذكر أن تلك الرواية التى صدرت عام ١٩٣٩ ، لم تصدر الترجمة الفرنسية لها الا عام ١٩٨٢ ! ولاشك أن صدور ترجمتها العربية أمر ضرورى لاكمال آثار هذا الكاتب الايرلندى العظيم أمام القارىء العربى .

ماهر البطوطى — نيويورك

العروبة

بين وهم الثروة وتحدّي المستقبل

بقلم: الياس سحاب

على كثرة المنعطفات الخطيرة التى وقفت العروبة امامها فى العصر الحديث ، فان المنعطف الحالى هو اخطرها من غير شك ، ذلك ان المخاض الطويل الذى صنعته المنعطفات السابقة ، قد وصل إلى ذروته ليطرح السؤال الأهم فى هذا المجال :

هل تتمكن العروبة فى أواخر القرن العشرين من انهاء عزلتها التى طالت ستة قرون كاملة عن موقعها كقوة سياسية واقتصادية وحضارية فى هذا العالم ؟

وحتى يكون الكلام واضحاً ومباشراً ، نقول ان التعقيد فى المنعطف الحالى هو أنه يتشكل من مجموعة من المتناقضات ، التى اذا اكتفينا بالسلبى منها ــ وهو غير قليل ــ حصلنا على رد سلبى على السؤال المطروح ، واذا اكتفينا بالايجابى منها ــ وهو غير قليل ايضاً ــ لحصلنا على رد إيجابى .. فما هى الصورة التفصيلية لهذا المنعطف ،

لقد وصل العالم المعاصر الذى تتزعمه الحضارة الغربية وتفرض عليه قيمها واسلوبها الحياتى ، الى ازمة قيم خانقة ، وبدا التوازن يختل بين منجزات الحضارة الغربية المادية ، وبين الثمن الباهظ الذى يتم دفعه مقابل هذه الانجازات ، سواء من قبل شعوب العالم الثالث ، أو حتى من قبل انسان الحضارة الغربية نفسه . ان التخريب الفظيع فى البيئة ، والجدب الروحى الهائل والتفكك الاجتماعى والعائلى ، ان كل هذا قد وصل الى حدود الخطر الحقيقى الذى يهدد مصير البشرية باسرها ، وليس مصير الغرب وحده ، خاصة وان هذا الوضع القلق يقف على اضخم برميل بارود عرفته البشرية منذ الازل .

معنى ذلك أن الحاجة الى مرحلة حضارية جديدة ، هى حاجة بشرية عامة وان أكثر من مفكر غربى فى اكثر من حقل (التاريخ ، الفلسفة ، العلوم الاجتماعية) قد رنا ببصره نحو الشرق .

واذا كان من الخطا والخطر ان نصل بهذا الكلام الى حدود التطرف ، فنعتقد ان الحضارة الغربية الى زوال ، واننا مرشحون تلقائياً لوراثتها ، فان من الضرورى التنبه الى ان الأمة العربية ، بما وراءها من خزان حضارى هائل ، وما بين يديها اليوم من امكانات بشرية واقتصادية وطبيعية غير مستثمره ، يحق لها (بل يجب عليها) ان تضع عينها على دور مؤثر واساسى فى اية مرحلة جديدة ترنو إليها البشرية باسرها ، وتحتاجها .

وهذا عنصر ايجابى .

على الصعيد السياسى

لقد دفع العرب المعاصرون ، جيلا بعد جيل ، ومنذ انهيار الامبرطورية العثمانية ، ستين سنة ونيفا ، ليكتشفوا أن المسافة شاسعة بين خريطة الحدود الجغرافية والسياسية للبلاد العربية ، وبين خريطة الطموحات القومية للانسان العربى .

فقد ظل الانسان العربى يعتقد ان استمرار التجزئة فى الحدود الجغرافية والسياسية ، واستمرار التجزئة فى المناهج التربوية ، واستمرار التجزئة فى الخطط الاقتصادية (اذا وجدت خطط) أمر يمكن الصبر عليه ، طالما أن وجدانه القومى يستطيع تخطى كل هذه التجزئات ، حتى اكتشف بعد خيبات أمل هائلة ، وصلت به الى حضيض الياس احيانا ، ان التوقف بالتجزئة العربية عند الحدود التى خرجت بها من الامبراطورية العثمانية ، ليس تجميداً لهذا الوضع فقط ، بل عودة به الى الوراء ، حتى التفكك الكامل ، وهذا ما حصل فعلا منذ تقسيم الوطن العربى وفقاً لاتفاقيات سايكس ــ بيكو إلى المرحلة الحالية التى يهدد بها التفتيت حتى كيانات سايكس ــ بيكو نفسها . حتى اصبح بامكاننا القول ان كل خطوة لا نخطوها نحو الوحدة ، هى بمثابة خطوتين نخطوهما نحو التفكك . اما ان يبقى العرب يصرون على انهم أمة واحدة ، ثم يمارسون عروبتهم من خلال هذه التجزئة الجغرافية والاقتصادية والتربوية ، والثقافية (ناهيك عن التجزئة السياسية والعسكرية) فان ذلك وهم سقطت عنه فى العقد الأخير بالذات آخر ورقة توت .

ومع أن القومية العربية قد عرفت فى اواخر القرن الماضى واوائل القرن الحالى اكثر من تجسيد فكرى وسياسى لحركتها ، غير ان ذلك لم يمنع ، فى المحصلة النهائية للأمور ، أن تكون القوى الأوروبية المنتصرة (انكلترا وفرنسا بالذات) هى صاحبة القرار الأول والأخير فى رسم الخريطة العربية الجديدة .

ومع أن العروبة استطاعت ان تضرب هذا السياق فى لحظات تاريخية معينة ، كانت اطولها واشدها عمقاً وتاثيراً مرحلة

● الحاجة إلى مرحلة حضارية جديدة هي حاجة بشرية عامة

● على الأمة العربية أن تضع عينها على دور مؤثر وأساسي في أية مرحلة جديدة ترنو إليها البشرية بأسرها

● إن كل خطوة لا نخطوها نحو الوحدة هي بمثابة خطوتين نحو التفكك

● القوة الشرائية لبرميل النفط سنة ١٩٥٩ أكثر من القوة الشرائية لثمنه سنة ١٩٨١

عبد الناصر ، فان هذا السياق كان هو السائد عموماً ، بل إنه فى العقد الاخير اخذ يشمل كل نواحى الحياة العربية ، حتى اصبحت اصغر مشكلة سياسية فى الوطن العربى ، لا يمكن ابداً ان تخرج فى مسارها او فى حلها ، عن قرار الدول الكبرى

وهذا عنصر سلبى طبعاً .

على الصعيد الاقتصادى

فى الوقت الذى دخل فيه العالم اقتصادياً فى مرحلة « الندرة » فى المواد الخام ، لدرجة ان اكثر من بلد قد بنى اقتصاده على اساس ثروته من مادة خام واحدة ، فان البلاد العربية ما زالت تتمتع بوفرة فى المواد الخام تحسدها عليها اغنى الدول المتقدمة صناعياً (خاصة دولة مثل اليابان) ، بل انها صاحبة الثروة الرئيسية من أهم المواد الخام فى العصر الحديث : النفط ، وحتى بعد فتح المجال امام مقدمات عصر الطاقة الشمسية كبديل عن النفط ، أو رديف له فى توليد الطاقة ، فقد اثبتت بعض الابحاث ان شبه الجزيرة العربية صاحبة اكبر مخزون طاقة حرارية شمسية ، فى باطن ارضها .

وفى الوقت الذى اصبح فيه نقص اليد العاملة ، وارتفاع نفقات المتوفر منها ، عنصر ازمة حقيقية فى الصناعات فى اكثر من موقع فى العالم ، فان الطاقة البشرية العربية فى شتى مجالات التخصص ، من اكثرها بدائية حتى اكثرها تعقيداً ، لو جمعت كلها ، بما هو موجود منها على الأرض العربية ، وما هو مهاجر الى شتى بقاع الارض ، لكونت واحدة من القوى البشرية العاملة الرئيسية فى العالم المعاصر ، ولجاء ترتيبها معقولا جداً فى سلم رخص اليد العاملة وغلائها . وفى الوقت الذى تشكو فيه كثير من الدول المتقدمة المتوسطة الحجم من شح الامكانات المالية ، فى مشاريع توفرت لها المادة الخام والطاقة البشرية ، فان الدول العربية الثرية حاليا ، تشكل فصيلة فريدة بين مثيلاتها من الدول الثرية .

لقد حاولت بعض الدول العربية تصحيح هذا الوضع الشاذ ، عن طريق ما سمى باستيراد التكنولوجيا من الغرب ، وعن طريق رفع اسعار النفط تدريجيا .

غير ان سيطرة العرب السياسية والحضارية والاقتصادية ما زالت حتى الآن عاجزة عن التحكم بهذه المحاولات ، وامتلاك القدرة الفعلية على تغيير ميزان القوى بيننا وبين العالم المتقدم صناعيا ، لاعادته إلى الصفر . الصفر الحقيقى ، ذلك ان كل هذه الخطوات لا تجرى فى سياق خطة للاستقلال الاقتصادى الحقيقى بل إنها على العكس تماماً ، تجرى فى سياق تحويل الثروة المالية العربية والمواد الخام العربية واليد العاملة العربية والعقول العربية ، والقدرة الشرائية العربية الى تبعية كاملة للنظام الاقتصادى العالمى الذى تتحكم فيه المصالح الغربية تحكما اقتصاديا وسياسياً وحضاريا كاملا .

ففى مقابل وهم الثروة الذى يومئ به السعر الحالى لبرميل النفط ، فان المفكر الفرنسى رجاء جارودى ، ينبه بعقل نير ، الى ان القدرة الشرائية لثمن برميل النفط سنة ١٩٥٩ ، كانت أعلى من القدرة الشرائية لثمن برميل النفط سنة ١٩٨١ .

وهذا عنصر سلبى اخر .

أين المخرج من وسط كل هذه التناقضات ؟

لقد تمكنت العروبة مع مشارفة القرن السادس على الانتهاء من استيعاب حاجة المنطقة الى الوحدة ، فكان قرارها بلعب الدور فى تلبية هذه الحاجة ليس عتبة لنجاح الفتوحات العسكرية فحسب ، بل عتبة لقدرتها على ان تشكل نفسها كحصيلة لكل روافد المنطقة بشريا وحضاريا ولغويا .

وعلى عكس ما تعود انصار الدعوة العربية اشاعته بتاريخ بدء الانحطاط العربى مع انتصار الفتوحات العثمانية ، فان التفكك والانحطاط كانا قد اخذا يدبان فى جسم الدولة العربية قبل ذلك ، بفعل عوامل ، لعل أكثرها داخلى .

غير اننا نتجاوز هذه النقطة التى تستحق بمفردها دراسات معمقة من مؤرخينا ومفكرينا ، الى الحقيقة الحديثة لنرى ان **العروبة** قد خرجت من القرن التاسع عشر ، ومن اطار الامبراطورية العثمانية ، الى عالم معاصر تسيطر عليه الحضارة الغربية ، وهى (اى العروبة) تحمل على اكتافها إرث حضارة عظيمة تعطلت عن التجدد ، او كادت لخمسة قرون من هنا كانت اجيال المناضلين العرب المعاصرين تلتقى بين الحجم التاريخى للعروبة ، سياسياً وحضاريا ، وبين قدرتها على استعادة هذا الحجم فى القرن العشرين ، بين العروبة كارث تاريخى عظيم وبين العروبة كقوة محركة للحياة فى هذه المنطقة ، وفى هذا العصر .

إن تاريخ النضال العربى فى القرن العشرين يمكن أن يلخص باسره فى إطار هذه الصدمات التى حاول كل تيار من التيارات المتحركة باسم العروبة ، ان يتخذ من كل صدمة منها مبرراً لوجوده ولنفى غيره من التيارات . وعلى اى حال لم يبق تيار من هذه التيارات لم ياخذ لنفسه فرصة العمل باسم الأمة ، وباسم احلامها فى دور معاصر مواز للدور التاريخى او قريب منه جدير به ، كحد ادنى .

لن نتوقف عند الذين اسقطتهم الصدمات فى هوة الياس ، او هوة الاستسلام للتيار الجارف ، تيار السطوة الغربية الساحقة ، فوزن أولئك ضئيل جداً فى حساب التاريخ ، ولكن لنعترف ان كل من بقي فى خندق التمسك الدفاعى بالعروبة (وهم الغالبية العظمى من التجمعات البشرية العربية المنتشرة بين المحيط والخليج) مدعو للخروج الى الخندق الهجومى ، خندق اعادة اكتشاف العروبة من جديد ، اكتشافها كقوة محركة للحياة العربية المعاصرة ، قادرة على إيجاد الرد المناسب على كل التحديات ، الداخلى منها قبل الخارجى .

خواطر تسرّ الخاطر

بقلم: زكريا تامر



كل ما في القدر تخرجه المغرفة

قيل لواحد من الأدباء العرب: « مادمت لم تكتب منذ سنوات، فينبغي لك ان تعترف انك قد انتهيت كاديب ».

قال الأديب: « اذا كف البلبل عن الغناء فسيظل بلبلا، ولن يتحول الى غراب، ولكن الغراب مهما تعب فلن يتحول الى بلبل أو صقر، والغيمة التى لا تمطر تمنح ظلا، ولولا وجودها فى السماء لأصبح لون السماء الأزرق مملا رتيباً. لماذا اكتب اذا كانت جدران المراحيض افضل من كثير من مجالات النشر المتاحة للادباء العرب؟ هل اكتب لأتحول الى جسر يمر فوقه من هب ودب من المتاجرين بالادب والفكر؟ من المؤكد أن التوقف عن الكتابة فى هذه الحالة هو كتابة بلا كلمات ».

قيل للأديب: « هذا الجزء الأخير من كلامك ليس أكثر من تلاعب ساذج بالالفاظ، فمن ذا الذى سمع عن كتابة بلا كلمات؟ ».

قال الأديب: « هذا النوع من الكتـابة معروف تاريخيا، ويمسي رائجاً وشائعاً حين يصبح الانسان مفقود الانسانية، وحين ترتفع رايات المتاجرين بالكلمات فى كل مكان منتصرة مزهوة، عندئذ تغدو الطرق فى الكرة الأرضية طريقين فقط، فاما ان يتخلى الكاتب عما يؤمن به ويخون موهبته وينضوي تحت راية من تلك الرايات الصفراء، واما ان يقعد فى بيته، ويقرأ الروايات البوليسية، ويشـاهد برامج التليفزيون، ويتشاجر مع زوجه، ويضرب أولاده. والاختيار الثانى يرضي الضمير قليلا، وإذا ما علم القراء به فقد يحظى ببعض اعجابهم. حتى جامع القمامة عندما لا تعجبه ظروف عمله يعلن الاضراب، ويترك القمامة فى الشوارع اكواماً وجبالا، فلماذا لا يحق للكاتب العربى ما يحق لجامع القمامة؟ ».

قيل للأديب: « هذه أعذار واهية واهنة تبرر مالا يبرر ».

قال الأديب: « هناك أيضاً فارق بين التوقف عن الكتابة والتوقف عن النشر، فالتوقف عن الكتابة يعنى ان الكاتب لم يعد لديه ما يقوله للناس، اما التوقف عن النشر فقد يكون له مبرراته الوجيهة، وهذه المبررات ينبغى لها أن تعرف قبل ان تصدر الأحكام على الكاتب بلا رحمة. القاتل الذى يعترف انه قد قتل، ويعترف أيضاً ان ضحيته لو عادت ثانية الى الحياة فسيقتلها مرة اخرى، وبلا اى تردد، فلماذا لا يشنق الا بعد محاكمة طويلة مملة؟ الا يحق للكاتب العربى المتوقف عن الكتابة والنشر ان يعامل المعاملة نفسها التى يحظى بها القاتل. أم ان اراقة الدماء وازهاق الأرواح شان مستساغ محبب لا يليق به الاستنكار بينما يندد بالكاتب التنديد القاسي؟

ولماذا؟ لأنه لم ينشر ما يكتبه واختفى حينا من الزمن عن القراء ».

قيل للأديب: « انسيت ان الكلمة رصاصة والحياة العربية مستمرة؟ ».

قال الأديب: « لم أنس، ولكنكم نسيتم ان الكلمة الصادقة النزيهة منبوذة لا يرحب بها، وقد تصبح أحياناً رصاصة تخترق قلب كاتبها ».

فقيل للأديب: « الساكت على الظلم كالظالم ».

قال الأديب: « الجوعان ليس كالشبعان، والحمار ليس كسيارة الجلكوار، والنائم على يد راكيل ولش ليس كالنائم على يد عادل امام ».

قيل للأديب: « والقراء العرب؟ ».

قال الأديب: « القراء أذكياء صـابرون لا يخدعون، فهم يعرفون ان الجنازة حامية والنعش فارغ ».

جهل الجاهل علم

أديب من أدباء قطر عربى، تنبأت امه واخته وجيرانه واصدقاؤه انه هو وحده الوريث لتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ ويوسف ادريس قصصياً وفنياً وفكرياً ومواقف سياسية، فصدق النبوءة، ومشى على الارض كأنه اجمل طاووس.

وقد ارسل هذا الأديب مخطوطة كتاب قصصي الى احدى دور النشر كي تتولى طبعه ضمن منشوراتها.

ولما اطلعت لجنة القراءة فى دار النشر على المخطوطة، دهشت واستغربت، فلغة المخطوطة ركيكة حافلة بالاخطاء النحوية التى لا يرتكبها تلميذ كسلان فى المرحلة الابتدائية، فأوصت الا تنشر الا بعـد تصحيح لغتها، فأعادت دار النشر

المخطوطة الى مؤلفها مرفقة برسالة مهذبة رصينة يعجز اللورد كارينغتون عن كتابة مثلها ، تبلغه فيها موافقتها على نشر مخطوطته شريطة ان يقوم بتصحيح لغتها ، فاذا الاديب المذكور يثور ويغضب ويرد على دار النشر قائلا بصلف واعتداد : « هـذه الأخطاء اللغوية والنحوية تعمدت ارتكابها لتطوير اللغة العربية وتجديدها » . فالقم دار النشر حجراً ، ولم تتمكن من النطق باى جواب، خجلا من جهلها ! ؟ .

لاتمش ولاتتكلم



من اقوال الاديب اللبنانى الراحل امين الريحاني القول المأثور الشائع التالى : « قل كلمتك وامش » .

فهل هذا القول جدير بالاعجاب والتقدير ام انه مضلل يستحق الرجم بالحجارة ؟

اذا قال الكاتب العربى كلمته المعبرة بصدق عما فى قلبه وعقله ، غير آبه للعواقب ، فلن يمشي خطوة واحدة ، ولن تتاح له الفرصة لكتابة وصيته وتسديد ديونه .

اما اذا كان ذلك الكاتب حسن الحظ ومشى ، فسيمشى خطوات طفل فى اشهره الأولى ليسقط بعدها ، ويغدو ذكرى مهملة منسية .

والأسباب ليست بالسرية ، ولا تحتاج معرفتها الى اللجوء الى المنجمين ، فمادام الكذب هو السيد المطاع ، والنفاق هو العملة الرائجة ، والمديح فقط هو المطلوب ، وسوق البيع والشراء هو السائد ، والادعياء هم الأغلبية ، والاصلاء هم الاقلية ، فمن الطبيعى ألا يستطيع كاتب ما أن يقول كلمته ويمشي .

واحد الصحافيين العرب كان ساذجاً حين اتخذ من جملة « قل كلمتك وامش » شعاراً لجريدته فقال كلمته ، ومشى الى القبر .. مقتولا .

الشمس تشرق من أجله

لم اطلع على الدساتير العربية لاني لست فضولياً ، ولكنى واثق بانها تكفل لمواطنيها كافة الحق فى شراء ما يحلو لهم من اقلام وورق .

وقد تمتع واحد من اصدقائى بهذا الحق فاشترى اقلاماً وورقاً أبيض من غير سوء ، ثم كتب على الورق ما شاء من الكلام ، ثم قال ان ما كتبه هو روايات .

ودفع صديقى ماله ورأس ماله لدور النشر ببيروت كي تطبع رواياته . ولما كان الكاتب فى البلاد العربية الآن هو صاحب كتب مطبوعة ، فقد صار صديقى كاتباً روائياً بالغ الخطورة والخطر .

وفى آخر لقاء معه حظيت به ، قلت له حزيناً منكس الرأس : « الاسرائيليون غزوا لبنان ويدمرون بيروت » .

قال : « غايتهم احراق روايتى الصادرة حديثاً » .

قلت : « والمقاومة الفلسطينية تقاتل صامدة » .

قال : « الفضل لرواياتى ، فكلها كر وفر واقبال وادبار . ان الأدب كان مسؤولا » .

قلت : « وزير الخارجية الامريكية الكسندر هيغ استقال أو اقيل » .

قال : « هذا جزاء من يحارب الأدب العربى الأصيل » .

قلت : « ولكن هيغ سياسى وجنرال سابق وليس ناقداً ادبياً » .

قال : « ليس كل ما يعلم يقال » .

قلت : « الفلسطينيون هاجروا من بيروت» .

قال : « هذا ما تنبأت به فى احدى رواياتى . ومتى ؟ قبل عشر سنوات » .

قلت : « الزعماء العرب اجتمعوا فى فاس » .

قال مستنكراً : « كيف ؟ انا طالبتهم فى روايتى التاسعة بالاجتماع فى مكناس ، فلماذا اجتمعوا فى فاس ؟ » .

قلت : « السماء تمطر » .

قال : « انا أول روائى تكلم عن المطر » .

فلذت بالصمت ، متجهم الوجه ، فقال لي متسائلا بدهشة : « مالك ؟ كانك حزين ؟ » .

قلت : « انا حزين فعلا » .

قال : « لماذا ؟ » .

قلت : « لاني تذكرت ان اسرائيل لديها عشرون قنبلة ذرية » .

قال : « وانا لدي عشرون رواية » .

فتلاشى تجهمي ، وحل محله فرح طاغ ، فها هى ذي امنيتي الوحيدة قد تحققت قبل وفاتي واختل التوازن الاستراتيجى بين العرب واسرائيل ، وبات التفوق العسكري فى هذه المرة لصالح العرب .

متى تستيقظ العصا ؟

مثقف من المثقفين ، ظل متزوجاً طوال سنوات ، ثم استعاد حريته بغتة ، وظفر بجلاء المحتل الأجنبى عن اراضيه ، ونال الاستقلال الذى يؤهله لأن يصبح عضواً فى هيئة الامم المتحدة ، واكتسب بجدارة لقب « زوج سابق » .

وكان اول قرار اتخذه هو ان يعاود ممارسة هوايته القديمة بزيارة كلمعرض رسوم يقام ولو على قمم جبال هملايا .

ونفذ قراره دونما إبطاء ، وزار معرضاً للوحات عدد من الرسامين الجدد الذين يقال عنهم انهم امل الأمة العربية فى مضمار الفن التشكيلي ، فما الذى شاهده ؟

لقد شاهد لوحات معلقة على الجدران بوقار ، بعضها صغير كالسعادة ، وبعضها ضخم كبير كالهم . وعندما حملق فيها متفحصا وجدها تشبه ارضاً بيضاء شهدت حرباً دامية بين قطط وفئران ملطخة بشتى الالوان ، فاستاء من هؤلاء الرسامين ، ووثق بان نقاد الفن التشكيلى لابد من ان يحملوا الهراوات لتاديب رسامين لا يحق لهم امساك فرشاة لطلاء حائط ، ولكنه فوجىء بان الصحف والمجلات تجمع على القول إن ذلك المعرض انجاز حضارى يستحق الفخر .

ويقال إن ذلك المثقف اغتاظ الى حد ان حبه العميق القديم للفن التشكيلى قد تلاشى كلياً ، وكرس أوقاته للبحث عن زوجة جديدة اذا سئلت عن بيكاسو اجابت انه وزير خارجية كوبا الشمالية .

من تاريخ سيناء

سلّام خضر أبو فاضل

بقلم : درويش مصطفى الفار

اصبحت مدينة العريش فيما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية ، مركز الثقل فى شبه جزيرة سيناء كلها ، ففيها مقر المحافظ ، ممثل مصلحة الحدود ، وكان انجليزيا صميما ، لا معقب لحكمه ، حتى سنة ١٩٤٦ ، وبها مركز التجارة والاقتصاد ، والكثافة السكانية والكتاتيب ، والماذون ، والمستشفى ، والسجن ، والمحكمة العسكرية ، ومحطة السكة الحديد التى كانت تربط مصر بفلسطين ، والتى خلع اليهود قضبانها إثر هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ ، وحصنوا بها الدشم فى خط بارليف الشهير ، الذى إجتاحته القوات المصرية فى رمضان الذى لم تدم فرحته سوى أيام سنة ١٣٩٣ هـ ..

وكانت حياة الناس فى العريش ، حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥ م) تسير رتيبة هادئة ، مع الفقر والقناعة ، فما يكاد الناس ينتهون من موسم (البلح) ويضعون العجوة و (الشقيق) فى (القطاقيط) تلك القفاف المثلثة المصنوعة من الخوص ، حتى يبدأ تساقط الأمطار فى أواسط اكتوبر ، فيهرعون إلى موسم (الحرات) .. لزراعة المناطق الرملية فى شمال سيناء بالشعير ، ولزراعة المناطق الطينية الأكثر خصوبة فى ما حول جبل الحلال بالمتمتنى والمنبطح والحصانى والدبيل والوقير وابى ينتول وام شيحان والقريعة ، وعند السر وفتح المغارة ، وحول نخل وفى وادى قرية واعالى وادى العريش وسطوح العجمة مع شركائهم من البدو ، الشعير والقمح .. وبعد زراعة الشعير والقمح باسابيع ، يبدأون فى زراعة البطيخ والشمام والذرة فى اماكن خصصوها لذلك ، وفى أوائل الصيف يخرجون إلى الصحراء بابلهم واغنامهم ودواجنهم إلى موسم الحصيد ، ليعودوا بالشعير والقمح والتبن ويختزن كل منهم رزقه فى (البايكة) . الشعير فى (المخون) والقمح فى (الصومعة) ويغربلون التبن ليفصلوا منه ما يصلح للابل والاغنام ، ويضعوا (القصل) جانباً مع (الهزازة) لاعمال البناء والتشييد من طوب يتخذونه من طين خاص يجلبه وادى العريش من ارجاء سيناء الطباشيرية ويرسبه عند مطينه (الحن وابى فريجة) .. ويسقفون تلك البيوت بجريد النخل ونبات السبط والطين المخلوط بقصل التبن بعد أن يضعوا تحت هذا كله عروقاً من خشب الاثل أو الالواح التى يقذف بها البحر عند الشاطىء فى كثير من الأحيان .. وما يكادون ينتهون من خزن مغنم الحصيد حتى يعودوا للصحراء فى موسم يسمونه (الصيفى) يطعمون فيه إبلهم واتنهم صغار البطيخ ونباتاته ، ويملأون جراراً كثيرة بمخلل يصنعونه من عجر البطيخ الذى لم ينضج مع نوع حار جداً من الفلفل تشتهر به (شواديف) العريش منذ قرون وقد يضيفون لذلك المخلل بعض البان عنزاتهم العجاف فيكون لديهم نوع مميز من (المش) لا يعرف فى غير سيناء .. وفى موسم الصيفى ذاك يكثرون من اكل وجبة مفضلة شهيرة لديهم يسمونها (اللصيمة) قوامها الفلفل والطماطم والبصل والثوم وصغار البطيخ مشوية فى الرمضاء ، وخبز (القرص) غير الخامر وزيت الزيتون .. حتى اذا أوشك الصيفى أن ينتهى تسمن الأبل والاغنام والاتن ، وتبدأ طلائع السمان وما يصحبه من الطيور المهاجرة ، فى الظهور فيعودون للعريش ، ليستعد من له خبرة منهم لموسم (المناصب) لصيد السمان حتى أواخر سبتمبر من كل عام ، ثم تبدأ الأمطار ، وهكذا دواليك .. ذلك كان ديدن السواد الأعظم من الناس ، لم يك هنا لك فيه خروج على القانون او استعداء للشرط والمحاكم العسكرية .. إلا فى حالات .. فقد يمكر أحد الحضر ببدوى ساذج ويجرده من ارضه المملوكة له عن طريق الرهن ، أو قد يحترف بدوى او حضرى تهريب الملح من سيناء إلى فلسطين او الدخان من فلسطين إلى سيناء ، وهنا يتدخل القانون ، ويستقبل مامور السجن (سلامة افندى عروج) بعض الزبائن بين آن وآخر محكوماً عليهم بالحبس او السجن لمدد قد تطول او تقصر حسب هوى المحكمة العسكرية .



اللواء توماس ونتويرث راسل باشا كما رسمه الكاريكاتير المصري

وكان الناس فى غدواتهم وروحاتهم لا يتنكبون الدروب الشهيرة كدرب السلطانى والحاج ودرب الملاحة أو الخبيرة أو المصرى أو المغزا او الخطلية او الشعوى او القشعل ، وهى دروب معروفة منذ القدم تربط مصر بالشام والحجاز عبر شبه جزيرة سيناء .



الفريق بيك باشا صاحب المدرسة التي تخرج فيها ابو حتيك (جلوب باشا) وجارفس وهمر سلي .. وهو يضع على رأسه الحطة والعقال العربي .

وكان اللواء (توماس ونتويرث راسل باشا) حكمدار القاهرة من هواة الصيد ومن اصدقاء الميجر جارفس ، حاكم سيناء المطلق وملكها غير المتوج ، يلقاه كلما سنحت الفرصة لصيد (الشنار) فى وادى القديرات الى الشرق من نقطة (القصيمة) الحدودية ، وهنالك تتفتق الأذهان عن الكثير من الخطط الاستراتيجية . حمل اللواء راسل باشا لواء تحريم الحشيش والأفيون حوالى سنة ١٩٢٨ ، فارتفع ثمن تلك المخدرات ، واصبحت تجارتها رابحة .

وتحت ضغط الفقر والطمع ، لسوح منتجو تلك السموم شرق سيناء ، لبدو سيناء ، بالثراء والغنى ، إذا هم استغلوا خبراتهم بدروب الصحراء ومسلكها لحمل تلك الآثام والشرور عبر الصحراء على ظهور الهجن ، حتى يسلموها لمن ينتظرهم على شاطىء قنال السويس . واصبح الشغل الشاغل لشرطة سيناء هو مطاردة مهربى المخدرات .. وازدهرت تلك التجارة النجسة ، وظهرت بوادر السعة وبحبوحة العيش على كثير من الناس ، ورصدت الحكومة مكافات مغرية للعسس والمخبرين والشرط كلما القوا القبض على نفر من تلك العصابات وبضاعتهم .. وكلما ضيقت الحكومة الخناق على المهربين ، تفتقت اذهانهم عن الاعيب وحيل جديدة فهم تارة يحملونها بمراكب الصيد من شواطىء لبنان فى إطارات السيارات المطاطية وتجرها المراكب خلفها غاطسة تحت سطح الماء بحبال طويلة ، حتى اذا لاحت بوادر الخطر قطعت الحبال وخرجت المراكب لا تحمل شيئاً يخالف القانون ! ! وهم تارة يضعونها فى إطارات السيارات او فى أسافل صفائح زيت الزيتون او فى صهاريج المياه بالسيارات او القطار ، وهم تارة يخفونها فى متاع كبير من الكبراء لا تفتش الجمارك امتعته ، وهم يعبئونها فى اسطوانات مخروطية من الصفيح او الزنك ويلقمونها للابل التى تعبر القنال للوادى حتى اذا ما اكتشفت اجهزة الأشعة ذلك الأمر ، استبدلوا الاسطوانات الفلزية باسطوانات من المطاط او البلاستيك حيث تعجز الأجهزة عن اكتشافها فى بطون الابل فكان لابد عند الاشتباه من ذبح بعض تلك الابل للتاكد من خلو احشائها من اسطوانات الحشيش والأفيون .

وظل المحترفون للتهريب من البدو ، يتصورون ان عملهم ذاك من اعمال الفروسية ، فلم يغيروا طريقتهم كما فعل المتحضرون من المهربين وظلوا يحملون بضاعتهم فوق ظهور الهجن السباقة ، ويعبرون الصحراء بعيداً عن الدروب المطروقة ويتخيرون المسالك الوعرة والطرق العسيرة ، ويسيرون فى الشتاء القارس تحت جنح الظلام مهتدين بالنجوم وعلامات يعرفونها ، حتى يصلوا إلى قنال السويس .. وكان الشرطة كذلك يتخذون من مطاردة المهربين مسرحاً للبطولة والفروسية ، وكانت تقوم بين الفريقين معارك حامية الوطيس ويتبادلون إطلاق الرصاص ، وقد يقع من الشرطة شهداء الواجب وقد يقتل من المهربين من لا يدفع احد له دية ..

وكان « المعازة » المقيمون بجبال القلالة غرب خليج السويس يشتهرون بتربية الابل السباقة ، فنشات بينهم وبين محترفى التهريب من بدو سيناء علاقات وأواصر .

وكان « سلاّم خضر ابو فاضل المعازى » ، شاباً عركته الصحراء وهذبه العوز والفقر ، وصقلته مرارة العيش فى البوادى ، فتولدت عنده الرغبة فى الغنى وتجاذبته مغناطيسية الطموح ، فقرر ان يركب الصعب ، فبدل أن يبيع هجنه التى يربيها لغيره ، فليحترف هو صناعة تهريب المخدرات من خارج الحدود عبر سيناء إلى وادى النيل .. وجد سلام ان قطع سيناء بين الحدود والقنال فى ليلة واحدة امر تحف به المخاطر ، وتحيط به احتمالات الوقوع فى قبضة الشرط الذين يطاردون المهربين .. فاهتدى بذكائه الى اختراع أسلوب جديد وتكتيك فعال ، فكان ينقل بضاعته على مراحل ، ولا يسير فى طريق واحدة مرتين متتاليتين ، وحفظ عن ظهر قلب كيف يكون خريطة متنقلة فى شمال سيناء كله ، فهو يعبر الحدود بين رفح وطابا من اية نقطة يختارها ، ثم يخزن بضاعته فى مكان امين بعيد حتى عن رعاة الشاء والأغنام تاركاً إياها اياما قد تطول ، ثم يتحين الفرص لنقلها مرحلة اخرى ، وهكذا حتى يصل إلى شاطىء القنال ، وهو يغير ملامحه بين ان وآخر حتى لا يفطن إليه احد ، ولا يضع على بعيره وسم المعازة بل يختار له وسماً من الوسوم المعروفة لدى قبائل سيناء فهو تارة يضع زناد « السواركة » او ربابة « الملالحة » او محلة « العيايدة » او ثلاث « الحويطات » او ذراع « الترابين » او حنيك «الأحيوات» او خطام « التياها » او هلال « مزينة » ، حتى حار حراس الامن فى امره ، وبلغ به الحذق أن قلد السحالى فى تكتيكها اذ تقذف بذيلها لمن يطاردها لتشغله عن المطاردة ، فاحيانا كان يلقى باحماله من المخدرات ثم يترك بعيره ذاته عندما يصل إلى جبل يعصمه من المطاردة لينجو على قدميه فى حراسة بندقيته الألمانية الصنع ، فلم يقع فى قبضة رجال الأمن ببضاعته إطلاقاً .

ثم تاب « سلام » إلى رشده بعد ان تقدمت به السن ، وأعلن توبته وعدل عن تلك التجارة الحالقة للدين والدنيا ، بعد ان سطر سجلا من المطاردات يصلح لان يكون مسلسلا تليفزيونيا مثيراً .. وقد اشتهر قبل توبته انه لم يصوب بندقيته ، وكان رامياً حاذقاً جداً ، لقتل احد من الشرطة او إبلهم ، وكان فى مقدوره ، فى احيان كثيرة ان يفعل ذلك ، لأنه رغم يقينه بمخالفة القانون ، كان يعتبر العملية عملية فروسية يتبارى فيها مع غيره من الفرسان الساهرين على حفظ الأمن والقانون .



طرة ديوان ابن القارض المحفوظة فى صوفيا

كنوز من المعرفة الإسلامية في بلغاريا

بقلم: وجيه الشربجي

- ثلاثة من أنفس المخطوطات العربية النادرة في صوفيا
- مطلوب تحرك ثقافي واسع لإحياء كتب التراث المنتشرة في الشرق والغرب

تواجه الأجيال العربية مسئولية الاحاطة بالتراث المخطوط وتحويله الى كنوز ثقافية محفوظة وموثقة ، وقد اشتد إلحاح هذه المسئولية وتزايد الاحساس بها ، تحت وطأة المخاطر المصيرية التى يرزح تحتها العرب . ونتيجة للحاجة الى تاكيد الوجود القومى تاريخياً وحضارياً . ولأن التراث العربى برهن على أهميته كمرحلة فاعلة وخصبة فى مسيرة الثقافة الانسانية .

ولكن مهام الاحاطة بالتراث ـ كله أو معظمه أو الجانب الأهم منه ـ تزداد مصاعبها مع بروز حقائق ضخامة التراث المخطوط ، وتناثر بقاياه فى الخزائن وعشرات المكتبات والمراكز العلمية المنتشرة فى الشرق والغرب . ولا يمكن الاطلاع على محتويات هذه المكامن إلا بالوصول اليها مباشرة والتنقيب فى خفاياها . وهو جهد لا يطيقه الأفراد . ولابد من أن تضطلع به هيئات علمية تشتمل على اختصاصات متكاملة ، وتعتمد على موارد كافية للتحرك النشيط عبر العالم .

ولقد دلت تجربة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، على أن مهمة البحث عن التراث العربى المتناثر فى أنحاء العالم وتوثيقه ، بحاجة ماسة الى جهد متزايد ومتواصل ، لتقديم معطيات كبيرة فى هذا المجال . ومن المفيد فى هذه المرحلة أن نرشد الى مكامن التراث العربى فى العالم ، وان نبحث أين توجد مجموعات هامة من المخطوطات العربية . لأن ذلك فى حد ذاته ، يلفت أنظار الباحثين الى مواقع العمل . ويثير انتباه كل عالم أو مهتم بشئون التراث ، ويشده الى العمل بصورة فردية لتقصى التراث والبحث فى محتوياته وبذلك نتجاوز إطارات السبل الرسمية وقيود الروتين .





طرة ديوان البحترى المحفوظة فى صوفيا والصفحة الأولى من مخطوطه ديوان المتنبى الموجودة فى دار الكتب البلغـــارية

ومكتبة (كيريل وميتودى) فى صوفيا عاصمة بلغاريا ، إحدى هذه المؤسسات الثقافية الكبرى ، التى تحتوى على ثروات قيمة من التراث العربى المخطوط . نضعها تحت الضوء . من أجل الاهتمام بتحقيق وإحياء المخطوطات العربية القابعة فى خزائنها . والتى يرجع عمر معظمها الى أكثر من عشرة قرون .

كيف وصلت المخطوطات الى صوفيا

خلال الفترة التى حكم العثمانيون فيها دول البلقان والبلغار . انتقلت مجموعات من كتب التراث العربى والاسلامى الى تلك الاقطار ، وقد أقبل الباحثون عليها فى ذاك العصر يستكشفون المنجزات العلمية والروافد الحضارية التى قدمها الانسان العربى أثناء عصور الازدهار . ولما انحسر الحكم العثمانى عن تلك البلاد . وبدأ العثمانيون بالانسحاب من بلغاريا . لجاوا الى جمع المخطوطات العربية النادرة والثمينة . وركزوا اهتمامهم بصورة خاصة على ما أنتجه قادة الفكر العربى فى القرن الثالث الهجرى . الذى اطلق عليه فيما بعد (قرن المدنية الاسلامية) وأعادوا كل ما جمعوه الى استامبول . وتم حفظه فى دار الكتب العثمانية الى يومنا الحاضر .

ولكن (عمر باسبان زاده) حاكم ولاية (فيدين) فى الشمال الغربى من بلغاريا . الذى كان يحتفظ فى خزائنه بثروة ضخمة من المخطوطات العربية النادرة . تمكن من اخفائها فى قصره . ولم تستطع السلطات العثمانية العثور عليها . خلال انسحابها . وبقيت محفوظة فى ولاية (فيدين) حتى قيام الدولة البلغارية بشكلها الحالى . عندئذ تم نقلها الى صوفية . حيث وضعت فى خزائن دار الكتب الشعبية (كيريل وميتودى) بعد توثيقها والاحاطة بها . واحصيت فبلغ عددها ثلاثة آلاف مخطوط من انفس كتب التراث العربى الأدبى والعلمى .

المواضيع والأغراض

ابحاث هذه المخطوطات متعددة الجوانب متنوعة الأغراض . فيها كتب تبحث فى الطب والصيدلة والهندسة والجغرافية ، وقسم كبير يتناول العلوم الفقهية واللغة والشعر والنحو والصرف ، وجزء يسير تدور مواضيعه حول السلوك

والهيئة والفلك .

تستمد هذه المخطوطات أهميتها التراثية ، لأن معظمها نادر وغني بالمعرفة العلمية . اضافة الى انها تتميز بقدمها . وموضوعية ابحاثها ، واشراق الخط الذى كتبت به ، وجودة الورق ووضوح المداد . ونقدم على سبيل المثال ، تعريفا موجزا لطائفة اخترناها من تلك المخطوطات التى تنفرد دار الكتب الشعبية فى اقتناء النسخة الوحيدة والأصلية منها .

وتاتى فى مقدمة هذه المجموعة ، ثلاثة كتب تراثية هامة ، من روائع الشعر العربى هى :

– ديوان البحترى :

لابى عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي الملقب بالبحترى (٢٠٦ – ٢٨٤ هـ) النسخة اصيلة وموثقة . وقوية السند . جاء فى مقدمة الديوان النص الآتى (من شعر ابى عبادة الوليد بن عبيد البحترى صنعة محمد بن يحيى الصولى . رواية محمد بن العباس بن احمد بن الفرات عن ابى الغوث يحيى بن الوليد . قال انشدنى ابو عبادة الوليد بن عبيد البحترى وقراته على الاخفش عن ابى الغوث عن ابيه).

نسقت قصائد الديوان حسب حروف المعجم – المخطوطة بصورة عامة جيدة . عدا بعض اقسامها اصيب بالاهتراء وذهب ببعض القصائد – فى آخر كل قصيدة ذكر الناسخ عدد ابياتها – كتبت المخطوطة بخط نسخى مشرق وجميل . الكلمات مشكولة ، وكتبت عناوين القصائد بالمداد الأحمر – لم يذكر اسم الناسخ وتاريخ النسخ . إلا ان طريقة النسخ ونوع الخط والورق . يتبئان على ان المخطوطة نسخت فى القرن السادس للهجرة – عدد اوراقها ٢٢١ طول الورقة وعرضها ٢٥ × ١٥,٥ سم عدد اسطر الورقة ١٥ .

– ديوان المتنبى :

لأبى الطيب احمد بن الحسين الجعفى الكندى المتنبى (٣٠٣ – ٣٥٤) هـ (٩١٥ – ٩٦٥) م جاء فى الصفحة الأولى من الديوان ما يلى :

(ديوان الفاضل البارع ابو (...) الطيب احمد بن الحسين المتنبى تغمده الله بالرحمة والرضوان) النسخة ورقها جيد ، رتبت قصائدها حسب حروف المعجم .

كتبت المخطوطة بالنسخى الجميل – الكلمات مشكولة بشكل كامل – عدد اوراقها ١٨٤ ق طxع (١٢x١٩ سم) عدد الأسطر (١٧) فى الخاتمة ورد ما يلى :

(تم الفراغ من كتابته فى صبيحة يوم الاربعاء رابع عشر شهر ربيع الثانى سنة ١١١٥ هـ) .

– ديوان ابن الفارض :

لأبى حفص شرف الدين عمر بن علي بن رشد بن علي بن الفارض الحموى الأصل المصرى (٥٧٦ م – ٦٣٢ هـ) . تصنيف المخطوطة التراثى أصيل . يتضمن الديوان اثنتين وعشرين قصيدة مطولة . وفى آخره قصيدة من نظم جامع الديوان – النسخة جيدة كتبت بخط نسخى . وضبطت الكلمات بالشكل الكامل . تم تزيين بعض القصائد بماء الذهب . عدد اوراقها ٦٣ طxع ١٨x٢٥,٥ سم عدد اسطر الورقة ١٦ ، جاء فى خاتمة الديوان : (تم الديوان المبارك بحمد الله وعونه وحسن توفيقه فى سادس عشر جمادى الأول سنة احدى وثمانين وسبعمائة غفر الله لكاتبه وقارئه ولمن نظر فيه وجميع المسلمين امين ..) .

مخطوطات فى اللغة والعلوم

– إصلاح المنطق لابن السكيت :

ألفه يعقوب بن اسحاق بن السكيت (١٨٦ هـ – ٢٤٤ هـ) يعد هذا المخطوط من الكتب النادرة والثمينة . قسم المؤلف الى تسعة وثمانين بابا ، ورق المخطوط جيد . كتب بخط حسن. عدد أوراقه ١٩٤ طxع (١٥x٢٣,٥ سم) عدد أسطر الورقة ١٧ .

– نظائر الصناعات :

قام بتاليفه عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمزانى الكاتب البغدادى المتوفى سنة ٣٢٤ هـ يبحث فى فقه اللغة ، النسخة بحالة عادية ، الخط ليس بالجيد – عدد اوراقها ٤٤ طxع (١٦x٢٢,٥) عدد أسطر الورقة ٢٩ .

– الكتاب الفريد فى إعراب القرآن المجيد :

تاليف منتخب الدين حسين بن رشيد الهمدانى المتوفى عام ٦٤٣ هـ يقع فى اربعة مجلدات – النسخة جيدة واصيلة – كتبت بخط اندلسى . وقد ميز الناسخ بين الآيات واعرابها بتكبير الخط وتصغيره – يضم الجزء الأول اعراب سورة الفاتحة وسورة البقرة ، عدد أوراقه ٢١٠ طxع (١٦,٥x٢٤ سم) عدد أسطر الورقة ١٧ .

– الزبور :

وهو الكتاب السماوى الذى انزل على النبى داوود عليه السلام ، تم نسخه عام ١٠٨٨ هـ بخط نسخى جيد ومشرق – عدد اوراقه ٩١ طxع (١٤,٥x٢١ سم) عدد أسطر الورقة ١٥ .

ضرورة حماية المخطوطات وتوثيقها

ادى الاعتراف الأممى بمفردات الحضارة الاسلامية ومنجزاتها ، الى التركيز على العطاء الفكرى ، والخصب الابداعى المنبثق من التراث العربى المخطوط . بسبب ما يملكه هذا التراث من حضور دائم على الساحة الثقافية الانسانية . وكلنا يعرف ان الغرب كلما يشعر بالفراغ يتجه نحو الشرق . وبخاصة الى تراثه القومى ليستعير من كنوز المعرفة ما شاء .

والمخطوطات العلمية العربية وعلى راسها مخطوط (الحيل) فى الميكانيك وكتاب (المخروطات) وموسوعة (الأشكال الهندسية) ومخطوطة (مساحة الاكر) التى الفها المهندسون العرب فى القرن الثالث الهجرى ، والتى يحتفظ بها الفاتيكان بروما حتى اليوم ، قد ترجمت الى اللغة الالمانية والانكليزية فى القرن الماضى من قبل (فيدمان ، وهاوس ، والدكتور هيل) علماء المكننة فى المانيا وانجلترا .

كل ذلك ينهض كدليل ساطع على ان الحضارة الغربية لم تبدأ من الصفر .

ولكنها تاثرت واستمدت من نتاج الحضارة العربية الاسلامية الشىء الكثير . من هنا اصبح الانسان العربى اليوم ينظر باهتمام وعشق شديد الى ما جاء فى كتب التراث القيمة . فهى عصارة عقول اسلافه . وقد تكونت فى نفسه دعوة ملحة الى إحياء المخطوطات وحمايتها ووضع اوثق مصادرها واقدمها بين يدى الأجيال المتوالية من مختلف الجنسيات .

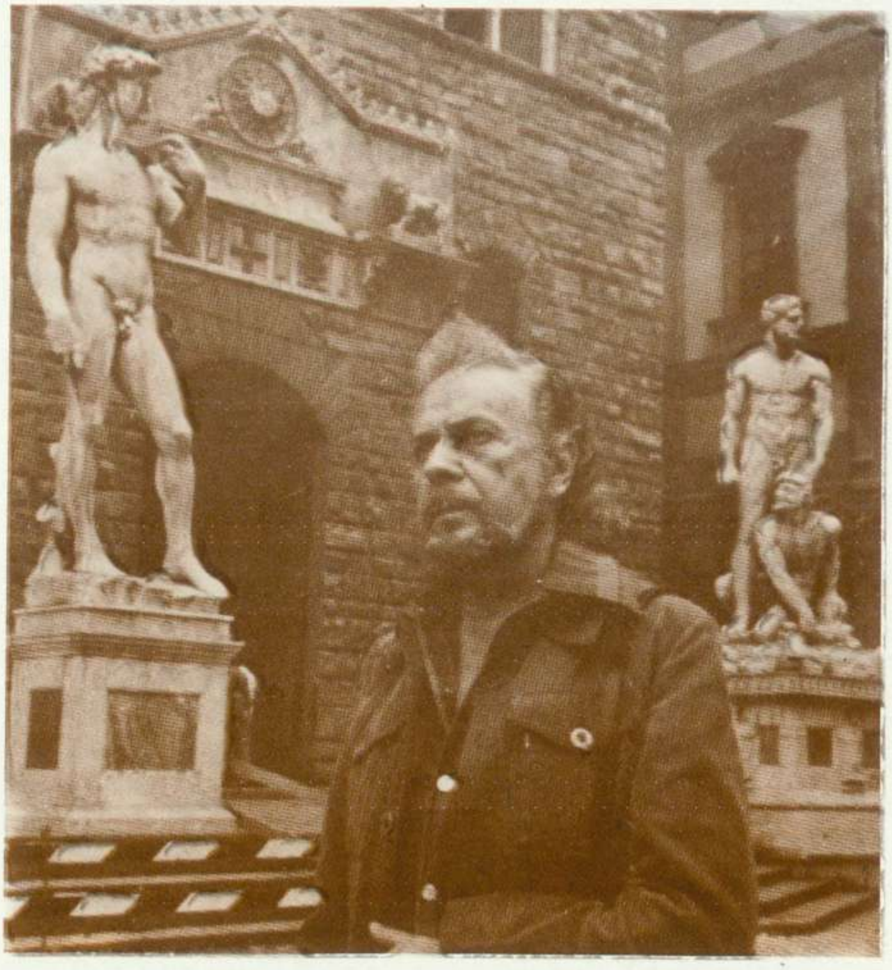
وان العكوف على تحقيق التراث المخطوط وإبرازه ثانية الى النور ليس تكرارا واجترارا للماضى ولكنه تفجير لينابيع المعرفة عند العرب .

وجيه الشربجي دمشق

لأول مرّة في اللغة العربية

عشر قصائد لأكبر شاعر يوناني معاصر

ترجمها عن اليونانية
الدكتور نعيم عطية



● يانيس ريتسوس في فلورينسا علم ١٩٧٦ حيث ذهب لتلقي جائزة في الشعر .

نبذة عن الشاعر :

ولد شاعر اليونان الكبير يانيس ريتسوس عام ١٩٠٩ اصدر اول دواوينه عام ١٩٣٤ بعنوان «الجرار» وجمعت أعماله الكاملة فى ثلاثة مجلدات صدرت بأثينا عام ١٩٦١ . وقد ترجمت قصائده الى عديد من اللغات الأجنبية . ووصف الشاعر الفرنسي الكبير لوى اراجون المتوفى فى ديسمبر ١٩٨٢ زميله الشاعر اليونانى بأنه « ارتجافة جديدة فى الشعر المعاصر » وقد توصل ريتسوس فى شعره الحديث الى عطاء لا يفرض على القارىء شيئاً ، بل يدعوه الى المشاركة فى اعادة بناء القصيدة ، وسبر اغوارها من جديد .

عشر قصائد
لأكبر شاعر يوناني معاصر

رقصة امرأة ليست شابة

لا تخبرني .. دعني اخمّن .. قالت اعرف كيف اخمّن .
اقفز من شرفة ، وانا احرك احدى يديّ . انزع الستار الابيض .
القى به على كتفى . اتنبه الى اننى حافية . يحفزنى ذلك على ان ارقص . اخطر فى الهواء . انظر . قدمى اليسرى اكثر رشاقة ، واليمنى اكثر حنكة . فلنواصل الحديث . انظر . هذه انا . كل حبل فى نهايته ، عند طرفه القصى ، عقدة محكمة حتى لا ينفرط خيطه .
اليس هذا حال مالا نتوقع . على الدوام ، فى النهاية ، مفاجاة ؟
وددت ان اعلِّم احداً هذه الرقصة .

مقابلة

لا شىء بالطبع ، ياتى من تلقائه تماماً . لابد ان تنقب انت ايضاً لتجد . فى كل صباح ، تدخل الشمس من النافذة الشرقية . فيصير المقعدان الارجوانيان باهتَيْ اللون . تظل قليلا . ثم تنسحب تاركة وراءها إيحاءً بالنعومة ـ التى يخلفها الانطفاء الوئيد . والزهور على السجادة ، التى وطاتها الاقدام من قبل ، تلصق اذانها على الارض ، وهى محقة فيما تفعل . تنصت الى الايقاع الرتيب الصاعد من سنابك احصنة الدور السفلى . عندئذ تدخل المراة الصموت . انت ترى انها تتحاشى ان تدوس تلك الزهور .
إن « الغير المدرك » ربما امكن ان يتحمله اثنان معاً ، وان كان لا يتجلى ابداً الا لواحد فقط .

العجوز الطيب

كان ينظر الى الشاطىء الآخر ويقول , لا اميز الالوان ، والاصوات ، والاعلام . ربما كان هناك احتفال ، أو ربما كان هناك جناز . انا لا ابصر ، ويريحنى الضباب .
إن « كوزماس » قليل الكلام . وهو يعجبنى . اذكر بيتاً قديماً فى الغابة بلون الورد . كانت النوافذ مغلقة . كم من كلام بددنا بلا جدوى ، ربما لاننا كنا نخاف ان نصمت يوماً . وكان الغراب يتجلى على الدوام مسمراً على السحب فوق الصناديق الخشبية المتروكة من قديم امام مدخل المخزن المهدم . هناك تتجمع القطط الضالة وتتوالد . وهناك على احد الصناديق اجلس شبه مغمض العينين منتظراً ان يمر احد فيبصرنى .



● يانيس ريتسوس مع لوي ارجون في اثينا عام ١٩٧٧ م

خاتمة المطاف

ينحرف فى سيره . يدير انظاره الى الناحية الاخرى . يحاول أن يفلت من الشىء الذى يتعقبه ، مثلما تلتصق سترته بظهره .
لا يمكنه أن يخلع ملابسه ، فالجو بارد . وعلى الاخص ، عند تقاطع الطرق ، حيث ينظر اصحاب المتاجر من وراء الواجهات الزجاجية ، أو وقوفاً بالخارج على الأرصفة ، نظرات مسددة الى كل مار . ويحس هو بنظراتهم فى جيوبه ، بل وفيما هو اعمق من ذلك . ويمضى على هذا الحال الى أن يصل الى الميدان المقفر الذى كنسته رياح اللاجدوى . هناك لا توجد سوى قواعد تماثيل أبطال مجهولين ، تماثيل خطفتها ذات ليلة عاصفة نساء غاضبات . اخذتها بين أضلاعها ، ورحلت بالقطار .

صمت

لعلك ، عندما صار البشر بُكْمًا ، فهمت أنهم عرفوا الحقيقة ، أو على الأقل لمسوا ذلك الاباء الخفى الذى يحتم ألا يرددوا الكذب المحفوظ عن ظهر قلب .

● ● ●

فى الليالى يجلسون متشحين بالظلام داخل البيت ، واضعين القدمين فى اناء من الفخار مليء بماء فاتر . يسمعون من الخارج القطار القديم يمر فى ميعاده محملا بالبراميل ، واكياس الاسمنت واسياخ الحديد ، والثلاجات ، والجنود ، وحوت ضخم مقطع الى شرائح متساوية .

الآن فقط

الآن ، وما عاد لديك شيء تقوله ، ولا تطلع الآخرين عليه ، او تقترحه ، أو تدافع به عن نفسك . الآن ، وقد ضـــاع كل شيء (وليس ذلك بالنسبة لك انت فحسب) الآن بالضبط ، يمكنك ان تتكلم ، وانت تتجول بين ادوات التعذيب ، وتدير بخنصرك **التروس الحمقاء للساعات التالفة ، أو العجلة المعلقـــــة التى** استخرجوها توا من السفينة الغارقة .

• • •

الآن ، بالضبط ، والحبال تشد من البكرات المثبتة فى السقف ، ويتردد صخبها من مواضع غير محددة فوقك ، مثل النجوم فى تلك الليلة ، عندما عدنا من الريف ، فوجدناهم قد وضعوا فى الفناء الرخامى بنظام صارم كرسيين من الخشب أسودين عاليين وفى الوسط نعش الملك المقفل الذهبى ، بلا أعلام بلا تـــاج ، بلا سيف .

قبيل الفجـر

عندما يوغل الليل ، وتقل الحركة فى الشوارع ، ويترك عساكر المرور مواقعهم ، لا يعرف هو ماذا يفعل .

يطل من الشباك على الشرفة الزجاجية للمقهى الكبير ، المعتمة بضباب الأرق ، يرى أشباح الجرسونات يتبدلون وراء الخزينة . ينظر الى السماء بثقوبها البيضاء الرحيبة . ويرى من خلالها عجلات الاتوبوس الاخير .

ثم يسمع هذا القول : « لا شيء .. لا شيء » .

يدخل الغرفة العارية . يسند جبينه الى كتف تمثاله (وهو أعلى من القوام الطبيعى) شاعراً ببرودة الصباح على الرخام ، بينما تحت فى الفناء ذى البلاط المكسور ، يجمع الحراس الخيوط المقطعة من طرود المبعدين .

تشويهات محتملة

وضعوا المرآة فى الصندوق .

وبملاءة غطوا الصندوق .

بامكانهم الآن ان يتحركوا بحرية ،

ان يسعلوا ، ان ياتوا **بايماءات ، ان يركعوا ،**

ان يلقوا ماء باصرار فى الاناء ذى الزهور الورقية الكبيرة .

ومع ذلك .. ظلوا من جديد صامتين ، **وجلين** ، يخيم عليهم الحزن ، لا يتحركون ، خوفاً من أن تكون المرآة قد ظلت تعكس صورهم بمبالغة مهولة ، وهى تلتقطهم من اسفل الى أعلى ، فيبدون باقدام ضخام ، وبلا رؤوس على الاطلاق .

أبنية ذاتية

أخرج من الصندوق المنظار المكبر ، **والقميص** الداخلى .

كان قد اغلق النوافذ .

الذبابة تحط الآن على الكوب . لم يهشها .

بسط على الأرض أوراقه . تناول مقصاً ، وقص القبعة والسيف والحزام . ثبت ذلك كله فى حذر بدبابيس أكثر عدداً مما يلزم عادة لتثبيتها ، فاستوت واقفة .

وضع المنظار المكبر جانبه ، وراح ينتظر .

عندما دقوا ، جرس الباب لم يفتح . كان المنظار المكبر للرؤية عن بعد فحسب .

حادث ليلي

سمَّرَ المسمارَ فى الحائط . لم يكن لديه ما يعلقه عليه . راح ينظر اليه جالساً قبالته فى المقعد القديم . لم يكن بقادر ان يفكر فى شيء ، أو أن يتذكر شيئاً . نهض وغطى المسمار **بمنديله .** وفجاة رأى يده مخضبة بلون أزرق . دهنها القمر الذى كان يقف عند النافذة .

كان القاتل قد رقد فى سريره . ساقاه عاريان وطيدان ممدودان **خارج الملاءة . تتعانق الشعيرات عليهما فى وله ، واظافره متسقة** وإن برز من اصبعه الصغير ورم خشن **ضئيل.**

• • •

هكذا تنام التماثيل على الدوام بعيون مفتوحة . وما عاد أى **حلم او قول يثير الخوف . لقد توفر لك الشاهد الصادق الأمين الكتوم ،** لأن التماثيل ــ وأنت تعرف ذلك ــ لا تخون أبداً ، وانما هى تفصح فقط وتبين .

دائرة المعارف القرآنية



العدل

بقلم: الدكتور محمد البهي

يقول الله سبحانه: «إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله» (أى إنما كان تنزيل الكتاب معبراً عن الحق: من اجل الحكم بين الناس بما اوحى اليك فيه: أى من اجل القضاء والفصل على أساسه بين الناس: لا فرق بين قريب وبعيد .. ولا غنى وفقير .. ولا ذى جاه، وعديم الجاه .. ولا خصم وصديق لك).

«ولا تكن للخائنين خصيماً» (ومن اجل انه يطلب من الرسول والمؤمنين معه: الفصل على أساس من كتاب الله وحده، لا ينبغى أن يكون الحاكم فى جانب الخائنين للأمانة فى القول، والعمل، وهم الذين ينحرفون فى السلوك: وفى الوقت نفسه خصيماً للعدل والأبرياء لصلة به مع هؤلاء الخائنين).

«واستغفر الله، إن الله كان غفوراً رحيماً». يجب طلب الغفران من الله. وهو غفور لأخطاء الماضى، ورحيم بمن تاب وعدل عنها، وخلص الى الايمان بالله وحده. فالايمان بالله لا يحول النفس البشرية من فسادها المادى فيما مضى: دفعة واحدة .. الى المستوى الانسانى الفاضل. ولذا: رواسب الماضى من الاخطاء والجرائم .. والتقاليد والعادات البغيضة، وان كانت تتأثر بالايمان فى ضعفها .. ثم زوالها، إلا ان ذلك يأتى مع الوقت، ومع الممارسة الجديدة للمبادىء الرفيعة التى تحول اليها الايمان الجديد.

«ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم» (أى ولا تخاصم الأبرياء دفاعا عن هؤلاء الذين يخونون انفسهم، وينحرفون فى سلوكهم، أو وقوفاً بجانبهم. وأعاد القرآن التحذير مرة أخرى من الوقوف فى الحكم بجانب هؤلاء أصحاب الصلة — أى صلة — بالحاكم ليوضح: أن صلتهم بالحاكم لا يجوز أن تشفع فى خيانتهم للأمانة). «ان الله لا يحب من كان خواناً أثيما. يستخفون من الناس، ولا يستخفون من الله وهو معهم، إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا» (وطالما هم خائنون للأمانة قولا، أو عملا: فهم أيضاً آثمون. والله لا يرضى اطلاقاً عن الخائن الآثم. وهؤلاء فى خيانتهم وإثمهم يخفون امرهم عن الناس. ولا يعلمون أن الله معهم يعلم ما يبيتونه ضد الآخرين من سوء وكان الأجدر بهم أن يدركوا: ان الله محيط بما يصنعون، فيتوقفون عن الخيانة واقتراف الاثم بدلا من أن يتستروا خشية: أن يقف الناس على أمرهم. والوقوف بالحكم لصالح فريق خائن آثم ضد فريق برىء، لا يكون حكماً مجافياً للعدل فقط. وإنما يكون ظلماً واضحاً للبرىء .. وجزاء حسناً للمسىء. وهى معادلة لا يقبلها المنطق بحال. وهذه الآيات الثلاث بينما توصى بالعدل، حسبما جاء فى كتاب الله: تنهى عن المحسوبية .. ورعاية الصلات الخاصة فى الحكم. وبالأخص إذا كان

أصحاب هذه الصلات الخاصة ـ وهم طرف فى الأمر ـ مقترفين الاثم ومباشرين الخيانة فيما هو موضوع الحكم ، بينما الطرف الآخر بريء : طرف يدبر المكيدة لطرف . ولكنه طرف ذو صلة خاصة بالحاكم . وحكم الله لابد أن ياخذ طريق العدل وحده) النساء ١٠٥ ـ ١٠٨ .

وقد جاءت اية اخرى فى هذه السورة ـ وهى سورة النساء : السورة السادسة فى الوحى المدنى ـ توجه الخطاب للمؤمنين ، وتطلب مضمون ما طلبته الآيات السابقة الثلاث من الرسول عليه السلام ، كحاكم عام ، ولكن فى وضوح : للعامل الذى يجب أن ينحى عند الحكم وهو عامل المحسوبية بالقرابة .. او الغنى او الجاه ، إذا توفر فى طرف ، دون الطرف الآخر فى الحكم . يقول الله تعالى :

«يا أيها الذين امنوا : كونوا قوامين بالقسط» (أى التزموا فى قوامتكم وفى ولايتكم : العدل .. وعدم الظلم . وهذه مقدمة تتبعها النتيجة التالية :

«شهداء لله ، ولو على انفسكم ، او الوالدين ، والاقربين» (وبناء على المقدمة السابقة يجب أن تكون شهادتكم لله وحده .. أى يجب ان يكون قولكم للحق وحده سواء كان هذا القول حكماً .. أو ادلاء بشهادة لطرف من طرفى الحكم . مهما كانت هناك من صلة القربى بينكم وبين من تشهدون لهم . حتى ولو كنتم انتم طرفاً فى الأمر والحق فى مقابل الطرف الآخر ، فيجب أن تقولوه وتشهدوا به على انفسكم وإذن : التزام الحق وحده يجب ان يكون ادب المؤمن فى القضاء والشهادة ، وبالتالى : يجب ان ينحى فى قضائه ، وشهادته . كل أثر للحزبية .. والمحسوبية .. والهوى،بوجه عام يجب ان يكون الوالى والحاكم .. كما يجب أن يكون المؤمنون فى قضائهم ، وأحكامهم وشهاداتهم أصحاب عدل مطلق ، والعدل المطلق ما تنحى فيه جميع عوامل التاثير) .

«إن يكن غنياً ، أو فقيراً فالله أولى بهما» (وليترك امر الغنى والفقير .. وامر صاحب الجاه وعديم الجاه .. وامر القريب والبعيد لله وحده ، فى الحكم والقضاء . اى يجب أن لا يدخل فى اعتبار الحاكم وصاحب الولاية أى وصف من هذه الأوصاف لطرف من طرفى الحكم عند الحكم) .

«فلا تتبعوا الهوى : ان تعدلوا» (وكل ما يطلب من المؤمنين ، ومن كل ذى حكم وصاحب ولاية عامة ، أن لا يتبع هواه ، إذا أسند اليه العدل ، وإذا كلف بالحكم والولاية بين الناس فعدم اتباع الهوى هو النجاة من المحسوبية . والحزبية فى الحكم. وفى الوقت نفسه هو الضمان لتحقيق العدل المطلق) .

«وان تلووا ، أو تعرضوا ، فان الله كان بما تعملون خبيراً» (وان انتم حدتم عن الصراط السوى ، أو أعرضتم عن اتباع الحق فى ذاته ، فذلك لا يخفى امره على الله : فهو الخبير بعمل الناس جميعاً : يقف على بواعث العمل واتجاهاته ، وأهدافه) النساء : ١٣٥ .

وإذا كانت المحسوبية هى التمييز فى الحكم وفى الولاية لقريب ، أو لذى صلة خاصة : فهناك عامل اخر مفسد عند احقاق الحق فى ذاته كذلك . وهو عامل البغض والكراهية لسبب من الأسباب . فاذا ابتعد الحكم ـ أو ابتعد الولاية العامة ـ عن المحسوبية .. وعن تاثير البغض والكراهية لفريق ، دون فريق : كان الحكم : عدلاً .. وكان القول فيه لله وحده .

وطلب فى التشريع المدنى فى السورة السادسة منه : وهى سورة النساء : تنحية عامل المحسوبية أولا : لأنه من رواسب الجاهلية وقوامها المادى فى العصبية . فكان لعامل المحسوبية قوته فى العهد الجاهلى .. وأثره غير الخفى عند تحول مجتمع الجاهلية الى مجتمع ايمانى ، وكذلك فى بداية هذا التحول ، ولذا نهى الرسول عليه السلام أولا عن التاثر بهذا العامل فى حكمه .. ثم نهى المؤمنون بعده : بعدم التاثر به ايضاً .

وبعد أن ارتفع مستوى الايمان عند المؤمنين فى نقلتهم الى المجتمع الجديد جاءت سورة المائدة : وهى السورة قبل الأخيرة فى ترتيب الوحى المدنى بالتنبيه على عدم التاثر بالعامل الثانى وهو عامل البغض والكراهية عند الحكم ، وفى مباشرة الولاية العامة ، وبابعاد هذين العاملين ينقى الحكم من الهوى ، ويخلص للحق وحده . يقول الله تعالى :

«يا أيها الذين آمنوا : كونوا قوامين لله شهداء بالقسط» (أى لتكن قوامتكم ، واشرافكم وولايتكم لله . والله هو الحق ، وقوله الحق ، كما يجب أن تكونوا بجانب العدل وعدم الظلم بشهادتكم أو بقضائكم) . «ولا يجرمنكم شنان قوم : على الا تعدلوا» (أى بغض قوم وكراهيتهم اي لا ينبغى ان يحملكم بغضكم لمجموعة من الناس ، بسبب من الأسباب عن الخروج عن دائرة العدل فى ولايتكم وفى قضائكم . وكما وجب من قبل تنحية عامل المحسوبية فى ذلك : يجب الآن بالاضافة اليه تنحية عامل الكراهية والبغض فيه كذلك) .

«اعدلوا هو اقرب للتقوى» (أى التزموا العدل مهما كلفكم التزامه من معارضة لعواطفكم وكبت لأحاسيسكم الداخلية) .

«واتقوا الله (بتجنبكم الظلم والخروج عن نطاق العدل) ان الله خبير بما تعملون» (فعلكم مكشوف لله سبحانه وهو خبير ببواعثه ، وأهدافه) . المائدة : ٨ .



اريبه الياف

أريبه أليـاف
ظاهرة غير مألوفـة.. في الفكر الصهيوني

بقلم: عصـام شريـح

تشكل طروحات أريبه الياف حول الصراع العربى ـ الصهيونى ، ظاهرة متميزة فى الفكر الصهيونى المعاصر ، فهذه الطروحات كما سنرى من خلال استعراضنا لها ، تعتبر من الناحية النظرية على الاقل ، خروجا على الطروحات الصهيونية المالوفة ، وإذا كان «الفكر» الذى يطرحه أريبه الياف ، لم يصل فى وضوحه وتميزه عن الفكر الصهيونى التقليدى ، الى الحد الذى وصل اليه «فكر» أوري افنيري ، أو ناحوم جولدمان ، فانه على اية حال يبقى علامة فاصلة فى مسيرة الحركة الصهيونية ، التى أخذت تهزها الاحداث بعنف منذ حرب تشرين الأول (أكتوبر) من عام ١٩٧٣ ، ثم حرب لبنان ، والصمود العظيم للمقاومة الفلسطينية ـ اللبنانية فى معركة بيروت الخالدة فى العام الماضى ، ومن هنا ، اهتمامنا بطروحات أريبه الياف ، ومحاولة تحليلها واكتشاف العوامل التى أملتها .

فى كتابه «أرض الميعاد» الصادر فى تموز (يوليو) ١٩٧٢ ، والذى نستقى منه معظم آراء أريبه الياف ، أو «لوبا» الياف ، كما يطلق عليه احيانا ، يخرج الياف على مقولة اساسية فى الفكر الصهيونى ، الا وهى إنكار وجود الشعب الفلسطينى ، كما يدعى ذلك قادة حزب العمل ، ناهيك بقادة الليكود (التكتل) ، بل انه يرفض تماما هذا الادعاء ، ويعزو أسبابه لدى هيرتسل مؤسس الصهيونية ، ودافيد بن جوريون وجولدا مائير ، ومناحم بيجن وغيرهم ، الى الرغبة فى التهرب من مشكلة وجود الشعب الفلسطينى ، وتركها للمستقبل دون حل . فالشعب الفلسطينى فى نظر الياف عامل اساسى فى «الوضع الجديد» الذى نشا فى أعقاب حرب عام ١٩٦٧ ، وهذا العامل يلغى النقاش حول ما اذا كان يوجد شعب فلسطينى ام لا ، ويقول بوضوح : من يكون الاسرائيليون حتى يحددوا ما اذا كان الشعب الفلسطينى موجوداً او غير موجود ؟؟ فالذى يحدد هذه المسالة هم الفلسطينيون انفسهم ، وتاريخهم عبر عشرات السنين الأخيرة هو الذى حدد هويتهم كشعب بين الشعوب العربية الاخرى ، وفى نظر الياف ، فان الفلسطينيين قد تحولوا اكثر فاكثر ، وعلى الرغم من الكوارث التى حلت بهم ـ او حتى بسبب هذه الكوارث ـ الى عامل حاسم فى منطقة الشرق الأوسط ، وكانوا فى تقدير الياف العامل الرئيسى وراء الحروب العربية ـ الاسرائيلية ، فيما كانت إسرائيل تتجاهل أو لا تدرك ، عمق الغليان الذى حدث بين جيل الشباب من «اللاجئين» الفلسطينيين الذين تحولوا الى فلمينات الزئبق (مادة سريعة الاشتعال) فى المنطقة .

وانطلاقاً من هذه المسلمات التى وصل

اليها أريبه الياف ، فقد وضع النتيجة التالية : «إنه لا مجال لحل للصراع العربى ـ الاسرائيلى ، دون الفلسطينيين او فى غيابهم ، وحتى إذا صاغت اسرائيل ، حلولا مؤقتة أو دائمة مع دول عربية فى الجنوب أو الشمال او الشرق ، فانها لن تحل قضية الفلسطينيين العرب ، بل إن اسرائيل لن تتمكن من تحقيق «سلام حقيقى» ، ولن يصل الصراع الى نهاية ، الى أن يجد الاسرائيليون مع الفلسطينيين جنباً الى جنب ، حلا لهذا الصراع» .



هيرتزل



بن جوريون



ليفي اشكول

مسألة اللاجئين

اولى أريبه الياف مسالة «اللاجئين» الفلسطينيين ، أهمية فريدة منذ عام ١٩٧٢ معتبراً أن إيجاد حل لهذه المسالة ، يفتح الباب أمام الحل المرتجى للصراع برمته . ويقول فى كتابه انف الذكر ، إن اسرائيل ارتكبت سلسلة من الاخطاء خلال معالجة «المشكلة الخطرة» ، وعرض الياف تجربته فى هذا النطاق على النحو التالى : «.. لقد حاولت خلال أشهر عديدة أعقبت حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، وبقدر استطاعتى ، ان ادرس الموضوع واتعرف اليه عن كثب ، ومن خلال اتصال شخصى باللاجئين ، فـزرت جميـع مخيمـات «اللاجئين» فى قطاع غزة وجميع المخيمات فى الضفة الغربية تقريباً ، وحاولت اختبار افكارى وارائى فى ضوء التجربة التى كسبتها خلال عملى بين «سكان تعيسى الحظ فى اسرائيل والعالم» ، بل اننى عرضت ، بعد حرب ١٩٦٧ ، مباشرة على رئيسة الحكومة (جولدا مائير) استعدادى لقيادة هيئة لدرس وتخطيط مشروع لتأهيل «اللاجيئن» .. وإننى اسمح لنفسى الآن بان اضع تجربتى فى هذا المجال فى الميزان» .

وبعد هذا العرض لتجربته مع مشكلة «اللاجئين» الفلسطينيين دعا الياف الى انشاء هيئة خبراء ، لوضع مشاريع ومقترحات لحل هذه «المشكلة» .

وفى أعقاب حرب لبنان ، التى دمر خلالهـا الغـزاة الصهاينـة مخيمـات الفلسطينيين فى جنوب لبنان ومنطقة بيروت ، وارتكبوا مجزرتى صبرا وشاتيلا ، عـاد اريبـه اليـاف الى طـرح مسـالة «اللاجئين» مجدداً ، فزار المخيمات المدمرة فى الجنوب اللبنانى ، ووضع إثر ذلك تقريراً قدمه الى حكومة مناحم بيجن ، وأوصى فيـه باعـادة بنـاء المخيمـات الفلسطينية المدمرة تماماً فى منطقتى صور وصيدا ، وهى مخيمات الرشيدية ، والبص والبرج الشمالى ، وعين الحلوة ، والميّه وميّه ، لكن الحكومة الاسرائيلية رفضت هذه التوصية ، وجميع المقترحات التى وردت فى التقرير ، بالرغم من الوعود التى قدمها وزير الحرب (السابق) أريئيل شارون والتى تبين انها كانت وعوداً كاذبة لذر الرماد فى العيون .

والآن .. ما هى الخلفية التى كانت تحرك الياف لتقديم هذه المقترحات المغلفة بالمشاعر الانسانية ؟ .. وحتى لو صدقنا تلك المشاعر ، أو لم نستبعدها تماماً ، فان البحث عن الخلفية ، هو الذى يكشف حقيقة آراء الياف فى موضوع الشعب الفلسطينى .

إن الياف نفسه يكشف عن الخلفية التى حكمـت افكاره منذ اواسط السبعينيات بشكل واضح ، وفى أعقاب حرب عام ١٩٦٧ بشكل أقل وضوحاً ، فهو يشير فى التقرير المذكور ، الى حاجة اسرائيل الى خطة أمنية دقيقة ، لحماية نفسها فى المرحلة الراهنة وفى المستقبل ، ومن هنا رأى فى مسـألة «اللاجئيـن» الفلسـطينيين ، والمخيمات الفلسطينية ، عامل تحريض وتفجير مستمرين فى المنطقة ، كما رأى أن منطق القوة الذي استخدمته اسرائيل فى حروبها ضد الفلسطينيين والعرب لم يؤد الى النتيجة المتوخاة ، لتوفير «الامن» للاسرائيليين ، بل إن هذا المنطق أدى الى نتيجة عكسية تماماً .

من هو الياف ؟

على الرغم من ان الياف لم يشغل مناصب قيادية هامة فى الحياة السياسية في الكيان الصهيوني منذ عام ١٩٧٦ ، عندما استقال من منصب الأمن العام لحزب العمل « المعارض حالياً » ، إلا انه احتل دائماً موقع المنظر السياسي في هذا الكيان لكونـه من الصهيونييـن القدامى الذيـن هاجروا الى فلسطين المحتلة ، وقضوا حياتهم في العمل بداب ونشاط من اجل تحقيق الأهداف الصهيونية على حساب الأمة العربية . ومن هنا اهمية القاء نظرة على ماضي وحاضر هذا الصهيوني ، فقد ولد آريبه الياف في روسيا ، وهاجر مع اسرته الى فلسطين المحتلة في عام ١٩٢٤ ، ودرس الزراعة في المدارس الثانوية بفلسطين ، ثم ما لبث أن التحق بعصابة « الهاجاناه ».وفي عام ١٩٣٦ ، عاد الى الدراسة بالجامعة العبرية بالقدس ، وخلال الحرب العالمية الثانية ، تطوع في الجيش البريطاني (١٩٤٠ ـ ١٩٤٥) ، حيث عمل فى «بورتوفيق» ، وضواحى «بورسعيد» ، وتعرف هناك عن كثب على يهود مصر ، وبصورة خاصة على يهود « بورسعيد » ، وقد استغل الياف معرفته باليهود المصريين

أريبه ألياف

ظاهرة غير مألوفة.. في الفكر الصهيوني



إيجال الون



يوري افنيري

بعد اربعة عشر عاما ، حيث اشرف في عام ١٩٥٦ ، على تهريب يهود « بورسعيد » الى فلسطين المحتلة ، كما اشرف على تهريب اعداد كبيرة من يهود شمال افريقيا الى فلسطين المحتلة ، بعد ان تخفى هؤلاء في ملابس الجيش البريطاني ، وخلال هذه الفترة كان الياف يعمل بداب من اجل تهريب المهاجرين اليهود الى فلسطين . وعندما اعلن عن قيام الكيان الصهيوني في عام ١٩٤٨ ، انضم الياف الى سلاح البحرية ، لكنه فى العام التالي ترك الجيش وهو برتبة مقدم ، ثم انضم الى قسم الاستيطان فى الوكالة اليهودية ، كمساعد انذاك لرئيس فرع الوكالة بفلسطين المحتلة (الرئيس انذاك هو ليفي اشكول الذي اصبح فيما بعد رئيسا للحكومة) .

وفى عام ١٩٥٦ ، عندما وقع العدوان الثلاثي على مصر ، اشترك الياف فى ذلك العدوان كقائد لاحدى كتائب قوات الاحتياط وبعد الحرب انتسب الى الجامعة العبرية ثانية ، ودرس التاريخ وعلم الاجتماع ، وفى عام ١٩٦٥ ، انتخب عضوا في الكنيست السادس ، ثم اصبح رئيسا لقسم التنظيم في حزب مباي (حزب العمل حاليا) ، وبعد عام واحد عين نائبا لوزير التجارة والصناعة ، ثم نائبا لوزير الاستيعاب (استيعاب المهاجرين اليهود) .

وفي عام ١٩٦٩ ، حل الياف مكان « بنحاس سابير » ، امينا عاما لحزب العمل لكنه بعد سنة ونصف ، استقال من منصبه هذا ، لكى يتفرغ لتاليف كتاب ، عمل فى اعداده لمدة عام كامل ، وقد صدر الكتاب فى عام ١٩٧٢ فعلا ، تحت عنوان « أرض الميعاد » ، وقد ضمنه اراء مستجدة في الفكر الصهيوني حول الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، وبعد صدور الكتاب اخذ يتجول بين فروع حزب العمل الحاكم (انذاك) ، لمناقشة ارائه ، معتبرا هذه الاراء تذكرة دخول الى الحكم ، وبحسب اقواله فقد وصف تلك الاراء بانها تعبير عن التيار الرئيسي في حزب العمل ، لكن السنوات القليلة التالية ، برهنت على تهافت هذا التيار ، مما اصابه بخيبة امل ، دفعته الى تحضير اطروحة عن « يهود بورسعيد والاسماعيلية والسويس منذ عام ١٨٧٠ » والانصراف عن العمل السياسي لفترة من الوقت ، عاد بعدها لينضم الى حزب شيلي الذي كان من قادته الى جانب « اوري افنيري » « مئير بعيل » واخرين ، لكن الياف صدم مرة ثانية عندما لم يفز الحزب باكثر من مقعدين في انتخابات الكنيست العاشر ، فاستقال من الحزب وتفرغ للكتابة ، لكنه بقي عضوا فيما يسمى بحركة السلام الأن » .

تقييم

في الواقع تبدو اراء اريبه الياف من مجمل الصراع العربي ـ الصهيوني براقة للوهلة الاولى ، لخروجها على المالوف في الفكر الصهيوني كما قدمنا ، لكن بالتامل فى هذه الاراء ، يتراءى لنا ، انها ليست الاولى من نوعها ، فهناك مشروع إيجال الون الذى يقترب من مشروع الياف فى كثير من الاراء الواردة فيه مع ذلك المشروع ، ومن هنا فان اراء الياف لا تبدو لنا مقطوعة الجذور ، وهي على كل حال ، احدى الظواهر التي افرزتها الحركة الصهيونية المعاصرة ، نتيجة لاصطدامها بصخرة النضال العربي ، والاحباطات التى تعانى منها نتيجة للصمود العربي البطولى فى ساحات القتال والحرب على مدى أكثر من ستين عاما خلت ، ومما يعزز راينا هذا ان الياف اعرب عن جزء من هذه الاحباطات ، وهو يتحدث عن « مشكلة اللاجئين الفلسطينيين » ، حيث قال في تقريره حول مسالة « اللاجئين » الذي رفعه لشارون كما اسلفنا ، قال : «إن عدم التدخل لمعالجة مشكلة اللاجئين ، سيؤدى خلال فترة قريبة ، الى اعادة الاوضاع الى ما كانت عليه (فى جنوب لبنان) ، عندما كانت المخيمات تشكل بؤرا للعداء والاحساس بالمرارة ، وللنشاطات السرية للمنظمات المسلحة ، حتى لو افترضنا بان حكومة لبنانية قوية ستاتي ، فان امكانية الاشراف الكلي على المخيمات ستكون ضعيفة وعديمة الجدوى

وعلى اية حال ، فاننا اذا علمنا ان قلق الياف لا يقتصر على الصراع العربى ـ الصهيوني ، والنتائج التي اسفر عنها هذا الصراع حتى الأن ، وما يحمله في طياته من مخاطر على مستقبل الكيان الصهيوني فحسب ، وانما يمتد قلقه ليشمل واقع الصراع الطائفي داخل اسرائيل نفسها بين الاشكناز والسفارديم ... اذا علمنا ذلك كله فانه مع ضرورة عدم تضخيم ظاهرة اريبه الياف بشكل اكبر من حجمها الحقيقي ، فانه لا يجوز لنا كراصدين لما يجري داخل الكيان الصهيوني ، ان نتجاهل هذه الظاهرة او النظر اليها بعين الاستخفاف .

عصام شريح

منجزات العلم .. ونتاج الأدب والفن

بقلم : نعمان عاشور

دخلت الآلة الحاسبة والعقول الالكترونية الى كافة جوانب حياتنا العصرية .. فالى أى حد أثرت على نتاج الانسان من الأدب والفن ؟ !
هذا سؤال كبير خضع ولا يزال يخضع للكثير من الدراسات والبحوث والتأملات،ويثير قضايا مقلقة ومشاكل.وعلى الأخص فى الجانب الذى أصبح فيه نتاج الأدب والفن خاضعا الى حد كبير لمبتكرات العلم الآلية التكنولوجية .. وليس اقلها بل ولعل اعمها واهمها بعد السينما والراديو وحتى المسرح ... المعبر الكاسح المسيطر الذى نسميه التليفزيون .

منذ ايام قليلة وبعد عشر سنوات كاملة من الابتعاد عن التليفزيون سمح لي أن أشاهد عرضاً بالفيديو لمسرحيتى الأخيرة « لعبة الزمن » التى قدمت من أسابيع فى القاهرة .

وتم التقاطها اخيراً وصورت لكى تقدم على الشاشة الصغيرة .. كنا فى سبيل اجراء مونتاج للمسرحية وكنت بصحبة المخرجة البارعة الأستاذة علوية زكى التى قامت باخراجها تليفزيونيا وكانت تعليمات الرقابة تقضى بحذف بعض العبارات واللقطات والمواقف حتى يجاز عرض المسرحية . وجلسنا أمام أكثر من خمس شاشات صغيرة متجاورة ومتتابعة نراجع سياق المسرحية بمشاهدها وفصولها .. وانا بطبعى لا أطيق الحجر الرقابى والنواهى والمحاذير الرقابية .. ورغم ذلك فقد سلمت باجتياز التجربة حتى احرس النص وبالذات الكلمة التى كتبتها ، ناهيكم عن الرؤية التى تعبر عنها المسرحية .. حراستها من أى إخلال بمعناها وأبعادها بغض النظر عن صغائر الاعتراضات على بعض عبارات الحوار أو التزيد المخل الذى أصبح داء كامنا فى الأداء التمثيلى عند أغلب الممثلين باطلاق نكتة أو تحوير معنى عبارة أو كلمة واحيانا الايحاء بحركة أو إشارة للتاثير على مضاعفة تجاوب الجمهور وبالتالى اكتساب الممثل لقيمة إضافية لنفسه ولو كانت على حساب النص .. المهم ..

بدأت الصور تتلاحق والحوار يتدفق والمشاهد تتفتح فاذا بالصدمة الأولى تفاجئنى بعبارة أطلقها الممثل من عندياته بلا ادنى سبب أو ضرورة وهى نفسها العبارة الخارجة التى اعترضت عليها الرقابة .. «ملحوظة صغيرة :

هذه القضية .. قضية الخروج على النص اصبحت من أهم وأخطر القضايا وأنا أكتب لكم هذا الكلام وهى مثارة على نطاق واسع وتعرض أمام القضاء» .. العبارة التى حذفتها الرقابة إذن ليست موجودة فى النص ولكن صاحبنا الممثل انتهز فرصة تلجلج الممثل الآخر فاقحمها إقحاماً ليكتسب التصفيق من جانب الجمهور ..

ورجعنا نعيد الصورة على شاشات الفيديو ثم نستجلبها بالشريط من جديد ونحاول استبعادها .. ومرت ساعة كاملة قبل أن ينجح مهندس الصوت مع مهندس الصورة فى الخلاص من العبارة بشكل غير محسوس نسبياً . لأن السيد الممثل وهو يستمتع باضافة

عبارته الفجة أثناء تصوير العرض .. رفع ذراعه باشارة متعمدة تتفق مع العبارة التى ارتجلها فى إيحائها المخل . وهكذا كان الشأن مع بقية ما حاولنا استبعاده أو تعديله أو تخفيفه .. واستمر الحال على هذا المنوال اكثر من عشر ساعات ونحن نعيد الشرائط ثم نحاول اختيار الصور وما يتفق معها من عبارات بحيث لا يختل سياق العرض فى نظر المشاهد وسمعه

.. عملية آلية صرفة تلعب فيها الالكترونات دوراً حاسماً . ولم أطمئن وأنا أغادر دار التلفزيون إلا بعد مشاهدة المسرحية بكاملها خشية أن يكون استخدام مثل هذه الآليات الالكترونية بالصورة أو فى الصوت قد أثرت على مضمون النص ورؤياه على الأقل . فالمسرح عرض حي وليس مجرد صورة مطبوعة على شرائط السليولويد أو غيرها .. وغادرت مرتاحاً بعض الشىء وأنا أشهق .. فأنا لا أطيق الآليات وأن يكون لها كل هذا التأثير الفعال على نتاجنا الحسى والشعورى والعقلى الذى نخطه بالقلم وفى عديد القوالب الأدبية .

منجزات العلم .. ونتاج الأدب والفن



المتنبى



سيرفانتس

العلاقة بين النتاجين

ولكنى خرجت من هذه التجربة وفى ذهنى قضية أكبر وأخطر،هى القضية التى أصبحت تربط نتاج الأدب والفن بالانجازات العلمية . فعصرنا بلاشك يتميز عن كل ما سبقه من عصور بطغيان الواقع المادى .. وهو واقع أخضع ولايزال يخضع كافة نتاج الأدب والفن لمقاييس ومعايير جديدة بفعل المعبرات التى أوجدها العلم الحديث .. وهو يصيب الفنان أو الأديب المبدع بأكبر قدر من القلق ، ويدفع به قسراً الى الارتطام بالقيم المادية الواقعية التى يتعامل معها العلم أشد وألصق التعامل .. ولهذا فان كافة مظاهر التمرد التى يهرب اليها الفنان فى محاولاته الابداعية ومهما اجتذبته لتغرقه فى الرومانسية أو الرمزية أو العبثية أو كل هذه التيارات الخاطفة المتغيرة .. لابد وأن تعود به فى النهاية الى الارتطام بالواقع .. وشاهدنا ودليلنا على ذلك أبرز فنوننا الأدبية وهو الشعر . فليس من شك أن ظهور تيار الشعر الجديد أو الشعر الحر وما أصبح يتناوله من موضوعات مغايرة فضلا عن أساليبه المتجددة - مهما استفاضت فى الشاعرية - فانها فى نهاية الأمر انبعاثة يفرضها طغيان الواقع المادى .. وأمامنا آخر الاتجاهات التى تطورت اليها الرواية المعاصرة بطابعها الذى يقترب بها كل الاقتراب من المادة الوثائقية وتحليل الحقائق والظواهر بأنماط وأساليب علمية .

المعرفة العلمية

وهكذا أصبح الأديب أو الفنان المبدع أقرب ما يكون فى تناوله لمادته من تناول العالم .. طالما أن واقع العصر وطغيان حقائقه أقوى من أن يقبله أو يتجاوزه .. ولأن واقع العصر يتميز بالاقتحام والسرعة الفائقة والحركة التى لا تعرف السكون أو البطء .. فان الفنان يندفع بالضرورة الى محاولات دائبة للبحث عن علاقات جديدة فى مكونات الواقع .. علاقات تستمد قيمتها من الحقيقة التى تستند الى فهم لا يفترق كثيراً عن الفهم العلمى .. ولذلك فمن أوجب موجبات الكاتب اليوم .. ألا يقف عند حد دراسة وهضم النظريات الأدبية والفنية وحدها .. وإنما يجب أن يضيف اليها المعرفة العلمية التى تدخل بما أنبته العصر من آليات الكترونية أو غير الكترونية الى صميم انتاجه الأدبى .

أدب دستويفسكى ونسبية أينشتاين

وارتطام الأدب والفن بالواقع المعاصر على هذه الصورة هو الذى أصبح يقضى بحتمية خلق الأشكال والقوالب الأدبية والفنية الجديدة غير أن هذه الأشكال يستحيل إبداعها بالأسلوب الحسابى أو بالطرائق الهندسية الجامدة .. وإنما يتم خلقها من تنوع المادة الحية التى لا حدود لها ومن التجربة الانسانية الراكزة المبلورة التى يمارسها الفنان فى معاركته للحياة ، لأن العمل الفنى الذى يكون مجرد نتاج لتأمل فكرى منظم أو رسم ابداعى غاية فى الدقة والتنميق لا يمكن أن يحظى إلا بالركود التام مهما استثار الحماس .. ولعله ليس من سبيل المصادفة أن يقول اينشتاين انه استفاد أكبر فائدة من تطويره لنظرية النسبية نتيجة لقراءاته أو تأثره بروايات ديستويفسكى

.. ذلك أن ديستويفسكى كان صاحب احساس غامر عميق بواقع الحياة ، ومكتشفاً دءوباً وعنيداً لكوامن النفس الانسانية والدوافع المادية الأصيلة التى تشكلها وتحركها بحكم تجارب[...] الواسعة العميقة فى معاركة الواقع ونفاذه ال[...] حقائق مكوناته . وهى التجارب التى مكنت[...] مواهبه من الافصاح عنها فى رواياته واستلهمه[...] اينشتاين فى اكتشافاته النظرية النسبية فى[...] مكونات مادة الكون . ولاجدال أن الخيال هو[...] الأساس فى خلق الأدب .. ولكن من أهم م[...] أصبح يتحتم على الأديب المعاصر أن يتزود ب[...] فوق الخيال الدارج المعتاد .. خيال يقارب خيال[...] العالم حين يقع على خيط رفيع حول مكونات[...] الذرة مثلا، فيروح يتأمل وجودها تأملا يسبق[...] كشفها النهائى التام . إذ أن هذا التطلع ال[...] المجهول هو القوام الذى يرسم له الشكل الجديد[...] لفنه .. فلقد وجدت الآلة الحاسبة ووجد العقل[...] الالكترونى وأصبحت ميزة الانسان فى مثل هذا[...] العصر الذى يخلق ما لا يمكن ادراكه آلياً .

وبالتالى صارت مهمة الفنان ألا يسجل ظواه[...] الحياة تسجيلا واقعياً .. وإنما يعيد تشكي[...] الواقع من جديد لأنه المصمم الحقيقى للمص[...] الانسانى وهو مصير يستند الى المنجزا[...] الخالصة والنتاج المباشر للعلم .. ولذلك أصب[...] أديب العصر يحتاج الى أبرع الأشك[...] والقوالب الفنية لينطقها بالصورة الصحيح[...] التى انتهت اليها نظريته وفلسفته .. ذلك [...] فنان العصر وكاتبه الخلاق يجب أن تكون [...] فلسفته ، ولابد أن يكون أدبه وفنه [...] الصورة الكاملة لهذه الفلسفة . ومن هنا أصبحت[...] تتغير أشكال الفن والقوالب الأدبية التقليدي[...] بين يوم وليلة ولم تعد القصة القصيرة الت[...] كانت تكتب فى العشرينات هى ما يمكن [...] يكتبه مؤلفها بعد منتصف القرن .. وهكذا الأ[...] فى بقية الألوان الأدبية جميعاً .. الروا[...] والشعر، والمسرح بل وحتى كتابة السير الذات[...] وأيضاً تسجيل أو كتابة التاريخ من جان[...] المؤرخين .


ديستوفسكى


البرت اينشتاين


شكسبير


دانتى

ولكن ما هو الشأن إذن فى هذه الحالة بالنسبة للقيم الجمالية ؟! فالأدب والفن أصلا مصب الجمال ومبعث قيمه .. وأنا لا أقصد استعمال كلمة الفن هنا على الرسم أو النحت أو الموسيقى ، وإنما على كافة ألوان الأدب لأنه بدوره مرصد القيم الجمالية أصلا .. ولذلك يتحتم العودة الى تعريف الجمال أصلا .. فالجمال لا يكون إلا فى المادة الحية لأن الجمال بالضرورة لا يكمن فى الجمود أو الموت .. والأصل فى الفن والأدب مهما كانت أشكاله صامته على الورق فى كلمات ،أو ناطقة مصورة على شاشات العرض،أو عبر الأدوات الموسيقية أو حتى وهى مجسمة حية على خشبات المسارح .. الأصل هو المحتوى أو ما نسميه أحياناً الموضوع بالمعنى الضيق العاجز للكلمة ، لأن المحتوى لا يعنى مجرد الموضوع بل ما ينطق به أو ما يعبر فيه عنه . ولهذا كانت العبرة فى أى عمل فنى حقيقى من ناحية قيمته الجمالية انه لا يقف به صاحبه عند حد الاستمتاع العابر الموقوت وإنما يعدوه الى المتعة الباقية التى تتولد من شكله وقالبه فى طيات محتواه .. وليس من الفن فى شىء أن يفرض عليه الغموض قصداً لاستجلاب الجمال لأن من أهم وأبرز وأنضج ما يكلف به الفنان .. هو أن يصل بفنه واضحا جلياً الى أكبر عدد مستطاع .. والقيم الجمالية لا ترسخ ولا تتبدى إلا فيما يمكن أن يستمتع به معظم الناس وان كان مرد ذلك الى القدرة على التذوق .. وهذا فى مجموعه ما نسميه الجمال الباقى أو الجمال الحي ...

التذوق الفنى

لكن من أين يمكن تحقيق هذا التذوق الذى هو محك القيمة الجمالية للأدب والفن ؟!

إذا سلمنا بأن الأصل هو الواقع المتطور .. وكان الشكل الفنى هو التعبير النهائى عن فلسفة الفنان ورؤياه .. وكانت القيمة الجمالية أساساً تنبع من حيوية العمل الفنى فى محتواه الحي الذى هو بداهة الصورة المعبرة عن نظرة الفنان أو الأديب الى الحياة .. أصبح عصب التذوق الفنى لكل عمل فنى بهذا المفهوم .. يتركز فى مدى الصلة التى يمكن أن يرتبط بها الفنان مع إنتاجه وفنه بحياة الناس هذا الارتباط العميق الذى لا يكتفى بالوصول الى أعماق حقائقها وإنما يرقى بهذه الحقائق ليجعل منها مكونات جوهرية فى بناء الحياة الانسانية ذاتها ...

قضية الالتزام

وهذا بدوره يقودنا الى سؤال خطير .. هو ما نطلق عليه عادة .. حتمية الالتزام .. وأحب الا أنساق معكم وبكم الى تعريفات وتفاسير ومبررات مما أثير ولايزال يثار حول هذه القضية .. لأن هذا الارتطام الصارخ بالواقع من جانب الأدب والفن والذى زادت فيه وجوه الشبه والقربى بين نتاج الأدب ونتاج العلم بل كادت تربط بينهما برباط واحد .. هو الذى يجعل لقضية الالتزام هذه الأهمية القصوى التى أصبحنا نضفيها عليها .. والواقعية أساساً هى أوضح اتجاه أدبى وفنى يقوم على الالتزام .. ولكن أى التزام ؟! انه قطعاً وبالضرورة الالتزام بحقائق الواقع التى يلتزم بها العالم فى استكشافه للحقائق الكونية التى تتشكل منها الطبيعة .. مادته الأساسية .. وكما أن العالم ملزم بالصدق الموضوعى فى معالجة مادته الواقعية .. فان مثل هذا الالتزام ينسحب أيضاً على الأديب والفنان فى محاولة التعامل مع مادته .. إنه التزام بالصدق الموضوعى .. فاذا أصبح الأديب صاحب مادته .. أعنى اختياره الموضوعى لها فله أن يصورها أو يقدمها أو يشكلها ، وبالاختصار أن يتعامل معها فى القالب الذى يروق له .. قصة أو رواية أو شعراً أو مسرحية .. وهو قالب تفرضه عليه حتماً مادة الموضوع بقدر ما يستوحيه من التطور الأدبى والفنى ذاته .. طالما أنه يرى فيه ما يحقق فلسفته ونظرته التى تستند فى قوامها أصلا على الحقائق الموضوعية التى لا يدخلها الكذب أو الزيف ..

ماذا تعنى الواقعية

ولست أحب أن أدخل بكم فى متاهات .. ولكن يلزمنا الآن الوقوف عند كلمة الواقعية ذاتها .. وهى الكلمة التى أصبحت تثير أضخم احتمالات التضارب والخلاف والتى يستحيل تبسيطها بالتعريفات العديدة الشائعة عنها والتى تروج حولها .. فماذا تعنى الواقعية بالضبط إذا كان الأدب والفن جميعاً من صنع الخيال المحض ؟! هل تعنى تصوير الحياة كما هى بصورتها الفعلية مثلا ؟! أو انها تعنى إعادة تشكيل أو ربما خلق الحياة على الصورة المثلى التى يراها وينشدها الفنان للناس من واقع حياتهم ؟!

مثل هذه التساؤلات قد تدخلنا فى تعقيدات أخرى نحن فى غنى عنها ..ولكن قد يكون من الأسلم أن نلجأ الى الأمثلة .. خذوا مثلا أى عمل أدبى أو فنى من تلك الأعمال الضخمة التى كتب لها البقاء وقدر لها الخلود على مر الأجيال لقيمتها الباقية وجمالها الحي .. مسرحيات شكسبير .. وجحيم دانتي .. وشعر المتنبى وملحمة سيرفانتس دون كيشوت .. انها أرسخ ما تكون فيما حوته من مضمون انسانى وفيما حملته من حقائق موضوعية واقعية صادقة نفذ بها أصحابها الى أبعد الأعماق من حياة البشر .. لولا مضمونها هذا لما عاشت بقوالبها وأشكالها الفنية وحدها إن صح هذا الفصل المقيت بين الشكل والمضمون ! وبين القالب والمحتـوى .. لأن هذا الفصل مدمر ويقضى على أبسط ما يجب أن نقدر به أعظم ما يميز الانسان عن الآلات الحاسبة والعقول الالكترونية فى تعاملها مع الواقع .. ذلك ان الانسان .. والانسان وحده هو خالق الآداب ومبدع الفنون التى لا يمكن ويستحيل أن تتغير فى جوهرها ونقائها وجمالها وخلودها .. بتغير نتاج العلم ومنجزاته الآلية والالكترونية .

نعمان عاشور

مشاغل النورس الصغير

شعر: علي الشرقاوي

كنتَ حرفاً شقياً يشقُّ الجدارَ
ويرفعُ قامتـــه
ليقولَ الى الحزنِ :
لا وجهَ لكْ
كنتَ عنقودَ لفظٍ يفجِّرُ احلامَه
فى غرور السطور اللواتى حرقن البياض
تفرَّعن فى الأرض نعناعةً
جذرها منهلك
يا فتى
ما الذى يجعلكْ
واجفاً من ظلال يديكَ
ومن لغة فى المدى تحملكْ ؟
النخيل يكحِّلُ فرحتَه من اغانيكَ
والريح تاتيكَ راعشةً
فاكسرْ غبارَ المدامعِ .
نهرٌ من الوجد مصطحبٌ شارع الشفتين
هو الحلمُ لكْ .
قَلِقٌ
مرهقٌ ساحلى
وطريقُ فمى غسقٌ لا يطلُّ
اهذى استراحة همِّ النوارسِ !
ام ؟ !
للنسيم المحاصر بالصيف خطوته
يعرف الرقصَ بينَ شراع السماء وشرع الأحبة
ان التعتقَ اسئلةٌ
كالدخول الى الصبح من فجوات الحلكْ
تبصَّرْ بلحن السحابة
طهِّرْ جناحيك من لوثة الصمتِ
صُبَّ الكلام الغريبَ ولا ترتجى نامةً
كنتَ فوق السنَا قامةً
والهوى فى دمائك فعل الصدَى
ما الذى يجعلكْ

خائفاً . خائفاً ؟ !
المحيط الترابى مَدَّصوتَ المدَى
قل يدٌ من نباحْ
فم يستطيلُ سلالِمَ فتلى
دمٌ
والمدى جثةٌ فى صدى الأخطبوط
غريبٌ هو البحرُ عن مائِهِ
والمياهُ محاصرةٌ
والنوارسُ ملجومةٌ بالسماء
وتعرفُ . كانت ... تقودُ شراعَ الطبيعةِ
كانت تقود .....
هى الآن خائفةٌ يومها
هل هو الانحسارُ يؤطرُ خطوتها ؟
أم هى النار خامدةٌ فى الضلوعْ ؟
كل نفسٍ لها ان تزيِّن احلامَهَا بالسطوعْ
وتدمن حبا
ولكنَّ خوض الرَّدى مشترك
اهذا قنوطُ المرايا ؟
تفتش عن حزمة ليست الانكسار ؟ !
يدٌ من رماحٍ
وتمتدُّ
اخرى ..... وتمتدُّ
والشاطىءَ المتوسد اجوبة
ليس يســـألُ
اين الضفاف العيون ؟
اراها دمًى
يرتدى الماء صفرتها
قل سماءٌ ملبدة بالضفادعِ
لا .
ترتدى الماء ضاحكة
وصغار المزارع ينتشرون على طينةٍ
بين خطوة عشبٍ وعشبٍ ضحايا .



هى الحربُ .
لا .
هو البحرُ
لا .
انه الريح فى برزخ يلتقى كالحروف
إهجمْ الآنَ كالعشق فى الطين
ماذا يضرّ النوارس لو حمَلتْ قامةَ البحرِ
قصّتْ جناح المذلةِ
يا معطفَ الماءِ
هاصفرةُ الخبث مزدانةٌ بدم الياسمين
تسير على رئةٍ من انين الصغارْ
بقعةٌ
مثل وجه الفجيعةِ
قبرٌ وسيعٌ بحجم الذبيحةِ يمشى
ويفردُ جبانةً للنوارس
جبانةً للمياه واسماكها
يافتاى الزمان ارتبكْ
والذى كان فى عقلة القيد شوقاً فتياً
هو الآن فى هامة الراس صكْ .
يا فتاى الملوث
هذا مناخٌ يحاصرنا
والرصيد .... محكْ .
بقعةٌ من صديدْ
بقعـــةٌ
لعواطفها سيف قرشٍ
يفرّقُ ما بين حنجرةٍ وصداها
يقطّعُ احلام طفل النخيل
يبعثرها
فوق نعشٍ يروح ونعشٍ يجيء .
اى عشٍّ بَقِي للنوارس ؟
والبحرُ تاكله ضفتاه
يفتش عن فرحةٍ بين كسرة اه وآهْ .

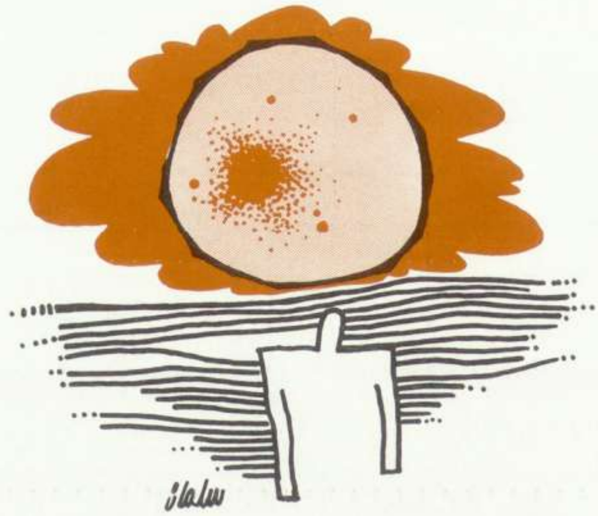
تفحمَ داخلنا
اى عشّ بَقِي ؟
والربيع الذى حاورته الثوانى هنا
لا يمر علينا
ربما تاه بين عواءِ المذابحِ
او ربما قد هلكْ .
ربما .
من يقول يزنزنه الوقتُ
من لا يقول يغصّ بكلْمَتِهِ
ثم يدخلُ فى الانحسار
يا فتى . يا فتى
ليس يبقى سوى من تساقى بلحن المشاوير
فالأرضُ انثى .
اذن اين وقتُ المخاض ؟ !
رائعٌ ان تمد جناحيك فى الريحِ .
قل إن هذا الفضاءَ حجَرْ
والبحار الصديقة لا تعكس الضوءَ
والنهر غادر طينتَهُ الأوليةَ
نلغـُـو
وليست على الأرض ذاكرة للمطرْ .
رقعة من فحيحٍ هنا
تتمايل فى حفلةٍ دودة سوف تاتى وجاءت
فليست سراباً
وليست فلكْ
انه القتل حوّلَ كل الامانى حصًى فى العيون
وصيّر كل الاغانى حسكْ .
وتقولُ ، تعيدُ ، تكررُ ، ما يقتلكْ ؟
آه ما اجملكْ
حين تغضبُ تشرب آهَ الشوارعِ .
موتٌ وياكلنا كل يوم ثلاثا
وبعض الاحايين الفا
هنا

مشـــاغل
النورس الصغير

نتآكلُ مثل جلود الخرافةِ
بين الولادة والموت نعوى
لأنَّ المسافةَ لا تملك القدمين
ولا الرأس .
هذا مناخُ الزحار
توسَّعَ فينا الصدأ
وترقَّمَ صوتُ الاجنةِ
والدودُ يجثم في عظمنا
لم تكن فجأةً
لم تكنْ
فالمجاعةُ قادمةٌ في الشواطىءِ لا ريبَ فيها
ولاموجةٌ طفلة فى المدى تتحركُ
لا . هادىءٌ كل شيءٍ هنا
هادىء
والنوارسُ تغتالُ واحدةً إثرَ أُخرى
اهذا هو الاحتضار ؟ !
اهذا دمي
أم دماؤك ياسيدَ البحرِ ؟
ابصُقْ من النفس حرف المفاتيح
افتح يديك هوى
صدأ قفلها
صدأ
والصديق الذي كنت تطعمه
ساطعَ الحب مِن مقلتيكَ
يمرُّ عليك
كأنْ لم يركْ
كأنَّ الطريقَ الذي تحفران انتهى
وكأنَّ السنين الطويلة في غوص رؤيا التفجر
لم تعزف النغم المشتركْ .
قل يدٌ من رماح الهزائمِ
تمتد للعنقِ
طعنٌ من الخلفِ

يقتلعُ النطفةَ الريبَ قبل تكوُّنِ حبلِ التحولِ
ان الوليمةَ احفادنا
والجريمـــة ....
اعرف مَنْ كان برد السلام لهم
ومن كان ترساً
ومن بالنوايا اشتركْ
يافتاي
المجاعةُ قادمةٌ
من بعيد أراها . أراها
فها شجرٌ يتحركُ فى الافقِ
ها نورسٌ يغردُ الآن بين الجدارات
آخر يفردُ
والصمت في القاعِ يسري ويشربنا
هل نغادرُ ؟
نخلٌ وماتَ
زلالٌ وصارِ الى الملحِ عبدأ
وعيدٌ يطلُّ بغير اضاءة
نهاجرُ
للنخلِ تربته
يتسامَقُ والكون في لحنها
للنوارس ريشٌ من الانتماءات للبحرِ
والعشق يسكنُ في لونها
كيف تنمو اذا ما قطعتَ جذورَك
تكبر مختلفا عن سواكَ
فلا
بقعةٌ كالفجيعة مسعورةٌ
والنباح يهلّم رقص النوارس

بحرٌ بلا موجة
وسماءٌ كان النهاية عنوانها
والجهات التي في القلوب مسيَّجةٌ بالشباك
واشواك ليل الرداءة
ما اتعسَ الحرفَ حين تحاصر خطوته بالشبكْ !!!!
اين نمضي ؟
نفطٌ ويمشى مقتلعا ما روته البراءة
رهط ويعشى عند الظهيرة
لغط يقول ويقتلنا
ثمَّ يقولُ ويقتلنا
ثم .
تعدو النوارس للإنشطارْ .
أرى من ثقوب دمائي قواقعَ خوفٍ
تخبّىء حين تطل الخطى راسَهَا
انني خائفٌ لمسَها
خائفٌ .
دُمَّلٌ اسمه النفط يمشى
ويبصق صلَّ الصديد
وصلَّ الحديد
وصلَّ الرصيد



فيطفو البصاق على النغم الادميّ المعلب
يطفو فنشربُ
ياضيعة البحر بعد انكسار النوارس
ياضيعة العمر بعد انحسار النوارس
اشرح رفيقيَ للعشقِ صدركَ
لا يسالُ العشبُ نهراً عن النبع
اتبعْ جذورَكَ حتى مخدة حلم الطبيعةِ
ثم ارتفعْ
لن تعي اي ارضٍ هي الحلم ان لم تجعْ
للنوارس ان تشعل الشاطىء المتلغّمَ شقشقةً
وللارض ان تستمعْ
فارتفعْ
كالثلاثة في قارب الثار
نزرعُ حباً ونحصدُ جبانة
انه .
والرياح الجميلة راحلةٌ
وكلام الصباح يهاجرُ قبل دخولِ الضحى
والظهيرةُ رمانةٌ خربة
يافتى
أي بؤسٍ غدا ؟
يافتى
أي نحسٍ غدا ؟
يافتى
الدياميسُ فى الروح زنزانةٌ رطبه
يافتى
النواميسُ جالسةٌ في خلايا التذكّرِ
تضحكُ عينُ المسدس فى القصبه
يافتى
والشطوط تزف الى نعشها
والاماني بلا رقبة
يافتى
والنخيلُ بدون جذور

لماذا نحاصرُ في حلمنا
ويحولنا البؤسُ دكةَ حزنٍ
نموت وتنمو العواصمُ منْ ياسمين صبا بحرنا
يا فتاي الملوث
اشرحْ جناحكَ للعشق
هل مص طفلٌ سوى المسغبه
والدم المتطاير في الخطوة المتربه ؟ !
اخفض الصوت
ناكل بالشوك أجسادنا
اخفض الصوتَ
ناكلُ بالضحكِ احفادنا
اننا
يافتاي المعذَّب
لاموجة تتقن العزف فوق الشوارع
والذبح يمرقُ في حركات الهواء
يكوِّرنا
ثم يرفسنا واحداً واحداً
في الغبار المسمى عيون السماء
يافتى
غرَّب القتلُ دفة حلمِ التطلعِ
أي الجهات أيمم
ليس هناك مكان صلاه
يافتى
انني ظامىء . ظامىء
والبحار التي ....
يافتى
كيف تحيا
النوارس
دون
مياه ؟؟

علي الشرقاوى ـ البحرين

أمـــــل دنقـــــل:

ســـيف في الصـدر جـــدار في الظهـــر

بقلم: قاســم حـــداد

تشبثوا بامالكم ، فان امل دنقل قد مات .
ومن لديه امل فليعض عليه بالنواجذ .
ها هى آمال الشعر العربى تغادر .. وتتسرب من بين ايدينا واحداً بعد الآخر .
هل امل دنقل آخرها / أول الذين /
« لا وقت للبكاء
فالعلم الذى تنكسينه .. على سرادق العزاء
منكس فى الشاطىء الآخر .. والابناء يستشهدون كى يقيمون .. على تبة
العلم المنسوج من حلاوة النصر ومن مرارة النكبة خيطاً من الحب .. وخيطين من الدماء »

قال ذلك عند وفاة عبد الناصر / كانه يقولها لنا الآن ، فهو لم ينس الحياة حتى وهو بين فكى الموت .

عندما مات . انهالت مئات المقالات بسرعة البرق للحديث عن شاعر مات . حتى نكاد نشعر بأن بعض هذه المقالات فرحة لأنه مات .

لماذا الآن يصير الشاعر جديراً . ويسمعه الناس ؟

ها نحن ندخل فى واحدة من محن الشاعر العربى الجديد . امل دنقل لم يعرفه طوال تجربته الشعرية ربع عدد الذين عرفوه / يعرفونه الآن .. بعد /

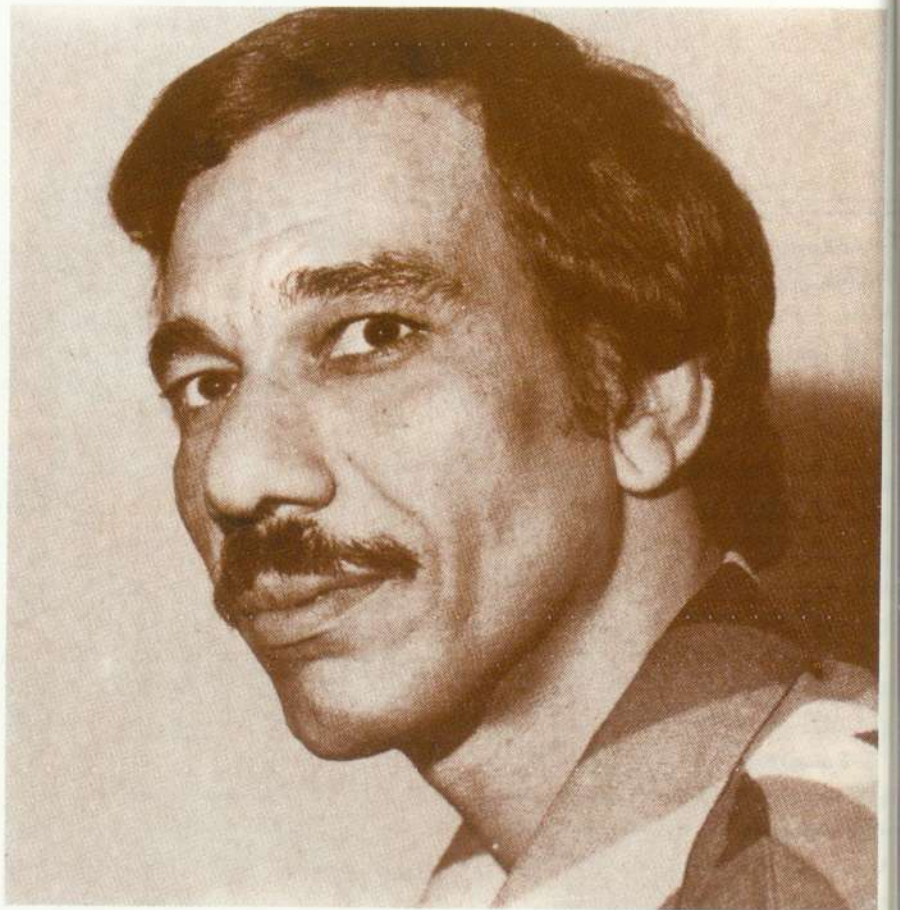
نحن أمة تقدس الموتى . موتاها خاصة . بل اننا أمة تقتل مبدعيها لتقدسهم . ان الفرق / المفارقة بين أهمال الشـــاعر ومحاصرته الى درجة الحرب أثناء حياته ، وبين الاهتمام والاحتفاء الى درجة التقديس بعد موته ، مسألة مثيرة وجديرة باكتشاف النفسية العربية تجاه المبدعين الاحياء / الاموات .

أمل دنقل ، جاء . صرخ فى العـــالم المستكين ، لم يعبأ بصوته أحد.ماهمه احد. كتب أجمل الاشعار ومات .

« امثل ساعة الضحى بين يدى كافور
ليطمئن قلبه ، فما يزال طيره الماسور
لا يترك السجن ولا يطير
ابصر تلك الشفة المثقوبة
ووجهه المسود ، والرجولة المسلوبة .
..ابكى على العروبة »

● الصعيد المصرى / محافظة قنا / قرية القلعة / ١٩٤١ . ولد دنقل . كيف نتخيل طفلا يرى النور للمـــرة الأولى فى (قلعة) ــ حمل الشاعر قلعته معه . فى دمه / كلماته . واشتغل طوال الوقت على كسر هذه القلعة ، بدون ضجيج جاء الى الشعر العربى من صعيد مصر ، وكتب قصيدته المختلفة . كسر جدران قلعته فى القصيدة ، كما لم يعهد الشعر المصرى القصائد ، ولم يعهد الكسور .. بهذا الشكل. قصيدته تكتظ بالواقع ، بالعذاب الذى رآه فى المدينة أكثر تعقيداً من عذاب القرية . هناك صورة العذاب واضحة ، مباشرة حتى البساطة . فى المدينة بدأ الصراع على درجة من التعقيد الى الحد الذى يتطلب قوة أسطورية لدى الشاعر لكى يعبر الجحيم . يحترق فيه دون ان يتلاشى . كان فلاحاً هادئاً يمكن ان تلمس هدوءه فى موسيقى القصيدة .فى قافيتها خاصة . والمدينة صاخبة /

« كنت لا احمل الا قلماً بين ضلوعى
كنت لا احمل الا .. قلمى
فى يدى : خمس مرايا
تعكس الضوء (الذى يسرى اليها من دمى)



أمل دنقل

.. « افتحوا الباب »
فما رد الجرس
ـ « افتحوا الباب .. انا اطلب ظلا .. »
قيل : « كلا » .

١٩٥٨ / دخل كلية الآداب . جامعة القاهرة . لمدة عام واحد فقط . كانه ليس مهيأ لشىء سوى الشعر ، المهمات والواجبات التى تتطلب جلوساً فى المقعد لا تليق به .

عاد الى محافظة قنا . عمل موظفاً فى المحكمة . لكنه انشغل بالشعر والحياة . ترك الوظيفة /

« ملك ام كتابه » .
صاح بى صاحبى ، وهو يلقى بدرهمه فى الهواء
ثم يلقفه
....
« ملك ام كتابه »
صحت فيه بدورى
فرفرف فى مقلتيه الصبا والنجابه
واجاب : « ملك »
دون ان يتلعثم .. أو يرتبك
وفتحت يدى
كان نقش الكتابه
بارزا فى صلابة

انفجر أمل فى الشعر الحديث بهدوء . لكن بنوع من السخرية لم تتوفر كثيراً فى هذا الشعر . كان الفن عنده يسخر فى الجرح ويسخر به معاً . وصارت هـــذه الخصيصة من أرقى ملامح شعره . وربما وصلت فى احيان كثيرة الى ذروة المأساة الانسانية التى تنطوى على قدر كبير من درامية الحياة البشرية . ويستطيع أمل دنقل بجمالية شعرية غاية فى الشفافية ان يباغت القارىء بصورة يومية تصعد الى مستوى الصورة الشعرية الراقية . يحدث هذا من غير ان تفقد الصورة اليومية الشعبية بساطتها ، ودون ان يقع فى المبالغة الكلاسيكية المعتمة ، والتى يحيط الضجيج البلاغى بها . فاللمحة الساخرة عنده تفجر فى ذهن القارىء مالا يقاس من المعانى والافاق الشعرية .

«قيل لى « اخرس »
فخرست ، وعميت وائتممت بالخصيان
ظللت فى عبيد « عبس » احرس القطعان
اجز صوفها
ارد نوقها
انام فى حظائر النسيان
طعامى : الكسرة والماء وبعض التمرات اليابسة
وها انا فى ساعة الطعان
ساعة ان تخاذل الكماة والرماة والفرسان
دعيت للميدان
انا الذى ما ذقت لحم الضان
انا الذى لا حول لي أو شان
انا الذى اقصيت عن مجالس الفتيان :
ادعى الى الموت .. ولم ادع الى المجالسه » .

انها قصيدة « البكاء بين يدى زرقاء اليمامة » التى كتبها فى الأسبوع الأول من هزيمة ٦٧ . والتى انتشرت فى مصر بالدرجة الأولى ، تماماً كما اشتهرت « هوامش » نزار قبانى فى البلاد العربية . مع ان الشعر عند دنقل وصل الى مراحل فنية تاخرت « الهوامش » عنها .

هنا السخرية تصير نوعاً من الطقس الحزين الذى يفضح صلاة كانت ـ من اجل صلاة جديدة . لقد اختصر الشاعر هنا تاريخاً عميقاً من القمع والجوع . فكل كلمة هنا تشتمل على مدلولاتها التاريخيـــــة الواقعية . فالانسان الذى لم يكن يتمتع بالحرية والديمقراطية ، هو المطلوب للدفاع عن الوطن . والذى يعرف عمق الاشارة الى الواقع الاقتصادى ، سيكتشف بشاعة الاشارة الى كلمة (لحم الضان) / ان أمل هنا يوظف السخرية الشعبية فى تفجير الجذور .

الناظر الى قصيدة دنقل للوهلة الأولى يعتقد ببساطتها البنائية ، لكن المتأمل فيها سيكتشف درجة التعقيد الايحائى والعلاقات الجمالية التى لا تزركشها المبالغات اللغوية . لكن بساطتها تكمن فى حساسية خاصة يمتلكها الشاعر تجاه* اللغة . لغة بذاكرة غير مقموعة ولا موروثة:

«حين سرت فى الشارع الضوضاء
واندفعت سيارة مجنونة السائق
تطلق صوت بوقها الزاعق
فى كبد الأشياء :
تفزعت حمامة بيضاء
(كانت على تمثال نهضة مصر
تحلم فى استرخاء)
طارت وحطت فوق قبة الجامعة النحاس
لاهثة ، تلتقط الانفاس
وفجاة : دندنت الساعة
ودقت الاجراس
فحلقت فى الأفق .. مرتاعة

أمـــــل دنقـــــل:

سيف في الصدر جدار في الظهر

عند أمل دنقل تجد المفردات التى لا تتوقع أن تكون بهذا الجمال وهذه الطاقة الشعرية . انه يتشبث ببساطة المفردة وبشحنها بايماءات جديدة . كانت الروح الشعبية لديه تتعرض لعذاب الماس فى طريق الصقل والبريق . المفرده عنده تلمع وتطلع .

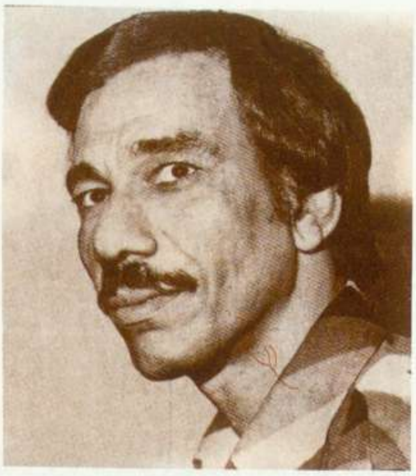
أمل لا يخلق لغة شعرية ساخرة . بل يحول المناخ المفاجىء الذى نعتاده ببساطة لكى يبرق أمامنا بشجن ومرارة ويبدو لا معقولا . غرابته الساخرة تنبع من العذاب الكبير الذى تجسده المفارقة فى الصورة ، ومن طاقة المعنى التى تفيض من اطلاق اللغة من أسارها . انه يدخل اللغة فى الحرية :

«ابانا الذى فى المباحث . نحن نرعاك . باق لك الجبروت . باق لنا الملكوت
وباق لمن تحرس الرهبوت .
تفردت وحدك باليسر . إن اليمين لفي الخسر
اما اليسار ففى العسر . إلا . الذين يماشون
إلا الذين يعيشون يحشون بالصحف المشتراة
العيون .. فيعيشون .. إلا الذين يشون . وإلا
الذين يوشون ياقات قمصانهم برباط السكوت .
.. الصمت وشمك . والصمت وسمك .
والصمت . انى التفت – يرون ويسمك .
والصمت .
بين خيوط يديك المشبكتين المصمغتين يلف
الفراشة .. والعنكبوت .

/ القراءة . والقراءة . ثم القراءة . تجعل الشعر يصير اكثر جمالا وتجعله افقا لكشف . الشعر الذى لا يدعوك لذلك / ليس كذلك .

فى أوائل الستينات عمل أمل دنقل فى مصلحة الجمارك بالسويس . ثم الاسكندرية لكنه ترك الوظيفة . انغمس أكثـر فـى الشعر . (أنا لم أعرف لي عملا أو مهنة غير الشعر . لم أصلح فى وظيفة . ولم انفع فى عمل آخر . وأخشى أن أتهم باستخدام الكلمات الكبيرة إذا قلت اننى كنت راهباً فى محراب الشعر وحده . ولقد اكتشفت الآن أن الفن والأدب على اطلاقهما لا يقبلان بغير هذه الرهبنة .

انت لا تستطيع أن تكون موظفاً وكاتباً أو صحفياً وشاعراً . الكتابة موقف متصل . ان تكون أو لا تكون . تكتب أو لا تكتب . على نقيض ما يقول به شكسبير وحين طرح علي هذا السؤال ، لم افكر فيه أبداً . ولم أختر الاجابة . فلقد وجدت نفسى منساقاً



امل دنقل

الى محراب الشعر . لا أفكر فيما عداه . فلم يكن من شواغلى أن تكون لي وظيفة أو بيت أو ثروة . قلت أو كثرت . بل شاغلى أن أعيش لحظة الايقاع النادرة بين نثر الحياة اليومية وتوتر الشعر) .

الآن . اكتشف الآن . وكم تأخر هذا الاكتشاف . فهذا الكلام هو كلامه الأخير قبل ثلاثة أيام من الموت . هل كان عليه أن يدفع سنوات عمره كاملة ليكتشف هذه الحقيقة / يكشفها للعالم ؟

انشغل بأن يعيش لحظة الايقاع النادرة .

وللدارس أن يكتشف جماليات هذه اللحظة التى امتدت فى قصيدة أمل .

البنية الايقاعية فى شعر امل ليست شكلا . انها أحد عناصر حياة المضمون بالذات . الايقاع هو النسيج الخاص الذى غزله أمل برهافة لا تتيسر إلا لشاعر مبدع . يتميز بحساسية عظيمة تجاه اللغة .

وللدارس أن يكتشف ايضاً أن هذا الشاعر كان مولعاً بالايقاع وهائماً به . بل يمكن أن نلمس أنه خالق خاص للايقاع المختلف . وإذا لم يكن قارىء قصيدة أمل على درجة من الحس الموسيقى فانه سيفقد سر الحيلة الايقاعية التى تبتكر باستمرار الشاعر بقدرته الفائقة يكاد يمحو حدوداً واقعية بين النثر والوزن . وربما صارت هذه الحدود وهماً . انه لا يعنى كثيراً بوزن الشعر ، لكنه يحتفى بايقاع الروح . روح الشعر والانسان معاً . فاذا أنت لم تفهم حيلته الفائقة فسوف تقع فى النثر . رغم تكرار القوافى التى تتداعى احيانا كانها الأشلاء من جسد يحترق .

«قلت : فليكن الحب فى الأرض ، لكنه لم يكن !
قلت : فليذب النهر فى البحر ، والبحر فى السحب ،
والسحب فى الجدب ، والجدب فى الخصب ،
ينبت خبزاً ليسند قلب الجياع ، وعشباً لماشية الأرض ، ظلا لمن يتغرب فى صحراء الشجن» .

ويستطيع أمل دنقل أن يفاجىء القارىء بايقاعات غير متوقعة ، فاحيانا تتلاحق القوافى (جديدة الصياغة) بتداعيات شعورية تحمل القارىء الى ذروات متدافعة كأنها الصهيل الكثير الذى يسبق شراسة الحرب .

«أسال يا زرقاء ..
عن وقفتى العزلاء بين السيف والجدار
عن صرخة المرأة بين السبي والفرار
كيف حملت العار
ثم مشيت دون أن أقتل نفسى دون أن أنهار .

وأحيانا تتباعد القافية فى القصيدة ، حتى نكاد لا نلمح لها سوى تردداً واحداً . كأن نقرأ (الوشاح) فى بداية المقطع ونلتقى فى آخر المقطع بكلمة (الصباح) .

«أيها الواقفون على حافة المذبحة
اشهروا الأسلحة
سقط الموت ، وانفرط القلب كالمسبحة
والدم انساب فوق الوشاح
المنازل أضرحة
والزنازن أضرحة
والمدى .. أضرحة
فارفعوا الأسلحة
واتبعونى
أنا ندم الغد والبارحة
رايتـى : عظمتان .. وجمجمة
وشعارى : الصباح» .

أثناء ذلك . نحن لا نتوقع أن تكون هذه القافية (الوشاح / الصباح) بالذات هى عمودى الهيكل الشعرى للقصيدة اللذين ينهضان ببنية المناخ العام . ولنا أن نتأمل الجمال الداخلى الذى خلقته القافية الصغيرة المترددة (اضرحة) بايقاع خاص مختلف .

ان الشاعر لا يبدو أنه يحتفى بالقافية الى درجة الافتعال انها ترد امامه عفو الخاطر . وإذا دخلت الصنعة ، فانها تدخل بشفافية لا تخدش متعتنا الشعرية .

بساطة أمل فى شكل قصيدته الفنى تنطوى على الجمال الذى لا يتكرر ، بمثل هذه العناصر ، فى تجربة سواه الفنية . انه نسج وحده حقاً . ويمثل نموذجاً للبساطة المستحيلة .

«فى الفندق الذى نزلت فيه قبل عام
شاركنى الغرفة
فأغلق الشرفة
وعلق (السترة) فوق المشجب المقام
وعندما رأى كتاب (الحرب والسلام)
بين يدي : اربد وجهه ..
ورف جفنه .. رفه
فغالب الرجفة
وقص عن صبية طارحها الغرام
وكان عائداً من الحرب .. بلا وسام
فلم تطق .. ضعفه
ولم يجد ـ حين صحا ـ
إلا بقايا الخمر والطعام .
ثم روى حكاية عن الدم الحرام
(.. الصحراء لم تطق رشفه
فظل فيها ، يشتكى ربيعه صيفه)
وظل يروى القصص الحزينة الختام
حتى تلاشى وجهه
فى سحب الدخان والكلام
وعندما تحشرج الصوت به ، وطالت الوقفة
ادرت رأسى عنه .
حتى لا أرى دمعته العفَّة
ومن خلايا جسدى : تفصد الحزن ..
وبلل المسام
وحين ظن اننى أنام
رأيته يخلع ساقه الصناعية فى الظلام
مصعداً تنهيدة ..
قد أحرقت جوفه» .

جاء أمل دنقل إذن من صعيد مصر . ليفتح الطريق أمام الجيل الجديد فى الشعر المصرى بعد عبد الصبور وحجازى . واستطاع بجدارة فنية أن يكون صوتاً خاصاً مختلفاً وقادراً . منذ (زرقاء اليمامة).

كان حراً بما لا يقاس فى تجربته الفنية . وهذا ناتج فى تقديرى من حريته الفكرية فهو لم يقع تحت وطاة المنظورات السياسية الجاهزة فى الفن . فهو الشاعر الوحيد الذى كان يستطيع أن يقول فى أجمل قصائده وأكثرها جراة :

لا تحلموابعالم سعيد
فبعد كل قيصر يموت
قيصر جديد
(زرقاء اليمامة)

هذه الفكرة الفاجعة تتطلب جراة كبيرة لتواجه مهرجانات الأمل الكاذب الذى اقيم لينتشل الانسان العربى من هزائمه التى لم تكن حزيران آخرها . وفى مصر بالذات يشكل اطلاق هذه الفكرة موقفاً مرشحاً لتهمة اليأس . والشاعر التقدمى ـ حسب النظرة السائدة ـ ليس له ان يكون يائساً . غير مصرح له بالشعور باليأس . **اعتقد انه الشـــــاعر الجـــزائري محمد** حديبى الذى قال مرة «قليل من اليأس يجب أن يضاف الى القصيدة» / .

أمل دنقل كان يائساً كل هذا اليأس الخلاق . كان يائساً بصدق ولم يكن مستعداً لخيانة شعوره فى تلك اللحظة التاريخية .

كان انسانا خلاقاً . مادام اليأس شعوراً طبيعياً ، فمن المتوقع أن يمر به الانسان ، تماماً مثلما يمر بلحظات الأمل .

أن يكتب الشاعر يأسه ، يعنى انه يواجه تجربته بصراحة الشعر وقدرته على نفي اليأس ، فبمجرد ان يكتب الشاعر القصيدة فانه ليس معرضاً للوقوع ضحية لليأس . وأمل دنقل بالذات ، وهو المأخوذ بحلم الانسان ، كان جديراً بمصارعة اليأس طوال حياته ، لكن دون أن يسقط فى مستنقع الأمل الكاذب .

«قلت لكم مراراً
ان الطوابير التى تمر فى استعراض
عيد الفطر والجلاء
(فتهتف النساء فى النوافذ انبهاراً)
لا تصنع انتصاراً
ان المدافع التى تضوى على الحدود فى الصحارى لا تطلق النيران .. إلا حين تستدير للوراء
ان الرصاصة التى ندفع فيها ثمن الكسرة والدواء
لا تقتل الأعداء
لكنها تقتلنا .. إذا رفعنا صوتنا جهاراً
تقتلنا ، وتقتل الصغارا
قلت لكم
لكنكم .. لم تسمعوا هذا العبث
ففاضت النار على المخيمات
وفاضت الجثث
وفاضت الخوذات والمدرعات» .

فى خريف ١٩٧٦ ، ذهبت صحفية من القسم الثقافى بجريدة «الأخبار» لتجرى حواراً مع أمل دنقل ، فى مقره الدائم بمقهى ريش . وكان هذا اللقاء ولادة الحب الذى تحول سريعاً الى خطوبة وزواج عام ٧٨ . كانت الصحفية هى عبلة الروينى .

ولأن الشاعر لم يكن يملك سكناً للزواج ، ولا مالا ليهيىء هذا السكن ، فاقام مع عروسه فى غرفة بفندق بشارع ٢٦ يوليو منذ بداية عام ١٩٧٩ .

ولد أمل بعيب فى احدى خصيتيه ، وفى سن التاسعة أجريت له عملية جراحية فى محافظة قنا . ويبدو أن العملية كانت فاشلة وفى هذه الحالات ، إذا لم تنشط الخصية المريضة فان المريض معرض للاصابة بالسرطان فى سن الأربعين . وهذا بالضبط ما حدث . فمنذ ثلاث سنوات بدأ السرطان يهاجم أمل فدخل المستشفى للعلاج ، وكان لا يملك نقوداً لمثل هذا العلاج الباهظ /

«أيها السادة : لم يبق اختيار
سقط المهر من الاعياء
وانحلت سيور العربه
ضاقت الدائرة السوداء حول الرقبه
صدرنا يلمسه السيف ..
وفى الظهر الجدار»

فكتب يوسف ادريس مقالا يطالب الدولة بعلاج الشاعر على نفقتها وبدأت حملة لعون الشاعر من قبل الأصدقاء والمحبين فى أماكن عديدة من البلاد العربية . وعندما تعهدت الدولة بالعلاج . طلب امل من الاصدقاء التوقف عن حملة المساعدة . لكنها لم تتوقف . كان لا يريد أن يشغل الناس بمرضه . الى أن /

(لقد توقف العلاج . وهذا يعنى ان القارب قد وصل الى الشاطىء الآخر . أو قارب على الوصول . وانا الآن لا احب ان اتحدث عن مرضى ، فهو قضية شخصية يجب ألا تشغل أحداً سواى)

وبعد ثلاثة ايام .. وصل القارب الى الشاطىء الآخر . فقد /

«كان نقاب الأطباء أبيض
لون المعاطف أبيض
تاج الحكيمات أبيض
الملاءات
لون الأسرة
أربطة الشاش والقطن
قرص المنوم
أنبوبة المصل
كوب اللبن
كل هذا يشيع بقلبى الوهن
كل هذا البياض يذكرنى بالكفن
فلماذا إذاً مت
يأتى المعزون متشحين بشارات لون الحداد
هل لأن السواد

سيف في الصدر جدار في الظهر

هو لون النجاة من الموت
لون التميمة ضد الزمن» .

حتى إذا مات . كمن يدخل باباً انتظر عنده طويلا بعذاب . يدخله بهدوء . ولا نكاد نعرف من الذى ارتاح من هذا الدخول . هل الشاعر من الموت / أم الموت من الشاعر :

(كان أمل جميلا حتى فى الموت . كان أصدقاؤه يقولون له تحمل يا أمل الألم . قاومه . وكان يرد : أنا لا أملك إلا أن أقاوم . كان يقول لي : أنا لا أخاف الموت لكن أخاف العجز . عندماعجز أمل عن الحركة قبل وفاته بثلاثة أيام ، واصيب بشلل فى كل جسمه ، أدركت انه قد مات . طوال فترة مرضه لم يتخل عن دعابته وسخريته مع أصدقائه الذين كانوا يزورونه . والذين لم يفارقوه فى الفترة الأخيرة . عبد الرحمن الابنودى . الدكتور جابر عصفور . الدكتور عبد المحسن طه بدر . فاروق شوشه . كان يوصيهم أن يتماسكوا ساعة الموت . ان أمل إن كان قد عاش طوال السنة الأخيرة فهذا بسبب حب الناس له)

(الزوجة)

/«آه .. سيدتى المسبله
آه .. سيدة الصمت واللفتات الودود
لم يكن داخل الشقة المقفلة
غير قط وحيد
...
آه .. سيدة الصمت والكلمات الشرود
آه .. أيتها الأرملة» /

(وقبل حوالى ثلاثة أشهر أدرك بشفافيته أن أيامه معدودة فقال لزوجته ولي سيناريو كامل لما يريده بعد وفاته . قال كل ما له وما عليه . طلب أن يدفن أمام مقبرة أبيه فى قريته . وعندما ذهبنا لدفنه وجدنا (مصلى) فى المكان الذى حدده فاستاذنا وحفرنا له فيها قبره . لقد صعقت وانا أشاهد جسده عندما غسلناه بعد وفاته . كان جسداً متحللا . كيف عاش هذا تحت هذا الجسد ؟ أليست معجزة .) .

(عبد الرحمن الابنودى)

«أعرف أن العالم فى قلبى .. مات
لكن حين يكف المذياع .. وتنغلق الحجرات
انبش قلبى ، اخرج هذا الجسد الشمعى
وأسجيه فوق سرير الآلام
أفتح فمه ، أسقيه نبيذ الرغبة
فلعل شعاعاً ينبض فى الأطراف الباردة الصلبة
لكن .. تتفتت بشرته فى كفي
لا يتبقى منه .. سوى : جمجمة .. وعظام» .

الشاعر محمد الماغوط قال لبدر شاكر السياب بعد موته : «تشبث بموتك أيها المغفل» .

الآن / أمل دنقل كان طوال السنوات الأخيرة يتشبث بحياة أرحم منها الموت ، ولم يكن مغفلا .

بين السياب وأمل لم يتغير الحال العربى كثيراً . تفسخ أكثر . انهار أكثر . ولم يبق سوى أن يموت لنا أمل . صار الانسان (الشاعر خاصة) أكثر هامشية من حذاء المشروع العربى . رغم ذلك كان أمل شجاعاً أكثر من السياب .

الذى يقرأ الشعر يعرف / سيعرف ذلك جيداً .

إن ضعف السياب كان نابعاً من عذاب الأرجوحة التى وجد نفسه فيها . فقد انغمس السياب فى أرجوحة السياسة العربية ففقد حريته الخاصة . صادرت السياسة حرية الشاعر الداخلية . تأرجح بعذاب كبير قبل المرض . تبع هذه المنظومة الفكرية حيناً ، وتلك المنظومة الفكرية حيناً آخر .

عذاب الأرجوحة هذا هو الذى أفسد (يفسد) قدرة الشاعر على التمتع بحريته الداخلية ، وأدخله فى المازق .
أمل دنقل ظل طوال الوقت يخوض / يجتاز السياسة العربية بساقين طويلتين . يرى الى السياسة بنظرة الطائر الذى يكتشف الواقع بسيطرة القادر . ويملك حريته فى نفس الوقت . حريته فى الطيران عابراً فسحة الأفق الأوسع من السياسة . وكانت حيلته جميلة وقادرة :

«حاربت فى حربهما
وعندما رأيت كلا منهما .. متهماً
خلعت كلا منهما
كي يسترد المؤمنون الراى والبيعة
لكنهم لم يدركوا الخدعة» .

هذا هو الفرق بين عذاب الحرية لدى أمل ، وبين عذاب الأرجوحة لدى السياب .
عذابان هيئا للشعر العربى الحديث تجربتين من أجمل التجارب الشعرية المعاصرة ، ومن أكثرها صدقاً واصالة .
السياب ودنقل قتلهما المرض . لكن الأول عانى من عذاب الأرجوحة اكثر من عذاب المرض . وعانى الثانى من عذاب المرض أكثر من عذاب الحرية . ويمكننا اعتبار هاتين التجربتين صورة تجسد محنة الشاعر العربى المعاصر ، وتفضحها فى نفس الوقت .

(الشاعر له وظيفة اجتماعية أساساً . لابد له من موقف اجتماعى . الموقف السياسى تال لذلك . الموقف الاجتماعى الأشمل من قضايا المجتمع وقضايا العصر الذى نعيش فيه .

وليس معنى هذا الموقف أن يصدر الشاعر عن حماس تبريرى اجوف للأحداث المؤقتة والعابرة ، حتى ولو كانت أحداثاً كبيرة . وكل الشعر الذى ظهر وتبنى شعارات سياسية زاعقة بشكل مباشر هو شعر انتهى من ديوان العرب بعد أن كنسته الأيام . كذلك أكثر الشعر الذى ينشر فى أغلب الأحيان . ونجده مجرد ترجمة لمانشيتات الصحف ، كتلك القصائد التى تكتب عن المشروعات العمرانية ، أو دخان المصانع . أو الانجازات الوطنية . هذا كله ليس شعراً ، حتى وان حمل كل مقومات الشعر . أنه شعر ساذج لا يبقى لانه شعر ترديدى موقوت بالمناسبة التى قيلت فيه . إذ الشاعر هنا ليس أكثر من ناظم ، أو حرفى ، يعيد صياغة أفكار جاهزة .

وليست تلك وظيفة الشعر أو الشاعر . إن الشاعر يطمح الى ما هو أبعد من الواقع حتى لو كان الواقع الذى يعيشه الشاعر رائعاً وجميلا . فانه يطمح الى الواقع ـ المثال . الأكثر روعة وجمالا .

من هنا فان الشاعر يطمح الى تحقيق المعادلة المستحيلة تلك التى يريد فيها أن يجعل الواقع شعراً ، والشعر واقعا . ولكن الواقع دائماً وأبداً لا يسعف الشاعر بهذه الصورة . ولهذا يجد الشاعر نفسه منحازاً الى الحلم ضد الواقع) .

(الشاعر فى الأسبوع الأخير)

جاء من صعيد الأرض . كتب شعراً جميلا كثيراً ، ومات . فى حياته طبع كل شعره خارج بلاده ، بعد وفاته ، ومن خلالها سيطبع شعره فى بلاده .
لقد مات . لذلك فهو الآن يستحق التكريم .

لكن / ينبغى أن نتشبث بامالنا .. فان أمل دنقل قد مات .

قاسم حداد
البحرين

بنفسجة الختام ..

شعر : حسن طلب

أنا :

يَا واقفِينَ : قِفوا على طَللِى
ويا باكين بالشجَنيَّةِ الهتّانةِ
ـ ابكونى
اقعدُوا يا قاعدِينَ .. وَأبِّنونى
الآن : هذا دونكم جسَدى
وتلك عيونُكُم دونى
.. ادخلُوا
إنى ساخرجُ فى الغيابةِ والغمامِ ،
وأنتَفِى فى اللانهايةِ ،
.. أطلقونِى

هم :

لم يبقَ من دمعٍ سوف نذرِفُهُ
يا طللا لا نكادُ نعرفُهُ
مَشَتْ يدُ الموتِ فى مرابعِهِ
وأسلَمتْهُ للسّيلِ يجرفهُ
وخلّف الدهرُ فيه آيتهُ
حسبُك من دهرٍ ما يخلفهُ !

• • •

هو :

كان صبياً مُلتفِتاً
كان يهيمُ .. يهيمُ ،
كأنْ كان يلاعبُ أطياراً
وجنوداً زُرقا
وفراشاتٍ ..
حتى لَمّا آن تعبَ ونادتهُ ملاعبُ أخرىٰ :
انفلتَا
كان يطيرُ .. يطيرُ ،
كأنْ كان يطاردُ حُلمينْ حقيقيّينِ ،
وينظرُ من عينينِ ..
طويلاً ما بكتَا
ولغيرِ نخيلِ القريةِ ما اشتكتَا !

هم :

نرى خيالًا .. ولا نرى جسدًا   فَجُدْ بوَعْدٍ .. ولو ستخلِفُهُ !

• • •

همـا :

واعدَها عند الوقتِ ،
فجاءتْ قبلَ الوقتِ ..
على قدمين لغير حبيبٍ ما سعَتَا
كانتْ دمعةَ شوقٍ فى عينيها تكبرُ ،
كانت دمعةُ حزنٍ فى عينيهِ ،
فلما ضمّهمَا ليلُ شَجَنِيِّ البوحِ ..
تَحدّرتَا
ومع الصبحِ ،
أصابهمَا السهمُ المسمومُ ،
باوجاعِ الوطنِ المهزومِ ،
فلم يبرحْ حتى سكتَا
فسلاماً يا كبِدَيْنِ تفتّتتَا
ما إن صَبَتَا ..
حتى خَبتا !
وبنارَيْنِ اكتوتَا
ووداعاً يا طيفَ فتاةٍ .. وفتىً !

• • •

يا واقفِينَ قِفُوا على طللى
وتوقعُوا لا شىءَ من قِبلى
مَقةٌ على شفتىَّ قد وقفتْ
بهما وقوفَ الدمعِ بالمقلِ
نوحوا على هبةٍ وموهبةٍ
وعلى القصيدِ وروعةِ الغزلِ
يا واقفينَ ، فَصَوْبُ واكفةٍ
منكم ، ومنى سكتةُ الأزلِ

الحصار

قصة قصيرة بقلم : كلثم جبر

يغفو المساء ..

وحبيبات المطر تتعانق فوق النافذة تنزلق متكاثفة .. ينوء الغمام تحت ثقل العاصفة وهذا المساء قرميدى .. أتوسد به الكف والمقعد وأرنو إلى الحائط « أبحث عن وجهها القابع بأعماق الذاكرة .. » .

الصوت بجانبي يهمس ثم يعلو وفحيح العاصفة بالخارج :

ـ تود العشاء ؟

اتوسد الكف والمقعد .. « أبحث عن شعرها الغجري فى بؤرة الألم .. جمعته ذات يوم عاصف . شددته .. صرخت .. « ان لم تفك حزمة جدائلي صفعتك .. » الصوت يعلو ثانية .. والغمام يبكى بالخارج ، أدمعه حبيبات مطر تعانق النافذة ، وتنزلق خطوطاً بوهيمية اللون فى الفراغ .

ـ تود العشاء أم النوم ؟ !

نظراتي تنزلق وحبيبات المطر فوق النافذة استرجع حزنها وهمسها « ـ هـــــل يسرك هذا ؟ ـ » اعانق وجهها الطفولي وابتســـم « ـ أود أن أراك غاضبة ـ » يزعق الصوت بجانبي وفحيح العاصفة ..

ـ أود أن أنام !

يتراخى الصوت وحبيبات المطر ..

ـ تود العشاء ؟ اجب بهزة من رأسك ان كنت عاجزاً عن الحديث !

« ابتسمت وقتها قربت وجهي وهمست .. « ـ اصفعيني إن شئت ـ » امتدت يدها هوت فوق صدغي ـ آلمني وجهي ـ كنت أحسبها تمزح .. وبنفس اللحظة قربت وجهها منى وهمست .. « ـ واوا .. آلمني شعري ! ـ » قربت وجهها اكثر .. عيناها البندقيتان كلون العسل غصت فيهما ضحكت .. « ـ اصفعيني ثانية إن شئت ؟ ـ » عانقت وجهي .. « ـ اعتذر، كنت بالفعل غاضبة ـ » .

ارنو وحبيبات المطر . انزلق من فوق وسادة كفي والمقعد وأجابة الصوت اللاهث ..

ـ لا أود العشاء .

يصمت الصوت .. يعلو فحيح العاصـــفة وتلاطم الموج .. يأتى من الداخل .. يعلو .. يهمس الصوت برجاء ..

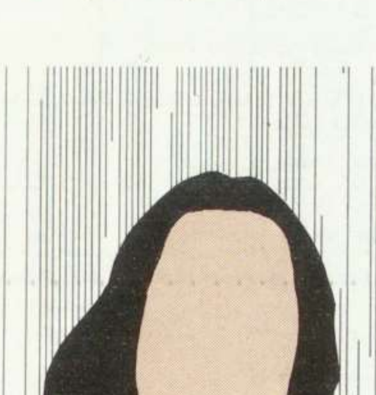
ـ ألن تنام ؟ !

انزلق حتى الأرض ، اقترب من توهج الجمرات فى المدفأة .. استوطن الدفء .. أقترب اكثر .. ابحث عن الدفء .. اشعر بالقشعريرة تنساب بداخلي .. بداخلي خواء عظيم وكهف جليدي تئن وراء جدرانه قطيع من « الرنة » وهى تجر عرباتها فوق الأسطح الجليدية .

يتنهد الصوت وتلاطم الموج من بعيد ..

ـ أخشى الظلام بالداخل ، تلاطم الموج وصوت العاصفة يخيفني !

« كانت تبتسم وهى تعبث بشعري « ـ واوا .. لم أعد غاضبة ـ » . شددت الخصلات المتدلية ثانية .. عبست .. داعبت أنفها الدقيق .. عادت تبتسم ثانية « واوا .. لم أعد غاضبة .. ولكن اخاف الظلام فلنغادر هذا المكان ! ـ »



وحبيبات المطر تنزلق فوق زجاج الســـيارة .. أصابعها من الداخل تلاحق الانزلاق وتضحك « ـ هل تصدق ؟ متى أراك تغرد السماء وتمطر . هل تلاحظ ذلك ؟ ـ » ابتسم .. (أحبك وقطرات المطر .) » .

الريح بالخارج تزعق وتلاطم الموج يضرب الأرصفة يزحف وكثافة المطر .. يعانق الابواب ويرتد هائجاً للشاطىء .

الصوت اللاهث يقترب .. يلتصق بوجهي .. الأنفاس احسها فوق جبيني كالعار .. ملطخا بالدم والعار .. أبعد وجهي احاول مسح العار من فوق جبيني .. الصوت يعاود الهجـــوم واللهاث ..

ـ ألن تنام ؟ أخشى الدخول للغرفة وحيدة . صوت المطر يرعبني ! البرودة بداخلي تتضاعف والخطوط المتداخلة فى اللوحة الضبابية لم تكتمل خطين منسابين ، وتكسر الخشب الملتهب فى المدفاة يتضاءل رغم الالتصاق بي ثانية أشعر بالبرودة تجتاح داخلي .. بداخلي خواء عظيم واروقة باردة .

« عيناها البندقيتان تحملقان فى ـ أعشـق المطر . قف بالسيارة على قارعة الطريق . دعنا نشهد عرس الأرض والسماء ـ » حملقت فى وجهها .. (ـ مجنونة انت ولكن اعشـــق جنونك ـ) . غضبت .. « دائماً تخاف ! ـ » شددت خصلتها المتدلية .. (ـ بقربك لا ! بعيد عنك نعم ـ » اليدان .. والصوت تطوقان كتفي ـــ أحاول الهرب ..

الخواء بداخلي يزعق . الجمرات تذبل ، والبرودة تجتاحنى » .

« وعيناها البندقيتان مؤرقتان .. همست بحزن ذات مساء وهى تنظر إلى خطوط جبهتي « هل تحبها ؟ ـ » صمت . ابعدت وجهي عنها . غضبت وتدفقات الموج تداعب اقدام الصخور فى تلك الأمسية الغافية فوق الحلم ، سحبتني من اغفاءتي فوق الصخرة .. جلست امامها .

ابتسمت بعذوبة .. « ـ هل تحبها ؟ ـ » اصابعي غزت خصلاتها (ـ وانت من يحبك لو كنت احبها ـ) .

ابعد الحصار عنى .. انهض بثقل وحزن العالم فوق وجنتي . يصدأ الأنين وبقايا اللهاث .. وأجر قدمي فوق ارض صلبة ..

انزلق تحت اللحاف . تقترب اليدان والوجه واهمس بحشرجة ..

ـ أود ان انام !

يغتالني طحلب الوقت يزحف كعادته كل مساء فوق وجهي وعنقي يمزق الشريان وينشر أشرعته الأخطبوطية فيطول ، ويطول ، ويلتهم الشروق .. يهجرني النعاس .. ارافق صــــوت النباح من بعيد .. ومواء القطط بعد أن تعانق الأرض والسماء بود وهدأت الريح .

« أستحضر الحزن وصوتها الدافىء « ـ أود ان انام ! ـ » أستشعر الالم والانين بنبراته اداعب الحزن بداخلها .. (ـ ولكنى طفل شقي أعشق السهر ! ـ) تسافر فى لجة الصمت وتغلق الهاتف » .

الجفاف بداخلي والخواء ..

البرودة تزحف ، تشل أطرافي .. من تحت الغطاء انزلق للأرض ثانية . استحضر الحزن والنزيف .. واشعر بالغثيان أود التقيؤ .

يتقلب الوجه فوق الفراش . يتحشرح يبحث عن تواجدى المادى .. يزعق ..



ـ اخشى الظلام لا تذهب !

ائن كالريح فى الخارج ..

ـ أشعر الجفاف بحلقى . ساتناول كوباً من الماء !

تشبثت اليدان بي ..

ـ لا تذهب اخشى الظلام !

احملق فى الوجه الخائف فى الظلام . احدق اتكسر كالجمرات فى المدفاة .

ـ لماذا تزوجتيني ؟

يصمت الوجه .. يتحشرج الصوت ..

ـ كان لابد من ذلك لقد بلغت الثلاثين . لن يتزوجني احد بعد ذلك .

« صوتها البعيد الساكن فى أروقة الحزن ينزف بداخلي وغابة شعرها « ـ الحب هو ان لا أغتالك فى زمن الجدب والقحط ! ـ » .

أحملق فى وجهها .. أنزع اللحاف .. أهدر كالموج فى الخارج ..

ـ لماذا أصررت على الارتباط بي رغم إنى أفهمتك ان واحدة اخرى تسكنني منذ عانقت الفرح .

تنهد الوجه .. بارتجافة ..

ـ كان لابد من ذلك .

أزمجر كالرعد ..

ـ أليس هناك من طريقة اخرى يستعبد بها الانسان انساناً آخر .

يعوى الصوت ..

ـ لم وافقت ؟ رغم كل شىء كان يمكنك الرفض . ولكنك تخشى المواجهة .. تود أن يأتيك كل شىء مبسوطاً فوق صحائف من ذهب .. كان...

« ووجهها البعيد ينتفض من فوق ارفف الذاكرة ويئن . « ـ الحب هو أن لا اغتالك فى زمن الجدب والقحط .. لذا أستودعك .. وفى الخافق لك مرفا تستريح سفائنك على صدره أستودعك .. رغم اختراقك ذاتي وتسربك فى مسام جلدي وغفوتك بين كريات دمي ! ـ » .

انزلق .. والذاكرة المتعبة وقدماي المرتجفتان والصوت اللاهث خلفي وانطفاءة الجمرات فى المدفاة .. والريح تعاود الأنين وهدير الموج .. والكلاب ومواء القطط والخواء والجفاف يزحف فوق شفتي فابللهما بقطرات باردة من الماء .

الصق وجهي بالنافذة .. والليل بهيم ..

تعربد فيه الريح والموج وقساوة المطر تتكاثف فوق النافذة .. تقرعها .. وقساوة الفراق بداخلي .. « ووحشة عينيها » واغتيالى فوق جحور الضعف والتردد .. جميعها تهدر نزيفاً بداخلى وتنساب قطرات ملتهبة فوق وجنتي تعانق البرودة وعينيها البندقيتين .. !

أعوى كالذئب الجريح بداخلي ...

وأرفض اغتيالي فى زمن التلهى بكرامة الانسان .

« اتفقد وجهها المدفون بالذاكرة .. وقميصها الأبيض .. واغفاءة الحلم فوق جفنيها .. وحزنها الغائر كجرحي والثم ذكرى وجهها فوق زجاج النافذة .. وأعتزم الرحيل إليها حيث تسكنني والفرح وصوتها الغارق فى لجة الحزن اشتاقه وهى تنزف من بعيد ـ « الحب هو أن لا أغتالك فى زمن الجدب والقحط » .

فلسفة الألوان
وأثرها في حياتنا

بقلم : د. عز الدين فراج

الألوان كالألحان تسمو بالأرواح وتغذى الأعصاب وتريح الاحساس

الضوء الأبيض فى الحقيقة ما هو إلا مجموعة من الوان سبعة مختلفة ، وان كلا من هذه الألوان يسير فى خطوط مستقيمة ، ولكنها تغير مسارها (تنحرف) بدرجات مختلفة . لذلك فان اللون الابيض (المكون من سبعة الوان) عند سقوطه على قطرات الماء فى السحب ، أو على درجات فقاعات الصابون ، أو على المنشور الزجاجى فانها بعد أن كانتِ تسير كلها متحدة يصبح لكل منها مسار خاص بعد الانحراف . أى أن الضوء الابيض بمروره فى المنشور قد تحلل . وتسمى مجموعة الألوان السبعة التى يتكون منها الضوء «الطيف» .

ولا يقف تأثير الألوان على امتاع البصر ، وراحة النفس ، ورياضة الذوق ، بل يمتد الى ما هو ابعد من ذلك ، فللألوان سلطانها الشامل على النفوس والطبائع والأمزجة فهى كالحان الموسيقى تماماً تسمو بارواحنا وتغذى أعصابنا ، وتريح احساسنا .

وللألوان دورها فى الطب والفن والفلسفة على مر العصور ، ويعتبر تأثيرها على العقل والنفس من العوامل ذات الأهمية العظمى على حياتنا الفنية والاجتماعية .

وللألوان تأثير ملحوظ فى حياتنا اليومية ، فمنها ما يحفز الهمم ، ومنها ما يقعد بالهمم المتحفزة .

ومن الألوان ما يبعث فى النفس السرور ، ومنها ما يبعث الملل .

ومن الألوان ما يحقق للنفس الهدوء والراحة ، ومنها ما يثير فى النفس القلق والاضطراب .

ومن الالوان ما يوحى بالدفء ، ومنها ما يوحى بالبرد .

إن زرقة السماء وماء البحر وخضرة الأعشاب والنباتات والأشجار توحى بالراحة والهدوء ، ولهذا نجد سكان المدن وعمال المصانع يسرعون الى شاطىء البحار ، حيث تلتقى زرقة السماء بزرقة الماء ويسرعون الى الحدائق والمزارع حيث يلتقى لون النباتات والاعشاب والاشجار الخضراء بزرقة السماء ، وكلا اللونين يريح الأعصاب المرهقة ويبعث الهدوء والسكينة للنفوس الثائرة .

استخدام الألوان

لقد ادرك علماء النفس من ابحاثهم ، أن الحرارة ليست شيئاً مادياً بل هى شىء نفسى ، يرتبط بمزاجنا واحاسيسنا ، وعلى ذلك أصبح استخدام الألوان المناسبة فى المنازل والمصانع والمكاتب امر له اهميته فى ضمان الشعور بالدفء فى الوقت المناسب .

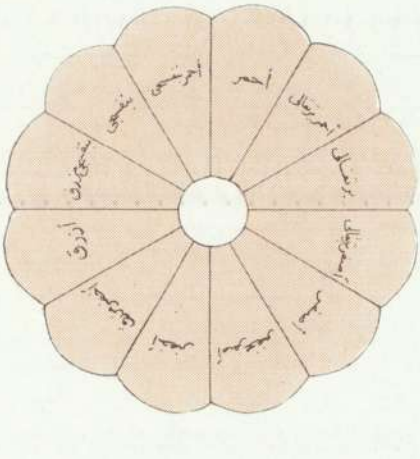
ولأن اللون الأحمر يشعر بالدف ، سمى باللون الدافىء ، واللون الأبيض يشعر بالبرودة ، ولهذا سمى باللون البارد ، واللون الاحمر يذكرك بالشمس والنار والمدفأة فيوحى ذلك بالدفء .

أما اللون الأبيض فيذكرك بلون الثلج وبقرب الشتاء ، وقد افاد مهندس تجميل المنازل بهذه الحقيقة فكانوا يضعون الصور التى يكثر فيها اللون الاحمر فى فصل الشتاء ، والتى يكثر فيها الألوان الباهتة والبيضاء فى فصل الصيف .

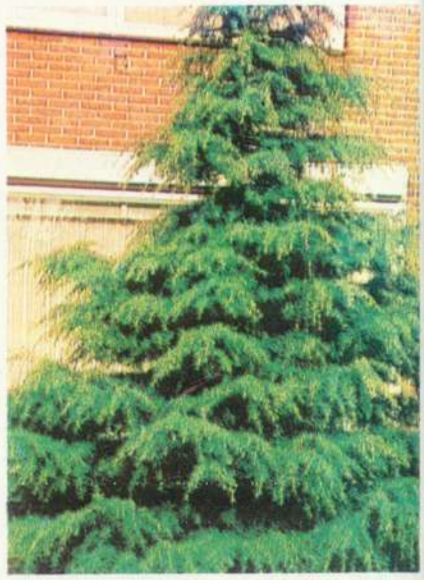
ولا تقف قيمة الألوان عند تأثيرها على جسم الانسان وصحته وأعصابه ، بل تعدتها الى عالم الصناعة ، فقد اختار مهندسو الطائرات الاخضر والأزرق لتقليل حوادث الدوار التى تحدث لراكبى الطائرات ، بعد أن ادركوا أن اللونين الأصفر والرمادى يساعدان على حدوثه .

وحدث أن دهنت جدران متجر كبير لبيع اللحوم بشيكاغو باللون الاصفر ، فبدت اللحوم للزبائن باهتة اللون ، وكانها فاسدة فهجر الزبائن هذا المتجر لهذا السبب .. وعندما عاد صاحب هذا المتجر الى دهان متجره بلون أخضر مائل الى الزرقة ، بدت اللحوم أكثر احمراراً ، والعظام اكثر بياضاً مما أوحى بأن لحومه طازجة ، فزادت مبيعاته وعاد الى سيرته الأولى .

ومن أثر الألوان ما حدث فى إحدى الفنادق الكبيرة فى نيويورك ، فقد اجتمع الضيوف على مائدة ، وكانت عامرة بصنوف الطعام مما لذ وطاب . وبدا الحاضرون يأكلون فى سرور ملحوظ ، فاذا بانوار تشع بعض الأضواء ، فاخذت الأطعمة الوانا غير جذابة ، فاصبح لون الخضرة غامقا غير مقبول ، واخذت أكواب اللبن لوم الدم الأحمر ، واخذت شرائح اللحم اللذيذة اللون الأخضر ، ولم يمض



دائرة الألوان او عجلة الالوان



الألوان المهدئة : الخضراء والزرقاء



دقائق حتى هجر الضيوف المائدة بسبب هذه الألوان المنفرة غير المناسبة .

وللألوان القاتمة أثرها السيىء فى نفوس المتشائمين واليائسين ، وقد ظل جسر على نهر فى لندن موضعاً مرغوباً للمنتحرين ، حتى أشار احد الاخصائيين باستبدال لون سوره الأسود بلون أخضر فاتح ، فقلت حالات الانتحار من هذا الجسر قلة واضحة .

ومن الطريف أن اللون يلعب دوراً حاسماً فى ميدان الحب والغزل ، فبعض الألوان تجتذب المحبين أكثر من غيرها ، وقد عرفت الفتاة الصينية واليابانية كل شىء عن الألوان وأثرها على الجنس الآخر وهى تستخدم طريقتها الخاصة فى الوان



الوان ازهار النبات الواحد تحقق الانسجام فيما بينها



الثياب لاغراء الرجل .. ومن الأشياء التى تعرفها مثلا أن اللون الفضى يجعل الرجل أكثر رقة وحناناً بينما يستعبده اللون الأبيض ، والرمادى يجعله حزيناً ، والذهبى يلهمه ، والأسود يؤثر على نفسه ، والأزرق ينعشه ، والبنفسجى يثير قلقه .. فى حين أن البرتقالى يجعله عاطفياً .

واختيار الألوان فى غرف المرضى له أهمية كبيرة ، إذ اثبتت أبحاث معهد الألوان فى شيكاغو أن الورود والأزهار الحمراء تشعر بالدفء ، والنشاط ، والبهجة ، وتنمية المخ ، وترفع النبض ، وأنها خير الألوان للناقهين .

واثبتت أبحاث هذا المعهد ايضاً أن اللون الأزرق والأخضر والأبيض يريح العضلات ويجلب الهدوء والراحة والنوم ، ولهذا يرى معهد الألوان أن الوان الورود والأزهار فى غرف المرضى تختلف باختلاف حالاتهم ، وإذا كان المريض فى حاجة الى الراحة والهدوء ، فنختار له الألوان الهادئة الخفيفة كالأزرق والأخضر . أما إذا كان المراد تنشيطه فنختار له الألوان الدافئة كالأحمر ومشتقاته .

انسجام الألوان

وإذا سقط شعاع ضوئى أبيض على منثور زجاجى فانه يخرج من الجهة الاخرى فى صورة حزمة من الأشعة المتفرقة كل منها ملون بلون معين . وهذه الالوان هى الأحمر والبرتقالى والأصفر والأخضر والأزرق والبنفسجى مع الترتيب والتعقيب بحيث يكون الأحمر أقربها الى راس المنثور والبنفسجى اقربها الى قاعدته وبجانب هذه الألوان الرئيسية نجد الواناً أخرى فرعية كل منها خليط بين لونين رئيسيين متعاقبين مثل :

(أ) الأحمر البنفسجى (ب) الأحمر البرتقالى
(جـ) البرتقالى الأصفر (د) الأصفر المخضر
(هـ) الأزرق المخضر (و) الأزرق البنفسجى

وقد درس منسقو الأزهار والاخصائيون فى فلسفة الألوان هذا الترتيب السماوى والجوار الطبيعى للألوان ، كما ارتضاه الخالق وأرسلته السماء الى الأرض ، واستنبطوا منه أسس اختيار الالوان وانسجامها .

ولهذا رتب منسقو الأزهار الالوان الرئيسية والفرعية فى دائرة سموها «عجلة الألوان» بحيث يأخذ كل لون نفس الوضع بالترتيب الذى أخذه فى مجموعة الالوان التى نشأت من نفاذ شعاع ضوئى أبيض فى منشور زجاجى .

وقد اتفق كثير من خبراء الألوان والتنسيق على أن توافق الالوان والانسجام بينها يتحقق بثلاث طرق :

(أولا) الألوان المتجاورة المتعاقبة فى دائرة الألوان تحقق نوعاً من الانسجام يسمى بانسجام الألوان المتقاربة والمتماثلة.

(ثانيا) الألوان المتقابلة أو المتناظرة فى دائرة الألوان تحقق نوعاً من الانسجام يسمى بانسجام الألوان المتناظرة أو المتقابلة .

(ثالثا) ويتحقق الانسجام ايضاً بين أزهار اللون الواحد أو بين الوان أزهار من نبات واحد .

مشكلة تبحث عن حل :

آثار عربيّة.. تسرقها المتاحف الأوربية

بقلم : سمير صبحي

حضارة الشرق سواء كانت الحضارة الصينية أو الحضارة الهندية ساهمت فعلا في حضارة الغرب ، ولكن حضارة العرب كانت شيئاً آخر .. لماذا ؟ ..

إن المرحلة الدقيقة الحرجة التي تجتازها أمتنا العربية اليوم ـ كما تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن ـ تحتاج الى أن نعطي لها كل طاقتنا من وعي الذات والنضال عن وجودنا الحر والطموح الى حياة أعز وأفضل .. ولكن كيف ؟ ..

● إن تراثنا يأخذ الآن مكانة بين ما تشغلون به قضايانا الحيوية المعاصرة ، وبالرغم من أن الكتاب والنقاد الذين يعملون فى مراكز التوجيه للوجدان القومى والفكر العام مشغلون بالبضاعة الحاضرة يتحرجون من الالتفات الى التراث معتذرين بأنهم إنما يعيشون ويعالجون مشكلات واقعة وهكذا يغيب عنهم أن حاضرنا مشحون بما يحمل من ميراث هذا الماضى الذى تكمن فى أعماقه جذور ذاتنا .

إن الادراك الواعي يصحح ما شاع فينا من أن مكاننا فى التاريخ الحضارى لم يأخذ دوراً قيادياً إلا فى العصر الوسيط حيث كان الشرق الاسلامى مناراً للعلم والمعرفة والتمدن ، وأوربا غارقة فى بحر الظلمات فى عصورها الوسطى . وهذا القول الشائع نشأ عن جهل أو غفلة عن الواقع التاريخى الذى يشهد بأن الأمة العربية فى العصر الاسلامى قد اندمجت فيها كل الشعوب التى تعربت فصار ماضيها كله من ماضى هذه الأمة كما صار تراثها الفكرى والحضارى ميراثاً لهذا الوطن الكبير .

مجموعة من الذهب الخالص ابدعتها يد الفنان العربى ، وتراها فى متحف توب كابى فى تركيا



منذ اسابيع ذهبت « ميلينا ميركورى » وزيرة الثقافة اليونانية إلى لندن .. لم تكن تشترى « فساتين جديدة » ولم تكن تسهر هنا وهناك بحثاً عن ساعات من الراحة والتسلية .. كانت تتجول فى المتاحف الانجليزية .. لتطالب باعادة الآثار اليونانية الموجودة فى انجلترا إلى اثينا ..

وقد أثمرت رحلة ميلينا ميركورى بعد عناء وجهد !

متى يسافر وزراء الثقافة العرب إلى عواصم العالم المختلفة ليعيدوا إلى الوطن تلك الآثار الثمينة الكثيرة المسروقة من بلادنا والموجودة فى متاحف اوروبا وامريكا ؟

متى يتحرك الوزراء العرب كما تحركت الوزيرة اليونانية التى كانت ممثلة .. ثم اصبحت مناضلة من اجل سمعة بلدها وحضارتها وتراثها العظيم ؟ .

والتراث من حيث هو مادة تاريخية لماضى هذه الأمة الواحدة ياخذ مكانه مع تراثها المشترك فى كافة العصور ، إذ تنمحي الحدود والفواصل ونلتقى فكراً وروحاً ومزاجاً ولساناً ووجداناً ، ونتحد وجوداً ومصيراً :

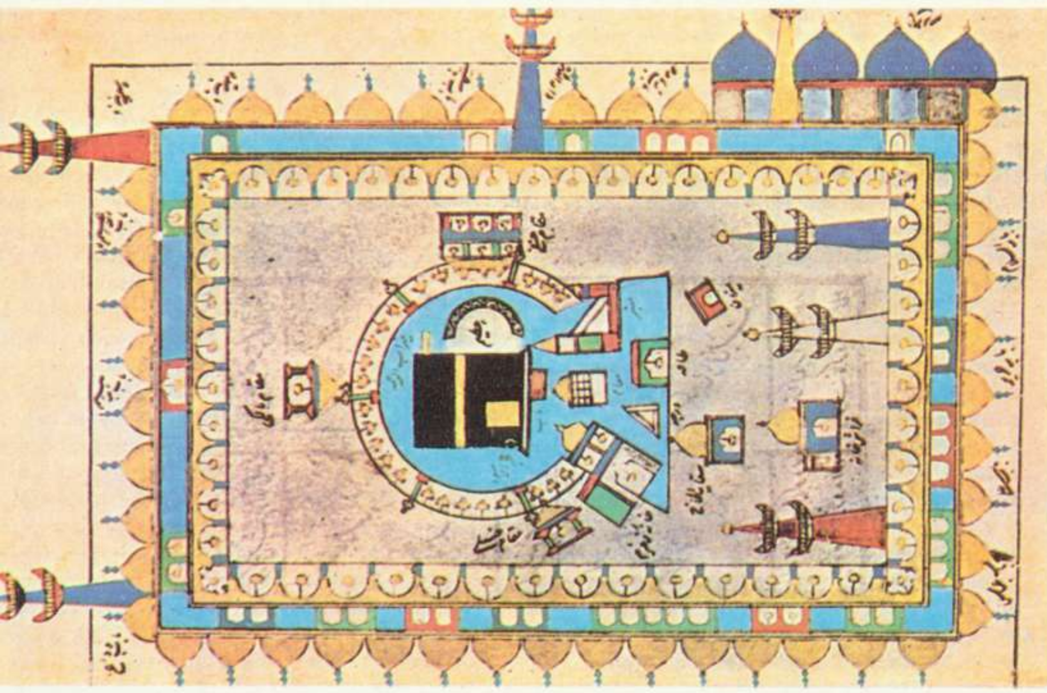
بالشـام أهلـي وبغداد الهوى وأنـا
بالرقمتيـن وبالفسـطاط إخوانـي

من أين نبدأ ؟

في بغداد كان هناك بيت الحكمة ، وحتى آخر عهد الخليفة المنصور (١٧٠ هـ) كانت مخطوطات التراث ودفاتر العلم تحفظ في قصر الخلافة ببغداد ، ثم اتجه هارون الرشيد الى اخراجها من جدران القصر بعد أن تضخم رصيدها من التراث المدون والمخطوطات المؤلفة والمترجمة لتكون مكتبة عامة مفتوحة الأبواب للدارسين وطلاب العلم ، فاسس داراً فخمة للمكتبة وسماها بيت الحكمة ، فكانت أكبر واقدم المكتبات العربية العامة . وظلت دار العلم أو بيت الحكمة في بغداد الى أن لقيت مصيرها الفاجع مع سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هجرية .

مكتبة العزيز بالله

وحينما قامت دولة العبيدين الفاطمية فى المغرب الأفريقى مستقلة عن الخلافة العباسية بل ومناوئة لها ، وامتد سلطان هذه الدولة فى منتصف القرن الرابع الهجرى الى مصر والشام والحجاز واليمن وأوشك ان يهدد الدولة العباسية فى مركزها الرسمى فى بغداد . ولم يكن ما بين الدولتين صراعاً سياسياً ومذهبياً فقط . بل



رسم تخطيطى للحرم الشريف والكعبة المشرفة فى مكة المكرمة يعود تاريخه لعام ١٥٧٠ ميلادية .. وهو موجود فى متاحف اوربا

كان كذلك تنافساً على النفوذ الأدبى والفكرى .. عندما تم ذلك وجدنا ان المعز لدين الله الفاطمى أسس مدينة القاهرة عاصمة لدولة الفاطميين على غرار ما فعل أبو جعفر المنصور العباسى حينما اسس مدينة بغداد قبيل منتصف القرن الثانى الهجرى . وكذلك كان الحرص على انشاء عاصمة .. وكان الحرص أيضاً على انشاء مكتبة تضارع بيت الحكمة ، وقد تم انشـاء مكتبة العزيز بالله فى القاهرة وبنى العاصمة القاهرة فى عام ٣٥٩ هجرية الموافق ٧٩٠ ميلادية وبعدها بسنتين بنى الجامع الأزهر فى عام ٣٦١ هجرية .

وكان العزيز بالله شديد الولع باقتناء الكتب والحرص على جمعها ، ومن تاريخ مكتبته انها كانت تقتنى فى البداية ثلاثين نسخة خطية من كتاب العين للخليل بن احمد وهو من أوائل المعاجم اللغوية العربية . ومائة نسخة من كتاب الجمهرة لابن دريد وهو من أصول كتب اللغة وعشرين نسخة من كتاب تاريخ الأمم والملوك للطبرى عميد مؤرخى الاسلام القدامى .

وقد ارتفع رصيد المكتبـة من هذه المخطوطات ، حتى بلغت نسخ تاريخ الطبري في آخر خلافة الفاطميين الفا ومائتي مخطوط .

وتتساءل الدكتورة عائشة عبد الرحمن ـ أو بنت الشاطىء ـ كما هي معروفة بهذا

آثار عربية..
تسرقها المتاحف الأوربية

الاسم .. أين ذهب هذا التراث كله ؟ ..

إن سنة الحياة التي جعلت من عصور القوة في الدولة الاسلامية .. عصور ازدهار لحضارتها العلمية والفنية والعمرانية ، هي نفسها التي عرضت تلك الدور العلمية العامرة لمثل ما تعرضت له الدولة في عصور ضعفها وانحدارها !!

المخطوطات بيعت بقرش وبقرشين !!

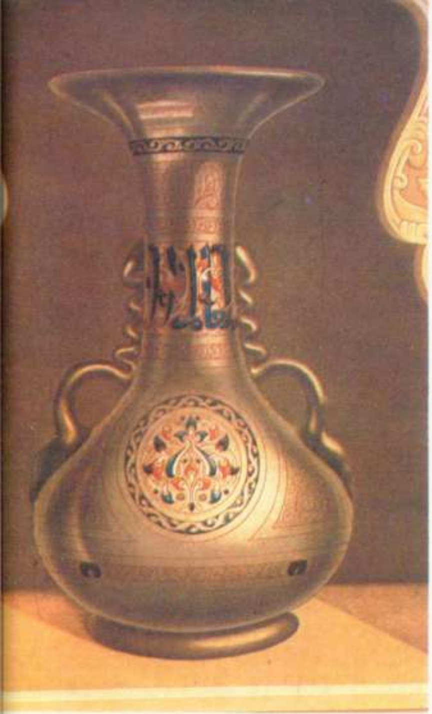
وفى كتاب تراثنا بين ماض وحاضر ، تدلل الدكتورة بنت الشاطىء بأن ذخائر المخطوطات بعضها كان مودعاً فى المساجد والزوايا .. بضاعة رخيصة لا تساوى وزنها ورقاً عند خدام المساجد الموكول اليهم أمرها وقد حدث شاهد عيان من أساتذتنا انه رأى بعينه خادم مسجد المؤيد يملأ السلال بنفائس المخطوطات ويبيعها لمن يطلبها بثمن بخس !

ويذكر «الكونت دى طرازى» أن خادماً يدعى «ابن السليمانى» عين فى منتصف القرن التاسع عشر ، خازناً لثلاث مكتبات كبرى فى مساجد مصر وجعل له ديوان الأوقاف راتباً شهرياً قدره خمسة وعشرون قرشاً ، وكان الرجل يستعين على العيش ببيع السكر فجعل يقف فى زاوية تحت سلم مدرسة السلطان حسين ، ويضع بجانب بضاعته من القصب ، أكواماً من مخطوطات المكتبات الثلاث ، يبذلها لمن يدفع له القرش والقرشين !!

وتروى الدكتورة بنت الشاطىء عن طفولتها فتقول :

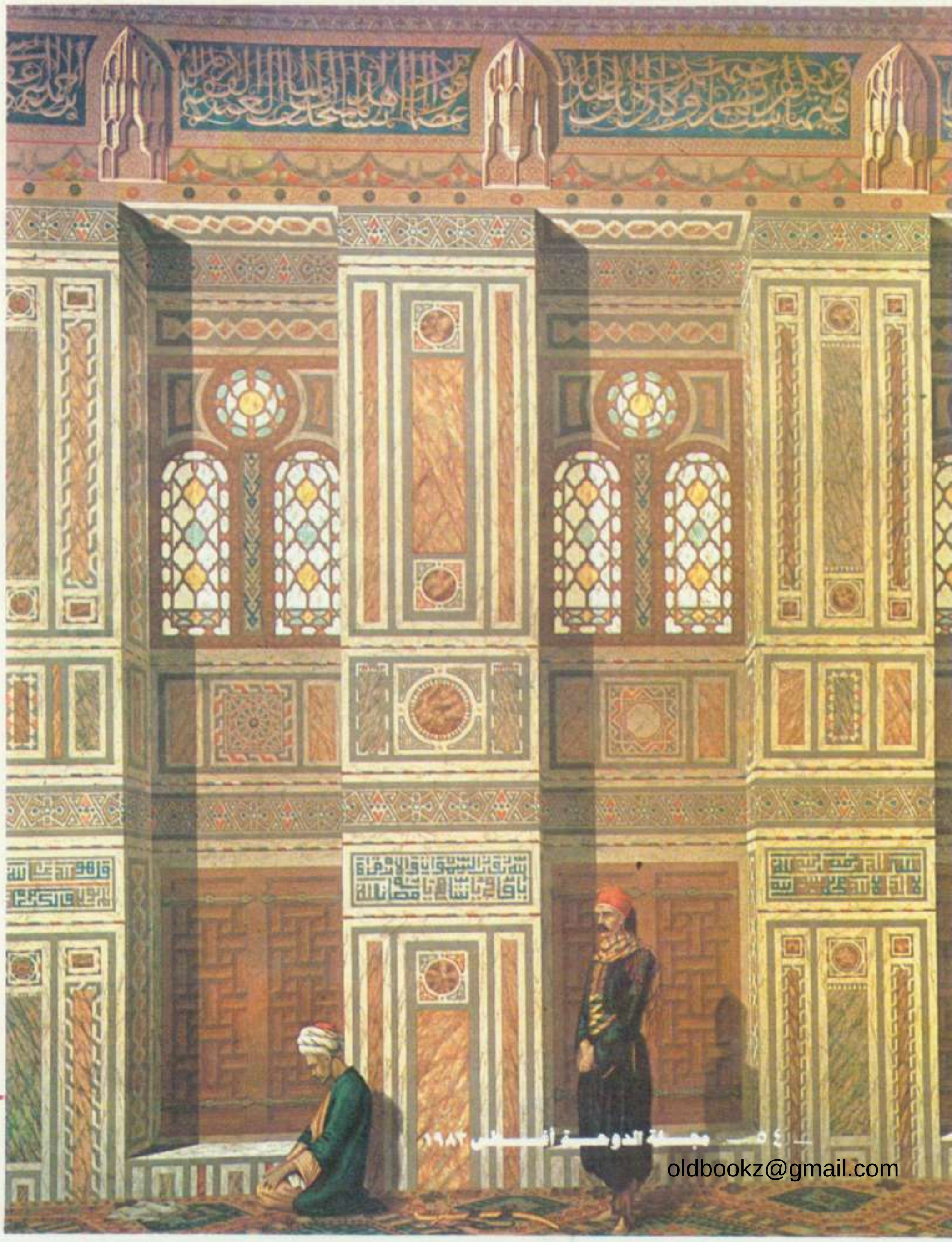
«أذكر فيما أعي من ذكريات طفولتى ، قاعة مظلمة مهجورة فى بيت جدى لأمى بدمياط ، كدست فيها أكوام المخطوطات معفرة بالتراب ، وبين حين وآخر ، كانت أوراق منها تؤخذ فينفض عنها التراب وتستخدم فى الأغراض المنزلية الهينة دون تهيب أو حرج ، وربما تسلل صغار الأسرة – وأنا منهم – فحملوا منها وقوداً للحرائق الصغيرة التى جرت عادتنا على إشعالها فى الصبح الباكر من شم النسيم ، دون أن نعى ما بذل جدنا الكبير – وقد كان شيخاً للأزهر – من عمره وماله ، لهذا التراث الذى نعبث به ونلقى به وقوداً للنار !» .

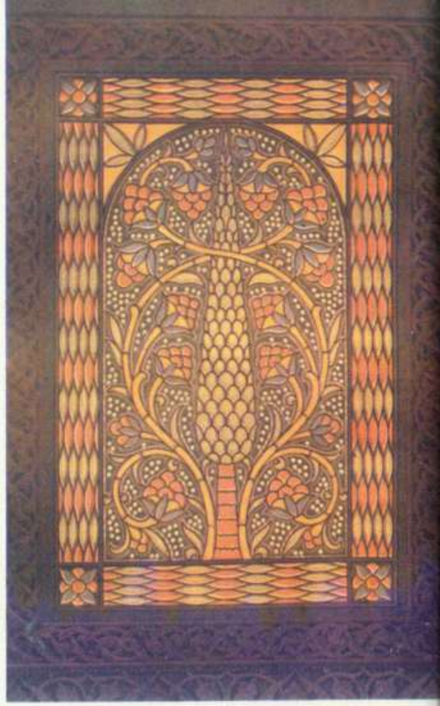
والذى حدث فى مصر ، حدث فى الشام والعراق والحجاز واليمن . وفى كتاب



آنية من المعدن تبدو فيها دقة الصانع العربى المسلم

النقوش المعمارية البديعة التى اقتبست منها حضارة الغرب يوم أن كان الشرق الاسلامى منارا للعلم والمعرفة والمدنية





نموذج من الزخارف النادرة التى كان يزخرف بها قصور الخلفـــاء الفاطميين

«خطط الشام» يكشف الأستاذ السيد محمد كرد علي هذه المأساة فيقول :

ومن المصائب التى أصيبت بها كتب الشام . أن بعض دول أوربا ومنها فرنسا وجرامانيا وبريطانيا وهولاندة وروسيا ، أخذت تجمع منذ القرن السابع عشر كتباً من تراثنا – تبتاعها من الشام بواسطة وكلائها وقناصلها والأساقفة والمبشرين .

وتتأسف الدكتورة بنت الشاطىء وتقول : هكذا تسربت أكثر البقيـــة من كنوزنا الى الغرب ونحن نيام ، وأبيحت ذخائر تراثنا للاجانب دون أن يجدوا من يصدهم عنها ، فذهبوا بها على مرأى منا ومسمع ، وكان كل نصيبنا من ثمن البضاعة قروشاً معدودات لحراس الكتب ، وفرصة للتندر بحمق أولئك « الفرنجة » المغفلين الـذين تستـهويهم مخطوطات قديمة صفراء لا قيمة لها فى حسابنا !

أين هذه المخطوطات ؟

وبفضل تراثنا القديم تمت حركة الاحياء وتم معها التحول التاريخي الحاسم للحضارة من الشرق الى الغرب وبالرجوع الى كتاب بروكلمان « تاريخ الأدب العربي » نقرأ ما أحصي من مخطوطات الأدب العربي في دور الكتب الأدبية :

● مثلا : فهارس المخطوطات العربية في مكتبة برلين وحدها – عام ١٩٣٠ – كانت تملأ « عشرة مجلدات ضخمة » .

● استطاعت روسيا منذ إنشاء المتحف الأسيوي في بطرسبرج – لينينجراد سنة ١٨١٨ م : أن تدخل السباق الدولي على مخطوطات تراثنا فتظفر بمئات الألوف من ذخائره ، وقد بلغ رصيد معهد شعوب آسيا التابع لأكاديمية العلوم للاتحاد السوفيتي إثنى عشر ألف مخطوط حتى عام ١٩٦٣ بينها خمسة آلاف مخطوط عربي . الى جانب سبعة آلاف مخطوط عربي في مكتبات أخرى بلينينجراد !! .

● ويبلغ رصيد معهد الاستشراق في طشقند عاصمة أوزباكستان ثمانية ألف مخطوط باللغة العربية واللغات الشرقية

● وهناك مجموعات أخرى في قازان وباكو وتبليسي وخاركيف « لا أحصي رصيدها عدداً » !!

ومن هنا بدأ المستشرقون يعملون :

● في سنة ١٩٢٣ أخرجت المطابع للمستشرق الألماني يوسف شاخت تحقيق لكتاب الحيل والمخارج للخصاف بمقدمة وتعليق .

● ولنفس المستشرق في سنة ١٩٢٤ نشرت له مطبعة ليبتســج كتاب الحيل في الفقه للقزويني مع مقدمة وتعليق .

● وفي سنوات ٢٨ – ١٩٣١ أخرجت لنفس المستشرق مطبعة برلين « الجامع الكبير »



احد أبطال حكايات كتاب الاغانى « بياض » وهو يعزف على العـــود أمـــام سيدات المجتمع (١٣١٨ هـ) .. والصورة فى مكتبـــــة الفـــاتيكان برومـــا

الخلاصة إننا لو أردنا البحث عن مخطوطاتنا وتاريخنا .. لابد أن نذهب الى الغرب !!

وهكذا صار للغرب الدور القيادي للحضارة الشرقية بكل ما فيها من كنوز !

مصحف عثمان
هل هو فى طشقند ؟

وتقول الدكتـورة بنت الشـاطىء إن مصحف عثمان قيل انه موجود فى طشقند وعليه آثار دماء الخليفة «عثمان بن عفان» .

وتقول كان هذا المخطوط فى حوزتنا – نحن المسلمين العرب – الى ما قبل قرن ونصف قرن من الزمان ، ثم ضاع وتاهت آثاره واختلفت فى مصيره الظنون وتعددت الأقوال .

وتتساءل هل نقل هذا المصحف الكريم الى الآستانة قبل الحرب وحفظ فى متحف الأوقاف الاسلامية أم – على ما يقال – أخذه امبراطور المانيا يوم زار بلاد الشام ، حتى قررت (معاهدة سيفر) اعادته الى المسلمين وتسليمه ، وهل استلمناه أم بقي لدى الألمان ؟

وتضيف الدكتورة بنت الشاطىء : إن



صحيفة من القرآن الكريم ، مكتوبة فى الأندلس فى القرن الحادى عشر ، وتوجد الآن فى مكتبة «جوان رايلندز» فى انجلترا

آثار عربيّة..
تسرقها المتاحف الأوربية

فى القاهرة مخطوطا ثالثا يقال انه « مصحف عثمان » مخزون فى مسجد الامام الحسين . وإن مخطوطا رابعا لهذا المصحف العثمانى وإن قرانا فى الصحف عام ١٩٦٢ خبر عثور وزارة الأوقاف المصرية عليه ـ مدفون فى خزانة مهملة برواق المغاربة فى الجامع الأزهر ؟ .. إذن مطلوب من الباحثين أن يضعوا النقط على الحروف فى هذا الأمر الهام ، ويحققوا هذه القضية بأمانة تامة ..

ماذا فى مكتبة فينا ؟

وفى مكتبة البرتينا الملحقة بمكتبة فينا القومية هنك عشرة آلاف بردية خطية عربية ومعها مائة الف بردية خطية مصرية قديمة .

الوف لا تحصى من البردى ، تسجل حياة أجدادنا ، وتضيء للانسانية تاريخ مرحلة هامة من ماضى حضارتنا وتعطى التاريخ وثائق مادية كاشفة لما فيه من غموض ، ومعها ذخائر نادرة من مخطوطات على الرق والخشب والخزف والنسيج .. كلها متروكة للاجانب لكى يتسابقوا على هذا الكنز !!

ومن هذه البرديات :

● دليل كراباتشك للبردى الذى عثر عليه فى الفيوم وفيه عرض لأهم البرديات التى فحصها كراباتشك منسقة فى فصول حسب لغاتها . والفصل الخاص بالبردية العربية يقدم ٩٥٠ بردية عربية مصرية عن الفتح العربى لمصر الى عصر المماليك وهذه البرديات مرتبة ترتيبا تاريخيا مع تعليق من كراباتشك على نصها وما حوله من ظروف تاريخية .

● وثائق رسمية من البردي العربى نشرها الدكتور جروهمان طبع فيينا عام ١٩٢٣ مع فهرس بارقام هذه الوثائق وعددها ٣٠٦ فى المجموعة العامة .

وكذلك هناك البرديات فى كل من :

● بريطانيا :

١ ـ فى كمبردج نص سحرى ـ عربى ـ قبطى مودع بمكتبة الجامعة وقد نشره كروم وكراب .

٢ ـ فى لندن بالمتحف البريطانى مجموعة قيمة من البردى والرق العربى أصلها من سقارةوالفيوم والأشمونية .

٣ ـ فى مانشستر : يحتوى كنز المخطوطات الشرقية الذى تملكه مكتبة جون رايلاند على مجموعة ثمينة من ستمائة بردية عربية أكثرها من الأشمونية .

٤ ـ فى أكسفورد تقتنى مكتبة البودليانا مجموعة غنية من البردى بينها أربع وتسعون بردية عربية من الفيوم .

● فرنسا :

تتكون مجموعة متحف اللوفر بباريس من ثلاثمائة وست برديات عربية لم ينشر منها شيء حتى الآن وأكثرها جاء من الفيوم .

وفى مخطوطات المكتبة القومية اثنتان وعشرون بردية عربية منها البرديتان اللتان أهداهما دروفيتى الى ملك فرنسا وأصلها من سقارة . وقد نشرها دى ساسى .

● ايطاليا :

فى معهد البردى بلفورنسا عدد من البردى العربية عهد بدراستها الى المستشرق ليفى ديللا فيدا .

● تشيكوسلوفاكيا :

فى المعهد الشرقى بمدينة براج مجموعة

فيسللى المكونة من ٨١٨٢ قطعة منها ٨٩٧ بردية عربية وكان فيسللى قد اشتراها عام ١٩٠٤ من تاجر أرمنى فى باريس .

● الاتحاد السوفيتى :

توجد ثلاث مجموعات واحدة فى موسكو فى متحف الفنون الجميلة وقد جمعها جولنتشسيف من مصر عام ١٨٨٨ منها نحو مائة بردية عربية وبعض البرديات العربية والاغريقية القبطية .

ومجموعتان فى لينجراد أولاهما مجموعة ليشاكوف التى اشتراها من القاهرة .

● بولندا :

اقتنت جامعة وارسو عام ١٩٣٣ تسعا وأربعين بردية عربية من الفيوم أهداها اليها الأستاذ شميث ثم أضيفت اليها بعد ذلك ما جاءت به بعثة حفريات الجامعة بالاشتراك مع المعهد الفرنسى للآثار بالقاهرة عام ١٩٣٧ .

● سويسرا :

يوجد فى متحف أراو الطبيعى عدد من وثائق البردى يعتقد أن تشوكر جاء بها من القاهرة فى أواخر القرن التاسع عشر . ووضعت فى متحف الجمعية التجارية ثم الت الى المتحف الطبيعى .

● النرويج :

توجد فى مكتبة جامعة أوسلو مجموعة من البردى المصرية نحو مائتين الى ثلاثمائة جاء بها الدكتور ايستفرم من القاهرة .

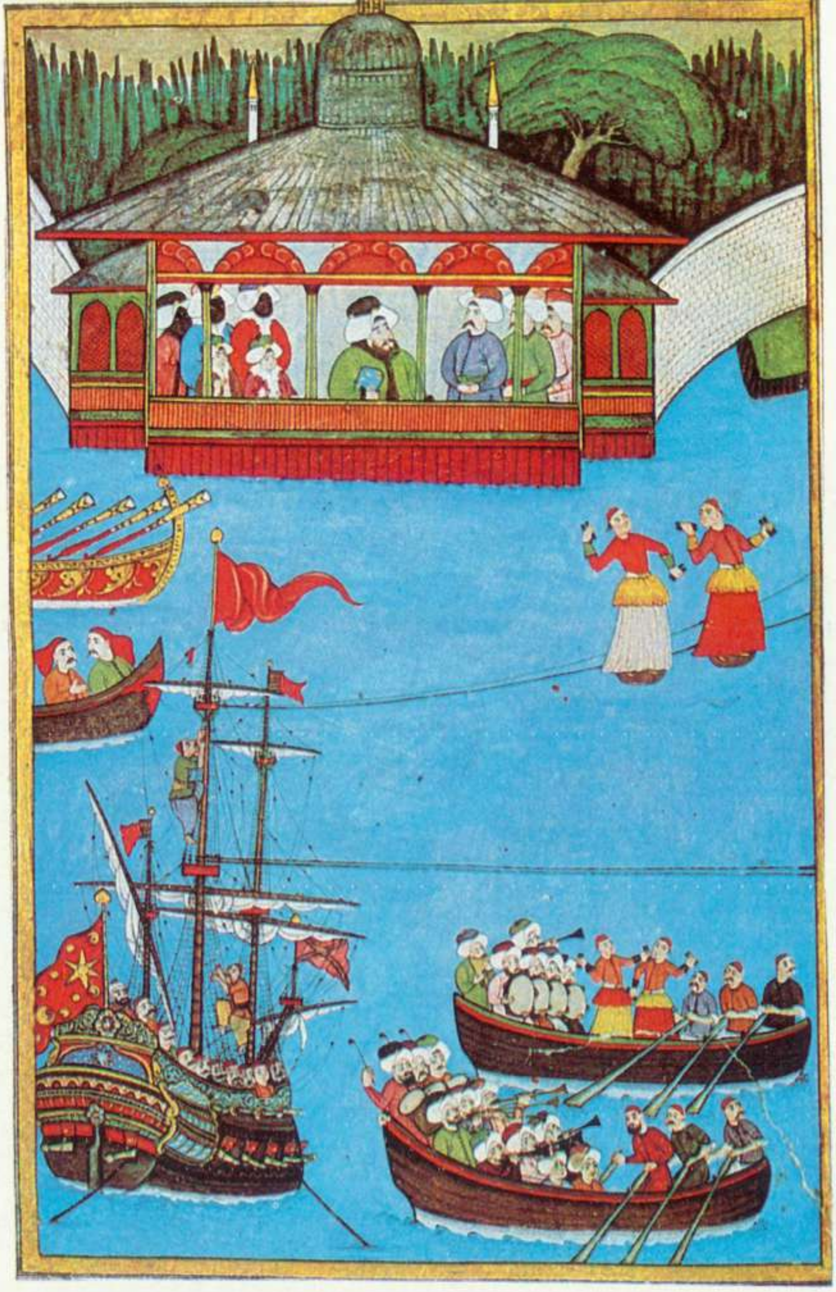
● تركيا :

وفى المتحف العثمانى بالقسطنطينية بردية عربية من كوم اشقاو . وقد نشرها بيكى .

● الولايات المتحدة :

اقتنت جامعة ميتشجان سنة ١٩٣١ مجموعة من البردى المصرية فيها خمس وستون بردية عربية ثم أضيفت اليها عام ١٩٣٢ مجموعة أخرى من البرديات أصلها من الآشمونيين . وقد اهتم الأستاذ واريل بدراسة هذه المجموعة المصرية من البردى والرق والمخطوطات التى جمعها مورتس خلال اقامته الطويلة بمصر مديراً لدار الكتب الخديوية . وعندما رحل عن مصر حملها معه ثم باعها !!

وبعد سنتين اشترت الجامعة سبعين بردية عربية عن طريق الأستاذ بونر وفى اعمال متلاحقة نشر ابوت ثلاث عشرة بردية عربية من تلك المجموعة ، منها رسائل من القرن الأول الهجرى (٩٠ - ٩١ هـ) ونصوص عن أديرة الفيوم ، ووثائق من عهد الخليفة التوكل على الله ، وعقدان من عقود الزواج العربية .



لوحة من اللوحات النادرة الموجودة ضمن مجموعة مكتبة السليمانية فى استانبول

وماذا فى مصر ؟

أما البرديات فيوجد منها فى مصر وفى دار الكتب نحو ألف بردية من بردى الفيوم والأشمونيين ضم الى الدار فى الأعوام من ١٩٠٢ الى ١٩٠٥ ، وفى فبراير ١٩٠٦ ضم الى المجموعة عدد نادر من البردى كان فى حوزة مصرى من الجيزة اسمه «الشيخ علي» فبلغ الرصيد فى ذلك الوقت أكثر من ألفين قطعة .

وتوجد مجموعة لم ينشر عنها إلا بحث للمستشرق «كازانوفا» كما نشرت بعض نصوص عربية كانت ضمن صكوك من ترجمة سـلان وطبع جياسكو بعض هذه النصوص سنة ١٨٨١ .

وتقتنى دار الآثار - الانتكخانة - رقين من جلد الغزال عليهما عقدان تجاريان وبعض البردى من حفريات الفسطاط وادفو مما عثرت عليه بعثة المعهد الفرنسى للآثار بالقاهرة .

.....

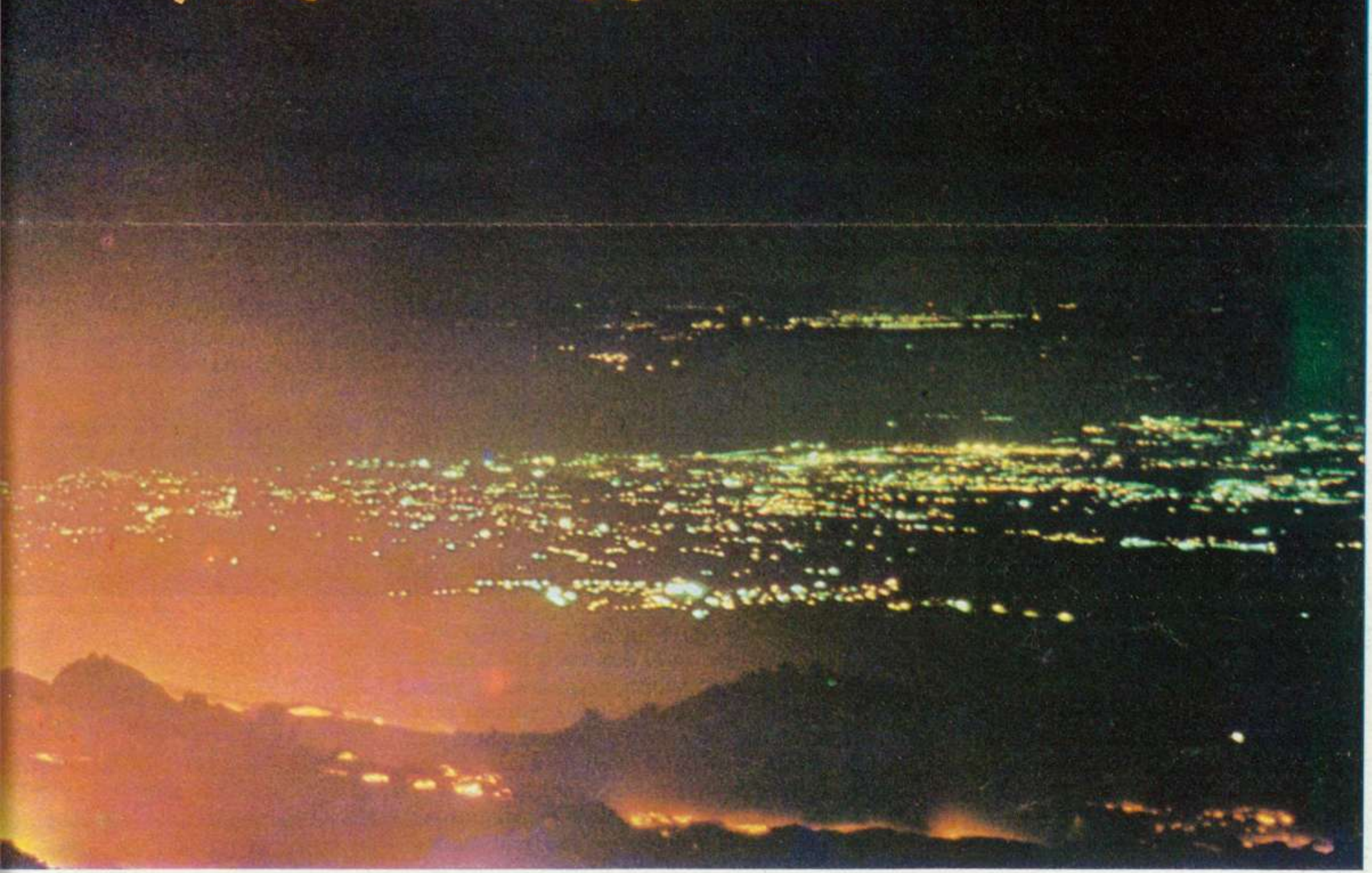
إن الدعوة الى تحقيق مخطوطات العرب - بلادنا - فى حاجة الى عقل عربى مستنير وجهد عربى بلا حدود ..

ومن هنا تجيء الدعوة لماذا لا تقوم احدى جامعاتنا العربية المنتشرة الآن فى كل مكان من انشاء قسم خاص فى كلية الآداب اسمه قسم المخطوطات العربية ؟! .

سمير صبحي

أول تجربة علمية من نوعها في التاريخ

كيف يسيطر الإنسان على ثورة البركان ؟



لقطة فى الليل لأضواء بركان « إتنا » بجزيرة صقلية التى كانت ترى من مسافات بعيدة ، والتى حاول علماء البراكين تحويل مجرى الحمم

عاد النشاط مؤخراً فى شهر مايو ١٩٨٣ إلى « بركان إتنا » بجزيرة صقلية ، وهو أعلى براكين أوربا ، إذ يبلغ ارتفاعه ٣٢٩٥ متراً ، وقد تمت تجربة هى الأولى من نوعها فى التاريخ ، عندما حاول علماء البراكين والخبراء أن يحولوا مجرى الحمم البركانى (اللافا) التى سالت من البركان لتسير فى مجرى طبيعى حفر على مدى مئـــات السنين .

وصحيح أن التجربة لم تنجح مائة فى المائة ، لكن المحاولة قد تتكرر بعد ذلك ، ومع براكين أخرى . لقد توصل العلماء إلى حقائق هامة أثناء إجراء هذه التجربة ، يمكن استخدامها فى المستقبل

كذلك ففى أثناء نشاط « إتنا » ، عاود بركان « سانت هيلين » بولاية واشنطن نشاطه ، وأخذ ما ينفثه من حمم يهدد الوادى وسكانه مرة أخرى .

تهديد لم يحدث !

مجلة «نيوساينتيست» العلمية البريطانية (اسبوعية) قالت انه لم يكن هناك أى تهديد للقرى الواقعة فى أحضان جبل إتنا وأن « اللافا » كانت ستسير فى مجراهـــا الطبيعى المعروف منذ سنين دون أى تهديد



التى سالت منه فى اول تجربة علمية من نوعها فى التاريخ .. وترى اعلى اشجار القرى باوراقها الخضراء قبـــــل أن تلتهمهـــا النيران !

للقرى الثلاث ، وأن ما صرف من نقود حتى ينحرف هذا المجرى كان مكلفاً للغاية ، وغير ضرورى على الاطلاق .

قال علماء البراكين الذين عملوا فى المشروع للمجلة العلمية البريطانية انه لم تكن هناك ضرورة للمشروع ، لكن « روما » اتخذت قرار عمل مجرى صناعى جديد للحمم البركانى لضرورات سياسية .

قال د . فرانكو باربيرى رئيس مجموعة علماء البراكين والأستاذ بجامعة بيتزا لمجلس الوزراء يوم ٢٠ ابريل انه « ليس هناك خطورة على الاطلاق » . ومع ذلك فان لوريس نورتونا وزير الدفاع المدنى ، قرر فى اول مايو أن يبدأ العمل فى المشروع . لكن البروفيسور ريناتو كريستوفولينى أستاذ علم البراكين بجامعة قطانيا يصف المشروع الذى تكلف ثلاثة ملايين جنيه استرلينى بانه « سياسى وعمل علمى هندسى لاجراء تجربة عظيمة ، فى نفس الوقت » .

(طبعاً من المعروف أن الانتخابـــات الفيدرالية جرت فى ايطاليا فى شـــهر يونيه) .

لكن البروفيسور كريستوفوليني يقول بمرارة شديدة إن علمـــاء البراكين الايطاليين الذين يراقبون بركان « إتنا » لم يستطيعوا حتى الآن إقناع الحكومة برصد

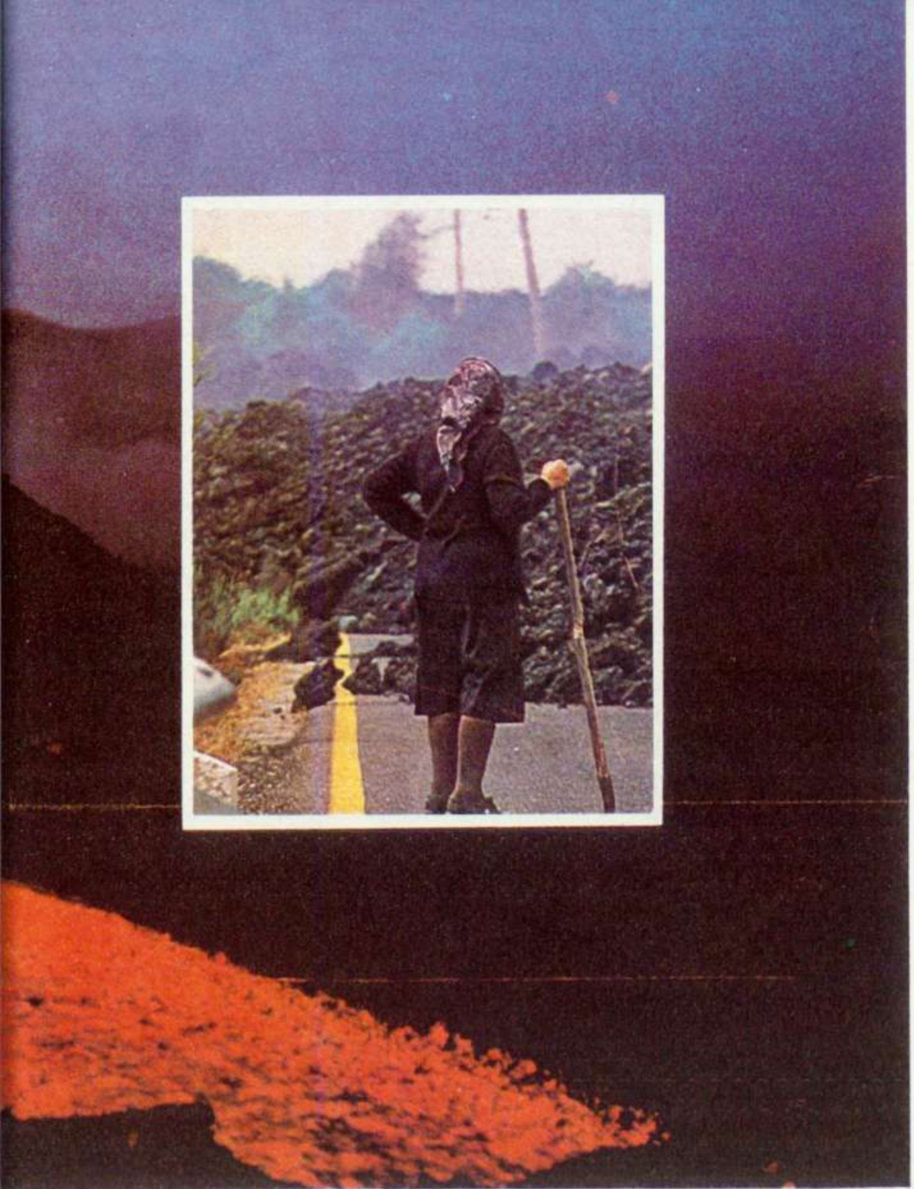
مبلغ نصف مليون جنيه فقط لاجراء بحوث حول نشاطه . كذلك فانه عندما حاولت قرية نيكولوسى (إحدى القرى الثلاث المهددة) ان تحصل من الحكومة على تسهيلات حتى يبنى اهلها بعض الجدران فى القرية لحماية منازلهم من « الحمم » البركانى ، لم تكن هناك ميزانية كافية !

ولم تكن هذه فى الحقيقة اول تجربة لعمل مجرى جديد للحمم البركـــــانى ، باستخدام المفرقعات . فقد قام العلمـــاء اليابانيون عام ١٩٥٦ بتجربة مماثلة ، عندما وضعوا مفرقعات فى الحمم لينتشر فى رقعة اوسع ويبرد بسرعة اكبر . لكن التجربة الجديدة تعتبر أول مشروع فى التاريخ لتوجيه الحمم إلى قناة جانبيـــة صناعية معدة من قبل . والمســـالة التى يحاولها العلماء هى عمل مجرى صناعى للحمم اطول من المجرى الطبيعى إلى سفح الجبل نفسه ، حتى يبرد الحمم بسرعة اكبر ، قبل ان يعود المجرى الصناعى بالحمم إلى المجرى الطبيعى مرة اخرى . وكان علماء البراكين يأملون ان ينقسم الحمم إلى قسمين ، قسم يسرى فى المجرى والقسم الثانى يتحول إلى المجرى الصناعى . وبدلا من ذلك ، فانه بعد عمل التفجيرات لم يتحول إلى المجرى الجديد سوى ١٠٪ من الحمم . وكانت الخطة تقضى بتفجير حائط صخرى سمكه ثلاثة امتار بين المجرى الطبيعى والمجرى الصناعى . ولكن بعد أن تم عمل الحفر التى ستوضع فيها المتفجرات اندفع الحمم وبرد الحائط ، مما ضيق من سمك الفجوة .

وقال البروفيسور ليتوريو فيلارى مدير « معهـــد قطانيا الـــدولى للبراكين » : صحيح أن المشروع لم نتعلم منه شيئا جديداً ، لكننا فى نفس الوقت عرفنا مشاكل تبريد الحمم بهذه السرعة .

بركان سانت هيلين

اما بركان سانت هيلين بولاية واشنطن ، فله قصة اخرى جد مختلفة . فبركـــان « إتنا » معروف منذ القدم ، حتى انه قد نسجت حوله الاساطير منذ العصر الرومانى

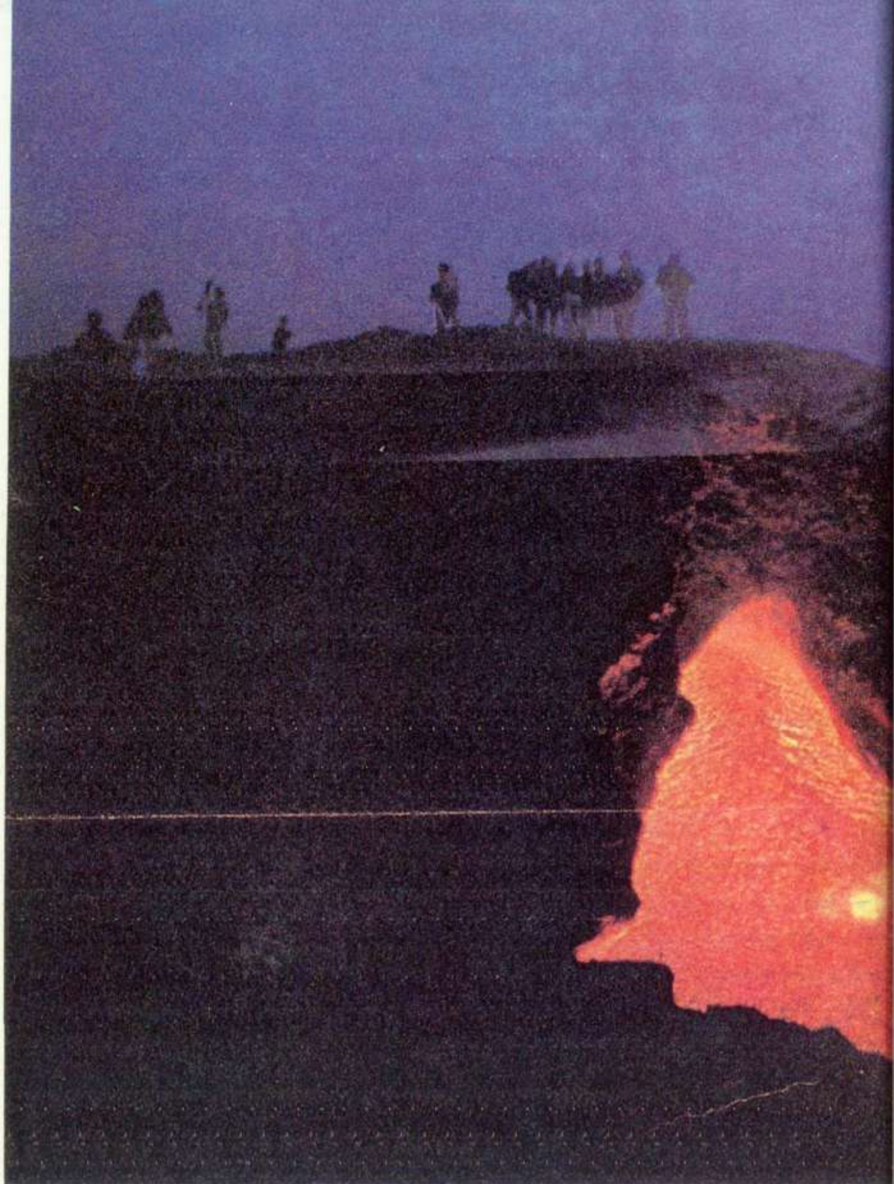


لم ينجح المجرى الصناعى الذى تكلف ثلاثة ملايين جنيه استرلينى نجاحا تاما . وقال العلماء ان هـذا البركان

ومعروف ايضا انه يثور بين حين واخر لكن سانت هيلين كان خامداً . وفجاة ـ منذ ثلاث سنوات ـ اخذ ينبعث الدخان والرماد ثم انهار الحائط الشمالى لفوهته ، وحدث انفجار قوته قدر قوة انفجار قنبلة هيروشيما ٢٥٠٠ مرة ، ثم اخذ يلقى بالحمم البركانى المنصهر المميت على جانبى الجبل مما ادى إلى مقتل ستين شخصاً ، وخسائر قدرت باكثر من البليون دولار . ثم ثار البركان مرة اخرى عام ١٩٨٠ وخلال الحملة الانتخابية . وها هو الآن يلقى ببعض الاحجار منذراً بانه قد يثور مرة اخرى . لقد اغرق الحمم البركانى فى المرة الاولى التى ثار فيها ، بيوتا وطرقا وجسوراً . وخسرت صناعة الاخشاب وحدها فى هذه المنطقة ما يزيد على المائتى مليون دولار .

« تدحرجت » السحابة التى انطلقت من الانفجار الأول ، وعبرت المحيط الاطلنطى نحو اوربا . لم يكن هناك خطر من تساقطها مثل السحابة التى تنشا بعد الانفجار النووى ، وهى تتركب اساسا من غازات الكبريت . وقد انتشرت من السحابة إلى الغلاف الجوى ، على ارتفاع يتراوح بين ٦٠ الفا إلى ٧٠ الف قدم .

وفى راى العلماء ان هذه السحابة قد احدثت برودة خفيفة فى الجو بشكل عام ، وهى ظاهرة يطلق عليها اســم « تـــاثير كراكاتوا » ، إذ لوحظت بعد انفجار بركانى حدث عام ١٨٨٣ ، حيث صحب الانفجار جواً ابرد من المعتاد فى شتاء سنوات متتالية . ومن راى العلماء ايضا ان هذه السحابة قد تسببت فى زيادة حامضية الامطار . وهى ظاهرة تعتبر فى حد ذاتها مشكلة خطيرة وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية . إن اطناناً من الكبريت تتصاعد مع الانفجار البركانى ، وتختلط بالهواء ، ثم تتحول إلى قطرات من حامض الكبريتيك بمساعدة بخار الماء واشـــعة الشمس .



كان سيسير فى مجراه الطبيعى دون اى تهديد للسكان الذين وقف بعضهم يراقب التجربة كما نرى فى الصورتين

سلسلة البراكين

يقول علماء السيسمولوجيا ، أن انفجار قمة سانت هيلين ، ذلك البركان الذى كان خامداً ، قد اضاف برهانا جديداً على ان «سلسلة النار» وهى الدائرة الكبرى من البراكين المتواجدة حول المحيط الهادى ، هى الآن فى فترة نشاط متزايد مما يشكل خطورة على المنطقة كلها . ويقول الدكتور ريد برايسون خبير البراكين بجامعة ويسكونسين ، «إن الانفجارات البركانية غالبا ما تحدث فى دوائر تتوافق مع حدوث الزلازل» .

لقد كان انفجار بركان سانت هيلين انذاراً لكل الساحل الامريكى الغربى فبعد الانفجار ، سجل العلماء فى كاليفورنيا نشاطا غير عادى ، بطول فالق سان اندرياس العظيم ، لكن احداً لا يعلم بالضبط النتيجة . وأثار انفجار سانت هيلين ايضا مخاوف عديدة من جانب الشركات التى استثمرت اموالها لبناء مصحات وفنادق على القمم البركانية لسلسلة جبال كاسكيد ، ذلك ان العاملين هناك يقولون بعد ان شاهدوا انفجار سانت هيلين الذى ظل خامداً لفترة ، انهم قد يستيقظون يوماً على انفجار البراكين المجاورة ، كما حدث مع جبل لاسين بكاليفورنيا عام ١٩١٤ ، والذى انفجر بعد زلزال فرنسيسكو عام ١٩٠٦ .

اعجب علماء البراكين بجبل سانت هيلين ، مثلما اعجبوا بقمة مينجى اليابانية ، للتماثل التام فى قمتهما المخروطيتين . ويقع جبل سانت هيلين وسط سلسلة نشطة من البراكين طولها حوالى المائتى ميل ، هى الوحيدة من نوعها فى الولايات المتحدة الأمريكية . وهى تجرى جنوباً من كندا حتى الحدود الشمالية لولاية كاليفورنيا . وهذه المنطقة لها تاريخ من النشاط البركانى المستمر : إذ كانت هناك سبع انفجارات كبرى فى المائتى سنة الأخيرة . لكن جبل سانت هيلين نفسه كان خامداً منذ عام ١٨٥٧ .

ويعتبر جبل سانت هيلين جبلا شابا ، بالمقاييس الجيولوجية ، إذ لا يزيد عمره عن ٣٧ الف سنة ! لكن تاريخه يحمل فى طياته «العنف» ، وما كان ذلك عنف الشباب ! فقد انفجر بشكل هائل عام ١٥٠٠ قبل الميلاد . ويعتقد الجيولوجيون الذين درسوا صخور المنطقة ، ان هذا الانفجار قذف بكمية كبيرة من الحمم البركانى ، غطت المنطقة كلها بطبقة سمكها قدمان . لكن حتى بهذه المقاييس ، يعتبر «عنف» سانت هيلين متواضعا بالقياس لما سببه انفجار «كراكاتوا» باندونيسيا فى سبتمبر عام ١٨٨٣ ، اى منذ قرن كامل من الزمان .

عندما انفجر بركان «كراكاتوا» ايقظت ضجة الانفجار اهالى استراليا التى تبعد الفى ميل . وقذف الانفجار بغبار وصل ارتفاعه الى خمسين ميلا فى الجو . واحاطت السحابة الغازية التى نتجت عن الانفجار ، بالكرة الأرضية باجمعها وانتشرت حولها حتى لقد انخفضت درجة الحرارة فى جميع بلاد العالم بين درجة مئوية وثلاث درجات .

كذلك لا يمكن مقارنة انفجار سانت هيلين ، بانفجار جبل بيلى فى المارتنيك عام ١٩٠٢ ، حيث سبب الانفجار حرائق حطمت مدينة سان بيير باكملها ، وراح ضحيته ٢٨ الفا من السكان .

... والبراكين انواع

ويقسم العلماء البراكين الى اربعة انواع :

الأول : أطلقوا عليه اسم براكين هاواى

والثانى : براكين سترومبولى .

والثالث : البراكين البركانية .

والرابع : براكين بيلى .

والمقياس الأساسى فى راى العلماء لنوع البركان ، هو قوته وعنفه ، وبالتالى مدى الدمار الذى يحدثه . وقوة اى بركان او عنفه او مدى ما يحدثه من دمار ، يحددها خليط من المسائل ، على راسها قوة الحمم البركانى ، وضغط الغاز المنبعث من باطن الأرض .

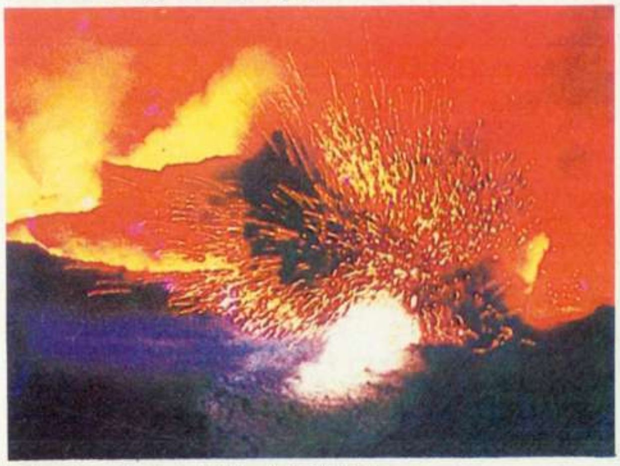
يقول العلماء ان الحمم البركانى يعمل بعمل بقوة هائلة لا تضارعها قوة بمعنى انه كلما زادت كثافة الحمم ، كلما ارتفع ضغط الغازات المنطلقة المصاحبة ، كلما ازدادت قوة الانفجار البركانى .



المجرى الصناعى الهائل الذى سارت فيه حمم البركان واعتبروه فى ايطاليا من الاعمال السياسية والعلمية الهندسية العظيمة



احد العلماء اثناء اجراء التجارب قبل وضع الديناميت لشق المجرى الصناعى



لحظة انفجار البركان الذى يعتبر أعلى براكين أوربا والحمم وهى تسيل من البركان لتسير فى المجرى



وانفجار جبل بيلى هو خير مثال على ذلك ، وهو ذلك الذى أطلق اسمه على النوع الرابع من البراكين .

ورغم أن خبراء البراكين والجيولوجيين مازالوا يتناقشون حول نوع انفجار بركان سانت هيلين الأخير ، إلا أن بعض الآراء العلمية قد بدأت تتبلور حوله بالفعل .

الدكتور ر. هوايتو عالم البراكين الأمريكى ، يعتقد أن البركان يشكل خطراً دائماً . وهو يقول ان السبب الأساسى ان الحمم البركانى الذى انطلق منه ، والغنى بالسيليكا بقاعدته الكوارتزية ، لم يكن متماسكاً بشكل كاف لتكوين عاصفة نارية من النوعية التى تكونت فى حالة بركان بيلى ، وإن كانت قد قاومت تجمع الضغوط من هنا حجم سحابة الغبار الهائلة ، والحمم الذى انساب بشكل كبير . اما الظاهرة الرابعة التى تظهر مع البراكين عادة ، فهى انفجار الحمم المنصهر الذى ينساب على جوانب الجبل ، فهى لم تظهر فى حالة بركان سانت هيلين ، وإن كان الدكتور هوايتو يقول ان احتمال حدوثه مازال قائماً .

يضيف هوايتو ان أقرب الأمثلة فى أوربا لانفجار بركان سانت هيلين ، هو انفجار «بركان فيزوف» الذى دمر مدينة بومبى . فالجبلان متشابهان للغاية من الناحية التركيبية ، والانفجاران حدثا فى العمق الداخلى لباطن الجبل ، لذا تطاير الرماد والصخور الى أعلى ، كما تنطلق الرصاصة من ماسورة البندقية ، وهى ظاهرة لاحظها المؤرخ بلينى لأول مرة ، ومنذ ذلك الحين عرفت باسم «انفجار بلينى» . لكن الفارق بين الانفجارين أيضاً ، هو أنه فى حالة انفجار سانت هيلين ، كان هناك كثير من شهود العيان الذين عاشوا بعد أن هربوا من مأساة الانفجار البركانى ، وحكوا القصة .

حكاية البراكين !

.. لماذا تحدث البراكين ؟

هناك من علماء الجيولوجيا وخبراء البراكين من يقول ان البركان ليس أكثر من «مخرج» أو «فتحة» تربط سطح الأرض ، بخزان هائل من «الماجما» فى باطن الأرض .

وبالتالى فهو ليس أكثر من انبوبة تخرج منها «الغازات الملتهبة» و «اللافا المنصهرة» والصحيح أن فوهات البراكين المعروفة المخروطية الشكل «ضرورية» لحدوث البراكين . ولكن الصحيح أيضاً أن انفجارات بركانية هائلة مسجلة تاريخياً ومذكورة علمياً قد حدثت فى الأرض المسطحة ، وإن كان انفجار البراكين بهذا الشكل ، قليل الحدوث .

هناك أيضاً الفوهات التى تنفجر تحت سطح مياه المحيطات ، وقد سجل ما لا يقل عن ٤٥٠ بركاناً نشطاً فى فترات تاريخية مختلفة . وعموماً فالبراكين ليست موزعة بشكل عشوائى على سطح كرتنا الأرضية . لقد ثبت أن هناك مناطق معينة فى الأرض مشهورة بنشاطها البركانى ، وهناك مناطق أخرى مشهورة بأنه ليس فيها نشاط بركانى ويعلن أنها منطقة «خالية» من هذا النشاط . والسؤال الذى يتبادر الى الذهن بعد سماع التفصيلات عما يقذفه بركان سانت هيلين الآن ، ونشاط بركان «أتنا» ، والأول فى أمريكا والثانى فى أوربا ، هو أى البلاد يترتبط اسمها بالبراكين ؟

قد يجيب البعض على هذا السؤال بقوله : اليابان ، وهاواى ، وايطاليا . وقد يجيب ثان بقوله : ايسلندة ونيوزيلندة . وللوهلة الأولى لا توجد هناك رابطة بين هذه البلدان . لكن الحقيقة ان هناك رابطة

ما . لكن الشىء الذى يجمعها كلها ، هو انها قريبة من البحر !! فالظاهرة الملفتة للنظر إذا ما تتبعنا كل البراكين النشطة على خريطة العالم ، هى انها كلها تقع فى «سلاسل» ، إما على طرف القارات ، مطلة على المحيط ، وإما فى الجزر .

وعندما يقول العلماء عن بركان ما ، انه كان «خامداً» ثم نشط «مؤخراً» ، فان كلمة «مؤخراً» أو «حديثا» هنا تعنى ان هذه البراكين قد نشطت فى العشرة الاف سنة الأخيرة . قد يبدو هذا القول غريباً فى نظر البعض ، وقد يبدو فى نظر البعض الآخر «حذلقة» علماء . لكننا ينبغى ان نتذكر اننا نتحدث عن «الكرة الأرضية» وليس عن «تاريخ البشرية» . إن عمر الكرة الأرضية يصل الى ٤٦٠٠ مليون سنة . من هنا ندرك معنى ما يذكره العلماء عن نشاط البراكين.

سلاسل البراكين

البراكين لا توجد منفردة ولكن مبعثرة على سطح الكرة الأرضية . بل هى توجد فى سلاسل ، وهذه السلاسل توجد فى مناطق معينة من عالمنا .

السلسلة الأولى تبدأ من قارة انتاركتيكا ، على بعد بضع كيلو مترات من القطب الجنوبى . وبهذا توجد عدة سلاسل بركانية تحيط كلها بالمحيط الهادى ، لتعود مرة أخرى الى نفس المكان ، فى رحلة يزيد طولها عن ٤٠ الف كيلو متر . ويطلق عليها اسم «حلقة النار» لانها تضم معظم براكين العالم ، ولا يبعد أى منها باكثر من ٣٠٠ كيلو متر عن البحر . ويقول العلماء ان هناك حوالى ٤٥٠ بركاناً نشطاً فى العالم ، يتوزع معظمها فى «حلقة النار» هذه .

ثم هناك ١٨٠ بركاناً فى جزر غربى المحيط الهادى و ٩٠ بركاناً اخرى على الجانب الغربى من الامريكيتين . وتضم هذه سلسلة الجزر اليابانية . ثم سلسلة الأنديز ، حيث يوجد حوالى ٤٠ بركاناً نشطاً ، ومائتى فوهة خامدة . أما المحيط الأطلنطى فليس به أكثر من ٦٠ بركاناً نشطاً ، معظمها فى ايسلندة والبحر الكاريبى ، هذا الى جانب النشاط البركانى فى جزر الكنارى وكيب فيرد والشاطىء الغربى لافريقيا . ومن هنا فان السلسلة الأخيرة هى الوحيدة النشطة المجاورة لوطننا العربى من البراكين ، الى جانب السلسلة المتواجدة على الناحية الاخرى شرق القارة الأفريقية .



بعض البيوت التى التهمتها حمم البركان

النشاط البركانى

لاحظ علماء البراكين أن النشاط البركانى ، يتبع خطوط القلق «التكتونى» الباطنى للأرض ، مرتبطاً بوجود الشقوق والفوالق فى القشرة الأرضية . وبمعنى آخر ، توجد البراكين فى الأماكن «الضعيفة» من القشرة الأرضية . وقد لاحظ العلماء ، خلال التاريخ الجيولوجى للكرة الأرضية ، توافق الفترة العظمى لتكوين جبال الأرض ، مع النشاط البركانى المكثف

ولا يتطلب النشاط البركانى وجود طبقة مستمرة من الصخور المنصهرة او الملتهبة أو السائلة ، تحت القشرة الأرضية مباشرة طالما أن الصخور الموجودة فى باطن الأرض تظل صلبة ، بسبب ضغط طبقات الصخور المختلفة .

وتتكون «الماجما» المنصهرة بانخفاض الضغط فى الصخور تحت الأماكن «الضعيفة» من القشرة الأرضية . وفى عديد من الحالات تدفع «اللافا» ضغط الصخور الى أعلى . وفى احوال اخرى ترتفع «اللافا» لانها اخف من الصخور المحيطة بها . لكن الشىء الرئيسى من الانفجارات البركانية يكمن فى وجود الغازات الملتهبة ، وبخار الماء على وجه الخصوص . وحتى فى اقل الانفجارات البركانية قوة ، هناك كمية كبيرة من الغازات . انها تشكل الناتج الدائم للبراكين ، الأكثر من «اللافا» .

وبخار الماء هو السائد فى هذه الغازات . لكن الى جانبه هناك العديد من الغازات الأخرى : النيتروجين ، والأيدروجين ، وثانى أكسيد الكربون ، وأول أكسيد الكربون ، وثانى أكسيد الكبريت ، والكلورين ، وغازات أخرى .

وتبين الدراسات البركانية ، ان سيولة «الماجما» تعتمد جزئياً على وجود الغازات وعندما تنطلق الغازات . يحترق بعضها فى الهواء ، فتتولد حرارة تجعل السطح «اللافا» سائلا . وبهذه الطريقة تظل فوهة البركان نشطة لفترة طويلة متتابعة .

النشاط البركانى

ورغم الضرر الكبير الذى يصيب بنى البشر من البراكين ، إلا أن النشاط البركانى له نواحيه المفيدة ، فالنشاط البركانى هو المسئول عن ظهور «الصخور البركانية» ، وهى الصخور التى توجد بها المعادن الثمينة . ويكفى ان نضرب امثلة برواسب النحاس فى بوتى ، ورواسب النيكل فى سادبرى باونتاريو ، ومناجم الماس بكيمباربى .

بل ان تأثير النشاط البركانى على الزراعة كبير . ذلك ان «اللافا» البركانية تحوى خليطاً من الصخور والمعادن المفيدة للتربة المخصبة لها . ويكفى أن نلقى نظرة على الكثافة السكانية فى بلد مثل أندونيسيا على سبيل المثال ، فنلاحظ ان التركزات السكانية الكبيرة هناك تتواجد فى المناطق ذات النشاط البركانى . بل إن التربة فى بعض هذه المناطق خصبة الى درجة أن بعض الأراضى الزراعية تقدم محصولين فى السنة ، بل وأحياناً ثلاثة . وهكذا تتواجد مناطق زراعة الارز فى أندونيسيا فى تلك المناطق ذات التربة البركانية ، إن صح التعبير . نفس الشىء ينطبق على مزارع البن بكوستاريكا وجواتيمالا التى تتواجد على منخفضات البراكين حيث التربة المناسبة تترافق مع المناخ ليقدما أفضل محاصيل البن . ويدعى أهل جواتيمالا أن لديهم أفضل شاى فى العالم ، حيث يزرع فى تربة «بركانية» بدوره .

لكن ما يلفت النظر الآن أكثر ، هو الاستخدامات المباشرة للبراكين . ففى أيسلندة ونيوزيلندة تستخدم مياه الينابيع الساخنة والدافئة ، فى الاستخدام اليومى العادى . وفى ريكافيك عاصمة ايسلندة (وكذلك بعض مدنها الأخرى) مدت انابيب لتزويد البيوت بالمياه الساخنة من هذه «الينابيع البركانية» !

مجدى نصيف

أسرار في عالم البحار

أسماك سامّة.. وأسماك لها أربعة عيون



بقلم: ميساء ناجي

إن فى الوجود عجائب وغرائب لا تحصى ولا تعد ، وفى هذه الطبيعة من حولنا أسرار لايزال الكثير منها خافياً على عامة الناس بالرغم من انه طريف وشيق ، يجذب القارىء اليه ويشده ..

ولعل اغرب هذه الغرائب واعجب هذه العجائب ما ينغلق عليه عالم الأسماك فى محيطاتها وانهارها وبحيراتها ، فهيا بنا فى رحلة ممتعة عبر هذا العالم لنضع أيدينا ونشاهد بعيوننا ونسمع باذاننا بعضاً مما يدور فى مياهه !

سموم الأسماك

تظهر فى المملكة المائية الواسعة أنواع من السمك تحمل فى جسدها سموماً للدفاع عن النفس ، فمنها ما يلدغ دافعاً السم فى جسد عدوه كسمك العقرب السام الذى تسبب لدغته آلاماً مبرحة وورماً كبيراً والتهاباً يميت تدريجياً إذا لم يستخدم ما يمنع امتداده ويبقى مكان اللدغ متورماً احياناً لما يتجاوز الشهرين .

وهذا السمك لا يشكل خطراً على اكله فهو بمجرد أن ينزع منه الجزء الذى يتركز فيه السم يصبح كغيره من الأسماك الأخرى .

ففى سمك الراى القارص مثلا يقطع الشوك ذو الوبر والذى يكون فى الذيل وما بقى من جسم السمكة يمكن اكله بامان .

أما النوع الآخر من السمك ذلك الذى يسمم آكله دون لدغه فهو الذى يشكل خطراً لمن لا يعرف عنه هذا ، فسمه لا يفعل فعله إلا بعد الأكل وقد يكون سمه منتشراً



ثلاث لقطات لأنواع من الأسماك الغريبة التى من بينها من له أربعة عيون .. ومنها ما يطلق عليه اسم المهرج .. ومنها من تكسوه الخطوط الذهبية الجميلة ..



لقطتان لنوعين من الأسماك الغريبة التى تعيش فى البحار والمحيطات .. وبعض هذه الأسماك يكمن الخطر فى سمومها التى تحملها داخل جسمها وتدافع بها عن نفسها !





فى كل انحاء جسده أو فى اجزاء خاصة منها .

ويمكن توضيح مدى خطورة تناوله بادراج علامات التسمم به .. ففى غضون ثلاثين ساعة من تناوله يحدث وخز فى الشفتين واللسان ويمتد هذا الوخز الى اليدين والقدمين ثم يتغلب تدريجياً حتى يصبح خدراً فى الجسم كله وتظهر فى المعدة والأمعاء اضطرابات عديدة كغثيان النفس والقيء والاسهال وآلام البطن وقد يصاب الجهاز العصبى فيصبح المريض سريع التهيج والتشنج وقد يصل الأمر الى الاصابة بالشلل .

ويمكن أن يصاب المريض بتقلص فى الحلق وآلام فى المفاصل وتعرق شديد وقشعريرة وحمى ولعل من أغرب الأعراض أحاسيس خاطئة عند المصاب كشعوره بأن أسنانه مفككة فيحاول منعها من السقوط .

وسم السمك عادة من أشباه القلويات ، ثابت نوعاً ، فلا يمكن للغلى الطويل أن يفقده فعاليته بينما يستطيع الغسل بالملح أن يقلل منها .

عيون السمك

اعتدنا فى عالم الأسماك أن تملك السمكة عينين اثنتين ولكن غرائب الطبيعة بينت للعلماء وجود أنواع من السمك بأربع عيون وهذه طبعاً لا تلبس نظارات ولكنه ولسبب أعمق فى علم الحياة نشأت على هذه الصورة :

فمن بينها سمكة تعيش فى المكسيك يسميها الناس بلغتهم الجارية (كاترو



النيون الاسود .. هكذا يطلقون على هذه الاسماك التى تراها وكانها مضيئة فى قاع البحر

هويسوس) أى ذات الأعين الأربع .

وفى حقيقة الامر لا تملك هذه السمكة سوى عينين اثنتين ولكن كلا منها ينقسم الى قسمين : قسم علوى صالح للرؤية فى الهواء وآخر سفلى صالح للرؤية فى الماء وينتفع السمك بهذا الجهاز الفريد فى كشف أعدائه. فهو سمك صغير يعيش فى الماء الضحل ويقضى اغلب وقته عند سطح الماء ورأسه خارج بعض الشىء عنه بحيث يسمح للقسم العلوى من عينيه بمراقبة ما هو فوق الماء .

ومن الأسماك المماثلة لهذا السمك سمك البلينى الصغير ، إلا ان العين لديه تنقسم بطريقة اخرى فنصفها الاول فى الامام ونصفها الثانى ياتى خلفه : ويستخدم الاول فى الهواء والثانى فى الماء . ويعود تغير بناء عين هذا النوع الى الوضعية التى يوجد فيها فهو غالبـا ما يتعلق قائماً الى جوانب حفر فى البحر مليئة بالماء .

وكما يحوى عالم الأسماك انواعاباربع عيون يحوى كذلك أسماكاً بعين واحدة .

لكن هذه الظاهرة شاذة قلما توجد فى الحيوانات الفقرية ولعل من المتعارف عليه وجود انواع من السمك لا عيون لها أصلا هى تلك التى تعيش فى كهوف مظلمة او فى أعماق سحيقة حيث لا يكون للنور هناك اى اثر فى حياتها .

وإذا ما درسنا أمراً آخر هو وضع العيون فى جسم السمكة لاعتدنا أن تكون عينا السمكة على جانبين مختلفين متناظرين من الجسم وهذا الوضع الاعتيادى لدى السمك يسبب وصول صورتين مختلفتين لدماغ السمكة كل منها عن حادث يختلف عن الآخر .

ولكن ... هل تكون عينا السمكة دوماً بهذا الشكل ؟! .. لقد تبين لعلماء الأحياء المائية انه من الممكن ان ياخذ وضع العين أشكالا اخرى .

فسمك الغندر وهو من أسرة المفرطحات يبدأ حياته بعين واحدة على كل جانب من رأسه ويعوم على الأسلوب المعروف لدى سائر السمك لكن ما أن يكبر هذا السمك حتى يحدث تبدل أصيل فى شكله فياخذ بالميل الى جنبه ثم يرقد عليه على رمل القاع وعندئذ تبدأ عين الجانب المقابل لرمل القاع بالتحرك من مكانها لتصعد الى الجانب الأعلى من الرأس .

والسمكة الذهبية ، هى من الأسماك الغريبة فى هذا المجال فهى تملك عينا تلسكوبية حيث تتوضع العينان فيها على مستوى واحد كالانسان وهذا يعنى انها ترى شيئاً واحداً لا اثنين .

ويجيب الدكتور «روجر سبيرى» عن سؤال غريب هو : هل تستطيع العين اليسرى للسمكة أن تحتفظ بذكر شيء رأته العين اليمنى ؟ بقوله، يمكن ان ننقل لدى السمك خبرة عين الى الاخرى ولكن هذا يكون بالتدريب لأن دماغ السمكة بدائى يعجز عن احداث التناسق بين العينين ذلك التناسق الذى يؤدى الى نقل ادراك عين الى العين الثانية .

الدفاع عن النفس

وأساليب الأسماك فى الدفاع عن نفسها غريبة متعددة فعالم السمك مليء بالصراعات والحروب وعادة ما يقضى فيها السمك القوى على الضعيف .. الكبير على الصغير وهذا الصغير الضعيف يتبع فى كثير من الاحيان أساليب اكثر ذكاء معوضاً بها عن صغر حجمه وضعف جسده .

فسمكة الزناد مثلا تملك فى زعنفتها الظهرية الأولى أشواكاً ثلاثاً تحملها مضمومة الى ظهرها ، هذه الأشواك تساعدها على القيام بحيلة ميكانيكية رائعة فهى ما أن تشعر بالخوف حتى تدخل خرقاً فى الصخر لتنفتح شوكتها الكبرى وتستقيم داخل الخرق وكانما اغلقت السمكة على نفسها باباً بقفل لا يستطيع به الانسان مهما شدها أن يخرجها من هذا الخرق .

إلا أن الشوكة الثالثة من هذه الزعنفة وهى شوكة صغيرة أشبه بزر ضئيل تلعب دور المفتاح لهذا القفل العجيب ويكفى ضغطها بخفة حتى تهبط الزعنفة بالذى بها من شوك وينفتح القفل ...

وللجندفلى أسلوب غريب فى حماية نفسه فهو من الحيوانات الرخوية التى تملك صدفة . وصدفة الجندفلى ضخمة يصل وزنها الى «ربع طن» تبقى مفتوحة طالما أن الحيوان يشعر بالأمان ولكن ما ان يشعر الجندفلى باقتراب عدو خطير مستخدماً بذلك حساسيته الشديدة للضوء حتى يغلق صدفته بشدة فيطبقها على العدو الغريب ويمنعه من الحركة حتى يموت . وقد حدث مرات عديدة أن أطبق هذا الحيوان الضخم على أيدى الغواصين أو أقدامهم ومنعهم من العوم حتى ماتوا غرقاً .

والخبير بأسلوب هذا الحيوان يكفيه عند سقوطه فى هذا الشرك المخيف أن يمد احدى يديه داخل الفتحة الصغيرة المتبقية بين هاتين الصدفتين ليقطع الفصلة الكبيرة التى تصل بينها والتى تقرب بين

الصدفتين بشدة حتى ينفتحا من جديد وينطلق السباح بعيداً .

ولخيار البحر أسلوب آخر فى الدفاع عن النفس يتناسب وحجمه الضئيل .

يتناثر هذا الحيوان على الشواطىء متشبثاً بصخورها إذا ما اقترب منه متطفل غريب ككلب جائع مثلا فيبدأ فى إطلاق سائل من مؤخرته يندفع بوجه الكلب ليرتد الثانى خاسراً ولكنه إذا ما عاود هجومه من جديد اضطر حيوان البحر المسكين أن يقدم للكلب الشره جزءاً من جهازه الهضمى شاغلا إياه ريثما يأتيه الموج ليحمله بعيداً الى البحر حيث يجدد هناك ما فقد من أعضائه .

ومن أساليب الدفاع الغريبة تلك التى يستخدمها القرش المنتفخ ويتلخص أسلوبه فى الدفاع عن نفسه بانتفاخ بطنه وبالذات المعدة ... فهو حين يخاف من عدو أكبر منه حجماً يأخذ بابتلاع أكبر كمية من الماء ليدخلها الى معدته حيث تملك المعدة لديه حلقتين اثنتين، واحدة عند اتصال المعدة بالأمعاء وهى تنغلق عندئذ لمنع خروج الماء من المعدة، وحلقة أخرى عند اتصال المعدة ببلعومها تنفتح آنذاك لدخول أكبر كمية من الماء .

فتصور مدى العجب الذى يبديه السمك المهاجم حين يهم بابتلاع سمكة القرش الصغيرة فيرى أنها قد كبرت الى حد يمنعه من ابتلاعها !

الأسماك الطائرة

وينتمى السمك الطيار الى سمك الأورفى وكذلك الى سمك ويميروف ذوات نصف الفقار وهو سمك يتراوح طوله بين الـ ٢٠ ــ ٣٠ سم ويتميز بتطور غير اعتيادى لزعانف الصدر وأحياناً زعانف البطن ويمكن أن يصيب هذا التطور الجزء الأسفل من الزعانف الذيلية .

ويهدف هذا التطور الغريب إلى تكييف السمك مع الطيران ، فهو لكى يتجنب أعداءه يسبح سريعاً ثم ينتصب قائماً ثم يقفز عالياً فى الهواء ويطير أحياناً محلقاً الى مسافات بعيدة (تصل الى ٤٠٠ م) ولكنه غالباً لا يبقى فى الهواء أكثر من ثوان قليلة .

والسمك الطيار ليس الوحيد الذى يملك هذه القدرة على الطيران فيوجد غيره من الأسماك تملك قدرة أضعف من قدرته على القفز فى الهواء . ومن هذه الأسماك فئة تنتمى الى فصيلة البلينديات وكذلك الجوبيان وهى تملك قدرة غريبة على القفز الى الأرض ومنه الى الماء من جديد حيث يصعب صيدها وهى لا تستطيع القفز فى الهواء بغاية السهولة فحسب .. بل وتستطيع أيضاً أن تفعل هذا بغاية السرعة والبراعة .

وأغرب ما فى أمر هذه الأسماك أنها لا تقفز اعتباطاً بل إنها قادرة دوماً على القفز والسقوط بسلام فى بركة ماء أو فى البحر الطلق من جديد. والسؤال الذى يتبادر الى الأذهان هل تدرى السمكة قبل أن تقع أين تقع ؟

إن هــذا السمك يسبح فــوق البرك المجاورة للبركة التى يسكنها أثناء فترة المد ليتعرف على الطبوغرافية العامة لهذه المنطقة ثم انه يملك قدرة كبيرة على التذكر يستخدمها أثناء قفزه فيما بعد .

صداقة وتعايش

وسمك الكشاف سمك غريب الأطوار فهو يرى دائماً بصحبة الأسماك الغضروفية وخاصة سمك القرش ، ومن العجيب أن يجد هــذا السمك الوديع الذى حباه الله ألواناً بألوان زاهية جميلة أمناً بجــوار هذه الأسماك الخطيرة النهمة .

وقد بلغ من تعلقه بها انه لا يفارقها ويتبعها كظلها حتى إذا ما دهاها خطر ما ظلت معها حتى تلفظ أنفاسها الأخيرة وكثيراً ما يسهل صيد بعض من الأسماك الكشافة بعد مأساة أصدقائها .

ومن غريب ما يذكر عن هذا السمك انه إنما يصحب الوحش المفترس سمك القرش ليكشف له أول ما يكشف عن أعدائه وقلما يغفل القرش عن تقديم نصيب يسير من فرائسه الى صديقه الصغير .

وقد يصحب سمك الكشاف هذا نوعاً آخر من السمك يعرف بالشيطان وهو من فصيلة الراى .

وسمك الشيطان هذا يمتاز بقرنين ناتئين فى رأسه وهما عبارة عن جزئين متممين لزعنفتى الصدر. ومن غريب ما يشاهد فى هذا السمك استعانته بسمك الكشاف الصغير للكشف عن فرائسه حيث يكمن سمك الكشاف تحت الزعانف الصدرية العريضة او بين القرنين وهو عندما يبصر الفرائس يضغط على القرن بوخزة إيذاناً بظهورها فينطلق الوحش الضخم (سمك الشيطان) كالسهم نحوها .

توازن مثير

ولا يعتبر سمك القرش عدواً خطيراً للانسان وحده لكنه كذلك شر مستطير لجميع مخلوقات البحر، وما كانت سنة الحياة لتتركه يطغى كل هذا الطغيان فكثيراً ما يحدث أن يرى الناس آلاف الجثث من هذا الحيوان طافية فوق سطح الماء وقد اعتقد الناس لفترة طويلة أن بعض البراكين الخامدة فى البحر تبعث من فوهتها غازات سامة تقتل هذه الحيوانات .

لكنه بعد فترة من الزمن تم اكتشاف هذا السر الغامض حيث عثر على ميكروب خاص يصيب أسماك القرش ويفتك بها سريعاً متيحاً بذلك الفرصة أمام الأسماك الأخرى أن تعيش بسلام لفترة من الزمن .

ولعلنا سمعنا عن عروس البحر ، ذلك المخلوق البحرى الغريب الذى رسمت حوله أقاصيص وأساطير غريبة ويعتقد الناس أن لعروس البحر نصفاً علوياً كالنصف العلوى للمرأة وآخر سفلياً كالنصف السفلى للسمكة .

وحقيقة الأمر أن عروس البحر سمكة ضخمة يبلغ طولها حوالى عشرة أقدام تعيش على العشب فى قاع البحر الضحل بالمناطق الاستوائية ولها ذراعان يشبهان المطــارف ظاهراً وتحت كل مطرف عند الأنثى ثدى كبير لإرضاع صغارها ويستدق الجسم الضخم فى الخلف ليتحول الى ذيل كبير نسبياً .

ومن الأسماك المعروفة ــ كذلك ــ بتصرفها الغريب وهو وقوفه على رأسه فترة من الزمن : سمك المبرز .. وهو لا يفعل هذا كل الوقت لكنه إن فعل عرض على الناظر منظراً غريباً ممتعاً فلهذا النوع من الأسماك خاصة هدب عند البطن يستطيع أن ينشره كما ينشر الطاووس ذيله فإذا وقف على رأسه (ولاسيما الذكر منه) نشر هذا الهدب ورفع مبرده حتى يتراءى رأسه كراس وحيد القرن ويحدث هذا إذا تقابل ذكران وجهاً لوجه فى طريق واحدة ، حيث يحاول كل منهما أن يقف على رأسه فمن تمكن الاستمرار فى الوقوف لوقت أطول كان هو الأقوى وأرغم الآخر على تخلية الطريق له .

ميساء ناجى

قصـــة قصــيرة

امرأة تنتظر غربة الشمس

بقلم : نــهى ســمارة



رمت الجريدة الصفراء التى مضى على تاريخها أكثر من شهر ، ما الفرق أن تقرأ جريدة اليوم ، أو جريدة صدرت منذ سنة ، الأحداث مازالت مستمرة كما كانت ، قصف قذائف . موت . ذات أسماء الأشخاص القيّمين على الحرب ، ذات أسماء الشوارع الدائرة فيها أحداث الخراب ، الاعلانات وحدها يتقلص حجمها فى الجريدة ، فأمام حدث الحرب لا يختار المرء سوى حاجاته الأولى ، فهو محكوم بما يجده عند أقرب دكان لمنزله .

اختفت الصفحات الثقافية فى الجريدة التى كانت تقرأها بانتباه ، معارض الرسم ، نقد لمسرحية ، أو تحليل لفيلم ، الآن لم يعد سوى بعض الأشعار لشعراء لم تقرأ أسماءهم سابقاً ، كلماتهم اضاءات مذعورة مصابة بتيار كهربائى قاتل .. أو وجدانيات ذات أنفاس متقطعة هلعة . المضحك أن زاوية الأفلام وبرامج التلفزيون ظلت كما هى منذ أربعة أشهر ، كأن مبوب الجريدة نسيها ، أو اعتاد على وجودها لدرجة أنه نسيها ، صالات السينما أيضاً شاشة بلا مشاهدين .. كأصحاب هذه المدينة ..

يتثاءب الزمن ويتمطى ، لولا غيابه لما اشترت الجريدة ، ولما أمعنت قراءة فى صفحة الوفيات ، فارض الراحلين فى الجريدة أخذت تتسع حتى شملت الصفحة المقابلة .

بات لا أحد يحفل بحادثة وفاة ، ما عدا أقرباء الميت أو أصدقاءه الحميمين ، الحدث هو أن تحافظ على رأسها حياً ، وفى هذه الكوة الهادئة فى منزلها الأمين تحاول أن تظل حية ـ حتى عودته ـ .

حين نادى بالأمس بائع الجرائد : النهار السفير ، الأنوار ، اشترت الجرائد الثلاث ، إنه صوت الانسانية المعافى الوحيد

الصارخ ، المنادى طفل فى **الحادية عشرة** ، له عينان جميلتان تلمعان وهو يحسب الدراهم ، لو انجبت من الغائب طفلا ، ربما كان وقع الزمن والانتظار اخف وطاة .

لاحظت انها لم تعد تشترى الجرائد إلا لتقلبها حيث صفحة الوفيات ، فى قوقعتها هذه عليها ان تعرف عن خبر وفاة صديق ، أو بعيد ، أو مهاجر ، أو ؟! ألم تكن تفتش عن خبر وفاته ، ربما اصابته رصاصة وهو قادم اليها .

هالها أحياناً أنها كانت تفتش عن اسمها يعلن حدث وفاتها ، هزتها هذه الحالة المتكررة ، وبدت كحالة انفصام أدركها وعيها . ولكن ماذا تفعل وسط هذا الهدوء الهائل ؟! الكتب التاريخية التى تركها الغائب تقرأها ولا تفهم ، ما أهمية أن تقرأ **تاريخاً مضى ، وتاريخاً حالياً يسطر ذاته يومياً على شاشة بيروت .**

كيف تبلدت فيها الغرائز ؟ بل أصبح مذاق الطعام متشابهاً ، فرغم نزولها كل فجر لتشترى من صاحب العربة الواقف قرب بنايتها كل أشكال الخضرة والفاكهة ، إلا انها لا تجد لذة فى مضغها ، لقد كان يحب أن يرى البرّاد ممتلئاً بالخضار ، وهى لا تريد أن تمنحه عودة **قاحلة** .. بالاضافة انها تستمتع كثيراً بالتمتع كل صباح بالوان الخضار والفاكهة فلها **الوان** قوس القزح التى تجدد شرايين الحياة . ثم ان بمحادثتها صاحب العربة تستعيد الحوار الانسانى الذى نسيته .

كان صاحب العربة يبيعها ما تريد بأسعار مضاعفة عن أسعار ما قبل الحرب ، معللا غلاءها بندرتها ، وبتعريض حياته للتهلكة ، كان يسرع فى وضع بضاعتها فى الميزان مردداً «غيره .. غيره» ويتحرك الذين حول العربة كانهم دمى مسيرة ، مرة كان عدد المشترين قليلا ، فوجد الوقت ليتحدث معها ، سالها عن الغائب فى الصحراء ، وإذا كان ياتيها منه خبر وسط انقطاع وسائل الاتصال من بريد الى هاتف ، ثم انتقل ليتحدث عن متاعب الرجال لاعالة عائلاتهم ، ثم ابتسم وقال كلمة لا تنساها :

— المحتاج وحده حفظ عصب الحياة لديه وذلك بالركض لتامين معيشة أولاده ، انظرى الى فلان ، وفلان من الجيران ، لقد ازداد وزنهم وترهلوا ... عندهم من المال ما يكفى ليتقوقعوا مع عائلاتهم وليشتروا ما لذ وطاب من عربتى !

الألوان ! كم تشتاق الى الألوان ، بدأت تزرع البقدونس والنعنع وبعض أنواع الورد فى أوعية فخارية ، وحين ينبت «عرق أخضر» تتسرب الانتعاشة الى شرايينها ، الحياة تثبت استمرارها باشكال شتى ، ولا تبالى بمدينة الأشباح ، كم تحب المنازل **الصاخبة باصوات اطفالها ، برائحة طبيخها ،** باكوام الثياب القذرة التى عليها غسلها وتامين حياة منظمة صحية لديهم ، بالضحك ، بالصراخ ، بالبكاء ، بعويل صوت المذياع يغنى لأم كلثوم أو لصباح ، بشاشة **التليفزيون** تقدم فيلماً مصرياً غرامياً مليئاً بالآهات والحسرات ، **بتاوهات العائلة حوله ، بدموعهم ، بقفشاتهم المضحكة والذكية ، كيف حصل لتترك كل هذا ؟ بيت عائلتها فى** مصر وتهاجر كزوجة للبنانى فى بلده ، إنها لم تربحه ولم تربح بلده ، فما أن تزوجته حتى بدأت الحرب وهرب الى الصحراء بحثاً وراء الثراء .

الصحراء ؟! لقد نسيت المواسم ، ربما أخذت تعرفها من نمو الأعشاب فى أوعيتها الفخارية ، فى تبرعم ورودها ، أو من كمية الملابس التى كانت ترميها فوق جسدها ، لم تكن تفكر باى شهر فى السنة لترتدى ما يلائم الشهر ، فوسائل التدفئة بانقطاع المازوت والكهرباء أصبحت ذكرى قديمة .

بالرغم .. بالرغم .. عند كل صباح حين تسمع المنادى على الجرائد ، تستيقظ فرحة وتهب من فراشها حين تسمع صوت جرسه منبهاً إياها ان جرائدها على الباب ، وبعد أن تبدأ بقراءتها تبدأ أول هزيمة : حرب الكرنتينا ، لا .. تل الزعتر ، الموت يحصد ، الثلج يطمر ، القذيفة تهدم ، القتلى يغتسلون بالمطر ، ثم **يغمرهم** الثلج ، يصبحون جزءاً من الطبيعة ، فى الكون ، لا يعود هناك ضفة أحياء ، أو ضفة أموات . ترمى الجرائد جانباً ، لقد اغتصبت منها طاقة الفرح ، تغتسل ، ترتدى ثياباً نظيفة جداً ، وتنزل الى بائع الدكان ، ثم تعود ، تنظر حولها ثم تعود لايقاع الانتظار .

متى تتوقف الحرب ؟!

رمت ما اشترته فى أرض المطبخ وقررت وهى تصعد الدرج أن لا تكون امراة تنتظر العربة التى تقلها الى الشمس ، ستكون هى العربة ، لن تنتظر حدث عودته ، لن تنتظر خبر انتهاء الحرب ، لن تنتظر قراءة تصاريح هذا الزعيم ، أو فلان من الزعماء ، لتعطيها اشعاع ضوء للنهاية .

بل ستبدأ بشعار اسمه «ابدأ بنفسك» .

وتذكرت شعاراً كان شقيقها الكبير قد خطه ولونه بنفسه ووضعه وسط جدار غرفته :

«إياك أن تنسى خطوطك العريضة» .

وحين سالته مرة ماذا يعنى بهذه الجملة ؟ أجابها لكل منا تطلعات قديمة فى داخله كان يكون سياسياً ، أو تاجراً ، أو فناناً ... والحياة كثيراً ما تجعله ينسى ما أراد أن يكون وسط مسيرتها ، بل تجعله ينسى نقطة الضوء لديه .

«الضوء هناك داخلها» ...كم أحبت الألوان وقد اشترت الكثير منها بعد زواجها منه ، قال لها مرة : «تسلى بها فى غيابى» . وقد قالها بلامبالاة كانه طرح موضوع تطريز شرشف طاولة ، أو حياكة كنزة ، أو محاولة منه لتبقى فى المنزل ولا تكثر الاختلاط بجيرانها .

لماذا لا تبدأ ؟

حملت الألوان ، بدأت تشبع نظرها بالتطلع لكل منها ، بدأت تسرى فى الشريان فى دورة الدم ، كل لون على حدة أصبح معزوفة ، أغنية ، لحناً متناغماً ، ذكرى تنبت بالروائح ، الأوراق التى ستسقط الألوان فيها أضحت مساحة بيضاء واسعة يمكنها القفز منها ، الهمس فوق **رقعها** ، النجوى ، الأصفر ، ثم الأبيض ، ثم الأخضر ، ثم البرتقالى ، ثم ملامسة رقيقة فى الفرشاة ، ثم بعض الخطوط ، ثم ... ثم ... العصب عاد ليتحكم فى اليد . أصبحت اليد رقيقة تلمح جيداً ما بداخلها من عروق .

الأشكال أخذت تنبع من الألوان ، تتضح واليد تمضى بالفرشاة مسحاً ، ماذا ؟! انها ترى نوافذ على حائط قديم ، نوافذ ملونة ، نوافذ تتنفس النور والضوء ... نافذة هناك كان فيها وجه طفل له ابتسامة نورانية ... سقطت الفرشاة منها وأخذت تبكى !

نهى سمارة — باريس

مئة عام مرت على وفاة الأمير عبد القادر الجزائرى بن محيي الدين الجزائرى . فمن هو ذلك البطل الذى طبقت شهرته الآفاق ؟ وما هى الظروف التى أحاطت بثورته التى استمرت خمسة عشر عاماً ؟

بطل عربي في ذكراه المئوية:

الأمير عبد القادر الجزائري

بقلم: نديم خشفة

الحركة الاستعمارية فى القرن التاسع عشر متعددة الأسباب ، مختلفة الدوافع ، لكن محركها الأول : الأطماع الاقتصادية ، والأحقاد الصليبية . ووسيلتها الى ذلك جواسيس تنكروا بأزياء القناصل ، وعلماء اللغة ، ووكلاء التجارة . حتى إذا نضجت خطة المستعمر اختلق الدوافع وابتدع الأسباب ، ورمى بقواته العسكرية دفاعا عن مبادىء «إنسانية» هو أول المنكرين لها والمعرضين عنها .

وكانت أسباب الغزو هذه المرة ... ذبابة !!





الأمير عبد القادر الجزائري وتمثال اقيم له في إحدى ساحات الجزائر



منمنمة انجزها الفنان الجزائري (محمد راسم) للامير عبد القادر الجزائري .

كان شارل العاشر (١٧٥٧ ـ ١٨٣٦) ملك فرنسا ، غارقاً فى المصائب الى قمة رأسه : فقد خسر مستعمراته فى القارة **الامريكية** بعد حرب السبع سنوات مع بريطانيا . وتحركت ضده نقمة هائلة داخل فرنسا نفسها أدت الى خلعه بعد ذلك . وتراكمت عليه الديون الخارجية ، ومعظمها أثمان حبوب ومواد غذائية اشتراها من الجزائر ولم يستطع سدادها ... فوجد الحل الوحيد لهذه الأزمات فى لفت الأنظار الى انتصارات عسكرية خارجية .

وكان نابليون بونابرت (١٧٦٩ ـ ١٨٢١) قد أعد خطة عسكرية أثناء حكمه ، لغزو الجزائر . ولكن هزائمه فى مصر وعكا واندحاره فى روسيا قطع شهيته المتفتحة الى الغزو ، وألزمه عقر داره ! ووجد شارل **العاشر خطة الغزو النابوليونى جاهزة ، فلم** يبق عليه إلا إبتكار حادثة مباشرة يبرر بها غزوه للجزائر .

فكان أن تجاهل الرسائل العديدة التى وجهها اليه (الداي حسين) حاكم الجزائر ، مطالباً بتسديد الفواتير التى طال أمد سدادها . وتجرأ القنصل الفرنسى (ديفال) على الداي فرد عليه فى مجلسه رداً مهيناً أمام البعثات الدبلوماسية الحاضرة .. فلوح الداي بمروحته مظهراً استياءه ، وطلب من القنصل مغادرة المجلس .. فكانت الفرصة السانحة لشارل العاشر ليرمى بكل همومه فى عباب البحر .. فأرسل جيوشه وأساطيله ومدفعيته .. فاحتلت الجزائر سنة ١٨٣٠ **انتقاماً لشرف قنصلها الرفيع !!**

وعلى ذكر الشرف الرفيع ، لابد من التذكير بحادثة مريعة جرت سنة ١٦٢٠ تظهر الأسلوب النفعى فى فهم الغربيين لهذه المعانى الانسانية . فقد أبدت الحكومة الفرنسية رغبتها فى تحسين علاقاتها مع الجزائر فسافر لهذا الغرض وفد جزائرى الى مرسيليا برئاسة (سنان باشا) . وأثناء الاجتماع أثار الرعاع فتنة زعموا فيها أن الأسطول الجزائرى قد **هاجم** بعض القطع البحرية الفرنسية .. فقتل الفرنسيون ضيوفهم أعضاء الوفد .. تعبيراً عن الشرف الرفيع !! وبقيت لطخة عار فى جبين (لويس الثالث عشر) الملقب بالعادل !

بطل عربى يتصدى للغزو

بعد نزول القوات الفرنسية فى السواحل الجزائرية ، اجتمعت القبائل العربية المقيمة فى نواحى (وهران) من **الغرب الجزائرى ، وانتدبت (محيي الدين** الحسنى) قائداً لها سنة ١٨٣٢ . وقد قبل الرجل هذه المهمة العظيمة ، لكنه اعتذر بكبر سنه ، واقترح عليهم تعيين ولده الشاب عبد القادر . **فتمت** له البيعة فى مسجد مدينة (معسكر) وله من العمر أربعة وعشرون عاماً .

ينتسب عبد القادر الى قبيلة هاشم العربية . وأسرته معروفة فى منطقة (غريس) وكان جده سيدى مصطفى بن محمد موضع إجلال وإكبار من رجال تلك القبيلة وأحلافها . وهو صاحب زاوية على الطريقة القادرية . وقد عبرت بعض الشائعات والأقاويل المتداولة فى المنطقة عن مدى تعلق الناس بعبد القادر واعتقادهم فى قدرته على إصلاح أمورهم . ومفاد هذه التنبؤات أن الحكم العثمانى سيزول ، وأن شاباً عربياً أسم أمه (زهرة) سوف يحكم الناحية الغربية (١) .

الأمير عبد القادر الجزائري

ولد عبد القادر (١٨٠٨ ـ ١٨٨٣) فى **القيطنة** . وبدأت مواهبه بالتفتح مبكراً : فاتقن القراءة والكتابة ولما يتجاوز الخامسة من العمر . وتمكن من قراءة القرآن وأصول الشريعة والحديث وهو فى الثانية عشرة . واصبح من حفظة القرآن وهو فى الرابعة عشرة . ثم تتلمذ على سيدى أحمد بن الطاهر قاضي (أرزو) . فاطلع على العلوم الحديثة : علم الفلك والحساب والجغرافية . بالاضافة الى اطلاعه على الشئون الأوروبية . ثم انضم بعد ذلك الى جماعة رجال الدين ممن كانوا **يلتفون حول والده محيي الدين** ، لدراسة العلوم القرآنية (٢) .

وقد تعرف عبد القادر على الحركة الاصلاحية بالمشرق العربى عندما أدى فريضة الحج مرتين مع والده (١٨٢٥ ـ ١٨٢٨) وشهد حالة تونس تحت حكم الأسرة الحسينية ، واطلع على تجربة محمد علي بمصر ، واستقر مدة بالقاهرة قابل خلالها محمد علي . وطاف بالحجاز ثم بالعراق : **(اخذ هو ووالده الاجازة بالطريقة القادرية** عن الشيخ محمود القادرى نقيب الأشراف) . وأقام فى دمشق عدة أشهر ، كان يقضيها فى ملازمة حلقة الشيخ عبد الرحمن الكزبرى (٣) .

وكان فارسا معلماً ، عرف عنه حبه للخيل واعتناؤه بها .. هذه الخصال كلها جعلته أهلا للقيادة ، وموضع ثقة أبيه فيه. ويشهد التاريخ انه أدى الأمانة ولم يخيب أمل الجماهير التى بايعته . فتلقب بامير المؤمنين ، وانصرف الى تنظيم المقاومة ضد الغزاة .

الجيش المحمدى يوقف الزحف

استطاع عبد القادر أن يكون جيشا قوياً منظماً من القبائل العربية الساكنة فى الغرب أسماه (الجيش المحمدى) . واجبر تلك القبائل على قطع علاقاتها الاقتصادية بالجيش الفرنسى . وحثها على الاقامة فى أراضيها وعدم التنازل عنها لأى سبب من الأسباب . استورد الأسلحة والذخائر ، ثم طور صناعته الحربية مستعينا ببعض الاسبان والفرنسيين الهاربين من الجندية، فانشا المصانع لصب المدافع وانتاج البارود والذخائر ، على دهشة من القيادة





بطل المقاومة الوطنية الأمير عبد القادر والمارشال بيجو سنة ١٨٣٦

الفرنسية . وهزم الفرنسيين فى معارك عسكرية يطول الحديث عنها ، أشهرها معركة (خنق النطاح) التى يقول الأمير فى وصفها :

ألم تر فى (خنق النطاح) نطاحنا غداة التقينا ، كم شجاع لهم لوى ؟
وكم هامة ذاك النهار قددتها بحد حسامى والقنا طعنه شوى
وأشقر تحتى كلمته رماحهم ثمان ولم يشك الجوى بل وما التوى
ويوم قضى تحتى جواد برمية وبى أحدقوا لولا أولو الباس والقوى
ولما بدا قرنى بيمناه حربها وكفي بها نار ، بها الكبش قد شوى
فايقن أنى قابض الروح فانكفا يولي ، فوافاه حسامى مذ هوى
شددت عليه شدة هاشمية وقد وردوا ورد المنايا على النوى

وتوالت انتصاراته ، واضطرت السلطة الاستعمارية الى تبديل الحكام العسكريين وعزل رؤساء الجيوش عاماً بعد عام . وقد «استهلك» الأمير عدداً كبيراً من الحكام الجنرالات : دوميشال ، ثرذل ، دارلانج ، كلوزيل ، امريمون .. وغيرهم . وقد أقروا جميعا بقوة الأمير وعجزهم عن مواجهة جيوشه .

لقد كان الأمير يحارب على عدة جبهات : جبهة الجيوش الغازية فى أوج قوتها الاستعمارية . وجبهة المتخاذلين فى الداخل والمتعاونين مع الغزاة ، وجبهة سلطان المغرب الذى تنوعت سياسته بين التاييد والخذلان . وعن هذه الفترة كتب « شكيب ارسلان » :

« **جعل عبد القادر عاصمته مدينة معسكر ، ورتب جنوده وباشر القتال ، ولم يكن قتاله قاصراً على جهاد الفرنسيس فحسب ، بل اضطر إلى ان يقاتل حساده ورقباءه من أهل البلاد انفسهم . فقام بجميع ذلك احسن قيام . حتى دانت له كل عمالة وهران تقريباً . وفى ٢٦ شباط (فبراير) سنة ١٨٣٤ انعقدت بينه وبين الفرنسيس المعاهدة المعروفة بمعاهدة « ديميشال » التى بها تعترف فرنسا لعبد القادر بجميع العمالة الوهرانية .. وكان له الحق بموجب هذه المعاهدة ان يعين قناصل فى وهران والجزائر ومستغانم وغيرها . وأن يستورد الأسلحة من اى جهة أراد .. ولما كان الحسد والمنافسة اقتل أمراض المسلمين ، بحيث لاتثقل عليهم سلطة الغريب كما تثقل سلطة اخيهم ، ثار على الأمير قبيلتا الدوائر والزمالة وانضمتا إلى فرنسا فطلب تسليم رؤسائهم إليه ، فابى الجنرال (تريزل) ذلك . فبرز عبد القادر إلى القتال وانتصر على الفرنسيس فى يوم (المقطع) ٢٦ تموز (يوليو) ١٨٣٥ . فجردت فرنسا جيشا كثيفا استولى على عاصمته معسكر تحت قيادة المارشال**

(كلوزيل) ، وكانت بقية من الاتراك لا تزال فى قلعة تلمسان فناوشوه من الوراء فانهزم هزيمة ثانية .. » (٤) .

عبقرية عسكرية

يضيق مجال هذه الصفحات عن تحليل الأسباب المؤدية إلى استمرار المقاومة خمسة عشر عاماً . فنحن لم نتطرق بالبحث إلى المنشآت الاقتصادية والتشريعية التى اقامها والمعاهدات التى عقدها . والخبرة السياسية التى اكتسبها ومكنته من الاستفادة من ضعف العدو وقت ضعفه ، ومهادنته وقت عنفوانه . ونكتفى بالتذكير بعبقريته العسكرية التى اشار إليها الدكتور (جيلالي صاري) بقوله :

« عمد الأمير إلى حرب شعبية حديثة تقوم على امرين :

(١) المرونة فى الحركة ، وضرب العدو دون مواجهته فى معركة فاصلة (خلال المراحل الاخيرة من المقاومة) . وقد تحدث المارشال (بوجو) عن الأمير فى خطاب القاه امام المجلس الفرنسى :

«اتعرفون اين قوته ، إنها فى مرونته ، إنها فى المجال المكانى ، انها فى حرارة الشمس الافريقية . انها فى فقدان الماء ، وفى الترحال العربى من مكان إلى آخر » .

(٢) والأمر الثانى ابتكاره لفكرة العاصمة المتنقلة بحيث لا تطالها القوات العسكرية . وهكذا حقق بهذه الاستراتيجية اهدافاً عديدة : الانفلات من ضربة قوية يوجهها إليه جيش متفوق عليه بنسبة واحد إلى عشرة (وهو ثلث الجيش الفرنسى) . ونشر المقاومة فى كل انحاء القطر الجزائرى . فاستطاع بذلك توحيد البلاد سياسياً ، والمحافظة على وحدتها الترابية . بحيث تشعر كل فئات الشعب بانها مسؤولة عن هذه المقاومة ملزمة بمساعدتها ونصرها بكل الوسائل وشتى الأسباب » (٥) .

الليث المحاصر

تكون مجلس حربى بقيادة المارشال (بوجو) يضم عشرة برتبة جنرال بينهم عميل اسمه يوسف ، وخمسة برتبة كولونيل وعدداً آخر من كبار الضباط . وهدف هذا المجلس القضاء على تلك الظاهرة المسماة : عبد القادر . فاستخدمت القوات الاستعمارية لذلك سياسة الحرب الشاملة او الأرض المحروقة . فاسقطت حصون الأمير واحداً بعد الآخر . واخضعت لسلطتها العديد من القبائل الثائرة وقبضت على رؤسائها . واحتلت (الزمالة) التى تحتوى المنشآت والمؤسسات العامة وخزائن بيت المال ، ومكتبة الأمير الخاصة وبدا الأمير عبد القادر كالليث المحاصر ..

لجا اول الأمر إلى سلطان المغرب فقامت القوات الفرنسية بقصف (وجدة) و (طنجة) و (الصويرة) . وقتلت عدداً من السكان المغاربة ، واضطرت السلطان إلى قطع مساعداته وتوقيع معاهدة بهذا المعنى . فوسع الأمير مجال عملياته : تهاجمه القوات فى الصحراء ، فيظهر لها فى الشمال قرب جبال جرجرة فى مساحة للعمليات تزيد على الف كيلومتر بين المنطقتين .

لكن .. لا امل . فقد سقط رؤساء الفيالق شهداء ، تهاووا كالشهب الآفلة واحداً بعد آخر . وهم الذين اكسبتهم الحرب خبرة ومراساً . واسر الكثير من زعماء القبائل ، واستسلم آخرون .

وننقل هنا عدة سطور من مذكرات (بوجو) :

« الحرب مستمرة منذ اكثر من ست سنوات . وإنى لاتساءل لمن ينصرف إعجابى ؟ الجنودى الذين لا يعرفون التعب . ام للرجل الذى قاوم باقل من الفي فارس وعشرة آلاف راجل ، جيشا قوامه مئة وستة آلاف رجل : منزلقا بين الكتائب ، ضارباً خلفنا واطرافنا ، منفلتا فى اللحظة التى نظن فيها انه فى قبضة يدنا ، منهكا قواتنا بقناصته .. » .

وطغى الموج الاستعمارى غامراً .. فاعلن الأمير استسلامه للجنرال (لامود سيير) فى شهر افريل (مارس) ١٨٤٧ . وطويت بذلك صفحة جهاد استمر خمسة عشر عاما بداه فتى عمره اربع وعشرون سنة ، وختمه ولم يتجاوز الاربعين !!

يقول الأستاذ (احمد توفيق المدنى) المؤرخ الجزائرى المعروف :

« وبعد مقاومة عنيفة قاسية .. تغلب السلطان الاستعمارى على قوة الحرية وإرادة الاستقلال وانقاذ الوطن والشرف . غلب الأمير على أمره ، وانفرط عقد دولته ، فاستسلم للمقادير ، واخذ اسيراً غدراً وخيانة إلى فرنسا ، بينما كان من المقرر ان يسير مع رجاله ومن معهم من نساء واطفال إلى بلد اسلامى يختاره .

افرج عنه بعد سنوات ، فحط رحاله بمدينة الاسكندرية ، ومنها ام دار الخلافة الاسلامية اسطنبول . وخصه فيها السلطان عبد المجيد رحمه الله باستقبال حافل ، ثم سار إلى مدينة ابروصه الأصيلة ، اول عاصمة للدولة العثمانية ، وسكنها فى منزل فخم ، إلى ان وقع فيها زلزال مؤلم حطم ديارها ، فغادرها إلى دمشق الشام . حيث منحه السلطان عبد المجيد قصراً فسيحاً آوى إليه مع عائلته والبعض من ذوى قرباه . وهنالك شعر بالراحة والاطمئنان بين إخوانه العرب الميامين . وقد اجرت عليه الدولة العثمانية منحة مالية محترمة ، كان يتقاضاها مع المئة الف فرنك التى قررتها له حكومة نابليون الثالث ، والتى استمر احفاده على تقاضيها إلى شهر سبتمبر (إيلول) ١٩٦٢ ، عندما اعلنت الجزائر العملاقة استقلالها بعد الثورة البطولية العارمة » (٦) .

الأمير مفكراً وإنساناً

بدات فى بلاد الشام مرحلة جديدة من حياة الأمير عبد القادر . وهى فى الواقع امتداد لنشاطه الادبى والفكرى الذى لم ينفصل يوماً عن حياته البطولية . فقد تلقى منذ طفولته ثقافة عربية اسلامية ، زادها الاحتكاك بواقع امته اصالة وعمقاً . فلانجد انفصالا بين هذين المنزعين فى حياته الحافلة بالأحداث . وهو مثال واقعى لرجل السيف والقلم .

للأمير ديوان شعرى مطبوع (٧) يضم كل اشعاره التى قالها بمناسبات شتى . بعضها رد عن سؤال وجه إليه حول المقارنة بين البادية والحاضرة ، يقول فيها :

يا عاذرا لامرىء قد هام فى الحضر
وعاذلاً لمحب البدو والقفر

الأمير عبد القادر الجزائري



صورة تمثل كفاح البطل العربى الأمير عبد القادر الجزائرى فى الذكرى المئوية له

لا تذممن بيوتــاً خف محملها
وتمــدحن بيــوت الطين والحجر
لو كنت تعلم ما فى البدو تعـذرنى
لكن جهلت .. وكم فى الجهل من ضرر
أو جلت فى روضة قد ران منظرهـا
بكل لــون جميل شيق عطــر
الحسن يظهر فى بيتين رونقــه :
بيت من الشـعر أو بيت من الشعر

وكتب إلى ابنه بعد غياب فرق بينهما اثناء المقاومة :

بنى ! لئن دعـاك الشـوق يومـاً
وحنت للقنا منـــا القلـــوب
فانى منـــك اولى باشـــتياق
ونارى فى الفـــؤاد لهـا لهيب
وإن اخفى اشـــتياقى فى فـؤادى
فان الشــــوق يكتمـــه الأريب

وافتخر فى قصـــيدة إلى زوجته (والقصيدة يغنيها المطرب الوهرانى احمد وهبى) :

تســـائلني ام البنين وإنهـــا
لاعلم من تحت الســـماء باحوالى
الم تعلمى يابربة الخــــدر اننى
اجلى هموم القوم فى يوم تجـــوالى
واغشى مضـــيق الموت لا متهيبا
واحمى نساء الحي فى يوم تهوال
امير إذا ما كان جيشي مقبـــــلا
وموقـــد نار الحرب ان لم يكن صالى
ومن عادة السادات بالجيش تحتمى
وبي يحتمي جيشي وتحرس ابطالى
وبي تتقي يوم الطعان فـــوارس
تخالينهم فى الحرب امثال اشبال
إذا ما اشتكت خيلي الجراح تحمحما
اقول لها : صبراً كصبرى وإجمالي
وعنى سلي جيش الفرنسيس تعلمى
بان منايـاهم بسيفي وعســـالي

أما نثره فيتبع العادة السائدة فى عصره من ولع بالبديع والتزويق اللفظى . ولكنه يميل إلى النثر المرسل فى كتبه الصوفية خاصة . وللأمير كتابان :

(١) (رسالة ذكرى العاقل وتنبيه الغافل) الفه فى بورصه عندما ابلغتــه الجمعية الآسيوية من باريس قرار قبوله عضواً من اعضائها . وقد ترجم إلى الفرنسية مرتين . وهو كتاب شامل لمواضيع فلسفية وشرعية وادبية .

(٢) (المواقف) وقد كتبه فى دمشق وهو شروح لبعض الآيات والاحاديث وتعليقات على مسائل فقهيه ، كان يلقيها فى المسجد الأموى .

وقد كان للأمير موقف إنسانى معروف فى الفتنة التى اشتعلت فى سوريا ولبنان بين مختلف الطوائف الدينية سنة ١٨٦٠ . ففتح ابواب قصره فى (دمر) بضاحية دمشق للاخوة المسيحيين وآواهم ودافع عنهم . وبعد انطفاء الفتنة توالت عليه الاوسمة ورسائل التقدير : الوسام المجيدى من السلطان عبد المجيد ، ووسام الشرف الاعلى (Legion D'honneur) من نابليون الثالث .. وغيرها . ويذكر الشاعر المهجري (جورج صيدح) هذه الحكاية مروية عن جده المعروف بعذوبة صوته وهى سبب لقبه العائلي :

« لما هاجم بيتنا الرعاع بسكاكين وخناجر مصبوغة بدم الجيران ، عرفني واحد منهم كان استضافني مراراً وسمع غنائي ، فمنع رفاقه من الفتك بي على شرط ان اجوِّد على مسامعهم بعض الآيات القرانية ففعلت ونجحت فى التاثير عليهم .. وقد سمع بالحادثة الامير عبد القادر الجزائرى فارسل قبل المغرب رجالا من حاشيته نقلوني مع عيالي إلى قصره حيث بقينا فى حمايته إلى نهاية الاضطراب » (٨) .

● ●

توفى الأمير فى دمشق ودفن فيها . ثم نقل رفاته الى مقبرة (العالية) بالجزائر العاصمة ، حيث اقيم عليه قبر مهيب يزار . ونصب له تمثالان احدهما فى ساحة بالعاصمة ، والآخر فى مدينة (معسكر) عاصمة دولته العربية .

رحمة الله قائداً وعالما مجاهداً .

نديم خشفة ـ الجزائر

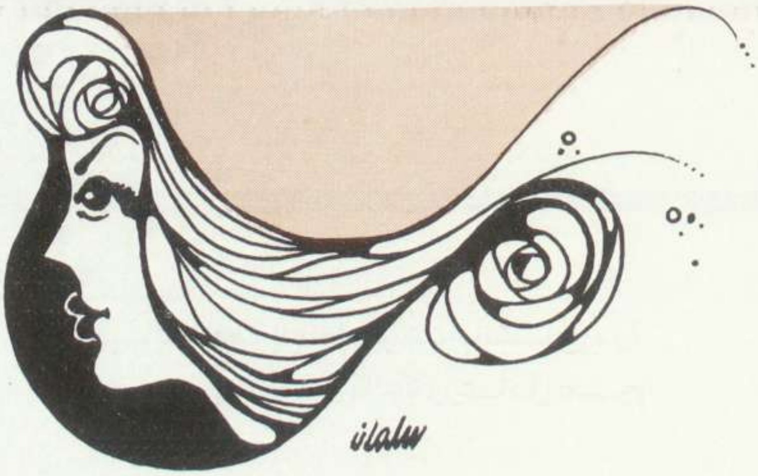
هوامش :

١ ـ ناصر الدين سعدوني ـ مجلة التاريخ ـ عدد خاص / ١٩٨٣ ـ الجزائر .
٢ ـ عطاء الله دهينة ـ نفس المصدر .
٣ ـ محمد بلقراد ـ نفس المصدر .
٤ ـ شكيب ارسلان ـ حاضر العالم الاسلامى ج ٢ / ١٦٩ .
٥ ـ جيلالي صاري ـ نفس المصدر (بالفرنسية) .
٦ ـ نفس المصدر .
٧ ـ للديوان طبعتان . الاولى فى مصر بعنوان : « نزهة الخاطر فى قريض الامير عبد القادر » ، دون تاريخ . والثانية بتحقيق ممدوح حقى ـ دار اليقظة العربية ـ بيروت ـ ١٩٦٤ .
٨ ـ سامي الكيالي . « الأدب العربي المعاصر فى سورية » دار المعارف ـ ١٩٦٨ ـ ص ٢٧٠ .

من لم يحدث نفسه بالغزو فى مطالع الصبا .. يا ويحه إن حن فى الخريف ..

حنين

شعر: بدوي السيد راضي



وجهك ينعكس على المرآة أتابع مبهوراً كرة الثلج المتدحرجة من القطب إلى القطب
.. مروراً بالقلب الملتهب .. ومن عجب تبقى كرة ثلجية ..

• •

أتحلل فى الأشياء ، أضيف لعمرى يوماً آخر ..
أغتسل بعرق العافية .. أعود أدق الأرض لتخرج بطيخاً وخرافه
أتعاطى فى كل مساء فصلا مطبوخاً ومعداً من كوميديا المهزلة العشقيه ..

• •

يا سيدة الحظ العاثر
اللعبة فى الشوط الآخر ..
وضحايا سيدتى - فيما أدرى - صاروا أرقاماً فلكيه ..

• •

باسم العشاق المبتسمين .. دليل الحرمان تمطى
باسم الأحلام قطعناها شوطاً ، شوطاً ..
باسم الاشفاق على غدنا ، باسم الآمال الشعرية ..
عودى لتعود تعطرنا كلمات الحب القدسية ..

تنمية القوى العاملة في الدول الخليجية

رسالة جامعية أعدها : إبراهيم الشيخ درة
عرض ومناقشة : الدكتور عادل غنيم

يدرس الباحث فى رسالته الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى كل من الكويت والبحرين وقطر ودولة الامارات العربية المتحدة وعمان ، ويحاول متابعة وتحليل التطور الذى حدث فى قطاع العمالة فى تلك الدول منذ حصولها على الاستقلال .

وتشتمل الرسالة على ثلاثة ابواب رئيسية وثمانية فصول ، ويعالج الباب الأول مفهوم الاقتصاديات المزدوجة ، ويعرض الباب الثانى للقوى العاملة فى بلاد الخليج ، بينما يناقش الباب الثالث تلك الزيادة الكبيرة فى الطلب على القوى العاملة فى بلاد الخليج .

ويقوم الباحث فى مقدمة رسالته بتعريف مفهوم الاقتصاديات المزدوجة بانه حالة عدم التكامل فى المجتمع ، أو حالة عدم التوازن القائمة بين الأنشطة فى اقتصاد ما أو بين القطاعات ذات الطابع الاقتصادى وغيرها من القطاعات الاجتماعية ، أو هو الصراع الذى يدور رحاه بين أساليب الحياة الشرقية والغربية معاً . الى غير ذلك من التعريفات .

وهناك اسباب مختلفة تؤدى إلى ظهور الاقتصاديات المزدوجة فى منطقة الخليج منها المرحلة الزمنية للدولة ، حيث يتصف الهيكل الاجتماعى والاقتصادى فى المراحل الأولى للتنمية بضعف حلقات الوصل بين القطاعات المختلفة . ومنها انتشار ظاهرة احادية الابنية الاقتصادية والاجتماعية فبينما سيطر نشاد صيد اللؤلؤ فى هذه البلاد خلال فترة الاقتصاد المعيشى ، أصبح الزيت الآن يكون العمود الفقرى لاقتصاديات المنطقة ، ومنها ما يتعلق بدور الحكومات الوطنية فى مرحلة الاستقلال السياسى . حيث أولت تلك الحكومات قطاع النفط أهمية كبرى . ولم يحظ القطاع الصناعى والزراعى باهتمام كبير مثل قطاع النفط والأنشطة العقارية والمالية ، كما ان الاهتمام مازال قليلا بتنمية القوى العاملة فى المنطقة ، بالاضافة الى طبيعة التغير الاجتماعى والاقتصادى حيث تختلف سرعة التغير من بلد الى آخر ، علاوة على ما تحدثه ظاهرة تعايش الخصائص القديمة والجديدة جنباً الى جنب من انتشار المجتمعات المزدوجة فى دول الخليج .

ويذكر الباحث امثلة عديدة عن حالات الاختلال والتناقض التى تمخضت عن عامل التغيير وما رافقه من تزاوج القديم والحديث الذى ينتشر فى دول الخليج .

لكن تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى دول الخليج امر لا يستقيم الا باعادة التكامل الى مختلف القطاعات التى ظهر فيها الاختلال واضحاً ، وهو ما يستلزم معرفة الأساليب التى تستخدم لبلوغ أهداف عملية التنمية وما تثيره من مشكلات .

وهناك أساليب مختلفة لتحقيق التنمية الاقتصادية فى اقتصاديات الدول المزدوجة منها الهجرة الداخلية لدعم القطاعات التى تشيع فيها حالات عدم التوازن ، ومنها تجانس عوامل الانتاج فى قطاعى الزراعة والصناعة ، ومنها تنمية الصادرات التى تعتمد على القوى العاملة الماهرة ، ومنها حسن الاستخدام والاستثمار والتنظيم والتخطيط .

مشكلات فى طريق التنمية

غير أن تحقيق الأهداف المرجوة من عملية التنمية يستلزم تحديد المشكلات التى تقف فى طريق التنمية والأساليب التى اتبعتها بلدان الخليج لتطوير

كان موضوع القوى العاملة فى الدول الخليجية احد الموضوعات الهامة التى استاثرت باهتمام الباحثين والمراكز العلمية المختلفة خلال السنوات الأخيرة ، فصدرت دراسات مختلفة فى هذا المجال ، وعقدت عدة مؤتمرات أو ندوات تناولت الموضوع من زوايا مختلفة .
وكان من مظاهر ذلك الاهتمام مناقشة إحدى الرسائل العلمية فى هذا الميدان . وهى الرسالة التى أعدها الباحث الفلسطيني اسماعيل ابراهيم الشيخ دره ، وحصل بها على درجة الدكتوراه فى الاقتصاد ، وكان موضوعها « تنمية القوى العاملة فى بعض الدول العربية الخليجية ذات الاقتصاديات المزدوجة » .
ومقدم الرسالة أحد أبناء مدينة الخليل بفلسطين ، فهو نموذج من النماذج الفلسطينية الطيبة التى وجدت فى وجودها خارج الوطن المحتل فرصة ينبغى استثمارها للدراسة والبحث وتحقيق شىء مفيد لأمته العربية .

اقتصادياتها وتقويم الجهود التى بذلت حتى الآن بهدف التعرف على قدرة تلك البلاد على تحقيق التكامل فى مجالات التنمية .

ويمكن اجمال اهم المشكلات التى تواجه عملية التنمية الاقتصادية فى دول الخليج فيما يلى :

اولا : حرص تلك الدول على اقامة جيوش وطنية وما يترتب على ذلك من انفاق عسكرى كبير .

ثانيا : مشكلة القلق السياسى التى نشات نتيجة لمطامع الدول الكبرى وبعض الدول الأخرى مما دفع بعض الكيانات الخليجية الى اقامة اتحاد سياسى تواجه به تلك المطامع .

ثالثا : وجود غموض فى المجتمعات الخليجية خاصة فيما يتعلق بنقص المعلومات يترك آثاراً على عمليات التخطيط وبرامج تعليم الكبار ومحو الأمية وامكانات التقدير للمستقبل .

رابعاً : مشكلة التبعية الاقتصادية التى تبدو مظاهرها فى تركيز الاستيراد من دول محدودة وتنفيذ بعض المشروعات فى دول اخرى والاعتماد الكبير على الخبرات الوافدة فى المرافق الاقتصادية الهامة .

وبناء على ذلك فان بناء الاقتصاديات المتكاملة فى هذه البلدان من خلال تنويع الاقتصاد القومى واقامة العلاقات الاقتصادية بين مختلف الأنشطة وتحقيق التعاون الاقليمى العربى هى الأهداف التى يجب أن تسعى البلدان الخليجية لتوفيرها فى مرحلة ما بعد النفط .

● كبر حجم العمالة الآسيوية الوافدة على حساب العمالة العربية يرجع إلى عدد من العوامل أهمها الصفات السلوكية التي يتحلى بها الآسيويون وانخفاض مرتباتهم

وعند تقويم الباحث لأساليب التنمية الاقتصادية بدول الخليج فانه يذكر عدداً من الملاحظات الهامة منها ان الانفاق العسكرى يستاثر فى اسلوب التنمية فى البلدان الخليجية على المرتبة الأولى من حيث الاهمية حتى انها بلغت فى احدى البلدان حوالى ٧٠٪ من الانفاق الاجمالى ، وان الأنشطة الرياضية قد احتلت مكانا مرموقا حتى ان ما انفق عليها فى بعض البلدان الخليجية خلال ثلاث سنوات قد زاد بحوالى ١٧ مرة عما تم انفاقه على تعليم الكبار خلال سبع سنوات ، بالاضافة الى زيادة التركيز على القطاع النفطى مما ترك آثاراً كبيرة على مختلف نواحى الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، وعدم الاهتمام بالزراعة وتعرض التربة الصالحة للانجراف وتحويل الأراضى الزراعية الى حدائق ، وقلة عدد الطلاب الذين يدرسون العلوم الزراعية فى بعض البلدان وانخفاض عددهم تدريجياً فى بلدان اخرى وعدم اعطاء الاهتمام الواجب بالنشاط العلمى وانشاء مؤسسات علمية فى معظم البلدان الخليجية .

ويقدم الباحث عدداً من الحلول لمواجهة مشكلات التنمية فى دول الخليج العربى منها الحد من تاثير القيود التى تبطىء عملية التنمية ، وتعهد العناصر الايجابية بالرعاية ، وتهيئة وتنشئة الاشخاص القادرين على معايشة اقتصادهم الوطنى ، وتنمية الصناعات الاساسية التى تخدم فى النهاية القطاع التصديرى الأولى ، واسهام الشعب بمختلف قطاعاته فى التنمية التربوية ، وقيام الأجهزة المصرفية بتقديم قروض كافية لقطاعى الصناعة والزراعة ،

والاهتمام بالبحوث والدراسات العلمية وعدم اقتصارها على العمل الاكاديمى البحت ، ووصول النمو المتوازن الى المناطق الجغرافية التى لم تصل اليها عملية التنمية بعد ، وربط الأقطار الخليجية بوسائل المواصلات المختلفة مثل السكك الحديدية والطرق المعبدة السريعة ،

وإعادة التوزيع الجغرافى للسكان على المناطق الريفية ، والقضاء على ظاهرة دول المدن التى نشات فى دول الخليج . واخيراً تغيير الانماط الاستهلاكية البذخية لدى الأفراد .

تنمية القوى العاملة
في الدول الخليجية

عرض القوى العاملة وخصائصها

عرفت منطقة الخليج التعدادات السكانية منذ عام ١٩٤١ حيث قامت البحرين باجراء اول تعداد فيها ، ثم تبعتها الكويت باجراء تعدادها الأول عام ١٩٥٧ وقامت قطر باجراء اول تعداد رسمى لها عام ١٩٦٦ وكذلك دولة الامارات العربية المتحدة التى اجرت تعدادها عام ١٩٧٥ واما سلطنة عمان فلم تقدم على هذه الخطوة بعد . لكن ظاهرة نقص الارقام والاحصائيات الديموجرافية فى البلدان الخليجية تعتبر من اولى المشاكل التى تصادف الباحثين عند دراستهم للاوضاع الديموجرافية فى بلدان الخليج . كما ان انعدام الدقة فى البيانات المتوفرة عن فئات العمر المختلفة يجعل من العسير احتساب عدد الأفراد العاملين بالفعل بالاضافة الى اقتصار المعلومات السكانية على المناطق الحضرية فى الدول التى تشكل الصحراء معظم اراضيها .

ويتبين من الاطـــلاع على بعض الاحصائيات عدد من الخصائص السكانية فى الدول الخليجية منها :

اولا : ان الكويت تحتل المركز الاول من حيث الوزن النسبى يشكل عدد السكان فيها ٣ر٣٥٪ من جملة عدد السكان فى هذه الدول تليها عمان بنسبة ٦ر٢٦٪ ثم الامارات بنسبة ٣ر٢٢٪ ثم البحرين بنسبة ٨ر٨٪ فقطر بنسبة ٦٪ .

ثانيا : صغر حجم السكان الاجمالى لهذه الاقطار حيث تبلغ نسبة ٦ر١٪ من السكان فى البلدان العربية ونسبة ٧ر١١٪ من مجوع سكان دول الجزيرة العربية .

ثالثا : ان الانفجار السكانى هو احدى السمات الاساسية التى يتميز بها النمو السكانى بدول الخليج ويبلغ معدل النمو السكانى بدولة قطر خلال الفترة الواقعة بين ٧٠ ــ ١٩٧٥ ٩ر٨٪ .

كما يتضح من دراسة النشاط الاقتصادى للسكان فى دول الخليج خلال الفترة من ١٩٧٠ الى ١٩٧٥ عدد من النتائج اهمها :

● لماذا يعتمد الاقتصاد الخليجي على مصدر واحد : من صيد اللؤلؤ إلى البترول ؟

اولا : التفاوت الشديد فى معدل النشاط الاقتصادى بالنسبة لبلدان الخليج حيث نجده فى اقصى ارتفاع له فى دولة الامارات حيث بلغ ٢ر٥٣٪ عام ١٩٧٥ بينما نجده فى ادنى مستوى له فى سلطنة عمان حيث بلغ ٢٠٪ عام ١٩٧٢ وينسجم ارتفاع المعدل فى كل من الامارات وقطر بينما ينخفض فى كل من البحرين وعمان مع التطور السكانى فى كل منها .

ثانيا : ارتفاع نسبة المساهمة فى قوة العمل للوافدين وانخفاضها لدى الوطنيين من السكان حيث بلغ هذا المعدل الضعف فى الكويت وحوالى ثلاثة اضعافه فى البحرين ، ٥ر٣ مرة فى الامارات .

ثالثا : ارتفاع معدل النشاط الاقتصادى للذكور وانخفاضه لدى الإناث حيث بلغ فى قطر عام ١٩٧٦ حوالى ٥ر٦٥٪ لدى الذكور و ٥ر٣٪ للإناث لكن ذلك لا ينفى ارتفاع نسبة المساهمة للمراة بصفة عامة اثر انتشار التعليم .

اما فيما يتعلق بمقدار ما يساهم بــه العمال الوافدون فى المهن بالمجتمعات الخليجية فان الباحث يلاحظ عدداً من النقاط الهامة :

اولا : يتشابه موقف كل من الكويت وقطر ودولة الامارات فى اعتمادها الشديد على الوافدين فى كافة المهن والأنشطة .

ثانيا : تتزعم البحرين الاتجاه الذى يدعو الى ضرورة الاعتماد على الموارد البشرية المحلية ولذلك فقد ارتفع مقدار مساهمة عنصر العمل الوطنى فيها بمقدار ٩ر٦٢٪ .

ثالثا : ان حداثة عهد التنمية بسلطنة عمان قد جعل اعتمادها على عنصر العمل الأجنبى اشد هذه البلدان انخفاضا (٣٥٪ عام ١٩٧٥) . وهناك اسباب عديدة دفعت الدول الخليجية الى شدة الاعتماد على الوافدين منها :

١ ــ ظهور المهن الجديدة التى ظهرت الى حيز الوجود اخيراً مثل الاختزال واعمال الرسم والمساحة والبرادة واللحام والسباكة .

٢ ــ عدم وجود التخصص المهنى الواضح للعناصر الوطنية حيث نجد الفرد منهم يعمل موظفاً ومقاولا ومصدراً ومستورداً وشريكاً ثم مساهما فى الاسهم والسندات التى تصدرها الشركات الصناعية والمؤسسات العامة .

٣ ــ انعزال ابناء البلاد عن المهن التى تعتبر اساس الانتاج . ومن هنا بلغت نسبة الأفراد الوافدين فى اعمال الانتاج وتشغيل وسائل المواصلات ٨٧٪ فى قطر عام ١٩٧٠

٤ ــ ترفع الأشخاص فى المجتمعات الخليجية عن ممارسة الأعمال اليدوية والمهنية .

٥ ــ استمراء الشباب للحياة المهنيــة السهلة وعدم اقبالهم على الأعمال الشاقة حتى ان دولة الامارات العربية المتحدة جندت معظم رجال الشرطة والأمن العام من الهنود والباكستانيين .

٦ ــ عزوف الكثير من العناصر الوطنية عن العمل فى شركات النفط لعدة اسباب منها ان نظام العمل فيها يتم على فترتين بالاضافة الى ان العمل قد يتطلب وجود الانسان فى مناطق العمليات البعيدة عن مقر الشركات العاملة .

عدد من الملاحظات

وفيما يتعلق بتوزيع قوة العمل على الانشطة الاقتصادية فى البلدان الخليجية فقد اشار الباحث الى عدد من الملاحظات :

اولا : محاولة الحكومات الوطنيـــة الاعتماد على سوق العمل المحلى فى ادارة الأنشطة الاقتصادية واعطاء اهل البلاد جميع الفرص الممكنة للعمل .

● الرجال يشاركون في النشاط الاقتصادي بنسبة تزيد على ٦٥٪ والنساء بنسبة تقل عن ٤٪ !

ثانياً : سيطرة القيم التجارية البحتة على جهود العناصر الوطنية عند مزاولتهم لتلك الأنشطة ومن هذه القيم توظيف الأموال فى المشروعات ذات الربح السريع المضمون .

ثالثاً : ميل السكان المحليين الى الابتعاد عن ممارسة الأنشطة التى يتوفر فيها الجهد .

وبالنسبة للمصدر العربى للعمل فانه يسهم تقريباً بثلث القوى العاملة الوافدة فى الفترة من ١٩٧٠ حتى ١٩٧٥ حيث بلغ اقصى ارتفاع له فى الكويت بنسبة ٦ر٨٩٪ بينما يصل ادنى مستوى له فى عمان بنسبة ٩ر٥٪ ، كما يلاحظ ان العنصر العربى يقل كلما اتجهنا فى البلدان الخليجية من الشمال الى الجنوب ، وان العمل الفلسطينى الأردنى يحتل المرتبة الأولى فى جملة العمل العربى الوافد حيث تصل نسبته الى ٤ر٣٦٪ يليه العمل المصرى بنسبة ٦ر٢٢٪ ثم العمل العراقى ٣ر١٥٪ فالسورى بنسبة ٥ر١٢٪ فاللبنانى بنسبة ٧ر٨٪ واليمنى بنسبة ٧ر٣ .

● ●

ويفرد الباحث فصلا للنظام التعليمى فى منطقة الخليج وجهود دوله فى ميدان التنمية البشرية فى مجالات التعليم والتدريب وبرامج محو الأمية وتعليم الكبار كما يفرد فصلا آخر لمشاكل القوى العاملة .

ويحدد الباحث اهم المشاكل العمالية فى بلدان الخليج فى النقاط التالية :

– مشكلة سوء توزيع القوى العاملة على الأنشطة الاقتصادية المحلية .

– مشكلة انخفاض الكفاءة الانتاجية للافراد العاملين .

– مشكلة عدم استقرار قوة العمل الوافدة .

– مشكلة عدم وجود القطاع العمالى المنظم .

الطلب على القوى العاملة

ثم يخصص الباحث باباً كاملا لمعالجة موضوع الطلب على القوى العاملة والقوى المؤثرة عليه . فيذكر بعض التطورات التى حدثت فى هذا المجال :

اولا : تزايد الاعتماد على عنصر العمل المهاجر فى قطاع الانشاءات حتى تصل نسبة هذا العنصر فى المنطقة الى ٧٥٪ وفى بعض بلدان الخليج الى ٩٥٪ .

ثانياً : كبر حجم العمالة الوافدة الاسيوية على حساب العمالة العربية ويرجع ذلك الى عدد من العوامل من اهمها الصفات السلوكية التى يتحلى بهــا الاسيويون وانخفاض تكلفتهم .

ثالثاً : ان الهجرة المصرية قد اصابهـا التغيير الجذرى فلم تعد تقتصر على المستويات التعليمية العالية بل اصبحت تشتمل على مستويات تعليمية وتدريبية مختلفة .

رابعاً: ان ايران والعراق اصبحتا منذ عام ١٩٧٢ من الأقطار المستوردة للعمالة لا المصدرة لها . بينما اصبحت الأردن وسلطنة عمان من الأقطار المستوردة والمصدرة معاً بعد ان كانتا من البلاد المصدرة للعمالة .

خامساً : ان مصادر العمالة الآسيوية لم تعد منحصرة فى الايرانيين والهنود والباكستانيين كما كانت ، بل اعتنت الأقطار الخليجية على العمالة القادمة من بنجلاديش وسيلان وكوريا والفليبين وتايلند .

وقد أدت التغيرات الناجمة عن تزايد الطلب على القوى العاملة الى ظهور الدراسات التى تعالج الآثار السلبية التى ترتبت على الهجرات البشرية ومن اهمها، محاولة بلدان الخليج اجتذاب العقول المفكرة والكفاءات المهنية اليها .

كما ان التعاون الاقليمى لم يبتعد عن الآثار المتولدة الناجمة عن زيادة الطلب على القوى العاملة . وقد برز هذا الاتجاه فى اشكال مختلفة منها تحقيق السيطرة الحكومية على شركات النفط ، ومنها استثمار رؤوس الأموال المتراكمة فى انشاء الصناديق المالية ، او اقامة مؤسسات الاستثمار وشركات التامين ، او تقديم القروض والمساعدات الاقتصادية للبلدان النامية .

لكن زيادة الطلب هذه لاتقابلها زيادة عرض مماثلة فى المنطقة ففيما يتعلق باحتياجات البلدان الخليجية من القوى البشرية لتنفيذ برامجها الاستثمارية تبين الاحصائيات المختلفة ان هناك عجزاً كليا فى القوى العاملة على مستوى الأقطار الخليجية يبلغ اكثر من ثلاثمائة الف عامل حيث يقع الجزء الأكبر منه فى دولة الامارات (٨ر٥٤٪) تليها الكويت بنسبة ٩ر٣٠٪ بينما تشكل احتياجات كل من البحرين وقطر وعمان نسبة ١ر١٤٪ ويعنى ذلك ان من المتوقع ان تكون دولة الامارات مركز الثقل للانشطة الاقتصادية والاجتماعية فى المنطقة خلال العشرين سنة القادمة مثلما كانت الكويت مركز هذا الثقل خلال ربع القرن الماضى .

واذا ما اخذنا دولة قطر كنموذج نجد ان الكمية المعروضة من افراد القوى العاملة تبلغ ٦ر٥٠ الف عامل عام ١٩٨٠ بينما كانت الدولة تحتاج الى ٤ر٦٦ الف عامل .

سياسات القوى العاملة

وفيما يتعلق بسياسات القوى العاملة فى البلدان الخليجية فان تلك السياسات تسعى الى تحقيق الأهداف التى تضعها الدولة عادة والتى تنحصر فى زيادة الانتاج وتنويعه على المستوى الاقتصادى وتحقيق عدالة توزيعه على النطاق الاجتماعى .

وتواجه هذه البلدان وهى تقوم بعملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية عدداً من الاختيارات منها الاعتماد على الموارد البشرية المحلية او المهاجرة ومنها استخدام الفنون الانتاجية المتقدمة ، ومنها نظام الشركات المتعاقدة .

ويقوم المنهاج المحلى لعنصر العمــل المركزى فى استلام افراده جميع مقاليد الأمور فى البلاد ومن هنا ظهرت الى حيز الوجود سياسات (التكويت) و (البحرنة) و (العيمنة) و (التقطير) .

واذا ما أريد الاتجاه الى استخدام هذا البديل من حيث الاعتماد على السكان الاصليين من ذوى النشاط الاقتصادى لسد حاجة الأسواق المحلية بما تحتاجه من الكوادر الفنية والادارية فانه يقترح القيام بالاجراءات التالية :

أولا : الاعتماد على عنصر العمل الممكن :

وفي هذا المجال فان الباحث يوصي باتخاذ الاجراءات التالية :

رفع نسبة مشاركة الاناث من اهالي البلاد في القوى العاملة ، وزيادة عدد العمال الكبار في السن من افراد عنصر العمل الاولى برفع الحد الاعلى للتقاعد فترة خمس أو عشر سنوات لاستثمار ما تراكم لدى هذه الفئات من خبرات ، والاخذ بنظام التطوع في العمل على نحو ما نشاهده في البلدان المتقدمة ، وتدخل وسائل الاعلام بكافة انواعها لاستثمار همم الاشخاص الزاهدين في العمل والدعوة للعمل باعتباره من العبادات التي يثاب المرء للاقدام عليها ، واستثمار اوقات الفراغ للطلاب من ذوي الجنسيات المحلية بعد انتهاء العام الدراسي لتنفيذ مشروعات معينة ، واستخدام نظام العمل الجزئي الذي يمكن ان تقوم به قوة العمل المحلية في الجهاز الحكومي لانجاز الكثير من الأعمال ، وزيادة عدد دوريات العمل في النشاط الصناعي .

ثانيا : تحقيق الاستخدام الكامل للافراد العاملين من السكان المحليين بهدف القضاء على مشكلة سوء توزيع القوى العاملة التي تعيشها جميع البلاد النامية بصفة عامة .

ولابد قبل ابداء التوصيات اللازمة حول ترشيد سياسات التشغيل انجاز عدد من الخطوات الهامة :

تحديد السياسات الاقتصادية والاجتماعية وتحديد الاهداف التي تسعى السياسات العامة في كل بلد خليجي لتحقيقها ، وتحديد الجهاز الذي سيقوم بالاشراف على النشاط الاقتصادي وكذلك الاختصاصات الملقاة على عاتقه ، وانماء قدرات الاشخاص الذين يقومون بتنظيم العمل وادارته ، واصدار القوانين واللوائح التي تساعد على نجاح عملية التنمية في اقطار الخليج .

فاذا تم تحقيق ذلك فانه يمكن التوصية بضرورة استصدار دول المنطقة الدليل المهني القومي الذي يتفق وظروفها البيئية ، والاخذ بالاسلوب العلمي في تحليل الوظائف حتى يمكن تحديد الواجبات والمسئوليات وشروط العمل لكل مهنة ، وكذلك الاخذ بنظام مواصفات الفرد بهدف تحديد المهارات والقدرات التي يجب توافرها فيمن يشغل الوظيفة ، ودراسة المعاملات الفنية القائمة بين المهن والوظائف المختلفة .

● لماذا يرفض الشباب الخليجي أن يقوم بالأعمال اليدوية والمهنية ؟

ثالثا : تغيير سياسات التعليم والتدريب

وهو التغيير الذي يجب ان يستند الى البحوث التربوية بهدف تغيير فلسفة التعليم والتدريب وحل جميع المشاكل المتعلقة بهما ، كما يجب ان يشمل التغيير نظام القبول والمناهج ، والاساليب الخاصة بالتدريس والدور الوظيفي الذي يقوم به النظام التدريبي والتعليمي . ومن الضروري أن تعيش المؤسسات التعليمية والتربوية الواقع الاقتصادي باعتبارها من الأنظمة التي يجب ان تتفاعل معه ولا تنعزل عنه من خلال تصديها للمشاكل التي تعيشها المجتمعات الخليجية .

اسلوب الاعتماد على الموارد البشرية الأجنبية

وهو الاختيار الذي يتفق مع ضرورة الاندفاع في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية ويكاد يكون هذا البديل اكثر واقعية وانسجاما مع واقع المنطقة في فترة الاقتصاد النقدي منذ اكتشاف النفط وتصديره الى الخارج .

غير ان الاخذ بهذا الأسلوب لابد وان يحمل معه الكثير من التغيير الحقيقي ومن امثلته عدم اعتبار الفرد العربي الذي يترك وطنه من العناصر الأجنبية ، كما ان قدومه الى بلدان الخليج لا ياتي نتيجة لرغبته في نهب الثروات بقدر ما يتصف تواجده بالدور التكميلي الذي يعجز عنه اشقاؤه من افراد عنصر العمل الوطني .

وبناء على ذلك فان دوره لن يظهر في خمس عروبة الخليج بقدر ما يعمل على تدعيمها واثباتها في وجه الأجانب من غير العرب .

وانطلاقا من اهمية التكامل العربي الشامل في جميع النواحي الاقتصادية والاجتماعية ، فان الاقطار الخليجية يجب ان تعمل على توفير التنسيق في السياسات الاقتصادية فيما بينها اذا ارادت تنظيم انتقال القوى العاملة اليها ، وهذا يعني عدم جواز اقامة الابنية الاجتماعية والاقتصادية المتشابهة مما يحمل في طياته تكرار الطلب على الفئات العمالية الواحدة مما يزيد في تضخيم حجم الطلب الكلي على قوة العمل من البلاد ذات الفوائض النسبية منها .

ويمكن اتباع عدد من السياسات لتزويد بلدان الخليج بما تحتاجه من الموارد البشرية :

اولا : المحافظة على الموارد البشرية الوافدة الموجودة في دول الخليج وتكون هذه المحافظة من خلال ايجاد نظام الحوافز الجيد الذي يعمل على استبقاء السكان المنتجين العرب من غير المواطنين بحيث يعامل المواطن العربي عند تعيينه في دوائر الدولة ومؤسساتها نفس معاملة المواطن من حيث الحقوق والالتزامات .

ثانيا : تنظيم الهجرة البشرية الجديدة الى دول الخليج وذلك بتطبيق المبادىء الأساسية التي تتعلق بتنظيم سوق العمل والمتمثلة في توفير حرية التنقل وحرية الاقامة وحرية العمل للقوى العاملة مثل جمع شمل الأسر ، وضمان الخدمات الصحية وتوفير تسهيلات السكن وضمان الخدمات التعليمية لابناء الوافدين وضمان تحويل المدخرات بالاضافة الى توحيد

● عناصر آسيوية جديدة تظهر في ساحة العمل الخليجي من كوريا وسيلان والفلبين وتايلاند

التشريعات العمالية فى البلاد العربية وتوحيد المصطلحات فى شؤون العمل والعمال وتنسيق سياسات التامينات الاجتماعية بهدف تبادل المعلومات بين البلاد المصدرة والمستوردة لقوة العمل .

وفى إطار تلك السياسات يمكن اتخاذ عدد من الخطوات من اهمها اقامة الاجهزة الادارية المركزية فى كل دولة من الدول المصدرة للقوى العاملة والمستوردة لها ، وهى الأجهزة التى تتولى تنظيم تبادل الأفراد ، ودخول البلاد العربية فى عقد الاتفاقات الجماعية والثنائية لانتقال القوى العاملة ، وفتح مكاتب الملحقيات العمالية فى الأقطار الأجنبية التى تفد منها القوة العاملة غير العربية ، والعمل على اجتذاب العقول العربية المهاجرة للاستفادة منهم فى المجالات التى يعملون بها حاليا فى البلدان المتقدمة .

اسلوب استخدام الفنون الانتاجيــة المتقدمــة

ظهر هذا الأسلوب فى المجتمعات الخليجية نتيجة لما تتمتع به من المزايا النسبية الناجمة عن توافر رؤوس الأموال فيها بالاضافة الى جهود تلك الدول للنهوض بمجتمعاتها . لكن الاخذ بهذا الأسلوب يحتاج الى تنفيذ عدد من التوصيات مثل احتساب عدد الأفراد العاملين الذين يمكن احلالهم عند الاستخدام الآلى للمعدات المعقدة ، ومعرفة عدد الوظائف التى يتم تخفيضها اثر اتباع الفنون الانتاجية المتقدمة فى عمليات الانتاج المختلفة ، والوقوف على أبعاد التغيير الذى سيصيب التركيب المهارى والمهنى للعاملين عند الاستخدام الآلى وتعديل السياسات التعليمية وفقها ،

واجراء التغييرات الملائمة فى الهياكل الوظيفية للقوى العاملة التى تتاثر بهذا التغيير ولا سيما الصناعية منها .

اسلوب استخدام معسكرات العمل

يعتبر اسلوب استخدام معسكرات العمل من الأساليب التى اخذت بها الدول الخليجية منذ عدة سنوات . ويطلق على هذا الأسلوب العديد من التعبيرات منها (المستوطنات العمالية) و (المناطق الحرة الخاصة) . و (نظام العقود الشاملة) ، و (نظام الشركات المتعاقدة) .

ولقد حفز نجاح الشركات المتعددة الجنسية فى قطاع النفط الحكومات الوطنية على اتباع هذا الأسلوب فى الأنشطة الاقتصادية الأخرى ، ولا ادل على ذلك من اقامة مصانع الالومنيوم فى البحرين ومصانع الحديد والصلب فى قطر .

وقد امتد العمل بنظام (المناطق الحرة الخاصة) الى قطاع الانشاءات فى بلدان الخليج . ومن الملاحظ ان الشركات الكورية للتعهدات والمقاولات قد استحوذت على نصيب الأسد بحصولها على معظم المناقصات العامة لانشاء المشروعات الكبرى ، ثم

العمالة العربية فى الخليج	
العمالة الفلسطينية	٣٦,٤٪
العمالة المصرية	٢٢,٦ ٪
العمالة العراقية	١٥,٣٪
العمالة السورية	١٢,٥ ٪
العمالة اللبنانية	٨,٧٪
العمالة اليمنية	٣,٧ ٪

اخذت دولة البحرين بهذا الأسلوب فى النشاط المصرفى عندما اشترطت على كل مشترك فى وحدة البنوك الأجنبية ان يفتح فرعاً فى البحرين مجهزاً بجهاز كامل من الموظفين .

اما فيما يتعلق بتقويم اسلوب نظــام الشركات المتعاقدة فانه وان كان يبدو متوافقاً فى المراحل الأولى للتنمية الا انه لا يعدو ان يكون حجباً للكفاءات الوطنية التى تعمل الدول على تعهدها بالنمو والازدهار .

واما فيما يتعلق باسلوب المستوطنات العمالية فى مجال التعليم والصحة فانه اسلوب غير سليم لما يترتب عليه من احلال اعداد كبيرة من الاجانب محل عنصر العمل سواء كان وطنياً او عربياً .

أسلوب اعادة النظر فى السياسات والأهداف الطموحة

ليس هناك خلاف فى أن أسلوب اعادة النظر فى السياسات والأهداف الموضوعة يتم عادة فى أعقاب ظهور النتائج التى يسفر عنها تنفيذ الخطط المختلفة سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية .

وإذا كانت الحكومات فى الدول الخليجية راغبة فى تحديث بلادها فى أسرع وقت ممكن ، فانه يجب أن نعترف ان اعداد الخطط والبرامج فى تلك الدول لا يعتمد أحيانا على الاحصائيات الدقيقة والدراسات العلمية وعمليات المسح التطبيقى . ومن هنا تظهر الحاجة الماسة الى تقديم التوصيات التى تساعد على وضع الأهداف والسياسات موضع التنفيذ ومن تلك التوصيات تحويل احد المعاهد الادارية العامة التى يبلغ عددها سبعة فى منطقة الخليج العربى الى مركز للدراسات الديموجرافية وتحويل احدها الى معهد للدراسات العمالية بحيث يغطى نشاطهما أقطار الجزيرة العربية باسرها ، وتوفير المستلزمات الضرورية للقيام بالبحث العلمى فى المجتمعات الخليجية ، وضرورة

● عجز القوى العاملة على مستوى الأقطار الخليجية يبلغ أكثر من ثلاثمائة ألف عامل

العمل على خلق القدرات الذاتية فى دول الخليج لتطوير الوسائل التكنولوجية كي تتلاءم مع الظروف الاقتصادية السائدة وعدم الاكتفاء بنقل التكنولوجيا من مصادرها الأساسية بالخارج بل تهيئة المناخ المناسب لاستخدام الوسائل التكنولوجية .

ويكتب الباحث فى نهاية الرسالة خاتمة يبلور فيها أفكاره المختلفة ويقدم عدداً من التوصيات الهامة .

أولا : وضع استراتيجية بعيدة المدى للتنمية فى فترة ما بعد النفط من خلال الاعتماد على الموارد البشرية بعد تطوير قدراتها علمياً وفنياً .

ثانياً : تحديث الادارة باستخدام الأساليب العلمية فى تصريف الأمور العامة والاعتماد على الأسلوب المركزى فى الحالات التى ينتشر فيها تعدد الأجهزة الادارية المسئولة .

ثالثاً : ضرورة الأخذ بنظام التخطيط الشامل الذى يقوم على أساس تغيير الهياكل الانتاجية التقليدية فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية .

رابعاً : اعادة التكامل الى مختلف القطاعات سواء كان ذلك فى مجال المشاريع الصناعية أو فى مجال التكامل الاجتماعى .

خامساً : ضرورة توفر المشاركة الشعبية فى الجهود المبذولة وزيادة مساهمة قوة العمل النسائية فى المجتمع .

سادساً : تغيير السياسات التعليمية والتدريبية فى البلاد لتلبية الاحتياجات الاقتصادية وربط تلك السياسات بالواقع البيئي وسياسات العمالة والتشغيل .

سابعاً : تغيير الأنماط الاستثمارية التقليدية وتوجيه الموارد الاستثمارية الى انشطة جديدة ، ووضع السياسات الكفيلة بتغيير الأنماط الاستهلاكية .

ثامناً : تنسيق اقامة المشروعات الصناعية والتجارية فى بلدان الخليج وتدعيم التكامل العربى فى مختلف وسائله وصوره .

تاسعاً : الاهتمام بنظام المعلومات وتطوير الأساليب المتعلقة بجمع المعلومات وتبويبها وتخزينها ، وإقامة نظام معلومات عربى عن القوى العاملة وسوق العمل العربى والقوى العاملة المهاجرة .

عاشراً : ضرورة التنبه عند بدء عمليات التغيير الى الجوانب القانونية لعملية التنمية حتى يمكن القضاء على حالات الازدواجية فى حياة الناس اليومية وتوفير المناخ المناسب لتحقيق أهداف التنمية .

ويفرد الباحث فى نهاية الرسالة قائمة بالمراجع العربية والأجنبية تحتوى على ٨٦ مرجعاً عربياً ، ٧٥ مرجعاً اجنبياً بخلاف الدوريات العربية والأجنبية .

● ●

ومع تقديرنا لما بذله الدكتور اسماعيل ابراهيم الشيخ دره سواء فى جمع المادة العلمية لرسالته أو فى تحليل البيانات المختلفة وعقد المقارنات بينها،أو فيما قدمه من اقتراحات وتوصيات وهو جهد يستحق الثناء والاشادة ، فان هناك بعض الملاحظات التى تستلفت النظر :

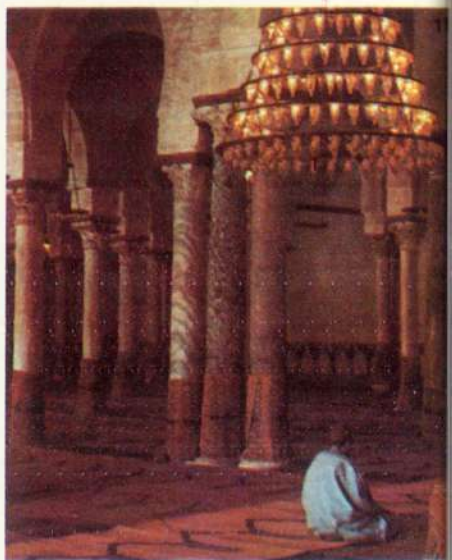
أولا : اعتماد الباحث أحيانا على بعض الاحصائيات التى مضى عليها أكثر من عشر سنوات ، ورغم قناعتنا بعدم توفر الاحصائيات الكافية فى بلدان الخليج ، لكن ذلك لا ينبغى أن يكون مسوغاً للاعتماد على بيانات لم تعد صالحة لعقد المقارنات خاصة وانه قد حدثت تطورات كبيرة فى شتى جوانب الحياة فى بلدان الخليج خلال السنوات العشر الأخيرة .

ثانياً : أن هناك فى الرسالة بعض البيانات غير الدقيقة وان كانت قليلة فما ذكره الباحث من عدم وجود أجهزة متفرعة للبحث العلمى فى عدد من بلدان الخليج ومنها قطر أمر غير صحيح . فقد أنشىء فى قطر منذ خمس سنوات مركز البحوث العلمية والتطبيقية التابع لجامعة قطر ، وحددت أهدافه فى توجيه البحث الأساسى الوجهة التطبيقية التى تخدم التنمية . وقد قام المركز منذ انشائه بانشطة بحثية مختلفة فى مجالات الطاقة والموارد الطبيعية وبحوث البيئة ، وان كان لم يتح لتلك الأنشطة أن يتم التعريف بها بشكل كاف وهو ما يجعلنا نلتمس بعض العذر للباحث ونطالب فى نفس الوقت بتدعيم علاقات هذا المركز بالمراكز المماثلة فى المنطقة والتعاون لتنفيذ المشروعات المشتركة ، لكن هذه الملاحظات لا تقلل من ذلك الجهد العلمى المتميز الذى بذله الباحث لدراسة موضوع تنمية القوى العاملة فى بعض الدول العربية الخليجية ذات الاقتصاديات المزدوجة ، وهو ما يستحق التقدير ويرجى أن يتابعه الباحث فى المستقبل لخدمة القضايا الخليجية والعربية .





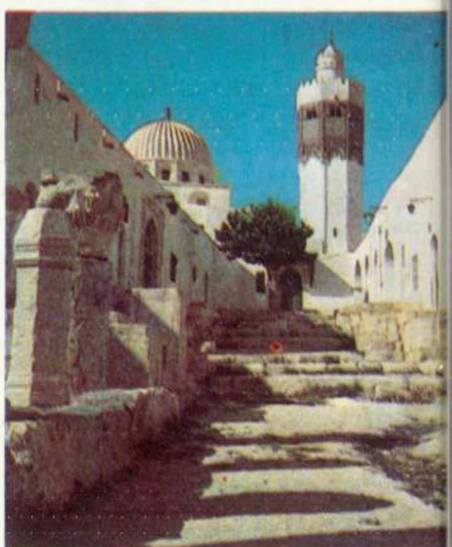




القيروان

مدينة عاشت أزهى عصور الحضارة الإسلامية

بقلم : فوزي الخميس



هذه اللقطات تمثل روعة جمال مباني مدينة القيروان سواء فى جامع عقبة بن نافع او الخط الكوفى المنحوت على الحجارة او باب المدرسة العتيقة او المخطوطات العربية الثمينة .



عندما انطلق الفتح العربى الاسلامى وراح الجواد العربى يغزو العالم من شرقه وغربه الى شماله وجنوبه ، انهارت الامبراطوريات واجتاحت الخيول العربية معاقل دارا ، واستولت على إيوان كسرى ، وهزمت البيزنطيين ، ودكت حصون هرقل وقلاعه ، وراحت تبنى المدائن وتنشر العلوم ..

فتحت العراق والشام ومصر فى فترة لا تزيد على العشر سنوات .. ولكن الفتح العربى للمغرب استغرق أكثر من ثمانين عاماً ، وهذا يدل على مناعة هذه البلاد وشدة مراس اهلها وشجاعتهم فى القتال ..

ولم يتمكن المسلمون من السيطرة الفعالة على بلاد المغرب إلا بعد أن اتبعوا سياسة لينة وعملوا على اكتساب قلوب البربر عن طريق نشر الاسلام بينهم وادخالهم فى الجيوش العربية جنوداً محاربين ..

وفى تلك البلاد المنيعة عشت اياماً فى مدينة عقبة بن نافع .. مدينة القيروان التى تقع فى الجمهورية التونسية ، وتبعد عن العاصمة تونس حوالى مائة وستين كيلو متراً !



مجموعة من الفخار المزخرف وهي من الصناعات التقليدية المنتشرة فى كل انحاء تونس بما فيها القيروان .

القيروان

مدينة عاشت أزهى عصور الحضارة الإسلامية

بداية المدينة

وقبل دخولى المدينة كان لابد أن أتعرف أكثر على صاحبها .. وهو عقبة بن نافع الفهرى ، القائد العربى المشهور ، ابن خالة عمرو بن العاص ، الذى شهد فتح مصر ، وصدرت اليه الأوامر بمتابعة فتح افريقيا ، فتوغل فى فتوحاته حتى شواطىء الأطلس ثم عزله معاوية بن أبى سفيان عام ٦٧٥ ميلادى ، فعاد الى الشرق ليرسل فى عهد يزيد والياً على المغرب ، غير أنه استشهد فى عام ٦٨٣ ميلادية فى معركة باهواز نهر الزاب جنوبى جبال الأوراس فى الجزائر اليوم ، وقد استشهد وسيفه فى يده يقاتل به حتى الرمق الأخير حشود البيزنطيين والبربر بقيادة كسيلة !

وقد رأى عقبة بن نافع فى بداية ولايته على افريقيا أن يعمل على توطيد نفوذ المسلمين فيها ، وذلك بأن يقيم لهم منها مدينة عربية تكون بمثابة قاعدة عسكرية ثابتة فى تلك البلاد ، فاختار لها مكاناً استراتيجياً هاماً ، إذ جعلها بعيدة عن الساحل خوفاً من غارات البيزنطيين من البحر ، وبعيدة عن جوف الصحراء خوفاً من غارات البربر ، فاختار غابة فى واد تاوى اليه السباع والوحوش والهوام ، ويروى أنه وقف فى حلق الوادى ونادى بأعلى صوته : أيتها الوحوش ، أيتها الهوام والحيات والسباع .. نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ارحلوا عنا .. إنا نازلون ، ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه ..

وتمضى الرواية فتقول ان الناس نظروا فى ذلك اليوم الى السباع تحمل أشبالها ، والذئاب تحمل جراها ، والحيات تحمل صغارها وترحل عن الوادى ، فأسلم خلق كثير من البربر ، واختط عقبة المسجد ، ثم دار الامارة ، واختط الناس معه مدينتهم القيروان !

من هو القائد ؟

وقبل تأسيس هذه المدينة ، كانت العمليات الحربية الاسلامية فى المغرب الأقصى ، مجرد غارات استكشافية للتعرف على الأرض وكسب الغنائم ، تقوم بها جيوش المسلمين ثم تعود بعدها الى برقة أو مصر ، دون أن يكون لها أثر ملموس يدل على معنى الفتح والاستقرار ، ولكن بتأسيس هذه المدينة اتخذت العمليات الحربية طابعاً ثابتاً مستقراً أدى الى أن وصلت جيوشهم الى الأندلس ..

وقد بدأ عقبة بن نافع ولايته بانشاء هذه المدينة عام ٥٠ هجرى ، وعندما أتم بناءها بعد خمس سنوات جاءه أمر الخليفة الأموى معاوية بن أبى سفيان بعزله وتنصيب قائد آخر مكانه هو أبو المهاجر دينار !

وإذا كان المؤرخون لم يوضحوا الأسباب التى أدت الى عزل عقبة ، إلا أن بعض المراجع ترجع ذلك الى سياسة العنف والشدة التى اتبعها فى المغرب العربى ..



وكيفما كان الأمر فى أسباب عزل عقبة ابن نافع ، إلا أن معاوية ، ولى مكانه رجلا لا يقل عنه مهارة وخبرة ، فهو مثل عقبة محارب ممتاز بالاضافة الى أنه سياسى بارع !

وفى عام ستين للهجرة توفى الخليفة معاوية ، فتولى الخلافة من بعده ابنه يزيد الذى كان مقتنعا بفضل عقبة وحسن بلائه فى فتح افريقية ، لذلك أعاد عقبة الى الولاية ، وعزل أبا المهاجر دينار عام ٦٢ هجرية ، وبذلك بدأت ولاية عقبة الثانية ومدتها سنتان !

ولم تكن لدى عقبة النظرة السياسية الهادئة التى كانت لسلفه ، فهو رجل عنيف متشبع بذلك الحماس الذى يدفعه الى طلب الشهادة وإعطاء نفسه فى سبيل الله ..

وهذا الحماس الدينى الشديد جعله يسخر من سياسة سلفه دينار ، ويستهين بقوة كسيلة وأصحابه ، بل ويتعمد الاساءة اليهم !

ويروى أن أبا المهاجر دينار ، الذى أبقاه عقبة فى جيشه ، قال له يوما منتقدا سياسته ! ما هذا الذى تصنع يا عقبة ، لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يستألف جبابرة العرب ، وأنت تجىء الى كسيلة وهو سيد قومه وفى دار عزه فتفقد قلبه .. ويقال انه أضاف : توثق من الرجل فانى أخاف فتكه !

غير أن عقبة لم يهتم بالأمر ، وجمع أبناءه وذويه ، وألقى فيهم وصاياه الأخيرة ثم نهض بحملته الكبرى المشهورة ، التى غزا فيها المغرب من أدناه الى أقصاه ، حتى وصل المحيط ، فاقتحمه بفرسه ، وقال قوله المأثور : اللهم اشهد ، فانى قد بلغت المجهود ، ولولا هذا البحر لمضيت فى البلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد سواك .

ولقد توغل عقبة فى بلاد السوس بأقصى المغرب ، وخاض هناك معارك عنيفة مع قبائل البربر ، فقد فيها طائفة من خيرة رجاله ، ثم رأى أن يعود الى القيروان بعد أن وصلته أخبار مقلقة من أفريقيا ، اضطر بسببها الى بعث معظم جنده الى القيروان على عجل ، ولم يبق معه إلا جــزء صغيــر من جيشه ، ومن العجيب أن عقبة حاول بهذا الجيش الصغير أن يقيم فى الجزائر قاعدة عسكرية دائمة على غرار القيروان فى تونس ، وهنا ظهر على مسرح الأحداث الزعيم البربرى كسيلة على رأس جيش كبير من البربر والبيزنطيين ، وكان كسيلة كما تقول المصادر قد استطاع الفرار من جيش عقبة ، وأخذ يتحين الفرصة المناسبة للانتقام منه ، وأمام هذا الحشد



جامع عقبة بالقيروان .. مئذنته المتواضعة المهيبة تشرف على السهل الذى تربعت فيه المدينة الجميلة .

الهائل من البربر والروم أحس عقبة بنهاية الأمر ، فطلب من الوالى السابق أبى المهاجر دينار الذى كان يصحبه أن ينجو بنفسه ، ولكن أبا المهاجر رغب فى الشهادة معه ، ودارت المعركة واستشهد عقبة وأبو المهاجر وسيفاهما بيديهما !

وأدى استشهادهما الى أثر عميق فى نفوس المسلمين ، خاصة فى مدينة القيروان التى رأى قائدها زهير بن قيس أن كسيلة لابد أن يهاجمه فى القيروان ولن يستطيع رده ، فأخذ جنده وانسحب الى طرابلس ، وبقيت القيروان تندب حظ بانيها !

العواصم الاسلامية

وكما نعرف فان الجمهورية التونسية اليوم تضم ثلاث عواصم اسلامية هامة .. القيروان التى هى أم القرى الاسلامية ومبعث الروح العربية فى المغرب الكبير والأندلس ، وقد دام الحكم بها زهاء قرنين **ونصف قرن من الزمن هما عصر الفخـــر** والسيادة والسيطرة والفتوح على النصف الغربى من البحر المتوسط ..

أما العاصمة الثانية فهى تونس العاصمة ، فهى عاصمة أفريقية منذ سنة





بائع الزهور « لوحة فولكلورية » جميله تجعلك تشعر كما لو كنت داخل بستان من الازهار

القيروان
مدينة عاشت أزهى عصور الحضارة الإسلامية

الخمسات الثلاث (٥٥٥ هـ) ومازالت العاصمة منذ ثمانية قرون حتى يومنا هذا !

والعاصمة الثالثة هي المهدية ، عاصمة الفواطم ، ومرفأ الأساطيل التى دوخت قارة الافرنج الشمالية حيناً من الدهر ، وامتد سلطانها من السوس الى الحجاز واليمن .

ولهذا فمن غير المعقول أن نتحدث عن القيروان ، ولا نتحدث عن المهدية ، فمؤسس المهدية ومؤسس دولة الفاطميين خرج من القيروان ، ففى مدينة القيروان وفى حوالى عام ٣٠٠ للهجرة ظهر عبيد الله المهدى الفاطمى مؤسس دولة الفاطميين العلويين فى المغرب ، ولد بالكوفة بالعراق وأرسله أبوه داعياً ليمهد له بيعة المغرب ، وفعلا بويع بالقيروان قبل ألف وإحدى وسبعين سنة !

وفى مدينة القيروان ظهر احد قادة عبيد الله يبشر بنبى منتظر هو المهدى ، ولكن عبيد الله استنكر ذلك وقتله ، فى نفس الوقت الذى قضى فيه على نفوذ الأدارسة بمدينة فاس ، وأخضع قبائل صنهاجة بالمغرب الأقصى ..

وبعد هذه الأحداث بست سنوات ، اختط المهدى حاضرة المهدية على بعد ١٠٧ كيلو مترات جنوبى القيروان ، لتكون حاضرة للدولة الفاطمية ، ونادى بنفسه خليفة معارضاً للخلافة العباسية ببغداد عام ٩٠٩ ميلادى ، واستولى على الجزائر وتونس وبرقة ، وهاجم مصر عدة مرات ، لكنه ارتد على أعقابه ، وتعاقب الخلفاء الفاطميون من بعده قرنين ونصف قرن وازدهرت العمارة فى ظلهم بعد أن اتخذوا من القيروان عاصمة لملكهم !

نظرة معاصرة

إن من يدخل مدينة القيروان اليوم ، سيشعر للوهلة الأولى بأنها مدينة تستمد بعض ما تعيش به من ماضيها العريق فى الحقلين : التاريخى والدينى ..

وقد قال الكاتب الفرنسى «ج. ديبوا» عن المدينة فى كتابه تونس : إن جامعها الكبير الضخم تتوق اليه أنظار المسلمين من ذوى الثقافة ، بينما المسجد المعروف بجامع «سيدى الصبحى» أو «جامع الحلاق» قد حظي بشهرة ذائعة بكامل الوسط التونسى وتروق السواحين زيارة هذه المدينة الشاخصة للأعين بأسوارها المبنية من الآجر ومنارات وقباب مساجدها والتى احتفظت باحيائها العتيقة وأسواقها ذات الطابع الخاص ..

وقال ان القيروان لم تعد سوى مجموعة كبيرة ريفية ومجموعة اقليمية ومركز ادارى وان معظم سكانها يعيشون على محاصيل الحبوب التى تدرها عليهم حقولهم البالغة مساحتها ٦٠٠٠ هكتار والتى تغمرها ما بين الحين والآخر فيضانات وادى «مرق الليل» ووادى «زرود» ، وأيضاً على ثمار وخضروات حدائق القيروان ، وهى بخلاف الصناعات التقليدية التى ترى الآن مرحلة انبعاث واستعادة لغابر ازدهارها ، فقد حافظت صناعة الزرابى النسائية ، بما فى ذلك الزرابى المنسوجة على المعهود من نشاطها ، وقد كان تعداد القيروان فى عام ١٩٥٦ حوالى ٤٠٠ ألف نسمة من ضمنهم عدد يسير من الأوربيين ، غير أنها أصبحت اليوم تضيق بمن انضموا أليها من الريف بعد أن تقلصت مساحتها الى ثلث المساحة التى كانت تحتلها العاصمة القديمة المزدهرة خلال الأعصر الوسيطة الغابرة !

جامع القيروان

وقد ظلت مدينة القيروان فى منجى من غارات الأعداء لبعدها عن سواحل البحار .. وأدى مناخها الجاف وهواؤها اللطيف ومياه آبارها العذبة ومزارعها النضرة الى توافد العديد للسكنى فيها وبناء منازل





عدة صور تمثل مهارة الصانع التونسى فى إحياء الحرف التقليدية التى نبعت من المدن التاريخية العريقة كالقيروان وغيرها .

صغيرة بيضاء جميلة وحدائق غناء تحوى أشجار السرو والزيتون والفاكهة ..

وفى المدينة يمكنك أن ترى أنواعاً من البسط (الزرابى) البديعة النقش ، وفى متحفها تشاهد الات الطرب العربية القديمة وأدوات مصنوعة من الخشب والحديد المنقوش المطعم بالفضة .

ودخلنا ساحة جامع القيروان التى تتجاوز ألفى متر ، وعشنا ذكريات مع الماضى يوم أن كان العالم يسير من خلفنا ، ويوم أن كنا ننتقل من نصر الى نصر !

وساحة الجامع تحيط بها أروقة من جهاتها الأربع ، مرتكزة على ٣٠٠ متر عامود من الرخام ، فى وسطها صهريج كبير لخزن المياه مغطى بقطعة من الرخام الأبيض مزركشة ، وعلى جانبى الصهريج مجمعان واسعان تتجمع فيهما مياه الأمطار

وفى وسط الساحة أطلنا النظر الى المئذنة المرتفعة التى تصل عدد درجاتها الى ١٣٠ درجة ، وعندما تصل الى حوض المئذنة ستجد نفسك حول قبة مخروطية الشكل تحيط بها ممرات ضيقة تطل على مدينة القيروان من جهة الجنوب والغرب ..

وحرم المسجد يتجاوز طوله مئة متر ، وعرضه خمسون متراً وسقفه مستند على ١٤٠ عموداً رخامياً أبيض تتصل ببعضها بعقود من الرخام مقوسة ، وله ١٦ باباً يتوسطها باب واسع ، وفى صدره منبر من خشب الصندل محفور مزركش ، وعلى يمين المنبر محراب مقعر جدرانه من المرمر الأبيض المزخرف وسقفه من الفسيفساء ،



صياغة الفضة من الحرف التقليدية العريقة بالقيروان وغيرها .

وعلى يساره مقصورة مساحتها خمسة أمتار مربعة تحيط بها جدر من خشب الصندل ، وللمقصورة باب يؤدى الى الحرم مصنوع من الخشب المزركش ، وباب آخر يؤدى الى فناء صغير به غرفة للاستراحة وساحة للوضوء ومكتبة ثمينة تحوى مخطوطات نادرة ، سرق معظمها المستشرقون الفرنسيون ، ومازال بها أكثر من ٣٠٠ مخطوط من مصاحف وكتب فى الفقه والحديث ، حيث أن تاريخ هذه المكتبة يعود الى عام ٢٧٥ هـ .

مدينة العلماء

وإذا كان جامع القيروان يجذب أنظارك منذ دخولك الى المدينة بمئذنته المتواضعة المهيبة التى تشرف على السهل الذى تربعت فيه المدينة ، فان سكان المدينة لن يبخلوا أمامك برواية ما يعرفونه عن العلماء والصالحين الذين مروا فوق ترابها عبر العصور ..

هذا أبو زمعة البلوى أو السيد الصاحب كما يلقبه سكان المدينة ، يستشهد فى فتح جلولاء غربى القيروان ويدفن هناك ثم يحملون رفاته الى القيروان ليدفن فيها مرة ثانية ..

وتخبرنا الكتب عن صحابة آخرين دخلوا البلاد فاتحين ناشرين كلمة الله ، فأحصى منهم أبو العرب صاحب الطبقات ١٣ صحابياً منهم عبد الله بن عمر ، عبد الله بن عباس ، عبد الله بن الزبير ، عبد الرحمن بن أبى بكر .. ودخلها أيضاً مع هذا الصدر الأول رهط كثير من التابعين منهم : مروان بن الحكم الذى تولى الخلافة فى أواسط القرن الأول ، وعكرمة المحدث الحافظ الذى جاء القيروان معلماً مفقهاً فى الدين ، هذا الى جانب الفقهاء العشرة الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز الى أفريقية ليفقهوا أهلها ، فأصبحت مساجد المدينة تضيق بكثرة أعداد المصلين الباحثين عن الزاد الثقافى الاسلامى ..

وهكذا نرى أن الحديث عن مدينة القيروان ليس له حدود .. فهى مدينة غنية بأخصب فترات التاريخ فى حياة الدولة الاسلامية .

فوزى الخميس

لقطات من الكون المثير



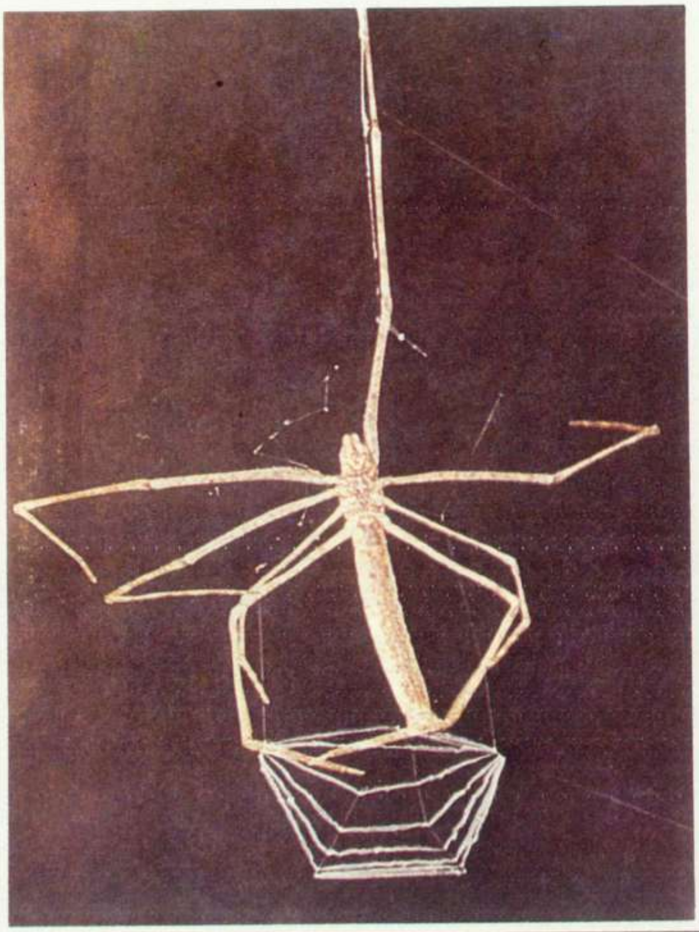
إنــه "يقــزقــز" بمــزاج!

قد يهوى الشمبانزى الاستمتاع باكل النمل ، وكانما هو به يتسلى كما يتسلى بعض الناس مثلا بقزقزة اللب ، ولقد اهتدى «صاحبنا» الى عش من النمل لا يستطيع أن يصل اليه باصابعه أو لسانه ، فهدته غريزته الى وسيلة يستطيع أن يصطاد بها النمل في مخابئه ، فكان أن اتى بقشة طويلة مدببة ، ثم يدفعها الى داخل جحر النمل الضيق ، وبها يخرج نملة من وراء نملة ، والى فمه يدفعها ، وبها يتسلى ويستطعم .. فالناس امزجة ، وكذلك الشمبانزي .. البعض يقول انها غريزة ، والبعض يستنتج انها بداية لذكاء بدائي .. والأمر بعد ذلك متروك لتقديرك !



الحصــــان الـتــرانزســـتور!

واضح أن هدف العلماء يتجه نحو انتاج كل ما هو مصغر ، فبدلا من الراديو الكبير ، اخترعوا الترانزستور ، وبدلا من الآلات الحاسبة الضخمة ذات الصمامات المعقدة ، اخترعوا آلة حاسبة يمكن وضعها بسهولة في جيب سترة ، وكذلك الحال مع التليفزيونات والمسجلات .. الخ ، لكن يبدو أن علماء الحياة قد أعجبتهم الفكرة ، فانتجوا هذا الحصان «الترانزستور» ، وهو حصان بالغ ، ولن يزيد حجمه أو ارتفاعه عن ذلك ، وانت تستطيع أن تقارن ارتفاعه بارتفاع ديك ، فعين هذا في عين ذاك ، لأنهما في مستوى واحد .. بقي أن تعرف أن سلالة هذا الحصان تعرف باسم «فلابيلا» وقد أنتج في الأرجنتين بعد عمليات تهجين استمرت حوالي ٤٥ عاماً بين سيسي شيتلاند وبين خيول انجليزية صغيرة الحجم ، هذا ويتراوح ارتفاع هذه الخيول الهجينة ما بين ٣٨ ، ٧٤ سنتيمتراً ، ووزنها ما بين ١٨ ــ ٣٦ كيلو جراماً ، أى أن حوالي ٣٠ حصاناً مما تراه في الصورة لا تزن بالكاد أكثر مما يزنه حصان متوسط الحجم والوزن (أحيانا يرتفع العدد الى ٧٠ حصانا صغيراً مقابل حصان واحد ضخم الحجم) !



المشنقة المتدلية من الأغصان!

يبدو أن الحياة كانت سخية أشد السخاء مع كل مخلوقاتها ، فمنحت كل نوع منها فكرة محددة قد لا يشاركه فيها نوع اخر سواه ، وطبيعي أن الكائنات لا هم لها إلا إشباع غريزتين : غريزة الجوع ، وغريزة الجنس ، وكائننا هذا المعلق في الهواء ليس إلا عنكبوتا يتأرجح كما يتارجح الاكروبات ، وهو هنا لا يلهو ، بل صنع لنفسه مصيدة من نسيج ، وبها يتحرك مع النسمات ، وكانما هو عشب جاف يتدلى من غصن ، وبهذا يخدع الحشرات الهائمة ، علها تلجا اليه ، لتستريح عليه ، وهى لا تفطن طبعاً الى أن راحتها المؤقتة قد تليها راحة أبدية ، لأن الشبكة تشل حركتها ، ثم يسحب صاحب الشبكة نفسه وصيده الى أعلى ، الى حيث الامان والماوى ، وبين الاغصان يستمتع بالوليمة حتى اخر قطرة من عصيرها ، ثم يلقيها ارضا ، وينسج شبكة جديدة ، وبها يتدلى ، ليتارجح ويخدع ويصطاد .. والفكرة لاشك فعالة وممتازة ، فكثيرمن توجيهها يصيب ، وقليلها يخيب ، ولهذا صمد صاحبها بذريته عشرات الملايين من السنين !

خالف تُعْرَف!

الناس لاشك أمزجة ، ولهم أيضاً هوايات ، وقد تكون الهواية أو المزاج على غير العرف الذي جرى عليه الناس ، فصاحب هذه السيارة الخاصة يقف فخوراً بما ملك ، أو ربما يسير على مبدأ خالف تعرف ، فالسيارة وحيدة نوعها في العالم ، لأن صاحبها المبجل جيرالد مانبح القاطن بمدينة ميدلتون بولاية فيرجينيا الأمريكية قد طلب من الشركة المنتجة أن تنتج له أطول سيارة خاصة ، ولقد تمت صناعتها عام ١٩٦٢ ، ولم ينتج مثلها حتى الآن ، هذا والسيارة من طراز شيفروليه ستيشون واجن ، ويبلغ طولها حوالي عشرة أمتار (أو بالتحديد ٩,٨٥ متراً) .



من روائع الفن العالمي

جمال قطب

الفنان المتمرّد بين الافتعال والانفعال!



لوحة رسمها الفنان رمبرانت لنفسه قبل رحيله بتسع سنوات

الفن لغة صامتة تخاطب الوجدان ، وتحس بالبصيرة قبل أن يستوعبها البصر ..

والكتاب ـ عادة ـ يتحايلون عندما يكتبون عن الفن : فبدلا من ان يغوصوا في التحليل وعبقرية الانفعال والتعبير واستخلاص القيم الانسانية والروحية لهذا الفنان أو ذاك ، نراهم يدورون حول النشاة وقصة الفنان مع بيئته وأساتذته ومجتمعه واهتماماته الموضوعية ... ولعل هذا السرد أعم فائدة لذوي الثقافات المتفاوتة المختلفة .. فيرى كل منهم ـ على قدر مرمى بصره ـ ما يقوى على رؤيته من خلال إلقاء الضوء على الجوانب العامة من حياة الفنان وإبداعه ، فما بالنا ونحن بصدد الكتابة عن أهم المصورين : رامبرانت ! .

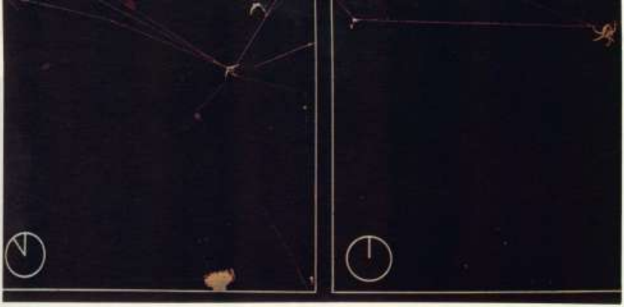
إنه عالم مستقل بذاته ، يمتاز بطابع خاص ورؤية فذة عبقرية . ومن الغريب انه استطاع بدأب وجلد أن يفصل بين فنه (العظيم) ، وتقلبات حياته المشحونة بالطفرات والعثرات والنكبات ! .

ولد فناننا الهولندي الشهير بمدينة (ليدن) عام ١٦٠٦ ، ولما ظهرت موهبته ، التحق بمرسم احد فناني المدينة (وكانت هذه المراسم تقوم بمهمة المعاهد الفنية) ، ثم اكمل مرانه وثقافته فى العاصمة (امستردام) على يد الفنان الشهير (لاستمان) ، وعاد إلى مسقط رأسه ليتربع على عرش فن التصوير فى بلده : يرسم سادة القوم والمشاهير من نجوم المجتمع ... وتوالت عليه الطلبات ، وتزاحم الأثرياء على مرسمه ، كل يريد أن يجلس أمامه ليحظى بصورة من أنامله الملهمة ! شعر بعبء الزحام ووطأة (التوظيف) المقيد .. فتمرد على هذا الوضع الذي كاد أن يخنق أنفاسه ، وصمم على أن يضع حداً فاصلا بين الافتعال والانفعال ، وأن يسلك نهجاً جديداً : رسم الموضوعات الوجدانية التى يحسها وينفعل بها ! فنزح مرة أخرى إلى امستردام ، وسرعان ما طبقت شهرته الآفاق وبز جميع فناني هولندا . وابتسمت له الحياة وتزوج من حسناء ثرية تدعى (ساسكيا) عاش معها اهنأ ايام حياته . يحبها ويرسمها ، ويتمتعان بالشهرة والمجد معا ! وظل مترفعاً بفنه عن أذواق البورجوازيين ، فناصبوه العداء واتهموه بالتكبر والغرور .. وشهروا به وحاربوه فى كل مكان ! .... وتوالت عليه النكبات : ماتت ساسكيا .. وساءت حالته .. وبعد ان كان مسرفاً محباً لاقتناء التحف والحلى الثمينة حتى أضحى بيته بمثابة متحف رائع لما يحويه من كنوز ، اضطر إلى إشهار إفلاسه وبيعت داره ولوحاته فى المزاد ! وتجهم له حظه العاثر .. فماتت ملهمته الثانية (هندريكه) التى اقترن اسمها بابداعه لفترة طويلة .. كما مات ابنه الوحيد (تيتوس) فى ريعان شبابه وهو لم يكمل السابعة والعشرين ! وعاش الفنان النابغة أعوامه الأخيرة فى فقر وبؤس شديدين .. ولكنه ـ بالرغم ـ من ذلك لم ينقطع قط عن الرسم والتأمل ، حتى لفظ أنفاسه الأخيرة فى عام ١٦٦٩ !

أما اللوحة المنشورة على الصفحة المقابلة . فهى إحدى روائع رمبرانت الشهيرة .. وقد رسمها عام ١٦٣٢ . وكانت هذه اللوحة محط أنظار المحافل الفنية العالمية منذ عشرين سنة ، ففى عام ١٩٦٢ تم اقتناء خمسة وخمسين لوحة وتمثالا من أعمال كبار الفنانين العالميين لمتحف « الينتاون » بالولايات المتحدة الأمريكية ، وكانت أثمن تلك المقتنيات جميعا هى هذه اللوحة التى رسمها لشقيقته « ليزبيث » وهى فى كامل زينتها وأناقتها ، كما كانت فرصة لادارة المتحف لأن تستغل رائعة رمبرانت هذه ، وتملأ أسماع العالم وأبصاره بعبقرية الفنان وأعماله الخالدة .



هذه اللوحة رسمها الفنان العالمي رمبرانت لشقيقته وهى فى كامل زينتها واناقتها عام ١٦٣٢



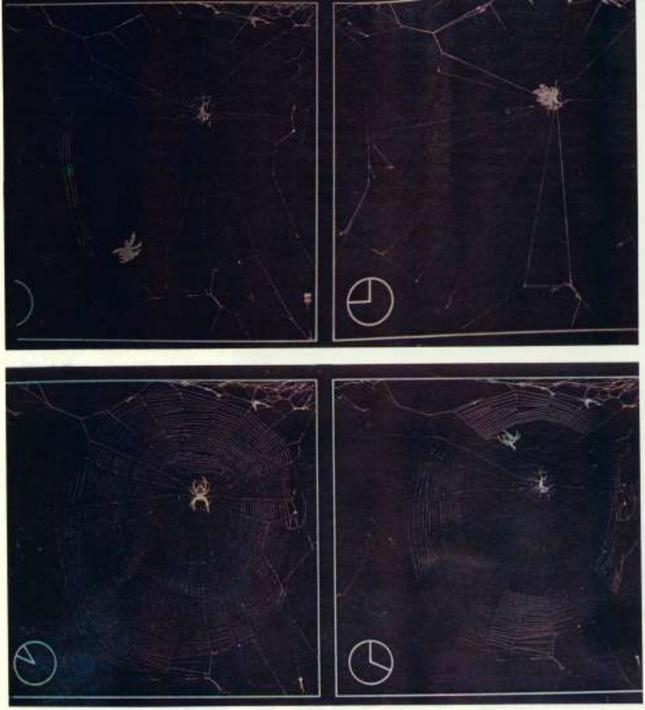
ست لقطات متتابعة (من ا ـ و) توضح كيف يبدا احد انواع العناكب فى اقامة الأركان من بيته (الصى اليسار) إلى ان ينتهى منه بعد ساعة واحدة وعشر دقائق ، وبهذا التخطيط الدقيق يسير الخلف على نمط السلف ، وكانما هندسة البناء عندها بمثابة « ماركة مسجلة » !

النسّاجون الأوائل.. بين الحقيقة والأسطورة

بقلم : د . عبدالمحسن صالح

يخطىء من يظن ان الانسان اول من غزل ونسج ، بل سبقته الى ذلك كائنات ظهرت قبله على هذا الكوكب بعشرات الملايين من السنين ، لكن ليس كل من غزل ونسج من هذه الكائنات يرتقي الى مصاف قبيلة العناكب ، فلو انك لاحظت بصبر عنكبوتا يبنى شبكته ، فلاشك انك ستشهد فنا جميلا يثير فيك الدهشة والاعجاب ، فكانما العنكبوت بطبعه فنان يعرف من اين يبدأ ، والى اين ينتهى ، وفوق كل هذا يحدد الزوايا ، ويحسب المسافات ، ويرسم الدوائر ، ويختار الأماكن المناسبة التى يقيم فيها خيامه او شباكه ، وبالاختصار فهو مهندس وكيميائى ونساج وصياد لا يشق له غبار ، ومن اجل هذا انتشرت العناكب فى كل مكان .. فى الريف والحضر، وعلى الجبال وفى الوديان ، وبين الحقول والغابات !

وعندما لاحظ الانسان من قديم الزمن العناكب وهى تبنى خيامها بخيوط دقيقة من حرير رقيق ، تحير وتعجب ، وساقه شغفه الى تفسير هذه الظاهرة الغريبة بأسطورة تريحه من عناء البحث والتفكير ، إذ تفترض هذه الأسطورة أن العنكبوت لم يخلق هكذا ، بل كان اميرة جميلة تسمى «اراكنة» ، وكانت تقيم فى مدينة ليديا بآسيا الصغرى ، ولقد ذاع صيتها بين الناس عن كفاءتها المذهلة ، وسرعتها الفائقة ، ودقتها المتناهية فى غزل الحرير ونسجه وتطريزه ، ولقد دعاها غرورها الى تحدى الآلهة الاسطورية «اثينا» ـ وهى احدى آلهة اليونان القديمة المشهود لها بالبراعة فى التطريز والفنون اليدوية ، وقبلت اثينا التحدى ، لكنها وقفت مذهولة امام روعة واتقان ما تصنعه الاميرة ، ولم تستطع ان تجاريها فى فنها ، وحلت بها



غيرة قاتلة ، فكان ان قامت بتمزيق وتدمير كل ما صنعته اراكنة ، وفجعت الاميرة بما فعلته الآلهة اثينا ، ولم تحتمل الصدمة ، فقامت بشنق نفسها من حبل يتدلى من سقف غرفتها ، وعندما شاهدتها اثينا على هذا الحال ، لم تتركها تذهب الى عالم الراحة الابدية ، بل اعادتها الى الحياة على هيئة هذا المخلوق الغريب الذى لا نرتاح لوجوده كثيرا ، ومن يومها دابت العنكبوتة ـ كما تحكى الاسطورة ـ على غزل الخيوط ونسجها هى وذريتها ، والى يومنا هذا . لا لتتباهى به وتفاخر ، بل لتصطاد به الحشرات الهائمة لتاكلها ، وكان ذلك اعظم نكاية ، واشد انتقام فعلته اثينا بالاميرة اراكنة .

بين الأسطورة والحقيقة

وطبيعى أن الانسان عندماتعييه الحيلة فى تفسير ظاهرة من ظواهر الكون والحياة تراه يلجا عادة الى اختراع اسطورة يشرح بها ما يراه ، لكن الحقيقة ان العناكب ظهرت قبل ان يظهر اليونان القدامى ، او تظهر اساطيرهم بعشرات الملايين من السنين ، ولقد وضعها علماء تقسيم علم الحيوان فى قبيلة مستقلة اطلقوا عليها اسم «اراكنيدي» ، وليس ذلك اعترافا منهم بما ورد فى الاسطورة ، بل لان معظم الأسماء العلمية مشتقة من كلمات لاتينية أو يونانية قديمة ، والكلمة ـ على اية حال ـ تعنى العنكبوتيات (وما يتصل بها من رتب اخرى) ، بغض النظر عما ورد فى الإسطورة .

ومعظم الناس يعتبرون العناكب من الحشرات ، وهى ليست بحشرات ، فللحشرات ست أرجل ، والعناكب ثمانية .



بين الاعشاب اقام احد انواع العناكب شبكته التى يبلغ قطرها حوالى ثلث المتر ، ولقد جاءت بهذا الوضع المختار لتصبح مواجهة للريح بسطحها المقعر (السطح المحدب فى وجه الصورة) .

ولمعظم الحشرات لوامس أو قرون استشعار على رؤوسها ، وليس للعناكب مثلها ، كما أنها لا تمتلك أجنحة كمعظم الحشرات .. الى آخر هذه التفاصيل التى يضعها العلماء فى الاعتبار عند تناول الكائنات وتقسيمها فى قبائل ورتب وفصائل وعائلات .

ولقد تم حتى الآن التعرف على حوالى ٥٥ الف نوع من تلك القبيلة التى تجمع أيضاً العقارب والقراد (منها ٣٠ الف نوع من العناكب) ، ويعنى هذا أن ذكر أسمائها فقط يحتاج الى كتاب فى حجم هذه المجلة ، أضف الى ذلك أن لكل نوع حجمه وصفاته وحياته وسلوكه وطريقة صيده .. الخ ، ثم أن بعضها يبنى الشباك وبعضها الآخر لا يبنيها ، وقد يكون لها أبواب مموهة ، حتى إذا داهمها عدو ، أسرعت الى مخابئها ، وأغلقت الأبواب دونها .. الخ .

وبناة الشباك لا يسيرون فى بنائها على نمط واحد ، فهناك آلاف الأنواع من هذه الشباك ، وكل نوع يأتى الى الحياة بخطة البناء فى «دماغه» ، وبحيث تصبح الطريقة متوارثة للنوع الواحد ، فيبنى الخلف الشباك بنفس النظام الذى سار عليه السلف ، ومن هنا يعرف العالم الحاذق نوع العنكبوت ـ دون أن يراه ـ من نوع شباكه ، وبعض الصور المنشورة مع هذا المقال ، تغنى عن أى كلام يمكن أن يقال فى مثل هذا المجال .

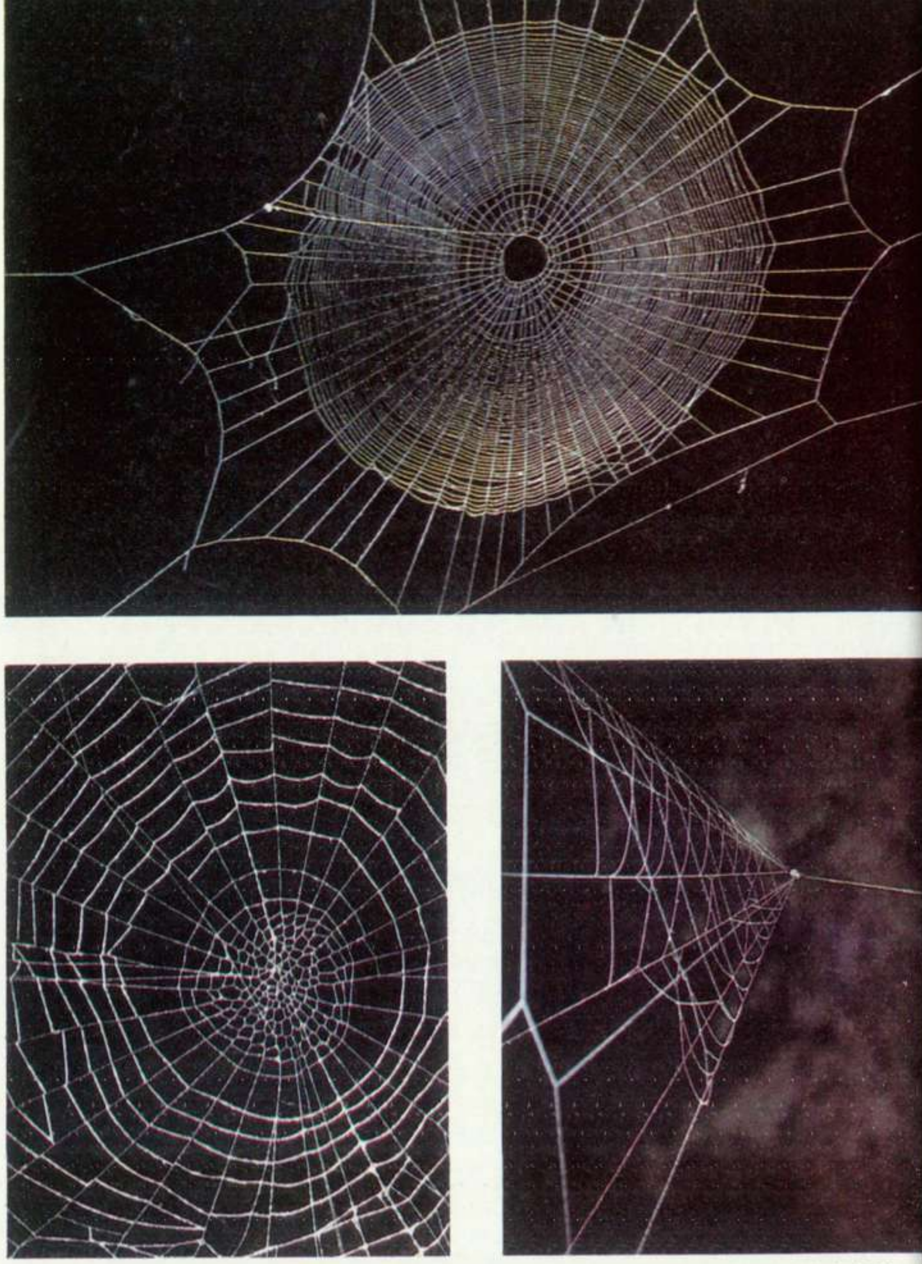
ولاشك أن هذا التنوع الهائل فى حياة العناكب له ما يبرره ، ذلك أن أرزاقها قد قسمت بينها ، فهى تعيش أساساً على التهام الحشرات ، لكن ما قد تستطعمه هذه المجموعة ، قد لا تستطعمه تلك ، وكأنما العناكب هنا بمثابة مبارد حية ، لتبرد ما يزيد فى اعداد الحشرات ، وبهذا توقفها عند حدودها المرسومة ، أو كأنما العناكب والحشرات بمثابة موازين منصوبة ، تتارجح كفاتها ذات اليمين وذات اليسار ، فاذا زادت الحشرات عن حدودها ، زادت العناكب تبعاً لذلك ، إذ سيصبح الرزق وفيراً ، والنسل كثيراً ، حتى إذا قل العرض ، وزاد الطلب لم تجد العناكب ما تعيش عليه ، فيقل نسلها ، وتتضاءل أعدادها ، وبهذا تسنح الظروف للحشرات بالتكاثر من جديد ، فتزيد أعدادها ، لتزدهر حياة العناكب .. وهكذا تتارجح الموازين بين صعود وهبوط !

وطبيعى أن العناكب بمثابة «المبيد الحي» للحشرات ، إذ لولاها ، لفتكت الحشرات بالأخضر واليابس ، أو بالزرع والضرع ، لكن حمداً لله أن كل شىء قد جاء لحكمة بالغة ، فلقد قدر احد العلماء أن العناكب تلتهم سنوياً من الحشرات ما يربو وزنه على وزن أربعة ملايين رجل .. أو سيدة إذا أردت ، ووزن كل منهم متروك لتقديرك على أية حال ، وهذا يعنى أن ما تبيده العناكب من الحشرات يقدر بعدة مئات الألوف من الأطنان فى كل عام !

هذا وفى تقدير عالم بريطانى أن كثافة العناكب التى تسكن المزارع والأحراش والغابات ، تقع فى حدود مليونين وربع مليون عنكبوت للفدان الواحد فى المتوسط ومن هنا يستنبط أن العناكب الموجودة فى انجلترا وويلز فقط ، تستهلك ما يقدر عدده بحوالى ٢٠٠ مليون حشرة فى كل عام ، ولتقدر أعدادها ـ إذا أردت ـ على مستوى العالم ، عندئذ ستخرج بأرقام كونية !

أغرب أنواع العناكب

وإذا كانت معظم العناكب تعيش ـ كما نعرف ـ حياة برية ، فان معظمنا قد لا يعرف أن بعض أنواعها تسكن الماء ، وتعرف باسم العناكب الغواصة أو الغطاسة ، وهى لا تختلف كثيراً عن



ثلاث أنماط أخرى مختلفة لطريقة البناء لثلاثة أنواع متباينة من العناكب ، ولكل خيمة أوشبكة فكرة مستقلة ، فإذا اصطادت التى إلى اليمين . أرخى العنكبوت شبكته للصيد بالخيط الذى يصل بينه وبين شبكته (إلى أقصى اليمين) ، حتى لا تتمزق الشبكة . والتى فى الوسط لها فى مركزها فتحة تسمح للعنكبوت بالمرور إلى ناحيتى الشبكة إذا اصطادت من هذه الجهة أو تلك ، وإلى اليسار يجىء النسيج فى المركز بطريقة أخرى مختلفة .

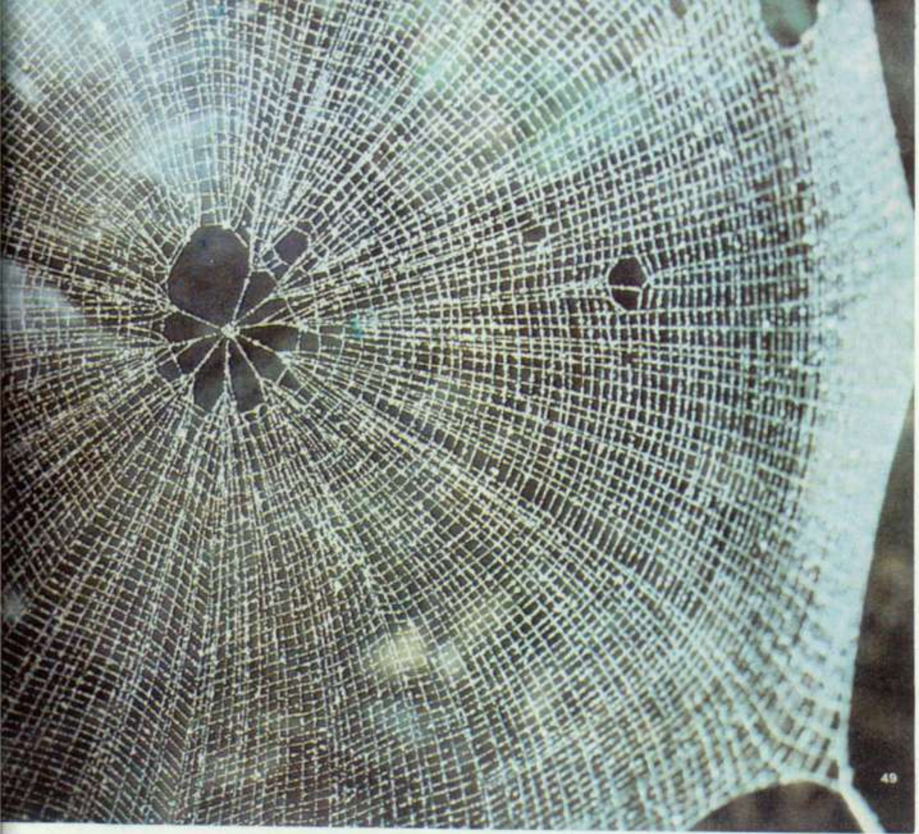
العناكب البرية ، لأنها تتنفس الهواء مثلها سواء بسواء ، رغم أنها لا تعيش على سطح الماء ، بل تبقى فيه بالساعات مغمورة ومع ذلك فليس لها خياشيم كالأسماك ، لتستخلص الهواء الذائب فى الماء .

من أجل هذا كان للعناكب المائية حياة مثيرة لا يشاركها فيها أى كائن آخر ، ذلك أن العنكبوت المائى يندفع الى السطح ، ويثير الماء مع الهواء فيجعله رشاشاً ، وتتكون نتيجة لذلك فقاعات هوائية ، وبسرعة يصطاد منها فقاعة أو أكثر ، ويقوم بحركة أو مناورة سريعة ، وبحيث إذا غطس فى الماء ، احتجز فقاعة الهواء تحت صدره ، لتلامس فتحات قنواته التنفسية ، حتى اذا استهلكها ، عاد الى السطح ، ليكرر نفس العملية ، أى كأنما هو قد سبق الانسان بفكرة أخذ هوائه معه إذا أراد أن يبقى تحت الماء لفترات طويلة ، لكن العنكبوت قد فعلها دون أن يستعين بأنابيب التنفس كما يفعل الانسان ، بل تغلب على ذلك بفكرة جد بسيطة ، لكنها فعالة ، بدليل استمرار حياة نوعه لعشرات الملايين من السنين ، ودون أن يخيب فى استخدام هذا «التكتيك» العجيب .

وإذا كان الانسان قد فكر حديثاً جداً فى بناء المستعمرات تحت الماء ، ليعيش فيها الأيام والأسابيع ، حاملا معه الغذاء والأوكسجين ، فان هذه الفكرة ليست جديدة تماماً ، لأن العناكب قد فعلتها ، فغذاؤها موجود حولها على هيئة هائمات نباتية وحيوانية ميسرة .. لكن ما العمل فى أوكسجين الهواء ؟

لا تحمل لها هماً ، لأنها قد تكفلت بتخزين الأوكسجين الجوى بطريقة فذة ومتقنة ، إذ عندما تذهب الى السطح ، «وتطرطش» الماء ، فانها تضرب عصفورين بحجر واحد ، بمعنى أنها تأخذ منه فقاعة تحت صدرها لتتنفس بها ، وفقاعة أخرى تصطادها بين قدميها الخلفيتين المزودتين بشعيرات دقيقة ، وبحيث إذا تلاصق القدمان ، وأخذا وضع انثناء ، احتفظا بينهما بفقاعة الهواء ، وبها تتوجه الى خيمتها التى بنتها تحت الماء ، والخيمة تشبه قارورة فتحتها الى أسفل ، وقاعدتها الى أعلى ، وفى الفتحة تطلق فقاعة الهواء فترتفع الى أعلى ، وتزيح قدراً ضئيلا من الماء ، وتتوجه مرة ومرات الى سطح الماء ، لتفعل الشىء نفسه ، وتعود لتفرغ حمولتها حتى يزاح كل الماء ، وتمتلىء الخيمة بالهواء ، وبه تتنفس ، وعليه تعيش أسابيع طويلة ، وهذه بلاشك تحتاج الى أسطورة أكبر من سابقتها ، لكن ليس بالأساطير تقوم قائمة هذا النوع من الكائنات ، بل لقد توصلت الى «تكنولوجيا» عنكبوتية تقوم على مبادىء علمية لم يعرفها البشر إلا حديثاً جداً ، ومع ذلك فهى بالنسبة للبشر مكلفة ، لكن العناكب فعلتها دون بحوث أو تخطيط أو تكلفة .. كل ما هنالك أن تقوم برحلة بين سطح الماء ، وبين الخيام .

ولو قدر لنا ورأينا هذه الخيام الصغيرة وهى مثبتة بين الأعشاب المائية ، لبدت لنا كقباب غريبة ، أو مستعمرات متجاورة ، لكن أغرب من هذا كله أن ذكور العناكب تبنى خيامها المائية بجوار خيام إناثها ، ثم تقوم بعمل ممرات هوائية مبطنة بنسيج مانع لتسرب الهواء ، وبحيث يوصل الممر الهوائى بين خيمة الذكر وخيمة الأنثى ، والذكر هو الذى يقوم بهذا العمل ، وعندما ينوى الزواج ، فلابد أن يتقدم من خلال الممر الى خيمة الأنثى ، حيث يفتح فيها نافذة تطل على الممر ، ومن خلاله يختلط هواء خيمته بخيمتها ، ويبدو أن الأنثى تستهجن هذا التدخل فى شئون حياتها الخاصة ، وتهجم على الذكر ، وتقوم بينهما معركة كبيرة ، لكنها لا تستمر طويلا ، لأن الذكر هنا أقوى من الأنثى ، ويكسب الذكر المعركة ، **لكن زواجه منها مؤجل لحين ترميم الخيمتين اللتين تمزقتا نتيجة للكر والفر من خلال الممر ، فهما لن يستطيعا قضاء « شهر العسل » فى بيت زوجية خال من** الأوكسجين ، وإلا كانت ليلة زفافهما هى ليلة انتقالهما للدار الآخرة ، ويبدو أن



حبهما لا يأتى إلا بعد عداوة ، إذ أن هذه المصيبة التى حلت بدارها وبداره تستوجب التعاون فى الضراء فيتبعه حتماً تآلف فى السراء ، وبالفعل يتآلفان سوياً فى ترميم ما تصدع ، وتزويد الخيمتين والممر بالهواء ، وفى الممر يحدث اللقاء ، ويتم المراد ، لتأتى ذرية تكرر ما فعله الآباء والأجداد ، وليعمر هذا الكوكب بمخلوقاته ـ أياً كان شكلها وحجمها ونوعها وسلوكها!

وللشباك مهمات شتى

وشباك العناكب أو خيامها منسوجة من خيوط حريرية رقيقة غاية الرقة ، فسمك الخيط الواحد لا يتجاوز جزءاً واحداً من اربعين ألف جزء من المليمتر ، أى أن شعرة الرأس فى الانسان أسمك منه بحوالى اربعة آلاف مرة ، أو لو غزل اربعة آلاف خيط عنكبوتى فى حزمة ، فان سمكها يصل بالكاد الى سمك شعرة ، ومع هذه الدقة المتناهية ، تجيء الخيوط بكفاءة عالية ، وتتحمل شدا وضغوطاً لا تتحملها أسلاك من الصلب لها نفس السمك ، وترجع قوة الخيوط الى أسباب يطول شرحها ، لكنها لا تخرج فى فكرتها عن فكرة الغزل التى عرفها الانسان ، فخامة الحرير موجودة بحالة سائلة فى سبع غدد تتكفل بتكوينها من خامات أولية أو جزيئات كيميائية اختيرت اختياراً مذهلا ، وبحيث لا يستطيع مجاراتها فى هذا المضمار أكفأ الكيميائيين ، وعندما يفرز الحرير السائل من الغدد ، تتسلمه ثلاثة أزواج من الانوال أو المغازل الحية التى تجمعها وتغزلها فى خيط واحد متين ، وكأنما هذه المغازل بمثابة أصابع ميكروسكوبية دقيقة تعالج الخيوط الستة الأدق فى خيط واحد بكفاءة نادرة ، وفوق كل هذا تأتى الخيوط بميزة أخرى تؤهلها لمهمتها فى الصيد ، فاذا لامست الضحية هذه الخيوط المغزولة فى شباكها ، كان من الصعب عليها الافلات من برائنها ، لأن الخيوط من النوع اللاصق ، وكلما أرادت الضحية تخليص نفسها من المصيبة التى وقعت فيها ، زادت الخيمة قبضتها عليها ، والتشبث بها .

▲ هذا النسيج الكثيف الذى يشهد بالدقة والتناسق اقامة عنكبوت لا يزيد طوله عن نصف ملليمتر لا غير (لا يزيد قطر هذه الشبكة فى عالمها الحقيقى عن خمسة سنتيمترات ، ولهذا فان اللقطة هنا مكبرة عدة مرات) .

◄ اربع لقطات توضح رحلة احد العناكب المائية بين السطح ليحصل على فقاعة من الهواء أو اكثر ، ويعود بها إلى شبكته التى شيدها تحت الماء حيث يختزن فيها الهواء ليستخدمه فى عملية التنفس (لمزيد من التفاصيل راجع المقال) .

ونادراً ما يسكن العنكبوت خيمته ، بل يتوارى فى مكان أمين بعيداً عن الأعين التى ترصده ، وتطمع فى لحمه ، ذلك أن العنكبوت غض لين ، عدا الأنواع الكبيرة الشرسة أو السامة ، وهذه غالباً لا خيام لها ، بل تصطاد رزقها بالهجوم المباغت ، لكن الأنواع الضعيفة قوية بخيامها ، لأن الخيام تصطاد لها ، وتشل ضحيتها ، وتسلمها لقمة سائغة لأصحاب الخيام .

وطبيعى أن العناكب بانية الخيام أو الشباك لا ترقب وقوع الصيد فى خيامها بعيونها ، فنظرها ضعيف ، ولا يتعدى عدة سنتيمترات ، ولذلك اقامت خطاً مباشراً بين شباكها وبين المكان الذى تختفى فيه ، وعندما تهتز الخيمة ، فان اهتزازها ينتقل عبر خيط وحيد متصل بأحد أرجلها ، ومن طريقة اهتزاز الشبكة ، تعرف العدو من الصديق ، أو الصيد الشرس من الصيد المعقول الذى يمكن معالجته ، أو ان كان اهتزاز الخيمة بالرياح ، أو من تساقط حبات المطر ، أو من ذكر جاء يطلب الزواج ، ولاشك أن المعرفة بأصول الاشارات الواصلة فيه توفير كبير لطاقتها ، إذ أن «ترشيد» استخدام الطاقة عندها أمر حيوى فليس من الحكمة أن تتحرك جيئة وذهاباً بين مكان الاقامة وبين الخيام ، لتستكشف الأمر ، لأن الحركة تستهلك طاقة ، والطاقة تحتاج الى غذاء ، والغذاء قد يكون غير ميسر ، ولهذا لا تتحرك إلا إذا عرفت أن الشبكة قد اصطادت ، لأن الاهتزازات الواصلة تتسم بحركة تشنجية ، وهى غير حركة الرياح أو سقوط الأمطار ، أو اهتزاز الأغصان ، أو العريس الذى جاء يطلب الوصال .









ومادمنا قد ذكرنا الوصل والعرسان ومواسم الزواج ، كان لابد أن نشير الى أن ذكور معظم انواع العناكب اضال **حجماً** وأقل قوة من اناثها ، ونظراً لأن معظم العناكب تعيش فى عزلة كالرهبان ، وتخشى من أى دخيل ، حتى لو جاء كعريس ، فان الحكمة تستلزم ان يأخذ الذكر جانب الحرص والحيطة ، فلا يذهب الى أنثاه دون مقدمات ، إذ لو فعل ، فأغلب الظن أنه سيكون من المأكولين ، خاصة إذا كانت الأنثى جائعة ، لأن اشباع غريزة الجوع عندها أهم من أشباع أية غريزة أخرى ، وفى هذا لا تختلف أمزجة العناكب عن أمزجة البشر .

اتصال «تليفونى»

إذن .. فماذا هو فاعل لتخطى هذه المازق خاصة وان أنثاه هى أكبر مازق فى دنياه ، وأخطر عقبة على حياته ؟

عليه أن يحتاط للأمر ويغازلها عن طريق الهاتف ، ويعرف شعورها ومزاجها ، وطبيعى أن فكرة الهاتف عند العناكب جد بدائية ، لكنها فعالة وتفى بالهدف تماماً ، فلكى يتم **الاتصال** ، فعلى الذكر أن يقترب بحرص شديد من خيمة الأنثى ، ويغزل خيطاً ، ويربط طرفه بنسيجها ثم يسحب خيطه ونفسه ، وينزوى فى مكان قريب ، ويصل الخيط بيده ، ويبدأ فى العزف على الأوتار ، نعنى أن يحرك يده حركات ايقاعية منتظمة ، فيتحرك الخيط الذى يحرك الشبكة ، **التى تنتقل حركتها خلال الخيط الواصل بالأنثى فى مخبئها** وهى على أية حال حركات رقيقة ، وقد يرق لها قلبها ، أو قد لا يرق .. كل هذا مرهون بحالتها النفسية أو المزاجية !

لكن بعض الذكور – والحق يقال – عندها بعد نظر ، وكانما هى تعرف **اصول** «الايتيكيت» ، فلا تذهب الى اناثها **خاوية** الوفاض . بل تاخذ معها هدية مناسبة ، واحسن هدايا فى عالمها تتمثل فى وليمة ، ويكفى هنا ذبابة أو فراشة طازجة ، والحصيف هو الذى يلفها بحرير ، وليس ذلك بدافع الذوق أو المدنية ، فهى لا تعرف فى حياتها هذه المعانى البشرية ، بل يلهى الذكر أنثاه ، ويكسب وقتاً عندما تفض هى الحرير عن الهدية ، إذ لو كانت الوليمة دون ما يشبع بطنها ، فربما يأتى دوره ، **ويروح فى خبر كان.المهم ان يرسل لها** الاشارات ، ويقدم الوليمة على الخيمة ، والباقى بعد ذلك معروف

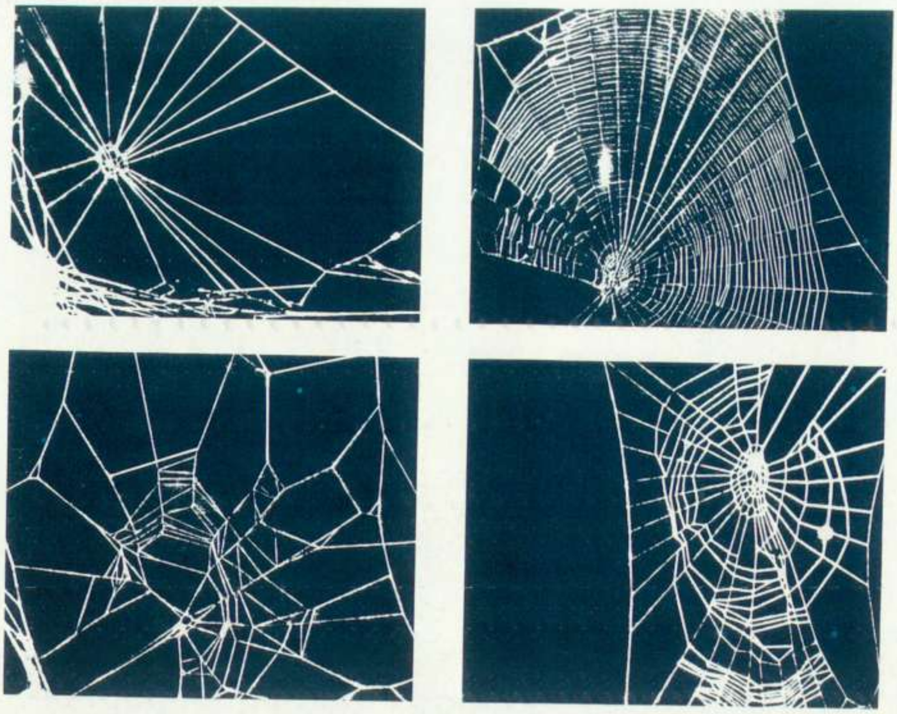
لكن .. كيف تعرف الأنثى أن الذكر الذى جاء يطلب الوصال هو من نفس نوعها ؟ .

لقد أجرى الطبيب بيترويت من جامعة توبنجن تجربة مثيرة ليتحقق من ذلك ، وقد **يكون** غريباً أن يلجأ طبيب الى دراسة **العناكب** لكنه أحبها من خلال دراسة تاثير بعض المواد المخدرة على الجهاز العصبى لهذه الكائنات البسيطة ، ثم سلوكها فى بناء شباكها وهى واقعة تحت تاثير المخدرات ، لكن دعنا من ذلك الآن ، فسوف نعود اليه بعد قليل .. المهم ان "ويت" احضر ذكراً لنوع من العنكبوت قريب الصلة بأنثى **نوع** آخر (لمن يهمه الأمر : هما جنس واحد وله عدة انواع ، فنوع الذكر **هو ارانيوس بالبدس** ، ونوع **الأنثى ارانيوس داياديماتس**

.. ووضع هذا الذكر بجوار خيمة تلك الأنثى ، وبدأ الذكر فى وصل خيطه بالخيمة ، وانزوى فى ركن ، واخذ يبعث لها باشاراته ، لكن لا حياة لمن ينادى ، واستمر على هذا الحال خمس ساعات طوال ، حتى عيل صبره ، فقطع الاتصال ، وبعدها استبدله « ويت » **بذكر من نفس نوع الأنثى** ، ففعل ما تمليه عليه «أداب» الاتصال ، ولم تمر بضع دقائق حتى ظهرت الأنثى ، واليه أقبلت تتهادى .

ويعلق "ويت" على ذلك بتساؤل : ما الذى يدفع الأنثى لتستجيب لنوع من الذكور

النساجون الأوائل..
بين الحقيقة والأسطورة



الشكل يوضح تاثير مواد الهلوسة والمخدرات على الجهاز العصبى للعنكبوت .. فالصورة التى اعلى (يمين) توضح بناء الشبكة وهو فى حالته السرية ، اما الصور الثلاث الاخرى فقد جاءت لشباك فوضوية التكوين ، بسبب تناول العنكبوت ذاته مادتين مخدرتين ، ثم مادة هلوسة (الصورة اسفل يسار) .

دون النوع الآخر ؟ .. إن احداً لا يعرف ذلك تاكيداً ، فربما كان لهذا العالم اشاراته او لغته او لهجته التى تختلف من نوع لآخر ، اى كانما كل شىء مبرمج فى جهازها العصبى البدائى ، بداية من تشييد الخيام ومروراً بالسلوك العام ، ونهاية بمعرفة معنى الاشارات بين الانواع ، ذلك ان **العناكب الصغيرة لا تتلقى الدروس من** ابويها ، بل تخرج الى الحياة لتجابه حياتها بمعلومات مبرمجة وموروثة ، او هى ما نطلق عليه اسم الغريزة ، والغريزة – على اية حال – لفظ غامض ، وربما كان هذا اللفظ هو البديل عن عدم معرفتنا بما انطوت عليه حياة المخلوقات من أسرار .

وللعنكبوت مع المخدرات قصة

وتبدأ القصة عندما ذهب الطبيب بيترويت من جامعة توبنجن (الذى احب فيما بعد العناكب) الى عالم الحيوان الشهير هانز بيترز يطلب منه النصيحة فى امكان تصوير نوع من العناكب وهو ينسج شباكه ، لأن هذا النوع يقوم بالنسيج فى حوالى الرابعة من فجر كل يوم ، وكلما سلط عليه الأضواء الصناعية أثناء التصوير ، أبى العنكبوت أن يستمر فى نسيجه ، وهنا أشار عليه عالم الحيوان أن يمد العنكبوت بغذاء يحتوى على احدى المواد المخدرة ، علّه «ينسى» الزمن ، ويبدأ التشييد فى وقت متاخر ، تكون الشمس فيه قد اشرقت ، مما ييسر له التصوير فى ضوء النهار .

وطبق ويت النصيحة ، لكن العنكبوت لم يؤد عمله بالطريقة التى **يطمع** فيها الطبيب ، ومع ذلك فقد لاحظ امراً مثيراً لكى يهجر فكرة التصوير كلية ، وبدأ يراقب العنكبوت وهو ينسج شبكته تحت تاثير عدد من المواد المخدرة ومركبات الهلوسة ، التى يتعاطاها الانسان ، وبهذه الملاحظة البسيطة فتح آفاقاً جديدة ، إذ تبين أن لكل مادة فعلها المميز على الجهاز العصبى للعنكبوت ، فينعكس ذلك على مزاجه ، فيظهر واضحاً فى الطريقة التى يبنى بها شباكه ، ولقد ظل «ويت» طيلة خمسة عشر عاماً وهو يجرب أثر المخدرات ومواد الهلوسة على عدد من انواع العناكب المختلفة ، وانضم إليه فى هذه التجارب الغريبة بعض زملائه فى الجامعة ،

ووصلوا الى نتائج مثيرة ، إذ يبدو أن الجهاز العصبى فى العناكب أو ما فوقها من كائنات أرقى له أصول **مشتركة** ، وهذه الأصول تظهر واضحة فى تعامله مع المواد المختلفة ، لأن مركبات الهلوسة مثلا تجعل العنكبوت «يهلوس» فى بناء شباكه ، فتخرج الى حيز الوجود بطريقة عشوائية تنم عن حال العنكبوت وهو واقع تحت تاثيرها . وفى هذه الهلوسة لا يختلف العنكبوت عن الانسان !

اضف الى ذلك أن الحبوب المهدئة والمنومة كان لها نفس الأثر فى العنكبوت ، بمعنى أنه قد يفقد بعض نشاطه العصبى وينسج نسيجه بطريقة تنم عن تراخ وتكاسل ، واحيانا يبدأ العمل ثم يهجر ما بدأ ، وكانما هو قد ذهب لينام ، وقد لوحظ أيضا أن العنكبوت يركز عمله فى منطقة ضيقة ، وكانما هو يخشى أن يتجول بحرية لبناء شبكته – كما يفعل عادة وهو فى

كامل وعيه ، وغير ذلك من تجارب ومشاهدات لا يتسع لها المجال ، ومن أجل هذا يعبر «ويت» عن ذلك بقوله : ان لدينا أداة حية مضبوطة (يقصد العناكب)

توضح لنا أسرار تعامل الجهاز العصبى مع المواد المخدرة ، وكانما هى بمثابة الخريطة التى توضح لنا معالم الطريق التى تقودنا الى ايجاد علاقات بين وظيفة الجهاز العصبى وبين السلوك ، سواء على مستوى العناكب او البشر .. هذا ومما يذكر أن تلك البحوث قد هيأت لبيترويت أن يصبح رئيساً للبحوث بقسم الصحة العقلية بجامعة نورث كارولينا بالولايات المتحدة .

هذا ولقد كانت العناكب من أوائل الكائنات الحية التى وضعت فى سفن الفضاء ، لملاحظة سلوكها وهى تبنى شباكها تحت تأثير انعدام الجاذبية فى الفضاء الخارجى ، ولقد قامت بعملها هناك **على خير ما يرام ، ودون أن تتدخل حالة** انعدام الوزن فى طريقة البناء ، وكل مخلوق قد جاء لما هو له ميسر «لكن أكثر الناس لا يعلمون» .

د. عبد المحسن صالح

قضايا خليجية

اطرح الأسئلة : انها قوتك الوحيدة

بقلم : عبدالقادر عقيل

أزمة توزيع الكتاب الخليجي

فى الخمسينيات من هذا القرن قال سعد البواردى ، وهو مؤسس مجلة «الاشعاع» السعودية ، كلاماً مهماً يمكن الاستدلال به فى وقتنا الحاضر . قال :

(... أستطيع ان أؤكد بان مجلة الاشعاع لاتقرأ فى الخارج إلا نزرا . ولعل الصعاب المترتبة على وسائل النقل ، والتى كانت فى حقيقتها قاسية جداً حالت دون انتشار المجلة ، هذا إلى جانب الفقدان لاعداد المجلة والتى قلما تصل الى الجهات المبعوثة إليها .. وكل ما أستطيع ان اقوله هنا هو أن المجلة لاتبعث الى الخارج إلا على سبيل المبادلة فقط) .

اهمية كلام البواردى تاتى فى ان ماساته فى الايصال والتوزيع ، على نطاق الخليج فى اقل تقدير ، تتكرر بعد ثلاثين عاماً ، انها نفس المشكلة ، وإن كانت وسائل النقل العصرية اكثر تطوراً وسرعة مما كانت عليه فى زمان البواردى . ولكن الكتاب لايزال فى محنة قاسية . ان الثقافة مطالبة دوما بابراز الف جواز سفر وترخيص حتى تتمكن من اختراق الحواجز والحدود .

هنا ، لانعرف شيئاً عن مجريات الثقافة الجديدة فى عمان ، أو السعودية ، الا القليل ، ومن خلال التعارف الشخصى ، التى عادة ما تحصل بالمصادفة . والكتاب الذى يطبع هنا لايوزع فى عمان ، والكتاب الذى يطبع فى الامارات لايوزع فى الكويت والكتاب الذى يطبع فى السعودية لايوزع فى البحرين .

ثم نسمع عن توحيد التعرفة الجمركية وتوحيد جواز السفر. بمعنى أخر ، الثقافة ليست جزءاً من الاتصال والتعاون ، وان كانت ، فانها تاتى فى ذيل القائمة .

قديماً ، كانت سوق هجر مكاناً مشهوراً يجتمع فيه اهل الأدب والفكر فى شهر ربيع الثانى ، ثم يرتحلون الى عمان فتقوم فيها سوقهم فى أواخر جمادى الأول ، ثم ينزلون المشقر ، وهو حصن بالبحرين تقام به أول يوم من جمادى الثانى ، ثم ينزلون سوق صحار فيقيمونها خمسة أيام لعشر يمضين من شهر رجب .

قديماً ، كان صوت الشاعر يسمع فى كل الخليج ، ويعرف فى كل الخليج ، صوته كان دعامة رئيسية من دعائم الاتصال والتعاون .

حاول أن تحسب فى ذاكرتك عدد الشعراء الشباب فى عمان ، أو فى قطر ، حاول أن تحسب عدد كتاب القصة الجديدة فى السعودية .

ستشعر حتماً بالعجز ، وستجيب ببساطة ، أنا لم اقرأ كتبهم حتى أعرفهم . هل هذا يعنى أن الكتـــاب الخليجى غير موجود ؟

التوزيع هو الانشوطة التى تلتف حول عنق الكتاب الخليجى ، وهو مسبب كل التباعد والغياب بين كتاب وأدباء الخليج . والتوزيع هو اردأ الحلقات فى صناعة الكتاب ، ان الكاتب ليدفع بمادته الى الناشر أو الى المطبعة ، وبعد خروجها «سالمة» من يد هؤلاء ، سيواجه بالمشكلة الاساس : كيف يجعل كتابه المطبوع مقروءاً لنقل فى أضعف الايمان ، على الساحة الخليجية . ولانحلم بالساحة العربية . والكاتب سيلقى ألف مشكلة لو حاول الاتصال بالموزعين المبثوثين فى الخليج ، كل له طريقته وحسابه ، وكل له مزاجه ، وعلى الكاتب أخر الأمر ، أن يستسلم لقدره ويكتفى بتوزيع كتابه فى بلده ، منتظراً اليوم الذى تنفك فيه أزمة توزيع الكتاب .

لقد طرحت اكثر من مرة فكرة انشاء دار نشر خليجية تؤدى مهام نشر الكتاب الخليجى ، ومن ثم تتولى توزيعه توزيعاً لائقا ، بحيث يجد الكاتب مؤلفاته معروضة فى كل مكتبات الخليج حال صدوره .

وايضا تكون هذه الدار هى الجهة الوحيدة المسؤولة عن إيصال صوت الكتاب الخليجى الى الساحة العربية .

إن فكرة انشاء دار نشر خليجية مشتركة ليست بالفكرة العويصة التنفيذ ، فلقد وجدنا ، من خلال نقاشاتنا الشخصية ، مع اصحاب دور النشر فى الخليج ، استعداداً طيباً لتنفيذ مثل هذه الفكرة .

لكن المسالة ، متى يقتنع الجميع ، فعلا بضرورة الاسراع فى تنفيذها ، أو على اقل تقدير ، بضرورة الخروج بحل عملى لمشكلة توزيع الكتاب الخليجى .

سوبرمان فى الخليج!

منذ عام ١٩٦٤ ومجلة «سوبرمان» توزع فى مكتبات الخليج دون أن تتدخل اية جهة ما لايقاف هذه المجلة التى تحمل افكاراً تخريبية ، وتنفث سماً زعافا على عقول أطفالنا . هذه المجلة منعت رسمياً من الدخول الى عدة دول عربية ، ولكنها تدخل بيسر وسهولة الى مكتبات الخليج دون اية رقابة .

إننا نخشى أن نظل نكرر كلامنا ، دون أن يسمعنا احد ، حول الافكار الخطيرة التى تبثها هذه المجلة من تقديس لروح الفردية وتعزيز الأوهام وتمجيد البطل الامريكى وشطح خيال الطفل الى عوالم بعيدة عن الواقع . ان الخيال مطلوب للطفل ولكن ليس الى الحد الذى يتبلد فيه عقله وحواسه ويمنعه من أكتشاف حياته الواقعية .

اذا كانت الجهات الرسمية تهتم كثيراً بتطعيم الاطفال ضد الأمراض والأوبئة ، فانها يجب أن تكون أكثر حرصاً فى تطعيم عقول الاطفال ضد أمراض «الفكر» المستعصية التى يمكن أن تنشرها هذه المجلات المشبوهة .

السؤال الآن : هل ستقتنع الجهات الرسمية بضرورة ايقاف هذه المجلة ومثيلاتها عن الوصول الى الأطفال ، وعلى وجه السرعة ، أم انها سترى المسالة بسيطة جداً ولا تستحق كل هذه التهويل ، فهى مجلة للأطفال فقط !!

الثروات المدفونة.. في أعماق المحيطات

بقلم : محمد مروان جميل مراد



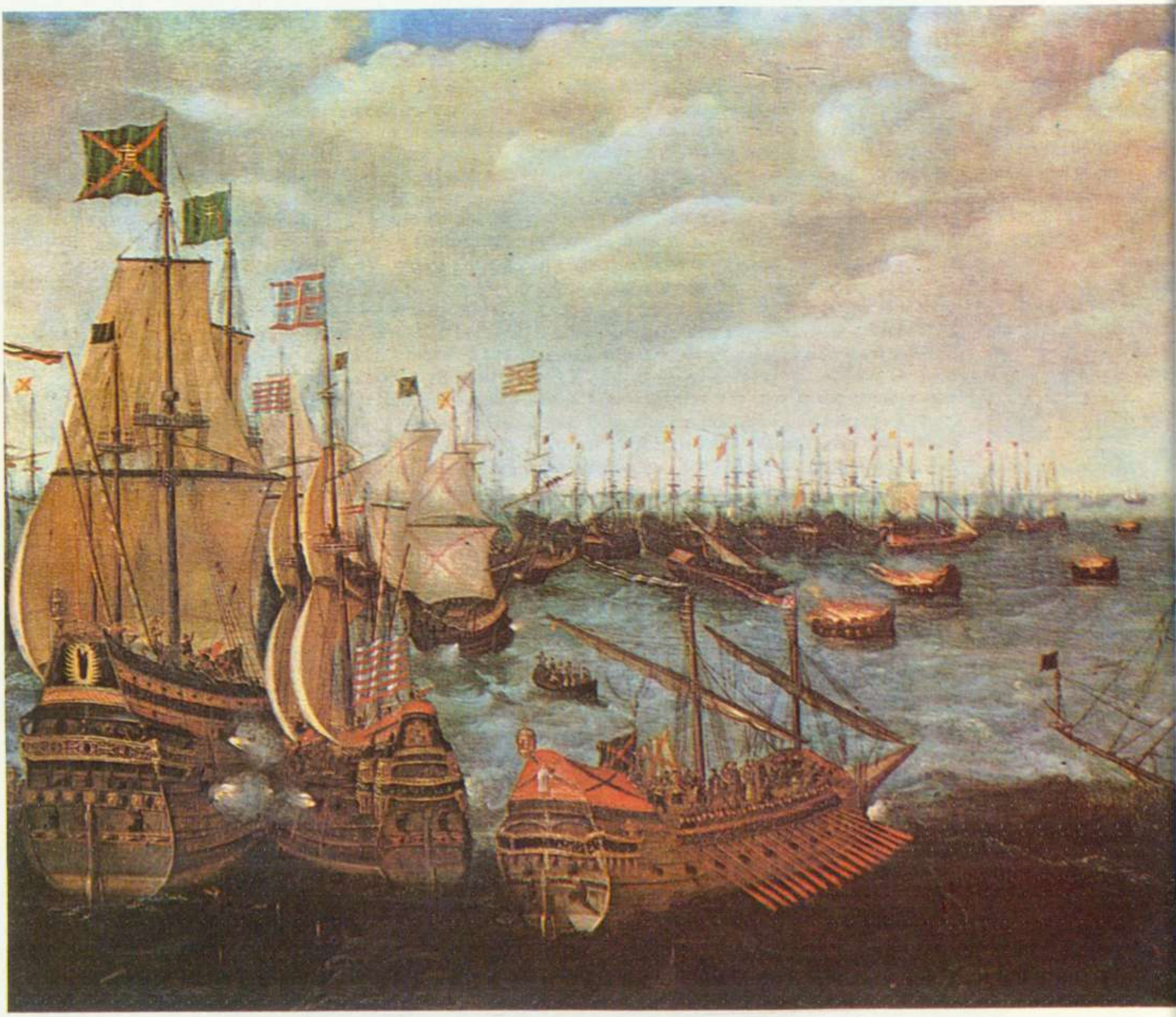
سفن الرحالة الشهير كريستوفر كولمبس وهى بالترتيب : سانتا ماريا ، البنتا ، النينا .. وهى السفن التى قادها فى رحلته الشهيرة إلى الشرق .. والسفينة الأولى غرقت ، والثانية اختفت فى عاصفة هوجاء ، والثالثة توقفت عن العمل

حين اخذ دوى طلقات المدفعية برج الفضاء ، فى بداية الاحتفال ، كان هيكل « مارى روز » يشق سطح الماء ، ويرتفع فوقه شيئاً فشيئاً ، لتظهر « الجثة » الغارقة مرة أخرى بعد ٤٣٧ عاماً .

كانت « مارى روز » سفينة القيادة فى الأسطول البريطانى ، خلال المعارك الفاشية مع الأسطول الفرنسى ، قبالة ميناء « بورتسموث » سنة ١٥٤٥ ، وحين أصيبت فى تلك المعارك إصابة مباشرة ، وهوت الى القاع ، اعتقد الجميع أن هذه السفينة المقاتلة ، التى يبلغ طولها ١٣٠ قدماً والمجهزة ، لأول مرة - آنذاك - بمدافع طويلة المدى ، قد غيبتها اللجة السحيقة الى الأبد ، لكن السنين خيبت الظنون ، فها هى ذى تطفو من جديد ، لتاخذ طريقها الى متحف « بورتسموث » وتحتل مكانها فى جانب من المتحف ، لتحكى سطوراً من تاريخ بعيد ..

إذا كان الخبر قد أدهشكم ، فان فى جعبة وكالات الأنباء ، خبراً أكثر إثارة وأهمية تاريخية ... « بينما كان .. أولين فرنك ، وجون جاسك » وهما من العاملين فى البحث عن الكنوز البحرية يجوبان الأعماق بالقرب من جزر كايكوس وبتركس ، بين البهاما والدومينكان ، استوقفهما شىء على شكل حرف أكس فى القاع ، تبين فيما بعد ، أنه بندقيتان ، وقد أدرك الباحثان بخبرتهما ، أن أياً من مئات السفن الغارقة فى قاع الكاريبى لم تكن تحمل مثل هذا النوع من البنادق ، وبعودة متانية الى الماضى ، اكتشفا ان البندقيتين تعودان الى حطام « البنتا » سفينة « كريستوفر كولمبس » الملاح الرائد الذى بدأ الخطوة الأولى فى ملحمة الكشف الجغرافية ، حين القى مراسيه على شواطىء العالم الجديد ..

كان « كولمبس » قد أبحر فى أغسطس ١٤٩٢ فى أسطول صغير من ثلاث سفن ، « سانتا ماريا ، ونينا ، وبنتا » ويمم غرباً يمخر عباب الأطلسى ، وسط المرض والرعب وعصف الريح حتى استقر فى سان



لوحة رسمها فنان مجهول موجوده فى المتحف البحرى فى بريطانيا للسفن الحربية الاسبانية التى حطمها تماما الاسطول الانجليزى وغاصت إلى القاع !

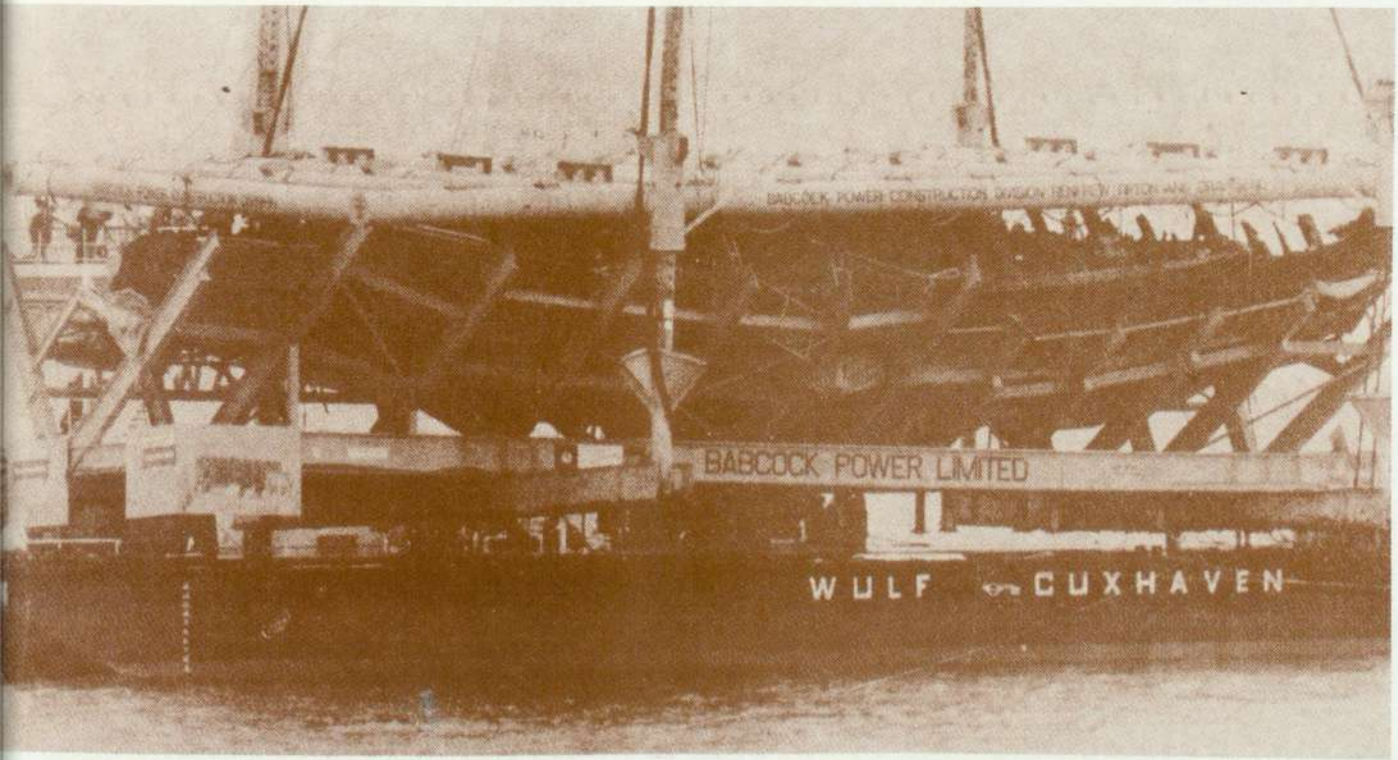
سلفادور على شاطىء البهاما ، فى الساعة الثانية من ظهر ١٢ أكتوبر ١٤٩٢ . وقصته بعد كشفه التاريخى ذائعة ، بعكس سفنه الثلاث ، التى حجبتها حكاية الانتصار ، وبقى مصيرها مجهولا لدى الكثيرين ، ففى حين غرقت « سانتا ماريا » بعيداً عن جزيرة هيسبا نيولا (هايتى والدومينكان) وأوقفت « نينا » عن العمل ، اختفت السفينة « بنتا » عن العيون فجاة ، إثر عاصفة هوجاء ، دهمتها فى مكان ما بالبحر الكاريبى عام ١٥٠٠ ، وظلت فى عالم الغيب ، حتى كشف الستار عنها الباحثان « فريك وجاسك » منذ فترة غير بعيدة ، وفتحا من جديد ، أبواب ذلك المتحف المثير الغارق فى العتمة ، فى أعماق البحار ...



الملاح المحترف « بيتر جيمبل » الذى رهن ممتلكاته من اجل انقاذ سفينة غارقة !

أسرار الكنوز الغارقة

إنه متحف فريد من نوعه حقاً ، ففى حين تنتثر المتاحف الفنية فى كل أرجاء العالم ، لتعرض للعيون اسمى وابدع ما أعطته العبقرية البشرية للخلود ، من نفائس الموهبة والأصالة والجمال ... يبقى هذا المتحف العجيب ، وقفاً على نفر من المنقبين ، ذوى الخبرات المتعددة ، وهم وحدهم قادرون على إزاحة مخلفات السنين المتراكمة فوق عجائبه الكثيرة .. وفى هؤلاء علماء ومؤرخون ، وفيهم قراصنة ومغامرون لقد أصبح الغوص فى الأعماق ، والبحث



السفينة « مارى روز » ترفع راسها مرة اخرى بعد ٤٣٧ عاما من غرقها !



غواص متجه إلى الاعماق للتنقيب فى حطام سفينة غـــارقـــة

عن الكنوز المادية والاثرية ، المدفونة فى الأعمــاق ميدان دراسات وأبحاث ، وهدفاً للكثير من الشركات والدول واصحاب رؤوس الاموال ، وشهد علم الآثار ، ولادة فرع جديد من فروعه العديدة علم « اثريات ما تحت البحار » ، الذى جعل من مهماته ،

تقصى أسرار الكنوز الغارقة وإعادتها للحياة مرة اخرى ، سواء اكانت مدناً ضمها البحر الى مملكته من قرون ، أو سفناً عاثرة ابتلعها الموج ، أو شواطىء منسية هجرتها الاحداث ، وخلفتها فى عالم النسيان ، ثم ظهرت مدراس ومؤسسات وجمعيات علمية ، جعلت ميدانها أعماق البحار ، وانتظم العاملون فيها باتحاد دولى يرمز اليه بـ (Camas) .

بدأ المتصدون لهذه المهمة ، بدراسات طويلة ، لجأوا خلالها الى مؤلفات الجغرافيين القدامى ، لمعرفة المدائن والموانىء العالمية القديمة ، التى اختفى معظمها نتيجة للعوامل الطبيعية ،

وتشكلت فرق للكشف عن مواقع السفن الحربية والتجارية الغارقة ، لتحديد مكانها ، والعمل على انتشالها .

أول وآخر رحلة لأكبر باخرة فى التاريخ

● كان غرق السفينة « تيتانيك » من اكبر مغامرات التطور البحرى المأساوية ..

– أعدت الباخرة تيتانيك فى ساوثمتون فى ١٠ ابريل (نيسان) ١٩١٢ ، بعد أن استغرق بناؤها حوالى ثلاث سنين ، وبلغ وزن قفصها الحديدى ٤٠٫٠٠٠ طن .

– ضاعف مهندسها « كارلايل » أساسها وجعل هيكلها مقسماً إلى ١٦ مقصورة عازلة للمياه مما جعلها غير قابلة للغرق .

– اتجهت صوب « نيويورك » بعد توقفها فى « شيربورغ » وكانت تقل ٢٢٠١ مسافر .

– فجر اليوم الثالث من بداية الرحلة ، ظهرت جبال جليد على طريق الباخرة العملاقة ، وخلال ساعات كان واحد منها قد صدم الباخرة صدمة عنيفة ادت إلى فتح شق بطول ٩٠ متراً فى غاطس السفينة الكبيرة .

– انزلت زوارق الانقاذ فحملت ١٦٠ شخصا ، كما انقذت السفن المجاورة التى هرعت إلى المكان عدداً آخر حتى بلغ عدد الناجين ٧١١ مسافراً هم كل من كتبت له الحياة .

– واختفت فى الساعة الثانية ليلا أكبر باخرة فى العالم ، حين ابتلعها البحر وأغلق عليها غطاءه المحكم إلى اليوم .

وابتكر منقبو الاعماق ، طريقة جديدة للمسح الأثرى تحت الماء ، وهى التصوير الفوتوغرافى لكل التفاصيل ، وتوجيه الارسال التلفزيونى ليتركز على المنطقة الأثرية ، فيما يجلس عالم الآثار فى حجرته على ظهر السفينة ليتتبع المشاهد ويراقب عمليات الفحص والتنقيب .

ولما كانت أرقى الحضارات البشرية وأقدمها ، قد ظهرت على شواطىء المتوسط فقد كان بديهياً أن يصبح قبلة المكتشفين الرئيسية ، وهكذا ففى الشهور الأخيرة من عام ١٩٠٠ ، اخذ البحر المتوسط يفرج عن مكنوناته ، وخرجت الى السطح اول دفعة من التماثيل والآثار ، عكفت بعثة من العلماء اليونان على دراستها وفحصها ،

وكان من بينها آلة لحساب مواقع الاجرام السماوية على مدار السنة ، استخدمتها الحضارة الهلينية ، واعتبرت بعثة « انتيكتيرا » الاستكشافية اول محاولة جادة لاستعادة الآثار من الأعماق ..

وتوالت من يومها كشوف بعثات الدراسة والتنقيب تحت البحار :

– انتشل الغواصون سنة ١٩٠٧ ، تحفاً من المرمر والبرونز من عمق ١٣٠ قدماً ، بالقرب من شاطىء « المهدية » التونسية ، مالبثت أن اصبحت محط انظار السياح فى متحف « باردو » .

وفى عام ١٩٢٥ ، فاز المنقبون بتمثال برونزى طوله ٦ اقدام « لزيوس » الاغريقى ، فكان من نصيب المتحف المركزى بالعاصمة اليونانية .

– فى عام ١٩٥٧ تمكن الايطالى « جيانى روجى » من تحديد مكان سفينة قديمة كانت محملة بكميات كبيرة من أوانى الفخار .

– وكان الكشف الاهم عام ١٩٦٠ ، على يد عالم الآثار « جورج باس » ، حين عثر على سفينة فينيقية ، تعود الى العصر البرونزى ، واخرى بيزنطية تعود الى القرن السابع .

– وفى عام ١٩٦١ ، استعيدت السفينة السويدية « فاسا » بمعظم مدافعها البرونزية بعد ٣٣٣ سنة من غرقها .

– واعلنت الجمعية الجغرافية الأمريكية فى ٣٠ اغسطس ١٩٦٤ عن اكتشاف سفينة محملة بسبائك الفضة والمجوهرات ، كانت قد غرقت عام ١٧١٥ قرب سواحل فلوريدا ، قريباً من قاعدة « كيب كندى » .

وتم فيما بعد الكشف عن السفينة الشهيرة « بونتى » التى غرقت عام ١٧٨٧ ، وشريط المفاجآت التى يخرج بها المنقبون من الاعماق ، حافل بالتفاصيل المثيرة ، وبالحكايات الطريفة المتجددة يوماً بعد يوم

قصة غواص محترف

وفى السادس والعشرين من يوليو « تموز » ١٩٥٦ ، خرجت صحف العالم الكبرى بأنباء التصادم الرهيب بين كبرى السفن التجارية الايطالية « أندريا دوريا » والسفينة السويدية العملاقة « ستوكهولم » وأسفر عن غرق السفينة الأولى ، واستقرارها فى الجرف القاري ، قريباً من المنطقة القطبية على عمق ١٠٠ متر ..

لقد مر ربع قرن على هذا الحادث المدوى ولكن الغواص المحترف « بيتر غيمبل » ما يزال إلى اليوم ، ورغم تجاوزه الثالثة والخمسين يواصل عمله تحت الماء بحيوية زائدة ، ليكشف أسرار السفينة . ويحمل إلى السطح ما بقى من حمولتها الثمينة .

فى البداية ، استأجر « غيمبل » سفينة متوسطة وفريقاً من ٣٢ رجلا ، فيهم مصورون متخصصون ، وغواصون ، وألقى مراسيه فوق حطام السفينة المنكوبة تماما ، وقسم فريقه إلى مجموعات ، تتناوب الهبوط إلى الأعماق ، فى غرفة زجاجية مملوءة بالاكسجين ، تسمح للغواصين بالمكوث تحت الماء ما بين ست وثمانى ساعات ، وقام الغواصون فى المرحلة الاولى بازاحة الطحالب والانقاض ، عن طابق الدرجة الأولى فى السفينة ، وعثروا فيه على حاويتين (تمكنوا من فك اولاهما) وهى تعود لبنك روما ، وعادوا بها إلى السطح ، حيث كان « غيمبل » وزوجته يصوران فيلماً وثائقيا عن العملية ، ومن المقرر أن يتم فتح الحاوية فى نهاية الفيلم امام المشاهدين .

لابد وأن نزاعاً طريفاً سوف ينشب حينذاك بين « بنك روما » صاحب الحاوية ، وأصحاب السفينة ، ومن بقى من ركابها حياً من جانب ، وبين الغواص « غيمبل » من جانب آخر ، ذلك أن قانون البحار الدولى ، يعطى الحق لكل من ينقذ شيئاً من



الملك جورج الثانى ترك لاكبر اولاده «ويلز» كنزا ثمينا يمكنك رؤيته داخل سفينته فى المتحف البحرى الوطنى فى بريطانيا



لوحة للسفن الفرنسية التى غاصت إلى القاع فى المعركة البحرية الشهيرة الت
انتصرت فيها انجلترا بقيادة نيلسون ، وحطمت احلام نابليون فى الامبراطوري

حطام سفينة غارقة بالخمسين بالمئة من قيمته ، فاذا تبين بعد فتح الحاوية انها تحتضن ثروة من الأموال والمجوهرات ، فان من حق « غيمبل » أن يحصل على نصف قيمتها عينا أو قيمة . وحتى ذلك اليوم ما يزال « غيمبل » يواصل وفريقه العمل ، لتخليص الحاوية الثانية ، على عمق مائة متر ، وتحت مياه فى منتهى البرودة ، وحين يسأل « غيمبل » عما إذا كان يفكر فى إنقاذ سفينة أخرى يجيب :

« لست أعتقد ، فلقد رهنت ممتلكاتى لتمويل مشروع انقاذ « أندريا دوريا » وتصوير هذا الفيلم الوثائقي ، ولابد اننى الخاسر الوحيد فى هذا المشروع الذى استغرقنى طوال ربع قرن » .

على أن « غيمبل » ليس هو المغامر الوحيد ، الذى ينفق المال والجهد والوقت ، سعياً وراء كنوز البحار ، فهناك مثله الكثيرون ممن يبحثون عن الثروات الراقدة فى الأعماق على شكل مدافع برونزية ، وسبائك ذهبية ، وتماثيل يونانية لا تقدر بثمن ... لكن السؤال : ما هو مصير هذه السفن العائدة إلى الحياة من جديد ؟! ولأية غاية تسعى بعثات الاستكشاف من وراء عملياتها فى الأعماق ؟!

المتاحف البحرية

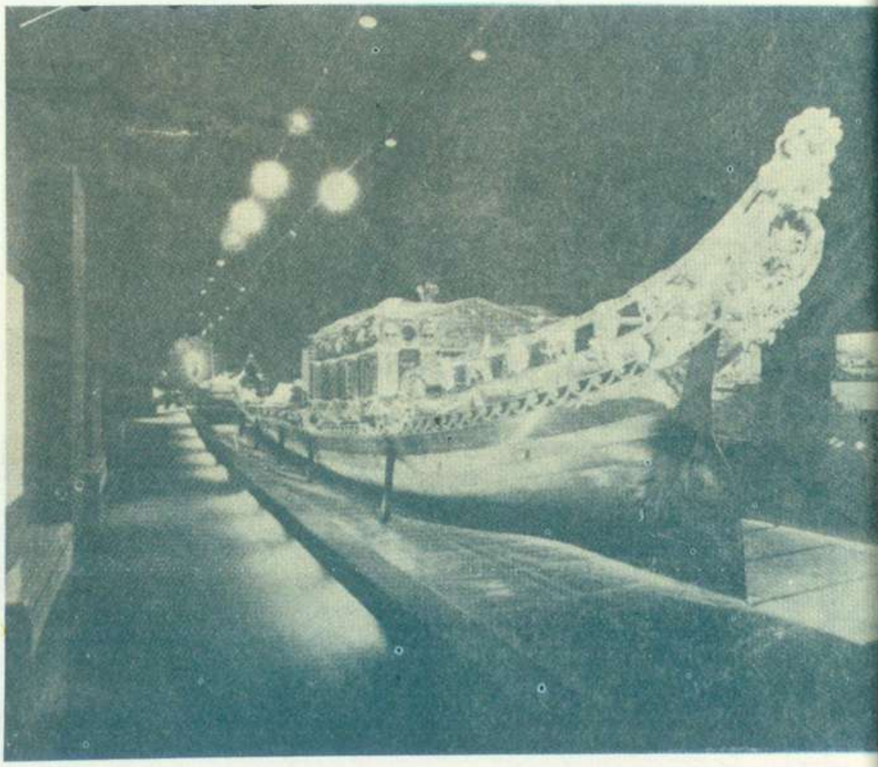
فى العديد من دول العالم متاحف بحرية افردت قاعات فسيحة لهذه السفن القديمة ، فاذا تم نقلها إليها ، التف حولها الأخصائيون ، وخضعت لعمليات صيانة وترميم ، ليصبح فى قدرتها أن تروي أحداث الماضى بكل تفاصيله .

ولو قدر لك أن تزور يوماً المتحف البحرى الوطنى ، أكبر وأجمل مؤسسة من نوعها فى بريطانيا ، والذى يحتل مجموعة ابنية فخمة على ضفة « التايمز » فى الجنوب الشرقى من « لندن » ، ليبهرك المشهد ، وأحسست أنك انتقلت لفورك إلى أعماق البحار ، لتستعرض ما يحفل به من آثار نفينة ، وسفن غارقة .

ففى واحدة من صالات المتحف ثلاثة من أقدم القوارب الخشبية فى أوربا ، انتشلت من نهر « همبر » شمال انجلترا ، وتبين انها تعود إلى العهد البرونزى ، أى حوالى الـ ١٥٠٠ سنة قبل الميلاد ، ولما كانت هشة جداً فقد صنع الأخصائيون نماذج مطابقة لها من الياف الزجاج ، ويبلغ طول كل منها



لوحة معاصرة للرحالة كريستوفر كولمبس الذي بدأ الخطوة الأولى في ملحمة الكشوف الجغرافية



سفينة قديمة من السفن المنتشلة من اعماق البحار ، وهي موجودة بالمتحف البحري الوطني بلندن



سفينة سانتاماريا التي قادها كولمبس اثناء اكتشاف العالم الجديد وغاصت في القاع قرب احدى الجزر

الثروات المدفونة.. في أعماق المحيطات

١٣ متراً ولم تستعمل المسامير فيها مطلقاً ، بل كانت أجزاؤها تشد بالياف من شجر خاص عازل للرطوبة .

وهناك في صالة أخرى ، قارب اكتشف في مستنقعات « كنت » تبين أنه يعود إلى القرن العاشر الميلادي ، كما أن هنالك سفينة أخرى تعود ملكيتها إلى الملك « ريدوالد » المتوفى سنة ٦٢٥ وتضم تحفاً وميداليات ثمينة .

وثمة صالة ثالثة تعرض بالصوت والصورة ، كيفية بناء السفن في القرن التاسع عشر ، وكيفية إبحارها ، وهناك كنز ثمين في سفينة الأمير ويلز . أكبر أولاد الملك جورج الثاني والتي بنيت عام ١٧٣٢ ، لكن أقدم هذه السفن ، في هذه الصالة ، هي التي بنيت للملكة ماري الثانية عام ١٦٨٩ .

وتضم قاعة « نبتون » ما يوصف بانه « أكبر سفينة في جوف زجاجة » وتلك هي السفينة « ديا لاينت » (طولها ٣٢٫٥ م ، وعرضها ١١٫٥ م وبنيت عام ١٩٠٧ ، وهنالك صالات أخرى لكل موضوع من مواضيع البحر : أدوات الملاحة ، الوثائق البحرية ، اللوحات .. وتحتوي مكتبة المتحف ٨٠٫٠٠٠ مجلد أو ٣٠٫٠٠٠ لوحة بحرية .. فليس عجيباً أن يسمى « بيت الكنوز البحرية » وأن يطوف بارجائه كل عام أكثر من مليون ونصف من الزوار ..

● ●

وغواصو الآثار مازالوا يجوبون البحار سعياً وراء صيدهم الغالي لاسترداد ما كانت المياه قد احتفظت به طوال السنين ، وما تزال على قوائمهم أسماء سفن كثيرة مركونة في العباب ، ومناجم آثار عريقة مرشوقة في الأعماق ، وسيكون الوصول إلى مدينة (اس) مدينة الغموض والأسرار ، الغارقة تحت مياه ساحل بريتاني بفرنسا ، أو مدينة « بومبي » تحت المائية التي ابتلعها اليم عام ٣٦٩ ق . م .. سيكون الوصول إليهما حدثاً يعادل القفزة التي حققها رواد الفضاء منذ ١٩٦١ ليبدأوا عصر ريادة الفضاء الكوني .

فهل لي أن أحلم بجمعية علمية عربية ، تنتدب نفسها لمثل هذا العمل المثير ، وتقوم بانتشال آثارنا الغائبة تحت الماء ، لتاخذ مكانها في متاحفنا ، وتكمل السطور الضائعة في سجل حضارتنا المجيدة ؟!

محمد مروان جميل مراد
الكويت

سيمفونية الينابيع والطقوس الأولى

شعر: محيي الدين فارس



غسلتُ الموَانِى
وكحّلتُ عينَ الفناراتِ
لمَمْتُ فى عدسات عيونِى ظلاَلَ الصّوارِى البعيده
وأطلقت فوق البحارِ النوارِس
تسافرُ فِى اللانهاياتِ .. تُبحرُ فوق جبالِ الأطالس
... لعلّكِ فيها
وعطرتُ وجهَ الممرات . علّقتُ فى كل ركن تميمه
وعقّمتُ ثوبَ الليالى وجدّدت ألوانَ حيطانها
وسمّدتُ حقلى
جعلتُ المشاتِلَ ترتَحِلُ الظّلَّ فوقَ المَماشى
لترفُو كُوَى الشمْسِ حين تمدّ أصابيعَها
من ثقوبِ الرياشِ
أناديكِ ... يورقُ بين الجبال الصّدَى
يمد ذراعين جوابتيْن .. تحتضنَان بَعِيدَ المدَى
سمعتُ الطبولَ .. ودندنَةَ الغَابِ ..
والنهرَ .. والباسقاتِ العوالى .
توزع « شتّالها » (١) فى صدورِ الجبال
فأغرقُ فى حلم .. أستريحُ على صدر غيمه
أغيّرُ ذاتى .. أبدّلُ أزياءها
وارش عطورَ النذور ..
فليلي .. كثيرُ الكرامَاتِ .. جمٌّ العَطَايا
أنفضُ عنى غِلاف الزمانِ
.. كثافةَ أرضِ البرَايَا
أحطّ على جُزرٍ كالطلاسمِ .. مالوّثَتْها الخَطَايَا
واسمعُ صوْتَ بحارٍ .. تنادى بحارًا
.. وتوغِلُ بى .. فى جميعِ الزّوَايَا
وحين يغنى النخيلُ مواويلَه فى الظهيره
أصيحُ .. كأنّ كمنجاتِ صوتكِ
.. تورقُ بيْنَ ضلوعِ الجزيرَه
تقوم الظلالُ .. تمدّدُ هامَاتِها .. يشرئبُّ النخِيلُ
ويوشكُ أن يثب الماءُ ..
يمشى على قدمين إليكِ
وحينَ تغيبُ الصّوارى
وتُفْلِتُ من عدَسَات المناظير .. تُفْلِتُ منّا
نحدّقُ تحتَ عيونِ الفناراتِ
تمسَحُ اعينُنَا نائياتِ الجهاتِ
ويُلقى شرائحَ لحن « أبو بْرام » (٢) فوق الهِضَاب :
يعود المسافرُ بعد الغياب
وفى ردَهَاتِ ضريحِ الظلامِ . يموت الصدى
وقد ردّدَتْهُ الدراويشُ عند صلاةِ المغيب

يعود المسافرُ بعد الغياب
وأوغلَ ذاك الصدى فى ضمير الظلام يغطّى البِحَارَا
وهيْمَنَ .. فالليلُ تعويذةٌ فى شفاهِ الصّحارى
واشعلتْ كلَّ المجَامِرِ .. بالطيبِ والصندلِ
وطرّزتْ وجهَ المسافاتِ بالمُخَمَلِ
وتصغى عيونُ الدراويشِ حينَ يغنى الصدى
يعودُ المسافرُ يوماً وأذبح ثَوْراً
أوزّعُ بُنّاً .. وشاياً .. وتمْراً
واسقى الممَرَّاتِ عِطْرَا

• • •

وحيداً .. أحدق فوقَ المحيطاتِ
.. ظِلّى .. يراقب ظِلّى
تململَ جلدُ الطريقِ .. اقْشَعَرّ .. يمرِّرُ خَطْوى
.. ويشرُدُ منى
ويسقط من فجوات الظلام .. رذاذُ المطَر
تلوحُ قلوعُكِ تعْلُو وتَرْسُبُ بيْنَ البحار
وخَلّتْ وحوش الخضَمِّ طبائِعَهَا
.. وأدارَتْ زَعَانِفَهَا ..
تضربُ الموْجَ ...
.. حين يريدُ ابتِلَاعَ قلُوعِكْ
وعادت تقول لِىَ الريحُ كنت لديْها
ودارتُها خلف خلف الأعَالى
مسوّرة بالبنفسج والياسمين
سقوفُ سماواتها من حليبِ الشموس
وساحتُها صنْدَلُ . والممراتُ صرْحٌ مُمرّد
وحدثنى النهرُ عنها فقال:
نسيتُ استدارةَ وجه القمر
اذا نزلت تستحم وراحَتْ تسافرُ فيها
.. عيونُ البشَرْ
تغنىّ .. يبلّ حلوقَ الصحارى الصّدَى
ويكسو ملامحَهَا بالندى
وتخلُدُ فى الليل هوجُ الرياح
فما أرسلَتْ برقَهَا الموعِدَا
تغيبُ فيبحثُ عن قَاعِهِ البحرُ
تبحثُ عن وجهِهَا الريحُ
يرتحِلُ الطِيرُ حين يشمّ باعشاشه
فى الدجنّةِ ريح .. نحاس الثعابين .
يجفل منها

فيومَ ارتحلت انتظرناك فوقَ الموانىء
ينعشُنا « اليودُ » حين يرفُّ على جبهةِ الشمسِ
طيفكِ .. و
حين تحُلُّ ضفائِرَها اللؤلؤيات فوق الروابى
نحط على جزرٍ في الخيال
ونستافُ عطرَ القرنفلِ
نوغل بين ظلالِ الخزامى
لعلك فيها
فقادمةٌ أنت فوق جيادِ الرياح
سأصلح أوتارَ عودى
أشدُّ .. وأُرْخِى .. أريحُ على صدره فى حنان الطفولةِ
.. رَأْسِى
اجرّبُ قوْسِى
وأسمَعُ دقاتِ قلبكِ .. تملأ منىّ جوانِحَ نفسى
فخلف بلاد البعيد
شمَمْتُكِ فى النيلِ .. فى طمْيه
ورغوةِ أمواجِه .. المزبده
وعطرِ النبات .. وأشكاله
وألوان بحّات صوت السواقى
ولحنِ المجاذيف عند الأصيل
تسافرُ للجزرِ النائيه
قصيدة شعرَ بلا قافيه
وحين يموت الكلام
والمح جثته فى حبالِ الظلام
سأبحث عن أحرف ماوعَتهـا الحروف
.. وعن لغةٍ فى قواميسِ نفسى
حقول بكاره
وأعزفُ .. تفهمنى الريح .. تصحو البحار
تغنى العصافيرُ .. تورق فى مقلتىّ البراعم
تمر سحابة
أجسّ عروقَ الربابةْ
فتجرى دموعُ الربابةْ
فيومَ تعودينَ .. تلبسُ أزياءَها الكائناتُ
ويصفرُّ ..
يحمَرُّ فوق النخيلِ الرُّطب
وتسخُو . الضروع .. !!

هوامــــــش

١ـ الشبال بفتح الشين وتشديد الباء هو القاء الفتاة شعرها أثناء الرقص على أكتاف الشبان من ذويها .

٢ـ ابو برام طائر يغنى بصوته الجميل مجسداً هذه الكلمة . فى الطريق .. فى الطريق ويتفاءل به الناس كثيراً .





الأخت الصغرى « درو باريمور » التى أثارت تعليقاتها الظريفة ضحكات رواد السينما ، وذلك أثناء تعاملها مع المخلوق الفضائى !

الاطفال اثناء مغامرتهم لاخفاء المخلوق الفضائى، ويرى « هنرى توماس » الطفل الذى يقوم بدور « اليوت » وهو يضعه فى سلة على دراجته هاربا به من علماء الارض !



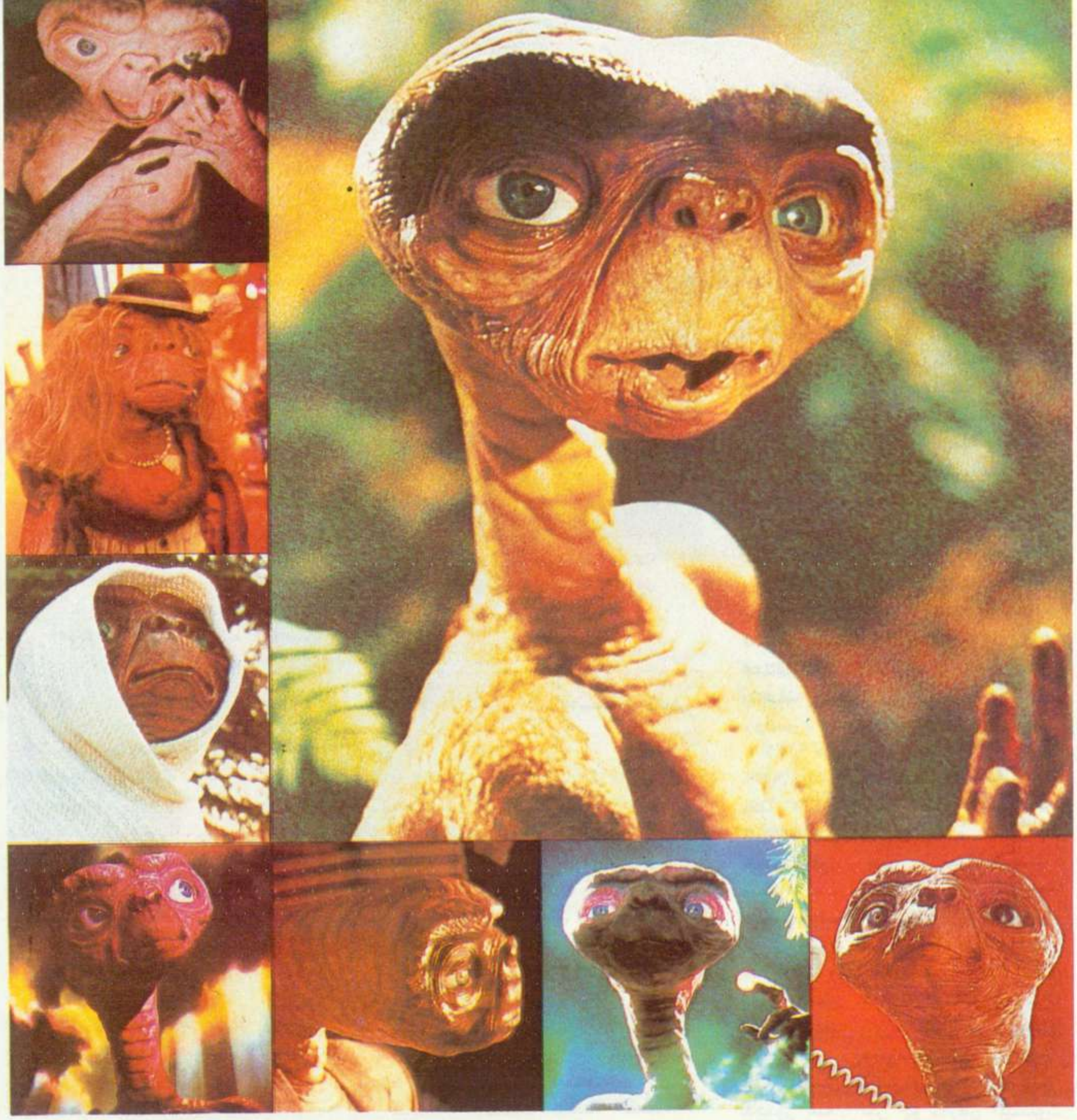
« اليوت » بطل الفيلم الذى يتنبأ له النقاد بان يصبح بطل أدوار الاطفال فى السنوات القادمة بسبب ادائه الرائع فى هذا الفيلم

رسالة لندن : مجدي نصيف

أكبر لغز عرفته السينما العالمية

المخلوق الكوني العجيب

الذي يكسب خمسة ملايين دولار في اليوم



المخلوق الكونى (اى . تى) الذى جاء من كوكب يبعد ثلاثة ملايين سنة ضوئية عن الارض ، ويناسب تكوين جسمه العالم الخارجى الذى جاء منه : فطوله اقل من متر قليلا ، وجلده ناعم يشع نوعا من اشعة الليزر ، وعيناه تشعان بالذكاء والحب !

تحت سماء مرصعة بالنجوم ، هبطت « سفينة فضاء » ، كروية ذات أنوار ساطعة فى رحاب غابة . يفتح باب صغير ، ينزل سلم إلى الأرض ، ويهبط عليه مخلوقات غريبة الشكل ، على رؤوسهم أشكال تشبه القلنسوات ، مكللين بالضباب ، إنهم مخلوقات من عالم اخر .

بحذر شديد أخذوا يفحصون الأرض بآلات وأجهزة علمية ، ثم يجمعون عينات من النباتات والزهور المحيطة بسفينتهم المضيئة ، بحذر وقلق وتوتر ، خوفا من اكتشافهم .

أخذ أحدهم بمنظر الأضواء المتلألئة البادية من خلال الجذوع المرتفعة لأشجار «غابة رد وود» بولاية كاليفورنيا بامريكا ، وبدأ يقطع ببطء متناه إحدى الشجيرات الصغيرة لفحصها ، ثم يواصل المشى عبر الغابة الرطبة الموسقة بفراء النباتات الصغيرة .

فجأة يرى المخلوق الغريب نفسه على طريق عام ممتد ، تتلألأ فيه الأضواء الساطعة ، فيخطو إلى وسط الطريق ، ويقف ليتأمل المدينة النائمة الممتدة أمام بصره ، برهبة شديدة .

كان الهدوء سائداً ، رغم كل هذه الانوار الساطعة .

وفجأة يمزق السكون أصوات شاحنات كبيرة ذات أضواء براقة ، وهى متجهة باتجاهه ، فيفزع المسكين ، ويختبىء خلف أقرب أجمة . تقف الشاحنات فجأة بصوت عال ، وتقف احدى الشاحنات على بعد قليل جداً منه حتى انها تدوس « عيناته » الثمينة بعجلاتها التى لا ترحم . ويندفع من الشاحنات عدد كبير من الناس يحملون البطاريات القوية ، ويتوغلون فى الغابة ، وأصواتهم يتردد صداها بقوة فى سكون الليل .

يهرع بقية أفراد « البعثة الفضائية » إلى سفينتهم من بين الأشجار وهم يرسلون إشارات التحذير لمن لم ينتبه منهم للخطر القادم . وبسرعة خاطفة يدخلون سفينتهم ، ويديرون ماكينتها و «يعلقونها» بالقرب من قمة احدى الشجيرات المرتفعة ـ بطريقة منافية للجاذبية ـ وينتظرون هناك لبعض

الوقت لانقاذ زميلهم المختفى . ولكن سرعان ما يقترب منهم أصحاب الشاحنات ، فلم يكن هناك بد من الفرار نحو السماء بسفينتهم ، باتجاه ... الفضاء الكونى ، ترافقهم عيون زميلهم الذى كان قد وصل لتوه ، فيطلق صرخة اليأس والقنوط : إنه وحيد خائف ، على بعد ثلاثة ملايين سنة ضوئية من ... الوطن ! !

وهكذا تبدأ أحداث فيلم اى . تى .

جنون التقليد

وحتى الآن يسير فيلم « إى . تى » على طريق الشهرة والنجاح مما قد يجعله أعظم فيلم أخرجته صناعة السينما ، وهو ما تمتع به من قبل فيلم « حرب الكواكب » لقد وصل دخل الفيلم الجديد فى الأشهر الخمسة الأول خمسة ملايين دولار يوميا ، منها مليون دولار تذهب إلى جيب منتج الفيلم ومخرجه الشاب الذى مازال فى الثلاثينات من عمره والذى أصبح بالفعل أسطورة هذا العصر : ستيفن سبيلبيرج .

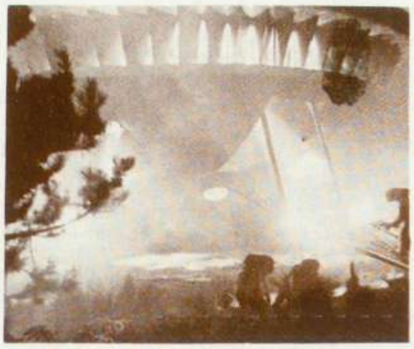
ليس هذا فحسب ، ولكن الجنون أصاب كل الأطفال والشباب فى الغرب فليس هناك أسطوانات وأشرطة كاسيت فحسب تسجل عليها موسيقى الفيلم ، لكن كل دار تعرض الفيلم يوجد بها محل لبيع منتجات متنوعة تحمل اسم الفيلم وبطله « اي . تى » : قمصان ـ فانلات ، ساعات ، صور وعرائس وقبعات ، وعرائس للمخلوق الكونى ، وسلاسل مفاتيح ، وكتب وألعاب كومبيوتر . لقد طلبت خمسون شركة عالمية الترخيص لها بوضع اسم الفيلم على منتجاتها . وبدأت ١٦٠٠ دار عرض امريكية منذ شهر يونيه الماضى (١٩٨٢) فى عرضه فى وقت واحد وقبيل الأعياد فى ٩ ديسمبر بدأ عرضه فى دور العرض الأوربية .

انه جنون فاق جنون طرزان والسوبرمان وأفلام الغرب الامريكى . لقد قال بعض النقاد ان فيلم « اى . تى » قد أعاد كتابة تاريخ السينما ، رغم انه « يظل أقل أصالة من أفلام : « الفك المفترس » ومواجهة قريبة من النوع الثالث ـ وقراصنة السفينة الضائعة ، التى تعتبر دخولها من أعلى الدخول فى السينما العالمية على الاطلاق » .

فما الذى جعل هذا الفيلم يأخذ تلك الشهرة الواسعة ؟

المخلوق الكوني العجيب

الذي يكسب خمسة ملايين دولار في اليوم



سفينة الفضاء التى تخلف منها المخلوق الكونى الغريب على الارض

قصة الفيلم

خطرت فكرة الفيلم على بال مخرجه سبيلبيرج فى المغرب ، حين كان يعمل فى فيلمه « قراصنة السفينة الضائعة » يقول :

ـ « شعرت بالوحدة ، وتمنيت لو كان هناك من أتحدث إليه ، كنت كالطفل تماماً ، وفى الظلام السائد ، بدأت أتصور مخلوقاً عجيباً خط على الأرض أمامى قادماً من كوكب المريخ . وتخيلت نفسى طفلا فى العاشرة من عمره ، وأن المخلوق الكونى يحتاج إلى بقدر ما أحتاج إليه . هكذا تبلورت قصة الحب بين طفل آدمى وبين مخلوق كونى من وراء الفضاء ! » .

فبعد أن انطلقت سفينة الفضاء ، يتخلف « إى . تى » فى الغابة على مقربة من أحد أحياء مدينة لوس انجليس ، ويتجول وحيداً حزيناً لا يدرى ماذا يفعل ، وتقوده قدماه إلى أحد المنازل . هناك يتم التعارف على صبى ذكى فى العاشرة من عمره اسمه اليوت . ولنلاحظ أن اسمه هو بدوره يبدأ بحرف « إى » (الانجليزى) وينتهى بحرف « تى » ، مثل المخلوق الكونى . فى البداية يصيب الفزع اليوت ويهم بالفرار ، ثم يعود مرة أخرى ، ويحدق النظر فى المخلوق الكونى الغريب . كان بدوره فى حاجة الى رفقة بعد طلاق والده من أمه وابتعاده عن المنزل الذى يعيش فيه مع أخيه الأكبر وأخته الصغرى . يقترب اليوت من « إى . تى » ويعرض عليه قطعة شيكولاته يحبها المخلوق الكونى ، فيصطحبه الى غرفة نومه .

وتبدأ علاقة حب بين الطفل « الأرضى » اليوت والمخلوق « الكونى » الذى أطلق عليه اليوت نفسه اسم « إى . تى » أى مخلوق من خارج الأرض .

ويبدو أن هذا هو سر حب الناس عموما والأطفال على وجه الخصوص للفيلم . لقد جاءت أفلام زوار « الكواكب الأخرى » فى فترة الحرب الباردة ، فتصور كتاب القصص الخيالى العلمى أن المخلوقات الكونية تأتى إلى الأرض دائما غازية ، تريد الاستيلاء على كوكبنا الأرضى ، وغزو أراضيه واستعباد سكانه . أما هذا الفيلم فهو قصة الحب والسلام . لقد زهد الناس الحرب والمعارك ، وهم يحلمون الآن بعالم آخر تسوده المحبة !

مشكلة « اى . تى » الأساسية انه يرغب فى العودة إلى وطنه ، واستحالة هذا من الناحية العملية ، فى بداية الأمر ، ورغم العلاقة الوطيدة التى بدأت تربطه باليوت وشقيقته وشقيقه إلا أنه دائماً يكرر : « وطنى » بصوته المنخفض الأجش .

خلال هذه الفترة يبدأ التفاهم بين « اى . تى » واليوت لتربطهما علاقة وثيقة . وكما أخذت جين تعلم طرزان الذى اكتشفته فى الادغال الكلام فتشير إلى نفسها وتقول « جين » ، فيرد عليها : « طرزان » ، أخذ الطفل يشير إلى نفسه قائلا : « اليوت » . وأنت « اى . تى » .

يقرر اليوت حماية « اى . تى » ويتعاون معه شقيقه وشقيقته ، حتى لا يجده الناس الذين يبحثون عنه لدراسته واجراء التجارب عليه ، وربما تشريحه . ويخرج « اى . تى » بمعاونتهم لبناء « رادار » كجهاز اتصال بكوكبه دون أن يلحظه الذين يبحثون عنه . لكن جو الأرض الملوث لا يلائمه ، فيمرض . ويقبض عليه ويوضع فى قفص أشبه بصندوق الأوكسجين فى غرف الانعاش بالمستشفيات ، وفى غرفة أخرى بجانبه يرقد اليوت .

ويقول العلماء أن « اى . تى » قد مات ، لكنه يقفز حيا بعد فترة وجيزة ، ويقفز اليوت من الفرح ، فيرتب مع أصدقائه تهريب « اى . تى » على دراجة ووراءه الأصدقاء على دراجات . ولما يحاصرهم رجال الأمن ترتفع الدراجات فى الهواء ، وتقفز فوق الحواجز ، حتى يصلوا إلى سفينة الفضاء .

وتأتى لحظات الوداع المؤثرة بين الأولاد من ابناء الأرض والمخلوق الكونى الذى أحبوه . انه يشير إلى السماء ويقول : « وطنى » ، ثم يلتفت إلى اليوت ويقول له :



المخرج والمنتج « ستيفين سبيلبيرج » مع المخلوق الكونى

ـ « تعال معى » !

فيرد عليه اليوت بصوت باك :

ـ «ابق معى» !

فيرفع أصبعه الذى يضيىء طرفه إلى عقله ويقول له : إنني أعيش هنا ولن أموت ! ويذهب إلى سفينة الفضاء التى تنطلق إلى الفضاء الخارجى ... إلى « وطـن » « اى . تى » .

لماذا كل هذه الضجة ؟

والذى لاشك فيه ان مستوى الفيلم جيد فى الاخراج والتمثيل والتصوير ، لكنه ليس فى مستوى الدعاية المجنونة التى تتحدث عن فيلم خرافى لم يشهده تاريخ السينما . بل اننى أكاد أقول أن القصة عادية ولن أقول ساذجة ، وهى ليست من الخيال العلمى فى شىء . فمسالة وجود كائنات حية عاقلة فى الكون لم تعد قضية تثير الخيال الانسانى . الجديد فقط هو أن كائناً حياً عاقلا من الفضاء قد جاء فى سلام الى أرضنا ، وتنشأ علاقة بينه وبين طفل « أرضى » !

لقد أراد المخرج أن يكون للفيلم منـذ البداية اسم فيه شىء من الغرابة : السماء في الليل ، أوحياة طفل ، أو «أي . تي وانا» . واخيراً تم الاتفاق على « اى . تى » ثم عنوان فرعى آخر (ومغـــامراته على الأرض) .

وقد تم الاعلان لسبيلبيرج عن فيلمين منذ الصيف الماضى : الأول هو فيلمنـــا « اى . تى » والثانى هو « الشبح الضاج » (قصة روح شريرة تنسب إليها الأصوات المستعصية على التفسير) . استقبل هذا الاعلان بفتور فى الولايات المتحدة فى بداية الأمر ، وكانت الميزانية المخصصة لهما صغيرة بمقاييس هوليود ، كما أن الفيلمين لا يقوم بالتمثيل فيهما أى من نجوم الشباك الكبار ، لكن بعد أسابيع قليلة كان الفيلمان فى قمة الموجة ، ثم قفز « اى . تى » الى قمة القمم حتى حطم الرقم القياسى الذى حققه فيلم « حرب الكواكب » قبل خمس سنوات ، كل هذا رغم أن عمر سبيلبرج الفنى لا يزيد على عشر سنوات .

بدأ تصوير الفيلم في سبتمبر عام ١٩٨١م ، وتم تصوير أكثر لقطاته داخل مدينة لوس أنجليس أو في ضواحيها ، ولم يستغرق تصوير المناظر الداخلية أكثر من ٤٨ يوماً ، وتمت « بمدرسة كلفى الثانوية » حيث صورت مشاهد العلاقة بين « هارسن فورد » مدرس اليوت فى مادة العلوم وطلبته ، وانتهت اللقطات في غرفة خشبية صغيرة بالدور الأرضي .

واستغرقت كل عمليات التصوير ما لا يزيد عن ٦٥ يوماً ، قبل أربعة أيام مما كان مخططاً في جدول الأعمال ، ثم أتى بعد ذلك تصوير واخراج المشاهد المعقدة فى الفيلم والتى تطلبت سلسلة من «المؤثرات» الصوتية والضوئية الخاصة .

وكان هذا العمل بالنسبة لمهندس الانتاج «جيم بزل» بمثابة بطاقة دخول إلى «نادي الشهرة» فى الأفلام الطويلة ، وكان قد التحق بالعمل مع المجموعة بعد ستة أشهر من التحاق أناس معروفين كمهندس الديكور « رالف مكواري » ، ومصمم المشاهد «فيروكس» . وتتلخص مسئولية بزل فى إيجاد المواقع الملائمة للتصوير ، وكذلك الديكور للمشاهد الداخلية والخارجية .

أخذ يبحث عن بيت لاليوت « حيث تجري المشاهد الأساسية ، وأخيراً وجد ضالته فى مدينة «سنلاند الصغيرة» ، بيت مظهره غير عادي ، كل سطوحه مكسوة بالقرميد ، وتلك الجبال الجميلة المتناثرة كأنها خلفية طبيعية له » . وقام بتصميم جناح متكامل في الطابق الأول للمنزل مع شقيقه فى الحديقة الخلفية المتاخمة للتلال وهي أول ما يلجأ إليها «أي . تي» ، أما التلال نفسها فقد أصبحت المساحة الخالية فى غابة «رد وود» التى نزلت فيها سفينة الفضاء ، وانطلقت منها كذلك .

أما سفينة الفضاء ذاتها فقد تم انتاجها فى مصانع « مارتن كاونتى »التى انتجت من قبل سفنا فضائية رأيناها فى فيلمين عن الفضاء !

واختار سبيلبيرج « آلان دافيو » كمدير للتصوير ، وقد وضع نفساً طبيعياً في كل مشهد من المشاهد الخارجية ، وقرر الرجلان أن يكون استخدام أية اضاءة فى الفيلم من مصادرها المنطقية ، سواء أكانت اضاءة مصباح ، أو من خلال نافذة ، أو اضاءة طبيعية . ويقول دافيو بهذا الصدد :

ـ « في المنزل بصورة خاصة ، يجب أن يكون هناك حس طبيعي ، وانت لا تلجأ إلى الأساليب «الفنية» إلا عندما تتعامل مع المركبة الفضائية ، أو اي شيء غريب يخص « أي . تي » نفسه أو جماعته ، لكن ما عدا ذلك يجب أن تصدق أنه منزل حقيقى بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى »

إن الفيلم ذكي ، يحفل بالمغامرات والمطاردات ، والمشاهد التى تعود عليها مشاهدو السينما والتليفزيون الأمريكيين في كل عمل درامي ، ولقد نجح الممثلون الأطفال في منافسة الكبار قبل زملائهم الصغار بأدائهم التمثيلي الرائع .

وانتشر « «أي . تي» المخلوق الكوني ذو اللون العجيب المتجعد البشرة وكأنه بشر بلغ من العمر ألف عام ، أنفه مستدير وعيناه بارزتان كعيني الضفدع ، ووجهه على شكل قلب مثبت على رقبة متعددة الطيات ، وفي صدره جمرة من نار تزداد وميضاً كلما تحركت حواسه وعواطفه بالانفعال ، ولقد نجح سبيلبيرج بعد عدة تجارب كلفته ٧٠٠ ألف دولار وبعد دراسة العديد من الرسومات أن يقوم بتقديم هذا « المخلوق الكوني » ، الذي يتحرك فى السينما الكترونياً وأن يقوم بمئة وخمسين حركة ، عن طريق جهاز لاسلكي .

مجدي نصيف

الطريق الصحيح

أمام فناني البحرين!

بقلم: محمد علي عبدالله

لوحة من اعمال الفنان راشد العريفى الذى قال ان علاقته بحيه المزخرف بالجص كانت علاقة غامضة !





ادى اكتشاف «دلمون» إلى التاثير فى الحركة التشكيلية فى البحرين ،ولكن بعض الفنانين اندفعوا نحو الاكتشاف الجديد ونسوا الانسان الذى صنع هذه الحضـــــارة !

استطاع الفنان البحرينى أن يذوب فى الحضارة الاسلامية ، ويترك بصمات شخصية واضحة دالة عليه .. وقد يتساءل البعض عن سبب هذا الذوبان المفاجىء لثقافة وحضارة الانسان فى جسد الحضارة الاســــلامية ، وأرى أن **الملاحظـــة التى وضـــعها المستشرق (أوليج** جربار) الأستاذ فى تاريخ الفن الاسلامى فى جامعة هارفارد ، ملاحظة شافية حيث يقول «إن الظاهرة الاسلامية فى الحضارة تدعو الى التساؤل والحيــرة ، فان الاســـلام **استطاع أن يهضم كل الجنسيات والديانات** والثقافات ، وينتج حضارة اسلامية خالصة بدون أن يقوم بأى ظاهرة تدميرية للثقافات الأخرى» .

إن غالبية الفنانين التشــكيليين فى البحرين لهم ملاحظات على الفنون التقليدية المحلية ، ولكن لا احد منهم تعمق لأكثرمن تلك الملاحظـــات ، فقد تصوروا أن تلك الفنون التقليدية ليست إلا مجرد شكل من اشكال التعبير التى انتهت الحاجة اليه بفعل العصر ، وأن الفن التقليدى قام وتكون لأسباب ضرورية وحاجات يومية محضة ، فالحاجة اليه اليوم منتفية ولذا فنبذه وطيه من قبل الفنان أمر عادى لابد منه ، فالثقافة العالمية (الغربية على وجه الخصوص) هى الأقوى اليوم ، ولذا لابأس من إمتطاء الثقافة الغربية ،بدعوى أنهاتحمل فى طياتها سمات انسانية يمكن التعبير من خلالها أكثر من المحلية التقليدية !

إن هذه النظرة الساذجة ما كان للفنان أن يتبناها ، فليست الحاجة هى التى تدفعنا الى الرسم والنحت اليوم ، وإنما الضرورة الحضارية الملحة أو تشابه كثير من التنظيمات البيولوجية التى تحاول المحافظة على نوعها من الاندثار والانقراض فما يقوم به النقاشون والمزخرفون فى العمارة الاسلامية فى البحرين اليوم ، هو الفن الذى حفظ للانسان فى كل الخليج انتماءه الحضارى الذى كان دائماً فى موقع التاثير فى المدنيات الأخرى ، وهذا الفن لم يأت نتيجة صدفة ، وإنما جاء نتيجة لتطور تاريخى يمتد الى أكثر من أربعة عشر قرناً ، أو منذ العصر الاسلامى .

وإنه لأمر يدعو الى الدهشة والتساؤل أن يدير بعض فنانى البحرين ظهورهم لهذا التراث بدعاوى وتبريرات كثيرة أجدها تحتاج الى كثير من المنطق لقبولها ، فمثلا يقول الفنان عبد الكريم العريض فى تجربته من كتاب «رواد الحركة التشكيلية فى البحرين» : «... المجتمع يطالبه بالمحافظة على تراثه وتطويره فى نطاق ثقافته وتقاليده ، لكن هذا الأسلوب لا يرضى الفنان الأصيل المبدع» .. وهو بهذا الكلام يبرر الاتجاه التشكيلى الحديث فى البحرين ، ولا يعطى الكفاية من وقته لدراسة هذا التراث العريق ، إما لعدم الثقة بهذا التراث أو للعجز عن فهم مكنوناته .

وقد ظهر نفس الاتجاه من خلال دارس للفن الشعبى هو الفنان راشد العريفى ، حيث قال عن تجربته فى نفس الكتاب : «أجد فريقنا فريق (حي) البنائين مزخرف بالجص (الجبس) ، وكانت زخارفهم لا تخلو من جمال ، وكان ذلك يشد انتباهى ويسترعى اهتمامى ، بل أكثر من ذلك كنت أشعر أن له علاقة بى ولكنها علاقة غامضة لم أجد وسيلة للتعبير بها عن اهتمامى بهذه المرئيات سوى أن أحاكيها فى رسومى وأتأثر بها» .

والواضح أن العجز عن فهم تلك التجربة أدى الى إهمال تاريخ فن بأكمله ، حافل بتجربة غنية ثرية ، حافظ الفنان فيها على أسلوب تعبيره ، واستطاع أن يجتاز حدود مكانه ويؤثر فى كل المجتمعات التى اتصل بها بفعل اعتماد أهل البحرين منذ فجر التاريخ على حرفة المواصلات البحرية والتجارة ، ولعل تأثير ذلك على تلك المدنيات لدليل قاطع على الثقة المطلقة للفنان بما يحمل من تراث ، والايمان المطلق بأن هذا الفن يمثله روحاً وكياناً .. ولذا فلا داعى أن تكون نظرتنا دائماً موجهة الى الخارج .. وعلينا أن ننظر دائماً لأنفسنا !

إن الثراء الفنى والروحى ينبع من مصدرين : مصدر فكرى ومصدر مكانى .. المصدر الفكرى هو العقيدة الاسلامية التى فتحت فى وجدان الانسان فى البحرين آفاقاً عظيمة ما كان له أن يصلها بدون التمسك بهذه العقيدة ، فهى التى شكلت فلسفته ورؤيته الى الحياة .. والمصدر الثانى هو أرض البحرين ، أو أرض الخلود كما أطلق عليه انسان ما قبل الميلاد عندما كانت جزيرة عذراء جميلة تلهب الخيال بجمالها ، وتعطى لانسانها القالب الفنى الذى ارتقى به وتطور .

ولهذا فاننى لا أتفق مع اراء بعض الفنانين الذين تنكروا للنخيل رمز الوفاء والعذرية والحنان ، فهـو غـذاء الانســان وسـقف بيته وخامة سفينته ، وبهجة أفراحه وزينة مناسباته المختلفة .

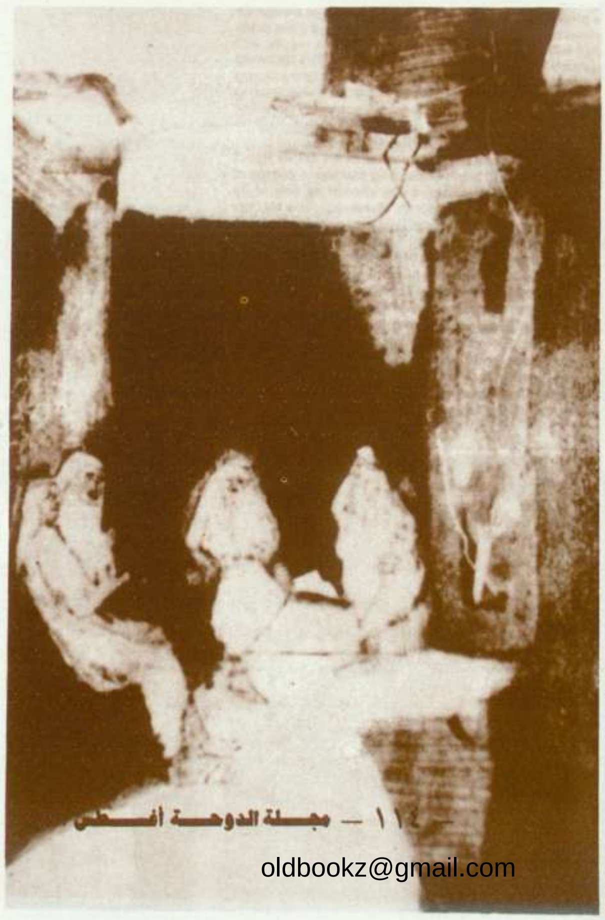
إننا اليوم نلاحظ أن النخيل تموت عطشاً ، ثم تقلع ، لتقف مكانها وحوش خرسانية ، ترمق الانسان بالوحشة والوحدة والسجن .. ونلاحظ أن الفكر عند الفنان العربى المعاصر أصبح مصدره (الثقافة الغربية) بكل ما يستجد فيها من مذاهب ومدارس فلسفية ، بينما تناسينا تراثنا العظيم .. فان الفنان أيضاً تغير شكله ، وتغير فكره لأن الوسط الاعلامى يجلب له البعيد الغريب ، والقريب لا يهم **لأنه قريب .. فما نلاحظه اليوم لدى بعض الفنانين التشكيليين فى البحرين ليس إلا صورة صادقة طبق الأصل لهذا الاتجاه الجديد ، البعيد عن قلوبنا ونفوسنا ، والغريب عن مجتمعاتنا التى انتجت فنوناً وحضارة أدهشت العـــالم كله ! .**

الطريق الصحيح
أمام فناني البحرين !



راشد العريفي .. لماذا لا يدعو للثقة بالتراث وفهم مكنوناته ، بدلا من الدعوة لنبذ التراث واهماله ؟!

لوحة للفنان عبد الكريم العريض الــــذى لا يوافق على الحفــــاظ على التراث وتطويره فى نطاق ثقافة المجتمع وتقاليــده !



وقد وجدنا ضمن هذه الموجة الغالبة الفنان الخليجى يعيش تجربة التناقضات . التناقض بين التقاليد (أو الفكر الاسلامى) وبين هذه الموجة (الثقافة الغربية) التى تحتم عليه أن يبدأ كما بدأ الغرب ، وهكذا أصبح الفنان حائراً بين طريقين : هل يهتم بجذور مجتمعه أم يأخذ اللوحة بصورتها التى انتقلت الينا من الغرب ؟ .. وبالطبع كانت الغلبة للثقافة الغربية ، وقد كتب الفنان راشد العريفى تجربته فقال «أخذ والدى يشجعنى على رسم أشياء لا روح فيها ـ بعد أن اكتشف والده هذه الموهبة عنده ـ ولا ظل لها أحياناً أخرى وكنت أشعر أن سبب نهيه لي من رسم الأشياء ذات الأرواح نابع من معتقدات دينية أهمها خوف الوثنية» ..

ومن ذلك نرى كيف صعب على هذا الفنان أن يتمثل تراثه وأن يفهم تاريخه الفنى ، فتوجه الى منابع أقل صعوبة وأيسر هضماً من تلك التى بدأ طريقه بها ، رغم أن الفن فى الغرب أخذ مشواراً طويلا من حيث مرور التجربة فى فكر المحللين والناقدين ، فقراءة كتابة هؤلاء تيسر الطريق لفهم طريقتهم فى فن التشكيل ، وهذا ما يجعل اتخاذ أسلوبهم أيسر بكثير .. وفى اعتقادى أنه الى أن يتم تحليل وتفسير ونقد التراث الفنى عندنا سيظل فنانونا معتمدين على الغرب فى فهم الفن التشكيلى والسير على دربه !

وهناك مصادر أخرى غير التراث الغربى تواجدت على الساحة التشكيلية فى البحرين ، ألا وهى ظهور آثار لعصر ما قبل الميلاد ، فدلمون هى البحرين ، وظهور أبحاث واهتمامات كبيرة فى الوسط الأثرى ، جذب اهتمام بعض فنانى البحرين ، فوجدنا منهم من شارك الحدث بالكتابة مثل عبد الكريم العريض حيث يقول «كنت أتساءل هل المطلوب هو نقل الشكل المتحفى كما نراه ، أم نعيد صياغته بتقنية معاصرة ترتبط ومفاهيمنا الحديثة ، ومنطق الحضارة التى نعيشها» .. ومثل الفنان راشد العريفى الذى قام باستخدام تلك المكتشفات بعد دراستها فى أعماله وقال عنها : «عن طريق هذه الدراسة توصلت الى استخلاص ملامح المدرسة الدلمونية كفن محلى وتراث انسانى من الممكن جداً قراءته قراءة معاصرة» ..

ومن هذا المنطلق انتج الفنان راشد العريفى بعض الأعمال .. ولأول مرة يبرز تراث البحرين لما قبل الميلاد الى الساحة التشكيلية .. ويتشجع الفنان أكثر فى التعمق فى هذا الاتجاه بعد حصوله على الجائزة الأولى فى المعرض الأول عام ١٩٧٢ عن لوحة دلمون ، فينتج بعد ذلك مجموعة من اللوحات تحمل أسماء مثل : جلجامش ، تمثال رأس الثور ، الطاووس الدلمونى ..

وكل هذا عظيم ، لولا أن الفن أسمى من أن يكــون وسـيلة لابراز الآثــــار وأسمى من أن ينحصر فى حدود الأرض ، ولولا رغبتنا فى أن يكون فننا عالمياً ، إنسانياً من خلال الحس ، كما يقول محمد قطب فى كتابه «منهج الفن الاسلامي» : (هو محاولة البشر لتصوير الايقاع الذى يتلقونه فى حسهم من حقائق الوجود) ، والوجود شيء لا يملك كثافة الأرض ، بل هو شيء معنوى روحى وليس مادياً وهو العامل المشترك بين الانسانية كلها ، وبــه نثير اهتمام بعضنا البعض ، وكلما كان الفن أكثر انسانية ، كلما كان أقرب الى العالمية ، وكلما كان الفن مرتبطاً بأرض الانسان أكثر من الانسان نفسه ، فقد الكثير من عالميته وانسانيته ، فنحن الذين نصنع تاريخ الأرض وحضارتها ، ونضفى عليها الاسم الذى نرغب . فالأرض أو الرقعة الجغرافية التى يعيش عليها الانسان لم تكن ـ وحدها ـ العامل الرئيسى فى تشكيل الفن ، وإنما الفكر والعقيدة التى حملها الانسان هى الأقوى والأبقى !

وخلاصــة القول أن اتباع الغــرب فى مدارسه الفنية وتقليدها بالحرف الواحد ، والانحصار داخل اطار الآثار الجغرافية لن يعطينا ذلك النبض الحي الذى نثير به دهشـــة العالم واعجابه ، ولكن الثقافة الاسلاميـة والفـن الاسـلامي الذى بـدأ اشعاعه من البحريـن لمنطقـة الخليـج والمناطق الأخرى هو طريقنا الواضح إذا أراد فنانو البحرين أن يجدوا الطريـق الصحيح ..

محمد علي عبد الله

قف

هل تعلم

عبد العزيز
السيد المصري

ماذا نقصد بحاجز الصوت؟

ألم تسمع مرة صوتا عاليا يشبه الانفجار عندما تمرق طائرة فى أعماق الفضاء؟ إن هذا الصوت تحدثه الطائرة عندما تخترق حاجز الصوت. فما حاجز الصوت؟ ولماذا تحدث الطائرة هذا الصوت عندما تخترقه؟.

الصوت كما تعلم ينتقل بسرعة معينة تختلف باختلاف الارتفاع عن مستوى سطح البحر، فسرعته على مستوى سطح البحر ٧٦٠ ميلا فى الساعة وأما سرعته على ارتفاع ٣٦ ألف قدم فهى ٦٦٠ ميلا فى الساعة.

وعندما تطير طائرة بسرعة قريبة من سرعة الصوت فانها تتحمل نوعا من الضغط الشديد ولكنها حين تطير بالسرعة العادية ترسل أجزاؤها الامامية موجة ضغط تنطلق امامها بسرعة الصوت، وتنتج موجة الضغط هذه عن تجمع جزئيات الهواء عندما تتقدم الطائرة، وتتحرك كما قلنا بسرعة أعظم من سرعة الطائرة نفسها وهى تطير بسرعتها العادية ونتيجة لذلك ينزلق الهواء فوق سطح جناحى الطائرة بخفة ونعومة.

أما إذا طارت طائرة بسرعة الصوت فان موجة الضغط لن تتكون، ولن تنطلق امام الطائرة بل ستتجمع أمام الجناحين (ما دامت الطائرة وموجة الضغط تمضيان بسرعة واحدة هى سرعة الصوت).

وما يجرى هو حدوث صدام مع موجة الضغط المتجمعة أمام الجناحين ينتج عنه هذه الفرقعة الهائلة. إن تعبير «حاجز الصوت» قد ظهر قبل أن تتمكن الطائرة من الطيران بسرعة الصوت.. وقد كان المعتقد حينذاك أن للصوت حاجزا.. ولكن الواقع أن سرعة الصوت ليست حاجزا مطلقا، وأن كلمة «حاجز الصوت» حين تستعمل الآن يقصد بها الضغوط التى تتحملها الطائرة عندما تنطلق بسرعة الصوت.. وقد تغلب مهندسو ومصممو الطائرات الحديثة على مشكلات الضغوط هذه.. ولم يبق من التصور القديم إلا «بووم» ذلك الصوت الذى تفرقعه موجة الصدمة عندما تطير طائرة باسرع من الصوت.

كيف عرف الإنسان الزجاج؟

ربما يسبق إلى الظن أن صناعة الزجاج نوع من المعجزات الكيميائية أو أنه يصنع من خليط كيميائى نادر وبطريقة بالغة التعقيد.. والواقع أن الزجاج يصنع بعملية بسيطة جدا وبمواد مألوفة.. تدهش إذا عرفت أن ٩٥٪ من المواد الخام الموجودة فى الأرض يمكن استعمالها فى صنع الزجاج، ولكن أهم المواد المستعملة فى صناعته هى: الرمل والصودا والحجر الجيرى والبوراكس أو لزاق الذهب، وحامض البوريك وأكسيد المغنيسيوم وأكسيد الرصاص.

كانت الطبيعة نفسها أول صانع للزجاج، حدث ذلك منذ ٤٥٠ مليون سنة حين صهرت الصخر فى مركز الأرض ثم دفعت به إلى السطح مخترقا القشرة الأرضية على صورة براكين تقذف بالحمم وعندما خمدت تلك الحمم البركانية الملتهبة التى تحتوى على «السيليكا» الرمل كونت نوعا من الزجاج له صلابة الصخر ويسمى هذا الزجاج السبج أو الحجر الزجاجى الأسود.

أما الانسان فقد اهتدى الى صناعة الزجاج منذ أقدم العصور، فقد عرف المصريون منذ أكثر من خمسة آلاف سنة كيف يصنعون نوعا من الزجاج الملون كسوا به الحجارة والخزف وكانت آنية العطر والدهون الأنيقة المصنوعة من الزجاج تستعملها سيدات مصر منذ حوالى ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة.

وفى عهد الامبراطورية الرومانية (من القرن الأول ق. م. الى القرن الخامس الميلادى) ازدهرت صناعة الزجاج وارتقت وبلغت درجة رفيعة من الاتقان والجمال وتعلم الانسان عملية نفخ الزجاج وأصبح قادرا على تصميم مئات الأشكال والأحجام من الآنية والأدوات الزجاجية.

وطبيعى أن يبتكر إنسان العصر الحديث طرقا جديدة متطورة للرقى بصناعة الزجاج ولكن العملية الأساسية مازالت هى هى: يؤتى بالمواد الخام إلى المصنع، وتحفظ فى مخازن أو صوامع ضخمة.. وتقدر نسب المواد الخام بعناية ثم تخلط فى عجنة ثم يضاف الزجاج المكسر إلى الخليط ليساعد على سرعة الانصهار ثم يدفع الخليط آليا إلى داخل فرن الصهر، وبعدها يسيل الزجاج المصهور إلى خارج الفرن وتمضى بعد ذلك عمليات صنع الزجاج فى خطواتها أو مراحلها المتنوعة: النفخ والكبس واللف والصب ثم الرسم.. وهى عمليات تتنوع وتختلف باختلاف نوع الزجاج المراد صنعه.

ما أضخم ثورات بركانى فى التاريخ؟



طبيعى أن يكون السؤال محصورا فى التاريخ المكتوب.. ففى عصور ما قبل التاريخ تلك التى كانت الأرض لا تزال تتشكل فيها حدثت انفجارات وزلازل فوق كل تصور.. وأضخم ثوران بركانى يذكره التاريخ المكتوب حدث فى ١٨٨٣ فى جزيرة «كراكاتوا» البركانية فى جمهورية اندونيسيا وأفظع جزء من هذا الانفجار البركانى حدث فى صباح السابع والعشرين من أغسطس من تلك السنة.

لنلق نظرة على آثار هذا الانفجار المحير.. إن جميع الأجزاء الشمالية والمنخفضة من الجزيرة نفسها قد طوح بها الانفجار بعيدا فى الفضاء، كانت مساحة الجزيرة قبل الانفجار حوالى ١٨ ميلا مربعا وترتفع عن سطح البحر من ٣٠٠ إلى ١٤٠٠ قدم وبعد الانفجار حدثت حفرة فى قاع المحيط يبلغ عمقها ١٠٠٠ قدم تحت سطح البحر.. وارتفعت أعمدة الصخور والغبار والتراب ١٧ ميلا فى الهواء وعندما بدأت تنتشر هذه المواد البركانية حولت ساعة الظهيرة ظلاما حالكا فى أماكن تبعد ١٥٠ ميلا.

أما الصوت الحقيقى للانفجارات البركانية فقد سمع من مسافات بعيدة.. هى فى الواقع أبعد مسافة سافرت فيها أصوات أية انفجارات بركانية فقد سمعت على بعد ٣٠٠٠ ميل.

وربما يكون أخطر الأضرار التى أحدثها هذا الانفجار المروع تلك التى نتجت عن أمواج المحيط، فقد وصلت كبرى هذه الموجات إلى ارتفاع ٥٠ قدما ودمرت جميع القرى وقتلت ٣٦٠٠٠ إنسان وقد سافرت هذه الأمواج إلى مسافات بعيدة وأغلب الظن أنها وصلت إلى القنال الانجليزى على بعد ١١٠٠٠ ميل.

وفى سنة ١٩٢٧ نشط بركان كراكاتوا فجاة. ولكن لحسن الحظ لم يتسبب عنه انفجار بركانى كبير.

أول مجموعة قصصية لكاتب سعودي يلفت النظر

أبعاد الموت على الماء

بقلم: حسين حمودة

تبدأ مجموعة عبد العزيز المشرى (موت على الماء) * من اهدائها إلى الغرباء الذين تنتحر خطواتهم على سواحل الصمت ، وتنتهى بشجرة الحماطة التى تقف شامخة ترقب كل البيوت .. وقد تحولت أوراقها إلى عيون صفراء ، قوية وكبيرة .

والمجموعة ـ بهذا المعنى ـ تبدأ بالاغتراب والانتحار اللذين يقابلان بالصمت . وتنتهى بالعين الشاهدة على الأمكنة والأزمنة ، وقد استمدت قدراً من القسوة والقوة ، وأخذت شيئاً من الاتساع .

وبين البدء والمنتهى تتشكل وتتنامى أبعاد عالم هذه المجموعة ، كما تتشكل وتتنامى عناصر تجربتها الفنية .

عالم المجموعة القصصية الأولى للمشرى يتوزع بين اتجاهات رئيسية أربعة : أولها ـ يرصد هموم الانسان المثقف المغترب فى واقع ضاغط . وثانيها ـ يتناول تفاصيل خارجية من منظور طفولى يلوذ بالبراءة ويتغلف بالدهشة . وثالثها ـ يقترن بذات تغنى جزئيات الواقع الخارجى غناء شعرياً . ورابعها ـ يغادر الذات المفردة ـ مغادرة نهائية تقريباً ـ إلى العالم الخارجى الرحب ، مشيراً إلى تفاصيل ، ومستكشفاً لتفاصيل أخرى ، ومستفيداً ـ إلى حد بعيد ـ مما تتيحه هذه التفاصيل أو تلك من ثراء وتنوع فنيين .



عبد العزيز مشري



غلاف المجموعة القصصية

أولا : اغتراب المثقف :

فى الاتجاه الأول الذى يرصد هموم المثقف ، يتناول المشرى بعض مشاكل المثقف السعودى (والعربى ، هل هنـــاك تبـاين حقيقى بين مشكلاتهما ؟ ! * إزاء الواقع الذى يحياه ، ورغبته المحمومة ـ احياناً ـ فى نفى اغترابه . ويتمثل هذا الاتجاه فى ثلاث قصص : (الفارس قديماً دخل المدينة) و (الدمعة والحظ الهارب) و (انكسارات فى القلب الأخضر) .

فى القصة الأولى يصوغ الكاتب ـ كموازاة للذات المغتربة ـ فارساً خاصاً ، يحمل هذا الفارس من (دون كيخوته) احساسه بالسراب وحلمه الكامن لخوض حرب ما لاحداث تغيير ما وكما كان (دون كيخوته) يبارز طواحين الهواء ، فان فارس المشرى (يطارد الأصداء) وعناوين الحروب ، ثم يخرج مجدوع الأنف .

ولكن هذا التشابه بين (دون كيخوته) ـ الإسبانى ـ وبين فارس المشرى ـ العربى ـ سرعان ما ينتهى ، أو ينتفى ، من خلال التفاصيل العربية التى يصوغ بها المشرى مأساة فارسه . فهذا الفارس (يدخل المدينة متقلداً صارمه الخشبى) بعد أن (طال به الصيام) حيث يجد (رائحة الجفاف) وحيث يعثر على (قطرة من العطش طافية) وحيث تقذف به هذه القطرة الى (شفائف النار) .

وفى (الدمعة والحظ الهارب) معالجة أخرى للذات المغتربة ، حيث نجد - عند راوى القصة - شكلا من أشكال التقوقع على النفس

وحيث نواجه احساساً حاداً بالانفصال عن الآخرين (قال فى نفسه وهو يبتسم فى هزء هارب وخفيف ، لو أن أحداً يرقبنى !) .

التقوقع والانفصال معاً يشكلان وحشة لا يزيلها صديق الراوى ، الذى هو (قادم من سفر قصير) ، كما لا يلغيها الاهتمام المشترك بينهما بالعالم الذى تستكشفه وتفتح آفاقه الكتب . إذ تظل تحاصرهما - معاً - قيعان المدن ، والعطش ، وروائح الاشمئزاز ، والرياح الثقيلة الغامقة التى تعنكب داخل الجوانح .

وفى محاولة لنفى هذا الاحساس بالتوحش يكون الغناء ، ولكن هذا الغناء - بدوره - يظل تعبيراً جديداً عن زاوية أخرى جديدة من زوايا التوحش :

(إنك فى قاع المدينة

إنك لم تعثر على خطاك) .

إن هذا الغناء - المتكرر بنفس الصيغة الثابتة عبر أجزاء القصة - يصبح خيطاً ملتفاً يكمل دائرتها العبثية . تأتى مبررات الاحساس بهذه العبثية من أن اليوم هو (الحجرة الدائرية الحارة) ومن أن (هذا الجسم المكفن الأبيض .. إن هو إلا الغد .. العمر) .

هذا الاحساس بعبثية العالم قرين الاغتراب ، من ناحية ، ووليد عدم الادراك (لم يكن يدرى .. ونام) من ناحية أخرى . وعندما يحل «الوعي» محل «عدم الادراك» - فى تجربة المشرى ، فيما بعد - حينئذ ينتفى الاحساس العبثى بالعالم ، كما ينتفى الاغتراب إزاءه .

● ● ●

أما (إنكسارات فى القلب الأخضر) فهى الطرف الأخير من ثالوث الاغتراب فى هذه المجموعة . وهى قصة أشبه بنشيد داخلى متصل ، يبدأ من حيث يصبح المتكلم مخاطباً (لم تقدر على المكوث داخل انقباعك الحالك) والقصة ، بهذا الخروج عن الذات المتكلمة وجعلها فى موقع المخاطب ، تبدأ من لحظة محاولة تجاوز الاغتراب ، أو - بالأحرى - العجز عن الاستمرار فى الاحساس بالاغتراب .

والقصة - من ناحية أخرى - تنتهى بنشدان الارتواء والبراءة

(يا وهج الماء

يا لون الماء

يا براءة الماء)

لكن مازال - هنا - رغم محاولة التجاوز بعض التوجس من الآخرين (لكنك الآن تدس يدك فى جيبك ، تخاف أن بها عيوناً)، ومازال الاحساس بالحصار القائم فى عالم خانق (أنفاسك تضيق) . ولكن «بداية التجاوز» هذه تمنح الخطوة الأولى الصحيحة على الطريق الطويل الصحيح (تفرد يديك .. تنفض جيوبك وتلقى بفراغاتها فى البحر) .

● ● ●

تجربة الاغتراب فى هذه القصص الثلاث تجربة ضيقة حجماً وأبعاداً ، رغم أوجاعها التى تبدو لانهائية . إنها تطرح مغترباً غير محدد المعالم (رغم تفاصيل الوصف التى حاولت أن تستمد من مناخ عربى) يجابه - أو يعانى - واقعاً عدائياً غير محدد المعالم أيضاً . هو مجرد مغترب يعانى مجرد واقع عدائى ، وكلا الاثنين متعال على الزمان والمكان الخاصين أو المتعينين .

وربما ، كنوع من التأكيد على هذه المعاناة الداخلية ، نجد فى قصص الاغتراب الثلاث - تعويلا على صياغات شعرية جاهزة (مثل استخدام المضارع الشعرى الذى استفحل استخدامه فى الشعر العربى الحديث منذ نهاية الحرب العالمية الثانية) .

وعلى أية حال ، فان مساحة الاغتراب - فى مجموعة المشرى الأولى - تكتمل لتنتهى ، وتتراجع لتفسح المجال لمساحات أخرى فى المجموعة .

ثانياً : الرصد الطفولى للعالم :

يرتد الاتجاه الثانى فى تجربة (موت على الماء) الى عوالم الطفولة ، بكل ما تطرحه هذه العوالم من تساؤل ، وبكل ما يرتبط بها من دهشة ، ومن عشق - أحياناً - للخطر . ويستحوذ هذا الاتجاه على أربع قصص من قصص المجموعة ، هى - على التوالى : (شوارب .. شوارب القطة) و (هنا سقط وماتت عقيرتى) و (الشجرة وأخى الصغير) و (القطة .. عيناً صالح) .

● ● ●

القصة الأولى (شوارب شوارب القطة) تقع فى المسافة بين وعي الكبار ووعي الصغار ، تستفيد فنياً من الرصد الطفولى للعالم المتحقق - عربياً - فى أعمال زكريا تامر وحيدر حيدر ، والمتحقق عالمياً فى أعمال ويليام ساروبان ، حيث يصاغ العالم صياغة طفولية شعرية بسيطة ، تبدأ بالتساؤل حول كل ما هو بديهى (لماذا للقطة شوارب يا أبى ؟!) ، وحيث ترتبط - غالباً - هذه الصياغة البسيطة بنوع من الاحالات الموحية لعالم خارجى متشابك ومعقد .

وهذه القصة تبدأ بالتساؤل وتنتهى به ، وبين تساؤل البداية وتساؤل النهاية تعرض لبعض ما يعتمل داخل (الأنا) الطفلية من أحلام وأمنيات ورغبات (سأنتف شواربها السهامية وألصقها على شفتى العليا) ، كما تعرض للصدام بين عالم الطفولة وبين العالم الخارجى القائم على إدراك المواضعات (ألم أنهك عن الأسئلة السخيفة يا ساذج ؟) ، يمثل «الأب» - بسلطاته - هذا الادراك ، ويقف - بادراكه - عاجزاً إزاء تساؤلات - أو أسئلة - الصغار ، البسيطة والعميقة فى آن (وتسرب سؤال أحمد الى أذن الأب كوخزالابرة) .

هنا تأتى لغة الشعر البسيطة ومبررة (فى كف علي تلاقت عيون الأولاد .. تبادلوا ضحكة بيضاء) وهى تستمد بساطتها من العالم الطفلى الذى تطرحه ، وتستمد تبريرها من اقترانها العضوى بهذا العالم .

● ● ●

والقصة الثانية فى اتجاه الطفولة (هنا سقط .. وماتت عقيرتى) هى نوع آخر من استمرار هذا الرصد الطفولى للعالم ، فتختفى المسافات التقليدية القائمة على المنطق ، حيث يتحدث الجماد (وقالت الشمس : سوف أضيء) كما يفهم الطير (عصفور جميل العينين .. يسمع ما يقال) .

وإذ تنتفى المسافات التقليدية المنطقية بين البشر والحيوان ، بين الطير والجماد ،

أبعاد الموت على الماء

وإذ تتشابه عوالمها ، بل تتداخل ، يتجسد الحلم الطفولى – الرومانتيكى فى الوقت نفسه – بوحدة الكائنات .

• • •

والقصة الثالثة فى هذا الاتجاه (الشجرة وأخى الصغير) تتناول بعداً متمايزاً من أبعاد الطفولة ، فتتجاوز ما فى الطفولة من دهشة وبراءة وتساؤل ، الى ما يمكن أن تحويه الطفولة من تمرد .

إن تجربة الرصد الطفولى للعالم ، فى مجموعة المشرى الأولى ، تجربة «تستسهل» فنياً ، بمعنى أنها لا «تغامر» فى البحث عن تقنيات خاصة ، إنها تكرس اتجاهاً مستتباً فى الكتابة ، كما أنها – بطريقة ما – وليدة الارتداد الى الذات . لذا لا تخلو من قدر من الرومانتيكية .

وهذه التجربة ، بدورها ، تكتمل وتنسحب ، تاركة المجال لاتجاهين آخرين أكثر أهمية فى عالم هذه المجموعة .

ثالثاً : التغنى الداخلى بجزئيات خارجية :

إذا كان الاتجاه الأول فى تجربة المشرى يركز على الذات المغتربة إزاء واقع خارجى وإذا كان الاتجاه الثانى يتناول العالم الخارجى بمنظور طفلى داخلى ، وإذا كان هذان الاتجاهان – بهذا التحديد – ينحازان الى «الذات» على حساب الواقع الخارجى فان الاتجاه الثالث يعدل من هذه الصيغة ، ويحاول إقامة نوع من التوازن بين الداخل والخارج .

ويتمثل هذا الاتجاه الثالث فى أربع قصص من المجموعة : (غزال يلتحف أوراق الماء) و (رائحة الجوع والخبز غبار) و (على الباب طويلا تنام خضراء) و (السماء والحناجر محترقة) .

فى هذه القصص الأربع نجد محاولة واضحة للتغنى الداخلى بتفاصيل خارجية فتنتقى (الأنا) جزئيات من الواقع الخارجى وتربط بين هذه الجزئيات فى علاقة جديدة موسيقية غالباً (أخالف هنا الأستاذ على الدمينى فيما ذهب اليه – فى مقدمة المجموعة – من أن كتابة المشرى تاتى مزيجاً من الشعر والرسم والقصة القصيرة . فاضع الموسيقى بدلا من الرسم فالرصد فى معظم قصص هذه المجموعة رصد يعول على الانتقالات عبر الأزمنة والصمت – كما هو الأمر فى الفن الموسيقى وليس على تفاصيل المشهد المرئى – كما هو الحال فى الفن التشكيلى) .

من القصص الأربع نجد قصتين تتغنيان بحشد من التفاصيل الخارجية (القصة الأولى والثانية) ، وقصتين تكتفيان بجزئية واحدة أو تفصيلة واحدة ، تعمقها وتستكشف أبعادها (القصة الثالثة والرابعة) .

• • •

والقصة الأخيرة فى هذا الاتجاه (السماء والحناجر محترقة) يتجلى فيها – بوضوح المزج النهائى بين الرؤية الداخلية وبين جزئية خارجية ما . وهنا نواجه ثنائية حادة بين الظمأ الخارجى (الخلجان فاغرة فاها – جافة ومغبرة – السماء تقيء حصباء – الحناجر جافة ومحترقة) وبين الرغبة الداخلية فى الارتواء .

تتغنى هذه القصة بالعم «عاطى» وبالثور «حبيش» ، وهى فى هذا التغنى تقترب اقتراباً حقيقياً من تجربة فنية حقيقية . قد ينسى متلقى هذه القصة تفاصيل الوصف «المهذبة» المتلاحقة (كان تتشح أوراق اللوز بخضرة مذهبة ، وأن ترفرف كاجنحة الطير) وقد ينسى اتكاء لغة القصة فى كثير من المواضع على «التقطيع» الشعرى . ولكن هذا المتلقى سيظل – فى كل الأحوال – يتذكر العلاقة بين العم عاطى وبين الماء وبين الثور حبيش ، تلك العلاقة التى تجسد الرغبة فى الارتواء ، والتى تتصاعد عبر مقاطع القصة فى اتجاه الريح والغضب . ورغم أن التصاعد فى القصة يقترن باحساس داخلى (مثل احساس الفارس فى «الفارس قديماً دخل المدينة») إلا أنه – هنا – إحساس موصول بكيفية صحيحة لادراك العالم ، يعول على ملامح حقيقية فى الحياة ، حيث يتجاوز الأدمى (العم عاطى) والحيوان (الثور حبيش) والجغرافيا المحلية بمعناها الأشمل (الجفاف والآبار وبيوت قرية بعينها) والموروث الشعبى (يا مقسم الأرزاق .. الصباح رباح .. يا عيال الحلال) .

وربما كان هذا الاختيار لشرعة صحيحة ودالة من الحياة ، هو الذى يمنح الهموم المطروحة فى هذه القصة قواماً فنياً متماسكاً ، يمكن فهمه وتلقيه بمستويات مختلفة ، فى دائرة تلقى شديدة الاتساع . أما «الفارس» المغترب فلن يفهم همومه إلا فارس آخر مغترب ، وربما لن يفهم منها إلا منحى واحداً يتيماً .

رابعاً : الخروج من الذات :

الاتجاه الأخير ، والأكثر نضجاً ، فى تجربة المشرى ، يغادر الهموم الفردية الضيقة ، مغادرة نهائية تقريباً ، ويتماس مع تجربة أكثر رحابة . على مستوى الاختيار لعالم القرية والوادى (أو المرعى) وعلى مستوى التناول الفنى لهذا الاختيار .

يتمثل هذا الاتجاه فى رواية المشرى الأخيرة («الوسمية» – لم تنشر بعد) ويتمثل عبر هذه المجموعة فى قصتين : (موت على الماء) و (الغنم وموت الحماطة) . تجسد القصة الأولى حركة الحياة فى قرية جنوبية ما ، وتتجاوز هذه الحركة الخاصة بقرية بعينها الى إيقاع الحياة بمعناها الأشمل ، وتجسد القصة الثانية – فى جانب من جوانبها – حركة الحياة فى واقع جبلى .

فى (موت على الماء) نواجه – أو تواجهنا – علاقة حية متنامية بين قرية وكائناتها (بشر ، حيوان ، طير) . تبدأ هذه العلاقة من نقطة زمنية بعينها (لم يكن الشايب قد توضأ للصبح) وسرعان ما يتم تسلسل هذه النقطة الزمنية أو تجاوزها الى إيقاع زمنى ممتد وقابل للتكرار (لما تمر أيام الجفاف يقبع المجاهدون فى دفء ما اكتنزوه) ، إنها الحقيقية الأولية البسيطة التى تأخذ شكل قانون أزلى ، وكأنها دورة الحياة التى لا تتوقف ، تتم منذ أزمنة

متصلة ، وسوف تتم لأزمنة أخرى متصلة . فى هذا الايقاع الزمنى تقوم محاولة التأكيد على حالات وأشكال وطقوس متنوعة من الحياة (صلاة ـ عرس ـ زفاف ـ عطش ـ احتفاء بالمطر .... الخ) .

والقصة ـ بهذا المعنى ـ تقدم لنا ما هو أكثر من مجرد رؤية ذاتية شعرية لعالم خارجى . إنها تكشف من خلال القرية ما هو جوهرى فى جدل الكائنات والطبيعة . وهى ـ من زاوية أخرى ـ لا تحقق هذا الكشف بطريقة خطابية متعالية ، بل تحققه من خلال التقاط التفاصيل الصغيرة البسيطة، إنها تضع بين أيدينا وتحت أعيننا «شريحة» من الحياة ، ثم تترك لنا «براحاً» كافياً لكى نتناول هذه الشريحة ، نقلبها ونتفحصها بحرية تامة ، دونما تدخل أو إقحام .

وفى اطار هذا التناول نرى ـ ونسمع ـ الاشخاص من خلال التفاصيل ، كما نرى التفاصيل ونلمسها من خلال الاشخاص ، فابريق الوضوء يقودنا الى الأطفال الذين يلهون ، وسجادة الصلاة تقودنا الى «الشايب» كما يقودنا الشايب اليها ، وهكذا الجزئيات هنا لا تقع وقوعاً متخيلا خارج وجودها الفعلى الملموس ، ولا خارج وظيفتها ـ بل وظائفها ـ فى عالم القصة . سجادة الصلاة ـ مثلا ـ تقوم تارة بضابط ايقاع (يبسطها بيدية المرتعشتين وجلا .. ويرفع ويسجد .. ويلتصق ثم يبسطها ويسجد .. ويلتصق ثم يبسطها ويسجد) وتقوم تارة أخرى بدور التعبير عن الانفعال الخاص (يحمل سجادته الخوصية ويرقص بها .. يهدد بها الفضاء .. ويلاطم بقفزاته سحابات الغبار) ، وتقوم تارة ثالثة بدور المقياس العادل الذى تقاس به حدود الأرض .

(موت على الماء) قصة تنفلت من فردية الضمير الفرد الى جماعية البشر (على ساحات قريتنا النائمة) ، وهى فى هذا الانفلات تتجاوز من المشكلات ما هو لحظى عابر ، الى ما هو انسانى مقيم (قريتنا النائمة فى ظل براثنها الفقيرة) .

من هذا التجاوز ـ ربما ـ نلمح فى القصة اهتماماً بالتواصل مع الموروث الشعبى كجزء من تكون وجدان جماعى قائم فى زمن قائم (اذا سألنا أخى الأعور قال : «ذباب .. ذباب ذبنى وذبيته» ◦) ، ويحقق هذا الاهتمام للقصة بعداً من الأبعاد الانسانية للفن ، ويمنحها قدراً من حيوية وتفجر الوجدان الشعبى ، فضلا عن انه يعطيها ـ فيما اظن وأمل ـ قاسماً مشتركاً بين عالمها وبين متلقيها ، ويشكل ـ بالتالى ـ خطوة فى طريق حل مشكلة ـ بل مشكلات ـ الالتقاء بين الكاتب والجمهور .

• • •

إذا كان المكان ، بكل أبعاده ، يقوم بدوره البطل ، فى قصة (موت على الماء) فانه يؤدى الوظيفة ذاتها فى قصة (مليحة .. الغنم وموت الحماطة) .

تبدأ هذه القصة بمدخل تتجاور فيه الولادة التلقائية اليومية غير الواعيـــة (الشمس تبعثر ضفائر من ذهب ، هواء ضوئياً يصبغ الأشجار والحجارة) وتنحدر إلى الوعى الذى يكشف فى العالم متناقضاته واحلامه على السواء .

تنقسم القصة إلى ستة مقاطع : فى المقطع الأول رصد « علوى » لحدود العالم ، نعرف من هذا الرصد أن العالم عالم جبلى أولا ، رعوى ثانياً . وفى المقطع الثانى تنزل إلى أسفل حيث الوادى وحيث القرية والبيوت وحيث شجرة الحماط والأولاد الذين يشكلون ـ مع الشجرة بأبعادها الخرافية ـ محورين أساسيين من القصة .

وفى المقطع الثالث نرى شجرة الحماط وقد تجاوزت (شجريتها) إلى أبعـــاد أسطورية ضاربة فى جذور هذا العـــالم (بنات القرية يمررن قرب شجرة الحماط العتيقة .. يقذفنها بعبارات اللوم) .

وفى المقطع الرابع نجد الفتاة « مليحة » ـ ذات الجدائل ـ التى تتفاعل كبعد من أبعاد القصة مع « الماء » وهو بعد آخر من أبعادها ، وهما معاً يشكلان دلالة واضحة من الخصوبة والارتواء . تتكرر مليحة وتتجلى تجليات مختلفة (ترقص لمقدم الرياح الموسمية .. غنت .. صفقت .. جاءها النعاس ونامت) كما يتكرر الماء ويتجلى تجليات مختلفة (الماء يجرى عبقاً .. الماء يجرى ويحدق .. تراقص الماء) . ولكنهما ـ مليحة والماء ـ يظلان غير متحققين فى هذا العالم المجدب .

وفى المقطع الخامس تنحل الحماطة وتضمر (ترتمى متراخية .. مسلوخة .. تتقاطر دماؤها وتغرق جسمها الكبير الأصفر) ، وتقف النساء ، من مسافة معلومة ، ترقبن الشجرة التى تحتضر ، بينما يلتف رجال القرية حولها (خاتماً متآكلا واسع الحلقة) .

والمقطع الخامس يتكون من ثنائيـــة : مليحة ـ الماء ، مضافاً إليها قطعان الغنم وما ترتبط به من دلالات الذعر . تنتشر فى هذا المقطع مفردات : الصمت ، والحلكة ، والخوف ، والحذر ، والوجل ، وترسم عالماً فيه الانطواء أكثر مما فيه من الوداعة .

أما المقطع السادس والأخير ، ففيـه تنفصل « مليحة » عن شجرة الحماط ، تدخل بيتها (منثورة الشعر) (تنادى أمها مرتعشة) بينما يعود راوى القصة المجرد ـ عودة أخيرة ـ إلى كلية ورحابة واتساع مشهد الوادى ، حيث وقفت شجرة الحماط (شامخة ترقب كل البيوت) .

هذا العالم ، المطروح فى هذه القصـــة ، هو بمثابة اقتطاع لشريحة من الحياة ، خاصة وعامة معاً ، بكل ما فى تفاصيل هذه الشرعية من كائنات وأشياء ، وبكل أبعاد العلاقة التى تربط هذه الكائنات والأشياء .

وفى هذا العالم ـ اظن ـ يكمن خلاص المشرى ـ وخلاص كثير من القصاصين العرب ـ فحيث تنتفى العلاقات الشعرية اللغوية الجاهزة ، وحيث يكشف الواقع كشفاً صحيحاً من منظور صحيح ، وحيث يبرر الحلم ـ غير الفردى ـ بعالم تنتفى فيه كل أشكال « الظما » والجوع ، وحيث تصبح تجربة الكتابة خصبة وغنية خصوبة وغنى الأرض والانسان ، وحيث يلتصق الكاتب بواقعه المحلى والانسانى فى آن .. حيث كل ذلك يكون الخلاص .

حسين حموده

هوامش

● (موت على الماء) ـ عبد العزيز مشرى . كتاب الشهر (٢) ـ ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م . النادى الأدبى ـ الرياض، المملكة العربية السعودية .

أحلام العجب ود حامد

قصة بقلم: علي حمدي إبراهيم

الغريب فى الأمر أن الذى يجرى أمام أعينهم كان مطابقاً تماماً لما كان يحدث به العجب . كان العجب يحدث الناس عن أشياء جميلة ستحدث فى الوادى وهو يتطلع بعيونه الى كبد السماء كأنه ينظر الى تلك الأشياء تموج امام ناظريه فى الفضاء الفسيح . آلات ضخمة ـ كان يقول ـ ستجوب الفلوات ، تصرخ وتعوى ، وتزيل كل الأشياء التى ظلت قائمة فى هذا الوادى بلا لزوم . وهذا النهر : سيتدفق من الغرب الى الشرق ، معربداً هادراً ومزمجراً كأنه ينفلت من أسره الطويل . انه سوف يلحق أضراراً ببعض الناس والممتلكات ، يعتدى على حياة بعضهم ، ويغرق الزرع والضرع ، ويسيل دموع الثاكلات . ولكنه سيؤذن بقيام دنيا جديدة بكاملها .. نهر يصب فى قلب الجفاف والصحراء ، وعمارات تطاول السماء فى هذا الوادى اليباب ، العاطل من كل ما يشبه الحياة . ضحك الساخرون من العجب وأحلامه وقالوا : ان مساً من الجنون أصابه أو اعتراه مرض غريب . آخرون هزئوا منه ووعدوا يعينونه عمدة على الدنيا الجديدة ، وطلبوا يتندرون : أن لا ينساهم من أفضاله . أما العجب فقد كان يقول لهم من بين ذهوله ، وشرود ذهنه : سترون غداً . فلا يزيد هذا إلا من ضحكهم عليه حتى يصيروا الى نشوة ظاهرة .

وزاد من طرافة الأمر أن الأحوال العامة فى الوادى أخذت تسوء الى حد كبير بفعل الجفاف الطاحن القاسى . ماتت أشياء القوم ومواشيهم ، وتعرت عظامها فى السهول التى كانت حتى الأمس القريب خضراء تسر الناظرين ، ولكنها أصبحت اليوم صعيداً جرزاً ، يتماوج فيه السراب البقيع . سنين عديدة مضت الآن على ذلك الخريف الذى شبع فيه الانسان والحيوان وطربت طيور الوادى على أغصانها لرائحة الدعاش ، يبشر بخريف هتون .

كان قراراً قاسياً ذلك الذى اتخذته كل العشيرة بالهجرة من الوادى الى فم النهر . حزن الجميع لهذا القرار ، ولكنهم قبلوه لأنه ليس من مناص غيره . انها المرة الأولى يغادرون فيه هذا الوادى الى أية جهة من الجهات . لا يذكر الكبار أو الصغار أى نوع من السفر الفردى أو الجماعى خارج هذا الوادى قام به بعض أهل هذا الوادى طوعاً غير سفر (البشير ود حماد) ذلك البدوى الذى ذهب الى البندر قبل خمسين سنة يبتاع بعض الضروريات لشيخ الوادى فلم يعد حتى اليوم . لقد أرسل الوادى رسلا يبحثون عن (البشير) ولكنهم لم يعثروا على أثر كأن البندر قد فتح حلقومه وأطبق عليه . بخلاف هذا الحدث فان هذا الوادى لم يسمح لأهله بالهجرة بعيداً عنه لأى سبب من الأسباب . حتى الضروريات لا يسافر من أجلها أهل هذا الوادى إلا نادراً إذ يحضر الباعة المتجولون بها الى الوادى يبيعونها للناس بأسعار عالية ، ولكنهم يقبلون بها طالما توفر عنهم عنت السفر ، وظهور ابلهم التى كانت ستشد عليها الرحال الى البندر لا محالة إذا لم يحضر هؤلاء الباعة المتجولون . ولكن هذا الجفاف القاسى فرض عليهم تغييراً كثيراً فى ممارساتهم اليومية ، وفرض عليهم ـ أيضاً قبول الهجرة الجماعية الى فم النهر .

على فم النهر أقام أهل الوادى كالغرباء ، عند كل صباح يصدر الرعاة منهم بمواشيهم وأغنامهم الى النواحى القريبة من فم النهر يحاولون أن يجدوا بعض الفلوات القفر لحيواناتهم ، ولكنهم كانوا يعودون بها فى المساء جائعة لأن الجفاف قد سبقهم الى فم النهر أيضاً . الماء تشربه حيواناتهم ويشربه أهل الوادى اذهب عنهم العطش الشديد . ولكن ليس بالماء وحده يعيش الحيوان والانسان من تلك العشيرة المهاجرة . كان الرعاة منهم يتأسون عن ذلك الضيق الشديد بالعزف على مزاميرهم الشجية يغنون ويندبون حظوظهم التى أضاعها الجفاف . ونسيت العشيرة أو كادت أن تنسى تماماً كل أحاديث المرح والأنس تحت ضوء القمر ، يجتذب كل العشيرة صغاراً وكباراً . كان ذلك دأبهم فى الماضى القريب ، ولكن الجفاف حول ذلك اللهو البرىء الى نوع من التراث التاريخى يحكى عنه الذين يحنون الى ماضيهم القريب ، أو الذين يرفضون أن ينسوا بسهولة ما كان من شأن .

ولكن حزنهم على الماضى القريب ازدراه على حين غرة حزن شديد ، أقسى وأمر من كل أحزانهم القريبة والبعيدة ، كأن أهل الوادى أصبحوا على مواعيد متجددة مع الأحزان ـ فقد اختطف التمساح الأعور من فم النهر العجب ود حامد ـ هذه المرة أعطت العشيرة اسمه كاملا لضابط البوليس الذى جاء الى مكان الحادث ، يحقق ويسجل .

قالوا بتأكيد شديد ان ذلك التمساح الأعور ـ فهو يظهر دائماً على سطح الماء مشلوحاً الى جهته اليمنى . هذا يدل على أنه لا يستطيع أن يرى بعينه اليسرى . حتى عندما اختطف العجب جاءه من ناحية اليمين بينما كان العجب منهكماً يغسل بعض أغنامه من غبار الوادى العالق عليها منذ بضعة شهور . وحزن أهل الوادى حزناً شديداً على العجب ، وأقاموا الليالى الثاكلة عليه . وعادوا يتذكرون نبوءاته وكيف كانوا يسخرون منه بفجاجة شديدة وهو لا يغضب وقالوا ان اتساع صدره لحماقاتهم هو من تقوى القلوب . وصنعوا المزيد من الحكايات والأساطير حول العجب حتى قالوا انهم يشاهدون فى الأحلام العجب وهو يمتطى ظهر ذلك التمساح الأعور يجوب به الفلوات الظامئة عقاباً له على فعلته . ونسى القوم لأول مرة ما كانوا يزعمون من أن جنوناً أصاب العجب . ان عواطفهم التى جاشت الى حد بعيد لم تكن تقبل ذلك النوع من الذكريات عن العجب الذى تتحول فجاة الى صالح من أهل الجنة .

ولكن مشاغل الحياة تنسى الناس أمر العجب ، وتزيل من نفوسهم غشاوة الحزن الكبير عليه . كان حزناً كبيراً ، ولكن مصائب الوادى توالت عليهم ، وحزمتهم الحياة بنوع جديد من المشاكل ، فانستهم حزنهم على العجب وأدخلتهم فى مزيد من الأحزان الغارقة ، حيث تولدت أساطير وحكايات جديدة فى الوادى ، شغلت الناس عن هموم الأمس بهموم جديدة . الجفاف مازال قاسياً أبكى المصلين الضارعين ، يطلبون نجدة السماء . قال كبيرهم الشيخ : ان نفوسهم غير صافية ، وان نياتهم غير مخلصة ، ولن يغير الله ما بهم حتى يغيروا ما بأنفسهم ـ فسكتوا عن الضجيج والشكوى ـ ولزموا بيوتهم يصلون ليل نهار عسى الله أن يزيل عنهم الجفاف . ولكن الجفاف استمر قاسياً ..

والدة العجب هى الوحيدة من بين أهل الوادى جميعاً التى غلبها أن تنسى ابنها العجب أو تنشغل عن ذكراه بما أصابها مع كل الناس من عنت الحياة الجديدة فى ذلك الجفاف السرمدى . كانت تداوم على زيارة الموقع الذى اختطف فيه التمساح ابنها العجب ، وكانت تبكى بكاء مراً حتى تخور قواها ، فيحملها القوم الى بيتها وهى لا تكاد تعى الأشياء من حولها . قالوا ضعف بصرها ، وكل عظمها وبانت عروق وجهها ، فانصرف عنها الذين كانوا يعزونها ويحملونها على النسيان والسلوى لما رأوا أن ذلك غير ميسور .

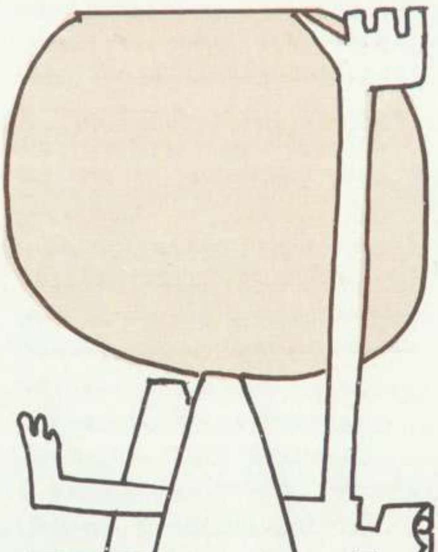
وجاء ذلك اليوم الذى اشتدت فيه حرارة الشمس حتى خيل الى الناس أن السماء تدلت وأصبحت قاب قوسين من الأرض أو ادنى من ذلك ،وحرقت بشموسها أعصاب الناس وأتلفتها فى ذلك اليون الخانق وعند الظهيرة : يدخل الى الوادى من جهته الغربية شىء ضخم يعوى ويهدر وينفث دخاناً كثيفاً تصاعد فى الجو وتمازج مع الغبار الكثير الذى بعثره ذلك الشىء فى أرجاء الوادى وهو يعوى ويصرخ كملدوغ الحشا . زفرات ذلك الشىء الضخم أرعبت صغار الوادى ، فاطلقوا سيقانهم الى الريح ، وهيئة ذلك الشىء جذبت فضول الكبار من أهل الوادى ، فاقبلوا ينظرون ويتساءلون . الذين اعتلوا ظهر ذلك الشىء لم يقولوا لأحد من الذين تجمعوا حولهم من أهل الوادى ــ لماذا أتوا وماذا يصنعون . ولكنهم عمدوا يهشمون الأشياء التى كانت هنالك بلا لزوم . أشياء كثيرة أطاحوا بها .. بعض القطاطى القديمة أطاحوا بها .. حفير شيخ الوادى العاطلة أطاحوا بها .. ولم يسلم المسجد الذى اعتادت عشيرة الوادى أن تتدارس فيه أمورها ، وتعلم فيه بعض المسنين الشيوخ قليلا من القرآن يصلون به ، فقد أطاح به ذلك الشىء الضخم الذى انهمك يزيل الأشياء التى كانت هنالك بلا لزوم . وتراكمت الأشياء القديمة فوق بعضها .. كل الأشياء التى كانت هنالك بلا لزوم تمددت الى الأرض ، وتكومت كنفايات غير مرغوب فيها وذلك الشىء العالى مازال يصرخ ويعوى ويحدث المزيد من التهشيم.

وتهرع الى المكان أعداد كبيرة من الأفندية ، يحملون أوراقاً وحديداً يطرحونه على الأرض ثم يطوونه من جديد ، يرسمون أشياء على الأرض ثم يمسحون ما يرسمون . تماماً كما يفعل أطفال ذلك الوادى عندما يلعبون (أم بناى) فى الليالى المقمرة ..

وعرف أهل الوادى أن مشروعاً زراعياً ضخماً سوف يشاد فى ذلك المكان ــ غشاوة من الشك . لحظات من التردد والحيرة والاندهاش ــ ثم ينفجر الضحك الكثير ــ ما بالها لا تدرك هذه الحكومة . كيف جاز لها أن لا تعلم أن الجفاف طرد الناس والحيوان من هذا الوادى .

فى تلك الليلة بالذات كان الاندهاش يلفهم جميعاً : حتى الأمس القريب عادت وفودهم من المدينة ذهبت اليها تطالب المسئولين بحل مشكلة العطش ــ قال لهم المسئولون ان الاعتمادات المصدقة لا تكفى لحفر حفير واحد لشرب الانسان ناهيك عن شرب الحيوان ــ ثم يأتيهم من يقول لهم ان الحكومة قررت أن تطرح الماء فى كل هذه الفلوات الواسعة أنهاراً تشق الفيافى ــ وعاد أهل الوادى يضحكون بسخرية ظاهرة .

ولكن الأشياء الجديدة أخذت تطفو على سطح الوادى باصرار شديد وأخذت تحتل مكان الأشياء القديمة التى كانت هناك بلا لزوم . صهاريج ضخمة لامعة وعمارات تغرس سيقانها فى أديم الأرض وتمد أذرعتها الى الفضاء كأنها تتحدى المستحيل . غرس أناس ماسورة شاهقة فى باطن الأرض وكتبوا عليها اسم المشروع . كانت من علوها كصارية مغرورة تصعد الى كبد السماء كأنها تستلب الخبر اليقين . وجرت القنوات المائية من الغرب الى الشرق أنهاراً تائهة فى وسط الصحراء كأنها تمد لسانها لكل أساطير العطش فى الأمس القريب . وتوالى الهدير العام فى أرجاء الوادى . كان من شدته أن صم أهل الوادى آذانهم من صهيل الحديد العاتى . واستلب السيناريو الخلوى الأخاذ أحاسيس الرعاة من أهل الوادى ، فاخرجوا مزاميرهم من أكنتها وبدأوا يعزفون سيناريو الحياة الجديدة ، كانوا مندهشين اندهاشاً مفرطاً ، وكماً تائهاً مع أزيز الماكينات المستحيلة والدوار الذى أصابهم من مكان قريب . تحسسوا مواقع أقدامهم تكاد تميد الأرض من تحتها لولا أن الزموا أنفسهم بالعزم الشديد . كيف يحدث كل هذا وبهذه البساطة الشديدة او هكذا ظن الذين بقوا على قيد الحياة من أهل الوادى ليشهدوا ذلك الحدث المدهش الفريد . مجموعة من الناس تنهمر على الوادى من كل جهات الدنيا الأربع ذات يوم ، فتحيل هدوء الأمكنة الى جلبة وضوضاء وتنشر فى الأرجاء



الأعاصير والغبار يتصاعد من حناجر الحديد العاتى ، وتنشر بين الناس هذا الرهق العظيم والدوار . مجموعة قليلة من الناس الأفندية تفعل كل هذا بالوادى الساكن الهادى حتى الأمس القريب ، والذى كان يظما بين الحين والآخر ظماً لا يبله إلا خريف نادر . من بين كل الناس يفعل ذلك بعض الأفندية الناعمون ــ دار بخلد أهل الوادى الذين مازالوا يعيشون بقية من اندهاش .

وفجأة يصرخ كل الوادى يتذكر رؤيا العجب . كيف فات عليهم أن يتذكروا رؤيا العجب وأحلامه منذ دخول الجرار العاتى أول يوم . الأشياء الجميلة تحدث فى الوادى التى تحدث بها العجب ، والأشياء الضخمة الشاهقة تجوب الفلوات ، والنهر المجنون يشق الوادى من الغرب الى الشرق معربداً مزمجراً كأنه ينفلت من أسره الطويل . وعاد الرعاة منهم الى أكنتهم من جديد يخرجون مزاميرهم يعزفون للعجب النشيد ــ ذلك الورع التقى يلتقمه تمسلح أعور لا ينظر إلا من جهة اليمين ــ وعاد أهل الوادى يبكون على العجب من جديد ، ويفتحون جراح السنين . وتولدت فى الوادى أساطير جديدة عن العجب وحوله . ففى هذا الوادى تولد كل لحظة حكاية أو أسطورة . قالوا شوهد العجب فى المنام يركب شيئاً ضخماً يشبه جمل حاج ابراهيم إلا فى بعض التفاصيل لقد مسخت السماء ذلك التمسلح الأعور وحولته الى دابة يمتطيها العجب يجوب بها الفلوات جزاء وفاقاً .

وتدافع أهل الوادى يسيرون الوفود الى المدينة الكبيرة يقترحون تسمية الدنيا الجديدة باسم العجب ود حامد . قالوا كان صالحاً وكان تقياً وكان عارفاً بالله وبتأويل الأحاديث والأحلام . وقالوا : تنبأ العجب بالدنيا الجديدة تقوم فى هذا الوادى حتى عندما عم الطاعون والجفاف ، فسخر منه بعض الذين لا يدركون الأسرار . وقالوا كلاماً كثيراً أظهر مدى اندهاشهم للذى يجرى من حولهم ، ومدى تعلقهم بسيرة (العجب ود حامد) .

ولكن المدينة أسمت المشروع (سكر كنانة) . وفغر أهل الوادى أفواههم مرة أخرى بالاندهاش يتساءلون : من تكون كنانة هذه ــ وتحاوروا فيما بينهم ، وتطوع بعضهم بالاجابة : قد تكون صاحبة المشروع ، أو تاجرة كبيرة ، تمول المشروع أو صالحة هى الأخرى من أولياء الله لا يعرفها أهل الوادى . وعادوا ــ أولئك الذين ذهبوا الى المدينة يستجدون الاسم للعجب ــ عادوا بحكايات وروايات جديدة .

ودارت الماكينات المستحيلة وأخذت تهشم الأشياء التى كانت هناك بلا لزوم . وأرهف العالم كله السمع ، فالفى تموجات الأثير تحدثه عن سكر كنانة ، أو سيناريو الحياة الجديدة تولد فى القفر اليباب .

من أجل معلومات أكثر عن دول المنطقة

بقلم: خالد زيارة

فى العدد الماضى ، نشرت « الدوحة » الجزء الأول من هذه الدراسة ، تحت عنوان : ماذا يعنى قيام مؤسسات ثقافية وإعلامية فى دول الخليج ؟
وفى هذا العدد .. ننشر الجزء الثانى والأخير من الدوحة ،والذى يكشف عن عدد من الانجازات الهامة فى مجال الاعلام الخليجى .

احتوت القرارات التى اتخذها المؤتمر الأول لوزراء الاعلام فى دول الخليج العربى الذى عقد فى أبو ظبى فى ١٩٧٦/١/١٤ م اقامة مركز اقليمى للتدريب الاذاعى والتلفزيونى ومقره الدوحة.

والواقع أن للاذاعة والتليفزيون أثراً هاماً فى تهيئة وتنمية العنصر البشرى الذى يأخذ الأولوية من الاهتمام ، ولذلك اهتم المركز الخليجى لتنسيق التدريب الاذاعى والتلفزيونى بهـذا الجانب الحيوى فقام بعدد من الدراسات المتخصصة فى مجالات الاذاعة والتلفزيون وخطط للمزيد من هذه الدراسات ، كما قام كذلك بالعمل على تنسيق أعمال التدريب فى المنطقة ذاتها ، واقترح أيضاً خططاً للتدريب السنوى لتعميمها على الدول العربية الخليجية بغية الوصول الى أحسن النتائج خدمة للمواطن الخليجى والأخذ بيده نحو ثقافة واعلام أفضل عن طريق الاذاعة والتلفزيون اللذين يعدان من ابرز وسائل الثقافة والاعلام فى تاريخنا المعاصر .

ولقد كان من بين القرارات والتوصيات التى أصدرها وزراء الاعلام لدول الخليج العربية فى مؤتمرهم الرابع فى دولة البحرين خلال الفترة من ٧ ـ ١٩٧٩/٢/٩ م أن يقوم المركز بالعمل على تنسيق أعمال التدريب للاذاعة والتلفزيون فى منطقة الخليج العربى واقتراح خطط التدريب السنوية وتعميمها على الدول الخليجية ..

ومن واقع الجهود المبذولة من قبل القائمين على شئون المركز الخليجى لتنسيق التدريب الاذاعى والتلفزيونى فقد تم انجاز العديد من المشاريع التى كان لها الأثر الواضح فى تدريب الكوادر الشابة التى بدأت فى إعطاء نتاجها وتحسين مستوى أدائها

أقام المركز عدداً من الدورات التدريبية المختلفة فى المجالات الاذاعية والتلفزيونية وقد أقيمت هذه الدورات فى مختلف الدول الأعضاء السبع فى المركز ومن أهم تلك الدورات :

- دورة فى التصوير السينمائى .
- دورة فى الانتاج التلفزيونى .
- دورة فى الاخراج التلفزيونى والسينمائى واستخدامات الكروماكى .
- دورة فى الاخراج الاذاعى (البرامج الدرامية) .
- دورة فى استخدامات الأقمار الصناعية .
- دورة فى هندسة الصوت من الناحية الجمالية والفنية .
- دورة فى البرامج التسجيلية والوثائقية الكاميرات المحمولة (تنفيذاً وتصويراً) .
- حلقة دراسية عن ادارة الاذاعة والتلفزيون (الادارة المتقدمة) .
- التوثيق الاعلامى (بالتعاون مع مركز التوثيق الاعلامى لدول الخليج العربية) .

وقد بلغ مجموع عدد الدورات التدريبية الاقليمية ما يقارب ٢٣ دورة استفاد منها ٦٠٠ شاب ممن يعملون فى جهاز الاذاعة والتلفزيون فى دول الخليج العربية .. وقد كثفت الاجتماعات التى كان يعقدها المسئولون القائمون على شئون المركز لتطوير وايجاد السبل الأفضل للتدريب الاذاعى والتلفزيونى بشقيه الهندسى والبرامجى لخدمة ابناء المنطقة ولرفع مستوى العاملين فى مجال الاعلام .

واستمراراً للجهود التى يقوم بها المركز فقد طرحت أفكار لخطة التدريب لعام ٨٣ ـ ١٩٨٤ م وذلك خلال الاجتماع الخامس لمسئولى التدريب الاذاعى والتلفزيونى فى دول الخليج العربية بقاعة اجتماعات المركز بالدوحة ، ومن الأفكار التى طرحت ما يلى :

- دورة فى التأثيرات الرقمية والمرئية DVE والترجمة الاليكترونية .
- دورة فى تحميض الأفلام وتصحيح الألوان .
- دورة لمنفذى الديكور .
- دورة اعداد البرامج الرياضية فى الاذاعة والتلفزيون .
- دورة اخراج البرامج الرياضية فى التلفزيون (اخراجاً وتصويراً) .
- دورة حول برامج الأطفال (إعداداً وتقديماً واخراجاً) .

● دورة لمساعدى الاخراج ومديرى الاستوديو فى التلفزيون .

● دورة فى اعداد البرامج التنموية والتربوية .

بالاضافة الى العديد من المقترحات والتى أوصى بها المجتمعون وقرروا أن يقوم كل من جهته بدراسة إمكانية إقامة اى من هذه الدورات فى بلده وعدد المرشحين الممكن اشراكهم من جهته لهذه الدورات .. على أن تكون هذه الدراسات جاهزة لاجتماع التدريب القادم وأن يكون كل منهم مفوضاً بالالتزام بذلك لاتخاذ التوصيات المناسبة .

وكالة أنباء الخليج

وقد تميزت الأعوام من ١٩٥٦ م حتى عام ١٩٧٦ م بتاسيس الوكالات التسع عشرة فى الأقطار العربية حيث عملت جميعها كمؤسسات رسمية تقوم بتنفيذ مهام اعلامية تقع ضمن نطاق المبادىء والأهداف السياسية لحكوماتها وهى تعتبر احدى الادوات المساهمة فى تحقيق التغييرات التى تحصل داخل البنيـــــة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى الأقطار العربية وتعكس المنجزات الحاصلة فى اقطارها

ومنطقة الخليج العربى كانت وعلى مـــدى الأعوام السابقة مسرحاً لمجموعة من الأحداث الهامة التى جاءت محصلة لواقع المنطقة ومدى حيويتها وبروزها على المسرح الدولى .. حيث أن المنطقة كانت محفلا خصباً لأحداث عالمية كبرى اثرت بشكل مباشر أو غير مباشر فى الموازين الدولية .

ووكالة انباء الخليج التى بدأ البث بهـــا بصورة رسمية فى ابريل ١٩٧٨ م جاء انشاؤها كمحصلة لمجموعة الأحداث التى شهدتهـــا المنطقة وقد تولت منذ بدء عملها القيام بالدور الرئيسي فى نقل صوت الخليج إلى الخارج واسهمت بشكل فعال فى تعريف الرأى العام بكل ما ينجز فى هذه المنطقة من تطور حضارى وانسانى .. واستطاعت ـ و . أ . خ ـ نتيجة للثقة النابعة بوجودها وللتعاون القائم بين اعضائها أن تثبت اقدامها فى المجال الأخبارى .

وفى مسقط عقد مجلس ادارة وكالة انبـــاء الخليج اجتماعاً فى مارس ١٩٨١ م لدراسة تطوير شبكة ارسال الوكالة وتم بحث امكانية استخدام الوسائل التقنية الحديثة عبر الأقمار الصناعية للارسال إلى العواصم العربيـــــة والأجنبية بغية الوصول إلى انتشار أكبر لأخبار الوكالة ولخدمة الأهداف الموكلة اليها .. خاصة بعد أن تم اعتماد وكالة انباء الخليج من قبل جامعة الدول العربية بتونس ناقلا وموزعاً لأخبار ونشاطات الجامعة العربيـــــة للاجهزة الاعلامية ولمكاتب الجامعة .

وعلى ضوء ذلك بدأت وكالة انباء الخليج العمل على شبكة ارسال عبر طريقتين الأولى : الارسال بواسطة الراديو عبر محطة (الهملة) المؤجرة من قبل شركة البحرين للاتصالات . والثانية عن طريق خطوط مباشرة بواسطة الأقمار الصناعية تربط مقر الوكالة بالبحرين بوكالات الأنباء فى الدول الاعضاء ، إضافة إلى تونس مقر الجامعة العربية عن طريق وكالة الأنباء التونســــــية . كمـــا وقعت وكالة انباء الخليج عرضاً لاستئجار قنوات خاصة عن طريق الأقمار الصناعية المملوكة لاحدى وكالات الانباء العالمية وهى رويتر حيث يشمل العرض ارسال اخبار ـ و . أ . خ ـ كمرحلة أولى الى المدن التالية : نيويورك ـ واشنطن ـ لندن ـ باريس ـ روما ـ مدريد ـ بون ـ جنيف ـ اوتاوا ـ فينا ـ بروكسل ـ هيج (هولندا) ـ ويكون الارسال على مدى ٢٤ ساعة .. وقد تم احتساب التكاليف على اساس توزيع النشرة فى ١٢ مدينة تخدم ٨١مشتركاً .

ولقد كانت وكالة انباء الخليج وبحكم مكانتها الطبيعية كجهاز اعلامى يبرز الوجه الحضارى والانسانى للمنطقة خير سباق لتغطية اخبـار واحداث المنطقة ولقد استطاعت ـ و . أ . خ ـ بما لديها من الامكانات المحدودة أن تجعل الخبر والحدث الخليجى متوفراً لجميع الأجهزة الاعلامية العالمية بالصورة المتكاملة بكافة العناصر الخبرية وبالاسلوب السريع الـــذى يمكنها من استخدامه فى الوقت المناسب .. ونتيجة للجهود المشتركة لوكالات انباء الدول الأعضاء فى منطقة الخليج العربى فقد استطاع الخبر الخليجى أن يأخـــذ دوره المؤثر فى السياسية الدولية لما لهذه من اهمية بين دول العالم سياسياً واقتصادياً وعسكرياً .

واستطاعت ـ و . أ . خ ـ كوكالة انباء اقليمية أن تجعل من الخبر والحدث الخليجى مادة رئيسية فى نشرات الأخبار فى جميع الأجهزة الاعلامية فى داخل دول المنطقة وبشكل تفصيلى وسريع مما اسهم فى تنمية اهتمامات المواطن الخليجى بما يدور حوله فى العالم .. كما استطاع الخبر الخليجى أن يصل الى العالم عبر قنوات وكالة انباء الخليج المباشرة منها وغير المباشرة اضافة الى البث الانجليزى الذى يغطى جميع دول اوروبا بمعدل ساعتين يومياً .

وساعدت التقارير والتحقيقات التى تبثها الوكالة عبر شبكتها فى تأكيد الدور الحضارى والانسانى لدول المنطقة وهذا يعد مظهراً جديداً لعمل الوكالة حيث اعطت جهداً لهذا النوع من العمل الصحفى بما حقق من المزايا الكثيرة فى تعريف الرأى العام العربى والعالمى بمنجزات التعاون بين دول المنطقة .

وفى الثامن من يناير ١٩٨٣ م اختتم فى المنامة الاجتماع الثانى لمدراء وكالات الأنباء بدول الخليج العربية الذى استهدف التنسيق فى الأمور التى تخدم وكالات الانباء بدول المنطقة وأهمية ايجاد صوت قوى يمثلها فى الخارج .

وعلى أثر هذا الاجتماع تقرر تشكيل وفــد صحفى موحد لتغطية احداث اجتماعات مؤتمر قمة دول عدم الانحياز الذى سيعقد فى نيودلهى فى شهر مارس القادم .. كما بحث المؤتمرون خلال اجتماعهم الاقتراحات والتوجيهـــات الخاصة باللجنة الفنية التى ستقوم باعداد مشروع شبكة ارسال عالمية لوكالة انباء الخليج عبر الأقمار الصناعية وسبل دعم التعاون بين وكالة أنباء دول المنطقة وتعزيز مكانة ودور وكالة انباء الخليج عربياً ودولياً .

ويتضح من خلال سردنا لدور وكالة انباء الخليج وأهدافها وانجازاتها بانه من أولويات عملها التحرى عن ثقة المصدر وامانة الخبر فى النقل والنشر الأمر الذى حقق لاسم الوكالة الثقة بين الأجهزة الاعلامية واعتمادها كمصدر موثوق به لمجمل القضايا الخليجية .

التوثيق الاعلامى

ولأن عصرنا الذى نعيش فيـــه هو عصر المعلومات ،فقد جـاء مركز التوثيـق الاعلامى تلبية لحاجة علمية وحضارية واعلامية تنشدها المؤسسات الاعلامية المختلفة لدول الخليج العربية .

لذلك نصت المادة الرابعة من اتفاقية المركز على ضرورة قيام المركز بتحقيق هذه الأهداف والأغراض :

● تجميع أكبر قدر ممكن من الانتاج الاعلامـى فـى مختلـف أشكاله وأوعيتـه كالمطبوعـات والمـواد السـمعية والبصرية والوثائـق الحكوميـة والبحوث والدراسات وغيرها من المواد اللازمة للعاملين والدارسين والباحثين فى حقل الاعلام .

● تنظيم وتحليل الوثائق وأوعيـة نقـل المعلومات المجمعة وفقاً لنظام واصول وتقنيات تناظر احدث الاساليب والنظم المطبقة عالمياً بعد مراعاة تطويع النظم العالميـــة هـــذه

من أجل معلومات أكثر عن دول المنطقة

لمواصفات وخصائص اللغة العربية من ناحية ولنوعيات ودقائق المعلومات العربية الخليجية بوجه خاص من ناحية اخرى . وذلك بغية استنباط ما تحتويه هذه الوثائق والأوعية من مراصد وبنوك بيانات تتيح استرجاعها بدقة وسرعة ويسر .

● توفير المعلومات التى يحتاجها المخططون والعاملون والباحثون فى حقل الاعلام بمنطقة الخليج وتزويدهم بالبيانات الصحيحة فى القضايا والمشروعات والأنشطة الخليجية المختلفة وتمكينهم من متابعة احدث التطورات والاتجاهات فى مختلف فروع العلم والمعرفة بهدف دفع عجلة الانتاج وتطوير مستويات الاداء وتقديم برامج ومواد اكثر ثراء وتنوعاً وحيوية .

● الكشف عن الاصول الحضارية والثقافية للمنطقة عن طريق تجميع التراث القومى والشعبى وفنون الآداب والبيئة وتوثيقها واتاحتها للاستخدام فى وسائل الاعلام والنشر المختلفة مما سيكون له أرفع الأثر فى دعم اتجاه وحدة الخليج ثقافياً وفنياً واعلامياً ، فضلا عن اتاحة المزيد من الفرص للابداع الفنى على المستوى المحلى فى مختلف القوالب الاعلامية وعدم الاعتماد بنسبة كبيرة على المواد والبرامج المستوردة .

● تعزيز سبل التنسيق والتعاون فى مجال انتاج البرامج والمواد الاعلامية وتبادلها فى نطاق دول المنطقة وذلك عن طريق رصد مقتنيات الأجهزة الاعلامية لدول الخليج فى شكل فهارس موحدة والتعريف بها عن طريق اصدار قوائم ببلوغرافية دورية وتوزيعها على الأجهزة الاعلامية .

● دعم البنية الاساسية لخدمة المعلومات والمكتبات والتوثيق بالأجهزة الاعلامية الخليجية وسد الفجوات الحالية فى هذه الخدمات عن طريق ارساء قواعد الاعداد الفنى للمواد بتصميم مجموعات من نظم المعالجة والحفظ والاسترجاع النمطية واعداد ادلة لتقنين اساليب العمل والاداء وتوفير الادوات والمراجع الاساسية مع تدريب اختصاصى المعلومات على تطبيق هذه النظم باستخدام تلك الادوات وفقاً لاساليب عمل مقننة .

ومنذ توقيع اتفاقية انشاء مركز التوثيق الاعلامى لدول الخليج فى مدينة الدوحة بتاريخ ١٤٠٠/٣/٢٧ هـ الموافق ١٩٨٠/٢/١٢م من قبل الدول الأعضاء والمركز يقوم بكافة الأعمال المناطة به ويؤدى دوره الذى يجب ان يقوم به فى تطوير المؤسسات الاعلامية وتوثيق التعاون الاعلامى فى المنطقة .. وقد وضع المركز فى خطة عمله العامة ضرورة النهوض بمشاريع آنية وأخرى مستقبلية للايفاء بتحقيق أهدافه على النحو التالى :

● الأدلة : دليل الدوريات الخليجية : وهو دليل يحتوى على معلومات عن المطبوعات الدورية من صحف ومجلات تصدر فى أقطار الخليج العربى والتعريف بها .. ودليل مركز التوثيق الاعلامى لدول الخليج باللغتين العربية والانجليزية وهو يهدف لاتاحة الفرصة للمركز بالتعرف على الانتاج الفكرى فى المنطقة وطريقة التنسيق والتعامل مع مؤسساته .

● الببليوغرافيات (قوائم ومؤلفات) : الاعلام والصحافة (ببليوغرافية معرفة) وهو مطبوع يمثل قائمة مؤلفات (ببليوغرافية) متخصصة فى مجالات الاعلام والصحافة .. بالاضافة الى ان المركز سيعمل على اصدار (ببليوغرافية قوائم ومؤلفات) موضوعية أخرى فى المستقبل .

● الكشافات والفهارس : يقوم المركز باعداد كشافات تحليلية تكون بمثابة فهارس موضوعية لعدد من الصحف والمجلات التى تصدر فى دول الخليج العربية .. إضافة الى أن المركز يخطط لاعداد فهارس موحدة لمقتضيات اقسام المعلومات فى المؤسسات الاعلامية فى اقطار الخليج ، والعمل على تنظيم مجاميع هذه الأقسام وفق احدث النظم ، وتوحيدها بغية تسهيل تدفق المعلومات وتبادلها .

● المصغرات (المايكروفيلم) : يقوم المركز بتصوير عدد من المطبوعات الدورية (صحف ومجلات) التى تصدر فى دول الخليج العربى بأجهزة المصغرات سواء بالمايكروفيلم أو بالمايكرونيش لتسهيل عملية خزن المعلومات وحفظها واسترجاعها للمركز والمؤسسات الأخرى التى تصدر مثل هذه المطبوعات .

● الدورات التدريبية والخبراء : يعمل المركز على تاهيل وتدريب الكوادر الوظيفية المتخصصة والمطلوبة فى مراكز المعلومات والتوثيق فى دول الخليج العربى وخاصة فى المؤسسات الاعلامية والصحفية ويستعين المركز فى تنفيذ هذا المخطط بالخبراء المحليين والعرب والأجانب للتدريس فيها .. كما يقوم بتوفير الخبراء والمتخصصين المهنيين لتقديم المشورة والخبرة فى مجالات التوثيق والمعلومات إلى المؤسسات الاعلامية والصحفية فى الدول الأعضاء .

● شخصيات خليجية : قام المركز بقطع شوط كبير فى جمع المعلومات الأساسية الكافية عن الشخصيات الاجتماعية والاعلامية والصحفية ورجال الحكم والادباء والفنانين ورجال الاعمال والشخصيات الاخرى المهمة فى دول الخليج لتنظيمها وتحديثها بشكل مستمر ثم ضمها فى مطبوع يصدر للمركز تحت اسم « شخصيات خليجية » ليكون مرجعاً اساسياً فى ضبط كتابة الشخصيات فى دول الخليج ومعرفة تاريخ حياتها وترجمة سيرها .

● استخدام الحاسب الالكترونى (الكمبيوتر) : بدأ المركز بوضع الخطط والدراسات اللازمة لاستخدام الحاسب الالكترونى (الكمبيوتر) ومحطات الاتصال الطرفية (الترمنال) وذلك لجمع المعلومات والبيانات لتنظيمها بغية التعامل معها فى المستقبل وستكون المحطة الرئيسية للكمبيوتر فى المركز نفسه ثم توزع محطات (طرفية) فى المؤسسات الاعلامية فى المنطقة لتمكين الباحث والمستفيد من استرجاع المعلومات والبيانات المطلوبة بواسطتها بسرعة وكفاية ويسر .

● الخدمات المرجعية : يعمل المركز على تنظيم خدمات مرجعية متقدمة عن دول الخليج وعن الموضوعات الأخرى التى تحتاج إليها المؤسسات الاعلامية فى منطقة الخليج والاجابة عن الاستفسارات المطلوبة بالصور والاشكال كافة .. ويهيىء المركز المعلومات السريعة المطلوبة والمجموعات الثقافية والاعلامية فى المركز عن طريق المطبوعات والوثائق والمواد السمعية والبصرية والمصغرات المتوفرة .

● مجلة المركز : وتتضمن عدداً من الدراسات والبحوث ذات المستوى العلمى مما له صلة بقضايا الخليج واقطاره بالاضافة الى المعلومات التوثيقية واخبار الخليج المهمة واخبار المنظمات الخليجية والعربية والدولية وكافة الأخبار العربية والعالمية وبالأخص بما يتصل بالمنطقة .. وقد اطلق على المجلة اسم « التوثيق الاعلامى » وهى مجلة فصلية صدر منها ثلاثة اعداد تعتبر بمثابة الواجهة الحقيقية لنشاطات المركز الاعلامية والتوثيقية .

وخلال النقلة السريعة التى تجولنا فيها حول المركز وما تطرقنا إليه عن نشاطاته وأهدافه لا يفوتنا أن نذكر أن المركز يقوم بكافة الأنشطة على ضوء الأهداف والاغراض التى حددها له اصحاب السعادة وزراء اعلام دول الخليج العربى والتى تعود بالفائدة على المركز وتدعم مشاريعه .

وبعد هذا العرض الدقيق لملامح صوره التعاون الخليجى فى المجال الاعلامى ، يمكننا أن نقول : أن الصرح الكبير الذى تاسس باسم مجلس التعاون لدول الخليج العربية لم يأت إلا نتيجة الايمان الصادق من ابناء المنطقة بضرورة تحمل المسئولية ـ الملقاة على عاتقهم ـ بصدق واخلاص

خالد زيارة
وكالة الأنباء القطرية

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت
بل تزداد جمالاً مع الأيـــام

مختارات
ثقافية حية
من الصحف
العربية القديمة



احمد حسن الزيات

حفلة أدبيّة

بقلم: أحمد حسن الزيات

أدبت السيدة إيمى خير مادبة لرجال الأدب ونسائه ، كانت على رأى من شهدوها مظهراً لذلك الأدب النَّغْل الذى يعييك أن تعزوه إلى وطن وتنسبه إلى أمة .

تفرنس فيها المدعوون حتى حماة اللغة والأدب ! بعضهم ملكته الحذلقة فاستكثر ظرفه وعلمه على اللغة العربية ، وبعضهم غلبته المجاملة فخاطب الأديبات بلغتهن ولغتهن الفضلى هى الفرنسية . وكان الذين يتعصبون للعربية أو يتادبـــون بالانجليزية قلالا قد انتثروا فى غمار الحفل أول ما دخلوا ، فلما أنكروا اللسان المتحدث بين القوم تراجعوا متزايلين مستوحشين إلى هامشه . ثم طفقوا ينظرون بعين المتفرج المتعجب إلى جمعى المذكر والمؤنث وهما يضطربان فى الأبهاء والحجر على غير قياس :

هذا يمثل الباريسى اللبق فيسلك طريقته فى السلام ، ويتخذ لهجته فى الكلام ، ويسمت سمته فى التظرف ، وهذه تمثل إحدى (عالمات) موليير فتتصنع المعرفة ، وتتكلف الذكاء ، وتقدر نفسها بالقيـــاس الطويل والوزن الثقيل فيمالق الذكى ويصدق الأبله ، وهذان يتضاحكان لحركة لاحظاها أو نكتة قالاها ، ثم يكتكتان فى الضحك ليلفتا اليهما السمع المشغول والنظر الغافل ، وهاتان تتحدثان ووجهاهما متقابلان ، ونظراهما متدابران ، وكل منهما تبحث ذات اليمين وذات الشمال عن محدث أو معجب ، وهؤلاء يتناقشون فى موضوع غريب بلسان غريب لم يوحه الوطن الذى نحيا به ، ولا المجتمع الذى نضطرب فيه ، ولا الأدب الذى نعيش له ، وإنما أوحاه رأى فى كتاب أو مقال فى صحيفة جاء به البريد الأخير من البلد الذى استوطنوه بالفكر واستقبلوه بالعبادة !

حدثنى أحد الذين دعوا إلى هذه المادبة وهو أديب ظريف لا يعرف لغة هذا الصالون قال : كنت جالساً وراء القوم كاننى أحد (أولاد البلد) فى دار من دور السينما يشاهد فلماً فرنسياً ، فهو يرى ولا يعلم ، ويسمع ولا يفهم ، ولكنه ماخوذ بالمناظر التمثيلية التى تتقلب على عينيه فيغيب وهو حاضر ، ويحلم وهو يقظ . فاذا خشيت أن يلحظ الناس انقباضى عنهم بطول القعود قمت أتنقل بين المثنيات والجموع ، فاجدنى أشبه بالأطرش فى الزفة ، يرى الوجوه تنبلج ، والشفاه تنفرج والأيدى تتحرك ، وهو شاخص البصر ، مفغور الفم ، لا يدرى ما الذى يشيع السرور ويبعث الضحك . ثم جلست على مقربة من الأستاذ المازنى فرأيت ربة الدار تقبل عليه وتقدم إليه سيدة يقولون إنها من الأديبات النوابه . عرفت إليها الأستاذ ونوهت بأثره فى الأدب ومكانه من النهضة ، ثم تركتهما معاً وذهبت إلى غيرهما . وانتظر الأستاذ أن تتحدث إليه السيدة الأديبة فى قصة من قصصه أو فى رأى من آرائه ، فيكون فى ذلك بعض الترضية للأدب العربى المهان فى بلده وبين قومه ، ولكن السيدة الأديبة بدأت الحديث بهذا السؤال :

حضرتك من مصر ولا من الشام ؟

ولا أدرى أألقت على المازنى كلاماً فيه معنى أم ذَنُوباً فيه ماء ؟ فقد تخلص منها بلباقة وأقبل علينا يقول :

واضيعتاه ! أبعد ثلاثين عاماً قضيتها فى الأدب أكتب فى كل يوم مقالا ، وألقى كل أسبوع محاضرة ، وأخرج فى كل سنة كتاباً أجد فى المتعلمات بالقاهرة من تسأل : أمن الشام أنا أم من مصر ؟ !

هذه حفلة أقامتها صاحبتها الأديبـــة لصاحباتها الأدباء ، وقد رأيت وسمعت كيف كان حرص أدبائنا على اللغة ، وإلى أين بلغ علم أديباتنا بالأدب . فهل تصدق أن يكون لهؤلاء أدب مستقل وهم ينكرون أن لهم لغة مستقلة ؟ لا جرم أن هذا النوع من الأدب الحرام يزيف الأديب على أمته كما يزيفه على الأمم الأخرى . وإذا جاز لأولئك السيدات الأديبات أن يلغين بغير لغتهن ، بحكم نشأتهن وطبيعة ثقافتهن ، فكيف يجوز لأساتذة اللغة وزعماء الأدب أن يديروا فى أفواههم ذلك اللسان الأجنبى وما كانت قيمتهم فى الناس ودعوتهم إلى هذا الحفل إلا لأنهم يحذقون اللغة العربية ويتزعمون الثقافة العربية ؟ !

إن من هوان نفسك عليك وإهانة جنسك فى الناس أن تتكلم غير لغتك فى بلدك وبين قومك من غير ضرورة ولا مناسبة ، فان ذلك إن دل على شىء فانما يدل على عدم استقلالك فى خليقتك وعقيدتك ونمط تفكيرك وأسلوب عملك .

هل تستطيع أن تدلنى على بقعة من بقاع الأرض غير مصر ولبنان يجتمع فى دور من دورها مجلس من مجالس الأدب يحضره لفيف من أساتذة الجامعة وجهابذة الأدب وأقطاب الصحافة ، ثم لا يكون حديثهم إلا بالفرنسية ، ولا يدور نقاشهم إلا على موضوعات أجنبية ؟ ؟

يا قومنا إن لغة المرء تاريخه وذاته ، فالغض منها غض منه ، والتفضيل عليها تفضيل عليه ، ولا يرضى لنفسه الضعة والصغار إلا مهين أو عاجز !

١٩٣٨

أوراق خضراء

السرقات الأدبيّة

بقلم : إبراهيم عبد القادر المازني



ابراهيم عبد القادر المازنى

ساقص على القراء حادثة أعذر من لا يصدقها ولا الوم من يرتاب فى صحتها ، ولكنها مع ذلك حقيقة ، وبعض الحقائق أغرب من تلفيقات الخيال .

على اثر الثورة المصرية فى سنة ١٩١٩ ذهبت إلى الاسكندرية لاقضى فيها اياما او لاتخذ فيها مقامى - حسب الأحوال - وكنت لا ازال سقيم الأعصاب جداً .
وكنا فى رمضان فافطرنا واسترحنا ثم خرجنا لنحيي الليل بالسهر كما هى العادة وكنت منشرح الصدر ولكنى لم اكد اتجاوز عتبة البيت حتى وقفت وقلت لقريبي إنى محموم ، فانا راجع فجسني فلم يجد بى شيئا فاصررت على انها الحمى ، فرقدت وكنت لا اكاد اطيق الصهد الذى احسه . وزال عنى ذلك بعد ساعة او اثنتين غير انى لزمت الفراش وعادنى طبيب الأسرة فى اليوم التالى فقال : ان هذه حمى عصبية . فاستغربت ولكنى عانيت من الاعصاب ماجعلنى اصدق كل شىء وبقيت اياما فى البيت
زارنى فى خلالها صديقى الأستاذ العقاد وترك لى رواية روسية اتسلى بها ، فاكببت عليها وقراتها فى ساعات احسست بعدها انى صرت اقوى واصح بدنا واقدر على المكافحة والنضال فى الحياة ، وانه صار فى وسعى ان استخف بما يحدث لى سقم الأعصاب من الوهم . وعدت إلى القاهرة ، ومضى عام فطلب منى بعضهم ان اترجم له رواية ، فقلت لنفسى انى مدين لهذه الرواية الروسية بشفائى وبالروح الجديدة التى استولت على ، فيحسن ان انقلها إلى العربية عسى ان تنفع غيرى كما نفعتنى . وقد كان . نقلت الرواية بسرعة ، وكنت اذهب إلى المطبعة لتصحيح المسودات فيقول لى العامل احيانا : إن الأصول نفدت فاقعد فى اى مكان وافتح الرواية واروح اترجم وارمى للعمال بالورقة بعد الورقة ، وكانى ادون كلاما حفظته من قبل . ولست اذكر هذا لاباهى به ولا لاقول لكم انى رجل بارع ، بل لسبب آخر سياتى ذكره فى موضعه . وفرغنا من الترجمة والطبع ، ولم يعن الناشر بان يبعث إلى بنسخة من الرواية ولم اعن انا بان اطلب او ادخر نسخة ، وقد نسيت ان اقول إنى سميتها « ابن الطبيعة » وكان اسمها فى الأصل « سنين » وهو اسم بطلها . وليس هذا إعلانا فقد نفدت من زمان طويل . كان هذا فى سنة ١٩٢٠ . وفى سنة ١٩٢٦ شرعت اكتب قصة « ابراهيم الكاتب » وانتهيت منها ولم ارض عنها فالقيتها فى درج حتى كانت سنة ١٩٣٠ فخطر لى ان انشرها ، فدفعت بها إلى المطبعة ، فاتفق بعد ان طبعنا نحو نصفها ان ضاعت بعض الأصول وكنت لطول العهد قد نسيت موضوعها واسماء اشخاصها فحرت ماذا اصنع ، ثم لم ار بداً من المضى فى الطبع فسددت النقص ووجهت الرواية فيما بقي منها توجيها جديداً . ونشرت الرواية . وبعد شهور تلقيت نسخة من مجلة « الحديث » التى تصدر فى حلب وإذا فيها فصل يقول فيه كاتبه إنى سرقت فصلا من رواية ابن الطبيعة . فدهشت ولى العذر . واذكروا انى انا مترجم ابن الطبيعة وناقلها إلى العربية ، وان اربعة الاف نسخة نشرت منها فى العالم العربى ، وإنى اكون احمق الحمقى إذا سرقت من هذه الرواية على الخصوص . فبحثت عن ابن الطبيعة وراجعتها وإذا بالتهمة صحيحة لاشك فى ذلك ، بل هى اصح مما قال الناقد الفاضل . فقد اتضح لى ان اربع او خمس صفحات منقولة بالحرف الواحد من ابن الطبيعة فى

روايتى « ابراهيم الكاتب » . اربع او خمس صفحات سال بها القلم وانا احسب ان هذا كلامى . حرف العطف هنا هو حرفه هناك ، اول السطر فى إحدى الروايتين هو اوله فى الرواية الأخرى .. لا اختلاف على الاطلاق فى واو او فاء او اسم إشارة او ضمير مذكر او مؤنث .. الصفحات هنا هى بعينها هناك بلا أدنى فرق . ومن الذى يصدقنى إذا قلت إن رواية ابن الطبيعة لم تكن امامى ولا فى بيتى وانا اكتب روايتى ؟ من الذى يمكن ان يصدقنى حين أؤكد له انى لم ار رواية ابن الطبيعة مذ فرغت من ترجمتها ، واني لو كنت أريد اقتباس شىء من معانيهـــــا او مواقفها لما عجزت عن صب ذلك فى عبارات اخرى ؟ لهذا سكت ولم اقل شيئا وتركت الناقد وغيره يظنون ما يشاءون فما لى حيلة . ولكن الواقع مع ذلك هو ان صفحات اربعا او خمسا من رواية ابن الطبيعة علقت بذاكرتى ـ وانا لا ادرى ـ لعمق الاثر الذى تركته هذه الرواية فى نفسى فجرى بها القلم وانا احسبها لى . حدث ذلك على الرغم من السرعة التى قرات بها الرواية والسرعة العظيمة التى ترجمتها بها ايضا . ومن شاء ان يصدق فليصدق ، ومن شاء ان يحسبنى مجنونا فان له ذاك . ولست اروى هذه الحادثة لادافع عن نفسى فما يعنينى هذا ، وإنما ارويها على انها مثال لما يمكن ان تؤدى إليه معابثة الذاكرة للانسان . وليست الذاكرة خزانة مرتبة مبوبة ، وإنما هى بحر مائج يرسب ما فيه ويطفو بلا ضابط نعرفه ومن غير ان يكون لنا على هذا سلطان . فالمرء يذكر وينسى . ويغيب عنه الشىء ويحضر بغير إرادته وبلا جهد منه ، ويعلق بذاكرته ما يعلق وهو غير دار او مدرك لما يحدث ، وتتزاوج الخوالج وتتوالد كما يتزاوج الناس ويتوالدون وهو غير شاعر بشىء مما يجرى فى نفسه من التفاعل واثره .

ولست احب ان اجعل من نفسى قاضيا يحكم على هذا بالسرقة وعلى ذاك بالانتحال إلى آخر هذا ، وإنما احب ان أعلل وافسر الحالات او الحركات النفسية



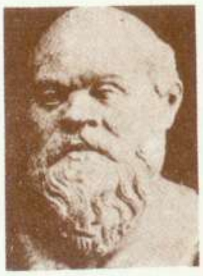
هومر



شكسبير



مارلو



سقراط

التى تؤدى إلى ما يمكن ان يسمى سرقة او اقتباسا او التى تغرى إنسانا بما فكر فيه غيره . ولا جديد فى تعليلي او تفسيرى فانه قائم على علم النفس ، وإنما الجديد فيه هو التوجيه او التطبيق ، ولا فضل فى هذا ولا مزية له . ومن اجل ذلك اقصر هذا الفصل على الامثلة فان المقام لا يتسع لها ولما يبدو لى من وجوه التعليل ، وارجو ان تتاح لي فرصة قريبة اشرح فيها مذهبي ورايي فى هذه الحالات .

وقد عنى العرب بتعقب شعرائهم ، فكل شاعر ظهر له من ينخل كلامه ويغربله ويرد المعانى إلى اصحابها اى إلى الذين سبقوا إليها . والسبق فى الزمن هو الذى يكسب السابق الحق فى المعنى ، وانا اقول المعنى لانه لم يكن ثم موضوع للقصائد غير الاغراض المالوفة مثل المدح والهجاء والفخر والغزل وما إلى ذلك . ولما كان البيت فى الشعر العربى القديم هو الوحدة فقد صارت الأبيات المفردة هى مدار هذا الضرب من النقد ، فهذا اخذ معنى البيت الفلانى من فلان ، وذاك نظر إلى قول علان ، إلى آخر هذا إن كان له آخر . ولهم فى هذا الباب حكايات بعضها لاشك مختلق والبعض قد يكون صحيحا ، واعنى بهذه الحكايات ما يراه المرء فى كتب الأدب من أن بعض الشعراء المستهترين المستخفين بالدنيا وما فيها من مثل ابى نواس سمع شاعرا مغمورا ينشد قصيدة فاعجبه معنى بيت فيها فاخذه جهرة وقال : ايروى لك هذا المعنى وانا حى ؟ .. ومثل ما يروون من ان المتنبي كان ينكر فى حياته انه قرا شعر ابن الرومى ، فلما قتل وجدوا بين اوراقه نسخة خطية بالطبع من ديوان ابن الرومى وعليها تعليقات بخط المتنبي . ولا فائدة من محاولة التمثيل لهذا النوع من السرقات فان الكلام خليق ان يطول بلا جدوى ومن غير ان نجيء فيه بجديد واكثر القـــراء يستطيعون أن يرجعوا إليه إذا شاءوا فى كتب الأدب المتداولة . لهذا اوثر ان اسوق امثلة مما فى الآداب الغربية مما يدخل فى باب السرقات فان الأمر فى هذه امر موضوع يقتبس ، او قصيدة برمتها تؤخذ من اولها إلى آخرها على طولها بالحرف الواحد . والقليلون يعنون بتعقب هذا فذكر امثلة منه خليق ان يكون امتع .

اشهر شعراء الاغريق هومر كما لا احتاج ان اقول ، وقد قرات ترجمتين انجليزيتين له وحطمت راسى بهما واعترف انه لم يرقنى منه إلا القليل ، ولكن كنت اخشى ان اجاهر بهذا الراى لئلا يقول عنى إخوانى ان ذوقى فاسد او إن بى نقصا فى الاستعداد الأدبى ، اما الآن فانى استطيع ان اجهر بذلك وان لا اخشى تهما كهذه . على انى لا اذكر هومر الآن لاقول رايي فيه بل لأروى قصتين صارتا الآن معروفتين : الأول ان الأدب الاغريقى كان فى العصور الوسطى مجهولا او مدفونا وكان لا يعرفه إلا الرهبان الذين احتفظوا بنسخ منه ضنوا بها على النشر والاذاعة لانه ادب وثني ، وفيما عدا هؤلاء الرهبان لم يكن احد يعرف شيئا لا قليلا ولا كثيرا عن الأدب الاغريقى ، فكان من سخرية الاقدار

السرقات الأدبيّة

ان الرجل الذى رد إلى العالم هومر فى القرن الرابع عشر كان سكيراً نصاباً وشريراً كبيراً ، وان الرجل الذى حمله على ترجمة هومر كان من ابرع كتاب النهضة ، وان الرجل الذى آلى على نفسه ان يعمل على نشر جمال الأدب الاغريقى فى العالم كان لا يعرف حرفاً واحداً من اللغة الاغريقية . هؤلاء الثلاثة الذين جمعهم الحظ هم بيلاتس Pilatus وبوكاكشيو Boccaccio وبترارك Petrarch

فاما اولهم فكان مغامراً يؤثر ان يستخفى لأسباب لعل البوليس اعرف بها ، وكان قذراً كثير الشعر دميم الخلقة ، ولكنه كان يعرف اللغة الاغريقية فجاء به بوكاكشيو وانزله عنده ضيفاً فبقى ثلاث سنوات . اما بوكاكشيو فمعروف مشهور وهو عندى انبغ نوابغ الايطاليين ولكنه كان ساذجاً وكان لا يعرف قدر نفسه وكان عظيم التوقير لبترارك حتى لقد صار فى آخر حياته يخجل لانه كتب ما كتب باللغة الايطالية العامية لا باللاتينية . واما بترارك فقد اقتنع لسبب لا نعرفه بان المخرج الوحيد من السوء الذى يراه فى زمانه هو إحياء درس الأدب الاغريقى ، ويظهر انه كان هناك اعتقاد بان هذا الأدب المقبور هو القادر وحده على حل المشاكل التى كانت تواجه العالم فى ذلك الزمان ، وهكذا عرف الناس هومر بعد ان قبره الزمن عدة قرون .

ومن المحقق ان هومر كان يعرف الأساطير المصرية وانه استعان بها فى قصيدته ـ الالياذة والاوديسية ـ واحسب ان كثيرين قراوا البحوث التى نشرها الأستاذ عبد القادر حمزة واثبت فيها ـ استناداً إلى ما وقف عليه وكشف عنه العلماء بالآثار المصرية والتاريخ المصرى القديم ان هومر اخذ كل العقائد وكل القصص من المصريين . والمصريون كما لا احتاج ان اقول ـ اسبق بآلاف السنين لا بمئاتها فقط وهم الذين نشروا فى العالم القديم العقائد التى لا تزال باقية إلى اليوم . وهم اول من فكر فى الروح والآخرة والحساب والعقاب . وقد ذهبت مدنيتهم ولكن آثارها بقيت وهى على قلتها كافية للدلالة على حضارتهم . وقد نشر الأستاذ عبد القادر حمزة النصوص واثبت منها ان هومر اخذ قصصه من مصر وان كل ما فعله هو تغيير الاسماء وقلبها إغريقية . وانا ازيد على ذلك ان هيرودوت يقول عن هومر كلمة لها مغزاها ، ذلك انه يصف عمله بانه «تنظيم» ويقول عنه فى موضع آخر إنه وضع «إطاراً» للقصص ، وفى موضع آخر ايضاً إنه « جمع » . ومعنى هذا انه كان معروفاً ان هومر لم يبتكر قصصه وإنما جمعها ورتبها ونظمها . ويظهر انه كانت هناك روايات متعددة مختلفة وان هومر شعر بالحيرة بينها ولم يدر أيها يؤثر : الرواية المصرية ام الروايات المشوهة التى شاعت فى اسبارطة واثينا وفى غيرهما ؟ ولهذا اضطرب ولم يستقر على راى فى ايهما هو البطل ـ هكتور او اخيل ـ ويرجح بعضهم انه لحيرته بين الروايات المختلفة اعد نصين ، واحداً ينشده على الجانب الأسيوي والآخر ينشده على الجانب الاوربى . على ان المهم ان هومر اخـــذ موضوعه كله بكل ما انطوى عليه من مصر ، فلولا مصر لما كان هومر . واحسب ان الدنيا ما كانت حينئذ تخسر شيئاً فقد اصبح هومر اسماً لا اكثر .

وادع التوافه مثل قول اكثر من ناقد واحد : إن الرومان مدينون بفكاهتهم للاغريق ، وإنه ما من نكتة فى الأدب الرومانى إلا وهى ماخوذة من نكت الاغريق او لها ما يقابلها عندهم ، ومثل قولهم ان « الابولوجيا » او الاعتذار الذى كتبه سنيكا لما امره نيرون بالانتحار ليس سوى تقليد ضعيف للابولوجيا التى كتبها افلاطون عن سقراط بعد الحكم على سقراط بالموت ، ومثل قولهم إن وصف درع « إينياس » فى قصيدة فرجيل ماخوذ من وصف هومر لدرع اخيل ، وقولهم ايضاً إن خير ما فى إينيادة فرجيل منقول بالحرف من إينيـــوس Ennius وكاتاللاس Catallus وان القصيدة كلها فى الحقيقة ليست اكثر من مقاطيع منقولة من شعراء سابقين مثل هومر وابوللونيوس Appollonius ورودياس Rhodias ولوسيلياس Lucilius ولوكريشـــلاس Lucretius وان مكروبيـــوس ضبط كل هذه السرقات ، ومثل قولهم ان الشاعر الانجليزى « مارلو » ـ معاصر شكسبير ـ انتحل ابياتاً كثيرة ترجمها عن اليونانية فى روايته « الدكتور فاوست » . ادع كل هذا لانه كما قلت من التوافه واثب إلى ملتون الشاعر الانجليزى المشهور ، واعترف انى لا احبه وانى ما استطعت فى حياتى ان اقرا له قصيدة مرتين . واشهر ما لملتون قصيدة « الفردوس المفقود » واختها « الفردوس المستعاد » والأولى لا الثانية هي التي تقوم عليها شهرته . وهذه يقول النقاد إن من المعروف انها عبارة عن جمـــلة سرقـــات من ايســـكلاس ودافيد وماسينياس ، وفوندل وغيرهم . ولكنه لم يكن معروفاً ان الفردوس المفقود كله ـ موضوعه ومواقفه وعباراته ايضاً ـ مترجمة ترجمة حرفية عن شاعر إيطالي مغمور كان معاصراً لملتون . لم يكن هذا معروفاً حتى اهتدى إليه «نورمان دوجلاس» فقد اتفق له ان عثر على نسخة وحيدة من رواية « ادامو كلنتو » Adamo Caruto لمؤلفها « سرافينو ديللا سالاندرا Serafino Della Salandra وهذه الرواية وضعت في سنة ١٩٤٧ .

وانا انقل هنا ما يقوله « نورمان دوجلاس » قال :

ساسوق الآن بلا تمهيد ما يكفي لاثبات ان الفردوس المفقود ليس إلا نقلا وترجمة لهذه الرواية .

محور قصيدة سالاندرا هو ما اصاب العالم من جراء العصيان الذي اغري به الانسان الاول . وهذا هو محور موضوع ملتون .

والاشخاص في رواية سالاندراهم الله ، وملائكته ، والانسان الأول والمراة الأولى والحية وإبليس وزملاؤه . وكذلك في قصة ملتون .

وفي فاتحة القصيدة او التمهيد لها يذكر سلاندرا الموضوع ويتكلم عن الله واعماله

وكذلك يفعل ملتون .

ثم يصف سـلاندرا مجلس الملائكة المتمردين وسقوطهم من السماء فى منطقة جرداء نارية ويسوق احاديثهم وكيف انهم يحقدون على الانسان ويتفقون على الاحتيال على إسقاطه ويقررون ان يجتمعوا فى الهاوية حيث يتخذون التدابير الخليقة ان تجعل من الانسان عدواً لله وفريسة لجندهم . وكذلك فى ملتون .

وسالاندرا يجسد الخطيئة والموت ويجعل الموت ثمرة الخطيئة . وكذلك يفعل ملتون .

ويصف سالاندرا سبق العلم الالهى بنتيجة الاغواء وسقوط الانسان وتهيئته تعالى لأسباب الخلاص . وكذلك ملتون .

ويصف سالاندرا موقع الجنة والحياة السعيدة فيها . ويفعل ملتون مثله .

ويشرح سالاندرا الاعجاز فى خلق العالم والانسان وفضائل الثمرة المحرمة . وكذلك ملتون .

ويروى سالاندرا الحوار الذى دار بين حواء والحية ويصف الأكل من الشجرة المحرمة والياس الذى استولى على ابوينا – أدم وحواء – وكذلك ملتون .

ويصف سالاندرا فرحة الموت بما ارتكبته حواء والسرور الذى عم الجحيم والحزن الذى انتاب آدم – وكذلك يفعل ملتون .

ويتوقع سالاندرا مجيء المخلص وهزيمة الخطيئة والموت ويتكلم عن عجائب الخلق ويصف قتل قابيل لاخيه هابيل ويذكر الخطيئات فى الدنيا والحرب واهوالها . وكذلك ملتون .

ويصف سالاندرا الحب الذى ينطوى عليه عيسى عليه السلام والعزاء الذى يشعر به آدم وحواء حيز ىبشرهما الملك بمجيء المسيح ثم خروجهمـا من جنتهما الأرضية . وكذلك يفعل ملتون .

فالموضوع ماخوذ برمته كما اثبت ذلك نورمان دوجلاس . ويقول برتون راسكو : « إن هذا ليس كل شيء ويحيل القارىء على كتاب اسمه « أولد كالابريا » – كالابريا القديمة – ويؤكد انه يؤخذ منه ان ملتون ترجم قصة سالاندرا حرفاً بحرف وان ماليس مترجماً عن سالاندرا مترجم عن غيره من الشعراء القدماء .

والذى يجعل الأمر اغرب ان ملتون قد أعلن قبل ذلك عزمه على نظم قصة خالدة



تشارلز كنجزلى



بوكاشيو



العقاد



جاليليو

لا يسمح للناس بان يدعوها تموت وتقبر ، ويعنى بها الفردوس المفقود ، وبعد ان اعلن عزمه هذا بسط لسانه فى كل الشعراء الانجليز الذين تقدموه مثل شوسر وسبنسر وشكسبير ومارلو وجونسون ووصفهم بانهم صناع آليون ، وانتقد هومر وفرجيل وتاسو وعاب شعرهم . ويعلل نورمان دوجلاس اهتداء ملتون إلى قصة سالاندرا بان ملتون لقيه فى رحلته إلى إيطاليا ، وان سالاندرا يرجح أن يكون اعطاه نسخة من قصته عسى أن يعينه على ترجمتها إلى الانجليزية . ويقول إن ملتون كان له أصدقاء يراسلونه من إيطاليا وإنه قابل جروتياس Gratius فى باريس وجاليليو Galelio فى فلورنسا وإنه يحتمل أن يكون هذان قد أعطياه نسخة من القصة لما نشرت بالايطالية . والمحقق على كل حال ان قصيدة الفردوس المفقود نسخة طبق الاصل من قصيدة سالاندرا الايطالى .

وانتقل الآن إلى ما هو احدث فى اثنـاء الحرب العظمى . لم يكن لنا عمل بعد السعي وراء الرزق إلا القراءة والاطلاع واتقاء التعرض لمكاره الاعتقال والسجن وما عسى أن يكون وراءهما . وقد وقتنى الكتب ذلك مرة وجاء القوم يفتشون بيتى وكان معهم ضابط انجليزى ، فلما دخل المكتبة واجال عينه فى الرفوف وما عليها من كتب الأدب حسن رايه فى ومال الى الرفق ، فانتهى الأمر بخير . ولكن هذا استطراد فلنرجع إلى ما كنا فيه . والذى أريد ان اقوله هو أن صديقى الأستاذ العقاد أعارنى يوماً قصة « تاييس » لاناتول فرانس فقراتها بلهفة فقد استطاع المترجم الانجليزى ان يحتفظ بقوة الأسلوب وتحدره وبراعة العبارة وسحرها . ومضت بضعة شهور ثم دفع إلى الأستاذ العقاد روايـة « هايبيثيا » للكاتب الانجليزى « تشارلز كنجزلى » فقراتها ايضاً ، ثم سـالنى : ما رايك ؟ قلت : غريب . قال : إن الروايتين شيء واحد . قلت : صحيح .

والواقع أن الروايتين شيء واحد وان تاييس ماخوذة من هايبيثيا بلا ادنى شك .

وفى وسع من شاء أن يقول إن اناتول فرانس ما كان يستطيع أن يكتب – أو ما كان يخطر له ان يكتب روايته لو لم يسبقه تشارلز كنجزلى إلى الموضوع . ذلك ان تاييس فى رواية اناتول فرانس هى هايبيثيا فى رواية كنجزلى ، والعصر هو العصر والبلاد هى البلاد ، وكل ما هناك من الاختلاف هو أن اناتول فرانس أسـتاذ فنان ، وأن تشارلز كنجزلى أستاذ مؤرخ

وانا مع ذلك افضل رواية هايبيثيا واراها اكبر واعمق واملأ للنفس وامتع للعقل ، فما لأناتول فرانس فى تاييس غير براعة الأسلوب وحلاوة الفن ، ولكن الصور فى رواية هايبيثيا اتم واصدق ، والشخصيات اكثر ورسمها اقوى واوفى والموضوع احفل . وفى وسعى أن أقول بلا مبالغه إنها تعرض عليك عالماً تاماً لا ينقصه جانب واحد من الجوانب ، اما تاييس فليست سوى لمحة خاطفة من هذا العالم .

وتشارلز كنجزلى يرسم لك الحياة فى تلك الفترة من تاريخ مصر بكل ما انطوت عليه ويريك الناس والأشياء والعادات والأخلاق والآراء والفلسفات الشـائعة والفردية بدقة وامانة ، أما اناتول فرانس فيرسم لك بقلمه البارع خطوطاً سريعة تريك ما وقع فى نفسه من ذلك العصر ، فهو أشبه بالمصورين الذين يجرون على طريقة الامبرشنزم أى الذين يصورون وقع المناظر فى النفس لا المناظر كما هى فى الحقيقة والواقع .

هذا بعض ما يسعنى الآن أن اذكره وأمثال هذا كثير فى الآداب الغربية ، وليس له فى الأدب العربى نظير ، وأسباب ذلك كثيرة يطول فيها الكلام فلنرجئها إلى فرصة اخرى تتسع لوجوه التعليل المختلفة .

ابراهيم عبد القادر المازنى

العلم والمستقبل

تقديم: لبنى الريدي

القاموس الناطق



ان هذا الجهاز الصغير ليس بالمذياع العادى وانما يتحول إلى قاموس ناطق بمجرد الضغط على احد الأزرار . وهو يحفظ ٢١٢٦ كلمة وخمسمائة تعبير شائع فى اللغة الانجليزية . ولا يستغرق البحث عن الكلمة المطلوبة سوى ثوان معدودة لينطق بها بلغة سليمة بل ويكررها مرة أخرى إذا لزم الأمر .

ولا يكتفى هذا القاموس الالكترونى بنطق الكلمات . فباستخدام زرار أخر تظهر الكلمة مكتوبة على شاشة صغيرة أعلى الجهاز . إلا أن عيبه الوحيد أنه يترجم من اليابانية فقط ألى جميع اللغات الحية ، ولكنه أمر طبيعى فهو يابانى الصنع .

السحّاب الطبى

أصبح من العادى حالياً أن يستخدم الجراح مشكاً سلكياً لخياطة الجرح بدلا من الخيط والأبرة . وتتميز هذه الطريقة بالسرعة مما يختصر زمن العملية كما يقلل من فقد الدم ومن تهتك الأنسجة . ولكن الجديد هو استخدام المشك لرزة بلاستيكية بدلا من الرزة الصلب بحيث تذوب بمجرد التئام الجرح ولا حاجة لفك الغرز .

ومن مميزات هذه الرزات البلاستيكية انها لا تؤثر فى أجهزة الأشعة فى حالة احتياج المريض بعد العملية لاجراء اشعة

كما يقدم الباحثون الامريكيون ابتكاراً اخر فى هذا المجال وهو عبارة عن سحّاب طبى يحل محل غرز الخياطة . اذ يتم لصق السحّاب على جانبى فتحة الجرح ثم قفله بعد ذلك كأى سحّاب عادى وبعد أسبوعين ينزع بسهولة ويسر .

ومن المتوقع طرحه فى الأسواق بالولايات المتحدة مع نهاية هذا العام .

اشعة الليزر ودائرة المعارف



تمكن العلماء من الحصول على رقيقة ميكروسكوبية لا يزيد حجمها عن حبة الملح تنتج أشعة ليزر قوية وسريعة . ويختلف هذا الشعاع عن غيره من أشعة الليزر اذ قسمت الرقيقة الى قسمين يرتبط كل قسم بدائرة كهربية منفصلة وهو ما يتيح للرقيقة إرسال نبضات ضوئية انقى . كما يمكن تعديل وضبط أشعة الليزر الجديدة على ترددات الضوء المختلفة مما يضاعف من قدرتها على المعلومات بحيث تستطيع نقل خمسة أضعاف كمية البيانات والمعلومات التى كان بامكان اشعة الليزر المستخدمة حتى الآن نقلها . ولتوضيح ذلك يكفى أن نذكر أن هذه الرقيقة بامكانها ارسال المعلومات التى تحتويها دائرة المعارف البريطانية والتى تقع فى ثلاثين مجلداً فى ثانية واحدة . وتناسب هذه الرقيقة أيضا الاتصالات الصوتية والمرئية ولذلك يجرى إعداد دائرة معارف مسجلة على فيديو ديسك وتستخدم تكنولوجيا الليزر بحيث يستطيع الطالب بواسطة الكمبيوتر الشخصى قراءة مقال عن بيتهوفن مثلا بينما يستمع إلى إحدى سيمفونياته .

التصوير والفيديو

يتلاشى تدريجياً الخط الفاصل بين التصوير الفوتوغرافى والفيديو نتيجة استخدام تقنيه احدهما فى مجال الآخر أو دمج الاثنين معاً . فلقد أصبح ممكناً الحصول على صور فوتوغرافية أو شرائح للرسومات الالكترونية التى تظهر على شاشة الكمبيوتر وذلك باستخدام جهاز جديد يمكن اعتباره من الأجهزة المكملة للكمبيوتر .

ويضم هذا الجهاز شاشة تليفزيونية صغيرة و « فلتر » ثلاثى الألوان ومعدات للتحميض الفورى للشرائح من حجم ٣٥ ملليمتراً وللصور من حجم ثلاث بوصات وربع فى أربع بوصات وربع . فعندما يتكون رسم على شاشة الكمبيوتر يتم ارسال مكونات هذه الصورة إلكترونياً إلى شاشة الجهاز حيث يتم تصويرها من خلال الفلتر للحصول على صورة أو شريحة ملونة حتى اذا كانت الصورة الأصلية أبيض وأسود فقط .

كاميرا تكشف أسرار الخلايا

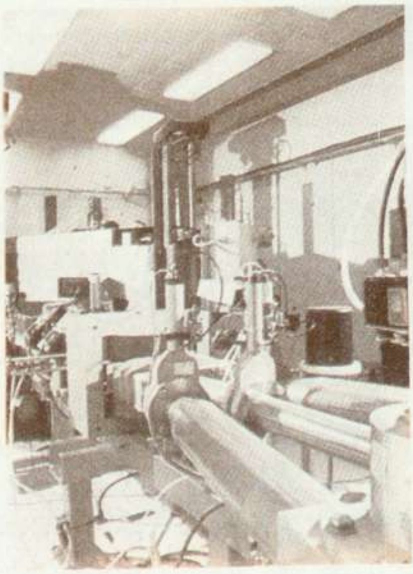
أصبح جسم الانسان شفافاً فى مواجهة ترسانة أجهزة الأشعة المتطورة والمتنوعة . وآخر هذه الأجهزة كاميرا تستطيع تصوير عمليات الهدم والبناء داخل خلايا الجسم . فبامكانها تصوير استهلاك الجلوكوز فى الأنسجة ومعامل استخلاصها للاكسجين . كما تسمح بتقدير عملية تكون البروتينات داخل الخلايا .

وتفتح هذه الكاميرا افاقا واسعة لدراسة خلايا المخ فهى لا تكتفى بتسجيل أى خلل فى تدفق الدم الى المخ وانما تبين ايضا أى بطء ينتاب عملية تكون بروتين معين على المستوى الخليي وتكشف عن أى نقص فى خلايا المخ من الاكسجين والجلوكوز .

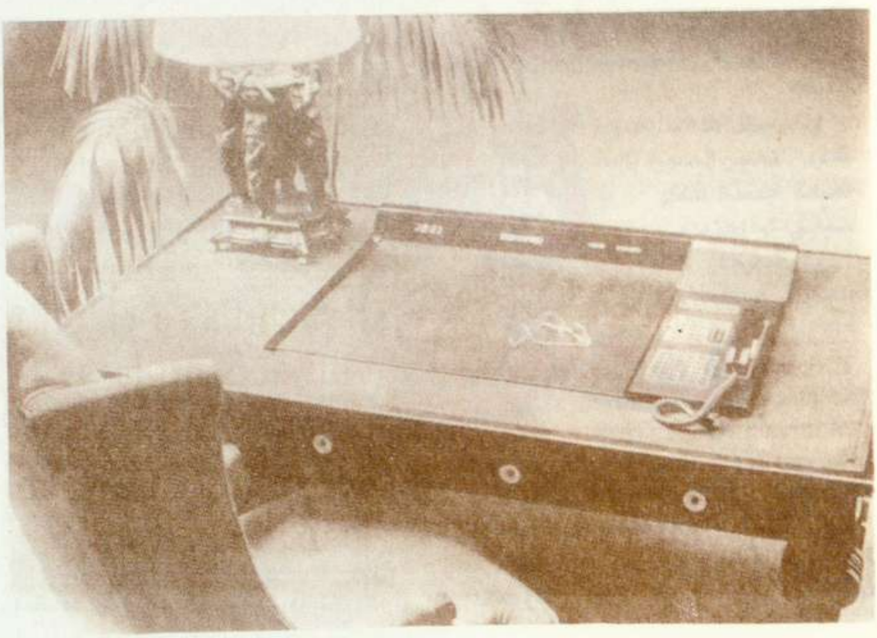
وتلقى الكاميرا اهتماماً كبيراً من اطباء الأعصاب إذ تسمح لهم بفهم أفضل لتأثير الأدوية المهدئة والأدوية المضادة للاكتئاب على مراكز المخ المختلفة مما قد يساعد فى المستقبل على كشف أسرار بعض الأمراض العقلية مثل الشيزوفرانيا .

ومن ناحية أخرى فلقد تمكنت من تصوير البنكرياس وهو من الاعضاء التى يصعب تصويرها باية طريقة اخرى كما تبين اذا كان يعمل بشكل طبيعى .

ولا يوجد منها سوى ثلاثين جهازاً فقط فى العالم ويرجع ذلك الى ثمنها الباهظ من ناحية والى ضرورة توفر تقنية متطورة لتشغيلها من ناحية اخرى . اذ يتراوح ثمن هذه الكاميرا والمعدات اللازمة لتشغيلها ما بين ١٥ مليون وعشرين مليون ريال .



هاتف يطلب لك المكالمات



نظراً لتعدد الأجهزة الالكترونية المكتبية ابتكرت احدى الشركات الكندية جهازاً واحداً يضم نظام هاتف متطور وآلة حاسبة وساعة رقمية . ويستطيع هذا الهاتف اختزان ١١٢ رقماً تليفونياً فى ذاكرته كما يمكنه الاتصال باى منها باستخدام مفتاحين فقط يحملان « كود » هذه الارقام . وإذا كان الرقم المطلوب مشغولا فان الهاتف يعاود الاتصال مرة أخرى من تلقاء نفسه ويكرر ذلك عشر مرات بمعدل مكالمة كل دقيقة . وبامكان المدير وضع جدول زمنى لمكالماته باستخدام الساعة الرقمية كساعة ايقاف .

وسوف يزود هذا الجهاز بشاشة تليفزيونية لاستقبال أى معلومات يرسلها أى جهاز مماثل آخر .







« ميل بيبسون » المراسل الاذاعى الذى نسى وظيفته ووقع فى الحب

« سيجورنى ويفر » فى دور السكرتيرة بالسفارة الانجليزية فى جاكرتا ..

سينما

رسالة مهرجان كان السينمائي من : رؤوف توفيق

الكاميرا تخرج للنزهة!

عندما يتحول التاريخ إلى زخارف لتجميل قصة حب

السينما .. هى لغة الصورة .

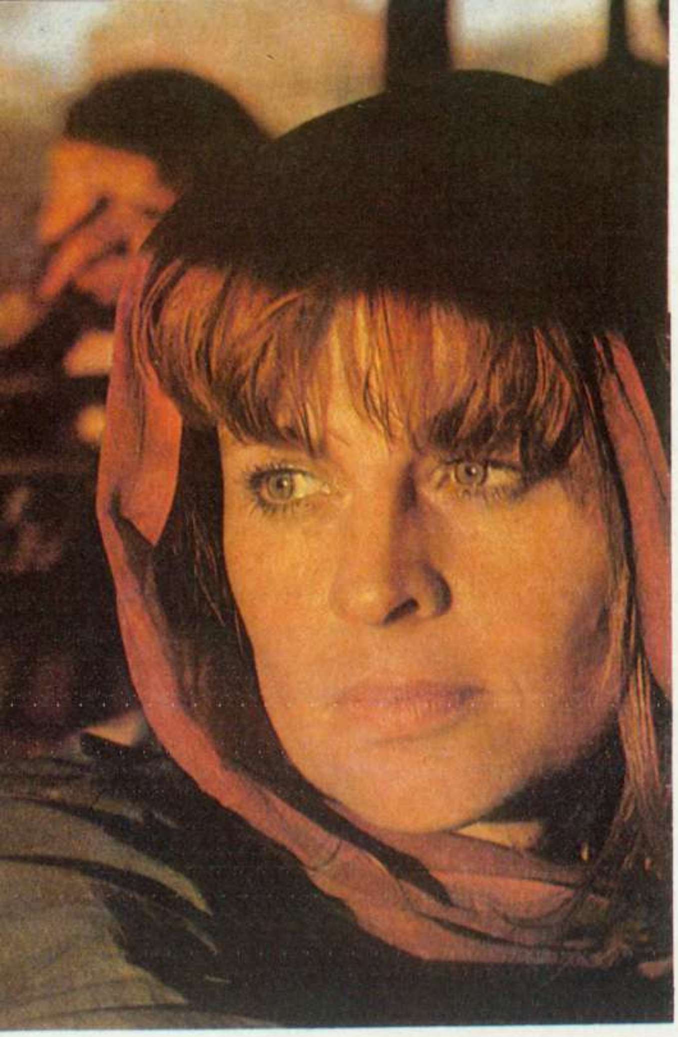
ولكن .. الصورة اذا كانت لا تفصح عن شىء خاص ، ولا تقدم اى معنى داخلى ، او فكرة ، او رسالة .. حينئذ تتحول الصورة ، الى مجرد سطح املس ، بارد ليس فيه عمق او حرارة .

وهنا .. تفقد السينما دورها الاساسى .. وتتحول الى سينما « الكارت بوستال » .. او بمعنى ادق سينما السياحة من خلف زجاج نافذة سيارة مكيفة الهواء !!

وقد بدات السينما العلية فى الفترة الأخيرة .. تلجا الى الخروج بكاميراتها



قصتان للحب للمخرج بين الهند القديمة والهند المعاصرة .. فى فيلم « حرارة وغبار »



« جولى كريستى » فى فيلم « حرارة وغبار »

للبحث عن موضوع فى بلد له طبيعة خاصة .. وذلك لتحقيق متعة التنقل بالمتفرج ، الى اماكن قد يسمع عنها ، ولا تتاح له فرصة الذهاب إليها .. وكذلك بسبب اقتصادى فى صناعة السينما ذاتها .. وهو البحث عن امكانية الانتاج المشترك أو الحصول على تسهيلات خاصة فى تنفيذ الفيلم .

ولكن يظل هذا « الخروج » بالكاميرات .. مجرد « تغيير الصورة » مالم يحقق الفيلم ، اضافة جديدة للفكر .. أو تحليلا لحدث سياسى أو اجتماعى .

وفى مهرجان « كان » السينمائى لهذا العام .. شاهدت فيلمين من هذا النوع !

● عام الحياة الخطرة

يختار المخرج الاسترالى « بيتر واير » ان يقدم موضوعا عن «اندونيسيا » .. ويحدد زمن الموضوع ، بالشهور الأخيرة الذى سبقت الانقلاب العسكرى ضد حكم « سوكارنو » .



المظاهرات فى شوارع اندونيسيا

الفيلم عنوانه : « عام الحياة الخطرة » .

وقد كانت كل البوادر الأولى للفيلم .. توحى باننا سوف نشاهد فيلماً يحلل هذا الحدث التاريخى فى مسيرة اندونيسيا .. أو على الأقل يقدم لنا الانعكاسات الحقيقية لحكم « سوكارنو » .. وتحرك القوى المضادة له .. وكيف اخفق « سوكارنو » فى لعبة التوازن بين جنرالات الجيش اليمينيين والحزب الشيوعى .. حتى حدث الانقلاب المفاجىء عام ٦٥ ، وتم احتلال القصر الجمهورى حيث يقيم سوكارنو .. ولكن فى اليوم التالى استطاع جنرالات الجيش ان يتحركوا بانقلاب مضاد لاسترداد السلطة .. واقاموا المذابح للمتمردين .. واحتفظ « سوكارنو » بالحكم .. ولكن كواجهة فقط .. حتى تمكن «سوهارتو» ـ احد قادة الجيش ـ من تولى السلطة كاملة .. وتم عزل « سوكارنو » ..

ان كل هذه الأحداث الدرامية بكل دلالاتها السياسية .. تصلح لأن تكون اساساً قوياً لفيلم يعبر عن صراعات العالم الثالث .. بل ان صعود وسقوط رئيس .. من الاحلام العظيمة ، الى خيبة الأمل ..





الممثل الهندى « ساشى كابور » فى دور الامير – فيلم « حرارة وغبار » .. والممثلة الهندية « ما دهور جافرى التى لعبت دور ام الامير

سينما

الكاميرا تخرج للنزهة!

عندما يتحول التاريخ إلى زخارف لتجميل قصة حب

بالتاكيد هى « قصة » من الممكن ان تروى ، ومن الممكن ان تكون ممتعة ومؤثرة ومفيدة ولكن فيلم « عام الحياة الخطرة يتجاهل هذا الموضوع لكى يحكى – ويالغرابة – مجرد قصة حب بين شاب وفتاة .. وينتهى الفيلم نهاية غير متوقعة .. تؤكد هذا الاحساس بالخديعة .

● هكذا يبدأ الفيلم

يبدأ الفيلم بوصول هذا المراسل الاذاعى الاسترالى قادماً للعمل فى مكتب وكالة الانباء بالعاصمة جاكرتا .. وتتبع الكاميرا من خلال عين هذا المراسل .. ملامح الفقر والبؤس فى العاصمة الاندونيسية .

وفى مكتب الوكالة .. يتعرف المراسل على هذا المصور الاندونيسى القصير القامة الدقيق الملامح ، والذى يرحب به فى حب معلناً له امكانية التعاون التام بينهما .. « ستكون انت الكلمات .. وانا الصورة » ..

وبالفعل .. يكون هذا المصور العينين اللتين تقودان خطوات هذا المراسل فى المجتمع الاندونيسى وداخل دهاليز القصر الجمهورى .. ويحقق المراسل اول انتصار صحفى له بفضل خبرة وحكمة صديقه المصور .

وفى نادى المراسلين الاجانب .. يتعرف المراسل الاسترالى على زملاء المهنة الذين يستقبلونه ببرود ، ينقلب الى دهشة وغيظ عندما يعلمون بالخبطة الصحفية التى حققها . ويعتبرونه شابا متحمساً اكثر من اللازم . فكل شىء فى المحيط السياسى راكد ومحلك سر »بخلاف الصراعات الخفية الدائرة بين الحزب المناهض القوى والسلطة الحاكمة المسنودة بقوة الجيش ..

وتدليلا على هذه اللامبالاة من جانب المراسلين ، فهم يقضون وقتهم بين الشراب ومضغ الملل .. ويتسلى احدهم بالسخرية من احد الأقزام الاندونيسيين ، فيطلب منه ان يقلد حركات القرد .. ويندمج القـزم فى التقليد مقابل بعض النقود أو كاس من الشراب .. بينما المصور الاندونيسى يعتصر وجهه بالالم والأسف ويصحب صديقه المراسل الى الخارج .. ويدعوه الى منزله .

المنزل فى احد الشوارع الضـيقة ، المزدحمة بالسكان والذين يجلسون على الأبواب فى انتظار نسمة هواء .

داخل منزل المصور .. نتعرف على عالمه

● المصور .. عاشق سوكارنو

المنزل صغير وضيق ومزدحم بالصور التى تملأ الجدران .. والصور اغلبهـا لوجوه اندونيسية تعبر عن الألم والفقر : عيون أطفال مليئة بالخوف .. عجائز ممصوصو الجسد .. وهنك ايضاً صور لسوكارنو .. ويعلق المصور « ان سوكارنو رجل عبقرى .. وشخصية محبوبة .. فهو يفعل الكثير لشعبه .. وانا احبه كثيراً » .

وفى مجال آخر يقول : « سوكارنو .. بعث الروح فى وطنه » .

وهذا المصور من خلال عالمه الخاص فى منزله .. حيث يزين اركانه بالعرائس الخشبية الشعبية .. وبعلاقاته الحميمة مع الجيران والأصدقاء والأطفال .. تشعر انه عاشق لبلده الذى وضع كل احلامه فى شخصية « سوكارنو » الذى ما ان يخطب حتى تتحول كلماته الى اغنية يرددها فقراء اندونيسيا .. وصور « سوكارنو » ترتفع فى الشوارع والمحلات والمطاعم .. كبطل شعبى .

وحتى هذا الجزء من الفليم .. فنحن امام شعب يتشبث بالأمل .. وواقع يئن بالمشاكل والهموم .

وفجاة ينعطف الفيلم الى قصة لقاء هذا المراسل الأسترالى بهذه الفتاة الانجليزية الجميلة التى تعمل سكرتيرة بالسفارة الانجليزية فى جاكرتا .. كيف تعارفا ..





المراسل الاذاعى وفتاته الانجليزية .. فى زيارة مفاجئة لمنزل المصور .. لقطة من فيلم « عام الحياة الخطرة » والمخرج الاسترالى « بيتر داير » وبجواره الممثل « ميل جيبسون »

وكيف بدأ الحب .. وكيف تعترضهما المشاكل .. ويشتعل الحب اكثر .. وتقوده هذه العلاقة العاطفية لان يعرف نبأ الانقلاب العسكرى الوشيك .. واستعداد السكرتيرة للرحيل الى بلادها ..

● لماذا انتحر المصور ؟

وتشغل هذه القصة الجانبية الجزء الأكبر من زمن الفيلم .. بينما يعود المخرج بين حين وآخر الى المجتمع الاندونيسى من خلال شخصية المصور .. الذى نراه داخل احدى التجمعات السكانية الشديدة الكثافة ، والفقر .. وهو يحاول مساعدة ام لانقاذ طفلها الصغير من الحمى التى داهمته .. يقدم لها النقود لاستدعاء الطبيب وشراء الأدوية والطعام .

وفى نفس الوقت .. المراسلون الأجانب مازالوا يقتلون الملل بالشراب .

والمراسل الأسترالى مع فتاته الانجليزية فى جولاتهما العاطفية .. والأطفال الفقراء يتجمعون حولها ، يطلبون نقوداً ، ويحاولون لمس بشرتها .. على حد تعبيرها «إنهم يريدون أن يلمسوا البشرة البيضاء وكيف تكون» ؟!!

المصور الأسترالى يعود الى زيارة الطفل المريض .. فيجده قد مات على ذراعى أمه .. وتتحجر الدموع فى عيون المصور ويرفع رأسه بكل الألم والتأنيب لسوكارنو المعلقة صورته على الحائط .. وكأنه يحمله مسئولية ما حدث ..

فهناك ايضاً .. الجوع فى كل مكان .. والتسابق الرهيب على مقررات الأرز التى توزع على السكان .. كل منهم يحمل طبقاً ويحاول أن يحصل على بعض الأرز .. وتتساقط بعض حبات الأرز على الأرض فينحنى الأطفال بلهفة وجوع .. يلتقطون الحبات من بين التراب .

ويعود المصور الى منزله .. يطارده منظر الطفل الذى مات من شدة المرض على ذراع أمه .. وتتكثف من حوله كل العيون الممتلئة بالحزن والبؤس والتى كان قد صورها من قبل ولصقها على حوائط غرفته .. انه ينحنى على مكتبه ويدق الآلة الكاتبة بعصبية ليكتب كلمة: لا ..

ويخرج من منزله مسرعاً ، مشتعلا بالغضب واليأس .. ويتجه الى احد الفنادق الكبرى بالعاصمة ، وسط جو مشحون بالتوتر .. فهناك المظاهرات ومطاردة رجال الشرطة لها ، بالقنابل المسيلة للدموع وبالرصاص .

ويصعد المصور الى احدى غرف الفندق فى الطابق العلوى ، ليفتح النافذة ويخرج منها لافتة ضخمة ضد «سوكارنو» !

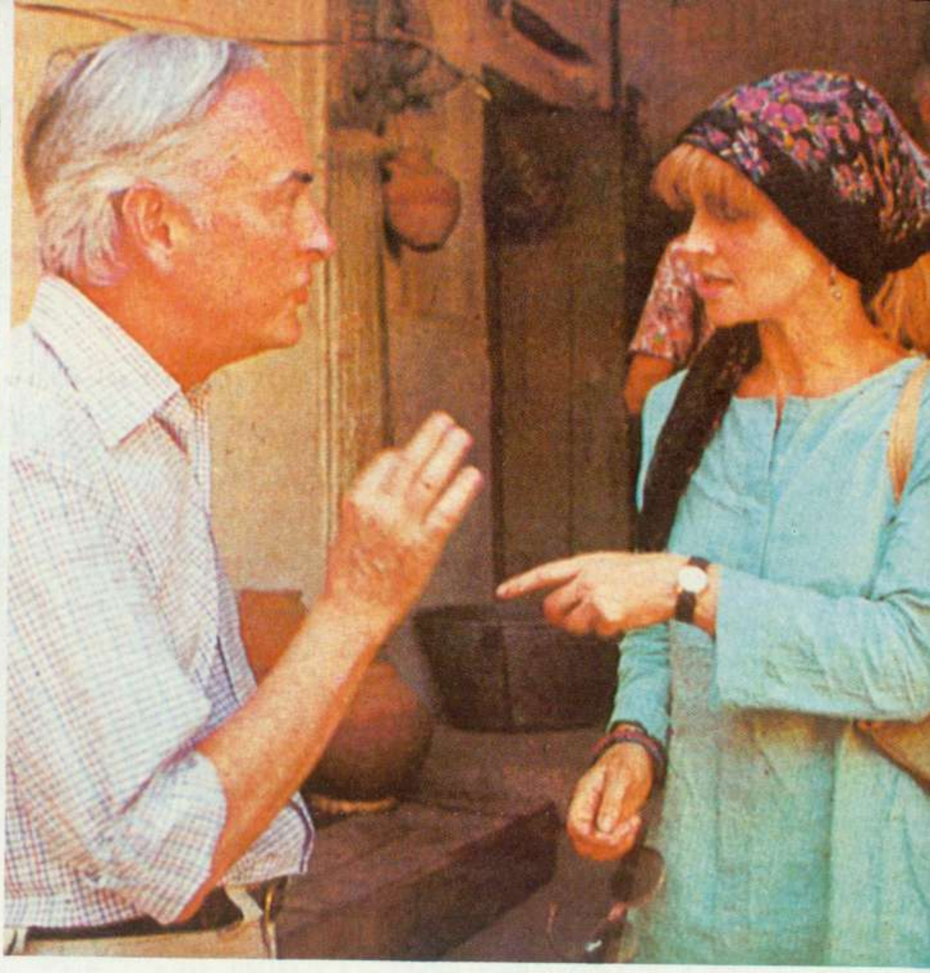
ويلاحظ رجال الشرطة هذا المنظر .. فيصوبون بنادقهم ناحية النافذة .. ويسرع الآخرون بحثاً عن الفاعل ..

بينما المصور يلقى بنفسه من نافذة الفندق .. ليسقط على الأرض جثة هامدة وعلى وجهه ابتسامة وكأنه أعلن رأيه فى النهاية !

وربما كانت هذه المشاهد الخاصة بالمصور الأندونيسى ، وبالذات مشاهد الفندق .. هى أهم وأجمل مشاهد الفيلم وأكثرها تعبيراً ..

أما كيف ينتهى الفيلم .. فان الانقلاب ضد سوكارنويحدث فى اليوم التالى .. ويتحول القصر الجمهورى الى قلعة عسكرية محاطة بالدبابات والمدافع الرشاشة .. ويحاول المراسل الأسترالى أن يقتحم هذا الحصار لمقابلة زعماء الانقلاب .. ولكنه يواجه بشراسة جنود الحراسة إذ يضربه احدهم فوق رأسه بكعب البندقية .. ويحاولون تهشيم السيارة التى يستقلها .

ويقرر المراسل الأسترالى أن ينجو بنفسه وأن يلحق بحبيبته .. ويقرر الرحيل .. فى نفس الوقت الذى يتم فيه قمع الانقلاب .. وعودة سوكارنو .. تتردد كلمات تقول ان «سوكارنو قد انتهى» .. بينما المراسل الأسترالى يحاول أن يعبر داخل زحام المطار وبين الاجراءات العسكرية المشددة .. فيترك كل متعلقاته .. ويتنازل عن جهاز التسجيل الذى يحمله .. وفى لقطة ساخرة يصور المخرج احد رجال الجوازات فى مطار جاكرتا وهو يلعب فى شرائط التسجيل وكأنه يراها لأول مرة ، ويبدو كطفل ابله .. بينما المراسل الأسترالى يخرج من باب المطار الى حيث


المخرج الانجليزى « جيمس افرى » اثناء تصوير فيلم « حرارة وغبار »


المصور الصحفى يلتقط صور المظاهرات فى شوارع اندونيسيا

سينما

الكاميرا تخرج للنزهة!

عندما يتحول التاريخ إلى زخارف لتجميل قصة حب

تقف حبيبته على سلم الطائرة تنتظره .. ليجرى لها وكانه خارج من معتقل .. وينتهى الفيلم !

● ماذا يقول المخرج عن فيلمه ؟

هل هو فيلم عن اندونيسيا .. أو انه فيلم قصة حب ؟ ..

من الواضح تماماً ان المخرج «بيتر واير» استخدم احداث اندونيسيا كديكور حي ومثير فى خلفية قصة الحب التى شغلت تفاصيلها الجزء الاكبر من الفيلم .

ومن هنا جاءت خيبة الأمل فى هذا الفيلم .. فليس من المعقول ان تتحول معاناة أمة الى مجموعة من الزخارف لتجميل قصة حب .

ولا يمكن أن يتحول التاريخ الى مجرد ستارة ليلهو امامها البعض .

يبرر المخرج فيلمه .. بقوله : «تعمدت الا اتوغل كثيراً فى مشكلة اندونيسيا .. لاننى اعتقد اننى كلما رويت القليل كلما اقتربت من الحقيقة» .

وفى مجال اخر .. قال المخرج «لا احد يريد درساً فى التاريخ» .. وقال ايضاً «إن تعليم الناس فك أسرار السحر .. لهو عمل مقزز» !!

وكل هذه العبارات .. تبريرات لتغطية هذه المراهقة السينمائية والتى تعتمد على الابهار السطحي دون محاولة التعمق فى الداخل .

وهو كما يعترف فى تصريح صحفى له :

ـ «انا كشاب عمرى ٣٨ عاماً .. دراستى اوربية .. اجد نفسى اعود فجاة الى الوراء واتحول الى طفل صغير فى هذا العالم المليء بالخيال والدهشة والخطر .. شىء محير ان تزور جنوب آسيا .. ستجد نفسك محاصراً بالمناظر والاصوات والروائح .. وعندما تتصور انك امسكت بيدك شيئاً .. يتسرب منك كل شىء» !

وهذا التصريح يدل على انبهار السائح .. اكثر مما يدل على تعمق الباحث ! .

● كيف تم تصوير الفيلم ؟

وقد تم تصوير فيلم «عام الحياة الخطرة» فى الفلبين .. وسط مشاكل عديدة اهمها أن اهالى الفلبين رفضوا الصورة التى سيظهرون بها فى الفيلم .. فى حين تحولت المظاهرة التى يقدمها الفيلم ضد السفارة الأمريكية فى اندونيسيا .. تحولت الى مظاهرة حقيقية فى مكان التصوير بالعاصمة مانيلا (الفلبين) واضطر طاقم التصوير والفنيين الى ارتداء الخوذات الحديدية فوق رءوسهم لحمايتها من سيل الحجارة .

وقصة الفيلم ماخوذة عن رواية بنفس العنوان لمؤلفها (ج.ك. كوشن) الذى اشترك فى كتابة سيناريو الفيلم مع المخرج «بيتر واير» .

ولعب ادوار الفيلم . «ميل جيبسون» من المع نجوم السينما الاسترالية والذى اكتسب شهرة عالمية بعد فيلمه «ماكس المجنون» .. وقد قام فى فيلم «عام الحياة الخطرة» بدور المراسل الاسترالى .

اما المراسل الصحفى القصير القامة .. فهو فى الحقيقةممثلة امريكية لها شهرتها على المسرح الامريكى واسمها «ليندا هانت» وقد وقع عليها ترشيح المخرج لكى ترتدى ملابس الرجال وتمثل دور رجل له ملامح



« جولى كريستى » مع الشاب الهندى الذى احبها لقطة من فيلم « حرارة وغبار » .

دقيقة .. وقدمت الممثلة «ليندا» دوراً رائعاً مليئاً بالمشاعر .. وربما كانت احسن ما فى الفيلم .

ولعبت دور السكرتيرة بالسفارة الانجليزية .. الممثلة الانجلو امريكية «سيجورنى ويفر» وهى تعتبر من الاكتشافات الجديدة للسينما الأمريكية ..

● حرارة وغبار

وبنفس المنطق .. يقدم المخرج الانجليزى «جيمس ايفرى» فيلم «حرارة وغبار» الذى يصور اغلب مشاهده فى الهند .. متنقلا بين القديم والحديث ..

والموضوع ايضاً .. قصة حب .. ولكن هذه المرة قصة حب وقعت فى العشرينات من هذا القرن ، وتتداخل احداثها مع قصة حب معاصرة ..

حيث هناك هذه المراة الانجليزية (تلعب الدور جولى كريستى) تحاول ان تستجمع كل الخيوط لما حدث لشقيقة جدتها والتى سافرت الى الهند مع زوجها .. ثم اختفت هناك ..

وتسافر المراة الانجليزية الى الهند .. لتحاول على الطبيعة كشف هذا اللغز ، مستيعنة بذكريات صديق عجوز كان معاصراً لقصة الاختفاء ..

ومن خلال تداخل الحاضر والماضى .. يروى الفيلم القصتين معاً .. كيف وقعت تلك المراة الانجليزية فى العشرينات فى حب امير هندى ودخلت معه عالم الهند الغامض والملىء بالسحر والجمال والدهشة .. وفى نفس الوقت كيف تمر هذه المراة الانجليزية ــ فى عام ٨٢ ــ بتجربة حب مع شاب هندى يعيش مع عائلة كبيرة العدد ، ويملك هذا القدر من الحب والحنان ودفء الشرق .

وتنتهى قصة الحب المعاصرة نفس نهاية قصة الحب القديمة .. الحب .. انجاب طفل .. الاستقرار فى الهند ..

فمع الحرارة والغبار فى الهند .. هناك ايضاً هذه الروح الأسرة التى لا تستطيع مقاومتها ..

والفيلم يقدم الهند ، بعين السائح الذى يتوقف أمام الفقراء والأطفال المتسولين .. والابقار المقدسة .. والزحام الكثيف ..

وايضا السائح الذى يتوقف امام العادات الشرقية فى الفرح والمرض .. فى الغناء والرقص .. فى الحب والغزل .. فى السحر والعلاج بانامل الاصابع .. والغطس فى المياه المقدسة .. وهناك الألوان الساخنة .. والطعام الملىء بالتوابل ..

ويعود المخرج الى الهند القديمة .. فى القصور والبذخ .. ومجالس النساء .. وسطوة الاقطاع على الفلاحين وجباية الأتاوات بالضرب والرصاص .. والاراضى الشاسعة التى يملكها فرد واحد ..

اى ان المخرج لا يكتفى بالسياحة المعاصرة .. وإنما يستعيد «صور» الهند القديمة ويحاول ان يعيد تجسيدها لتخدم قصة الحب التى يريد ان يرويها لنا .

والفيلم لا يخلو من الجمال والشاعرية .. ولكن عندما تترك قاعة العرض لابد ان تسال نفسك هل كنت تشاهد فيلماً .. او مجموعة من المناظر والحكايات السياحية ؟!

المخرج «جيمس ايفرى» يحاول ان يبرر فيلمه .. بقوله .. انه يريد ان يؤكد على اتصال الحضارتين الشرقية والغربية .

وهذا القول فيه من البلاغة اللغوية اكثر مما فيه من عمق التجربة الانسانية .. فالتقاء الحضارتين لا يمكن ان يكون التعبير عنه .. بفتاة انجليزية تشعر بالملل والفراغ فتنبهر باساليب امير هندى يزغلل عينيها بكل وسامته وامكانياته .. وايضا لا يمكن ان يكون التعبير عن التقاء الحضارتين .. بشاب هندى فى زماننا هذا ينبهر بفتاة انجليزية بيضاء ، جميلة ، وجريئة ومتحررة .. فيشعر انه مسئول عنها ويغدق عليها الحنان والرعاية حتى تقبل عليه .

إن مسالة التقاء الحضارات .. اكبر من هذا .. واعمق .

ولكنها نظرة المخرج الذى يريد ان يبيع «مكاناً» جديداً للمتفرج .

وقد تكلف هذا الفيلم مليونا ومائة الف جنيه استرلينى .. ولكنى اعتقد انه سيكون من الأفلام التجارية الناجحة خصوصاً وان ممثليه على قدر كبير من الشهرة .. فبالاضافة الى «جولى كريستى» .. هناك الممثل الهندى الشهير «شاشى كابور» والممثل المسرحى الانجليزى «كريستوفر كانوف» والممثلة الايطالية الاصل والتى درست فى انجلترا «جريتا سكاشى» .

●●

إن هذه السينما .. تذكرنى بكتب الأطفال المصورة .. حينما يمسك الطفل كتاباً من هذا النوع ويقلبه بسرعة بحثاً عن الصور .. ثم يطلب من والده أو والدته ان تحكى له ماذا تقول الصور .. قد تختلف الحكايات ــ حسب صبر وخيال الوالدين ــ ولكن سرعان ما يلقى الطفل بهذا الكتاب .. بحثا عن كتاب آخر وصور اكثر ..

واعتقد اننا تخطينا هذه المرحلة من الطفولة !

«رءوف توفيق»

• ترجمة شعرية •

إلى قبَّرة

للشاعر: برسي بيشي شيلي
١٧٩٢ - ١٨٢٢

ترجمها شعرًا: عامر محمد بحيري

سلامٌ .. نجيَّ السرور ! فما كنتَ طيراً بحالْ !
سكبت هواك الكبير بقرب سماءِ الجلالْ
خيوطاً تفيض .. بفنٍّ عزيزِ المنالْ !

•

تطير لأعلى مطارْ من الأرض نحو السماءْ
فتحكى سحابةَ نارْ محلقةً فى الفضاءْ
تغنى فتعلو .. وتعلو فتضفى الغناءْ !

•

وما بين بَرْق الذهَبْ من الشمس عند الغَسَقْ
تشق صفاءَ السحُبْ فتسبح ، أو تنطلقْ
كأنك طيفُ السرور .. مضى يستَبِقْ !

•

مَحَا أُرجوانَ المساءْ حواليك .. هذا الفِرارْ
كنجمٍ بأفق السماءْ محاه ضياءُ النهارْ
خفى .. فأسمع صوتك حتى القرارْ !

•

حديداً .. كسهمٍ حديدْ سرى فى لُجَيْن الفضاءْ
وضوء سراج شديدْ بفجر بهيٍّ أضاءْ
تلاشَى رويداً .. فأحسسته فى الخفاءْ !

•

وكل الثرى ، والهواءْ بصوتك عالٍ جهيرْ
كما لاح أخرى المساءْ وراء سحاب نثيرْ ..
شعاع من البدر .. أو فيض نورٍ غزيرْ !

•



جهلناك .. مـــاذا تكونْ — فـأين الشبيه القريبْ
فما فاض غيمٌ هتـــونْ — بقَطْراتِ غيثٍ صَـبيبْ
كما فاض منك .. شآبيب لحن عَذوبْ !

●

ويا شاعراً قــد طـواهْ — من الفكــر لَمْحُ السَّنا
يغنى نشــيدَ الحيـاهْ — إلى أن يعمَّ الـــدُّنَى
ولا يعبأ الخوف .. أو يستطيب المنَى !

●

تلوح كاحـــدى الغوانى — أقامت بأعلى القصـــورْ
تهدهد عـــذْبَ الأغانى — وتُحْيى رقيقَ الشـــعورْ
بلحن كأحلى الهوى .. فى أرق الخدورْ !

●

ودورق تــبر .. أضـــاءْ — بوهـــدٍ .. علاه النَّدَى
تبعثر طى الخفـــــاءْ — خفيفاً رقيق الصـــدَى
وفى الزهــر والعشب تخفى .. فتمضى سُدَى !

●

ووردة روض تخفـــت
بدفء من الـــريح رفت
بأوراقهــــا المخضرات
فأنفســـها العـــاطرات
مخدرة .. طى أجنحة سارقات !

●

ومـا وقع صوب الربيـــعْ — على لامعات النجيلْ (٢)
ويقظـــة زهر بديـــعْ — وكل بهيـــج جميـــلْ
بأروع من لحنك ، العبقرىّ الأصيلْ !

●

فبين لنـــا يا خيـــالْ — حقيقة هـــذا الشـــعورْ
فما إن ســمعنا بحـالْ — مديحـــاً لبنت السرورْ
أو الحب .. أعذب من فيضك المستنيرْ !

●

فما لحنُ عقــد القــرانْ — وغنوة نصرٍ مجيـــدْ
بجنبـــك .. إذ يعلوان — ســوى صوتِ فخرٍ زهيدْ
نحس لديه .. بنقصان شىء فريدْ !

●

فمن أى نبـــع الجـلالْ — جرى فيض هـــذا البهاءْ
حقول ، بحار ، جبـــالْ — من الأرض أو فى السماء ؟
وحبٌّ رقيق .. وجهل بمعنى الشقاءْ !

●

فمن فرطِ هذا السرورْ — لديك الضنى لا يـــرامْ
وظـــل الأسى والنفـورْ — بقـــربك يأبى المقامْ
فأنت محبٌّ .. جهلت عذاب الغرامْ !

●

نحس انتباهًا ونومـــا — هدى الفكر حتى المنونْ
أصح وأعمقَ ممـَّــا — يحس بـه الحالمـــونْ
والا .. فكيف سرى منك صفو اللُّحونْ ؟

●

نراعى أمامـــاً ، وخَلفَا — ونصــبو إلى المستحيلْ
وأســعد ضِحكٍ وأصفَى — يشـــاب بهمٍّ ثقيـــلْ
وأعذب لحن لنا .. رجْعُ حزنٍ طويلْ !

●

فان لم نخـــل الـدُّنى — من الحقد ، والكبريـــاء
وإن ظـــل ميلادنـــا — (قرين الأسى والبكـــاء
فأنَّى لنا الاقتراب . للحن الهناء ؟

●

فما خير كلِّ اللحـــونْ — وأصفى الأمانى العذابْ
وأثمن كـــنز ثمين — روى عنه يوماً كتـــابْ
كحِذْقِك للشعر .. يا من حقَرْتَ الترابْ ؟

●

فجد لى .. بنصف السرورْ — لأجمــــل فكرٍ لديْكْ
لأشـــعرَ ذات الشعور — وأنشــد شعرىً عليْكْ
فيصغى لى الدهرُ .. ما أنا مصغٍ إليك !

هوامش :

(١) سبق ان ترجمت هذه القصيدة عدة ترجمات تقترب او تبتعد عن الاصل ، اما هذه الترجمة فتمتاز بالتزام الدقة التامة فى نقل الاصل شكلا وموضوعا ونصا وروحا ، وعروضا وقوافى . ومع ذلك فهى على اية حال محاولة على الطريق

(٢) الربيع ـ المطر .



دوحة القراء

؟؟ مسابقة الدوحة ؟؟

حـــاول أن تعـــرفـــ ..





الصورة الأولى :

هذه الصورة أخذت من الفضاء لجزء من الأرض ويظهر فيها أحد المضـــايق المشهورة فهل يمكنك معرفة اسم هـــذا المضيق ؟

الصورة الثانية :

حاكم إسلامى عاش فى القرن الخامس عشر الميلادى ، سقطت على يديه مدينـة القسطنطينية فى عام ١٤٥٣ م والتى كانت عاصمة للأمبراطورية الرومانية فى ذلك الوقت وكانت ضمن أراضيها لمدة ألف عام ، وقد كان سقوطها هو نهاية هذه الأمبراطورية ، فمن هو هذا الحاكم ؟

حل مسابقة حـاول أن تعـرف وأسـماء الفائزين للعـدد ٩٠





الصورة الأولى : نابليون برنابرت .

الفائز : عبد الســـــلام نحرى عبد السلام – الأردن .

الفائز : أشرف عبد الحكيم مجاهد – مصر .

الصورة الثانية : فيثاغورس .

الفائز : فارس ياسين العمادى – أبو ظبى .

الفائز : عبده محمد يحيى – اليمن

بلاغة فتى

سأل هشام بن عمر فتى اعرابياً عن عمره فقال له :

ـ كم تعد يا فتى ؟

الفتى : أعد من واحد إلى ألف فأكثر !

هشام : لم أرد هذا ، بل أريد أن أسألك : كم لك من السنين ؟

الفتى : السنون كلها للخالق عز وجل .

هشام : أقصد ما سنك ؟

الفتى : سنى من عظم !

هشام : إنما قصدت ابن كم أنت ؟

الفتى : ابن إثنين طبعاً ، أم وأب !

هشام : يالله . أريد أن أسألك كم عمرك

الفتى : الأعمار لا يعرفها إلا الله

هشام : ويلك يا فتى .. لقد حيرتنى فماذا أقول ؟ !

الفتى : قل كم مضى من عمرك !

محمد نزار لباد ـ سوريا

لقطة الشهر



براءة الطفولة

فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى القارىء عبد الله أحمد كورينا ـ السودان ـ

أقوال مأثورة



ـ ما مات من أحيا علماً ، ولا افتقر من ملك فهما .

ـ انظر الى الانسان كما هو ، لا تنظر اليه كما كان !

ـ المرأة مثل العشب ينحنى أمام النسيم ولكنه لا ينكسر للعاصفة !

ـ التكبر على المتكبرين هو التواضع بعينه !

ـ الرجل العظيم يحزنه عدم اكتمال مواهبه وامكاناته . أما الرجل غير العظيم فيحزنه عدم اكتراث الآخرين بمواهبه وامكاناته !

عبد الحسين الركابى ـ العراق

الداء والدواء



كان يشكو من المرض الذى أقعده عن عمله الذى يسترزق منه قوته وقوت عياله ، وذهب الى الأطباء الذين شخصوا له الداء بأنه بعض الحصوات التى تسد مجرى البول فيسبب له آلاما مبرحة .. ونصحوه باجراء عملية جراحية تريحه مما يعانى .

ولكن كما يقولون تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن ، فالعملية تلك تحتاج الى مصاريف يعجز عن توفيرها لسوء حالته المالية.ولكنه لم ييأس من رحمة الله .. فالله مطلع على عباده ، يهديهم الى سواء السبيل ، فأثناء شدته هذه إلتقى برجل بدوى وحكى له عما يعانى من آلام ومن ضيق ذات اليد ، فما كان من البدوى الا أن طمأنه وأوصاه بتعاطي بعض بذور نبات الفجل ويباع عند تجار العطارة والأعشاب الطبية . وما إن فعل هذا حتى أحس بالراحة ، وخرجت منه الحصوات بشدة ، وعاد الرجل الى عمله يحمد الله الذى خلق الداء والدواء .

حسن أحمد سليمان ـ القاهرة



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

يرجى من الاصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » ان يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى ان يكتبوا اسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

مَن ؟

فارس عربى اشتهر بحب ابنة عم له ، ولكن سواد لونه حرمه من زواجها ، تنسب الى اسمه الامور التى يغلب فيها القول الحماس على حقيقة الفعل . الاسم من ثلاث كلمات فى عشرة احرف :

٧ ـ ٥ ـ ١ ـ ٩ ـ ٢ لا جائع .
٦ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٨ ـ ١٠ لا نقدم ولا نعزم .

أين ؟

القطر العربى الذى نشا فيه ذلك الفارس . اسمه من خمسة احرف :

٥ ـ ٤ ـ ٢ حيوان لافقارى .
٣ ـ ١ للنداء .

ما ؟

حجر كريم اشتهر به بلد ذلك الفارس اسمه من ستة احرف :

٥ ـ ٤ ـ ٢ ـ ٦ لايطمئن .
٣ ـ ١ ـ ٦ لايبر والديه .

الإجابة الصحيحة

(١) « بيدى لا بيد عمرو » قائلة هذا حين قررت ان تنتحر هى :
كيلوبطرة ـ الزباء ـ دليلة .
(٢) فرض صوم رمضان على المسلمين فى السنة الهجرية :
الأولى ـ الثانية ـ السادسة .
(٣) مجموعة الجزر المسماة بجزر الارخبيل تقع فى :
المحيط الهندي ـ البحر المتوسط ـ المحيط الجنوبى .
(٤) يزداد البعد الذى تصل اليه قذيفة الهاون كلما كبرت زاوية انتصاب المدفع .
هل هذه العبارة صحيحة علمياً ؟
(٥) « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان » قائل هذه العبارة هو :
نبى الله داود ـ نبى الله المسيح عيسى بن مريم ـ نبى الله يحيى بن زكريا عليهم جميعاً الصلاة والسلام .
(٦) حرر صلاح الدين الايوبى بيت المقدس الشريف فى شهر رجب سنة :
٥٨٣ ـ ٦٨٣ ـ ٧٨٣ هجرية .
(٧) الاخطبوط من الحيوانات :
اللافقارية ـ الفقارية .
(٨) نشر ضابط المخابرات البريطانية (نعوم بك شقير) كتاب (تاريخ سيناء) سنة :
١٨١٦ ـ ١٩١٦ ـ ١٩٢٦ م
(٩) مؤلف لحن الفالس الشهير باسم « الدانوب الأزرق » هو الموسيقار :
فاجنر ـ تشايكوفسكى ـ فيرد ـ بيتهوفن .
(١٠) بقعة الزيت التى تهدد مياه الخليج العربية بسبب الحرب العراقية ـ الايرانية مصدرها آبار بترول :
نوروز ـ ذى قار ـ البندق ـ عبادان .

حل مسابقة العدد ٩٠

من : عبد الملك بن مروان .
اين : بنو امية .
ما : الفقع .

ـ الاجوبة الصحيحة ـ

١ ـ لا .
٢ ـ وفيها لمن خاف القلى وتعزل . الشاعر الشنفرى لامية العرب .
٣ ـ كربونات الكالسيوم
٤ ـ التين والجميز .
٥ ـ الاثنين .
٦ ـ خط طول ٦٠ .
٧ ـ العنكبوت له ٨ ارجل ، والحشره لها ٦ ارجل
٨ ـ الأعشى ، زهير ، عنترة .
٩ ـ اطول موجه .
١٠ ـ المسجد الحرام .

اسماء الفائزين في مسابقة

١) اصل وصورة :
الحل : (١) نظارة الرجل الأيمن (٢) دخان سيجارته (٣) الشمسية (٤) الزمزمية (٥) عيون الرجل الأيسر (٦) ازرار قميصه (٧) الشمس .
الفائز : ليلى حسن فخر الدين ـ لبنان
الفائز : محمد فراس كمال ـ الامارات .
٢) لوحة لم تتم : الحل : مصطفى امين .
الفائز : صلاح الدين ميرغنى ساتى ـ السودان . الفائز : فريد محمد طلعت المنياوى ـ مصر . ٣) لأقوياء الملاحظة :
الحل : (١) جاموسة (٢) حمامة (٣) سمكة (٤) ثعبان (٥) ورده (٦) طماطم
الفائز : بهاء محمد العزب ـ إيطاليا . الفائز : محمد فتحى ابو العلا ـ مصر .

لأول مـــــــرّة

– أول طائرة حملت رجلا كانت فى عام ١٩٠٣ على يد الأمريكى «لانجلى» سقطت بعدها فى البحر .

– أول طائرة حلقت لمدة ٢٠ دقيقة هى طائرة الأخوين «رايت» .

– أول طائرة عبرت المحيط الأطلسى هى طائرة الانجليزيان «جون الكوك وآرثر براون» عام ١٩١٩ .

– أول من استعمل الحمام الزاجل لأغراض البريد هم العرب عام ٨٣٧ م .

– أول من استخدم النساء وبالأخص العجائز فى الاستخبارات هو الخليفة العباسى المأمون إذ استخدم فى بغداد وحدها ١٧٠٠ امرأة .

– أول من فكر فى عمل حديقة للحيوانات هى الملكة المصرية حتشبسوت عام ١٤٩٤ ق.م

– أول لفظ لكلمة مجلة ظهر فى مجلة الطبيب لابراهيم اليازجى .

– أول من عرف الكتابة هم السومريون عام ٣٠٠٠ ق.م . وسميت المسمارية لشكلها الذى يشبه المسمار .

– أول من سك النقود هو الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان عام ٧٤ – ٧٦ هـ .

– أول من استعمل البنج فى الطب هم العرب .

– أول تجربة لقاطرة تسير على قضبان معدنية كانت فى انجلترا عام ١٨٠٤ وسارت مسافة ١٩ ميلا وعليها ٧٠ راكباً و ١٠ أطنان من البضائع .

بدر عبد الجبار الحديثى – العراق



كلمات لها معنى

● الدال على الخير كفاعله . — حديث شريف

● كثير القول ينسى بعضه بعضاً . — « أبو بكر الصديق »

● إلى الله أشكو ضعف الأمين وخيانة القوى . — « عمر بن الخطاب »

● الناس من خوف الذل فى ذل . — « علي بن أبي طالب »

● إذا أردت أن تعرف أخلاق رجل فضع السلطة فى يده ثم انظر كيف يتصرف . — « مونتيسكو »

بو طالبى موسى – الجزائر

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الاولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطري واشتراك نصف سنة القارىء : احمد عارف الفاني – لبنان .

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطري واشتراك نصف سنة القارئة : بهية عبدالجليل عماشة – مصر .

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطري واشتراك نصف سنة القارىء : خالد حسن عباس – الشارقة .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ – علي عجبنا احمد – السودان
٢ – صبري محمد – المغرب
٣ – علي محمد محمود – السعودية
٤ – احمد بشار خالد – ابو ظبي
٥ – عبد العظيم محمود – مصر
٦ – أسامة إختيار – سوريا
٧ – خليل حسن فخر الدين – لبنان
٨ – صائب جمال سليم – الاردن
٩ – عدنان مصطفى – السعودية
١٠ – محمد امين الكسم – سوريا

استراحة الدوحة العدد ٩٠

٤) دورى الكاريكاتير : الحل : رقم (١٠)

الفائز : عمر مختار كمال – الأردن. الفائز مبارك سلمان محمد احمد – السودان .

٥) هات اجمل تعليق :

١ – التعليق : جوزك خد برد بعد ما حلق شنبه. الفائز : مني احمد عبد النبى – مصر .

٢ – التعليق : الصبر احسن دواء. الفائز صادق عبد على – البحرين .

٦) لعبة الظلال : الحل : رقم (٢)

الفائز : محمد عطيه محمد الحارون – مصر. الفائز : رقيه محمد زمان – البحرين .

٧) يخلق من الشبه اربعين :

الحل : رقم (٤)

الفائز : ورده احمد نعمان – عدن. الفائز طارق سعد مرعى – مصر .

استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رؤوف



الجائزة لكل فائز فى هذه المسابقة ستون ريالا قطريا

يخلق من الشبه أربعين



● إنه الرسام والنحات الاسبانى بابلو بيكاسو الذى عاش فى الفترة ما بين (١٨٨١ ـ ١٩٧٣) وكان من أغزر فنانى القرن العشرين وأكثرهم انتاجا .. والصور الست المنشورة تحت صورة الرسام العالمى الراحل هى لستة أشخاص يشبهونه تمام الشبه ، ومن بين هذه الصور واحدة تشبهه تماماً .. هل تستطيع التعرف عليها ؟

لأقوياء الملاحظة فقط!



● أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ إذا استطعت الوصول لهذه الأشياء أرسل الحل إلينا فقد تفوز بالجائزة .

المثل يقول



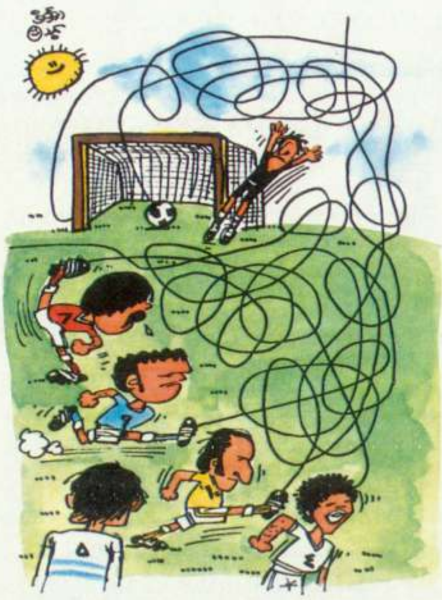
● الأمثال الشعبية فى الوطن العربى متقاربة اللفظ ومتماثلة المعنى والاختلاف بينها يقع فى اللهجة فقط ، ولهذا فان هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى عربى عرفناه فى كل زمان ومكان .. قل لنا المثل لتحصل على جائزة .

لعبـــــة الظـــــــلال



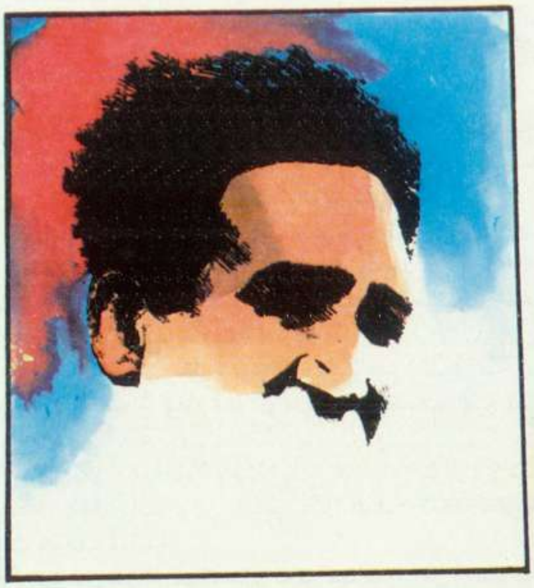
● هل تستطيع أن تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقى ؟ اذا عرفت الحل أرسله إلينا وفى انتظارك جائزة .

دوري الكاريكاتير



● اقتحم احد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ وسجل هدفاً قوياً فى مرمى الخصم .. هل تستطيع أن تحدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ؟ .. إذا عرفت الحل أرسله إلينا .

لوحـــــة لم تتـــم



● هذه اللوحة لموسيقار عربى عظيم .. ظهر فى أوائل القرن العشرين (١٨٩٣ ـ ١٩٢٣) واشتهر بالحانه الشعبية للطوائف والحانه فى المسرح الغنائى .. هل تستطيع اكمالها والتعرف على شخصية هذا الفنان العبقرى ؟

هات أجمل تعليق :



● هل تستطيع أن تجد تعليقاً خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى ؟ حاول وأرسله إلينا .

الورقة الأخيرة

بضاعة أم إبداع؟



بقلم : ديزي الأمير

يشترك معهد الدراسات الشرقية وجامعة القديس يوسف فى بيروت لاصدار موسوعة عن الأدب العربى المعاصر .

هذا ليس إعلاناً للموسوعة ، ولكن الجديد فى الأمر ، ان المشرفين عليها يطلبون من الاحياء من الأدباء كتابة فقرة عن حياتهم يذكرون فيها المنعطفات الرئيسية التى اثرت فيهم .

على الأديب ان يعترف امام الورقة بالحقائق التى جعلت شخصيته وحياته وبالتالى نتاجه على ما هو عليه ..

فى كل الدراسات التى كتبت عن ادبائنا العرب ، منذ العصر الجاهلى والى الآن ، لم يتطرق ناقد أو باحث الى الحياة الشخصية للأديب ، عدا بعض الدراسات التى ذكرت هذا بخوف وخجل فسالت عن الرسائل التى كتبها لأصدقائه على أن يكون الاديب قد توفى طبعاً .

وهؤلاء النقاد يعرفون بعض القصص فى حياة الادباء ولكنهم لا يجرؤون على ذكرها .

حتى لو ترك الأديب مذكراته الشخصية والتى كتبها بنفسه ، فان من يتولى نشرها والتعقيب عليها يلغى ويمسح بعض الفقرات .

أنا لست من دعاة اعلان الفضائح أو نشر الغسيل على حبال السطوح ولكن .

هذه الحياة الخاصة ، هل فيها من (القذارة) هذا المقدار الهائل المحتاج الى غسل بمسحوق مزيل للبقع ؟ أو بالبخار الكاوى ؟

ومن سمح لنفسه ان ينشر بعض تلك الأخبار ، هل فتش بدقة عن الصدق فيما روى له ؟

النقاد يتعاملون مع الأديب ، كما لو كان نتاجه بضاعة ينتجها معمل ، فيأخذون النص كانه سلعة يقررون متانته وجودته وخيوطه ومساميره وقدرته على تحمل الاستعمال ولونه ، هل يبهت أم ان الصبغ أملس براق زاه ، وسعره هل يتناسب ونوعيته ، ومدى اقبال الناس على شرائه ، والكمية التى انتجها المعمل ، اعتماداً على الطلب لتلك البضاعة .

اعرف تماماً ان بعض الادباء والناس يبالغون فى احاديثهم الخاصة والعامة حول اخبار علاقاتهم بالأخرين .

البعض يبالغ بمعرفته بخصوصيات الأديب أو يحاول ان يشنع به لأسباب كثيرة نعرفها كلنا . فأين هى أهمية الناقد اذن ؟ .

هى فى التفتيش عن حقيقة الهموم الشخصية الحياتية التى مر عليها الأديب ، وكلمة هموم تشمل طفولته ، طموحاته ، عواطفه ، علاقاته بأسرته ، بظروفه المادية ، هل أحس الآخرون به ؟ هل أهملوه ؟ أو اهتموا به كما يستحق أم بالغوا بالاهتمام ؟

لا أحد منا يعرف شيئاً عن الأمور الحميمية لأدبائنا .

تقاليدنا لا تسمح بكتابة هذا ولكنها تشجع على التقول شفهياً وهنا مصيبة الازدواجية .

اديب مناضل سياسى وهكذا هو ايضاً نتاجه ، ولكن الم يعش هذا الانسان مع الآخرين ؟ ويتعامل معهم بشرياً ؟

الم ياكل ويلبس ويحب ويكره ويتالم ويفرح ليس بسبب قضية عامة فقط بل لسبب شخصي ذاتى أو حادثة خاصة معينة ؟

وآخر ، رومانتيكى ، ألم يكن فى حياته تاثير خارجى عام ، وهو الذى يعيش فى عالم تتداخل فيه الاحداث السياسية فى كل لحظة يعيشها .

هل سكن جزيرة منفردة نائية ؟ وجاءت حبيبته الجزيرة ، ولم تجىء . رآها ، ولم يرها ، حدثها ، ولم يحدثها .

والعزال يملأون الجزيرة المنعزلة فى بحر شاسع كبير ؟

الحياة الخاصة لكل فرد ، بكل دقائقها وأيامها وسنواتها هى التى جعلت من هذا الشخص انساناً معيناً لا يشبه احداً ولا يشبهه احد .

ولكن ليس كل الناس أدباء يتركون نتاجاً ، يدرس وينقد ويقيم .

هل هى فضيحة اذا الفرد أحب أو تالم او شكا أو بكى وناح .

وهل البطولة ان يزعم انه ارتفع عن كل أنواع الضعف البشرى ؟ أليست قوة ان نعترف اننا ضعفاء ؟

ادبنا القديم ، لم يعد ممكناً تقييمه بهذا الاسلوب مئات السنين تفصل بيننا وبين الموتى من ذاك العهد .

اما ادبنا الحديث ، المعاصر ، لم لا نسلط الضوء على المعاناة البشرية التى مر عليها ادباؤنا ؟

فبمقدار ما تحملوا أو ضعفوا ، نستطيع تقييم نتاجهم ، ونعرف مدى الصدق فيما قالوا وعدد الشخصيات التى تلونوا بها .

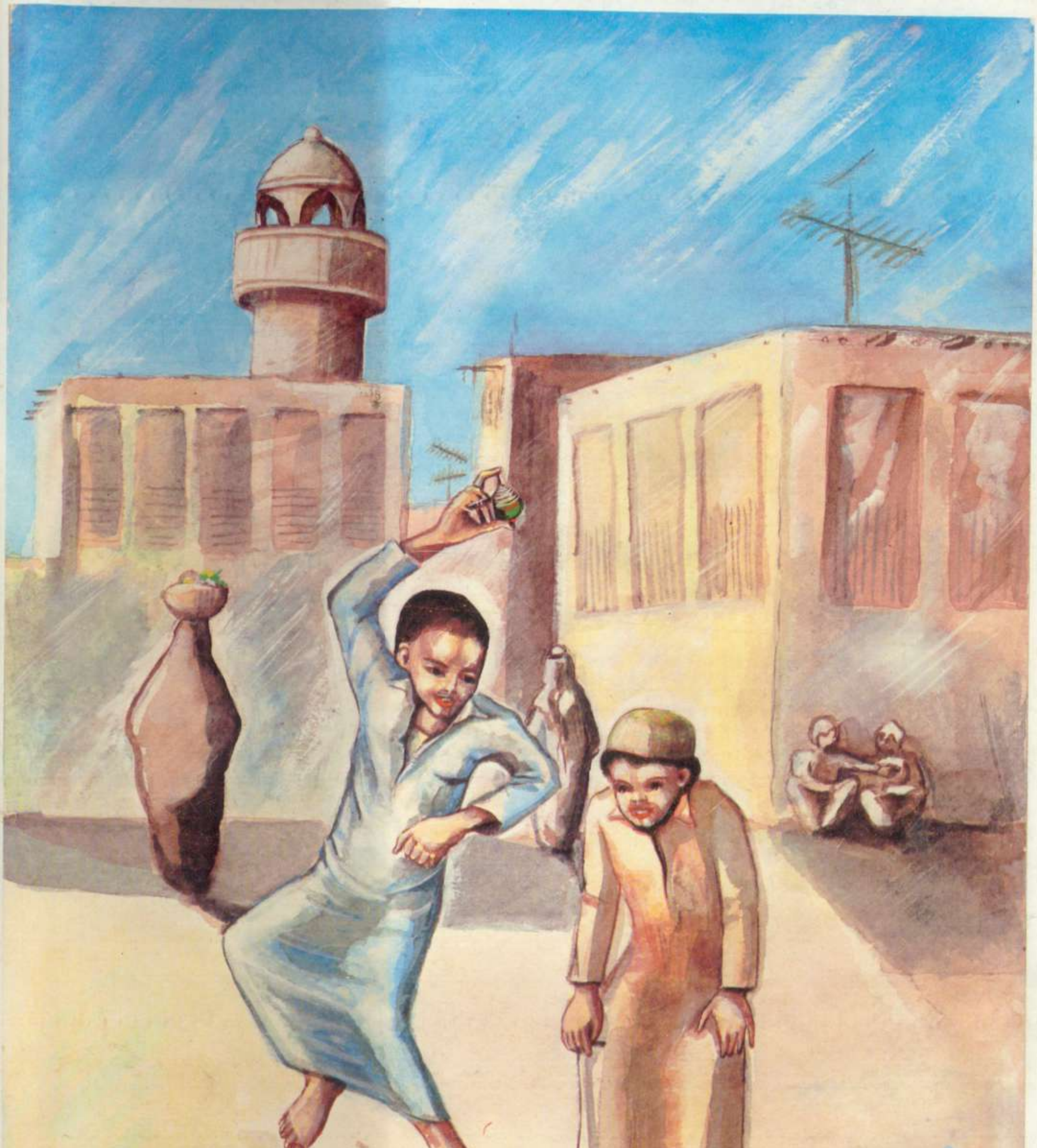
ولا ندينهم لأن التقاليد الاجتماعية ، كانت ولا تزال ، لا تسمح للحقيقة ان تقال دائماً ولأن الناس ، كل الناس ، بشر معرضون لساعات ضعف وانهزام .

ولأن التمثيل هو الحقيقة التى نؤمن بها سواء من المتهم أو من الشهود .

ليس معنى ما قلت ان موسوعة الأدب العربى المعاصر هى الظرف الذى سيقيم فيه الأدباء المنعطفات المهمة فى حياتهم . انما هذا مجال للبوح ، وسنرى مقدار الجراة على الاعتراف . ليس امام محكمة تدين بل تاريخ يريد التسجيل لصالح الأديب نفسه .

لننتظر ..


TEEM



الـــــدَّوَّامـــــة.. للفنان القطري: سلطان السليطي

العـدد ٩٢ - ذو القعـدة ١٤٠٢هـ - سـبتمبر ١٩٨٢م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

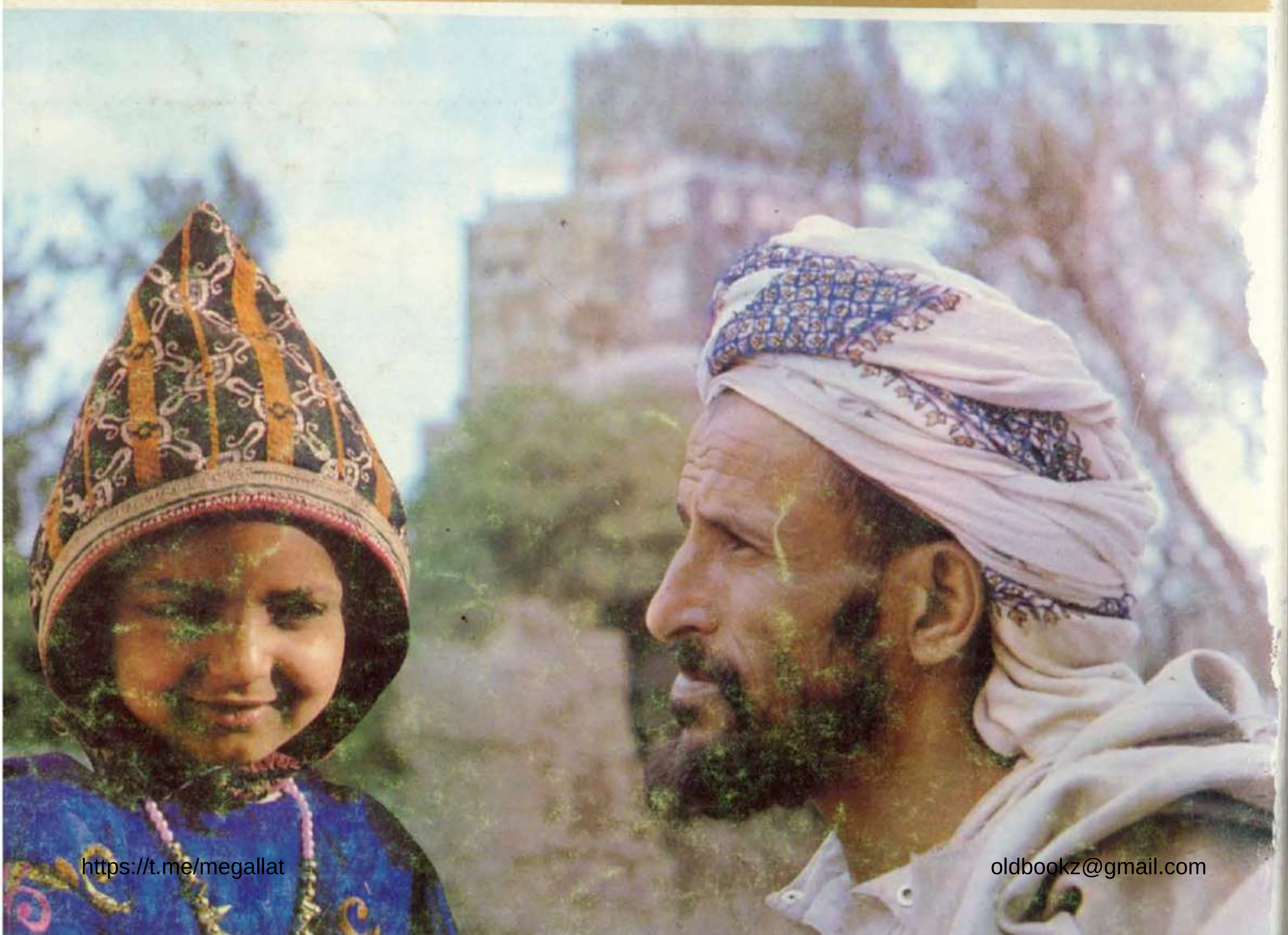
جزء خاص
١٢ عاماً
على استقلال دولة قطر

● يوسف إدريس يتحدث بالصوت العالي

● ظاهرة غريبة: الرمال الموسيقية!

● أوهام حول موقف الغرب من الدين

● صنعاء بين سحر الماضي وآمال المستقبل





إجعَل نهارك عيد مَـع

بيبسي

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٩٣ - ذو القعدة ١٤٠٣هـ - سبتمبر ١٩٨٣م

المراسلات :

التحرير والادارة : صندوق بريد رقم ٢٣٢٤ الدوحة - قطر .
العنوان البرقي : المجلة - الدوحة
تيلكس : 4521 MAGDO DH -
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
مدير التحرير : ٤٢١١٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٦٠ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٦٦ ريالا قطريا
باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها .
في باقي دول العالم ٧٢ ريالا قطريا .
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٢٥ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٣٢ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ١٤٠ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشأنها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر	٥ ريالات
البحرين	٣٠٠ فلس
الامارات العربية	٥ دراهم
عمان	٢٥٠ بيسة
الكويت	٣٠٠ فلس
السعودية	٥ ريالات
الجمهورية اليمنية	٣٠٠ فلس
اليمن الديمقراطية	٣٠٠ فلس
العراق	٣٠٠ فلس
المملكة الاردنية	٢٥٠ فلسا
سوريا	٢٥٠ قرشا
لبنان	٢٥٠ قرشا
مصر	٢٠٠ مليم
ليبيا	٤٠٠ درهم
السودان	٢٥٠ مليما
تونس	٤٠٠ مليم
الجزائر	٤ دنانير
المغرب	٤ دراهم

باقي دول العالم : ما يعادل دولارين امريكيين

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

- **السودان**
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم

- **مصر**
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء - القاهرة

- **سوريا**
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكة - تجاه ثانوية فايز منصور
ص . ب ٤٩٠٢ - دمشق

- **العراق**
الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة
ص . ب ٦٢٤ - بغداد

- **ليبيا**
المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازي : ص . ب ٣٢١ - بنغازي

- **الاردن**
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب ٣٧٥ - عمان

- **البحرين**
دار الغد
١ شارع المعارف - بناية الدرازي
ص . ب ٥٥٠ - المنامة

- **سلطنة عمان**
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر
ص ب ١٠١١ - مطرح
مسقط

- **تونس**
الشركة التونسية للتوزيع
٥ شارع قرطاج
ص . ب ٤٤٠ - تونس

- **السعودية**
مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان
ص ب ١٤٠٥ - الرياض
مكتبة ومطبعة ضياء - المدينة المنورة

- **الكويت**
شركة دار الكويت للصحافة
ص . ب ٢٣٩١٥ - الصفاة
الكويت

- **لبنان**
الشركة العربية للتوزيع
ص . ب ١٢٢٨ - بيروت

- **الجمهورية العربية اليمنية**
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء

- **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية**
مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع
ص . ب ٤٢٢٧ - المحافظة الاولى
عدن

- **الامارات العربية المتحدة**
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام - عمارة ثاني بن محمد
ص . ب ٧٩١ - ابو ظبي .

- **المغرب**
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ص . ب ٦٨٣ - الدار البيضاء
MAROC :
SOCHEPRESS
B. P. No 683
CASABLANCA.

- **الجزائر**
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر
ALGERIE
S. N. E. D.
20 RUE DU LIBERTE
ALGER.

- جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
- الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي وزارة الإعلام أو رأي المجلة
- المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

Ali Bin Ali Printing Press - Doha طبعت بمطابع علي بن علي



٣ سبتمبر ومسيرة ١٢ عاماً على استقلال دولة قطر ص ٨٣



الحرف التقليدية الاسلاميـــة فى العمارة المغربية ص ٥٨



عطيل الانجليزى وديك الجن العربى

● دراسات ومقالات ●

● وثائقنا مكشوفة ووثائقهم فى السر والخفاء ! ....
د . سيار الجميل ٦

● حتى لا يسقط شبابنا فى اوهام خاطئة : موقف الغرب من الدين ....
د . عون الشريف قاسم ١٠

● كتاب يجب ان يقراه كل مسئول ، وكل مواطن عربى
د . محمد جابر الأنصاري ١٣

● حركة « كاخ » الصهيونية ، عصابة ارهابية جديدة
عصام شريح ١٦

● خواطر تسر الخـــاطر ....
زكريا تامر

● انحطاط مستوى التعليم فى امريكا ....
فتحي رضوان ٢٠

● الرمال الموسيقية ....
درويش مصطفى الفار ٢٨

● النظام الاقتصادي فى الاسلام ....
د. السيد محمد بدوي ٣٤

● استعادة المبادرة الحضارية ....
الياس سحاب ٤٢

● صنعاء .. مدينة التقاليد العربية وفرســـان الحكايات الشعبية ....
فوزي الخميس ٥١

● صور نادرة للارض : كاميرات دقيقة تصور الدنيا من الفضاء ٥٦

● ازرع ارضك سمكا ! ....
رجب سعدالسيد ٦٤

● « علماء الفلك يشهدون ولادة نجوم جديدة ! » ....
حسام جميل مدانات ١٠٠

● عصر الاتصـــال ....
د . عصام سليمان موسى ١٠٦

● الجراح العربي الأندلسي ابو القاســـم خلف الزهراوى وكتابه فى الجراحة ....
د . أمين الطيبي ١١٦

● عصير الخضروات والفاكهة قيمتها الطبية وتاثيرها على الميكروبات ....
د . عز الدين فراج ١٢٢

● شؤون الخليج ●

● جزء خاص بمناسبة مرور ١٢ عاماً على اســـتقلال دولة قطر ٨٣

● انسان الخليج فى لوحات فنان ....
يوسف احمد ١١٢

● قضايا خليجية ....
عبد القادر عقيل ١٤٦

● ادب وفنون ●

« عطيل » الانجليزى وديك الجن العربي ....
د . نسيب نشاوي

● « علي بابا » قصة عربية لا ارمنية ولا تركية ....
محمد فهمي عبد اللطيف ٢٢

● هذا العبقرى الصعلوك كيف يستقبله العـــالم العربى ، وكيف يفهمه الأدباء !؟ ....
محمد يوسف ٣٠

● حوار مع القاص والروائي ادوار الخراط حول ازمة العقل العربى ....
ماجد يوسف ٣٨

● حكايات صغيرة ....
عبد الله الشيتي ٤٦

● عبد العزيز البشري : الأديب المرح الساخر ....
حارث طه الراوي ٤٨

● يا صدرا .. وطنا .. الى امل دنقل « قصيدة » ....
سماح عبد الله ٦٧

● جيرارد دي كريمونا : اشهر مترجمى المولفـــــات العربيـــة ....
د . احمد محمود بدر ٦٨

● الجمال الظامئ « شـعـر » ....
عبد العليم القباني ٦٩

● عاشق الاسكندرية يعود اليها ! ....
علي شلش ٧٠

● صالح الشرنوبي .. شاب نضج قبل الأوان ومات فى العنفوان ....
حامد بدر ٧٤

● البراءة والتجربة فى نار « المجاذيب » ....
د . محمد عبد الحي ٧٦

● نشيد آخر الليل « قصة » ....
عبد الله الطوخي ٨٠

● تقاسيم عشوائية « شعر » ....
فوزي صالح ٩٩

● شجرة السنديان العجوز « قصة » ....
كلثم جبر ١١٠

● يوسف ادريس يتحدث الى « الدوحة » بصوت عال : الانسان فى عالمنا بائس جداً لأنه ليس مطلـــوباً منه ان يفكر ! ....
حوار : فوزية رشيد ١١٨

● حاضرة انت فى القلب « قصيدة » ....
م . كجراي ١٢٤

● نعنع الماء « قصـــة » ....
عادل ابو شنب ١٣٠

● اللعبة الجديدة للسينما الصهيونية : فضـــائح وانحرافات بدلا من الدعاية المكشوفة ....
رءوف توفيق ١٣٢

● ابواب ●

● كتاب الشهر : الحرف التقليدية الاسلاميـــة فى العمارة المغربية ....
عرض : جمال الغيطاني ٥٨

● لقطات من الكون المثير ١٠٤

● هل تعلم ....
عبد العزيز السيد المصرى ١١٥

● من روائع الفن العالمي .. سيدة العصر . والحرب والسلام ....
جمال قطب ١٠٨

● أوراق خضراء ١٢٥

● العلم والمستقبل .... لبنى الريدى ١٣٨

● دوحـــة القراء ١٤٠

● استراحة الدوحـــة .... رءوف عبده ١٤٤

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

نائب رئيس التحرير : عبد القادر حميدة

المدير الفني : أحمد فاضل

المحرر العام : كمال سعد

التحرير : النور عثمان أبكر
مريم آل سعد
سنان المسلماني
ممدوح عبد الرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا

الإشراف الفني : نائلة محمد فتحي

سكرتيرا التحرير الفنيان : أحمد عبد الله
علي دياب

البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي

التصوير : أمين بدوي الحامدي

المدير الإداري والمالي : عبد الله جابر

نحن بلا أسرار والآخرون لا يقدمون عن أنفسهم أي معلومات

وثائقنا مكشوفة ووثائقهم في السرّ والخفاء

بقلم: الدكتور سيار الجميل

لقد كنا نحن العرب ومازلنا نكشف بيسر وسهولة ودون قصد خفايانا لاعدائنا وفى مقدمتهم «اسرائيل» ولنا ان نتساءل بوضوح : هل قرأنا فى يوم من الأيام محتويات وثائق اسرائيلية ؟ أو قرأنا يوماً محاضر جلسات اسرائيلية فيما بين قادة اسرائيل أنفسهم .. وما يطوونه فى الخفاء أو بينهم وبين الدول الحليفة لهم منذ قيام دولة العدوان حتى اليوم ؟

الجواب : كلا .. كل ماكتبوه هو المذكرات السياسية .

تعتبر الوثائق السياسية بشكل عام ، من أهم مصادر دراسة التاريخ السياسي الحديث والمعاصر ، نظراً لما تحتويه من حقائق واسرار ومعلومات .. وتزداد اهمية الوثائق السياسية ، وتبرز قيمتها عندما تكون محتوياتها على درجة من الندرة والصدق .. لأنها محفوظة ومصانة ولكنها مجهولة المضامين ، لا يعرفها الناس ، ولم تتفش اسرارها بين الجميع .

ان فلسفة الشك التى يجب ان يمارسها أى مؤرخ جاد فى التاريخ السياسي مع جميع مصادر بحثه ، تفرض عليه طبيعة عمله كباحث علمى ان يكون متيقنا فى تعامله مع نصوص وثائقية أصيلة فى كتابته لأى بحث تاريخى فى التاريخ الحديث والمعاصر .. وعلى هذا المؤرخ ان يميز بين الوثيقة السياسية وغيرها من المصادر ، فالبون شاسع واسع ـ مثلا ـ بين الوثائق السياسية والمذكرات الشخصية ..

وهذا الأمر ينسحب ايضاً على مصادر أخرى ، فان طبيعة المواد الوثائقية السياسية كالسجلات الرسمية ، ومحادثات قادة الدول المسجلة ، والمفاوضات السياسية ، ومقررات المؤتمرات السرية ، والرسائل الدوبلوماسية ، والمذكرات الخارجية للدول ، وكتابات المسؤولين المحفوظة .. الخ ، كلها لا يمكن ان تقارن مثلا مع احاديث الصحف اليومية ، وأخبارها السياسية ، أو مقالات المجلات وتعليقاتها ، أو الخطب السياسية او الكراريس الاعلامية .. الخ . فالوثيقة اذن : هى ذلك النص الرسمى الأصلى الذى تصدره جهة رسمية فى دولة ما والمحفوظ فى دواوينها بامانة واحتراز .

ما هو الحاضر ؟

ان المؤرخ الجاد لا يمكنه ان يحكم قطعياً على أوضاع الحاضر ، الا من خلال تجاربه العلمية ، ومعلوماته التاريخية عن الماضى .. ويستطيع تعليل الاحداث شفوياً من خلال ردود الفعل التى تتجاذبها ، ولكنه ليس من المفيد ان يقرأ الحاضر تحريرياً ، ويوزع احكامه على مساحاته لأن هذا الحاضر لم يدخل بعد فى اسار التاريخ ودائرة الماضى الزمنية .. فالحاضر هو ذلك الموضوع المبهم الذى يحتوى على اسرار كثيرة لا تحصى او تستقصى .. ويبقى الحاضر دائماً هو الرجل المجهول لابنائه ، وكلما أمتد الزمن تزداد معرفته من قبل احفاده لانه أصبح ماضياً عندهم .. ان الحاضر يبقى مجهولا فى كل الدنيا . قد تعرف خارطته الجغرافية التى رسمتها لنا الجغرافية السياسية لهذا الحاضر ، وقد تعرف احداثه المتوالدة ووقائعه اليومية وآثاره ومعطياته الحضارية ، ولكن كنهه السياسي وطبيعته التاريخية هما فى حكم المجهول . وهنا لا يستطيع المؤرخ ان يرى حقائق الحاضر كاملة .. واضحة وجلية .. أو يكون مطلعا على مخفياته ، أو ما يجرى من خطط وسياسات من وراء الكواليس فى عالم تحكمه العلاقات السياسية المعقدة .

وقد يتمكن كل من المؤرخ او رجل السياسة بتعليل طبيعة الظروف التى عبرها أى حدث سياسي كبير .. وذلك من خلال التوقعات والتجارب أو المشاركة فى صنع الحدث أو المعلومات المبتسرة عنه ربطا بالماضى القريب وتكويناته السياسية وقادته ورجاله .. وحلقاته التاريخية المرتبطة فى طبيعتها مع الحاضر بسلسلة معقدة من التراكيب والأحداث .

نستنتج بعد كل ما ذكرناه اعلاه ، بأن

الحاضر الذى تحتوى خارطته الجغرافية السياسية لكل الأرض وتقسيماتها الدولية الماهلة بالبشر .. تحتوى على عهود تاريخية متعددة ، تتجدد بين أونة زمنية سياسية وأخرى . ورغم ارتباط الحاضر زمنياً بالماضى القريب ، الا ان طبيعة هذا الحاضر مرهونة بظروف مرحلية ترسمها الجغرافية السياسية .. وعليه فلا يمكن دراسة مداه التاريخى الذى يتراوح زمنياً بين ٣٠ – ٤٠ سنة ، دراسة تاريخية جادة ورصينة ، يستطيع صاحبها الخروج منها بنتائج تاريخية هامة ذات وظائف وأهداف . وان أية دراسة تاريخية لهذا الحاضر ، أو قراءة لبعض احداثه أو رجاله تبقى قاصرة وغير موفية لاغراض البحث العلمى الرصين .. لأن الحاضر لايزال مجهولا مادام حاضراً ، ولأن اغلب معلوماته واسراره ووثائقه وكل مطوياته وفجواته وزواياه خافية عن الأعين .

التقسيمات التاريخية

ولكى نوضح مصداق هذا الجانب الهام بصورة أكثر دقة وشمولية ، علينا ان نطلع على تقسيمات التاريخ ، وذلك نظراً لاهميتها فى هذا الخصوص ، والوقوف عند ما نعنيه .

١ – العصور التاريخية القديمة .
٢ – العصور التاريخية الوسطى .
٣ – العصر الحديث :التاريخ المعاصر الفترات الحديثة .

يجمع المؤرخون أكاديمياً فى شتى انحاء العالم على ان التاريخ الحديث للعالم يبدأ بفتح القسطنطينية على يد السلطان العثمانى محمد الفاتح سنة ١٤٥٣ م ، باعتبار ان هذا الحدث التاريخى قد غير وجه العالم ، وقلب صفحته التاريخية .. اذ طويت من خلاله آخر حلقات العصور التاريخية الوسيطة ، ودخل العالم القديم اجمعه فى عصر تاريخى اختلفت مميزاته ومواصفاته وموازينه عن تلك العصور الوسيطة . ويعتبر التاريخ المعاصر الذى يبدأ بالحرب العالمية الأولى وينتهى متجدداً – اليوم – بنهاية الحرب العالمية الثانية هو جزء لا يتجزأ من التاريخ الحديث المشار إليه .. وقد اصطلح على ان يكون التاريخ المعاصر متواصلا مع الزمن الحاضر المتجدد الذى نعيشه اليوم مادام هناك شهود عيان لا يزالون على قيد الحياة اليوم .. ومن الذين كانوا قد شهدوا بأم اعينهم بدايات اى تاريخ معاصر . ويعتبر التاريخ المعاصر ذا نهايات متجددة على مر الأيام وتوالى الأعوام ، مادامت تلك النهايات لأى تواريخ معاصرة لاتزال قاصرة غير متكاملة فى معلوماتها وابعاد كشوفاتها .. اذ تحتويها وثائق واسرار وأوراق خاصة وسجلات رسمية للحاضر نفسه ، ولم يكشف النقاب عن جميعها حتى الآن .

من هنا تنبثق أهمية الوثائق وأصولها .. ولاتزال مساحات واسعة الابعاد فى التاريخ المعاصر غير متكاملة فى دراستها ، والكشف عن مخفياتها ، نظراً لضياع أو اختفاء أو انزواء العديد من وثائقه واسراره ومعلوماته المهمة .. وخصوصاً فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر .

الوثائق السياسية السابقة بين التقييم والضياع

كان الأستاذ الأديب رجاء النقاش قد نشر قبل أكثر من عشر سنين مقالة فى مجلة المصور المصرية بعنوان (هذه



مصطفى كامل



محمد فريد

الوثائق مهددة بالضياع)(١) .. شرح فيها أهمية الوثائق السياسية والمذكرات التى كان قد كتبها من تولى مسؤولية مصر سابقاً أمثال : مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وسعد زغلول .. والتى انطوت وخفى الكثير والمهم منها عن الأعين . فحجبت بذلك عن التاريخ المصرى المعاصر حقائق لايزال ظمأ فى الكشف عن اسرارها ليضيء جوانبه ومراحله المختلفة .. والتى يتطلبها حاضرنا بمزيد من الاهتمام والتثمين .

ان المواد التاريخية النادرة كالوثائق السياسية والسجلات الرسمية ، والأوراق الخاصة للمسؤولين العرب السابقين .. والتى ضاع أو اختفى أهمها وابرزها خطورة ، أو انها مركونة أو متفرقة فى زوايا احدهم ، أو لاتزال متواجدة دون اهتمام بها بين يديه .. نتيجة لعدم وجود قانون يحفظها بأمانة ، ويعمل على صيانتها ، ويكون محترزاً عليها أشد الاحتراز .. كلها اسباب تؤدى بالمؤرخ الذى يكتب فى التاريخ المعاصر الى التعب وكثرة المغالطات . اضافة الى ان اختفاء تلك المواد التاريخية الثمينة التى تشكل محتوياتها عناصر صادقة وأمينة ومجردة يؤدى الى ضياع مساحات كبيرة من تاريخنا العربى المعاصر .. وان انطمار بعض معلوماتها المهمة أو التلاعب بها يؤدى بدون شك الى ضعف تقييم المؤرخ لمن يؤرخ لهم من الرجال السابقين الذين تحملوا مسؤولياتهم السياسية منذ القرن الماضى .

نقد لنشر الوثائق السياسية المعاصرة

كثرت فى الآونة الأخيرة ظاهرة نشر المذكرات السياسية والشخصية .. وقد برزت بصورة واضحة عند البعض من الساسة المصريين الذين كانوا قد تولوا مناصب سياسية عليا خلال فترة الستينيات أو السبعينيات . وقد تجاوز البعض اللغة العربية لينشر مذكراته أو كتاباته السياسية باللغة الانكليزية .. وليس فى ذلك حرج مادامت تلك الكتابات لم تخرج عن نطاق صيغة المذكرات الشخصية ، أو الآراء والافكار .. التى تنفع من سيكتب فى المستقبل فى التاريخ وعلى الأخص فى تاريخ العلاقات السياسية التى

وثائقنا مكشوفة
ووثائقهم في السر والخفاء


سعد زغلول


مناحيم بيجن


موشى ديان

حكمت الفترة . من طرف آخر ، نود ان نذكر لكل من يرغب بنشر مذكراته للناس ان يكون أميناً فى تسجيلها ، وصادقاً فى نقل الأحداث ، ودقيقاً فى رسمه لجميع المواقف وعادلاً فى أحكامه بالنسبة لمن يتحدث عنهم .. والا يكون متسرعاً فيما يكتبه ، بل عليه ان يكون متروياً ، وان يعصم كتاباته من أغراض الصحافة اليومية أو الأسبوعية .. ومن النفع المادى الصرف .

لقد جازف البعض فى نشره لوثائق هامة من خلال نشره لمذكراته التى اطلق عليها عنوان (مذكرات – وثائق واسرار ووقائع) ان ما نشره فى مذكراته هذه التى لا يوجد فيها أى شىء يخصه باعتباره صاحب المذكرات ، هو نشره لنصوص محاضر جلسات هامة بين قادة دول .. التى تعتبر من الوثائق السياسية الهامة ، وقد ذكر

ناشرها صاحب المذكرات بأن تلك المحاضر لجلسات رسمية أو سرية لرؤساء دول كان قد استنسخها بحكم وظيفته الرسـمية واحتفظ بهـا فى دفاتره الخـاصة .

ان من الضرورة بمكان ان نوضح لهؤلاء السادة وللمسؤولين فى الدول العربية ، ومن وجهة نظر تاريخية وعلمية بحتة ، بأن ليس لأى فرد من الأفراد أو مسؤول من المسؤولين السابقين أو لمن لحقهم بعدهم .. الحق أبداً لأن يحتفظ بمعلومات رسمية ووثائق سياسية هى غاية فى الخطورة والأهمية وذلك فى أوراقه أو دفاتره الخاصة .. وليس من حق أى منهم أن يسجل لنفسه فى دفاتره الخاصة الشخصية وثائق ومحاضر واسرار جلسات رسمية أو سرية لرؤساء دول على سبيل المثال .. ثم ليس من حقه أيضاً أن يقتنص لنفسه أيضاً أهم ما يمكن للدولة أن تعتز به وتحترز للمحافظة عليه ..

ولا ادرى كيف يتم السماح لأى موظف رسمى أو مسؤول سياسى فى أية دائرة سياسية عليا أو هيئة دبلوماسية بأن ينسخ لنفسه محاضر جلسات رسمية ، ثم ينشرها لنفسه بعد ذلك باسم وثائق .. لقد جرى مثل هذا التعامل والنزوع فى أكثر من دولة عربية ، فقد نشر أحدهم قبل سنوات طويلة كتاباً يتألف من عدة مجلدات فى تاريخ وزارات تلك الدولة .. وتتألف مادة ذلك الكتاب من محتويات اضابير ووثائق رئاسة مجلس وزراء تلك الدولة ، والتى كان مؤلف الكتاب المومى اليه أحد الموظفين فيه . ولقد انتبهت تلك الدولة الى هذه الناحية الخطيرة ، فاسست لها مركزاً وطنياً لحفظ وثائقها القديمة والحديثة .

لماذا حفظ الوثائق السـياسية المعاصرة ؟

هنالك أسباب عديدة تحول دون نشر الوثائق الرسمية لأى دولة ومعلوماتها السياسية واسرارها العسكرية ، وسجلاتها واضابيرها .. وذلك خلال الحاضر الذى تعيشه ، باعتبار ان تلك المواد التاريخية الثمينة لم يمض عليها فترة زمنية اجتازت من خلالها الحاضر ومراحله وظروفه وتحدياته ، ونظراً للعوامل الأساسية التالية :

١ – خطورة بعض المعلومات والاسرار التى تحتويها تلك المواد فى المـرحلة الحالية .

٢ – القيمة التاريخية لمحتويات تلك المواد فى المستقبل .

٣ – ملكية الدولة الرسمية لتلك المواد وجميع محتوياتها .

٤ – الحفاظ على مصالح الأمة وخططها فى الحاضر والمستقبل .

٥ – عدم ملاءمة الأوضاع المحلية والدولية ، والظروف المرحليـة والاستراتيجية .

اما من ناحية حفظ الوثائق ، وصيانتها ضمن اجراءات احترازية فيقع كل ذلك على كاهل الدولة ومسؤوليتها المباشرة . وتعتبر الاجراءات الاحترازية لصيانة الوثائق والحفاظ عليها من أهم الاعتبارات التى تعنى بها أية دولة .. وذلك بتجرد وأمانة ، اذ لا يسمح أبداً بتسرب المعلومات التى تحتويها تلك الوثائق . ان أية دولة عربية بحاجة الى اجراءات كفيلة بحفظ أوراقها ومعلوماتها ووثائقها ، ويستوجب الأمر بأن لا يطلع عليها أى شخص سواء كان عربياً أم أجنبياً مهما كانت الدواعى والأسباب .. وذلك حفاظاً على مصالح الأمة فى المستقبل المنظور أم البعيد ، الا بعد مضى عقود محددة من السنين من عمر تلك الوثائق .. وهذا هو ما متعارف عليه عند الدول التى تبغى أن تكون مصالحها الوطنية والقومية فوق أى اعتبار آخر ..

ان أغلب الدول المحترمة فى العالم اليوم تخطط بأمانة وتجرد خاص بها وبأبنائها حسب ما تقتضيه مصالحها العليا والدنيا من أجل بناء مستقبلها أو بناء مستقبل اجيالها .. وقد أملت العديد من الاجراءات بهذا الصدد ، نظراً لأهميته البارزة والواضحة للجميع .

ان تلك الدول لا تنشر وثائقها واسرارها بين الناس وللعالم أجمع فى صحف يومية .. بل تحتفظ بها فى مراكز للسجلات والوثائق خاص بها ، ولفترة لا تقل عن ثلاثين عاماً بأى حال من الأحوال ، اذ تسمح بعد انقضاء تلك الفترة لأولئك القلائل من المعنيين والمؤرخين المختصين ، لكى يطلعوا على بعض محتويات تلك الوثائق أو السجلات أو النصوص وضمن

اجراءات خاصة فى المراكز نفسها ، من أبسطها ، على سبيل المثال انه لا يجوز استعمال قلم الحبر أثناء استنساخ بعض المواد أو المعلومات كيلا تصاب تلك الوثيقة أثناء استعمالها بأى خدش أو تحبير .. اضافة الى المراقبة والاعتناء الأمثل فى استعمال أية قصاصة تحتوى على معلومات وثائقية .

من جانب آخر ، فان تلك الدول لا تمنح حق الاستعمال أو حتى الاطلاع على بعض الوثائق الخطيرة التى مضى عليها زمن طويل يتجاوز خمسة أو ستة عقود من السنين . اضافة الى كل هذا وذاك ، فهناك الفهرسة والجدولية لجميع الوثائق التى يحتفظ بها أى مركز أو مكتبة أو ديوان .. وتشمل الفهرسة التبيويبية فمثلا هناك الرسائل الدوبلوماسية ، والمذكرات السياسية الخارجية ، والخطط الحربية ، العقود السرية .. الخ . اضافة الى الفهرسة الجدولية بالاسماء والاماكن والأحداث ، والسنوات والشهور والأيام .. الخ . والفهرسة الرقمية التى تعطى لكل وثيقة رقما لها حتى ولو كانت تلك الوثيقة قصاصة صغيرة من الورق الأصفر والتى تجاوز عمرها أكثر من مائتى عام .

ان أهم ما تحتاجه الدول العربية اليوم ، هو تجميع وثائقها كافة وحفظها فى مراكز أمينة ، ودواوين رسمية .. وان يتجرد لذلك أناس لهم اختصاصهم وتجردهم ونزاهتهم وغيرتهم على وطنهم وأمتهم ومستقبلهم .. ولهم سمعتهم الرسمية ليحفظوا بأمانة واحتراز مجاميع الوثائق السياسية العربية ، اضافة الى مختلف المواد الثمينة والنادرة من سجلات واضابير ومعلومات فى مختلف الاختصاصات .. وان تسن قوانين خاصة بهذا الصدد تخول تلك المراكز الوطنية لحفظ الوثائق اجراءات كاملة بخصوص الحفظ والرقابة والتدقيق .. وان تصدر اجراءات حاسمة لمحاسبة ومعاقبة أى مسيىء من الذين لم يمتثلوا للاصول والحقوق .. أو يجازفون فى نشر أية وثيقة كانت من أجل مصلحة مادية أو شخصية وهى ليست من ممتلكاته الشخصية .. أو استعمالها بدون ترخيص رسمى . وهكذا يجب أن تنسحب الاجراءات نفسها على أية صحيفة يومية ، أو مجلة أسبوعية ، أو دار نشر .

وفى هذا المجال ، لا يحق حتى لرئيس الدولة المقيد بدستور بلاده أو أمته أن يحتفظ لنفسه بوثائق عهده ، أو وثائق عهد الحاكم الذى سبقه فى حكم البلاد . فليس لهذا الرئيس أو أى أحد من المسؤولين فى عهده ، الحق لأن يحرف ما تتضمنه تلك الوثائق ، أو يتلف ما يروق له منها . من الضرورى ، أن يطلع عليها بين آونة وأخرى ليستفيد منها فى رسم سياسة بلاده ، ولكنها تبقى فى جميع الأحوال من ممتلكات الدولة الخاصة .

ان الحد الادنى لنشر الوثائق السياسية العربية ، يجب الا يقل عن أربعين عاماً ، نظراً لوجود أسباب استراتيجية ومرحلية لا يمكن تجاوزها ، منها الأوضاع الصعبة ، والظروف الراهنة التى تمر بالأمة .. والعلاقات السياسية لهذه الأمة كمنظومة دولية فى المجتمع الدولى مع المنظومات الدولية الأخرى .

لقد كنا نحن العرب ، وما زلنا نكشف بيسر وسهولة ودون قصد خفايانا لاعدائنا وفى مقدمتهم (اسرائيل) . ولنا ان نتساءل بوضوح : هل قرانا فى يوم من الأيام محتويات وثائق اسرائيلية ؟؟ أو قرانا يوماً محاضر جلسات اسرائيلية فيما بين قادة (اسرائيل) أنفسهم .. وما يطوونه فى الخفاء ، أو بينهم وبين الدول الحليفة لهم منذ قيام دولة العدوان حتى اليوم ؟؟ الجواب : كلا .. كل ما كتبوه هو المذكرات السياسية (٢) .

وقبل ان نغلق مناقشة قضية نشر الوثائق السياسية العربية ، ومعالجة حفظ هذه الوثائق .. نود ان نذكر بشىء من التركيز ، العوامل التاريخية التى ادت الى اندفاع البعض ، للقيام بمهام نشر بعض الوثائق أو المذكرات .. فالفترة التاريخية التى يمر بها العرب – اليوم – هى من الفترات التراكمية التى تعج بالأحداث ، وتزدحم بالوقائع التاريخية المريرة . ومن هنا ، يبقى اصحابها بانتظار وتتبع خوافيها وصولا الى تحقيق أفضل الصيغ لمعالجة الواقع الممزق ، والخلل الذى طغى على كل المساحات والجوانب والزوايا .. والأسباب واضحة جلية يدركها كل عاقل يعي حقائق الأمور ، ويبصر العوارض ، ويميز بين الأعراض والجواهر ، ويدرك الفوارق وعظم الاختلافات التى تفصل كل يوم عما قبله .. كما ويرى القدرات الضائعة فى بحر من التشتت أمام أعظم التحديات التى تواجه هذه الأمة فى حاضرها ومستقبلها .

ولكن العلاج لا يكمن فى نشر الوثائق السياسية لهذا الحاضر ، بغرض تبصرة الناس ، والانتفاع من التجارب العقيمة لمن مضى من الساسة .. أو ايجابياتهم وسلبياتهم . المهم ان التحديات التى تواجه هؤلاء الناس ، هى أكبر من أن تعالجها وثائق سياسية ، لا يستفيد منها الاستفادة الأكبر الا الاعداء .. وان نشرها لا يزيد فى الواقع الا تشتتاً ، والأفكار الا تشوشاً ، والناس الا تشرذماً ، واختلافاً ، وتمزقاً .

فى ختام هذا الحديث ، أود أن أقول اننا بحاجة الى العقلية البنائية فى دراسة تاريخنا الحديث والمعاصر ، وتحليل عناصره ، وسد فجواته ، وايضاح علله ، وتبيان خفاياه .. من خلال البحث عن حقائقه على الوجه الأفضل ، لنستفيد من خبراته ، وننتفع من مواده وآثاره ووثائقه .. والا يقفز أى مؤرخ لينشر على الناس وثائق قريبة العهد ، خطيرة الجوانب ..

اما من يكتب لنا مذكراته ، فعليه ان يبين دوره الأساسى هو نفسه فى الأحداث التاريخية ، اذ ان للمذكرات أهمية بالغة وخصوصاً اذا احتوت على حقائق وخفايا وأسرار ومواضيع تثير الاهتمام والدراسة . ونعود مرة أخرى لنذكر بخصوص قضية الوثائق السياسية ومسؤوليتها البالغة بخصوص حفظها .. وهذا ما نرجو ان يتحقق فى قابل ، فالذى لم يتمتع بأصول الحفظ ، والاحتراز ، والتدقيق ، والتمحيص ، والجمع ، والتحقيق بصدق وأمانة لهذه المواد الثمينة ، فسيتحمل مسؤولية التاريخ وعواقبه ، ومحاسبة الأجيال على رحبها لفعله فى ضياعها أو ضياع قيمتها(٣) .

سـيار الجميل

جامعة سانت اندروس / اسكتلندا

هــوامــش

(١) انظر : مجلة المصور المصرية ، العدد ٢٥٠٠ ، الصادر فى ٨ سبتمبر ١٩٧٢ .

(٢) د. سيار الجمل ، حول نشر الوثائق السياسية العربية – نقد – ، صحيفة الشرق الأوسط الصادرة فى لندن ، العدد ١٦٣٩ ، بتاريخ ١٩٨٣/٥/٢٥ .

(٣) د. سيار الجميل ، الأمانة العلمية والمسئولية التاريخية للبحث العلمى ، مجلة جامعة الموصل ، العدد ١ ، السنة الثالثة ، ١٩٧٣ .

حتى لا يسقط شبابنا في أوهام خاطئة

موقف الغرب من الدِّين

بقلم: الدكتور عون الشريف قاسم

هناك فكرة شائعة هى أن الغرب لم يعد مؤمناً بالدين ، ولم يعد مرتبطاً بأى عقيدة سوى عقيدة «المادة» و «التقدم المادى» ...
فهل هذه الفكرة عن موقف الغرب من الدين حقيقية أو انها وهم من الأوهام ؟!

يظن كثير من الناس ان أوروبا التى قامت حضارتها الراهنة على مبدأ العلمانية بمعنى فصل الدين عن الدولة وعن حياة المجتمع العامة ، بحيث يصبح امراً شخصياً ، قد تخلت بذلك عن دينها ،

وانتهجت فى حياتها العامة والخاصة منهجاً مادياً إلحادياً ، لا يشغل الناس فيه سوى تحسين مستواهم المادى فى هذه الدنيا ، دون إلتفات لدين ، أو انتظار لآخرة . وهو ظن واهم ، يحكم على الأمور بمظهرها ، دون التعمق فى مخبرها . إذ اننا لو تجاهلنا للحظة المعنى الفعلى للدين فى حياة الغربيين عامة ، وقسنا الأمور بظواهرها ، لاكتشفنا من الشواهد الماثلة ما يدل على عمق روح الدين فى المجتمعات الأوروبية .

ونظرة سريعة الى الرمز القومى او الوطنى لكثير من الدول الغربية ، وهو العلم ، ترينا ان الصليب هو الرمز الذى يتكرر فيه بشكل أو باخر ، كما هو الحال فى العلم اليونانى والسويسرى والدنماركى والسويدى والنرويجى والايسلندى والبريطانى والكندى والاسترالى والنيوزيلندى وغيرها . وليس هناك من ديانة فى العصور الحديثة نشط مبشروها ودعاتها فى أرجاء العالم مثلما نشطت المسيحية ، ديانة الغرب . وقد انتشرت المسيحية فى القرون الأخيرة انتشاراً فاق أضعافاً مضاعفة كل ما احرزته من نجاح منذ قرنها الأول . وكل هذا تم فى نفس الوقت الذى انتصرت فيه العلمانية على الكنيسة منذ حوالى أربعة قرون .

والدين ما يزال يلعب دوراً كبيراً فى توجيه الحياة السياسة فى كثير من الأقطار الأوروبية . ويكفى على ذلك شاهداً نفوذ الأحزاب المسيحية فى بعض هذه الأقطار ، مثل المانيا وهولندا وسويسر والنرويج وفرنسا وايطاليا والنمسا وايرلندا وغيرها . وقد أجاز الكونجرس الأمريكى قبل فترة قراراً يجعل من الشعار (بالله نثق) شعاراً وطنياً ، وهو الآن منقوش فى ظهر كل ورقة دولار أمريكى قلت قيمتها أو كبرت . واقترحت احدى لجان الكونجرس ان يكون الايمان بالله احد شروط الالتحاق بالخدمة العامة . ورغم ان التعليم الرسمى الامريكى لا يدخل الدين فى حسابه بمقتضى الدستور ، إلا أن الاتجاه العام يميل فى السنوات الأخيرة إلى العناية بالدين ، كما برز فى توصيات لجنة التعليم لمدينة نيويورك عام ١٩٥٥ التى تحث المدارس العامة الحكومية (لتشجع الايمان بالله معترفين بالحقيقة البسيطة ان امتنا أمة متدينة) . ورغم ان الدستور الأمريكى فى جوهره كان ممثلا للاتجاه البروتستانتى

فى فصل الدولة عن الدين ، لأن معظم المهاجرين الى أمريكا من المضطهدين دينياً بسبب خلافاتهم الدينية البروتستانتية ، إلا أن روح التدين فى أوساطهم من ناحية عملية ، كانت وما تزال عالية ، بسبب هذا الالتزام القديم .

ومن الملاحظ أن الجمعيات الكنسية والتبشيرية فى طول العالم الغربى وعرضه ، تشكل جهازاً من اقوى أجهزة التأثير الفكرى والسياسى بما تملكه من اموال ، وبما يقوم به العلماء والباحثون فيها من جهود . ويكفى مثالا على ذلك جريدة (الكريستيان سينس مونيتور) الامريكية الواسعة الانتشار على نطاق العالم . وهى جريدة دينية تنشرها جماعة تتخذ من العلم الطبيعى سبيلا إلى تدعيم المسيحية ، وتذهب إلى أن المسيحية ذاتها علم وطب قائم بذاته .

● الثورة الدينية

ومن الواضح أن النهضة الأوروبية الأخيرة قد سبقتها ثورة دينية أعادت إلى الدين فعاليته فى نفوس عامة الناس . وقد كان الانقسام الكبير الذى شطر الكنيسة الى فئتين : كاثوليكية متمسكة بالمسيحية التقليدية ، التى تمثلها سلطة البابا الروحية ، وبروتستانتية رافضة لسلطته ، فاتحة لباب الاجتهاد فيما يتعلق بالمسلك الدينى ، كان هذا الانقسام فى جوهره بداية وعى جديد ، استعادت به أوروبا قدرتها على الحركة فى كل الميادين بعد أن ازالت القيود الفكرية والسياسية التى كبلتها بها الكنيسة منذ أواخر الدولة الرومانية . وقد كانت سلطة الكنيسة طاغية مهيمنة على كل حياة المجتمع . فهى التى تضع للناس المعايير الفكرية والاجتماعية ، وما عليهم إلا الطاعة والانصياع ، وقد كانت للكنيسة فى هذا المجال آراء محددة ، مثل رأيها فى طبيعة الكون الفلكية ، الذى جاءت الكشوف العلمية مخالفة له ، فوجد العلماء مثل كوبرنكس وجاليلو الاضطهاد ، واحرق بعضهم فى محاكم التفتيش التى نصبت لمحاكمة المفكرين والعلماء . ومن اجل ذلك اتسم الخلاف مع الكنيسة بالمرارة والعنف



جاليليو



كوبرنيكوس

فى مجال الطبيعيات وغيره من المجالات الاجتماعية ، التى سعت الكنيسة بواسطتها للتحكم فى حياة الناس ، مثل شهادات صكوك الغفران ، التى كانت تباع للعامة باغلى الأثمان لتضمن لهم الفوز بالجنة فى الآخرة ، وكانت تدار على اساس رسمى فى الدوائر الكنسية .

وقد كان فى نشاط الكنيسة الاقطاعى ، وسيطرتها على كثير من أوجه الحياة الاقتصادية ، مايحول بين الطبقات الجديدة والتوسع فى مجال التجارة والصناعة . ولاعجب من ثم أن راينا الدوائر البروتستانتية ترفض كثيراً من التعاليم الاقتصادية التى كانت تنادى بها الكنيسة ، وعلى رأس ذلك تحريم الربا فقد كان سعر الفائدة هو عصب الحياة للاقتصاد التجارى الجديد . واتباع ما تنادى به الكنيسة فى هذا المجال حكم على الحركة المالية التى يسيطر عليها بالتوقف والبوار ، ومن ثم ارتبطت الحركة الرأسمالية فى العالم الغربى بما يسمى بالأخلاقية البروتستانتية ، التى تشجع جمع المال ومواصلة العمل لتحسين مستوى الحياة المادى مع التمسك بروح الدين ، وهى اخلاقية مخالفة فى جوهرها لروح الزهد والتنسك والبعد عن الدنيا التى تدعو لها المسيحية فى أساسها الأول .

المنحى المادى

ورغم أن الانقلاب الدينى الذى تم فى اوروبا ، كمقدمة للانقلاب الاجتماعى والفكرى فى القرن الخامس عشر الميلادى قد رد المسيحية الى وضعها الطبيعى فى حياة المجتمع كما فهمه الغربيون ، بان تكون دينا يصل بين الفرد وربه ، ولايتدخل فى حياة الناس العامة ، إلا بما يحفظ هذه الصلة بين الفرد وربه . إلا أن حدة الخلاف بين الجانبين قد دفعت كثيراً من المجموعات المثقفة الى الثورة ، لاعلى الكنيسة فحسب ، وانما على الدين ايضاً ، كما هو واضح من منحى الحركة العلمية الغربية التى تقوم فى كثير من جوانبها على رفض فكرة الدين ، وانكار وجود الله . ولكن جوهر الموضوع ليس هو هذا الخلاف الجانبي بين العلماء ورجال الدين وانما هو (جعل المبادىء الاخلاقية المسيحية ، كما تمثلها كلمات السيد المسيح وحياته ، ذات أثر فى الحياة اليومية لدى القسيس والرجل العادى على السواء . اذ ينبغى أن يحيا الناس فلسفة المسيح ، لا أن يضعوها موضع الجدل) كما قال المصلح الديني الهولندى إرازمس (١٤٦٦ – ١٥٣٦م) . ومن المؤكد انه رغم النظرة الالحادية التى تتجلى فى جوانب الحضارة الغربية ، فان الاتجاه الجماهيرى العام كان يميل الى رفض الشكليات الدينية ، التى قتلت بها الكنيسة التقليدية روح الدين فى حياة الناس العامة ويسعى الى تاكيد الفضائل الفردية التى جاءت بها المسيحية ، وعلى رأسها البر والاحسان والمحبة .

وهذا الاتجاه الجديد فى النظر الى الدين ، باعتباره ممارسة وسلوكاً شخصياً يلتزم المرء فيه باخلاقيات محددة ، بدل النظرة الرسمية التى تجعل من الدين جهازاً أو مؤسسة ذات طقوس وقوانين وجيوش من الوسطاء بين الله وعباده ، هذا الاتجاه هو الذى فتح المجال أمام الشخصية الأوروبية والغربية عامة لتحيا من جديد ، مكتشفة بذلك ذاتها الضائعة فى

موقف الغرب من الدِّين



رجاء جارودى



ارازموس

متاهات القرون . وقد استطاعت بهذه الاخلاقية أن تعيد تشكيل حياتها الاجتماعية والسياسية ، بعد أن اعادت ترتيب حياتها الروحية والفكرية والوجدانية ، وخرجت على العالم ، وهى مرتكزة على دعامة قوية من الايمان بتراثها وحضارتها ولذلك لا عجب ان رجال الدين الأوروبين هم طلائع الزحف الأوربى فى كل مكان ، ولاباس هنا أن نقتبس مقالة جومو كينياتا رئيس كينيا السابق فى كتابه (فى مواجهة جبل كينيا) : «لقد جاءوا الينا والانجيل فى أيديهم والأرض فى ايدينا ، فاصبح الانجيل فى أيدينا والارض فى أيديهم» . وقد يقول الناس إن حركة نشر المسيحية فى العالم على ايدى الأوروبيين ليست فى حقيقتها سوى جزء من الحركة الاستعمارية ولا يراد بها وجه الدين ، ولكن الحقيقة تبقى انه لو لم يكن للدين مكانة فى حياتهم لما بذلوا كل هذه الجهود فى سبيل نشره كجزء من ثقافتهم أو كعنصر مكمل لقوميتهم أو كاداة من أدوات سيطرتهم .

وفى ذلك شاهد على ان اى تقدم بشرى حقيقى لابد أن يرتكز فى اساسه على فهم جديد للدين يتمثل به الناس روح العقيدة وينقلونها من مجال النصوص والطقوس الى مجال السلوك وحركة الحياة العامة .

ولا جدال فى أن قوة الحضارة الغربية رغم ماديتها ومنحاها العقلانى ، تكمن فى روحيتها التى انعكست لفترات طويلة على حياة الناس العاديين فاصبحوا يتحلون بكثير من الصفات الخلقية التى شهد بها الشيخ محمد عبده حين ذهب الى اوروبا فى ختام القرن الماضى فراى كما قال قوماً يتحلون باخلاق الاسلام دون أن يكونوا مسلمين فى حين كان المسلمون الذين يدينون بالاسلام أبعد ما يكونون عن اخلاق الاسلام ، لأنهم كانوا ومايزالون يعيشون الانهيار الحضارى الذى الم بهم منذ قرون ولما يتمكنوا بعد من إعادة فهم دينهم فى ضوء المتغيرات الجديدة كمقدمة لبعثهم الحضارى المرتقب .

أوروبا متمسكة بدينها

صحيح أن التطور المادى المذهل الذى قاد به الغرب العالم لابد أن يترك آثاره القوية على الفكر الدينى ، ولكن اليس ذلك هو الوضع فى العالم اجمع ؟ الا نشكو نحن ، مع اختلاف نظرتنا الى الدين ، من المشاكل التى تبعد الناس عن دينهم كل يوم كما يشكو علماء الدين فى أوروبا ؟ ولكن الناس فى أوروبا يجيلون النظر فى كل ما يجرى فى حياتهم من تطور ، ويعملون أذهانهم مجتهدين فى تعميق فكرهم الدينى بما يتلاءم وتطور الحياة من حولهم ، ولذلك نشهد فى هذه السنوات الأخيرة بعثاً دينياً جديداً فى كثير من الاقطار الاوروبية والغربية عامة . وما اتجاههم نحو الديانات الشرقية عامة ، إلا لادخال عنصر الصوفية والروحية التى افتقدوها بسبب زحمة الحياة المادية .

وقد واجهت المسيحية بمذاهبها المختلفة تحديات كبيرة من قبل التطور الاجتماعى الكبير الذى دفع بكثير من الناس للبحث عن البديل فى النظريات العلمية او فى الديانات الشرقية ، وكل ذلك شحذ من عزائم المهتمين بامر الدين المسيحى للمناداة بتوحيد المذاهب مما تركز فى السنوات الأخيرة فى حركة توحيد المسيحية التى يشترك فيها الكاثوليك والبروتستانت بغرض الوصول الى الحد الأدنى من الاتفاق العضوى والايمانى الذى يمكنهم من تجميع الصفوف للوقوف امام هذه التحديات .

ولعله من المفارقات فى هذا المجال انه رغم هذا التعطش الروحى الذى يجتاح الغرب ورغم حماس مبشريه وسعيهم الكبير لتنصير العالم فان هناك تقلصاً واضحاً فى عضوية الكنائس المختلفة فى الغرب ذاته ، وبرز الشح فى اعداد المنخرطين فى سلك الرهبنة والقسس ، هذا فى الوقت الذى زاد فيه اهتمام كثير من مفكرى الغرب وشبابه باديان اخرى خاصة الشرقية منها ، وليس ببعيد تعمق الدوس هكسلى فى ديانات الصين والهند ، واعتناق كثير من المفكرين الاسلام مثل داود كون الأستاذ بجامعة لندن ، ومحمد اسد ، وموريس بوكاى ، ورجا جارودى . وفى ذلك إشارة الى أن المسيحية التى جردها الغرب من فعاليتها المستمدة من دين الله الواحد الذى أنزله اليه منذ ادم لتطوير حياة البشر المادية والروحية ولتنظيم مجتمعهم لاحداث التوازن المطلوب بين حاجات الروح وحاجات الجسد ، هذه المسيحية كما فهمها الغرب لم تعد تلبى حاجات الناس فى مثل هذه المجتمعات الغربية المعقدة التى انهارت فيها انسانية الانسان تحت ضغوط التطور المادى المذهل ، فسعى الناس الى البحث عن مخرج مما هم فيه من ازمة روحية تهدد وجود الانسان كانسان .

إن القول بان اهل أوروبا تخلوا عن دينهم ، فلنفعل نحن مثلهم ، قول فيه من الخطر اكثر مما فيه من الجهل . فان نهضة أوروبا الحديثة نهضة قائمة على ثورة دينية سعت الى السيطرة على العالم ، لا بالآلات والأسلحة فحسب ، وإنما بالفكر والارتكاز على المقومات الروحية للشخصية الأوروبية فى إطار الزمان والمكان .

د. عون الشريف قاسم ـ الخرطوم

فلنتنبه إلى هذه الحقائق :

كتاب يجب أن يقرأه كل مسئول وكل مواطن عربي !

بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري

هذا كتاب أتمنى أن تتاح قراءته لكل مسئول وكل مخطط ، وكل مرب ومفكر وموجه ، وكل أب وأم ، بل وكل مواطن .. فى دول الخليج العربية .
وأن يقرأه الجميع ، جميع من ذكرت ، من موقع الرغبة فى معرفة الحقائق كما هى ، ومن موقع المسئولية وتحملها ، ثم العمل على تصحيح ما يجب تصحيحه ..

فهذا الكتاب أولا ، من الكتب القليلة ، وأكاد أقول النادرة ، التى تصارحنا بحقائق حياتنا ومجتمعاتنا كما هى .. دون تزويق ودون رتوش ، وهذه فضيلة كبرى تحتاجها أمة تمر بظروف عصيبة وتريد أن تؤسس مستقبلها ومستقبل اجيالها على الحقائق والوقائع الصلبة وليس على الاحلام والآمال وحدها .

وهو ، ثانيا ، يعالج ناحية أساسية جداً فى بناء المستقبل وهى الناحية التربوية فى مراحلها الأولى حيث تتأسس اللبنات الأولى للبنيان الاجتماعى ، وحيث تتقرر مسارات المستقبل فى الاتجاه السليم أو الاتجاه الآخر .. حسبما تكون التربية ..

ثم انه يضع يده على الجرح الحساس فى هذا الموضوع وهو جانب الاهدار فى هذه العملية التربوية التأسيسية .

وما معنى أن يكون هناك إهدار تربوى ؟ ولماذا تكون لهذا الاهدار التربوى الخطورة والأهمية اللتين نشير اليهما ؟

لندع الكتاب يتحدث عن نفسه ، وهو بعنوان (دراسة مقارنة للاهدار التربوى فى دول الخليج العربية) .

يقول : « من المعروف ان دول المنطقة (منطقة الخليج العربي) تسعى جاهدة الى نشر التعليم وتعميمه تحقيقاً لمبدأ تكافؤ الفرص التعليمية لكل أبناء الشعب .. والارتقاء بمستوى التعميم أو الالزام إلى ما بعد المرحلة الابتدائية ، ولابد قبل هذا الاجراء من توفير الضمانات الكافية لتحقيقه ، والتحقق من المشكلات التى تعترضه . ومن هذه المشكلات ظاهرة الاهدار بسبب الرسوب أو التسرب ، وذلك لأن تسرب أعداد كبيرة من التلامذة قبل إكمال المرحلة الابتدائية – وهى الحد الأدنى من التعليم الذى ينبغى أن يتزود به كل مواطن – عائق يقلل من جدوى هذا الهدف ومضمونه ، إضافة الى تبدد الأموال المصروفة له ، كما ان ارتفاع نسب الرسوب العالية هى الأخرى مشكلة تزيد من كلفة التعليم ، وليس هذا فحسب ، بل ان أعداد الراسبين سيشغلون مقاعد صيفية كان من الأولى أن يشغلها تلامذة جدد . ثم لا يفوتنا أن نذكر ان دول المنطقة كافة قد

الإهدار التربوي في دول الخليج العربية

كتاب يجب أن يقرأه كل مسئول وكل مواطن عربي !

باشرت منذ أمد ليس بالقصير مهمة القضاء على مشكلة الأمية ، ورصدت لهذا العمل أموالا طائلة .. ولكن .. إذا بقيت مشكلة التسرب قائمة على ما هى عليه ، فان هدف القضاء التام على الأمية سيكون هدفاً بعيد المنال ، وذلك لأن التعليم النظامي ، وخصوصاً المرحلة الابتدائية فيه ستمون باستمرار أعداد الأميين ، وتقلل من فاعلية الجهود المبذولة فى هذا الشان . لقد اثبتت العديد من الدراسات ان المتسرب فى الصفوف الأربعة الأولى من المرحلة الابتدائية سرعان ما يرتد الى الأمية ، بعد عامين من تركه الدراسة . والواقع ان ما ينجم من أضرار عن ظاهرتي الرسوب والتسرب من الكثرة مما لا مجال للتطرق إليها فى إسهاب » ـ راجع ص ٢٢ ـ ٢٣ من الكتاب .

هذا الطرح للمشكلة هنا ياتى بصيغة اختصاصية تربوية نابعة من طبيعة الكتاب نفسه ، ولكن عندما نتابع مشكلة الاهدار فى دوائرها الاجتماعية ، الأوسع من دائرة المدرسة ، نتنبه الى جذور هذه المشكلة فى الأسرة أو البيت ، وفى الحياة الاجتماعية ككل ، وفى التوجهات العامة لمجتمعاتنا على كل الأصعدة ، وهذا ما يعطى الكتاب أهميته ، ويجعل منه نموذجاً صالحاً لمعالجات ودراسات عديدة أخرى فى النطاق التربوى وفى غيره من المجالات الحيوية الأخرى كالمجال الانمائى .. والمجال الاعلامى والحياة الاجتماعية العامة ..

فاذا كان التربويون يصارحون المجتمع بما لديهم من اهدار ، فلماذا لا يحذو حذوهم ، فى هذه المصارحة المحمودة ، الانمائيون والاعلاميون والصحيون والاجتماعيون ليحددوا ما يحدث لديهم من اهدار ، ويشخصوا أسبابه ، ويرسموا وسائل تلافيه ، ليتمكن المجتمع من مواجهة جوانب الهدر فى مختلف انشطته ومجمل أوجه حياته . فالمعالجة الشاملة للاهدار هى الأجدى لانها تسد كل الثقوب فى السفينة فى وقت واحد ، ولا تترك ثقوبا مفتوحة فى جانب لتكتفى بسد ثقب أو اثنين فى جانب آخر .. وترشيد الانفاق اليوم يتطلب مثل هذه المعالجة .

هذا هو الأفق البعيد الذى يضيئه هذا الكتاب بتوجهاته . ولكن لنبق فى النطاق الخاص للاهدار التربوى لنوفى مادة الكتاب حقها ، قبل أن نتفرغ لاستنتاجاتنا الفكرية العامة ..

فى فصل تقييم النتائج وتحليلها ، يتوصل الكتاب إلى الخلاصات التالية :

إن التسرب الكبير الحاصل فى المرحلة الابتدائية بالذات تنجم عنه خمس نتائج تربوية وانمائية واجتماعية سلبية ، لابد من التنبه الى آثارها على الصورة العامة للمستقبل ، وهى :

أولا : التسرب يعيد المتسرب إلى مستوى الأميين فى المجتمع ، ويزيد مشكلة الأمية ، ويقلل من فاعلية مكافحتها ، بالاضافة الى كونه تعبيراً عن اخفاق فرد من الجيل الجديد فى دخول العملية التربوية المؤدية الى العملية الحضارية الشاملة التى اعدتها الدولة لأبنائها .. وهذا يعني أن المتسربين سيكونون في جانب . وان خطة التحضير الشاملة ستكون في جانب آخر ، بكل ما يحمله ذلك من ازدواجية وانشطار فى البنيان الاجتماعى .

ثانياً : إن المتسربين سيلتحقون مستقبلا بسوق العمل دون كفاءة أو خبرة ، وبالتالى فان التنمية التى تحتاج الى كفاءات عالية ستضطر للاعتماد على العمالة الأجنبية المدربة ، ولكن هذا كما هو معروف يعاكس توجهات دول المنطقة للاعتماد على الذات ، وتجنب محاذير التوسع فى العمالة الأجنبية وما تتركه من آثار على النسيج الاجتماعى العام وعلى المصير القومى .

ثالثاً : عدم قدرة الأميين والأقل حظاً فى التعليم من الافادة بصورة نافعة وجيدة من الخدمات التى تقدمها الدولة كالخدمات الصحية والثقافية وغيرها من المرافق الخدمية الأخرى ، وكذلك عدم قدرتهم على الحفاظ عليها وادامتها وصيانتها .

رابعاً : ضعف الأميين وشبه المتعلمين فى المشاركة الفعلية فيما يمنح لهم من حقوق سياسية واجتماعية وثقافية وغيرها وضعف فى أداء واجبات المواطنة بشكلها الصحيح مما يؤدى الى القصور فى المشاركة فى عملية الانماء والتحضير التى تشهدها المنطقة وتراهن عليها كخيار حضارى مصيرى ، اى ان التسرب عدو التنمية الأول .. !

خامساً : إن إنقسام المجتمع الى متعلمين وشبه متعلمين واميين من شأنه إضعاف التجانس بين فئاته ، وبالتالى التقليل من حصانته تجاه الأخطار المحدقة به من المعسكرات الطامعة به شرقية وغربية . لذلك : « فان وجود محور مشترك من أساسيات الثقافة يلتف حوله كل المواطنين أمر تفرضه ظروف العصر الحالى الذى أصبح فيه فناء الشعوب ثقافياً ، أو عسكرياً ، أو اقتصادياً أمراً ممكنا .

فالتحوط وتحصين المواطن بالعلم والثقافة العربية الاسلامية أمر لايدانيه شىء آخر

● كيف يتسرب عدد كبير من التلاميذ قبل إكمال الابتدائية؟
● لابدّ من القضاء على انقسام المجتمع إلى: متعلمين وشبه متعلمين وأمّيّين

وذلك لدفع الأخطار المحيطة بها بمكنة واقتدار ، وحتى تشق طريقها من جديد فى بناء الحضارة الانسانية .

● ●

هذه هى الأخطار الناجمة عن التسرب والاهدار التربوى . وهى بغير حاجة إلى تعقيب أو زيادة بيان .

وبعد أن نقول لهذا الكتاب التربوى القيم شكراً على هذه المصارحة التى نحتاجها بهدوئها العلمى الرصين ، ونحن فى غمرة تلك الاصدارات من الملاحق والاعداد الخاصة التى تصدرها الصحف العربية بالألوان الزاهية عن المشروعات فى دول المنطقة ، دون أن تضيف الى علمنا جديداً يذكر ، أو تنويراً أو تحليلا يشفي الغليل .

اقول .. بعد هذا ، يجب أن نعود الى أنفسنا لنسألها من المسئول عن ذلك التسرب والاهدار ؟

إن المسالة تتعلق بابنائنا الذين هم أمانة في أعناقنا أمام الله والوطن والتاريخ ..قبل أن تتعلق بمشكلة مدرسية أو تربوية

فما هي مسئوليتنا نحن كمواطنين وأباء وامهات تجاه هذا الاهدار لأعز ما نملك ؟

● عندما نترك ابناءنا أمام التلفزيون والفيديو لساعات طويلة ، ونعطيهم المثل من جانبنا بهذا الانبهار . ماذا ننتظر منهم في مسارهم المدرسي وفي مدى التزامهم بواجباتهم المنزلية وتحضيرهم اليومي ؟

● عندما نغرقهم بالمغريات الاستهلاكية من نقود وسيارات وكل أدوات الترفيه .. هكذا بشكل مجاني .. وهم مازالوا في عمرهم اليافع أنتوقع منهم الاحترام للعلم

هذا سؤال يقع خارج نطاق الكتاب ولكنه يستحثنا لطرحه وللاجابة عليه .

ولا ادعي اني املك إجابة كاملة او تصوراً شاملا لها . لكني ساطرح بعض الاسئلة التي الحت على نفسي وأنا أتأمل في الأسباب الحقيقية لهذا التسرب الخطير

● عندما نترك أبناءنا خلال سنواتهم التكوينية الاساسية في يد المربيات الاجنبيات يتصرفن في تربيتهم ، كما يحلو لهن ، ونتنازل نحن عن هذا الشرف والحق والواجب ، لانشغالنا بالاهتمامات الاستهلاكية والترفيهية والمادية .. ألا نمهد بذلك لحدوث التسرب من المدرسة ؟ إذ كيف يمكن لطفل ربته مربية أجنبية ، فافسدت لغته وغيرت إحساسه أن يتكيف مع مدرسة عربية اسلامية مختلفة تماماً فى توجهاتها عن اجواء تلك المربية التي صاغت الطفل ؟

والعمل وقدح زناد الفكر والكد بعرق الجبين ؟

● هل يجد الطفل واليافع من التماسك العائلي بين الأم والأب ما يدفعه للانضباط والعمل . هل يجد القدوة لدى والده في مسئوليته تجاه الأم والأبناء والتزامات الاسرة ، وهل يجد لدى الأم مثل ذلك ؟

● هذه بضعة أسئلة قد تصلح منطلقاً للاجابة بشأن الجذور الاجتماعية العميقة لمشكلة الاهدار والتسرب والرسوب ..

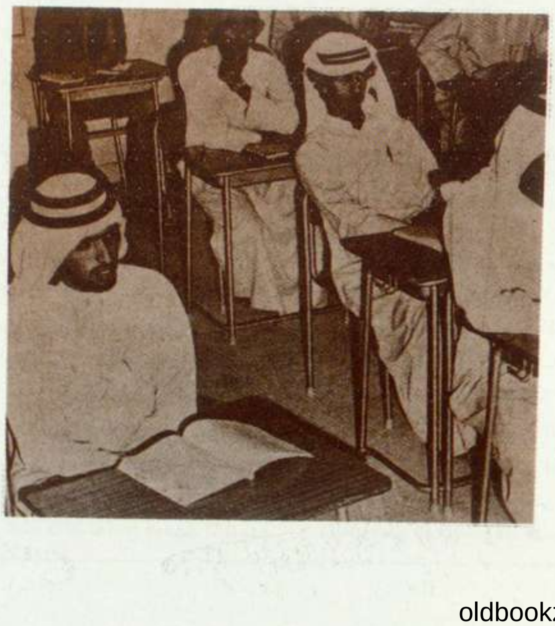
● ●

بقي أن نشير الى أن هذا الكتاب الذي يضعنا أمام واحدة من أهم مشكلاتنا التربوية والاجتماعية ، هو من اصدار مكتب التربية العربي لدول الخليج العربية ، وهو منظومة تربوية مشتركة يتصف نشاطها بالرصانة والموضوعية . ولا شك أن هذا الكتاب أفضل اصداراتها الى الآن .

وتقديراً منا لهذا العمل ، نهنىء الدكتور محمد الأحمد الرشيد ، المدير العام للمكتب على هذا الاسهام الجدي وهذا الاصدار الموفق . وهي تهنئة تشمل الاساتذة العاملين معه فى البحث التربوي .

ولمثل هذا فليعمل العاملون .

د . محمد جابر الانصاري



الجيل الجديد فى مدارس الخليج

تحت شعار : طرد العرب من "كل" فلسطين

حركة "كاخ" الصهيونية
عصابة إرهابيّة جديدة

بقلم : عصام شريح

● كاخ معناها السيف فى يد والتوراة فى يد أخرى .

● « كاخ » تدعى أن المسيح سيظهر خلال عشر سنوات لتخليص اليهود من « آلامهم » الأخيرة !

● العرب فى نظر « كاخ » قنبلة موقوته بسبب تكاثرهم الطبيعى .. ولابد من القضاء على هذه القنبلة .

فى مطلع السبعينيات ظهرت على مسرح الأحداث فى الكيان الصهيونى ، حركتان بالغتا الخطورة ، نظراً لأيديولوجية العنف والارهاب « الصريحة » التى تناديان بها ، وان كانت هذه الايديولوجية هى « الأصل » فى الفكر الصهيونى بالنسبة لجميع الأحزاب والحركات .

لكن هاتين الحركتين ، ونعنى بهما« حركة كاخ » و « حركة غوش إيمونيم » ، تتميزان عن الحركات والأحزاب الصهيونية الأخرى بميزتين هما : العودة الى منهل الصهيونية الارهابية — وخاصة كما حددها زئيف جابوتنسكى — ثم تجاوز القوانين — حتى لو كانت شكلية — من أجل تحقيق الهدف الصهيونى ، باقامة دولة يهودية خالصة — خالية من العرب — ليس فى فلسطين فحسب ، وانما من الفرات الى النيل .

وقد آثرنا ان نتناول فى هذا المبحث « حركة كاخ » ، وعلى ان نعود الى تناول « حركة غوش إيمونيم » فى مبحث تال » .

على الرغم من الغموض الذي يحيط بهذه الحركة ، فان المعلومات المتوفرة بين ايدينا ، تشير إلى ان « كاخ » هي امتداد « لرابطة الدفاع اليهودية » التي انشاها الحاخام الصهيوني مئير كهانا في الولايات المتحدة . و « كاخ » تعني بالعبرية « هكذا » أو « هذا هو الطريق » ، وهي تكتب عادة تحت صورة ليهودي يرفع التوراة في يد ، والبندقية في اليد الاخرى . وقد قام الحاخام نفسه « مئير كهانا » بتاسيس هذه الحركة في تشرين الثاني (يناير) ١٩٧٢ .

وعلى الرغم من انضمام شخصيات صهيونية يمينية متطرفة إلى « حركة كاخ» الا انها عانت دائماً وابداً (كما تقول صحيفة يدعوت احرونوت) ، من نقص كبير في الطاقة البشرية ، إذ أن عدد أعضائها « الرسميين » ، لم يتجاوز عشرة أشخاص ، إلا ان عدد الانصار يصل إلى بضع عشرات .

أما زعيم الحركة الحاخام كهانا ، فيرفض هذا القول ويزعم ان حركته تضم عشرة آلاف عضو ، وأن لها فروعاً في اربعة وأربعين مستوطنة بالضفة الغربية المحتلة بالاضافة إلى فرع آخر بمدينة القدس المحتلة .

أما بالنسبة لمنهج « كاخ » ، فيتلخص فى تصفية الوجود العربي داخل فلسطين (عرب ١٩٤٨ ، وعرب ١٩٦٧) باللجوء إلى القوة واستخدام العنف ، من أجل اقامة دولة يهودية « نقية العنصر » ، لكن نظراً للمعارضة التي تلقاها « كاخ » من بعض الجهات الحكومية أو الحزبية ، فان زعماء الحركة ، عملوا على انشاء جناح سري « تحت الأرض » ، يتلقى أوامره مباشرة من الحاخام كهانا ، وقد حددت مهمته بممارسة

العنف واستخدام السلاح لطرد العرب من « البلاد » ! ! .

والحركة تتبع أسلوباً بسيطاً في التحرش بالمواطنين العرب ، لنشر الذعر في صفوفهم ، وحملهم على مغادرة بلادهم والهجرة إلى الخارج ، ويقوم هذا الأسلوب على توجه مجموعة من أعضاء الحركة ، وعلى راسهم كهانا نفسه إلى منطقة ماهولة بالمواطنين العرب ، وتوجيه تهديدات إليهم بضرورة مغادرة مدنهم وقراهم ، وبعد ذلك تعود المجموعة إلى قواعدها فى مستوطنة « كريات اربع » أو غيرها ، بعد أن تكون قد أثارت الخواطر في صفوف العرب ، مما يؤدي عادة إلى تنظيم تظاهرات عربية صاخبة ، الأمر الذي ينتهي عادة بصدام بين العرب وسلطات الاحتلال الصهيوني .

أما فى منطقتي المثلث والجليل المحتلتين منذ عام ١٩٤٨ ، فان حركة « كاخ » مارست نشاطات ارهابية علنية غالباً ، كتوزيع منشورات تدعو فيها المواطنين العرب إلى تسجيل أسمائهم لدى السلطات وذلك استعداداً للهجرة إلى خارج فلسطين المحتلة ، كما أن الحركة جعلت المجال الجامعي مسرحاً لنشاطاتها الارهابية ، حيث اندس اعضاؤها بين صفوف الطلاب العرب فى الجامعة العبرية ، وجامعة حيفا واعتدوا عليهم بالضرب .

إلا ان « كاخ » مارست من الاعمال الارهابية ما هو أشد وأدهى ، حين هاجم مسلحون من أعضائها واعضاء أخرين فى الحركة التوأم « غوش ايمونيم » ، الكلية الاسلامية فى مدينة الخليل بالضفة الغربية المحتلة فى الشهر الماضي ، وقتلوا أربعة من الطلاب وجرحوا أكثر من ثلاثين أخرين ، ناهيك بالعمل الاجرامي الذي ارتكبه رجال الحاخام كهانا فى عام ١٩٨٠ حين فجروا سيارات ثلاثة من رؤساء البلديات في الضفة الغربية المحتلة ، مما تسبب في بتر ساقي السيد بسام الشكعة ، وبتر قدم السيد كريم خلف ، إضافة إلى محاولة نسف المسجد الأقصى ، في آيار (مايو) ١٩٨٠ ، حيث اكتشفت شحنة من المواد المتفجرة بلغت زنتها ١٢٠ كغم ، كانت كافية لتدمير المسجد الأقصى والمنطقة السكنية المحيطة به برمتها .

هواجس كهانا

بيد أن وضع إطار حقيقي لمنهج « حركة كاخ » ، يقتضي بالضرورة ، العودة إلى أفكار مؤسس الحركة الحاخام مئير كهانا ، لأن هذه الأفكار تمثل عملياً عقيدة « كاخ » .

فمن خلال مراجعة افكار كهانا ، سواء فى كتبه – وأهمها كتابه الأخير بعنوان : « يجب على العرب أن يرحلوا » – أو في عشرات التصريحات الصحفية ، يتضح أن هذا الصهيوني تشغله فكرة واحدة ، هي : تصفية الوجود العربي في فلسطين ، سواء في ذلك عرب ال ١٩٤٨ ، أو عرب ال ١٩٦٧ ولتحقيق هذا الهدف ، نرى الحاخام كهانا يلجا تارة إلى التوراة ، وأخرى إلى الاحصاءات أو الأفكار – العامة عن عرب فلسطين وأوضاعهم الثقافية والاقتصادية « الحسنة » !! لكي يبرر نظريته الداعية إلى طرد العرب من وطنهم فلسطين .

يقول كهانا بشكل واضح وصريح ، ان تعايش العرب واليهود في فلسطين التي يصفها « بارض اسرائيل » هو امر مستحيل لسببين رئيسيين هما :

أولا : التناقض المطلق بين القومية العربية من جهة ، وما يصفه كهانا « بالقومية اليهودية » المزعومة من جهة ثانية

ثانياً : استحالة التوفيق بن مفهوم « الدولة اليهودية » ، بوصف اسرائيل « تحقيقا للحلم اليهودي الصهيوني على مدى الفي عام » ، وبين مفهوم اسرائيل باعتبارها دولة « عادية » ، يتساوى فيها العرب واليهود في الحقوق .

ويحمل الحاخام كهانا بعنف ضد « المتاثرين بالحضارة الغربية من اليهود » ، أولئك الذين يفاضلون بين الدولة اليهودية النقية العنصر ، وبين دولة ديمقراطية تضم اقلية من العرب إلى جانب الأكثرية اليهودية ، ويقول « ان مشكلة الكثيرين من اليهود الذين ينادون بفضيلة التعايش بين الجنسين فى اسرائيل انهم يظنون العربى مغفلا ، ويسخرون من ذكائه وكبريائه » .

دولـــة عنصرية

ولا يخفى كهانا تصوره للكيان الصهيونى باعتباره « دولة » تقوم على وحدة السلالة ونقاء الدم ، فالكيان الصهيونى فى مفهومه يقوم على اساس اعلان « الســيادة اليهودية » المطلقة على فلسطين ، اضافة الى ان « الدولة اليهودية » فى مفهومه ، تعنى بناء حياة مستقلة فى اطـــار من « الثقافة اليهودية » المهيمنة على جميع مناحي الحياة فى اسرائيل .

لكن تحقيق هذه الفكرة ، يقتضي كمـــا يزعم الحاخام وضع معادلة واضحة للصراع العربى – الصهيونى ، تؤدى فى التطبيق والممارسة الى طرد العربُ من فلسطين بالقوة أو عن طريق الاغـــراء بالأموال ، وقد يكون مقبولا بقاء اقلية صغيرة من العرب « المسالمين » والمحرومين من اية حقوق سياسية او غير سياسية .

وانطلاقاً من هذه المقولة ، ينفي كهانا ما يردده بعض حاخامات اليهود من أن اليهودية هى قيم انسانية واخلاقية ، تحترم انسانية الانسان ، ويقول فى هذا النطاق ، انه لا يعرف اى يهودى متدين ليس على استعداد للقول بان ما فعله اليهـــود بالكنعانيين (اى الفلسطينيين القدماء) فى ايام يهوشع ، لم يكن عادلا ، بل ان كهانا يقول ان ما فعله اليهود بالكنعانيين من تقتيل وابادة جماعية (فى مدينة اريحا ابادوا السكان عن بكرة ابيهم باستثناء زانية اســـمها راحـــاب قامت بايواء جاسوسين يهوديين فى بيتها – وفى مدينة غاي قتلوا اثني عشر الفاً ..) ، هو الرحمة بعينها ! !

وبالطبع فان هذا الخلط والتلاعب بالالفاظ ، وإن استند الى الى نصوص من التوراة (المزورة) ، انما يستهدف تبرير الدعوة مجدداً الى انتهاج القتل والأرهاب كاسلوب وحيد لتصفية الوجود العربى فى فلسطين حاليا ، ثم تصفية الوجود العربى فى الأرض الممتدة من الفرات الى النيل ، اما العرب الذين تكتب لهم النجاة من القتل فيجب معاملتهم كعبيد لدى اليهـــود ، ويستشهد كهانا هنا بقول الحاخام موسى ابن ميمون بهذا الخصوص : « عليهم ان يكونوا فى الدرك الأسفل (اى العرب) ، وأن لا يرفعوا رؤوسهم فى وجه اسرائيل ، وانما يتوجب عليهم ان يكونوا خاضعين لسيطرتها » !!

العرب .. قنبلة موقوتة

ولعل أكثر ما يشغل بال الحاخام كهانا وتفكيره ، تكاثر عرب ١٩٤٨ عن طريق الانجاب بشكل مذهل ، ويقول فى ذلك ان العرب يجدون فى الاكثار من الانجـــاب « سلاحهم القومى لمواجهة اليهود » ، وهو لا يدرى كيف يمكن التغلب على هـــذه المشكلة العويصة ، بدون طرد العرب من بلادهم ، خاصة وان اليهود مقلون فى

حركة كاخ الصهيونية
عصابة إرهابية جديدة

إنجاب الأطفال ، كما ان يهود «الدياسبورا» متمسكون بثرواتهم ونفوذهم الاقتصادى والسياسى سواء فى الولايات المتحدة أو كندا أو بريطانيا أو فرنسا أو استراليا ، أو أى مكان آخر ، وهم لذلك لا يرغبون فى الهجرة الى الكيان الصهيونى ، وكما ان المهاجرين من اليهود السوفييت يختار معظمهم دول الغرب لا اسرائيل لدى خروجهم من بلادهم .

وما يقلق كهانا أيضاً يقظة المشاعر الوطنية والقومية لدى عرب ١٩٤٨ ، بحيث أصبح هؤلاء يمثلون « قنبلة موقوتة » فى قلب اسرائيل « لا يدرى أحد متى تنفجر ، وتودى بالكيان الصهيونى ، ويقول ان عرب ١٩٤٨ ، على اختلاف مشاربهم السياسية ، يحلمون جميعاً بفلسطين عربية ذات سيادة ، ويواصلون فى نفس الوقت تطوير نضالهم السياسي ضمن مراحل زمنية ، ويضيف كهانا ان تكاثر العرب الطبيعى سيدفع بهم الى المطالبة بضراوة بزيادة تمثيلهم فى الكنيست ، وعندئذ سيسعون لطرح موضوع عودة لاجئي عام ١٩٤٨ ، واعادة ممتلكاتهم إليهم ، واذا قدر لهم الوصول الى هـذا المـوقف ، فـان الاستراتيجية العربية لتدمير اسرائيل من الداخل سوف تصبح فى متناول اليد .

ويصف كهانا العرب بانهم متلونون ، كما يصف الدهاء العربى بانه اسطورى ، ويقول ان العرب فى اسرائيل ، يزدادون عدداً وثقافة ، وبالتالى عداء للكيان الصهيونى ، فضلا عن أن عامل الزمن هو الى جانبهم « إذ أن الفسحة الزمنية تنقضي بسرعة امام اسرائيل ، التى ما يزال قادتها غير مدركين استحالة استمرار الدولة اليهودية مع استمرار التفجر السكانى للعرب » ، ويحذر من ان اى صلح اى دولة عربية ، « لن ينقذ اسرائيل من السرطان الذى يتفشي فى داخلها » ، كما يحذر من ان المشكلة التى تهدد بتدمير اسرائيل « لم تعد كامنة فى هجوم عسكرى عربى محتمل من الخارج ، بل فى القنبلة الموقوتة المزروعة فى داخل الدولة اليهودية نفسها » .

هوس توراتي

فى الواقع يلاحظ المحلل السياسي لافكار الحاخام مئير كهانا ، ان هذه الأفكار تتميز بالتبسيط الشديد ، الذى يولد بدوره رؤية مبسطة للقضايا والمعضلات ، حيث الخط الأساسي الذى يستند اليه كهانا فى هذه الرؤية ، مستمد من الكتب الدينية اليهودية وخاصة التوراة ثم التلمود ، وفى سياق ذلك نراه يقول ان حركة « كاخ » التى يتزعمها ، انما تعمل حسب قانون التوراة ، وانه اذا كان لابد من الاختيار بين قانون الكنيست وقانون التوراة « فاننى اختار قانون التوراة » !

وأكثر من ذلك ، فان الحاخام كهانا ، يعرب عن اعتقاده الراسخ ، بان ما يسميه « بالشعب اليهودي » ، انما يقف فى المرحلة الراهنة على عتبة « الخلاص النهائى » ، كما يعرب عن ثقته التى لا يداخلها الشك فى أن « المسيح » سيأتى خلال فترة تتراوح ما بين السنوات الخمس الى العشر القادمة ، وذلك باعتبار ان اليهود ينكرون مجي «المسيح» أو «المخلص» « عيسى بن مريم » عليه السلام الى الأرض ، ويزعمون ان « المسيح الحقيقى » لم يات بعد ، وانه - أى المسيح - سوف ياتي لغرض واضح ، هو انقاذ أو تخليص « الشعب اليهودى » من « الآلام » ، وبناء « دولة اسرائيل » ، وسيادة « الشعب المختار » على جميع الشعوب الأخرى !!

اما حدود « اسرائيل » كما يقول كهانا ، فهى « من الفرات الى النيل » ، ويضيف انه اذا وقف أربعون بالمائة من الاسرائيليين الى جانبه ، « فربما اكون ملزماً - فوق الارادة الالهية !! - بان أسيطر على الحكم بالقوة » !!

ان هذا التبسيط الفكرى « والوضوح فى الرؤية التوراتية » لدى كهانا هو الذى يقف أيضاً خلف دعوته لانتهاج « الارهاب » كاستراتيجية وحيدة لبناء اسرائيل النقية العنصر ، والخالية من العرب ، ولهذا ، رأيناه يقول فى بيان وزعه فى اعقاب مذبحة صبرا وشاتيلا ، « إننا لا نبكى على هذه المذبحة ، لأنها انتقام السماء من المسلمين ، وما كان يجب علينا تنفيذه بانفسنا ، فعله شخاص آخرون (يقصد ميليشيا حزب الكتائب) » !! ويضيف كهانا ، انه شعر بالرضى فى اعقاب سماعه بالمذبحة ضد الفلسطينين فى بيروت !

الحل عند كهانا !

انطلاقاً من هذه المفاهيم العنصرية التوراتية ، يصل كهانا الى الحل للوجود العربى فى فلسطين ، وهذا الحل يجد أساسه أولا فى تعريف الأمة ، وفى هذا الاطار نرى كهانا يركز على أهمية العنصر الجغرافى فى بناء الأمة ، فالأرض - كما يقول - هى الوعاء الذى يحتوى جماعة من البشر ، ويمكنهم من أن يحيوا حياة متميزة عن غيرهم من الجماعات الانسانية ، وتحقيق رسالتهم القومية والتراثية » . اما الدولة لدى كهانا ، فهي ليست أكثر من أداة لتحقيق هذا الغرض ، وتمكين الشعب ، أو الأمة ، من بلوغ غاياته ، باعتبار أن الأمة هي صاحبة الأرض وسيدتها ، والناس هم الذين يحددون هوية الأرض ، وليس العكس ، « فالشخص لا يصبح اسرائيلياً لأنه يعيش في أرض اسرائيل » ، لأن الذي حدد هوية الأرض هم أبناء « الأمة » الاسرائيلية ، والشخص يصبح اسرائيلياً عندما ينتمي إلى شعب اسرائيل ، ويكون جزءاً من الأمة الاسرائيلية » !

ومع اعترافنا بأهمية العامل الجغرافي البالغة في تشكيل أي أمة ، فان كهانا أسقط عوامل عديدة أخرى أوردها علماء الاجتماع المعاصرون في تحديدهم لنشوء الأمة ، وجاء هذا التجاهل لهذه العوامل ، بقصد تبرير اعتماد العنصر اليهودي في « الدولة اليهودية » المزعومة ، وبالتالي تبرير نظرية كهانا الارهابية لتصفية الوجود العربي في فلسطين المحتلة ، بل في اسرائيل الكبرى الممتدة من الفرات إلى النيل » !

ولذلك نرى كهانا يحدد مطالبه ، أو برنامجه الانتخابي بثلاث نقاط رئيسية تصب كلها في مجرى نظريته الفاشية المذكورة حول « الأمة اليهودية . والدولة اليهودية النقية العنصر » ، وهذه النقاط هي :

تغيير مناهج التعليم الحالية في

اسرائيل بحيث تدمج رسميا بالتعليم الديني اليهودي ، ثم سن تشريع لاخراج العرب من أرض فلسطين المحتلة ، لأنهم سيشكلون أغلبية في السكان إذا بقوا في « اسرائيل » لمدة ثلاثين سنة أخرى ، وأخيراً دعوة يهود « الدياسبورا » إلى الهجرة إلى فلسطين المحتلة ، وفى هذا المجال يقول كهانا : « اريد من مناحيم بيغن أن يقول ليهود الشتات ، ما قاله أستاذه رئيس « حركة بيتار » : اهربوا ، فليس لكم أي مستقبل هناك » !

واستناداً الى هذه المقولات العنصرية ، يضع الحاخام مئير كهانا برنامج عمل ، لاقامة دولة يهودية نقية السلالة ، يتألف من عشر نقاط نشير هنا الى أهمها :

١ – ان « اسرائيل » هى وطن « الأمة اليهودية » ، لذلك فان حق المواطنة محصور فى اليهود ، والانتماء الى اليهودية هو الاساس الوحيد لاكتساب الجنسية الاسرائيلية ، ومن لا يعتنق اليهودية يحرم من هذه الجنسية حتى لو اقام فى « اسرائيل » ، ويمكن « للغرباء » ان يقيموا فى اسرائيل دون ان يتمتعوا بأى حقوق سياسية ، وباعداد تحددها المقتضيات الامنية ، ولمدة عام واحد ، قابلة للتجديد بعد خضوع « الغريب » لتحقيق دقيق فى نهاية العام .

٢–يمنح كل عربى مقيم فى « أرض اسرائيل » فرصة الهجرة الى الخارج خلال شهرين ، على ان ينال تعويضاً مالياً عن ممتلكاته ، بعد خصم الديون المستحقة عليه ، كما تطالب الدول العربية النفطية بدفع تعويضات عن املاك اليهود « العرب الذين هاجروا الى اسرائيل .

٣ – العربى الذى لا يغادر « اسرائيل » بصورة طوعية ، يتوجب عليه تقديم تعهد بالولاء « للدولة اليهودية » ، والاقرار بالسيادة الاسرائيلية على فلسطين ، ودون ان تكون له أية حقوق سياسية .

٤ – استخدام القوة لترحيل وتهجير العرب الى الخارج ، فى حال عدم انصياعهم لنداء الهجرة الطوعى ، وحرمان هؤلاء من اى تعويض مالى عن ممتلكاتهم .

٥ – العرب الذين تقبل اسرائيل ببقائهم يفرض على كل فرد منهم لدى بلوغه سن الثامنة عشرة ، الانضمام الى معسكرات العمل لمدة ثلاثة أعوام ، ثم لمدة شهر فى كل عام بعد ذلك ، ولا يجوز للعربى ان يدرس فى الجامعات الاسرائيلية ، الا بعد تعهده بالولاء « للدولة اليهودية » .

٦ – يقتصر دفع معونات التأمين الاجتماعي على اليهود فقط .

ولتحقيق هذا البرنامج – الحل ، الذى وضعه مئير كهانا كدليل عمل لحركة «كاخ» التى يتزعمها ، فان الحاخام النيويوركى لا يخفى طموحه للوصول الى منصب رئيس الوزراء فى الكيان الصيهونى ، أو بتعيينه وزيراً للحرب ، وهو يقول ان مثل هذا التعيين يساوى نصف الطريق نحو تصفية الوجود العربى ، « لانهم – أى العرب – يعرفون بأن عليهم الامتثال للطلب والخروج من اسرائيل اذا طلبت ذلك .. ولهذا فانا مستعد لتخييرهم : فمن يريد الخروج من تلقاء نفسه نقدم اليه التعويضات المالية ، ومن لا يريد نقوم باخراجه بالقوة ، فنحن الذين نملك القوة ، وليسوا هم » .

من هو ؟

الحاخام كهانا ، واسمه الكامل مئير مارتن كهانا ، هو أصلا يهودى امريكى ، ومن مواليد عام ١٩٣٣ ، وقد هاجر فى مطلع الستينيات الى الكيان الصهيونى ، إلا أنه ما يزال يحمل الجنسيتين الاسرائيلية والامريكية ، بموجب القانون الاسرائيلى ، ولذلك فهو يتردد بين فينة وأخرى على الولايات المتحدة الامريكية ، لتفقد انصاره فى حركة « كاخ » أو رابطة الدفاع اليهودية ، والتى اسسها قبل «كاخ» وكان كهانا قد انضم فى مطلع شبابه الى حركة « بيتار » (وهى عصابة صهيونية أنشئت فى بولندا عام ١٩٢٣ بهدف اعداد الشباب اليهود للحياة فى فلسطين) ، وقد تلقى هذا الحاخام الصهيونى تعليمه فى مدرسة دينية ، وأصبح حاخاماً فيما بعد ، ودرس القانون لكنه فشل فى اختبار نقابة المحامين . وبدأ اشتهارة كداعية للارهاب الصهيونى مع انشائه « رابطة الدفاع اليهودية » فى نيويورك ، وارتبط اسمه هناك بعمليات تفجير سيارات الدبلوماسيين ، والتشويش على الفنانين والممثلين السوفييت ، وتعاطى التجارة بالأسلحة ، واقامة علاقات مع بعض قادة المافيا . وفى الكيان الصهيونى ، خاض مئير كهانا الانتخابات العامة ثلاث مرات حتى الآن ، لكن الفشل كان نصيبه فيها ، وقد مثل امام المحاكم الاسرائيلية حوالى خمسين مرة حتى الآن ، بسبب نشاطاته الارهابية ضد العرب فى الضفة الغربية المحتلة ، وسجن فى احدى المرات ، كما أشيع ، وتحصن رجاله فى احد الملاجىء بمستوطنة ياميت بسيناء ، وهددوا بالانتحار احتجاجاً على انسحاب القوات الاسرائيلية واخلاء ياميت .

حركة أم عصابة ؟

بعد هذا العرض لنشوء حركة « كاخ » ، وافكارها واهدافها كما حددها زعيمها ومؤسسها مئير كهانا ، تبدو حركة «كاخ» هذه عصابة من العصابات الصهيونية التى عرفنا وخبرنا على مدى السنوات الستين الماضية ، ولا يبدو امامنا فرق جوهرى فى الأهداف والنتائج لقيام عصابات صهيونية أخرى اشتهرت فى السابق كعصابات « الهاغاناه » و « الارغون » ، وكعصابة « غوش ايمونيم » و « حركة هتحيا » وحركة حيروت « حاليا ، فهذه العصابات يجمعها هدف واحد مركزى هو تصفية الوجود العربى فى ما تبقى من فلسطين ، لاضفاء صفة الدولة اليهودية النقية العنصر والموحدة السلالة على الكيان الصهيونى ، وعلينا كعرب ان ندرك ان هناك عملية تقاسم وتوزيع للادوار بين الصهاينة فى الحكم والسلطة وخارجهما ، واذا كان هناك بعض الصهاينة الذين يدينون حركة « كاخ » وممارساتها فى الأراضى العربية المحتلة (مثل النائبين يوسف سريد ، وحنان بورات) ، فما ذلك إلا لاعتقاد هؤلاء بان حركة « كاخ » تلحق ضرراً بالاستيطان اليهودى فى الأراضى العربية ، عن طريق اعتمادها لأساليب الأرهاب المثيرة والمنفرة للرأى العام الدولى ، فى حين ان الاستيطان يجب ان يتم ضمن خطوات هادئة ومدروسة ، وبعيداً عن الدعاية المثيرة .

ونعتقد ان الحاخام مئير كهانا ، زعيم « كاخ » يقدم لنا صورة أصيلة وباهرة للفكر الصهيونى النقى ، بعيداً عن التكتيكات السياسية أو المرحلية ، وهو أمر يعيدنا الى الاطار الاساسى والموضوعى لمعادلة الصراع العربى – الصهيونى : « أن نكون أو لا نكون »

عصام شريح

خواطر تسرّ الخاطر

الورق الأبيض يدافع عن حياته

بقلم : زكريا تامر



أمسكت يد أحد الأدباء قلماً بحركة مفعمة بالشوق واللهفة ، وهمت أن تكتب على ورقة بيضاء ، ولكن الورقة البيضاء قالت للقلم بلهجة آمرة : «إياك وأن تكتب كلمة واحدة !» .

قال القلم متسائلا بدهشة : «ألا يوجد على سطح الأرض مكان يخلو من الأوامر ؟»

قالت الورقة البيضاء : «اكتب ما يحلو لك ، ولكن ينبغى لك أن تخبرنى أولا بما تزمع أن تكتب عنه» .

قال القلم باستياء : «هذا تدخل سافر فى شئونى الخاصة ، وأنا أرفضه واستنكره واحتج عليه بشدة» .

قالت الورقة البيضاء بهزء : «أنت تتكلم كمجلس الأمن الدولى الذى لا عمل له سوى أن يقدم الاحتجاج تلو الاحتجاج بينما الشعوب تخر صريعة فى معتقلات الدول الكبرى» .

قال القلم : «سأكتب ما أشاء ، فحرية التعبير تكفلها القوانين للجميع» .

قالت الورقة البيضاء : «يا لك من ساذج مضلل مخدوع ! الفارق الوحيد بينى وبين القوانين هو أنى ورقة بيضاء بينما القوانين أوراق مملوءة بالكلمات» .

قال القلم بنزق : «هيا كونى صريحة واطلبى إلي هجر الكتابة» .

قالت الورقة البيضاء : «لا لا . إذا لم تكتب فقدت مبرر وجودى ، وعانيت الضياع واتهمت بأنى من أنصار المغفور له جان بول سارتر» .

قال القلم : «أنت تريدين أن اكتب وتريدين أن لا أكتب . هذا تناقض» .

قالت الورقة البيضاء : «لا داعى الى الانفعال والغضب ، وانصت لي . أنت قد تكتب ما قد يهدد حياتى بالأخطار ، وحياتى ملكى ، ويحق لي الدفاع عنها وحمايتها» .

قال القلم : «أظن أنى فهمت ما ترغبين فيه . اطمئنى . أنا أنوى الكتابة عن كوكب المريخ» .

قالت الورقة البيضاء : «أنا لست بالموافقة . إذا كتبت عن المريخ ، ستتهم بأنك من أدباء البروج العاجية ، وهارب من مشكلات الواقع» .

قال القلم : «إذن سأكتب عن مشكلات الواقع ، وسا ..» .

فقاطعته الورقة البيضاء قائلة بصرامة : «ممنوع . اختر موضوعاً آخر لا يجلب المتاعب» .

قال القلم : «سأكتب عن المثقفين الذين يعتقدون أن الارتباط بسفارات دول رأسمالية هو خيانة وعمالة ، وأن الارتباط بسفارات دول أجنبية تقدمية هو أعلى مراحل النقاء الثورى» .

قالت الورقة البيضاء : «عندئذ سيقال عليك إنك عنصرى طائفى شوفينى ، ولن تجرؤ حتى أمك على الدفاع عنك» .

قال القلم : «سأكتب عن الفقر» .

قالت الورقة البيضاء : «اسكت . أين وعيك الفكرى ؟ المرحلة السياسية الآن مرحلة وحدة وطنية ، ولا ينبغى ضربها باثارة النعرات الطبقية» .

قال القلم : «سأكتب عن فلسطين» .

قالت الورقة البيضاء : «هذا موضوع سيعالجه أحفاد الأحفاد فلماذا هذا الفضول المقيت ؟» .

قال القلم : «سأكتب باسهاب عن الانتصارات الجديدة للواقعية الاشتراكية فى مضمار الأدب العربى المعاصر» .

قالت الورقة البيضاء : «سيتثاءب القراء حتى تتمزق أفواههم ، ومن المخجل أن تكذب بصفاقة» .

قال القلم : «سأكتب عن نزار قبانى» .

قالت الورقة البيضاء : «إذا مدحته غضب الرجال ، وإذا هجوته مزقت النساء ثيابهن غيظاً» .

قال القلم : «سأكتب عن القمر والنجووم كتابة حالمة» .

قالت الورقة البيضاء : «قد تحزن الشمس وتمتنع عن الشروق كل صباح» .

قال القلم : «سأكتب عن حدث تاريخى قديم لا علاقة له بالحاضر . سأكتب عن اغتيال ابن المقفع» .

قالت الورقة البيضاء ساخرة : «أنا أعترف بأن الموضوع جيد وجدير بالتناول والدرس والتحليل ، ولكن من المستحسن قبل البدء به أن تكتب وصيتك ، وتفتش عن أديب يوافق على الكتابة عن اغتيالك» ..

فتجمد القلم كأنه أصيب بشلل مباغت ، وتجمدت يد الأديب ، وتحولت الى ما يشبه ورقة صفراء سقطت من شجرة هرمة ، أما الورقة فقد ظلت بيضاء من غير سوء ..

الحلم الجميل

«هؤلاء الذين يزعمون فى كل مناسبة انهم مثقفو الوطن العربى وطليعته الواعية ، لو ركبوا مصادفة فى طائرة واحدة ، واختطفها رجال قساة لا يرحمون ولا يابهـــون للمناورات والمساومات والتهديدات ، فأى فدية ستدفعها الحكومات ؟ .

وما هو الموقف الذى سيتخذه الناس ازاء هذا الوضع الخطير ؟

«من المؤكد ان الجواب ليس بالصعب ، فالحكومات ستشكر للخاطفين فعلهم إذ خلصها من ثرثرة فارغة ونفاق ممل يمشى على أقدام .

أما الناس فسيعلقون صور خاطفى الطائرة على جدران غرفهم عرفاناً بالجميل ولكونهم انقذوهم من فئة لا تقوم بدورها التاريخى كجسر بين الحاضر والمستقبل بل تكرس جهودها لاقتناص المغانم الشخصية باسم الكفاح فى سبيل الجماهير .

أديب ذو سلاح

أحس أديب من الأدباء أن الحياة بلا سلاح باتت أمراً مهيناً ، كما أحس أيضاً أنه ضعيف محاصر بأعداء كثيرين من النقاد ، تحتاج مواجهتهم الى القوة والعنف المسلح ، فاقتصد واقتصد حتى نجح فى جمع مال اتاح له شراء مسدس .

وما ان أصبح مالكاً لمسدس حتى سعى للقاء النقاد الذين توهم انهم أعداؤه ، مصمماً على البطش بهم قبل أن يبطشوا به» .

قال له الناقد الأول : «هيا اقتلنى ، فأصبح شهيداً وأذهب الى الجنة» .

قال الناقد الثانى بهزء : «الموت أسهل من مغازلة زوجتى» .

قال الناقد الثالث : «لا تتردد . من يشهر مسدساً لا يحملق ببلاهة . هيا اقتلنى ، وساعدنى فى الوصول الى القبر ، وانقذنى من مالك البيت الذى أسكنه» .

قال الناقد الرابع بمرح : «الموت بالتاكيد ليس قاسياً كرؤية مذيع تلفزيونى سمج لا يكف عن الكلام لحظة واحدة ، واثقا أشد الثقة بانه الوسيم اللطيف ، منتزع الآهات من قلوب العذارى .

قال الناقد الخامس : «يا مرحبا بالموت الذى سيخلصنى من اضطهاد معدتى !» .

فشعر الأديب الذى يملك مسدساً بخيبة أمل مرة فهو اذا اقدم على قتل أعدائه ، حقق لهم حلماً يصبون الى الفوز به ، فانطلق يسير مبتعداً عنهم ، ولما وصل الى مزبلة ، قذف مسدسه فوقها ، فقالت له المزبلة بلهجة تانيب : «خذ مسدسك . أتريد أن تكسر أسنان الذين ياتون إلي فى الظلام وياكلون من خيراتى ؟» .

فاضطر الأديب الى التقاط مسدسه بحركة خجلة ، واستانف السير وهو يفكر ، ووجد نفسه حائراً ، مضطرباً ، فريسة للياس ، ثم ضحك فجاة كمن عثر على حل رائع ، والصق فوهة مسدسه بصدغه ، ولكنه حين أوشك أن يطلق النار تذكر أن التلفزيون سيعرض بعد نصف ساعة مباراة فى كرة القدم ، فالقى مسدسه على الأرض ، وركض نحو بيته بسرعة غزال يطارده الصيادون ، شاكراً لرياضة كرة القدم دورها فى انقاذ الانسان الذى مازال يقال عليه انه أثمن راس مال .

سؤال العصفور

ــ حين أكون مالكاً لصوت عذب يطرب ، أسجن فى قفص ، فلماذا يسجن المواطن العربى لحظة يصرخ محتجاً على ضياع عمره مع أن صراخه لا يطرب ويشبه استغاثة من تلتهمه النار في أرض بلا ماء ؟

أسئلة الفضوليين

لما كان الفضولى فى الوطن العربى هو ذاك الذى يسأل عما يعنيه وعما لا يعنيه ، فيسمع ما لا يسره وما لا يرضيه ، فقد جرت محاولات خفية للتعامل مع الفضول للتحرر منه ، ولكن تلك المحاولات أخفقت ، وظلت البلاد العربية وطناً لنوع غريب من الفضوليين الذين لا يكفون عن طرح الأسئلة .

وفيما يلى نماذج من أسئلة هؤلاء الفضوليين .

معارك من غبار

الكتاب فى البلاد العربية تملك أيديهم الكثير من الأقلام والورق ، وتملك أفواههم الكثير من الكلمات ، ولذا فهم يعشقون المعارك .

وفى يوم من الأيام ، خاضوا غمار معارك ضارية أسفرت عن نصر ساحق تجلى فى البرهنة على أن الكتابة الأصيلة الحقيقية ينبغى لها أن تستلهم الواقع ومشكلاته ، كما ينبغى لها ايضاً ان تسبح فى بحار التفاؤل ، فالحزن جاسوس يتقن تنفيذ ما يكلف به من مهمات خبيثة سرية ، والياس عميل للامبريالية واذنابها .

أما فى هذه الأيام فقد نشبت معارك أخرى أدت الى انقسام الكتاب الى فئات ، فئة تقدم بفخر الأدلة المبرهنة على أن العرب هم عرب ، وفئة ثانية تشهق مبهورة باكتشاف جديد مثير تمكنت وحدها من الوصول اليه ، وهو أن المعدة تحتاج الى طعام ، ومن لا ياكل محكوم عليه لا محالة بالهلاك ، أما الفئة الثالثة فهى تضم اغلبية الكتاب ، ولكنها تكتفى بالنوم والتثاؤب .

ولاتزال هذه المعارك مستمرة من غير غالب أو مغلوب بينما الناس العاديون يتطلعون بلهفة ووله الى القبر بوصفه مكاناً نظيفاً حسن الاضاءة ، قادراً على منح الطمانينة والراحة والسلام .

سؤال الحمار

ــ لماذا يهزأ بي ، وأوصف بالعجز والبلاهة مع انى اذا أصابنى ظلم ما نهقت ورفست بينما كثيرون من الناس يظلمون فلا يفعلون مثلما أفعل بل يلوذون بصمت يقنع انهم جثث تمشى ؟

سؤال الغيمة

ــ حين أمطر ، أهب مائى للجميع ، فلماذا لا يقلدنى المنضمون الى التكتلات والعصابات المتنكرة تحت أسماء ايديولوجية براقة ؟

تشابه كبير لم يلتفت إليه النقاد :

عطيل "الإنجليزي" وديك الجن العربي

بقلم : الدكتور نسيب نشاوي

موضوع هذا المقال هو المقارنة بين الشخصيات والأحداث فى مسرحيـــة « عطيل » لشكسبير وسيرة حياة الشاعر العربى ديك الجن الحمصي ، ففى شخصيتى عطيل وديك الجن تشابه ، وفى أحداث حياتهما لقاء على بعد ما بينهما من مكان وزمان يناهز ثمانمائة سنة ، فقد عاش ديك الجن قبل شكسبير بنحو ثمانية قرون وهذا يوحي بأن الشاعر الانكليزى ربما تأثر بحياة الشاعر العربى فاستلهمها فى مسرحيته العظيمة (عطيل) .

ورغم أن عطيل فى المسرحية من « أصل مغربى » إلا أنه انجليزى ، من حيث انتسابه الفنى ، فقد ابتكره خيال الفنان الانجليزى العظيم شيكسبير .. والسؤال الآن هو : هل تكون قصة ديك الجن مصدر! من المصادر الرئيسية لشخصية « عطيل » عند شكسبير ؟

والحديث عن حياة « عطيل » و « ديك الجن » حزين مأساوى مبك : فما ذكر اسم عطيل (أوتلو) فى الآداب الأوربية الا تنهدت العذارى وخجل الرجال ، لقد قتل زوجته الحبيبة من دون اثم اتته ، وهى التى أثرته على أبناء جلدتها ، فتبرا منها والدها بسببه ثم صدق هذا الزوج واشيا لئيماً طعن فى شرفها الطاهر فاقدم على خنقها .

وما ذكر الشاعر العربى ديك الجن الحمصي فى الأدب الا صاح صائح فى القبور يندب حظ هذا الشاعر العاثر الذى قتل حبيبته الغالية بالسيف ثم راح يحترق بنار العشق والشوق الى الجسد الطاهر الذى ما خانه قط .

ان ما حدث مع ديك الجن وعطيل يثير المشاعر ويستدر الدموع فالمرأتان اللتان أصفتهما الحب والود جرعاهما كاس الموت بلا شفقة ثم انقلبا الى انفسهما يندبان الخطا الفاحش بعد أن تبينا حقيقـــة براءتهما .

قصة ديك الجن فى التراث العربى

نقل الأصفهانى فى كتاب الأغانى أخبار ديك الجن وصاغ قصة ماساته مع زوجته (ورد) فى رواية نقلها من كتاب محمد بن طاهر عن ابن أخ لديك الجن يقال له ابو وهب الحمصي قال :

ديك الجن لقب غلب عليـــــه واسمه عبد السلام بن رغبان .. وكان جده تميم ممن انعم الله عليه بالاسلام .. وهو شاعر مجيد مذهب أبى تمام والشاميين فى شعره وذكر المحققون انه ولد عام (واحد وستين ومائة للهجرة وتوفى سنة خمس وثلاثين ومائتين (١٦١ ـ ٢٣٥ هـ / ٧٧٧ ـ ٨٤٩م) وكان من ساكنى حمص ولم يبرح نواحى الشام ولا وفد الى العراق ولا الى غيره منتجعاً بشعره ولا متصدياً لأحد . ويقولون انه كان أستاذ أبى تمام ، وان أبا نواس الشاعر ودعبل بن علي الخزاعى زاراه ببيته بحمص وقدما معجبين بشعره الذى قـــال أحدهمـــا عنه انه فتن اهـــل العراق .

أما قصته مع جاريته (ورد) التى هويها وعشقها ثم تزوجها فقد أوردهـــا الأصفهانى على لسان ابن أخى ديك الجن



عطيل وديدمونة فى مشهد من مسرحية عطيل

أبى وهب الحمصي قال :

وكان عبد السلام (ديك الجن) قد اشتهر بحب جارية نصرانية من اهل حمص هوبها وكان اسـمها (وردا) ، وأورد الأصفهانى الأبيات التى كنى فيها ديك الجن عن اسمها وجمالها ومنها قوله :

انظر الى شمس القصـور وبدرهـا
والى خزاماهـا وبهجـة زهرهـا
لم تبـل عينك أبيضـاً فى أسـود
جمع الجمال كوجههـا فى شـعرها
ورديـة الوجنـات يختبر اسمهـا
من ريقهـا من لا يحيط بخبرهـا

وتمادى به الحب حتى غلبت عليه وذهبت به ، فلما اشتهر بها دعاها الى الاسلام ليتزوج بها فاجابته لعلمها برغبته فيهـا واسلمت على يده ، وعاشـا مدة هانئين وهو سادر في مجونه وغوايتـه وقال يتغزل :

أتانى هواهـا قبل أن أعرف الهوى
فصادف قلباً خاليـاً فتمكنـا

وكان له ابن عم يكنى أبا الطيب (يلومه فى هذا الحب) ويعظه وينهاه عما يفعله ويحول بينه وبين ما يؤثره ويركبه من لذاته وربما هجم عليه وعنده قوم .. فلما كثر ذلك على ديك الجن قال فيه قصيدة عصماء شوه فيها صورته وجعله أبا الخبيث ورسمه على هيئة ملك الموت وحذر الناس ـ بالحرائر وطعنه بأعراضهن وكذبه واستجارة الأمهات بالله من لؤمه فقال :

يا عجبـا من أبي الخبيث ومـن
خروجـه فى النكـائر الدثرة
يحمل رأسـاً تنبـو المعاول عن
صفحته والجلامد الوعـرة
كم طربـات أفسـدتهن وكـم
صـفوة عيش غادرتهـا كدره
وكم اذا ما رآوك يـا ملك المـوت
لهـم من أنـامل خصـرة
وكم لهم دعـوة عليـك وكـم
قذفـة أم شـنعاء[1] مشتهرة
كريمـة لؤمـك استخف بها
فنالهـا بالمثـالب الأشـرة

ذكر الأصفهاني أن ديك الجن كان قد أعسر واختلت حاله فرحل الى سلميـة (بلدة بالشام على مسافة من حمص) قاصداً الأمير احمد بن علي الهاشمي ، فأقام عنده مدة طويلة ، وحمل ابن عمه اياه ـ بسبب هجائه له ـ على أن أذاع على تلك المرأة التى تزوجها عبد السلام أنها تهوى غلاما له ، وقرر ذلك عند جماعة من أهل بيته وجيرانه واخوانه وشاع ذلك الخبر حتى اتى عبد السلام ففوجىء وارتاب وأسرع فى التجهز للرحيل الى حمص لاستطلاع النبا ، فكتب الى احمد ابن علي شعراً يستأذنه فى الرجوع الى حمص ، ويعلمه ما بلغه من خبر زوجتـه (ورد) فى قصيدة مطلعها :

إن ريب الزمـان طال انتكاثـه
كم رمتنى بحـادث احداثـه

وأشار الى هيامه بها بقوله :

ظبي أنس قلبي مقيـل ضحـاه
وفـؤادي بريـره وكبـاثـه

والمح الى الوشاية التى اتته وخوفه أن تتحول عنه الى غيره :

خيفة أن يخون عهدي وان يضحي
لغيـري حجـوله ورعاثـه

ومدح أحمد بعد هذه وهى طويلة ، فأذن له فعاد (غضبان أسفاً) الى حمص ، وقدر ابن عمه وقت قدومه فارصد له قوماً يعلمونه بموافاته باب حمص ، فلما وافاه (ديك الجن) خرج اليه (ابن عمه أبو الطيب) مستقبلا ومعنفاً على تمسكه بهذه المرأة (ورد) بعدما شاع من ذكرها بالفساد وأشار عليه بطلاقها ، وأنها قد أحدثت فى مغيبه حادثة لا يجمل به معها المقـام عليها .

(وحبك أبو الطيب الزعم بذكاء خسيس) فدس الرجل الذى رماها به وقال له :

ـ اذا قدم عبد السلام ودخل منزله فوقف على بابه كأنك لم تعلم بقدومه وناد باسم (ورد) فاذا قال (ديك الجن) من أنت فقل أنا فلان .

عطيل الإنجليزي
وديك الجن العربي

فلما نزل عبد السلام منزله والقى ثيابه سألها عن الخبر واغلظ عليها ، فاجابته جواب من لا يعرف من القصة شيئا ، فبينما هو فى ذلك اذ قرع الرجل الباب فقال (ديك الجن) :

ـ من هذا ؟

فقال : أنا فلان .

فقال لها عبد السلام : يا زانية زعمت انك لا تعرفين من هذا الامر شيئا ؟!

ثم اخترط سيفه فضربها به حتى قتلها وقال فى ذلك :

ليتنى لم أكن لعطفك نلت
والى ذلك الوصال وصلت
سوف أسي طول الحياة
وأبكيك على ما فعلت لا ما فعلت

وقال فيها أيضا :

لك نفس مواتية
والمنايا معادية
أيها القلب لا تعد
لهوى البيض ثانية
خنت سري ولم اخنك
فموتي علانية

قال الأصفهانى : قال ابن عم أخى ديك الجن :

وبلغ السلطان الخبر فطلبه فخرج (ديك الجن) الى دمشق فاقام بها أياما (وتوسط له أحمد بن علي) فكتب له الى أمير دمشق أن يؤمنه (وصعب ذلك على أمير دمشق) وقرر معاقبته واقامة الحد عليه لولا أن تحمل عليه أحمد بن علي باخوانه حتى يستوهبوا جنايته ، فقدم ديك الجن حمص وبلغه الخبر على حقيقته وصحته واستيقنه ، وعرف براءتهفندم ومكث شهراً لا يستفيق من البكاء ولا يطعم من الطعام الا ما يقيم رمقه وقال فى ندمه على قتلها :

رويت من دمها الثرى ولطالما
روى الهوى شفتى من شفتيها
قد بات سيفى فى مجال وشاحها
ومدامعى تجري على خديها
ما كان قتليها لأني لم أكن
أبكي إذا سقط الذباب عليها
لكن ضننت على العيون بحسنها
وأنفت من نظر الحسود اليها

وتابع صاحب الاغاني انشاد الأبيات التى نظمها ديك الجن فى ندمه ومأساته وفيها تصوير ذلك الوله والحب والاشفاق على الزوجة الكريمة المقتولة :

قمر أنا استخرجته من دجنه
لبليتي وجلوته من خدره
فقتلته وله علي كرامة
ملء الحشا وله الفؤاد باسره
عهدى به ميتا كاحسن نائم
والحزن يسفح عبرتي فى نحره

يقول الدكتور شوقى ضيف : وليس من شك فى أن أروع أشعار ديك الجن ما نظمه في بكاء صاحبته متفجعا متحسراً نادماً كما لم يندم احد (قلت) : ومازال يردد ذلك حتى أصابته لوثة اذ صار طيفها يزوره فى كل آن حتى تغشاه كدرة من جنون فيستخفى من الشبح المخيف المقتول كما استخفى أوريست قاتل أمه كليتمنسترا الذى كان يلاحقه شبحها بالقول المرعب :

سوف تصلى فى عذابات الجحيم
وعذاب الاثم نار من حميم

روى صفي الدين الحلى فى كتاب « شرح الكافية البديعية » الذى حققناه وابن حجة الحموي فى خزانته ومصطفى صادق الرافعى فى تاريخ الأدب العربى أبيات ديك الجن فى مناجاة الطيف وهى تبكى الحليم ويحسن إيرادها فى هذا المقام :

قولي لطيفك ينثني
عن مضجعي عند المنام
فعسى أنام فتنطفي
نار تاجج في عظامي
جسد تقلبه الاكف
على فراش من سقام
أما أنا فكما علمت
فهل لوصلك من دوام

ويقول محققا ديوان ديك الجن الدكتور أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري : « وهزت هذه المأساة الشعراء وصوروها في أشعارهم تصويراً يأخذ بمجامع القلوب ويثير اللوعة والأسى ، ومن أبدع ما قيل فى هذه المأساة قصيدة (كاس) للشاعر عمر



وليم شكسبير

أبي ريشة التى قدم لها بقوله : (يروى أن ديك الجن الحمصي قتل جاريته الحسناء حبا بها وغيرة عليها وجبل من بقايا جثتها المحروقة كاسه وكان ينشد بين شربه وبكائه أبياتا من الشعر :

اجريت سيفى فى مجال خناقها)

واليكم خاتمة قصيدة ابى ريشة :

قبلتها والليل ينفض عنه أسراب النجوم
ومدامعي تجري ، وكفي فوق خنجرى الأثيم
هى وقفة رعناء ضاق بهولها حلم الحليم
فحملت شلو ضحيتي والنار حمراء الأديم
وجبلت من تلك الجذى كاسي ومن تلك الكلوم
فاشرب ودعها فهى ما مرت على شفتى نديم

تلك هى قصة ديك الجن فى الأدب العربى .

مسرحية عطيل فى الأدب الأوربى

شكسبير (١٥٦٤ ـ ١٦١٦ م) سيد من سادات الأدب العالمى ، معجزة من معجزات العبقرية ، كان منافسوه من خريجي الجامعات يحسدونه فى أثناء حياته ويرذلونه ولكن هيهات أن ينال قزم من عملاق تعيش أبطاله حياة فوق الطبيعة فما يعرف الهرم اليها سبيلا ..

كان يتبع الذوق السائد ، فشعاره الحياة . فاذا أصدرت الملكة أمرها الى



ابو الفرج الأصفهانى



عمر ابو ريشة



شوقى ضيف

المسارح أن تعمل على اذكاء الوطنية هب شكسبير يكتب ماسي تاريخية كبيرة فى تمجيد الانتصارات الانكليزية ، واذا كان الجمهور يعنى بالدراما السوداء رأيت شكسبير يكثر من حوادث القتل والتعذيب والانتحار والجنون ..

وقد يكون لحياته أثر فى صنع مأساة (عطيل) . ففى الثامنة والعشرين من عمره تزوج (أن هاتاوى) التى تكبره بثمانى سنين وكان الزواج اضطراريا اذ لم ينقض عليه أكثر من ستة أشهر حتى كانت الزوجة قد وضعت غلاماً .. بعد ذلك سافر وحده الى لندن يسعى وراء الثروة ، وحالفه الظفر فاندفع عندئذ وراء التأليف الشخصي وقدعالج ألاماً عاطفية شاذة ، ففى قصائده ما يشير الى حبه لسيد فتى خانه مع امرأة سمراء .. وانك لتحس فى نبراته ألماً صادقاً ولوعة حقيقية ..

وبانقلاب صفحة القرن السادس ينقلب شكسبير الى المأساة الدامية ، وتبدأ المرحلة المظلمة فى تصويره شخصيات مسرحه ، والسلسلة السوداء حقاً من آثاره هى مسرحياته الأربع وأولها مسرحية عطيل ـ موضوع المقال ـ ، والثانية (الملك لير) ثم (هاملت) و (ماكبث) ..

عطيل فى مسرحية شكسبير قائد عظيم وقع فى حب (ديدمونة) فتزوجها ثم صدق واشياً بها فقتلها ، قال عنه خليل مطران مترجم المسرحية : « كان عطيل فى زعم القصاص الذى نقل عنه شكسبير أصل هذه الحكاية بدوياً مغربياً جلا الى البندقية وخدم فى جيشها حتى أصبح قائده فى الملمات .. وقال مطران أيضاً : ان شكسبير وضع هذه القصة لاظهار الغيرة وتأثيرها فى الرجل .. ولذلك اختار عاشقاً افريقيا بدوى الفطرة ليكون وثاب الشعور عنيفه ، عسكرى المهنة ليكون سريع التصديق والانخداع ، مكتهلا أى فى أول الانحدار من سن الأربعين ليكون أشد فى التعشق كما هى شيمة أمثاله ممن يسطو عليهم الحب بعد انقضاء الشباب .. وخاصة حين يكون المستهام أسود البشرة من أحلاس الحروب والمستهام بها بيضاء منعمة من قوم فسدة الأخلاق مترفين .

تقع مسرحية عطيل فى أربعة فصول وتدور أحداثها الأولى بمدينة البندقية حيث يقع الحب بين (عطيل) و (ديدمونة) وينتهى بالزواج ثم تنتقل الأحداث الى مرفا حربى من مرافىء جزيرة قبرص حيث تتطور الأحداث فيشك (عطيل) بزوجته البريئة ثم يقدم على قتلها ، ثم يندم اذ يتبين براءتهاواخلاصها فلا يجد ما يشفى نفسه سوى الانتحار .

لقد وجدت تشابها فى الأحداث والشخصيات بين حياة ديك الجن الحمصي التى رسمها الأدب العربى على النحو الذى أشرت اليه وبين مسرحية عطيل لشكسبير حتى ذهب بى الظن الى أن شكسبير اطلع على حياة ديك الجن من خلال المصادر اللاتينية التى نقلت الآداب العربية الى أوربا ، ولولا أن موضوع المقال فى الأدب المقارن لمضيت فى بيان أحداث المسرحية العظيمة التى صرف شكسبير قريحته العجيبة فى ألوف الجزئيات لتصوير الغرض الكلي فى ابراز الغيرة فى قلوب العشاق والأزواج ، والغرضين الملحقين به وهما :

١ ـ إثبات أن العفة لا تنتفى من مدينة مهما فسقت بل تزداد تمكنا من نفس المرأة المتحصنة بمقدار ما تندر العفة .

٢ ـ تبيين أثر الاحتيال ونهايته وما يبلغه فى نفس رجل ذكى مطماع خسيس أصم الضمير مستبيح كل محرم ومنكر على النحو الذى ظهر فيه (ياجو) الذى حبك بذكاء نادر التهمة الكاذبة ووجهها الى (ديدمونة) وما زال يوقد الشك فى قلب عطيل حتى وقعت المأساة .

وهذه الشئون الثلاثة : (الغيرة ـ العفة ـ الاحتيال) حاضرة بكل قواها فى سيرة حياة ديك الجن . وسأنتقل الى المقارنة والموازنة بين الأحداث والشخصيات فى القصتين وفى أثناء ذلك ستظهر بعض تفاصيل مسرحية عطيل لئلا أكررها مرتين .

لقاء الأحداث والشخصيات

ديك الجن الحمصي عربي سكن حمص من بلاد الشام ، وعطيل مغربي عربي قال في أثناء كلامه متباهيا :

« سيعلم القوم مني ـ عندما يبيح الشرف الافتخار ـ انني سليل بيت من البيوت المالكة وان اعمالي تقف موقفها العالي بجانب أعتى المناصب التي يبلغها بالتوفيق امثالي . واعلم يا (ياجو) انني لولا شغفي بديدمونة التي سحرت لبي لما رضيت بكنوز البحار بدلا من حريتي وبداوتي » .

وهذه الشخصية التي تفاخر بشرف نسبها ، وبمؤهلاتها الخاصة معا تشبه شخصية ديك الجن القائل :

إنى امرؤ بازل فى ذروتى شرف

حرف أمون ورأي غير مشترك
وصارم من سيوف الهند ذو شطب
خواض ليل تهاب الجن لجته
وينطوى جيشها عن جيشه اللجب
وليس يعرف لي قدري ولا أدبي
إلا امرؤ كان ذا قدر وذا أدب

وهنا يرد سؤال : لماذا اختار شكسبير شخصية عربية لتمثيل دور قتل المحبوب وما مغزى ذلك ؟ ما مدى اشارة ذلك الى اطلاع شكسبير على الآداب العربية ؟

عطيل "الإنجليزي"
وديك الجن العربي

و (ورد) التى احبها ديك الجن كانت نصرانية (مسيحية) ثم اسلمت فتزوجها وهذا الاختلاف فى المعتقد الدينى ثم التقارب بسبب الحب والزواج يقابل فى مسرحية عطيل اختلاف الجنس والمعتقد بين (عطيل) و (ديدمونة) التى خالفت اهلها ورضيت بعطيل بعلا ، يقول والدها (برابنسيو) يوم جاء الى الدوق يشكو عطيلا :

«فتاة تعيش حيية هادئة خادرة تكاد تحمر خجلا إذا ابدت حراكاً اتخالف طبعها وسنها وامتها ومنزلتها من الجاه .. لتتعشق شخصاً كانت تتهيب النظر اليه ؟ من قال ان الكمال يشذ هذا الشذوذ عن نواميس الطبيعة ..» .

لقد وقعت (ورد) فى حب ديك الجن وكذلك (ديدمونة) التى خرجت فى الهزيع الأخير من الليل لتستسلم بين ذراعى (عطيل) وتتزوجه ، ويسال ابوها (برابنسيو) عطيلا فى حضرة دوق البندقية عن هذا السحر الذى خلب لب الفتاة :

«أنت ايها السارق الخسيس اين اودعت ابنتى سحرتها يا رجل النار .. اكانت لولا السحر فتاة بتلك الرقة وذلك الجمال .. آنفة من الزواج الى حد انها لم ترض بواحد من اغنى شبان امتنا واجملهم بعلا لها (تلتجىء) الى صدر اسود دهنى كصدرك .. أليس واضحاً انك رقيتها برقى سيئة وانك خدعت طفولتها بعقاقير ..» .

ولا أريد ان اطيل بذكر الدفاع الذى اجاب به (عطيل) ، ولا موقف ديدمونة فى ذلك الموقف الحار الذى عبرت فيه بجراة بالغة عن مشاعرها وانها تفضل عطيلا عن أبيها واسرتها ، لاننى اريد ان انتقل الى شخصية ثالثة هى شخصية (ياجو) الماكر اللعين الذى عمل كل جهده على افساد العلاقة بين الزوجين فنسج قصة زائفة رمى فيها (ديدمونة) بالزنى وانها عاشرت (كاسيو) ملازم عطيل وصديقه . وشخصية (ياجو) هنا تقارن بشخصية (ابى الطيب) فى قصيدة ديك الجن ف (ياجو) حامل علم (عطيل) ومرافقه ، اما (ابو الطيب) فهو ابن عم ديك الجن وكلاهما اوقع بالزوجة وصنع حولها قصة زنى مزيفة . فبعد سفر ديك الجن الى سلمية جاءه من يعلمه باشاعة ملفقة أن (ورداً) عاشرت غلامه ، ولما عاد ديك الجن مسرعاً قدر ابن عمه (ابو الطيب) وقت قدومه فارصد له قوماً يعلمونه بذلك ، ثم خرج الى باب حمص ليستقبل (ديك الجن) ويعنفه على تمسكه بهذه المراة وذكرها بالفساد واشار عليه بطلاقها وانها احدثت فى مغيبه حادثة عظيمة .. وهذا الحدث الدرامى نجده فى موقف (ياجو) فى حواره التالى مع عطيل :

ياجو : انا عليم بطبائع بلادى ، والنساء فى البندقية يظهرن من احوالهن على مشهد من الملأ ما لا يجرؤن على ان يظهرنه لبعولتهن فالذمة عندهن لا أن يمتنعن عما يشتهين ولكن ان يخفينه .

عطيل : أجد ما تقول ؟

والفرق بين (ياجو) و (ابى الطيب) ان (ياجو) اشد هدوءاً وانه ادخل الشك فى نفس (عطيل) على مراحل وتعب كثيراً فى حوك مؤامرته ، اما (ابو الطيب) فاعتمد على عنصر المفاجاة والمباغتة فكلاهما ذكى وخبيث . إذ لم يخف ياجو من غضب عطيل عندما صاح به :

عطيل : أيها النمام الواشى جئنى بما يثبت ان حبيبتى فاسدة .. لا تبطىء .. أرنى بعينى .

وياجو أعد دليلا مادياً مزيفاً : فقد سرق منديل (ديدمونة) ورماه فى غرفة (كاسيو) ثم دفعه الى زيارتها فى قصرها لتتوسط له لدى عطيل الذى كان قد نحاه عن منصبه . ثم راح (ياجو) يقول لعطيل إن (ديدمونة) تتبادل الغرام والشهوة الحمراء مع (كاسيو) بقصد الزواج منه .

ياجو : ألم تر قط فى يد امراتك منديلا عليه رسم الشليك ؟

عطيل : أعطيتها منديلا من هذا الشكل



مطران خليل مطران

وهو أول ما اهديته لها .

ياجو : رايت منديلا بهذا الشكل واعتقد انه لها بيد (كاسيو) وكان يمسح به لحيته هذا الصباح .

عطيل : الآن تبينت انها فى الحق زانية .. انظر ياجو هذه نفخة اصعد بها الى السماء ذلك الغرام النارى .. لقد ذهب .

ياجو : لابد من التمالك .

عطيل : دماً .. دماً .. دماً .

وإذا كان (ابو الطيب) قد أرسل الغلام المتهم الى منزل ديك الجن قائلا له إذا قدم عبد السلام ودخل منزله فقف على بابه كأنك لم تعلم بقدومه وناد باسم (ورد) فاذا قال (ديك الجن) من انت ؟ فقل : انا فلان .

فان (ياجو) عندما رأى (كاسيو) خارجاً من بيت (ديدمونه) يوم ذهب للوساطة بشان منصبه قال لعطيل : إنه «فرفرار المجرم حين رآك مقبلا» ، ولتاكيد الخيانة الزوجية المزعومة عمد (ياجو) الى استدراج (كاسيو) الى القصر وهمس فى اذنه بسؤال عن صديقته الشقية (بينكا) .. وعطيل مستخف خلف الستار فى الغرفة ذاتها وبذلك احدث (ياجو) مغالطة منطقية ، إذ ظن عطيل أن الحوار التالى يجرى بينهما حول (ديدمونة) وإنما هو فى الحقيقة حول (بينكا) ولاباس ان نورد نتفاً منه :

كاسيو : ويحها من خاطئة أظن انها تحبنى .

ياجو : تشيع انك ستقترن بها .

كاسيو : انا أقترن بفاسدة .. دابها ان تدركنى فى كل مكان ، ومن جنونها انها لحقت بى الى شاطىء البحر منذ ايام .. وطوقت عنقى هكذا واخذت تترجع وتبكى

وتدفعنى وتجذبنى .

وفجاة تدخل (بينكا) تحمل منديل (ديدمونة) قائلة لكاسيو :

ـ ما كان مقصدك من هذا المنديل الذى دفعته الي منذ قليل .. هذا بلاشك هدية من عهرة ما .. خذه واهده عشيقتك .

عطيل : (فى مكمنه) يا لله لابد أن يكون هذا منديلى .

وعلينا أن ننتقل الى الخاتمة المأساوية المتشابهة لمصارع العشاق فى القصتين العربية والأوربية : ف (ورد) حين سالها ديك الجن عن الغلام وعلاقتها به واغلظ عليها اجابته جواب من لا يعرف من القصة شيئاً وكذلك (ديدمونة) عندما سالها عطيل عن علاقتها بـ (كاسيو) .

عطيل : فكرى فى خطاياك .

ديدمونة : لا إثم لي إلا هواك .

عطيل : لهذا ستموتين .

ديدمونة : ليس من المالوف قتل المحب من أجل حبه .. ويلاه لم تعض هكذا على شفتك السفلى ..

عطيل : ذلك المنديل الذى كنت احبه وأعطيتك اياه أنت أهديته الى كاسيو ؟

ديدمونة : لا وحياتى ونفسى . استدع هذا الرجل وليسال .

عطيل : ستموتين .. لقد رأيت منديلى فى يديه . ويحك من امراة خاطئة .

ديدمونة : لعله وجده ضائعاً . أرسل فى طلبه وليعترف بالحق .

عطيل : قد اعترف .

ديدمونة : ماذا تقول يا مولاى .

عطيل : إنه قضى منك ماربا .

ديدمونة : مارب سوء ؟

عطيل : نعم .

ديدمونة : لن يقول ذلك .

عطيل : أجل ، لأن فمه اقفل (الى الأبد) .

ديدمونة : ويلاه قد خانوه واضاعونى .

عطيل : اهلكى يا فاجرة اتبكينه بمشهد منى .

ويهجم عليها ويخنقها ، أما ديك الجن فاخترط سيفه فضرب (وردا) به حتى قتلها ، ثم أخذ كل واحد منهما يهذى على هذا النحو :

«امراتى .. امراتى .. اية امراة .. لا امراة لي .. يا للذكرى الفاجعة .. يخيل الي أن بالشمس والقمر محاقا فظيعا فى هذه الساعة .

وتدخل (اميليا) زوجة (كاسيو) .

عطيل :كاسيو ضاجعها . اسالى زوجك عن ذلك .

اميليا : زوجى كان يعلم انها متعففة لوليها .

وتعلمه (اميليا) بكذب زوجها (ياجو) بالأدلة ، فتقع النهاية المسرحية الثانية فى محضر الأعيان الذين احاطوا بعطيل فقال لهم على نحو ما قال ديك الجن تماماً :

«رويدكم اقل كلمة أو كلمتين .. (انا) رجل كان خالص السريرة متجاوز الحد فى حبه ، رجل دافع الغيرة عن نفسه جهده فلما تمكنت منه تمادى فيها الى النهاية .. رجل غلب الأسى عينيه على انهما لم يكن من شيمتهما البكاء فذرفتا من الدموع اغزر مما تنتجه اشجار جزيرة العرب من صمغها الشافى .. واضيفوا الى ما تقدم اننى عندما كنت فى حلب وأهان أحد الأعداء رجلا من البندقية وثبت به وجعلت يدى فى عنقه وضربته هكذا (يضرب نفسه بالسيف) ويجر نفسه نحو سرير (ديدمونة) قائلا :

ـ لقد قبلتك قبل مماتك والآن لم يبق لي إلا أن أموت فى قبلة .

تلك قصة عطيل ولقد أشار شكسبير الى أن (أتلو) وصل الى مدينة حلب واقام بها ، وحلب مدينة على مسافة ساعات من موطن ديك الجن ومشهد ماساته .

وبعد ، أليس هناك لقاء فى الأحداث والشخصيات ؟ وأى لقاء أشد من هذا ؟ (عطيل) و (ديك الجن) شخصان متشابهان فى الطباع والأخلاق والغيرة والتهور أحبا فتزوجا ثم قتلا فندما .. كان مجرى حياتهما واحداً على بعد الزمان واختلاف المكان والبيئة والمجتمع .. ستظل روحاهما تحلق أبداً فى سماء واحدة فوق الحبيبة الزوجة المقتولة بجريرة ما اقترفتها .

(ورد) و (ديدمونة) زوجان ودودان عروبان عفيفتان مخلصتان حيكت حولهما قصة خيانة زائفة .. كلتاها فوجئت بصاحبها أو حبيبها الزوج يشهر فى وجهها يد القتل للذبح أو الخنق ويوجه انذاراته بان تعترف بانها خانت الحياة الزوجية مع عشيق غريب ، ولم يكن لهما ذلك .. كلتاهما تبرأت من الخيانة ولكن يد الموت كانت أسرع من البرق فى اجتثاث الرأس الطاهر الذى ما التفت الى حبيب غير الزوج .. كلتاهما ظهر بعد موتها دليل العفاف والطهر والبراءة فاصبحتا رمزاً للعفاف .. فاما زوج الأولى فقد جن ارقاً وسهداً وندامة .. وأما زوج الثانية فانتحر كمداً .

تلك هى نقاط اللقاء فى الشخصيات والأحداث أوردتها مقتضبة ، وكنت أريد أن أفتح باباً آخر للأدب المقارن .

الأسلوب الشكسبيرى والأسلوب العربـــــى

بقيت ناحية احببت بيانها حول اللغة الشكسبيرية العملاقة ، كان هناك لقاء بينه وبيننا نحن العرب فى هذا الكلف بالتعبير الدقيق وتصوير الحالات النفسية والشؤون الخاصة وتلوين العبارة بالتشبيه والمجاز والكناية وتصعيد الآهات عبر الأحداث والمبالغة فى استقصاء أبعاد الصور الحسية ولاسيما المعنوية ، وما يقود فى ذلك الى الاغراق فى التشبيه التمثيلى والمبالغة والغلو ..

وأول من لفت الأنظار الى استشراق شكسبير هو الشاعر خليل مطران الذى عرب مسرحيات شكسبير العظيمة «عطيل» و «ماكبث» و «هاملت» و «تاجر البندقية» استجابة لفرقة جورج أبيض التى مثلتها عام ١٩١٢ م ، قال خليل مطران فى مقدمة «عطيل» :

«إن فى نفس شكسبير شيئاً عربياً بلا منازعة وهو أبين فيها مما بان فى نفس فكتور هوجو . اقرا لغتنا أم نقلت اليه بعض المترجمات الصحيحة ؟ لا أعلم ولكن بينه وبيننا من وجوه متعددة مشاكلة محيرة ، فان عنده مثل ما عندنا جراة على الاستعارة وذهاباً بضروبها كل مذهب ، وله مثل ما لنا كلف بالتنقل الوثبى من غير تمهيد ولا استئذان يدفعك من القصد الى القصد وشيكاً وعليك أن تتمهل فى فكرك وتجد الرابطة ، وبه ما بنا من الهيام فى المبالغة التى لا يقبلها من الكاتبين ولا يعقلها من القارئين إلا الذين فى تصورهم حدة وجملح كما يكون عادة عند .. وخصوصاً عند العرب» .

الدكتور نسيب نشاوى ـ الجزائر

قضيــة هـــامة تواجـــه العـــالم الجديـــد

انحطاط مستوى التعليم في أمريكا

بقــلم : فتـــحي رضـــوان

لقد ذكرت قول الشاعر :
كل من ألقاه يشكو دهره
ليت شعرى هذه الدنيا لمن ؟

حينما سمعت بنبأ اللجنة التى شكلت فى الولايات المتحدة للنظر فى أسباب انحطاط مستوى التعليم العام فى الولايات المتحدة ،فالظن السائد لدينا أن الولايات المتحدة وصلت فى العناية بالتعليم من حيث تقدم البرامج وحداثتها وانطباقها على مقتضيات الحياة العصرية ، ومن حيث استعانة الاساتذة والمدرسين والمعاهد والمدارس ، بالوسائل الحديثة ، من اجهزة وأدوات استماع وخرائط مصورة ، ونماذج مجسدة ، وآلات الكترونية حاسبة ، هذا كله فضلا عن أبنية فسيحة ، وساحات للعب عديدة ، ومكتبات غنية ، ونظام للرحلات ، يزيد من علم الطلاب بحقائق الطبيعة والمجتمع ، وأساليب الصناعة والزراعة ، مع توفير أسباب الراحة والمتعة معاً .

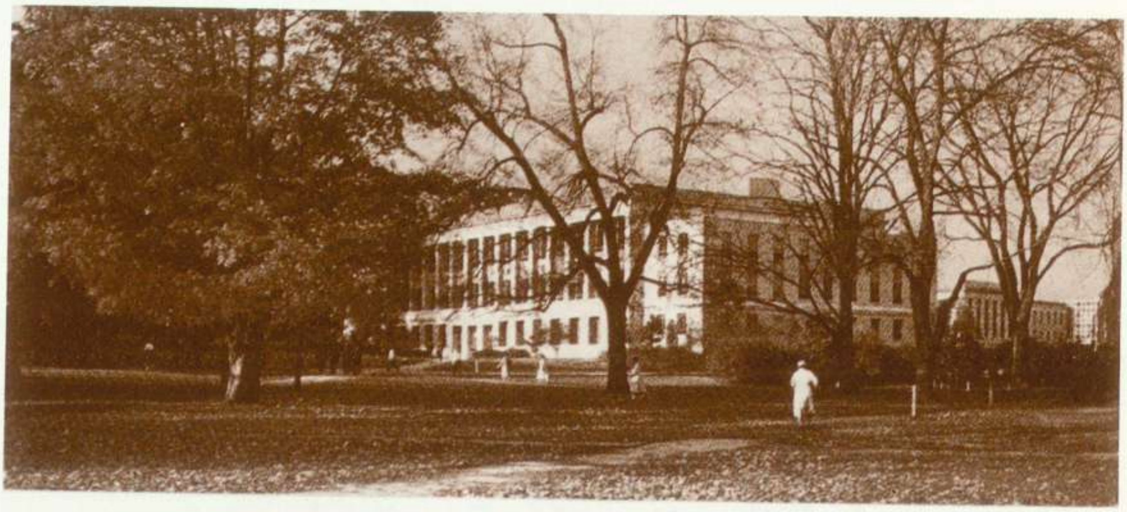
ولذلك كان شيئاً شبيهاً بالصـــدمة ما أطلعت عليه من ان الحكومة الامريكية الفدرالية انشات لجنة من رجال التربيـــة والفكر واصحاب التجارب المتنوعـــة فى مجالات البحوث والصناعة والزراعـــة والاقتصاد لتكون مهمتها اولا الوقوف على حالة التعليم فىمدارس التعليم العـــام بامريكا ، ثم ما يقوله المدرسون عن هـــذه الحالة سلباً وإيجاباً ، ثم ما يقوله التلاميذ ثم ما يراه أولياء الامور ، ثم ما يشكو منه أولو الأمر فى الجامعات التى تستقبل افواجا من تلاميذ المدارس الثانوية لياخذوا احكامهم فى تلك الجامعات ، ثم ما يلاحظه أرباب الأعمال ، على تلاميذ هذه الأيام الذين انتهوا من التعليم الثانوى من حيث الكفاءة وحسن الاستعداد والقدرة على التكيف مع متطلبات العصر الحديث ، وما يزخر به من آلات جديدة ، ووسائل للعيش طارئة ، ومناهج لادارة الاعمال مستحدثة .

والغريب في الامر ان هذه اللجنة لم تجد رأياً واحداً من الذين ادخلتهم فى نطاق الاستطلاع بل وجدت مع شيء من التبسيط – فريقين جد متناقضين ، فريق الراضين عن حالة التعليم فى الولايات المتحدة ، فخورين بنتائجه ، يباهون بالفارق الضخم بين التعليم فيها ، وبين التعليم فى أوروبا واليابان من جهة ، وبينه وبين التعليم فى امريكا الجنوبية من جهة ثانية ، وبين التعليم فى الولايات المتحدة من جهة والتعليم فى افريقيا وآسيا من جهة ثالثة .

وفريق الساخطين على التعليم الامريكى فى شمال القارة الذى يرى فى كل ناحية من نواحيه عجزاً وقصوراً وانتكاساً ، سواء كان ذلك فى مستوى التلاميذ العلمي وقدر تحصيلهم للمعلومات والمعارف ، أو متوسط قدراتهم على الحفظ ، الى جانب عجز نسبة كبيرة منهم عن مواصلة التعليم الى نهايته وزوال حالة الاستقرار فى المدارس بتزايد نسبة التلاميذ المشاغبين الذين يشيعون فى فصول الدراسة الاضطراب ، ويهددون المدرسين بالعدوان حيناً ويقومون بهذا الاعتداء فعلا حيناً آخر .

على أن اللجنة خلصت الى نتائج مهدت بها الى تقريرها . فقررت أن التعليم فى العهد الحديث فى الولايات المتحدة تغيرت اهدافه عما كانت عليه منذ سنة ١٩٦٠ . فقد كان هدف التعليم الأساسي هو نشر المعرفة الذهنية بين تلاميذ المرحلة الثانوية التى تقع بين الثانية عشرة والثالثة عشرة من عمر الفتى الأمريكى ، يعنى تهيئته ليحصل المعرفة الجامعية فى مجال العلوم الانسانية ، اى الجغرافيا والتاريخ والادب وما الى ذلك ، أو المعرفة الرياضية كالهندسة والطبيعة وما يتصل بها ، أو علوم الحيوان والنبات وطبقات الأرض والكيمياء والطب .

وكان ما عدا ذلك من الأهداف غير داخل فى نطاق اهتمام المدرسة ولا المدرسين ، ولكن التغيرات الهائلة التى اصابت المجتمع الامريكى ، بل المجتمع الانسانى ، اضافت الى مهام المدرسة والمدرسين اهدافاً أخرى منها أولا اتاحة فرص التعليم للفقراء والطبقات المحرومة وتحقيق فرص الدمج العنصرى فى المجتمع ثانياً ، وخلق مواهب وقدرات جديدة لم تكن للتلاميذ ثالثاً ، وهى القدرات العملية التى تحتاج الى مهارات يدوية كان التعليم لا يهملها فحسب ، بل



بعض معامل إحدى الجامعات الامريكية

يتعالى عليها ويحتقرها ، ويرى ان خلق النجار أو الحداد أو النقاش او البناء ليست من اهداف التعليم العام ، وان الاهتمام بالشبان الذين يمكن أن تكون لهم قدرات فى هذه المجالات ، من خصائص ومهام رجال الصناعة والزراعة الذين يديرون مصانع او مزارع كبيرة ، والذين يستقبلون فى هذه المصانع والمزارع أولئك الشبان الذين تخلفوا عن متابعة الدراسة الثانوية ، أو الذين اتموها ولم يحرصوا على اللحاق بالتعليم الجامعى .

ثم اشارت اللجنة الى التطورات التى اصابت المجتمع الذى يخرج هؤلاء التلاميذ الذين يملأون فصول التعليم العام ، واشارت الى تغيرات ذات اثر بعيد وعميق على التلاميذ وعلى قدراتهم التحصيلية ، وتركيز عقولهم .

ومن ذلك زيادة نسبة الأمهات اللاتى يتركن البيت مبكرات ليصلن الى مقار اعمال يباشرنها فى المكاتب أو المصانع أو المستشفيات أو سيارات النقل العام الى آخر الأعمال التى تباشرها المراة الآن ، والتى يزيد نطاقها عاماً بعد عام .

فالصبي الذي كان لا يخرج إلا بعد ان تطعمه امه في الصباح ، وتلبسه ثيابه ، وتوصله بيدها الى المدرسة ، والذي يعود فيجد نفس الأم في انتظاره ، لا وجود له الآن ، فعليه أن يعد نفسه ويهيىء طعامه ويمضي وحيداً الى مدرسته ، لان امه تركت المنزل قبله ، او لأنها موجودة ولكنها مشغولة باعداد نفسها للحاق بعملها فى الموعد المحدد . فاذا عاد ، وجد منزلا خالياً لا احد فيه ينتظره ، ولا احد يسال ماذا لقى من المشكلات فى المدرسة او المعهد .. لان أباه وامه يعودان عادة بعد عودته هو ببضع ساعات .

هذا الطفل حين يكبر ويدخل مدرسة التعليم العام لا يكون شبيها بالصبى الذى ينشا فى رعاية امه وابيه . صحيح إنه اكثر استقلالا واعتماداً على النفس ، واقل حساسية لقسوة المجتمع ، وشراسة الزملاء وحدة المنافسة ، وانفصال المدرس عنه لكثرة تلاميذ الفصل ، وتضخم هموم هذا المدرس ، الا ان هذا التلميذ نفسه يكون اكثر استعداداً للاستجابة الى الغراءات وتوجيهات زعماء التلاميذ المشاغبين الذين يضيقون بساعات التعليم الطويلة ، وبجفاف الدروس ، فيحولون المدرسة الى هجمات شرسةومشاغبات ، دون أن يهمهم ان ينزل بهم العقاب ، أو ان يطردوا تماماً من المدرسة التى يكرهونها ولا يؤمنون بها .

والتطور الثانى الذى طرا على المجتمع ازدياد نسبة الطلاق فى العائلات الامريكية مما يؤدى الى نشاة العديد من التلاميذ فى بيت ليس به الا احد الوالدين ، الأب أو الأم ، فيحس التلميذ من بداية حياته أن هذه الحياة غير كاملة ، وان النقص يصيبها منذ البداية ، فيخرج وهو يحس بان المجتمع الذى ينتسب إليه هو مجتمع ناقص أو معيب .

وقد طرا على المجتمع الامريكى عنصر ثالث هو ازدياد نسبة وجود الفتاة فى المدرسة . فالتلميذ الذى لم يكن يسمح له بالاقتراب من الجنس الآخر الا بمقدار وتحت اشراف ورقابة ، أصبح يجد الفتاة معه فى الفصل وساحة اللعب ، وعربة النقل العام ، وهو تطور بالغ الأثر فى اتجاه التعليم ومسلك الفتيات والفتيان ، وضخامة المسئولية الملقاة على الأساتذة والاداريين .

وانتهت اللجنة إلى ان التعليم الامريكى مهما قيل فيه ، فانه مزدهر . فعدد التلاميذ فى الولايات المتحدة الذين يتمون تعليمهم الثانوى ويدخلون الى الجامعة كان فى سنة ١٩٦٠ ثلاثة ملايين ، وهو اليوم إثنا عشر مليونا ، وما تنفقه امريكا على الطالب هو ضعف ما تنفقه أوروبا واليابان على التلميذ فيهما، وعشرة أضعاف ما تنفقه الدول المتقدمة فى آسيا ،وأكثر من ذلك بكثير فى العالم الثالث ، وتزويد الطالب بالمعارف غير النظرية ورعاية قدراته العملية ، والعناية بمتطلبات مديري المصانع والمزارع ، فى تصاعد مستمر .

فاذا كانت هناك شكوى بصفة عامة من ان الطلاب الذين ينجحون فى الامتحانات الاكاديمية التى تؤهل التلميذ الى دخول الجامعة قد هبطت نسبتهم الى ٤٠٪ من راغبى اللحاق بالجامعات ، كما ان نسبة الطلاب الذين لا يتمون تعليمهم الثانوى تزداد بازدياد حالات الشعب التى اصبحت شبه سائدة فى المدارس والمعاهد ، فمرد ذلك كله إلى تطورات المجتمع التى جعلت القلق عنصراً بارزاً فى حياة الناس . وفى مقدمتهم الشبان والصبيان وتلاميذ المدارس . وعلاج ذلك كله يرجع الى جهات غير جهات التعليم ، كالمشرعين ورجال الكنيسة ورجال الاتصال بالجماهير .

فتحى رضوان

علي بابا

قصة عربية لا أرمنية ولا تركية

بقلم: محمد فهمي عبد اللطيف

منذ ان قام المستشرق الفرنسى « انطون جلان » بترجمة قصة « علي بابا » على أنها من قصص « ألف ليلة وليلة » ، راج الاعتقاد بين عامة المستشرقين بأنها من الخرافات التى لها عناصر فى الشرقين الأدنى والأقصى .. فقرر بعضهم انها قصة تركية ، وآخر بأنها أرمنية ، وأغرب فريق ثالث ، فزعم أنها ترجع الى أصل صينى .

وفى كتاب صدر أخيراً بالفرنسية لميشيل جاك ، الباحث المهتم بالمجال التاريخى الذى تكونت فيه عناصر قصص العجائب والغرائب ، كافح المؤلف كفاحاً علمياً كبيراً فى تلمس العناصر الأولية لقصة « علي بابا » فى مملكة اراراتو واثبات كونها قصة أرمنية .

ولكن الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ينتصف للخيال الشعبى العربى ، ويرد الحق لأهله بهذه المقالة الممتعة ، مبيناً أن الخيال العربى الذى ابدع « علي بابا » وغيرها من القصص قد اتخذ من الواقع فى العصر العباسى أساساً لبناء وجمع عناصر هذه القصة .. لمعالجة قضية الصراع بين الخير والشر .

صدر أخيراً باللغة الفرنسية كتاب جديد عن « الف ليلة وليلة » من تاليف « ميشيل جاك » وهو صحفى اختص بكتابة التحقيقات عن الأحداث التاريخية المثيرة ،

والملاحم الشعبية القديمة ، وقد كتب زهاء عشرين تحقيقاً عن قصص الغرائب والعجائب فى « الف ليلة وليلة » عنى فيها بصفة خاصة بالبحث عن مشاكل القصة ،

والمجال التاريخى الذى تكونت فيه عناصرها ، ثم تناقلتها الالسنة ، وتداولها الرواة من مكان الى مكان حتى أصبحت حديث الشعوب ، وسمر الجماعات فى مختلف البيئات ، ومن القصص التى تناولها الصحفى الباحث بهذا الأسلوب التحقيقى « قصة علي بابا والأربعين حرامى »

القصة باختصار

وقصة على بابا قصة مشهورة فى المجتمع المصرى ، وقد عاش القصاص الشعبى يرددها على آذان الجماعات الشعبية فى المقاهى والمجالس ردحاً طويلا من الزمن وهى موضع الحظوة والشغف عند السامعين ، ومجمل القصة أن علي بابا كان رجلا حطاباً فقيراً طيب القلب ، وكان له شقيق اسمه «قاسم» غنى بالمال ، وفى سعة من العيش ، ولكنه كان شحيح النفس جشعاً طماعاً ، وفى يوم لم يجد علي بابا القوت لأهل بيته ، فأرسل زوجته الى شقيقه تسأله أن يعطيهما مكيالا من قمح أو عجنة من دقيق ، وتولت زوجة شقيق على بابا الرد فرفضت قائلة : ليس عندنا قمح ولا دقيق ، ثم قالت ساخرة : وإذا كان عندنا واعطيناكم فمن أين تردونه لنا وأنتم دائماً فى حاجة وعوز ؟!

وعادت زوجة علي بابا مكسورة الخاطر تحمل الجواب الأليم الى زوجها ، فصبر الرجل على ما هو فيه من الشدة ، وأخذ حبله وخرج ليحتطب كعادته ، إلا انه فى هذه المرة أوغل فى شعاب الجبل حتى يستطيع أن يجمع أكبر قدر من الحطب ليسد حاجته ، ولكنه فوجىء على طريق الجبل بمنسر كبير من اللصوص ، فاسرع واختبأ فى جذع شجرة وهو يختلس النظر اليهم ، فرأى زعيم اللصوص يقف أمام صخرة على باب كهف وينادى بصوت مرتفع : افتح ياسمسم ، فانفرجت الصخرة ودخل اللصوص الى كهف عميق وراء الصخرة ، ووضعوا ما كان معهم من أحمال وخرجوا ، ثم وقف زعيم اللصوص أمام

الصخرة ونادى بصوته الحازم المرتفع : اقفل يا سمسم ، فتحركت الصخرة وأغلقت باب الكهف فى أحكام . وعاد اللصوص من حيث أتوا على طريق الجبل ..

ودفع حب الاستطلاع علي بابا لمعرفة الحقيقة فى أمر هؤلاء اللصوص ، وفى هذه الصخرة التى تتحرك على باب الكهف ، وكان علي بابا قد حفظ الكلمة التى نادى بها زعيم اللصوص : فوقف أمام الصخرة كما وقف وقال : أفتح يا سمسم .. وظهر أنها كلمة السر . فانفرجت الصخرة ، ودخل فاذا به فى مغارة عميقة مملوءة بالجواهر والذهب وتملكته الدهشة مما راى ، ونظر الى ناحية من المغارة فوجد أكواماً من العملات الذهبية التى يستخدمها الناس فى شراء القوت وما يحتاجون اليـه من مطالب المعاش ، وتحركت فى دخيلته الحاجة الى هذه العملات لشراء القوت ، فوضع الغرارة التى كان يحملها ، وعبا فيها من هذه العملات بقدر ما يحمل ، ثم حملها على ظهره ، وخرج ووقف امام الصخرة ، ونادى بكلمة السر ، فعادت الصخرة إلى مكانها ، وأغلقت الكهف وكان شيئاً لم يحدث ..

وعاد على بابا الى زوجته بما يحمل من العملات الذهبية الوهاجة ، وفزعت الزوجة مما رأت ذهولا ودهشة ، وجلست لتحصى الذهب ولكنها وجدته شيئاً كثيراً لا يحصى عدداً ، فذهبت الى قاسم شقيق زوجها لتستعير منه مكيالا تكيل به النقود ، ولكن زوجة قاسم شكت فى الأمر ، وتساءلت فى نفسها : ماذا يكون عندهم من الحبوب أو الدقيق ليكيلوه وهم لا يجدون القوت ؟ ولأجل أن تعرف الحقيقة ألصقت فى قاع المكيال من الداخل قطعة من العجين لتعرف ما يلصق بالعجين ، أى نوع من الحبوب عندهم أو الدقيق ، ولما أعادت زوجة على بابا المكيال اليها كانت الحيلة قد نجحت ، إذ لصقت بالعجين قطعتان ذهبيتان ، فاخذها العجب والدهشة ، ونادت على زوجها قاسم واطلعته على السر وتساءلت من أين لهم هذا الذهب الذى يكال بالكيل ، وهم لا يجدون القوت ، فلابد ان يكونوا قد عثروا على كنز من الذهب .

وتحركت نوازع الجشع فى نفس قاسم ، واخذ بلبه بريق الذهب الذى لا يحصى عدداً ، وغمه أن يصبح شقيقه الفقير المعدم أكثر منه مالا وغنى ، فتوجه الى شقيقه وساله عن سر هذا الذهب الكثير الذى يكال بالكيل ، وقص على بابا الرجل الطيب على شقيقه قاسم القصة بتفاصيلها . دله على الكهف والصخرة وكلمة السر ، وحكى له حكاية المنسر وشبحه ، وانطلق قاسم وهو يطير فرحاً ، ولكنه لم يذهب الى الكنز وحده بل اخذ عدداً من الدواب وعليها الغرائر والأخراج ليحمل فيها الجواهر والذهب ، وذهب الى الجبل فى الوقت الذى يذهب فيه المنسر ، ووقف أمام الصخرة ونادى بكلمة السر ، فانفرجت الصخرة ودخل الى مغارة الذهب والجواهر ، فاخذ ينهبها نهباً ، وكانه يريد أن يحملها كلها ، وافقده الذهب صوابه فنسى كلمة السر عند الخروج ، وبقى سجيناً فى المغارة ، وعاد اللصوص على عادتهم الى المغارة بما جلبوا من سرقات الذهب والجواهر ، فرأوا العبث بكنوزهم ، ووجدوا قاسماً داخل المغارة ، فانهالوا عليه طعناً حتى قتلوه ومزقوا جثته .

وطالت غيبة قاسم وساور علي بابا القلق على مصير شقيقه ، فخرج الى الجبل يبحث عنه ، فوجد جثته ممزقة اشلاء عند المغارة ، فادرك السر فيما يجرى ، وجمع أشلاء أخيه الممزقة وحملها سراً الى إسكافى فخاطها ، وأعاد الجثة الى هيئتها حتى يدفن اخاه بطريقة لائقة أمام الناس ، حتى لا يعرف احد السر فى تمزيق جثته ، وعندما عاد اللصوص الى مغارتهم لم يجدوا أشلاء الجثة ، فساورهم الشك والقلق وخافوا أن يكون أحد من الناس قد وقف على سر مغارتهم ، وانطلقوا يستمعون أحاديث الناس حتى وقفوا على الاسكافى الذى خاط الجثة فافضى اليهم بكل شىء ، ودلهم على منزل علي بابا الذى حملت اليه الجثة بعد أن خاطها ، فرسم اللصوص على باب المنزل «صليباً» ليعرفوا به المنزل عند العودة اليه ، ثم انصرفوا وقد بيتوا فى أنفسهم أمراً ..



علي بابا

قصة عربية لا أرمنية ولا تركية

ورأت «مرجانة» جارية علي بابا «الصليب» مرسوماً على باب المنزل ، فاسرعت بازالته لان الصليب على باب رجل مسلم أمر منكر ، ومع هذا فقد عاد اللصوص وعرفوا منزل علي بابا ، وتخفى زعيمهم فى زى تاجر زيت وطلب من علي بابا الضيافة وهى واجب مقدس عند العرب ، ففتح له علي بابا منزله مرحباً ، ووضع زعيم اللصوص فى فناء المنزل تسعة وثلاثين زيراً قال إنها مملوءة بالزيت حتى لا يحركها احد أو يقرب منها ، ولكنها فى الواقع كانت تحتوى على تسعة وثلاثين لصاً كل منهم مدجج بسلاحه لتنفيذ المؤامرة فى الوقت المقرر ، وساور «مرجانة» حب الاستطلاع فاخذت تتبين ما فى الازير، وسرعان ما ادركت السر ، وعرفت انها خدعة فجاءت بماء مغلى واخذت تصبه فوق اللصوص حتى أهلكتهم الواحد بعد الآخر ، ولم ينج إلا زعيمهم ..

ولم ييأس زعيم اللصوص ، واصر على قتل «مرجانة» ، فعاد مرة ثانية متخفياً فى زى آخر الى منزل علي بابا وطلب الضيافة ، ورحب به علي بابا كعادته ، وبعد أن استقر المقام بزعيم اللصوص طلب أن يراقص مرجانة رقصة الخناجر وكان فى نيته ان يغدر بها ، وقبلت مرجانة الطلب على الرغم من انها أدركت السر فى هذا الطلب الغريب ، وفى أول جولة من الرقص اسرعت واغمدت الخنجر فى قلب زعيم اللصوص فخر صريعاً لوقته ، وتقول القصة ان علي بابا تزوج من مرجانة مكافاة لها على ما صنعت ، وفى نص آخر من القصة إنه زوجها لابنه ، لأن علي بابا الرجل الطيب لم يشأ أن يفارق زوجته التى شاركته شظف العيش ، وعاشت معه الأيام التى كان لا يجد فيها القوت ..

.. ليست من ألف ليلة

هذا هو مجمل قصة علي بابا التى راجت فى المجتمع المصرى ، والمجتمع العربى عامة ، كما راجت فى المجتمع الأوربى ، وكانت بما تتضمنه من المفاجات والمفارقات والصراع بين الخير والشر ، معيناً فنياً يلهم الكتاب الأوربيين فاخرجوها فى السينما ، واقتبسوا منها للمسرح ، واستلهموها فى كتابة القصص الفنى ، وتناولها عدد من المستشرقين بالبحث والدراسة ضمن ما تناولوه من قصص الف ليلة وليلة .

وقصة علي بابا فى الحقيقة ليست من ليالى الف ليلة وليلة كما يتوهم بعض الباحثين ، ولكنها قصة مستقلة ، وقد وصلت الى يد المستشرق الفرنسى «انطون جلان» مع بعض القصص الاخرى مثل قصة علاء الدين والمصباح المسحور ، وكان «جلان» يقوم بترجمة الف ليلة وليلة فوجدت اقبالا لا مثيل له ، واخذ ناشر كتبه يستحثه على الترجمة لهذا القصص الباهر فترجم قصة «علي بابا والاربعين حرامى» ، وقصة علاء الدين والمصباح المسحور ، وغيرهما من القصص على انها من قصص الف ليلة وليلة ، ومن هنا راج الاعتقاد بين عامة المستشرقين بأن قصة علي بابا من قصص الف ليلة ولياليها ، ولما تناولوا قصص الف ليلة بالدراسة ، وقسموها الى طبقات واقسام حسبوها من قسم الخرافات التى لها عناصر فى القصص الواردة من الشرق الأقصى .

.. ولم يبدعها الأتراك

وبعض المستشرقين يقرر أن قصة علي بابا قصة تركية ، ويستدل على هذه الخرافة بان اسم علي بابا تركى ، وهو يطلق على الاب وعلى الجد وعلى كبار السن ، ولست أدرى لماذا لم يقل إن القصة فارسية ، فان اسم علي بابا شائع كذلك بينهم ، والأمر على العكس عند الترك فان اسم علي نادر بينهم ، كما أن كلمة «بابا» تسبق الأسم دائماً عند الترك على عكس الوضع فى الفارسية ، ثم إن الأتراك يطلقون كلمة بابا عادة على شيوخ الصوفية ودراويش التكايا ، وكان آخر دراويشهم فى مصر بابا سرى شيخ البكطاشية .

.. وليست صينية

والأغرب من هـــذا كله أن بعض المستشرقين يزعم أن القصة ترجع الى اصل صينى ، وانها ذات صلة بقصة الأربعين وزيراً ، وبقصة الشقيقين والخمسة والأربعين – تنينا ، والذى اغراهم بهذا الزعم المشابهه فى عـــدد الأربعين المذكور فى هاتين القصتين وقصة علي بابا ..

ثم جاء المستشرق البريطانى « ادوين بالمر » الذى ذبحه عرب سيناء وهو يعمل جاسوساً للاحتلال البريطانى أيام الثورة العرابية ، فقال إنه عثر على قصة علي بابا فى سيناء ، وفى رأيه انها قصة سينية أو سينائية ، ولكنه لم يذكر لنا هل وصلت القصة الى سيناء من اى جهة ، أو ان سيناء كانت منشاها الذى نشات فيه .

أهى أرمنية

أما ميشيل جاك فيقول ان القصـــة أرمنية ، ويحدد مجالها التاريخى فى مملكة الأراراتوا القديمة ، وهى مملكة ازدهـرت حضارتها فى القرن العشرين قبل الميلادى وكانت تقع فى بلاد أرمينيا والاناضول حيث يقوم جبل أرارات الذى تقول التوراة ان سفينة نوح رست عليه ، ولاتزال منها الى اليوم بقايا حصون وقلاع واطلال مكان « فوشـــبا » عاصمتها و « توبراكال » اعظم مدنها فى اقصى جبال طوروس شرق الأناضول ، وميشيل جاك ينظر إلى قصة علي بابا كما ينظر إلى قصص الف ليلة وليلة الحافلة بكنوز وأكوام الذهب والفضة والاحجار الثمينة المخبوءة بعد سرقتها من القبور القديمة والكهوف التى تحرسها الطلاسم السحرية ، ويقول أن منطقة ارارات غنية بالمغارات والكهوف والتجاويف المنحوتة فى الجبال والصخور ، وكانت مدينـــة «توبراكال» تعرف عند سكانها باسم « ريمزيم داج » ، اى جبل السمسم ويتعلق ميشيل جاك بهذا الأسم على انه مفتاح القصة ، ويفسر به كلمة السر فى قصة علي بابا ، وهى كلمة افتح يا سمسم ..

قصة الراعى والمغارة

ثم يقول إن الحفريات الحديثة كشفت عن صفوف من الجرار الكبيرة كان السكان يخزنون فيها الحبوب والنبيذ ، وهذا فى رأيه مما يفسر لنا وجود الجرار التى اختبأ فيها اللصوص الأربعون الذين تآمروا لقتل علي بابا ، ثم يواصل ميشيل جاك الحديث فيسهب فى وصف ما كان فى المنطقة من كنوز الذهب المدفونة والمخبوءة فى الكهوف

والمغارات ، وما كان من عمل اللصوص فى نهب هذه الكنوز وسرقتها ويقول : إن جبل «فان» ذا المنحدر الصخرى للعاصمة توشبا يوجد فيه باب وراءه غرف وابهاء تحت الأرض يعتقد السكان أن المردة والعفاريت يسكنونها ، ثم يروى أسطورة قصها فلاح على احد رجال الآثار تقول : ان احد رعاة الغنم نام فى يوم بجوار هذا الباب وسمع هذه الصيغة السحرية لفتح الباب ، ورأى فى المغارة التى وراءه كنوزاً وثروات لا تحصى ولا تعد ، ثم استيقظ الراعى من النوم ، ونادى بالكلمة المسحورة فانفرجت الصخرة ، ودخل فى المغارة ولكنه أصيب بذهول من روعة ما رأى من الذهب والجواهر فنسى كلمة السر ، ولم يجد منفذاً للخروج .

والحق أن ميشيل جاك كافح كفاحاً علمياً كبيراً فى تلمس العناصر الأولية للقصة فى مملكة أراراتو ، واثبات انها قصة ارمنية . ولكنا نسال بعد هذا : هل القصة ارمنية حقاً كما زعم ميشيل جاك ، أو تركية او صينية كما زعم غيره من المستشرقين ، او أنها نبتت فى وطن اخر ومن صنع شعب آخر هو شعب مصر ..

إن القصاص الشعبى لا يخلق قصة من العدم ، ولا يجيش خياله بقصة فى غير مناسبة ، وانما لابد من المناسبة التى تحرك خياله ، وتهز مشاعره ، فيبحث عن واقعة تاريخية تتفق فى جوها مع هذه المناسبة التى تثيره وتحفزه للحديث ، ومن الواقع التاريخى الملائم والمثير يبدأ القصة ، ولكنه لا يلتزم بهذا الواقع مكاناً وزماناً ، وأحداثاً واشخاصاً ، انه يتخذ منهم اساساً للبناء ، ولجمع العناصر التى تلائم القصة ، ولكنه بعد ذلك ينسلخ من هذا الأصل التاريخى انسلاخاً تاماً ، وينطلق مع خياله فيذهب الى مكان غير المكان ، ويخلق أشخاصاً غير الأشخاص ، انه يقصد الى التعبير والتصوير لمفهوم آخر أثارته فى نفسه احداث ذلك الواقع التاريخى ، ولكنه على اى حال ليس هو ذلك الواقع التاريخى ، وهكذا صنع القصاص الشعبى فى قصة علي بابا والأربعين حرامى .

خلفية القصة العربية

والواقع التاريخى لقصة علي بابا كان فى مصر ، وأصل مبعثها ومجالها فى أرض النوبة على حدود مصر ، ومعناها أرض الذهب ، وكان علي بابا ملكاً على النوبة وبلاد البجة ، وهى تشمل الاقليم الواقع بين البحر الأحمر والنيل والممتد جنوباً الى بلاد الحبشة ، وكانت هذه البلاد ذات ملك مستقل من قديم الزمن ، ولكنها كانت فى غزوات وحروب مستمرة مع الفراعنة والرومان نظراً لما فى ارضها من معادن الذهب والزمرد حتى كانت تعرف بارض المعادن ، وقد سكن فى تلك البلاد خلق من العرب من ربيعة ابن نزار ، وتزوجوا فى البجة وقويت البجة بهم ، ولما دخلها الاسلام فى إمارة عبد الله بن أبى السرح على مصر سكن فيها جماعة من المسلمين بخاصة فى بلاد معدن الذهب ، والعلاقى وعيذاب .

علي بابا ملك البجة

وكانت البجة فى صدر الدولة العباسية خاضعة للخليفة العباسى ، وتؤدى للخليفة خراجاً معلوماً كل عام ، ولكن ملكهم علي بابا أعلن العصيان على عهد الخليفة المتوكل ، وقطع ما كان يؤديه الى بغداد من خراج ، ومنع المسلمين الذين كانوا يعملون فى معادن الذهب والزمرد ، وتطاول البجة فى غاراتهم على صعيد مصر ، حتى اجفل أهل الصعيد من بلادهم ، ولما رأى عنبسة بن اسحاق والي مصر أن خطرهم قد تفاقم بعث بامرهم الى الخليفة المتوكل ، وجمع المتوكل أهل الرأى للمشاورة فاقنعوه بان الوصول الى بلاد النوبة أمر عسير جداً ، لأن بينها وبين بلاد المسلمين مغاور موحشة وجبالا مستوعرة ، وأهل البجة أهل شراسة ، وقد يكون فى الخروج اليهم الهزيمة ، ففترت عزيمة المتوكل عن ارسال جيش لحرب النوبة .



ولكن القائد محمد بن عبد الله القممى طلب أن يخرج اليهم على أن يكتب للخليفة الى والى مصر ليتولى تجهيزه بالرجال والخيل والجمال وما يحتاج اليه من الأسلحة والأزواد والاموال ، وأن يوليه صعيد مصر يتصرف فيه كيف يشاء فاذا انتصر فهو نصر للخلافة ، والغرم كله على مصر ، فكتب له الخليفة بما طلب ، وجاء ابن القممى الى عنبسة والي مصر بكتاب الخليفة فقام له بكل ما طلب ، وأمده بسبعة آلاف مقاتل ، كما جهز له سبع سفن من ساحل السويس محملة بالامدادات من المؤن والعتاد لتكون فى مساعدته اذا ما وقعت الواقعة .

ووقعت بين محمد بن القممى والبجة معارك ووقائع ، .. واخيراً تغلب عليهم وهزمهم هزيمة منكرة ، فتقدم علي بابا الى محمد بن عبد الله القممى وطلب الأمان على أن يعود الى طاعة الخليفة وأن يقدم له ما قطعه من الخراج خلال أربع سنوات ، وأن يقيم على العهد الذى قطعه من قبل .. فبذل له محمد الامان ، وخلع عليه وأكرمه ثم شرط عليه أن يتوجه معه الى بغداد ليطأ بساط الخليفة المتوكل وليدخل فى طاعته وليفوز منه بالأمان ، فامتثل علي بابا للأمر ، وولى مكانه ابنه (ليعيش بابا) ، وجاء الى القاهرة فاستقبله الوالي عنبسة بالحفاوة ، واحاطه بالاكرام ، ثم خرج به محمد بن القممى الى بغداد واحضره بين يدى الخليفة المتوكل وأمره الحاجب أن يقبل الأرض بين يدى الخليفة فامتنع ، فغضب الخليفة وعزم على قتله ، وقال له : انك تحمل صنماً من حجر أسود تسجد له كل يوم مرتين ، فكيف تابى تقبيل الأرض بين يدى واحد غلمانى قد قدر عليك ، وعفا عنك فلما سمع علي بابا ذلك قبل الأرض ثلاث مرات ، فعفا عنه المتوكل ، وافاض عليه الخلع وأكرمه وأعاده الى بلاده ..

العناصر النوبية للقصة

هذا هو الواقع التاريخي لقصة علي بابا فالقصة ليست تركية كما زعم بعض

علي بابا

قصة عربية لا أرمنية ولا تركية

المستشرقين وكل حجتهم في ذلك ان بابا من الاسماء الشائعة في التركية ، ولكنها قصة مصرية بواقعها التاريخى ، فان علي بابا كان ملكاً على بلاد النوبة والبجة ، وكانت له مع مصر احداث كما رايت وكل العناصر التي قام عليها كيان القصة انما هي من تلك البيئة ، فالذهب كانت النوبة بلاده ومناجمه ومغارات الجبال والكهوف كثيرة في تلك البلاد ، ولصوص الذهب والكنوز

لهم قصص كثيرة في الصعيد الاعلى والنوبة ، والجرار او على الاصح الازيار التي اختبا فيها اللصوص مازالت الى اليوم تصنع في تلك البلاد كبيرة لخزن الحبوب والصغيرة لغير الحبوب ، ورقصة الخناجر هي الرقصة الشعبية لرجال البجة ولهم فيها مهارة وبراعة ، اما اختباء اللصوص في الجرار او الازيار فقد نقله القصاص الشعبي عن قصة الزباء وجزيمة بن الابرش عندما دخل الفرسان الى قصره

محملين في غرائر على الجمال ، وبقيت كلمة السر وهي من الطلاسم التي تستخدم في جميع القصص الشعبي لفتح المباني والاواني المسحورة ، والسمسم والسمسمان في اللغة العربية هو الخفيف اللطيف السريع الحركة ، فكان حين يقول : افتح ياسمسم يعني افتح بسرعة ..

قصة صراع الخير والشر

على أن قصة علي بابا ليست قصة الذهب الذي يتكدس اكواماً ، وليس مفهومها هو ذلك الكنز العظيم الذي ظفر به علي بابا في مغارة الجبل كما زعم ميشيل جاك ، ولكنها قصة الصراع بين الخير والشر ، الصراع بين الخير الاعزل ينتصر بنوازعه الطيبة ودوافعه الانسانية ..

والشر المدعم بالقوة والمال ولكنه يندحر بقوته وجبروته وطغيانه ، هذا هو المفهوم الذي أراد القصاص الشعبي تصويره وابرازه في قصة علي بابا ، فالذهب لم يكن إلا عنصر الصراع ومادته وموضع الاثارة

فيه ، اعني الصراع بين الخير والشر ، ثم تتابع احداث الصراع ومواقفه في القصة بشكل غير مالوف ، اي مدهش ، كما هو الأسلوب المثير في كل قصة ، وفي النهاية ينتصر الخير على الشر ..

والصراع بين الخير والشر هو قصة الحياة للناس ، وهو من المعاني الشائعة في القصص الشعبي عند كثير من الامم ، واكثر ما يكون شياعاً في قصصنا الشعبي ، وفي كثير من الحوادث والحكايات والاعمال المصرية ، وهناك قصة يتداولها ابناء القرى في ريف مصر تتفق في صورتها وفي مفهومها مع قصة علي بابا .

وفي رواية أخرى ..

وتقول هذه القصة ان فلاحاً فقيراً ضاقت به الحال ولم يجد القوت لاولاده ، وكان له اخ



صاحب ثراء ومال وزرع وماشية ، ولكنه لا يفعل الخير ابداً ، فارسل الرجل الفقير زوجته الى اخيه هذا تساله ان تعطيهم كيلتين من القمح لاطعام العيال ، وان يردهما اليه عند موسم الحصاد ، واسرعت زوجة اخيه وقالت :

ليس عندنا قمح ، واذا كان عندنا واعطيناكم فمن أين تردونه الينا وليس لكم زرع ولا قلع ..

وعادت الزوجة حزينة واخبرت زوجها بما حصل فاسلم الرجل امره لله ، وكانت عنده عجلة يقوم على تربيتها حتى تكون جاموسة يجد منها ابناؤه ما يبل رمقهم من اللبن ، فعول على أن يبيعها ليشتري من ثمنها قوتاً لاولاده ،

وفي اليوم التالي اخذ العجلة وخرج مبكراً مع نور الفجر من القرية متوجها الى السوق ، وفي منتصف الطريق جلس يستريح تحت شجرة ووضع كومة من البرسيم امام العجلة ، فاخذته سنة من النوم ، ولكنه استيقظ فوجد نفسه ومعه عجلته تحت الارض بين ناس يبدون فى اشكال غريبة ، وعلى الفور اخذوا العجلة وذبحوها ، وصنعوا وليمة فاخرة ودعوا الرجل لياكل معهم ، وكان الرجل جائعاً وبه قرم الى االحم فاقبل واكل في شهوة وتقبل للطعام ثم حمد الله ،

وبعد الوليمة اقاموا حلقة ذكر وطلبوا منه أن ينشد على الذكر فقبل ، ولم يكن الرجل يحفظ من الكلام ما ينشده ، ولكنه نظر الى حالته وما هو فيه فانطلق في انشاده يقول : يجي يوم اسود من يوم ، واخذ يردد هذه الجملة في انشاده والذاكرون يطربون ويظهرون سرورهم ، حتى اذا ما انتهى الذكر نادوا عليه ، ثم احضروا غرارة ووضعوا فيها من جنيهات الذهب بقدر ما يستطيع الرجل ان يحمل ، ثم طلبوا منه أن يغمض عينيه فاغمضهما ، ولم يلبث ان راى نفسه بغرارة الذهب على سطح الارض في نفس المكان الذي كان يجلس فيه مع عجلته تحت الشجرة .

وحمل الرجل غرارة الذهب الى زوجته ، فطارت من الفرح والسرور ، وسالته عن مصدر الذهب فروى لها القصة .

ثم ارادت الزوجة ان تقدر الذهب الذي لا يعد لكثرته فذهبت الى دار شقيق زوجها وطلبت من زوجته أن تعيرها الكيلة لتكيل

بها حبوبا اشترتها ، ولكن الزوجة اصرت بدافع الفضول ان تعرف صنف الحبوب التي عندهم ، وهل هي قمح او شعير او ذرة فوضعت في قاع الكيلة قطعة من العجين حتى يعلق بها شيء من الحبوب التي ستقوم بكيلها فتعرف الصنف ، ونجحت الحيلة ، فلما اعادت المراة الكيلة وجدت زوجة الاخ جنيهين من الذهب علقا بالعجينة ، فذهبت الى زوجها واخبرته الخبر وشارك الرجل زوجته فى الدهشة والعجب ان يكون عند اخيه ذهب ، وفي نفس الرجل شراهة الى المال ، فذهب الى شقيقه علي بابا الرجل الطيب وساله عن قصة الذهب ، فروى له القصة بكل تفاصيلها في صدق وامانة .

ورجع الرجل الى زوجته واطلعها على القصة ، فعولا على ان يصنع الرجل ما صنع شقيقه ، فاخذ جاموسة اكتنزت لحما وخرج الى السوق في الوقت الذي خرج فيه شقيقه ، وفي منتصف الطريق جلس عند نفس الشجرة ، ولم ياته النوم ، فتصنع النوم ، وراى نفسه والجاموسة تحت الأرض مع الناس الذين كان شقيقه معهم وذبحوا الجاموسة وصنعوا الوليمة وطلبوا منه ان ياكل معهم ولكنه اعتذر بانه شبعان وان اللحم في بيته كثير ، واقاموا الذكر وطلبوا منه ان ينشد ، فقام للانشاد ولكنه قال في نفسه ان شقيقه قال : يجيء يوم اسود من يوم فاكرموه بالعطاء ، فلابد ان يقول هو : يجيء يوم احسن من يوم ، وتمايل الذاكرون في الذكر ، وبدا عليهم الملل والاشمئزاز من كذب الرجل فى انشاده ففضوا الذكر وضربوه علقة ،وجاءوا بغرارة وملاوها بقشر البصل وعظام الجاموسة وطلبوا منه ان يغمض عينيه فاغمضهما ، ثم وجد نفسه على سطح الأرض بالغرارة ، وعاد الى زوجته بالغرارة ، وانما عاد بالخيبة والتعاسة .

هذه هي القصة التي يتناقلها ابناء القرى فى مصر ، وهي صورة طبق الاصل من قصة علي بابا ولكن بدون المغارة والجبل واللصوص ، على اننا لا ندري هل اعتمد القصاص الشعبي في صياغة القصة الريفية ، أو ان القصة الريفية كانت تقترا من الآثار التي تركتها قصة علي بابا في المجتمع المصري ، ولكنها تلونت بلون البيئة الريفية التي ليس فيها مغارات ولا جبال ولا لصوص لكنوز الذهب ولا تعرف رقصة الخناجر .. والواقع ان هناك قدراً مشتركاً كما قلت من قبل من التشابه بين القصص الشعبي الموغل في القدم يستطيع به الباحث أن يفصل فيه بالاسبقية لاية قصة من هذا القصص .

رواية عربية ثالثة

وعلى اى حال فان قصة علي بابا قد تركت آثارا واضحة فى المجتمع المصرى ، فقد ظهرت هذه القصة فى صور اخرى بين طائفة الدراويش واهل الطريقة الرفاعية ، وهى القصة المشهورة بقصة الشيخ « ابو شباك » .

وتتلخص هذه القصة فى أن أربعين لصاً من خارج مصر اتفقوا فيما بينهم على ان يتنكروا فى زى الدراويش وان ينتسبوا للطريقة الرفاعية التى يقيم شيخها السيد احمد الرفاعى فى بطائح العراق ، ثم يدخلوا الى مصر لسرقة التجار المصريين وقتل والى مصر ..

ودخل الدراويش أو اللصوص الاربعون مصر ، واخذوا يسطون فى الليل على المتاجر ويسرقون التجار ويخبئون سرقاتهم فى « برج الظفر » وفى النهار يتظاهرون بالصلاح والتقوى والدروشة ، وضج التجار بالشكوى من كثرة السرقات وساورهم الشك فى هؤلاء الدراويش .. ولكنهم لم يستطيعوا أن يعلنوا ذلك ، وفكروا فى وسيلة يكشفون بها الحقيقة ، فاتفقوا فيما بينهم على ان يقيموا وليمة كبيرة لاولئك الدراويش يكون اللحم فيها من لحوم القطط والكلاب ، فاذا ما عرف الدراويش انها لحوم قطط وكلاب وامتنعوا عن اكلها كانوا دراويش وأولياء حقاً ، والا فهم لصوص

ولما كان الشيخ احمد الرفاعى شيخ الطريقة الرفاعية عالما ومتصلا ، فقد علم بامر الوليمة ، وخشى ان يلطخ هؤلاء الدراويش سمعة الطريقة الرفاعية اذا ما انكشفت حقيقتهم فارسل ابن شقيقته الشيخ على الرفاعى الى مصر لانقاذ سمعة الطريقة ، ودخل الشيخ علي الذى اشتهر بعد ذلك باسم « أبو شباك » الى المادبة التى اعدها التجار للدراويش .. وقبل ان يمد الدراويش أيديهم الى الطعام سألهم التجار من نقيبكم فاجاب الشيخ علي : انا النقيب ، وجاء التجار باللحوم لياكل الدراويش .. فصاح الشيخ علي ابو شباك : « بسك بسك قوم انت وهو باذن الله » ، فقامت القطط تموء والكلاب تنبح .

والتفت الى الدراويش والتجار وقال : ان هؤلاء الدراويش هم اللصوص الذين سرقوكم وقد جاؤا الى مصر لتخريبها وقتل واليها ، وقد قذف بى السيد احمد الرفاعى من الشباك الى هنا لانجى مصر من شرهم ، ولارد اليكم المسروقات وهى مخباة فى برج الظفر ومن يومها اصبح الشيخ على الرفاعى ابو شباك نقيب الطريقة الرفاعية فى مصر ، اما الدراويش او اللصوص الأربعين فقد تابوا وصاروا أولياء ، ومن هنا انتشر فى البيئة المصرية لقب الشيخ الأربعين ..

كلها ابداع عربى

فالقصص الثلاث كما ترى ـ قصة علي بابا ـ وقصة الفلاح فى القرية وقصة الرفاعى أبو شباك ـ تبدو فى صورة واحدة ونسق متفق .. ولكنها تختلف فى الاعتماد على القوة المتسلطة التى تحل عقدة القصة وتسير احداثها ، فهى فى قصة علي بابا الطلسم والشعار السرى : افتح يا سمسم ، وهى فى قصة الفلاح الجن الذين كانوا تحت الأرض ، اما فى قصة الشيخ ابو شباك فهى الولاية والكرامة الأولياء الواصلين أصحاب السر الباتع ، وهذا يفسر لنا اختلاف العقائد فى القوة الخارقة المتسلطة بين المجتمع بين طوائف المجتمع المصرى ، وكيف تختلف هذه العقائد باختلاف البيئات ووضع الطوائف فى هذا المجتمع هى عقائد لا تزال متمكنة من النفوس الى اليوم .

ولم يقف الأثر الذى تركته قصة علي بابا على المجتمع المصرى .. بل تجاوزه الى أوربا ، فقد عاد الصليبيون بعد ان انتهت دولتهم فى فلسطين الى بلادهم يحملون عشرات بل مئات القصص الشعبى مما كان ذائعاً فى مصر وغير مصر ، ومنها قصة على بابا ، وقد سجلها « الأخوان جريم » فى المجموعة الضخمة التى جمعاها من الحكايات الشعبية التى كانت شائعة فى منطقة الرين بالمانيا ، وهى تعرف عندهم باسم حكاية « جبل سمسمى » أو جبل سميلى وهى تتفق فى الصورة تماماً مع قصة علي بابا ، ولكن عدد اللصوص فيها اثنا عشر بدلا من أربعين .

محمد فهمى عبد اللطيف

هـــذه الظـــاهـــرة الغـــريبـــة:

الرمـــال الموســـيقيـــة

بقلم: درويش مصطـفى الفـار

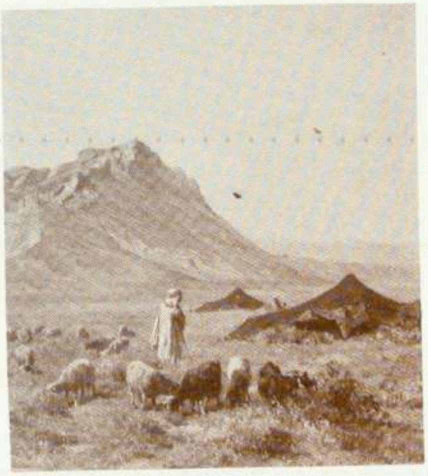
من أروع ما قدمه الاسلام للانسانية تحرير العقل من الشرك بمختلف مظاهره وأساليبه الخفية والظاهرة، وفك قيود جميع أنواع الكهنوت والوساطة بين الانسان وخالقه، والمساواة، أمام الله، بين جميع بنى آدم وحواء، لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى. حتى انك لتجد فى الصدر الأول بلالا الحبشى الأسود وسلمان الفارسى الذى كان لا يتقن العربية تمام الاتقان، وصهيب الرومى كذلك يتساوون بالاسلام مع أبى بكر وعمر وعثمان وعلي، وغيرهم من أشراف قريش لا تمييز ولا عنصرية ولا تفرقة ...

وجاء الاسلام، والعرب، شأنهم شأن الأمم حولهم، غارقون فى الوثنية وعبادة الأصنام واتخاذ التعاويذ والتمائم، والتبرك بالتماثيل والحجارة والأيقونات والكواكب والنجوم، وكان لديهم من الأصنام التى يعبدونها، أو تقربهم بجهلهم الى الله زلفى، ما أحصاه الى حد، ابن الكلبى فى كتابه الأصنام وذكره الدكتور جواد على العلامة العراقى فى المجلد السابع من سفره الضخم عن تاريخ العرب قبل الاسلام.

كانت لديهم اللات والعزى ومناة وهبل وسواع ويعوق ويغوث ونسر وعميانس وأساف ونائلة ومناف وذو الخلصة وسعد وذو الكفين وذو الشرى والأقيصر ونهم والفلس واليعبوب والمحرق ورئام والأشهل والفيزن وجريش والقليس، وعشرات أخرى لكل عندهم قصص وأساطير وأباطيل لا يحصيها العد، ولا يدركها التقصى. وتبع الوثنية وعبادة الأصنام، التشاؤم والتطير والسحر والشعوذة والخرافة والتنجيم، وما الى ذلك مما يكبل العقل بأغلال الجهالة والانغلاق والانقياد للكهنة والدجالين وضاربى الرمل والودع، ويصرفه عن حقيقة التفكر فى ملكوت الرحمن والبحث فى فهم نواميس هذا الكون وقوانينه والسنن التى يجريه الله تعالى بمقتضاها فى نظام محكم دقيق مقدر عجيب فيه آيات لأولي الألباب.

وخلال القرون الأربعة عشر المنصرمة، منذ بلغ الاسلام رسالته للعقل البشرى، ونادى بالعبودية لله وحده لا شريك له أبداً، كانت ميكروبات الوثنية الكامنة تهتبل فترات الجهل والعزلة والأمية، فتطل برءوسها البشعة الكريهة فى أوساط المسلمين، وتلبس مختلف الثياب والأزياء، وخاصة عندما تضعف دولة الاسلام وتغلب على أمرها عسكرياً وسياسياً واقتصادياً، كما هى الحال اليوم ... ولم تكن سيناء، فى الشمال الشرقى لمصر، عند التقاء آسيا بأفريقيا استثناء من القاعدة التى أسلفنا ..

هكذا يبدو الأبرقين
ترى أية شاة سوف تقدم قرباناً ؟؟؟



فاذا كانت مساحة شبه جزيرة سيناء تقارب واحداً وستين ألف كيلو متر مربع من الأرض السبخة والرملية والجبلية، فانك تكاد تحصى قرابة ستمائة (مزار) اختلط فيها الحق بالباطل والصدق بالكذب والواقع بالخيال، حيث يتصرف الناس بدواً وحضراً تصرفاً يكاد يكون وثنياً صرفاً حيال تلك المزارات، ويقومون لديها بطقوس غريبة قد لا تختلف عن تلك التى كان يمارسها أجدادهم فى شبه جزيرة العرب قبل الاسلام، حيث يقربون القرابين ويغنون ويرقصون ويطعمون الطعام، ويدعون بادعية غريبة قد تقربهم من الشرك الواضح الصريح ...

ولعل أشهر المزارات فى سيناء هو «الأبرقين» ....

والأبرقين، جاء اسمه من «البرق» بفتح الراء والباء، وهو فى لغة العرب الحجارة التى تكسوها الرمال السافية من بعض نواحيها ومن هنا تجد أسماء البرقاء والأبرق والأبيرق فى كثير من الصحارى العربية ومنها سيناء، دلالة على أن الرمال السافية تكسو أجزاء من تلك التلال ...

والذى نحن بصدده تل لا يتجاوز ارتفاعه ثلاثمائة وستة وسبعين متراً فوق



لعل الصهاينة لم يتركوا وراءهم خرافات اخرى لبدو سيناء بين هذه التلال



هكذا تستريح الابل بعد رحلة المولد الى الابرقين

سطح البحر ، ويقع الى الغرب من كتلة جبل الحلال الذى نكتبه خطا فى الخرائط العربية باسم (هلال) على نحو خمسين كيلو متراً جنوب العريش ...

ومن الروايات الكثيرة بين البدو والحضر ، يبدو ان هذا التل الذى يتكون من طبقات صخور جيرية تكسوها الرمال السافية ، تحدث فيه ظاهرة (الرمال الموسيقية) التى اجتهد كثير من علماء الجيولوجيا فى محاولة تفسيرها تفسيراً مقنعاً محدداً .

وظاهرة الرمال الموسيقية هذه شائعة فى كثير من الصحارى العربية وغير العربية ... ويقول العلماء الذين سمعوها فى آسيا او افريقيا او امريكا او استراليا ، أن أصواتاً تشبه جلجلة السلاسل أو احتكاك أوراق (الصنفرة) أو الطبل الضخم ، تنبعث من تحرك الرمال السافية على التلال الصخرية بفعل الجاذبية فى الأيام أو الليالى التى يكون فيها الهواء ساكناً تماماً، ويفسر بعضهم تلك الحركة فى الكتلة الرملية السافية بان الرمال قد سخنت أثناء النهار بفعل حرارة شمس الصحراء الساطعة ، فلما برد السطح ليلا أو بعد زوال الشمس حدث فرق فى الكثافة وتكون مستوى فاصل يؤدى الى التزحلق ومن هنا تصدر الأصوات ، التى قد يكون سمعها بعض رعاء الشاء أو الابل أو عابرى السبيل قرب تل الأبرقين منذ قرون ، فاعتقدوا فى أنه مكان مقدس ونشأت عادة زيارته فى موسم معين ، كما يزار ذلك الكم من المزارات فى سيناء من اقصاها الى اقصاها .

يذبح الزائر ، من البدو أو الحضر ، قربانه الذى نذره للأبرقين ، عنزاً او جدياً أو نعجة او خروفاً سميناً ، ويسلخه ويلقى برأسه وفروته طبقاً لطقوس معينة ، ويرمى شيئاً من اللحم فى الفلاة غذاء للوحش وأوابد الطير من رخم ونسور ، ويطبخ الباقى ويطعم القادمين من كل حدب وصوب لهذا الموسم ، وينصرف الجمع ، كل قد علم وجهته وتزود بكمية من اللحم المسلوق ...

وهنالك علامات للقبول أو الرفض للقربان ، منها سلسلة ضخمة مثبتة من طرفيها فى الأرض أسفل التل من الغرب ، إذا اجتازت الذبيحة تلك السلسلة دون ان تقع فهى مقبولة !!!

وليست زيارة الأبرقين بالذات وقفاً على قبيلة بعينها ، فهو مزار عام لكل سكان شبه الجزيرة بدواً وحضراً ...

كانت امى يرحمها الله ، لا تزور الأبرقين لبعد الشقة ، وعدم الاستطاعة ، فكانت تقتصر على زيارة البحر ، شان صويحباتها من نساء العريش . فكانت تربى جدياً ، لابد ان يكون اسود فاحماً لاشية فيه ، وتسمنه بالعلف الجيد ، ثم تنطلق بنا فى يوم إثنين معين صوب اليزك (النبى ياسر) ، وهنالك يذبح الجدى ويسلخ ويحمل فروته وراسه وجزء من لحمه ليلقى فى البحر بعد (سبع موجات) ثم تطبخ بقية اللحم ، وتهشم لنا الثريد فى المرق ، وتطبخ بعض جريش القمح وتشبعه سمناً طيباً ، وبعد العشاء تدعو الله بالقبول ، ثم ينصرف الجميع ...

ولقد ظلت على تلك العادة العجيبة حتى كبرنا وقرانا لها فى الكتب عن الشرك وانواعه ومظاهره فتركت ماكانت تعتقد انه من الاسلام ، يرحمها الله ...

والى جانب المزارات ، فلدى البدو فى سيناء ، معتقدات ، لا اعلم ان علماء الأزهر الشريف كلفوا انفسهم مشقة النهى عنها ليصلح دين القوم ويخلص معتقدهم من ادران الجاهلية . كالاعتقاد فى ان الأشجار فى واد بعينه كوادى الشيخ حميد او وادى المشايخ او منطقة رجال الخلا ، على سبيل المثال لا الحصر ، اشجار مقدسة لا تعصد ولا تقطع ولا يوقد حطبها ، لدرجة أن إنساناً قد يحلف بالله عدة ايمان مغلظة ، فاذا جاءه القاضى بفرع من شجرة سيال او طلح فى وادى المشايخ ليقسم عليها قال الصدق والحق ، خوفاً من اللعنة ان تحل عليه او يبتلى إذا كذب !!

فهل آن الأوان لاستطلاع علمى دقيق عن هذه الاعاجيب خاصة بعد احتلال اليهود لسيناء على مدى خمسة عشر عاماً لا يمكن ان تخلو من تقوية بعض الخرافات والأفكار الضالة ؟؟

وهل آن الأوان لعلماء المسلمين أن يتقصوا على سعة العالم الاسلامى كله ، ما لدى المسلمين فى كل القارات من مثل هذا الذى ذكرناه عن سيناء ؟؟

إن المسلمين اليوم احوج منهم فى اى وقت مضى لنفض آثار الجاهلية التى ابعدتهم عن حقيقة ونورانية وعقلانية هذا الدين الذى جعلهم يحكمون الدنيا كلها قروناً عدة يوم كانوا يمارسونه دون جهل الجاهلية .

درويش مصطفى الفار



جويس .. الروائى العبقرى

هذا العبقري المتشرد

كيف يستقبله العالم العربي وكيف يفهمه الأدباء؟

أجرى الحوار: محمد يوسف



د. طه محمود طه

أكثر من خمسة عشر عاماً قضاها الدكتور طه محمود طه فى ترجمة رواية «عوليس» للكاتب الايرلندى العالمى «جيمس جويس» ، وتعتبر هذه الرواية إحدى أصعب وأعظم روائع الأدب العالمى فى القرن العشرين ، وقد تمت ترجمتها الى كل اللغات الكبرى فى العالم وأخيراً وجدت هذه الرواية مكانها فى المكتبة العربية ، وقد جاءت الترجمة فى أكثر من ألف صفحة ، وكان الدكتور طه محمود طه ، قد ألف منذ أكثر من عشر سنوات كتابه المعروف «موسوعة جيمس جويس» ... وحول «جويس» ، ذلك العبقرى المتشرد ، الذى ملأ دنيا الأدب وشغل الناس ، يدور هذا الحوار مع الدكتور طه محمود طه :

● دكتور طه .. «جيمس جويس» بعالمه ورؤيته الابداعية المركبة .. وصعوبة ترجمته الى العربية بأبعاده الرؤيوية المتشابكة .. لماذا وقع عليه اختيارك ، هو بالذات دون غيره ؟

– فى البداية كان الأمر بالنسبة لي مجرد محاولة للدخول الى عالم هذا الروائى الفريد ، والتعرف على غموض عالمه وغرابته ، فلما اكتشفت أن الاهتمام بأعمال جويس لم يكن يتعدى دائرة ضيقة من المعجبين بفنه ، والأصدقاء والجامعيين فى أربعينيات هذا القرن ، قررت أن أساهم بجهد أكاديمى وعلمى متواضع فى الكشف عن عالم جويس وانجازاته الابداعية الثرية

● بالمناسبة .. من يقرأ «جويس» يجد صعوبة فى قراءته .. لماذا ؟

– أولا .. إن «جويس» يفترض فى قارئه أن يكون واعياً .. وهو يختبر وعي قارئه باستمرار . مثلا .. احدى شخصياته تحاول أن تتذكر كم من الفلوس وضعتها فى حافظة النقود .. ويضطر القارىء الى العودة الى الفصل الاول ، عند خروج الشخصية من المنزل .. وهناك لا يجد القارىء الجواب .. كان «جويس» يريد أن يخرج لسانه للقارىء قائلا : ضحكت عليك .. ! أو عليك واحد .. !

ثانياً .. من يقرأ «جويس» لأول مرة يتوقع أن يأخذ منه كل شىء لأنه متعود على القراءة السهلة .. لكن إذا أمعنا النظر فى الأعمال العظيمة فاننا نجد أننا لا نتعرف على أسرارها عند قراءتها لأول مرة أو قراءتها لمرة واحدة ، بل لابد من قراءتها عدة مرات .

إننا مازلنا نقرأ «شكسبير» الى الآن ، ونفسر أعماله .. أليس كذلك ؟!

ثالثاً .. بالنسبة لعالم «جويس» الابداعى .. هناك أجزاء سهلة .. وأجزاء تحتاج الى مجهود عند القراءة بمعنى الغوص الى عمقها .. وهنا يحجم القارىء

عن قراءتها بالقفز عليها ، فيكتشف انه قد تاه فى عالم «جويس» لسبب بسيط هو ان «المفاتيح» قد تركها فى الأجزاء التى قفز عليها .

بعض الناس يسالون : لماذا تعمد جويس ذلك ؟

والجواب : لانه معتز بفنه اشد الاعتزاز وكانه يقول لقارئه لا تقرانى مثلما تتصفح الجريدة .

● إذن .. هناك علاقة بين مستوى قارىء «جويس» ونوعية إبداعه ؟

ـ المطلوب أن يكون قارىء «جويس» قارئا جاداً .. مع ملاحظة اننا فى ذات الوقت لا نستطيع القول ان كتابة «جويس» تتضمن قدراً من التعسير أو التعقيد . إنها كتابة مركبة .

التعقيد بدون مبرر غير موجود لدى «جويس» .

ومن ثم .. فان قارىء «جويس» يجب أن يكون مؤهلا من ناحية المسئولية والثقافة ، بمعنى أن يكون مسئولا ومثقفا .

مسئولية القراءة ودرجة الثقافة تحددان نوعية قارىء جويس الذى يرصد وينقد ، ويكتب بحس مرهف للغاية .

إن «جويس» يشبه نفسه بالفنانين الايطاليين الذين كانوا يرسمون لوحات زيتية ، ويرسمون انفسهم فى إحدى زوايا اللوحة ، ولا يلحظ ذلك أحد من مشاهدى تلك اللوحات .

خذ عندك «هيتشكوك» الذى كان يظهر فى مشهد سينمائى خاطف ، وهو يسير فى الشارع ، والمشاهدون يصيحون :

ـ ها هو «هيتشكوك» .. !

جويس يريد أن يقول لك : أنا فى كل مكان .. لكننى منزو فى أحد الاركان .. !

١٥ عاماً مع عوليس

● د. طه .. رواية «عوليس» التى استغرقت فى ترجمتها حوالى خمسة عشر عاماً .. تطرح هذا السؤال : لماذا كل هذا «الوقت» ، ولماذا كل هذا الارهاق ، زمانياً ومكانياً ، فى ترجمتها ؟

احياناً اقول لنفسى إن رواية «عوليس» أو «يوليسيس» تشبه «المولد» بالمعنى المصرى الدارج ..

وفى «المولد» (بهذا المعنى) هناك حلقات الذكر ، والمداحون ، ولاعبو السيرك ، والراقصون والراقصات ، والمطربون المتجولون ، ولاعبو الثلاث الورقات ، ومدمنو الحشيش ، والساعون الى ضريح «الولي» الذى اقيم «المولد» باسمه ..

«مولد» عوليس عبارة عن لوحات ثرية الألوان والايقاعات ..

لماذا ـ .. لسبب بسيط هو أن «جويس» كتب روايته باساليب مختلفة ، ومستويات متباينة .. موزيك .. كولاج .. أرابيسك ..

باختصار .. كان جويس منسجماً مع طابع العصر الفنى وهو الكولاج (التلصيق والانتقائية ..) .

ورواية «عوليس» خليط من هذه الأساليب الفنية .. ففى الحانة لا يتوقع احد أن تتحدث إحدى الشخصيات بلغة كلاسيكية قحة .. لأن الناس يتكلمون فى الحانة بلغة المشارب ..

مثلا .. إحدى الشخصيات الموجودة فى الحانة تخرج منديلا لتمسح به وجهها .. والمنديل مرسوم عليه الآثار المشهورة فى مدينة «دبلن» .. فماذا يصنع «جويس» ؟ يتوقف ويكتب فقرة أو فقرات يصف فيها المنديل باسلوب محكم ، ثري ، رصين .. ثم يعود مرة اخرى ، بعد الانتهاء من الوصف الى الحوار الذى يدور فى المشرب ..

إن «جويس» يكتب نصاً لعقد قانونى ، داخل عمله الروائى ، مثلا .. وكان محامياً محنكاً خبيراً هو الذى كتبه .

إنه يكتب باساليب متعددة داخل الفصل الواحد .

جملة موسيقية شعبية .. ثم جملة أخرى كلاسيكية ..

ولتوضيح وجهة نظرى .. اقول ـ للقارىء العزيز ـ إنه توجد ثلاث «نوتات» موسيقية فى رواية «عوليس» ، واضطر «جويس» لطبعها داخل الرواية ، لأنه ايقن انه مهما كتب لتصوير النوتة فانه لن يعطى الأثر المطلوب ، فضم «النوتات» الثلاث الى روايته .

أيضاً .. اجاد «جويس» الكتابة عن الأصوات تعبيراً وتصويراً .. أصوات الفئران ، والكلاب ، واصوات الأبواب ذات «المفصلات» الصدئة .

شخصيات عوليس

وللعلم فان «جويس» لم يترك أحداً فى دبلن إلا وتكلم عنه .. اعضاء البرلمان ، ضباط ، ابطال ، صعاليك ، سراة القوم ، وكل شرائح المجتمع الى درجة أن كل ايرلندى كان يسأل صاحبه : هل وضعك «جويس» فى روايته .

ولكي أتقصى وأتحرى خلفيات «شخصيات عوليس» زمانياً ومكانياً ، فقد كنت انتقل الى الأماكن التى عاشت فيها هذه الشخصيات ، و «استدعيها» (فى الزمان عبر الذاكرة) ، وفى المكان عن طريق الانتقال الى الأماكن التى ظهرت فيها هذه الشخصيات كما قلت .

اضف الى ذلك .. محاولتى الجادة فى نقل «المصداقية» الابداعيـة لعالـم «يوليسيس» (عوليس) بمستوياتها المتعددة كماً وكيفاً ..

لذلك .. قضيت قرابة خمسة عشر عاماً فى التشبع باجواء هذا العمل الروائى الفذ ، وترجمته فنياً وابداعياً .. اى اننى كنت احاول الابداع فى الترجمة ، والابداع فى عدم المساس بشخصيات الرواية ، وخلفياتها ، وايقاعاتها ، وحالاتها ، وأحوالها المزاجية والانسانية والفنية .

● هل لهذه الأسباب كان عالم «جويس» الابداعى مستغلقاً بالنسبة لنا طوال هذه الأعوام ؟

ـ نعم ..

وبشىء من التفصيل اقول لك ، وللقارىء العزيز : إن عقلية «جويس» كانت موسوعية .. وان قدرته على استيعاب وهضم التراث الانسانى كانت متميزة .. وبعبارة موجزة .. كان «جويس» ، حسب تصور كارل جوستاف يونج ، ينهل من منهل التراث الانسانى حيث «المستودع الاعلى» ، والدائرة الأكبر التى تضم ادم ، واديسون ، ونيوتن .. وغيرهم .

وبرغم ذلك يقول بعض دارسيه إن «جويس» غير مبتكر ، بمعنى ان عقليته لم تكن عقلية خلاقة ، وإنما عقلية منظمة تشبه الكمبيوتر الذى يخزن المعلومات ، وعند الضغط على «زرار» الكمبيوتر فان «التيمة» أو «المعلومة» المطلوبة تظهر على الشاشة ..

هنا يمكن أن يتوقف النقاد ويتساءلوا : ما هو الابتكار .. ؟ هل هو خلق شىء من لا شىء .. ؟ أم هو تنظيم ما لديك من معلومـات ومعـارف وملاحظـات واحصائيات .. ؟

الشرط الابداعى الذى أدركه وطبقه «جويس» على نفسه هو أن التراث الانسانى ينبغى أن يقرأه ، ويستوعبه مع تمرير ما قرأه واستوعبه من خلال رؤيته الابداعية الذاتية .

● هل الشرط الابداعى ، فى مفهوم جويس ، مقترن باستيعاب تراث البشرية استيعابا شاملا ؟

التاريخ والكابوس

ـ «جويس» كان يقول : إن التاريخ كابوس علي أن اصحو منه .



هذا العبقري المتشرد

كيف يستقبله العالم العربي وكيف يفهمه الأدباء؟

« جيمس جويس » في سـطور
(١٨٨٢ – ١٩٤١)

- روائي ايرلندي ولد في ٢ فبراير ١٨٨٢ بمدينة دبلن .
- (كان متقلب المزاج ، مرحاً احياناً ، ومكتئباً احياناً اخـرى) .
- (تتناسج حياة « جويس » مع فنه في أعماله) ، فهناك نوع من الهارموني ، بين حياته وفنـه .
- تطور أسلوبه الفني ، كما يقول د. طه محمود طه في « موسوعة جيمس جويس من الترجمة الذاتية في « ستيفن بطلا » إلى السرد الرمزي والايحاء في « صورة للفنان » ، ثم من نظريته في « الظهور » أو الاستنارة او الكشف المفاجيء في مجموعة قصصه القصيرة « ايرلنديون من دبلن » ، أو الكشف الدرامي في مسرحيته اليتيمة « المنفيون » ، واخيراً من طريقة المونتاج السينمائي في « عوليس » إلى مركب معقد من الأسطورة والسيمفونية والكابوس في « فينيجانز ويك » .
- أعمـالـه :

١ – ايرلنديون من دبلن (١٩١٤) .
٢ – صورة للفنان في شبابه (١٩٠٤ / ١٩١٤ – ١٩١٦) .
٣ – البطل ستيفن .
٤ – المنفيـون (١٩١٨) .
٥ – عوليس (١٩١٤ / ١٩٢١ – ١٩٢٢) .
٦ – فينيجانز ويك (١٩٢٢ / ١٩٣٩) .

- مات في ٣ يناير ١٩٤١ في زيورخ من جراء اصـابته بقـرحة متهتـكة في المعـدة ! ! .

التاريخ – الكابوس كان يسيطر عليه تمام السيطرة .

آخر روايات «جويس» (فينيجانز ويك("Finnegan's wake" (١٩٢٢ – ١٩٣٩) تجسد هذا المفهوم .

إن كلمة (ويك) "Wake" معناها هنا التراث .. تراث «فينيجانز» .. مع أن الكلمة من الناحية اللغوية الحرفية ، معناها «استيقظ» .. لكن المعنى الذى اخذه «جويس» هو المعنى الذى شرحته .

إن هذه الرواية ، فى إطار المعنى الأشمل تمثل تراث آل فينيجانز او تراث البشرية .. من أيام آدم وحواء الى عصرنا هذا .

كان التاريخ يتلبس «جويس» إذن ؟

– بل كان يتقمصه تقمصا شاملا . لو تناولت بطلا من ابطال رواياته او قصصه فانك ستسال نفسك : من هو هذا البطل ؟ هل هو النبى محمد ؟ هل هو النبى عيسى ؟ هل هو سيدنا موسى ؟ هل هو سيدنا ابراهيم ؟ هل هو نابليون ؟ هل هو هتلر ؟

● هل هو نبي أم صعلوك ؟

– اجل .. إن «جويس» يريد ان يقول ذلك بالضبط ..

● د. طه .. ايهما أصعب فى الاستيعاب والمتابعة ، «عوليس» أم «فينيجانز ويك» ؟

– «عوليس» مشكلتها اهون إذا قورنت بـ «فينيجانز ويك» ..

لماذا ؟

فى رواية «فينيجانز ويك» فتيات وأولاد ورجال وانهار وأشجار ورياح ، واسماء ، تختلط ببعضها ، وتكاد تمتزج امتزاجا الى درجة انك لا تستطيع أن تميز – مثلا – «نابليون» من «الاسكندر الاكبر» .. إضافة الى اللغة التى استخدمها «جويس» .. فاللغة فيها غريبة الشكل .. و «العجينة» اللغوية انجليزية أما تقطيع هذه «العجينة» الى فطائر وشطائر ورقائق فانه اتخذ حوالى ٦٩ شكلا متباينا .

مثال بسيط على ذلك ..

«جويس» يريد أن يذكر كلمة الألمان فى روايته التى كان قد انتهى من كتابتها فى عام ١٩٣٩ (أى فى بداية الحرب العالمية الثانية) ، فاطلق على الألمان «جيرم – هنز» (Germ-Huns) .. والكلمة مشتقة من الجراثيم والمغول .

● توليفة تنطبق على الألمان فى ذلك الوقت ؟

– تمام الانطباق ..

● ولها دلالة تاريخية فى الزمان والمكان؟

– وهذا يعنى أن «جويس» كان يكتب كلمة واحدة تحوى عوالم عديدة .. والكلمة من هذا النوع عبارة عن حصالة أو حوصلة .

● أو محارة ؟

– إذا فتحتها .. اكتشفت ما فى داخلها ، وإذا رتبتها اكتشفت اصلها ، فربما تكون كلمة ذات مقطعين .. انجليزى والمانى ، او انجليزى وعربى ..

– فينيجانز ويك .. معجزته الابداعية .

هذه هى اللغة فى رواية «فينيجانز ويك» على امتداد ٨٠٠ صفحة .

والغريب أن الصفحات الخمس الأولى من هذه الرواية تتحدث عن الاسلام .. فهناك ذكر للصلوات الخمس ، واستعمال المسواك والحج ، وجبل عرفات .. أى أن افتتاحية الرواية يمكن أن نقول عنها انها افتتاحية اسلامية ، خاصة وأن «جويس» اتى على ذكر سور القرآن الكريم التى يبلغ عددها ١١٤ سورة .. مع بعض مقتطفات من الآيات القرآنية .

وعلى سبيل الاختصار .. اقول لك إن «جويس» كان يعتبر روايته «فينيجانز ويك» معجزته فى عالم الابداع الفنى ؟

● وبرغم ذلك لم يخل «جويس» بمقاييس الابداع الفنى ؟

– أبداً ..

● أليس هناك زوائد أو حشو فى أعماله الابداعية ؟

– لا .. وإذا وجدت فان «جويس» يضعها عن عمد .. بعد الساعة الثانية عشرة (أى بعدمنتصف الليل) وتكون الشخصيات ، فى عالم جويس الروائى ، قد أرهقت ، وبالتالى تكون سيطرتها على اللغة قد ضعفت .. والعكس صحيح ، فبعد استرداد الحيوية والطاقة بصفو الذهن ، ويتجدد نشاطه

وكما يقول وليم جيمس : إنك بعد الارهاق تعود الى حالة الصحو ، وينفتح باب «مستودع» المعلومات والخبرة ، وتنتعش الذاكرة ، ويبدأ المبدع فى استغلال «المستودع» ..

هذا هو ما فعله «جويس» .. فالارهاق ينعكس على اللغة .. والصحو ينعكس عليها أيضاً .. ففى لحظات انتعاش الذهن كتب الفصل العلمى .. وهو فى هذا يطبق ما قاله وليم جيمس .

● ما هو السبب الجوهرى الذى جذبك الى عالم جويس ، ومرافقته على امتداد هذه الأعوام الطوال ؟

ـ جذبتنى عملاقيته وسط الروائيين والمبدعين .. سواء الانجليز أو الأمريكان .. إنه يذكرك بـ «كولن ولسن» فى تشرده وصعلكته .

وانا مندهش كيف كان يجد «جويس» كل هذا الوقت للقراءة .

عالم «جويس» عبارة عن صعلكة مع احساس شديد بالتفرد .

لقد خرج «جويس» من ايرلندا وقد اقسم على تعرية كل شىء فيها ..

لقد كرمت ايرلندا «ييتس» ولم تكرم «جويس» مما ولد لديه نوعاً من المرارة والسخرية انعكست على كتاباته .

● هل بامكان المؤرخ الاستفادة من عالم «جويس» الروائى ؟

ـ نعم ..

إذا أردت أن تعرف أسعار المشروبات ، والملابس والعقارات .. ونسبة العوائد .. بدقة .. فاقرأ جويس .

كما أن لدى جويس «مستودعاً» ضخماً للمعلومات الرياضية والفيزيائية والموسيقية ، والهندسية والحسابية .

وفى اعتقادى فان «جويس» كان يسخر من المنادين بالواقعية المفرطة وكأنه كان يقول لهم : هل تريدون واقعية مفرطة ؟ هذه هى بضاعتى من الواقعية المفرطة .. ؟؟!!

● هل كان جويس يتبنى موقفاً طبقياً أو سياسياً محدد الملامح ؟

ـ لا ..

لكنه اتهم مرة ، من جانب الراسماليين ، بانه شيوعى ، لان كل شخصياته من الطبقة الوسطى ، كما غضب منه الشيوعيون واتهموه بانه يكتب منطلقاً من نظرية الفن للفن ، وقال «جويس» لهم : لماذا تغضبون منى ؟ انتم بالذات لا ينبغى ان تغضبوا منى لان «اغلى» شخصية عندى لا تساوى اكثر من خمسين جنيهاً ..؟؟!!

جويس وبروست

وقد قابل الروائى «بروست» صدفة ودار بينهما الحوار التالى ، وكانا يجلسان فى احد المشارب .. قال جويس لبروست :

ـ هذه النافذة ياتى منها هواء بارد .. هل تسمح لي باغلاقها ؟

فقال له بروست : تفضل .. اغلقها .. !

وكان هذا هو محتوى الحوار بين الروائيين العملاقين .. !

● د. طه .. الى أى مدى تاثر الروائيون الأجانب والعرب بعالم «جويس» الروائى ؟

ـ الحقيقة ان الروائيين (اجانب كانوا أم عرباً) تاثروا بعالم «جويس» الروائى تاثراً كبيراً .

الروائى الانجليزى المعاصر «انتونى دورجس» كتب رواية Clock work orange وحاكى فيها رواية جويس «فينيجانز ويك» من زاوية توليد لغة جديدة ، فزاوج بين اللغة الانجليزية والروسية ، وفى نهاية الرواية وضع قائمة للكلمات والتعبيرات التى زاوج فيها بين الانجليزية والروسية .

وهذا يذكرنا بالهوامش والتذييلات التى وضعها إليوت لقصيدته الشهيرة «الأرض الخراب» ..

كما أن «جورج أورويل» فى روايته التى كتبها عام ١٩٤٨ وسماها (١٩٨٤) أو «نينتين إيتى فور» ذيل روايته بقاموس صغير أطلق عليه اسم اللغة الجديدة .

سانت اكزوبيرى .. الفرنسى تاثر به أيضاً ..

والرسامون والسينمائيون تاثروا به كذلك ..

أما فى مجال اللغة ، واللعب باللغة ، والتوليد اللغوى والمزاوجة بين اللغات ، والتصرف فى الحبكة والشكل والمضمون الروائى ، فقد ترك جويس على كل هذا بصمات بارزة .

تكنيك النظام داخل الفوضى

● هل معنى ذلك أن لغة «جويس» لا تحمل قدراً من الترابط .. ولنقل الترابط الظاهرى توخياً للدقة ؟

ـ «جويس» كان يكتب بتكنيك النظام داخل الفوضى

وعليك ، عند قراءة «جويس» أن تمسك بمفاتيح «التيمات» وانسجامها الباطنى ، لانه يكرر وحدات منسجمة إذا دققت النظر فيها أمسكت بمفاتيحها ..

وهذا التكنيك ينسجم مع روح العصر الحديث .. وينطبق على الفيزياء والأدب والرسم والموسيقى .. وغير ذلك من الفنون البصرية والسمعية .

● نعود الى الروائيين العرب .. من منهم تاثر بـ «جويس» ، واستفاد بفنه ؟

ـ كل من استخدم تكنيك «تيار الوعى : فى الكتابة الروائية » .. مثل نجيب محفوظ ويوسف ادريس وغيرهما تاثر به ..

أقصد .. إن أى واحد من الروائيين العرب لم يتاثر بـ «جويس» نفسه .. وإنما سمع عن «تيار الوعي» .

● هناك شك أن نجيب محفوظ قرأ «جويس» بدقة وشمولية ؟

ـ هذا صحيح ..

لا أظن أن «نجيب محفوظ» قرأ «جويس» استيعاباً وتفصيلا .. لكنه قرأ فرجينيا وولف (تلميذة جويس) ، وقرأ ما كتب عن تيار الوعي .

● كلمة أخيرة .. عن جويس .. ؟

فى اعتقادى .. أن «جويس» بتمايزه وتفرده وشموليته سيظل يتحدى «المعاصرين» ، فى هذا الجيل ، والأجيال القادمة .

د . طه محمود طه :

● أستاذ الأدب الانجليزي الحديث بكلية الآداب ـ جامعة الكويت .

● من مواليد مدينة طنطا (مصر) في ٢٣ سبتمبر ١٩٢٩ .

● حاصل على درجة الدكتوراه من كلية « ترينيتي » ـ جامعة دبلن (ايرلندا) في فبراير عام ١٩٦١

وكان موضوع رسالته : المفكر والأديب « الدوس هكسلي » .

● عمل بجامعة « عين شمس » (بمصر) من عام ١٩٦١ إلى عام ١٩٦٦ ، وبجامعة أسيوط من عام ١٩٦٦ إلى عام ١٩٦٨ ، ثم بجامعة الكويت من عام ١٩٦٨ وإلى الآن .

● من إنجازاته الابداعية المشهورة ترجمته لرائعة « جيمس جويس » يوليسيس Ulysses والتي ترجمها تحت عنوان « عوليس » ، والمرجع الأكاديمي الببلوجرافي النقدي التوثيقي (موسوعة جيمس جويس) التي أصدرها في عام ١٩٧٥ .

محمد يوسف ـ الكويت

النظام الاقتصادي في الإسلام

بقلم: الدكتور السيد محمد بدوي

وضع الاسلام المبادىء العامة والقواعد الشاملة لحياة اجتماعية سليمة . وترك التطبيقات لتطور الزمان ، وبروز الحاجات . وهو بهذا الشمول ، وهذه المرونة ، قد كفل لأحكامه التطبيقية النمو والتجدد ، ومسايرة ظروف الحياة المتغيرة .

وقد ظلت الانسانية دهوراً طويلة تفرق بين القوى الروحية والقوى المادية تنكر احداهما لتثبت الاخرى ، او تعترف بوجودهما فى حالة تعارض وخصام ، حتى جاء الاسلام فاذا هو يعرض فكرة جديدة كاملة ومتناسقة فجمع بين الدنيا والآخرة فى نظام الدين ، وبين الروح والجسد فى نظام الانسان ، وبين العبادة والعمل فى نظام الحياة . وعن تلك المواءمة الحكيمة بين العقيدة والسلوك ، وبين مايتصل بالروح وما يتصل بالمادة ، تصدر تشريعاته وفرائضه ، وتوجيهاته وحدوده ، وآراؤه فى سياسة الحكم وسياسة المال . وهذه السياسة تنطوى على عدالة انسانية واجتماعية شاملة ، لاعدالة اقتصادية محدودة .

والعدالة فى نظر الاسلام مساواة انسانية ينظر فيها الى تعادل جميع القيم ، بما فيها القيمة الاقتصادية البحتة ، وهى على وجه الدقة تكافؤ فى الفرص ، وترك المواهب بعد ذلك تعمل فى الحدود التى لاتتعارض مع الأهداف العليا للمجتمع . قرر الاسلام مبدأ تكافؤ الفرص ، ومبدأ العدل بين الجميع ، ثم ترك الباب مفتوحاً للتفاضل بالجهد والعمل ، واتاحة الفرص المتساوية للجميع معناها الا يقف امام اى فرد حسب ، ولانشأة ، ولا أصل ، ولاجنس ، ولاقيد واحد من القيود التى تغل الجهود .

والتسوية بين الناس هى مظهر احد الأساسين اللذين قام عليهما الاسلام ، وهما التوحيد والعدل ، وقد سار النبى فى اصحابه بمكة ثم المدينة مسيرة قوامها العدل فى الجليل من امرهم والخطير ، حتى استقر فى نفوس المسلمين أن العدل ركن أساسى من اركان الاسلام ، وان الانحراف عنه انحراف عن الاسلام ، والاخلال به اخلال بالدين ، والذين قرأوا سيرة النبى الكريم وسنته يعلمون انه لم يكن يؤثر نفسه بخير دون اصحابه ، إلا ان يؤثره الله بهذا الخير فى أمر يوحيه اليه فى القرآن ، وانتقل الى جوار ربه وهو لايملك من الدنيا بيضاء ولا صفراء .

وسار ابو بكر الصديق سيرة النبى نفسه ، فتحرج أن يموت وعنده من أموال المسلمين شىء ، وأوصى أهله أن يردوا على عمر هنات كانت عنده من أموال المسلمين .

أمـــا عمر فقـد أرانا من ذلك مالا تصدقه النفوس : لقد ابى حين رأى الشدة التى نزلت بالمسلمين فى عام الرمادة ، الا ان يشارك الناس فى شدتهم . فعرف ان عامة الناس من حوله لايجدون السمن فحرم السمن على نفسه ، وصبرها على الخبز الجاف والزيت . وقد أثر ذلك فى صحته ، فتغير لونه ، وعرف المسلمون ذلك فلم يستطيعوا أن يردوه عنه ، لانه أبى أن يخصب حتى تخصب عامة الناس .

أسس العدالة الاجتماعية

واذا بحثنا عن الأسس العامة التى اقام عليها الاسلام بناء العدالة الاجتماعية ، وجدنا انه يمكن اجمالها فى ثلاثة :

- التحرر الوجدانى .
- المساواة الانسانية الكاملة .
- التكافل الاجتماعى .

وقد ذهبت المسيحية الى ان التحرر الوجدانى هو التحرر من لذائذ الحياة وشهواتها . والتوجه الى ملكوت الله فى السماء . وهذا حق ولكنه ليس الحق كله .

فدوافع الحياة لاتقهر فى جميع الاحوال . والتحرر الوجدانى الذى يدعو اليه الاسلام معناه الاعتزاز بالنفس والحرص على طلب الرزق « دون فقدان الكرامة » . وعدم الشعور بالخوف عند المطالبة بالحق .

واذا استشعر الضمير البشرى هذا التحرر الوجدانى ، فسيطلب حقه فى « المساواة » ، وسيجاهد لتقرير هذا الحق ، ولن يقبل عنه بديلا . وقد قرر الاسلام مبدأ المساواة فى الوقت الذى كان يباح فيه للسيد أن يقتل عبيده ويعذبهم لأنهم من نوع آخر غير نوع السادة . فى هذا الوقت جاء الاسلام ليقرر المساواة أمام القانون وامام الله . فى الدنيا وفى الآخرة ، لافضل إلا للعمل الصالح « لا فضل لعربى على اعجمى الا بالتقوى » .

أما التكافل الاجتماعى فيضع فى اعتباره أن للفرد ذاته مصلحة خاصة فى أن يقف عند حدود معينة فى استمتاعه بحريته ، وأن للمجتمع مصلحة عليا لابد أن تنتهى عندها حرية الأفراد . ولذا يقرر الاسلام مبدأ التكافل بين الفرد وأسرته ، وبين الفرد والجماعة ، وبين الجيل والأجيال المتعاقبة .

وقيمة التكافل فى محيط الأسرة انه قوامها الذى يمسكها ، لأن الاسرة هى اللبنة الأولى فى بناء المجتمع . ومن مظاهر التكافل العائلى فى الاسلام نظام الميراث .

أما التكافل بين الفرد والجماعة فانه يوجب على كل منهما تبعات ويرتب لكل منهما حقوقاً . فكل فرد مكلف أولا أن يحسن عمله الخاص . لأن ثمرة العمل الخاص ملك للجماعة . وكل فرد مكلف أن يرعى مصالح الجماعة كأنه حارس لها . والتعاون بين جميع الأفراد واجب لمصلحة الجماعة فى حدود البر والمعروف . والأمة مسئولة عن حماية الضعفاء فيها ، ورعاية مصالحهم . وعليها أن تحفظ لهم أموالهم حتى يرشدوا وهى مسئولة عن فقرائها ومعوزيها بان توفر الرزق بما فيه الكفاية . فتتقاضى اموال الزكاة ، وتنفقها فى مصارفها ، فاذا لم تكف فرضت على القادرين بقدر ما يسد عوز المحتاجين ، بلا قيد ولا شرط الا هذه الكفاية . فالأمة الاسلامية كلها جسد واحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

وهكذا نرى أن الاسلام حينما حاول أن يحقق العدالة الاجتماعية كاملة ارتفع بها عن أن تكون عدالة اقتصادية محدودة ، فجعلها عدالة إنسانية شاملة ، وأقامها على ركنين قويين : الضمير البشرى من داخل النفس ، والتشريع القانونى فى محيط المجتمع .

ويسير الاسلام فى سياسة المال على هدى فلسفته العامة ، وفكرته الشاملة ، يلاحظ مصلحة الفرد ويحقق مصلحة الجماعة ، وهو يتبع فى تحقيق هذه السياسة وسيلتيه الأساسيتين : التوجيه والتشريع .

ويعتبر الاسلام المال ، فى ذاته ، فتنة خلقها الله ليمتحن بها البشر فينظر كيف يعملون . فقد يكون اداة يسخرها الانسان لخدمة الناس واسعاد حالهم ، وتعميم الخير بينهم . وقد يستخدمه ، بعكس ذلك لايذاء الناس والاضرار بهم والضيق عليهم وفى القرآن الكريم آيات تنظر الى المال على أنه ابتلاء وفتنة : « واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة ، وأن الله عنده اجر عظيم » كما أن هناك آيات تعتبره نعمة وفضلا : « ويمددكم باموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ، ويجعل لكم أنهاراً » « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » .

بين هاتين الصفتين يقف المرء حائراً ماذا يصنع ؟ ولكنه يهتدى الى طريق الصواب حين يدرك أن الدين يدعو الى تهذيب الطبيعة ، وعدم ترك الحبل على الغارب . فالمال وسيلة ، واذن يجب الا يتخذ غاية . لذلك حرم الاسلام الربا حتى لايكون – كما قال الغزالى – وسيلة لاستجماع المال واكتنازه دون أن تعم الاستفادة منه فى الأمة . وقد انذر القرآن من يكنزون الأموال ويحبسونها بقوله تعالى « والذين يكنزون الذهب والفضة ، ولاينفقونها فى سبيل الله ، فبشرهم بعذاب اليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

ويحرم الأسلام تكتيل الأموال الى أن تصبح فى يد اقلية تتداولها بينها ويحرم منها عموم الامة ويحث على أن يقسم الفىء بين جميع الأفراد ، معللا ذلك بقوله تعالى : « كى لايكون دولة بين الأغنياء منكم » ، أى حتى لايصبح المال المكتسب مقصوراً على ذوى الثراء يتداولونه فيما بينهم دون أن يشيع تداوله بين الجميع .

ذلك أن تضخم المال فى جانب ، وانحساره فى الجانب الآخر مثار مفسدة عظيمة ، فوق ما يثيره من احقـــاد. فالمحرومون الـذين لايجدون ما يبعون ، إما أن يحقدوا على ذوى الثراء الفاحش ، واما أن تتهاوى نفوسهم وتتهافت ، وتتضاءل قيمتهم الذاتية فى نظر انفسهم . فتهون عليهم كرامتهم أمام سطوة المال .

ويبيح الاسلام لكل فرد أن يكتسب ، ويحثه على ذلك ، بل يريد منه أن يكون غنياً شاكراً ، لكنه لايسمح له باستعمال ما أكتسبه وفق ما تريده أهواؤه وطبيعته . ذلك المال فى نظر الاسلام « مال الأمة كلها » وهو قوام المجتمع باسره فلا ينبغى أن يصرف فى غير الوجوه التى تعود على المجتمع بالمنعة .

والفرد أشبه بالوكيل فى هذا المال عن الجماعة ، وحيازته له انما هى « وظيفة » أكثر منها « امتلاكا » ، اذ أن المال فى عمومه انما هو حق للجماعة ، والجماعة مستخلفة فيه عن الله ، الذى لامالك لشىء سواه : « آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » . (سورة الحديد ٧٠)

وشرط بقاء هذه الوظيفة ، هو الصلاحية للتصرف . ولذا كان لولي الأمر أو للجماعة استرداد حق التصرف من السفيه : «ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً ، وارزقوهم فيها واكسوهم» (النساء : ٥) فحق التصرف مرهون بالرشد ، واحسان القيام بالوظيفة . وما من شك فى أن شعور الفرد بأنه مجرد موظف فى هذا المال ، الذى هو فى أصله ملك الجماعة ، يجعله يتقبل الواجبات التى يضعها التشريع الاسلامى على عاتقه ، والقيود التى يحد بها تصرفاته كما أن شعور الجماعة بحقها الأصيل فى هذا المال ، يجعلها أكثر جراة فى فرض الفروض ، وسن الحدود .

وقد ترتب على هذا المبدأ تحريم الاسلام لكل نفقة تعود بالضرر على صاحبها أو على أسرته ، أو على المجتمع فالقمار محرم وتبذير الثروة فى اللهو محظور ، والتحلى بالذهب والفضة والحرير لا يباح للرجال ،

النظام الاقتصادي في الإسلام

واتخاذ أوانى الذهب والفضة لا يسمح به ، والتباهى فى تزيين المساجد وتحلية جدرانها ، وتشييد الأضرحة وتانيقها كل ذلك مكروه .

وللانسان أن ينفق ما اكتسبه على حاجته وحاجة ذويه دون بخل ولا اسراف «قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق» . وله أن يستغل فضول ماله فى الفلاحة أو التجارة ، ولكن بشرط الا يتجاوز فى ذلك حدود التوجيهات الشرعية التى تدور كلها على اعتبار المال وسيلة، فاذا توفر من هذه المعاملات ربح كبير يتجاوز الذى يحتاجه أصحابه ، فان الاسلام يوجب الانفاق على الأهل والأقارب المحتاجين ، ثم يحث على الانفاق فى سبيل الله .

ولكن من الناس من يفضلون ادخار القليل أو الكثير مما فى أيديهم ، ويعتبرون ذلك فضيلة اجتماعية مشكورة . وهنا يتدخل التشريع الاسلامى بحل اجتماعى عادل ، وهو الزكاة .

الزكاة

الزكاة هى حق المال ، وهى عبادة من ناحية ، وواجب اجتماعى من ناحية أخرى . وكلمة الزكاة معناها الطهارة والنمـاء ، فهى طهارة للضمير والذمة باداء الحق المفروض ، وهى طهارة للنفس والقلب من فطرة الشح وحب الذات ، وهى طهارة للمال باداء حقه وصيرورته بعد ذلك حلالا .

والزكاة حق الجماعة فى عنق الفرد ، لتكفل للمحتاجين الكفاية ، وشيئا من المتاع بعد الكفاف أحيانا . وبذلك يحقق الاسلام جزءاً من مبدئه العام : «كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم» . فالاسلام يوجب، أولا ، أن ينال كل فرد كفايته من جهده الخاص حين يستطيع ، ثم من مال الجماعة حين يعجز لسبب من الأسباب . ويكره الاسلام أن تكون فوارق الطبقات بين الامة بحيث تعيش منها جماعة فى مستوى الترف ، وتعيش جماعة أخرى فى مستوى الشظف ، ثم أن تتجاوز الشظف الى الحرمان والجوع والعرى . يكره الاسلام هذه الفوارق لما وراءها من احقاد تحطم أركان المجتمع ، ولما فيها من اضرار المحتاجين ، إما الى السرقة والغصب ، وإما الى الذل وبيع الشرف والكرامة ، وكلها منحدرات يتجافى الاسلام بالجماعة عنها .

ولهذه المعانى جميعها شرع الاسلام الزكاة ، وجعلها فريضة فى المال ، وحقا لمستحقيها لا تفضلا من مخرجيها ، حقا تتقاضاه الدولة بحكم القانون . ولكنه راح يحفز الوجدان على أداء هذا الحق ، حتى يجعل أداءه رغبة ذاتية من القادرين على الأداء – فالزكاة ركن من أركان الاسلام ، وضرورة من ضرورات الايمان : «وقد افلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون» (سورة المؤمنون) . فاذا لم يحفز الضمير الى تادية هذا الفرض ، فللامام أن يقاتل الناس ليجبرهم عليه ، بل ان الاسلام جعل للامام الحق فى أن ياخذ بعد الزكاة ما يمنع به الضرر ، ويرفع به الحرج ، ويصون به المصلحة لجماعة المسلمين ، فليست الزكاة وحدها هى حق المال ، بل انها الحد الادنى المفروض حين لا تحتاج الجماعة الى غير حصيلة الزكاة . فاما حين لا تفـي ، فان الاسلام لا يقف مكتوف اليدين ، بل يمنح ولي الأمر سلطات واسعة للأخذ من رؤوس الأموال بقدر معلوم فى الحدود اللازمة للاصلاح ، ويروى عن الخليفة عمر «أنه قال فى عام الرمادة : «لقد هممت أن أنزل على كل بيت مثل عددهم ، فان الرجل لا يهلك على نصف بطنه» . واستنبط الفقهاء من ذلك أن لولي الأمر فى أيام المسغبة أن يوزع الفقراء على أهل السعة بقدر لا يجحف بهم .

نظام الميراث

ويشرع الاسلام نظاما آخر من اجل اتمام التوزيع للثروة الفردية ، وعدم تكتيلها فى أيد قليلة ، ونعنى به نظام الميراث .

فبينما نجد عدداً من التشريعات عند الأمم الأخرى تجعل الميراث من اختصاص الابن الأكبر استحسانا منها للاحتفاظ بالثروة متجمعة ، وبينما اعتبرت استمرار الثروة فى يد الابن الأكبر ضمانا لاستمرار العائلة – بينما نجد ذلك فى الأنظمة الوضعية – حتى الديمقراطية منها – ، نجد الاسلام يجعل تركة المتوفى ميراثا للورثة ، يقتسمونها بينهم . وهؤلاء الورثة معينون ، حسب نظام دقيق وردت تفاصيله فى أيتي الميراث (سورة النساء) . وهذا النظام له حكمته وله مبرراته . كما اباح الشرع «الوصية» فيما لا يزيد عن ثلث التركة ، وذلك لتلافى بعض الحالات التى تحرم فيها من الارث اقرباء توجب صلتهم أن يكون لهم نصيب . ولكن درجتهم تجعل غيرهم من الورثة يحجبونهم عن الميراث ، وهى بهذا الاعتبار وجه من وجوه البر والصدقة . ولا يحق لواحد من الورثة أن يجمع بين مال الميراث ومال الوصية ، «فلا وصية لوارث» .

فاذا لم يخلف المتوفى وارثا قريبا أو بعيداً فان بيت المال يرث ما يتركه . ولذلك ، فالثروة مهما عظم مقدارها فانها بنظام الميراث هذا تتوزع بعد ثلاثة مواريث وتصبح علة ، مقسمة كما كانت قبل اكتسابها . وبذلك يتحقق المبدأ العام الذى يسيطر على سياسة المال ، ونعنى به الحيلولة دون تكدس الثروات ، ويكون نظام الميراث الاسلامى على هذا النحو ، أداة لتفتيت الثروات المتضخمة على توالى الأجيال ، فالملكية الواحدة تنتقل الى العديد من الذرية والأقارب بمجرد وفاة المالك ، فتستحيل الى ثروات متوسطة أو صغيرة .

هذا بالاضافة الى ما يحققه نظام الميراث من التكافل العائلى ، ومن مراعاة التكافؤ بين الجهد والجزاء . فالوالد الذى يعمل ، وفى شعوره أن ثمرة جهوده لن تقف عند حياته القصيرة المحدودة ، بل ستمتد لينتفع بها ابناؤه – هذا الوالد يبذل أقصى جهده ، فى العمل والانتاج ، وفى هذا مصلحة له ، وللدولة وللانسانية . كما أن فيه تعادلا بين الجهد الذى يبذله والجزاء الذى يلقاه ، فابناؤه جزء منه يشعر فيهم بالامتداد والحياة .

نظام الملكية

يقر الاسلام الملكية ، ولكنه مع ذلك يسعى لتضييق نطاقها خشية أن تصرف صاحبها عن الرشد ، فيحيد عن طريق الصواب . وهى ميزة امتاز بها الاسلام عن كثير من الأديان الأخرى – فالبرهمية بالهند مثلا تعتبر أن السعى لامتلاك الثروة إثم . والبوذية تعد حياة عامة الناس من اتباعها الذين يملكون ويباشرون المهن أحط منزلة من حياة الرهبان الذين يحرم عليهم ملك شىء أو مباشرة مهنة . واذا كانت اليهودية لم تغل فى هذا الأمر غلو البرهمية والبوذية ، إلا أنها أيضا لم تكن تنظر الى اقتناء الثروة أو مهنة التجارة بعين الرضا واكتفت فقط بتحبيذ الزراعة . لذلك كان اليهود ينظرون الى التاجر نظرة احتقار الى

● قيمة التكافل في محيط الأسرة أنه قوامها الذي يمسكها. لأن الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع. ومن مظاهر التكافل العائلي في الإسلام: نظام الميراث.

● الزكاة هي حق المال. وهي عبادة من ناحية. وواجب اجتماعي من ناحية أخرى.. وكلمة الزكاة معناها طهارة الضمير والذمة بأداء الحق المفروض

درجة كبيرة ويسمونه «كنعانى» . وفى «سفر المكابين» ذكرت الزراعة ولم تذكر التجارة . كذلك كانت المسيحية الأولى ترى فى ملك الأرض والرقيق عقاب الله النازل على المالك لمعاصيه . وحرمت على الرهبان وعامة الناس من النصارى ، التجارة والربا وملك الثروة .

والحق أن تحريم الملكية لا يلائم طبع الانسان ، لأن التفكير فى مستقبله ومستقبل ذريته من صفاته الطبيعية . وان ما وصل اليه علماء الاقتصاد فى الغرب ، وفى العصر الحاضر ، بعد نقاش طويل ، ورد وقدح بين الآراء والأفكار والنظريات حول تحديد الملكية . كل هذا قد عالجه التشريع الاسلامى ووضع مبادئه قبلهم بقرون .

فالاسلام لا يحول بين الناس وبين الملكية الفردية بوسائل التملك المشروعة . فهو يعطى المالك حق التصرف فى ملكه بالبيع والاجارة والرهن والهبة والوصية .. الى آخر حقوق التصرف الحلال ، وفى نطاق الحدود التى سنها للتصرفات .

وتقرير حق الملكية الفردية يحقق العدالة بين الجهد والجزاء ، فوق مسايرته للفطرة ، واتفاقه مع الميول الأصيلة فى النفس البشرية ، تلك الميول التى يحسب الاسلام حسابها فى اقامة نظام المجتمع .

ولكن الاسلام لا يدع حق الملكية مطلقا بلا قيود ولا حدود . فهو يقرره ويقرر بجواره مبادىء أخرى ، تكاد تحيله حقا نظريا لا عمليا . ومصلحة الجماعة كامنة من وراء هذا كله .

ويرى الأستاذ « شارل جيد » وغيره من علماء الاقتصاد أن منشأ حق الملكية هو الاستيلاء ولكن الشرع الاسلامى لا يقول بالاستيلاء المطلق ، ويرى أن استيلاء الغاصب على المغصوب لا يثبت حق الملكية ، كذلك لا يوجد ذكر للعمل كأساس للملكية ، لا فى نصوص القانون الرومانى ، ولا فى مواد القانون الفرنسى المدنى . ولكن الشريعة الاسلامية لم تقتصر على ذكر العمل كمصدر للملكية فحسب ، بل رجحته على جميع المصادر الأخرى : ففى الحديث الشريف «ما أكل أحدكم طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده» .

مصادر الملكية

وبينما يرى معظم رجال الاقتصاد فى الغرب أن أهم مصادر الملكية المعترف بها. لدى القانون ثلاثة : الاشتراء ، والهبة ، والارث (سواء بوصية أو بغير وصية) . نجد أن هذه المصادر لدى الشريعة الاسلامية كثيرة ، فمنها : الكسب ، والاشتراء ، والمعاوضات المالية (مثل أجور الخدمة ، وضمان التلف وغيرها) ، والمهور والخلع (وهو ما يدفعه الزوج عند التطليق) والميراث ، والهبات ، والصدقات ، والوصايا والوقف ، والغنيمة ، والاحياء (أى احياء الأرض الموات) ، والاقطاع (أى اقطاع الأرض لأحد من قبل الامام) ، ودية القتيل وغيرها . ولا يدخل عن طريق تلك المصادر شىء فى ملك الانسان إلا باختياره ، ما عدا بعض الأشياء فانها تدخل ملكه دون اختياره ، قبلها أو لم يقبلها ، مثل الارث ، وغلة الوقف يملكها الموقوف عليه وان لم يقبل . وكثرة تلك المصادر تدل على حرص الشريعة الاسلامية على تعدد المسالك لادالة الثروة بين طبقات الأمة المختلفة ذكورا وإناثا .

والاسلام يرى أن التفاوت فى قسمة الثروة بين أفراد الشعب راجع الى التفاوت الخلقى الموجود فى قوى الأفراد المختلفة ، ومصدر مشيئة الله ، وليست الملكية الخاصة . ففى القرآن الكريم : «والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق» (سورة النحل : ٧١) وقد اعترف بهذا التفاوت الخلقى ، بعض كبار رجال الاقتصاد فى العصر الحاضر ، ومنهم الاقتصاديان الانجليزيان ألفرد مارشال ، واللورد كينز . فقد اعترف الأول أن التفاوت بين الناس فطرى لا يمكن اقصاؤه كاملا . وهو يرى أن الفقر يرجع الى ضعف ، إما فى جسم الانسان أو فى عقله أو أخلاقه . أما الثانى ، وهو الذى كان لآرائه وأفكاره أثر بليغ فى النظم الاقتصادية فى أوروبا وأمريكا فى العصر الحاضر ، فقد عد هذا التفاوت مصدراً لاختلاف احكام الناس بشأن توفير المال واستثماره في المشروعات الخاصة .

وسائل التملك الفردي :

ولما كان العمل ــ كما قدمنا ــ هو الوسيلة الوحيدة لنيل حق التملك في الاسلام ، فقد عدد الشرع عدداً من انواع العمل المشروع التي تعطي هذا الحق . نذكر منها :

● الصيد : وهو الوسيلة البدائية الأولى في حياة البشرية .

● احياء الموات من الارض التي لا مالك لها : باية وسيلة من وسائل الاحياء ، ولابد من أن يقوم الفرد بإحيائها في ظرف ثلاث سنوات من وضع يده عليها ، والا سقط حق ملكيته لها .

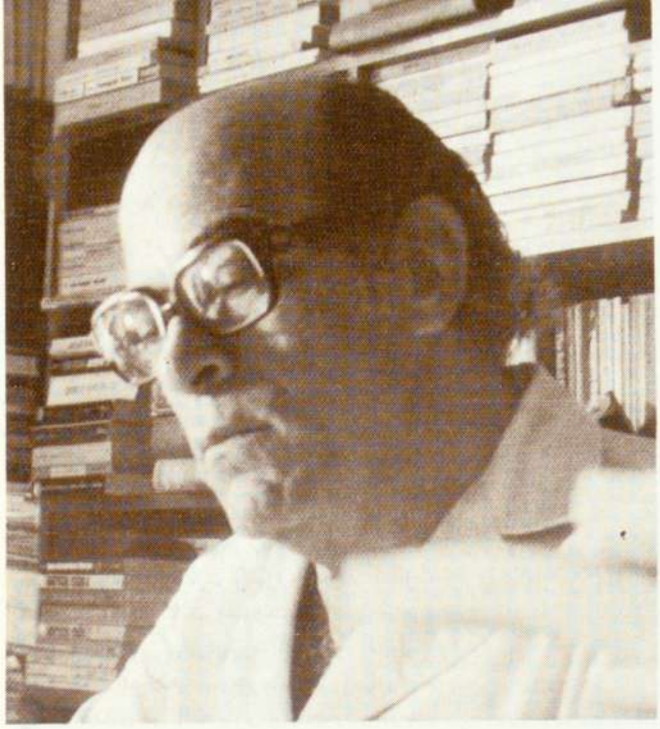
● استخراج ما في باطن الأرض من المعادن : وهذا العمل يجعل أربعة أخماس ما يستخرج من معدن ملكاً لمن استخرجه . والخمس للزكاة .

● الغزو : وينشأ عنه ملكية السلب ، وهو كل ما مع القتيل الذي يقتله مسلم . كما تنشأ عنه ملكية الغنيمة ، وأربعة أخماسها للمحاربين وخمسها لله وللرسول : « واعلموا انما غنمتم من شيء ، فان لله خمسه وللرسول ، ولذي القربى واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل » (الأنفال : ٤١)

● العمل بأجر للآخرين : فالاسلام يحترم هذا العمل ويعظمه . ويروى أن الرسول قبل يداً ورمت من كثرة العمل وهو يقول ــ « تلك يد يحبها الله ورسوله » . كما يدعو الى توفية العامل اجره معجلا كاملا غير منقوص ، وفي الحديث الشريف : « أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه » ولقد طلب الاسلام الى العامل ، في مقابل هذه العناية بحقه أن يقوم هو من جانبه بتجويد العمل واتقانه « ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا أن يتقنه » .

وما دام العمل هو أساس التملك ، فتقرير حق الملكية الفردية في الحدود التي بينها لا يضار به احد ، بل يصبح مجالا لحث الفرد على بذل أقصى الجهد ليرضي رغبته في التملك ، ما دام يعمل في الحدود المشروعة .

بقيـة الدراسـة
في العدد القادم



إدوار الخـــراط

ماجـــد يوســـف

حوار مع القـــاص والروائي إدوار الخـــــراط

حول أزمة العقل العربي

تتمثل فى الحوار مع الفنان الرائد والمثقف العربى المعروف إدوار الخراط ـ ولو كان حواراً جافاً حول «أزمة العقل العربى» ـ تلك الخصائص والسمات التى يستشفها المرء من حواره الحميم والخاص مع أعماله الابداعية فى القصة والرواية . فهو من هذا النوع النادر من المثقفين والفنانين والمفكرين الذين تتبلور فى كافة ما يصدر عنهم من ابداعات وتصريحات وحوارات وكتابات نقدية .. وحدة موقفية شديدة الاتساق تنجم بدورها عن رؤية واضحة ومحددة ولا لبس فيها من أى نوع . وهذه الرؤية المحددة لا تعكس جموداً ما ـ كما قد يبدو لوهلة ـ بقدر ما تشى بقدرة هائلة على الاحاطة الواسعة بافاق هذه الرؤية حتى أخر نقاطهـــا البعيدة . ولذلك فأنت حين تقرأ له قصة أو رواية تحاوره حواراً اكتشافياً يمتلىء بالجدة والخصوبة والامتاع ، وحينما تحاوره فعلا حول أى موضوع يعن لك .. حواراً حياً مباشراً .. فأنت تدخل ـ وبدون أن تدرك ذلك تماماً ـ فى مناخ إبداعى لاشك فيه ! .

وهنا لابد لك أن تتساءل .. هل ثمة علاقة بين «ابداع الحوار» فى لقائك الشخصى به وبين «حوار الابداع» فى لقائك بعمله الفنى وأظن أن الاجابة تتلخص فى أن ادوار الخراط ذو قوام فكرى شديد الانضباط مع نفسه أولا ، ومع الآخرين بالضرورة . هذا القوام يعتمد الدقة فى العبارة ، والأناة فى اختيار اللفظة ، والتكثيف الذى ينأى عن خبث التزيد ، والتحديد الصارم المبتعد عن ميوعة ترهل العبارة ، والخلق الدؤوب للغة جديدة .. لا للفن فقط ، وإنما للفكر أيضاً .. ولذلك فادوار الخراط يبدع محاوراً (حينما يتكلم) ويحاور مبدعاً (حينما يكتب) . هى حالات متنوعة لحضور واحد . وربما يكون السبب الثانى لهذا الحضور المتسق والشديد التناغم عند ادوار الخراط ـ محاوراً ومبدعا وناقداً .. الخ ـ حضور «الآخر» دائماً فى مقدمة وعيه .. وهو يعطى هذا «الآخر» (كموضوع أساسى لتجليات «الذات») ـ فناً وفكراً ـ مكان الصدارة فى ابداعاته جميعها . ومع انه من المستحيل فى هذه العجالة الاحاطة بعالم فنان كبير ومثقف ضخم كادوار الخراط ، فهذا كتاب وحده ، ومهمة صعبة ليس من السهل أن ينبرى لها ناقد واحد ، بالاضافة الى انه ليس موضوع حوارنا معه ، إلا انه يبقى من الأهمية بمكان الاشارة ـ مجرد الاشارة ـ الى بعض الخصائص والسمات التى ألمحنا الى وجودها فى بدء هذه المقدمة ، كمقومات ومحاور تحكم رؤيته الفكرية والفنية فى أعماله الابداعية ، وكتاباته النقدية ، وحواراته الفكرية جميعاً .

وأهمية هذه الاشارة تنبع من مسألتين :

أولاهما أنها تؤكد على عامل الوحدة فى الرؤية والنظر فى كل ما يصدر عنه من فن وفكر ، وثانيتهما أنها تحدد لنا آفاقاً مبدئية لحوارنا معه .

فادوار الخراط ـ فنا وفكراً ـ حالة مستمرة من التوق المحموم الى «الاقتراب من روح العصر» .. «الاقتراب من خصائص المكان والزمان الذى نعيش فيه» .. ونشدان لاينى للحرية ، الحرية المتحققة والمحبطة معاً ، وسعى لاعج دائب لا يتوقف أبداً نحو

«الحقيقة» . وهذا السعى هو مناط الصدق الفنى عنده . كما يرتبط الخراط ارتباطاً حميماً .. «بما هو مقوم للانسان .. حريته التى لا يمكن أن تهدر .. توقه الى العدالة والى الجمال .. مأساته الكونية المحتومة كانسان .. وقدره المجيد فى مجابهتها» . ولادوار الخراط علاقة خاصة ومتميزة وشديدة الخصوصية والفرادة باللغة العربية .. فهو عميق الايمان بها ، وعميق العشق ايضا ، يوقن انها شديدة الغنى ، وصارمة الدقة ، وبارعة المدخل الى النفس. ويرى أنها الأداة والخامة التى يصوغ منها الكتب وبها عمله ، إن لها أهمية قصوى عنده . وليس مناط هذه الأهمية مناطاً شكلياً خارجيا ، فلا فكر ولا حس بدون لغة ومسعاه الدائم هو فى أن ينطق هذه اللغة بحساسيته وفكره فى سياق العصر بل وسياق المستقبل ايضاً ، ولا يمكن أن تحمل هذا الوعد لغة مكرورة ومعادة ومستهلكة ، ولذلك فهو يدمر وينسف القوالب اللغوية المصطلح عليها . إنه يمارس نوعاً من التفجير للابنية التى يتقلص تحتها الفكر والحس ، محاولا أن يجد بين أنقاض هذه الركامات الجوهر الثمين الحي . وليس الأمر مجرد تفتيت وانفلات بقدر ما هو «فتح لأبواب موصدة تضرب وراءها سيول عارمة تريد أن تندفق» .. ويريد لها الخراط أن تندفق «وفقاً لقانونها الخاص وحريتها الخاصة» .

إدوار الخراط .. أب من أباء القصة والرواية العربية الحديثة ، ولا يسع أى تاريخ أدبى منصف وذو قيمة للحداثة أو للحساسية الجديدة فى الأدب العربى بعامة ، وفى القصة والرواية بشكل خاص ، إلا أن يبوئه مكان الصدر والصدارة فيه ! . هذا الرائد الكبير حملت أعماله الأولى فى اوائل الأربعينات بذور الحداثة والتجديد التى لم تؤت أكلها إلا بعد ما يزيد على العشرين عاماً على الأقل بعد ذلك !!

والآن ، هل نتسلل معاً الى عالم هذا العاكف المتبتل فى محراب الفن والحقيقة ، لنخوض حواراً معه حول : «ازمة العقل العربى» .

عزلة المفكر العربى .. لماذا ؟

● هناك تساؤل مبدئى يلح علي فى بداية حوارى معك ، وربما ترسبت طبقات هذا السؤال من مجموعة الحوارات السابقة التى خضتها مع مفكرين آخرين حول هذا الموضوع . وهو سؤال حول «الجدوى» من أمثال هذه الحوارات . هل تعتقد ـ مع الوضع المعزول للمفكر فى عالمنا العربى نتيجة لعدة عوامل نعرفها جيداً ـ أن افرازات هذا المفكر أو ذاك ، وتشخيصه لأزمات الواقع وتحليله لأمراض مجتمعنا ، سيكون له صدى ما ـ ناهيك عن التأثير ـ فى تغيير هذا الواقع المتردى ، نحو الأفضل والأحسن ؟!

السؤال بصيغة أخرى :

هل نطمح أنا وأنت ونحن جميعاً ، أن يتمخض جهدنا المزمع هذا ، وأمثاله عن نتيجة ما ، وفعالية ما ، ودور ما ، أكثر من مجرد نشر هذا الكلام على الملأ وانتهاء الأمر عند هذا الحد ؟!

هل مثل هذا الجهد ـ فى مثل هذا الواقع ـ من الممكن أن تكون له ثمرة حقيقية ، أم انه محكوم عليه بان يظل مونولوجاً احادياً مع النفس ـ أو مع النخبة المثقفة ـ لا يتعداها ؟!

لماذا ـ فى مجتمعاتنا ـ دائماً ما تجهض العلاقة التبادلية «للجدل» بين المفكر وهو يحلل ويشخص واقعه ويصل الى اطروحة فكرية ما لحله وحل تناقضاته من ناحية ، وبين المجتمع الذى من المفروض أن يصب فيه هذا السعى أساسا . ولكنه على العكس يقف منه موقفاً شديد التعنت بأستمرار . هناك حلقة مفقودة بين جهد المفكر عندنا ، وبين قدرة المجتمع ـ أو رغبته فى تتويج هذا الجهد ، حتى ليبدوان فى حقيقة الأمر على طرفى نقيض . فالمفكر تستولده احتياجات واقعه ، وهو حينما يولد ويتبلور يود لو يحل اشكاليات هذا الواقع ، فاذا به يلفظه بقسوة ، ويأبى على الدائرة أن تكتمل اكتمالها الطبيعى .. لماذا ؟ .

الدور المنوط بالمثقف إزاء الواقع

يقول أدوار الخراط : انت فى هذا السؤال تمس القضية أو المشكلة التى ما فتئت تراودني ، وتلح على اذهان ـ لا اقول المفكرين فقط بل أقول ـ المثقفين بصفة عامة منذ فترة طويلة وربما عبر التاريخ ، أى تاريخ الوعى الانسانى كله ، وماتزال قضية ملحة بل شديدة الالحاح فى العصر الذى نعيشه ، سواء كان ذلك فى الغرب أو بصفة خاصة فى الشرق ، والقضية : ما هو دور المفكر ، أو بعبارة أوسع . دور المثقف فى المجتمع ، ما هى مهمته ؟ ما هى فاعليته ؟ .

هى قضية بلا شك تؤرق ضمائر قطاعات كبيرة جداً من المثقفين والمفكرين فى مصر وفى العالم العربى والعالم الغربى على السواء ، لست أزعم أن عندى إجابة جاهزة حتى لما تحدثنا فيه من قبل فى هذا الموضوع . كنت أميل للتكلم بلسان القصاص والروائى ، وبلسان المهموم بالوسائل الفنية ، عندما قلت لك إنه يخامرنى شك كبير فى أن الفنان الحق ، الفنان الأصيل ، يستطيع أن يصل الى جمهور عريض ، دعك من استطاعته أن يؤثر فيه ، على الأقل فى المرحلة الراهنة التى تعيش فيها جماهيرنا العريضة فى مصر ، أو فى سائر البلاد العربية .. وأن دور الاعلام والصحافة ، والسياسة ، وفنون «بيع» المنتجات «الفنية» التى تتخذ ـ زوراً وبهتاناً ـ شكل الفن ، هذه كلها تلعب الدور الاساسى ، أما الخبرة الفنية الأصيلة ، فما زالت على هامش حياتنا الاجتماعية ، جداً. لكن هذا لايعنى أنه من المقبول أو حتى من الممكن أن تنفى من البداية دور المثقف ، لاشك أن خبرتنا فى التاريخ تشير الى نوع من الدور الفعال يقوم به ذلك الذى اصطلحنا على تسميته بالمثقف بصفة عامة كانت هناك حقب تاريخية أو مراحل اجتماعية كاملة وجد فيها هذا التكامل بين المثقف والمجتمع ، وكان المثقف أو الفنان يقوم بدور عضوى فى المجتمع ، اننى أشير بالطبع الى الفترات التى ازدهرت فيها أنواع من «الميثولوجيا» الكاملة ، تكامل فيها دور الفنان والمجتمع ، أشير الى فترة مرت بها المجتمعات البدائية كان للفنان أو «للكاهن» أو «للساحر» فيها دور عضوى ، أشير الى الفترة التى كان فيها المثال أو النحات أو الفنان .. مجهول الاسم ، نحن لانعرف من هم أصحاب التماثيل الرائعة فى مصر القديمة ، من هم بناه الكاتدرائيات الشامخة ، من هم أصحاب الموسيقات والتمثيليات الدينية الوسطية .

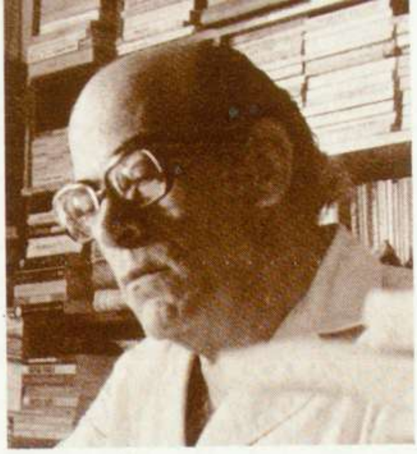
لم يكن للفرد فى تلك المراحل الدور الذى أصبح له فيما بعد . وهو موضوع طويل لا أريد أن استطرد فيه بحيث أبعد عن القضية الآن . المهم انه عقب نمو النهضة الصناعية ، عقب عصر الاستكشافات الجغرافية ، عقب ظهور ما يسمى « بالعصر البرجوازى » عقب تأكد الفرد بشكل حاسم بعد النهضة الأوربية ، ظهر وتأكد نوع من الانشقاق بين الفرد والمجتمع ، وبالتالى تضاعفت وتفاقمت الأزمة الى أن وصلت الى مرحلتها الحالية التى يحس فيها المثقف الفرد والمفكر الفرد انه معزول عن المجتمع ، وانه كم مهمل ، وانه ليست له فاعلية ، وليست له سلطة ، أو ليست له فرصة المشاركة فى اتخاذ القرار الذى يهمه كما يهم مجتمعه . صورة تبدو قاتمة حقاً . ولكن يجب أن نفكر قليلا : هل حقيقة اختفى دور المثقف فى المجتمع ؟ . ألا يمكن للمفكر أو المثقف أن يجد لنفسه دوراً فى

حول أزمة العقل العربي

وسط اجهزة الثقافة او اجهزة الاعلام .. مع ما يبدو من تناقض اساسى بين كلمة « اجهزة » وكلمة « ثقافة » .

هل أصبحت المؤسسات والأجهزة من القوة بحيث لا يملك الفرد الا ان يكون مجرد ترس دوار فيها .. اظن لا .. اظن ان استقراء الواقع يشير الى الاجابة فى ناحية الأمل لا فى ناحية اليأس ، ولكن هذا يتوقف على عوامل كثيرة جداً . من البداية لست اقطع بانه لن يكون للمفكر دور ـ دور حاسم واجتماعى على الأقل ـ كما انني لست اقطع بانه لن يكون له دور .

الاحتمالان مطروحان ، والاجابة تتوقف على عديد من العوامل ، هناك ايمان ما عند المثقفين والفنانين بصفة عامة يتجاوز معطيات الواقع ، يستمد من الواقع عناصر ولكنه لا يسلم لها بكل الحتمية التى تبدو انها تومىء اليها بمعنى ما . يبدو لى من مجرد إثارة المشكلة والالحاح عليها وتقليب اوجهها وتحولها الى هم مقيم وممض ، انها تعكس عاملا واقعياً . لو أن المشكلة كانت مجرد مشكلة تدور بين المفكر ونفسه ، لو كانت مشكلة فيما يصح أن نسميه « ذاتية بحتة » لما كان لها هذا التردد ، وهذا الصوت ، وهذا الالحاح . إذن فهذا كله يشير الى وجود احتياج ، احتياج يعبر عن ذاته ، احتياج يبحث عن المنطلق . هناك تمرد أساسى ما فى الانسان يستمده من الاستبصار الداخلى كما يستمده من الاستقراء الواقعى للتاريخ ، التمرد على قمع الاجهزة ، وعلى قمع المؤسسات ، بل أضيف الى هذا انه التمرد على قمع الواقع نفسه ، سواء كان هذا الواقع احتماعيا او حتى كونياً . هذه الحاجة الانسانية الأساسية تكاد تبدو ثابتة كانها خالدة فى وسط الظاهرة العرضية اساساً ، ظاهرة الانسان . هذا كله يشير الى انه يمكن أن يكون للمثقف دور . هذا كله يشير الى منطق هذه الحاجة الانسانية ، منطق هذا المتطلب الانسانى الذى يبدو مستعصياً على الزمن وعلى التقلبات والتطورات الاجتماعية ، خالداً : انه يجب أن يكون للمثقف دور ، وللمفكر دور .



حرية المفكر العربي .. بين المنح والمنع

قلت له : قد أسلم مع سيادتكم بان هذه المشكلة قد توجد فى الغرب كما هى موجودة فى الشرق . اقصد مشكلة « إبعاد المثقف او المفكر عن لعب دوره المفترض الذى تؤهله له قدراته الطبيعية ووعيه المكتسب » . ولكن ثمة فارق هام بين المفكر فى أوروبا والمفكر فى عالمنا العربى ـ أو فى العالم الثالث برمته ـ هو ما يعنينى رصده هنا ، وهو ما عنيته بسؤالى أو على الأقل فى بعد من أبعاد هذا السؤال . فالمفكر فى أوربا أو المثقف قد « يغترب » أحياناً نتيجة لظروف معينة ، ولكن المفكر أو المثقف عندنا « معزول » من البداية وفى كل الاحوال .

بصيغة اخرى :

قد يعانى المفكر فى الغرب معاناة مترتبة على عوامل ليست احدها « الحرية » .. حرية الفكر والتفكير والابداع الفكرى . اما المعوق لدى مفكرنا فهو يتمثل اساساً فى حرمانه من هذا الحق المبدئى . ولازالت ماثلة فى الأذهان امثلة كثيرة من عصر نهضتنا ـ أو ما نسميه كذلك ـ طه حسين وعلى عبد الرازق وقاسم امين .. الخ ، هذا هو الشق الأول من السؤال ، الشق الثاني : اننا نعرف من حركة النهضة الأوروبية انه كان ثمة سعى فكرى للتحرر من ربقة الكنيسة ، وان هذا السعى لم يكن يتم فى فراغ ، وانما كان له ثمراته باستمرار . كان هناك هذا التوازى المتنامى بين المعاناة الفكرية والابداعية الأوروبية فى طور نهضتها وبين حركة المجتمع ككل الى الامام .

فى عالمنا العربى ، وبدون مبالغة كبيرة نستطيع أن نقول إننا نرتد وبخطى واسعة حتى عن إرهاصات رفاعة ، وعبده ، والافغانى . فهذه الروح التى اسميناها بالنهضة والتى املنا فيها كثيراً ترى مظاهر انتكاساتها وتبديات ارتكاساتها ماثلة امامنا فى كل يوم وعلى كل صعيد ، وكما لم يحدث فى طور النهضة الأول . والسؤال هنا : هل ذلك لأنه ازداد احكام الحصار المضروب حول الفكر والمفكرين لنفيهم عن لعب دورهم الطبيعى (والذى الح من حديثك انك لازلت مؤملا فيه برغم كل شىء) أم لعل السبب يكمن فى ان المفكرين أنفسهم أصيبوا بما أسميه التقوقع والانعزالية و « البرج عاجية » ـ اذا جاز الاشتقاق ـ إن إيثاراً للأمان والسلامة ، وان يأساً ، وإن ركونا الى حل فردى ما .. الخ ؟

عقل عربى .. أم .. عقل انساني ؟!

ادوار الخراط يجيب : لا .. تعال ، تعال نرتب أفكارنا ونتحدث فى محاولة التلمس للاحاطة بموضوع معقد كل التعقيد وشامل وواسع جداً ، ولا حوار واحد ولا عشرة تكفى للاحاطة به . لكن نحاول أن نضع أيدينا على المحاور الرئيسية . دعك من مسالة الرصد والتوصيف فقد شبعنا واتخمنا من الرصد والتوصيف ، ونكاد نتفق جميعاً على المظاهر الملموسة الآن .. تمزق المثقف وغربته وعزلته ، وانعدام الحرية ، سيادة القيم الاستهلاكية ، ومشكلة الامية ، وقصور التعليم ، وهجرة العقول ، ونزيف دم الحياة للمثقفين والفنانين فى مجارى العمل الادارى والمكتبى ، وطغيان التسلية السهلة التى تحمل تدميراً خفياً للقيم الثقافية وسيطرة أجهزة الدولة ، وتسخير مؤسسات الثقافة لخدمة المؤسسات غير الثقافية ، واكثر .. واكثر ..

أفاض الكثير من مثقفينا فى رصد هذه الظاهرة بما يكفى وزيادة .

هل جرؤنا على أن نرجع هذه الظاهرة الى أسبابها ؟

يمكن أن تكون الأسباب اجتماعية اذا أخذنا بالتفسير الاجتماعى ، ويمكن أن تكون تاريخية ، بل هى قطعاً كذلك ، إلى حد معين ، وبمعايير معينة ، وحتى لو اخذنا بالأسباب « الثقافية ـ الحضارية » فيمكن أن يندرج هذا الفهم فى سياق التفسير « الاجتماعى ـ التاريخى » ، ويمكن أن تكون الأسباب خلقية أو ميتافيزيقية اذا شئت . علينا أن نطرح من البداية سؤالا : هل نحن فى « العالم الثالث » كما قلت بصفة عامة ، أو فى « العالم العربى » أى فى مصر ، أو فى العراق ، أو سوريا ، أو الخليج أو المغرب ، او الجزائر .. الخ ، هل هناك خصائص متميزة « للعقل » فى هذه المنطقة من العالم لا توجد فى غيرها من المناطق ؟ هل هناك

عناصر خلقية ـ بكسر الخاء ؟ .

هل هناك اسباب جبلت عليها هذه الشعوب ؟ وما يسمى « العقل العربى » أو « العقل الافريقى » أو « العقل الصينى » هل له خصائص تختلف جذرياً ، خلقيا ، تكوينيا ، عرقيا .. عن غيره من العقول ؟ اظن اننا من البداية نستطيع ان نتفق على نفى هذا التصور ، نستطيع ان نتفق على انه ليس هناك ما يمكن ان نسميه « العقل العربى » ، كما لو كان هناك شىء عرقى خاص . هو « العقل الانسانى » فى كل مكان وفى كل زمان . ولا ينفى هذا وجود خصائص ومقومات للثقافة ، لكل ثقافة على حدة ، ترجع بوضوح إلى تراثها وعناصرها التاريخية والحضارية . أريد ان اهدف بهذا إلى ما يمكن ان يسمى « التعدد داخل الوحدة » . هل يمكن ان نضع ايدينا لنتلمس العلل والأسباب فى هذه الموروثات التى اصبحت مقوما للثقافة العربية ؟ اريد ان ننفى أولا حتى الاصطلاح الذى يسمى « العقل العربى » الذى لا استريح اليه كثيراً لأنه يكاد يوحى من بعيد أن فيه تفرقة عنصرية مـا .

قلت : قصدت باستخدامى لمصطلح « العقل العربى » الاشارة الى « ثقافة » معينة ، وطريقة تفكير ، وطبيعة رؤية ، وتراث له ملامح وسمات بعينها ، وانماط سلوكية ، وعادات اجتماعية ، وخبرة خاصة بالحياة ، واقنوم قيمى متميز ، ومجموعة من العقائد والاديان والقناعات .. الخ ، ولم اقصد اى امتياز خلقي ـ بكسر الخاء ـ او عضوى او بيولجى .. الخ ! .

قال : اذا تحدثنا اذن عن الثقافة العربية فسوف ندخل على الفور الى ظاهرة عريقة ، ولها مقومات غنية وطويلة المدى ، ولها اثرها او عواملها الفاعلة الآن .. اقصد عوامل فاعلة ناتجة عن التراث .

قلت : إن سلباً او ايجابـاً !

ثقافة عربية .. أم .. ثقافات عربية ؟

قال ادوار الخراط : نعم .. فاعلة فى الاتجاهين . اولا : اريد ان اخلص من وهم الوحدة المصمتة التى تريد أن تصب كل روافد ومكونات الثقافة فى هـــذا « العالم » العربى العريض فى قالب واحد ! لست اظن ان هناك ما يسمى بالوحدة الواحدة المغلقة للثقافة العربية بمعناها المصمت القالبى الحجرى الذى يكون قالباً واحداً ليس فيه اختلاف . اريد ان أؤكد على فكرة الاختلاف فى داخل الثقافة العربية . واريد ان أؤكد ان هذا الاختلاف عنصر إثراء وغنى وليس عنصر تفرقة وتشتيت ، وبالعكس هناك اشياء عامة توحد بين الثقافات العربية . وها انت تلاحظ اننى استخدمت ، كما ينبغى لى ـ اذا صح لى منطقى ـ عبارة « الثقافات » العربية بدلا من « الثقافـة » العربية ، ولكنى لم اتخل عن وصفها جميعاً بانها عربية فى النهاية ، وان كانت تصدر عن منابع لها قوامها وتكوينها وتراثها الخاص بكل منها . هناك عوامل عامة توحد بين الثقافات العربية بعضها البعض ، وتوحد بينها وبين الثقافة الانسانية العامة كلها ، لاخلاف فى هذا .

لست أدعو الى انفصالية مصطنعة ، ولكن أدعو الى تاكيد او اريد ان نتنبه الى تاكيد الاختلافات ، لكى تثرى وتستفيد هذه الثقافات المتعددة التى توحد بينها قنوات اتصال عريضة ومشتركة وتاريخية ، لكى تثرى وتستفيد من تلاقح بعضها البعض ومن ترافد بعضها إلى البعض . نتجاوز اذن مسالة الرصد والتوصيف الاولى الى الأسباب .

اظن ان هناك ثلاث او اربع نقاط احب ان اركز عليها . النقطة الاولى ، ليست مسالة اختلاف الثقافات بين شعوب المنطقة العربية مع اشتراكها العريض الذى اشرت اليه ، بل ازدواجية او تعدد الثقافة داخل الشعب الواحد . عندما نتحدث عن هموم المثقفين ودورهم ، وازمة الثقافة التى يعانونها ، نريد ان نتلمس حقا ما هى صلة المثقف او المفكر المصرى او العراقى او المغربى بالطبقة العريضة التحتية التى تمنحه ماء الحياة نفسه ؟ ما هى الصلة التى تربط الآن حقيقة بين المثقف فى مصر او فى المغرب وبين شعبه ؟ سنلاحظ على الفور من مجرد إثارة السؤال ان هناك اكثر من حضارة ، او اكثر من ثقافة على الاقل فى داخل كل شعب ، وان القنوات بينهما ليست موصولة كما ينبغى ان تكون ، ولا وسائل التفاعل متوفرة كما يجب ان تكون ، بين القاعدة العريضة من الثقافة الشعبية التى نعيشها فى مصر مثلا ، وهى ثقافة ارفض ان اسميها متخلفة . اننى أرفض فكرة « التخلف » الثقافى فى هذا السياق ، وازعم ان الشعب او الفلاحين او الجماهير العريضة ليست متخلفة ثقافياً ، قد تكون متخلفة ـ هنا ـ بمعنى من المعانى ، بمقياس انها لا تملك ثقافة كاملة متفاعلة مع العصر الذى نعيش فيه ، هل هذه الثقافة ـ او الثقافات التى يعيشها الشعب ـ هى الثقافة الصحيحة او السليمة او الايجابية او ما شئت من الأوصاف ؟ يبدو ان هذه المنطقة لم يتطرق اليها كثيراً !

ما هى الثقـافة التى يعيش بها ولها الناس فى بلادنا ؟

أليس هذا من اسرار او اسباب التمزق الذى يعيشه المثقف فى العالم الثالث بصفة عامة ؟ احساسه بالاغتراب عن ثقافة شعبه ؟ احساسه بانتمائه الى ثقافـــة لا يعرفها هذا الشعب ؟ . فى ثقافة الشعب بلاشك هناك الثقافة التحتية العريضـــة والسليمة ، رواسب تاريخية ما تزال تعيش فى وجدان الناس وهى مؤثرة سلبا او ايجابـا . وصحيح ايضا ان التراث القديم وبالتحديد التراث المحكى ، والتراث الموسيقى ، وما اصطلحنا على تسميته بالفنون الشعبية ، قد اضاف اليه الشعب ، أو الفنان الذى لا اسم له من بين صفوف الناس ، كما كان دابه فى المراحل التى تكامل فيها الفنان مع المجتمع ، مما جعل هذا التراث حيا ومرنا الى فترة قليلة خلت ولكن من الصحيح كذلك ان هذا كله يندثر بسرعة ويسير بشكل يكاد يكون حتمياً الى الانقراض ازاء التقنية الكاسحة ، ونحن نشرف على نهاية القرن العشرين ، وندخل بلاشك الى عالم التقنية الجارفة التى لا يقف فى سبيلها شىء والتى تتسلل الى ابعد الكفور ، واصغر القرى ، واظلم الغابات ، وافسح السهوب .. تتسلل بدون عائق ، وتؤدى إلى التسطح ، وتؤدى الى نوع من التوحيد فى حدود القاسم المشترك الأصغر ، وتؤدى الى تغريب الانسان عن نفسه وعن ثقافته . كل هذا يحدث بسرعة .

اظن ان هنا ازمة حقيقية ، وان هذه الغربة بين المثقف او المفكر و « ذاته الاخرى » التى هى شعبه يجب ان تنمحى ، مما يعود بنا الى فكرة المثقف ، كمكون عضوى فى المجتمع ، التى بدات بها الحديث .

المثقف عندما يكون متكاملا مع المجتمع وعنصراً عضوياً فيه يؤدى وظيفة ليست اجتماعية فقط ، بل اجتماعية وحضارية وتؤدى الى تحقيق ذاتى ايضا للمثقف . وهنا تنتهى الازمة .

كيف يمكن ان ننفى هذه الازدواجية بين المفكر والناس ، او بين ثقافة النخبة اذا شئت وثقافة الشعب ، هذه هى القضية الاجتماعية ، قضية إثارتها مهمة . والوعى بها مهم جداً .

دور المفكر هو ان يحاول ان يرى صورة واضحة وان يريها للناس . مجرد اثارة الوعى هو البدء بالتحرك ، البدء بالحركة هنا دور المثقف ، على الاقل فى المرحلة الحالية ، ودوره هو اثارة الوعى ، لانه البدء بالحركة .

ماجد يوسف

معركتنا واحدة:

استعادة المبادرة الحضارية

بقلم: إلياس سحاب

منذ أن بدأت الأمة العربية تستيقظ على العصر الحديث، وحركتها تدور أصلا بين محورين: الاصالة والحداثة، في وتيرة تتسم بالتوازن بين المحورين احيانا، وبالانجذاب المتطرف تارة الى هذا المحور، وطوراً الى المحور الآخر، كل ذلك وفقا للحاجة المحسوسة في ظرف من الظروف.

ولو راجعنا حركة الفكر العربي الحديث، منذ رفاعة الطهطاوي، بل حتى منذ الجبرتي، الذي سجل بدقة هائلة يوميات صدمة المجتمع العربي المملوكي في مصر، بحملة نابليون العسكرية - العلمية، اكتشفنا أن موجات الريادة الفكرية تنشد دائما الى موقع الخطر الداهم وتركز عليه.

فحين يكون الخطر هو التخلف، اي حين تصل تجليات التخلف وانعكاساته في ظروف معينة الى سقوط كبير في تحد ما، فان الدعوة الى التقدم والى ضرورة الاخذ بكل اسباب العصر الحديث تصبح الفكرة الاساسية، بل الفكرة المسيطرة على دعوات رواد الفكر، اما عندما يتجلى الخطر، في ظروف اخرى، في الخوف على الشخصية القومية المميزة، فان الدعوة الى الاصالة تصبح هي الفكرة المسيطرة بصاحبها حنين جارف الى التراث بكل تجلياته.

وقليلة هي الفترات والدعوات التي كان التوازن فيها واضحا بين ضرورتي الاصالة والحداثة، واقل منها واندر هي المنجزات التي تجلى فيها هذا التوازن، بوعي من صاحبها أو بلا وعي احيانا.

لقد اخذ مفكر عربي، لعله عبد الله العروي، اخذ على الشباب العربي الجامعي انه يذهب الى اوروبا للتخصص، فاذا به ينكب على دراسة ابن تيمية او القرن الهجري الأول، بينما لا نرى الشباب الفرنسي الجامعي - مثلا - محصور الاهتمام بمفكريه في القرن السادس عشر، بل هو يخوض دراساته الفكرية مع عصره الحديث في الغالب.

الاتصال الوثيق بالتراث

ومع الصحة النظرية لهذا الماخذ، فانه لا يلتفت ابداً الى الاسباب العملية لهذا الواقع، وهي الاهم في هذه المشكلة بالذات فالشعوب التي تقود الحضارة العالمية المعاصرة، هي بالذات شعوب اوروبا وامريكا الشمالية، هي شعوب مكتملة الاتصال بتراثها، عبر خطين متوازيين:

- خط الاتصال الاكاديمي الذي لم ينقطع، والذي اكتمل منذ اجيال طويلة بتصنيفات علمية اكاديمية شاملة ودقيقة، اصبحت في متناول اصغر الباحثين واقلهم شانا.

- وخط الاتصال الحياتي الذي لم ينقطع. فاذا كان التراث هو في النهاية المحصلة العامة لمزاج شعب ما، وفلسفته، واسلوبه في الحياة، فان ذلك كله متجسد في الحياة اليومية للمواطن الفرنسي - مثلا ابتداء بالمواطن العادي، وصولا الى كبار المثقفين، وابتداء بتقاليد الحياة اليومية وصولا الى التقاليد الاكاديمية العريقة.

وبما أن العلاقة مع التراث طبيعية على جميع الاصعدة في الغرب (وهذا هو المطلوب) فان الانطلاق الى التجديد العصري ينطلق في جميع المجالات حرا قويا. وهذا عنصر اساسي من عناصر قوة الابداع المتجلية في العصر الحديث في ما

يسمى بالدول المتقدمة . ولا حاجة لأي فرنسي او بريطاني او بولوني ، ان يجدد الحديث عن التراث ، وضرورة الاتصال به ، بمناسبة وغير مناسبة ، طالما ان ضرورات تجلي التراث القومي مؤمنة بشكل طبيعي ، ابتداء من المجال الاكاديمي ، وصولا الى اسلوب ومزاج الحياة اليومية . ومع ذلك فان دعوات الصمود في وجه مسخ الاسلوب المميز للحياة تتصاعد اليوم في بلاد اوروبية مثل اليونان واسبانيا ، في وجه غزو اسلوب الحياة الامريكي (غير المسلسلات التلفزيونية ، وملابس الجينز والهامبرغر والكولا وموسيقى الديسكو الخ ....) ولكن هذا حديث جانبي ، نشير اليه اشارة عابرة فقط .

هذا هو الموقف في اوروبا والدول المتقدمة ، فما هو الموقف لدينا ؟

تيه معطل للابداع

لقد بقيت البيئة الشعبية ، في الريف والمدن ، هي الخزان الوحيد لتفاصيل الشخصية الحضارية العربية المتوارثة والمتطورة عبر الاجيال (كما اشرنا في المقال الاول) ، ولكن شرائح المثقفين واهل المدينة بشكل عام ، اصبحت تمثل يوما بعد يوم جزيرة غربية هجينة ، تابعة للغرب في اسوا حالاتها ، تائهة بينه وبين بيئتها الاصلية ، في احسن حالاتها . وهو تيه لا نراه فقط في الكتلة العامة للمثقفين ، بل داخل الفرد المثقف نفسه ، في ازدواجية قاتلة ، معطلة لأي ابداع حقيقي .

ان انحصار السعي الى التقدم في هذه الشريحة التائهة ، المهزوزة الشخصية ، قد خلق خصاما او سوء تفاهم تاريخيا بين الشرائح الاصيلة في المجتمع العربي وبين التقدم ، لان هذا التقدم كان في معظم الاحيان لا ينجلي الا كانسلاخ حتمي عن البيئة الاصلية ، والتحاق قسري بالغرب . وهذا ما يفسر لنا كيف ان كل انجازات «التقدم» العربية لم تنجح لا في اضافة شيء اصيل ومتميز الى الحضارة الانسانية المعاصرة ، ولا في اجراء تحول عصري حقيقي وجذري في اعماق البيئة العربية المحلية .

وهكذا ، ولد الحاجز الذي يكبر يوما بعد يوم ، بين ما هو نظري وما هو عملي في هذا المجال ، وهنا تكمن الازمة الحقيقية ، التي ستظل مستمرة بل ومتفاقمة ، طالما بقي هذا الحاجز الكبير قائما .


رفاعة رافع الطهطاوي


نابليون


الجبرتي

فعلى الصعيد النظري ، نرى تيار الاصالة المتجلي بالتمسك بحذافير التراث ، وهو يضم أكثر من رافد ، ولكنها تصب في النهاية في تيار واحد ينقسم الى خطين اساسيين : خط عملي يحلم باستعادة حياة السلف استعادة كاملة في القرن العشرين ، وخط يقف عند حدود التمسك المطلق بالذات ، من غير قدرة على تجاوز هذا الى اقتراحات عملية ونرى من جهة اخرى روافد فكرية عديدة تدعو الى الحداثة ، ولكنها تصب كلها في النهاية في موقف المعتبر للغرب نموذجا اوحد للتقدم الممكن في هذا العصر ، باعتباره نموذج التقدم الوحيد القائم عمليا ويوميا امام عيوننا والمتجلي في كل فروع الحياة المعاصرة .

قصور تيار المصالحة

ومن تناحر هذين التيارين ولد تيار ثالث يحاول المصالحة بين الاصالة والحداثة كضرورتين متلازمتين ، متكاملتين لا متعارضتين ، ولكن هذا التيار بقي عند حدود المصالحة النظرية بين الاصالة والحداثة ، ولم يجرؤ بعد على مقارعة انصار التيارين الآخرين في الميدان الحقيقي للمقارعة وهو الميدان العملي الذي ينسحب على نواحي الحياة ، ابتداء بالحياة الاكاديمية وانتهاء بالحياة اليومية العادية التي تشمل شؤون المأكل والملبس والمشرب والمسكن والمواصلات وما شابه ذلك .

طغيان التلقي الهامشي

كل هذا على الصعيد النظري ، اما على الصعيد العملي ، فنحن أمام حالة فظيعة من الفوضى لا ندري هل هي فوضى البلبلة الكاملة ام فوضى مرحلة المخاض ، فنحن من جهة امام طغيان كامل للحضارة الاوروبية ـ الامريكية ، لم يعد يقف عند حدود التأثير الثقافي ، بل تعداه الى صياغة الحياة اليومية العربية بادق واصغر وابسط تفاصيلها وفي مناطق ريفية وداخلية واسعة (وليس في المدن فقط) وفقا للنموذج الاوروبي الاميركي ، يدعم ذلك تطور في وسائل الاتصالات لم يسبق له نظير في التاريخ ، يجعل تفاصيل الاحداث والحياة اليومية للدول المتقدمة ، تفاصيل واحداثا مشتركة بين جميع شعوب الارض دون ان يكون لشعوب العالم الثالث اي ضلع في صناعة هذه التفاصيل والاحداث او حتى في وضع اللمسات الخاصة عليها الامر الذي يعطي الغرب اقصى قدرة تمتعت بها مجموعة بشرية على مر التاريخ لصناعة المزاج البشري العام على صورة مزاجها الخاص ، يقابل ذلك في الطرف الآخر وخاصة عند العرب ، ذروة سياسية من التشرذم الاقليمي الذي لم يسبق له مثيل حتى في اسوا ايام الانحطاط العربي في القرون الخمسة او الست الأخيرة ، الامر الذي يسحب من يد العرب (في الوقت الحاضر على الاقل) اية قدرة على المبادرة والابداع ، ويضعهم في موقع المتلقي الهامشي العاجز حتى عن التقليد المتقن ، المحروم الا من القدرة على الاستيراد الاستهلاكي ، وحتى هذه القدرة تبدو ذات

معركتنا واحدة:
استعادة المبادرة الحضارية

افق تاريخي محدود باستمرار المستوى الحالي من تدفق فوائض الثروة النفطية .

حلول سطحية خلابة

لقد اصبح من المعالم الجديدة المميزة لمرحلة الفوضى الفظيعة الحالية ، محاولات الحلول السطحية ذات الشكل الباهر ، والتى تتجلى فى مؤسسات اقتصادية او ثقافية ، ليس لها من شروط الابداع والخلق والتجديد سوى الارقام المذهلة فى رؤوس الأموال ، والقدرة على استيراد كميات من الحاسبات الالكترونية (التى نسميها بعقد نقصنا الادمغة او العقول الالكترونية) ، وهى مؤسسات تثبت يوما بعد يوم عجزها عن تفجير ينبوع ابداع حقيقى واحد فى الحياة العربية المعاصرة ، او وضع ملمح خاص واحد على سطح هذه الحياة ، فى مقابل الملامح التى يضعها الغرب على سطح هذه الحياة وفى اعماقها .

هذا على جبهة التقدم والمعاصرة ، اما على جبهة الاصالة ، فان الأمور ما زالت فى حياتنا العامة والخاصة متوقفة عند حدود العموميات الوجدانية ، بحيث يتحول النزوع الى الاصالة ، عمليا ، الى مجرد هامش تزييني خارجى لحياة فكرية وثقافية واقتصادية ذات قواعد واعمدة اساسية منقولة ، فكيف الخروج من المازق ؟

الخروج من المازق

فى السياق السياسى ، كان جمال عبد الناصر يقول (فى فلسفة الثورة) ان كل الامم الحية قد سمحت لها ظروفها ان تخوض معركة استقلالها السياسى التى تستدعى عادة اعلى درجات الوحدة الوطنية ، ثم تخوض بعد ذلك (واحيانا بفاصل زمني كبير) معركة تحررها الاجتماعى التى تتلازم بالضرورة مع صراع اجتماعى داخل المجتمع الواحد .

اما العرب ، فقد شاءت ظروفهم فى العصر الحديث ان يخوضوا المعركتين فى ان واحد ، مع كل ما هناك من تناقض بين شروط كل من المعركتين ، الأمر الذى يضخم كثيراً اعباء التحدى المطروح على الأجيال العربية المعاصرة .

اما فى السياق الحضاري ، فيمكننا التحدث عن وجود صعوبات موازية تماما . فالعرب امام معركتين مختلفتي الشروط الى حد التناقض :

– فهم امة فقدت الاتصال الحياتى المباشر بمعظم ينابيع شخصيتها التاريخية والحضارية المميزة ، لذلك فهم امام معركة اعادة الارتباط الحيوى والخلاق بالتراث .

– وهم امة تكاد تدخل القرن الحادى والعشرين وهى ترى مسافة التقدم المعاصر بينها وبين الامم الاخرى تزداد وتتسع يوما بعد يوم ، لذلك فهم محكومون بالسير باقصى سرعة لامتلاك وسائل العصر الحديث .

فهل هناك تناقض حقيقي بين شروط المعركتين ، يوازى التناقض الظاهرى بينهما ؟ وهل نحن مضطرون الى اغلاق الابواب والاسوار من حولنا والانكفاء على ماضينا نعيش فى رحابه جيلا او جيلين حتى نستعيد الاتصال بينابيع شخصيتنا الحضارية ؟ ام هل نحن مضطرون الى دخول العصر عن طريق الالتحاق التبعى الكامل بالغرب والاكتفاء بحلم تقليده باتقان ، لان الوقت لم يعد يسمح باكثر من ذلك ؟

التفاعل الخلاق والمعاصرة

الحقيقة هى ان مشكلتنا واحدة ، سواء امام تراثنا الحضارى ، او امام طغيان الحضارة الأوروبية المعاصرة ، وهى مشكلة الافتقار الى روح المبادرة .

فالحضارة العربية ، التى ترتبط فى ذهننا دائما بمفهوم الاصالة ، لم يكن لديها فى قرون ازدهارها السبعة (بين القرنين السابع والرابع عشر) لا مشكلة حداثة ولا مشكلة تفاعل مع ما يحيط بها او ما سبقها من حضارات . ومن هذه الزاوية فليس هناك اى معنى لدعوة الاصالة اذا لم تكن ، فى اساسها ، استحضاراً لقدرة الابداع والتفاعل الخلاق والمعاصرة الكاملة ، التى اعطت الحضارة العربية ذلك الزخم الذى وضعها فى صدارة الحضارات الانسانية لحقبة طويلة ، لم تتح لاية حضارة اخرى ، بما فى ذلك الحضارة الأوروبية المعاصرة ، الحديثة العهد ، المتوسطة العمر تاريخيا ، ان لم تكن قصيرته ، على حد تعبير المفكر الفرنسي رجاء جارودى .

اما على صعيد المعاصرة ، فيمكننا القول ايضا . اننا منذ انهيار الامبراطورية العثمانية ، اندفعنا بكل قوتنا نحو امتلاك التقدم عن طريق الالتحاق باوروبا او استلهام نموذجها الحضاري استلهاما تبعيا غير خلاق ، وكان بعضنا قد بدا السير فى هذا الطريق قبل انهيار الامبراطورية العثمانية بفترة طويلة ، ومثلنا فعلت تركيا ايضا منذ العشرينيات ، فاى موقع استطعنا ، نحن او تركيا ، ان نحتل ، بل اى خطوة حقيقية استطعنا ان نخطو باتجاه ان نصبح شركاء اساسيين فى تحديد معالم الحضارة الانسانية المعاصرة ؟ لقد كنا دائما قادرين على استيراد كل او بعض اشكال الحضارة المعاصرة ، ولكننا كنا بعيدين عن امتلاك روح المبادرة ولو فى مجال ضيق من مجالات هذه الحضارة .

مبادرات عملية ممكنة

نحن اذن محكومون باستعادة روح المبادرة سواء ازاء تراثنا الحضارى ، او ازاء الحضارة الاوروبية المعاصرة ، ببعض الامثلة العملية .

ففى مجال العمارة مثلا ، نجد انفسنا منقسمين الى فريقين : الفريق الاكبر منغمس حتى اذنيه فى هندسة الشوارع والاحياء والبيوت الجديدة وفقا لآخر صيحات الهندسة المعمارية فى المدن الاوروبية ، فى الوقت الذى يبدو فيه هذا

الموضوع بالنسبة لكثير من العلماء الاوروبيين كابوساً عصرياً وضعوا المؤلفات الكاملة لنقده وتشريحه والتحذير من اخطاره ، مع ان النماذج الهندسية مستمدة كليا من المزاج الأوروبى واسلوب الحياة المعاصرة فى أوروبا ، بل ان هؤلاء العلماء يعتبرون هذه النماذج دليل وصول الحضارة الأوروبية الى حائط مسدود فى مجال الحياة العائلية والعلاقات الاجتماعية والصحة النفسية للفرد والمجتمع .

اما الفريق الاصغر ، فانه واع لهذه المشكلة ، ولكنه لا يملك اكثر من النقد النظري العابر . فاذا ما اندفع احد المهندسين الخلاقين الى محاولة ابتكار نماذج معمارية نابعة من البيئة العربية والمزاج العربي واسلوب الحياة العربي ، فان هذه النماذج تاتي (حتى الآن على الاقل) فاشلة من الناحية العملية ، لها جمال الحلم ، ولكن ليس لها الفاعلية التي يمكنها ان تواجه الحياة اليومية التي لا تتوقف .

ليس معنى هذا طبعاً ان نقع في الفخ الانعزالي ، فننساق الى رفض كل ما ياتينا من الغرب في هذا المجال ، لمجرد التمايز بل المطلوب ان يقف على المبادرة في هذا المجال ، فنبدأ ونحن نفكر بتصميم بيوتنا وشوارعنا ومدننا ، باستلهام حاجاتنا الخاصة ومزاجنا الخاص ، فاذا اتت النماذج الفعلية بعد ذلك بقواسم مشتركة مع النماذج الاوروبية فلا باس من ذلك ، شرط أن يكون ذلك نتيجة اختيار حر ، لا نتيجة تبعية الية كما هو الحال الآن .

في مجال العمارة

ولكن هذا الكلام النظري الجميل غير ممكن التطبيق عملياً الا اذا توفرت عدة عناصر عملية متكاملة في التمهيد لمبادرة عربية حقيقية في مجال فن العمارة الحديثة كمثال على كل المجالات الأخرى :

١ — إجراء دراسة عربية شاملة لتطور فن العمارة العربية في جميع العصور ، من حيث المؤثرات الخارجية فيه والعناصر الأصلية وتطور ملاءمته لتطور البيئة العربية من الجزيرة الى العراق الى سورية الى مصر الى المغرب الى الاندلس ومن القرون الاولى حتى القرون الوسطى ، ومن الخيمة فى الصحراء ، حتى غرناطة ، وجعل هذه الدراسة التي تشمل كل النواحي الرياضية والجمالية والبيئية والحياتية ، المادة الدراسية في كل الصفوف في جميع كليات الهندسة في الدول العربية . وفي هذا مثال على العلاقة الخلاقة بالتراث .



عبد الله العروي

فمثل هذه المواد لن تكون مثالا قديماً يعاد تكراره فى القرن الحادي والعشرين ، بل تكون اطلاعاً عميقاً من عرب القرن العشرين ، على انعكاسات المزاج العربي العام في فن العمارة عبر العصور ، وهذا الاطلاع هو الاساس الوحيد الذي يمكن ان يولد منه الابداع العربي المعاصر في فن العمارة اذ ليس من المعقول أن يدرس المهندس العربى كل فنون الهندسة فى العالم ، ولايطلع على فن العمارة العربى من باب شمولية الاطلاع ، على الاقل .

٢ — اجراء دراسات معمقة ومتصلة تشمل جميع نواحي الحياة العربية اليومية المعاصرة ، في المشرق والمغرب ، في المدن والارياف ، واستخلاص انماط المزاج الحياتي العربي المعاصر وفرز الطبيعي منه عن المفتعل بحكم الركض الاعمى وراء كل ما ياتي من الخارج ، والخروج من ذلك بحلول عملية ، ستكون حتما — في حال تطبيق البند الاول لفترة طويلة — مستندة الى تراكم تطورات المزاج العربي في الهندسة المعمارية ومغموسة فى الواقع المعاصر للحياة العربية ، بكل ما فيها من تعقيدات جديدة ، ليس اقلها الانفجار السكاني الهائل في المراكز المدينية

ان مثل هذا الكلام الذي يكتفي بمجرد اشارات اولية ، لو طبق في سائر نواحي الاهتمامات العلمية والثقافية ، لكان كفيلا بتامين نقطة الانطلاق التي ما زلنا نجري وراءها عبثاً منذ قرن من الزمن على الاقل وهي نقطة التوقف عن الاندفاع الآلي وراء التقليد السطحي ، والدخول في مرحلة الابداع المستند الى كل النواحي التفصيلية الفنية للشخصية العربية الخاصة .

ضرورة تأصيل علومنا

ولكن هذا مستحيل فى الموسيقى اذا ظل طالب الموسيقى العربي يعتبر أن العلم هو فقط في الاطلاع على اصول وقواعد وتاريخ الموسيقى الاوروبيــة . وهذا مستحيل في الرسم ،اذا كان طالب الرسم العربي يعتبر ان العلم هو فقط في الاطلاع على اصول وقواعد وتاريخ الرسم في اوروبا . وهذا مستحيل فى كل المجالات الأخرى (الفلسفية والاقتصاديه والاجتماعية والعلمية) اذا بقينا مصرين على أن نبني على غير أساس: منا من يرتاح الى مجرد استذكار امجاد الحضارة العربية الغابرة ، ومنا من يرتاح الى وهم تحقيق التقدم العربي ، بالحاق العرب بركب الحضارة الاوروبية الحاقاً تبعياً بليداً ، وكلنا (فى الحالتين) عاجزون عن تحقيق الخطوة الاولى في طريق المبادرة الخلاقة في الحضارة المعاصرة ، مبادرة تحمل كل سمات الشخصية العربية المميزة ، نحن بحاجة ماسة الى اعادة واكتشاف العروبة ، وليس لننفصل عن ركب الحضارة الانسانية او ننعزل عنها ، ولكن لتكون عنصراً فعالا فيها كما كان اجدادنا ، لا مجرد عالة عليها ، كما نحن اليوم .

غير ان كل هذا سيظل كلاما نظرياً بانتظار القرار السياسي بالعيش على مزاجنا (بمعنى المزاج التاريخي العام للامة) لا على مزاج غيرنا ، فهذا هو الاستقلال بكل بساطة ، عندئذ سنعرف كيف نتعرف الى ملامح هذا المزاج ، ونحترمه نحن اولا ثم نفرض احترامه على الآخرين ، وهذه هي الاصلة بكل بساطة ، ثم كيف نجسد هذا المزاج في الفلسفة والاقتصاد والعلوم والفنون ، وهذه هي الحداثة بكل بساطة .

الياس سحــاب



حكايات صغيرة

بقلم: عبد الله الشيتي

● آلــــــو..

هاتف المكتب يرن رنينا متواصلا ، بلا رحمة ، وسط زحمة العمل ، والمطبعة فاتحة شدقيها لا تعذر : هل من مزيد .. وامسك بسماعة الهاتف :

– نعم .. ؟

– الله ينعم عليك ..

– وعليك وعلى والديك .. مين الاخ . ؟

– والله زمان .. سلامات ..

– اهلا . لم اتشرف بالمعرفة ؟

– ولو ما عرفتنى .. ؟

– (الله يجيبك يا طولة الروح) معليش . ذاكرتى ضعيفة . مع ان صوتى مشهور ..

– يعنى مطرب ، الاخ . ؟

– اعنى اننى دائما اكلمك ..

– ما تؤاخذني . إنه النسيان .. مشغول شوى ..

– كيف الحال والعيال و – (و .. ؟) .

– (مقاطعا) كلهم بخير . بيقبلوا إيدك . ممكن اخدمك .. ؟

– صحيح انك عصبى .. ما هكذا عهدتك .

– اوه . ارجوك . عندى شغل لفوق راسي .

– وانا عندى شغل اكثر .

– يا سيدى امرك . امرك يا سيدى ..

– الله يرحم عبد الحليم حافظ .

– ويرحمني كمان ..

– وين بدك تسهر .. ؟

– « صائحا » أرجوك . خلصني حل عني . ارحمني . اعتقني لوجه الله ..

– صحيح انك قليل حياء يا سيد فوزى ..

– وهنا فقط ادركت ان صاحبنا غلطان بالنمرة . فوضعت السماعة قبل ان اعتقد انه يريد مكالمـــة المرحــوم فوزى . القاوقجي ! !

● الآنسة أجاثا

قليلون وقليلات اولئك الذين يعرفون من هي « الآنسة اجاثا بربارة » انها مواطنة مالطية ، فى عقدها الخامس إلا قليلا . بسيطة المظهر ، بالغة الرقة والتواضع . تبتسم للصغير والكبير . وهى تذهب الى السوق تشترى حاجياتها بنفسها . لم تتزوج . وتقوم بشؤون بيتها دون الاستعانة بخدم . تزار وتزور كأى « ست بيت » ، وقد تصادفها على مرأى العين فى هذا السوق او ذاك الشارع ، فى سيارة متواضعة . أو تجدها فى احتفال شعبى أو مناسبة فى فندق ، أو حفلة خاصة أو سهرة عائلية . فاذا مددت يدك لمصافحتها وقدمت إليها نفسك « فلان ابن فلان » فسوف تكتفى هى بالقول : اجاثا بربارة ، من خلال بسمة رقيقة ووداعة ظاهرة ..

وإذا كنت فضوليا فسوف تعرف عندها ان الآنسة اجاثا هى نفسها وزيرة العمل فى حكومة « مونتوف » سابقا ، ورئيسة الجمهورية المالطية الآن ..

ويانســاءنا نحن : المزيد من التواضع .. !



● ذهب .. وعاد



كثيراً ما نقرأ فى الصحف اعلانات عن خادم (ذهب ولم يعد) الى بيت مخدومه وكثيراً ما نرى اذا ما فتحت قفص عصفور حبيس انطلق «السجين» الجميل الى اجواء الحرية بلا عودة ولسان حاله ـ يغرد ـ مع عبد الوهاب : ما احلاها عيشة الحرية ..

ومنذ أيام كنت أزور صديقاً فى بيته وسمعت زقزقة مموسقة شنفت سمعى . وعلمت بالطبع انه صوت عصفور حبيس . وتذكرت حكاية أبى فراس مع جارته الحمامة وتخيلت ان جارى الصغير ـ العصفور هو جارى يسائلني :

ـ آه يا ابن آدم لو تشعر بحالى ..

ولما رآني مغتماً سألنى : ايه الحكاية يا اخ .. ؟

قلت : لا أحب العصافير السجينة . لا تقتلوا العصافير . لا تقتلوا الحرية ..

قال : ولكنه يعشق عبودية القفص .

صحت : مش معقول . هل هناك من يكره الحرية .. ؟

قال : صدقني . اطلقت سراحه خمس مرات وكل مرة اراه يعود ينقر نافذتى ..

قلت : لا اصدق الا اذا جربت بنفسي . !

قال : جرب .. حتى يطمئن (ضميرك) ..

قمت الى القفص واطلقت سبيل العصفور الجميل .. فطار قليلا ثم التفت الى صاحبى اقول له : ارأيت . لقد منحناه الحرية ..

قال : ولكنى اشفق عليه . انه معتاد على القفص ههنا ، فقد وفرت له كل سبل الراحة والغذاء والماء ..

وما ان انتهى من كلامه حتى سمعنا نقراً على النافذة . انه هو نفسه ومعه عصفور آخر مهاجر يزقزقان .. !

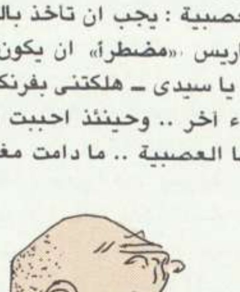
وهذه المرة اتيت لصديقى بقفص جديد هدية ، وانا أردد مع عبد الوهاب أيضاً : مطرح ما ييجي لعيني النوم . انام وانا مرتاح البال . ما دام حبايبى حوالي . كل البلاد عندى اوطان ... ! !

● هذا في باريس

زرت مؤخراً باريس ، زيارة عمل خاطفة . وحللت فى فندق قريب من شارع يعج بالحوانيت والمحال التجارية ، المشتهرة باسعارها النارية . وفى اليوم التالى لوصولى ، اضطررت لشراء بعض الحاجيات الشخصية ، اذ كانت حقيبة سفرى قد تخلفت وذهبت فى اتجاه غير اتجاهى . ودخلت حانوتاً كبيراً تبضعت منه بعض ما يلزمنى من أدوات الحلاقة ، وتصفيف الشعر ، وكان البائع رجلا عجوزاً فى السبعين من عمره ونزقاً ، لا يعرف الانكليزية ولا اعرف الفرنسية ، فكان لابد من اللجوء الى « الانترناشيونال لانجويتش » ـ اللغة العالمية ـ وهى التحدث بالاشارة التى تغنى عن العبارة . حتى اذا حرر لى الفاتورة ، بلغت ما يقرب من مائتى فرنك ، لم يكن معي منها الا مائة وتسعين فرنكاً . ورفض بالطبع ان يتناول المبلغ الا كاملا غير منقوص ولا سحتوت . وعرضت عليه ان « يصرف » لي عشرة دولارات أو أكثر فقال : هذه ليست مهمتى بل مهمتك . انا لا افهم باسعار العملات ، وازداد نرفزة وحماقة ، وانصرف عني بعد ان استعاد الأغراض مغضباً يتمتم تمتمات خافتة لعلها كانت شتائم من العيار الخفيف ..

ذهبت الى أحد البنوك القريبة فى الشانزليزيه الشهير ، وعدت ومعى عملة بني فرنسيس . ونقدت صاحبنا العجوز ، العصبى ، المبلغ كاملا . واستعدت منه حاجياتى وكان قد اعادها الى مواضعها . ومضيت عنه وانا اعجب لهذه العقلية المتزمتة فى المعاملة والعصبية الظاهرة عند رجل على حافة قبره .. وما ان قاربت فندقى حتى سمعت صوتاً يهتف بى أو بغيرى : أوه مسيو .. أوه مسيو .. !

تلفت خلفى فاذا البائع العجوز يجرى خلفى بكل ما وسعه الجرى يلهث ويشير الي ان اقف . فوقفت وانا اخمن انه سوف يستعيد ما اشتريته لأن الثمن ناقص .. وكم كانت المفاجاة مذهلة لي حتى كدت أقبل يديه ، حين مد نحوى بمحفظتى وقد نسيتها على طرف طاولته وفيها كل مؤونة الرحلة من العملات الصعبة وقال لي ما معناه بعصبية : يجب ان تاخذ بالك فى المرة القادمة ، فليس كل من فى باريس «مضطراً» ان يكون أميناً .. وقلت له ما معناه : ولكنك ـ يا سيدى ـ هلكتنى بفرنكاتك العشرة . فقال : هذا شيء وذاك شيء آخر .. وحينئذ احببت فيه كل صفاته التى انكرتها وعلى رأسها العصبية .. ما دامت مغلفة بالامانة لا بورق السولفان ..



عبد العزيز البشري

الأديب المرح الساخر

بقلم: حارث طه الراوي

عبد العزيز البشري اديب فذ من ادباء مدرسة المرح والسخرية فى ادبنا العربى - المدرسة العريقة التى اسسها الجاحظ، وجددها احمد فارس الشدياق، وطورها امين الريحاني ومارون عبود وخليل السكاكيني ومن نهج نهجهم فى المرح والسخرية من الكتاب المرحين الساخرين .

ولد عبد العزيز البشري فى حي البغالة بالقاهرة سنة ١٨٨٦ ونشا فى بيت عريق بالعلم والدين . وحسبنا ان نعرف ان اباه الشيخ سليم البشري ولي مشيخة الازهر مرتين .. فكان من الطبيعي ان يُدخل ابنه عبد العزيز فى الأزهر حيث استهوى الأدب عبد العزيز فاكب على أمهات الكتب الادبية العربية يقرا ويعيد ويتامل ، وما كاد يتخرج فى الأزهر سنة ١٩١١ حتى ابتلعه غول الوظيفة حيث عين سكرتيراً بوزارة الأوقاف حتى سنة ١٩١٤ ثم عينه احمد حشمت (باشا) محرراً فنياً بوزارة المعارف وندبه سكرتيراً عاماً للجنة الاصطلاحات العربية التى كان من اعضائها حفني ناصف (بك) واحمد زكي (باشا) . ولما تحول حشمت الى الأوقاف ضاق البشري ذرعاً بوزارة المعارف وتاق الى القضاء الشرعي وكان له ما اراد حيث عين قاضياً بالمحاكم الشرعية حتى سنة ١٩٢٢ . ثم ضاق اديبنا بوظيفته هذه فنقل



الشيخ عبد العزيز البشري

مفتشاً بالمجالس الحسبية ، وبعد مدة قليلة ندبه عبد الخالق ثروت (باشا) رئيس الوزراء فى حينه ليكون سكرتيراً للجنة وضع الدستور مع بعض رجال القانون . ثم عين مفتشاً بوزارة الحقانية سنة ١٩٢٣ ثم عضواً بمجلس حسبي اسيوط فقاضياً بالمحاكم الشرعية فعضواً فى المكتب الفني بوزارة المعارف فسكرتيراً برلمانياً فوكيلا لادارة المطبوعات . واحيل على التقاعد فى الثلاثين من ابريل (نيسان) ١٩٣٠ . ثم اعيد الى المعارف ، ولما انشىء مجمع فؤاد الأول للغة العربية عين فيه فبقى فى منصبه هذا حتى توفاه الله فى الرابع والعشرين من شهر مارس (آذار) ١٩٤٣ وهو يشغل وظيفة المراقب العام لمجمع اللغة العربية .

وبالرغم من ان البشرى انفق فى القضاء مدة ليست بالقصيرة الا انه لم يصور تلك الحياة وما يكتنفها من مشكلات ومضحكات ومبكيات كما صورها توفيق الحكيم مثلا ،

الا نه بعد ان تسنم وظائف عديدة وخبر مناخ الموظفين ، وصف (الوظيفة) وصفا بارعا لا يخلو من السخرية اللاذعة حيث قال :

« فن الوظيفة هذا ، شرح الله صدرك ، واطال عمرك ، ورفع فى المناصب قدرك ، فن واسع الأطراف ، رحب الأكتاف ، موصول الأصول ، مفصل الفصول ، معقد القواعد ، مبسط الأمثلة والشواهد ، لا يحذقه الفتى الا بعد الجهد وشدة المطاولة وسهر الليالى فى التفكير والتدبير وتمرين الأعضاء فى كيفية القعود والقيام والسكوت والكلام ، والدخول والخروج ، والهبوط والعروج ، والتشبيع والاستقبال ، والخشوع والاستبسال ، والانقباض والتبسط ، والرضى والتسخط او ارهاف الانف حتى يشم الريح على اميال ويدرك مدى تحول الجو من حال الى حال » (١) .



حفني ناصف



عبد الخالق ثروت



حافظ ابراهيم

كان البشري وفيا فى صداقته ، بارعا فى حديثه ، مرهفا فى احساسه ، عصبيا فى مزاجه ، سريعا فى بديهته ، خفيف الروح ، جميل الفكاهة ، رائع الدعابة ، وانك لتلمس هذه الخلال البشرية منبثة فى ادبه ، فاذا ترجم (٢) لصديق عزيز عليه لمست اكثر هذه الخلال الحسنة مجتمعة فى ترجمته ، اما انفعاله وغضبه فيدخره لمن يستحقه من خصومه ومزعجيه .. فاين الموضوعية فى هذا واين الظلال الواجبة الوجود فى كل صورة لتسمى صورة ؟ .

وهكذا فان طيبة حسين رشدى (باشا) فى علاقاته الشخصية وسلوكه الاجتماعى تدفع البشري الى ان يرسم له فى الجزء الاول من كتابه « المختار » صورة كبيرة ذات الوان جذابة لهذا الجانب الطيب فى الرجل ويتغاضى عن رسم خطوط سلبياته السياسية الخطيرة فى هذه الصورة . ومن الادلة على النهج العاطفى للبشرى قوله : « لست احاول فى مثل هذه العجالة ان اجلو على القارىء الكريم صورة كاملة لرشدي باشا او ان اترجم له ترجمة وافية تكافىء عظمته العظيمة فان من فتنة الدعوى ان تظن ان مثل حسين رشدى كله يجتمع فى مقالة او فى مقالات ، انما هو من اولئك الأفذاذ المعدودين ان لم يكن فى العالم كله ففى الشرق على الأقل . فما اخلق رشدى بان يتجرد لبحثه وتحقيق عبقريته نفر من علماء النفس والتاريخ واذن لخرجوا منه كل يوم بعظيم .. » .

وبعد هذه السطور التى لا تخلو من المبالغة يحدثنا البشري بصورة متتابعة عن نشاة رشدى وذكائه وفطنته وعبقريته وقوة حجته وشجاعته ونزاهته وعطفه وبره وليس لنا من اعتراض على هذه الصفات الضخمة التى كان يتحلى بها رشدى (باشا) فقد خبرها البشرى فى الرجل ووقف عليها بنفسه . ولا اخال البشرى الا صادقا عندما قال عن ذلك : « .. ولكني اروى عنه حوادث متفرقة شهدتها كلها بنفسي او ترويتها عن الثقات الذين لا يترقرق الشك حول خبرهم .. » .

ولكن اما كان الاجدر بالبشرى – وهو يرسم بريشة الفنان القدير صورة رشدى – الا يبخل عليها بالظلال . فهو يعرف والتاريخ يعرف ان رشدى (باشا) تعاون مع المحتلين الانكليز تعاونا كبيرا على حساب المصلحة الوطنية المصرية فى اعقاب سنة ١٩١٤ وقد ذكر ذلك حسين شفيق (باشا) فى الطبعة الأولى من الجزء الاول من كتابه بل موسوعته الكبرى « حوليات مصر السياسية » . ولكن البشري تغاضى عن هذه العثرة عند صديقه رشدى واكتفى بالاشارة واللف والدوران والتبريرات الواهية كقوله : « ولست اريد ان اعرض لشانه فى اعقاب سنة ١٩١٤ م فذلك كما اشار رئيس مجلس النواب ووكيل مجلس الشيوخ فى تابينه ، من حق المستقبل ان يحكم فيه بعد ان يطالع ما طاف به من الظروف ، وما اتكا عليه من الاسانيد ، الا اننى فى هذا الباب لا انسى ان رشدى كان شجاعا فى احتمال تبعة ماوقع على يديه ، وكان له ، بالطبع ، راى فيه ان خيرا وان شرا . وهو على انه ، كما علمت ، قد راجع الكثيرين من أصدقائه فى الأمر فاقروه واجازوه ، الا ان شجاعته ابت عليه فى معرض الجدال ان يشرك معه فى تبعة الأمر احدا ، بل لقد مضى بها وحده ، محتسبا انصافه عند التاريخ وحده .. » .

وهكذا طوى البشري هذه الصفحة المعتمة من حياة رشدي متوهما انه رسم الصورة الكاملة له من غير الظلال التى رسمها التاريخ فى كتاب حسين شفيق (باشا) ..

ولكن البشري عندما يريد ان يرسم صورة لخصمه فانه يتفنن فى اظهار ظلالها فقد نشر فى كتابه الرائع « فى المرآة » مقالين عن شخصية لم يذكر اسمها ، وكان عنوان المقال الاول « الشيخ » وعنوان المقال الثاني «شيخ السوق» . ومما قاله فى مقاله الثانى : «لقد دهي هذا البلد بشيخ رومي التبعة ، المانى الطلعة ، انجليزى النزعة ، له وجه كسنام البعير ، ووجنتان كانما استعيرتا من نار السعير ، يفرق بينهما منخران غليظان يقذفان بالحمم ، ويروحان على جليسه باخبث من ريح الرمم ، ودونهما فم قد افتن الشيخ فى احكام دباغه ، وتجديد اصباغه ، فاذا راعتك منه حمرة الشفاه ، فاعلم ان ذلك فى صنعة – دلمار – لا من صنعة الله . وله عينان دقتا عن الانظار فلا تستكشفهما العيون الا بمنظار ، على انهما ابصر من زرقاء اليمامة ، وهيهات ان يخطئهما الدرهم من هنا الى يوم القيامة . وله عنق قد رهلت جلده السنون الطوال ولولا (البودرة) تمسكه لسال » .

اما الصور « الكاريكاتورية » التى رسمها البشرى بقلمه فى كتابه « فى المرآة » لبعض الشخصيات السياسية والادبية والاجتماعية ، فدقيقة كل الدقة ورائعة كل

عبد العزيز البشري
الأديب المرح الساخر


جبران خليل جبران


ميخائيل نعيمة

الروعة . وقد صدق شاعر النيل المرحوم حافظ ابراهيم عندما قال فى هذا الكتاب :

« تريك المرايا الخلق فيهن ماثلا
وهذى تريك الخلق والنفس والطبعا»

ومن صوره الرائعة المضحكة فى هذا الكتاب وصفه لشكل احمد مظلوم (باشا) حيث قال البشرى : « لعمرى لو وقفت على عنق من الناس فحاجيتهم : ما اطول الحظوظ فى اطول الأعمار فى اطول الأجسام ؟ لأجابوك فى نفس واحد : (مظلوم) ! ـ وجه طويل ، على عنق طويل على جسم طويل . ولو رايته يمشى ولم تكن بعد تعرفه لخيل لك انه (زفة بهلوان) وقف فيها رجل على كتفى رجل ! وفى الحق انه لو قدر ـ لا سمح الله ـ وازيل عنقه وما فوقه عن كتفه وما دونهما لتمثل منهما رجلان اشبه ما يكون كل منهما بخلق مظلوم ! اسطوانى الراس ، ساهى العينين ، لو تاملت فيهما ما أعطتاك الا ان وراءهما عدداً كبيراً وزيفاً فى أرقام كثيرة ! . مرسل الانف رحب الفم ، ممدود الذقن ، طويل اليدين والساقين واني لاخشى ان ينكشف الزمن ، ولو بعد حين ، عن ان مظلوماً هذا رجلان (اقتصاديان) اتصلا بحيلة لطيفة حتى خرجا للناس فى صورة رجل واحد ، وتوسلا بهذا الى ان لا يدفعا عند السفر الا ثمن تذكرة واحدة وفى الفندق (الأوتيل) الا اجر سرير واحد . والواقع ان من شهدوا مظلوماً وهو يتعشى لا يشكون فى ان (جماعة) باسرها تاكل فان كان ولابد رجلا واحداً فهو انما يجتر ليومه الثانى ! » .

وللبشري لمحات رائعة في مراته اشبه ما تكون بالدراسة المستوفية ، من ذلك مقاله عن « شوقى » حيث احاط بنفسية شوقى ومنابع الهامه وسر تفوقه احاطة السوار بالمعصم ، من غير ان يستشهد ببيت واحد للتدليل على ما يقول ، فقد اغنته حججه وتعليلاته عن الاستشهاد بقريض صديقه « شوقى » . وبالرغم من ان البشري يقول فى حديثه عن « شوقى » « على انني فى هذه المراة فى سبيل تحليل نفس شوقى لا تحليل شعره » . فقد حلل شاعريته واتجاهاتها وسر قوتها وميزاتها خير تحليل ، وما اجمل قوله عن « شوقى » الشاعر : « صائد لا يخطىء سهمه وانه ليصيب ارفع المعانى من اول رمية ، وإنه ليرتفع بك اليها او ينزل بها اليك فتسيغها فى غير عسر ولا عناء ، وان كنت حقاً شاعراً بانه انما جاء بما يجاوز تفكيرك ويعلو على مدى تخييلك .. » .

ولئن كان البشرى مصوراً بارعاً للأشخاص فهو مصور بارع للحالات والأحداث التى يمر بها ، ولا اعتقد ان كاتباً يستطيع ان يصف حالته قبل ركوب الطائرة واثناء ركوبها وبعد ركوبها كما وصفها عبد العزيز البشري ، فما ترك الرجل مشهداً الا ورسمه ولا حادثة الا وذكرها ولا اختلاجة شعور ـ مهما دقت ـ الا وصورها تصويراً فنياً ، حتى جعل قارئه يتمنى لو ان البشري قد الف عن رحلته كتاباً براسه مادام ينتقل من نكتة بارعة الى نكتة لاذعة وما دام البشري قد اتاح بوصفه الدقيق الطريف رحلة مجانية للقارىء ..

وللبشري مقالات وجدانية تاملية واجتماعية فكاهية غنية بالصور الحية المشوقة والخيال الطليق اللذيذ ، ولا غرو ، فالبشري كاتب مقالة من الطراز الممتاز ، وما كان كذلك الا لانه لم يبعثر جهوده القلمية فيما لا قدرة له على الاجادة فيه ، وهكذا ابتعد البشري عن القصة والمسرحية ، وللرجل عذره فى كونه ليس من المطلعين على الآداب الاجنبية بلغاتها الاصلية فى هذا الباب ، وقد تصعب كتابة القصة وتتعذر كتابة المسرحية البارعة المكتملة على من هو عديم الالمام ببعض لغات الفرنجة وادابها .

ولعل خير مقالات البشري الادبية المستوفية للشروط الفنية هى مقالاته التى نشرها فى كتابه « المختار » والتى نشرت بعد وفاته فى كتابه « قطوف » . وفى مقالات اديبنا المرح الساخر وضوح يوشك ان يقترب من السطحية ، وذلك بعكس مقالات مصطفى صادق الرافعى فى « وحي القلم » وامين الريحاني فى « الريحانيات » وجبران خليل جبران فى « العواصف » وميخائيل نعيمة فى « المراحل » . فالعمق الفلسفى الشائع فى أدب هؤلاء الادباء وامثالهم لا وجود له فى أدب البشري ، فهو اديب اسلوب قبل ان يكون اديب فكرة ، ولا يصح ان يقال انه أديب مرح فى اسلوبه وادب العمق الفلسفى يفتقر الى اسلوب جاد . فالريحانى يكاد ان يكون اكثر من البشري مرحاً وسخرية ولكن ادبه ثرى بالعمق الفلسفى .

ورغم هذه الملاحظة على أدب البشري فان ادبه يبقى ذا نكهة خاصة محببة ترتاح اليها النفوس المتعبة المكدودة .

حارث طه الراوي
بغداد

هوامش

(١) عبد العزيز البشري ، « المختار » ، الجزء الثانى ، ص ٢٤٥ .

(٢) يرى الأستاذ جمال الدين الرمادي فى ص ١٣٧ من كتابه « ادب البشري » ان تراجم البشري لا يصح ان تسمى تراجم (بيوغرافي) بادق معانى هذه الكلمة واصدق مدلولات هذا اللفظ وانما هي (استعراض ادبي) . والاستاذ الرمادي محق فى رايه هذا .



صنعاء

مدينة التقاليد العربية وفرسان الحكايات الشعبية

بقلم: فوزي الخميس

من يدخل مدينة صنعاء يدرك منذ الوهلة الأولى أنها مدينة أزلية قديمة، فالقصص التى تروى تقول أنها أول مدينة عمرت بعد الطوفان وسميت باسم بانيها سام بن نوح ..

وهى اليوم تزهو بجمالها الذى يجمع بين أساليب الفن المعماري الشرقى والحضارة الحميرية، وكذلك، الفن المعماري الحديث!

وصنعاء القديمة، يحيطها ذلك السور الذى ترجع بعض أجزائه إلى أيام الأيوبيين فى اليمن، والذى كان أول من بناه هو الملك الحميرى (شعر أوتر) عندما ضعف حال الحميريين، وجعل عليها أبراجاً بينها مسافات محددة، وجعل للمدينة أبواباً مشيدة بالأبراج على طرق ملتوية يتعذر فيها الدخول والخروج بدون علم من الحراس، وخاصة فى أيام الحرب، ولكن الأتراك قد غيروا هذه الأبواب، وأزاحوا الالتواء منها، وأزالوا الأبراج، ولم يبق على حالته الأصلية منها غير بابى قصر السلاح وشبران، وفى عام ١٩٦٢ أصبح الباب الغربى مفتوحاً ومكشوفاً، ويقول اليمنيون أن هذه الأبواب كانت تقفل على المدينة، بحيث لا يخرج ولا يدخل منها أحد، وأن القادم اليها بعد مغيب الشمس كان ينام – دائماً خارج الأسوار حتى الصباح!

الجامع الكبير

ولو دخلنا السور لوجدنا مدينة صنعاء القديمة تتمتع بتقسيم جغرافى عجيب،

صنعاء

بحيث تنقسم إلى أحياء ، وكل حى بلا استثناء يتألف من عدة منازل متعددة الطوابق ومبنية على الطراز الصنعانى الجميل ، وفى وسط كل حى تقريباً فى صنعاء يوجد الحمام الذى يعمل بالبخار ، فأهل اليمن يعشقون الحمام المسمى بالحمام التركى .. على غرار المغاربة ـ كما يوجد فى كل حى من أحياء صنعاء مسجد بجانبه حديقة أو بستان ـ وقف للمسجد ـ يعتنى أهل الحى بهذا البستان فيزرعونه فى الغالب بالخضروات والفواكه ، ويباع الريع لصالح المسجد الملحق به مدرسة لتعليم القرآن لأطفال الحى ، بحيث يغطى انتاج البستان مصروفات المدرسة وطلابها والمسجد !

ويؤكد المؤرخون انه كان يوجد فى صنعاء ١٠٦ **مساجد** حتى القرن العاشر الميلادى ، من ابرزها مسجد الجامع الكبير الذى يعتبر اليوم من الآثار الاسلامية النادرة ، وقد تم بناؤه بأمر من الرسول الكريم حيث يقول الرازى فى تاريخه لصنعاء ما خلاصته أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه ببناء مسجد لأهل **اليمن فى بستان (بهذان ابن ساسان) وهو** آخر حاكم فارسى حكم اليمن قبل دخول الاسلام إلى صنعاء

وسيلفت نظرك فى الجامع الكبير ذلك النقش الذى يسجل تاريخ بنائه ، وكيف أن هذا المسجد أمر الرسول ببنائه قبل مسجد الجند ، واعيدت عمارة المنارة الغربية فيه بأمر من ملك الأكراد مصطفى علم الدين الذى أنفق عليها من ماله الخاص فى عام ٦٠٣ هـ !

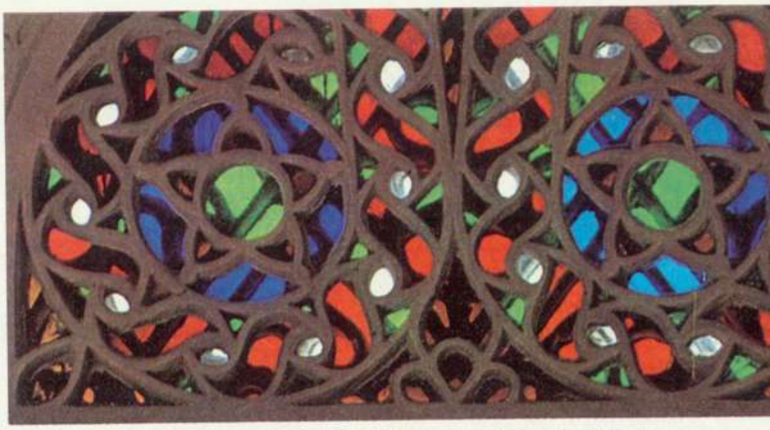
ويمثل الجامع الكبير تحفة فنية أثرية تدل على عظمة اليمنيين الذين أقاموا هذا البناء الضخم باسطواناته وهى من الآثار الحميرية وانقاض قصر غمدان وأغلبها حجر واحد من الأساس إلى منحنيات العقود !

وقد أعيد ترميم هذا المسجد ثلاث مرات عبر ثلاثة قرون ، المرة الأولى فى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان الذى ولى أيوب بن يحيى الثقفى على صنعاء وجعله يقوم **بتوسيع الجامع** فى اتجاه الشمال ، والمرة الثانية عندما أعيد بناء الجامع من جديد فى القرن التاسع الميلادى عقب الفيضانات الهائلة التى تعرضت لها صنعاء ، **وكانت المرة الأخيرة فى القرن الثانى عشر الميلادى عندما أعيد ترميمه !**

قصر غمدان

ووسط مدينة صنعاء التى تمتد بين

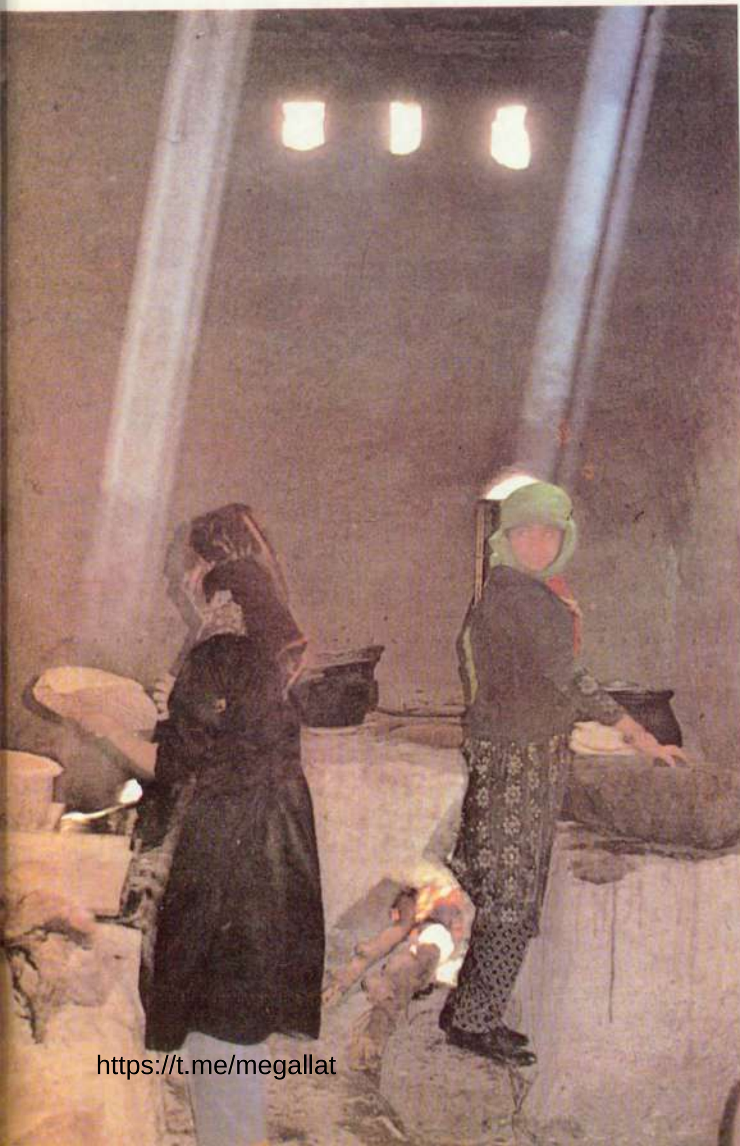
نافذة بديعة من فندق قصر الروضة الذى مازال يحمل طابع الفن المعمارى الأصيل .



احتفالات شعبية فى شوارع صنعاء تبدو فيها مجموعة من الأدوات الموسيقية ..



المرأة اليمنية تجهز الخبز المستدير المصنوع من الذرة أو القمح .



جبلي عيبان من الغرب ونقم من الشرق ، كان يقبع قصر غمدان الذي قال عنه الجاحظ بانه أحد عجائب الدنيا القديمة الثلاثون ، والذي تغنى بعظمته أعظم الشعراء ، والذي كان أول ناطحة سحاب في الدنيا أقامها اليمنيون !

وقد قالوا عن ذلك القصر العظيم أنه كان أول قصور اليمن وأعجبها ذكراً ، وكان به عشرون سقفاً غرفاً بعضها على بعض ، واختلف الناس في الطول والعرض فمنهم من قال كل وجه علوه ألف بألف ، ومنهم من زاد الرقم ، وكان ما بين كل سقف عشرة أذرع !

وفي وصف هذا القصر قال الهمداني :

من بعد غمدان المنيف وأهله
وهو الشفاء لقلب من يتفكر
يسمو إلى كبد السماء مصعداً
عشرين سقفاً سمكها لا يقصر
ومن السحاب معصب بعمامة
ومن الرخام منطق ومؤزر
متلاحقاً بالقطر منه صخره
والجزع بين حروبه والمرمر
وبكل ركن رأس نسر طائر
أو رأس ليث من نحاس يزأر
متضمنا في صدره قطارة
لحساب أجزاء النهار تقطر
والطير واقفة عليه وفودها
ومياهه قنواتها تتهدر
ينبوع عين لا يصرد شربها
وبرأسه من فوق ذلك منظر
برخامة مبهومة فمتى ترد
أربابه مدخولة لا يعسر

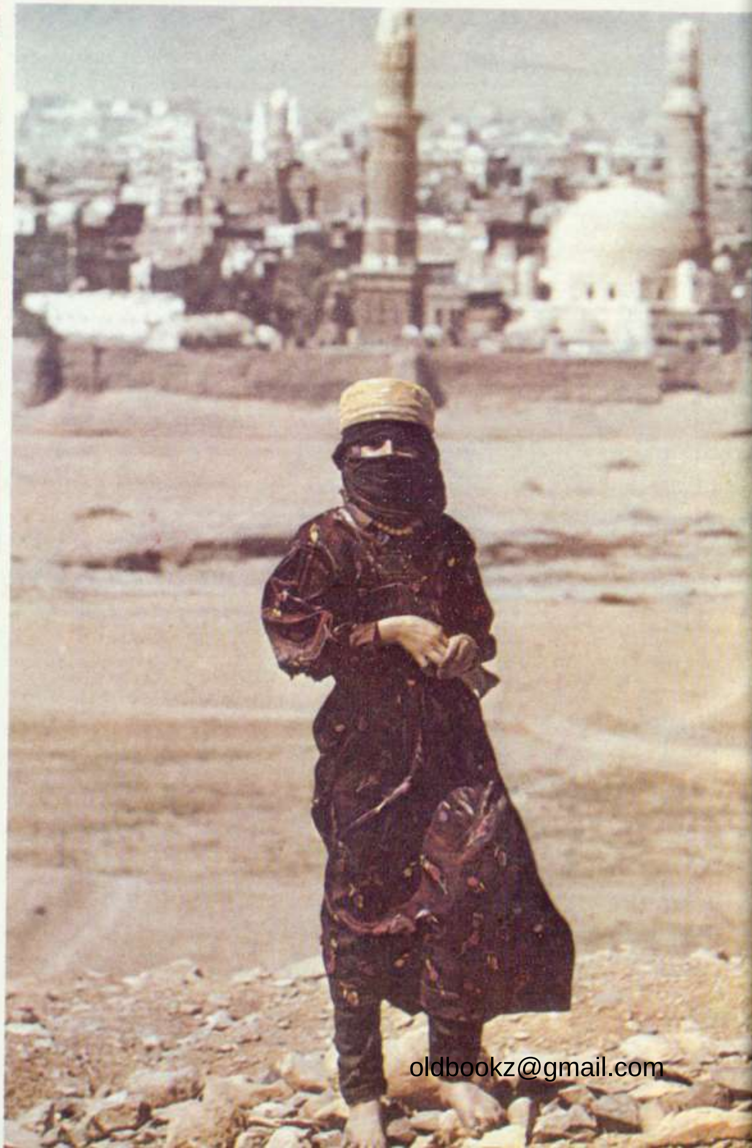
ويقول محمد بن علي الأكوع الحوالي في كتابه « اليمن الخضراء مهد الحضارة : إن شئت أن ترى عظمة قصر غمدان فانظر إلى أحجار واسطوانات الجامع الكبير الذي بني من انقاضه !

وقال أيضاً في كتابه : أن الهمداني أوضح أين كان مكان قصر غمدان ، فهو قبالة الجامع الكبير من الشرق ، وهو المرتفع الذي فيه البنايات والبيوت ، وقد كان ممتداً إلى سوق القضب ومسجد الشهيدين كما هو متعالم به اليوم

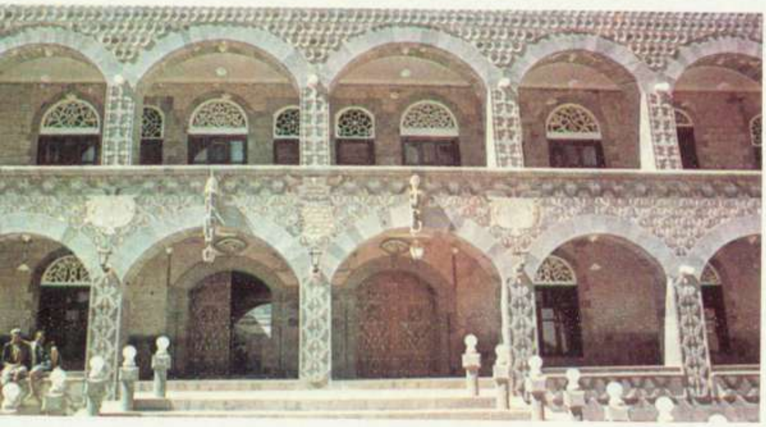
التقاليد والحكايات الشعبية

ان أحفاد الذين بنوا قصر غمدان ، هم الذين يتفننون اليوم في الحفاظ على الذوق الفني والطابع الأصيل في العمارة اليمنية فهم يبنون بيوتهم في صنعاء – المدينة الجبلية – مستخدمين الحجارة كمادة أساسية في البناء ، وهم يحافظون على طرازها الاسلامي ، ويحرصون على سعة صحن البيت وارتفاع سقفه وتزويقه بالجص والآجر المحروق والحجارة !

وإذا كان الصنعاني بوجه عام يعتز ببيته الاسلامي العربي وبمساجده التاريخية وبأسواقه القديمة المليئة بالتجار المهرة والصناع الذين تتعدد حرفهم بداية من دباغة الجلود إلى صناعة الحلى الذهبية والفضية ، فانه يعتز – كذلك – بملابسه التقليدية وبالخنجر الذي يضعه في وسطه ويسمى «الجنبية»



صنعاء العاصمة .. كما تبدو خلف هذه الفتاة ..



قصر الضيافة .. بني على الطراز اليمني الأصيل .



رأس منقوش على مرمر ابيض .. تحفة فنية في متحف صنعاء المليء بالآثار .





قراءة القران الكريم .

داخل الجامع الكبير .. اقدم مسجد فى اليمن ، وقد اعيد ترميمه ثلاث مرات ، عبر ثلاثة قرون .

ليكون بمثابة السلاح الذى لا يفارقه ، فهو يستخدمه فى الأعياد وفى الرقصات الشعبية التى تؤدى فى المناسبات الهامة !

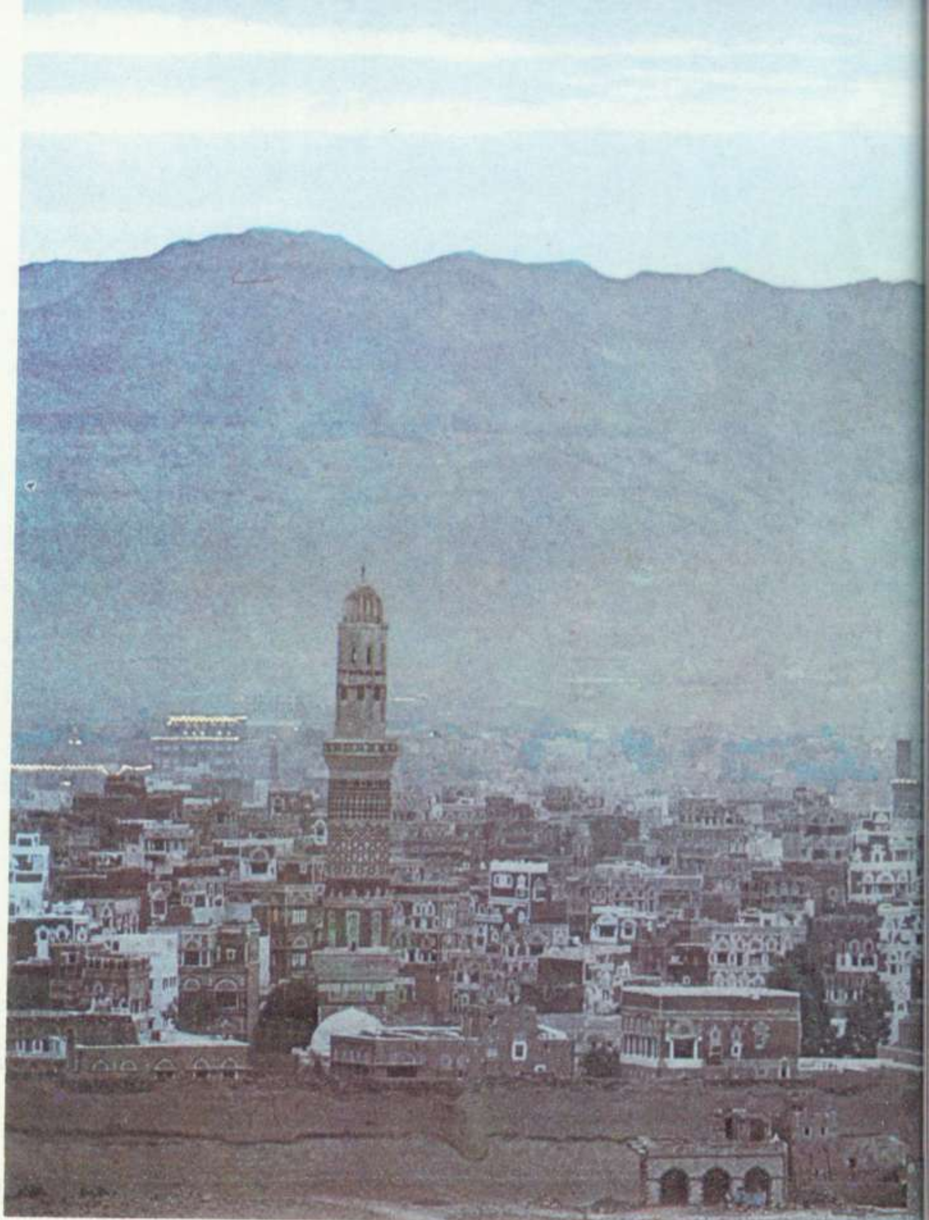
وفى كتاب « صنعاء مدينة عربية اسلامية » قال مؤلفه المستشرق الانجليزى « سارجنت » : إنهامدينة مازالت تحتفظ بالكثير من التقاليد القديمة المندثرة فى عديد من المدن العربية ، سواء من جهة سلوك سكانها الاجتماعى أو من جهة التقليد المعمارى أو من جهة تعايش حياة المدينة مع الحياة الريفية والبدوية فى آن واحد ، بحيث يستطيع الباحث أن يرى مختلف أوجه النشاط ومدى تطوره فى وقت واحد وفى حى واحد من أحيائها العريقة .. ولو قام بدراسة فولكلور جنوب الجزيرة العربية مثلا ، يجد فى صنعاء كثيرين ممن مازالوا يعيشون الحياة التقليدية بدقائق تفاصيلها ، فلا يحتاج إلى كبير عناء فى البحث عن الشعر الشعبى أو الغناء القديم فى ذاكرة المعمرين ، ولا إلى سؤال العجزة عن أشكال الملابس والحلى القديمة ، ويكفيه أن يزور ناحية من نواحى المدينة ليعاين على الطبيعة ما كان ومازال يلبسه الناس دون أن يدخل عليه أى تعديل !

ويقول أيضاً : « إن معظم الحكايات الشعبية العربية مصدرها اليمن ، أو حورت فى اليمن وفى صنعاء خصوصاً ، فمن حكاية ملوك تبع إلى وضاح اليمن إلى على الزيبق إلى سيف بن ذى يزن ، كلها من أصل يمنى ، وتسرد بواسطة الخيال الشعبى تاريخ اليمن السعيد وحروبه فى جنوب الجزيرة العربية وما يتعداه إلى بلاد الشام أو المغرب ! » ..

هزيمة اليهود

إن تاريخ صنعاء مليء بالحقائق والحكايات التى ألهمت الشعراء والكتاب على مر العصور والأزمنة .. فهذه المدينة المسلمة الآمنة ، كانت فى يوم من الأيام مرتعاً لليهودية قبل الاسلام ، عندما دخلت اليمن كلها آنذاك فى الدين اليهودى على يد «ذى نواس» أحد ملوك حمير ، الذى اضطهد النصارى وبنى لهم الأخاديد وأحرقهم فيها وأحرق كتبهم ، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه القصة وعن أصحاب الأخدود ..

ومن أصحاب الأخدود تمكن رجل من الهرب الى قيصر الروم يستنجده . فبعث معه هذا رسالة الى النجاشى ملك الحبشة ، يحثه فيها على نصرة المسيحية وفتح اليمن وعلى الفور ، كلف النجاشى أحد قادته ويدعى (أرياط) بالمهمة وأوصاه النجاشى بوصية قال فيها ، اذا تمكنت من فتح اليمن فاقتل ثلث رجالها ، وخرب ثلث ديارها ،



صنعاء وقت الغروب .. وخلفها جبل نقم من الشرق .

وارسل الي بثلث نسائها فزحف هذا القائد ، على رأس سبعين الف مقاتل من الأحباش ، وخرج أرياط مع السفن والفيلة عابراً البحر الأحمر حتى وصلوا سواحل اليمن وهناك دار القتال بين الأحباش ، وجنود الملك اليهودي (ذونواس) ، فانهزم اليهود امام الأحباش ، ثم قام (ذو دجن الهمداني) لمقاتلة الأحباش لكن الهمدانيين تفرقوا عنه فانهزم هو الآخر ..

واحتل الأحباش اليمن عام ٥٢٥ م واتخذوا من صنعاء عاصمة لهم . وبدأ القتل والتقتيل في أهل اليمن وبدأ الهدم يجتاز حصونهم ، وبدأ أيضاً الخلاف بين قادة الأحباش .. وانشق أبرهة بن الصباح على رئيسه أرياط واقتتلا ، وضربه أرياط بحربته فشرخت حاجبيه وشفتيه ، وبذلك سمي أبرهة الأشرم .. لكن غلام أبرهة حمل على أرياط من الخلف وقتله ، واجتمع الجيشان تحت إمرة أبرهة !

وعندما وصل الخبر الى النجاشى ، غضب غضباً شديداً واقسم أن لا يدع أبرهة حتى يعود اليه ويحز رأسه . وعلى الفور حلق أبرهة رأسه وملأ جراباً من تراب اليمن وبعثهما مع رسالة الى النجاشى تقول : أيها الملك إنما كان أرياطعبدك وأنا عبدك .. اختلفنا فى أمرك إلا أننى كنت أقوى على أمر الحبشة ، وأضبط لها ، وأسوس منه ، وقد حلقت رأسى كله حين بلغنى أمر الملك وبعثت اليه بجراب من تراب ليضعه النجاشى تحت قدميه ، فيبر بقسمه !

وهنا رضي النجاشى عنه . وكتب اليه أن اثبت فى أرض اليمن حتى يأتيك أمرى .. وهنا بدأ حكم أبرهة الحبشى فى اليمن !

جيش الفيلة

بدأ أبرهة حكمه لليمن بطموح شديد ، وتعاظم نفوذه ، فاقسم أن يسير الى البيت الحرام ويهدمه ، وامر جنود الحبشة .. فتجهزت وكان مع الجيش ثلاثة عشر فيلة كبيرة من بينها فيل ضخم اسمه محمود ، وهى تحريف للفظ مامور ومعناها فيل .. خرج الجيش من صنعاء فتصدى له أشراف اليمن برئاسة (ذونفر) لكنهم للأسف خسروا المعركة .. والقى أبرهة القبض على رئيسهم (ذونفر) فاسره وواصل سيره الى الحجاز وفى طريقه خرج عليه (نقيل الخشعمى) فقاتله حتى انهزم جيش نقيل واخذ أبرهة رئيسهم نقيل اسيراً ، وضمه الى (ذى نفر) حتى إذا وصل الطائف أرسلت معه ثقيف رجلا اسمه ابو رغال ، ليدل أبرهة على طريق البيت وفى جبال الهدى مات أبو رغال فرجمت العرب قبره فيما بعد ..

وعندما وصل أبرهة الى وادى محسر ، حدث ما حدث بينه وبين عبد المطلب كبير قريش ، وكلنا يعرف القصة التى تحدث عنها رب العالمين فى كتابه الكريم وكيف أرسل الى الغازين طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل . فانتهى أبرهة ، وانتهى جيش الفيلة والأحباش .

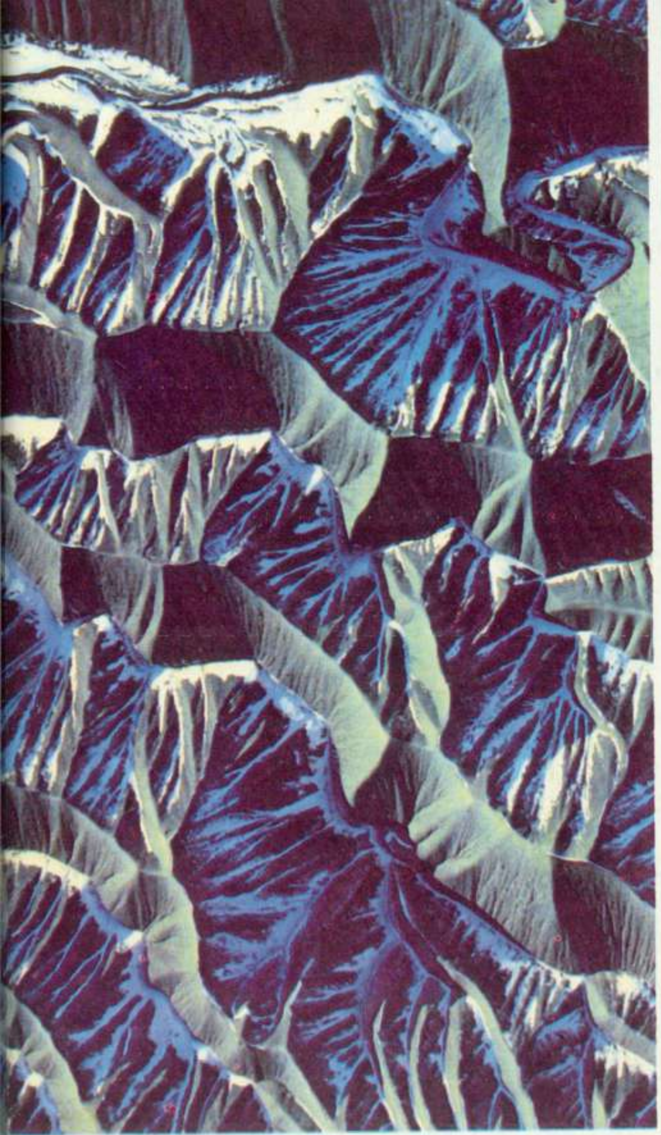
وفى صنعاء حالياً .. تدور بين العوام أسطورة جديرة بالاهتمام .. والنقل ..

يقول الناس .. إن الله سبحانه وتعالى نجى احد جنود أبرهة من الموت .. فهرب هذا الجندى وعاد الى صنعاء ، ولما وصل الى هذا المكان ، صاح بالناس حتى تجمعوا فقص عليهم ما شاهده قرب الكعبة وكيف أن الطير هزم الفيلة .. وأن أبرهة وجيشه قد أبيدا عن بكرة أبيهم ، ولما انتهى الرجل من قصته جاء احد تلك الطيور وضربه بحجر من منقاره فمات الرجل . ومن ذلك اليوم سمي هذا المكان بالحلقة .. والله أعلم ..

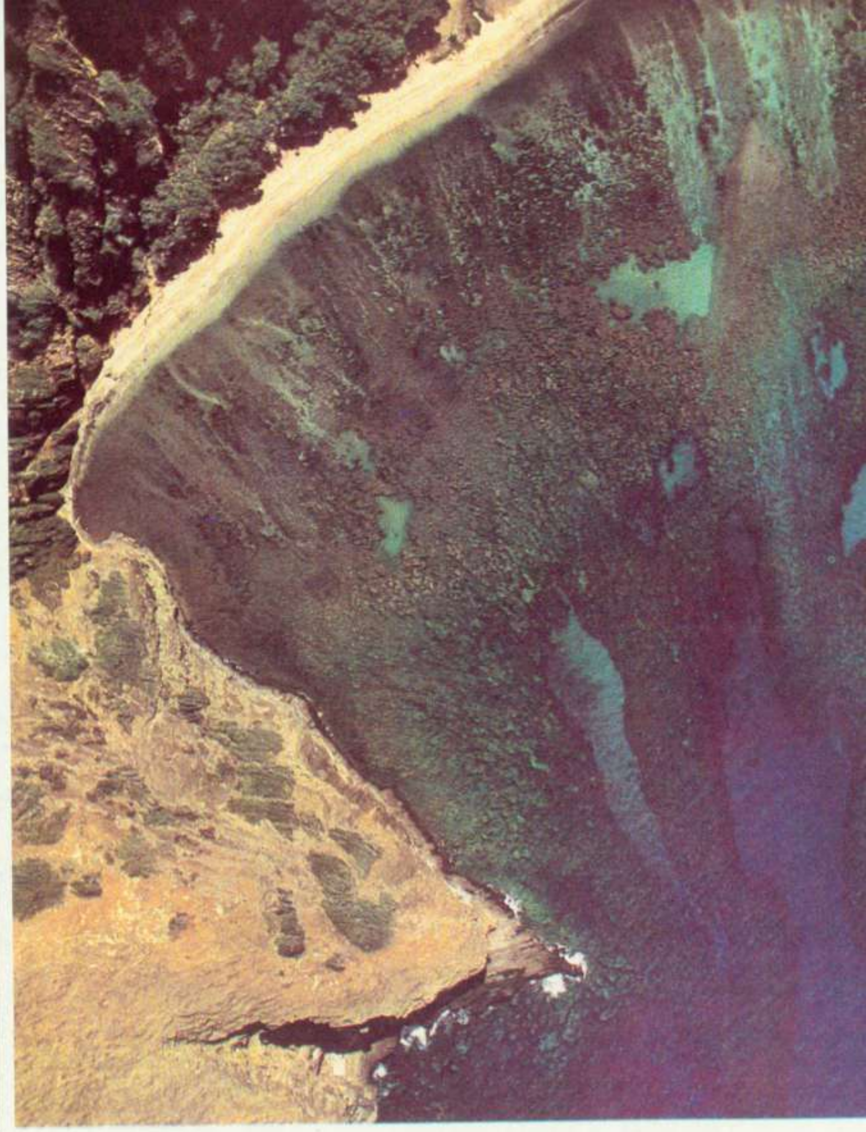
ومن كل ذلك وغيره ندرك ان تاريخ صنعاء مليء بالأحداث والوقائع التى تشهد بعراقة المكان ..

وهذه العراقة هى التى تصنع اليوم صنعاء الحديثة بمؤسساتها العلمية التى على رأسها جامعة صنعاء التى انشئت عام ١٩٧٠ والتى تضم كليات التربية والشريعة والقانون والآداب والعلوم والتجارة والاقتصاد .. وهى التى تجعل البناء يدور فيها على قدم وساق فى كافة المجالات الصناعية والاقتصادية .. وهى التى تدفع الحركة الأدبية والفنية بكل روافدها لتزداد فعاليتها وأثرها فى الحياة العامة مبشرة بجيل مبدع من الكتاب والفنانين !

فوزى الخميس



اخاديد بفعل تعرية التربة فى يوتا



خليج هانوما بجزيزة هاواى

صور نادرة للأرض

ظل الضوء الفضى الناعم لبدر التمام يشد أنظارنا بسحره الموحي حتى شاهدنا بعيون كاميرات الأقمار الصناعية كوكب الأرض الذى يعمره الماء والطير والشجر والجبال والحيتان وخيرات فعل الانسان وشروره المهددة بالدمار .. فانفتح وعينا على جمال دنيا نحن الجزء الفاعل فيها .. ونجهلها . وَأَفَلَتْ حقيقة الجمال الخادع للقمر المجدور الوجه يوم صوره الانسان محلقاً فوقه ، مقترباً منه . متجولا فيه .

كاميرات دقيقة تصور الدنيا من الفضاء

ولكن الحدود الجديدة التى اخترقها الانسان بعد أن تمكن فى العقود الأولى من هذا القرن من مسح مساحات شاسعة من الأرض جواً ، ثم حلق الى حدود الغلاف الجوى الخارجى للأرض واخيراً الى الفضاء ، قد يسرت للتصوير الفوتغرافى فرصاً نادرة لتسجيل مشاهد للكون مذهلة ، ووسعت ادراكنا لابعاد الكون الرحب الذى نحن جزء منه ، وحفزت بصائر المصورين المبدعين على استلهام هذا البعد الجديد للنظر إلى الأرض ، واستنطاق صورها تجليات لحقيقتها تفتحنا على وعى جديد بالمعمورة وما عليها من بديع خلق العلي الوهاب ، وجميل صنع البشر .

وتمخض عن كل ذلك تطوير وسيط جديد فى المعالجة التسجيلية للأرض .. هو التصوير الجوى الابداعى .. وبه أصبح للكاميرا اجنحة ، وللمصور

قدرة النسر على الرؤية ، فعرفنا عالما أرضيا جديداً تماماً .. مذهلا .. وخلابا . وحافزاً على حشد المعارف واستكناه المجاهيل : وتسابق المصورون إلى استخدام هذا الوسط الجديد .. فبزهم وليم غارنيت الامريكى .. ذلك الفنان المصور الفذ الذى نذر حياته للتجويد كما يقول انزيل آدمز ، أشهر مصورى الطبيعة .

وقد صدر مؤخراً كتاب يضم روائع ما صوره غارنيت من امريكا جواً من اقصى شرقها الى جزر هاواي فى المحيط الهادىء غرباً ، ومن شمالها المتجمد في آلاسكا الى شواطئها وخلجانها الدافئة جنوبا .

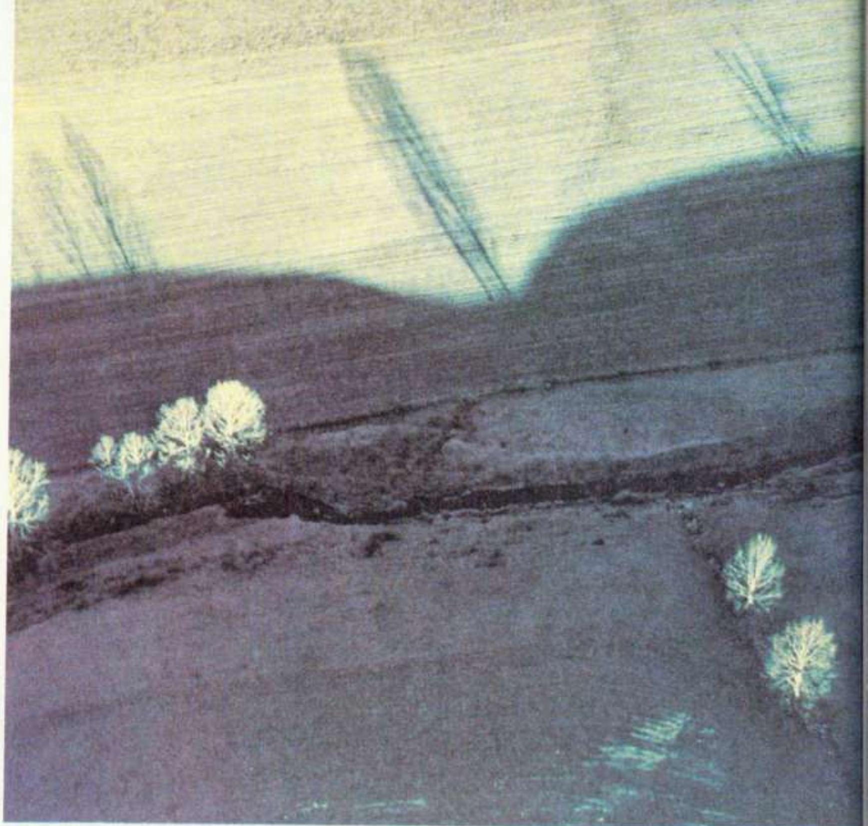
وربما كانت أول فكرة تخطر على بال من يشاهد أعمال غارنيت الفوتغرافية هى أنها أعمال تجريدية . ولكن الواقع غير ذلك . فالصورة التى تلتقطها عدسته هى صورة حقيقية واقعية ملموسة . وهو لم يعدل الصور الأساسية بادخال أى رتوش ، بل عالجها بتجويد بليغ على مستوى الاحساس الشاعرى الحدسى بها موظفاً قدرته الفائقة فى التحكم على الطائرة التى يقودها بنفسه ، وعلى آليات الكاميرا وتقنيات التصوير . وبذا يمكن القول بان هذه الصور هى مقتطفات مما تحفل به الأرض اختارها غارنيت بخياله وحدسه من ذلك العالم المذهل الذى يموج تحت ناظريه وهو يحلق بطائرته .

ويحرص غارنيت على التاكيد بان ألوانه طبيعية ، تفصح عن تصوره للقطاته ، ان لم نقل للحقيقة المحسوسة لمواضيعه نفسها . فهو يشكل موضوعه بصورة حدسية ، ويتصوره كاملا .. ثم يشرع فى انجازه .

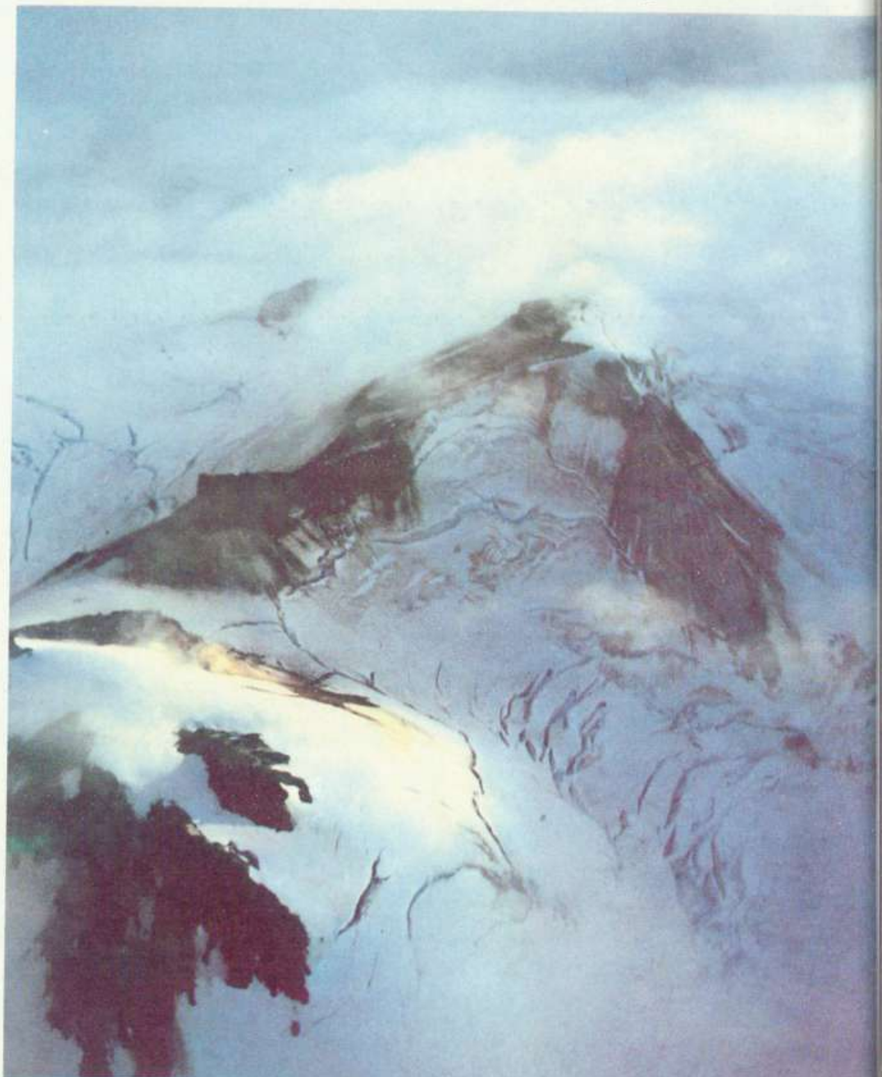
وهو يستخدم عينه الفائقة القدرة على الاختيار فى تحريك آلة تصويره ليسجل ما يتدفق تحته من اشكال وقيم وألوان . وهو يقود طائرته بنفسه ، وبذا يوسع من دائرة تحكمه على هذه الوسيلة ، فيتحكم فى اوضاع كاميرته كما لو كانت على أرض ثابتة ، ولكن بمزيد من الحرية ، وهو كطيار يتمكن من مراقبة تطورات وبلورة اللحظة الحاسمة لاتخاذ القرار .. تلك اللحظة التى تندمج فيها أشكال العالم تحته بعينيه البصيرتين فى عملية التعبير الفنى الشكلى .

ان دقة تصوره تيسر له أقصى درجات التوقع والاستعداد .. وتلك مزية ذات أهمية كبرى في التصور إذ يمكن بها ابراز العالم فى لحظة من المستقبل .. زماناً ومكاناً .. خاصة اذا تذكرنا أنه يستحيل من ذلك العلو تغيير وضع الحدث الجارى فعلا على الأرض ، أو ايقاف الطائرة المتحركة .

إن غارنيت يدرك بشكل تام جمال العالم من الارتفاع العالى ، ولكنه يختار ارتفاعاً منخفضاً ليتمكن من تسجيل رؤية أصدق تمثيلا للارض وسطحها المعقد . إنه يطير قريباً من قمم الكثبان الرملية ، وعلى ارتفاع قليل عن الاراضى الزراعية والشواطىء ومصاب الانهار وتضاريس التعرية الطبيعية . وهى كلها ثلاثية الابعاد .. ولكنها لا تمثل ملامح العالم الذى اعتدنا على رؤيته . ولذا يمكننا القول بان صور غارنيت هى بمثابة رؤى مفصحة ومنبئة عن العالم .



مزرعة بولاية فرجينيا عند شروق الشمس



جبل كاتماى فى الآسكا .

كتاب الشهر

الحِرف التقليدية الإسلامية في العمارة المغربيـــة



عرض وتلخيص:
جمـال الغيطاني

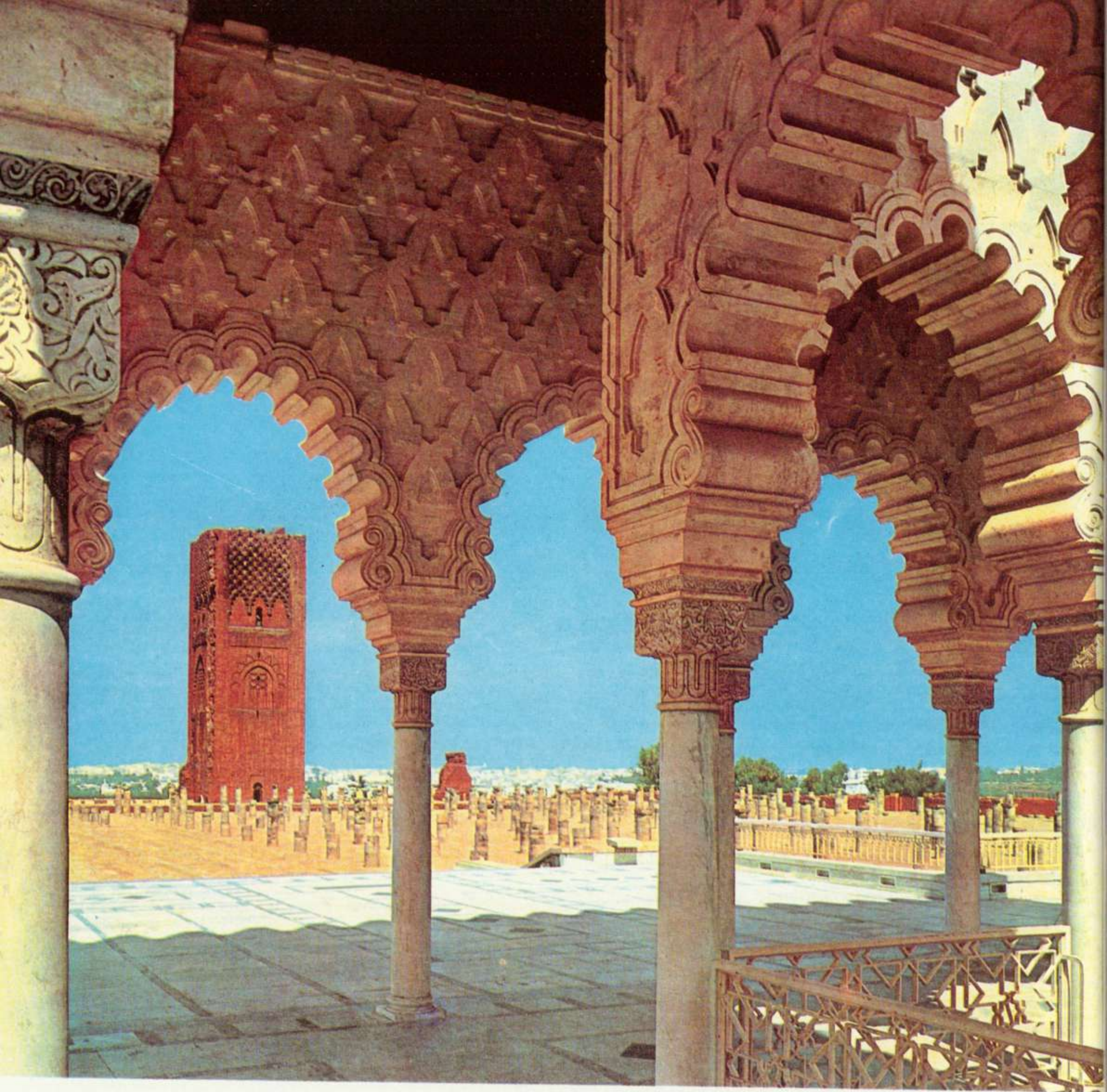


نقوش اسلامية بديعة فى فناء بقصر دار السلام فى الرباط ، حيث نرى جمال تكوين السيراميك والفسيفساء .

«.. تنقضى اربعة اعوام على رحلتى الى المغرب ، ولايزال الحنين يتصاعد الى هذا البلد العربى ، والذى صان الأصالة العربية ، والجمال العربى ، والفن المعمارى العربى ، لايزال انبهارى طازجاً ، وكانه وليد الامس ، كان السنين لم تنقض ، والأيام لم تمر ، احد عناصر انبهارى هذا بعد الشعب والطبيعة ، فن العمارة المغربى ، المدن المغربية القديمة ، المنمنمات ، والزخارف ، التى تتسم بعظمة الانسان ، وصبره ، وسموه ، فالفن الاسلامى يستند الى الهام دينى بالدرجة الاولى ، وقد لخص الأستاذ الفرنسى جاك بيرك رؤيته فى هذا الصدد ،

«يمكن تعريف الفن الاسلامى بانه فن غير تصويرى طبقاً للأمر الالهى ، ونظراً لان الله هو المصور الاعظم ، فان كل تصوير تشبيهى وخصوصاً كل نحت يعتبر كفراً لانه غير جائز ، إذ فيه منافسة غير مشروعة للخالق . كل شىء فى الزخرفة العربية هو تركيب وتلاق : إذ يجتمع قصد الفنان مع الادراك الحسى والمادة فى تكامل وثيق» .

الفن الاسلامى يتضمن إحساساً راقياً بالوحدة الجمالية ، إنه فن يرتقى بالانسان الى عالم الشفافية ، نجد فى العمارة الدينية ، او المدنية ، وحتى زخرفة ابسط الأدوات ، شهادة انسانية على وحدانية الله ودوامه ، إن فكرة الجمال ـ كما يقول المفكر الاسلامى المغربى على اللواتى ـ ترتبط عند المسلمين بالتسبيح وهو الثناء على الله ، او ببساطة ذكره تعالى . فاغاريد الطيور تسبيح ، والزهرة اليانعة



صومعة حسان بمدينة الرباط ، وهى جامعة لخليط من الفنون الاسلامية .

تسبيح ، اما الجمال الانسانى فهو قمة التناسق وما الفن الاسلامى الزخرفى إلا تسبيح عميق تتعدد مظاهره وتملأ الكون ، وتاتى المرحلة الاندلسية المغربية لنشهد معها ولادة قمة فن التسبيح التى لا قمة فوقها ، قصر الحمراء الذى تجلت فيه غاية النضرة والروعة حيث تتجزأ المادة الى اقصى ما يكون التجزؤ ، وتبدو فى شكل تخاريم وشبائك دقيقة حتى لكانها تفقد قوامها ووزنها فتبدو كهاجس فى الخاطر.

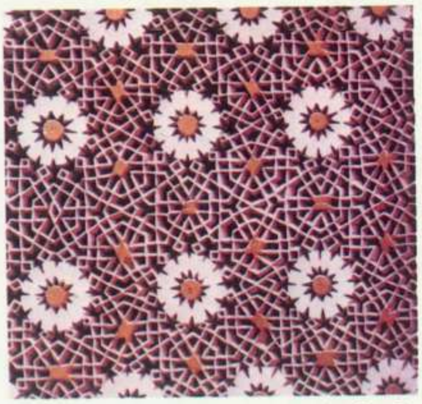
وإذا كانت منمنمات وزخارف الحمراء تمت الى الماضى ، فان هذا الفن الرائع لايزال حيا فى المغرب العربى ، لايزال جزءا من حياة الشعب اليومية ، وخلال السنوات الاخيرة شهد هذا الفن دفقا جديدا من الاستمرارية. كان المغرب هو البلد العربى الوحيد الذى لم يسيطر عليه العثمانيون الذين هيمنوا على البلدان الاسلامية الاخرى ، وتلك نقطة هامة فى تاكيد الذاتية الصادقة للفن المغربى ، هذا الفن هو محور هذا الكتاب الضخم الذى صدر أخيرا فى فرنسا بثلاث لغات ، الفرنسية ، والانجليزية ، والعربية ، المؤلف مهندس فرنسى ، أندريه باكار ، مهندس زخرفة منذ عام ١٩٥٤ ، ومنذ عام ١٩٧٠ . كرس كل جهوده للعمل فى المغرب ، فى مجال العمارة ، سواء ترميم القصور والمبانى القديمة ، او انشاء العمارات الحديثة ، الدينية والمدنية ، والتى تستند الى التراث المعمارى المغربى ، وتنهل منه ، استهدف المؤلف غرضين اساسيين ،

● تقديم وثائق مصورة لم يسبق نشرها لكشف بعض الجوانب التى لم تعرف بعد عن

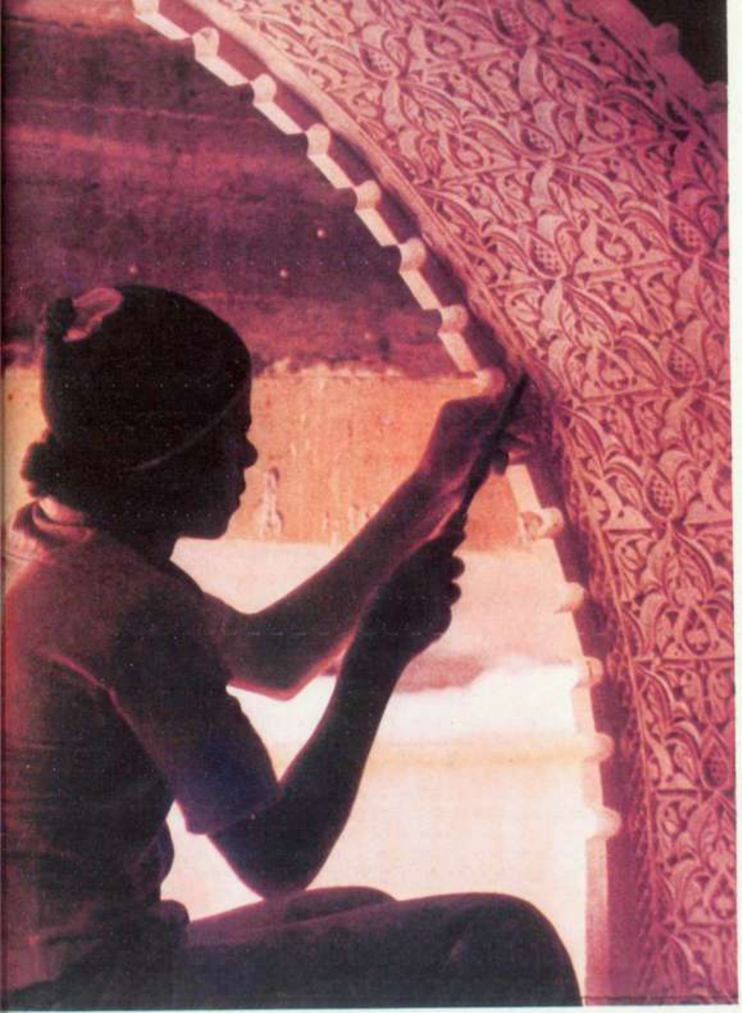
كتاب الشهر

الحرف التقليدية الإسلامية في العمارة المغربية





تنسيق جميل من الحشوات والزخارف الاسلامية



فن صناعة الزخارف الاسلامية ، الذى مازال يتقنه ــ حتى يومنا هذا ــ الانسان العربى .

الفن المغربى التقليدى ، وقد اتيحت له فرصة نادرة ، عندما أمر جلالة الملك الحسن الثانى بفتح ابواب القصور الملكية لعدسة المصور لأول مرة فى التاريخ .

● الهدف الثانى ، نقل شهادة المعلمين المغاربة ، أساتذة الحرف التقليديـــة فى العمارة .

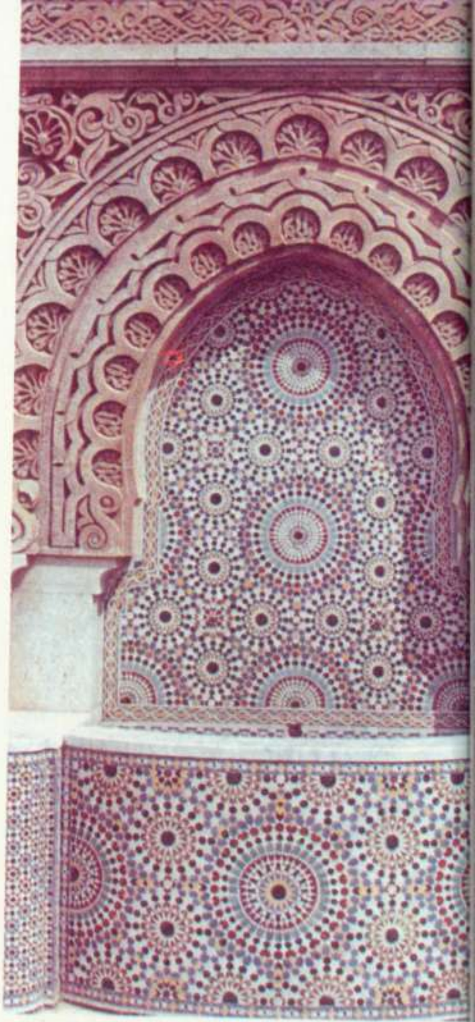
باختصار يكشف هذا الكتاب الذى يقع فى مجلدين ضخمين اسرار فن العمارة المغربى ، ويقدم ما يشبه قاموساً فنياً مصوراً لمفرداته ، ومن قبل ذلك البشر الذين يبدعون هذا الفن العظيم .

المسجد هو القلب

فى العمارة المغربية اربعة مفاهيم اساسية اماكن الصلاة ، والمساكن ، والتخطيطات الناظمة ، والخط العربى ، يقول المثل المغربى ، «الدار اول ما يجب أن نملك ، وهى أخر ما يجب أن نبيع ، إذ هى قبرنا فى الحياة الدنيا» ، وفى عام ١٩١٤ . قال محمد ابن الرامى البناء الفاسى ، إن قواعد حسن الجوار تنطلق من عاملين اساسيين ، اولا : لا تمنع جارك من تثبيت خشبة سقفه فى جدار دارك الخارجى ، ثانيا : لا تبن دارك بحيث تكشف فناء جارك» .

وكل من زار المغرب يذكر بلاشك الدور المغربية ، حيث تطل على الشارع بجدران وأسوار اشبه بالحصون ، وينفذ الانسان من المدخل فاذا به يفاجا بالحديقة الفسيحة ، والفناء الواسع ، فكانه اليسر بعد العسر ، اليسر فى ماوى الانسان ، بيته ، تتركب الدار المغربية من وسط الدار ، فناء مربع الشكل ، مبلط بقطع الزليج (السيراميك) ، يتوسطه عادة حوض ماء من الرخام وتحليه شجرة برتقال أو ليمون ، وتقام الحجرات على ثلاثة أو أربعة أوجه من الفناء فى طابقين أو ثلاثة احيانا . وتحمل الاعمدة سقف هذه البيوت ، وسواء كان البيت المغربى عظيما او متواضعا فانه يقام حول فناء فسيح يسمى وسط الدار ، ولابد أن تبدو عليه المسحة الجمالية ، وعند مدخل الدار يقع مدرج يؤدى الى قاعة فسيحة تقام فيها المادب والاستقبالات ويوضح لنا هذا التنظيم حرص المغربى على أن يفصل بحياء بين حياته العائلية والحياة الاجتماعية . وقد تحددت معالم المسكن المغربى على هذا النحو فى القرن الرابع عشر الميلادى اثناء حكم المرينيين .

والمسكن المغربى هو الوحدة الاساسية التى تتشكل منها المدن المغربية . غير أن المسجد هو القلب والمركز ، سواء المسجد الجامع الرئيسى أو مساجد الاحياء المختلفة ، والى جانب ذلك الحمامات العامة ، ويقضى تقليد اندلسى بأن يكون السوق قريباً من المسجد الجامع ، والسوق تتكون من مجموعة من الأزقة المظللة ، يحف بكل زقاق من الجانبين حوانيت أو مشاغل الطوائف ، العطارين والحداديـــن والنســـاجين والنجاريـــن والنحاسين ، وتغلق الأسواق اثناء الليل ، وتفرض الحراسة على بعض الاقسام خاصة سوق الذهب ، وتقام الفنادق عادة عند مداخل المدن ، وفى الريف تنتشر الرياض ، وهى حدائق على الطراز الاندلسى ،تحيط باحواض زهورها واشجارها مسالك مبلطة بالرخام او الزليج الملون ، وتوجد الروضة احيانا فى قلب قلعة حربية لتخفف من حدة تركيبها الهندسى الجاف ، وجدران الحديقة هى بمثابة سور قلعة العائلة التى تطل على الداخل ولا تشرف على الخارج إلا من خلال باب صغير وندرة من الشبابيك الضيقة تفتح فى الجدران العالية ، كما أن الرياض تمثل بصفة رمزية سمة مشتركة فى جوانب متعددة للحياة الاسلامية ، وقد انعكس هذا على الفنون الزخرفية ، فنجد أن الأبسطة تستلهم أشكالها من غزارة الخضرة ، وتمثل مجموعة الزخارف المستلهمة أصلا من المصدر ذاته وهو الطبيعة التى تشكل فى الجص ، ولوحات الزواق ، خاصة التشجير



جانب من حائط تتجلى فيه النقوش والزخارف

والتوريق ، مصدر إلهام ايضاً لفن زخرفة الأوانى الفخارية ، وبلاطات الخزف ، والانسجة والمخطوطات .

يقول الاخوان ج . تارو :

«إن كل من تفتح أمامه أبواب هذه المساكن يشعر انه يترك وراءه سعادته أوشقاءه ليدخل فى هذه الدائرة التى تفقد فيها هذه الاحاسيس دلالتها على ذلك الواقع المؤثر والغامض فى الوقت نفسه» .

ويخصص اندريه باكار قسماً للقصور الملكية المغربية ، وكما تحوط المسكن عادة روضة تتوسطه ، تتجه ابنية القصر الى الداخل ، وتحيط الاجنحة الملكية بالقصر ، ولكل قصر مسجده الخاص الذى يكون عادة أقدم ما فى القصر ، وكقاعدة يشتمل القصر على ابنية اخرى تضم الخدمات اللازمة لتسيير أمور الدولة . وكما هو الحال فى المساكن فان القصر ينغلق على نفسه ، غير انه لابد باعتباره صورة للدولة أن يكون ذا مظهر خارجى يعكس احترام الأمة واستمراريتها ، فاذا كانت التقاليد تقضى بان تحتفظ الأسوار بتقشفها ، فان بوابات القصور الملكية البديعة الصنع والمزوقة باتقان تشهد على ما يجب أن يكون عليه الترحيب بزائر كبير ، وتغطى سقوف القصر عادة بقراميد خضراء ، وهو كساء لا يقتصر على القصور الملكية ، إنما تختص به مختلف الأبنية الملكية مثل المساجد والمدارس ، ومن اقدم القصور الملكية فى المغرب ، قصر الباهية ، الذى يعود الى القرن التاسع عشر ، شيده أبو أحمد وزير مولاى الحسن الأول ، فى «الباهية» وضع البناؤون انشودة تتغنى باهم الفنون ، ألا وهو فن الحياة ، فشيدوا قصراً بالغ الدقة ، ولم يتركوا شكلا من اشكال البلاغة المعمارية إلا استخدموه فى تاليف تلك الاغنية التى تشدو بالسعادة الأرضية الكاملة ، و «الباهية» تيه من المعابر التى تقود الى بيوت (قاعات) ذات سقوف ابدع نقشها وكسيت جدرانها بلوحات الزليج الساطعة ، وزينت الأبواب بباقات التشجير والتوريق المتعددة الالوان . اما احدث قصر فى المغرب فهو قصر اغادير ، وفيه تم الحفاظ على تقاليد العمارة المغربية ، وتقرر العودة الى تقليد قديم كاد يتلاشى وهو يقضى باستشارة المعلمين من مختلف المجالات حتى يلتزم الجميع بالعمل فينتج شكلا من اشكال الابداع الجماعى .

الزخرفة المغربية

الدار المغربية منغلقة ، فهى من الخارج ليست دافئة المظهر وذات سطوح عارية ، وجدران صماء لا يتخللها إلا باب واحد ، غير انك إذ تجتاز هذا الباب تدهشك فتنة خلابة . فتكتشف عالماً ساكناً متعدد الالوان ، إن ارتفاع المبانى وعدم الاهتمام كثيراً بالأثاث ينسى اى فكرة للمسافة ، فيتيه الفكر فى استرخاء بين ترددات الأشكال والالوان ، تحيط الزخارف سكان الدار فكانها صندوق الاحلام . ولا يوجد فى التقاليد المعمارية المغربية ذلك المفهوم السائد فى الغرب فى الوقت الحاضر عن العمارة باعتبارها فنا مستقلا لتركيب وربط الاحجام فى الفضاء ، فالمعلمون المغاربة يزدرون بالأسمنت المسلح ويعتبرونه مجرد دعامة لمسطحات يكسونها من الداخل بالزليج او الجص المنقوش . او الخشب المقرنص . فالمعمار المغربى هو الزخرفة ، ومهما كانت المادة المستخدمة فى تشكيل الزخرفة فانها تلتصق بالجدران والأعمدة والسقوف كبشرة تكسو المسطحات الداخلية ، يقول اندريه بلكار ان احترام التصميم هو القاعدة الذهبية ، وكل شىء ينفذ على أساس بعدين اثنين ، علاقات المساحات الملونة والاتصال فيما بين الالوان ، ويعالج الجص المنقوش حتى اذا كان النقش بالغ العمق بحيث يؤخذ كل مستوى على حدة ، فالأشكال الجصية لا تمثل احجاماً وإنما على العكس ينظر اليها على انها علامة بين الابيض والأسود تنشا من الظلال الممدودة التى تدور مع الضوء ، ان فن المعلمين المغاربة فن حي وحساس تصنعه الأيدى الماهرة . وسمو فن هؤلاء المعلمين تصنعه الجهود والأبحاث اليدوية ان الرسام يملأ الفراغات بانتظام فيستخدم عند الحاجة عناصر متكررة كخلايا النحل ، ويحدد المؤلف اشكال الزخارف المغربية باربعة أشكال رئيسية :

- زخرفة متعددة الأضلاع تقوم على خطوط مستقيمة .
- زخرفة زهرية تقوم على خطوط منحنية، التوريق ، والتشجير .
- عناصر الملأ .
- الخط العربى .

ويورد المؤلف الأشكال المستخدمة فى تفصيل بديع ، المربع ، والمثلث ، والدائرة ، واللولب ، والشكل المخمس ، والشكل المثمن النجمى ، والشبكات ، والعقد ، والضفائر ، ولا يكتفى بايراد الشكل إنما يبين أصله التاريخى ، ثم موضعه فى الزخرفة الكلية عندما يصبح متحداً مع بقية العناصر ، ويتتبع نشاة الشكل فى تطوراته التاريخية



وجه من الوجوه التى توارثت فن الزخرفة الاسلامية .

كتاب الشهر

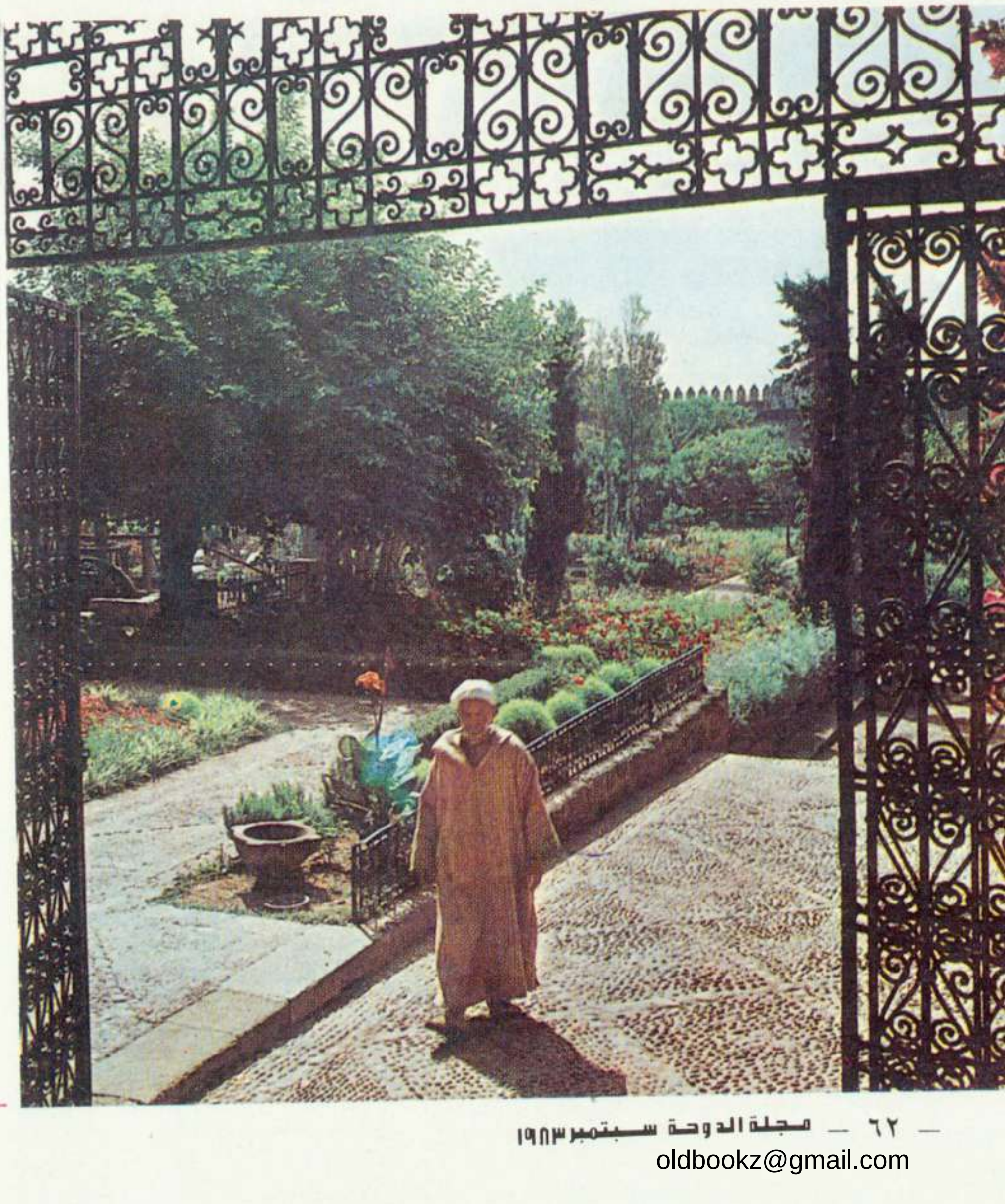
الحرف التقليدية الإسلامية في العمارة المغربية





مسجد محمد الخامس فى الرباط ، وهو آية من زخارف الفسيفساء والجصيات .

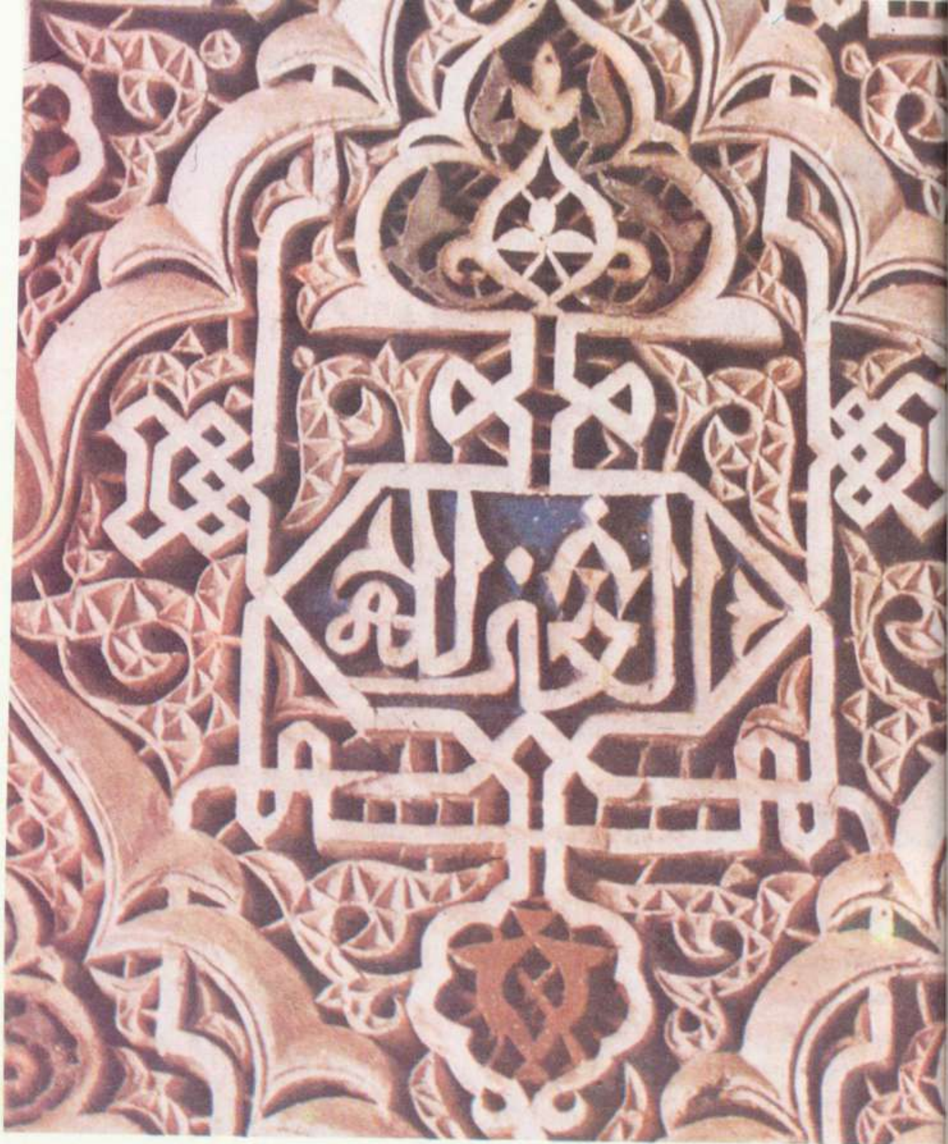
بوابة حديثة من الحديد المزخرف تفتح على فناء مزخرف على النسق العربي .



المختلفة ، وهنا يعد الكتاب بحق قاموساً فنياً فريداً من نوعه لعناصر الزخرفة المغربية ، ويتتبع طرق التنفيذ المختلفة بدءاً من تخطيط الزخرفة تخطيطاً أولياً على الورق ، وحتى اكتمالها فى العمل المعمارى نفسه .

الخط العربى

هناك أربعة انواع للخطوط بصفة عامة فى كتابة المغرب العربى ، القيروانى ، والأندلسى ، والقسنطينى ، والمغربى او الفاسى ، فى المغرب تسود الكتابة الأندلسية المغربية بتلافيفها الرشيقة وخطوطها الممتلئة والممشوقة المتنوعة بلا نهاية ، اما الكتابة الفاسية فانها تتميز بالسمك الواضح لخطوطها الراسية ، وبعدم وجود النقط على الحروف ، وقد جرت العادة على أن يتضمن الزخرف آية قرآنية ، أو حديث شريف ، او مجرد أبيات شعرية ، ومن اكثر الكتابات شيوعا البسملة وهى فاتحة الكتاب المنزل ، وقد كتبت هذه العبارة بمجموعة فائقة من الخطوط ، وينبغى للافريز الذى ينفذه الفنان المغربى المسلم أن ينقل القارئ للتطلع الى طريق الوحي ، ولابد أن يمر كل شيء بالآيات الكريمة ويرجع اليها ، كما هو الحال فى الكتابات الجارية ، التى يمثل فيها كل انحناء عودة ، وتغطى هذه الكتابات فى المغرب . اكثر من اى مكان آخر سواء أكانت شعراً أو نثراً الحوافى الضيقة وتلف القاعات بالكامل ، وهى إما تكون من ملاط الجص أو الخشب او المرمر . والحروف فى الخط الكوفى القديم زاوية وترسم بتان على شبكة من الخطوط الأفقية والعمودية وتقع صوارى الحروف على المستوى الراسى وتزداد عرضاً فى اتجاه القمة وتنتهى بحد مشدوف مقعر ، وتبدو الكتابة دائماً كعنصر تكوينى فى الاطار الزخرفى العام وتكون إما فى لوحات متجمعة أو فى شرائط متصلة افقية او راسية ، وقد أوحى الخط للفنانين باشكال رائعة تندمج تماماً فى الزخارف المحيطة بها إما بالتشابه او بالتباين ، وقد كان تزيين الكتابة بزخارف زهرية مثالا للابتكار والتوازن على الدوام . كما يشيع استخدام الرسم الكوفى وهو رسم مشتق من الكتابة الكوفية لكنه فقد وظيفته الكتابية ليتحول الى عناصر زخرفية محضة ، والرسم الكوفى غنى بذخيرة لا مثيل لها من الزخارف التى يجمع المعلمون بينها وبين زخارف التوريق والتشجير .



هكذا اندمج الخط العربى مع النقوش ليشكل تكوينات بديعة .

وإذ ينتهى المؤلف من الأجزاء الخاصة بدراسة عناصر المعمار المغربى ، يعود الى الاصول ، الى المواد الطبيعية التى يتم تشكيل المعمار منها ، ويخصص فصولا مستقلة لهذه المواد ، الطين ، والحجر ، والجص ، والخشب ، والمعدن والماء ، ويشرح باسهاب تقنيات الأعمال التى تحول كل مادة الى عنصر من عناصر المعمار المغربى الجميل ، كذلك يخصص فصولا مستقلة لشرح صناعة وانواع اجزاء العمارة نفسها ، بدءاً من المداخل والأبواب حتى السقوف والمقرنصات ، وعبر المجلدين الضخمين تتناثر فصول يقدم فيها هؤلاء الفنانين المغاربة العظام الذين يقفون خلف هذا الابداع الرائع ..

أكبر المعلمين سناً

المعلم عبد الكريم ، يقول عنه المؤلف انه من اكبر المعلمين المغاربة سناً فى الوقت الحاضر ، لقد سلك الدرب الذى سار عليه والده ، ولد فى نهاية القرن الماضى ، ثم عمل لمدة اربعة وثلاثين سنة بشكل متواصل كان ذروتها عمله فى ضريح الملك محمد الخامس الذى يعد تحفة فنية عالمية بحق ، يقول المعلم عبد الكريم انه يختار عماله بعناية ، ومن يقع عليه الاختيار يرافقه مرافقة تامة ، ويساعده فى جميع اعماله ، حتى يتعلم الصنعة بالممارسة ، ولا يصبح العامل معلماً بدوره إلا بعد وفاة أستاذه . يتحدث عن الجيل الذى سبقه ، خاصة عن معلمه القندوسى الذى عاش فى عهد مولاى عبد العزيز ومولاى محمد حسن الودغيرى لقد كان معلمو الماضى يعيشون حياة افضل انه يكاد يحسدهم على مسلكنهم الجميلة ، يتحدث عنهم باحترام واجلال ، خاصة الاموات منهم ، يقول ان المغرب هو مصدر جميع المواد الخام التى تستخدم فى العمل الرخام الاحمر والاسود يستخرج من ضواحى بنى احمد ، اهم اعماله هى :

فى سنة ١٩١٩ ، بنى دار المرينى وقصر التازى بالرباط .

فى سنة ١٩٢١ ، مسجد مولاى يوسف بدرب السلطان بالدار البيضاء .

فى سنة ١٩٢٢ ، بنى مسجد اهل فاس بالرباط .

فى سنة ١٩٢٣ ، بنى حي الحبوس بالدار البيضاء .

فى سنة ١٩٢٤ ، قصر اعبابو بفاس .

فى سنة ١٩٧٠ ، بنى أهم اعماله ، وهو ضريح محمد الخامس .

فى سنة ١٩٧٥ ، اشرف على تجديد قصر الرباط .

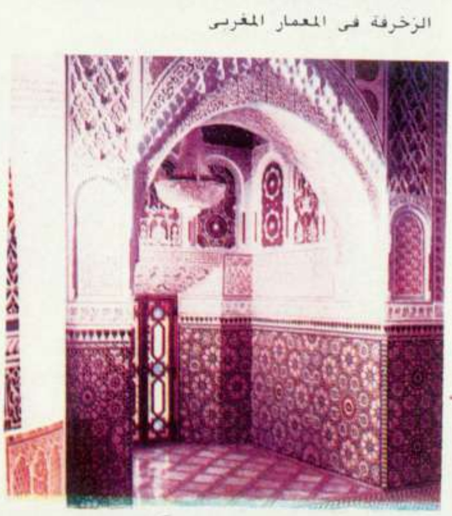
والمعلم عبد الكريم يؤمن تماماً باهمية العمل الفنى الروحية ويدرك دور المعلم باعتباره دوراً حيوياً من اجل اضفاء الروح على كل مسكن يبنيه ، لكنه يقول ان السر يكمن ـ فى النهاية ـ فى الساكن لا المسكن ويقول اكبر معلمى المغرب ، والذى يرجع اليه الجميع ..

«إنه يجب أن يغلب الاعتبار الجمالى على الاعتبار النفعى ..» .

بناء من الطراز الحديث يعلوه زخارف من العرائس .



الزخرفة فى المعمار المغربى



ويتضمن الكتاب نماذج عديدة للمعلمين المغاربة العباقرة ، البشر الذين يقفون وراء هذا الجمال كله ، وهذا التراث الفنى الاصيل ، الذى جعل المغرب من اغنى دول العالم العربى والاسلامى بتراث الفن البديع النابع من تقاليدنا الخاصة ، وروحنا ، ومن عناصر هذا الفن صاغ اندريه باكار المهندس الفرنسى هذا العمل الضخم الذى يعد المرجع الأول من نوعه لفن هذا البلد العريق .

جمال الغيطانى

كيف يواجه العالم هذه المشكلة الاقتصادية؟

إنزع أرضك سمكا!

بقلم : رجب سعد السيد

ازداد اعتماد دول العالم ، فى السنوات الأخيرة ، على البحار والمحيطات كمورد لانتاج البروتين السمكى . فهذا المورد غير قابل للنفاد ، فضلا عن انه يعطينا نوعاً من البروتين الحيوانى رخيص الثمن .

وينتظر أن تعمل زيادة الاستثمارات فى انتاج الأسماك على تخفيف الطلب على المنتجات الحيوانية الغذائية غير السمكية .

وبالرغم من أن الدول العربية تمتلك مسطحات مائية بحرية وداخلية ، تبلغ مساحتها أكثر من مليونى كيلومتراً مربعاً ، إلا أن الانتاج السمكى العربى لا يزال متخلفاً . ويكفى أن نقارن متوسط انتاج الفدان من المياه المصرية (عشرة كيلوجرامات فقط من الأسماك فى السنة) ، بالمعدل العالمى (٤٢ إلى ٢١٠ كيلوجرامات فى السنة) ، لنرى مدى احتياج الدول العربية إلى مضاعفة جهود تنمية الانتاج السمكى لتصل إلى معدل معقول .

إن ذلك يتطلب جهوداً علمية متواصلة ، امكانات يجب توفيرها على عجل .. وتلك أمور تحتاج إلى وقت طويل حتى تؤتى أكلها . ولكن ، يجب البدء فى هذا الاتجاه حتى لا يتسع الفارق الموجود حالياً . وفى المدى القريب ، يمكن الاتجاه إلى مجال آخر يؤدى إلى تنمية الانتاج السمكى ، وهو مجال : الاستزراع السمكى !

وهذا ما نحاول القاء الضوء عليه .

إن طبق من السمك الشهى على مائدتك يوفر لك البروتين ويسهم فى حل أزمة الغذاء العالمية .



المسطحات المائية أصبحت من أهم موارد البروتين





مرحلة اعداد مزرعة سمكية تربى فيها الأنواع ذات القيمة الاقتصادية والتى تعطى كمية وفيرة من اللحوم .

فى البداية ماذا نعنى بالاستزراع السمكى ؟

إنه طريقة لتربية الأسماك تحت ظروف منظمة ، تسمح بزيادة الانتاج السمكى إلى أقصى حد ممكن .

وفى الزراعة التقليدية ، يكون وسط الزراعة الأرض ، بينما يلعب الماء دور الوسيط . أما فى الاستزراع السمكى ، فان الزراعة تتم فى الماء نفسه . من هنا ، يهتم بعض الدارسين باطلاق اسم (الزراعة المائية) على كل العمليات التى يستزرع فيها الوسط المائى – ومنها الاستزراع السمكى – وتشمل استزراع المحاريات والقشريات .. والضفادع أيضاً !

صول المحصول الى الحجم المناسب ، يتم طرحه فى الأسواق



وكان الصينيون أول من مارس زراعة الأسماك منذ حوالى ٤٠ قرناً . وكان الرومان أول الشعوب الأوربية التى أدخلت عمليات الاستزراع إلى أوربا فى القرن الثالث قبل الميلاد .

وقد تزايد الاهتمام العالمى بالزراعة المائية كأحد الصناعات المنتجة للغذاء . ومن المتوقع أن يزداد انتاج المزارع السمكية إلى عشرة أضعاف ما هو عليه الآن ، وذلك خلال العقد الحالى ، ليصل إلى ٥٠ مليون طن سنوياً فى عام ١٩٨٥ م .

وتعد التجربة اليابانية فى الزراعة المائية من أهم التجارب العالمية . ويمثل انتاجها السمكى أكثر من ٧٪ من الانتاج الكلى للمصايد البحرية اليابانية الضخمة

أما بالنسبة للمحاريات المقبولة كغذاء أدمى ، فيتوقع الخبراء أن يزداد الانتاج العالمى الحالى من ٧٧٠ ألف طن فى السنة الى مليون طن عام ٢٠٠٠ والجدير بالذكر أن حوالى ٤٠٪ من هذا الرقم تنتجة الزراعة المائية .

وسوف نقصر حديثنا الآن على تجارب ومشروعات الاستزراع السمكى

ويهمنا ، فى هذا المجال ، أن نعرض لملامح بعض التجارب العلمية ، والمشروعات الاقتصادية للاستزراع السمكى ، فى كل من : مصر واليابان .

تجربة عربية

كيف نحول مسطحاً مائياً عديم أو محدود النفع ، إلى مزرعة سمكية منتجة ؟

لقد تم ذلك فى « بركة العباسة » ، بمحافظة الشرقية . وهذه البركة التى تبلغ مساحتها ١٢٠٠ فداناً ، لم تكن تستغل إلا فى صيد الطيور المائية فى فصل الشتاء ، أما انتاجها السمكى فلم يكن يزيد عن عشرة كيلوجرامات للفدان .

وقد اضطلع معهد علوم البحار والمصايد التابع لأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا ، بهذه المهمة . واشتمل برنامج العمل فى هذه البركة على الخطوات التالية ، (وهى خطوات يمكن أن تطبق فى أى مشروع مماثل) :

١ – تخطيط أحواض المزرعة .. وقد قسمت البركة الى ثلاث مزارع وقسمت المزارع الى أحواض مساحة كل منها سبعة أفدنة فى المتوسط . وبجانب ذلك انشئت خمسة أحواض مساحة كل منها فداناً واحداً ، وذلك لحضانة صغار الأسماك المرباة فى المزرعة ، وأهمها المبروك وأسماك العائلات البورية

٢ – توفير الزريعة ، أى صغار الأسماك .. ويمكن الحصول على هذه الزريعة من مواطنها الطبيعية ، وتنقل إلى مكان الاستزراع فى أكياس من النايلون مملوءة بالماء المشبع بالأكسجين . وأهم الأسماك التى تم استزراعها فى بركة العباسة : المبروك – البورى – البلطى .

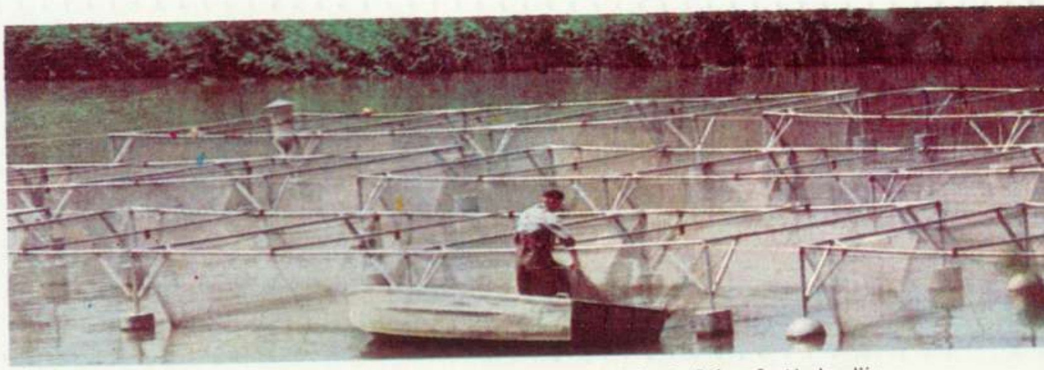
٣ – اجراء التحليلات الكيميائية والطبيعية والبيولوجية لمياه وتربة الأحواض . ويجب أن تكون التربة من النوع الذى يحتفظ بالمياه ولا يدعها تتسرب . وأفضل أنواع التربة لاقامة أحواض المزرعة هو النوع الطينى .

كذلك يجب أن تتوافر للمياه مواصفات كيميائية تسمح بمعيشة الأسماك وزيادة انتاجها ، وأهم هذه الشروط أن تكون درجة الحموضة مناسبة (الأس الأيدروجينى ٧٫٨ : ٨٫٢) ، وأن تكون غنية بالأكسجين

٤ – دراسة ومتابعة نمو الأسماك فى المزرعة . وتشتمل هذه الدراسة على : معدلات النمو – معدلات الوفيات – مراقبة الأمراض التى قد تصيب الأسماك فى المزرعة .. وغيرها من الدراسات البيولوجية .

٥ – نظام التغذية الاضافية . ففى المزارع السمكية لا يكتفى بما تنتجة بيئة

ازرع أرضك سمكاً!



منظر عام لمزرعة سمكية مقسمة الى احواض للتربية .



أسماك بركة العباسة فى جمهورية مصر العربية والتى تبلغ مساحتها ١٢٠٠ فدانا .



انتاج المزارع السمكية فى الشرق الأقصى أصبح اليوم يمثل رقماً قياسياً فى العالم .

الاحواض من غذاء طبيعى للأسماك ، يتمثل فى الكائنات الحية النباتية والحيوانية ، ولكن تتمتع الأسماك بوجبات إضافية دسمة تساعد على سرعة نموها .

وأهم هذه الأغذية الصناعية يتكون من خليط من « الكسب » ـ بضم الكاف . وهو بقايا بذرة القطن بعد عصرها ـ ونخالة الأرز ، أو الدقيق (الطحين) ، بنسبة ١ : ٣ ، وبكمية تساوى ٥٪ تقريباً من مجموع وزن الأسماك الموجودة فى الحوض .

وتضاف هذه الوجبات مرة أو عدة مرات فى اليوم ، ولمدة ستة أو خمسة أيام فى الأسبوع .

٦ ـ جمع المحصول السمكى . ويتم فى نهاية فترة التربية ، وبعد وصول الأسماك إلى الحجم المناسب للسوق .. فتجفف أحواض المزرعة تماماً بسحب المياه منها ، وتلتقط الأسماك بسهولة .

وقد نجح مشروع « بركة العباسة » على المستويين التجريبى والاقتصادى ، مما ساعد على انتشار مشروعات الاستزراع السمكى فى مصر .

التجربة اليابانية

يرجع تاريخ استزراع سمكة المبروك إلى ٢٤٠٠ سنة تقريباً .

وكان الصينيون أول من ربى هذه السمكة فى مزارعهم ، بينما استزرعها اليابانيون منذ ١٩٠٠ سنة .

وكان اليابانيون يزرعون هذه الأسماك فى حقول الأرز . ومع دخول المبيدات الحشرية والحشائشية إلى ميدان الزراعة ، فقدت حقول الأرز أهميتها كمزارع لأسماك المبروك .

وانتقلت عمليات الاستزراع إلى برك الرى وأحواض وبرك المياه الجارية ، وفى بعض المزارع السمكية المنشاة خصيصاً لتربية المبروك ، وكذلك فى التقفيصات الطافية .

وقد تضاعف انتاج المزارع السمكية من أسماك المبروك ٣ر٤ مرة فى الفترة من عام ١٩٦٣ إلى ١٩٧٣ ، بينما تضاعف الانتاج السمكى اليابانى العام ٦ر١ مرة فقط فى نفس الفترة .

وفى عام ١٩٧٣ ، استزرعت مساحة ٣٣٠٠ هكتاراً بأسماك المبروك ، فأعطت عائداً قدره ٥ر٣ طناً / هكتار . وفى هذه الزراعة المكثفة ، استخدمت وسائل تزويد المياه بتيار مستمر من الهواء ، ونظام متكامل من الأغذية الاضافية (يرقات دودة القز) أو خمس مرات يومياً . وقد حشدت المزرعة باصبعيات الأسماك التى تزن الواحدة منها ٤٠ : ١٠٠ جراماً . واستغرقت عملية التربية الفترة من الربيع إلى الخريف . وكان الناتج النهائى أسماكاً صالحة للتسويق تزن الواحدة ٨٠٠ جراماً .

ويستخدم اليابانيون طريقة أخرى لتربية هذه الأسماك ، فى تقفيصات طافية . وقد بدأ استخدام هذه الطريقة فى عام ١٩٥١ ، وتطورت وانتشرت فى البحيرات ومجارى مياه الرى منذ عام ١٩٦٤ . وتتراوح مساحة التقفيصات العائمة بين ٢٥ و ١٢٠ متراً مربعاً ، ويصل عمقها إلى مترين . وهى عبارة عن اطارات من خيرزان البامبو ، مكساة بشباك من البلاستيك ، ويتم تعويمها بواسطة البراميل الفارغة .

وتملأ هذه التقفيصات بطور صغير من الأسماك (الأصبعيات) ، تزن الواحدة ٥٠ : ١٢٠ جراماً . « تبدأ التربية فى الربيع ، بمعدل ٣٠ سمكة للمتر المكعب . وتضاف أغذية صناعية ٤ أو ٥ مرات يومياً وفى الخريف ، تنتج التقفيصات ٢٠ : ٥٠ كيلوجراماً للمتر المكعب ، بمتوسط وزن ٨٠٠ جراماً للسمكة الواحدة .

وفي ماليزيا ، ابتكر العلماء مزرعة صغيرة على هيئة تقفيصة عائمة ، يمكن للمزارعين استخدامها لامداد العائلة بالأسماك الطازجة على مدار السنة . ويمكن للأسر الريفية تنفيذ هذا المشروع (مزرعة الأسرة) فى أقرب مسطح مائى لمكان اقامة الأسرة .

رجب سعد السيد

ياصدرًا ـ وطنـًا

إلى أمـل دنقـل

شعر : سماح عبد الله



حين حملت حقائبَ سفرى
... وطرقت على بَابكَ ... فى الليل
... منزويا ... كنتَ تغنىّ للوطن المتمدد فى عينيك
ووجع الأرض
... وانـا
... خاصمتُ الأيام حواليك
... وعشقتُ الركض
... وفجائيا كنت
... وكنتُ
أُخَبِّؤُكَ ... بكتبى
... وأهاجرُ لأراضِيكَ ، وبُلْدَانِك ... ليلا
... والى حيث يضم الجفنان الحلُمَ الأمَلا
... وأفاجؤهم بك ... منتصبًا ... نَخْلَا
... وعنيداً ... كالريح الهوجاء
... وفجائيا ... كنت
... هل تعرفنى ؟ ؟ ! !
... آخِرُ عودٍ ... نبت بأرضِ الشعراء
... ورسمتُكَ ... فى كرَّاساتى
حقْـلا
... ونهاراً
... موَّجْتُك ... انهاراً
... أوقدْتُكَ ناراً
... نَزَّلتك ... مطراً
... وتخيَّرْتُك ... فَصْلَا
... غير جميع فصولِ الأعْوام
... تطلع اخضر كالحَبّ
... وتغنى للفقراءِ
رَسَمْتُكَ
... العينان الزمن المترجِّلُ ، والزمن المتعجِّل
... الصدرُ الوطنُ
... القلبُ ... الجمرةُ
... والصوتُ ...البركانْ
... والكلمات ... الشجر المتطاول والعهد الآتى
... هل تعرفنى ؟؟ !!!
... كانت فيروز ... تسامر وحْدَتَك الوحشيةَ
... (خذنى ... لبلادى)
... (خذنى ... لبلادى)
... هل تقدر ؟؟
... انى ... أبحث عن وطنى

... منذ زمان ... أتبعثر فى الطرقات ... غريبا أبحث عن وطنى
... أوجعنى سفرى
... أوجعنى ترحالى
... طرت ، ودرت
... وحططت على بابك ... فى الليل
... مجروح سيِّدىَ الذابلَ حتى الوجع
... مجروحٌ ... حتى الموت
... ما اقسى أن يتكىءَ المجروحُ على المجروح
مجروحان تقاسَمْنا فى هدآت الليل الوجعا
وتقاسَمْنا الإعياء
غريبان
. وننشد وطنـاً
... فيروز ... وغنى
... صبى فى صدرينا ... بلدان فلسطين ، ولبنان
... كانت عيناك ... بحارَ مُنَى
... ويداك مخضبتَيْن ... دَمـا
... وانـا .
... خبأتُك ... بين حقائبِ سفَرِى
وضممْتُكَ فى صدرى
... وتطيَّبْت بك ... الصدر الوطن ، الكلماتِ الشجرَ
... غادرتك عينين ... بحارَ مُنَى
، ويدين ... مخضَّبَتَيْن ... دَمَا
... وخطوت ـ وانت ـ بكتبى
وحقائب سفرى
... تتحشرج ... فى صوتى
... وتقاسمنى ... خطواتى فى الطرقات
وتفجؤنى ... فى عينى
... ياصدراً ... وطنـاً
... وانـا .
... خاصمت الأيام حواليك
... وعشقت الركض
... وخططتك حين خططت
وحين اخترت
... تخيرتك فصلا ... غير جميع فصول الأعوام
... تطلع أخضر كالحَبّ
... وتغنى ... للفقراء

جيرارد دي كريمونا: أشهر مترجمي المؤلفات العربية

بقلم: الدكتور: أحمد محمود بدر

يتفق الكثيرون من مؤرخى العلم على ان انتقال التراث الاسلامى وخاصة العلوم والمعارف الى غرب أوروبا خلال العصور الوسطى كان العامل الرئيسي لبدء عصر النهضة العلمية فى أوروبا وانتقالها من عصر الظلمات الى عصر البحث والكشف العلمى. وفى هذا المجال يمكن تلخيص انجازات المسلمين ومساهمتهم فى ثلاثة مجالات.

فمن جهة قام العرب بترجمة واستيعاب تراث الحضارات السابقة لهم وخاصة الحضارة اليونانية. وقد نقل هذا التراث الى أوروبا فيما بعد عندما ترجم من العربية الى اللاتينية. غير انهم لم يقتصروا على مجرد النقل والاستيعاب بل ادخلوا الكثير من التعديلات والاضافات والتعليقات على اعمال الاقدمين، والتى كان لها اثر كبير على الفكر الأوروبى. ومن جهة اخرى كان للعرب انجازاتهم واكتشافاتهم الاصلية والتى تفوقوا فيها على الاقدمين وخاصة فى الطب والرياضيات والفلك والتنجيم والجغرافيا والكيمياء. ومن جهة ثالثة وربما كانت الاهم هى ان العرب تميزوا بحبهم للمعرفة والعلم واتباعهم المنهج العلمى التجريبى فى البحث وسواد العقلية العلمية بينهم. وقد نقل الأوروبيون كل ذلك عنهم.

كانت الأندلس اهم مراكز الالتقاء بين الحضارة العربية الاسلامية واوروبا. والمصدر الرئيسي الذى انتقلت من خلاله المعارف والعلوم العربية. ذلك ان الاندلس شهدت خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر للميلاد حركة ترجمة واسعة، حيث توافد عليها الباحثون والمتعطشون للمعرفة من مختلف انحاء اوروبا بحثاً عن المؤلفات العربية لترجمتها الى اللاتينية. من بين المدن المختلفة اصبحت «طليطلة» "Toledo" التى سقطت للمسيحيين عام ١٠٨٥ والتى كان يتوفر بها ثروة كبيرة من الكتب العربية اهم مراكز الترجمة فى شبه الجزيرة.

ان تتبع حياة واعمال جيرارد دي كريمونا ـ اشهر هؤلاء المترجمين والأب الحقيقى لانتقال العلوم العربية الى اوروبا ـ ليعطينا صورة واضحة عن حجم التراث العلمى العربى الذى نقله الأوروبيون.

ولد جيرارد فى لومباردي Lombardy بايطاليا حوالى عام ١١١٤. ويرجح ان وفاته كانت فى طليطلة عام ١١٨٧ م. تلقى تعليمه الأولى فى ايطاليا قبل انتقاله الى طليطلة. ويرجح ريتشارد لومي Richard Lemay انه انتقل الى طليطلة وعمره لم يتجاوز الـ ٢٥ او الـ ٣٠ عاماً على اكثر تقدير. وبهذا يكون قد امضى حوالى ٤٣ سنة من حياته فى الترجمة والتاليف. وهذا يفسر الأعمال العديدة التى قام بترجمتها او تاليفها.

نعرف قدراً كبيراً عن حياة جيرارد والمؤلفات التى ترجمها من وثيقة كتبها تلاميذه ووجدت ملحقة ببعض نسخ ترجمته لكتاب «جالينوس» "Galen" المعروف باسم Tegni تشمل هذه الوثيقة ثلاثة اجزاء: سيرة حياة جيرارد، وثبتا بالكتب التى ترجمها ـ والبالغ عددها ٧١ كتاباً ـ وتابينا له.

جاء فى الوثيقة المشار اليها ان حب جيرارد لكتاب «المجسط» ورغبته فى الاطلاع عليه ـ اذ لم يكن متوفراً باللغة اللاتينية ـ دفعه الى الانتقال الى طليطلة. و «المجسط» هو الاسم العربى لكتاب بطليموس Claudius Ptolemy فى الفلك. الفه فى الاسكندرية فى القرن الثانى وترجمه العرب فى القرن التاسع. اصبح الكتاب بعد ترجمته الى اللاتينية من العربية المصدر الرئيسي لعلم الفلك فى اوروبا فى العصور الوسطى. هنك فى طليطلة عندما وجد جيرارد «وفرة الكتب العربية فى كل موضوع.. تعلم العربية حتى يتمكن من الترجمة».

ورد فى الوثيقة التى كتبها تلاميذ جيرارد اسماء المؤلفات الـ ٧١ التى قام بترجمتها. غير ان المؤرخين ينسبون اليه اعمالا اخرى يعتقد انه قام بتاليفها وترجمتها. وبهذا يكون حجم انتاجه ضخما. ومن هنا نشا التساؤل والتشكيك فيما اذا كان جيرارد قد قام بانجاز هذه الاعمال بنفسه أم انه استعان بمساعدين خاصة وقد ورد الذكر ان غالب العربى Galippus Mixtarabe قد ساعده فى ترجمة «المجسط».

يرى مؤرخ العلوم المشهور سارتون Sarton ان من المحتمل ان يكون جيرارد قد تلقى مساعدة من العرب والمحليين ممن يجيدون العربية فى الترجمة وان كان قد ترجم العديد من المؤلفات فان هناك اعمالا اخرى لم يترجمها ونسبت اليه. وفى المقابل لا ياخذ لومي Lemay بهذا الراى والذى لا يرى دليلا عليه، ويرجح ان يكون جيرارد قد قام بكل الأعمال التى نسبت اليه بسبب طيلة المدة التى قضاها فى طليطلة، وانه ان كان قد استعان بمساعدين فربما اقتصر دورهم على مساعدته فى البحث عن وتوفير نسخ المؤلفات العربية او فى تحرير ونسخ هذه المؤلفات.

تدل الدراسات المحدودة التى تمت لمعرفة اسلوب جيرارد فى الترجمة انه كان يتبع الترجمة الحرفية قدر الامكان اذ كان يحاول ان تكون ترجمته مطابقة للاصل العربى وينقل كل كلمة يحتويها الأصل العربى ويحافظ على تركيب الجمل العربية. وفى الحالات التى كان يقارن فيها الترجمات اللاتينية بالمؤلفات العربية كان يحتفظ بما يعتبره مقبولا ويحاول توحيد المصطلحات اللغوية المستخدمة. ولا تزال هناك حاجة كما يشير الى ذلك لومي Lemay الى مقارنة نصوص المؤلفات العربية بترجمة جيرارد اللاتينية حتى يمكن تكوين حكم محدد حول دقة وخصائص تراجمه.

تشمل قائمة الأعمال الـ ٧١ التى ترجمها جيرارد والتى ذكرها تلامذته فى الوثيقة المشار اليها سابقا تراجم عربية لكتب يونانية فى العلم والفلسفة ومؤلفات اصلية لعلماء عرب. وتتكون من ٣ مؤلفات فى المنطق و ١٧ فى الهندسة والرياضيات والبصريات و ١٢. فى التنجيم والفلك و ١١ فى الفلسفة و ١٤ فى الطب و ٣ فى الكيمياء و ٤ فى التنجيم والكهانة.

تضم هذه القائمة التى ترجمها جيرارد عدداً كبيراً من المؤلفات العربية فى مختلف العلوم . فمثلا فى المنطق تشمل القائمة كتاب الفارابى « فى المنطق » والذى شرح فيه كتاب ارسطو « "Organon" » وفى الرياضيات والبصريات كتاب الخوارزمي « الكتاب المختصر فى حساب الجبر والمقابلة » وكتاب الكندي « البصريات » وفى الفلك كتاب للفرغاني وكتاب لثابت بن قرة شرح فيه كتاب «الماجست» وفى الفلسفة كتاب للفارابي علق فيه على طبيعة ارسطو ، وكتاب للكندى حول الطبائع الخمس للاشياء . وفى الطب ترجم جيرارد للرازى « الكتاب المنصورى » وكتاب « تقسيم العلل » و « المدخل الى الطب » و « اوجاع المفاصل واوجاع النقرس » و « التجارب » و « المرشد » . وللزهراوى ترجم جيرارد الجزء الثالث المتعلق بالجراحة من كتابه المشهور « كتاب التعريف لمن عجز عن التاليف » . كذلك ترجم جيرارد كتاب الكندى عن الصيدلة وكتاب « القانون » لابن سينا .

وهكذا فان من الانصاف القول ان ازدهار الغرب ونهضته العلمية لم تبدا الا بعد اكتشافه واستيعابه للتراث العربى . ان الحقيقة التى لا يعيها الكثيرون منا هى ان الحضارة الغربية ليست اوروبية صرفة بل تشمل الكثير من معالم التراث العربى التى اندمجت معها اثناء تطورها التاريخى .

د . احمد محمود بدر

المراجع

Haskins, Charles H. "Arabic Science in Western Europe" in ISIS, Vol. VII, 1925, pp. 478-485.

Studies in the History of Medieval Science Cambridge, Mass. Harvard University Press, 2nd ed., 1927.

Lemay, Richard. "Gerard of Gremona" in Dictionary of Scientific Biography. Charles C. Gillispie, ed., New York: Charles Scribner's Sons, Vol. XV, 1978, pp. 173-192

Sarton, George. An Introduction to the History of Science, II Baltimore, 1931. pp. 338-344

الجمال الظامي

شعر: عبد العليم القباني



« هيفاء من بنات بحرى بالاسكندرية استاذنت أن تشرب من كوب الماء الموضوع أمام الشاعر وهو جالس على رصيف المقهى ، فكانت هذه القصيدة ؟

قالت : أتسمحُ ؟ قلت : لم لا أسمحُ ؟
قالت : أنا ظمأى ، فقلت : عجيبة
قالت : أطلتَ القول ، قلت : لعلنى
قالت : (فبعد الشر) قلت : وإنما
قالت : فهذا الشيبُ ؟ قلت : رواية
الآنَ شيبى لا يبالى صبوتى
قالت : فعمرك ؟ قلت : رحلة شاعر
قالت : ففى عينيك تزدحمُ الرؤى
قلت : الذى يسع الليالى شعره
وتناولت كوبى ، فلو شاهدتنى
كالطير فى قفصٍ ، يبث نشيدَه
حتى إذا رَويَتْ ، واحنت راسَهَا
أتامل الدربَ المثار ، وقد مشَتْ
خطواتها ، تهب الطريق حياته
وكانها ، والنور يخفقُ حولَها
حتى إذا غابَتْ ، وعدت لواقعى
أغمضت عينى ، أستعيد حديثَها

والسحرُ فى عينيك ، طفل يمرحُ
أن تظمئى ، وسلاف ثغرك مطمحُ
القى بعينيك الجواب .. فاجنحُ
للشر فى الدنيا نصيبُ افسحُ
مكذوبة .. هل كل كوب تنضحُ ؟
تتدللين ؟ فاقبلَتْ تستوضحُ
يتصيد الأحلامَ ساعة تسنحُ ؟
وعلى جبينك ذكرياتٌ تلمحُ ؟
قد تستبد به الجراحُ فتفصحُ
لرأيت روحى دونَها تستروحُ
وجناحه ، قلق النوازعِ يرزحُ
شكراً .. جلسْتُ ومهْجَتى تترنحُ
من فوقه حوريةٌ تتارجحُ
وعبيرها ، فتن تثور وتجمح
نجمٌ على ألق الكواكبِ يسبَحُ
طللاً يداعبُه الشباب فيجرحُ
وكان بلبلةً بسمعى تصدحُ

هذا البرنامج الطريف يروى أشياء كثيرة عن علاقة الكاتب بالمكان . أو روح المكان - بمعنى أدق - كما يقول عنوان البرنامج نفسه . وفكرة البرنامج طريفة أيضاً ، ولعلها تستهوى إحدى محطاتنا التليفزيونية العربية ولو عن طريق النقل الحرفى . وتتلخص فى أن يصحب مخرج البرنامج احد الكتاب المعروفين الى المكان الذى اثر فيه من قبل أو كتب عنه ، ليروى إحساسه به بعد غياب طويل . ومن خلال هذه الزيارة التليفزيونية الطريفة صحب المخرج بيتر ادام كاتباً بريطانياً كبيراً - احتفل بعيد ميلاده السبعين هذا العام - الى المدينة التى دارت فيها أحداث رواياته الأربع المشهورة باسم: رباعية الاسكندرية .

أما الكاتب فلابد أن أسمه قد اصبح واضحاً ، ومع ذلك فهو : لورنس داريل . وأما المدينة فقد أصبح اسمها واضحاً أيضاً ، ومع ذلك فهى : الاسكندرية .

وراء كل كاتب عظيم مدينة

عاشق الأسكندرية يعود إليها !

بقلم : علي شلش



لورنس داريل

يقول «داريل» فى مستهل حديثه الذى استغرق نصف ساعة هى وقت البرنامج :

«بعد ٣٠ عاما اعود الى مصر لأرى من جديد الأماكن التى كانت سواء من وجهة أدبية او شخصية - تعنى شيئاً بالنسبة لي ، او أثرت في او اثارتنى ، ولأرى ايضا أية آثار قد بقيت من ذلك العالم المسرف فى الوانه الذى صورته فى رباعية الاسكندرية» .

ولكن عودة عاشق الاسكندرية لم تقتصر على رؤية معشوقته التى كانت سر صيته ، وإنما اتسعت لرؤية الصحراء والنيل من مصبه الى اسوان : فقد بدات رحلة الكاميرا مع «داريل» من الاسكندرية ، ثم انتقلت به الى الصحراء حيث زار دير وادى النطرون ، والاهرامات ، وابا الهول ، وواحات الفيوم . وبعدها ركبت الكاميرا مع ضيفها باخرة مضت بهما فى النيل حتى اسوان ومعبد ابى سمبل .

ولاهمية الحديث والبرنامج - بالنسبة لي على الاقل - فقد حرصت على تسجيله من التليفزيون مباشرة ثم تفريغه وقراءته بغير صور . واحسست بان قراءة الحديث متعة اخرى ، وهذا ما احببت ان انقله للمهتمين بالكتابة والرواية والمعجبين بفن هذا الرجل الموهوب . ولم يكن يقطع اتصال هذا الحديث سوى مشاهد الاماكن وصورها ولحظات تامل صاحبه فى المكان واسئلة مقدم البرنامج الذى لم تظهر صورته على الاطلاق . ولماذا تظهر فى مثل هذا السياق ؟!

ولطول الحديث ، ولشجونه الكثيرة ، فقد رأيت أن أسلم طريقة هى نقل اهم ما فيه وعرض باقيه .

يقول عاشق الاسكندرية وهو يصفها بكلمة «الحبيبة» :

«هنا يشم المرء الصحراء . يشم قلب افريقيا وهو ينسكب مثل الدخان فى ذلك «القمع» المسمى النيل ثم يتحول الى طمى فى هذه الدلتا الضخمة . إن مصر تبدا بعد البحر الى الداخل فى الحقيقة ، فاذا اجتزت الميناء اقتربت من ارض وتربة اخرى . ومهما كان ما فعله الاغريق «لهينة» او «اغرقة» هذه المدينة ، فرائحتها رائحة الصحراء ، وريح الصحراء – الخماسين – ريحها ، وهى التى تكسب الهواء نوعاً من الطقطقة ويختلط بالبحر فينشط وينعش ويوتر حتى ليصاب المرء بالخبل هنا بسهولة» .

لقد اوحت له الاسكندرية بعدد من القصائد غير رواياته الأربع . وكان ذلك يوم عاش فى بيت مهندس معمارى ايطالى .. فيلا كبيرة من طابقين .. إبان الحرب العالمية الثانية .. كتب الشعر بالرغم من جو الياس الذى خيم على النفوس بفعل الحرب :

«ولكن ربما كان ذلك شيئاً طيباً الى حد ما . فقد ضغطت (الحرب) حياتى واضطرتنى الى ان افعل ما يجب ان يفعله المرء دائما ، اى الا يفكر فى غده وان يحيا ليومه فحسب .. لقد كنت مسئولا عن ٢٥٠ صحفيا اصبحوا جميعا اصدقاء لي .. واوحوا لي بفقرات حول شخصية «نسيم» وغيره . وهكذا منحتنى وظيفتى هنا فرصة رائعة لكتابة الشعر والدراسة ، وفتحت لي مغاليق الاسكندرية بطريقة لم تكن لتتحقق لو لم يكن لي وظيفة فيها . حيث ذلك كله فى نطاق ضيق جداً . فمثلا كان بوسعى ان اتجول فى المدينة ، المدينة الحقيقية التى اسسها الاسكندر ، خلال عشر دقائق . فامر بالنادى اليونانى ، وارى رجال البنوك اليونانية وهم يدخنون ، ... وربما ارى صورة اخرى لكفافى الشاعر اليونانى الذى عاش فى الاسكندرية وهو يكتب الشعر ويحتسى اقداحا صغيرة من القهوة التركية . وكان فندق سيسيل هذا الذى اقيم فيه هو نقطة انطلاقى ، لم يتغير الفندق كثيراً . وفيه اقام كل الصحفيين الذين جاءوا الى هنا زمن الحرب لمتابعة اخبار الحرب وتنقلات الجيوش .

لقد نقلت الحرب لندن وباريس الى هنا .. كل انواع الشعراء والكتاب .. اندريه جيد مر هنا مروراً عابراً .. وكان الانجليز ياتون لقضاء عطلة نهاية الأسبوع . ولذلك لم تتوقف الحياة فى هذا المكان ولا فى هذه المدينة طوال تلك الفترة . ولاشك ان الجيوش جلبت معها كل ما يتعلق باساليبها الوطنية فى الطهى .. جاءتنا «تشكيلة» ضخمة من بولندا ، وبوهيميا ، والهند ، وتركيا . ولكن هذا التنوع الدائم فى الحياة اليومية كان لذيذاً . فلم يكن المرء يحتاج الى بذل اى مجهود فى سبيل امتاع نفسه . فقد كان كل شىء يشكل مشهداً للفرجة والمتعة . والحق ان افضل نصيحة يقدمها أ . م . فورستر فى دليله ، وافضل طريقة لرؤية اى مكان ، هو ان تتجول فيه بلا نهاية . فاذا بدات مهمتك ادركت ان السينما الهائلة التى تعرضها الحياة اليومية هنا كافية . فلا المرء يحتاج عندئذ الى حفلات نمطية ولا هو يفتقد ما يسليه» .

ولكن ما حكاية «كفافى» و «فورستر» اللذين جاء ذكرهما منذ قليل ؟ اما «كفافى» فهو الشاعر اليونانى الكبير الذى اقام فى الاسكندرية حتى وفاته فى اوائل الثلاثينات واما «فورستر» فهو الروائى الانجليزى الذى تطوع فى الحرب العالمية الأولى ضابطا فى الجيش البريطانى الذى بعثه الى الاسكندرية . وفيها طاب له المقام بضع سنوات التقى خلالها بكفافى ، وتصادقا . ثم كتب عن الاسكندرية وكفافى معا كتابين : اولهما «الاسكندرية» والآخر «الفنار» . وفى الكتابين سجل تجربة حب لتاريخ المدينة منذ إنشائها حتى عصر محمد علي كما سجل علاقته بشاعرها اليونانى الكبير .

يقول داريل مرة اخرى إن الاسكندرية التى رآها اول مرة كانت تختلف كثيراً عن الاسكندرية التى عاش فيها كفافى وفورستر . ويضيف :

«لقد وصلت الى هنا بعد ثمانى سنوات من موت كفافى . وكانت الاسكندرية التى صورتها فى رواياتى قد اختفت بالفعل على نحو ما ، بالرغم من ان اشد اجزائها حيوية وبذخا كان قد انتقل الى القاهرة . ولكننى اعدت كل شىء الى مكانه حين بدات فى الكتابة . وبجزء مختلف من عقلى رايت الاسكندرية كلها وهى تنبسط على الجانبين مرة اخرى من حولى بكل تفاصيلها الأسرة وكل غطرسة الوانها وكل فقرها المدقع وجمالها الآخاذ . ولم تكن المدينة لتتغير مطلقا مادامت الأجناس مستمرة فى الغليان هنا مثل عصير العنب حين يغلى فى إناء كبير قبل ان يتخمر . وهى لم تكن لتتغير ايضا مادامت الشوارع والميادين لم تكف عن طفح تخمرات هذه العواطف والاحقاد والثورات والهدوء المفاجىء .. اذكر ان «نسيم» قال ذات مرة ان الاسكندرية هى اكبر «معصرة عنب» للحب . ..» .

وشخصية «نسيم» هذه التى جاء ذكرها الآن من اهم شخصيات « رباعية الاسكندرية» وهى شخصية حقيقية لمصرى سكندرى قبطى عرفه داريل ، ولكنه حين صوره فى رواياته غير الكثير من ادلة وجوده الحقيقى بالطبع . ولكن الم تكن الاسكندرية التى صورها داريل على هذا النحو مدينة الياس على حد تعبير مقدم البرنامج فى سؤال اعتراضى من اسئلته التى سنتوقف عندها ؟

«هكذا كانت فى الحقيقة . ربما اكون قد بالغت فى تصوير هذه الصفات ، ولكنها .. ليست اوربا ولا افريقيا . انها تقع فى وسط الصراع بين هذين المؤشرين . وهى دائما فى حالة ياس لأن قيمها عكسية تماما . انظر الى الوجوه التى تراها فى الشوارع من حولك . إن فيها من كل نوع من انواع البحر المتوسط والدول الأوربية : اسبان وإيطاليون . وهذا الغزو الذى تعرضت له الاسكندرية على ايدى هؤلاء التجار والاجانب لابد ان يعود الى زمن جنوا او ربما قبل زمن البندقية» .

إنه يقصد زمن ازدهار جنوا والبندقية فى عصر النهضة والكشوف الجغرافية وتفوقهما على الاسكندرية . ولكن مقدم البرنامج يساله سؤالا مهما يحول به مجرى الحديث قليلا :

● لقد كتبت «رباعية الاسكندرية» بعد ان غادرت الاسكندرية فهل كنت تسجل ملاحظات ، او هل كنت تحتفظ بيوميات .. ؟

– كان عندى كراسات ضخمة مليئة بكل شىء ، اقوال كل يوم وما الى ذلك .. ولكنى لا اكتب يوميات . لم يكن عندى اى صبر على هذا ، ولكن ربما خدمتنى تذكرة اوتوبيس او تذكرة دخول متحف الاسكندرية ، وما الى ذلك مما يشع بعد سنوات ويجعلك تتذكر كل شىء إذا رايت منه علامة صغيرة . كل هذه اشياء مفيدة .

سؤال اخر :

● اهذا هو السبب الذى حدا بك الى استخدام لغة تشبه لغة المصور من حيث انها ترسم ظلا فوق ظل ؟ ..

– من الصعب جداً حيث تعمل فى اربعة كتب ان تحتفظ بجدة الوانك ونضارتها .. ولذلك فمن الطبيعى ان احرك «الموتور» على قدر ما استطيع حتى اضمن الا تصبح الالوان كابية .

عاشق الأسكندرية يعود اليها!



يجب الا ننسى ونحن نقرا نثر داريل او نسمع لحديثه انه بدا حياته شاعراً ، وان له ديوانا كاملا . فمن الطبيعي ان يملأ نثره وحديثه بالاستعارات والصور الشاعرية . فضلا عن ان زيارة المكان الحبيب الى النفس بعد غيبة طويلة تبعث فى نفس الكاتب ، مهما كان ناثرا جيداً اشراقات الشعر وربما غموضه المحبب . فلاباس علينا إذن إذا قرانا كلمة مثل «الموتور» فى غير سياقها !

يقول عاشق الاسكندرية وهو يتابع مع الكاميرا الأحياء الشعبية فى المدينة ابتداء من حي «الانفوشى» ليلا حيث تعلو ماذن مساجد البوصيرى وابى العباس وغيرهما «إن الحمام يرتفع منبهرا مثل نتف الورق المتناثر الى اعلى الماذن كى يتلقى على اجنحته اخر اشعة النور . والمدينة البيضاء تضيء الاف الثريات فى متنزهاتها وابنيتها ... إنها تبدو مثل سفينة ضخمة من البللور نائمة هناك ، راسية وموثقة الى قرن افريقيا . وتظل الارصفة محتفظة بحرارة النهار مثل البطيخ حين تشقه عند الشفق . ومن حذائك تتسرب الحرارة بالتدريج من ثقوبه الضيقة . وترخى المدينة تقطيباتها كسلحفاة عجوز وهى تحدق فيما حولها» .

وينتقل داريل بالكاميرا الى حي اخر قديم هو حي «المنشية» فيصوره قائلا :

«قليل من الاوربيين جاءوا الى هذا القسم من المدينة : الحي الذى يرقد ممتداً خارج حزام الفوانيس الحمراء .. حيث يجلس العجائز المعتاودن على الجلوس وهم يلعبون «النرد» ويدخنون «الاراجيل» التى تصدر عند كل جذب او شـدة لنفس قرقعة صغيرة مثل هديل الحمام . وتصطف «الاراجيل» على حوامل ممتدة مثل البنادق ، وياتى كل مدخن بمبسمه الذى يعتز به» .

ثم يصل داريل فى جولته الى الاحياء الراقية فى المدينة فى منطقة الرمل فيقول عنها :

«إن الأحياء الفقيرة فى المدينة البيضاء لا تحمل اية مشابه مع تلك الشوارع الجميلة التى صممها الاجانب . لقد كانت هذه هى القصور التى كان نسيم وجوستين يقيمان فيها الحفلات . وهنا وهناك بيوت هجرها اصحابها إما لشدة فقرهم او لشدة كسلهم . اما ابواب بيوتهم فنصف مغطاة بالزهور ، وتصدر صريراً حين تفتح على حدائق ذات جمال وحشى بلا بستانى ، حيث تجد نافورات من الرخام وتماثيل مهملة تدل على مجد غابر . واذكر العشاق وهم يتسكعون فى الاحياء الفقيرة حزانى مثل الات موسيقية لا تعرف الانسجام ، واذكر قرقعة عربات على طول شاطىء البحر . وهنا كان البحر يعلو ويلطم الرمال وقد اتخذ لون الزئبق حين يتاكسد . وكانت لطمات البحر الايقاعية العميقة بمثابة الخلفية للاحاديث التى تدور بينهم» .

● ...

– إن الحاضر الذى نعيش ونتصرف فى إطاره وهم مطلق . إنما نحن اشباح فى الحقيقة . وربما لا يحدث إلا فى نومنا ، او فى احلامنا ، ان نتاكد من هذه الحقيقة .

● هل تعتقد ان التاريخ والسياسة لا يحدثان نتائج كبيرة فى النهاية ؟

– لا اهمية لهما مطلقا ، لان الزمن مستمر والتاريخ هو التكرار الذى لا نهاية له لاسلوب الحياة الماضية ، وهو سيبدا مرة اخرى فى الغد مادام اليوم قد مر ، ومن ثمة فالذى يؤمن بان الحياة قصيرة ويعتقد فى ذلك على نحو جدى إنما يضيع وقته إذا اعتقد فى التاريخ ، لان عليه عندئذ ان يمسك بكل قبضة ريح حتى يحقق ذاته . وعندئذ ايضا يعنى الموت شيئا بالنسبة له ، هو ان الانسان حين يموت فمعنى ذلك انه استهلك حتى النهاية . ثم ياتى دور القاهره فيستهل داريل حديثه عنها بابيات يذكرها من قصيدة تقول :

نخيل وقبور
قبور ونخيل
ونهر يتدفق مثلما يتدفق الدخان
تحت سماء ثقيلة القوام

ويضيف الى ذلك مباشرة :

«ذلك كان وصفا للقاهرة التى لاشك انها تشبه إناء تسخين بين صحراوين . ولاشك انها فى الصيف جحيم حقيقى مع سماء لامعة مثل مرجل من النحاس الاحمر . واينما ذهبت شعرت بنقص الهواء . فقد كان كفافى يستطيع على الاقل ان يشم البحر ، وكان يستطيع الفرار الى الشاطىء إذا لم يستطع الفرار من مدينته ، ليشم أوربا . اما هنا فلا تستطيع ان تفر إلا الى الصحراء

وتنبعث فى ذاكرته صور العواصف الرملية والخماسين فى ربيع القاهرة ، فيقول :

« قبل شروق الشمس تستحيل سماء الصحراء إلى اللون البني مثل قماش التجليد ، ثم تسود شيئا فشيئا متورمة مثل الكدمات والرضوض ، ثم تصفو في النهاية. وتاتي دوامات الغبار ذى اللون البني والأصفر من الدلتا اشبه بكتلة الغبار الصاعدة من بركان . وعندئذ تحكم المدينة إغلاق خصاص نوافذها ، ولكن الرمال تغزو كل شيء ... ثم تظهر ، كما لو كان بها مس من السحر ، في الملابس التى طال حفظها داخل الصواوين ، كما تظهر فى الكتب والصور والملاعق . بل تستقر فى كل مكان مثلما يستقر المسحوق ... ومن وقت لآخر تاتي ريح مجنونة من اعلى فتدير المدينة باسرها معها ، حتى تظن ان كل شيء ، الأشجار والآثار والمآذن والناس ، كل ذلك تظنه قد اعتقلته دوامة مهولة . ثم تنسحب العاصفة برقة إلى الصحراء ، إلى حيث ثارت ، مرتدة مرة اخرى إلى سطح الكثبان التى نحتها فنان مجهول الاسم على هيئة امواج ، ببطء ، وبالم ، مثل باب مفتوح نصف فتحة ، يطلع الفجر علينا طارداً الظلام » .

وياتي دور النيل في هذه الرحلة الطريفة من الشمال الى الجنوب فيتحدث عنه داريل حديث خبير بالانهار الكبرى في

العالم : البانجتسي ، الجانج ، الامازون .
ومن خلال النيل يبدأ داريل فى تذوق الانفتاح او الانفساح الذي افتقدته في القاهرة . وينقله النيل الى اهم مراكز صناعة الحضارة فى الماضي .. طيبة او الاقصر .. التى يسميها «المركز» ، لاننا فى طيبة – على حد قوله – نصبح داخل نفوذ عدسة مصر الحارقة . ويضيف بان قصة وجود مصر قد بدات تحت ضوء الشمس المحرقة ، ثم يتحدث عن العمارة فى المعابد هناك . يقول :

« كثيراً ما ارى ان البلاد تعكس هواجسها فى عمارتها . ويبدو انه قد سيطرت (على المصريين القدماء) فكرة الموت ، هذه الفكرة التى تبدو مركزة حول قيمة الاحتفاظ بالجسد . وعلى اية حال فهذه الحضارة العظيمة التي يشهد عليها هذا الوادي على نحو غير عادي قد انتشرت بوضوح فى جميع ارجاء الشرق الاوسط ، واخضعت القبائل والامصار ، بما فى ذلك « كريت » التى اشتهرت بالشراسة . » .

ويمضي داريل مع تاريخ مصر متتبعا ما فعله الاغريق الذين حاولوا الحفاظ على التراث المصري الحضاري إلى ان يصل إلى الرومان . فيقول :

« لقد جعلتهم الكتابة وسن القوانين مخمورين بالقوة ، فدمروا التماثيل في كل مكان . والحق ان «الكرنك» يذكرني دائما بانه « ارض ديزني (ديزني لاند) للطغاة » ، الطغاة الذين لاقوا حتفهم ككل الطغاة إن عاجلا او آجلا . ولا شك ان الصحراء تقترب من حولهم وتحاصرهم ، والصحراء هي المتحف الحقيقي . ولكن الماء موجود دائما ، الماء الذي هو اساس الحياة ، إنه شريان الروح المصرية والجهاز العصبي لحياة البلد كله » .

وهنا يصل داريل إلى اعتراف خطير . يقول :

« علي ان اعترف بانني شخص غير مكترث على نحو شنيع . قد يبدو ذلك غريباً ، ولكني شديد اللامبالاة . وحياتي تجري إما فى الكتب وإما فى الاحلام . فاذا لم تسقني الظروف لا اعتقد انني اتحرك من نقطة إلى اخرى . ولو لم يكن الالمان .قد ساقوني لما تحركت من اليونان . باللأسف . انظر كم كنت سافتقد ! »

سؤال مهم جداً :

● كيف يحصل الكاتب على روح المكان ؟ .

الجواب مختصر وذكي جداً :

– اغلق عينيك وابصره . فكلما قويت رؤيتك للمكان قوي نقلك له . وإذا تشوشت الكتابة ، فذلك لأنك لم تذكر بما فيه الكفاية. وإذا تشوشت الشخصيات ، فذلك لانك لم تغلق عينيك وتقل : والآن ، ماذا كان لون ربطة عنقه !

سؤال اخير :

● هل يغير مرور الوقت موقفك من الأحداث أو المكان ؟ .

– المسالة مسالة عرف او اصطلاح . تامل استخدامنا للوقت فى قول الناس : «لم يمر الوقت » ، «مر الوقت كانه لمحة» . إنه نفس الوقت . اما هنا ، فنحن نحس بان الوقت هو وقت النيل . وحين نقول إن وقت النيل يعلو وينخفض فى شرايين الناس ، فنحن نفكر مرة اخرى فى علو مد النيل وهبوطه .

إلى هذا الحد يصل لورنس داريل إلى ختام حديثه الشاعري او شعره المنثور حول معشوقته الاسكندرية . فيقول وهو يودع مشاهد المدينة فى ختام البرنامج :

« ما إن تغرب الشمس عن ارض مصر حتى يتمثل صيف البحر المتوسط امامي بكل زرقته المغناطيسية . وهناك ، فيما وراء خط الافق البنفسجي ، ترقد الاسكندرية ، محتفظة بقبضتها الرقيقة على مشاعري ، من خلال الذكريات التى تعود ببطء إلى مجاهل النسيان : ذكريات الأصدقاء او الحوادث التى مر عليها زمن طويل – إن وهم الزمن البطيء يبدأ فى القبض عليها (على الذكريات) وتعتيم ملامحها حتى لأتساءل احيانا عما إذا كانت هذه الصفحات تسجل اعمال مخلوقات بشرية حقيقية ام ان هذه ليست قصة بضعة اشياء غير ذات حياة رسبت الدراما حولها اعني اشياء مثل رقعة سوداء ، سلسلة ساعة ، خاتمي زواج مفقودين .. » .

وبهذا ينتهي حديث صاحب رباعية الاسكندرية عن المدينة التى الهمته عمله الروائي الرئيسي ، وصنعت صيته ، وشجعته على الاستمرار فى حرفة الكتابة . وربما شجعنا حديثه هذا على القول بان وراء كل كاتب عظيم مدينة .

وربما يصدق هذا ايضا على كتاب آخرين عظماء من امثال بلزاك الذي عشق باريس ، وديكنز الذي عشق لندن ، ونجيب محفوظ الذي عشق القاهرة ، وللكتاب احيانا فيما يعشقون مدن !

أليس كذلك ؟ .

علي شلش



منظر عام لمدينة الاسكندرية .. المدينة التى عاش فيها «داريل» و استوحى روايته الشهيرة .

صالح الشرنوبي

شاب نضج قبل الأوان ومات في العنفوان

بقلم : حامد بدر

ذلك الشاعر هو صالح بن علي الشرنوبى ، من بلدة بلطيم التابعة لمحافظة كفر الشيخ بمصر ، والواقعة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ولد صالح فى السادس والعشرين من شهر مايو سنة ألف وتسعمائة وأربع وعشرين . وتوفى فى السابع عشر من شهر سبتمبر سنة ألف وتسعمائة وإحدى وخمسين . أى أن الشاعر مات وعمره سبع وعشرون سنة . وفى ذلك العمر القصير قاسى الكثير من المحن والآلام . وفى خلال الفترة من سنة ألف وتسعمائه وأربع وأربعين حتى وفاته سنة ألف وتسعمائة واحدى وخمسين ، نظم ديواناً ضخماً من الشعر القوى الرائع ، يضم أحد عشر جزءاً هى : (أصداف الشاطىء) و (الأمواج) و (نسمات وأعاصير) و (فى موكب الحرمان) و (وطنيات) و (أقاصيص فى الحب والحياة) و (أشعار ورسوم) و (ظلال وألوان) وجزءان بلا عنوان ، والجزء الحادى عشر والأخير (مع الريح) .

تمثل هذه الأجزاء الأحد عشر (ديوان صالح الشرنوبى) تحقيق الدكتور عبد الحى دياب ، ومراجعة الدكتور أحمد كمال زكى . طبع ونشر دار الكاتب العربى بالقاهرة وقد قال الدكتور احمد كمال زكى فى تقديمه للديوان :

« كان الشاعر إنساناً فذا ، وكان فناناً لا يشغل نفسه بأكثر من أنه يريد أن يقول ، وسيقول رغم كل شىء ، وسيسمع الناس منه اليوم أو غداً ، ولما مات بكاه عارفوه ، وقال بعض النقاد : إنه لو عاش لبز اعلام الشعر قاطبة » .

ولا أحسبنى مسرفاً إذا أيدت هذا الرأى ولست بصدد مقارنة بين صالح وشوقى مثلا وإن كنت أستطيع أن أقول : إن المقارنة

لا تضيف زيادة إلى وزن صالح ، ولا تنقص من وزن شوقى . على انه لو جاز لنا أن نقارن بينهما فلابد أن ناخذ فى الاعتبار أن صالحاً عاش عمره القصير فى شظف وحرب مع الحياة . بينما عاش شوقى حياته الطويلة العريضة فى ترف وسلام .

واعتقد أن شوقى لو أدرك صالحاً لانصفه ، وشهد له بالعبقرية المبكرة ، فقد كان شوقى رحمه الله لا يضن بالتقدير على مستحقبه شباباً أو شيوخاً . كذلك كان صالح رحمه الله وفياً ومحباً لشوقى كل الوفاء والحب ، فنظم أصدق الشعر فى ذكراه .

نشا الشاعر فى بيت عريق فى الكرم ، فيه للضيوف طابق خاص . وكان والده الشيخ على الشرنوبى تاجر الأسماك - رحمه الله - رجلا متديناً متمسكاً بتقاليد الأسرة المصرية الأصيلة . كذلك كانت والدته - رحمها الله - بل اشتهرت اسرته كلها بالتدين والتقوى .

حفظ صالح القرآن الكريم فى العاشرة من عمره ، وتلقى العلم بالمعاهد الأزهرية حتى حصل على الشهادة الثانوية من معهد طنطا الدينى فى عام الف وتسعمائة وسبعة وأربعين . ثم أراد الالتحاق بكلية دار العلوم فلم يوفق ، فدخل كلية أصول الدين ولم يستمر فيها ، ثم دخل كلية الشريعة ولم يستمر فيها أيضاً .

كان ينظم الشعر باقتدار عجيب ، وقد صور الامه فى قصيدة عنوانها (حياتى) قال فيها :

الحمـــد الله على مـــا قضى
والشـــكر لله على ما أمـر
فما أظن الأرض تحــوى فتى
وجوده قـد كان احدى الكبر
مثل فتى يدعونه شـاعراً
وما بغير المـوت يوماً شعر
حياته ليــل دميم الــرؤى
مروع الاشباح كابى الصور
تفترس الآلام أحـــلامه
وترتوى من دمهـا المنهمر
أحمق منه وهو يبنى المنى
تلك المنى إذ تتحدى القدر
يبكى بلا دمع وفى قلبه
مايغرق الدنيا إذا ماانفجـر
وربما زان لـه ضـعفه
أن يشتكى آلامـه للبشر
لكنه يخشى مواســاتهم
فى محنة .. الصبر فيهـا انتحر

وقد كانت هذه الموهبة عند صالح أقوى من كل شيء حوله ، فهو فى حالة شرود شبه دائم ، مما جعل أسرته ترتاب فى سلامة عقله . وبتوصية من طبيب الأسرة دخل صالح مستشفى الأمراض العقلية ، ثم خرج من المستشفى بعد أن تبين انه عاقل تماماً ! ومن هنا نعرف بداية القسر الذى وقع على شاعرنا العبقرى فاحاط حياته بعوامل التعقيد والتشاؤم .

ويقال ان سبب الشرود الذى أصاب الشاعر هو تاثير المخدرات ، وربما لجا إلى هذه السموم عندما ضاق بالحياة وضاقت به . ويبدو انه كان فى حيرة تتنازعه عوامل الشر والخير ، فقد جنح أخيراً الى التصوف باحساس صادق ، وهم باحراق شعره ، لولا أن والدته التى كانت تعرف قيمة هذا الشعر عنـــده منعته ، واخفت مخطوطاته فانقذتها من الحرق . وكان يقول : اللهم إنى تبت إليك من ذنوب انت تعلمها وقدرتها وكانت ، فاجعلها كان لم تكن لأنى أريدهــا أن لا تكون ، وأنت ربى وانا عبدك .

اشتغل صالح مدرساً فى مدرسة بنات بلطيم الابتدائية ، ثم تركها وذهب إلى القاهرة ، وفيها التقى باصحاب له ، ولقى صعوبات فى الرزق وأسبابه ، وكان يعيش على معونات من أبيه ، ومن تاليف أغان للأفلام لا عن رضا بل للضرورة ، لأنه كان يؤثر الشعر ، ولا يحفل بالزجل .

حاول الزواج من فتاة ببلدته بلطيم فلم يوفق ، وراح يطلب العيش فى القاهرة ، ولكن سوء الحظ كان يرافقه . وقد كف والده عن مساعدته بالمال ليرغمه على العودة إلى بلطيم والعمل بالتدريس كما كان . ولكن صالحاً رأى انه لا يستطيع العودة إلى بلدته بعد أن نبذته ورفضت تزويجه . وهو أنيق وسيم لم يقلل من وسامته شيء سوى أن في وجهه بثوراً زعم أنها سبب نفور الفتيات منه فهجا وجهه قائلا :

لك يا وجهي التعيس هجـاني
فى صباحي ومغربي وعشائى
أنت يامتحف الدمامة والقبح
تنزهت عن صفات البهـاء
إننى كلمـا لقيت فتـاة
صفعتني بالنظرة الشزراء

وكان لابد من أن يعمل ليعيش فعاد إلى التدريس مرة أخرى بمدرسة أجنبية بالقاهرة ، ولكنه فصل منها بعد شهور ، ولما لم يقدر على دفع اجرة غرفة فوق سطح بيت لم يجد بدا من أن يحمل متاعه المتواضع ويلجا إلى جبل المقطم ، أو ما سماه الجبل المضياف ، فياوى إلى مغارة بجوار مقابر الغفير ، وعلى مدى شهرين يعود كل مساء ليرقد فى أحضان الجبل . وفى ذلك يقول :

إلى هنـا ياجنة الحقير
أكـل جوعي وأضم نيري
وليس لي فى الأرض من نصير
إلا ضميري اه من ضميرى
البسني ممزق الستـور
وجاء بي حياً إلى القبور
اقرأ فى ظلامها مصيري
واعرف الغاية من مسيري
من احتراق الأمل الأخير
وفرقة الصاحب والعشير

وعندما تنكر له صديق فى محنته قال فى قصيدة عنوانها (الصديق) :

ذهب الصدق والصديق فدنيا
الناس دنيا الذئاب والأغنام
كم صديق محضته الود صرفاً
كان أقسى علي من أيامي
وصديق سقيته من حناني
فسقاني كؤوس موت زؤام
وصديق حميته من ضياع
فبنى صرح مجده بحطامي

ورغم هذه النظرة التشاؤمية إلى الأصدقاء يحدث ما يثبت له أن الدنيا لم تقفر من الوفاء . ويعرف أحد أصحابه انه ياوي إلى مغارة فى الجبل فيذهب إليه ويقنعه بالسكن معه فى بدروم لم يختلف عن كهف الجبل إلا فى أنه سرداب مظلم تحت الأرض .

ويعلم الشاعر الانسان المرحوم كامل الشناوي أن صالحاً لا يجد عملا فيلحقه بعمل فى صحيفة الأهـرام .

وقبل وفاته بيومين قال لصاحبه الذى يسكن معه فى البدروم المظلم : إنني ذاهب إلى بلطيم ومعي إحساس غريب اننى لن أعود .

ويذهب صالح إلى بلطيم مدفوعاً بشوق شديد إلى أمه التى استقبلته بشوق أشد .. وكان اللقاء الأخير الذى خرج بعده إلى مكان حبيب له بجوار بحيرة البرلس .

وعلى شريط قطار الدلتا جلس مستسلماً لتاملاته ، غارقاً فى شروده .. إلى أن جاء القطار الذى دهمه وانهى حياته !

وانطوت صفحة الشقاء ، ولكن صفحات الخلود لن تنطوي أبداً .

رحم الله الشاعر الذى نضج قبل الأوان ومات فى العنفوان .

حامد بدر

فى هذه الدراسة القصيرة لشعر الشاعر السودانى الراحل محمد المهدى المجذوب ، فى ديوانه «نار المجاذيب» .. لم الق بالا الى التصنيف الزمنى للقصائد . بل عنيت بمتابعة وإيضاح الايقاع الداخلى لرؤيا الشاعر ، التى جوهرها توتر بين قطبى البراءة والتجربة ، اتخذ عدة اشكال تجسدت فى شكل رمزى هيكله قصة خلق الانسان من حما سرت فيه الروح ، ثم سقوطه فى الزمن ، ثم إحساسه بغربته عن وطنه الروحى ثم محاولته استعادة براءته بمواجهته الشجاعة لجحيمه الخاص ، وجعله الندم محوراً يعود به الزمن ، والذات الى جذورهما وينبوعهما الاول .

رحلة فنية وفكرية مع شاعر سوداني كبير

البراءة والتجربة في "نار المجاذيب"

بقلم : الدكتور محمد عبد الحي

وهـمٌ وعيشى كلـه وَهَـمُ — وتعلـة لكنهـا حلـمُ
كـم طُـلّ فيها-لا تُنَال ـ دَمُ — وهـوًى تفتّح فـى ثـرى إرمِ

ارم ذات العماد ـ كما تسمى فى القرآن ـ هى الروح فى الأساطير العربية مبنية على حافة الفردوس ، ويقال انها مازالت فى مكان ما فى الصحراء ولكنها خافية عن اعين البشر ـ ويراها بعين بصيرته من تطهرت روحه من أدران الحياة وسخامها .

ومحمد المهدى المجذوب الذى تفتح فى ثرى «ارم» هو حال النفس الشاعرة فى براءتها الاولى وقد وقفت كما يقول فى قصيدته «زهد» :

عريانة كمحيا النبع مقتنصاً
عُـرْىَ الأزاهـر لم تحفل بقطاع

وذلك قبل ان نسقط فى حمى التجربة حيث الاحساس (بالسجن) : (انا السجين وكم حاولت من هرب) . وللتجربة هذى ابعاد من الفوضى والرعب :

هوة فى الزمان لا يعرف
الصبح مداها ولا تطيق الدجون
حيث لا تعصف الرياح ولكن
يعصف الخوف والردى والجنون

الشاعر تجسيداً لثنائية حادة فى الذات وتعبيراً عن محاولة دائبة لتحقيق الحلم المتفتح خارج مجال التوتر بين الحرية والبراءة وبين الضرورة والتجربة . فمصدر الشعر شق كبير فى نفس الشاعر :

وقد اهب الآفاق نفسى وانثنى
باخرى متى تصبح على الارض تفسد

تتخذ هذه الرؤيا المنقسمة على نفسها عدة اشكال : فهى قد تتخذ شكلا ذاتيا ـ او تاريخاً فردياً ـ محضاً ، يصبح فيه الصبا الأول او الطفولة ، فى براءة الاولى بينما تتمكن التجربة من نوازع الشهوة والشك المصاحبة لنمو الوعى بالذات . فماضى الروح طاهر نقي (بالمفهوم الدينى) ملتئم التئاماً عضويا بالعالم ـ إنه كنز الروح المدفون فى اعماق الزمن :

خدين الصبا اين الليالى مضيئة
هنالكِ فى كنز لدى الأمس مقفل
اتذكُر ناراً اوقدت عند خلوة
عشاء تغنى بالكتاب المنزل
هنالك اوطانى وبدلت جيرة
لهم كل يوم حالة من تبدل

ويظن الشاعر ان خلاصه فى استرجاع الصبا وبراءته كما فى قصيدته . «الكون الفاسد» :

اه لو يرجع الصبا من جديد
فهو حسبى من الهوى والرشاد
رف لي بسمة واعرض كالبرق
فزاد الظلام عمق سواد

واحيانا قد تتخذ البراءة والتجربة شكلا اجتماعيا رافضاً لمظاهر التقدم الحديثة ، وطامحاً لحياة ريفية وادعة . ففى قصيدة من «نافذة القطار» يجعل من القطار رمزاً للتقدم العصرى الذى يعتدى على براءة الطبيعة ويشرخ الصلة بين الانسان وبينها ـ فالقطار المشيح (عبست فوقه الذرى .. والجلاميد حانقات) عليه وهو (مارد اتى بافعوان) المدينة ليسمم ـ كما تستنتج ـ براءة الطبيعة الريفية . إنه يجيء : (صارخاً ياكل الطريق وينسلح بكل افق



محمد المهدى المجذوب .. شعره معين حكمة ونور وجمال

دخانه) وقد (رمقته الذرى كما يرمق الصياد وحشا جفوله واكتنانه) ، وهو فى (مرة ينهب العيون فلم تعلق بسدر ولا المت ببانه) ... وفى القطار – رمز الحياة الحديثة – يمتلىء الشاعر بحنين الى الايقاع القديم قبل ان تبدا فى قعقعة التحديث التى فصمت وشائج القربى بين الانسان والعناصر الأولى العالمة :

اين من خطفهِ الجِمَالُ وحادٍ
مد فى المجهل السحيق عِنَانه
يرمق الثاقبات كالوَدَعِ المنبِى
ويرتاد غيبها بالكهانه
واحد عيشه لدى المُهْمَه الكنزُ
رضيًّا وفى اخضرار البُطَانَه
ليت لي رجعة الى ذلك العهد
أُماشى على اختيارٍ زمانه
رَيْثُه امهل القلوبَ فللنجو
ى وللودِّ آنةٌ بعد آنه
وفؤادى تشوَّقٌ وَسِعَ الكو
ن وعينى تطلعٌ واستبانه

ويتسع هذا الشكل الاجتماعى ليصبح رفضا للمدنية وتقمصا لروح بدائى لم تفسد براءته بعد – فالشاعر يرى احيانا فى النزوح من المدينة الى اعماق الغابة «العذراء» تحررا نفسيا من الذات التى افسدها المجتمع الحديث المعقد ، واستعادة لبراءة طابعها البساطة فى العيش والتحلل من الفروض الاجتماعية وقيودها الاخلاقية. «فالاخلاق» و «المجتمع» و «القوانين» امر صعب ، فيه الدين وفيه العدل ، نقرا فى قصيدة (انطلاق) ، «رومانتيكى» محض :

ويوم «التِّنْج» حيانى خيالٌ
غريبٌ ليس يعرفنى حميمُ
تعرَّى ليس تُحرجه عيون
طليقا فى شبيبته يحوم
تخطَّر فى محاسنه بريئا
ينسِّ العار منظرُهُ الوسيمُ
فيا ليل الجنوب وانتَ حانٍ
خرائده اللذائذُ لا النجومُ
نسيت بك العواصمَ قاسياتٍ
وفى حاناتها رخَمٌ وبومُ

وفى قصيدة (بين المالح وبحر الغزال) يؤكد هذا المعنى :

تركت بلاداً فى الجلابيب عوَّما
الى بلد فيه الثياب قلائد
ولا يعرفون العار والثوب خادعا
هو العار كم تخفى لديه المكائد

ويتخذ شكل الانفصام بين الفعل والفكر أو المظهر والمخبر او الظاهر والباطن . فالشاعر يرى احيانا ان هذا الفصام جاء نتيجة لابتعاد الانسان عن طفولته على الصعيدين الفردى والاجتماعى . مثلا ، فى قصيدة (انطلاق) التى سبقت الاشارة اليها يقول :

فبيت الناس قد لبسوا قلوبا
كاعينهم تنم بما تروم
فبات الناس اطفالا وراحوا
ولم يُحْرج تطلعهم كتومُ

وفى قصيدة (ملامتى) يعبر عن الفصام بين براءة نبع الفكر الباطنى ، وقشرة الفعل الظاهر :

انا شيخ ملامتى ومهما
قال فىَّ العباد فهى اجور

والملامتية (هم الذين لم يظهر على ظواهرهم مما فى بطونهم اثر البتة (وهنا) فرق بين الملامتى والصوفى) . ولكن محمد المهدى المجذوب شاعر ، أولا ، وليس بصوفى وملامتى ، وان كان بينه وبين المتصوفة او الملامتية وشائج – واعلانه انه شيخ ملامتى يجب ان يفهم فى نطاق انفصامه عن البراءة والتجربة : فهو كما فى قصيدته (العرَّافة) يؤكد ان له قلبا بريئا ، وفى قصيدة اخرى يعبر عن ذلك تعبيراً جميلا :

وفى الضلوع مقاصيرٌ محجبة
فاسربْ اليها وفيها بهجةٌ وَدَدُ
وانت لؤلؤةٌ يا قلبُ عامرةٌ
للنور والطهر فى ارجائها ابَدُ

– ٢ –

هذه الأشكال الثلاثة تتبلور كلها فى شكل متسع واحد : البراءة والتجربة ، وتتجمع فى هيكل رمزى اكبر يخرج بها من النطاق الفردى الى النطاق الانسانى العام، ويمنحها عمقا دينيا متميزاً . هذا الهيكل الرمزى المتسع يستمد عناصره من الشكل الدينى لتاريخ الانسان بداءة فى الفردوس وسقوطا منها بعد ان اكل فاكهة الشجرة المحرمة – ثم متابا واملا تجسد فى الأنبياء ولكن ليس هذا اكثر من هيكل رمزى عام . اما الأسلوب الخاص والملامح المتميزةالتى يمنحها الشاعر لهذا الهيكل كي يعبر عن دقائق تجربته فى خصوصيتها وتمييزها – فهذا ما ساحاول اظهاره فيما سياتى :

الشاعر يرى فى السقوط من الفردوس وتجربة الحياة والخطيئة مظاهر متلازمة لفعل واحد :

ويا رب هذا الوحل فى النفس فائح
تنفسته فى جنة وخبالِ
وكيف نجائى منه والروح قطرة
عليها جبال اوقرت بجبالِ
وإنى كاهل النار عضوا لهيبها
ومن فوقهم روض الفرادس حالِ

وهكذا تصبح الحياة مجالا يتكرر فيها فعل السقوط الأول ورمزاه الأولان : التفاحة والحية

وهنا يكمن ازدواج معنى الحيَاة عند الشاعر . فمن ناحية اخرى هى هدية الله للانسان كي يكشف فيها نفسه :

لنا وهَبَ الدنيا جميعا تحيةً
لذائذها. صبحٌ على الحبّ خالدُ

فالشاعر لا يرفض الحياة بل يعيشها – كما يقول – (فى شهوة لا تنطفىء) (وهو عشقى الحياة من فضلك الغمر وحرص على البقاء تليد) . ومن قصيدته (الفراشة) (اين الفرار من الحياة وسحرها نفسى بنافح عطرها يتروح) . ويمجد مظاهرها الخلاقة فى البشر والطبيعة . فدم (المخاض) : (حمرة الشفق – مهد فجر منعم) والوليدة نجمة حياة (جحدت ظلمة الأبد) والسحب على التلال : (مواكب عرس) والارض تستلقى تحت البروق راعشة كالحسناء مذعنة للمس . وكل شىء يتوهج فى خدور الاشتهاء ، ومهرجان الخصوبة . هذا التمجيد للحياة اثار اجمل الشعر النابع من كل الجسد المغتبط بتدفق الأشياء حوله وروائحها والوانها وكثافتها . انه لا يفكر فى الحياة فحسب ، بل يحس بها إحساسا عميقا يستوفز كل جسده :

زهرة فى جُنوبها العسلُ
الخفاقُ روض بقطرةٍ مستكنٌ
نَفَسى عبّ فيهِ مِنْ دمِى
المحرورِ نفحٌ اشمّه واجَنّ
فى حَشَاى المشوقِ سحْبٌ
ولا تَهمى بارضٍ تخاف لمعَ البروقِ
جنةٌ حلوةُ الثمارِ بها الغدرانَ
تَغْنَى عن السحابِ الدّفُوقِ
يشتهى قطرةً مِن العسلَ
المخبوءِ نحلٌ مُثَوّرٌ فى عروقى
وحشَاىَ المشوقُ سُحْبٌ من الريح
بها الشوقُ صرخةٌ من غَرِيقِ

ولكن هذا التمجيد للحياة لا ينفى التناقض الذى يرى فيه جوهر الوجود الانسانى بعد انفصال هذا الوجود عن زمانه الفردوس الاول . ان كل هذا الجمال الى زوال بعد ان سقط عن خلود بدايته :

حبب هذه الحياة وعطر
وخيال يريد وصل خيال
وصدى للنواح فى الابد الخالى
ورثناه عن قلوب الاوال

الحياة مثل (الحبب) ، و (العطر) و (الخيال) تلمع برهة بجمال اخاذ ثم تتلاشى – لا يحميها جمالها من تفتق بذرة العدم الكامنة فى وجودها الزمانى . واهتمام الشاعر بالتصوير الدقيق للاشياء محاولة منه لمنح الاشياء خلوداً فى الشعر ، فقدته فى وجود حياتها .

الأشياء – والحياة كلها – تضمحل وتتلاشى مع تلاشى لحظات الزمن – الاحساس بالزمان عنده ملازم للاحساس بالعدم . وهكذا تصبح الشمس – المصدر الأسطورى للخصب (العنكبوت على هوة ليل نسيجها يتتالى) إذ تسقط الأيام كل مساء فى عدم سحيق .

هو العيش خدن الموت والحب خدعة
فهل تعشق الموتى القبورُ الكوالحُ
وهيهات شَابَ القلبُ فى كل نبضة
ماتمٌ جسم كل ما فيه نائح

ولهذا فهو لا يستطيع ان ينعم بالحياة دون توجس فاللذة فيها مشوبة بالالم دائما :

فساءنى وشجانى اننى بشرٌ
اشج بالألم الحراق إمتاعى

(وما الشوق إلا حرقة النفس فاتها (...) خلود) .

ونتساءل عن مصدر هذا التناقض بين عناصر الوجود الانسانى ، والاجابة التى نستخلصها من القصائد تظهر لنا الجوهر الدينى لرؤيا الشاعر ولتفسيره الرمزى للوجود .

والخطوط العامة لما اعنيه بالتفسير الدينى الرمزى للوجود الانسانى تتلخص فى أن الانسان يعيش فى عالمين فى نفس الوقت عالم الأبد ، وعالم الزمان ... فالانسان ينتمى الى الطبيعة والتاريخ ولكنه يعلو عليهما ويمتد وجوده وراءهما

الروح لله من انواره ينَعَتْ
فنورت اعينا سوداً واحداقا

ولكنه يعرف أن هذه البراءة مشبوبة ، فهو يتساءل ويجيب :

االترك سر الدود للطين إننى
شريكٌ له كل على الطين فارحُ

محمد المهدى المجذوب لا يحس انه يعيش مجالى البراءة والتجربة فى نفس الوقت – بل يعيش انفصامها و «غيرتيهما» . إحساسه «بالثنائية» بين عالم الفردوس وعالم السقوط هو مصدر ما يمكن ان نسميه «بالغربة الميتافيزيقية» فى (نار المجاذيب) إنها غربة الانفصال عن البراءة الأولى .

رب ما اعذب النداء بيا
رب ومعناك فى الضمير حيالى
نفحة داعبت كرى الظما المسنو
ن يسعى اليك بعد انفصال
هى جازت بادم جنة الخلدَ
ضراراً لجنة فى زوال

ومن قصيدته (غريب) : (وطنى اين ليس فى شاطىء النيل فلي غيره بنفسى نيل) حنينه لذلك الوطن الذى هو حالة من «الوجود العينى» تعيش الذات باحساس عميق بالبراءة والهوى المتفتح على ضفاف الينبوع الأول .

الشاعر يعرف ان جذوره فى ماء ، وان أمله الخالد أن يعود بالنفس الى جذورها فتلتئم :

انت الغريب على الدنيا باجمعها
على فؤادك لا يبلوك دقّاقَا
سيغمض الموت اجفانى وافتحها
طفلا يعود الى الجنات مشتاقا
مثواى جنة عدْن سوف يفرحها
عودى انَفّضُ سترَ البين اخلاقا

وايضاً :

قربي للخيال يا جنة
الخلد وعوداً ممضة كالعوادى
اظماتْنا ونحن نعثر بالأيام
مثلَ الرياحِ بالاطواد

انها رحلة يستدير فيها الزمن الى بدايته . ولكن الشاعر الذى يعيش فى عصرنا الحديث يعرف أن رحلته أصعب من رحلة الانسان فى عصور النبوة حيث كانت يد الله تتدخل مباشرة لتطهير الأرض من طغيان الدرن.فى قصيدة (الطوفان) تعبير عن الولادة الدائمة للحياة خلال الأنبياء فى زمن مضى ، ورفض الحلول الحديثة التى ترى فى التقدم العلمى انقاذاً للبشرية لأن هذه الحلول لاتقتصر على معضلات الوجود وانما على معضلات الطبيعة :

– ٣ –

اذن ،كيف يرى الشاعر خلاصه وتطهره من عناصر الخطيئة التى تشج وجوده وتمسخه ؟

هناك الشعر .. وربما فيه وسيلته الوحيدة لادراك الحلم الغارق فى الأعماق ، فالشعر ليس هدفه بقدر ما هو وسيلته لاكتشاف الذات وتطهيرها ، وسلمه الذى يرقى به الى مكامن جذوره .. الشعر عند محمد المهدى المجذوب اعتراف أو تطهر من دمغة الخطيئة بالاعتراف بها ، وانتصار شجاع على النفس الامارة بالسوء بمواجهتها بجحيمها الخاص .

وفي جبهتي وشم ولم اخف لونه
ورحت به من دون ثوبي ارتدي
دخان باعراقي وجلدي اراقه
دوائرَ ضمت كل سهم مسدد
حملت صليباً من سقامي رامته
وعدت باوزاري الى باب مسجد .

هذه المقدرة على مواجهة الجحيم الداخلى تجربة تقف فيها الذات وحدها امام مصيرها دون لجوء الى نهنهة الجرح أو إخفائه أو تجاهله .. إنها معاناة فيها الجريح وفيها الجارح شخص واحد .

فى قصيدة (النار والشعر) يؤكد انه يطهر جرحه بالنار ولايخفيه عنها . فالنار التى احرقت الشعر تصبح رمزاً للنار التى تتطهر فيها الروح .

حملت سرّيَ مفضوحا اكاتمه
جرحا يسيل فطهّرنى بغفران
امنت بالله نفسى لست املكها
وما نسيت وقد همّت بعصيان
عَيْشى الندامة مشغوفا بصحبتها
مع الذنوب وهذا العيش اعيانى
يارب حسبىَ من شجو انوء به
انى غريب وما فارقت اوطانى
نار تَآكَلُ فى نار وما وَلَدَتْ
الا رمادَ حزازات واشجان
... ...
كهل ينادم اشعارا حوت بها
نارا لديك فقد ضيعت ندماتى

الشعر الذى يفضح جرح الروح ويقر بالوحل الفائح من النفس وقد عضت لهيب النار . (عبء على النفس) فان فيه ضوء أحارقاً يقع على الاعماق ويكشفها . يقول انه كلما ناء بشعر يستنزف القلب تملكه (خوف من الشعر فادح) ، فكرة الندم هى محور ذهن الشاعر . والندم ـ بالمفهوم الدينى ـ اقرار بالذات أسدلت الاستار بينها وبين الالوهة . وهذا الاقرار ـ او الاعتراف ـ بداية للتطهر والسعي للحرية التى هى ايضاً للبراءة من أوضار الخطيئة فالندم هو نقطة دوران الزمان الذاتى فى رحلة العودة للجذور فى الوجود الانقى . وفى قصائد (نار المجاذيب) ، نجد تصويراً دقيقاً لتجارب حسية هو بمثابة الاعتراف بها ، فمن خلالها يستثير نوازع الندم عنها :

صليت بين مآثمى ومدامعى
تبكى علىَّ وكل ذنب مذْبَحُ
وحملت قبر ندامة فى منكِبٍ
يَبِسٍ على اثقاله يترنح
يارب يا نور العيون وانسها
حتّام يحفزنى المتابُ واصبح
وعقمت رغم هدايةٍ صاحبتها
طفلا وقلبىَ عن نصيح يجمح

فاسمل عيوني بل عيون مشاعري
اعراسها بخواطرى تتصيح

فكرة (الندم) هى الايقاع الرئيسى فى حركة الروح المفلتة للبراءة رغم شبكة التجربة :

وكم ذنب يخادعنى شذاه
صحبت له الندامة فى حياتى

واخرى :

وأوقد عقلىَ مصباحَه
يصيح بقلبىَ فى المآثمِ
فياويح عقلىَ من راهب
اخوه فؤادىَ لم يندمِ

من (الخلود) و (الذنوب) ، يقف الانسان (مريضاً) يامل (الخلاص) :

هيهات اخلد والذنوب عتية
خرقاء تبرق فى حشاى وتزأرُ
وانا المريض فكيف اخلص ناجيا
والنفس فى قفص المتاب تنَمَّرُ

ومثال اخر :

اطهر جسمى اسال الله رحمة
لقلب باوضارِ الامانى مجسد
ولا عنت ذنبى وهو ذنب « منافق »
متى ما رانى نادمَ النفس يسجدِ
واصبحت فى اعماق روحى مرارةٌ
لها زَبَدٌ ان تصبرِ النفسُ يخمَدِ

والندم والاعتراف مظهران لفعل تطهري واحد :

رب ضيعت فى الذنوب اماسىَّ
وصبح التقى لهن طريد
ليس عذرى من المآثم اقرارى
ولكنه العِزامُ البعيدُ

ـ ٤ ـ

بعد الاعتراف والندم تقف النفس كالارض البوار جرداء فى انتظار اخضرار وازدهار لا ياتيانها إلا بغفران هو هبةٌ وفيض من الملأ القدسى للنفس المتفتحة نحو السماء . فى قصيدة (سلوى) يقول : (انا الآن يابس) :

اضلعي كالفلاة فى الشُّعُر
الضحيان قد ترتجى فلاة بلالا
اكلت نبتَها واخلفها الغيثُ
ولامت بها الرمالُ الرمالا
وترامت على السرابِ لتستجديه
رِيًّا وهل تمنّت محالا
سكرت من عذابها فتظَنَّتْه
بَرُوداً على يديها زُلالا
... ...
وارى شهوة الكمال تزيد المرء
عجزاً يرُدُّ عنه الكمالا

وها هو ذا الشاعر يدير قلبه نحو الاله الرحمن الرحيم مناجياً :

بين عينى حسن خلقك ياربى
وبين الضلوع قلبٌ عميدُ
اخطا الناس ما إرادتك الكبرى
شقاء العقول وهى قيودُ
رب عذرى اليك شكرى وما جحدَ
النعمة الا مخيب او كنودُ
... ...
انت سقيتنى فلم تظما النفس
وينأى عن الخيال الخلود
غير انى احسنت ظنى بالله
وخلف التراب بعث جديد

اذن ، ليس لديه غير الانتظار والايمان ، ففيهما قبول وراحة للنفس التى احهدها الظما والشوق فى توترها بين قطبى البراءة والتجربة . وبهذا الاخلاء الاخير الى القد، الالهى بعد ان انفتحت الذات متطهرة لاستقباله ، ينتهى ديوان (نار المجاذيب) وبعد أن أدى الشعر مهمته لم يعد الا (قوقعه فارغة) عليها خطوط ونقوش والوان مما تركت حركة اصطخاب الروح فى الاعماق (لقد كانت فى اعماق هذا البحر المائج ـ ومن حركته فى الاعماق اتخذت شكلها ـ واتخذت حياتها) .

إنه الآن (ساكن وفى سكونى خواء متعب ـ وذكرى غامضة) لاتوتر الآن . وانما انتظار سلكن لشىء يعرف انه سيحدث . وهو يحيا حياته العادية فى هذا الانتظار الساكن . وفى مكان ما من وجدانه يتفتح ـ رويدا رويدا ـ بذور الشعر الجديد . لقد لزم داره كما يقول فى قصيدة العودة ـ آخر قصائد الديوان ـ وباطفاله (أمنت) نفسه الحزينة (من هم وبلبال) ـ وقد هجر (سراب الشعر) ـ لأن الشعر كان تعبيراً عن ظما لايرتوى وتشوق الى وطن بعيد لاينال ، وزلفى لفردوس مفقود وتطهراً من خطيئة الذات المغامرة ـ ولكنه ادرك الآن أن ملكوت الله يتجلى فى كل شىء ، وان الحياة البشرية العادية تضم فى خلاياها براءة ذلك الملكوت فهى جزء منه . وقد ظفرت نفسه الآن بوطنها (حلو البشائر) فى داره واطفاله ـ ويختتم بالحمد والشكر .

إن رؤيا محمد المهدى المجذوب ولدت من مشيمة التراث الدينى للشعر فى السودان ، واضافت لهذا التراث ووسعت من مجاله التعبيرى . وهى معين حكمة ونور وجمال ». .

د . محمد عبد الحى - الخرطوم

قصــــة

نشيد آخر الليل

بقلم : عبد الله الطوخي

كنت اظن انى الوحيد الخارج من بيته فى تلك الساعة المتاخرة من الليل ، أو المبكرة جداً فى الصباح .. تلك الساعة الفاصلة أو الواصلة بين الليل والنهار .. هى ساعة النوم العميق . لكنى وقت النوم احب الاستيقاظ .. استمتع بحريتى الكاملة فى مدينتى .. استطيع ان افعل كل شىء إلا أن أخرج أو اصيح .. ذلك سوف يزعج راحة النيـــام ، وحريتى لا يصح أن تكون عـــذاباً للآخرين .. الف شكل وشكل للحرية ، فى تلك الساعة المتاخرة من الليل ، او المبكرة جداً من الصباح : ان اسمع وقع خطواتى على اسفلت الشارع ترن فى ابهاء الليل .. اننى فى النهار نادراً ما اسمع صوت نفسى .. مدينتى بالنهار ماكينة ذات صوت رهيب يأكل ويهضم كل الأصوات .

بؤس كبير ان يحيا الانسان دون ان يسمع صوت نفسه .. ومن لا يسمع صوت نفســه ، هــل يمكنــه ان يسمع صوت الآخرين ؟!

خرجت إذن من بيتى فى تلك الساعة الرائعة الفريدة من الليل كى اتفرد واسمع صوت نفسى . كنت اظن اننى السائر الوحيد لكنى فوجئت بعد قليل ، بصوت خطوات اخرى يختلط بصوت خطواتى . توقفت منزعجاً ونظرت . كان يمشى على نفس الرصيف الذى اسير عليه .. خلفى بمسافة غير قصيرة ، لكن عمق السكون أوصل خطواته الى إذنى ، لم استطـع ان اميز فيه غير انه يرتدى بنطلوناً وقميصاً ، ومتوسط العود ... ويسير على مهل بما يوحى انه يتمشى بغير هدف .. أو من يدرى سر خروجه فى تلك الساعة ؟!

للحق اقول إن منظره من الوهلة الأولى ضايقنى .. إننى لست منفرداً فى ليل المدينة . وإذن فنشيد تفردى لن يكون .

يحيا الناس احياناً فترة من حياتهم بفعل أو بسحر بعض كلمات . وانا فى تلك الفترة من حياتى كان قد سيطر على شعار قراته لكاتب نرويجى عظيم .. هو «هنريك إبسن» الرجل القوى .. هو الرجل الوحيد !

اقول سيطر على هذا الشعار على الفور كبذرة وجدت ارضها فراحت تشق طريقها فى الباطن ثم استكنت وراحت تغلف نفسها بكل عناصر الأرض : الرجل القوى ، هو الانسان الوحيد !

من اجل هذا خرجت من بيتى فى تلك اللحظة البعيدة من الليل .. القريبة من الفجر ، ظاناً اننى وحدى .. اسمع صوت نفسى ، على ايقاع خطى قدمى ..

ها انا لست وحدى .. والمزعج اكثر ان خطواته ، رغم انه كان يمشى على مهل ، كانت تحدث رنيناً رتيباً فى صمت الليل . ولأن الشارع كان طويلا وممتداً ولا ينتهى إلا بكورنيش البحر ، فقد فكرت ان ادخل فى شارع جانبى ، أو اعود الى وحدتى .. فى بيتى .

وخطر لي خاطر : سوف اتمهل جداً فى السير حتى يتجاوزنى ويبتعد بوقع خطواته تماماً .. كانت خطواته تقترب منى وتقترب ، وما إن احسست به يكاد يمر بجانبى حتى استدرت لآخذ منه نظرة ، وإذا بى امام مفاجاة لم تخطر على البال . لم يكن رجلا .. بل كانت امراة . مقصوصة الشعر على طريقة الرجال ...

يا إلهى .. كل هذا الجمال يتجمع فى امراة واحدة ؟!

وإذ نظرت اليها ، التقت عيناى بعينيها. كان فيهما الفة . واحساس بالغ بالأمان ، حتى خيل لي انها تلقي علي التحية بلا كلام . فابتسمت لها .. وابتسمت لي ، لكنها سرعان ما تجاوزتنى وواصلت سيرها وحيدة فى الشارع الطويل الممتد ..

• • •

لم يكن سحر عينيها وحده الذى اخذنى واوقف نهائياً فكرة تغييرى للشارع او عودتى الى البيت .. لقد بدا الموقف باكمله مثيراً للغاية ، أن تخرج امراة بكل هذا الجمال والشباب تتمشى وحدها فى هذه الساعة المتاخرة من الليل ..

حقيقة هى تكاد أن تكون متخفية كانثى بشعرها المقصوص ، وزيها الرجالى : البلوزة القريبة من شكل القميص ، والحذاء ذو الكعب الخفيف الصغير .. ونظراتها المباشرة الجادة او الحادة .. لكنى بسبب هذه النظرة ، او بفضلها ، ادركت على الفور انها انثى . وتذكرت : لقد بدا اعظم عشق فى حياتى ذات صباح بنظرة عين !

تراه عشقاً جديداً ترسله الحياة لي مع بوادر فجر يوم جديد ؟!

لكنى لم اخرج فى هذه الساعة الساكنة من الليل لابحث عن عشق جديد ، وان كان عشقاً فهو ليس لامراة او لحواء .. عشقى الذى انشده اليوم من نوع آخر .. ابحث عنه دون أن أدريه !

أو ربما .. هو التحرر من العشق واصبح طائر ليل طليقاً !

غير أن الشعاع الذى انطلق من عينيها وهى تنظر لي ، بدا وكان له صوتاً اقرب ما يكون الى الزغاريد .. او الاغاريد !

وفكرت أن التحرر من العشق حماقة ، وأن الجميلة التى تعطى البهجة للروح هى خير عطايا الحياة .. وهذا هو ما اصبو اليه .. ذلك وحده ما يجعلنى اعطى نفسى للعبة العشق العظيمة من جديد .

اندفعت خلفها لالحق بها .. احسست بحركتى فتوقفت واستدارت نحوى .. توقفت انا ايضاً وبحثت عن كلمات فلم اجد ابتسمت لها . لم ترد الابتسامة . كانت تنظر فى عينى بثبات لم احس معه بالاحباط . بالعكس . قدرت أن امراة جميلة مثلها لا تعطى الأمان ببساطة لرجل غريب مجهول وفى ساعة مثل هذه من الليل .

بلعت ابتسامتى . اننى لا احب ان اتطفل على الآخرين ولو بابتسامة .. كانت

ماتزال تنظر لي .. واحسست بجراتها تتحدانى ، فتحديتها ومضيت انظر اليها .. اشتبكت النظرتان .. واشتد بى احساس بانى داخل على معركة لا اعرف اى شكل للنصر أو الهزيمة فيها .. إلا اننى سرعان ما لمحت فى ضوء النجوم ثغرها يفتر عن ابتسامة خفيفة .

تعالت الزغاريد فى قلبى والاغاريد ..

قلت رداً على ابتسامتها :

ـ يا صباح الخير .

قالت وقد اتسعت ابتسامتها قليلا :

ـ لم يات الصباح بعد .

قلت : إذن مساء الخير .

قالت : والمساء ايضاً مر من وقت طويل .

الا تعرف الزمن الذى نحن فيه ؟!

احسست فيها بروح وعطر الفلسفة . ومر بذهنى انها شهرزاد هاربة من ليالى شهريار

آه .. انه ليكون الحدث العظيم . انا ايضا تركت كل شىء خلفى .. فهل يمكن ان يلتقى اثنان لا يملكان من الحياة شيئاً غير الثورة على الماضى ، وغير الحنين لشىء جديد ؟!

قلت لها : نحن فى زمن الميلاد .

قالت : انت تتحدث رمزاً .. والأجمل هو التحديد . إننى اسالك عن الوقت الذى نحن فيه ، فتحدثنى عن الزمان البعيد . لهذا لا تعرف ماذا تقول لي : صباح الخير ام مساء الخير .

قلت : إذن فلتقولى لي انت ..

قالت : لقد قلت الكثير ، حتى اصبحت روحى عازفة عن الكلام ..

قلت : اننى احس بالكلمات تخرج من بين شفتيك كضوء النجوم ..

قالت : كلامك دعوة لي للكلام .. فى ليلة نذرت فيها نفسى للصمت ...

قلت مبهوراً : انه حقاً لنذر عظيم . وإنى لاحترمه . وساكف انا ايضاً عن الكلام ...

قالت : أريد أن اسمع وقع قدميك .

: وقع قدمى انا ؟!

: مع وقع قدمى .. هذا هو الامتحان !

: امتحان ؟ اى امتحان ؟!

: لو توحد ايقاع خطواتنا . لو خرج منه ايقاع واحد .. نواصل السير معاً .. اما إذا لم يتوحد الايقاع .. فساترك لك هذا الشارع .. وليمض كل منا .. كما كان فى طريق ...

● ● ●

ارتفع قلبى وسقط فى آن واحد .

لم يكن سقوط القلب خوفاً فقط من ان تتركنى وتصبح حلماً جميلا كان ومر ، كان خوفى ايضاً ان ينتهى هذا الموقف السحرى الغريب الشبيه بحكايات الصبا وعمر الخيال البرىء ، حين كانت الجميلة تضع حبيبها فى امتحان صعب لتختبر مدى صدق حبه : بحر شاسع يعبره ، أو جبل شاهق يصعده ، أو جناح نسر عظيم يمتطيه .

ها هى جميلة آخر الليل تضعنى فى امتحان ليس اقل صعوبة : أن يتوحد ايقاع خطى اثنين غريبين .. رجل وامراة .. فى سكون الليل ، ويصبح ايقاعاً واحداً ، كانهما مخلوق واحد ؟!

وبدا لي فجاة أن السكون العميق المحيط بنا هو الخطر الأكبر . فابسط وادق الأصوات ستسمع فيه .. اقل نشاز سيدوى معلنا الفشل ، ومن ثم الافتراق .

قلت : معذرة يا اميرة الليل . اكان لابد ان تضعى الأمر على صورة امتحان ؟ معذرة فانا اكره الامتحانات !

وضعت عينيها فى عينى وقالت بجدية : الامتحان ليس لك وحدك . الامتحان لي انا ايضا . ومع هذا ، فانا لا احب ان اسمى ما نفعل امتحاناً . دعنا نسير بتلقائية ،



التلقائية قرينة الصدق . (واشارت بكفها) : هيا نبدأ السير .. ام انك لا تريد ؟!

قلت وانا اكاد اصيح ، متحكماً فى طاقات بدات تنفجر بداخلى : كيف لا أريد ؟!إننى يا جميلة الليل ، بعد هذا الذى حدث اصبحت أؤمن انك قدرى .. واقولها لك : حتى لو جاء وقع قدمى نشازاً مع وقع قدميك فلن اتركك تمضين عنى . لن أسمح لك ان ترمينى بسحرك الرائع هذا ثم تمضين عنى .. فقد ..

قالت مقاطعة وقد اطل من بريق عينيها غضب خطير : إذن فقد انتهى الموقف بيننا. انهيته انت قبل أن يبدأ !

وشدت من قامتها لتواصل سيرها وحيدة فاندفعت واقفاً امامها .. لا لا .. انا لم انه شيئاً . إنما كنت اتحدث بانفعال ..

قالت : هذا هو ما لا أريده .. انا لم اخرج الى الليل لافقد فيه حريتى .. واختيارى ... تحت سحر اى انفعال ..

قلت : دافعاً عن نفسى تهمة خطيرة : إنك ترمينى بابشع اتهام يمكن أن يوجه لي وانا واقف فى العراء تحت النجوم . اننى لست ضد حرية الانسان وحقه فى الاختيار. لكنى كنت اعبر عن احساس صادق . لا احب أن افقدك هكذا سريعاً ، واخاف ان افشل فى الامتحان . فقد تخوننى قدماى .. وانا رجل فى الأصل فلاح ، واتطوح وانا اسير فى الهواء ، وادب فى الأرض كيفما كان . بل اننى كثيراً ما اجدنى سائراً فى جميع الاتجاهات فى وقت واحد .. (وازداد انفعالى) اكان لابد ان يكون الامتحان بتوحد ايقاع الخطوات ؟! لم لا يكون بتوحد ايقاع النظرات ؟

قالت : توحد ايقاع الخطى بين الناس ، لا يتم الا اذا توحدت بينهم كل الايقاعات الأخرى .

قلت وقد سطع سحرها اكثر فى نفسى : اقسم إنك لفنانة . لم اتشرف الى الآن بمعرفة حضرتك . هل ابدأ انا بتقديم نفسى ؟ !

رفعت ذراعها : ليس الآن . هذا هو اخر شىء نفعله . ايقاع الخطى سيتكفل بكل شىء . هيا نبدأ السير . نمضى فى اتجاه البحر .

وبدات السير بالفعل ، فتحركت معها على الفور . كان كل خوفى من الانفعال الذى يسيطر على . أن يفسد ايقاعى . يعطى لخطواتى سرعة اكثر ، أو صوتاً أعلى .

نشيد آخر الليل

وضعت كل احاسيسى فى خطواتى ، متتبعاً ايقاع خطواتها . كانت تسير بهدوء .. وبدا لى أن الارض تحتها سحاب هى تسير عليه .. هونا .. بايقاع .. تعزف على بيانو سماوى .. تركزت نظراتى على قدميها .. ترانى استطيع مصاحبة هذا اللحن بقدمى .. فجاة أحسست بوقع خطواتى يضطرب . هل أسرعت أم ابطأت ؟ !

أحست باضطرابى . قالت : لا انظر الى قدميك وانت تسير .. فلننس اننا نسير ونحن نسير . أجمل الاشياء ما يحدث بتلقائية .

كانت ماضية فى السير .. شاخصة بنظراتها الى الامام .. فاتنة الملامح بشعرها المقصوص . وانفها الدقيق ، وخديها المكورين الورديين .. اننى رجل من برج الأسد .. شديد الاحساس بالجمال الأنثوى العالى المستوى . كانت ماضية فى سيرها الهوينا .. منتشية بمجرد السير على الأرض . بجوارى .. وفكرت ان اصرخ من السعادة .. وفكرت أيضا : تراها من برج آخر غير برجى . وأوشكت أن أسالها من أى برج هى ؟ ! .. لكنى فوجئت بها تتوقف وقد شع وجهها بسعادة كبرى : هل تسمع ؟

من أحد البيوت كان يتصاعد لحن موسيقى . صحت على الفور فرحاً .

– أنه لحن «قداس الحياة» لسباستيان باخ .. عازف الأرغن العظيم .. يا للحظ السعيد . اللحن ما يزال فى أوله .

قالت : فلنبطىء الخطو . نسمع ونحن نسير .

قلت : بل نتوقف لحظات لو سمحت . أحب جداً افتتاحية هذا اللحن . انه عندى فى بيتى .

قالت : وهو أيضاً عندى .. فى بيتى .

بيتها .. وبيتى .. يضمان لحناً واحداً . كدت اقول لها : لماذا اذن لا يصبح البيتان بيتاً واحداً ؟ لكن روعة اللحن أوقفت كل الكلمات . وفكرت مع ابتهاج الروح : العالم هو بيتنا . مثل هذا اللحن لا يسمع داخل جدران .

كانت قد استجابت لطلبى وتوقفت . وقفنا متجاورين نسمع افتتاح اللحن معاً . لكم سمعته من قبل وحدى ، وكم حرك فى نفسى من مشاعر . ولكن اية مشاعر كانت ؟ . مشاعر رجل يعيش وحده .. وباختياره .. فى غار .. على بابه ينسج العنكبوت بيته



باطمئنان .. وهو سعيد .. فرصة للتعبد وللوصول الى معرفة الحياة الحقه ..

أية معرفة وأى تعبد فى ظل حراسة عنكبوت ؟! العبادة فى الهواء الطلق ايها البشر . واضواء المعرفة تتبدى اسرارها من خلال ظلمات الليل . الحياة الحقة ما انا فيه الآن معها .. كانت موجات الارغن تتوالى وتتدفق .. وبدا اللحن مخاطبة للكون باكمله : انتباه أيها البشر شىء رائع جديد يولد . من رحم آخر الليل يخرج. تراها تحس بنفس إحساسي ؟ !

كانت الموجات تتابع مسرعة وتتقافز إثر بعضها البعض ، تندفع النشوة فيهتز كلانا على ايقاع الموجات .. على البعد .. شكراً لك يا سباستيان العظيم . كنت خائفاً من الا يتوحد وقع أقدامنا . الآن وحدت هارغنك روحينا فى ايقاع موسيقى عظيم .

كان راسها يتمايل ويتماوج من الانغام .. لولا الاقدام على الأرض لسبحنا معاً فى الفضاء . لا باس .. فجاذبية الأرض مازالت هى قدر الانسان .. ثم حين انتهى الافتتاح العظيم ، ودخل اللحن فى نوع من التتابع الهادىء الرقيق .. وجدت خطواتى مع خطواتها فى نفس اللحظة تواصل المسير .. على ايقاع بقية اللحن المهيب . ثمة نشوة عميقة كانت تملأ روحى ، وتفاءلت بالمصير ها هى الحياة تبعث الينا بصوت حبيب مشترك نضبط عليه إيقاع خطواتنا . ولم أعد أنظر الى وقع قدمى وقدميها ، بل تعلق احساسي بموجات الارغن الجميل .. كما لو أنى فى حلم وأطير .. ومضينا نسير ..

كان اللحن يتراجع ويبتعد بالتدريج ..

وبالتدريج ايضا كان ايقاع خطواتنا يعود فيسمع فى السكون . وخشيت أن ادخل مرة أخرى فى الامتحان ..

لكنى وجدتها تكاد تجرى .. اسرعت أجرى معها .. كانت حركتنا تشبه الجرى بالتصوير البطىء .. فجاة تمهلت وقالت وهى تجذب نفسا عميقا الى صدرها : اقتربنا من البحر . يالها من رائحة عظيمة أحبها .. رائحة اليود .. والماء المالح .. املأ صدرك .. شهيق .. زفير شهيق .. زفير .. واغمضت عينيها ومضت تتنفس .. أغمضت عينى انا أيضاً ورحت اتنفس بعمق : شهيق .. زفير .. شهيق .. زفير .. لا صوت غير صوت الأنفاس .. انفاسنا .. نفس واحد يروح ويجىء .. انها ملحى ويودى .. وانا .. ملحها ويودها .. وضج صدرى بالحنين ، ففتحت عينى لكى أمد لها ذراعى . غير انى ما أن فتحت عينى ونظرت حتى وجدت المكان والشارع باكمله قد خلا منها . سقط قلبى .. ومضيت أصيح فى جميع الاتجاهات : أنت .. يا أنت .. اين أنت ؟ ! .

لكن لم أسمع غير رجع صوتى ! ! كيف .. كيف حدث هذا فى لحظات وانا مغمض العينين ؟

وقدرت أنها لابد دخلت شارعاً جانبياً قريباً ، وتلعب معى لعبة الاستخفاء .. امتحان جديد للتوحد .. أى شارع دخلت ؟ الى اليمين أم الى اليسار ادخل ؟ !

واندفعت اجرى .. أتخبط فى البشر الذين بدأوا يخرجون من بيوتهم مع طلوع الفجر .. أهذا هو سر اختفائها ؟ ! ووجدتنى فى شبكة متداخلة من الشوارع والحوارى ولا أثر .. تذكرت كلماتها عن البحر .. اندفعت جرياً اليه .. ليس غير الشاطىء والموج العالى .. ورائحة اليود والماء والمالح .. وأنا وحيد ..

أهى قسوة منها .. أم لحكمة جليلة فعلتها ؟ !

ولاحت لى بوجهها فى الفضاء .. فاتنة مبتسمة : املأ صدرك .. شهيق زفير .. شهيق .. زفير .

أغمضت عينى .. ورحت املأ صدرى .. شهيق .. زفير .. شهيق .. زفير .. وعلا صوت الأرغن .. متناغماً مع صوت البحر الكبير .

« عبد الله الطوخى »

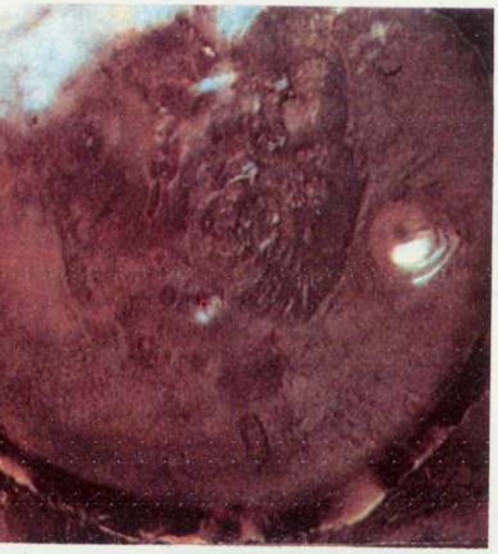
٣ سبتمبر

ومسيرة ١٢ عاماً على استقلال دولة قطر

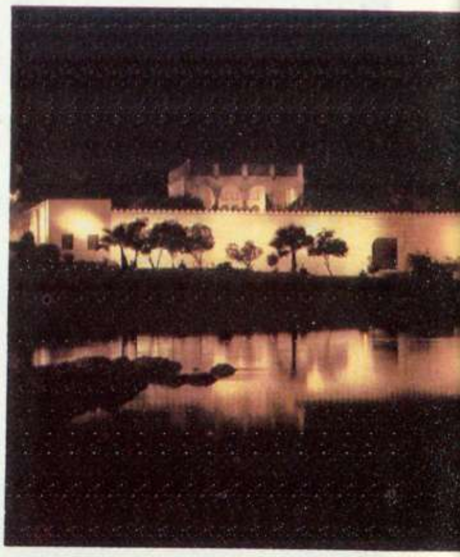
لقد بذلنا في سبيل القيام بواجبنا الوطني كل جهد ممكن لتحقيق أعظم قدر ممكن لبلدنا ورفع مستويات شعبنا في كل الميادين ، وتحدثاً بنعمة الله ، يحق لنا أن نفاخر بالثمرات الطيّبات التي أثمرها هذا الجهد .

خليفة بن حمد آل ثاني

٦ ديسمبر ١٩٨٢















حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر



سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة





حول أهداف التربية في قطر

بقلم
الشيخ محمد بن حمد آل ثاني
وزير التربية والتعليم

ليس من شك فى أن الهدف الاستراتيجي الأساسي للعملية التربوية الصحيحة برمتها مهما اختلف مكانها وزمانها ، هو النهوض بالمجتمع ككل ، ودفعه إلى الامام لكى يستوى كائناً عضوياً متكاملا وقويا ، وقادراً على حماية ذاته ومواجهة تحديات العصر وتعقيداته التى تجد يوما بعد يوم .

ولكن كيف يمكن للعملية التربوية ان تنهض بالمجتمع إلى مثل هذا المستوى ؟! فالمجتمع كما هو معروف للباحثين السوسيولوجيين ، ليس كائنا ذا وجود حسي قائم بذاته ، حتى ان الكثير من علماء السوسيولوجيا باتوا ينكرون وجوده كلية ، ويعلنون انه ليس ثمة مجتمع فى الواقع المادى المباشر ، وانما مجموعة من الأفراد أو الاعضاء او البشر يعيشون فى ظروف مكانية وزمانية معينة ! ولئن صح ذلك — وهو لاشك صحيح من زاوية ما — فان العملية التربوية حين تهدف إلى النهوض بالمجتمع ككل ، فانما لا يكون امامها من سبيل لتحقيق مثل هذه الغاية العظمى الا من خلال النهوض بافراده لاسيما الناشئة ، عن طريق تهذيبهم وتعليمهم وتثقيفهم . واعدادهم فى النهاية لكى يكونوا أعضاء صالحين فى مجتمعهم ، وكل منهم قادر على أن يقوم بالدور المؤهل له فى الحياة على خير نحو ممكن .

وعلى هذا ، فالتربية فى نهاية الأمر ليس لها من مجال سوى الانسان ، وليس لها من هدف سوى نهضة المجتمع والوصول به الى اقصى درجات الرقى والتحضر ، فتربية الانسان والتحضر عمليتان متلازمتان كما يعلمنا التاريخ وهذه هى الأمم القديمة صانعة الحضارة ، فى مصر القديمة والعراق واليونان ، تشهد حضارتها العتيقة على انه لولا فعالية النهضة التربوية لما كان من الممكن أن تصل كل من الحضارة الفرعونية والسومرية واليونانية إلى الدرجة التى وصلت اليها بالفعل .

ولم نذهب بعيداً ؟ وهذه هى حضارتنا الاسلامية قد سادت العالم فى الأمس القريب ، وحملت لواء العلم والحضارة ردحاً طويلا من الزمن ، فاشعت بنورها على ربوع العالم المعروف آنذاك ، من الصين والمحيط الهادى شرقاً ، إلى أوروبا والمحيط الأطلنطى غرباً ، ولعل الباحث المدقق المنصف لن يجد وراء ذلك من سر ، اللهم الا الاهتمام بالانسان الفرد ، والعناية بتهذيبه وتثقيفه وتوجيهه الى طلب العلم والدأب على المعرفة ، وتنظيم علاقاته بنفسه وبالآخرين وبالكون كله ، وبخالق الكون سبحانه وتعالى .

ولأننا جزء حي من هذه الحضارة الاسلامية الزاهرة ، وامتداد حقيقي أصيل لها ، فلا غرو أن نعمل فى بلدنا على توجيه العملية التربوية على ضوء هذا الأرث الخالد ، فنجعل من الانسان القطرى لب اهتمامنا ونخصه بجل عنايتنا ، وليس لنا فى النهاية من هدف ، سوى الوصول بمجتمعنا الى ما نرجوه له من رفعة وسمو يليقان بارثه التليد ومجده الغابر .

وبالطبع ، هناك الكثير من الانجازات الرئيسية التى تم تحقيقها فى مجال التربية والتعليم ، لاسيما منذ شروق فجر الاستقلال فى ١٩٧١/٩/٣ م وحتى اليوم ، ولكن فى مقابل ذلك ، هناك الكثير مما نصبو إلى تحقيقه بعد ، وهذه سنة الله فى خلقه ، أن يبقى دائماً بينهم وبين طموحاتهم مساحة للكد والعمل ، والا فانه لو تطابق الواقع مع الطموح ، لما بقى مبرر للعمل ، ولا عاد هناك مسوغ للمزيد من الانطلاق نحو الأفضل .

ولعل الأرقام وحدها ، هى التى تستطيع أن تكشف باختصار بليغ عما تم انجازه بالفعل ، فلنترك الأرقام تتحدث عن هذه الانجازات التى تمت فى امد وجيز ، وبالتحديد فى اثنى عشر عاماً هى عمر الاستقلال القطرى حديث العهد .

ففى العام الدراسى ١٩٧١ — ١٩٧٢ ، كان عدد الطلاب القطريين فى التعليم العام والتخصصى (٢٠٩٧٩) طالباً ، فارتفعوا فى العام الدراسى الماضى ، (٨٢ — ١٩٨٣ م) الى (٤٥٦٧٩) طالباً بنسبة زيادة قدرها ١١٧٫٧٪ .

وكان عدد المدارس ٨٩ مدرسة ، فاصبح



احتفالات يوم العلم



الدفعة السابعة من خريجى جامعة قطر .

١٦٨ مدربة ، بنسبة زيادة مقدارهـــــا ٨ر٨٨٪ .

وكان اجمالى عدد المعلمين ١١٦٥ معلما فاصبح اجمالى عددهم ٤٢٥٧ معلما ، بزيادة نسبتها ٥ر٢٦٥٪ ، مع ملاحظة ان المعلمين القطريين منهم كان اجمالى عددهم ٢٩٤ معلما قطريا ، فاصبح اجمالى عددهم ١٣٢٧ معلما قطريا ، اى ان نسبة زيادتهم قدرها ٤ر٣٥١٪ ، مما يشير الى ان نسبة الزيادة فى المعلمين القطريين تطرد بمعدل يفوق كثيرا نسبة الزيادة العامة فى العدد الاجمالى للمعلمين .

وكان عدد المبعوثين من الطلاب الجامعيين ٤٠٢ مبعوثا ، فوصل عددهم الى ١٢٢٣ مبعوثا ، بنسبة زيادة قدرها ٧ر٢٠٦٪ .

اما عن التعليم الجامعى ، فقد اقتصر عدد الخريجين عام ٧٢/٧١ على ١٠٩ خريجا ، فوصل عددهم عام ٨٣/٨٢ الى ١٦٤٠ خريجا ، بزيادة نسبتها ٦ر١٤٠٤٪ ، وقد كان لانشاء جامعة قطر اسهام اساسي فى وصول حجم الزيادة الى هذا المستوى .

وكذلك فقد كان عدد الدارسين فى تعليم الكبار ١٧٨٠ دارسا ، فصلر عددهم ٨٣٣٤ دارسا ، بزيادة نسبتها ٢ر٣٦٨٪ ، وقد كان لابد ان تواكب هذه الزيادة المطردة ، زيادة كافية فى حجم الجهاز الادارى ، وقد وصل حجم جهاز الادارة التربوية الى ٩٥٠ موظفا ، بينما لم يكن هناك عام ٧٢/٧١ سوى ٢١٣ موظفا ، اى ان نسبة الزيادة ٣٤٦٪ .

وقـد كان من المتوقـع أن تتطلـــب هــذه الانجــازات انفاقــا باهظــا ، وبالفعل ، فان الدولة لم تبخل باى شىء فى سبيل توفير كافة الامكانات المادية التى تكفل سير العملية التربوية فى خطها المطرد المنشود ، ويكفى ان نعرف ان ميزانية التربية والتعليم تضاعفت عما كانت عليه عام ٧٢/٧١ بنسبة ٢٤٠٠٪ .

وقد واكب هذه الزيادة فى الكَم تطوير نوعي ملموس فى عناصر العملية التربوية من المناهج والكتب المدرسية ، الى الوسائل التعليمية واعداد المعلمين والبيئة المدرسية وغيرها ، ذلك ان الزيادة الكمية وحدها لن تصل بنا الى الغاية المنشودة من العملية التربوية ، وهى بناء الانسان القطرى ، ما لم يؤخذ فى الاعتبار مثل هذا التطوير النوعى ، حتى يكتمل للعمليـــة التربوية قطباها : الأفقي والراسي .

ولئن كان هذا هو اهم ما تم إنجازه ، فانه لا يزال امامنا الكثير عن المشروعات والأهداف القريبة والبعيدة ، سواء فى حقل التعليم العام او فى حقل التعليم العالى ، ففى الحقل الأول مازلنا نصبو إلى مزيد من الافادة بكل ما يجد فى الافق حول تكنولوجيا التعليم . ومازلنا ندرس ســبل توحيـد المناهج بيننا وبين جيراننا من الاقطار الخليجية الشقيقة ، التى تحكمنا وإياها ظروف واحدة ، وحاجات واحدة ، وبيئة واحدة ، وينتظرنا معا مصير واحد ، كما اننا مازلنا نطمع فى التغلب على بعض الصعوبات التى تواجه التعليم الفنى فى البلاد ، واهمها العزوف النسبى من قبل الطلاب عن مثل هذا النوع من التخصص .

أما فى الحقل الثانى اى حقل التعليم الجامعى ، فاننا عاكفون على دراسة اقوم الطرق لتطوير الجامعة بحيث تتلاءم مع الحاجة الفعلية للواقع وعلى ضوء ذلك فسوف يتم انشاء بعض الأقسام الجديدة فى الكليات الخمس القائمة الآن : كليـــة التربية للمعلمين والمعلمات ـ كليـــة الشريعة ـ كلية العلوم الانسانية ـ كليـة العلوم ـ كلية الهندسة ، كما سوف يتم باذن الله إنشاء كلية جديدة سادسة هى كلية الادارة والاقتصاد ، وما ذلك إلا مجرد امثلة من مشروعات المستقبل فى المجال التربوى عامة . وباذن الله تعالى ومشيئته فانه لن يمر عام جديد إلا وهناك جانب من هذه الخطط والمشروعات قد تحقق وخرج إلى حيز الوجود .

نامل أن يسدد الله خطانا ، ويمكننا مـــن تحقيـــق ما نصبـــو اليـــه من رفعة وسمو لهذا الوطن الكريم ، فى ظل قيادة حضرة صاحب الســـمو الشيـخ خليفة بن حمد آل ثاني ، أمير البلاد المفدى وسمو الشيخ حمد بن خليفة ولي عهده الامين .. والله من وراء القصد .

محمد بن حمد آل ثاني





التعاون الخليجي هدف تسعى إليه قطر

بقلم: الشيخ أحمد بن سيف آل ثاني
وزير الدولة للشئون الخارجية

قال الله تبارك وتعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » صدق الله العظيم .

من هذا المنطلق الربانى وبهذه الاصالة التاريخية سعت قطر جادة جاهدة فى سبيل التعاون العربى الخليجى كوسيلة مقربة لتعاون عربى اكثف واوسع باعتبار ذلك هدف من اهدافها النبيلة التى تسعى بكل ما اوتيت من قوة ومن طاقة لتحقيقه .

ولقد كان دورها رائداً فى هذا السبيل فبذلت جهداً جباراً ومساهمة قوية رائدة فى سبيل ابراز اتحاد الامارات الذى كان مطروحاً فى ذلك الوقت ليضم بالاضافة الى قطر والبحرين امارات الساحل التى تتكون منها الآن دولة الامارات العربية المتحدة ولم تدخر جهداً فى ذلا المسعى، ولم تبخل بتضحية بل ان دستورها المؤقت الصادر فى تلك الفترة نص على ان : « قطر دولة عربية مستقلة ذات سيادة عضو فى اتحاد الامارات العربية .. »

وعندما لم يكتب لذلك الأمل ان يتحقق لم تفقد الامل فى الوصول الى وسيلة تحقق بها هدفها السامى فاخذت تساهم مع شقيقاتها العربيات فى هذا الخليج الطيب فى طرح وبلورة هذه الفكرة، يغذى ذلك الطرح اصرار قوى على الوصول لنتيجة يفرح لها جميع ابناء هذا الخليج وتكون نواة خير فى سبيل اتحاد الأمة العربية من مشرقها الى مغربها .

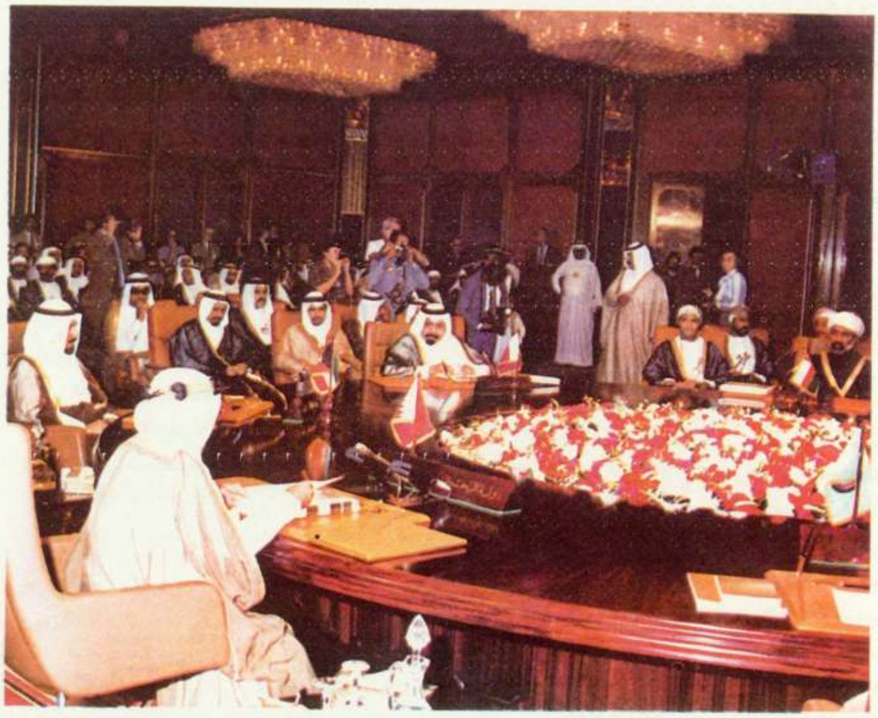
وحالما تبلورت ونضجت اطروحة انشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية كانت دولة قطر مشاركاً فعالا بكل الجهد والجد لابراز المجلس للوجود، وبذلت لذلك وفى سبيله كل ما تملك من طاقة وامكانيات فكانت وفودها وعلى ارفع المستويات دائمة التنقل والترحال لعقد الاجتماعات المتوالية فى عواصم دول الخليج العربية تمهيداً لهذا الحدث الجليل .

ولقد كان يوم توقيع اتفاقية انشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية فى أبو ظبى المصادف للحادى والعشرين من شهر رجب لسنة الف واربعمائة وواحد (٢١ / ٧ / ١٤٠١) الموافق للخامس والعشرين من شهر ايار - مايو - سنة الف وتسعمائة وواحد وثمانين (٢٥ / ٥ / ١٩٨١) من قبل أصحاب الجلالة والسمو ملوك وامراء دول المنطقة والذى قام فيه صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير دولة قطر بالتوقيع عليه باسم دولة قطر كان ذلك اليوم من الأيام المجيدة المشهودة ، فرح له الشعب العربى فى منطقة الخليج العربى وكانت فرحة دولة قطر بهذا الانجاز فرحة كبيرة لها ما يبررها حيث تحقق بذلك حلمها الكبير الذى سعت اليه وبذلت فى سبيله الغالى والنفيس .

وكان ما ورد فى ديباجة تلك الاتفاقية المباركة يمثل تمثيلا حياً طموحات دول المنطقة وآمال شعوبها حيث اوضحت بكل جلاء ان توقيع هذه الاتفاقية كان ادراكاً منها لما يربط بينها من علاقات خاصة وسمات مشتركة وانظمة متشابهة اساسها



سمو أمير البلاد المفدى اثناء مشاركته لأخوانه اصحاب الجلالة والسمو قادة دول مجلس التعاون الخليجى فى اجتماعاتهم التاريخية



العقيدة الاسلامية ، وانه ايمانا بالمصير المشترك ووحدة الهدف التى تجمع بين شعوبها ورغبة فى تحقيق التنسيق والتكامل والترابط بينها فى جميع الميادين واقتناعاً بان التنسيق والتعاون والتكامل فيما بينها انما يخدم الأهداف الساميةللأمة العربية .

واستكمالا لما بدأته من جهد وفى مختلف المجالات الحيوية التى تهم شعوبها وتحقق طموحاتها نحو مستقبل افضل وصولا الى وحدة دولها،كل ذلك تمشياً مع ميثاق جامعة الدول العربية الداعى الى تحقيق تقارب أوثق وروابط اقوى بين اعضاء دول الجامعة.هذا غيض من فيض وقليل من كثير سعت اليه قطر وتحقق بعضه بحمد الله ومنه ونرجو الله سبحانه وتعالى ان يحقق وحدتنا الكبرى لنضع امتنا العربية المجيدة فى موقعها اللائق بها تحت الشمس وبين الأمم والله المستعان ونعم الوكيل .

أحمد بن سيف آل ثاني





العمل الاجتماعي وانطلاق الطاقات البشرية

بقلم : علي بن أحمد الأنصاري
وزير العمل والشئون الاجتماعية

كثيراً ما يتحدث الناس وفى أكثر المناسبات عن الشئون الاجتماعية . وكثيراً ما يطالب الناس للحصول على الرعاية الاجتماعية ، وكثيراً ما يلجا البعض للاستفادة من المساعدات الاجتماعية بشتى معطياتها ، وهذه ظاهرة بديهية لا اعتراض عليها لأنها خلقت مع الانسان ، ولا يمكن أن تستقر الحياة بدون عمل اجتماعى .

فالعمل الاجتماعى الحكيم المتقن هو السبيل الوحيد لخلق مجتمع متعاون متكاتف صحي يسوده الاستقرار والاطمئنان بل ومن أهم مميزات الدولة الواعية المتجهة نحو التنمية الشاملة الجاده والتطور الاجتماعى السليم هو ايجاد نظام اجتماعى متكامل يكفل للمجتمع الرعاية الواجبة بسواسية متزنة بقدر المستطاع .

وللعمل الاجتماعى مجالات واسعة ومتعددة ، وللعمل الاجتماعى مفهوم واضح معروف ، وقد تكون الأطالة مملة لو أردنا شرح جميع جوانب هذا العمل ومنافعه الجمة ابتداء من نشاته حين خلق الله ادم عليه السلام وأمنا حواء . وقد يكون لذلك مناسبة أخرى انشاء الله .

وكثيراً ما ترد هذه الجملة مقترنة بعبارة النمو الاقتصادى لانهما صنوان لا يكتمل أحدهما الا بوجود الآخر .

لذلك فان العمل الاجتماعى يعتمد قبل كل شيء كما هو معلوم على قاعدتين اساسيتين . اولهما القاعدة الاقتصادية وهى الأهم ، وثانيهما قاعدة العدالة الاجتماعية التى بدونها لن يستوفى العمل الاجتماعى الشروط المطلوبة لطبيعته .

فمتى ما توافرت فى الدولة الموارد الاقتصادية الكافية ، ومتى ما وجد العزم الأكيد والنية الصادقة . اذا تم كل ذلك فقد آن الاوان لانشاء أجهزة فعالة ووضع تخطيط علمى سليم مستوفى الدراسة للعمل الاجتماعى والعمل على تنفيذه .

وهكذا فان دولة قطر منذ بداية عهدها التشريعى وانطلاقاً من واقعها الاقتصادى وما يتحقق فى البلاد من تطورات بارزة فى كافة الميادين العملية ، عكفت على وضع استراتيجية محددة للعمل الاجتماعى الذى اضحى فى مفهوم الاقتصاد الحديث من أهم أركان التنمية فى أى مجتمع .

ولذلك كان اهتمام الوزارة منذ البداية ، العمل على توفير الامكانات والوسائل التى تكفل انطلاق الطاقات البشرية والمادية الى أقصى قدر ممكن ، واتجهنا نحو التخطيط العلمى المدروس لنتخذ منه أسلوباً للعمل تتحدد من خلاله المبادىء والأهداف والبرامج والمتابعة والتقييم . كما أعطينا اهتماماً كبيراً لقضايا العمل والشؤون الاجتماعية والتعاون والجمعيات الخيرية وغير ذلك من الانجازات المثمرة النافعة التى تعود على وطننا الحبيب بالتقدم والازدهار والاستقرار ، فى ظل قائد البلاد وأميرها المفدى سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني وولى عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى .

إننا ندرك تمام الادراك أهمية الربط بين النمو الاقتصادى والعدالة الاجتماعية ، ولهذا كان هدفنا الأول هو حماية العامل والسهر على أمنه وسلامته وتامين مسكنه وغذائه وملبسه ، لاننا عندما نرفع مستوى نوعية الجهد البشرى نكون قد اسهمنا فى توفير الأرض الصلبة التى تخلق مناخاً اجتماعياً يخدم أهداف التنمية بوجه عام والتنمية الصناعية بصفة خاصة .

وقد رأينا خلال السنوات الماضية ، كيف كان الاصلاح الاجتماعى فى طليعة الأهداف التى تبنتها دولة قطر ، خاصة وأن القيادة السياسية فى البلاد تؤمن بأن هذا الاصلاح هو المنطلق الأساسى للتطور الحضارى ، ولذلك تبنى النظام الأساسى المؤقت المعدل للحكم فى البلاد فى صلب مفاهيمه ومبادئه الأساسية القدر المناسب من الاهتمام بأهداف خدمات التنمية

الاجتماعية وتوفير أفضل الرعاية للمواطنين ، واعتبر الاصلاح الاجتماعى – بنواته الفرد – يشكل طليعة الأهداف المنشودة للتنمية البشرية باعتباره المنطلق الأساسى للتطور الحضارى والعدالة الاجتماعية .

ومن هذا المنطلق الذى رسمته السياسة العامة للدولة ، كان على وزارة العمل والشؤون الاجتماعية أن تبذل أقصى الجهود لتوفير شتى الخدمات للمجتمع القطرى ، بداية من تطوير اداراتها المختلفة وانشاء إدارات جديدة لتوجيه وتطبيق السياسة الاجتماعية الملازمة للتنمية الاقتصادية ، الى وضع تخطيط اجتماعى متكامل وشامل يضمن سلامة التنفيذ وتحقيق الأهداف فى أقصر وقت ممكن وباقل التكاليف .

وقد حظيت الوزارة بلفتة كريمة من لدن حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى بتحقيق التنظيم المنشود فى العمل الادارى ، وذلك بصدور القانون رقم (٨) لسنة ١٩٨٢ الخاص بتنظيم وزارة العمل والشؤون الاجتماعية وتحديد أهدافها وصلاحياتها وتنظيمها الداخلى ، فقد أعطى هذا القانون دفعة قوية للنهوض بمسئوليات العمل الاجتماعى من أجل تحقيق أهدافه النبيلة ، وقد اشتمل هذا القانون على انشاء ادارة جديدة للتخطيط والشؤون الفنية تنسق مع الأجهزة المختلفة فى الدولة لوضع السياسة العامة بشان العمالة والاسكان والضمان الاجتماعى والتعاون ، وتضع البرامج اللازمة لتنفيذ مشروعات الوزارة ومتابعة تنفيذها ، وتتعاون مع الجهات القانونية المختصة فى اعداد التشريعات اللازمة لسير العمل بالوزارة ، واعداد وثائق البحوث والاحصائيات ، وتدرس وتحلل المعلومات والبيانات والتقارير المتعلقة بنشاط الوزارة مع اصدار التوصيات بشأنها ، وذلك بالاضافة إلى دراسة كل ما يصدر عن المنظمات الدولية والعربية من توصيات واتفاقيات .

وتنفيذاً لسياسة الدولة لتطوير المستوى الصحى والاقتصادى والاجتماعى استمرت الوزارة – بالاشتراك مع وزارة الأشغال العامة – فى تنفيذ انشاء المزيد من المساكن الصحية والعصرية ، حيث تم خلال العام الماضى تسليم ٦٥٠ مسكناً منها ٤٧٥ مسكناً شعبياً و ١٧٥ مسكناً مجانياً ، وتم خلال هذا العام تسليم ٦٠١ مسكناً فى منطقة الخليج الغربى (الدفنة) ، وهناك الآن قيد الانشاء ٩٧٣ مسكناً شعبياً ، ويعطى نظام المساكن الشعبية لذوى الدخل المحدود من المواطنين تسهيلات ومزايا فريدة من نوعها ، فهو يمنح المنتفع الذى ينطبق القانون على حالته الاجتماعية قطعة أرض تتراوح مساحتها ما بين ٦٤٠٠ و ١٠ آلاف قدم مربع دون مقابل ، ويسدد ٦٠ فى المائة من تكاليف بناء المسكن بدون فوائد على مدة تتراوح بين ٢٠ ، ٢٥ سنة .. وهذا بالاضافة إلى منحة للتاثيث مقدارها ٢٠ الف ريال قطرى ، وتتولى وزارة الأشغال العامة والأجهزة المختصة فى الدولة اعداد الخرائط والمواصفات اللازمة والاشراف على تنفيذ البناء وتوصيل الماء والكهرباء والمجارى بالشبكات الرئيسية دون مقابل .

أما بالنسبة للحركة التعاونية ، فالدولة لا تبخل بأى جهد من أجل تقديم الدعم للجمعيات التعاونية بمختلف أشكالها وصورها ، إيماناً بالدور الهام الذى تقوم به التعاونيات فى خدمة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وقد بلغت الجمعيات التعاونية التى تم انشاؤها وباشرت عملها سبع جمعيات تعاونية استهلاكية ، شملت مناطق متعددة فى البلاد كالدوحة والشحانية والجميلة والغويرية والخور ، وهذا بخلاف الجمعيات الجارى تجهيزها فى عدة مناطق أخرى والجمعيات المقترح انشاؤها .

وفى مجال الشؤون الاجتماعية حققت الوزارة المزيد من الانجازات وأصبح لها مكاتب فرعية فى مدينتى الخور والشمال حتى تصل الخدمات الاجتماعية للمواطنين فى مناطق اقامتهم وتدخل كل المدن والقرى خلال سنوات قليلة وحتى تقوم هذه المكاتب بدراسة البيئة ومعرفة احتياجاتها ومواردها الاجتماعية وتشجيع المساهمة والمشاركة الشعبية والعمل على ايجاد مراكز وجمعيات محلية للتنمية الاجتماعية فضلا عن الاستفادة من أبناء المنطقة المقيمين فيها وخلق الحوافز أمامهم ليكون لهم دور فعال فى تلك المناطق .

وقد تم تنظيم قسم الضمان الاجتماعى وتدعيم جهازه الوظيفى المعنى بالرعاية الاجتماعية ، وذلك لتحسين مستوى الأداء لهذه الخدمة الهامة التى تقدمها الدولة للفئات ذات الأوضاع الخاصة كالأرامل والمطلقات والأيتام والمعوقين والعاجزين عن العمل بسبب المرض أو الاصابة أو الشيخوخة ، وقد بلغت المساعدات الاجتماعية فى العام الماضى ٨٠ر٣٢٣ر٦١٠ ريالا قطرى ، واستفادت منها ٦٨٦٠ حالة اجتماعية .

وبالنسبة لمشاركة الفتاة القطرية فى بناء المجتمع تم انشاء مركز رئيسى للتأهيل الاجتماعى بمدينة الدوحة ومركزين فى الخور والشمال ، ومهمة هذا المراكز هو تعليم الفتاة المهن والحرف اليدوية التى تتوافق مع قدراتها وتساعدها على الاعتماد على نفسها لكسب الرزق والمساهمة فى تنمية البلاد .

وقد أنشئت – كذلك – الجمعية القطرية لرعاية المعوقين وقامت بمجهود كبير فى هذا المجال خلال العام الماضى وهو العام الدولى للمعوقين .

وبالاضافة إلى كل ذلك وغيره من الانجازات سعت الوزارة إلى تحمل مسئولية مباشرة فى مجالات العمل والاستخدام ، فعملت على تحقيق تكافؤ الفرص للمواطنين وتمكنهم من ممارسة العمل فى ظل القوانين التى تحقق لهم العدالة الاجتماعية وترفع مستواهم ، كما عملت على مكافحة البطالة وفتح مجالات عمل جديدة أمام المواطنين ، وتوطيد العلاقة بين طرفى الانتاج – العمال وأصحاب الأعمال – وحل المشاكل التى تنشأ بينهما بالطرق الودية أو وفقاً لقانون العمل ، ومراقبة توفير تدابير اجراءات السلامة حفاظاً على صحة العمال وحمايتهم من أخطار المهنة أو أمراضها أو اصابات العمل ، وتنظيم استخدام العمالة العربية والأجنبية .

وفى مجال توثيق أواصر الأخوة والتعاون بين دولة قطر والدول العربية ، تم توقيع اتفاقيات بشأن استخدام العمال مع جمهورية مصر العربية ، والمملكة المغربية ، والجمهورية التونسية وجمهورية السودان وجمهورية الصومال ، وذلك من أجل توفير القوى العاملة اللازمة لتنفيذ المشروعات الانمائية فى الدولة .

وهكذا نرى أن العمل الاجتماعى فى دولة قطر لم يعد محصوراً فى اطار المفهوم التقليدى الذى يتوقف عند مجرد الرعاية وتقديم الخدمات ، ولكنه أصبح عملا يرتكز على توفير الامكانات والوسائل التى تكفل انطلاق الطاقات البشرية والقدرات المادية إلى أقصى قدر ممكن ، فى ظل رؤية واضحة للأهداف التى تحقق المستقبل المنشود .

علي بن أحمد الأنصارى



الإعلام القطري ومنطق العصر

بقلم : عبد الله صادق
مدير إدارة المطبوعات والنشر

يزعم كثيرون - ونحن معهم فى هذا الزعم - ان عصرنا الحاضر هو ازهى عصور البشرية إلى الاطلاق ، اذ يكاد بما تم فيه من تقدم ان يكون عدة عصور كثفت تكثيفاً شديداً فى عصر واحد .

وقد يشتد الخلاف حول اى انجازات العصر انفع واجدى وفق الزاوية التى ينظر بها المختلفون لموضوع الخلاف ، لكن الذى لا نزاع فى نفعه او جدواه مهما تنوعت زوايا الرؤية هو ما ابدعته عبقرية العصر من ثورة فى وسائل الاتصال الغت حدود الزمان والمكان بما اتاحت من تدفق هائل للمعلومات وزعزعت من الجذور مسلمات تعمقت فى ضمير الانسان إلى اقصى الحدود .

ومنطق عصرنا هو منطق العلم الذى جعل التطور اساساً وحيداً تتفسر على ضوئه الأشياء .

ولقد اتيح للاعلام القطرى خلال السنوات الماضية منذ الاستقلال وحتى الآن ما لم يتح لغيره من امكانات اذ وفرت له الدولة كافة أسباب التطور والنمو .

ولو نظرنا الى قدرات الاعلام القطرى التكنولوجية لكانت النظرة قاصرة وغير موضوعية لأنها ستكون فى هذه الحالة من جانب واحد فقط . لكن الانصاف فى النظر يقتضينا النفـــاذ الى ماوراء القشرة من جوهر أو لباب ، وعندئذ سيتضح لنا ان للاعلام القطرى خط يسير عليه هو المزج بين الأصالة والمعاصرة . فشعب تضرب جذوره فى عمق الزمان الوف السنين



عيسى غانم الكوارى
وزير الاعلام



محمد عبد الرحمن الخليفى
وكيل وزارة الاعلام

كشعب قطر لابد لمن يعالج قضاياه من نظرة الى الماضى للتاليف بينه وبين الحاضر والمستقبل ، وارض كارض قطر يحيط بها البحر من جوانب ثلاث لابد لمن يتكلم عنها أن يضع البحر فى اعتباره بما يعكسه على سلوك المطلين عليه وبذلك يجمع الزمان والمكان فى آن واحد .

والواقع أن الاعلام القطرى يتعرض دائماً - من خلال الكلمة والصورة لأعقد القضايا العالمية ، فيقدمها لقارئه ومستمعه ومشاهده بلغة بسيطة جذابة تدخل القلب والعقل معاً .

وهو - فى نفس الوقت لا يترك قضية تهم المجتمع ومجموع المواطنين إلا ويبادر إلى معالجتها دون هيبة ، بما اتيح له من مناخ الحرية .

وهذا بالاضافة إلى اهتداء اعلامنا بتعاليم شريعتنا السمحاء ، والاهتمـــام بالثقافة الدينية لتكون نبراساً لشبابنا ، يسير على هداه ، ويواجه به كل انواع الشك التى سادت العالم الغربى بعد ظهور القوانين الطبيعية او المادية وظهور مذهب النشوء والارتقاء وعلم المقارنة بين الأديان وما تفاقم فى القرن العشرين من مذاهب اجتماعية واقتصادية زلزلت الموازين والقيم .

والمعروف أن فكرة القومية هى من الأفكار التى تميز عصرنا ، وهى فكرة قديمة اذ تمتد جذورها الى قيام التجمعات البشرية الأولى ، ولكنها فى هذا العصر تكتسب ابعاداً جديدة يوليها الاعلام القطرى عظيم الاهتمام عن وعى وادراك لمقومات قوميتنا العربية من وحدة اللغة

والعنصر ووحدة التاريخ والعادات والتوجه السياسى .

وقضية العلم وما طرأ عليه من طفرة منذ أواسط القرن العشرين يعالجها اعلامنا دون تضحية بالروح من أجل المادة فمن المعلوم انه حـدث ابان الثورة الصناعية فى اوروبا فى القرن الماضى ان ارادت تلك الثورة ان تقتلع الانسان من جذوره الروحية لتجعله آله من آلات المصانع ومن حسنات ديننا الحنيف انه لا يضحى بالروح من أجل الجسد أو العكس فالانسان وفقاً له مخلوق للدنيا والآخرة معاً .

ويهتم اعلامنا بكافة قضايا الأدب والفكر وخاصة ما يهتم منها بالحياة اليومية وقضايا الانسان ومدارس النقد الأدبيـة وما تقدمه من تحليل وتقييم .

أما السياسة وخضمها الواسع فان الاعلام القطرى يعالج جوانبها الوطنيـة والقومية والدولية وفق النهج المستنير الذى وضع اسسه بانى نهضة قطر الحديثة سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى والذى كفل لدولتنا الفتية احترام الجميع .

أمور يعسر حصرها يتعرض لها اعلامنا القطرى وفق منطق عصرى ، ولذلك حظى بالاهتمام والتقدير من الجميع .

واذا كانت بعض الدول لا تهتم الا بالقطاع الرسمى من الاعلام والذى تديره الدولة وتضرب صفحاً عن القطاع الأهلي منه بل قد تلاحقه بالقيود التي تحـد من نشاطه فان الوضع على غير ذلك فى دولة قطر فالصحافة الأهلية لا تنى الدولة عن مساندتها بكافة الأساليب لعل ابرزها وافعلها اثراء هو انها لا تخضع لأية رقابة من أى نوع .

ولأن الحدود قد زالت او كادت بين الثقافة والاعلام بحيث لم تعد أية قضية ثقافية لتستعصى على المعالجة الاعلامية لذا فان الكتاب يحظى باهتمام اجهزة الاعلام فى الدولة كوسيلة اعلامية وثقافية معـاً .

والمصنفات الفنية مسموعة ومرئية تلك الظاهرة التى تصاحب طفرات العصر هى كوسيلة اعلامية وثقافية وترفيهية أمر جدير بالتشجيع ولأنها أصبحت تدخل الآن كل بيت وتتواجد فى كل مكان فهى تراقب وفق معايير تكفل التوازن بين ما فيها من قيم ثقافية وغيرها وبين النظام العام والآداب والقيم الأساسية للمجتمع .

ولسنا بدعاً فى ذلك فقد كانت بعض الدول تحسب أن فى الرقابة على المصنفات الفنية افتئاتاً على الحريات وانتقاصاً منها ولكن نفس هذه الدول رأت أن تسن قوانين للرقابة لحماية هذه الحريات والابقاء عليها لأن المجتمع المنحل الفاسد تنبت به الجريمة فى مكان الحرية ، وتشيع الرذيلة من منابت الفضائل .

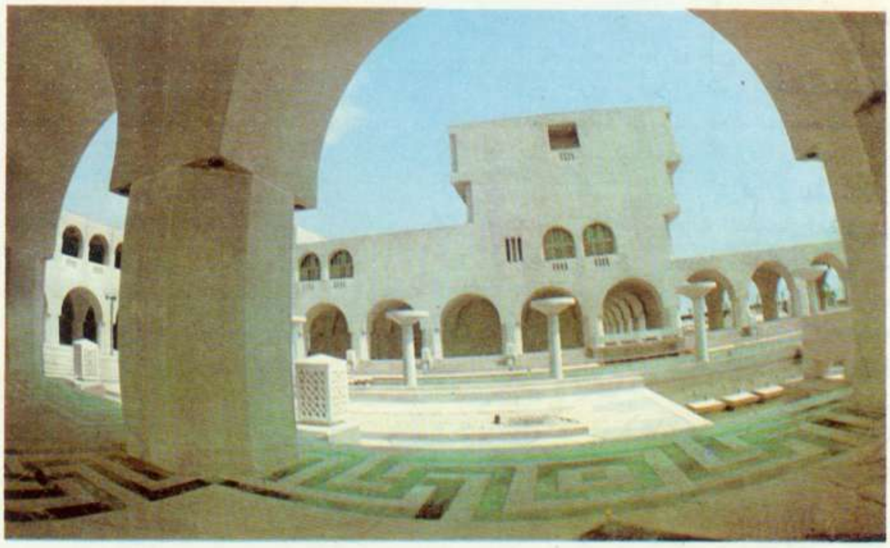
طريق بلا نهاية يقطعه الاعلام القطرى وفى كل مرحلة وعند كل خطوة يطور أسلوب السير ذلك ان التطور كما قلنا هو منطق العصر .

عبد الله محمد صادق

بعض المطبوعات التى اصدرتها وزارة الاعلام



المبنى الجديد لوزارة الاعلام





الوجه الثقافي والفني في قطر

بقلم : موسى زينل
مدير إدارة الثقافة والفنون

تعتبر ادارة الثقافة والفنون احدى منجزات وزارة الاعلام القطرية حيث صدر قرار وزير الاعلام بتكوين هذه الادارة والاقسام التابعة لها خدمة للمواطن القطرى .

وقد انيط بهذه الادارة المسئوليات التالية :

● اظهار الوجه الثقافى والفنى للبلاد .

● توسيع رقعة الاهتمام بالممارسات الثقافية والفنية بين أوساط المواطنين .

● نشر الوعى الثقافى والفنى داخل البلاد وخارجها .

● التعريف بمظاهر الحياة الثقافية والفنية القديمة منها والحديثة والمصاحبة للتطوير والنهضة التى تعم البلاد عبر مسيرة الاستقلال فى ظل راعى وقائد نهضة البلاد أميرنا المفدى الشيخ / خليفة بن حمد آل ثاني حفظه الله .

اما بشأن انجازات هذه الادارة منذ انشائها عام ١٩٧٦ م وحتى الآن فهى تتلخص فى :

أولا : المراقبة العامة للنشاط الثقافى : وهى تهتم بتنشيط العمل الثقافي في البلاد

ومن أهم انجازات المراقبة العامة للنشاط الثقافى استضافة أسابيع ثقافية عربية مثل الأسبوع الثقافى العراقى – الأسبوع الثقافى التونسى – الأسبوع الثقافى الأردنى – الأسبوع الثقافى السودانى – الأسبوع الثقافى الفلسطينى – الأسبوع الثقافى اليمنى – الأسبوع الثقافى المغربى – وكذلك الاشراف على وفد وزارة الاعلام القطرية فى الأسبوع الثقافى الخليجى فى باريس .

وقد احتوت كل هذه الأسابيع الثقافية على العديد من الفعاليات الثقافية والفنية مثل تقديم عروض مسرحية وفنون شعبية – اقامة معارض الصناعات الشعبية والفنون التشكيلية والكتب الثقافية – اقامة ندوات ومحاضرات وامسيات شعرية

كما تقوم المراقبة العامة للنشاط الثقافى باستضافة العديد من المحاضرين والمفكرين العرب منهم والاجانب لالقاء محاضرات ثقافية عامة وذلك ضمن الموسم الثقافي للادارة .

وتهتم المراقبة بتنشيط الحركة الثقافية بتدعيم نشاطات المواهب الشابة فى الشعر والادب وعمل مسابقات فنية وثقافية مثل مسابقة (أحسن مقال عن مدينة الخور – ومسابقة الصور الفوتوغرافية – ومسابقة الكتابة لقصص الأطفال) .

ثانيا : قسم الفنون والصناعات الشعبية : ويهتم برعاية الفنون الشعبية القطرية وحفظها من الاندثار

وقد شارك القسم في مهرجانات الفنون الشعبية التالية :

● مهرجان الفنون الشعبية الذي اقيم في بغداد ١٩٧٩ م.

● مهرجان الترويح السياحي بالكويت ١٩٨٠ م.

● مهرجان الشباب العربي بدمشق ١٩٨١

● مهرجان دول جنوب شرق آسيا للفنون الشعبية والذي اقيم بالهند ١٩٨٢ م .

ثالثا قسم المسرح :

وهو يقوم برعاية الفرق المسرحية المحلية وتقديم الدعم المادي والفني حتى تتمكن الفرق المسرحية من تقديم الاعمال ذات المستوى الجيد .

وقد افتتح مسرح قطر الوطني في ٢٢ فبراير ١٩٨٢ بمناسبة مرور ١٠ سنوات على تولي سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني مقاليد الحكم في البلاد .

ومنذ افتتاح ذلك الصرح الفنى قدمت عليه بعض العروض المسرحية والموسيقية مثل :

● عروض الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية وأمسية موسيقية لمعهد الموسيقى ومسرحية الربيع السابع لفرقة الرحبانية وذلك بمناسبة افتتاح المسرح .

● الاحتفال بيوم المسرح العالمى لسنة ١٩٨٢ م والذى قدمت فيه الفرق المسرحية الثلاث مسرحيات ذات فصل واحد لكل فرقة

● استضافة فرقة كامبرج المسرحية (مسرحية ترويض النمرة) والفرقة التركية للفنون الشعبية ، وأمسية موسيقية لعازف الة العود (للوت) الفرنسي ومعرضاً لهذه الالة أقيم فى قاعة المسرح .

ولقد عزفت فرقة ناش اللندنية الموسيقية مقطوعات من الموسيقى الكلاسيكية القديمة .

● استضافة فرقة (كركلا) للفنون الشعبية اللبنانية وفرقة الفنانين المتحدين المصرية (مسرحية ريا وسكينة) حيث لاقت الفرقتان اقبالا كبيراً من الجمهور .

وجاء يوم المسرح العالمى لسنة ١٩٨٣ م لكى تقدم من خلاله فرقنا المسرحية الاهلية الثلاث عروضها عليه بهذه المناسبة وقد استضافت الادارة أسبوعا ثقافيا مغربيا قدمت جميع عروضه الفنية على خشبة المسرح .

وقد قدمت فرقة (الماندراجور) الفرنسية



المعارض



الفنون الشعبية

مؤخراً عرضاً بالتمثيل الصامت وعرضاً آخر لمسرحية باللغة الفرنسية عن حياة الشاعر (جورج بوشنر) . حيث تمت ترجمة هذه المسرحية إلى اللغتين العربية والانجليزية من خلال أجهزة الترجمة الفورية بالمسرح .

رابعاً : قسم الفنـــون التشـكيلية والمعارض : وقد حقق عدة منجزات من بينها :

● انشاء مبنى خاص لرعاية الفنانين القطريين – وهو المرسم الحر – الذى يستقبل الفنانين المحترفين والهواة لممارسة هواياتهم – وتزويد هذا المرسم بأحد خبراء الفن التشكيلى والمدرسين والمدرســات المتخصصين فى مجال الفن التشكيلى .

● اقامة المعارض الفنيـــة المختلفــة للفنانين القطريين / مثل المعرض السنوى للفنانين التشكيليين القادرين على اقامــة معارض خاصة بهم .

● الاشراف على المعارض الفنية المرافقة للاسابيع الثقافية العربية التى أقيمت بالبلاد .

● اقامة معارض فنون تشكيلية قطرية فى الدول الأوروبية للتعريف بالفن القطرى فى الخـــارج مثـل / معرض الدول العربية بالمانيا الغربية / معرض لندن ومعرض باريس ١٩٧٨ م – معرض فرانكفورت ١٩٨١ م معرض الفنان / يوسف أحمد بولاية واشنطن دیسي بأمريكا ١٩٨٢ م .

● استضافة معرض الخليج الأول للفنون التشكيلية الذى اقيم فى شهر فبراير ١٩٨٠ م ، اثناء انعقاد الاجتماع الخامس لوزراء الاعلام فى دول الخليج العربية .

● المشاركة فى المعارض الخليجية مثل معرض الكويت للفنانين التشكيليين العرب والمقام كل سنتين منذ عام ١٩٧١ م .

● اقامة معارض شخصية من خارج قطر وذلك لاثراء الحركة التشكيلية فى البلاد مثل معرض الفنان الامريكى المسلم محمـد زكريا يناير ١٩٨٣ م ، ومعرض الفنانة رمزية باج ابريل ١٩٨٣ م .

● اقامة الدورات والندوات التخصصية فى الفن التشكيلى وعمل حوار هادف بين الفنانين القطريين ، وقد تم اقامة دورة فى الخط العربى للفنان الامريكى المسلم محمد زكريا ١٩٨٣ م .

● التشجيع على اقامة مسابقات فى التصميمات ذات المواضيع التخصصية .

● اقامة معرض سنوى لرسوم الأطفال وذلك للكشف عن المواهب الحقيقية من قبل هذه الرسوم .

● قد تم انشاء جمعية خاصة بالفنون التشكيلية وتعتبر هى أول جمعية تضم الفنانين المحترفين والهواة

خامساً : قسم الدراسات والبحـــوث : ويعتبر هذا القسم من أحدث الأقسام بالادارة ومن أهم انجازاته :

● اجراء البحوث الميدانية لجمع وتدوين وتحقيق التراث الشعبى .

● توثيق المعلومـــــات والبحــوث والتحقيقات الميدانية عن الحياة فى دولة قطـــر .

● تنظيم مسابقات لتاليف قصص الأطفال على امتداد دول الخليج العربيـــة وكانت المسابقة الاولى سنة ١٩٧٧ م ووقع الاختيار على أربع قصص وهى (ثعلوب ، الاتفـــاق ، الغيمـــة السوداء ، أجمـــل من قوس قزح) وكانت الثانية سنة ١٩٧٩ م بمناسبة العام الدولى للطفل

● مسابقة القصة القصيرة بالتعـــاون مع مراقبة النشاط الثقافى .

ومن ضمن مؤلفات الأطفال طباعـــــة قصتى – اسنان راشد وصياد اللؤلؤ – وكتاب لأناشيد الأطفال بعنوان انشودتي .

ومن نشاطات القسم في مجال الشعر :

● طباعة ديوان الشاعر القطرى حمد ابن فرحان النعيمي .

● طباعة ديوان الشاعر البحـــرينى عبد الرحمن رفيع .

● طباعة ديوان الشاعر القطرى سعيد البديد .

● طباعة ديوان الشاعر القطرى على ميرزا محمود .

وفى مجال المؤلفات :

● كتاب تاريخ قطر وثقافتها المعاصرة .

● كتاب المؤسسات السياسية فى قطر .

● ايقاعات اغاني الغوص فى قطر .

هذه بعض الأضواء على النشاط الثقافى والفنى فى دولة قطر ، وهو نشاط نحاول أن نملأ فيه روح المواطن وعقله بكل روافد الثقافة والفنون التى هى الغذاء الفكرى للانسان المعاصر فى كل مكان .

موسى زينل



أضواء على المحاكم الشرعية والشئون الدينيّة في قطر

أصدرت رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية كتابها الاحصائى السنوى لعام ١٤٠١ ـ ١٤٠٢ هـ .

وفى صدر التقرير نبذة وافية عن قطر : الدولة والسكان ، ويحتوى هذا التقرير الاحصائى على ستة ابواب هى : تمهيد عن تاريخ القضاء الشرعى فى قطر وانشاء رئاسة المحاكم الشرعية وتطويرها وتنظيمها الادارى الجديد .

وثانى هذه الابواب عن الهيكل الادارى والتنظيمى ، وثالثها عن الاختصاصات والاعمال ، ورابعها عن الموظفين ، وخامسها عن الموازنة ، وسادسها عن الانجازات .

وقد جاء فى الباب الأول عن تاريخ القضاء الشرعى فى قطر انه منذ ان مارس الشيخ محمد بن ثانى سلطته الفعلية فى منتصف القرن الميلادى الماضى وقد كان لكل قبيلة من القبائل المستوطنة فى شبه الجزيرة القطرية رئيساً مختاراً من الناس ، وكان أول من عرف بتولى القضاء الشرعى هو الشيخ محمد بن حمدان فى عهد الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني (١٨٦٨ ـ ١٨٩٢ م) ثم اختير بعد ذلك الشيخ عبد الله بن احمد ابن درهم ، وفى سنة ١٨١٣ م استدعى الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثانى الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع وهو من الفقهاء المشهورين واسند اليه أمانة القضاء فى قطر ، وقد بنى له بناء خاصا عرف باسم المدرسة فى منطقة الجسرة بالدوحة فكان يجلس فيها للتدريس والقضاء حتى استقال من عمله سنة ١٩٣٩ م .

ومنذ ٤٢ عاماً ، وبالتحديد فى الثالث عشر من شهر ذى الحجة عام ١٢٥٩ هـ ـ يناير



غلاف الكتاب الاحصائى السنوى الذى اصدرته رئاسة المحاكم الشرعية .

١٩٤١ م تقلد فضيلة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود أمانة القضاء فى قطـر .

وقد باشر الشيخ عبد الله بن زيـد آل محمود عمله فى القضاء بمحكمة شرعية فى الدوحة برئاسته ، ووضع نظاما لتسجيل القضايا والاحكام وحفظها ، وقام بتعيين كل من الشيخ حسن بن محمد الجابر مساعداً فى تحرير الاقرارات وإثبات الشهادات وعقود الزواج والشيخ ابراهيم ابن عبد الله الأنصارى فى القضايا المستعجلة وإبرام عقود الزواج وتحرير الاقرارات والشهادات ، وبعد وفاة الشيخ الأنصارى تم تعيين السيد ابراهيم بن يوسف السادة مكانه .

إنشاء رئاسة المحاكم الشرعية

ومع اكتشاف النفط وزيادة السكان وإتساع العمران تكاثرت القضايا وتعددت أعمال المحكمـة الشرعيـة وتنوعـت اختصاصاتها ، فتقرر لذلك إنشاء رئاسة المحاكم الشرعية وكان ذلك فى أول المحرم ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م واسندت رئاستها الى الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود . وكانت تضم فى حينها .

(١) المحكمة الشرعية الكبرى .
(٢) المحكمة الشرعية بالدوحة .
(٣) دائرة الأوقاف والتركات .

وبقيت رئاسة المحاكم الشرعية تمارس عملها فى مقرها القديم بمنطقة الجسرة لفترة طويلة الى ان تم انشاء مبناها الجديد جنوبى قصر الدوحة والذى افتتحه حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى امير البلاد المفدى عام ١٣٩٢ هـ الموافق ١٩٧٢ م ، ومنذ بداية عام ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م اصبحت الدائرة تحمل اسم «رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية» ، وتم تعيين وكيل لها خلال عام ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م واوكلت اليه مهمة تصريف جميع اعمالها وخول صلاحية التوقيع على كافة المعاملات والشيكات وكل ما له علاقة بمهمة الرئاسة والادارات التابعة لها .

بدايات التطوير

خلال اعوام ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ هـ وبعد دراسة أوضاع الرئاسة واساليب العمل فى إدارتها افتتحت الادارات والاقسام التالية :

(١) ادارة شئون المساجد (٢) مكتب العلاقات العامة (٣) قسم التركات (٤) قسم الهندسة والصيانة (٥) قسم المشتريات (٦) قسم المحفوظات (٧) قسم الحسابات (٨) ادارة الشئون الاسلامية . (٩) مكتب الشئون الزوجية (١٠) قسم الاحصاء والتخطيط .

التنظيم الادارى الجديد

امام المهام والاختصاصات المتزايدة وفى ضوء انظمة وزارات الأوقاف والشئون الاسلامية فى بعض البلدان العربية تقرر إعادة تنظيم الوحدات الادارية فى الرئاسة فصدر لذلك القرار رقم ١٨ لعام ١٤٠١ هـ بحيث تم جمع الأقسام ذات الهدف الواحد تحت ادارة واحدة وقد روعى ان يقوم كل قسم بمهام معينة ضمن الهدف المشترك للادارة التى يتبعها .

وفى الباب الثالث فصلت إختصاصات واعمال رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية حسب اداراتها واقسامها المختلفة

إدارة شئون الأوقاف

تختص ادارة شئون الأوقاف باقامة المساجد وبيوت الأئمة وما يستوجب ذلك من اعداد التصاميم الهندسية والاشراف على التنفيذ كما تتولى صيانتها وترميمها .

وتقوم الادارة ايضا برفد المساجد بموظفين يتم اختيارهم عن طريق لجنة التوظيف المشكلة برئاسة مدير الشئون الادارية والمالية ، وتزويدها بالأثاث والأجهزة وكل ما يلزم لدوام إقامة الشعائر الدينية فيها . الى التفتيش عليها ومراقبة العاملين فيها للتاكد من مدى قيامهم بواجبهم ، كما تتولى الاشراف على الأملاك الوقفية الأخرى والمحافظة عليها واستثمارها .



مسجد "أبو بكر الصديق"

وتشمل هذه الادارة ستة اقسام .

الشئون الاسلامية

تتولى هذه الادارة نشر الثقافة الاسلامية فى البلاد .. وذلك بعقد الندوات وإلقاء المحاضرات ، وتوزيع الكتب الاسلامية والمصاحف ، وإنشاء المكتبات فى المساجد ، كما تقوم باعداد البحوث والدراسات التى تخدم الاسلام والمسلمين وترد على المغالطات والشبهات ، بالاضافة الى طباعة المصاحف والكتب الاسلامية بمختلف اللغات وتوزيعها على المسلمين داخل البلاد وخارجها . وتقوم بتنظيم الاتصال بالعالم الاسلامى من خلال وزارات الأوقاف والشئون الاسلامية والهيئات والمراكز والجمعيات فى العالم ، كما تشارك بحضور المؤتمرات الاسلامية واعداد الأبحاث اللازمة لها ، واستقبال وفود المسلمين الزائرين الى البلاد ، كما تشرف على معهد الأئمة والخطباء وتحسين مستواهم الثقافى . وتضم هذه الادارة خمسة اقسام .

التركات وشئون القاصرين

تختص هذه الادارة بحصر التركات والاشراف عليها ريثما يتم توزيعها على مستحقيها وفقا لقرار القاضى الشرعى ، وتتولى رعاية شئون القاصرين والمحافظة على املاكهم وادارتها وتنمية اموالهم وإستثمارها كما تشرف على صيانة هذه الأموال ... وتضم الادارة الأقسام الآتية :

أ ـ قسم التركات ب ـ قسم شئون القاصرين جـ ـ قسم المحاسبة .

مجلة الأمة

وهى مجلة اسلامية شهرية جامعة ، وإحدى وسائل النشر للثقافة الاسلامية ، ومن رسالتها ، العمل على جمع كلمة المسلمين ، البعد عن إثارة الأمور الخلافية ، وعن إعادة طرح المشكلات التاريخية التى انضج بحثها وانتهت بزمانها واشخاصها ، الاهتمام بمعالجة مشكلات المسلمين وتحدياتهم الحاضرة والمستقبلة ، ومحاولة تصنيف هذه المشكلات بحسب الأهمية ، والتفسير الاسلامى للحياة بجوانبها المختلفة ، جعل المسلمين اكثر إحساسا بمتغيرات الحياة وضرورة إختصار فترة التخلف ، ومواكبة التطور على هدى من تعاليم الاسلام . حتى يعود المسلمون الى مكانتهم فى قيادة البشرية ، هذا بالاضافة الى انها نافذة يطل منها القارىء على دولة قطر والعالمين العربى والاسلامى .

وفى الباب الرابع من التقرير الاحصائى لرئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية ،





مبنى رئاسة المحاكم الشرعية .

يستعرض الكتاب بالاعتماد على الاحصائيات الدقيقة والجداول والاشكال البيانية الموضحة حجم الموظفين والعاملين بالرئاسة حسب فئاتهم الوظيفية وتخصصاتهم وجنسياتهم فيما بين سنتي ١٣٩٥ هـ ، ١٤٠٢ هـ ومما يدل على توفيق الله للرئاسة في تنفيذ عملها وما يقع على عاتقها من مسئوليات هو انخفاض معدل الزيادة السنوية للموظفين من ٩٪ ١٣٩٥ هـ الى ١٪ سنة ١٤٠٢ هـ ، ومغزى هذا الانخفاض هو ان الرئاسة تعمل بخطة ثابتة وخطوات مدروسة . كما تدل الاحصائيات على أن الرئاسة تتجه الى الاعتماد على القطريين كلما امكن ذلك ومما يدل على هذا هو أن نسبة القطريين العاملين بالرئاسة تمثل ٥٢٪ من مجموع العاملين .

وفي الباب الخامس يعرض التقرير الاحصائي لموازنة الرئاسة خلال الفترة من سنة ١٣٩٥ هـ ـ سنة ١٤٠٢ هـ ولعل الأرقام انصع دليل على المشروعات الطموحة للرئاسة ، فقد انفقت الرئاسة مثلا على المشروعات الرئيسية العامة في هذه الفترة ثلاثة وثلاثين مليونا وثلث المليون من الريالات القطرية .

ويأتي الباب السادس ليتكلم عن الانجازات التي حققتها الرئاسة مفصلة حسب انجازات كل ادارة من إدارات الرئاسة

وفيما يخص انجازات إدارة شئون الأوقاف فقد وضعت الرئاسة خطة لانشاء مساجد نموذجية بحيث تتميز عن غيرها من ناحية السعة والمظهر والتصميم الهندسي الذي يجمع بين صفات العمارة الاسلامية والعمارة الحديثة .

وفيما يخص إدارة الشئون الاسلامية فالادارة تنظم سنوياً موسماً ثقافياً إسلامياً تدعو فيه عدداً من رجال الفكر والدعوة الاسلامية في العالم ليشاركوا بمحاضرات أو ندوات في موضوعات اسلامية معاصرة تتناول جوانب ومشكلات فكرية واجتماعية بهدف نشر الوعي والثقافة ، وقد شاركت الرئاسة فى عدد من المؤتمرات الاسلامية خلال عام ١٤٠١ هـ ـ ١٤٠٢ هـ ، وتقوم الرئاسة باستقبال الوفود الاسلامية القادمة الى الدولة وتهيء لهم برامج لزيارتهم واطلاعهم على نهضة البلاد ، كما أعدت أرشيفاً يضم معلومات وافية عن عدد كبير من الجمعيات والهيئات والمراكز الاسلامية في العالم كما يضم الدراسات والقرارات التي تتخذ في الموتمرات والندوات الاسلامية .

وقد قدمت الرئاسة خلال السنوات الماضية مساعدات ومعونات مالية لعدد من المراكز والجمعيات الخيرية الاسلامية في مختلف الدول العربية والاسلامية والاجنبية وقد بلغت هذه المعونات في عام ١٤٠١ هـ حوالي خمسة ملايين ريالا قطرياً .

ويقوم قسم الدعوة والارشاد بتنظيم دروس الوعظ والارشاد في مساجد الدولة ومعسكرات الجيش والشرطة والسجون . ومنذ شهر رمضان سنة ١٣٩٩ هـ وتقوم الرئاسة بجهود خاصة لتكثيف الوعظ والتوعية الاسلامية في الشهر الكريم من كل عام وعززت هذه الجهود بدعوة عدد من كبار العلماء والوعاظ في الدول العربية الشقيقة للمشاركة في هذه الجهود .

وفي مجال المكتبات فقد انشئت الادارة في عدد من المساجد الكبيرة مكتبات مزودة بالمراجع الاسلامية والثقافية المتنوعة هذا الى جانب مكتباتها العامة الموجودة بمقر الادارة كما قامت بوضع خزائن للكتب في ٧٠ مسجداً وزودتها بمختلف الكتب التي يحتاجها المصلون .

وتتولى الادارة طباعة وشراء المصاحف والكتب الاسلامية بلغات متعددة وذلك من اجل توزيعها على المسلمين داخل قطر وخارجها خاصة المراكز والمعاهد واتحادات الطلبة والجمعيات الاسلامية وعلى الاخص الموجودة فى المناطق المحتاجة وبين الاقليات الاسلامية في العالم .

ومساهمة من الرئاسة فى توصيل المحاضرات والمواد الدينية الى ابعد مدى فقد عمدت الى توزيع اشرطة تسجيل القرآن الكريم والمحاضرات وغيرها على المؤسسات والنوادي والجمعيات والمراكز الاسلامية داخل البلاد وخارجها .

ومساهمة من الرئاسة في تحقيق الوعي الثقافي الاسلامي فقد أصدرت « كتاب الأمة » في سلسلة فصلية

وفي ختام هذا العرض الموجز للعمل الضخم الذي تقوم به رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية لا يسعنا إلا أن ندعو الله أن يوفق القائمين على هذا العمل الى كل ما فيه خير للمسلمين ..وان يسدد خطاهم على طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

تقاسيم عشوائية..
إلى الذي لم يأت بعد!

شعر: فوزي صالح

● تقسيمة أولى :

ربما آتى إليكم ذات يوم
حاملا كل المواعيد القديمه
عابراً صمت التواريخ البليده
ربمـــا
يعرفنى البعض فسيماي علامه
ربما يأسرنى البعض ضماده
فاعرفونى
قبل أن تطغى الغيوم
أنا لا أملك سيفاً أو رصاص
بل ولا أعرف سحراً
أشعث الشعر
ملىء بالحيـــاء
مبضعى اللفظ ، ومصباحى الحقيقه
يا أحبائى أصيخوا
ربما آتى إليكم ذات يوم فاعرفونى

● تقسيمة ثانية :

هل أتاكم نبأ الغيم ،
وميقات المطر ؟ ؟
سوف يأتى ..
انظرونى قطرة من بعد قطره
مانحاً كل الشقوق المكفهره
رشفة من بعض فيضى ..

● تقسيمة ثالثة :

ها أنت يا غريدة المساء
تدخلين فى عروقي الكسيحه
تؤججين فى الدماء
صولة المحال
ترفرفين كالحداء فى مدارج الفناء
والدماء ماء

● لازمة كسيرة :

توددى .. توددى
دماءنا .. وبددى
توعدى .. توعدى
وللسلام .. غردى
حقوقنا .. خرافة
فمددى .. وهودى
توعدى .. توددى
توددى .. توعدى

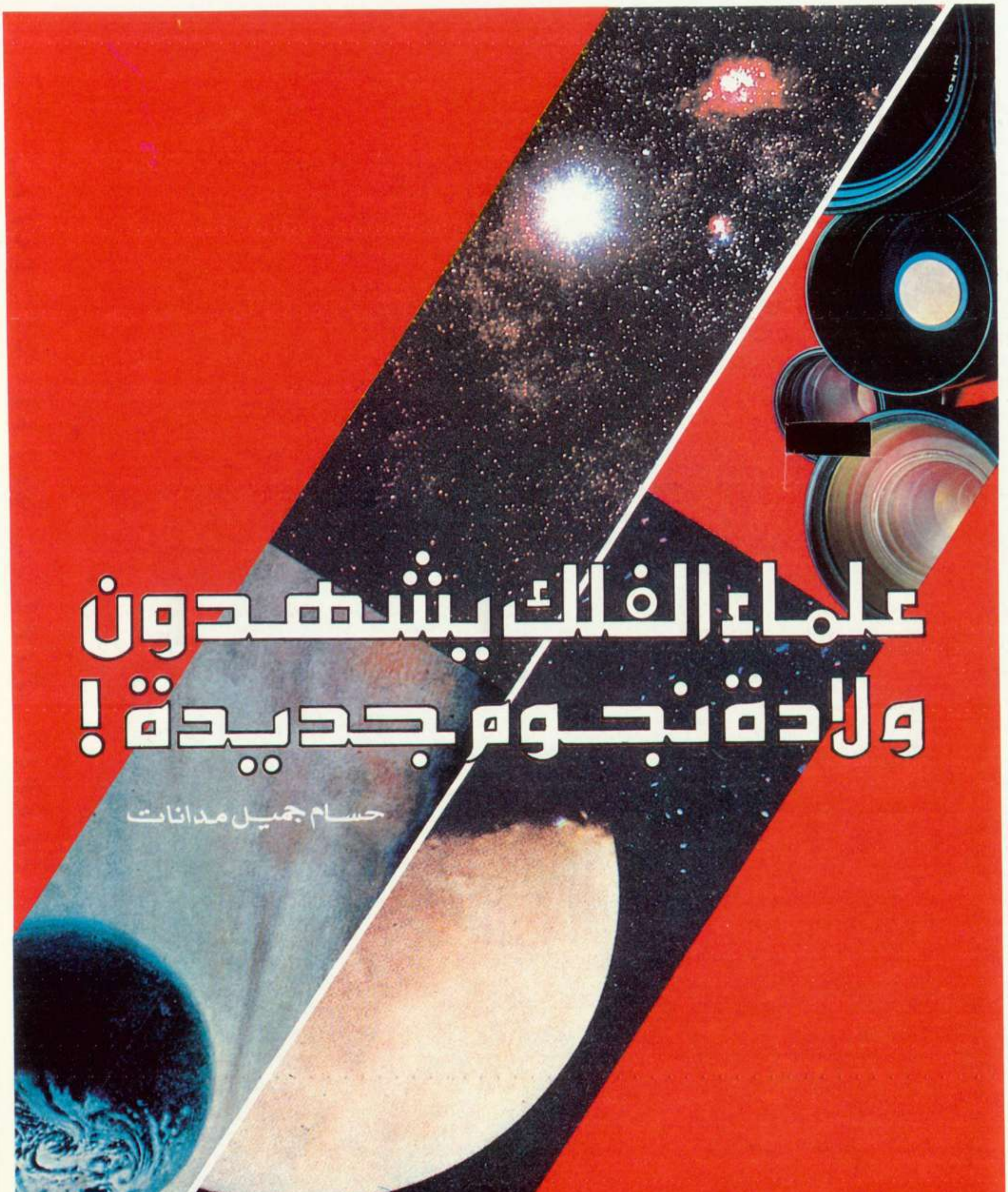
● ● ●

● تقسيمة رابعة :

ويدخلون كالجراد فى لحومنا
يناوشون جرحنا
فى مضرب المواجع
، .. ويهدمون
ونحن قابعون يا ضياعنا
نعانق الرؤى ،
وننشق السموم ! !

● تقسيمة خامسة :

مشدود
أتفكر فى اللا معقول
أتحاور .. أرنو
أتبين مفهوم الصمت
لا أدرى ان كانت أحلام
أم أن البعد الملعون يميت الفكر
أسماء تتكاثر من غير ختان
فلسفة عرجاء
تتخلق فى رحم الإفك .. ،


علماء الفلك يشهدون
ولادة نجوم جديدة !
حسام جميل مدانات

لماذا يخفت ضوء بعض النجوم بشكل دورى ؟

يجيب العلماء : إن السر يكمن فى مرور كرات هائلة الحجم من الغبار امام هذه النجوم وبشكل منتظم . وهذه الكرات يمكن اعتبارها بقايا او أشباح نجوم قديمة مندثرة . ولكنها أيضا عبارة عن نجوم جديدة وتوابع نجوم (كما هى الحال فى نظامنا الشمسى) ، فى طريق التكوين . وهكذا فعندما تنفجر بعض النجوم وتموت فان رفاتها الغبارى يتجمع ثانية لولادة نجوم اخرى من جديد .

ولكن كيف ظهرت النجوم ؟ ولماذا تملك بعضها كواكب تدور حولها ؟

الواقع انه طوال العصور الماضية ، كانت الاجابة على أسئلة من هذا النوع ، تدخل فى مجال الشعر والخيال ، أكثر من دخولها فى المجال العلمى ، اما الآن فنجد العلماء فى مجالات الفلك والفيزياء النووية وقد بدأوا يقدمون تصورا علميا للعمليات الكونية المعقدة ، ولقد تمكنت الأرصاد الفلكية (سواء للضوء المرئى أو للأمواج الكهرومغناطيسية والاشعاعات الكونية المتنوعة) ، من إعطاء الأساس لتكوين فرضيات تبدو صحتها محتملة جدا .

ويبدو ثقنا ان النجوم تولد من كتل الغبار التى توجد متناثرة ، ثم تتكثف فى الفضاء داخل المجرات ، والأذرع اللولبية للمجرات تكون غنية بالغبار الذى يشكل بؤر جذب لدقائق أخرى جديدة باستمرار بفضل قوى الجاذبية ، وهذه الكرات من الغبـــار هى الصـــورة الأوليـــة لنجوم المستقبل .

ولكن يبقى انه بين الفرضيات والمشاهدة فرق كبير ، فالفلكيون لم يتمكنوا من مشاهدة نجوم فى طور التكوين إلا حديثا ، وهم متاكدون الآن من انهم قد شاهدوا نجوما فى الأطوار الأولية من تكوينها ، وفيما يلى امثلة على أجنة النجوم التى تتم مراقبتها منذ زمن ، وكل منها يعد مثالا على مرحلة مختلفة فى عملية تكوين النجم .

كيف تتكون النجوم ؟

المثال الأول لنجم يراقب باستمرار منذ بداية القرن الحالى ، واسمه ابسلون أوريجى Epsilon Aurigae ، وهو نجم قريب من كابيلا Capella فى مجموعة نجوم كوشر Cocher . وكانت مرتبته تساوى (٣,٤) خلال ربع قرن ، ثم انخفضت الى (٤,٢) خلال سنتين لتعود وترتفع الى (٣,٤) وهكذا من جديد وبشكل دورى . وهذا النجم هو عملاق اصفر تساوى كتلته ثمانية أمثال كتلة الشمس ، ويبعد عنا حوالى (٢٠٠٠) سنة ضوئية .

ولكن ما هو السر وراء هذا الخفوت المفاجىء فى قوة إضاءة النجم والتى تدوم لسنتين ؟

إن الطريقة التى تضعف فيها إضاءة النجم تساعد فى فهم هذا اللغز ، فانخفاض مرتبته من ٣,٤ الى ٤,٢ عملية تحتاج الى حوالى ستة أشهر ، ثم يبقى سنة فى مستوى اضاءته الدنيا ، حيث يبدأ ضوءه بالاشتداد بعد ذلك وخلال ستة أشهر أخرى . وبعدها يحافظ على مستواه الطبيعى لفترة الربع قرن التالى . إذن هناك تابع معتم لهذا النجم يتحرك ليصبح بينه وبيننا متحركا حركة دورانية بطيئة نسبيا . ولكنه لا يكون حاجزا كليا للضوء . إنه يمرر نسبة من ضوء النجم ، وهذا ما يجعلنا نفترض انه كرة مركزة من دقائق الغبار . وتدل الدراسات أن قطر هذه الدقائق يبلغ حوالى السنتيمتر ، وهذه الكرة الغبارية تحيط بكتلة مركزية وتدور حولها .

وتبلغ الكتلة الكلية لهذه الكرة من الغبار المتكثف بين عشرة واثنتى عشرة مرة قدر كتلة الشمس . وتدور هذه الكتلة حول النجم «ابسلون أوريجى» بتأثير الجاذبية المتبادلة بينهما . ويبعدان عن بعضهما حوالى ٣,٥ مليار كيلومتر ، اى ما يقارب المسافة بين الشمس وكوكب بلوتو . وعندما يبدأ التفاعل النووى ويبدأ تكوين هذا النجم ، فانه سيشكل مع النجم الآخر نظام نجم مزدوج ، بينما ستشكل هالة الغبار حوله مجموعة من التوابع أو الكواكب .

والمثال الثانى يتعلق بنجم فى مرحلة التكوين ، ولكنه وصل طورا أكثر تقدما ، إذ بدأت توابعه تتكون . إنه نجم فى مجموعة Cygne ويدعى MWC 349 . تبلغ كتلته ثلاثين مرة قدر كتلة الشمس ، وحجمه أكبر بعشر مرات من حجمها . وقد لوحظ الخفوت الدورى لاضاءته منذ نصف قرن ، ولكن رصد هذا النجم حديث الولادة (عمره عدة آلاف من السنوات فقط) بواسطة الأشعة تحت الحمراء ، مكن من رؤية هالة مضيئة ضخمة على شكل اسطوانى ، ولوحظ أن قوة إضاءتها تنقص بمعدل ١٪ كل شهر .

ويبلغ قطر هذه الاسطوانة ٢٢٤ مليون كيلو متر (أى أنها تغطى المسافة من مركز الشمس حتى الأرض) . ويتناقص حجم الاسطوانة باستمرار مع اقترابها من النجم الأم .

ويعتقد العلماء ان ما يشاهدونه هو عبارة عن مرحلة تكثف المادة اللولبية الدائرة حول النجم لتكون الكواكب . وسينطفىء بريق الهالة مع تكوين هذه



شمس وكواكب فى طور التكوين : فى كوكب الاوزة نجم ولد حديثا وما زال يحتفظ بحلقته المتقلصة التى انفصلت عنه . وما زالت الحلقة حول النجم تشع أشعة تحت الحمراء ، بينما الاجزاء التى إنفصلت عن الحلقة فى سبيلها لتكوين الكواكب التابعة للنجم .

الكواكب . وحسب المعدل الحالى ، فان الاسطوانة ستختفى وتفقد ضوءها خلال مئة سنة .

والمثال الثالث يتعلق بنجم بالغ الجمال يدعى Betelgeuse فى مجموعة Orion وهو نجم قوى الاضاءة ، يميل لونه للحمرة ويشاهد فى فصل الشتاء . إنه نجم كهل عملاق يبلغ قطره ٣٥٠ مليون كيلو متر . وقد أظهر الرصد بالأشعة تحت الحمراء وجود كتلة ضخمة من الغبار المقذوف من النجم ، يبلغ قطرها ٤٥٠٠ مليار كيلومتر ، وهو حجم مذهل ويعادل حوالى ثلث سنة ضوئية (أى أن الضوء يحتاج الى أكثر من مئة يوم ليقطع هذه المسافة) . إن هذه الظاهرة هى نقيض ما رأيناه فى المثال السابق . إنها تظهر نجماً يقذف المادة الزائدة بعيداً عنه . إن هذه الظاهرة تساهم فى تجديد الغبار والدقائق والأنوية التى ستتغذى عليها الثقوب السوداء فى المستقبل .

والمثال الرابع يتعلق باجسام سماوية تدعى «باجسام بوك» ، نسبة للفلكى الهولندى بارت بوك . ويبلغ عددها (٢٧) تشكيلة من الأجسام الواقعة فى طريق الضوء القادم من بعض النجوم والتى تمنع مرور الضوء . إنها كتل مكثفة من الغبار والغازات ، ويبدو أن كتلتها تبلغ بين خمس وعشر مرات قدر كتلة الشمس . وتمثل المراحل الأولى من عملية تكثف الغبار بفعل الجاذبية ، وهى عملية تحتاج الى حوالى مليون عام لتتم .

غلاف الهيدروجين

بهذه الأمثلة الأربعة تظهر الحلقة وقد أغلقت فى مراحل حياة النجوم ، ولكنها فى الواقع حلقة متصلة ، دورة تتكرر وتعيد نفسها ... بدأنا بمثال عن نجم فى طور التكوين ، ثم آخر تتشكل كواكبه التى ستدور حوله ، وثالث كهل يبذر مادته بقذفها بعيداً عنه ، ورابع يبدأ خلقه بعملية تكثيف الغبار الكونى .

ولكن هل تعبر هذه الأمثلة عن جميع المراحل ؟ ألم يبق هناك حلقة مفقودة أو بالأحرى جزء مفقود من الحلقة ؟ .. لقد كان إنجازاً هاماً أن تم العثور على هذه الأمثلة الحقيقية الملموسة (إذا صح التعبير) لمراحل كان وجودها افتراضياً فى السابق . ولكن ألا يوجد مسبب ، محرك أو مثير لهذه العمليات ؟ ما هى القوة التى تطلق الزناد أو تشعل الفتيل لتبدأ عملية التطور من غبار الى نجم ؟

يبدو أن الاجابة على هذا التساؤل قد تحققت حديثاً .. إذ يعتقد العلماء أن القوة الكامنة وراء انطلاق هذه العمليات هى انفجار نجم (سوبرنوفا (Supernova حتى لو حصل هذا الانفجار فى مكان ليس بقريب من مكان تواجد الغبار الكونى الذى سيلد النجم .

لقد قام الفلكى «وليم هيربست» بدراسة قوقعة من الغاز المشع فى مجموعة الكلب الكبير . مفترضاً أنها عبارة عن الغلاف المتبقى من انفجار نجم «سوبرنوفا» ، وأنها فى تمدد مستمر . ولقد ثبت أن هناك غلافاً من الهيدروجين يتمدد باستمرار فى هذا الغلاف . وقد أدى قياس سرعة التمدد الى تقدير الزمن الذى مر على حصول الانفجار والذى يقارب ٦٠٠,٠٠٠ سنة . وفى مركز الغلاف الغازى هذا ، يوجد النجـــم (HD-54463) والذى كان احد نجمين فى توأم أو نجم مزدوج . أما الآخر فهو النجم «سوبرنوفا» الذى انفجر .

ما قلناه حتى الآن عادى ومعروف فى عشرات الأمثلة الأخرى ، ولكن المثير فى هذا الأمر انه فى أطراف القوقعة الغازية تظهر مجموعة من النجوم الشابة CMa RI وعمرها حوالى ٦٠٠,٠٠٠ سنة !

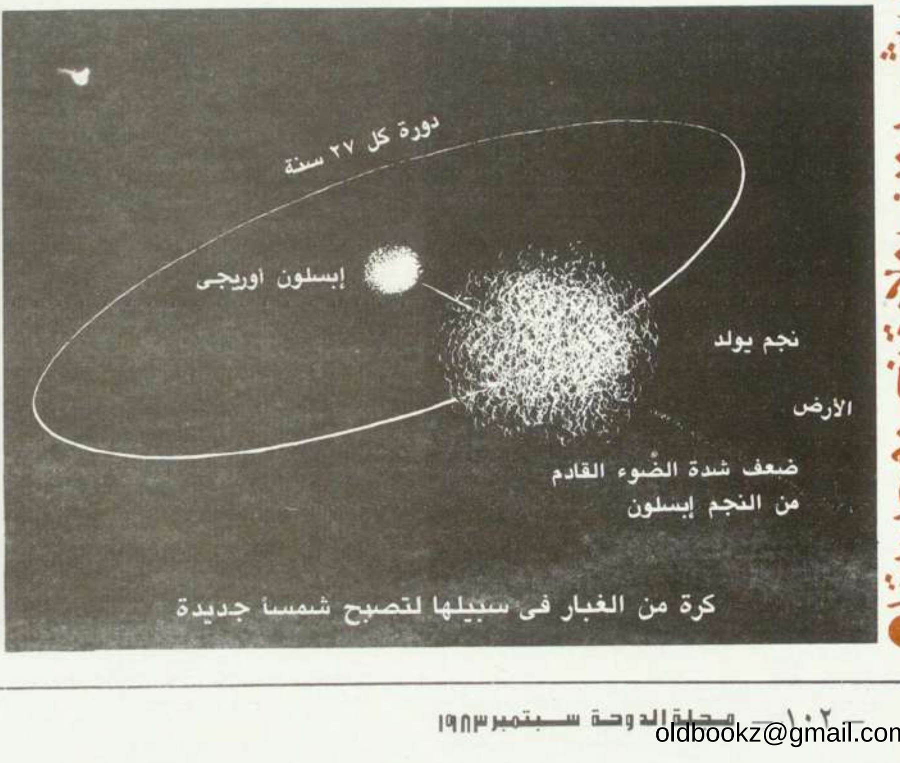
إن توافق عمر هذه النجوم مع عمر الغلاف الغازى لا يمكن أن يكون مجرد مصادفة .. إنه من شبه المؤكد أن هذه النجوم ناتجة عن مرور الغلاف الناتج عن انفجار النجم «سوبرنوفا» بكتلة من الغبار الفضائى . وتسير هذه النجوم الشابة بنفس سرعة تمدد الغلاف الغازى . ولابد أنه يوجد داخل الغلاف نجوم أخرى فى طور التكوين وأصغر من هذه . ويحاول العلماء الآن قياس عمر حوالى ثلاثين نجماً توجد داخل الغلاف للتحقق من صحة فرضياتهم .

ويبدو أن الشمس قد نتجت فى الماضى عن عملية مشابهة .. أى انفجار «سوبرنوفا» مما أطلق ميكانيكية التقلص لكتلة من الغبار لتكون نجماً جديداً .

وبدراسة النظائر الموجودة فى بعض النيازك الساقطة على الأرض ، نستنتج أن تركيب السديم الأولي ، والذى نشأت منه الشمس هو تركيب غير متجانس . إنه يحوى عناصر يبدو أنها تكونت فى مكان آخر .. فى نجم «سوبرنوفا» فى الغالب ، ثم خلطت هذه العناصر أثنـــاء مرور الغلاف الغازى الناتج عن انفجار «السوبرنوفا» (قبل خمسة مليارات سنة) بالسديم الغازى الذى ولد الشمس .

هل يتحول الى شمس ؟

وبامكان الفلكيين الذين يدرسون ولادة النجوم من الغبار الفضائى داخل المجرات ، أن يلاحظوا مثالاً قريباً منهم .. هذا على الأقل ما يؤكده مجموعة من علماء الفلك والفيزياء . فقد قادتهم ملاحظـاتهم الى استنتاج أن المشترى ، وهو أكبر الكواكب



كرة من الغبار فى سبيلها لتصبح شمساً جديدة

التابعة للشمس ، يمر فى الطور الأولى لارتفاع درجة حرارته قبل أن تنطلق التفاعلات النووية الحرارية .

ومن العبارات الشائعة فى وصف المشترى أنه نجم قد أجهض ... مشروع نجم لم ينجح ! والسبب فى ذلك ، هو أن كتلة الهيدروجين فيه أقل بعشر مرات من الحـد الأصغر اللازم للوصول الى ضغط مركزى كاف لحصول انصهار نووى حرارى ، كما يحصل فى الشمس مثلا ... إذ تنصهر أنوية الهيدروجين لتعطى الهيليوم وكمية هائلة من الطاقة .

ولكن الملاحظات الأخيرة تدل على أن المشترى يحتوى بالاضافة الى الهيدروجين على الدوتيريوم ، وهو احد النظائر الثقيلة للهيدروجين . ولم يكن العلماء قد اعتبروا الدوتيريوم فى حساباتهم السابقة . وهذه الكمية من الهيدروجين والدوتيريوم ستكون كافية لبدء التفاعل النووى الحرارى .

وفى الحقيقة ، إن المشترى يشع من الحرارة أكثر مما يصله من الشمس ، وكان العلماء يفسرون ذلك على أنه نتيجة عملية إشعاع الحرارة المتبقية من التقلص الذى حصل قديماً أثناء تكون الكواكب (قبل خمسة مليارات سنة) ، أو بسبب استمرار تقلصه .

ولكن الفلكيين يرفضون هذه التفسيرات إذ يعتقدون أن هذه الحرارة التى يشعها المشترى هى دلائل بداية تفاعل نووى حرارى . وأن المشترى الذى تزداد كتلته بجذبه باستمرار لأجسام فضائية وغبار كونى ، سيشتعل بشكل متسلسل وتدريجى خلال عشرات أو مئات ملايين السنين القادمة ليصبح شمساً جديدة .

ولكن تحول المشترى الى شمس لن يكون له تاثير خطر على أرضنا ، فأصغر مسافة بين المشترى والأرض هى خمسة أمثال بعد الأرض عن الشمس . وفيما لو اعتبرنا أنه سيعطى إشعاعات مساوية لما تعطيه الشمس فان الأرض لن يصلها ما يعادل خمس الطاقة الشمسية من المشترى ، وإنما مربع هذا العدد أى $\frac{1}{25}$ من الطاقة التى تصل الأرض من الشمس . ومن المؤكد أن المشترى سيكون أضعف بخمس أو عشر مرات من الشمس إشعاعيا . وهذا يعنى أن الأرض ستستقبل إشعاعا إضافيا يقل عن ١٪ من الاشعاع الشمسى الذى تستقبله حاليا . إذن ، لا داعى للقلق ! خاصة وأن هذه الشمس الجديدة لن تتكون قبل مرور عدة بلايين من السنين كما يؤكد العلماء .

حسام جميل مدانات   الأردن



النجوم من الغبار ، وإلى الغبار تعود :

(١) فى الصورة العليا ينفجر نجم « سوبر نوفا » وعلى مسافة منه يوجد سديم من الغبار الكوني ضمن نفس المجرة .

(٢) غلاف مادة النجم وقد قذفت بتأثير الانفجار لتصل إلى سديم الغبار وتسبب بدء تكثيف الغبار الذى سيكون نجوما فى المستقبل . وتكتسب أجنة النجوم هذه ، سرعة مساوية لسرعة تمدد المادة المنفجرة للنجم « سوبر نوفا » .

(٣) وهكذا تبقى هذه الأجنة على محيط الغلاف المتمدد للمادة المنفجرة ، بينما بقايا الغاز فى داخل هذا الغلاف ، تبدأ الآن بالتكثف لتكوين أجنة نجوم جديدة .

لقطات من الكون المثير



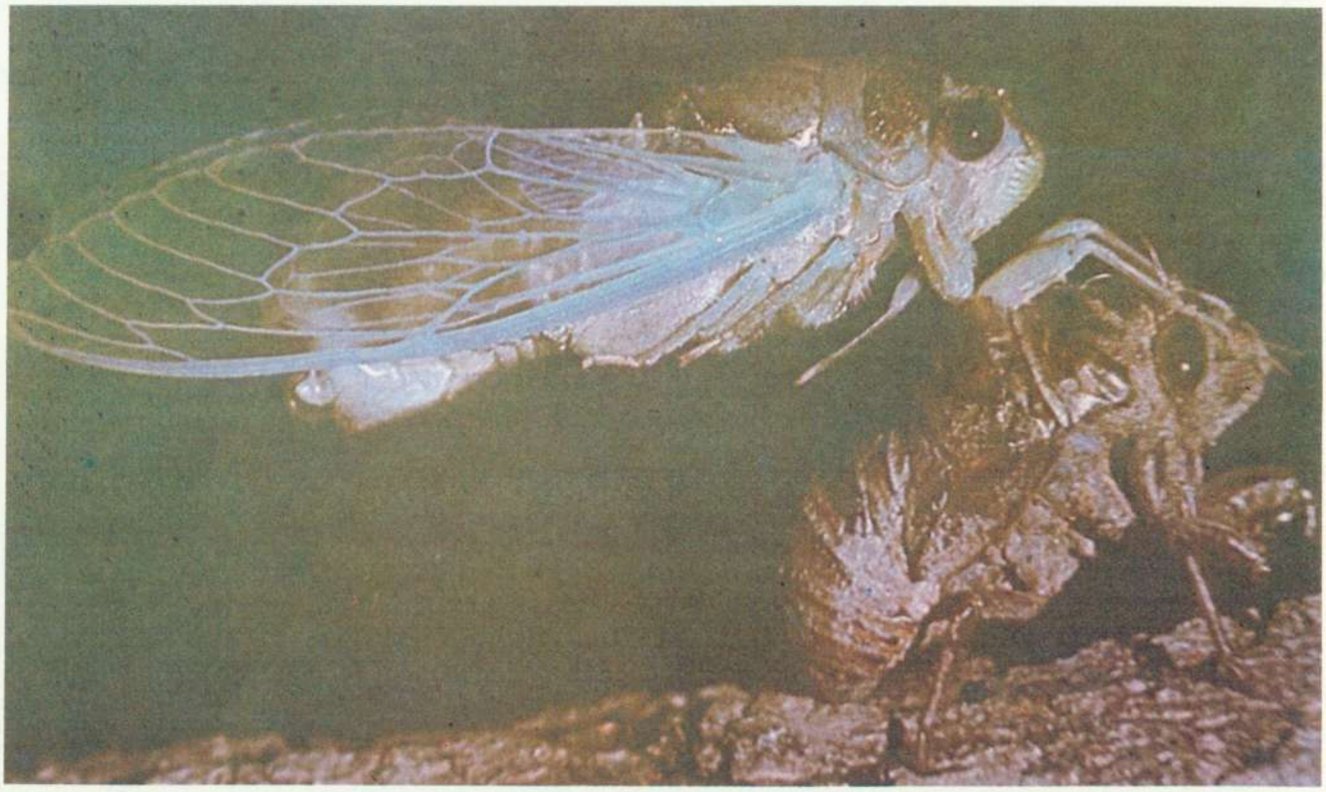
عيون لضبط الزوايا!

كل الحيوانات المعروفة قد جاءت الى الحياة بعينين ، لكنّ لكل قاعدة شواذاً ، خاصة مع الرتب الدنيا من المخلوقات ، لأن انماط العيون فيها تختلف عما هو سائد بيننا ، ولقد جاءت لتصبح اداة تيسير لا تعسير ، ولنختبر منها نمطاً واحداً ، فهذه العيون الأربع كانما هي عيون «بانورامية» ولقد تراصت على رأس احد انواع العناكب المعروف باسم العنكبوت القافز ، لأنه يقفز على ضحيته قفزة مباغتة ، لكن بعد ان تجري عيونه حساباتها ، وتقدر زواياها ، وتحدد الموقع تحديداً مضبوطاً ، فاذا وثب العنكبوت على ضحيته ، فان وثبته قلما تخيب ، اضف الى ذلك ان بعض الأنواع القافزة ، قد تمتلك من العيون ثمانية ، ليرصد بها لأطول مسافة ممكنة ، وللعناكب صانعة الشباك عيون ضعيفة ، لأنها لا تستخدمها كثيراً ، فاهتزاز الشبكة بالصيد يغنيها عن عيونها ، وليس للعناكب التي تعيش في الظلام عيون بالمعنى المفهوم ، فكأنما كل عين قد جاءت لما هي له ميسرة .

الناس أمزجة وهوايات

للناس فيما يعشقون مذاهب ، فمنهم من يحب جمع المال او تحصيل المعرفة ، او تكوين مجموعات من العملات النقدية ، او طوابع البريد المختلفة ، الى آخر هذه الأمور التي نعرفها تمام المعرفة ، لكن هذا الياباني المدعو تايكي يوشيزاوا يعرض علينا هوايته الغريبة ، فهو مغرم بجمع علب الكبريت ، لدرجة أن ما جمعه منها قد كون به متحفاً معتبراً ، ولقد بدأ هوايته منذ عام ١٩٢٤ ،واصبح رصيد مجموعته الآن ٥٥٩٧٤٤ علبة ، وليس فيها تكرار ، كما انها قابلة للزيادة كل عام ، وقد يتساءل البعض : وما الفائدة ؟ .. والجواب : انها امزجة ، فما يسعد الناس ،قد لا يسعدنا ، او قد يدعو للسخرية .





كأنّما هو نشور من القبور!

تبدو الصورة وكانما قد جمعت حشرتين تقف احداهما فوق الاخرى، رغم ان هذه من تلك، فالتي الى فوق هي الأصل، والتي تحتها هي « الشبح » اي جلدها القديم الذي تنسلخ منه كما ينسلخ الثعبان من جلده .. لكن الغريب في هذه الحشرة المعروفة باسم « السيكادا » او (زيزالحصاد) انها لا ترى النور الا لمدة اسابيع قليلة، بعد ان ظلت مدفونة في باطن الارض طوال سبعة عشر عاماً متواصلة. فكانما هي بعد هذا الدفن الطويل جداً، لا تعيش على وجه الأرض إلا قليلا .. وفي هذه الفترة الوجيزة تغني ذكورها لاناثها، فتسعى اليها وتخصبها لتضع بيضا، ينشق عن يرقات تتجه الى باطن الأرض، لتتغذى، ثم تتحول الى عذراوات تبقى مدفونة كل هذا العمر الطويل، وبعده تخلع ثوبها، وتبدا حياتها القصيرة، وتتكرر القصة الأزلية .. اي ان ذريتها في عامنا هذا الذي نعيش فيه، سوف تخرج لتغني فى عام ٢٠٠٠



مجتمعات غير متطورة

الدارسون للمجتمعات البشرية التي لازالت تعيش حياة جد بدائية، يقدمون لنا حقائق مثيرة، وعادات غريبة، بحيث تذكرنا بالعصور الحجرية القديمة، وهذا المنظر يوضح لنا نمطاً من انماط حياة الهنود الحمر القاطنين في تجمعات صغيرة في ادغال معزولة بالبرازيل .. فالبيت من قش، والملابس من قش، والحياة خالية من الهموم، وهذان « الشبحان » الغريبان رجلان يختبئان تحت ردائين ليؤديا طقوسهما الدينية في هذا المعبد المتواضع، ومثل هذه الاردية يلبسونها في مناسبات الأعياد، لكنهم في معظم الأوقات يعيشون شبه عرايا، وكانما البساطة والحرية، خير من نفاق وعبودية المدينة.

عصر الاتصال

بقلم: الدكتور عصام سليمان موسى

يتميز عالمنا المعاصر بالتقدم المذهل الذى تشهده الصناعة الالكترونية . فقد كان اختراع التلغراف والهاتف فى النصف الأول من القرن التاسع عشر مؤشراً لمولد عصر جديد هو عصر الاتصال الالكتروني . ورغم ان البداية كانت بسيطة ومتواضعة بمقاييس الزمن الحاضر ، الا ان صناعة الالكترونيات شهدت تسارعاً عظيماً فى اعقاب الحرب العالمية الثانية . ونتيجة لهذا ، شهدنا مولد الاقمار الصناعية ، ومحطات الاتصال الأرضية ، هذه الأجهزة التى مكنت ربط العالم بشبكة منظمة من المواصلات الفضائية السريعة والمتقنة الى أبعد حدود الاتقان .

ان السمة الرئيسية التى تطبع العصر الحالى بفضل تطور صناعة الالكترونيات هى فى كونه عصر الاتصال (Age of Communication) . ويشار اصطلاحاً الى الصناعة المتقدمة التى حملت هذا العصر على اكتافها بتكنولوجيا الاتصال (Communication Technology) . فاذا كانت سمة العصر هى هذه الصناعة المتطورة التى تميزه عن عصور اخرى سابقة ، فانه ولاشك يحق للبعض صدقاً القول بان عصرنا الحالى قد شهد ثورة عظمى فى الاتصال وصناعاته . لذا ، فاذا كانت العصور الماضية قد تميزت بقيام ثورات كبيرة هزتها واخرجتها من دورتها التاريخية ، وحررتها من جمودها ، كما فى الثورة التجارية ، أو الثورة الفرنسية ، أو الثورة الصناعية ، فان سمة العصر الحالى هى بحق ثورة فى الاتصال : علماً وصناعة .

وقد شهدت وسائل الاتصال الجماهيرى ، بدءاً من منتصف القرن الماضى ، تسارعاً ملحوظاً فى التطور التقنى . لكنها اصبحت فى زمننا الحالى ضرورة لا غنى عنها لكل انسان . وانتشرت وسائل الاتصال الجماهيرى ، وتطورت صناعتها ، معطية زخماً ، ومداً قوياً ، لثورة الاتصالات الحديثة .

ولا ادل على أهمية هذه الثورة ما نلمسه جميعاً من آثارها فى حياتنا . من منا يا ترى لم يستخدم الهاتف ، وينعم بلقاء صديق او قريب عبر خطوطه مختزلا المسافات الطويلة ؟ ومن منا لا يتسمع للمذياع ينقل اليه اخبار الدنيا واغانيها وتوقعات الحالة الجوية ؟ ومن لا يستمتع بمشاهدة البرامج التليفزيونية المختلفة ، الاخبارية او الترفيهية أو التعليمية ؟ الم نتسمر جميعنا فى العام الماضى امام الشاشة الفضية نتابع مباريات الكرة العالمية التى حصلت فى اسبانيا ، فشاركنا فيها وكاننا نجلس على المدرج فى المكان الذى جرت فيه تلك المباريات ؟ الم نر ، فى برامج اخرى ، شخصيات عالمية تتحدث الينا من خلال المقابلات ، رغم ان البحار تفصلنا عنها ، بواسطة اجهزة الاتصال المتطورة ــ الأقمار الصناعية ومحطاتها ؟ اليس ذلك اقرب الى الحلم منه الى الحقيقة ؟

لكن هذا واقع . لقد استطاعت تكنولوجيا الاتصال الحديثة ان تنجح فى اختزال المسافات الفيزيائية ، فتقرب بين الناس على اختلاف اجناسهم والوانهم ، عاملة على تحطيم الكثير من الحواجز النفسية والاجتماعية والزمانية والمكانية التى كانت تفصل بينهم حتى عهد قريب . الا نشعر باننا نعرف مصر ، والمصريين ، بصورة جيدة ، بفضل المسلسلات والافلام الاجتماعية المصرية ، رغم اننا لم نطا أرض الكنانة يوماً ؟ الا نشعر ايضاً باننا نتفاعل مع مشاكلهم ونفهم ظروف حياتهم فهماً مناسباً . بفضل وسائل الاتصال الجماهيرية الالكترونية ؟

لو نظرنا حولنا نظرة فاحصة لراينا تكنولوجيا الاتصال تغمر حياتنا وتغزو علينا مشاعرنا ووجداننا وافكارنا دون وعي مباشر منا . فالاقمار الصناعية تسبح بالسماء من فوقنا ، والامواج الكهرومغناطيسية تتطاير فى الأثير من حولنا ، دون ان تدركها عين او اذن ــ لكنها لدى ارتطامها باجهزة الاستقبال (الاتصالية) من حولنا ، تتحول اصواتاً وصوراً حية تتدفق بالمعلومات والنماذج المختلفة . وقل مثل ذلك عن الكتب والمجلات والجرائد التى تقذفنا بوابل من الحقائق والاعلام والترفيه ، وبسرعة قصوى ، كاننا نعيش فيضاً من المعلومات لا ينتهى .

شبكة الاتصالات هذه التى تربط العالم واجزاءه المتناثرة البعيدة حقيقة عصرية تستدعى الدراسة والفهم . بفضلها صغر العالم وصغر حتى اصبح قرية عالمية ــ A. Global Village ــ كما شاء مارشال ماكلوهان ان يسميها . فعالم القرية صغير

محدود يعرف ساكنها كافة التفاصيل عن ازقتها . ومبانيها ، وساكنيها ، وشوارعها ، وينابيعها ، ودوابها . بل واكثر من ذلك ، يحس انه يعرف هؤلاء معرفة وثيقة ويعرف تاريخهم . وهذا الحال مع عالمنا الحديث الذى نعرف الكثير عنه بفضل اجهـزة الاستقبال الموجودة فى كل منزل ، وبفضل الكتب والمجلات التى اصبح بمقدور كل واحد اقتناؤها وقراءتها .

ومن المؤكد ان المرء يقف فى نهاية الخط متلقياً فى الأغلب ما تبثه وسائل الاتصـال الجماهيرى . نحن على اتصال بالعالم ، ولكن من طرف واحد وهو طرفنا . ووسائل الاتصال الجماهيرية المتوفرة الآن تسمح بتحقيق ذلك ، لأننا « نتلقى ونستوعب المعلومات المتدفقة علينا ، كاننا جهاز استقبال فى معظم الأحيان » . ومن هنا فان عصر الاتصال الجماهيرى المعاصر قد راى فيه البعض « عصر الاتصال الآحادى اى ذى الطرف الواحد » .

صحيح ان الواحد منا يستطيع ان يتوقف عن التعرض للتليفزيون او الاستماع للمذياع ، او يلقى بالجريدة جانبا ، ان لم يعجبه ما يقال او ما يعرض . وقد يرى البعض ان هذا امر سلبى ينتقص من دور وفعالية الاتصال الجماهيرى . لكن انتشار وسائل الاعلام بشكل كبير ، وفى كافة الدول ، وعلى مختلف المستويات ، يحد من قدرة الاعلام على تجاهل المرء كلية ، وتجاهل احاسيسه ومشاعره ومواقفه من القضايا المختلفة . فالاتصال الجماهيرى موجه اولا واخيراً للجماهير المختلفة بهدف كسب ودها وقبولها وليس رفضها . لذلك يعمل الاعلاميون على تحقيق هذا القبول والرضى . ولهذا نراهم يحرصون على ان يجيء عملهم متقنا ضمن مواصفات معينة تجذب الجماهير لهم ولوسائلهم . فوسائل الاعلام فى تنافس دائم لتقديم الاحسن القادر على جذب قاعدة واسعة من الجماهير . وكلما ازداد حجم القاعدة التى تتعرض لوسيلة معينة ولبرامجها ، كلما ازدادت قوة تلك الوسيلة : على الصعيدين المادى والمعنوى .

والمؤسسة الاعلامية التى تقذف برغبات جماهيرها عرض الحائط لا تلقى الا الفشل ويصبح مثلها مثل الذى يصرخ فى مدرج تخلو مقاعده من الناس فلا يسمع احد صراخه .

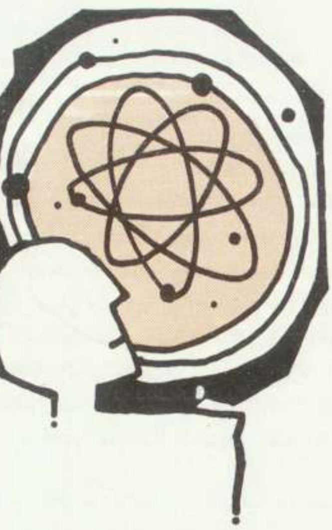
نخلص من هذا الى ان المؤسسـة الاعلامية مهمة اهمية المضمون الذى تنقله الى الجمهور ، وان الجمهور المستقبل لتلك المضامين يبقى فى النهاية هو المحك الذى يقرر نجاح المعروض عليه او فشله .

المؤسسة الاعلامية اذن بحاجة لجمهور يتعرض لها كما ان الجمهور بحاجـة لمضامين ترضيه وتشبع نهمه للمعرفة والترفيه والنماء . وتزداد اهمية الجمهور فى وقت غدت فيه المؤسسات الاعلاميـة تعتمد الاستقلال الاقتصادى ، فهى اذن بحاجة لدعم هذا الجمهور – وخاصة عن طريق الاعلان . والجريدة التى تفشل فى بيع اعداد كافية يكون مصيرها افلاس اصحابها ، واغلاقهم لأبوابها ، والاستغناء عن خدمات العاملين فيها .

من هنا فان عملية الاتصال الجماهيرى عملية متكاملة ، تتكامل فيها ادوار المؤسسة الاعلامية (المرسل) والمضمون المعروض (الرسالة) والجمهور المتلقي (المستقبل) ، فلا يجوز دراسة جزء من هذه الجزئيات الرئيسية للعملية الاتصلية بمعزل عن الجزئيات الاخرى . علاوة على ذلك ، فان فهم جزئيات هذه العملية كل على حدة امر ضرورى لدراس الاتصال الجماهيرى .

مقدم عصر الاتصال الحديث جعل من دراســة الاتصـال الانسانى (Human Communication) امراً لازماً ، فاصبح فرعاً اكاديمياً تدرسه مختلف الجامعات ، وتقوم على ادارته نخبة متميزة من الباحثين والمفكرين ، يعملون بداب وجد لدراسة الوسائل والسبل لفهم طبيعة الاتصال الانسانى .

لقد ثبت الاتصال نفسه علماً قائماً بذاته مستقلا فى القرن العشرين ، خاصة وان قدرة وسائل الاتصال الجماهيرى – كالاذاعة – على اختراق الحدود الاقليمية جعل منها قوة عظمى ومؤثرة فى مجالات الدعاية والاقناع وابراز وجهات النظر



المختلفة ، مما حدا بتلامذة الاتصال لدراسة هذه الظواهر ومحاولة فك الغازها وجوانبها المعتمة للاستفادة منها بمحاربة الاعداء ، أو فهم مقاصدهم . وتتسع دراسة الاتصال وتتشعب تبعاً لاختلاف دارسيه وميادينهم فهناك الاتصال الذى يعنى بشؤون النفس ، والاقتصاد ، والسياسة والعلوم البحتة ، وغير ذلك كثير ، فمادة الاتصال الاكاديمية مرتبطة اذن بكافة الاداب والعلوم الانسانية والاجتماعية . من هنا ، فان دارس الاتصال يجب ان يكون متميزاً بقدراته وامكاناته ليستطيع ان يلم الماما كافياً بجوانب المعرفة المختلفة . كاللغات والاداب والتاريخ وعلوم النفس والاجتماع والاقتصاد والسياسة والزراعة والاحياء والاحصاء وغير ذلك من علوم انسانية وفيزيائية ورياضية ، قد تزيد او تنقص تبعاً لمقدرة الشخص واهتمامه وميدان اختصاصه العملى او النظرى . دارس الاتصال الناجح يجب ان يكون قادراً على فهم النفس البشرية من خلال التركيبة الاجتماعية ليستطيع ان يكون منتجاً ناجحاً ومؤثراً فى الاخرين .

قدرة الاتصال فى الاساس هبة من الله انعم بها على عباده وميزهم على غيرهم من المخلوقات . وبواسطتها يستطيع الانســان – منذ ايام الحياة الأولى – ان يتصل مع غيره ويتواصل ، وان يقترب من الناس او يبتعد عنهم ، بفضل القدرة على صنع الرموز – الكلمات والايماءات ، والاشارات – وتبادلها مع الآخرين لسبر اغوار نفوسهم وفهمهم وتفهيمهم ، لكن الاتصال الجماهيرى ، بفضل وسائل تكنولوجيا الاتصال الالكترونية ، هو انجاز انسانى حضارى يبين بجلاء قدرة العقل البشرى على الابداع . وكانى باجهزة الاتصال تعمل مثل جناح للانسان تحمله محلقة به فى الرحاب الواسعة ، حاملة اياه ليشاهد ما تعجز قدماه عن ايصاله له ، او حاملة له ما يشاء هو ان يشاهد او يسمعه وهو فى مجلس مريح فى المنزل محوطاً بافراد اسرته ، ناعماً بدفء البيت .

كذلك ، فان تطوير هذه الأجهزة الراقية لمؤشر واضح على ان الانسان فى الأصل انسان اتصـالى – يسعى للاتصـال والتواصل مع الناس اينما كانوا وبشتى السبل والوسائل .

وقد حقق الانسان هذه الرغبة ، وعلى افضل صورة ، فى عصرنا الحالى ، عصر الاتصال .

د. عصام سليمان موسى .

من روائع
الفن العالمي

بقلم : جمال قطب

سيدة العصر والحرب والسلام

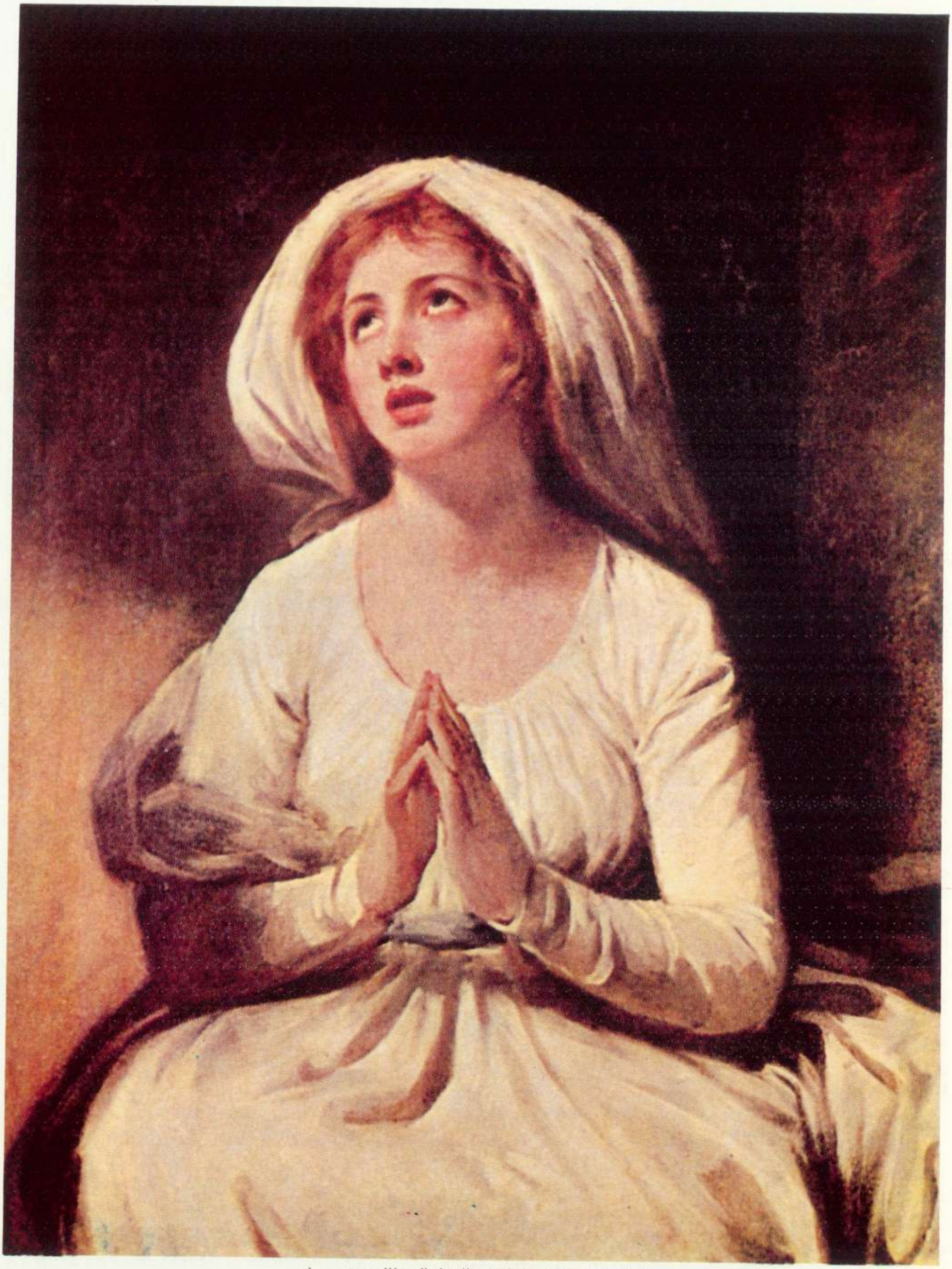


جورج رومنى – المع فنانى بريطانيا فى القرن الثامن عشر (١٧٣٤ – ١٨٠٢)

تاريخ مثير .. واحداث اقامت الدنيا واقعدتها وفي بريطانيا دولة التقاليد التي لا تغرب الشمس عن اراضيها ! يعقد برلمانها لمناقشة امر هام : كيف تستحوذ هذه الفاتنة على قلب سفير الامبراطورية العريقة ، فيهيم الرجل الوقور بها ، وتصبح اسرار البلاد في يد تلك الفاتنة تعبث بها كما عبثت بالسفير الكهل (وليام هاميلتون) ويضطر السير هاميلتون لعقد قرانه بهـا . لا لتنتهي تلك الأحداث المثيرة .. ولكن لتبدا احداث اخرى اكثر دوياً ، تعلو اصداؤها حتى تعم العالم اجمع .. عندما اوقعت (ليدي هاميلتون) في شراكها الناعمة قائد اساطيل الامبراطورية – او قائد النصر كما كان يطلق عليه انذاك – سير أدميرال نلسون ! وقصتهما معاً طويلة غريبة .. تشعبت الى التحكم في مصير السياسة والحرب والسلام ،وفتحت لاحداثها صفحات التاريخ ولا يسعنا المجال لكي نسرد وقائعها مفصلة .. فلهذا مقام اخر .

واذا كنا قد بدانا من النهاية .. فلنعد الى الوراء بضع سنوات لنرى فنان بريطانيا الشهير (جورج رومني) وقد عثر على ضالته التي ينقب عنها .. لتكون نموذج ونجمة لوحاته العالية التي تاخذ مكانها اولا باول في اروقة المتاحف والمعارض . كانت مثالا للجمال وتفتح الانوثة ورقة المحيا واتقاد الذكاء ..

كما كانت ضائعة في قاع العاصمة البريطانية ، تنتقل بين حوانيتها وبيوتها بحثاعن عمل متواضع يقيم اودها ويحفظها من السقوط تحت الاقدام في ليل لندن القارس الطويل .. وجدها الفنان في منزل احد اصدقائه ، وصحبها الى مرسمه بعد أن بهر بمقاييس جمالها المثالي .. وعلى مدى أربع سنوات اخذ يرسمها ويستلهمها في كل اللوحات والرموز والموضوعات حتى بلغ مجموع لوحاته الكبيرة لها خمساً وعشرين لوحة .. وبضع مئات من الرسوم التحضيرية السريعة ... وكلها الآن محفوظة في اطر من ذهب في كثير من المتاحف والقصور والمحافل الرسمية . ومن مرسم الفنان ، ذاعت شهرة (اما – ليون) واصبحت سيدة من سيدات المجتمع الراقي في حفلاته وندواته ومعارضه وسهراته .. وأصبحت الفاتنة محط الأنظار في مختلف العواصم الأوروبية .. فقد كانت مراسم الفنانين العظام امثال رومني – هي وكالات الأنباء المصورة في تلك الأيام حيث تنقب عن الجمال .. وتبرزه فى اجمل صورة ، ثم تنشره على العالم على هيئة لوحات عالمية خالدة ! وهكذا تعرف عليها سفير بريطانيا في ايطاليا (سير وليام هاميلتون) ، فصحبها معه ، وحملت الاسم الكبير (ليدي هاميلتون) بعد ان تزوج بها في حفل اسطوري مهيب .. وفي بيت السفير بمدينة نابولي .. حط الاسطول البريطاني رحاله .. ونزل قائده نلسون ضيفاً على سفير الامبراطورية .. وما إن وقعت عينا القائد على نجمة لوحات رومني .. حتى بدات قصة اخرى اثارت العالم حينذاك ، وقالت عنها الملفات الرسمية .. إنها إحدى قصص التاريخ المؤثرة في مسيرة السياسة والحرب والسلام .. ويرى القارىء على الصفحة المقابلة إحدى صور الليدي هاميلتون ، التي رسمها لها رومني ، وكانت سبباً فى شهرة الفاتنة في كتب التاريخ ، وفي شتى انحاء العالم .



اماليون او « الليدى هاميلتون » للرسام البريطانى جورج رومنى .

• قصـــــة •

شجرة السنديان العجوز

بقلم : كلثم جبر



(١)

ـ فاطمة .. يقتاتني الصمت ونظرات الريبة في عينيك ؟

« تفجر الوجع من الشريان اكتسح غربة القرية وعيون أطفالها المنطفئة » .

تماثل الأمل بداخلها ، ولكن همهمات قوم تتسلل .. وصدى الليل الهادىء يسقط ، وانعكاسات القمر فوق سطح البحر القريب جداً من هياكل القرية السوداء . تتمازج الهمهمات ونقيق طائر « النورس » من بعيد . تقترب الهمهمات ..

ـ فاطمة .. علينا بالاسراع الآن .

« يتوقف انبثاق الحلم من المسام » .

تقترب الهمهمات أكثر .. تفتح فاطمة فمها . تبدو أسنانها كأضواء لؤلؤية في أمسية بحار زاخرة .. يداه أسرع ، يغلق فمها . يسحبها حيث هو يطأ الارض ،هى خلف التلة الجلمودية يحتميان .. تتضاءل الهمهمات وتختفي . يتنهد ويرفع متاريس يده عن الشهقة بداخلها .. يهمس ..

ـ فاطمة ؟

« ينبت في الخاطر السؤال . تطفو ذكرى الأمس بناظريها فيستوطن الفزع » .

ـ فاطمة ـ غداً ساعلمك بكل شيء . غادرى المكان الآن سريعاً .

« يجتث الفرح وينبت الأسى » .

تمد يديها رغم الظلمة ، تهزه بعنف تصرخ ..

ـ من ؟ كيف ؟

« تختصر السؤال » .

ـ أتوسل إليك فاطمة عودى الآن .

قدماها غابة رعب تشابكت أغصانها ،

انزرعت بالرمال الرطبة ، تنتزعها بقوة ، تحاول جرها .. عيناها بحيرتا ألم . تتلعثم ذكرى الأمس بالذاكرة (يتجسد وجهه الأسمر وعيون الغرباء النهمة وهى تحصي اللؤلؤ) .

تنطفيء الذكرى .. فتهرول .. تركض .. تسقط فوق الأرض الرملية . ويحرس هو الطريق !

تتلاحق ظلالها وانعكاسات القمر حيث بوابة بيتها الطيني . تدفع الباب تحاول الولوج ، تستقبلها أجساد إخوتها الممددة فوق « الفرش » المتلاصقة تحت بيارق السماء سعياً وراء نسيمات رطبة وهرباً من لسع حرارة الداخل الساخنة . يسبقها صوت أمها ..

ـ طوال هذا الوقت تستدعين خالتك ؟

تلج للداخل .. تحمل فراشها تضعه فوق الأرض الرملية .. تتمدد فوقه مجاورة أجساد الصغار حيث انعكاسات القمر تغمر وجه أمها والفناء « يهمس الحـــزن والرعب » .

ـ أعتذر أمي .. لم أجد خالتي لذا عدت متباطئة .

(٢)

تهرول وجدائلها السمر وجلدها البني تحت الشمس الحارقة تحمل وجعها وصحن الطعام حيث الباب الموبوء بأقصى القرية والنخلة . تطرقه .. وتدلف .. تحتضن الكف العجوز . تضع طبق الطعام أمامه وتصمت . عيناه الضريرتان فى الظلمة تبحثان عن صوتها . يرتجف وصوته ..

ـ فاطمة ـ تبدين اليوم رغم العتمة فى عيني كشجرة سنديان عجوز تنتظر اقتلاع ريح هادرة لها أو ألسنة لهب أو ضربات فلاح حديدية ؟

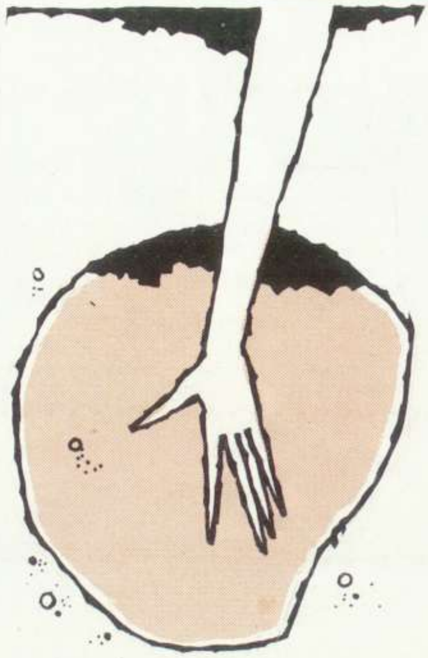
تهمس ..

« واللحظة الحلم تبرق فى الذاكرة » .

ـ أنتظر وجه الحقيقة خلف الغيمة الممطرة متى يبزغ أزهر من جديد !

« يضمحل القاع وينسحق الفرح تحت أيادي الريح » .

يعوى العجوز ..



ـ مذاق الصمت حنظلي الطعم والبوح محاولة انتحار فاشلة .

تحزم جدائلها وصحن الأمس الفارغ وتطرق الرمال الحارقة بقدميها يتلون جلدها البني والسؤال فى الخاطر تستنشق رائحة البحر من بعيد .

ـ فاطمة .

يلهث صوت خلفها تعرف وجهه الأسمر دون أن تلتفت تستشعره بجانبها . ترى وجهه الذى بات لا يحمل لوناً تحت الشمس ورابطة الدم تحمل انتماءه لها والتصاقه بها والقرية تهمس حينما تئن الصواري في الأمسيات الرطبة « بأن فاطمة محبوبته وزوجته القادمة » .

يلحق بها ..

ـ أعلم غضبك فاطمة .. لقد شاهدتك تلك الليلة رغم الظلمة وقلقي . ولكن ؟

« تطفو ذكرى تلك الأمسية الهلع ويتضاءل الحلم » .

ـ ولكن .. لن تستطيعي الفهم مهما حاولت الايضاح .

« تسقط فى الدهشة » .

ـ لذا عليك النسيان .

« يتهاون الحزن داخل عروقها فتنزف مقتاً » .

تقترب من بوابة بيتهم الطيني . تنكسر نظرات أخيها الصغير تحت الشمس . تمسح قذى عينيه بطرف ثوبها وترفع وجهها إلى اللاهث خلفها .

ـ ولكن .. اللؤلؤ الذى تداولته أيدى رهط الغرباء ويداك بتلك الليلة المدلهمة . حبات عقد مهر فرح القرية الذى أعلن عن سرقته . حيث لا فـــرح يعم القـــرية باختفائه ! !

(٣)

يتكسر الموج ويضرب دفة السفينة الراسية . تجاور الشراع وهمس العجوز المتحشرج يصلها متقطعاً ..

ـ فاطمة .. ألا زلت كشجرة السنديان العجوز ؟

« يحصدها الغضب » .

لن أزهر بعد اليوم .

يبتسم العجوز ..

ـ قريباً يقام عرسك .

« تنغرس ذكرى تلك الليلة القادمة المتوجةبدقات الطبول بجلدها بوحشية » .

ـ وجع القرية مهري .

يرتجف العجوز كشراع مزقته العاصفة وترامى بقايا فوق الشط ـ يفترش الرمل المبلل يلقي الموج برذاذه فوق حضنه يبلل ثوبه ووجهه ويردد ..

ـ متى نغرس مشاتل الحقيقة نحصد الصبار .

تفترش الرمل الرطب بجانبه ..

ـ أيدى البحاره معروقة . وظهورهم تعبة . والتنفيس تحت الماء اصبح مجهداً . وعدد الجثث القادمة يفوق الأقدام المبحرة وحصيلة عرقهم مهري .

يستقبل العجوز مزيداً من الرذاذ بحضنه ووجهه يهمهم وهو يغرس أصابعه المعروقة فى الرمل . يغرسها حتى العمق .. يسحب ذيل سمكة تعفن تحت الماء يسحقها بأصابعه يتضاءل ..

ـ فرح القرية وعرسك ضدان .

« تهدر عزماً » .

ـ فرح القرية مهري .

يتساقط العجوز حزناً يلملم بقاياه ويرعد بداخله ..

« ستقتلعك الريح أو ألسنة لهب أو ضربات فلاح حديدية » .



المجلس

إنسان الخليج في لوحات فنان



عبد الله المحرقي .. فنان من البحرين .. اهتم في لوحاته بابراز موضوعات البيئة واحياء التراث .

بقلم : يوسف أحمد

لاشك أن الفنان عبدالله المحرقي بأسلوبه المتميز واختياره لموضوعات البيئة كالغوص والقنص وحياة البحر وغير ذلك من العادات والتقاليد المتوارثة ، أصبح يمثل علامة فنية بارزة تختلف عن باقي الفنانين التشكيليين في البحرين !

انه فنان حشد كل طاقاته ووظف كل موهبته الفنية من أجل تسجيل بيئة البحرين بالفرشاة والألوان ، لاقتناعه بضرورة الاهتمام ـ اليوم ـ بتسجيل كافة الانشطة الانسانية التي كانت موجودة أيام زمان ، خوفاً من أن يضيع احساسنا بأهمية التراث مع مرور الوقت وزحمة الحياة العصرية !

واذا ما استعرضت أهم لوحاته ، لوجدت أنها تصور الحياة اليومية بأدق تفاصيلها ، فهي تصل الى قلبك بسهولة ويسر خاصة وان اقتناعاته تؤكد ان الفنان مطالب بايصال مضمون العمل الفني الى المتفرج دون تعقيد أو دخول فيما يسمى بفلسفة اللوحة !

وهو عندما يتحدث عن أسلوبه في العمل الفني ، فانه يعترف بتعامله في البداية مع كافة الاساليب الفنية : الكلاسيكية والرومانتيكية والتاثيرية والسيريالية والتجريدية ... ثم خروجه بعد هذه التجارب باسلوب خاص ، يجمع بين الرومانتيكية والكلاسيكية !

والمعروف أن هذا الاسلوب ـ بالطبع ـ يلقى قابلية عند مجموعة كبيرة من المشاهدين ، فهم يرون انفسهم فيه ، ويتعلقون به ، ولهذا فان الكثير من البيوت في البحرين أصبحت تضم اليوم لوحة أصلية للفنان عبدالله المحرقي ، الأمر الذي يجعلنا نستطيع أن نطلق عليه لقب « فنان الشعب » لأننا نادراً ما نجد مثل هذا الاقبال



سباق الخيل



العطش



زي شعبى



فتح محار اللؤلؤ

الشديد على مستوى الشعب لاقتناء اعمال فنان في منطقة الخليج !

والمتتبع لأعمال هذا الفنان ، يدرك أنه فى بعض الأحيان كان يتجه في اسلوبه الى التكعيبية ، وفي أوقات أخرى كنا نراه سيرياليا ، غير أن هذه الاتجاهات وغيرها كانت دائما لا تبعده عن روح البيئة ومعالجة الكثير من الموضوعات الانسانية !

وقد كانت رحلة الفنان عبدالله المحرقي فى الحياة غنية بالموهبة والأصالة ، ففى بداية حياته أحس بحب شديد للرسم منذ صغره ، كان عمره فى ذلك الوقت ١٢ عاماً ، أخذ يقلد اخاه الكبير وتمنى ان يصبح مثله ، وفى المدرسة الابتدائية كانت هوايته المفضلة هى رسم وجوه أساتذته وزملائه وأهله في البيت ، وبعد حصوله على الثانوية العامة من القاهرة رفض والده أن يلحقه بكلية الفنون الجميلة لاعتقاده بأن الفن لا يتناسب مع العادات والتقاليد ، لكن تصميمه على دراسة الفن أدى الى موافقة والده فى النهاية ليسافر الى دمشق ويلتحق بكلية الفنون هناك ، ويقضي معظم وقتــه دارســاً للفن الاســلامي الغزير وتصميمات المساجد والأسواق العتيقة ، ومتأملا لصفاء المياه العذبة في قنوات الريف والخضرة الزاهية والطبيعة التي نمت في اعماقه حب الحياة والجمال !

وعاد الى البحرين وهو مشرب بهذه التجربة الفنية العريقة ، وبعد حصوله على درجة البكالوريوس عام ١٩٦٦ بتقدير امتياز !

وهنا اخذ يفكر في الاسلوب الذي سيخاطب به المتلقي للفن فى وطنه ، خاصة وان هذا المتلقي قد تنفره الصدمة الفنية من أي تعامل مع الفن التشكيلي !

وقرر أن يخاطب المتفرج مخاطبة مباشرة من خلال موضوعات تسجيلية تعيد اليه الأيام التي مازال الحنين اليها رابضاً فى اعماقه .. واستطاع بهذا الاتجاه أن يكسب



أم الزمام

إنسان الخليج في لوحات فنان

قلب وعقل المتفرج فى البحرين ، وان تلقي أعماله الكثير من الرعاية والتقدير ..

واعطت وزارة الاعلام فى البحرين لفنانها كل الثقة ،فعينته مستشاراً فنيا لها ، وتم تكليفه بتصميم طوابع البحرين البريدية واللوحات الرسمية للوزارة والوزارات الأخرى بعد أن كان نصيب الفنانين الاجانب كبيراً في هذا المجال !

وفي عام ١٩٧٠ أقام معرضاً خاصاً في لندن لأعماله الفنية ، وكان بذلك أول فنان تشكيلي خليجي ينقل بيئة الخليج الى رواد المعارض في انجلترا ، وظهرت اهمية هذا المعرض من الاقبال الشديد عليه وتعليقات النقاد الفنيين فى الصحافة الانجليزية ، وأجمعت الآراء وقتها على أن سر نجاح هذا المعرض يعود لسببين ! أولهما : التعرف على البيئة في البحرين من خلال اسلوب واقعي بسيط .. وثانيهما : الرغبة في اكتشاف سحر الشرق ، وخاصة في منطقة الخليج التي مازالت بكراً وتحتاج الى الكثير من التنقيب والبحث وراء جذورها التاريخية والانسانية ..

وقد اتبع هذا المعرض بمعرضين آخرين في البحرين عامي ١٩٧٥ ـ ١٩٧٧ ، لقيا من الجمهور كل ترحيب وثناء على هذا الجهد الرامي الى احياء شكل الحياة القديمة فى لوحات فنية !

والمعروف أن الفنان عبدالله المحرقي لم يترك معرضا للفنون التشكيلية في دول الخليج إلا وشارك فيه بمجموعة من أعماله كما انه لا يوجد مكان عام فى البحرين ـ اليوم لا يضم لوحة من لوحاته !

ومن بين الفنانين العالميين الذين تعلق بهم : سلفادور دالي الرسام الاسباني صاحب اللوحة المشهورة « سمك التونة » .. وكذلك مايكل انجلو بلوحاته التي تثير فى النفس الدهشة والابهار !

أما على المستوى العربي فهو يميل الى الفنان النحات والرسام المصري صلاح عبدالكريم ، والرسام السوري محمود سليم والفنان العراقي الراحل جواد سليم !

وهو يري بأن الفنان الجيد هو الذي يهتم بالثقافة الرفيعة ويملك الاحساس الجيد والموهبة والصدق والقدرة على التعبير !

ولكن ما هو موقفه من الفن التشكيلى في الخليج ؟ ..

انه يرى أنه مازال متعثراً ، لقلة المتاحف ونقص الوعي الفني ونقص النقاد ، وقلة عدد المعارض المقامة سنوياً وهذا يستدعي الاهتمام بكل ذلك ، اضافة الى اهتمام المدارس بالكشف عن المواهب الجديدة وتوفير كافة السبل لرعايتها والعمل على تنميتها ، مع العمل على تنظيم مسابقات تخصص لها جوائز مادية كبيرة ، والاكثار من زيارة كبار الفنانين العرب والعالميين للمنطقة !

ثم لا يبقى إلا أن اقول إن هذا الفنان الذي يعشق الألوان الدافئة ـ وخاصة البنيات ـ يعتبر من أهم رواد الحركة التشكيلية فى البحرين .. فهو عضو مؤسس في جمعية الفن المعاصر بالبحرين، وقد مثل الجمعية في عدة مؤتمرات ولقاءات عربية عادت بالكثير من الخبرة والتجربة على مستوى الفن والثقافة في البحرين ..

يوسف أحمد



هل تعلم

عبد العزيز
السيد المصري

ما درجة حرارة الحيوانات

عندما نتحرك من مكان لآخر قد لا نجد اختلافاً واضحاً فى درجة الحرارة من حولنا ، ولكننا على اية حال لا نتوقع أن تتغير درجة حرارة اجسامنا ذاتها بتغير درجة حرارة المكان .. فذلك لا يحدث . لأننا من فصيلة حيوانية ذات حرارة ثابتة .. وتضم هذه الفصيلة معنا جميع الحيوانات ذات الدماء الحارة ، وجميع الطيور . ولكن هناك حيوانات تتغير درجة حرارة اجسامها بتغير درجة الحرارة من حولها وتنتمى إلى الفصيلة ذات الدماء المتغيرة الحرارة ، وتضم هذه الفصيلة الحشرات والثعابين والسحالى والسلاحف والضفادع والأسماك ، وتميل درجة حرارتها لأن تكون اقل قليلا من درجة حرارة البيئة ، فهى حيوانات ذات دماء باردة . نحن نعلم أن درجة الحرارة العادية لجسم الانسان هى ٦ر٩٨ درجة فهرنهايت ، ولكن هناك تغيرات عادية كثيرة تحدث فى درجة الحرارة فدرجة حرارة الجسم تكون فى اقل مستوى لها حوالى الساعة الرابعة صباحاً ، كما ان درجة حرارة الجلد اقل من درجة الحرارة داخل الجسم ، وتناول الطعام مثلا يرفع درجة الحرارة لمدة ساعة أو ساعتين ، وتحريك العضلات قد يرفع ايضاً درجة حرارة الجسم ، والكحول يخفض درجة الحرارة الداخلية .

اما درجة حرارة اجسام الحيوانات فانها تتراوح بين ٩٦ درجة فى الفيل إلى ١٠٩ درجة فى الطيور الصغيرة ويمكننا أن نصنف الحيوانات حسب درجة حرارة اجسادها كما يلى : فمن ٩٦ درجة إلى ١٠١ درجة حرارة أجسام الانسان والقرد والبغل والجحش والحصان والفار والفيل ومن درجة حرارة ١٠٠ إلى ١٠٣ درجة حرارة البقر والغنم والكلاب والقطط والارانب والخنازير ، ومن درجة حرارة ١٠٤ إلى ١٠٦ فى الدجاج الرومى والوز والبط والبوم والبجع ونسر الجيف ، ومن درجة حرارة ١٠٧ إلى ١٠٩ فى أجساد الدجاج والحمام وعديد من الطيور الصغيرة .

وكما يحافظ الانسان على معدل درجة حرارته ويمنع زيادتها بوسائل مختلفة فان الحيوانات تفعل ذلك بافراز العرق والتى لا تعرق منها تفعل ذلك باللهاث .

من أين جاءت فكرة خاتم الخطبة والزواج؟



من اقدم العادات الشائعة بين البشر جميعا خاتم الخطبة او الزواج ... ولا يدري احد متى بدأت هذه العادة التي نجدها شائعة معروفة حتى في اكثر عصور التاريخ قدماً ...

وقد تكون هذه العادة ذات مصدر فلسفي عريق .. فالخاتم دائرة .. والدائرة رمز الكمال ، وبالنسبة للزواج فانها تمثل الدائرة التي تحيط بحياة الشخص فتبدو كاملة تامة .. فباستطاعتنا ان ننظر الى اي رجل بلا زوجة او اية امراة بلا زوج على أن كلا منهما شخص حياته ناقصة .. وعندما يتزوجان فانهما يكونان وحدة كاملة ... تمثلها دائرة خاتم الزواج .

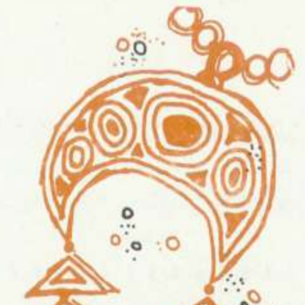
وقد يكون لهذا الخاتم صلة باعتقاد الانسان البدائي في السحر .. فقد كان ذلك الانسان ينسج حبلا او شبكة على وسط المراة التي ارادها .. وكان يعتقد ان طقوس الزواج تجعل روحها تحل في بدنه .. وانها صارت ملكه للأبد

وقد شهدت منطقتنا العربية في مصر بدء ظهور عادة لبس خاتم الخطبة او الزواج .. فان الخاتم في الكتابة الهيروغليفية يعني الخلود .. وكان خاتم الخطبة او الزواج هو رمز الزواج الأبدي .

ثم اخذ المسيحيون يستعملون خاتم الزواج حوالي سنة ٩٠٠ ميلادية .

ولكن بقي سؤال شغل الباحثين في تاريخ هذا الخاتم العريق هو لماذا يضعه الناس عادة في الأصبع الرابع ؟ ... ربما تعلم الناس ذلك من الاغريق الذين كانوا يعتقدون أن عرقاً خاصاً يصل هذا الأصبع بالقلب مباشرة .. ولكن الاحتمال الغالب أن السبب يرجع الى أن استعمالنا لهذا الأصبع اقل في العادة من استعمالنا للأصابع الباقية .. فوضع الخاتم فيه اكثر راحة وأروع زينة . ولعلنا نذكر ما كانت تعلمنا جداتنا ونحن صغار عن وظائف الأصابع وهي تلاعبنا حين تبدأ بالأصبع الصغير وتقول صغير وشاطر الى أن تأتي لهذا الأصبع فتقول لباس الخواتم .

ما الفرق بين الذهب الحقيقي والذهب غير الحقيقي



إذا كنت ممن يبحثون عن المعادن وينقبون عنها فى بطون الجبال .. فان الجواب يساوى الفرق بين الغنى العظيم والفقر المدقع .. فكثيراً ما عثر المنقبون عن الذهب على ما ظنوه ذهباً وطارت بهم الفرحة فى آفاق من احلام الثروة ولكن ما لبثت أن ذهبت الفرحة واحترقت الأحلام حين وجدوا بعد التحليل أن ما بنوا عليه قصور أحلامهم ليس إلا معدناً عرف فيما بعد باسم كبريتور الحديد .. وقد خلط الناس بينه وبين الذهب الحقيقى الذى فى الصخور لأن الذهب الحقيقى يوجد غالباً فى عروق الصوان الشفاف أو فى كتل كبريتور الحديد .. وتقوم الرياح والمياه بتعرية صخور الصوان وكتل الكبريتور فيتحرر ركاز الذهب الذى يكون نقياً تقريباً ثم تجرفه المياه إلى قاع الوادى فيختلط بالرمل والحصى ويسمى فى هذه الحالة الذهب الطميى (وهو الذى يعثر عليه بطريقة التعدين بالغسل) وهذا النوع من الذهب هو أول ما اكتشفه الانسان من الذهب الحقيقى . ويوجد الذهب ايضاً فى خامات المعادن الأخرى فخام الفضة يحتوى غالباً على بعض الذهب وكذلك يتحد الذهب غالباً مع خام النحاس الأحمر .. وحتى ماء البحر يحتوى على نسبة من الذهب ولكنها نسبة صغيرة جداً بالنسبة لكميات المياه الهائلة التى فى البحار والمحيطات .. لذلك لم يحاول احد فصل الذهب من مياه البحر ، ومع ذلك فان مياه المحيطات تحتوى على كمية من الذهب يقدرها العلماء بعشرة آلاف مليون طن تقريباً .. ولعل هذه الكمية الضخمة من الذهب تغرى بعض كيميائيى المستقبل فيعثروا على وسيلة رخيصة يستخلصونه بها من مياه المحيطات والبحار .

الجراح العربي الأندلسي
أبو القاسم خلف الزهراوي
وكتابه في الجراحة

بقلم : الدكتور أمين الطيبي

يعد أبو القاسم خلف الزهراوى رائد علم الجراحة عند العرب فى القرون الوسطى ، كما كان لمصنفاته فى الجراحة أثر كبير فى أوربا حتى القرن الثامن عشر ، حيث عرف باسم البوقاسيس Albucasis المحرفة عن كنيته (ابو القاسم) .

إن المعلومات المتوفرة لدينا عن حياة أبى القاسم الزهراوى ضئيلة ، فهو ينتسب الى مدينة الزهراء التى شيدها الخليفة الأموى عبد الرحمن الثالث (الناصر) على مسافة بضعة كيلومترات غربى قرطبة فى سنة ٣٢٥ هـ / ٩٣٦ م ، وعلى ذلك فان الزهراوى ولد بعد هذه السنة ، وزاول مهنة الطب فى أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادى عشر الميلاديين ، ايام الخليفة الحكم المستنصر وابنه هشام المؤيد . وكان طبيباً متواضعاً زاهداً ، فقد ذكر انه كان يخصص نصف نهاره لمعالجة المرضى مجاناً على سبيل الاحسان . وكانت وفاته ، كما يذكر الحسن الوزان . فى سنة ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م .

يقول ابن أبى أصيبعة إن الزهراوى «كان طبيباً فاضلا خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة ، جيد العلاج ، وله تصانيف مشهورة فى صناعة الطب ... منها (كتاب التصريف لمن عجز عن التاليف) وهو اكبر تصانيفه واشهرها ، وهو كتاب تام فى معناه» .

ويعتبر (كتاب التصريف) هذا بحق موسوعة طبية ، ، وقد ترجم الى اللاتينية وكثر اعتماد الناس عليه فى العصور الوسطى . وهو كتاب شامل عن الطب فى كافة فروعه بحيث لا يحتاج مستعمله الى غيره من الكتب . ويشتمل الكتاب على ثلاثين مقالة تتناول أولاها الأمزجة والأدوية المركبة والتشريح ، وتتناول المقالة الثانية الأمراض وأعراضها وكيفية معالجتها ، وتتناول بقية المقالات المواد الطبية وإعداد الأدوية واستعمالها والاقراص والدهونات واللصقات الخ .. إلا أن أشهر فصول الكتاب المقالة الثلاثون عن الجراحة . وسرعان ما ذاعت شهرة كتاب (الجراحة) فى العالم الاسلامى ، وترجم الكتاب الى اللغة اللاتينية جيرارد الكريمونى فى طليطلة فى أواخر القرن الثالث عشر باسم Chirguria اى علم الجراحة . وكان للكتاب أثر كبير على الجراحين الايطاليين ثم الفرنسيين . وعد بعضهم صاحبه فى مرتبة ابقراط وجالينوس .

إن أول تحقيق لكتاب (الجراحة) . مع ترجمة لاتينية له ، ظهر فى اكسفورد سنة ١٧٧٨ م على يد جون تشاننج Channing إلا أن الترجمة لم تكن دقيقة ، إذ ان تشاننج لم يكن طبيباً ، كما انه اعتمد فى التحقيق على مخطوط واحد للكتاب . وقام الفرنسى لوسين ليكليرك Lucien Leclerc بأول ترجمة لكتاب (الجراحة) الى لغة أوروبية حديثة ، هى الفرنسية ، سنة ١٨٦١ م .

وقد اطلعت فى مكتبة البودليان بجامعة اكسفورد مؤخراً على ترجمة انجليزية حديثة لكتاب (الجراحة) ، تعاون فى إصدارها مستشرق هو ج . ل . لويس G. L. Lewis وطبيب هو م . س . سبينك M. S. Spink ، وصدرت عن مطبعة جامعة كاليفورنيا عام ١٩٧٣ . والكتاب يضم ٨٥٠ صفحة من القطع الكبير ، نشر فيه النص العربى محققاً وفى مقابله الترجمة الانجليزية ، مع مقدمة عن المؤلف والكتاب فى ثمانى صفحات . والكتاب يعتمد على سبع مخطوطات : اربع من

تركيا ، واثنتين من مكتبة البودليان بجامعة اكسفورد ، وواحدة من بطنا فى الهند .

يقول أبو القاسم الزهراوى فى مقدمة كتاب (الجراحة) : «وقد قسمت هذه المقالة على ثلاثة أبواب . الباب الأول فى الكي بالنار والكي بالدواء الحاد ، مبوب مرتب من القرن (أى الرأس) الى القدم ، وصور الآلات وحدائد الكي ، وكل ما يحتاج اليه فى العمل باليد . والباب الثانى فى الشق والبط والفصد والحجامة والجراحات وإخراج السهام ونحو ذلك ، وكله مبوب مرتب وصور الآلات . والباب الثالث فى الجبر والخلع وعلاج الوثى Sprains ونحو ذلك ، مبوب مرتب من القرن الى القدم وصور الآلات» .

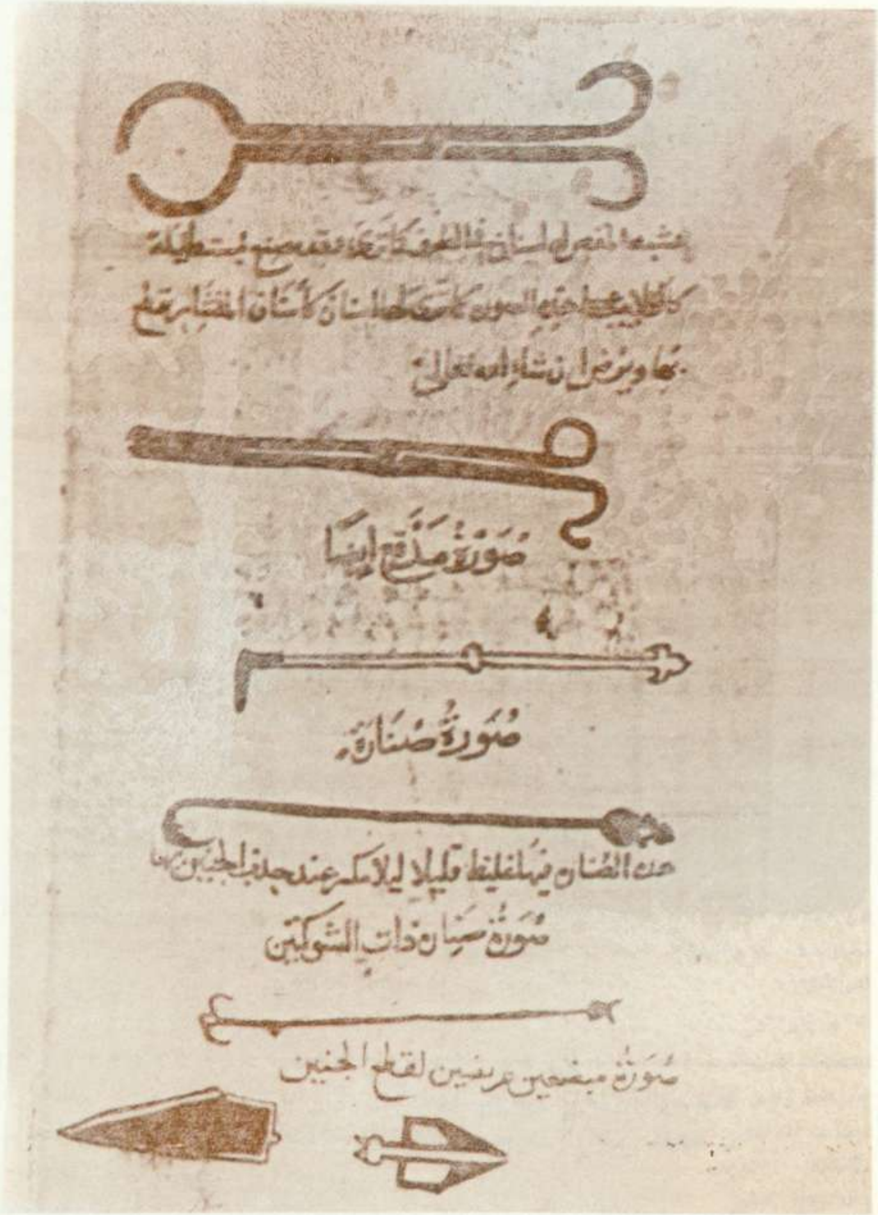
ويرى مترجما الكتاب انه أول كتاب يتناول موضوع الجراحة بشكل يقبله العقل ، مع توضيح بالرسوم . ويقول الزهراوى إنه يستهدف إحياء فن الجراحة كما عرفه الأوائل ، وهو يجل الأوائل كما يفعل عند الحديث عن مجبرى العظام ، مضيفاً الى ما عرفوه حصيلة تجاربه الشخصية . إن الزهراوى يصف عمليات جراحية وأدوات لا تظهر فى ما وصلنا من الكتب الطبية القديمة ، وعلى ذلك فانه يمكن اعتبارها من ابتكاره ، أو انها من أصل عربى .

إن كتاب (الجراحة) كان أهم وأشهر كتاب فى تاريخ الطب كله فى العصر الوسيط ، وصاحبه أول مؤلف جعل الجراحة علماً قائماً بذاته ، مستقلا عن الطب ، قائماً على أساس علم التشريح .

إن الزهراوى يطالب الجراحين بالشىء الكثير حين يقول إن علم الطب علم طويل ، وان على الطبيب قبل أن يزاول مهنته ان يتدرب فى التشريح ، كما وصفه جالينوس ، لكي يكون على معرفة تامة بالأعضاء وأعمالها وأشكالها وأمزجتها ، وكذلك بكيفية ارتباطها بعضها ببعض ، كما ينبغى أن يكون مطلعاً تماماً على العظام والأوتار والعضلات وأعدادها وارتباطها بعضها ببعض ، وكذلك الشرايين والأوعية الدموية وما يتصل بها . وعلى ذلك فان الجراحة التى كانت الى عهد أبى القاسم الزهراوى مهنة يمارسها الحجامون والحلاقون أصبحت بفضله علماً ذا صلة وثيقة بالطب .

إن من بين ما استحدثه الزهراوى فى الجراحة والعمليات الجراحية ربط الشرايين بخيوط الحرير . كما ابتكر آلات دقيقة جداً لانسداد فتحة البول الخارجية عند الأطفال الحديثى الولادة ، من مشارط وموسعات ، وابتكر حقناً مختلفة لغسيل المثانة ، كما وصف مختلف جراحات استخراج الحصوات .

د. أمين الطيبى



بعض الأدوات الجراحية التى استعملها أبو القاسم الزهراوى فى العمليات الجراحية

مصادر البحث ومراجعه :

ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، بيروت ١٩٦٥ .

آنخل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسى ، نقله عن الاسبانية حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥٥ .

مرسى محمد عرب : لمحات عن التراث الطبى العربى الاسكندرية ١٩٧٥ .

Albucasis, **On Surgery and Instruments**, ed. and tr. into English by G. L. Lewis and M. S. Spink, Univ. of California Press, 1973.

Ullmann, Manfred, **Islamic Medicine**, Edinburgh 1978.

يوسف إدريس يتحدث إلى
الدوحة بصوت عالٍ

الإنسان في عالمنا بائس جدًا لأنه ليس مطلوبًا منه أن يفكر!

أجرت الحوار: فوزية رشيد



د. يوسف ادريس

يتفرد د. يوسف ادريس ككاتب بانه مارس الابداع فى مدى واسع من الزمان والوسائط الأدبية المتصلة فيما بينها باكثر من وشيجة: فهو قاص وروائى ومسرحى وكاتب مقالة .. الامر الذى يضفي على اي حوار معه تنوعا وثراء وجدة.

وهو فى هذا الحوار الذى خص به «الدوحة» يتناول جدواه كاديب، ودور الكتابة، وما يرتبط بالتحديث فى الأشكال الأدبية ان قصرت على التكنيك وحده من تغريب للقارىء وللكتابة، ووسائل اخرى متعلقة بواقع الأدب والثقافة والتعليم والاعلام فى العالم العربى ..

● انطلاقا من واقع الانسان العربى أمام هذا الكم الهائل من التناقضات الموجودة .. ما هى التوليفة النفسية الخاصة ليوسف إدريس تجاه ما يحدث ؟!

– هى توليفة نفسية اخذت وقتا طويلا جداً لكى أتقنها وأنضجها. أنا دخلت الأدب من قلب الحركة الوطنية وليس عن طريق القراءات فى كلية الادب مثلا ... كنت من زعماء الجامعة ومن زعماء الكفاح المسلح والحركة الوطنية من عام ١٩٤٦ الى عام ١٩٥٢ أيام الثورة، وثم اعتقلت، فلم يكن هناك اهتمام سياسى إنما اهتمام بالوطنية مستمر ولازال موجوداً. وكان لي شعار أن الكتابة هى وسيلة لتنبيه البطولة فى الانسان، ولهذا اتخذت شعار أن الذى لديه كلمة طيبة فليقلها والذى ليس عنده فليصمت لأننا لسنا بحاجة الى كلمات تحبطنا، فنحن محاطون باحباط الواقع الموجود والأحداث والمشاكل الموجودة.

وليس معنى قول (تنبيه البطولة فى الانسان العربى) أن أكتب أدب شعارات أو أدب بطولات خارقة! البطولة هى الشعور البطولى ... الشعور النبيل الذى فعلا يصنع بشرية راقية وإنساناً عربياً راقياً ... لأننا كعرب يكفينا تفاخراً بأنفسنا وباننا شعب كذا وكذا وأمجاد وبطولات الماضى. نحن لدينا عيوب كثيرة جداً على المستوى الفردى وعلى المستوى الجماعى ويمكن على المستوى الجماعى أكثر مما هو على

المستوى الفردى ، لذلك فنحن بحاجة الى تنبيه الأجهزة الحساسة . ليست الكتابة عن الاحباطات بطريقة الرسائل الى الذات التى هى موجودة فى معظم الشعر العربى كلها رسائل للذات وحتى عند مهاجمة أو تعرية أوضاع يبقى الموقف من الأوضاع ضعيفاً أو أن الأوضاع أقوى منهم ، فى حين أنه ككاتب أو كشاعر يجب أن يكون سليماً أولا حتى يستطيع أن يمثل السلامة أو الصحة فى المجتمع . ولكن لأن كثيراً جداً من الكتاب يكتبون عن عجز على المستوى الذاتى أو عن خيبة أو فشل فى الحياة فكتاباتهم تعطى مفعولا محبطاً وبالتالى تصبح عبئاً على القارىء أكثر مما تساعده . الكتابات الجديدة ذاتية أكثر مما يجب وهذا نوع (محترم وكويس) ولكن الانسان العربى فى هذه الفترة بحاجة الى المشاركة أكثر منه الى الاعتراف لأننا إذا أخذنا كلنا نعترف فسندخل فى دوامة رهيبة ، فمشاكلنا كثيرة جداً على المستوى الشخصى وعلى المستوى العام فالكتابة التى يحتاجها الشعب العربى فى هذه الفترة هى كتابة المشاركة يعنى أن يكون لدى الواحد ما يشارك به مع الآخرين ، فما كان يساعد هذا وينضجه أن تكون هناك حركة نقدية ناضجة جداً تأخذ مما لدينا من البذور الطيبة والناضجة والنادرة وتمحصها وتجعل منها الصوت المسموع فى الحركة الأدبية فى الوطن العربى ولكن مع الأسف ليس لدينا حركة نقدية ناضجة الى الآن !

● قلت فى سياق حديثك اننا بحاجة الى تنبيه البطولة فى إنساننا والى كتابة المشاركة فهل قصدت الدخول الى ما يحيط هذا الانسان العربى من إحباطات والخروج بشىء مضىء . أى بمعنى آخر مسك الخيط المضىء فى نفسية الانسان دون الدخول فى الاحباط الى القاع ؟!

ـ هذه النقطة دقيقة ومهم جداً شرحها . فليس معنى الجزء الايجابى أو الايجابية أو البطولة أو الصحة هو افتعال شىء أو وضع حلول من عند الكاتب .. حلول طفولية ... لا ... هناك بطولة موجودة فى الحياة ، من خلال حركة الحياة ذاتها وحركة النماذج . وتفاعلها بما يحيطها ... هناك فى كثير من الأحيان قصص وروايات تعالج نماذج من الحياة وقصصاً واقعية ، ولكنها تنتهى دائماً مفبركة تكرس سلبيات معينة ، رغم أن أمثال تلك النماذج فى الحياة ربما تكون أكثر إيجابية فى مواجهتها لما يحيطها ولظروف حياتها ... هذه الايجابية هى التى أقصدها وهى الجانب الطيب والمضىء فى الانسان ، فليس الانسان فقط ضحية يرثى لنفسه ويعيش العجز . أنا مثلا أسمى فشلى نجاحاً أو تجربة نجاح مؤجلة ، فما أفشل فيه اليوم قد أنجح فيه فيما بعد .

● يوسف إدريس كاحد أهم الأصوات المبدعة فى فن القصة القصيرة فى الوطن العربى .. ماذا تعنى بالنسبة لك القصة القصيرة وما هى الفنية المطلوبة التى تعتقد أنك استطعت أن تمسكها فى كتابتك القصصية ؟!

ـ أنا لست افضل من يجيد التكلم عن كتابته . فى الواقع أنا لا أعرف كيف أكتب أو كيف اختار . هناك باستمرار بعد غير مدرك فى الكتابة أو غير واع ، وهذا هو البعد الأساسى لدى الكاتب وهو محتواه الانسانى غير الواعى والذى يبادل به نفسه من خلال كتابته . من الجائز أن لا يكون فى وعيه التام أو أن لا يكون محدداً لهدفه بالضبط ، أى أن أكتب لكى أعمل كذا وكذا أو أصور وأقول كذا ... هذا يكون أقل الأبعاد بروزاً ، إنما البعد الغير واعى أو البعد الكونى نستطيع أن نسميه «البعد الأساسى فى الكتابة» وهذا بعد لا يمكن التحدث عنه إلا بعد فترة طويلة وبعد تناول النقاد له وبعد مناقشات لكى يعرف الكاتب الأبعاد التى ينطلق منها فى الكتابة الشىء الثانى أن لدي اعتراضاً صغيراً على مسألة أننى أعلى الأصوات فى كتابة القصة القصيرة ، ربما لأننى لا أحاول أن أكتب قصة ولا قصة قصيرة ! لأن دعوتى فى القصة القصيرة أنه هو الشىء الذى تقرأه ولا تحس أنه قصة ولا تحس أنه قصيرة ... فالمسألة ليست بالحجم أو بالنوع ، المسألة هى رؤية أو تجسيد لعالم خفي يراه الكاتب ثم يضع جزءاً منه أو يضعه كله فى سطور قليلة ، فالموضوع ليس موضوع قصر أو طول ، وليس موضوع حرفة أيضاً ، أى أن يكون متمرناً على كتابة القصة القصيرة . ولا موضوع تكثيف أو تركيز . وإنما هو موضوع القدرة على تلك الكتابة أو الموهبة لأننى فعلا لا أكتب قصة ولا أكتب قصة قصيرة ! أنا أكتب أشياء معينة لا أعرف ما هى ، يسمونها قصة قصيرة ! إنما هى أشياء أشعر بها تماماً وتصبح حقيقة بالنسبة لي أكثر من الحقيقة فأكتبها . وهذا اختبار للحقيقة وليس للواقع مع أن هناك بعض الناس تتصور أننى أكتب عن الواقع !

● هل تقصد أن ما تكتبه يعتبر قمة الالتحام بالفن ذاته والذى يجسد الحقيقة التى أنت تراها ؟!

ـ أقصد الالتحام بالعالم الداخلى أو النظرة التى أرى بها العالم .

● كلامك هذا يدفعنى الى أن استوضح رأيك فى التيارات أو الاتجاهات الأدبية السائدة فى الأدب ؟

ـ أنا عندى **مقياس** واحد لنشر القصص ! ... عندى قصص لم أنشرها ، وهناك قصص بقيت لدى أكثر من ١٥ عاماً ، لأن المقياس عندى واحد وهو يقول ان هذه قصص تهم القارىء وهذه قصص لا تهم القارىء ، وهل هذه قصص ذات جدوى فى نشرها أو لا . وليس مهماً أن أبدو كاتباً فى نظر القارىء ، ولكن المهم أو السؤال الذى يصبح ملحاً عندى هل هى مفيدة للقارىء قبل أن تكون مفيدة لدي ككاتب . يمكن هذا هو المقياس !

● الاتجاهات ... ماذا عنها ؟!

ـ أما بالنسبة مثلا للاتجاهات الموجودة أو التحديث فى الأدب كجزء أكثر خصوصية ... فهناك محاولات جيدة جداً ولكنه للأسف كثير منها انعكاس للتحديث الحادث فى أوربا فتكون النتيجة أنه عندما يحدث تحديث يحدث تغريب ! يعنى أن يصبح القارىء غريباً عن القصة أو القصة غريبة عن القارىء . وإذا كان لي أن أتحدث عن فن القصة بشكل عام وليس عما أكتبه أنا ، فأنا أعتقد أن المحور الأساسى لمحاولة القصة القصيرة **هو**، كيف يقبض الانسان على الجزء الذى يصنع منه الكل ، بمعنى أن ليس كل جزء يكون قابلا للكتابة عنه ، وإنما أنا آخذ واحدة من خلايا الجسم البشرى أو آخذ موقفاً واحداً ولكن من خلال هذا الجزء أو الجزيىء يتجسد كل معين . فالموضوع فى القصة القصيرة هو أهم شىء وليس التكنيك ، لأن التكنيك يصبح نتيجة من نتائج اختيار الموضوع . ولكن فى بعض الأحيان يصبح العكس هو السائد فيقول أحدهم أنا ساختار لأكتب بالعامية مثلا لكى يصبح هذا تكنيكاً جديد ! الفكرة أن الموضوع ربما لا **يكون** شيئاً مهماً بالنسبة له لأنه حتى لو اختار موضوعاً مهماً واحدث له تكنيكاً جديداً مهما يكن وبأى لغة تكون فيصبح مهماً لدى القارىء ، فالأساس ليس فقط فى القصة وإنما فى القصة أو الرواية أو المسرحية أو السينما أو المقالة ... الأساسى فى كل هذا هو الموضوع .. هل هناك موضوع يستحق

يوسف إدريس يتحدث إلى الدوحة بصوت عال

أن يجند الكاتب نفسه لكي يكتبه ويجند القارىء نفسه لكى يقرأه وتجند المطابع نفسها لنشر مثل هذه الكتابة ؟! من المفترض لدي أن يكون مقياس كتابة القصة القصيرة هو مشكلة حياة أو موت ! هل هذه مشكلة حياة أو موت أم لا ؟ إذا لم تكن كذلك فلا داعي لكتابتها ! لأن هناك أيضاً بعض الناس تعتبر الكتابة بديلا عن الفعل أو بديلا عن العمل فقط ... لا ... الكتابة فعل والكتابة عمل ! يعنى أن أكون خائفاً من أن أستشهد ثم أكتب قصة عن شهيد ! هذه لن تخرج قصة عن شهيد لأنها ستخرج قصة مصطنعة . إذا لم أكن أنا أشعر أو أحس وأنا أكتب مثل هذه القصة باحساس الشهيد وهو مقدم على عملية انتحارية فعلا أى أنه يعرف انه سيموت وهو مقدر لهذا وشحن نفسه بالانفعال النفسى الكافى للاقدام على هذا العمل ... طبعاً بدون هذا تكون الصورة مصطنعة . فالكتابة سواء كانت شعراً أو قصة أو رواية ليست بديلا عن الفعل ولا هى (بدل فعل) وإنما هى فعل ويجب أن تكون كذلك وعودة للرد على سؤالك ومن جانب اخر اقول مثلا ان التحديث فى الغرب أصيل وجاء ليعبر عن أزمات مجتمع حديث تجاوز أزمات مثل الجهل أو الجوع المادى أو العاطفى أو النفسى .. تجاوز هذا الى الوفرة . فياتى إذاً لكى ينمنم الحياة بالطريقة الحديثة وهذا يعبر عن احتياج فى المجتمع الغربى وبذلك هو بحاجة الى التحديث الذى أصبح مفرطاً فيه لديهم أيضاً ... ولكن نحن قضايانا الأساسية لم تحل فكيف ناتى لكى نستعير أشكالا لا تعبر عن قضايانا . هذا يكون مثل امراة لا تجد رداء يسترها أو يستر عورتها وتريد أن تذهب الى الكوافير لكى يصفف شعرها ! وهذا رأى ليس تقليدياً وإنما هو أيضاً رأى حديث ودعوة الى التحديث وإنما تحديث فى الموضوع ، لأن الموضوع الذى نطرقه ويخص العالم العربى يشمل مواضيع حديثة حتى على المجتمع العالمى ، بدليل انها تترجم وتنشر هناك ويقرأونها بشغف شديد جداً ويعتبرون أن القصة القصيرة فى العالم العربى مزدهره !

اذا كان تشيكوف أو موباسان أو غيرهم اشتهروا بأنهم كتبوا موضوعين او ثلاثة كانت حديثة على الأدب الأوروبى الفرنسى أو الانجليزى مثل قصة تشيكوف عن الرجل (العربجى) سائق العربة الذى لم يجد أحداً يحدثه عن موت ابنه فاخذ يحدث الحصان فنحن قدمنا الى الأدب العالمى مئات من المواضيع الحديثة جداً عليه ، وحتى بالنسبة لنا نحن فهذا هو التحديث الحقيقى ، التحديث فى الموضوع ، والشكل يأتى ليكون جزءاً مكملا له . كان لدى مثلا قصة قصيرة عن طفلة (خدامه) تحمل صينية فواكه وتعبر الشارع وهى من أوائل القصص التى كتبتها .. هذه القصة وجدتها ترجمت الى الروسية والأمريكية وأصبحت تدرس فى الجامعات لديهم فى الوقت الذى ليس لديهم أطفال يعملون خدامين ! ولكن لأن الموضوع كان صادقاً وجديداً فهم يقرأونـه ويهتمون به .. فلو مثلا اهتممت بالتكنيك الجديد فى وصف هذه الخدامة وهى تعبر الشـارع ، وبالشكل دون الاهتمـام بمشـاعرها وهواجسـهـا النفسية .. لم تجد من يشعر بها أو يهتم بها !

● ما هو موضع النقد بالنسبة للحركة الأدبية فى مصر أو فى الوطن العربى .. ثم ما هى حدود أزمة النقد فى تصورك ؟!

– الأدب بشكل عام قد تراجع دوره القيادى فى العالم العربى ، الأدب لايقود العالم العربى ولا يقود الانسان العربى . الذى يقود هو الاعلام . وسائل التليفزيون والراديو والسينما والتى هى وسائل غير علمية وغير جادة . ثم أن الفكر العربى حالياً فكر مشتت ومهلهل وموزع بين حروب فكرية صغيرة جداً وتافهة .. من ملك القصة القصيرة ومن ملك الرواية .. ومن أمير الشعراء الى آخر هذا الكلام والتقييم السقيم غير المجدى . والمفكرون أو النقاد لايقدرون حجم المسؤولية الخطيرة الملقاة على عاتق الكاتب أو الشاعر فى هذه الفترة الحرجة وبالتالى فهذا جزء من الهلهلة السياسية الموجودة فى العالم العربى . فنحن محكومون بنفس الأوضاع التى تحكمنا سياسيا وأدبيا وفكريا . وأقول إن لهذا الجانب السيء جانبا حسناً وهو انه من هذا الركام ستنشأ قيم وأفكار جديدة شجاعة جديدة وبعقل أكثر استنارة بكثير لأنه بصراحة فان الواقع الموجود حاليا وعلى الصعيد الذى يراه الانسان بوضوح هكذا لايوجد أي أمل ! إنما الأمل موجود فيما هو غير مرئي . وطبعاً بجانب القيادات المخلصة لابد من وجود حركة فكرية وثقافية وفنية مخلصة أيضاً من أجل أن تستطيع أن تنقذ الشعب من ترهلاته الكثيرة ومن ظروفه السيئة .

● رأيك فى القصة القصيرة فى مصر ؟

– هناك ازدهار كمي وكيفي الى حد ما ... ولكن أيضاً القمة النامية فى القصة القصيرة يجب أن تكون تجاه اختيار مواضيع جديدة واكتشاف الواقع العربى واكتشاف النفس الانسانية العربية والمصرية وهو اكتشاف لا يقل أهمية أو خطورة عن أى اكتشاف علمى . نحن نريد مكتشفين فى هذه النفس وليس كتاباً فقط . مكتشفين يكتشفون لنا أنفسنا ونفسياتنا ويحدثونا عنها . ولكن للأسف لدينا عدد كبير جداً من الكتاب ولكن الكثير منهم يفتقر الى هذا العنصر الهام فى الكتابة .

● سبق وأن طرحت فقر الفكر وفكر الفقر كتعبير بديل عن أزمة الفكر وفكر الأزمة ... كيف يتجسد تعبيرك هذا بالنسبة للثقافة والأدب فى الوطن العربى ؟

– أولا أنا حددت الفقر بأنه ليس فقراً مادياً ... العالم العربى لا يعانى الفقر المادى بالشكل الموجود مثلا فى الهند أو بعض دول جنوب شرق آسيا . ولكن فى تلك الدول رغم فقرها المادى حياة روحية عالية جـداً التفكير الديني والانساني لدينا كان تفكيراً خلاقاً وتفكيراً به اجتهـادات خطيرة جداً ومهمة لدرجة أن الغرب المسيحى كان يترجم ويدرس ابن سينا وابن رشد وغيرهم كأساتذة كبار ولكن النتيجة أن لدينا تفكيراً فقيراً ونتيجة هذا أيضاً فقر فكرى ... وهناك دائرة متصلة ... الغنى الفكرى يؤدى الى غنى حضارى وغنى روحى فى الانسان نفسه ... فالانسان عندنا فقير ، فقير فكرياً .

● من خلال ما قرأت لك فى نفس الموضوع يتضح لي أنك أرجعت هذا الفقر الفكرى لسبب افتقاد الديمقراطية فى العالم العربى ؟!

– أجل .. لحد كبير وليس فى ذلك شك . هناك علاقة جدلية وهى أن الديمقراطية تحتم أن يكون للانسان رأي فيضطر المواطن فى دولة ديمقراطية مثلا أن يقرأ لكى يكون له رأى . فاذا كان فى العالم الغربى يضطر أن يختار المواطن بين مسز (تاتشر) مثلا وبين مرشح آخر لحزب العمال فانه يضطر بالنتيجة أن يقرأ لكى يعرف الفرق بين حزب العمال وحزب المحافظين ويضطر أن يقرأ فى فلسفة الاصلاح وتاريخ نقابات العمال فى انجلترا ، وبالنسبة لحزب المحافظين يضطر أن يقرأ فى تاريخ الامبراطورية البريطانية . وإذا كان ناخبا

يريد أن يروج لرأيه فانه يضطر أن يتسلح بالرأى والاطلاع ... والمرشح أيضاً يضطر لذلك لكى يدافع عن آرائه فى المجالس التى يرشح نفسه لها والكاتب الصحفى الذى يعمل فى جريدة ما ولديه حرية الكلمة لكى لا يصبح جاهلا ويدلى بآراء عشوائية يضطر أن يطلع أيضا باتساع . إذاً فأساس الفقر الفكرى لدينا هو الفقر الديمقراطى الذى نعانيه بالضرورة

● أى أنه من جانب آخر مكمل لما قلته ان ما تعانيه الثقافة العربية بشكل أكثر خصوصية من اختناق هو نتيجة انعدام المناخ الديمقراطى الملائم لتفتح الثقافة .

ـ هذا صحيح .. ولو أردنا تخصيصاً أكثر كمثال ... فلنمسك مثلا حياة أسرة عربية ... ماذا تفعل ؟ تفكيرها منصب بالدرجة الأولى فى أن توفر لنفسها أول بديهات الوجود الانسانى وهو البحث عن اللقمة ... أى أن تأكل لتمسك الجوع ... ولكن ثم ماذا ؟ هل هذه حياة روحية ؟! لنقارن ذلك بحياة أسر تتواجد فى أجواء أكثر إنسانية من أجوائنا ، يصبح الغذاء هامشياً ويمثل الاستمتاع بالحياة الفكرية والترفيهية والثقافية نطاقاً أكبر . إذاً بالنسبة لنا فلازلنا لم نخرج عن إطار الحياة الحيوانية ! لدينا مثلا لا توجد أسر تخطط لكى تذهب الى مسرح ما ، فيضطر المسرح أن يقدم شيئاً جيداً يرضى مشاهديه أو رواده المنتظمين ، المسرح لدينا أصبح ذا مستوى رديء وانخفض مستواه حتى الى أيام ما قبل شكسبير مثلا ، والذى كان يعرض هناك قبل ٥٠٠ عام . فاذا عرض اليوم شكسبير عندنا فانه لا يجد جمهوراً ! لماذا ؟ لأنه أرفع ثقافياً من مستوى المسرح المعروف حالياً لدينا فى البلاد العربية والذى اعتادته الأغلبية .. وأرفع من مستوى المسلسلات التليفزيونية (موضة الثقافة اليوم) ! فحياة الأسرة المتوسطة أو العاملة أو حتى الغنية فى البلاد العربية حياة فقيرة جداً .

● من جانب آخر هذا راجع الى عدم وجود الوعى الكافى وبسبب انشغال الناس بما هو معمم وما هو موجود فى الواقع ذاته من أوجه قصور كثيرة مما لا يتيح أن يكون هناك مجال للانسان لكى يفكر فيما حوله من مصادر للجمال أو حتى أن يفكر فى الغاية من وجوده فى هذه الحياة ، وبالتالى أن يفكر فى الفن أو فى الأمور التى تجعله بالفعل إنساناً مفكراً ومتذوقاً للفكر والثقافة والفن .

ـ الانسان فى عالمنا بائس جداً ! لأنه ليس مطلوباً منه أن يفكر ! ليس مطلوباً منه أن يفكر فى مشاكله لأن القوانين هى التى تضع الحلول لمشاكله حسب ما تراه ! وليس مطلوباً منه حتى أن يفكر فى اختيار طريقة تعليم أولاده لأن التعليم موجود وهو لا يختاره أيضاً ! وهذا التعليم فى النهاية يجعل الانسان باختصار غير متعلم لأنه لدينا نمط واحد من التعليم يخرج أناساً جهلة وليسوا متعلمين ! حتى عندما يأتى إنساننا لكى يختار كلية من الكليات فليس المطلوب منه أن يفكر لأن الكمبيوتر يدخله الكلية حسب درجات المتقدم ! فالعقل غير مستخدم فى كل أدوار الحياة ! ولكل أفراد الأسرة أطفالا كانوا أم كباراً !

● رأيك فى الثقافة المصرية فى السنوات الأخيرة ؟

ـ حدثت أزمة خطيرة فى الثقافة المصرية فى السنوات الأخيرة بعد فترة عبد الناصر وجذورها كانت موجودة حتى منذ أيام عبد الناصر لأنه مع الأسف حدث صدام بين الثورة المصرية والمثقفين ! هو صدام كانت الخاسرة فيه الثورة المصرية نفسها لأنها لم تثقف الشعب أو تعطيه ثورة ثقافية راسخة الجذور فكانت النتيجة **انه عندما انتهت الحقبة الثورية لم يكن لدى الشعب المحصول الثقافى** الذى يكفيه لكى يستمر فى معركته ويدافع عن الفكر المستنير ، فكانت النتيجة أيضاً أنه بمثل ما أعطي أخذ منه بدون مقابل وبدون تجذير ! لا جذور شعبية ولا حزباً قوياً يحمل أفكاراً جديدة ليس فقط بالنسبة لمصر وإنما بالنسبة للعالم العربى كله ، ووجهات نظر مختلفة حتى بالنسبة لوجهة نظرنا فى حل قضية قومية وهى القضية الفلسطينية فهى تنحصر فى فكرة واحدة أو فكرتين ولا توجد أفكار أخرى جديدة حول الموضوع ، ولم نضع لأنفسنا فكراً اجتماعياً عربياً خاصاً يستطيع أن يستوعب ما نواجهه ويحل المعادلة الاجتماعية العربية .

● تقول اننا بحاجة الى فكر اجتماعى عربى خاص خارج التجارب الفكرية الانسانية السابقة . هل تعتقد أن الواقع العربى حاليا مؤهل لذلك ؟

ـ يعنى نسبة طلبة الجامعة وخريجى الجامعة بالنسبة لعدد السكان فى البلاد العربية تعتبر من أعلى النسب فى العالم ! عندنا نسبة تعليم (عالي) كبيرة جداً وفى نفس الوقت لدينا نسبة أمية عالية جداً ! أوربا مثلا النسب فيها متوازية . لا يوجد هذا العدد الضخم من خريجى الجامعات ولا يوجد بها أيضاً عدد ضخم من الأميين وإنما هناك متوسطو الثقافة وعلى مستوى ثقافى جيد وهم الذين يملأون المجتمع هناك . فخريجو الجامعات لدينا ليسوا بمستوى الخريجين وإنما هم يمثلون التعليم المتوسط أو الثقافة المتوسطة . ونوعية التعليم وأسلوب التعليم يلعبان دوراً هاماً فى سبب ذلك ، فلازال لدينا بقايا من بقايا التعليم الحقيقى والذى كان موجوداً فى البلاد العربية والذى كان يعتمد التعليم الأوربى الانجليزى والفرنسى . وهؤلاء هم بقايا البقايا الذين لايزالون يصنعون لنا الشكل الحضارى الموجود لدينا . بعد هؤلاء لا يوجد شىء ! لأن حاليا المثقف العربى عندما يتثقف يهاجر ولا يبقى فى البلاد العربية أبداً .

● هذا يفيدنا بأن الفكر العربى هو فكر غير مبدع تجاه ما يحدث فى واقعه وتجاه الزخم الموجود فيه من قضايا مصيرية لأسباب موضوعية أشرت الى جزء منها . فى اعتقادك هل هناك من أسباب أخرى ومدى صحة تلك الظاهرة ؟

ـ يجب أن نلاحظ أن ليس سبب الأشياء جميعها هو المواطن العربى . السبب أيضاً أننا فى منطقة يعيش عليها شعب من أفقر الشعوب كما اتفقنا على نوعية ذلك الفقر . هذا الشعب يعيش فوق أغنى كنز اكتشفته البشرية . فالاستعمار والقوى العظمى التى تريد أن تستغل تلك الثروات تعمل على إضعاف مثل هذا الشعب وإفقاره فكرياً بكافة الوسائل ليظل معتمداً عليه ومطواعاً له ولا يشجع أى فكر مستقل . ولهذا أنا أقول لأصدقائى العرب الكثيرين إن الخلاف الواقع بين مصر وبين البلاد العربية ليس من صنع مصر ولا البلاد العربية ، وإنما مخطط له ومرسوم من أجل حرمان العرب من إيجاد كيان فكرى مستقل كانت مصر قد بدأته . المشكلة فكرية أساساً . المشكلة هى تجزئة العقل العربى بدءاً بمصر تمهيداً لتجزئة العالم العربى الى سورى ولبنانى وعراقى وبحرينى وليبى الخ . ليس تجزئة بالحدود وإنما تجزئة الروح العربية ذاتها وتحطيم فكرة القومية العربية .

فوزيـة رشيد

● الطبيعة هي أحسن طبيب في العالم ●

عصير الخضروات والفاكهة

قيمتها الطبية وتأثيرها على الميكروبات

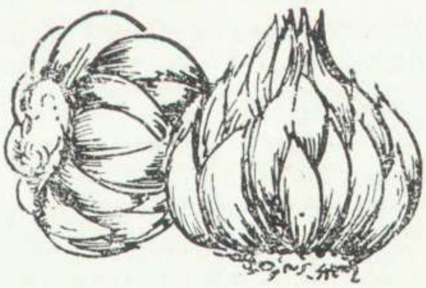
■ عصير الثوم ■ عصير البصل ■ عصير الكرنب ■ عصير الليمون

بقلم : الدكتور عز الدين فراج

قديماً لم يكن للناس علم بالمطهرات فكانوا يستعملون البصل والثوم فى علاج الجروح وتطهيرها .

وقد ذكر ابن البيطار الثوم فقال :

« الثوم مدر للبول وطارد للدود ، وانه اذا خلط بالملح والزيت ابرأ البثور واذا خلط بالعسل والبورق ابرأ حب الشباب وقروح الرأس والبهق والجرب المتقرح » .



وفى عام ١٩٢٧ قام الدكتور كوك والدكتور جبريل من أطباء مستشفي بادنجتون بانجلترا بتجربة استطاعا فيها معالجة خمسين جرحاً متقيحاً بغسيلها بمحلول مؤلف من جزء واحد من عصير الثوم وأربعة اجزاء من الماء المقطر . ولم ينقض على هذا الغسيل يوم واحد حتى زال ما بهما من تقيح وشفيت جميعها .

ثم اجرى الدكتور توكين بعد ذلك ومعه بعض الأطباء الروس تجاربهم فى هذا الصدد فكشفوا أن مستحضرات البصل والثوم وبعض الخضروات الأخرى ذوات الروائح النفاذة ، تقتل بعض الميكروبات وكثيراً من بويضات بعض الديدان .

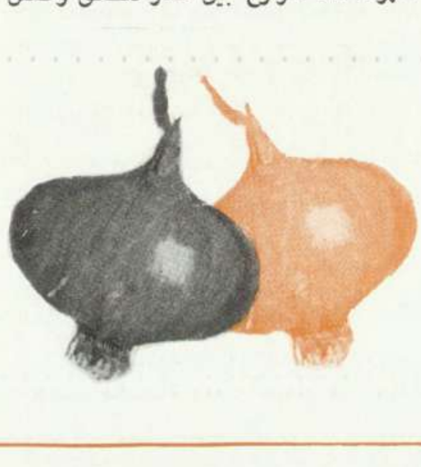
وقد عرف كثير من العلماء هذه الحقائق عندما وجدوا أن مزارع الميكروبات قد أصبحت خالية من ميكروباتها فقد ماتت عن اخرها عندما تعرضت لعصارة البصل ، ووجدوا أن اكثر الميكروبات تأثيراً هى الميكروبات العنقودية التى تسبب الجروح المتقيحة والدمامل والخراجات ، والميكروبات السبحية التى قد يسبب بعضها التهابات اللوز والزور .

ولأبخرة البصل والثوم نفس التأثير الناتج من عصيرها ، فقد ثبت أن ميكروبى الدفتريا والدوسنتريا الباسيلية تموت بعد ٥ دقائق من تعرضها للمواد الطيارة المنبعثة من البصل والثوم . وقد استعملت أبخرة البصل فى علاج الجروح فى مستشفيات روسيا واتت بأحسن النتائج .

وكانت الطريقة هى أن يؤتى ببصلتين كبيرتين لبشرهما ووضعهما فى وعاء زجاجى ثم توضع فوهة الوعاء على الجرح على أن لا يمس البصل الجرح ، بل يكتفى أن يتعرض الجرح للأبخرة الصاعدة من البصل . وبعد عشرة دقائق ، يرفع الوعاء ، ثم يربط الجرح برباط معقم جاف حتى يندمل .

وقد ثبت أن مضغ الانسان للبصل أو الثوم مدة ثلاث دقائق يعد كافياً لقتل جميع الميكروبات التى قد تكون بالفم إلى حد التعقيم .

وإذا كونت عجينة من البصل وعرضت للهواء مدة تتراوح بين عشر دقائق وخمس



عشرة دقيقة فانها تفقد قوتها الفعالة فى قتل الميكروبات ولهذا أثبتت التجارب انه لابد من صنع الأدوية التى يدخل فيها عصير البصل قبل استعمالها مباشرة .

وقد قرأت مقالا فى مجلة كل شىء العلمية الفرنسية عام ١٩٣٧ لطبيب عالمى (جورج لوكوفسكى) تناول فيه أهمية البصل وعصيره فقال :

● يكثر المعمرون فى البلدان التى يكثر فيها أكل البصل وان مرض السرطان غير معروف ولاسيما فى بلاد بلغاريا حيث فيه عدد وفير من الشيوخ الذين تجاوزوا المائة سنة . وقد عزى الناس ذلك إلى أكل اللبن الزبادى ، ولكن أرد على ذلك بأن أهل قلقاسيا وبعض جهات روسيا يأكلون اللبن الزبادى بكثرة ، ولا يبلغون مع ذلك هذا العمر المديد .

ولكن امتداد العمر بأهل بلغاريا يعزى فى رأيى الى تناولهم مقادير كبيرة من البصل النيىء والخضروات الطازجة . أما اللحوم فلا يتناولونها إلا يوم الأحد .

وقد وجد أن لعصير الكرنب (الملفوف) تأثيراً فى قتل بعض أنواع الميكروبات إلا أن قوة تأثيره تختلف باختلاف الصنف . وقد ثبت أن عصير الكرنب تتأثر خصائصه بالحرارة على نقيض عصير البصل الذى لا يتأثر بالحرارة الا قليلا .

وفيما يلى اسماء البكتريا التى تتأثر بعصير الكرنب .

اسكربكيا كولاى .
ستافلوكوكوس .
أكروموباكتر .
ملافوبكتيريوم .

وعرف الاقدمون فائدة البصل الطبية ، وعدد العالم الطبيعى القديم « بلاينى » ثمانية وعشرين مرضاً يساعد البصل على شفائها .



وقد اتفق الطب الحديث مع الأقدمين فى فائدة البصل الطبية ، فلو انك مضغت قطعة من البصل لمدة دقيقة واحدة لكان هذا كافياً لقتل الجراثيم والبكتيريا التى قد تكون فى الفم ويصبح الفم معقماً كأفضل ما يكون التعقيم .. بل حتى الأبخرة التى تتصاعد من البصل أثناء تقشيره أو تقطيعه فتسيل الدموع ، تكفى وحدها لقتل الجراثيم .

وقد اختبر البحاثه الدكتور ب . توكين خواص ١٥٠ صنفاً من أصناف النبات ، ثم وضع البصل فى رأس قائمة النباتات القاتلة للجراثيم ويليه الثوم ، ثم الفلفل ، واثبت الدكتور توكين ان البصل كفيل بقتل ميكروب التيفوس .

واسفرت تجربة قام بها لفيف من البحاثه الزراعيين فى محطة التجارب بولاية متشجان بأمريكا عن ان اضافة عصير البصل الى المادة القاتلة للاعشاب والنباتات الطفيلية المسماه ٢ر٤ د تجعلها أقوى مفعولا .

وأجرى الدكتوران « فيلاتونا » و « تورد بستييف » الاستاذان بجامعة « تومسك » الروسية تجربة لاختبار مقدرة الابخرة المتصاعدة من البصل على قتل الجراثيم فعرضا جراحاً مختلفة ملوثة بالبكتيريا لأحد عشر مريضاً لأبخرة البصل مدة عشر دقائق .. وكان بين هؤلاء المرضى اثنان ، احدهما بترت ذراعه والاخر بترت ساقه ، وتلوثت جراحهما فأصيبا « بالغنغرينا » وكانا يعانيان ألماً شديداً .. فلما تعرضت جراحهما لأبخرة البصل فى اليوم الأول زال الالم وفى اليوم الثانى تقدما سريعاً نحو الشفاء .. أما بقية الجراح البسيطة فقد تطهرت تماماً من كل أثر للبكتيريا .

وقد تمكن الكيمائيون من عزل بعض الكيمائيات التى يعتقد انها تفقد البصل خاصية قتل الجراثيم ولكن التكوين الكيميائى للبصل على درجة من التعقيد بحيث ظلت بعض عناصره خفية لم تعزل بعد . وحين يتم هذا فسوف يصبح البصل أو الكيماويات المستخلصة منه مساعداً قوياً للطب الحديث .

أما علاج نوبات الربو فيكون باعطاء المريض ملعقة صغيرة من مزيج عصير البصل مع العسل كل ٣ ساعات .. كما أن تناول بصلة متوسطة الحجم يومياً يخفض من كمية السكر فى دم المصابين بالبول السكرى كالانسولين ، ويقلل من احساسهم بجفاف الفم والشعور بالعطش ، وبالتالى من شرب السوائل . ويساعد أكل البصل على تطهير الجسم من املاح الطعام ، ويمنع نمو الجراثيم بجميع أنواعها فيه .

وقد أثبتت الدكتورة نوال فراج فى بحث الدكتوراه أن لعصير البصل تاثيراً واضحاً فى علاج مرضى السكر ، وتقليل نسبته .

ومارك العالم الامريكى يؤكد فى مراجعه ومؤلفاته فاعلية الثوم فى مركباته وفصوصه فى الميكروبات .. وهذه الخاصية فى الثوم دعت بعض علماء الاتحاد السوفييتى فى انتاج عصارة الثوم باعتبارها عقاراً مضاداً لبعض الأمراض والميكروبات ، خصوصاً لمرضى التهاب السحايا الخطر .

عصير الليمون وأهميته الطبية

من قديم الزمان والناس يستخدمون الليمون كدواء شاف فى عدد من الاوبئة والامراض كالكوليرا والتيفويد والروماتيزم والنقرس والنزلات المعوية وأمراض الكبد . وعند انتشار الاوبئة ينصح الاطباء الناس باضافة الليمون إلى ماء الشرب بعد غليه ، لأن الليمون له خاصية القضاء على الجراثيم .



وقد وجد الدكتور « كريستماس » أن ميكروبى الكوليرا والحمى التيفودية تهلك إذا وضعا فى محلول يحتوى ٦ر جرام حمض ليمون فى كل لتر ماء ، أى ما يعادل ١٠ جرام عصير فى نفس كمية الماء المذكورة ، وبذلك يمكن تعقيم ماء الشرب عند انتشار الاوبئة باستعمال هذا العصير ، خصوصاً فى المناطق التى يصعب فيها الحصول على مياه رائقة معقمة .

ويرى « بول » فى كتابه فواكه المناطق الحارة أن عصير الليمون مدر للبول ويستعمل فى أحوال مرض الاستسقاء ، كما أنه مطهر للجروح ومفيد فى بعض حالات السعال والمغص وطارد للديدان .

ويمتاز عصير الليمون بخواصه الطبية ضد التسمم . ويتضح ذلك من تسميته المعروفة « الليمون البلدى أو الليمون البنزهير » فهذه التسمية فارسية ، ذات مقطعين ، الأول « بن » معناه ضد والثانى « زهير » معناه سم ، مشيراً إلى هذه الخاصية المهمة .

وقد ذكرت جريدة الصيدلة الفوائد الطبية التالية لعصير الليمون :

أولا : يمكن استعماله فى علاج الروماتزم باستعمال القليل فى ماء الشرب ، كما يمكن استخدامه كمسكن فى حالة القىء .

ثانيا : يفيد فى علاج ضربات الشمس وذلك بان يوضع القليل منه على الجبهة . وهذا يطابق الشائع عند الفلاحين فى بعض القرى .

كما أن الليمون قابض للأوعية الدموية فاذا ما اصيب شخص بنزيف فى الأنف امكن وقفه باستعمال قطعة مبللة بعصير الليمون تدهن بها فوهة الأنف فيكون لذلك أثر سريع فى وقف النزيف ، كما أنه يعتبر مهدئاً للاعصاب . وقد أوصى الاطباء كل من يشكو من ضخامة الغدة الدرقية بالاكثار من تناول الليمون .

أما سر المكانة الواسعة التى يتمتع بها الليمون فى مجال الوقاية والعلاج فيرجع الى احتوائه على عدد كبير من الفيتامينات أ ، و ، ب ٢ . بالاضافة الى الحديد والكالسيوم والفسفور والبروتين والدهن ، هذا بالاضافة إلى فيتامين ج الذى يفيد فى حالات الاصابة بداء الحفر « الاسقربوط » ، يقول الاخصائى العالمى د . ميلتون أن الليمون دواء بالغ القدرة على الوقاية منها وخاصة الأمراض التى تؤدى الى تخلخل الاسنان وسقوطها المبكر .

ويستخدم العصير فى جزر الهند الغربية بعد اضافة الملح إليه ضد مرض الدوسنتاريا وبعض الحميات وكذلك فى بعض امراض الحنجرة .

دكتور عز الدين فراج

حاضرة أنت في القلب

شعر : م . كجراي
الخرطوم

خذينى إليكِ بكلِّ عيوبى
فحبُّكِ سيدتى هو أكبرُ ذَنْبٍ جنيْتُ ،
فلاتسخرى من ذنوبى
تغنيَّتُ للغضبِ المتفَجِّرِ ،
أشرعتُ للريحِ بابى
تظل الحقيقةُ عاريةً كائتلاق الشُّموسِ ،
فما أتعَسَ الواهمون ببَحْرِ السَّرَابِ
أنا تحتَ سِقْفِكِ أسعَى فاصلب فى كل يوم ،
دمى يتخثّر فى طرقاتِ العذابِ
وحاضرةٌ أنتِ فى القلبِ ،
لكنكِ الآنَ مرصودةٌ فى كتابِ الغيَابِ
إذا ما تَناهَتْ الى سمعىَ الضحكاتُ
أنُوءُ بحملِىَ فى لحظاتِ اغترابِى
يعذبنى فيك جرح الكتابَه



أسَوِّدُ دوريةً عن ريح الفجيعةِ فى ربواتِ الكآبه
أنام وفى خاطِرِى كل مستقبل الوادعين الصغار
وأصحو لأشهدَ سجناً ،
يقام ليخرسَ نبْضَ الخطابَه
أحس بكل صليلِ القيودِ فأرفَعُ رأسِى ،
لأكتبَ أغنيتِى فوق صخْرِ الجدارِ ،
حرُوفى مضرَّجةٌ بدَم الأرجوانِ ،
تزلزلُ عرشَ المهابَه ،
أناديكِ لا لأقولَ وداعاً ،
فقد قُطِعَ اليومَ حبلُ الصدَى
ولا شىءَ غير الفرَاغ المخيفِ ،
وولولة الرِّيحِ عبْرَ المدَى
أناديكِ : لن يتبدَّدَ صوْتِى سدًى
سأبحرُ فى زورقِ الكلماتِ
أحدِّثُ عنك عرائسَ حلمى بكلِّ اللغاتِ
عهدتُك حُبْلَى بكل العواصِفِ ، صانعةَ المجدِ والمعجزاتِ
فلا تنكرينى
إذا ما رأيتِ على القسماتِ ،
خطوطَ الزمان ولوْنَ الشحوبِ
فانى أنوءُ بنبض الحروفِ ،
أرى العارَ فى موكب الصمْتِ تحت ظلال الغروبِ
فأبقى هنا فى ترابِكِ أشربُ حزنى
كما النخلِ حين تَهبُّ الرياحُ ،
يقاومُ ، يسخَرُ من عاديَاتِ الخطُوبِ
أنا واحدٌ من بقية جيلٍ
مضَى فى طريق التمرُّدِ غير هيوبِ
خذينى إليك بكل عيوبِى
فحبك سيِّدَتِى
هو أكبرُ ذنبٍ جنَيْتُ
فلا تسْخَرىً من ذنوبِى .

الكلمة الحيّة لا تموت بل تزداد جمالاً مع الأيّام



محمود محمد شاكر

فلسطين ثلاثة رجال

بقلم: محمود محمد شاكر

احب أن أقدم بين يدى كلامى هذا كلمة أو كلمتين لابد منهما : الأولى ، أن ابتهل إلى الله أن يبرىء قلوبنا من الجبن والخور والبخل ، وأن يؤيدنا بالصبر والقوة ، وأن يرفع عنا غضبه ومقته ، فقد كتب علينا الجهاد فى سبيله بما استطعنا . واحب لكل كاتب وقارىء أن يتوب إلى الله مما اكتسب من إثم يده أو قلبه أو لسانه ، ليتجرد إلى الجهاد وهو طاهر مصمم لا تلفته الدنيا عن الدفاع عن الحق .

والثانية : انى كنت كتبت عن قضــــايا العرب وعن فلسطين ، فكنت لا أزال اذكر الاسلام واشفعه بذكر نصارى الشرق ، لأنى أعدهم منا ومن انفسنا ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا . وكنت أرى أن نصارى الشام والعراق قد بذلوا من الجهود فى قضايا العرب ما صرح عن مكنون انفسهم وعن إخلاصهم الذى لا يدفع ، وأنهم جزء لا يتجزأ من العالم العربى ومن العالم الاسلامى ، وكنت أتخوف أن يقف قبط مصر مترددين عن المشاركة الصريحة فى جهاد العرب والمسلمين فى مسالة فلسطين ، ولكنى أشهد الله اليوم أن قبط مصر قد ملأوا قلوب العرب والمسلمين غبطة بهم وإكباراً لهم ، وحرصاً على مودتهم لن يعمل فيه بعد اليوم دس ولاكيد ولا وقيعة . إنه لا يحل لامرىء مسلم أو عربى بعد اليوم أن يرتاب أو يتشكك فى نبل هؤلاء الاخــوان الذين نصرونا فى ساعة العسرة لا تدفعهم إلى هذه النصرة رغبة ولا رهبة .

وساسجل فى هذه الكلمة ماثر لرجلين من أجل النصارى شانا ، لأنهما وقفا فى الجهاد موقفا يوجب علينا أن نخلد ذكرهما فى تاريخ العرب وتاريخ المسلمين ، ولا سبيل إلى جزاء هذين الرجلين إلا بأن نرفع ذكرهما فى هذه الساعة وإلى أبد الدهر ، لأنهما قطعا الســـــبيل على كل خبيث من شياطين السياسة القذرة التى انبعثت فى أوروبا وامريكا ، وعلى شياطين اللؤم الصهيونى الدنىء .

أما الأول فهو الشيخ الجليل الصادق غبطة بطريرك الأقباط الارثوذكس الانبا يوساب ، فقد اجتمع المسلمون والعرب فى المسجد الجامع الأزهر فى يوم الجمعة ٢٢ المحرم سنة ١٣٦٧ ، فاذا الناس يفاجاون بمقدم القمص متياس الأنطونى سكرتير غبطته مندوباً من قبله ، ومعه إخوانه من رؤساء الاقباط فى مصر ، القمص جرجس إبراهيم رئيس الكنيسة القبطية الكبرى ، والقمص عبد المسيح سعد ، والقمص مرقص غالى . ودخول هؤلاء الأربعة الكرام إلى المسجد الجامع فى ساعة الجمعة ، ونيابتهم عن غبطة البطريق الاعظم فى شهود هذا اليوم المشهود ، وخطبتهم الناس فى هذا المسجد ، ومشاركتهم فى اكبر مؤتمر إسلامى فى مصر ، قد دل دلالة صريحة على أن الانبا يوساب البطريق الأعظم ، هو رجل قد نور الله قلبه بالحق ، وآتاه من الفطنة والصدق والأمانة فى دينه وخلقه ما يجعل عمله هذا أمانة فى عنق كل مسلم وعربى ، يحميها ويدفع عنها ويعتز بها ويكرم اصحابها فى عامة أمورنا وخاصتها . وقد فعل ذلك من تلقاء نفسه غير متردد ، فعل ذلك على أنه رجل سياسى مخلص ، وعلى أنه يدرك تمام الادراك كل ما يحيط بهذا الفجور الصهيونى من الخبائث ، وعلى أنه يأبى أن يدخل بين اقباط مصر ومسلميها مفسد يبغى الوقيعة.

ومن قبل ما وقف هذا البطريق الاعظم موقفاً رد كيد البريطانيين فى نحورهم ، وذلك فى حادثة الزقازيق التى دبرتهــا بريطانيا لافساد ما بين المسلمين والأقباط ، فلولا حكمة هذا الرجل النبيل ، لكان هذا الحادث البغيض سبباً فى اشتعال نار الفتنة التى اشعلت بريطانيا مثلها من قبل لتفرق كلمة الأمة تفريقاً يجعل بعضاً لبعض عدواً . ونحن نحمد الله إذ جعل فى إخواننا القبط رجلا كهذا الرجل الجليل ، يقف حارساً يقظاً على أمته وأمتنا ، يرد عنها كل مكيدة . وما دام فى الأقباط هذا الرجل وأمثاله ، فالمسلمون والعرب جميعاً لا يبالون بعد اليوم أن يبذلوا مهجهم فى الذود عن إخوانهم ، وفى حمايتهم ، وفى الدفع عن كل شىء يسوءهم ، ما بقى على ظهر

أوراق خضراء

فلسطين ثلاثة رجال

هذه الارض مسلم يؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر . إنه دين فى أعناقنا للقبط ، نسأل الله أن يهبنا القدرة على ادائه وإن ابؤاهم ان يقبلوا عن هذه المأثرة جزاء .

وأما الرجل الآخر فهو كصاحبه يتلألأ قلبه بنور الاخلاص والايمان ، تكلم فأبان عن نفس حرة أفزعت « اليهود المسئولين فى مدينة الاسكندرية » أى يهود مصر ،

فاقبلت طائفة منهم تريد أن تثنى هذا الرجل الجليل عن إذاعة حديثه ، فاجابهم بانه ما قال إلا وهو يعتقد انه قول صريح سليم ، وليس إقحاماً للدين فى السياسة ، وإنه يقصد حماية التراث المقدس للمسيحية ، وانه إنما يتكلم عن عقيدة وإيمان بما يقول . ذلكم هو الرجل النبيل غبطة البابا كريستوفورس الثانى بطريرك الاسكندرية وافريقيا للروم الأرثوذكس .

وقد جاء فى هذا الحديث ان غبطة البطريق الأعظم للروم قد دهش لانشاء دولتين فى فلسطين ، ودهش ايضاً من ان تكون أمريكا والاتحاد السوفيتى هما الداعيتين إلى هذا التقسيم ، ثم قال :

« وإنه لتزداد دهشتنا أن تعمد الولايات المتحدة الأمريكية الى هذه المحاولة الجريئة رغم احداث التاريخ الدالة على فساد هذه الفكرة وخطرها . لهم العبرة فيما حاوله الامبراطور جوليان الرومانى .

ولا ندرى كيف فكرتا فى وضع الأراضى المسيحية المقدسة فى حماية اولئك الذين رغبوا دائماً ، جماعات وافراداً ، فى أن يعيشوا حتى يروا اليوم الذى لا يسمع فيه ذكر للمسيح . وهل يستطيع إنسان أن يتصور اليهود حرساً وحماة للأمكنة المقدسة . وهم الذين سيعمدون الى تدنيسها بمجرد السيادة فيها ؟

« ونحن نرى أيضاً أنه لا يمكن أن يسمح للفاتيكان أن تكون له السيادة فى فلسطين فان الحروب الصليبية قد برهنت على فساد هذه الفكرة . ولهذا فاننا نحن الروم الأرثوذكس نرى انه فى حالة إلغاء الانتداب الدولى على الأراضى المقدسة ، أو عدم وجود دولة عربية مكان هذا الانتداب ، ان تعطى للمسلمين حماية هذه الأراضى ، لأنهم منذ مارسوا حكمها فى هذه القرون الطويلة ، قد برهنوا على انهم جديرون بثقتنا » .

وهذا كلام اقل ما يقال عنه إنه كلام رجل مؤرخ عالم بصير لا يدفعه إلى ما يقول هوى لشىء ولا رهبة لمكروه . فان غبطة البابا كريستوفورس قد قضى طفولته فى فلسطين ، وقد عرف بنفسه شعور اليهود ضد العرب وضد الأرض المقدسة ، كما قال متكلم بلسان البطريركية الرومية .

وقد اثبت حديث البطريق الأعظم لأنه سوف يصبح هو وقائله جزءاً لا يتجزأ من تاريخ الاسلام ، ولأننا نحن المسلمين نحب المنن فى أعناقنا فنحافظ عليها ونرعاها وندافع عنها ونجزيها احسن الجزاء . إن حديث هذا الشيخ الأجل سوف يصير قطعة من تاريخنا يرويه أربعمئة مليون عربى ومسلم فى مشارق الأرض ومغاربها ، وهو حديث يفسر كل ما كنا نقول به من ان مشايعة الدول الأوربية والامريكية للصهيونية الفاجرة ، قائمة على الصليبية الحمقاء . فهم يحاربوننا حرباً صليبية لا يستثنون فيها مسلماً ولا نصرانياً فى الأرض الاسلامية والعربية وقد كان بعض الناس يعيب علينا هذا الرأى ، ولكن حديث البطريق الأعظم قد كشف الغطاء عن كل ذلك ، ومهد للتاريخ أرضاً جديدة يدرس فيها هذا الصراع بين أهل الشرق العربى الاسلامى من مسلمين ونصارى ، وبين الغرب الصليبى من نصارى ويهود .

ولكن نصارى الشرق غير نصارى الغرب ، فهؤلاء قوم ملئت قلوبهم أحقاداً صليبية مظلمة لا عقل فيها ولا ضمير لها ، أما نصارى الشرق فهم يعرفون تمام المعرفة أن نصارى الغرب قوم مفترون جاهلون متعصبون يريدون أن يدنسوا هذه الأرض المقدسة باليهود عداوة للمسلمين غير ناظرين إلا بالعين الصليبية البغيضة ، لا بعين الانصاف والحق كما ينظر نصارى المشرق . وحسبنا هذا البيان من البطريق الأعظم ، فانه حسنة لن ينساها له مسلم إلى أن تقوم الساعة .

وقبل أن أنتهى إلى ذكر الرجل الثالث أحب أن أنبه القارىء ، وأنبه قومى العرب فى كل مكان ، وفى مصر خاصة ، إلى انه ما كاد « يهود مصر » يعلمون نبأ إذاعة هذا الحديث فى الصحف حتى تبادروا إلى غبطته يريدون أن يثنوه عن نشره وإذاعته فما معنى هذا الذى يفعله اليهود الذين خلعنا نحن عليهم الجنسية المصرية ؟

وماذا تقول حكومتنا فى هؤلاء القوم الذين يريدون أن يكونوا أعواناً للصهيونية فى قلب بلادنا فى هذه الساعة ؟ أو يحدث هذا فى مصر فى الأسبوع الماضى ، وإذا بنا يقرأ اليوم (٨ ديسمبر سنة ١٩٤٧) أن الشرطة العراقية القت القبض عند الحدود العراقية السورية على ثلاثة يهود عراقيين من موظفى شركة الزيت العراقية ومعهم جهاز إرسال لاسلكى . فما معنى هذا ؟ ليعلم اليهود أن العرب لن يقبلوا أن يكون للطابور الخامس عمل فى بلادهم .

وننتهي من هذا التعليق لنضم إليه خبر الرجل الثالث الذى ينبغى أن يعرفه العرب

والمسلمون ، فقد افضى سيادة حاييم ناحوم افندى الحاخام الأكبر للطائفة الاسرائيلية فى مصر بالتصريح الآتى :

« إنى أرى أن مركزى بوصف كونى رئيساً دينياً وروحياً لأبناء الطائفة الاسرائيلية ، يحول بينى وبين الخوض على صفحات الصحف فى أى مناقشات مهما كان نوعها أو الغرض منها . ولكن إزاء كثرة ما وجه إلينا من أسئلة واستفهامات أرى أن واجبي يحتم على أن أتوجه إلى السائلين وإلى جموع الأمة المصرية الكريمة بكلمة أرجو أن تكون حداً فاصلا لهذا الموضوع : فأبناء الطائفة الاسرائيلية التى أتشرف برياستهم الدينية هم جزء لا يتجزأ من الأمة المصرية ، يشعرون بشعورها ويتألمون لألمها . فكيف إذن يحاول البعض التشكيك فى عواطفهم نحو أبناء بلدتهم المصريين . إن دستور البلاد يكفل لنا جميع الحقوق الممنوحة لأبناء مصر الكريمة سواء بسواء ، ولذلك فان واجبنا نحو بلادنا يجعلنا نعمل بشعورنا كمصريين . وقد أصدرت أمرى إلى رجال الكنائس الاسرائيلية باقامة الطقوس الدينية ليعظوا فيها أبناء الطائفة على أن يتضافروا مع إخوانهم المصريين فى هذا الظرف العصيب » .

ونحن نشكر الحاخام الأكبر ، ولكن ليعلم سيادته انه قبل أن يتوجه إلينا بكلام يكون « حداً فاصلا ينبغى أن يعمل هو وأبناء طائفته عملا يكون « حداً فاصلا » ، وهذا مع الأسف لم يحدث قط ، وأخشى أن أقول إنه لن يحدث قط . ثم ليأذن لنا سيادته أن نوجه نظره الكريم إلى الذى ذكرناه وذكرته الصحف ولم يستنكره أحد من يهود مصر ، وهو ذهاب بعض المسئولين من اليهود فى ثغر الاسكندرية كى يثنوا البطريق الأعظم للروم الارثوذكس عن إذاعة حديثه . أهذا أيضاً إقحام للدين فى السياسة .

وليأذن لنا سيادته أن نقول له إننا نعيش فى أرض مصر ، واليهود يعيشون معنا فيها لا فى المريخ .

وليأذن لنا سيادته أيضاً أن ننبهه إلى أن هذه الساعة التى جاش فيها العالم الاسلامى والعربى ، ليدفع عن فلسطين الجور الذى أرادت هيئة « الأمم المتحدة » التى تصرفها روسيا وأمريكا وبريطانيا ، هى ساعة فاصلة فى تاريخ العرب والمسلمين ونصارى الشرق جميعاً ، وليأذن لنا أن ننبهه أيضاً أن النار المشتعلة الآن تفصح كل الافصاح عن المعنى الذى ينطوى عليه تقسيم فلسطين ، فكيف ذهب عن فطنة سيادته أن يذكر كلمة واحدة صريحة تفصح أيضاً . كل الافصاح عن استنكاره واستنكار طائفته لهذا التقسيم الجائر الذى أرادت أن تفرضه على العرب هيئة الأمم المتحدة ؟

وليأذن لنا سيادته أيضاً أن ننبهه إلى أن الصهيونية تدعي أنها تتكلم باسم يهود العالم جميعاً ، وأن جميع الدلائل إلى اليوم تدل على أن كثرة يهود العالم منضمة إليهم ، فما هو الضمان الذى يقدمه لنا سيادته حتى تطمئن قلوبنا إلى أن يهود مصر ليسوا كيهود سائر العالم ؟

وليأذن لنا سيادته أيضاً أن ننبهه إلى أن الصهيونية قد أذاعت منذ القديم أنها تريد أن تستولى على أرض اسرائيل كلها من الفرات إلى النيل ، وأن هذا مطبوع منشور فى كتبهم ، وأنه حين ذاع نبأ التقسيم وقف مفلوك صهيونى يستنكر التقسيم ثم يرضى به على مضض ، لأنه الخطوة الأولى التى تفضى إلى استيلائهم على أرض بنى اسرائيل كلها من الفرات إلى النيل . وأنا لا أظن أن مثل هذا مما يغيب عن الرجل الفاضل العالم أحد أعضاء المجمع اللغوى العربى .

وليأذن لنا سيادته أن نذكره بوصية الله لنا فى محكم تنزيله إذ يقول : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ، فالمسلمون والعرب جميعاً سوف يقاتلون من يقاتلهم من الصهيونيين ، أما سائر اليهود فلن يعتدي عليهم مسلم ولا عربى ما داموا فى ذمتنا ولا يؤلبون علينا . فهل يأذن سيادته بأن يعلم أن المسألة ليست مسألة سياسية نريد أن نقحم الدين فيها ، بل هى مصير العرب والمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ؟ وهل يأذن لنا أن نسأله أن يدفع عن يهود مصر كل شك وريبة بأن يصدر بياناً صريحاً عن موقف يهود مصر فى مسألة التقسيم ؟ وهل يأذن لنا سيادته أن نطالبه ونطالب أبناء ملته من يهود مصر بأن يفعلوا فعلا صريحاً واضحاً يدل على أن عواطفهم هى عواطف الأمة المصرية تشعر بشعورها وتتألم بألمها ؟ وهل يأذن لنا سيادته أن نقول له إن هذا الذى يجرى الآن ليس « ظرفاً عصيباً » كما جاء فى كلامه ، بل هو أوضح من ذلك ، هو حرب بيننا وبين يهود العالم وكل من يناصرهم من الأمم ، وأنها حرب سوف تستمر إلى أن يستقر الحق فى قراره ولو طالت مائة عام ؟ أفليس من الحكمة إذن أن يتخلى الحاخام الأعظم عن العزلة التى يريدها لنفسه ، ويدخل هو وأبناء طائفته فى الجهاد الذى كتب علينا نحن العرب من مسلمين ونصارى ويهود لكى ندفع عن بيت المقدس أدناس الصهيونية ؟

هذه كلمة مجاهد عربى يتقدم بها إلى الحاخام الأعظم تعليقاً على حديثه الذى سوف يبقى مذكوراً فى تاريخ الاسلام والعرب لم أعمد فيها إلى شرح أشياء أعرفها حق المعرفة ، انتظاراً لما يكون من عمل سيادة الحاخام الأكبر وليعلم

سيادته أن الأحداث أسرع من لمحات البرق فى السحاب المتراكب . فليبادر إلى الأخير مبادرة من عرف الحق فلم يحجم به عن الجهاد خوف ولا فزع ولا إرهاب . أن عمل الحاخام الأكبر هو «الحد الفاصل» الذى ينتظره اليوم أربعمئة مليون مسلم قد استيقظوا وأدركوا أن يهود العالم قد أعلنوا عليهم الحرب فلن يخدعهم بعد اليوم شىء عن الطريق الذى سار فيه آباؤهم من قبل فنصرهم الله وأيدهم وهزم أعداءهم وأعلى كلمتهم وجعلهم خير أمة أخرجت للناس .

محمود محمد شاكر
١٩٤٧

أوراق خضراء

إلى الدكتور طه حسين



زكي مبارك

بقلم: الدكتور زكي مبارك

أيها الأستاذ الجليل :

تلطفت فاوصيتنى بكتمان الحديث الذى دار بينى وبينك فى حضرة « الصديق العظيم » الذى يحل وداده من قلبى وقلبك أعز مكان ، وأنا أستطيع النص على اسم ذلك « الصديق العظيم » بلا تهيب لعواقب العتاب ، لأن للحديث الذى جرى بينى وبينك فى حضرته صلة وثيقة باصول المذاهب الأدبية التى يشتجر حولها الخلاف فى كثير من الأحايين . فان قلت إن هذا « الصديق العظيم » خلع على ذلك الحديث حلة من الدعابة التى تشهد بما يملك من عذوبة الروح ، وإنه قد يكره أن يشار إلى اسمه فى مجال الدعابة والظرف ، فانى أجيب بأن ذلك « الصديق العظيم » أرحب صدراً مما تظن ، وهو أكبر من أن يرى أن جلال المنصب يمنع من التندر الجميل .

لا خوف من النص على اسم ذلك الصديق ، ولكنى سأعمل بوصيتك ليصح لى القول بأنى لا أتمرد فى كل وقت ، وليصح لك الظن بأنى أقدر على مراعاة الظروف حين أشاء .

ثم ماذا ؟

ثم استبيح لنفسى التحدث عن بعض ما شجر بينى وبينك . ويظهر أن المقادير لا تريد أن أسكت عنك أو تسكت عنى ، وفى ذلك الخير كل الخير لو تعرف وأعرف . وهل ارتفع العقل إلا بفضل الخلاف ؟ وهل يتصور الناس وجوداً للحيوية التشريعية لو لم يثر الخلاف بين الشافعيــــة والحنفية ؟ وهل تاصلت مشكلات النحو والصرف إلا بفضل الجدال بين البصريين والكوفيين ؟ وهل تفوق العقل المصرى فى العصر الحديث إلا بسبب النزاع حول القديم والجديد ، والصراع حول المذاهب الاجتماعية والأحزاب السياسية ؟

إن الخلاف نعمة عظيمة جداً ، ويا ويلنا إذا لم نختلف .

فكيف تريد أن أكون صديقاً ظريفـــاً لا تسمع منه غير الكلام المعسول ؟

وهل قل الظرفاء من أصدقائك حتى تطالبنى بما تعجز عنه سجيتى ؟

إن « بداوة الطبع » التى كثر الكلام فى ذمها وتجريحها لم تكن من المثالب إلا فى كلام الشعوبية ، وهم قوم أرادوا الغض من الشمائل العربية ، ولولا ذلك الهجوم الأثيم لبقيت من المحامد ، فكيف تنكر على رجل مثلى أن يظل بدوى الطبع فى زمن توارت فيه الصراحة وكثر فيه تنميق الأحاديث ؟

لابد من خلاف بينى وبينك لتجد الأبحاث الأدبية والفلسفية وقوداً يحيا به اللهب المقدس فى حياة العقل والوجدان .

فان ضاق صدرك بهذه الحقيقة واكتفيت بمحاورة الرجل اللطيف الذى يقول إن الصحراء تشكو الظمأ وأن البحر يشكو الرى وأن الخير فى امتزاج البحر بالصحراء . إن كان ذلك ما يرضيك فشرق فى محاورته وغرب كيف شئت وكيف شاء .

ولكن ما رأيك فيمن يصـــارحك بان الحيوية لن تشيع فى أبحاثك إلا إذا حاورت « الرجل الذى لا يخلو إلى قلمه إلا وفى رأسه عفريت » ؟

تلك كلمتك ، يا سيدى الدكتور ، وأنا عنها راض وبها مختال ؟

فما هو العفريت الذى يحتل رأسى حين أخلو إلى قلمى ؟

أيكون هو الجن الذى سماه الفرنسيون ؟

إن كان ذلك فانت تشهد لى بالعبقرية ، والقول ما قال طه حسين .

وهل تكون العبقرية إلا من نصيب من يخاصم رجلا مثلك فى سبيل الحق ؟

وما هى المنفعة التى أرجوها من مخاصمتك وانت رجل يفسر وينفع ؟

ما هى المنفعة التى أجنيهـــا من مخاصمتك وقد صاحبتك عشر سنين كانت أطيب الأوقات فى حياتى ؟

يظهر أنك لا تعلم أنك على جانب عظيم من الجاذبية وأن الرجل العاقل لا يترك مودتك وهو طائع .

فما سبب الخصومة بينى وبينك ؟

إليك أقباساً من البيان :

منذ أكثر من سبعة أعوام ألقيت محاضرة فى الجامعة الأمريكية عن البحترى سجلتها جريدة كوكب الشرق ، وشاء (العفريت الذى يحتل راسي حين أخلو الى قلمى) أن أنشر فى جريدة البلاغ مقالا عنوانه :

« الدكتور طه حسين يغلط خمس مرات فقط في محاضرة واحدة » .

ثم لقيتني بعد ذلك في الجامعة الأمريكية وجادلتني فى تلك الأغلاط فاعلنت أني أخطات ، وكان ذلك لأن الجمهور أحاط بنا من كل جانب ليرى كيف أدفع هجومك ، وما كان يجوز لي أن أصنع غير الذي صنعت ، لأن أدبي لا يسمح لي بمصاولتك أمام الناس ، ولأن وجهك يشفع لك فهو وجه لا يلقاه الرجل الحر بغير الاعزاز والتبجيل .

فما الذي صنعت أنت فى تصحيح الأغلاط التي أخذتها عليك ؟

مضيت فنشرت محاضرتك عن البحتري في كتابك : « حديث النثر والشعر » ، وأبقيت تلك الأغلاط ، أستغفر الله ، بل (تفضلت) فشكلت الكلمات المغلوطة لتقول : إنك لا تعبأ بأي نقد يوجه إليك !!

فما الذي كان يمنع من تدارك تلك الأغلاط ؟ وما الذي كان يمنع من شرح رأيك في الهامش إن كنت تؤمن بأني لم أكن على حق ؟؟

ثم ماذا ؟

ثم حدث في صيف سنة ١٩٢٩ أن أنكرت على أن أتخذ شواهد لتطور « النثر الفني » من رسائل عبد الحميد بن يحيى . وقلت : إن عبد الحميد بن يحيى شخصية خرافية كشخصية امرىء القيس ! وكان ذلك

بمسمع من شابين واعيين هما: محمد مندور وعلى حافظ. وكانت حجتك ان عبد الحميد بن يحيى لم يرد اسمه فى مؤلفات الجاحظ، فرجعت اليك بعد ايام واخبرتك ان الجاحظ تكلم عن عبد الحميد بن يحيى مرات كثيرة، وان مؤلفات الجاحظ تعرف رجلين: احدهما عبد الحميد الأكبر والثاني عبد الحميد الأصغر، فلم تجب بحرف واحد ثم القيت وانا في باريس محاضرة قلت فيها إن عبد الحميد بن يحيى اخذ اشياء من أدب اليونان، وفاتك أن تنص على اسم الرجل الذي اقنعك بانه لم يكن شخصية خرافية.

وقد حملني (العفريت الذي يحتل راسي حين اخلو إلى قلمي) على أن أسجل هذه القضية في احد هوامش كتاب النثر الفني، فكانت فرصة اغتنمها صديقك الأستاذ احمد امين ليقول في مقال كتبه في مجلة الرسالة: إن زكي مبارك يعوزه الذوق في بعض الأحيان!!

ثم ماذا؟

ثم كانت لك يد مؤثرة فى شئون الدراسة الثانوية بحجة انها تمهيد للدراسة الجامعية، وكان من اثر ذلك ان فرضت على طلبة السنة الخامسة بالمدارس الثانوية كتاباً في نقد النثر لقدامة بن جعفر لا يفهمه المدرسون إلا بعناء فضلا عن التلاميذ.

واقول بصراحة اني لم افلح في حمل المفتشين على مقاومتك، فبرزت لك بنفسي في مقال نشرته بمجلة الرسالة، فهل استجبت لصوت الحق واعفيت التلاميذ من كتاب تقوم تعاريفه على منطق أرسطاطاليس وهم يجهلونه كل الجهل؟

انت عزيز علينا ياسيدي الدكتور، لأنك رجل شهم، ولكن ما رايك في اغلاطك؟ ومن يدلك عليها إذا سكت عنك؟

هل تذكر كلمة «الصديق العظيم» منذ أيام حين قال لك وهو يبتسم: كيف صيرتم زكي مبارك دكتوراً وهو رجل مشاغب؟



طه حسين

انت تذكر ذلك ولا ريب، ولكنك تعرف اني لم انل القاب الجامعة المصرية بلاجهاد وانت نفسك اسقطني فى امتحان الليسانس مرتين، واشتركت في امتحان الدكتوراه الذي اديته أول مرة مع انك لم تكن عضواً في لجنة الامتحان، وكان لخصومتك الصورية تاثير في الدكتوراه التي ظفرت بها للمرة الثالثة فلم اصل اليها إلا بعد جهاد سبع سنين.

فما فضلك على إن لم يكن فضل المؤدب الحصيف؟

هل تذكر يا دكتور ما وقع في نوفمبر سنة ١٩١٩؟

هل تذكر ما وقع يوم غاب سكرتيرك وكنت وحدي الطالب الذي يفهم العبارة الفرنسية لكتاب نظام الآتينيين لأرسطاليس؟

وهل تذكر انك اعلنت سرورك بان يكون في طلبة الجامعة المصرية من يفهم اسرار اللغة الفرنسية؟

فمن يبلغك ان الشاب الذي ادخل السرور على قلبك في سنة ١٩١٩ هو الكهل الذي تنكره في سنة ١٩٤٠؟

انا اعرف ما تكره مني. انت تكره مني الكبرياء، وكيف اتواضع وقد اعانني الله على بناء نفسي؟ كيف وقد اقمت الدليل على ان الشباب المصري خليق بعظمة الاعتماد على النفس؟ وهل رايت رجلا قبلي اتم دراسته في اوروبا وهو مثقل بتكاليف الأهل والأبناء؟ هل رايت رجلا قبلي يهتف باوطار الشباب وهو مثخن بجراح الزمان بعد الاربعين؟ هل رايت رجلا قبلي يؤلف الكتب الجيدة في البواخر والقطارات والسيارات؟

ومن يصدق اني انفق في سبيل الورق والمداد اضعاف ما ينفق بعض الناس في سبيل الطعام والشراب؟

إن الدكتور طه من ذخائرنا الادبية، ويجب أن يعيش، ونحن سناده في الخطا والصواب رعاية لمركزه في الجامعة وفي وزارة المعارف، وهو خليق بمركزه في الجامعة وفي وزارة المعارف.

ايها الأستاذ الجليل:

في صدري اشياء وشؤون وشجون، فمتى انفض همومي بين يديك وقد رأيت الشيب يشتعل في شعرك الجميل؟

متى نلتقي ايها الأستاذ الجليل لتصفية الحساب؟

إن «العفريت الذي يحتل راسي حين اخلو إلى قلمي» لا يحضر حين القاك، لأني لا ارى وجهك إلا تذكرت اني احببتك إلى حد العشق.

فمتى نلتقي وحولك ارصاد يؤذيهم ان اصل إلى قلبك الرفيق؟

وهل اجهل او تجهل أن فى الدنيا ناساً عاشوا بافساد ما بيني وبينك؟ الله وحده يشهد اني لم اخاصمك إلا في سبيل الحق.

والله وحده يشهد اني لم اقل فيك غير ماستبحت نشره في الجرائد والمجلات.

ومن ذلك تعرف أن «العفريت الذي يحتل راسي حين اخلو الى قلمي» لم يكن عفريتاً لئيماً وانما هو عفريت تلميذك وزميلك وصديقك:

زكي مبارك
مارس ١٩٤٠

نعنع الماء ..

قصة بقلم : عـــادل أبوشـــنب

اكتشفت أن لا طعام فى البيت . لم يكن ثمة ما ناكله ، وكانت امى تنظر عبر النافذة الى الطريق ، كانها تنتظر من يحمل الينا طعاماً أرسله جواد مجهول .

كان أبى كهلا مريضاً ، تزوج امى ولما تبلغ العشرين ، وسارت حياتها معه فى البدء بيسر ، حتى أصيب بالربو ، ولازم الفراش فى الليل والنهار ، فكان سعاله يسمع فى اول الطريق ، وحارت أمى ماذا تفعل ، بعد أن نفد المال من بين يديها ، وباعت جميع ما يمكن الاستغناء عنه من اثاث البيت ، وأطل اليوم الحاسم ، فقد نفد الطعام ايضاً ، ولم يعد بين أيدينا سوى سعال أبينا وصمت أمنا ، ونظراتها المحمومة الى الطريق حيناً ، والى السماء دائماً .

قلت لأمى :

ــ هل تنتظرين أحداً يا أماه ؟

قالت :

ــ كلا ، ولكن .. قد ياتى احد . من يدرى ؟

وسالتها اختى الصغرى :

ــ الن ناكل الليلة يا اماه ؟

وردت أمى دون أن تنظر اليها :

ــ أجل .. أجل يا ابنتى ، ولكن علينا أن ننتظر بعض الوقت .

كان الوقت يمر بسرعة ، وها هى السماء قد امتلأت بالنجوم ، ومن بعيد كنت اسمع أصوات الطيور العائدة الى اعشاشها ، تحمل بمناقيرها طعامها ، كانها ضربات طبول تعلن الحرب على معدنا ، نحن الذين لا نملك ثمن طعامنا .

فجاة ارتدت أمى ثياب الخروج ، وحملت بيدها قنديلا زجاجياً ، اضاءت شمعته اليتيمة ومضت . الى أين ؟ تبادلت واخواتى النظرات . كنا نشعر بالخوف ، ولما اشتد سعال أبى تجمعنا فى ركن الغرفة وتعانقنا ، وكان لقلوبنا نبضات مسموعة .

وتهيا لي أن أمى لن تعود فدمعت عيناى وانتزعت نفسى من اذرع أخوتى ، وركضت وراءها تشيعنى دموعهم .

لم تكن أمى قد ابتعدت كثيراً ، وكان ضوء القنديل يترنح فى يدها . عجباً ، اين تذهب أمى فى هذه الليلة التى غاب قمرها؟

كانت تغذ السير دون أن تلتفت او تحرك رأسها يمنة أو يسرة ، ولست أدرى لماذا لم أنادها . كنت أسير خلفها دون ان أحدث صوتاً . لعل الفضول هو الذى جعلنى افعل ذلك . ماذا تنوى أمى أن تفعل ؟ هل تهرب منا دون رجعة ؟ هل تمضى لتسرق لنا طعاماً وتعود ؟ ألا تخاف من السير فى الليل ؟

كان ثمة جدول صغير ينساب فيه ماء عكر ، وكثيراً ما كنت اذهب واخوتى لنلهو على ضفافه ، ورايت أمى تجتازه ، ثم تنحنى بقنديلها على ضفته وتتفحص المكان ، واقتربت اكثر . كانت امى قد وضعت قنديلها الى جانبها ، وجلست القرفصاء تقتلع من حافة الجدول الترابية المنحدرة نحو الماء .. نباتاً قصيراً أخضر ، وراحت تكو ما كانت تقتلعه فى منديل فرشته على الأرض . وتذكرت . لشد ما كنا ندوس هذا النبات باقدامنا ، ونحن نقفز مذ ضفة الجدول الى ضفته الاخرى .

كان لحشائش الأرض رائحة تتسلل الى الانوف ، ولقد انعشنى أن أستنشق هواء الليل المشبع بالروائح الطازجة ، فنسيت جوعى واخوتى ، ودبت في حماسة مفاجئة لقد عرفت سبب خروج أمى ، فاعلنت عن نفسى بصوت اجتهدت ألا يفزعها :

ــ ماما .. ماما ..

ورفعت أمى رأسها وسالت كانها تريد أن تستوثق من أننى المنادى :

ــ من هناك ؟

قلت :

ــ أنا يا أماه . جئت لأعاونك ..

ولم تجب ، بل عادت وانهمكت فى اقتلاع النبات القصير الأخضر الذى كان يملأ المنحدر الصغير المتصل بالماء .



ومددت يدى ، ورحت أشد ما تصادفه يدى من النبتات الخضراء ، واقتلعها من جذورها ، كما كانت أمى تفعل . وخطر لي ان اضع فى فمى وريقة خضراء صغيرة من وريقات هذا النبات ، لأعرف مذاقه ، وسرعان ما فعلت .

عندما هرست الوريقة الصغيرة الخضراء بين أسنانى .. احسست بمذاق لاذع يلسع لسانى بلطف ، كانه يدغدغه . كان لهذا النبات طعم مخرش لذيذ وخيل إلي انه نبات النعنع الذى كانت لا تخلو مائدتنا منه فى يوم من الأيام .

قلت :

ـ أليس هذا نعنعاً يا أماه ؟

قالت :

ـ بلى .. لكنه نعنع الماء .

عجباً . هل يختلف نعنع الماء عن النعنع الذى يباع فى الأسواق ، ويؤكل مع الطعام ، وتصنع منه بعض الأدوية ، على ما قيل ؟ لم أسأل أمى .. ومضيت فى اقتلاع نعنع الماء . وبين حين وآخر كنت اضع ورقة خضراء فى فمى واتلذذ بلسعتها اللاذعة .

كان نقيق الضفادع الصوت الوحيد المسموع فى صمت الليل ، ولقد بدا لى ، **وانا منهك فى قطع النعنع شبيهاً باغنية او مناجاة . ولست ادرى لماذا احببت** أمى ، تلك اللحظة ، والحياة والليل والضفادع والقنديل والنجوم وأبى واخوتى والجدول والأشجار . لقد كان كل شىء غضاً طازجاً مثل النعنع ، ولكم بدت الحياة بسيطة وجميلة وسهلة التناول وقتئذ . نسيت أن بيتنا خلو من الطعام ، وأن أخوتى يتضورون جوعاً ولا يعرفون أين ذهبت أمهم ، وأن أبى ينهكه سعال الربو الذى لا يتوقف كانه صفير قطار لاهث ، ورحت أدخل شيئاً فشيئاً فى المكان الذى حولى ، حتى صرت كاننى شجرة مشمش ، أو قطرة ماء فى الساقية ، أو نبتة نعنع خضراء تمتد جذورها الى أعماق الأرض .

وأخرجتنى أمى من غيبوبتى :

ـ يكفى الليلة ما جمعناه يا بنى .

وقامت وحملت ما وضعته فى المنديل من نبات النعنع ، ففعلت مثلما فعلت ، وشيعنا نقيق الضفادع الرتيب ، والرائحة الطازجة . وعلى ضوء شمعة القنديل الزجاجى .. كنا نسير بسرعة عائدين إلى



البيت ، وكنت اتخيل اخوتي اذرعاً ممدودة فرحة .

كانت أمى تعرف ماذا تفعل . وضعت كومة النعنع تحت الماء ، وطلبت إلى ان اغسل النبتات التى كانت جذورها مملوءة بطين الأرض ، وراحت تهيىء قدراً كبيرة ، وضعتها على بابور الكاز وصبت فيها ماء وشيئاً من الزبدة الباقية فى البيت ، ثم دلقت ما غسلته من حزم النعنع فى القدر ، وقالت :

ـ هاكم الطعام . دقائق وينضج يا أولادى .

وجلسنا ننتظر ، وكان سعال ابي يشغلنا احياناً عن الانتظار ، ولابد أن اخوتى قد وعدوا انفسهم باكلة شهية ، بل استثنائية ، لهذه الليلة ، اما أمى فكانت مشغولة عنا باعداد المائدة ، وكان لها ، وقتئذ ، وجه مشرق كانه قمر بدر .

لم يسأل احد من اخوتي ماذا نطبخ . حسبهم أن فى القدر طعاماً يملؤون به معدهم الخاوية . كانوا يتلمظون وهم يرون النعنع الأخضر وهو ينضج على نار هادئة ، وسرعان ما نضج فجلسنا جميعاً نأكل فى صخب ، وحملت أمى طبقاً إلى ابي فتناوله على مضض .

كان العشاء لذيذاً ، وبعد أن شبع الأولاد راحوا يمطرون امهم باسئلتهم . أخى الصغير سأل :

ـ ما هذا يا أماه ؟

وعلقت أختي الوسطي :

ـ لم نذق من قبل طعاماً كهذا ..

وقال أخى الذى يصغرني بسنة :

ـ من أين جئتما بهذا النبات الذى يلسع الألسنة ؟

وأردف يخاطب أمه :

ـ كيف خطر لك أن تطبخي هذا النبات يا أماه ؟

كانت ابتسامة صغيرة مقيمة على شفتى أمي . ولم تبخل على احد بجواب مقنع ، كنت الصامت الوحيد ، وكنت أرقب عيني أمي وهما تنتقلان من وجه إلى وجه . لشد ما أسعدها شبع الأولاد . انها مدينة لنعنع الماء بشبع أولادها هذه الليلة .

وتذكرت أختي الكبرى شيئاً ما ، فجأة ، فقالت :

ـ انه نعنع الماء . بلى .. أعرفه .. رأيته مساكب مساكب تغطي ضفاف الجدول القريب .

قالت أمي :

ـ أجل يا أولادى . انه نعنع الماء ، ينبت وحده دون زرع قرب السواقي والجداول والأنهار . نبات كريم يمنح نفسه لكل راغب فيه ..

وقاطعها أخى الصغير :

ـ أريد أن أراه فى أرضه ، حيث ينبت ..

وقالت أمى ، وهى تشير إلى :

ـ ليس الليلة على كل حال . ان أوان النوم ، فى غد يذهب بكم أخوكم إلى ضفة الجدول ، وإن رغبتم قطفتم منه ما نعده لطعام الغد .

ونمنا ، ولابد أن اخوتي كانوا يحلمون بمساكب نعنع الماء ، التى تنمو وحدها دون أن تزرع وتغطى ضفاف الجداول والسواقى بنضرتها الجميلة .

فى الصباح الباكر قدت قافلة صغيرة الى الجدول القريب . عجباً . لم يكن لحشائش الأرض رائحة ، وكانت الشمس ترسل أشعة حارة فوق رؤوسنا ، ولست أدري لماذا اختفى نقيق الضفادع ، وحل محله نهيق حمار ، كان يقف قرب الجدول .

وقفزت اختي الكبرى ، واشارت بيدها إلى البساط الأخضر الممتد على حافة الجدول :

ـ هذا هو . انه نعنع الماء ...

ونظر اخوتي إلى النبات الأخضر بفضول ، ومنهم من انحنى يقتلع أو يقطف وغير بعيد كان الحمار الناهق مطأطىء الرأس يهرس بأسنانه حزمة من نعنع الماء ولابد أن مذاقه اللاذع كان يلسع لسانه ، لكنه ، لجوعه ، لم يكن ليكترث ..

بقلم: رؤوف توفيق

اللعبة الجديدة للسينما الصهيونية

فضائح وانحرافات

بدلا من الدعاية المكشوفة

المملثة الأمريكية «مارى ستنبرجن» التى حصلت من قبل على جائزة أوسكار احسن ممثلة مساعدة .. تلعب دور البطولة فى فيلم «كروس كريك» !



من الواضح تماماً .. أن خطة السينما الاسرائيلية قد تغيرت خلال العامين الأخيرين .. فبدلا من محاولات استجداء العطف العالمى حول قضية اليهود الراغبين فى الحياة بسلام .. والتلويح بقوة الجيش الاسرائيلى فى مواجهة الذين يفكرون فى تعكير الجو .. وبدلا من النبرة العالية المباشرة ، والضجيج المدوى حول الاسرائيليين الأبرياء الظرفاء الذين يعرفون معنى العمل .. ومعنى الحب !

بدلا من هذه الدعاية المكشوفة .. فكرت السينما الاسرائيلية أن تلجأ الى أسلوب آخر .. أن تقدم أفلاماً تهاجم وتعترض على فلسفة العنف فى نظام الحكم الاسرائيلى .. وافلاماً أخرى تصور حالات العجز والضياع واليأس فى المجتمع الاسرائيلى .. وهذه الأفلام تنتج وتعرض بمعرفة مركز الفيلم الاسرائيلى .. وتسافر الى المهرجانات العالمية .. تحمل شعار الديمقراطية فى اسرائيل !

اما افلام الدعاية لليهود .. وتذكير العالم بحق اليهود فى الأرض الموعودة ..

هذه الأفلام أصبحت مسئولية الصهيونية العالمية بمالها من نفوذ جبار ، مادى ومعنوى ، على أغلب مؤسسات الفن والاعلام فى امريكا وأوربا .

وهكذا أستبدلت السينما الاسرائيلية صورتها الصارخة .. بقناع ظريف ومسل وجرىء فى النقد عند اللزوم .. أما الابناء المخلصون والتلاميذ الاوفياء لتعاليم الصهيونية .. فعليهم أن يقوموا بالدور المطلوب فى شتى انحاء العالم . !

وهؤلاء الأبناء والتلاميذ .. لم يكفوا يوماً عن رسالتهم تجاه المؤسسة الصهيونية .. فهم الآن مطالبون بمزيد من الجهد والابتكار .

الممثلة الاسرائيلية «انات اتزمون» اعطتها اسرائيل جائزة احسن ممثلة عن دورها فى فيلم «الشارع المسدود» !



الكاتبة فى مشهد بداية الفيلم ، وقبل ان تقرر هجران عالمها الأنيق لتعيش الحياة البدائية فى مكان معزول بفلوريدا .. لقطة من فيلم «كروس كريك» !



سينما

فضائح وانحرافات بدلا من الدعاية المكشوفة

● المخرج الامريكى العجوز !

ولهذا لم يكن غريباً ان يواصل المخرج الامريكى العجوز « مارتن ريت » مهمته فى الدعاية لليهود بشكل فاضح ومثير .. وكانه يريد ان يختتم حياته باقتناع كامل انه ادى الرسالة المطلوبة منه .. فها هو الآن ، وقد تجـاوز عامه الثانى والسبعين من عمره ، يقدم فيلماً بعنوان « كروس كريل » ـ وهو أسم مكان فى فلوريدا ـ يدعو من خلاله لأهم مبدأ قامت عليه الدعوة الصهيونية .. بأن الارض لمن يرعاها وليست لمن يملكها .. فالأرض ـ كما يقول هذا الفيلم بصريح العبارة ـ ملك للريح والمطر والشمس وللبذور .. وهى ايضاً ملك للزمن .. فمن يعطى الأرض ، الحب ، والرعاية .. تعطيه الأرض ، الزهور والخصوبة . !

ويستبيح المخرج الامريكى «مارتن ريت» لنفسه ، ان يؤكد هذا المبدأ من خلال توضيح الرمز حتى يفهم من لمن يفهم .. ان هذه الأرض تطرح البرتقال !

وقد عرض هذا الفيلم داخل السينما الرسمية لمهرجان « كان » هذا العام .. معتمداً على اسم المخرج وتاريخه الطويل فى السينما الامريكية .. ولكن الفيلم لم يحقق اى نجاح ملحوظ داخل المهرجان .. وكان هذا نذيراً سيئاً برد فعل الجمهور الامريكى عندما يبدأ عرض الفيلم داخل امريكا فى اكتوبر القادم .

● المرأة التى حققت ذاتها

وفيلم « كروس كريك » ماخوذ عن قصة حياة الكاتبة الامريكية « مارجورى كنيان رولنج » وتجربتها الخاصة فى فلوريدا باوائل العشرينات من هذا القرن .. والتى سجلتها فى كتاب يحمل عنوان « ذكريات كروس كريك » .

ويحكى الفيلم قصة هذه المراة التى تشق طريقها فى عالم الكتابة .. وقد كانت متزوجة من صحفى .. ولكنها تقرر ان تكسر كل القيود الاجتماعية المحيطة بها .. وان تنفصل عن زوجها .. وتختار هذه المنطقة الموحشة البدائية لتعيش فيها .. تبنى حياتها الجديدة بنفسها .. وتحقق ذاتها بدون مساعدة أو قيود من احد .

ويصور الفيلم هذه المراة .. وكانهـــا مناضلة لها ارادة حديدية فهى لا تعـرف اليأس أو التعب .. ورغم وحشية المكان الذى اختارته للاقامة .. الا انها سرعان ما تنظفه وتعيد اصلاح الابواب والنوافذ وتزينه بالأثاث الأنيق والستائر وكل ما يلزمها لحياة مريحة .. وهى تفعل كل هذا بمفردها فليس هناك جيران بالقرب منها .. بل ان اقرب بيت لها على مسافة عدة أميال وسط الأحراش .. وهناك بعض العائلات التى تسكن فى اماكن بعيدة متناثرة ..

وهى دائماً المراة القوية المحبوبة .. التى تعرف كيف تفرض الحماية لنفسها .. بل وتساعد الآخرين على حل مشاكلهم .. وتنجح فى اقامة علاقات وثيقة مع سكان هذا المكان المهجور .. تروض الطباع الشرسة لأحد الرجال الذى يتعامل مع زوجته واطفاله بكل القسوة والعنف .. وتنشىء صداقة حميمة مع صبية صغيرة وتدافع عن رغبتها فى امتلاك غزال ، مهما تسبب هذا الغزال فى مشاكل لأهل البيت .

وهذه المراة فى غمار معركتها لتحقيق ذاتها .. لا تنسى ان تؤجل عواطفهـــا الخاصة .. وترفض طلب زواج تقدم به صاحب الفندق الذى التقى بها صدفة فى الطريق الى هذا المكان .. وعرض عليها

الكاتبة والرجل الذى ارتبطت به ، بعد ان تاكدت من نجاحها فى الكتابة !



الفتاة المنحرفة بعد ان تحولت الى فتاة مختلفة بالماكياج والملابس .. لقطة من فيلم الشارع المسدود !



الشاب الاسرائيلى فى فيلم «الخماسين»



الشاب العربى فى فيلم «الخماسين»



مساعدتها باحترام واعجاب و يتمنى ان يرتبط بها .. ولكنها كانت قد قررت انهـــا لا يمكن ان تصبح زوجة وكاتبة فى نفس الوقت .. فاما ان تكون زوجة .. او كاتبة .. وهى تريد ان تصبح كاتبة معترفاً بها ..

وتنتهى من كتابة رواية لترسلها الى الناشر مع خطاب خاص تحكى فيه عن المكان الذى تعيش فيه .. فيرد عليها الناشر بان الرواية لا تصلح للنشر .. وينصحها بان تكتب عن المكان الذى تعيش فيه وان تحكى عن نماذج من جيرانها . وتتلقى المراة صدمة الفشل بقوة وثبات .. لتبدأ الكتابة عن « كروس كريك » هذا المكان بكل تفاصيل الحياة فيه .. وتبدأ فى نفس الوقت جنى ثمار البرتقال التى تنوء بها الاشجار التى رعتها .

ويتحقق لها النجاح .. تصبح كاتبة معترفاً بها .. وتصبح زوجة للرجل الذى ظل ينتظرها طوال هذه الفترة .. ويعرض عليها الانتقال إلى مكان اخر اكثر راحة ..

ولكنها ترفض باصرار واقتناع كامل .. وهى تردد : « لقد أصبحت جزءاً من هذه الأرض »

ثم تنشد كلماتها عن الأرض التى لا تباع ولا تملك .. وانما تصبح من حق من يستثمرها . !

وينتهى الفيلم . لنتساءل هل الموضوع حقاً عن هذه الكاتبة وتجربتها فى هذا المكان .. أم ان المقصود شىء اخر . ؟!



المخرج الأمريكى «مارتن ريت»

● تاريخ المخرج .. يكشف السر

ليس من المفروض ان نتحلى بالبراءة دائماً .. بل لابد ان نكون على دراية بما يقصدون .. وان نفكر على نفس المستوى .. خصوصاً اذا عرفنا ان المخرج « مارتن ريت » من اصل يهودى .. وانه منذ اربع سنوات قدم فيلم « نورما راى » الـــذى لعبت بطولته الممثلة « سالى فيلد » وحصلت على جائزة احسن ممثلة عن دورها فى هذا الفيلم من مهرجان كان ٧٩ .. ثم حصلت على جائزة اوسكار احسن ممثلة عن نفس الدور .. ورشح الفيلم أيضاً لاوسكار احسن فيلم ..

ولم يكن هذا الفيلم (راجع مقال الدوحة اغسطس ٧٩) الا دعوة صريحة لتكريم هذا اليهودى الذى يدعو العمال للانضمام إلى نقابات العمال حفاظاً على حقوقهم .. فهذا اليهودى هو شخص مناضل ، واعى ، ذكى ، محبوب ، يعرف كيف يشق طريقه وسط كل المصاعب .. ويختار هذه المراة الغارقة فى همومها العائلية ومشاكلها فى العمل (نورما راى) ليقف إلى جانبها .. يلقنها تعاليمه .. ويساعدها للبحث عن شخصيتها .. حتى تقف على قدميها .. وتتصدى لمحاولات أصحاب مصنع النسيج الذى تعمل به وتقود اضراباً عن العمل حتى يتحقق لها الهدف فى تكتيل العمال كقوة تطالب بحقوقها وبتشكيل نقابة لهم .

وتنتهى مهمة الرجل النقابى اليهودى بعد ان تحقق هدفه بانشاء نقابة فى تلك المدينة .. ويأتى موعد رحيله .. فيـــودع (نورما راى بقوله : « لا اقول وداعاً . بل اقول كونى سعيدة) .. فتقول له « ما تعلمته منك كان شيئاً عظيماً » .. فيردد هو بتأكيد : « اشكرك لمعونتك لى .. اشكرك للصداقة » ..

وهكذا ينتهى فيلم « نورما راى » والبطل اليهودى هو رمز العقل والحكمة والاصلاح .

وبعد اربع سنوات يعود المخرج « مارتن ريت » ليلقى بكل ثقله فى فيلم « كروس كريك » معلناً ان الأرض للاقوياء .

● « الخماسين » .. والحلم الكاذب

والمثير تماماً .. ان الافلام التى خرجت من اسرائيل ذاتها .. تناقش مسالة الأرض بوجهة نظر مختلفة ..

على الأقل هذين الفيلمين اللذين عرضا خلال هذا العام فى اكثر من مهرجان سينمائي دولى ..

الفيلم الاول .. بعنوان « الخماسين » الذى اخرجه المخرج الاسرائيلى الشاب « دانيل فاشسمان » .. ومنحت اسرائيـل هذا الفيلم جائزة احسن فيلم لعام ٨٢ .. وجائزة احسن اخراج .

وخرج الفيلم إلى العالم وسط دهشة بالغة .. حتى ان بعض الصحف الامريكية وصفته بانه اجرا فيلم اسرائيلى يناقش المسالة العربية الاسرائيلية .

وعنوان « الخماسين » يشرح نفسه .. انها الرياح المحملة بالاتربة والتى تعصف بكل شىء .. والفيلم ينتهى بهذه الرياح كحدث من احداث الطبيعة .. وأيضاً

نساء فلسطينيات .. يبكين الأرض المسلوبة .. لقطة من فيلم «يوميات الاحتلال» .



كنتيجة للعلاقات المتوترة التى تحكم شخصيات الفيلم ..

وتدور احداث الفيلم فى قرية بالجليل بين شاب اسرائيلى يملك بيتاً ومزرعة يقيم فيها مع أمه واخته .. وهناك شاب عربى يعمل عنده فى المزرعة .

هذا الشاب العربى يعرف ما تفعله الحكومة الاسرائيلية من مصادرة واغتصاب اراضى العرب .. ولكنه لا يبالى .. فهو يريد ان يعيش فى هدوء .. وتتصاعد كل الأحداث من حوله حتى يقع ضحية عنف بعض الشباب الاسرائيلى الذين يتكتلون ضده ويضربونه .. فى نفس الوقت الذى يمارس فيه الاسرائيليون منتهى الشراسة والبجاحة ضد العائلات العربية .. يغتصبون الأرض .. ويطردون السكان .. وينهبون متاجرهم .

وينتهى الحلم الكاذب بالتعايش السلمى .. بمقتل هذا الشاب العربى تحت اقدام ثور هائج يطلقه الشاب الاسرائيلى الذى يستخدمه فى مزرعته ..

ان القتل والعنف يبدأ دائماً من جانبهم .. والأرض مسلوبة بقوة السلاح .

● يوميات العنف والبلطجة

الفيلم الثانى .. عنوانه « يوميات الاحتلال » للمخرج الاسرائيلى الشاب « أموس جيتاى » الذى صنع تحقيقاً مصوراً بالغ الجرأة عن كل مظاهر العنف فى الجيش الاسرائيلى داخل المدن والقرى العربية المحتلة ..

وضع المخرج الكاميرا امام الجنود الاسرائيليين وسجل على الطبيعية كل تصرفاتهم وكلماتهم .

الغطرسة والشراسة فى كلماتهم .. وهم يحاولون منع التصوير .. وخطف الكاميرا .. وعندما يناقشهم المخرج ـ والحوار بينهم مسجل بالكامل فى الفيلم ـ ان هذا ليس من حقهم .. فيكون رد فعل أحد الجنود انه يضع يده على عدسة الكاميرا .. وتظلم الشاشة .. وتبدو أحيانا بعض ملامح الصورة من وراء أصابعهم .. ثم ينطلق المخرج بالكاميرا إلى بيوت العرب وارضهم المسلوبة وأشجارهم التى زرعها الأجداد وأصبحت الآن فى قبضة الجنود الاسرائيليين ..

وحركة بناء المستوطنات الاسرائيلية .. وأحد المستوطنين يقول بغطرسة وغباء أحمق « لا يمكن ان تعيد الحكومة هذه الأرض للعرب » وتلتقط الكاميرا أطفال هذا الرجل وهم يلعبون فى هذه الأرض ومعهم كلبهم الصغير .. بينما فى مكان آخر قريب بعض النساء العربيات يدرن فى حلقة ينشدن أهازيجهن الحزينة الباكية عن الأرض المفقودة .. وصوت بيجين فى أحد خطبه يقول « ان فلسطين وسوريا ما هى الا اسماء لأرضنا » ! .. وأحد الجنود الاسرائيليين يعلق ببجاحة متناهية « علينا ان نضرب العرب ولا ننتظر حتى يحاربوننا » ويرد عليه جندى آخر زميله ولكنه يبدو عليه انه من جناح آخر معتدل : « لا اوافقك الرأى .. لماذا لا نعطيهم ارضهم ونعيش فى سلام » !

وهكذا يمضى هذا الفيلم الوثائقى الذى سجل كل لقطاته بلا اعداد مسبق .. بل ترك كل شىء كما يحدث فى الواقع لنخرج بانطباع أكيد ووحيد .. أن هذه القوة الاسرائيلية لا تستند إلا على العنف والقهر وان الاستيلاء على الأرض وتغيير ملامحها هو هدفهم الأساسي لقطع كل الجذور .

● العالم السفلى فى تل أبيب

ومن داخل « تل أبيب » يقدم المخرج الاسرائيلى الشاب « ياكى يوشا » فيلماً بعنوان « الشارع المسدود » حصلت ممثلته

الضحايا فى لبنان .. صورة من الواقع تجيب على السؤال الذى يطرحه الفكر الصهيونى فى فيلم «كروس كريك» .



المخرج يحتفظ بنسخة الفيلم ، وزميلته فى التليفزيون تحاول الحصول عليها .



اثناء تصوير فيلم الطريق المسدود .



على جائزة أحسن ممثلة فى اسرائيل عام ٨٢ .. وقد عرض هذا الفيلم فى برنـــامج « نصف شهر المخرجين » أحد الأقســـام الهامة فى مهرجان « كان » لهذا العام .

ويتعرض الفيلم لهذا العالم السفلى فى اسرائيل .. حيث الانحرافات والمخدرات والعنف والبلطجة .. ففى خلف هذه البنايات الضخمة فى تل أبيب .. توجد تلك الخرابة المهجورة والتى لا تتنفس الا ليلا من خلال تجمع المنحرفات .

ويفكر أحد المخرجين فى التليفزيون فى تقـديمتحقيق تليفزيونى عن واحـــدة منهن بمنطق ان يصنع منها امراة مختلفة .. ويتم اختيارها كنموذج يتميز بالشراسة والعدوانية ، وتجرى محاولات اقناعهـا بالدور المطلوب .. وهى لا تكف عن الرفض والشتائم .

الغريب تماماً فى هذا الفيلم الناطق بالعبرية .. ان كل الشتائم القذرة تقال باللغة العربية الدارجة) .. ويحاول المخرج ان يكسبها كصديقة أولا حتى يروضها ويكسبها للبرنامج .. وعندما يتحقق له هذا .. يخضعها لعملية ماكياج دقيقة فى محاولة لاعادة البراءة إلى ملامحها .. ويختار لها ملابسها .. ويحدد لها حركتها وتصرفاتها .

وتتغير هذه الشخصية إلى فتاة مختلفة لا يكاد يتعرف عليها زملاؤها .. وتعجب هى بالشخصية الجديدة .. وتتعلق بالمخرج وتطلب منه بالحاح الا يعرض الفيلم الذى صوره عنها .. فهى لا تريد أن يعرف أحد ماضيها .. لقد غيرت اسمها .. وغيرت ملامحها .. وتغير أسلوبها .. فلماذا تعود مرة أخرى إلى الماضى .. ويقتنع المخرج بوجهة نظرها حباً منها وتقديراً للجهد الذى بذلته فى التحول .. ولكن عندما تعلم زميلته فى البرنامج بهذا الاتفاق تثور ضده وتنتزع منه الفيلم .. وفى هذه اللحظة تدرك الفتاة نهايتها .. فتسرع إليها .. حيث تلقى بنفسها امام احدى الشاحنات الضخمة لتصرعها على الفور .. وينتهى الفيلم .

والقصة حقيقية .. حدثت فى تل أبيب عام ٧٧ .. واذاع التليفزيون الاسرائيلى الفيلم الذى صور عن هذه « الفتاة » بعد مصرعها بساعتين ..

وقد اعترف المخرج «ياكى يوشا» بانه تعرف على بطلة هذا الحادث أثناء تصوير البرنامج التلفزيونى .. واحس من خلال كلماتها انها تريد ان تغير حياتها .. وتكسب قوتها بعمل شريف .. فاستخدمها فى الاستوديو أثناء تصوير احد افلامه ، لتصنع الشاى والشطائر للعاملين فى الفيلم .. واعربت له عن مشاعرها بعدم رغبتها فى ظهور البرنامج التلفزيونى .. وكما يقول المخرج انه لم يصدقها لحظتها .. ولهذا فهو يقدم هذا الفيلم عنها .. كاعتذار عما حدث ..

والمخرج «ياكى يوشا» كنت قد قدمت فيلمه السابق «النسر» فى الدوحة عدد سبتمبر ٨١ .. وقد كان ذلك الفيلم ادانة للجيش الاسرائيلى .. وتجارة الموت التى نشات فى اسرائيل بعد حرب ٧٣ .

وها هو فى فيلمه الجديد «الشارع المسدود» ياخذ شريحة من الحياة في الاماكن المظلمة خلف البنايات الضخمة التى تملأ قلب تل ابيب .. هذه الحياة بكل عفويتها وقذارتها وشراستها .. وحيث تتواطا الشرطة مع العصابات وتتقاسم معهم النقود ..

وهذا الفيلم رغم حرفيته المتميزة فى الاخراج والتمثيل .. إلا انه لا يرقى ابدأ الى مستوى فيلم «النسر» .

● اللعبة الجديدة

ولكن ما يدعو للتوقف والتساؤل .. هذا التغير الذى حدث فى سياسة الانتاج السينمائى الاسرائيلى .. وكيف اصبحت الافلام التى تخرج من اسرائيل تهاجم النظام الحاكم فى اسرائيل .. وتعرى كل الفضائح والانحرافات .

هل هى فعلا مسالة ديموقراطية .. ؟

ولكن هل نصدق ان حكومة بيجين تطبق الديموقراطية .. خصوصاً فى السينما .. وهم يدركون جيداً مدى تاثير السينما .. وقوة الاعلام من خلالها ؟ .

أم أن المسالة هى لعبة توازن بين ما يقدمونه .. وبين ما يقدمه ابناؤها المنتشرونفى مؤسسات الفن والاعلام بالخارج ..

ان سمعة النظام الاسرائيلى وما فعله من جرائم فى لبنان ومع أبناء فلسطين .. والتعنت الواضح وسياسة العنف والدم التى هزت ضمير العالم خلال العامين الماضيين بالذات .. لا يمكن ان تسمح لأحد فى العالم بان يصدق دعوة تعاطف مع اليهود تصدر من اسرائيل ..

ولكن من الممكن ان تمر هذه الدعوة إذا حملت أى لافتة اخرى ..

ومن هنا .. علينا ان نفهم هذه اللعبة الجديدة .

«رءوف توفيق»

«الموت» هو اللغة الوحيدة التى تعرفها اسرائيل فى مواجهة كل من يطالب بحقه فى الأرض والحياة



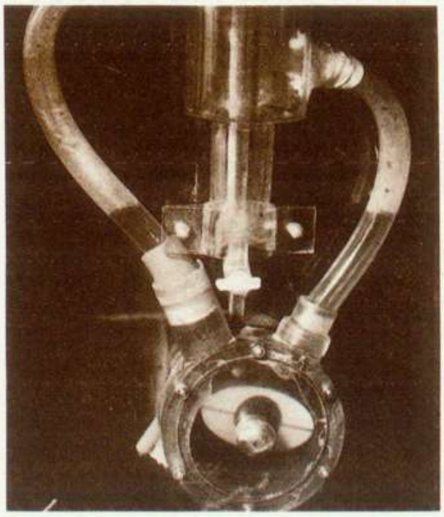
لقطة من العمل داخل المزرعة فى فيلم الخماسين .



العلم والمستقبل

تقديم : لبنى الريدي

محرك ميكانيكى بدلا من القلب



نموذج القلب الفرنسى

يقدم طبيب فرنسى نموذجاً جديداً للقلب الصناعى لا يلتزم بشكل القلب الطبيعى وانما هو اقرب ما يكون لمضخة ذات دوار بيضاوى استوحى شكلها من المحركات الميكانيكية . ولقد صنع القلب الفرنسى من مواد كربونيـة مركبة يتقبلها الجسم لأن جهاز المناعة فيـه يجهل وجودها تماماً .

ويؤكد الطبيب الشاب ان ابتكاره اكثر تطوراً من النموذج الامريكى فهو يتميز بان المحرك موجود داخل القلب ذاته مما يمنح المريض مزية حركة بعكس القلب الامريكى حيث كان على الدكتور بارنى كلارك ان يجر وراءه ١٥٠ كيلو جراماً من الاجهزة .

ولتزويد المضخة بالطاقة اللازمة لتشغيلها يتم زرع بطارية حجمها أكبر قليلا من حجم منظم القلب المعروف وتشحن هذه البطارية بشكل مستمر بالقوة الدافعة التأثيرية لبطارية خارجية صغيرة يثبتها المريض فى حزامه . وتستطيع البطارية المزروعة مواجهة أى مجهود عضلى اضافى يقوم به المريض .

ولعل من أهم مميزات هذا القلب المضخة ان الدم الذى يتجمد داخله يتحول خـلال اسابيع قليلة الى نسيج حي ويغطى سطح القلب الصناعى نسيج طلائى مما يحل جذرياً مشكلة رفض الجسم للعضو المزروع ولقد تم تجربة هذا القلب بنجاح على الحيوان ومن المتوقع تجربته على الانسان خلال عامين .

هاتف يكتب الرسائل

لا تستطيع بعض المهن الاستغناء عن الهاتف سواء فى المنزل او خارجه . ولذلك زودت السيارات بالهاتف اللاسلكى . ولكن البعض يرى انه غير كاف فسوف يتعذر الاتصال اذا غادر هذا الشخص السيارة للقيام بزيارة أو مستروات او حتى لتناول الطعام .

ومن ثم تم ابتكار هاتف لاسلكي جديد مزود بطباعة لاستقبال الرسائل مكتوبة بحيث يجدها صاحب الهاتف عند عودته . ولا يكتفى هذا النظام بهذا الموقف السلبى وانما ينبه صاحبه عن طريق جهاز استقبال صغير يحمله فى جيبه اينما ذهب بان هناك رسالة يجرى استقبالها على الهاتف .

ويتميز النظام بالدقة فلا مجال لحدوث اى خطا فالرسالة المكتوبة لا تعطى فرصة لأى التباس فى المعنى سواء من قبل المرسل أو المستقبل . ولا يستغرق ارسال الرسالة سوى ثانية واحدة وهو زمن قياسي . كما يمكن تكويدها لتفادى اى عمليات تصنت غير مرغوب فيها .

اما السنترال فمزود بكمبيوتر يحتفظ بالرسائل فى ذاكرته ليبثها بمجرد ان يصبح التردد غير مشغول وهو يستطيع اختزان ٤٥٠ رسالة . ويسجل جهـاز الكمبيوتر تاريخ وساعة الارسال والاستقبال لأى رسالة . كما يستطيع الهاتف الجديد الاحتفاظ فى ذاكرته برسالة واحدة حتى يتم طبع الرسالة السابقة .



الهاتف الجديد يطبع الرسالة

اشعة الليزر وتحديد عيوب البصر

احدث جهاز فى موجة الأجهزة الطبية للتشخيص الذاتى هو جهاز لاختبار قدرة الابصار وحدته . ففي خلال ثوان معدودات يكتشف الجهاز البريطانى الجنسية اذا كان هناك عيب وما نوعه . ولا يزيد حجمه عن حجم الآله الكاتبه الصغيرة وهو يعمل باشعة الليزر .

ويحتوى الجهاز على مولد اشعة الليزر يقوم بتوجيه الشعاع الضوئى الى عين الشخص من خلال شاشة دائرية صغيرة .

وعندما ينعكس الشعاع من العين فان نقطا تظهر على الشاشة وتتحرك فى حالة وجود خلل فى قدرة الأبصار . ويستطيع الجهاز تحديد نوع العيب تبعا لحركة النقط . ولأن الجهاز ذكى فهو يبين للمريض اذا كان هناك اكثر من عيب من عيوب البصر بل ويحدد أيضا نوع العدسـات اللازمة لتعويض هذا العيب .

ولكن هذا الجهاز لا يغنى بالطبع عن الفحص المتخصص للعين .

التوقيت فى كل انحاء العالم



الساعة العالمية

نعلم جميعا ان من نتائج دوران الأرض ان الشمس عندما تشرق على مناطق من الكرة فهي تغيب عن مناطق اخرى ومن ثم فان التوقيت يختلف من بلد الى اخر تبعاً لموقعه الجغرافي .

ولكن هذه الكرة الارضية تتيح لك معرفة الوقت فى اى بلد فى العالم وفى اى لحظة بشرط واحد أن يكون هذا البلد وجوداً على الخريطة . ويكفي لذلك تدوير الكرة الأرضية حول محورها حتى تضيء المدينة التي تريدها بضوء احمر وفى نفس الوقت تظهر على شاشة صغيرة التوقيت المحلى للمدينة التى تقيم بها وتوقيت المدينة المطلوبة ويكتب الوقت بارقام واضحة .

ويتم ضبط هذه الساعة مرة واحدة عند بداية تشغيلها وذلك بان نجعل اسم المدينة التى تقيم بها يضىء باللون الأحمر ويتم ضبط كل من التوقيت العلوى والسفلى الذى يظهر على الشاشة على الساعة حينذاك .

ولكن لا تاخذ هذه الساعة فى الاعتبار التوقيت الصيفي أو الشتوى المعمول به فى بعض البلدان .

طماطم لها جلد بقرة

قد يصعب فى بعض الأحيان الفصل بين بعض انواع الحيوان والنبات بشكل قاطع خاصة فيما يتعلق بالكائنات وحيدة الخلية . ويوجد فى الطبيعة كائنـــات لا يمكن تصنيفها اذ تضم صفات حيوانية ونباتية فى آن واحد . ولكن ولأول مرة نجح باحثان المانيان فى تخليق كائن هجين نباتي – حيواني .

واستخدما فى ذلك تقنيات متطورة فى مجال التهجين الخلوى اى التهجين على مستوى الخلية وليس على مستوى الكائن الحي . وتتلخص الطريقة فى احداث اندماج خلوى بين خلية نباتية واخرى حيوانية . ولتحقيق هذا الاندماج استعمل الباحثان قطبين كهربيين فى وسط يضم مزرعة من خلايا الطماطم وخلايا بقرة وبامرار تيار كهربى لمدة قصيرة جداً يحدث اندماج خلوى جزئي فى الحال ويتحول الى اندماج كامل بعد عدة ســـــاعات من الحضانة .

وبذلك حصل الباحثان على خلايا هجين تضم العوامل الوراثية لكلا النوعين . وعندما نمت هذه الخلايا فى وسط اخر اعطت نباتا مدهشا تشبه ثماره الى حد كبير ثمار الطماطم إلا ان لها غشاء خارجيا سميك جداً مثل جلد الابقار . وبالرغم ان الباحثين لم يفصحا عن خططهما بالنسبة للمستقبل فان هذا البحث يعد ثورة فى مجال التهجين فلأول مرة يلتقى العالم الحيوانى والعالم النباتى .

معمل طبع لا يخشى الضوء

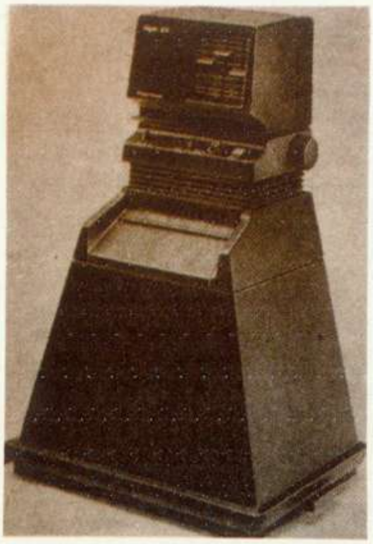
يستطيع هواة التصوير الخروج من الحجرة المظلمة لطبع الصور الملونة وتكبيرها فى ضوء النهار أو تحت الاضواء الساطعة وذلك بفضل جهاز طبع جديد .

وكما يتضح من الصورة فان ارتفاعه لايتجاوز ١٩ بوصة ويستطيع تكبير شرائح وصور سلبية مقاس ٣٥ ملليمترا الى اى من المقاسات الثلاثة التالية : ٥ / ٧ او ٨ / ١٠ او ١١ / ١٤ .

ولا يحتاج الجهاز الى اى تجهيزات خاصة كتوفير ماء جارى مثلا . وفى حالة عدم استخدامه يمكن طيه بحيث لا يشغل حيزاً كبيراً ويسهل حفظه على احد الارفف او داخل خزانة صغيرة .

ويتكون الجهاز الجديد من آلة تكبير مثبتة فوق كاسيت غير منفذ للضوء يحتوى ورق الطبع الفوتوغرافى . وقبل تعريض النسخة للضوء يقوم المصور بمراجعة عملية التكبير اذ يمكن ضبط وتعديل الألوان للحصول على توازن افضل قبل الطبع .

كما يتيح هذا الجهاز الحصول على تاثيرات فوتوغرافية خاصة باحداث تداخل بين شريحتين او اعادة ترتيب الصور فى عملية مونتاج بسيطة . وبمجرد تعريض الصورة للضوء يمكن اخراجها من الجهاز وغسلها بالماء ثم تجفيفها خلال دقائق معدودات .



معمل جديد للصور الملونة

وينتظر طرح هذا الجهاز الذى لا يتطلب مواد كيمائية معينة او نوع خاص من ورق الطبع قبل نهاية هذا العام فى الولايات المتحدة .

حاول أن تعرف



الصورة الأولى : ليست لأحد الاهرامات الفرعونية ولكنها لأحد الفنادق العالمية بعاصمة دولة عربية : هل يمكن التعرف على هذه العاصمة والبحر الذى تطل عليه.



الصورة الثانية :

كان الشخصية الرائدة لحركة الاستنارة الفرنسية فى القرن الثامن عشر وقد سجن فى سجن الباستيل وكان شاعراً وكاتباً مسرحياً ومؤرخاً وفيلسوفاً ومن أشهر كتبه رسائل فلسفية الذى نشر سنة ١٧٣٤ ، فمن هو هذا المفكر الحر .



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

يرجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى كتابة اسم المسابقة وكتابة الاسماء والعناوين بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد "٩١"



الصورة الأولى : الجامع الأزهر بالقاهرة .
الفائز : محمد صو ــ السنغال .
الفائز : محمد عبد الرحيم عبد الله ــ السودان



الصورة الثانية : عبد الرحمن الكواكبي
الفائزة : فاطمة يوسف السبع ــ لبنان
الفائز : خليفة احمد ــ الامارات العربية

عرقوب والوعود



قال أبو عبيد : عرقوب رجل من العماليق أتاه أخ له يسأله فقال له عرقوب : إذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعها . فلما أطلعت أتاه كوعده فقال له : دعها حتى تصير زهواً فلما زهت قال له : دعها حتى تصير ثمداً فلما أثمدت عمد اليها عرقوب فى الليل فقطعها ولم يعط أخاه شيئاً فصار مثلا يضرب فى خلف الوعد وفيه يقول الشاعر :

وعدت وكان الخلف منك سجية
مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

عز الدين عبد الوهاب ابو علامة
السودان

مواساة



ذهب شاب فرنسى فقير الى مدير إحدى الشركات لكي يجد له عملا ، وروى للمدير كيف انه بائس وأن أولاده يتضورون جوعاً كما أن زوجته ووالده العجوز فى حاجة الى ثمن الدواء .

وتأثر المدير ولم يتمالك نفسه من البكاء ثم دق الجرس ولما جاء الفراش ، اشار المدير اليه قائلا :

«لقد قطع هذا الرجل نياط قلبى بظروفه المؤلمة فأخرجه من هنا» .

طارق محمد السيد عوض ـ مصر

لقطة الشهر



أكل العيش صعب

فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى
القارىء فضيلى سلوى ـ الجزائر

كلمات مأثورة



ـ العمل يقتل أكبر أعداء الانسان ـ الملل ـ الشر ـ الفقر ـ (فولتير) .
ـ اذا أراد الله بقوم سوءاً ابتلاهم بكثرة الجدل وقلة العمل . (عمر بن الخطاب) .
ـ اذا كنت تحب الحياة فلا تضيع الوقت سدى لأن الوقت هو المادة التى صنعت منها الحياة . (فرانكلين) .
ـ كن سيد ارادتك وعبد ضميرك . (أرسطو) .
ـ انى أشفق على الشخص الذى لا غاية له فى هذه الحياة . (أديسون) .

مصطفى عبد القوي ـ مصر



دوحة القراء

؟؟ مسابقة الدوحة ؟؟

مَن ؟

حاكم عربى قرشى بلغت الدولة الاسلامية فى عهده مبلغا لم يسبق له مثيل من المجد والتقدم ، كان ينظر الى السحابة فى الجو ويقول لها : امطرى اين تشائين فسياتينى خراجك !!
اسمه من كلمتين فى احد عشر حرفا ويمكن ان تكون عشرة احرف :
٢ ـ ٧ ـ ٩ ـ ١ ـ ١٠ ـ ١١ الذى يقتل فى سبيل الله .
٦ ـ ٨ ـ ٤ ـ ١٠ ملكة حكمت اليمن زمن الصليحيين .
٥ ـ ١ ـ ٣ مجرى ماء .

أيـن ؟

العاصمة التى عاش فيها ذلك الحاكم العربى . اسمها من خمسة احرف :
٢ ـ ٥ ـ ٤ ما بعد هذا اليوم .
٣ ـ ١ حيوان له فرو .

مـا ؟

الدستور الذى كان ذلك الحاكم العظيم يتخذ منه قوانينه وتشريعاته لتسيير امور الدولة . اسمه من كلمتين فى اثنى عشر حرفا :

١ ـ ٨ ـ ٥ ـ ١٠ ـ ٩ ـ ٧ ـ ٦

ضباط قيادة الجيش .

٧ ـ ٢ ـ ١٢ ـ ٤ ـ ٣ ماء طبخ اللحم .

١١ ـ ٦ اسم عملة قوية .

الإجـابـة الصحيحـة

١) ملوك الطوائف بالاندلس ، الذين فقدنا على ايديهم امجادنا هنالك منهم ثلاثة فى المجموعات الحاكمة التالية :
بنو عباد ـ بنو زيرى ـ بنو حمود ـ بنو خمارتكين . بنو منقذ ـ بنو شهاب .

٢) «يصنع الكهرمان من ثانى اكسيد السيليكون» .
هل هذه العبارة صحيحة علميا .

٣) رتب الجبال التالية حسب ارتفاعها :
جبل ايفرست ـ جبل سانت كاترين ـ جبل الرحمة .

٤) التعريف الكيماوى للصابون هو انه :
ملح لحامض عضوى ـ ثانى اكسيد للافلز ـ ايدروكسيد لعنصر غازى .

٥) إثنان من النباتات التالية من عائلة واحدة :
الخروب ـ البامية ـ الكركديه ـ الينسون ـ الفلفل ـ الفجل .

٦) توجد بحيرة مريوط فى القطر العربى :
العراقى ـ السورى ـ اليمنى ـ المصرى ـ العمانى .

٧) سرق القرامطة الحجر الأسود من الكعبة المشرفة سنة ٣١٧ هجرية وابقوه عندهم بالبحرين الى سنة :
٣٣٩ ـ ٣٥٩ ـ ٣٦٩ هجرية .

٨) همتى همة الملـوك ونفسى
نفس حر ترى المذلة كفـرا
انا ما عشت لست اعـدم قوتـا
واذا مت لست اعـدم قبـرا
من قائل هذين البيتين ؟؟

٩) مات الملك بولدوين الأول سنة ١١١٨ م في مدينة :
يافا ـ نابلس ـ العريش ـ بلبيس ـ عكا ـ القدس .

١٠) تبلغ مساحة دولة قطر حوالى :
١٢ الف كيلو متر مربع ـ عشرين الف ميل مربع ـ مليون فدان .

حـل مسابقـة العـدد «٩١»

من : سمو الشيخ خليفة ابن حمد آل ثانـي
اين : الدوحة .
ما : البترول .

الأجوبة الصحيحة

١ ـ العبارة صحيحة .
٢ ـ العلامة الرازى .
٣ ـ حبرون .
٤ ـ المحيط الهندى .
٥ ـ النابغة الذبيانى .
٦ ـ الماء .
٧ ـ للحسابات الفلكية .
٨ ـ ٤ مئوية فوق الصفر .
٩ ـ أبو الفتح الشهرستانى
١٠ ـ ٢٥ خمسا وعشرين مرة

أسماء الفائزين في مسابقـة

١ ـ اصل وصورة : الحل لون العلم ـ شراع المركب ـ قرص الشمس ـ عدد القلوب ـ موج البحر ـ شعر الفتاة ـ عين البنت .
الفائز : سميح سلامة عياد ـ مصر .
الفائز : محمد عبد الرحمن بدير ـ السعودية .

٢ ـ دورى الكاريكاتير : الحل رقم ٨
الفائز : احمد الحسينى ـ لبنان
الفائز : جمال ابراهيم بكر ـ مصر

٣ ـ لأقوياء الملاحظة :
وردة ـ قبعة ـ زهرية ـ خاتم ـ سوار ـ احمر شفاه .
الفائز : سيد احمد خضر ـ السودان .
الفائزة : سلوى عبد الفتاح ـ مصر .

«قرأت» الجبال البحرية

يؤمن العلماء بأن أقدم جبال فى العالم تقبع تحت مياه المحيط الأطلسى ، وهذه الجبال (البحرية) ــ على عكس الجبال الموجودة فوق سطح الأرض ــ غير معرضة لعوامل التآكل والتعرية ، إذ يعتقد أن أعمارها تزيد على ملايين السنين .

ومن المنتظر أن تعيش هذه الجبال أزمنة أطول من الأزمنة التى تعيشها الجبال التى تقع تحت سطح الأرض بالنسبة للهدوء النسبى فى الظروف المناخية تحت سطح البحر .

وتعتبر أطول سلسلة جبلية تحت سطح الماء هى سلسلة الجبال الموجودة تحت مياه المحيط الأطلسى والممتدة من أيسلندا الى منطقة القطب الجنوبى ، وهى تتخذ شكل القارات الموجودة بالقرب منها ، حيث يبلغ متوسط ارتفاع هذه السلسلة نحو ٧٠٠٠ قدم . ومعظم قمم هذه الجبال تقع على عمق يبلغ حوالى ٢٠٠٠ قدم تحت سطح المحيط .

وتعتبر جزيرة «بيكو» فى منطقة الأزورس قمة لأحد هذه الجبال ، حيث يبلغ ارتفاعها ٢٧٠٠٠ قدم بالرغم من أن ٢٠٠٠٠ قدم منها تقع تحت سطح المحيط الأطلنطى ، وقد تختفى قمم هذه الجبال تحت سطح الماء ، ولكنها توجد حقيقة بالرغم من أنه كان يشك فى وجودها منذ قرن مضى ، حيث دلت على وجودها دراسة طبيعة قاع البحر لعمل توصيلات الكابلات الكهربية .

وتعتبر قمم جبال «كوناكيا» فى جزر هاواى أعلى هذه الجبال الموجودة تحت سطح البحر ، إذ يبلغ ارتفاعها ١٣٧٨٤ قدماً فوق سطح البحر و ١٦٠٠٠ قدم تحت سطح البحر .

والعجيب ، إذن ، أن هذا الارتفاع يزيد على ارتفاع قمة أفرست بحوالى ٦٤٣ قدم .

محمد فكري عبد الجليل
بورسعيد ــ مصر



عن اللسان قالوا

قالت العرب : سلامة الانسان فى حلاوة اللسان .
المرء بأصغريه قلبه ولسانه .
وقال الأتراك : وخز اللسان أحد من وخز السنان .
اللسان يدمى اكثر مما يدمى السيف .
وقال الصينيون : اللسان يمكنه أن يطلق كلمة تتجاوز سرعتها سرعة أى جواد .
وقال الفرس : لسان طويل موت مبكر .
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أعظم الخطايا اللسان الكذوب .

وليد سليمان السلوم ــ سورية

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك نصف سنة القارئة : نوال عبد الرحمن محمد ــ الأردن .

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : احمد محمد خضر ــ مصر .

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : ميزر خاشع سلطان ــ الكويت .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ــ مروان عبد الهادى ــ الأردن
٢ ــ عفارى حسن ــ المغرب
٣ ــ علي حسن الحاج ــ قطر
٤ ــ عثمان الدرديدى ــ السودان
٥ ــ سنان فايز عبيدات ــ السعودية
٦ ــ منال سعد سالم ــ اليمن الديمقراطية
٧ ــ ثريا عبده علي ــ البحرين
٨ ــ محمد حسن المراغي ــ مصر
٩ ــ غسان حسن فخر الدين ــ لبنان
١٠ ــ بسام سليم عدي ــ الامارات العربية

استراحة الدوحة العدد «٩١»

٤ ــ يخلق من الشبه اربعين : الحل رقم ٥
الفائز : احمد سعيد زيادة ــ سوريا .
الفائز : منذر عبد العزيز الشمالي ــ الكويت

٥ ــ لعبة الظلال : اللاعب رقم ٢
الفائز : احمد قايد علي ــ الامارات العربية
الفائز : عصام عبد الجليل ــ مصر .

٦ ــ المثل يقول : اذا كان الكلام من فضة فان السكوت من ذهب .
الفائز : حميدة بشرى حميدة ــ السودان
الفائز : محمد عدي ــ المغرب .

٧ ــ اجمل تعليق :
«منتهى التكامل .
الفائزة : ماجدة عز الدين صالح ـ السودان .



استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

الجائزة لكل فائز فى هذه المسابقة ستون ريالا قطريا .

أصل وصورة



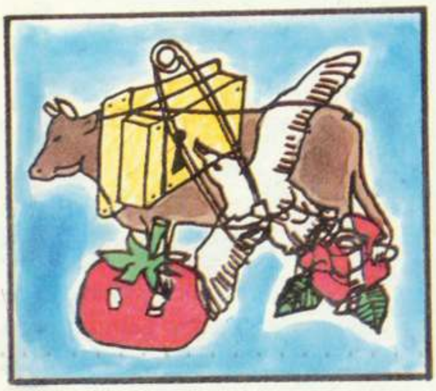
● هناك سبعة اختلافات بين أصل وصورة الشاعر الراحل امل دنقل ، الذى كان يرى دائماً أن الشاعر الحق هو القادر على النفاذ ببصيرته الى العناصر الفعالة فى تراث امته .. هل تستطيع التعرف على هذه الاختلافات ؟ .. حاول لتحصل على جائزة !

لوحة لم تتم



● هذه اللوحة لصحفى كبير اشتهر بين قرائه بعموده اليومى « نحو النور » الذى ظل يكتبه بصفة منتظمة لأكثر من ربع قرن .. أكمل اللوحة لتتعرف على الشخصية .. وأرسل لنا الحل لتحصل على جائزة .

لأقوياء الملاحظة فقط!

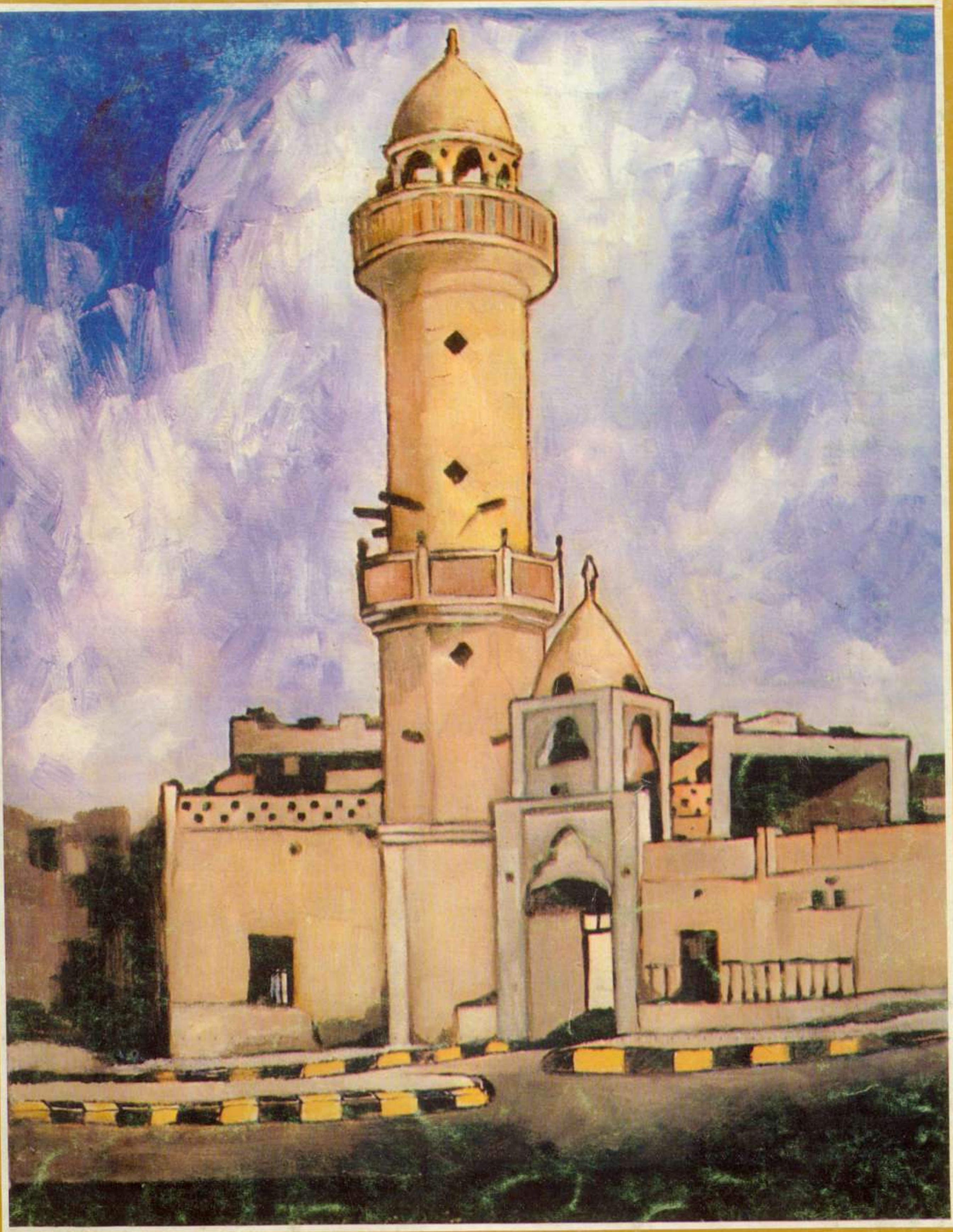


● أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ إذا عرفت الحل ارسله الينا لتحصل على جائزة ......



إرو عَطشَك مَع

تيم



«مسجد الأصمخ» من المساجد القديمة بمدينة الدوحة

للفنان القطري: سلمان المالكي

العدد ٩٤ - ذو الحجة ١٤٠٣هـ - أكتوبر ١٩٨٣م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

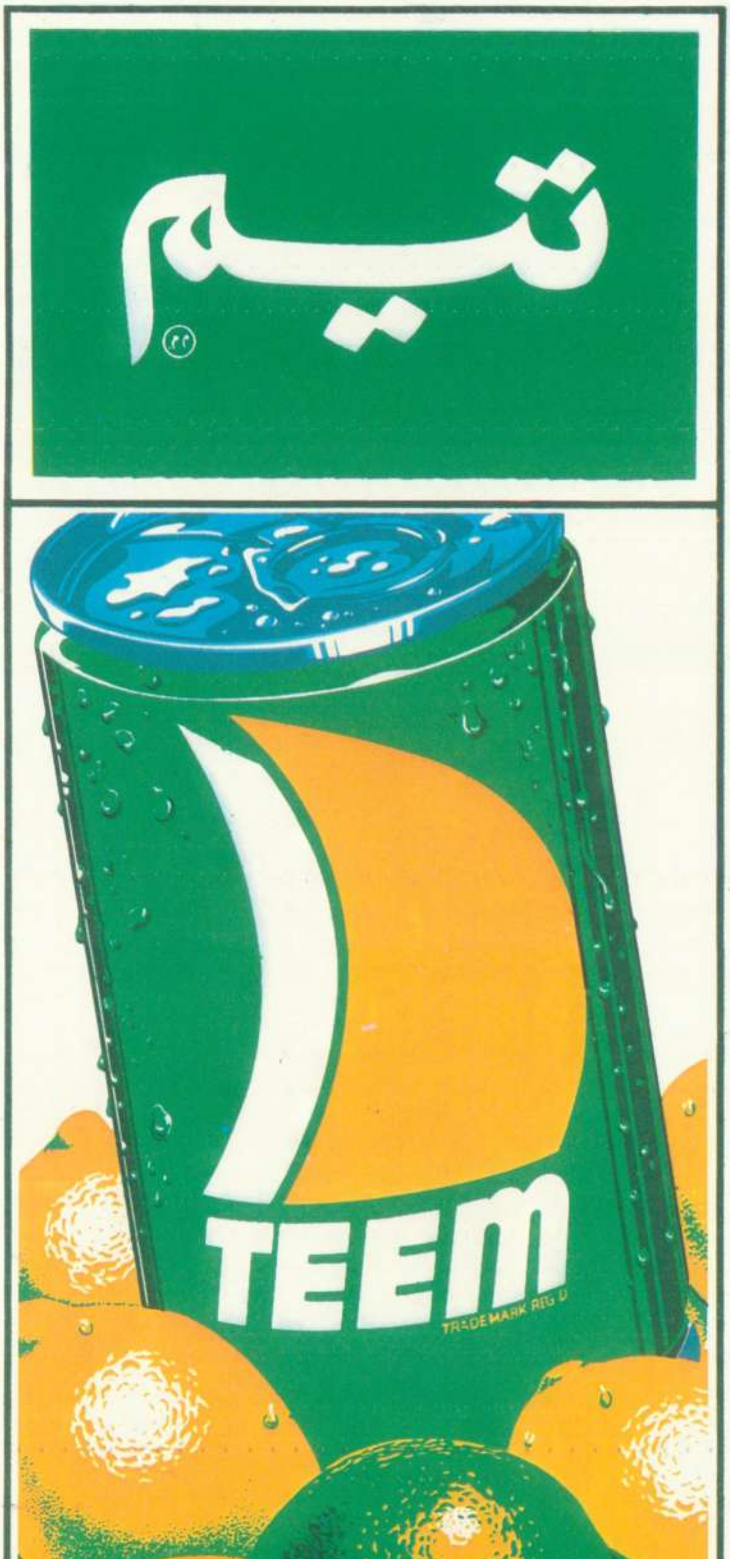
- فضيحة ليست للنشر في إسرائيل
- الممثلون الهزليون .. وحكم بالإعدام على كاتب روائي عالمي



أول مذكرات صريحة لشاعرة عربية كبيرة



XPDC-296/81



XTDC-296/81

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٩٤ - ذو الحجة ١٤٠٣ هـ - أكتوبر ١٩٨٣ م

المراسلات :

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تيلكس : 4521 MAGDO DH -
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
مدير التحرير : ٤٢١١٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٦٠ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٦٦ ريالا قطريا
باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها .
في باقي دول العالم ٧٢ ريالا قطريا .
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٢٥ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٣٢ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ١٤٠ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشأنها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر : ٥ ريالات
البحرين ٣٠٠ فلس
الامارات العربية ٥ دراهم
عمان ٢٥٠ بيسة
الكويت ٣٠٠ فلس
السعودية ٥ ريالات
الجمهورية اليمنية ٣٫٠٠ فلس
اليمن الديمقراطية ٣٠٠ فلس
العراق ٣٠٠ فلس
المملكة الاردنية ٢٥٠ فلسا
سوريا ٢٥٠ قرشا
لبنان ٢٥٠ قرشا
مصر ٢٠٠ مليم
ليبيا ٤٠٠ درهم
السودان ٢٥٠ مليما
تونس ٤٠٠ مليم
الجزائر ٤ دنانير
المغرب ٤ دراهم
باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين أمريكيين

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

● السودان
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم

● مصر
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء - القاهرة

● سوريا
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكة - تجاه ثانوية فايز منصور
ص . ب ٤٩٠٢ - دمشق

● العراق
الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة
ص . ب ٦٢٤ - بغداد

● ليبيا
المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازى : ص . ب ٣٢١ - بنغازى

● الاردن
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب ٣٧٥ - عمان

● البحرين
دار الغد
١ شارع المعارف - بناية الدرازى
ص . ب ٥٥٠ - المنامة

● سلطنة عمان
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر
ص ب ١٠١١ - مطرح
مسقط

● تونس
الشركة التونسية للتوزيع
٥ شارع قرطاج
ص . ب ٤٤٠ - تونس

● السعودية
مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان
ص ب ١٤٠٥ - الرياض
مكتبة ومطبعة ضياء - المدينة المنورة

● الكويت
شركة دار الكويت للصحافة
ص . ب ٢٣٩١٥ - الصفاة
الكويت

● لبنان
الشركة العربية للتوزيع
ص . ب ٤٢٢٨ - بيروت

● الجمهورية العربية اليمنية
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء

● جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية
مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع
ص . ب ٤٢٢٧ - المحافظة الاولى
عدن

● الامارات العربية المتحدة
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام - عمارة ثاني بن محمد
ص . ب ٧٩١ - ابو ظبي

● المغرب
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ص . ب ٦٨٣ - الدار البيضاء
MAROC :
SOCHEPRESS
B. P. No 683
CASABLANCA.

● الجزائر
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر
ALGERIE
S. N. E. D.
20 RUE DU LIBERTE
ALGER.

● جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
● الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي وزارة الإعلام أو رأي المجلة
● المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

في هـــذا العـــــدد



تجربة جديدة : الابتكار والاصالة والحس الصادق فى لوحات أطفال نادى الجسرة ص ٥٨



كريستوفر كولومبوس : ماذا بقى منه بعد خمسمائة عام على اكتشافه المثير؟ ص ٨٤



النهايات .. لعبد الرحمن منيف ص ٧٢

● دراسات ومقالات ●

● قصة انتحار فنان يهودي بعد وصوله لأرض « الميعاد »
د . محمد جابر الأنصاري ٦

● كيف نتخلص من الأوهام وننهض من جديد ....
د . عون الشريف قاسم ٩

● حقوق التاليف والابتكار من وجهة نظر الفقـــه الاسلامي ....
عبد القادر بن محمد العماري ١٢

● في الذكرى الأولى لمذبحة صبرا وشاتيلا : لمـــاذا لا يقام نصب تذكاري لشهداء المذبحـــة فى كل عاصمة عربية ؟ .... عصـام شريح ٢٢

● العقول المسروقة والمعارة والمقاتلة ....
فتحي رضوان ٢٦

● لحظات فى منزل الوحي .. وأيام فى ضيافة الرحمن
نبيل خـالد الأغـا ٥٠

● لماذا لا يستعيد العرب أقدم خريطة عرفتها الانسانية ؟
درويش مصطفى الفار ٤٢

● النظام الاقتصادى فى الاسلام ....
د . السيد محمد بدوي ٦٨

● كريستوفر كولومبوس : ماذا بقي منه بعد خمسمائة عام على اكتشافه المثير ؟ ....
عبد العزيز السيد المصرى ٨٤

● الف ليلة وليلة ظلموها فى التليفزيون العربى ......
محمد فتحي ٩٤

● الفيتامينات : هل هى مظلة واقية من بعض الأمراض ؟
د . عز الدين فراج ٩٦

● البحر .. ذلك الكون المجهول ....
د . عبد المحسن صالح ١٠٦

● شؤون الخليج ●

● تجربة جديدة : الابتكار والأصالة والحس الصادق فى لوحات أطفال نادى الجسرة ....
ماجد يوسف ٥٨

● بدائع الخط العربى فى لوحات فنان قطري ....
حسن الملا ١١٢

● عزف أول .. الى قطر ! ....
عبد الله الجفري ١٣٨

● ادب وفنون ●

● رحلة صعبة .. رحلة جبلية .. قصة حيـــاة فدوى طوقان .. ترويها بقلمها ....
فدوى طوقان ١٦

● على ضفاف الحلم يغني الأطفال ....
عبد القادر عقيل ١٩

● فصول أبي البهاء .. مع الرؤساء ....
د . عبد السلام العجيلي ٣٦

● شاعر لكل العصور ....
محمود السعدني ٣٩

● مخطوط عربي يباع فى لندن باكثر من ربع مليون دولار ! ....
وجيه الشربجي ٤٤

● الصندوق الخامس « قصة » ....
كلثم جبر ٤٨

● بيت العنكبوت « قصة » ....
نوره آل سعد ٦٤

● اخطاء لغوية معاصرة ....
د . عبد الله العبادي ٦٦

● قلق الانتظار « قصيدة » ....
فتحية عجلان ٦٧
● النهايات .. لعبد الرحمن منيف ....
ابو المعاطي ابو النجا ٧٢
● ٣٠ سؤالا لمخرج عالمي ....
ياسر السباعي ٧٦
● شكوك حول قيمة الأدب والفن ....
نعمان عاشور ٨٠
● البوابة الأولى « قصة » ....
حمدي الكحلوت ٨٣
● جيمس بوند ضد جيمس بوند ! ....
مجدي نصيف ٩٩
● انهم يكرهون الموسيقى العربية ويحاربون اللغة العربية ! ....
كمال النجمي ١٢٠
● العنف والدم على الشاشة .. ومسئولية الفنان لوقف هذا التدهور ! ....
رءوف توفيق ١٢٤

● أبواب ●

● كتاب الشهر : « الممثلون الهزليون » ....
تقديم : مصطفى كمال ٢٨
● دائرة المعارف القرآنية : التهذيب فى المعاملة ......
د . محمد البهي ٣٥
● لقطات من الكون المثير ٥٦
● من روائع الفن العالمي : فنان الحضارات القديمة
جمال قطب ١٠٤
● أوراق خضراء : التعصب اللغوي بعد التعصب للجنس ـ النفوذ اليهودي بين الصحف الامريكية والصحف العربية ـ اللعب ـ كتاب عن ضحايا الثورة الفرنسية ١١٥
● العلم والمستقبل ....
تقديم : لبنى الريدي ١٢٢
● رسائل إلى المحرر ....
تقديم : نبيل خالد الاغا ١٣٠
● دوحة القراء ١٣٢
● مسابقة الدوحة ١٣٤
● استراحة الدوحة ....
رءووف عبده ١٣٦

لوحة الغلاف : بريشة الفنان جمال قطب .

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

فضيحة ليست للنشر في إسرائيل

قصة انتحار فنان يهودي بعد وصوله لأرض "الميعاد"

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

● عام ١٩٧٨ وصل الفنان اليهودى السوفياتى يا فيم لاديجنسكى الى اسرائيل ، ضمن هجرة اليهود الروس الى « أرض الميعاد » .

كان « يا فيم » قبل هجرته لاسرائيل رساماً محترفاً فى الاتحاد السوفياتي يقوم برسم مناظر الديكور المسرحى والخلفيات التمثيلية ، كما كان يجد الوقت لرسم لوحاته الخاصة المحببة الى نفسه والمستوحاة من تراثه القصصي الدينى اليهودى ومن أجواء مدينة طفولته البحرية بشواطئها ومراكبها واحتفالاتها الفولكلورية .

وبالنظر لغلبة الطابع الدينى اليهودى على لوحاته الخاصة هذه فلن السلطات السوفياتية لم تسمح له بعرضها مما خلق لديه دافعاً قوياً للهجرة الى اسرائيل حيث كان ينتظر ويتصور ان لوحاته الدينية ستثير حماسة اليهود فى « أرض الميعاد » ، وانه سيصبح فى نهاية المطاف وآخر العمر فناناً عالمياً مشهوراً تطير شهرته الفنية من

اسرائيل الى العالم الغربى ، الأوربى والأمريكى ، الذى يرحب فى العادة بكل ما هو اسرائيلى ، ويفرش له السجاد الأحمر ، ويقدم له جوائز نوبل ..

فى اسرائيل ، بدأ يا فيم يرسم لوحاته الدينية اليهودية بحرية ، ويقيم المعارض واحداً تلو الآخر ..

ولكن ..

بعد أربع سنوات من وصوله الى « أرض الميعاد » ذهب ذات صباح الى الاستديو الفنى الخاص به – كعادته كل يوم – ليزاول نشاطه الفنى .. وبدلا من أن يرسم ، شنق نفسه ووضع حداً لحياته وهو فى السبعين من العمر .

● ● ●

● فى آخر معرض من معارضه ، قبل أن ينتحر ببضعة أشهر ، عرض « يا فيم » لوحتين كبيرتين لخصتا كل المسألة .. وأوجزتا مأساته الخاصة كفنان ، والعامة كيهودى وصهيوني جاء بحثاً عن الخلاص فى « أرض الميعاد » .

كانت اللوحة الأولى تمثل وجه الفنان نفسه وهو معلق فى أطراف النجمة الحمراء السوفياتية فى ساحة الكرملين وقد تم شطب الوجه بعلامة إكس X كبيرة . أما اللوحة الثانية فكانت تمثل أيضاً وجه الفنان نفسه وهو معلق فى أطراف نجمة داود الزرقاء وخلفها حائط المبكى وقد تم شطب الوجه – أيضاً – بعلامة إكس X كبيرة !

كانت هاتان اللوحتان بمثابة رسالة انتحار .. فماذا قال فى رسالته ؟ أراد « يافيم لاديجنسكى » أن يقول انه لم يستطع أن يتعايش لا مع النظام



السوفياتى ، ولا مع المجتمع الصهيونى فى اسرائيل ، وانه ظل مصلوباً على خشبتي أو على نجمتى النظامين ، وان وجهه لم يعد له غير الشطب فى ظل هاتين النجمتين ..

وبعد عرض هاتين اللوحتين لم يبق أمامه الا الانتحار .

وقد لفلفت الدوائر الصهيونية فى اسرائيل وخارجها هذه القضية ، وانزلت ستاراً من التعتيم والتجاهل على الفنان ولوحاته التى ظلت مرمية مكدسة فى الشقة الصغيرة التى انتحر فيها ، ولم تفلح ابنته فى لفت الأنظار الى مخلفاته الفنية . ويبدو ان المسئولين عن الفن فى اسرائيل لا يريدون لهذه المخلفات واللوحات أن تنتشر فى العالم ، لأن انتشارها سيسلط الأضواء من جديد على أسباب انتحاره ، وهى أسباب ليست فى صالح الصورة المثالية التى تحاول الصهيونية أن ترسمها وتنشرها بين اليهود وغير اليهود ، خارج اسرائيل ، عن المجتمع الاسرائيلى .

● ● ●

● فان يتضايق فنان يهودى ، مشبع بالروح الدينية ، من النظام السوفياتى فى روسيا .. هذا مفهوم ويمكن تفسيره وتبريره ..

ولكن ان يرفض فنان يهودى ، أصر على الهجرة الى اسرائيل بعد أن قارب السبعين ، أن يرفض الحياة فى الأرض الموعودة ويقرر الانتحار ، ويضع نجمة داود ، رمزه الدينى الصهيونى العميق على مستوى النجمة الحمراء الشيوعية من حيث كونهما تعبيراً عن القمع والعداء لروح الانسان والفن .. فهذه فضيحة فكرية وفنية وأخلاقية ، بل فضيحة كيانية مصيرية ، بالنسبة لصميم الفكرة الصهيونية والمجتمع الاسرائيلى ، ولا تؤدى إلا إلى النتيجة الحتمية التى لا مفر منها : وهى أن طبيعة الحياة فى الأرض الموعودة تتناقض فى حقيقتها مع « الوعد » الصهيونى الذى يتحركون على أساسه ، وينشرون الموت والدمار فيما حولهم من أجل تحقيقه .

نجمة داود ، التى جعلوها رمزهم المقدس ، ياتي فنان يهودى صهيونى ، عاش كل عمره فى روسيا منتظراً بريقها الموهوم ، ليجعل منها رمز المشنقة التى تدلى رأسه منها .. ويضعها على مستوى النجمة الشيوعية الحمراء التى هرب من جحيمها .. ماذا يبقى بعد هذا ؟

لو كانت وزارات الاعلام والثقافة فى البلاد العربية تعرف جيداً « سر المهنة » ، لأرسلت من يشترى هاتين اللوحتين اللتين رسمهما « يا فيم لاديجنسكي » لراسه

قصة انتحار فنان يهودي

ووجهه المعلق المشنوق فى ظل النجمة الحمراء الشيوعية والنجمة الزرقــــاء الصهيونية ، وذلك من أجل طبعهما ونشرهما فى العالم كشواهد فنية لا تحتاج إلى اى تعليق .. سوى القول بان هذا الفنـــان اليهودى استطاع أن يعيش فى ظل النظام السوفياتى حوالى ٦٦ عاماً من عمره حتى قرر الرحيل الى اسرائيل .. أما فى اسرائيل فلم يستطع ان يعيش أكثر من أربع سنوات .. وصل خلالهـا الى ذروة اليأس .. ولم يجد من وسيلة للخروج منها سوى الانتحار .. أى انه خرج من روسيا ولديه بعض الأمل .. أما من اسرائيل فلم يخرج إلا بيأس قاتل ، ونهاية مفجعة .

قلت : لو كانت وزارات الاعلام والثقافة فى البلاد العربية تدرك سر المهنة .. !!

• • •

وأمام فضيحة انتحار هذا الفنــــان الصهيونى بعد وصوله بسنوات قليلة الى أرض « الميعاد » .. لم تجد السلطات الثقافية الاسرائيلية سوى القول بأنه لم يعرف كيف يكتسب الشهرة ، ولم يعــرف التعامل مع الأوساط الفنية ، وكان يرفض المساومة لبيع لوحاته ، مما أعاق انتشارها .. الى آخر هذه المبررات السوقيـــــة التى لا تفسر اطلاقاً مأساة انتحار الفنان .

ثم لجأت تلك السلطات الى تبرير آخر ، ذى نتيجة عكسية ويهزم نفسه بنفسه ، عندما قالت إن « يا فيم » توقع أن يستقبل الاسرائيليون بحماسة بالغة لوحاته الدينية اليهودية التى منعتها الرقابـــــة الروسية ، ولكنه لم يتنبه الى ان اللوحات الدينية اليهودية أصبحت شائعة ومعتادة فى اسرائيل لدرجة ان احداً لم يعد يكترث بها .. !

وهذا « الاعتراف » أو التبرير يعني ان التراث الديني اليهودى لم يعد له بريق فى اسرائيل ، الأمر الذى يثبت انها كيان لم يقم لحماية أى تراث دينى روحى ، وانما لحماية مصالح وتنفيذ مخططات دنيوية معينة ، والدليل على ذلك ان الفنــانين الصــهاينة ، المشبعين بالروح اليهودية ، ينتحرون عندما يصلون اسرائيل !

فهل يدرك اليهود ، خارج اسرائيــل وداخلها ، هذه الحقيقة ؟

وبعكس هذه التبريرات الاسرائيليـــة شبه الرسمية لانتحاره فان المعلومات القليلة التى تسربت عن حقيقة شـــعور « يا فيم » تجاه اسرائيل تفيد بانه وجدها معادية لروح الفن والفنانين ، وانها معادية للسامية .. نعم معادية للسامية – وهى الصفة التى تروجها اسرائيل ضد كل خصومها – وبانها بالاضافة الى ذلك ذات طبيعـة خشنة وفظة وليست بالمستوى الحضارى الرفيع الذى تدعيه ويدعيه لها اصدقاؤها المنافقون .

وللتأكيد ، فان هــــذه الأحكام والتقييمات التى توصل اليها اليهودى والصهيونى «يا فيم لاديجنسكى» بعد فترة أربع سنوات من الحياة الفنية التعسة فى اسرائيل ، قد نقلها عن ابنته المراسل الثقافى لصحيفة « نيويورك تايمز » المعروفة بصهيونيتها ، واسمه دافيد شبلر وهو يهودى أيضاً .

وقد زار هذا المراسل ابنة الفنان وشقته التى انتحر فيها ورأى لوحاته البالغ عددها سبعمائة لوحة وقد تكدست وعلاها الغبار ، وكشف جانباً من الاهمال المتعمد والتعتيم المقصود من جانب السلطات الاسرائيلية . هذا مع العلم أن اسرائيل والصهيونية العالمية قادرتان على تطيير شهرة أى فنان أو أديب لو كان من مصلحتهما القيام بذلك .

وتضاف تجربة هذا الفنان اليهودى الروسى المنتحر الى تجربة الكاتب والصحفى اليهودى «يعقوب تيمرمان» مؤلف كتاب «اسرائيل فى لبنان : أطول حرب» والذى هاجر قبل سنوات قليلة من الأرجنتين بعد أن سجن فيها بسبب نشاطه اليهودى ، وعندما جاء الى أرض الميعاد اكتشف هو الآخر الحقيقة ذاتها التى اكتشفها ذلك اليهودى القادم من روسيا ، وتطابقت التجربتان .. وغيرهما تجارب كثيرة .. مماثلة .

• • •

بقى أن نقول ان المشاعر العربية قد فجعت مؤخراً بانتحار عدد من المثقفين العرب تحت وطأة الهزائم المتعاقبة . وذلك واقع أليم لا مفر من الاعتراف بوطأته . ولكن يجب الا نقتصر على التحديق فى جانب واحد من الصورة . ان جانبها الآخر فى جبهة العدو الداخلية ليس بالبريق الذى تعكسه انتصاراته الرنانة والمفروضة بالسلاح الأمريكى المتقدم والتكنولوجيا الأمريكية المتقدمة ..

هذه الانتصارات الخارجية لم تعن شيئاً لمثقف وفنان يهودى قادم من روسيا .. لم ير شيئاً فى الداخل يستحق الحياة ..

ولنتأمل عميقاً فى قوله تعالى : «ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس ... وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين» – صدق الله العظيم .

وأخيراً .. الى دعاة الحوار الحضارى مع اسرائيل من بعض «كبار» الأدباء الناطقين بالعربية .. اقرأوا قصة هذا الفنان اليهودى الذى لم يستطع حتى الحوار المعيشى مع اسرائيل ، ألا تقول لكم انكم صرتم يهوداً أكثر من اليهود ؟!

د . محمد جابر الأنصارى

كيف نتخلص من الأوهام وننهض من جديد ؟

بقلم : د . عون الشريف قاسم

ان ما يشهده عالمنا المعاصر من إنجاز حضارى شامل ، أمر لم تشهد له البشرية مثيلا من قبل . وليس مبلغ العجب فيه أنه فى مجموعه جديد على البشر ، إذ أن ماضى الانسان القريب والبعيد ملىء بكثير من الأفكار والنظم التى تعتمد عليها حياتنا المعاصرة ، ولا فضل لنا فى معظمها سوى تطبيقها . فمعظم هذه النظم الفكرية والفلسفية والاجتماعية قديم قدم الفكر البشري ، وكان كل مجتمع يتناول ما يتهيأ له منها بالقدر الذي يستقيم وظروف بيئته الزمانية والمكانية ، مضفياً على ما يتناول طابعه الخاص وصبغته المميزة . ولهذا السبب اختلفت لغات البشر ، وعاداتهم ونظمهم الاجتماعية والسياسية ، وان التقوا جميعاً حول أفكار محددة معروفة ، هى التى لخصتها لنا تعاليم الأديان وحفظتها لنا آثار الفلاسفة والمفكرين على مر الزمان .

ليس الجديد هو هذا التطور فى حياة البشر . بل الجديد هو الطريقة التى يتم بها هذا التطور . فقد أحدث تقدم العلم الطبيعى واستثمار نتائجه فى خدمة الحياة تغيرات جوهرية فى مسيرة البشر كان أهمها وضع طاقات جبارة فى أيدى الأمم الغربية التى سبقت بقية العالم إلى الثورة الصناعية ، فتقدمت وسائل المواصلات ، وتطورت أساليب التجارة والزراعة ، وكان لابد من اكتشاف الأسواق وضمان موارد المواد الخام ، فتطورت بالتالى أدوات التسلط والقهر من أسلحة ومعدات وانتهت فى نهاية القرن الماضى بسيطرة الدول الغربية على معظم شعوب العالم . وكانت هذه الأمم الغربية بحكم هذا الوضع هى التى تصنع الحضارة ثم تصدر أدواتها وأشكالها إلى الشعوب الواقعة تحت سيطرتها . ومن ثم عمت هذه الحضارة الغربية وأدواتها المختلفة كل العالم بحيث يندر أن نجد مكاناً فى العالم أخطأه الراديو أو التليفون أو السينما أو السيارة أو الطائرة وما إليها من مستلزمات الحياة الحديثة .

وكان يصحب هذه الأدوات المادية أفكار بعينها ، وتواكبها مفاهيم اجتماعية وليدة البيئات التى عاشت تجربة التحول الاجتماعى فى بلاد الغرب ـ وقد مكن الاستعمار الغربى ، بحكم سيطرته على مقدرات الأمم والشعوب ، لكثير من هذه الأفكار والمفاهيم أن تجد طريقها الى حياة الأقوام المستعمرين وتسلك سبيلها إلى مناهج التعليم وأحكام القانون ، فحلت بذلك محل ما ألفه الناس فى حياتهم الموروثة من تقاليد وأحكام .

●●●

كيف نتخلص من الأوهام ونتهض من جديد؟

● وحدة الحضارة الغربية :

ومما ساعد على طغيان هـــذه النظم الغربية ، ومكن لكثير من مظاهرهــا على التسلط ، انها وليدة حضارة واحدة رغم اختلاف الأمم الغربية المتسلطة ، فان ممايميز الحضارة الغربية وحدتها الفكريـــة والروحية رغم اختلاف الشعوب المنتجة لها . هذا فى حين ان معظم الحضارات التى غزتها هذه الحضارة لا يربط بينها إلا أوهى الروابط ، كما هو الحال فى آسيا مثلا حيث الحضارة الاسلامية والهندوكية والصينية واليابانية وما إليها ، وقل مثـل ذلك فى افريقيا وفى بقية أنحاء العالم غير الغربى . وقد ساعد تركز الثروات فى ديار الغرب ، كما أدى استغلال طاقات الشعوب فى الاستثمار التجارى والصناعى إلى هذه الثورة العارمة فى مجال انتـــاج سـلع الاستهلاك بأثمان زهيدة ، مما احدث آثاره البعيدة فى حياة البشرية جمعاء ، وكل ذلك يستدعى تحولات كبيرة فى دورة الحياة التقليدية الرتيبة ، ويتطلب تطوراً حثيثاً فى حياة النـــاس الفكريــة والاجتماعية يتلاءم وتطور ظروف الحياة المادية ، وانتقال الناس من وضع اجتماعى بعينه إلى وضع آخر مختلف عنه .

ولم تكن معظم هـــذه الشـعوب التى تستهلك هذه الأدوات الحضـــــارية ولا تنتجها ، وتتأثر بها كل هذا التأثر ، وتتعرض لكل هذه الهزات الاجتماعيــة العنيفة التى تتطلب الكثير من الروية والتفكير حتى يجىء التغيير فى هياكل الحياة الفكرية منسجماً مع حياة الأمـــة الشعورية ، متجاوبا مع ضميرها الاجتماعى ، لم تكن معظم هذه الشـعوب مالكة لأمرها وهى تمر بادق المراحـــل حساسية فى حياتها ووجودها . كان المستعمر المتسلط هو الحاكم بأمره فى مصيرها . فهو الذى أتى بأدوات الحضارة ، وهو الذى راقب ما تحدثه من أثر ، وهو الذى سعى الى فرض حلول لمشاكل هذه الشعوب نابعة من تجربته هو لا من تجارب هذه الشعوب الاجتماعية وكيانها الشعورى . وكانت هذه الحلول النابعة من تجربة الغرب الذاتية تقدم لهذه الشعوب المستضعفة بحسبانها حلولا إنسانية صالحة لكل زمان ومكان ، وعلى أساس أن هذه الحضـــارة التى يتحدثون باسمها هى حضارة عالمية ، وهى الكلمة النهائية وفصل الخطاب فى كل ما يتعلق بالتقدم البشرى . أليس اصحابها هم سادة العالم ، وهم المنتجون للحضارة ، وكل العالم عالة عليهم ؟ أو ليست أدواتهم وآلاتهم ووسائل انتاجهم هى التى تتحكم فى حياة الشعوب ، وتحدث فيها كل هذه التحولات الاجتماعية الكبيرة ؟ إذن فما الذى يمنع هذه الحلول التى يتقدمون بها لعلاج المشاكل الناجمة عن آلاتهم من ان تكون هى الفيصل والقدر المحتـــوم الذى لا يستطيع له الناس دفعاً أو يجدون عنه متحولا ؟

●وَهْمُ الحضارة الغربية

لقد ظل الناس ردحاً من الزمان وهم يعيشون تحت هذا الوهم الحضارى الذى مكن له الاستعمار بسيطرته على حيـــاة الناس الفكرية والاجتماعية ، وما يزال كثير من المتعلمين يرددون شعارات الدعـــاية الوطنية لأمم الغرب التى نجح الاستعمار الغربى فى فرضها على كثير من المتتلمذين على مناهجه التعليمية التى بثها فى المستعمرات . فان قيام كثير من هذه النظم الغربية فى ديار الغرب ، ونجاح الغرب فى فرضها على كثير من الشعوب المستضعفة لا يعنى عالميتها ، بل يعنى أن الغرب ، بحسبانه أعظم المناطق الحضارية حيوية وفعالية فى الوقت الحاضر ، هو الذى فرض هذا الفهم ، وان كثيراً من المجتمعات الأخرى قد تقبلت هذا الفهم طوعا أو كرهاً بحكم جمودها وتخلفها الحضارى ، فهى على أحسن الفروض تقلد ما يقدمه المتقدمون من البشر ، وتحسب أن ما صلح لهم لابد أن يصلح لها ، خاصة وهى عاجزة عن البديل . ثم إن كثيراً مما يأتيها عن هذا السبيل فى شكل سلع وبضائع وأدوات صالح بالفعل لكل الناس ، مهما اختلفت أشكالهم ، أو تباعدت أوطانهم . فالراديو عالمى ، والسيارة عالمية ، وهكذا كل منتجات الصناعـة ، ومعنى هذا أن عالمية أدوات الحضارة لا تعنى عالمية الحضارة ، وكل ما تعنيه أن الثورة العلمية التى تفجرت فى العصور الحديثة ، ومنحت أمم الغرب هذه القوة التى فرضت بها سطوتها وأفكارها على بقية شعوب العالم ، هى العنصر المطلق الوحيد فى كل هذه المظاهر الحضارية .

ان التقدم العلمى الذى أسهمت فيه كل البشرية ، وطورت أساليبه كافة الشعوب خلال القرون ، هو العامل العالمى فى هذه الحضارة السائدة . أما تقارب وجهات النظر فى كثير من القضـــايا الفكريـــة والاجتماعية ، التى تصدر عن أمم الغرب وكأنها رجع الصدى لعامل واحد مشترك ، فليس مرده إلى الزعم القائل بأن تطبيق أدوات العلم على حياة الناس يصدر عنه بالضرورة ما صدر فى حالة التجربة الغربية ، ومن ثم يكتسب عالميته وحتميته الموضوعية . وإنما مرده إلى وحدة المصدر الحضارى الذى نبعت منه الحضارة الغربية ، المرتكزة على التراث اليونانى الرومانى ، المصطبغ فى كثير من جوانبه بالأثر المسيحى ، فان كثيراً من أفكار القوم

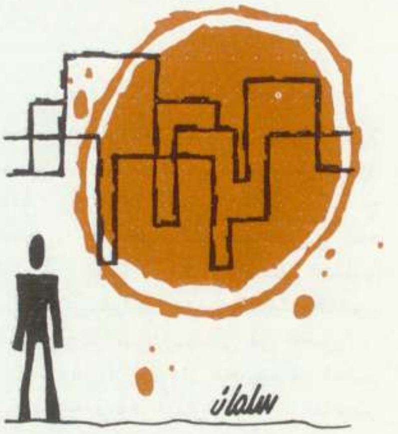
في المسلك والحياة الاجتماعية هو رجع الصدى لما كان يجرى فى أثينا أو اسبارطا أو روما ، وقد لطفت منه تعاليم المسيحية الغربية . فظروف أوروبا الحضارية والتاريخية والجغرافية والبشرية كان لها النصيب الأوفر فى منح حضارتها مظهر التوحد الذى برز به العالم وكان

التقدم العلمى والصناعى الذى بسطت به سطوتها على العالم بمثابة النهر الجارف يحمل الرى للناس ، ولكنه ينقل على صفحته الطمي والأعشاب والمراكب والبواخر وما أشبهها من الأدوات التى تتغير بتغير المناطق والأقوام الذين يمر بهم النهر .

وحتى مظهر التوحد هذا ، الذى تبدو به الحضارة الغربية ، توحد شكلى لا يتعدى بعض الأسس العامة ، التى لا تحول دون بروز الشخصية القومية والوطنية للشعوب والأقوام الأوروبية كما هو واضح فى الفروق الثقافية بين المجموعات الرومانسية والمجموعات الانجلوسكسونية فى غرب أوروبا . إذ ما أبعد الفرق بين الشخصية الانجليزية والشخصية الايطالية ، وكلاهما ينبع من مصدر حضارى واحد .

● إنحسار المد الاستعمارى

ان انحسار المد الاستعمارى المباشر عن كثير من بقاع العالم يستتبع بالضرورة انحسار كثير من الأفكار المضللة التى زرعها المستعمرون فى عقول رعاياهم حتى يضمنوا السيطرة الفكرية على حياة الناس ويشكلونها بطريق غير مباشر بحيث يضمنون استمرار مصالحهم القومية باستمرار نفوذهم الحضارى على عقول الناس وحياتهم . ومن أولى هذه الأفكار المضللة اعتبار تجربة الغرب الذاتية فى مجابهة تحديات الثورة العلمية والصناعية تجربة موضوعية مطلقة عالمية التطبيق على كل الناس احتذاؤها وتقليدها لحل مشاكلهم القومية . ان فكرة ديمقراطية الحكم مثلا فكرة انسانية قديمة ، سعى الناس منذ عهد الاغريق لتطبيقها وفرضها كنظام سياسى ، والنظام البرلمانى ما هو إلا تطبيق للفكرة كما تهيأ للشعب الانجليزى أن يطبقها ، فهو على احسن الفروض نظام خاص صلح لشعب بعينه ، ولكنه حين انتقل الينا فى كثير من دول العالم الثالث صور لنا وكأنه الحل النهائى المطلق لمشكلة الحكم فى العالم الثالث وقد تبين لنا الآن كما تبين للكثيرين غيرنا فى بلاد العالم الثالث سطحية هذه الدعوى ، وأدركنا أن ما انجزه غيرنا فى مجال العمل السياسى والاجتماعى لا يعفينا من مهمة السعى والتجريب للوصول إلى ما يصلح لنا ، ويتجاوب مع ظروفنا ، ويتلاءم وتجربتنا الحضارية ، غير مغفلين لتجارب غيرنا من البشر . وما اكتشفنا ضلاله فى مجال العمل السياسى يمكن أن نكتشف الكثير مثله فى مجالات حياتنا التعليمية والقانونية والاجتماعية ومعظمه نابع من تجربة غيرنا وفرض علينا كنظام موضوعى أمثل ، وهو نظام ذاتى يعبر على أحسن الفروض عن حالة القوم الذين نقلناه عنهم أو نقلوه الينا ، وقد يكون فى تراثنا ما هو خير منه واصلح لحاجتنا منه ، ولكننا صرفنا عما عندنا لنرد مما هو دونه .



● الطريق الى المستقبل

إننا نعيش فى كثير من أوجه حياتنا بمفاهيم ونظم نابعة من حياة غيرنا بحكم التسلط الاستعمارى الذى جثم على صدورنا حقبة من الزمن ، فانفصلنا بذلك عن مصدر أصالتنا وروح تراثنا التى ماتزال حية فى أعماق شخصيتنا ، وكل ذلك مما يصيب حياتنا العامة بهذا القلق والتمزق والحيرة والتخبط بين ما هو كائن فى حياتنا ولا نرضى عنه ، وبين ما يجب أن يكون ولسنا قادرين بفعل هذه الحيرة والتخبط عن إدراكه . ان انصرافنا عن تراثنا هذه الحقب الطويلة ، وجموده القرون عن الحركة ، يثير فى نفوس كثير من الناس الفزع والخوف والقلق والنفور ، ويحسبون الرجعة للتراث وهو على هذه الحالة نكوصا على الأعقاب ورجعة للوراء ان لم تكن قفزة فى فراغ ، وهم محقون فى بعض ذلك ، لأن الرجعة للماضى وحدها لا تحل قضايا الحاضر ، ولاتسهم فى بناء المستقبل . ولكننا ان أردنا التقدم الحقيقى فلابد من أن نبدأ من حيث انتهينا قبل أن تدهمنا الغزوة الاستعمارية وتحولنا عن خط سيرنا حتى تهنا كل هذه السنوات وتخبطنا فى دروب الآخرين .

اننا نرجع الي طريقنا القديم لا لنرجع به القهقرى ، ولكن لنواصل منه السير فى الطريق الحضارى الذى يتصل فيه ماضي الأمة بحاضرها ، مستعينين في ذلك بثمرات العلم والمعرفة من منطلق قيم حضارتنا ، حتى نحقق ما حققه الغربيون في نهضتهم الأخيرة حين رجعوا لماضيهم في القرون الوسطى بعد أن سلكوا سبيل الحضارة الاسلامية فترة من الزمن قدحت في نفوسهم جذوة البحث عن الذات ، حتى اهتدوا الى هذه الصيغة التي يلتقي فيها الماضي بالحاضر وتتحقق بها الشخصية القومية ، فيتصل ابداعها وتتطور دون أن تمزقها هذه الحيرة ، أو يبدد جهودها تقليد تجارب الآخرين .

د. عون الشريف قاسم
الخرطوم

حقوق التأليف والابتكار من وجهة نظر الفقه الإسلامي



بقلم: عبدالقادر بن محمد العمّاري

لقد اتفقت دول العالم على حماية حقوق الانتاج الذهنى ، وصدرت أنظمة واتفاقات دولية تحمى هذه الحقوق وأهمها اتفاق بيرن لسنة ١٨٨٦ المعدل فى باريس سنة ١٨٩٦ ، ثم فى برلين سنة ١٩٠٨ ، ثم فى روما سنة ١٩٢٨ ، ثم فى بروكسل سنة ١٩٦٧ ، وفى ١٠ ديسمبر صدر الاعلان العالمى لحقوق الانسان ، فنصت المادة ٢٧ منه على « ان لكل فرد الحق فى حماية المصالح الأدبية والمادية المترتبة على انتاجه العلمى والأدبى والفنى » . ونظمت هيئة اليونسكو عقد اتفاق فى جنيف فى ٦ سبتمبر ١٩٥٢ ، وأصدرت كثير من الدول أنظمة وقوانين تحمى حقوق الانتاج الذهنى ، والدول التى لم تصدر هذه القوانين ، تقوم محاكمها باصدار احكامها استناداً الى قواعد العدل العامة والقانون الطبيعى وقواعد التعويض عن الضرر.

والمعروف أن الدول العربية لم تنضم الى اتفاق بيرن غير لبنان وتونس ، أما مصر فهى من أوائل الدول التى اعترف قانونها الجنائى والمدنى بملكية المؤلفين لانتاجهم وحقهم فى الدفاع عنه ، فجاء فى قانون العقوبات : « ان تقليد الانتاج الذهنى وطبع كتب الغير مخالفاً فى ذلك اللوائح والقوانين الخاصة بتنظيم الملكية الأدبية والفنية تعتبر جنحة » وجاء فى القانون الأهلي القديم الملغي « يكون الحكم فيما يتعلق بحقوق المؤلف فى ملكية مؤلفاته وحقوق الصانع فى ملكية مصنوعاته على حسب القانون المخصوص بذلك » . الا انه لم يصدر القانون الخاص بهذه الحماية ، وعلق تطبيق العقوبة التى جاءت فى

القانون الجنائي الى إصدار القانون الخاص ، واستندت المحاكم المدنية فى احكامها الى القواعد العامة فى التعويض عن الضرر والعرف ، أما الأجانب فتصدر المحاكم المختلطة احكامها بشانهم طبقاً لقوانين بلادهم حتى سنة ١٩٥٤ حيث صدر قانون خاص ونص على الحماية طول حياة المؤلف الى خمسين سنة بعد وفاة المؤلف ، والى خمس عشرة سنة فيما يختص بالمصنفات الفوتوغرافية والسينمائية ، كما جعل مدة حماية المؤلف الى اللغة العربية فى حال ترجمته وما يترتب على حق الترجمة خمس سنوات ، تبدأ من تاريخ أول نشر للمصنف الأصلي ، وفرض جزاءات علاوة على المصادرة فى حالة الاعتداء على حق المؤلفين ، وتشمل الغرامات المالية وحبس المعتدي فى حالة العودة ، وكذلك الزم القانون ناشري المصنفات بايداع نسخ أو صور منها خلال شهر من تاريخ النشر فى دار الكتب .

● الآثار العكسية لعدم حماية حقوق المؤلفين

ولعل سبب التاخير فى اصدار القوانين الخاصة والتردد فى اصدارها قبل سنة ١٩٥٤ ، يرجع الى الرغبة فى ترك الباب مفتوحاً ليتمكن الكتاب والأدباء المصريون من نقل الثقافة والأدب والعلوم من الغرب ، وتتاح لهم فرصة فى اطول مدة ممكنة ، ولا زال هذا الاتجاه قائماً فى دول العالم الثالث وقد تمثل هذا الاتجاه وظهر فى المؤتمر الذي عقد فى استكهولم فى يولية ١٩٦٧ ، حيث وضع المؤتمر بروتوكولا يحد من حقوق النشر لصالح الدول النامية ، ويجيز انقاص مدة حماية حق المؤلف ، ويتوسع فى الحالات التى يجوز فيها لهذه الدول أن تترجم وتنشر المصنفات الأجنبية مراعاة لاحتياجات التعليم والثقافة دون إذن المؤلف والناشر .

وإذا كان بعض الناس يعارضون قوانين حماية المؤلف أو المترجم ، ويطالبون بالحد منها بسبب حاجة دول العالم الثالث الى نشر الثقافة بين شعوب هذه الدول . فان هؤلاء يغفلون عما قد يترتب على رأيهم هذا من أثر عكسي فى عدم تشجيع المبدعين والمخترعين على أن يضاعفوا نشاطهم الذهنى لحاجتهم المادية ، وقد ينصرفون الى كسب العيش ، فيستغرق جهدهم وطاقاتهم إذا لم يوفر لهم نشاطهم الأدبى والمادي ما يحتاجون له فتحرم البشرية من أعمالهم .

● لولى الأمر أن يسن الأنظمة التى تحمى مصالح الناس

ولكن المهم عندنا نحن المسلمين ان نعرف وجهة نظر الفقه الاسلامي فى حقوق التاليف والابتكار او حقوق الانتاج الذهنى كما عبرنا عنها فيما مضى ، فهل فيه ما يمنع سن مثل هذه القوانين واللوائح التى تحمى حقوق المؤلف والمبتكر ، وهل يجوز للمؤلف أن يتقاضى مالا مقابل حقوق الطبع والنشر وكيف يكون تكييف هذا الحق في اطار الفقه الاسلامى ، ومن ناحية اخرى هل يجوز للمسلم دينياً ان يتجاوز هذه الأنظمة والقوانين ، ويعتدي على حقوق المؤلفين والناشرين بحجة الرغبة في نشر العلم ؟؟

وسنحاول ان شاء الله تعالى الاجابة على هذه الأسئلة في هذه العجالة ، فنقول وبالله التوفيق : انه من المتفق عليه بين المسلمين ، أن لولي الأمر أن يسن من الأنظمة والقوانين التي من شانها أن تحفظ مصالح الناس وحقوقهم من العبث ، وما يحتاط به لمنع الغش والتزوير ، وما يهدف الى المحافظة على ثروات الأمة كالقوانين التي تسن لحماية الثروة السمكية والحيوانية وحماية الغابات والانهر وغيرها من المرافق العامة ، وقوانين السير للسيارات والمركبات لحماية أرواح الناس وممتلكاتهم .

فكل هذه القوانين ضرورية للمجتمعات في هذا العصر . فقد اخترعت مثلا وسائل للصيد ، ولو ترك الحبل على الغارب لقضت على كل الثروة السمكية والحيوانية فى خلال مدة قصيرة ، ولو اطلق العنان لأولئك الذين يقطعون الأشجار ، لأضحت ارض الغابات صحراء قاحلة ، والمعروف انه لم تسن هذه القوانين فى العصور السابقة لعدم الحاجة اليها ، فقد كانت الوسائل محدودة وضعيفة وقبل أن تصنع السيارات والمركبات لم يكن هناك خطر من سير الجمال والخيول والحمير والبغال فى الطرقات .

وقد دعت الحاجة بعد صناعة المطابع الى حفظ حقوق المؤلفين ، كما دعت الحاجة بعد الاختراعات الحديثة الى حماية حقوق المخترعين حتى تقوى الهمة عندهم ، فيضاعف نشاطهم وانتاجهم فى سبيل تقدم الانسانية ورفاهيتها ونشر الثقافة والعلوم ، فالابداع والاختراع أساس التقدم والرقي للانسانية كلها ، لذلك كانت المحافظة على حماية حقوقهم هى فى الواقع محافظة على المصلحة العامة ومن اجلها ، وطاعة ولي الأمر فى المعروف واجبة .

والفقه الاسلامى انما قام فى اساسه وفى جملته على مصالح الأمة ، فما فيه مصلحة فهو مطلوب وما فيه مفسدة فهو منهي عنه ، وقد تضافرت الادلة على ذلك ، وليست هذه من المصلحة التى تعارض النصوص ، أو التي تبنى على الهوى ، بل تشهد النصوص باعتبارها ، قال تعالى : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر (١)) ، وقال تعالى (وما جعل عليكم في الدين من حرج (٢)) ، وقال عليه الصلاة والسلام « لا ضرر ولا ضرار » . وكل أمر فيه مصلحة او دفع مضرة مطلوب من الشارع ، فان لم يوجد له نص خاص ، فقد دخل فى النص العام ، وأصول الأئمة الأربعة كلها تؤيد ذلك ، فقد قال الأئمة بالقياس وقال بعضهم بالاستحسان والمصالح المرسلة ، ودون عمر رضي الله عنه الدواوين وهى نوع من اللوائح والأنظمة رغم عدم وجود نص ، وقد اعتمد عمر فى ذلك على المصلحة ، وهي كما قال الامام الغزالى : عبارة عن جلب منفعة او دفع مضرة ، لكنها تحقق مقصود الشرع .

وقد وضع العلماء قواعد لدفع الضرر مثل :

(١) المشقة تجلب التيسير .
(٢) الحرج مرفوع شرعاً .
(٣) الضرر يزال شرعاً .
(٤) يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام
(٥) يرتكب اخف الضررين لاتقاء أشدهما.
(٦) الضرر لا يزال بالضرر .

حقــــوق

التأليف والابتكار

من وجهــة نظــر الفقــه الإسلامي

(٧) دفع المضار مقدم على جلب المصالح.

(٨) ما جاز لعذر يبطل بزواله .

(٩) الضرورة تقدر بقدرها .

(١٠) الضرورات تبيح المحظورات .

والملاحظ أن الفقهاء الأقدمين الذين خلفوا لنا هذا التراث الفقهي العظيم اكثر تحرراً ومراعاة لمصالح العباد من كثير من فقهائنا اليوم ، فقد كانوا يحلون كل مشكلة فى مجتمعهم باجتهادهم بما يوافق مصالح العباد العامة مستلهمين نصوص الشريعة الغراء ، ومن المقرر عندهم أن الأحكام المبنية على الاجتهاد تتغير بتغير الزمان ، وهناك قاعدة شرعية فى أصول الفقه تقول « لا ينكر تغير الأحكام بتغير الزمان » . وعندما يتغير الحكم لمصلحة زمنية لا يعنى تعطيل النص الشرعى ، بل هو اعمال للنص بدليل مستوحي من ظروف ذلك النص ، فسيدنا عمر بن الخطاب عندما قطع عطاء المؤلفة قلوبهم الوارد فى القرآن الكريم ، لم يبطل النص ولم يعطله ، ولكنه نظر الى علة ذلك النص لا الى ظاهره واعتبر المؤلفة قلوبهم معللا بظروف زمنية تقتضي ذلك العطاء ، لأن الاسلام لم يعد فى حاجة لتاييدهم ، بل اصبح الاستمرار فى اعطائهم مشجعاً لأصحاب النفوس الخبيثة للتاليب على الاسلام ، وكذلك عندما أوقف حد السرقة عام المجاعة ، فقد لاحظ أنه ربما كانت السرقات بدافع الضرورة لا بدافع الاجرام .

وقد عقد الامام ابن القيم فصلا فى كتابه القيم (اعلام الموقعين) تحت عنوان « تغيير الفتوى بحسب تغيير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعادات » وقال « هذا فصل عظيم النفع جداً ، وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل اليه ما يعلم أن الشريعة الباهرة التى فى أعلى رتب المصالح لا تاتى به ، فان الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد فى المعاش والمعاد وهى عدل كلها ورحمة كلها وحكمة كلها ، فكل مسالة خرجت من العدل الى الجور ، ومن الرحمة الى ضدها ، ومن المصلحة الى المفسدة ، ومن الحكمة الى العبث ، فليست من الشريعة وان ادخلت فيها بالتاويل » . ا. هـ

ومع الأسف أن بعض المشتغلين بالفقه اليوم جمدوا على اقوال فقهاء المذاهب واعتبروا تلك الأقوال نصوصاً شرعية لا يجوز الخروج عنها ، وحتى الأشياء التى سكت عنها الفقهاء السابقون لعدم اثارتها فى عصرهم ، قال هؤلاء بمنعها وتحريمها لعدم ذكر الفقهاء لها ، وأصبح لا هم لهم الا المعارضة لكل اصلاح ، فتراهم احيانا يجمعون الأدلة الضعيفة والغامضة ليجعلوها ركاماً وسداً في وجوه المصلحين

● كتمان العلم غير وارد

ولقد استغربت ما قراته اخيراً لبعض المشتغلين بالفقه الاسلامى من معارضة لاقرار حقوق المؤلف بحجة وجوب عدم كتمان العلم ، لأن الحماية فى نظرهم تحول دون نشر الكتاب الاسلامى ، ولعدم وجود نص شرعى على تلك الحماية ، وأن المقابل الذي يحصل عليه المؤلف ، لم يات عن طريق معاوضة صحيحة تتفق مع المعاملات الشرعية التى قررها الفقهاء ، وفات هؤلاء انهم عندما يجردون الكاتب الاسلامى من حقه فى حماية انتاجه ، انما يتيحون الفرصة للتزوير والتلاعب فى الكتب الاسلامية والدس فيها ، بما يتعارض مع أهداف الكاتب ، فيعظم الضرر وتكبر المفسدة ، ثم كيف يستطيع الكاتب ان يتفرغ للكتابة المتانية العميقة ، إذا لم يتو فر له الدخل المناسب ؟ ولاشك أنه إذا كانت جهة معينة هى التى تصرف عليه وتموله ، فلابد أن يكون انتاجه تحت تاثير هذه الجهة ، بينما الواجب ان يتحرر الكاتب من كل المؤثرات الخارجية ، وان اقرار هذه الحقوق سيساعده على الاستغناء عما فى أيدي الناس الى جانب غزارة الانتاج ، وبالتالى سيؤدي ذلك الى انتشار الكتاب الاسلامى ، فكتمان العلم غير وارد هنا .

قال الدكتور فتحى الدرينى بحق « ان كتمان العلم الذي دل الحديث على تحريمه لزوماً من التهديد والوعيد عليه .. من كتم علماً يعلمه جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار .. لا ينقض ما تاصل فى التشريع الاسلامى من اصل عتيد ، هو ما يقضي به من حق الملك فى كل ثمرات الجهد الانسانى لصاحبه ، والمال جهد مجسد ، والله تعالى يقول (ولا تاكلوا امـــوالكم بينـــكم بالباطل (٣)) ويقول تعالى (ولا تبخسوا الناس أشياءهم (٤)) والشيء اعم من أن يكون مادة أو معنى ، وكتمان العلم كاحتكار المنافع والخبرات والسلع ، حيث يخفيها اربابها تغالياً فى أثمانها والناس فى حاجة ماسة اليها ، ولم يقل احد ان حرمة الاحتكار تستلزم شرعاً بذل المادة المحتكرة مجاناً ودون عوض ، وبالسلع قوام الأبدان وبالفكر قوام الأرواح والعقول بل قوام المدنية والحضارة ، بل على العكس من ذلك أوجب الفقهاء اجماعاً أن يكون البيع باثمان معقولة تحفظ الحق للفريقين ، لا وكس ولا شطط » .

أما الخوف من الكتاب التجاريين الذين لا هم لهم الا الربح المادي ، والناشرين الجشعين ، ففى الامكان معالجة تصرفات هؤلاء بواسطة الأجهزة المختصة فى كل بلد مع العلم أن الكتاب التجاري غالباً ما يكون هزيلا لا يحظى باقبال القراء ، ولا يروج الا إذا وجد الكاتب من يعينــــه على شراء كتبـــه للمؤسسات العامة ، ليوزع بالمجان أو يرغم على شرائه الطلاب فى الجامعات بالثمن الذي يريده مؤلفه ولا ننكر أن هناك مؤلفات قيمة لا تباع الا إذا وجدت من يمد لها يد العون « إلا بحبل من الله وحبل من الناس » فاخذ المؤلف للمال مقابل حقوقه من الناشر لاشك أن ذلك مال حلال ، فقد انفق جهده ووقته وماله من أجل اخراج ذلك الكتاب الى حيز الوجود ، والأصل فى الأشياء الاباحة ، ومن يقول بتحريم شيء فعليه الدليل ، والحرام من المال هو الذي جاء عن طريق الربا والميسر والسرقة والغصب والاحتيال أو المتاجرة فى المحرمات كالخمر والحشيش

أما ما يتحصل عليه المؤلف مقابل حقوقه فهو غير ذلك بيقين؟والاعتداء على حقوقه وعدم استئذانه فى نشر كتبه جريمة يعاقب عليها الشرع ، ويعوض التعويض المناسب لأنه حق محترم ومال متقوم شرعاً كما ان له قيمة فى العرف ، والعرف أساس مالية الأشياء ومنشا الحقوق ، واسم المال يطلق على ما له قيمة وما لا يطرحه الناس اي ما ينتفع به ، ولذلك قال الفقهاء : ان الديدان تكون مالا متقوما إذا استعملت للصيد وطعماً للسمك ، فعلقوا ماليتها على الانتفاع بها ، فكل ما جرى فيه البذل والمنع بين الناس يعتبر مالا فى الفقه الاسلامى يجوز التبايع فيه ، بشرط أن يكون غير محرم الانتفاع به فى الشرع كالخمر وغيرها ، ولا يشترط أن تكون الأموال اعيانا بل يجوز أن تكون حقوقاً معنوية ، وان كان الاصل فى اللغة أن المال من التمول ، وهو الاحراز الا أن الاصطلاح الشرعى قد جعله يشمل الأعيان والمنافع كما عليه جمهور الفقهاء .

فحق المؤلف إذاً متفق عليه من كل الفقهاء حسب قواعدهم الا انه هل ينتقل للورثة حسب هذه القواعد ؟ قد يفهم انه لا ينقل للورثة حسب قاعدة الأحناف فى انتقال الحقوق المجردة التى هى وصف شخصي للمورث ، فتشبه المشيئة والراي ولا علاقة لها بشىء من الأعيان المادية كخيار الشرط فى البيع وحق الشفعة ، بينما يرى الشافعية والمالكية والحنابلة : أن الحقوق المجردة تنتقل الى الورثة ، وحجة الأحناف أنه لابد من دليل سمعى فى جواز نقل الحقوق الى الورثة ، وقالوا ان حديث « من ترك مالا أو حقاً فلورثته ومن ترك كَلاًّ وعيالا فعلى » . قالوا ان الثابت هو من ترك مالا فلورثته .. الخ ، أما « حقاً » فهى زيادة لم تثبت عندهم ، غير ان الأحناف انفسهم يقولون : ان الحقوق التى يجوز اخذ بدل مالي عنها يجري فيها الأرث كحق القصاص وحق رد السلعة المعيبة ، فانه يجوز للمشتري ان ياخذ قيمة نقصان سلعته بالعيب إذا تعذر ردها ، وفى مقابل القصاص يجوز أن ياخذ ولي الدم الدية ، وقالوا انه يجري الأرث أيضاً فى الحقوق المتعلقة بعين مادية مستقلة عن المورث ، كحق الشرب ، ومعناه : حق صاحب الأرض المروية أن يسقي أرضه من الماء الذي اعتاد ان يسقيها منه ، وحق المسيل وهو حق إجراء الماء فى أرض جاره ، وحق التعلي اي حق البناء فوق بناء الغير،وبما أن المؤلف يتسلم عوضاً عن حقه ، فيكون الأحناف متفقين مع بقية الفقهاء في جواز انتقال حق التاليف الى الورثة فى حالة وفاة المؤلف .

● الفقه الاسلامى يؤيد سن قانون حماية حقوق الانتاج الذهنى

ومما تقدم نعلم أن الفقه الاسلامى يؤيد سن القوانين والأنظمة التى تدعو اليها الحاجة وتقتضيها المصلحة العامة على الا تحلل ما حرمه الله فى محكم تنزيله وسنة نبيه ، أو تحرم ما أحل الله فيهما ، ومن هذه القوانين التي يؤيد سنها الفقه الاسلامى ، قانون حماية حقوق الانتاج الذهنى المادية والادبية ، وباتفاق دول العالم على صيانة هذه الحقوق وحمايتها ، يجعل ذلك عرفاً عاماً لا يستطيع احد أن يتجاهله ، فتقارب المسافات بسبب سرعة المواصلات ، جعل الدول كلها متصلة بعضها ببعض كانها بلد واحد ، وقد توفرت فى هذا العرف الشروط التى تجعله معتبراً وملزماً فى نظر الفقه الاسلامى ، وهذه الشروط هى : (١) الا يخالف نصاً (٢) أن يكون غالباً مطرداً (٣) أن يتحتم العمل بمقتضاه فى نظر الناس ، قال ابن العربى « فى كتابه احكام القران : العادة : وهى كلمة مرادفة للعرف « دليل أصولى بنى الله عليها الأحكام وربط به الحلال » واصبح من القواعد الفقهية المقررة (العادة محكمة) والثابت بالعرف كالثابت بالنص ، ومن يتتبع كتب الفقه يجد كثيراً من الأحكام بني على العرف ، فالاستصناع اجازه الفقهاء لجريان العرف العام به ، وإنما اعتبر الفقهاء العرف تاسياً بالشارع الحكيم إذ أقر الكثير من أعراف العرب وعاداتها قبل الاسلام بعد أن نظمها لهم مثل عقود البيع والمضاربة والاجارة وفرض الدية على العاقلة ، ولم يلغ من ذلك الا الضار كالربا والميسر والتبنى وحرمان النساء من الميراث ، وقال تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين (٥))، وفى الحديث ما راه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن .

وبناء على ذلك يمكننا أن نقول مطمئنين إن قواعد الفقه الاسلامى واصوله تحمى حقوق المؤلفين والناشرين والمخترعين والمبتكرين وحقوق الانتاج الذهنى بصورة عامة ، وليس هناك ما يدعو للتردد فى ذلك ، وهذا رأي جمهرة من الفقهاء المعاصرين منهم الدكتور وهبة الزحيلى استاذ ورئيس قسم الفقه الاسلامى بجامعة دمشق ، والدكتور فتحى الدرينى والشيخ عبد الحميد طهماز والمفكر الاسلامى الشيخ ابو الحسن الندوي والدكتور يوسف القرضاوي والشيخ محمد الغزالي ، وغيرهم من العلماء والفقهاء ، ولم يقف معارضاً لذلك الا القلة منهم الشيخ تقى الدين النبهانى ، ولم يكن مع هذه القلة اي حجة من كتاب او سنة ، وغاية ما يمكن ان يستدلوا به ، هو القياس ، ولو سلمنا بوجاهة استدلالهم ، فان القياس يترك للمصلحة الراجحة كما هو معروف فى أصول الفقه والحق احق ان يتبع ، والله ولي التوفيق .

عبد القادر بن محمد العماري

هـــوامـــش

(١) الآية ١٨٥ البقرة
(٢) الآية ٧٨ الحج
(٣) الآية ١٨٨ البقرة
(٤) الآية ٨٥ الأعراف
(٥) الآية ١٩٩ الأعراف

رحلة صعبة.. رحلة جبلية

قصة حياة فدوى طوقان.. ترويها بقلمها



الشاعرة العربية فدوى طوقان



لقطة نادرة من ايام الطفولة للشاعرة العربية فدوى طوقان وتظهر فدوى إلى يمين والدها الذى يتوسط الصورة ، ويبدو ابراهيم طوقان جالسا إلى يساره .

أول مذكرات صريحة لشاعرة عربية كبيرة

- لم أكن يوما راضية عن حياتي أو سعيدة بها
- قصتي هي قصة الكفاح مع العطش والصخر
- اخترت أن أكون من مواليد برج "الحوت" !
- ظللت في طفولتي أتلهف للحصول على دمية دون جدوى

« رحلة صعبة .. رحلة جبلية » هو الاسم الذى اختارته الشاعرة العربية المبدعة فدوى طوقان عنواناً لقصة حياتها ، التى ترويها هنا بصدق وصراحة وأمانة وعذوبة بالغة ، وقد نشرت بعض الصحف العربية أجزاء مبعثرة من هذه المذكرات ، ولكن « الدوحة » اليوم تنشر هذه المذكرات الرائعة بصورتها الكاملة ، حتى تتيح للقارىء العربى فى كل مكان ، ومن خلال الانتشار الواسع للدوحة ، أن يجد هذه المذكرات بين يديه .. ولاشك أن هذه المذكرات هى أصدق وأرقى وأجمل مذكرات كتبتها أديبة عربية فى هذا العصر ، وهى تستحق أن توضع إلى جانب أهم المذكرات المعروفة فى الأدب العربى مثل « أيام » طه حسين ، « وزهرة العمر » لتوفيق الحكيم .

ومع هذه المذكرات نستطيع أن نبدأ بغير مقدمات طويلة .

« الدوحـــــة »

مدخــــــل الرحـــــــلة

ظللت ، طيلة عمرى الأدبى ، احس بانكماش ونفور من الاجابة على الأسئلة التى توجه الى عن حياتى ، والعوامل التى وجهت هذه الحياة واثرت فيها .

وكنت اعرف السبب ، سبب ذلك الانكماش والنفور من الاجابة على الأسئلة . ذلك اننى لم اكن يوماً براضية عن حياتى او سعيدة بها ، فشجرة حياتى لم تثمر الا القليل ، وظلت .. روحى تتوق الى انجازات افضل وآفاق أرحب .

اذن ، لماذا كتبت هذا الكتاب الذى اكشف فيه بعض زوايا هذه الحياة التى لم ارض عنها ابداً ؟ بتواضع غير كاذب اقول إن هذه الحياة ، على قلة ثمارها ، لم تخل من عنف الكفاح .

ان البذرة لا ترى النور قبل ان تشق فى الأرض طريقاً صعباً ، وقصتى هنا هى قصة كفاح البذرة مع الأرض الصخرية الصلبة . انها قصة الكفاح مع العطش والصخر .

فلعل فى هذه القصة اضافة خيط من الشعاع ينعكس امام السائرين فى الدروب الصعبة . واحب ان اضيف هذه الحقيقة وهى ، أن الكفاح من اجل تحقيق الذات يكفى لملء قلوبنا واعطاء حياتنا معنى وقيمة .

لا ضير علينا لو خسرنا المعركة ، فالمهم الا ننهزم او نلقى السلاح .

لقد تكسرت فى قصة « العجوز والبحر » للكاتب الامريكى همنجواى كل المعدات البسيطة التى قاتل بها الصياد العجوز سمك القرش فى البحر الصاخب ، والسمكة الضخمة التى تمكن من السيطرة عليها بعد ايام صعبة من النضال ضد العناصر وضد الجوع والعطش ، لم يكن قد تبقى منها حين عاد الى الشاطىء سوى هيكلها العظمى . لقد غلبته جموع سمك القرش على امره وافترست السمكة بالرغم من مقاومته لها حتى النهاية .

وحين عاد فارغ اليدين ، مكدوداً ، مرهقاً ، نظر الى البحر باحتقار وبصق عليه .

ان قوى الشر ، سواء أكانت طبيعية ام اجتماعية ام سياسية ، تقف دائماً ضد الانسان وتعمل على تحطيمه ، ولكن الانسان يقف امام هذه القوى بكبرياء وعناد بالرغم من ضعفه .

أو هذا هو الموقف الذى يجدر بالانسان ان يتخذه ليحتفظ بكرامته وقيمته كانسان . الصبر والمقاومة حتى النهاية ومهما كانت النتيجة .

لم افتح خزانة حياتى كلها ، فليس من الضرورى أن ننبش كل الخصوصيات . فمن هذه الخصوصيات ما هو مقيت وكريه .. هناك أشياء نحب أن ننساها ونقتل ذكراها . وهناك اشياء عزيزة ونفيسة ، نؤثر أن نبقيها كامنة فى زاوية من ارواحنا بعيدة عن العيون المتطفلة ، فلابد من ابقاء الغلالة مسدلة على بعض جوانب هذه الروح صوناً لها من الابتذال .

ما كشفت عنه هو الجانب الكفاحى الذى ذكرت قبل قليل .. كيف استطعت فى حدود ظروفى وقدراتى ، أن اتخطى ما كان يستحيل تخطيه لولا الارادة والرغبة الحقيقية فى السعى وراء الأفضل والأحسن . ثم اصرارى على ان اعطى حياتى معنى وقيمة افضل مما كان مخططاً لها .

القالب الفولاذى الذى يضعنا فيه الأهل ، ولا يسمحون لنـــا بالخروج عليه .

القواعد المالوفة التى يصعب كسرها . التقاليد الخاليـــة من العقل ، والتى تضع البنت فى قمقم التفاهة . كنت توقاً مستمراً الى تحطيم كل هذا وتخطيه . كنت توقاً مستمراً الى الانطلاق خارج مناخ الزمان والمكان . والزمان هو زمان القهر والكبت والذوبان فى اللاشيئية . والمكان هو سجن الدار .

هناك من ياتى الى هذا العالم فيجد الطريق امامه مفتوحاً ناعماً . وهناك من ياتى فيجد الطريق شائكاً صعباً .

على هذا الطريق الصعب رماني المجهول ، ومن هذا الطريق الصعب بدأت رحلتى الجبلية .

حملت الصخرة والتعب ، وقمت بدورات الصعود والهبوط ، الدورات التى لا نهاية لها . لا يكفى أن نحمل أمالا كباراً واحلاماً واسعة ، حتى الارادة وحدها لا تكفى ..

لقد أدركت أن العمل هو الوجه الآخر للحلم والارادة ..

وقررت أن أتعامل مع هذه العملة ذات الوجهين : الارادة والعمل .

خرجت من ظلمات المجهول الى عالم غير مستعد لتقبلي . أمى حاولت التخلص مني فى الشهور الأولى من حملها بي . حاولت وكررت المحاولة . ولكنها فشلت .

عشر مرات حملت امى . خمسة بنين اعطت الى الحياة وخمس بنات . ولكنهـا لم تحاول الاجهاض قط الا حين جـاء دورى .

هذا ما كنت اسمعها ترويه منذ صغرى .

كانت مرهقة متعبة من عمليات الحمل والولادة والرضاع ، فقد كانت تعطى كل عامين أو كل عامين ونصف العام مولوداً جديداً . يوم تزوجت كانت فى الحادية عشرة من عمرها ، ويوم وضعت ابنها البكر كانت لم تتم الخامسة عشرة بعد .

واستمرت هذه الأرض السخية ـ كارض فلسطين ـ تعطى ابى غلتها من بنين وبنات بانتظام .

احمد ـ ابراهيم ـ بندر ـ قتايا ـ يوسف ـ رحمي ..

وكان هذا كافيا بالنسبة لأمي ، وأن لها ان تستريح . ولكنها حملت بالرقم السابع على كره ، وحين ارادت التخلص من هذا الرقم السابع ظل متشبثا فى رحمها تشبث الشجر بالأرض ، وكانما يحمل فى سر تكوينه روح الاصرار والتحدى المضاد .

ولأول مرة فى حياتهما الزوجية ينقطع أبى عن محادثة امى لبضعة ايام ، فقد اغضبته محاولة الاجهاض .

كان المال والبنون بالنسبة له زينـة الحياة الدنيا . وكان يطمع بصبى خامس . ولكني خيبت امله وتوقعه .

أصبح لديه الآن ثلاث بنات مع البنين الأربعة .. وتبعني فيما بعد اديبة ثم نمر ثم حنان . واستكملنا العدد (عشرة) .

• • •

كان ابي وامي من مدمنى قراءة روايات جرجى زيدان التاريخية . واحبا شخصية البطلة فى قصة « اسيرة المتمهدى » واحتفظت ذاكرتهما باسمها ليعطياه لأول انثى تولد لهما فيما بعد .

• • •

● كنت أضرع للسماء أن تجعل لخدّي لوناً جميلاً مشرباً بالحُمرة !

تاريخ ميلادى ضاع فى ضباب السنين ، كما ضاع فى ذاكرتيهما .

واسال امي ـ لكن يا امي على الاقل فى اى فصل ؟ فى اى عام ؟

وتجيب ضاحكة ـ كنت يومهـا اطهى « عكوب » هذه هى شهادة ميلادك الوحيدة التى احملها .. لقد انسيت الشهر والسنة ، ولا اذكر الا انني بدات أشعر بالام المخاض وانا انظف اكواز العكوب من اشواكها .

والعكوب ـ والكلمة سريانية ـ بقلة شائكة من فصيلة المركبات ، تنبت فى جبال نابلس ، ويغطى موسمها اكثر من ثلاثة شهور ـ شباط وآذار ونيسان ـ .

كانت امى كجميع الناس فى بلادنا ، تؤرخ الوقائع باحداث بارزة رافقت تلك الوقائع ، كانت تقول ـ جرى ذلك عام الثلجة الكبيرة او عام الجراد أو عام الزلزال الخ ... وهى عادة فى التاريخ كانت متبعة لدى الجيل السابق ولاتزال معمولا بها فى بعض القرى الفلسطينية .

• • •

بكل ما احمل من طبيعة النزوع الى الغيبيات ، رحت استطلع وابحث عن السمات الخاصة بمواليد بروج هذه الاشهر الثلاثة . ووجدت أن سمات مواليد برج الحوت ـ من ٢٠ شباط الى ٢٠ آذار ـ تنطبق بشكل غريب على طباعي وميولى .

ووضعت نفسى فى برج (الحوت) ... سخافات نضحك منها ، ولكننا نظل نشعر بميل خفى اليها بالرغم من عدم ايماننا بها . ان عقلنا يرفض دائما ما يخرج عن دائرته ، غير ان النزعة الخفية الى الغيبيات تظل كامنة فينا .

فى عام ١٩٥٠ كان علي ان استخرج اول جواز سفر لي . وقالت امى :

«انا ادلك على مصدر موثوق حيث يمكنك التيقن من عام ميلادك . فحين استشهد ابن عمى كامل عسقلان كنت فى الشهر السابع من الحمل . وكنت احب ابن عمى كامل حباً شديداً ، لم يكن لي اخوة فكان هو اخى . فارس يبهر الأنظار بقامته الفارهة وطلعته الخلابة ، وذكائه الحاد وخفة دمه ودماثته . شعرت بدمى يحترق يوم الفاجعة ، ورحت اصرخ وابكى مع امه واخته وكان وحيدهما ، وكنت انت تتخبطين وتقفزين فى احشائى من جانب آخر . والنسوة فى المآتم يطلبن منى الرحمة بالجنين ويقلن لي ـ اشفقى على هذا الولد فى بطنك ، حرام عليك» .

وتذكرت ما قرات عن ظروف الحياة الجنينية التى تضيف الى التركيب الفطرى للكائن البشرى ، كتاثير الوضع الصحى للأم اثناء الحمل وتصرفها الجسمانى وصحة تغذيتها والانفعالات التى تشعر بها .

وداخلنى شعور بالشفقة طي الذات ... ولكى اتخلص من ذلك الشعور قلت لها وانا اضاحكها . ـ دلينى إذن على قبر ابن عمك كامل ، فلم يبق امامى إلا ان استخرج شهادة ميلادى من شاهدة قبر ابن عمك .

وضحكنا معاً للمفارقة ، واتفقنا على ان تصطحبنى فى اليوم التالى الى المقبرة الشرقية حيث يرقد هناك ابن عمها شهيد الحرب كامل عسقلان .

بين عالم يموت ، وعالم على ابواب الولادة ، خرجت الى هذه الدنيا .

الامبراطورية العثمانية تلفظ آخر انفاسها . وجيوش الحلفاء تواصل فتح الطريق لاستعمار غربى جديد ١٩١٧ ...

فى سبتمبر ١٩١٨ تم احتلال باقى فلسطين . وفى نابلس القى الانكليز القبض على أبى ونفوه الى مصر مع رجال آخرين كانوا على وعي باخطار الاستعمار الغربى الذى بدأ يظهر للعيون اليقظة .

فمع مطلع القرن العشرين نمت الحركة القومية العربية .

«مصر وليبيا وشمال أفريقيا تتقاسمها الدول الاستعمارية . بريطانيا وايطاليا

على ضفاف الحلم يغني الأطفال

قصة بقلم: عبد القـــادر عقيـــل

(١)

كنت ومنذ فترة قد وطنت نفسى على ان لا استمع الى المذياع او اشاهد التليفزيون او اقرا الجرائد اليومية ، حتى لا تثور اعصابى ويرتفع ضغط دمى مما يحدث فى هذا العالم : كوارث طبيعية / انقلابات عسكرية / اغتيالات / اختطاف طائرات / اعمال عنف / عصيان مدنى / احتلال مدن !

كل شىء يقول لي ان هذا زمن تعيش فيه الدنيا تحت خيمة الشر ، وان المنقذ الوحيد الذى يحمينى من الدخول فى هذه الخيمة ، هو ابتعادى عن الآخرين . انقطاعى عن عادة قراءة الجرائد اليومية كان امرا سهلا وحتى المذياع كان امره سهلا ايضا ، فقد حددت مؤشر المذياع على محطة لا تبث الا الموسيقى ، فهى اللغة الوحيدة فى هذه العالم التى لا توحى بالشر . وامرت زوجتى وابنى الصغير الا يديرا هذا المؤشر حتى لو قامت القيامة . ولحسن الحظ فان زوجتى لا تقرا الجرائد ولا تستمع الى المذياع ، وابنى لا يحب الا الموسيقى .

لكن انقطاعى عن مشاهدة التليفزيون كان امرا صعبا للغاية ، فانا احب التليفزيون ، انه الجهاز الذى يمنعنى من ان اقابل احداً او اضطر الى الخروج من البيت . انا احب البيت لأن فيه تليفزيونا .

ولكننى كنت قد قررت ، وكان القرار قاسياً جداً .

فى الليلة الأولى حبست نفسى فى حجرتى ، ورفعت من صوت المذياع حتى انسى امر التليفزيون الذى يؤانس زوجتى فى الحجرة الأخرى . لم اطق صبراً ولم اهدا حتى جلست امام الشاشة الصغيرة .

ضحكت زوجتى وقالت : « هــــذا ترياقنا » .

وبعد فشلى امرت زوجتى ان توثق يدى بالسلاسل وتربطهما بحافة السرير بينما هى تقوم برفع صوت التليفزيون . كانت المسالة فوق طاقتى واحتمالى ، ارغيت وازبدت وصرخت فى زوجتى ان تفك قيودى ولكنها لم تكسر تعليماتى واخذت تنظر الى بشفقة مبالغ فيها .

شعرت باننى ساصاب بانهيار عصبى . صرخت امراً اياها ان تفك قيودى والا طلقتها ، ولكنها لم تتحرك من مكانها . حاولت رفع السرير ولكنه كان ثقيلا جداً ، فقبلت بالهزيمة .

حين تعب التليفزيون من بث برامجه ، جاءت زوجتى وحررتنى من السلاسل وبعطف شديد اخذت راسى الى صدرها تهدهدنى كطفل صغير .

قلت وانا انخرط فى البكاء : ؟«بعد اسبوع لن احتاج الى الترياق » .

(٢)

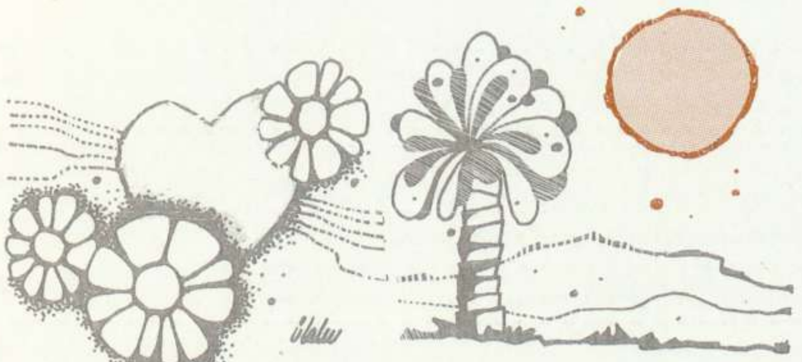
انا الآن فى حالة جيدة . فانا لا اقرا الجرائد اليومية ، ولا اســـتمع الا الى الموسيقى فى المذياع ولا اشاهد التليفزيون. بعد الدوام اعود الى البيت ولا اخرج منه حتى صباح اليوم التالى ، كل شىء يسير على ما يرام ، لا احد يقلق عالمى الخاص ، هنا انا استوى على صهوة الحكم ، اقود مملكة شعبها زوجتى وابنى الذى فى الخامسة من عمره .

انا الآن فى حالة جيدة ، فزوجتى طيبة وسعيدة لاننى معها طوال اليوم . وابنى سعيد لاننى اسرد عليه الحكايات والقصص والعب معه .

فكرت فى ان استقيل من عملي واتفرغ لبيتى ، فلا اخرج منه ابدا ، وفكرت باننى ساحتاج الى مبالغ تؤمن سعادة مملكتى ، فاهتديت الى فكرة كتابة مقالات منتظمة للصحف عن دور العنف فى احلال السلام العالمى ، على ان لا اذهب الى مقر الجريدة الا لاستلام مبالغى . ثم بعملية حسابية بسيطة اكتشفت باننى ساضطر الى العمل فى ثلاث جرائد حتى استطيع ان افي بمتطلبات المملكة الأساسية ، لذا ازحت فكرة الاستقالة من العمل جانبا .

كل شىء كان يسير على ما يرام ، حتى

على ضفاف الحلم يغني الأطفال



مساء الأربعاء الماضى ، حين جاءتنى زوجتى وعلامات هلع مرسومة على وجهها تسالنى عن الصغير .

قلت بارتباك ظاهر : « ماذا حدث ؟ » .

رايت وجهها يمتقع ويزداد هلعا .

« ـ الصغير اختفى ، بحثت عنه فى كل مكان ولم اجده » .

حاولت تهدئتها وطلبت منها ان تجد فى البحث عنه لأنه كثيراً ما يختفى فى خزانات الملابس . تركتنى مسرعة لتبحث عنه من جديد . ساورتنى الوساوس واقشعر بدنى حين فكرت فى ان يكون حقا قد اختفى او اختطف .

عادت زوجتى بعد قليل واخذت تلطم وجهها بقوة . صرخت فيها ان تكف عن ذلك . ولكنها واصلت الصياح طالبة منى ان اخرج الى الشارع بحثا عنه .

فتشت البيت كله . فتحت الباب وخرجت الى الشارع . سالت الجيران . بحثت عنه فى المناطق السكنية الاخرى . ولا فائدة .

عدت الى البيت . استقبلتنى زوجتى بالكثير من الأسئلة ، وحينما عرفت باننى لم اجده واصلت البكاء .

جلست افكر بهدوء . اين يمكن ان يكون قد ذهب ؟ . وفكرت متى رايته اخر مرة . تذكرت انه جاء الي قبل نصف ساعة تقريبا من مجىء زوجتى وارانى كتابا مصوراً وطلب منى ان اقرا له القصة ولكننى تمانعت فتركنى وعاد الى حجرته .

جاءت زوجتى . منذ زمن بعيد لم ارها وهى تبكى ، والبكاء يعنى قدوم الشر . طلبت منى بتضرع ان اتصل بالشرطة . فشعرت بقشعريرة فى بدنى . فانا اخاف من رجال الشرطة خوفا شديداً ، ولازلت اتذكر كيف ضربنى شرطى مرة بطريق الخطا حين اعتقد اننى ضمن الاشخاص الذين حطموا نوافذ المدرسة فى مظاهرة طلابية .

« ـ ارجوك اتصل بالشرطة » .

اتصلت بهم فطلبوا مني ان اذهب الى اقرب مركز للشرطة واقدم بلاغا بما حدث . خرجت مع زوجتى ومشينا مسافة طويلة حتى وصلنا الى المركز . توقفت زوجتى عن البكاء . عند باب المركز استوقفنى شرطى . سالنى . شرحت له ما حدث . فاشار علينا ان نذهب الى مكتب على الشمال .. فى الطريق الى المكتب فكرت ، قد يستقبلنى الشرطى الذى ضربنى قبل عشرين عاما . وقد يوجه الي اللوم لأننى لم احافظ على امن المدرسة فى الصغر ، ولم احافظ على امن البيت فى الكبر ، وقد يتفرس فى وجهى مليا ثم يقول هذا هو الذى ابحث عنه منذ سنوات طويلة ، اقبضوا عليه .

دخلنا المكتب فقابلنا شرطى باحترام . شعرت بطمانينة حين رايت الوجه مختلفا عن وجه الشرطى الذى ضربنى . شرحت له كل ما جرى ، فاندهش فى بداية الأمر ، ثم علل بان ابنى قد يكون خرج من البيت ثم اختطفته عصابة من المجرمين ، او قد تكون سيارة دهسته ونقلته الى المستشفى . كلامه هذا كاد ان يسقط زوجتى على الأرض ، شعرت بيدها تقبض على ذراعى بقوة شديدة .

قال الشرطى الذى لاحظ الخوف على وجهينا : « سنتصل بجميع المستشفيات ونسال كل اقسام الشرطة ، اطمئنا » .

وطلب منا الجلوس خارجا حتى ينتهى من اتصالاته . جلسنا على كرسى خشبى طويل مثبت فى الردهة .

قالت زوجتى وهى تمسح دموعها : « كيف خرج من البيت والباب مغلق باحكام ؟ » . قلت عاجزاً عن التفسير : « لا ادرى » .

لاحظت ان احد رجال الشرطة الجالسين فى المكتب المواجه لنا يختلس النظر الى زوجتى ، ويمسح بين اللحظة والاخرى على طرف شاربه الكث الذى يخفى فمه . فكرت ماذا افعل لو هددنا انا وزوجتى بالسلاح ؟

« ـ اعتقد ان ابنكما موجود بالمستشفى » .

نهضنا بوجل .

« ـ ماذا اصابه ؟ » .

« ـ سنكتشف الأمر الآن » .

ركبنا سيارة الشرطة ، وتحركت بسرعة فائقة فى الطريق قص علينا الشرطى بعض الحكايات المشابهة ، وكيف ان رجال الشرطة يكتشفون ما يحدث بسرعة ، وقال شيئاً مضحكاً عن قطة سرقت دجاجة وادخلتها فى محطة لتوليد الكهرباء ، فاصاب القطة والدجاجة تيار كهربائى قوى صعقهما فوراً .

تساءلت ماذا حدث لابني ؟ هل سرق المفتاح وفتح باب البيت وخرج الى الشارع ؟ ماذا بعد ؟ لعب فى الشارع وجاءت سيارة مسرعة ودهسته ؟ هل يمكن ان يكون قد مات ؟

وصلنا الى المستشفى ، ووجود الشرطى معنا سهل مهمة الدخول الى قسم المعالجة الطارئة . تركنا الشرطى وتكلم مع ممرضة اجنبية . شاهدت شخصا ممدداً على السرير ووجهه مغطى بالدم . الممرضة طلبت من الشرطى أن يتبعها ، وهو طلب منا ان نتبعه . توقفت الممرضة واشارت على طفل صغير وهو فى النزع الاخير .

« ـ هل هذا هو ابنكما ؟ » .

نظرنا الى الطفل الصغير ، لم يكن ابننا .

تساءلت : اين هو اذن ؟ .

قال الشرطى : « اذن لابد ان عصابة اختطفت ابنكما ، حتما سيتصلون بكما طلبا للفدية » .

(٣)

انقضى اسبوع كامل على اختفاء الصغير دون ان نعلم عن امره شيئا ، توقعنا حسب ما قال لنا الشرطى ان يتصل بنا المختطفون ويطلبون فدية مقابل ارجاع الصغير كما يحدث عادة فى الافــلام السينمائية ، ولكن دون طائل .

لماذا انهارت مملكتى فجاة ؟ . قطعت كل وشيجة تربطنى بالاخرين ولكن الشر استطاع ان يهز بيده القوية اركان الأمن فى مملكتى .

زوجتى اصيبت بانهيار عصبى . واصبح شكلها مخيفا جداً . احيانا تنهض فى الليل وتهزنى هزا عنيفا ، وتقول انها تسمع صوت الصغير يناديها وينادينى . لست فى حالة جيدة الآن ، فقد جلست طيلة الاسبوع افكر بمنطقية فى أسباب اختفاء ابنى ، ولم اهتد الا الى نتيجة واحدة وهى أن احداً ما اختطفه او قتله . ولكن لا ادرى لم راودنى احساس غريب بان ابنى حي ولم يمت حتى الآن ، وهذا ما جعلنى رابط الجاش ولا انهار .

لاحظت فى ليال عديدة ان زوجتى تنهض من فراشها وتذهب الى حجرة الصغير ، ثم تعود وعلى وجهها عشرات الأسئلة . تهزنى ، وتطلب منى ان استيقظ لتقول لي بانها سمعت صوت الصغير هذه المرة ايضا .

وقد دفعنى فضولى فى ليلة من الليالى الى ان اتفحص حجرة الصغير ، فاعدت تفتيش كل الاشياء من جديد ، وحين تعبت جلست على سريره اجول النظر فيما حولى وكانت مفاجاة مذهلة لي حين سمعت صوته ياتينى من مكان ما . اننى اسمعه بوضوح ، فهو تارة ينادينى وتارة ينادى امه فى البدء حدست اننى قد أكون جننت او تاثرت برواية زوجتى عن سماعها الصوت فى كل ليلة ، ولكننى اجزم بان الصوت كان واضحا جداً . وهو بلاشك صوت ابنى ، ينبعث من مكان ما خلف الجــــدران الأربعة .

لكن كيف ياتى الصـــوت من خلف الجدران ؟

قلت لنفسى انها فكرة مجنونة . عدت الى حجرتى وجلست افكر بمنطقية اكثر .

جاءت زوجتى ووقفت دون ان تتكلم .

قلت لها : « انا ايضا سمعت صوته » .

فنكصت الى الوراء وسقطت على الأرض مغشياً عليها .

وضعتها على السرير وربت على خدها ورششت بعض الماء على وجهها حتى افاقت ، وطلبت منها ان تخلد للهـــدوء والسكينة ريثما افكر فيما يحدث بهدوء .

عدت من جديد الى حجرة الصغير . وقفت اصيخ السمع بدقة ، بعد قليل عبر صوته الى اذنى واضحا ، لا يزال ينادينى تارة وينادى امه تارة اخرى . ركزت على مصدر الصوت فكان خلف سريره مباشرة . جلست على السرير ووضعت اذنى على الجدار وفجاة هويت الى داخل الجـدار فاطلقت صرخة عنيفة وخلت باننى ساسقط على اسفلت الشارع وتتحطم راسي ، ولكننى وجدت نفسى اسبح فى فضــاء لا متناه تملؤه الكواكب والنجوم المضيئة اسبح فى الألوان ، واسمع صوت موسيقى شجية كانها تنبعث من الكواكب . لم اكن استطيع ان اسيطر على نفسى ، كنت اهوى بسرعة شديدة ، ولم اتوقف حتى وجدت نفسى فى مكان غريب لا يمكن ان يكون على الأرض . وقفت مشدوها ، واسترعى انتباهى سماعى اصوات الموسيقى العذبة التى تنبعث من كل مكان ، كان المجرة كلها تبعث انغاما . فزعت واستوحشت وبحثت عن سبيل للفرار والعودة الى بيتى ، وتساءلت : اين انا ؟ وكيف جئت الى هنا ؟

لم تمض دقائق حتى رايت ابنى الصغير امامى ، ينظر الى وابتسامة جميلة ترتسم على شفتيه ، احتضنته بقوة وقبلته كثيراً وسالته : « ماذا تفعل هنا ؟ » . فلم يجب ، انما ظل مبتسماً طوال الوقت ، وطلب منى بايماءة ان لا اتكلم . اخذ يدى ومشى ، توقفت سالته : « الى اين ؟ » . هسهس واشار علي بالسكوت ، ومضى يتقدمنى . وبغرابة شديدة مشيت وراءه . رايت فى منظر مدهش واخاذ مئات الاطفال الصغار لا تتجاوز اعمارهم الخمسة اعوام جميعهم يبتسمون كانهم يحيوننى . كدت اضحك من نفسى . لابد اننى جننت ، والا باى منطق افسر كل ما يحدث امامى . لاحظت ان الموسيقى لا تتوقف ابداً ، والاطفال يلعبون ويمرحـــون دون ان يتشاجروا أو يصرخوا أو يبعثوا اصواتا ، اللغة الوحيدة هنا هى الموسيقى .

رايت الأطفال يتحلقون حولي ويمدون ايديهم الصغيرة الي ، انظر الى ابني مستفسراً ، فيمد هو ايضا يديه الي . اذعن لطلبهم واسير معهم .

اري جهازاً غريبا بحجم الرجل العادى ، نقف عند الجهاز . يشيرون باصابعهم نحوه . انظر الى ابنى ، فيشير هو ايضا باصبعه نحوه .

تجرات وخطوت وحيداً نحو الجهاز ، التفت اليهم ، ما تزال الابتسامات الجميلة مرتسمة على شفاههم . دخلت فى الجهاز فشعرت بما يشبه الانفجار فى داخلى . وخرجت بعد لحظة من الطرف الاخر للجهاز ، ولكننى كنت طفلا صـــغيراً لا يتجاوز الخامسة من عمره . كنت مبتهجا مغتبطا الى اقصى الحدود .

رايت الأطفال يصفقون جميعا ويهرعون نحوى لتحيتى . تضاءلت عندى حاجة النطق وشعرت بصفاء ونقاء وطهارة ، انا الآن طفل سعيد .

جاء ابنى وامسك يدى . وجاء طفل آخر وامسك بيدى الأخرى . وجاء اطفال اخرون وامسكوا بايدى بعضهم حتى صرنا دائرة كبيرة من الاطفال ، واخذنا نرقص على انغام الموسيقى التى لا تتوقف .

(٤)

وقفنا ، انا وابنى ، يممنا وجهينا شطر الكوكب البعيد ، واخذنا ننادى على المراة التى تنتظر زوجها وابنها .

عبد القادر عقيل ـ البحرين

هــذه المذبحـــة.. وصـــمة عـــار في جبـين مـن؟!

لماذا لا يقام نصب تذكاري لشهداء المذبحة في كل عاصمة عربية؟

بقلم: عصـــام شريـــح

مرت الذكرى الأولى لمذبحة « صبرا وشاتيلا » ـ المخيمين الفلسطينيين فى القطاع الغربى من بيروت ، فى ١٦ و ١٧ من الشهر الماضى (ايلول ـ سبتمبر) ، دون أن تحظى على المستويين الرسمى والشعبى العربى ، بما تستحق من اهتمام .. وكان هذه المذبحة .. هى مجرد حدث عابر ، وليست منعطفاً حقيقياً فى مسيرة الصراع العربى ـ الصهيونى ؟! ولأن مذبحة « صبرا وشاتيلا » تمثل هذا المنعطف الحاسم ، باعتبارها تطوراً نوعياً فائق الاهمية فى الصراع ، فاننا سنحاول اعادة رسم لوحة للمذبحة بالكلمات والصفحات التالية .. كى لا ننسى ما حدث أولا .. وكى نستخلص العبر والدروس المطلوبة ، ونستخدمها فى صلب المعركة مع العدو .

كان المشهد داخل مخيمي صبرا وشاتيلا صبيحة يوم السبت (١٨ ـ ٩ ـ ١٩٨٢) كما رآه الصحفيون والمراسلون الاجانب ، وكانه كابوس رهيب منتزع من « جحيم دانتي » ، فالنساء تولول فى كل شارع من شوارع المخيمين الضيقة والشبيهة بالازقة والجثث منتفخة ومتناثرة فى كل مكان ، والعاب الأطفال مختلطة بالاحـــذية « وشباشب » النساء ، ورائحة الجثث المنتفخة والمتعفنة تزكم الانوف .

ما الذى حدث ؟

يوم الاربعاء (١٥ ـ ٩ ـ ١٩٨٢) ، وبعد اقل من ساعتين من الاعلان رسميا عن مصرع الرئيس المنتخب « بشـــير الجميل » ، تحركت قوات الغزو الصهيونى ، الى القطاع الغربى من بيروت ، وكان الهدف حسبما اعلنت قيادة جيش العدو ، هـــو « ضمان الامن والنظام العام » ، فقد زعم الصهاينة ان الفي مقاتل من مقاتلى منظمة التحرير الفلسطينية ، كانوا ما يزالون فى بيروت الغربية ، وان بعضهم كانوا فى مخيمات اللاجئين مثل مخيمى صبرا وشاتيلا .. عند الفجر استيقظ السكان ليسمعوا ازيز الطائرات الاسرائيلية ، وهى تخترق سماء العاصمة اللبنانية ، وتقوم بغارات وهمية .. وعند الظهر اكمـــل الاسرائيليون الغزاة تطويق مخيمى صبرا وشاتيلا ، مرورا بالمدينة الرياضية الى منطقة الفاكهاني ، وقطعوا اى اتصـــال بهذه المنطقة .

ويوم الخميس (١٦ ـ ٩ ـ ١٩٨٢) ، وصلت الى مطار بيروت الدولى ، طائرتى نقل اسرائيليتين من طراز سي ـ ١٣٠ ، وانزلتا عشرات من الرجال المدججين بالاسلحة مع بعض العربات العسكرية .

بعد ذلك تعرض مخيما صبرا وشاتيلا لقصف مدفعى عنيف ومركز ، وفى حوالى الساعة الخامسة مساء ، كان اكثر من اربعمائة من رجال الميليشيات (ميليشيا حزب الكتائب وميليشيا سعد حداد) يرافقهم عشرات من الجنود الاسرائيليين ، يدخلون المخيمين ، ويبداون المجزرة المرعبة التى استمرت من مساء يوم الخميس (١٦ ـ ٩ ـ ١٩٨٢) ، وحتى صبيحة يوم الجمعة (١٨ ـ ٩ ـ ١٩٨٢) .



ضحايا مذبحة صبرا وشاتيلا

● كانت التعليمات : لا تتركوا حتى الطفل الرضيع حياً .. لا تتركوا الطفل الفلسطيني ، حتى ولو كان عمره يوماً واحداً .. أقتلوه .

● كان القتلة يعملون تحت تاثير المخدرات حتى لا يترددوا فى تنفيذ الجريمة .

● ضحايا المجزرة بلغ ثلاثة آلاف من المدنيين !

شهادات

ماذا حدث ؟؟ .. شهود عديدون ، سواء من الناجين من المجزرة ام من المراسلين الاجانب ، او من جنود الجيش اللبناني ، والجيش الاسرائيلى ، قدموا شهادات ، شكلت بمجموعها صورة لسيناريو المذبحة

● فقد ذكرت وكالة رويتر ان مراسلها شاهد مساء يوم الخميس (١٦ ـ ٩ ـ ١٩٨٢) ثلاثمائة من رجال الميليشيا يدخلون المخيمين ، بيد أن صحيفة « جيروزاليم بوست » الاسرائيلية ، ذكرت ان العدد كان اربعمائة رجل ، وقالت انهم دخلوا مخيمي صبرا وشاتيلا على دفعتين (كل دفعة مائتي رجل) ، كذلك تحدثت الصحيفة الاسرائيلية عن اطلاق الجيش الاسرائيلي مئات قنابل الاضاءة الليلية ، لتوفير الانارة لرجال الميليشيا بشكل كامل ،

● وتحدث سكان مخيم برج البراجنة الفلسطيني ، القريب من مخيمي صبرا وشاتيلا ، عن اعتقال حوالى مائة فلسطيني على الطريق المؤدى الى المطار والقريب من المخيمين ، وذلك بعد فرزهم عن اللبنانيين حيث جرى استجوابهم ، وكانت وجوههم تشطب بالسكاكين والحراب لاجبارهم على الاجابة على الأسئلة الموجهة إليهم ، وقد حدث كل ذلك على مرأى من الجنود الاسرائيليين الذين كانوا يتمركزون قرب السفارة الكويتية .

● نقلت صحيفة « الجيروزاليم بوست » عن جندى لبنانى برتبة عريف قوله : « انهم يقتلونهم بصمت ، لكى لا يسمع الاسرائيليون الكثير من اطلاق الرصاص .. انهم يخنقونهم ويذبحونهم بالسكاكين والحراب » .

● مراسل صحيفة « واشنطن بوست » الامريكية « لورين جنكنز » يروى انه شاهد جثتين لامراتين مكومتين وسط الانقاض فى مخيم شاتيلا وقد برز قرب الجثتين راس طفل غشى الموت عينيه الصغيرتين ، وقرب جثة هذا الطفل ، برزت جثة لطفل آخر لا يزيد عمره عن سنة واحدة ، وقد قطع راسه بسكين حادة ، ولف جسده بالاقماط الكتانية ، ويروى « جنكنز » ايضا انه شاهد جثتين لفتاتين احداهما فى الحادية عشرة من عمرها والثانية فى الثانية عشرة فقط ، وبقربهما جثث لثمانية رجال ، داخل منزل مهدوم ، كما شاهد جثة اخرى لرجل اشتعل الشيب فى راسه ولحيته ، وكانت الجثة دون راس . وعند مدخل محيم صبرا الجنوبي ، راى حفرة قطرها عشرة امتار ، وقد تحولت الى مقبرة جماعية .

● مجلة « الحوادث » اللبنانية ـ فى عددها بتاريخ ١ ـ ١٠ ـ ١٩٨٢ ، نقلت عن امراة ناجية من المذبحة قولها : « كان هناك صوت رجل يامر القتلة : لا تتركوا حتى الطفل الرضيع حياً ، الطفل الفلسطيني حتى لو كان عمره يوما واحداً .. اقتلوه » . وتضيف انه تم العثور فى احدى غرف المخيم على جثث لـ ١٥ طفلا معظمهم من الرضع ، كما نقلت المجلة عن « ام كايد حنبلي » قولها : « جارتى التى كانت تسكن قبالتي ، بقيت مع عائلتها ، لانها لم تتنبه لما كان يجرى على ما يبدو ، فلقد وجدناها موثوقة اليدين والرجلين ومذبوحة ، ولقد انتزعوا سراويلها واعتقد انهم اغتصبوها ، اما افراد عائلتها فقد اختفت اثارهم ، وتشير « ام كايد » الى ان رجال الميليشيا قتلوا امراة تدعى « ام مبارك » وهى حامل فى شهرها التاسع ، وبقروا بطنها ، واخرجوا منه طفلا ما لبثوا ان اجهزوا عليه .

● عايدة ابو ردينة ـ بنت التسعة عشر ربيعاً ، خرجت من الملجا لاحضار تذاكر الهوية لأفراد عائلتها ، وما ان وصلت الى أول الشارع ، حتى علا صراخها ، وعندما لحق والدها بها وجدها مقتولة ، ثم مالبث ان ارتمى عليها وهو ينزف دما غزيراً بعد ان اطلقوا النار عليه من مسافة قصيرة . وتقول امراة اخرى لنفس المجلة ، رفضت الافصاح عن اسمها ، ان رجال الميليشيا دخلوا ملجابين فى المخيم ، واخرجوا مئات من الرجال والنساء والشيوخ والاطفال

لماذا لا يقام نصب تذكاري لشهداء المذبحة في كل عاصمة عربية؟

منهما ، ثم فرزوا الرجال عن النساء ، واطلقوا عليهم النار بصورة جماعية ، واخذوا الصبايا وربطوهن بالحبال ، واغتصبوهن ، ثم جاءت جرافة اسرائيلية ، وقامت بحفر حفرة كبيرة ، وطمرت الجثث فيها .

● ونقلت صحيفة « الغارديان » البريطانية عن مواطن فلسطيني اسمه « يحيى سلامة » قوله : فى البداية كانت اعمال القتل تتم بالحراب والسكاكين ، حتى لا يحدثوا ضجة !! لكن فى نحو الساعة الحادية عشرة من قبل ظهر يوم الخميس المشؤوم ، بدأ القتلة بتنفيذ عمليات الاعدام فى الشوارع رمياً بالرصاص . كما نقلت نفس الصحيفة عن فتاة اسمها « امل » تمكنت من النجاة ، قولها : لقد بدأ الناس بالصراخ والنحيب .. انهم يتعرضون للذبح مثل النعاج .. انهم يذبحونهم .. يذبحونهم .. ويطلقون عليهم الرصاص من مسافة قريبة .. ولقد سمعت انهم كانوا يصفون الرجال فى طوابير امام الجدران ويطلقون عليهم الرصاص من الخلف .

يروي المراسلان .. مارك ويتاكر » و « راي ويلكنسون » ، بعض فصول المجـزرة ، فيقولان : بعض اللاجئين الفلسطينيين هرب فى اتجاه مستشفى عكا ، والقتلة يلاحقونه ، وحين دخلت عصابة من هؤلاء القتلة المستشفى صباح يوم الجمعة ، قتلت طبيبين واحد المدنيين ، واخذت معها ثلاثة جرحى ، وبعد ذلك بقليل اغتصب احد القتلة الممرضة الفلسطينية « انتصار اسماعيل » (١٩ سنة) ، ثم قتلها ، وحين حاولت مجموعة من اربعة اطباء فلسطينيين وبعض الممرضات مغادرة المستشفى ، وهى ترفع علماً ابيض ، قضى عليها القتلة بقنبلة يدوية ..

وقد قام « ويلكنسون » فى الساعة الثامنة من صبيحة يوم الجمعة ، بمحاولة لدخول مخيم صبرا ، لكن رجلا يلبس بزة الميليشيات أوقفه داخل المخيم ، واثناء وقوفه مع هذا الرجل ، اندفع اليه احد رفاقه وهو يصيح : لقد وجدت رجلا مسنا ، فكان الجواب الذى تلقاه هو : « اقتله » ، ويقول المراسل : انه طبقاً لتقرير كتبه مراسل للتليفزيون الاسرائيلى « رون بن يشاعي » ، فان عدداً من الضـباط الاسرائيليين شاهدوا عمليات الاعدام ، وجثث القتلى فى المخيمات صباح يوم الجمعة .

● وفى شهادات جمعتها مجلة « شؤون فلسطينية » ، وقام باعدادها « فريق من الباحثين » ، قالت « س . س » (١٨ سنة) وهى فلسطينية من مخيم صبرا ، انها كانت مع أفراد عائلتها يشاهدون التليفزيون ، عندما اقتحم عدد من رجال الميليشيات ، منزلهم فى المخيم ، « اخرجونا من البيت ، اثنان من اخواتى الصغار ظلوا فى الحمام خافا ولم يخرجا .. خرجنا انا وابى واختى واربعة من اخوتى ، ثم امرونا ان ندخل الى البيت .. صفونا الى الجدران و « درزونا » بالرصاص .. أربعة من اخوتى ماتوا .. اثنان منهم « طلع مخهم » ، واختى اصيبت فى كتفها ، وابى فى ظهره وصدره ، وانا فى رأسى وظهرى وكتفى .. وقد بقيت اتالم واصرخ حتى حضرت جارة لنا ، نهار السبت» وتم نقلها الى المستشفى . اما عن هوية القتلة فتقول انهم كانوا يرتدون ملابس عسكرية . فاتحة اللون ، ويضعون عليها شارة « القوات اللبنانية » (ميليشيات الكتائب والاحرار وحراس الارز) ، وكانت لهجتهم لبنانية وخاصة بيروتية .

« م . و » فلسطينى (٥٣ سنة) ، يقيم فى مخيم شاتيلا : قال انه تمكن من الهرب والاختباء فى حانوته الصغير ، واضاف ان اسماء القتلة كما كان يسمعها وهم ينادون بعضهم بعضاً هى : « الحـاج نقولا » و « الحاج توما » و « بطرس » و «طانيوس» و « جريس » و « الياس » و « ميشيل » وكانت لهجتهم تدل على انهم من القطاع الشرقى من بيروت ، ثم قال ان المسلحين كانوا يقتلون كل من يرونه فى طرقهم ، لا فرق عندهم بين طفل وشيخ ، وقد صادف مرور رجل مسن مع زوجته من امامهم ، فقتلوهما ، ومر شاب لبنانى ، وعندما اعترضوه قال لهم ان « الريس » ـ اى المسؤول عنهم ، قد سمح له بالمرور لانه لبنانى ، فاجابه أحد المسلحين : « لبنانى .. ولكن مسلم » ، ثم قتله . وعن هوية القتلة قال ان عبارة « القوات اللبنانيـة » كانت مرسومة على ملابسهم .

« ا . ك » فلسطيني ـ يقيم فى مخيم شاتيلا ، قال انه شاهد مئات الجثث مرمية على طرقات المخيم « وقد رأيت رأس امرأة مفصولا عن جسدها ، وشعرها مغمس بالدم ، وشاهدت الحطام وبيوتا كثيرة مهدمة ، تطل الجثث من بين انقاضها » ، ويضيف انه رأى السفير الفرنسى فى بيروت يبكى مع معاونيه مثل الأطفال عندما رأوا الجثث مكومة داخل حفرة ، تحولت فيما بعد الى مقبرة .

طبعاً لن نمضي أكثر من هذا فى تسجيل شهادات الشهود من الأحياء والمراسلين الذين عاينوا نتائج المذبحة فى صبرا وشاتيلا ، فما قدمناه انفاً من هذه الشهادات يرسم إطاراً لسيناريو المذبحة التى يشيب لهولها الولدان .. لكننا نشير الى ان اخبار المجزرة كانت قد تسربت الى الخارج منذ اليوم الاول (الخميس) ، وعندما شعر الصـهاينة وعملاؤهم من الميليشات ان الرأى العام فى الخارج بدأ يتحرك ضدهم ، سارعت سرية اسرائيلية بالدخول الى مخيمي صبرا وشاتيلا ، صبيحة السبت (١٨ ـ ٩ ـ ١٩٨٢) فى الساعة العاشرة والنصف ، لكن .. بعد أن أصبح المخيمان خاليان من أى ضحايا يمكن اقتناصها للذبح والقتل .

أما الشيء الذى لابد من تسجيله هنا ، فهو أن القتلة كانوا خليطاً من ميليشيا سعد حداد ، وميليشيات القوات اللبنانية .. التى هى عبارة عن تحالف يضم حزب الكتائب وحزب الوطنيين الأحرار وحراس الأرز ، وبقيادة حزب الكتائب ، يقودهم غالباً ضباط اسرائيليون ، كما لابد أن نشير الى أن القتلة ، كانوا موضوعين تحت تاثير المخدرات ، اذ أشار بعض الشهود الى انه رأى القتلة يحقنون بعضهم بعضا فى العضل بمادة مخدرة ، الأمر الذى يومىء بفظاعة ماحدث فى صبرا وشاتيلا ، حيث بلغ عدد الضحايا حوالى ثلاثة آلاف من المدنيين ، اضافة الى تدمير أربعمائة منزل على رؤوس اصحابها من اللاجئين .

التواطؤ المسبق :

لقد كانت المذبحة نتيجة لتواطؤ مسبق بين الميليشيات الانعزالية والعدو الصهيونى ، اما استخدام الميليشيات فكان الهدف منه هو التقليل من حجم الخسائر

الاسرائيلية ، ثم عدم توريط اسرائيل بشكل مباشر فى المذبحة ، وقد كشفت مجلة «تايم» الأميركية النقاب عن اجتماع عقد بعد ظهر الخميس (١٦ ـ ٩ ـ ١٩٨٢) فى مقر القائد الاسرائيلى بمرفأ بيروت ، ترأسه عن الجانب الاسرائيلى الجنرال امير دروري ، وعن الجانب الكتائبى إيلى حبيقة ـ رئيس جهاز الاستخبارات الكتائبى ـ الذى تم تاهيله فى المدرسة الحربية فى اسرائيل ، وتم خلال الاجتماع وضع تفاصيل خطة المذبحة ، كما تقرر أن يقود إيلى حبيقة رجاله الى داخل المخيمين الفلسطينيين ، وقد اكدت صحيفة الغارديان البريطانية فيما بعد ، أن حبيقة هو الذى قاد الهجوم داخل صبرا وشاتيلا ، وعلى كل حال ، فقد أعترف قادة العدو الصهيونى بهذا التواطؤ ، خلال التحقيق معهم أمام لجنة التحقيق الاسرائيلية التى عرفت باسم رئيسها «كاهان» ، ثم جاء تقرير «لجنة كاهان» ليفضح أدوار كبار قادة العدو من خلال توصيات تبنتها اللجنة :

«إن وزير الدفاع ـ أريئيل شارون يتحمل مسؤولية شخصية ...»

« لقد خلصنا الى نتائج خطيرة بشان تصرفات ووجوه تقصير رئيس الاركان اللفتنانت جنرال رافائيل إيتان .. » .. « ونحن نوصى باعفاء الجنرال يهوشوا ساغى من منصب مدير الاستخبارات العسكرية » ، ولقد كان من نتيجة تقرير «لجنة كاهان» ان اعفى شارون من منصب «وزير الدفاع » ، وعين وزيراً بلا وزارة ، كما أعفى الجنرال ساغى من منصبه ، وأما الجنرال إيتان فقد أوصت اللجنة بابقائه فى منصبه لحين انتهاء مدته وهى لاتتجاوز بضعة أشهر .

تقييم لتقرير «لجنة كاهان» :

اذا كانت التوصيات التى تضمنها تقرير لجنة التحقيق الاسرائيلية قد جعلت من شارون شبه كبش فداء ، بابعاده عن وزارة الحرب ، فان اللجنة لم تتعامل مع المذبحة من زاويتها الانسانية ، أو القيمية ، بل عالجتها باعتبارها مجرد مشكلة تقنية ، اى ان لوم اللجنة وغضبها انصب على النواحى الاجرائية ، المتعلقة بطريقة دخول المخيمين ، وسوء شبكة الاتصالات بين القيادات العسكرية والسياسية ، حيث ادعى شارون

أنه حاول فى اليوم الثانى للمذبحة ، وعندما تناهى خبرها الى علمه ، الاتصال برئيس الحكومة مناحم بيغن ، فلم يعثر عليه ، لانه تبين انه كان يصلى فى المعبد !!

لكن نشر تقرير «لجنة كاهان» اتسم باهمية بالغة مع كل ذلك ، حيث كشف عن طبيعة التفكير العنصرى الصهيونى ، حتى وهو يتعامل مع مذبحة وحشية روعت العالم كله ، فالتقرير انطلق من فرضية مسبقة ، وهى براءة اسرائيل من المذبحة ، ووضع مسؤوليتها على كاهل ميليشيا الكتائب ، فيما اقتصر الخطأ الذى ارتكبه المسؤولون الاسرائيليون على الجانب الادارى لدى بعضهم فقط . أى أن المسؤولية الاسرائيلية عن المذبحة ، هى مجرد مسؤولية افراد ، فيما المسؤولية اللبنانية عنا مسؤولية «طائفة» بمؤسساتها القائمة .

إن هذا التقييم الذى انطوى عليه تقرير «لجنة كاهان» انطلق أصلا من النظرية الصهيونية التى ترى فى اليهود واسرائيل «الشعب المختار» ، المتحضر ، فيما ترى فى العرب «الغوييم» شعباً متخلفاً وهمجياً ، وهذا التقييم العنصرى ، هو السبب فى الواقع فى تعامى «لجنة كاهان» عن اصدار ادانة واقعية لاسرائيل وقياداتها ، باعتبارها كيانا قام على اغتصاب ارض فلسطين بعد تشريد وتقتيل شعبها ، بل وبعد ارتكاب قادتها اليوم مذبحة دير ياسين فى عام ١٩٤٨ (بيغن وشامير) ، ومذبحة كفر قاسم فى عام ١٩٥٦ ، (شارون) ، وهما مذبحتان لاتقلان هولا عن مذبحتى صبرا وشاتيلا ، وان كان عدد ضحاياهما بالمئات وليس بالالوف

إلى أين ؟

ان مما لاشك فيه ان مذبحة مخيمي صبرا وشاتيلا ، بقدر ما اظهرت من عجز فى العقل العربى ، فانها بالمقابل هزت الكيان الصهيونى فى اعماقه ، وقد برهن على ذلك حالة الهذيان التى قابل بها العقل العربى المذبحة ، فيما قوبلت فى الكيان الصهيونى بتظاهرة تاريخية فى تل أبيب ضمت حوالى اربعمائة الف شخص تجمعوا لاستنكار ما حدث فى صبرا وشاتيلا ، ونحن اليوم ، وبعد سنة من تلك المذبحة ، نرى تفاعلاتها بشكل خاص ، وتفاعلات عملية غزو لبنان بشكل عام ، تطيح برئيس النظام الصهيونى الفعلى ـ أى رئيس الحكومة مناحم بيجن ، وهو ما يعنى عملياً دخول الكيان الصهيونى منعطفاً حاسماً ليس فى صالحه بالتأكيد .

وان مما لاشك فيه ان الهدف الآني للمذبحة ، كان تدمير المخيمات الفلسطينية وتهجير الفلسطينيين من لبنان ، إذ أن مناحم بيغن كان ما يزال يظن ان مقولته التى اطلقها فى أعقاب مذبحة دير ياسين ـ « كانت قواتنا بعد دير ياسين تتقدم كما تتقدم السكين فى الزبده » ـ ما تزال صالحة ، وكان ذلك بالطبع خطا فى الحساب والتقييم ، لان بيغن وشارون وغيرهما من المسؤولين فى حكومة العدو تناسوا الثورة الفلسطينية وما احدثته من تغيير نوعى عميق فى نفوس ابناء الشعب الفلسطيني على امتداد الثماني عشرة عاما التى سبقت المذبحة . كما ان الهدف الثانى للمذبحة ، كان محاولة « دفرسوار » سياسية ، رمت الى طمس الانتصار المعنوى والسياسي « العظيم للثورة الفلسطينية فى معركة بيروت الخالدة ، على حد تعبير السيد صلاح خلف (ابو اياد) . لكن فى مقابل هذه الحقائق ، التى افرزتها مذبحة صبرا وشاتيلا ، يبدو لنا التقصير العربى فى المجال الاعلامى ما يزال كبيراً .. بل ومخيفاً ، حيث تعامل العقل العربى مع المذبحة وذيولها ونتائجها وكانها مجرد صفحة فى كتاب الصراع العربى ـ الصهيونى الضخم ، علما بان المذبحة وفرت للعقل العربى فرصة فريدة من نوعها ، لجعل القضية الفلسطينية العادلة تتصدر كل محفل ومنتدى ، كما انها وضعت فى يد اجهزة الاعلام العربية ، بل والأنظمة العربية كلها ، ورقة ضغط سياسي ومعنوي لا يستهان بها فى حقل العلاقات الدولية . ولعل اكثر الاقتراحات التى طرحت على صعيد توظيف نتائج المذبحة لخدمة القضية العربية اهمية هو ذلك الاقتراح الذى قدمته صحيفة « الوطن الكويتية ، فى اعقاب المذبحة ، وطالبت فيه ضمن تصورات اخرى حول الحد الادنى الاعلامى العربى بالنسبة لهذه القضية ، باقامة نصب تذكارى لشهداء المذبحة فى كل عاصمة عربية ، يدعى لزيارته ووضع اكليل من الزهور عليه كل زائر اجنبى رسمى لأى بلد عربى . وقد يكون فى العمل المسرحى والسينمائي ، واشرطة الفيديو عن وقائع المجزرة ، والتى ينبغي توزيعها على نطاق عالمى واسع المدى ، اقتراحات بناءة اخرى فى هذا المجال .

عصام شريح

من الفئران إلى البشر:

العقول المسروقة والمعارة والمقاتلة

بقلم: فتحي رضوان

منذ سنوات قرات خبراً عن تجربة قام بها عالم من علماء (المخ) ، على طائفتين من الجرذان ، طائفة كانت تخاف من الظلام ، وطائفة كانت تخاف من صعود درجات السلالم ، فقد اخذ سائل المخ من احدى الطائفتين ، وحقن به افراد الطائفة الأخرى ، وفعل العكس ، فاصبحت الجرذان جميعاً تخاف الأمرين ، ومعنى ذلك ان تجربة بعض الأحياء ، يمكن ان تنتقل الى احياء آخرين ، اذا حقنت امخاخهم بسائل من امخاخ الجماعة التى كابدت تلك التجربة .

واذا تاكدت نتيجة هذه التجربة الجديدة والفريدة ، التى اجريت على جرذان فى طائفتين ، كانت شيئا اكثر بكثير من الثورة . وهى ثورة ستفضي حتما إلى حل مشكلات الانسانية التى تواجهها الآن ، والتى تطاردنا ، ولا نرى منها نجاة . فمشكلة انفاق الاموال الطائلة على المتفجرات والصواريخ العابرة للقارات ، والغواصات ، والبوارج ، يمكن توفيرها ، بحملة تطعيم ، نقوم بمثلها فى مناسبات عديدة وعلى نطاق واسع كلما هدد دولة من الدول وباء من الأوبئة .

ونقطة الابتداء فى هذا المشروع العظيم هو الجملة التى كتبت على مدخل مقر هيئة اليونسكو فى باريس ونصها (الحروب تبدا من افكار فى الرءوس فلنحاول أن نعدل افكارنا ، لكى تنجو البشرية من حروب البشرية) او ما فى هذا المعنى .

ومعنى هذا الكلام أن الحروب تقوم اولا فى عقول الناس ، تبدا بافكار خاطئة او صائبة ، حسب الظروف ، ثم تتاكد بتصورات ، ثم يصدر القرار بشانها بسبب هذه الأفكار وتلك التصورات . فاذا استخلصنا من عقول المؤمنين بالسلام والداعين اليه سائل امخاخهم وحقنا بها عقول الذين يتوثبون حبا فى الحرب ، وطلبا لها تحول حبهم للحرب ، حبا للسلام وانتقلوا بين الاعجاب بابطال ميادين القتال الى الاعجاب بابطال الادب ، والفن والموسيقى ، والعلماء الذين يجوسون خلال المناطق المجهولة فى نفس الانسان وعقله ، وفى آفاق الأرض ، واعماق البحر ، واجواز الفضاء . وعندها ستتراخى ايدى دعاة الحرب من فوق البنادق ، وفى مؤخرة المدافع ، وفى مقاعد الطائرات المملوءة بالقنابل والصواريخ والمتهيئة لالقاء حمولتها المدمرة على المدن والقرى ، والثكنات والتقاء طرق المواصلات .

وعندها ستتخم خزائن الدول الكبرى والصغرى بالأموال التى انفقت والتى كانت الدول ستنفقها على اعداد الجيوش وصنع الاسلحة ، وتحصين الطرق والقواعد والمطارات والموانى من اجل التخريب والتدمير ، وقتل الاطفال والنساء الشيوخ والمصانع والمتاحف المليئة بالنفائس الجديدة والموروثة . سيتوقف البحث فى تحديد النسل ، وكيف نطعم مئات الالوف من الافواه التى يموت اصحابها كل عام جوعا وعطشا ، ولا كيف نقدم مسكنا لكل شابين فتى وفتاة ، يريدان ان يبدآ حياتهما فى مسكن صغير جميل ، ولا فى توفير الأموال لابحاث معالجة السرطان والجذام وباقى الامراض

التى لا تزال أسبابها مجهولة ، وعلاجها مستعصياً . على ان هذا الاكتشاف له نتائج اخرى مذهلة لو تصورناها لبدا لنا عالم ، يفوق كل العوالم التى ابدعها مؤلفو قصص المستقبل ولطائف احلام الانسان من الف ليلة وليلة بفانوس علاء الدين ، والبساط السحرى ، وخاتم سليمان وابطال الجان الذين يسمعون ويطيعون .

ذلك لأن النتيجة الحتمية لهذا الكشف عندما يتاكد وتستقر نتائجه يكون ممكنا نقل سائل المخ المتعلم المستنير الى مخ الذى يجهل الف باء ، فاذا بالتجربة التى حصل عليها صاحب المخ الاول ، قد انتقلت الى المخ الثانى ، فاصبح استعداده لتلقى العلم غير محدود ، ولانتقلت أعداد من الاميين والجهال فى العالم الثالث من الامية والجهل الى العلم والاستنارة والتهذيب .

غير ان هذا التصور كان محل تعليق بعض رجال التربية والتعليم فى دول عديدة فكان منطق المربين ، انهم وان كانوا يرحبون بعمليات تبسيط وتيسير نقل المعرفة الى عقول التلاميذ والمبتدئين ، الا انهم يؤمنون انه من خصائص العقل البشرى ان يكافح من اجل تحصيل المعرفة وان المعرفة التى تصقل نفس الانسان ، وترهف مواهبه ومزاياه ، هى المعرفة التى يتم تحصيلها بوساطة جهد الانسان نفسه ومعاناته ، فمهما يسرت وسائل نقل المعرفة وتقدمت فلن يتعلم الانسان ، ويرقى درجات فى الثقافة والحضارة ، الا لجهده الدائب الذى يبذله ، وبالمحاولات التى تتم من خلال التذكر والنسيان ، والبحث والمراجعة .

على كل حال ، ان البشر ينتظرون مع الصبر النافذ ، ان تتكشف نتائج هذه الكشوف الباهرة ، والتى بقيت سنين طويلة ، تتحاشى اخطر المناطق ، واحفلها ثراء ، وأعظمها غنى ، وأوفرها بالاحتمالات المدهشة والمذهلة ، واعنى بها : عقل الانسان.ان ارتياد مناطق العقل الانسانى الآهلة بالقدرات والطاقة الخفية لأجدى على الانسان من ارتياد مناطق القطبين الشمالى والجنوبى واعماق البحار ، واجواز الفضاء . فان آفاق الانسان لأوسع مدى من هذا الكون الفسيح ، والقران الكريم قال :

سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم

على ان اخبار العلم جاءتنى بنبا جديد فاجهزة الكمبيوتر ، تغذى بالمعلومات المختلفة ، لتجيب بفضل هذا التخزين على ملايين الاسئلة الرياضية والعلمية فى الدقيقة الواحدة . ومن هنا فان اللصوص الذين الفوا ان يسطو على خزائن البنوك حيث يجدون ملايين الجنيهات وملايين اخرى مودعة فى تلك الخزائن فى صورة مجوهرات لا تقدر بثمن ، قد حولوا اهتمامهم الى خزائن اكثر خطراً ، واعظم نفعاً ، واطول اثراً ، وهى خزائن الكمبيوتر المليئة بالمعلومات الصناعية ، والحقائق العلمية ، التى انفقت فى سبيل تحصيلها والوصول اليها ، شركات بلغت اقصى الغاية فى الغنى والثراء ، واستعانت بطرق ضخمة جداً من اعظم العلماء ، وأكثرهم خبرة من الشباب المتوثب المبتدىء ، ومن الشيوخ المجربين والمحنكين . حسب اللصوص – وهم لصوص علماء – وأعجب للزمن الذى تتقدم فيه الانسانية ، وتبلغ أعلى درجات التمكن من العلم ، والسيطرة على مقاليد الكون ، كيف تخرج طائفة جديدة من اللصوص ، تعلموا واصبحوا اساتذة ، والقوا المحاضرات ، والفوا الكتب ، ثم ذهبوا فى الليل ، وهم يسترقون الخطى ، ويقتحمون الأبواب المغلقة ، ويحملون المصابيح الكهربائية فى ايديهم ، ويضعون الاقنعة على وجوههم ، ويلبسون القفازات فى ايديهم ، ثم يعكفون على اجهزة (الكمبيوتر) فى مصنع كبير او معهد خطير ، او جامعة كبيرة ، ويفرغونه مما هو فيه من المعلومات التى حصل عليها بعد جهد مضن ، وزمن طويل ، وسهر متصل ، وبعد انفاق ملايين او بلايين الجنيهات فى التجارب والبحوث ، واعادة التجارب والبحوث ، ثم اعادتها وهكذا .. ياتى اللص العالم فى هداة الليل ، وبعيداً عن حراس الاماكن العزيزة والغالية يستنطق الجهاز المادى الصامت ، الذى لا يمكن شراء ذمته بمال يدفع ، ولا باغراء يبذل ، ولا بتهديد يهز أعصاب اقوى البشر ، فاذا به ينطق ولا يتوقف ويضع فى خزانة اعدائه الذين جاءوا ينهبون نفائسه واغلاقه ، كل ما لديه وهو راض وصامت وساكن لأنه لا يفرق بين عدو وصديق ، لأنه جهاز علم ، والعلم لا يعرف الأنانية ولا التعصب ، وانما يعطى دائما لكل من يطلب .

بقي النبا العلمى الاخير ، وربما يكون اخطرها جميعا ، وهو النبا الذى ادار الحديث حوله ، فى كتاب قائم براسه العالم روبرت جاسترو عنوانه ما وراء المخ ، وقد لخصه الدكتور انسي فهمى فى مقال ممتع . وخلاصة المقال ان مؤلف الكتاب ، قال ان العقول الالكترونية ، ستزداد مع الأيام اتقانا حتى يصبح فى مقدور جهاز منها ان يحل محل انسان عادى،وانتقل بعد ذلك خطوة فقال ان العقول الالكترونية ستكون بعد حين اقدر من العقل الانسانى وان الانسان سيكون بعد ذلك عبداً لتلك العقول لانها ستحل له مشاكله وستقدم له من النصائح مالا يمكن ان يهتدى اليه بدونها . وانها قد تفكر تلك العقول فى ان تشن حرباً على الانسان ، وانه سيكون اضعف من ان يقاومها لانها اعلم منه ، وأوسع حيلة ، ولانها تمتاز عليه ، بانها لا تعانى من الضعف الذى تورثنا إياه عواطفنا وانحيازاتنا ومخاوفنا .

وانها اقوى منا من حيث ان التجربة التى تحصلها ستكون اطول عمراً لانها ستبقى حتى بعد ان يبلى الجهاز الذى يحتويها ، ويمكن نقلها كاملة الى جهاز اخر فى حين ان الانسان الذى يمر بتجربة علمية فنية ياخذها معه حين يموت الا ان يثبتها فى كتاب ، وليس فى وسع كل عالم أن يثبت كل علمه فى مؤلف ، فالتاليف هبة لا تتوافر لكل باحث .

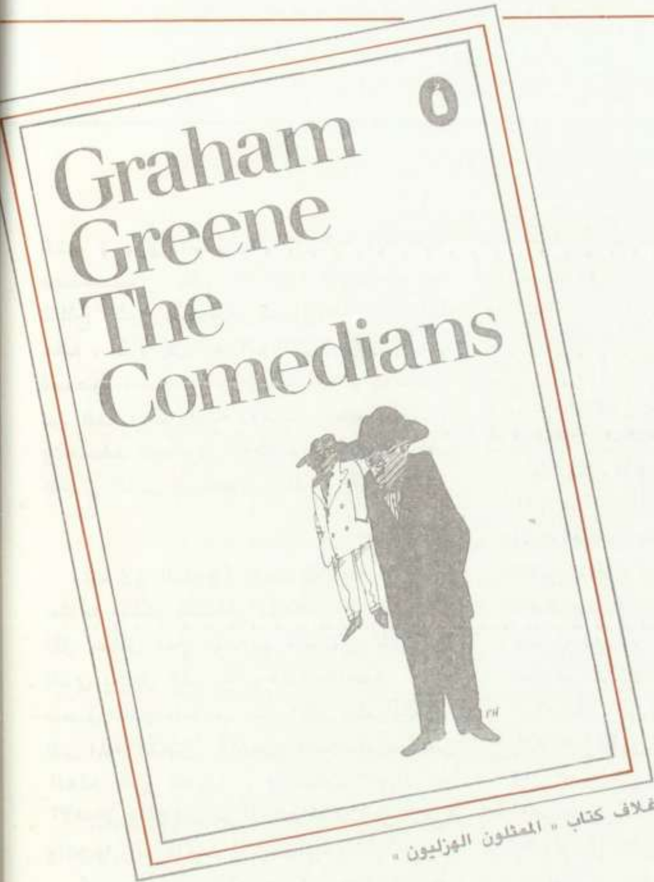
وجملة القول ان الانسان الذى صنع الكمبيوتر واتقن صنعه ، سيرى نفسه آخر الامر عبداً لهذا الكمبيوتر ، وهو صاغر لا قبل له برد هذه العبودية .

وقانا الله السوء .

فتحى رضوان

كتاب الشهر

عرض وتقديم : مصطفى كمال



غلاف كتاب « الممثلون الهزليون »

الممثلون الهزليون

الرواية التي أثارت أزمة دبلوماسية وصدر حكم بإعدام مؤلفها

على قمة هرم كتاب القصة فى بريطانيا اليوم يستوى « جراهام جرين » . فعلى مدى ستين عاما من العمل فى حقل الادب نشر له نحو ثلاثين مؤلفا . ما بين روايات طويلة ومسرحيات وكتب رحلات ومجموعات قصص قصيرة . بل وكتب ايضا للاطفال . وحصل على وسام الشرف فى عام ١٩٦٦ . وكان عمره حينذاك ٦٢ عاما .

كان مولد جراهام جرين فى عام ١٩٠٤ ، لأب يعمل بالتدريس

يقول هو عن نفسه فى ترجمته بعنوان « طريقة حياة » الذى نشره عام ١٩٧١ انه بدا يمارس حرفة الادب منذ كان طالبا بجامعة اوكسفورد . وكان أول مؤلفاته ديوان شعر صغير نشر له عقب تخرجه . ومع انه لم يكن فتحا جديدا فى عالم الشعر الا انه كان كافيا لتعيينه محررا مساعدا فى جريدة التايمز ، حيث استمر فى العمل بها اربع سنوات ، نشر خلالها ثلاث روايات كان راى النقاد فيها انها تبشر بروائى كبير لم يات بعد بافضل ما عنده ..

وجاءت روايته الرابعة « قطار اسطنبول » لتمنحه من الشهرة ما لم يكن يحلم به وهو يطرق ابواب الشعر .

فى عام ١٩٣٥ قام جراهام جرين برحلة فى ليبريا ، وعاد من هناك يكتب كتابا بعنوان «رحلة بدون خرائط» اعتبر حينذاك من احسن ما ظهر فى الادب الانجليزى من كتب الرحلات . وقفز به جراهام جرين قفزة اخرى فى عالم الشهرة ، وانتقل للعمل كناقد سينمائى لمجلة سبكتاتور .

وقد ذهب إلى المكسيك فى عام ١٩٣٨ ، وعندما عاد ، نشر على التوالى كتابين ، الاول بعنوان « الطرق الخارجة على القانون » والثانى « السلطة والمجد » ..

وفى نفس العام نشرت له رواية جديدة باسم « برايتون روك » ، وبعد عامين ، فى ١٩٤٠ تولى رئاسة القسم الادبى فى مجلة سبكتاتور .

ثم قامت الحرب العالمية الثانية ، فطلب للعمل بوزارة الخارجية البريطانية وارسل فى مهمة خاصة بغرب افريقيا ، وقضى معظم الفترة من ١٩٤١ الى ١٩٤٣ فى سيراليون .

ولعل هذه الفترة من حياته . هى التى استمد منها مادته لرواية « اصل الحكاية » التى جرت أحداثها فى غرب افريقيا ، والتى يعتبرها النقاد اعظم اعماله

بعد ذلك توالت مؤلفاته ، ومنها « نهاية المسالة » ، ثم « الامريكى الهادىء » التى جرت احداثها فى فيتنام ، و « رجلنا فى هافانا »

وبعد ان كتب سيرته الذاتية فى « طريقة حياة » عام ١٩٧١ نشرت له « قبة المسره » فى ١٩٧٢ ، ثم « قنصل الشرف » فى ١٩٧٣ و « امراة مستحيلة : مذكرات دوتوريسا مورفى كابرى » و « العامل الانسانى » فى ١٩٧٨ .

أما « الكوميديون » أو « الممثلون الهزليون » التى نحن بصددها اليوم فقد أعيد طبعها بعد ذلك ١٤ مرة كان اخرها عام ١٩٧٩ .

البداية : سفينة ركاب

ولما كانت احداث الرواية تجرى فى « هايتى » ، وتتناول مباشرة حياة الناس تحت حكم « بابا روك » .. دكتاتور «هايتى» السابق ، فقد ادى نشرها إلى أزمـــة دبلوماسية بين بريطانيا والجزيرة الصغيرة . وأصـــدر رئيسها امرا باعتقـــال جراهام جرين واعدامه اذا وطات قدماه ارض الجزيرة . ولا ندرى هل لأزال هذا الأمر سارى المفعول أم أصبح مع الزمن مجـرد نكته سخيفة تثير من الازدراء أكثر مما تثير من الضحك .

أما « الكوميديون » أو « الممثلـــون الهزليون » فقد أراد بها جراهام جرين أن يحدثنا عن نوعين من البشر . نوع ملتزم بقضية ما . مثل « جوزيف » والدكتـــور ماجيوت اللذين سنسمع عنهما فيما بعد . وهما نوع من البشر يشاطر الناس همومهم وله دائما موقف من هذه الهموم . ونوع آخر — هم الكوميديون ، ممثلون هزليون يؤدون أدواراً رئيسية أو ثانوية . وعاطفتهم لا تعرف العطاء . وقد يتحمسون احيانا لأشياء ما ولكنها دائما تافهة . مثل حماس « مستر سميث » المرشح السابق للرئاسة الامريكية لقضية « الطعام النباتى » . ولكنه حماس سطحى بلا عقيدة أو ايمان حقيقى . وحتى عندما يموتون . يكون ذلك عرضاً واتفاقا .. وبمحض الصدفة ، مثلما مات « الماجور جونز » بطل هذه القصـة .. أو على الأقل احد اهم أبطالها .

ولكن .. فلنبدأ القصة من أولها ..

نحن الآن فوق ظهر سفينة ركاب صغيرة فى طريقها من فيلادلفيا بالولايات المتحدة الى بورت أوبرنس ، عاصمة جزيرة هايتى التى تعيش عصراً مرعباً تحت حكم « بابا دوك » .

على السفينة عدد قليل جداً من الركاب يهمنا منهم ثلاثة أشخاص . اختار لهم جراهام جرين اسماء دارجة لعلها أوسع الأسماء انتشاراً فى عالم الغرب . وسنرى معا ان هؤلاء الثلاثة ، وزوجة أحدهم ، يمثلون لنا عالم الكوميديين الذين يتحدث عنهم كاتبنا .

الأول هو مستر براون . وهو ايضاً الراوى الذى يقص علينا جراهام جرين قصته على لسانه . ومن السطور الأولى سنفهم أن براون هذا يملك فندقا فى عاصمة هايتى ، ورثه عن أمه . وأمه كانت غانية فرنسية . وعندما حملت به ، رفض



الكاتب الروائى جراهام جرين

ابوه — الذى لم يعرفه قط ولم يعرف حتى اسمه — ان يعترف به . ولكنه فيما يبدو كان ثريا ، فمنح الأم الغانية قدراً من المال لتربية ولده . والحقته هذه باحدى مدارس الجزويت بفرنسا لعلهم هناك يحسنون تنشئته على نحو افضل مما نشات عليه الأم .. وبعد أعوام طويلة من التجربة القاسية رست سفينة الأم فى هايتى . واشترت بما بقي فى يدها فندقا سياحيا واتخذت لها من بين المواطنين السمر صديقا شابا ، جعلت منه خادماً وصديقا . حتى اذا أحست بعمرها يقترب من نهايته ارسلت فى طلب ولدها لتراه لأول وآخر مرة ..

وفى نفس الليلة التى وصل فيها براون وجدها فى النزع الأخير ، وفى الصباح اكتشف ان روحها فاضت وهى تشهق باخر انفاسها بين يدى صديقها وخادمها . وكان غريباً أن يكتشف الابن فى صندوق والدته « وسام المقاومة الفرنسية » .. منقوشاً باسمها ..

وعندما فتحت وصيتها وجدها براون قد أوصت له بمعظم التركة ما عدا ربعها أبقته لصديقها الشاب . غير أن الصديق الشاب كان وفياً للمراة العجوز ، حتى دفعه وفاؤه يوماً إلى الانتحار . وأصبح الفندق السياحى ملكاً خالصاً للسيد براون ، الذى دانت له الدنيا بعد معسرة . وكان من علامات الرخاء أن أصـــبح احـــدى الشخصيات المرموقة فى مجتمع المدينة . واتاح له هذا ان يتعرف على سيدة ألمانية شابة هى فى نفس الوقت زوجة لسفير احدى بلدان امريكا اللاتينية ..

إلى هنا . كان من الممكن أن تسير سفينة براون بريح طيبة ، وبدون متاعب خطيرة ، خصوصاً وان الفندق السياحى اصبح هو الاول فى جزيرة عامرة بالسياح ، كما ان السفير الجليل كان غريب التفكير إلى درجة لايهتم عندها كثيراً بصداقات زوجته طالما السمعة مصانة ، وعلاقاتها بصاحب الفندق ليست حديثاً شائعاً فى المجتمع الدبلوماسى !

ولكن استبداد بابا دوك وممارســات شرطته السرية الرهيبة «الطنطن ماكوت» ضد المواطنين وغير المواطنين جعلت كل من يستطيع الهرب من هايتى يولى الفرار . ولم تعد بحال من الأحوال مكاناً يجـذب السياح ..

وهكذا .. اخذ عدد رواد فندق براون يتضاءل حتى انعدم . وفى نفس الوقت أخذت الخلافات تحتدم بينه وبين صديقته زوجة السفير حتى قرر يوماً أن يقطع ما بينه وبين هايتى . فرحل إلى امريكا فجأة محاولا أن يجد مشترياً لفندقه . ولكن مع كثرة المجانين الذين تزدحم بهم المدن الامريكية فانه لم يجد مجنوناً واحداً يقبل شراء فندق سياحى فى بلد انعدمت فيه السياحة .. واخيراً لم يجد بدأ من العودة .. ولعل الحنين الى زوجة السفير هو الذى عاد به إلى بلد الرعب بالليل والنهار .. بلد « الطنطن ماكوت » .

النباتيون فوق الجزيرة

على السفينة ايضاً ، نجد مستر سميث وزوجته مسز سميث والسيد سميث أمريكى جاوز الستين . وربما السبعين . نفهم ان لديه فضلة من مال . وهو وزوجته من فصيلة النباتيين . ولا يهمنا — كما ان جراهام جرين لا يخبرنا من أين له هـــذا المال . ولكنه كما يقدمه لنا — أو بمعنى أصح كما تقدمه زوجته لكل من تقابله كان مرشحاً سابقا لانتخابات الرئاسة الامريكية فى عام ١٩٤٨ . ومع انه يعترف أن فرصته فى النجاح كانت معدومة . ولم يسمع احد باسم سميث .. الا ان زوجته تصر على ان « هزيمتهما » كانت أشرف من أى انتصار . ويكفى انهما رفعا علم النباتيين الأمريكيين عالياً ، وفازا بنحو عشرة آلاف صوت !

ولكن لماذا هما ذاهبان إلى هايتى ؟ ان معهما خطاب توصية لوزير « الخدمات

المُمثلون الهزليّون

الاجتماعية الدكتور فيليبوت لكى يساعدهما فى اقامة مركز للنباتيين فوق الجزيرة الخضراء .. وعندما يسمع براون بذلك يقول . .

ـ اعتقد أن هذا المشروع سوف ينجح كثيراً فى تاهيتى . فان ٩٩٪ من أهلها نباتيون .. لا يذوقون اللحم ابداً .. على الاقل منذ بدأ عهد بابا دوك ويجيب مستر سميث شارحاً فلسفته فى الحياة ..

ـ إن المذهب النباتى لا يعنى مجرد الامتناع عن اكل اللحوم . وانما هو دعوة للسلام تبدأ من الجذور . ذلك ان بروتينات اللحوم تفرز افرازات حمضية هى التى تحرك لدى آكلها شهية العدوان . وهذا هو السبب فى كل الحروب ..

يقول براون : ولكن أهل هايتى لا يمتنعون عن اللحم لأنهم ضد الحرب . وانما ببساطة لانهم فقراء ..

وهنا تضع مسز سميث النقاط على الحروف ، فتقول .

ـ ولأن الفقراء لا يأكلون اللحوم ، فانهم لا يصنعون الحروب . انهم يموتون فيها فقط . الاغنياء فقط هم الذين يصنعون الحرب . والسبب واضح .. لأنهم هم الذين يأكلون اللحوم ..

وننتقل الآن الى الراكب الرابع على ظهر السفينة . انه يقدم نفسه للآخرين باسم « ماجور جونز » . ولكن براون منذ اللحظة الأولى لا يرى فيه سوى انه مجرد افاق . ولا يجد فى تصرفاته ما يدل على انه كان لديه اى علاقة بالجيش ورغم كل الروايات التى يحكيها جونز عن بطولاته فى الحرب العالمية الثانية ، وبعدها فى بورما والكونغو وبلاد تركب الأفيال إلا أن براون وسميث ، وزوجته ، وقبطان السفينة يشكون فى كل كلمة ، ولا يصدقون منها شيئاً .

أما لماذا هو ذاهب إلى هايتى ، فى الوقت الذى يهرب منها فيه الآخرون فهذا هو السؤال .

فى الفصول الأولى يحاول قبطان السفينة أن يستدرج براون لكى يعرف له نوايا مستر جونز .. ويبلغه صراحة انه تلقى رسالة بذلك من مركز الشركة فى فيلادلفيا . ولكن براون يجيب بصراحة انه ليس مستعداً للتجسس على مستر جونز مع انه شخصياً لا يثق فيه .. ولا يصدق انه يحمل اية رتبة عسكرية . ويعتقد انه



يغش فى لعبة البوكر . وان كان لم يستطع أن يكتشف كيف يفعل ذلك أبداً .

ومع ذلك . فاننا نكتشف شيئاً جديداً فى مستر جونز ، أو ماجور جونز ، الله أعلم ، وذلك فى الليلة الأخيرة فوق ظهر السفينة قبل وصولها إلى بورت أو برنس فقد نظم سهرة رائعة . واستطاع ، بالامكانيات القليلة جداً الموجودة بالسفينة ، حتى بادوات المطبخ التى حولها إلى أوركسترا ، أن يجعل الجميع يستمتعون بسهرة حافلة .. لولا أن راكباً غريب الأطوار ، من أهل أمريكا اللاتينية ، كان دائماً يتجنب الحديث مع أى انسان ، ولا يجيب باكثر من نعم أولا إلى كل من يبدأه بالكلام . ولكن عندما دعاه جونز إلى أن يقدم « نمرة » فى احتفال العشاء الأخير .. اذا بالجميع يفاجاون بالسيد فرنانديز هذا ينخرط فى البكاء بحرارة حركت حتى مستر سميث وزوجته .. وكأنما يريد أن يقول ان احداً من أهل تلك القارة المطحونة عظامها حتى النخاع لا يملك ما يقدمه فى أى احتفال سوى الدموع .. كثيراً من الدموع ..

المفاجأة القاسية

فى الميناء ، وقبل أن يفارق براون رفاق السفر ، ماجور جونز ومرشح الرئاسة السابق وزوجته دعاهم جميعاً إلى النزول بفندقه بعد أن أعطاهم عنوانه . وسبقهم هو ليجد فى انتظاره صحافياً نشيطاً من أهل المدينة . ورغم ترحيب هذا الشاب به الا انه كان متحفظا معه . ففى ظل ارهاب « الطنطن ماكوت » من الجائز جداً أن يكون صاحبنا هذا واسمه بيتى بيير عميلا لهم . سأل بيتى بيير .

ـ تقول ان معك بالسفينة مرشحاً سابقاً للرئاسة الامريكية .. هذا نبأ عظيم للجريدة .. ما اسمه ؟ وماذا جاء يفعل هنا .

ـ اسمه مستر سميث . ومعه زوجته . أما ماذا جاء يصنع هنا فاعتقد انه يحمل رسالة توصية لوزير الخدمات الاجتماعية .

ـ من دكتور فيليبوت ؟ يا للمصيبة !

ـ اية مصيبة ؟

همس بيتى بيير فى اذن براون ..

ـ دكتور فيليبوت مختف من أسبوع !

ولكن اذا كان اختفاء فيليبوت يعنى شيئاً بالنسبة لبيتى بيير أو مستر سميث . فان ما يعنى براون الآن هو المرور بالنافورة السابحة فى الظلام فى الطريق الخلفى بين الميناء ، وفندق التريانون .. فندقه .. هذا هو المكان الذى ستنتظره فيه صديقته مارتا بينيدا .. زوجة السفير هو لا يدرى ما اذا كانت ستاتى كما وعدت فى مكالمته الهاتفية معها أمس . ولكنه ما كاد يقترب حتى وجد السيارة المعهودة . تماما حيث اعتادت ان تقف منذ ثلاثة اشهر ، وعليها بحروف بارزة « هيئة دبلوماسية » .. انها سيارة مارتا . وفى لحظة اللقاء نسيا كل ما كان بينهما من جفاء .

ولاول مرة رضيت ان تصحبه إلى التريانون الذى وجده خاويا على عروشه . فقد هجره جميع الطباخين والسقاة والخدم . ولم يبق فيه سوى خادمه الأعرج جوزيف ..

غير أن جوزيف كان لديه مفاجأة قاسية لسيده . تلك هى أن الدكتور فيليبوت ، وزير الخدمات الاجتماعية المختفى منذ أيام كان قد اختار فندق التريانون ـ رغم انف جوزيف ـ مكانا لاختبائه . ولكن جوزيف اكتشف عصر اليوم عدم وجوده فى غرفته فراح يبحث عنه فى كل مكان . فى الغرف الأخرى والصالات والدهاليز والحديقة واخيراً وجده فى الركن البعيد عن حمام السباحة المفرغ من المياه منذ سفر السيد . ولكنه كان جثة هامدة . كان قتيلا . واغلب الظن انه انتحر .

ورطة ما بعدها ورطة . فاكتشاف جثة الدكتور فيليبوت ـ الذى لم يكن وزيراً سيئاً على اية حال يمكن ان يضع براون وجوزيف ومارتا وكل من يمت لهم بصلة فى فم « الطنطن ماكوت » المفترس ..

كانت مارتا بعيدة فى احدى غرف النوم عندما علم براون بالامر . ولكن وجود

سيارته الآن يمكن ان يفيده . فلابد من التصرف بسرعة . ولابد من احد ليساعد براون على التصرف . وهنا تذكر الدكتور ماجيوت . كان طبيباً حراً عجوزاً وصديقاً لوالدته ، وصديقاً ايضاً للدكتور فيليبوت . وبعيداً عن اشتباهات بابا دوك ، فأرسل جوزيف مع مارتا لاستدعائه .

وهكذا ، بمساعدة الدكتور ماجيوت - الذى يحمل ترخيصاً بالمرور ليلاً بصفته طبيباً رغم حظر التجول المفروض على المدينة من الغروب للشروق - امكن نقل الجثة الى مكان بعيد واخفاؤها فى الأحراش ، حيث كان لا احد يتوقع اكتشافها قبل ايام . ولكن مصادفة سيئة جعلتها تكتشف فى اليوم التالى . وجن جنون بابا دوك لافلات غريمة من يده . كان يريد ان يجيئوا به حياً ليشرف بنفسه على تعذيبه ، ارضاء لنزعة سادية مفرطة لديه .

وعاشت المدينة فى حالة رعب . وتم اعتقال بضع مئات من اقارب الدكتور فيليبوت ومعارفه وجيرانه . رجالا ونساء واطفالا فى بعض الأحيان . وهرب مئات اخرون الى فنزويلا ...

اما ما هى الجريمة التى ارتكبها الدكتور فيليبوت واستحق معها غضب بابا دوك فهى انه ذات ليلة ، وفى جلسة خاصة جداً ، ابدى - بصفته زميل دراسة قديم لبابا دوك - شكه فى صحة لقب «الدكتور» الذى يسبق به اسمه .

(كان الرئيس السابق لهايتى يسمى نفسه الدكتور دوفالير . اما رعاياه فكانوا يسمونه البارون سامدى . وهو فى اساطير الجزيرة شبح الموت الذى يتجول دائماً حول المقابر بقبعة سوداء عالية وسترة سوداء طويلة تماماً تشبه الزى الذى اعتاد بابا دوك ان يظهر به فى المناسبات) .

فى نفس اللحظة التى اكتشف فيها براون جثة الدكتور فيليبوت ، وصل مستر سميث - مرشح الرئاسة السابق - وحرمه المصون للفندق . وقد شاهدا الجثة فى الحمام من بعد ولكن براون اقنعهما انها لمتسول مسكين لم يجد مكاناً يبيت فيه . ولأنهما اكثر اهتماماً بمعادلات غذائهما النباتى لم يعيرا الأمر اى انتباه .

ولكنهما فى اليوم التالى راحا يهتمان بمستر - او بالماجور - جونز . ولقد كان معهما فى الميناء . وكان مفروضاً ان يصل فى اعقابهما للنزول بالفندق . وبينما هما يتحاوران مع براون حول غياب جونز إذا بالصحفى بيتى بيير - وكالة الأنباء المتجولة يصل ليقول ان مستر جونز اعتقل فور خروجه من الجمارك وهو الآن فى السجن .

ويسأل سميث :

- باية تهمة ؟

ويثير السؤال دهشة الجميع . ان مستر سميث ، الرجل الذى كان يريد ان يكون رئيساً لأميركا لا يعلم أن الناس فى هايتى يعتقلون اولا ، ثم يجرى البحث بعد ذلك عن تهمة لهم إذا اريد ان يتحول الاعتقال الى سجن لمدة محدودة . ولكنهم يمكن ان يقضوا حياتهم كلها وراء القضبان ، او يعدمون فوراً ، او ببطء دون ما ضرورة لأية تهمة !

ومع ذلك فان سميث يرى أن الأمر يستحق الاهتمام . فمستر جونز رجل ابيض نعم هو بريطانى وليس اميركيا ولكنه مع ذلك رجل ابيض . ولا يجوز أن يعامل فى هذا البلد كما يعامل اهلها ، او سائر الملونين .

ويقترح سميث ان يتحدث مع الدكتور «فيليبوت» وزير الخدمات الذى يحمل له رسالة التوصية . ولكن براون وبيتى بيير يفهمانه ان الدكتور انتحر . والدنيا مقلوبة . وخير له ان يخفى رسالة التوصية التى جاء بها ، فان مجرد ظهور اية علاقة له بالدكتور فيليبوت سيعرضه لمتاعب لا قبل له بها .

وسميث يفهم الرسالة . ولكن كبرياءه - خصوصاً وهو مرشح سابق للرئاسة - وكذلك احساسه المفرط بالتضامن الأبيض ضد براءة العالم الثالث . هذا وذاك ، وربما لأنه لا يجد شيئاً اخر يفعله بعد ان فقد الواسطة التى كان سيقيم عن طريقها مركزه النباتى - قرر ان يستمر فى المحاولة .

ويصحبه براون الى وزير الخارجية .

وفى مكتب سكرتير الوزير يجرى مشهد كوميدى اخر ..

فالسكرتير ، المشغول جداً . لا يلتفت الى زائريه الا عندما يرى احد السفراء خارجاً من لدن الوزير - وهو بالمناسبة السنيور بينيدا زوج مارتا الحبيبة - يحيى براون بحرارة . هنا يسألهما بادب مصطنع عن اية خدمة ..

- مستر سميث يريد مقابلة سعادة الوزير ..

- اسف ، الوزير مشغول جداً اليوم . إنه يستعد للسفر غداً ليلقى خطاب الجمهورية امام الجمعية العامة للامم المتحدة ..

- ولهذا السبب بالذات يجب ان يقابل مستر سميث اليوم .. انه كما يجب ان تعرف المرشح الأميركى للرئاسة .. (صحيفة بيتى بيير على مكتب السكرتير . وعليها صورة سميث ونبا وصوله) . السكرتير لا يصدق نفسه . مرشح الرئاسة الاميركية هنا فى هايتى ؟

- إنه هنا لقضاء بعض الأعمال . ويرغب فى رؤية الوزير قبل ان يعود الى نيويورك .

- ارجوكما . انتظرا لحظة .

وبالطبع يتم اللقاء مع الوزير .. وبعد مناقشة سريعة يقوم فيها براون بدور المترجم والوسيط . يتحدث براون عرضاً عن استعدادهما - فى مقابل الافراج عن جونز - لدفع اية كفالة ..

- كفالة : ما معنى كفالة ؟ .

- مبلغ من المال يودع لدى سعادتكم كضمان لعدم مغادرة جونز الجزيرة دون موافقتكم ..

وباشارة من جونز يخرج سميث من حافظته مبلغ ٢٠٠ دولار .. يضعها الوزير فى جيبه دون تردد .. وهو يعد ان يفعل ما بوسعه .

ويقول براون نفسه : لا جونز ، ولا هـــذا الوزير يساويان اكثر من هذا المبلغ ؟

البنادق والقصائد

بالرغم من ان الممثلين الهزليين لا ياخذون شيئاً ماخذ الجد . إلا انه يحدث احياناً ان تفرض عليهم بعض المواقف . وهكذا كان قدر صاحبنا براون مع الدكتور

● عندما يفضل الشاعر البنادق على القصائد !

الممثلون الهزليون

فيليبوت . إذ ظل شبحه يلاحقه حتى بعد أن تخلص من جثته ـ بمساعدة الطبيب الملتزم الدكتور ماجيوت .

فالطريق الى المدافن يمر من امام فندق التريانون . ولقد فوجىء براون وسميث عقب عودتهما من لقاء وزير الخارجية بموكب جنازة الدكتور فيليبوت يكاد يصل الى مواجهة الباب الخارجى للفندق عندما اقبلت من الخلف سيارة سوداء كبيرة . وفى اثرها عدد من سيارات الجيب المحملة بالجنود المسلحين ، واخذت تشق طريقها بسرعة حتى وصلت كلها للمقدمة . وسدت الطريق على موكب الجنازة . ونزل منها

شخصان مهمان .. كانا من كبار المسئولين فى جهاز امن بابا دوك الرهيب «الطنطن ماكوت» . وهدفهما هو اختطاف نعش الدكتور فيليبوت من سيارة الموتى التى تحمله ليتم دفنه بمعرفة السلطة . فى مكان لا يعرفه احد حتى لا يتحول قبره الى مكان للتجمع أو المتاعب ..

تصرخ ارملة القتيل . كما يصرخ ولده الصغير . ويستفز المشهد غير الانسانى نخوة مسز سميث ولكنها تنال لكمة من احد رجال الامن تلقيها مشدوهة على جانب الطريق . ويحاول زوجها ـ مرشح الرئاسة ـ ان يتدخل . ولكن براون يقنعه ان لغة التفاهم من الطنطن ماكوت معدومة . ومع ذلك فان تدخل مسز سميث وهمهمات زوجها كانت كافية لاثارة غضب رجلى الأمن ..

ويبدو ان شيئاً ما فى عينى براون استفز احدهما فاشار الى براون ان يتقدم اليه .

ولما كان براون ـ كما يقول عن نفسه ـ فقد تقدم اليه طائعاً ..

ـ انت مالك هذا الفندق ؟

ـ اجل .

ـ إذا لقيتنى مرة ثانية لا تحملق فى وجهى هكذا .. فاهم ؟

ـ ...

ـ ومن هذا العجوز الذى معك ؟

ـ إنه مرشح الرئاسة الأميركية !

ـ ها انت تسخر منى مع انى حذرتك ! انت تستخدم هنا مواطناً اسمه جوزيف .. اليس كذلك !

ـ اجل !

ـ اساله عنى . لقد استجوبته بنفسى ذات مرة ..



ـ بدون أن اسال .. لقد رايت نتيجة الاستجواب على ساقيه !!

ـ مرة اخرى اقول لك انا لا احب طريقتك فى الحديث .. ولكنى مشغول عنك اليوم .. ثق اننا سنلتقى !

وكذا وجد براون نفسه وقد اصبح عدواً شخصياً لواحـــد من شـياطين الطنطن ماكوت ..

ولكن تورط بروان مع الطنطن ماكوت لم يبدأ إلا بعد ذلك بفترة ، عندما التقى ذات يوم فى منزل السفير ـ زوج صديقته مارتا بشاب يدعى هنرى فيليبوت .. هو ابن شقيق الوزير المنتحر ..

وهنرى شاعر . ويبدو ان له بعض العلاقات الغامضة مع المتمردين ضد طغيان بابا دوك . ولكن براون كما نرى لا يرتاح له كثيراً لمجرد انه سمع بضع كلمات اطراء لشعره من مارتا .. فبراون غيور جداً كما نرى . انه يغار حتى من ابن مارتا الطفل «انجيل» ، ومن زوجها السفير .

ويسال براون هنرى عن آخر قصائده فيقول انه اليوم يفضل البنادق على القصائد . ويساله بدوره ما اذا كان يستطيع أن يعلمه كيف يستخدم مدفعاً رشاشاً . فيحدثه براون عن الماجور جونز .. إن له ـ كما يقول عن نفسه ـ خبرة واسعة بالسلاح ، وكان يوماً ما محارباً عظيماً فى بورما !!

وفى منزل السفير نتعرف ايضاً على شخصية جديدة .. هو «حامد» مهاجر لبنـانى يملك بنسيونا فى العاصمة يؤجر غرفه عادة لفترات قصيرة . وقد سبق لبراون ومارتا أن امضيا فى بنسيونه ليلة . ولكنه رغم ذلك يبدو وثيق العلاقة بهنرى فيليبوت ..

فى نفس المساء يحاول براون الاختلاء بمارتا فى احدى الغرف الكثيرة بالسفارة .

ولكنها ترفض بحجة انشغالها بمرض ولدها . غير أن الغيرة القاتلة تجعل براون يتصور انها تفضل الشاعر هنرى عليه . فينصرف غاضباً ، مقرراً ان يثار من «عذرها» فى احد بيوت صاحبة صديقة قديمة تدعى ماما كاترين ؟ .

ولكن حظه الاسود ـ او الهزلى ، لا ندرى ـ يجعله يجد غريمه ـ رجل الطنطن ماكوت واسمه بالمناسبة «كونكاسير» قد سبقه الى هناك ..

وتدور بين الاثنين مبارزة كلامية يستخدم فيها كاتبنا جراهام جرين كل ذخيرته من السخرية والمرارة . وفى اللحظة التى يكاد يتطور فيها الامر الى مبارزة حقيقية ـ غير متكافئة بالمرة بينه وخصمه الطنطن ماكوت المسلح ، والمؤيد بفرقة كاملة من الحرس تنتظره بالخارج حتى ينهى «ماموريته» الدنسة فى بيت ماما كاترين ـ إذا بالباب الدوار يفتح ليدخل منه الماجور جونز بلحمه ودمه .

ولكنه «جونز» غير الذى نعرفه . نعم ان بعض علامات التعذيب فى السجن لازالت آثار بصماتها على وجهه . ولكنه الآن فى بزة مفرطة فى الأناقة . وسيجار فخم لا يقل طولا عن سيجار السفير بينيدا .

وتنحسر المبارزة بين براون وكونكاسير بالتعادل دون اهداف . فكونكاسير كما يبدو صديق حميم جداً لجونز . ولجونز عنده «خاطر» لا يرد .

وعندما ينصرف جونز وبراون فى سيارة الأول «المرسيدس» الفارهة سيكتشف الاخير سر المسالة .

إن جونز استطاع بحيلة ما أن يصل الى كونكاسير . وهو الآن شريكه فى صفقة أسلحة ضخمة سيوردها جونز لجمهورية بابا دوك . ولكونكاسير عمولة تصل الى مئات الوف الدولارات ستوضع باسمه باحد البنوك السويسرية إن اراد ..

اما سبب اعتقال جونز فهو انه عندما وصل كان يحمل رسالة بدوره من مستر سميث الى رجل فقد نفوذه او مات او قتل ـ كله سيان فى هايتى ـ ولكنه استطاع ان يقنع كونكاسير بان الصفقة المغرية يمكن أن تنتقل اليه . وخصوصاً وان نظام بابا دوك اصبح فى مسيس الحاجة الى السلاح ليحتمى به من ثورة شعبه ، بعد ان قررت امريكا تحت ضغط الكونجرس منع تصدير الأسلحة الى هايتى .

سنعرف ايضا ان جونز يقيم الآن فى قصر منيف ، كان من قبل مقراً لأحد خصوم بابا دوك .. الرئيس دوفالير ..

ولكن سميث كان اسوأ حظاً من زميله السابق على ظهر المركب . فقد اتضح له عندما التقى بخليفة فيليبوت فى وزارة الخدمات ان المبلغ الذى يريده هذا الرجل رشوة للموافقة على مشروع المركز النباتى اكبر من وزارة المالية . ثم ان حكومة هايتى تتوقع ان يقيم مستر سميث المشروع على حسابه . بينما هذا يتصور العكس . وهكذا تقرر صرف النظر عن المشروع باكمله ، ولكن مسز سميث اقنعته بالانتظار ، لعل الأمور تتغير ..

ونعود الى الشاعر فيليبوت . إنه مازال مصراً على استبدال كلمات القصائد بطلقات البنادق . ولذلك فقد اخذ بنصيحة براون ، وتوجه الى جونز فى قصره الجديد . بالطبع دخل اليه خفية ، وبدون ان يدع فرصة لكي يراه رجل الطنطن ماكوت الذى يقوم على حراسة القصر ، او مراقبة جونز .

واستمع جونز بادب ومرح الى مطالب هنرى فيليبوت . انه يريد رشاشات . ويريد ايضا من يدربه واصحابه على استخدام الرشاشات . بسبعة رشاشات فقط يستطيع أن يصنع شيئا . ويخلص البلاد من طغيان بابا دوك او الدكتور دوفالير ، او البارون ساميدى ايا كان الاسم الذى اختاره الطاغية لنفسه ، او اختاره له رعاياه .

وفى هذا اللقاء نكتشف جانبا جديداً فى شخصية جونز . فهو يستمع الى الجانب الايجابى فى حديث هنرى فيليبوت بادب . ولكن هذا لا يهمه فى شيء . انه فى هذه اللحظة مرتبط بصفقة اسلحة مع بابا دوك، ورجـــل المخـــابرات (الطنطن ماكوت) كونكاسير . وهذه الصفقة ستدر عليه كذا الف دولار . فاذا كان هنرى مستعداً لكى يتيح له كسباً اكبر فهو مستعد فى الحال لأن يحول الصفقة له .. هكذا ببساطة . هذا هو منطق رجل الأعمال الذى يلعب جونز الآن دوره بدقة . ولكن الشاعر يستفزه هذا المنطق «العملى» فيتعمد عند خروجه ان يجعل رجل الطنطن ماكوت يشاهده ، حتى يبلغ رؤساءه بزيارته لجونز . وهو المعروف بصلاته بالمتمردين وعدائه لبابا دوك .

خطة هروب محكمة

ذات ليلة دعا جوزيف سيده لحضور حفل شعبى «للفودو» وهو نوع من الرقص مرتبط بطقوس السحر لدى الأهالى . هناك فى الحفل يشاهد براون الشاعر هنرى فيليبوت . ويلاحظ ان عدداً من الشباب منهم هنرى وخادمه جوزيف (الأعرج) يتبادلون اشـــارات وهمســـات لم يحاول ان يفهمهـــا . ولكنـــه اثر العودة وبحث عن جــوزيف فلم يجـــده . بحث عن هنرى ايضا فلم يجده ، فعاد ادراجه . وعندما وصل الى الفندق كانت الساعة الرابعة صباحاً .

فى السادسة استيقظ من النوم فزعاً على اصوات تملأ غرفة نومه . اكثر من عشرة من رجال الطنطن ماكوت يتقدمهم كونكاسير بنفسه ومسدسه يكاد يلتصق براس صاحبنا .. فاذا ما حاول هذا أن يتظاهر بالشجاعة او يشير الى ان معاملته بهذه الطريقة يمكن ان تثير تساؤل وربما غضب السفير الفرنسى ، اوسعوه ضرباً وركلا .. حتى فهم اخيراً انهم يبحثون عن خادمه جوزيف .

ــ انت نقلته بنفسك فى سيارتك الى مكان ما فى خارج المدينة اليس كذلك ؟

ــ هذا صحيح . صحبنى الى حفل للفودو ..

ــ هل كان هنرى فيليبوت هناك ؟

ــ اجل . مجرد مصادفة . ولكنى لم اتحدث اليه ..

ــ ثم تركت جوزيف وعدت وحدك .. اليس كذلك ؟

ــ نعم . عندما اردت العودة التمسته فلم اجده ..

ــ فى نفس الليلة هاجـــم عـــدد من المتمردين مركز الشرطة القريب من المكان الذى سهرت فيه . وقتلوا شرطيا . واستولوا على رشاشه ..

ــ وما شانى انا بذلك !

ــ تعرف بعض الشهود على احد الجناة . وكان اعرج ..

ــ هناك اكثر من الف اعرج غير جوزيف بالمدينة ..

وكان الرد على هذه الاجابة مزيداً من الضرب . الرجال العشرة ، وكونكاسير على راسهم كلهم يضربون .. ولا ينقذ براون سوى نزول مسز سميث التى ايقظتها الضجة ، وامام التهديد باستخدام نفوذ مرشح الرئاسة الذى كان له شرف الاجتماع مع بابا دوك نفسه منذ ايام فضلا عن وزير الخدمات الجديد .. انسحب كونكاسير ورجاله وهو يتوعد براون بيوم اخر لن يجد فيه من ينقذه ..

وفى اليوم التالى تصل الى براون بطاقة اعتذار رقيقة من المأجور جونز باعتباره صديقا وشريكا لكونكاسير المرعب .

وبعد ساعات يودع براون آل سميث فى المطار . ويكتشف لأول مرة ان «حامد» اللبنانى غير موجود . ويفهم انه اختفى ..

وفى طريق العودة يمر بقصر الرائد جونز . فيحدثه هذا عن رغبته فى ان يشاركه . فالعملية المشتركة بينه وبين كونكاسير تتطلب منه أن يسافر كثيراً للخارج . ولابد من صديق مؤتمن ليتابع الأمور هنا . والمقابل ؟ ١٥٠ الف دولار . اى ما يساوى ثمن الفندق عدة مرات .

ويعد براون أن يفكر فى الأمر . ولكن تفكيره يقوده الى الاقتناع بان جونز يدبر «خبطة كبيرة» . ولعله عندما ينكشف الأمر ان يكون بالخارج ، بعيداً عن ايدى بابا دوك تاركاً براون بين ايديهم رهينة !

ولكن الأمور تطورت بسرعة وفى اتجاه يختلف عما كان يقدر براون . فلامر ما اكتشف كونكاسير أن جونز يخدعه . ويعلم جونز فى الوقت المناسب بانه انكشف فيلجا الى براون ، الذى لا يجد له مكانا يختبىء فيه بعيداً عن ذراع الطنطن

● إذا لقيتنى مرّة ثانية لا تحملق في وجهي هكذا!

● رجـــال لا يعرفون التفاهم إلا باللطم واللكمات!

ماكوت الطويلة سوى بيت السفير زوج مارتا . هناك يستطيع جونز ان يعيش لاجئا حتى تسنح فرصة لتهريبه .

ويعترف جونز لبراون انه لم تكن هناك تحت يده اية اسلحة فى اى وقت ليبيعها او يتوسط لبيعها لبابا دوك وكونكاسير . وانه كان ينوى اختطاف المبلغ كله لنفسه ..

المهم .. يقبل السفير إيواء جونز فى مبنى السفارة . وسرعان ما يكتشف براون ان جونز قد اصبح صديقا حميما للاسرة كلها . للسفير ومارتا وحتى انجل الصغير .

ويقتله الشك والغيرة . فمع كل زيارة يقتنع ان جونز قد احتل مكانا اوسع فى قلب مارتا .. وراح ينقلب على حجر من العذاب .. ويرمى مارتا بشكوكه فى كل حين حتى فاجاته ذات يوم بقولها ان شكوكه فى محلها .. وانها وجدت جونز افضل منه الف مرة .

وذات ليلة جاءه الدكتور ماجيوت . إنه يحمل له رسالة من هنرى فيليبوت الذى هرب الى الجبل ، ومعه نحو ١٢ من المتمردين . وفى نيته ان يزحف للشمال ، ليتخذ قاعدة لكفاحه على الحدود مع جمهورية الدومينكان ، حيث يوجد هناك نحو ثلاثين اخرين .

ــ يريد أن يحرر هايتى باثنين واربعين رجلا ؟

اما ماذا يريد هنرى فيليبوت ، من الماجور جونز . ان المتمردين يريدون رجلا عسكريا محترفا ليدربهم على استخدام السلاح . ومن يصلح لهذا الدور افضل من جونز ؟ ثم ان جونز يتمتع بخاصية عجيبة انقذ بها رجاله اكثر من مرة اثناء الحرب .. انه يستطيع ان يشم رائحة الماء مهما كان بعيداً !!

وبطريقة ما يقنع براون الماجور جونز ان انتقاله الى خارج البلاد عن طريق المتمردين هو السبيل الوحيد لنجاته ، خصوصا وان هناك انباء قوية تفيد ان السفير بينيدا ستنتهى خدماته هنا .

وبالاشتراك مع الدكتور ماجيوت يضع براون خطة محكمة لتهريب جونز .

هل كان يقصد فعلا تهريبه ؟ ام كان كل ما يسعى اليه هو ابعاده عن مارتا ؟

ابطال بمحض الصدفة

وتقترب القصة سريعا من نهايتها ، فالسيارة الجيب التى اعدها براون لتهريب جونز تتعطل فى الأدغال قبل ان تصل بهما الى المكان الذى سيستقبلهما فيه بعض ادلاء الثوار لينقلوا جونز عبر الحدود . ويضطران الى المشي حتى ينهكهما التعب ، وفى اللحظة التى يدركان فيها ان نهايتهما قريبة يصبحان اكثر صراحة ..

● ياصديقي .. أحد عيوبي أنني أكذب كثيراً!

ويسال براون السؤال الأبدى الذى يعذبه :

ــ قل لي بصراحة يا جونز .. كيف كنت تدبر امورك مع السفير ؟

ــ كان لطيفا جداً معى .. ولا اظن انى كنت مصدر اية متاعب له .

ــ على الاقل كنت صديقا لزوجته ؟

ــ من اين لك هذه الفكرة السخيفة ؟

ــ هى بنفسها قالت لي ذلك !

ــ مستحيل : اللهم إلا اذا كانت تريد ان تثير غيرتك . او لعلك اتهمتها فارادت ان تعذبك ..

ــ يعنى لم يحدث ... ؟

ــ كلا بالطبع .. انا لست زير نساء ..

ــ ولكنك طالما حدثتنى عن مغامراتك مع النساء من كل جنس ..

ــ يا صديقى .. احد عيوبى اننى اكذب كثيراً !

ولايلبث براون ان يكتشف كذبة اخرى . عندما يعترف له جونز انه لم يحمل سلاحا فى حياته .

ــ الم تكن فى الجيش ؟

ــ نعم كنت ، ولكن فى ادارة الترفيه !!

وعندما يفرغ ما معهما من ماء ، ويكادان يموتان عطشا .. يسال براون :

ــ حاول ان تشم لنا ماء يا جونز . سيقتلنا العطش ..

ــ هل صدقت هذه الرواية ؟ لقد سمعت مرة احد الهنود يقول عن نفسه ذلك ، فنسبت الامر لنفسى !

واخيراً ، وصلوا الى مكان اللقاء . لم يكن احد بالانتظار .. وعلى جونز ان ينتظر وحده لأن ترخيص المرور الذى حصل عليه براون لا يسمح له بالبقاء ..

ويفترقان ..

وبعد بضع ساعات من السير فى اتجاه السيارة المطلوبة يفاجا براون بسيارة جيب تسد عليه الطريق .. وينزل منها كونكاسير بنفسه ، يتقدمه مسدسه ..

ولكن قبل أن يستخدمه ، تدوى طلقات رصاص من مكان ما . ويخر كونكاسير ورفاقه صرعى . وينزل من فوق التل القريب جوزيف بنفسه ، وفى يده رشاشه ..

ويقول لهما براون اين ترك جونز . ويقفل راجعا .

● ● ●

بعد فترة طويلة او قصيرة . وبواسطة مستر سميث ، وجد براون عملا فى سان دومينجو .

وهناك التقى مع هنرى فيليبوت ذات يوم .. وساله عن جونز فاجاب :

ــ كان بطلا عظيما . هل تعرف كيف لقي حتفه ؟ ونحن نجتاز الحدود وقعنا فى كمين جرينا . ولكنه اصيب بالتواء فى قدمه . امرنا ان نسرع ليحمى هو هروبنا . ظل فى مكانه يطلق الرصاص حتى تمكنا من الهرب . هرب منا عشرون ومات عشرون .. وقد اقمنا فى نفس المكان الذى مات فيه نصبا تذكاريا نقشنا عليه اسمه ؟

● ● ●

فى مقدمة الفصل الأول من رواية «الكوميديون» يقول جراهام جرين انه كثيراً ما يتمشى فى شوارع لندن ليتامل هذا العدد الكبير من تماثيل قادة الجيوش فوق صهوات الخيول ، والزعماء السياسيين فوق قواعد شامخة الارتفاع ..

ويتساءل ، الم يكن الماجور «جونز» يستحق تمثالا كهؤلاء بدلا من النصب التذكارى المتواضع جداً الذى يكاد يتوارى خلف الاحراش فى مكان ما على الحدود بين هايتى والدومينكان ..

ولعلنا نحن ايضا نتساءل ، ما الذى يقصده جراهام جرين بهذه الملاحظة السريعة .. وهل يريد ان يقول ان كل اصحاب هذه التماثيل عاشوا حياتهم يمثلون ادواراً هزلية مثل الماجور جونز ، ولم يصبحوا ابطالا إلا بمحض الصدفة .. تماما كما حدث معه ؟

الأرجح ان هذا بعض ما اراد ان يقول .

مصطفى كمال



بقلم : الدكتور محمد البهي

التهذيب في المعاملة

حددت ثلاث آيات مدنية فى سورة مكية ـ وهى سورة الأنعام ـ اطار هذه المعاملة : بعبادة الله وحده .. وبالاحسان للوالدين .. وبعدم قتل الأولاد ، خشية الفقر .. وبعدم الاقتراب من الفواحش والجرائم الظاهرة والخفية على السواء .. وبعدم قتل النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق .. وبالوفاء فى الكيل فيما يكال ، وفى الوزن فيما يوزن .. وبالعدل فى القول ، والشهادة وفى الحكم بين اثنين ، ولو كان احدهما قريباً لمن يقول ، أو يشهد ، أو يحكم .. وبالوفاء بعهد الله . يقول الله تعالى :

« قل تعالوا : اتل ما حرم ربكم عليكم :

الا تشركوا به شيئاً (اذ الشرك بالله أساس العبث والفساد فى السلوك فالاتجاه فى العبادة لغير الله هو اتجاه للمنفعة الشخصية . والمنفعة الشخصية يمليها الهوى ، والمشرك بالله لا يلتزم طريقاً واحداً فى الحياة . وانما يسلك طرقاً عديدة ، وملتوية لاقتناص منفعته الشخصية) .

وبالوالدين احساناً (والاحسان للوالدين امارة على وفاء الأولاد . اذ أصبحوا فى وضع ليست لهم حاجة الى والديهم . فوفاؤهم عندئذ دليل على مستواهم الانسانى الرفيع) .

ولا تقتلوا أولادكم من املاق ، نحن نرزقكم واياهم (وعدم قتل الأولاد خشية الفقر دليل على تحمل مسئولية الآباء نحو اولادهم ، وتحمل المسئولية شعور انسانى كريم يدفع بالانسان الى درجة المستوى الفاضل فى الانسانية) .

ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن (وهى المنكرات والجرائم الاجتماعية من : زنا .. وقتل .. وسرقة . والنهى عن اقترافها هو نهى عن ذلك ، سواء فى السر أو العلن .. فى الظاهر والباطن . وعدم مباشرة هذه الجرائم مظهر ينم حقيقة عن التحول عن طريق الايمان . من المجتمع الجاهلى الى المجتمع الانسانى) .

ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون .. (وعدم قتل النفس فى غير رد اعتداء ، او فى غير قصاص دليل كذلك على تعاطف الانسان نحو الانسان . والتعاطف درجة رفيعة فى الانسانية) .

ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن حتى يبلغ اشده (وكذلك مباشرة مال اليتيم ـ وهو الضعيف الذى لا يقوى على ادراك ما يصنع بماله ، وان ادرك لا يقوى على مقاومة العبث فيه ـ بالطريق الأمثل فى انمائه والحرص عليه : امارة التحول من الماضى البغيض .. الى المجتمع المؤمن وهو الانساني) .

وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا تكلف نفساً الا وسعها (وكذلك وفاء الكيل والميزان بالعدل ان دل على بعد عن الانانية فى المعاملة .. وبالتالى على الروح الانسانية فيها : فانه من جانب اخر دليل على يقظة الوعى الانسانى فى الانسان الذى يفى بما يلتزمه على اساس من العدل نحو الآخرين . ويقظة الوعى فى الانسان هى ترجمة لمستوى رفيع فى انسانيته) .

واذا قلتم فاعدلوا ، ولو كان ذا قربى (وعلى نحو ممارسة العدل فيما يلتزمه الانسان نحو الآخرين من وفاء فيما يكال او يوزن ، ومن دلالة ذلك على انسانيته : ما يدلى به الانسان من قول لصالح بعض الأطراف فى النزاع بينهم . فان الحياد فيه ـ أو العدل فيه ـ له نفس الدلالة على انسانية القائل) .

وبعهد الله اوفوا (وكذلك الشأن فى الوفاء بالعهد . اذ هو التزام على تحقيق هدف خير . واداء الخير للآخرين هو عطاء من انسانية المؤدى ، وتعبير عن مستواه الرفيع فيها) ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وان هذا (اى كل ما ذكره من الوصايا هنا) صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل (اى الاخرى التى عداه ، وهى سبل ملتوية) ، فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » الانعام : ١٥١ ـ ١٥٣ .

واذا كانت هذه الوصايا تمثل مجمل الاطار العام للتهذيب فى المعاملة ..

.. فان الآيات الأخرى التى جاءت فى الوحى المدنى تزيد فى توضيح ما اجمل فيها :

ـ فجاء فى أدب التحية قوله تعالى : « واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها ، ان الله كان على كل شىء حسيبا » النساء : ٨٦ .

ـ وجاء فى أدب المساكن :

« يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا ، وتسلموا على أهلها (فربط جواز دخول مساكن الآخرين بامرين : الأمر الأول باستئناس القبول من الساكنين : عند القادم . وهذا امر اخص من الأذن بالدخول . اذ يجوز ان يأذن الساكنون بالدخول لقادم وليست لديهم رغبة أكيدة فى لقائه . والاستئناس اذن هو التحسس بهذه الرغبة بعد الاذن بالدخول والأمر الثانى أن يلقوا على الساكنين : السلام ، تطميناً لنفوسهم). ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون .

" فان لم تجدوا فيها احداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم .

" وان قيل لكم : ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم ، والله بما تعملون عليم .

ليس عليكم جناح : ان تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم ، والله يعلم ماتبدون وماتكتمون » النور : ٢٧ ـ ٢٩ .



فصول أبي البهاء مع الرؤساء

بقـــلم
الدكتور عبد السلام العجيـلي

قلت لأبي البهاء ، بعد أن حيانا أنا ورفيقي في المقهى وجلس على طاولتنا :

ـ اعرفك بالأستاذ اسماعيل . صديق قديم وصاحب فصول مثلك . لا تظن أنك الوحيد في صنع المقالب لمن يلقيه سوء الحظ في طريقك .

فرد علي بلهجته الجادة ووقاره الذي يتلبسه أمام من لا يعرفه ، قائلا :

ـ تشرفنا . ماذا يعمل الاستاذ اسماعيل ؟

قلت : هو أيضاً متقاعد ، مثلك . ولكن ليس من الصحة العامة ، بل من وظائف الادارة في وزارة الداخلية .

قال : أنا لم أتقاعد أو أحل على المعاش . مللت الوظيفة فاستقلت منها .

قلت : أعرف هذا ، ولست أجادلك فيه . كنا قبل أن تأتي نستعرض ذكرياتنا . زمان كان الأستاذ اسماعيل رئيساً لديوان مدير المنطقة في بلدتنا الصغيرة . كانوا يسمون المدير في تلك الأيام القائمقام . لماذا لا تحدث صديقنا اسماعيل عن فصلك مع قاضي الصلح توفيق بك ؟

كان اسماعيل في هذه الآونة منشغلا بتسوية وضع الجمرات على راس الأركيلة التي جاءه بها خادم المقهى ، فقال :

ـ حدثه أنت . أنت تعرف الحكاية ، ولسانك في رواية القصص أفصح من لساني .

قلت : كما تشاء . توفيق بك هذا يا أبا البهاء كان قاضياً للصلح في بلدتنا منذ أكثر من ثلاثين عاماً . كان مشهوراً بحرصه المفرط ، أعني بالبخل . جاءنا منقولا من البلدة المجاورة وهو عزب ، فسكن وحده في غرفة صغيرة يتولى تنظيفها وترتيبها له في كل يوم آذن المحكمة أبو محمد . الموظفون في بلدتنا ، وهي مجرد قرية كبيرة آنذاك ، كانوا قلة تتجمع في سراي الحكومة الصغيرة كل دوائرهم . وفي ذات يوم جاء هذا الرجل ، أعني الأستاذ اسماعيل ، الى مقر وظيفته في بدء الدوام فوجد القاضي توفيق بك في غرفته الواقعة في مدخل دار الحكومة ممسكاً بيده جريدة مفتوحة ، ليس أمام عينيه ليقرأها ، بل مديراً لها وراء جسده كأنه يستر بها ظهره ...

وهنا قاطعني صديقي اسماعيل ليقول مصححاً :

ـ أنت الصادق .. إلا أنك نسيت التفاصيل . فأنا لم أجتمع بتوفيق بك في مكتبه ، بل التقيت به خارجاً من مسكنه في الصباح فتسايرنا الى مقر عملنا في دار الحكومة . لاحظت طول الطريق أنه كان يحمل جريدة مفتوحة وقد أدار يده بها الى الخلف ، ملصقاً إياها بوسط ظهره وما دون الوسط . سألته : «ما الخبر يا توفيق بك .. هل يؤلمك صلبك ؟» قال : «لا ، ولكنه مسمار لعين في باب أحد الحوانيت التي مررت أمامها قبل قليل ... علق المسمار بقفا بنطالي فمزقه . سأرقى قوس المحكمة الآن فلا يرى موضع التمزيق أحد ، وعند عودتي الى الدار أعطي البنطال لأبي محمد لترفوه لي زوجته» . هذا ما جرى في ذلك الصباح . أكمل أنت .

وجه الأستاذ اسماعيل كلمته الأخيرة إلي وانصرف الى سحب الأنفاس المتتالية من أركيلته ليحسن اشتعالها . فأكملت أنا القصة لأبي البهاء . قلت :

ـ توفيق بك ، على نزاهته وكفاءته ، كان كما أخبرتك معروفاً ببخله الشديد . لم يكن يملك إلا بدلة واحدة ، هي التي يلبسها ، ولا كان مستعداً أن يشتري غيرها قبل أن تبلى هذه . طبيعي إذن أن يستمر في ارتداء البنطال الممزق في انتظار أن ترقعه زوجة الآذن في المساء . إلا أن أخانا اسماعيل واتته فكرة عرضها على القاضي ، فقبلها هذا بعد شيء من التردد . لقد

اقترح اسماعيل أن يرقى توفيق بك الى قوس المحكمة العالى ، حيث لا يرى الذين فى قاعة المحاكمات منه إلا وجهه وأعلى صدره ، وأن يخلع بنطاله ، فيأخذه هو الى من يخيط موضع التمزيق فى دقائق قليلة ويعود به اليه مسرعاً .

فقاطعني أبو البهاء هنا متسائلا : وتقول ان القاضي قبل بهذه الفكرة ؟

أجبت : حقاً لقد قبل . لف اسماعيل البنطال الممزق بجريدة ، وقبل أن يخرج من الغرفة أقنع القاضي بأن ليس من داع لتعطيله عمل المحكمة .. فليستدع الكاتب ، وهو فى العادة يجلس فى مكان واطىء على يمين القوس ، وليباشر باجراء المحاكمات مادام ظهره الى الحائط ومادامت واجهة قوس المحكمة تستر أسفل جسده عن أنظار المتقاضين والشهود وبقية الحضور ! وهذا ما جرى أنذاك .

وهنا استدرت أنا للأستاذ اسماعيل وقلت له :

– رويت أنا نصف الحكاية . وارى اركيلتك مشتعلة على ما يرام ، فعليك أن تروى لأبى البهاء نصفها الآخر .

قال اسماعيل : على عينى وراسى . النصف الآخر كان محسوباً . حملت البنطال ملفوفاً بجريدته وذهبت به لا الى منزلى ، بل رقيت به درج دار الحكومة الى مكتب رئيسى مدير المنطقة ، القائمقام ، فالقيته على طاولته . سألنى المدير : ما هذا ؟ قلت له : إنه بنطلون سيادة القاضي ! ففتح عينيه فى وجهى دهشاً ومتسائلا . فلما أخبرته الخبر وبأنى تركت قاضي صلح البلدة يستمع الى المتخاصمين وهو وراء القوس كاسى الرأس والجذع ، مجرد نصف الجسد الأسفل غضب . إلا أنه مالبث أن غلبته روح الفكاهة وتصرف التصرف الذى كنت أتوقعه ...

وسكت اسماعيل للحظة . فسأله أبو البهاء بلهجة من يقول ذلك تأدب وليس عن اهتمام صحيح :

– وما الذى كنت تتوقعه من تصرف ؟

قال صديقى : توقعت ما حدث بعد ذلك ، إذا لم يكن على التمام فعلى التقريب . فقد أرسل المدير حاجبه الى القاضي طالباً منه المجيء لمذاكرته فى أمر مستعجل فرد توفيق بك بأنه سيحضر بعد فراغ ما فى يديه من عمل . فكرر المدير الدعوة مشدداً على أن يحضر القاضي فوراً ، فجاء جواب هذا بأنه مشغول بسماع شهود دعوى جنائية ، وأنه سيلبى طلب المدير حال انتهائه من استجوابهم . عندئذ سطر المدير كتاباً رسمياً وجهه الى القاضي محملا إياه كل مسئولية تمس أمن الدولة ناجمة عن تاخره الذى يجب أن يكون فورياً . وكان رد القاضي ، المحصور وراء قوس المحكمة دون بنطال ، أن سطر هو كذلك كتاباً رسمياً يحتج فيه على دعوة القائمقام إياه بهذا الأسلوب !.. هذا الأخذ والرد أخذا وقتا وأثار فضول الموظفين والمراجعين فى سراى بلدتنا . فقد رأى هؤلاء وأولئك كيف علق القاضي النظر فى الدعاوى ، وأغلق باب غرفته ، وكيف أرسل أذنه وكتابه يجوبون جوانب بلدتنا الصغيرة ... وكان رجال توفيق بك يبحثون عنى لأحمل اليه بنطاله مرفوا قبل فوات الأوان ، وقبل أن ينفذ مدير المنطقة التهديد الذى أورده فى كتابه الرسمى الأخير . لقد تظاهر مدير المنطقة بنفاد الصبر فهدد القاضي بأن يرسل الى المحكمة مفرزة من الشرطة تأتى به اليه قسراً إذا لم يستجب لدعوته طوعاً !

وسكت اسماعيل هنا منصرفا الى تسوية جمرات أركيلته على رأسها ، فاتممت أنا الحكاية بقولى :

– كان الآذن وكتاب المحكمة يبحثون عن أخينا هذا عبثاً . فقد كان أنذاك فى غرفة القائمقام ، التى اجتمع فيها قائد الشرطة ومدير المال وموظفون آخرون ، ممن علموا بحقيقة ما يجرى وشاركوا فى الضحك من مأزق قاضيهم المفرط البخل . وكانت مصادفة لي أنا شخصياً أن أزور مدير المنطقة يومذاك وأن أحضر ذروة الحرج فى ذلك الموقف . أذكر أنى الححت عندها على اسماعيل بأن يعيد البنطال الى القاضي ، مرفوا أو على تمزيقه ، بعد أن ضحكنا بما فيه الكفاية . نعم لقد ضحكنا كثيراً فى ذلك اليوم . ما رأيك يا أبا البهاء ؟

• • •

وجهت سؤالي الى صاحبي وأنا ابتسم ، مواصلا بالابتسام ضحكي في ذلك اليوم البعيد من حكاية توفيق بك . إلا أن أبا البهاء لم يعد بشعوري ، بل بدا كالمتعض مما قصصناه عليه . قال مجيباً لي :

– رأيي ؟ ... مع احترامي لأخينا الأستاذ اسماعيل ، أرى أنكم كنتم قساه على القاضي المسكين . ليس البخل جريمة ، فالبخيل وان أضر بنفسه ، لاضرر منه على غيره . ثم انه رئيس ذو مقام ، يستوجب الاحترام .

قلت أنا : ولكنني اعرف لك فصولا لم تقصر فيها عن ايذاء الرؤساء .

قال صحيح اذا كانوا يستحقون الايذاء . الدكتور سليم مثلا ...

قلت : أهو ذاك الذى كان مدير دائرتك فى احدى السنين ، وأنت موظف فى الصحة ؟

قال : نعم هو . كان رئيساً صلفاً ، قاسياً في معاملته لنا نحن مرؤوسيه ، كثير التعلق بشكليات لا تفيد في تصريف الأعمال اذا لم تعرقل سيرها . لهذا استحق ما نزل به .

سحب الأستاذ اسماعيل نفساً عميقاً من أركيلته قبل أن يقول : اعتقد أن لي الحق في أن أسمع احدى حكاياتك يا أبا البهاء ، بعد أن سمعت مني حكايتي مع توفيق بك . ما الذي نزل بدكتورك هذا ؟

قال أبو البهاء : ما جرى للدكتور سليم هو أننا أوقعناه في البئر التى حفرها لموظفي دائرته ، عندما تجاوز في مزعجاته كل الحدود . فمنذ تولى رئاسة الصحة في مدينتنا راح يغرقنا نحن مرؤوسيه بالأعمال القرطاسية من جداول وقوائم ومذكرات واسئلة واجوبه في ما يهم ولا يهم ... بالأعمال البيروقراطية كما أصبحوا يقولون اليوم . اشعال المدفاة ، مثلا ، في الشتاء مثل فتح نوافذ المكاتب أو ادارة المراوح في الصيف ، لا يمكن أن تتم بدون طلب ورد على الطلب وحاشية على الرد وهامش على الحاشية ، في كتب متتابعة ومتوالية ، مما كان يرهقنا ويعرضنا عند أول تهاون أو خطا الى العقوبات أو خصومات من الرواتب ، وكنت شخصياً أكثر مرؤوسيه تعرضاً لفورات غضبه ولعقوباته نظراً لمزاجي الخاص في مباشرة العمل وكثرة غيابي من الدائرة . حتى اضطرتني تصرفاته حيالي الى أن أشكوه في ذات يوم الى معاون الوزير الذي قابل شكواي بابتسامة عريضة قائلا لي : ما اعرفه هو ان الرؤساء هم الذين يشكون منك في العادة يا أبا البهاء ، فالحمد لله أن وجد من تشكو منه أنت !

فصول أبي البهاء مع الرؤساء

وأضاف معاون الوزير يقول : أين شطارتك التي يتحدث عنها الناس إذن ؟

قال الاستاذ اسماعيل معترضاً : هذا اغراء ... أم لعله تحد .

فقال أبو البهاء : ربما ... فالتحدي يشحذ الهمة . الصحيح أني لم أكن انتظر كلمة معاون الوزير لاطعم الدكتور من ثمار بيروقراطيته وانمـــا كنت انتظر مجيء الفرصـــــة . جـاءت هـذه حين استدعاني الدكتـــور سليم في ذات يوم ، وفي نيته أن يكلفني بما يضايقني ويتعبني ، وأمرني بأن اجرد مخازن مديريتنا فاعزل منها كل ما هو بال أو مستهلك أو عديم الفائدة ، فانظم جداول أرفعها اليه ليجري الاستغناء عنه باتلافه أو القائه في القمامة تأمل أي عمل هذا في مخازن مديرية كبيرة ، مهملة منذ عدد من السنين لا يعلمه إلا الله ، ولرجل مثلي ! ولكن أخانا هذا ، ياأستاذ اسماعيل ، يعرف قدرتي على انجاز ما يتوجب علي انجازه ...

قال أبو البهاء جملته الأخيرة مشيراً الى ومستشهداً بي ، فقلت :

– أعرف هذا جيداً . عند أبي البهاء الهزل هزل ، ولكن الجد لا يفوقه جد .

فتابع هو قائلا : شكراً على الشهادة . الواقع أن ذلك الجرد اتعبني وشغلني أياماً عديدة . ولكني في النهاية اتيت للدكتور سليم بجداول مؤلفة من عشرين صحيفة ، أو لعلها أكثر ، من القطع الكبيرة صنفت فيها موجودات مخازن مديريتنا بحسب قيمتها وفائدتها وحاجتنـــا أو درجة استغنائنا عنها . وحين رأى الدكتور سليم هذا القدر من الأسماء والأصناف دهش لكثرتها فسألني : هل كل هذا موجـــود في مخازننا ؟

قلت : نعم يا سيدي ، ارجو أن تقرأ هذه الجداول بامعان وتوافق على محتواها . كان الوقت حين دخلت عليه آخر الدوام ، وهويتهيأ لمغادرة المكتب . وكنت أعرف أنه مدعو في تلك الظهيرة الى وليمة فاخرة يحرص على الوصول اليها قبل غيره . قال لي : أنا على عجلة وقراءة هذه الاسماء والأرقام تحتاج الى وقت طويل ، وأنا أثق بحسن اعدادك لها ، وإن كنت احملك كل مسؤولية اذا تبين لي أن تصنيفك لا ينطبق على الواقع . فشكرته على ثقته الغالية بي وقلت له : لا أقل ياسيدي أن تضع توقيعك الكريم على هذه الاوراق ... وارجو أن تتفضل وتوقع في أسفل كل صفحة وأعلاها لئلا يحاول احدهم أن يدس شيئاً فوق الجداول أو تحتها ...

قلت أنا ، بسخرية : حرص منك عظيم على محتوى تلك الجداول !

قال : ولم لا ؟ اني أحب اذا عملت عملا أن اتقنه . المهم أن الدكتور سليم وضع امضاءه بطواعية ، وبسرعة ، على تلك الصفحات العشرين ، في اعلى كل منها وفي أسفلها ... وبهذا سقط في الفخ المنصوب له في الصفحة الثانية عشرة ، بين طاولة عمليات مكسور لولبها الرافع ومجموعة من انابيب الحقن المهترئة .

توقف أبو البهاء هنا عن الكلام فادركت أنه وصل الى الفقرة المهمة من حكايته وانه تعمد السكوت ليدفعنا الى الاستفسار منه ، فقلت :

– أي فخ تعني ؟ أنا لم افهم شيئاً ، ولا أظن أخانا اسماعيل أكثر مني فهماً .

قال : الأمر بسيط . عنوان الصفحة الثانية عشرة من تلك الجداول كان : الموجودات التالفة شديدة الضرر . وفي الثلث السفلي من تلك الصفحة ، بين السطر المخصص لطاولة العمليات المحطمة اللولب وذلك المخصص لانابيب الحقن التي لا نفع منها كان سطر مسجل فيه اسم الدكتور سليم سلمان سلامة ، رئيس صحتنا الموقر ...

قلت أنا مستنكراً : لا ياشيخ !

قال : صدقني . فقد كنت كتبت في تلك الصفحة اسمه في سطر مستقل بين الموجودات البالية . وبحذاء ذلك الاسم ، تحت عمود « النوعية » كتبت : رئيس صحة حالي . وفي عمود « الحالة الحاضرة » كتبت : تالف ومؤذ . وفي عمود « الاستعمال » كتبت : يستبعد فوراً ولا يدخل دوائر الصحة بأية حال ! وبهذا صدق الدكتور سليم بتوقيعه على أنه مهترىء وتالف ومؤذ وحكم على نفسه بانه ممنوع من دخول مديرية الصحة العامة التي فيها مكتبه ...

عند هذه النقطة من الحكاية اتسعت ابتسامة الاستاذ اسماعيل ، ولم يكن قد تخلى عن طابعه الجاد منذ بداية احاديثنا ، وقال متسائلا :

– وبعد هذا ؟

أجاب أبو البهاء : بعد هذا حملت بنفسي القوائم وذهبت الى العاصمة على نفقتي الخاصة فاطلعت عليها معاون الوزير الذي حملها الى الوزير بنفسه . كان كلاهما يستثقل ظل الدكتور سليم سلمان سلامة ، إلا انهما ما كانا يجدان في تصرفاته أو في وقائع شكوى الموظفين منه ما يبرر تنحيته من وظيفته واعادته الى سلك اطباء المستشفى . فلما جاءهما المبرر أصدرا الأمر بتنفيذ ما حكم هو ، بتوقيعه ، على نفسه بنفسه .

وعاد الاستاذ اسماعيل الى استيضاحه قائلا : وكيف تم هذا ؟

قال أبو البهاء : في ذات صباح ، وبعد أيام قليلة من ذهابي الى العاصمة وعودتي منها جاء الدكتور سليم الى مكتبه ليجد بابه مغلقاً وعليه صورة بالفوتوكوبي للصفحة الثانية عشرة من جداول الجرد ، صفحة الموجودات التالفة ، وخطأ أحمر تحت سطر يحمل اسمه ونوعيته وحالته الحاضرة والاستعمال الذي آل اليه ... اعني المنع من دخوله مديرية الصحة العامة كرئيس لها . ما رأيكما بهذا ؟

هذا السؤال الأخير القاه أبو البهاء علينا ، أنا وصاحبي اسماعيل ، جواباً على سؤالنا اياه عن رأيه بالفصل الذي دبره اسماعيل للقاضي توفيق بك لم أجب أبا البهاء بغير الضحك . كان ضحكي في الواقع اقراراً بأن فصله مع الدكتور سليم لم يكن عبثياً أو خلواً من المغزى . أنه عملية انتصاف معقول من رئيس ، جريمته ليست البخل الذي ينحصر اذاه بالبخيل نفسه ، بل هي الصـــلف والعنجهية وانزال الأذى بالمرؤوسين عن غير حق ولا موجب .

د . عبد السلام العجيلي



شاعر لكل العصور

بقلم : محمود السعدني

كان شاعراً عظيماً هو بالقطع اهم شعراء مصر بعد احمد شوقى ، وهو بالتأكيد الذى مهد الطريق لظهور الجيل الجديدة من الشعراء .. لقد كان الجسر الذى عبر بالشعر من مرحلة الألفاظ إلى مرحلة الأحاسيس ، ولكنه ، رغم موته ، واختفاء الخلافات وانزاعات معه وحوله ، لم يحصل على حقه بعد ، ولم يحتل مكانته التى يستحقها عن جدارة .. لقد ضيعناه حياً وأهملنا ميتاً .. وهى جريمة أدبية كبرى ..

خاصمت شاعر « قهوة عبد الله » قبل ان اراه .. السبب اننى كنت صديق زكريا الحجاوى وكان راى الحجاوى فى الشاعر ليس على ما يرام . ولم يكن راى زكريا فى شعر الشاعر ولكن فى الرجل نفسه كانسان .

كان يصفه بالشرير وكان يلقبه احيانا بالعفريت وسمعت نفس الراى من آخرين غير زكريا ، فاعلنت الحرب على الرجل قبل أن اراه ! وحدث ذات يوم ان نشر الأستاذ عزيز احمد فهمى وهو واحد من اعظم الكتاب الساخرين الذين ظهروا فى هذا القرن العشرين . ولكنه ضاع فى ازقة التاريخ بسبب ظروف سياسية صغيرة وظروف شخصية قاسية ليس هنا مجال ذكرها على اية حال . اقول نشر عزيز سلسلة مقالات فى جريدة المصرى بعنوان .. « يوميات الرجل الذئب » وكانت صوراً قلمية شديدة القسوة عن رجل يرتدى ثياب آدمية ويحمل بين جوانحه نفسية ذئب مفترس هوايته الوحيدة افتراس بنى الانسان . وعندما سالت عزيز فهمى عمن يقصده بهذه المقالات المثيرة قال إنه يقصد شاعر « قهوة عبد الله » . وراح يقص على مسامعى عشرات القصص عن الشاعر وعن المآسى التى تسبب فيها لعزيز ولغيره من الكتاب ، ولذلك تعاملت مع الرجل بحذر عندما جمعتنا الظروف معاً فى قهوة عبد الله ، وتطاولت احياناً محاولا استفزازه ولكنه واجه محاولاتى بهدوء وببرود احيانا ! وعندما قرات له أول ديوان شعرى .. لم انم ليلتها على الاطلاق . قرات شعراً حقيقيا منحوتاً من نفس صاحبه ومكتوباً بمداد من دم الشاعر . لم يكن من نوع الشعر إياه الذى تقراه فتنساه ! كان اشبه شىء بشعر المتنبى لا يمكن أن يصدر

شاعر لكل العصور

الا عن رجل له احاسيس ومشاعر خاصة ودنيا له وحده ومختلفة عن دنيا الناس . كانت تعابيره غريبة ورؤيته فريدة وعبارته الشعرية وحيدة غير مسبوقة ولا مطروقة . واحترت فى امر الرجل وارتبكت علاقتى به فانا احبه كشاعر واكرهه كانسان . وإن كانت علاقتى به كانسان لا تدعو إلى هذه الكراهية على الاطلاق .

ولكن ذات مساء قدر لى ان أشهد حادثة كانت هى السبب فى اقترابى من الرجل وتوثيق علاقتى به فاصبحت اكثر تفهماً له وأكثر حباً واشفاقاً عليه .

كنا جلوساً على المقهى وقت الغروب ، حين اقترب منا رجل يرتدى جلبابا وطاقية ، وله شارب كثيف أخفى نصف وجهه . سلم على الشاعر وجلس على حرف المقعد وسلمه لفافة صغيرة مغلفة بورق سوليفان ودس الشاعر يده فى جيبه واخرج جنيهين أعطاهما للرجل الذى تناولهما فى هدوء ثم انصرف . وفتح الشاعر اللفافة وتناول جزءاً مما فيها دسه فى فمه ، ثم راح يلوكه على مهل وقد سرح فى الفضاء .

ولعل هذا الاتجاه الخاطىء فى حياة الشاعر كان السبب فى كل ما تعرض له من مشاكل أدبية وانسانية .

وقد علمت ان الشاعر مدمن على هذا الصنف وانه وسيلته للانفصال عما حوله من مشاكل ومتاعب وزحام . كان يجلس بالساعات على المقهى لا يتكلم ، مكتفياً بالتحديق فى لا شىء مستغرقاً فى التامل . وكان فى بعض الأحيان يصدر اصواتاً خافتة ، واتصور انه يخاطبنى ثم اكتشف أنه يخاطب نفسه ! وكان يطلق على زكريا الحجاوى لقب « جواب الآفاق » وعلى انور المعداوى وصف «العمدة» وعلى عبد الحميد قطامش وصف «المختال» ! وكان رزقه محدوداً ولكنه كان فى الوقت نفسه قليل السعى لزيادة هذا الرزق على عكس الآخرين . ولذلك كان وقته محصوراً بين بيته وقهوة عبد الله ومكتبه فى الوزارة . ونادراً ما شوهد فى مكان عام أو حفل رسمى أو بعيداً عن هذه الأماكن الثلاثة ! حتى عندما قامت ثورة ١٩٥٢ لم يبالغ فى تاييدها ، صحيح انه أعلن تاييده لها ولكن على مهل وبصوت خافت . فقد كان عازفاً عن الشهرة واحتلال مكان فى الصدارة . كان همه كله ان يعيش فى هدوء ، مكتفياً بالبحلقة فى الفراغ ، والتامل فى الفضاء والتحدث الى نفسه بين الحين والآخر !

وعندما توطدت الصداقة بينى وبينه سالته عن سر كراهية ابناء جيله له فاجاب ببساطة وشبح ابتسامة تلوح على شفتيه ، لاننى جحش ! ولما سالته تفسيراً أوسع ، قال كان لى راى فى انتـــــاج كل منهم وصارحتهم برايى ، ولو اننى كتمته لصرت فرخة بكشك عند الجميع ! كان مثلا يرى أن عزيز احمد فهمى هو اوسكار وايلد العرب .

ولكنه بدلا من اهتمامه بفنه ، اهتم بخدمة بعض الجهات فاستاجروه للسخرية من الزعيم الوطنى مصطفى النحاس ، وكتب ضده ما لو كتب فى موضعه لحقق له الخلود . وكانت النتيجة ضياعه بسبب مؤامرة حبكت ضده ، وساعد هو نفسه على تحقيقها . وكان رايى فى زكريا الحجاوى انه واحد من أعمدة القصة المصرية القصيرة . وانه كتب القصة القصيرة قبل يوسف ادريس ، وانه هو ومحمود البدوى ويحيى حقى وطاهر لاشين الآباء الروحيين لهذا الفن العظيم . ولكن زكريا لقلة صبره وشدة ضعفه لنزواته ترك فنه الحقيقى واشتغل بالصحافة مع انها ابعد ما تكون عن طبيعة زكريا وموهبته . ثم ترك الصحافة واهتم بالفن الشعبى . ولو بذل نصف هذا الاهتمام بفنـــه الحقيقى لصار له شان آخر !

ولكن هذا السبب لم يكن وحده هو سر كراهية ابناء جيله له . لقد ذكر لى الشاعر نصف الحقيقة وأهمل النصف الآخر . فلم يكن الشاعر يصارح اصدقاءه برأيه . ولكنه كان يقول هذا الراى نفسه لو ساله احد آخر . مثلا سال صاحب جريدة الشاعر عن رأيه فى عزيز احمد فهمى وكان عزيز قد تقدم طالباً عملا فى الجريدة ، فقال الشاعر رأيه الصريح لصاحب الجريدة فامتنع الرجل عن تشغيل عزيز ! وسئل الشاعر مرة عن زكريا الحجاوى وكان مرشحاً لعضوية لجنة من اللجان فاجاب بان زكريا لا علاقة له بعمل هذه اللجنة وانه مجرد كاتب قصة كبير ! فاستبعدوا زكريا من عضوية اللجنة وعندما صارحته بما أعلم قال ، طيب ودى فيها إيه ؟ لقـــــد قلت رأيى الحقيقى وصارحتهم بما اعتقده . وكان ذلك لمصلحة العمال ولمصلحة أصحابى أيضاً ! !

لم يكن « الشاعر » من أبناء هذه الدنيا ولم يكن مسلحاً بأسلحتها اللازمة لكى يشق الانسان طريقه فى الحياة . كان شاعراً عظيماً وكان يعتقد أن شعره وحده هو الكفيل بوضعه فى المنزلة التى يرجوها . لكن الحياة ليست شعراً فقط . قد يكون الشعر هو مسوغات تعيين الشاعر فى مكانه الطبيعى بعد الموت . ولكن اثناء حياته ، الشاعر والأديب والكاتب والفنان يحتاج الى أسلحة أخرى غير فنه لكى يحرز مكاناً لائقاً فى الحياة . ولذلك نجد الشاعر بالرغم من عبقريته الفنية فانه لم يستطع أن يحقق حلمه الأبدى بان يكون له بيت مستقل الا بعد جهد شديد ، كان هو السبب المباشر فى هلاكه قبل الاوان . لقد بدأ فى بناء البيت ولم يستطع اتمامه . وراح يجرى على دوائر الحكومة يطلب كميات من الحديد والأسمنت والطوب تعطى لمن هم أقل منه شانا واقل ذكراً ولكنه لم يستطع الحصول على ما يريد . لم تكن شهرته قد وصلت الى طبقة الســـــادة المستوظفين ، ولذلك كانوا ينظرون إليه ببلاهة ، ويندهشون لمسلك هذا الأفندى الغائب عن الوعى المتامل فى لا شىء ، الذى يطلب حديداً للتسليح وأســـمنت للبناء ! وشكا لى ذات مرة من انه ذهب الى رئيس مجلس مدينة الجيزة حسين الألفى فعامله معاملة سيئة ولطعه على الباب فترة طويلة ثم رفض طلبه معتذراً بان كل مواد البناء مسخرة لخدمة المعركة ! وقلت للشـــاعر الكبير الطيب الساذج البعيد عن دنيانا وهل حدثته عن ديوانه الأخير ؟ قال ديوان من ؟ قلت ديوان رئيس مجلس

المدينة ؟ قال وهل هو شاعر ؟ قلت ياسبحان الله . انه شاعر فحل لم تنجب الجيزة مثله وديوانه الأخير « الشمس طالعة » أحدث دوياً فى كل مكان خصوصاً فى ديوان المحافظة !! ولقد ساءه ان شاعراً كبيراً مثلك يذهب اليه يطلب حديداً ولا يشير من قريب أو بعيد لديوانه الجديد ! قال الشاعر الكبير وماذا فى الديوان . قلت قصائد كلها عن المعركة ولا صوت يعلو فوق صوتها ولا رأى بعد رأيها ، ثم هو فى النهاية أشبه بديوان الحماسة لأبى تمام !! قال هل عندك نسخة ؟ قلت اعتقد ان لدى نسخة من الديوان وسافتش عنها لك . ولكن يكفى أن تذهب اليه غداً وتقابله وتحدثه عن ديوانه وتعده بانك ستنقده نقداً مفصلا عما قريب وستاخذ منه كل ما تطلبه من حصة الأسمنت والحديد ! ولم يكن حسين الألفى شاعراً ولم يكن له ديوان . واشهد بانه كان أكفأ من تولى هذا المنصب ، وانه افاد الجيزة وأهلها وانه كان نموذجاً لرئيس المدينة الحريص على مصلحة المدينة ومصالح الجماهير . واتصلت بحسين الألفى وحكيت له « المقلب » الذى دبرته للشاعر . وأبدى حسين الألفى اسفه لأنه لم يتعرف على الشاعر الكبير ولم يقدم له ما يرجوه !

وعندما ذهب الشاعر فى اليوم التالى استقبله حسين الألفى مرحباً ، وأعطاه حصته المطلوبة ، بينما كان الشاعر منهمكاً فى الحديث عن ديوان « الشمس طالعة » الذى وضعه الشاعر الكبير حسين الألفى !!

وعندما أدرك بعد فترة انه كان مجرد مقلب من مقالب العبد لله راح يضحك بصوت عال ، ويقول ما اظرفه من مقلب لانه كان السبب فى حل المشكلات !

ولم تهدأ نفس الشاعر الا عندما خرج على المعاش وسافر الى احدى البلاد الخليجية وعمل هناك . لعله ذاق طعم الاستقرار لأول مرة فى حياته . لعله ذاق طعم أن يكون لديه فائض من المال . وراح يؤلف قصائد ويلقيها على جمهور من عشاق الشعر فى امسيات متباعدة . ولعله ايضاً فى هذه الأمسيات ذاق حرارة اللقاء بين الشاعر وعشاق الشعر . لعله ادرك لأول مرة فى حياته فائدة الاندماج بين الشاعر وجمهور الناس . لقد عاش فى مصر اغلب حياته فى شرنقة نسجها حول نفسه . كان يخاف الزحام ويخشى الجموع ويتحاشى الاجتماعات . ولكنه فى غربته خرج من شرنقته وسبح فى تيار البشر . وعندما اجتمعنا ذات مساء وسالته أن يكتب لى مذكراته لأنشرها فى جريدة السياسة على حلقات . سرح فترة ثم قال فكرة لا بأس بها لو تمكنت من كتابتها لأنها تحتاج الى طقوس خاصة لا اظننى قادراً عليها الآن . وطمانته بان كتابتها يسيرة وما عليه إلا ان يبدأ ليفيض بعد ذلك نهر الذكريات . فهز رأسه ولاك شيئاً فى فمه وقال سنحاول على كل حال . فى تلك الليلة تذكرنا زكريا الحجاوى وعبد الحميد قطامش وانور المعداوى وشلة قهوة عبد الله الذين انتقلوا الى رحمة الله . وهز الشاعر راسه وقال رحمهم الله ، سبقونا الى دار الاستقرار وتركونا فى دار القلق . قلت ، وهل لا تزال تشعر بالقلق . وابتسم ابتسامته الشهيرة : وقال .. القلق لم يعد شعوراً عندى ، ولكنه صار عضواً من اعضائى ؛ إذا أردت التخلص منه فلابدمن بتره ، واذا بترته فلابد أن اتخلص « أولا من الحياة » !!

وكانت هذه الليلة هى اخر عهدى بالشاعر ، فلم تمض أيام حتى سقط ميتاً بالسكتة القلبية فى الكويت .

ورحل عن دنيانا شاعر عظيم هو بالقطع أهم شعراء مصر بعد احمد شوقى . وهو بالتاكيد الذى مهد الطريق لظهور صلاح عبد الصبور وحجازى وأمل دنقل .

لقد كان هو الجسر الذى عبر بالشعر من مرحلة الألفاظ الى مرحلة الاحاسيس .

ولكنه وبالرغم من موته ، واختفاء الخلافات والصراعات ، لم يحصل على حقه بعد ، ولم يحتل مكانته التى يستحقها عن جدارة واستحقاق !

لقد ضيعناه حياً واهملناه ميتاً ! وهى جريمة أدبية كبرى ، لأنه برغم الاتجاهات والمعتقدات كان أهم شاعر فى عصرنا ، وكان أعظم من غنى فى سمع الوجود ، وستظل أغانيه تتردد لتشنف أذان الأجيال إلى آخر الزمان !

رحم الله الشاعر الذى اعتزل زمانه ليحلق فى فضاء كل العصور .

محمود السعدنى





زجاج السليكا :
اكتشف لأول مرة سنة ١٩٣٢
ولا يزال العلماء فى حيرة من أمره
هل هو حجر ساقط من الفضاء أم
انه حجر ارضى غريب لا يوجد إلا
عند الحدود الغربية لمصر وليس له
مثيل حتى اليوم فى العالم .

لماذا لا يستعيد العرب أقدم خريطة عرفتها الإنسانية؟

بقلم : درويش مصطفى الفار

من عجائب المصادفات وسخرياتها ، انه بينما كنت أعد مقالا للمطالبة بالعمل على كل مستوى شعبى وحكومى عربى ، لاستعادة اقدم خريطة جيولوجية عرفتها الحضارة الانسانية فى تاريخها الطويل ،

الى موطنها الأصلى ، مصر ، لكي تعرض فى المتحف الجيولوجى المصرى (الذى كان) قائماً شامخاً بشارع الشيخ ريحان بالقاهرة منذ سنة ١٩٠٤ ، كأول متحف علمى متكامل ، فى الوطن العربى على سعته ، وجدتنى ، وآأسفاه ، أقف تائهاً مذهولا شارد الفكر متعجباً ، تكاد دموعى أن تتفجر من عينى ، بين انقاض ذلك المتحف العتيد أردد : —

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

والذى زاد حزنى ، أن الذى اقتلع هذا الصرح ، لم يك زلزالا أو هزة أرضية قدرية، ولم يك صاروخاً أو قنبلة أو لغماً ، وجهته طائرة اسرائيلية معتدية فنسفته ودمرته ، ولكنه كان فعل فاعل عاقل رشيد مسئول يعي ما يرتكب فى حق وطنه وحضارة بلده ..

وتلفت حولى ، فاذا كل الأبنية التى أعرفها منذ سنين ، والتى كانت تحيط بالمتحف الجيولوجى بالقاهرة ، لاتزال قائمة ، ولم يمسسها السوء ، وكأن ذاك الذى خطط لحفر أنفاق القاهرة ، كان يقصد عامداً متعمداً مع سبق الاصرار والترصد ، ان يهدم ذلك المنار العلمى العتيد ، الذى أسدى للمعرفة الجيولوجية فى مصر والوطن العربى ما لا يحصره العد ، وتخرج من تحت سقفه العمالقة الذين اكتشفوا الفوسفات والمنجنيز والكاولين والفحم فى الأرض المصرية ، ونال خمسة من الجيولوجيين الذين تربوا بين جدرانه ، جوائز الدولة فى العلوم الجيولوجية ، تقديراً لمنجزاتهم الكبيرة فى مضمار الجيولوجيا المصرية ...

أما عن الخريطة الجيولوجية الأثرية التى كنت أحلم بعودتها من متحف تورينو بايطاليا ، والتى اشتهرت فى الأوساط العلمية العالمية باسم «بردية تورين» فهى لفافة ملونة من ورق البردى يبلغ طولها ٥٣٣ سم وعرضها ٤٥٧ سم ، وقد انتهى إجماع العلماء والباحثين الى انها تمثل منجم الفواخير الذى كان الذهب يستخرج منه أيام الملك سيتى الأول فى القرن

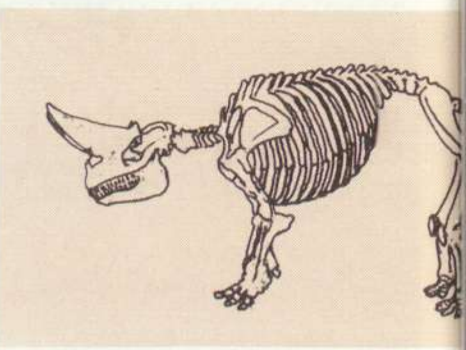
الرابع عشر قبل الميلاد ، ويقع فى منتصف الطريق بين قنا غرباً والقصير شرقاً ، وكان قد عثر عليها الباحث الايطالى دروفيتى سنة ١٨٤٥ بين أطلال مدينة الأقصر (طيبة) ووجدها مرقومة بسمة الملك سيتى الأول ، أى حوالى سنة ١٣١٣ ق.م .

والمتحف الجيولوجى المصرى الذى دمرته فكرة انفاق القاهرة الجديدة بدأ انشاؤه سنة ١٨٩٦ م ، أى إبان انشاء المساحة الجيولوجية المصرية واستغرق البناء وتجميع العينات والمعروضات من كافة أرجاء الصحارى المصرية وغيرها من أنحاء العالم ، زهاء ثمانى سنوات ، حتى افتتح للجمهور سنة ١٩٠٤ م ، وأصبح جامعة مفتوحة يعرفها كل هواة ودارسى الجيولوجيا فى مصر والوطن العربى ، ويغترفون من منهلها الغزير .

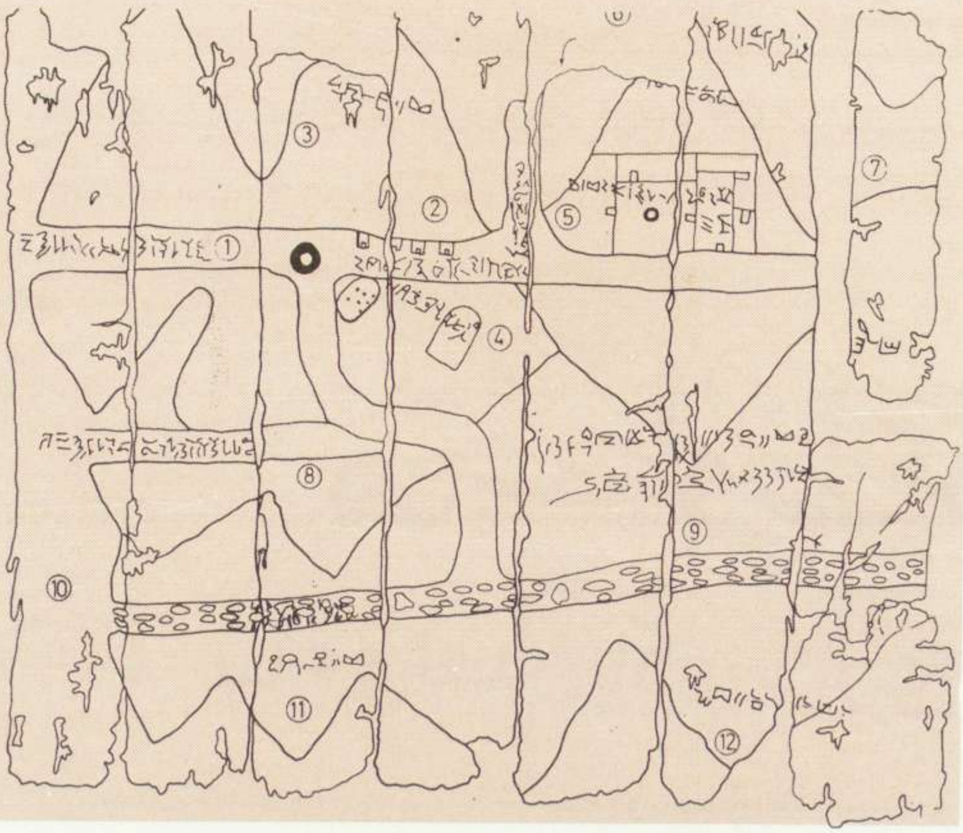
فهنالك فى الأبهاء الستة التى كان يتكون منها المتحف الجيولوجى المصرى بطابقيه كانت أنواع الصخور وضروب الحجارة ، ومنها ذو الشهرة التاريخية كالسماق الامبراطورى والبريشيا الخضراء ودايورايت خفرع والمرمر الفرعونى العتيد وأنواع الخامات والمعادن والبللورات ، وأصناف المستحجرات من الحيوان



الأرسينوثيريوم كما تخيله العلماء



ثيريوم . عاش فى منطقة الفيوم منذ عشرات الملايين من الأعوام .
يكل العظمى المستحجر الوحيد فى العالم من مقتنيات المتحف
جى المصرى الذى هدم سنة ١٩٨٣ .



اقدم خريطة جيولوجية عرفها العالم فى تاريخ حضارته .

١ ـ الطريق المؤدى الى البحر . ٢ ـ مساكن العمال . ٣ ـ جبل الذهب . ٤ ـ ستى الاول له العمر والصحة والثروة . ٥ ـ الجبل النقي . ٦ ـ الطريق الى ثار منتي . ٧ ـ جبال الذهب والفضة . ٨ ـ طريق اخر يؤدى الى البحر . ٩ ـ الجبال التى تغسل فيها الذهب . ١٠ ـ الطريق الى تنت . بي . مير . ١١ ـ جبل الذهب . ١٢ ـ جبال الذهب والفضة .

والنبات البائد المندثر منذ عشرات ومئات الملايين من السنين ، وضروب النيازك والرجوم المتساقطة من أجواز الفضاء ، وأنواع الأحجار الكريمة وشذرات الذهب ، كل ذلك مرتب عبر عشرات السنين فى نظام وتنسيق دقيق يعين الهواة والدارسين على التفهم العلمى الواعى لكيان الأرض وأساليب قراءة تاريخها وتفسير ظواهرها ، واجتلاء مكامن النفع فيها للاقتصاد والصناعة والزراعة الى جانب المعرفة الأكاديمية البحتة ...

كل ذلك اختفى فى لحظة ، مما يجعل كل عاقل يأسف له ويحزن ، حتى ينشأ فى القاهرة ، مرة أخرى ، متحف جيولوجى ممتاز يكافىء هذا الحزن وذلك الأسى .

ومن بين المقتنيات العلمية التى كان المتحف الجيولوجى المصرى يباهى بها ، ويعتبر اختفاؤها خسارة للوسط العلمى العالمى كله ، مجموعة العظام المستحجرة التى اكتشفت عبر سنين طوال فى طبقات عصر الأيوسين وعصر المايوسين بمنطقة الفيوم ، مما أهتزت له الدوائر العلميـــة ، ولازالت ، مثل اجناس الموريثيريوم والفيوميا والارسينوثيريوم ، ذلك الحيوان العجيب الذى كان طوله يقارب احد عشر قدماً ، وكان له فى مقدمة راسه قرنان حار العلماء والباحثون فى أمرهما ، حتى قيل انهما كانا بمثابة (عوامة) تساعد الحيوان فى المحافظة على بقاء فتحتى انفه فوق سطح الماء ليتمكن من التنفس اثناء انغماره فى الماء أيام كان يعيش هنالك فى دلتا نهر تنتهى عند الفيوم منذ ما يزيد على ثلاثين مليون سنة !

ومن الجدير بالتسجيل للحقيقة والتاريخ ، فى هذا المقام ، ان (الاستعمار) البريطانى ، كان قد نقل بعض عظام الارسينوثيريوم هــذا للدراسة فى المتحف البريطانى بلندن ، وقامت الحرب العالميـــــــة الثانيـــــة ، فاسرع (المستعمرون) الى تامين تلك العظـــــام بتخزينها بعيداً عن شرور الغارات الجوية ، فحفظوها فى أحد الانفاق ، حتى انقشعت سحب الحرب ، فاعادوها الى مصر بعد اربعين عاماً ، لتحفظ وتعرض فى المتحف الجيولوجى الذى هدمناه نحن بايدينا طواعية واختياراً ..

والذين زاروا تشيكوسلوفاكيا يعرفون متحفاً فى احد ميادين العاصمة براغ ، نجا من الهدم المؤكد على الرغم من مشروع للانفاق كذلك الذى تسبب تخطيطه فى هدم المتحف الجيولوجى بالقاهرة .. لقد نفذوا مشروعهم للانفاق السفلى ولكنهم لم يهدموا متحفهم أبداً ..

لقد عرفت مصر خلال التاريخ الانســانى بمميزات شتى ومن بين تلك المميزات ، انهــا كانت أول دولة تنشىء متحفاً علمياً فنياً ، فهى التى علمت الناس فكرة المتاحف ، وكان ذلك فى القرن الرابع قبل ميلاد المسيح عليه السلام ، حيث انشىء أول متحف فى تاريخ العالم بمدينة الاسكندرية المصرية .. ويحز فى نفسى ان التاريخ سوف يكتب كذلك ، والتاريخ لا يرحم ولا يجامل ، أن مصر ايضاً كانت أول دولة فى تاريخ العالم المتحضر (تهدم) متحفاً علمياً هى أشد ما تكون اليوم حاجة إليه .

إن هدم المتحف الجيولوجى بالقاهرة زلة كبرى فى حق الحضارة ، كان ينبغى لهيئة اليونسكو أن تتصدى لها ، وسوف يظل هذا العمل غير الحضارى ذنباً غير مغتفر حتى يبنى فى القاهرة ، وفى انسب الأمكنة ، متحف جيولوجى شامخ كبير ، فى أسرع وقت . ودون اى إبطاء او تسويف .

اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون .

درويش مصطفى الفار

مخطوط عربي

يباع في لندن بأكثر من ربع مليون دولار

بقلم: وجيه الشربجي

● احياء التراث المخطوط .. تأصيل للفكر القومي وتصد للغزو الثقافي .
● على المثقف العربى أن يتصاعد علمياً وحضارياً ضمن مسار قومى ينتمى الى التربة التى جبل منها .

عندما نحرر تراثنا الفكرى المخطوط من الطمس القسرى الذى فرضته عليه عهود الاحتلال والقهر . ونعمل على رصده واحيائه مبسطاً ومدروساً بنزاهة وحياد ، فانما نضع امام الأجيال العربية الطالعة الى النور ، حقيقة انحسار حالة الاستكانة والتكلس . وانتقالنا الى مرحلة المبادرة والابداع .

واذا كانت معاناتنا الفكرية الراهنة تتضمن اسئلة عديدة ، فتراثنا العربى والاسلامى بشموليته وابعاده ، يتضمن الاجابات الصحيحة على معظم هذه التساؤلات ، وسيجد الانسان العربى فى الصياغات العلمية المتعددة التى قدمها اسلافه حافزا له على الدخول الجرىء فى البحث والتقصي . وبخاصة بعد ان توالت البراهين الحسية والوثائقية على ارتباط الحضارة الاسلامية فى كل انواع المعرفة من علم وادب وفن ورؤى حياتية ، وفلسفة واخلاق .

ولا نستهدف من المطالبة باخراج التراث المخطوط من ظلمات الخزائن الى عالم القراء الواسع ، شد عجلة التاريخ الى الوراء أو اثارة مشاعر الاعتزاز بماضي الامة العربية . بل نهدف دعوة الشباب العربى الى المزيد من الثقة بالنفس ومكافحة الاستلاب والتبعية . واستجماع القوى للانطلاق من جديد من موقع الموقف الى موقع العطاء الجاد .

وما احوجنا فى هذه المرحلة من تاريخ الانسانية التى تعج بضجيج الثورة التكنولوجية مهددة باقتلاع الشعوب من جذورها ومحو سماتها ، ان نلوذ بالاعتصام بالاصالة والتمسك بالتراث . شريطة الكفاح المنظم لاستيعاب التقنية العالمية المتقدمة ، واستخدامها لاثبات وجودنا القومى ، فوثبتنا يجب ان تنطلق من ركائزنا الروحية والثقافية ، لأن محك اية نهضة هو قدرتها على رد التحدى .

وان شعبا عميق التاريخ كشعبنا العربى ، لجدير بطلائعه المشرقة ، ان يبقى التراث حيا فى وعيها . وتعمل بكل طاقاتها للاحاطة بكتب التراث واعادة نشرها تباعا، ويستدعى من مفكريه ايضا اقامة صلة وثيقة بين الماضى والحاضر ، وصياغة المعطيات المستقبلية على اساس ما قدمه الاولون وما يستنفع به القادمون . ومع اتساع نطاق الغزو الثقافى المركز الذى تتعرض له الأمة العربية اليوم . من قبل العدو الصهيونى الرجيم ، الهادف الى افساد الأهمية التاريخية للتراث العربى وتشويهه ، تبرز الحاجة الملحة الى تجذير التراث الفكرى ، تاكيداً لحضور الهوية الثقافية العربية على الساحة الانسانية ، والوقوف فى مواجهة اساتذة الاجرام والاختلاس ، الذين يتسابقون للسطو على رصيد العرب الحضارى ، ولصقه بتاريخهم المزيف .

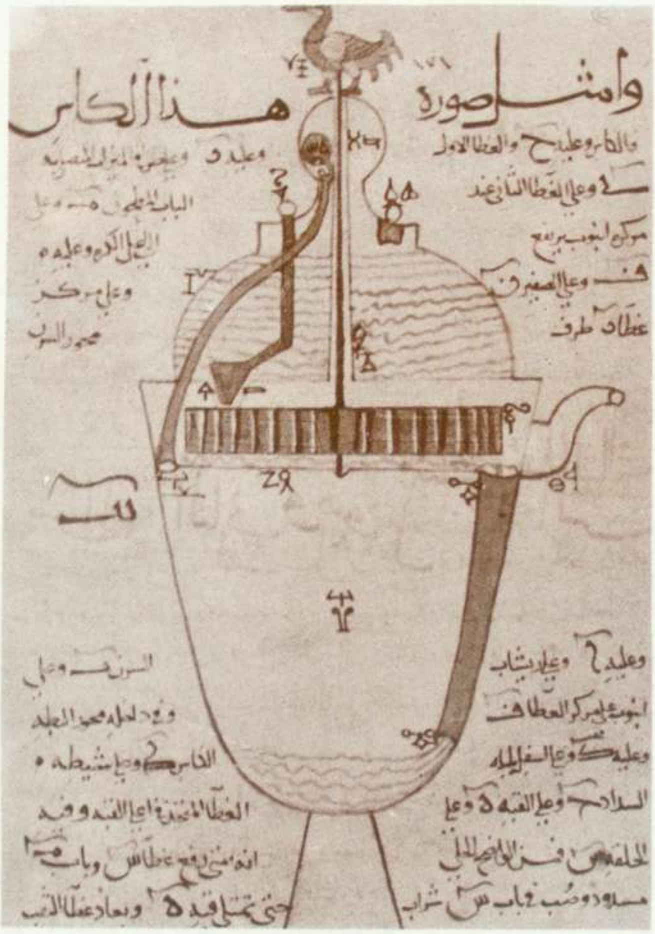
من هنا .. تتزايد مسؤولية المثقف العربى فى التصاعد علمياً وحضارياً ضمن صراط عقائدى ومسار قومى ينتمى الى التربة التى جبل منها .

● ● ●

وفى هذا الاطار . نلقى الضوء على



ساعة مستوية اخترعها الجزري
(لوحة من المخطوطة الموجودة فى واشنطن)



تصميم وضعه الجزرى لآلية دفع الماء للغاز
(اللوحة من المخطوطة المحفوظة باستانبول)

انفس مخطوط عربى يبحث فى الهندسة الميكانيكية . يحمل نقاطا علمية متميزة . وتنهمر منه دلالات وشواهد على ما قدمه العلماء والمهندسون العرب للحضارة البشرية خلال قرون المد الاسلامى .

الأهمية العلمية

(الجامع بين العلم والعمل) هـذا الكتاب عمره ثمانمائة عام ، وهو ابرز كتب الهندسة الميكانيكية العربية على الاطلاق . يمثل قمة منجزات المهندس العربى الجزرى لاحتوائه على معارف هامة فى التكنولوجيا الاسلامية فى القرن السادس الهجرى .

يقدم المخطوط وصفاً دقيقاً لمجموعة من الآليات التى اخترعها الجزرى وطريقة صنعها . متضمناً ذخيرة كبيرة من الوسائل الهيدروليكية والمهارات الميكانيكية العالمية التى ظهرت آثارها فى أوربا عندما تم التوصل الى اكتشاف التصميم الميكانيكى للمحركات البخارية ومحركات الاحتراق الداخلى ومبادىء التحكم الآلى . وهذا التاثير لا يزال ظاهراً فى الهندسة الميكانيكية المعاصرة .

واذا عرفنا ان هذا المخطوط قد ترجم الى اللغات الالمانية والانكليزية والفارسية فى القرن الماضى واوائل القرن الحالى وتناوله المستشرقون بالدرس والبحث .

وان احدى نسخه الأصلية المؤرخة فى (٧١٥ هـ ١٣٥٤ م) قد بيعت فى المزاد العلنى بلندن باكثر من مئة وستين الف جنيه استرلينى أى ما يعادل ثلاثمائة الف دولار اشترته شركة (سنبك) من مؤسسة (كيفوركيان) ادركنا قيمة هـذه الجوهرة العلمية النادرة ومكانتها المرموقة فى تاريخ العلوم العربية الاسلامية . والأوساط العلمية الغربية .

والكتاب غني بالابحاث التطبيقية المدعمة بالتجارب والخبرات العلمية ، والموضحة بالاشكال والرسوم الهندسية ويعترف بذلك الدكتور دونالد هيل المستشرق الانكليزى والمهندس التكنولوجى بقوله (لم تكن بين ايدينا حتى العصور الحديثة اية وثيقة من اية حضارة اخرى فى العالم ، فيها ما يضاهى ما فى كتاب الجزرى من غنى فى التصاميم وفى الشروحات الهندسية المتعلقة بطرق الصنع وتجميع الالآت) .

وصف المخطوط

اتم (الجزرى) صياغة هـذه السبيكة الهندسية الجامعة بين العلم والعمل فى الرابع من جمادى الآخرة عام (٦٠٢ هـ) عام ١٢٠٦ م) . وقد عثر حتى منتصف عام ١٩٧٩ على خمس عشرة نسخة أصيلة لهذا المخطوط منسوخة بخط اليد ومتفاوتة التاريخ وموزعة فى ارجاء العالم على الشكل الآتى :

ـ النسخة المحفوظة فى استانبول : كتبها الناسخ محمد يوسف بن عثمان الحصكفي فى شعبان عام (٦٠٢ هـ) وقد

مخطوط عربي

يباع في لندن بأكثر من ربع مليون دولار

نقلها عن نسخة منقولة عن النسخة التى كتبها المؤلف الجزرى بخطه . عدد صفحاتها ٣٥٦ صفحة وهى تامة وخطها مشرق واشكالها ورسومها واضحة وجيدة . وهى اقدم النسخ التى عرفت حتى اليوم .

– النسخة المؤرخة فى ٧١٥ هـ (١٣٥٤ م) : هذه المخطوطة تبعثرت أوراقها ورسومها واختفت لفترة كبيرة . ثم ظهرت بلندن فجاة ، واشترتها كما ذكرنا سابقاً شركة (سنبك) وتمكن الدكتور هيل من الحصول على صورة لها (فوتوكوبي) .

اسم ناسخها (فرح بن عبد اللطيف الكاتب الياقوتى المولوى) تاريخ نسخها نهاية رمضان ٧١٥ هـ وتعتبر الثانية فى القدم .

خطها ممتاز واضح رسومها ظاهرة . الا ان بعض أوراقها واشكالها ناقصة . خالية من الاخطاء الكبيرة .

– النسخة المؤرخة فى ٨٩١ هـ المحفوظة فى اكسفورد : ترجمت هذه المخطوطة الى اللغة الالمانية فى أوائل القرن العشرين تاريخ نسخها عام ٨٩١ هـ ١٤٨٦ م وهى اقل دقة ووضوحاً من النسختين السابقتين . استخدم الناسخ الحروف الابجدية على الرسوم ، النسخة كاملة وخطها جيد .

اما النسخ الباقية فهى المخطوطة المؤرخة فى ٩٦٩ هـ محفوظة فى (ليدن) والمخطوطة المؤرخة فى ٩٨٠ هـ محفوظة فى المكتبة الوطنية بباريس .

– ومخطوطة ايا صوفية : تم نسخها عام ٧٥٥ هـ محفوظة فى المكتبة السليمانية فى استانبول . وقد نشرت حولها ابحاث علمية عديدة وتشرد قسم منها فى متاحف ومكتبات العالم . وفيها ٢٦ ورقة ناقصة .

ويوجد ايضاً مخطوطة محفوظة فى لينينغراد خطها نسخي وتاريخها غير معلوم اضافة الى مخطوطة اخرى موجودة فى المكتبة الوطنية بباريس وهى باللغة الفارسية ترجمت عن اللغة العربية تاريخها عام ١٨٧٤ م .

من هو الجزرى ؟

بديع الزمان ابو العز بن اسماعيل بن الرزاز الجزرى . و (الجزرى) نسبة الى الجزيرة الواقعة بين دجلة والفرات ، فقد كان من ابنائها .

وفى الحقيقة .. لم نجد احداً من المؤرخين قد ترجم للجزرى . وكل ما عرف عن حياته هو ما امكن استنتاجه من مقدمة كتابه التى وضعها الجزرى بنفسه .

عاش المهندس العربى الجزرى فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى وحتى بداية القرن السابع الهجرى ، فى كنف ملوك ديار بكر الذين كانوا تحت حكم صلاح الدين الأيوبى . وبطلب من الملك ناصر الدين محمود بن محمد الذى تولى الحكم عام ٥٩٧ هـ قام الجزرى بتاليف كتابه (الجامع بين العلم والعمل النافع فى صناعة الحيل) .

فالجزرى مهندس ميكانيكى مخترع . رفعته مهارته فى الهندسة الى ان اصبح (ريس الأعمال) رئيس المهندسين فى عصره . وقد بلغ هذا المنصب العلمى الرفيع . نظراً لاتقانه المهارات العلمية الى جانب براعته فى التاليف الهندسي والرسم الصناعى . فقد كان لا يثق باية نظرية هندسية لا تدعمها التجربة العملية . ويمكننا القول ان الجزرى هو أول من استخدم المعرفة والخبرة التكنولوجية لصالح الأغراض المفيدة للمجتمع .. مثل الساعات الزمنية والطواحين والمعاصر والآلات الميكانيكية المختلفة .وادوات رفع الماء .

اما تاريخ وفاة الجزرى فلم يعرف على وجه الدقة . ولكن الناسخ الحصكفي) قد استمطر الرحمة على الجزرى فى المخطوطة المؤرخة فى شعبان عام ٦٠٢ هـ . ولما كان الجزرى قد انهى كتابه فى جمادى الاخرة من العام نفسه ، فهذا يدل على انه توفى فى الفترة الواقعة بين جمادى الاخرة وشعبان من عام ٦٠٢ هـ .

رأى الدارسين الغربيين

أجمع المستشرقون والدارسون الغربيون المختصون بشؤون الهندسة .. على الاشادة بالجزرى والاقرار بعلو منزلته فنجد (سارتون) يبايعه بامارة (الهندسة الاسلامية) فيقول : (هذا الكتاب اكثر الأعمال تفصيلا من نوعه . ويمكن اعتباره الذروة فى هذا المجال بين الانجازات الاسلامية) .

ويتفق معه الباحثون الالمان امثال (نيد هام وهوايت ودراخمان واثر) فى اعتبار كتاب الجزرى موسوعة هامة فى الميكانيك الاسلامى .

وممن كرس جهوده لدراسة نظريات الجزرى ، الفيزيائى الالمانى (ايلهارد فيديمان) وكان يتقن اللغة العربية ، فقام بنشر الكثير من الأبحاث فى المجالات العلمية الالمانية عن براعة الجزرى وابداعه ودقة تصاميمه .

اما المستشرق (فرتزها وسر) فطبع جميع اقسام كتاب الجزرى ورسوماته وعممه على الجامعات الالمانية . وفى الواقع لقد عني الأوربيون بهذا الكتاب قبل العرب . فقد ترجمه الى الانكليزية الدكتور دونالد هيل وكتب موضوعاً جامعاً عن الجزرى وتاريخ التكنولوجيا الاسلامية .

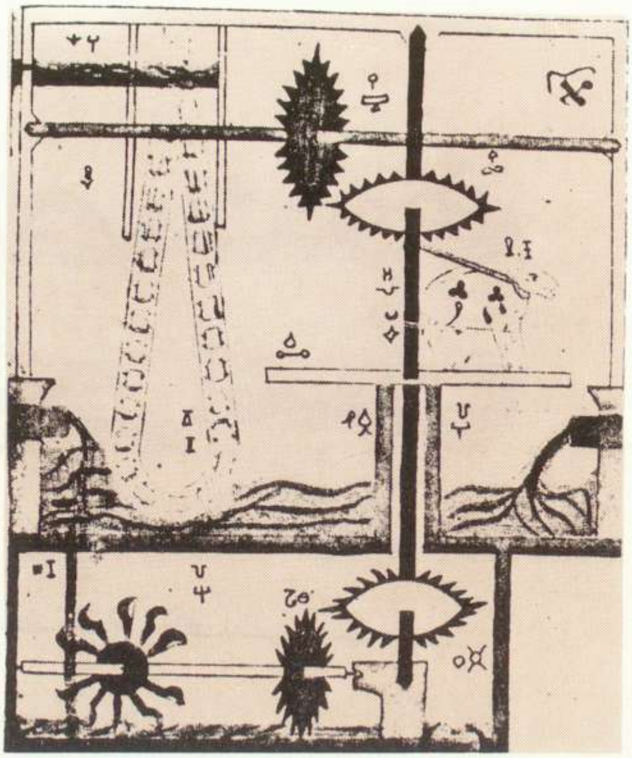
وبسبب هذا الانجاز الفريد . نال الدكتور هيل جائزة (دكستر) الدولية . وهى تمنح لمن يؤدى عملا متميزاً فى مجال التكنولوجيا .

ولكن الباحث (كوماراسوامي) اهتم بدراسة انجازات الجزرى الميكانيكية من ناحيتها الفنية .. فنشر دراسات موضوعية عن الرسومات والأشكال التى وجدها فى مخطوطة ايا صوفيا .

ولعل من المفيد ان نشير الى اهم الأعمال الجيدة التى صدرت عن الجزرى حديثاً فى الوطن العربى هو ما قام به المحقق الدكتور احمد يوسف الحسن . فقد قدم نصاً عربياً محققاً بعد جهود مضنية واتصالات عديدة مع المؤسسات الثقافية العالمية .

أبحاث المخطوط

يتالف كتاب الجزرى الجامع بين العلم والعمل من ستة انواع وخمسين شكلا هندسياً وعدة فصول . تتصدره مقدمة مستفيضة . عرض المؤلف فيها أسباب



الة ترفع الماء الساكن من بركة « لوحة من اللوحات الخمسين الرئيسـيـة »

تاليفه الكتاب وطريقة تقسيمه وتبويبه والغاية منه . فقال فى شرح ذلك بعد ان ذكر ما يدل على اطلاعه على كتب المتقدمين وأعمال المتاخرين « الحمد الله المبدع صنعهفى السمائيات . المودع اسرار حكمه فى الأرضيات .. باشرت علاج هذه الصناعة برهة من الزمان وترقيت فى عملها عن رتبة الخبر الى العيان . فاخذت فيها اخذ بعض من سلف وخلف . واحتذيت حذو من عمل ما عرف . ولما لهجت بمزاولة هذا المعنى الدقيق ، ولحجت بمحاولة مجازه والتحقيق . رمقتنى أعين الظن بالتبريز فى هـذا الفن العزيز . وامتدت الى ابواع ذوى الهمم الرفيعة لاستطلاع أنواع الحكم البديعة .

فعنانى من عناية ملوك زمانى وفلاسفة اوانى ما أثمر به غرس اعتدادى واقمر له ليل اجتهادى . فاستنهضت ما فقد من همتى وايقظت ما رقـد من قـريحتي واستغرقت الجهد والجد .

واستنفدت الوسع والوجد . وكنت وجدت فريقاً ممن خلا من العلماء وتقدم من الحكماء . وصنعوا اشكالا وذكروا أعمالا . لم يباشروا لجملتها تحقيقاً . ولا سلكوا الى تصحيح جمعها طريقاً . وكل علم صناعي لا يتحقق بالعمل فهو متردد بين الصحة والخلل .

فجمعت فصولا مما فرقوه . وفرعت اصولا مما حققوه . واستنبطت فنونا لطيفة المدارج خفيفة المداخل والمخارج » .

وياتى بعد المقدمة .. النوع الأول وهو أهم أقسام الكتاب واوسعها .

خصصه لصنع ساعات مستوية وزمانية وفيه عشرة اشكال . وبحث فى النوع الثانى والثالث فى عمل اواني وصور للتحكم بالحركة واباريق للفصد . وفى النوعين عشرون شكلا . وقد اشتمل النوع الرابع والخامس على وصف موضوعى لآلات ابتدعها الجزرى لرفع الماء الساكن من الآبار والبرك ، وفى النوعين خمسة عشر شكلا هندسياً وقد قدم فى النوع السادس اختراعاته الدقيقة لاشـــياء ميكانيكية مختلفة كالاقفال الحديدية التى تفتح بالأرقام والحروف . أى ان الجزرى قد سبق الغربيين بصنعها بثمانية قرون .

وفيما يلى فقرة من الفصل السابع يشرح فيها الجزرى الطريقة التى تسير بموجبها الساعة المائية التى وضـــع تصميمها بنفسه .

« وكنت سـلكت مذهب الفاضل ارشميدس فى قسمة البروج الأثنى عشر .. فمن الواضح الجلي انه متى مليت خالبة ا من الماء المعلوم فى أول النهار . والطفافة وعليها ب ـ على سطح الماء . والنصف المسدود من القرص الخشب وعليه ى ـ الى فوق . والعجلة فى أول الميدان وعليها ز ـ وفيها ثقالة تجذبها الى ورائها وعليها ط ـ وقد رفعت الاثنى عشر شخصا وعلقت على الغربان وعليها ل ـ ونزلت كل شفرة وعليها ع ـ فى حز من خشبية الكرات ووضع فى كل حفرة كرة وعليها لا وقلبت الابواب السفلى وعليها م ـ والثقيل من طرفى كل باب الى فوق معوق بالثقالة وجميع وجوه هذه الأبواب لون واحد . وقوم مخرج الماء فى ذلك اليوم على درجة الشمس وفتح فيثون الخابية وعليه ج ـ وامتلأ الربع وعليه س ـ وخرج الماء من الجزعة وعليها و ـ فان الطفافة تستقل وتجذب فيدور بجذبها القرصان . قرص مكمل بالطوق وقرص عليه ك ـ وهما على محمر واحد . وتسير العجلة بالهلال والعمود حتى يقطع الهلال بمسيره باباً واحداً ويتوسط العضادة والعمود بدفع الشـظية فيســقط الشخص ويفتح المصراعين ويرفع الثقالة عن الباب فينقلب الى لون أخر . وترتفع الشفرة عن حزها فتسقط الكرتان الى ميزاني الخشبة الثانية فتخرج كل كرة فى الميزاب النحاس الى راس البازى فينقضان الى ان تسقط الكرتان من منقاريهما وتتدحرج الكرتان فى الخراجة الى داخل الحجاب .

وكذلك يجرى الأمر ساعة بعد ساعة الى ان تكمل يب ساعة عند غروب الشمس فيعاد الماء الى مكانه من الخابية ويدار مرى الأجزاء الى نظير الدرجة التى كان عليها . ولا ترفع الأشخاص ولا الأبواب ولا الكرات بل يدار القرص ليستر الجامات . ويشعل القنديل ويكتفى فى الليل بالجامات فانها تضيء من أول جامة كالشـعيرة ويتزايد الضوء حتى يكمل جامة الساعة » .

وجيه الشربجي : دمشق

المراجع والمصادر :

ـ كتاب الاقاليم .. الاصطخرى .

ـ تقي الدين والهندسة الميكانيكية العربية .. للدكتور احمد يوسف الحسن .

ـ بحث حول اهمية التراث .. للاستاذ محمد نجيب للسيد احمد .

ـ مقدمة لعلم الميكانيك فى الحضارة العربية .. للاستاذ ماجد عبد الله شمس .

— Aljazari .... see Hill, Donaldr.

— Idem (W.M. 5) uber Musikau Tomaten, Amari Festschrift. (1909) 164-185.

— M. Aga oglu, on a manuscript by Al-Jazari Parnassus, (1931) 27-28.

الصندوق الخامس

قصة بقلم : كلثم جبر

● مقدمة :

امسيات حارقة .. واخرى جافة .. باردة .. وحزينة .. وممطرة .. يبعث فيها اصحابها برسائلهم الحزينة فى انتظار مواسم الفرح .

● الرسالة الأولى :

امسية مجدبة ..
وصمت مميت ..
ووقت لا أعلم من اين جاء .. ومتى سيرحل !
ابعث إليك ولدى بقصاصاتى الأخيرة فى غير انتظار رسائلك ووجهك ! لقد اثقل المرض كاهلي وبت أزحف فى الطريق حتى يمكنني إيصال تلك الرسالة إليك ..
ولكنك تحتضن الصمت ..
وانا ينهشني الألم ..
ودود الأرض بانتظار جثتي .

(٢)

● مدخل إلى الحدث :

المدينة بها خمسة صناديق بريـــد .. تتضامن الوجوه الباهتة بطريق الصدفة فتلقي برسائلها فى صندوق موحد وهـــو « الخامس » . حيث تقطن فتاة شبيهة بلعبة الحلوى الملونة . جرح ساعي البريد الغائر كلما حاول الالتئام نكئ من جديد . يفقد عندها الخافق والذاكرة بان صناديق المدينة خمسة ويجمع رسائل الاربعة وتنطمس معالم الخامس امام ناظريه حيث يتكىء عليه بانتظار بسمة فرح أو إيماءة قبول من القاطنة امامه .

● الرسالة الثانية :

الليل شبح اخرس ..
غفا المساء ، وادمعي وانت بالذاكرة ..
حينما اشتقت إليك بحثت عنك بداخلي فافتقدتك بعنف .. يزخر الحزن .. ووجه ابي جلاد صامد ..
وعرسي بات قريباً ..
ووجهك منقذي ..
مللت انتظار رسائلك حتى خلت أن ساعي البريد يتعمد سرقتها لانها تحمل نفحات مشاعر ..
واللون الرمادي يوهم بالعشق ..
وبمدينتنا يحاصر الحب كالطاعون ..
وانت تعلم ذلك ..
فمتى تاتي .. ؟ افتقدك بقسوة ..
وقسوتك تلك تخنقني كسلاسل نحاس قرميدية ..
حينما احاول كسرها ستبقى آثارها فوق عنقي .

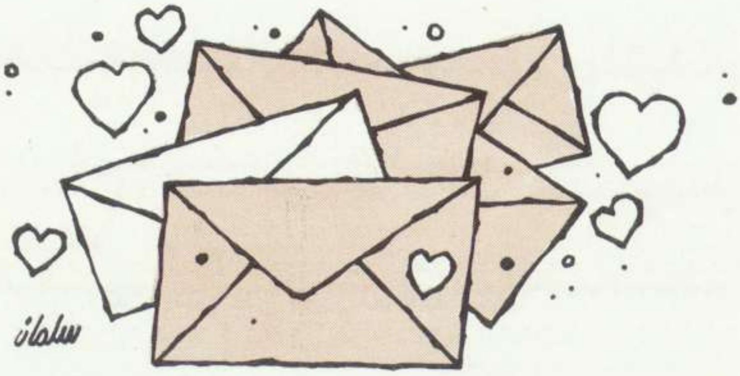
(٣)

● الحـــدث :

تتراكم الرسائل وتذبل وجوه باعثيها وتسكن كلماتهم قاع الصندوق الخامس بوحشة وانتظار .. وتسام لعبة الحلوى الملونة فقدان وعي ساعى البريد وتسخر من تساقطه امامها .. فتقرر الرحيل إلى حيث يستوطن الترف باحضان رجل آخر يزخر بالتخمة والذهب ! يتسع جرح ساعى البريد حتى يفقا عينيه لفقدان لعبته فيرتطم رأسه بالصندوق الخامس حيث تراكمت خشخشة الأوراق المنتظـــرة .. ويصطبغ دمه وطلاء الصندوق الأبيض يلعق دمه .. ويرفع رأسه وينتصب الصندوق الخامس امام عينيه فيصعق . !!

● الرسالة الثالثة :

أكره جفون ساعى البريد الذى يحتفظ بكومة رسائلى فى حوزته ..
يسكننى رعب قاتم ..



أود أن اموت ..
فقدت الرغبة بمواصلة الحياة ..
بانتظار إطلالة وجه طفلي الحلم المزروع بالداخل ..
وبانتظار ردك الأمل .. لفتح اقفال عقمي ..
استحلف ذاتك وعلمك « طبيبي » بان تدلني على الطريق الموصل لا طلالة وجه طفلي .. حتى لا افقد ذاتي الأخرى المجسدة بمن يشاركني الحياة والانتظار ..
لانني أود أن أهديه لأخرى تمنحه ذلك الطفل ..
حينما تتجسد حقيقة عقمي .

(٤)

● عنصر المفاجأة :

يفتح ساعي البريد الصندوق فتتناثر الرسائل تحت قدميه .. يفزع ، يتسع جرحه وكيسه الكبير .. يلملم الرسائل فتتراكم بداخل الكيس .. يتذكر انه يعمل منذ خمس سنوات وانه يعشق منذ خمس سنوات وان عمر هذه الرسائل ..
يا للفجيعة !

● الرسالة الرابعة :

من فوق غيمة هادرة تبرق بالصخب والضجيج « أبي » ..
أرى مئات الأوراق ..
مئات الاوراق ..
واتلهف لورقة منها تصلني ..
ترى من سيقرع بابي اولا ؟ ..
رجل الأمن ليقتادني لزنزانة معتمة ..
ام ساعي البريد الذى سوف يحمل بشرى انقاذ عنقي من تلك الزنزانة ..
بوصول حوالتك البريدية بالنقود المنتظرة « أبي » ..

(٥)

● لحظة التنوير :

تستيقظ ذاكرة الرجل ويعوى ضميره ينثر الرسائل المتراكمة بمسألة القحط تحت مقعده الكئيب وحوله .. يطفو وجه رئيسه بالذاكرة .. فيرجف ويحزن .. ويبكى لعبته الملونة .. ويقرر إحراق الرسائل تلك .. يجمعها وجفاف الكلمات بداخلها .. يحولها لمدفئة الجدار .. يشعل النار .. يلقي بها تشتعل .. تتهاوى .. تتساقط رماداً فى المدفئة ..

عندها يسحب ورقا آخر .. ينسخ طلبا لرئيسه لتلقي مكافاة على مثابرته ويقظته التامة وانصهاره بالعمل .

● الرسلة الخامسة :

أعوى كالذئب الجريح وانزف المأ ..
ادفن « صغيرى » بيدى ، واذرف دمعاً ..
الملم بقايا حبك بداخلي وانثره بطرقات جفونك ..
هكذا انبئك بان الصغير يرتجف المأ ..
وانا اتلاشى رعباً ..
وانت تسكن الطرقات البعيدة ..
ووجودك بجانبي يعني النجاة من المرض والموت .. ومن ؟
ولكن .. لن تراني حين عودتك ..
فقد قررت الرحيل انا الأخرى حيث لا بقايا البقايا ..
من الحب بداخلي تجاهك ..
أيها « الزوج » الحقيقة !

كلثم جبر

من عمّان إلى الديار المقدسة في سيارة:

لحظات في منزل الوحي وأيّام في ضيافة الرحمن

بقلم: نبيل خالد الأغا

منذ نعومة أظفاري وأنا أتحرق شوقاً ولهفة لزيارة الديار المقدسة، تلتهب عاطفتي حباً كلما سمعت أحد العائدين من الحج يطري تلك البقاع الطاهرة، وكلما رأيت صور المسجد الحرام أو المسجد النبوي تزين واجهات محلاتنا، وغرف استقبال ضيوفنا.

كنت ارتعش وانتفض رغبة ورهبة حينما أتابع مشهد الحجيج فى التلفاز أو المذياع يوم وقفة عرفة، والمذيعون المسلمون يذوبون أفئدتنا بوصف ذلك المشهد الفريد.

وكم من مرة عزمت على أداء فريضة الحج، أو أداء مناسك العمرة، لكن ارادة الله لم تتم الا هذا العام .. فى اواخر شهر رمضان المبارك. حيث غادرت الدوحة جواً الى الأردن .. ومكثت بضعة أيام بين الأحباب فى عمان، ومنها انطلقت مع انسبائي فى «سيارة العمرة» عصر يوم الخامس والعشرين من رمضان الكريم.

الطريق من الدوار السابع بالعاصمة الأردنية وحتى مطار الملكة علياء الحديث (٣٠ كم) ممهد ومنسق ومغر بالسرعة فى قيادة السيارة، ولكن الطريق من هناك حتى مدينة معان (٢١٦ كم) مزعج ومليء بالمطبات ثقيلة الوطء على النفس والعربة معاً! ولم يكن يعزينا عن وعورة الطريق سوى نبل الهدف الذى نسعى اليه، وما يردده على اسماعنا الاخ «اسامة» ـ الشاب الغض المتشبث بدينه، الزاهد فى دنياه ـ من آيات وأحاديث ومواقف اسلامية مأثورة.

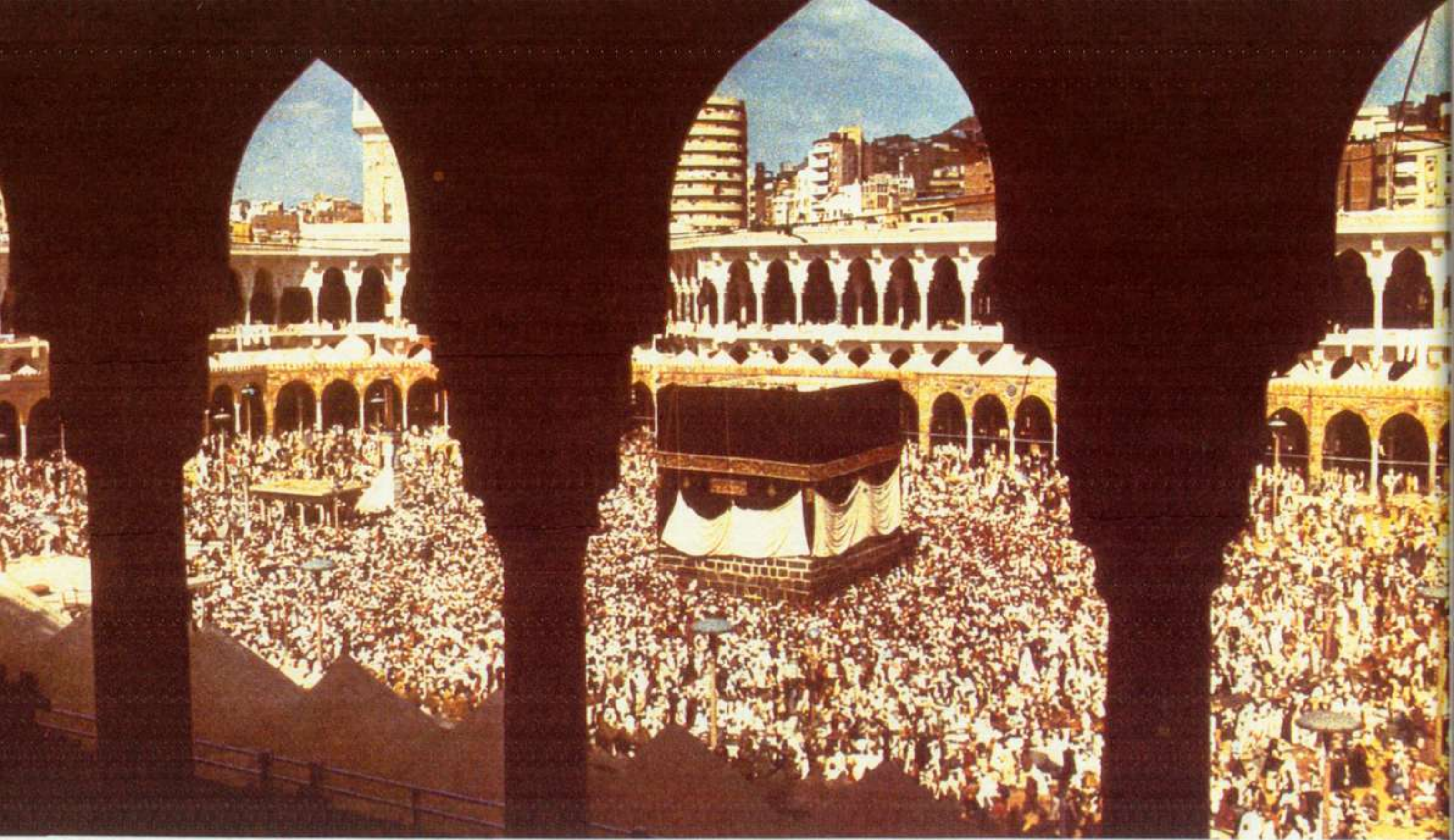
وعندما واجهتنا شاحنة ضخمة فى الطريق قال اسامة: كان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يدعو ربه قائلا: «اللهم هبني شهادة فى سبيلك، وميتة فى بلد رسولك عليه الصلاة والسلام». فاستجاب الله لدعائه ورزقه الاثنتين. وعندما يرانا نتململ تعباً وارقاً يقول: قال صلى الله عليه وسلم: «لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى». وحينما يرى بعضنا يعاني من وطأة السفر، وشدة الظما يقول: كل خطوة فى سبيل الله لها مكافأة مجزية، وقد قال الرسول الحبيب: «عمرة فى رمضان تعدل حجة» وفى رواية «حجة معي».

وعندما وصلنا «معان» عشاء عرجنا على اول مسجد صادفناه، فصلينا المغرب والعشاء جمع تقديم، وواصلنا سفرنا الى «المدورة» وهى آخر حدود الاردن، ومنها الى «حالة عمار» وهى بداية الحدود الشمالية للمملكة العربية السعودية، وبعد مسيرة ١٣٠ كم وصلنا مدينة تبوك قبيل الفجر بساعة تقريباً، فعرجنا على بيت صديق حميم للعم «ابو زهير» ويدعى «ابو أحمد جراده» وهو من كرام الفلسطينيين العاملين فى تبوك. وبينما كانت اسرته تجهز لنا طعام السحور كان الرجل يحدثنا عن تجربة العشرين عاما التى قضاها فى المنطقة. مركزاً حديثه على المعاملة الكريمة التى يلقاها ابناء فلسطين من اخوانهم السعوديين، ورعاية الحكومة السعودية لهم ولأبنائهم.

تبوك .. الواقع والتاريخ

أستيقظنا من إغفاءتنا فى السابعة صباحاً، وانطلقنا لاجتياز المرحلة الرئيسية من رحلتنا نحو المدينة المنورة (٧٥٠ كم)، وقد اثلج صدورنا ـ أثناء أجتيازنا مدينة تبوك ما رأيناه من نظافة وتنسيق ونهضة عمرانية وزراعية، واخذنا نسترجع معاً ما ترسخ فى اذهاننا من أحداث غزوة تبوك، التى حدثت فى مثل تلك الأيام من شهر رمضان الكريم فى السنة التاسعة للهجرة .. ها هو الدين الاسلامى قد أصبح قوة مكينة هائلة فى الجزيرة العربية، والرسول القائد يرسل الكتب للملوك والرؤساء يدعوهم الى الدخول فى دين الله .. فيستاء الروم ويتذمرون .. وتاخذهم العزة بالاثم، فيعدون عدتهم الحربية الضخمة، ويزحفون على حدود الجزيرة لاجهاض الاسلام، وكسر شوكة المسلمين، ويشجع «هرقل» زبانيته فيدفع لهم أجرة سنة مقدماً !!

والرسول القائد يَجِدُّ فى اعداد جيش اسلامى قوي يضاهى جيش هرقل قوة ومنعة، غير أن المنافقين ـ كدابهم فى كل زمان ـ يفتعلون الأعذار الواهية ليتخلفوا عن ركب الجهاد، بل انهم اخذوا يثبطون

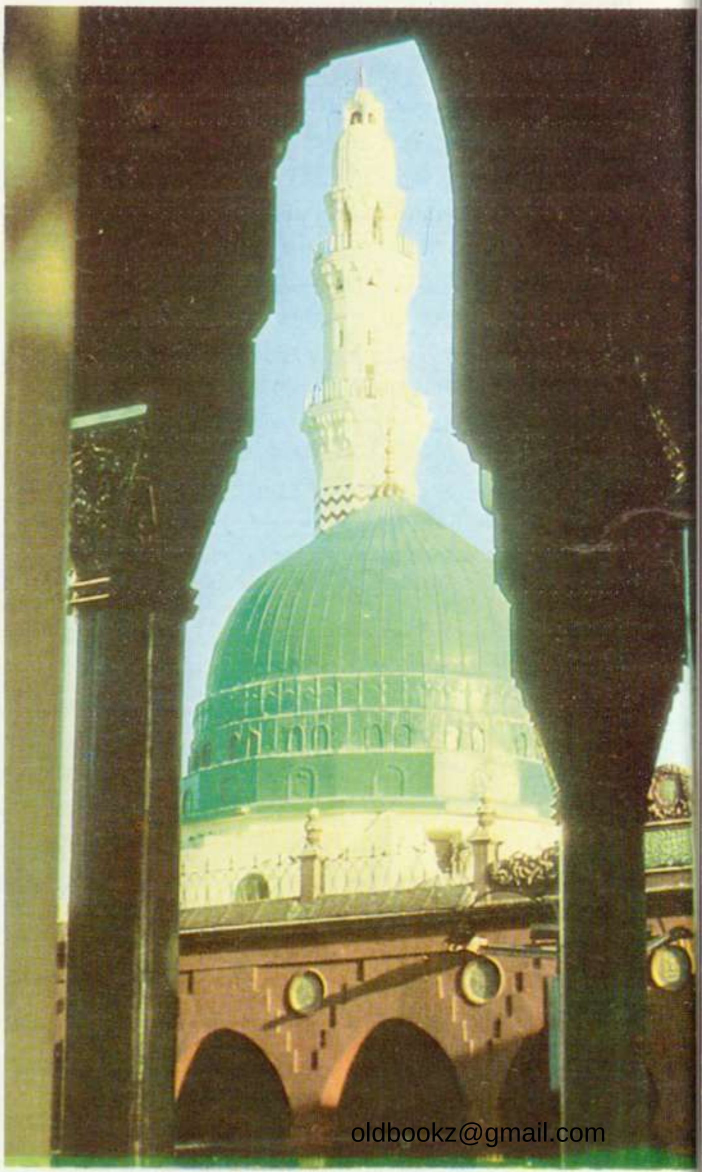


ضيوف الرحمن يطوفون حول الكعبة المشرفة

الحجر الأسود فى البيت العتيق .



القبة الخضراء فى المسجد النبوى الشريف بالمدينة المنورة





قبة الصفا من الداخل

العزائم والهمم ، ويخوفون الناس من بطش الروم ، وشدة الحر ! لكن الله فضحهم فى سورة التوبة : « فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ، وكرهوا أن يجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله ، وقالوا لا تنفروا فى الحر ، قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون ، فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون » .

ويمضي الرسول الكريم فى تعبئة الجيش الذى سمي « بجيش العسرة » نظراً للصعوبات الاقتصادية القاسية التى احاطت باعداده ،ويمضي وراءه المؤمنون الصادقون الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .. ويجود القادرون بما قدروا عليه من انفس ونفائس ، فينزل قول الله فيهم « لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة » .

واكتمل اعداد الجيش ، وبلغ عدده ثلاثين الف مقاتل « وقيل سبعون » ، يقوده أبطال أشداء من أمثال خالد بن الوليد ، والحباب بن المنذر ، وأسيد بن حضير وغيرهم .

وزحف جند الله استعداداً للفداء ، ووصلت الأنباء الى الروم ، فراعهم الأمر ، واعادوا دراسة حساباتهم على ضوء الواقع فاتفق كبار قادتهم على التقهقر .. فلقد آثروا السلامة على خوض مغامرة غير مضمونة النجاح ..

وهكذا انتهت غزوة تبوك .. وكانت آخر غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم .

تعظيم المدينة المنورة

مع بداية الخطوط الأولى لفترة العصر ، صافحت عيوننا مشارف المدينة المنورة ، عمنا أبو زهير – جزاه الله خيراً – يوقظنا من شرودنا ويدعونا لنردد معاً : بسم الله ، وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم رب ادخلني مدخل صدق ، واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً » .

ثم عرجنا على أول مسجد قابلناه ، فاغتسلنا ، وأحرمنا وولينا وجوهنا شطر المسجد النبوي ، ومدينة المصطفى تلبس أبهى حللها الرمضانية القشيبة ،ووجوه أهل المدينة تشع بالبشر والايمان ، ولم أعجب لذلك لعلمي بانهم من سلالة الأنصار الأطهار الذين آووا الرسول واحتضنوه ونصروه ودثروه بكل الحب وكل الود والترحاب .

وبرغم أن الأخ « غسان » ياتى المدينة للمرة الثالثة معتمراً وقائداً « لسيارة العمرة » الا أن اتساع المدينة وازدحامها أنساه الطريق الموصل الى المسجد النبوي فاغتنم فرصة وقوف سيارتنا عند اشارة مرور ،فسال احد سائقي سيارات الأجرة فاشار الينا باتباعه ، وظل الرجل امامنا حتى أوصلنا الى اقرب نقطة مؤدية للمسجد .

ولأن العم أبو زهير يعرف انها المرة الأولى التى اتشرف بها بزيارة المدينة ، فقد أشار بسبابته يريني اطراف مآذن المسجد وهى تتالق عن بعد : فتفرست فيها .. انها هى .. هى كما ارتسمت فى ذاكرتى .. وبتلقائية بحتة انداحت دموع حرى على وجهى .. واخذت اسبح واحمدل واستغفر .. فلقد اضحى الامر حقيقة ولم يعد مجرد أمنية .. هانذا أسير فى مدينة الحبيب ، وهانذا ارى مسجده وبعد برهة أنظر الى ضريحه ..واحاديثه صلى الله عليه وسلم فى حب المدينة وحب زائريها تتزاحم على لسانى ، فها هو يقول : « ياتي الدجال المدينة فيجد الملائكة يحرسونها ، فلا يدخلها الدجال ولا الطاعون ان شاء الله تعالى » .

ويدعو ربه بالبركة والخير لها : « اللهم ان ابراهيم حرم مكة فجعلها حراماً ، واني حرمت المدينة ما بين مازميها (مكانان) ان لا يراق فيها دم ، ولا يحمل فيها سلاح لقتال .. اللهم بارك لنا فى صاعنا ، اللهم بارك لنا فى مُدِّنا ، اللهم اجعل مع البركة بركتين ، والذى نفسى بيده ما من المدينة شِعب (طريق) ، ولا نقب الا عليه ملكان يحرسانها حتى تقدموا اليها » .

ويقول : « ان الايمان ليارز (يلجا) الى المدينة كما تارز الحية الى جحرها » . ويقول الحبيب فى اكرام ضيوفه : « ما من رجل يسلم عليَّ الا رد الله عليَّ روحي حتى ارد عليه السلام » .

ويقول أيضاً : « من جاءني زائراً لا يهمه الا زيارتي كان حقاً على الله سبحانه وتعالى ان أكون له شفيعاً » .

ويقول أيضاً : « من زارني بعد وفاتي فكانما زارني فى حياتي » . ويقول : « مَنْ صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشراً » .

فى مسجد الحبيب

وعلى هدى من الله تعالى ومحبة المصطفى واحاديثه المباركة دخلنا المسجد النبوى من باب جبريل عليه السلام ، وبصعوبة شديدة وصلنا الى الروضة الشريفة وصلينا بها تحية المسجد ، قال



منظر جوى لمكة المكرمة

الرسول : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي » .

وصلينا العصر فيه ، فالصلاة فيه خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام فالصلاة فيه بمائة ألف صلاة ، والصلاة فى المسجد الاقصى بخمسمائة صلاة،ثم قصدنا ضريح حبيبنا المصطفى وسيل دمعي ينحدر انحداراً ، فسلمت عليه وعلى صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

وكان علينا أن نغادر المدينة كي نحيي الليلة المباركة فى المسجد الحرام ، انها ليلة السابع والعشرين من رمضان .. انها ليلة القدر على أرجح الأقوال .. فاتكلنا على الله ، وتابعنا مسيرتنا صوب مكة المكرمة (٤٥٠ كم) .. وذهبنا الى « ذي الحليفة » المعروفة الآن بـ « ابيار علي » فصلينا بالمسجد ، وعندما اوشكت الشمس على المغيب وقفنا على جانب الطريق الجبلي الوعر فافطرنا وصلينا ومضينا .

كانت امامنا عشرات السيارات المقلة لمئات المعتمرين الوافدين الى بيت الله الحرام ، وكلما اقتربت السيارة من مكة المكرمة سبقتها ذاكرتي تستجمع ما ترسب في الوجدان من معلومات عن أم القرى التى تجمع الأقوال المأثورة بانها والمدينة المنورة والقدس الشريف اطهر بقاع الارض قاطبة .

لمحة عن أم القرى

لمكة أسماء عديدة تزيد عن الثلاثين ولكن أشهرها ثلاثة : البلد الحرام ، أم القرى ، مكة .

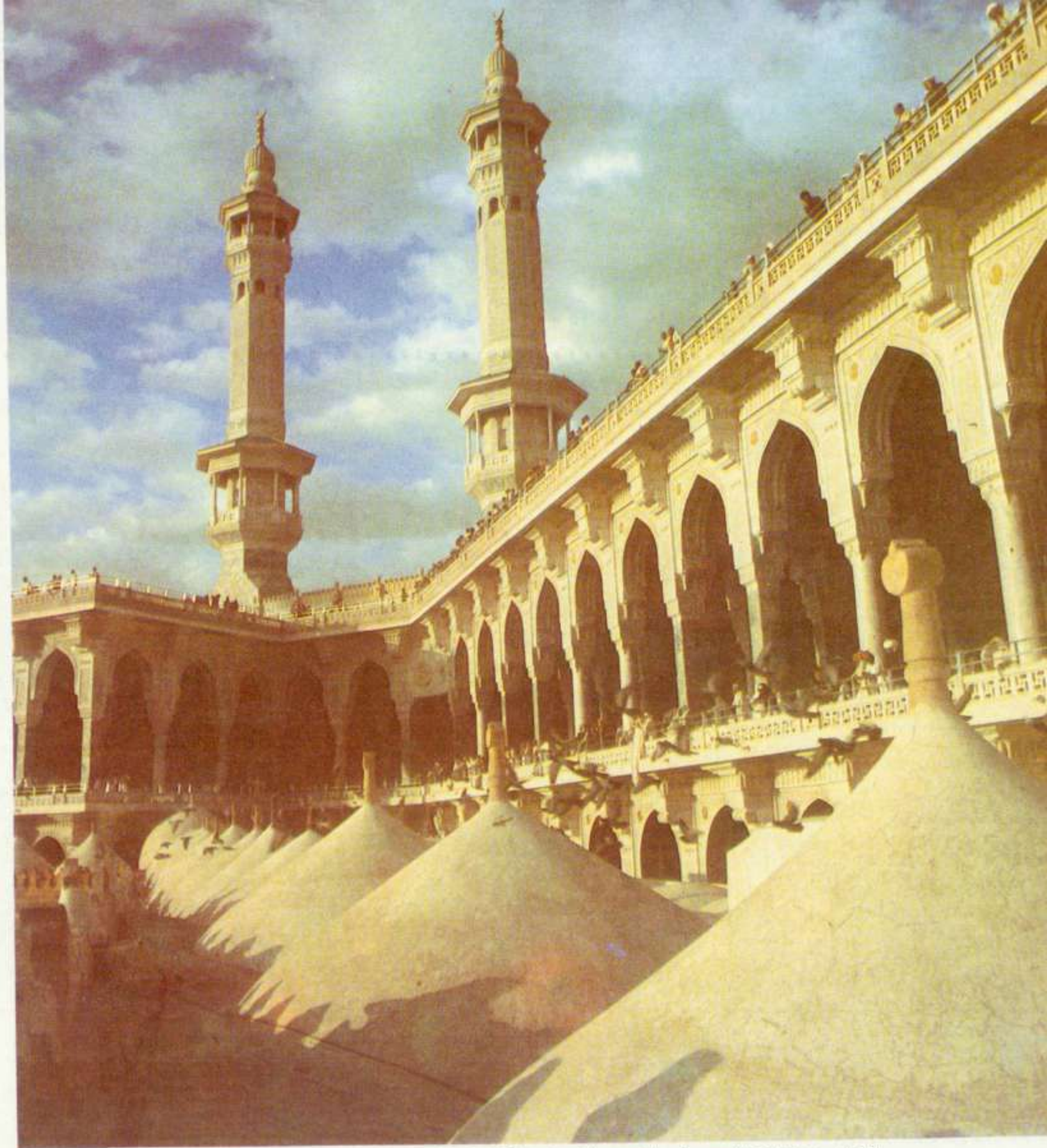
وهي تقع في منطقة جبلية جرداء ، ليس فيها شجر ولا ثمر ولا نهر ، ولكن الله سبحانه وتعالى عوضها عن ذلك بان جعلها فردوساً للعبادة ، ومستودعاً للقداسة والمهابة ، ومهوى لأفئدة المسلمين ووحدتهم يتالق فيها المسجد الحرام ، وهو أول مسجد وضع في الأرض ، ويرجع تاريخ توسعته الى زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السنة السابعة عشرة للهجرة ، وتعاقب من بعده خلفاء المسلمين وحكامهم على توسيعه واصلاحه في أزمنة مختلفة ،الا أن ابرز اصلاحاته وخدماته بدأت في عهد الاسرة السعودية منذ عام ١٣٥١ هـ وحتى اليوم ، فقد زادت مساحة المسجد خمسة أضعاف ما كانت عليه من قبل ، حيث أن مساحته الآن تزيد عن ١٨٠ ألف متر مربع ، تتيح لحوالي نصف مليون مسلم أن يؤدوا الصلاة فيه دفعة واحدة .

والمسجد مكون من طابقين يصل ارتفاعهما الى حوالي ٢٤ متراً ، وله اربعة وستون باباً أوسعها باب الملك عبد العزيز ، وباب العمرة ، وباب السلام ، ويعلو كل باب منارتان يبلغ ارتفاع كل منهما اثنان وتسعون متراً فى قمة كل منارة هلال يبلغ ارتفاعه خمسة امتار ونصف المتر .

واصبح المسجد الحرام بعد توسعته الحديثة في عهد الملك فيصل يضم في حرمه الصفا والمروة الى جانب الكعبة المشرفة وبئر زمزم ومقام ابراهيم .

هذا .. والحديث عن اصلاحات المسجد يقودني ــ بصفتي احد ضيوف الرحمن ــ الى اطراء الجهود الجبارة التي تبذلها الحكومة السعودية لتطوير مشروعات الحج ، واستخدام احدث التقنيات المعمارية توفيراً لراحة ضيوف الله .

ويبدو ذلك جلياً من خلال انشاء عشرات المشروعات الكبرى كالانفاق والطرق والجسور والاسكان والمواصلات . والرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين تضطلع بمجهودات صادقة في هذا المجال تستوجب التقدير والثناء .



اثنتان من المآذن السبع فى المسجد الحرام بمكة المكرمة

مبنى الكعبة

بتوجيه وارشاد من الله سبحانه وتعالى بنى سيدنا ابراهيم وابنه الذبيح اسماعيل عليهما الصلاة والسلام بيت الله الحرام (الكعبة) على قاعدة التوحيد الأزلية « ألاّ تشرك بي شيئاً » ، فى القرن الثامن عشر قبل الميلاد .

والكعبة هى قِبلة المسلمين الثانية – حيث كان المسجد الاقصى قِبلتهم الاولى لستة عشر شهراً – وهى على شكل حجرة كبيرة مكعبة طولها ٤٠ قدما وعرضها ٣٥ ، وارتفاعها ٥٠ ، ويقع الحجر الأسود فى ركنها الشرقى ، وهو عبارة عن حجر بيضاوي املس قطره ٣٠ سم ويقال انه من احجار الجنة والله أعلم .

وعلى بعد امتار قليلة من مبنى الكعبة يوجد مقام ابراهيم ، وهو الحجر الذى كان يقف عليه ابراهيم الخليل اثناء رفعه القواعد .

وضمن نطاق الحرم الشريف يوجد ماء زمزم ، وهو نبع من الماء قدرله الله ان ينبع عندما اشتد الظما باسماعيل الذبيح وأمه هاجر التى كانت تسعى مهرولة بين مرتفعى الصفا والمروة تبحث عن الماء لابنها ، ففرج الله كربتها ، وآمن غربتها ، وفجر امامها عين زمزم التى ما انفكت تجود بالماء العذب منذ ذلك الزمن السحيق . وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « خير ماء على وجه الارض ماء زمزم » و : « ماء زمزم لما شُرِبَ له » .

فى رحاب البيت الحرام

عندما وصلنا اطراف مكة اخذنا نلبي معاً : لبيك اللهم لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك لبيك » . وبعد أن قطعنا بالسيارة مسافة كيلومترين اثنين فى ساعة ونصف الساعة بسبب شدة الزحام ، اضطررنا لايقاف سيارتنا فى مكان ليس بالقريب من المسجد الحرام ، ومشينا على ارجلنا فيما يشبه عدم المشى !

وزيادة على الزحام فالطقس شديد الحرارة ، والجو مشبع بالرطوبة ، واقدامنا تكاد لا تقوى على حمل اجسادنا ، لكن جميع اشكال تلك المعاناة لم تخطر ببالنا فى تلك اللحظات التى نسي فيها المرء هويته الآدمية ، وحلق باجنحة ملائكية فى رحاب القداسة والطهارة والسمو .

وفجأة تسمرت فى مكانى ، ووقفت مبهوراً ، يا للعظمة .. يا لله ، انها هى . هى الكعبة المشرفة ، تاالله انني اراها بأم عيني ، والمسها بأم فؤادي ، واقبلها بكل كياني ، لقد تعطلت كل وسائل التعبير عندي .. لقد شلت كلها عدا دموعي المدرارة .. ووجدتنى اتذكر حديث الرسول الحبيب :

« تُفتح أبواب السماء ، وتُستجاب دعوة المسلمين عند رؤية الكعبة » . واخذت ادعو الله قائلا : اللهم زد هذا البيت تشريفا ، وتعظيماً وتكريماً ومهابة وبرا ، وزد من شرّفه وكرّمه ممن حجّه او اعتمَرَه .

وأثناء الطواف حول الكعبة شعرت بانني قريب من الله كما لم اقترب من قبل .. فدعوته ان يغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ، دعوته أن يعز الاسلام وينصر المسلمين على أنفسهم وشياطينهم ، دعوته الهداية لكل ضال ، والمغفرة لكل مذنب ، والانصاف لكل مظلوم ، دعوته العتق للمسجد الأقصى .. والحرية لكل الأسرى،والعودة لكل غائب .. دعوته أن يبعث النخوة والحمية فى صدور المسلمين كي يتحول هذا الكم الهائل من المسلمين الى شيء ما .. له قيمته ووزنه واثره ، ولا يبقى على حاله غثاء كغثاء السيل .

وتمنيت على كل المسلمين ان يترجموا مناسك عباداتهم وشعائرهم الى مناهج وآداب يسيرون على هديها ومنهاجها .

• • •

بعد أن انتهينا من الطواف حول الكعبة سعينا بين الصفا والمروة تنفيذاً لقول الله تعالى : « ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوّف بهما ، ومن تطوع خيراً فان الله شاكر عليم » (البقرة ١٥٨) .

ثم تحللنا من احرامنا ، مع شروق الشمس ، وطفقنا نبحث عن فندق ناوي اليه ، وامضينا أكثر من ساعتين فلم نفلح .



لقطة من داخل مسجد الرسول بالمدينة

فاوينا الى جوار قاعدة ضخمة لاحد الجسور الجاري تشييدها جوار الحرم ، ولم توقظني من نومي الا ركلة غير رحيمة من غفير الجسر يامرني بلهجة غير مهذبة كى ابتعد عن مقره !

ولانني فى البلد الحرام فقد حرمت على نفسي معاندته او مجادلته ، فنفذت اوامره .. ولم نجد حلا سوى « مداهمة » الاخ الدكتور عبد السلام الزميلي فى بيته ، فاستقبلنا بترحاب ومودة .. واكرمنا ايما اكرام .

العودة الى عمان

مكثنا اربعة ايام فى مكة ، وقضينا اخر يوم فى رمضان .. واول وثاني ايام عيد الفطر المبارك فى رحاب المدينة المنورة ، وفى حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وفى طريق عودتنا الى عمان ظل تساؤل يلح على خاطري كلما صفعت وجهي الحرارة ، ونزت من جسدي الرطوبة ، ولفحني صهد المنطقة من مكة الى تبوك :

كيف استطاع المسلمون الأوائل ــ فى مثل هذه الاجواء ــ ان يخوضوا أروع معاركهم ، ويحققوا اعظم انتصاراتهم على انفسهم واعدائهم ؟ !

فلقد شهد شهر رمضان المبارك انتصارهم فى غزوة بدر يوم السابع عشر منه عام ٢ هـ .

وفى ٢١ من رمضان علم ٨ هـ فتحوا مكة .

وحدثت فيه غزوة تبوك عام ٩ هـ .
وتحقق فيه فتح بلاد الأندلس عام ٩١ هـ
وفيه انتصر المسلمون على التتار فى معركة عين جالوت عام ٦٥٨ هـ .
.. اجل كيف انتصروا ؟

ــ لقد انتصروا فى مثل تلك « الرمضانات » لأن درجة حرارة الايمان فى قلوبهم قد طغت على درجة الحرارة خارج قلوبهم .. فكان حقا على الله أن ينصرهم .. فانتصروا ! !

... هناك سؤال ما انفك يراودني منذ انتهيت من اتمام طوافي حول الكعبة الشريفة :

ما هى الحكمة فى كون البيت العتيق على يسار الطائفين ولم يكن على يمينهم ؟

اتوجه بهذا التساؤل الى اهل العلم ليتفضلوا بافادتنا عن اجابته .

عدنا الى عمان ، وفى قلوبنا تتوهج مصابيح الفرح والطمانينة ، وعلى امل العودة لاداء فريضة الحج .. اللهم أكتبها لمن اداها ، ولمن يريد تاديتها ، اللهم واحتسبها لمن لم يستطع القيام بها .. ولمن تمناها ومات دونها .. اللهم وانفعنا بخيرات الحج والعمرة والصلاة والدعاء والزكاة واكتبنا مع الهادين المهتــدين . آمين .

نبيل خالد الأغـا

لقطات من الكون المثير



زهـــــرة أم حشـــــرة؟

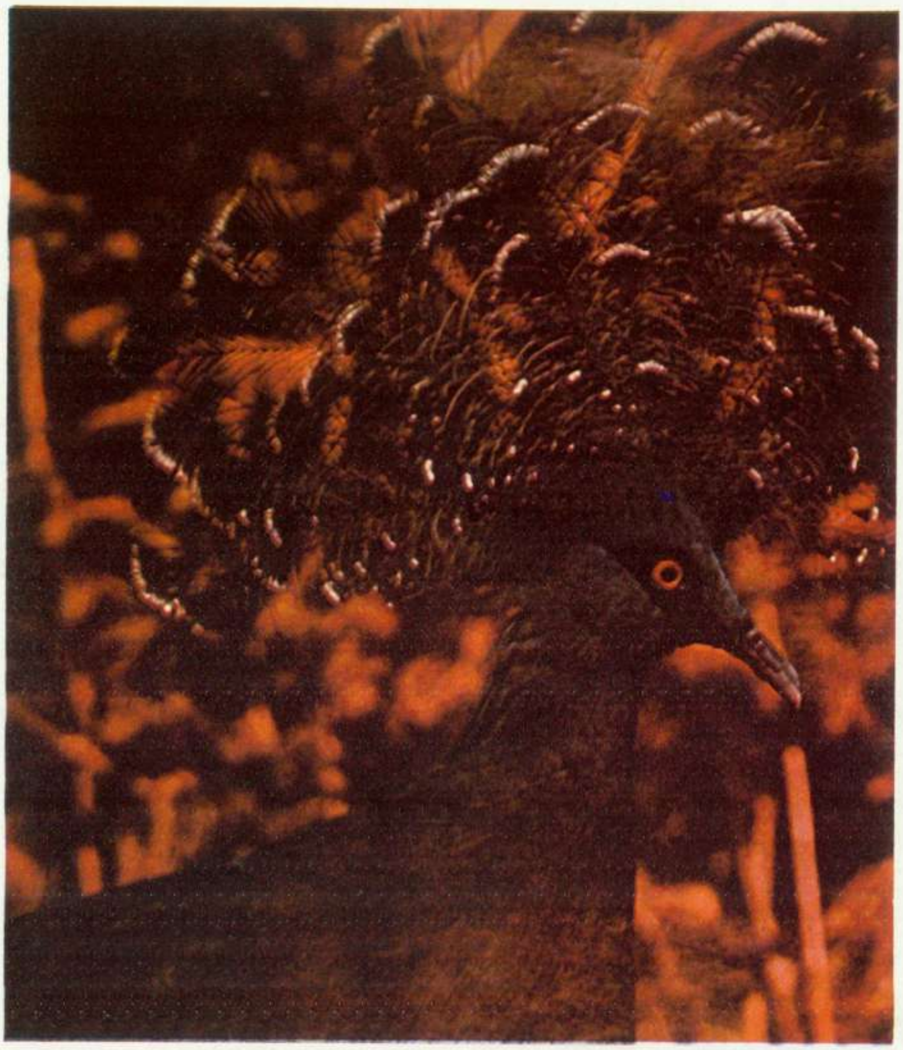
الشكل شكل زهرة ، رغم ان الكائن حشرة من جنس السرعوف او جمل اليهود .. تعددت الأسماء والمخلوق واحد .. وقد جاء بهذا الشكل المثير ليضرب عصفورين بحجر واحد ، اولها ليلعب فى الطبيعة لعبة التمويه او الاختفاء عن أعين الاعداء التى تطمع فى لحمه ، فلا تستطيع اكتشاف امره ، لأنه يبدو كزهرة متفتحة على غصن ، وثانيها ليجذب الحشرات التى تحسبه زهرة ، فتهبط عليه ، علها تمتص رحيقه ، ولا تكتشف الخدعة إلا بعد أن تصبح بين ذراعيه لقمة سائغة ..



إنها تتحدى تدمير الإنسان

كانت فى الماضى ارضاً طيبة ذات خضرة زاهيـــة ، ثم جـاء الانسان بعـدد من «البلدوزرات» لتدمر المزروعات ، وتحولها الى أرض قاحلة ، اللهم إلا من بعض بقايا جذوع اشجار كانت تنبت هنا وهناك .. وبعد عشر سنوات نجح نوعان من النباتات فى الهبوط على احد الجذوع الخاوية ببذورهما التى حملتها الرياح أو الطيور التى كانت تحلق يوماً على هامات الأشجار الباسقة ، وبقليل من المطر والندى ، مع بقايا مادة عضوية تحللت من الشجرة الفانية ، بدأت البذور فى الانبات ، لتضفى على المساحات الجرداء خضرة زاهية فيما يشبه الأصيص الفخارى ، فكانت هذه الباقة الجميلة التى تضع لنا النقط فوق الحروف ، وكانما لسان حالها يقول : إن الحياة اقوى من الانسان والبولدوزرات والدمار الذى يحل بالأرض الطيبة ، وبالبيئة المسالمة .

إنها تاج طبيعي على الرؤوس



إذا كان الطاووس يختـــال بذيله ، ليستعرض نفسه أمام أنثاه ، علّه يروق فى عينيها ، فان هذا الطائر من فصيلة الحمام يخطو مختالا برأسه الذى توجته باقة من ريش منسق كأنه الزهر المنضود .. فاذا سار متمايلا ، تموج هذا التاج الطبيعى ليجذب أنظار الاناث قبل أنظار الانسان ، ولقد بلغ من جمال هذه الطيور أن أطلق عليها سكان غينيا الجديدة البدائيون اسم طيور الجنة التائهة ، أى كأنما كانت تعيش قبل ذلك فى الجنة ، ثم تاهت وهبطت الى الأرض ، لتحولها بجمالها الآخاذ الى قطعة من الجنة .. هذا ويعتبر ذلك الصنف من الحمام مسالماً الى أبعد الحدود ، ولا يبدى مقاومة عند الأمساك به ولهذا عاش عليه أهل البلاد الأصليين يستطيبوه كطعام ، كما نستطيب نحن الحمام ، لكن حمام غينيا الجديدة يصل فى حجمه الى حجم أنثى الديك الرومى أو التركى ، ومن المؤسف أن هذا الطائر الجميل (واسمه جورا) فى طريقه الى الانقراض ، كما انقرض أبناء عمومته من حمام « الدودو » الذى كان أكبر من حجم الديك الرومى ، ولقد عاش فى جزيرة موريشيوس بالمحيط الهندى ، الى أن استعمرها الرجل الأبيض وانتهى أمره الى الانقراض بنهاية القرن السابع عشر .

كم من العمر تظنه قد بلغ ؟



من أول نظرة قد تحسبه كهلا ، رغم انه لايزال طفلا .. صحيح أن الرأس أصلع ، والتجاعيد قد تركت بصماتها على وجهه ، والصورة العامة توحى بانه قد تجاوز الأربعين أو الخمسين ، لكنه لم يبلغ من العمر إلا عشر سنين .. ترى ، ما الذى حوله هكذا من نضارة الطفولة الى ذبـــول الكهولة ؟ .. الواقع أن احداً لا يعرف السبب ، ففى حالات نادرة (تعرف طبياً باسم « بروجيريا » أو الشيخوخة المبكرة) تظهر أعراض الكهولة على الأطفال بداية من سن السادسة ، رغم أنهم ولدوا أطفالا عاديين ، لكنهم يعانون بعد ذلك من تخلف حاد فى النمو ، وضعف وهزال وتجاعيد وسقوط الشعر ، وكأنما هم قد بلغوا أرذل العمر ، ونادراً ما يبلغون سن الشباب ، ولقد حار العلماء والأطباء فى معرفة الأسباب ، ومن أجل هذا لا يمكن وصف العلاج .. لكن حمداً لله أن هذا الحالات نادرة غاية الندرة .



الأسطول : عيسى عبد الرحمن (١٣ سنة)



قناع : جاسم اسد (١٢ سنة)



المدينة : خالد قربان (١٣ سنة)



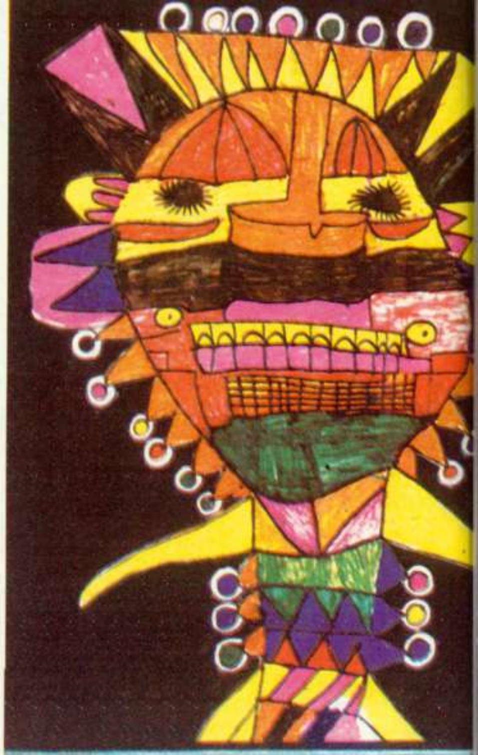
تشكيل بالخط العربى : حبيب اسماعيل

تجربة فنية جديدة

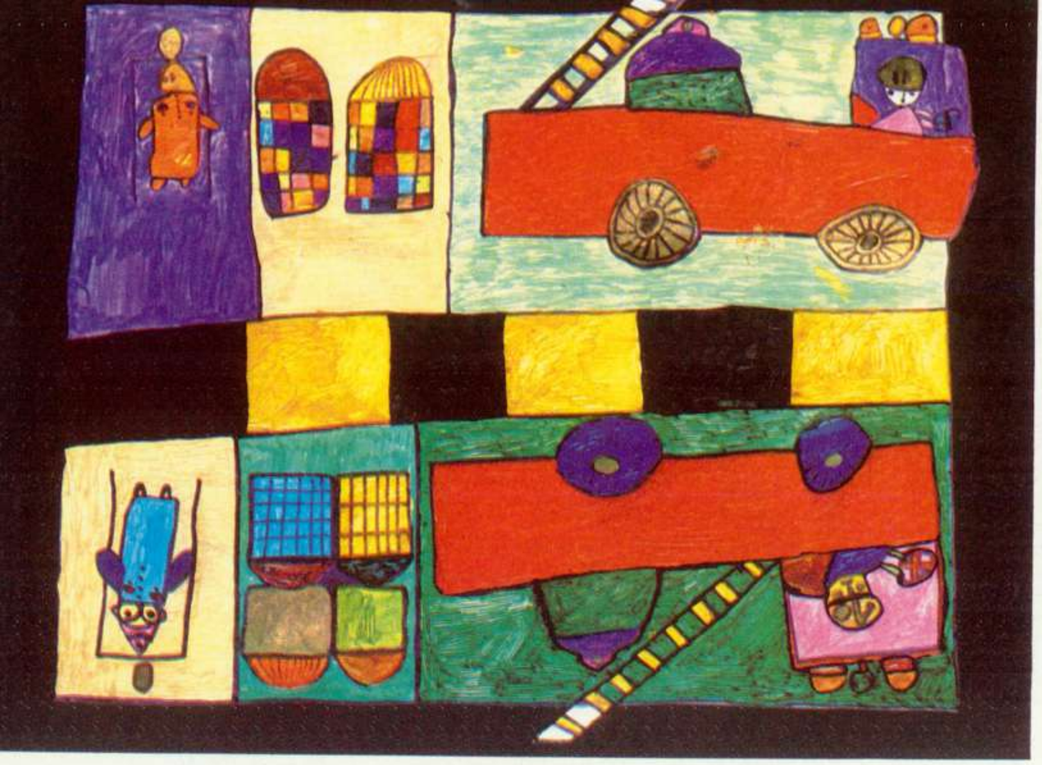
الابتكار والأصالة والحس الصادق في لوحات أطفال نادي الجسرة

بقلم : ماجد يوسف

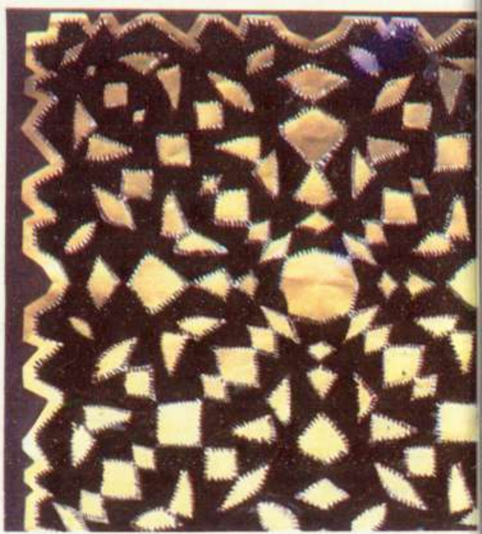
تتمثل فى الطفل باعتبـــاره مستقبلا حساساً وبكراً للوجود من حوله امكانية اكبر ـ ربما من بعض كبار الفنانين ـ لتمثل هذا الوجود بعالمه المرئى واشيائه المتباينة وامكانياته البصرية اللانهائية بكل ما تحمله من جدة الاكتشاف وغرابته بالنسبة



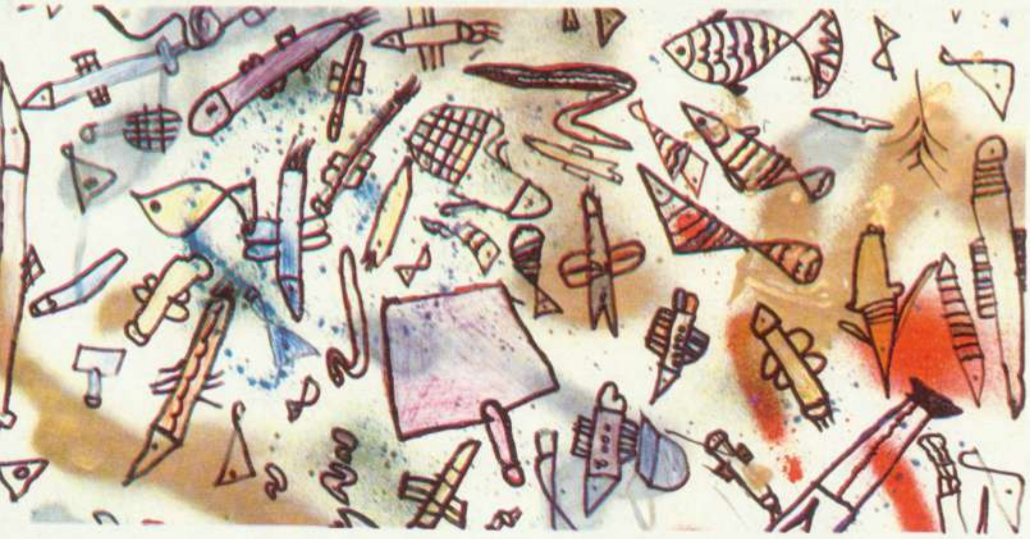
وجه : محمد حسن (١١ سنة)



المطافىء : جاسم أسد (١٣ سنة)



زخرفة منتظمة : فهد الدرويش (١٤ سنة)



أعماق البحر : محمد حسن (١١ سنة)

اليه ، ولذلك فهو يتلمس طريقه الفنى عبر هذا العالم المتحرك الموار بالغرابة الأولى .. بتلقائية تعبيرية تنفذ ـ لبساطتها وبكارتها ـ الى جوهر هذا العالم الشكلى ببراءة وصدق .

.. ولعل هذه الخاصية فى فنون الأطفال (بكارة الرؤية للعالم) هى التى جذبت اهتمام فنانين كبـار فحاولوا الاستفادة منها بوعى فى أعمالهم كجوان ميرو وبول كلى وغيرهم ، والطفل يلج الى هذا العالم لا من خلال قانونه الشكلى وإنما من خلال قانونه المعرفى ، فهو لا يرسم ما يراه بالضبط فى الشىء وإنما يرسم ما يعرفه عنه .. وكانت هذه الخاصية فى فن الطفل وراء تحطيمه الجرىء لقواعد المنظور .

وفى الحالات القليلة التى يفلت فيها الطفل من نمط التعليم الفنى (التلقينى) الذى تاخذ به معظم مناهجنا ونظمنا فى التعليم حتى الآن ، والذى يرسم له حدود نموذج لا يخرج عنه بكل ما يعنيه هذا المنهج من قتل لمكناته الابداعية وقدراته الابتكارية الجذابة .. ويفسح له المجال للتعبير التلقائى والأداء الحر ـ كما يحدث الآن فى نادى الجسرة ـ يدهشنا الطفل برؤاه وفهمه الابتكارى المجدد للعالم ، وبذكاء وحساسية علاجه لموضوعه بكل أبعاده الخطية واللونية ، لأنه فى هذه الحالة لا يخضع لنموذج مهترىء ومعد سلفاً وإنما يعكس رؤيته الخاصة ، والخاصة جداً للعالم من حوله .. فتتدفق شحنات الادهاش والمتعة فى عمله التلقائى البكر .. ولا تختلف هذه الحقيقة فيما بعد إلا كنتيجة مباشرة للنمط التعليمى التلقينى الخاطىء الذى يئد ذكاء الأطفال الواعد فى سنيهم الأولى بتقديم الوصفات العقلية والمعرفية الجاهزة مما لا يدع هناك



تكوين تجريدى : طارق حسن ـ ١٦ سنة



المدينة فى رمضان : محمد شكرى (١٦ سنة)

تجربة فنية جديدة

الابتكار والأصالة والحس الصادق في لوحات أطفال نادي الجسرة



محمود ابراهيم شكرى



محمد شكرى



عيسى عبد الرحمن



حبيب اسماعيل

قريتنا : محمد شكرى (١٦ سنة)



ضرورة لتنشيط وتنمية ذكائهم الخاص .. فالمدرسة تضطلع عنهم بمهمة التفكير وحل المعضلات والوصول الى المعلومات وما عليهم إلا (الحفظ والصم) .. وليس ادل على بشاعة هذه الحقيقة من ميدان الفنون .. فالفرق هائل بين طفل اعطى الفرصة للتعبير التلقائى الحر عن نفسه بالرسم .. وبين آخر طلب منه ان يرسم كذا بالطريقة الفلانية .. ويراعى كيت وكيت .. فبينما تدهشنا فى الأول اصالته وجدته وابتكاره .. يفجعنا فى الثانى الاجهاز عليه فنياً فى حدود القالب الذى اعد له ولم يكن من وحيه وابتكاره . والاهمية الحقيقية للابتكار عند الطفل انه يقدم لنا رؤية جديدة بالفعل للشىء او الأشياء التى الفنا رؤيتها بطريقة معينة وتقليدية ، وبدون ان يقصد ذلك فى الحقيقة .. لذلك فنحن قادرون على ان نرصد الخصائص التالية فى رسوم الأطفال المبتكرين .

ملامح الابتكار

وإذا اردنا تحديد ملامح الابتكار فى فن الطفل ، لانحصرت فى :

● الجدة والحداثة : ونعنى بهـا الرؤية الخاصة للعالم التى لا تنبع من الوعي القصدى به بقدر ما تنتج عن ادراك بدائى واصيل له .. فهو يصل بلا وعيه البكر الى ماقد يصل اليه الوعي المقصود عند الفنان الكبير .



خالد قربان



فهد الدرويش



عبد الرحمن قربان

● التفرد : وتاسيساً على عامل الجدة الآنف .. يتميز الطفل الموهوب فى أدائه الفنى عن طفل آخر فى مثل سنه ، فبرغم أننا قد نلمح فى رسوم الأطفال فى مرحلة سنية معينة خصائص متشابهة إلا أننا قادرون على أن نلمح سمات خاصة جداً بكل فنان صغير .. ربما يتمثل فى قاموسه اللونى .. فى طريقة تعامله مع خطوطه .. وزاوية رؤيته لموضوعه .. أو منهجه فى التكوين .. الخ .

● الأصالة : هى فى ابسط مدلولاتها .. ضد التقليد .. وهى تعنى أن الأفكار تنبعث من الطفل وتعبر عن طابعه وعن شخصيته ولا تفرض عليه فرضاً علوياً ، فالطفل الأصيل يفكر بنفسه ويستخدم حواسه وخبرته الشخصية المكتسبة من البيئة المحيطة .. فالأصالة هى الصفة الأولى المبرزة عند كل الشخصيات المبتكرة مهما كان ميدان الابتكار وخاصة عند الطفل الموهوب .

● الصلة بالطبيعة : وحينما يشاهد الطفل وهو منكب على الورق يخطط بلا وعى تخطيطات لا شبه لها فى الطبيعة العابرة .. ولكنها فى الحقيقة تنتمى لها انتماء جوهرياً نستطيع استنباطه بقليل من التأمل الواعى .. نعجب نحن بهذه التخطيطات التى تبدو عشوائية للوهلة الأولى ولكننا نحس مابها من النظام الذى يشبه الى حد كبير الأنظمة التى نشاهدها فى عروق أوراق الشجر وفروع النباتات الرفيعة وفى أجنحة الفراش وسطوح أجسام بعض الحيوانات ، فنحن نعجب بتخطيطات الأطفال لأنها انعكاس فطرى لطبيعة الانسان وهو فى حالة متكاملة .

● الاندماج أو الادماج : حينما يريد الطفل أن يعبر مثلا عن فكرة «الافتراس» فانه يجمع صورته من مصادر مختلفة تكون قد مرت فى خبرته السابقة .. ربما رأى عينى القطة البراقتين فى الظلام واستمع الى موائها وتألمها حينما هاجمها كلب ورأى تغير حجمها بشكل ظاهر استعداداً للدفاع عن نفسها .. ثم رأى فى حديقة الحيوان أسداً وهو يلتهم طعامه ويحدث زئيراً مثيراً .. أو شاهد الخروف فى العيد وهو يذبح وينقض عليه الجزار بكامل قوته وأسلحته .. وربما رأى فيلماً سينمائياً يعرض لهجوم نمر على غزال .

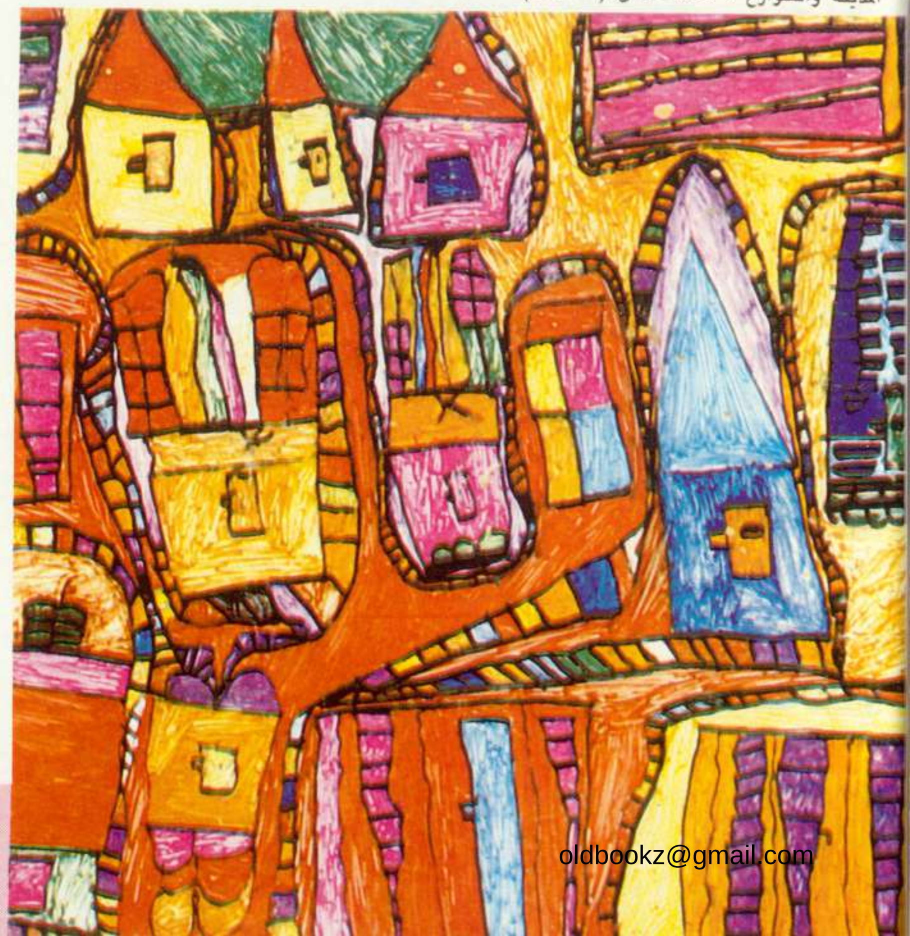
دور نادى الجسرة

.. هذه بعض سمات العمل الابتكارى فى فن الطفل .. والتى نستطيع أن نلمحها بسهولة فى الأعمال المصاحبة لهذا الموضوع من انتاج اطفال الجسرة .. ولعل ادراك القائمين بالأمر فى نادى الجسرة للحقائق السالفة كان وراء احتضانهم وعنايتهم بالأطفال الموهوبين ، وتوفير كل الامكانيات والظروف الملائمة لتفتح مواهبهم تفتحاً صحيحاً يمنحهم كامل الفرصة للنمو الحر والنضج الفعال بعيداً عن سطوة (النموذج) وجمود (المعيار) الذى يحكم الأداء الفنى للطفل عادة فى دروس الفن المدرسية .. وبدون شك فلقد ساعد على توفير هذا المناخ الملائم لابراز شخصيات الأطفال وفعالياتهم وتحقيق هذه النتائج الملفتة وجود رجل تربوى مستنير وذو افق مفتوح على رأس النادى هو ناصر الدرويش الذى يشغل فى الوقت نفسه منصب مدير التربية الاجتماعية بوزارة التربية والتعليم ..

تحليل اللوحات

.. والآن .. ما هى عناصر التميز الفنى ومؤشرات الموهبة فى لوحات أطفال الجسرة

المدينة والشوارع : محمد حسن (١١ سنة)





أعماق البحر : محمود شكرى (١٤ سنة)

الابتكار والأصالة والحس الصادق في لوحات أطفال نادي الجسرة

.. لعل أول ملاحظة تفرض نفسها على الرائى .. هى التنوع اللافت فى أساليب الأداء بما يعكس تفرداً لاشك فيه فى الشخصية الفنية لكل منهم بما يعنيه ذلك من أصالة فى الرؤية وخصوصية فى التعبير وهما مناط الحكم على كل فنان متميز .. ففى موضوع واحد أعطى للاطفال جميعاً (كالقرية مثلا او المدينة) نلحظ التنوع الثرى فى أساليب الأداء لنفس الموضوع عند كل من محمد شكرى وخالد قربان ومحمد حسن وخميس ناصر .. فبينما ينحو محمد شكرى الى زخرفية لا تخفى فى تناوله لموضوعه ، يؤثر خالد قربان تناول نفس الموضوع تناولا هندسياً محكماً لا تغيب عنه أدق التفصيلات الصغيرة مع اهمال جميل لقواعد المنظور كما نألفها نحن الكبار ، فالمهم عنده هو الحضور الواضح لتلك العناصر المكونة للقرية أو المدينة من بيوت وعلامات مرور واشجار (محملة بالثمار) .. الخ .. بينما نرى ان محمد شكرى أولى عناية نسبية للمنظور برغم أدائه الزخرفى الواضح .. واذا انتقلنا الى محمد حسن فسيدهشنا عدم التفاته لكلا المسألتين فى رؤيته لقريته أو مدينته ، فلا الزخرفة هى التى استولت على اهتمامه ولا الرؤية الهندسية المنضبطة ولا المنظور كاملا أو نسبياً .. ولكنه نحى منحى مختلفاً تماماً يكاد يكون تعبيرياً صرفاً (بالمعنى المصطلحى للمدرسة التعبيرية فى الفن) .. وإذ ببيوته او قريته تتمازج وتندمج فى عجينة تشكيلية تنداح فيها الفوارق الواجبة بين ما هو شوارع .. وما هو منازل .. وما هو أسوار أو أبواب او نوافذ .. فى كتلة تشكيلية متضامة ومتداخلة وأسرة فى الوقت نفسه لا مكان فيها لفراغ من اى نوع بينما نلحظ عند خميس ناصر ـ ولازلنا



زخرفة حرة : عبد الرحمن قربان (١٣ سنة)

وقوفاً عند نفس موضوع «القرية أو المدينة» ـ تسيد عنصر (الفراغ) فى تناوله .. والفراغ الصحراوى الأصفر بالتحديد .. بما يعكسه من رؤية لصيقة بالبيئة .. حتى ان البيوت لتتناثر على مسافات متباعدة هنا وهناك ، وكذلك الناس .. وكان الفراغ الأصفر الكبير ـ فى رؤية الطفل ـ اقوى حضوراً من كل محاولات البشر لملئه وشغله ببيوتهم أو بانفسهم ولقد اقتضى منه ذلك ـ على عكس رفاقه ـ عناية واضحة بالمنظور .. وبالبعيد والقريب ليؤكد احساسه ذاك بالفراغ الشاسع ويبلوره . وإذا انتقلنا للنظر الى موضوعين زخرفيين وهما لوحتا فهد الدرويش وعبد الرحمن قربان .. فسنلاحظ أنه برغم اشتراكهما الواضح فى المنحى الزخرفى .. إلا ان عبد الرحمن قربان آثر أن يتحرر فى زخارفه من اى انضباط هندسى مسبق كما فعل فهد



الواحة : خميس ناصر (١٢ سنة)



طارق حسن



محمد حسن



خميس ناصر



جاسم أسد

الدرويش .. وانطلقت وحداته الزخرفية تجوس على مسطح اللوحة بحرية وتلقائية حتى لا تكاد تتماثل فيها وحدتان زخرفيتان .. بينما فضل فهد الدرويش أن تتالق زخارفه من خلال تصميم منتظم شديد القرب من تراث الزخرفة فى الفن الاسلامى .. وبرغم ذلك ظل لكل منهما حضوره وتميزه وجماله .

وإذا انتقلنا لموضوع (القناع) عند كل من جاسم أسد ومحمد حسن فسنلحظ على الفور عناية جاسم أسد بان يبقى على العلاقات المنطقية لأجزاء الوجه من عيون .. وانف .. وفم .. وذقن .. الخ ولا يقوم إلا بتحريفات جزئية لهذه الأجزاء بينما لم يعن محمد حسن بذلك على الاطلاق .. بل انه ليبدو وكانه لا يجد طريقه الى التعبير إلا من خلال تحطيم هذه العلاقات المنطقية عينها بين أجزاء الوجه .. وهو بذلك يواصل منحاه (التعبيرى) كما فعل من قبل فى موضوع (القرية أو المدينة) .. هو غير مهتم بالتفاصيل بالمرة بل بالرؤية الكلية الدالة لموضوعه ولو على حساب التفاصيل.

وتتأكد هذه الملاحظات بالنسبة لمحمد حسن فى موضوع ثالث (فى أعماق البحر) بمقارنته مع زميل له هو محمود شكري تناول نفس الموضـــوع ، فبينما اهتم محمود شكري اهتماماً واضحاً بالعنصر الزخرفى لموضوعه حتى أنه لم يمنح اثنتين من سمكاته نفس الزخرفة .. بل حرص تماماً على تنويع شكل هذه الزخرفة من سمكة لأخرى ، نجد أن محمد حسن لم يلتفت الى ذلك إطلاقاً ، ولم يعن البتة بزخرفة اية سمكة أو مخلوق بحري ، بل واصل منهجه فى التعبير الكلي عن موضوعه بلا عناية باية تفصيلات ، وقدم لنا فى النهاية هذه الرؤية التى لا أرى كبير فارق بينها وبين أداء فنان عالمى كبير كبول كلى مثلا .. كل الفارق أن الطفل يصل بمخزونه البكر والتلقائي فى الرؤية المباشرة للعالم ، الى ما يقترب من ذلك الذي يصل اليه الفنان الكبير بكل وعيه وتقنيته ومهارته الحرفية ورؤيته المركبة لنفس العالم .

وفى لوحة حبيب اسماعيل ــ وهو فتى بارع براعة ملحوظة فى كتابة الخط العربي ــ تم لفت نظره ــ وربما لأول مرة ــ الى امكانية التعامل مع خطوطه الحسنة هذه تعاملا فنياً لا يقتصر على النظر الى هذه الخطوط باعتبار ما تؤديه من معنى فى حالة تراصـــفها هذا التراصف الجميل (المكرور) فى نطاق عبارة محددة فحسب .. وانما الى الامكانية المضمرة فى هذه الحروف المكتوبة بخط حسن لصنع تكوين فنى ناجح بغض النظر عن أن يكون ذلك فى نطاق عبارات مفهومة كما تعود طويلا .. وبذلك انتقل من تصوره للحرف فى حدود ادائه لمعنى (ومن ثم تظل قدرته محصورة فى حدود العبارة المطلوب منه صياغتها) .. الى تصور الحرف باعتباره عنصراً تشكيلياً قادراً على خلق تكوين فني ناجح بالمعنى البلاستيكى حتى ولو لم يؤد أي معنى فى النهاية .. وإذ بالفتى بعد وعى هذه الحقيقة الجديدة .. يدهشنا بلوحته تلك التى تضعه على أول طريق أراه جـــديراً بأن يضمه مستقبلا الى فنانينا الكبار الذين تعاملوا مع الخط العربى باعتباره معطى تشكيليا مؤهلا لخلق عوالم فنية بالغة الجدة لا مجرد معطى دلالياً يقبع فى حدود اللغة ، ولعل من الواجب أن نذكر هنـــا فناناً قطرياً قطع شوطاً كبيراً فى هذا المجال هو الفنان يوسف أحمد .

ولا يخلو الأمر فى حالة فنانينا الصغار من واحد أو أكثر ينحو منحى تجريدياً ما كطارق مفتاح .. الذي برغم ما نلحظه فى لوحته من أداء يقترب من الزخرفة الى حد كبير ، الا انه أيضاً يعكس حساً تجريدياً وصل اليه الفتى بتلقائية وعفوية .. ففرق كبير بين أن يدفع الطفل دفعاً الى الأداء التجريدي مجاراة لاتجاهات سائدة أو استسهالا كما يتصور البعض .. وان ينبع هذا الميل نبوعاً أصيلا من حس الطفل ورؤيته ، ولاباس من تنميته بعدئذ فى اتجاه صحيح لا يعتسف شيئاً على حساب خيال الطفل ونزوعه الحر .

كلمة أخيرة

يبقى أن نؤكد على أن هذه التجربة فى نادي الجسرة تدل دلالة قاطعة على أن البلاد مليئة بأطفالنا الموهوبين فى المدارس والأندية وكل مكان ، كل ما يحتاجه الأمر هو كشف النقاب عنهم ، واتاحة الفرص الصحيحة والصحية لهم لكي تتفتح مواهبهم فى مناخ موات وملائم ، فهم عدتنا للمستقبل ، وقد تتمخض السنوات القليلة المقبلة عن فنانين كبار يقبعون داخلهم وينتظرون فحسب أن نؤدي واجبنا جميعاً نحوهم ..

ماجد يوسف

بيت العنكبوت

قصة بقلم: نورة آل سعد

بريشة: سلمان المالكي

كان الظلام يغشى صالة المسرح .. ولم يكن للحضور وجوه . وكان الصمت مستبداً .. ولم يكن للحضور وجود . دخل شبحان يتخبطان بين المقاعد.كانا زوجاً وزوجة وعلى ضوء بقعة صغيرة صادرة عن مصباح صغير استدلا على مقعدين فجلسا . حاولت الزوجة ان تتبين المكان من حولها فشعرت انها تسبح في العدم .

على الخشبة كانت الأنوار خافتة جداً وكان هناك شخصان يتخبطان .. زوج وزوجة . بدأت الأضواء تنير المسرح تدريجياً وانعكست الأضواء على الحضور فسرت بلبلة خفيفة .

تركزت انظار الزوجة على الممثلة .. لاحظت في البدء صوتها الرقيق .. اقرب ما يكون للرجفة.ثم لاحظت انها نحيلة تشبه عود القصب وتلبس ثياباً غامقة اللون لكنها لا تخلو من اناقة متحفظة وقد شدت شعرها المتموج الى الخلف ثم قصعته في كومة كبيرة .. وبينما هي تتحرك على الخشبة والأضواء الشاحبة تلتقي على صفحة وجهها المحزون القى في روع مراقبتها شعور فائق بان هذه السيدة ذات الوجه الممصوص .. رقيقة وفي غاية الدماثة .

تحركت السيدة نحو رجل في وسط الخشبة كان يجلس على كرسي متحرك ووجهه بادي القسوة ولم يكن ينظر اليها حين تكلمه . قالت له في صوت عصبي :

أهكذا ؟ تعبث بك رياح الشك فتصدق كل ما تقذف به الجوارير النتنة التي تطفح بما تمتلىء به .

اقتربت منه أكثر وبصوت مبحوح قالت : انا ..

وصرخ الرجل متظاهراً بالغضب وقد قبض بكلتا يديه على مقعده لئلا تكتشف ارتعاشتهما :

ـ لا مزيد .. ارحلي عن هذا البيت .

وتبعثر نحيبها وهي تهرب راكضة

ارتجفت الزوجة كورقة يابسة تذروها رياح الخريف .. الا أن الوقت كان صيفاً ..

التصقت بزوجها. ارادت ان تذيب بحرارة جسده الدماء التي تجمدت في عروقها لكنه تململ بعيداً عنها همست :

ـ احمد .. احمد

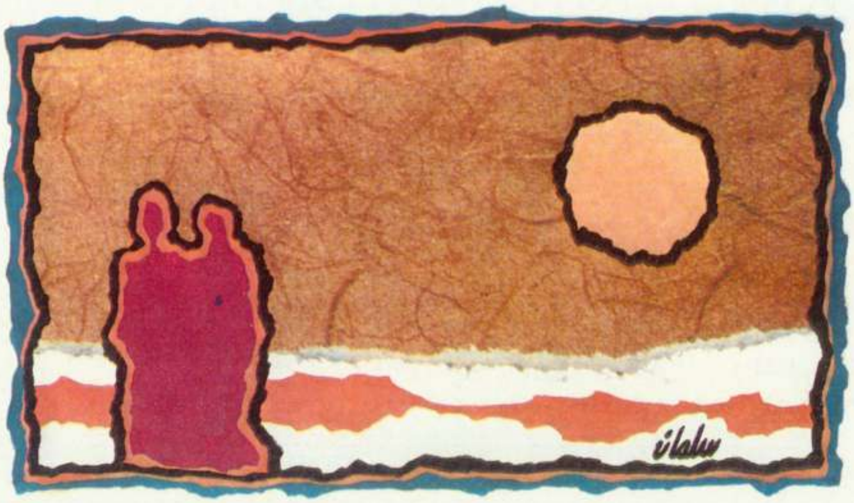
نظر اليها متسائلا :

ـ ما بالك ؟

ارادت أن تساله شيئاً .. لكن لم تعرف ما هو . اتساله ان يعودا .. لا .. شيء ما يسمرها هاهنا . الى هذا الكرسي .. وامام هذه السيدة ذات الوجه الممصوص . مازال هو ينظر اليها نظرة فقدت الصبر . قال :

ـ ماذا يا شيخة ؟ .. اليس هذا ما اردتيه





الم اصرف الرفاق الليلة ؟ واخذنا الأولاد الى بيت جدهم .. وجئنا الى هنا .. أليس هذا ما كنا نتجادل بشانه طوال الأسبوع الماضي

وانبعثت أصوات من خلفهما .. هس .. هس..ثم نظرات غاضبة لا تخلو من وقاحة .. لكن شيخة لم تسمعها فقد غابت في أشياء أخرى .

طرقات عنيفة . انتفضت بقوة . امسكت ساعد زوجها بحركة لاشعورية .. وارتخت عضلاتها حين وجدته بجانبها .. ودت لوتدفن رأسها في صدره وتختبىء .

توالت الطرقات ذاتها على الخشبة وراتها .. رأت تلك السيدة جالسة قرب امرأة اكبر منها وكانت تتحدث بهدوء وتبدو متجلدة لكنها كانت مرهقـة فقط، وفي الجانب الآخر للمسرح كان الرجل المقعد يدق الباب بكلتا يديه ويئن كحيوان .

ارادت زوجته ان تهرع اليه لكنها هربت الى الجهة الأخرى والتقطت الدموع من ماقيها قبل ان تهطل،حينئذ نهضت المرأة المسنة ومدت يدها نحوه كأنها تلفت انتباهه اليها . قالت :

ـ لا أسالك باسم الثقة العمياء بل باسم السنوات التي قضتها ابنتي بجانبك لحظة بلحظة .

وهدأت قليلا ثم تابعت :

ـ الشكوك ياسيدي لا تخلق من الفراغ ولا تخرج كالنباتات الشيطانية فجاة . لا . انها تكمن هنا .. في اقصى القلب وتنمو في الاحشاء ببطء وتتفرع في انحاء الجسد كالسرطان .. وعندما تعلن عن نفسها نعتقد انها البداية .. لكنها تكون النهاية ايضاً .

ونظرت الى ابنتها في جهة وصهرها في الجهة الأخرى وقالت :

ـ هذا الذي يخالطه الشك في فضيلة الآخرين هل يكـون فاضـلا في دخيلـة نفسـه ؟

وانفجر كل شيء امام شيخة . كانت تنتظر زوجها بقلق .. لقد تاخر عن الغداء ولم تكن تلك المرة الأولى . وبينما آذان العصر يهدهد الأسماع دخل واتجه من فوره الى غرفة النوم . سالته :

ـ لماذا تاخرت ؟ .

نعم انها تتذكر ما حدث في ذلك العصر الكئيب منذ اربع سنوات وكانه الآن ماثل امامها . تذكر أن ثوبه كان متسخاً ومبللا وتفوح منه رائحة ذكرتها برائحة السمك .. هذه الرائحة تكاد تخنقها الآن .. و .. وتذكر انه اخذ المنشفة ودخل دورة المياه ولم يتفوه بكلمة واحدة . وما ان خرج من دورة المياه حتى ارتمت عليه :

ـ احمد .. مابك ؟ لابد ان اعرف .

وقال لها . قال كل شيء دفعة واحدة .. هكذا .. وهو مبلل .. لزج .. مشعث الشعر زائغ العينين . انها تذكر جيداً ان رائحة السمك الملتصقة به كادت تودي بها الى الاغماء لكنها تمسكت بطرف السرير وقالت بسخرية مرة :

ـ هكذا إذن .. تنطوي على نفسك فجاة .. تتحاشى البيت .. وابنك .. تتحاشاني انا تدخل وتخرج متجهماً .. بلا تفسير .. بلا سبب بلا كلمة واحدة .. فقط هذه النظرات التي تلهبني بسياطها .. والآن تقول لي اذهبي الى اهلك .. خذي حاجياتك .. ابني ستاخذه مني عندما يبلغ السن القانونية .. النفقة ستقذفها في وجهي .. وحقوقي .. آه .. تتكلم عن حقوقي وانت تطردني من بيتي لأن الناس قالوا لك انك لا تعرف زوجتك .

وايقظها من كابوسها صوت زوجها بجانبها . قال في شرود :

ـ مسكينة .. هؤلاء الجارات السليطات تسلقنها بالسنتهن الحادة .. ماذا ستفعل الآن ؟

قالت له فى ذهول :

ـ وماذا يمكن ان تفعل ؟

وانتظـرت .. لكنـه لم يجـب .

وفكرت (: ـ لا شيء ليس باستطاعتها ان تفعل شيئاً . فقط تستطيع أن تصلي لكي تتغير الرياح فلا تغرق سفينتها . فقط تستطيع أن تسعد بكلمة « آسف » من زوجها و « من اين لي أن أعرف ؟ » وان تحتفظ بالشرخ خبيئاً في داخلها وان تطلق للريح ساقيها)

عندما انيرت الصالة اغمضت عينيها في ضيق .. كانت عيناها متورمتين من البكاء . وتمطى زوجها واقفاً وعلق وهو ينظر الى عينيها :

ـ نعم . انها حقاً قصة مؤثرة .

بعد أن تجاوزا الازدحام اتخذا سبيلهما نحو السيارة التي كانت في آخر الشارع . أحست بنسائم الليل المنعشة تخترق مسامها ، ونظرت الى السماء المرصعة بنجوم تتوهج في صفاء ، والتقطت أسماعها أصواتاً مختلفة .. احاديث . زمامير . صياح السائقين.ولم تتمالك نفسها قالت :

ياالهي .الم اقل لك انها ليلة حلوة ؟ .. يجب أن نسهر معاً مراراً .

ـ نعم .. عندما تسنح الظروف .

ولفتت انتباهه تلك الممثلة ذات الوجه الممصوص قال :

ـ هاهي ذي جارتنا . لكثرة ما اسمع منك ومن الجيران عن سيرتها الـ .... اتمنى لو كان بامكاني الا اقول عنها جارتنا . اما زوجها .. فهو .. ماذا اقول عنه .. رجل طيب

قال العبارة الأخيرة وابتسامة ذات مغزى تصافح شفتيه . ونظرت هي بدورها صوبها .. هذه المرة رأتها تلبس ثوباً عادياً وشعرها قصير مسدل على كتفها وقد وضعت يدها على خاصرتها واستغرقت في الحديث .. حولت نظراتها عنها الى داخل السيارة . قالت :

ـ بامكانك الا تقول ذلك بعد الآن .

ـ كيف ؟

ـ الم تسمع . لقد طلقها زوجها .

واضافت بعد تثاؤب :

ـ اتظن أن الأولاد قد ناموا الآن ؟ ...

أخطاء لغويّة معاصرة

الدكتور عبد الله العبادي

جامعة قطر

كتبت فى مجلة «الدوحة» العدد ٨٥ عن بعض الاخطاء اللغوية المعاصرة وأعود مرة أخرى لأنبه القراء ، والكتاب الكرام لبعض الاخطاء اللغوية المعاصرة ، والسارية حالياً على الألسن والأقلام . فمن ذلك :

كفيفون :

ويجمعون كذلك كفيف البصر على «اكْفِياء» ، و «مكافيفٌ» و «كَفَيْفُوْن» فيقولون مثلا : اجتمع كفيفو البصر فى مكان واحد ، والصواب جمع «كفيف» على «أكِفّاء» لأنها صيغة مضاعفة اتت على وزن (فعيل) مثل عزيز : اعِزّاء ، وذليل : اذِلّاء ، وعفيف : اعِفّاء ، وخليل : اخِلّاء قال تعالى (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) الزخرف ٦٧ .

اما «مكفوف» وهو فاقد البصر ايضاً فيجمع على «مكافيف» اما «الأكفياء» فهو جمع لكَفِيّ على وزن «فَعِيْل» اصله كَفِيْيٌ ثم ادغمت الياء فى الياء كنَبي : انبياء وصَفي : اصفياء : وتقي : اتقياء ..

مُهاب :

ويقولون كان رجلا مهاباً (اى يهابه الناس) والصواب كان رجلا مَهيباً من هابه يهابه من باب (علم يعلم) اصلُها «مَهْيوب» على وزن «مَفْعول» تحركت الياء وما قبلها حرف صحيح ساكن ، فنقلت الحركة الى الهاء فالتقى ساكنان الياء والواو ، فحذفت الواو فصارت «مَهُيْب» ثم كسر ما قبل الياء ، لأن الياء يناسبها كسر ما قبلها فصار «مَهْيب» على وزن «مَفْعِل» وهو هائب وَهُيوب وهَيُوْبَة ، وهَيّاب وهَيّب وهَيْبان وهَيّابه يخاف الناس (جبان) .

اما الذى يخافه الناس ويهابونه فهو مَهُوب ومَهِيب وهَيُوب .

بواسل :

وكثيراً ما نسمع من الاذاعات ونقرا فى الصحف . وقد قام الجنود «البواسل» بواجبم خير قيام ، ويقصدون بذلك جمع « باسل » وهو الرجل الشجاع ، والصحيح لجمع «باسل» «بسل» و «بسلاء» ذلك ان الجمع على «فواعل» من صفات المذكر العاقل لم تات إلا فى ثلاث كلمات : هى هالك ، وفارس ، وناكس ، فتصبح هوالك وفوارس ونواكس ، اما بواسل فهو جمع لباسلة ، وقد اجاز بعضهم ذلك اى جمع باسل على بواسل ، لانه قد وجد فى العربية غير ما ذكر : كسابق وسوابق ، وسابح وسوابح وحاسر وحواسر ، وعاجز وعواجز . ولكن الافضل كما ذكرنا .



اَكْفِياء :

ونجد اكثر الكتاب المعاصرين يجمعون «كفء» بمعنى (متمكن من عمله) على اكْفِياء ، او اكِفّاء فيقولون مثلا : رجال اكْفِياء او اكِفّاء فى اعمالهم ، والصواب «اَكْفَاء» بسكون الكاف كبرء وابراء ، وجزء واجزاء ، وقرء واقراء ، لأن الهمزة ليس اصلها باء حتى تقلب الى ياء .

بؤساء :

ومن الاخطاء الشائعة قولهم «انشات الجمعية داراً تضم «البؤساء» والفقراء والمساكين» ويقصدون مفرده «البائس» اى المحتاج ومنه قوله تعالى (فكلوا منها واطعموا البائس الفقير) ٢٨ الحج .

والصواب لجمع البائس «بُؤُس» على وزن «فُعْل» إذا كان جمع تكسير قال الشاعر :

قد ضقت من حبها ما لا يضيقني
حتى عددت من البؤس المساكين

او يجمع على جمع مذكر سالم فيقال «بائسون» فى حالة الرفع «وبائسين» فى حالة النصب والجر .

اما «بؤساء» فهو جمع «بئيس» وهو الرجل الشديد القوى ، ماخوذ من الباس ، وهو القوة والشدة ، قال تعالى (قالوا نحن اولوا قوة واولوا باس شديد) النحل ٢٣ وجاء على صيغة «فَعِيْل» فى قوله تعالى (واخذنا الذين ظلموا بعذاب بَئِيْس بما كانوا يفسقون) الاعراف ١٦٥ و «فَعِيْل» إذا جاء وصفاً لمذكر عاقل جمع على «فُعَلاء» ككريم وكرماء ولئيم ولؤماء ، وسقيم سقماء .

قلق الانتظار

شعر: فتحيــة عجــلان
البحــريــن



انتظر الموعد ،
قلبى يهذى
ويغنى
ويدندن بالموت القابع خلف ضلوعى
هل تامرنى أن اقصى الناس عن الطرقات لكى تاتى
لاخبىء جلدى طفل عيونى فى عينيك ؟؟
اشياؤك عندى سائلة
هل تدرى موعدك الآتى جاء كصوت الريح ؟
اهتزت اجزاء فؤادى
يا موعده القزحى ترجل خلسه
يا موعده القزحى ترجل
عانق باقة قلبى ،
كان حصانك يكوى بالنار
اتيت ولم تات
اندس هروباً ما بين عيونك والجفن
ارى غابات النور الوردية ،
يكتظ فؤادى عرقاً من وجهك يحلم بالعرس
فادفن فى عافيتى أموات الحب
تهرب من وجهى احلام نارية
فى الليل اداس
تركلنى الخيل هنا وهناك
الليل المجنون الوجنات يخابرنى
انك تنوى الهجر ولن تاتى قسراً
فانا لم أنضج كالتفاح
وأنا لن أسقط كالتفاح
على عتبات السوق تغربت
أدرت عيونى
من يدخل بؤرة عينى ، يشربنى حلماً
واقفة ابقى
واقفة
اطلع فى نسغ الأفراح .

في العدد الماضي ناقش الكاتب بعض قضايا النظام الاقتصادى فى الاسلام مثل العدالة الاجتماعية والزكاة ونظام التملك وفى هذا القسم الثانى والاخير من البحث يواصل مناقشة النظام الاقتصادى الاسلامى فى عدد آخر من قضاياه :

حقيـــــقة موقــــــف الإســــلام من الـــرِّق والرِّبــــا

النظام الاقتصادي في الإســــــلام

بقلم: الدكتور السيد محمد بدوي

ملكية الأرض :

يعتبر الاسلام أن الأرض في الأصل ملك لله ولا يملكها أحد إلا بتوريثه تعالى : « ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » (سورة الأعراف : ١٢٧) وفى الحديث الشريف : « الأرض أرض الله ، والعباد عباد الله » .

ان الملكية الخاصة صفة متممة لحرية الفرد ، أو وضع ضروري لتحقيق حريته ، وهي ايضاً عون على الدين . كما أن اتاحة الملكية الخاصة تعليم للانسان لحمل المسئولية واختيار وجوهها . لذلك شجع الاسلام على الملكية الخاصة للأرض عن طريق الاقطاع و الاحياء .

واقطاع الأرض هو اعطاؤها وتمليكها لمن صلح لذلك . اما الاحياء فهو مباشرة موات الأرض ، أي التي لم يجر عليها ملك أحد بتأثير شيء فيها من أحاطة ، أو زرع ، أو عمارة ونحو ذلك . فالاسلام يملكها لمن يحييها ، إذ في الحديث الشريف : « من أعمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها » .

ومجمل القول أن الاسلام لا يحرم ملكية الأرض ، ولكنه يسمح بها في حدود **بوآسطة إحياء الأرض الميتة أو بواسطة زرع الأرض الزراعية . والشرط الاساسى فى جميع تلك الطرق هو «العمل» . فان أهمل المقطوع عليه أرضه المملوكة ، أو تغاضى محيي الأرض الميتة عنها بعد إحيائها ، أو لم يزرع الأرض مالكها ، تتاح له حينئذ فرصة ثلاث سنين ، فان لم ينتهز الفرصة ، ولم يقم بعمل فيها فى تلك المدة ، تؤخذ وتوزع على غيره ممن يستطيع** القيام باعمالها من المسلمين .

طرق تنمية الملكية :

يتدخل التشريع الاسلامي ايضاً في طريقة تنمية المال ، والتعامل به . فلكل فرد الحرية في تنمية أمواله ، لكن في الحدود المشروعة : له أن يفلح الأرض ، وأن يحول المواد الخام الى مصنوعات ، وله أن يتجر الخ ... ولكن ليس له أن يغش ، أو يحتكر ضروريات الناس ، او أن يعطي أمواله بالربا ، أو أن يظلم في أجور العمال ليزيد من أرباحه . والاسلام يحرم كذلك حبس المال عن التداول والانفاق لأن حبسه تعطيل لوظيفته . والجماعة في حاجة الى تداول أموالها لتنمي الحياة في شتى مظاهرها وتضمن الانتاج في أوسع ميادينه وتهيىء للعاملين وسائل العمل ، وللانسانية طريق النشاط . وحبس المال يعطل هذا كله ، فهو حرام ، في نظر الاسلام لما فيه من تعطيل للصالح العام .

الاسلام ونظام الرق :

كل انسان له في الاسلام قدسية الانسان وللجنس البشري كله كرامته التي لا يجوز أن تستذل إذ يقول القرآن : « ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » . (سورة الاسراء : ٧٠) . ومعنى هذه الآية الكريمة أن الله قد كرم بني آدم بجنسهم ، لا بأشخاصهم ولا بعناصرهم ولا بقبائلهم . فالكرامة للجميع على سبيل المساواة المطلقة . للناس جميعاً كرامتهم التي لا يجوز أن ينال منها أحد ، وللناس جميعاً حرماتهم التي لا يجوز أن ينتهكها الآخرون

هذه الكرامة هي سياج من الحصانة ينشره قانون الاسلام على كل فرد من البشر يصونون به دمه أن يسفك ، وماله أن يغتصب ، وعرضه أن ينتهك ، ومسكنه أن يقتحم ، ونسبه أن يبدل ، ووطنه أن يخرج منه ، وضميره ان يتحكم فيه قسراً ، وتعطل حريته خداعاً ومكراً .

وبهذه الكرامة يحمي الاسلام اعداءه ، كما يحمي أبناءه وأولياءه . نعم انه يحمي أعداءه فيحول دون قتالهم إلا اذا بدأوا بالعدوان ، ويحميهم في ميادين القتال نفسه ، إذ يؤمنهم من النهب والسلب والغدر والاغتيال .. هذه الكرامة التي كرم الله بها الانسانية في كل فرد من أفرادها ، والتي جعلها الاسلام درعاً واقياً يدرأ به عن الانسانية نزوات الطغاه والجبارين ، هــل أشــعر الاسـلام بهـا الضـعفاء والمستضعفين ؟ لقد شكك بعضهم فى هذا الأمر حين تساءلوا : لماذا لم يبت الاسلام ، بشكل قاطع في الغاء الرق ؟

ما من شك في أن الاسترقاق اهدار لكرامة الانسانية ،فكيف يوافق عليه ويقره الاسلام الذي أعلن كرامة الانسان ؟

ان الذين يلصقون هذا الاتهام بالاسلام قوم يشهد تاريخهم بانهم هم الذين انشأوا الرق أبيضه وأسوده وانهم جاوزوا فيه الحدود ، ولم يكفهم استرقاق الأفراد

فعمدوا الى استرقاق الأمم والشعوب . ومازلنا نشهد حتى اليوم فى بعض البلاد التي تسود فيها التفرقة العنصرية ، أن الزنجي يحرم عليه الزواج بالبيضاء ، بل يحرم عليه ارتياد الأماكن التي يرتادها البيض ، والجلوس بجانبهم في المركبات العامة .

ولقد كانت الشرائع والقوانين القديمة تفتح باب الرق على مصراعيه : فكان جزاء القاتل أن يكون عبداً لولي الدم ، وكان المدين الذي يعجز عن وفاء دينه ينقلب مملوكاً لدائنه . وكان السلطان المطلق المخول لرب الأسرة على أعضائها يبيح له أن يقتل منهم من يشاء ، وكان نير العبودية متى وضع على عنق فلا فكاك لها منه أبد الدهر ، الا أن يتفضل السيد بفكها بمحض ارادته .

هكذا كانت أوضاع المجتمع قبل ظهور الاسلام . فلما جاء الاسلام أعلنها حرباً شعواء على هذه الأوضاع كلها لأنها لا تتفق مع مبادئه في الحرية وارساء قواعد المساواة والعدالة . ولكنه وفقاً لسياسته الحكيمة في تغيير النظم الفاسدة ، لم يشأ أن يبطل الرق بجرة قلم . بل سار في الغائه تدريجياً كما فعل في تحريمه للخمر وتحريمه للربا . ذلك لأن النظم والعادات المتأصلة في بنية المجتمع ، قد يصعب استئصالها دفعة واحدة أو تبديلها من النقيض الى النقيض .

لقد كانت سوق الرقيق رائجة في جميع المجتمعات ، ومنها المجتمع العربى ، وكان الحريق أعظم من أن تطفئه نفخة واحدة ، والداء أوسع من أن يعالج بجرعة واحدة من الدواء .

فما كان من الاسلام الا أن ضرب نطاقاً حول النار حتى لا يتسع لهيبها ، وفتح أبواباً لينطلق منها كل من استطاع النجاة من داخل هذا النطاق .

فأما النطاق الذى ضربه الاسلام حول الرق ، فهو ذلك القانون الذي منع به استرقاق الاحرار وأمنهم منه بعد أن كانوا مهددين به من كل جانب . ولم يعد البيع ولا الشراء ، ولا التغلب في المشاجرات والغارات ، ولا تحكم رب الأسرة ولا العجز عن وفاء الدين ، ولا السرقة ولا القتل ، لم يعد شيء من ذلك كله ، منذ ظهر الاسلام ، يصلح مبرراً لاستعباد الانسان .

وقد يقال أن الاسلام قد ترك باباً للاسترقاق لم يغلقه ، ونعنى به أسرى الحرب كأرقاء فى الحرب الاسلامية المشروعة ، وهى التى يعتدى فيها الكفار على بلاد الاسلام . ولكن حتى فى مثل هذه الحالات فان الاسلام لم يلجأ الى استرقاق الاسرى الا نزولا على حكم الضرورة ، واتقاء لخطرهم ، وكسراً لشوكتهم وشوكة قومهم . ولم يجعل هذا الاسترقاق مصيرهم النهائى ، بل اتخذه اجراء مؤقتاً حتى تتاح الفرصة لتحريرهم .

أما عن الوسائل التى أعدها الاسلام لمكافحة الرق ، وأعنى بها تلك الأبواب الواسعة الكثيرة التى فتحها الاسلام لاخراج الأرقاء الى فضاء الحرية ، فأولها حث المؤمنين على عتق الرقاب وترغيبهم فيه بمختلف الوسائل « فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة » .

وثانى هذه الأبواب جعل مقدار من الصدقات لافتداء الأسرى ، وتحرير المستعبدين : « انما الصدقات للفقراء والمساكين ... وفى الرقاب » .

وثالثها قانون الكفارات ، وهو القانون الذى يجعل عتق الرقاب فريضة لازمة لمحو خطيئة من الخطايا ، وغير ذلك . بل ان الاساءة التى تقع من السيد فى حق العبد نفسه تكون كفارتها عتقه ، وفى ذلك يقول الرسول : «من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه . »

أما الأرقاء الذين ظلوا على حالهم لسبب أو آخر ، فقد عاملهم الاسلام معاملة انسانية وكان يحاول ادماجهم فى مجتمع الاحرار بكل وسيلة ممكنة . فزوج الرسول ابنة عمته « زينب بنت جحش » ، سليلة قريش الهاشمية من مولاه « زيد » والزواج مسألة حساسة ترتفع فيها قضية المساواة الى أفق دونه كل أفق .

ويروى عن عمر بن الخطاب أنه مر يوماً بمكة فرأى الخدم وقوفاً لا يأكلون مع سادتهم ، فغضب وقال لسادتهم مستنكراً : ما لقوم يستأثرون على خدامهم ؟ ثم دعا الخدم للأكل مع السادة فى وعاء واحد .

وكان المجال مفتوحاً أمام الموالى ليبلغوا أقصى مراتب المجد فى كل اتجاه : فبعث الرسول « زيداً » مولاه قائداً فى غزوة من الغزوات ، ثم بابنه « أسامة » قائداً لغزو الروم فى جيش يضم كثرة من المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وفيهم عمر. وبعد ذلك نرى عمر بن الخطاب يولى عمار بن ياسر على الكوفة ، وهو أحد الموالى .وفى مصر تولى الفتى « يزيد بن أبى حبيب » فى أيام عمر بن عبد العزيز ، وهو مولى أسود من دنقلة .

وهكذا نرى أن الاسلام قد عمل بكل الوسائل على تصفية نظام الرق ، وشمل الأرقاء بعطف سابغ ، ورعاية كاملة حتى يتم تحريرهم ، وحث المؤمنين على عتق الرقاب اكتساباً للثواب والمغفرة .

موقف الاسلام من التعامل بالربا :

كان العرب فى الجاهلية يتبعون أهواءهم ونزعاتهم المادية فى أكثر عباداتهم ومعاملاتهم . وكان من ذلك تعاملهم بالربا بدون قيد ولا عرف ولا تشريع . ولعل مرد هذا أولا : الى نزعة الاستكثار ، وحب الكسب التى تنمو عادة فى البيئات التى تزدهر فيها التجارة ، كما هو الحال فى مكة وثانياً : الى علاقتهم المستمرة باليهود ، الذين هم جيرانهم وأبناء عمومتهم .

ولعلنا نعجب أن تكون مجاورتهم لشعب ذى شريعة سماوية تحرم الربا سبباً فى تشجيعهم على التعامل به . ولكن الذى يزيل هذا العجب ، أن هذه الديانة نفسها ـ حسبما ورد فى كتب أهلها ـ تبيح الربا كما تحرمه ـ فنقرأ فى العهد القديم أو التوراة « اذا اقرضت مالا لأحد من ابناء شعبى ... فلا تقف منه موقف الدائن لا تطلب منه ربحاً لمالك » (الآية ٢٥ من الفصل ٢٢ من سفر الخروج) وفى موضع آخر : « اذا افتقر أخوك فاحمله ، لا تطلب منه ربحاً ولا منفعة » (الآية ٣٥ من الفصل ٢٥ من سفر اللاويين) . ولكننا بكل أسف ، نجد فيها نصاً آخر يقيد فيها هذا التحريم ، ويجعله خاصاً بالشعب العبرانى ، بحيث يسوغ لليهودى أن يأخذ الربا من غير اليهودى . ففى (الآية ٢٠ من الفصل ٢٣ من سفر التثنية) « الأجنبى تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكى يباركك الرب ») .

ولما لم يكن فى هذا النص تحديد قانوني لقدر الربا المأذون فيه كان ذلك فتحاً لباب الاستغلال المالي على مصراعيه بحيث يدخله أشد أنواع الربا فداحة وافراطاً .

وهكذا كان هذا النص المنسوب للقانون الموسوي سبباً فيما نرى ـ أو جزءاً كبيراً من السبب ـ لا فى بقاء التعامل بالربا فى العالم اليوم فحسب بل فى تهوين أمره على كثير من النفوس ، واتخاذهم اياه أمراً مشروعاً فى بعض الأحوال .

فنجد أن العرب فى الجاهلية قد اعتادوا أن يقترضوا بالربا من اليهود ، وأن يتقارضوا به فيما بينهم دون أن يجدوا فيه حرجاً ولا غضاضة . وقد عرفت لهم فى ذلك أنواع مختلفة من العقود الربوية . وأكثرها انتشاراً فيما بينهم كانت تبدأ المحاسبة فيه ـ على ما ظهر ـ من السنة الثانية ، بمعنى أن الدائن لا يطلب من مدينه شيئاً وراء رأس المال اذا وافاه دينه فى أجله المعلوم . فان لم يستطع أداءه فى ذلك الأجل اتفقا على تأجيله سنة ثانية فى مقابل زيادة

النظام الاقتصادي في الإســـــلام

يختلف مقدارها حسب التراضي بينهم . وكان عندهم نوع آخر من هذه العقود الربوية ، وهو أن يأخذ منه فائدة معينة كل شهر ، فاذا جاء آخر السنة ولم يرد رأس المال اتفقا على فوائد أخرى للتأخير .

التعامل بالربا فى العصر الحاضر :

عندما تأزمت الأمور فى بعض البلاد الاسلامية ، وجد الشعب نفسه أمام محظورين لا مخرج له منهما : اما أن يلجأ الى المرابين الذين ليس فى قلوبهم رحمة يقترض منهم بأفدح الربا ، واما أن ينشىء شركة مالية برؤوس أموال وطنية يقترض منها المحتاجون بشروط غير مجحفة .

ومالت بعض النفوس الى اختيار الحل الثانى ، غير انه وقفت أمامها اعتبارات دينية قوية ، اذ كيف تقوم فى بلد اسلامى مؤسسة مالية مخالفة لقواعد القرآن ؟

وعرضت مختلف الآراء فى الموضوع من حيث تحقيق المبدأ الاسلامى ، فالتقت آراء اكثر المفكرين على رفض المشروع من الوجهة الدينية . غير أن فريقا آخر أيد الفكرة معتمداً على نص الآية الكريمة : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة » (آل عمران ١٣٠) . وفسر هذا الفريق هذه الآية بأن الربا المحظور فى الاسلام انما هو الربا الذى يصل الى مثل رأس المال فهو محل بحث واختلاف فى نظرهم . وسوف نبين ، فيما يلى فساد هذا الـرأي .

حكم الربا مستمداً من القرآن الكريم:

ما حقيقة الأمر فى نظر الشريعة الاسلامية ؟ وهل يبيح الاسلام ، حقا ، التعامل بالربا اليسير ؟ ان القرآن الكريم ، فى معالجته لأمراض المجتمع ، لا يأخذها بالعنف والمفاجأة ، بل يتلطف فى السير بها الى الاصلاح على مراحل مترتبة ، متصاعدة ، حتى يصل بها الى الغـايـة المنشودة .

كان هذا هو منهجه فى شأن الخمر ، فلم يبطله بجرة قلم ، بل لم يحرمه تحريماً كلياً الا فى المرحلة الرابعة من الوحى . أما المرحلة الأولى (التى نزلت فى مكة) فانها رسمت الوجهة التى سيسير فيها التشريع وأما المراحل الثلاث (التى نزلت بالمدينة) فيتضح فيها التدرج نحو التحريم النهائى : اذ بدأت المرحلة الثانية ببيان مجرد لآثار الخمر ، وأن اثمه أكبر من نفعه ، وفى المرحلة الثالثة نجد تحريماً جزئياً له . أما فى المرحلة الرابعة والأخيرة فان التشريع القرآنى يحرمه تحريماً كلياً قاطعاً .

هذا المنهج التدريجي هو الـذي سـلكه القرآن الكريم فى تحريم الربا : فقد تناول القرآن حديث الربا فى أربعة مواضع أيضاً وكان أول موضع منها وحياً مكياً ، والثلاثة الباقية مدنية . وكان كل واحد من هذه التشريعات الأربعة متشابها تمام المشابهة لمقابله فى موضوع الخمـــر .

ففى الآية المكية يقول الله تعـــالى : « وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكـاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » (سورة الروم ٣٩) .

معنى هذه الآية أن الربا لا ثواب له عند الله ، ولكنها لا تشير الى أن الله ادخر لآكله عقاباً . وهذا بالضبط نظير ما جاء فى آية الخمر المكية الأولى : « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ، ورزقاً حسناً ، ان فى ذلك لآية لقوم يعقلـون » (النحل آية ٦٧) . اذ تشير هذه الآية برفق الى أن ما يتخذ سكرا ليس من الرزق الحسن ، دون أن تقول انه رجس واجب الاجتناب .

أما الموضع الثانى فكان درسا وعبرة قصها علينا القرآن من سيرة اليهود ، الذين حرم عليهم الربا فأكلوه وعاقبهم الله بمعصيتهم .

« وأكلهم الربا ، وأكلهم أموال الناس بالباطل ، وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً » . (النساء آية ١٦١) .

وواضح أن هذه العبرة لا تقع موقعها إلا إذا كان من ورائها اتجاه نحو تحريم الربا على المسلمين . ولكنه حتى الآن تحريم بالتلويح لا بالنص الصريح . هذا الاسلوب كان من شأنه أن يدع المسلمين في موقف ترقب وانتظار لنهي يوجه اليهم قصداً في هذا الشأن . وهو نظير ما وقع بعد المرحلة الثانية في الخمر : « يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ، ومنافع للناس ، واثمهما أكبر من نفعهما » . (البقرة ٢١٩) . فمن هذه الآية استشعرت النفوس ما جاء في المرحلة الثالثة من نهي عن الخمر ، ولكنه لم يكن إلا نهياً جزئياً ، في أوقات الصلاة : « يا أيها الذين آمنو لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى » (النساء ٤٣)

وكذلك لم يأت النهي الصريح عن الربا الا في المرحلة الثالثة ، ولم يكن أيضاً إلا نهياً جزئياً عن الربا الفاحش ، الربا الذي يتزايد حتى يصير أضعافاً مضاعفة : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون » . (آل عمران ١٣٠) .

وكما جاءت الحلقة الأخيرة في تحريم الخمر بقوله تعالى : « انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » ، وردت الحلقة التي ختم بها التشريع في الربا ، وفيها النهي الحاسم عن كل ما يزيد عن رأس مال الدين ، حيث يقول تعالى ، « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ، وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » (البقرة ٢٧٨ ـ ٢٨١) .

هذه هي نصوص التشريع القرآني في الربا مرتبة على تسلسلها التاريخي .

ومنها نرى بوضوح ان الفئة التي تزعم أن الاسلام يفرق بين الربا الفاحش وغيره ، لم تكتف بأنها خالفت اجماع علماء المسلمين في كل العصور ، بل انها قلبت الوضع التاريخي ، إذ اعتبرت النص الثالث مرحلة نهائية . بينما هو لم يكن إلا خطوة انتقالية في التشريع : لم يختلف في ذلك محدث ، ولا مفسر ولا فقيه .

حكمة التشريع القرآني :

بعد أن وضحنا موقف القرآن الكريم من التعامل بالربا ، نجد انفسنا الآن أمام سؤالين هامين :

● ما هي الأسباب المعقولة لهذا التحريم الصارم للمعاملة الربوية ؟

● هل الحياة الاقتصادية في حالتها الحــاضرة تعـد طرفاً اسـتثنائياً يترخص فيه بمخالفة هذا القانون ؟

أما من حيث معقولية التحريم أو عدم معقوليته فانها قد أثيرت في عهد النبوة على لسان العرب أنفسهم . فقد استنكروا التفرقة بين (البيع) و (الربا) ، فنزل القرآن بأن البيع ليس مثل الربا « فقد أحل الله البيع وحرم الربا » (سورة البقرة ٢٧٥) .

يجب إذن أن يكون لهذا النهي عن التعامل بالربا دعائم قوية معقولة . فما تلك الأسباب ؟

● أولا : من الناحية الخلقية ، يستنكر الضمير الانساني أن يطالب بتعويض مالي عن شيء يعيره الانسان لمن يحتاج اليه ، أو مساعدة يقدمها لغيره .

● ثانيا: من الناحية الاجتماعية، تصبح حياة المجتمع جحيما لا يطاق إذا لم نفسح فيها مجالا لفكرة البر والتعاون والتضامن والتراحم . كما أن تقرير الربح لصاحب المال فيه محاباة للمال ، وايثار له على العمل . فتحريم الربا كتشريع اجتماعي يمنع هذه المحاباة لرأس المال على حساب الجمهور الكادح ، ويؤدي الى تحقيق نوع من التجانس والمساواة بين افراد الأمة . والقرآن الكريم يرسم دستور هذه السياسة حيث يقول : « كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم . »

ثالثا: من الناحية الاقتصادية ، إذا أشركنا المقرض في الربح الناشيء من تشغيل المال المقترض ، وجب علينا أن نشركه أيضاً في الخسارة النازلة . وهذا ما لا يحدث في حالة الربا . إذ يحصل صاحب المال وحده على الفائدة ويتحمل المقترض وحده الخسارة .

وتحريم الربا معناه - قانونا - أن المقترض يصبح المالك الوحيد للمال ، وهو حر التصرف فيه ، واذن فهو ليس ملزماً بتعويض منافعه لأحد من الناس .

أما عن حكم التعامل بالربا في وقتنا الحاضر ، وفي ظروفنا الراهنة ، ليست قضية (مبدأ) ولكنها قضية (تطبيق) . وقد وضع الاسلام الى جانب كل قانون ، بل فوق كل قانون ، قانونا اعلى يقوم على الضرورة التي تبيح كل محظور . يقول الله تعالى : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه » (الانعام ، ١١٩) . ولكن قبل أن تلجأ الى قانون الضرورة يجب أن نبدأ باستنفاد كل الحلول الممكنة المشروعة في الاسلام .

رأينا مما تقدم أن النظام الاقتصادي الاساسي يشتمل على العناصر الصالحة في أكثر المذاهب الاقتصادية الحديثة . وينقسم العالم اليوم على أساس هذه المذاهب الى معسكرين كبيرين : الرأسمالى والشيوعي .

وتسعى الرأسمالية كما تسعى الشيوعية لكسب العالم الاسلامي واحتوائه . ومن البديهى أن هذا السعى لا ينظر لمصلحة الاسلام ، وانما يتم بغرض المصلحة الذاتية لكل من النظامين .

وليس مما يجوز ان نقارن بين الاسلام والرأسمالية والشيوعية ، لأن الشيوعية والرأسمالية مذهبان ، والاسلام دين . ولا يجوز المقارنة الا بين متساويات . وكل ما نستطيعه أن نتحدث عن موقف الاسلام من الرأسمالية والشيوعية .

والحقيقة الأساسية التى نحب أن نقررها هى أن النظام الاقتصادى الذى شرعه الاسلام ، يختلف عن أى نظام آخر . ولقد سبق الاسلام هذين النظامين ، فهو ليس واحداً منهما ، وهو ليس خليطاً منهما ، وهو ليس مستمداً من مجموعيهما . انما هو نظام قائم مستقل بذاته .

تضع الرأسمالية الفرد فى بؤرة اهتماماتها ، وتضع الشيوعية الدولة فى بؤرة الاهتمام - والاقتصاد « حر » فى النظام الرأسمالى ، وهو « موجه » فى النظام الشيوعى . والحكم فى النظام الرأسمالى ديمقراطى الواجهة ، وان حكمت المؤسسات ورؤوس الأموال ، بينما الحكم فى النظم الشيوعية يقوم على ديكتاتورية الطبقة العاملة .

وعلى حين يضحى النظام الرأسمالى بالعدالة الاجتماعية من أجل الفرد ، فان الشيوعية تضحى بالفرد من أجل عظمة الدولة . وهكذا يتنازل كل نظام من النظامين عن شىء فى مقابل شىء آخر . وقد نشأ كل نظام منهما كرد فعل للظروف السائدة فى مجتمعه وعصره .

أما النظام الاسلامى فهو . كما قلنا ، نظام الهى ، وضعه خالق الانسان ليحقق به التوازن الذى تصلح به حياة الانسان . والفرق الرئيسى بين النظام الاسلامى ، وغيره من الأنظمة ، أن الاسلام يربط الفرد بالله . فالولاء لله تعالى يسبق ولاء الانسان لنفسه ، أو أهله أو ماله - يقول تعالى : « قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها ، أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى ياتي الله بأمره . والله لا يهدى القوم الفاسقين . »

ان هذا النص يجعل الصلة بالله والرسول ، والجهاد فى سبيل الله معيار التقوى . وهذا النص يميز نظام الاسلام عن غيره من الأنظمة : فهو نظام يرتبط فيه الفرد بالله ، ويتلقى منه التشريع والقواعد العامة فى السلوك . ويتدخل الاسلام فى كل شىء : فهو ينظم قواعد العبادة ، وينظم علاقة الزوج بزوجته ، وينظم المواريث والوصية ، كما يضع القواعد العامة للحكم

فيقوم الحكم فى الاسلام على الشورى لقوله تعالى : « وشاورهم فى الأمر » . وهذه الشورى تختلف عن ديمقراطية الغرب .. كما تختلف عن حكم الطبقة العاملة .

ويقوم النظام الاقتصادى فى الاسلام على مبدأين أساسيين هما : أن المال مال الله « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » (سورة النور) ، ثم انه ، والأمر كذلك ، فان المسلمين خلفاء لا أصلاء فى ادارة هذا المال واستثماره ، « آمنوا بالله ورسوله ، وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » (سورة الحديد) .

وفى ضوء هذين الاعتبارين يقر الاسلام الملكية الفردية فى مظهريها التصرف والانتفاع . ولكن شرط بقاء هذه الوظيفة هى الصلاحية للتصرف

وعندما يكون هناك ظرف استثنائى يواجه المجتمع ، فان للاسلام موقفاً آخر . والحديث يقول « اذا جاع المسلمون فلا مال لأحد » . ولقد أوقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حد السرقة ، المقرر بنصوص واضحة فى القرآن ، عندما حلت المجاعة بالمسلمين ، اجتهاداً منه ، وايمانا بان الحدود حكمة ينتفى التطبيق لو انتفت .

وفى القرآن نص يهدد الذين يكنزون الذهب والفضة بعذاب جهنم ، وهذا العقاب الأخروى يعنى أن هناك جريمة أرتكبت فى الدنيا . ومن حق الحاكم أن يمنع الجرائم على الأرض ، وأن يصادر الكنوز المعطلة . ويقوم النظام الاسلامي أيضاً ضد الربا الذى ينهض عليه النظام الاقتصادى الرأسمالى ، كما يقف مع العدالة الاجتماعية التى تقف معها النظم الاشتراكية .

ورغم هذا فان الخطأ أن نتصور أن الاسلام مع الاشتراكية ضد الرأسمالية ، أو مع الرأسمالية ضد الاشتراكية - فالاسلام كنظام يقف أصلا مع نفسه . هو نظام خاص له خلفيته الفكرية التى تصل الانسان بالله ، وله أسلوبه فى الحكم والسياسة والاقتصاد ، وله طابعه المميز الذى قد تتشابه معه بعض المذاهب والأنظمة أو لا تتشابه ، ومن قبيل الهزيمة الروحية أمام الغرب والشرق ، أن ننسب الاسلام لأى من أنظمة الشرق والغرب .

وليس يعنى انفراد الاسلام بأنظمته الحكم عليه بالاغتراب فى دنيا ليس فيها غير هذين النظامين . انما يعنى ذلك اعتقادنا باهمية ما بأيدينا من جوهر نهدره حين ننتسب الى الشرق مرة ، والى الغرب مرة .

فالأجدر بنا أن ننتسب الى النظام الذى يتفق مع عقيدتنا وتقاليدنا ومثلنا العليا . وأن نبحث ، وسط عالم لا يحترم غير القوة عن أسلوب نسترد به للاسلام قوته ، فنطهر به القلوب ونحكم به الحياة ، ولن يكون ذلك بالاستسلام لأى مذهب أو نظام ، اذ مرونة الاسلام وعظمته قد استوعبت جميع الثقافات والأنظمة فى نشاته الأولى ، وتمت حركة التاليف والترجمة والعلوم تحت راية التفتح العقلى للمسلمين الأوائل .

د . السيد محمد بدوى

النهايات
لعبد الرحمن منيف

بقلم: أبو المعاطي أبو النجا

توشك هذه الرواية ـ في حدود علمي ـ ان تكون أول قصيدة في الأدب العربي الحديث تقترب من عالم الصحراء ، فهي تجمع على نحو فريد بين سمات الشعر الوصفي الشجي الذي تمتزج فيه حدة البصر بنفاذ البصيرة ، وبين سمات الرواية الواقعية الفنية الراقية التي تجسد روح الجماعة في بطل فرد ، وتستكنه روح المكان في سلوك من يعيش فيه وما يضمه من بشر وحيوانات وطيور في لحظات يكون فيها المكان جنة مرة وجحيماً مرة أخرى .

ولا تقف هذه الرواية التي كتبها عبد الرحمن منيف عند حد هذا الطموح ، فبناؤها الفذ

الذي يقوم على احياء مجد الحكاية يتيح من خلال تطور الأحداث في هذه الرواية لأن تلعب الحكايات دوراً مزدوجاً ، فهي من ناحية تقوم بمهمة التطهير والتكفير والاستبصار عند اهل القرية وهي مهمة درامية يستدعيها تطور الحديث وهي من ناحية اخرى تمد ساحة الرواية في زمان ليتحقق نوع من التقابل الرائع بين مكان الرواية في قرية عند حدود الصحراء الممتدة ، وبين زمانها الذي يبدأ في الحاضر ليترامى عند النهاية بنفس امتداد الصحراء الى اغوار الماضي ، دون ان ينسى في لحظة الختام استشراف وجه المستقبل

لماذا لا نقترب من عالم الرواية بنفس الخطى التي يقترب بها المؤلف من قرية «الطيبة» ، التي تقع على الحدود بين الأرض التي تنبت العيون والحب والفاكهة والطيور ، وبين الصحراء التي تنبت الجراد ، والرياح المحملة بالأتربة الناعمة ، والطيور والوعول والأرانب البرية والغزلان وتجود بعد المطر بمرعى هنا ومرعى هناك ؟

ايقاع الحياة في الطيبة

لماذا لا نصغي الى المؤلف وهو « يحكي » عن الطيبة ، (واهلها الذين برعوا في الحكايات) ، بصوت منفرد ، تتنوع فيه النبرة وتتعدد مستوياتها بتعدد طرقات القرية وناسها وازمانها واحوالها وفئاتها حيث يبدأ بالحديث عن « القحط » الذي يتغلغل في تاريخ الطيبة ، وكانه جزء من قدرها ، يتوارث الأبناء عن الآباء والأجداد حكاياته ، يراه بعيون اهل الطيبة الذين يقرءون رموزه في الطبيعة وقبل مقدمه بشهور طويلة في الهواء القارس البرودة الذي يهب في الشتاء دون أن يسوق سحاباً في الطيور المهاجرة التي تمرق في سماء الطيبة جماعات عالية محلقة ، لانها تحس قبل غيرها بالنذر .

وحين تمضي شهور الشتاء كلها دون أمطار فان أشياء كثيرة تتغير في سلوك الناس ، فالمخاوف القديمة تتحرك في قلوب العجائز وتظهر في عيونهم حزناً دفيناً

صامتاً ، أما الآباء فتضيق صدورهم بأسئلة الأطفال عن التغير الذي تراه عيونهم دون أن يفهموا له سبباً متى نذهب للحصول على الفقع ؟ وهل سنجد من الفقع في هذه السنة كما وجدنا في السنة الماضية ؟

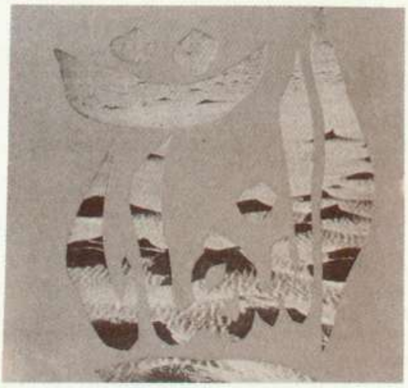
ويمتد التغير الى ابعد مما تستطيع عيون الأطفال أن تبصر أو تدرك ، فالرعاة والزراع الذين كانوا يتجولون في طرقات القرية يبيعون الشياه والفاكهة والبيض والدجاج ويبالغون فيما يطلبون من ثمن يختفون فجاة ، واذا ظهروا في أسمالهم البالية وقد سحبوا خلفهم شياهاً هزيلة فانهم يبدون وكانهم يريدون التخلص منها لا لبيعها ، وتصبح السكين هي الوسيلة لانقاذ الماشية من الموت جوعاً أو مرضاً ، وتنتشر الأمراض الغامضة ، ويرفض التجار اقراض المزارعين اي نقود بالأجل مالم ياخذوا في المقابل وثيقة برهن الأرض أو الدار حتى يستوفوا حقوقهم ويعتذرون بالآية الكريمة « واذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه » .

عودة الأبناء

ويعود ابناء قرية الطيبة الذين يعملون او يتعلمون في المدينة الى قريتهم وقد حملوا معهم كل ما قدروا عليه من الدقيق والسكر والعدس ليكونوا مع أهلهم في محنتهم فقد طالما منحتهم « الطيبة » في أيام رخائها الطيور واللبن والفاكهة ، طالما منحتهم ما هو أعظم ، الحب والانتماء وأوقات الصيد الممتعة حين كان ياتي هؤلاء الأبنـاء مع أصحـابهم ليخرجوا في رحلات لصيد الطيور والأرانب والغزلان ، تصبح زاداً للحديث طول العام ، ان رحلات الصيد التي كانت في الماضي لهواً ولعباً يدركها التغير هي الاخرى ، فمع أن الصيد في «الطيبة» وفي الظروف الطبيعية ليس مهنة إلا لاولئك الذين لا مهنة لهم من الكسالى والمخبولين – وهو لهو ولعب للتلاميذ وأصدقائهم من سكان المدن – فان العقلاء من ابناء الطيبة يزرعون ويرعون ويتاجرون ، لكن حين يجيء القحط أو ينذر بالمجيء ، حيث لا زرع ولا رعي ولا تجارة الا في أضيق الحدود فان نظرة القرية الى الصيد تبدأ في التغير ، ونظرتها الى مجانينها تبدأ في التحول فيقللون من الزراية بهم والاعتراض عليهم ، ثم يصبح هؤلاء المجانين حكماء القرية وعقلاءها على نحو ما ، وفي انقلاب صامت يتقدم هؤلاء المجانين لقيادة سفينة القرية الغارقة حين تهب العاصفة ،



عبد الرحمن منيف



غلاف رواية النهايات

ويتراجع الزراع والتجار والرعاة ، واذا كان لابد أن يكون هناك زعيم حتى للمجانين فانه حان الوقت ليدير المؤلف حكاية عن المجنون الأكبر «عساف» بطل هذه الرواية ، الذي يعرف أكثر من غيره مكامن الصيد في التلال القريبة والصحاري الممتدة ، ويعرف ابرع طرق الصيد ووسائله ، واذا كان عساف وكلبه في أوقات الرخاء هما مثار الفكاهة والتندر والعبث ، من الصغار والكبار ، واذا كانت القرية تنسب اليه كل المصائب التي تحل بها ، واذا كان عساف وكلبه هما أعظم معروفين ومجهولين في حياة الطيبة فان الأمور تختلف تماماً في أيام القحط ، فعساف الذي ينتمي الى القرية ولا ينتمي اليها يدرك على نحو هاديء أن هذا وقته ودوره ، وبلا ادنى موجـدة أو طموح ، ودون حساب أو عتاب أو مساءلة يبدأ يمارس دوره ، يذهب الى الصيد في الجبال والصحاري ، ويعود محملا – لأول مرة – بما يزيد كثيراً عن حاجته من الصيد ، ويبدأ في طرق أبواب يعرفها جيداً ، أبواب يغلقها الخجل والخوف والحاجة ، ولأنه يدرك أن الخوف أكثر ترويعاً من الجوع فانه يعلن عن وجوده بصوت مسموع قبل أن يطرق الأبواب المغلقة :

– عساف يمسي عليكم .

ويفتح عجوز أو يتيم أو ارملة ، ويلقي من فتحة الباب بعض الصيد ، ويمضي بلا توقف .

عالم الصيد

ومع عساف نتعرف اكثر على عالم الصيد ، على قوانينه ومراسيمه الخاصة التي لا يدركها الا المجانين الكبار من امثال «عساف» فهو حتى في أيام القحط يميز بين الطيور التي يجب أن تصاد وبين تلك التي يجب أن تترك لتعيش مثل انثى الحجل «فهي رزقنا الباقي» هكذا يقول عساف لمن يكونون معه في رحلة صيد وحين يشك في انهم فهموا اشياء يوضح لهم :

– « انثى الحجل صغيرة ... أما ديك الحجل فالوانه زاهية ويطير قبلها ، فهو جبان مثل بعض الرجال»

واذا كان تلاميذ الطيبة وضيوفهم يلهون بالصيد فان الصيد عند «عساف» ضرورة حياة ، مع انه لا يخلو من متعة من نوع خاص ، فالصيد اختيار واقتدار وقرار ، وحين تلتقي هذه الكفايات كلها في لحظة الضرورة – التي تجعل من نهاية حياة الصيد شرطاً لاستمرار حياة الانسان – فان هذا اللقاء في هذه اللحظة يهب انبل صور القتل واكثرها رحمة ، فالطلقة لابد ان تكون محكمة ، وفي مقتل ، وعساف يعرف مقتل كل حيوان ، ولا يسمح للرصاص ان تنطلق الا وهي تعرف طريقها جيداً ، لا يستخفه الزهو أو الرغبة في الفوز ، المباراة بينه وبين الصيد هي صراع من اجل الحياة ، وهو صراع له شرفه وقوانينه التي يعرفها الحيوان وعساف كذلك ويثمر القتل نوعاً من الرضا المتالم :

– اذا لم اقتلها انا فسوف تقتلها بنات آوى .

هكذا يقول عساف لنفسه حين يكون وحده أما حين يكون مع مرافقيه من التلاميذ فانه يقول لهم :

– « لا تنظروا الي كوحش ، انا انسان وليس بيني وبين اي مخلوق عداء من اي نوع» .

ولكن كيف يفهم هؤلاء الأغرار معنى كلماته ؟ أو المعنى الحقيقي للصيد ؟ وهم يندفعون بكل حماقة وراء غرائزهم التي تنتشي بالقتل وبالفوز لا بالصيد ؟ وكيف يمكنهم وهم في سورة النشوة أن يبصروا دموع الغزلان الجريحة قبل ان تموت وكيف لا يشعرون بالعار حين لا تفعل طلقاتهم

النهايات

الطائشة شيئا اكثر من اعاقة الطريدة او ترويعها ، وتكون النتيجة لما لا لزوم له او خوفا يدفع الطيور والحيوانات الى قلب الصحراء فتصبح الحياة اقسى على اهل الطيبة .

وكانت لعساف طريقته الماكرة في ترويض هؤلاء الاغرار حين لاتجدي كلماته .

فلم يكن يدلهم على مكامن الصيد الحقيقية الا بعد ان ينهك قواهم في التجوال لانه يعلم ان التعب والعناء يجعلان الانسان اكثر رحمة ورقة .

الحدث المحوري

الى هنا ويبدا الحدث المحوري في الرواية بعد ان نكون قد عرفنا عن الطيبة وعن عساف اهم ما ينبغي ان نعرف ، وبالأخص عن احلامها الممتدة ببناء سد يحجز خلفه مياه الأمطار لينقذها من القحط وعن وعود الحكام سنة بعد سنة ، ووعود ابنائها في المدينة بان يبذلوا جهودهم لدى الحكام لتحقيق هذا الحلم عاماً بعد عام ، الى هنا وندرك على نحو ما ان قرية الطيبة قد تكون قريتي او قريتك وطني او وطنك وان المشكلات والعلاقات فيها مثلما هي في كل البلاد متداخلة ومتشابكة ومع اي اختلاف فى التفاصيل فانه حين يحدث خطر ما او خير ما ، فان سلوك الناس بمختلف طبقاتهم وفئاتهم يسفر عن ذات القوانين وقد نكشف ان قرية الطيبة مثل اي قرية اخرى تملك نفس القدر الهائل من الكبرياء والخجل والاعتقاد بانها لابد ان تعطى حتى في اقسى سنوات القحط حين يكون هناك ضيوف ، ففي ذلك اليوم هبط الى الطيبة بعض ابنائها ومعهم الى جوار الهدايا بعض الضيوف ، وبعض الوعود ببناء السد ومع ان اهل الطيبة في هذه المرة كانوا قد قرروا ان يكون لهم موقف مختلف من مثل هذه الوعود ، الا ان وجود الضيوف اجل كل شيء ، واذا كان الضيوف يريدون ان يخرجوا في رحلة صيد فليكن لهم ما يريدون ، وبعد ذلك يكون لهم مع اولادهم كلام آخر .

من هذه الثغرة او من هذا الضعف في اهل الطيبة بدا القدر ينسج خيوط هذه القصة التي بدأت برحلةصيد تضم بعضاً من تلاميذ الطيبة وضيوفهم واهل القرية بقيادة عساف .

●●●

لم يكن عساف هذه المرة فى مثل اية مرة سابقة . كانت في روحه نقطة سوداء تترك آثارها على وجهه ، وعلى كلماته التي انطلقت لأول مرة لتقول للضيوف ولأهل الطيبة مالم يسمعوه منه من قبل بمثل هذا الوضوح القاسي ، ولكن شيئا ماكان يمكن ان يمنع الرحلة التي ينسج خيوطها القدر .

قصيدة الرحلة

الى هنا ويبدا المؤلف يبدع قصيدته الرائعة في عدة مشاهد تنتظم الرحلة ، ولكن كل مشهد يوشك ان يكون في حد ذاته لوحة فريدة متميزة .

فبعد ان يتجاوز موكب الصيد المكون من عربة جيب وعربة فولكس واجن حدود الطيبة ، وما يحيط بها من تلال ووديان «تبدا الصحراء بخجل وكانها تكونت في التو واللحظة ، لكن تدريجيا تتغير الأرض لتصبح نسيجاً واحداً متشابهاً ، واقرب ما تكون الى راحة اليد من حيث الاستقامة مع التواءات صغيرة متفرقة » .

كانت أضواء الفجر تاتي من المشرق ، وكان عليهم ان يوغلوا هذه المرة في قلب الصحراء الى حيث الطيور التي لم تروعها بعد طلقات البنادق المجنونة .

وبدا الأمر كما لو كانت الصحراء التى ضاقت ذرعاً بجنون هؤلاء الافندية تستدرجهم الى لقاء طال شوقها اليه !

وفي مكان يعرفه عساف جيداً اوقف القافلة وبدأ يشرح لهم خطة الصيد ، ستتحرك السيارتان في شكل دائرة ، بحيث تكون كل واحدة في الجزء المقابل للاخرى من الدائرة ، اما هو وكلبه فسيكونان في قلب الدائرة وحين تصادف كل سيارة في حركتها الدائرية رفا من «الكدري» المجتمع على الأرض فانه سوف يبدأ في الطيران حين تقترب منه السيارة ، وآنذاك يبدا الصيادون باطلاق النيران ، ما يفلت من الرف الطائر الى داخل الدائرة سيكون عساف في انتظاره وما يفلت من عساف فقد يكون من نصيب السيارة الثانية . وهكذا تطير كل سيارة للاخرى ولعساف .

ولم يتلق الضيوف خطة عساف بارتياح ، كانوا طوال الوقت معاً ،وكان عساف معهم ، وكانت الخطة تعني ان يصبحوا وحدهم لأول مرة في هذه الصحراء المترامية ولو لبعض الوقت وكانهم لم يبصروا هذه الصحراء قبل هذه اللحظة ، ولم ينتظر عساف رداً من احد ، وراح امام اعينهم يوغل فيما كان يسميه منتصف الدائرة ، متحولا الى نقطة سوداء ، حبة رمل بين الرمال ، وغمرهم شعور صاعق بالضالة والوحدة أمام هذا الامتداد اللانهائي ، شعور لم يخفف منه كونهم لا يزالون جماعة في داخل كل سيارة .

ماذا لو ضلوا فى هذه الصحراء ؟ ثم ينفد الماء والطعام و ... كان عساف وحده هو الذى كان يحبس هذه المشاعر فى داخلهم وها هى تنفجر على نحو لم يتوقعه واحد منهم . كانوا طوال الوقت ودون ان يشعروا لائذين به ، والآن تتحرك كل سيارة فى طريقها وكانها تبحث عن شيء تلوذ به فى ذلك الفراغ الماحق ، ولا ينقذهم من ذلك الشعور المزلزل سوى اصطدامهم باول رف من طيور الكدرى وكانهم قد تعثروا به فى غمرة ذهولهم ، وآنذاك نسوا كل شيء ، انطلقت الرصاصات فى كل اتجاه وكانها لم تصب سوى خوفهم ، حين لم يسقط طائر واحد استبد بهم الغيظ والرغبة فى إثبات الكفاءة ، وتتكرر المطاردة مرة ومرتين ومرات ، ويرتفع قرص الشمس اكثر فاكثر ، دون ان يصطادوا سوى طائرين او ثلاثة ويزدادون جنوناً وفشلا ، ماذا يقولون لعساف حين يعودون اليه ؟ لكن اين هو عساف ؟ وينفجر الخوف الذى توهموا لبعض الوقت انهم اصابوه برصاصهم الطائش ، مرة اخرى يتلاشى خجلهم من الخيبة أمام الرغبة فى اللحاق بعساف واللياذ به ليقودهم فى طريق العودة ... ويتجهون الى حيث النقطة التى كانها عساف ، وتكبر النقطة يصبح لها راس وقدمان ويدان وأمامها بندقية ملقاة بلا

عناية وكلب ، وكومة من الطيور تقابلت مناقيرها فى نظام بديع .

كان عساف هو الذى يبادرهم بالاعتذار لهم وعنهم فالسيارة ليست انسب وسائل الصيد ، وما صاده هو للجميع ولاهل القرية وبفضلهم جاءت الطيور الى ناحيته . ودعاهم الى مكان فى ظل بعض الصخور ليصيبوا بعض الطعام والشراب والراحة قبل أن يبداوا رحلة العودة .

حين شعروا ببعض الراحة بعد الطعام والشراب ، داعبهم امل جديد فى أن يكرروا محاولة الصيد فى مكان اخر ، لعل حظهم يكون اوفر واجدى .

كيف يواجهون اهل القرية بخيبتهم فى الصيد ؟ ومع ان عسافاً كان واضحاً وحاسماً فى رفضه وتاكيده على عدم جدوى المحاولة إلا ان نقطة الحزن السوداء الغامضة التى كانت تنغرس فى روحه منذ بداية الرحلة ، والتى دفعته لان يقول للتلاميذ ولأهل الطيبة كلماته الأخيرة فى ماساة الصيد أو مهزلته ، هذه النقطة كانت قد بدات لأسباب مجهولة لديه تتسع وتفرش ظلا من العجز واللامبالاة جعله لا يصمد امام إلحاحهم ورجائهم بتكرار المحاولة ، كانت روحه تمتلىء بالياس امام الحماقة ، وربما زاده الشراب ضعفاً فترك حماقة الضيوف تقود حنكته هذه المرة .

• • •

الى هنا ولا شيء يغنى عن قراءة النص فالقصيدة العظيمة الذى بدات تتنامى نحو ذروتها – مع بداية الرحلة تكاد أن تصل الى قمتها الآن .

لعبة الصحراء القاسية

بعد أن بدأ كل شيء على ذات النحو فى مكان آخر ، الدائرة ، عساف وكلبه فى قلبها وفى مشاهد مركزة مقطرة يصور الكاتب كيف جنت الصحراء على نحو مفاجىء ، وكانها كانت تنتظر أن ياخذوا مواقعهم لتبدا لعبتها القاسية ومع أن الطبيعة فى اى مكان تبعث بالنذر قبل ان تعلن غضبها فانها فى الصحراء وحدها يمكن أن تمارس هذا الجنون بلا مقدمات يمكن أن تلفت رجلا حزيناً يائساً مثل عساف .

لا شيء فى الصحراء يؤذن بقدوم الرياح قبل قدومها لا شجرة ، ولا حائط ، ولا مكان .. لا شيء سوى الرمال الناعمة ... وحين تستيقظ هذه الرمال من سباتها الخادع ، حين تطير فجاة وفى كل مكان ، تكون الرياح قد تجاوزت كل الحدود ، كل الدوائر والمسطحات ، ويختفى قرص الشمس وقبله تختفى السماء ، ويختفى الصمت ، ويختفى المكان ، وحين يختفى المكان فان غريزة الهرب تصاب بالشلل ، فالهرب الى اين ؟ ومن ماذا ؟ والعدو يحاصرك يحيط بك ، يصيب بالشلل قدرتك على التفكير وتسقط الارادة ، ويجف الحلق ، وتعجز حتى العيون عن الابصار ، ويصبح الانجاز الوحيد للسيارة انها تتيح للمختبئين فيها ولأول مرة أن يروا الموت ، موتهم وقبل ان يكون ، أن يروه مجنوناً عابثا مهاجما متريثا ، يتسلل مع حبات الرمال الناعمة الساخنة الى الفم والأنف والاذن ، ولأول مرة يتفتت الزمن الى اجزاء اقل من الثانية، يصبح فى حجم الرمال الناعمة ، وتدور الأفكار فى الرءوس بسرعة حبات الرمال فلا تستقر على أمل او ياس ، كان الصحراء أرادت أن تعاقب أولئك الذين عبثوا بقوانينها وانتهكوا قدس اقداسها ، ولكن ممن كانت تنتقم ؟

– الله يعينك يا عساف ..

قالها احد أبناء الطيبة اللائذين بالسيارة .. وكانت الكلمة الوحيدة العاقلة التي قيلت في قلب ذلك الجنون الكوني ..

ولم يقو احد على الرد ..

ومرة اخيرة لا شيء يغني عن قراءة النص ، قراءة القصيدة العظيمة ...

متى انتهت العاصفة ؟

كيف عثروا على عساف ؟ وأين ؟

كيف قادهم اليه نسر جاء من الاعالي ووقف على راسه المدفون في الرمال ؟

كيف وجدوا كلبه الذي ظل يدافع عنه النسور ممزقاً بمناقيرها معانقاً له ، بينما كان رفاق الرحلة لائذين بسياراتهم ، كيف باتوا حول الجثمان في بيت المختار في طقس احتفالي عجيب ؟

بعد العاصفة والجنون

كيف استعادت الطيبة تاريخها كله ، واستلهمت في تلك الليلة عبقريتها في قص الحكايات لتروى حول جثمان الشهيد كل حكاياتها القديمة عن الصيد والحيوانات والطيور ؟

كيف تراءت الحكايات في تلك الليلة في ضوء جديد وكان الطيبة تحكيها لاول مرة ، وتفهم عنها لأول مرة ؟؟

كيف كشفت هذه الحكايات عن قوانين الطبيعة العظمى كما يترجمها سلوك الحيوانات والطيور التي بدت في تلك الليلة اكثر نبلا وشرفاً وشجاعة من الانسان في حبها ، في دفاعها عن مواطنها ، عن أولادها ، في صداقتها للانسان ، في اعترافها بالجميل ، وفي احترامها لقواعد الحياة ، حتى في عبثها ومجونها ؟؟

وتختلط قصص الطيبة بقصص الحيوان عند الجاحظ ، ينثرها الكاتب ليمزج بين تاريخ الطيبة وتاريخ الأمة في منظومة واحدة .

كيف خرجت قرية الطيبة فى مشهد أسطورى لتدفن عساف ، لتودعه الوداع الأخير ، وكانها تقدم اعتذاراً للرجل الذى عاش ومات من اجلها ؟

إن هذه الرواية التى تصور الانسان والحيوان فى مواجهة الطبيعة وفى مواجهة الموت ، فى مواجهة النهايات ، تردنا فى كل لحظة من لحظات هذه المواجهة الى قوانين الحياة الأولى الى قواعدها البسيطة التى تنسى دائماً فى غمرة الحماقة والغرور التى تنتاب الانسان عبر تلك المسافة الطويلة القصيرة بين البدايات والنهايات .

وحين يعود أهل الطيبة بعد دفن عساف الى قريتهم فان موقفهم من قضية السد يتغير تماماً ، إنهم يتولون أمرهم بانفسهم ويواجهون المسئولين بمطالبهم دون انتظار لعون احد ولو كان أبناءهم . فموت البطل أضاء لهم طريقاً جديداً .

وهكذا لا تكون هذه الرواية التى تمزج بين روح الشعر العربى وبين روح التراجيديا اليونانية فى قالب رواية واقعية عصرية تكاد فى بعض جوانبها ان تكون تسجيلية ووثائقية ، هكذا لا تكون هذه الرواية للنهايات فقط بل للبدايات وللمستقبل .

أبو المعاطي أبو النجا – الكويت



المخرج الفرنسى ولفرام مهرنج

"الدوحة" في لقاء خاص:

٣٠ سؤالا لمخرج عالمي

أجرى اللقاء: ياسر السباعي

في لقاء خاص مع المخرج الفرنسى الشهير «ولفرام مهرنج» الذى شاهد له الجمهور القطرى خلال شهر مايو الماضى عرضين مسرحيين من عروض المسرح الصامت «البانتوميم» وهما «نهاية المطاف» و «الطريق الى الموت» ، وجهنا اليه ثلاثين سؤالا حول أعماله ، ورؤيته المسرحية ، وآرائه فى المسرح العالمى والعربى ، وكتابه الأخير الذى صدر هذا العام تحت عنوان «الأقنعة المحترقة» .. وكانت اجاباته على تلك الأسئلة تمثل حصيلة تجربة هذا الفنان العالمى الذى يعتبر المسرح هو أهم طريق للوصول الى عالم الانسان !

● نحن نعرف أنك بدأت العمل فى المسرح كممثل ، وأنك بقيت وفياً لهذه البداية عندما تحولت الى الاخراج ، هل يمكننا بعد رحلتك المسرحية الطويلة أن نتعرف على ما واجهك فيها من مصاعب ؟

ـ المصاعب التى واجهتنى كانت ثقافية .. فقد كان علي أن أعيد العثور على الانسانية فى مركز الكائن الحي ، وهذا صعب جداً على من يعيش فى نهاية التطور الثقافى ـ كما هو الحال فى الثقافة الغربية ـ لأننا لو بحثنا فى الانسان لقدمنا ثقافة أكثر صدقاً وأعظم عمقاً ولتحررنا من قيود الالتزامات المسرحية كالتوزيع والتنفيذ والتمثيل لما هو مكتوب وكل ما يدفع المسرحى نحو عبودية الثقافة التقليدية !

● هل يمكننا التعرف على الأصول التاريخية للمسرح ؟

ـ قام المسرح فى بدايته على طقوس الكهنة ثم أصبح شيئاً فشيئاً مسرحاً دنيوياً ، وكانت هناك دائماً فرق للتسلية ، وهناك عدة مصادر حول هذا الجانب التاريخى ، إلا أن هذه المصادر لا تملك البراهين على أى شىء !

● هل المسرح ضرورة اجتماعية .. وما هى أهميته ؟

ـ بالنسبة لي المسرح ضرورة اجتماعية

لأنى اخترته كامكانية لتحريض نفسى على نفسى .. وأنا أرى فى المسرح حياتى وتطورى ، فمن خلاله استطيع ان اجد طريقى فى الوصول الى الانسان !

● إذن ما هو تعريف المسرح فى رأيك ؟

ــ المسرح هو فن البحث عن الذات وتحريضها خاصة فى المجتمعات المادية كالمجتمع الغربى الذى لم يعد بامكاننا فيه أن نعايش الأشياء نوعياً بعد أن أصبحنا غارقين فى الارقام والأحجام والكميات .. إن المسرح دائماً هو الفن القادر على اعطائنا الأبعاد الهامة التى ترفضها الحياة الحديثة والاتجاهات المادية ..

● ما هو العامل المشترك فى مفهوم المسرح العالمى ؟

ــ العامل المشترك فى المسرح العالمى هم البشر بكل ما لديهم من معاناة وفهم ومتعة ومفهوم المسرح فى العالم واحد تقريباً من ناحية الأسس ، وهناك بالطبع ثلاثة أشكال نراها فى هذا المسرح وهى المسرح السياسى والمسرح الثقافى ومسرح الوعى ، ومن ضمن هذه الأشكال اخترت مسرح الوعى لتقديم أعمالى ، لأننى أحاول دائماً البحث فى أعماق الانسان ككل ، لأن الوعى فى نظرى لا يمكن حصره عاطفيـــاً فقط أو مجرداً منطقياً !

● هل يمكننا التعرف على تصورك لمستقبل المسرح الاوربى ؟

ــ من الصعب الاجابة على هذا السؤال لأننا لا نعرف ماذا سيجلب لنا المستقبل ، إلا أننى أرى الوضع الحالى يتراجع بشكل مخيف ، ففى الوقت الذى أصبح فيه المسرح الأوربى علمياً وجمالياً ، اختفت منه قضية العلاقة مع الحقيقة ، اى أن المسرح أصبح مثيراً دون تاثير فعال فى الاعماق ، فهو يسعى الى شد الجمهور ويقدم له اشياء جديدة تدهشه دون الاهتمام بالمضمون .. وفى ظل السباق المحموم للبحث عن الجديد أصبح المسرح الأوربى متوارياً داخل ذاته !

● المسرح أقدم من السينما والتليفزيون وهما يمثلان منافساً خطيراً له ، ترى من الرابح فى النهاية ؟

ــ لا أعتقد انه يوجد تنافس حقيقى بينهم ، فالتنافس الفعلى موجود بين المسرح السيىء والتليفزيون ، وأعتقد أن المسرح الجيد لا منافس له ، لانه ينطلق من وعي ومن ضمير صادق ، فالمسرح الجيد ياخذ من الجمهور مشاركة اكبر من السينما والتليفزيون كوسائل توصيل تقدم أشياء جاهزة ، ويمكن أن نقول ان وسائل الاعلام فى الغرب وخاصة التليفزيون تساهم فى



إحدى مسرحياته التى تعكس اتجاهه المسرحى ورؤيته الفكرية للعالم والأشياء

● أعود إلى النصوص القديمة لأن الحقيقة فيها مازالت مستمرة بقوة

● وسائل الإعلام الغربي وخاصة التليفزيون تساهم في تشويه الإنسان الحديث

● لامنافس للمسرح الجيد ، التنافس الفعلي موجود بين المسرح السيء والتليفزيون

● الجمهور الغربي يحب عملاً يتملقه ولايثير الأسئلة في نفسه ، ويتحمس كثيراً للعمل الذي يمنعه من التفكير ويؤكد له قناعاته

● المسرح هو فن البحث عن الذات وتحريضها .. خاصة في مجتمعات مادية كالمجتمع الغربي

تشويه الانسان الحديث ، أما المسرح فانه يعالج بصدق ، وهو أوسع ثقافة ، ويضـع الانسان دائماً فى حركة ، ويهتم بوعي الجميع !

● لماذا التوجه الى النصوص المسرحية القديمة لشكسبير وسفوكليس مثلا ، أهي أزمة نص ؟

ــ لا أعتقد أنها أزمة نص فقط ، فهى أزمة فى كل شىء ، وإذا كنا نعود الى النصوص القديمة فذلك لأن الحقيقة فيها لازالت مستمرة بقوة ، أما النصوص الحديثة فالحقيقة فيها مثل الشظايا متناثرة ، ففى كل عمل تجد جزءاً صغيراً من الحقيقة بينما تحتوى النصوص القديمة على الحقيقة الكلية لظروف الانسان .

● المسرح بالنسبة لك هو المكان الذى يخلع فيه الانسان اقنعته . كيف ؟

ــ إنها ردة فعل منى ضد مسرح يتوارى فيه الانسان خلف ثقافته كما هو عليه المسرح الغربى حيث اصبحوا لا يعترفون بحقيقة الأدب ، وكل عملى منصب الآن على خلع الأقنعة التى يضعها الانسان وذلك لكي أكتشفه على حقيقته !

● ما هى معايير النجاح فى اى عمل فني ؟

ــ انا لا أفكر ابداً فى النجاح ، وأعتقد انه يوجد نوعان من النجاح : نجاح حسابى مخصص للجمهور ، وهذا سهل على المحترفين ، فباستطاعتى أن أعمل مسرحية ناجحة من هذا النوع بدون أدنى جهد ، لأنى اعرف رغبات الجمهور ، فالجمهور يحب عملا يتملقه ولا يثير الأسئلة فى نفسه ، وهو متحمس للعمل الذى يمنعه من التفكير كثيراً أو يؤكد ما يعرفه ويفكر به مسبقاً .. أما النجاح الذى اطمح اليه فهو نجاح اعمق .. نجاح ياتى عن طريق نفسى مع الآخرين لأنى كأى رسام أو موسيقى أفعل بالتأكيد ما يجب أن أفعله دون تقديم تنازلات للجمهور ، وبهذا يكون للجمهور الخيار فى الاختيار !

● وبماذا تنصح الممثلين المسرحيين المبتدئين ؟

ــ أنصحهم أن يكتشفوا ذاتهم لا أن تكتشفهم تقنيات المسرح أو الأدب .

● الديكور لديك بسيط جداً فهل هذا ردة فعل ضد تعثر الحياة الحديثة ؟

ــ انا أحاول أن أعرى المشهد لأظهر

الانسان بشكل أوضح ، فكل تركيزى منصب على العنصر البشرى فى المشهد !

● انت ممثل ومخرج وكاتب مسرحى ، فاية صفة تلازمك اكثر ؟

ـ أعتقد أن القضية قضية تنفس متبادل فعندما اكتب اكون ممثلا فى نفس الوقت ، اى احاول ان اكتب بكل كيانى ، ومن صميم قلبى ، وبكل شخصى ، وعندما اخرج أعمل مع الممثل واتنفس برئتيه ، وعندما أمثل أقوم بذلك كما اكتب . أعتقد ان الصفة الكلية تعمل على استحالة اعطائى هوية ثابتة أو سجنى فى هوية ثابتة ، لأنى فى حركة دائمة ، وكل شيء لدى يتحرك ولذا فانا أرفض الهوية الثابتة !

● هناك مسرح صامت (بانتوميم) ومسرح ناطق ، ايهما اصل الآخر ؟

ـ تكمن خصوصية مسرحنا المرئى فى انه مسرح الصمت المعروف ـ الذى لا يمكن أن يحل محل الكلمة ـ تكمن هذه الخصوصية فى أن مسرحنا مسرح لغة أى عندما يجب أن أتكلم أتكلم ولا امتنع عن الكلام فى مشهد مرئى . إنى أريد فقط إحياء الصمت وإحياء الفراغ ، اما فى المسرح الموجود حاليا فالكلمة هى التى تملأ وتحطم الصمت والفراغ . ولذا فانا أحاول العثور على استقطاب بين الكلمة والصمت بين ملء المساحة والفراغ ، لذا وجب إحياء الفراغ لأنه أصلا مليء على المستوى الحيـاتى والحضـارى .. ومعنى ذلك باختصار أن المسرح الصامت سبق ما نسميه جزافاً بالمسرح الناطق !

● يقول المخرج السينمائى الايطالى الشهير فريدريكو فللينى (إن الابداع الرائع لا ينتج إلا من المعاناة والمكابدة) فما هو الابداع الفنى بالنسبة لك ؟

ـ إن الجملة التى استشهدت بها جملة رائعة وهامة جداً : المعاناة والمكابدة . فالانسان الذى يعانى ويكابد هو الذى يفهم فقط لأنه متلقى ، ولا يكفى أن يستمر أمام المعاناة والمكابدة بل يجب أن يفعل شيئاً ما .. إن الابداع الفنى بالنسبة لي هو أزمة الوعي الحاضر وهى أزمة متجددة دائمة مثل جريان الماء فى النهر .

● اسم فرقتك (ماندراغور) فماذا يعنى هذا الاسم ؟

ـ المندراغور (لفاح ـ يبروح) نبات عشبى من الفصيلة الباذنجانية يؤخذ منه جذر كيماوى بموجبه يعطى كيانه للتفاعل الكيماوى ولا يبقى شيء منه بعد التفاعل فهو رمز كيماوى للتحويل . والتحويل لدرجة التغيير هو الأساس الدائم لعملنا .

● كيف ومتى شكلت فرقتك المسرحية ؟

ـ شكلت فرقتى المسرحية عام ١٩٥٨ وكانت فرقة ذات ردة فعل ضد المسرح الأدبي فى أوربا ، اى كانت تطالب بالانسان أمام الأدب المكتوب ، وهى لا ترفض المسرح الأدبى فقط بل ترفض أوربا المتحجرة الهرمة بالأدب حيث يكون الممثل خادماً ، أما فى مسرحى فالممثل هو الملك !

● كل أعضاء فرقتك من آسيا وأفريقيا وأوربا أى (العالم القديم) فهل حدث هذا من قبيل الصدفة أم ماذا ؟

ـ أنا لا أعتمد على الصدفة بل أعتمد على الأصول ومصدر الأشياء وعندما نكتشف أصولنا ومن أين أتينا نستطيع الاستمرار بالحياة أما إذا اقتلعنا من جذورنا نكون قد ضعنا والآسيويون والافارقة والأوربيون ذوو أصول قديمة وكل واحد متعلق بها وبالماضى فهناك الكثير ممن ابتعدوا عن جذورهم أما أنا فاريد العمل مع المتعلقين بجذورهم

● هل تستفيد من الخبرات الحضارية الخارجية لدى أعضاء فرقتك ؟

ـ كلا لا أستفيد منها ولا أستفيد من خصوصياتهم الثقافية لأنى أقدم عملا ذا ثقافة عالمية . وبالتاكيد كل منهم لديه ما لديه من إرث ثقافى ويحترمه الآخرون وهذا ليس ذا فائدة للعمل بل نوع من التنفس المتبادل .

● ما هى الجنسيات الموجودة بين أفراد فرقتك المسرحية ؟

ـ ليس لهذا أهمية ولكن هناك الفرنسى والسودانى والكورية والألمانية واليابانى والفرنسية ذكوراً أو إناثا .

● لقد رأيت العرض الصامت لمسرح (الأضواء) فهل أجادوا برأيك أصول المسرح الصامت .

ـ إن المسرح الصامت نتاج ثقافى وليس مسرحاً أصيلا ، وقد وجدت الممثلين فى هذا العرض رائعين وقدموا عملا جيداً وحيويا ولكنى كنت أود أن أرى عملا أكثر انسانية حتى ولو كان عملا حركياً أى أن لا يكون عملهم أجنبيا ، لأن المسرح الصامت ذو وجه أجنبى عليهم، ولكن الممثلين انفسهم كانوا جيدين .

● المعروف أن هناك دائما جداراً يفصل الممثل عن الجمهور فهل استطاع ممثلو مسرح (الأضواء) تحطيم هذا الجدار والوصول الى الجمهور ؟

ـ بالتاكيد حطموا هذا الجدار ولكن كان باستطاعتهم تحطيمه بوسائل أخرى لأنهم حطموه بتوجههم المباشر الى الجمهور ولكن الوصول الى الجمهور لا يتطلب التوجه المباشر اليهم بغرض تحريك الممثلين على خشبة المسرح دون التوجه الى قاعة الحضور .

● هل عندك بعض الملاحظات السلبية على العرض القطرى ؟

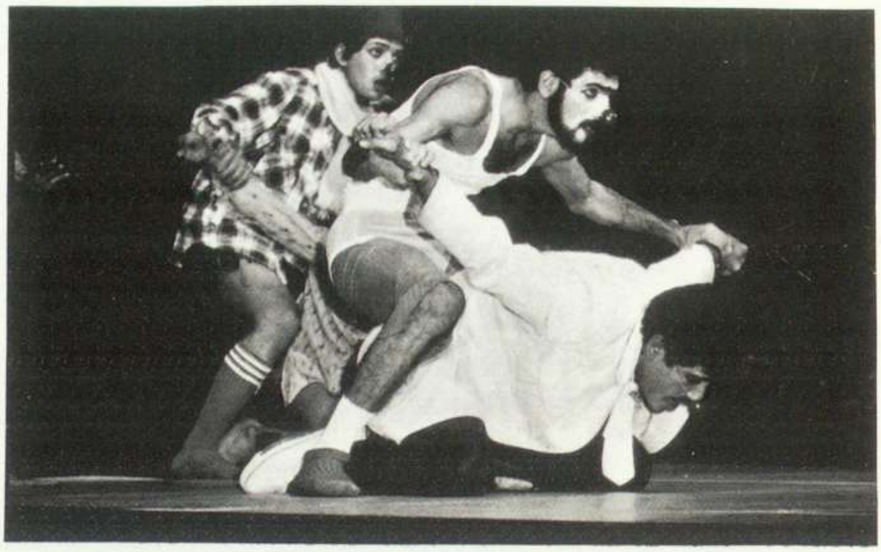
ـ أجل . يجب أن يكونوا هم أنفسهم وليبحثوا عن شخصيتهم المميزة عن

من هو ولفرام مهرنج ؟

ترك ولفرام مهرنج المانيا الاتحادية سنة ١٩٥٤ بعد دراسـتـه للمسرح التقليدى ليعمل فى باريس مع استاذ التمثيل الصامت الذائع الصـيـت « ايتين دكرو » ، ولينهى فى الوقت نفسه دراساته الأدبية والفلسـفية بالسربون .

وقد اتخذ مهرنج لنفسه موقفـاً متحفظا من الموجات الفكرية التى كانت متفشية آنذاك فى المسرح الغربى ، ليعمل على انماء وتطوير مفهومه الخاص لمسرح عالمى يرتكز على تعبير الجسـم والصوت .. واستطاع ـ مع تاسيسـه لمسرح الماندراغور سنة ١٩٥٨ ـ أن يقود حركة فنية مستوعبة لمختلف تراكيب التفتح على الطاقة الابداعية للممثل ، فاقام أيضا مركزاً دولياً لفن الممثل ، ومضى بفرقته الخاصة وبالـدورات الدراسية التى يقيمها يحمل لواء الدعوة لتكوين « الممثل الشامل » ، ولما يمكن تسميته «مسرح ما وراء الثقافة» .

واشتهر بصفة خاصة باخراجـه لمسرحيات بوشنر ، وشكسـبير ، ولوركا ، وسوفكليس ، وبلوتس ، وفى باريس قدمت فرقته مواسمها الفنيـة على مسارح « الفييه كولومبييـه » ، و« لوتيس » و« الحديث » و« جيتيه مونبارناس » وغيرهـا ، كما قامت الفرقة بجولات فنية متعددة باوروبا ، والشرق الأقصى ، وافريقيا ، والدول العربية ، وامريكا .. ممـا اعطى للعروض التى تولى اخراجها مجالا للاحتكاك والمضاهاة باكثر النظريات تعارضاً مع اتجاهه .



احد عروض المسرح الصامت «البانتوميم» من اخراج المخرج الفرنسى، وقدم العرض شباب فرقة مسرح الاضواء القطرى

شخصية الآخرين.

● هل تعتقد أن العامل المشترك فى (نهاية المطاف) بين اجزائها الثلاثة هو المصير او أن الانسان هو الذى يقود نفسه أم ماذا؟

ـ أعتقد أن الانسان راضخ للحتمية. فالعمل من خلال أصوليات المسرح الغربى يؤكد هذا لأنى عملت كثيراً بالتراجيديا الاغريقية واعتقد اننا يجب أن نعمل كل شيء لكى نتقدم بقوتنا الخاصة

● كان اللون الغالب على مسرحيتك هو الأسود. الا يوجد أية نقطة ضوء أو اية نقطة أمل فى الحياة الانسانية؟

ـ أخرجت المسرحيتين عن الحياة والموت ولكنهما عن الموت خصوصا لأن الموت فى الحياة الحديثة أصبح سرياً وخفياً وعندما يكون الموت خفياً لا نفهم الحياة وهذا ما لا نقبله فى الحياة والموت وهنا أيضاً استقطاب ورؤية العالم اختفيا فالانسان يخاف من الموت والشيخوخة ويحاول التهرب منها اما أنا فأحاول اظهار الموت، وحب أو تقبل الموت، فالموت ليس عنفاً ولا حماقة ولا مذابح، تأتى هى بالنسبة لى حماقة الانسانية لأنه يمكن التفاهم حول المعنى الانسانى المقدس ويمكن إيجاد الحلول ولكن الموت كحتمية هو ما أحاول العثور عليه فى حياتى ولذا اخرجت المسرحية

● يقال ابحث عن السياسة. فى مسرحية (نهاية المطاف) عرضت مأساة الانسان ولكن من تعتقد انه وراء هذه المأساة.

ـ المأساة الانسانية فى (نهاية المطاف) هى أن جزءاً من سبب هذه المأساة هو الانسان والمجتمع نفسه فالموت مختبىء بالشيخوخة وإذا كنا نخشى اليوم من الشيخوخة فهذا بسبب الانسان لأن الانسان نفسه يصاب بالشيخوخة، وهى موجودة والموت موجود بحد ذاته! اما الانسان فهو الذى يحطم كل القيم ويصبح المساعد للحياة الكمية التى لا يمكن أن يتحملها حيث يحافظ على الأشياء الكمية ويفرغها من مضمونها. إذاً وراء المأساة الانسانية هناك هذا الموقف الأحمق أى العيش فى حياة كمية يصر الانسان على العيش بها ولا يهجرها.

● ما رأيك فى المسرحى الالمانى جورج بوشنر الذى عاصر انتفاضة باريس فى الثلاثينات من القرن الماضى؟

ـ هناك شيء لم اعد اقبله من بوشنر، وهو طريقة رضائه عن نوع ما من حياة الليل، لقد عانى الكثير بالتأكيد ووصل أخيراً الى موقف المخدوع تجاه المجتمع، وهو على حق لأنه لم يجد انطلاقة أخرى فى حياته، واعتقد أن هذا الموقف ليس بسبب المجتمع ولكن بسبب حياته الخاصة!

● ولكن هل تعتقد أن بوشنر تحول للأدب بعد فشله فى السياسة؟

ـ كلا.. لا اعتقد ذلك مطلقاً.. فهو بالنسبة لي الأديب الأكثر نزاهة فى الأدب الألماني، فهو لم يكتب أية كلمة لم يعايشها وعندما فشل فى العمل السياسى تألم كثيراً ولكنه فكر فى الاستمرار، وأدى تفكيره هذا الى اعطاء معنى لعمله الأدبى، ولم يكن ذلك هجرة من عمل لعمل آخر، ففى عمله الأدبى كانت هناك قضية سياسية عايشها، وفى عمله العلمى وجد أنه لم ينجح بمعايشته للمجتمع، وهذه هى الثغرة الكبرى فى حياة بوشنر الذى عايش أفكاره وقررت ألا أعيش الآن إلا للحاضر!

● هل تعتقد أن المسرح سيخرج للأبد مستقبلا من قاعة ذات أربعة جدران الى الهواء الطلق كما كان فى الماضى؟

ـ لقد خرج فعلا. ولكن كأى شيء نفعله فى أوربا، فقد اغفلنا نصف ما يجب دائماً.. فالمسرح الايطالى الذى تلتزم أوربا حالياً به لم تكتشف قوانينه ولم تستغل كما يجب فنحن نقول انه يمكننا إلغاء هذه الجدران ولكننا لا نستطيع استغلال هذه الفكرة لأننا مازلنا نعمل من منطلقات فردية!

● رغم انك ألمانى الأصل.. لماذا تركت وطنك وجئت الى باريس؟

ـ تركته لأنى أبحث عن مسرح عالمى، فالمسرح فى ألمانيا ألمانى وليس عالمياً.. وقد ذهبت الى باريس وقابلت عناصر مختلفة وأناساً من كل أنحاء العالم، وهذا فى حد ذاته هام بالنسبة لي من ناحية الالتقاء بالثقافة العالمية!

ياسر السباعي

منهج مهرنج يتبلور فى ممارساته الابداعية، كما يبدو واضحا كذلك فى كتاباته التى ينشرها عن فن الممثل، وقد صدر له أخيراً بباريس بتاريخ ١٠ مارس ١٩٨٣ م كتابه: «اقنعة محترقة»، الذى يعتبر انعكاساً أميناً لاتجاهه المسرحى ورؤيته الفكرية للعالم وللاشياء.

انه يقول مثلا فى كتابه هذا:

« بخلاف المألوف فى المسرح التقليدى، ينبغى ان تتحول منصة الاداء الى «المكان» الذى ينزع فيه الانسان اقنعته».

ولم يوضح مهرنج على اى نحو يريد ذلك ان يتحقق، وان كان من الواضح مع ذلك ان منهجه يرفض «الفكر الانتقائى» الذى يستجيب للاختيار من بين المدارس والاتجاهات الفنية المختلفة. فهو منهج لا يستلهم الفنون المسرحية التى سبق استهلاكها وهضمها، وانما يعود بالأحرى الى الأصول الأولى للمسرح والى واقع «الانسان»، ويتخذ من الحقيقة الذاتية للتركيز، مع المطالبة بالحق الشخصى فى التعبير، وفى المجازفة المستمرة.

ليس كل الفن جميلاً وليس كل الأدب جميلاً

شكوك حول قيمة الأدب والفن

بقلم : نعمان عاشور

من المركبات التى يستحيل تبسيطها القول الشائع الذى دخل فى مجال ما نسميه الحقائق البديهية .. وهى ان العلم الحديث استطاع ان يمكن الانسان أو هو فى سبيله أن يمكن الانسان من أن يسيطر سيطرة تكاد أن تكون تامة على الطبيعة والقوى الطبيعية . وأن العلم فى هذا التطور الساحق بطفراته المذهلة أصبح يعد سابقاً على الآداب والفنون بل ومتفوقاً عليها تفوقاً نهائياً فى عجزها الواضح من أن تمكن الانسان من السيطرة على مجتمعه الانسانى . ولذلك يسود الزعم المتصل القائل بان الآداب والفنون قد تخلفت عن اللحاق بركب العلم الظافر فى مضمار الحضارة المعاصرة وبحيث بات على أى انسان وخاصة الانسان العادى الذى تتشكل منه الاغلبية الساحقة من البشر .. بات من السهل عليه أن ينظر الى الآداب والفنون بمختلف ألوانها واتجاهاتها ومدارسها على أنها تحولت الى مجرد أدوات تطريز يوشى بها الانسان حياته وكأنها الحلى البراقة .. وأصبحت مجرد بهرج اجتماعى يزين بها حياته وحضارته .

ومع ما لهذه النظرة السلبية من دلالة ساذجة ومبسطة فى تقدير اهمية الادب وقيمة الفن والفكر فى حياة الانسان المعاصر .. فان فى تبسيطها او بالاحرى تقنينها على هذه الصورة الساذجة ما يزيغ عقول واحكام الكثيرين من اصحاب البصائر الثاقبة الذين لا يمكن لافهامهم ومداركهم ان تنظر الى الاداب والفنون بمثل هذه النظرة التى لا تختلف فى كثير عن النظرة الأرستقراطية المترفة فى غابر العصور وهى ان الادب لا يعدو ان يكون مصدراً للتسلية ومجلبة للسلوى والعزاء والتسرية الخالصة البحتة ، التى لا تفترق عن مصارعة الأسود فى عصر الرومان ومصارعة الثيران عند الاسبان ولعبة كرة القدم فى كافة البلدان هى وبقية تملا ساحات عصرنا من مباهج عابرة وتسليات خاطفة .. بحيث باتت مشاهدة مباراة فى الكرة اهم من قراءة كتاب أو مشاهدة مسرحية أو الاستماع الى سيمفونية موسيقية او ارتياد متحف من متاحف الفن ..

شكسبير والأسطول البريطانى

والحقيقة انه لا يمكن انكار ان العلم بنتائجه المادية الكاسحة يعتبر متفوقاً ولكن تفوقه المادى الملموس انما هو مظهر من مظاهر الارتقاء الحضارى الذى يرتكن فى صميم جوهره على تقدم الاداب والفنون وهى ارقى واسمى نتاج للفكر الانسانى .. واخذاً بالتبسيط فى مثل هذا اللون من الجدل .. تحضرنا مقارنة ذائعة اجريت بين ادب شكسبير والاسطول البريطانى حاول فيها جيمس كالهان وهو ناقد شاب من اكسفورد ان يدلل على ان الاسطول الانجليزى الذى كسب لبريطانيا سيادة البحار ثلاثة قرون متتابعة او اكثر ..

يستحيل امام التطور الحربى الذى اكسبه العلم للطائرات والنفاثات ان يصمد مثلما صمد شكسبير زمناً طويلا فى تثبيت دعائم المجد البريطانى . فان ادب شكسبير يفوقه فيما اسداه من فوائد عظمى للشعب الانجليزى و لشعوب الارض قاطبة فائدة تفوق أيام ماضيه فى ظل سطوة الأسطول وبالتالى فى الحاضر بعد انزوائه داخل شواطىء جزرها وفى المستقبل حين لن تكون هناك اساطيل على وجه الاطلاق ..

وتصبح القوة الحربية فى الفضاء وليست الأرض ولا فى الماء ..

التبسيط المخل

على ان ادانة الأدب والفن فى عصرنا الراهن لا تبعد باصحابها الى مثل هذه النظرة العميقة الكاشفة . وانما هى ترتد كليلة الطرف الى ما تحت القدم .. واعنى بذلك نتائج العلم وتاثيرها المباشر على الانسان الفرد .. وفى هذا المجال قد تجدى المقارنة مثلا بين محاولات العلم اليائسة لاكتشاف علاج السرطان واى نتاج ادبى او فنى اخر يمكن ان يفيد منه الانسان ما يعادل انقاذ حياته من هلاك محقق .. وهذا المنطق يستحيل مقارعته باى حجة كانت ولكن .. هل مثل هذه القضية على هذا القدر من البساطة ؟! الواقع انه يستحيل الفصل أو المفاضلة . والقضية على هذه الصور تصبح نوعاً من التلاعب اللفظى بالمعانى .. كقضية البيضة والكتكوت وايهما يسبق الاخر أو على اقرب تقدير كقضية المادة والروح وامكان الفصل بينهما .. وهل يعيش الانسان على الخبز وحده ؟!!

مكانة الأديب

والاولى بنا مادام هذا هو الشان الذى أوصلنا إليه التطور العلمى ان نعيد النظر والا نطعن فى قيمة انتاجنا من الأدب والفن وفائدته وجدواه لان مثل هذا الطعن لن يؤخر ولن يقدم وانما يتطلب الظرف المراجعة المتانية لاهمية انتاجنا من الادب وقيمة انتاجنا الفنى بالنسبة لحياتنا ومعيشتنا — ولعل هذا ما دفع حكوماتنا ودولنا المعاصرة استجابة لرغبات الشعوب لان تحاول ما وسعها الجهد مساندة الكتاب والادباء والفنانين على انهم مواطنون غير عاديين لهم صفة التمايز وحق الرعاية من جانب المجتمع كله . وهذا ما جعل المأساة التى تتلبد غيومها فى سماء حياتنا الأدبية والفنية .. وهى مأساة ادانة الأدب والفن تتراجع كثيراً عن ان ترتد بالاديب أو الفنان الى وضعه القديم كبهلوان او مهرج او مضحك



بيتهوفن



اميل زولا



تشارلز ديكنز

او مداح يقف على اعتاب القصور ليستجدى القوت من أصحابها . كما كان الحال بالنسبة للشعراء فى ظل الملوك والاباطرة والادباء والمفكرين والفنانين فى ظل السلاطين والامراء . واجدر ما يمكن الاستشهاد به فى هذا المجال مقال رائع للكاتب المسرحى الايرلندى العريق شين اوكيزى اذ يقول فى احدى فقراته .. « لقد اصبحت القراءة ضرورية للانسان المعاصر ضرورة الطعام والشراب . ولكنها كالطعام والشراب ايضاً يجب ان تكون قابلة للاستهلاك المباشر .. ولهذا تحتم الا يعيش من انتاج الأدب والفن الا القليل النادر وذلك لابعد من ساعات التناول .. ولا مكان قطعاً للاديب الحق الذى ينشد لادبه الخلود والبقاء الا اذا كان صاحب قامة تمتد به الى افاق مترامية الابعاد .. ومن اجل ذلك وجب ان يلتزم طريقه فى الحياة فى نفس المسار الذى يشق به الخباز أو الجزار او حتى صانع الحلى طريقهم .. وبالعكس فقد تكون لثلاثتهم القدرة او مبررات القدرة على الحياة وكسب القوت بما يفوق قدرة الأديب والحاجة اليه » .

الأصالة والمعاصرة

ولسنا نسلم بان الشك او مراحل الايمان حتم .. ولكن هذه النظرية التى تحاول ان تقوض قيمة الأدب واهمية الفن فى عصرنا المادى القائم تجعلنا اكثر حرصاً من اى وقت مضى لاعادة النظر فى قيمة الأدب وجدوى الفن وتقييم حقيقة وجودهما واهميتهما بالنسبة لحياتنا المعاصرة اذ الواقع ان ظهور مثل هذا التيار المناقض للنتاج الأدبى والفنى والفكرى انما يحمل بين طياته أخطر ما يمكن ان يتعرض له كياننا الأدبى من عبث وازدراء .. لان مثل هذه الظاهرة لا يمكن ان تكون مجرد ظاهرة عابرة .. وانما مصدرها واصلها كامن بوضوح تام فى هزال النتاج الأدبى والفنى نفسه وقصوره عن سد حاجتنا الحيوية منه .

والى هذا الوضع المتازم فى القيمة الحقيقية الفعلية لنتاجنا الراهن من الأدب يرد القلق الواضح الذى يدفعنا لأن نولى وجهنا شطر ما يعتمل فى باطن الحياة الأدبية المعاصرة لنا فنحاول ان نتبين مدى تخلفنا عن ملاحقة التيارات العصرية المختلفة التى يتبلور حولها النتاج الأدبى فى المجتمعات المعاصرة .. وان نعرض للمشكلة من جانب اخر هو جانب الكلف بما فى التراث القديم من مكونات أصيلة وقيم ثابتة .. وهو ما أصبح يفجر قضية الساعة .. قضية الاصالة والمعاصرة .. فان ذلك انما يدل على تنبه اكيد للحقيقة الصارخة .. وهى ان نتاجنا الادبى والفنى فى حاجة الى المراجعة الصحيحة والتقييم الشامل الذى يقيسه على أعمق وادق الأضواء وابرزها واقواها تلك التى تشع من الواقع الحي المتطور الذى ينظر الى نتاج الأدب

شكوك حول قيمة الأدب والفن

كقوة مادية دافعة للحياة الانسانية قبل ان يكون تراثا محفوظا تتعاقب الاجيال على اقتناء رصيده .

ظاهرة عالميـــة

والحقيقة بعد ذلك كله أن هذه الظاهرة ليست قاصرة على ادبنا وحده . فالنتاج الأدبى والفنى فى العالم اجمع يتعرض لنفس موجات التشكيك التى تطيف بانتاجنا ايضاً وان يكن على درجات متفاوتة .. والسبب كامن فى طبيعة عصرنا وظروف عالمنا الحديث وما اصبح يطرأ عليه من تغييرات ومنها ميادين التعبير الأدبى وأساليب التعبير الفنى المتطورة التى تسرع بالعالم الى تغييرات ساحقة وجذرية . وهناك بحث طريف مقارن ظهر أخيراً فى انجلترا اشترك فيه عدة أساتذة من جامعاتها مع بعض زملاء لهم من الجامعات الامريكية والفرنسية . وقام البحث على اختيار مقال من شواطح الأدب فى كل دولة من الدول الكبرى ذات المكانة السياسية حالياً .. فاختير مارك توين ليعبر عن الروح الامريكية وشارلز ديكنز ليعبر عن الانجليز واميل زولا ممثلا لفرنســـا وتولستوى عن عمالقة الروس .. وانصب البحث على قياس انتاج الأربعة العظام على ضوء الفهم الواقعى لما يمكن ان تحمله ادابهم وفنونهم التى ثبتت إصالتها على الزمن من مدركات فنية وموضوعية تتناسب مع حياتنا الراهنة . ان فى أدب كل منهم معالم التعبير العميق عن روح الشعب الذى نبع منه وكتب له .. ولكن .. هـــل لا يزال فى كتاباتهم ما يـــدل على أن استلهامهم للروح الشعبية قد خفت حد معالمه بفضل ما تطورت اليه الحياة عند الأغلبية الساحقة من ابناء هذه الشعوب بعد مرور اكثر من قرن على انتاجهم ودار البحث مستطرداً حول هذا السؤال فكانت النتيجة الاجمالية التى وصـــل إليها الدارسون ان خوالد الأربعة العظام قد



احمد شوقى



عباس العقاد



طه حسين

شابها الاهتزاز الواضح فى التعبير عن روح هذه الشعوب بعد انقضاء قرن من الزمان .

القياس المقارن

والى جانب مثل هذه الدراســـــات الجماعية فهناك مثلا كثرة لا يستهان بها من النقاد الانجليز تؤكد النضـــوب فى الانتاج المسرحى بعد برناردشو . وتقيس الانتاج الراهن من الرواية والقصة قياس القزم للمارد العملاق فى مقارنة بما انتج حتى بداية الربع الأول من القرن .. ونفس الشىء يتعرض له الأدب الهندى .. فليس هناك من قامة تطاول قامة طاغور وكذلك يعانى الأدب الامريكى حتى فى قاعة كتابة الاحياء المبرزين .. فلا قياس بينهم وبين ايوجين اونيل أو ارنست همنجواى او غيرهما . اما فى مجال الأدب السوفيتى فلن تجد ناقداً يمكن ان يناقش شيئاً من رصيده الراهن الضخم ويقارن بشىء مما ابدعه تشيكوف أو جوركى اخر العمالقة على حد ما يوصفون .. ونفس الظاهرة عندنا .. فلا قياس بين شوقى وحافظ وطه حسين والعقاد والحكيم وما تبعهم من ادباء .. وهكذا ..

والقضية بعد يجب ان يراعى فيها تبدل الأجيال وحاجة كل جيل من الأدب والفن ونوعية ما يمكن انتاجه .. وليست مجرد قضية ان ما فات لا يمكن تعويضه لأن الانتاج الأدبى والفنى .. انتـــاج متفـرد لا يخضع للتطور الذى تخضع له منتجات العلم ولا يقبل الزيادة أو النقصان .. والا فكيف يمكن ان يضاف الى أو يحذف من سيمفونية بيتهوفن اقل لحن او ابسط إيقاع .. الأصل كامن فى امكانية ملاءمة تغيرات العصر وظروفه مع طبيعة الانتاج الأدبى والفنى الحقيقى الذى لابد وان يصمد مع تعاقب الأجيال وتغير المجتمعات وتبدل ظروف الحياة .. ثم مابات يتعرض له الانتاج الأدبى الفنى فى مواجهة هذا التقدم العلمى الساحق فى وسائل التعبير الأدبى والفنى الذى جعل من خلود الأدب كما نراه .. ما يكاد يشبه الأسطورة البعيدة المنـــال .

نعمان عاشور

البوّابة الأولى

قصة بقلم : حمــدي الكحلوت

غبش الصبح .. ونسائم ندية توشوش الوجه .. تتوقد يقظة ونشاطا .. تبحث عن مكان لك وسط سطور من الفولاذ .. تقفز فى خفة فراشة .. وقوة نسر جريح .. الى اين ؟ الحقيبة في يد .. وقفص في اليد الاخرى .. الى أين ؟ ! .. وتقترب من البـــاب الرئيسي يطرق سمعك صوت ازيز مثير .. دوي حياة من نوع اخر .. يثير فيك الخوف والفرح .. يعد بعالم مختلف .. فيه مغامرة وغموض وانطلاق وسكينة .

وتبتلعك خلية النحل المثيرة .. تصبح احد افرادها .. ويفصلك الباب الزجاجي عن عالمك التعس .. الحبيب .. عنها وعنهم .. عن كل شيء وعن لا شيء .. والى اين ؟ .. يلاحقك السؤال .. والمشاعر الغريبة واسئلة اكثر غرابة ولكنها تعلو على ضجيج المكان وسحره :

ـ هل انت الآن سعيد ؟ ! .. أرجوك .. لا تسخر من سؤالي واجبني بصراحة ..

ـ نعم .. لبعض الوقت .. لا .. لا.. قليل فقط من أطياف فرح عابرة ومبهمة .

ـ إذن انت خائف ومرتبك ؟

ـ ومم اخاف ؟ لم يعد ما يخيفني .. تستطيع ان تقول توتر ينتج عن خليط من مشاعر وهواجس المقبل على المجهول .. بعد رحلة طويلة ومضنية .

ـ هل السبب انك ستكون بعد لحظات فى علبة صفيح على ارتفاع السحب تهتز بك بين حفر الريح ودورات محرك ملتهب ؟ !

ـ آخر ما كنت افكر فيه .. وان كان ليس مستبعداً .. لكن صوتها يطغى على كل شيء وهي تنوح .. عاجزة .. ذليلة .. مستباحة وتطلب ان نبقى عندها ومعها مثلما كانت هي دائماً .. آه .. هل يمكن ان تمحى هذه الصورة ؟ ! هل يمكن ان يطغى عليها صوت آخر ؟ ! ..

ـ نعم صوت السؤال الذي سيظل يلاحقك من اجلها .. إلى اين ؟ ..

يد من الخلف تنقر على كتفك برقة .. جاء دورك .. قدم أوراقك .. لا وقت للتامل هنا .. الابتسامة سريعة .. والأسئلة مثل الطلقات .. والأصابع المدربة تدور على صفحات وثيقة السفر .. تبحث فيها عن شيء خاطيء .. لابد ان يكون فيها شيء خاطيء .. والعينان تنتقلان في لحظ خاطف بين وجهك وأوراقك وقفصك الغريب تعرف انك غير مرغوب .. تعرف انك موضع شك دائماً .. ولكنك تتصنع البراءة والغباء .. تبحلق في شرائطه الملونة على كتفيه وتمسح بعينيك غطاء راسه الانيق .. وتهبط بعفوية الى يده اليمنى المرتجفة فى رشاقة بالقلم الانيق فوق دفاتره وسجلاته وقوائمه الطويلة المتشابهة فى كل مكان .. يطول حبل الوقوف والضياع فتبدأ المحاكمة من جديد :

اسمع السؤال .. ولا تتهرب من الاجابة .. لا تحاول فلسفة الكلمات وكن واضحاً وصادقاً بقدر الامكان .. هل تعتقد انه بامكانك ....

لا تكمل .. اعرف ان الأمر سيكون صعباً في البداية .. وستظل تلاحقني الاسئلة والأصوات والهواجس .. اعرف ، ولكن الزمن كفيل بتذويب كل شيء .. كل شيء .. وبعدها اتعايش مع المكان مثل سائر الناس .. وكذلك هذا القفص وعصفوري الجميل .. قليل من الحب والماء .. وقفص ذهبي اعلقه في مدخل البيت .. ويغرد باحلى الالحان ..

انت تحلم .. لن تتعايش ولن يغرد لك عصفور .. وسيظل الكابوس وراءك والسؤال يطاردك .

تتناول أوراقك .. تترك النافذة الأولى .. ونظرات الرجل الانيق تنفذ داخل جمجمتك ..تتحرك الى النافذة الثانية .. هنا تفتيش من نوع آخر .. يمكنك ان تصفه بانه دقيق .. ليس بمعنى الدقة المتعارف عليه .. بل الدقة المرتبطة بالظرف . منذ نصف قرن وما تزال ولا أحد يدري متى يخرج هذا الظرف من تلك الدقة .. المهم الاجراءات هنا ضرورية ودقيقة .. من يدري .. ربما كنت تخبيء اشياء غير مرغوبة فى ثيابك .. ربما .. واذن ضع كل ما تحمله من اشياء هنا .. قف هناك داخل الجهاز .. الآلات لا تكذب .. ولا تعرف المجاملة .. اتسمع .. انها تصرخ .. هذا ينذر بانك تحمل شيئاً .. اسمع .. لماذا انت مزعج .. عد ثانية .. لنبدأ من جديد .. الاحسن هذه المرة ان تتخلص من ملابسك .

هل انتم جادون ؟ ! .. ولماذا ؟ ! وكيف تسمحون للجميع الا انا ؟ ..

اسمع للمرة الأخيرة .. انت غير مرغوب .. ويجب أن لا تمر بسلام .. ولابد أن يكون دائماً ما تخفيه .. وانت لا يعجبك شيء .. قل لنا اذن ماذا وراءك ؟ ! ولآخر مرة ..

اقسم لكم انني لا احمل سوى جلدي وثيابي وحفنة افكار يائسة لا تؤذي احداً ..

هاها .. هاانت تعترف إذن .. اخلع وإلا .

لا .. لا .. لا داع .. مهلا .. مهلا .. تكفيني ورقة توت .. ودثار من الخـــوف .. وبصيص أمل ..

ها انت بدأت تفهم .. ولا سبيل امامك سوى أن تصارحنا بكل شيء .. وإلا .. انت تعرف الباقي جيداً ..

نعم .. نعم .. ساقول كل شيء .. ما دامت هذه رغبتكم .

وتجلس وحيداً .. بعد أن مضى الجميع .. وصمت الدوي .. وتفتح القفص .. يخرج عصفور اخضر .. لا يلتفت يميناً أو يساراً .. يصفق بجناحيه وينطلق في لمح البصر .. تتعالى ضحكات غبية .

أهذا كل ما تخبيء ؟ ! ..

ويتعالى الضجيج .. ويتحول الأزيز إلى نعيق ونحيب .. وينفضون من حولك .. أخيراً لم تعد مطلوباً .. تخطو إلى الخلف .. تبحث عن العصفور .. تحمل الحقائب والاوراق .. ومن نفس الباب الذى جاهدت لتدخل منه تبحث الآن عن مخرج .. وتنسل خارجاً .. تشيعك القهقهات والسخرية .. والنظرات الشامتة ليتك لم تات هنا .. ليتك ..ليتك ...

لم يتغير شيء في خلية النحل ... تركتها كما دخلتها .. كان صوت مميز لمكبر صوت هادىء يطلب في اناقة من حضرات المسافرين .. أن يستعدوا للمحطة التالية .. وأن يتوجهوا إلى البوابة الثالثة .. وكنت انت وحدك المتوجه إلى البوابة الأولى بعد أن وجدت الاجابة على سؤالك .. إلى أين ؟

أضواء جديدة على أكبر مغامرة في تاريخ الإنسان

كريستوفر كولومبوس

ماذا بقي منه بعد خمسمائة عام على اكتشافه المثير؟

بقلم: عبد العزيز السيد المصري



لوحة زيتية نادرة للمكتشف الايطالى كريستوفر كولومبوس



طيور جزر الكاريبى التى وقعت عليها عيون البحارة أثناء رحلتهم الشهيرة ..

فى تاريخ الانسانية أحداث تمثل تحولات جذرية فى مسيرة الحضارة .. وقد كانت روح المغامرة هى التى جعلت الانسان الطموح يقتحم المجهول ويعرض نفسه للمخاطر فى سبيل اكتشاف العالم من حوله ، كما كان هناك رجال أفذاذ لعبوا دوراً هاماً فى مجال الاكتشافات الجغرافية التى كانت بمثابة هزات كهربية امتدت موجات وراء موجات من الاكتشافات ، بداية من عصور الحضارات القديمة ـ المصرية والفينيقية والرومانية والعربية ـ حتى عصر الاكتشافات الحديثة التى بدأها المستكشف الايطالى الشهير كريستوفر كولومبوس..

وإذا كان كريستوفر كولومبوس قد مات وهو يظن أن العالم الجديد الذى اكتشفه ليس إلا



السفينة «نينا» فى قبضة العاصفة ، أثناء عودتها من الرحلة الاولى التى قام بها كريستوفر كولومبوس

جزءاً مجهولا من بلاد الهند ، فان ذلك لم يسقط حقه فى انه كان أول من وطئت قدماه أرض العالم الجديد (الأمريكتين) ..

وإننا إذ نقدم أول دراسة شاملة لرحلات كريستوفر كولومبوس الأربع ، إنما نلقى الضوء على واحدة من أخطر لحظات التحول التاريخى فى العالم ، فقد ترتب على تلك الرحلات امتداد حركات الكشف حتى شملت مناطق متعددة فى كافة انحاء الدنيا ، بل وركبت الاطماع الاستعمارية موجات هذه الاكتشافات فى كل مكان ، وهى التى لم يفق منها العالم إلا منذ سنوات !

الرحلة الأولى

كان كريستوفر كولومبوس ، كغيره من مثقفى عصره ، يعلم أن الأرض كروية ، ولئن كانت معلوماتهم عن حجم الأرض وطول محيطها غير دقيقة ، فقد كانت معلومات كريستوفر أشد بعداً عن الصواب .. فقد انتهى من دراسته للخليط المشوش من آراء السابقين بما فيهم الجغرافى الاغريقى بطليموس و « بيير دى إيللى » والرحالة «ماركو بولو» الى اقتناع راسخ بأن محيط الأرض عند خط الاستواء يبلغ ١٦٢٠٠ ميل بحرى فقط ، وأن المسافة بين جزر كنارى واليابان شاملة كلا من أوروبا وآسيا تشغل وحدها ١٣٥٠٠ ميل من هذا المحيط !

وقد سيطر عليه هذا الاقتناع وانتهى به إلى مشروع الوصول إلى الشرق عن طريق الغرب فى رحلة لن تطــــول عن ٢٧٠٠ ميـــل أو ٢٤٠٠ ميـــل فقـــط إذا سلك الطريق الأقصر على طول خط عرض ٢٨ شمالا لتصل الى سيبانجو « اليابان » .

ترى ماذا كان يجرى به التاريخ لو أن مستشارى الملك البرتغالى الذى حـــاول كولومبوس أن يبيعه مشروعه قد اقنعوه بخطئه ؟

لم يكن كريستوفر كولومبوس ليتحول عن هدفه ، أو يثنيه عنـــــه شىء ، وإذا لم يستطع البرتغاليون أن يقتنعوا بمشروعه ويعاونوه عليه فماذا عن منافسيهم الأسبان الذين أخذ نجمهم فى الصعود ؟

رحل كولومبوس ذو الثلاثة والثلاثين عاماً إلى بلاط فرديناند وإيزابيللا .. سبع سنوات وكولومبوس يلاحق الملك والملكة بالتماساته وتوسلاته ويحشد من استطاع من أصدقائه من ذوى النفوذ والسلطة لعل الملك يسمح له بالمثول بين يديه .. ولكن الثمن الذى كان يعرضه لمشروعه باهظ بالنسبة للمملكة تخوض حرباً ضد القوات العربية فى اسبانيا .. ليس سفينة واحدة بل ثلاث سفن ، وليس مجرد جائزة تعطى له إذا نجح ووصل إلى الهند ، ولكنه يطلب وثيقة وغطاء من الأسلحة وعشر الثروة التى سيجنيها الأسبان اذا وجد هذا الطريق القصير الى الشرق ..

كانت الملكة تصغى متعاطفة مع كريستوفر . يبدو انه كانت لديه طريقته فى إقناع السيدات حتى الملكات منهن — ولكن مستشاريها واجهوا كولومبوس ، ربما بنفس الآراء التى عارضه بها البرتغاليون .. وقبل أن يرفض مشروع كولومبوس للمرة الثالثة شارك فى حدث انتهى بحظه إلى مفترق الطرق .. سار كولومبوس خلف قوات فرديناند وإيزابيللا عندما دخلت الحمراء بغرناطة آخر المعاقل الحصينة لمسلمى أسبانيا .. وعلى ملأ من الناس مثل بين يدى الملك والملكة .. واستمع الملك إلى مشروعه بلا اهتمام أو مبالاة وشيعه بفتور أوهن عزمه وأطفأ وهج الحماسة فى نفسه .. وامتطى كولومبوس جواده كسير النفس ضائع الأمل منسحباً من الميدان .. فهل كانت هذه النهاية لأحلامه ؟ لقد أسرع أمين خزانة الدولة « لويس دى سانتانجيل » الى الملكة يعرب عن دهشته من أن الملكة الجسور لم تشجع كولومبوس ولم تمـــد له يداً فى هـــــذه المخاطرة الصغيرة .

لابد أن محركاً غرزياً مفاجئاً جعل الملكة تدرك أن « سانتا نجيل » على صواب فى نظرته الى المشروع وتقديره لهمة هذا الايطالى الوسيم .. واقتناعه بمشروعه المجنون عن الهند .. لعله ينجح فيكون نجاحه حينئذ بشيرا بفجر جديد لأسبانيا .

وفى واحد من المواقف المدهشة التى صنعت التاريخ الانسانى رفضت إيزابيللا عرض سانتا نجيل وأبدت استعدادها بأن تقدم مجوهراتها الخاصة كضمان لهـــذا المشروع .. وأرسلت الملكة رسولا ليعود بكولومبوس ..

● رفـــض البرتغـــاليـــون إعطـــاءه ســـفينـــة فاســـتغاثـــ بالأســـبان

● الثروة كانت أهم أهدافـــه أثـــناء رحلاتــه لاكتـــشاف الطريق القصـــير إلى الشرق

ثم .. بدأت رحلة المغامر العنيد إلى الشرق عن طريق الغرب ..

وفى يوم الأحد بعد ٢٤ يوماً من بدء الرحلة رأوا مجموعات من الأعشاب البحرية تبدو كأنما اقتلعت حديثاً ، وفى يوم الأثنين ظهر طائر أبيض من الأنواع التى لا تنام على سطح البحر .. وسقط المطر يوم الأربعاء ولم تكن هناك ريح .. واعتبر الملاحون هذه الظواهر دلائل تشير إلى وجود أرض قريبة .. وبعد ستة أيام أخرى غربت الشمس ولاحت على طرف الأفق جزيرة .. لكنها كانت مجرد سحابة ..

وشكا الرجال من طول الرحلة وهددوا بالعودة سواء أمر القبطان أو لم يأمر .. ومرت ستة عشر يوماً أخرى وحينئذ رأى بحارة احدى السفن لوحاً صغيراً وعصا مصنوعة على شكل أداة .. والتقط الجميع أنفاسهم مرة أخرى حين رأوا هـــاتين العلامتين ، واستخفهم المرح بعد طول الحيرة والضجر واليأس وظهرت اليابسة بعد منتصف ليل اليوم الواحد والسبعين بساعتين ..

كانت جوانب الجبال ابريق قمر متوهج ،

كان المواطنـــون يتميزون بالجمال والدماثة .. لهم لون سكان جزر الكنارى ، ليسوا سودا ولا بيضاً ، يدفعون بقواربهم المنحوتة من جذوع الأشجار نحو المراكب بهدايا من الببغاوات والرماح وحزم القطن .. كانوا يسمون جزيرتهم جواناهانى .

عندما غادر كريستوفر « جوانا هانى » كان على ثقة من أن الجزيرة التالية لن تكون فقط مقر ملك اليابان الذى يحمل إليه رسالة من الملكين الأسبانيين ، وفيها ترك مكان اسم الملك خالياً ليملأه كريستوفر حين يعرف اسمه ، بل إنها أيضاً مصدر الذهب الذى كان يتحرق شوقاً للعثور عليه فعندما كان الهنود يسألون عن حليهم الذهبية القليلة من أين حصلوا عليها كانوا يشيرون دائماً إلى الامام .. الجزيرة التالية .. سلسلة الجبال التالية .. وهكذا . وظلت نينا وبينتا وسانتا ماريا تنتقل بين جزر بهاما الوسطى من واحدة إلى أخرى محاولة جهدها تجنب حدوث كارثة فى هذا التيه المجهول المليء بالمفاجآت .. واتجـــه كولومبوس جنوباً إلى كوبا ثقة منه أنها جزء من أملاك الخان الأعظم .. وأســـاء كولومبوس بسبب لهفته فهم محاولات الهنود

إخباره من أين جاءوا بذهبهم ، وأرسل بعثة بعيداً إلى داخل الأرض .. إلى أعظم الموانىء المسمى « زيتون » فقد كان يعتقد أن امبراطور الصين يقيم هناك ، وعــاد المبعوثون ليقرروا أنه لا شىء هناك سوى حفنة بيوت من القش وبضع مئات من الهنود ولكنهم رأوا عجباً !! رأوا النـــاس ينفثون دخاناً لاذعاً يجذبونه من لفائف من أوراق النبات .. وكان ذلك أول لقاء بين أوروبا وبين الطباق .

وقفل كولومبوس راجعاً بسانتا ماريا ونينا تجاه الشرق قانطاً حزيناً لأنه لم يجد ذهباً ولا توابل فى كوبا (وكانت السفينة بينتا قد اقلعت إلى أقصى مناطق بهاما الجنوبية بحثاً عن الذهب) وابحر عابراً ممر الرياح .. كانت الأراضى الجبلية التى ترتفع أمامه تذكره باسبانيا فى شهر مايو ، وكان يشعر أيضاً بالخيبة لأنه لم ير أفيالا

ومن هنا جاء ظنه أن الأفيال كانت هناك مختبئة فى الغابات ، لأنه سمى موقعاً على الشـاطىء الشمالى لهاياتى « رأس الفيلة » .

وعلى خليج « أكيول » كان الساحل مزدحماً بالهنود المشوقين لرؤية الأغراب وسفنهم المجنحة

اليوم هو الثالث والعشرون من ديسمبر وربما قد اقتنع الرجال أن يقضـــوا « الكريسماس » عيد الميلاد على السفن الراســـية لأن هندياً ذكر أن الذهب قـــد أتى من مكـــان يســـمى كيباو – وهو الذى مازال اسم هيسبانيولا الوسطى – فقفز ذهن كولومبوس إلى استنتاج خاطىء وصاح : كباو هو طريقة الهنود فى نطق كلمة سيبانجو .

وقبيل فجر عيد الميلاد وبينما نسـيم الليل يهب من الأرض هيناً رقيقاً نشـر كولومبوس أشرعته على أمل أن يقضى عيد الميلاد مع ملك اليابان فى قصره المعهد بصفائح الذهب التى يبلغ سمكها قدر إصبعين . وعلى عكس ما كان يتوقع حبستهم الرياح طول ذلك اليوم .. وكانت سانتا ماريا لساعة قبل منتصف الليل ترقد على بعد أميال قليلة خلف الرأس الثانى ، و « لينا » تقود الطريق ، وسقط كولومبوس متعباً فاقد الحركة فى مؤخرة « كابينة » مقصورته ، وجمد البحارة المكدودون حيثما كانوا وبقى صبى مستيقظاً يراقب ذراع الدفة .. ماذا يقلق هناك ؟ الماء ساكن

● بعد سقوط غرناطة الأندلسية ضاعت كل أحلام المغامر العنيد

● أصيب بالخيبة عندما لم يشاهد أفيالاً فوق الأرض التي اكتشفها

هادىء كانما هو فى كوب ، وفى منتصف الليل .. وبخفة لم يكد يشعر بها إلا ذلك الصبى المستيقظ من بين ٤٠ ملاحاً انفلتت سانتا ماريا سفينة القيادة .. وانزلقت فوق الصخور المرجانية .. لقد أسلم كولومبوس نفسه لفخ يقف له شعر كل بحار .. ورقدت السفينة على أرض صلبة على كف المد الساقط .. وكلما هبت رياح الليل دفعتها مع كل هبة إلى مسافة أبعد فوق صخور المرجان حتى انفتح خط اللحام فى قاعها وامتلأت بالماء .

لابد أن كولومبوس قد قضى عيد ميلاد تعس وهو يلوم نفسه ويلوم الآخرين ويحاول أن يجد كل أنواع الأعذار والمبررات . وأبدى الزعيم الهندى جواكنجارى أسفه العظيم وأرسل إلى السفينة شعبه كله فى عدد كبير من القوارب الواسعة للمساعدة فى استنقاذ أى شىء يمكن الانتفاع به .

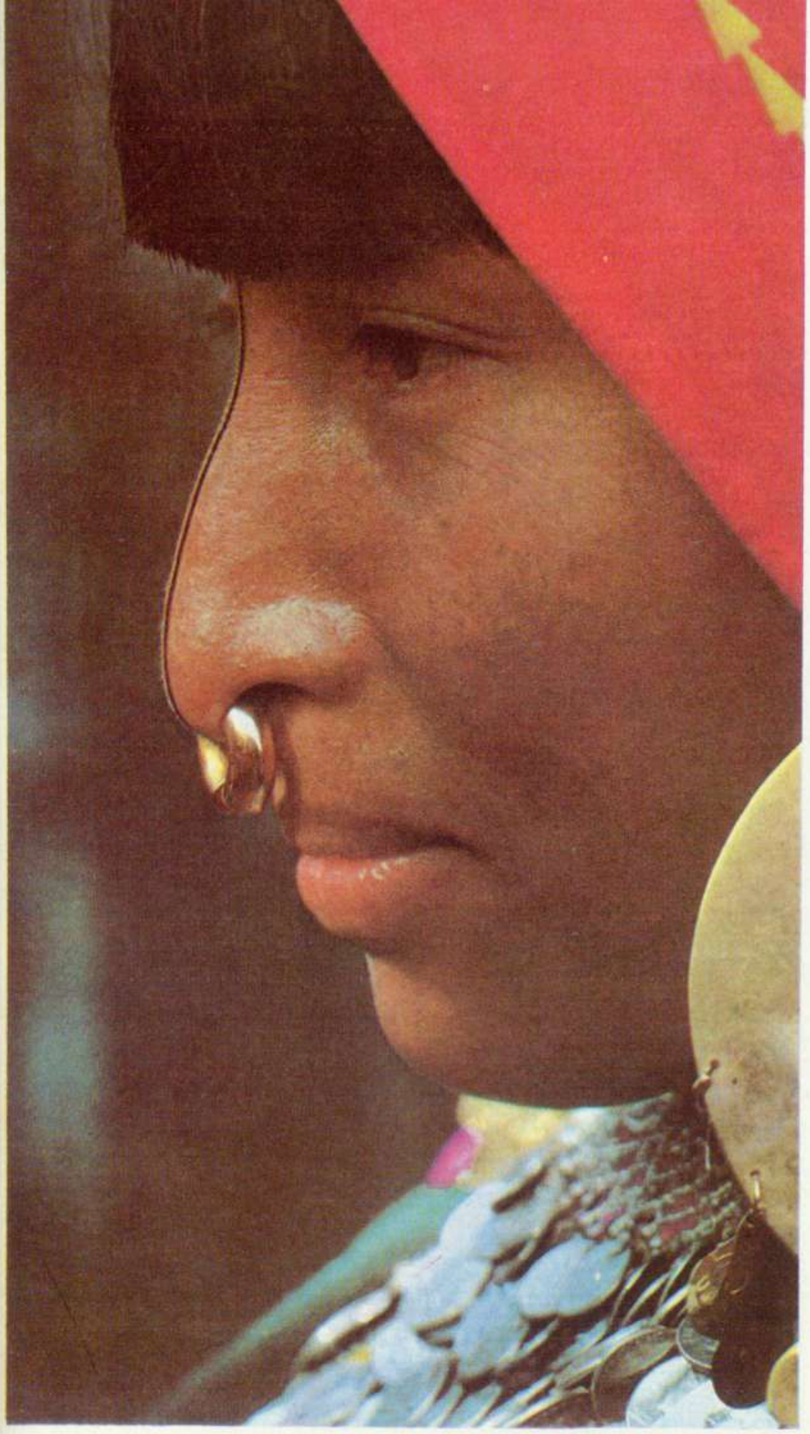
وفى الرابع من يناير قاد كولومبوس سفينته بين الشعاب منطلقاً إلى عرض البحر مطمئن القلب واثقاً من أنه سيعود من أسبانيا ليجد « لا نافيداد » مفعمة بالذهب .. وبينما هو متجه نحو الشرق رأى ثلاث عرائس ماء برزن من البحر لم يكن على هذا القدر الفاتن من الجمال كما صورتهن الأساطير ، فقد كانت عرائسه التى رآها بعض خراف الماء ..

هنا ، فيما يسمى الآن جمهـــورية الدومينيـــكان حـــدثت أولى المناوشات العدائية بين الأسبان والهنود .. فقد أمر الأدميرال بانزال قارب صغير ليحاول الرجال شراء كمية من البطاطا الحلوة .. فلما وصل البحارة إلى الساحل وجدوا حوالى خمسين مقاتلا شرس الهيئة يكمنون لهم بين الأشجار .. وتحرك الهنود نحوهم بأسلحتهم من الأقواس والسهام والرماح والهراوات المصنوعة من خشب النخيل .. وبرغم أن البحارة لم يكن عددهم يزيد عن سبعة فقد استجمعوا الجراة الأسبانية التى جعلت من الممكن خلال القرن التالى هزيمة قارتين عظيمتين بحفنـــة من الأوروبيين ، وهاجموا الهنود بهذه الروح فلاذوا بالفرار تاركين معظم أسلحتهم ، فسمى كولومبوس الخليج خليج السهام ، وأعلن الأدميرال سروره بما حدث .. فلو سمع به بقية سكان الجزر الأخرى سيفكرون مرتين قبل إثارة المتاعب لمعسكر « نافيداد » .. فكرة مريحة ومواسية آنسته وهو يحول سفينتيه المكدودتين .. فقد ، انضمت إليه « بنتا » نحو الشرق لرحلة طويلة أشد خطورة وأكثر افتقاداً إلى الأمان .. رحلة العودة إلى أسبانيا .

لم تكن رحلة العودة نزهة كما كانت رحلة الخروج بالرغم من أن السفينتين الشراعيتين الصغيرتين كانتا تطيران أمام رياح معتدلة كطائرين يستحثهما الشوق إلى العش .. كانت الرياح لينة حلوة كما وصفها الأدميرال ، ولكنها أخذت ترتفع وتشتد يوماً بعد يوم .. وأوشكت « نينا » بسبب عدم توازنهـــا أن تنقلب فأمر كولومبوس بملء جميع البراميل الفارغة بماء البحر لتحتفظ السفينة المتارجحة بتوازنها وثباتها .

وفى يوم الخميس ١٤ فبراير – بعد أكثر من شهر من ترك كولومبوس لنافيداد – فقدت السفينتان الصغيرتان الاتصـــال احداهما بالأخرى .. وفى غبش الفجر المخنوق بالعاصفة ظنت كل منهما أن الأخرى قد دمرت وغرقت ..

وفى اليوم نفسه انسحبت العاصفة القوية وسكنت الأمواج وهدأت الريح فلمح البحارة أرضاً .. وحدس كولومبوس أنه قد وصل إلى احدى جزر الأزور التى تبعد حوالى ٩٠٠ ميل عن الوطن .. والواقع أنه لم يكن يعرف يقيناً أين هو .. وكان همه أن يفلت بسفينته بعيداً عن الصخور والشـعاب المهلكة الكامنة تحت سطح الماء وأن يظل بعيداً حتى ينجلى الأمر .. كان ذلك فى صباح يوم الاثنين قبل أن تتمكن سفينته من الوصول إلى أية أرض وتلقى بمرساة .. ولما تأكد للأدميرال صدق حدسه رسا







صقر علق الهنود فى مخالبه اجراس ذهبية .. ثم احد هذه الاجراس

هندية من بنما ، تزين انفها بقرط من الذهب !

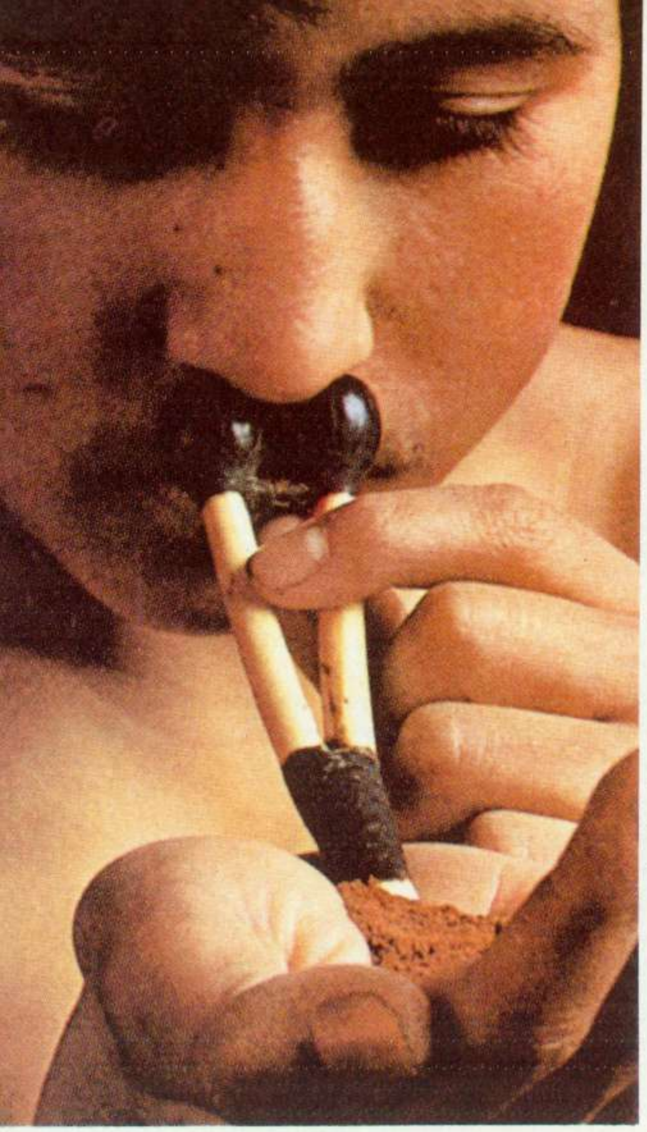
بسفينته قبالة قرية صغيرة ..

واقلعت نينا ثم وصلت إلى برشلونة فى ٤ مارس ١٤٩٣ م بعد نجاتها من عاصفة مروعة جعلت الرجال يعتقدون انه لا منجاة لهم منها

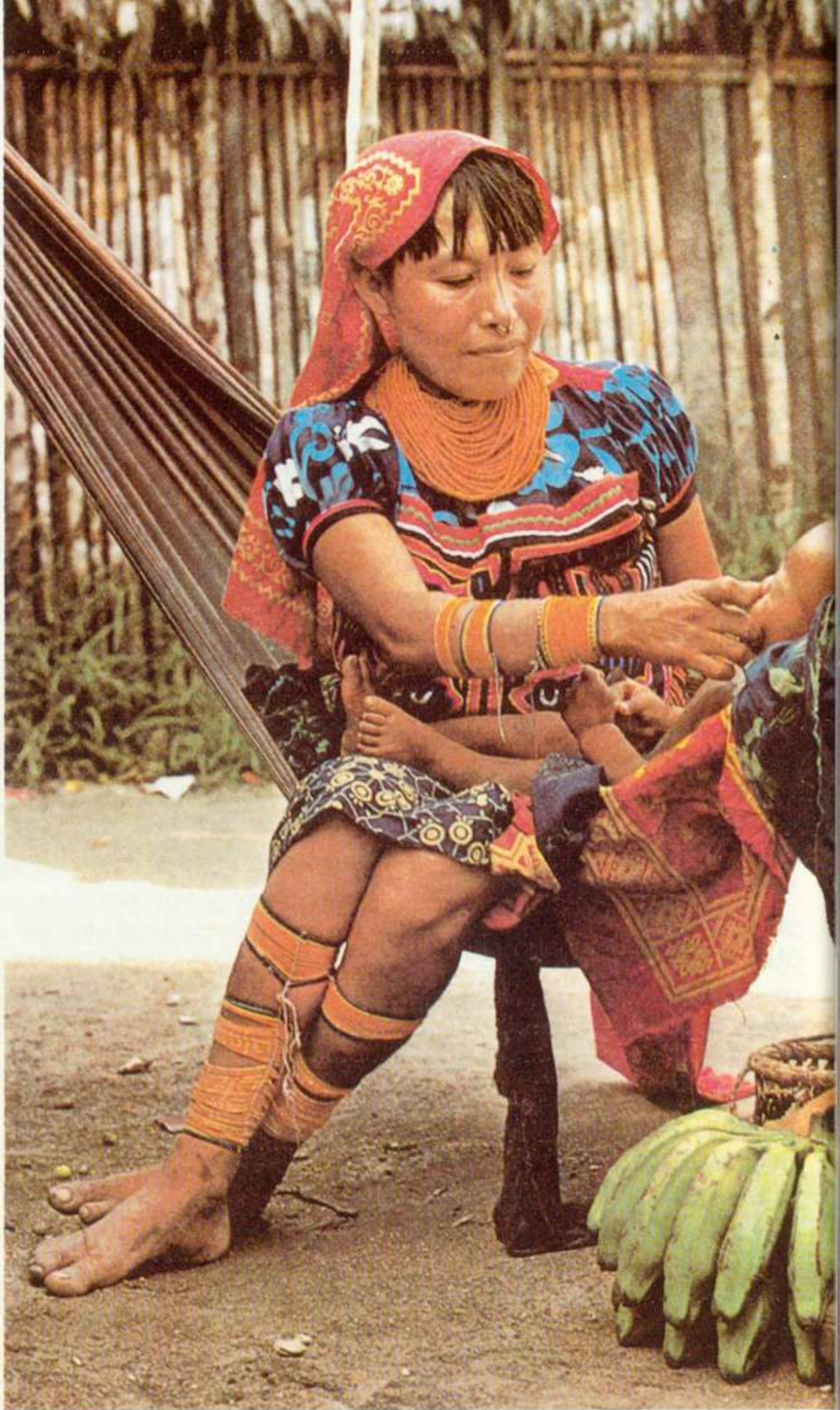
لابد أن قلق كولومبوس وهمومه تبددت جميعاً على أصوات وهتافات البرتغاليين الذين هرعوا للترحيب بالمستكشف المنتصر حين علموا انه وصل عائداً من بلاد الهند « كان الناس الذين ذهبوا إلى المركب الشراعى من الكثرة بحيث كان من الصعب رؤية البحر فقد امتلأت صفحته بجميع أنواع وأحجام قوارب البرتغاليين » .

وفى الثالث من مارس رفع كولومبوس مرساته وانطلق باشرعة جديدة نحو اسبانيا .. والقت « نينا » مراسيها بسكينة وطمانينة بعد يومين امام « بالوسى » فى « ريو تينتو » بعد نصف سنة تقريباً من تاريخ إقلاعها برجالها الشجعان المشوقين إلى المجهول مقتحمة ظلمات المحيط .. وحدثت المفاجاة الثانية حين اطلت السفينة المفقودة « بينتا » من وراء الافق بعد ساعات قليلة من وصول « نينا » راكبة نفس المد المرتفع الذى حمل « نينا » .. لقد اخطات جزر الأزور .. وربما كان ذلك سبب إفلاتها من قبضة العاصفة الثانية المخيفة

كان معظم البحارة من « بالوسى » والمدن المجاورة .. ومن المؤكد ان كل فرد من الاقليم قد هرع إلى النهر ليرى الهنود الذين جاء بهم كريستوفر ، وليرحب بالأبناء والأزواج العائدين وليطاطىء الرأس حسداً عندما يعلم أن بعض الرجال قد بقوا فى بلاد الهند .. توقعاً منه أنهم سوف يكدسون من



لقطة نرى فيها طريقة الكاريبيين فى التدخين
ففى هذه الرحلات تم أول لقاء بين أوربا والطباق



فتاة كاريبية ترتدي أزياء تقليدية مزركشة ..

الذهب ما يغنى أسرهم مدى الحياة .

بعث كولومبوس برسالة إلى فرديناند وإيزابيلا من لشبونة ولم يكن هناك ما يؤكد وصولها إليهما لأن الحكام البرتغاليين لم يكونوا جد سعداء بفوز الأسبان وإحرازهم هذه الجائزة العظمى .. لذلك أسرع بارسال رسالة أخرى من « بالوس » وبعد ثلاثة أسابيع تسلم رداً من لشبونة وهو فى « اشبيليه » على بعد ٢٠٠ ميل كان مجرد قراءته للتحية يكفى ليجعله يطير من الفرح .. فقد خاطبه العرش بلقب كولونيل وأنه أدميرال البحر المحيط ونائب الملك وحاكم الجزر الهندية المكتشفة ..وناشده ألا يتاخر فى العودة .

وكم كان موكب الادميرال رائعاً وهو يرتدى ثياباً موشاة تليق بالمرتبة والألقاب الجديدة .. يمتطى جواده يتبعه أحد ضباطه ، ثم حاشية من خدمه ثم ستة من الهنود .. وعلى طول الطريق فى الريف الأسبانى احتشد الفلاحون وتجمهر سكان المدن ليروا الرجل المغامر ولينظروا بدهشة إلى أسراه الوثنيين وإلى الببغاوات فى الأقفاص ، وإلى الأقنعة الذهبية .. وغير ذلك من الأشياء العجيبة التى لم يسبق لأحد فى أسبانيا أن شاهدها أو سمع بها .

الرحلة الثانية

ربما احتفل فرديناند وإيزابيلا باستقبال كولومبوس فى قاعة تينيل التى

يملؤها صدى خطوات السائحين الآن ، وعندما اقبل ليقبل أيديهما نهضا ليستقبلاه كما يستقبلان سيداً عظيماً .. وأذنا له بالجلوس فوراً .. ووضعت فى هذا اليوم خطة الرحلة الثانية .

اتخذ كولومبوس سبيله عائداً عبر أسبانيا .. لياخذ الطريق إلى مدريد ثم إلى دير « جواد يلوب » ليوفى بنذره الذى نذره فى أثناء العاصفة العاتية التى أودت بسانتا ماريا .. !

تجمع الأسطول العظيم المكون من ١٧ سفينة بما فيه « نينا » للمرة الثانية عند « كاديز » الميناء المزدحم الذي لا يزال حتى اليوم يعطي الشعور بعبق الأيام الماضية وروحها . وحشد للعمل في الأسطول فلاحون عديمو الخبرة ..لابد انه فغر فاه دهشة وقلب كفيه عجباً أمام هذا المنظر الهزلي ..

وفى خلال رحلة ثلاثة أسابيع هادئة من جزر كناري .. ارتاد كولومبوس طريقاً لا يزال يستعمله بحارة اليخوت الحديثة اليوم .. كان المرشدون الهنود قد أخبروه عن جزر عجيبة تمتد على شكل قوس وعر الى ناحية الجنوب من « هيسبا نيولا » .. وفى فجر الاحد ٣ نوفمبر سنة ١٤٩٣ رأى مراقب سفينة القيادة « نوتى مارى » أرضاً تغطيها غابات كثيفة .. ما زالت تحمل اسم دومينيكا الذي سماها به كولومبوس حتى اليوم .. وذلك نسبة الى اليوم التى اكتشفت فيه ..

لم يقرر الأدميرال الرسو بها فقد كانت تغص بالكاريبيين .. المحاربين آكلي البشر .. الذين يشنون غاراتهم على القبائل الأخرى لاغتنام الرقيق .. وقد حذره مرشدوه الهنود المرتعبون منهم فى رحلته الأولى .. ومن اسمهم « كاريبي » جاءت كلمة « كانيبال » اي آكلي لحم البشر .. وعندما توقفت عند « جواديلوب » اكتشف رجال كولومبوس الدليل الكافي على وحشية هؤلاء الكاريبيين .. فقد وجد الرجال فى بعض المنازل المنعزلة لحماً بشرياً مشوياً ومسبكاً ، وأسرى يرثى لحالهم فى انتظار الذبح ، وأولاداً صغاراً ومسمنين للطبخ ، أما البنات فقد احتفظ بهن أحياء لينتجن مزيداً من الأولاد الذين يستطيب الكاريبيون لحومهم .

وفى « لاجراند إنى » احتمت سفن الأدميرال السبع عشرة وراء صخرة ضخمة من شلال متدفق تنصب مياهه من وراء القمة السامقة ، وتيارات الماء الهائجة تتفجر عبر مدخل يضطرب بالموج والزبد بينما القوارب الصغيرة التى يركبها الأوربيون المتحرقون شوقاً لأول اتصال بينهم وبين العالم الجديد تروح وتغدو .. لابد أن جمال الأرض الخلاب قد بهر أولئك الرجال القادمين من جبال أسبانيا الجنوبية الجرداء .. وكانت نضارة «جواد يلوب» أول شرك يقع فيه الملاحون .. فقد أضاعت مجموعة من البحارة نفسها فى الغابة .. وأرسل كولومبوس وراءها أربع مجموعات بحث أخرى تتألف كل منها من خمسين رجلا .. ولم يعد أحد .. وظلت الأيام تتسرب ولم يظهر أثر لهم .. فتعجل كولومبوس السير إلى « هيسبا نيولا » .. كان يتوقع أن يجد براميل المياه وجرار الزيت التي تركها وراءه فى « نافيداد » قد امتلأت وفاضت بالذهب .. وفى جزيرة يسميها الوطنيون « أياي » وسماها كريستوفر سانتا كروز وتسمى الآن « كرويكى » حدث صدام آخر مع الهنود جرح فيه أوروبي وهندي جرحاً مميتاً ..

أسرع الأدميرال تحثه الأخيلة السعيدة بصور الذهب يملأ أرجاء الحصن .. وبعد رحلة يوم واحد وصل المرفأ الذي ترك فيه الرجال .. ووقعت عيون الجماعة التى نزلت الشاطىء على منظر مشئوم .. جثتين يلتف حول عنق إحداهما حبل غليظ .. وفى اليوم التالي عثروا على جثتين أخريين قد سحلتا بوحشية وقسوة .. وأمام « نافيداد » أطلقت السفن بضع طلقات فلم يرد عليها أي موقع على الشاطىء .. وفى اليوم التالى نزل الأدميرال إلى الساحل وصدمه الشعور بالألم والفجيعة حين رأى الحصن والمنازل قد تحولت إلى رماد .. ولا أحد هناك ليسأله عما حدث !!

● كان يتحرق شوقاً إلى الذهب ويسأل عن مصدره فيقولون له : ارحل إلى الأمام

● أول لقاء بين أوروبا وبين التبغ كان أمام حفنة بيوت من القش !

استطاع كولومبوس أن يكون أجزاء القصة من مجموعة الأخبار والشواهد .. فالمتاعب لا تبرز دائماً إلا من مصدرين شديدي الانفجار : النساء والذهب ، فبعض قبائل الهنود الذين يستولون على المعادن النفيسة من غيرهم ولا يكلفون أنفسهم جهد البحث عنها واستخراجها ، وأولئك الأسبان الذين ضلوا فى منطقة « كونابو » أحد زعماء الهنود .. أثاروا غضب ذلك الزعيم فقضي كونابو على النهابين المغتصبين ، وانحدر الى « نافيداد » فأحرق الحصن والمنازل وسوى بها الأرض وصاد الأحياء من المقيمين الواحد بعد الآخر .

قرر كولومبوس إعادة بناء « نافيداد » التى كان فقدها نقطة تحول فى حياته كمكتشف ؛ فقد رأى أن تعزيز الوجود الأسبانى بانتصارات تلو انتصارات قد صار أمراً حتمياً حتى لا تتوالى عليه وعلى رجاله تلك الكوارث والنكبات . وفشلت المحاولة الثانية لبناء مستعمرة فشلا مؤسفاً كسابقتها فقد كان كولومبوس مكتشفاً ومغامراً .. مشوقاً الى الرحيل ثانية فى طلب الذهب وإلى اكتشاف أرض أخرى جديدة لكنه وهو يحاول البحث هنا عن موقع جديد لنافيداد ويخطط لاقامة مدينة تحمل اسم الملكة إيزابيلا قادرة على الصمود والبقاء كان أشبه بمستعمر .. وبينما كان بعض الرجال يبنون بيوتاً أشبه بالكبائن الصغيرة ، خصص الأدميرال آخرين لبناء سوق فسيح وفى مقدمته كنيسة وحصن وأبنية أخرى من الحجر الجيري .. وشغل نفسه بتجريد حملات إلى الداخل بحثاً عن مناجم الذهب ثم ترك بعدئذ القيادة لأخيه دييوجو منطلقاً فى رحلة إلى البر الأصلى للهنود ، الساحل الجنوبي لكوبا .

وعاد كولومبوس بعد خمسة أشهر بكمية ضخمة من الذهب وأرض جديدة مضافة الى مكتشفاته .. جزيرة يسميها الهنود جامايكا وفى مدينة « إيزابيلا » الجديدة وجد أخاه بورتولوميو قد وصل حديثاً من أسبانيا . وقضي الأخوة عاماً ونصف فى جهود ضائعة لانقاذ إيزابيلا .. فقد فجر الهنود الثورة .. وشاعت الأمراض

فى الموقع الذي أسىء اختياره وانتشرت فيه الحشرات وقل الطعام .. فاختار الأدميرال اخاه بارتولوميو حاكماً قبل إقلاعه الى أسبانيا فى مارس سنة ١٤٩٦ وامر بنقل عاصمة العالم الجديد فى أثناء غيابه الى موقع آخر . وبدأ بناء مدينة سانتو دمينجو التي مازالت قائمة حتى الآن كواحدة من أبرز آثار المغامرة الاستعمارية الأسبانية .

الرحلة الثالثة

مرت سنتان تقريباً قبل أن يتمكن كولومبوس من الاقلاع ثانية .. ثلاث سفن يجب أن تتقدم مباشرة بالمؤونة والمستعمرين الى هيسبانيولا .. وقد حشد جميع بحارتها من نزلاء السجن الأسباني ، وثلاث سفن أخرى سوف تأخذ طريقاً اميل الى الجنوب على أمل أن تسبق البرتغاليين الى أرض عظيمة يعتقد كثير من علماء وصف الأرض انها تقع بعرض خط الاستواء . قضت السفن ثمانية أيام قاسية فى حر يوليو بالمنطقة الاستوائية فانفجرت أطواق براميل المياه ، وفسدت اللحوم .

وبعد تسعة أيام أخرى وشهرين منذ أن ترك كولومبوس شواطىء أسبانيا رأى أحد المراقبين « ترينداد » .

أخيراً ..!! قد تكون هذه الأرض مقر ممثلى الخان الأعظم ، هكذا حدث الأدميرال نفسه ، ولك أن تتصور كيف كان غمه وكدره حين رأى فى انتظاره على الشاطىء هنوداً أكثر عرياً ؛ فقرر أن يتاجر للحصول على الذهب .. وأخذ رجاله يعرضون أوانى من النحاس المصقول وأشياء أخرى ذات بريق أخاذ على الهنود .. فلما بدا لهم أن الهنود لم يعجبهم ما عرضوه عليهم حاول الأدميرال وسيلة أخرى .. أمر قارع الطبول فى السفينة أن يقرع الطبل وصبية السفينة أن يرقصوا . كان ذلك الضجيج فوق احتمال الهنود المساكين فكان ردهم أن أمطروهم بسيل من النبال والرماح .. واستطاع الأدميرال أن يرى تجاه الشمال ساحلا جبلياً هو ساحل فنزويلا الآن وبعد بضعة أيام وضع الأوربيون اقدامهم على شبه جزيرة «باريا» إصبع الأرض الذي يمتد الى الشرق نحو « ترينداد» وكانت هذه هى أولى خطواتهم على اليابسة الأصلية منذ أن اكتشفها الفايكنج قبل ٥٠٠ سنة .

● نزل بحارته إلى البرّ بعد العاصفة فوضعهم ضابط الجزيرة في السجن

● في الرحلة الثالثة نفد طعامه وعاد يجرّ أذيال الفشل

وهناك لم يجدوا فى استقبالهم سوى ثرثرة القرود وضجيجها .. كان احساس كولومبوس الدرامى عميقاً للغاية .. وما كان يجب أن يفسد العرض بسبب عدم وجود مشاهدين ؛ ولذا تأجل الاحتفال الرسمي بملكية أرض « لاندباريا » الى يوم آخر وتقرر الرسو فى مكان آخر حيث يجد المكتشفون عدداً لا بأس به من الهنود يكسب العرض قيمته ويعطيه بهاءه ، وأدرك كولومبوس أنه لم يكتشف هذه المرة جزيرة أخرى بل إنه اكتشف أرضاً شاسعة كبيرة كما كتب فى جرناله : « اعتقد أن هذه قارة واسعة » « لا نعلم شيئاً عنها قبل الآن »، ولكنه ظل متمسكاً بعقيدته بان هذا العالم الجديد - كما سمى هذه الأرض - يقع فى مكان ما جنوب شرق آسيا . ولو أن كولومبوس تلكأ قليلا هناك لاكتشف نهر أورينكو العظيم ؛ لأن نضارة خليج «باريا» وخصبه لم يكونا إلا عطاء نهر كبير ولكن الطعام نفذ والمخزون الجاف منه الذي حمله معه كولومبوس أوشك أن يتلف فاضطر أن يتحول تجاه الشمال مخترقاً الكاريبي الى هيسبانيولا .. وجعل مرساه على الطرف الآخر على بعد ٧٠٠ ميل وظل طيلة شهر ونصف يخترق المياه الخطرة فى طريق متعرج على طول سواحل لم يرها أوروبي من قبل . وعندما وصل الى هيسبانيولا لم يجد كولومبوس المرهق المتعب الذي أثقل كاهله اليأس الراحة التى كان ينشدها بل وجد جزيرة تغلى بالضيق والتذمر كان المقيمون جميعهم يشكون والبعض وصل به الأمر الى التمرد والثورة .. فقد تبددت أحلامهم بالثروات التى يسهل جمعها من الأرض أو نهبها من الهنود .. ولم يتبق معهم الا القليل مما يؤكل من طعام الوطنيين : خبز الكسافا ، والبطاطا الحلوة ، والذرة . وزاد الأمر سوءاً أن عدة مئات من أولئك الساخطين قد نجحوا فى العودة الى أسبانيا وأخذوا ينشرون شتى الروايات عن عجز كولومبوس وأخويه وعدم أهليتهم لرعاية شئون أسبانيا والأسبانيين فى هذه المنطقة من العالم .

ويذكر فرديناند كولومبوس كيف أنه هو وأخوه الأكبر حينئذ سيقا للمثول أمام المحكمة فى غرناطة (جرانادا) وتبعهما فى أبهاء وساحات القصر زبانية العذاب وهم يصيحون باستخفاف : امضوا يا أبناء أدميرال البعوض .. الذي اكتشف أرض الخداع والغش وأهلك فيها ودفن السادة الكاستيليين » وكان للملك والملكة دورهما فى هذه الأزمة فقد طلب منهما كولومبوس أن يبعثا جليس الملك وثقته فرانسيسكو دي بوباديللا .. ليتقصى الحقائق ويبحث الاتهامات التى اتهم بها أخوة كولومبوس : خونة .. أعداء قساة .. سفاكون لدماء الأسبانيين ، - كان طبيعياً الا ينسى الساخطون أن كولومبوس واخوته إيطاليون - ويبدو أن بوباديللا لم يتحرك بسرعة .. فكان أن وصل الى « سانتو دومينجو » بعد أن استفحلت الثورة واشتد الحال ، ليشهد منظراً نادراً لما حدث ، وكان مفجعاً ودليلا دامغاً يشهد بقسوة الأدميرال وعنفه .. سبع جثث أسبانية تتأرجح معلقة فى المشانق وخمسة آخرون محتجزون فى السجن ليلقوا نفس المصير غداً .. أمر بونا ديللو فى الحال بتكبيل دييجو بالأغلال ثم ما لبث أن أمر بتكبيل الأدميرال نفسه ومعه بارتولوميو .. وأمر باعادة الجميع الى أسبانيا .. عاد كولومبوس على هذا النحو المخزي الى الوطن .. رافضاً فى أثناء الرحلة عرض قبطان السفينة أن يفك عنه أغلاله .. مصراً على أن يبقى فى الحديد الى أن يأمر صاحب الجلالة باطلاقه .. وقد ظل كولومبوس محتفظاً بهذه الأغلال حتى أنه أوصى أن تدفن معه بعد موته - . وذهب كولومبوس والقيود فى يديه الى دير مضياف فى « لاس كويفاس » عبر النهر من « شيفيل » ليلعق جراحه ويكتب خطاباً عاطفياً مؤثراً الى البلاط الملكى .. وهو يتساءل كيف يحدث هذا لرجل اكتشف لأسبانيا أرضاً أوسع من أفريقيا وأوروبا



صورة متخيلة لكولومبوس عائداً بالقيود

كريستوفر كولومبوس

ماذا بقي منه بعد خمسمائة عام على اكتشافه المثير؟

وأكثر من سبع عشرة جزيرة !! .

مرت ستة أسابيع تقريباً قبل أن يأتى الأمر باطلاق سراحه .. ومع رسالة الافراج الفان من الدوكات بعث بهما فرديناندو وإيزابيللا لتخفيف وطأة الفقر الذي كان يعانى منه أخواه .

وجرى استقبال دييجو وبارتولوميو والأدميرال فى الحمراء بغرناطة فى ١٧ ديسمبر سنة ١٥٠٠ وأمر الملك والملكة باعادة حقوقُ وامتيازات الأدميرال .. ولكنهما لم يذكرا شيئاً عن عودته حاكماً لهيسبانيولا .. !! وقضى الأدميرال ستة أشهر حزينة موهوناً فاتر الهمة فى « لاس كويفاس » وهو يرتدي حلة بنية سادة من حلل الفرير .. ولم يفتر عن كتابة الرسائل يتوسل فيها الى البلاط والبابا وكل من يستطيع أن يقول كلمة طيبة من أجله .

الرحلة الرابعة

كولومبوس الآن فى الخمسين من عمره رجل عجوز بمقاييس هذه الأيام . وها هو ذا يعطى فرصة أخرى فقد أراد فرديناند وإيزابيللا أن يتخلصا من ذلك الرجل المتعب الملحاح الذي يزعجهما بشكاواه الدائمة والتماساته على كل لسان فأمرا سنة ١٥٠٢ بأن يعطى أربع سفن ليبحث عن الممر الذي كان يؤكد مراراً وتكراراً أنه موجود وأنه سوف يعثر عليه وينفذ خلاله من الأرض التى اكتشفها الى المحيط الهندي .. ربما يستطيع أن يجد بلاد الهند الحقيقية بدلا من أن يزحم الخرائط بمزيد من الجزر التى لا نفع منها .. حينئذ .. حينئذ فقط تكون لمعاونته قيمة .

وشق الأسطول طريقه فى أوائل إبريل من جانب النهر صباحاً فى سيفيل وبعد مسيرة يوم أو يومين أسفل « جودا لكويفير » مالت السفن نحو شاطىء صغير مازال ظاهراً تحت الجرف فسقط الزفت الذى طليت به السفن وصارت « الفوفياجى » أو الرحلة العظمى كما سماها كولومبوس معرضة للغرق منذ أولى خطواتها بسبب ديدان السفن .

وبالرغم من أن البلاط الملكى قد ترك له لقبه الفارغ ! « الأدميرال ونائب الملك » فقد حل مكانه دون نيكولاس دى أوفاندو « حاكما فى هيسبانيولا ، وخوفا من حدوث مواجهة بين كولومبوس وأوفاندو منع الملك والملكة كولومبوس من أن يستنجد بهما فى أثناء أرتحاله الى الخارج .. ولكن كيف يتوقعان أن كولومبوس لن يبحر على الأقل الى ما وراء هذه الجزيرة التى « بفضل الله كسبها لأسبانيا ، والتى احبها أكثر من اى شىء آخر ؟ ! . وصل كولومبوس الى المدينة التى كان قد أمر ببنائها ووقف على مرأى منها .. لقد صارت سانتو دومينجو بالفعل تجمعاً مؤثراً من أبنية مقامة من الخشب والقش .. ولكن انتباه كولومبوس فى هذه الآونة كان مركزاً على الطقس .. فقد كانت الزوبعة تغلى وهو يعلم أن أوفاندو يوشك أن يرسل إلى أسبانيا أسطولا من ثلاثين سفينة محملة بالكنوز المسلوبة من الهنود ، بعضها هو نصيب كولومبوس فى ثروة هيسبانيولا . بعث كولومبوس بأحد ضباطه الى الشاطىء ليحذرهم من العاصفة .. فقرأ أوفاندو رسالة كولومبوس على ملأ من ضباطه ساخراً وهو يقول بصوت عال : ما الذى جعل هذا الأدميرال المغفل يظن أن فى استطاعته التنبؤ بالطقس وأحواله على هذه الصورة ؟ .. كانت سفن أوفاندو راسية منذ يومين وعندما انفجرت فيها العاصفة طوحت بها .. أما كولومبوس فقد مضى بسفنه القليلة نحو الاتجاه المعاكس وساس الأمر بمهارة حتى انقذ أسطوله الصغير ولم يفقد سوى قارب من سفينة ومرساتين أو أكثر ولكن خمساً وعشرين سفينة لأوفاندو قد غرقت بكل ما فيها من كنوز ومن عليها من الرجال . والغريب أن السفينة الوحيدة التى واصلت رحلتها الى أسبانيا هى التى كانت تحمل نصيب الأدميرال فى ذهب الهنود .. ولعل ذلك احد الأسباب التى جعلت كارهى كريستوفر يتهمونه بأنه استخدم تعويذة سحرية ليدمر السفن ويثأر من أوفاندو .

بعد أن هدأت العاصفة حملت التيارات أسطول كولومبوس نحو الغرب إلى ما بعد جامايكا ومن هناك اتجه شمالا نحو كوبا وأخيراً سمحت له الريح أن يضرب جنوباً عبر الكاريبى بحثاً عن الممر المائى المنشود .

وكابدت السفن الأربع وحدها أهوال رحلة مروعة على طول ساحل أمريكا الوسطى من أواخر يوليه حتى نهاية سنة ١٥٠٢ حتى رست أخيراً أمام واحدة من جزر الخليج خارج هندوراس .. وفى أحد التقارير المرعبة التى كتبها كولومبوس يتحدث عن عاصفة ظلت ٨٨ يوماً حتى ظن هو ورفاقه أن نهاية العالم قد جاءت ، فقد كان البحر يغلى كما يغلى الماء فى قزان على نار هائلة .

كف كولومبوس عن البحث عن الممر المائى الذى لا وجود له .. وانصرف الأدميرال للبحث عن مزيد من الذهب الذى وجد قدراً لا بأس به منه فى خليج كبير شمال غربى بنما .. ونازل الهنود الذين قاتلوه بشجاعة .. ووجد كولومبوس ملجأ لسفنه يحتمى به من العاصفة داخل فم نهر « ريوبيلين » فى بنما وقرر أن يقيم مركزاً تجارياً ولكن رغبة الهنود وشغفهم بالتجارة سرعان ما حلت محلهما عداوة ضارية فافلح كولومبوس فى سحب ثلاث من مراكبه إلى خارج النهر . فقد صارت المياه ضحلة بعد العاصفة واضطر إلى أن يهجر السفينة « جالليجا » هناك « لقد طرت أنا والقبطان جيم توملين على نهر ريوبيلين وفى مكان

ما هناك من مستنقعات هذا النهر الهادىء ترقد جثة سفينة « جاليجا »

نحن الآن فى منتصف ابريل سنة ١٥٠٣ وقد مضى اكثر من سنة على اقلاع كولومبوس من سيفيل .. قضى معظمها فى المياه الاستوائية .. وكان الملاحون ينفقون معظم أوقاتهم فى إدارة المضخات .. وضجرهم يشتد يوماً بعد يوم بسبب اعتقادهم أن كولومبوس قد مضى بهم ابعد كثيراً من هيسبانيولا .. وصارت السفينة فيزكينو مهلهلة بعد أن نخرتها ديدان السفن حتى أصبحت أشبه بالغربال فهجرها الرجال وناضلت السفينتان الباقيتان حتى وصلتا الى ما هو الآن حدود بنما – كولومبيا حيث رفض البحارة مواصلة المسير .. وتحت تأثير داء النقرس والملاريا وإحساس كولومبوس بفشل رحلته العظمى وافق على العودة تجاه الشمال . وبرغم استعمال البحارة لكل إناء ومضخة وقزان فى رفع المياه من السفينة فقد عجزوا عن مكافحة المياه المتدفقة من ثقوب الديدان .. وعند خليج سانت آن حيث أكتشف كولومبوس جامايكا منذ تسع سنين مضت اجريت عمليات دهان السفن على الأرض عند ارتفاع المد واقيمت ملاجىء من سقوف النخيل على ظهرى السفينتين .. وهناك قضى كولومبوس سنة تعسة يتهدده فيها التمرد من وسط الرجال وأخطار هجمات الهنود من الخارج . وكانت نجاته من هذه المأساة أشبه بمعجزة .. فلم يكن هناك اى احتمال لمجىء سفينة اسبانية الى هذه المنطقة .. ولم يكن متوقعاً من أوفاندو الذى فقد أسطوله بعد تحذير كولومبوس له وبسبب تعويذته السحرية كما ظن البعض أن يبعث إليهم بأية نجدة حتى ولو كان يعرف الى أين يبعث بها .. ولكن « دياجو منديز » ضابط احدى السفن استطاع أخيراً أن يشترى قارباً من قوارب الهنود مقابل خوذة ممتازة من النحاس وسترة وأحد قميصين كان يملكهما كولومبوس ، وثبت فيه شراعاً وقاعدة وأبحر به مع أسبانى آخر إلى هيسبانيولا .. فأسره الهنود فهرب عائداً إلى سانت آن ، وفى المحاولة الثانية وصل الى سانتو دومينجو على مسافة ٤٠٠ ميل بحرى .. ربما لم تكن رحلة عظيمة لقارب صغير . ولكن العمل نفسه يكشف عن صديق شجاع وفى .

بعد أحد عشر شهراً من ترك « منديز » لجامايكا وصلت السفينة الشراعية الصغيرة التى أمكنه تاجيرها فى سانتو دومينجو . باشرعتها المهلهلة وقاعها المخرق الى كولومبوس ونحو المائة رجل الذين كانوا معه وأخذهم الى هيسبانيولا .. واضطر الأدميرال بسبب آلام داء النقرس ووطأة الحزن العظيم أن يؤجر سفينة للمرة الأخيرة .

والقى كولومبوس نظرة أخيرة على « سانتو دومينجو » ثم عاد إلى الوطن حزيناً .. فى سفينة صغيرة مؤجرة .. عاد البطل مهزوماً حقاً .. لقد عاد غنياً ولكن ذهب الدنيا كله لم يكن عزاء كافياً عن الغار الذى سقط من فوق جبينه ومنزلته التاريخية التى هوت .. والتى ظن أنه صاحبها بجدارة وهاهم أولاء غيره يواصلون اكتشافاته .. رفيقه فيسنتى يانيز بينزون وصل الى البرازيل سنة ١٥٠٠ وجيوفانى كابوتو (معروف باسم جون كابون) قد ثبت حق انجلترا فى السيطرة على القارة الثانية العظيمة .. ولكن القدر قد أعفى كولومبوس على الأقل من أن يعرف أن اسم أمبريجو فيسبوتشى ابن بلده هو الذى سيسمى به العالم الجديد فيما بعد ... وشكراً لسلامة النية ولحماقة رسام خرائط سابق .



احد الاقنعة الذهبية الهندية التى استولى عليها الرحالة فى رحلته الثانية

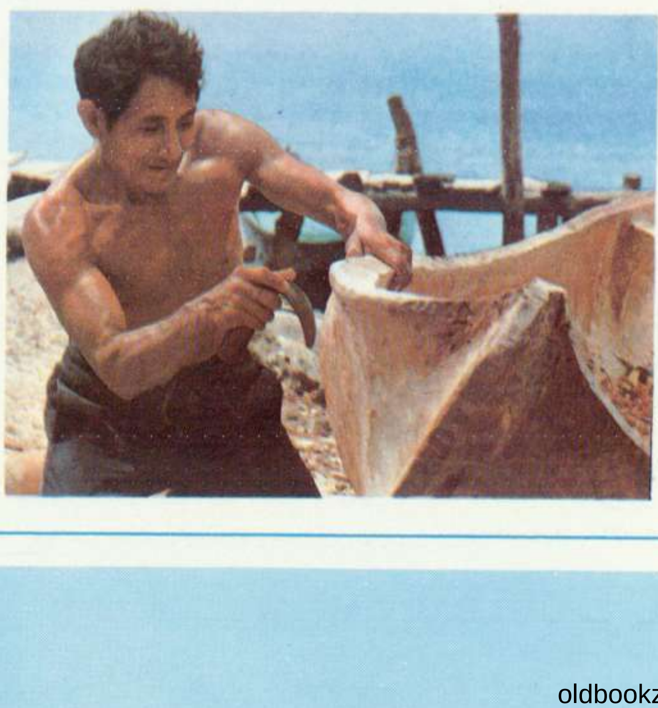
عاش كولومبوس أياماً قصيرة مشحونة بالألم والمشقة والتعاسة ولم يكف عن ملاحقته للبلاط الملكى يتبعه وهو يتحرك من مدينة الى مدينة راجياً المثول بين يدى الملك والاحتفاظ بامتيازاته .. واشتدت وطأة المرض وعمق شعوره بالفشل .. ووافاه الموت ولم يجد حول فراشه سوى ولدين له وأخيه دييجو ورفيقين وفيين .. ولم يرسل البلاط الملكى معزياً .. وفى العشرين من مايو سنة ١٥٠٦ لفظ الأدميرال آخر أنفاسه مع حسرة الحزن على سقوطه من القمة .. !!

عبد العزيز السيد المصري

المراجع :

1 **National Geographic :**
Vol. 148, No. 5

2 East Indies route search and discovery:
(J. B. Mi / W.K D.D.)



رجل من جزر الكاريبى مازال ينحت قاربه من جذوع الأشجار ، وبشكل مشابه تماما لما راه الرحالة منذ خمسمائة عام !

تأملات إعلامية

ألف ليلة وليلة

ظلموها في التليفزيون العربي

بقلم : محمد فتحي

التجريب فى الفن ـ كل ضروب الفن من مسرح وسينما وراديو وتليفزيون وتشكيلى ـ مطلوب مرغوب فيه . التجارب الممارسة سواء كتب لها التوفيق والقبول ، أو كان نصيبها من القبول الفتور ، فيها للفن إغناء ، وفتح لدروب جديدة ، وإنعاش عندما ينتابه الركود ، أو يقع بين مخالب الاصطلاح ، وتطوير متصل ، أو على الأقل إعادة نظر فى النظريات المعمول بها ، وتأكيد وتدعيم للخطوط الكلاسية (الكلاسيكية) المعتمدة .

من هذه التجارب المشهودة المشهورة تجربة نشأت فى احضان المسرح البريطانى ، فى نهاية الثلاثينيات من هذا القرن ، أو ربما فى الأربعينيات بعد نهاية الحرب العالمية الثانية . ذلك أن التقليد المألوف فى إخراج المسرحيات الكلاسيكية الخالدة ، مسرحيات شكسبير بالذات ، درج منذ القرن السادس عشر ، على اخراجها فى إطارها التاريخى ، بلغتها أى بلغة العصر ولهجته ، وبملابس العصر وأثاث العصر وديكور العصر . واستمر الحال على هذا المنوال ، الى أن جاء مخرج ثورى أراد أن يخرج على التقليد الشكسبيرى المأثور . قال لماذا لا نخرج شكسبير فى إطار جديد ، إطار العصر الذى نعيش فيه ، لا عصر المسرحية ؟! لماذا لا نخرج هاملت بالملابس العصرية ، ملابس القرن العشرين ، وباللهجة الانجليزية فى القرن العشرين ، وبديكور القرن العشرين ؟!

لعل سنده الأكبر فى مغامرته التجريبية الجديدة هو أن القيمة الكبرى لدراما شكسبير التى تجعلها خالدة على الأيام هى انسانيتها . أى تجسيدها للعواطف والمشاعر والخلجات والنزعات وكل ما يكمن فى سريرة هذا الانسان .. تجسيدها فى صورة شعرية فنانة تاسر السمع والفؤاد ، وتعقد دوماً محكمة ـ يجلس على كرسيها الضمير ـ تسائل وتزن وتعدل ، ثم تتامل وتضع الحيثيات ، فى ظل من أسى على ضعف الانسان وضالته إزاء قوة القضاء وقهر القدر .

كان هذا فيما يخيل إلي هو سند هذا المخرج الجرىء فى مذهبه الجديد وتجريبه المغامر . إذا كان الانسان فى جوهره ـ فى خيره وشره ونزوعاته ـ هو هو لم يتغير فى القرن العشرين عما كان عليه فى القرن السادس عشر ، فما قيمة الشكل ؟! ما قيمة الثوب أن يكون الفراك أو العباءة ؟ أو ان يكون طراز الأثاث الملكة آن أو لويس الرابع عشر أو الاسكندناوى العصرى ؟!

التردد والقلق والتوزع النفسانى فى هاملت ، والفتوة العارمة النبيلة التى لا تتدنى لفهم اللؤم البندقى فى المغربى الافريقى البربرى عطيل ، والطموح الغدار فى ماكبث ، وتقلب الجماهير فى يوليوس قيصر ، والحب الحلو الوثاب المتفانى فى روميو وجولييت ...

صفات أصيلة ثابتة فى الانسان منذ ادم لم يغيرها فلق الذرة ، او الخروج الى الفضاء والمجرات الأخرى ، أو نمو الاحساس باقتراب الساعة !

واخرج المخرج البريطانى «جوردون كريج» مسرحية هاملت بالملابس العصرية . وبالفعل رأينا هاملت على المسرح فى الفراك أى بذلة السهرة الكبرى السوداء ذات الذيلين الطويلين والقميص المنشى والصديرى الأبيض والياقة المنشاة

والبابيون الابيض . وهكذا دواليك بالنسبة لملابس النهار ثم بالنسبة لبقية الممثلين .

أثارت هذه التجربة ، كما كان مرتقبا ، جدلا شديداً ، وقيلا وقالا ، ونقاشاً مستفيضاً ، لا فى الدوائر الفنية فى بريطانيا وحدها ، بل تجاوزها الى أوربا وغير أوربا ..

ثم انحسر النقاش وانحسرت التجربة وكأن لم تكن . ونسج حولها عنكبوت النسيان خيوطه . هل الانسان عاشق لتاريخه .. يقدس فى نوع من العبادة أسلافه بل وأنتيكاته ؟!

عرفت الدوائر الفنية العربية تجربة مماثلة حين تشارك تليفزيـــون مصر وتليفزيون عمان فى تصوير حلقات من الأثر القصصى الخالد الف ليلة وليلة ، شهدتها وتشهدها الجماهير على الساحة العربية الكبرى .



أحسب أن التجربة قوبلت - فى مصر على الأقل - بفتور شديد . لكنها مع ذلك حظيت بالتفات شديد .فمكانة الأثر العظيم المحبوب معروفة ليس على البسيطة طفل لم يقرأها ولم يقتنها ولم ينتش بها . وليس على البسيطة كاتب قصصى لم ينفق الساعات مع أخيلتها منمياً خياله ومستضيئاً بنور رسومها وصورهـــا الفذة ، وسابحاً ومحلقاً فى بحارها وأجوائها ، والى أبعاد من اللذة غير المطروقة ليس لها فى انتاج الخيال البشرى شبيه أو نظير أو قريب . ولعلها العمل القصصى الوحيد من أعمال العرب الذى يستحق تلك الجائزة التى يتطلع اليها العرب متلمظين .. جائزة نوبل . والذى لا يحتاج لترشيح أو تزكية من هيئة أكاديمية أو فكرية أو دولية . ألم تترجم ألف ليلة وليلة الى لغات العالم طراً ؟ دون دفع من كاتب أو هيئة أو سلطة ؟ ألم تدخل مسمياتها من السندباد والشاطر حسن ومصباح علاء الدين وشهرزاد وغيرها فى قواميس لغات العالم طراً ؟ ونهلت السينما من موردها العذب . وارتقت الموسيقى الكلاسيكية فوق أجنحة خيالها ، تارة مع بساط الريح ، وطوراً مع طائر الرخ ، وتارة أخرى مع المارد المنطلق من القمقم الراقد فى قاع المحيط ! واستوحى شخصياتها الكتاب عرباً وغير عرب ليس آخرهم طه حسين وتوفيق الحكيم . واستقى الراديو من مناهلها دون كلال أو ملال ، فالجدة أبداً لا تخلق ، والسحر أبداً لا يبطل !

التفت جمهور التليفزيون للتجربة الجديدة التفاتاً شديداً . وفى ذهنه تجربة «راديوفونية»قريبة حلقت به حلقاتها مع شهرزاد وموسيقى رمسكى كورساكوف والمغامرات اللذيذة التى رسخت فى باطن نفسه رسوخاً أبدياً ، وكأنها خلية من خلايا تكوينه وروحه . تلك هى تجربة الشاعر المصور طاهر أبو فاشا الذى أمتع بحلقاتها جمهور المستمعين رمضاناً كريماً بعد رمضان كريم . وكنت دائماً أقول إذا كان الراديو قد نجح فى خلق أدب كلاسيكى خاص به فحلقات طاهر أبو فاشا عن ألف ليلة وليلة هى بلاريب فى راس قائمة هذا الأدب .

التجربة التليفزيونية الجديدة كتبها كاتب رشيق الأسلوب نسيج وحده ، فى منحى التفكير وفى تناول أمور الدين والدنيا . ينعم بظل خفيف وحس دقيق بالدعابة . ذلكم هو الأستاذ أحمد بهجت . العجيب أن شيئاً من ذلك كله لم يبد له أثر فى ألف ليلة وليلة التليفزيونية التى شاهدها جمهور العرب فى الأسابيع الأخيرة لا الأسلوب ، ولا العبارة الحوارية ، ولا الظل الخفيف ولا الحس الفكه . وفوق ذلك كله وقبل ذلك كله ، لا القيمة الأصيلة فى الأثر العظيم بطابعها الأسطورى ولغتها السهلة الممتنعة المسجوعة ، وإيقاع مؤلفها وأسلوبه الروائى .. القيمة الأصيلة المحركـــة للخيـــال ، الباعثـــة للـــذة الصافية ، السابحة بك فى أكوان خارج هذا الكون ، والتى تخاطبك كما لو كنت من فصيلة ما قد يسمى بالسوبرمان أى الذى يعلو على المتعارفات المألوفة .. المحلية والاقليمية والدولية .

مثل هذا الأثر الأدبي العظيم بكيانه الساحر الفذ لا يمكن أبداً أن يكون مطية لاسقاطات من أى نوع اجتماعى أو سياسى أو .. أو .. سواء كان الاسقاط واضحاً صريحاً أو باطناً خبيئاً .

وقد يشار هنا الى أن باعث الحياة فى النص المكتوب وهو المخرج لم يهيىء للمشاهد ذلك الجو الساحر الذى كان يمنى النفس بمرآه . لم يشعر المشاهد ، وهو معه فى مسالكه التى تفتقت عنها خزانة خياله ، انه ينكشف على شىء من لذائذ الكنوز ، أو مزائج النعائم والأهوال التى تنطوى عليها صفحات ألف ليلة وليلة ، والتى هى فى هذا العمل بالذات غاية المنى وقصد مؤلفه المجهول .

بيد أنه إذا كان قد كتب لهذه التجربة كما كتب للتجربة الشكسبيرية أن تنزوى فى زوايا النسيان ، فسيظل التجريب الاجتهادى دوماً عملا مرموقاً مرغوباً فيه . ففيه إغناء وإنعاش وتجديد وتدعيم للفنون ونظرياتها وأساليبها .

د. عزالدين فـراج

الفيتامينات

هل هي مظلة واقية من بعض الأمراض؟



الخضروات الطازجة الغنية بمجموعة من الفيتامينات تحمى الانسان من الاصابة بالأمراض !

قبل كشف الفيتامينات كان العلماء يرون أن الغذاء الصالح هو الذى يحتوى على المركبات الكربوهيدراتية والدهنيـة والبروتينيـة والمعدنيـة فقط ، وظل العلماء يعتقدون انه لا توجد مركبات غذائية اخرى غيرها حتى قامت رحلات البحارة فى البحار والمحيطات وأخـذ البحارة معهم كل أنواع الأطعمة المحفوظة فى علب ، ولم ياخذوا معهم شيئاً من الخضراوات والفواكة الطازجة لأنهـا لا تحتمل التخزين . ومع ان الغذاء كان كافياً إلا ان عدداً كبيراً منهم أصيب ببعض الأمراض .

وعندما عادوا إلى وطنهم بدأ العلماء والأطباء يفحصـون هـؤلاء المرضى ويعالجونهم وكان من طرق علاجهم انهم أعطوهم غذاء البحارة ومعه الخضراوات والفواكة الطازجة ! وبعد مدة لاحظـوا اختفاء أعراض المرض . من هنا قرر هؤلاء العلماء أنه لابد من وجود مركبات فى هذه الخضراوات والفواكه الطازجة تسبب المرض عند غيابها وتمنعه عند وجودهـا ، سموها فيما بعد بالفيتامينات ا ، ب ، ج ، د وأخذ كل عالم يبحث عن أهمية كل فيتامين وفائدته والأطعمة الغنية به .

كان الرحالة البرت أول من وصف عصير الليمون لبحارته الذين كانوا يقاسون آلام الاسقربوط ، وذلك فى عام ١٥٦٣ ، وقد وصفه بعد ذلك الادميرال فاجنر عام ١٧٢٦ لبحارته ، ووصفه الرحالة كوك عام ١٧٧٣ لرجاله أيضاً .

ذكر مرض الاسقربوط لأول مرة فى تقارير الأطباء الذين كانوا يرافقون المحاربين فى الحروب الصليبية . وفقد فاسكودى جاما فى رحلته الاستكشافية بسبب هذا المرض أكثر من نصف رجاله الذين ذهبوا معه .

ومن عام ١٧٠٤ أصبح من ضمن القوانين الأساسية للاسطول البريطانى امداد البحارة بمقدار من عصير الليمون يوميا . وكانت العلاقة بين عصير الليمون والبرتقال وبين الاسقربوط سبباً مباشراً فى تخفيف وطأة المرض .

وفى القرن العشرين عرف أن فيتامين ج فى عصير البرتقال والليمون والخضراوات والفاكهة الطازجة هو السبب فى شفاء مرضى الاسقربوط الذى تتجلى اعراضـه فيما يلى :

١) ادماء الجلد وتبقعه .
٢) ادماء المفاصل والاطراف والعضلات والأنسجة داخليا تحت البشرة .
٣) تاكل الاسنان وسقوطها .
٤) تضخم الأطراف والمفاصل .
٥) هزال الجسم .
٦) الشعور بالتعب من أقل مجهود .







مجموعة من الأطعمة تحتوى على لحوم وبيض وفاكهة ونشويات .هى المصدر الهام لامداد جسم الانسان بالفيتامينك .

علاج ضعف البصر

فيتامين (أ) هو الفيتامين الذى ينشأ عن غيابه أو نقصه ضعف الأبصـــار فى الظلام أى عند غيابه تضعف مقدرة الانسان على رؤية الأشياء ليلا . عرف ذلك قديماً عندما لاحظ أبقراط الحكيم الاغريقى هذه الحالة المرضية من قديم الزمن ، فكان يوصى بتناول كبد الثور بعد اشباعها بالعسل الأبيض . وكثيراً ما كانت مداومة المرضى على أكل كبد الثور مؤدية إلى شفائهم .

وقد كان التأثير السحرى العجيب الذى أحدثه الكبد فى شفاء هذا المرض مصدر الهام بعض الشعراء .. فكتب « جاكوب » وهو أحد الشعراء الهولنديين يقول :

إذا كنت لا تستطيع الابصار فى الظلام
فلابد من تنـــاول كبـد الأغنـــام
ففيهـــا قـــوة الأبصار وشفاء الأجسام

ولم يعرف دور الكبد فى شفاء الحالة المرضية إلا بعد اكتشاف فيتامين (أ) وتأثيره ومواضع وجوده ، فادرك العلماء أن فيتامين (أ) الموجود بوفرة فى كبد الأبقار والأغنام هو العامل الفعال فى علاج وشفاء هذه الحالة المرضية .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أصيب آلاف من المزارعين فى بلجيكا بمرض فى عيونهم أعجزهم عن الرؤية أثنـــاء الليل ، وحار الاخصائيون فى معرفة سببه أو علاجه وكان الوقت حينذاك شتاء ،

وأطعمة أولئك الفلاحين تكاد تخلو من الخضر الطازجة ، وعندما حل الربيع ، وراح الفلاحون يكثرون من أكل الخضراوات اختفى المرض وكانت ملاحظة الاخصائيين بزوال المرض بداية لبحث الصلة بين الغذاء وسلامة العيون .

وقد دلت البحوث على أن فيتامين (أ) يحفظ قوة الأبصار ويساعد المسالك الدمعية على تأدية وظيفتها .

فيتامينات واقية

وهناك مجموعة من فيتامين (ب) ، تسمى ب١ ، ب٢ ، ب٦ ، ب٧ ، ب١٢ ، منها فيتامين ب٦ إذا غاب عن الغذاء أو نقص

كان سبباً فى مرض البلاجرا ، والبلاجرا كلمة واحدة ماخوذة من كلمتين ايطاليتين « بل - أجرا » ومعناها الجلد الخشن ، وسمى هذا المرض بهذا الاسم لأن أهم

الفيتامينات

علاماته الطفح الجلدى الخشن فى المواضع العارية من الجسم . ويوجد هذا الفيتامين ايضا بوفرة فى لحوم الأبقار والأغنام . أما فيتامين ب١٢ فله اهمية كبيرة فى مقاومة بعض انواع ضعف الدم وأهمها الانيميا الخبيثة اما بقية فيتامينات «ب» فواقية للاعصاب والجلد من بعض الأمراض .

والمعروف أن الكساح مرض يصيب فى الغالب الأطفال الذين يعيشون فى مساكن مظلمة لا تدخلها الشمس والذين لا يتناولون الأغذية المحتوية على فيتامين (د) .

والكساح علامات مميزة نذكرها فيما يلى :

١) تكون الجبهة عريضة بارزة .
٢) يكون الصدر ضيقا .
٣) يتاخر وقت التسنين ووقت المشى .
٤) اعوجاج الساقين بحيث إذا وقف الطفل وتلامس الكعبان فان الركبتين تكونان بعيدتين عن بعضهما .

وفيتامين (د) يجعل الجسم قادراً على امتصاص نسبة عالية من املاح الجير الموجودة فى الغذاء لتترسب في العظام . أي ان وجود نسبة عالية من فيتامين (د) في الغذاء ضروري لتقوية العظام وصلاحيتها .

ويكثر فيتامين (د) في زيت السمك والبيض واللبن والقشدة ، وفي مقدور أشعة الشمس أن تكون هذا الفيتامين ، فعندما يتعرض الجلد لهذه الاشعة تتحول بعض مركباته الدهنية الى فيتامين (د) وهذه من أهم الأسباب التي تدفعنا الى تعريض اجسادنا واجساد اطفالنا لأشعة الشمس في الصباح .

وقد وصف دكتور « اديسون » عام ١٨٤٩ الأنيميا الخبيثة وموضعها بانها تغيرات فجائية تحدث لكرات الدم الحمراء ، فتفقد قدرتها على النضج وتصبح بذلك عاجزة عن نقل الأكسوجين والغذاء الى مختلف انسجة الجسم ، فيعتريه هزال شديد وضعف عام .

وظل أمر هذا المرض مجهولا حتى عام ١٩٢٦ ، حتى لاحظ « طرفي » تحسنا ملحوظا في المصابين بمرض الانيميا الخبيثة ، عندما كان غذاؤهم يحتوي على رطل من الكبد الطازج كل يوم .

وفي عام ١٩٥٠ استطاع العلماء فصل بللورات حمراء من الكبد اطلق عليها اسم فيتامين ب ١٢ .

ويمكن تمييز الأنيميا الخبيثة عن الأنيميا العادية (فقر الدم) وذلك ان الانيميا العادية انما تنشا نتيجة لإختلاف في الكرات الدم الحمراء . وهذا النوع من الأنيميا لا يعالج باعطاء مركبات الحديد ، ولكن اعطاء مستخلصات الكبد والأغذية التي تحوي هذا الفيتامين (ب ١٢) هي الكبد والجبن واللحوم عموما ، وصفار البيض .

وهناك ايضا فيتامين آخر يسمى بفيتامين (ك) وهو يمنع النزيف ، يساعد على تجلط الدم تجلطا طبيعيا . ويوجد بكثرة في السبانخ والكرات والقرنبيط واعشاب البحر ، ولكنه يوجد بقلة فى الفواكة والحبوب .

طهو الطعام

اجريت عدة تجارب وابحاث لمعرفة عوامل فقد الفيتامينات المختلفة في اثناء عمليات طهو الطعام فظهرت النتائج التالية

أولا : في درجة حرارة الطبخ العادية لا يفقد فيتامين (أ) الذي يكثر وجوده في الخضروات الورقية والجزر والفلفل والبقوليات الا نسبة ضئيلة .

ثانيا : كثيراً ماكانت الطرق المستعملة في طهو الطعام سببا في فقد كمية من فيتامينات مجموعة ب ، تتراوح بين ١٠٪ و ٢٠٪ ، خصوصا اذا كانت الفترة التي ينضج فيها الطعام طويلة والوسط قلوي ويزيد الفقد في هذه المجموعة من الفيتامينات إذا استغنى عن ماء الطبخ .

ثالثا : يعد فيتامين ج اكثر الفيتامينات فقداً في أثناء عمليات طهو الطعام ، فعند تحويل الفواكه الى مربات تفقد نسبة غير قليلة من هذا الفيتامين ، تتراوح بين ٢٥ و ٤٠٪ . وحفظ هذه المربات مدة طويلة بعد اعدادها يسبب فقد جزء آخر يبلغ ٢٠٪ .

وما يقال عن فيتامين ج فى المربات يقال عند اعداد الشراب « عصير الفاكهة »

أما الخضروات المطبوخة فان كمية فيتامين ج المفقودة تتوقف على طريقة طهو الطعام ، والظروف التي يتعرض لها الطعام في أثناء الطهو .

رابعا : أما فيتامين (د) الواقي من الكساح ولين العظام فلا يفقد منه إلا القليل

توجيهات لتقليل فقد الفيتامينات :

أولا : لا تؤخر عمليات قطف الفواكه والخضروات ما دامت قد وصلت الى درجة النضج لأن ازدياد نضجها يفقدها نسبة من فيتاميناتها ، وقد وصلت نسبة الفقد الى ٢٠ أو ٣٠٪ فى فيتامين أ ، وفيتامين ج ، من جراء زيادة نضج الثمار والاوراق .

ثانيا : واذا اضطررت الى تخزين أوراق الخضروات وثمار الفاكهة فليكن ذلك فى مكان رطب معتم ، لأن الجفاف والضوء يرفعان نسبة فقد هذه الفيتامينات .

ثالثا : لا تقطع أوراق الخضروات وثمار الفاكهة قبل تناولها أو استعمالها بمدة طويلة لأن ذلك يزيد من نسبة الفاقد من فيتامين أ أو فيتامين ج .

رابعا : تناول ثمار الفاكهة بقشورها لأنها تحتوى على نسبة عالية من الفيتامينات تعادل أربعة امثال ما يحتويه اللب ، أو اكثر من ذلك .

خامسا : ان اردت ان تقلل فقد الفيتامينات فى أثناء طهو الطعام ، فعليك بغلي الماء أولا ثم وضع الخضروات فيه ، بدلا من وضع الخضروات فى الماء العادى ، ثم رفع الحرارة بالتدريج الى درجة الغليان .

سادسا : لا تستغنى عن ماء الطهو والا فقدت نسبة كبيرة من فيتامينك .

سابعا : يحسن عدم رفع غطاء الأناء فى أثناء عملية الطهو ، حتى لا تتاكسد بعض الفيتامينات وتفقد خواصها الطبيعية .

ثامنا : تجنب اضافة مواد كيماوية كالبيكربونات للخضروات فى خلال طهوها ، لأن ذلك يزيد من نسبة فقد هذه الفيتامينات .

د . عز الدين فراج

ماذا حدث للكاتب الذى بدأ بتوزيع ½ مليون نسخة من رواياته وانتهى بتوزيع ٢٢ مليون نسخة ؟ !

جيمس بوند ضد... جيمس بوند

رسالة لندن
من
مجدي نصيف



جيمس بوند «روجر مور» الذى حل مكان شون كونرى فى الافلام الاخيرة

اخيرا جاء الوقت المناسب لنشهد معركة طال انتظارها . معركة « البوندات » جيمس بوند ضد جيمس بوند . ففي شهر يونية الماضي ، بدأ عرض فيلم « أوكتوباسي »

بطولة روجر مور في فيلمه السادس عن جيمس بوند ، الذي انتجته شركة ايون للانتاج السينمائي ، وهي الشركة التي انتجت كل أفلام جيمس بوند السابقة .

وفي الشتاء التالي ، يظهر للعرض فيلم جيمس بوند أيضاً ، « أبداً ... لا تقل ابداً ثانية » بعد نزاع قانوني طويل مع شركة ايون التي ادعت حق احتكارها القانوني لكل أفلام جيمس بوند . ويمثل جيمس بوند في هذا الفيلم الأخير الممثل شون كونري الذي ساهم أيضاً في كتابة السيناريو مع لين ديتون . شون كونري يظهر في دور جيمس بوند بعد غياب اثنى عشر عاماً

ليكون، هذا أيضاً دوره السادس كبوند

والذي لا شك فيه ان انهاراً من الحبر ستسكب للمقارنة والمفاضلة بين تجسيد كل من روجر مور وشون كونري لشخصية جيمس بوند . لكن السؤال الأهم بالنسبة

لنا ، ما الذي ستمثله شخصية جيمس بوند في الثمانينات ، مقارنة بشخصية جيمس عندما ظهر في أيامه الاولى ؟









لقطات مختلفة من اداء روجر مور في دور جيمس بوند .

البداية ...

ظهرت اول رواية لجيمس بوند عام ١٩٥٣ ، بعنوان « الكازينو الملكي » أما آخر رواياته وهي « الرجل ذو المسدس الذهبي » فقد نشرت عام ١٩٦٥ ، وقد لاحظ الناقد ديفيد كانادين بحق ان الرواية الأولى ظهرت بينما احتفالات تتويج الملكة اليزابيث ملكة بريطانيا تعيد التأكيد ـ دون اقناع ـ على استمرارية بريطانيا كقوة عظمى عالمية مؤثرة في مسرح الاحداث الدولية . أما رواية إيان فلمنج ـ المؤلف ومبدع شخصية بوند ـ فقد ظهرت في نفس الوقت الذي تمت فيه جنازة ونستون تشرشل ، التي تعرف فيها البريطانيون على لحن الوداع الاخير للامبراطورية البريطانية التي لم تكن الشمس تغرب عن اراضيها .(١)

ولقد شاهدت نفس تلك الفترة ايضاً انفراجاً تدريجياً في العلاقات بين الشرق والغرب ، حيث افسحت التوترات الحادة لفترة الحرب الباردة بين الكتلتين الطريق نحو الوفاق الاقل حدة . كانت هناك أيضاً تغيرات ذات مغزى في العلاقات بين الرجل والمرأة ليس في أوروبا وحدها ، بل في الغرب بأجمعه . فقد شهدت تلك المجتمعات تغيراً غريباً في العلاقات بين الجنسين في الستينات ، بدلا من الاستقرار في الأسرة والحياة التقليدية التي كانت تميز عقد الخمسينات .

عندما توفى إيان فلمنج الكاتب البريطاني عام ١٩٦٤ ، كان قد تم عرض ثلاثة افلام عن جيمس بوند نقلا عن رواياته . وكان ما يمثله جيمس بوند في مجالات التغيير الثقافي والفكري ، قد ترسخ وتوطد . كانت شخصية جيمس بوند ـ كبطل شعبي ! ـ تنسق بين سلاسل من القضايا المقلقة فكرياً والاهتمامات الثقافية التي تدور حول الوطن والأمة ، والعلاقات بين الشرق والغرب ، والتغير في نمط العلاقات بين الجنسين .

وبعودة جيمس بوند تثور عدة تساؤلات وان كان الموقف السياسي على المسرح العالمي ، يبدو بطريقة متزايدة وكأنه إعادة لعرض عقد الخمسينات ، عندما ظهر جيمس بوند لأول مرة على شاشة السينما . إن التاريخ يبدو كما لو كان يعيد نفسه بالفعل .

فعندما ثارت ازمة الفوكلاند بين بريطانيا (العظمى) والارجنتين (من دول العالم الثالث) قررت السيدة مرجريت تاتشر رئيسة الوزراء وزعيمة حزب المحافظين أن تعلن الحرب ، وانتصرت بالفعل على الارجنتين . فعادت فكرة أن بريطانيا ما تزال قوة عظمى ، واضرمت النيران في الروح القومية البريطانية بشكل كبير !

ثم أن زواج الأمير تشارلس أمير ويلز وهو ما عرف باسم الزواج الملكي ثم الحمل الملكي ، ثم ولادة ادوارد ، ثم التعميد الملكي ، كل هذا اطلق العنان لبريطانيا الامبراطورية ، خاصة برسم صورة الأميرة ديانا الجميلة الخجول ، مما



المغامرة الخارقة هى طابع افلام جيمس بوند .



جيمس بوند فى مغامرة بحرية



شون كونرى : جيمس بوند القديم فى فيلم يعود تاريخه الى عام ١٩٦٣ .

أعاد وضعية بريطانيا الى شكلها الاكثر تقليدية وخيالا ، في وسط دائرة حياة الناس . وعادت « الأسرة » لتحتل مركزها الذي كانت عليه في الخمسينات وقبلها ، تبحث عن الاستقرار والهدف من الحياة ، بينما يزداد أثر البطالة التى ضربت أرقاماً قياسية فاقت أرقام الثلاثينات

وهكذا رغم ما يبدو من التشابه بين ظروف الخمسينات وظروف الثمانينات ، إلا أن الوضع الحقيقي مختلف تماما ، لذا فمن المتوقع أن يكون بوند الثمانينات ظلا شاحباً لبوند الخمسينات .

ورغم أن أول رواية لايان فلمنج قد نشرت عام ١٩٥٣ ، وتبعتها الرواية الثانية « عش واترك الآخرين يموتون » عام ١٩٥٤ ثم الثالثة « ممشط القمر » عام ١٩٥٥؛ إلا أن جيمس بوند حتى ذلك التاريخ لم يكن له تاثير ذو مغزى على الثقافة الشعبية البريطانية . لكن حدث هذا عام ١٩٥٧ ، عندما بدأت صحيفة « الديلى اكسبريس » البريطانية في نشر « كارتون » يومي مسلسل لجيمس بوند الى جانب روايته « من روسيا .. مع حبي » ! وليس من قبيل الصدفة ان تحول صحيفة « الاكسبريس » هذه الرواية بالذات الى حلقات ، حيث كان بوند في مواجهة جهاز الجاسوسية السوفيتي « سميرش » ، فقد كان بوند الخمسينات ، موظفاً – أساساً – كبطل سياسي للطبقات الوسطى الصغيرة .(٢) وكشخص يمثل عصر الحرب الباردة ، فقد جسد فضائل الفردية الغربية ، حيث يخرج منتصراً بلا مجهود على اليد الثقيلة للبيروقراطية الشرقية . لقد جاءت هذه الرواية بعد هزيمة حرب السويس التى اخرجت بريطانيا من آخر واهم معاقلها الامبراطورية ، وبذلك فان جيمس بوند قدم فى هذه الرواية رغبة دفينة لأن تعنود بريطانيا لمجدها القومى (٣)

كان هدف جيمس بوند هو دفع أذى التهديد للسلام العالمي بمفرده ،

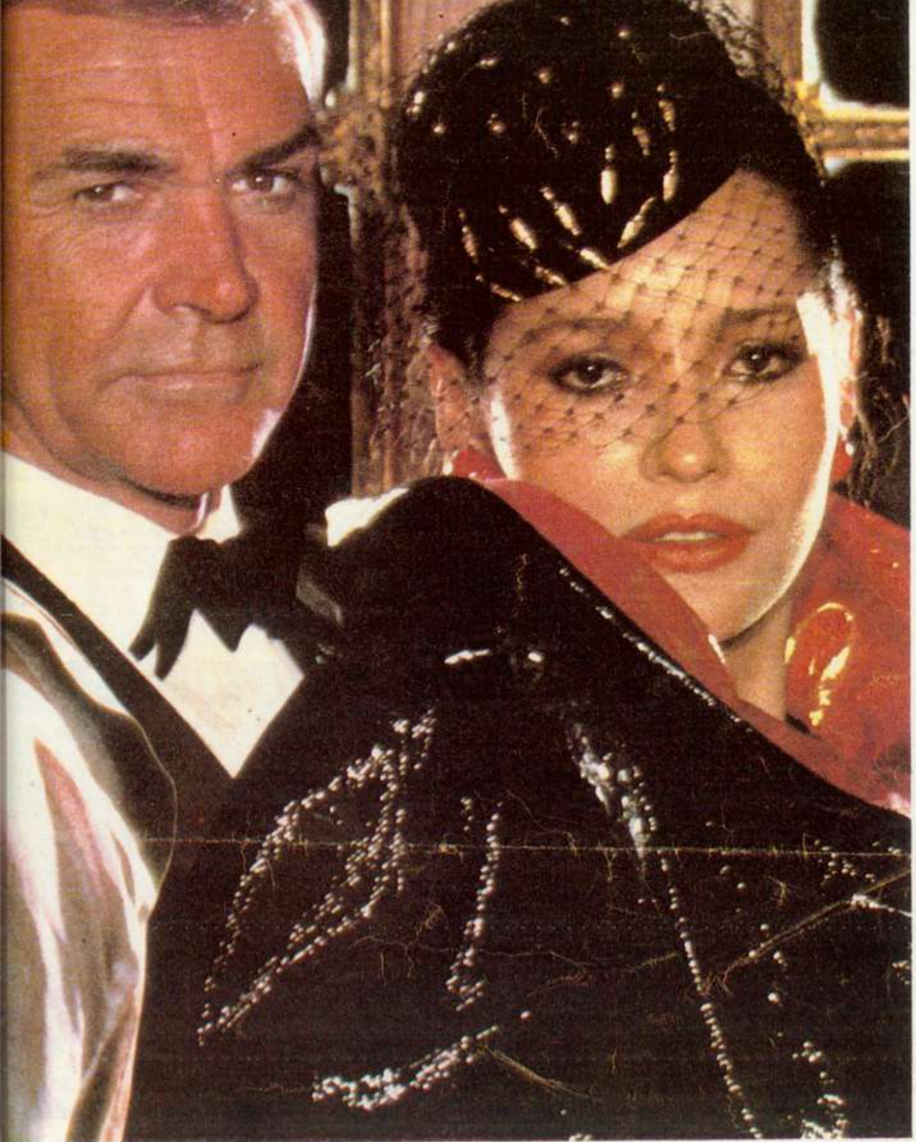
وهكذا أعادت صورة جيمس بوند الى الخيال وضع بريطانيا في قلب العالم . كان ذلك تعويضاً خيالياً لخذلان التاريخ .

لكن الاكثر جاذبية بطبيعة الحال ، أن يعود جيمس بوند الستينات الى الحياة في الثمانينات . وكانت الستينات دون شك هي السنوات الذهبية التاريخية لجيمس بوند . فقد كان التاثير الاجتماعي لشخصية بوند في الخمسينات محدوداً نسبياً، لم تكن حركة بيع رواياته نشطة بشكل خاص حتى اهتمت به « الديلي اكسبريس » ،

وحتى عندئذ فان الكمية المباعة سنويا من رواياته لم تتعد النصف مليون نسخة (وهو رقم متوسط في بريطانيا) . وعندما بدأت الموجة الأولى من افلام جيمس بوند التي كان بطلها الممثل شون كونري ، بدءاً بفيلم « دكتور نو » (١٩٦١) وحتى فيلمه « انت تعيش مرتين فقط » (١٩٦٧) ، أصبح لبوند حضور رئيسي في الحياة الثقافية البريطانية : لقد أصبح بطلا شعبياً له جمهور ضخم . كان للافلام تاثير درامي بطبيعة الحال على معدل بيع الروايات . فبين عامي ١٩٥٥ و ١٩٦١ بيعت في



الأميرة ديانا الجميلة الخجول .. عادت الأسرة الانجليزية تبحث عن الاستقرار والاشكال الاكثر تقليدية وخيالا بعد زواجها من الامير تشارلز .



جيمس بوند القديم : شون كونرى الذى تغيرت شخصيته فى فيلمه الجديد .

بريطانيا وحدها) ١٫٥٠٦٫٠٠٠ نسخة من روايات ايان فلمنج . اما بين عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٧ فقد بلغت المبيعات الكلية (في بريطانيا وحدها ايضا) رقما خياليا : ٢٢٫٧٩٠٫٠٠٠ نسخة ، مما يبعث على الظن أن هناك إقبالا كبيرا على قراءة رواياته من الطبقات الشعبية .(٤)

والملاحظ عموما أن السمة الثقافية والفكرية السائدة لروايات وافلام جيمس بوند في فترة الستينات مختلفة تمام الاختلاف عن فترة الخمسينات ، فقد تجنبت أفلام الستينات « التركيبة » المحتوية على « سميرش » لتقدم بدلا منها « تركيبة » تحتوي على « سبكتر » وهي عصبة دولية إجرامية متخصصة في التجسس والارهاب والابتزاز يقودها «أرنست ستافرو» وهو مجنون شيطانى ، لكنه ذكى ماهر وإن لم يكن ندا لجيمس بوند . تستغل هذه العصابة الدولية العلاقات الهشة بين الشرق والغرب بهدف تحقيق مكاسب شخصية . طبعا جاء هذا في زمن « الوفاق» ، وهكذا نجد أن بوند ليس عدوا لأى قوة عالمية ، بل إنه يجنب العالم أجمع التهديد بالانقراض والتدمير نتيجة لسوء الفهم بين الشرق والغرب بسبب مؤامرات العصابة الاجرامية الشريرة وعبقرية رئيسها .

يقول الناقد الفني توني بنيت : « إن جيمس بوند قد تغير « فكريا » ففى أيامه الأولى كان نقطة التقاء قومي متعصب أما جيمس بوند الستينات فقد كان جزءا من محاولة لتحديث الأمة يمكن ان تتركز في شعار « بريطانيا الراقصة » ، وكانت تلك المحاولة تتصل بتنمية نمط جديد وصورة جديدة للزعامات الثقافية والسياسية. هكذا أعيد تشكيل جيمس بوند كالنموذج الأساسي للمهارة المهنية الصلبة الخشنة غير العاطفية ، المامول فيها طبقا لخطابات ادوارد هيث وهارولد ويلسون على السواء أن تقود بريطانيا في عصر ما بعد الأستعمار الحديث الخالي من الأوهام » .

ويستمر بنيت فيقول : « هكذا أصبح جيمس بوند يمثل بشكل مركز الروح غير الطبقيةالتي كثر التهليل لها في تلك الفترة . أصبح بوند بطلا للتحلل من التقاليد وليس بطلا يتمسك بالتقاليد ، وبذلك انفصل عن الأبطال التقليديين للطبقة الحاكمة أمثال ريتشارد هاني بطل روايات جون بوكان ، وبولدوج ديزموند بطل روايات سيريل ماكنيل » .

جيمس بوند والمراة

أصبحت صورة المراة فى أفلام «جيمس بوند» صورة عصرية بدورها ففتيات جيمس بوند يستعرضن طوال الفيلم أردية عصرية للغاية تؤكد على صفاتهن المتحررة والاستقلالية . أو كما يقول تيرنس يونج : « انهن نساء العصر الذري ، أكثر تحررا وقادرات على التصرفات



مرجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا .. أعاد انتصارها على الأرجنتين فكرة أن بريطانيا مازالت قوة عظمى .



ونستون تشرشل .. فى نفس العام الذى توفى فيه ظهرت الرواية الأولى لايان فلمنج مؤلف شخصية بوند!



جيمس بوند الحديث : روجر مور فى فيلمه الأخير .

الغريبة كلما أردن أو بدون أن يسبب ذلك لهن أى قلق » . (٥)

لكن حقيقة الأمر أن « فتاة بوند » تحـررت فقط فى هذا المجـال ، وإن لم تتحرر في أي ناحية اخرى من نواحي الحياة ، إذ قبلت بوضع التابع . لقد كانت هذه هي السمة الأساسية في الأفلام

الأولى . أما الأفلام الأخيرة ، وبالذات التي مثل فيها روجر مور شخصية جيمس بوند (وبالذات الفيلمان الأخيران : « ممشط القمر» و « الجاسوس الذي أحبني ») فقد انتقل مركز الصراع بين بوند والشرير الى «بوند» والفتاة . تلك التي عادة ما تصور على أنها شديدة التحرر ، ولكن مصيرها عندما تواجه بوند في النهاية أن « تشكم » مثل الفرسة . لقد كانت المهمـة «الفكرية» الأساسية في أفلام تلك الفترة ، هي ارجاع الفتيات اللاتي يسرن بحريتهن الى مدى أبعد من اللازم الى مكانهن الصحيح .

ملاحظة أخيرة

وماذا عن فيلم جيمس بوند الأخير الذي عرض بعنوان « اخطبوطي » ؟ أنه يعتمد على آخر روايات جيمس بوند التي كتبها ايان فلمنج ، والقصة التي كتبها تتلخص في أن جاسوساً يسرق كنزاً من الذهب (كان يمتلكه النازي) لكنه ينال ما يستحقه من عقاب على يدي أخطبوط يدلله ويربيه في احدى البحيرات القريبة . لكن القصة بهذه الطريقة ليست مشوقة بما فيه الكفاية ، لذا عكف ثلاثة على تكييفها للسينما : ريتشارد بيبوم الذي كتب من قبل تسعة من سيناريوهات أفلام جيمس بوند ، والمخرج مايكل ويلسون ابن زوجة المنتج كوبي بروسولي واشترك معهما الكاتب جورج ماكدونالد فريزر .

وذكر النقاد أن تكاليف فيلم روجر مور وصلت الى ٢٥ مليون دولار ، لكن الحديث عن الفيلم لن يكون كاملا قبل أن نشهد دخول شين كونري الى ساحة المعركة في شهر يناير القادم !!

مجدي نصيف

المراجـــــــع :

(١)
D. Cannadine: "James Bond and the Decline of England : Encounter : 53 (3) November 1979 - Page 46
(٢)
Tony Bennet : James Bond in the Eighties: Channel Five - P. 37

(٣) نفس المصدر السابق صفحة ٣٨ .
(٤) نفس المصدر السابق صفحة ٣٩ .
(٥) نقلا عن مقال بالملحق الملون لصحيفة الصنداي تلجراف بعنوان ماذا حدث لفتيات بوند ؟
What happened to the Bond Girls ? Tlegraph Sunday Magazine - 17 September 1978 - Page 10

من روائـــع
الفن العـــالــمي

بقلم: جمـــال قطـب



لورانس الما تاديما : صورة رسمها لنفسه عام ١٨٩٦ .

فنـــان الحضارات القديمة

فنان التاريخ والأشكال المرمرية ... هكذا عرفوه في قاموس الابداع العالمي .

إنه عبقرية فذة تفاخرت بها بريطانيا وهولندا طوال النصف الثاني من القرن الماضي وأوائل هذا القرن حتى مات عن ستة وسبعين عاماً سنة ١٩١٢ .

إنه فناننا الهولندي الاصل لورانس الما تاديما ، وقد اضاف اسم (لورانس) الى اسمه عرفاناً بالوطن الثاني – بريطانيا – بعد ان هاجر اليها واصبحت وطنه الاول منذ عام ١٨٦٢ .

عاش تاديما فترة المتغيرات اللاهثة في مدارس الفن وتحولاته التي اعتبرت ثورة جامحة على تقاليد الكلاسيكيات المتوارثة .. ونعرف أن هذه النزعات التحررية قد تمركزت في باريس منذ القرن الثامن عشر . وعلى هذه الصفحات ، استعرضنا سوياً معظم جوانبها من قبل : المدارس الطبيعية – الروكوكو – الرومانتيكية – العودة الى الكلاسيكية باسم الكلاسيكية الجديدة – الخروج الى الطبيعة التي تزعمها (جماعة باربيزون) – التبشير بالتأثيرية ثم (التأثيرية وما بعدها) – حتى كانت (الوحشية) أخر التصاق الفنان بالطبيعة .. الى أن ظهرت التكعيبية على يد بيكاسو عام ١٩٠٨ .. وتشعب الفن الى متاهات التجريد والسيريالية المعاصرة !

عاش تاديما احداث النصف الثاني من القرن الماضي ، كما عاصر الوحشية والتكعيبية في أوائل القرن العشرين .

ولكن المجتمع البريطاني المحافظ على التقاليد أكثر من غيره من الشعوب ،كان له مع الفن شان آخر .. فقد رأينا أن الفن البريطاني من خلال مسيرته الطويلة يكاد أن يكون وقوراً ملتزماً – نسبياً – لا تؤثر فيه هزات الموجات المستحدثة التي كانت تهز العالم من اقصاه الى اقصاه متمركزة في العاصمة الفرنسية .

ومع أن حرية التفكير واختيار الأساليب كان متاحاً لكل فنان بريطاني دون حرج ، إلا أن الالتزام قد نبع من ذات الفنان ووجدانه دون ما شطط أو جموح كما حدث في المعارك المحمومة التي شهدتها الساحة الفرنسية .

نعود الى فناننا (لورانس الما تاديما) فنراه ملتزماً الى أبعد الحدود ، سحرته قصص الكتب الدينية والأساطير القديمة ، وشغف بالاسلوب الاغريقي الحالم كالأطياف الشفافة .. كما درس التاريخ الفرعوني وتغنى بالحضارة المصرية القديمة في لوحاته .. واعتبرها اعجازاً حضاريا لا مثيل له في تاريخ البشرية حتى صار – آنذاك – مرجعاً عالمياً للحضارة الفرعونية بكل تفاصيلها ودقائقها .. ورأيناه

في عام ١٨٦٤ يقيم معرضاً خاصاً في (صالون باريس) لست وعشرين لوحة رائعة تتناول الحياة المصرية القديمة .. وقد نال عليها الميدالية الذهبية لأول مرة فى حياته المثمرة الطويلة .

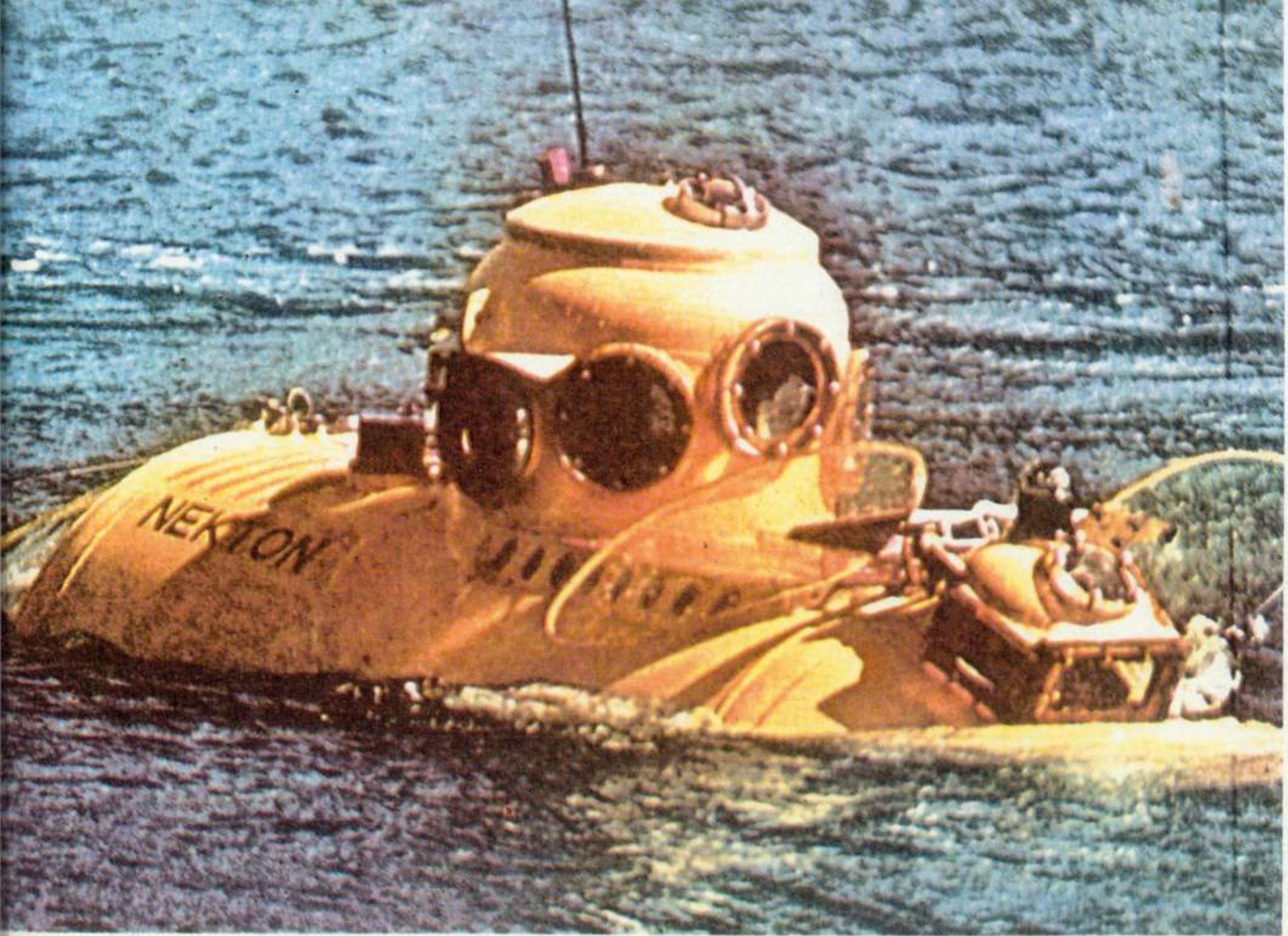
ثم توالت ابداعاته عن لوحات التاريخ الروماني والاغريقي .. وقصص الاساطير القديمة وغيرها ، وحصل كذلك على تلك الجائزة الرفيعة (الميدالية الذهبية) عدة مرات كان آخرها عام ١٩٠٦ ، وهى جائزة لا تعطى إلا لأساطين الفن العالميين .

ولا غرو أن تعتز بريطانيا بفنانها العبقري وتمنحه لقب (سير) وتحتفظ بلوحاته في متاحف خاصة تحمل اسمه الكبير .

وعلى الصفحة المقابلة ، يرى القارىء إحدى لوحات تاديما التي أضفى عليها لمسة شاعرية رقيقة .. وهي جزء من لوحة كبيرة من مجموعات اللوحات التاريخية الرائعة التي رسمها عام ١٨٩٦ في سنوات اهتمامه بدراسة الحياة الرومانية . ويعتبر النقاد هذه اللوحة من أرق أعمال الفنان الوجدانية في فترة نضوجه وتألقه ، وقد حملها كثيراً من العواطف الانسانية النبيلة ممثلة ملامح الفتاة ، وأجواء البحر والزهور وأمجاد التاريخ الانساني العريق .



تامل : احدى اللوحات التاريخية التى رسمها الفنان عام ١٨٩٦ .



لماذا نبحث عن أسرار الفضاء ونهمل أسرار الماء؟

البحر
ذلك الكون المجهول!

بقلم: د. عبد المحسن صالح

من نظرة سريعة الى خريطة العالم، أو من رؤية واقعية لهذا الكوكب من الفضاء البعيد، سوف تتضح لنا أبعاده المحدودة، وتضاريسه المميزة، وغلافه الذى لا يخلو أبداً من ستارة دائمة من السحب الكثيفة، ثم سطحه الذى تنتشر فيه القارات بين مسطحات هائلة من الماء تكون حوالى ٧٠٪ من مساحة الأرض، ومنها يتصاعد الماء بخاراً، فيكون سحاباً، ليسقطه أمطاراً، فتصير أنهاراً .. بها عذوبة، ولنا فيها حياة .. فلا غرو إذن أن يكون هذا الكوكب هو كوكب الماء، وبتلك المكرمة التى لم يحزها أى كوكب آخر فى المجموعة الشمسية سواه نشأت فيه الحياة .. إذ لا حياة بدون ماء.

ولاشك أن كمية المياه المنتشرة فى هذا الكوكب ضخمة غاية الضخامة، ولهذا فقد توزعت فى بحار واسعة، ومحيطات شاسعة، ولقد ظلت الى عهد قريب كما هائلا مجهولا، لأن نظرتنا اليها لا تعدو نظرة سطحية، وهى لا تختلف كثيراً عن نظرة الانسان القديم الذى لم يكن يعرف عنها إلا أنها مياه مالحة تعيش فيها حيوانات وأعشاب بحرية، أو هى مهد اللؤلؤ والمرجان، أو مصدر من مصادر الملح والطعام، أو سبيل من سبل المواصلات أو الرحلات التى كان يستخدم فيها المجداف والشراع، ثم هى فوق ذلك ماوى لكائنات أسطورية تمثلت له فى حوريات وجنيات وما شابه ذلك.

• ولقد تجول الانسان على اليابسة بحرية تامة، فغزا جبالها ووديانها وغاباتها وصحاريها وجليدها، ثم أخيراً جداً حلق فى غلافها، وانطلق بعد ذلك الى الفضاء



«تاكسى» او غاطسة الأعماق «نيكتون» وقد برزت لتوها من القاع ، حيث غاصت الى عمق ٣٥٠ مترا ، وبعد قليل تتوجه الى سفينة الابحاث الام .

تبدو كطبق طائر مما يزعم الناس رؤيته ، لكن ذلك «طبق» حقيقى من «الأطباق» او الغاطسات التى تدرس اعماق البحار والمحيطات ، ويطلق عليها اسم نجمة الأعماق .



طراز اخر من الغاطسات حيث يبدو تكوينها الداخلى من خلال مقطع ، وهى هنا مجهزة بفكين لتقبض بهما على عينات القاع وتسحبها الى الداخل .. وهى تتسع لشخصين .

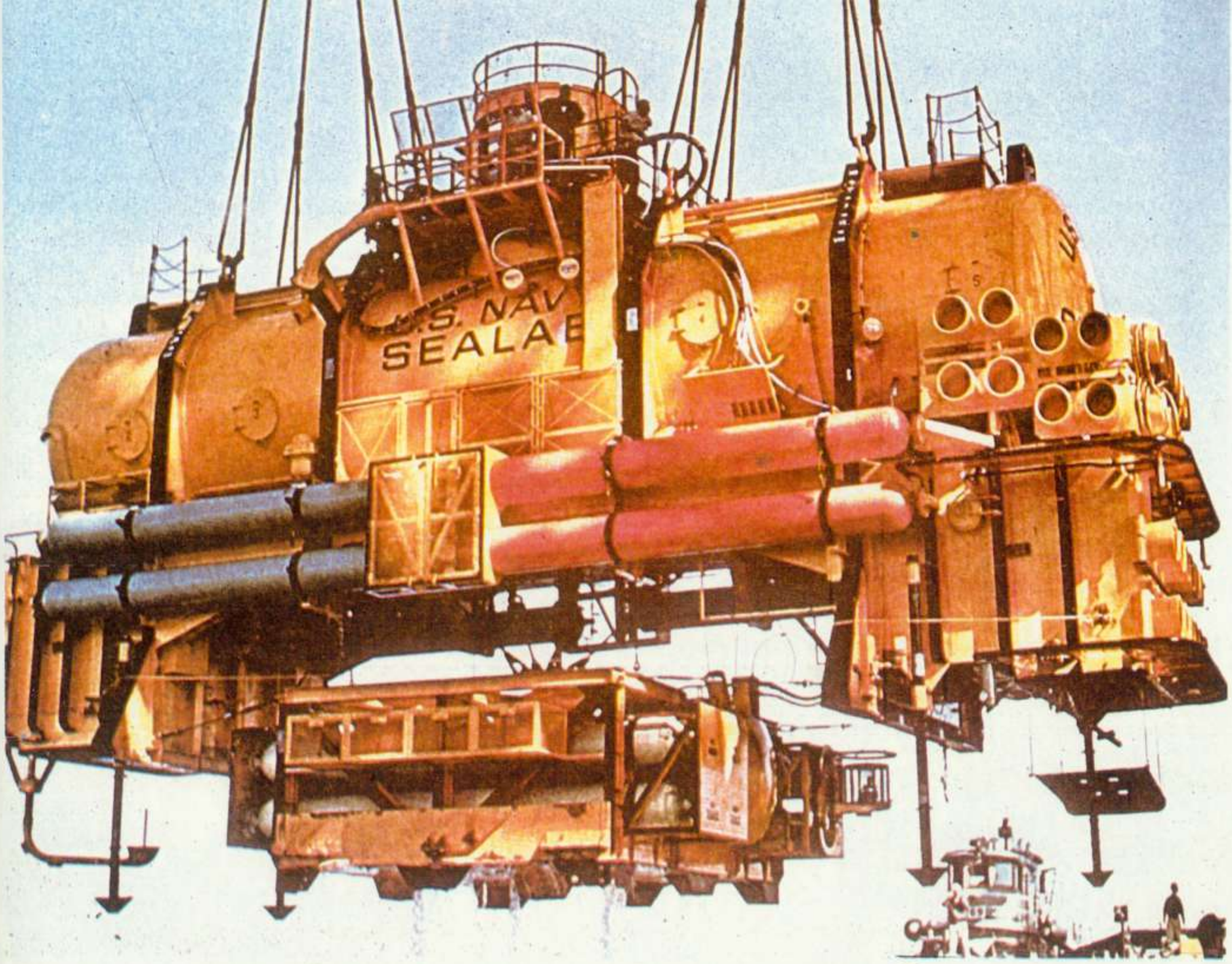
المحيط بها ، وعرف الكثير عن الكواكب السيارة ، والنجوم المتلألئة ، والمجرات التى تنتشر فى محيط الفضاء العظيم ..

لكنه ــ رغم ذلك ــ لم يعرف إلا القليل عن محيط آخر قائم بيننا ، أو واقع تحت أقدامنا .. ذلك هو المحيط المائى الذى يحيط بكل القارات ، ومع ذلك ، فقد ظل عنيداً ضد الغزوات .. هذا فى الوقت الذى حقق فيه الانسان انتصارات عظيمة فى المحيط الهوائى ، ثم المحيط الفضائى ، فحلق فى هذا ، وانطلق الى ذاك !

لكل عالم ما يناسبه

وقد يبدو ذلك بعيداً عن الواقع ، أو تجنياً على الحقيقة ، فمن ذا الذى ينكر أن الانسان قد غزا بالفعل كل البحار والمحيطات ، ووصل فيها الى نهاياتها ، وعرف دروبها ومسالكها ؟

وهذا صحيح ظاهراً ، لكنه ليس كذلك باطناً ، لأن الانسان لم يتجول إلا على سطحها غالباً ، ولم يتعمق فيها إلا نادراً ، ذلك أن هذه المسطحات المائية الشاسعة تظهر غير ما تبطن ، ولاشك أن الباطن يحتوى على أسرار ومتاهات وألغاز أكثر بكثير من الذى نراه فى الظاهر ، ممثلا فى أحياء مائية مدروسة ، وتيارات بحرية معروفة ، وأمواج عاتية تظهر حيناً ، ثم تهدأ حيناً آخر .. الى آخر هذه الأمور التى لا يختلف عليها اثنان .. لكن ماذا تبطن الأعماق السحيقة التى يطويها السكون ، وتخيم عليها الظلمات ؟ .. وهل هى ماء مالح وقيعان مستوية أو غير مستوية وكفى ؟



المعمل البحرى الغاطس سيلاب III ، وهو طراز متطور من معملين آخرين سبقاه ويطلق عليهما سيلاب I ، سيلاب II .. وهو مجهز من الداخل والخارج بكل ما ييسر مهمة ارتياد الأعماق ودراستها .

الواقع أن البحار والمحيطات لازالت فى أعماقها كوناً مجهولا ، وهى بالفعل تثير فضول العلماء خاصة ، والناس عامة ، فرغم أن الذين قد هيأوا انفسهم لدراستها يعرفون أنها أمل الحاضر ، وحلم المستقبل ، ويدركون أن الجزء الأعظم من هذا الكوكب يخفى تحت مياهه ثروات هائلة ، وهو الذى يؤثر فى اليابسة ، ويشكل قاراتها ، ويحرك زلازلها ، ويغير فى تضاريسها .. رغم ذلك لم تحظ هذه الأعماق بما حظى به الفضاء من اهتمامات ودراسات ، وبحيث أصبحنا نعرف عنه أكثر مما نعرف عما يجرى فى القاع من أحداث رهيبة .

هل يعنى هذا أن غزو أعماق البحار أصعب منالا من غزو الفضاء ؟

ليس ذلك تماماً ، لأن غزو الفضاء ــ وإن كان أصعب ــ هو غزو فى كون مكشوف .. كون ترقبه العيون ، أو ترصده المناظير الفلكية ، ولطالما تطلع اليه الانسان من قديم الزمن ، فعاين كواكبه ، ورصد نجومه وحدد أبراجه .. لكن من الذى يستطيع أن يدعى أنه رأى أعماق المحيطات وهى مجللة بظلام حالك لا ينفذ اليها نور قمر ، أو ضوء شمس ليراها على حقيقتها كما يرى الفضـــاء ؟ .. وحتى الذين غاصـــوا الى نهاية القاع ، واضاءوا فيه كشافاتهم القوية لم يستطيعوا أن يروا إلا بضعة أمتار تمتد أمامهم ، أى أنهم رأوا بقعة صغيرة محدودة فى عالم من الظلام غير محدود !

ولاشك أن الصعوبات التى تقابل الانسان إذا ما ترك بيئته التى تكيف بها ، وتأقلم عليها ، الى بيئات أخرى معادية ، لاشك أنها تستلزم منه معرفة وحرصاً ودراسة تؤهله لمجابهة أخطارها ، ويستوى فى هذا الصعود الى أجواز الفضاء ، أو الهبوط فى أعماق الماء ، ورغم أن الهبوط أيسر من الصعود ، إلا أن لكل مشاكله وعقباته .. ففى الصعود تتجلى قوى الجاذبية ، ويقل الضغط ، ويرق الهواء ، حتى يختفى تماماً فى الفضاء ، الذى تنتشر فيه اشعاعات مدمرة ، ولابد من الحرص والحماية حتى لا يحترق الانسان ، أو ينفجر ويتطاير على هيئة أشلاء .. وفى الهبوط الى الأعماق ، يحدث العكس تماماً ، إذ يزيد الضغط ويتضاعف كل عشرة أمتار وكذلك تنخفض الحرارة ، ويزيد الظلام ، وليست المشكلة فى الغوص لعشرات الأمتار ، ثم العودة الى السطح ، لكن المشكلة الحقيقية سوف تتضح على عمق مئات أو آلاف الأمتار .

حصيلة علمية لها مغزاها

لكن ذلك لا يعنى أن عالم الأعماق قد ظل نسياً منسياً ، بل بدأت غزواته الحقيقية تأخذ مجراها منذ حوالى ثلث قرن من الزمان ، أو أكثر قليلا ، ولقد ساعد على هذا الغزو تطور الأجهزة العلمية ، وتشييد الكبسولات أو المركبات التى تستطيع أن تهبط الى الأعماق السحيقة ، واستنباط حلل للغوص ذات كفاءة عالية فى تحمل الضغوط الشديدة ، واستخدام أجهزة للاتصالات ، وكشافات قوية للاضاءة ، وكاميرات تليفزيونية تستقر على القاع ، وتمكث فيه شهوراً لتسجيل ما يحدث فيه ، وتبعث ما التقطته الى أجهزة استقبال مشيدة على سفن الأبحاث العائمة ، هذا بالاضافة الى أجهزة أخرى لترصد درجات الحرارة والتيارات والظواهر الكيميائية

والفيزيائية والطبيعية من زلازل وانفجارات أرضية تحدث فى القاع ..

ورغم أن تلك الأجهزة هى بمثابة عيننا التى نرى بها ، وأذننا التى نسمع بها ، لكنها مع ذلك لا تغنى عن ممارسة حقيقية لرؤية ما يجرى فى الظلام من أحداث .. وهى هنا تعيد الى الأذهان ما كان يعرفه الانسان عن الفضاء ، فلقد عرفنا الكثير عن الغلاف الهوائى ، والمجموعة الشمسية بما فيها من كواكب واقمار ، وكذلك اغلفتها وحجمها ووزنها ومداراتها قبل أن نصعد اليها ، لكن طموح الانسان فى معاينة القمر مثلا قد دفعه لارسال رواد فضاء يسيرون على سطحه ويعاينونه ويرونه رؤية العين كذلك كان هناك رواد لأعماق البحار والمحيطات ، وبعضهم وصل الى أعمق منطقة فيها ، وتبدو لأول مرة فى تاريخ البشرية جزءاً صغيراً من ظلامها الأبدى ، وتمت الرؤية والمعاينة لبضع ساعات قليلة بكشافات قوية .

لكن ليس معنى ذلك أن أعماق البحار قد باحت لنا بكل أسرارها ، بل يعنى أن الانسان قد حقق هدفاً عزيزاً ، وسجل انتصاراً عظيماً ، وتغلب على الضغوط الرهيبة التى تجثم على قيعان الأخاديد العميقة ــ فمتوسط عمق البحار والمحيطات يقع فى حدود ثلاثة كيلومترات ونصف كيلومتر ، لكن هناك أغواراً سحيقة فى المحيط الباسيفيكى يصل عمقها الى حوالى ١١,٠٠٠ متر ، وفيها تصل الضغوط الى ١١٨٠ كيلوجراماً على السنتيمتر المربع الواحد ، أى لو تصورنا أن الانسان قد أبرز طرف إصبعه فى هذه الأعماق ، لاستقبل عليه ضغطاً يساوى عدة أطنان ، أو لو برز جسمه دون حماية لدقت عضلاته ولحمه فى عظامه ، ذلك أنه سيتعرض لضغوط تصل الى عشرات الآلاف من الأطنان !

على أية حال ، نعود لنذكر انه منذ بداية النصف الثانى من القرن العشرين ، بدأت الدول المتقدمة ، وبعض الدول النامية التى لها اهتمامات خاصة بالبحار أو المحيطات أو الخلجان التى تكون جزءاً من حدودها ، فى رصد ميزانيات كبيرة لتمويل سفن الأبحـاث التى لازالت تجـوب هـذه المسطحات المائية الضخمة ، حاملة على ظهرها فرقاً رائدة من العلماء الذين يمثلون كل التخصصات ، فمنهم العالم الكيميائى والبيولوجى والجيولوجى والفيزيائى والتكنولوجى والمهندس .. الخ ، فجمعوا من رحلاتهم حصيلة من العلم تستوعب مجلدات كثيرة من فوق مجلدات ، فكاتب هذا المقال قد وقعت بين يديه بالصدفة أربعة مجلدات من الحجم الكبير ، عندما كان فى زيارة عابرة لمعهد علوم البحار بالقاهرة ، وهى حصيلة رحلة واحدة قامت بها سفينة ابحاث واحدة ، واستغرقت رحلتها عاماً وبضع عام ، إذ كلما سارت السفينة أو توقفت فوق منطقة من المناطق ، تلتقط الأجهزة سيلا من المعلومات تدفع بها الى حاسبات اليكترونية ، لتحلل وتصنف وتسلمها للعلماء فى صورة جاهزة ، فيستقون منها نتائج محددة ، يكون لهم فيها تعليل وتفسير عما يكمن فى ظلمات البحار من أسرار ظلت خافية على كل الأجيال السابقة

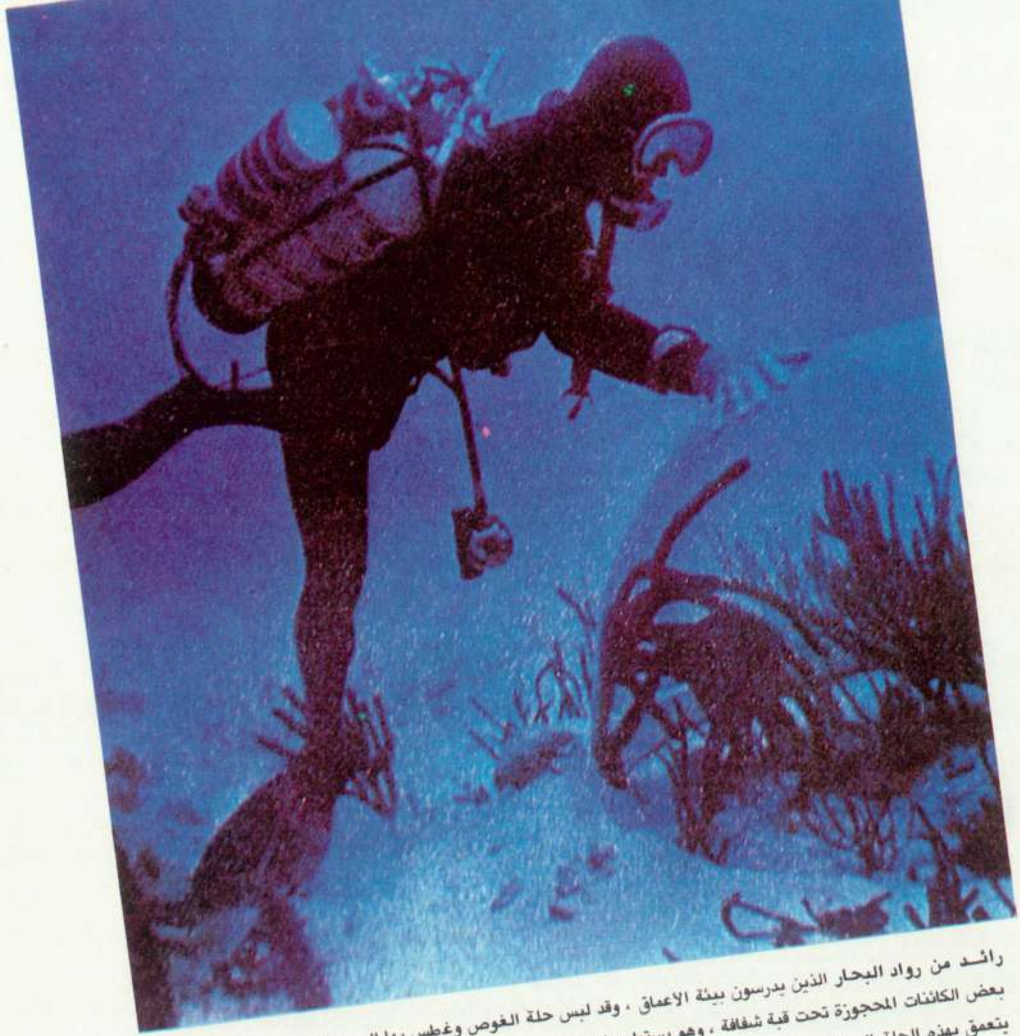
حقائق مثيرة

إن أول ما قد يطرأ على البال هو هذا التساؤل : ماذا يمكن أن تستوعبه البحار والمحيطات من كتل مائية لا نراها إلا ظاهراً ولا نعرفها باطناً ؟

إن الحجم أو الكتلة قد لا يستوعبه العقل ، وهى هنا لا تقاس بالمتر المكعب أو الطن ، لأن ذلك يشغل رقماً كونياً ، ومع هذا فحجم تلك الكتل يقع فى حدود ١٣٠٠ مليون كيلومتر مكعب ، هذا والكيلومتر المكعب يحتوي بدوره على بليـــون متر مكعب !! .. ولو وزعت هذه الكمية على كل سكان العالم ، لكان نصيب الفرد منها حوالى ٣٣٠ مليون متر مكعب ، ولو تصورنا أننا صببنا هذه الكميات فى اسطوانة ، لاحتجنا الى واحدة مساحة مقطعها ١٢ الف كيلومتر مربع ، وطولها حوالى ١١٥ الف كيلومتر .. أى أطول من ربع المسافة بين الأرض والقمر !

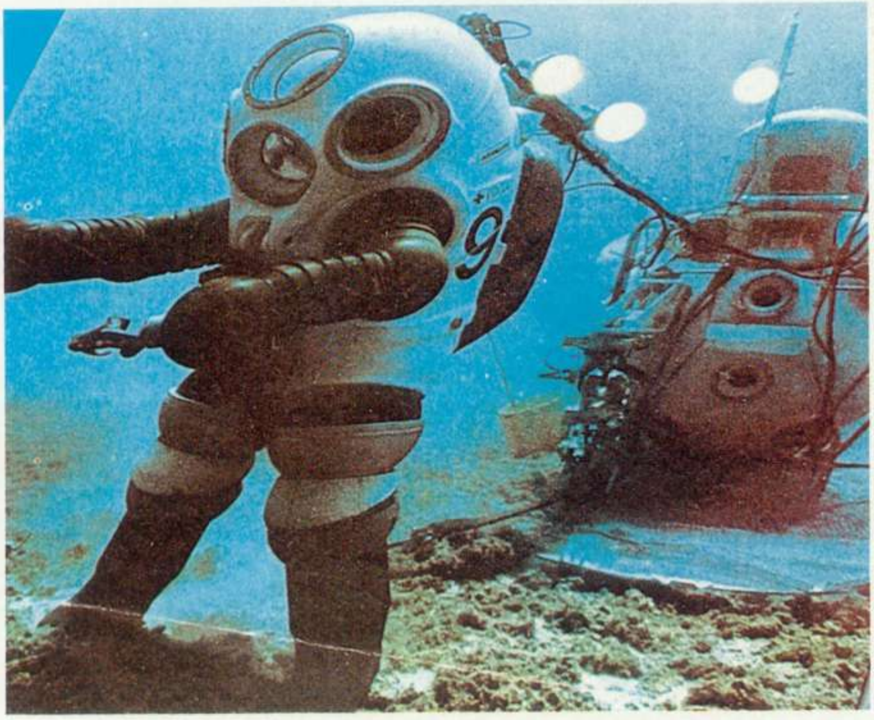
ومن المعروف أن مياه البحار مالحة ، ونسبة الملوحة فيها حوالي ٣٫٥٪ في المتوسط ، ولهذا فان الميل المكعب الواحد يحتوي على ١٤٨ مليون طن من الملح ، ولو تصـــورنا أن الكميات الذائبة من الملح فى البحار والمحيطات قد استخلصت ثم انتشرت على سطح الأرض ، لغطتها بطبقة من الملح يصـــل سمكهـــا الى حوالي ١٥٠ متراً !

وبجوار ملح الطعام تحتوى تلك المياه على حوالى ٦٠ عنصراً تدخل فى تكوين



رائـد من رواد البحار الذين يدرسون بيئة الاعماق ، وقد لبس حلة الغوص وغطس بها الى عدة مئات من الاقدام ليدرس بعض الكائنات المحجوزة تحت قبة شفافة ، وهو يستطيع ان يمكث عدة ساعات ، ثم يعود الى السطح .. لكنه لا يستطيع ان يتعمق بهذه الحلة الى الاعماق البعيدة ، لانها تناسب فقط القيعان الضحلة نسبياً .

البحـر .. ذلك الكون المجهـول!



كلما زاد غوص الانسان الى اغوار أعمق ، فلا مناص من تصميم حلل اكفا واسمك ، لتتحمل الضغوط الكبيرة ، كما هو واضح من هذه الحلة الغريبة التى توجد فى داخلها عالمة من علماء البحار تدعى سيلفيا ايرل ، ومن ورائها تبدو سفينة من سفن الاعماق .

مركبات كثيرة ذائبة ، ومن هذه العناصر - على سبيل المثـال - الماغنسيوم والكالسيوم والكبريت والبورون والبروم واليود والمنجنيز والحديد والكوبالت والنيكل والكروم والفضة والذهب والزئبق والزرنيخ والنحاس والفوسفور .. الخ ... الخ ، وهى قد توجد بتركيزات تصل الى ملايين الاطنان فى كل ميل مكعب من الماء ، أو مئات والاف وعشرات الالاف من الاطنان فى نفس هذا الحجم ، أو قد توجد بكميات جد ضئيلة ، مثل الذهب الذى يصل تركيزه الى حوالى ١٧ كيلوجراما فى الميل المكعب ، والفضة بكمية تقدر بحوالى ١٢٠٠ كيلوجرام ، وهما لندرتهما لا يمكن استخلاصهما بطريقة اقتصادية - على الأقل فى الوقت الحاضر .

وفى هذه المياه تعيش عشرات الألوف من انواع الكائنـات الحيـة النباتيـة والحيوانية ، بعضها ضئيل غاية الضالة ، ولا يمكن رؤيته إلا بالمجاهر ، والآخر قد يكون عظيم الضخامة ، مثل الحيتان التى قد يصل وزن بعضها الى حوالى ١٤٠ طناً ، هذا ويقدر بعض العلماء أن المادة الحية التى تزخر بها البحار والمحيطات يتراوح وزنها بين ٥٠٠ الف مليون طن على اقل تقدير ، ٢ مليون مليون طن على اكثر تقدير ، فى حين أن ما تنتجه كل النباتات الأرضية يصل فى المتوسط الى حوالى ٣٠٠ الف مليون طن سنويا !

ورغم أن الضغوط جد رهيبة فى الأعماق ، إلا أن العلماء قد اكتشفوا فيها انواعاً غريبة من الكائنات الحية التى تكيفت بهذه الضغوط الجبارة ، وتاقلمت على حياة الظلام السرمدى ، ثم إنها لا تستطيع أن تبرح مكانها ، وترتفع الى الطبقات السطحية ، ولو فعلت لهلكت ، ولهذه الكائنات اشكال مثيرة ، وطرق حياة غريبة وتحمل على اجسامها مصابيح حية مضيئة لتنير لها طريقها فى الظلام ، لكن ذلك موضوع آخر طويل ومثير ، وقد نفرد له دراسة قادمة ، لكن يكفى أن نذكر هنا أن الكائنات البحرية قد وزعت نفسها بين الطبقات المختلفة ، فمنها ما يعيش فى الطبقات السطحية ، أو ما دونها ، أو فى ظلمات الأعماق .

ثم أن اضخم واطول واعلى سلاسل الجبال لا توجد على سطح الأرض ، بل توجد مغمورة تحت الماء ، إذ تمتد فى سلسلة واحدة متفرعة الى ما يزيد عن ٦٤ الف كيلومتر ، ويصل ارتفاعها فى بعض المناطق الى حوالى ١٥ الف قدم ، وياخذ واحد منها شكل قوس عظيم يبدأ من خليج عدن ومارا بجنوب شبه جزيرة العرب والمحيط الهندى ثم الباسيفيكى الى أن يصل الى سواحل كاليفورنيا ، ولو تصورنا أن المحيطات قد جفت لبرزت من القاع جبال وهضاب تناطح جبال الأرض ضخامة وطولا ، لكن الغريب حقا أن العلماء قد سجلوا احداثا غريبة لهذه السلاسل المغمورة ، وكأنما الأرض هناك تتمزق وتتشقق .

وسائل الغزو الغاطسة

وكما يصعد الانسان الى الفضاء فى كبسولات واقمار تدفعها صواريخ ، كذلك يهبط الى قاع المحيطات فى «اطباق» أو كبسولات أو غاطسات أو «تاكسيات» مائية أعدت اعداداً مناسباً لتؤدى مهمتها بكفاءة ونجاح ، وعلى حسب المهمة ونوعها والعمق الذى ستهبط اليه الكبسولة المائية ، أو كون الغاطسة ستحمل فى جوفها رائد أعماق أو اكثر ، أو ستكون بدون رواد ، وعلى حسب الفترة التى سيقضونها تحت الماء .. الخ ، يكون تصميم الغاطسات .. فالغوص لفترات محدودة ، وعلى أعماق معقولة ، لا يستلزم مثل هذه المركبات المائية ، بل يحتاج فقط لحلة غوص مزودة بخزان من غاز الأوكسجين ، وكلما زاد العمق ، وامتدت الرحلة لأيام أو أسابيع ، زادت متانة الجدر ، واتسعت المركبة لتستوعب الأجهزة والماء والطعام والأوكسجين .. الخ .

وطبيعى أن كل شىء يبدأ متواضعاً من حيث الفكرة والتصميم والتنفيذ ، ثم يصقل ويتطور الى الأحسن بمرور الزمن ، ولهذا فلا غرو أن نسمع عن طرازات كثيرة من الغاطسات ، فالولايات المتحدة الأمريكية قد انتجت وحدها أكثر من أربعين نوعا من غاطسات الأعماق ، هذا بخلاف ما انتجته الدول الأخرى التى لها اهتمامات بمستقبل بحوث البحار .. وترى هنا بعض هذه الطرازات منشورة ضمن هذا المقال .

وكرائد الفضاء الذى يترك سفينته الفضائية بحلته التى تقيه من الاشعاعات وانعدام الضغط ، ليتجول فى الفضاء ثم يعود ، كذلك يكون الحال مع رائد الأعماق

الذى يخرج بدوره ويتجول بحلة غطس تقيه البرودة والضغوط ، وكلما زاد العمق ، زادت حلة الغوص سمكاً ووزناً وتجهيزات ، وبحيث تبدو كرداء غليظ وغريب ومخيف ، وهو ما تراه واضحاً فى بعض الصور المنشورة .

إن اول فكرة رائدة فى هذا المجال هى التى قام بها العالم الفيزيائى السويسرى اوجست بيكارد ، إذ صمم اول غاطسة واظهرها الى الوجود عام ١٩٤٨ ، وكان بيكارد قبل ذلك خبيراً فى تصميم المناطيد او البالونات الهوائية التى ترتفع الى طبقات الجو العليا ، وحقق بواحد منها رقماً قياسياً ، إذ وصلت البالونة الى ارتفاع ٧٢١٧٧ قدماً بغرض اجراء بحوث فى طبقات الجو العليا ، ولقد ساعدته تلك الخبرة على تصميم غاطسة متواضعة هبط بها بصحبة احد علماء البحار الى عمق ٨٤ قدماً لا غير ، ثم ارسلها بعد ذلك خالية الى أعماق اكبر ، لكنها انهارت واصابها العطب عندما وصلت الى عمق ٤٥٠٠ قدم !

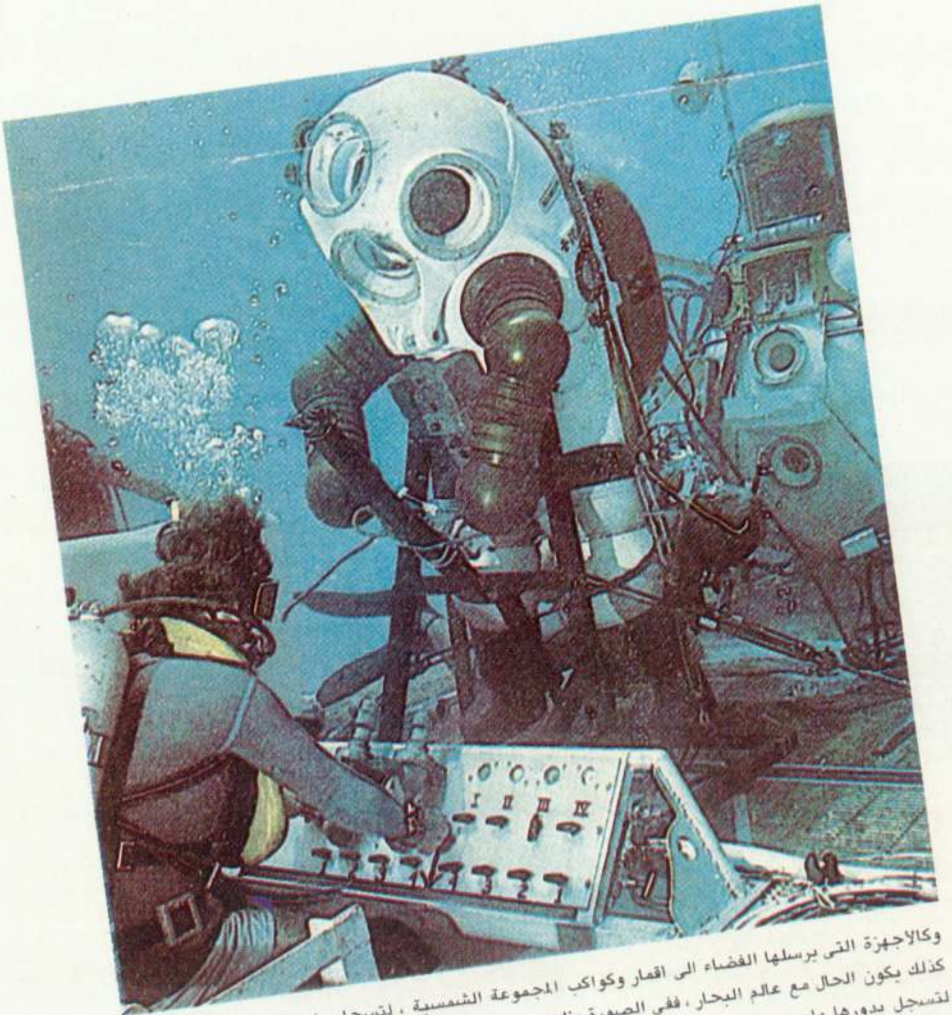
وبعد عشر سنوات نجح ابنه دكتور جاك وبمعاونة ملازم بحرى امريكى يدعى دونالد وولش فى تصميم غاطسة اطلق عليها اسم «تريست» .. ورغم انها كانت ثقيلـــة وسميكة وبطيئة الحركة ، إلا انها كانت اول وآخر غاطسة حتى الآن تحقق رقماً قياسياً ، إذ استقلها كل من جاك ودونالد وهبطا بها يوم ٢٣ يناير عام ١٩٦٠ الى اعمق بقعة فى المحيط الباسيفيكى .. ولقد ظلت تهبط بهما لمدة اربع ساعات ، ٤٨ دقيقة ، حتى وصلت الى عمق ١٠٩١٧ متراً تحت سطح الماء ، ومست بذلك القاع ، ثم اضيئت الكشافات ، وتطلعت العيون لأول مرة فى تاريخ البشرية الى ابرد واهدأ واعمق واظلم منطقة فى قاع المحيط ، ووصفت هذه الرحلة بانها اخطر واجرا رحلة تمت حتى الآن فى ذلك المجال ، ولكى نتصور ماذا يعنى هذا العمق الهائل ، كان علينا ان نشير الى ان كرة من الصلب وزنها حوالى نصف كيلوجرام ، لو القيت من سفينة تقف فوق هذا الأخدود ، فان الكرة لن تصل الى هذا القاع السحيق إلا بعد مرور ساعة وثلاث دقائق .

عود على بدء

ولاشك ان مثل هذه البحوث تحتاج الى الكثير من الجهد والصبـر والعلـم والامكانيات ، لأن البحر او المحيط جد واسع وكبير ، بل اكبر مما نتصور ، فالمحيط الباسيفيكى وحده يستطيع ان يبتلع كل القارات ويزيد دون ان يظهر لها اثر .. فهو وحده يستوعب حوالى نصف مساحة الأرض (ومساحة القارات مجتمعة لا تزيد عن ٣٠٪ من مساحة الكوكب) .. ومن اجل هذا تتابعت انواع المعامل البحرية الغاطسة ، مثلها فى ذلك كمثل معامل الفضاء الصاعدة ، فنحن نسمع كثيراً عن طرازات مختلفة من معامل الفضاء Skylabs إلا أن ما يعرفه الناس عن معامل البحار الغاطسة Sealabs لا يمثل شيئاً مذكوراً ، هذا رغم انها موجودة ، وتحقق اهدافاً كبيرة ، فهناك مثلا معامل بحرية تعرف باسم رقم ١ ، ٢ ، ٣ (Sealab I, II, III) ولكل منها مهمة وهدف ، ومنها ما يعرف أيضاً باسم نجمة الأعماق ، وجرو البحر ، وباحثة القاع ، والخوذة الرابعـــة ج س ف ـ ١ ، ونيكتون ، س ب ـ ٣٥٠ ... الخ ، وهى مهياة للغوص لبضعة مئات او آلاف من الأقدام ، هذا بالاضافة الى سفن الأبحاث الأم التى تسبح على السطح ، وتلقى باجهزتها الى الأعماق السحيقة ، لتحضر العينات من القاع ، وتحدد اغوار المياه ، وتسجل التضاريس البحرية ، وتكتشف الجبال الغاطسة بواسطة اجهزة صدى الصوت المرتد .. الخ .

ورغم أن معلوماتنا عن هذا الجزء الأكبر المظلم من كوكبنا لازالت قاصرة ، إلا أن ما جمعه العلماء يوضح لنا صورة مثيرة عن نشاة الجزر والقارات ، وما تخبئه المحيطات فى جوفها من اسرار .. واهمها على الاطلاق وجود تشققات وتصدعات هائلة ، تنتشر فيها براكين مائية مثيرة ، وكانما قيعان البحار تتمزق وتتصدع وتتشقق ، ثم تندفع على هيئة صفائح ضخمة متلاحمة ، فتدفع القارات وتحركها ، مما قد يغير معالم اليابسة مستقبلا ، فتختفى بحار وخلجان ، وتظهر أخرى ، او تبرز جزر ، وتغوص غيرها .. الى آخر هذه الأحداث الرهيبة التى تتم فى الخفاء ، ولا يعرف أسرارها إلا نفر قليل من العلماء ، وهذا ما سنتعرض له فى دراسة قادمة إن شاء الله .

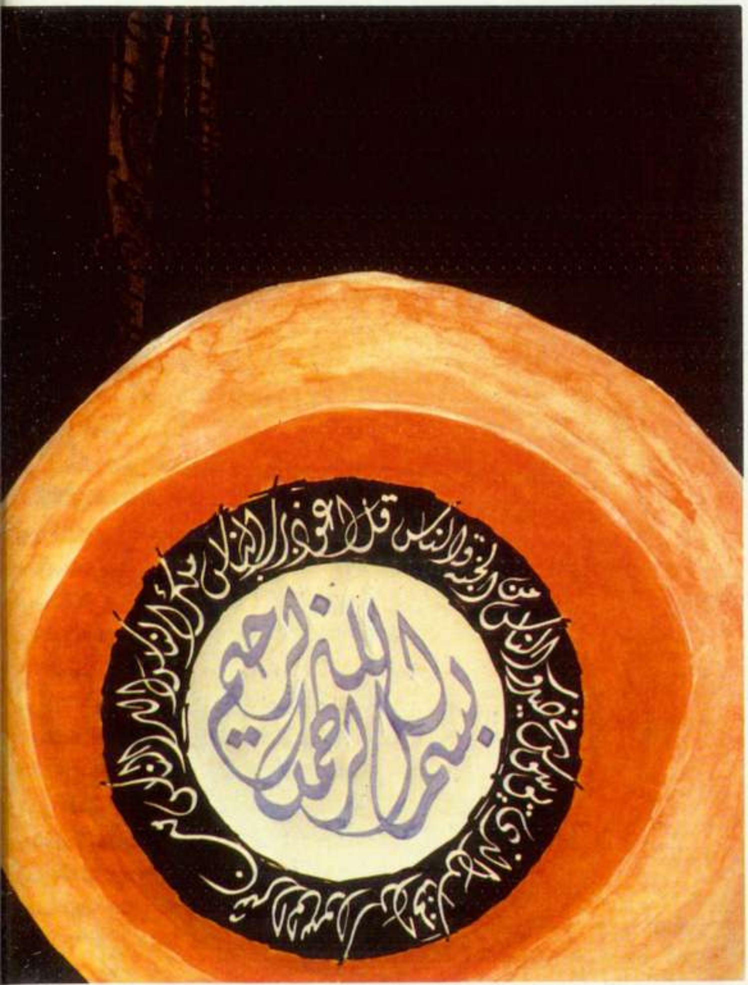
د. عبد المحسن صالح



وكالاجهزة التى يرسلها الفضاء الى اقمار وكواكب المجموعة الشمسية ، لتسجل ما يجرى حولها او عليها ، كذلك يكون الحال مع عالم البحار ، ففى الصورة يظهر رائدان تحت الماء وهما يقومان بتثبيت بعض الاجهزة لتسجل بدورها ما يجرى حولها على القاع من ظواهر طبيعية وكيميائية وحيوية واضطرابات ارضية .

بدائع الخط العربي
في لوحات فنان قطري

أجرى الحوار : حسن الملا



«البسملة»



الفنان التشكيلى علي حسن .. طور علاقته بالخط العربى فى مجال التشكيل الفنى

بعد أن عرفناه خطاطاً فى الصحف والمجلات القطرية ، استطاع أن يقتحم مجال التشكيل ، معتمداً على تطوير علاقته بالخط العربى ، معبراً عن الخلجات التى تدور فى أعماقه ، والمشاعر المرهفة الحساسةالتى تدفعه الى مجموعة من اللوحات تعتمد على تكوينات متميزة للحروف العربية .. وتهدف إلى اكتشاف أقصى امكانات هذه الحروف وتوظيفها فى الاتجاه الفنى الذى يخدم الحركة التشكيلية ويوسع من اتجاهاتها الطموحة على المستوى العربى .

والفنان القطري علي حسن من بين أبناء الأسرة الفنية التشكيلية فى قطر ، الذين استطاعت الجمعية القطرية للفنون التشكيلية أن تجتذبهم للانضمام اليها فى السنوات الأخيرة ، كما تعهدته ادارة الثقافة والفنون بوزارة الاعلام بكل الرعاية والتشجيع ، وكان من نتيجة ذلك أن اشترك فى عدة معارض من بينها : المعرض العام السادس (١٩٨٣) ، المعرض الثالث للجمعية القطرية للفنون التشكيلية ، وأسبوع قطر فى النمسا .

وحول امكانيات الخط العربى فى الاتجاه التشكيلى ، وأيضاً حول كل ما يدور فى ذهن الفنان من أراء متعلقة بالحياة الفنية فى الوطن العربى كان هذا الحوار :

● ما هى المراحل التى مررت بها ؟ وكيف بدأت علاقتك مع الخط ؟



حروف عربية .



من التراث



وجعلنا من الماء كل شيء حي

– يمكن القول أن البداية كانت مرحلة التكوين للخطوط العربية الأكاديمية التى حرصت على اتقانها وساعدني في ذلك عملي في الصحافة المحلية منذ سنة ٧٢ وحتى ٨٣ .

الحرف العربي كان يجذبني بشدة . وإذا كان غاية فى البداية ، إلا انه الآن وسيلة للتعبير بحدوده غير المتناهية التي تفتح امامك آفاقاً رحبة .

والواقع أن للحرف بشكل عام شخصيتين احداهما بصرية أو شكلية والآخرى صوتية (فونوتيكية) ، وهذه الأخيرة من اختصاص اللغويين والمسرحيين والمغنين ، أما الشخصية البصرية أو الشكلية للحرف بشكل عام ، وللحرف العربي بشكل خاص ، فهي وسيلة مهمة للفنان التشكيلي ، يستطيع بواسطتها ابتكار قوالب جديدة ليس لها حدود للتعبير عما يريده .

وكما ذكرت فبداية اهتمامي كانت بالخط الأكاديمي وكان شاغلي الوحيد هو إيجاد الطريقة التي أستطيع بها كتابة كل انواعه (نسخ – رقعة – ثلث – فارسي – ديواني – كوفي .. الخ) ومن الصعب تحديد مراحل محددة . فالحرف العربي لا يعرف الحدود ولا يمكن النظر اليه وكأنه مجرد أبعاد وأشكال هندسية لأن له حيوية فى التعبير تساعد على صيغ كاملة تعطي معاني وافكاراً خاصة .

بدائع الخط العربي

في لوحات فنان قطري



اطلال

● بمن تأثرت ؟ ..

– لقد اطلعت على تجارب الكثير من الفنانين الذين ساهموا في تكوين مختلف اتجاهات استخدام الخط في الفن العربي المعاصر ، ولقد كانت تشدني أعمال فناني مدرسة البعد الواحد . ربما لأنهم رواد هذا المجال ، وكما ذكرت ، فان المدى الذي يفتحه الحرف العربي يترك للفنان هامشاً كبيراً لابتكار الأساليب التي يرى أنها تعبر عما يعتمل في ذهنه .

● ما هي الخامة المستخدمة في الخط العربي ، وفي لوحاتك الفنية ؟

– أستخدم في أغلب أعمالي الأحبار والجواش ولعل هذا يرجع الى شدة ارتباطي بها منذ أن بدأت أتعامل مع الخط سواء في مرحلة الدراسة أو مرحلة الصحافة .

● كيف تتم عملية الابداع الفني لديك ؟

– قد لا أسميها عملية ابداع بقدر ما هي موقف وتواصل من ومع المجتمع وقضاياه ، حيث أن اللوحة هي أولا وأخيراً موجهة للجمهور الذي يستطيع بحس عفوي أن يقدر قيمة العمل تبعاً لمدى ارتباطه به .

والواقع أن مرحلة الابداع ، هي مرحلة الاقتراب أكثر ، والتواصل أكثر مع المجتمع وبقدر ما يستطيع الفنان التعبير عن هموم وتطلعات محيطه بقدر ما يقترب أكثر من من مجالات القدرة على الدخول في هذا المحيط والتواصل معه . أما كيف تتم فهي مستمرة طالما استمر الفنان يمارس دوره الانساني عضواً فعالا مؤثراً في مجتمعه ينقل بأمانة ما يختلج في صدره .

● وما رأيك في الحركة التشكيلية القطرية ؟

لا شك أن المدارس الفنية التي ظهرت وانتقلت الى الكثير من الدول العربية ، لم تجد لها صدى في قطر ، وتبعاً لذلك لم تتكون عندنا الجماعات الفنية التي تعبر عن اسلوب ما كما حدث في الدول التي سبقتنا في هذا المضمار ، لكن الفنان القطري كان حاضراً أبداً يعبر بريشته عن كل ما يحتاج محيطه ويعتمل فيه .

البدايات إذا كانت متواضعة ، لكن المتتبع يلحظ أن هناك حركة تشكيلية بدأت تأخذ معالم محددة تميزها وتفردها عن غيرها ، ربما هي مرحلة الولادة لكنها مبشرة وواعدة بعطاء أكثر وأكبر .

هناك ، بطبيعة الحال ، مجموعة شروط لابد من توافرها لتكوين طابع مميز لهذه الحركة ، أهمها على الاطلاق الانسان الفنان القادر على العطاء وهو هنا موجود ولن يمر وقت طويل حتى نجد ملامح هذا الفن وقد تكونت وبدأت تأخذ مكانها الطبيعي بين من سبقنا في هذا المضمار .

● ما هي الوسيلة لانتشار الأعمال الفنية القطرية وتداولها بين الجمهور ؟

– لاشك أن هناك وسائل عديدة لابد من توافرها كشرط ضروري من شروط انتشار الأعمال الفنية ، يأتي في مقدمتها اقامة المعارض الجماعية والفردية واقامة الندوات والمحاضرات في مختلف المجالات الفنية ، وذلك لتحقيق أكبر قدر من التواصل بين الفنانين والجمهور للتعرف على النشاطات التي تتبناها الجمعية القطرية للفنون التشكيلية من جهة ، والتعرف أيضاً على أساليب واتجاهات الفنانين وما ينتجونه من أعمال

وبطبيعة الحال فان لوسائل الاعلام التأثير الأكبر ، وأخص الصحافة المحلية ، التي يقع على عاتقها واجب ليس تغطية حفل افتتاح المعارض فحسب ، لكن أيضاً متابعة كل ما له علاقة بالفن التشكيلي والوقوف على آخر أخباره لنقلها الى الجمهور ، وبهذه الطريقة تستمر الصلة وتتعمق وتأتي المعارض أخيراً تتويجاً لتلك العلاقة التي تقوم بين الفنان والجمهور .

أيضاً تقع على عاتق المؤسسات والشركات بعض المسؤولية ، التي تتلخص في اقتناء أعمال الفنانين القطريين لنشرها تشجيعاً لهم .

● ما هي أمنيتك بالنسبة للفن التشكيلي العربي ؟

لاشك أن للفنان التشكيلي العربي هموماً واحدة ، وقضايا واحدة ، وإن كان يتم التعبير عنها بطرق مختلفة ، ولعله من الملح أن تكثر اللقاءات بين الفنانين العرب ففي ذلك اثراء لتجربتهم واغناء لها ، وهذا سينعكس إيجاباً على مجمل مسيرة الفن التشكيلي العربي

ولعل الأمنية التي تراود كل فنان هي رؤية هذا التواصل وقد تحقق عبر أكثر من مجال ، إذ أن معرضاً سنوياً واحداً – على سبيل المثال – لن يستطيع تحقيق الكثير ، لأن المطلوب لقاءات مستمرة سواء عبر المعارض أو اللقاءات أو المحاضرات وتنظيم المؤتمرات ، وهي قضية ملحة نأمل أن تتحقق دفعاً للعمل التشكيلي العربي ووصولا للأهداف التي نرجوها له .

● هل الخط العربي هو الذي يميز اللوحة العربية عن اللوحات الأخرى ؟

– الخط العربي من أكثر ابداعات الحضارة العربية أهمية وشمولا لارتباطه بانجازات هذه الحضارة وكل ما أبدعه العرب من علوم وفنون وآداب ، إذ لم تكن هذه الحضارة ممكنة دون كتابة عربية ودون خط مرن قادر على حفظ نتاج الفكر والعلم ، ولهذا فانه الفن الأصيل الذي ازدهر مع الحضارة العربية وكان الوسيلة الأساسية للابداع الفني .

ولقد استطاع الفنان العربي أن يعبر عن مختلف أشكال الابداع الفني بما يحقق له هوية محددة واضحة تميزه عن غيره ، وتمنح فنه تلك الشخصية المتميزة وتجعله يقف شامخاً بين أقرانه العالميين .

لقد أعطى الخط العربي لفنانينا القدرة على تقديم أعمال لها خصوصيتها الواضحة التي استمدتها من هذا الخط ، وهذه الخصوصية ميزت ، بلا شك ، اللوحة العربية عن غيرها من اللوحات وأعطتها طابعاً فريداً .

حسن الملا

● التعصب اللغوي بعد التعصب للجنس ●● النفوذ اليهودي بين الصحف الأمريكية والصحف العربية ●●● اللعب ●●●● كتاب عن ضحايا الثورة الفرنسية

التعصب اللغوي بعد التعصب للجنس

ظهرت فى إيطاليا أخيراً حركة للعمل على تطهير اللغة الايطالية من العبارات والكلمات الأجنبية وبطل هذه الحركة كاتب معروف هو السنيور باولو مونيلى ، وقد أذاع دعوته فى كتاب شديد اللهجة يدعو فيه إلى تحرير اللغة القومية العريقة من ذلك السيل من الكلمات والعبارات الأجنبية « البربرية » ويعترف السنيور مونيلى بأن هناك كلمات أجنبية فى دوائر الأعمال والرياضة يصعب الاستغناء عنها ، ولكنه يرى أنه يمكن الاستغناء عن الكثرة الساحقة من الكلمات والعبارات الدخيلة التى تشوه جمال اللغة الايطالية وتظهرها بمظهر القصور والفقر فى حين أنها من أعرق لغات الأرض وأغناها .

وهذه الحركة التى يدعو إليها الكاتب الايطالى بالنسبة للغة الايطالية ليست إلا طرفاً من الحركة العامة التى ظهرت من قبل فى تركيا الكمالية وفى المانيا ، ثم ظهرت أخيراً فى إيران ، ومما يلاحظ بنوع خاص أنها من آثار النظم الطاغية التى تسيطر على هذه الأمم وتمعن فى فهم النزعة القومية وتدفعها إلى حدود التعصب الجنسى والعلمى .

ففى تركيا تضطرم الحكومة الكمالية بنزعة تعصب عميق نحو الاسلام ونحو اللغة العربية التى هى من أبرز مظاهره ، وتبذل منذ بضعة أعوام مجهوداً عنيفاً لاستبعاد الألفاظ العربية من اللغة التركية مع أنها تكاد تتفوق فيها على العناصر التركية الأصلية ، وإحياء الألفاظ التركية القديمة ، بيد أنها مع ذلك تضطر إلى الاشتقاق من اللغات الأوربية بكثرة ظاهرة مما يدل على أن الغاية الحقيقية ليست تحرير اللغة التركية من الألفاظ الأجنبية بل قتل العناصر العربية فيها تحقيقاً لبرنامج الكماليين فى محو كل آثار للاسلام والعربية من الحياة التركية الجديدة .

وفى المانيا الهتلرية تجرى حركة لاستبعاد الألفاظ الأجنبية وتطهير الجرمانية منها ، وهذه حركة تستطيع فهمها فى أمة عظيمة كالمانيا ذات لغة عريقة محدثة ، وإن كانت فكرة الهتلريين لا تخلو مع ذلك من عناصر التعصب القومى والجنسى .

كذلك أخذت إيران أخيراً تحذو حذو تركيا فى حذف الألفاظ العربية من اللغة الفارسية ، بيد أن حكومة الشاه تجرى فى ذلك فى هوادة واعتدال ، وتؤكد للعالم العربى أنها لا تبغى سوى غاية لغوية ثقافية ترى تحقيقها باحياء مجد اللغة الفارسية القديمة .

١٩٣٦

النفوذ اليهودي بين الصحف الأمريكية والصحف العربية

بقلم : نقولا الحداد

صوت صارخ فينا وفى سائر البلاد العربية ان اليهود محتكرو الصحف الأميركية للدعاية الصهيونية . وليس للهيئات العربية سبيل للرد على إفك اليهود وتشنيعهم بالعرب والدعاية لصهينة فلسطين . لأن الصهيونيين يسيطرون على الجرائد الأميركية فلا يسمحون لجريدة أن تنشر كلمة حسنة عن العرب ولو بثمن غال .

لا تعتبوا يا قوم على الصحف الاميركية فى حين أن بعض صحفنا المصرية ليست أقل خضوعاً لنفوذ اليهود من صحف اميركا ومن يتحقق هذه التهمة يجد انها حقيقة ناصعة . ومن جملة الحوادث التى تؤيد هذه الحقيقة ما ياتى :

تقدم فى حين من الأحيان إلى رئيس تحرير جريدة كبيرة مندوب من قبل هيئة عربية كبرى محترمة بكلمة موجزة ذات شان عظيم لمصلحة العرب فى المسالة الفلسطينية . فوعد الرئيس بنشرها . ولكن مضت بضعة ايام ولم تنشر . فعاتب المندوب رئيس تحرير الجريدة على عدم نشرها . فاجابه ان القيم على إعلانات الجريدة أبى أن تنشر لأن نشرها ليس من مصلحة الجريدة بل هو ضار بها . واعتذر الرئيس بانه إذا نشر خبراً ضاراً بالجريدة فالجريدة تضعف ولا تستطيع ان تخدم الأمة والعرب . عجباً ! لا تستطيع ان تخدم الأمة إذا كان نشر خبر يضرها . وإذا كان الخبر ضرورياً لحياة الأمة وهى لا تنشره فاذاً متى وكيف تخدم الأمة ؟

ما لبث المندوب أن عرف ان ذلك القيم على الاعلانات يهودي وحجته انه إذا نشر الخبر انقطع اليهود عن الاعلان في الجريدة . فتأمل . !

حكاية ثانية : منذ نحو سنتين او اكثر أرسلت الى إحدى مجلاتنا الكبرى مقالا بعنوان « لمن فلسطين ؟ » واثبت فيه بالأسناد التاريخية وغيرها أن اليهود الأجانب الذين يدعون الآن ملكية فلسطين ليسوا من نسل إسرائيل . بل هم أوروبيون تهودوا منذ تشتت الاسرائيليون فى آسيا وأوربا فاغروا بعض الوثنيين باليهودية فتهودوا . فهم ليسوا ساميين كما كان هتلر يزعم . بل هم آريون اكثر من هتلر . ولذلك ليس لهم ضلع البتة فى فلسطين . بل إن فلسطين لأهلها المقيمين فيها من قبل موسى الى اليوم . وقد غيروا ديانتهم من يهود إلى مسيحيين ثم إلى مسلمين حسب تقلبات الحوادث التاريخية والسياسية الخ . هذا كان فحوى المقالة .

ومضت اشهر ولم ار المقالة فى المجلة فذهبت إلى إدارة المجلة عاتباً . ولكن سكرتير التحرير قابلنى بانه لا يدري سبب عدم نشرها . وصاحب المجلة كان متغيباً فلم اتصل به فقلت : هاتها . فتبرم وقال لا ادري إن كنت اجدها .

فبحثنا بين أوراق التحرير . ومن حسن الحظ وجدناها ثم ارسلتها إلى مجلة اخرى رائجة . ومضت الشهور ولم تنشر فكتبت الى إدارة التحرير مطالباً بها . ولم احصل على جواب ففهمت انها ذهبت فى سلة المهملات . ثم علمت انها لا تنشر لأنها ضد مصلحة اليهود الذين ينشرون إعلانات فى المجلة .

ومنذ عهد غير بعيد كتب اديب لاحدى الجرائد اليومية بضعة عشر سطراً يطلب من اليهود الذين فى مصر ان يعلنوا شجبهم للصهيونية وبراءتهم منها قولا وعملا وأن هذا الشجب من مصلحتهم ما داموا مواطنين لأكثرية ساخطة على الصهيونية فلم تنشر الجريدة هذه النبذة . ولما عاتب ذلك الكاتب رئيس تحريرها قال ان هذه النبذة صعبة ملعونة يعنى انها شبه تهديد لليهود . وهو لا يريد أن يستاء

اليهود من جريدته لئلا يحرموها إعلاناتهم فترى أن الجرائد تحت رحمة يهود البلاد بسبب إعلاناتهم .

هذا قليل جداً من كثير جداً من الاخبار المشينة المؤلمة عن سيطرة اليهود فى مصر على بعض الجرائد الرائجة والمجلات المنتشرة .

فلماذا نلوم الصحف الأميركية إذا أذعنت لليهود بعدم نشر شيء من مصلحة العرب ولا سيما لأن قضية العرب ليست قضية الأميركان ولا تهم الشعب الأميركى . ولماذا لا نلوم الصحف العربية التى تراعى خاطر اليهود فى قضية العرب والقضية قضيتهم فبالله اهكذا تخدم الصحف شعبها وعروبة قرائها ؟ تخدم مصالح اليهود ، واليهود يتذرعون بكل وسيلة لامتصاص مالية البلاد العربية والسيطرة على سياستها الى غير ذلك مما هو معلوم .

لا نجهل أن الصحف فى كل العالم تعيش على الاعلانات وإيراد الاعلانات يعيش على رواج الجرائد ، ورواج الجرائد يعيش على إقبال القراء عليها ، وهذا الاقبال هو ثمرة جهاد المحررين وإدارة اصحاب الصحف وجهاد عمالها ، ومتى تزايد عدد القراء أو النسخ التى تطبع ارتفعت اجور الاعلانات ، وهذه الايرادات الأخيرة من الاعلانات تستغلها شركة الاعلانات اليهودية التى تتوسط بين المعلنين والجرائد .

لا نجهل هذا ، ولكن لا نفهم لماذا تكون الوساطة بين المعلنين والجرائد فى يد شركة يهودية تتحكم بالجرائد واصحابها واقلامها وعمالها وقرائها ايضاً فلا تسمح بنشر شيء ضد مصلحة الصهيونية او ليس من مصلحة اليهود . وأصبحت الصحف والاقلام العربية مسخرة لليهود . هذه عبودية لا تطاق ، واستخذاء عربى لليهود لا يكاد يصدق .

ولا ندري لماذا لا تكون الشركة الوسيطة بين المعلنين والصحف وطنية بحتة وتكون مكاسبها لمساهمين وطنيين ويكون الكتاب احراراً فيما يكتبونه لمصلحة بلادهم وإخوانهم العرب .

ترى هل فطن الصحفيون لهذا الضرر العظيم من جراء استلام اليهود لزمام الصحافة فى البلاد يسيرونها على هواهم أم أنهم فطنوا ولا يبالون ؟ الا يبالون ان يكون مصير القضية العربية وجميع القضايا المخالفة لمصالح اليهود والصهيونيين الخيبة ؟

أم انهم لا يبالون بالمصاب إلا إن وقع ، ولا يبادرون الى تدارك الخطر ، الا متى أبرق الخطر وأرعد ، وحينذاك لات حين تداركه .

من المدهشات أن يتولى امر الدعايات بالاعلانات والمقالات والأخبار فى الصحافة العربية لأجل القضية الفلسطينية يهود هم أعداء العروبة الألداء .

أما وجد بين العرب اناس لهم ذكاء اليهود وماليته كمالية اليهود وحيلة كحيلة اليهود لكى يحلوا محل اليهود فى هذه السيطرة على اقلام كتابنا وصحافتنا وإدارة الدعاية عندنا .

لماذا لا ينبري اناس ممن يفهمون فن الدعاية ويؤلفون شركة كبرى لتولى هذا العمل المنتج أي الوساطة بين المعلنين والجرائد ، ثم تنازع الشركة اليهودية هذا العمل ؟ وحينئذ على جميع جرائدنا ان تتحول من الشركة اليهودية الى الشركة الوطنية المصرية الخالصة .

لابد أن يتسرع بعض القراء الى الاعتراض على هذا المشروع الوطنى بانه إذا برز الى حيز الفعل انقطع اليهود عن الاعلان فى الجرائد بواسطة هذه الشركة الوطنية . فلينقطعوا إذا كانت الجرائد لا تقبل وساطة الشركة اليهودية بتاتا ولا تقبل الا وساطة الشركة الوطنية ، لا يستطيعون أن يقاطعوا الصحف لئلا تستاثر المتاجر والمصالح الوطنية بالدعاية وحدها فتروج هذه وتكسب تلك ، لا يستغنون عن الدعاية والاعلانات ، وليس لهم إلا الصحف الوطنية ووساطة الشركة الوطنية .

المشروع لا يحتاج إلا لقليل من الوطنية :

١ ــ يتصدى له متمولون قليلون ، قد يتراءى لهم فى أول الأمر محتاجاً الى شيء من التضحية ، ولكنه متى استتب رأوا انه نتج بلا تضحية .

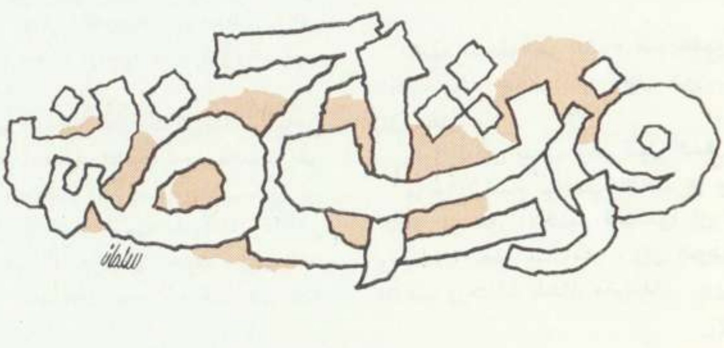
٢ ــ على جميع الجرائد أن تتحول الى وساطة الشركة الوطنية للحصول على الاعلانات . والشركة تخدمهم كما تخدمهم تلك .

٣ ــ على التجار الوطنيين واصحاب الاعمال ان يقبلوا على هذه الشركة فى الدعاية لهم بالاعلانات وغيرها .

فاين الوطنية واين الوطنيون ، ينقذون الدعاية العربية من براثن الصهيونية ؟ لماذا لا تسعى نقابة الصحفيين هذا السعي؟

إن الصهيونيين عازمون على استعباد الشرق العربى كله ولسوف ينجحون إذا لم ننهض لمناهضتهم فى الحال .

نقولا الحداد ــ ١٩٤٧



اللعب...



بقلم: عباس محمود العقاد

قلتم في مقالكم الجميل « الحياة جميلة » :

« ... ولكن جمالها يقتضي ان يكون لنا زعماء للهو يصححون إدراكنا للحياة ، ويرهفون أذواقنا للجمال ، ويهيئون قلوبنا للسرور ، ويشغلون أوقات فراغنا بالمسابقات الرياضية ، والمهرجانات الوطنية والسياحات النهرية ، والملاهي الفنية ، والمواكب الشعبية ، وليس اقدر على هذه الزعامة اليوم من وزارة الشؤون الاجتماعية »

●●●

كلام صادق

وربما كان ارفع من تقريظه بوصف الصدق تقريظه بوصف الجمال . فليس كل صادق بجميل

لكن كم منا نحن المشارقة ، يا اخي يؤمن معك بحاجة اللهو إلى زعامة ، وحاجة الأمة إلى لهو ؟

وكم منهم يؤمن معك بان زعامة اللهو واللعب لها من الشرف والمنفعة كفاء ما للزعامات في الجد او في الأمور التي تتراءى صبغة الجد عليها ؟

اقل من القليل

اقل من القليل مع هذه الوقائع الناطقة التي تتوالى عليهم كل يوم بفضل الامم التي تحسن اللهو واللعب على الامم التي تتكلف التزمت والوقار

واقل من القليل مع تلك الشواهد التاريخية التي ليس يعمى عنها ذو بصيرة تشهد في الدنيا شيئاً من الأشياء

فما عرف التاريخ قط امة احسنت الجد ولم تحسن اللهو واللعب

وما عرف التاريخ قط امة من امم القوة والسيادة لم تكن لها العاب ولم يكن لها زعماء في هذا المضمار

وناهيك بالرومان وملاعبهم في كل مدينة وضعوا حجراً في بنائها

وباليونان ومحافلهم القومية التي تتعاقب كل عام او بضعة اعوام

وبالفرس ومواكب الكرة والصولجان ، والعرب وميادين الفروسية ومنازه الصيد والقنص وما اقتبسوه من سائر الأمم والدولات حيثما ارتفع لهم عرش واستقرت لهم إمامة

اما في التاريخ الحديث فيوشك ان يكون السبق في مضمار اللعب قريناً بالسبق في مضمار السيادة . ويصدق من يقول إن بريطانيا العظمى تفردت بالسلطان العالمي يوم تفردت بالسبق في العابها ، وشوركت في ذلك السلطان يوم شوركت في تلك الألعاب فاللعب هو فيض الحياة

ولن تكون سيادة بغير حياة أولا ... ثم فيض في الحياة بعد ذلك

●●●

لا يلعب الانسان وهو عليل

ولا يلعب وهو محسور مغلوب

ولا يلعب وهو مسلوب المشيئة

ولكنه يلعب حين يصح ، وحين يفرح ، وحين يملك زمامه فيشاء ويفعل ما يشاء

فاللعب والحياة الفائضة صنوان ، والسيادة والحياة الفائضة لا تفترقان

●●●

لكنهم ضعفوا في الشرق فلم يفقهوا لغة الحياة ولم يلحنوا ما نقول حين نتكلم بكل لسان .

رأوا الطفل يلعب وهو قليل العقل

ورأوا الشيخ يتجنب اللعب وهو كثير العقل او كثير الاختبار فحسبوا ان اللعب ونقصان العقل متلازمان ، وان الوجوم من اللعب ورجاحة العقل مترادفان

فاخطأوا

اخطاوا في الفهم كما اخطاوا في الشعور

فما لعب الطفل لانه اقل من الشيخ عقلا ولكنه لعب لانه اوفر نصيباً من جدة الحياة

وما تزمت الشيخ لانه اعقل من الطفل ، ولكنه تزمت لانه اعجز منه وادنى إلى الموت

ولو اجتمعت للشيخ حكمة السن وجدة الطفولة لما منعته الحكمة ان يلعب ويلهو ، ولعلمته بعد ذلك كيف يفتن في لعبه ويزيد في لهوه ، ويبز فيهما الأطفال والشبان

•••

ورأوا المجنون يلعب والعاقل لا يلعب مثله فجزموا باتصال الجنون واللعب كما اخطاوا في الشعور

لأن المجنون يلعب من فرط الطلاقة لا من ذهاب لبه واختلاط فكره

وآية ذلك ان بعض المجانين يفقدون اللب والصواب ولا يلعبون ، بل ينوحون ويتخبطون ويبتئسون ، لأن جنونهم يسلمهم للخوف والفزع ولا يسلمهم للطلاقة والمرح

فهل يقال إنهم إذن اعقل من العقلاء الذين يلعبون حيناً بعد حين ؟

كلا . بل يقال إن الطلاقة تلازم اللعب في كل حين ... اما الجنون واللعب فلا يتلازمان

•••

وينبغي ان نفرق هنا بين اللعب الذي نعنيه ، وبين ما يلتبس به في بعض ظواهره ودواعيه

فاللعب الذي نعنيه غير التسلية

واللعب الذي نعنيه غير الرياضة

لأن الورق والنرد والشطرنج تسمى العاباً ولكنها لا تحتاج إلى فيض حياة ولا تمام شعور . بل لعلها تحتاج إلى الكسل والراحة والفتور ، وهي في لبابها شغل من الأشغال ولكنه شغل فراغ

ولأن الرياضة وسيلة الى غيرها في كثير من الاحوال ، فهي بين رياضة تراد للحرب ، ورياضة تراد للعلاج ، ورياضة تراد لاحتمال المشقات ، ورياضة تراد للتجميل والتقويم

اما اللعب الذي نعنيه فهو التعبير الملازم لحالة الفيض والاشراق فلا يراد بعد ذلك لغرض من الاغراض

هو شيء كلمعان الزجاج حين ينتفي عنه الكدر وينجلي عنه الغشاء .

فلا يقال إن الزجاج يلمع لهذا الغرض او لذاك ، ولا يقال إن اللمعان وسيلة مقصودة ليبيعه البائعون ويشتريه المشترون ويصنعه الصانعون

وكل ما يقال إنه يلمع لأن اللمعان طبيعة فيه ، وشعاع من نوره السابغ عليه

وعلى هذا المعنى يدخل في باب اللعب ابتكار الفنان ، ووحي القريحة ، وتوقان النفوس إلى العظائم ، وغرام العقول بالكشف عن المجهول ، ولألاء الجمال في الوجوه ، ولألاء الجمال في الأرواح .

وعلى هذا المعنى كذلك يعم اللعب فطرة الحياة حيثما وجد الاحياء

فهو في الطير المغرد ، وفي الحوت السابح ، وفي الحيوان الطافر ، وفي كل ما يفيض بحياته فيندفع في العابه ، ويوشك ان يخرج من اهابه

اما التسلية فليست من الفطرة

واما الرياضة فجانب فيها من الفطرة وجانب من ابتداع الجماعة الانسانية

وليس اللعب الذى نعنيه تسلية ولا وسيلة اجتماع ، وانما هو تعبير الحياة كلما امتنع الحائل بينها وبين التعبير .

•••

وتبحث ياأخي عن زعامة للعب واللهو بين المشارقة « الموقرين » اعانك الله !

اتسبق الرياسة المرؤسين ؟

ام يسبق المرؤسون الرئيس ؟

علمهم أن يفهموا اللعب على معناه وانت في غنى بعد ذلك عن تعليمهم معنى الجد او تعليمهم معنى الحياة ، وفي غنى عن انتظار الزعماء وهم ما امتنعوا قط حيث وجد المستحقون زعامة زعيم .

عباس محمود العقاد ـ ١٩٤٠

كتاب عن ضحايا الثورة الفرنسية

صدر اخيراً بالانكليزية كتاب جديد عن الثورة الفرنسية بقلم دونالد جرير ، وعنوانه « حوادث عهد الارهاب » Incidents of the Terror فهو إذن يتناول هذه الناحية من حوادث الثورة فقط وهى بلا ريب من اخصب نواحى الثورة واحفلها بالحوادث الرائعة .

وقد ظهرت عن الثورة الفرنسية فى معظم الآداب الحية كتب ومؤلفات لا حصر لها ، ومنها آثار جليلة شاملة ، ولكن الثورة الفرنسية تبقى ابداً موضوعاً للتامل والدرس ، ولا ينضب معين الطرافة والجدة فى حوادثها واسرارها الدفينة . ومؤلف اليوم ليس قصة ، وإن كان ما يورد من الحوادث يفوق القصص فى غرابته وروعته ، بل هو تاريخ محقق من الوثائق والسجلات والمراجع المحترمة ، وفيه يقص المؤلف حوادث عهد الارهاب الذى ازهقت فيه عشرات الالوف ، ويصور لنا حالة الفرائس المسوقة من الكبراء والنبلاء ، ويسرد حوادث محاكمتهم وإعدامهم فى روعة واعتدال .

وقد انتهى المؤلف إلى القول بان من اعدموا خلال هذا العهد بواسطة المقصلة يبلغون ١٦٫٥٩٤ نفساً ، وان هناك عدداً اكبر يقدر بين ثلاثين واربعين الفاً هلكوا فى السجون من المرض والبرد والمعاناة النفسية ، وتقديره النهائى هو أن خمسة وخمسين الفاً هلكوا ضحية الثورة الفرنسية هذا بينما يقدر بعض الباحثين من هلكوا فى الثورة الروسية الأخيرة (الثورة البلشفية) بخمسين الفاً فقط ، ويعرض لنا الكاتب فى أسلوب قوى شائق العوامل والاسباب التى يعتقد انها مبعث هذا العنف والسفك المنظم .

١٩٣٦

من أفكارهم نعرفهم

إنهم يكرهون الموسيقى العربية ويحاربون اللغة العربية!

بقلم: كمال النجمي

ذات يوم ــ منذ سنوات ــ فوجئت بمطربة أوبرالية مصرية معروفة تدخل مكتبي في مجلة فنية قاهرية كنت رئيساً لتحريرها، وتنطلق ــ بعد تحية خاطفة ــ تغني موشحات أندلسية بملء صوتها، ولم تكف عن الغناء حتى رأت في ملامح وجهي أنني ارتحت الى غنائها، وسرني اجتهادها فيه، وأعجبني أنها نقلت صوتها من الصراخ الأوبرالي بالصوت المستعار الجبار، الى الغناء العربي بالصوت الطبيعي. (١).

قلت لها:

ــ أراك تجتهدين في التعرف على الغناء العربي، بعد غربتك الطويلة عنه، وكنت قد انتقدت رطانتك الغنائية، فها أنت ذي تؤدين الموشحات، فشتان بين أمس واليوم! ..

مطربتنا هذه كانت ضحية برامج التدريس والتدريب في المعهد القومي للموسيقى «الكونسر فاتوار» .. فان برامج هذا المعهد القومي لا تعترف بالغناء القومي ولا الموسيقية القومية، وتحرم على طلاب الغناء الأوبرالي أن يمارسوا غناء عربياً لأنه ينقض تدريبهم الأوبرالي، إذ الغناء العربي الصحيح فنياً، هو ما اتفق نطقه وقواعد قراءات القرآن الكريم، وهذا ما يجهله المدرسون الأوربيون الذين كانوا يمنعون الغناء العربي في الكونسرفاتوار، ولو علموا ذلك ولم يجهلوه لكانوا أشد إسرافاً في حربهم للغناء العربي، بل لعل أكثرهم كان يعرف أن الغناء العربي لا ينفصل عن لغته، وهذه قضية لا نمسها هنا إلا مساً رفيقاً، وبخاصة بعد أن بدأت معاهدنا تشعر بانفصالها عن مجتمعها، فسمحت ــ مشكورة ــ باقامة روابط بينها وبين «البيئة المحلية» .. اى بين طلابها وما يسمعونه في بيئتهم هذه من الغناء، بعد أن امتلأت أسماعهم بغناء «البيئة العالمية» وانشقت حلوقهم من شدة غنائهم الأوبرالي باللغة الطليانية واللغة الألمانية وبقية اللغات الحية التي لا يعرفون الغناء إلا بها ..

ولا يجهل أحد قدر الموسيقى الأوربية التي نسميها «الموسيقى العالمية» .. ولكنها ليست بضاعتنا، وإن كانت دراستها تجدينا وتعود علينا بخير، إذا جعلناها للعلم واستخلاص الفائدة لا للتقليد القرودي الأعمى، والنسج على منوالها بلا هدى وبصيرة، والأخذ بها وحدها دون موسيقانا، وايداع الغناء العربي والموسيقى العربية متاحف الآثار! ..

إن إيداع غنائنا متحف الآثار العربية ــ لو تم ــ لكان مقدمة فاجعة لايداع اللغة العربية أيضاً هذا المتحف! .. وماذا يكون بعد ذلك إلا ما يشتهى أعداء أمتنا من العصف بكل مقوماتها ؟! ..

هكذا تبدو لي خطورة موقف الغناء العربي وقضيته الآن، ويحزنني انني لا أراها كذلك عند حملة الأقلام في الوطن العربي من مشرقه الى مغربه، إلا في الندرة وعلى غير القياس، بالرغم من لدد أعداء الغناء العربي في مخاصمته، وتربصهم به الدوائر، لعلمهم الوثيق باهمية قضيته ومصيره ..

بعض هؤلاء «خواجات» اقحاح من أوربا وغيرها، وبعضهم «مستخوجون» مقلدون، من بلادنا العربية، يحاربون موسيقى قومهم وبلادهم منذ عشرات السنين، وينادون علانية بطردها من أرضها وإيطان الموسيقى الأوربية كاملة في هذه الأرض، كأنما الألحان العربية مجموعة جديدة من اللاجئين العرب يطردها الأغيار من ديارها! ..

هؤلاء أناس اغتربت نفوسهم وأذواقهم وعقولهم عن بلادنا ــ وهي بلادهم أيضاً! .. ــ فهم يعيشون فوق أديمها، ورءوسهم تهتز يمنة ويسرة في أوربا وأمريكا واستراليا .. وليتهم عرفوا تلك البلاد في تقدمها وعزها ولم يقتصر علمهم بها على قشور فنونها! ..

حدثني عازف الكمان العبقري المرحوم أنور منسي ذات ليلة في جلسة على سطح الدار التي كانوا يسمونها في القاهرة قبل ربع قرن «نقابة الفنانين» في شارع عرابي، وكان قادماً لساعته من حفلة عزف فيها على «الفيولينا» عزفاً أوربياً بفندق سميراميس، قال على هامش كلام طويل حول الموسيقى والغناء والمغنيات! ..

ــ أنت تعرف فلاناً الأديب المشهور الذي يطوف الدنيا كالسندباد البحري، ويكتب عن الموسيقى! ..

قلت:

ــ أقرأ له فقط .. ولم ألتق به مع الأسف، ومعظم كتاباته عن الموسيقى ترجمة معروفة المصادر وإن كان يتجاهل مصادرها، ومن الطريف أن بعض مصادره أغلفة اسطوانات الموسيقى الأوربية وما نقشوا عليها من معلومات موسيقية! ..

ضحك أنور منسي وقال:

ــ إنه يعزف على الكمنجة الرومية «الفيولينا» .. وعزفه الأوربي لاباس به كواحد من الهواة غير ذوي المواهب، ولكن الرجل على كل حال يعزف الموسيقى الأوربية ويحاول الاجادة! .. وإن كان يفشل

فى عزف الألحان على الكمان العربى «أى المشدود الأوتار على مقامات الموسيقى العربية» ..

قلت :

ـ السبب فى عجزه عن عزف الموسيقى العربية ، كراهته العنيفة لها ، ومن كره فناً عاداه وعجز عن إجادته أو تذوقه ، وقد صارت عداوته للموسيقى العربية وسواساً يعتاده ليل نهار ، ولا أدرى أيكره هذا الرجل العرب كراهة فى الموسيقى العربية ، أم يكره الموسيقى العربية كراهة فى العرب ؟! .. على أنى أراهما سيين ، وقد استوى الماء والخشبة كما كان أسلافنا يقولون . (٢) .

كان حديث أنور منسى ـ كما قدمت ـ هامشاً على كلام طويل ، أصغى إليه معى بعض زملائنا وأصدقائنا ، وكان أنور منسى يومئذ قد هام بإحدى المطربات أو هامت به ، واتفقا على الزواج .. فكان حديثه ممتعاً أثار فضولنا ونحن فى تلك الأيام .. شباب ! ..

تذكرت حديث أنور منسى عندما قرأت عقب مصرعه على صخرة عند الهرم الأكبر مقالا لصاحبنا هاوى الكمنجة الأوربية أو الفيولينا كما يحلو له أن يسميها بإصرار ، يرثى به الفنان الفقيد فكان مما ذكره عن نبوغه أنه كان يجيد العزف على الكمان العربى والافرنجى معاً ، ولا يخطىء حين يعزف الافرنجى ، مع أنه عازف عربى مطبوع ، ومثله قد يغلبه طبعه العربى على تطبعه الافرنجى ! ..

واعترف صاحبنا أنه حاول جاهداً أن يعزف الموسيقى العربية عزفاً مرضياً فلم يتيسر له ، برغم طول المرانة ، وشدة المعاناة والصبر فى التدريب ! .. فعرف صاحبنا عندئذ أن أنور منسى كان نابغة حقاً فى عزف الكمان لأنه إذا أراد لحناً أوربياً أجاده على أصوله فى موسيقى الأوربيين وعلى مذهبهم وذوقهم وعادتهم ، وإذا عزف لحناً مصرياً أو عربياً أداه بروح مصرى عربى ، متمكن من العزف العربى ، صميم فيه ، لم يستعجم ذوقه ، ولم تغترب أنامله على أوتاره ! ..

وفى هذا برهان على أن المستخوجين الكارهين غناءنا وموسيقانا ، قد اغتربوا عن أرضنا ـ وأرضهم ـ التى يعيشون فوقها ، اغتراباً أليماً ، فانقلبت أذواقهم ، وانقطعت صلة فكرهم ووجدانهم بالعرب فكراً ووجداناً ! ..

وماذا تقول فى عازف مصرى عربى ـ ولو كان هاوياً متوسط الموهبة ـ يبلغ به اغتراب ذوقه ووجدانه ، أن يعجز عن إنطاق الكمان بلحن عربى واحد على الأصول الصحيحة ، ولو بالطريقة المدرسية البسيطة ، لا طرائق الفحول المحترفين ؟! .. وماذا تجديه «النوتة» عندئذ وإن كان يقرؤها كما يقرأ كلمات الكتاب ؟! .

وإذا كان مبلغ صلته بالموسيقى العربية هو هذا العجز عن عزف قطعة منها عزفاً صحيحاً ، فبأى حق يزعم لنفسه حق الافتاء فى أمورها ، وكيف لا يستحى أن يدعو إلى إيداعها فى المتاحف ، ويهاجم المستشرقين المنصفين ـ أمثال هنرى فارمر ـ الذين يشيدون بها ، بل يتعصبون لها ؟!.

لو كان ما يعيب أمثال هذا العازف ، مجرد قلة العلم بالموسيقى العربية ، وكثرة العجز عن ممارستها ، لهان الخطب على جسامته ، ولكان ضئيلا ما تنطوى عليه جوانحهم من البغضاء العظيمة للموسيقى العربية ، والكيد الدائم لها ، والسخر العابث بها ، ولكن هذا وأمثاله هم الآن من وجهاء الموسيقى ، يستفتيهم بعض السذج فى مشكلاتها ، ولهم الوجاهة والصدارة فى الوظائف واللجان والمؤتمرات والرحلات ، ولهم الأمر والنهى فى أمور تتعلق بتطور الموسيقى العربية ومصيرها ! ..

رحم الله أنور منسى ، فقد تذكرنا به هؤلاء جميعاً ، على أنه كان على ضدهم ، وكان وجوده يثبت عجزهم فى الموسيقى الأوربية والعربية معاً ، وقد التحق فى السنة الأخيرة من حياته بالفرقة الموسيقية التى تعزف وراء أم كلثوم ، فكانت ـ رحمها الله ـ تقول : «هذا الرجل الذى يعزف للنزلاء الأوربيين فى الفنادق الكبرى ، هو أطبع العازفين على العزف العربى» ! ..

ونقول : بل كان أنور منسى فى الموسيقى الأوربية أيضاً أطبع وأصنع ممن يزعمون أنهم أصحابها ، أو وكلاء أصحابها فى مصر والبلاد العربية ..

وقد عاش أنور منسى سنوات طويلة يعزف فى فرقة محمد عبد الوهاب ، فكان كمانه ينتقل فى الأغنية الواحدة بين العزف الأوربى والعزف العربى بغاية النعومة والبراعة ، ولم تعقه معرفته بموسيقى الأوربيين عن الولاء للموسيقى العربية الكنينة فى طبعه ! ..

وذلك هو الفارق بينه وبين المتطبعين الفاشلين ! .. وكيف لهم أن يتطبعوا وليسوا مطبوعين ؟! ..

إن المتنبى كان ملهماً حين قال : «وتأبى الطباع على الناقل» ! ..

فلا يفيض بالحب قلب امتلأ بالبغضاء ، ولا يستعرب من صار الاستعجام عقدة معقودة فى وجدانه ولو كان من فلذات أكباد الأرض العربية التى يمشى فوقها ! ..

على أن القضية تتعدى ذكرياتنا عن أنور منسى ، إلى خطر حقيقى يتهدد الموسيقى العربية والغناء العربى الآن ! ..

إننا ننادى الآن بحظر وباء «الكاسيت» الذى يحمل أكثر أنواع «الغناء» هبوطاً فى تاريخ الغناء العربى كله ، كلاماً ولحناً .. وهذا خطر بلا جدال ، ولكن خطبه هين ، إذا قيس إلى الخطر الذى يمثله «المستخوجون» الذين لن تطيب لهم الدنيا إلا حين يفتحون عيونهم ذات صباح سعيد فلا يجدون أثراً للموسيقى العربية والغناء العربى المتقن ، وهم مستعدون عندئذ للتعايش السلمى مع الكاسيت ، لأنهم يعرفون أنها موجة إلى إنحسار ! ..

ومن حسن الحظ أن الكلمة الحاسمة فى هذا الأمر ، لنا نحن المستمعين ، لا للخواجات ولا للمستخوجين ، ولا لغرابيب الكاسيت ! ..

كمال النجمى

● القضية تتعدى ذكرياتنا عن أنور منسى إلى خطر حقيقى يهدد الموسيقى العربية!

هوامش

(١) الكلام عن الفروق بين الصوت الطبيعى والصوت المستعار ، لا يتسع له المجال هنا .. ولكنك تستطيع معرفته بالاستماع إلى صوت أوبرالى من طبقة السوبرانو ثم الاستماع إلى صوت أم كلثوم

(٢) نحن لا نقصد هذا العازف بذاته ، ولكن نضرب قصته مثلا لفئة واسعة تكيد للموسيقى العربية الآن ولا ينبه أحد إلى خطرها .

تقديم : لبنى الريدي

التليفون السرّي

قد يتحول التليفون من اختراع لخدمة الانسان الى اداة إزعاج وتطفل .. ولذلك نقدم هذا الجهاز الجديد الذى اطلق عليه مبتكره اسم « الشفرة السرية » .

فبتوصيل هذا الجهاز بالتليفون يمكن بمجرد الضغط على احد الازرار معرفة المتحدث دون رفع السماعة واذا كان شخصاً غير مرغوب فيه فلن يدق جرس التليفون عندك . فعندما يتصل شخص فان الهاتف يرد اتوماتيكيا على المكالمة قبل ان يرن جرسه عندك ويسال الهاتف بصوت الكترونى عن الرقم الكودى للمتحدث وهو بمثابة كلمة السر . ويتكون هذا الرقم من ثلاثة اعداد يعطيها صاحب التليفون لمن يرغب فى استقبال مكالمته . وحين يذكر المتحدث الرقم الكودى الذى يظهر على شاشة صغيرة متصلة بالهاتف يقارن الجهاز هذا الرقم بما يختزنه من ارقام فى ذاكرته فاذا كان مطابقاً لاحدها ينطلق عندئذ فقط جرس التليفون .



ويحتفظ الجهاز فى ذاكرته بالأرقام التى اتصلت ويسجلها لك فى غيابك كما يمكنه تحويل المكالمة على اى رقم تليفون آخر تكون متواجداً فيه حتى لو كان ذلك فى مدينة اخرى دون أن يشعر المتحدث بذلك . كما يستطيع الغاء اى رقم كودى لم تعد تريد ان يتصل بك صاحبه .

ولكن اكثر حيل هذا الجهاز مكراً هى رقم كود وهمى لاعطائه للمتطفلين اللحوحين ففى هذه الحالة لا يجيب الهاتف وانما يطلق رنيناً طبيعياً فى حين لا يرن الجرس فى منزلك ويظهر على الشاشة الرقم الوهمى .

جهاز لقياس الإجهاد

لدراسة تاثير مزاولة عمل معين على الجهاز الدورى والقلب ابتكر الباحثون هذا النظام المصور فهو يتكون من كاميرا فيديو وجهاز تسجيل وجهاز ارسال متصل باقطاب كهربية مثل المستخدمة فى رسم القلب لقياس ذبذبات القلب عندما يقوم الشخص بعمل معين ، ثم جهاز لتجميع الاشارات القلبية التى يرسلها جهاز الارسال مع الصور التى التقطت .

ويتميز هذا النظام بانه يتيح دراسة الشخص المتحرك اثناء اداء وظيفته ، فهو غير مرتبط او مقيد باجهزة القياس اذ يمكنها العمل وهى على بعد ثلاثمائة متر من الشخص محل الفحص . وهى تستطيع العمل لمدة ساعة دون توقف .



الصندوق الذى به الجهاز ، بالاضافة الى الكاميرا وجهاز التسجيل الفيديو .



صورة العامل اثناء العمل موضحة زمن التقاطها وعدد ضربات القلب .

وبذلك يستطيع الباحثون القيام بدراسة تفصيلية لتاثير كل حركة على القلب وتحديد اى مرحلة من مراحل العمل هى الأكثر اجهاداً فالصور لا تسجل فقط الحركة ولكن معدل دقات القلب وزمن التقاط الصورة ايضاً . بحيث تظهر على شاشة جهاز العرض صورة الشخص اثناء تاديته لعمله ومعدل دقات القلب فى هذه اللحظة بالاضافة الى توقيت التقاط الصورة بالثانية .

شعاع الشمس في سيارتك

تقدم الصناعة اليابانية ابتكاراً جديداً لأصحاب السيارات وهو عبارة عن جهاز شحن لبطارية السيارة يعمل بالطاقة الشمسية . وهو يتكون من لوح لا يزيد عرضه عن أربع بوصات وطوله عن سبع بوصات اما سمكه فبوصة ونصف مثبتة على هذا اللوح الخلايا الشمسية .

ويتميز هذا الجهاز بانه مزود بقابس يناسب ولاعة السيارة بحيث يغذى البطارية مباشرة بالطاقة الكهربية عند توصيله بالولاعة .

وتبلغ طاقة هذه الخلايا الشمسية ١٢ فولت وهى تستطيع اعادة الحياة الى بطارية استنزفت طاقتها جزئياً خلال ساعتين أو ثلاث ساعات وذلك بمجرد وضع هذا اللوح بعد توصيله على لوحة السيارة أو معرضاً للشمس على سقف او كابوت السيارة .

ومهمة هذه الخلايا وقائية فقط فلقد صممت خصيصاً لمن لا يستخدمون سياراتهم بشكل مستمر . ولكنها لا تستطيع انعاش بطارية ميتة .

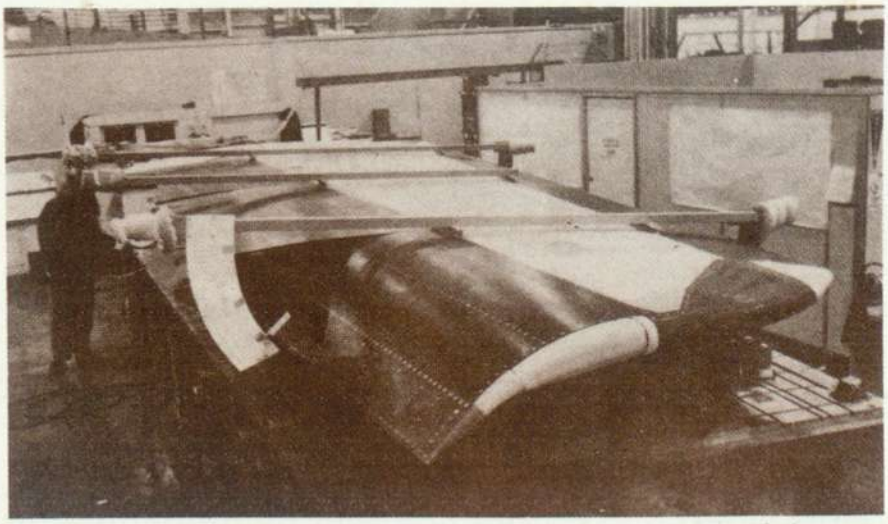
الساعة الببغاء

تعتبر تكنولوجيا توليف الصوت والتعرف عليه من أهم التطورات فى مجال الالكترونيات بحيث اصبحت الآلة تتكلم وتنصت أيضاً وكما حدث للعديد من الابتكارات العلمية السابقة ادخلت هذه التقنية المتطورة على ساعة اليد .

ففى اليابان يجرى تصنيع ساعة رقمية تستطيع تذكر حوالى عشرين كلمة اى ما يوازى ثمان ثوانى من التسجيل الصوتى واعادتها عند الحاجة . ولكن الجديد ان هذه الساعة لا تحتوى على شريط تسجيل وانما تضم رقيقة لا يتعدى حجمها حجم ظفر الابهام تحمل دوائر الكترونية تستطيع التقاط الرسالة واختزانها فى ذاكرة الكترونية لاستعادتها عند الطلب . فبالضغط على زرار تحكم معين تعيد عليك الساعة ما لقنتها اياه . وهى بذلك تقوم بعمل سكرتيرة متنقلة تذهب معك إلى كل مكان .

ففى الصباح يمكنك تحديد برنامج اليوم وتلقنه للساعة بالمواعيد المحددة لذلك وعند حلول وقت كل مهمة أو موعد ينطلق جرس تنبيه رقيق وتقول لك الساعة الكلمات التى تذكرك بما تريد القيام به فى هذه اللحظة .

أجنحة مرنة لطائرات الغد



الجناح المرن اثناء تصنيعه

ستبدأ فى الخريف الحالى التجارب الأولى على طائرة مقاتلة مزودة باجنحة تستطيع تغيير شكلها اثناء الطيران .

فلا يوجد فى الجناح الجديد جنيح مفصلى أو اجهزة تخفيض الرفع التى تشوه انسيابية سطحه العلوى كما فى الجناح التقليدى فالكمبيوتر يحل جميع المشكلات بتغيير شكل الجزء الامامى من الجناح واطراف مؤخرته وجميعها مصنوعة من الالياف الزجاجية بينما يظل سطح الجناح املس مما يقلل تاثير الدوامات الهوائية الى الحد الأدنى لها وبالتالى تستطيع الطائرة الطيران لمسافات أطول بنفس كمية الوقود .

وتقوم القوات البحرية الامريكية بتجربة هذا الجناح على طائرة قاذفة مقاتلة ويقتضى عمل هذه الطائرات ان تطير على ارتفاعات كبيرة ثم تهبط على مقربة من الأرض لرمى حمولتها من متفجرات وقنابل وكان على مهندسى الطيران بالتالى التوفيق بين هذه الاحتياجات المتناقضة .

ولكن الجناح الجديد يوفر عليهم هذا العناء فاجهزة الرصد المتصلة بالكمبيوتر ترصد ما يحدث خارج الطائرة بحيث يصدر الكمبيوتر اوامره الى الجناح ليغير من شكله ليتخذ افضل شكل ملائم

واذا اثبت الجناح المرن نجاحه فستستفيد منه الطائرات المدنية ايضا .

التحليل الضوئي للدم

يعتبر قياس نسبة الاكسجين فى الدم من القياسات الهامة للطبيب المعالج فان ذلك يساعده على مراقبة مدى تماثل المريض للشفاء بعد العمليات الجراحية أو على اكتشاف وجود خلل فى عمل القلب أو الرئتين وتتبع علاج مثل هذا الخلل .

وكانت معامل التحليل تحتاج لاجراء هذا الاختبار الى اخذ عينة من دم المريض وذلك عن طريق حقنة فى الشريان . ولكن ابتكر الباحثون مؤخراً جهازاً لقياس نسبة الأكسجين فى الدم بواسطة قياس كمية الضوء التى يمتصها نسيج اصبع المريض

ويتميز الجهاز الجديد بدقة قياساته وسهولة استخدامه اذ لا يحتاج لخبرة أو مهارة فنية مثل التحاليل العادية كما انه لا يسبب اى الم للمريض . حيث يتم تثبيت مشبك مزود بجهاز رصد ضوئى فى شحمة اذن المريض وعلى شاشة جهاز القياس الالكترونى المتصل بالمشبك تظهر قراءات رقمية تمثل مستوى الأكسجين فى دم المريض . ولأول مرة يتم اجراء تحليل للدم بدون اخذ عينة منه .



نماذج من ملصقات افلام العنف .. وفيها كل ما يغرى المتفرج على الذهاب إلى دور العرض.

سينما

العنف والدم على الشاشة

و... مسئولية الفنان لوقف هذا التدهور!

بقلم: رؤوف توفيق

لم تعد أفلام العنف .. مجرد موجة أو ظاهرة طارئة فى السينما العالمية .. بل أصبحت احدى الحقائق الثابتة والتى تعتمد عليها صناعة السينما فى اقتصادياتها .

وكل المؤشرات الفنية ، تدل على ازدياد نسبة أفلام العنف فى السينما .. وقوائم الانتاج السينمائى لعام ٨٤ تشهد بان هناك شركات سينمائية أمريكية ، خصصت انتاجها بالكامل لأفلام العنف فقط .. وإن بعض الشركات السينمائية الكبرى ، ذات الأسماء المعروفة ، ارتفعت بنسبة أفلام العنف الى سبعين بالمائة من مجموع انتاجها السينمائى !

وهكذا أصبحت افلام العنف هى السلعة الأكثر رواجاً .. والأكثر استقراراً فى سوق الفن ..

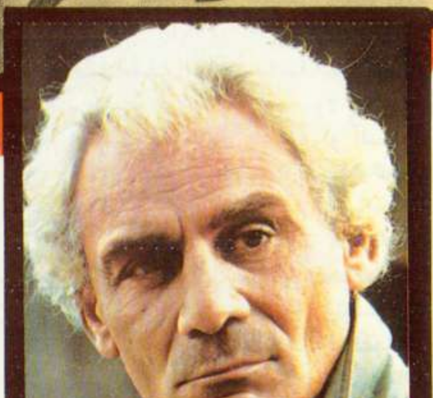








كاترين دى نيف فى لقطة من فيلم « الجوع » ثم ثلاث لقطات لأنواع متعددة من الملصقات .



« جيان ماريا فولنتى » وجائزة احسن ممثل عن دوره فى فيلم « موت ماريو ريتشى »

وهــذه النتيجة المؤسفة .. أمر متوقع مع ازدياد مظاهر العنف فى الحياة . فما دام العنف أصبح حقيقة يومية نعيشها ونقرا عنها فى كل جريدة ، وتطاردنا مع كل نشرة أخبار .. فليس غريباً إذن أن تصبح أفلام العنف بهذه القدرة والاستمرار عاماً بعد أخر !

الشهية المفتوحة

والنتيجة التى أفزعت بعض النقاد فى أوربا .. أن شهية متفرج أفلام العنف .. أصبحت تتعطش لمزيد من العنف .. وأنه مع كل فيلم يبحث عن جرعة أكبر !

وأصبح هذا النوع من المتفرجين ، أقرب الى مدمنى المخدرات !!

وهكذا تشكلت قاعدة من المتفرجين ، تعيش على أفلام العنف .. فى نفس الوقت الذى قامت فيه مؤسسات ضخمة تجند كل إمكانياتها المادية ، وخبرة اعداد هائلة من الفنانين والفنيين ، لتقديم مـزيدمن الافكار الجديدة والابتكارات التكنولوجية .. حتى تمتلىء الشاشة بالدم والرصاص .. وحتى لا يشعر المتفرج بالملل أو التكرار !

وأخطر ما فى الموضوع .. أن النسبة الكبرى من هؤلاء المتفرجين لا تتعدى أعمارهم سن المراهقة والتفتح للشباب .. أى أن هناك جيلا من الشباب قد تم إفساد ذوقه ، وترسبت فى أعماقه بذور العنف .. ولم تعد تفزعه صور الدم والأشلاء .. ولم





البداية دائماً من «ماكينات الحرب» المنتشرة فى المقاهى الامريكية .. لقطة من فيلم «ألعاب الحرب»

كاترين دى نيف » تســتعد لضحية جديدة تمتص دماءها

سينما

العنف والدم على الشاشة و... مسئولية الفنان لوقف هذا التدهور!

تعد تزعجه طلقات الرصاص ولا انين الضحايا !

وهذه ابشع نتيجة لتجارة افلام العنف!

ولا احد يدرى .. كيف يتوقف هذا الانهيار ؟!

من أين تأتى البداية ؟

هل تكون البداية من جانب صناع السياسة ، والقوى الكبرى التى تحاول أن ترسم خريطة العالم بالانقلابات والمؤامرات والأزمات الاقتصادية .. وفى سبيل تحقيق انتصارات سياسية ، وتوازنات دولية .. يطحن يومياً مئات القتلى والضحايا والمعتقلين فى أغرب صور العنف .

أم تكون البداية من أصحاب الفكر ومبدعى الفن .. الذين إذا اجتمعوا فى كتلة واحدة ، التزموا بميثاق شرف لحماية الشباب وأجيال المستقبل ، من شهوة العنف والدم .. ثم أصدروا القرارات الصارمة ضد الذين يتاجرون بالعنف ويصبغون الفن بالدم ..

أى تلك البدايات .. تنقذ الموقف المتدهور الآن ؟ .

أم أن كلا الاحتمالين .. ضرب من الأحلام والأمنيات التى لن تتحقق ..

الأزمة فى فيلم

من أهم أفلام هذا العام .. ذلك الفيلم السويسرى للمخرج «كلود جوريتا» والذى لعب بطولته الممثل الايطالى الكبير «جيان ماريا فولنتى» وحصل عن دوره على جائزة احسن ممثل فى مهرجان «كان» هذا العام ..

الفيلم بعنوان «موت ماريو ريتشى» .

وهذا الـ «ماريو ريتشى» .. لا يظهر اطلاقاً فى الفيلم .. وهو ليس بطلا أو زعيماً أو مجرماً .. وإنما هو مجرد شاب عادى جداً .. ايطالى الجنسية جاء الى هذه القرية الهادئة على الحدود السويسرية ليعمل مثل غيره من المهاجرين الايطاليين الباحثين عن الرزق فى كل مكان ..

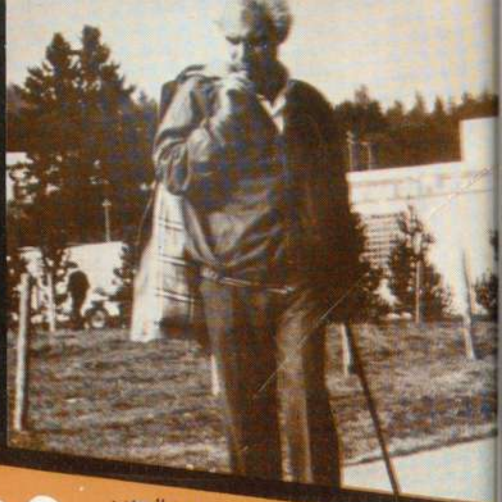
وفى هذه القرية الهادئة .. ذات صباح .. يخرج «ماريو ريتشى» بدراجة من الطريق الفرعى .. لتفاجئه سيارة مندفعة وتصيبه بجراح بالغة .. ثم يموت بعدها بأيام قليلة متأثراً بجراحه .. والى هنا والحادث يبدو عادياً .. أو هكذا يبدو لذلك الصحفى المراسل التليفزيونى (يلعب الدور جيان ماريا فولنتى) الذى جاء الى هذه القرية مع مساعده ، ليجرى حديثاً تليفزيونياً مع ذلك العالم الألمانى الكبير المتخصص فى مشاكل الجوع بالعالم ، وبالذات العالم الثالث .. فهذا العالم الالمانى اعتزل الحياة العامة وانقطع عن مواصلة أبحاثه ودراسته .. واختار هذه القرية مكاناً لعزلته .. وقد جاء الصحفى يغريه بالخروج عن صمته وفتح حوار معه يشرح فيه أسباب عزلته .

وفى خلال الأسبوع الذى يقضيه هذا الصحفى فى تلك القرية البعيدة الهادئة .. نتكشف مدى فداحة الأزمة التى يعيشها هذا الصحفى .. والأزمة الخاصة بهذا العالم الالمانى .. ثم الأزمة التى تسرى فى عروق القرية بعد موت ذلك العامل الايطالى «ماريو ريتشى» .

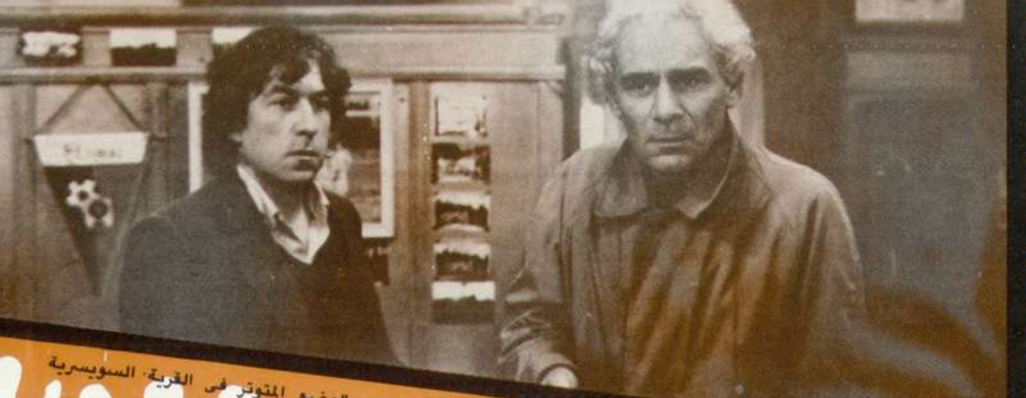
ما تحت السطح الهادىء

والفيلم يمضى رقيقاً ناعماً .. تتخلله فترات طويلة من الصمت .. ولا يخدش البصر مشهد واحد من العنف أو الدم .. ورغم ذلك فالفيلم فى مجموعه صرخة ادانة ضد العنف .

فهذا الصحفى عاش تجارب مريرة مع أحداث العالم الذى سافر وراءها لينقلها الى المشاهدين عبر حواراته وتحقيقاته التليفزيونية .. وكانت المحصلة النهائية التى خرج بها .. عاهة مستديمة فى ساقه أثر اصابته فى احدى دول أمريكا اللاتينية أثناء متابعة أحداث عسكرية وقعت هناك .. وقد تسببت هذه الاصابة فى عرج واضح فى مشيته ، ومعاناة أثناء الجلوس .. واصابة الجسد أهون من اصابة الروح .. فهو يشعر أن لا شىء يتقدم الى الأمام .. بل ان المسائل تتدهور يوماً بعد يوم .. وأن ما يقوم به من عمل لا تأثير له على تطور الأحداث .. ولهذا هبط حماسه وازداد صمته .



«جيان ماريا فولنتى» والاصابة التى تعوقه عن السير.



الصحفى المراسل (جيان ماريا فولنتى) وبجواره مساعده .. يفاجئان بالوضع المتوتر فى القرية السويسرية

اما هذا العالم الالمانى .. فهو بعد أربعين عاماً من الدراسة والعمل اكتشف أنه لا فائدة .. وفى لقائه مع الصحفى يعترف العالم انه الف ١٢ كتاباً وحضر عشرات المؤتمرات .. ولكن كل جهوده ذهبت هباء .. فالدول الكبرى مشغولة بسباق التسلح الذى تنفق عليه آلاف المليارات ..

بينما هناك طفل من بين كل عشرة اطفال فى العالم الثالث ، يموت بسبب الجوع والفقر .. وهناك خمسة عشر مليوناً من البشر ماتوا بسبب الجوع .. ولهذا يشعر بالعجز الشديد أمام هذه المأساة المستمرة ..

وينفعل العالم الالمانى ويبكى ويتهدج صوته .. ثم ينهض ليغسل وجهه .. ويطلب من الصحفى الخروج من بيته .. فهو لا يريد أن يتكلم ..

أما مجتمع القرية .. فبالرغم من السطح الهادىء إلا أن هناك بركاناً يفور فى الاعماق .. فقد فجر موت «ماريو ريتشى» مشكلة الصراع بين أهالى القرية والمهاجرين ..

فالمهاجرون يعتبرون موت زميلهم العامل الايطالى ، حادث قتل مدبر .. وهناك هذا الشاب الصغير من أهالى القرية الذى يعذبه سر لا يقوى على كتمانه ويريد أن يبوح به للصحفى .. وما أن ينفرد بالصحفى للحظات حتى يقول له وهو فى منتهى الذعر أن مجموعة من اصدقائه الشبان هم الذين دبروا حادث السيارة لقتل العامل الايطالى .. وبعد أن يبوح بهذا السر يجرى خائفاً ليحاول الانتحار شنقاً ، حتى يتخلص من مطاردة زملائه له عندما يكتشفون انه فضح جريمتهم !! .. ويسرع الصحفى لانقاذه .. وتنتهى زيارته لهذه القرية .. وهو لم يحقق البرنامج التليفزيونى الذى جاء من اجله .. وإنما تفتحت عيناه أكثر على المأساة !

مأساة العجز والعنف والياس .

رغم المجتمع المزيف

يقول الممثل «جيان ماريو فولنتى» عن دوره فى هذا الفيلم «من الصعب على الممثل ان يؤدى دور الرجل العاجز عن الحركة بسبب عاهته .. والذى لا يتحدث إلا قليلا .. ذلك لأن الممثل هنا يفقد الكثير من فرص التعبير .. ولكنى قبلت هذا التحدى لبراعة الشخصية التى رسمها المؤلف جورج هالداسى .. فالصحفى فى الفيلم هو ذلك المراقب المتامل الذى يستطيع بخبرته وتجاربه أن يرى ما وراء السطح ، ويتعمق المشاكل .. فيكتشف ان هذه القرية تعيش اكذوبة ولا تحاول التحقق منها .. بل تصبح الاكذوبة جزءاً من حياتهم .. وفى لقائه مع العالم الالمانى يشعر بالياس .. ولكن فلنتفق على اننا نعيش فى مجتمع مزيف ولنبدا فى ان نجد لانفسنا دوراً دون أن نفقد الأمل» .

نكتة ساخرة

ومن أذكى الأفلام الأمريكية الأخيرة .. فيلم «العاب الحرب» للمخرج «جون بادهام» والذى يربط فيه بين تحول اجهزة العقول الاليكترونية الى لعبة يستطيع اى صبى أو مراهق أن يشتريها ويحتفظ بها فى حجرته ليلهو بها كما يشاء .. وبين نفس أجهزة العقول الاليكترونية فى غرفة العمليات بوزارة الدفاع الامريكية والتى يسهر حولها كبار القادة والمخططين العسكريين فى انتظار لحظة الصدام بين امريكا وروسيا ..

فالعقول الاليكترونية هنا .. هى اللعبة الكارثة التى تلغى العقل البشرى وتفقد الانسان القدرة على استخدام ذكائه وتجعله مجرد تابع لا حول له ولا قوة ..

وبمنتهى السخرية يبدأ الفيلم مع هذا الصبى الذى يمتلك احد العقول الاليكترونية فى حجرته الصغيرة ويستطيع من خلال معرفته بأرقام الاتصال بالعقول الاليكترونية الاخرى أن يعرف كل المعلومات التى يريدها .. وأن يغير من درجاته فى الامتحانات المدرسية وذلك بالاتصال بالعقل الاليكترونى فى المدرسة ، ليرفع درجاته هو وزميلته الى الدرجة النهائية .. وليحجز ايضاً له ولزميلته مقعدين فى الطائرة المسافرة الى باريس .. دون أن يتحرك من على مقعده فى حجرته !! .

واللعبة مستمرة وظريفة .. حتى يكتشف أثناء تسليته بالدق على أرقام العقل الاليكترونى .. انه التقط وسيلة الاتصال بالعقل الاليكترونى الذى أودعته وزارة الدفاع الأمريكى كل المعلومات عن قوتها العسكرية .. وايضاً كل المعلومات عن قوة الاتحاد السوفيتى .. الأسلحة النووية .. والصواريخ .. والقنابل .. والطائرات .. العدد بالتفصيل .

وتقع المفاجأة المذهلة بالنسبة للصبى .. انه أمام لعبة مثيرة والعقل الاليكترونى فى وزارة الدفاع الأمريكى لا يوضح فقط المعلومات على شاشته الصغيرة .. بل أيضاً يتكلم .. ويسأل الصبى ما الذى تريد أن تلعبه .. فيرد الصبى بفرح طفولى .. فلنلعب لعبة الحرب .. سآخذ مكان السوفيت .. وانت ستكون فى موقع الأمريكان .. ويوافق الجهاز .. ويبدا اللعب ! !

وتجلس الفتاة بجوار الصبى فى الحجرة الضيقة .. يلهوان بلعبة الحرب .. يختار الصبى أن يبدأ بالضرب على لاس فيجاس .. وتختار الفتاة ولاية اخرى .. وهى تقفز من الفرح لأن الجهاز يستجيب لهما .

وتبدأ شاشة العقل الاليكترونى فى تسجيل المعلومات .. الاتحاد السوفيتى سيبدأ الهجوم على لاس فيجاس الأمريكية.

وتعلن حالة الطوارىء فى وزارة الدفاع الأمريكية .. ويتجمع القادة .. ويظهر الرئيس الأمريكى «ريجان» يعطى تعليماته .. وتبدأ الصواريخ النووية فى التاهب للانطلاق ..

بينما والد الصبى فى هذا المنزل



« كاترين دى نيف » فى فيلم الجوع .. وسقطة لا تغتفر



الصبى والفتاة .. بطلا فيلم « العاب الحرب »

العنف والدم على الشاشة
و... مسئولية الفنان لوقف هذا التدهور !!

الأمريكى الصغير ينادى على ابنه لكى يخرج من غرفته ويغطى صندوق القمامة الذى تركه خارج المنزل بدون غطاء !! .

هذه اللعبة

وفى هذا الجو المليء بالتوتر والسخرية تمضى احداث الفيلم .. والبطل الرئيسى هو العقل الاليكترونى الذى سيحدد مسار الحرب العالمية الثالثة .. والقادة الأمريكان فى غرفة العمليات يعيشون لحظات من الارتباك .. والتليفزيون الأمريكى يقطع برامجه ليعلن أن الاتحاد السوفيتى يهدد أمريكا .

وبعد عدة مغامرات تجيد السينما الأمريكية تقديمها .. يصل الصبى الى غرفة العمليات بوزارة الدفاع ليزيح كل القادة والخبراء جانباً ويقوم بالتفاهم مع العقل الاليكترونى .. ولكن شاشة العقل الاليكترونى تواصل تخطيط الحرب القادمة بعد لحظات .. فاللعبة لابد أن تستمر ..

وشاشة العقل الاليكترونى تعلن بداية الحرب .. ويتوقع جميع القادة أن المبنى سينهار عليهم .. وأن الأرض ستزلزل تحت وطأة القنابل والأسلحة النووية .. ولكن لا شيء يحدث فى الواقع .. كل شيء يمضى هادئاً .. وينظر القادة لبعضهم فى دهشة .. بينما الصبى مازال يتحاور مع العقل الاليكترونى الذى يكتب هذه العبارة على شاشته «اللعبة الرابحة الوحيدة .. انك لا تلعب أصلاً» .. وينتهى الفيلم !

ولاشك أن الفيلم مصنوع على درجة عالية من الدقة .. ومشحون بالاثارة .. وموجه أصلاً الى جمهور المراهقين من مشاهدى السينما وكل التوقعات تؤكد أن هذا الفيلم سيحقق نجاحاً تجارياً ضخماً يعادل ما حققه فيلم «اي . تي» فى العام الماضى .

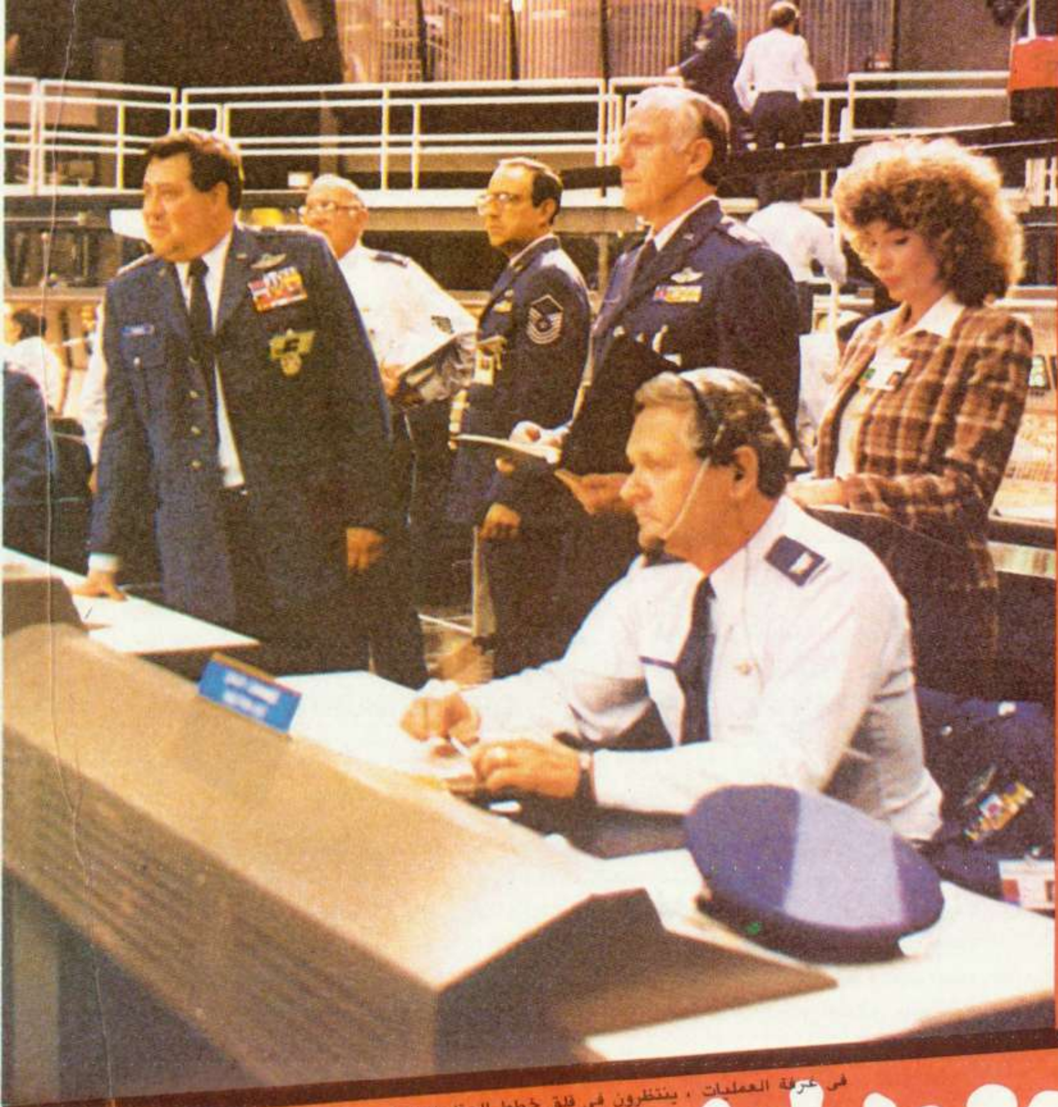
والغريب أن مخرج هذا الفيلم «جون بادهام» هو الذى أخرج فيلم «حمى ليلة السبت» لجون ترافولتا .. وهذا هو فيلمه السادس .

ومن الواضح أنه فهم طبيعة جمهور السينما هذه الأيام .. فقدم لهم فيلماً يغازل به هواياتهم للعقول الاليكترونية وفى نفس الوقت يرضى مزاجهم الخاص بالعنف .. وإن كان يوجه لهم تحذيراً فى النهاية !

مسئولية المخرج

ورغم أن التحذير يأتى فى اللحظة الأخيرة من الفيلم ، ومن خلال عبارة مكتوبة على الشاشة .. وهذا أضعف وسائل التعبير الفنى خصوصاً بعد ساعتين كاملتين من الاثارة والمغامرات .. إلا أننا فى اطار الواقع السينمائى الشاذ .. قد نحترم هنا مسئولية المخرج الذى لم يترك مشاهديه يخرجون من قاعة العرض قبل أن يحذرهم من خطورة اللعبة .. وبالذات لعبة الحرب التى قد تفنى العالم فى لحظات .

هذه المسئولية التى نفتقدها تماماً من





الفرنسية « كاترين دى نيف » والانجليزى « دافيد بوى » .. اللذان قبلا الاشتراك فى فيلم امريكى يعيد قصة « دراكيولا » باسلوب عصرى !

فى غرفة العمليات ، ينتظرون فى قلق خطط العقل الاليكترونى لوقف الهجوم الذرى ..

الفنانين الذين شاركوا فى فيلم أمريكى اخر .. وهو فيلم «الجوع» .

نجوم بلا مسئولية

فى هذا الفيلم تشارك النجمة الفرنسية اللامعة «كاترين دى نيف» مع الممثل الانجليزى الذائع الصيت «دافيد بوى» .. بطولة فيلم عن أحدث نموذج لمصاصى الدماء ! ..

فهذه المرأة الأنيقة الجميلة «كاترين دى نيف» تصطاد ضحاياه وتقطع شرايينهم لتمص دماءهم قبل أن يموتوا .. وذلك من أجل أن تحتفظ بجمالها وشبابها .

ففكرة الفيلم تقوم على أن شرب الدماء يحفظ الشباب لمئات السنين .. على شرط ألا يقع مصاص الدماء فى علاقة حب .

وبالطبع حتى تكتمل عقدة الفيلم (!!) لابد أن يحدث الحب .. لنرى مزيداً من الدماء والضحايا .. والعبث المجنون !

وهذا الفيلم .. هو أول اخراج للامريكى «تونى سكوت» .. وقد سعت الشركة المنتجة للفيلم الى تدبير حملة دعاية مثيرة معتمدة على شهرة الممثلة الفرنسية والممثل الانجليزى واللذين تحولا الى مصاصى دماء ! .

ومهما بدا الأمر أنه مجرد فيلم وبضعة الاف من الجنيهات يقبضها كل ممثل .. إلا أنه فى النهاية مشاركة من هذا الممثل – سواء أكان يقصد أو لا يقصد – فى ترويج بضاعة فاسدة .. وإحياء تجارة مسمومة ..

دور الفنان لانقاذ الموقف

ونعود مرة أخرى الى السؤال الذى طرحناه فى بداية هذا الموضوع :

كيف يتوقف هذا الانهيار ؟ .

إذا كان من الصعب أو من المستحيل أن نطالب صناع السياسة الدولية بالكف عن محاولة اقتسام العالم واهدار الدماء !

فليس من الصعب أو من المستحيل أن نطالب مفكرى العالم وفنانيه بالالتزام بمسئوليتهم الأخلاقية تجاه الجيل الجديد من الشباب ..

إن رفض فنانى السينما للقيام بادوار فى أفلام العنف والدم مثلا .. هو بالتأكيد ضربة قاضية لتجار هذه الأفلام ! .

هذه المسئولية كانت وستظل دائما هى أهم ما يميز الفنان الحقيقى صاحب القضية عن الفنان المزيف الذى يأكل على كل الموائد ..

وهذا الكلام لا ينطبق فقط على المشاركين فى نوعية معينة من الأفلام .. ولكن ينطبق فى الحقيقة على كل الذين يساهمون فى الاتجاهات الفاسدة والمضللة فى الفن ..

سواء أكان هذا على المستوى العالمى .. أو المستوى المحلى ..

فالفنان فى النهاية .. موقف .

«رءوف توفيق»

رسائل إلى المحرر

يقدمه: نبيل خالد الأغا

تأملات معاصرة في الإسلام

الحضور داخل الزمن بوجه اسلامى احد أوجاع الانسانية .. هذا الصراع الرهيب ، المرعب .. والذى بين الانسان واخيه الانسان .. والذى يصل الى حد أن يقتل احدهما الآخر .. والغاية ؟ .. ان يسيطر احدهما .. وان يذعن الآخر .. هكذا عاش الانسان فى التاريخ .. التاريخ المجرد .. الخالى من النبالة او التعالى .

والله سبحانه وتعالى هو وحده القادر على تغيير هذا الواقع المرير . ولذلك جاء الاسلام :

واجتمع النور والمحبة .. التواضع والاخوة الانسانية والخطوة الاولى فى مسيرة التوحيد .. إلغاء الرق ! وصعد العبد العتيق فوق الكعبة ليهتف : «الله اكبر» – ولاحظ الدلالات المباشرة لهذا الرمز التاريخى – ثم – وليردد «العبيد» والفقراء من بعد النداء .. نداء «الحرية» والكرامة الانسانية . و «التوحيد» وبالمعانى والايحاءات المزدوجة والعميقة لهاتين الكلمتين «الحرية و التوحيد» لقد استعادت السماء حقوقها وتوحدت الانسانية تحت لواء الخالق عز وجل وأى ميزة ؟

الخير ... «وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن اكرمكم عند الله اتقاكم ...» .

ليس ابن من .. ولا ما تملك .. فكرة القرن الثامن عشر الأثيرة ..

ولكن هذا السؤال الصعب والذى يقشعر له الجسد عند طرحه .. كم انت خير ... ؟

ولعل المضامين تضيع فى حملة الترديد اللغوى الخالى من المراجعة الذهنية .

وتفلت منا الفرصة ، فلا نعود نعرف كيف نجعل مثل هذا المفهوم .. قوة عظمى .. وتحريه .. فلا يعود غير الكائن الأعلى .. تلغى بعبادتك له وجود مضطهدك .. وتعطى لنفسك سيداً واحداً .. احداً .. يتمثل فى الحضور الألهى فى نفسك .

وان يكون الخير راسمالك .. فانت اغنى الاغنياء .. باحتفاظك – ولو لم تكن تملك سوى ما يسد رمقك – بمسلك الحرية والكرامة وان تقبل الوجود «بنعم» لانك – هكذا وجدلياً – تحمل فى داخلك نفحة الرضا الألهية .. محولا بالتالى عناصر الطبيعة الخيرة الى رموز ملموسة للوجود الألهى .. كل شىء مبارك .. وكل شىء نورانى .. !

ايلوح هذا محض بلاغة عاطفية وحماسة شعرية تفقد اثرها عند اصطدامها مع الواقع ؟

ربما .. ولكن – ومع ذلك – انت – وحدك – القادر على أن تحوله الى ممارسة يومية .. ويصير نشاطاً ايجابياً وفعالا .. تتولد منه قيمة إيجابية لجماعة تبشر بطهارة روحية ويحول العالم الى (جنة ارضية) انه جوابنا ومهمتنا كبديل عن صراعات الحضارة المادية .. هو صعودنا المشرقى الأصيل .. نصعد فوق الجسد .. طارقين ابواب السماء .. ولكننا لسنا كسالى ولا خانعين . بل نحن نامل بانتاج له هوية .. ولذلك يجب أن نواصل البحث عن الكينونة التى لنا .. نريد «العمران» فى الداخل .. ولكننا لا نرفض العمران فى الخارج ... كل ما فى الامر اننا نصنع العمران تبعاً للاهمية .. و «وجودنا» الداخلى هو الأكثر اهمية .. وحتى حين ننتج يكون لكل شىء من صنع ايدينا اثر من الروح ، وعلى الله قصد السبيل .

عبد الستار ناصر   دالاس – الولايات المتحدة الأمريكية

العهدة العمرية

– تمر بي أثناء مطالعاتي عبارة « العهدة العمرية » ، فلا اعرف معناها بشكل عام ، هل لكم أن تكتبوا لي نبذة عنها ؟ .

الآنسة ضوحا عمار
سيدى البرنوصي – الدار البيضاء

● بعد أن انتصر المسلمون فى معركة اليرموك فى سنة ٦٣٨م–١٥هـ، قرروا انقاذ فلسطين من حكم الرومان . فقام البطل ابو عبيدة بن الجراح بمحاصرة بيت المقدس لمدة اربعة اشهر فاضطر البطريق الروماني (صفرونيوس) الى طلب الصلح والأمان ، غير انه اشترط تسليم المدينة للخليفة ذاته ، واجلالا لقداستها وعظمتها ، حضر عمر بن الخطاب ، وكتب لرجال الدين المسيحي وثيقة امان واطمئنان على انفسهم واموالهم وكنائسهم ، وقد عرفت هذه الوثيقة – فيما بعد – بالوثيقة العمرية أو العهدة العمرية ، وهى تعتبر بحق من أروع العهود ، وارفع المواثيق فى تاريخ الحروب الانسانية .

ووقعها الخليفة ، وشهد عليها خالد بن الوليد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمرو ابن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان .

وهذا نص الوثيقة :

« هذا ما اعطى عبد الله عمر امير المؤمنين أهل ايلياء (القدس) من الامان اعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم ، سقيمها وبريئها ، وسائر ملتها انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينقص منها ، ولا من شىء من اموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار احد منهم ، ولا يسكن ايلياء معهم احد من اليهود وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها اللصوص والروم . فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مامنهم ، ومن اقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية ، ومن احب من اهل ايلياء ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وحليهم فانهم آمنون على انفسهم وعلى حليهم حتى يبلغوا مامنهم .

ومن كان فيها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن رجع الى أهله فانه لا يؤخذ منهم حتى يحصدوا حصادهم .

وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة الخلفاء ، وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذى عليهم من الجزية » .

تعـــــــقيب

كنت قد كتبت فى الدوحة الغراء عدد يناير ٨٣ مقالا عن حرب فلسطين عام ٤٨ اوردت فيه شهادة مؤلف اسمه لازارس جاء الى مصر ، ثم كتب كتابا كاملا عن مقابلاته فى مصر وانه قابل الصحفى الكبير مصطفى امين وان الأخير ادلى اليه بخبر هام عن حرب ٤٨ هو ان النقراشى باشا رئيس الحكومة المصرية كان يرفض دخول حرب ٤٨ ولكن الانجليز اغروه بدخولها ووعدهم بانهم سيمدونه بالسلاح اللازم للحرب ، فاطاعهم ودخلها ثم طالبهم بتنفيذ وعدهم فتقدموا اليه باقرار لتوقيعه ثمنا لهذا السلاح وهذا الاقرار هو التنازل عن السودان !

وقد اهابت مجلة الدوحة بصحفينا الكبير ان يرد على ما اورده لازارس باعتباره شاهداً على التاريخ وان العرب ينتظرون كلمته . ولكنه للأسف لم يرد .

والآن اورد ما كتبه الأستاذ احمد حمروش فى كتابه «خريف عبد الناصر» يقول فى الفصل الأول من الكتاب فى الفقرة الثانية مباشرة (ص ١٢) ان هناك تغييراً مفاجئاً حدث فى موقف رئيس الوزراء محمود فهمى النقراشى .

ثم يورد فى الفقرة الثالثة مباشرة (ص ١٢ ايضا) ان فؤاد سراج الدين باشا ذكر للمؤلف احمد حمروش فى مقابلة شخصية ان فؤاد سراج الدين سكرتير الوفد وعضو مجلس الشيوخ قدم سؤالا الى النقراشى باشا فى المجلس نصه : هل قدرت موقف الانجليز ووعد بلفور ؟ ثم يذكر فؤاد سراج الدين باشا ان النقراشى كان غريباً ومعبراً فى نفس الوقت إذ قال حرفياً : انا احب ان اطمئنك على ان الانجليز ايضا ... هم الذين يشجعوننى على ذلك .

وها هى إذن شهادة من سياسى معاصر ورئيس حزب الوفد المعاصر فى هذه القضية التاريخية الهامة . إذا كان مصطفى امين قد سكت فان غيره قد تكلم . فليعلم الجميع الحقيقة وليعيشوها .

ثم يورد المؤلف احمد حمروش فى نفس الكتاب ص ١٣ ان فؤاد سراج الدين اضطر الى ان يقدم استجوابا للحكومة فى مجلس الشيوخ (حيث كان للوفد ٢٠ عضواً فقط وللحكومة ١٣٨ عضوا) وان الاستجواب نظر فى جلسة سرية اثناء الهدنة وان سراج الدين اتهم الحكومة بانها ساقت الجيش دون حتى ان توفر له مجرد وسائل النقل لدرجة أن اضطرت للاستيلاء على وسائل النقل المدنية .

وتبين اثناء نظر الاستجواب أن النقراشى رفض اقتراحا لنورى السعيد بتشكيل قيادة مشتركة بين مصر والعراق على ان تتولى مصر هذه القيادة . وقال النقراشى انه لا يتحمل متاعب العراقيين ولا يضع رقبته فى ايديهم . هل كان الانجليز هم الذين اوحوا الى النقراشى برفض هذه القيادة المشتركة .

ثم حدث بعد ذلك أن صارح النقراشى الملك عبد الله فى اجتماع لزعماء العرب فى شتورا بلبنان بان الجيش العربى الأردنى قد تخلى عن واجبه ! هل يفهم من ذلك أن انجلترا هى التى أوحت الى رجلها جلوب باشا بالتخلى عن نصرة الجيش المصرى .

اعتقد أن جلوب باشا لازال حياً وانه رجل صادق وعنده من الشجاعة ما نطالبه باسمها بادائها بعد أن ادلى فؤاد سراج الدين باشا بشهادته امام التاريخ فى كتاب خريف عبد الناصر .

د . السيد فهمى الشناوى



نداء إلى الصحافة العربية

الأخ رئيس تحرير مجلة الدوحة المحترم ،

تحية طيبة وبعد

يصادف يوم ١٧/٩/١٩٨٣ ذكرى مرور عام على المذبحة الوحشية التى نفذتها العصابات الصهيونية والزمر الكتائبية ضد ابناء شعبنا الفلسطينى واللبنانى فى مخيمي صبرا وشاتيلا .

وقد قررت جامعة الدول العربية اعتبار يوم ١٧/٩/١٩٨٣ يوم حداد قومى تكريماً للشهداء الذين سقطوا فى صبرا وشاتيلا حيث ستقام مهرجانات ومحاضرات وندوات لأحياء هذه الذكرى .

ومن اجل ان تستمر هذه الذكرى راسخة فى اذهان امتنا كواحدة من ابشع مذابح العصر التى ارتكبتها العصابات الصهيونية فاننا نامل منكم اعطاء هذه الذكرى اهميتها فى مجال الصحافة والاعلام من اجل فضح حقيقة العدو وتعرية ممارساته الاجرامية أمام امتنا والرأى العام العالمى .

وان لنا بكم كبير الثقة لما عهدناه فيكم من مواقف وطنية وقومية لخدمة اهداف امتنا ونصرة القضية الفلسطينية .

ننتهز هذه المناسبة لنعبر لكم عن تقديرنا وشكرنا لكل مواقفكم .

وتفضلوا بقبول فائق التحية والتقدير

زعل أبو رقطي
مسئول الاعلام
منظمة التحرير الفلسطينية
مكتب قطر

ردود خـــاصـــة

● السيد محمد الطاهر قعفور ـ تونس :

نامل أن تبعث بهذا الموضوع الى احدى المجلات التى تهتم بمثل هذا النوع من المساهمات . ولك تحياتنا .

● السيد نورى صادقى ص.ب ٩٧٢ ـ اصفهان ـ ايران :

يمكنك الكتابة مباشرة الى إدارة المطبوعات والنشر بوزارة الاعلام القطرية لموافاتك بما طلبته .

● السيد عبد الآله محمد الدليمى ـ ذمار ـ اليمن :

المادة الجيدة هى المقياس الحقيقى للنشر ، وليس هناك اى اعتبار آخر . ننصحك بالاطلاع المستمر على كتب التراث العربى ، ونشكرك على ثقتك « بالدوحة » .

ونأسف لعدم توفر الاعداد التى طلبتها .

● السيد المهندس محمد شريف مراد ـ أسيوط ـ مصر :

نحيي غيرتــك على القضــية الفلسطينية العادلة ، ونحن معك فيما ذهبت اليه ، ونرجو الله ان يلطف بنا .

● السيد عمارى سعيد ـ الرباط ـ المغرب

نحن نعمل بالراى الذى طرحته منذ فترة بعيدة .. ولا ندخر جهداً فى «بلورة الوعى المناهض للاستغلال والاستسلام»

حاول أن تعرف



صورة (١) مدينة عربية ساحلية ،تم تأسيسها عام ٣٣٢ ق.م حيث أطلق عليها اسم مؤسسها وقد كانت تضم إحدى عجائب الدنيا السبع ، وقد احتلها الرومان سنة ٣٠ ق.م ، وفتحها عمرو بن العاص فى ٦٤١ م .. ما اسم هذه المدينة العربية العريقة ؟

صورة (٢) فقيه وفيلسوف ومصلح ديني واجتماعي وصاحب رسالة كان لها أثرها في الحياة الاسلامية ولد «بطوس» من أعمال خِرسان عام ١٠٥٩ م . من أعماله العديدة : كتب رسالة صغيرة عنوانها (أيها الولد) ترجمتها منظمة اليونسكو الى اللغة الفرنسية والانجليزية . وهي تتعلق باصول تعليم الناشئين جاء فيها (ان العلم بلا عمل جنون والعمل بلا علم لا يكون) من هو هذا الفقيه ومتى توفي ؟





دوحة القراء



مسابقة الدوحة

يرجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى كتابة اسم المسابقة وكتابة الاسماء والعناوين بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٩٢





الصورة الأولى : مضيق باب المندب

- الفائز : يحيى محمد القبارى – مصر
- الفائز : مبارك عبد الله سلطنة عمان

- الصورة الثانية : السلطان الفاتح
- الفائز : أحدوت مصطفى – المغرب
- الفائز : علي الخولانى – اليمن

أقدم وثيقة طلاق



أقدم وثيقة طلاق تم العثور عليها حتى الآن ترجع الى الأسرة الرابعة فى مصر أيام الفراعنة كتبها (أمون حوتبا) وعثر عليها بين الأوراق والبرقيات بطيبة وكان نصها كالآتى :

(لقد هجرتك ولم تعد لي حقوق عليك كزوج . ابحثى عن زوج غيرى لأننى لا أستطيع الوقوف الى جانبك فى أى منزل تذهبين اليه ولا حق لي عليك منذ اليوم فصاعداً باعتبارك زوجة تنتسب لي وشريكة لحياتى اذهبى فى الحال وبلا ابطاء) .

محمد عثمان حسين ـ السودان

أقصر قصة عرفها العالم!

يمكننا أن نقول جازمين ان أقصر قصة معبرة عرفها العالم حتى الآن هى تلك القصة القصيرة جداً التى كتبها الكاتب الكبير تشيكوف فى خمسين كلمة بسيطة ومعبرة يقول :

كنت فى الخامسة عشرة من عمرى .. عثرت فى الطريق على ورقة منذ أربعين سنة من فئة الجنيه ، ومنذ ذلك اليوم لم أرفع وجهى عن الأرض ، وأستطيع الآن وأنا على حافة القبر أن أحصى محصول حياتى وأن اسرده كما يفعل أصحاب الثروات هكذا :

ـ ٢٩١٧ زراراً . ـ ١ منديل .
ـ ٤٤١٧٢ دبوساً . ـ ظهر محني .
ـ ١٢ سن ريشه . ـ وحياة بائسة !
ـ ٣ أقلام .

أحمد محمد كركوكلى ـ العراق

لقطة الشهر



منتهى الصداقة

فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى القارىء محمد أحمد حجاج ـ مصر

كلمات لها معنى



ـ « ليست عظمة الانسان فى أن ينتفخ كالفقاعة الفارغة ثم ينفجر جداره الهش كأن لم يكن منذ لحظة بل ان عظمة الانسان الحقيقة فى أن ينتج ما يبقى ويمكث فى الأرض تراثاً للانسانية خالداً » .

زكى نجيب محمود

ـ « ليس انعدام الثروة هو الفقر بل ان شر صنوف الفقر هو فقر الأصدقاء » .

خالد محمد خالد

ـ « حين تدخل العواطف من الباب يفر العقل من النافذة » .

ونستون تشرشل

ـ إن نفسا لم يشرق الحب فيها . هى نفس لم تدر ما معناها
أنا بالحب قد وصلت الى نفسى وبالحب قد عرفت الله

ايليا ابو ماضى

ـ قد يهون العمر الا ساعة وتهون الأرض الا موضعاً

أحمد شوقى

مسعد حسنين حبيب ـ ج.م.ع



دوحة القراء

؟؟ مسابقة الدوحة ؟؟

مَن ؟

يعتبر واحداً من اضخم المشروعات فى العالم ويكفى انه يضم اكبر بحيرة فى العالم مساحتها ٤٠٠٠ كيلو متر مربع وطولها ٥٠٠ كيلو متر .
اسمه مكون من كلمتين تشتمل على عشرة احرف :
١ ، ٣ ، ٤ حيوان مفترس .
٧ ، ٤ ، ٣ طعام مشهور .

أين ؟

المدينة القائم بها هذا المشروع تضم بين معالمها رفاة اديب عربى عملاق اسمها من خمسة احرف :
١ ، ٢ ، ٣ : اسم شركة بترول عالمية
٢ ، ٣ ، ٤ بمعنى معاً .

مـا ؟

من أشهر الخامات التى تضمها تربة تلك المنطقة مادة مكونة من ستة احرف :
٢ ـ ٣ ـ ٤ مكان لدفن الموتى .
١ ـ ٣ ـ ٦ جبل له مكانته الدينية .

الإجـابــة الصحيحــة

١ ـ قصر الشوق اين يقع :
فى القاهرة ـ تونس ـ دمشق .
٢ ـ ما هى الحرب الخامسة التى خاضتها الأمة العربية .
٣ ـ الحريات الأربع التى أعلن الرئيس الأمريكى روزفلت فى يناير ١٩٤١ أنها يجب أن تسود العالم .. ما هى ؟
٤ ـ الأهرام اقدم صحيفة عربية مازالت تصدر حتى الآن :
صدرت سنة ١٩٠٠ ـ ١٨٧٦ ـ ١٨٩٠ .
٥ ـ أول من استخدم التليفزيون الملون :
اليابان ـ الولايات المتحدة ـ فرنسا .

٦ ـ ليس هناك أعداء طول الوقت ولا أصدقاء طول الوقت ولكن هناك مصالح دائمة .
قائل هذه العبارة : دلاس ـ كيسنجر تشرشل .

٧ ـ هل هذه العبارة صحيحة علميا :
يستغرق وصول ضوء الشمس الى الأرض ثمانى دقائق وثمانى عشرة ثانية .

٨ ـ القرن الافريقى تعبير يطلق على المنطقة التى تضم :
... ...

٩ ـ اللغات الرسمية للامم المتحدة هى اللغات الست الآتية :
الانجليزية ـ الفرنسية ـ الروسية ـ الصينية ... ...

١٠ ـ للزيت فائدة كبرى فى محرك السيارة :
تقليل الاحتكاك ـ أم تخفيض درجة الحرارة ؟

حـل مسابقـة العـدد ٩٢

من : عنترة بن شداد
اين : اليمن
ما : العقيق

ـ الأجوبة الصحيحة ـ

١ ـ الزباء .
٢ ـ السنة الثانية .
٣ ـ المحيط الهادى .
٤ ـ غير صحيح .
٥ ـ نبي الله عيسى بن مريم
٦ ـ ٥٨٣
٧ ـ اللافقارية .
٨ ـ عام ١٩١٦ .
٩ ـ يوهان شتراوس
١٠ ـ حقل نوروز .

أسماء الفائزين في مسابقـ

● لوحة لم تتم : الفنان سيد درويش .
ـ الفائز : محمد سعيد المسلمانى .
الامارات العربية المتحدة .
هاشم النور مصطفى ـ السودان .
● لأقوياء الملاحظة : مطرة ـ محبرة . برجل ـ ريشة للكتابة ـ منقلة ـ لوحة رس
ـ الفائز : عبد المنعم متولى محمد ـ مص
: سعيد يوسف حماد ـ السعودي
● دورى الكاريكاتير : رقم (٩)
ـ الفائز : خلود عبد الرحمن مفتاح ـ قط
: احمد السيد مجيد ـ البحرين
● يخلق من الشبه اربعين : رقم ١
ـ الفائز : رافع حقي ـ سوريا .

طراز رفيع من الشجاعة

ما أروع ما قاله هذا الفارس العربى فى الفخر بالشجاعة :

والخيل تعلم والفوارس أننى
فرقت جمعهم بضربة فيصل

إنه عنترة بن شداد العبسى مضرب المثل عند العرب فى الشجاعة والاقدام .. ذلك البطل الذى لا نمل من التغنى بعطر سيرته ولا تكل الأقلام .

سئل هذا الأسطورة عن شجاعته فقال : كنت أقدم إذا رأيت الاقدام عزماً ، وأحجم إذا رأيت الاحجام حزماً ، ولا أدخل موضعاً لا أرى لي مخرجاً منه ، وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثنى عليه فأقتله .

طراز رفيع من الشجاعة سعد به صاحبه وخلد .. شجاعة لا يعيبها أن تتحسس موضع أقدامها قبل أن تخطو .. لكيلا تسقط فى هوة الحماقة وما أظلمها وأرذلها !! فالشجاعة عند فارسنا دون ضرب أخماس فى أسداس .. دون تعقل وتريث وروية .. هى الحماقة بعينها .. فما بالنا – بنو يعرب – نستحمق فى كل شئون حياتنا ظانين بأنفسنا العنترية .. والعنترية منا براء !! .

وفى النهاية يا رفاق .. أتركِكم مع الفارس حيث يقول :

بكرت تخوفنى الحتوف كأننى
أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها أن المنية منهل
لابد أن أسقى بكأس المنهل
فأقنى حياءك لا أبالك واعلمى
أنى أمرؤ سأموت إن لم أقتل

عادل السمادونى مصر – العياط



الخروج من المأزق

أراد الرشيد أن يفاجىء أبا نواس بزيارة فى داره ، ولكن قبل وصول موكبه لمحه أبو نواس ، فوقف خلف الباب حتى دنا الجواد الذى يمتطيه الرشيد من الباب ، ففتح أبو نواس الباب بسرعة ليفسد على الزائر العظيم مفاجأته له ، فأجفل الجواد وسقطت عمامة الرشيد فتطير من هذا الحادث طيراناً شديداً فأمر بالنطع والسيف ، فضحك أبو نواس ، فاستغرب الرشيد وصاح به : ويحك ! أتضحك وأنت على أبواب الآخرة ؟ قال أبو نواس : أضحك يا مولاى لأنك تقتلنى بغير سبب !

فقال الرشيد : إنما أقتلك لأنك شؤم الطالع . فقد (اصطبحت) بوجهك فسقطت عمامتى ! فقال أبو نواس : وأنا التقيت بك ففقدت حياتى ! فضحك الرشيد وقال : أحسنت !

أحمد قيراطة – سوريا

أسماء الفائزين للعدد ٩٢

● فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : حاتم امين احمد الجمل – مصر .

● فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : عبد المنعم الطيب عمارة – السودان .

● فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك نصف سنة القارئة علياء محمد المدلج – السعودية .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ – معروف صادق عبد اللطيف – الكويت
٢ – حسن عباس المهدى – الامارات
٣ – ناول عبد الهادى – المغرب
٤ – عاطف سلامة – سلطنة عمان
٥ – احمد شوقى رشدى – مصر
٦ – طلال علي عبد الله – قطر
٧ – مزون علي الانصارى – قطر
٨ – سعيد عمر قابل – ليبيا
٩ – مازن غانم بن محمود – سوريا
١٠ – حامد أدم حامد – السودان

...ستراحة الدوحة العدد ٩٢

: نعيمة ناصر ابراهيم – قطر
لعبة الظلال : رقم ٣
الفائز : جناح جميلة – المغرب
: عطية نور مسعود – مصر
هات اجمل تعليق :
يا مخرج اخرج لنا الذباب اولا !
...ائز : جمال ابو حمد – سوريا
: وائل جمال حورى – الاردن
المثل بيقول : داوها بالتى كانت هى
...اء !
...ائز : عبد الله سعيد سالم – السعودية
لا يفل الحديد إلا الحديد !
...ائزة : دلال سيد محمد – مصر

استراحة الدوحة

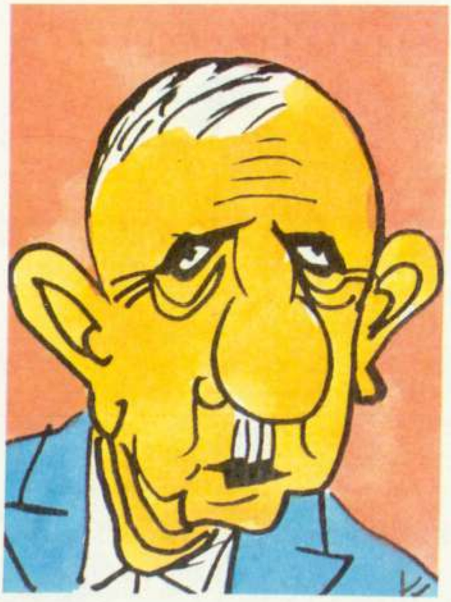


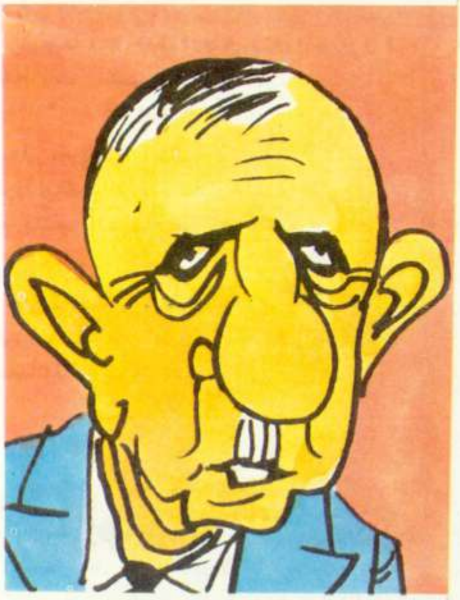
مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رووف

الجائزة لكل فائز فى هذه المسابقة ستون ريالا قطريا

أصل وصورة





كان شارل ديجول أول رئيس للجمهورية الخامسة فى فرنسا (١٩٥٩) .. وبين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيرى هناك سبع اختلافات طفيفة .. هل يمكنك التعرف عليها ؟

لوحة لم تتم



هذه اللوحة لأديبة عالمية فرنسية اشتهرت فى بداية حياتها بروايتها الشهيرة « مرحبا أيها الحزن » .. مشكلة اللوحة أنها لم تتم .. هل يمكنك اكمالها والتعرف على شخصية صاحبتها ؟

المثل يقول



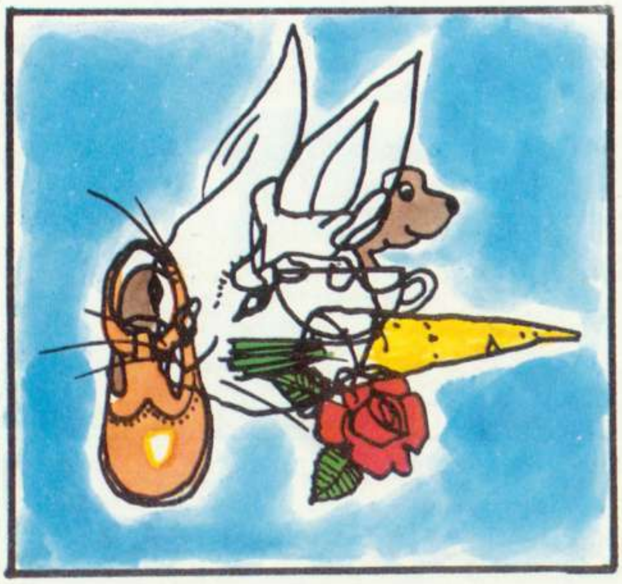
هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى عربى معروف .. إذا عرفت المثل أرسله لتحصل على جائزة !

يخلق من الشبه أربعين



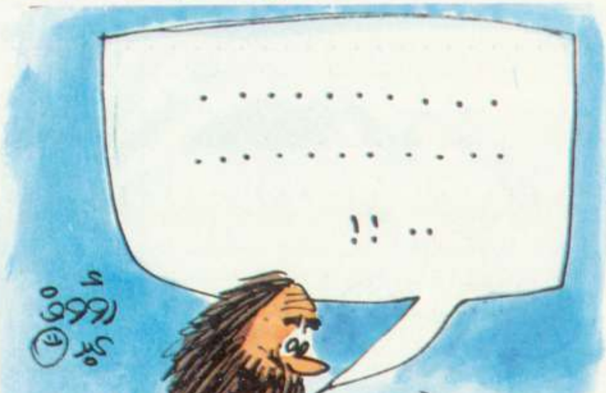
الصور الست المنشورة لست شخصيات شديدة الشبه بالدكتورة سهير القلماوى التى كانت من أوائل خريجات الجامعة المصرية وحصلت على الدكتوراه فى الأدب العربى .. ومن بين هذه اللوحات واحدة فقط تشبهها تماماً .. هل يمكنك التعرف على اللوحة ؟

لأقوياء الملاحظة فقط!



أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ إذا عرفت الحل أرسله إلينا وفى انتظارك جائزة .

هات أجمل تعليق :



هل تستطيع أن تجد تعليقاً خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى ؟ .. حاول وارسله إلينا لتفوز بجائزة .

دوري الكاريكاتير



اقتحم احد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ وسجل هدفاً قوياً فى مرمى الخصم .. هل يمكنك تحديد صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ؟

الورقة الأخيرة

عزف أول .. إلى قطر!



بقلم: عبد الله الجفري

● ها قد جعلت دخولى الى «دوحتكم» معبراً من القلب ، بأزهى خفقات الأرومة ، وباعمق وشائج المصير المتجذر دماً ووحدة عنصر وعشق ارض ، وانشاد لغة شاعرة .. بقيت صابرة وعظيمة ومناضلة فى أعتى هجمات التمزيق للارض ، والتغريب للانسان !

اتيت اليكم موعداً حميماً .. يزرعنى فى بهاء الخليج .. حيث يتحول البحر فى عيونى الى ذلك الغيث الذى أوله «قطر» ويتلألأ موجه تحت صهد الصيف كسيف متلع يضع امجاد التاريخ على هامته ويمنح الشمس العربية انعكاسها فوق صفحته !

هاأنذا فى المرة الأولى .. لا آتى اليكم مسافراً كطائر نورس ، ولكنى امتزج بكم «عودة» محملة بالبخور والطيب .. اصهل فوق صارية ، واتامل سفينة «فتح الخير» التى رست عند شواطئكم مستقرة منذ اكثر من نصف قرن !

ولابد أن هذا التلفت يشكل فى لقائنا : اليد الممدودة بمطلع الحب ، والبوح المشاع فى سحر البيان العربى الذى بدأت تطغى عليه عُجمى المصالح ، و «دبلجة» المشاعر ، فتصبح الكلمة العربية فى ضمير الكاتب والمنتمى هى واحدة من قضايا الفروسية العربية المبددة فى زمن الانقسامات والطوائف والمسرح العائم !

اتيت اليكم مشوقاً .. يعرفنى موج الخليج ، واسر له بهمسى فلا يخون !

تعرفنى «الجذور» فى هذا الوطن الكبير الممتد من اول نخلة أم .. والمعتز بعلم يرفرف بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله» والمعتزى بسيف يدافع عن الحق ويصرع الظلم والبغى .. فكانت تجربة الوحدة نموذجاً اضاء هذا التاريخ الحديث ، وشرع فى ضوئه بعض الطامحين عربياً ليكملوا مشوار الوحدة ، وينشروا عقيدة انطلقت قوية ، ويغرسوا معنى ان تكون الأرض واحدة والانسان متاخيا وشقيقاً وبعضا من بعضه !

هكذا تطلعت بالنظرة الأولى التى احتضنت بها «قطر» ..

ثم سعيت لا أملك إلا ختم التاريخ ، واصداء حوافر الخيل ، وبهجة «العزوة» فى كل ما خصنى به اهل «قطر» ومن احبوها من تلك المعرفة التى تتجاوز الأسم وتمتزج بالدم وبالحس وبالقربى .

هنا .. أعطانى ولي العهد – الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى – تلك الابتسامة الصافية الغامرة بالحب .. سعيت الى لقائه لأسأله فى البدء : كيف تنظرون الى الغد من خلال تكريس حرصكم على احتضان الشباب ، والانطلاق به الى فعل ايجابى يحقق لـ «قطر» شهود بناء الرجال ؟

وكانت إجابته باتساع الخليج ، وبصفاء سمائه وبطموحات ابناء هذه المنطقة التى تحفر الصخر ، وتدخل الى الخليج وتقيم فوقه ناطحة سحاب ، وتجول فى صحراء لتغرس فيها الزرع والنماء والتنمية .

وبعد السؤال .. لعلنى استغرقت فى لحظات مودة ترش « قطراتها » من القلب بلا تكلف ، أو صناعة ري لأرض معطاء وخصبة النماء !

تحدثت الى ولي العهد ، وهو رائد الشباب القطرى ، ولم يكن الحديث إلا صحبة فى ذلك الفيض من المحبة، وذلك الادراك للمعرفة وللغد الذى يطمح اليه جيل يتوق الى الوعد ، ويعانق الأمل ، ويرتقى ذرى الطموح .. وكانت حصيلة هذه «الصحبة» التى ابتدأت بزمان لم يزد عن ربع الساعة : اننى وقفت عند المواعيد القديمة التى حلمنا فيها دائماً بالتاخى والعمل والخطوة الواحدة .. فكان «حمد بن خليفة» يحاور تلك الرؤية التى يحقق من خلالها مفهوم التطور بعقل الانسان باديء ذى بدء .

ثم سعيت .. اناوش شجونى العربية ، واحس بها تضرب وجعاً فى خاصرة الزمن الواقف ، وبلغت من السعى حدود انسان يحمل فوق كاهله أمانة كتابة التاريخ المعاصر لمنطقته ، او انه احد هؤلاء الذين ينظفون الكلمة ويجلونها ويحمونها من اعتداء التتار والصليبيين والمرتزقة من عهد «هنا لندن» وحتى عهد دلالى الكلمة الذين يبيعونها كجارية تارة ، وكمحظية مؤقتة تارة اخرى !

هاأنذا ادخل على الرجل الاعلامى فى قطر «عيسى غانم الكوارى» وهو لا يملك إلا ابتسامة واحدة لا تخضع للطبعات العديدة ، بل هى «أصل» على وجه صريح يؤدى الى الانسان !

حدثته – إذن – عن دور الفكر ، ومساندته لكل مطبوعة تخصصت فى نشر وانتشار الكلمة المصباح ، والفكرة الشموس .. فلابد أن هذه المؤازرة من وزارة اعلام قطر لمعنى ولفعل الكلمة فى زمن غيوم الأفكار .. تعتبر تكاثراً حضارياً له عطاء الوعي ذات يوم قريب !

لقد سمحت لنفسى كصاحب «شرفة» حالة الاضاءة على صفحات «الدوحة» أن اخاطب معالى وزير الاعلام بصوت العاشق الذى يزهو دائماً باثبات حرية الكلمة ، وترسيخ مفهوم «الحوار» فى كل نقاش فكرى .. هو بلاشك يحمى الحوار من الاعتداء الانفعالى !

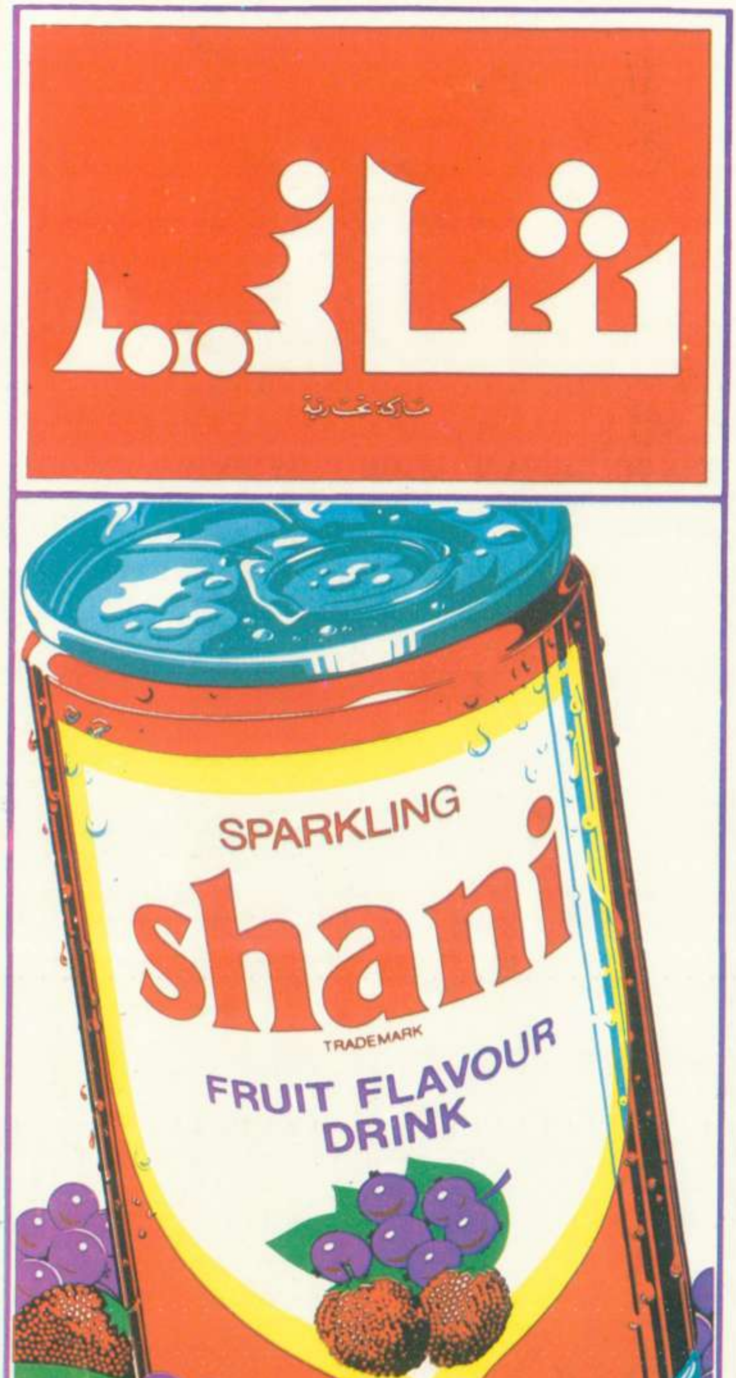
قلت له : لقد وجدنا صفحات «الدوحة» بيتاً وسكناً وشرفات تلتقى بالمناخ المتجدد الصحى .. فطفقت أصواتنا تعرف انطلاقتها ، وطفقت انطلاقة افكارنا تتبلور حيناً فى شكل طلقة رصاص ضد أعداء الدين ، وأعداء الوطن ، وأعداء الانسان ، وتتبلور حيناً آخر فى شكل زهرة قادرة على ان تكبر فى كل الحقول وتسرى عبقاً !

وفى كل كلمة أتطلع الى وجه الرجل الاعلامى .. فالاحظ ان ابتسامته لا تحتد وإنما هى تحنو وتتحول الى حداء ووعد .

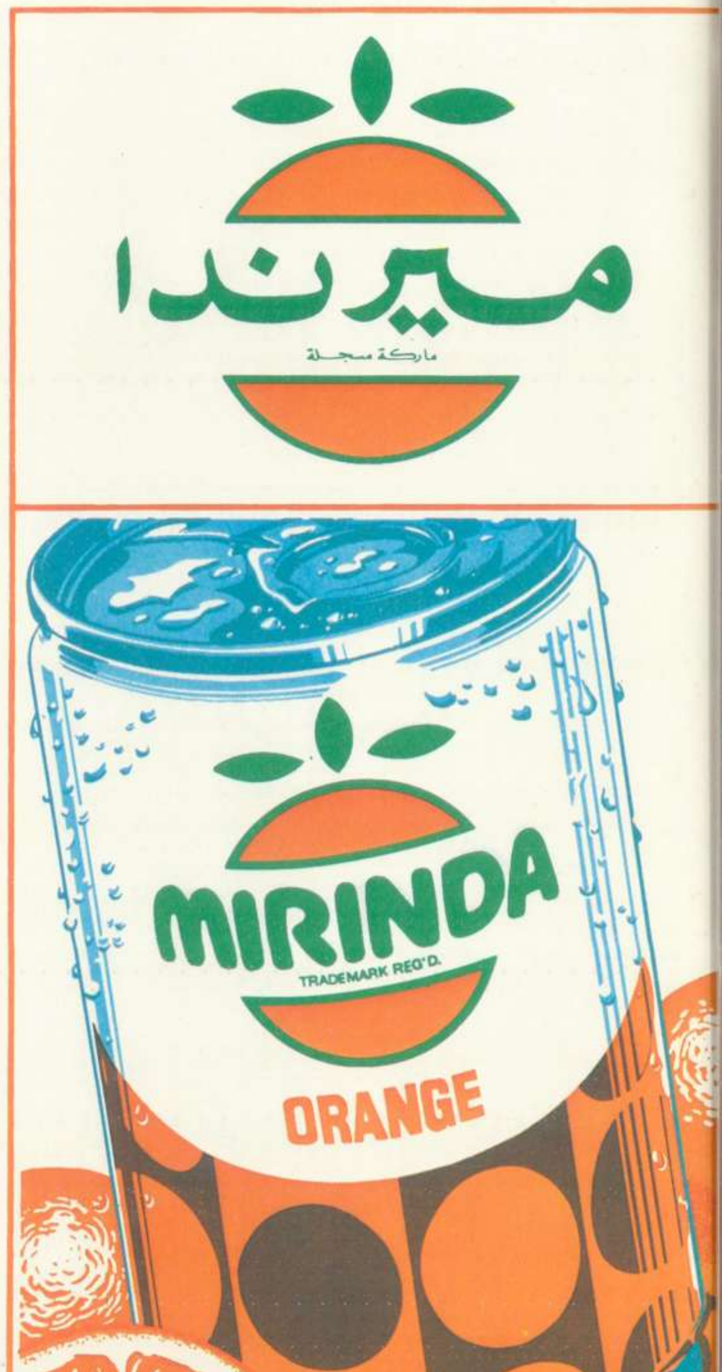
● ● ●

فهل اتى بعد هذا الى حصيلة من رحلة قصيرة بدأتها عند شاطىء «قطر» ولم أطق أن انهيها أبداً رغم عودتى ؟!

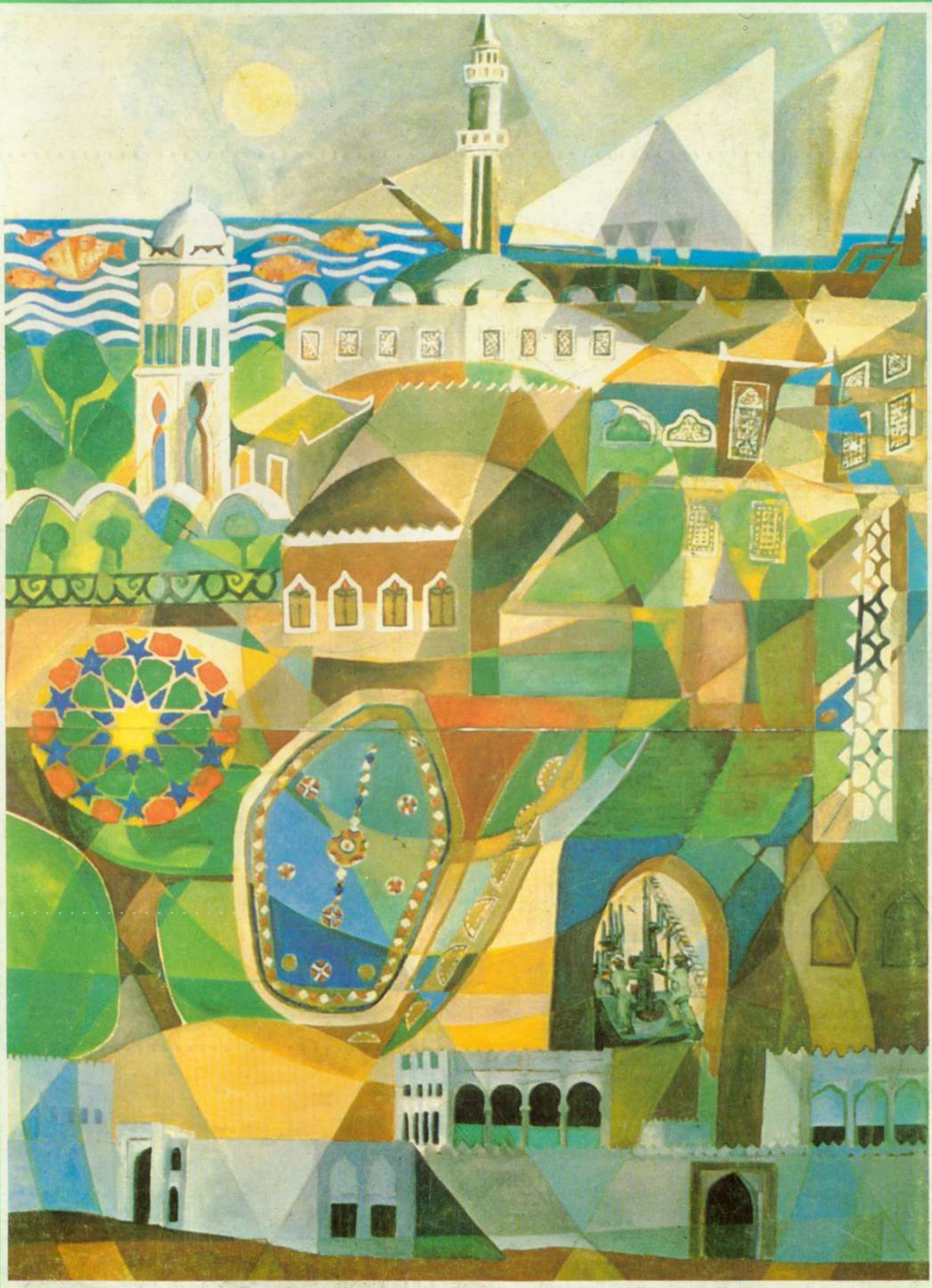
ان الحصيلة هى هذا العزف الأول .. نشيداً ، وخفقاً ، وصدقاً وكلمة لا تخون !!



XSHDC-296/81



XMDC-296/8



من وحي الدوحة : للفنان البحريني عبد الكريم العريض

العدد ٩٥ - محرم ١٤٠٤هـ - نوفمبر ١٩٨٣م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

جزء خاص
مجلس التعاون لدول الخليج العربية
وقضايا المنطقة

● ٢٢ مليون جنيه تحت أقدام أفقر زعيم في العالم

● أرض تتشقق.. وقارات تتحرك.. ولكن إلى أين؟

● "وعام آخر".. قصيدة جديدة بقلم: محمد الفهد العيسى



قصة أجمل حرف في كل لغات العالم


بيبسي
PEPSI


تيم
TEEM

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٩٥ — محرم ١٤٠٤هـ — نوفمبر ١٩٨٣م

المراسلات :

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤
الدوحة — قطر .
العنوان البرقي :
المجلة — الدوحة
تيلكس : — 4521 MAGDO DH

تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٦٠ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٦٦ ريالا قطريا
باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها .
في باقي دول العالم ٧٢ ريالا قطريا .
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٢٥ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٣٢ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ١٤٠ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشأنها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر : ٥ ريالات
البحرين ٣٠٠ فلس
الامارات العربية ٥ دراهم
عمان ٢٥٠ بيسة
الكويت ٣٠٠ فلس
السعودية ٥ ريالات
الجمهورية اليمنية ٣٠٠ فلس
اليمن الديمقراطية ٣٠٠ فلس
العراق ٣٠٠ فلس
المملكة الأردنية ٢٥٠ فلسا
سوريا ٢٥٠ قرشا
لبنان ٢٥٠ قرشا
مصر ٢٠٠ مليم
ليبيا ٤٠٠ درهم
السودان ٢٥٠ مليما
تونس ٤٠٠ مليم
الجزائر ٤ دنانير
المغرب ٤ دراهم
باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

● **السودان**
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب ٣٥٨ — الخرطوم

● **مصر**
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء — القاهرة

● **سوريا**
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكة — تجاه ثانوية فايز منصور
ص . ب ٤٩٠٢ — دمشق

● **العراق**
الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان
شارع الرشيد — ساحة الوثبة
ص . ب ٦٢٤ — بغداد

● **ليبيا**
المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب ٩٥٩ — طرابلس
فرع بنغازي : ص . ب ٣٢١ — بنغازي

● **الاردن**
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب ٣٧٥ — عمان

● **البحرين**
دار الغد
١ شارع المعارف — بناية الدرازي
ص . ب ٥٠٥ — المنامة

● **سلطنة عمان**
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر
ص ب ١٠١١ — مطرح
مسقط

● **تونس**
الشركة التونسية للتوزيع
٥ شارع قرطاج
ص . ب ٤٤٠ — تونس

● **السعودية**
مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان
ص ب ١٤٠٥ — الرياض
مكتبة ومطبعة ضياء — المدينة المنورة

● **الكويت**
شركة دار الكويت للصحافة
ص . ب ٢٣٩١٥ — الصفاة
الكويت

● **لبنان**
الشركة العربية للتوزيع
ص . ب ٤٢٢٨ — بيروت

● **الجمهورية العربية اليمنية**
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص . ب ١٤٣٠ — صنعاء

● **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية**
مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع
ص . ب ٤٢٢٧ — المحافظة الاولى
عدن

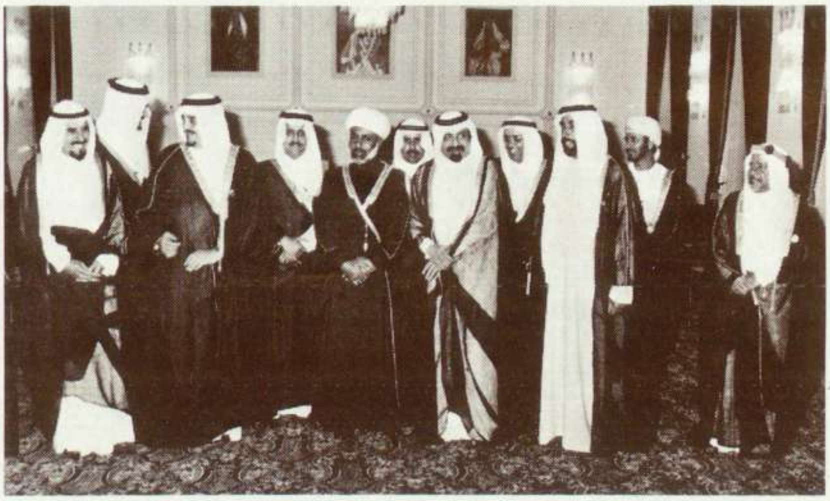
● **الأمارات العربية المتحدة**
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام — عمارة ثاني بن محمد
ص . ب ٧٩١ — ابو ظبي

● **المغرب**
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ص . ب ٦٨٣ — الدار البيضاء
MAROC :
SOCHEPRESS
B. P. No 683
CASABLANCA.

● **الجزائر**
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية — الجزائر
ALGERIE
S. N. E. D.
20 RUE DU LIBERTE
ALGER.

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

في هـــذا العـــــدد



جزء خاص بمناسبة الدورة الرابعة للمجلس الاعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربيــــة ص ٧٩



قلعة الجبل
درة العمارة الحربية الاسلامية ص ٥٨

● دراسات ومقالات ●

● خواطر تسر الخاطر ....
زكريا تـامر ١٢

● اغتيال الكونت بارنادوت ....
عصام شريح ١٤

● حول قضية الشورى فى الاسلام : ما قيمة الراى الذى يتوصل اليه اهل الشورى ؟ ....
د . عبد الحميد اسماعيل الانصارى ١٨

● الباراسيكلوجي .. او ما وراء علم النفس ....
محمد العزب موسى ٢٢

● اقرب طريق الى الصحة والعمر الطويل ....
د . عز الدين فراج ٤٦

● أرض تتشقق .. وقارات تتحرك .. لكن الى أين ؟
د . عبد المحسن صالح ٥١

● عجائب المخلوقات فى ارض الله : عندما تلهو الدببة فى مياه النهر ! ....
حسام جميل مدانات ٦٤

● مستقبل الأطفــال فى يـد العرائس والأراجوز والشطرنج ! ....
نادية يوسف ١٢٤

● ٢٢ مليون جنيه تحت اقدام افقر زعيم فى العالم !
مجدى نصيف ١٣٠

● شؤون الخليج ●

● من وحي لقاء الدوحة : التعاون الخليجي ، والبحث عن نهج جديد فى العمل العربى المشترك ....
د . محمد جابر الأنصارى ٦

● الفن التشكيلي فى الخليج : من الغوص فى البحار الى الغوص فى اعماق الشخصية والتراث ......
يوسف احمد ٦٧

● جزء خاص : الدورة الرابعة للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٩

● قضايا خليجية : الكتابة للأطفال فى الخليج ....
عبد القادر عقيل ١٦٢

● أدب وفنون ●

● ... وعام آخر « قصيدة » ....
محمد الفهد العيسي ١١

● اخطاء لغوية معاصرة ....
د . عبد الله العبادي ٣٠

● سيناريو شعري : قمر المذبحة .. يمامة الوطن «شعر»
محمد الظاهر ٣٢

● د . محمد غنيمي هلال : رائد الادب المقارن فى العربية
عباس خضر ٣٥

● دمي غار الحدائق والشجر « قصيدة » ....
د . عبد الله الشحام ٣٨

● مسرح الفلاحين فى الهند ....
نعمان عاشور ٤٠

● الزبرجدة الأساس « شعر » ....
حسن طلب ٤٣

● العم محمد « قصة » ....
ابراهيم اصلان ٤٤

● رسائل مجهولة فى الأدب والفن ....
كمال النجمي ٤٨

● قلعة الجبل .. درة العمارة الحربية الاسلامية ...
جمال الغيطاني ٥٨

● البحث عن موسيقى الالوان فى لوحات فنان ......
محمد يوسف ٧٤



البحث عن موسيقى الألوان
فى لوحات فنان ص ٧٤

- عذاب السؤال « شعر » ....
  يوسف رزوقة ١١٥
- عبقرية العرب فى خطوطهم ....
  الغمري عقل ١١٦
- رحلة صعبة .. رحلة جبلية : قصة حياة فدوى طوقان .. ترويها بنفسها « الحلقة الثانية » بين الخضوع والتمرد .... فدوى طوقان ١٣٤
- السينما المصرية : الصراخ .. والحقيقة ! ....
  رءوف توفيق ١٤٨

● أبواب ●

- دائرة المعارف القرانية : الكرامة الانسانية ...
  د . محمد البهي ٣١
- لقطات من الكون المثير ٧٢
- من روائع الفن العالمي : حديث المرآة ....
  جمال قطب ١٢٨
- قف : هل تعلم ؟ ....
  عبد العزيز السيد المصرى ١٤٠
- اوراق خضراء : فضيحة البرلمان الفرنساوي فى قضية شركة بناما ـ القومية العربية ١٤١
- العلم والمستقبل : ....
  تقديم : لبنى الريدى ١٤٦
- رسائل الى المحرر ....
  اشراف : نبيل خالد الآغا ١٥٤
- مسابقة الدوحة ١٥٦
- دوحة القراء ١٥٨
- استراحة الدوحة : رءوف عبده ١٦٠

لوحة الغلاف

ابريق مكون من الآية الكريمة « وهو على كل شىء قدير »
المقال ص ١١٦

الدوحة

مجلة شهرية
ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام
بدولة قطر

● جميع المراسلات
ترسل باسم رئيس التحرير

● المقالات المنشورة في المجلة
تعبر عن رأي أصحابها
ولا تعبر بالضرورة
عن رأي وزارة الإعلام
أو رأي المجلة

● المواد لا تعاد إلى مرسليها
نشرت أو لم تنشر

التعاون الخليجي والبحث عن نهج جديد في العمل العربي المشترك

بقلم الدكتور
محمد جابر الأنصاري

ما مر على العرب فى السنوات الأخيرة من تجارب قاسية فى اكثر من ساحة عربية يتطلب جهوداً مضاعفة لتقديم تجارب وانجازات ايجابية - بالمقابل - تمثل فى مجموعها بداية الرد العربى ، ولو على المدى البعيد ، فى وجه الهجمة المركزة التى تعرّض ويتعرض لها الوجود العربى .

واذا كانت الأوضاع والامكانات العربية فى شكلها الراهن لا تسمح برد مباشر على الهجمات المعادية ، فان ساحة الوطن العربى الكبير باتساعها وتنوع امكاناتها ووفرة فرص التحرك والعمل فيها ، تتيح لأطراف وجهات عربية عديدة امكانية المبادرة لتوفير قواعد مستقبلية فى مشرق الوطن العربى ومغربه ينطلق منها الرد العربى الشامل عندما تحين ساعته التاريخية المناسبة .

ثم ان هذه المبادرات ، فى المناطق العربية التى لم تصلها شراسة الهجمات المعادية بعد ، اصبحت اكثر من حتمية لحماية هذه المناطق ذاتها على المدى القريب ، بل والعاجل ، لان العدوان بطبيعته سريع العدوى والانتشار من مكان الى آخر اذا لم تتوفر المناعة الحصينة العاجلة ، لكسر حدة الهجمة المستشرية فى هذا الموقع او ذاك من الساحة العربية .

والاستراتيجيا بطبيعتها لا تعرف الفراغ ولا تعترف به ولا ترحم من يبقون فيه .

انها كالضغط الجوى المرتفع المندفع بقوة الى مناطق الضغط المنخفض ليجتاحها برياحه واعاصيره وطوفانه .

وعندما لا تكون فى الساحة العربية قوى ذات ثقل استراتيجى ذاتي يملأ الفراغ ، فان مراكز الضغط الاستراتيجى الخارجية تندفع بشراسة وسرعة لتملأ الفراغ ، دون ادنى توقف .. إلى ان تبرز فى وجهها القوى العربية المؤهلة لوقف الاجتياح على ارضية الواقع الصلب وعلى تضاريسه ذاتها ، وليس باية صيغ او حلول يوفرها هذا الطرف الدولي أو ذاك ، وتحاولها هذه الدبلوماسية المهدئة أو تلك ..

وسيبقى قانونا ثابتاً فى الحياة العربية والتجارب العربية ، ان العمل من اجل التوحيد وتكتيل القوى هو المدخل الذى

لا مفر منه ـ مهما حاولنا غيره ـ لمواجهة حالات التردى والضعف التى نعانى منها .

كان التوحيد هو الهدف الأسمى لهذه الأمة منذ فجر تاريخها وسيبقى التوحيد هو سبيلها الوحيد للخلاص اليوم وفي المستقبل ، مهما استشرت عوامل التفريق وازدهرت تجارة الصراعات والمعارك الجانبية وشاعت في الجو اوهام الكيانات الطائفية والتجزيئية التى سيكون الراكضون وراء سرابها هم اول المحترقين بها كما بدا يتضح ..

واذا كان مبدا التوحيد الراسخ في عمق هذه الأمة يرفض التجزئة ويقاومها ، فان منطق العصر ، عصرنا هذا ، عصر التكتلات الكبرى يرفض ايضا منطق التجزئة ويستصغرها ويستصغر الواقعين فى اوهامها والمتمترسين خلف حواجزها الخانقة .

يقول الدكتور زريق في كتابه « معركة الحضارة » :

● « ان حياة هذا العصر لا تحتمل من تضؤل أبعادهم الكيانية ، اي الذين لا يفكرون إلا بانفسهم او بحيهم او عشيرتهم او طائفتهم او مدينتهم او قُطرهم .

إن هذا العصر هو عصر الأبعاد المتسعة المزدادة إتساعاً فى كل مجال .. فعلينا ابناء الشعوب العربية ان نكتسب هذه العقلية المتميزة بالأبعاد المتسعة ... فاذا عجزنا عن هذا ، وظلت اهتماماتنا محصورة بدوائرنا الضيقة ، واقمنا سدوداً وحدوداً تفصلنا بعضنا عن بعض .. اقمنا الدليل على اننا لسنا حقا خليقين بتحديات هذه الحياة . »

●●●

والتوجه الحالي في منطقة الجزيرة العربية والخليج العربي نحو اقامة كيان توحيدي اكبر هو توجه نحو هذه الأبعاد المتسعة التي تتخطى السدود والحدود فضلا عن كونها استجابة للتحدي المحدق بالامة العربية ككل وبالخطر المحيط بهذه المنطقة على وجه الخصوص .

وهذا الخيار التوحيدي هو الخيار الوحيد الممكن امام دول المنطقة وشعوبها ، لا بل هو الخيار الحتمي الذي لابد منه ، لأن كل ما عداه لن يكون في مستوى الارتفاع الى المسئولية التي وضعتها التحديات على عاتق عرب هذه المنطقة .



سمو الشيخ حمد بن خليفة ال ثاني .
ولى العهد ووزير الدفاع
زيارة ناجحة إلى البحرين

ومنذ فجر التاريخ ، وقبل عصر البترول بقرون طويلة ، كانت هذه المنطقة مهد العرب وموئل الاسلام . والتجزئة لا تليق بمنطقة هذه صفتها وهذه مكانتها . وبقاء هذه المنطقة مجزاة في العصر الحديث سيجعل التوجه نحو الوحدة العربية في المناطق العربية الأخرى ناقصا وغير مكتمل بينما سيؤدي تحقيقها هنا .. في مهد العروبة ومهبط الرسالة الى احياء الحوافز لتحقيقها في المناطق العربية الأخرى ، كما اثبت التاريخ في تجاربه الحية السابقة .

وهذا هو المنطلق الذي يجب ان تنطلق منه في اعتقادنا حركة التوحيد في الجزيرة والخليج ، إذا ارادت ان تحتفظ بينابيعها صافية نقية ومستمدة من عمق تاريخها ووجدانها العربي الاسلامي .

فمنطقة الجزيرة والخليج ليست بترولا . وليست فوائض ومشروعات وفرص عمل . انها في التحليل النهائي عروبة واسلام بهما تبقى ، وبدونهما تضيع .

واذا تاكد هذا المنطلق ، المتصل بالينابيع الأصلية لوجودنا ، تنتفي شبهة الاقليمية التي يخشى البعض ان تشوب التوجه نحو التقارب الخليجي ، كما تسقط المخاوف القائلة بان هذا التقارب هو رهن بهذه الاستراتيجية الدولية او تلك .

وايا كان الامر ، فان المتغيرات العالمية قد بدات تؤثر في ميدان البترول والفوائض والناحية الاقتصادية ككل ، والرصيد الوحيد الباقي والذي سيبقى رغم تلك المتغيرات هو رصيد العروبة والاسلام الذي عاشت به المنطقة عصور العسر واليسر على حد سواء . وهو الرصيد الذي لا يمكن ان تؤثر فيه السوق العالمية ولا التقلبات الدولية .

●●●

ومن هذا المنطلق .. منطلق إقامة كيان توحيد في منطقة عربية هي مهد العروبة والاسلام يمكن لهذا النموذج التوحيدي ان يشع ويصبح مثالا وقدوة للاشقاء في كل بقعة عربية ، بحيث تتقارب كل مجموعة من البلاد العربية المتجاورة والمتكاملة جغرافيا وبيئيا في منظومة عربية طبيعية ، حتى اذا تماسكت هذه المنظومات في اطارها الجغرافي الطبيعي ، سعت الى التقارب فيما بينها على الصعيد القومي الشامل ككتلة عربية واحدة .

وهذا التوجه نحو تجمعات متجانسة اكبر فاكبر هو استجابة لمنطق العصر كما هو استجابة ذاتية لدى العرب لمنطق التوحيد ، كما المحنا .

يقول الشيخ احمد زكي يمانى ، في ندوة جامعية مشتركة انعقدت بالبحرين مؤخراً ،

التعاون الخليجي
والبحث عن نهج جديد في العمل العربي المشترك

شارحاً ظاهرة التوجه نحو التجمعات الكبيرة عالمياً وعربياً :

● « ان العصر الذي نعيشه اخذ يتسم بطابع التجمعات السياسية ، وسيكون ذلك صفة القرن القادم ، المميزة له ... وكما راينا الولايات المتحدة الامريكية ، نوشك ان نرى الولايات المتحدة الأوروبية . وقد نرى بالتدريج تجمعاً لشعوب امريكا اللاتينية . والوحدة الافريقية التي لا تزال شعاراً سياسياً قد تتحول بالتدريج لوحدة اقتصادية وسياسية ان لم تتجمع كل افريقيا ، فقد تنتظم حلقات معينة فيها . اما القارة الهندية ، فقد تدفعها رياح الصين الى تجمع فدرالي اذا زادت وطأة الخطر الاصفر .. وقد نراها شبه قارة متميزة سياسياً مثل استراليا ».

بعد هذه التقدمة العامة ينتقل الشيخ يماني الى الوضع الخاص للأمة العربية ، فيقول : « اما الأمة العربية التي نجحت اصابع الشرق والغرب في تمزيق حلمها الكبير في الوحدة الشاملة ، فقد بدات تتجمع في حلقات منفصلة في البداية ، مترابطة في النهاية .

ومجلس التعاون لدول الخليج العربية واحد من حلقاتها . ووادى النيل حلقة اخرى ، تتلوه حلقة المغرب العربى الكبير . ولو عطل المحاق السياسي ولادة الهلال الخصيب ، فان سنة التطور وقوانين الطبيعة قد لا تحجبه طويلا .

وهذه الحلقات المختلفة قد تترابط تدريجيا تحت حلقات أوسع من دائرة كل واحدة منها . فحلقة الجزيرة العربية اذا نشأت ترتبط بحلقة مجلس التعاون لدول الخليج العربية بهمزة وصل هى المملكة العربية السعودية . والمملكة ايضا حلقة وصل وارتباط مع حوض البحر الأحمر ووادي النيل وما يمتد جنوبه من دول عربية . ومهما حاولت الصهيونية العالمية وقف التطور التاريخى ، وتقطيع اوصال الأمة العربية المحيطة باسرائيل الى دويلات يحكمها المذهب او العرق ، فان ظواهر الأمور تدل على أن نجاحها إن تحقق ، سيكون في التاجيل وليس في تعطيل الالتحام والتكوين » (١)

وهذا يعني ان اسلوب تحقيق الوحدة العربية قد يختلف ويطرا عليه بعض التعديل تبعاً للظروف ، ولكن هدف الوحدة النهائي يبقى كما هو لا تراجع عنه رغم شراسة المعوقات .

ولقد جرب العرب في الماضي عدداً من الأساليب والوسائل لبلوغ الوحدة كاسلوب الجامعة العربية ، واسلوب الالتفاف حول بلد قيادي واحد تتحقق على يديه الوحدة الشاملة بصيغتها المركزية .

غير أن حدة الصراع الدولي في المنطقة العربية بموقفها الحساس في قلب العالم جعل تحقيق الوحدة الشاملة التي تقلب الموازين الدولية بين عشية وضحاها امراً فى غاية الصعوبة . وهذا يفسر حدة الهجمة التي تعرضت لها مصر عندما كانت تقود حركة الوحدة الشاملة ، كما يفسر حرص الكثير من القوى الأجنبية الكبرى على ابقاء العزلة وتطويل امدها بين مصر والعرب اليوم ، كي لا يعود المد العربي الواحد كما حدث عشية حرب السويس وحرب اكتوبر .

في ظل هذه الظروف الصعبة والمعوقات الشائكة لا يجوز أن يفقد العرب أملهم فى وحدتهم ويتخلوا عنها كهدف مصيري ، ولو بعد حين .

وفى المرحلة الراهنة فان العمل الوحدوي على صعيد الوحدات الطبيعية الأربع التي يتالف منها الوطن العربي يبدو هو الأسلوب الواقعي المتدرج الذي يمكن أن يخدم قضية الوحدة الكبرى على المدى البعيد ، دون ان يثير المزيد من شراسة القوى الدولية ضد العرب في وقت يحتاجون فيه لاسترداد الانفاس واعادة تجميع الطاقات واستيضاح معالم الرؤية .

ولابد من إزالة اللبس الذي احاط بفكرة تحقيق الوحدة عن طريق البدء بتوحيد الكتل الجغرافية الاربع التي يتكون منها الوطن العربي (وهي الهلال الخصيب ووادي النيل والجزيرة العربية والمغرب) فلقد نسبت هذه الفكرة - على الاشهر - في تاريخ الفكر العربي الحديث الى انطون سعادة صاحب الفكرة القومية السورية الذي دعا الى توحيد سورية الطبيعية الكبرى ، بمعزل عن نطاق الوحدة العربية ، والى انصراف كل كتلة جغرافية في العالم العربي الى شئونها الخاصة ، على أن يتم النظر في انشاء جبهة لهذه الكتل الاربع في المدى البعيد ان استدعت الظروف ذلك .

وطبيعي أن تثير هذه الدعوة بشكلها هذا حفيظة الداعين للوحدة العربية على اساس عربي شامل .

غير أن الاسلوب في حد ذاته ، اذا كان خاضعاً لهدف الوحدة العربية الشاملة ، يمكن الاخذ به كطريقة عمل وحدوي بمعزل عن الدعوات الاقليمية والمشاريع الغامضة التي رفعت شعاره او تسترت به في مراحل سابقة .

ولقد وجدت في دراستي لتاريخ الفكر الوحدوي أن بعض المفكرين العرب ذوي النزعات الوحدوية الصادقة قد دعوا للاخذ بهذا الأسلوب ، كمدخل عملي متدرج للوحدة الشاملة دون أن يرتبط ذلك لديهم باية اغراض اقليمية او انعزالية .

فالمرحوم الدكتور نبيه امين فارس ، استاذ التاريخ العربي المعروف دعا الى الاخذ بهذا الأسلوب بعد الحرب العالمية الثانية وظل يدعو اليه بوضوح وصراحة حتى اثناء اشتداد الميل للاخذ باسلوب الوحدة الشمولية المركزية فى فترة الخمسينات . (٢)

وقد كان في رايه أن تبدا خطوات وحدوية جادة بين اطراف كل وحدة من الوحدات الطبيعية الاربع ، على ان يقوم اتحاد فدرالي مرن بين تلك الوحدات بعد انشائها ، يحمل اسم « الولايات العربية المتحدة » أو « الدول العربية المتحدة »

واذا كان للتطورات الاتحادية الراهنة من مغزى في مختلف المناطق العربية ، فانها تاتى اليوم مصداقاً لهذه الرؤية فى التدرج الوحدوي .

فبعد قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية بفترة قصيرة انتعشت الجهود الاتحادية فى المغرب العربى الكبير، كما تواصلت خطوات التكامل بين مصر والسودان فى اطار وحدة وادى النيل.

وبالنسبة للهلال الخصيب، فكما قال الشيخ يماني، اذا كان المحاق السياسي قد عطل ولادته فان سنة التطور وقوانين الطبيعة قد لا تحجبه طويلا.

وهذا يعني ان انشاء مجلس التعاون قد خلق ديناميكية اتحادية في المناطق العربية الاخرى وولد قوة دفع توحيدي لدى الاشقاء العرب الاخرين، كل في وحدته الطبيعية، الأمر الذي ينفي الانطباع القائل بان التعاون الخليجى ظاهرة اقليمية هدفها العزلة. والجهود السعودية والخليجية فى تحقيق التقارب بين المغرب والجزائر، وتسهيل التفاهم بين سوريا ولبنان تقوم دليلا على ان هموم التعاون الخليجى هى هموم عربية قبل كل شيء.

ثم ان هذا الاسلوب في التعاون ياتي فى غياب اية خطة للعمل العربي المشترك ليقدم بديلا جديداً لمسيرة هذا العمل، ليس في منطقة الخليج والجزيرة فحسب، وانما في كل منطقة عربية يرغب اهلها في تكثيف جهودهم تمهيداً لاضافتها الى بوتقة العمل المشترك عندما تتكامل الحلقات العربية الاربع وتصبح مؤهلة لوضع استراتيجية موحدة. وبلاشك فان التعاون بين اربع كتل عربية كبيرة متوازنة واثقة من نفسها سيكون افضل من محاولة تحقيق التفاهم بين اكثر من عشرين كياناً عربياً صغيراً تتجاذبها مختلف العوامل والمؤثرات والرياح الدولية كما اتضح من التجارب السابقة في اطار الجامعة العربية وغيرها

ان المنهج الجديد لا ياتي لاعاقة اي خطة عمل عربي مشترك او لعرقلة اي جهد جماعي قائم. لقد جاء في غياب ذلك كله ليعوِّض عن هذا الغياب بمحاولة جديدة مفتوحة امام العرب اجمعين في مختلف مناطقهم.

ولكن حتى يصح هذا التحليل والاستنتاج لابد من التحقق من امرين:

اولهما: ان التعاون والتقارب بين اطراف كل منطقة عربية هو ترابط وحدوي حقيقي لا انفصام له وليس مجرد تجمع سياسي فوقي خاضع لظروف عابرة واعتبارات طارئة. وهذا يستدعي ويحتم وضع اسس وقواعد موضوعية وثابتة لعطيات التعاون والتكامل والوحدة. هذه مسالة جوهرية لابد من التاكيد عليها بوضوح تام. لأن التجارب العربية السابقة شهدت محاولات تقاربية كثيرة حملت شعار الوحدة ولكنها انتهت بانتهاء الظروف المؤقتة التي املتها. ولم يعد لدى العرب من متسع للاستمرار في مثل هذه المحاولات اكثر من ذلك في هذه الظروف العصيبة.

وثانيهما: ان التوحيد داخل كل منطقة عربية من الوحدات الاربع ملتزم، في منطلقاته الأساسية، ونواياه وخططه، بالخط القومي العربي الشامل، وبالمصالح العليا للأمة العربية كامة واحدة، وباستقلال عن اية مؤثرات خارجية او اي ايحاء دولي، لأن ما ياتي بايحاء دولي يذهب بايحاء دولي اخر.

بعد تاكيد هذين الأمرين الجوهريين، والتاكد منهما، فان النهج الجديد في العمل العربي المشترك لن يجد إلا كل ترحاب ودعم من الشعوب العربية وقواها المخلصة وقد يكتب له التاريخ ليكون نهج الانقاذ من التردي الراهن.

●●●

ونحن إذا عاينا صورة التعاون الخليجي عن كثب، بمناسبة لقاء الدوحة التي ينتظر ان يكون حاسماً بكل المعايير، فإنَّا نجد رصيد الانجازات التوحيدية كبيراً بالقياس لعمر التعاون الخليجي، لكنا نجد أن حجم التحديات والمخاطر ما يزال كبيراً ايضاً ولابد من جهد غير اعتيادي لتزيد كفة الانجازات والبناء على كفة التحدي والخطر. وتحقيق هذه النتيجة ليس مسالة اجتهادية وانما قضية مصيرية وحتمية.

وهذا يتطلب ان ننظر ـ كقيادات وشعوب ـ بعينين مفتوحتين الى جانبي الصورة، جانب الانجازات وجانب المحاذير، بشكل متوازن دون اغراق في التفاؤل يضخم الانجازات ويخفي المحاذير، ودون اغراق ـ ايضاً ـ في السلبية والتشاؤم بحيث نقلل من انجازاتنا المتحققة ونضخم من صورة المحاذير بما لا يخدم الثقة بالنفس.

والاحتفاظ بالتوازن في هذين الأمرين، وبين هاتين النظرتين ليس سهلا، لكنه ممكن التحقيق اذا احتفظنا بالصدق مع النفس، والجراة في النظر الى الحقيقة، واحترمنا حرية الراي والبحث والزمنا انفسنا بالتفكير الموضوعي الذى ينظر دائماً وابداً الى وجهي الصورة وجانبي الحقيقة ليوازن بينهما.

من هذا المنطلق نجد من المناسب في هذا الموضوع التذكير بالمعايير الموضوعية الخمسة التي طرحها الدكتور سعد الدين ابراهيم، استاذ علم الاجتماع بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، كاساس لتقييم عملية التنمية الشاملة باقطار الخليج في ضوء خطة التكامل فيما بينها:

يقول: «الفهم الشامل لعملية التنمية يمكن ترجمته اجرائيا في خمس مسائل رئيسية تخص بلدان الخليج، وإن كانت تنطبق ايضاً على بقية الوطن العربي. هذه المسائل الخمس هى:

١ ـ المسالة الوطنية: التى تعنى فى سياق التنمية الشاملة المحافظة على الاستقلال الوطنى، او تقليص الهيمنة الأجنبية المباشرة وغير المباشرة، ويندرج تحتها ما يسمى بالأمن القومى بمعناه الواسع.

التعاون الخليجي
والبحث عن نهج جديد في العمل العربي المشترك

٢ ـ المسالة الاجتماعية : التى تعنى عمليات واليات اعادة التوزيع التى تعظم من المساواة الحقيقية فى الدخول والخدمات وتربط ربطاً محكماً بين قيم العمل والأداء والجزاء .

٣ ـ المسالة الاقتصادية : التى تعنى توسيع القاعدة الانتاجية والطاقة البشرية العاملة من اهل البلاد ، وتنويع كل منهما بحيث يقل الاعتماد على الخارج الى ادنى حد ممكن سواء فى استيراد السلع والخدمات ، أو فى استيراد الطاقة البشرية .

٤ ـ المسالة السياسية : والتى تعنى هنا فتح وتوسيع قنوات المشاركة .. بحيث تتوفر فرص هذه المشاركة لكل من يرغب او يقدر على المشاركة من الافراد والقوى الاجتماعية فى الخليج .

٥ ـ المسالة الحضارية : وتعنى المحافظة الخلاقة على هوية الخليج العربية بشرياً وثقافيا والتى هى مهددة الآن بخطرين : اولهما خطر التحجر الانتقائى وثانيهما خطر التشوه التغريبي والآسيوى .

وهناك مسالة سادسة تشترك فيها اقطار الخليج مع غيرها من الأقطار العربية وهى المسالة القومية او الوحدوية .

ويخلص د . سعد الدين ابراهيم الى القول : « هذه المسائل جميعا تهم الخليج وتهم الوطن العربى كله . لكنها اكثر حدة فى الخليج . والتلكؤ أو التردد فى التعامل معها هو الذى يجعل اقطار الخليج مستهدفة ومهددة .. » (٣) .

وإذا كان لقاء الدوحة سيعالج قضايا الساعة المطروحة امامه ، فان مناسبة هذا اللقاء التاريخيباهميته ، وما هو منتظر منه يتطلب ان تتحول منطقة الخليج والجزيرة الى جامعة مفتوحة تعالج وتبحث وتناقش كل قضايا المصير بفكر مستنير وصدر رحب وحماسة مخلصة لتكون هذه التوعية الشاملة بمثابة القاعدة الوطنية الصلبة للقاء المنتظرة .

وبلاشك فان افضل القرارات السياسية هى التى تكون مستندة الى خلفية فكرية وثقافية عميقة وشاملة لأن هذه الخلفية هى صمام الأمان لسلامة القرار السياسي .

ومع موضوعات القرار السياسي كالمضي قدماً فى توحيد اجهزة التعاون ومؤسساته وكالعمل على درء الأخطار المحدقة ، فاننا نامل أن يعطى اللقاء توجيهاته للجهات المختصة بمعالجة القضايا الأساسية ذات البعد الاجتماعى والثقافى والحضارى كترشيد عملية التنمية الشاملة ، ومعالجة دور المراة فى الانتاج والحياة الاجتماعية والحد من تاثير الهجرة الأجنبية ، وتحديد مسئوليات المواطن ودوره فى الانتاج والدفاع عن الوطن ، ولجم الاستهلاك المفرط والجرى وراء الربح التجارى المبالغ فيه دون رؤية وطنية وعلمية سليمة ، وكذلك توسيع قاعدة المشاركة فى البناء الاتحادى واعطاء المزيد من الاهتمام بدور الفكر والبحث العلمى فى رسم معالم الطريق .

ان المعالجة السليمة والدائبة لهذه القضايا الأساسية هى الدرع الواقى الذى يوفر للقرار السياسي فعاليته وثماره المرجوة .

ومع تكامل اجهزة التعاون ومؤسساته ، فانا نامل أن تكون من نتائج لقاء الدوحة انشاء أمانة أو هيئة مشتركة للثقافة والفكر والبحث العلمى من رجال الكلمة فى المنطقة وفى الوطن العربى تكون مهمتها تقوية روابط الفكر بين اجزاء المنطقة والمناطق العربية الاخرى فى المشرق والمغرب ، مع التفرغ لبحث القضايا ذات البعد الاجتماعى والحضارى التى ترتبط ارتباطا وثيقاً بالوجود القومى فى المنطقة وبضمانة تاصيله وحمايته وتطويره .

وبعد .. فلعله من صدف التاريخ ذات المغزى أن ينعقد لقاء الحسم الاتحادى الخليجى فى قَطَر البلد الذى انطلقت منه اولى دعوات الوحدة الخليجية منذ سنين وكانت مبادرته الرائدة فى الدعوة الى السوق الخليجية المشتركة اساس الاتفاقية الاقتصادية الموحدة التى تعتبر من ابرز منجزات التعاون الخليجى اليوم .

واذا كان المراقبون يطرحون توقعات وتحليلات متباينة بشان نتائج اللقاء ، فانا نقول ببساطة وثقة إن الروح التى تميز بها اللقاء القطرى ـ البحريني بمناسبة زيارة سمو ولى العهد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني للبحرين هى الروح التى ستسود لقاء الدوحة وتضمن نجاحه ، فهى روح عربية مخلصة لا يمكن إلا أن تنجح باذن الله .

د . محمد جابر الانصارى

هوامش

١ ـ راجع محاضرة : « العالم فى القرن الواحد والعشرين : منطقة الخليج العربى » للشيخ احمد زكى يماني ضمن محاضر « ندوة التصورات المستقبلية لجامعة الخليج العربى » بتاريخ ٩ ـ ١٤ مايو ١٩٨٣ بدولة البحرين .

٢ ـ راجع : نبيه امين فارس ، دراسات عربية (١٩٥٧) ص ١٠٤ وتراجع ايضا بهذا الصدد دراسات الدكتور عبد الرحمن البزاز فى الدولة الموحدة والدولة الاتحادية .

٣ ـ راجع محاضرته بعنوان « العالم الثالث ومنطقة الخليج العربى فى القرن الحادى والعشرين» ـ ضمن محاضر ندوة التصورات المستقبلية لجامعة الخليج العربى المشار إليها فى هامش رقم (١) .

جزء خاص

بمناسبة الدورة الرابعة للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية "صفحة ٧٩"



وعامٌ آخر

شعر: محمد الفهد العيسى

أمرّ عامٌ أمْ مئين سنونِ
لستُ أدري "هبّلتني" ظنوني

كيف أدري وحندس الليل عندي
مثلما الرّأدُ في الضُحى في عيوني

أُمسيات تشابهت وشهور
جُنّ شوقي وجُنّ منها حنيني

شاب فيها من الفراق زمان
قد ألمّتْ ندوبه في جفوني

حسب نفسي من العذاب ادّكار
لوصالٍ لمنهلٍ للفتون

لهف نفسي على انثيال صباح
زغردت "بالهلا" بأندى اللحون

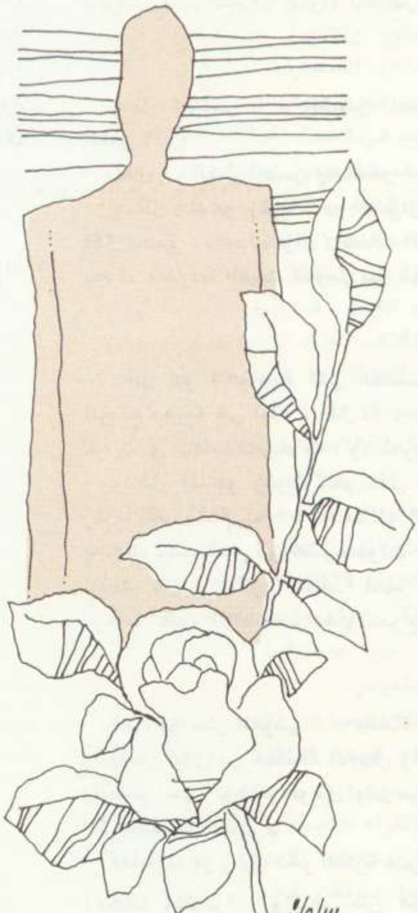
أقبلت يضوع منها شذاها
قبْلها.. قبْلها.. كبوح الشجون

اشرقتْ تلملم "الفل" غِمْرًا
من شذاها معطر بالفنون

لهف نفسي على زمان وصال
ضاع كالحلم في ضباب السنون

آهِ يا نفس فرقتنا الليالي
قبل ريّ العِطَاش ....

"يا هلا" فدتك نفسي سلاما
من حفيظٍ على الهوى.. من أمينِ



خواطر تسرّ الخاطر



بقلم: زكريا تامر

مَنْ حَابَى خصمه غُلِب

قال رجل فى غناء طيب : « وددت ان جميع اعضائى مسامع أسمع بها » .

فقال المدعو زكريا تامر : « لماذا لا احسد الأصم إذا كان مغنّونا مشانق غير منظورة واذا كانت مغنياتنا بقايا ضفادع مصابة بالزكام الدائم ؟ » .

قال احد الحكماء العرب : « الاصدقاء نفس واحدة فى اجساد متفرقة » .

فقال المدعو زكريا تامر : « لا صديق حالياً للاديب الأصيل إلا اللحد وحده » .

قالوا : « كل صناعة تحتاج الى ذكاء إلا الكتابة فانها تحتاج الى ذكائين : جمع المعانى بالقلب ، والحروف بالقلم » .

فقال المدعو زكريا تامر : « من اختار حرفة الكتابة الصادقة التى لا تجامل ولا تنافق ، لا يحتاج إلا الى ذكاء واحد : ان لا يحفر قبره بقلمه » .

قال ابو الحسن العامرى يصف العجب : « هو ظن الانسان بنفسه انه على الحال التى يحب ان يكون عليها من غير ان يكون عليها » .

فقال المدعو زكريا تامر : « العجب هو ان يتمكن أديب عربى من العيش براس مرفوع منذ لحظة خروجه من بطن امه وحتى لحظة غيابه فى باطن الأرض » .

قال حكيم : « ان الشجاعة والكرم اخوان كما أن الجبن والبخل اخوان ، ودليلهما ان الشجاع يجود بنفسه ، فاحرى ان يجود بماله ، والبخيل يبخل بماله فكيف يجود بنفسه ؟ » .

فقال المدعو زكريا تامر : « يجود الشجاع بنفسه وماله فى سبيل قومه ، فيسارع البخيل الى المتاجرة بتضحية الشجاع ، فيربح الشجاع قبراً فخماً اذا كان ذا حسب ونسب ، ويربح البخيل ثروة جديدة بلا تعب والتباهى بانه ذاك الذى يذكر محاسن الموتى » .

قال أبو حفص بن برد الأصغر : « المواد كالبحر ، والقلم كالغوص ، واللفظ كالجوهر » .

فقال المدعو زكريا تامر : « المداد دم ، والقلم سكين ، واللفظ هو الجريمة المرتكبة » .

قال ابو حيان التوحيدي يصف شاعراً : « يطير بعيداً ويقع قريباً ، ويسقي من قبل ان يغرس » . فبهت المدعو زكريا تامر ، وقال متسائلا بحيرة : « وهل كان ادونيس يعيش ايام كان ابو حيان التوحيدي حياً ؟ » .

قال ابو حيان التوحيدي يصف كاتبا : «إذا صدق فهو مهين ، واذا كذب فهو مشين » .

فقال المدعو زكريا تامر بثقة : « ما قيل يدحض الشائعات المغرضة الزاعمة ان ابا حيان التوحيدي ميت ، وتثبت انه حى يعرف معظم الكتاب العرب المعاصرين » .

سئل اعرابى : « الشمس احسن ام القمر ؟ » .

فقال : « القمر احسن والشمس اجهر » .

وسئل المدعو زكريا تامر السؤال نفسه فقال بحنق : « هذا سؤال لا يساله الا من لم يعرف مطاردة القوت اليومى ليل نهار » .

دخل ابو العتاهية على الفضل بن الربيع يعزيه فى ابنه ، فقال له : « الحمد لله الذى جعلنا نعزيك به ، ولا نعزيه بك »

ودخل المدعو زكريا تامر على الكاتب زكريا تامر ، فقال له : « الحمد لله الذى لن يجعلك تحيا اكثر من عشر سنوات ، فتكف آنذاك عن أن تكون شاهداً أصم ابكم ، مرغماً على الانتحاب بغير دموع » .

قال أبو بكر القومى : « معاناة الضر والبؤس أولى من مقاساة الجهال والتيوس . والصبر على الوخيم الوبيل أولى من النظر الى محيا كل ثقيل » .

ففقد المدعو زكريا تامر القدرة على الكلام اعجاباً وتقديراً ، واكتفى بأن هز رأسه موافقاً بحماسة .

قالوا قديماً : « ما تعاظم احد على من دونه الا بقدر ما تصاغر لمن فوقه » .

فلم يفه المدعو زكريا تامر بكلمة واحدة ، وتصنع انه لم يسمع شيئاً ، وحملق الى ما حوله بنظرات وجلة .

قال أبو سليمان المنطقي : « اللهم أرنا الحق حقاً ثم هيئنا لاتّباعه ، وارنا الباطل باطلا ثم هيئنا للإعراض عنه » .

فقال المدعو زكريا تامر بخشـــوع : « آمين » .

الكِتاب .. غفـر الله لناشره وموزعـه وناقده

الكتاب ، ذلك الكائن العجيب الذي يستطيع في آن واحد ان يكون ماء وناراً ، هو في وطن الملايين العربية مهمل منبوذ مضطهد مخنوق محاصر خاصة اذا كان جاداً نافعاً مخلصاً نزيهاً ، بعيداً عن الفضائح والاثارة الجنسية والعقائدية واستغلال الشعارات السياسية ، فالكتاب الحسن الحظ ، المدعوم اعلامياً واعلانياً ، لا يبيع في السنة الواحدة اكثر من خمسة آلاف نسخة .واذا باعها فعلا ، فالقوانين الصادرة وغير الصادرة لن تنجح في منع اصحاب دور النشر من اطلاق النار والزغاريد احتفالا وتخليداً لذلك الحدث الفريد الجلل . فما هي الاسباب التي تجعل من الكتاب الجاد في وطننا العربي يتيماً دامع العينين لا يؤبه لصراخه المستغيث المتوسل ؟

يقال ان الأسباب تكمن في سيادة الأمية وسوء التوزيع المقصود أو غير المقصود .

ويقال إن الأسباب ترجع الى الدور المضحك المبكي المضلل الذي يقوم به النقاد في الحياة الثقافية ، فهم يروجون للعملة الرديئة ، ويقدمون نهيق الحمار على انه اروع من موسيقى بتهـــوفن وفاجنر وسيبيليوس.

ويقال ايضاً إن الأسباب لها صلة وثيقة بارتفاع اسعار الكتب ، وهذا الارتفاع قد ساهم دون ريب مساهمة فعالة في تقليل عدد القراء خاصة وان قراء الكتب الجادة هم في معظم الأحيان من ذوي الدخل المحدود ، ولكن غلاء اسعار الكتب له ما يبرره ، فاسعار الورق واجور الطبع قد ازدادت ، وبات الكتاب حتى اذا بيع بسعر الكلفة فقط فان سعره سيكون باهظاً ومرهقاً لجيوب القراء.

وما دام القضاء على الأمية ليس عملا ينجز في يوم أو يومين ..

وما دام سوء التوزيع ينبع من محاولة لتكريس الثقافة بين البلدان العربية ، وهي محاولة مدعومة من قبل قوى داخلية وخارجية لا يمكن الخلاص منها الا بعد خوض معارك دامية ..

وما دام ايقاظ ضمائر النقاد مهمة مخفقة سلفاً ، وتشبه محاولة من يعتزم الصعود الى القمر مستخدماً قدميه فقط ..

لذا فان الوسيلة الوحيدة المتاحة حالياً لترويج الكتاب العربي الجاد هي تقديمه للقراء باسعار رخيصة تمكنهم من الحصول عليه دون ان يتضاءل خبزهم .

ومن البديهي ايضاً ان تكون الجهات الحكومية المسؤولة عن الشؤون الثقافية ، والتي تاتي الأموال المخصصة لها من الضرائب التي يدفعها المواطنون ، هي الجهات المرشحة لتحقيق هذه المهمة .

والمتفحص لأعمال هذه الجهات سيخلص الى نتيجة مفادها ان ثمة جهات تطبع الكتب النافعة وتقدمها للقراء باسعار رخيصة . غير ان ثمة جهات اخرى لا تطبع الكتاب الا بعد ان تتاكد من انه لا يستحق ان يقرأ وحين تبيعه بسعر زهيد فهدفها مساعدة اصحاب البقاليا الصغيرة على الحصول على ما يحتاجون اليه من ورق باسعار رمزية ، تنفيذاً للشعار القائل إن الثقافة للجميع .

مستشرقون وسيّاح لامواطنون

في بلادنا العربية التي يقال إنها تخوض يومياً حرباً على اعدائها ، مقدمة الدليل تلو الدليل على الطاقات الايجابية والامكانات التي يملكها اناسها العاديون ..

في بلادنا العربية الرائعة الجميلة الصابرة المقاتلة ، تعيش فئة من المتعلمين ترغم على حمل مدية اطول من رمح ، والبحث عن حفيد اول من انشأ مدرسة ، فتلك الفئة جوفاء متعالية مضللة ، وجذورها في أرض الواقع او هي من خيوط العنكبوت ، ولكنها تتصف بمكر يساعدها على الظهور في مظهر الفئة المتميزة المثقفة الجادة للغاية ، الحرة التفكير والعمل ، والتي لا تداهن ولا تنـــاور بل تقـــول الحق دائماً من غير ان تخشى مشنقة او سجناً أو سيارة ملغومة .

ولكن الصدام مع الواقع يكشف الوجه الحقيقي لتلك الفئة ، فاذا هي متاهبة للزحف الف سنة وراء مغنم تافه ، وتقبل بتقبيل الأرجل لا الأيدي بغية الحصول عليه .

ولعل اسوا ما تقوم به تلك الفئة هو ما تفعله يوم تقرر أن تفكر ثم تكتب عن الانسان العربي واوضاعه ومشكلاته وازماته ، متخذة وضع الطبيب الوحيد الأوحد القادر على ايجاد الدواء الشافي فاذا هي لا تقدم الا السم .

وثمة كتاب لواحد من تلك الفئة ، اشتمل على آراء تصلح لأن تكون وثيقة تعبر بلسان مبين عن موقف من الانسان العربي لا يختلف عن موقف الاذاعة الاسرائيلية ، وهو موقف يحاول أن يصور الانسان العربي كمية بائسة من اللحم تخلو من الارادة والوعي ، فرداً في قطيع محروماً من القدرة على التطور والتطوير ، معادياً للتغيير ، محافظاً على الجمود ، رافضاً للحياة .

يقول مؤلف الكتاب ، اتسع فوه : «ماضرالجنون اذا كان العقل قانعاً بالموت محافظاً على الجمود ، أي اذا كان التفكير السائد يعد الشغف بالحياة او بالحرية ضرباً من الجنون » .

ويقول مؤلف الكتاب : « الوجدان العربي اليوم هو على الغالب عار من ادنى ثقة مبدئية بنفسه ، فهو على قناعة تامة بان جميع الأنوار تاتي اليه من الخارج ، وان جميع ما يصدر من داخل نفسه انما هو ظلام . ان الافراد في غالبية مجتمعاتنا العربية لا يعيرون ادنى اهتمام لما يجيش في صدرهم من مشاعر او خواطر او ميول او نزعات او صبوات او احلام او امان ، فهي قد تكون للعبث او للتخيل ، ولكنها قطعاً ليست للتحقيق ، يستبعدونها من حياتهم العملية الجادة والمسؤولة استبعاداً مبدئياً قاطعاً ، اما الانوار الحقيقية فيجدونها في النظم المسنونة والسبل المرسومة والواجبات والمحرمات المقررة والتي يتقيدون بها بحذافيرها » .

ويقول مؤلف الكتاب : « من المفترض الثابت في هذا الوجدان هو ان وجوده هو وجوده كمرؤوس ، كتابع لمرجع خارجي ، وهو لا يتصور الوجود الا على انه تبعيـة لسلطة قائمة » .

ومن المؤكد ان افضل تعقيب على مثل هذه الآراء هو ان امياً اصيلا خير من متعلم مزيف ، وان جاهلا يموت واقفا خير من عالم يمشي على اربع ، ويحض غيره على الاقتداء به .

منذ ٣٥ عاما وقعت هذه الجريمة

اغتيال الكونت برنادوت



الكونت برنادوت

بقلم: عصام شريح

الارهاب والقتل لدى بني صهيون ، ليس حالة طارئة ، او اسلوبا مرحليا ، او نداء مؤقتا من نفس حاقدة للانتقام ، أو غير ذلك من اشكال وصور العنف والقتل المعروفة ، فحسب ، بل هو إضافة إلى هذه الأشكال والصور التى قد تراود الخيال ، جزء اساسي من النظرية الصهيونية ، التى ترى فى الأرهاب والقتل ـ الفردي والجماعي ـ الوسيلة « المثلى » و « الاجدى » لتحقيق الهدف الأصلي ، الا وهو « عودة الشعب المختار » إلى « أرض الميعاد » وتجميع الستة عشر مليون يهودي المشتتين فى العالم ضمن كيان واحد ، حدوده « من الفرات الى النيل » !

- **كان الاغتيال شاهداً على أن الأرهاب جزء لا يتجزأ من النظرية الصهيونية**
- **شامير كان أحد الثلاثة الذين أطلقوا النار على برنادوت**

هناك مئات الخطب والتصريحات والاحاديث والوثائق التى تثبت كون الأرهاب الاداة والوسيلة التى يعتمدها الصهاينة لتحقيق حلمهم الصهيونى الأسود ، فمؤسس الصهيونية « تيودور هرتسل » ، قال كلاماً واضحاً جداً فى هذا المجال : « لنفترض مثلا ، اننا نريد ان نطهر بلداً (فلسطين) من الوحوش الضارية (العرب) .. طبعاً ، لن نحمل القوس والرمح ، ونذهب فرادى فى إثر الدببة ، كما كان الأسلوب فى القرن الخامس فى أوروبا بل سننظم حملة صيد جماعية ضخمة ومجهزة ، ونطرد الحيوانات ، ونرمي فى وسطهم قنابل شديدة الانفجار » .

اما « جابوتنسكي » فيربط بين الغاية والوسيلة بشكل محكم ، لا انفصال فيه بين الاثنتين ، حيث يقول : « إن التوراة والسيف انزلا علينا من السماء » ، ومثل هذا التجديف والادعاء كثير لدى قادة الصهيونية ، سواء الأموات منهم ام الاحياء . إن مناحيم بيجن يقول ايضاً متفلسفاً : « انا احارب .. اذن انا موجود .. كن اخى وإلا ساقتلك » . وفى الحقيقة ، فان تركيز قادة الصهيونية باستمرار على العنف والأرهاب كوسيلة لتحقيق فكرة « الشعب المختار ، فى ارض الميعاد » ، ليس سوى صدى لما جاء فى التوراة ـ « المحرفة » ، حول الموضوع ،ولسنا هنا فى مجال عرض ما جاء فى التوراة بشان الارهاب ، لكننا نكتفى بالاشارة الى عبارة واحدة تشكل فى راينا عنوانا عريضاً لمسالة الارهاب الصهيونى ، وهذه العبارة جاءت على لسان « يهوه » ، وهى تدعو الى استخدام أسلوب الابادة الجماعية لسكان فلسطين القدماء من غير اليهود : .. واما مدن هؤلاء الشعوب السبعة ، التى يعطيك الرب إلهك نصيباً ، فلا تستبق منها نسمة ما ، بل تحرمها تحريماً ، كما امرك الرب إلهك » !!

نعتقد ان هذه المقدمة عن الارهاب الصهيونى ، كافية لفهم السلوك الارهابى « لاسرائيل » ، سواء على الصعيد الجماعى كمجزرة دير ياسين ، ثم مجازر قبية وكفر قاسم وقطاع غزه .. وانتهاء بمجزرة صبرا وشاتيلا فى بيروت ، أو على الصعيد الفردى ، كاغتيال اللورد موين فى القاهرة ، واغتيال القادة الفلسطينيين الثلاثة فى بيروت : محمد يوسف النجار وكمال عدوان وكمال ناصر ، واغتيال قادة فلسطينيين اخرين من امثال محمود الهمشري ، وماجد ابو شرار (فى باريس ـ وروما) .. الخ .

وفى نطاق الارهاب ضد الأفراد ، نشير بصورة خاصة الى اغتيال الوسيط الدولى الكونت فولك برنادوت ، فى ١٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨ ، والذى مرت الذكرى الخامسة والثلاثون لاغتياله فى الشهر قبل الماضى . وبالنظر الى ان اغتيال برنادوت ، يشكل نموذجاً متميزاً للارهاب الصهيونى ضد الأفراد ، باعتبار انه ليس اغتيالا للشخص فحسب بل باعتباره اغتيالا للافكار التى يحملها هذا الشخص ، فسوف نعيد رسم سيناريو الاغتيال ، والأسباب « الفكرية » الكامنة وراء قتل الصهاينة للكونت برنادوت .

برنادوت .. تاريخ ومهمة

الكونت فولك برنادوت ، سياسي وعسكرى سويدي ، ولد عام ١٨٩٥ ، وقد تحدر برنادوت من اسرة ملكية عريقة ، فهو نجل الأمير أوسكار اوغست ، وابن شقيق الملك غوستاف الخامس ، اما اسم اسرته المالكة السويدية هذا ، فقد جاء نسبة الى المارشال الفرنسي الأصل « برنادوت » ، والذى تولى عرش السويد فى عام ١٨١٨ ، باسم « كارلوس الرابع عشر » . وقد تلقى الكونت فولك برنادوت تعليمه فى مدرسة التدريب العسكرى للضباط فى كالبرغ ، وتزوج من فتاة امريكية فى عام ١٩٢٨ ، وفى العام ١٩٣٣ ، عين ضابطاً فى الجيش السويدي برتبة كوماندور جنرال ، ثم لم يلبث ان تخلى عن هذه الوظيفة ، لكى يصبح رجل اعمال فى العاصمة السويدية « استكهولم » ، وبعد ذلك بفترة قصيرة ، عين نائباً لرئيس منظمة الصليب الاحمر السويدية ، حيث قام بدور الوسيط بين « هملر » ـ الرجل الثانى فى النظام النازى الالمانى ، من جهة ، وبين بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية من جهة اخرى وذلك عندما طلبت المانيا الصلح مع هاتين الدولتين ، دون روسيا ، فى نيسان (ابريل) ١٩٤٥ .

وفى آذار (مارس) ١٩٤٨ ، قبل برنادوت عرضاً من منظمة الأمم المتحدة ، ليقوم بدور الوسيط فى الصراع العربى ـ الصهيونى .

وقد بدأ برنادوت مهمته بالتنقل بين العواصم العربية ، للتعرف على وجهة نظر الزعماء العرب آنذاك بالنسبة للحل الممكن للقضية الفلسطينية ، فزار لهذا الغرض كلا من دمشق والقاهرة وعمان وبيروت ، كما اجتمع مع الأمين العام لجامعة الدول العربية عبد الرحمن عزام باشا ، واجتمع ايضاً بـ « بن غوريون » فى تل ابيب ، وبعد مراجعة مستفيضة للآراء المتضاربة ، والضغوط الدولية المختلفة من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتي ، توصل برنادوت إلى قناعة ، بان اى قرار يمكن اتخاذه بشان مستقبل فلسطين ، يجب ان ياخذ بعين الاعتبار ، مطامع اليهود فى فلسطين ، واراء القادة العرب المتباينة احيانا ، والمصالح الاستراتيجية لبريطانيا ، ومطالب الولايات المتحدة الامريكية وضغوطها لصالح الصهاينة ، ونتائج الحرب بين اليهود والجيوش العربية ، واخيراً سمعة منظمة الأمم المتحدة . وانطلاقا من هذه القناعة ، وضع الكونت برنادوت مقترحاته لحل القضية الفلسطينية ، وقد قامت تلك المقترحات على اساس اعادة النظر فى القرار الذى اصدرته الامم المتحدة فى عام

منذ ٣٥ عاما وقعت هذه الجريمة

اغتيال الكونت برنادوت

١٩٤٧ ، بتقسيم فلسطين الى دولتين : عربية ويهودية ، على اسس الاعتراف سلفا بقيام « اسرائيل » ، كامر واقع لا مناص من الاقرار به ، بشرط إدخال بعض التعديلات على الاراضي والحدود .

أسباب الاغتيال

يجمع كل الذين تناولوا جريمة اغتيال برنادوت بالبحث ، على ان الرجل قد ذهب ضحية « سياسة التوازن » التى انتهجها فى وضع مقترحاته ، فقد كانت هذه المقترحات التى وضعها فى ٢٧ حزيران (يونيو) ، ورفعها فيما بعد الى الامم المتحدة ، تصلح اساسا لتسوية سلمية حسب اعتقاده . اما مجمل هذه المقترحات فهى التالية :

١ ـ ان يقوم اتحاد عربى ـ يهودي ، بين الاجزاء المخصصة للعرب فى فلسطين (بعد ضمها للاردن) ، وبين الاجزاء المخصصة لليهود .

٢ ـ ان يكون كل من الكيانين الفلسطيني واليهودي مستقلا فى شؤونه الادارية والداخلية وسياسته الخارجية .

٣ ـ ان يضم النقب الى الكيان الفلسطيني (وقد كان بموجب قرار التقسيم مخصصا لليهود) .

٤ ـ ان تضم القدس الى الكيان الفلسطيني (وقد كانت بحسب قرار التقسيم دولية) ، على ان يكون لليهود فى المدينة المقدسة ، بلدية مستقلة استقلالا ذاتيا .

٥ ـ ان يضم الجليل الغربى أو بعضه الى الكيان اليهودى (وقد كان حسب قرار التقسيم عربيا) .

٦ ـ اعتبار ميناء حيفا بما فيها مصفاة تكرير النفط القريبة منها ، وكذلك مطار مدينة اللد ، منطقتين حرتين .

٧ ـ الاعتراف بحق النازحين من عرب فلسطين ، فى العودة الى ديارهم دون قيد أو شرط ، مع استعادة ممتلكاتهم ، ثم تحديد الهجرة اليهودية وتقييدها بالقدرة الاستيعابية للقسم اليهودى من فلسطين .

وقد بادر العرب الى رفض مقترحات برنادوت ، لانها تعترف بتقسيم فلسطين ، وبقيام « دولة صهيونية » على اجزاء واسعة من ارض فلسطين المغتصبة ، اضافة الى انها تفسح فى المجال امام استعمار اقتصادي يهودى فى الكيان الفلسطيني المقترح .

اما « الحكومة الاسرائيلية المؤقتة » برئاسة « بن غوريون » فقد رفضت مقترحات برنادوت بشدة ، وقد القي الدكتور دوف جوزيف ، الحاكم العسكرى اليهودى للقطاع الغربى من القدس انذاك ، القى الاضواء ، على أسباب رفض الصهاينة لهذه المقترحات ، وبالتالى تبريرهم عملية اغتيال برنادوت ، فقد قال جوزيف هذا فى كتاب وضعه باسم « المدينة المخلصة » ، ان مقترحات برنادوت كانت مبنية على اسس غير سليمة اطلاقا .. ومن السهل فهم الصدمة التى لم تصب « الحكومة المؤقتة » فحسب ، وانما جميع اليهود دون استثناء ، فقد وصفت تلك الحكومة المقترحات بشان القدس بانها « كارثة » .. وقد كتب احد المعلقين الصحفيين اليهود قائلا : « لماذا لم يستطع الكونت برنادوت ، فهم مشاعر اليهود ، التى جرحتها توصياته بعمق ، وخاصة ما يتعلق منها بالهجرة ومستقبل القدس » !!

اغتيال برنادوت

فى هذا الجو من التعبئة النفسية ضد برنادوت ، وضعت عصابة صهيونية اطلقت على نفسها « جبهة ارض الأجداد » خطة لاغتيال الكونت برنادوت ، والتخلص من افكاره ومشاريعه بالنسبة لمستقبل فلسطين ، وقد وقعت عملية الاغتيال على الشكل التالى :

كان برنادوت قد وصل إلى مطار قلنديا القريب من القدس ، قادما من دمشق بتاريخ ١٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨ ، لاجراء مباحثات مع الحاكم العسكرى للقطاع اليهودى من القدس الدكتور دوف جوزيف بشان امور تتعلق بالهدنة التى كانت قائمة انذاك بين العرب والصهاينة ، وقد اعدت سيارتان لنقله مع مرافقيه من المطار الى المدينة التى كان يخيم عليها شبح الحرب وآثار الدمار ، وكان بصحبة برنادوت فى السيارتين عدد من مساعديه هم ممثله الشخصى الجنرال السويدى « ا . ج . لندستروم » والكولونيل الفرنسى سيرو واللفتنانت كولونيل فلاس ، والميجر دي غير والمس فسل ، وممثل الصليب الاحمر الدولى ، ثم انضم الى السيارتين عدد من السيارات اليهودية ، ثم انطلقت القافلة ، بحيث كانت السيارة التى تقل الوسيط الدولى فى المؤخرة .

يقول الجنرال لندستروم الذى كان يجلس الى جانب برنادوت فى السيارة : « لقد اجتزنا المنطقة المحايدة الى الخطوط اليهودية دون وقوع اى حادث ، حيث عبرنا نقاط المراقبة ، وتغلغلنا فى المدينة ، لكن فى القطمون ، اوقفنا من قبل سيارة جيب يهودية عسكرية ، كانت تعترض الطريق ، وبداخلها رجال يرتدون الزى العسكرى اليهودى ، وعندما توقفنا ، رايت شخصا يتقدم مسرعا من سيارة الجيب نحونا ، ولم اعر ذلك اهمية تذكر ، ذلك لانني اعتقدت

اننا امام نقطة تفتيش ، ومهما يكن من امر ، فقد وضع هذا الجندى اليهودى بندقيته الرشاشة فى فتحة النافذة المفتوحة من جهتى فى السيارة ، واطلق النار مباشرة على الكونت برنادوت ، والكولونيل سيرو ، وسمعت فى نفس الوقت طلقات عديدة من جهات اخرى مختلفة ، ثم سادت حالة من الفوضى ، وفى هذه الأثناء ، هرع ضابط الارتباط اليهودى نحو سيارتنا ، وطلب من « بيرغلي » الذى يقود سيارتنا ، والذى كان خارج السيارة فى تلك اللحظة ، ان يتبعه بالسرعة الممكنة ، لكن الجندى اليهودى كان مايزال يطلق النار .. وسقط الكولونيل سيرو فى المقعد الورائى ، وايقنت انه مات اما الكونت برنادوت ، فقد انحنى الى الامام فظننت للوهلة الأولى ، انه كان يحاول الاحتماء من الرصاص ، وسالته : هل انت جريح ؟؟ ، فاوما براسه وسقط الى الخلف ، فساعدته على التمدد على مقعد السيارة ، لكننى تحققت حينئذ من انه قد اصيب اصابة بليغة ، فقد كانت هناك بقعة من الدماء على ثيابه وحول قلبه بصورة خاصة .. وفى هذا الوقت ، كان ضابط الارتباط اليهودى يحث « بيرغلي » على الاسراع باتجاه مستشفى « هداسا » ، وهناك سالت الطبيب عما اذا كان بامكاننا عمل شىء ، فاجاب : لقد فات الأوان .. ؟! » .

ويمضى الجنرال لندستروم معقبا : « ان انطباعى عن الحادث يجعلني مقتنعا ، بان عملية الاغتيال كانت مدبرة ، وقد خطط لها بعناية تامة ، فالموقع الذى اوقفت فيه السيارة ، كان قد اختير بدقة ، وكان من الواضح ان الأشخاص الذين اقتربوا من قافلة السيارات ، لم يكونوا على معرفة ودراية فى اية سيارة كان الكونت برنادوت فحسب ، وانما كانوا على معرفة ودراية دقيقتين بالمكان الذى كان يجلس فيه برنادوت فى السيارة التى كانت تقله » .

لقد اغتيل الوسيط الدولى الكونت فولك برنادوت مساء ذلك اليوم الأسود ، حيث صرعته ست رصاصات ، استقرت احداها فى قلبه ، اما الكولونيل سيرو ، فقد اصيب بسبع عشرة رصاصة ، توفى فى اثرها على الفور . ويضيف شهود عيان رافقوا برنادوت فى رحلته الأخيرة الى القدس ، وقدموا شهاداتهم عن الحادث الى الأمم المتحدة ، ان النار اطلقت كذلك على خزان المياه فى سيارة الكونت ، وعلى عجلات السيارة ، وكان المقصود من ذلك ، إعاقة السيارات عن اللحاق بسيارة الجناة ، التى ولت الادبار ، واختفت تماما ، وفى الصباح الباكر من التاسع عشر من ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨ ، نقل جثمانا برنادوت وسيرو ، الى ميناء حيفا ، حيث القى مساعدو برنادوت النظرة الأخيرة عليه ، قبل نقله الى مسقط رأسه فى بلده السويد ، حيث دفن هناك .



كمال ناصر



كمال عدوان



ماجد ابو شرار

القتلة .. من هم ؟

تبين فيما بعد ، من خلال رسالة وجهت الى وكالة الأنباء الفرنسية ، ووزعت على عدد من السفارات ، ان منظمي عملية الاغتيال هم جماعة تطلق على نفسها اسم « هازيت موليديث ــ اى « جبهة ارض الاجداد » الصهيونية ، وذكرت مصادر الشرطة الاسرائيلية ، ان هذه الجبهة المزعومة ، ما هى إلا عصابة « شتيرن » الارهابية ، وقد جاء فى الرسالة بالنص : « .. ومع اننا نعتبر جميع مراقبى منظمة الامم المتحدة ، افراداً فى قوة احتلال اجنبية ، ليس لها الحق فى التواجد على « ارضنا » ، فان قتل الكولونيل الفرنسي سيرو ، يعود الى خطا لا يغتفر ، فقد ظن رجالنا الضابط الجالس الى جانب الكونت برنادوت ، العميل البريطانى اللاسامى الجنرال لندستروم » . وقد نشرت صحيفة «افتونبلات » السويدية ، تحقيقا واسعا فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٨٢ ، اكدت فيه ان هناك وثائق تؤكد ان اسحق شامير كان واحدا من ثلاثة ارهابيين صهاينة ، اطلقوا النار على الكونت برنادوت وقالت الصحيفة ، ان هناك ما يثبت ان مناحيم بيجن ، اشترك مع ثلاثة آخرين فى وضع خطة الاغتيال ، واوردت الصحيفة تصريحاً لرئيس الحكومة السويدية اولوف بالمه ، قال فيه : « إن السويد لا يمكنها ان تنسى مهما طال الزمن ، ان وزير خارجية اسرائيل الحالى (اسحق شامير) ، كان وراء جريمة اغتيال الكونت فولك برنادوت » واردفت الصحيفة السويدية قائلة ان اسحق بيرتنسكي ، وهو اسم شامير الأصلى ، قد اعترف امام الحكومة الاسرائيلية المؤقتة فى عام ١٩٤٨ ، انه قرر مع زملائه ، التخلص من الوسيط الدولى السويدى ، لانه كان « متعاطفاً مع العرب » ولأن برنادوت كان يتمتع بشخصية قوية وجذابة ، تستطيع التاثير على سير الاحداث ، مما اعتبره الصهاينة ضاراً بهم .

وعلى اية حال ، فان جريمة اغتيال برنادوت ، مازال شاهداً بين الاف الشواهد على حقيقة الارهاب الصهيونى ، باعتباره الوجه الآخر لمقولة « الشعب المختار » المخرقة ، وباعتباره ليس اداة ووسيلة لتحقيق النظرية الصهيونية ، وانما الاداة والوسيلة .

عصام شريح

حول قضيــة الشــورى في الإســلام :

ماقيـمة الـرأى الـذي يتوصل إليه أهل الشـورى ؟

بقلم : الدكتور عبدالحميد إسماعيل الأنصاري

قد لا تشكل أهمية الشورى خلافاً بين الباحثين فى العصر الحديث ، فالأخذ بالأسلوب الشورى ضرورة لتقدم الأمة ورقيها ، ولايجاد المناخ الحر الذى تنشط فيه الطاقات وتبدع ، وضمانة لاستقرار الحكم وحمايته .

والشورى ـ فى حد ذاتها ـ تشكل احدى الدعامات الأساسية التى يرتكز عليها ديننا الاسلامى الحنيف . قال الله تعالى مخاطبا نبيه الكريم « وشاورهم في الأمر » (١) ، وفى آية أخرى امتدح سبحانه وتعالى المؤمنين بصفات أساسية منها أن أمرهم شورى بينهم فقال عز وجل : « والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة . وأمرهم شورى بينهم ، ومما رزقناهم ينفقون » (٢) .

ومن هاتين الآيتين ، ومن تطبيق الرسول صلى الله عليه وسلم لمبدأ الشورى استدل العلماء على أهمية الشورى وضرورتها ، وجعلوها قاعدة أساسية من قواعد نظام الحكم فى الاسلام .

وعلى هذه القاعدة اتفق الباحثون ، لكننا لا نجد مثل هذا الاتفاق حول قضية « الزام الشورى » أو «نتيجة الشورى » .

وبعبارة أكثر وضوحاً : ما قيمة الرأى الذى يتوصل إليه أهل الشورى بعد المناقشة ؟ هل هي ملزمة للجهات التنفيذية أم غير ملزمة ؟

وهذه القضية كانت محل خلاف بين فقهائنا ـ رحمهم الله ـ وان كان الفكر السياسى ـ عامة ـ والاسلامى ـ خاصة ، قد تطور لصالح إلزامية الشورى . وكنا نظن ان المسالة قد حسمت ،حتى قرانا فى الأونة الأخيرة فى بعض الصحف اليومية ، فتاوي لبعض العلماء يرون ان الشورى غير ملزمة فراينا من المناسب ان نعرض حججهم للنقاش ـ فيما ياتي ـ توصلا إلى الراى الصواب .

الحجة الأولى : وخلاصتها ان الحاكم فى الاسلام موضع ثقة المسلمين وهو الأمين عليهم ، خاصة وقد توافرت فيه شروط الامانة والصلاح والكفاءة ، وقد جاء باختيار سليم من قبل المسلمين . وعلى ذلك فالشورى غير ملزمة له .

وهذه الحجة مستند الشيخ محمد متولى الشعراوي ، والذى يعتبر من أبرز المدافعين عن هذا الراى ، إذ يقول : « والشورى لا تلزم الحاكم المسلم الذى بايعته الأمة الاسلامية بيعة ايمانية لان الحاكم حين ينال ثقة الأمة على اساس دينى يكون متحملا للامر باكمله ، مسؤولا عنه امام الله وامام الرعية » (٣) .

وفى صحيفة الاهرام فى عددين متتاليين (٤) يرد الشيخ على منتقديه ، فيقول : « ان الحاكم المسلم وان كان غير معصوم ، فكذا المشير غير معصوم ، فما الذى يرجح رايا غير معصوم على راى غير معصوم ؟ » .

ويضيف «ان الحق مع الحاكم لانه اختير ببيعة إسلامية ، شهدت له بانه الأعدل والامثل والأوثق والآمن ، وتلك حيثيات لا توجد فى اى مشير» . ومن قبله ، ذهب الدكتور حسن هويدى الى ان عدم إلزاميــة الشورى لا يعنى الاستبداد والتسلط ، (لأن الحاكم المسلم مقيد بدستور الشريعة ، وحوله رقابة العلماء تذكره وتسدده وتحذره ، ولأنه يتمتع إجمالا بتقوى الله) » (٥)

وقد سبقت الشيخ والدكتور ، جماعة شباب سيدنا محمد «صلى الله عليه وسلم» إذ نقرا فى دستورها «منهاج الدعوة» : «إن للامام بعد الشورى ان يختار ما يراه فى تقديره محققاً للخير ، متفقاً مع المصلحة العامة» . وجاء فى مبررات هذا الراى (٦) : إن اختيار الامام إنما قام على إيمان اهل الحل والعقد بكفايته ، وثقتهم فى دينه وأمانته ، واطمئنانهم الى رجاحة رايه وثاقب فكره .

والامام بحكم إحاطته بما لا يحيط به الآخرون ، من الظروف والعوامل والأسرار ، يستطيع ان يكون اكثر من غيره إدراكاً للمصلحة وتقديراً للسبيل الموصل اليها .

واخيراً نجد الدكتور عبد الحميد متولى ـ الفقيه الدستورى الكبير ـ يحاول ان ينفى الخشية من الحكم المطلق او الحكم بالهوى على أساس أن الحاكم مقيد باحكام الشريعة ، وبجواز عزله عند امن الفتنة .

الحاكم .. والقواعد الموضوعية

وهذه الحجة ومبرراتها تناقش فى ضوء الاعتبارات التالية :

أولا ـ ان اشتراط الصفات الشخصية من العلم والكفاءة والصلاح او توافرها فيمن يتولى السلطة ـ على اهميته ـ لا يحول دون التسلط ، إذ أن معرفتنا بالضعف البشرى وخبرتنا بطبائع النفوس تمليان علينا أن لا نكتفى بهذه الضمانات الشخصية .

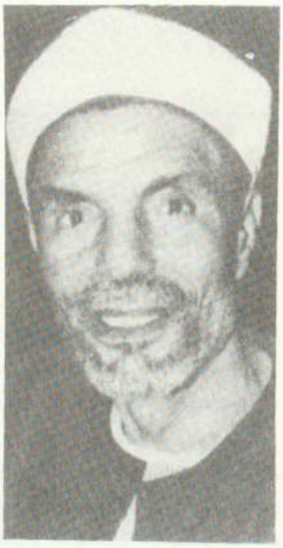
فالحاكم انسان معرض للخطا والنسيان وقابل للتاثر بالميول والاهواء وخاضع للتقلبات النفسية والمزاجية ، وهى امور ، تؤثر ـ بلاشك ـ على اتخاذه القرار السليم .

وقد علمتنا التجارب أن الارتكان على حسن نوايا الحاكم أو كفاءته امر لا يمكن الاطمئنان اليه ، فالسلطة مفسدة ، والسلطة المطلقة مفسدة مطلقة ، وللسلطة اغراءاتها الشديدة إلا على من عصم ربك وذلك قليل أو نادر ، والنادر لا يبنى عليه حكم .

وقد آن لنا أن نتعظ من احداث تاريخنا الماضى والمعاصر ، وان نتعلم من تجارب الأمم فى انماط الحكم، إن الاطمئنان الى توافر المعيار الشخصى فى الحاكم والاكتفاء به مغامرة غير مامونة على مستقبل الامة وعلى شخص الحاكم نفسه ومن هنا كنا فى حاجة الى وجود قواعد موضوعية ثابتة ادعى الى الطمانينة تتمثل فى وجود المؤسسات التنظيمية حول الحاكم تراقبه وتلزمه بقراراتها مع وجود لرقابة العامة المستنيرة ووجود الصحف الحرة .

ثانياً : ان الحاكم وان حسنت نواياه وكان رائده الصالح العام قد يقع فى الخطا والجور ، بحكم قصوره الانسانى ، فقد يتخذ قراراً خاطئاً بناء على معلومات غير دقيقة او خاطئة ، او لعدم وضوح فى الرؤية او للتسرع والحماس ، او لعدم التدقيق ، او لعدم اقتناعه اولعدم فهمه او لمحدودية قدرته العقلية او لرد فعل معين ، وهذا حاصل وكثير .

والرسول صلى الله عليه وسلم ـ وهو من هو ـ كان يجتهد فى المسائل التى اذن بالاجتهاد فيها فكان يصيب ، وقد يخطىء


الشيخ متولى الشعراوى


عبد القادر عودة


د . احمد كمال ابو المجد


الشيخ محمد رشيد رضا

وياتى الوحي مصححاً ، فكيف بمن هم دونه ؟!

ثالثاً : واما القول بوجوب حسن الظن فى ولي الأمر لتوافر الثقة والنزاهة فيه فهذا مسلم ، ولكن القضية ليست قضية ثقة من عدمها . بل الثقة موجودة ، وحسن الظن قائم ، ولكن امور الدول لا تبنى على حسن الظنون وتوافر النزاهة فحسب ، وقواعد الحكم والسياسة لا تقوم على النيات الطيبة وحدها ، والمصالح العامة لا يجوز تركها اكتفاء بالوعود من قبل الحاكم وبالدعوات الصالحات منا .

فالحاكم انسان زائل والأمة كيان باق فلابـد من قواعـد واضحـة تحـدد الاختصاصات والعلاقات .

رابعاً : ومع ذلك ومع توافرحسن النية ، فاذا صح ان ينفرد الحاكم باتخاذ القرار فى مسائل خاصة ، فليس من الحكمة ولا من حسن السياسة والتدبير ان تكون له سلطة الانفراد باتخاذ القرار فى الأمور المتعلقة بالمصالح العامة ... لماذا ؟ لان الخطا فى الامر الأول يسير ويمكن تداركه بينما الخطا فى الامر الثانى جسيم بالنسبة للضرر الذى يلحق بالمجموع وقد لا يمكن تداركه ... وما أكثر القرارات الفردية التى لودت بمصائر الامم او ادت الى نكبات وكوارث . فهل من باب السياسة الشرعية الرشيدة ان نترك أمرنا العام معلقاً بارادة فرد ؟ وهل من الصواب أن يبقى مصير امة مرهوناً باجتهاد فرد ـ مهما بلغ اجتهاده ـ ؟ مع ان جماعة المسلمين ما استحقوا ثناء القران إلا لان امرهم العام شورى بينهم .

خامساً : اننا نطلب فى متولى السلطة اموراً فوق طاقته حين نفوضه سلطة الانفراد بالقرار فى الأمر العام ، فالقرارات العامة تحتاج الى خبرات وتخصصات عديدة نظراً لتشابك الاختصاصات وتعقد امور الحياة ، ولأن لهذه القرارات جوانبها المختلفة وانعكاساتها المتعددة على شتى امور المجتمع ، مما يستلزم تضافر جهود أهل الخبرة وتشاورهم .

فهل من المصلحة الانفراد بالقرار بناء على اجتهاد فردى قد يكون أساسه الهام فكرى فى لحظة صفاء ؟!

سادساً : واما تساؤل الشيخ الشعراوى عن سبب ترجيح راى أهل الشورى على رأى الحاكم مع انتفاء العصمة عن الطرفين فيجيب عنه الدكتور محمد سعاد جلال ، بقوله : (٨)

« كلا ، إن الحاكم يكون فرداً ، واما المشير فانه يكون الأمة كلها ممثلة فى اعضاء المجلس ، والأمة لا تجتمع على ضلالة ، فالأمة معصومة من الخطا فى مقابلة عدم عصمة الامام ـ ولا نعنى بالعصمة ، العصمة الشرعية التى يتكلم عنها الأصوليون فى باب الاجماع ـ وإنما عصمة ثابتة بحكم العقل ، فان العادة جرت بان اتفاق أهل الشورى أو اكثرهم على رأى ، هو عصمة معتبرة ، ولا يمكن بحكم التجربة ونظر العقل أن يترجح عليها حكم فرد هو الحاكم أصلا » .

ماقيمة الرأي الذي يتوصل إليه أهل الشورى ؟

ونحن بدورنا نؤكد ان رأى أهل الشورى راجح على رأى الحاكم الفرد مهما كانت حيثياته ، لأن راى الجماعة اقرب الى الصواب ، وقد ايد ذلك كل من حكم العقل ودليل النقل ، فاما حكم العقل فيقضي - حسب نظرية الاحتمالات - ان صواب الجماعة اكثر من صواب الفرد وهو امر يوضحه الأستاذ محمد أسد ، بقوله :

«إن احتمال وقوع الجماعة فى الخطا اقل من احتمال وقوع الفرد ، لأن الفرد مهما كان تقيا ذكيا حسن النية ، فاحتمال تاثره بميوله الخاصة كبير بعكس مناقشة جماعة لمسالة معينة واستعراضها من جميع زواياها ، فاحتمال وقوعهم فى الخطا سيقل الى أدنى حد ممكن» (٩) .

واما دليل النقل . فالاسلام دين الجماعة ، والجماعية نزعته وروحه وقد وضح تاييد الشرع لمبدأ الاغلبية فى حث الرسول صلى الله عليه وسلم فى احاديث كثيرة يقوي بعضها بعضاً ، على اتباع راى الجماعة او الاكثرية مثل (يد الله مع الجماعة) (لا تجتمع امتى على ضلالة) (ما راه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) .

يقول الأستاذ عبد القادر عودة - رحمه الله :

« وربما صح ان ياتى راى الاكثرية خاطئاً ، وراى الأقلية صواباً ولكن هذا نادر والنادر لا حكم له ، والمفروض شرعا ان راي الاكثرية هو الصواب ، مادام كلهم يبدى رايه مجرداً لله ... واساس ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا تجتمع امتى على ضلالة) و (يد الله مع الجماعة) فالله يسدد دائما خطى الجماعة ويوجهها الى الراي السديد » . (١٠)

ويقول الأستاذ الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله - فى تعليقه على حادثة أسرى بدر : «ومنه يعلم ان ما شرعه الله تعالى من العمل براي الاكثرية ، فسببه انه هو الأمثل فى الأمور العامة» (١١) .

فحيث لا دليل او نص ، يكون راى الجماعة هو ميزان الحق ، يوضحه قول الدكتور احمد كمال أبو المجد :

«إن الاسلام يجعل الوزن الأكبر لراى الجماعة ، جاعلا منه دليلا على الحق وشاهدا له عند انعدام المعيار الموضوعى ، الذى يكشف الحق فى ذاته ... ومن هذا الايمان براي الجماعة انبثقت قاعدتان هامتان : أولاهما قاعدة الشورى فى نظام الحكم ، والاخرى : قاعدة الاجماع كحجة شرعية» (١٢) .

وقد يقال ان الجماعة ايضا تخطىء وإن الفرد قد يكون اصوب رايا . وهذا مسلم ، لكنه قليل ، والعبرة بالغالب والاكثر .

وإن تخطىء الجماعة فانها تتحمل مسئولية خطئها وان يخطىء الفرد فما ذنب الأمة ان تجنى ثمار قراراته الخاطئة ، وكيف تعاقب فيما لا ذنب لها ، والآية تنص (ولا تزر وازرة وزر اخرى) ؟ وكيف يقال - حينئذ - ان الحاكم معذور فى الخطا الاجتهادى ؟ فهل يذهب هو بالأجر وتذهب الأمة بالوزر ؟

يقول الدكتور محمد سعاد جلال :

«وعلى فرض احتمال خطا الأمة ، فاننا نرى ان خطا الأمة أهون من خطا الحاكم بمراحل ، لأن الأمة حين تخطىء تخطىء فى ملكها ، ولا تعتبر معتدية على نفسها ، اما الحاكم إذا أخطا فانه يخطىء فى ملك غيره ويعتبر معتدياً على حق غيره» (١٣) . ولأن تخطىء الجماعة فانها تتعلم من اخطائها وتكسب من تجاربها وذلك اسلوب قويم فى تربية الأمة وبلوغها مرحلة النضج .

يشير الشيخ محمد ابو زهرة الى هذا المعنى بقوله :

«وخير للجماعات ان تخطىء فى راى تبديه وهى حرة من ان تفرض عليها آراء صائبة ، فان صوابها يكون مقترنا بارهاق نفسى وضغط للارادة وذلك اشد ضرراً فى تكوين الأمم» . (١٤)

ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف ان الجماعة على خطا فيما راوه من الخروج فى احد - للرؤيا التى راها - ولم يرض صلى الله عليه وسلم أن يفرض عليهم رايه الصائب . والسؤال هنا لماذا ؟ (١٥) .

سابعاً : واما القول بان الحاكم مختار ببيعة إيمانية شهدت انه الأوثق والأصلح ، وعلى هذا فالحق معه . فيرده الدكتور عبد الله ابو عزة بقوله :

«إن رئيس الدولة الاسلامية يجرى اختياره عادة من بين زعماء الأمة وقادة الرأى فيها ، وهو عندما يتم اختياره لا يكون فريداً او عملاقاً بين اقزام ، بل يكون واحداً من بين نخبة يتقارب افرادها تقارباً شديداً فى مستواهم ، فاذا مارفع من بينهم ونصب فى مركز الخلافة او الامارة ، فان مقدرته العقلية لن تزيد ، وسيظل من حوله يقاربونه وستظل حصيلة آرائهم اكبر من حصيلة رايه هو منفرداً» (١٦) .

ويقول الدكتور محمد سعاد جلال :

«إن حقيقة البيعة انها مرسوم صادر من الأمة بتوظيف شخص مختار فى موضع النيابة عنها بحكم توزيع الاختصاص فيما لا تستطيع ان تباشره بنفسها ، وهى على صفة الاجتماع ، وهو لا يعطى بهذه البيعة اى ميزة ترتفع بذاته عن بقية افراد الشعب باكثر من حق وظيفته ، فلا يكتسب صفة مقدسة او شبه مقدسة ، ولذا قال ابو بكر لما تولى الخلافة «وليت عليكم ولست بخيركم» فاذا كان الأمر كذلك ، فليس فى طبيعة عقد البيعة ما يجعل الحاكم على الراى الحق ، فى مقابلة آراء الأمة دائماً» . (١٧)

ماذا عن المسائل المستجدة ؟

ثامناً : واما القول بان الحاكم مقيد بالشريعة ، فلا خشية من الحكم بالهوى او الحكم المطلق ، فمردود بان النصوص الشرعية التى خوطب بها المكلفون إما ان تكون قطعية فلا تحتمل الخلاف ، وإما ان تكون ظنية الدلالة وهنا المجال واسع لتعدد الآراء والاختلاف ، وموضوعات الشورى المتعلقة بامور السياسة والحكم والادارة إنما وردت فى القرآن والسنة على وجه الاجمال او العموم ومن هنا فالاختلاف حاصل وواقع بين الحاكم ومجلس الشورى فما الحكم ، وكل يدعي أن الحق معه وانه الأقرب الى الكتاب والسنة ؟

ومن ناحية اخرى ، ماذا عن المسائل المستجدة والقضايا التى لا نجد لها نصاً شرعياً محدداً ، وهى المسائل التى تدخل فى باب السياسة الشرعية او المصالح العامة ، والتى تتعدد فيها الأفهام والأنظار ؟

ونتساءل مع الدكتور عبد الله ابو عزة :

«كيف يظهر الصواب من الخطا عندما يختلف اهل الشورى ورئيس الدولة حول قضية لا نص فيها ولا دليل واضح من كتاب أو سنة ؟ وإذا لم يكن راى اغلبية اهل الشورى المفروض انهم كبار اهل الراى فى المجتمع الاسلامى ، إذا لم يكن رايهم هو الدليل الترجيحى على الصواب ، فما الدليل ؟ نعم ، فما هو المعيار المرجح حين ينعدم الدليل وتغمض القضية وتتباين الاجتهادات ؟

نعم ان المظنون برئيس الدولة ان يختار الأصوب حين يتضح صوابه ، وفى هذه الحالة فان المظنون فى كل فرد من مجلس الشورى ان يختار الأصوب ــ اى حين يكون الصواب بينا ... ولكن ما هو معيار الصواب حينما يعوزنا الدليل وينعدم الوضوح ؟ (١٨) .

وما ادرانا أن الحــــاكم غير الملتزم بالأغلبية قد اتخذ قراراً صائباً من غير تاثر بمحاباة أو هوى .

فالنصوص الشرعية ــ إذ لم تكن الأغلبية مبدأ مسلماً به ــ لا تقيد الحاكم ولا يفيدنا القول بان الحاكم ملتزم بالشريعة ــ لأن العدول عن الأغلبية سيحرر الحاكم من قيد تستخدمه الأمة للحيلولة دون التسلط أو الانحراف . ولذلك فنحن نرى أن التقيد بالأغلبية هو احد القيود الفعالة فى الشريعة الاسلامية وان الالتزام بالشريعة لا يتم على الوجه المطلوب إلا إذا التزم الحاكم بنتيجة الشورى . وأما النصائح والمواعظ ــ لوحدها ــ فما اقل جدواها لمن هم فى السلطة ؟!

يقول الأستاذ الشيخ محمد عبده ــ رحمه الله ــ :

«إن نصوص الشريعة لا تقيد الحاكم بنفسها ، فانها ليست إلا عبارة عن معان أحكام مرسومة فى اذهان أرباب الشريعة وعلمائها ، أو مدلولا عليها بنقوش مرقومة فى الكتب ، ولا يكفى فى تقييد الحاكم بها مجرد علمه باصولها ، بل لابد فى ذلك من وجود اناس يتحققون بمعانيها ويظهرون بمظاهرها» (١٩) .

وأما رقابة العلماء وأهل الصلاح حول الحاكم فلا تجدى ما لم يكن لرايهم الوزن او الثقل اللازم ، وما لم يكن رأيهم ملزماً .

وصحيح أن للتسلط أو الانحراف أسباباً كثيرة ولكن غياب الشورى الملزمة احد الأسباب الرئيسية .

تاسعاً : وأما القول بان مبدأ عزل الحاكم يحول دون التسلط ، فيناقش بانه مبدأ جميل ، ولكن هل يسهل تنفيذه خاصة مع الضوابط الفقهية كاشتراط امن الفتنة وعدم ترتب فساد أكبر ؟

وكيف يمكن تقرير هذا الاسلوب والمخالف لا يرى إلزام راى اهل الشورى ؟ فضلا عن انه لا يحسن اللجوء اليه إلا للضرورة أو وجود مسئولية جسيمة ، فهل بعد مراعاة هذه الضوابط والشروط ، يعد هذا المبدأ ضماناً كافياً ؟

وهكذا .. ننتهى الى رفض القول بعدم الزام الشورى للحاكم بحجة توافر شروط الكفاية والعلم والأمانة فيه ، إذ ان التسليم بهذه الحجة . قد تكون ذريعة الى التسليم بنظرية المستبد العادل ولكن تحت اسماء شريفة . ومهما اختلفت الاشكال فيجب أن لا ننخدع بها لأن المضمون واحد .

ولهذا ينتهى أستاذنا الدكتور يوسف القرضاوى ، الى القول :

« إننا نتبنى القول بوجوب الشورى ، وبان نتائجها ملزمة مادامت صادرة من اهلها ، فى محلها ، وحسب امتنا ما لاقت من الطغاة والمستبدين . أما حكاية المستبد العادل الذى لا ينهض بالشرق غيره ، كما قيل ، فهى مرفوضة ، إذ لا يجتمع العدل والاستبداد ، فالعادل لا يكون مستبداً ، والمستبد لا يكون عادلا ، وكيف يكون عادلا من يرى نفسه عليماً بكل امر ، وحكماً فى كل قضية» (٢٠) .

ويؤكد هذا المعنى الدكتور حسان حتحوت ، فيقول :

«كنت فى تلمذتى اردد مع جيلى قول الأفغانى ان الشرق فى حاجة الى مستبد عادل ، والآن تغيرت نظرتى ، فايقنت ان المستبد لا يمكن ان يكون عادلا ، وان امور الشعوب لا يمكن أن تحملها كتفا مستبد ، ولا تحملها إلا الشعوب ، وإن دولة تعقم فلا تنجب إلا رجلا هو الكفء الوحيد على تسيير امورها ، لا يمكن لها أن تجد مكانا بين الدول إلا فى الدرك الأسفل» (٢١) .

د. عبد الحميد اسماعيل الانصارى
كلية الشريعة / جامعة قطر

هــــــــوامــــش

(١) ال عمران ١٥٩ .
(٢) الشورى ٣٨ .
(٣) الشورى والتشريع ص ١٧ ــ دار ثابت ــ القاهرة .
(٤) الاهرام ٨٢/٧/٧ و ٨٢/٧/٥ .
(٥) الشورى فى الاسلام ص ٢٥ ــ المنار الاسلامية ط ٧٥ .

(٦) ص ١٥٧ عن «الدعوات الاسلامية المعاصرة ، ما لها وما عليها» للاستاذ جمال البنا ، وراجع ملاحظاته القيمة ... ومن المهم ان نشير الى تاثير العلامة المودودى فى التفكير السياسى للجماعة ، خاصة فيما نقلوه من كتابه (نظرية الاسلام السياسية) حيث يرى الأستاذ المودودى ان للحاكم الحق فى ان يوافق الأقلية او الأغلبية او ان يخالف راى المجلس كله . ويلاحظ ان الكتاب فى اصله كان محاضرة القيت فى ١٩٣٩ ، ولكن المودودى ــ رحمه الله ــ تجاوز هذا الراى ، ففى محاضرته (تدوين الدستور الاسلامى) ١٩٥٢ ، جعل الشعب هو الحكم فى النزاع بين الحاكم والمجلس ، وحبذ أن تكون الحكومة تابعة للمجلس . (راجع نظرية الاسلام وهديه ص ٢٧٦) .

(٧) مبادىء نظام الحكم فى الاسلام ص ٦٦٧ ، المعارف ١٩٦٦ .
(٨) صحيفة الجمهورية القاهرية ٨٢/٩/١٢ .

(٩) منهاج الاسلام فى الحكم ص ٨٨ .
(١٠) الاسلام واوضاعنا السياسية ص ١٦٢ .
(١١) تفسير المنار ٩٩/١٠
(١٢) نظرات حول الفقه الدستورى والاسلام ص ٥٣ .

(١٣) الجمهورية ٨٢/٩/١٢ .
(١٤) المجتمع الانسانى فى ظل الاسلام ص ١٥٧
(١٥) راجع الاجابة البليغة للأستاذ سيد قطب ــ رحمة الله ــ فى تفسيره القيم فى ظل القرآن ١٢٠/٤ .
(١٦) مقال «الشورى ام الاستبداد» مجلة المجتمع الكويتية ديسمبر ٧٠ العدد ٤١ .

(١٧) الجمهورية القاهرية ٨٢/٩/١٢ .
(١٨) من مقال «الشورى ام الاستبداد ؟» المجتمع الكويتية ، ديسمبر ١٩٧٠ العدد ٤١ .

(١٩) الفكر السياسى للامام محمد عبده : عبد العاطى محمد احمد ، ص ١٩١ ، الهيئة المصرية العامة ١٩٧٨ .
(٢٠) مجلة «الأمة» القطرية محرم ١٤٠٢ ، نوفمبر ٨١ .
(٢١) مجلة «العربى» الكويت مارس ٨٢ .

أذهـــــان بـــلاحـــــدود "١"

الذين يطيرون فى الهواء والذين يحلمون بما يحدث لهم فى الغد وغير ذلك من الظواهر الخــارقة فى النفس والطبيعة والحيــاة .... ما حقيقتها وما مدى صدقها وكيف ينظر إليها العلم الحديث ؟!

البارا سيكولوجي أو ما وراء علم النفس

إعداد : محمد العزب موسى

اذكر جيداً عندما كنت فى الحادية عشرة من عمرى ، او فى أولى ثانوى بالنظام القديم اننى كنت شغوفاً الى أقصى حد باحدى مجلات الأولاد التى كانت تصدر فى ذلك الحين . كانت هذه المجلة تصدر صباح كل خميس ، وكنت أقضى الليلة السابقة فى شوق دائم انتظاراً لصدورها فى الصباح ، وعندئذ أكون فى الشارع فى ساعة مبكرة جداً لأحصل على مجلتى المحبوبة .

وصباح ذات خميس ، استيقظت مبكراً وقلت لاختى وهى طفلة ايضا كانت تشاركنى نفس الاهتمام بالمجلة : لقد حلمت اننى اشتريت المجلة وكان فيها كيت وكيت ومضيت اصف صورة الغلاف ومغامرات شخصيات المجلة الشهيرة ، فالقرد بيانكى يفعل كذا ، وابن جحا يفعل كيت ، والكشاف الباسل يبدا مغامرة جديدة ضد عصابة تهريب ، وهكذا .

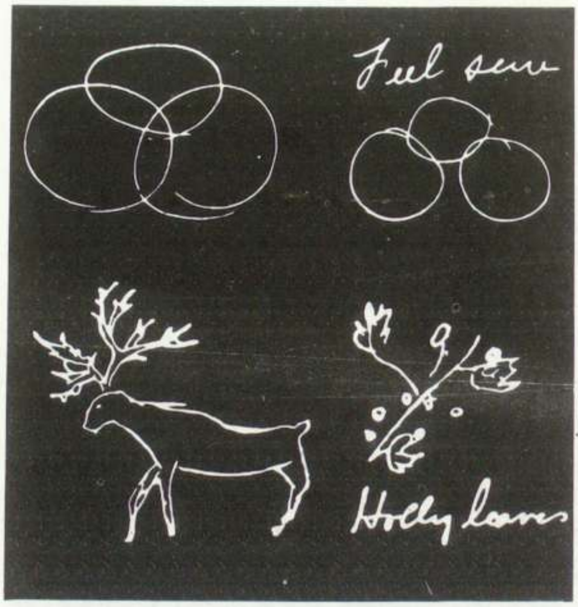
ونزلت الى الشارع بعد ان إزدردت طعام الافطار ، واشتريت المجلة ، ولدهشتى الشديدة وجدت على غلافها نفس الصورة التى رايتها فى الحلم ، وازدادت دهشتى عندما فتحت صفحاتها واخذت اقلب فيها حين طالعتنى نفس الموضوعات التى رايتها فى المنام ، كاننى كنت اقراها اثناء نومى على سريرى بالفعل ، فدق قلبى بشدة وسارعت الى اختى واريتها المجلة وما فيها من موضوعات حدثتها عنها .. فابدت هى ايضا دهشتها الشديدة لذلك .

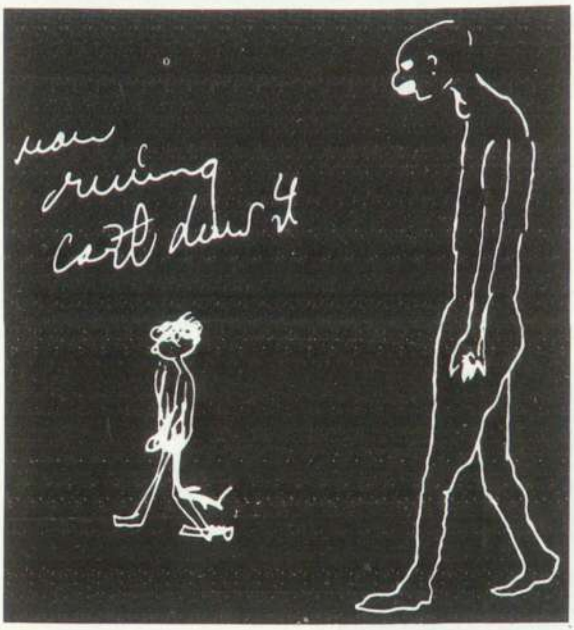
هذه القصة اغامر بروايتها فى صدر هذا المقال عن « البارا سيكلوجى أو ما وراء علم النفس » لعلمى انها قد تثير شكوك كثيرين من القراء ، أو قد اتهم على الاقل باننى متحيز للباراسيكلوجى ومن ثم يكون حديثى عنه غير محايد او موضوعى ، وهو شعور يكفى اى قارىء لان يضع « الدوحة » جانبا او يقفز من هذا المقال الى غيره . والحقيقة اننى اكتب عن هذه الظاهرة من معسكر المتشككين المتروين .

ومن حق كل قارىء ان يشك فى هـذه القصة وامثالها ، بل ان والدىّ وغيرهما من الكبار حين حدثتهم بهذا الحلم الغريب واريتهم المجلة لاثبت صدق كلامى ، ابتسموا ، ولم يصدقوا ، ولم تشفع لى شهادة اختى باننى حدثتها عن الحلم قبل



رسم يرجع الى عام ١٨٤٥ يبين ستة اشخاص يتطلعون الى معرفة مستقبلهم عن طريق التنويم المغناطيسي وكانت الظواهر الباراسيكلوجية قد بدات تشغل اهتمام الناس فى اوربا بشدة منذ منتصف القرن التاسع عشر .





بعض الرسوم الناجحة التى استطاعت فيها مارى سنكلير ان تقترب من الاصل الى حد كبير . كانت لها ايضا رسوم فاشلة واخرى احرزت نجاحا جزئيا .

شراء المجلة ، واعتقدوا جميعاً اننا نهزل ! هذه القصة تذكرتها مبتسماً وانا اقرا قصيدة للشاعر كولردج يقول فيها :

ماذا لو اخذتك سنة من النوم
وماذا لو حلمت انك ترتقى فى السماء
الى مكان عال به جنة من الزهور
وماذا لو قطفت منها زهرة
ثم استيقظت من نومك
لتجد الزهرة بين اصابعك ؟ !

واحمد الله على اية حال اننى لم استيقظ من نومى لاجد المجلة فى يدى ، والا اصبح الامر خطيراً ، بل ان شارحى كولردج يصفون هذه القطعة بانها محض خيال شاعر ، ولم يتصور احد منهم بالطبع انه قد يعبر عن تجربة حقيقية !

تجارب السيدة سنكلير

وعندما اخذت اقرا فى الباراسيكلوجى وجدت ان ما حدث لى ، اى حلم الطفولة ، يشبه على نطاق ضيق تجربة السيدة سنكلير . هذه السيدة هى زوجة الروائى الامريكى اوبتون سنكلير الذى عاش فى عشرينات هذا القرن وكان كاتباً تقدمياً على شاكلة مارك توين وشتاينبك .

وقد اكتشفت الزوجة فى نفسها مقدرة غريبة ، هى انه فى امكانها ان ترسم اى شكل مرسوم داخل مظروف مغلق ، ويصف سنكلير فى كتابه « التخاطب الذهنى » قصة هذا الاكتشاف فيقول ان زوجته كانت تعانى الماً شديداً من مرض اصابها ، فتعلمت ان تفرض سيطرتها الذهنية على هذا الألم ، وذلك بان كانت تسترخى تماماً ، وتجرد ذهنها من كل الافكار ، فيما عدا فكرة

واحدة تركز عليها ، ثم تطور اهتمامها بالقوى النفسية عندما تعرفت الأسرة على شاب يدعى « جان » كان يؤدى اعمالا ذهنية ومادية غريبة بما فى ذلك رفع جسمه فى الهواء ، وانشات السيدة سنكلير علاقة قوية مع « جان » بل يمكن القول انها تتلمذت على يديه . وذات صباح قالت السيدة سنكلير انها حلمت انها تلقت من « جان » سلة صغيرة من الزهور الحمراء والبنفسجية ، ثم امسكت قلماً وورقة ورسمت سلة الزهور . وبعد قليل فوجىء الزوجان سنكلير بدق على الباب ، وكان القادم رسولا من « جان » يحمل نفس سلة الزهور التى راتها السيدة فى المنام !

وخلال العامين التاليين رسمت السيدة سنكلير ٢٩٠ رسماً كمحاولة لمضاهاة رسوم مختلفة قام بها زوجها وسكرتيره وآخرون ثم وضعوها دون ان تراها داخل مظاريف مغلقة ، وجاءت بعض هذه المحاولات صوراً طبق الأصل ، او بالتحديد عد الزوجان سنكلير ٦٥ محاولة ناجحة تماما ، و ١٥٥ محاولة احرزت نجاحاً جزئيا ، والباقى اى ٧٠ محاولة فاشلة .

وتعرض سنكلير وزوجته للسخرية والازدراء من الكثيرين ، وبخاصة من زملائه الذين كتب احدهم مقالا فى صحيفة بعنوان «سنكلير يقترب من الجنون» ، ورد سنكلير على اعتراضاتهم مستخدماً كل ما فى استطاعته من الفصاحة قائلا «إننى لا اريد ان اؤمن بالتليباثى ، إننى لا اعرف ماذا يمكن ان اصنع به ، ولا اعرف الى اية وجهة من الكون سوف يحملنى ، إننى افضل تماما ان اكرس كل وقتى لعملى .. باختصار ليس هناك فى هذا العالم اى سبب يدعونى لهذا الاهتمام سوى ايمانى الجازم بان التليباثى حقيقة ، واخلاصى للصدق يحتم علي ان اقول ذلك» .

اما اليوم ، بعد ستين عاماً على هذه الأحداث ، إذا قدر لسنكلير ان يرد على منتقديه لن يكون محتاجاً لكل هذه الفصاحة ليدفع عن نفسه تهمة السير نحو الجنون ، فان الكثيرين اصبحوا يؤمنون بصحة التليباثى وغيره من ظواهر الباراسيكلوجى وحتى الغربيين انفسهم يدرسونه فى المعامل . حكى لي مهندس غربى التقيت به فى القاهرة منذ سنوات انه كان فى شبابه يعمل فى احد المناجم الغربية ، وذات صباح قرر عدم الذهاب الى العمل بدون اى سبب على الاطلاق ، فلم يكن مريضاً او متوعك المزاج ، ولم يكن من عادته الامتناع عن العمل ، علاوة على ما فى ذلك من مساءلة وجزاء ، وفشلت زوجته فى اقناعه بتغيير قراره الغريب ، وفى نفس هذا اليوم حدث انهيار فى المنجم وقتل جميع من فيه من العمل والمهندسين وكان غيابه مدعاة للشك حتى انهم استدعوه للتحقيق ، واضاف المهندس الغربى بعد الانتهاء من قصته : ان كل كتابات المفكرين الكبار لا تفسر ما حدث !

اهتمام علمي

لقد اصبح الباراسيكلوجى الآن ، ذلك الفرع من علم النفس الذى يهتم بالتليباثى وغيره من القدرات النفسية ، فرعاً مستقلا من العلوم ، وفى عام ١٩٦٩ حصلت رابطة الباراسيكلوجى ، وهى رابطة دولية تضم كبار المشتغلين بهذا العلم ، على عضوية «الرابطة الأمريكية لتقدم العلوم» ، وهى هيئة علمية على مستوى رفيع ، وكتبت العالمة الانثروبولوجية الشهيرة مارجريت ميد تؤيد انضمام الباراسيكلوجيين قائلة «إن تاريخ العلوم مليء بالعلماء الذين يبحثون فى ظواهر لا تؤمن بجدواها المؤسسات القائمة ولكن تثبت صحتها فيما بعد .. اننى اقترح التصويت فوراً الى جانب انضمام الرابطة» . واسفر التصويت عن انضمام الرابطة باغلبية ستة الى واحد

لقد اصبح العلم اليوم اكثر تسامحاً إزاء الكثير من الأشياء التى كان يرفضها رفضاً باتاً من قبل ، وبالرغم من التقدم العلمى الجبار الذى اتاح لنا سيطرة ما كنا نحلم بها على قوى الطبيعة إلا ان هناك مجالات معينة داخل انفسنا لم يستطع العلم ان يقتحمها ، بل يقف عاجزاً امام اسوارها ، وهذا العصر الذى اصبح فيه الوجود البشرى نفسه مهدداً بسبب سبق التقدم العلمى على التقدم الضميرى للانسان ، بدا الكثيرون من الناس يفتشون عن بدائل لهذه النظرة العلمية العقلانية الى العالم ، وبدات الثقافات والفلسفات تثير اهتماما جديداً متزايداً بعد ان كانت تعتبر بالأمس القريب نوعاً من الخرافات ، وبدا الناس يتساءلون اترانا ونحن نسافر سريعاً هكذا قد نسينا شيئاً خلفنا ؟ شيئاً هاماً ونافعاً سواء فى اعماق نفوسنا او فى مناطق بدائية ومتخلفة فى هذا العالم ؟

فى عام ١٩٧٣ نظمت رابطة الباراسيكلوجى بنيويورك مؤتمراً دولياً فى لندن تحت عنوان «الباراسيكلوجى والانثربولوجى» ، وكانت ذروة المؤتمر ورقة بعنوان «المساهمة الأفريقية» قدمها عالم اجناس انجليزى يدعى ادريان بوشير كان هو نفسه طبيباً ساحراً بالمعنى الافريقى .

فقد عاش ادريان بوشير سنوات طويلة



تخصصت مارى سنكلير فى قراءة اذهان الآخرين لترسم نفس الرسوم التى رسموها ووضعوها فى اظرف مغلقة .



علماء الباراسيكلوجى والانثربولوجى فى لندن عام ١٩٧٣ . ويبدو فى الصورة ادريان بوشير عالم الاجناس الذى تحول الى طبيب ساحر فى قبائل جنوب افريقيا (الأول من اليسار فى الصف الخلفى) .

بين رجال القبائل الافريقيين فى جنوب افريقيا حتى منحوه شرف اخوتهم ، ثم سمحوا له باجتياز الدرجات الاثنى عشر التى تؤهله كى يكون طبيبا على طريقتهم اى سانجوما ، ويقول بوشير ان الاسرار والطقوس السحرية التى يؤدونها ليست مجرد خرافات ، وإنما هى نفس الظواهر التى يبحثها علم الباراسيكولجى فى معامل الغرب اليوم مع فارق واحد هو ان الغربيين ينظرون الى هذه الظواهر بعين الشك ، اما رجال القبائل فانهم يقبلونها كحقائق مسلم بها .



قارىء المستقبل الافريقى يقرا قواقعه وعظامه التى نثرها امامه كما يفعل الغجر المتجولون فى كل انحاء العالم . كان الرحالة الأوربيون الأوائل يحتقرون مهاراتهم باعتبارها خرافات وشعوذة ، ولكن بدا العلماء يدركون انهم يتمتعون بمهارات باراسيكلوجية اعظم مما يتصور اى باحث .

والحكايات عن القوى النفسية الخارقة لهؤلاء الأطباء فى افريقيا تنهـــال على مسامع العالم منذ فتحت افريقيا للتجارة والاستكشاف فى القرن التاسع عشر ، ومن امثلتها هذه الحكاية الغريبة التى قصها صياد وتاجر انجليزى يدعى د. لسلى واوردها فى كتاب طبع فى ادنبرة عام ١٨٧٥ .

يقول لسلى انه اخرج تابعيه من صيادى الأفيال المحليين فى مهمة صيد ، وأمرهم بالحضور للقائه فى موعد معين ومكان محدد ، ولكنهم لم يظهروا ، ولم يعرف ماذا حدث لهم ، فذهب يستشير طبيبا افريقيا ، فساله هذا عن عدد صياديه الغائبين واسمائهم ، ثم اشعل ثمان ركات من النار بعددهم والقى فيها ببعض الجذور والاعشاب التى اخرجت دخانا كثيفا ، وابتلع جرعة من الدواء ، ودخل فى غيبوبة .

وبعد حوالى عشر دقائق ، افاق من غيبوبته ، واخذ ينقب فى رماد كل نار ويبلغ لسلى ماذا حدث لصياديه كل منهم على حدة . احدهم مات بالحمى وفقدت منه بندقيته ، والثانى قتله فيل ولكن بندقيته استعادها فرد آخر من المجموعة ، والثالث قتل اربعة افيال وانتزع انيابها ، ولكن الناجين من المهمة لن يعودوا قبل ثلاثة اشهر ، وسوف يسلكون طريقاً آخر غير المتفق عليه . وبعد ثلاثة اشهر عاد الصيادون وتاكد لسلىمن صحة كل كلمة قالها الطبيب الافريقى !

والمتشككون فى الباراسيكلوجى يقولون ان مثل هذه الحكايات لا يمكن ان تكون حقيقية ولا يمكن ان تثبت شيئاً ، وكلنا نعلم كم تخدع الحواس وتخون الذاكرة ، وذهن الانسان تواق للعجائب والغرائب والمثيرات ، وهو يفقد مقدرته على النقد ، ويخدع بسهولة إذا قابل شيئاً من ذلك ، وقد قيلت ملايين القصص المثيرة عن الغرائب والأشباح التى هزت المستمعين حول مواقد النار فى مختلف عصور التاريخ ، واليوم تظهر حكايات الباراسيكلوجى لتفعل نفس الشىء بقارئى الكتب والمجلات فى هذا العصر العلمى .

ولكن هذا الموقف الرافض بداءة لم يعد موقفاً علميـــاً مناسبـــاً ، فان على العلم ان يرفض بالدليل تماماً كما عليه ان يقبل بالدليل ، والرافضون للباراسيكلوجى لا يقدمون دليلا يدعم رفضهم بل هم فى اغلب الاحوال يرفضون المضي فى دراسة الظاهرة وفحص تجاربها ، مع ان تطبيقات الباراسيكلوجى او المعرفة خارج الحواس اصبحت من حقائق الحياة اليومية التى يعرفها كل انسان ، فكثيراً ما تذكر شخصاً غاب عنك زمناً طويلا ثم تجده فجاة امامك ، او تفكر فى انسان معين فيرن عليك جرس التليفون ، او تردد اغنية قديمة ثم تفتح الراديو او التليفزيون فتجدها مذاعة ، وفى مثل هذه الأحوال يقول الانسان لنفسه او لصاحبه «لابد ان عندى تليباثى فقد كنت افكر فيك» ، ولكننا لا نهتم بالمعنى اكثر من ذلك فقد تعودنا أن نؤمن باكتساب معارفنا وتجاربنا عن طريق الحواس .. والحواس فقط .

إن مثل هذه الظواهر غير العاديـة اصبحت تخضع للتجارب المعملية اليوم ، فى كل الدول المتقدمة فى الغرب والشرق على السواء ، وإن كان الرافضـــون والمتشككون لا يتزحزحون كثيراً عن موقفهم ويقولون أن الأوهام القديمة يمكن ان توجد ايضاً فى المعامل الحديثة ، إلا ان الموقف من البارا سيكلوجى اصبح الآن اكثر تسامحاً عما كان عليه منذ ٤٠ أو ٥٠ عاماً ، ومع ذلك لايزال مجال الدراسات البارا سيكلوجية ملبداً بالعواطف وعدم الثقة والغموض بحيث يصعب على الانسان المحايد ان يستريح الى نظرة واضحة .

علم النفس الغيبى

إن البارا سيكلوجى او علم النفس الـذى يهتم بما هو خـــارج الحـــواس يمكن تقســـيمه الى نـــوعين رئيسيين : ظواهر ذهنية يجمعها تعبير «الادراك خارج مجال الحواس» وتشمل التخاطر (التليباثى) والاستبصار وقراءة الأثر والتنبؤ بالمستقبل وادراك الماضى . وظواهر جسمانية يجمعها تعبير «القدرة النفسية على التحريك» أو «الاستحراك النفسى» وتشمل تحريك الاشياء بالقوة النفسية والسباحة فى الهواء ، وتجسيد المادة ، ونزع المـادة ، والطب النفسى

التخاطر

ويعنى انتقال الافكار من شخص (الراسل أو الوسيط) الى شخص اخر (المستقبل أو المتلقى) بدون استخدام وسائل الاتصال الحسية ، وهو شكل من اشكال « الادراك خارج مجال الحواس » وله تطبيقات كثيرة فى الحياة اليومية إلا ان صحته لم تثبت نهائياً بعد ، ولكن اجريت تجارب معملية على التخاطر باستخدام أوراق «الكوتشينة» واحرزت نجاحاً ملحوظاً ، ويفتح التخاطر مجالا كبيراً امام العلاقات الانسانية إذا أمكن السيطرة على أسراره واستخدامه بسهولة ، ويقول الصحفى المصرى مصطفى أمين انه جرب التخاطر بنجاح مع شقيقه التوام علي أمين أثناء وجود الأول فى السجن ، والثانى فى لندن .

الاستبصار

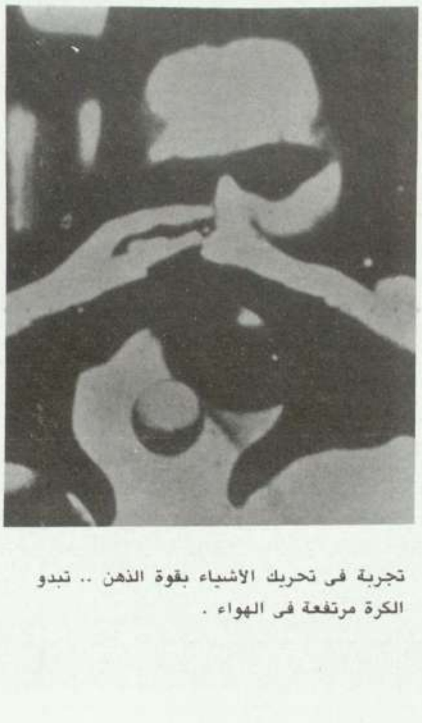
وهـــو رؤية أو ســـماع أشياء بعيدة بدون استخدام الحواس ، واحيانا ما يختلط الأمر بين الاستبصار والتخاطر ، ففى حـــالة الطبيب الأفـــريقى التى أوردتها فيما سبق قد تكون معرفة الساحر بمصير صيادى الأفيال راجعة الى التخاطر بينه وبين احد الصيادين الناجين وليس الى جلاء الرؤية النفسية . ومن أشهر حالات الاستبصار فى تراثنا الاسلامى تحذير الخليفة عمر بن الخطاب لأحد قواده فى ساحة المعركة من وجود العدو خلف الجبل . وكان الخليفة حينئذ يصلى بالناس فى المدينة ، وتلقى القائد التحذير على بعد مئات الأميال وعمل بموجبه .

قراءة الأثر

وهى حالة خاصة من الاستبصار يستطيع فيها الوسيط أن يتلقى معلومات عن شخص أو شىء عن طريق الاتصال ببعض متعلقات هذا الشخص أو الشىء ، وكثيراً ما تستخدم الملابس او الخواتم او الصور الفوتوغرافية فى قراءة الأثر لمعرفة مكان شخص غائب او شىء ضائع مثلا . وهذا الأسلوب من الباراسيكلوجى معروف فى مناطق كثيرة من العالم العربى وبخاصة السودان حيث يبرع السودانيون فى فن قراءة الأثر . وتلجا بعض اجهزة



العرافة الأمريكية الشهيرة جين ديكسون تمسك بكرتها البللورية التى تستخدمها فى محاولة قراءة المستقبل . تنبأت جين ديكسون بوفاة غاندى ومصرع جون كيندى .



تجربة فى تحريك الأشياء بقوة الذهن .. تبدو الكرة مرتفعة فى الهواء .

البوليس حتى فى الدول الراقية الى قراءة الأثر للمساعدة فى الكشف عن الجرائم .

معرفة المستقبل والماضى

وهى العرافة التى يكثر فيها المدعون والدجالون ومع ذلك فان بعض الحالات تثير اهتماماً خاصاً ، ومن اشهرها حالة العراف الفرنسى الشهير نوستراداموس الذى عاش فى القرن السادس عشر (١٥٠٣ ـ ١٥٦٦) ، وبالرغم من انه نظم افكاره شعراً باسلوب رمزى غامض إلا ان المتحمسين له يقولون انه اشار إلى ظهور نابليون وهتلر والهجوم الذرى على هيروشيما وناجازاكى ، وتخلى الملك ادوارد الثامن عن العرش ، ومصرع جون وروبرت كنيدى كما يقال انه اشار إلى حرب عالمية ثالثة تبدأ فى الصين ، وبالرغم من ان كتاب افكار نوستراداموس المعروف باسم «القرون» قد وضعته الكنيسة فى قائمة الكتب الممنوعة من التداول فى عام ١٧٨١ إلا ان هذا الكتاب ظل يطبع بانتظام طوال الاربعمائة سنة التالية لتاليفه ، وفى اثناء الحرب العالمية الثانية كان هذا الكتاب يستخدم لاغراض الدعاية من جانب الحلفاء والمحور على السواء . فقد كانت الطائرات الالمانية تلقى فقرات من الكتاب فوق فرنسا لاضعاف الروح المعنوية للفرنسيين ، ورد الحلفاء بالقاء الفقرات التى تناسبهم على المدن الالمانية !

وهناك حالة السيدة الامريكية جين ديكسون التى قالت فى عام ١٩٥٦ بان «الحملة الانتخابية القادمة ١٩٦٠ سيكسبها ديموقراطى وانه سوف يغتال اثناء رئاسته» وقد عادت هذه السيدة قبل اسابيع من اغتيال الرئيس كينيدى الى التحذير من قيامه بزيارة الجنوب لان هذه الزيارة ستكون مميتة له .

اما الحديث عن الماضى فيصعب التاكد من صحته لعدم امكان التحقق فيه بين المعرفة اللاحسية والمعرفة العادية ، ولكن يحدث فى حالات كثيرة أن يتاكد شخص ما من صدق قراءة ماضيه من جانب عراف لا يعرف عنه شيئاً . وفى حالات نادرة جداً تحدث رجعة فعلية الى الماضى فيشعر صاحب التجربة انه رجع فى الزمن الى عصر مضى ، ويخيل له انه يرى الأشياء ويسمع الأصوات التى كانت تحدث فى ذلك المكان فى الماضى . وقد زعمت سيدتان انجليزيتان زارتا قصر فرساى بفرنسا عام ١٩٠١ انهما شاهدنا فى حدائقه وممراته الحراس بملابسهم التقليدية ونفس ما كانت عليه المبانى والأثاث منذ مائتى عام !



الوسيط البريطانى كولين إيفانز يجرى بنجاح واضح تجربة للارتفاع فى الهواء فى جلسة عامة عقدت فى قاعة كونواى بلندن عام ١٩٣٨ .

تحريك الأشياء بالطاقة النفسية

وهذه الحركة تاتى انطلاقا من «هيمنة الذهن على المادة» ، وبعض الذين يدعون امتلاك هذه القدرة او الطاقة النفسية يستطيعون رفع الأشياء المادية الصغيرة كالكرات الحديدية والشوك والملاعق وتركها معلقة فترة فى الهواء بمجرد تركيز الذهن عليها ، ومثل هؤلاء الأشخاص يدربون قدراتهم هذه ويقومون بعروض امام الجماهير ومن اشهرهم يورى جيللر الذى ادى عروضا كثيرة فى التليفزيون البريطانى وامام علماء . وهؤلاء المحترفون يكثر فيهم الدجالون ولا يمكن تقدير افعالهم باكثر من تقدير مهارة الحواة الذين يقدمون عروضاً مشابهة على خشبة المسرح . ولكن يحدث احياناً أن تنبعث طاقة التحريك لدى أشخاص عاديين فى ظروف خاصة ، كحالة رجل من كاليفورنيا جاءه ذات ليلة ـ بعد يومين من وفاة زوجته ـ شعور قوى بوجودها معه فى الغرفة ، فقال : «إذا كنت هنا حقاً وفى استطاعتك ان تسمعينى قدمى علامة على ذلك» . ولم يكد ينطق هذه الكلمات حتى فوجىء بوقوع «عربة موريل» ثقيلة بحصانين من المعدن الى الارض من حيث كانت مستقرة على منضدة منذ ١٢ عاماً لم يحركها احد . هل حدث ذلك بفعل زوجته او بطاقته هو على تحريك المادة او بسبب طبيعى ؟ مسالة مفتوحة للنقاش ، ولكن هناك شواهد متراكمة عن هذه الظاهرة بما فى ذلك القدرة على إيقاف الساعات وتشغيلها بلا سبب ظاهر ، وسقوط اللوحات المعلقة على الحائط ، وقذف الصحون والأوانى فى الغرفة ، وغير ذلك من الظواهر التى تعزى فى نظر العامة الى ان البيت مسكون بالأشباح ، وقد يكون السبب الحقيقى هو وجود طاقة تحريك الأشياء لدى بعض سكان المنزل وخاصة من الأطفال . كما أن بعض علماء الآثار لا يستبعدون أن تكون هذه الطاقة قد استخدمت كلياً او جزئياً فى بناء المعابد والأهرامات القديمة التى يستحيل على التكنولوجيا المعاصرة انشاء مثيلاتها فى الوقت الحاضر .

استحضار الأشياء

وهو نوع من ظاهرة التحريك بالطاقة النفسية ، قدرة على تحريك شىء من مكان الى مكان اخر ، أو استحضار شىء من مكان بعيد فى لحظات ، واكبر مثل لهذه القدرة ما يحدثنا به القران الكريم عن سليمان والاتيان بعرش بلقيس : « قل يا ايها الملا ايكم ياتينى بعرشها قبل ان ياتونى مسلمين . قال عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك وانى عليه لقوى امين . قال الذى عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك » .. (النمل ٣٨ ـ ٤٠) والملاحظ هنا ان الاتيان بالعرش لم يكن من فعل الجن ، وانما من فعل إنسى « عنده علم من الكتاب » والمشهور لدى المفسرين المسلمين انه آصف بن برخيا وهو ابن خالة سليمان . ويمكن ان يقال ان هذا الرجل كانت لديه هذه الطاقة النفسية على استحضار الأشياء ونقلها فى لحظات

وفى العصر الحديث اشتهر عن الشيخ طنطاوى ، وهو احد الصوفيين المعروفين فى مصر ، القدرة على استجلاب الأشياء . وكان الفنان يوسف وهبى يؤكد مراراً انه شهد بنفسه احد الأشخاص يستجلب صينية عامرة باطيب الطعام من مطعم معين بعد أن بعث بالثمن بنفس الطريقة ، وقد حدث ذلك اثناء وجودهما فى قطار الصعيد !

السباحة فى الهواء

هى القدرة على الارتفاع بالجسد من فوق

سطح الأرض وبقاء الشخص معلقاً في الهواء أو سابحاً فيه بعض الوقت بالرغم من الجاذبية الأرضية ، وهناك حكايات كثيرة عن هذه المقدرة .. ومن اشهر هذه الأمثلة - وان كانت محل خلاف - ذلك العرض الذى قدمه البريطانى دانييل دوجلاس هيوم أمام شهود من المشاهير فى لندن عام ١٨٧٢ حين ارتفع بجسده وسبح فى الهواء خارجاً من نافذة فى الدور الثالث ثم عاد طافياً فى الهواء عبر نافذة فى غرفة اخرى وقد قام بريطانى آخر يدعى كولين ايفانز بعرض مشابه للارتفاع فى الهواء أثناء جلسة حضرها الكثيرون فى قاعة كونواى بلندن عام ١٩٣٨ والتقطت صور فوتوغرافية للعرض .

الطب الروحى

وله تاريخ طويل يشمل معجزات الشفاء التى قام بها السيد المسيح ، واليوم لا تقتصر مزاولة هذا الطب على ذلك ، وانما يزاوله ايضاً اشخاص ليست لهم صفة دينية يدعون القدرة على شفاء الأمراض واجراء العمليات الجراحية دون استخدام المبضع ، وينتشر هذا النوع من العلاج خاصة فى الفلبين والبرازيل حيث يقصدهما الزائرون من مختلف انحاء الأرض للبحث عن العلاج الناجع لامراضهم المستعصية . كما تنتشر نفس الظاهرة فى شرقنا العربى ، وبخاصة فى مصر ، وقد ابرأت احدى المحاكم المصرية مؤخراً رجلا قدمته النيابة الى المحاكمة بتهمة الدجل والشعوذة لانه كان يمارس هذا النوع من الطب فى احد الأحياء الشعبية ، وقام الرجل بعدة تجارب فى قاعة المحكمة لاثبات صدق دعواه ، وزعم انه متصل بعالم الجان ، ولكن الحكم بتبرئته استند الى عدم وجود نص فى القانون يجرم ما يفعله الرجل الذى لم يثبت فى حقه الاضرار بالغير .

وفى الآونة الاخيرة اجريت تجارب مماثلة على النبات ، ويقال ان النباتات التى تعرضت لقراءة الصلوات عليها نمت نمواً حسناً عن تلك التى لم تفز بذلك رغم تماثل الظروف .

وتكثر هذه المزاعم فى قصص السحرة والساحرات كتلك التى تمتلىء بها « الف ليلة وليلة » . أما نزع المادة فهى الصورة العكسية اى التسبب فى اختفاء المادة فى مكانها ، وهى ايضاً مجال خصب للخيال القصصى . ومن امثلتها قصص « طاقية الاخفاء » التى يستطيع من يرتديها ان يسير بين الناس دون ان يروه !

وهناك قصة مشهورة عن حالة تجسيد بطلها عجل بحر إذ كان السيد بولتون طبيباً بيطرياً فى حديقة الحيوان بلندن ، وكان يهتم بعلاج عجل بحر اصيب بطعنة رمح ، ولكن جهوده المكثفة فشلت فى النهاية ومات الحيوان ، وبعد أيام كان السيد بولتون يحضر جلسة حين صاحت الوسيطة من داخل « كابينتها » قائلة : « خذوا هذا الوحش بعيداً انه يخنقنى » وخرج من الكابينة عجل بحر ضخم راح يجرى فى انحاء الغرفة ثم ذهب الى حيث يجلس السيد بولتون وقبع بجواره عدة دقائق وبعد ذلك عاد الحيوان الى كابينة الوسيطة حيث تجرد من مادته واختفى ! وقد اكد بولتون أمام إحدى الجمعيات بلندن انه يماثل تماما عجل البحر الذى كان يعتنى بعلاجه .

الطرح الروحى

تمتلىء سجلات الاطباء والاطباء النفسانيين بقصص اشخاص اشرفوا على الموت فوجدوا « انفسهم خارج انفسهم » وكان فى امكانهم ان يروا بوضوح اجسادهم مسجاة على السرير بين ايدى الاطباء والاقارب بينما هم يطوفون فى اجواء الغرفة بلا الم ولا خوف دون ان يفطن واحد من الموجودين الى رؤيتهم ، ثم يعودون بعد ذلك الى اجسادهم العليلة ويتماثلون للشفاء ، ويذكر بعضهم انهم كانوا يتساءلون اثناء وجودهم فى هذه الحالة : أهذا هو الموت ؟ ياله من شىء لطيف !

واحياناً تكون عملية الطرح الروحى بارادة الشخص نفسه ، وهناك ايضاً قصص كثيرة فى سجلات مختلف الحضارات عن اشخاص كان فى



حالة علاج بالتركيز الشديد على فتاة صغيرة بقوة وضع اليدين على الراس .

استطاعتهم الخروج من اجسادهم ، والقيام برحلات طويلة الى اماكن بعيدة باجسامهم المضيئة الشفافة ، وقد يراهم آخرون فى هذه الأماكن النائية ، أو يرون فى مكانين فى وقت متقارب .

وقع فى يدى ذات يوم كتاب هندى مترجم الى الانجليزية يتحدث عن تجربة الخروج من الجسد الشائعة والمألوفة بين النساك والفقراء فى الهند ، والمهم فى هذا الكتاب انه لا يتحدث عن قصص هؤلاء وأحلامهم وانما هو كتاب « علمى تجريبى » يعلم القارىء كيفية القيام بنفسه بهذه التجربة عن طريق سلسلة من الرياضات الروحية والجسمية المتدرجة مع الالتزام بنظام خاص فى المأكل والحياة . مما يشير الى امكان القيام بهذه التجربة اراديا ، وهو ما ياتيه المتقدمون فى رياضة اليوجا .

حدود المعرفة

ان تطبيقات الادراك خارج نطاق الحواس وكذلك القدرة على تحريك الأشياء بالطاقة النفسية كثيرة وشائعة فى كل الحضارات منذ فجر التاريخ ، وهى لا تكاد تنقطع فى حياتنا اليومية المعاصرة ، ولكن الاهتمام العلمى بهذه الظواهر بدأ منذ قرن واحد تقريبا باعتبارها قدرات نفسية مجهولة ، وقبل ذلك كانت هذه الظواهر غير مفهومة جيداً ، فكانت تعزى الى الأشباح والشياطين ، ومن الطبيعى ان مجال هذه الظواهر مفتوح على اتساعه لدخول الدجالين والمشعوذين والغشاشين من كل نوع ، وهذا ما اعطى علم النفس خارج الحواس او الباراسيكلوجى سمعة سيئة جعلت الكثيرين يرفضونه ابتداء ، ولكن مجرد سوء استخدام الشىء لا ينفى حقيقته او فوائده ، فالطب مثلا يمكن ان يمارسه الجهلاء والمدعون ، وكثيرون منهم يزاولونه بالفعل ، والفن ايضا بكل مجالاته مفتوح على مصراعيه أمام الادعياء وعديمى الموهبة الفنية ، ولكن ذلك لا يقلل من قيمة الطب والفن ، ولا يدعو الناس الى الانصراف عنهما .

ان مجرد وجود الظاهرة الباراسيكلوجية لا يزال محل نزاع محتدم بالرغم من توافر علماء بارزين وهيئات علمية محترمة على دراسة هذه الظاهرة منذ اكثر من قرن . وقد اصبحت لهذه الدراسات اقسام متخصصة فى أرقى الجامعات الامريكية والأوربية ، ومع ذلك فان



رسم يعود الى عام ١٨٨٧ للوسيطة الشهيرة فلورانس كوك .

المناقشات حول هذه الظاهرة غالبا ما تاخذ شكلا عاطفياً وعصبياً ، فهى اما مرفوضة رفضاً باتاً او مقبولة على علاتها ، ويزيد من ذلك انها اصبحت من محاور الصراع بين المثاليين والماديين ، اى انها اصبحت مشكلة فى الفلسفة وفى السياسة ايضا . فالمثاليون يستخدمونها كعصا غليظة يدقون بها رءوس الماديين ، والماديون يغلقون ثغرتها اساسا عملا بمثلنا الشعبى « باب ياتيك منه الريح ، سده واستريح » !

وفى رايى ان اقوى حجة يسوقها خصوم الباراسيكلوجى هى عدم امكان استخدام المنهج الاحصائى فى حساب هذه الظاهرة . يقولون هب مثلا ان شخصا قد تنبا بان حصانا معينا سوف يفوز فى « الدربى » هذا اليوم لانه حلم بذلك فى الليلة الماضية ويفوز الحصان بالفعل ، ولكن هذا لا يثبت شيئا ، لاننا لا نعلم كم عدد الذين حلموا بفوز حصان خاسر ، بل ان مثل هؤلاء الأشخاص لا يبرزون ويقولون عن احساسهم مع انهم الاغلبية بلاشك بدليل ان معظم الناس يخسرون فى الدربى ، فكيف اذن يمكننا القول بصحة ظاهرة الادراك عن غير طريق الحواس لمجرد ان شخصا او عدة اشخاص قد تنباوا بنتيجة سباق الدربى ؟ وقس على ذلك .

والمشكلة الرئيسية التى تثيرها هذه الظواهر الخارقة انها تبدو متناقضة مع مفهومات معينة اصبحت اساسية فى حضارتنا الحالية ، مثل مفهومنا عن الزمن والسببية والطاقة والذهن والمادة ، وبعض الناس مفتونون بهذه الحضارة ونزعتها العلمية التكنولوجية الى درجة انهم لا يتصورون امكان المساس بها . اما آخرون فانهم يفضلون لو تكون اقل مادية ، واكثر روحانية !

ان السؤال الرئيسى هو : هل توجد فعلا ظواهر بارا سيكلوجية وهل يمكن الاستفادة منها فى شئون الحياة ؟ اذا قبلنا بذلك ما الداعى فى الوقت الحاضر الى ان نذهب شوطا ابعد فنتساءل كيف ؟ ولماذا ؟ وبذلك نخاطر بالارتطام ببعض مفاهيمنا التى تبدو يقينية وثابتة . ان الاعتراف بوجود اشياء خارج نطاق وجهة النظر التقليدية فى الطبيعة وعلم النفس امر قد ثبتت جدواه بالفعل ، فاننا نتحقق منه فى الوقت المناسب عندما نستكمل ادوات بحثنا فمثلا ظاهرة تغير مواقع النجوم كانت فرضا ضروريا لصحة نظرية كوبرنيكس فى دوران الأرض حول الشمس ، وقد رفضت بشدة من جانب اصحاب وجهات النظر الثابتة وظلت محلا للنزاع والاختبار مائتى سنة حتى ثبتت صحتها نهائيا ، وكذلك جاء اكتشاف النيترونات العديمة الشحنة الكهربائية والتى لا تكاد تكون لها كثافة ، مصداقا لغرض نظرى اوجبته ضرورة علمية وكان يبدو مخالفا لقواعد علم الطبيعة الثابتة . والآن تثير نظرية « ضد المادة » مشاكل مماثلة وتبدو مخالفة لكل ما استقر عليه علم الطبيعة ، ولكنها اصبحت مما لا ينكر دون السؤال عن كيف ولماذا . فهل الأمر يختلف بالنسبة للظواهر النفسية لمجرد انها لا تتفق مع حدود ذهننا ؟ وهل هذه الحدود حقيقية ام انها من صنعنا نحن ويمكن ان تتسع وتتطور ، وعندئذ قد نفهم جوهر الظاهرة على نحو افضل ، ويصبح فى امكاننا استخدامها بما يفيد تطورنا الانسانى وحياتنا الاجتماعية ؟ .

ان ثمة شعوراً متنامياً لدى ابناء هذا العصر بانه يجب ان تحدث بعض التغيرات الأساسية والجوهرية فى حضارتنا المادية الحالية إذا كان لهذه الحضارة ان تبقى وتستمر ، واهمية البارا سيكلوجى انه اصبح يشير الى اتجاه التغيير المطلوب ، ذلك الذى عبر عنه رائد الفضاء ادجار ميتشيل بقوله : « يبدو لى ان وجودنا نفسه اصبح يعتمد قبل اى شىء آخر على وجوب ايقاظ الضمير وتطوير الذهن » .

محمد العزب موسى

المقال التالى :
الادراك خارج نطاق الحواس

أخطاء لغويّة معاصرة

الدكتور عبدالله العبادي
جامعة قطر

ايهما :

يقولون ايهما افضل العلم ام المال ؟
والصواب ايما افضل العلم ام المال ؟ ذلك ان الضمير لابد له من عائد يعود عليه قد تقدم ، اما لفظاً ورتبة كما فى قوله تعالى (والقمر قدرناه منازل) ٣٠ يس . فالقمر قد تقدم لفظاً ورتبة ، او لفظاً دون رتبة كقوله تعالى : (وإذ ابتلى ابراهيم رَبُّه بكلمات) البقرة ١٢٤ . فابراهيم مفعول مقدم ورتبته التاخير عن الفاعل وهو ربه ، او رتبة دون اللفظ كقوله تعالى (فاوجس فى نفسه خيفة موسى) طه ٦٠. فموسى وهو الفاعل رتبته فى الواقع متقدمة على نفسه .

اما اذا عاد الضمير على متاخر لفظاً ورتبة فان النحويين يمنعون من ذلك إلا فى اماكن محدودة لا مجال لذكرها ، فعند قولهم ايهما افضل العلم ام المال ؟ فان الضمير وهو الهاء يعود على العلم والمال ورتبتهما التاخير لأن العلم بدل من اى والبدل رتبته التاخير عن المبدل منه والمال معطوف عليه .

وقد جاء عود الضمير على متاخر لفظاً ورتبة فى ضرورة الشعر كقوله .

جزى ربه عنى عدى بن حاتم
جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

فعاد الضمير فى ربه على عدى المفعول به وهو متاخر لفظاً ورتبة ومن ذلك قولهم « ايهما اغنى بالفتمينات التفاح ام الموز ؟ والصواب ايما اغنى بالفتمينات التفاح ام الموز ؟ ومن ذلك قوله تعالى (ايما الأجلين قضيت فلا عدوان عليَّ) يوسف ٢٨ . فلم يقل ايهما الأجلين ، لأن الأجلين متاخر لفظاً ورتبةً .

السمحاء :

ونجد كثيراً من الكتاب الاسلاميين يقولون فى كتاباتهم ومقالاتهم ، ومحاضراتهم « هذه الشريعة السمحاء » والصواب « الشريعة السَّمْحَة » لأن « فَعْلاء » هى لمؤنث « أَفْعَل » كاحمر تقول فى المؤنث حمراء،وأغبر غبراء ، اما مؤنث « سَمْح » على وزن « فَعْل » فهو « فَعْلَة » « سَمْحَة » من سَمُحَ يَسْمُحُ سَمَاحَة وسُمُوحاً وسُمُوحَة بمعنى جاد ، واعطى عن كرم وسخاء ، فهو سَمْحٌ وسَمِيح ، وَسَمِح ، وامراة سَمْحة ، وسَمِحَة ، وسَمِيحة وهم وهن سِمَاح ، وهم سُمَحَاء .

اشياء :

ومن الخطباء ، والمذيعين ، وبعض المحاضرين من يصرف اشياء اى ينونها فيقولون مثلا «هناك اشياءٌ كثيرة لم نذكرها» «او تعلمنا اشياءً كثيرة» «واستفدنا من اشياءٍكثيرة» والصواب ان اشياء من الأسماء التى لا تنصرف فيقول فى الأمثلة السابقة «هناك اشياءُ كثيرة لم نذكرها» «وتعلمنا اشياءَ كثيرة» و «استفدنا من اشياءَ كثيرة» .

قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تسالوا عن اشياءَ إن تُبْدَ لكم تَسُؤكم) المائدة ١٠١ فجاءت الفتحة ملازمة لها وهى فى حالة الجر ، وذلك من طبيعة الاسم الدى لا ينصرف.وقد اتفق النحويون على ان اشياء اسم لا ينصرف ومفرده شىء ، ولكن اختلفوا فى علة عدم الصرف ، فمنهم من راى ان اخرها اشبه اخر حمراء وصفراء .. وكثر استعمالها فلم تصرف . وهذا قول الكسائى ، ولكنهم خطاوه وقالوا يستلزم على ذلك الا ينصرف ابناء واسماء وهى بالاتفاق اسماء منصرفة.واسماء هنا جمع اسم وليس هو اسم لمفرد مؤنث كما فى قولك أسماء حضرت فانه اسم لا ينصرف للعلمية والتانيث ومنهم من قال : اصل اشياء «أفْعِلاء» كما تقول «هيِّن» وأهْوِناء، فكان الأصل « اشْيِئاء » على وزن « اشْيِعاع » فاجتمعت همزتان بينهما الف ، فحذفت الهمزة الاولى وهذا قول الفراء والأخفش ، وخطا كذلك هذا القول ابو اسحق ، لان «شيئا على وزن «فعل» وفعل لا يجمع على «افعلاء» ، وقال الخليل : اشياء اسم للجمع كان اصله «شيئاء» على وزن «فَعْلاء» فاستثقلت الهمزتان فقلبوا الهمزة الأولى الى اول الكلمة فصارت اشياء على وزن «تفعاء» كما قلبوا «انوقا» الى «انيق» وفى ذلك يقول احدهم :

اشياء « لفعاء » فى وزن وقد قلبوا
وزناً لها فهى قبل القلب شيئاء
فقل لمن يدعى بالعلم معرفة
حفظت شيئاً وضاعت عنك اشياء

وهذا هو مذهب سيبويه والمازنى والبصريين ، فعلى مذهب الخليل إنما ترك صرفها ، لأن اصلها «فعلاء» جمع على غير واحدة ، كما ان الشعراء جمع على غير واحدة . وقال الكسائى : اشياء : «افعال» مثل فرخ وافراخ وإنما تركوا صرفها لكثرة استعمالهم لها ، لأنها شبهت «بفعلاء» وخلاصة القول ان النحويين متفقون على عدم صرف اشياء وان اختلفوا فى العلة ، فصرفها بعد ذلك خطا فاضح .

دائرة المعارف القرآنية



بقلم : الدكتور محمد البهي

الكرامة الإنسانيّة

قال الله تعالى : يا ايها الذين أمنوا : لا يسخر قوم من قوم (اى لا تحتقر مجموعة فى الامة : مجموعة اخرى فيها .. ولا طائفة : طائفة .. ولا طبقة : طبقة .. لا يحتقر اصحاب الثراء من عداهم ممن لا يملكون المال .. ولا اصحاب العمل ممن يعملون لديهم فى اموالهم .. ولا اصحاب الثقافة : مَن سواهم من الاميين .. ولا اصحاب الجاه : مَن لا جاه له .. ولا اصحاب العصبيات : مَن لا عصبية له .. وهكذا . وينهى الله عن ان تحتقر مجموعةٌ فى الأمة : مجموعةً اخرى فيها ، عقب قوله تعالى : «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما» . إذ يجوز أن يكون سبب القتال هو : احتقار طائفة لاخرى ، وعدم الاعتداد بحياتها وبالتالى إهمال شانها ورعايتها .

ولو أن هذه المجتمعات راعت مبـــدأ الاحتفاظ بالاعتبار البشرى والكرامة الانسانية لكل المجموعات فيه ما وقع اولا : اعتداء مجموعة على اخرى فى حقوقها .. ولا تقصير مجموعةٍ فى واجباتها نحو الاخرى . ولما اجتاح عدم الاستقرار حياة هذه المجتمعات.

عسى ان يكونوا خيرا منهم .

(وسبب النهى عن سخرية فريق لفريق آخر فى الامة هو : انه يجوز ان تكون للفريق الذى يسخر منه : ميزات وصفات فى انسانيته .. او فى صلته بالله ، تجعله خيراً من الفريق الساخر . يجوز أن يكون الفريق الذى يخدم الامة فى سعيها وانتاجها : فى الاموال .. والاولاد بينما الفريق الساخر : فريق معطل الطاقات .

ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا انفسكم (ولا يطعن بعضكم بعضاً بلسانه) .

ولا تنابزوا بالالقاب (اى لا يدعو بعضكم بعضاً : بالقاب تكرهون سماعها او اطلاقها عليكم). بئس الاسم الفسوق بعد الايمان (إذ ان ذلك يخرجكم عن صراط الايمان المستقيم . ولا شىء اكره للمؤمن : من أن يعد فاسقا وخارجاً عن ايمانه ، بعد ان كان مؤمنا) ومن لم يتُبْ فاولئك هم الظالمون .

يا أيها الذين آمنوا : اجتنبوا كثيراً من الظن ، إن بعضَ الظن إثم (وكما تقتضى المحافظة على الاعتبار البشرى لجميع افراد المجتمع : تجنب السخرية منهم .. وعدم الطعن باللسان .. وعدم التنابز بالالقاب البغيضة بينهم .. كذلك تقتضى تجنب الظن فى المواقف التى تتخذ إزاء بعضهم من بعض ، فكثير من صور الظن يؤدى الى إثم ومعصية امام الله والاجدر بالمؤمنين فى معاملة بعضهم : التريث فى الحكم .. وفى اتخاذ الموقف ، حتى يتضح الواقع والحق . والاثم الذى يؤدى اليه الظن هو : إثم سوء الفهم .. او سوء التقدير .. او سوء التصرف) .

ولا تجسسوا (اى يتبع بعضكم عورات بعض بالوقوف عليها والتشهير بها) .

ولا يغتبْ بعضكم بعضا (اى لا يذكر بعضكم فى غيبة الآخر ما فيه من عيب او نقص فان اختلق عيبا او نقصا وذكره فى غيبته كان ذلك بهتانا منه) .

«ايحب احدُكم ان ياكلَ لحمَ اخيه مَيْتا فكرهتموه ؟ (فإن سلوك اى واحد منكم مع الآخر باى سبيل مما ذكر يشبه اكل الواحد منكم للحم اخيه وهو ميت ، وعَلَى كرهٍ منه . وعلى سبيل القطع لا يود واحد منكم ان ياكل لحم اخيه ، وعلى هذا النحو . كذلك ينبغى ان يتجنب الواحد منكم ما يؤذى الآخر إيذاء نفسياً : يتجنب السخرية .. والطعن باللسان .. والتنابز بالالقاب .. والظن الاثم .. والتجسس .. والغيبة . فان ايذاءه نفسيا باى منها يشبه النهش فى لحمه وهو ميت . والذى ينهش لحم ميت متعفن لا يكون انسانا بحال من الاحوال) .

«واتقوا الله ، إن الله توابٌ رحيم (فهو يغفر لكم أيها المؤمنون الآن ما كان لكم من مسلك فى حياتكم السابقة . وهى حياة الجاهلين الذين يستسيغون لانفسهم : تجريح حرمات الآخرين .. وايذاءهم معنويا فى كرامتهم واقدارهم» الحجرات : ١١ ، ١٢ .

وما ذكر هنا من سمات العهد الجاهلى فى دائرة الاعتبار البشرى ، بعيد كل البعد عن التهذيب .. وفى الوقت نفسه من عوامل التفكيك والفرقة فى المجتمع .

شـــــــاعرجديـــــــــــدوقصيـــــــدة رائعـــــة

يسعد الدوحة أن تقدم هذه القصيدة الرائعة للشاعر العربى الجديد محمد الظاهر كما يسعدها أن تلفت انظار الحياة الأدبية العربية إلى هذه الموهبـــــة اللامعـــة :

قمـر المذبـحة يـمامة الوطـن

شعر: محـمد الظـاهر



مشهد « ١ » :

الكاميرا فى حركة بانورامية ، بلقطة عادية لطفل رث الثياب يركض ويتعثر ، ثم يعاود الركض ، والكاميرا تتابعه خلال عملية الركض ، يتوقف فجاة امام تقاطع طرق .

الكاميرا فى حركة "زوم ان" سريعة جداً على اشارتى الاتجاه المثبتتين على التقاطع (صبرا ـ شاتيلا) .

لقطات متبادلة بين لقطتي : اشارتي الاتجاه ووجه الطفل النابض بالرعب .
"انتركات" بين وجه الطفل واشارتي الاتجاه . تثبت اللقطة

على الخلفية السابقة ينزل عنوان :
« صبرا تقاطع شارعين على جسد »
(محمود درويش)

● ●

غناء جماعي :

نجيءُ المدينَةَ مِنْ كُمِّ قمصانِهِمْ
ومِن صُلْبِ أرْحَامِهِمْ
لِنَقْطِفَ مِنْ جُرْحِهِمْ زَهْرَةَ الأقْحُوانْ
ونرفعُهَا بَيْرقاً او سِلَاحاً
ونطلِقُ أعضاءَنا فى الجهاتِ
طُيُوراً على الماءِ
رَفَّ حمامٍ على حاجِزٍ عسكرىٍّ قديمٍ
واغنيةً ذاهِلَهْ

● ●

وصف خارجي

بين الأزِقَّةِ يَعْدو الرَّصاصُ
يَميلُ إلى القَلْبِ
بَيْنَ الثقُوبِ وبَيْنَ النَّوافذِ
يَعْدو
لَمْ يَبْتَكِر بَيْتَهُ بَعْدُ
لَمْ يُعْطِ مَا عِنْدَهُ للرَّصِيفِ
وَلَمْ يَضْرِبِ اللَّحْمَ بالسَّيْفِ
كَانَ صَغيراً
وَمَا زَالَ يَعْدُو
وَيَعْدُو الرَّصَاصُ
أصابعُهُ سُرَّةُ العُشْبِ
غُرَّتُهُ النَّهْرُ
والشَّمْسُ جَبْهَتُهُ القَادِمَهْ

مشهد « ٢ »

الكاميرا فى حركة بانوراميـــة ، تبدأ من برميل قمامة مثبت وسط الشارع فى طرف المخيم ، ثم تبدأ باختراق الشوارع والأزقة ، حيث نرى جثثا مبعثرة هنا وهناك ، لأطفال وشيوخ ونساء وأطفال.

تتركز الكاميرا خلال حركتهـــا البانورامية على بعض المشاهد الرهيبة لامراة مقتولة والى جانبها طفل ما يزال يرضع من ثديها أو امراة حامل مبقورة البطن ، أو شباب مشلوحين بين عربات .

حركة مفاجئة للكاميرا ، باتجاه الطفل الذى يركض نحوها لتتركز بسرعة على وجهه النـــــابض بالرعب .

تثبت اللقطة .

● ●

غناء منفرد

يا ضاربًا في الجَسَدْ
مُسْتَوْحِداً مُنْفَرِدْ
سَهْلُ المراثي دَمَي
وانت جَزْرٌ وَمَدْ

● ●

وصف داخلي

هنا بَحْرُ بَيْرُوتَ
على بعْدِ ضِلْعَيْنِ مِنْ بَحْرِ بَيْرُوتَ
بَعْضُ الغُبَار
وبعضُ الدَّمَارِ
وبعضُ خَلاخِيلِ رَاقِصَةٍ
ادركَ الموجُ انفاسَها
فوزّعَها رَمَقا رَمَقا فى بَلاطِ العَواصِمْ
وَمَا زَالَ يَعْدُو
على بُعْدِ ضِلْعَيْن يَعْدُو
لم يَبْتَكِرْ بَيْتَهُ بَعْدُ
ويَعْدو
لِيَقْتَلِعَ الأرضَ من جذْرِها
ويَرْسُمَها كِسْرَةً او شَظِيَّةْ

● ●

مشهد « ٣ »

لقطة « لونغ شوت » للطفل وهـــو يعدو ، ماخوذة من خلف شاهدى قبرين متجاورين على شاهد القبر الأول « صبرا » وعلى شاهد القبر الثاني « شاتيلا » .

الطفل يقترب من الكاميرا وهـــو يركض باتجاهها حتى تصبح فى لقطة مكبرة لوجهه ، ثم تبدأ الكاميرا حركة بانورامية من وجهة نظر الطفل ، لشواهد القبور ، المكتوب عليها « صبرا » ، « شاتيلا » على التوالى .

تثبت اللقطة على وجه الطفل الخائف .

● ●

غناء منفرد

جَماجِمُنا لا تَنَامْ
واعضاؤُنا مُهْمَلَهْ
هو الخوفُ سَيِّدُنا ، والسَّلامْ
وتَحْتَ عَبَاءَاتِنا المِقْصَلَهْ

● ●

غناء جماعي

لا تكْسِرْ الرقَبَهْ
على الترابِ القَتيلْ
إصْعَدْ إلى الهضَبَهْ
هناك ألفُ دليلْ

● ●



قمر المذبحة يمامة الوطن

مشهد « ٤ »

الكاميرا فى لقطة مكبرة على ظهر الطفل ، يأخذ الطفل بالابتعاد عنها وهو يركض حتى يختفي .

الكاميرا فى لقطة "لونغ شوت" فى مواجهة الطفل الذى يقترب منها راكضاً ، فى منطقة جبلية .

الكاميرا تتابع الطفل وهو يبحث فى المنطقة ، يصل الى خندق كبير .

لقطة مكبرة لاحدى الجثث بزى المقاتلين الفلسطينيين ، وبجانب الجثة بندقية .

الطفل يتحسس البندقية بخوف ، ثم يبدأ بالتالف معها ، واخيراً يضمها الى صدره بحب .

● ●

غناء منفرد

يا جامِعاً أَضْلُعِي
وعاقِدَ المِقْصَلَهْ
إِصْعَدْ على جُثَّتي
كَيْ تُوقِفَ المَهْزَلَهْ

● ●

غناء جماعى

مُنْذُ حِينْ
كانت الأرضُ راجِعَةً من حَصَادِ السِّنينْ
فانفَجِرْ كالصَّوَاعِقْ
وانتشِرْ كالقُرُنْفُلِ والياسَمِينْ

● ●

وصف متداخل

كان يستَشْرِفُ البَحْرَ ، ينقلُ من صفْحَةِ الافقِ ، خَيْطاً من الدَّمِّ ،
يمْضِي إلى الزوبَعَهْ
ويَعْـدو
يطاردُ بَيْنَ الأزِقَّةِ طَيْرَ الرَّصَاصِ
يؤالِفُهُ
ثم يَجْمَعُ أَضْلَاعَهُمْ وَاحِداً وَاحِداً
وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّتَهْ

● ●

مشهد « ٥ »

الكاميرا فى لقطة مكبرة لاشارتي الاتجاه المثبتتين على التقاطع : (صبرا ـ شاتيلا) .

الطفل يتقدم من الاشارتين ويعلق بندقيته عليها ، يتكيء على الاشارتين ، وينظر الى الكاميرا .



الكاميرا تقترب من وجهه ببطء ، وتتركز فى النهاية بلقطة مكبرة على عينيه .

تثبت اللقطة .

● ●

مونتاج

داخل العين اليمني الكاميرا تبدأ حركة بانورامية حول مدينة القدس ، وتتركز فى النهاية بلقطة مكبرة على قبة الصخرة .

داخل العين اليسرى ، الكاميرا فى حركة "زوم ان" نحو شاطىء البحر وقت الغروب ، والامواج تضرب الشاطىء .

تثبت اللقطة فى العينين .

● ●

غناء جماعى

كُلُّ شَيْءٍ هَدَأْ
فَاتَّكَأْ
بَحْرُهُ ، إذ يَمُوجْ
حامِلاً بَيْتَهُ ، داخلاً فى ثَنَايا المرُوجْ
داعِياً خُضْرَةَ العُشْبِ
فاكِهَةَ النَّهْرْ
مُغْتَسِلاً بالثلوجْ

● ●

غناء منفرد

لم يَزَلْ كَمَا كَانَ
يَرْكُضُ خَلْفَ الرَّصَاصِ
الرَّصَاصُ يُحَاصِرُهُ
يُسَيِّجُهُ البرتقالْ
وتشرَبُهُ الأرضُ فى دَوْرةٍ قَادِمَهْ .

محمد الظاهر
عمان ـ الأردن

د. محمد غنيمي هلال

رائد الأدب المقارن في العربية

● ماذا أخذ الأدب الأوربي من الأدب العربي؟

بقلم: عباس خضر

ان تاريخ الآداب العالمية يثبت ان عصور الانحطاط فيها هى العصور التي انطوت فيها الآداب القومية على نفسها ، فلاكت معانيها واجترتها حتى بليت وسمجت ، فملها كتابها وقراؤها معاً ..

ولكن .. الافادة من الآداب الاخرى لا تتم ولا تتحقق الا بالأصالة القومية ، وفاقد هذه الأصالة الذى ينغمس فى الآداب التى يعجب بها يخرج على جمهوره برطانة لا تغنى .

انتشر بفرنسا فى العصور الوسطى نوع من الادب يسمى « الفابليو » وهو قصص شعرية كان يقصد بها التسلية والفكاهة ، تتناول الحياة اليومية ، ويعنى فيها بالسخرية من العيوب السائدة ، وقد تهدف الى اغراض خلقية .

راى بعض الدارسين ان هذا النوع من الاقاصيص اتى الى فرنسا من الشرق ومن بلاد العرب ، هذه - مثلا - اقصوصة فرنسية عنوانها « اللص الذى اعتنق ضوء القمر » تحكى أن لصا صعد منزل رجل من الاغنياء فى ليلة مقمرة ، فلما احس به الرجل نادى زوجته بصوت خفيض وطلب منها ان تساله كيف جمع ثروته وتلح عليه فى السؤال ، ويجيبها بانه جمعها من السرقة ، وانه كان يسلك فى هذه السرقة مسلكا سحريا ، فيحمله ضوء القمر الى داخل المنزل ، فياخذ ما يبغى سرقته ، ثم يخرج سالما إذ يرفعه ضوء القمر الى الخارج ، قالت الزوجة :

- وما هو السحر الذى كنت تتبعه ؟

- هو كلمة « سول » انطقها سبع مرات .

يصغى اللص الى هذا الحديث ، فينخدع ، فينطق بالكلمة سبع مرات ، ثم يسلم نفسه إلى ضوء القمر كى يرفعه .. فيقع ، فتنكسر رجله وذراعه ، ويدركه صاحب المنزل ، فيقول اللص : لسوء حظى سمعت نصحك ، وهانذا أشرف على الموت .

هذه الاقصوصة وردت فى كتاب « كليلة ودمنة » لابن المقفع فى باب « برزويه » وكلمة السحر فيها « شولم » التى تحولت الى « سول » فى الفرنسية .

والتوافق بين القصتين يقطع بان الأدب الفرنسى تاثر بالقصة العربية .

وقصة اخرى اثرت فى « الفابليو » الفرنسى ، وهى فارسية الاصل انتقلت الى الأدب العربى ووردت فى كتاب « المحاسن والمساوىء » وملخصها أن رئيس الكهنة الفارسى كان كلما دخل على « خسرو ابرويز » حياه قائلا : « اعطيت الخير وجنبت طاعة النساء » فغاظ ذلك «شيرين» محظية كسرى .. فدبرت له كيدا بان اهدت اليه جارية جميلة اسمها « شكدانه » وأمرتها أن تغريه بجمالها ولا تستجيب له الا اذا اسرجته والجمته وركبته ، وتحدد وقتا لذلك تفاجئهما فيه سيدتها مع كسرى .

ونفذت الجارية ما امرت به .. وشاهد « خسرو » و « شيرين » الجارية راكبة رئيس الكهنة .. وهى تقول له : « خرخر » اى حمار حمار !

فلما راى رئيس الكهنة « خسرو » رفع راسه وقال له : « هو ما كنت اقول لك فى اجتنباب طاعة النساء ضربت لك المثل به كما ترى » .

اخذ الشاعر الفرنسى « هنرى دارزيلى » هذه الاقصوصة والف منها « اقصوصة ارسطو » واستبدل ارسطو بالموبدان ، والاسكندر بخسرو . وذلك فى القرن الثالث الميلادى .

وثمة قصص اخرى كثيرة تاثر فيها « الفابليو » الفرنسى بالأدب العربى ، سواء منه ما كان قد ترجم من الفارسية أو عربى الاصل ، اتى بكثير من ذلك الدكتور محمد غنيمى هلال فى كتابه « الأدب المقارن » .

وثمة تاثير آخر ، فقد استمد الأدب الأوربى موضوعات وخيالات من الآداب العربية والشرقية المترجمة الى العربية . الفت فى أوربا مسرحيات كثيرة استمدت من الف ليلة وليلة ، مثل « علاء الدين والمصباح السحرى » و « معروف اسكافى القاهرة » ومسرحية « شهرزاد » التى الفها

د. محمد غنيمي هلال .. رائد الأدب المقارن في العربية

« موريس رافيل » سنة ١٩٠٣ م .

تبادل التأثير والتأثر :

وفى الوجه الآخر نرى تأثر أدبنا العربى الحديث بالآداب الأوربية تأثراً واسع النطاق ، فقد نشأت فيه أجناس أدبية لم تكن فيه مثل المسرحية . ودع ما يقال عن خيال الظل و « الأراجوز » وما إلى ذلك ، فالمسرحية الحديثة شيء آخر استجلب أو استجلبت قوالبه من الأدب الغربى . ومما نشأ عندنا كذلك بتأثير الأدب الغربى فن القصة ، سواء القصيرة والرواية بمعناهما الفنى الحديث .

نشأت المسرحيات والروايات والقصص القصيرة فى أدبنا الحديث وتطورت حتى صارت الى ما نراها عليه الآن ، حتى تضاءلت الى جانبها مكانة الشعر الغنائى المتأصل فى الأدب العربى منذ العصور القديمة ، وحتى هذا الشعر نفسه تغيرت نظمه تغيراً فنياً عميقاً ، وتحولت القصيدة فى أدبنا المعاصر الى تجربة أدبية تتوافر لها الأصالة الفنية فى تعبير الشاعر عما يشعر ويؤمن به ، فى أشكال جديدة بعيدة عن محاكاة القديم ، وأصبحت ذات وحدة عضوية متماسكة ، ولم يعد البيت وحدة القصيدة . وذلك كله بتأثير الأدب الأوربى الذى لايجحده إلا مفكر جاهل أو عارف متجاهل .

وقد امتد التأثر وتصاعد الحال بشعرنا حتى صعد الى خشبة المسرح فى مسرحيات شوقى وعزيز أباظة ، ثم عبد الرحمن الشرقاوى وصلاح عبد الصبور .

فالشأن فى الأدب أن يتبادل التأثير والتأثر بين الأمم ، لكى يكون أدباً حياً متجدداً دائماً. أما اذا تقوقع وانعزل فلابد أن يأسن ويتعفن . والتأثير والتأثر هو موضوع «الأدب المقارن» : العلم الذى نشأ فى أوربا فى نصف القرن التاسع عشر ، وكانت له مقدمات قبل ذلك أدت الى نضجه واستوائه فى القرن التاسع عشر .

وما التأثيرات التى ذكرنا طرفاً منها ، بين الآداب العربية والأوربية ، إلا مثالا من أمثلة أفاض فيها الدكتور محمد غنيمى هلال فى كتابه «الأدب المقارن» وقد تبين أن الدراسات المقارنة شملت كثيراً من الأمم ، وخاصة أمم أوربا بين بعضها وبعض .

وقد انتقلت الينا تلك الدراسات فى قلة من المؤلفات والمقالات ، حتى ظفرنا فى أوائل النصف الثانى من هذا القرن العشرين بهذا الدارس الجاد : الدكتور محمد غنيمى هلال الذى كرس كل جهده لدراسات الأدب المقارن ، وهو جهد عميق واسع الأفق ، شغل الحركة الأدبية فى فترة قصيرة من عصرنا هذا ، سواء فى الجامعات وفى المجال الأدبى العام .

كنت تراه ــ اذا أتيح لك أن تراه ــ ضئيل الجسم كبير الرأس ، وكأن شعلة متقدة ، خصب الفكر ، واسع المعرفة ، أحاط إحاطة شاملة بالآداب العربية والغربية والفارسية ، وانشغل انشغالا تاماً بما كان بين هذه الآداب من صلات تأثر وتأثير .

ولكن الموت الذى يحسن اختيار الأخيار أخذه وهو لايزال فى عمر العطاء الخصب ، ولم يمهله حتى يؤتى ما كان يرجى منه . فقدناه منذ خمسة عشر عاماً وهو فى سن الخمسين تقريباً .

رائد الأدب المقارن :

ولد محمد غنيمى هلال سنة ١٩١٦ بقرية «سلمنت» بمحافظة الشرقية ، واجتاز مراحل التعليم حتى تخرج من دار العلوم بالقاهرة سنة ١٩٤١ ، ثم سافر الى فرنسا سنة ١٩٤٥ ، وعكف هناك على التحصيل الجاد ، حتى نال عدة شهادات من باريس ، هى دبلوم فى الفارسية من معهد اللغات الشرقية ، وليسانس الآداب ، ثم درجة الدكتوراه ، مع مرتبة الشرف الأولى .

وعاد الى مصر ، فعين مساعد مدرس بكلية دار العلوم سنة ١٩٥١ ، ورقي الى وظيفة مدرس سنة ١٩٥٢ . وفى سنة ١٩٥٦ عين أستاذاً مساعداً بقسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم .

وفى خلال ذلك حمى نشاطه فى دراسات الأدب المقارن ، وجدّ فى دعوة الجامعات العربية الى الاهتمام بهذه الدراسات ، فاسترعى الانتباه ، والتفت اليه المشرفون على الجامعة الأزهرية التى رغبت فى أن تدلى بدلوها فى دراسة الأدب المقارن ، فعينته أستاذاً لهذا الأدب بكلية الدراسات العربية سنة ١٩٦٤ ، فقلم بأعباء هذه الوظيفة الى جانب عمله بكلية دار العلوم ، الى جانب جده ونشاطه الفائق فى التأليف والكتابة بالمجلات الأدبية ، وخاصة مجلة «المجلة» التى كانت تصدرها وزارة الثقافة بمصر .

واصطلحت عليه الأمراض . إذ كان يعانى من نقص فى كرات الدم البيضاء ، وتوفى فى شهر يولية سنة ١٩٦٨ ، انتزعه الموت من قلمه وورقه ومراجعه ، وقطع عن أرض الأدب سيله المتدفق .

ولكن بقي لنا مما أعطى كتب خالدة ، منها «الأدب المقارن» و «الرمانتيكية» و «المدخل الى النقد الأدبى الحديث» ومن مترجماته كتاب «ما الأدب» لسارتر .

مقالاته فى مجلة «المجلة» وغيرها تحتاج الى من يجمعها فى كتاب ، لعل وزارة الثقافة تفعل .

ونرى فى كتاب «الأدب المقارن» دعوة عامة مخلصة الى أن تعنى الجامعات العربية بالدراسات الأدبية المقارنة العناية الجديرة بها ، وعلى جامعاتنا أن تلحق بالجامعات الأجنبية وتنهج نهجها فى ذلك ، وهى لاتزال فى أول الطريق : طريق العناية بهذا العلم ، على حين يدرس فى المدارس الثانوية بفرنسا لا فى الجامعات فقط .

الدكتوراه وحدها لا تكفى :

وقد أخذت جامعاتنا توفد بعثات لها ، ويقول المؤلف عن هذه البعثات : «علها تكون أكثر توفيقاً من سابقاتها ، فتنجح فى هذه الدراسات ، لا بحصولها على درجة الدكتوراه ، ولكن بتعمقها فى الآداب الأخرى ودراسة بعضها دراسة منهجية ، كي تعود على أساس ثقافى واسع يمكنها من القيام بهذه البحوث المقارنة فيما بعد ، ودرجة الدكتوراه فى هذا الميدان لا غناء فيها ، إذا اقتصر المبعوث عليها . وكثير من مبعوثينا قد قدموا رسالاتهم فى الأدب فى أوربا فى موضوعات مقارنة ، ولكنهم لم يهيئوا أنفسهم لبحوث الأدب المقارن بدراسة آداب شرقية وغربية دراسة منهجية ، وبالتعمق كذلك فى الأدب العربى لتمييز عناصره الأصيلة من عناصره الدخيلة فى ضوء تلك الثقافة» .

وأقول إن الواقع المؤسف أن فى وطننا العربى ظاهرة عامة ، لا فى الأدب المقارن فقط ، بل كذلك فى غيره ، وهى الجد فى الحصول على درجة الدكتوراه ، لكى تكون لقباً براقاً وسلماً للصعود الى الوظائف الجامعية ليس إلا ، والقعود بعدها عن

مواصلة البحوث لذات العلم والأدب ، بصرف النظر عن الدرجات و «الكراسى» .

التخصص المنقوص :

ويشير الدكتور غنيمى هلال الى واقع مؤسف ايضاً فى جامعاتنا ، وهو أن المتخصصين فى اللغات الاجنبية وتدريسها لا يهمتون بدراسة الأدب العربى. ويقول إن فرنسا تحتم على من يتخصص لتدريس لغة اجنبية ان تكون شهادة الأدب الفرنسى من بين شهادات الليسانس التى يحصل عليها ، شانه فى ذلك شان مدرس اللغة الفرنسية تماما ، وذلك لتوثيق الصلة بين مختلف الثقافات وبين الأدب القومى ، لئلا يصير غريباً عنه من يتخصص فى لغة اجنبية مهما تكن ، ولكى يصبح الأدب القومى ملتقى لموارد ثقافية عالمية ، فيغنى ويكمل .

الافادة من الآداب الاخرى لا تتم ولا تتحقق إلا بالأصالة القومية ، وفاقد هذه الأصالة الذى ينغمس فى الآداب التى يعجب بها يخرج على جمهوره برطانة لا تغنى .

وعلاقة التاثر – فى حالة التمكن من اللغة القومية وادبها – بما ياخذ به من الآداب الأجنبية ليست علاقة التابع بالمتبوع ، بل علاقة المهتدى بنماذج فنية او فكرية يطبعها بطابعه ويضفي عليها صفة قوميته .

وفى الناحية الأخرى : ناحية انطواء الآداب القومية على نفسها – يقول : «وتاريخ الآداب العالمية يثبت أن عصور الانحطاط فيها هى العصور التى انطوت فيها الآداب القومية على نفسها ، فلاكت معانيها ، واجترتها ، حتى بليت وسمجت ، فملها كتابها وقراؤها معاً» .

لا خطر على التراث :

ويذهب البعض الى ان التاثر بالآداب الأجنبية خطر على التراث والأصالة ، وليس هذا صحيحاً مادمنا محيطين بتراثنا ومرتكزين على ادبنا ولغتنا ، ومادمنا ناخذ الصالح ونختار فى الحدود التى لا تطغى على اصالتنا ، وفى ذلك يقول فقيدنا هلال : «إن فى طبيعة كل ادب ، وفى خصائص أهله وتقاليدهم ، ما يقوم بمثابة حواجز تنفى ما لا يتفق من هذه التيارات مع طاقاتنا الحيوية والفنية ، فنحن – مثلا – لم ننهج مذهباً ادبياً من المذاهب الغربية بمبادئه كلها ، بل اخذنا من هذه المذاهب بعض ما نستطيع اخذه لنكمل به ادبنا» .

● اللص الذي اعتنق ضوء القمر: قصة فرنسية مأخوذة من "كليلة ودمنة"

● موضوعات وخيالات لاحصر لها استمدها الأدب الأوربي من الآداب العربية والشرقية

● التأثر بالآداب الأجنبية ليس خطراً على التراث والأصالة مادمنا مرتكزين على أدبنا ولغتنا

والواقع ان ثمة من فعلوا ما يحذر منه هلال ، فجروا وراء الغرب معصوبى العيون عما لا يلائمنا وما لا يتفق مع طبيعتنا ، فكان ما ذهبوا اليه مثل المخلفات التى تتجمع على سطح المصفاة ولا تنزل منها ، فتذهب مع القمامة ..

والواقع كذلك انه يقابل هؤلاء المتطرفين ادعياء التجديد ، متطرفون آخرون جامدون يزعمون انهم حريصون على القديم وأن لا قيمة للجديد . ومن حسن الحظ ان التصادم بين المعسكرين يتمخض غالباً عن بقاء الأصلح خالياً من شوائب المتطرفين .

دانتى أخذ منا .. :

ومن النظرات الصائبة التى تضمنها كتاب الأدب المقارن فى مجال التاثر والتاثير بين الآداب ما راه المؤلف من تاثر الشاعر الايطالى «دانتى» فى ملحمته «الكوميديا الالهية» بمصادر عربية ، وقد فند آراء المعارضين لهذا التاثر ، واستند فى إثباته الى كتابين ، احدهما لمستشرق ايطالى هو « تشيرولى » والآخر لمستشرق اسبانى « منيوس سنديتو » واكتشف هذان المستشرقان مصدر «دانتى» فى مخطوطة أصلها عربى وموضوعها «مدح الرسول» ترجمت الى الاسبانية ، ثم الى الفرنسية والايطالية .

وفى الخاتمة يقول الدكتور غنيمى هلال: «ولا يساور علماء الأدب المقارن – على اختلاف لغاتهم وميادين بحوثهم – أدنى شك فى خطر هذه البحوث وبعد اثرها . وهم على إيمان وثيق بما أفادهم التاريخ من ان كل ادب لا يستطيع ان يعيش بمعزل عما سواه من الادب دون ان يصيبه الوهن والذبول ، ومن ان أجمل نواحى الأدب القومى قد تعتمد فى مصدرها على لقاح اجنبى يساعد على ازدهار تلك النواحى فى الأدب القومى . هذا الى ان من فروع الأدب المقارن ما يساعد على فهم الأمة لنفسها ، برؤيتها صورتها فى آداب غيرها ، وتلك دروس ذات عظات بالغات فى تربية الشعب وتبوئه مكانته بين الشعوب» .

واضيف الى ذلك انه قد يكون لدى الأمة أدب لا تعرف قيمته ولا تحله محله اللائق به ، ثم تنقله امة اخرى وتعجب وتتاثر به آدابها ، فتعرف بذلك الأمة الأولى فضل ما كانت فى غفلة عنه .. مثل ما وقع لألف ليلة وليلة ، إذ اننا ما عرفنا قيمة هذه القصص إلا بعد أن ترجم الى اللغات الأجنبية ، وبهر الذين ترجم الى لغاتهم ، وكان ما كان من شانه فى آدابهم،عند ذاك التفتنا اليه ، وعلمنا أن لدينا كنزاً لا ندرى به ، فاستخرجنا منه ما انتفعنا به فى قصص للأطفال ومسرحيات للكبار ، واستلهمنا منه أعمالا أدبية قيمة ، مثل مسرحية «شهرزاد» لتوفيق الحكيم ، ومثل «القصر المسحور» لتوفيق الحكيم وطه حسين ، و «احلام شهرزاد» لطه حسين ، ومسرحية «شهريار» لعزيز اباظة ، ومسرحية «شهرزاد» لعلي احمد باكثير .

وصحب ذلك دراسات لهذا الأثر العظيم، مثل الفصل المستفيض الذى تضمنه كتاب «أصول الأدب» لأحمد حسن الزيات ، ومثل الرسالة الجامعية التى حصلت بها سهير القلماوي على درجة الدكتوراه من الجامعة المصرية .

كان ذلك كله بفضل الأخذ والرد والتاثير والتاثر بيننا وبين اوربا فى العصر الحديث .

عباس خضر

دمي غارُ الحدائقِ والشَّجر

شعر: د. عبد الله الشحام
الأردن

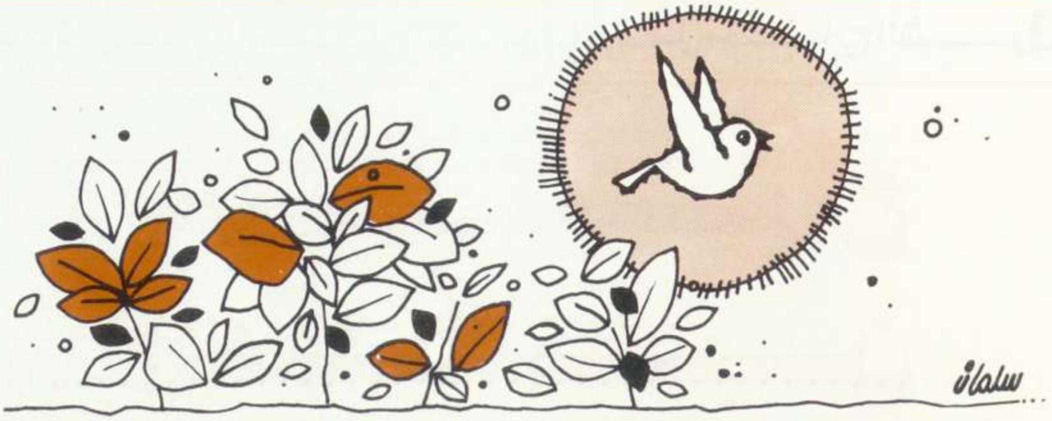
هبطتْ رياحٌ خلفَ افراسي
وكانت قِبلتي مدنى
وصوت البحر عَصْرٌ : من زفافٍ وانتفاضٍ
بين نافذةٍ تعرَّت للصباحِ
ونرجسٍ غضَّ الإهابْ
هبطت رياحٌ خلفَ افراسى
وكانوا يسبحونَ على ترابِ القدسِ
والأشياء صلَّت فى خشوعٍ
والتقى الجسدُ الطرىُّ
بوردتينِ من الترابْ
وصرختُ : لو مَسَحُوا على ظهْرِى
لتلاشت البيداءُ فى البيداءِ
وانحدرتْ سهولٌ فى جدارى
وشدَّتني
رياحٌ من بقاياهمْ
مادتْ بيَ الآفاقُ
واحتضنتْ جِراحى نجمةٌ
وسمعت صوتاً واحداً
يزكو على همِّي
ويرميني باعشاشِ الطفولةِ
والغناءِ الداخليْ
فبكيتُ من فرحي
وضمَّتني عصافيرُ الوطنْ
ومشيتُ فى دربِ البساطةِ والوضوح
لا شيء يجذبنى الى الأسرارِ
غيرُ دمي
وحنين قلبى للقاءْ
ورايتهم قُرْبي
كجدائلِ الشمسِ المنيرةِ
يوقدونِ رمالَنَا البيضاءْ
فسكتُّ ثم سكتُّ ثم سكتْ
احسستُ ان القمحَ اضلاعى
وان الارضَ امِّى
فالتجاتُ الى القمرْ

احسست ان عناقَها عسل النخيلِ
وان ماءَ البحر انفاسِى
وان رصاصَتى تَبْغى
وان دمي غار الحدائقِ والشجرْ
احسستُ ان البرقَ
ياتي راعشاً
ويسوق افراسَ الهواءِ
ويقطع الأيامَ
يطلق طائراً
ويضيء فى كل الدروبْ
احسستُ ان مِاذنَ الشهداءِ
توشك ان تؤذِّن فى عروقى بالشهادةِ والصباحِ
وان قلبي نابضٌ بدمي
وان اصابعى حرسُ الزمانِ ومنتهاه
احسست ان ضفائرى لون النهارِ
وان صوتي حاضرٌ ابداً
وان الشمسَ تسبقها الخيولُ
وان الارضَ فى لحمى عذارى سابحاتٍ
بالبراءةِ والهوَى

حتى الثمالة اسكرونى
اسكرتنى الريحْ
تركوا على صدرى هواءَ البحرِ كي القاهْ
فازدحمتْ سمائي بالظلالْ

خلفى الصبايا
خلفى بذار الرعد فى زىِّ الحسامْ
خلفى المجاعة والحمامْ
خلفى طعامى والدفاتر والتواريخ القبيحة والظلامْ
خلفى البراءة والغمامْ

ملكوا فؤادى
حين صحتُ واوغلوا بدمى
وعَدَوْا الى فيضٍ من الاقراطِ والليمون
ذَبُلَتْ دقائقهم



وعادوا من بحيراتِ الندى
سودَ العيونِ مكحلين
اجسادهم شجر تزيِّنه النجومُ وتنتشى

هل اغرقوا المدن العقيمةَ
ام اتاهمْ صوتُ عصفورٍ صغيرٍ او غزالْ
خرقوا الفضاءَ إلى فضائى
فاتسعتْ
نفذوا من القطر السماويِّ البعيدِ إلى دمى
وصلوا الى لبِّ الحقيقةِ والسؤالْ
وتوزعوا فى القلب وانتفضَ الذراعْ

اخذوا جراحى
وتبعت موتى كالفراشة واحتدمتُ
وطرتُ فى حدقِ العيونِ
واوغلُوا فى جثتى

اقمارهم يومى
وكان المعتدون يحاصرون القدسَ من زمنٍ
ودمي مراقْ
فبكيت من حزني على نفسي
واشجانى الفراقْ

لكنني حَيٌّ ولي رئــةٌ
فخذوا هوائى واتبعونى كي اراها
وارى ينابيع الميــاهْ
تَنْهَلُ من اقدامها
كي تستحمَّ ويشربَ الشجر الأنيق بصدرِها
وتظل صرختها جوادَ الليلِ
خلف الكونِ
حين يغيب صوتٌ او شراعْ
وتنامُ كلُّ فراشة جذلى
وتموتُ فى مدني القناديلُ الحزينةُ والجياع
من اين يزهرُ كلُّ هذا الموت اشجاراً تناديني

فاجتاز التوابيت القديمــةَ
ثم تدعونى لالقاها
فالقى النجْمَ ، والأمواج تدفعنى
وقطراتُ الندى شجرٌ من الرمانِ
تغسل كلَّ اعضائي
تقدِّسُني وتعطينى الشهادهْ

فابثُّها الشهداءَ والحزنَ النهائىَّ النهائى البعيد
وابثها شوقَ الندى للصيفِ
او شوقَ الفراتِ لمائه الأزلىِّ
او شوقَ السنابلِ للصبا
وابثُّها صوتَ المخيَّم حين ينخفض البكاءْ
وتصيرُ كلُّ دمائهم نهراً
يجتاز ما يجتازُ من اطلالْ
حتى اذا ناح الحمامُ وغردوا
وتحاورَ العشاقُ واحترقوا
وتكلم النبعان فى جُرْحى
حدَّقت فى وجهى لأعرفَ انني حيٌّ
وان الارضَ ارضي
والترابُ مقدسٌ باسمى
وباسم النازحين
يتماوجون الآن لا حزنٌ يؤخرهم عن الوعد القريبِ
ولا غيابْ
هذا دمٌ منهم يغطينا بزهر الماءِ
كي نشتدَّ فى الزمن اليبابْ
مدّوا اياديكم عليهم
باركوهم بالشهادةِ والندى
لمُّوا بقاياهم وخلّوها القذيفةَ والحرابْ
واسقوا ترابَ الارض تحت رؤوسهم
عرق الكروم وماء زمزم والرضابْ
وضعوا اصابعهم خواتمَ فى اصابِعكم
وخلوها سنابلَ ترتوى
وتضيء فى الليل البعيد
وتصير ذكرى او جوابْ

لمــــاذا نهــــتم بالمســــرح الغــــربي ونهمل مســــارح الشــــرق؟

مســــرح الفــلاحيــن في الهــنــد

بقلم: نعـــمان عاشـــور

الكتاب لبـاحث وناقـد هندي بارع.. لم اعرف اسمه الا بعد ان اتممت قراءة كتابه وهذا يدل على منتهى المتعة.. فالميعاد ان يتعرف القارىء على المؤلف الذي يقرا له اولا.. وصاحبنا اسمه ج. ماتور.. يوجه كتابه الى القراء الأجانب الذين تعنيهم الثقافة الهندية.. ويقول فى مقدمته.. انه انما يقوم بدراسة ميدانية متواضعة.. وناقصة.. صرف فيها خمسة اعوام وبدأ يجمع مادتها من عشرين عاماً.. وهو طبع لا يستغرب على اخواننا الهنود عباقرة الصبر والجلد فى كل عصر..

يقول مؤلف مسرح الفلاحين الهنود.. انه انما يجري بحثاً ميدانيا استقاه من الاتصال المباشر بالممثلين.. ثم من مراجعة الكتب.. ومن واقع جولاته فى مختلف المقاطعات الهندية ومشاهداته لمايعرض فى ريفها من مسرحيات.. ويقرر انه انتهى من دراسته الى راي قاطع مؤداه.. استحالة الفصل بين الدراما المكتوبة.. والدراما الفلكلورية الهندية التى تمثل فى الريف.. فرغم بعد المسافات واختلاف اللغات.. فالأصل دائماً واحد والجوهر لا يختلف ابداً.. مما يدل على ان للمسرح تقاليده الراسخة الغائرة فى أعماق الحضارة الهندية..

الشكل المسرحي

وهو يتركز دائماً في وجود شخصيتين.. المضحك أو البهلول كما هو عندنا فى المسرح الريفي.. والمعلق.. وما نسميه بالراوي.. ومهمة الاثنين معاً.. الابقاء على روح المرح المتصل ومداومة تفسير ما يقع والتعليق عليه والربط بين اجزائه.. وأكثر من ذلك واهم اضفاء الجدة والحداثة على الموضوع المشاهد فى العرض.. ولذلك فالغالب دائماً على مسرح الفلاحين القائم فى الريف الهندي تحويل مدلولات القصص القديمة وموضوعاتها.. الى معان معاصرة تتصل بالواقع اليومى المباشر لحياة اهل القرى.. فالمسرح على هذه الصورة يحمل دائماً آراء العصر ولا يغرق باهل الريف فى ابعاد ماضيهم.. وقد تبدو مثل هذه الطريقة مفتعلة أو غير اصيلة فى نظر ابناء المدن.. ولكن الواقع انها طبيعية جداً.. وكانت عصباً رئيسيا فى احياء والابقاء على المسرح الهندى فى الأقاليم الريفية ووسط الفلاحين.. واليها يرجع الفضل فى بطء تاثير السينما.. وطبيعى ان مثل هذا الأسلوب يخلق ما يمكن ان نسميه الأفكار العامة للمجموع.. وهو ما لا يتقبله المثقفون عامة.. ولكن القيم والمثل والأخلاقيات التى ينطق بها مسرح الفلاحين الهنود تنبع كلها من واقع حياتهم العصرية وتزود بها المسرحيات الفولكلورية الموروثة. والى جانب ذلك.. فهناك بالطبع.. عناصر.. الرقص والغناء.. ثم الحوار الطلق..

ومثل هذا الشكل الذي يتسم به المسرح.. يجعله اكثر من ملهى.. ويحيل مشاهده الى تجربة عاطفية مشتركة بين مجموعة متجانسة من ابناء البيئة الواحدة..

مكان التمثيل

كان مكان التمثيل فى الماضي هو المكان التقليدى.. داخل المعابد.. لكن هذا النوع باد



نهائيا وحل محله المسرح القائم فى داخل الفتحات المطلة على الساحات المخصصة للأسواق .. كما هو الشان فى مسارح الريف فى ولايتي كيرالا واسام .. وتبنى من الخشب والبوص والخرق البالية .. وفى المدن الريفية تقام فى الشوارع ذاتها خصوصا اثناء الموالد . واحيانا ما تخصص لها شرفات البيوتات الكبرى ويتنافس اثرياء المناطق على شرفات دورهم الواسعة واجتذاب الفلاحين وارضاء جموعهم ..

شكل البنـــاء

يكون مفتوحا عامة .. لان الاحتفالات تقام بعد انتهاء مواسم المطر .. والمسارح المغطاة نادرة .. واحيانا ما تستاجر الفرق الجوالة المناطق المخصصة للافراح .. وساحة العرض دائرية فى وســـط البناء المسور .. وينفذ اليها الممثلون من بين صفوف المشاهدين .. وتكون مرتفعة نسبيا .. او على قطعة ارض مستطيلة حولها سور .. وهذه عادة ما تكون قرب المدن وخاصة حول دلهي .. ثم تحدد اماكن التمثيل على جوانب البناء .. فهنا تكون الغابة !! وهناك البحر ! وفى الزاوية الجبل ! والجمهور الجالس يتابع بالالتفات (شىء اشبه بالبلاتوهات التى يجرى فيها التمثيل التليفزيونى او السينمائى) .. والفرق المحترفة تفضل المسارح الثابتة المرتفعة الاسوار لحصر الجمهور من اجل ثمن التذاكر .

الستارة

وليست لها ضرورة بالمرة .. ولذلك يفضلون خلعها .

الجمهور

لكن لعل ابرز ما يميز جمهور المسرح الريفى فى الهند .. انه لا يترك مقاعده .. إذ يعتبـــر وجـــوده فى المسرح كوجـــوده داخـــل معبـــد .. ولهذا يلتـــزم الممثل دائمـــا بعدم الاختفـــاء عن المشاهديـــن اغلب الوقت . ولابد أن يبدا التمثيل الذى يروق معظم المشاهدين بتقديم شعرى بواسطة ممثل .. ثم بمصاحبة موسيقى افتتاحية ورقصة شعبية لتهيئة الجالسين للجو واحيانا ما يشارك الجمهور فى الغناء.

وعلى حد ما يقول المؤلف .. قد ابعدنا المسرح ، او بعدنا به فعلا عن حياة الناس .. فى ماضيها وحاضرها وارتباطه الذى لا ينفصم بوجودهم اليومى .. فالفلاح الهندى يقبل على المسرح إقبالا صحيا واساسيا .. لا كمدرسة للمعرفة والتعلم .. وإنما كمكان للترفيه .. وهذا المكان مادام ينبعث من واقع حقيقى لابد وان يخدم هذا الواقع .. لكنه لا يخدمه بالزجر ولا بالردع ولا بالجمود .. واظهر مثل على ذلك الموضوعات ذاتها التى تعرض على الناس فيه ..

طبيعة العروض

والموضوعات قد تختلف باختلاف المناطق والولايات ولكنها تتفق فى صفة واحدة هى وجود عنصر التسلية . واليكم عرضاً منها .. مسرحية تعبر عن الطابع الغالب من ولاية كشمير .. تجمع بين

مسرح الفلاحين في الهند

الأسطورة المتوارثة والنقد الاجتماعى المعاصر .. وتقع احداثها فى اقليم باهاند .. يجرى تمثيلها بالنهار .. قبل غروب الشمس .. ثم يعاد تقديمها مع ظهور القمر . يدخل المهرج ليقدم نفسه .. ثم يطرى الفرقة أو يتهكم عليها .. وتعزف الأوركسترا ثم يبدأ التمثيل ..

امامنا الآن قائد قبيلة جاءت فغزت الاقليم وتريد الاستيلاء عليه .. يتبعه جنوده .. وهو يمشى فى خيلاء ويرتدى سترة مزركشة من الصناعة الكشميرية الشهيرة ويحمل شالا من الكشمير ايضا على ذراعه ..

وبعد تحية المشاهدين .. يدخل خادمان يحملان ستارة يرفعانها ومن خلفها يظهر حاكم المقاطعة التى قامت بالغزو .. فيحييه القائد هو وزوجتاه اللتان تصحبانه .. ويقف فى اعداد بينهما والموسيقى تؤكد عظمته وانتصاره .. ثم يقطعها دخول (المهرج) ويسمونه (مسكرة .. اى المسخرة) ويتغافل الغازى وكانه لم يره .. وهو يرتدى ثوب فلاح مهلهلا .. ولكنه حين يرى الغازى اخيراً يركبه الرعب ويجرى خوفاً وحيرة الشيء الذى يضحك له الجمهور قطعا .. ويدخل قروى بعده وسرعان ما يضطرب مثله .. وثالث تموت الضحكة على شفتيه امام رؤيته للغازى والقائد وجنود الغزو .. اما الرابع فيشق طريقه بين الغازى وزميلته وكانه لا يعرف مقامهم جميعا .. وينظر اليه الغازى غاضبا فيتراجع ويرتعش ثم يغوص الى الأرض رعباً .. ويصاحب الحركات الصامتة للأربعة الخائفين ضربات موسيقية معبرة عن كل حالة وما تحمله من سخرية .. فلما يهدأ روعهم يبدأ كل منهم فى مغازلة المراتين اللتين تصاحبان الغازى .. وعندها يخرج الغازى سوطه ويطرقع به فى الهواء .

ويتلو ذلك مشهد راقص عن غضب الغزاة .. ثم يرقص الغازى بنفسه رقصة الغضب وتشاركه المراتان .. ويظل الغازى يطرقع بسوطه حتى يخر امامه الفلاحون الأربعة فى خضوع ومعنى ذلك انه سيطر على المنطقة .. وبعد ذلك يغرق فى ملذاته .. شان كل الغزاة .. فيروح يلهو بلا انقطاع حتى يغمى عليه فينام .. ويحاول الفلاحون الأربعة خطف المراتين ولكنه يهب لانقاذهما .. ويحيط خصر كل منهما بذراعه ويمشى بهما فى خيلاء ولكنه يتمايل مضطربا .. وحينذاك يشير القرويون الأربعة الى بعضهم ثم يهجمون عليه وياخذون المراتين بعد ان يوقعوه على الأرض ليعود الى غفوة طويلة ..

وبعد خروجهم يستيقظ الغازى فلا يجد المراتين فيثور غاضباً ويامر باحضارهم ويروح يحقق معهم .. ولكنهم يناوئونه بكل لباقة فيضطر الى استرضائهم بتقديم جائزة لمن يرشده منهم ويحاول أن يدفعهم على التنافس لنيل الجائزة .. وأن يضرب بعضهم بعضاً وحين يغضب يتكلم بلغة بلاده وهى اللغة الأوردية .. فيرفضون سماعه إلا اذا تكلم بلغة بلادهم التى لا يقبلون ولا يفهمون غيرها .. فيصرفهم مقبوضاً عليهم وبعدها يسمع غناء عذباً .. احدهم يشدو مطرباً جمال المراتين .. فيستدعيه ليدله على مكانهما .. ويقبل المطرب .. ويهمس للغازى فى اذنه حتى لا يسمعه احد .. وعندها يكتشف ان فى أذن الغازى شعراً وبذلك لن تصله الحقيقة فيبتعد عنه فى (قرف) يثير الضحك مما يدفع الغازى الى ان يامر بالقبض عليه .. ثم يدخل قروى هادىء يؤكد له معرفته بمكانهما .. ولكنه يشترط على الغازى إذا أرادهما .. أن يقلع عن الاستبداد بالمقاطعة التى استولى عليها .. ثم يطالبه بالتوقيع على وثيقة تضمن التراجع عن احتلال المنطقة .. فيقبل الغازى يائساً .. وبعدها تظهر المراتان .. وتكون خاتمة المسرحية برقصة وطنية واغنية قومية وفرح من جميع الأهالى .. بما فيهم المتفرجون الجالسون ..

موضوع المسرحية رفيع الخيط ، ولكنه متلاصق الأحداث .. مليء بالمفارقات والمشوقات المسلية التى تدفع المتفرج الى متابعتها خصوصاً فى التناقض القائم بين شخصية الغازى كعاشق ذليل ورجل متجبر .. فضلا عن تهكم الفلاحين عليه وتمكنهم منه .

معالم التمثيل الهندى

وينهى المؤلف كتابه بفصل ممتع .. يحدد فيه بوضوح معالم التمثيل فى الهند فيقول انه لا يعتمد على الواقعية البحتة كما قد يبدو من مظاهر العرض .. ابداً .. بل انه لابد وان يحمل الى المشاهد جواً غير طبيعى .. سواء فى الملابس او الكلام .. لان الدراما فى تذوق الهنود .. ليست تقليداً للحياة ونقداً لها .. بقدر ما هى كشف جمالى ساحر عن مكامن المتعة الخيالية التى تعتمد على الايحاء .. فحركة اليد واشاراتها .. وكذلك طريقة النطق واسلوب الرقص .. يجب ان تكون كلها .. غير طبيعية .. او تشعر من البداية بانها (تمثيلية) اعنى لم تات طبيعية .. ولذلك فليس من السهل خصوصاً فى الريف ان يمتهن احد التمثيل .. وإنما يعتبر دائماً حرفة متوارثة ومهنة مقصورة بالوراثة والتعليم الخاص على عائلات بعينها التى لها الحق فى ان تمثل ..

وياحبذا لو كان فى مثل هذه الدراسة ما يدفع سادتنا نقاد المسرح .. وما اكثرهم واوفرهم .. الى مجرد محاولة التعرف على تاريخنا ولا نقول واقعنا المسرحى .. على مدى الأعوام المائة التى انصرمت من حياة مسرحنا .. وهى مجهولة وخافية بالنسبة لهم قبل غيرهم ..

نعمان عاشور

الزّبَرْجَدة الأسَاس

شعر : حسن طلب

- من اين يجىءُ الحُبْ ؟
- من وهجٍ فى القلبْ

يتجمّعُ فى الغددِ الصَّمَّاءْ ..
ويبحرُ فى الاعضاءْ ،
يشبُّ .. يشبْ ..
ويركب احصنةَ الجسدِ الصَّعْبْ ،
يخبُّ .. يخُبْ ..
إلى ان يصلَ الشرق باقصى الغربْ ،
وينصبُّ .. وينصبُّ .. وينصبْ

يا عاشقَ القممِ البعيدهْ
مزق فؤادك والنياط
فالحب اجر القصيدهْ
ودم المغنين الملاطْ

• • •

- ومن اين يجىءُ الشعرْ
- من رهجٍ فى الصدرْ
يترعرعُ بين الاضلاع ..
ويقتات بماءِ الانسجةِ الحيَّةْ ..
والشحم المر ..
فينهض كالعشب الحر ،
ويخضرُّ .. ويخضر
.. ويركض كالمهر
فيستبدل - إن شاء
- باحرار الوطن العبد :
عبيدَ الوطنِ الحر ،
ويسمر .. ويسمر
إلى ان يصبحَ وشماً فوق زنودِ رجالِ بلادى
او خالاً فوق خدودِ نساءِ بلادى
يزدان بنارِ زبرجدةِ الدلتا
وبنور بنفسَجَةِ الوادى

طالما المضمونُ جاهزْ
وجمالُ الشكلِ زينةْ
فذراعُ الشعرِ عاجزْ
والاساريرُ حزينهْ

ايتها السمراءُ الضائعةُ العنوانِ ،
بهذا الوطن المجدبْ :
ما عنوانك ؟
ما اسمك ؟
هل عزة ؟ ام زينبْ ؟
فيكون الحب قد اعذوذبْ !

يكاد ان يغلبَنى الوسَنْ
ايتها السمراءُ .. يا احلى الورى
يا من جمعت لى زبرجَدَ المدُنْ
إلى بنفسج القرى
جئتك ضيفا طارئا
فما هو القِرى ؟
اريد ان اكتب شعراً :
تستطيع ان تسمعَه العين ،
وان ترى جماله الاذنْ !
تلك هى القصائد الدّرى
فادركينى قبل ان يغلبَنى الكَرى

(النفسُ احتبَسْ
فهل تضيعين سُدى
ايتها القصيدةُ القبَسْ ؟ !)

• • •

ايتها السمراءُ التائهة الخطوةِ ،
فى هذى الارضِ الثكلى :
ما عنوانك ؟
ما اسمك ؟
هل عبلة ؟ ام ليلى ؟
فيكون العمر قد احلَوْلَى !

يكاد ان يغلبنى النعاس
ايتها السمراء يا واحدةَ القياس
اريد ان اكتب شعراً
قد يسوسُ ..
لكن لا يُساسْ
تلك هى القصيدة الاسَاسْ
....

اريد ان اكتب شعراً
هو لايقالُ ..
بل يقولْ
تلك هى القصائدُ الاصولْ
... ...
اريد ان اكتب شعراً
هو لايذاقُ ..
بل يُشَـمْ
تلك هى القصيدة الامْ
فادركينى قبل ان يغلبَنى النومْ
(وطال الانتظارْ
فهل تكونين صدى
ايتها القصيدة المعيارْ ؟!)

• • •

ايتها السمراء الضائعة الملمحِ
.. فى هذا الزمنِ المحزِنْ
ما عنوانك ؟
ما اسمك ؟
هل وردةٌ ؟ ام سوسنْ ؟
فيكون الشعر قد احسَوْسَنْ ؟

ايتها الحبيبة السكنْ
جئتك ضيفا تائهَ الروحِ
.. ومعتلَّ البدَنْ
فهيئى لى ما تشائينَ -
وما اشاءْ
من لهوٍ .. ومن ددنْ
ايتها السمراءُ ..
يا خلاصةَ الورَى
قد اعترانى ما اعْترَى
فادركينى قبل ان تنفصِمَ العُرى
(والعمر مالْ
فهل تجيئين غدًا
ايتها القصيدةُ السؤالْ ؟!)

• • •

الشعر والحب ..
لو ان بعض شىء كان من هذين :
يُشترى !

العم محمد

قصة بقلم: إبراهيم أصلان

محمد افندى عثمان خرج من جامع السنية القريب ، ومشى بقامته القصيرة فى الشمس الحامية لغاية ما وصل عند ام حسين البقالة ، ودخل من باب البيت وهو يرفع ذيل الجلباب ، ويعرى ساقيه النظيفتين .

محمد افندى طلع السلالم القليلة وهو يحمد ربنا ان الطوبة وقعت على ام حسين ولم تقع عليه . وعندما اقترب من باب الشقة الموارب ، لمح محمد افندى الرشيدى فى الناحية الثانية من الحوش . ولما لاحظ انه طويل وهو لابس الجلباب المخطط على اول درجة من السلم الداخلى ، تصرف بسرعة وترك ذيل الجلباب ينزل على رجليه ورفع يده لكى يفتح ويدخل من سكات ، لكن محمد افندى الرشيدى حس به وقال : « إزيك يا ابو عبده ؟ » ومسك ساعة الجيب وقربها ناحية عينه الشمال وهو واقف ، ثم رفع وجهه بانفه الكبير ، ونزل درجة السلم واقترب بحيث وقف امامه . وبعد ما عدل السلسلة المشبوكة فى عروة الزرار وتركها مدلاة على صدره ، وقال : « ازيك دلوقت يا ابو عبده ؟ » .

ابو عبده رفع وجهه المدور وقال : « نحمده يا ابو اصلاح » . وابو اصلاح سمعه وظل ينظر اليه ، ثم وضع يده على كتفه واخذه عند شباك المنور ، وساله بصوت خفيف عن هذا الكلام الذى سمعته ام اصلاح من ام عبده : « انت صحيح خرجت على المعاش ؟ » .

محمد افندى عثمان سند كتفه جنب شباك المنور المفتوح ، وشم رائحة الرطوبة وابتسم .

« الله ، إذن الكلام صحيح ؟ » .

« هو صحيح . بس انا تقدمت بشكوى »

« لمين ؟ » .

« للمسئولين » .

« إزاى الكلام ده ؟ » .

محمد افندى عثمان خلع رجله من فردة الشبشب ، وثناها تحت الجلباب ، واخذ يحك رجله الشمال بباطن قدمه العارية ، وقال ان الموضوع حدث فيه خطا ، وان الحكومة اخرجته على سن الستين بدلا من الخامسة والستين : « اصل انا معين على الكادر الفنى » .

« الكادر الفنى » .

« امال انا باصرف طبيعة عمل ليه ؟ » .

« بتصرف كام ؟ » .

« عشرين فى الميه » .

« على الشامل ؟ » .

« لا . على الأساسى » .

محمد افندى الرشيدى استغرب وقال : « إزاى الكلام ده ؟ » .

ومحمد افندى عثمان شعر بالارتباك لما لقاه رجع قال : « ازاى الكلام ده ؟ » لثانى مرة ، ولبس فردة الشبشب واراد ان ينصرف لأنه قدر يحافظ على طهارة وضوئه منذ صلى الفجر حاضرا ، وهو يريد الآن ان يذهب إلى المرحاض لكى يرتاح ، وبدا يبعد عن شباك المنور ويقرب من باب الشقة . ومحمد افندى الرشيدى لحقه وقال : « لكن ده شىء غريب يا ابو عبده ؟ » .

« يا سيدى » .

« طيب وبعدين ؟ » .

« ما انا قلت لك يا ابو اصلاح » .

« انا عارف انك قلت لى . بس ده لا يمنع انه موضوع خطير » .

« خطير ازاى ؟ » .

« زى ما باقولك كده » .

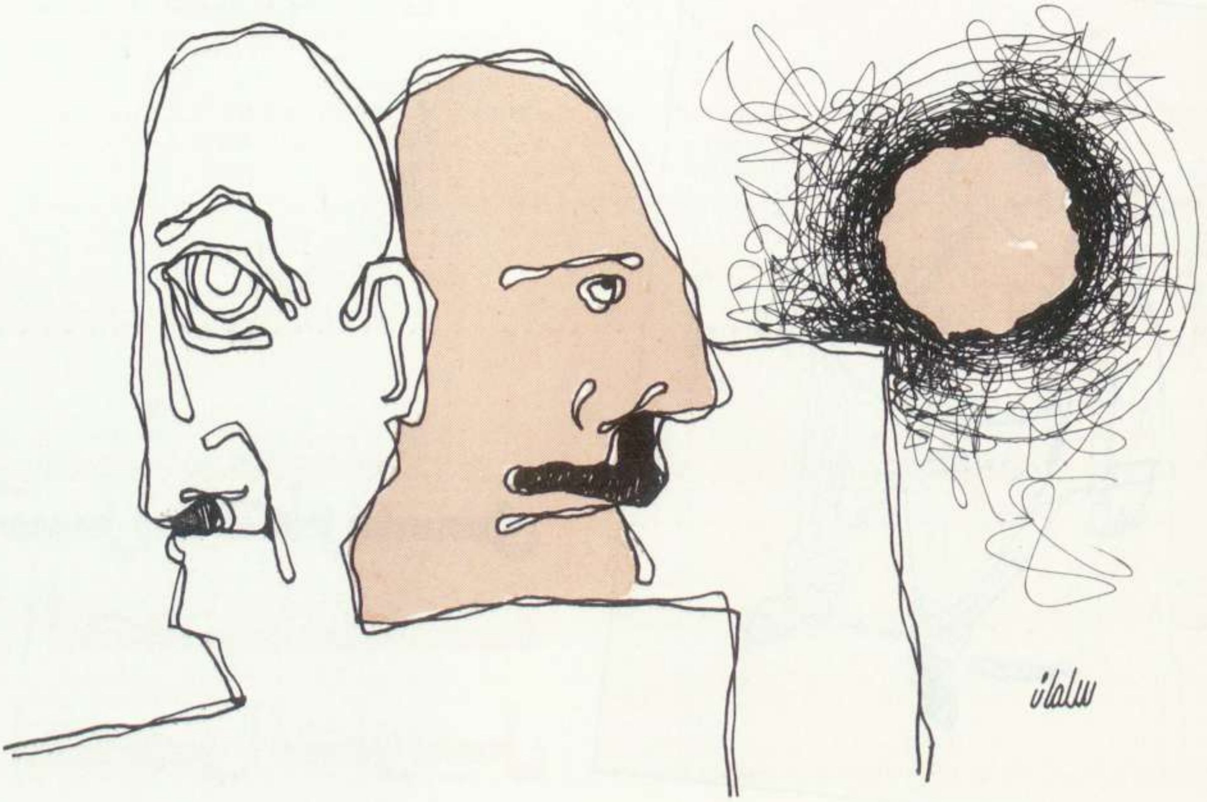
« لكن دى غلطة » .

« انت متاكد ؟ » .

ابو عبده قال : « ايوه » ، لأنهم من حوالى سنة اخذوا منه الموتوسيكل الذى يركبه ، وسلموه دفتر الحضور والانصراف واعتبروه على الكادر الكتابى : « ما تعرفش ازاى نسيوا حكاية الموتوسيكل دى خالص » .

« خدوه ازاى ! ده عهده ؟ » .

« هو إيه ؟ » .



« الموتوسيكل ؟ » .
« القومسيون » .
« القومسيون الطبي ؟ » .
« آه » .
« ازاى الكلام ده يا ابو عبده ؟ » .
« ما هو كتب تقرير وقال لازم اسلمه » .
« تقرير رسمى ؟ » .
« ورقه كده » .

« ايوه ايوه » وفكر وقال : « طيب ، حيث ان الموضوع كـــــده ، إيـه رايك بقى فى مشروعنا ؟ » .
« اى مشروع ؟ » .
« مشروعنا بتاع زمان ، الدكان » .
« دكان مين ؟ » .
« دكان عمك مجاهد » .
« ماله ؟ » .
« خلاص . الراجل انتهى » .
« لا حول ولا قوة إلا بالله » .
محمد افندى الرشيدى قال ان ذلك ليس هو المهم ، المهم الآن هو الدكان : « لازم ناخده » .
« إزاى ؟ » .
« زى اى مشروع يا اخى » . وطلب منه ان يلاحظ انه الآن على المعاش ، يعنى لا شغلة ولا مشغلة ، ممكن يقوم من النوم ، يصلى الفجر ويفتح الدكان . وبعد ان يعود هو من العمل ، يصلى العصر وياكل لقمة ويستلم منه : « مش عيب ابداً » .
« والفلوس ؟ » .
« اي فلوس ؟ » .

« اللى حانشترى بيها البضاعة ؟ » .
محمد افندى الرشيدى قال انها عبارة عن مبالغ لا تذكر ، وانه لو فكر معه سوف يجد ان المطلوب منهما لن يزيد عن صفيحة جير يدهنوا بها الدكان والواجهة ، ورفين خشب او ثلاثة ، وكمية بضاعة فى الحدود المعقولة ، وبعد ذلك كلها سنة ويخرج هو الآخر على المعاش ، ويعمل معه فى وردية واحدة ، لأن التجارة سوف تكون اتسعت .
« على العموم الاعمال التجارية مربحة »
« مربحة جداً ، وبعدين خد عندك » ، وبدا يعد على اصابع يده ويقول ان : حجم الدكان ؟ مناسب . المكان ؟ جميل . المشوار ؟ خطوتين . الايجار ؟ ملاليم : « ايه تانى يا ابو عبده ؟ » .

ابو عبده راي الأصابع التى كان يعد عليها وهى تنثنى واحدة وراء الاخرى ، ورفع دماغه ونظر فى وجه محمد افندى الرشيدى الذى وضع يده على كتفه ، وعاد به إلى مكانه عند باب الشقة الموارب وهو يطلب منه ان يتوكل على الله ، ونبهه إلى ان اهم شيء الآن هو عدم الكلام فى الموضوع امام اى واحد ، واكد عليه وقال : « ابو عبده ؟ » .
« عيب يا ابو اصلاح » .
« طيب سلام عليكم » .

« رفع ذيل الجلباب ، وبدا ينزل السلم .
ابو عبده قال : « وعليكم السلام ورحمة الله » وفتح الباب ، ونظر لأم عبده وهى قاعدة على الكنبة تتفرج من الشباك ويدها على خدها ، ودخل الحجرة وقلع الجلباب وطبقه على سبت الغسيل ، واقترب من سترته الحكومية المعلقة فى مقبض الشباك المفتوح ، ووضع يده فى الجيب واخرج علبة السجاير ومشط الكبريت ، وراى الحاج محمود الفحام وهو يجلس على الدكة فى هذه الناحية من فضل الله عثمان والعم مجاهد وهو نعسان جنب قدرة الفول الكبيرة على عتبة الدكان ، واتجه إلى المرحاض وهو يشعل السيجارة ، واغلق الباب جيداً ، ورفع الفانلة لغاية صدره ، وقعد يدخن ويرى نفسه فى المياه الخفيفة على البلاط ويلعب فيها بعود الكبريت ، ولما زهق ، رمى العود فى الفتحة المدورة ، وهز دماغه وقال : « الله يخرب عقلك يا ابو اصلاح » .

ابراهيم أصلان

د. عـزالديـن فــراج



أقرب طريق إلى الصحة والعمر الطويل

يرجع إسرافنا فى الطعام إلى عدم قدرتنا على التحكم فى الشهوة إليه ، لا إلى الحاجة إلى سد الجوع كما يزعم بعض ذوى البدانة وغيرهم من المعروفين بشدة النهم . فالواقع أن فى استطاعة المرء متى كان قوى الارادة ان يلتزم جانب الاعتدال فى مقدار ما ياكله ، ولكن كثيراً من الناس يطلقون العنان لتلك العاطفة المتقلبة ، ويتوهمون ان ليس فى استطاعتهم كبح جماحها واسلاس قيادها . برغم ما هو معروف من ان الجسم لا يمكنه التخلص عاجلا من مقادير الاغذية الزائدة عن حاجته ، كما يحدث ذلك فى المقادير الزائدة على حاجته من الماء والهواء .

كان كثير من الناس يظنون ان البدانة يرثها الطفل عن ابويه وكان مما يؤيد هذا الظن ان ٧٠٪ من ذرية الابوين البدينين ينشاون على غرارهما فى البدانة ، فاذا كانت البدانة مقصورة على احد الابوين فان ٤٠٪ من ذريتهما يكونون مثله . ولكن الاخصائيين يقررون الآن ان البدانة قلما تورث ، بل هى صفة تكتسب بالشراهة والاسراف فى الاكل والشرب .

ولو انك دخلت عيادة احد مشاهير الأطباء الباطنيين يوماً من الأيام لوجدت صورة لا تختلف كثيراً عن الصور التالية ، تجد رجلا قلقا جالسا بالقرب من باب غرفة الانتظار لا يكف عن النظر إلى ساعته من حين إلى حين .. إنه مريض بالقلب ، وبالقرب منه رجل آخر بيده مجلة يقلب صفحاتها بسرعة وعصبية ثم يعيد تقليبها .. إنه مصاب بارتفاع فى ضغط الدم . وفى ركن الغرفة شخص منطو على نفسه مصاب بمرض فى كليتيه ، وفى غرفة السيدات مريضة بالسكر تثرثر مع جارة لها بدينة انزلقت قدمها فاصيبت برضوض فيها .

وقد يبدو لأول وهلة انه ليس ثمة رابطة بين أولئك المرضى .. ولكنهم فى الغالب من هواة الاسراف فى الطعام الذين تتراوح اعمارهم بين الأربعين والستين . إن المقلين من الطعام يزورون الأطباء ايضا ولكن غالبية المترددين على الأطباء من البدينين المولعين بالأطعمة الدسمة وخاصة بعد سن الأربعين .

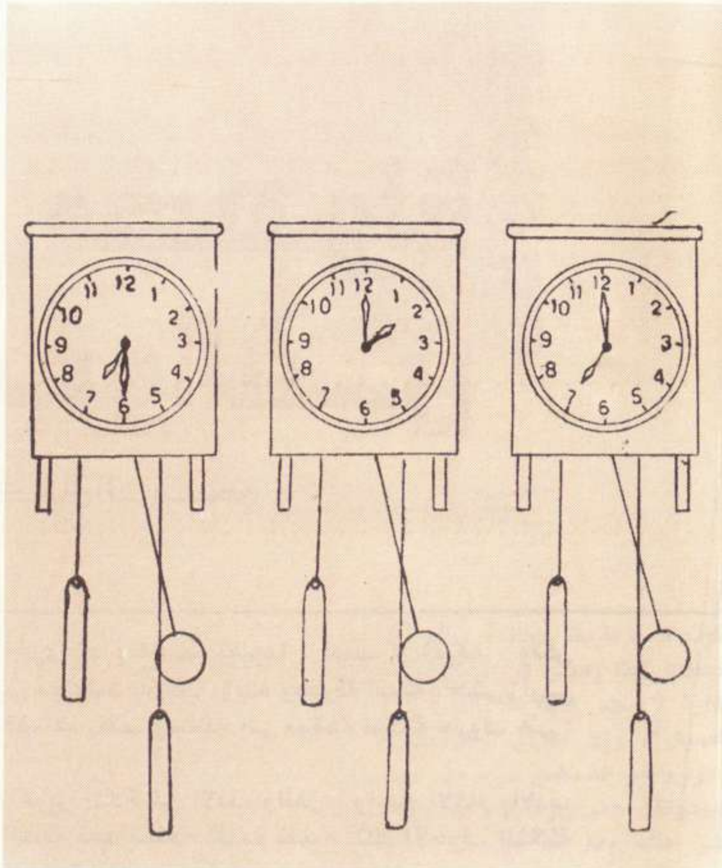
والعجيب ان الكثيرين يفوتون على انفسهم فرصة التمتع بالصحة والعافية باقبالهم على الوجبات الدسمة .

قد تكون هذه الأطعمة شهية يجرى اللعاب لمنظرها ولكنها تسيء الى المعدة اكبر اساءة . ومهما قيل فى الدهنيات وقيمتها الغذائية وانها وقود الجسم ، تتحول داخله إلى حرارة فتزوده بالقوة والحركة .. مهما قيل هذا ، فاعلموا ان النظريات الحديثة بل والتجارب الحديثة اثبتت ان هذا الراى مغالى فيه كثيراً . فالالمان ابان الحرب الاخيرة انقصت مقنناتهم الدهنية إلى حوالى ثلث المقدار المعترف به دون ان يصيبهم ضرر من جراء ذلك .

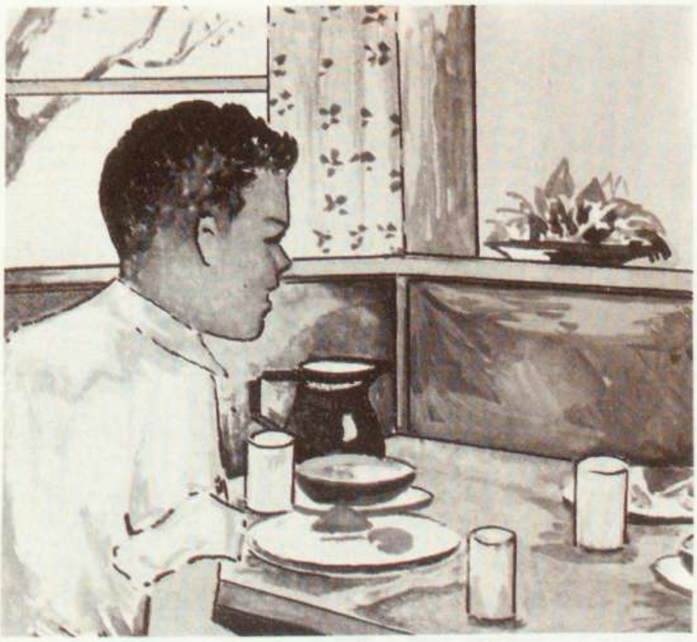
وإذا اكل الانسان ما يزيد عن حاجته فعليه ان يتريض بالمشى لان المشى يحرق هذه الكيمات الزائدة عن الحاجة .

ومن الضرورى ان تكون كل سيدة وربة بيت مطلعة على القيم الغذائية لكل مادة من مواد الطعام ، بحيث تقدم وجبات تراعى فيها القواعد الصحية الغذائية .

إن كل من يفرط فى الغذاء يحفر قبره باسنانه ، لهذا يجب ان نعتدل فى تناول الطعام وأن نحرص على ممارسة الرياضة البدنية لنحافظ على اجسامنا ونحميها من البدانة التى كثيراً ما نقعد بها عن مواصلة



المواعيد المثالية التى يمكنك ان تتناول أثناءها الطعام فى أوقات ثابتة .



لا تهمل طعام الافطار ، فاهماله يؤدى الى خمول اثناء الدراسة او العمل

ركب الحياة .

وما قاله العلم اليوم نادى به نبى الاسلام من قرون عديدة مضت اذ قال للعرب اجمعين :

ـ « لا تميتوا القلب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يفسد اذا كثر عليه الماء» ـ «ما ملا ابن آدم وعاء شراً من بطنه» .

ـ «المعدة بيت الداء والحمية راس الدواء» .

وقال ايضا فى مناسبة اخرى :

« نحن قوم لا ناكل حتى نجوع ، وإذا اكلنا لا نشبع » .

لا تهمل طعام الأفطار

من الناس من لا ياكل او ياكل قليلا فى وجبة الصباح ، وقد اكدت بحوث علماء التغذية ان ذلك يسبب نقصا ملحوظا فى قدرتهم على العمل والانتاج ،كما يسيء الى صحتهم فى كثير من الاحيان .

وقد اجرى اخيرا استفتاء بين خمسين الف طالب ظهر منه ان ثلثى هؤلاء الطلبة يتناولون فى الفطور طعاما لا يفى بحاجاتهم الجسمية ، وثمانية الاف منهم ياتون الى مدارسهم ومعاهدهم من غير ان ياكلوا شيئا على الاطلاق .

وقد ثبت ان خمول بعض التلاميذ وصعوبة فهمهم لما يلقى عليهم من دروس ومحاضرات ، يرجع الى هذا السبب ، ولهذا تعنى بعض المدارس الابتدائية والاعدادية بالتنبيه على اولياء الامور بالاهتمام بفطور اولادهم ، والتاكد من ان اولادهم قد تناولوا القدر الكافى من الطعام قبل مغادرة منازلهم .

وقد عملت دراسات وتجارب فى اوروبا وامريكا فى المدارس الابتدائية والاعدادية ، فاعطيت مجموعة من التلاميذ كوبا كبيراً من عصير البرتقال فى الساعة العاشرة صباحا ، وتركت مجموعة مشابهة من غير ان تحظى بهذا العصير ، فوجد أن مجموعة التلاميذ الذين تناولوا هذا العصير اكثر مقاومة للاجهاد ، واكثر يقظة ونشاطا وفهما من تلاميذ المجموعة التى لم تحظ بنصيبها من ذلك العصير .

وقد وجد خبراء الانتاج فى المصانع ، عند دراستهم لأسباب النقص فى الانتاج ان نصف العمال والموظفين يصلون إلى مؤسساتهم فى الصباح ومعداتهم خاوية ، كما وجدوا ان نسبة كبيرة من حوادث المصانع تقع بين العمال الذين لم يتناولوا فطورهم .

وقد قام لفيف من علماء الجامعات باجراء عدة اختبارات على عمال متطوعين من مختلف الاعمار ، باجهزة علمية لقياس النشاط البدنى والعقلى والهدوء العصبى ، فظهر من اختباراتهم ودراساتهم ان تناول الفطور بكميات قليلة اسوا من تناوله بكميات كبيرة من ناحية القدرة على الانتاج ويقظة الذهن .

ولما كان الغذاء هو مادة الحياة والحافظة لكيان الجسم . كل عدم تناول القدر الكافى الملائم منه ، ضار إلى ابعد الحدود .

ولهذا فان احسن الحالات ان يعتدل الانسان فى غذائه فلا يسرف فيه . ولا يقتر تقتيراً ، بل يكون بين ذلك قواماً ، وهذا ما كان يعنيه الشاعر في امور الحياة كلها عندما قال :

بين تبذير وبخل رتبة
وكلا هذين إن دام قتل

رسائل مجهولة في الأدب والفن

بقلم: كمال النجمي

صاحب هذه الرسالة، ورسائل أخرى قد يتاح لنا نشرها، أديب لا أعرفه، ولكن الصداقة انعقدت بينى وبينه بظهر الغيب، وعشت أترقب رؤيته ومعرفة اسمه، حتى زارنى فجاة فى مكتبى بعد بضعة عشر شهراً قضاها يكتب رسائله إلى موقعة بثلاثة حروف هى: «م ٠ ع ٠ ع».

سعدت برؤيته وحديثه، ووجدته غزير المادة فى الأدب والفن، واسع الالمام بالأدب العربى والآداب الأجنبية، وسألته عن اسمه بعد تعمده تقديم نفسه بتلك الأحرف الثلاثة فقط، فقال ضاحكاً: حسبك منى هذه الحروف!..

ثم انقطعت رسائله وانقضت على انقطاعها مدة طويلة، فماذا حدث له؟!.. واين هو الآن هذا الأديب الغريب الأطوار؟!.

رسائله هذه تلقيتها منه فى الستينات، كانت ضائعة أو مضيعة لسبب خارج عن إرادتى، فلما عادت لى أخيراً أبهجتنى بما تحمله من نفحات الشباب، ورأيت فى نشرها فائدة محققة لمن يقرؤها، فانها قطع من الأدب والفن، انشرها كما كتبها تقريباً، عسى أن يقرأها صديقى هذا فيكشف عن نفسه بعد طول التخفى وراء الأحرف الثلاثة الغامضة..

ونبدأ بهذه الرسالة، ثم ننظر هل نستمر فى نشر بقية الرسائل أم نتوقف؟!..

صديقى..

كنت اقرا وِرْدَ صباحى بعد ان تصفحت مقالك عن المطرب اللبنانى وديع الصافى (١) وكاد تفكيرى فى مقالك يوقعنى فى خطا لولا ان تداركتنى رحمة الله فاتممت قراءة الورد صحيحاً.. ولكم عاودنى التفكير اثناء القراءة والتسبيح، فنفيت التفكير عنى بتركيز الذهن فيما انا بصدده، متوسلا إلى الأفكار ان تترك لى فرصة الاتصال بربى حتى افرغ لها خلى البال، فاعطيها حقها من الوفاء بما تريد، ولها عندى مزيد!..

ولما فرغتَ من وردى عدت إلى مقالكم فقراته حرفاً حرفاً، ووقفت وقفات طالت عند بعض فقرات، وقصرت عند اخرى.. وذهب بى التفكير كل مذهب، فاجلت خاطرى فى السجل الأسود القاتم لماسى البشر ممن عضهم الدهر او انشب فيهم اظافره، أو ضحك لهم ولطف بهم، ثم غدر بهم واسترد منهم ما وهب لهم، فعادوا بحسرة يرددون قول أبى الطيب:

أبداً تسترد ما تهب الدنيا
فياليت جودها كان بخلا

ولو أن الذين رزاهم الدهر كانوا خاملين أو ليست لهم مواهب تؤهلهم على اقل تقدير لأن يكونوا فى طبقة أناس دونهم فى المواهب، إذن لكان للدهر فى صنيعه الغادر بهم عذر واضح، ولقيل إن الامور تجرى على قاعدة مطردة، وقياس لا يشذ!..

ولكن الامر جرى على هؤلاء الموهوبين عكس المألوف، فوقعت بهم وبمن يعرفهم حيرة شديدة، وَهَمٌّ شديد، وتمثلوا قول الشاعر الحكيم:

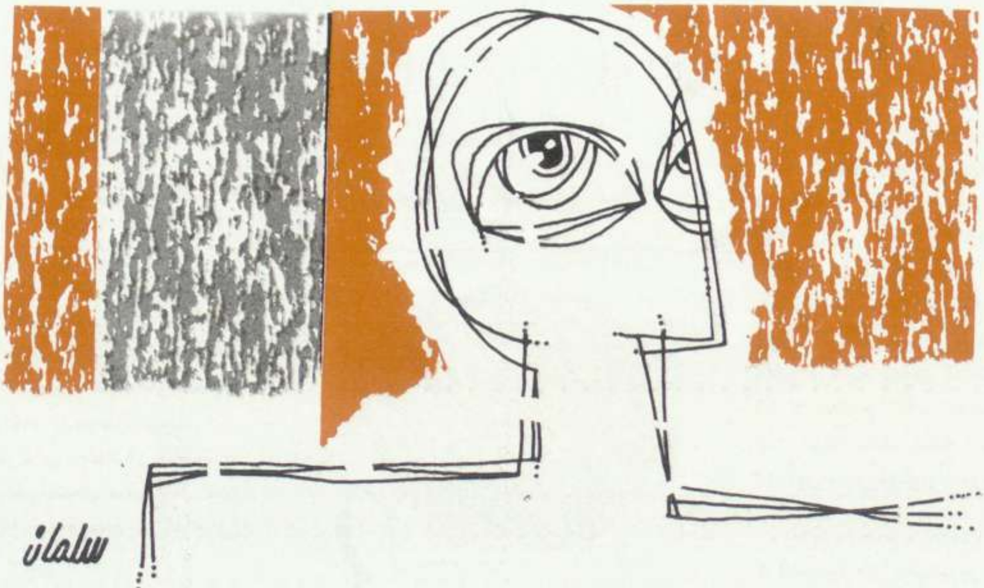
افاضل الناس اغراض لذا الزمن
يخلو من الهم اخلاهم من الفطن

هذا صاحبك المطرب اللبنانى ذو الصوت العظيم «وديع الصافى» يقع فى الديون والبطالة فلاتمتد إليه يد (٢) وهو الفلتة الفريدة فى صوته وفنه، لا يظهر مثله إلا واحد فى كل مائة سنة او مائتين، فهل ضاقت عنه الدنيا، أو على حد قولك: «اليس فى الأرض العربية التى تمتد من المحيط إلى الخليج مكان يأوى إليه وديع الصافى ويجد فيه الحنان والعمل؟!»..

صديقى..

اذكرنى مقالك هذا صفا طويلا من الموهوبين امثال وديع الصافى، من السابقين واللاحقين، أدباء وفنانين، وإنك لتعرفهم مثلى، فلا اعرفك بهم، ولكنى اجد حسرة على بعضهم ابث منها شيئاً فى رسالتى هذه إليك، فهل تعيننى يا صاحبى فى بثى وحزنى؟!..

فمن الذى قسا عليه الدهر كما قسا على الشاعر العباسى أبى الشمقمق الذى احبه



لكونه أديباً ظريفاً ، لحقته حرفة (٣) الأدب فجعلته كأنه يعيش من الدنيا فى صحراء مقفرة لا يجد فيها ما يأكله غير نبات الصبار ، وإلا فالرمل والأحجار ! ..

ولزم أبو الشمقمق داره فى أطمار بالية مسحوقة ، حتى زاره يوماً صديق له فبكى على حاله وقال له مواسياً : أبشر أبا الشمقمق فإنّا قد روينا فى بعض الأثر : « إن العارين فى الدنيا هم الكاسون يوم القيامة » ! فقال أبو الشمقمق : « إن صح والله هذا ، كنت أنا فى ذلك اليوم بزازاً » — أى تاجر ثياب ثم أنشأ يقول من أبيات حزينة له :

ولقد أفلستُ حتى
محت الشمس خيالى
ولقد أفلستُ حتى
حلَّ أكلى لعيالى !

كان أبو الشمقمق — كما تعلم — معاصراً لبشار وأبى العتاهية ، وكلاهما مشهور ميسور ، بل أن أبا العتاهية كان من أصحاب الوف الألوف من الدراهم والدنانير ! .. ولم يكن صاحبهما هذا دونهما شاعرية وشعراً ، ولكن تأمل ، كيف ساواهما فى الأدب ، وفارقاه فى نصيبهما من الدنيا ! ..

وعمرو بن الهدير الذى صور بؤسه أبلغ تصوير فى قصيدة مطلعها :

وقفت فلا أدرى إلى أين أذهبُ
وأى أمور بالعزيمة أركبُ

ثم يقول :

عجبت لأقدار علىَّ تتابعتْ
بنحس فأفنى طولَ دهرى التعجبُ

ويبلغ قمة الاحسان فى تصوير بؤسه بقوله :

ولو خفت شراً فاستترت بظلمةٍ
لأقبل ضوءُ الشمس من حيث تغربُ

هذا البيت الرائع يكشف بضوئه الساطع قول النابغة المشهور :

فانك كالليل الذى هو مدركى
وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

ويقول عمرو من قصيدته هذه :

أمامى من الحرمان جيش عرمرم
ومنه ورائى جحفل حيث أركب

فكيف ترى هذا الشاعر الذى يكفى لاستدرار الدموع قوله : « وقفت فلا أدرى إلى أين أذهب » ! .. وما أظن هذه القصيدة غائبة عنك أيها الشاعر (٤) ولا غائبة عنك قصائد الشاعر العظيم ابن الرومى ، الذى بلغ به حرمانه أن يقول :

ولقد مُنِعْتُ من المرافق كلها
حتى مُنِعْتُ مرافق الأحلامِ
من ذاك أنى ما أرانى طاعماً
فى النوم أو متعرضاً لطعامِ
إلا رأيت من الشقاء كأننى
أُثْنَى وأُكبح دونه بلجام

وقوله حين استجدى أحد إخوانه كساء فمطله وعذبه بالمطال وإخلاف الوعد :

جعلت فداك لم أسالك ذاك الثوب للكفن
سألتكه لألبسه .. وروحى بعد فى بدنى!

ولست بحاجة إلى تنبيه أديب وشاعر سلك مسالك الشعر الخفية إلى مكانة ابن الرومى ، فهو على رأى أديبنا الكبير العقاد من أكبر شعراء الدنيا على الاطلاق ولكنه هلك أسى وجوعاً ! .. وكان ابراهيم عبد القادر المازنى يخاصم جميع أغنياء ووجهاء القرن الثالث الهجرى لما وقع على ابن الرومى من الظلم الفادح ! ..

وهذا أبو العلاء المعرى ، مفخرة الأدب العربى ، الذى قال فيه الخطيب التبريزى : « لا أعرف كلمة نطق بها العرب لم يعرفها المعرى » ! ..

هذا الأديب العظيم الذى كتب « رسالة الغفران » .. لم يسبقه إلى موضوعها أحد ، إلا إذا شئنا أن نستثنى لوسيان فى محاوراته للموتى ، وفتح برسالته هذه باب التأليف لدانتى وملتون فى الكوميديا الالهية والفردوس المفقود ..

ماذا أصاب المعرى من بلهنية دهره ؟! .

قبع رهين المحبسين ، قانعاً بما يساوى بالعملة المصرية مائة وعشرين قرشاً « أكثر قليلا من ريال واحد » .. هى كل دخله ونفقته كل شهر فى هذه الدنيا التى كابدها ثمانين عاماً ! ..

أما فى أوربا ، فأن أعدل شاهد على ما أنا بصدده ، حالة الشاعر « ريتشارد سافاج » الذى عاصر الشاعر الانجليزى الحكيم اسكندر بوب ، وسويفت ، وأديسون وغيرهم من كبار الأدباء الانجليز .. وقال عنه الناقد الكبير الدكتور صمويل جونسون : « إن أعماله نتاج شاعرية عبقرية حقة » .

كيف عاش هذا الشاعر الكبير ؟ ..

أدع المجال للدكتور جونسون ثم للآنسة إديث سيتويل الناقدة البارعة ، يحدثاننا عن ذلك ، وأترجمه بنفسى غير معتمد على ترجمة أحد .. يقول عنه الدكتور جونسون : « إن فقره كان على درجة يستطيع القلائل تحملها بصبر يساوى صبره » ! .

وتقول إديث : « كان يعيش عموماً على المصادفة ، يأكل « فقط » حينما يدعى إلى موائد عارفى فضله ، وكانت ملابسه الرثة تبعده عنهم غالبا ، بينما أدبه وتنوع حديثه يعتبران تعويضاً كافياً لضيافته ! ..

رسائل مجهولة في الأدب والفن

وكان يسكن بالمصادفة ، ويقضى الليل احيانا فى اخصاص حقيرة تفتح لأبناء السبيل الهائمين على وجوههم ، واحيانا فى كهوف واغوار ، بين العربدة والشغب مع اقذر واحط وأشد الغوغاء تهتكا ! .. فاذا فاته ذلك ، هام على وجهه فى الشوارع حتى يتعب فينام على هيكل سفينة إذا كان الوقت صيفا ، اما شتاء فمع شركائه فى الفقر حيثما وجد ماوى » !

ثم نلتفت الى عهد قريب منا فى بلادنا ، فنرى مثلين للبؤس من رجال الادب ، ونموذجين للفاقة من رجال الغناء والفن ..

فاما فى الادب ، فامام العبد وعبد الحميد الديب ، واما فى الفن فصالح عبد الحى وزكريا احمد .

عاصر إمام العبد احمد شوقى امير الشعراء وحافظ ابراهيم شاعر النيل ، وكان من طبقة حافظ فى الشعر او دون طبقته بقليل ، وهو شاعر مجيد على كل حال ، ولكنى سمعت من شيوخنا الثقات انه كان يستجدى ! ..

ورايت عبد الحميد الديب وادركته قبل وفاته باربع سنوات .. رايته فى مقهى الفيشاوى بالقاهرة ، ياكل ويشرب القليل على حساب اصحابه ، ويدخن من سجائرهم ، وياخذ من مالهم قروشا تعد على الاصابع ، و يرفل فى أسمال بالية .. أما طربوشه على راسه ، فكان عجبا من العجب فى لونه الحائل وما علق به من أوضار ! .. وحق له ان يقول :

وهام بى الأسى والبؤس حتى
كانى عبلة والبؤس عنتر

كان عبد الحميد الديب على عكس ما اشيع عنه ، عالما باللغة والأدب وان انقطع عن الدراسة فى دار العلوم ولم يعن بعدها بقراءة شىء يذكر .. ومن مؤلفاته ـ والله أعلم ـ كتاب لكاتب معروف محقق مدقق ، اشتراه من انشاء قلمه البليغ بملاليم ! ..

وصالح عبد الحى الذى اطرب واشجى وظل محافظا على طابعه التراثى المتقن فى الغناء ، كيف عاش اخريات عمره ؟! ..

لقد هده الداء وتنكرت له الأيام ، وانزوى وحيدا مشلولا فى احد المستشفيات ثم فى شقته المتواضعة ، لا يتحرك بجواره فى ظلام وحدته إلا احدى اخواته ! ..



كان صالح عبد الحى من سلاطين الطرب منذ بداية العقد الثانى للقرن العشرين إلى الخمسينات .. كسب الذهب والفضة بالقناطير ولم يدخر شيئا ، وشقى فى اخرياته ، فى حين ارتفع بعض من كان ينهق نهيق حمار ، وينعب نعيب غراب . وينق نقيق ضفدع ، ثم يتعالى على خلق الله بما يجرى بين يديه من المال ! ..

وزكريا احمد شيخ الملحنين ، اتى عليه وقت لم يكن يملك فيه قوت يومه ، ولكنه يتعفف أن يسال احدا شيئا .. ومات الرجل وليس فى بيته ثمن أكفانه ! ..

ثم نعود يا صديقى الى قولك : « انها لفضيحة كبيرة أن نعجز عن حماية وديع الصافى » ! .. فاية فضيحة هذه ؟؟ ..

صحيح أن الصافى قد صار اضيع من البدر فى ليالى الشتاء ، ولكنه افضل حالا من جميع العباقرة الذين ذكرناهم ، وما اظن ضائقته هذه إلا سحابة تنقشع قريبا (٥) .. ولكن قلبى حزين على من عاشوا حياتهم كلها قتلى الحاجة وهم احق الناس بالحياة ! .

ماذا عسى أن اقول ؟ ! ..

لقد مات الشاعر ريتشارد سافاج فى السجن مدينا ، ولو كنت معه فى يومه وفى قومه لدفعت عنه السجون والديون ، ولما تركته يموت مفؤودا محطما ! ..

ويا رحمتا لصديقى ابى الشمقمق وهو عار يتستر بجدران بيته المتهاوية ، ويا حزنا لابن الرومى ، وهو يقبض الريح من ممدوحيه ثم يموت مسموما فى خشكنانه ، ثم لا يعترف احد بمنزلته فى الشعر إلا بعد موته بالف سنة ! .. وكانوا فى حياته يهزأون به ويقولون : موسوس ممرور (٦) .

وعبد الحميد الديب مات حافيا ، ومن لا أسميهم من الشعارير الأدعياء عاشوا فى سعادة وهناء .

هؤلاء العظماء لم تكتف الدنيا بقطع رطل او ارطال من لحمهم على طريقة شيلوك اليهودى ، بل اكلتهم لحما ورمت بهم عظاما نخرة ! ..

وهم على رأى الكاتب الروسى جوجول : عاشوا يشتهون لحم الحصان العجوز الذبيح ، بينما غيرهم يركض الخيل المطهمة ، وينتقل من ظهر حصان إلى آخر بلا اكتراث ! ..

وسلام على صديقك المطرب الصافى ، وعلى كل من تغيم سماؤه من أهل الفن والأدب ! .. فبشره بانقشاع غيمة الصيف من حياته السعيدة المديدة إن شاء الله ! ..

كمال النجمي

هوامش

(١) نشرت هذه المقالة سنة ١٩٦٥ فى مجلة فنية بمبادرة من صديقنا رجاء النقاش ، وتناقلتها مجلات لبنانية بعد أن ضممناها إلى كتابنا .« اصوات والحان عربية » .. وهذه الرسالة المجهولة التى تطالعها ، تعليق على تلك المقالة وخواطر انبثقت منها لصديقنا م . ع . ع .

(٢) كان ذلك منذ عشرين عاما تقريبا ..

(٣) حرفة الأدب ـ بضم الحاء ـ فاقته وشقاؤه .

(٤) القصيدة بتمامها فى الجزء السادس من العقد الفريد ، طبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة ..

(٥) سارت الدنيا بالصافى سيرها العادى بعد ذلك .

(٦) صار ابن الرومى موسوسا لتوالى المصائب عليه ، ولكنه لم يكن ممرورا ، وكلمة « ممرور » معناها « مجنون » وتستعمل فى عصرنا بمعنى المرارة تصيب النفس ، وهو خطا شائع ، ولعله اتساع جائز فى استعمال اللفظ ، بعد استئذان مجمع اللغة العربية ! ..



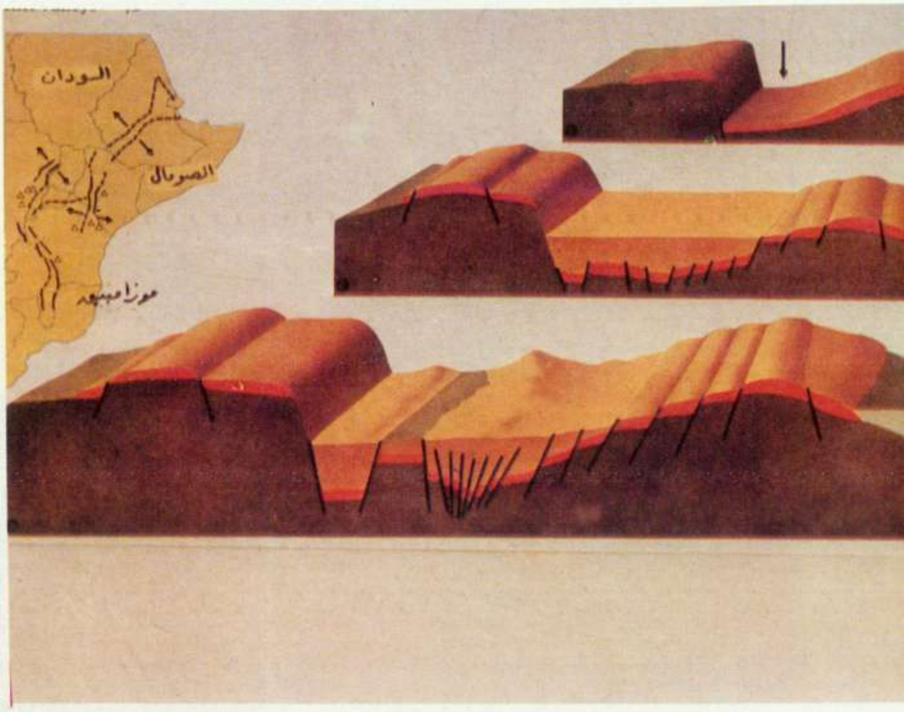
شكل (١) صورة باحد الأقمار الصناعية لجنوب البحر الاحمر وخليج عدن .. فالبحر ذاته كان نتيجة لشرخ فى قشرة الأرض بسبب انفصال قارة افريقيا عن قارتي اوربا واسيا منذ عشرات الملايين من السنين ، ثم ما تبع ذلك من هجرة شبه جزيرة العرب شرقا ، ليتسع البحر اكثر فاكثر .. هذه المنطقة معرضة ايضا لصدع حديث نسبيا يبدا من المثلث المعروف باسم مثلث عفار بالحبشة ، ويمتد جنوبا فى جسم القارة كشرخ هائل .

أرض تتشقق.. وقارات تتحرك ..لكن إلى أين؟

بقلم : د . عبد المحسن صالح

دعنا نفترض أننا قد أعدنا عقارب الزمن الى الوراء بضع عشرات الملايين من السنين ، ثم نظرنا الى هذا الكوكب من ارتفاع شاهق ، وبحيث تبدو لنا حدود بحاره ومحيطاته وقاراته وتضاريسه المميزة التى توضح لنا معالمه الاساسية .. عندئذ سنرى الأرض التى نعرفها الآن ، أو عرفها الانسان من قديم الزمن ـ ذلك أن الزمن يغير ولا يتغير ، يبدل ولا يتبدل ، ولقد ترك لنا بصمات هذا التغير والتشكل على صفحات هذا الكوكب ، فظهرت جزر وجبال ، واختفت غيرها ، وضاقت محيطات واتسعت اخرى ، وولدت بحار ، وانحسرت المياه عن مثيلاتها ، وتحركت القارات فى اتجاهات شتى ، وهاجرت هجرات كبرى ، فتغيرت مواقعها وبعض معالمها ، وكذلك مناخها وتضاريسها وزرعها وضرعها .. الى أخر هذه الاحداث المثيرة التى بدأ علماء القرن العشرين فى قراءة بصماتها ، ليتبين لهم ولنا أن أمور هذه الأرض ليست مستقرة ، وكأنما هى تشير الينا بأن دوام الحال من المحال ـ كما يقولون .

وعلماء طبقات الأرض فى هذا المجال كخبراء الجريمة الذين يبحثون عن أى دليل يقودهم الى الفاعل ، أو كالطبيب الشرعى الذى يشرح جثة القتيل عله يهتدى الى الأداة التى تسببت فى الوفاة ، أو يحدد أن كانت بفعل فاعل ، أو هو انتحار .. صحيح أن الأرض ليست كائنا حياً ، لكنها مع ذلك تتعرض لحالات من الضنك الشديد



شكل (٢) إلى اليسار خريطة توضح اتجاهات حركة الصدع الأعظم فى جسم القارة الافريقية) المشار إليها باسهم) .. أما المثلثات المنتشرة حول الصدع فتوضح مواقع براكين حديثة نتيجة لهبوط بلاطة من قشرة الارض منذ حوالى ١٣ مليون عام .. وإلى اليمين اشكال توضيحية تبين مراحل التطور التى مر بها الصدع ثم ما آل إليه حاله فى المليون سنة الأخيرة (الصورة السفلى) .



شكل (٣) صورة لجزء من الصدع الأعظم فى جسم القارة الافريقية ، وهو يمتد كاخدود مطموس بالمصهورات والرسوبيات لآلاف الكيلومترات عبر الحبشة والصومال وكينيا وتانزانيا ، وهو لايزال مركزا لبراكين نشطة .

والتوتر القاتل ، وهو ضنك أو توتر لا يقتلها بل به قد نتوتر نحن ونفزع ونصرخ ونهرب وقد نموت بسببه ، أو قد تدمر القرى ، وتهدم المدن على من فيها .. ذلك أن سطح الأرض ذاته يرتعش ويرتعد ، وأحيانا ما يتشقق ، وحول هذه الشقوق او فيها تثور البراكين وتلقى بملايين وبلايين الاطنان من حممها وغازاتها وبخارها ، ولقد فزع الانسان القديم أو البدائى من هذه الظواهر المفزعة ، وعللها باساطير وخرافات وارجعها الى قوى مدمرة ، لو قوى غضبانة .. ثم يجىء العلم ليوضح لنا كل ما غاب عن مدارك الأجيال السابقة ، ويضع بين أيدينا حقائق مثيرة ، وأنباء غريبة ، وهى إن دلت على شىء فانها تدل على أن أرضنا لازالت قلقة ، ثم تعبر عن قلقها وضنكها الكامن فى جوفها ، بما يظهر لنا على قشرتها أو سطحها من أحداث رهيبة نعمل لها ألف حساب وحساب .

قشرة مشروخة

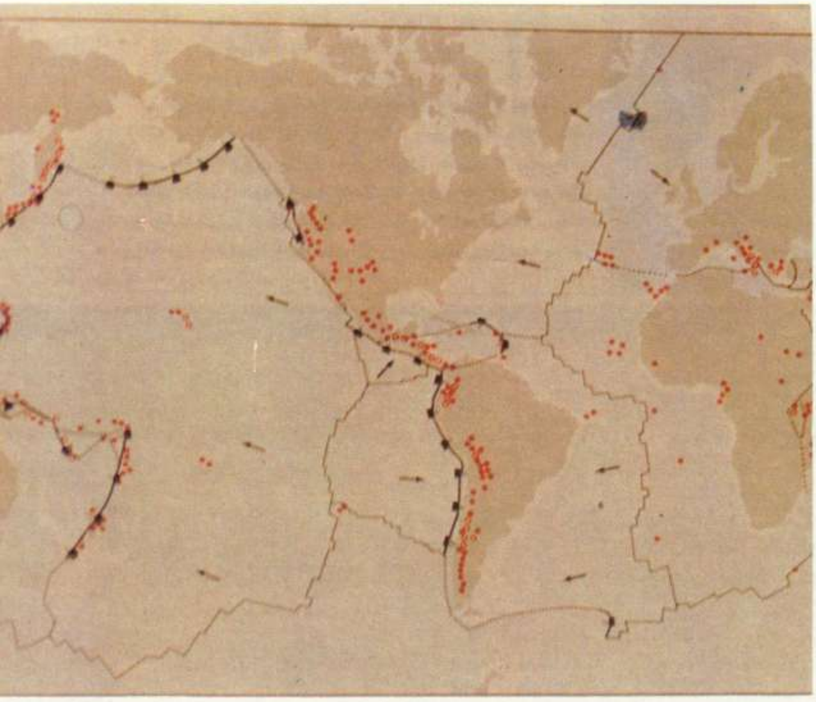
إن أهم شىء يوضح لنا سبب هذا الاضطراب الممثل فى الزلازل والبراكين التى لا تخلو منها الأرض فى أى عام — سبب ذلك أن سطح الأرض أو غلافها أو قشرتها الخارجية ليست قشرة سوية ، أو سطحاً متصلا ، بل هى أقرب الى بيضة وضعت فى ماء يغلى ، فانتشرت فى قشرتها شروخ ، ومن بعض هذه الشروخ قد ينز مع البيضة ، ثم يتجمد على السطح كبروزات صغيرة .

بمثل هذه الصورة المبسطة يمكن تصور ما آل اليه سطح الكوكب .. فقشرته مميزة بعدد من الشروخ الهائلة ، قليلها يبدو لنا على السطح ، وكثيرها يختفى عن انظارنا فى قاع البحار والمحيطات .. وفى القاع تجرى أحداث رهيبة لو انها تجلت لنا على حقيقتها ، لولينا منها فراراً وفزعاً ، ولحسبنا أن الأرض ستنفلق لا محالة .. لكن لا تحمل لذلك هما ، لأن الأرض ذاتها أعظم وأضخم مما قد نتصور ، ولن تؤثر فى كتلتها العظيمة بضع شروخ سطحية كالشروخ التى قد نراها على غلاف رقيق لثمرة .

لكن شروخ القشرة الأرضية قد سارت فى ديناميكية مستمرة ، وهى التى تغير وتبدل فى تضاريس الأرض ، بل وتحرك قارات بأكملها ، وتدفعها الى رحلات طويلة تقطع فيها مئات وآلاف الأميال ، لتتجه فى رحلاتها اتجاهات شتى .

ولكى نحول هذا الكلام الى واقع ، فلا أقل من التعرض هنا للمنطقة التى نعيش فيها ، اذ تحيط بها عدة شروخ ، والبحر الأحمر نفسه شرخ صغير ضمن شروخ عظمى تحيط بالكرة الأرضية .. ويعنى هذا أن البحر الأحمر لم يكن بحراً منذ حوالى ٤٢ مليون عام .. ويعنى اكثر ان شبه جزيرة العرب كانت فى الماضى السحيق جزءاً من القارة الافريقية .. أى انها كانت أرضاً متصلة بشرق مصر والسودان والحبشة .. ثم حدث صدع أو شق فى قشرة الأرض ، واخذ الشرخ يتسع ببطء شديد ، وفيه اندفعت مياه خليج عدن ، وكلما زاد اتساعه ، زاد اندفاع الماء خلاله ، حتى وصل الى ما هو عليه الآن (شكل ١) .. لكن هل توقف الصدع عن حركته واتساعه ؟

الجواب : لا بالقطع ، فالبحوث الكثيرة التى أجراها العلماء على قاع البحر الاحمر فى السنوات القليلة الماضية قد اوضحت ان هذا الشرخ لا يزال يتسع ، وبمعدل يصل الى سنتيمترين أو ثلاثة فى كل عام ،





شكل (١٤ ، ب) خريطة توضح حدود الشروخ والبلاطات الارضية التى ترتكز عليها القارات او مياه المحيطات . والاسهم تشير إلى حركة واتجاهات هذه العلاقات .. اما الدوائر الصغيرة التى تسير جنبا إلى جنب مع هذه الشروخ فهى توضح مراكز البراكين (ا) او بؤر الزلازل (ب) .. لاحظ ان الدوائر الموجودة فى شبه جزيرة العرب هى دوائر مطموسة ، ويعنى انها كانت بؤرا لبراكين ثارت منذ عشرات الملايين من السنين ، لكنها اصبحت بعد ذلك خامدة ، وهذه تشير إلى ان شبه الجزيرة لابد انها تحتوى على ثروات معدنية هائلة تستحق البحث

وسوف تستمر هذه العملية عشرات الملايين من السنوات القادمة ، ويعنى هذا ان شبه جزيرة العرب سوف تبتعد اكثر فاكثر عن شرق القارة الافريقية ، وسوف يتسع البحر الاحمر تبعاً لذلك ، الى ان يصير جزءاً من محيط ، أو قد يصبح محيطاً قائماً بذاته .

شرخ فى اليابسة

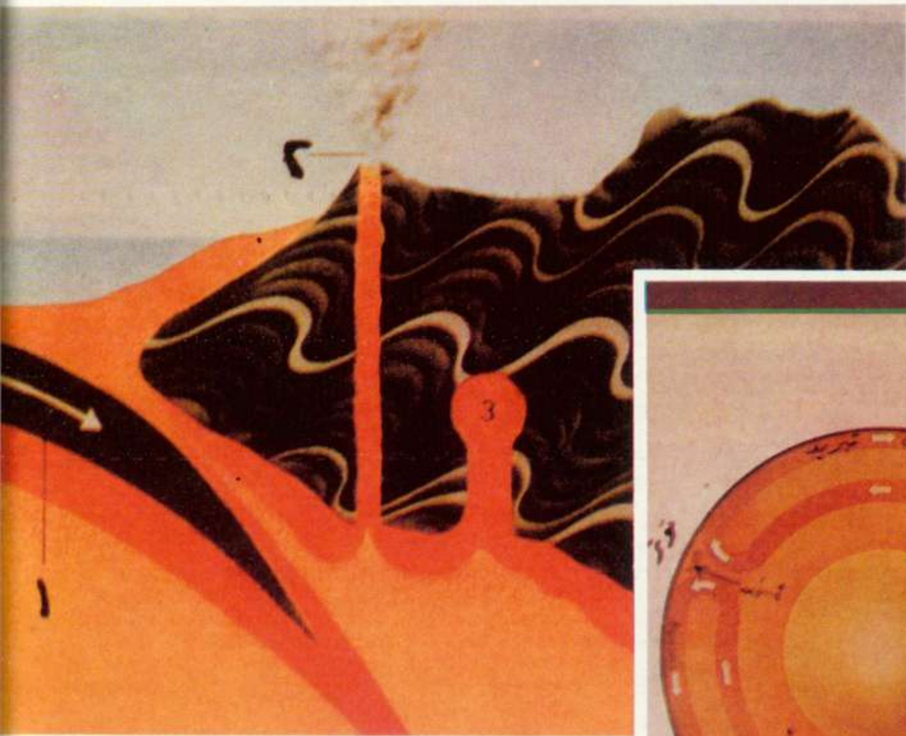
وقد يبدو هذا الاستنتاج مثيراً وغريباً وقد يثير تساؤلا له ما يبرره ، اذ يدرينا أن ذلك صحيح ، خاصة وأن أحداً لم يكن موجوداً منذ حوالى ٤٢ مليوناً من الأعوام ليشهد الحادثة ، ويخرج بهذا الخبر الغريب ؟

وهذا صحيح .. لكن الشىء يعرف من آثاره وبصماته .. ان الأعرابى المتمرس قد ينظر الى السطح الرملى ، ثم يشير ويقول : لقد مر غزال من هنا ، وكان يتبعه أسد ، وهو يستطيع أيضاً أن يحدد زمن الاثر .. ان احـــداً لم ير غزالا أو أسداً ، لكن آثارهما تدل عليهما ، وكذلك الحال مع العلماء .. فاثار الصدع لازالت سارية فى قاع البحر الاحمر ، وعمر الصخور المنتشرة على جانبى الصدع توضح القديم منها والحديث ، ومنها يستدل على عمر الحدث !

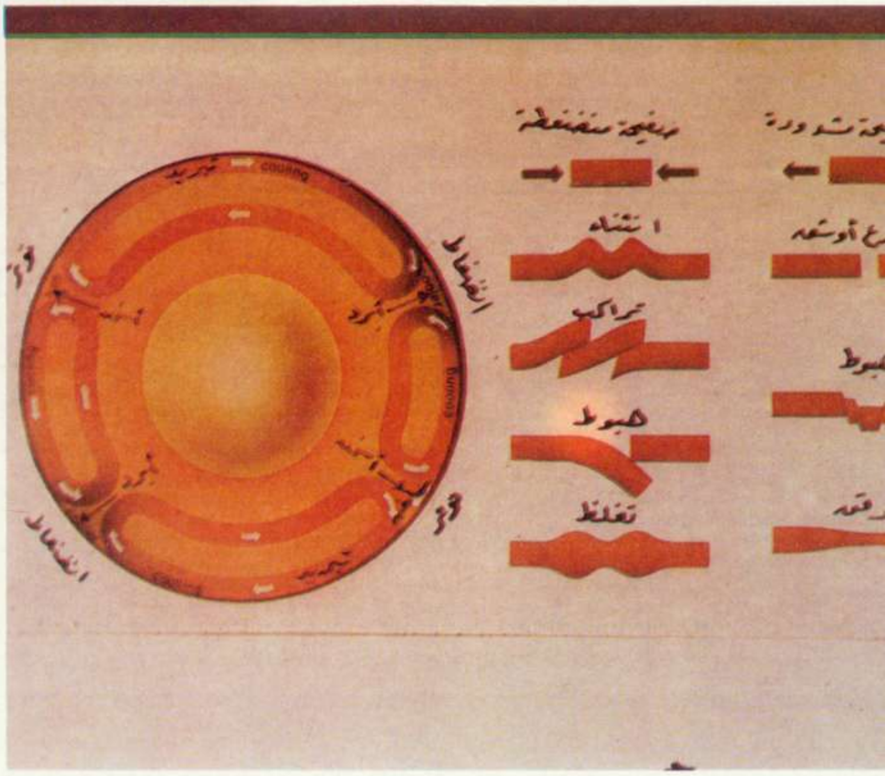
ومع أن أحداً لم يشهد ما حدث فى صدع البحر غير العلماء ، الا أن هناك حدثاً آخر يعبر عن نفسه على اليابسة ، ويمكن رؤية أحداثه فى المنطقة المعروفة باسم مثلث عفار بالحبشة ، ففيه صدع يمتد جنوباً فى جسم القارة الى حوالى ٢٥٠٠ كيلومتر ، ومارأ بشرقها ، وهو فى الوقت ذاته جزء من صدع أعظم يبدأ من قاع خليج عدن ، فالمحيط الهندى ، ثم يتشعب شرقاً فى المحيط الباسيفيكى ، وغرباً الى المحيط الأطلنطى ماراً بجنوب القارة الافريقية .

وعن هذا الصدع الذى يحظى الآن بدراسات وافية ، علها تكشف الحجاب عما يعترى الأرض من اضطرابات متلاحقة ـ يحدثنا نيجل كالدر فى كتابه الممتـــع « الأرض القلقة » فيقول : تجول قليلا الى الغرب من نيروبى عاصمة كينيا .. هناك ستجد الأرض قد تصدعت وغارت .. انت الآن تقف على سفح جبل يمتد على مدى البصر جهة الشمال والجنوب ، وتحت قدميك يكمن الصدع الاعظم على هيئة واد واسع غائر ، الا انك تستطيع ان ترى ذلك أوضح من طائرة محلقة فوق الوادى .. عندئذ يتجلى لك الاخـــدود العظيم وهو مبطن بمصاطب ضخمة من الصخر يعلو بعضها البعض الآخر ، ولاشك انك ستلحظ ثقوباً تدل على فوهات براكين قد تثور حيناً وتهدأ حيناً آخر ، ومن هذه البراكين انطلقت المصهورات عبر ملايين السنين ، واندفعت صوب الصدع العظيم ، وتراكمت فيه طبقات من فوق طبقات ، حتى وصل ارتفاعها فيه الى ما يزيد عن ١٦٠٠ متر عمقاً ، ومع ذلك لم يردم الصدع ، بل لازال ينبىء عن حاله .. فرغم أن البراكين قد تبدو الآن ساكنة ، الا أن المنطقة مصابة بشرخ عظيم ، وهى بؤرة لزلازل وابخرة غازية ساخنة وينابيع حارة تنبثق من جوف الصدع الكبير : (شكل ٢ ، ٣) .

ان هذا الشرخ غير ساكن ، بل هو يتحرك حركة جد بطيئة ربما أقل من سرعة نمو الظفر ، ففى غضون العشرين مليوناً



شكل (٦) رسم توضيحى لهبوط بلاطة من قاع المحيط (١) تحت بلاطة اخرى لاحدى القارات . ومن احتكاك البلاطتين تهتز المنطقة بزلازل عاتية ، وقد تثور الأرض ببراكين مدمرة ، فتلقى حمماً ومصهورات ضخمة . لتتكون منها جبال وهضاب بحرية غائرة ، او قد تكون على سطح الارض ظاهرة (يمكن رؤية مواقع الهبوط هذه عند الشروخ فى شكلى ١٤ ، ب ـ على هيئة رؤوس مثلثات سوداء) .



شكل (٥) إلى اليسار مقطع توضيحى فى جسم الارض يبين كيف تدور المصهورات من باطن الأرض إلى بطانتها وقشرتها فى تيارات حمل حرارى لا تتوقف أبداً ، ويقال إن هذه التيارات هى التى تحرك البلاطات ، فتقع تحت اجهادات كثيرة تؤدى إلى تشكيلها تحت ضغط او شد ـ كما هو مبين جهة اليمين (انظر شكل ٦) .

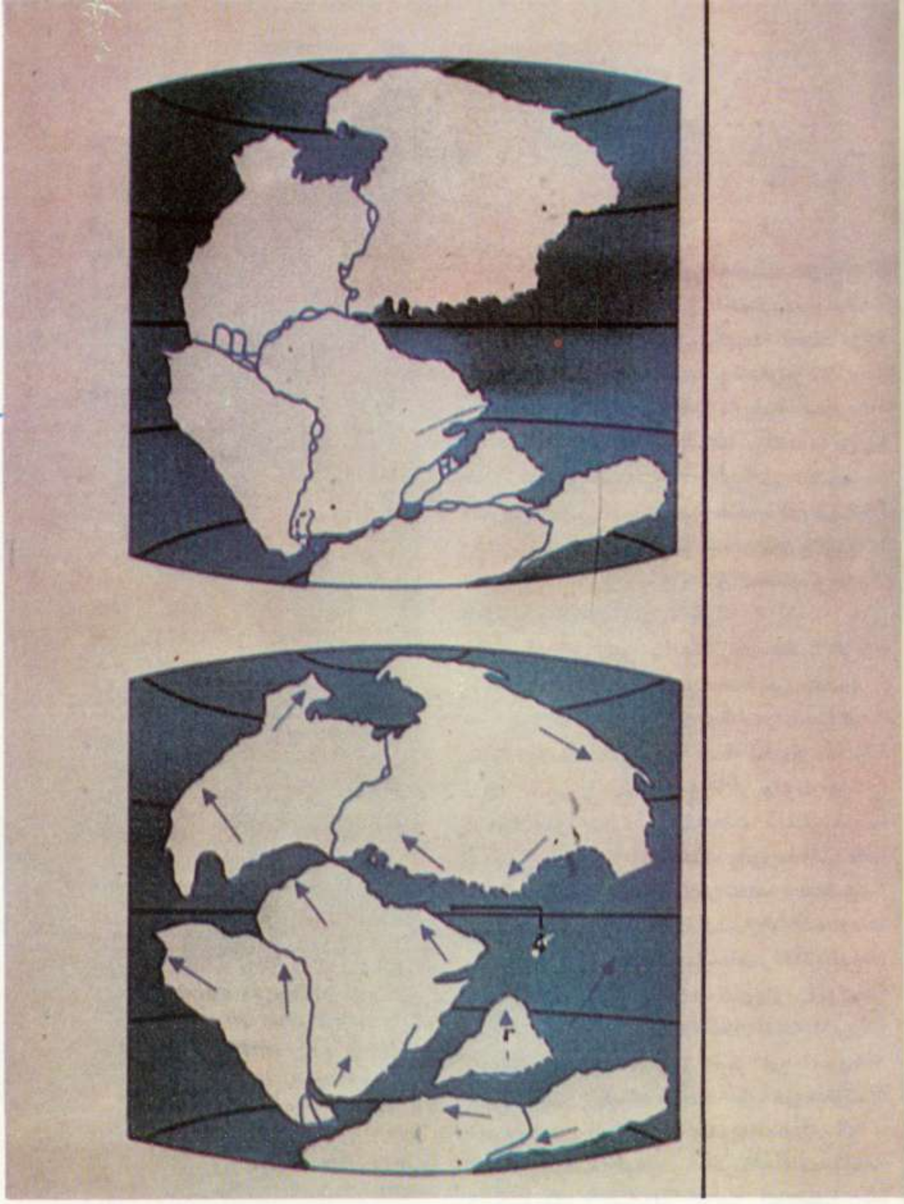
من الأعوام الماضية اتسع ووصل حوالى عشرة كيلومترات عرضاً ، وهو لا يزال يتسع ، مما ينبىء ببتر جزء كبير من جسم القارة الافريقية فى المستقبل البعيد ، ليتحول الشرخ إلى محيط جديد .

بلاطات تتحرك

والواقع ان هذه المسرحية الغريبة التى تجرى احداثها فى المنطقة المحيطة بنا ، ليست الا جزءاً من احداث أوسع تمتد بطول الأرض وعرضها .. صحيح ان كل شىء حولنا هادىء ومستقر ، ولم نشهد بحراً يتسع ، او جبلا ينفلق ، او محيطاً يظهر ، أو يابسة تتحرك ، أو جزيرة تبزغ .. الخ ، لكن ذلك لا يعنى أن هذه الأحداث غير موجودة ، بل يعنى انها تحدث ببطء شديد وحركة غير محسوسة .. لكن اعط هذه العمليـــة عمراً يقـدر بملايين وعشرات الملايين من السنين ، عندئذ تعطيك نتيجة دامغة ، ومعالم واضحة .

ان الشروخ او التصدعات فى القشرة الأرضية موجودة ـ ما فى ذلك شك ، وحركة القارات كذلك ، ومثلها ايضاً ارضية قاع البحار والمحيطات ، وسبب ذلك ان الشروخ تفصل القشرة الأرضية على هيئة بلاطات أو صفائح رقيقة ، والوصف هنا نسبى ، لانها رقيقة فقط بالنسبة لما تحتها من طبقات يصل عمقها حتى مركز الأرض الى حوالى ٦٤٠٠ كيلومتر ، والقشرة الصلبة ذاتها يتراوح سمكها ما بين ٢٥ ـ ٧٠ كيلومتر .. اى حوالى جزء من مائة جزء من سمك جسم الكوكب ذاته .. هذا والبلاطات السميكة هى التى ترتكز عليها القارات ، اما بلاطات قيعان المحيطات فارق (بين ٢٠ ـ ٢٥ كيلومترا) ، لكنها أكثف واصلب واشد كثيراً من بلاطات اليابسة ، فكانما هذه بمثابة خبث الحديد المتجمد ، وهو الأسهل تهشيماً ، بعكس بلاطات قاع المحيطات التى تشبه الحديد ذاته ، اذ ان هـــذه البلاطات تتكون أساساً من صخور بازلتية شديدة الصلابة ، فى حين أن اليابسة تتكون أساساً من صخور جرانيتية اخف .

وبلاطات القشرة قد تكون كبيرة او متوسطة او صغيرة .. فالقارة الافريقيـة ترتكز على صفيحة واسعة حدودها الغربية الصدع الأعظم الممتد فى المحيط الأطلنطى من جنوبه الى شماله ، وحدودها الجنوبية قرب المحيط المتجمد الجنوبى ، والشرقية فى صدع المحيط الهندى ، والشمالية عند الصدع التى يفصلها عن قارة اوربا (البحر الأبيض المتوسط) .. وللأمريكيتين صفيحة أخرى ، وكذلك للمحيط الباسيفيكى واحدة ولقارتى أوربا وآسيا صفيحة ، وللهند واستراليا بلاطة يقع معظمها تحت مياه المحيط الهندى والباسيفيكى .. الخ ، امـا الصفائح الأخرى الصغيرة فواحدة لشبه جزيرة العرب ، وثانية لايران ، وثالثـة لتركيا ، ورابعة تحت البحر الكاريبى ، وخامسة غرب حدود امريكا الجنوبية تحت



شكل (٧) الصورة العليا توضح ان القارات كانت جميعا كتلة واحدة يحدها بحر واحد عظيم الاتساع . ثم حدثت فى هذه الكتلة شروخ ادت إلى تكوين بلاطات او صفائح فى قشرة الارض ، ثم تحركت البلاطات فى اتجاهات شتى (كما تشير الأسهم إلى ذلك فى الصورة السفلى) لاحظ ان شبه القارة الهندية بدات كجزء مستقل عن كل القارات (تراها إلى شرق افريقيا (بمين تحت) .. كما ان افريقيا لازالت تلبس فى امريكا الجنوبية .. واوربا وآسيا ملتصقتان بامريكا الشمالية .

قاع المحيط (تعرف باسم صفيحة نازكا) .. وسادسة فى شمال شرق البحر الأبيض (صفيحة بحر ايجة ـ وهى بؤرة من بؤر الزلازل التى قد ينتشر تاثيرها الى مصر وبعد البلاد العربية المجاورة) .. ولهذه الصفائح جميعاً حركات متفاوتة ، واتجاهات شتى ، فمنها ما يتجه شرقاً أو غرباً أو شمالا أو جنوباً أو حركات وسطاً بين هذه الاتجاهات (شكل ٤ أ ، ب) .

ان صفيحة شبه جزيرة العرب مثلا لازالت تتحرك نحو الشرق بمعـــــدل سنتيمترين فى كل عام (وفى تقدير اخـر ثلاثة) ، وهى تحتك بصفيحة ايران وتضغط عليها.

كما أن القارة الافريقية تتحرك شمالا نحو جنوب أوربا ، وقد تكتسح امامها البحر الأبيض المتوسط ، فلا تترك فيه الا بحيرات محدودة ، وعندئذ تتصل القارتان فى أماكن كثيرة .. واحداث اخرى كثيرة تغير وتبدل ، ولا يتسع المجال هنا لذكر المزيد .

القوى المحركة

والسؤال الذى قد يراود الاذهان الآن : ما هو الدافع الذى يسيطر على كل هذه الأحداث ويوجه البلاطات وجهات شتى ؟

لكى نبسط الأمور . دعنا نقدم تجربة بسيطة نوضح بها ما سبق ان ذكرناه ، فلنتصور أننا وضعنا قطعاً من الورق المقوى على سطح ماء فى وعاء ، وان هذه القطع يلامس بعضها البعض الآخر ، عندئذ ستظل متجاورة مالم تتعرض لقوة تحركها .. لكن عندما نضع موقداً تحت الوعاء ، نلاحظ أن قطع الورق قد بدات تتحرك ببطء ، وتبتعد عن بعضها فى اتجاهات شتى ، وقد يدور بعضها على السطح ثم يعود لتصطدم حافة هذه بتلك ، أو تتزحلق بجوارها وتمر مروراً عابراً ، أو تنزلق حافة غاطسة قليلا تحت حافة اخرى أكثر طفوا .. الخ .

ان تعليل هذه الحركة لا يخفى مغزاها على لبيب ، فالطاقة الحرارية تؤثر فى قاع الاناء فيسخن ، وعندئذ يرتفع الماء الساخن الى أعلى ، ويهبط البارد الى أسفل ، فيسخن ويصعد ويهبط .. الخ ، وهـــذا ما نطلق عليه اسم تيارات الحمل الحرارى .. وهذه التيارات الصاعدة الهابطة تؤثر فى تحريك الماء السطحى ، فتتحرك قطع الورق تبعاً لذلك .. جرب تستنتج !

بمثل هذا التصور البسيط يمكن شرح حركة البلاطات السميكة .. اذ كلما توغل الانسان فى جوف الأرض ترتفع الحرارة شيئاً فشيئاً ، الى أن تصل الى مئات وآلاف الدرجات المئوية فى جوف الأرض (اى حول المركز) .. ولهذا فان معظم الجوف من مصهورات واقعة تحت ضغط شديد باتيها مما فوقها من طبقات ســـمكها آلاف الكيلومترات .. وطبيعى أن هـــذه المصهورات تتحرك وتمور كفرن هائل ، ولهذا تحدث فيها تيارات حمل حرارى ترتفع وتهبط وتضغط على طبقة سميكة تقع تحت قشرة الأرض مباشرة وتعرف باسم البطانة او الوسادة ، وهذه يصل سمكها الى حوالى ثلاثة آلاف كيلومتر .. المناطق الخارجية منها ليست صلبة تماماً ولا سائلة تماماً ، وهى أشبه باللدائن او المطروقات المعدنية التى كلما زادت حرارتها زادت ليونتها ، وبهذا يمكن طرقها او سحبها أو تشكيلها بسهولة (شكل ٥) .

وفى هذه الوسادة اللينة تنغمس البلاطات السميكة بدرجات متفاوتة كما تنغمس قطع الحديد مثلا على سطح الزئبق السائل والأكثر كثافة ، ولو سخنت الزئبق ، لتحركت قطع الحديد ـ ايضاً من خلال تيارات الحمل .. وطبيعى أن بلاطات القشرة تختلف فى ضخامتها وكثافتها وسمكها ووزنها ، ولهذا تختلف درجات انغماسها فى الوسادة اللينة الكائنة تحتها ولاشك أن التيارات الحرارية التى تتقبلها البلاطات من تحتها تضعف صلابتها بمرور آلاف أو ملايين السنين ، مما قد يؤدى الى انهيارها .

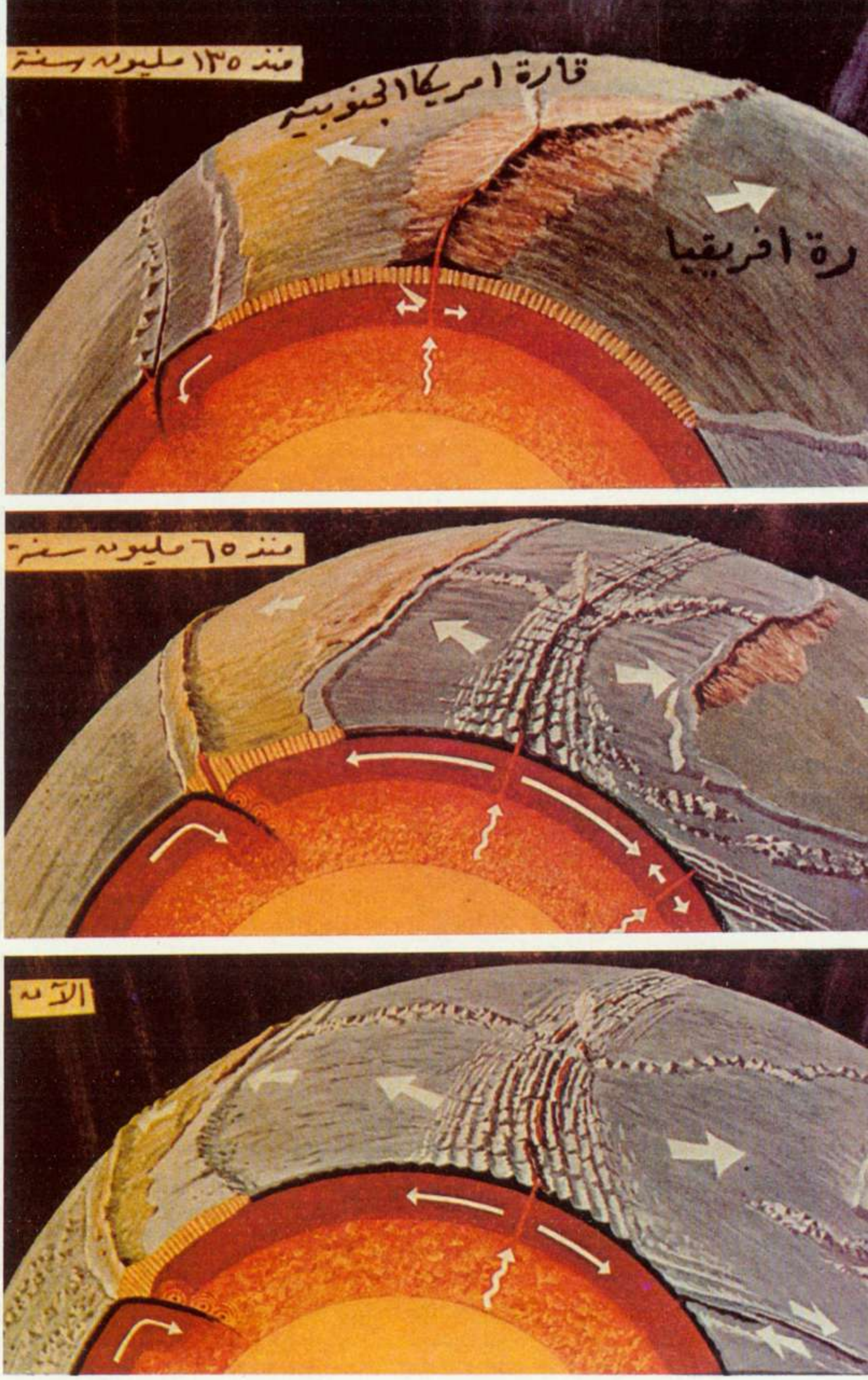
اننا ـ فى الواقع ـ نعيش فوق كوكب

يبدو لنا متزناً أو بدون مشـــاكل او اضطرابات ، لكنه — فى الحقيقة — واقع تحت جهود وتوترات وضغوط عنيفة ، فالطبقات العليا تضغط على قلبه ، والقلب يحاول أن ينفس عن نفسه ، ويزيح العبء الواقع على جوفه ، « فيتقيا » الحمم من خلال فوهات البراكين ، والبراكين ذاتهـا تقع فى مناطق ضعيفة فى القشرة الأرضية وكانما هذه البراكين بمثابة صمامات الامان التى تعيد التوازن بين الكتل الضاغطة من الخارج ومن الداخل ..

ثم ان البراكين ذاتها توجد غالباً فى مناطق الشروخ أو التصدعات التى تفصل بين البلاطات ، والزلازل تنشا من احتكاك بلاطةببلاطة ، أو مرور حافة بلاطة تحت حافة اخرى (شكل ٦) .. او هبوط جزء ضعيف من حافة بلاطة حيث تستقر فى جوف الوسادة ، فتبلعها ، وفى منطقـة الهبوط يتكون اخدود غائر عظيم ، واشهر هذه الأخاديد على الاطـــلاق اخـدود « ماريانا » بالمحيط الباسيفيكى ، اذ يبلغ عمقه اكثر قليلا من ١١ كيلومترا ، وهو نتيجة لهبوط حافة بلاطة تحت حافة اخرى ومعظم مناطق الهبوط تتركز فى المحيط الباسيفيكى ، فهناك العديد منها فى جنوب آسيا وشمال استراليا ، وحول اليابان ، كما تحيط ايضاً بغرب امريكا الشمالية والجنوبية ، وحول امريكا الوسطى ، والمعروف ان هذه المناطق بؤر دائمة للزلازل والبراكين .. وعلى العموم فان هذه المناطق الساخنة او القلقة تنتشر حيث تكون الصدوع أو الشروخ (انظر الخريطة الدالة على ذلك) .

أرض واحدة وبحر واحد !

والواقع أن الدراسات الكثيرة جداً التى تمت فى الثلاثين عاماً الماضية — وخاصة ما تم منها فى مجال استكشاف قاع البحار والمحيطات — قد اوضحت ان الشروخ او التصدعات الأرضية منتشرة اساساً تحت المساحات المائية الهائلة ، وانها تمتد لمسافات تزيد على ٤٠ الف كيلومتر ، ومن هذه الشروخ تنز الأرض مصهوراتها فى قاع البحار والمحيطات ، وتحت الماء البارد تتجمد وترتفع وتكون سلسلة من الجبال على جانبى الشرخ ، ثم تنفع مصهورات جديدة فتبرد وتضغط على ما تجمد قبل ذلك وتزيحه جانباً ، وبهذه الازاحة تتحرك



شكل (٨) فى هذه الصور الثلاثة التوضيحية التى جاءت على هيئة مقطع فى كوكب الارض ، تبدو القشرة وقد تصدعت وانقسمت إلى بلاطتين تحركتا شرقا وغربا بفعل ازاحة المصهورات لهما ، ولازالت هذه المصهورات تنز وتتجمد وتدفع البلاطتين حتى الآن ، مكونة سلاسل جبلية هائلة فى قاع المحيط الاطلنطى .. وكلما مر الزمن ، زاد المحيط إتساعاً .

البلاطات الملاصقة للشروخ فى الاتجاه العكسى ، فاذا كانت تحمل جزرا او قارات ، فانها تتحرك بدورها مع صفائحها .. ويعنى هذا ان القارات تبتعد أو تتقارب .. يتوقف ذلك على اتجاه الازاحة .. فالشرخ الموجود فى قاع البحر الاحمر يزيح صفيحة شبه جزيرة العرب شرقا . كما اسلفنا ، والشرخ الموجود فى وسط المحيط الأطلنطى يزيح الامريكتين غربا ، ويعنى هذا ان المحيط نفسه يزيد اتساعا ، والمحيط الباسيفيكى يزيد ضيقا (نتيجة لحركة الامريكتين تجاهه) .

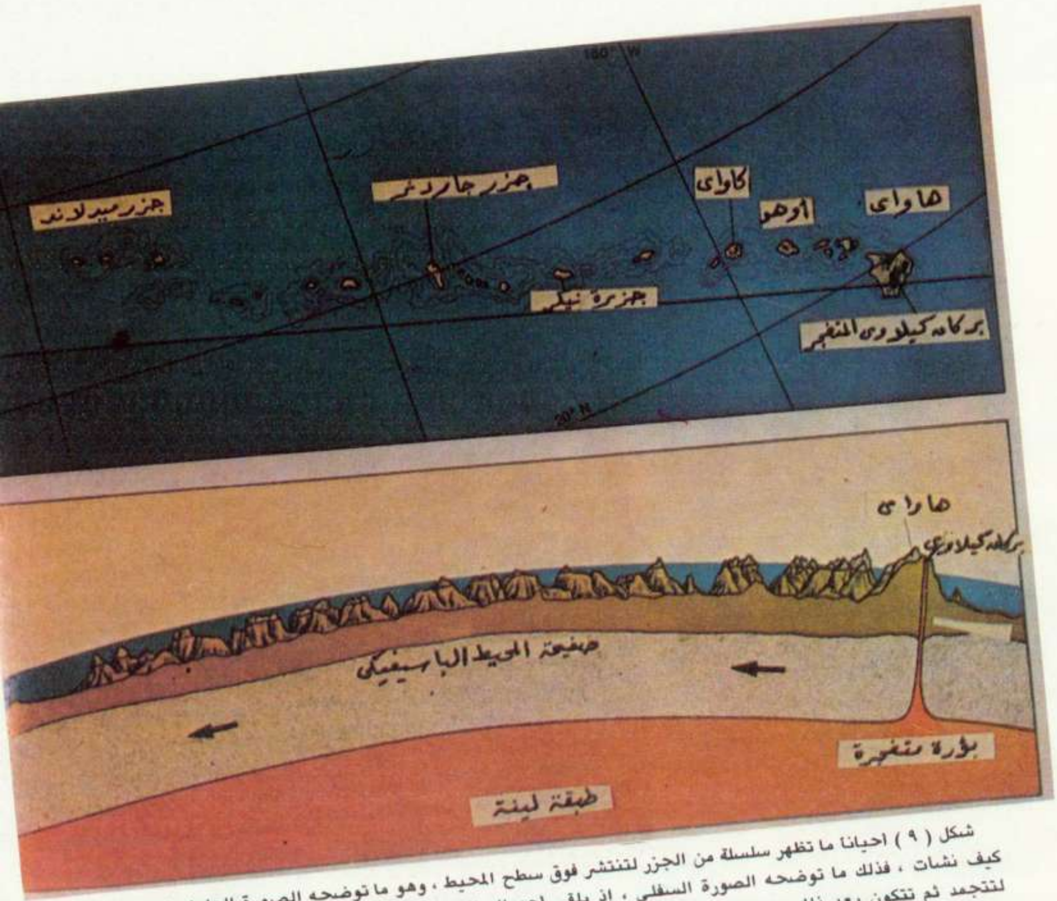
وتشير الدراسات أيضاً ان هذه الأحداث قد بدأت منذ حوالى مائتى مليون عام ، وأن القارات جميعاً كانت كتلة واحدة متجاورة ، ويحيط بها بحر واحد هائل الاتساع . وكان هذا التجمع القارى قريب من المحيط المتجمد الجنوبى ، وهذه الحقيقة نبعت من دراسة الحفريات والصخور وما شابه ، اذ لم تتميز هـــذه الحفريات القديمـــة الى كائنات استوائية او معتدلة ، أى ان المناخ السائد وقتها كان اقرب الى مناخ القطب البارد .. ولقد وجد العلماء آثاراً ودلائل فى الصحراء الكبرى تشير الى أن هذه الصحراء القاحلة كانت مسرحاً هائلا للثلوج القطبية التى تركت عليها بصماتها ، لكنها الآن تبعد حوالى ثمانية آلاف ميل عن موطنها ، نتيجة لهجرة صفيحتها (شكل ٧) .

ثم حدثت فى هذه الكتلة الهائلة من اليابسة شروخ فى اتجاهات شتى ، ومن الشروخ اندفعت المصهورات ، فتجمدت ، لتندفع مصهورات جديدة تزيحها وتحل محلها ، وهكذا استمرت العملية ردحاً طويلا من الزمان ، اذ بدأت كتلة ضخمة منها (امريكا الجنوبية) تبتعد غرباً عن كتلة اخرى مجاورة (هى قارة افريقيا) ولهذا يلاحظ انه يمكن وضع حافتى القارتين بجوار بعضهما فيتطابقان إلى حد ما (شكل ٨) ، أى انهما كانتا كتلة واحدة ، ثم انفصلت الى كتلتين ، وكانما انت قد مزقت ورقة الى قطعتين ثم أعدت لصقهما .. وأيضاً انفصلت امريكا الشمالية عن أوربا ، وانطلقت شبه القارة الهندية من المحيط المتجمد شمالا بمفردها الى ان اصطدمت حافة بلاطتها مع حافة بلاطة آسيا ، ومن الاحتكاك المستمر والطويل بين الحافتين ، وما تبع ذلك من زلازل وبراكين ، ادى التداخل الى تكوين هضبة عالية ، وهى المعروفة الآن باسم هضبة التبت ، والشىء نفسه حدث منذ ملايين السنين عندما اصطدمت حافة البلاطة التى تحمل القارة الافريقية ، بحافة البلاطة التى تحمل قارة أوربا ، فادى الى تكوين سلسلة من الجبال المشهورة بجبال الألب .

الأحداث كثيرة ، والموضوع طـــويل .. ولا يزال العلماء يجمعون الكثير عن تاريخ هذا الكوكب المثير ، ليس ذلك من قبيل تحصيل الحاصل ، ولكن من اجل معرفة تؤدى الى تطبيقات هادفة ، لأن البحار والمحيطات تنز من شروخها ثروات هائلة تنتظر من هو احق بحصادها ، ولا حصاد بغير علم أو معرفة سابقة ، لكن ذلك موضوع آخر قد نفرد له دراسة قادمة .

والواقع ان سلاسل الجبال العظيمة والممتدة بدون انقطاع لآلاف الأميال لا توجد على اليابسة ، بل مقرها هناك فى أعماق المحيطات ، حيث تنتشر حول الشروخ ـ الحديث منها قريب من الصدع ، وقديمها بعيد عنه ، او هكذا تشير التحليلات التى اجراها العلماء لتحديد أعمار صخورها ، وهذا يعنى ان الارض تجدد « جلدها » أو قشرتها بمرور عشرات الملايين من السنين ، اذ كلما ضعفت القشرة القديمـــة وانهـــارت ، خـــرجت المصهورات الطازجة من الشروخ وتجمدت ، وكانما الأرض تداوى جراحها بطريقتها الخاصة ، فيحل الجديد محل القديم .

وأحيانا ما تبرز هذه الجبال البحرية بهاماتها من القيعان ، فتظهر كسلاسل من جزر قد تكون كبيرة أو صغيرة (شكل ٩) .. وهى دليلنا على شروخ تنز ، ومصهورات تتجمع ، وجبال تتكون ، وبلاطات تتحرك ، وأرض لازالت قلقة ، فترتجف بزلازل تدمر ، وتثور ببراكين تحرق ، وأمام هذه الكوارث يقف الانسان عاجزاً ، لكنه ـ بعقله المدرك ـ يحاول أن يعرف عن أرضه ما عجزت عن معرفته كل الأجيال السابقة ، علّه يتجنب الدمار ، ويثاب من ثروات البحار .. ولكل ما سعى .



شكل (٩) احيانا ما تظهر سلسلة من الجزر لتنتشر فوق سطح المحيط ، وهو ما توضحه الصورة العليا ، اما كيف نشات ، فذلك ما توضحه الصورة السفلى ، إذ يلقى احد البراكين الموجودة فى قاع المحيط مصهوراته لتتجمد ثم تتكون بعد ذلك من طبقات فوق طبقات ، وقد ترتفع لتظهر على السطح ، او قد تصبح مغمورة ، وسلسلة الجزر ـ الظاهر منها والمغمور ـ يرجع إلى حركة احدى البلاطات فى قاع المحيط وكانما هى بمثابة حزام متحرك يحمل معه ما تكون ، وبه يسير بعيداً عن المصدر .

دكتور عبد المحسن صالح



في محاولة لاسترداد قلعة صلاح الدين بعد قرون طويلة من الاهمال ، يجرى العمل على قدم وساق في عمليات الترميم

قلعة الجبل..

درّة العمارة الحربية الإسلامية

جمـــال الغيطـــاني


منظر ليلي لقلعة صلاح الدين التي تعتبر من اهم المباني الحربية التي وصلتنا من مصر الاسلامية

.. في القاهرة انتهت المرحلة الأولى من ترميم قلعة الجبل ، أو قلعة صلاح الدين الأيوبي بانيها الأول ، بعد قرون طويلة من الاهمال ، وعبث ايدي البلى ، تسترد القلعة زمنها الأفل ، وترتدي ثوباً جديداً ، والقلعة من أهم المباني الحربية التي وصلتنا من مصر الاسلامية ، ليست بناء واحداً ، انما يمكن القول انها بمثابة مدينة متكاملة ، الم يقل المؤرخ جلال السيوطي : وحاضرة مصر تشتمل على ثلاث مدن عظام ، الفسطاط وهي بناء عمرو بن العاص ، وهي المسماة عند العامة بمصر القديمة ، والقاهرة بناها جوهر القائد لمولاه الخليفة المعز ، وقلعة الجبل بناها قراقوش للملك الناصر صلاح الدين الأيوبي .

في افق القاهرة الشرقي تنهض القلعة ، فوق أحد مرتفعات جبل المقطم ، في موضع كانت تشغله قبة تسمى بقبة الهواء ، تشرف على القاهرة كلها ، ليس كبناء شامخ انما كرمز للدولة ، وللسلطة ، والقوة ، كان مجرد سقوطها يعني سقوط السلطان الذي يتخذها مقراً لحكمه ، منها كانت تخرج الجيوش ، وركب المحمل الذي يتجه الى الكعبة بالحجاج والكسوة ، تاريخ طويل ، تحتفظ به مبانيها الصارمة ، الحادة وطرقاتها التي يلفها زمن خاص ، زمن غروبي ، فكأن نهارها وليلها كله كساعة الأصيل ، فالتاريخ هنا قوي ، عريق .

● جـــولـــة داخـــل القـــلعـــة في العصـــر المـــملوكـي

● وجـــولـــة فـي عصـــرنـــا بعـــد التـــرمـيـم



هكذا تبدو قلعة صلاح الدين من بعيد ، حيث مازالت بقايا المبانى القديمة التى كانت بالأمس هى قلب المدينة

بدات فكرتها في راس صلاح الدين ، فبعد أن ازال قوائم الدولة الفاطمية ، رأى أن يهيء له معقلا يدرأ عنه العواصف ، اقام على عمارتها الأمير قراقوش ، وقد اقتضاه ذلك هدم ما وجده في الموضع من مساجد وازالة القبور ، وتدمير الأهرام الصغـــيرة الـــتي كانـــت في الجـــيزة لاستخدام حجارتها ، بدا في تشييدها عام ٥٧٢ هـ ـ ١١٧٦ م ، غير انها لم تتخذ مقراً للملك الا في عهد ابن اخيه الملك الكامل ٦٠٤ هـ ـ ١٢٠٧ م ، فهو أول من شيد بها القصور . وهو الذي اقام ابراجها الرئيسية واتخذها مقراً للحكم ، واستمرت كذلك حتى عصر الخديوي اسماعيل فى القرن التاسع عشر عندما انتقل الى قصر عابدين ، انشا الملك الكامل الاصطبل السلطاني ، والميدان الذي يقع تحت القلعة ، وابراج الحمام ، يقول المؤرخ ابن الظاهر في كتابه « تمايم الحمايم » ان ابراج الحمام قد بلغ عدتها فى عام ٦٨٧ الفاً وتسعمائة طائر ، كذلك انشا خزانة الكتب التي احترقت عـــام ٦٩١ هـ ـ ١٢٩٢ ، ثم اضيفت الى القلعة مباني هامة في عصر السلاطين البحريين (١٢٥٠ هـ ـ ١٣٨٢ م) ولازال يوجد برج الزاوية الذي بناه الظاهر بيبرس فى الزاوية البحرية الغربية من السور القديم البحري للقلعة ، ويعلوه الآن الجناح الغربي للمتحف الحربي ، كذلك باب الدرج الذي لايزال موجوداً ايضاً ، غير ان اهم العمائر في ذلك العصر شيدها الناصر محمد بن قلاوون ، وهو من اقوى سلاطين المماليك البحرية ، اكمل حروب صلاح الدين والظاهر بيبرس ، فادخل الرعب والفزع الى جيوش الصليبيين طوال حياته ، الا ان العمارة والفنون شهدت نهوضاً عظيماً في عهده ، يعد بحق العصر الذهبي الثاني للقلعة ، ومن منشاته الباقية حتى اليوم ، مسجده ، وقد شملتهعملية الترميم الاخيرة والبرج ، وعندما جاءت الحملة الفرنسية الى مصر كانت بعض منشات الناصر لا تزال موجودة ، مثل الايوان ، ومكانه الآن مسجد محمد علي الشهير ، والقصر الابلق وكان قائماً فى الجهة الغربية من القلعة حيث المكان الواقع على يمين الداخل من البوابة الوسطى للقلعة ، امـــا منشاته التي اندثرت تماماً ولم يبق منها سوى وصف المؤرخين القدامى ، فمنها القصور الجوانية ، والسبع قاعات ومكانها اليوم قصر الجوهرة الذي بناه محمد علي باشا ، وباب النحاس ، وباب القلعة ، يقول المرحومالمؤرخ عبد الرحمن زكي « وقد اندثر هذان البابان بسبب إزالة السور الذي كان فيه البابان المذكوران وقد كانا واقعين على مسافة قريبة خلف باب القلعة الحالي ، ويستفاد مما هو مبين على خريطة القاهرة رسم عام ١٨٠٠ أن هذا الباب كان يسمى باب المدافع ، وفي سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) جدد محمد علي باب القلعة الحالي ، وهذه البوابة واقعة بعد البوابة الوسطى على اليسار تجاه الباب البحري الشرقي لجامع الناصر محمد وتوصل إلى ثكنات الحرس سابقاً المتحف الحربي » .

أنشا الناصر أيضاً دار النيابة ، والطباق ، أي ثكنات الجند ، ولم تكن هذه الطباق دوراً فوق بعضها ، بل كانت قاعات متجاورة لكل جماعة طباق خاص ، وموقعها الآن الحوش الذي به المتحف الحربى وجامع سارية . وأنشا كذلك الطبلخاناه،

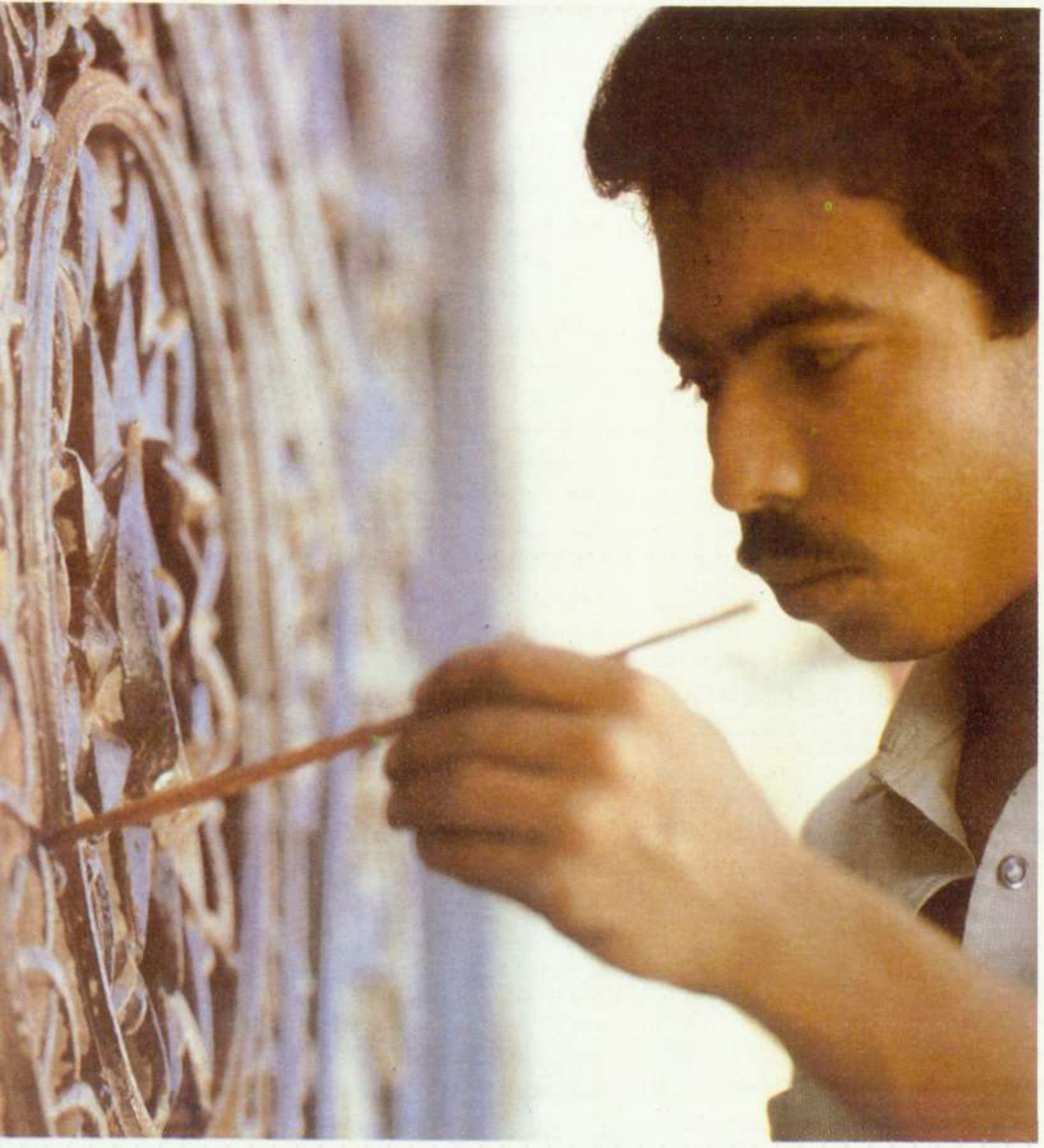
والحوش الكبير ، والاسطبلات ، ومكانها الآن مجموعة المباني التى كان الجيش المصري يستخدمها كمخازن لسلاح المهمات وكذلك الميدان ، وقد جدد السلطان الغوري هذا الميدان ، ومكانه الآن ميدان صلاح الدين ، ومن أهم أعمال الناصر قناطر المياه أو سور مجرى العيون ، والذي كان الهدف منه امداد القلعة بالمياه ، واستمرت أعمال البناء فى عصر سلاطين الجراكسة ، والذي انتهى بالغزو العثماني لمصر عام ١٥١٧ م ،

ترى . كيف كان يبدو شكل القلعة فى عصرها الزاهى فى القرون الوسطى : ان ما تركه لنا المقريزي والقلقشندي يتيح لنا ان نرسم صورة متكاملة لمقر السلطنة ، فلنبدأ الرحلة إلى قلعة سلاطين المماليك . .

العصـر الذهبي المملوكي

الزمن : القرن الخامس عشر ، ذروة العصر المملوكى ، القاهرة من أكبر عواصم الدنيا، تموج بالحركة والنشاط . لكى نصل إلى القلعة يجب ان نسلك طريق الدرب الأحمر ، فاذا عبرنا حي التبانة انقسم إلى فرعين ، الأول يؤدي إلى ميدان الرميلة (صلاح الدين الآن) حيث مدرسة السلطان حسن فى مواجهة باب السلسلة . وإذ نجتازه تطالعنا اسطبلات السلطان ، والمقعد المعد للاستقبال المطل على الميدان مباشرة ، إلى اليمين سجن « الحرافة » الذى كان معداً للشخصيات الهامة . إذا تطلعنا إلى أعلى سنرى مدرجات بديعة ومنشآت جميلة ، جدرانها مبنية بالحجارة الصفراء والسوداء بالتبادل ، ولهذا سمي بالقصر الأبلق ، إلى جواره برج شيد فى عام ٧١٣ هـ ــ ١٣١٣ م . نستمر فى الصعود ، حيث توجد عدة مساكن إلى اليسار ، ومسجد بناه الملك المؤيد ، والى اليمين باب السر المخصص للسلطان ، أو لمن يعرف كلمة السر . يؤدي هذا الباب الى شرفة كبيرة شيدعليها الايوان ، أي المقعد الكبير المخصص للاستقبالات السلطانية .

نوالى الصعود ، لنرى مبانى الطبلخاناه التى تحولت أيام بيبرس الى قاعة العدل للنظر فى شئون الرعية ، ثم نرتقى سلماً متعدد الدرج اسمه سلم المدرج بنى أيام الظاهر بيبرس ، يؤدي الى أسوار مرتفعة ، ولكنها ليست الأسوار الأصلية ، ها نحن داخل برج مربع يؤدي الى الداخل ، هنا تقابلنا لوحة كتب عليها تاريخ انشاء القلعة عام ٥٧٩ هـ . لقد وصلنا الى داخل النطاق العسكري فى القلعة ، فى المواجه ميدان فسيح تحيطه المخازن والمساكن التى



احد الذين يقومون بتجديد نقوش القلعة وتثبيت الوان الزخارف التى كادت ان تندثر

يشغلها المماليك ، وفى نهايته برج كبير منعزل ، انه برج القلعة الذي بناه الظاهر بيبرس .

إذا صعدنا فوق السور شاهدنا القاهرة كلها منبسطة أمامنا بمساجدها ومآذنها وقبابها ، الى اليمين تلال المقطم . فى نهاية السور من الناحية الجنوبية الشرقية . نرى برجاً ينتهي عنده سور صلاح الدين حيث باب القرافة الذي يطل على الصحراء ، ثم نمضي الى باب سارية ، ولابد أولا أن نمر بباب البرج والذي يفصل بين النطاق العسكري للقلعة ، والنطاق السلطانى ، هنا مساكن كبار رجال الدولة ، يواجه باب القلعة الجامع الذي بناه السلطان الناصر محمد بن قلاوون بمئذنتيه المكسوتين بالقاشانى الأخضر ، جنوب شرق الجامع يقع بئر يوسف . يتصل المسجد بقصر السلطان من ناحيته الجنوبية ، أما الواجهة الغربية فتطل على الميدان الكبير للايوان ، هذا الايوان الذي يمتاز بمقعده الكبير الذي تغطيه قبة يكسوها الخزف الأخضر . فى مواجهة المسجد والايوان ، وباب القلعة ميدان فسيح يحتشد فيه الجنـود ورجال الحاشية والاتباع فى ملابسهم الفضفاضة ، عليهم اسلحتهم البيضـاء ودروعهم المستديرة . لا يوجد هنا ما يحجب القصور عن المدينة ، فكلها مشيدة على ربوة تتآلف من أرصفة يعلو بعضها بعضاً والأفق منبسط حتى ليمكننا رؤية أهرامات الجيزة ... القصر الأبلق يلفت النظر بجماله . فى ركنه برج هائل اسمه الخرجاء تتصل به عدة قاعات تفضي الى قصر آخر مقام على نفس الطراز . الى اسفل وبمحاذاة سور القلعـة الأصلـى تمتد الاسطبلات ، وهنا درج له أبواب يستخدمه السلطان فى النزول الى الاسطبل دون أن يراه أحـد .

قصر الاستقبالات نجـده فى الجهـة الجنوبية الغربية ، الى الشرق يقوم قصر الحريم السلطانى ، ويصلـه بالقصـر السلطانى باب النحاس ، ويتصل بالمسجد بواسطة باب الستارة . على جانبى القصر أقيمت القاعات الضخمة والتى شيد منها الناصر محمد سبعاً وقد عرفت بالسبع



بعض العمال يقومون بترميم احد مداخل القلعة .. ان المرحلة الاولى من عملية الترميم تمت كلها بخبرة عربية

قاعات ، احداها تسمى بقاعة الفضة ، وبالقرب قاعة البيسرية التى شيدها السلطان حسن ، وابنما تولت العين ترى الحدائق الغناء والتى تغذيها مياه النيل. أخر ما نراه دار الضيافة المجاورة للقلعة حيث خصصت لنزول ملـوك الاجـانب وسـفراؤهم .

نصل الى خاتمة رحلتنا فى قلعة العصور الوسطى ، قلعة الزمن المملوكى ، لقد كان الغزو العثمانى لمصر بمثابة الليل الطويل لهذه القلعة ، جاء السلطان سليم العثمانى ، وامتدت أيدي جنوده تنتزع رخامها ، واعمدتها ، ونقوشها وتحفها ، كان جنوده ينزعون أبوابها الخشبية المنقوشة المطعمة ويتخذون منها وقوداً للنيران . وبدات القلعة تفقد مكانتها نتيجة لاهمال الولاة الاتراك ، وكان هذا امراً طبيعياً الم تكن القلعة رمزاً للسلطة وللدولة ، وعندما كانت مصر مستقلة قوية تبسط حمايتها على مناطق عديدة ، كانت القلعة فى ذروة مجدها ، وعندما اصبحت مصر ولاية تابعة للاستانة تدهور الحال بالقلعة حتى أن الرحالة الأوروبى سافاري وصفها عندما زار مصر عام ١٧٧٧ . اذ قال :

« انها لا تتالف الا من مجموعة خرائب وانقاض كانت تلوح عليها علائم الحزن ولم يتبق منها سوى بعض اماكن قليلة صالحة للسكنى .. »

غير أن عصراً ذهبياً ثالثاً كان يلوح عن قرب ، وهذا العصر يرتبط ايضاً بقوة الدولـة فعندما جـاء محمد على باشـا بعد خروج الفرنسيين واصبح والياً لمصر ، بدات الحيوية تدب فى القلعة ، أصلح أسوارها ، وأحيا أبراجها وابوابها وشيد فيها ثكنات الجند ، ودواوين الحكم ، ومصانع الذخيرة ، ومدارس الجيش ، وقصوراً للسكنى ، كما بدأ فى بناء مسجد ، انشا قصر الجوهرة ، ودار المحفوظات ، وقصر الحرم ، والقلعة التى وصلت الى عصرنا الحالى تحمل فى معظمها ملامح عصر محمد علي ، فى عصر الخديوي اسماعيل انتقل للاقامة فى قصـر عابدين بقلب القاهرة ، والغريب انه عندما احتل الانجليز مصر أدركوا أهمية القلعة وما تمثله من رمز للقوة ، فاتخذها قائد الجيش الانجليزي المحتل مقراً لاقامته ، ومنذ هذا العصر بدأ تدهور جديد يحل بالقلعة بلغ ذروته فى السنوات القليلة الماضية ، حتى أن قبة مسجد محمد علي كانت قد تشققت وآلت الى السقوط ، وكانت هناك عدة خطط للترميم ، بعضها يرى الاستعانة بالخبراء الاجانب ، واقتضى ذلك توفير امكانيات مادية ضخمة ، احد بيوت الخبرة الايطالية طلب خمسة ملايين دولار مقابل اعداد دراسة فقط عن أعمال الترميم ، غير أن العالم الأثري الدكتور أحمد قدري رئيس هيئة الآثار المصرية قرر اقتحام القلعة بجهد مصري خالص ، وبدات أعمال الترميم فى مارس الماضي ، واستمرت حتى نهاية يوليو . وعلى امتداد هذه الشهور الخمسة تم انجاز المرحلة الأولى من الترميم ، ويمكن القول أن العصر الذهبي للقلعة قد بدأ الآن . فكيف تبدو الصورة إذا ما توجهنا لزيارتهـا .

الثـوب الجـديد

لن ندخل من باب الغرب المطل على ميدان صلاح الدين ، بل سنتجه الى الباب الخلفى ، « باب الجبل » الذي يقع فى قلب أسوار القلعة الشمالية المحاذية لطريق صلاح سالم ها هى أسوار القلعة الضخمة نرى برج مستدير هائل قطره ٢٤ متراً وارتفاعه ٢٥ متراً ، يسمى ببرج المقطم ينتمى الى العصر العثمانى ، ثم نرى ثلاثة أبراج اخرى ، برج الصفة ، وبرج كركيالان وبرج الطرفة ، وبرج المبلط ، وعدة أبراج أخرى ضخمة الاحجام ، لقد تم ترميم الأحجار المتاكلة وتقوية الأساسات للاسوار والأبراج ، وترميم الشقوق والانهيارات ، واستكمال العناصر المعمارية الناقصة ، وتم ترميم واستبدال أحجار جزء من الاسوار المطلة على ميدان صلاح الدين ، لقد استخدمت كمية ضخمة من الاحجار فى هذه الأعمال مقدارها ٥٠٠٠ خمسة آلاف متر مكعب من الحجر الجيري ، كذلك تسوية الميول الأمامية للصخور والرمال أمام أسوار القلعة وابراجها المطلة على طريق صلاح سالم ، ثم ازاحة خمسين الف متر مكعب من الاتربة بهدف افساح مجالات الرؤية الجماليـة .

نجتاز باب الجبل الذي تم ترميمـه واعداده اعداداً خاصاً إذ اصبح المدخل الرئيسي الآن ، الى يسار الداخل تقع منطقة حفريات جديدة تم انجازها خلال الشهور الاخيرة وأثناء عمليات الترميم ، وتم اكتشاف جزء من سور بني فى عهد الملك الكامل ، ولم يكن معروفاً من قبل . الى اليسار ايضاً تقع دار الضرب ، ودار العدل ومتحف قصر الضيافة ، وقصر الجوهرة الذي أعد للزيارة العامة ، والطريق الى القصر يمر بسطح مكشوف يقع فى أعلى نقطة بالقلعة ، سوره يطل مباشرة على القاهرة باكملها ، تبدو المبانى معلقة فى الزمن ، نتذكر ما كتبه كازانوفا صاحب المؤلف الشهير فى وصف القلعة :

« هذه الصور والأماكن والمناظر التي ترى من هذا المكان بالقلعة تهز مشاعر أكثر الناس بروداً ، وتدفع بالفيلسوف الى بحر التامل ، وتبعث النشوة فى روح الفنان ، بل تدفع أبعد الناس عن الاحساس بالجمال الى عالم من الأحلام والتاملات .. »

ثلاث قاعات رئيسية بقصر الجوهرة أعدت للزيارة ، قاعة الاستقبال ، وقاعة

الكوشة حيث نرى الكوشة التي جلس فيها الملك السابق فاروق يوم زواجه من الملكة ناريمان ، أما قاعة الكسوة المجاورة فيها قطع من كسوة الكعبة التى كانت تصنع فى مصر حتى بداية الستينيات ، وفى أرجاء القصر تتوزع أعداد كبيرة من التحف التى كانت تملكها أسرة محمد علي ، اطباق ، ونرجيلات ، وأسلحة ، وساعات أثرية ، ونموذج من الصدف للمسجد الأقصى .

فى متحف قصر الضيافة الذي انشىء حديثا نجد مجموعة من اللوحات الزيتية والتحف الخزفية والمعدنية .

نخرج من قصر الجوهرة لنجتاز الساحة الفسيحة الى مسجد محمد علي أبرز معالم القلعة ، لقد بني على الطراز العثماني ، أسسه محمد علي باشا سنة ١٢٤٦ هـ ، وقد دفن بانيه فى مدفن خاص يقع على يمين الداخل الى المسجد ، نمر أولا بالصحن المكشوف ، يتوسطه ميضاة من الرخام فوقها قبة خشبية عليها زخارف نباتية بارزة ، ويحيط بالصحن أربعة بوائك لها سقوف من قباب صغيرة ، فى الجهة الغربية يوجد برج الساعة وهو من النحاس المخرم . أهداه لويس فيليب ملك فرنسا الى محمد علي باشا عام ١٢٦١ هـ ـ ١٨٤٥ م ، وقد أصلحت الساعة وعادت دقاتها ذات الرنين تتردد فى المكان لتذكرنا بالأبدية .

ترتفع مئذنتي المسجد ٨٤ مترا من أرض المسجد ، وقد كان من المثير رؤية شباب العاملين فى الترميم وهم يعرضون انفسهم للخطر بتسلق هذه المآذن والقباب لتكسيتها بالرصاص ، لقد تم تنظيف الواجهات والمآذن ، والقباب ، وترميم الرخام ، وتركيب رصاص القباب وتثبيت الألوان وتركيب أرضيات من الحجر حول المسجد مساحتها ٣٠٠٠ متر مربع ، وترميم سجاد المسجد بالكامل .

نخرج من مسجد محمد علي ، يهبط مستوى الأرض قليلا ، نتجه الى مسجد السلطان محمد بن قلاوون ، واجهات المسجد من الخارج بسيطة ، حادة القسمات تنسجم مع الطابع العام لمباني القلعة ، ولكن داخل المسجد يفيض رقة وجمالا ، يتكون من صحن مكشوف تحيطه أربعة أيوانات أكبرها ايوان القبلة ، جدرانه من الداخل مغطاة بالرخام الرقيق ، له مئذنتين تغطي قمة كل منهما القاشاني الأخضر ، لقد تم تنظيف وترميم واجهات المسجد ، وبلاط أرضيته ، واعداد اضاءة خاصة ، مع وضع مشكاوات مملوكية الطراز ، تقوية الأساسات وتغيير الأحجار المتاكلة ، وترميم قاشاني المآذن الأخضر والسجاد ، وازالة آثار التلوث الجوي من جدران المسجد .



أثناء القيام بعمليات الترميم على ارتفاعات شاهقة

نمر ببئر يوسف الذي حفره صلاح الدين الأيوبي لامداد القلعة بالمياه العذبة فى حالة الحصار ، نجتاز باب القلعة ، فى المواجهة مبنى المتحف الحربي بحديقته الأنيقة ، نتجه الى الشرق حيث بعض المباني التى كان يتمركز فيها الجيش المصري ، وفى هذا المكان كانت توجد ثكنات المماليك ، نجتاز بوابة قديمة . ننفذ منها الى ساحة فسيحة يمكن القول انه أعيد انشاؤها من جديد خلال عمليات الترميم الأخيرة ، ها هى الحديقة الأثرية ، مساحتها ٩٠٠٠ متر تتوزع فيها الأعمدة الأثرية والتيجان والأزيار من العصور المملوكية والعثمانية ولوحات تذكارية تاريخية وجميعها كانت فى مخازن الهيئة العامة للآثار .

فى المواجهة متحف الركائب الملكية ، وقد انشىء حديثا أيضا ، ويضم عددا من العربات الملكية من عصر اسماعيل وحتى عصر فاروق . وعلى امتداد جدار المتحف نرى لوحة ضخمة تمثل افتتاح قناة السويس .

فى الجهة المقابلة انشىء مركز ترميم الآثار ، وقد أعد ليخدم أعمال الترميم المعماري والأثري ، وكذلك لترميم المرممين الجدد ، ثم نرى مركزا جديدا لتسجيل الآثار الاسلامية .

آخر ما نزوره . مسجد سليمان باشا . أو مسجد سارية الجبل ، وهو مسجد صغير جميل ، كان قائما قبل انشاء القلعة . شيده الأمير المرتضى أبو منصور قسطة الآمري عام ٥٣٥ هـ ـ ١١٤١ م . ثم جدده سليمان باشا الخادم فى سنة ٩٣٥ هـ ـ ١٥٢٨ م ، وعند تجديده أضيفت الى عناصره المعمارية عناصر عثمانية ، ينقسم الى قسمين . الشرقي المعد للصلاة وتغطيه قبة كبيرة يحيط بها انصاف قباب نقشت من الداخل بنقوش دقيقة ملونة وكتب بها آيات من القرآن بخطوط متنوعة ، والقباب مكسوة من الخارج بقاشاني أخضر ، وقد تم تقوية أساسات المسجد ، وتغيير الأحجار المتاكلة ، وتركيب القاشاني الأخضر على القباب والمئذنة ، وترميم وتنظيف التركيبات الرخامية والخشبية بالمسجد والصحن والضريح والمقابر الملحقة به وترميم المنبر وحك أحجار الأسوار والمئذنة وازالة طبقات السناج المتراكمة .

تنتهي زيارتنا للقلعة ، ويبقى أن نعرف العديد من الخطوات التى تمت فى اطار المرحلة الأولى من الترميم ، مثل تغيير شبكات الاضاءة ، وانشاء العديد من دورات المياه الجديدة ، والكافتيريات ، ومواقف للسيارات ، بحيث تتحول القلعة الى متحف حي مسكون ، لقد تكلفت المرحلة الأولى مليونا جنيه مصرى فقط . وتمت كلها بخبرة عربية خالصة ، وكان الجهد مكثفا ورائعا بحيث يمكن القول بحق ، انه تم استرداد قلعة صلاح الدين من أيدى البلى والاهمال .

جمال الغيطاني



الدب صياد ماهر ، ولكل دب طريقته فى الصيد

عجائب المخلوقات في أرض الله :

عندما تلهو الدِّبَبَة في مياه النهر!

بقلم : حسام جميل مدانات

يشهد نهر « ماك نايل » فى آلاسكا فى صيف كل عام ، أكبر حشد للدببة البنية . وقد شهد صيف العام الماضي أكبر تجمع لها منذ خمسة عشر عاماً . وحتى لا يذهب بك الخيال بعيداً ، فان أكبر تجمع هنا لا يعني أكثر من بضعة عشرات من الدببة ، فالمعروف عن الدببة انها لا تتجمع ابداً .

وخلال عشرة أشهر ، يعيش الدب البني معيشة إنفرادية . ونادراً ما يختلط مع الدببة الأخرى . أما فى الصيف فانها تتجمع فى أماكن معينة ، وأهمها نهر « ماك نايل » ، حيث تأخذ فى صيد سمك السلمون الموجود بوفرة فى مياه النهر .

ويصطاد الدب ما معدله ست أسماك سلمون فى اليوم ، ولكن بعضها ، وخاصة الاقوى أو الأشد جوعاً ، يستطيع اصطياد ثلاثة أسماك فى الساعة . ويحتاج الدب كميات ضخمة من الطعام ليقاوم البرد القارس وليخزن الغذاء فى جسمه لفصل الشتاء .

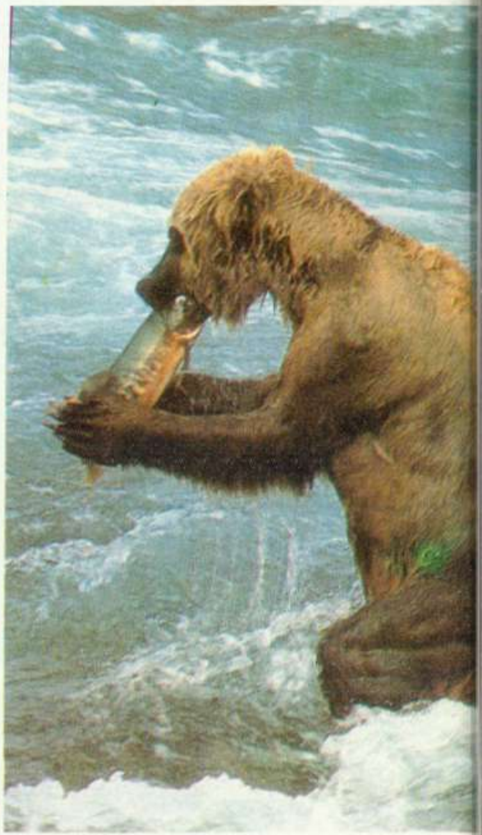
ونلاحظ أن الدببة تتبع طرقاً مختلفة لاصطياد ضحيتها من سمك السلمون . ولكنها بشكل عام تتخذ لها مواقعاً على الضفاف حيث لا يزيد عمق الماء عن متر واحد . ويصيد بعضها بضرب السمكة باحدى قدميه ، محاولا رميها خارج الماء نحو الشاطىء . والبعض الآخر يرمي بنفسه على السمكة التى تجد نفسها تحت كتلة ضخمة معتمة لا تجد منها مهرباً ، حيث يقتلها الدب سريعاً . بينما ينقض البعض على السمكة محاولا التقاطها بفكيه ثم يضع الدب ضحيته على الأرض ويبدأ التهامها من جهة الرأس .

إن سبب تجمع الدببة البنية فى هذه المنطقة من النهر ، يعود إلى وجود سلسلة من الصخور التى تشكل مياها صغيرة ومجارى ماء سريعة . وهذه تشكل عوائق فى طريق سمك السلمون الذى يحاول السباحة بعكس اتجاه جريان النهر . مما يسهل على الدببة صيدها فى هذه المنطقة .. وفى بعض أجزاء النهر فى هذا الموضع ، يقل عمق الماء إلى أقل من ٣٠ سنتيمتراً أحياناً ، مما يشكل أيضاً عائقاً فى طريق سمك السلمون ، وهذا يسهل القضاء على معظم أسماك السلمون ، ولا يسمح إلا لنسبة صغيرة منها بالعبور لكى تتناسل فى أعلى النهر وتكمل دورة حياتها .

لقد اكتشف هذا الموقع عام ١٩٥٠ م ، وهو يقع فى جنوبى آلاسكا فى الجزء الشمالى من أمريكا الشمالية . وقد تبنت جامعة « أوتا » منذ عام ١٩٦٣ م ، برنامج



سمك السلمون يشكل وجبة شهية للدب البنى
ومخزونا غذائيا ضروريا للشتاء المقبل



صراع بين الذكور على مناطق الصيد، وتشهد
جراحها عادة على ضراوة هذا الصراع

دراسات حيوية واجتماعية على الدببة فى هذا الموقع . ثم فتح المجال للزوار فى فصل الصيف ليراقبوا ويصوروا هذه المشاهد الرائعة لتجمعات الدببة .

ولكن كثرة الناس ادت إلى حصول ئ خطرة ، فرغم أن الدب حيوان سالم لا يعتدى على الانسان ، إلا انه إذا اثير أو شعر بالخوف ، وخاصة خوف الانثى على صغارها ، فانه يصبح خطراً ويهاجم من يثيره .

وكانت النتيجة أن قوانين صارمة وضعت موضع التطبيق منذ عام ١٩٧٣ م ، وبموجبها لا يسمح لأكثر من عشرة أشخاص بزيارة الموقع فى اليوم ، وذلك خلال شهر آب ، ويتم اختيار من يسمح لهم بالزيارة من بين الطلبات العديدة عن طريق القرعة !

رغم تسمية الدب البني بهذا الاسم ، فان لونه قد يكون مائلا للصفرة أو بنياً داكناً أقرب للسواد . وقد يصل طول دب الاسكا البنى إلى ٧ر٢ متراً ، بينما لا يتعدى طول نوع آخر هو دب الشمس . المتر الواحد

ويبدو الدب عادة اكبر من حجمه الحقيقى بسبب كثافة فرائه . عيناه صغيرتان ولا يرى جيداً . واذناه صغيرتان أيضاً ، أما حاسة الشم عنده فهى قوية .

قوائم الدب قوية ، وضربة من احد القوائم الأمامية للدب الرمادى السريع الحركة ، تكفى لقتل الانسان ، ولاقدامه خمسة أصابع بها مخالب بارزة ، واقدامه كبيرة قد يصل طولها إلى ٤٠ سنتيمتراً فى بعض الأنواع ويسير الدب ببطء عامة ، ولكنه قد يركض بسرعة تصل إلى ٤٠ كيلومتراً فى الساعة ، وذلك ليمسك بطريدته . ويمكنه أن يسبح بسرعة من ٦ ـ ١٠ كيلومتر فى الساعة !

حياة الدب

يعيش الدب بين ١٥ ـ ٣٠ سنة ، ولكنه قد يعيش حتى ٤٠ سنة فى حدائق الحيوان . والدب يعيش عادة منفرداً . ويعيش الذكر والأنثى معاً لفترة قد تصل الشهر ، ثم يتركها الذكر لتهتم هى بايجاد ملجا لها ولأطفالها فى المستقبل . وعندما تتجمع الدببة فانه يلاحظ نوع من التسلسل الاجتماعى عندها ، فالأفراد الأقوى تحتل مواقع الصيد الأوفر بقرب مساقط المياه .

وهناك ظاهرة غريبة بالنسبة لمواليد



الماء ضروري للدب البنى لصيد غذائه من السمك وللاستحمام لتنظيف فرائه

عندما تلهو الدِّبَبَة في مياه النهر!

الدببة ، فرغم ضخامة الدب البنى البالغ (يصل إلى ٥٠٠ كغم وأحياناً حتى ٦٥٠ كغم ، والأنثى حتى ٣٠٠ كيلوغرام) ، فان المولود لا يزن اكثر من نصف كيلوغرام ٥٠٠ غرام ، اى اقل من خمس وزن مولود الانسان . وترضع الأنثى وليدها مدة اربعة أشهر ، بينما تبلغ فترة الحمل بين سبعة وتسعة أشهر حسب النوع .

والأنثى تحمل ما بين واحد وأربعة اجنة لكنها غالباً تحمل اثنين . والدب الوليد يكون مغمض العينين وليس له فراء . وتفتح العينان بعد شهر من الولادة ، وعندها يكون الجسم قد تغطى بفراء سميك ناعم . وتلد الأنثى فى فصل الشتاء اثناء البيات الشتوى ، وفى الخريف التالى يكون وزن وليدها قد بلغ حوالى ٢٠ كيلوغرام ، ولكنه يبقى مع امه ما بين عام إلى عامين حيث تعلمه كيف يصيد طعامه .

وتمضى معظم انواع الدببة فصل الشتاء فى مرحلة السبات او النوم ، وتكون قد تناولت كميات ضخمة من الطعام استعداداً لفصل الشتاء . وفى الحقيقة فان نوم الدب شتاء ليس « سباتاً شتوياً » بالمعنى المعروف للكلمة مثل ما تقوم به الأفاعى والسناجيب ، والتى تنخفض درجة حرارتها أثناء ذلك . وقد يصحو الدب وينتقل اثناء بعض الأيام الدافئة فى الشتاء .

والدب حيوان مفترس يتغذى على اللحم ، ولكنه ايضاً ياكل انواعاً اخرى من الطعام . إنه يصيد الجرذان والسنجاب والأسماك . كما يفضل تناول بيض الطيور واليرقات والنمل . وقد ياكل الفاكهة والبذور والأوراق وجذور النباتات . والمشهور عن الدب تعلقه بالعسل ، وهو يهاجم خلايا النحل ، ويحميه فراؤه السميك من لدغات النحل .

أنواع الدببة

تعيش معظم انواع الدببة شمال خط الاستواء : فى آسيا وأوربا وامريكا الشمالية وقرب القطب الشمالى . وهناك نوع واحد يعيش فى امريكا الجنوبية . ولا توجد دببة برية فى افريقيا او استراليا أو القارة المتجمدة الجنوبية .

وهناك سبعة انواع من الدببة فى العالم وترتيبها فيما يلى حسب حجمها :

● الدب البني : وهو اكبر الدببة حجماً وقد يصل وزنه إلى ٦٨٠ كيلو غراماً ، وطوله إلى ٢٫٧ متراً (دب الاسكا البني) وبالاضافة إلى أمريكا الشمالية ، فانه يعيش ايضاً فى اوربا وآسيا . وينتمي لهذا النوع « الدب الرمادى » ، وفروه بني ، ولكنه يحتوى على شعرات بيضاء تعطيه مظهراً رمادياً .

● الدب القطبي : طوله ٢٫٦٥ متراً ، ويعتبر من امهر الدببة فى السباحة . وعنقه اطول منه فى الانواع الأخرى . فراؤه ابيض مائل للصفرة . ويصطاد الأسكيمو هذا الدب حيث ياكلون لحمه ويستفيدون من فرائه ومن عظامه لعمل اواني المنزل .

● الدب الأمريكى الأسود : يصل طوله إلى ١٫٥ متراً ، ويزن بين ٩٠ ـ ١٤٠ كيلوغراماً . ولكنه قد يزن حتى ٢٣٠ كيلوغراماً . ويوجد من هذا النوع حوالى (٧٥٠٠٠) دب فى المنتزهات القومية فى امريكا . ولكن بعض الولايات تسمح بصيده فى فصول معينة ، حيث يقتل منه حوالي (٢٥٠٠٠) سنوياً .

● الدب الآسيوي الأسود : ويسمى احياناً دب هملايا ، وقد يصل طوله إلى (١٫٥) متراً ، ويزن حتى ١٢٠ كيلوغراماً ويعتبر اكثر الدببة ضراوة ، وهو يهاجم المواشي ، وحتى الانسان أيضاً .

● الدب الكسلان

ويتحرك ببطء ، إلا إذا اثير . طوله ١٫٥ متراً ويزن ١١٥ كيلوغراماً . وهو مغرم بالعسل ، لذا يسمى احياناً دب العسل . ويعيش فى الهند وسيلان .

● الدب المنظر

سمى بهذا الاسم لأنه توجد حول عينيه بقع بيضاء تشبه النظارات . وهو الوحيد الذى يعيش فى أمريكا الجنوبية . طوله ١٫٥ متراً . وقد يصل وزنه إلى ١٤٠ كيلوغراماً . وهو مهدد بالانقراض نتيجة كثرة صيده .

● دب الشمس

ويسمى أيضاً دب الملايو ، طوله ٩٠ سنتيمتراً ، ويز بين ٢٥ ـ ٤٥ كيلوغراماً . لونه غالباً اسود . ويصيد عادة فى الليل . وهو يعيش فى جنوب شرق آسيا !

حسام جميل مدانات ـ الأردن

المصادر

(1) Le Figaro Magazine 18 Dec. 1982

(2) The World Book Encyclopedia

الفــن التشــكيــلي في الخليــج :

من الغــــوص في البـــحـــار..
إلى الغوص في أعماق الشخصية والتراث

بقلم : يوسـف أحمــــد



لوحة من التراث الشعبى للفنان القطرى جاسم زينى .. اللوحة بعنوان : « ليلة الحنـــة » .

لاشك أن الفنان التشكيلى الخليجى قد لعب دوراً هاماً خلال السنوات الماضية من اجل الغوص إلى اعماق الشخصـيـة الخليجية وابراز فنونها الأصيلة ، تمشياً مع النهضة الحضارية فى مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والعلمية والأدبية .

وقد قام الفنان التشكيلى بهذا الدور من خلال مؤسسات الدولة او المؤسـسـات الأهلية ، التى قدمت له كل الرعايـة ، متمثلة فى الكليات المتخصصة التى فتحت أبوابها لكل راغب فى الدراسة الأكاديمية ، والمراسم التى استقبلت العديد من الهواة والمحترفين ، والجمعيات الأهلية التى قام الفنانون بانشائها بدعم من قبل وزارات الاعلام الخليجيـة لـدفع حركة الفن التشكيلى فى المنطقة إلى الأمـام ، والبعثات التى التحق افرادها باهم كليات الفنون فى دول العالم ، والمعارض المتعددة التى اصبحت زاخرة بلوحات مرتبطة بتراث المنطقة الفنى والمدارس الفنية الحديثة بكل أبعادها وبكل ما تثيره من قضايا وتساؤلات !

وهذه الدراسة ما هى إلا محاولة لالقاء الضوء على الحركة الفنية التشكيلية فى دول الخليج العربية :



وجه خليجى .. للفنانة القطرية وفيقة سلطان



زى شعبى .. للفنان القطرى سلمان المالكى

الفنانون السعوديون

إن حركة الفنون التشكيلية فى المملكة العربية السعودية اصبحت من ضمن المعالم الثقافية البارزة التى تزهو بها البلاد ، حيث تتولى رعايتها الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، فهى التى تقوم بوضع الخطط السنوية لرصد الحركة التشكيلية على المستوى المحلي والخارجي

وتتضمن حركة الفنون التشكيلية للملكة سلسلة من المعارض المركزية المفتوحة ، والتى تجمع اكبر حشد من الفنانين من جميع مناطق المملكة

وانطلاقا من العمل على خروج حركة الفنون التشكيلية السعودية من المحلية الى العالمية ، ولتعريف شعوب العالم عليها فى كل مكان ، فقد اقيمت عدة معارض خارج المملكة ، وقد حقق الفن التشكيلى السعودى أعلى مستوياته فى المعرض السابع والمعرض الثامن للفنانين التشكيليين العرب بالكويت ، وحاز على جائزتى المعرضين وهى الشراع الذهبى للفنون التشكيلية ، كما حصل بعض الفنانين السعوديين على شهادات تقدير بجانب جائزتى الشراع .

وقد برز من خلال حركة الفنون التشكيلية بالسعودية مجموعة كبيرة من الفنانين مثل الفنان الرائد محمد السليم ويمتاز أسلوب السليم بوحدات زخرفية بها نكهة الخط العربى موضوعة فى قالب صحراوى

وهناك الفنان السريالى عبد الحميد البقشي الذى اتخذ اشكاله من بيوت المنطقة الشرقية مع نخيلها ووضعها فى قالب سريالى

ومن أبرز الفنانين ايضاً عبد الحليم الرضوى الذى يعتبر رائداً ويمتاز اسلوبه بالانطباعية ، فهو يحاول ان يوظف اللون ودسامته فى مساحات كبيرة

ولاننسى هنا الفنان بكر شيخون الذى يعتمد على المعمار فى منطقة الحجاز أساساً فى تكوينات لوحاته

وهناك العديد من الفنانين والفنانات مثل على الريزيزاء أحمد فلبان ، خالد الصبان ، عبد الله الزايد ، سعود العيدي ، ضياء عزيز ، صفية بنت زقر ومنيرة الموصلى ، وبدر بن ناصر ابراهيم ، وغيرهم ..

الحركة الفنية فى الكويت

وإذا ما انتقلنا إلى الحركة الفنية بالكويت ، لاتضح لنا انها مقرونة بتاريخ إنشاء المرسم الحر الذى تاسس عام ١٩٦٠ وذلك بعد ان تنبهت وزارة التربية والتعليم إلى أن لديها الكم الكبير من المواهب الشابة التى لا يمكن ان تثمر إلا بوجود المكان المخصص لرعاية هذه المواهب

وفى عام ١٩٧٢ تحولت مسئولية المرسم الحر الكويتى من وزارة التربية الى وزارة الاعلام

واصبح فنانو المرسم الحر الكويتى هم طليعة الفنانين الكويتيين !

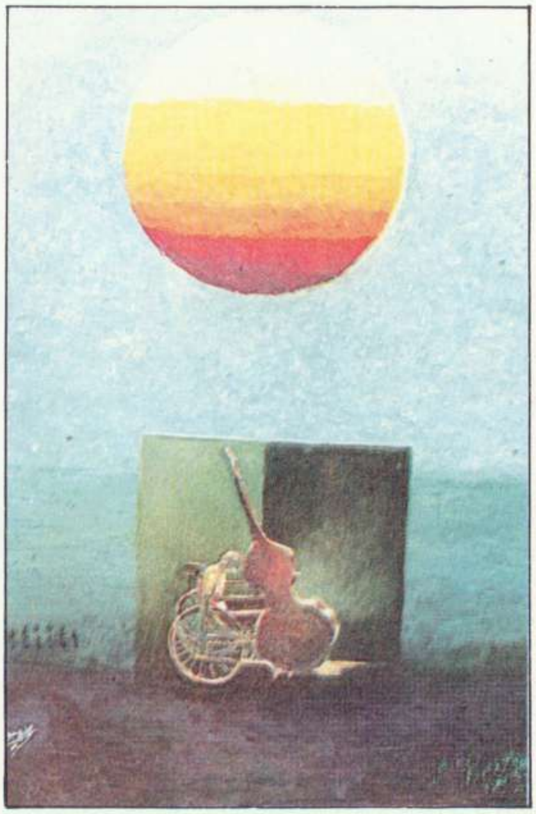
وقد كان لانشاء الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية دوراً ريادياً آخر على الساحة الفنية فى دولة الكويت ،

ومن أشهر فنانى دولة الكويت :

- خليفة القطان : ويعتبر رائداً فى مدرسة السير كلزم والتى تعتمد على مردود اللون نفسياً
- المرحوم محمد الدمخى : فنان تاثيرى أهتم بالبيئة الكويتية سواء الصحراوية او فيما يتعلق بالنشاط البحري ، توفى فى القاهرة عام ١٩٦٨ أثناء دراسته ، ويعتبر من اقوى الفنانين الكويتيين الذين سجلوا البيئة القديمة .
- النحات سامي محمد : احد الموهوبين



منظر من الرياض للفنان السعودى محمد موسى السليم



تفوق .. للفنان العمانى عبد الله سعيد الرياحى

الذين رعاهم المرسم الحر ، واتجاهاته الفنية حديثة وبخاصة تطرقه لمعاناة إنسان العصر الحديث .

● النحات عيسى صقر : نحات استخدم الخامات المهملة وجعل منها أعمالا ناطقة

● عبد الرسول سلمان : فنان سريالي مر بمراحل متعددة منها الشريطية واستخدام الحرف العربى وايضاً أشكال المراكب الكويتية حتى طاف باشكال اثواب النشل المختلفة .

● أيوب حسين : فنان فطرى له انتاج غزير فى موضوعات البيئة الكويتية ، وله عدة مؤلفات عن الألعـــاب والأمثـلة الشعبية .

● جاسم بوحمد : نحات ومصور يستخدم الموضوعات المعـــاصرة

● خزعل عوض : نحات من المرسـم الحر الكويتى اتجه اخيراً لاستخدام الادوات البيئية فى أعماله وادخالها فى مكبس خاص واخراجها بشكل فني .

● محمود الرضوان : منح اخيراً التفرغ ، ويستخدم الموضوعات التى تمس المداخل القديمةواشكال البيوت الكويتية ذات الطراز الاسلامى الجميل .

● عبد الله سالم : فنان يستخدم اشكال الخيم البدوية ويصنعها بلون الطّين الأحمر مع وحدات قديمة بدوية .

● عبد الله القصار : ذو اسلوب فريد فى معالجة اللون والفكرة ، وقد استخدم الخرافات والحكايات الشعبية فى أسلوبه السريالي .

وهناك الكثير من الفنانيين الكويتيين الذين اضافوا الى الحركة التشكيلية الحديثة فى الكويت مثل : امير عبد الرضا ـ عبد الحميد اسماعيل ، جعفر دشتى ـ خالد القعود ـ ابراهيم اسماعيل ـ محمد الشيخ ـ عبد الله مرزوق ، وغيرهم ..

الفنانون فى قطر

وقد ظهرت بواكير الحركة التشكيلية فى قطر مع دخول مادة التربية الفنية ضمن المنهج الدراسي التربوى لوزارة التربية والتعليم ، وكان من ضمن نشاطات هذه المادة اقامة المعارض التى اتاحت الفرصة للموهوبين للبروز فى اظهار انتاجهم وادى ذلك إلى تنبه المسئولين بالوزارة لهذه المواهب فانشات جماعات للتربية الفنية تتوفر فيها كافة متطلبات الفنان الموهوب ، وجعلت من اهدافها إتاحة الفرصة للموهوبين للمشاركة فى المعارض المدرسية وارسالها للخارج .

وعندما بدات تنضج هذه الحركة تولى نادى الجسرة الثقافى الاجتماعى عام ١٩٧١ مسئولية جمع شمل الفنانين الموهوبين ، خاصة وقد كان الأستاذ الرائد جاسم زيني عضواً ادارياً فى النادى بالاضافة الى انه موجه تربوي فى وزارة التربية والتعليم ، فاستطاع ان يجمع الكثير من المواهب حوله واعطائهم دروساً فى اللون والخط والمساحة الى ان برز منهم الكثير ممن استطاعوا ان يدرسوا الفن التشكيلى على اصوله وقواعده الاكاديمية مثل حسن الملا ، ومحمد علي ، وسلمان المالكى ، ومحمد الكـــوارى ، وسـيف الكوارى ، وماجـــــد المسـلمانى ، ويوســف احمـــد ، وغـــيرهم

وفي الذكرى الاولى لتولي حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني مقاليد الحكم فى البلاد ، اقيم معرض شامل بين الفنانين القطريين والاخــوة العرب المدرسين ، ويعتبر هذا المعرض الانطلاقة الحقيقة الأولى للفن التشكيلي القطرى المعاصر ، فقد تبعه معرض آخر فى عام ١٩٧٦ بمتحف قطر الوطنى وكان خاصاً بالقطريين ، ثم عدة معارض أخرى .

وفى عام ١٩٧٦ انشئت ادارة الثقافة والفنون ، كما انشىء قسم خاص يرعى الفنون التشكيلية والمعارض ، وقد وضع هذا القسم على عاتقه النهوض بالحركة التشكيلية محلياً وعالمياً ، باتاحة الفرصة



من الفن الشعبى .. لفنان البحرين حسين قاسم السنى

الكاملة امام الفنانين القطريين لاقامة معارضهم الخاصة بالدوحة ، والاشتراك فى المعارض العربية مثل معارض الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العــرب ، واستطاع الفنانون القطريون فى معظم هذه المعارض الحصول على الشهادات التقديرية .

كما قام القسم بانشاء المرسم الحــر القطرى واتيحت الفرصة لكل موهوب لمزاولة عمله فيه ، كما اتيحت ايضاً الفرصة للفتاة القطرية للكشف عن مواهبها وحبها للفن التشكيلي .

وقد اقيمت عدة معارض للممارسين ، واقيمت الدورات الفنية لدعم منهاج المرسم الحر مثل دورة فى الخط العربى احياهــا الفنان الأمريكي المسلم محمد زكريا .

وشاركت دولة قطر فى عدة مؤتمرات ولقاءات فنية مثل ملتقى الفنانين العرب والافارقة فى الحمامات بتونس عام ١٩٧٧ ، ومؤتمرات الاتحــاد العــام للفنانين التشكيليين العرب وغيرها من اللقاءات ، ونتج عن ذلك أن اصدرت حكومة قطر موافقتها على انشاء جمعية خاصة بالفنون التشكيلية ترعى مصالح الفنــانين التشكيليين في قطر ، وتقوي مستواهم فيما يخص الذوق العام فهى تقوم على اهداف سامية تحمى الفنان وانتاجه .

ولقد قامت الجمعية (رغم قصر عمرها) بعمل ثلاثة معارض كبيرة شهد الجمهور لها بالنجاح ، وهى تعد الآن لاصدار نشرة خاصة بالفنون التشكيلية واصدار كتاب بالالوان يتضمن رصد الحركة التشكيلية فى قطر ، كما تقوم بعمل موسم كامــل للمعارض والمحاضرات ، وايضاً هناك فى قطر بعض التجارب الفريدة من نوعها على ارض الخليج الدافئة ، وهى تجربة معارض الهواء الطلق الذى كان يشرف عليها الاصدقاء الثلاثة : يوسف احمد ، حسن الملا ، محمد علي ، وكانت من سياسة هذه المعارض توسيع رقعة المتذوقين للفن فى قطر من خلال عرض اعمالهم على الرصيف وفى الاندية الرياضية والاماكن العامة التى يرتادها الناس بكثرة .

وكذلك اقام عدد من الفنانين التشكيليين القطريين معارض خاصة لهم في نيويورك ولندن وواشنطن والعديد من بلدان العالم ومن أشهر الفنانين القطريين :

● الفنان الرائد جاسم زيني وأسلوبه يعتمد على « الموتيفات » مع استخدام التجريد والعناصر الشعبية .

● محمد على : فنان يعتمد على اللون بدرجة كبيرة ويستخدم الموضوعات الشعبية البدوية .

● يوسف احمد : ينطلق من خلال نظرية البعد الواحد ومدى استخدام الحرف العربى لتحقيق هذه النظرية .

● حسن الملا : تاثيرى يســـتخدم الموضوعات الانسانية فى اعماله يغلب على الوانه الاتجاه للون البنى والأصفر

● سلمان المالكي : يتجه الى الأسلوب التاثيرى ، مع اعطاء أبعاد لفكرته يحاول ابرازها باستخدام الالوان الساخنة ، وله تجارب كثيرة فى الرسوم الصحفية .

● يوسف الشريف : واقعى تسجيلى وموضوعاته بيئية صرفة .

وهناك العديد من الفنانين القطريين مثل علي الشريف ، ومحمد الجيدة ، وعيسي الغانم ، وسلطان السليطى وسلطان الغانم ، ووفيقة سلطان ، وغيرهم

الفنانون فى سلطنة عمان

نقطة بداية الفن التشكيلي العمانى الحديث ، هى افتتاح المرسم العمانى للفنون التشكيلية الذى تشرف عليه المديرية العامة لشئون الشباب ، وتدعمه بكل الامكانيات اللازمة لاستمراره ،

والمرسم الآن يضم حوالى ٢٥ رساماً من الجنسين اغلبهم من هواة الفن التشكيلى وقد اقامت المديرية العامة لرعاية الشباب العديد من المعــارض الداخليــة والخارجية لرسومهم وأعمالهم الفنيــة

وتنظم المديرية العامة لرعاية الشباب بمناسبة يوم الشباب العمانى مهرجاناً كبيراً للفنون التشكيلية لكافة فنانى دول مجلس التعاون ..

ومن أشهر فناني سلطنة عمان :

● انورخميس سونيا : يعتمد اسلوبه على السريالية الى حد كبير وتتميز الوانه الزرقاء بشفافيتها لكي تصــل الى اللامنتهى .

● خميس ناصر الحيثى : فنان واقعي تغلب عليه البيئة العمانية الخصبة وبخاصة صور فتياته فى لوحاته بازيائهن العمانية المعروفة ، وهناك ايضاً الفنانة رابحة محمود والفنان عبد الله سعيد الرياحي .

الحركة التشكيلية فى الامارات

بدأت بوادر ظهور الموهوبين فى المدارس الحكومية ضمن حصص التربية الفنية ،وتبع ذلك اتجاه عدد من الفنانين إلى الدراسة الأكاديمية لنيل مزيد من الخبرات الفنية ، فاتجهت افواج إلى اكاديمية الفنون الجميلة فى بغداد وكلية الفنون الجميلة بالقاهرة ، وعاد هؤلاء لتبدا الدولة فى التفكير جدياً فى انشاء جمعية خاصــة بالفنون التشكيلية مقرها امارة الشارقة ، واخذت الجمعية فى السير قدماً بتقديم كافة التسهيلات اللازمة لانعاش الحركة التشكيلية الحديثة باقامتها لعدد من

المعارض المحلية والخارجية لفناني الدولة من المواطنين والفنانين الاجانب ، وكان اخر مظاهرة فنية اقامتها الجمعية هي احتضانها لاجتماع الامانة العامة للفنانين التشكيليين العرب والذي عقد في الشارقة عام ١٩٨١ .

ومن اشهر فناني دولة الامارات :

● محمد يوسف : فنان مسرحي وتشكيلي ، خريج كلية الفنون الجميلة بالقاهرة عام ١٩٧٦ قسم النحت ، يتميز اسلوبه باعتماده على البيئة المحلية كاستخدامه لاشكال القواقع واشكال الملابس المحلية

● محمد مندي : خريج مدرسة تحسين الخطوط بالقاهرة ، يعتمد اسلوبه على التبسيط فى المعالجة اللونية والموضوعية

● سالم جوهر : خريج اكاديمية الفنون الجميلة ببغداد قسم السيراميك ، يعتمد على اضافة قيمة فنية على قطعه وسلخها من المفهوم العام لفن السيراميك

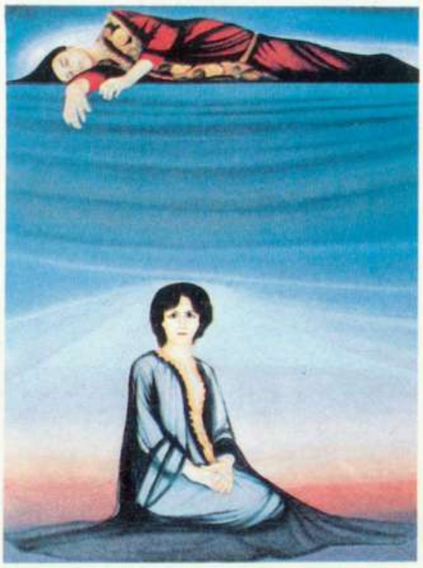
● عصام شريده : فنان له ممارسات واسعة فى الكتابة الصحفية واطلاعات كبيرة لانتاج الفنانين التشكيليين العرب وبخاصة استخدام الحرف العربى وتظرية البعد الواحد .

● عبد القادر الريس : فنان يعتبر من افضل فنانى الامارات فى استخدام اللون البيئي فى لوحاته

وهناك ايضاً العديد من الفنانين الآخرين مثل : محمد القصاب ، حمد السويدي ، ابراهيم مصطفى ، محمد خيري ، حسن شريف ، احمد الانصارى ..



قلعة .. لفنان الامارات : حمد السويدى



احلام .. لفنان الكويت عبد الرسول سلمان

الفن فى البحرين

وترتبط الحركة التشكيلية الحديثة فى البحرين بالتعليم النظامى ، حيث افتتحت أول مدرسة تعليمية عام ١٩١٩ ، وكانت البداية فى حصص الرسم التى تنمى فيها المواهب المتعددة .

وفى الخمسينات بدأت المعارض المدرسية تخرج لنا بفنانين امثال المرحوم الشيخ عبد العزيز بن محمد آل خليفة وزير التربية والتعليم السابق والفنان كريم العريض وغيرهم ، ولقد اثر هؤلاء الرواد على الحركة التشكيلية المعاصرة حيث اتاحوا لتلاميذهم كافة سبل الابداع حيث التحق بعض التلاميذ فيما بعد بالاكاديميات فى القاهرة وبغداد للدراسة والبحث .

وفى عام ١٩٧٠ تأسست أول جمعية فى البحرين للفن التشكيلى تحت عنوان (جمعية الفن المعاصر) . التى اتخذت من نادى البحرين فى المحرق مقراً لها فى بداية تكوينها ، وبدأت الجمعية فى الاشتراك بنشاطات واسعة على المستوى المحلي والخليجى والعربى والعالمى .

ونظراً للكم الهائل فى عدد الفنانين التشكيليين البحرينيين ، ونظراً لوصول هذا الشعب العريق الى منزلة رفيعة فى الفن ، فقد انشئت مؤخراً جمعية أخرى هى الجمعية البحرينية للفنون التشكيلية ، واقامت أول معرض لها فى السنة الماضية ، وهي تضم عدداً كبيراً من الفنانين الشباب .

ومن اشهر فناني البحرين :

● كريم العريض : يعتبر من الرواد الأوائل في البحرين يختار اسلوبه التاثيري ذا اللمسات العريضة من خلال استخدامه لمواضيع بيئية فى البحرين .

● راشد العريض : فنان رائد له عدة مؤلفات فى شكل العمارة البحرينية والألعاب الشعبية ، صاحب أول صالة عرض فى البحرين ، يمتاز أسلوبه بايمانه بالفن الدلمونى القديم وتقديمه فى شكل معاصر .

● ناصر اليوسف : مواليد مدينة المحرق تاثر باشكال البيوت والاقواس الاسلامية البحرينية وطوعها فى أعماله الفنية .

● أحمد العريض : فنان خريج كلية الفنون الجميلة بالقاهرة عمل عدة ديكورات لمسرحيات مختلفة أسلوبه يتجه الى فن البوستر له عدة تجارب فى النحت الميدانى

● عبد الله المحرقى: فنان تسجيلى اهتم بالحياة اليومية البحرينية وقدمها باسلوب واقعي بسيط

● عبد الكريم البوسطة : فنان يغلب عليه الأسلوب التاثيري والوحشي فى معالجة لوحاته البيئية .

● اسحق الخنجي : نحات له تجارب مع خامات الطين والخشب ويعتبر من النحاتين البحرينيين القلائل

● يوسف قاسم : فنان متعدد الجوانب أسلوبه يتميز بالصدق الكامل وبخاصة عندما يعالج شخصياته الخليجية

وهناك الكثير من الفنانين البحرينين المرموقين منهم : حسين قاسم السني ، عباس المحروس ، احمد قاسم السني ، احمد باقر ، محمد خميس ، عبد الرحيم شريف ، محمود اليماني ، احمد نشابه ، عزيز زباري . مناحي مرزوق.راشد خليفة آل خليفة ، حليم كروف وغيرهم .

وهكذا نرى أن منطقة الخليج بها تجارب فنية استطاعت أن تشد لها الأنظار .. فهى تجارب أصيلة ، عبرت عن الفنان الخليجى – رغم تنوع دراساته – فى صدق وموضوعية

بقى شيء واحد وجب على الفنان فى الخليج التنبه له وهو وجود اتحاد يضم كافة فنانى دول مجلس التعاون والبدء فى أعمال فنية كبيرة مشتركة وإقامة ندوة كبرى ثقافية ، تضم فنانوا الدول الخليجية والعربية

يوسف أحمد

لقطات من الكون المثير



ومن الطيور ما نسج !

اسمه الطائر النساج ـ اسم على مسمى فهو يعرف كيف يختار الخامة المناسبة لينسج العش المناسب ، وفى المكان المناسب ، وعلى الارتفاع المناسب ، وبالسمك المناسب ، حتى يصبح حضانة مناسبة لا تتأثر كثيراً بتقلبات الجو من حولها .. ولايزال هذا الطائر الذكر يأتى بالألياف النباتية يوماً بعد يوم ، وأسبوعاً فى إثر أسبوع ، وبمنقاره ومخالبه ينسج الخيط تلو الخيط ، ويقيم الأركان من البيت رغم انه لم يتلق فى ذلك درساً ولا تدريباً ، ولكنه يأتى الى الحياة وخطة البناء مبرمجة فى دماغه ، وفى النهاية تأتى شريكة الحياة لتجد كل شىء جاهزاً ، ودون أن تحمل الهموم ، سواء فى دنيا البشر أو الطيور !



القادر يساعد العاجز !

هذه اللقطة المثيرة لا تحتاج الى تعليق فهذا الشاب العاجز لا يستطيع أن يحرك يديه لشلل حل بذراعيه ، ومأساته لاشك ستطول ، ولا صبر عند الانسان لرعاية المشلول ، لكن ما ألطف صبر القرود ، فهى لا تتبرم ولا تشتكى ولا تثور ، طالما وجدت من الانسان بعض اللطف والحنان ، وهكذا جلس ذلك القرد المدرب من نوع «كابوتشين» ليطعم الانسان ، وكأنما ظهرت على قسمات وجهه تعبيرات دالة على التأثر والرقة والاهتمام .. أو كأنما لسان حاله يقول : ومن الحيوان ما هو أكثر تعاطفاً مع الانسان من أخيه الانسان !

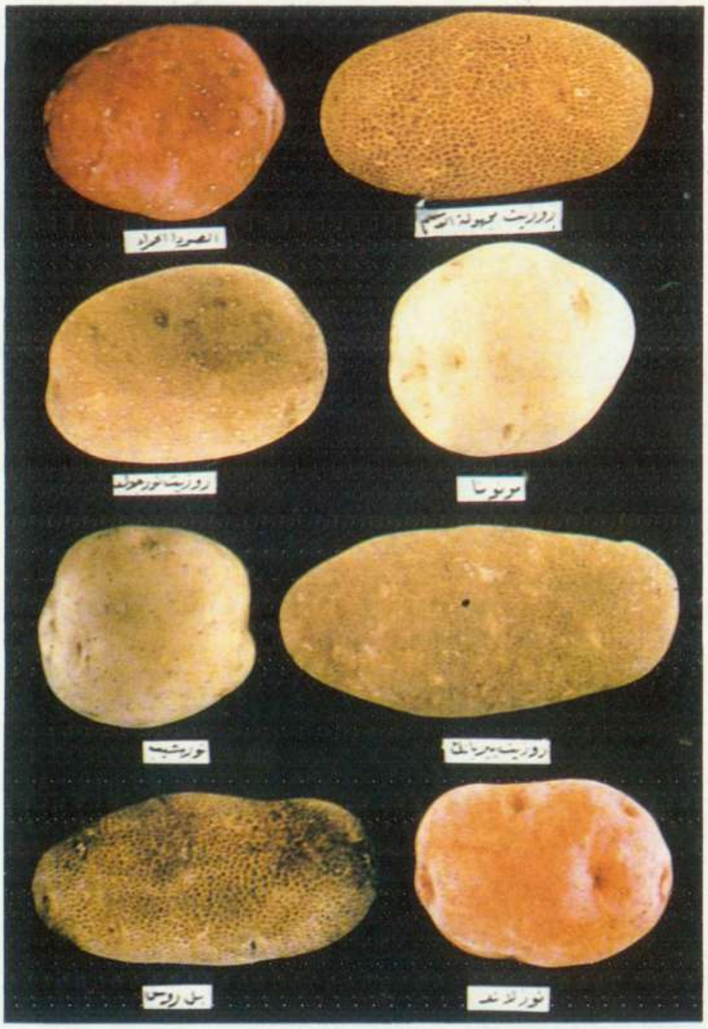
استعراض عضلات أم سيارات ؟!

الواقع أنهما الاثنان معاً .. فالسائق بالداخل يستعرض فى القيادة المتوازنة كفاءته النادرة ، ليحافظ على اتزان عجلتى سيارته المنطلقة ، لأن أى ميل أو انحراف عن مركز الثقل قد يؤدى الى كارثة محققة .. كذلك يستعرض الرجل والفتاة التى تقف خلفه مهارتهما واتزانهما وكأنهما يمارسان ألعاب السيرك هنا على حافة سيارة لا على ظهر حصان ينطلق فى حلبة ، رغم أن التحكم فى السيارة أصعب ، لأن الحصان يتحكم بنفسه فى حركته ، والسيارة ليست كذلك ، بل لابد من انسان ذى كفاءة فائقة ، وحساسية مفرطة ليتحكم فيها أثناء انطلاقها على عجلتين لا أربع ، ولابد للاثنين الواقفين على الحافة من تفاهم وتآلف تامين مع العنصر البشرى والعنصر الآلي ـ أى القائد والسيارة .. المهم أن هذا التوازن المثير هو المحصلة النهائية لعدد من عناصر الحركة المنسجمة والمتناغمة تماماً .. لكن ، لماذا كل هذا ؟ .. لا لشىء إلا لاستعراض مواهب ، وللناس فيما يعشقون مذاهب !





شكل (أ)



شكل (ب)

سلالات مختلفة .. لكن من ماذا ؟

لو انك تاملت جيداً فى محتويات هذه الصورة الغريبة . فقد تعرف منها أشياء وقد تغيب عنك منها أشياء كثيرة .. هل عرفت منها شيئاً ؟ .. الواقع أن الصورة كلها بطاطس فى بطاطس ـ انها سلالات مختلفة .. منها الطويل البيضاوى والمستدير والمحبب والملتوى والصغير والكبير .. الخ ، إذا كانت تختلف فى الأشكال ، فان الاختلاف ياتى ايضاً فى الألوان (شكل أ) أن هذا المحصول الغريب هو انتاج جزر الأندس بدولة بيرو . حيث تجمعها قبائل الهنود الحمر من المزارع البرية وتعيش عليها ، ولها عندهم أكثر من الف اسم ، نظراً لتنوعها المثير ، وفى الصورة توجد سلالة واحدة (البيضاوية البنية الصفراء اللون) معروفة عندنا ، وهى واحدة من ثمانى سلالات يزرعها الانسان (شكل ب) أما الباقى فمن البطاطس البرية .. ثم أن هذا التنوع الهائل هو نتيجة حتمية لعملية خلط طبيعى استمر بينها لملايين السنين ، فكان هذا الكوكتيل الغريب .

البحث عن موسيقى الألوان في لوحات فنان

"الحصان الأبيض".. و"المذبحة".. والفن في المنفى

أجرى الحوار: محمد يوسف



الفنان التشكيلي الفلسطيني عبد الهادي شلا امام احدى لوحاته

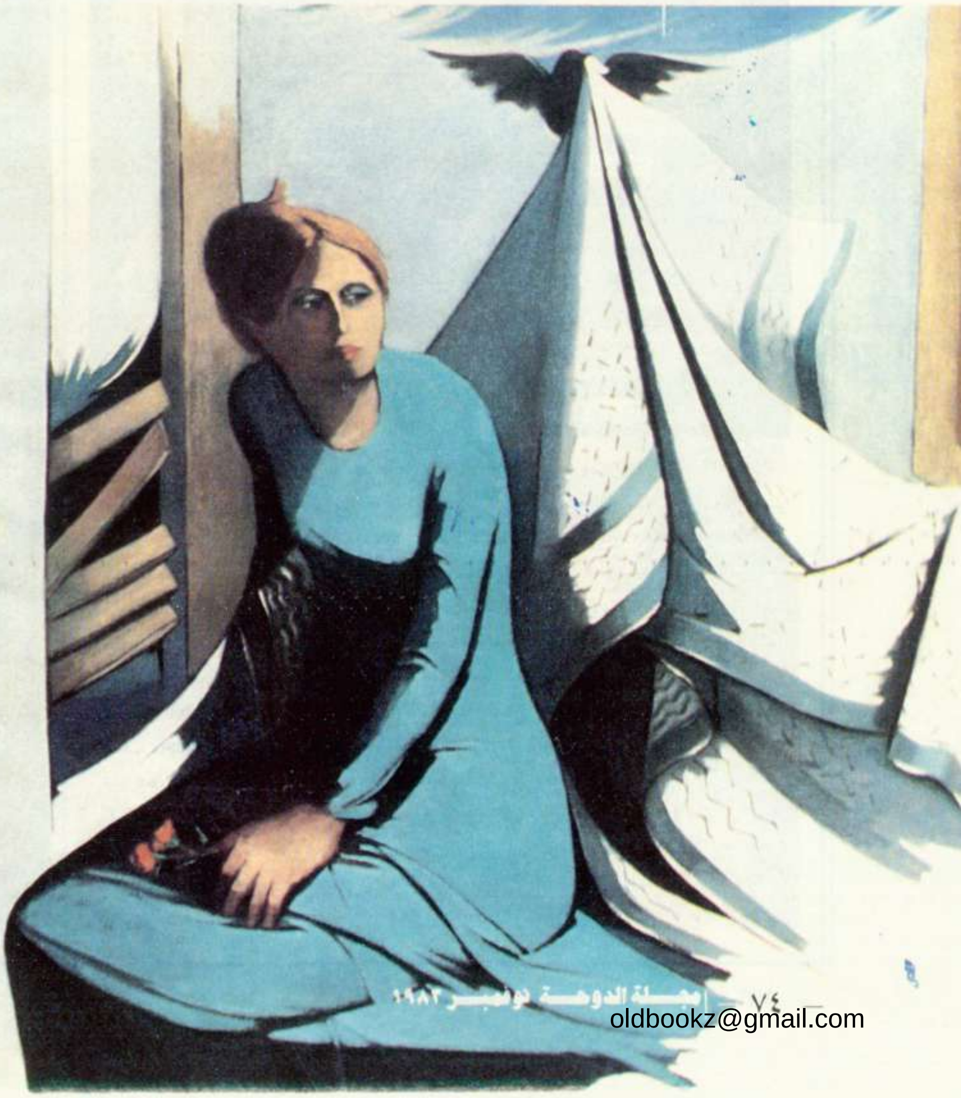
الفنان التشكيلي عبد الهادي شلا ، واحد من الفنانين التشكيليين الذين يقيمون توازناً ملموساً بين طرفي معادلة الفن والالتزام . ومن هذا المنطق فانه لا يهدر نقطة الترافع في قضيته وراء قناع التشبث بالمعايير الفنية والجمالية .

وفي هذا الحوار يدور الحديث حول عدة مرتكزات جوهرية تتعلق بقضايا الفن والالتزام التي من بينها مكونات الرؤية التشكيلية ، ومدى نجاح الفنانين التشكيليين في المنفى وخروج المقاومة الفلسطينية من لبنان وانعكاس ذلك على الرؤية التشكيلية ، وغير ذلك من القضايا الهامة التي تمثل مرتكزات جوهرية في حياة هذا الفنان الذي يتعامل باستمرار مع احداث وطنه وشعبه .

● البدايات ، والمكونات الاولى .. كيف يمكن أن تصطادها من الذاكرة بشيء من التفصيل ؟

– إن اول الميل ، اذا اردت ان تقطعه كمسافة ، خطوة . وعادة ما تكون الخطوة الاولى أصعب الخطوات حيث يجب ان نقرر أين نضع اقدامنا . وفي الفن

لوحة زيتية بعنوان « البشارة » رسمها الفنان عام ١٩٨٣





صبرا .. شاتيلا .. لوحة زيتية عبرت عن الحدث الرهيب ساعة وقوعه

التشكيلى تكون البدايات احتياجاً لصقل موهبة تبشر بوادرها بالخير .

بالنسبة لى ، كانت البداية مع تخرجى من كلية الفنون الجميلة بالقاهرة ، ففى هذه المرحلة احببت المدرسة التاثيرية ومارست من خلالها بعض طموحاتى الفنيه الأولى .. إلا اننى كنت مدركاً أن على الفنان أن يطور نفسه فكرياً وتطبيقياً ، وأن يحدد لنفسة موقفاً من هاتين المسالتين الجوهريتين : الفكر والتطبيق بالنسبة للرؤية الفنية . وهكذا اصبحت ابحث بشكل دائم ، فى الأساليب الفنية المتعددة التى تميزت بها الحركة التشكيلية العالمية فى القرن العشرين ، واستطعت ان اجرب الكثير من الخامات ، واحقق التالف بينها فى «فترات» تجريبية بهدف الوصول الى أسلوب مميز اجسد من خلاله طموحاتى الفنية ، واعبر عن القضايا المصيرية التى تواجه امتى ، إضافة الى معايشة قضية شعبى بصورة خاصة .

اكاشفك اننى ، على المستوى الذاتى الخاص ، كبر داخلى شعورى بالغربة والحنين الى وطنى ، وتضخم الاحساس بالرهبة من المجهول الذى ، يتراءى ولايتراءى لى ، عندما يناور ويقامر «أشرار» الجنس البشرى لتدمير الحياة والانسان بهذه الآلة الجهنمية التى اسمها الحرب .

ازدواجية الصراع الحضارى

من جانب اخر ، فان الكرة الارضية أصبحت مهددة بالفناء والدمار بفعل تقدم العلوم والمخترعات ، وبدلا من ان يستخدم الانسان منجزات العلم والحضارة لبناء الحياة والحضارة اخذ يستخدمها لتقويض الحياة والحضارة . من هنا فان ازدواجية الصراع الحضارى كانت تشغل حيزاً كبيراً من تفكيرى ، واصبح العنصر الانسانى شغلى وشاغلى فى التعبير عما هو عام من خلال خصوصيتى الفلسطينية .

كان التعامل مع العنصر الانسانى امتداداً طبيعياً لانتمائى للمدرسة التاثيرية مع ملاحظة أن المعالجة ، مع مرور الوقت ، اتجهت الى التعبيرية حتى تستطيع التقاط ايقاع إنسان عصرنا المضطرب ، وتصاعد الخوف من المجهول ، فكانت موضوعات الموت .. الميلاد .. الشهيد .. المرأة أو الرجل المنتفخ البطن رمزاً لآلام ، مع تركيز شديد على تقنية العمل الفنى وعلاقة الألوان «التكنولوجية» ببعضها البعض ، ولعب توزيع الضوء فى اللوحة على الكتل البشرية ، دوراً تشكيلياً دون التقيد بمصدر ثابت له ، ومن ثم فان تساقط الضوء على الكتلة أو الجسم فى اللوحة يحدث ضمن توافق «فنى» لايجاد نغمة «تشكيلية» متوازنة داخل اللوحة ، وهكذا اكتسبت الكتلة صفة النحت الذى يعطى معنى الصلابة والقوة للعنصر الانسانى ليتحدى بها قهر الزمن واضطرابه .

وأنا اعتبر هذا التحول فى رؤيتى التشكيلية هو المرحلة الأولى الجادة بالنسبة لمسيرتى الفنية ، والتى تمتد من عام ١٩٧١ الى عام ١٩٧٧ .

● كيف تعاملت مع قضية «الالتزام» خاصة وان رؤيتك الفنية التشكيلية كان يرافقها نمو فى الوعى والذهنية ؟

البحث عن موسيقى الألوان في لوحات فنان

ـ فى اطار المرحلة التشكيلية الأولى ، كان من الضرورى ان اعبر ـ بادراك اكثر ـ عن الواقع الذى تعرفت عليه وعايشته ، وكان يوازى هذا الخط خط اخر يتمثل فى ايمانى بالتزام الفنان بقضيتين اساسيتين : أولهما الواجب القومى تجاه مجتمعه ، وتقديم امكاناته الفنية لخدمته ، وثانيهما : تاكيد الدور الحضارى للفنان ، وإظهار ان العمل الفنى ليس إعلانا تجاريا ينتهى مفعوله بانتهاء مرحلته الزمنية ، بل على العكس فانه يجسد «كيانية» فنية تحقق هدفا جماهيريا وقتيا ، وكذلك يكون مرحلة أو «جزءا» من الارث الفنى الذى تتابعه الأجيال دراسة وتطويرا .

« الصرخة » .. لوحة من المرحلة التعبيرية فى حياة الفنان (١٩٧١ ـ ١٩٧٧) .



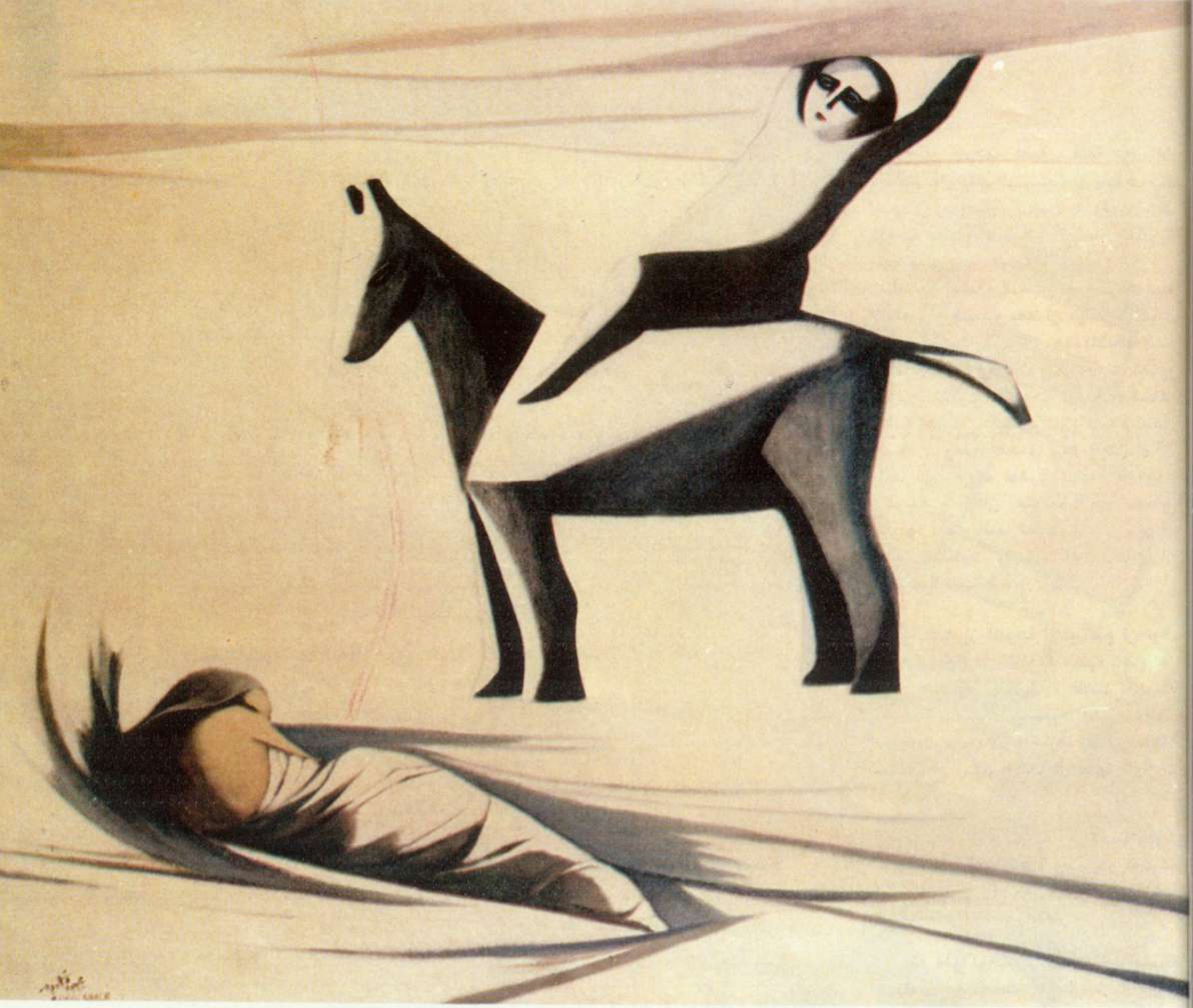
● هل كانت هناك ثمة علاقة بين مفهوم الالتزام ، ومفهوم التطور فى الرؤية فى تجربتك ؟

ـ لقد مثل انتقالى من المرحلة الأولى التى ارتبطت بالتشكيل الواقعى والتعبيرى الى المرحلة الثانية ، وهى المرحلة التى كنت انزع فيهــا الى تحقيق قيم تشكيلية معاصرة تستمد قيمتها من المواقف المتعددة التى تحدد مسارات مجتمعنا .. لقد مثل هذا الانتقال ضرورة من ضرورات الالتزام بشقيه ، إلا ان هذا الانتقال تخللته تجربة فنيه خاصة فيما يختص بعناصر السجاد اليدوى (وهو بعيد عن العناصر التى استخدمها فى التعبير عن القضايا الانسانية) وتطويع عناصره الزخرفية . وكانت نتيجة هذه التجربة تغير طبيعة اللون فى اعمالى التالية ، وكانت بداية تعاملى مع اللون الأبيض كلون له خاصية ، أو بعبارة اخرى ادخال اللون الابيض الى داخل الدائرة اللونية ، (المعروف أن اللونين الأبيض والأسود يعتبران خارج الدائرة اللونية) ، وكانت تجربتى مع اللون الأبيض «تجربة اتيليه» ، كما نقول فى الوسط التشكيلى ، أوصلتنى الى مرحلة فنية جديدة هى المرحلة البيضاء الأولى.

المرحلة البيضاء

● المرحلة البيضاء (الأولى والثانية) .. ارتبطت بما تطلق عليه «درامية اللون الأبيض» .. كيف تضيء هذه النقطة للقارىء العادى ؟

ـ تميزت المرحلة البيضاء الأولى بتغيير يكاد يكون كاملا لخصائص العناصر التشكيلية أو القيم اللونية التى كنت اعبر عنها ، وظهر رمز جديد ، فى لوحاتى



«المنقذ والغريق» .. لوحة من المرحلة البيضاء الأولى (١٩٧٨) حازت على الميدالية الذهبية فى المعرض العام الحادى عشر للجمعية الكويتية للفنون التشكيلية .

التشكيلية ، هو الحصان الخشبى ، (رمز الوسيلة المعطلة الخصائص) . فى هذه المرحلة تحقق نوع من التوازن بين تطورى إبداعياً وتشكيلياً ، وبين طموحى فى تقديم ماأتطلع اليه للمجتمع من حيث رؤيتى للأحداث اليومية والتعامل معها فنياً ، وكان مايشغلنى هو ان اقدم الجديد (على المستوى التكنيكي) الذى يشبع طموحات الجماهير دون الوقوع فى مصيدة المزاجية الجماهيرية إذا جاز التعبير ، واصبح هاجسى أن أقدم للجماهير انجازاً تشكيلياً يرتقى بمستوى وعيها بالقيم الفنية التشكيلية فى إطار الفكرة البسيطة الكبيرة المغزى .

ولما كانت أعمالى ـ منذ البداية ـ تعبيراً عن القضية الانسانية العامة ، مع اقتطاع مفردات رؤيتى التشكيلية من خصوصيتى الفلسطينية ، فان الاحساس الذى لايزال يلازمنى يتعلق بوجوب خلق التوازن ،

ـ بالنسبة لى كفنان عربى فلسطينى ـ بين الابداع والالتزام لتحقيق دورى الحضارى وخدمة قضيتى والحفاظ على التراث الفنى من الاندثار ، ومن هنا طرات تغييرات على العنصر الانسانى فى المرحلة البيضاء الثانية حيث لم يعد الشكل كتلة او جسماً يتساقط عليه الضوء فى «الجو الابيض» بل اصبح للكتلة تردد داخلى ، وذبذبة وإيقاع دائم من خلال الشكل الذى يفسره «تردد الألوان» على مساحة اللوحة . وهكذا تشعر بالموسيقى اللونية ، والاهتزازة النغمية للحن الشرقى داخل اللوحة .

الريشة والبندقية

● القضية الفلسطينية .. هل نجح الفنانون التشكيليون فى تجسيدهـــا فى المنفى ؟

ـ فى اعتقادى أن الفنان التشكيلى لم يقصر فى تجسيد القضية فى المنفى بدليل أن المعارض لم تنقطع منذ تبلور الهيكل العام للحركة التشكيلية الفلسطينية ونجاحها عربياً ودولياً .

لقد سجل الفنان التشكيلى مظاهر الاضطهاد الأولى للشعب الفلسطينى حيث تحول الى شعب من اللاجئين مع عدم إغفال عنصر الأمل فى العودة الى الوطن ، ومع اســـتمرار تماســك وصمود الشعب الفلسطينى فى المنفى كان الفنان التشكيلى



لوحة عبرت عن الأبطال الذين واجهوا الموت دون أن يستديروا للحائط اثناء الغزو الاسرائيلي للبنان .

البحث عن موسيقى الألوان في لوحات فنان

الفلسطيني يعبر عن مراحل صموده ، وتجلى تجسيده للواقع الجديد مع ميلاد الثورة الفلسطينية ، وكانت الريشة ترافق البندقية لتخليد الشهداء وتمجيد الثوار .

وعلى سبيل الاختصار يمكن القول إن مراحل تطور القضية الفلسطينية سياسياً لعبت دوراً مباشراً فى تطور الحركة التشكيلية الفلسطينية .

وقد عمل الفنان التشكيلى الفلسطينى على تاكيد حضوره فى جميع المحافل الفنية من مؤتمرات وندوات ومعارض واستطاع الوصول الى عضوية الرابطة العالمية للفنون التشكيلية .

وكان لتوزع الفنانين الفلسطينيين ، فى المنفى ، فى كثير من البلدان دور فى إثراء الحركة التشكيلية الفلسطينية وتطورها ، وذلك راجع لتنوع مصادر اكتساب الخبرات الفنية . كذلك تجسد دور الفنان التشكيلى الفلسطينى فى المحافظة على التراث الشعبى الفلسطينى ، فى جميع مظاهره ، من الاندثار ، وبشكل خاص بعد محاولات العدو الصهيونى المتكررة إكسابه الصفة اليهودية ، وتكثيف الادعاء بانه تراث يهودى .

الحصان وكوفية الفدائى

● خروج المقاومة الفلسطينية من لبنان .. كيف انعكس على رؤيتك التشكيلية ؟

– لقد كنت اتابع احداث الغزو الاسرائيلى للبنان عبر وسائل الاعلام (الصحافة والاذاعة والتليفزيون) ، وفى غمرة الأحداث كنت ابدا فى تخطيط العمل الفنى عن طريق رسومات (ارسمها بالقلم الرصاص) أو رسومات ملونة (اسكتشات) وفى اليوم التالى كنت أرى مشاهد أكثر فظاعة للجريمة الصهيونية فاندفع فى التعبير عنها بمجموعة رسومات واسكتشات أجسد بها بشاعة الغزو الصهيونى .

فى اللوحة التى رسمتها عن خروج المقاومة الفلسطينية من لبنان رمزت للمقاومة بحصان أبيض قوى ،فحل .. يندفع بقوة وثبات نحو الأفق متلفعاً بكوفية الفدائى . لقد كنت أريد التعبير عن أن الثورة قد خرجت عفية ، قوية دون أن تستظل بالرايات البيضاء ، بل أنها خرجت لتتجدد وتواصل النضال ، وفى أسفل اللوحة بقايا من أشلاء الأجسام البشرية وحطام البيوت المهدمة .

أما عن لوحة «المذبحة» فقد أسقطت فيها مشاعرى الغاضبة بعد أن هزتنى تفاصيل مذبحة «صبرا وشاتيلا» ، هذه المذبحة التى فاقت ، بشاعة وفظاعة ودموية ، كل تصور بشرى ، تناثرت فى لوحة «المذبحة» شظايا وبقايا اجساد .. أيد وأرجل .. أشلاء أطفال ونساء .. وعيون تحدق فينا ، نحن الذين وقفنا دون حراك فاغرى الأفواه من هول الجريمة ، وكان عيونهم التى تغمض جفونها تنظر الينا لتثبت لنا أن شهداء صبرا وشاتيلا واجهوا الموت دون أن يستديروا للحائط ...

وشعرت أن اللوحة لم تستطع أن توف المذبحة حقها من الناحية الفنية كجزء من تاريخ شعبنا المنكوب ، فكانت اللوحة الضخمة «صبرا .. شاتيلا ٨٢» ، والتى استغرق العمل فى انجازها شهرين بصفة مستمرة ، ودون الانشغال عنها بلوحات أخرى .

عبرت فى هذه اللوحة ، عن لحظة وقوع الحدث كما تصورته ، وجسدت الحركة البشرية فيها مشاعر اللوعة والرعب والاغتصاب والقتل والدمار .

أما آخر لوحاتى فانها تتناول مأساة المعتقلين فى معسكر «انصار» .

إننى أغالب الدهشة والمرارة معاً وأنا أتساءل : لماذا لم يفكر أى تجمع خاص بالفن التشكيلى باقامة معرض عن الغزو الاسرائيلى للبنان ، ومذبحة صبرا وشاتيلا حتى الآن ؟؟ ..

وأنا أطرح هذا التساؤل ، المقترن بالدهشة والمرارة خاصة بعد مرور الذكرى الأولى للمذبحة ...

إن مسالة اقامة هذا المعرض لاتقتصر على اتحاد الفنانين الفلسطينيين التشكيليين إنها مسؤولية كل التجمعات الفنية التشكيلية العربية ، وفى إمكان هذا المعرض التجول فى معظم انحاء العالم تأكيد وتجسيد دور الفن التشكيلى فى خدمة القضية الفلسطينية ، بشكل خاص ، والقضية الانسانية بصورة عامة .

محمد يوسف ــ الكويت

جزء خاص:

الدورة الرابعة للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربيّة

صفر ١٤٠٤هـ
نوفمبر ١٩٨٣م



من وحي لقاء الدوحة .. بريشة الفنان القطري: سلمان المالكي

مجلس التعاون لدول الخليج العربية
تكوينه واجتماعاته وأهم إنجازاته



قادة دول مجلس التعاون الخليجى فى الدورة الأولى التى عقدت فى دولة الامارات العربية المتحدة فى ٢١ رجب ١٤٠١ هجرية الموافق ٢٥ مايو ١٩٨١ ميلادية .

يعتبر مجلس التعاون لدول الخليج العربية نموذجاً رائداً فى إطار المجموعات العربية والأفريقية ، ومجسداً لفكرة التجمعات الاقليمية المتجانسة التى تسهم فعلياً فى تحقيق الوحدة الحقيقية بين الدول الاعضاء ، فهو التنظيم الدولى القومى الذى اقامته دول الخليج العربية بارادتها واقتناعاً منها بأهميته فى تحقيق الأمن الذاتى للمنطقة ، وفى تحقيق التنمية الاقتصادية الشاملة لدول المنطقة .



قادة دول مجلس التعاون الخليجى فى الدورة الثالثة التى عقدت فى دولة البحرين فى ٢٣ محرم ١٤٠٣ هجرية الموافق ٩ نوفمبر ١٩٨٢ ميلادية .

وبمناسبة انعقاد الدورة الرابعة للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية فى مدينة الدوحة بدولة قطر فى السابع من شهر نوفمبر الجارى ، نستعرض فيما يلى موجزاً لخطوات تكوين مجلس التعاون ، وأهم اجتماعاته وانجازاته :

أولا : الاعداد للمؤتمر التأسيسي لمجلس التعاون :

● اعلان ٤ فبراير ١٩٨١

بتاريخ ٤ فبراير ١٩٨١ عقد فى الرياض بالمملكة العربية السعودية مؤتمر ضم وزراء خارجية دول الخليج العربية الست وهى : دولة الامارات العربية المتحدة ـ دولة البحرين ـ المملكة العربية السعودية ـ سلطنة عمان ـ دولة قطر ـ دولة الكويت » واسفر الاجتماع عن بيان تلاه سمو الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية بالمملكة العربية السعودية أعلن فيه أن دول الخليج الست سوف تكون فيما بينها مجلساً للتعاون تكون له امانة عامة ، ويعقد اجتماعات دورية .

وقرر وزراء الخارجية عقد اجتماع آخر لهم فى مسقط بتاريخ ٨ مارس ١٩٨١ على أن تسبقه اجتماعات للخبراء لوضع نظام متكامل لما اتفق عليه .

● اجتماعات مسقط :

بتاريخ ٩ مارس ١٩٨١ عقد وزراء خارجية الدول الخليجية الست اجتماعات فى مسقط بسلطنة عمان ، وتمت فيها الموافقة على الهيكل التنظيمى لمجلس التعاون ، وعلى وضع النظام الاساسى له ، كما تم التوقيع بالأحرف الأولى على ذلك النظام ، وتحدد يوم ٢٥ مايو ١٩٨١ موعداً لاجتماع المجلس الأعلى لمجلس التعاون فى ابى ظبى بدولة الامارات العربية المتحدة .

ثانياً : اللقاء الأول للمجلس الأعلى لمجلس التعاون

يعتبر هذا الاجتماع المؤتمر التاسيسى لمجلس التعاون ، حيث عقد فى ابى ظبى فى الفترة من ٢٥ ـ ٢٧ مايو ١٩٨١ اجتماعاً حضره أصحاب الجلالة والسمو قادة دول مجلس التعاون ، وشارك فيه السيد الشاذلى القليبى الأمين العام لجامعة الدول العربية والسيد الحبيب الشطى امين عام منظمة المؤتمر الاسلامى .



افتتاح جلسات الدورة الثالثة للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية والتى عقدت فى دولة البحرين .



الدورة الثانية لملوك ورؤساء دول مجلس التعاون الخليجى التى عقدت فى الرياض يوم ١٤ محرم ١٤٠٢ هجرية الموافق ١٠ نوفمبر ١٩٨١ .

وصدق المؤتمر على النظام الاساسى لمجلس التعاون ، وعلى اختيار السيد عبد الله يعقوب بشارة أول امين عام لمجلس التعاون ، كما وافق المؤتمر على تشكيل هيئة تسوية المنازعات ، والنظام الداخلى لكل من المجلس الأعلى والمجلس الوزارى ، وعلى تشكيل خمس لجان تعمل من اجل تعزيز التعاون بين الدول الاعضاء فى الشئون المالية والاقتصادية والتجارية والصناعية والخدمات الاجتماعية والثقافية .

وقد ركز البيان الختامى الذى صدر عن اجتماعات المجلس الأعلى ـ على ان امن منطقة الخليج العربية واستقرارها يقع على مسئولية شعوب دولها .

وأشار البيان الى ضرورة إبعاد المنطقة باكملها عن الصراعات الدولية ، ونوه الى أن ضمان الاستقرار فى الخليج مرتبط بتحقيق السلام فى الشرق الأوسط ، واكد على ضرورة حل القضية الفلسطينية حلا عادلا وأيد الجهود المبذولة لوقف الحرب العراقية الايرانية .

ثالثا : الدورة الثانية للمجلس الأعلى :

تلبية لدعوة المغفور له الملك خالد بن عبد العزيز عقد فى الرياض بالمملكة العربية السعودية الدورة الثانية للمجلس الأعلى لمجلس التعاون وذلك خلال الفترة من ١٤ ـ ١٥ محرم ١٤٠٢ هـ (١٠ ـ ١١

نوفمبر ١٩٨١ وبحضور أصحاب الجلالة والسمو قادة دول مجلس التعاون .
وقد أكد المجلس على مايلى :

الجانب السياسى

١ ـ اعلن المجلس أن أمن الخليج العربى واستقراره هما من مسئولية دوله وأعرب عن معارضته لمحاولات الدول الكبرى للتدخل فى شئون المنطقة .
٢ ـ طلب المجلس من المملكة العربية السعودية ادراج مبادىء السلام التى أعلنتها المملكة بشأن الحل العادل للقضية الفلسطينية ، وذلك فى جدول أعمال مؤتمر القمة العربى الثانى عشر المقرر عقده فى المغرب ، بهدف بلورة موقف عربى موحد حول القضية الفلسطينية .
٣ ـ ناقش المجلس النزاع الايرانى العراقى ، وما ينجم عن تهديد الأمن واستقرار المنطقة ، وأكد على دعم كافة المساعى الاسلامية المنبثقة عن المؤتمر الاسلامى وجهود دول عدم الانحياز ، ومساعى الأمم المتحدة لتسوية النزاع .

الجانب العسكرى

استعرض المجلس التعاون العسكرى بين الدول الأعضاء ، وقرر دعوة وزراء الدفاع للاجتماع من اجل تحديد الأولويات التى تحتاجها دول مجلس التعاون من أجل تامين استقلالها وسيادتها .

الاتفاقية الاقتصادية الموحدة

تعتبر من أهم انجازات الدورة الثانية للمجلس الأعلى حيث وافق المجلس على هذه الاتفاقية ، والتى سبق ان وقع عليها وزراء المال والاقتصاد بالأحرف الأولى بمدينة الرياض فى ٨/٦/١٩٨١ .
وقد وقعت الدول الأعضاء هذه الاتفاقية من أجل تنسيق وتوحيد سياستها فى المجالات النفطية والصناعية والمالية والنقدية والجمركية بهدف الوصول الى تنمية حقيقية تعود بالرفاهية على الدول الأعضاء . فالذى يشغل بال دول المنطقة حالياً هو كيفية مواجهة مرحلة ما بعد نضوب النفط والاعتماد على مصدر بديل للدخل يحقق الاستقرار للأجيال المقبلة .
وقد كان محدداً للبدء فى تنفيذ هذه الاتفاقية شهر ديسمبر ١٩٨٢ إلا أن المؤتمر الثالث لدول مجلس التعاون الذى عقد فى البحرين وافق على البدء فى تنفيذ المرحلة الأولى من الاتفاقية فى أول مارس ١٩٨٣ وتعمل حالياً الأجهزة المعنية فى مجلس التعاون بالتعاون والتنسيق مع الدول الأعضاء على تنفيذ احكام هذه الاتفاقية .

رابعاً : الدورة الثالثة للمجلس الأعلى

بدأت أعمال المجلس الوزارى لمجلس التعاون فى المنامة بدولة البحرين مساء أول نوفمبر ١٩٨٢ تمهيداً لاجتماعات الدورة الخليجية الثالثة .
وقد عقدت الدورة الثالثة للمجلس الأعلى فى المنامة فى الفترة ما بين ٩ ـ ١١ نوفمبر ١٩٨٢ تلبية لدعوة سمو أمير دولة البحرين وبحضور أصحاب الجلالة والسمو قادة دول مجلس التعاون .
وناقش المجلس فى هذه الدورة المحاولات التى تقوم بها القوى الأجنبية من أجل إيجاد نفوذ لها بالمنطقة بما يهدد أمن الخليج وسلامته ، واقر المجلس توجيهات وزراء الدفاع فى دول المجلس الهادفة الى بناء القوة الذاتية للدول الأعضاء والتنسيق بينها بما يحقق اعتماد دول المنطقة على نفسها فى حماية أمنها والحفاظ على استقرارها .
كما أشاد المجلس بالجهود التى بذلتها كل من دولتى الكويت والامارات العربية المتحدة لانهاء الخلاف بين سلطنة عمان وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .
وأكد المجلس تاييده للقرارات والبيانات التى اتخذها مؤتمر القمة العربى الثانى عشر الذى عقد فى مدينة فاس بالمغرب ، كما أكد المجلس إيمانه بانه لا سبيل لتحقيق سلام عادل ودائم فى منطقة الشرق الأوسط إلا بانسحاب اسرائيل من جميع الأراضى العربية المحتلة بما فيها القدس .
وطالب المجلس بالانسحاب الاسرائيلى الفورى من لبنان مؤكداً تاييده التام لاستقلال لبنان ووحدة أراضيه . كما طالب المجلس بان تتجاوب ايران مع الجهود التى تبذلها لجنة المساعى الحميدة المنبثقة عن المؤتمر الاسلامى وجهود دول عدم الانحياز فى الأمم المتحدة لوضع حد لنهاية هذه الحرب بالطرق السلمية .

اتفاقية مؤسسة الخليج للاستثمار

تعتبر من أهم انجازات الدورة الثالثة للمجلس الأعلى ، حيث وافق المجلس على انشاء «مؤسسة الخليج للاستثمار» بين الدول الأعضاء براسمال قدره ٢٫١٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ الفان ومائة مليون دولار امريكى ، على أن يكون المركز الرئيسى للمؤسسة ومحلها القانونى فى مدينة الكويت ، ويجوز لها انشاء فروع ومكاتب فى أى اماكن اخرى .
وتعتبر هذه الاتفاقية أول باكورة المشروعات المشتركة ـ فى إطار عمل مجلس التعاون ـ وتعمل على تدعيم التنمية الاقتصادية الشاملة للدول الأعضاء .
وتهدف هذه الاتفاقية الى استثمار أموالها فى مختلف أوجه الاستثمار داخل الدول الأعضاء وخارجها ، والاسهام فى تدعيم وتنمية الموارد الاقتصادية والمالية للدول الأعضاء ، كما تعمل الاتفاقية على ترويج المشروعات المشتركة بين الدول الأعضاء لتحقيق التكامل الاقتصادى فيما بينها .

خامساً : الدورة الرابعة للمجلس الأعلى

قرر المجلس الأعلى لمجلس التعاون اثناء انعقاده فى دورته الثالثة بالبحرين ، أن تنعقد الدورة الرابعة للمجلس فى دولة قطر فى شهر صفر ١٤٠٤ هـ الموافق شهر نوفمبر ١٩٨٣ .
وتستعد دولة قطر ـ والمجلة ماثلة للطبع ـ للاعداد لهذه الدورة والتى نامل باذن الله أن تحقق الأهداف المرجوة لها .

كلمات تاريخيّة



سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى
أمير دولة قطر



سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان
رئيس دولة الامارات العربية المتحدة



سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة
أمير دولة البحرين

من كلمات

سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني

أمير دولة قطر

● إننا نشعر جميعاً بالسعادة كل السعادة بما وفقنا الله سبحانه إليه من إنشاء مجلس التعاون لدولنا الخليجية العربية الست الذى حققنا باقامته امنية عظيمة غالية طالما تطلعنا وشعوبنا إليها فى منطقتنا الخليجية العربية .

● إنها لخطوة مباركة أن نقيم مجلسنا ـ كما فعلنا ـ على نحو يناسبنا .. وفى نطاق التدرج المرحلى الضرورى الملائم لواقع ظروفنا .. المواثم لحقيقة حاجاتنا وإمكانياتنا .. وما دمنا قد عنينا بان نسلك هذا النهج المتانى .. فلنا ان نكون وطيدى الثقة فى ان تصاحبه السلامة دوماً باذن الله .. وان يتحقق له الثبات المرجو والنمو المبتغى بعونه تعالى .

● إننا لنؤمن جميعاً فى مجلس التعاون لدولنا الخليجية العربية الست ان ليس ثمة امل إلا ان نثابر على اتباع هذا السبيل السوى فى تطوير مجلسنا ، ليظل افضل اداة لما ننشده من تعميق وشائج الاخوة والتضامن بين شعوبنا ، وتعزيز اواصر التراحم والتلاحم بينها وبين سائر الشعوب الشقيقة على امتداد وطننا العربى والاسلامى الكبير ، وكسب المزيد من القدرة على القيام بواجبنا المقدس فى الوقوف الى جانب امتنا العربية والاسلامية بكل إمكاناتنا لنصرة قضايانا المصيرية المشتركة وفى مقدمتها القضية الفلسطينية وقضية القدس الشريف .

● إننا نؤمن أن خير ما تستلهمه دولنا اعضاء هذا المجلس هو اقتناعنا الاجماعى الكامل بان احسن الطرق لبلوغ ماربنا هو أن نضع الاعتماد على انفسنا فى المقام الأول ، وان نبذل جهدنا الجاد الجاهد لارساء اصح الركائز لتكوين قوتنا الذاتية .

● إننا بتامين هذه القوة الذاتية سوف نوفر لانفسنا من أسباب الأمن والاستقرار والمنعة والازدهار ما يمكننا من القيام بدورنا الذى نحرص على ادائه كاملا فى خدمة امتنا العربية والاسلامية والاسهام بقسط وافر فى صون امن وسلام العالم اجمع .

لقـــادة دول مجـلس التـعاون



جلالة الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود
عاهل المملكة العربية السعودية



جلالة السلطان قابوس بن سعيد
سلطان عمان



سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح
أمير دولة الكويت

● لقد حققنا بهذا الانجاز املا عزيزاً علينا جميعا .. قـــادة وشعوباً .. إذ انشانا ذلك الجهاز الملائم لواقع ظروفنا وحقيقة حاجاتنا وإمكاناتنا الذى طالما تطلعنا إليه من اجل تعميق اواصر ترابطنا ابتغاء ادراك ما ننشده لبلادنا من تقدم وازدهار وامن واستقرار .

● إن كل تقدم تحرزه دول اعضاء مجلسنا العربى الخليجى فى إدراك غاياتها من انشائه من شانه ان يعاونها على بذل مزيد من التعاون مع المجتمع الدولى لتحقيق اهدافه فى كل الميادين ، وبخاصة ميدان المساهمة فى المحافظة على الأمن الدولى الذى اصبح بلا ادنى شك يتوقف إلى حد كبير على استتباب الأمن فى منطقة الخليج ، ذلك الأمن الذى يجب اعتبار قيام مجلس التعاون الخليجى عاملا وركيزة من اهم عوامل وركائز استقراره .

● إن من ابرز قرارات المؤتمر الثانى واكثرها نفعاً وفعالية قرار المؤتمر بالموافقة على الاتفاقية الاقتصادية الموحدة باعتبار ان القفزة الاقتصادية هى المنطلق الصحيح لجهد الأمم فى سبيل بناء قوتها الذاتية بكل صورها الأخرى .

● الآن ونحن نختتم هذه الدورة الثالثة لمجلسنا يحق لكل منا أن يغتبط بالنتائج التى توصلنا إليها خلالها ، لانها تمثل شوطاً هاماً جديداً على طريقنا نحو ادراك مقاصدنا النبيلة من انشاء هذا المجلس ، وهى تحقيق المزيد من الروابط القوية التى تجمع بين دولنا بالعمل المشترك الايجابى المثمر .

● اننى والشعب القطرى باسره نتطلع بكل الغبطة والترحيب لعقد الدورة القادمة لمجلسنا فى بلدكم الثانى قطر ، حيث تحلون أهلا وسهلا بين اشقاء يكنون لكم ولشعوبكم الشقيقة اعمق المحبة واعظم التقدير .

من كلمات
سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان
رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة

● كلنا نؤمن باننا مصير واحد وسعادتنا واحدة ، ولا يفرقنا شىء ، وكلنا نؤمن بان هذا المؤتمر وهذا التكاتف لا ينفصل عن امتنا العربية سواء بعدت او قربت اقطارنا العربية .

كلمات تاريخيـــة لقـــادة دول مجلس التعاون

● اقطارنا العربية تحس الآن وغداً بمواقفنا وعملنا من اجل استرجاع الحقوق المسلوبة من امتنا العربية واخواننا واشقائنا إن كانوا من الفلسطينيين او غيرهم من اخواننا العرب .

● إن مجلس التعاون خطوة هامة لدعم التآزر والتعاون المشترك بين دول المنطقة من اجل تحقيق طموحات شعبها الذى يربطه مصير مشترك وهدف مشترك .

● إن القادة الخليجيين قد اجمعوا على امر واحد ، وهو الترابط والتعاون فى كافة المجالات سواء كانت اقتصادية او امنية او فى أى مجال آخر من اجل مصلحة دول المنطقة وشعوبها .

● إن اختلاف الآراء او تباين الافكار ليس امراً ضاراً او مستغرباً مادام يهدف فى النهاية إلى تحقيق صالح وآمال الجميع

● لقد اجمع قادة الخليج على امر واحد فى مؤتمرهم ، وهو الترابط والتعاون فى كافة المجالات ، من اجل مصلحة دول المنطقة وشعوبها .

● إن دول الخليج ستكون فى مقدمة الدول العربية ، فى مساهمتها بأى جهد لابعاد الخطر الصهيونى عن الوطن العربى .

● إن دول الخليج ترفض الحماية الاجنبية ، وترفض منح قواعد او تسهيلات لأية دولة ، فهى قادرة على حماية نفسها ، ومسئولة عن امنها .

● إن القيمة الحقيقية لمجلس التعاون الخليجى تتجسد اساساً فى انه تتويج للجهود المخلصة للتنسيق فيما بين دول المنطقة ، لاننا فى الخليج اعضاء فى الجسم الكبير وهو الامة العربية ، نقوى بها وتقوى بنا ، والمجلس هو درع اضافى وجديد لجسم الأمة العربية وتعزيز لجناح من اجنحة الوطن العربى وجهد متواصل لتعزيز الموقف العربى .

● اننا نؤمن دائماً بالعمل الجماعى لخير ومصلحة ابناء المنطقة وشعوبها ولخير ومصلحة المنطقة العربية كلها ، ونحرص على اللقاءات المستمرة والتشاور والارتباط حول كل جديد يطرأ على ساحتنا الخليجية خاصة والعربية عامة مع اشقائنا فى المنطقة .

من كلمات

سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة

أمير دولة البحرين

● إن قيام مجلس التعاون الخليجى يعتبر استجابة للواقع التاريخى والاجتماعى والثقافى والاقتصادى والسياسى والاستراتيجى الذى يربط منطقة الخليج العربى فى الوقت الحاضر .

● إن مسيرة العمل الجماعى هذه ، ستؤدى حتماً إلى حياة افضل لشعوب هذه المنطقة .

● إن دولة البحرين تؤمن دائماً بالعمل الجماعى لخير ومصلحة ابناء المنطقة وشعوبها ولخير ومصلحة الوطن العربى الكبير .

● لقد كان بزوغ مجلس التعاون الخليجى بمثابة الكوكب الدرى فى سماء منطقتنا ، استمد ضياءه من نبع اصيل ، تمازجت فيه الوشائج القوية التى تجمع شعوبنا عبر قرون الزمن لتغذى عزائم قادتهم ، فاصبح كالتيار المتدفق من الماضى ليصب فى الحاضر ويروى طريق المستقبل ، يلتقى بروافد الخير وينشد شطآن العزة حتى يستقر بزاده الخير على ضفاف خليجنا المعطاء .

● كان لابد ان يستجيب التاريخ لهذا الحدث الفريد الذى ارادته شعوبنا وحققته لها قيادته ، ليؤكد مدى ايمان منطقتنا الواحدة والتفاهم نحو الأهداف المشتركة فى حاضر يستمد جذوره التاريخية من ماض عريق ويرنو إلى مستقبل اكثر اشراقاً حتى بات حركة دائمة نحو تطور لا ينقطع ، دعائمه القوة وسنده الحق ومضمونه التكاتف والتآزر واساسه الأخوة والتضامن وشعاره السلام والأمن ينشره فى أرجاء المعمورة .

● ما تم انجازه فى تلك الفترة القصيرة فاق كل التوقعات وحاز تقدير واعجاب المجتمع الدولى الذى يعيش عصر التجمعات العالمية ، فلا مكان فيه للتفرد فى ميزان التعامل الدولى ، فكانت الاتفاقية الاقتصادية التى اصبحت الأساس الذى يتم عليه التنسيق لخطط التنمية والسياسات الاقتصادية المتكاملة التى تبشر بتحقيق الكثير من المكاسب لشعوبنا .

● إن اطر التعاون المختلفة التى تمت فى تلك الفترة فى شتى المجالات اثبتت انها تتجه بنا إلى الطريق الصحيح الذى يلتقى بها شعوب دولنا وآمال قادتهم فى تامين مستقبل الأجيال ودفعها نحو التقدم والنمو وتاكيد الحماية والأمن لمنطقتنا النابع من ذاتها ، المنبثق من قدرتها ، المعتمد على ابنائها العاملين معاً ، الكل فى واحد كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً .

● إن الخصائص المشتركة الكثيرة التى تجمع بين دول المجلس الست وتصل إلى حد التماثل تعد قواسم مشتركة عظمى هيأت الأرض والمناخ المناسبين لقيام المجلس بكل اجهزته وقواعده الأساسية .

● لقد اضفتم بقراراتكم الهامة فى هذه الدورة (الدورة الثالثة) آمالا جديدة على طريق التضامن الذى تتطلع إليه شعوب منطقتنا ، والتى ستؤتى ثمارها بمشيئة الله اعمالا نافعة تبلور قوة اقتصادية مؤثرة ، تسير بدول المجلس إلى المزيد من النمو والازدهار المرتقب ، وتعزيز ادراك التضامن العربى لتسند قضايا امتنا العربية وتصون حقوقها وعزتها ، وتظل اداة فعالة فى مجتمعنا الاسلامى ورفعته ، مما يجعل تلك القرارات بمثابة الوثبة الايجابية العظيمة فى صرح مجلسنا العتيد ، تبشر بمزيد من الخطى الوثيقة فى مسيرتنا نحو العمل الجماعى .

من كلمات

جلالة الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

عاهل المملكة العربية السعودية

● إن مجلس التعاون لدول الخليج العربية هو ركيزة من اهم ركائز العمل المشترك فى سبيل تحقيق امال وطموحات وتطلعات الشعب العربى فى الخليج نحو مستقبل افضل .

● إن النهج والتوجه الموحد سوف يؤدى بعون الله لكل ما فيه عزة وكرامة ورفعة امتنا .

● إن اجتماعات المنامة ستكون فرصة طيبة لمتابعة مسيرة التعاون والتضامن الخليجى التى تنبعث من ايمان الجميع بما للتعاون والتضامن من معطيات ايجابية تعزز الأمن والاستقرار والنماء الاقتصادى والاجتماعى وبما يحقق الآمال والأهداف المشتركة وقطف مزيد من ثمار التنسيق الشامل .

● إن الانجازات التى تحققت حتى الآن فى جميع المجالات السياسية والاقتصادية انما تؤكد فى مضمونها سلامة وصحة هذا النهج .

● إننا نسمى الأشياء باسمائها ، وقد اتخذنا كدول خليجية عربية ، الخطوة التى عبرت عما نريد بالضبط ، وهو تحقيق التنسيق والتكامل والترابط بيننا ، لتوسيع وتعميق وتوثيق الروابط والصلات فى كافة الميادين ، بما فى ذلك العمل على وضع نظم متماثلة فى مختلف المجالات التى نص البيان (الختامى) عليها .

● فى رأينا ان ما خطط له ، من شأنه ان يؤدى إلى تكريس وحدة الواقع القائمة دائما بين دول الخليج العربية ، وجعلها حقيقة لخير شعوبها وخير الدول العربية جمعاء ، وفى ذلك ما يغني دولنا عن اللجوء إلى مسميات قد لا توجد إلا على الورق .

من كلمات

جلالة السلطان قابوس بن سعيد

سلطان عمان

● لقد خرجنا من اجتماعنا بوثائق تشكل الاطار الذى ينظم جهودنا نحو تعاون بناء ومثمر يحقق الخير لشعوبنا ومنطقتنا ولأمتنا العربية والاسلامية والبشرية جمعاء .

● لقد خطونا الخطوة الأولى على الطريق ولا تزال امامنا خطوات وجهود كبرى لترجمة هذه الوثائق إلى واقع عملى تسعد به شعوبنا وتتحقق به رغبتها الاكيدة فى مزيد من التنسيق والتكامل والترابط بينها فى كافة المجالات .

● إننا نؤكد على ضرورة تركيز القسط الاوفر من اهتمامنا وجهودنا على صيانة امن منطقتنا واستقرارنا إذا اردنا ان نوفر للتعاون بين دولنا المناخ الملائم .

● إن تضافر جهود دول مجلس التعاون الخليجى مجتمعة هو الضمان الأكيد للاضطلاع بمسئولياتنا المشتركة لخير منطقتنا وامتنا العربية والاسلامية والأسرة الدولية .

● هذا اللقاء هو دليل واضح على ادراكنا جميعا للاهمية الكبرى للتعاون بين دولنا ، وتجسيداً لحرص الجميع على العمل الأخوى المشترك فى اطار هذا التعاون .

● مما يعزز آمالنا .. ان يكون هذا الاجتماع بداية لمرحلة جديدة من التنسيق والتعاون فى جميع المجالات على نحو يحفظ لمنطقتنا الامن والاستقرار ، ويساهم فى تنمية وتطوير قدرتنا الذاتية وتحقيق امال شعوبنا فى التطور والازدهار .

من كلمات

سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح

أمير دولة الكويت

● إن إنشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية الست نقطة كبرى فى حاضر هذه المنطقة ، وهو ليس تكتلا او تحالفا ضد احد .

● إن الغرض من إقامة هذا المجلس هو وضع تنظيم عملى شامل لتطوير وتنسيق التعاون القائم بين الدول الخليجية التى تربط بعضها البعض علاقات خاصة نابعة من عقيدتها الاسلامية السمحاء وتشابه انظمتها ووحدة تراثها وتماثل تكوينها السياسى والاجتماعى والسكانى ، وللوصول إلى افضل صيغة تخدم مصالح دول الخليج والأمة العربية .

● إن قيام مجلس التعاون الخليجى كفيل بان يضع قوة الدول الأعضاء سياسيا واقتصاديا على مسار العمل الجدي لتوطيد الاستقرار فى المنطقة وإبعاد اخطار التدخل الأجنبى عنها وتكريس هذه القوة لخدمة القضايا القومية .

● إذا كانت دول المنطقة حريصة على ان تؤدى دورهـــا الانسانى فى توفير الرخاء لشعوب العالم فانها حريصة ايضا على ان تقابلها دول العالم بمثله .

● إن مرحلة جديدة فى منطقة الخليج العربى قد بدات بتوقيع دوله على النظام الأساسى لمجلس التعاون ، فذلك يعتبر فاتحة خير وبركة للجميع وخطوة كبيرة نحو تحقيق الآمال بتماسك وترابط خليجى يجسد تطلعات ابناء المنطقة إلى مستقبل افضل .

● إن مجلس التعاون الخليجى ليس تكتلا او تحالفا ضد احد بل هو صيغة اقدمت عليها الدول الخليجية لتحقيق تضامن اوسع ضمن اطار الجامعة العربية ، الذى ينص على تشجيع التعاون الاقليمى بين الدول العربية ، وهذه الصيغة التى ارتضتها دول الخليج العربية ، واضحة الهدف ، سليمة الاتجاه ، وهى باذن الله خطوة نرجو ان تكون عونا على بناء صرح الوحدة العربية الشاملة المأمولة ، وسيكون هذا المجلس بتوفيق من الله مصدر خير وتعاون مع دول العالم كافة .

الطبيعة القانونية لمجلس التعاون لدول الخليج العربية

بقلم: الدكتور يحيى رجب
دكتوراه في القانون الدولي

يعتبر مجلس التعاون لدول الخليج العربية تنظيماً دولياً اقليمياً ذا طابع قومى حيث تربط الدول الأعضاء علاقات خاصة ، وسمات مشتركة متشابهة . ولاعضائه صفة الدولية ، ونشاطه شامل لمختلف المجالات .

ويهدف مجلس التعاون الى تحقيق التنسيق والتكامل والترابط بين الدول الاعضاء ، وتعميق وتوثيق الروابط بينها ، ووضع انظمة متماثلة فى مختلف الميادين ، كما يهدف الى تطوير مجالات الصناعة والتعدين والزراعة والثروة المائية والحيوانية وانشاء مراكز بحوث علمية واقامة مشروعات مشتركة وتشجيع القطاع الخاص ، بما يعود بالخير على شعب منطقة الخليج العربية .

ويمثل النظام الأساسى لمجلس التعاون ميثاق المجلس الذى يرجع اليه فى تحديد اهدافه واختصاصاته والاجهزة العاملة فيه وأسلوب عمله وكل الأمور الخاصة به .

ويعتبر النظام الأساسى لمجلس التعاون معاهدة دولية جماعية ذات صفة تشريعية وتسرى احكامه دون تجزئة فى مواجهة الدول الست الاعضاء فى المجلس ، كما تتمتع احكام النظام الأساسي للمجلس باولوية فى التطبيق على المعاهدات التى تكون الدولة العضو طرفاً فيها .

الأجهزة العاملة في مجلس التعاون

حددت المادة السادسة من النظام الأساسي لمجلس التعاون اجهزة المجلس فاشارت الى أن مجلس التعاون يتكون من الأجهزة الرئيسية التالية :

١ ـ المجلس الاعلى ويتبعه هيئة تسوية المنازعات .

٢ ـ المجلس الوزارى .
٣ ـ الأمانة العامة .

ولكل من هذه الأجهزة انشاء ما تقتضيه الحاجة من اجهزة فرعية .

ويلاحظ ان الأجهزة العاملة فى مجلس التعاون لها خاصية الدوام وتعمل بصفة مستمرة ، وبذلك يتيمز مجلس التعاون بانه وسيلة للعمل الجماعى فى شكل تنظيم دولى يختلف عن المؤتمرات الدولية التى تنعقد لبحث موضوعات محددة ، وبانتهاء موعد انعقادها تنتهى امرها .

والأمانة العامة لمجلس التعاون مقرها ثابت فى مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية حيث ان طبيعة عملها تتطلب الاستقرار ، فى حين ان باقى الاجهزة العاملة فى مجلس التعاون لها ان تجتمع فى غير مقر المجلس حسب ظروف عملها .

وتنظيم التناوب فى اجتماعات هذه الأجهزة بمختلف الدول الأعضاء يحقق فائدة كبيرة لها إذ تشعر هذه الدول بمشاركتها فى تحقيق اغراض المجلس .

ولقد باشر المجلس الأعلى لمجلس التعاون اولى اجتماعاته فى ابى ظبى بدولة الامارات العربية المتحدة فى ٢٥ مايو ١٩٨١ ، وثانيها فى الرياض بالمملكة العربية السعودية فى ١٠ نوفمبر ١٩٨١ ، وثالثها فى المنامة بدولة البحرين فى ٩ نوفمبر ١٩٨٢ وتقرر عقد الاجتماع الرابع للمجلس الأعلى فى السابع من شهر نوفمبر القادم باذن الله فى مدينة الدوحة بدولة قطر .

كما تتم اجتماعات المجلس الوزارى واللجان الوزارية المتخصصة فى مختلف الدول الأعضاء على ضوء نوعية هذه الاجتماعات .

ونستعرض فيما يلى تنظيم العمل فى اجهزة مجلس التعاون :

اولا ـ المجلس الأعلى :

يعتبر المجلس الأعلى السلطة العليا لمجلس التعاون ، ويتكون من رؤساء الدول الأعضاء ، ورئاسة المجلس دورية حسب الترتيب الهجائى لأسماء الدول ، ويشرف على سائر الأجهزة الاخرى لمجلس التعاون ويجتمع المجلس الأعلى فى دورة عادية كل سنة ، ويجوز عقد دورات استثنائية بناء على دعوة اى من الأعضاء وتاييد عضو اخر .

ويعتبر انعقاد المجلس صحيحاً إذا حضره رؤساء ثلثى الدول الأعضاء .

ويختص المجلس الأعلى بالنظر فى القضايا التى تهم الدول الأعضاء ، ووضع السياسة العليـا لمجلس التعـاون ، والدراسات والتقارير التى تعرض على المجلس الوزارى تمهيداً لاعتمادها حيث انه الجهاز الذى يملك وحده سلطة اتخاذ القرارات .

قرارات المجلس الأعلى

نصت المادة التاسعة من النظام الأساسى لمجلس التعاون بان لكل دولة عضو من أعضاء المجلس الأعلى صوت واحد . ويعنى ذلك ان جميع الدول الأعضاء مهما اختلفت فى المساحة او الثروة او الكثافة السكانية تشترك على قدم المساواة القانونية فى عملية اتخاذ القرار السياسى الجماعى للمجلس .

كما نصت المادة التاسعة فى فقرتها الثانية على ان تصدر قرارات المجلس الأعلى فى المسائل الموضوعية باجماع الدول الأعضاء الحاضرة المشتركة فى التصويت ، وتصدر قراراته فى المسائل الاجرائية بالاغلبية .

وبالرغم من ان قرارات المجلس الأعلى لمجلس التعاون تعتبر مجرد توصيات للدول الأعضاء شانها شان التوصيات التى يتخذها مجلس جامعة الدول العربية ، والجمعية العامة للأمم المتحدة إلا ان الرغبـة الجـادة فى تحقيق التنسيق والتكامل والترابط بين دول مجلس التعاون فى جميع الميادين ، والايمان الكامل بالمصير المشترك ووحدة الهدف تجعل الدول الأعضاء تنفذ قرارات مجلس التعاون وتوصياته بمحض ارادتها واقتناعا منها باهميتها .

ويقوم المجلس الوزارى لمجلس التعاون بدور تمهيدى فى التوفيق بين وجهات نظر الدول الأعضاء ، والحصول على تراضيها حول مشروع القرارات قبل احالتها للتصويت وذلك بمساعدة الأمين العام لمجلس التعاون ، وذلك طبقا لما نصت عليه المادة ٣٦ من النظام الداخلى للمجلس الوزارى ، وهذا الاجراء ييسر الحصول على موافقة جماعية من المجلس الأعلى عند التصويت على قراراتـه فى المسـائل الموضوعية .

ثانياً : المجلس الوزارى :

يعتبر المجلس الوزارى ثانى الهيئات العاملة فى مجلس التعاون ، ويتكون من وزراء خارجية الدول الأعضاء او من ينوب عنهم من الوزراء ، وتكون رئاسته دورية لمدة ستة اشهر حسب الترتيب الهجائى للدول ، ويعقد المجلس الوزارى اجتماعاته مرة كل ثلاثة اشهر ، ويجوز له عقد دورات استثنائية بناء على دعوة اى من الأعضاء وتاييد عضو اخر .

ويعتبر انعقاد المجلس صحيحا إذا حضره ثلثا الدول الأعضاء ويختص المجلس الوزارى باقتراح السياسات ووضع التوصيات والدراسات والمشروعات التى تهدف الى تطوير التعاون والتنسيق بين الدول الأعضاء فى مختلف المجالات .

ويلاحظ ان النظام الأساسى لمجلس التعاون اعطى المجلس الوزارى صفة «الدينامو المحرك» لنشاط مجلس التعاون حيث انه الجهاز الذى يباشر من خلاله المجلس الأعلى رقابته واشرافه على اعمال مجلس التعاون وانجاز قراراته ، بما يحقق الأهداف المرجوة للمجلس .

ثالثا ـ الأمانة العامة :

تعتبر الأمانة العامة لمجلس التعاون الهيئة الفنية والادارية الرئيسية للمجلس وتتولى الشئون المكلفة بها وفقا لأحكام النظام الأساسى فى إطار خطة العمل التى يقررها الأمين العام ، كما تتولى معاونة الأجهزة واللجان المختلفة الملحقة بالمجلس على تنفيذ مهامها .

وطبيعة عمل الأمانة العامة للمجلس الاستقرار ، حيث يتعذر انتقال اداراتها ، وتناوب اجتماعاتها فى مختلف الدول الأعضاء ، بعكس الحال فى الأجهزة الاخرى العاملة فى مجلس التعاون ، ولذلك

الطبيعة القانونية لمجلس التعاون

فان مقرها ثابت فى مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية .

وتختص الأمانة العامة باعداد الدراسات فى مختلف الأنشطة بالتعاون مع الدول الأعضاء ، وتحضير أعمال المؤتمرات واللجان ، كما يقع على عاتقها مهمة جمع الوثائق والبيانات ، واعداد الميزانيات والحسابات الختامية لمجلس التعاون ، ومتابعة تنفيذ قرارات المجلس الأعلى والمجلس الوزارى .

الأمين العام لمجلس التعاون

يمثل الأمانة للمجلس ويؤكد قيام واستمرار شخصية مجلس التعاون فى المجتمع الدولى ، ويعين المجلس الأعلى الأمين العام من مواطنى دول مجلس التعاون لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد مدة واحدة .

ويقوم الأمين العام بمتابعة تنفيذ القرارات التى يصدرها المجلس الأعلى والمجلس الوزارى والهيئات التابعة لهما ، كما يقوم بتعيين موظفى الأمانة العامة ، ويحضر اجتماعات المجلس الأعلى والمجلس الوزارى ، ويقوم باعداد مشروع ميزانية الأمانة العامة ، ويمثل الأمين العام

مجلس التعاون لدى الغير فى حدود الصلاحيات المخولة له .

رابعاً : هيئة تسوية المنازعات

نص النظام الأساسى لمجلس التعاون على انشاء هيئة لتسوية المنازعات وتتبع المجلس الأعلى وهو السلطة العليا للمجلس ، واوضحت المادة العاشرة من النظام الأساسى لمجلس التعاون بان المجلس الأعلى يقوم بتشكيل الهيئة فى كل حالة على حدة حسب طبيعة الخلاف ، كما وافق المجلس الأعلى على إنشاء نظام اساسى خاص لهيئة تسوية المنازعات ، وتم التوقيع عليه فى مدينة ابو ظبى بتاريخ ٢٥ مايو ١٩٨١ .

وتشجع منظمة الأمم المتحدة قيام التنظيمات الدولية الاقليمية بدورها فى التسوية السلمية للمنازعات المحلية ، حيث ان العمل الاقليمى يعمق التسوية ، كما ان المصالح الاقليمية والرغبة المشتركة لتحقيق السلم والأمن المحليين - تجعل الدول المتجاورة خير ساعد لاجراء التسوية السلمية ، وبذلك ينحصر النزاع فى إطاره الاقليمى بدلا من تصعيده الى مجلس الأمن حيث صراعات الدول الكبرى مما قد يتعذر تسويته .

الطبيعة القومية لمجلس التعاون

يربط بين اعضاء مجلس التعاون تضامن طبيعى يعكس استجابة للواقع التاريخي والاجتماعي والثقافي والاقتصادى والسياسى لدول المنطقة ، وتؤمن هذه الدول بالمصير المشترك ووحدة الهدف التى تجمع بين شعب هذه المنطقة .

وبذلك تتضح الخاصية المميزة لمجلس التعاون فى دعم قومية منطقة الخليج العربية التى هى جزء من الأمة العربية ، وهذا يدعم الوحدة العربية الحقيقية بين المجموعات المتجانسة التى تعمل فى إطار جامعة الدول العربية ونامل ان تزداد هذه الروابط الاقليمية توثقا داخل إطار المنطقة العربية مثل وحدة وادى النيل ، ووحدة المغرب العربى الكبير .

ولقد حث ميثاق جامعة الدول العربية على تشجيع التعاون الاقليمى ، ومن جهة اخرى فقد أوضح النظام الأساسى لمجلس التعاون بان المجلس انشىء تمشيا مع ميثاق جامعة الدول العربية .

وتسعى الدول الأعضاء فى مجلس التعاون الى العمل على تدعيم قدرة الأجهزة العاملة فى المجلس وعلى تحقيق الارادة الذاتية لمجلس التعاون حتى يستطيع تحقيق اهدافه التى نص عليها

النظام الأساسى للمجلس ، وعلى اتخاذ التوصيات الاتفاقية التى توافق عليها الدول الأعضاء ، وتلتزم بها بمحض ارادتها واقتناعها بان التضامن والوحدة الخليجية طريق الرخاء لشعب المنطقة .

المساحة وعدد السكان والعاصمة في دول مجلس التعاون

- الامارات العربية المتحدة : مساحتها ٧٧٫٧٠٠ كيلومتر مربع ، وعدد سكانها حسب احصاء ١٩٨٠ مليون و ٤٠ الف و ٣٧٥ نسمة ، وعاصمتها مدينة ابو ظبى .
- دولة البحرين : مساحتها ٦٦٢ كيلومتر مربع ، وعدد سكانها ٣٥٠ الف و ٧٩٨ نسمة حسب تعداد عام ١٩٨١ ، وعاصمتها مدينة المنامة .
- المملكة العربية السعودية : مساحتها ٢٫٢٤٠٫٠٠٠ كيلومتر مربع ، وعدد سكانها ٨ مليون نسمة ، وعاصمتها مدينة الرياض .
- سلطنة عمان : مساحتها ٣٠٠ الف كيلومتر مربع ، وعدد سكانها مليون ونصف مليون نسمة ، وعاصمتها مسقط .
- دولة قطر : مساحتها ١١٫٤٣٧ كيلومتر مربع ، وتعداد سكانها ٢٤٤٥٣٤ نسمة ، وعاصمتها مدينة الدوحة .
- دولة الكويت : مساحتها ١٧٫٨١٨ كيلومتر ، وتعداد السكان ١٫٦٦٨٫٣٧٨ نسمة (حسب تقدير عام ١٩٨٣ ، وعاصمتها مدينة الكويت .

ماذا قال أمين عام الجامعة العربية عن مجلس التعاون؟



الشاذلي القليبي

● إنه حدث تاريخي عظيم ، لانه سيمكن دول الخليج من تنسيق جهودها وتنظيم اعمالها فى كل الميادين الهامة الجوهرية خاصة فى ميادين الامن والتنمية .

● إن انضمام قوى وطاقات دول الخليج بعضها لبعض سوف يكسب مجموعة مجلس التعاون وزنا خاصا فى داخل الوطن العربى لحل المشكلات العربية الى جانب وزنه الخاص فى الساحات الدولية .

● إن كل الدول العربية تبارك إقامة مجلس التعاون لدول الخليج العربية وترى فيه خطوة متقدمة نحو تامين التعاون وتضافر الجهود لهذه المنطقة من الوطن العربي .

● إن الامة تنظر بعين الارتياح الى جهودكم الهادفة الى تحقيق الامن لخير الامة العربية .

● إن مؤتمرات القمة اكدت ان الهجمات الشرسة التى يتعرض لها العالم العربى لا يمكن التصدي لها إلا بوحدة الكلمة ، ودول الخليج قادرة على الاضطلاع بنفسها لحماية نفسها .

● إن قراراتكم ستكون تعبيراً مسئولا عن إرادة هذه الدول فى السلام والأمن والعدل انطلاقاً من مصالحها الخاصة ووعيها بالتفاعل مع المجتمع الدولى .

● إن دول الخليج اقامت البرهان على ان الدول العربية قائمة دوما للرد على اى عدوان او تهديد تقوم به اسرائيل ضد الامة العربية .

● إن التحديات القائمة التى تواجه الامة العربية ليست كلها اتية من خارج وطننا العربى ، وان اشدها خطراً تلك التى نعانيها من خلافاتنا وانقسامنا .

● إن حضارة الاسلام انطلقت من هذه الأرض الطاهرة منذ ١٤ قرنا ، حيث كانت بداية لعهد تحقق فيه الامن لشعب الجزيرة العربية ، وحباه الله الرخاء .

● إن حربنا ضد العدو كانت دوما متشابكة فى مجالات السياسة والاعلام والتنمية الاقتصادية والتكنولوجية الى جانب المجال العسكرى .

الشاذلى القليبى
أمين عام جامعة الدول العربية

ماذا قال أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي عن مجلس التعاون؟



الحبيب الشطي

● إن منظمة المؤتمر الاسلامى ترى فى قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، عنصراً جديداً وهاما ، سيكون سنداً قوياً للامة الاسلامية فى مواجهتها للتحديات التى تبرز فى طريقها .

● إننا نرى فى مجلس التعاون لدول الخليج املا كبيراً فى مجال التطلع الى الوحدة يتحقق ، وبنيانا جديداً راسخ الاركان يقوم فى ديار العروبة والاسلام على البر والهدى والتضامن .

● إن قيام مجلس التعاون جاء تكريسا صادقا للعمل بروح بلاغ مكة المكرمة ذلك الميثاق الذى وضع اسسا متينة للتعاون بين الدول الاسلامية وسطر لها سبيل التضامن .

● لقد اعطت دول مجلس التعاون مثلا حيا ونموذجا رائعا فى مجال التقدم بمختلف علاقاتها الثنائية والجماعية والترابط الوحدوى وهذا ما سيمكنها بعون الله من التحرك ككيان واحد له سياسة متناسقة ويعمل لتحقيق اهداف موجهة ، ممايهيىءلها ان تكون عربيا وعلى الصعيدين الاسلامى والدولى ذات تاثير هام . كما يتيح لها كقوة بارزة ان تحقق المناعة والاستقرار للمنطقة وتقف فى وجه ما قد يواجهها من تحديات او يحف بها من اخطار .

● ما من ريب فى ان المسلمين قاطبة سيكونون قادرين على إدراك ما يتطلعون اليه ، وعلى تحقيق وحدتهم الكبرى ، إذا توفقوا الى نوع من الترابط على نحو ما وفق اليه اشقاؤنا اعضاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية .

● لا يسعنى اليوم إذ ارحب بقيام هذا المجلس إلا ان اؤكد على إرادة منظمة المؤتمر الاسلامى فى التعاون لبلوغ اهدافنا المشتركة من اجل عزة الاسلام والعروبة .

● لقد جاء قيام هذا المجلس رداً صريحا على كل التحديات ، وفى مقدمتها تحديات العدو الصهيونى الذى يقوم اليوم بمغامرات جديدة فى منطقة الشرق الاوسط .

الحبيب الشطى
أمين عام منظمة المؤتمر الاسلامى

أمين عام مجلس التعاون لدول الخليج العربية:

مجلس التعاون رافد هام يصبّ في النهر العربي

في البيان الختامي للمؤتمر الأول لدول مجلس التعاون الخليجي الذي عقد في ابو ظبي بدولة الامارات العربية المتحدة من ٢٥ إلى ٢٦ مايو (أيار) ١٩٨١ ، قرر أصحاب الجلالة والسمو تعيين السيد عبد الله يعقوب بشارة امينا عاما لمجلس التعاون ، وتقرر كذلك ان تكون مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية مقرا دائما للمجلس .

وقد جاء هذا الاختيار من واقع النظام الأساسي لمجلس التعاون الخليجي الذي ينص على أن يعين المجلس الاعلى الأمين العام من مواطني دول مجلس التعاون لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة .

والمعروف أن امين عام مجلس التعاون الخليجي ، عبد الله يعقوب بشارة ، من مواليد الكويت عام ١٩٣٦ ، ودرس في القاهرة عام ١٩٥٥ وحصل على درجة الليسانس في الآداب ، وعمل بالتدريس عقب عودته الى الكويت ، وبعد عامين من العمل في هذا المجال التحق بجامعة اكسفورد في بريطانيا من علم ١٩٦١ الى عام ١٩٦٣ ليواصل دراسته بها ، وفي عام ١٩٧٢ إلى عام ١٩٧٣ التحق بجامعة سانت جونز في بريطانيا ، حيث حصل على ماجستير في العلوم السياسية .

وقد اسندت إلى الأمين العام لمجلس التعاون الخليجي ـ خلال مشوار حياته ـ عدة مناصب من بينها السكرتير الثاني للسفارة الكويتية في تونس بين عامي ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ ، ومديراً لمكتب وزير خارجية الكويت وسفيراً للكويت بالارجنتين ، وسفيراً مفوضا لدى البرازيل حتى عام ١٩٧٤ ، وهذا بالاضافة إلى ان السيد عبد الله بشارة قدم أوراق اعتماده إلى الأمين العام للامم المتحدة « كورت فالدهايم » كمندوب دائم للكويت لدى المنظمة العالمية في عام ١٩٧٩ ، ومشاركته بدور بارز في العديد من المؤتمرات والمحافل الدولية التي من بينها مؤتمرات مجموعة دول عدم الانحياز والمجموعة الاسلامية .

ولعنا لا ننسى دوره البارز في المؤتمرات المتعلقة بالمفاوضات العالمية التي اطلق عليها « الحوار بين الشمال والجنوب » .

وعقب اختيار السيد يعقوب بشارة لموقعه الجديد كامين عام لمجلس التعاون الخليجي ، قام بجولة في عدد من دول مجلس التعاون الخليجي لبحث السبل الكفيلة بتدعيم مجلس التعاون بالخبرات والكفاءات الخليجية لتاسيس الأمانة العامة للمجلس . وخلال جولته هذه ادلى بتصريحات متعددة اكد فيها ان مجلس التعاون الخليجي دعامة قوية للتضامن العربي لأنه يملك رصيداً سياسياً واقتصاديا ضخما ليس في العالم العربي فحسب ولكن في العالم كله .

وكان مما قاله إن هدف مجلس التعاون الخليجي هو نقل العمل الخليجي من الفردية إلى الجماعية لتركيز الجهود بدلا من تشتيتها وإن المجلس نبع من رغبة الخليج وبوعي من قادته ، كما انه ليس وليد يوم وليلة بل بدأ العمل والتخطيط لبنائه منذ بداية السبعينات .

وقال إن المجلس لم يفرض من القمة بل هو مطلب كل مواطن خليجي إلى جانب انه صمام امن سياسي للعمق القومي العربي الذي تشكل المنطقة جزءاً لا يتجزأ منه .

وأكد أن التهديدات التي تتعرض لها المنطقة العربية تاتي من العدو الصهيوني والعدوان والعبث الصهيوني المستمر ضد الأمة العربية بالاضافة إلى عدم التوصل إلى حل سلمي وعادل لمشكلة الشرق الأوسط .

وقال إن دول المجلس تلعب دوراً حيوياً وهاماً على الصعيدين العربي والدولي ، وإن هذا الدور طبيعي لأن دول المجلس جزء من الأمة العربية والمجتمع الدولي .

وحول الأمانة العامة لمجلس التعاون الخليجي ، قال إنها ليست مؤسسة روتينية تقليدية ، وانما هي مؤسسة المواطن الخليجي ، وإن نجاح المواطن الخليجي يكمن في نجاحها ، وبالتالي لابد أن يسهم المواطن الخليجي في هذه المؤسسة وان تمكنه ظروفه من العمل فيها ، ويجب الا يتردد تحت اي ستار وتحت اي ظروف ولاي سبب كان . فالأمانة العامة ما هي إلا رمز للعمل الخليجي الموحد .

وقد كان امين عام مجلس التعاون الخليجي خلال السنوات الماضية كتلة من الحركة والنشاط والحيوية البالغة الحد ، وقد ظهر ذلك جلياً من خلال الندوات والمؤتمرات والمحاضرات والمناقشات التي عقدها اماكن عديدة وكان لها اثر هام في

القاء الضوء على هذا الحدث التاريخى وتعريف كل مواطن بادق الامور حول مجلس التعاون الخليجى وانجازاته لتحقيق الغايات والأهداف ..

وهذه بعض كلماته حول مجلس التعاون الخليجى وأهدافه وغاياته السامية :

● إن المجلس يتمتع بقوة اقتصادية وتتمتع دوله بموقع استراتيجى عام يستاثر باهتمام القوى الكبرى مما يعطى دول المجلس صوتاً قوياً وتاثيراً كبيراً فى العلاقات بين الدول على مستوى العالم .

● إن قوة دول مجلس التعاون تنبع من الهوية المتشابهة فى النظم السياسية والاقتصادية والقيم الثقافية والاجتماعية التى يتمتع بها .

● إن هذا المجلس ليس مجلساً كونفدرالياً او فيدرالياً ولكنه مجلس تعاون وحينما نقول ذلك فاننا نؤمن بان قوة هذا التعاون تنبع من الانسجام الذى نسعى اليه والذى نعتقد انه موجود فى كافة المجالات .

● إن هذه المنظمة سوف تحظى باهتمام العالم لقوتها الاقتصادية وقدرتها على التاثير فى الأوضاع الاقتصادية العالمية ، وبما انه لا استقرار اقتصادى دون مشاركة الدول الصناعية كذلك لا استقرار دون مشاركة منظمتنا ، وإذا كانت التكنولوجيا هامة فى مسالة الحوار بين الشمال والجنوب فان الموارد الأولية والطاقة تعد جذرية وحيوية فى هذا الحوار ايضا .

● إننا لسنا كتلة مستقلة وإنما رافد هام يصب فى النهر العربى .. إننا قوة هامة فى



عبد الله يعقوب بشارة .. امين عام مجلس التعاون

المجرى الأساسى للسياسة العربية .. ونؤمن بان منظمتنا تقوى وتعزز جامعة الدول العربية .

● إن اهمية منظمتنا لا ترجع الى الأهمية الاقتصادية فقط ، بل الى الاهمية الروحية والاستراتيجية والسياسية كذلك .

● إن دول المجلس قد استحوذت على اهتمام العالم ، وترفض ان ينظر اليها على انها دول نفط وممرات مائية ، بل تصر على المساهمة فى إسعاد البشرية .

● إن دول الخليج تقع فى منطقة تستورد كل ما تستهلكه باستثناء النفط الذى تصدره ولا تستهلكه ، وبالتالى فان سياسة الأمن الغذائى فى دول مجلس التعاون سياسة ملحة وامر له اولويات واعتبارات خاصة لأنه يمس الحياة اليومية لكل انسان ، وبدونه ربما تتلبد الأجواء سياسياً واجتماعيا ومعيشياً .

● إن السياسة الخارجية لدول المجلس تقوم على التضامن العربى لمواجهة الهجمة الصهيونية ، ولا سبيل لذلك إلا بوحدة الصف وحشد الامكانيات .

● إن الهدف الأول هو حماية الخليج وليس التصدى لاحد ، وكل ما نريده هو المحافظة على البيت الخليجى فى الداخل لينعم اهله بالطمانينة والاستقرار كى يساهموا مساهمة فعالة الى جانب القضايا العربية القومية ، وبحيث لا تؤثر فيهم اى مخاوف من احد ولا يتاثر قرارهم السياسى او الاقتصادى باعتبارات سوى الاعتبارات العربية والخليجية .

● إن مجلس التعاون اصبح الآن يشكل منطلقاً ديناميكياً فى إرساء دعائم التضامن العربى ، وقوة لا يستهان بها ، وفى المنطقة نحن مقبلون على إزالة السدود الاقتصادية والتجارية . ولهذا نحن واثقون انه لا يمكن أن يكون الخليج مزدهراً وداعماً اقتصادياً للعرب والعالم ومستقراً سياسياً ما لم يكن قوياً ، وقوته مبنية على دعائم ثابتة ، وان يكون أمنه وقوته نابعة من قدرته الذاتية وليست مستعارة او مستاجرة او زائرة .

● إن البنية الأمنية لدول المجلس هى اليوم افضل مما كانت عليه بالأمس ، فهذه البنية قد تحققت وقويت واصبحت حقيقة الى حد انها استحوذت على التفكير الخليجى الموحد .

● إن قرار المؤتمر الخاص بتوحيد مصادر التشريع لدول المجلس على أساس الشريعة الاسلامية هو احد التوجهات العامة للمجلس وتم فى المؤتمر تعريفها وتحديدها .

أحدث كتاب عن مجلس التعاون

من الكتب الحديثة التى صدرت خلال هذا العام حول انشاء مجلس التعاون كتاب بعنوان «الاطار القانونى والسياسى لمجلس التعاون الخليجى» .. ومؤلفه هو الدكتور عبد الله الأشعل وهو استاذ للعلوم السياسية فى جامعة القاهرة .. والكتاب من ٢٩١ صفحة .. ومقسم الى ستة فصول : الفصل الأول عن مولد فكرة انشاء المجلس وتبلورها الى حقيقة وظروف قيام المجلس والصدى الاقليمى والعربى والدولى لهذا الحدث الهام ، وفى الفصل الثانى يناقش المؤلف تجارب الوحدة الخليجية فى الماضى وانعكاساتها على المستقبل موضحاً أن قيام مجلس التعاون يعتبر تعزيزاً للوحدة العربية وامتداداً لرغبات وحدوية طالما راودت أهل الخليج ، وفى الفصل الثالث شرح مفهوم امن الخليج منذ تاريخ الصراع بين القوى الاستعمارية على هذه المنطقة ، أما الفصل الرابع فكان عن دور مجلس التعاون كاطار كامل للتكامل الاجتماعى والاقتصادى ، وفى الفصل الخامس قدم المؤلف النظام القانونى لمجلس التعاون فى ضوء الخصائص والقواعد العامة للمنظمات الدولية ، وكان الفصل السادس عن العلاقات الدولية فى إطار مجلس التعاون .. والكتاب فى مجموعه يفتح الباب امام كل الراغبين فى الدراسات الموضوعية والجادة حول قضايا الخليج .

الدّوحة

المدينة التي تستقبل اللقاء الرابع لقادة دول مجلس التعاون

بقلم: درويش مصطفى الفار



جانب من مدينة الدوحة اليوم ، حيث نرى مدينة تنمو وتزدهر



صورة نادرة لمدينة الدوحة من الجو يعود تاريخها الى ١٩٤٧

اصبحت مدينة الدوحة ـ بحق ـ خلال السنوات الأخيرة تتمتــــع بالكثير من الاحتياجات العصرية ، فهنك سعى دائم لاستكمال تلك الاحتياجات سواء على صورة مصانع او كليات جامعية أو فنادق او بنوك عالمية او مطار جديد وطرق متسعة حديثة وتطوير مستمر للمناطق والأسواق الشعبية ..

والدوحة فى اللغة الفصحى (العربية) ، كما يقول العلامة ابن منظور فى معجمه لسان العرب تعنى ، الشجرة العظيمـة المتسقة ، والدوح بغير هاء تعنى البيت الضخم الكبير من الشعر ، وقد سمى كل خليج قصير مستدير الساحل على شواطىء قطر باسم « الدوحة » فهناك دوحة سلوى ، ودوحة الحصين ودوحة زكريت .

وليس بين ايدينا ما يفيد يقيننا متى سميت عاصمة قطر باسم الدوحة ، ولكننا نجد ان هرمان بركهاردت الرحالة سنة ١٨٠٤ م يذكر ان «الدوحة» كانت آنذاك حين زارها فى يناير من ذلك العام تتكون

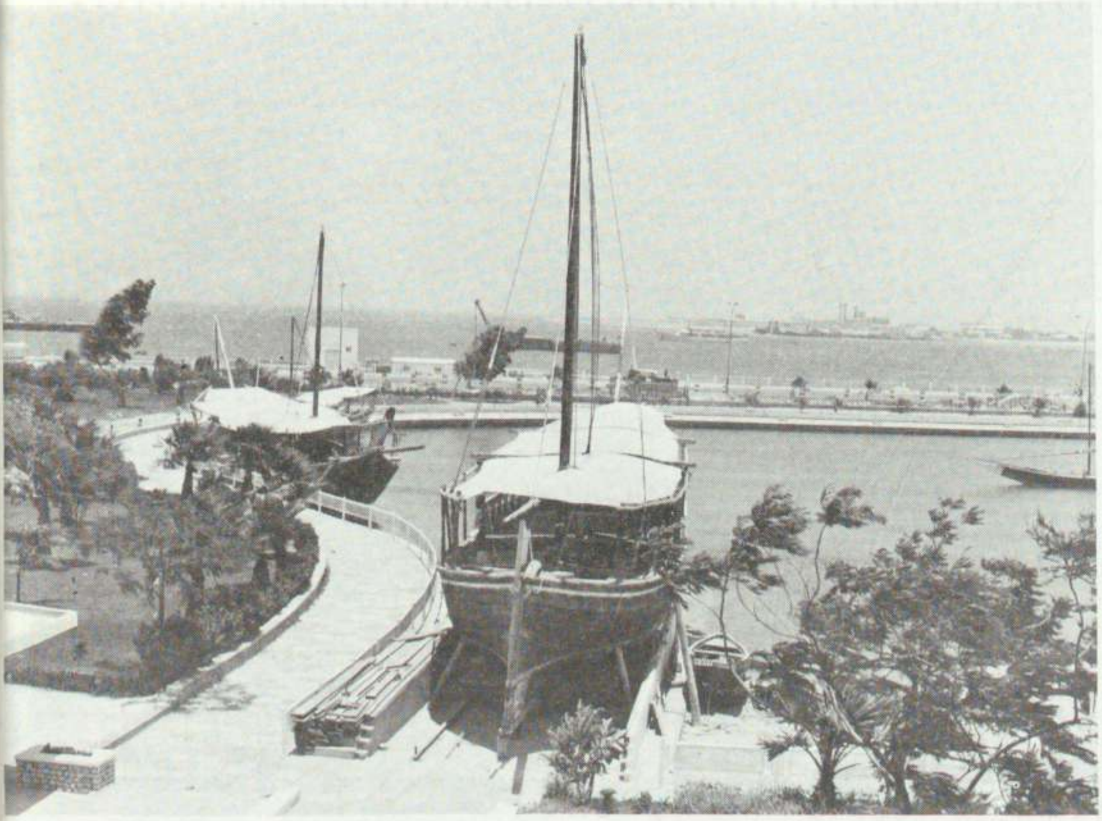


الجسر الجديد عند دوار الجيده وما حوله من عمران ازدهر فى سنوات قليلة .

من ثلاثة اجزاء هى «الدوحة والبدع والسلطة» ، بينما نجد ان بولجريف سنة ١٨٦٥ م يخلط فى ذكره لموقع الدوحة والبدع والسلطة بالنسبة لبعضها البعض ولعله كان يقصد بقوله ان «الدوحة» تقع شمال «البدع» اى الخليج المستدير ، الذى دفن معظمه الآن فى اعمال التنمية والتعمير الجارية ، كان يقع شمال البدع فعلا ...

ولقد جاء ذكر قطر فى كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة (٨٤٩ م) وكتاب معجم البلدان لياقوت (١١٧٩ ـ ١٢٢٩ م) وفى قاموس لسان العرب لابن منظور (١٢٣٢ ـ ١٣١١ م) ولكنهم جميعا لم يذكروا شيئا عن الدوحة بالذات . وقد جاء ذكر الدوحة والبدع فى اطلس فيلبس الدولى (١٨٦٢ م) بحيث تقع الدوحة (جنوب) البدع ...

ولا مناص من ان يتصدى بعض الباحثين لاستقصاء تاريخ الدوحة باحيائها العديدة ، التى كانت فيما مضى ضواحى متباعدة ، واصبحت اليوم مدينة حديثة متصلة تنمو بسرعة غير عادية راسيا وافقيا ، ولابد ان يكون هذا البحث اليوم



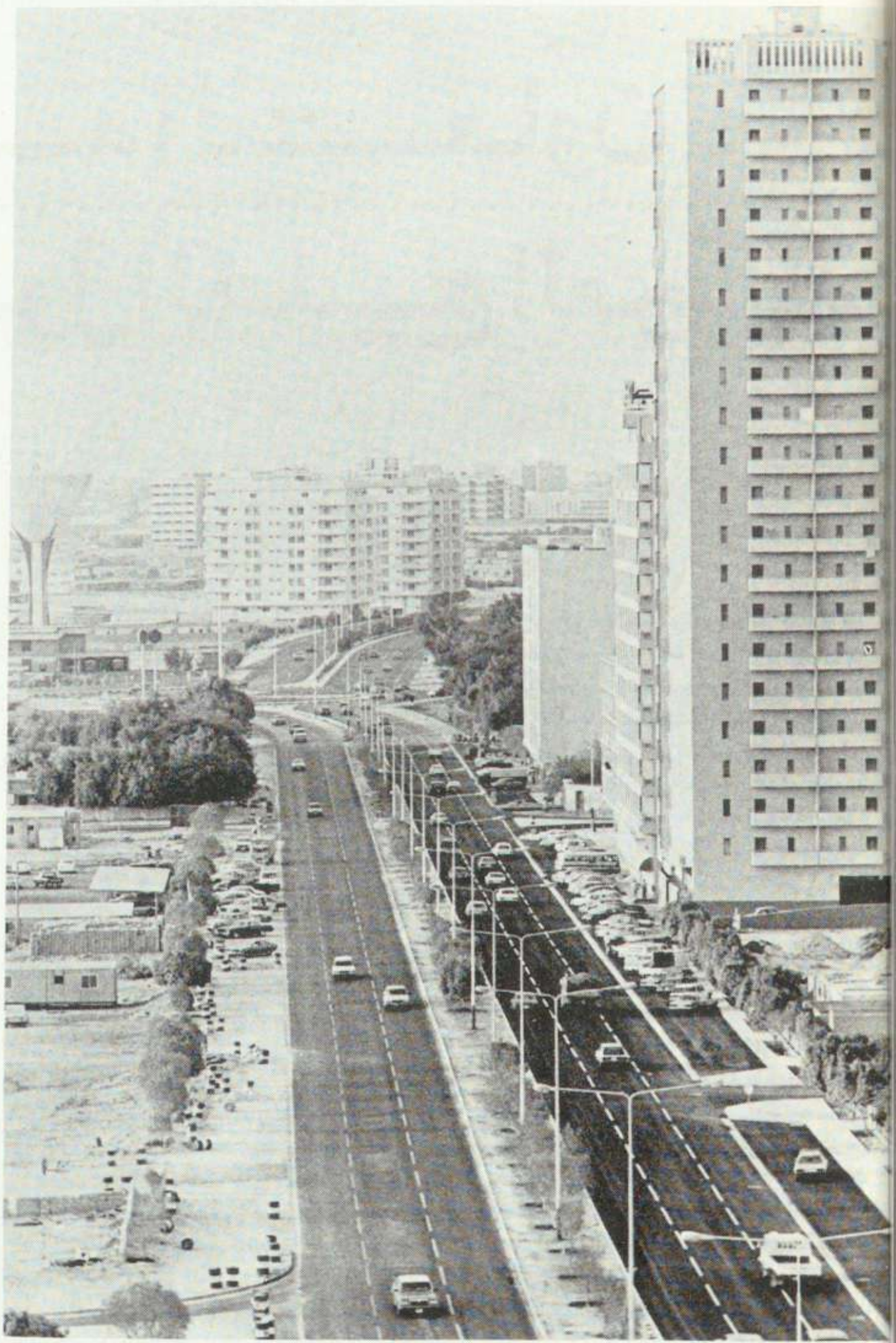
لقطة من داخل متحف قطر الوطني ، حيث نرى نموذجا يتمثل في سفينة خليجية كانت تمخر عباب البحر للصيد والتجارة والغوص ، والمتحف يضم كل ما يتصل ببيئة قطر البرية والبحرية قديما وحديثا .



الحداثة في العاصمة الدوحة ، حيث نرى شارع البحر (الكورنيش)

قبل الغد ، حتى لا يصبح ذلك التاريخ مجرد كلمات في أفواه الناس ، ثم يضيع الى الأبد ... ونقترح كاساس لهذا البحث ، الحصول على كل ما يمكن الحصول عليه من الصور الجوية والخرائط لمنطقة الدوحة باسرها لصناعة خريطة واحدة منها جميعا على غرار الخرائط الجيولوجية بمعنى ان يقسم الزمان الى فترات ، وتلون الطرق والمنشآت في كل فترة بلون معين يمثل تعاقب النمو من فترة الى التي تليها ...

وللدلالة على معدل النمو في هذه العاصمة الفتية نـاخذ مثالا واحداً .. ذلك المثال ذكره جون مورهيد عن قطر (١٩٧٧ م) ويقول فيه ، ان الدوحة لم يكن بها سنة ١٩٥٢ م سـوى مدرسة واحدة بهـا



شارع السفارات ، جانب اخر من الدوحة الحديثة .

(٢٥٠) تلميذاً ، وفي سنة ١٩٧٧ م اصبحت المدارس ما بين ابتدائية واعدادية وثانوية تعد (١٠٨) بها ما يزيد على واحد وثلاثين الف تلميذ وطالب ، واليوم يزيد عدد المدارس في الدوحة (وغيرها من البلدان والقرى) عن مائة وخمسين مدرسة ... بالاضافة الى جامعة تخرج فيها حتى اليوم ست دفعات من الخريجين في العلوم والآداب بفروعها المختلفة ...

ولعل فى الصورة الجوية المنشـــورة مع هذه النبذة القصيرة ما يغني عن الكثير من الكلام بالنسبة لنمو رقعة الدوحة بالعمران ، الذى لا ينقطع ليل نهار ، تحقيقاً لفلسفة ان تبلغ مستوى المدينة المعاصرة الناضجة ، التى يتبناها حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير دولة قطر ، والذي يؤمن بالتقدم المعاصر ولكن في ظل من الحفاظ على التراث الاسلامي والتقاليد العربية ، ومن هذا المنطلق ، وتداركاً لكي لا تطغى حركة العمران الحديثة الجارفة ، على كل الابنية التراثية فقد تم استنقاذ قصر الحكم الذي كان قد بناه المرحوم الشيخ عبد الله بن قاسم سنة ١٩٠١ بفريق السلطة واتخاذه اساساً لمتحف قطر الوطني ، وكان لاعادة ترميم ابنية ذلك القصر القديم كنمط من العمارة الاسلامية العربية ان منحت لدولة قطر جائزة اغا خان المعمارية سنة ١٩٨٠ اعترافاً بفضلها في حفظ التراث .

وكذلك تم استنقاذ عدة بيوت من بيوت الدوحة القديمة ذات الطراز العربي الاسلامي وترميمها لتكون شاهداً للاجيال القادمة على تفاصيل المعمار واصوله قبل وسائل البناء الحديثة ... وزيادة على ذلك وتاكيداً له ، فان التوسعة التي تجري في قصر الحكم اليوم بالدوحة تتوخى النسج على منوال المعمار العربي الاسلامي بنقوشه واصالته ، مع استخدام معطيات التكنولوجيا المعاصرة في هذا المشروع .

ولا يفوتنا ان نذكر ان الدوحة ، شانها شان كل عاصمة في الوطن العربي تحتاج الى تضافر جهود السكان و(المقاولين) مع جهود المجالس البلدية والمرافق الحكومية التى تقوم بكافة الخدمات ، من حيث المحافظة على جمال وتنسيق وهدوء المدينة وتنفيذ الخطط الرامية الى النفع العام والتقدم المضطرد والازدهار ، بكل عناية واحترام للوقت ، وحفظ للجهد والمال ، وشعور بالانتماء ، حتى يشعر الانسان العربي انه يسير فعلا الى الأمام ...

أوجه التعاون في جامعات دول الخليج العربية

بقلم: الدكتور محمد إبراهيم كاظم
مدير جامعة قطر

ليست الجامعات مجرد معاهد تعليمية ، فبالرغم من اوجه الشبه الكبيرة بين المدرسة والجامعة ، وبالرغم من ان الجامعة تقع فى قمة السلم التعليمى لأى مجتمع من المجتمعات ، إلا ان الجامعات تنفرد بكونها مؤسسات غير موضعية الاهداف ، غير محددة المقاصد ، بمعنى ان مقاصدها واهدافها تتطور وتتغير وتتخطى الحدود ، كما ان اهدافها ترتبط بالظروف المتغيرة المتطورة للبيئات والمجتمعات التى هى جزء منها ، فعلاقة الجامعة بالمجتمع ترتبط بصورتـــه وهي صـورة متطورة ومفهوم المجتمع وهو مفهـــوم متغيـــر ، فالمجتمعات التى ترى نفسها مجتمعات صغيرة تتطور لتكتشف إنتماءاتها لمجتمعات اكبر ، وبناء على ذلك فالجامعات يمكن ان تنتمى الى مجتمع يعتبر نفسه مجرد مدينة ، ويمكن ان تتسع لادراكها انها تنتمى الى مدينة ، تنتمى الى امة ، تنتمى الى المجتمع البشرى كله فى الماضى والحاضر والمستقبل . وبديهى انه كلما تغيرت هذه المفاهيم وكلما تغيرت هذه المشاعر والانتماءات كلما تغيرت اهداف الجامعة ومقاصدها وكلما تغيرت حدودها ، وبالتالى يظهر اثر هذا التغير فى سياساتها وفى برامجها وفى ممارساتها اليومية . ولا يكفى ان تكون هذه التصورات تصورات افراد فى الجامعة او المجتمع ، إذ من الضرورة ان يرتكن هذا التغير فى المفاهيم والاهداف التى يكون لها اثر مستمر فى السياسة والبرامج والممارسات على رأى عام داخل الجامعة وخارجها ، هذا الراي العام هو فى حد ذاته حصيلة تفاعل اجتماعى وحضارى بين الظروف المعاصرة والطارئة والتراث والمقومات التاريخية والحضارية لهذا المجتمع .

وبالنسبة لمنطقة الخليج فلقد مرت فى مراحل تاريخية معروفة ومتنوعة تضمنت مراحل الانغلاق الضيق وتضمنت ظروف اقتصادية محدودة وإمكانات محددة ، كما تضمنت مرحلة الثروة ومرحلة انعاش التراث الثقافى والحضارى والانتعاش الاجتماعى الذى دفع الى ظهور مستويات من الحاجات والاحتياجات الاجتماعية والثقافية التى استدعت مستويات من التعليم ظهرت على مراحل .

ومنذ منتصف هذا القـــرن كانـت المجتمعات الخليجية على تفاوت وتشابه مراحلها الحضارية قد وصلت الى المرحلة التى بدات فيها فى استشعار حاجتها الى مؤسسات للتعليم العالى ، تبلورت فى صيغ جامعية ، انتهت الى الجامعات الحالية فى منطقة الخليج . وعندما بدات جامعة الملك سعود فى الرياض كانت البداية لنظام تعليمى جامعى متكامل ومتنوع ، يضم شكل الجامعات الشاملة ، كمايضم شكل الجامعات المتخصصة . ومن اوضح الدلائل على هذا الاتجاه قيام جامعة المعادن والبترول بالدمام وهى جامعة حققت بمستواها الرفيع المتخصص اهدافا استراتيجية ليست للسعودية فحسب ولكن للدائرة الأوسع . كما انها استطاعت ان تبدأ برنامجاً بحثياً طموحاً تظهر آثاره على المدى البعيد . كما قامت ايضا الجامعات المتخصصة فى الدراسات الاسلامية فى المدينة المنورة ، وجامعة الامام تتسع للطلاب العرب وغير العرب ، وليس هذا مجال لعرض كامل عن الجامعات السعودية ولكن فقط فى معرض الاستدلال على ارتباط قيام نظام جامعى بظهور حاجات مجتمعية منبثقة من وصول المجتمع الى مرحلة حضارية يحتاج فيها تقدمه ومسيرته الى الامام الى هذا النظام الجامعى ...

وبهذا المعنى يشكل هذا الموقف تحدياً للجامعات السعودية بصفة خاصة ، إذ أن المتوقـع أن تقـوم هذه الجامعـــات باعبائها وان تتحمل مسؤلياتها فى تخريج المواطن القادر على الوفاء ومتطلبات المرحلة التاريخية ، ليس من الناحية التخصصية فحسب ، ولكن من الناحية العامة اولا ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى أن تنجح هذه الجامعات فى أن تكون مراكز الحضارة والفكر وهي البنية التحتية التى يتوقف على صلابتها لستمرار حركة المجتمع نحو الامام مع حفاظه على اصالته ودون الوقوع فى خطر ان يصبح المجتمع مجرد شبيه للمجتمعات الأسبق فى مضمار التقدم التكنولوجى بالذات .

ثم راينا الكويت فى منتصف الستينات تقيم جامعتهـا بداية بالتربية والعلوم

والآداب وكلية البنات لتتطور بعد ذلك الى ما هي عليه الآن .. ثم شهدنا التعليم الجامعي فى قطر عام ١٩٧٣ بكليتي للتربية إحداهما للبنين والأخرى للبنات اتسعت الآن لتشمل كليات العلوم والانسانيات والعلوم الاجتماعية والشريعة والدراسات الاسلامية والهندسة ، وهناك اهتمام فى هذه الكليات بالتربية الفنية والتربية الرياضية والخدمة الاجتماعية والاقتصاد المنزلى ودراسات الاعلام ، ومن المتوقع عندما تنتقل الى الحرم الجديد خلال الأشهر القليلة المقبلة ان تبدأ فوراً كلية الاعلام وكلية الادارة والاقتصاد ، وهذا علاوة على وجود اربعـــة مراكز بحثية فى جامعة قطـر وهى مركز البحـــوث التربوية ومركز البحوث العلمية والتطبيقية ومركز بحوث الانسانيات ومركز بحوث السيرة والسنة النبوية ومركز دراسات التنمية لدول الخليج ، ولقد بدأت هذه المراكز مسيرتها وقدمت بشائر انتاجها فعلا .

وبدأت بعد ذلك جامعة الامارات فى العين ، وبالاضافة الى برامجها فى مدينة العين فلقد انشأت فروعا لها فى الامارات المختلفة واقامت نظاماً تعليمياً جامعياً فريداً ، يتعامل مع ظروف الدولة وطبيعتها الجغرافية والعامة ..

وقد بدأت البحرين تعليمها الجامعى بكلية البحرين الجامعية ، وهى فى حقيقتها ثلاث كليات : كلية العلوم ، وكلية الانسانيات ، وكلية التربية ، ومن المتوقع أن تتطور الى جامعة ذات نظام خاص يضم اليها ايضاً العديد من الكليات والمعاهد القائمة بعد تطويرها مثل الكلية الصناعية وكلية الفنادق وغيرها .

ومنذ سنوات بدأت عمان بدراسة متعمقة لانشاء جامعة السلطان قابوس ، ومازالت هذه الدراسات والاستعدادات بما فيها منشآت الحرم الجامعى تتم على قدم وساق أملا فى ظهور الجامعة خلال عام او عامين .

وتـوج المجتمــع الخليجي منشـــاته الجامعية بمشروع اقليمى مشترك هو جامعة الخليج التى اتفق على ان تكون فى البحرين ، وأن تبدأ بثلاث كليات هى الطب والعلوم والتربية . وبدأت كلية الطب فعلا فى العام الماضى بالدراسات قبل الطبية التى تتم حاليا فى رحاب الكلية الجامعية فى البحرين . وجامعة الخليج تمثل مفهوما فريداً حقاً ، فهى جامعة تحقق اهدافاً اقليمية ويتولى مسئولياتها وتمويلها دول الخليج ، ويشرف عليها هيئة تاسيسية ومجلس امناء يضم اعضاء من دول الخليج كلها . ومن الطبيعى انها لا تنافس ولا تكرر الجامعات القائمة . ولقد اقامت الجامعة فى شهر مايو الماضى ندوة كبرى ضمت العديد من رجال الفكر والجامعات من الخليج والعالم العـــربي وكبـــار الشخصيـات الجامعية فى العالم بهدف رسم وايضاح الرؤية المستقبلية لجامعة الخليج ، ولاشك ان هذه الندوة ووثائقها ستظل مرجعاً ثميناً للدراسات الجامعية والتعليم الجامعى فى منطقة الخليج .

وخلاصة القول ان منطقة الخليج لم تقم جامعاتها استكمالا للشكل ، ولا كقضايا شكلية ، ولكن لأداء وظائف بعضها محدد معروف الآن ، وبعضها يتبلور مع مرور الزمن وتوالى الأحداث .

قامت الجامعات فى دول الخليج لتؤدى وظائف ، يُحكم على نجاحها بمقدار ادائها لهذه المهام سواء المهام الخاصة للتطور الاجتماعى والثقافى والحفاظ على الاصالة العربية والاسلامية ، او على وجه التحديد مهمة اللحاق بالعصر والحفاظ على الاصل فى آن واحد ، وفى نفس الوقت مهمة اعداد المتخصصين والخريجيين فى المجالات المتنوعة والمتعددة التى تحتاجها هذه المجتمعات وهذه الدول .

ولن تستطيع هذه الجامعات ان تؤدي هذه المهام على وجهها التام دون تعاون كامل . وإذا كانت جامعة الخليج احد مظاهر هذا التعاون الخليجى ، فلقد سبق قيام الجامعة قيام مجلس التعليم العالى لدول الخليج المرتبط بمكتب التربية العربى بدول الخليج المنبثق عن مؤتمر وزارات التربية . والمهمة الأولى لهذا المجلس هو التعاون والتنسيق . هذان اللفظان يضمان عالما كاملا من الآمال والطموحات .

ولقد قطعت جامعات الخليج شوطا كبيراً فى التعاون والتكامل بينها ، لا يقف عند حد تبادل الاساتذة والطلاب وتبادل المطبوعات والنشر والتكامل البحثى ، بل يتعدى كل الحدود بمرونته وقابليته لكل فكر تكاملى وتعاونى يطرأ فى اى وقت .

وإن حصيلة اعمال هذا المجلس تمثل سجلا رائعاً ، ولكن السجل الأروع هو ما سوف تشهده الأيام المقبلة ، عندما تنجح جامعات الخليج فى تحقيق الآمال المعلقة عليها .

جامعات دول مجلس التعــاون

● جامعة الامارات العربية المتحدة : افتتحت عام ١٩٧٧ تضم سبع كليات هى التربية ، والعلوم الادارية والسياسة ، والعلوم ، والآداب ، والزراعة ، والهندسة ، الشريعة والقانون .

● كلية البحرين الجامعية : تاسست عام ١٩٧٨ لتحل محل المعهدين العاليين للمعلمين والمعلمات ، وتمنح شهادات عالية فى عدة تخصصات .

● فى المملكة العربية السعودية : جامعة الملك سعود فى الرياض ، جامعة الملك عبد العزيز فى جدة ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية فى المدينة المنورة ، جامعة الملك فيصل بالدمام ، جامعة البترول والمعادن بالظهران ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

● فى سلطنة عمان : يتم الآن انشاء جامعة السلطان قابوس .

● جامعة قطر ، وتضم كليات التربية ، والانسانيات والعلوم الاجتماعية ، الهندسة ، العلوم ، والشريعة والدراسات الاسلامية .

● جامعة الكويت وتضم تسع كليات هى التجارة والحقوق والآداب والعلوم والطب والهندسة والبترول والطب المساعد والتربية والشريعة .

● جامعة الخليج : مقرها البحرين .

نحو استراتيجية للتنمية في دول مجلس التعاون "رؤية للإمكانيات"

بقلم : الدكتور علي خليفة الكواري

تتمتع كل من اقطار منطقة الخليج بعدد محدود من الامكانيات التى يمكن أن تسهل عملية تنميتها . وهذه الامكانيات يمكن مضاعفتها وخلق امكانيات محتملة اخرى تمكن المنطقة من بدء عملية التنميـــة واستمرارها ، اذا ما اسرعت المنطقة فى خطوات الاندماج وتكوين الكيان القابل للتنمية . وكما ان مجالات التكامل مع بقية الأقطار العربية ودفع عجلة العمل العربى بموجب استراتيجية العمل الاقتصادى العربى المشترك وغيرها من الاستراتيجيات القطاعية الاخرى سوف يؤدى دون شك الى تدعيم الامكانيات الاقليمية ، ويتيح مجالا رحبا لتكاملها مع الامكانيات العربية الأخرى المختلفة معها فى المصدر والمكملة لاوجه النقص فى مقومات الكيان الموحد للمنطقة .

وتتمثل اهم الامكانيات المتاحـــة او الامكانيات التى يمكن تعبئتها فى ظل الأخذ باستراتيجية التنمية والتكامل هـــذه فى الامكانيات التالية : تزايد الوعى بسلبيات نمط النمو الراهن ـ تزايد امكانية تخفيض صادرات المنطقة من النفط ـ تزايد التوجه نحو خلق كيان موحد قابل للتنمية ـ توفر بنية تحتية ومرافق عامة متطورة ـ توفر خبرة ريادية فى مجالات الادارة والتنظيم ـ القدرة الكبيرة على تمويل استثمارات التنمية ـ تزايد امكانية التكامل العربى المتكافىء .

• • •

١ ـ تزايد الوعى بسلبيات نمط النمو الراهن :

ان تزايد وعى مجتمعـــات المنطقـة بسلبيات نمط النمو التلقائى الراهن والبحث عن نمط بديل للتنمية يمثل دون شك اهم دافع من اجل التغيير . فالحركة الراهنة باتجاه خلق الكيان الاقتصـادى السياسى القابل لتحقيق التنمية الشاملة تعبر عن بروز قلق موضوعى على امن المنطقة ومسار التنمية فيها ومســـتقبل اجيالها القادمة ، وهذا القلق الذى بدات تتسع دائرته يساعد على وجود بدايـات حوار مباشر وغير مباشر من اجل التقريب بين وجهات النظر فى المجتمع ، والانطلاق من وجود حد ادنى من الرؤية التنمـوية المشتركة ، بالقدر الذى يسمح للمنطقة بتهيئة نفسها من اجل توفير متطلبات بدء عملية التنمية فى اطار التكامل المؤدى الى الوحدة السياسية ، كل ذلك قبل فوات الفرصة التى اتاحها وجود النفط مع عدم وجود تمزق سياسى .

ولعل التوجه الوحدوى لابناء المنطقة ووحدة الآمال والآلام بينهم باعتبـــار مجتمعات المنطقة شريحة عربية تتطابق فيها المعطيات التنموية وتتشابه التركيبات الإجتماعية والسياسية وتتمتع فى الوقت الحاضر نتيجة لأوضاعها الاقتصادية الخاصة باستقرار سياسى نسبى على مستوى المنطقة ، بالاضافة الى استمرار

بعض العلاقات التقليدية المتصلة بين الحاكم والمواطن تتصف بروح المراعـاة والرغبة في ايجاد القبول والوفاق السياسى بين الطرفين .. ان كل ذلك يتيح مجالا لتقارب منطلقات الارادة السياسية والارادة الاجتماعية ويسمح بوجود الحد الادنى المطلوب من ارادة التنمية والوحدة . وهذه الارادة مازالت بذرة فى ضمير المنطقة يتربص بها الاعداء ، وتحيط بها بيئة خارجية غير مشجعة ، وتعرقلها طفيلية محلية نمت على حساب عرقلة نمو المنطقة ودعمت مراكزها نتيجة لتفرق اقطارها ، وعلى الذين ينتمون بصدق للمنطقة ويثقون بقدرة اهلها على تحجيم مصالحهم الآنية الزائلة ان يجعلوا من هذه البذرة غرسة طيبة ، توفر امكانية بلورة ارادة مجتمعية من اجل تنمية المنطقة في اطار وحدتها وفاء للأجيال القادمة واداء للامانة التي تركها الاجداد في اعناقهم .

٢ ـ تزايد امكانيــة تخفيض صادرات النفط :

ان انخفاض درجة اعتماد الدول الصناعية على النفط الخام المستورد من المنطقة يتيح فرصة لاعادة النظر في الاعتبارات التي اثرت على انتاج النفط حتى الآن ، والانطلاق من تقرير الجدوى الاقتصادية لتصدير النفط قبل تحديد حجم الانتاج .

ومسالة تحديد انتاج النفط بعد التعرف على جدوى التصدير لم تكن امكانية عملية بالنسبة لكل من اقطار المنطقة في الماضي ، الأمر الذي جعل دول المنطقة تاخذ في الحسبان عند تحديد حجم الانتاج الاعتبارات الخارجية وهي اعتبارات لم تكن دائماً منسجمة مع اعتبارات وجود جدوى اقتصادية من انتاج وتصدير قدر يفوق طاقة اقتصاديات الدولة المعنية على استيعاب عائداته بشكل منتج . ولقد اصبحت هذه الامكانية متاحة بقدر اكبر مما كانت في الماضي ، نتيجة لاستراتيجية طويلة المدى تتبناها الدول الصناعية ، وتعمل منظمة الطاقة الدولية على تنفيذها بنجاح . وتتمثل هذه الاستراتيجية في تقليل الاعتماد على النفط المستورد من اقطار « منظمة الاوبك » وخاصة من الاقطار العربية التي لا تبرر طاقتها الاستيعابية المنتجة تصدير معدلات عالية من النفط .

ولقد تحقق نتيجة لهذه الاستراتيجية انخفاض في معدل طلب العالم على نفط الشرق الاوسط مما وصل بحجم انتاجه في عام ١٩٨٢ م الى ١٢٫٨ مليون برميل يومياً بعد ان كان ٢١٫٩ مليون برميل يومياً في عام ١٩٧٤ م ، هذا بالرغم من زيادة استهلاك النفط في العالم من ٥٦٫٤ مليون برميل يوميا عام ١٩٧٤ م الى ٥٨٫٥ مليون برميل يوميا عـــام ١٩٨٢ م . وممـــا هو جدير بالملاحظة ان دول المنطقة كانت هي الدول التي امتصت انخفاض مستوى الطلب على نفط الاوبك الذي حدث في عام ١٩٨٢ م مقارنة بعام ١٩٨١ م ، فقد انخفض انتاج المنطقة من ١٣٫٥ مليون برميل يوميا عام ١٩٨١ إلى ٩٫٦ مليون برميل يومياً عام ١٩٨٢ م اى ان التخفيض وصـــل الى حوالي ٤ مليون برميل يوميا ، هذا بينما لم ينخفض مستوى انتاج دول منظمة الاوبك كمجموعة باكثر من ٣٫٥ مليون برميل (من ٢٥٫٥ الى ٢٢٫. مليون برميل يومياً) ، وفي ضوء هذا التغيير في الطلب العالمي على نفط الاوبك وانطلاقاً من سعي بعض دول المنطقة المكتظة بالسكان الى الاحتفاظ بحصتها من التصدير ـ خطا او صواباً ـ فان المنطقة قد اتيحت لها فرصة عليها ان تمسك بها وتحولها الى امكانية تنطلق منها للسيطرة على الآثار السلبية التي خلفتها معدلات الانتاج التلقائية ، على ان يتم ذلك من خلال اخضاع مسالة انتاج النفط ، وتصديره لاعتبارات الجدوى الاقتصادية .

ومما يجدر تاكيده ان انخفاض انتاج النفط في الوقت الحاضر كان نتيجة لانخفاض الطلب العالمي على نفط الاوبك ، وهو النفط الذي تعتبره منظمة الطاقة الدولية المصدر الاخير لامدادات الطاقة وهو الذي يجب عليه ان يرتفع وينخفض حسب مدى توفر الامدادات الاخرى . وعلى المنطقة ان تعتق نفسها من هذا الوضع المجحف وغير المستقر وان لا ترضى لنفسها ان تكون المصدر الاخير لامدادات الطاقة ، والمصدر المكمل لقدرة دول الاوبك على تلبية احتياجات الدول المستهلكة . ولعل المنطقة في ظل وحدتها تكون اقدر على تحويل الانخفاض الراهن على نفطها والذي ما أشير اليه بـ « رب ضارة نافعة » الى امكانية دائمة عن طريق تغيير سياستها النفطية بشكل يجعل انتاجها وتصديرها للنفط أو لمنتجاته اكثر انطلاقاً من الاعتبارات الداخلية واكثر ارتباطا باعتبارات التنمية المنشودة .

٣ ـ تزايد التوجه نحو خلق كيان موحد قابل للتنمية :

ان الكيان الموحد للمنطقة والذي تطمع استراتيجية التنمية والتكامل الى الانطلاق منه يوفر كياناً قابلا للتنمية يحقق الحد الادنى من : الموارد البشرية ، وتقع تحت سيطرته منطقة جغرافية واسعة ، وسوق محلية معقولة الحجم والامكانيات .

٣ ـ١ الموارد البشرية : يبلغ عدد المواطنين في دول المنطقة ما يقارب تسعة ملايين نسمة اغلبيتهم في سن الشباب ، يتوفر لهم مستوى تعليمي وصحي وغذائي ومعيشي وسكني جيد ، وهم محتكون بالعالم الخارجي ومطلعون على ما يجري حولهم الى حد لا باس به ، توجد بينهم فئات تتفهم ضرورة احداث التغييرات اللازمة من اجل دعم عملية التنمية والاسراع بمعدلات تحقيقها ، وهذه الفئات تتمتع بدرجة من الوعي السياسي ، والتطلع الاجتماعي الحضاري يمكن مقارنتها بمستوى شعوب الشريحة الاكثر تقدما ثقافيا من بين اقطار العالم الثالث .

ووجود هذه النوعية من الموارد البشرية يخلق امكانية حقيقية للتنمية اذا ما احسن الاستفادة منها ، وتم اشراكها في اتخاذ القرار،واذا ما توفر لادارتها نظام من الحوافز الايجابية المرتكزة على الربط الوثيق بين المكافاة والجهد ، واذا ما ربط الاجر بالانتاجية الحقيقية وهيىء للمراة ان

تقوم بدورها في الاسرة والمجتمع وتم تخفيف القيود الاجتماعية عليها ، بما لا يتعارض مع روح الدين الاسلامي وتراثه الحضاري الانساني .

ولعل نظرة سريعة الى تركيب المواطنين من حيث السن والمستوى التعليمي تبين مدى الامكانية البشرية المتاحة ، فمن حيث السن يشكل من تبلغ اعمارهم ثلاثين سنة واقل نسبة تصل الى ثلاثة ارباع السكان المواطنين ، ويشكل من تبلغ اعمارهم عشرين سنة فاقل حوالي الثلثين ، اما من تصل اعمارهم الى عشر سنوات فاقل فان نسبتهم تصل الى ثلث السكان المواطنين في المنطقة . ومن حيث المستوى التعليمي فان السكان المواطنين الذين تقع اعمارهم في فئة عشر سنوات فاكثر ، يمثل الحاصلون من بينهم على الشهادة الابتدائية وما هو اعلى منها في كل من الكويت والبحرين على سبيل المثال حوالي النصف ولا يزيد عدد الاميين منهم في الكويت عن الثلث وفي البحرين عن الربع .

ولعل هذا الحجم السكاني يوفر امكانية بشرية معقولة ، اذا ما اخذنا في الاعتبار امكانية التزايد الطبيعي للسكان والتي يمكنها ان تصل بعدد المواطنين فى المنطقة الى حوالي ٢٠ مليون نسمة ، كما ان توفر امكانيات التعليم لكل الراغبين فيه ووجود امكانية لتحسين نوعية التعليم ، ورفع مستوى الخدمات الصحية وغيرها من المدخلات المؤثرة على نوعية الانسان ، يمكن ان توفر نوعية جيدة من الموارد البشرية .

٣ ـ ٢ الرقعة الجغرافية : تبلغ مساحة المنطقة ٢٫٥ مليون كم مربعا تقع في منطقة متوسطة واستراتيجية من العالم تحتضن الحرمين الشريفين ويرتبط بها تراث العرب شرفها الله بانطلاق الدعوة الاسلامية من ارضها وعلى اكتاف بنيها قامت الدعوة وانطلقت الحضارة العربية الاسلامية ذات البعد الانساني والتاثير الحضاري .

وهذه الرقعة الجغرافية الواسعة ذات التراث الحضاري ، والدور البارز في التاريخ ، وذات الانتماء العربي العميق ، تقع على البحر الاحمر والخليج العربي وبحر العرب ، وتنفذ على البحر الابيض والمحيط الهندي ، تحتضن صحراء واسعة يصلح قسم كبير منها للزراعة اذا ما توفرت المياه ، ويعتبر جزء منها مراعيا طبيعية اضافة الى توفر ارض زراعية بالنسبة للفرد (٣٨.ر. هكتار اذا ما اخذ عدد السكان في الاعتبار هذا اضافة الى مخزونها المتواضع من المياه الجوفية ، ومصادرها المائية المتجددة ، اذا ما رشد استخدامها فانها تكفي لزراعة اضعاف المساحة المزروعة فى الوقت الحاضر ، وهذه الامكانيات الطبيعية يمكن ان يعتمد عليها فى انتــاج قدر من احتياجات الغذاء من الأسماك واللحـوم والالبان والمنتجـات الزراعية الاخرى ، خاصة اذا ما عولجت اسباب معدلات الاستهلاك المبالغ فيها في الوقت الحاضر .

ان الموقع الجغرافي للمنطقة (بحرها وبرها) يوفر ايضا ميزات طبيعية وجغرافية تسهل التجارة الخارجية والداخلية ، وتتيح امكانية انتاج بعض مصادر الطاقة المتجددة التي يعول عليها في المستقبل مثل الطاقة الشمسية والهايدروجين من مياه البحر .

اضافة الى ذلك فان احتواء جوف الارض الطيبة على موارد طبيعية اخرى يوفر سنداً لعملية التنمية المنشودة . وتاتي الموارد الهايدركربونية المعترف بغزارتها من زيت وغاز طبيعي مصاحب على راس تلك الموارد . ثم ان المنطقة يتوفر لها قدر لا باس به من الموارد الطبيعية غير الفلزية الصالحة لتصنيع مواد البناء واحتياجات الانشاءات ، هذا الى جانب كمية متواضعة من الخامات الاخرى مثل خام النحاس وخام الحديد وغيرهما من المعادن ، اضافة لما يحتويه جوف البحر من مواد واحياء يمكن تصنيعها والاستفادة منها .

٣ ـ ٣ حجم السوق : ان عدد سكان المنطقة وامكانية توفر قوة شرائية كبيرة ـ بعد كل اجراءات الترشيد وثبات متوسط نصيب الفرد من الاستهلاك عند مستواه الحقيقي الحالي البالغ حوالي ستة الاف دولار ـ يسمحان بايجاد سوق ذات حجم كاف لاستيعاب انتاج صناعي يبرر انشاء اغلب الصناعات التحويلية والنشاطات السلعية والخدمية ذات الحجم الاقتصادي الكبير . ان مستوى مجموع الناتج المحلي الاجمالي للدول الست في المنطقة في العشرين سنة القادمة بافتراض حدوث انخفاض في متوسط الدخل الحقيقي للفرد من ١٧ الف دولار عام ١٩٨١ الى حوالي ١٢ الف دولار عام ٢٠٠٠ يمكن تقديره بما يفوق الناتج المحلي للهند وبما يقارب الناتج المحلي لاستراليا .

واذا ما امعنا النظر فى احصاءات الواردات وتوقعنا مدى الحاجة المستقبلية لسلع الانتاج والاستهلاك وخدماتهما واخذنا فى الاعتبار امكانية إدارة الاقتصاد وترشيد احتياجات المجتمع والحـــد من الاستيراد ومنع الاغراق التجارى ، فاننا نجد ان حجم القوة الشرائية للمنطقة ومدى تنوعها يسمحان بخلق سوق يمكنها استيعاب معظم النشاطات الانتاجية كبيرة الحجم ـ ان لم يكن كلها ـ بل ان اغلب تلك الانشطة يمكن تكرارها فى اكثر من وحدة انتاج سعيا لكسر قيود الاحتكار المخل بمتطلبات كفاءة الاداء ، وتحقيقا لمستوى من تكاليف الانتاج التنافسية بالقدر الذى يكون من العدل تحصيلها لمشترى سلع الانتاج والاستهلاك ، دون ارهاقهم بالتكاليف غير الضرورية تحت شعار الاعتماد على الذات او تبنى استراتيجية احلال الصادرات .

٤ ـ وجود بنية تحتية مـــــادية متطورة :

ان حكومات المنطقة قد انجزت قدراً كبيراً وهاماً من مشروعات الانتاج غير المباشر المكونة لمشروعات البنية التحتية المادية . فهناك العديد من الموانىء والمطارات والطرق البرية ووسائل الاتصالات ، وهناك العديد من المباني والمعدات تتمثل فى المدارس والجامعات والمستشفيات ومشروعات الاسكان ، بالاضافة الى محطات انتاج الكهرباء وتحلية مياه البحر والمناطق الصناعية المتكاملة . وهذه المنشات بالرغم من عدم التنسيق بينها على مستوى المنطقة فى الوقت الحاضر وقلة تشابكها ، وتسخيرها لخدمة احتياجات الاستهلاك اكثر من

خدمتها للانتاج ، الا انها تبقى امكانية هامة تتيح للمنطقة ان تبدا بانشاء مشروعات الانتاج من مزارع ومصانع وغيرها من وحدات الانتاج السلعى والخدمى المباشر دون معوقات تذكر بسبب نقص وعدم كفاية مشروعات البنية الأساسية . ان البنية التحتية المادية الراهنة يمكن اعتبارها بنية متطورة تضاهي في بعض اوجهها ما هو متاح للاقتصاديات الصناعية المتقدمة ، كما ان المنطقة ما زال بامكانها استكمال بناء ما ينقصها، واحكام توجهها لخدمة الانتاج وترشيد استخدامها على مستوى المنطقة عن طريق التخطيط والتنسيق والادارة المشتركة لقطاعات البنية الاساسية .

٥ ـ وجود خبرة ريادية في بعض مجالات الادارة وتنظيم الانتاج :

استطاعت المنطقة بفضل ظروفها الخاصة ان تؤسس عدداً من المشروعات في ميدان الانتاج السلعي والخدمي المباشر وغير المباشر ، وقد تم ذلك في فترة قصيرة نسبيا . وبالرغم مما يؤخذ على هذه المشروعات من ارتفاع في تكاليف الانشاء والتشغيل ، وما تركته من محدودية التاثير على الوضع العام وما صاحبها ايضا من تجارب عديدة غير ناجحة في مجالات الادارة وتاسيس المشروعات ، الا ان ذلك قد كون خبرات وقدرات يمكن الاستفادة منها في المستقبل . ان وجود بناء اساسي للادارة العامة وادارة المشروعات العامة والخاصة يتيح نقطة انطلاق متقدمة لعمل الادارة في المنطقة بعد اصلاحها . واذا ما اتيح لهذه الادارة الدعم ببرامج اصلاح وتنمية ادارية سريعة فان تحولها الى ادارة للتنمية امر ممكن ، خاصة اذا ما اخذنا في الاعتبار حداثة الادارة العصرية وعدم ترسب عيوب الادارة التقليدية السائدة في البلدان النامية ذات التاريخ الاداري الطويل . ان البيروقراطيين الجدد من الخريجين ابناء المنطقة لم تمض عليهم بعد في مراكز القيادة المدة التي يتشبعون فيها بالروتين الثقيل والسلوكيات المنحرفة الى الدرجة التي يصعب اصلاحها .

لقد تكونت في المنطقة عبر الستينات والسبعينات بعض الكوادر القادرة والمسؤولة اكتسبت ريادية وعانت في سبيل توظيفها ، ومثل هذه الخبرة الريادية يمكن الاستفادة منها في تنمية كادر من القياديين في مجال التنمية ، ولعل اهتمام الدولة والمجتمع بهـذه النواة يسمح بوجـود الكوادر اللازمة لقيادة عملية التنمية .

٦ ـ امكانية تمويل التنمية دون حاجة لشد الأحزمة على البطون :

وهنا تبرز الامكانية المميزة للمنطقة ويكمن التحدى التاريخى ، فلعله من الحالات النادرة ان يتاح لقطر نام امكانية تمويل احتياجات مشروعات التنمية واستثماراتها الراسمالية دون ضغط على الاستهلاك الجارى للمجتمع ، ودون تحميل افراده عبئاً ضريبيا يقتطع من عائد انتاجه كل فرد من اجل توظيفها فى استثمارات تقطف معظم ثمراتها الاجيال القادمة ، ان كل ما تحتاجه المنطقة لايتجاوز ترشيد الاستـهلاك . ومسالة ترشيد الاستهلاك العـــام والخـاص فى حـد ذاتهـا مطلوبة بالدرجـة الأولى من اجل إبقاء حافز كاف للافراد يدفع بهم الى المساهمة فى عملية التنمية ، وبذل جهودهم المنتجة من اجل تحقيقها ووقف الاهدار المضر للموارد المتاحة ، وليس من اجل توفير احتياجات تمويل التنمية . ان وجود الثروة النفطية باعتبارها ثروة عامة تتمتع بميزة تحقيق ريع اقتصادى كبير يصب فى خزينة الدولة نتيجة لوجود طلب عالى كبير على النفط ، سوف يحل مسالة تمويل التنمية فى العقدين القادمين ، خاصة اذا ما اضيف الى الامكانيات التمويلية التى يتيحها تصدير النفط الامكانيات التمويلية المتاحة والمتمثلة فى الأرصدة الخارجية العامة للمنطقة . ان حجم هذه الأرصدة المتراكمة فى الخارج فى نهاية ١٩٨٢م يقدر بحوالى ثلاثمائة بليون دولار .. واذا ما اخذنا فى الاعتبار قضية كونها احتياطيات راسمالية يجب ان تكون محجوزة للاستثمار طويل المدى لايجوز استخدام معظمها من اجل تمويل العجز المصطنع فى الميزانيات العامة ، فان هذا الحجم من التمويل يسمح بتاسيس ما يقارب ثلاثة آلاف شركة ومؤسسة عامة (متوسط راس المال ١٠٠ مليون دولار) من مشروعات الانتاج المباشر فى مجال الصناعة والزراعة والثروة الحيوانية وفى قطاع الخدمات المالية وغيرها من فروع الخدمات الاقتصادية . وهذه القدرة التمويلية تصبح قدرة مضاعفة اذا ما اضيف لها القدرة التمويلية الراهنة للقطاع الخاص ، فى حالة اذا ما ضيقت عليه فرص الربح السريع فى نشاطات المضاربة وغيرها من سبل الكسب السهل ، ووجهت جهوده البناءة نحو المساهمة فى عملية التنمية .

ان المنطقة نتيجة لقدرتها التمويلية الراهنـــة والمتوقعة بامكانهـا ان تمول كل ما يثبت ان له جدوى من الناحية الاقتصادية من مشروعات القطاع العام والخاص والمشترك ، سواء ما يكون منها محليا او اقليميا او عربيا ، اضافة لما هو مرتبط بخدمة المشروعات السابقة ودعمها . ان ذلك كله يتيح امكانية تمويل هائلة تحسد عليه المنطقة وتلام على عدم تحقيق الاستفادة القصوى منه .

٧ ـ تزايد امكانية التكامل العربى المتكافىء :

يتيح العمل العربى المشترك افاقا واسعة لتنمية المنطقة وامن كيانها الموحد . ان الوطن العربى يشكل العمق الاستراتيجى للمنطقة حيث لايمكن فصل عملية التنمية ومتطلبات الامن الشامل لاى من اقطاره عن تنمية المنطقة وامنها الشامل ومما لاشك فيه ان امكانيات التكامل العربى تتعاظم عندما يكون للمنطقة كيان موحد يعمل بموجب استراتيجية للتنمية واضحة المعالم محددة الأولويات . إن المنطقة فى هذه الحالة تتجه نحو التكامل العربى وهى محددة الاهداف قادرة على التعامل المتكافىء الذى يعبر عن مصلحة جميع الاطراف . والمنطقة فى وضعها الجديد يمكنها منذ البداية ان تكون متجهة الى مجالات التعاون واوجه التكامل التى تساعدها فى التغلب على محددات الطاقة

نحو استراتيجية للتنمية في دول مجلس التعاون
"رؤية للإمكانيات"

الاستيعابية المنتجة لديها . ويمكن للمنطقة فى هذه الحالة ان تركز على مداخل التكامل التى تسمح بتعاظم امكانيات التنمية الداخلية ، وتتيح مجالات امنه لتوظيف احتياطياتها الاستثمارية وتبادل عناصر الانتاج واحتياجاته بما يعود على جميع الاطراف بفوائد متكافئة مضمونة التدفق ، نتيجة لما يوفره استمرارها من مصالح حقيقية دائمة متبادلة يحرص الجميع على ضمانها . هذا اضافة الى ان دور الكيان الموحد فى استراتيجيات ومجالات العمل العربى المشترك الاخرى يمكن ان يؤدى الى تطويره بما يسمح للمنطقة ان تكون شريكا كاملا عليه واجبات متكافئة مع واجبات الأطراف الاخرى وله حق فى المنافع التى يخلقها العمل العربى المشترك ، الأمر الذى سوف يغير النظرة الى العمل العربى المشترك ويبعده عن مفهوم العون ، ويحرره من تفشى النظرة القطرية التى تنظر الى حقوقها من منطلق قومى بينما تؤدى واجباتها من منطلق المصلحة القطرية الآنية الضيقة . ان العمل العربى المشترك يتيح امكانيات حقيقية ، على المنطقة ان تستفيد منها عن طريق ضمان حق النجاح لاوجه نشاطات العمل العربى ، وابعاد ادارة المشروعات العربية المشتركة فى جميع المجالات عن طغيان الاعتبارات الآنية ومخاطر المجالات السياسية التى تحول العمل العربى المشترك الى نشاط من نشاطات العلاقات العامة على حساب دوره التنموى واهميته الاستراتيجية لجميع الاقطار العربية دون استثناء .

د . على خليفة الكوارى

هـــامـــش

● اجمالى المساحة المزروعة ٤٧٥ الف هكتار تبلغ المروية منها ١٤٧ الف هكتار .

قطـــر

شعر : محمد مروان جميل مراد
الكويت



« أروعُ اللحنِ لوحةٌ — صاغها الشعرُ ، وابتكرْ
جمّعتْ أعذبَ الرؤى — غزلَتْ شيّقَ الصُّورْ
حمَلَتْنى لعالمٍ — لم يَدرُ قطّ فى الفكَرْ
فهنا العِطْرُ سكبهُ — ذابَ فى ناضرِ الزَّهَرْ
وهنا النور جدولٌ — شفَّ كالحلم وانهَمَرْ
والعصافيرُ جوقةٌ — تتناجى على الشَّجَرْ
وأنا تحت أيكةٍ — شاردُ اللب والنظرْ
أنهل الضوء والشّذَى — ألثمُ العشبَ والمطَرْ
وأغنىَ مولَّهًا — فرحُ الكون لي وتَرْ
هذه جنةُ الهوى — .. حلم العمر .. ذى «قَطَرْ»

● ● ●

« قطرُ » العرب شادَها — ساعِدُ العزْمِ والظَّفَرْ
هتف المجدُ باسمِها — إذ رأى وجهَها الأغر
جَعَلَ الصدرَ صرحَها — ولها العزّ قد نَذَرْ
الميامينُ أهلُها — درعُها ساعةَ الخطَرْ
رفعوا فوق هامها — علَمَ الحق فانتصَرْ
وأضاءوا دروبَهَا — فَسَمَا الفكرُ وازدهَرْ
جعلوها منارةً — للمروءاتِ والكبر
فارفع الكف ضارعاً — سائلا خالقَ البشَرْ :
رب صُنها على المدى — « قَطَرٌ » .. درة الدرَرْ . »

القضية الفلسطينية في البيانات الختامية لدول مجلس التعاون

من البيان الختامي للدورة الأولى

● أعلن أصحاب الجلالة والسمو بان ضمان الاستقرار في الخليج مرتبط بتحقيق السلام في الشرق الأوسط الأمر الذي يؤكد على ضرورة حل قضية فلسطين حلا عادلا يؤمن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني بما فيه حقه في العودة إلى وطنه وإقامة دولته المستقلة ويؤمن الانسحاب الاسرائيلي من جميع الأراضي العربية المحتلة وفي طليعتها القدس الشريف .

وبحث أصحاب الجلالة والسمو الوضع الخطير الناتج عن تصاعد العدوان الصهيوني على الأمة العربية وناقشوا بروح من المسؤلية القومية تمادي إسرائيل في انتهاك سيادة واستقلال لبنان الشقيق والقصف الوحشي للمدن والقرى اللبنانية والمخيمات الفلسطينية وحرب الابادة التي تقوم بها ضد الفلسطينيين واعتداءاتها على قوات الردع العربية وتهديداتها لسوريا الشقيقة واكدوا وقوفهم إلى جانب سوريا ومساندتهم الكاملة لها وناشدوا جميع الأطراف في لبنان بضرورة نبذ الخلافات وإيقاف الدم المتدفق على الأرض اللبنانية وبدء مفاوضات الوفاق في إطار الشرعية اللبنانية .

من البيان الختامي للدورة الثانية

● بحث المجلس كذلك الوضع في منطقة الشرق الأوسط . واكد مجدداً تاييده المطلق لنضال الشعب الفلسطيني من اجل حقه غير القابل للتصرف في تقرير مصيره بنفسه وانشاء دولته المستقلة على ارضه تحت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية .

وجدد المجلس ايمانه بانه لا سبيل لتحقيق سلام عادل في الشرق الأوسط الا بانسحاب اسرائيل من جميع الأراضي العربية المحتلة بما فيها القدس الشريف وازالة المستعمرات الاسرائيلية التي تقام على الأراضي العربية .

واستعرض المجلس ردود الفعل العربية والدولية حول مبادىء السلام التي اعلنتها المملكة العربية السعودية بشان الحل العادل والشامل للقضية الفلسطينية . وقرر المجلس الطلب من المملكة العربية السعودية ادراجها على جدول أعمال مؤتمر القمة العربي الثاني عشر المقرر عقده في المغرب بهدف بلورة موقف عربي موحد حول القضية الفلسطينية .

من البيان الختامي للدورة الثالثة

● تدارس المجلس التطورات المتعلقة بالنزاع العربي الاسرائيلي وفي هذا الصدد اكد المجلس تاييده للقرارات والبيانات التي اتخذها مؤتمر القمة العربي الثاني عشر الذي عقد في مدينة فاس بالمغرب . واستعرض نتائج الاتصالات الأولى التي قامت بها اللجنة السباعية المنبثقة عن مؤتمر فاس برئاسة جلالة الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية .

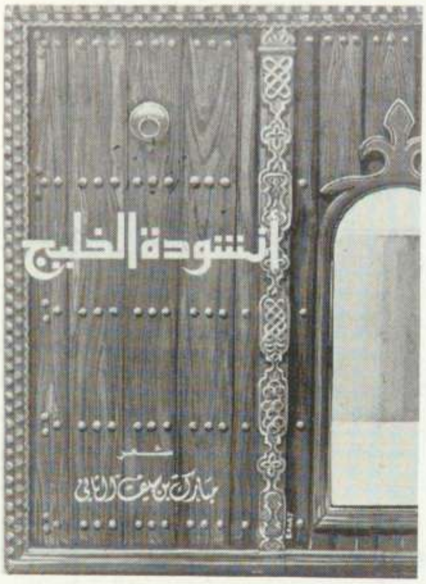
واعرب عن تاييده لكل المساعي التي تحقق الأهداف العربية . كما حددها مؤتمر فاس وجدد إيمانه بأنه لا سبيل لتحقيق سلام عادل ودائم في منطقة الشرق الأوسط إلا بانسحاب اسرائيل من جميع الأراضي العربية المحتلة ، بما فيها القدس الشريف وازالة جميع المستعمرات الصهيونية التي اقيمت وتقام على الأراضي العربية المحتلة وقيام الدولة الفلسطينية على ترابها الوطني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد لشعب فلسطين .

كما اكد تاييده التام للبنان في المحافظة على سلامته وسيادته واستقلاله ووحدة أراضيه . ويطالب بالانسحاب الاسرائيلي الفوري وغير المشروط من جميع الأراضي اللبنانية .

تنشر الدوحة على هاتين الصفحتين مقطعاً من القصيدة الجديدة الطويلة « أنشودة الخليج » للشاعر القطرى الكبير مبارك بن سيف آل ثاني ، وسوف تكون هذه القصيدة ـ كاملة ـ فى كتاب بين أيدى القراء خلال ايام ، وقد جاءت القصيدة عملا فنياً كبيراً متكاملا يعبر عن صدق الاحساس ، وعمق الرؤية لتاريخ الخليج وكفاح الانسان العربى على شواطئه ، ولسوف تحتل هذه القصيدة او الملحمة مكانها البارز فى أدب الخليج المعاصر بما تحقق لها من قوة البناء وجمال التعبير وأصالة التجربة .

« الدوحة »

أنشودة الخليج





شعر:
مبارك بن سيف آل ثاني

لَكَ ياخَليجُ تَحيَّةٌ وَوَلاءُ
هِيَ ذي القُلوبُ ونَهجُها القُدَماءُ
في الحُبِّ في الأَخلاقِ في شِيَمِ الذُّرى
في العَهدِ، إنّا لِلعُهودِ وفاءُ
في سِيرةٍ هي كالشِّهابِ بَريقُها
ضاءَتْ بشَطِّكَ سِيرةٌ سَمْحاءُ
وَأَتى بَنُوكَ اليومَ بَعْدَ فِراقِهِمْ
فَسَبيلُهُمْ بَعْدَ الفِراقِ إخاءُ
يَبْنُونَ مَجْدَكَ وَحْدَةً عَرَبيَّةً
فَهُمُ إلى سَبْقِ العَطاءِ ظِماءُ

وَهُمُ إلى لَمِّ الشَّتَاتِ سَوَابِقُ
وَهُمُ إلى هَذي الأُلَى رُفَقَاءُ
يَحْدُوهُمُ خَيْرُ الخَلِيجِ وَأَمْنُهُ
إنّ الإخَاءَ تَعَاوُنٌ وَبِنَاءُ

يا قَادَةَ الشَّطِّ الرَّحِيبِ هُدِيتُمُ
مَهْمَا تَرَامَتْ بَيْنَكُمْ آرَاءُ
كُونُوا المنَائِرَ لِلْعُلا وعِمَادَهُ
فَبِوَحْدَةٍ تَسْتَمْلِكُ الْعَلْيَاءُ
هَذا خَلِيجُكُمُ يَقُولُ مُنَادِيًا
يَرْجُو الوِفَاقَ ، فَهَلْ لَهُ أَصْدَاءُ؟
حَاطَتْ بِهِ الأَطْمَاعُ تَرْتَقِبُ الخُطَى
كَسَفِينَةٍ حَاطَتْ بِهَا الأَنْوَاءُ
سِيرُوا بِنَا قُدُمًا ، فَنَحْنُ مَوَاكِبٌ
لَكُمُ مِنَ الشَّعْبِ الوَفِيِّ وَلاءُ



يا مَجْلِسًا فيه رَأَيْتُ أَمَانِيًا
الصِّدْقُ فِيهِ وَاضِحٌ وَضَّاءُ
هَا أَنْتَ بَذْرٌ تُرْتَجَى ثَمَرَاتُهُ
فالوَارِفَاتُ عَطَاؤُهَا أَفْيَاءُ
ها أَنْتَ وَادِي الخِصْبِ مَادَامَتْ بِهِ
أَيْدٍ تُرَاعِيهِ لَهُ أُمَنَاءُ
ها أَنْتَ بَيْتٌ للصَّدِيقِ مُشَرَّعٌ
ها أَنْتَ حِصْنٌ دُونَهُ الأَعْدَاءُ

دُمْ - ياخَلِيجُ - فَإنَّ مَجْدَكَ غَايَةٌ
وَبِحِكْمَةٍ تَسْتَجْمِعُ الأَجْزَاءُ
دُمْ - ياخَلِيجُ - فَإنَّ عِزَّكَ نَهْجُنَا
والمخْلِصُونَ عُقُولُهُمْ إيحَاءُ
دُمْ - ياخَلِيجُ - فإنَّ أَمْسَكَ مَجْدُنَا
والعَابِرَاتُ ضِيَاؤُهُنَّ سَنَاءُ
دُمْ - ياخَلِيجُ - مَوَاكِبًا وَمَسِيرَةً
وبَشَائِرُ الأَفْرَاحِ فِيكَ غِنَاءُ
إنَّا بَنَيْنَا فِي رُبَاكَ حَضَارَةً
هِيَ لِلْعُلا رَمْزٌ لَهُ وَوَفَاءُ

الخصوصية الخليجية والمداخل المناسبة لتحقيق التكامل الاقتصادي

تأليف : الدكتور مصطفى عبد العزيز مرسي

عرض وتقديم : عصـــام شريـــح

بين ايدينا كتاب أصدرته وزارة الخارجية بدولة قطر ، وهو بعنوان « مجلس التعاون لدول الخليج العربية ـ الخصوصية الخليجية والمداخل المناسبة لتحقيق التكامل الاقتصادي » ، والكتاب من تاليف « دكتور مصطفى عبد العزيز مرسي » ، الذى عمل كخبير (معار) بوزارة خارجية دولة قطر لمدة سبع سنوات ، ويعمل حالياً مستشاراً بوزارة الخارجيـــة المصريـــــة .

والكتاب بحق ، من افضل الدراسات المنشورة حول موضوع التكامل الاقتصادي لدول مجلس التعاون الخليجي حيث حاول المؤلف بنجاح وتوفيق ملحوظين من وضع مسالة التكامل الاقتصادي لدول الخليج العربية الست ، فى اطار علمي مدروس ومحدد ، ومن وضع المعايير المناسبة للمشروعات المشتركة فى اطار عملية التكامل الاقتصادي ، بما يلائم الخصوصية الخليجية ، وهو إن استشهد ببعض هذه المعايير من منظمات اقتصادية ـ سياسية اجنبية كالسوق الاوروبية المشتركة ، او التجمع المعروف باسم « مجموعة الأندين » لدول امريكا الوسطى الخمس (نيكاراجوا والسلفادور وكوستاريكا وجواتيمالا وهندوراس) ، إلا انه حذر من مغبة التقليد الأعمى ، أو استخدام تلك المعايير والتجارب بحرفيتها ، لان ما يصلح منها لمنطقة ما ، لايعني بالضرورة انه يصلح لمنطقة اخرى .


دولة قطر
وزارة الخارجية
مجلس التعاون لدول الخليج العربية
الخصوصية الخليجية
والمداخل المناسبة لتحقيق التكامل الاقتصادي
دكتور مصطفى عبد العزيز مرسي
الطبعـــة الأولى
الدوحة ـ ١٩٨٢ م

غلاف الكتاب

والآن .. لننتقل من التلميح الى التفصيل ، ولنتعرف – بايجاز مكثف – على أهم الأفكار التى حواها كتاب الدكتور مصطفى عبد العزيز مرسي .

في الباب الأول من الكتاب ، يركز المؤلف على مسالة انتماء دول مجلس التعاون الخليجي الست الى مجموعة العالم الثالث أو الدول النامية ، وهو ينقد بذلك وبشدة ، الأراء التى تحاول الترويج لفكرة تصنيف هذه الدول ضمن ما يسمونه بمجموعة « العالم الرابع » . والمروجون لهذه الفكرة ينطلقون من فرضيات غير واقعية ، تقول إن دول مجلس التعاون تحيا في ظل وضع غير عادي ، فهي دول نامية لا تنطبق عليها القواعد المعروفة بالنسبة للتنمية في بلدان العالم الثالث ، دون إدخال تعديلات جوهرية على هذه القواعد ، ويضيف هؤلاء ، إن بعض هذه البلدان العربية النفطية تتمتع بدخل عال جداً ، يتحقق معظمه في شكل نقدي لقاء ثروة غير متجددة ، واستناداً الى هذه المقولة ، فان أصحاب هذا الراي يرون تصنيف دول الخليج العربية ضمن مايسمونه بـ « العالم الرابع » ، حيث ان مجتمع الخليج العربي لا ينتمي الى التعميمات القائمة والمعترف بها فى تصنيف المجتمعات الى متخلفة أو اخرى نامية من جهة ، ومتطورة او اخرى متقدمة من جهة ثانية ، خاصة وان هذا المجتمع يجمع بين نقيضين هما : الدخل القومي ومعيار الدخل الفردى بصورة مطلقة الذى يضعه فى مصاف الدول المتقدمة ، ثم تخلف الهياكل الاقتصادية الأساسية او الظروف الاجتماعية والحضارية المتشابكة التى تضع مجتمع الخليج العربي فى سلم الدول النامية أو المتخلفة .

ويدحض المؤلف هذه المزاعم التى تحاول تصنيف دول مجلس التعاون الخليجي ضمن ما يطلق عليه اسم مجموعة « دول العالم الرابع » ، ويقول فى هذا المجال : « .. إنه إذا كانت عائدات النفط قد اعطت هذه الدول قدرة نسبية على إدخال بعض التغيير على جوانب التخلف ، وجعلها اقل حدة ، ومكنتها من تحقيق تقدم نسبي فى بعض المجالات ، ودفعت بها الى مستوى مرتفع من الاستهلاك دون المرور بمراحل التنمية الاقتصادية الطبيعية ، أو معايشة ظواهرها ، إلا انه علينا الا ننبهر بالشكل ، وننسى الجوهر تحت تاثير شعور الاغتباط بالنفس ، فالدول الخليجية العربية ماتزال تعتبر بمؤشراتها الاقتصادية والاجتماعية، ضمن مجموعة دول العالم الثالث ، ومفهوم التنمية هو اكثر شمولا وعمقاً من المفهوم المادي المقاس بمتوسط الدخل ، كما أن الثراء المؤقت أو العارض لا يعني تقدماً . »

وانطلاقاً من هذا الواقع ، يدعو المؤلف الى تركيز دول مجلس التعاون بثبات على برامج التنمية التكاملية فعلا فيما بينها ، لتحقيق اعلى مردود اقتصادي واجتماعي ، بالاستخدام الرشيد لعائدات النفط ، في تطوير انماط بديلة للانتاج والتبادل والاستهلاك ، وتحويل مصادر الثروة الناضبة الى مصادر ثابتة ومتجددة ، تجنب هذه الدول مخاطر تحول اقتصادياتها الى مجرد اقتصاديات ريعية لمجتمعات استهلاكية .

بين التكامل الاقليمي والتكامل القومي

ويحذر المؤلف من وهم توافر الثروة المتداولة ، والخضوع تحت تاثير هذا الوهم إلى فكرة مخربة مؤداها ان دول الخليج الست ليست بحاجة الى التكامل فيما بينها ، وحتى فى حال قبول فكرة التكامل الاقتصادي على الصعيد الاقليمي فان هذا التكامل ليس مطلوباً من هذه الدول على صعيد الوطن العربي ككل ، بل ان هذا التكامل يتعارض مع فكرة التكامل القومي

وفي الواقع فان الذين يروجون لمثل هذه الفكرة هم إما قصيرو النظر غالباً ، او غير صادقي النوايا احيانا ، ولعل الشيء الذى يثلج الصدر هنا ، ان « اتفاقية انشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية » لم تاخذ اطلاقاً بالمعنى الضيق « لمفهوم التعاون » فيما بينها ، او فيما بينها وبين بقية الدول العربية خارج اطار منطقة الخليج ، فقد جاءت نصوص الاتفاقية الاقتصادية الموحدة التى وقعتها الدول الست الأعضاء في مجلس التعاون خلال قمة الرياض (تشرين الثاني – نوفمبر ١٩٨١) لتحسم الاجتهاد فى التفسير والتاويل (على حد تعبير المؤلف) ، فمطالعة نصوص الاتفاقية الموحدة لدول مجلس التعاون توضح ان من بين اهداف انشاء مجلس التعاون ، الوصول الى جعل الدول الست بمثابة سوق مشتركة يتم فيها « إعفاء جميع المنتجات الزراعية والحيوانية والصناعية ومنتجات الثروات الطبيعية ذات المنشا الوطني من الرسوم الجمركية والرسوم ذات الأثر المماثل ، فضلا عن مواجهة العالم الخارجي بسياسة وحائط جمركي موحد » .

يضاف إلى ما تقدم ان الاتفاقية نصت على ضرورة « اتفاق الدول الأعضاء على القواعد التنفيذية الكفيلة بمعاملة مواطني دول مجلس التعاون في اية دولة من هذه الدول ، نفس معاملة مواطنيهم دون تفريق أو تمييز بالنسبة لحرية العمال والانتقال والاقامة وحق التملك والارث والايصاء وحرية ممارسة النشاط الاقتصادي وحرية انتقال رؤوس الاموال » . كما ان طموح الاتفاق يمتد الى العمل على « تحقيق التنسيق والتجانس بين خطط دول مجلس التعاون الانمائية بهدف الوصول الى التكامل الاقتصادي فيما بينها . »

اما بالنسبة للتكامل الاقتصادي العربي الشامل مستقبلا ، فهو لا يتناقض – كما يقول المؤلف – مع التطلعات الاقليمية للتكامل الاقتصادي ، إذا توفرت المقومات الضرورية لهذا التكامل العربي على الصعيد القومي ، وهناك امثلة حية امامنا للتوفيق بين الولاءين الاقليمي والقومي ، ويقدم لنا الدكتور مرسي مثلا على ذلك بانتماء كل من بلجيكا وهولندا ولوكسمبرج الى التجمع الاقتصادي الثلاثي المعروف بـ « البنولكس » ، مع انتماء هذه الدول وفي نفس الوقت لعضوية السوق الأوربية المشتركة .

وتاكيداً على الاتجاه القومي لدول مجلس التعاون ، فان بيان وزراء الخارجية الصادر في الرياض بتاريخ ١٩٨١/٢/٤ ، قد اكد على ان إقامة هذا المجلس ، يعتبر جزءاً لا يتجزا من التكامل العربى الشامل ،

وليس بديلا عنه ، وإنما هو احد المداخل إليه ، وقد اكد هذه الرؤيا الاستراتيجية ، الأمين العام لمجلس التعاون الخليجى السيد عبد الله يعقوب بشارة بقوله : «... إننا جزء لا يتجزأ من العالم العربى ، لأن قوتنا لا معنى لها على الاطلاق إذا فصلنا انفسنا عن باقى الامة العربية» .

وفى هذا الباب من الكتاب ـ الباب الثانى ـ يشير المؤلف الى مسالة مهمة فعلا ، وهى أن التكامل الاقتصادى الخليجى يهيىء القاعدة المادية الاساسية لتكامل امنى خليجي مشترك ، ذلك ان وجود مصالح اقتصادية متبادلة ومتشابكة فيما بين دول مجلس التعاون «تدفع بشكل علمى ومصلحى ملموس نحو إرساء سياسة أمن ودفاع مشتركة نابعة من المنطقة ، بحيث تكون اكثر قدرة على حماية المصالح المشتركة ومواجهة محاولات تدخل الدول الأجنبية تحت شعار زائف هو ملء الفراغ فى منطقة الخليج» .

الخصوصية الخليجية

اشرنا فيما سبق ، الى ان من الخطا البالغ استعارة نموذج او اسلوب ما لتحقيق التكامل الاقتصادى وتطبيقه بحرفيته فى منطقة لم يوضع لها اصلا ، وذلك لسبب بسيط هو الخصوصية التى تتمتع بها كل منطقة من مناطق العالم من حيث الهيئة ومن حيث الديمغرافيا ، وعلى ذلك فان لكل منطقة اقليمية ظروفها وخصوصيتها التى تحكم اختيار الأسلوب والمداخل المناسبة لعلاقاتها التكاملية ، على ان ذلك لا يعنى عدم الاسترشاد بتجارب وأساليب التكامل المطبقة فى الدول الصناعية ، بل إن ذلك جائز ومطلوب احيانا ، ولكن بحذر شديد وبالابتعاد عن الاقتباس الحرفى والتطبيق النظرى الأعمى ، لأن فشل التجربة سوف ينعكس على شكل إحباط نفسى وزعزعة القناعة بجدوى مشروعات التكامل . وانطلاقا من هذه الرؤيا يقول الدكتور مرسي : «إن أسلوب التبادل التجارى وتلقائية عوامل السوق المتبعة فى السوق الأوروبية المشتركة لتحريك وتوجيه التكامل ، لا يكفيان كبداية فى حالة مجلس التعاون نظراً لضعف او عدم وجود قطاعات انتاجية لخلق تيارات التبادل التجارى الخليجى ، لذا فان آلية تحرير التبادل التجارى يجب أن تعتبر خطوة لاحقة ، وليست الخطوة الأولى فى عملية التكامل الاقتصادى الخليجى ، كما أن آلية السوق لا تكفى وحدها لاحداث هذا التكامل ، بل لابد من تدخل الدول الخليجية ، انبثاقا من دورها الاقتصادى الرئيسى ، لدفع وتنشيط آلية التكامل عن طريق المشروعات المشتركة وهذا لا يعنى بطبيعة الحال إهمال دور القطاع الخاص فى الاسهام بدوره فى التكامل الخليجى ، والاستفادة من الحوافز الفردية فى إحداث التشابك فى الانتاج الخليجى» .

إذن .. فالمطلوب من دول مجلس التعاون ان تخضع اى اسلوب او نمط للتكامل الاقتصادى مقتبس من الخارج ، لخصوصيتها الاقليمية وبيئتها الجغرافية والبشرية ، بما يتمشى ويتفاعل مع هذه الخصوصية وهذه البيئة . ويفضل هنا تخطي اسلوب تقليد الأنماط القانونية او التنظيمية المعمول بها فى المنظمات او التجمعات الاقتصادية الاجنبية كمجموعة السوق الأوروبية المشتركة ، ومجموعة «الأندين» لدول أميركا الوسطى .. وغيرها ، واللجوء بدلا من ذلك الى تطوير صيغة اكثر تلاؤما مع الشخصية والبيئة الخليجيتين ، وينصح المؤلف فى هذا المجال ، بالاسترشاد باسلوب المشروعات المشتركة التى انشئت فى إطار منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول (اوابيك) والاخذ بالدروس المستفادة منها ، فضلا عن وجود عدد من المنظمات الاقليمية المتخصصة ، وفى مقدمتها منظمة الخليج للاستشارات الصناعية التى يمكن أن تسهم بخبراتها العلمية والعملية فى بلورة نماذج واساليب تشكل إطار النظام القانونى للمشروعات الخليجية المشتركة ، على أن يتم ربط هذه المشروعات باستراتيجية اقتصادية خليجية موحدة ، هدفها إعادة بناء الهيكل الاقتصادى لدول الخليج العربية من ناحية ، وربطها باستراتيجية العمل الاقتصادى العربى المشترك من ناحية اخرى .

ويحذر المؤلف من الاستناد بشكل احادى الجانب الى اعتبارات «السوق» ـ أو ما يسمى بـ «الاربحية» ـ أى نظرية النفقات النسبية المطبقة فى بعض تجمعات الدول الصناعية ، حتى ولو ادى ذلك فى البداية الى زيادة حجم كلفة مشروعات التكامل ، إذ لابد عند تخطيط عملية التكامل الاقتصادى لدول الخليج العربية ، من اخذ هذه المسالة فى الاعتبار ، واحتسابها عبئاً لابد من تحمله ليعطى على المدى البعيد عائداً مجزياً يتمثل فى تحقيق مزيد من الاستقلال الاقتصادى ، وإقامة هيكل اقتصادى متنوع ومتوازن التكوين ، يشبع الحاجات الأساسية لشعوب المنطقة .

اما بالنسبة لتهيئة كافة الظروف المناسبة لنجاح تجربة التكامل الاقتصادى بين الدول الست ، فقد اقترح الدكتور مرسي «نظاما قانونيا متكاملا يهيىء إطاراً منسقاً تعمل من خلاله المشروعات الخليجية المشتركة ، وتمارس بمقتضاه نشاطها فى جميع الدول الاعضاء بمجلس التعاون وفق قواعد قانونية وتعامل وامتيازات موحدة تحقق لها الاستقرار والاستقلال القانونى والفاعلية والدعم» ... ويتلخص هذا النظام القانونى الذى يقترحه المؤلف فى البنود الثلاثة التالية :

١ ـ اسلوب توحيد القوانين : وهذا الأسلوب يقوم على تبنى دول الخليج العربية الأعضاء بمجلس التعاون قانونا موحداً يتضمن منح معاملة وطنية واحدة للمشروعات المشتركة للتكامل .

٢ ـ أسلوب وضع المشروعات القائمة فى إطار جديد : ويتلخص هذا الأسلوب فى اكتساب المشاريع القائمة فى إقليم ما ، إطاراً جديداً يسمح لها بحرية العمل ، ومد وتوسيع نشاطها الى بقية الدول الاعضاء فى مجلس التعاون . على أن ذلك يقتضى بالضرورة وضع نظام جديد للشركات التجارية متعددة الجنسية ، بحيث تخضع هذه الشركات إما للقوانين المحلية لكل دولة عضو ، أو لنظام قانونى إقليمى يتم التوصل اليه بالاتفاق فيما بين الدول الأعضاء ، كما ان هذا الأسلوب يتطلب وضع تشريع مستقل للتحكيم من اجل ضمان وحدة الاجتهاد والتفسير القانونى وفض المنازعات .

٣ ـ أسلوب منح صفة الوضع الخاص

للمشروعات المشتركة : وفقا لهذا الأسلوب لابد من وضع إطار مسبق ينظم إقامة المشروعات الاقتصادية المشتركة ، وتبعا لذلك فان الدول الأعضاء فى المجلس يتوجب عليها الاتفاق على حدة لكل حالة من أو مشروع ، بحيث يتم منح صفة «الوضع الخاص» لمشروعات معينة يتم انشاؤها على أراضى احدى دول مجلس التعاون ، ويتم اختيار هذه المشروعات وفقا لمعايير معينة ، كالمجال الذى ستمارس فيه الشركة صاحبة المشروع نشاطها ، ونسبة مشاركة كل دولة فى راس المال وعدد هذه الدول ، ومدى خضوعها لقيود شراء المواد الخام اللازمة للانتاج ، وقيام هذه الشركة بتسويق انتاجها فى المنطقة (منطقة الخليج) ،ومدى إعفاء المنتجات من الرسوم والضرائب ، او خضوعها لتعرفة موحدة ، ومدى حرية هذه الشركة فى ممارسة نشاطها فى أسواق الدول الاعضاء ، كما لو كانت سوقا محلية موحدة .. الخ .

عوامل ايجابية

من المعروف أن التكامل الاقتصادى ليس عملية عفوية ، بل هو عملية معقدة تتطلب جهوداً متواصلة عبر مراحل زمنية متتالية للتوفيق بين عوامل التباعد والتقارب داخل التجمع الاقتصادى الاقليمى المعنى ، ولهذا فان توفر الحد الأدنى من عوامل التقارب والتوافق الاجتماعي والاقتصادي والسياسى يوفر بدوره قاعدة لنجاح عملية التكامل الاقتصادى ، وبالنسبة لدول الخليج العربية الأعضاء فى مجلس التعاون ، فان العوامل الايجابية الموحدة او المقربة كثيرة والحمد لله ، مما يدفع عملية التكامل الاقتصادى فيما بين هذه الدول الى الأمام ، مادامت النوايا لاحراز النجاح متوافرة ، ومادام الطموح والشعور الوطنى والقومى هو الارضية التى تنطلق منها هذه النوايا . ويمكن الاشارة الى هذه العوامل الايجابية بايجاز ، بالتجانس بين شعوب المنطقة ، وتشابه العوامل البيئية والمناخية والجغرافية الى حد التطابق احيانا كثيرة ، فشعوب المنطقة عربية تجمعها رابطة الدم والقربى اضافة الى روابط الدين واللغة والتاريخ المشترك ، كما ان ارض دول الخليج هى ارض واحدة أصلا ، إذ ليس بين الدولة والاخرى اية تضاريس أرضية تمنع التفاعل الحياتى او تحد منه بين شعوبها ، كالجبال الشاهقة والبحار أو الصحارى القاحلة او الانهار الكبيرة ، كما ان الأنظمة السياسية لدول مجلس التعاون الست هى انظمة متقاربة او متشابهة فى اسسها الفلسفية والمذهبية وهذه العوامل مضافة الى التقارب فى فلسفة النظم الاقتصادى لكل دولة منها ، تعتبر عوامل مساعدة على إنجاح التكامل الاقتصادى المنشود . لكن المؤلف يشير الى نقطة هامة جداً هنا ، وهى أن عملية التكامل لا يمكن لها ان تؤتي ثمارها إلا بتوفير عامل الثقة المتبادلة بين دول مجلس التعاون ، ذلك ان جهود التكامل لا تفرز نتائجها الطيبة لكافة الأطراف ، إلا بعد انقضاء فترة زمنية ، فاذا لم يتوفر الحد الأدنى المطلوب فى هذا المجال ، فان عملية التكامل الاقتصادى تكون محفوفة بالاخطار ولذلك يطالب المؤلف بان تنطلق عملية التكامل دفعة واحدة ، وفى جميع المجالات من سياسية واقتصادية وثقافية .. الخ ، وذلك بسبب الطبيعة المعقدة والمركبة لعملية التوحيد الاقتصادى ، وبسبب التفاعل المتبادل بين جوانبها وعواملها المتعددة .

لذا فان عملية التكامل الاقتصادى بين دول مجلس التعاون الخليجى ، يجب أن تكتسب بالضرورة بعداً استراتيجيا ، حيث أن هذه الدول لا تشكل وحدة جغرافية وتاريخية متجانسة ومتصلة فحسب ، بل إن لها موقعا محدداً فى خريطة الصراعات السياسية والاقتصادية الدولية المعاصرة ، فهى تشترك فى مواجهة مجموعة من المخاطر والاعتبارات السياسية والامنية تضيف بالضرورة بعداً سياسياً واستراتيجياً لا غنى عنه لأية عملية تعاون او تكامل اقتصادي بين دول الخليج العربية ، على حد تعبير الدكتور محمود عبد الفضيل .

تقييم عام .. ونقد

لقد جاء كتاب « مجلس التعاون لدول الخليج العربية ـ الخصوصية الخليجية والمداخل المناسبة لتحقيق التكامل الاقتصادى » للدكتور مصطفى عبد العزيز مرسي ، والذى تولت وزارة خارجية دولة قطر نشره وتقديمه الى القارىء العربي ، ليضيف جديداً الى المكتبة الخليجية بشكل خاص والمكتبة العربية بشكل عام ، فهذه الدراسة الموضوعية والجادة حاولت استشراف آفاق المستقبل بالنسبة للتعاون والتكامل الاقتصادي بين دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، وقد تمكن الباحث من رسم اطار محدد احيانا ، وعام احيانا للتكامل الاقتصادي الخليجي ، وإذا كان قد اصاب الى حد بعيد في وضع صورة للتنسيق بين الدول الست في المجال الاقتصادي ، فانه اكتفى بالتلميح والاشارة الى مسالة التنسيق الأمني والدفاعي ، علما بان هذه المسالة شديدة الاهمية بالنسبة للتكامل الاقتصادي ، لارتباط عملية التكامل والازدهار الاقتصادي بتنسيق السياسات الأمنية والدفاعية بما يعزز الكيان الاقتصادي لدول الخليج ، ويحميه من العواصف الطارئة ، وكنا نتمنى لو ان الدكتور مرسي توسع في هذه المسالة ، ولعل هذا التمني يجد قبولا لدى الباحث ويتحقق فى الطبعات التالية من الكتاب ، او في دراسة جديدة تفرد لهذه الغاية .

اما النقد الرئيسي الذى يوجه للكتاب ، فهو الأخطاء اللغوية العديدة ، والفادحة احيانا ، التى وقع فيها الكاتب ، وكان من الأجدر في راينا عرض مسودة الكتاب على اختصاصي في اللغة العربية قبل دفعه الى المطبعة ، وهذا ما ناملة من المؤلف في الطبعة الثانية . لكن هذه المسالة ـ على الرغم من اهميتها ـ فانها لا تبخس الكتاب قيمته وحقه فى استيفاء المادة العلمية والمنهج العلمي الموضوعي في البحث ، وهذا ما يدفعنا الى القول إن كتاب الدكتور مصطفى عبد العزيز مرسي حول الخصوصية الخليجية للتكامل الاقتصادي بين دول مجلس التعاون يستحق التقدير والقراءة المتانية .

الواقــع الاقتصــادي في دول مجـلس التـعاون خــلال عــام

اللجان والهيئات

عقدت اللجان المختلفة المتفرعة عن المجلس سلسلة من الاجتماعات لمناقشة المشاريع الاقتصادية التكاملية المختلفة ، وتحديد التوصيات بشانها ، وذلك خلال فترة اقصاها سنة واحدة ، تمتد ما بين ٢٥ ايار (مايو) ١٩٨٢ ، إلى ٢٥ ايار (مايو) ١٩٨٣ . اما هذه اللجان فهي :

١ ـ لجنة التعاون الصناعي : وتضم فى عضويتها وزراء الصناعة فى دول مجلس التعاون .

٢ ـ لجنة المسؤولين عن شركات الصناعات الأساسية ، وتتكون من كبار المسؤولين عن شركات الصناعات الاساسية بدول المجلس .

٣ ـ لجنة تبادل المعلومات . وهى لجنة فنية تشكلت بناء على قرار صادر عن لجنة التعاون الصناعي .

٤ ـ لجنة المسؤولين عن التسويق فى شركات الصناعات الأساسية : وهى لجنة فنية منبثقة عن لجنة المسؤولين عن شركات الصناعات الأساسية .

٥ ـ لجنة المسؤولين عن التدريب فى شركات الصناعات الأساسية : وهى ايضا احدى اللجان المنبثقة عن لجنة المسؤولين عن شركات الصناعات الأساسية .

٦ ـ لجنة المسؤولين عن صناعة الأسمنت بدول المجلس . وقد تكونت هذه اللجنة بناء على دعوة من المسؤولين عن شركات الصناعات الأساسية بدول مجلس التعاون .

٧ ـ لجنة المسؤولين عن صناعة الحديد والصلب بين المملكة العربية السعودية ودولة قطر : وهى تضم المسئولين عن هذه الصناعة فى الدولتين .

٨ ـ لجنة المسؤولين عن صناعة الحديد والصلب بدول مجلس التعاون : وهى تضم جميع المسؤولين بدول المجلس الست عن مجال هذه الصناعة .

٩ ـ فريق عمل صناعة الالمنيوم فى شركة « البا » و « دوبال » : ويتكون هذا الفريق من المسؤولين عن شركة « البا » بالبحرين ، وشركة « دوبال » بدبي .

١٠ ـ لجنة المسؤولين عن صناعة الالمنيوم بدول المجلس : وتضم فى عضويتهـا المسؤولين عن صناعة الالمنيوم فى جميع دول المجلس .

١١ ـ فريق العمل الفني : ويضم الفنيين والمختصين فى مجالي التكنولوجيا والصيانة وقطع الغيار .

الانجازات

وتتحدث « الورقة الاقتصادية عن الانجازات التى حققتها اللجان والهيئات المختلفة المتفرعة عن مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، فى مجالات الصناعة ، والطاقة (البترول) ، والتعاون المالي والاقتصادي ، وما تم تنفيذه بالنسبة لموضوعى الاتفاقية الاقتصادية الموحدة والجمارك ، ثم فى مجال الاستثمار المشترك ، ومجال البنوك المركزية والمؤسسات النقدية ، ومجال التعاون التجارى ، ثم الزراعة والمياه والثروتين السمكية والحيوانية ، ثم مجال الاسكان ، والمجال البلدى ، والنقل والمواصلات ، والكهرباء ، ومجال التعاون بين دواوين المراقبة والمحاسبة ، ومجال التعاون العلمى والتكنولوجى ، ثم اخيراً مجال التكامل والتنمية .

المنجزات الصناعية

وبالنسبة للمنجزات والتوصيات فى الحقل الصناعي ، تشير « الورقة الاقتصادية » الى تحويل الهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس ، الى هيئة خليجية تسمى « هيئة المواصفات والمقاييس لدول مجلس التعاون » ، ثم القرار الذى اتخذه وزراء الصناعة ، بشان نماذج الاتفاقيات الخاصة بعقود التكنولوجيا وهى : اتفاقية الترخيص ـ اتفاقية الهندسة الأساسية ـ الاتفاقية التفصيلية ـ اتفاقية الانشاء والتركيبات ـ اتفاقية الشراء ، وتعتبر هذه الاتفاقيات الحد الأدنى للتعاقد على انشاء المشاريع الصناعية الأساسية بدول المجلس ، كما وافقت لجنة التعاون الصناعى ، على نموذج اتفاقية التدريب المشتركة الموحدة ، بين شركات الصناعات الأساسية بدول مجلس التعاون الست ، كما وافقت نفس اللجنة على منح الدول الاعضاء حق الاولوية بالنسبة لاستيراد الأسمنت الفائض لدى اي منها ، باستخدام الاسمنت الخليجي ، وقد قامت الأمانة العامة لمجلس التعاون باعداد زيارة لوفد من المسؤولين عن التدريب في دولة الامارات العربية المتحدة ، الى كل من مراكز ومعاهد التدريب في المملكة العربية السعودية ودولة

البحرين ، وذلك تنفيذاً لقرارات لجنة التعاون الصناعي بهذا الشان ، كما وافقت اللجنة على تشكيل لجنة للحديد والصلب تضم جميع دول المجلس ، وقد وافق المسؤولون عن شركات الصناعة الاساسية على تشكيل فريق عمل لصناعة الالمنيوم تتمثل فيه دول المجلس الست ويشترك فيه ممثلون عن مختلف مراحل هذه الصناعة .

وبالنسبة للدراسات التي انجزت او تلك التي ما تزال في مرحلة التنفيذ في المجال الصناعي اشارت « الورقة الاقتصادية » ، بين امور اخرى الى قرار لوزراء الصناعة ، كلفوا الامانة العامة بموجبه باعداد بيانات بالمنتجات المطلوب دعمها وحمايتها واعداد الدراسات اللازمة لها ، كما كلف المدراء العاملون للجمارك الامانة العامة باعداد قوائم تتضمن اسماء المصانع فى دول المجلس الست ، مرفقة بمعلومات كاملة عن هذه المصانع ، وذلك بهدف اخراج دليل صناعي لاستخدامه من قبل سلطات الجمارك ، وقد قامت الامانة العامة بالتعاون مع بيوت الخبرة في دول المجلس ، باعداد هذه الدراسات الصناعية .

كما أن الأمانة العامة تقوم حالياً باجراء مسح شامل للمواد الخام ونصف المصنعة في دول مجلس التعاون بغرض استغلالها وتطويرها .. وذلك بالتعاون مع منظمة الامم المتحدة للانماء الصناعي (اليونيدو) ، وبالاضافة الى ذلك فان الأمانة العامة تقوم بتكليف من لجنة التعاون الصناعي ، بدراسة امكانية انشاء صناعات مشتركة في مجالات العقاقير الدوائية ، ومواد البناء والمواد المستخدمة في قطاع الكهرباء .

المنجزات في مجال الطاقة

لا يخفى ما للبترول من اهمية فائقة فى حياة دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، باعتباره المورد الرئيسي الذى تعتمد عليه هذه الدول ، لذلك كان النفط احد المجالات الرئيسية التى قامت الامانة العامة بالتنسيق بشانها بين دول المجلس ، الأمر الذى ادى الى عقد العديد من الاجتماعات الوزارية ، واجتماعات اللجان المنبثقة عنها فى المجال النفطي ، وقد اسفرت هذه الاجتماعات عن وضع اهداف ملموسة وقيام تنسيق اوثق بين دول مجلس التعاون فى هذا الاطار ، وتشير « الورقة » الى المنجزات التى تحققت فى المجال النفطى ، واهمها : التسويق ، حيث تم خلال الاجتماعات الوزارية او اجتماعات اللجان ، الاتفاق على تنسيق بعض الامور الخاصة بمجالات التسويق ، واعداد بعض الدراسات فى مجال الأسعار ، وتوقعات العرض والطلب فى العالم على المدى البعيد بالنسبة للنفط ، كما تم الاتفاق على تبادل المعلومات والاستفادة من تجارب بعض الدول فى شتى المجالات المتعلقة بالاستكشاف والانتاج النفطى ، كتدعيم توظيف المواطنين فى شركة الاستكشاف والانتاج ، وكاتفاقيات الامتياز والتعاقد مع الشركات الاستشارية ، وكيفية تقييم انواع الخدمات المقدمة من هذه الشركات . وفى اطار التدريب وتنمية القوى العاملة المحلية اتجهت الجهود الى وضع الحوافز المادية والمعنوية ، لاحلال المواطنين فى الدول الست مكان المتعاقدين الاجانب ، اضافة الى تطوير مراكز التدريب ، وعقد ندوات متخصصة فى مجال تنمية الموارد البشرية فى القطاع البترولى .

واشارت « الورقة » ايضا الى « مشروع مصفاة عمان » الذى تشارك فيه جميع دول المجلس ، والذى يقدر ان يكتمل فى غضون سنوات قليلة ، كما اشارت الى دراستين يجرى اعدادهما حاليا لاقامة مشروع لصناعة الزيوت الاساسية ، وللتعاون فى مجال تكرير النفط .

أما بالنسبة للغاز ، فان امام الدورة الخليجية الرابعة ، توصية اعدها وكلاء وزارات الكهرباء بدول مجلس التعاون ، تقضي بانشاء شبكة انابيب للغاز تربط ما بين الحقول الغازية في بعض الدول الاعضاء ، وما بين مراكز استهلاكه في المنشات الصناعية في بقية دول المجلس ، والامانة العامة في طور القيام بدراسة اقتصادية دقيقة لمشروع شبكة انابيب الغاز المقترح .

وتشير « الورقة » ، ايضا الى توجه دول المجلس الست الى انتهاج سياسة مشتركة لتطوير الطاقة الاخرى : الشمسية والنووية ، اضافة الى تشجيع البحوث لاغراض انتاج الكهرباء وتحلية مياه البحر .

المنجزات على الصعيدين المالي والاقتصادي

توضح « ورقة العمل » في هذا المجال ، الى اقرار لجنة التعاون المالي والاقتصادي وضع بيانات مقارنة عن الرسوم الجمركية المطبقة في مختلف دول المجلس للاستفادة منها ، وتوضح ايضاً أن اللجنة المذكورة وافقت على انشاء « مؤسسة الخليج العربي الاستثماري » كماوافقت على سلسلة من الاجراءات الآلية الى تسهيل العبور في المجالات الصناعية والزراعية والثروة الحيوانية والسمكية والمقاولات ، كخطوة اولية ، واشارت «الورقة» الى موافقة اللجنة المذكورة على تشكيل لجنة متخصصة من محافظي المؤسسات النقدية والبنوك المركزية ، على ان تعقد هذه اللجنة اجتماعاتها في اطار الأمانة العامة .

وبالنسبة لما تم تنفيذه من الاتفاقية الاقتصادية الموحدة والجمارك ، اوضحت « الورقة » انه اضافة إلى موضوعى العبور (الترانزيت) ، وحرية ممارسة النشاط الاقتصادى لمواطنى دول مجلس التعاون على جميع اراضى هذه الدول ، فانه تم كذلك اعفاء المنتجات الزراعية والحيوانية والصناعية ، ومنتجات الثروات الطبيعية ، من الرسوم الجمركية ، والرسوم ذات الاثر المماثل ، كما تم إضفاء صفة وسائل النقل الوطنية على وسائط النقل العائدة لمواطنى اى من دول المجلس الست ومنحت التسهيلات اللازمة للبواخر والسفن والقوارب المملوكة لأى من الدول الاعضاء ، وتقرر معاملتها كمثيلاتها الوطنية ، سواء لدى رسوها فى موانىء الدول الست ، أو مرورها فيها .

اما على صعيد الجمارك ، فقد قامت الامانة العامة ، باعداد وتوزيع قوائم تتضمن الجهات الرسمية المختصة باصدار شهادات المنشا للمنتجات الوطنية : (الصناعية والزراعية والحيوانية ومنتجات الثروة الطبيعية) ، على الجهات المختصة بالدول الأعضاء ، كما اعدت

الامانة العامة ، بيان (منافست) العبور (الترانزيت) ، وبيان (منافست) التصدير واللذين كان المدراء العامون للجمارك قد طلبوا من الامانة العامة اعدادهما ، وقد تم ارسالهما الى الجهات المختصة فى الدول الاعضاء .

كما وزعت الامانة العامة قوائم بالبضائع الممنوع والمقيد دخولها الى كل دولة من الدول الاعضاء وفقا لانظمتها المحلية ، وتم عبر الامانة العامة تبادل نماذج تواقيع موظفى الجمرك المسؤولين عن التوقيع على شهادات الابراء ، وكذلك الاختام الجمركية الرسمية .

وفى الاطار الجمركي ، اوصت لجنة المدراء العاملين فى الجمارك ، بالسماح باستيراد وتصدير المنتجات الوطنية من والى الدول الاعضاء ، دونما حاجة الى اى اجراءات باستثناء تقديم شهادات المنشا وبيان (منافست) التصدير ، حسبما نصت على ذلك الاتفاقية الاقتصادية الموحدة لدول المجلس .

الانجازات على الصعيد التجاري

اشارت « ورقة العمل » الى عدة قرارات اتخذها وزراء التجارة بدول مجلس التعاون ابرزها ، تشكيل لجان متخصصة للقيام بالتفاوض بشكل جماعى مع مصدرى السلع الرئيسية الى دول المجلس الست ، ثم تشكيل لجنة من المسؤولين عن برامج الأمن الغذائى الاستراتيجى بدول المجلس ، بهدف اقتراح السياسات اللازمة لتنسيق سياسات تكوين المخزون الغـــذائى الاستراتيجى ، والتنسيق بين البرامج الموضوعة ، والاتفاق على حد ادنى لهذا المخزون ، ووضع نظام لتبادل المخزون فى الحالات الطارئة . وكان بين اهم التوصيات التى اتخذتها هذه اللجنة ، انشاء هيئة مركزية مستقلة للمخزون الغذائى من ممثلين عن الدول الاعضاء ، تقوم بادارة المخزون .

كما تقرر القيام بنشاطات واسعة فى مجال المعارض المحلية المتبادلة ، او المشاركة فى المعارض الاقليمية والدولية بصفة مشتركة .

المنجزات على صعيد الزراعــة والميــاه

اعدت الامانة العامة بتكليف من وزراء الزراعة والمياه بدول مجلس التعاون ، مشروع سياسة زراعية مشتركة لـدول المجلس تنطلق من التنمية الذاتية وزيادة الانتاج وتشجيع المشاريع المشـــتركة بمساهمة القطاع الخاص ، وسيتم عرض هذا المشروع على الدول الاعضاء قريبا . كما اقر الوزراء تكوين لجنة دائمة للمياه واستعمالات الأراضي ، لوضع التشريعات المائية الموحدة ، واقتراح افضل السبل لاستخدامات المياه للزراعة والمحافظة عليها واقروا كذلك تشكيل لجنة من المختصين لتوحيد تشريعات الحجر الزراعى والبيطرى ، وتشكيل لجنة اخرى لاعداد خطة متكاملة للانتاج الحيوانى ، وهناك ورقة عمل عن المخزون السمكي بدول المجلس امام لجنة الثروة السمكية .

مجال الاســكان

اما فى مجال الاسكان ، فان وزراء الاسكان بدول مجلس التعاون قد اقروا عدة اجراءات ترمي إلى تحسين نوعيــــة الابنية ، وفرض رقابة على مواد التشييد واعمال المقاولات ، وبين هذه الاجراءات : توحيد المواصفات القياسية لقطاع التشييد ومواد البناء ـ اعطاء الأولوية فى مشاريع الأسكان لمواد البناء المتوفرة والمصنعة فى دول المجلس متى كانت تتفق مع المواصفات الموضوعة ـ تشجيع المشــاركة بين المؤسسات العاملة فى مجال المقاولات بدول المجلس ، وكذلك المكاتب الهندسية ، وذلك لتحقيق الاندماج الاقتصادى وتحسين مستويات الأداء ـ العمل على توحيد اسلوب تصنيف المقاولين وشروط تقييمهم فى دول المجلس .

النقل والمواصلات

شكل وزراء النقل والمواصلات بـــدول مجلس التعــاون لجنة دائمة تسـمى « اللجنة الاستشارية لشؤون النقل البرى والبحرى » وتضـم وكلاء الــوزارات ، وستعمل هذه اللجنة على اعداد دراسات وافية حول عدد من الموضوعات اهمها : دراسة جدوى ربط دول المجلس بخط حديدى ـ العمل على تطوير وتحسين شبكة الطرق البرية القائمة حالياً ـ العمل على توحيد المواصفات القياسية المتعلقة بالطرق ـ تعميق التعاون بين دول المجلس لمكافحة التلوث ـ ايجاد الحلول الكفيلة بالقضاء على القرصنة .

وبالنسبة للموانىء ، فقد قرر المسؤولون عن الموانىء ، توحيد مواقف دول المجلس فى المؤتمرات الملاحية وشركات التامين ، وكذلك توحيد المواقف وتبادل المعلومات فى المؤتمرات والندوات واجتماعات المنظمات الاقليمية والدولية .

الكهربــاء

فى مجال الكهرباء تقول « ورقة العمل » ان وكلاء وزارات الكهرباء شكلوا عدة لجان لرفع وتحسين الخدمة فى مجال الكهرباء بدول المجلس ، وهذه اللجان هى : لجنة الربط ـ لجنة ترشيد الاستهلاك الكهربائى ـ لجنة تحديد المعلومات التى ينبغى تبادلها ـ لجنة وضع مواصفات للمواد والمعدات الكهربائية والمائية ـ لجنــة التدريب . وقد اوصى الوكلاء بدراسة افضل السبل الكفيلة لتوفير الوقود النظيف لمحطات توليد الطاقة .

وتشير الورقة اخيراً الى ، تنظيم وتنمية التعاون بين دواوين المراقبة والمحاسبة ، وتدعيم وتوطيد الصلات فيما بينها فى شتى المجالات .

كما تشير الى تشكيل « لجنة التعاون العلمي والتكنولوجى » ، التى اتخذت عدة توصيات بشان توحيد وتنسيق المواقف لدول مجلس التعاون فى اجتماعات المنظمات والهيئات الاقليمية والدولية الخاصة بالشؤون العلمية والتكنولوجية ، وبشان قيام مراكز التكنولوجيا ومعاهد البحوث بدول المجلس ، بتبادل خطط وبرامج البحوث التى تعدها او تنوى القيام بها ، اضافة تبادل نتائج تطبيق هذه البحوث ، كما ان اللجنة تدرس جدوى انشاء مؤسسة للعلوم والتقنية لدول مجلس التعاون .

عذاب السؤال

شعر: يوسف رزوقة
تونس



حينَ أفتحُ زَوْبعَتي ، تنحَني نخلتانْ
فأدخلُ مملكَةَ الفِتْيةِ الشّرِسينْ
وأحْفرُ بالألمِ اللولَبيِّ كتابَ الجليدْ
فتطلع للفَرَجِ الأزلىِّ يدانْ
ويركضُ فى جسد الأقحوانِ دمٌ ..
هذه لغَةُ الوردِ حينَ تؤدّي صلاةَ الشّذَا
تتكثّفُ فى ساحَةِ القلبِ : نافورةٌ للظمأْ
تتنكرُ فى هيئَةِ امرأةٍ
وجهها القيرَوانىُّ زَرْبِيّةٌ للبكاءْ .

حين أفتحَ نافذتي ، تنحني زهرتانْ
تقول العصافيرُ لي : قفْ !
وغُصْ فى معاني الصفاءْ ،
وكن لي خمائلَ ظِلْ .

(بأى رحيقٍ تكبّلُ رأسَكَ ؟)
أوقفَني النِّفّري .. قال :
ـ قَعْ فى الظَلام لتبصرَ نَفْسَكَ (*) .
إني رأيت المراكبَ تغْرَقُ فى البَحْرِ لوحاً فلوحاً .
فقلتُ :
ـ وإنيَ أرى جثَثَ الخلْقِ يقلبهَا الموج سطْحاً فسَفْحاً
....
(وأغرقُ والنفَرى فى عذابِ السُّؤَالْ) .

(*) المواقف والمخاطبات : النفري .



هذه البسملة بالخط الكوفى مكتوبة على ارضية مزهرة ، من مقتنيات متحف اياصوفيا باستانبول ، ويعود تاريخها إلى سنة ١٢٩٠ م .



بسملة بالخط الكوفى على ارضية مورقة ومزهرة ، ويعود تاريخ كتابتها إلى القرن السادس عشر الميلادى

أجمل حرف في كل لغات العالم

عَبقرِيَّة العَرَب في خُطُوطِهِم

بقلم : الغمري عقل

● «إن الكتابة العربية أسهل كتابات الدنيا وأوضحها ، فمن العبث إجهاد النفس في ابتكار طريقة جديدة لتسهيل السهل وتوضيح الواضح»

المستشرق «ريتر» أستاذ اللغات الشرقية في جامعة استانبول

● «ما رأيت للعرب شيئاً أحسن من هذا الشكل .. وما أحسدهم على شيء حسدي على جمال حروفهم»

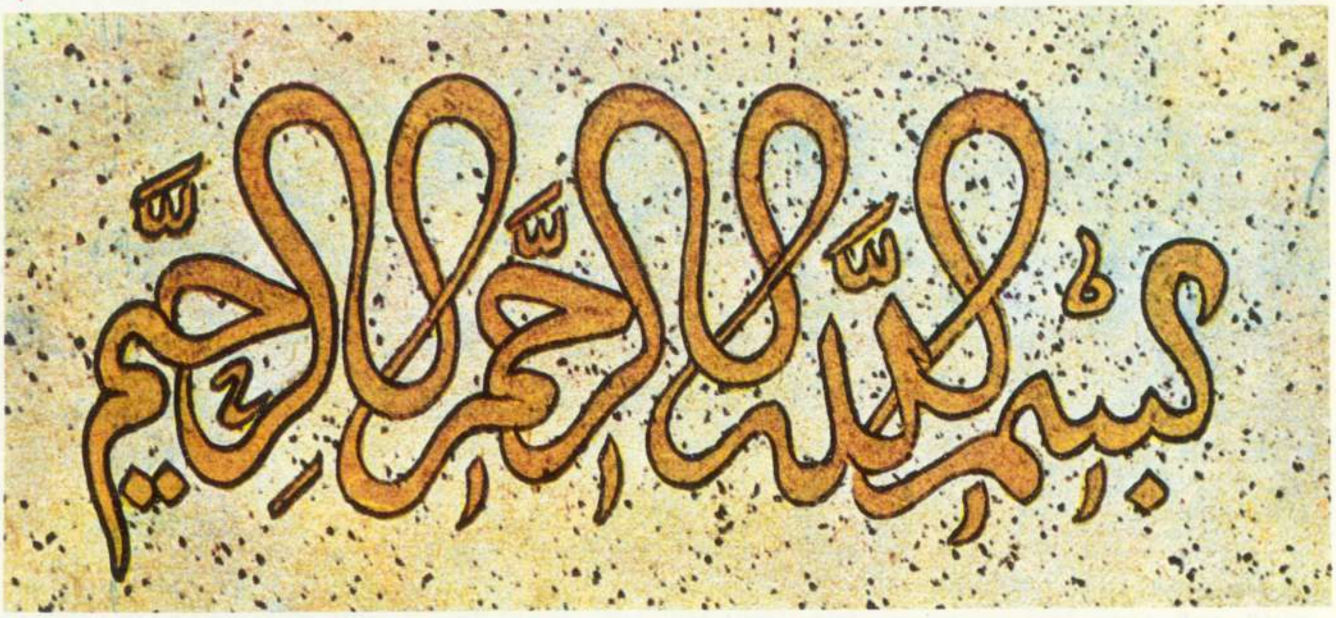
«ملك الروم» في عهد الخليفة المعتمد



بسملة من روائع خط اسمعيل الزهدى ، يعود تاريخ كتابتها إلى عام ١٠١٣ هـ .

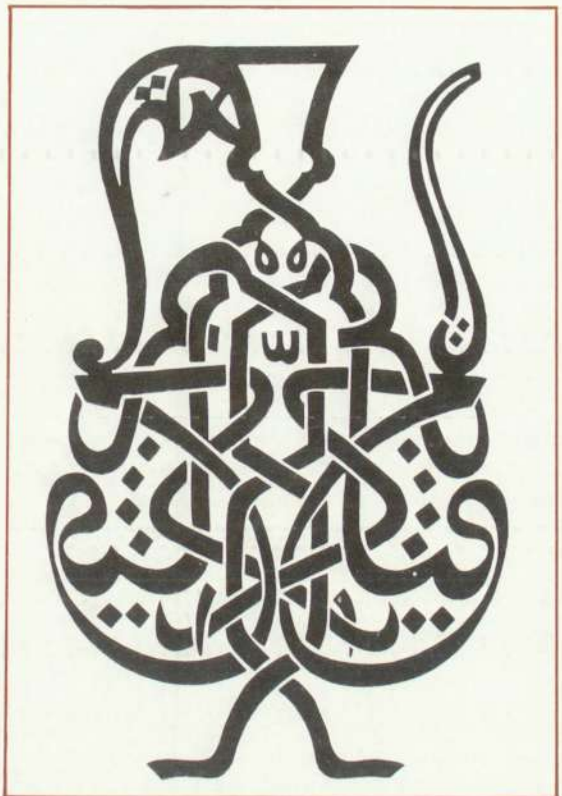


بسملة بالخط الثلث متصلة الكلمات ، يعود تاريخ كتابتها الى عام ١٣٧٨ م . وهى فى متحف ايا صوفيا باستانبول .

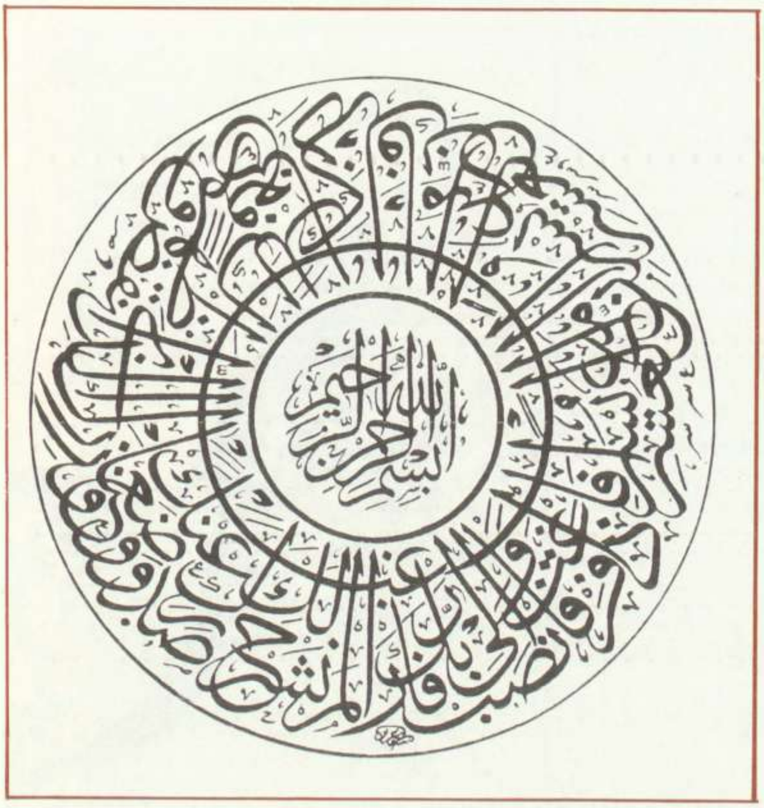


تعانى المكتبة العربية نقصاً شديداً فى الكتب والمراجع التى تتناول الفن العربى بالدرس ، ولهذا يعتبر صدور كتاب جديد فى هذا المضمار حدثاً عظيماً يطرب له المثقفون ويسعد به كل مهتم أو دارس أو ممارس .

وفى هذا العام أتحفنا الخطاط الكبير كامل البابا بكتابه القيم الهام « روح الخط العربى » ، الذى ترجع قيمته إلى أنه دراسة جادة لفن عربى عظيم نما وترعرع فى ظل الاسلام وبلغ قمة جماله وكماله فى كنف الخلافة الاسلامية .



ابريق مكون من كتابة جملة (يا فتاح يا كريم) كتبت مرتين بشكل أنيق متناظر .



لوحة بقلم الثلث للشيخ عبد العزيز الرفاعي تحوى كتابة سورة (الانشراح) بشكل دائرى .

والكتاب إلى جانب الافكار والمعلومات القيمة التى يزودنا بها عن فن الخط والخطاطين الكبار ، ضم بين صفحاته أروع اللوحات الخطية ذات المستوى الفنى الراقى والتى ظلت خالدة على مر العصور تبهر العين وتثير الخيال وتسمو بفكر الانسان ووجدانه إلى عالم من المتعة الروحية الصافية .

وأهمية الكتاب ترجع لأن مؤلفه ليس كاتباً فقط بل هو خطاط مبدع مارس هذا الفن محترفاً ما يقرب من خمسين عاماً قضاها فى بيروت يكتب للمجلات ودور النشر فى مختلف البلاد العربية ، كما قام بتدريس الخط فى كلية بيروت الشرعية وفى معهد الفنون الجميلة بالجامعة اللبنانية ، وكان يرعى كل موهبة تظهر فى ميدان الخط حتى تخرج على يديه كثير من الخطاطين المعروفين .

والكتاب دراسة تاريخية فنية للخط العربى ، استهلها المؤلف ببحث موجز عن أصل الكتابة العربية ، استعرض فيه ما سبق من نظريات محللا لها ومناقشا إياها .. وهذه النظريات ترجع أصل الكتابة العربية إلى الخط السريانى أو الكتابة الفينيقية أو الخط المصرى الهيروغليفى .. ويخلص من الاستعراض السريع لهذه النظريات إلى أن أصل الكتابة العربية هو الخط النبطى الذى كان يكتب به عرب الأنباط وكانوا يسكنون شمال الجزيرة العربية ، وقد أثبتت النقوش الأثرية التى اكتشفت حديثاً شبهاً كبيراً بين الخط النبطى والكتابة العربية !

تاريخ الخط

وقد عرف العرب الأوائل نوعين من الخط هما : الخط الكوفى نسبة إلى الكوفة التى كان منتشراً بها ، وخط التحرير وهو الخط البسيط السهل الذى كانت تكتب به الرسائل وعقود البيع والشراء وكل ما يقتضى السرعة فى الكتابة من أمور الحياة اليومية .

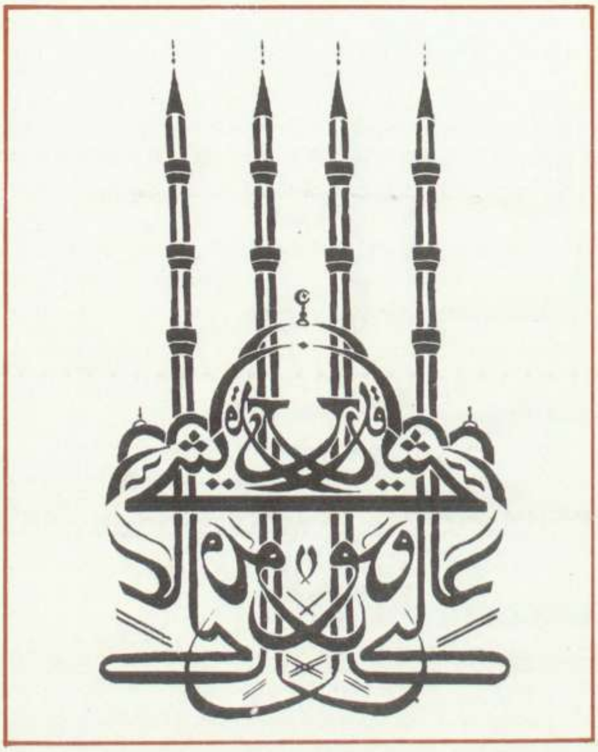
أما الخط الكوفى فقد كان هو السائد فى كتابة اللوحات وشواهد القبور وينقش على الجدران ، وظل الأمر كذلك طيلة ستة قرون ، ثم حل الخط النسخى محله .

وبالاطلاع على بعض الشواهد والآثار الخطية القديمة نحس مدى التطور الذى لحق بالخط الكوفى على مدى العصور .

كان العرب يكتبون الخط الكوفى بدون شكل أو تنقيط ، مكتفين بقدرتهم على القراءة الصحيحة دون الحاجة إلى ذلك ، ثم تغيرت الأحوال بدخول كثير من الأعاجم فى الدين الاسلامى ، وتفشى اللحن والتصحيف فى قراءة القران ، وبدت الحاجة ملحة لوضع ضوابط للقراءة والكتابة ، فوضع « أبو الأسود الأولى » قواعد الشكل بوضع النقطة بلون مخالف للون الكتابة الأصلية ، فالنقطة فوق الحرف ترمز للفتحة وتحته للكسرة وأمامه للضمة وترك الحرف الساكن بدون تنقيط . ثم جاء تلاميذ أبى الأسود من بعده فوضعوا النقط للحروف بنفس مداد الكتابة الأصلية لأن النقط من أصل الكلمة .

وقد تطور الخط الكوفى بعد ذلك وتعددت أشكاله فمنه المربع الهندسى والمورق ذو الزخارف النباتية والكوفى المجدل والكوفى المترابط المعقد .

وظل الخط الكوفى سائداً تكتب به المصاحف واللوحات وينقش على الجدران حتى وضع ابن مقلة الوزير قواعد الخط النسخى فاستحسنه العرب لجماله وسهولة كتابته ، وقد تولى ابن مقلة الوزارة ثلاث مرات ولكنه اشتهر بكتابة الخط وطغت هذه الشهرة على شهرته كوزير ، وكان إلمامه بالهندسة عاملا هاما فى قدرته



مآذن وقباب تقوم على كتابة كلمات الآية الكريمة (وهو على كل شيء قدير) وقد كتبت بخط الثلث وبشكل متناظر .



«سورة العصر» .. من روائع الخط الكوفي

الملهمين الأفذاذ لينطلقوا بهذا الفن الجليل إلى آفاق رحبة من القيم الجمالية والوصول به إلى قمة الكمال والجمال .

الانطلاقة الأولى

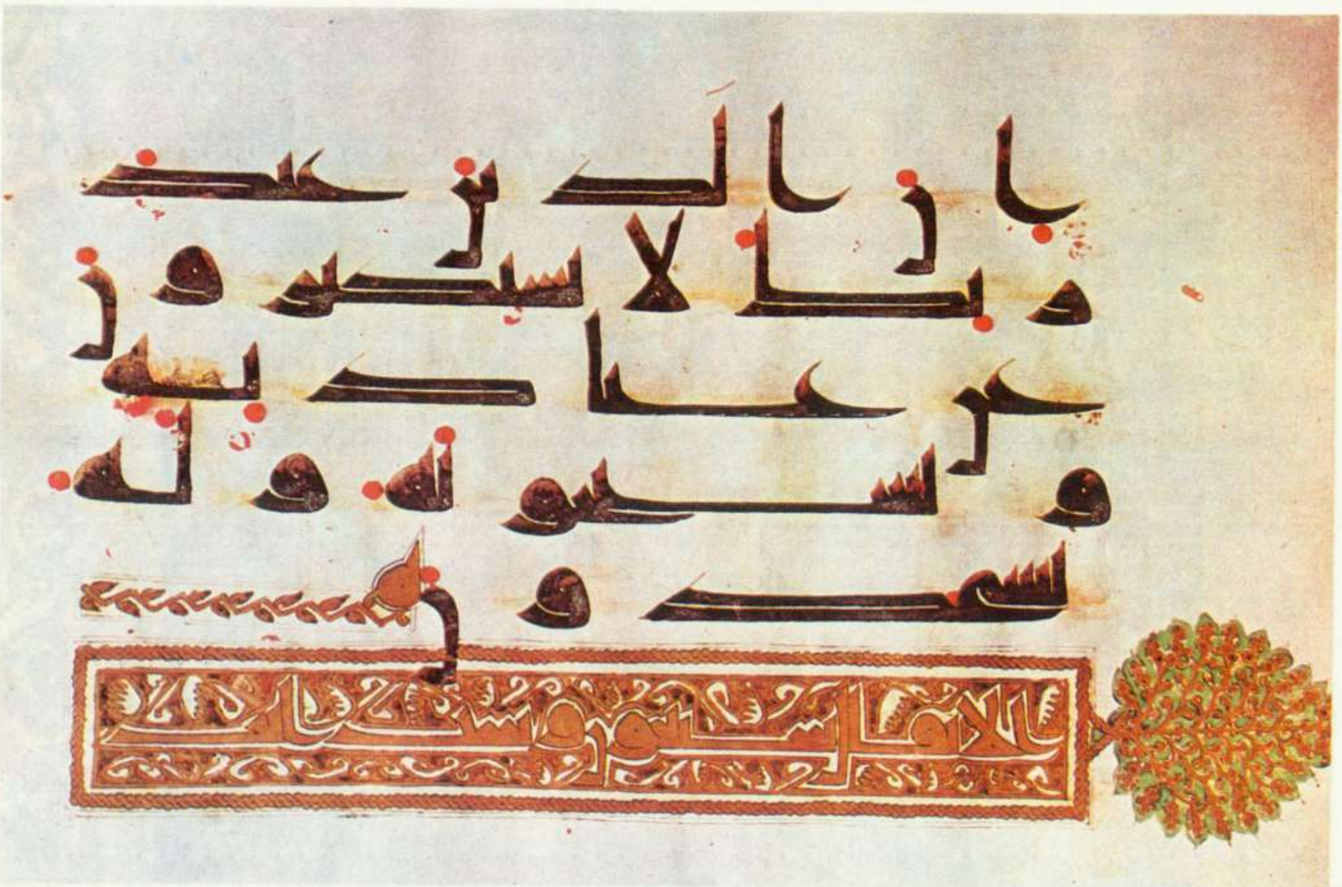
انطلق المسلمون الأوائل يفتحون البلاد والأمصار وينشرون الدين الاسلامى فى كل بقاع الأرض ومعهم لغتهم العربية التى استطاعت أن تمحو كثيراً من من اللغات وتحل محلها وتصبح هى اللغة التى يستخدمها أهل البلاد الأصليون . وقد استطاعت بعض اللغات الصمود والاستمرار ، ولكن الخط العربى أصبح الخط الذى تكتب به هذه اللغات ، فكتب به الايرانيون لغتهم الفارسية كما كتب به السلاجقة والعثمانيون لغتهم التركية .

وقد أهتم الايرانيون بكتابة الخط العربى وبلغ من حبهم له أنهم اخترعوا خطاً خاصاً بهم يسمى « التعليق » ثم جاء الخطاط الفارسى الموهوب «مير علي» فطور التعليق بادخال شيء من النسخ عليه وسماه « النستعليق » وقد تفننوا فى كتابته وأصبح خطهم المميز الذى نسميه بينهما فى كتاباتهم ، وتبدو هذه الظاهرة جلية واضحة فى كتابة المصاحف المغربية

ومن الرواد الأوائل الذين وضعوا قواعد الخط وضبطوا موازينه ابن البواب وياقوت المستعصى ، وقد استنبطا من خط النسخ أنواعاً عديدة من الخطوط لكل منها سماته الخاصة ومميزاته الفنية وفتحا الباب واسعاً أمام من جاء بعدهم من الخطاطين على تطوير فن الخط ووضع قواعده .

وقد جاء فى صبح الأعشى : « ثم انتهت جودة الخط وتحريره على رأس الثلاثمائة إلى الوزير أبى على ابن مقلة ، وهو الذى هندس الحروف وأجاد تحريرها ، وعنه انتشر الخط فى مشارق الأرض ومغاربها » .

والخط النسخى يعتبر صورة لينة للخط الكوفى الجاف ، وقد جمع أهل المغرب



كوفى مشكول على طريقة أبى الأسود الدؤلى



بسملة مكتوبة بخط الثلث على أرضية زخرفية كتبها الخطاط على البسطامى عام ١٤٥٥ م فى السلطنة العثمانية .

« الفارسى » نسبة إليهم .

أما الخطاطون الأتراك فقد برعوا فى كتابة الخط العربى وركزوا جهودهم فى إجادة خطى النسخ والثلث . وبلغ الخط العربى فى عهد العثمانيين ذروة الكمال والجمال . وخلف لنا الخطاطون الأتراك آثاراً خطية بالغة الروعة ، تدل على مدى تفوقهم وتربعهم على عرش هذا الفن ، واحتل الخطاط مكانة بارزة فى بلاد السلاطين العثمانيين ، وبلغ من شدة ولعهم بالخط أن بعض سلاطينهم تعلموا فن الخط على يد أساتذته الكبار وكان منهم خطاطون متفوقون كالسلطان محمود خان الذى تتلمذ على الخطاط مصطفى راقم ، والسلطان عبد الحميد الثانى الذى تتلمذ على يد الخطاط عزت ونال منه « إجازة » شهادة .

واخترع العثمانيون خطوطاً جديدة هى الديوانى والديوانى الجلى والرقعة ، وخط الرقعة نظراً لبساطته واختزاله وسهولة كتابته أصبح الخط المتداول الذى يكتب به كل الناس ويستخدم فى كتابة الرسائل والمعاملات اليوميـــــة فى كل الأقطار العربية .

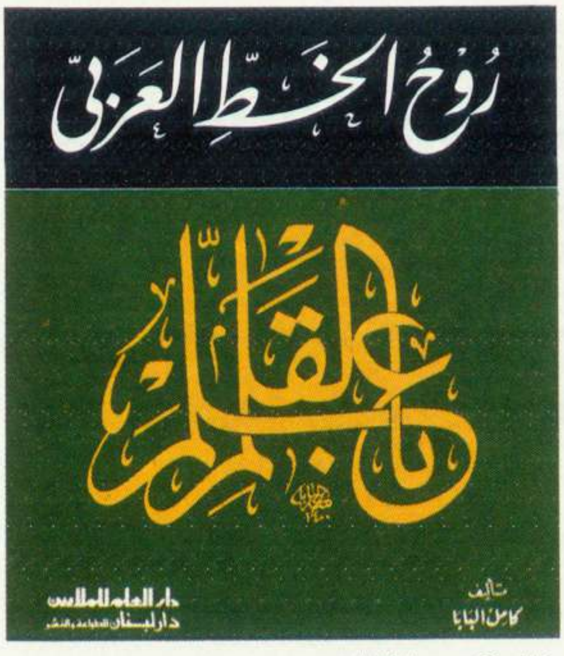
وأنواع الخطوط المعروفة لدينا الآن ستة . هى : الكوفى والثلث والنسخ



لوحة بشكل مزهرية تضم الآية الكريمة (يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا)



آنية من الخزف محلاة بالخط العربى



غلاف كتاب روح الخط العربى

والفارسى والرقعة والديوانى . يضاف إليها نوعان آخران هما الديوانى الجلى وهو نفس الخط الديوانى مضافاً إليه الشكل ، وخط الاجازة وهو مزيج من خطي الثلث والنسخ ، وسمى كذلك لأن الأســاتذة الخطاطين كانوا يكتبون به « الاجازة » أى الشهادة لتلاميذهم حتى يكون لهم حق ممارسة الكتابة .

وللأسف فان الشباب المتحمس للجديد لم يبدع أو يبتكر خطاً جديداً يضاف إلى الخطوط القديمة . وكل ما يحدث الآن هو اجتهادات ليست لهـا قواعد أو ضوابط ، وإنما تخضع لذوق الكاتب ومقدرته الفنية وكل خطاط يكتبها بطريقته ، ولم ترق أى من هذه المحاولات إلى الدرجــة التى تجعلهـا خطاً جديداً قائماً بذاته له سماته وقواعده الخاصة بحيث يســتطيع الخطاطون جميعاً أن يكتبوه بنفس الطريقة أى نفس المقاييس والنسب وإن تفاوتت المستويات الفنية كما حدث بالنسبة للخطوط المعروفة التى ابتدعها الخطاطون الأوائل .

ولكن ما هو السر وراء اتجاه الفنان المسلم إلى الخط العربى يخترع منه أشكالا متعددة ويستمر فى تطويره واتقانه وإجادته حتى يصل إلى هذه الدرجة من الكمال ؟



لوحة تضم الآية الكريمة (والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون) من خط المرحوم غزلان



آية بقلم الثلث (إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) بخط احمد كامل سنة ١٣٥٦ م .

السر يكمن فى بعض أحكام الاسلام التـى تتعلق بتحريـم الصور والتماثيل فانصرف المسلمون عن تزيين بيوتهم ومساجدهم باللوحات المصورة فاتجه الفنان المسلم إلى الخط العربى يفرغ فيه طاقاته الابداعية ويتخذ منه مادته للتصوير والتشكيل مستغلا إمكانيات الحرف العربى من رشاقة وانسياب لعمل لوحات غاية فى الجمال والروعة ، هذه اللوحات الجميلة كانت تحمل إلى جانب جمال المظهر ومتعة العين سمو المعنى وروعة الحكمة وترتفع بالانسان إلى أعلى درجات المتعـة الروحية .

وقد طوع الفنان المسلم بعض الجمل والآيات واستخدمها فى تصوير أشكال كثيرة كالنبات والحيوان والآلات . فالبسملة يمكن أن تكون على شكل طائر ، وجملة « لا إله إلا الله » تؤلف منظراً مكونا من قباب ومآذن .

وقد اكتسب الخط العربى مكانته لارتباطه بالقرآن فأبدع الخطاطون وتفننوا فى كتابة المصاحف وزخرفتها وكتابة الآيات القرآنية ، وعنوا عناية خاصة بكتابـة « البسملة » بسم الله الرحمن الرحيم فى صور رائعة متعددة . وكان حافزهم الأول فى هذا الابداع هو إيمانهم ، فهى آية من آيات القرآن تستفتح بها كل سورة من سوره ثم إن لها تأثيراً مباشراً فى سلوك المسلم اليومى فهو يرددها فى كل مناسبة وعندما يبـاشر أعماله أو يتناول طعامه وشرابه ، ويكتبها فى مطلع كتبه ورسائله وعقود بيعه وشرائه ، فهو يستبشر بها ويتفاءل ، وقد جاء فى الحديث الشريف « كل عمـل لا يبدأ ببسم الله فهو أبتر » أى مقطوع الخير والبركة .

فن الخط

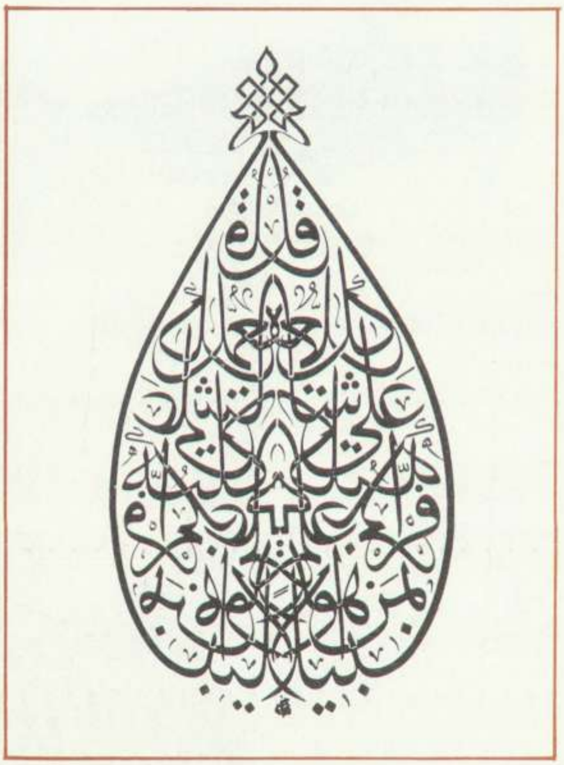
وكتابة الخط من الفنون الصعبة التى تحتاج إلى دراسة طويلة وممارسة دائمة واهتمام بالغ ، ويحتاج الخطاط لكى يحافظ على مستواه الفنى إلى ممارسة الكتابة كل يوم لا يكاد يتوقف يوماً واحداً . ومما يروى



لوحة تضم الآية الكريمة (رب اشرح لي صدرى ويسر لى امرى) كتبها المؤلف بقلم الثلث عام ١٤٠٢ م .



لوحة بقلم الثلث كتبها الشيخ عبد العزيز الرفاعى ، تتضمن الآية الكريمة (والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم)



هذا الشكل يتضمن كتابة الآية الكريمة (قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا) وقد كتبها الخطاط محمد شفيق .

عن الحافظ عثمان الخطاط التركى المعروف بأستاذيته والذى كتب المصحف عدة مرات « لو عرضت على الخطوط المختلفة التى أكتبها فى بحر الأسبوع لعرفت من بينها خطوط يوم السبت لأنها تكون أقل مرونة من خطوط بقية الأسبوع بسبب توقفى عن الكتابة يوم الجمعة » .

وإذا تأملنا اللوحة الخطية ودرسناها نجدها تحمل إلى جانب جمال الخط سمات أساسية هى : التناظر والانسجام وإحكام ترتيب الكلمات والتركيب وحسن التوزيع .

وقد استمر الخط عصوراً طويلة يستخدم فى كتابة اللوحات الفنية التى تزين البيوت والمساجد وينقش على الجدران . حتى جاء العصر الحديث بما يحمل من نهضة صناعية وتجارية استدعت بالضرورة ألوانا من الدعاية والاعلان ، فانفتح بذلك مجال تجارى كبير للخط والرسم فى كتابة اللافتات للمصانع والشركات والمحلات التجارية ، والاعلان عن نشاط هذه المؤسسات والشركات وعن منتجاتها المختلفة . ووجد الخطاطون فرصة للتجديد والابتكار وابتداع اشكال جديدة من الخطوط تكون أكثر مطاوعة وأقدر على التعبير والابهار ولفت الانظار .

ولما كان الرجوع إلى المنبع الأصلى والاغتراف منه وإظهاره فى ثوب جديد هو موضة هذا العصر ، فقد لجا الخطاطون إلى تراثهم الأصيل من الخطوط الكوفية الجميلة ينهلون منه ويختارون انسب الأشكال للأعمال التجارية والاعلانية وكتابة اغلفة الكتب والمجلات ولم يجدوا انسب من الخط الكوفى الهندسى المبسط الذى أصبح سائدا فى اغلب اعمالهم لبساطته وسهولة قراءته وكتابته ، فهو يرسم بالمسطرة والمثلث ولا يحتاج فى كتابته الى مهارة فائقة كبقية الخطوط ، بل ان من يجيد استعمال الأدوات الهندسية ويملك حسا جماليا يستطيع كتابة الخط الكوفى المبسط دون حاجة إلى خطاط .

الغمرى عقل

مطلوب من كل الآباء أن يقرأوا هذا المقال :

مستقبل الأطفال في يد العرائس والأراجوز والشطرنج !

بقلم : نادية يوسف



للعب فى حياة الصغير قيمة كبيرة .. فهو يدخل الخصب والتنوع فى حياته عامة .. وينفس عن توتره الجسمى والانفعالى .. كما يمكن أن يتعلم منه شيئاً جديداً عن نفسه أولا ، وعن العالم المحيط به .. بالاضافة الى أن اللعب يعتبر مفتاحاً هاماً للكبار يمكن من خلاله مساعدة الطفل على اكتشاف القدرات الكامنة فيه أو اجتياز ازمة أو بوادر اضطراب نفسى فى شخصيته .. ويعد اللعب فى حياة الطفل مرحلة هامة يمكن بعدها أن يبلغ مستوى من النضج العقلى والانفعالى .. تماماً كما يحدث فى الحيوانات الراقية .. حيث يكون اللعب فيها وسيلة للتعلم .. فالحِملان تُناطح فى لعبها وهى فى ذلك تبدو كما لو كانت تقوم بالتمرين على العمل الجدى فى المستقبل .. والقطط تطارد بعضها أثناء اللعب وتقوم بحركات تشبه تلك التى تقوم بها فى المستقبل لاصطياد فريستها .. وأمهات البجع تزج بفراخها قهرا الى المـاء لأول مرة لتلعب ثم تتعلم العوم .. والأسود أيضا تروض أشبالها وتدربهم على اقتناص



الحمل من المراعى القريبة .. وفرخ النسر أيضاً يلعب بتحريك عضلات جناحيه داخل العش .. ثم يدفع الى خارج العش تحت اشراف أبويه .. اللذين يشجعانه على الطيران بطيئاً بالقرب منهمـــا .. حتى لا يتسرب اليه اليأس .. وتارة يحـركان أجنحتهما ليقلدهما الصغير .. واذا وجدا أن صغيرهما على وشك السقوط مال أحدهما بجسمه تحت جسم هذا الصغير ودعمه وقاية لـه من شر الفشل والسقوط ..

واللعب بالنسبة للطفل ليس لعباً .. وانما هو عمل جدى هام بالنسبة له .. لأنه الميدان الوحيد الذى يعبر فيه عن نفسه بحرية .. ويتفاعل مع غيره من الأطفال .. ويتصرف معهم ويختبر قوته ..

والطفل فى كل مراحل عمره .. يعتمـد غالباً على اللعب كوسيلة للتعلم .. وهو من أفضل الطرق التى يكتشف بها الطفل الحياة ويكتشف خبرات جديدة عن نفسه وعن غيره من الأطفال .. فيبدأ فى تعديل سلوكه عن طريق المحاولة والخطأ أكثر من استغلاله لبصيرته .. وذلك لعدم نمو ادراكه الى الدرجة التى تمكنه من فهم العلاقات الوظيفية بين الأشياء فى بيئته .. وكذلك لعجزه اللغوى وعدم قدرته على تكوين المعانى .. فمثلا قد يلجأ الطفل فى لحظة اذا ما وجد صندوقاً مغلقاً إلى محاولات حتى يستطيع فتح باب الصندوق .. فاذا نجح فى ذلك وشعر بقدرته على الخروج قد يحاول فتح صندوق آخر أو يغلق نفس الصندوق ليحاول فتحه من جديد .. ولكن هذه المرة يضع يده مباشرة على المكان الذى يفتح منه الصندوق ويحاول استعماله .. وقد يكرر ذلك عدة مرات حتى يتعلم فتح الصندوق ..

والطفل الرضيع .. على الرغم من اعتماده على والديه لفترة طويلة .. الا انه يتعلم من لعبه معهم ، والمثيرات التى يتعرض لها من خلالهم .. تعديل سلوكه وبالتالى الى تعلم أنماط معينة من السلوك .. وهذه العملية تعتبر بداية التطبيـــع الاجتماعى .. لأن الطفل يشعر بالرضا اذا أشبعت حاجاته أثناء اللعب .. وبالضيق اذا أحبطت هذه الحاجات ..

ولكل مرحلة من مراحل عمر الطفل لعبها وألعابها الخاصة .. ولكل نوع من أنواع اللعب وظيفة فى عمليات النمو النفسى للطفل .. ولهذا كانت دراسة اللعب من أهم ما يشغل علماء التربية .. فعن طريقه يمكن أن تفهم الاحتياجات النفسية للطفل .. وعندما تفهم هـــذه الحاجـــات فانهم يستطيعون تعليمه أو علاجه ..

ومن حسن الحظ .. انه قد تغير موقف الآباء من اللعب فى السنوات الأخيرة .. مدركين بذلك أهمية اللعب للأطفال .. وأن حرمان الطفل من اللعب لا يؤدى الى قتل النزعة الى اللعب وانماء روح الجد بل ربما يؤدى الى سعى حثيث نحوه .. كما يؤدى أيضاً الى شغف دائم واشتياق شديد اليه .. وقد يؤدى الى اضطرابات سلوكية شديدة عند الطفل .. فالأطفال سوف يلعبون رضينا أم لم نرض .. فاللعب أمر طبيعى عندهم .. والأفضل لنا أن يلعب الطفل تحت اشرافنا بدلا من أن يلعب بعيداً عن أعيننا وبغير اشراف الكبار فى الأسرة .

شروط اللعب المنظم

عند اختيارنا للعب الطفل وألعابه لابد وأن يتم ذلك حسب شروط محددة منها أن يؤدى اللعب الى نشاط جسم الطفل .. واثارة فكره .. اتاحة الفرصة أمام الطفل للعب مع غيره من الأطفال والكبار أيضاً لتنمية ميله الى التعارف .. توفير فرص اللعب الابتكارى .. اتاحة الفرصة أمام الطفل ليفعل ما يريد فى حدود المعقـــول – وباختياره الخاص – توفير مكان مناسب يمكن للطفل أن يلعب فيه آمناً مع غيره أو بمفرده داخل البيت أو خارجه ..

ولكن مع ذلك فيجب أن يترك الأطفال لكى يظهروا مع لعبهم قدرة كبيرة على الابتكار والابداع .. ويظهروا كثيراً من الذكاء فى



رسم الخطط لانواع من النشاط ينفذونها بانفسهم .. ولا يتدخل الكبار الا اذا احتاجوا للتوجيه أو المساعدة لتنظيم اللعب فقط .. واكتشاف نواحى القوة والضعف فيهم وأيضاً فى اكتشاف المواهب والميول التى تعينهم على الاندماج فى المجتمع الحديث بكل تعقيداته - تعليم الطفل على حسن التصرف وايجاد الحلول المناسبة لمشكلاته .. اتاحة الوان من اللعب ذات هدف تساعده على ان يتعلم شيئاً جديداً .. تيسير أنواع كثيرة مختلفة من المواد والاهتمامات للطفل كى يفاضل بينها .. تدريب الطفل على احترام اللعب سواء كان لعبه أو لعب غيره ..

أنواع اللعب

من اللعب المستحسنة للرضيع العرائس والشخاشيخ - كرات المطاط أو البلاستيك - الاجراس . وينبغى أن تكون لعبة سهلة التنظيف .. لا يدخل فى تركيبها أى طلاء لانه يحتوى على الرصاص كما يجب ألا تكون ذات حواف حادة أو أطراف مدببة ..

والطفل الأكبر سناً .. الذى يبلغ من العمر عاماً الى ثلاثة أعوام .. يريد أشياء يمكنه أن يكون بها شيئاً جديداً .. ويشعر بسعادة كبيرة وهو يصنع اشياء تتسم بالابتكار حين يلعب ببضع أوان أو بصندوق من الورق المقوى .. أكثر مما يفعل اذا أعطى لعباً ميكانيكية غالية الثمن .. وقد يلعب وحده بعض الوقت ولكنه يريد من حين لآخر شخصاً آخر يلعب معه الكرة أو يقذفها أو يصغى اليه وهو يقلد حركة القراءة .. ويتلخص دور الكبار هنا فى أن يكونوا قريبين من الطفل .. بغير تدخل الا اذا بدت عليه امارات التعب والضيق .. والأطفال فى هذا السن ايضاً .. يستمتعون بجر الكراسى كالقطارات أو الصعود فوقها للقيام بدور السائق .. أو تمثيل دور الأب والأم ونسج القصص الحية حولها .. ولكن هناك أوقات لابد من اصطحاب الصغير الى أماكن خالية حيث اللعب أكثر حرية .. وخصوصاً فى الأطفال الذين يعانون ضيق المساكن .. وفى هذه المرحلة ايضاً تكون الفرصة مناسبة للأب أو الأم لكى يقدما له كتباً مصورة جميلة تساعده على تعلم الالوان والأشياء وأشكالها ووظائفها .. وأكثر ما يستمتع به اللعب البسيطة التى تنمى قدرته على التخيل والابتكار . وعادة يبدأ الطفل فى هذه السن تعلم عادة اللعب مع الأطفال الآخرين .. واذا كان فى الأسرة أطفال آخرون فان الطفل يصل الى هذه المرحلة أسرع مما يصل اليها اذا كان يقضى كل وقته مع الكبار .. ويتعلم الصغير قواعد اللعب الجماعى عن طريق المحاولة والخطأ والقدرة على التقليد . وايضاً بترقبه امكانية العقوبة التى يفرضها عليه الأطفال المشتركين معه فى اللعب اذا أخل بقوانين اللعب الجماعى ..

واللعب الجماعى يسهل قيام علاقات اجتماعية ناضجة .. وهو مالا يتوفر عادة فى اللعب الانفرادى .. لأن اللعب الجماعى يتيح للطفل فرصة التصرف على سجيته دون تكلف بالاضافة الى تقبل واحترام قوانين الجماعة الصغيرة .. والطفل يصل إلى حالة من التوازن بين الأخذ والعطاء بين الاعتماد على النفس والاعتماد على الغير كما يقول « هوبز » .. وذلك بفضل تعرفه على سلوك الأطفال الآخرين فى الجماعة وتقليده لتصرفاتهم .. اذن فالجماعة هنا تنمى وعي الطفل وادراكه بما تسوغه المجموعة من نشاط وأعمال .. فيبدأ الطفل فى تعديل سلوكه على ضوء استجابات الأطفال الآخرين فى الجماعة .. كما يمنح اللعب الجماعى فرصة للطفل لكى يتعلم من الآخرين طريقة استخدام مختلف المواد للاشتراك فى مجالات أنشطة متنوعة ومن ثم تزداد حصيلة الطفل من المعلومات والمعارف .. كذلك ينمى اللعب الجماعى روح التنافس بين الأطفال .. وهو شعور يجب تنميته بين الزملاء حتى يؤدى الى تقليل التنافس بين الأخوة فى المنازل ..

ومن الضرورى أن يشعر الطفل فى هذه السن الصغيرة .. أن لعبه ملك له وحده .. وأن من حقه أن يقرر بنفسه أى اللعب يريد أن يشرك الآخرين فيها .. وبالتدريج .. سوف يدرك قيمة المشاركة والتعاون .. ومن ثم يسهل عليه التخلى عن الأنانية .. واشراك الأطفال الآخرين فى العابه الخاصة ..

وتلجأ كثير من الدول الأوربية وبعض المدارس هنا فى مصر الى استخدام المسرح والتمثيل لتنمية الجوانب المرغوب فيها لدى الطفل .. بالاضافة الى تقديم المناهج ممسرحة داخل الفصول الدراسية وبواسطة تلاميذ كل فرقة .. والجدير بالذكر أن هذا الأسلوب التربوى لا يحتاج الى أى امكانيات سوى الى المربى المدرب المتفهم لعالم الطفل المؤمن بدور الأجيال الجديدة فى بناء مستقبل العالم .. وهناك أنواع عديدة من التمثيل منها التمثيل التلقائى .. ومنها مسرح العرائس ومنها المسرح التعليمى .. ومسرحيات تقدم خصيصاً للأطفال .. وكل نوع منها له قواعده وأهدافه وأصول ممارسته .. ولكننا نعلم التأثير العظيم الذى كان يحدثه الأراجوز على الأطفال فى الأحياء الشعبية .. لأنه كان نقلة خيالية وأسطورية فى أذهان الأطفال فى القرية أيضاً .. للذين كانت تبهرهم الألوان والأصوات وتستغرقهم الحدوتة والنكتة .. عن طريق استعراض الأراجوز لحياة قريبة من حياة هؤلاء الأطفال ..

وفى كل أنواع اللعب .. يحتاج الطفل الى تشجيعه على الصبر فى اكتساب مهارات اللعب .. فليس من السهل دائماً أن يظل يتدرب على السباحة بطريقة معينة حتى يتقنها ويتمكن من ضبط تنفسه .. ولكن لذة المنافسة والمتعة والفوز هى التى تساعد الصبى على الاقتناع بقيمة المثابرة

أهمية المعسكرات الجماعية

وحول أهمية المعسكرات الجماعية للأطفال .. توصلت الدكتورة سهام بدر استاذه علم النفس بكلية التربية الرياضية بالاسكندرية الى نتائج تؤكد تأثير المعسكرات الجماعية على تنمية شخصية

مستقبل الأطفال في يد العرائس والأراجوز والشطرنج!



الأطفال .. من حيث استجاباتهم السريعة للتعاون والمشاركة والحب والاعتماد على النفس وحب الاستطلاع والصبر والشعور بالمسئولية .. وتنمية روح المبادأة والشجاعة والجرأة وكل الصفات الايجابية .. بعد عشرة أيام قضتها الدكتورة سهام مع أطفال معسكر نادى اسبورتنج ..

واللعب يمكن أن يكون أداة لاكتشاف ميول الطفل ومواهبه فى وقت مبكر .. كما يمكن أن يكون وسيلة لاكتساب مهارة أو معرفة معينة .. فالطفل الذى يبدى رغبة فى أن يقضى أوقات فراغه فى الرسم ينبغى السماح له بأن يعبر عن نفسه فى رسوماته تعبيراً حراً .. فلا ننتقد زرقة الحشيش فى رسمه الملون .. ولا كون الرجل أكبر من المنزل الذى يقف أمامه لأن انطباعات الطفل عن العالم الذى يحيط به .. ومقدرته على التعبير عن هذه الانطباعات تختلفان اختلافاً كبيراً عنها عند الكبار .. لذلك يجب تركه يرسم بحرية ويعبر عن أحاسيسه الكامنة فى ثنايا نفسه .. وما علينا الا أن ننمى هذه الموهبة فى نفوس أطفالنا .. وأن نفسح الطريق أمامهم من أجل اكتمالها على أسس تربوية سليمة .. وذلك باشراف أعمال الطفل فى المعارض المحلية والعالمية وتوفير أدوات الرسوم له ..

والواقع أن أنواعاً متعددة من لعب الأطفال هى عبارة عن نافذة يمكن أن نطل منها على نفوسهم .. وعن طريقها نستطيع معرفة ما يريده الطفل .. والمؤثرات الاجتماعية والنفسية التى تؤثر فى تشكيل شخصيته .. فمثلا لعبة الشطرنج التى يلعبها الأطفال والصبية والكبار أيضاً تمثل لوناً من ألوان النشاط الفكرى .. فهى تمثل حرباً بين جيشين يجرى فيها كل ما يقع فى الحرب من هجوم ودفاع وخدعة ومبادرة وتكتيك وفيها هزيمة وانتصار وتعادل وهدنة وصلح .. ولكنها حرب سلمية بين فكرين .. صراع فكرى يسهم فيه الذكاء والدهاء والفن والعلم .. وقد اهتم بهذه اللعبة معظم شعوب العالم المتقدم .. فقامت فيها أندية وجمعيات كما ألفوا حولها الكتب وأسست فى بعض الدول جامعات وطنية ترعى شئون الذين يلعبون الشطرنج .. وتنظم لهم المسابقات وتمنحهم الجوائز والمكافآت .. كما يوجد اتحاد دول الشطرنج فى باريس ..

أما قراءة القصص فتقوى شعور الطفل بالنظام فى الحياة وتوسع فهمه لعالمه الصغير بمن فيه من الناس .. كما تقدم للطفل القدوة . وهى فى عصرنا الحالى أناس ناجحون بارزون فى عالم الرياضة والترفيه أو الفن أو العلوم .. وربما كانت القدوة شخصية تاريخية .. وعن طريق القدوة يتعلم المثل العليا التى يبنى عليها مستقبل حياته ويصبح أكثر قدرة على العطاء .. وهنا يمكن استثمار هذه الرغبة تقليد القدوة الموجودة لدى الطفل وتنميتها بصورة تمكنه من أن يساهم مساهمة حقيقية فى الحياة من حوله .. ان الأطفال يستطيعون عمل أشياء كثيرة اذا وجدوا التشجيع المناسب .. يمكن بها أن يكتسبوا الشعور بالمسئولية .

هواية جمع الطوابع

ان كثيراً من الناس يتساءلون مثلا .. ما الذى تقدمه هواية جمع طوابع البريد مثلا لمن يمارسها بكل هذا الحب والشغف .؟ ان الطفل الذى يهوى جمع طوابع البريد لا يمارسها بدافع المتعة فقط .. ولكنها وسيلة هامة من وسائل تنمية الذوق الفنى وزيادة المعرفة والرغبة فى التنظيم والدقة والابتكار أيضاً .. ويتسم ذهن الهاوى عادة بالدقة والسرعة والانتاج المثمر

.. ويعتبر الفرنسيون أول من اهتم بهذه الهواية .. عندما جمع « هيربين » الفرنسى كل ما كان يصل اليه من طوابع .. وحدث أن لاقى اهتمامه ترحيباً من بعض أصدقائه فأسسوا جمعية أسموها «صديق الطوابع» ثم انتشرت هذه الهواية انتشاراً سريعاً ومذهلا فى العالم حتى أنه لم يعد بالامكان احصاء العدد الحقيقى لهواة الطوابع الذين أصبحوا يعدون بالملايين .. وتعد هواية جمع الطوابع احدى الوسائل التى تكتسب منها الثقافة .. فالى جانب انها متعة ومعرفة وفائدة تدفعنا الى الترتيب والتبويب والتدقيق والانتباه .. والملاحظة تحث الهاوى على تتبع ما يحمله الطابع من صور وأفكار .. ومن خلاله يمكن أن يتعرف على بلادنا وما تحمله من خيرات وما تضمه من طبيعة جميلة وآثار خالدة .. اننا نستطيع أن نعرف أى قطر من أقطار العالم من خلال طوابعه .. نتعرف الى جغرافيته وتاريخه وسكانه عاداتهم وتقاليدهم .. كما أن الطوابع تعكس مقدار تقدم البلد فى مجالات العلم والثقافة والرياضة والاقتصاد .. بالاضافة الى أن الطوابع تسجل بأمانة انتصارات الشعوب ومسيراتها التاريخية .. ومن الممكن أن تكون مرجعاً لقصة الانسان فى أى مكان من العالم ..

ان لعب الطفل هو فى الواقع محاولة لتجربة الحياة .. وعن طريق اللعب يتعلم كيف ينمو خطوة خطوة متفهماً العالم الذى يحيط به .. ويبدأ فى معرفة وسائل تعامله مع هذا العالم .. فلعب الطفل الذى يحاول فيه أن يقوم بدور الأب أو الأم يمكن أن يستغل لارساء أفكار معينة حول مفهوم الأسرة وواجب كل من الآباء والأمهات .. كما يمكن أن يتدرب من خلال اللعب على كيفية التعبير عن نفسه وتنمية خياله والسيطرة على حركته وتنسيق حديثه وتنظيم آرائه .. فضلا عن معرفته كيف ينصت عندما يراد منه الانصات وكيف يتعامل مع الآخرين ويعمل معهم .. ان اللعب ينمي فى الطفل روح المشاركة والتسامح وتعديل سلوكه حتى يستطيع أن يعيش مع الآخرين .. ومن الممكن أن يقوم الكبار بتاصيل هذه القيم كلها فى الطفل أثناء اللعب .

وشخصية الطفل فى نهاية الأمر ليست الا محصلة لما تمرس به خلال اللعب والتمثيل اذا ما توافرت له الفرص لممارستها فى طفولته .. ومن ثم تتكون كل ما تتمتع به الشخصية من قدرات أهمها القدرة على الانهماك فى العمل والصدق فيه .. وهما معاً قاعدتا القدرة على التركيز .. ثم يأتى الابداع والابتكار ..

نادية يوسف

المراجع :

- السلوك الانسانى .. د. انتصار يونس ..
- الاسرة وسلوك الطفل .. د. انتصار يونس .. د. احمد العادلى ..
- كيف نربى ابناءنا .. د. عماد الدين اسماعيل – د. نجيب اسكندر ابراهيم – د. رشدى فام منصور – دار النهضة العربية ..
- كيف يلعب الأطفال للمتعة والتعلم .. سلسلة دراسات سيكولوجية .. تاليف جان شك جروسمان وايد اليشان ترجمة محمد عبد الحميد ابو العزم ..
- الطفل واعادة بناء الشخصية المصرية .. احد دراسات مركز الفن والحياة ..
- العلاج النفسى الجماعى للأطفال باستخدام اللعب – د. كاميليا عبد الفتاح .. مكتبة النهضة ١٩٧٥ ..
- الطفل المصرى فى إطار الرعاية الصحية والنفسية – التقرير الرابع – جامعة الاسكندرية .
- التخطيط لرعاية الطفولة المبكرة .. وتربيتها فى البلدان النامية – مكتب اليونسكو الاقليمى للتربية فى الدول العربية ١٩٨٠ .
- التحليل النفسى للأطفال .. انا فرويد .. النهضة العربية .
- أطفالنا – كيف نسوسهم – د. رشدى منصور

من روائـــع
الفن العـــالـــمي

بقلم : جمـــال قطـب


الفنان الامريكى نورمان روكويل .

حديث المرآة..

ربما انفرد موضوعنا اليوم بملامح معينة تميزه عما تعودنا ان نستعرضه سوياً على هذه الصفحات من قبل ، فان مفهوم الفن العالمى فى اذهاننا هو تلك الأعمال المتحفية الشهيرة التى ابدعتها الانامل الملهمة للفنانين العظام عبر قرون التاريخ .. ولكننا ندرك فى نفس الوقت ان العالمية قد تطور تعريفها ومضمونها تبعاً لما استجد على العالم الحديث من متطلبات ومتغيرات وتحولات اجتماعية وسياسية ووجدانيـــة . فلا غرو أن نرى تعريف (العالمية) ـ طبقاً لهذه الظروف المعاصرة ـ يتناسب مع ما يحظى به العمل من شهرة وذيوع . وما يتميز به صاحبه من ميزات إقليمية وعنصرية .. وقد تاتى القيمة الابداعية لهذا العمل أو ذاك بعد تلك الاعتبارات وغيرها مما يحكم إيقاع الحياة فى عالم اليوم .. عالم الصراع والسيطرة والدعايات الموجهة !

اما الفن التشكيلي فمازال يحظى بكيانه المستقل ، كما انه يفرض نفسه دائماً متخطياً حدود الزمان والمكان بما يزخر به من عبقريات ومواهب فذة حباها الله للبشر جميعاً على السواء ، وبذلك اصبحت العالمية فى الفن ليست ادعاء ولا احتكاراً ولا سرفاً ولا ترفاً ..

والعمل الملهم الأصيل يفرض مكانه ومكانته ويقدم نفسه بنفسه ، يتفاعل مع آلام الناس وآمالهم ويتاثر بهم كما يؤثر فيهم ، وكلما اتسعت قاعدته وارتفعت قمتـــه ، ازداد فى الوجدان رسوخاً .. وبالتالى ، اصبح الفنان رائداً يدخل فى نطاق العالمية ، ويكتب فى سجل الخالدين . لأن الفن الحقيقى يخاطب البصـــيرة بمعنوياته السامية ، وإذا كان من السهل أن تبهر الأبصار .. فمن الصعب بل من العسير أن تسيطر على العواطف والبصائر !!

وفناننا اليوم ـ نورمان روكويل ـ اسم عالمى كبير ، ظل عملاقاً رائعاً على مدى نحو سبعين عاماً من العطاء الدائب المخلص المتواصل .. وما نراه من اعماله على الصفحة المقابلة ، ليس تحفة فريدة من أروقة المتاحف رسمها احد فنانى التاريخ ، ولكننا امام (لوحة) معاصرة تحس انك تراها من حولك فى كل وقت ، بل وتخاطبها فى حوار صامت وإعجاب فطرى بعيد عن خفايا الاعجازات الفنيـــة وتعقيداتها (التكنيكية) ومساراتهـــا الأكاديمية الغامضة !

ان (روكويل) هو فنان الشعب الامريكى فى القرن العشرين بلا منازع ، يخاطبه من اوسع قنواته الاعلامية واكثرها ذيوعاً ، انتهج أسلوباً سهلاً ميسراً فى تسجيل خواطره ومشاهداته وآرائه ،وقد تربع على عرش هذا التخصص الفنى الجماهيرى ، الذى يعرف باسم الـ (Illustration) ويعنى بالصورة التوضيحية المطبوعـــة المنفذة ـ غالباً ـ باسلوب واقعى مدروس .

وكلما اكتملت فيه القواعد الفنية والكفاءة العالية ، كلما صار إبداعاً يتمتع بكافة الخواص الفنية الراقية ، بل ربما وصل إلى مرتبة الفن المتحفى الرفيع كما هو الحال فى أعمال نورمان روكويل ، حيث ينفذ لوحاته مكبرة بالألوان الزيتية على أكمل ما يكون الفن الجميل .

وقـــد بلغ الفنـــان أوج تالقـــه فى الخمسينات والستينات ، حيث كانت لوحاته التى احتكرتها آنذاك مجـــلة The Saturday Evening Post ومجلة Look العالميتان ، تنفذ مكبرة كما أسلفنا لتطبع بالملايين على اغلفتها ، ثم تتناولها عدة جهات فنيـــه واعلامية اخرى فى نفس الوقت لتنشرها فى ملصقات ومجلدات وكتب وبطاقات وفى اغراض كثيرة اخرى . ثم يـــاتى دور المؤسسات المتخصصة فى طبع اللوحات المتحفية ، فتطبع من اعمال روكويل ملايين اخرى توزعها فى شتى انحاء المعمورة .

وتتميز اعمال روكويل بانها كاللقطـــات الواعية البارعة .. او كالحكم والامثال الشعبية ، سهلة المبنى عميقة المغزى والمعنى . ويرى قارئنا على الصفحة المقابلة احدى لوحاته الشهيرة ، وقد نشرت لأول مرة على غلاف مجلة (بوست) فى السادس من مارس عام ١٩٥٤ :

فتاة بين الطفولة والشباب ، تجلس امام مرآتها وقد وضعت على ركبتيها احـــدى المجلات الفنية ، وقذفت بعروستها التى طالما شاركتها مهدها .. واخذت تتامل المرآة فى حوار صامت مع الأطياف والاحلام والآمال الوردية .. ولسان حالها يقول : لندع دمية الطفولة جانباً .. فقد كبرت ، وربما اصبحت نجمة شهيرة كهذه التى تحتل صفحات المجلة .. إنه تامل مشوب بالتفاؤل والرضى ، فقسماتها واتساق ملامحها وجاذبيتها المبكرة .. توحى لها بهذه الثقة .. وكانها تستحثنا نحن كذلك لكى نتامل صورتها الوادعة فى مرآتهـــا الصافية ونشاركها احلامها وآمالهـــا المتفائلة !



حديث المرآة : للفنان العالمي نورمان روكويل

رسالة لندن من: مجدي نصيف

أعجوبة في الحياة.. أعجوبة في السينما:

٢٢ مليون جنيه
تحت أقدام أفقر زعيم فى العالم!



غاندى مع ابنتيه .. صورة تاريخية .

فيلم غاندى حصل على ثمانية جوائز أوسكار ، وتكلف انتاجه (هندى ـ بريطانى مشترك) ٢٢ مليوناً من الجنيهات . ولقد أثار عرضه جدلا واسعاً ما يزال دائراً حتى الآن . ولا يدور الجدل حول الفيلم وفنيته ومدى ما يعكس من حياة المهاتما غاندى فحسب ، لكنه يدور ايضاً حول السياسة وراء انتاجه ، خاصة وقد صاحبت انتاجه وعرضه دعاية واسعة منظمة وبارعة . وهكذا تم وضع الملايين من الجنيهات تحت أقدام الرجل الذى كان بارادته أفقر زعيم عرفته الدنيا فى العصور الحديثة .

كتاب ومعلقون ومؤرخون شاركوا فى هذا الجدل ، على أساس مناقشة الانسان خلف الفيلم ، أما السياسيون فقد ناقشوا المسألة من ناحية التوقيت . لماذا هذا الفيلم الآن ؟ هل له علاقة بالمشاكل التى تواجهها السيدة انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند ؟ وهل له علاقة بحركات السلام فى أوربا الغربية وانتشارها ؟

يقول زارير ماساتى فى مجلة « نيوستيسمان » البريطانية : « إن السيدة انديرا غاندى تركز فى دعاياتها على سلالة « نهرو ـ غاندى » الحاكمة فى محاولة منها لا نجاح خليفتها ابنها « ساجيف » فى البداية ثم « راجيف » حاليا ، معتمدة على سمعة نهرو الأب . فلقد اختفى الجيل الأول الذى لعب دوره فى استقلال الهند من « ناريان » إلى « موراجى ديساى » إلى غيرهما ..

ويعود اشتراك السيدة انديرا غاندى مع « اتنبورة » فى مشروعه لانتاج هذا الفيلم إلى عشرين سنة مضت ،

وبالتحديد عندما سطع نجم السيدة انديرا للمرة الأولى ، ولم يتم انجاز هذا المشروع عملياً ، إلا عند عودتها الى كرسى الحكم مرة ثانية عام ١٩٨٠ ، عندئذ القت بكل ثقلها خلف هذا الفيلم ، فازالت من أمام « اتنبورة » كل العقبات البيروقراطية وعلى مسؤوليتها دفعت الحكومة الهندية مبلغ مليونين ونصف مليون دولار كمشاركة فيه .

ويستمر الكاتب فيقول : « لقد بدأ حماس السيدة انديرا للفيلم بعد أن توفى « ناريان » وريث أفكار غاندى ، والعدو اللدود لانديرا غاندى . آنذاك أصبح الوقت ملائما لطرح شخصية غاندى الأسطورية بطريقة ترجح كفة رئيسة وزراء الهند وسلالتها من بعدها . وللتأكد من ذلك قامت بقراءة سيناريو الفيلم بنفسها ، ثم شاهدت الفيلم قبل أن توضع له اللمسات الأخيرة » .

• • •

اشتهر المهاتما غاندى بما يسمى «الكفاح السلمى» الذى لا يلجأ الى العنف ، وحل الخلافات من خلال الاقناع السلمى ، وإمكانية أن يصل صوت الفرد وسط الجماعة فى عصر الآلة ، فينتصر الصدق على الكذب ، والعدل على القهر، والخير على الشر ، فى النهاية مهما طال الزمن !

وفى هذا يختلف غاندى الذى قاد الهند بهذا المفهوم الى الاستقلال عن الامبراطورية البريطانية ، عن بعض الزعماء ، اختلافاً كبيراً . المسالة الثانية أنه ليس لغاندى حزب حاكم فى الهند يحمل اسمه . لكن قيادة غاندى للحركة الوطنية الهندية ساهمت فى قرار بريطانيا بالجلاء عن الهند عام ١٩٤٧ . وبهذا خفت قبضة بريطانيا عن مستعمراتها الأخرى فى آسيا وأفريقيا .

لكن «نظرية» غاندى حول العصيان المدنى السلمى مازالت تحيا حتى الآن ، بل هى الالهام لحركات الاحتجاج فى العالم أجمع ، بل لقد اشتد ساعد هذه الحركات فى أوربا الغربية بازدياد خطر الحرب الذرية ، مثل الحركات المناهضة للتسلح النووى .

إذن ما هى شخصية هذا المناضل الهندى ؟



الزعيم بين أبناء شعبه فى لقطة من فيلم غاندى

وكيف عكس الفيلم هذه الشخصية ؟

قال عنه زميل كفاحه وخلفه جواهر لال نهرو : «إن غاندى لم يهبط من القمة ، ولكنه صعد الى أعلى من بين جماهير الهند ، يتحدث لغتهم ودائما يلفت إليهم الأنظار بسبب ظروفهم المريعة التى يعيشون فيها» . بينما يقول عنه آخرون انه رجل «الطبقة الوسطى» الذى يتحدث باسمها ويشفع لقضاياها .

أما فيلم «اتنبورة» فقد قدم غاندى كرجل ينتمى الى هذين العالمين . فهو بحكم تعليمه ومهنته قد تخرج كمحام فى لندن عام ١٨٩١ ، وخلال تلك الفترة لم يكن يتلقى هذا التعليم فى الغرب سوى أبناء الفئة الوسطى الهندية الصاعدة .

ورغم إحساس سياسيى هذه الفئة – قبل غاندى – بالتبعية الاستعمارية للهند وبالتمييز العنصرى الذى يمارسه ضدهم الحكام البريطانيون ، إلا انهم لم يستشفوا فى الأفق أى بديل عملى عن محاولة الحصول على اصلاحات تدريجية بالقطعة من البريطانيين . ورغم أن غاندى استبدل ببذلة المحامى (الغربية) سروال الفلاح ، إلا أنه لم يترك أبداً عالم الفئة الوسطى التى تجعل الغرب قبلتها . فلقد استمر طوال حياته متأثراً بذلك العالم ، متفاعلا ضده فى نفس الوقت .

لقد أوجد لنفسه فلسفة أخلاقية استمدت إلهامها الأساسى ولغتها من تفسير خاص للهندوسية والقيم الهندية التقليدية . لذا ففى بعض الأحيان انكر من الناحية المنهجية ، العقلانية والتاريخية كما يراهما «الغرب» ، وبهذا وضع نفسه خارج صيغ تفكير الطبقة الوسطى .

ورفض بشدة البنية السياسية والمدنية للمجتمع الهندى فى ظل الاحتلال البريطانى : من المجالس التشريعية الى المدارس ذات النمط الغربى الى المحاكم التى أسسها كلها البريطانيون فى الهند .

ومع هذا فان اقرب حوارييه ورفاقه – جواهر لال نهرو ، وفالبهباى باتل ، وراجندرا براساد ، وك . رجاجو بالاشارى – خرجوا من نفس الطبقة الوسطى مثله ، بل ومن نفس مهنة المحاماة . وبعد جلاء الانجليز عن الهند ، تولى هؤلاء مقاليد جهاز الادارة الذى تركه البريطانيون .

وهكذا ، فانه بعد ثلاثين عاماً من «العصيان المدنى» والنشاط السياسى خارج الاطار البرلمانى ، كان الذى تحقق فى النهاية هو حلم الفئة الوسطى الهندية ، لدولة فى القالب الأوربى ، ذلك أن غاندى لم يتصور أى بديل عملى آخر .

الجماهير الهندية

وإذا كان غاندى جزءاً من الفئة الوسطى فانه كان بالمثل مشدوداً الى عالم الجماهير الهندية الغفيرة التى كان الغرب بالنسبة لها كياناً معتماً .

٣٢ مليون جنيه
تحت أقدام أفقر زعيم في العالم!

ففى البداية اختلط غاندى بهنود من جميع الطبقات فى جنوب افريقيا ، حيث مجرد أن يكون الفرد هنديا ، فهذا فى حد ذاته يدخله ضمن الأقلية المحتقرة عنصريا . ووجد غاندى نفسه لا يشعر بالراحة بين افراد سياسيى الطبقة الوسطى الذين وحدهم «بالمؤتمر الوطنى الهندى» عند عودته من جنوب افريقيا عام ١٩١٥ وكانت الحركة الوطنية بذلك شديدة البعد عن جماهير الهند الفقيرة ، وإن كانت تدعى تمثيلها .

وكان تحول غاندى الى الجماهير عندئذ حركة سياسية حصينة مؤسسة على تقييم واقعى لمواطن قصور الحركة السياسية القائمة . ذلك أنه ادرك بذكائه ان الطبقة الوسطى الهندية بحركتها الوطنية آنذاك ، لا تقدر بمفردها على إجلاء البريطانيين من الهند . لقد ادرك أن هذه الطبقة لم تكن لتستطيع تجميع قوة كافية للمعارضة المنظمة . وكان من رأيه أن الحركة الجماهيرية وحدها هى التى تستطيع أن تحقق النجاح إن اتبعت أسلوب «الساتيا جراها» (العصيان المدنى السلمى) الذى كان غاندى رائده فى جنوب افريقيا .

على أن اعادة غاندى لتوجيه النضال الوطنى نبعت من أكثر من مجرد نظرة ضيقة للتكتيكات السياسية . لقد كانت معبرة بعمق شديد عن فلسفته الخاصة ومثاليات الطبقة الوسطى . فغاندى خرج من عائلة من سكان المدن الصغيرة التجارية ، حيث تتابع جده وعمه وابوه على تولى منصب «الوزير الأول» فى إمارة بروباندار الصغيرة فى جوجارات الغربية .

الشر الأساسى

كان غاندى مقتنعا بأن الحكم البريطانى فى حد ذاته لم يكن هو الشر الأساسى الذى يجب محاربته فى الهند !! ، لكن الشر الحقيقى هو مرض التهافت على التملك والتنافس الذى أصاب بريطانيا ، وتنتقل عدواه الى الهند !

لقد عبر غاندى عن وجهات نظره هذه باستفاضة فى نشرة الدعاية التى أصدرها



المهاتما غاندى الذى رأى فى القرية مجتمعا بعيدا عن التأثيرات المفسدة التى تتعرض لها المدينة .

عام ١٩٠٨ باسم «هند سواراج» – «الحكم الهندى الذاتى» – وظل متمسكا بوجهات نظره تلك حتى وفاته بعد أربعين عاما .

كتب يقول :

● «إن السعادة حالة عقلية وليست مادية . إن الناس ليسوا دائما سعداء لأنهم أغنياء ، وليسوا دائما تعساء لأنهم فقراء» .

● «إن الغنى والتقدم المادى ليسا مفتاح السعادة ، لذلك أقنعنا أجدادنا بالعدول عن الكماليات والمبهجات . لقد كان يمكنهم اختراع الآلات ، ولكنهم عرفوا أن تعلقنا بها سيجعلنا عبيدا لها . لذلك اختارت الهند بعقلانية أن تتعايش مع نفس المحراث ونفس الكوخ ونفس التعليم المتوطن الذى كان قائما على مدى قرون . ولذلك لم تستسلم – كما حدث فى الغرب – لنظام من التنافس يجعل الحياة تتآكل» .

● «إن أجدادنا قد هداهم تفكيرهم الى أن المدن الكبيرة فخاخ مكبلة ، وأن الناس لن يكونوا سعداء بسكناها . ذلك أنه سيوجد بها عصابات من اللصوص والسرقات وتزدهر بها الرذيلة ، ولهذا كان أجدادنا راضين بمعيشة القرى الصغيرة» .

لم يهتم غاندى بالتطور التاريخى ، ولا بدقة تأكيداته ، إنما كان يعبر عما يؤمن به كحقيقة أخلاقية جوهرية ، حقيقة لا تقبل الجدل ، لها معان ضمنية عميقة بالنسبة لمستقبل الهند وعلاقاته بالغرب .

وكان لهذا التفكير نتيجتان لهما أهمية بالغة :

النتيجة الأولى : أنه برفض «المدنية الحديثة» كعنصر مدمر للسعادة والرضا الانسانى ، فقد كان غاندى ينادى بأن تتمسك الهند بالمثل الأخلاقية العليا التى «فقد الغرب القدرة على رؤيتها» «ولسوف يكون من الأفضل له أن يعيد اكتشافها من الهند» .

لقد استمد غاندى ورفاقه من هذه الآراء الثقة بالنفس والاستقلالية التى استمدت قوتها من إحساس قديم وعميق بالكبرياء الثقافى والعنصرى ، وخلق هذا إحساسا بالزعامة السياسية المستقلة .

والنتيجة الثانية : لرفض «المدنية الحديثة» هو تحوله ناحية القرى ونحو الفلاحين كمنابع وخزانات غير ملوثة لذلك النظام الأخلاقى الأعلى .

ورؤية غاندى للقرية كانت مثالية ، فهى أساسا مجتمع مكتف بذاته ويعمل بتوافق من أجل تقسيم للعمل مفيد للجميع ، مجتمع متحرر من التأثيرات المفسدة التى تفرق ، والتى يتبناها المجتمع الصناعى الحديث .

● ● ●

وحقيقة الأمر أنه كان ينادى بهذا فى وقت كان فيه الطابع الاقتصادى والاجتماعى لقرى الهند يتغير ، إذ كانت البنية الصناعية والزراعية تقوم بغزواتها مركزة على الصراع الدائر بالفعل .

ورغم أن غاندى كان يعادى الحركة الصناعية ، إلا أنه كان فى نفس الوقت لا يهتم بظروف وتطلعات العمال التى كانت صغيرة العدد نسبيا آنذاك ، وإن كانت آخذة فى النمو . كانت تلك الفئة فى رأيه ملوثة الى الحد الذى لا يمكن تطهيرها من «شرور الحياة الحديثة» وحياة المدن الكبرى .

وفى عام ١٩١٩ ، خطب فى عمال الغزل المضربين فى «مدراس» ، طالبهم بأن يتوقفوا عن الآثام وأن يحلكوه فى العمل بالغزل اليدوى فى أوقات فراغهم ، فلم يلق اقتراحه قبولهم .

وكان غاندى يطالب بأن يكون العمال أمانة فى عنق أصحاب المصانع ، داعيا إياهم الى أن يتولوا مسئوليتهم «كأمناء»

يحافظون على ثرواتهم .

ويلخص الكاتب زارير ماسانى وجهة النظر هذه فى مقال له بمجلة «ذى نيو ستيسمان» الأسبوعية البريطانية ، تحت عنوان «رجل الطبقة الوسطى» فيذكر النقاط التالية بالاضافة الى النقطة السابقة .

● رفع غاندى «معنويات» المنبوذين ، لكن اصلاحاته فى هذا المجال لم تتجاوز الرثاء لحالهم ، ورفع منزلتهم كما ينبغى ! لكنه رفض التماسهم لتنظيم أنفسهم سياسياً ، مهملا أسباب فقرهم وتبذهم وتشردهم .. الأدهى من ذلك انه راح يمتدح نظام الطوائف الدينية الهندية كنظام مثالى لتقسيم العمل ، وهو ذات النظام الذى يحرم على المنبوذين الانتماء للمجتمع !

● فى نهاية حياته ، تحطم حلمه فى وحدة الهندوس والمسلمين فى إطار دولة واحدة ، فانتهى هذا الحلم فى الوقت الذى قاربت فيه مهمته على الاكتمال ، فشهد بأم عينيه ولادة الباكستان الى تلتها الحرب الهندية ـ الباكستانية الأولى فى كشمير .

ومن حسن الحظ انه لم يشاهد تلك الحرب العنيفة التى دارت بين الهند وباكستان منذ سنوات قليلة وانتهت بقيام دولة ثالثة هى بنجلاديش ، وبذلك انقسم الجسم الواحد الذى تمناه دائماً الى ثلاث دول .

تقدير المنجزات

على أنه سيكون من الخطا عدم تقدير منجزات المهاتما غاندى السياسية حق قدرها . إن القلائل من الزعماء السياسيين الذين خرجوا من الطبقة الوسطى فى العالم ، قد حددوا موقفهم مع الجماهير بذلك الشمول ، كما فعل غاندى - إن ذلك لشىء جدير بالملاحظة ، وعلى وجه الخصوص فى بلد شاسع كالهند ، وحيث الفجوة واسعة بين الطبقة الوسطى المتعلمة على النمط الغربى وبين الفلاحين بين الطوائف الهندوسية العليا وبين «الهاريجات» «المنبوذين» ، لقد كانت هذه الفجوة واسعة وعميقة الى القدر الذى جعلها تظهر فى بعض الأحيان كما لو كانت غير قابلة لمد الجسور . لكن غاندى جعل من نفسه جسراً حياً بين الطبقة الوسطى والفلاحين . فعن طريق ملبسه البسيط ولغته ، وبالصور والرموز الذى استثارها ، وباستعداده للعيش والعمل بين أفقر فقراء الهند وأقلهم شأناً ، فانه أنشأ اتصالا حقيقياً بين عالمين جد متناقضين . وبكونه «مهاتما» (روح عظيمة) وبتقمصه لشخصية عميقة الجذور فى الهند ، ومبجلة رغم أنه لم يكن يرتدى رداء الرهبان الأصفر ، وبأدائه لدور الحكيم الجوال الذى تخلى عن الثروة والممتلكات والسلطة الدنيوية ، فانه خلق صورة حية كان ملايين الهنود يمكنهم أن يتعرفوا عليها ، وليس الفلاحين أو الهندوس فقط .

لم يعبر رجال الدين الهندوس العاديين عن تلك الأفكار من قبل ، لكنها جاءت من غاندى ابن الطبقة الوسطى الهندية ، وإن لم تكن النتائج قد تحققت كما كان يتوقع . ولم يستطع غاندى أن يخلص الهند من العنف الذى ينبع من العداءات العنصرية، وقد كان هو نفسه ضحية له .

● السياسيون يسألون: هل لهذا الفيلم علاقة بانتشار حركات السلام في أوروبا الغربية؟

● لماذا قامت السيدة أنديرا غاندي بقراءة سيناريو الفيلم بنفسها؟

● كان حزب المؤتمر في تشكيله يشبه حزب الوفد المصري بزعامة سعد زغلول؟

فى أحيان كثيرة تعلق الفلاحون «بالمهاتما» وبرسالته السياسية الوطنية ، وفى أحيان أخرى أسندوا اليه قوى سحرية كامنة غامضة ليس لها أى اتصال بأفكاره السياسية ، ولكنها كانت جزءاً لا يتجزأ من الميـــراث والتقاليـــد الفولكلوريـــة للفلاحين .

لكن فئة أغنياء الفلاحين فى الهند كانت قد بدأت فى الظهور فى الريف . كانوا يخشون التغيير الذى قد يعرض وضعهم المتميز للخطر ، ومن ناحية أخرى كانت معاناتهم من الضرائب وإيجار الأرض الزراعية يجعلهم يميلون لمعاداة الاستعمار البريطانى وحلفائه .

لقد كان حزب المؤتمر الهندى هو القناة السياسية لهؤلاء الفلاحين الأغنياء ، إنه هو الذى يمكنهم من الوصول الى أهوائهم السياسية المحدودة دون مخاطرة جدية ..

تركة المهاتما

كان غاندى هو أداة تأسيس «حزب المؤتمر» كائتلاف عريض لمجموعات من فئات مختلفة . لقد كان حزب المؤتمر فى تشكيله يشبه حزب الوفد المصرى بزعامة سعد زغلول .

وكانت تركة غاندى الرئيسية للهند هى حركة «عدم العنف» ..

لكن تركة غاندى من «عدم العنف» هاجرت من الهند الى أوربا الغربية ، حيث نجد فى تلك المجتمعات الفئة الوسطى تشعر بحاجتها الى التعبير عن اعتراضها على سير الأمور ، وقدرتها على ذلك بدون اللجوء الى العنف والتغيير ..

لقد سمحت المجتمعات الغربية لأقلياتها بالتعبير عن نفسها ، بل وأتاحت لها فرصة للتعبير فى وسـائل الاعلام ، وهو مـا لا يتمتع به الكثير فى بلدان العالم الثالث .

هل حقق «أتنبورة» إذن كل هذه الأبعاد عند تصويره لشخصية المهاتما غاندى ؟

هل استطاع أن يجسد على الشاشة الفضية كل هذا التاريخ ؟

مجدى نصيف



رحلة صعبة.. رحلة جبلية

قصة حياة فدوى طوقان .. ترويها بقلمها

أول مذكرات صريحة لشاعرة عربية كبيرة

الحلقة الثانية

بين الخضوع والتمرّد

منذ فتحت عينى على الدنيا لم اعرف (ش) الا وهى صاحبة الهيبة والسلطة على نساء العائلة ، والبوليس السرى الذى يعمل لحساب ابناء عمى ويقدم لهم التقارير بما يجرى فى البيت.وكان فى تلك التقارير الكثير من السم المدسوس .

وكما يحدث فى نطاق المجتمع ، حيث تكون الرقابة المستبدة والقمع والقهر سبباً فى خلق بنية تتركب من ثنائية الخضوع والتمرد معاً ، كذلك يحدث ضمن نطاق الافراد ، فالفرد الذى ينمو فى مناخ الشرطة السرية والسلطة العائلية المستبدة ينشا بتركيب نفسى هو مزيج من تلك الثنائية : الخضوع والتمرد . فهناك دائما صفات مكتسبة تتكون نتيجة للقهر الاجتماعى والعائلى بصفة خاصة . وكانت من ضمن العناصر التى عملت على خلق هذه البنية النفسية عندى ذات التركيب الثنائى الخضوع من جهة والتمرد من جهة اخرى .

فى السادسة عشرة من عمرها عادت (ش) الى بيت أبيها مطلقة بعد زواج فاشل دام لعدة شهور قليلة .

وفى ايام شبابها اتخذت من طريقة الشيخ عبد القادر الكيلانى ملاذاً دينياً تهرب اليه من احباطها النفسى بفعل الزواج

كان قد نزل بالبلدة رجل مصرى ضرير من أصحاب الطريقة الكيلانية استقطب بين من استقطب بعض مطلقات القرية وأراملها . وكانت الحلقات تعقد فى منزل مدير المال الذى أنزله آنذاك فى بيته تلمساً لنيل البركة ، وانضوى مع زوجته إلى الطريقة .

سلب الرجل عقول أولئك النسوة من «المريدات» . فكانت بركته تنشر فى المكان ـ أو هكذا كن يتخيلن ـ رائحة مسكية ترهف من حواسهن الى حد صرن معه يرين ما لا يرى ويسمعن ما لا وجود له .

واغرى الحديث عن بركات الرجل جدتى التركية «أم عزيزة» فحضرت ذات يوم احدى تلك الحلقات ، وأنكرت عيناها ما رات ، واستهجنته ، وشنت على الرجل حملات شعواء ممتدة . ومنذ ذلك اليوم استحكم عداء بين «ش» وبين جدتى لأمى لم ينته إلا بموت الاثنتين فالموت وحده هو الذى يضع النهاية لكل الأشياء .

ولكن (ش) ظلت تحمل لأمى ولنا ـ باستثناء اخي احمد ـ كرهاً موروثاً .

عندما فتحت عينى عليها كانت فى الستينات من عمرها على ما اقدر ، وكنت أراها تكثر من الصلاة والصيام والتسبيح . كانت تصوم الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان ، وتصلى صلاة قيام الليل ، كما كانت تصلي صلاة التراويح والضحى . وكنت أرى مسبحة هائلة الحجم تتكوم على مقعدها الأرضى تسمى بالألفية فقد كانت تلك المسبحة تتكون من الف حبة ، يذكر أسم الله على حباتها حبة حبة . وكانت



مدينة نابلس التى شهدت ميلاد الشاعرة فدوى طوقان



الشاعرة فدوى طوقان

● كان الغناء بهجتي وفرحي ، وظل تعلم العزف على العود مطمحاً يملأ تفكيري ، حتى حققته بصعوبة وجهد

● من الأشياء التي لم يكن لها أثر في بيتنا .. الإيمان بالخرافات أو اتخاذ الحُجُب والتعاويذ كنوع من الوقاية

« ش » تضع علامة بين الحبة التى وقفت عندها عن التسبيح والحبة التى تليها ، أما العلامة فهى خيط تربطه بين الحبتين ليكون هاديها الى المكان الذى وقفت عنده .

كانت تمتلكنى فى طفولتى رغبة فى مراقبة المصلين وحركاتهم ، وكثيراً ما وقفت بباب (جامع البيك) المواجه لدارنا فى السوق القديم أرنو الى جماعة المصلين ، فارى تفاوتا فى تعابير الوجوه وفى طريقة أداء الصلاة . فهناك المسرع المتعجل الذى يبدو وكأنه لا يبالى أو لا يفكر بما يقوم به ، وهناك المتانى الخاشع والمندمج فيما يفعل بروحه وبقلبه .

كنت أرقب حركات اليدين وهما ترتفعان الى ما وراء الأذنين ثم تستقران فوراً على الصدر وقد وضعت الكف اليمنى على ظهر الكف اليسرى ، وتهمس الشفاه بتمتمات الصلاة ثم تبدأ حركات الجسم المنتظمة . انحناء الجذع الى الأمام ثم انتصاب القامة ورفع الراس الى أعلى ثم العودة الى الانحناء والركوع فالسجود ثم الركوع مرة أخرى مع وضع الراحتين على الفخذين ، ثم التشهد المصحوب برفع السبابتين ثم التحيات مع التفاتة الرأس يميناً وشمالا وهكذا . وكانت مراقبة هذه الحركات تستهوينى الى حد بعيد وكنت اتمنى دائما لو أعرف لماذا يقوم بها المصلون

أما (ش) فكان اداؤها لفريضة الصلاة يحمل طابع المبالغة والتصنع . كان هناك دائماً شىء مصطنع وغير حقيقى لشدة المبالغة فى ادائها للصلاة .

وكانت تعتريها أحيانا حالات من الدروشة ، فتشرع تهتز هزات عنيفة وتحرك راسها بعنف يميناً وشمالا مع ترديد اسم الله ... الله ... الله .. الخ . تلفظه بعجلة وبلا توقف ، وياخذ الزبد يتراكم على طرفى فمها كلما امعنت فى حركات الدروشة .

اما أوقاتها الأخرى فكانت مكرسة لاصدار الأوامر والنواهى على نساء العائلة واستغابة عباد الله وانتقادهم بحقد ومرارة ، شان المحبطين الفاشلين فى الحياة .

وما كان اسوا ظن (ش) . ففى كثير من الحالات كانت تفسر تصرفات الآخرين تفسيراً جنسياً . ولم تكن تسمح لواحدة من بنات العائلة باقامة صداقة مع القريبات أو زميلات الدراسة أو بنات الجيرة ، فالشيطان فى رايها قابع هناك دائماً ـ بين كل اثنين ـ وهكذا كانت تطرد من المنزل كل صديقة مدرسة أو رفيقة جيرة .

وحين كنت اقوم بتقديم خدمة لها أو شراء ما تحتاج اليه من السوق كنت افعل ذلك بلهفة لاكسب محبتها ورضاها عنى ، ولكنها ما كانت لتجود علي حتى بابتسامة

أو بنظرة فيها طراوة وحنو . فكانت تقف دائماً كجدار يكسوه الصقيع ، لا تنبت عليه عشبة خضراء . وكنت اقارن فى نفسى بينها وبين جدتى لامى . ما ابعد الفرق ... هناك الدفء والرقة والنعومة ، اما (ش) فكانت صحراء لا شجرة فيها ولا ينبوع ماء .

كانت متكبرة ، متعالية ، تتملكها غطرسة طبقية عمياء وبلا عقل . هى ، المتدينة ، التى تؤمها النسوة الساذجات وبصحبتهن اطفالهن المرضى ، وبايديهن أباريق الماء لتتلو (ش) آيات القرآن على رؤوس الاطفال ولتنفث انفاسها (الطاهرة) داخل الابريق كيما تحل فى الماء البركة الشافية ، هذه السيدة المتبتلة لله وفى الله كانت لها نظرة غريبة تجاه الطبقة المسحوقة ، نظرة ممجوجة يملؤها الترفع والتعالى ... نحن فوق ، انتم تحت ... هكذا أراد الله ...

فى تلك الأيام كانت هذه النظرة مألوفة لدى الناس ، وكانت الطبقية قدرًا من صنع الله ، وحكماً من احكامه لا يرد ، كنت اسمع دائما هذه الكلمة المقيتة : سيدى ، ستي ، امرك سيدى ، امرك ستى ، امرك ابن سيدى.

إن افكار البيئة تظل سارية المفعول مادام الناس يتقبلونها ولا يتمردون عليها .

وإذا كنا نرفض اليوم قول ارسطو « ان العبد يشبه الحيوان » فما كان قوله هذا فى زمنه ممجوجاً ولا مرفوضاً ، فقد كان ارسطو منساقاً مع الافكار السائدة فى عصره ، افكار المجتمع الاثينى العبودى .

اذكر ان امرأة قالت لـ (ش) فى مناسبة من مناسبات الأفراح فى البيت : شرفينا يا ستي بزيارة لنا ، اننا نزوركم دائمـا ولا تزوروننا . وحدجتهـا (ش) بعينين جليديتين ثم قالت بغطرستها المعهودة : اسمعي، دائماً وأبداً تزوروننا ولا نزوركم ، فما معنى الخروج اليوم على هذه القاعدة وماذا جرى للدنيا ؟ هل انقلبت الأشياء رأساً على عقب ؟

وانكسفت المرأة وغاص قلبى فى جوفى رحمة بها ، ومضيت اهرول الى امى احكي لها كيف كسفت (ش) تلك المرأة المسكينة . كنت صغيرة ، لا ادرك معنى الانسحاق الانسانى او قسوته ، ولكنى كنت اعاف هذه المواقف غريزياً وتلقائياً فقد كنت شديدة الحساسية . ولعلى كنت بالنسبة لهذا الموقف متأثرة لا شعورياً بامى ، فقد كانت تستهجن التعالى الطبقى . وتنتقد غطرسة (ش) حتى لا تصيبنا عدواها . كانت تقول لنا بكل بساطة : كلنا من خلق رب واحد ، وكلنـا مصيرنا الى التراب . ان (ش) قاسية القلب . فالانسان لا ينبغى أن يهين كرامة انسان آخر مهما كانت منزلتـه الاجتماعية ومن القسوة التى يعاقب عليها الله ايذاء شعور الفقير .

● أرست أسرتنا تقليد إيفاد الأبناء إلى مدارس أجنبية

● دفعت نابلس ضريبة غالية من جمالها وعراقتها لكي تصبح مدينة عصرية!

كانت امي تحدثنا بعفوية وبساطة عن ديمقراطية الموت الذى يساوى بين كل الناس ، كما علمتنا بطريقة غير مباشرة المعنى الحقيقى لكلمة (انسان) وما يحمله هذا المعنى من شمول اخوى .

وكنت استغرب بدورى كيف يمكن ان يتخذ انسان ، ناهيك بسيدة متدينة ، مثل تلك المواقف القاسية . غير انني ادركت فيما بعد نفاق (ش) الديني ، فما استطاع تدينها ان يشذب احاسيسها ومشاعرها الانسانية ، ولم تكن لتفقه المعنى الحقيقى للدين وانه محبة ورحمة وحسن معاملة ، فلقد كانت امية فى عقلها ومشاعرها الى جانب اميتها الأبجدية .

كانت عندها مقاييس الحلال والحرام ، واللائق وغير اللائق ، عجيبة غريبة . فقد كانت تصرخ فى وجهى اذا رأتنى مرتدية ثوباً قصيراً : هيا .. شمرى عن فخذيك اكثر .. ستدخلين جهنم انت وامك التى خاطت لك هذه الملابس المشينة !

وكان هذا يشوش صـفاء طفولتي وبساطتها ، كما كان يبلبل عقلي الصغير . من اجل ثوب قصير يدخلنى الله جهنم مع امي ؟ واتخيل الله ربا قاسـيا رهيبـا لا يرحم .

كنت كلما خلوت بنفسي ارفع صوتى بالغناء : (كم بعثنا مع النسيم سلاماً للحبيب الجميل حيث ..) وتدخل (ش) كالزوبعة : اخرسي ، اغلقي فمك ، لم يبق الا ان تصبحي (جنكية) فى تخت « هند » و « سارينا » .. وينكسر صوتى فجاة ، وتتعلق الاغنية فى الهواء صورة ناقصة ..

كانت « هند » و « سارينا » مغنيتين محترفتين فى نابلس ، اما كلمة جنكية فكانت تطلق على المغنية المحترفة وهى مشتقة من كلمة « الجنك » الاسم الفارسى لآلة وترية تشبه السنطور .

ولو اخترقت (ش) اعماقى فى تلك الأيام لوقع بصرها على امنية قابعة هناك تحمل كل تطلع الى ان اصبح يوماً جنكية او راقصة .. فقد كان اسم جنكية وراقصة يرتبط بالنسبة لي باحب الأشياء الى وهو الحرية .. فالواحدة من اولئك المحترفات كانت تملك حرية لا يملكها عالمى الذى اعيش فيه ، فليس هناك من يفرض سلطته على المغنية او يقيد خطواتها . كما كان الغناء والرقص فى نظرى اجمل ما فى الوجود . فحين كانت امى تدندن بصوتها الشجى الحنون كنت اركض فاجلس الى جانبها فى اصغاء مرهف .. رايـح فين يا مسليني ــ لموا العشيرة واجمعوا الخلاني ــ اوف مشعل ــ زوروني فى السنة مرة ــ وغير هذه الاغانى التى لا ازال احبها ، وكنت سريعة الحفظ للاغنية لحنا وكلمات .

كان الغناء بهجتى وفرحي ، وظل تعلم العزف على العود مطمحاً يملا تفكيرى ، حتى حققته بصعوبة وجهد . فقد كان وجود آلة العود فى البيت من المحظورات . ولقد ظل العزف والغناء بالنسبة لي تعبيراً ومخرجاً رمزياً لحاجاتي العاطفية المكبوتة فيما تلا من مرحلة الصبا والشباب ، فكنت اجد فى الموسيقى والغناء ــ سواء فى الاسـتماع اليهمـا او فى ممارسـتهما ، تنفيساً للتوتر الذى اعانيه ، وظل هـذا الفن ، كالشعر ، وسيلة لتحقيق ذاتي واطلاق الطاقة الحبيسة فى داخلي .

ومن اشد ذكرياتى الكئيبة المرتبطـة بـ (ش) دخولها فى احد الأيام غرفتنا او (غرفة البنات) كما كان يطلق عليها ، او (البيت القبلي) ، فلقد كان لكل غرفة اسم يميزها من غيرها من غرف الدار . دخلت (ش) لتفاجا بشقيقي الكبير احمد يساعدنى فى توضيح بعض الأصـول

العروضية وبين يديه قصيدة لي ، او بالاحرى محاولة من محاولاتي الشعرية الاولية ، ووقفت (ش) صامتة فوق راسينا ثم قالت لاحمد بلهجة مرة عاتبة : حتى انت ؟ ثم اضافت : كلما طلع للبنت قرن اكسره ! ومازحها احمد بكلمة عابرة ثم انصرف اليّ والى قصيدتي من جديد .

(حتى انت ؟) .. تعبير مفجوع برجاحة عقل احمد ، الوحيد الذى كانت تؤثره من بيننا بالمحبة ، اما ابراهيم فما احبته قط ، وكان فى نظرها خارجا على تقاليد العائلة متحرراً من قيودها الصارمة .

ومنذ ذلك اليوم ادركت انه لا جدوى هناك من محاولة اقامة جسر بينها وبيني ونفضت يدى من هذا الأمل البعيد ، وظلت (ش) بالنسبة لعالم طفولتي ومراهقتي كابوساً ترك لمسات اصابعه القاسية على حياتي لفترة طويلة .

كانت من ضمن اولئك الذين لعبـوا دورهم في حياتي ثم اوغلوا فى طوايا الزمن !

• • •

حين زار السائح التركي (اوليا جلبي) مدينة نابلس ، ذكر فى سجل ملاحظاته بساتينها وينابيعها العذبة الكثيرة ودورها التى تشبه القلاع لضخامتها ومتانة بنيانها كما اشار الى كثرة اطفالها .. ثم قال : « واذا سالت احداً من اهلها عن اصله ونسبه ذكر لك انه من احفاد احد الرسل او الانبياء » .

ان ايماني بصدق تاريخ الانساب مزعزع ولا ارى كبير جدوى فى الرجوع إلى صفحات التـاريخ للبحث عن شروش ما يسمي بشجرة العائلة لاسيما حين تكون تلك الشروش موغلة فى اعماق البادية .

وعلى اية حال فالشيء المؤكد ان العائلة التى انتمى اليها لا يرجع اصلها الى احـد الرسل او الانبياء ..

غير ان المعروف المتوارث منذ خمسـة قرون يشير الى أن اجداد العائلة كانوا يقيمون خيامهم فى البادية بين حمص ، وحماه ، حيث لا يزال هناك التل المعروف باسم « تل طوقان » ، وحيث لا تزال بعض بطون البدو غير المتحضرة تقيم حتى اليوم واذكر ان جماعة بدوية من طوقان تلك النواحي قدموا الى نابلس قبل حوالى اربعين عاما للتعرف على اقر بائهم وقـد نزلوا ضيوفاً فى بيتنا لبضعة ايام ، وكان هذا (حدثا) مثيراً جداً بالنسبة لنا بعث فى قلوبنا البهجة ، نحن الجيل الصغير .

والمعروف ، بل المؤكد ان بعض احفـاد اجدادنا الذين نزحوا واستقروا فى نابلس قد انخرطوا بعد الفتح العثمانى فى الجيش المحترف المعـــروف بجيش « الانكشارية » وقد عرف هذا الجيش فيما بعد باستبداده بالامور السياسية . وكان الجد الاكبر للفرع الذى انبثقت منه اسرة ابى واحداً من رجال ذلك الجيش ، وكان هو ـ ابراهيم اغا الشوربجي ـ الذى عمر البيت الذى توارثناه جيلا بعد جيل حتى اليوم ..

البيت اثرى كبير من بيوت نابلس القديمة التى تذكرك بقصور الحريم والحرمان .. والتى هندست بحيث تتلاءم وضرورات النظام الاقطاعى . ترى فيها العقود والاقواس والباحات الواســعة والحدائق ونوافير الماء والطوابق العليـا والسلالم الملتوية . ويصعب على الزائر الاهتداء الى طريقه وتبين مسالكه دون دليل ، فالمرء لا يعرف فى مثل هذه البيوت هل هو مفض الى غرفة الاستقبال ام الى قن الدجاج أم الى المطبخ .

فى هذا البيت ، وبين جدرانه العالية التى تحجب كل العالم الخارجى عن جماعة « الحريم » الموءودة فيه . انسحقت طفولتى وصباى وجـزء غير قليل من شبابي .

اما الجو العائلى فيسيطر عليه الرجل كما فى كل بيت . وعلى المراة ان تنسى وجود لفظة « لا » فى اللغة الا حين شهادة (لا اله الاّ الله) فى وضوئها وصلاتها . اما (نعم) فهى اللفظة الببغاوية التى تلقنها منذ الرضاع . لتصبح فيما بعد كلمة صمغية ملتصقة على شفتيها مدى حياتها كله .

حق التعبير عن النفس محظور عليها ، الضحك والغناء من المحرمــات ويمكن اختلاسهما بعد أن يغادر الرجال (الارباب) الى اعمالهم ، الاستقلال الشخصي مفهوم غائب لا حضور له اطلاقاً فى حياتها .

فاذا تركت المراة الان تعيش غيابها فى ذلك البيت ـ السجن ـ وعرجت على المناخ العائلى العام رايت التناقض ، حيث يلتقى التعصب الديني واللا تعصب ، وحيث يلتقي الشعور القومى والوطنى بتقليد ثقافى حرص ابى وعمي على ترسيخه فى العائلة ، وذلك بايفاد الابنـاء الى مدارس اجنبية لتحصيل العلم والتزود بالثقافـة الغربية فى وقت كان « الازهر » فيه قبلة طالب العلم فى المدينة .

ومن صور التناقض فى هذا المناخ العائلى الاختلاف الشاسع بين طبائع افراد الاسرتين ، اسرة عمى واسرة ابى ، كان عمى انبساطيا منفتحا ، يتحدث الى نساء العائلة ، يضاحكنا ، يشاركنا فى العابنا الطفولية . اما ابى فكان جافـاً لا يترك لي أو لاخواتى مجالا لنتقرب اليه اكثر ، وقد ظل حضوره يبعث فى نفسى الضيق منذ طفولتى . وكنت استغرب من البشاشة التى يغدقها على بنات عمى ، ويمسكها عنا نحن بناته .

اما ابناء عمى فقد ظلوا منغلقين على انفسهم ، يرفعون بيننا وبينهم جداراً مسدوداً من البرود العاطفى والصمت المطبق ، كما كان عبوسهم وسريتهم مثار استغرابى دائما . اما اخوتى فكانوا مرحين يملؤون الدار حيوية وضحكاً وغناء . كان كل شيء يتعلق بهم مفتوحاً معلنا ، بينما اسرة عمى تغلف نفسها دوننا بتكتمها وسريتها المحكمة الاغلاق .

ومن الجدير بالذكر خلو الجو العائلى من المشاكل . كان ابى وعمى لا يسمحان اطلاقاً باثارة القيل والقال والنكد العائلى . وهكذا ظل ايقاع الحياة فى البيت يبدو متناسقا متناغما ، ولكن ظاهرياً . ففى الحقيقة كان هناك ما يشبه العداء الصامت بين افراد الاسرتين ، أو لاقل عدم الانسجام أو التنافر بين الطباع ، وكان تنافراً عميق الغور .

كانت المشاجرة بين الكبار شيئاً غريباً جداً على جو العائلة . وكنا حين نسمع تشاتم الجيران وعراكهم وصراخهم ، وقـد اختلطت اصوات النساء باصوات الرجال نستنكر ذلك ، فالمشاجرة الصارخة كانت توحى لنا دائما بغوغائية المتشاجرين وكونهم من العوام .

ومن الاشياء التى لم يكن لها اثر فى البيت الايمان بالخرافات والاعتقاد بوجود الجن والعفاريت ، أو اتخاذ الحجب والتعاويذ كنوع من الوقاية ودرءا للشر والاذى . كانت هذه الامور تثير ضحكنا وتعليقاتنا الساخرة . وهكذا نشات محصنة ضد الخرافة .

على أن هناك نزعة كامنة فى نفسي للغيبيات ولو كان عقلى يرفضها . فالتشاؤم والتفاؤل من طبيعتى . واخاف من الحسد

.. كما أن الحلم السيء ينشر غلالة من الكابة والتوجس في نفسي على مدى نهاري كله .

• • •

لعل من الطف ما قراته من اقوال الرحالة الذين زاروا نابلس في الماضي ، حديث الشيخ مصطفى اللقيمي الحسيني في رحلته المسماة « موانح الانس برحلتي لوادي القدس ـ ١١٤٣ هـ ـ » فبعد وصفه لجمالها الطبيعي وخيراتها ووفرة عيونها يقول « وهي معتدلة الهواء تناسب لطافة كيانها أهل الجوى » .

كلما مررت بالشوارع التي تزنر اليوم جبلي عيبال وجرزيم أو تربض على أكتافهما ارتددت الى عالم الطفولة ، عالم الاستكشاف والدهشة ، وعبرت بي وجوه الماضي ، وشعرت بالحنين الى وجه مدينتي القديم والى « لطافة كيانها » .

اية ضريبة تدفعها البلدة الصغيرة العريقة لكي تصبح مدينة كبيرة تواكب سير العصر ؟! انها ضريبة غالية تدفعها من جمالها البكر ومن عراقتها الطبيعية والعمرانية .

اين اليوم الأسواق المسقوفة المبلطة ، والقناطر العتيقة ، والأزقة الضيقة المشبعة برائحة التاريخ ؟ كل هذه اختفى معظمها فلم يبق الا القليل القليل .

أم اين البساتين التي كانت تغطي منطقة « راس العين » في جبل جرزيم او تلك التي كانت تنسحب على الوادي الاخضر الممتد بين الجبلين ؟ .

وادور بنظري باحثة عن « الكيان اللطيف » ، وعن الوجه الريان الاخضر ولكن هذين لم يبق منهما الا بعض ملامح ـ لقد غابت اشجار اللوز والجوز والخوخ والمشمش والليمون الحامض لترتفع مكانها المخازن والدور الحديثة بطوابقها العديدة ، ولتمتد الشوارع الاسفلتية مفسحة الطريق للسيارات والباصات والشاحنات .

حين اعبر بشوارع راس العين تبحث عيناي عن ممرات السيل في الجبل ، وعن شلالات الماء المضيئة بشمس الربيع وهي تندفع من بطن الجبل بكل عريدتها ، هابطة نحو السفوح ليبتلعها جوف الأرض من جديد .

في موسم تفجر العيون ، خلال شهري شباط وآذار ، كان نساء البلد ينطلقن الى

الله كم تصبحي
تكبيرة العيد
أشهى إلى قلبي
من كل تغريد

تلك العيون والشلالات متلفعات بملاءاتهن السوداء ، ومعهن سلال الكعك البلدي والمحمصات المملحة والحلوى النابلسية . وها أنا الآن ، اذ ادخل في رحاب الخيال والذكرى ، أرى الصبية زمراً ، باقدامهم الحافية وسيقانهم المكشوفة ، يخوضون في المياه الديناميكية بين صخور الجبل ، يغسلون الخس ويتراشقون باوراقه الخضراء ، يصخبون ويتشاتمون ، وتطفو ضحكاتهم على سطح المياه المنحدرة مرافقة اوراق الخس وقشور البرتقال والليمون الحلو ، ثم تختلط كلها بصوت الهدير .

لقد انحصرت اليوم مياه الينابيع في الخزانات ، وغابت العيون والشلالات ، واشياء كثيرة اخرى ، ووجوه صميمية وحميمية ، غابت كلها وبقيت ذكراها حية في النفس لا تغيب .

• • •

اين (علياء) رفيقة الطفولة ؟

اكثر افراح طفولتي على قلة تلك الأفراح ـ تقترن بذكر « علياء » بنت الجارة أم حسن .

كانت تكبرني باربع سنوات ، على الرغم من هذا الفارق الكبير في السن بالقياس الى تلك المرحلة من العمر ، فقد كنا على انسجام كامل وتفاهم ومحبة مشتركة .

كنت اتوسل الى امي لتسمح لي بمرافقة « علياء » الى راس العين . فهناك كانت تقطن خالة « علياء » في بيت منعزل ، تكتنفه وتخفيه عن الانظار بساتين واشجار تشابكت غصونها والتف بعضها بالبعض الآخر ، وكانت الغبطة تملأ قلبي وعيني اذا سمحت لي امي بمصاحبة « علياء » الى منزل خالتها ، وكنت ابتهل الى الله ونحن ننطلق معاً من دارنا ان تمر اللحظات الأولى بسلام فلا التقي بواحد من ابناء عمي أو ابي او اخي احمد فيردني على اعقابي خائبة حزينة .

كان مشوارنا دائماً بعد العصر . وكانت نفسي تتوهج أمام الجمال البري المحيط وقد هيمن الصمت على المنطقة غير المأهولة .

المنعطفات الرطبة ، خرير المياه غير المنظورة ، شجيرات العليق الأحمر الكثيفة المتشابكة وما كان اشهى ثمرها ، فما زلت احس بمذاقه الحاد ، الحامض كلما استرجع خيالي ذلك الماضي البعيد .

كنت اقتفي خطوات « علياء » في الممرات الضيقة المظللة بالشجر المتشابك ، ممرات لم تكن لتتسع لسيرنا جنباً الى جنب . وكان المكان يبدو لي جزءاً من عالم آخر ، أو هكذا كنت اتخيل .

كان الاحساس بالحرية والانطلاق بعيداً عن جو البيت الاثري المختنق بالمحظورات والاوامر والنواهي التي لا أول لها ولا آخر ، كان ذلك الاحساس بالحرية يملؤني بفوحان الحياة . ففي تلك اللحظات الباهرة كان يستولى علي نهم حسي لالتهام الوجود ، وتجتاحني رغبة الامتلاك ، فاتمنى لو كانت تلك الاشكال الحية ، المختمرة بخميرة الحياة المتفتحة ، شيئاً تحت مخدتي مع اشيائي الطفولية المخبأة هناك .

ولقد نشأت أواصر صداقة حميمة بيني وبين أشجار تلك المنطقة وممراتها الضيقة ومنعطفاتها الرطبة ، فعايشتها كلها بالفة وحب عميقين . معها كنت احس بالفرح الحقيقي ، وكل شيء كان يثير دهشتي ، وكل شيء كان جديداً بالنسبة لعيني وخيالي ، باعثاً في اعماقي نشوة طازجة . وهكذا كانت تنطلق طفولتي بكل تلقائيتها النابضة لتعانق الدنيا البكر الجديدة حيث عالم الخضرة ينمو نمواً حراً لا تحد من حريته اية حواجز . ولقد كنت احب تلك الفوضى في نمو الأشجار اذا صح ان اسمي الحرية فوضى . وكنت احدق في الطبيعة من حولي كما يحدق الرضيع في وجه امه اذ هو يكتشفه ملمحاً ملمحاً يوماً بعد يوم .

ومن خلال « علياء » بنت الجارة تعرفت

على وجوه اخرى كثيرة لبلدتى ، وعلى ايقاعات للحياة فيها ما كنت لاتعرف عليها من قرب لولا هذه الرفيقة المحبوبة ، والتي كانت نفيض حيوية ونشاطا وحركة .

لقد عرفتني على المباهج الموسمية والأفراح الاجتماعية ، كالاعراس ، والموالد وافراح الحج ، وختم القران ، وميلاد الأطفال الذكور ، والختان ، وكم من مرة اصطحبتني الى بيت احد اقربائها في شهر شعبان ، فقد جرت العادة لدى العائلات النابلسية أن يستضيف كبير العائلة وعميدها افراد النساء من خالات وعمات وبنات اعمام وسواهن من القريبات ، وقد كانت هذه الاستضافة شكلا من اشكال صلة الرحم ، كما كانت في نفس الوقت مناسبة بهيجة لاولئك النسوة في ذلك الملتقى « الشعباني » ، يلبسن فيه الملابس الجديدة ويخضبن راحتهن بالحناء ، ويضعن على الجانب الأيمن من روءسهن اضمامات من الزهر من يأسمين وقرنفل وريحان اخضر وسوى ذلك من الزهور البيتية العطرة . وكان اكثر ما يستهويني مجلس الغناء الذي كن يعقدنه ويطلقن فيه العنـــان لاصـــواتهن الجميلة وكنت استغرب كيف يسمح لهن رجال العائلة بكل هذا الفرح .. فمثل هذه الأجواء البهيجة لم تكن مالوفة في بيتنا ولا كان مسموحاً بها . بل كانت صلة الرحم تتخذ شكلا صامتا مفرغا من الالوان والحركة ومظاهر الفرح .

وفي الربيع والصيف كان لأيام الخميس نكهة خاصة اذ تخرج النساء في العصر الى السفوح الخضراء ومعهن اصناف منوعة من الطعام والفاكهة والنقل ، وكان هذا الملتقى الاجتماعي للمرح من المحظورات على نساء العائلة ، ولقد تعرفت عليه من خلال « علياء » وخالتي الوحيدة ام عبد الله عسقلان.

كما كنت اصطحب علياء وأمها الى المزارات ومقامات الأولياء والدراويش ففي هذه المقامات اعتاد ضيوف الدراويش الاحتفال وذلك بدق الطبول والصنوج ورفع الاعلام الخضراء الكبيرة . وفي مقامات الأولياء كنت ارى احياناً بعض السرج مضاءة في أطراف المقام الذي غطته ملاءة خضراء مطرزة ببعض أيات القران . ومن أم علياء عرفت أن بعض النساء العواقر يلجأن إلي المقام متوسلات للحصول على النسل ، فيضعن السرج لتضاء هناك تقرباً الى الولى او وفاء بالنذر . وكان هذا يشعل خيالي ويضعني في جو من الغموض الجميل ولكنني بعد عودتي الى البيت والتحدث الى امى عما رايت وسمعت ، كنت اصدم دائماً بعدم تجاوبها مع اقوالى وتسـفيهها كل هذه « الخزعبلات » وكانت تستعمل هذه الكلمة بالذات . وهكذا كانت تقتل خيالى وتخرجني من عالم الغموض الذى كان يستهويني دائما .

احيانا ، لدى مروري بجامع الحنبلي فى السوق القديم وسط المدينة يفاجئنى الماضى منطلقاً من خزانة الذاكرة ، وتمثل فى ساحة الوعي أمسيات السابع والعشرين من شهر رمضان ، فارى نفسي ادخل المسجد مع علياء وقد ازدحم قبل صلاة العشاء ــ او بعدها ، فلست اذكر تماماً ــ ازدحم بالنسوة اللواتى كن يهرعن اليه للتبرك بشعرات النبى (صلى الله عليه وسلم) المحفوظة فى خزانة على يمين المحراب ، لقد جلبت هذه الشعرات من الاستانة بأمر من السلطان محمد رشاد . وعلى منبر الجامع تقع العين على كتابة تقول (تجدد بناء المسجد وتشرف بالشعرات المحمدية بامر من السلطان محمد رشاد خان الخامس نصره الله) .

وكم حاولت أن اشق طريقي مع علياء خلال الزحام لادنو من الخزانة وارى الشعرات المحمدية ، ولكني كنت احس باجسام النسوة المتراصة تكاد تسحقني ، فاشد قبضة يدى على تنورة علياء خوفاً من الانفصال عنها والضياع فى الزحام .

وكان اكثر ما يثيرنى ويفرحنى مباهج الأعياد . كنت ارافقها الى ساحة الالعاب والاراجيح . ولم اكن احب لعبة الأرجوحة ، فقد كنت اضيق باحساس مثل الخدر فى نهاية الحبل الشوكى كلما دفعتنى الأرجوحة بقوة وعنف الى الامام . لذلك كنت احجم عن هذه اللعبة وافضل عليها لعبة (الدولاب) . فكنت اجلس مع علياء فى واحد من الصناديق المثبتة على دولاب خشبى ضخم يقوم على عواميد حديدية مغروسة فى الأرض ، ويشرع صاحب الدولاب بتحريكه، ويبدأ الدولاب بالدوران ، ومع دورانه كانت ترتفع بنا الصناديق تارة وتهبط اخرى ، ويظل الدولاب يدور ومع كل دورة يعود الى القمة من هبط ويهبط من ارتفع ، وكانت الاثارة تكمن فى هذا الصعود والهبوط الدورى . كانت عملية الارتفاع مصحوبة لدى بخوف من السقوط المفاجىء ، اما فى عملية الهبوط فقد كنت احب احساساً بالهوى اشعر به تحت الحجاب الحاجز ، كان احساساً اشبه بدغدغة لطيفة .

كنا احياناً نغفل عن انفسنا وقد انغمرنا فى تلك المباهج ، نتنقل من مكان الى آخر ، نلعب ونشترى اللوز الاخضر والترمس والفول المملح ، وكيف لا نشبع رغباتنا المادية والجيب عامرة (بالعيدية) والقروش تثقلها .

اما الصباح الباكر لأول ايام العيد فهو من احلى ذكريات الأعياد . كنت اهرع الى السوق واقف بباب « جامع البيك » امام منزلنا فى السوق القديمة ، أراقب المصلين وقد لبسوا احسن لباسهم . وكانت تكبيرة العيد وهي تتصاعد متواجدة خاشعة فى ترتيل جماعي يملك الاحساس ، تملأني بالحنان ، وترقق مشاعرى حتى الشفافية . ولا ازال حتى اليوم احب الاصغاء اليها صبيحة كل عيد مذاعة من محطات الاذاعات العربية . وفى مرحلتى الشعرية المبكرة نظمت للاذاعة الفلسطينية نشيداً للعـيد ضمنته احساساتي الطفولية بكل عفويتها وتلقائيتها . لقد كان يلفت نظرى وقوف ابى وسواه من اعيان البلدة بجانب الفقراء والبسطاء فى أوقات صلاة العيد .

كنت احب منظر الرجال في ملابسهم الجديدة ، لاسيما منظر القنابيز اللماعة المخططة بخطوط رفيعة باهتة اللون ، وفى اثناء سيرهم كان يصدر حفيف لطيف من احتكاك اطراف القنباز بعضها ببعض كحفيف أوراق الشجر وقد لاعبها النسيم . اما الجاكيتات الانيقة فكان الشباب يضعون فى الجيب الصغير على الصدر منديلا حريريا تتدلى اطرافه خارج الجيب فتبدو للعين كعصفور يرف جناحاه ، مع حركة السير . كما كان بعض الشباب يضعون زهرة قرنفل أو زر ورد بدل المنديل .

وكانت الاثارة الكبرى بالنسبة لنا نحن الصغار حين نسمع أول طلقات المدفع معلنة بشائر العيد . هنا كانت تضج نواحي البلدة بهتاف الصبية والبنات الصغيرات . فكانت هذه اللحظة هى ذروة الفرح الطفولى بالعيد السعيد .

بقيــة المذكــرات
العــدد القــادم



هل تعلم

عبد العزيز السيد المصري

كيف اكتشف كوكب بلوتو؟

ترى كيف يكون البحث عن إبرة في كومة قش ؟ .. إن هذا ما عاناه الفلكيون وهم يحاولون العثور على الكوكب بلوتو ... فهو ابعد الكواكب في نظامنا الشمسي .. ويبعد عن الشمس اكثر من بعد الارض عنها اربعين مرة ... وهو يبدو - لذلك - شاحبا جدا ، ولا يراه إلا تلسكوب ضخم ... ومع ذلك فقد تم اكتشافه فكيف حدث ذلك ؟

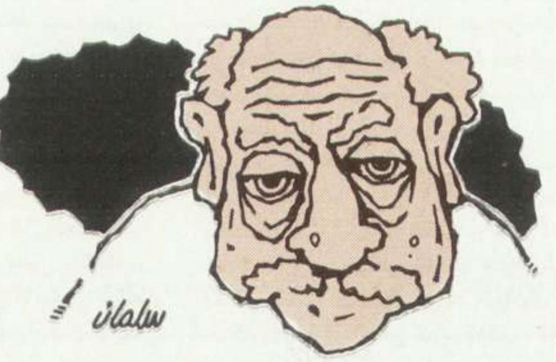
هناك مجموعتان من القوانين هي التي تساعد الانسان في الحصول على معلومات عن حجم الكواكب وبعدها عن الارض . قوانين كيبلر عن الحركة الكوكبية التي بينت ان مدارات الكواكب حول الشمس ليست تامة الاستدارة . وقانون نيوتن عن الجاذبية الذي ساعد الفلكيين على تقدير اوزان واحجام وكثافة الكواكب .. ويبين ذلك القانون ان كل جسمين يجذب احدهما الآخر بقوة تعتمد على كثافة كل منهما (أي كمية المواد الموجودة في كل منهما) وبعد كل منهما عن الآخر .. وكلما زادت جاذبيتهما كلما اشتد جذب كل منهما للآخر .. وكلما قرب احدهما من الآخر كلما زادت قوة الجذب .

إن هذين القانونين جعلا رجلين يلاحظان في سنة ١٨٦٤ ان هناك خاصية ما في كوكب اورانوس .. فلم يكن يتحرك في مداره كما يتحرك غيره من الكواكب المعروفة .. فمن طريقته في الدوران افترض الفلكيون وجود كوكب آخر يؤثر على حركته .. ولكن اين هذا الكوكب المجهول ؟ .. طلب احد هذين الرجلين من مرصد برلين أن يبحث عن الكوكب المجهول في جانب ما من السماء .. فعثر عليه هناك .. وسمي هذا الكوكب الجديد «نبتون» .

وفي سنة ١٩١٥ اعتقد الفلكي الامريكي «بير سيفال لويل» ان حركة اورانوس تتاثر بكوكب ما وراء نبتون المكتشف حديثا ، وشعر فلكي آخر ان حركة نبتون نفسه تتاثر بكوكب آخر وراءه .. وهكذا بدات سلسلة من البحوث المتتابعة بالتلسكوب ومراجعة وفحص الصور الفوتوغرافية للعثور على هذا الكوكب الآخر .

وفي ١٨ فبراير سنة ١٩٣٠ بينما كان الفلكي «تومبو» يفحص بعض الصور الفوتوغرافية بحثا عن هذا الكوكب المجهول عثر عليه قرب الموقع الذي اشار اليه «لويل» من قبل في سنة ١٩١٥ ، وكان هذا الكوكب هو بلوتو .. ابعد الكواكب في مجموعتنا الشمسية .

لماذا لانستطيع تجنب أمراض الشيخوخة؟



يود معظم الناس ان يعيشوا ويعمروا فى الأرض ولكن احدا منهم لا يريد أن يشيخ ويصير عجوزا واهنا وينسون ان الشيخوخة عملية حتمية تبدأ مع ميلاد الانسان نفسه وتستمر طوال حياته . كلنا يعرف ماذا يحدث لرجل تتقدم به السن عاما بعد عام .. جميع وظائف بدنه الحيوية ، تاخذ فى الضعف فقوته تهن وحواسه ترتبك ، ويفقد عادة الكثير من وزنه بل ومن طوله أيضا وكثيرا ما يصاحب ذلك ظلال فى البصر وثقل فى السمع ، ويتحول لون شعره إلى رمادى ، ويتكرش جلده ويصير اقل طراوة ومرونة . وطبيعى الا تصيب تلك الاعراض جميعها الناس كلهم فى عمر واحد ، ولكن هناك تغيرات معينة لا يمكن اتقاؤها او الافلات منها وذلك لان هذه التغيرات تحدث فى انسجة البدن وفى اعضائه جميعا فمثلا خلايا انسجة الكلية والكبد ، والبنكرياس ، والطحال تبدأ فى التلف وذلك لان الأوعية الدموية تصيبها الشيخوخة فتعجز عن تزويدها بالدم والغذاء بنفس القدرة والكفاءة السابقتين ، كما يصيب التلف الغدة الدرقية وغيرها من الغدد أيضا .

وتبدأ جميع الانظمة الدورية للبدن فى التغير مع العمر ولا تعمل بنفس النشاط الذى كانت تعمل به من قبل .. فنحن لا نتنفس حتى بنفس الطريقة ، والعينان والآذنان والعظام والمفاصل والدم والجلد والشعر والأظافر والأسنان تبدأ جميعها فى الانتكاس او التلف .. وتقل العصارات الهاضمة فى جهازنا الهضمى وتفقد معدتنا وامعاؤنا بعضا من شدة عضلاتها ومتانتها وترتبك إمدادات الدم ، وهذا هو السبب فى ان كبار السن لابد لهم أن يغيروا غذاءهم .. فالتغير حيوى ولا يمكن منعه وذلك ببساطة ، لان الانسجة والغدد العجوز لا تستطيع أن تؤدى نفس العمل الذى كانت تؤديه وهى شابة ولكن ذلك لا يحدث كما ذكرنا بصورة واحدة شاملة ، فقد يكون انسان فى الستين من عمره وبعض أعضاء وانسجة بدنه تشبه الاعضاء والانسجة التى فى بدن انسان فى عمر الثمانين ، بينما البعض الآخر منها قد يكون فى حالة جيدة كتلك التى فى جسم انسان سنه اربعون عاما او ثلاثون أو ربما عشرون ، فلنتامل قول الله تعالى فى القرآن الكريم « الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير » سورة الروم آية ٥٤ .

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● فضيحة البرلمان الفرنساوي في قضية شركة بناما ●● القومية العربية

أكبر حادثة رشوة في التاريخ

فضيحة البرلمان الفرنساوي في قضية شركة بناما

بقلم: حسن الشريف

لعل قضية شركة بناما او « فضيحة بناما » كما يطيب للفرنسيين ان يسموها ، اكبر حادثة عرفها التاريخ من حوادث الرشوة واستغلال النفوذ . وإذا كانت هذه الفضيحة قد جل امرها وذاع خبرها فلان الملايين من الذهب قد تدفقت فيها من ايدى اصحاب المال إلى جيوب نواب الشعب الفرنساوى ولان شرف غير واحد من وزراء الدولة قد غرق فى لجتها ، ولانها قضت على سمعة كثير من الزعماء البرلمانيين وكادت تقضى على سمعة الانظمة النيابية نفسها .

● ● ●

بعد ان نجح فردينان ده ليسبس فى حفر قناة السويس خطر له ان يحفر قناة فى برزخ بناما تصل المحيط الاطلنطى بالمحيط الهادى ، وتوفر على السفن المسافرة من شرق اميركا إلى غربها شقة المسير بمحاذاة شواطىء اميركا الوسطى والبرازيل والارجنتين ، لتعود فتصعد نحو جمهوريات شيلى ، وبيرو ، وخط الاستواء ، وفنزويلا ، وامريكا الوسطى حتى تصل إلى ميناء سان فرانسيسكو .

ولقد وضع ده ليسبس فى سنة ١٨٧٦ مذكرة وافية بهذه الفكرة وبوسائل تحقيقها واقترح ان تصل القناة ما بين خليج ليمون ومرفا بنما . وقدر ان يكون طولها اربعة وسبعين الف متر بحيث لا تقام عليها قناطر ولا اهوسة ولكى يتحاشى اثر الزلازل فى هذه المنطقة الخطرة قرر ان يكون عمق الخندق المحفور تسعين متراً .

وما لبث المهندسون الذين اطلعوا على هذا التصميم الهائل حتى اعلنوا استحالة تحقيقه واكدوا ان الوف الملايين التي ستنفق عليه ذاهبة هباء . ولكن شهرة ده ليسبس وإيمان الناس بعبقريته وسابقة نجاحه في فتح برزخ السويس ، كل ذلك جعل الناس لا يابهون لتحذير الخبراء والفنيين ولا يعباون باعتراضات اهل الذكر والمهندسين . ولم ير القوم في تلك الاعتراضات غير شنشنة كالتي عرفوها من المهندسين الانجليز يوم هبوا في وجه ده ليسبس يحاولون إقناعه باستحالة وصل مياه البحر الابيض بمياه البحر الاحمر .

وظل فردينان ده ليسبس يجاهد ويقاوم ويستانف الحملات التي كان يقوم بها لاقناع العالم بمشروع قناة السويس وترويج فكرته حتى تم له ما اراد ، وتالفت « شركة بناما » الفرنساوية ولم تهمل وسيلة من وسائل الدعاية والاعلان والترغيب ، فتدفقت عليها الاموال من كل صوب واقبل المساهمون يشترون اسهمها ، ولم يمض زمن طويل حتى تجمع لديها راس مال انست فيه الكفاية لتحقيق مشروعها .

فضيحة البرلمان الفرنساوي في قضية شركة بناما

بدأت الشركة تعمل ولكنها ما لبثت حتى تجلت لها صعوبة العمل في هذه المنطقة الصخرية ورات الآلاف من العمال الأوروبيين يموتون تحت وهج الشمس في تلك الأصقاع الاستوائية . وراجعت حسابها فالفت عمليات تكوين الشركة والنشر والاعلان وجمع الأموال وشراء الآلات واستئجار العمال ودفع التعويضات والتامينات ونفقات الاجراءات التمهيدية للحفر وشق الجبال ـ الفت هذه العمليات قد استغرقت معظم رأس المال وايقنت لأول مرة انها حيال مشروع لابد للوصول به الى نهايته من اموال هى فوق ما قدرت بكثير .

شعرت الشركة بالعسر المالى وهى بعد فى مستهل العمل فكان لا مناص لها من الاستدانة ، وفكر مديروها فى الأمر واهتدوا فى النهاية إلى وجوب إصدار سندات نصيب ذات أرباح سنوية

ولكن هذه السندات لا تكون قانونية إلا إذا وافق عليها البرلمان الفرنسى فما الوسيلة إلى موافقة هذا البرلمان ؟ هنا يبتدىء امتزاج السياسة بالمال وتبدو سيطرة المال على السياسة فى اجلى مظاهرها واقبح اشكالها .

شركة على حافة هاوية الافلاس تحاول إقناع الناس باستطاعتها تحقيق مشروع مستحيل وقد ابتلعت ملايين وملايين من اموال المكتتبين ولا تزال تطلب المزيد ، وتمعن فى إغراء الشعب للاقبال عليها ومؤازرتها ، وقد قامت الأدلة وتضافرت الآراء على انها يئست من النجاح وانها لا تبغى من التحدى والاستمرار غير ستر الفضيحة وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من كرامة القائمين بادارتها . شركة كهذه وتلك حالها تلجأ إلى نواب الأمة لتستصدر منهم قراراً بالموافقة على إصدار سندات نصيب جديدة لبيعها للناس وهى تعلم ان لا طائل يرجى من وراء هذه السندات وان الأموال التى تدفع ثمناً لها لن تستثمر فى عمل منتج ولن يرد لحامليها من قيمتها شيئا . ومع ذلك بل رغم ذلك لا تعدم بعض الزعماء السياسيين يحبذون مشروعها ويدافعون عنها ويضمون إليهم عدداً كبيراً من النواب ويؤيدونهم ويدحضون ما يدور حول الشركة من « الاشاعات والمفتريات » ثم يصدر قرار المجلس بالموافقة فتخرج الشركة من النضال فائزة تنثر على الناس اوراقاً ملونة مبصومة وتقبض مقابلها أكواماً من الذهب والفضة . وبعد ذلك يقال إن الديمقراطية افضل الأنظمة لحكم الشعوب !!

استمرت الشركة تعمل او تتظاهر بانها تعمل ثم سارت حالها من سيء إلى اسوأ فافلست ولحقت الملايين الجديدة باخواتها السابقة . وحاول ده ليسبس ان يؤلف شركة جديدة فاخفق ، واعلن المديرون عجزهم عن القيام بما تعهدوا به ، واعلنت الشركة عجزها عن رد ما سلبت من اموال الناس . فعينت الحكومة مصفين عملوا على تصفية الشركة بضعة شهور ثم قرروا انه لم يبق للمساهمين من ثمن للأسهم التى يحملونها شيء .

عندئذ هاجت الخواطر وهب بعض المساهمين يقاضون الشركة ويتهمون مديريها بالنصب والتبديد والاحتيال لاستلاب المال فشرعت السلطات تحقق هذه التهم وانفتح باب القضية على مصراعيه . وكان ذلك فى شهر يونيو من عام ١٨٩١ .

ولقد الفت الحكومة الفرنساوية نفسها فى موقف دقيق . فاما ان تسدل الستار على فضيحة بشعة قد تعصف بها وبالجمهورية نفسها ، وإما ان تسوق إلى المحاكمة ثم إلى السجن شيخاً كفردينان ده ليسبس ينوء تحت اعباء المجد والسنين وهو فى الوقت نفسه عضو بمجمع العلماء يحمل الوشاح الأكبر من نشان فرقة الشرف وقد حقق اكبر مشروع هندسى صنعته يد الانسان إلى ذلك الحين . وكانت الحكومة تعلم من اوثق المصادر أن شركة بناما لم تعمد فى الحصول على موافقة البرلمان عند إصدار سندات النصيب إلى الطريق المشروع بل عمدت إلى الرشوة فاشترت اصوات عدد كبير من النواب والشيوخ والوزراء وزعماء الاحزاب واصحاب الصحف . فهل من مصلحة الدولة ان تذاع هذه الفضائح على مرأى ومسمع من الشعب ومن اوربا بل ومن العالم باسره ؟ !

حاولت الحكومة ستر الفضيحة او تلطيف مظهرها جهد الاستطاعة . ولكن ما الذى تستطيعه الحكومة وها هى الأحزاب قد تناولت المسالة واتخذت منها سلاحاً يحارب به بعضها البعض ، وها هم الزعماء قد بدأوا ينشرون التفاصيل ويذكرون الأسماء ويحتمون على الحكومة ان تثير المسالة بحذافيرها لتحدد المسئوليات وتعين المسئولين ؟!

ظلت الحكومة تتباطأ وتسوف وظل الذين يهمهم الأمر يلهبونها بمر النقد وقارص اللوم حتى لم يسعها فى النهاية إلا ان تذعن فعهدت باوراق القضية إلى النائب العام وكلفته إجراء التحقيق . وامضى النائب العام صيف سنة ١٨٩٢ فى مراجعة ملفات القضية ومذاكرة محتوياتها وانتهى منها إلى تقرير إحالة مديرى الشركة إلى المحاكمة وهم : فردينان ده ليسبس ، وابنه شارل ده ليسبس ، وكوتو ، وماريوس فونتان .

ولقد أملت الحكومة ان تقف المسالة عند هذا الحد ولكن الصحف اخذت على عاتقها ان تخرجها من نطاق القضاء إلى دائرة السياسة . فاتهمت علناً عدداً من النواب والشيوخ بانهم استغلوا نفوذهم النيابى واتجروا بتوكيل الأمة وباعوا اصواتهم وذممهم لشركة بناما بمال وفير .

وكانما ارادت الأقدار ان تزيد الحادث تعقيداً فوقعت حادثتان قلبتا وضع المسالة إلى شكل روائى كان له اسوأ وقع فى النفوس .

ذلك ان احد الماليين المتهمين بالسعى بالرشوة بين مديرى الشركة والوزراء واعضاء البرلمان واصحاب الصحف ، وهو البارون ده ريناخ ، كان عما للمسيو جوزيف ريناخ مدير صحيفة « لاريبوبليك فرانسيز » . وكان خصوم هذا الصحفى ذى الكلمة النافذة والقول المسموع يحاولون أن ينالوا من سمعته من طريق التشهير بعمه . فانهالوا على العم قذفاً وتجريحاً واتهاماً حتى ساقوه امام المحققين . وكانما احس الرجل ثقل الأدلة المتراكمة عليه فانتحر وجاء انتحاره دليلاً جديداً قوياً على صحة التهم المنسوبة إلى الوزراء واعضاء البرلمان .

اما الحادثة الثانية فكانت ان ماليا آخر امريكيا ينتسب إلى اصل المانى اسمه كورنليوس هرتس عاش فى فرنسا زمنا طويلا احكم خلاله صلات الود والصداقة بينه وبين كبار رجال الدولة وفى طليعتهم المسيو كليمنسو حتى انعمت عليه حكومة الجمهورية بوسام فرقة الشرف ، حدث ان هذا المالى ، بادر إذ احس نشوب الفضيحة ، إلى مغادرة فرنسا والرحيل إلى انجلترا جاعلا بحر المانش حائلا بينه وبين خصومه ومتهميه . ومن هنالك اخذ يراسل الصحف الفرنسية فكان تارة يدافع عن نفسه واخرى يلوح بالتهم الى بعض الوزراء ورجال البرلمان ويلمح إلى وقائع وحوادث لا تدع مجالا للشك فى اسماء من يعنيهم من اصحاب المقامات .

ومن ذلك الحين صارت فضيحة بناما تشغل ميدانين : ميدان القضاء وميدان السياسة . ومن المعلوم ان كل ما يمس السياسة لابد من ان يكون له اثره فى القضاء . وقد انذر المديرون المتهمون زملاءهم فى جريمة الرشوة انهم إذا عجز رجال السياسة عن وضع حد لهذه المسالة وإذا الجاتهم الحال إلى الوقوف فى ساحة العدالة واعوزهم الدفاع عن انفسهم - سيعترفون بانهم امطروا الوزارة والصحافة ورجال البرلمان هذا الوابل من المال لانهم كانوا فى حاجة إلى استصدار قرار الموافقة على إصدار سندات النصيب وما كان فى استطاعتهم استصدار هذا القرار إلا بدفع ثمنه . وانهم لم يلجاوا إلى هذه الوسيلة المنكرة إلا بعد الذى آنسوه من عناد البرلمانيين وإصرارهم على قبض الثمن . وانه ما كان لمديرى مشروع خطير كمشروع قناة بناما ان يقيدوا انفسهم ببعض اعتبارات لا تقف امام الضرورة الملحة ، ضرورة إنقاذ المشروع وإنقاذ رءوس اموال طائلة كان الامل كبيرا فى استثمارها على خير الوجوه وانهم عندئذ يدعون للقضاء مسالة الفصل فى اى الشريكين فى تهمة الرشوة اخف ذنبا :

هذا الذى يعطى لمثل ذلك الغرض العظيم او ذاك الذى ياخذ لمجرد الرغبة فى الاثراء وإشباع شهوات الحياة .

وخرجت المسالة فعلا من دائرة القضاء والصحافة والاندية إلى دائرة



فرديناند ديليسبس

البرلمان إذ وقف النائب ديلاهى على منبر مجلس النواب يتهم مائة من اعضائه بانهم باعوا اصواتهم وذممهم ومصلحة المساهمين لكورنيليوس هيرتس والبارون ده ريناخ ، ويعين المبالغ التى استولى عليها كل منهم ويجهر بان الوزير بايهو استولى وحده على مبلغ اربعمائة الف فرنك (ستة عشر الف جنيه) وان احد اعضاء اللجنة التى كلفت فحص مشروع القانون استولى على مائتى الف فرنك (ثمانية آلاف جنيه) لان اللجنة انقسمت فريقين احدهما يقبل المشروع والآخر يرفضه . فكان صوت العضو المتهم المسيو سانس لوروا هو الصوت الذى رجح فريق القبول .

ولقد استمع المجلس إلى هذه الفضائح فى هرج ومرج إذ كان كل حزب يدافع عن نفسه ويرمى الآخرين بالتهم . ووقف جورج كليمنسو فى حدة النمر يدرا التهم المصوبة إليه ، وانبرى الوزير ريبو يحاول ان يواجه العاصفة التى تكاد تقتلعه . وقد جمع انصار الجنرال بولانجيه وخصوم الجمهورية - والقائلون بتعديل الدستور جموعهم وظنوا الفرصة سانحة للقضاء على النظام الجمهورى ، فشنوا الغارة على اعدائهم هوجاء حامية لا رحمة فيها ولا هوادة ولا مراعاة لاى اعتبار .

واقترحت الحكومة إقفال باب المناقشة على ان يعين المجلس لجنة تتولى التحقيق من جديد بشرط الا تكون لها اية سلطة قضائية تفصل بها فى الموضوع . وارتاح المجلس إلى هذا الحل وتالفت اللجنة فدابت على العمل وواصلت البحث والتنقيب حتى اهتدت إلى المصرف المالى الذى كان البارون ده ريناخ يودع فيه امواله . فقرر مدير هذا المصرف ان فى حيازته تحويلات مالية «شيكات» بامضاء المرحوم البارون وان كثيرا من النواب والشيوخ قبضوا قيمتها . وقدم للجنة هذه التحويلات فاذا بين إمضاءات الموقعين على قبض القيمة إمضاءات المسيو البير جريفى ، وليون رينوه ، من زعماء مجلس الشيوخ والمسيو امانويل آرين . وجول روش . من زعماء مجلس النواب ، وإمضاء رئيس الوزارة السابق روفييه وإمضاء الوزير بايهو .

تلقاء هذه الادلة الحاسمة لم يسع المجلس بناء على طلب الحكومة إلا ان يقرر رفع الحصانة البرلمانية عن جميع المتهمين تمهيدا لتقديمهم إلى المحاكمة .

وفى العاشر من شهر يناير سنة ١٨٩٣ مثل الجميع امام القضاء وترافع النائب العام فقال : « إن مديرى شركة بناما قد اضاعوا على الشعب بمعاونة نواب الشعب مليارا واربعمائة مليون من الفرنكات (ستة وخمسين مليونا من الجنيهات تقريبا) فى اكبر واضخم مشروع نصب واحتيال عرفه التاريخ ، وحكمت المحكمة على كل من المديرين بالسجن ستة اشهر وبغرامات مختلفة . اما رجال البرلمان والوزراء فقد انكروا ما عزى إليهم من التهم وصدر الحكم ببراءتهم جميعا ما عدا الوزير بايهو الذى آثر الاعتراف فتخطاه تسامح القضاء .

وهكذا ابت الاقدار على العبقرى العظيم فردينان ده ليسبس إلا ان يختم حياته بهذه الخاتمة السوداء . فلم يشفع له امام القضاء ذلك الاثر الخالد المجيد الذى وصل الشرق بالغرب ، ولم تشفع له القابه العلمية ولا اوسمة الشرف التى تغطى صدره ولقد عاش بعد سجنه اشهرا ثم مات مهموما محزونا .

حسن الشريف
١٩٦٦

منذ خمسين سنة يكتبون هذا الكلام

القومية العربية



بقلم إبراهيم عبد القادر المازني

كثيراً ما يسالنى الشبان الذين لم يشهدوا الثورة المصرية ـ لأنهم كانوا اطفالا ـ « هل كانت حقيقة رائعة ؟ » .

فاقول : « لقد بلغت غاية الروعة ـ فى حدودها . ولم يكن فى الوسع ان تكون فوق ما كانت ، ولكنها فشلت ـ مع الأسف ـ لأنا أحطنا قوميتنا بمثل سور الصين » .

ذلك انى أؤمن بما أسميه « القومية العربية » واعتقد ان من خطل السياسة وضلال الرأى ان تنفرد كل واحدة من الامم العربية بسعيها غير عابئة بشقيقاتها ، او ناظرة إليها ، ويحنقنى ويستفزنى ان ارى احداً ينظر إلى مصر كانها من اوربا وليست من الشرق . وعندى أن الجنسية الشرقية هى اساس حياتنا وتاريخنا ، وان هذه النظرة تفسد مزايانا الشرقية ـ إذا لم تفقدنا إياها ـ ولا تكسبنا مزية من مزايا الغرب ، والعلم ينقل ، وقد نقل من الشرق إلى الغرب ، ومن اليسير ان ينقل من الغرب إلى الشرق من غير ان يحاول الشرق ان يغير جلده او يخسر خصائصه .

وقد اعترض على شاب ـ ذات مرة ـ ونحن فى حديث كهذا ، فقال ، «وما الرأى فى القومية ؟اليست حقيقة تاريخية تفرق بين هذه الشعوب والامم التى تريد ان تجمعها وتربطها برباط واحد ؟ » .

فقلت له : « إن هذه القوميات العنيفة الضيقة الحدود ، حديثة من الوجهة التاريخية ، وهى ـ بحدتها الحاضرة ـ بنت العصر الحديث ، أو إذا شئت ، فقل انها وليدة الحرب العظمى ، وإن كان صحيحاً انها سبقت الحرب بنصف قرن تقريباً ، بل إن فكرة الامبراطورية البريطانية نفسها ليست إلا بنت القرن العشرين . ولعل اكبر مسئول عن بث هذه الفكرة هو الشاعر كبلنج . ما علينا من هذا ولنرجع إلى حديث الشرق : لقد كانت هناك وحدة وثقافة اسلاميتان دان لهما الشرق ، او ما يعنينا منه ، وظلت هذه الوحدة قائمة على الرغم من انحطاط الثقافة ، ولم يمنعها ان تظل قائمة أن ثورات شبت ، وحروباً استمرت ، فان هذه أشبه بالفتن الداخلية والحروب الاهلية ،

وقد كان العلماء والأدباء والفقهاء يرحلون من بلد إلى بلد ، ولا يحسون أنهم تركوا أوطانهم وتغربوا ، ولا يشعرون أنهم اجتازوا حدوداً ، وتخطوا تخوماً ، تفصل بين أقطار ، وتعزل أمة عن أمة . ولا يزال الحال كذلك ، ولو جبتم هذا الشرق لما شعرتم أنكم فى غير مصر ـ إلا من حيث التقدم المادى ـ وكانت اللغة العربية هى اللسان الذى لا يحتاجون إلى اتخاذ غيره فى حيثما يكونون هذا الشرق العظيم الذى تقسمونه اليوم أمماً وشعوباً وتقولون هذا مصرى وذاك فلسطينى أو شامى أو حجازى . وعلى أن القومية هى اللغة لا سواها ، ولكن طبيعة البلاد ما يشاء الله لن تكون ، ولتكن الأصول البعيدة المتغلغلة فى القدم ما شاءت ، فما دام أن أقواماً لهم لغة واحدة فهم شعب واحد . ذلك لن الانسان لا يستطيع أن يفكر ـ إلى الآن على الأقل ـ إلا بالألفاظ . هى وحدها أداة التفكير ، فلا سبيل إليه بدونها ، ومن المستحيل ـ الآن ـ أن نتمثل معنى مجرداً عن ألفاظ تعينه . ولكل لغة أساليبها وطرائقها ، فأساليب التفكير وطريقة التصور خاضعة للأساليب التى يتألف على مقتضاها الكلام فى اللغات المختلفة ومن هنا يتفق ويتشابه أبناء كل لغة ، ويختلفون عن أبناء كل لغة أخرى ؟ وهذا فرق ما بين الانكليزى والفرنسى ، وما بين الانكليزى والهندى ، وهذه فيما أظن ، حقيقة علمية ، ومتى كان الأمر كذلك فكيف نكون إلا عرباً كالعراقيين ، والسوريين ، والفلسطينيين ، والحجازيين ، واليمانيين ، مع اختلاف يسير تحدثه طبائع هذه البلاد ؟ » .

فعاد الشاب يسألنى : « وأصلنا المصرى ؟ وتاريخ الفراعنة ومدنيتهم ؟ » .

فقلت له : « أكرم بهذا من أصل ؟ وإنها لمدنية باهرة تلك التى كانت للفراعنة ، وإن العالم كله لمدين بأكثر مما يعرف لهذه الحضارة القديمة ، ولكنها بادت واندثرت ولم يبق منها إلا الأثر المدفون فى التراب ، والذى لا يمكن أن يؤثر فى حياتنا الحاضرة إلا من طريق واحد ـ هو إشعارنا العزة ، وحثنا على استحقاق هذا الميراث الجليل ، كما يكون الأب كريماً فيخجل الابن أن يكون كزاً لئيماً وأن يفعل ما ينافى كرم آبائه وطيب أرومتهم ، ولكن المدنية العربية ـ أو قل الاسلامية إذا شئت ـ لم تفن ، ولم تبد ، ولم تندثر ، ولم تفقد إلا القوة ومظاهر السلطان ، وهذه تكتسب وتستفاد ، ولكنها فيما عدا ذلك ،بقيت حية وأبقى ما بقى منها لغتها بكنوزها المختلفة ، فهى ـ أى المدنية العربية ـ عامل مؤثر بوجوده ـ لا بذكراه كالعامل الفرعونى . ومن الممكن هدم هذه الحواجز المفتعلة التى يقيمها الغرب ويرفع منها سدوداً بيننا وبين اخواننا » .

وكثير ممن أحدثهم هذا الحديث يقتنعون ، ولكنهم يرون أنفسهم شباباً ، ويستهولون أن يوكل إلى أسنانهم الغضة توثيق ما أوهنه تفريط الكبار أو ضيق إدراكهم ، ولكنى أنا أؤمن بقدرة الشباب على المعجزات ، لأن خياله أنشط ، وجرأته أعظم وعزيمته جديدة لم تنل منها الخطوب والخيبات ، وآماله فسيحة . وإذا كان الشاب لا يقدم ، فمن ذا عساه يفعل ؟؟

ولو أن هذه القومية العربية لم تكن إلا وهماً لا سند له من حقائق الحياة والتاريخ لوجب أن نخلقها خلقاً ، فما للأمم الصغيرة أمل فى حياة مأمونة ، وما خير مليون من الناس مثلاً ؟ ماذا يسعهم فى دنيا تموج دولها بالخلق ، وكيف يدخل فى طوقهم أن يحموا حقيقتهم ويذودوا عن حوضهم ؟ إن أية دولة تتاح لها الفرصة تستطيع أن تثب عليهم وتأكلهم أكلا بلحمهم وعظمهم . ولكن مليون فلسطين إذا أضيف إليهم مليونا الشام وملايين مصر والعراق مثلا يصبحون شيئاً له بأس يتقى . وهذه البلاد ما انفكت زراعية على الأكثر ، وجل اعتمادها على حاصلات الأرض ، والصناعة فيها ساذجة محدودة ، وضيقة النطاق والزراعة لا تغنيها الأمم كما تغنيها الصناعة ، والمال عصب الحياة وسر القوة ، والخلق بهذه الأقطار العربية أن تظل صناعاتها ضئيلة ما بقيت هى مقسمة موزعة ، لأنه لا يوافق الدول الغربية التى لها فيها سلطان أو نفوذ أن تدع صناعاتها تنشط وتنهض ، ولا سبيل إلى نشاطها إلا إذا فتحت أسواق مصر ، لجاراتها الشرقية ، وأسواق الجارات لمصر ، ومعقول أن تشترى منا دول أوربا حاصلاتنا الزراعية أو ما يزيد على حاجتنا منها ، ولكن صناعتنا لا يعقل أن تجد لها أسواقاً فى أوربا ، فما حاجة إلى ما نصنع بالغاً ما بلغ التجويد فيه ، وإنما يتسع الميدان لصناعتنا إذا وجدت سبيلها إلى الشرق ومثل هذا يقال عن البلاد العربية الشرقية .

قد يقال ولكن هذا ليس إلا حلماً ، فنقول نعم إنه الآن حلم ، لا أكثر ، ولعله لا يتراءى إلا لآحاد يعدون على الأصابع فى كل بلد ، وعسى أن تكون العقبات المعترضة والصعاب القائمة قد صرفت كثيرين عنه بعد أن دار زمناً فى نفوسهم ، ولكنه ، على كونه حلماً ، ليس أعز ولا أبعد منالا مما تحلم به أمم أخرى فى هذا العصر ، وبالأمم حاجة إلى الأحلام ، وإلى الالحاح على نفسها بها حتى تخلد إليها وتتعلق بها ولا تعود ترى للحياة قيمة أو معنى إذا لم تسع لتحقيقها ، وإلا فلأية غاية تسعى ؟؟ ماذا تطلب من الدنيا ؟ وماذا عسى أن يكون مرامها فى الحياة إذا لم تحلم بأمل ؟ أيكون كل ما تبغى أن تأكل هنيئاً ، وتشرب مريئاً ، وتنام ملء جفونها ؟؟ وهيهات أن يتيسر لها ذلك إذا هى اقصرت وكفت عن الأحلام والتأميل وما يغريان به من السعى ، وغيرنا يحلم بنا إذا كنا نحن لا نحلم بشىء ، وحقيق بنا إذا سلمنا إلى حين أن نعود فريسة لأمة من الأمم الطامعة الحالمة .

والأحلام ضرورة من ضروريات الحياة للأفراد والجماعات ، وبغيرها يمتنع السعى وتنقطع الحوافز ، وتركد الدنيا ويأسن العيش ، ومن لا حلم له ، لا أمل له ، ولا مستقبل فلماذا يعيش إذن ؟

١٩٣٥

العلم والمستقبل

تقديم : لبنى الريدي

جهاز يسهل عملية الولادة



تمكن فريق بحث فرنسى من ابتكار جهاز يسهل على المراة عملية الولادة .

فالجسم يفرز فى لحظة الولادة هرمونا يولد تقلصات فى الرحم مما يساعد على نزول الجنين . ويستخدم هذا الهرمون فى المستشفيات لاطلاق عملية الولادة أو لتنظيمها وهو ما يطلق عليه « الطلق الصناعى » . ولكن يتعين اعطاء هذا الهرمون بجرعات محسوبة بدقة نظراً لمفعوله القوى والسريع . فان أى زيادة تؤدى الى احداث تقلصات عنيفة للرحم مسببة ألما لكل من الأم والجنين .

ولذلك فان الجهاز الجديد عبارة عن مضخة ذاتية التحكم تمد الأم بما تحتاجه من هذا الهرمون طبقاً لنشاط الرحم ودقات قلب الجنين . ولا يحتاج هذا الجهاز إلى ممرضة لمراقبته فهو ذاتى البرمجة والتحكم ولذلك يطلق عليه اسم القابلة الالكترونية .

وتتصل المضخة بجهاز مراقبة الجنين الموضوع الى جانب الأم . وبالرغم من أن الطبيب يحدد جرعة الهرمون فى بداية عمل الجهاز الا ان الاخير يستطيع بناء على تحليل رد فعل الأم ان يختار ذاتياً الجرعة المناسبة التى تتيح ولادة اسهل لكل من الأم والجنين ، كما ان الجهاز مزود بدوائر انذار لتنبيه الطبيب على الفور عند حدوث اى وضع غير طبيعى بالنسبة لتقلصات الرحم أو لدقات قلب الجنين أو عند حدوث اى خلل فى المضخة ذاتها .

ويقلل الجهاز ذاتياً كمية الهرمون أو يوقف تدفقها تماماً تبعاً لخطورة الوضع .

الكمبيوتر وأمراض القلب والتحليلات الطبية

أصبح الكمبيوتر يلعب دوراً متزايد الاهمية فى تشخيص العديد من الأمراض . ففى مجال التحاليل الطبية ظل تحليل البول يتم بشكل يدوى حتى دخل الكمبيوتر هذا الميدان وابتكرت محطة عمل متكاملة يديرها جهاز كمبيوتر بحيث تقوم بعمليات التحليل وكتابة التقرير بالنتائج فى ثلاث دقائق فقط . وبالتالى انكمش دور فني التحاليل واصبح قاصراً على وضع العينة فى اناء خاص من الجهاز ، ليقوم الأخير بامرارها بين سطحين سائلين يقومان بدور الشريحة الزجاجية التقليدية بينما تلتقط كاميرا فيديو ٦٠٠ صورة للعينة فى الدقيقة . ويلغى هذا العدد الكبير من الصور الحاجة الى معالجة العينة فى آلة تعمل بالقوة الطاردة المركزية لتركيز جزئيات البول كما كان يحدث من قبل . ويقوم الكمبيوتر بعملية التحليل وطبع التقرير أيضاً .

اما فى مجال ابحاث القلب فقد استطاع الكمبيوتر ان يحول المعلومات الرقمية للقياسات الطبية المختلفة الى صور تبين القلب وهو يعمل ، وذلك دون اللجوء الى الطرق الاستكشافية المؤلمة . ولقد تمكن باحثان فى جامعة جنيف احدهما عربى من تكوين فيلم ملون مدته ساعة يبين حركة كل جزء من اجزاء القلب .

جهاز لعلاج نزلات البرد



من الأعراض المزعجة لنزلات البرد وبعض أزمات الحساسية صعوبة عملية التنفس نتيجة لانسداد الانف . وكان الباحثون فى مجال العلاج بالحرارة قد توصلوا الى ان بخار الماء الساخن يقتل الفيروس المسبب للبرد ويفتح قنوات التنفس الانفية المسدودة . ولكن ظلت امامهم مهمة تصميم جهاز عملي للاستخدام الشخصي لتنفيذ هذا العلاج الى أن تم مؤخراً ابتكار جهاز متنقل على شكل صندوق صغير (كما تبين الصورة) يملأ بماء مقطر بحيث يعمل على تسخينه بينما تقوم دوائر الكترونية داخلة بالاحتفاظ بدرجة حرارة الماء عند ١٠٩ فهرنهايت . ويتصل الجهاز بواسطة انبوب من المطاط برشاش الهواء الساخن المشبع ببخار الماء بحيث يمسك به المريض على بعد نصف بوصة من فتحتى الأنف ويستنشق الهواء الساخن لمدة نصف ساعة على أن يكرر ذلك ثلاث مرات على امتداد اليوم . ويؤكد الباحثون ان الجهاز اثبت فاعلية فى علاج أعراض البرد وانسداد الأنف التى تسببها بعض أمراض الحساسية .

تصوير المستندات بأشعة الليزر





تفوق اليابانيون فى صناعة الأجهزة المكتبية المتطورة من آلات كاتبة وأجهزة طباعة وتصوير مستندات .. الخ. وتتميز جميع هذه الأجهزة بامكانياتها المتعددة واستخدامها لأحدث التقنيات بالرغم من صغر حجمها .

وآخر هذه الابتكارات جهاز ذكى لتصوير المستندات يعمل بأشعة الليزر . فهو مزود باداة اتوماتيكية خاصة تقرأ بواسطة أشعة الليزر الحروف والصور وتحولها الى نبضات كهربائية بحيث يتم تكوين الصفحة بكلماتها وصورها مرة أخرى ولكن على شاشة جهاز كمبيوتر . وهو يتيح امكانية تغيير تصميم الصفحة الاصلية الموجودة على الشاشة بعدد لانهائي من الطرق . فيمكنه تكبير أو تصغير الصفحة ككل أو اختيار اجزاء فقط منها لاجراء عملية التكبير أو التصغير عليها . كما يستطيع اعادة صياغة الكلمات وتغيير تصميم الصفحة وعند التوصل الى الشكل النهائى يقوم الجهاز بطبع ١٥ نسخة منها فى الدقيقة . ويتوقع اليابانيون طرح جهاز تصوير المستندات الجديد فى الأسواق خلال ١٨ شهراً .

اما الابتكار الثانى فهو آلة كاتبة وطابعة فى آن واحد وزنها خمسة كيلوجرامات ويمكن حملها بسهولة فى حقيبة أوراق كما تبين الصورة . وهى تعتبر افضل رفيق للكمبيوتر الشخصى فبتوصيلها بأى وحدة طرفية أو كمبيوتر تطبع اتوماتيكيا كل المعلومات التى يخرجها الجهاز وتصلح للاستخدام مع جميع أنواع الوحدات الطرفية . كما انها تضم ذاكرة الكترونية تتسع لألفي حرف أى ما يوازى خطابين يتم تخزينهما داخلها وطبعهما أىّ عدد من المرات .

ترموستات صوتي

ابتكر البريطانيون نظاماً صوتياً للتحكم فى تشغيل اجهزة التكييف ودوائر الاضاءة فى المؤسسات العامة . ويهدف هذا النظام الى خفض استهلاك الطاقة الكهربية . وهو يعتمد على عمل ترموستات من نوع جديد يقوم بتشغيل أو فصل أجهزة التكييف ودوائر الاضاءة فى المكان تبعاً لوجود أشخاص فى هذا المكان أو خلوه منهم . فالترموستات الجديد يتمتع بحاسة سمع مرهفة . فهو مزود بميكروفون حساس يلتقط أى أصوات فى الغرفة بحيث يعمل الترموستات كمفتاح صوتى . فعندما يرصد وجود اشخاص فى الغرفة يقوم بتشغيل اجهزة التكييف وتكون درجة التبريد أو التسخين محددة مسبقاً . وحين تصبح الغرفة خالية يفصل الأجهزة . والشيء نفسه ينطبق على أنوار الاضاءة .

كاميرات تنصح المصور

تهتم صناعة الكاميرات بالجمهور العريض من الهواة ولذلك ابتكرت احدى الشركات اليابانية كاميرا اتوماتيكية ٣٥ ملليمتر تتمتع بكل مزايا آلات التصوير الاتوماتيكية وتزيد عليها بانها تتكلم الى المصور وتقدم له النصائح .

فالكاميرا الجديدة مزودة بدوائر الكترونية لتوليف الصوت . وتهتم هذه الدوائر بثلاث نقاط فقط من العملية التصويرية ولكنها نقاط أساسية . فاذا نسي المصور وحاول التقاط صورة دون ان يكون قد وضع الفيلم فى الكاميرا فالصوت ينبهه الى ذلك . كما تحذره الكاميرا عندما تكون الاضاءة غير كافية بان تقول له « استخدم الفلاش » اما اذا كان الاطار البؤرى أبعد من مدى الفلاش فهى تنصحه بمراجعة المسافة .

ولكن اذا وجد المصور ان الكاميرا ثرثارة فيمكنه ان يسكتها عن طريق مفتاح تشغيل دوائر توليف الصوت . وتتكلم الكاميرا الجديدة اربع لغات : الانجليزية والفرنسية والالمانية واليابانية .



عادل امام .. وفردوس عبد الحميد الزوجة التى تحملت الكثير ولم تستطع الاستمرار .. واصبح هذا الانفصال جزءاً من عذابه اليومى .. لقطة من فيلم « الحريف »

رءوف توفيق

سينما

السينما المصرية.. الصراخ.. والحقيقة!

هناك كلام كثير فى مصر .. عن احوال السينما المصرية .. عشرات المقالات والتعليقات والاراء خرجت فى وقت واحد تناقش المستوى الذى وصلت إليه بعض الافلام المصرية الاخيرة .. واشعل حدة النقاش ، القرار الذى اصدره وزير الثقافة ، السيد عبد الحميد رضوان بمنع عرض فيلمى « درب الهوى » و « خمسة باب » .. وسحب الفيلمين من السوق بعد ان استمر عرض احدهما ما يقرب من اربعة اسابيع ، والفيلم الآخر دخل اسبوعه الثالث ..

وأعتبر هذا القرار من وزير الثقافة .. السابقة الأولى فى تاريخ السينما المصرية .. وتوالت بعده ردود أفعال متناقضة .. البعض يؤيد هذا القرار ويطلب باستخدام المنع لكل الافلام المماثلة بحجة انها تسيء لسمعة مصر .. اما البعض الآخر فقد حذر من استخدام هذه السلطة ، وتضخم قوة الرقابة مما قد ينتج عنه حالة من الخوف والذعر قد تطيح فى وجهها بالأفلام الجريئة والجادة مثلما تطيح بالأفلام التجارية الهابطة .. ويرد أصحاب هذا الراى منطقهم بانه ليس هناك فيلم يسيء الى شعب .. بل هناك فيلم يسيء الى صانعيه او يسيء الى فن السينما !

● ندوات مهرجان الاسكندرية

وشاعت الظروف ان يعقد بالاسكندرية فى اوائل شهر سبتمبر الماضى .. مهرجان الاسكندرية السينمائى الثالث الذى تنظمه الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما ..

وانتقلت المناقشات الساخنة الى الاسكندرية من خلال الندوات اليومية التى صاحبت المهرجان .. حيث تجمع عدد كبير من النقاد والمخرجين والمنتجين وكتاب السيناريو مع جمهور غفير من عشاق السينما ومتذوقيها .. وسجلت هذه الندوات ظاهرة جديدة فى الحياة الفنية بمصر .. من حيث جراة الحوار وحيوية الآراء والدخول فى كل التفاصيل الدقيقة المتعلقة بصناعة السينما المصرية وحرية التعبير والفكر .

كانت الندوات اليومية ، تبدا حسب العرف المتبع فى هذا المهرجان . بمناقشة الأفلام التى عرضت فى اليوم السابق .. ولكن سرعان ما تتحول دفة المناقشة الى مسار السينما المصرية ككل .. حتى استقر الراى على تخصيص يوم كامل لمناقشة صناعة السينما المصرية ..وامتد اليوم الى يومين وشاركت رئيسة التليفزيون المصرى ، السيدة سامية صادق ، فى هذا النقاش الخاص عن مسئولية التليفزيون فى تدعيم السينما الجادة .. سواء بالمشاركة فى انتاج الافلام .. او ان يتولى التليفزيون بنفسه انتاج الأفلام السينمائية وعرضها فى السوق التجارى .. ثم عرضها بعد ذلك على شاشة التليفزيون .



محمود ياسين فى لقطة النهاية .. يواجه اتهام النيابة وصدمة خطيبته التى فجعت فيه .. لعبت الدور نجوى ابراهيم



محمود عبد العزيز وسعيد صالح فى لقطة من فيلم : السادة المرتشون

السينما المصرية.. الصراخ والحقيقة!



نجاح الموجى .. الجار المثقل بالمشاكل والهموم التى جعلته يتورط فى جريمة قتل .. وعادل امام هنا يحاول ان يخدعه حتى يسلمه للشرطة .

● بحثاً عن الجذور

والحقيقة التى يجب ان تقال .. إن جذور ازمة السينما المصرية ممتدة الى عدة سنوات مضت .. واى متامل مدقق ، يستطيع ان يضع اصابعه على بضع نقاط محددة .

● أولا .. ان الشوائب التى اثرت على السينما المصرية .. جاءت كنتيجة لفتح الباب على مصراعيه ، امام كل تاجر مغامر يريد ان يستثمر امواله ، ويجنى الأرباح فى اسرع وقت .. مما ادى الى ظهور طبقة جديدة من المنتجين السينمائيين ، لا علاقة لهم اصلا بفن السينما وهؤلاء المنتجون الدخلاء استغلوا ظروف الانفتاح الاقتصادى فى سنوات السبعينات بمصر .. واستخدموا اموالهم فى انتاج افلام تداعب غرائز الجمهور الجديد للسينما .. والذى يتكون اغلبه من فئات الحرفيين ، وصغار العمال ، وصبية الورش الذين زاد دخلهم الشهرى بقفزات هائلة .. واصبح هذا الجمهور يذهب الى السينما ليغسل ارهاق العمل اليومى .. وتحدد مزاجه فى الأفلام الكوميدية والأفلام التى لا تحمل اى قدر من الفكر والتامل .

وساد هذا المزاج فى الأغنية وشرائط الكاسيت المتعددة والتى تتلاعب بالكلمات الدارجة .. وانتقل هذا المزاج ليؤثر بسرعة على المسرح التجارى .. وجاءت شركات الفيديو كاسيت لتستغل هذا السوق المفتوح لتسجل وتطبع مئات الألوف من النسخ ولتنتشر فى المنازل والمقاهى والنوادى الخاصة .

وهكذا تاثر المناخ الفنى كله ..

● ثانيا .. وقفت الدولة متمثلة فى جهاز وزارة الثقافة .. موقف المتفرج امام هذا الطوفان .. وتركت صناعة السينما لاجتهادات التجار والمغامرين يشكلونها كما يشاءوا .. بلا تدخل فعلى لحماية المنتجين الجادين فى هذه المنافسة الشرسة .. فقد كان الشعار المرفوع هو حرية القطاع الخاص ..

● ثالثا .. تهاون الكثير من نجوم السينما المصرية فى مسئولياتهم ازاء جمهورهم .. وارتضى هؤلاء النجوم ان يبيعوا جهدهم واسماءهم فى افلام لا ترتقى ابداً الى المستوى الفنى المعقول .. بل وشاركوا فى افلام رديئة بحجة ان اغلب ما يعرض عليهم من أعمال من ذات المستوى .

● رابعاً .. واجهت الرقابة على الأفلام موقفاً غريباً .. فهى لا تستطيع ان تتدخل لمنع التصريح بعرض الأفلام التجارية الهابطة المستوى .. فهذه الأفلام ليس فيها ما يستحق المنع حسب اللوائح والمفاهيم الرقابية .. بينما الأفلام الجادة والتى تحمل وجهات نظر تتوقف امامها الرقابة بكل الحذر والريبة .. وكان من نتيجة ذلك ان هرب كثير من صناع السينما الى السلعة السهلة .. ودخلوا مجال انتاج الأفلام التجارية التقليدية .. حتى يتجنبوا صداع الرقابة !

● من يكتب الأفلام .. وبكم ؟

وامام سرعة دوران راس المال فى السينما .. ولهفة المنتجين على انجاز افلامهم فى اسرع وقت لجنى الأرباح واعادة استثمارها .. ظهرت مشكلة عدد كتاب السيناريو الذين يستطيعون ان يلبوا هذا الطلب المتزايد على الأفلام .. فعدد كتاب السيناريو المجيدين لا يتجاوز عدد اصابع اليد الواحدة .. بينما هناك انتاج سينمائى يزيد عن ٤٥ فيلماً فى العام الواحد .. بالاضافة الى تهافت شركات التليفزيون على طلب كتاب السيناريو لكتابة المسلسلات التليفزيونية !

هذا الوضع نتج عنه ظاهرة اقتباس الأفلام الأجنبية واعادة تمصيرها .. بل وصل الأمر الى نقل الأفلام الأجنبية بمشاهدها وحوارها الى نسخ مصرية . !!

وظل اجر كاتب السيناريو هو اقل الأجور فى ميزانية الفيلم .. ولا يكاد يتجاوز اعلى اجر لكاتب سيناريو عن خمسة آلاف جنيه للفيلم .. فى نفس الوقت الذى يتقاضى فيه بعض الممثلين اجوراً تصل إلى ستين الف جنيه .

وهكذا تحول كاتب السيناريو الى هامش الفيلم .. رغم انه – من المفروض – صاحب الابداع الفنى الأول !!

● لماذا ضاعت هيبة النقد ؟

ولكى تكتمل الصورة .. لابد ان نقرر ان حركة النقد السينمائى فى مصر اصيبت بالتفكك .. نتيجة الخلافات الشخصية بين

اغلب النقاد الجادين .. وايضا نتيجة دخول عدد كبير من الصحفيين الى مهنة النقد .. والتى تحولت بفضلهم الى مجرد انطباعات شخصية .. او نوع من الكتابة المسلية .

وهكذا امتلات الصحف والمجلات بهذا النوع من الكتابات التى لا ترتقى ابداً الى مستوى النقد المتخصص ..

وتداخلت اهواء بعض هؤلاء الكتاب .. لتصنع نوعاً من الزوابع الهوائية التى تثير بعض الضجيج ولكنها ابداً لا تخلق تياراً فنياً صلباً وسليماً !

● وماذا عن العشاق المناضلين !

ولكن هل الصورة قاتمة الى هذا الحد فى السينما المصرية ؟ ..

الاجابة بكل تاكيد وصدق .. لا ..

فبين الهزل والسخف السينمائى .. يظهر بين حين وآخر .. فيلم جيد يشق طريقه بنجاح وثقة .. ويؤكد ان بين السينمائيين من هم عشاق مناضلون لفن السينما .. مخلصون لمبادئهم .. وقادرون على مواجهة كل الصعاب المحيطة بهم لكى يقولوا كلمتهم .. ويعطوا بعضا من فنهم .

والامثلة واضحة ومعروفة .. فهناك مالا يقل عن خمسة او ستة افلام جيدة ذات مستوى فنى وفكرى مرتفع .. تظهر كل عام بين مجموع الانتاج السينمائى المصرى .

اى ان نسبة الافلام الجيدة لا تقل عن عشرة بالمائة من مجموع الانتاج المصرى .. وهى نفس النسبة فى الانتاج السينمائى الامريكى .. والانتاج السينمائى الفرنسى .. والايطالى ..

● المشكلة أيضاً .. فى ايطاليا

ولقد كان من المفاجات المثيرة فى مهرجان الاسكندرية السينمائى ان يظهر المخرج الايطالى الشاب «بيتر ديل مونتى» فى المؤتمر الصحفى الخاص بفيلمه «البسلة الحلوة» ليقول عن السينما الايطالية اليوم .. انها تعانى من عدة مشاكل شبيهة الى حد كبير بمشاكل السينما المصرية .

فنجوم الكوميديا فى السينما الايطالية يكتسحون الافلام .. فهم اسياد السينما الآن .. يتحكمون فى كل شىء .. حتى فى اخراج الافلام ويفرضون طلباتهم دون اى اعتراض .. ذلك لأن الجمهور الايطالى يتسابق على افلامهم ويشجع هذا التيار .. فالجمهور لا يريد ان يرهق نفسه بالافلام الجادة .. وإنما يبحث عن الضحك والتسلية .



مباريات الكرة الشراب تحت اضواء الشوارع .. وجمهور ينتظر الأهداف .. لقطة من فيلم الحريف



المخرج محمد خان

وكان من نتيجة هذا الوضع .. انه لم يظهر نجوم جدد فى السينما الايطالية .. إلا فى مجال الكوميديا فقط .. ولم يعد هناك جيل ثان بعد ماسترويانى وفيتوريو جاسمان .. وانه هو شخصياً – اى المخرج بيتر ديل مونتى – ظل يبحث طويلا عن ممثل شاب فى حدود الثلاثين من عمره .. فلم يجد .

وعلق المخرج قائلا : إن مزاج الجمهور الايطالى هو الذى غير حال السينما الايطالية .. ولم تعد السينما الايطالية لها نفس البريق او التاثير العالمى الذى كان موجوداً بعد الحرب العالمية الثانية .. او فى الستينات من هذا العصر .

واختفى المنتجون الجادون من السينما الايطالية .. بعضهم هاجر وبعضهم اعتزل .. واصبحت الافلام التى تحمل اتجاهاً جاداً .. هى الافلام التى تنتج بالاشتراك مع التليفزيون الايطالى ..

ورداً على سؤال حول مدى استفادة السينما الايطالية من الأدب الايطالى .. اجاب المخرج بكل صراحة .. ان الادب الايطالى الحالى لا يعطى للمخرجين اى مادة صالحة للسينما .. وان المجتمع الايطالى الآن يعيش حالة من الاضطراب بحيث لا تستطيع ان تخرج باجابة محددة عن اى مشكلة .. فليس هناك ابيض واسود .. بل تتداخل المشاكل فى صورة ضبابية كثيفة .

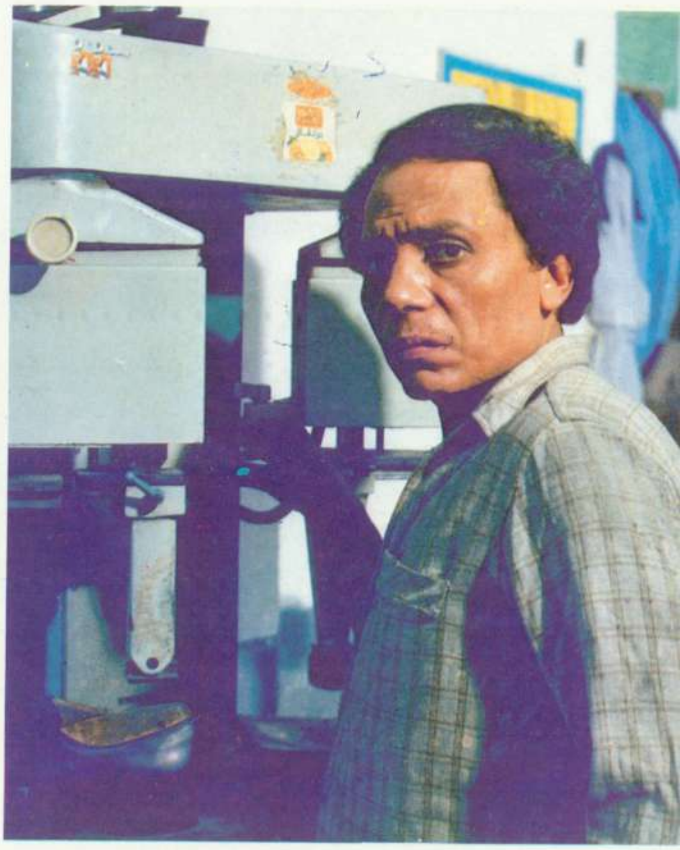
● حكاية فيلم ايطالى جديد

وهذا المخرج الايطالى الشاب يعترف بانه عندما ضاقت به الاحوال فى السينما الايطالية . لجا الى فرنسا ليخرج فيلمه «دعوة الى رحلة» والذى اشتركت به فرنسا رسمياً فى مهرجان كان السينمائى لعام ٨٢

وآخر افلام هذا المخرج هو فيلم «البسلة الحلوة» الذى عرض فى مهرجان الاسكندرية ولاقى ترحيبا كبيراً .. لأسلوب المخرج الذى يجمع بين الواقع والخيال فى نسيج فنى مطرز بالكوميديا السوداء .. وموضوع الفيلم ينبع من موقف شديد الغرابة .. ان هناك طفلا فى الثالثة عشرة من عمره



سعيد صالح .. التاجر الذى يحاول تمرير صفقة الاغذية الفاسدة .. ومحمود ياسين موظف الجمرك .. ومحاولة لاقناعه بالرشوة



فى المصنع الصغير للاحذية .. يقف عادل امام محاصراً بكل هزائمه .. تحيط به الماكينات .

السينما المصرية.. الصراخ والحقيقة!

يفاجا انه اصبح ابا لطفل صغير .. ويصبح على الطفل الأب أن يرعى الطفل الابن فى عالم مليء بالقسوة والعنف .. ويفتقد الى الحب والحنان ورعاية الام ..

فالأم كما يقدمها الفيلم امراة انجبت ونسيت وليدها فى زحام بحثها الملهوف عن الشهرة والمال ..

والفيلم يقدم عالم الأطفال بكل تصرفاتهم التلقائية البريئة التى تصطدم دائماً بالواقع .. ويشير الفيلم فى بعض مشاهده، بذكاء شديد الى ماساة الأطفال الضائعين والتائهين فى المجتمع الايطالى .. كحقيقة تدين هذا العصر المادى .

● فيلم «الحريف»

ومن اهم الافلام المصرية الجديدة التى عرضت فى نطاق برنامج «ليالى السينما المصرية» بمهرجان الاسكندرية .. فيلم «الحريف» للمخرج محمد خان .. وفيلم «السادة المرتشون» للمخرج على عبد الخالق .

وفيلم «الحريف» هو اضافة جديدة لسينما المخرج محمد خان .. ذلك المخرج الفنان الذى يتميز برؤيته الخاصة للاشخاص والاماكن فى مصر .

انه يلتقط شخصياته من الذين يعيشون على هامش المجتمع .. ويتوقف امامهم بعين مدققة حساسة تسجل تاثير المكان على تصرفاتهم .. وتاثيرهم على من حولهم .. ومن خلال عشرات من التفصيلات الصغيرة المؤثرة يغزل لوحة سينمائية تفيض بالحيوية والصدق ..

وبطل فيلم الحريف .. هو عامل شاب فى مصنع صغير للاحذية ويحترف لعبة الكرة الشراب والتى تقام فى شوارع وحوارى مصر .. ومن خلال هذا العامل وهذه اللعبة نتعرف على شريحة تكاد تكون مجهولة فى المجتمع المصرى .. فلاعب الكرة الشراب رغم انه موجود دائماً فى كل حارة .. إلا ان احداً لم يتوقف بالتفكير فيما وراء هذا اللاعب .. وهذه الفرق الصغيرة التى تتكون وتنتقل الى الاحتراف يتولاها بعض السماسرة .. يبيعون المباريات .. ويرحلون بالفريق من مدينة الى اخرى لمنازلة فرق اخرى ..

هذا العالم الخفى المليء بالمفارقات .. سجله سيناريو « بشير الديك » فى براعة شديدة متنقلا بين حياة هذا اللاعب مع زوجته التى انفصل عنها .. وطفله الصغير الحائر بينهما .. وجاره الفقير الذى يعول حفنة من الأبناء ويتورط فى جريمة قتل .. وحارة مصرية ضيقة مكدسة بالسكان تلتصق فيها المنازل والمشاعر ! .

وبكاميرا المصور الموهوب سعيد شيمى .. نكاد نشعر بتراب الحارة وانفاس هذا اللاعب الذى يحاول أن يتخطى هزائمه فى العمل .. والحياة الزوجية .. وفى الملاعب بين أرصفة الشوارع ..

والفيلم لا يخضع للحدوتة التقليدية فى السينما المصرية .. ومن هنا تبدو جراته ومغامرته ..

وهى مغامرة تحسب بالقطع لهذا المخرج الفنان ولمجموعة زملائه الذين شاركوا فى انتاج هذا الفيلم وفى تنفيذه . وقد لعب دور البطولة عادل امام ـ صاحب الشعبية الكبرى بالنسبة لجمهور السينما ـ ولكنه فى هذا الفيلم يخضع للمواصفات التى حددها المخرج محمد خان الذى رسم له كل تعبيراته وحركته امام الكاميرا حتى يذوب النجم فى الشخصية التى يتقمصها ..

وقدم عادل امام دوراً يعتبر من اهم

أدواره السينمائية .. ومختلفاً تماماً عن النموذج التقليدى الذى عرفه به جمهور السينما .. وهذا ما يؤكد على روح المغامرة والتحدى فى شخصية المخرج محمد خان .. وقد دخل عادل امام المغامرة ونجح تماماً .

وأصبح السؤال .. هل يتقبل جمهور السينما هذه المغامرة ..

قد تختلف الاجابة .. ولكن مما لاشك فيه ان هذا الفيلم يحقق شرف المحاولة للخروج من الشكل التقليدى للفيلم المصرى ..

●

● السادة المرتشون . !

يأتى هذا الفيلم للمخرج على عبد الخالق .. بعد النجاح المدوى لفيلمه السابق « العار » .. مؤكداً انه واحد من أهم مخرجى السينما المصرية الآن .. ففى داخل قالب بوليسى مثير يتعرض لظاهرة الرشوة عندما تصبح وسيلة لتحقيق بعض الطموحات الخاصة .

فالرشوة هنا .. تصادر الضمير وتلقى به جانباً .. لأن ذلك الموظف الذى يقدمه الفيلم .. لا يتقاضى رشوة لانجاز بعض الأوراق الروتينية المطلوبة منه . وإنما يتقاضى رشوة لتمرير صفقة من الأغذية الفاسدة عبر بوابات الجمرك ومعامل التحليل ..

اى أن الرشوة هنا على حساب أرواح من البشر .. وفى مقابل ان يفوز هذا الموظف بقلب حبيبته وأن يؤثث لها منزلا فاخراً .

وتأتى النهاية الاخلاقية للفيلم .. عندما يحصد هذا الموظف ثمن جريمته من حياة أخوته الذين تسمموا بالأغذية الفاسدة .. وعربات الاسعاف تطلق صفاراتها .. واحد المارة فى الطريق يتساءل بدهشة «ما الذى جرى فى البلد . ؟» .

والسؤال يحمل الكثير من الدلالات .. ربما أكبر من الحجم الحقيقى للفيلم .. ذلك لأن الفيلم طغى عليه الطابع البوليسى ، ولم يتوقف كثيراً عند التحليل الاجتماعى لظاهرة الرشوة والفساد .. وايضا لم يتوقف بالتحليل النفسى لشخصية هذا الموظف ، والصراع الذى أدى به لأن يلقى بنفسه فى تيار الانحراف .

كان من الممكن ان يكون فيلم «السادة المرتشون» أكثر تعمقاً .. وأكثر سخونة .. ومع ذلك فهو بالصورة التى ظهر بها يعتبر نموذجاً مشرفاً لسينما جادة تشق طريقها بجراة وشجاعة وسط افلام الربح السريع والتى تتاجر بالمخدرات والدعارة .

فقد قدم المخرج «علي عبد الخالق» عملا على درجة عالية من الاتقان الفنى يجعلك مشدوداً على مقعدك طول مدة عرض الفيلم



عادل امام .. لاعب الكرة الشراب مع ابنه الصغير فى الحارة التى يسكن بها .. لقطة من فيلم « الحريف »

.. ولاشك أن السيناريو المحكم الذى كتبه مصطفى محرم اعطى مجالا كبيراً للمخرج لكى يقود أدواته الفنية بحساب دقيق .. سواء مع كاميرا المصور عصام فريد .. أو مع مجموعة ممثليه الذين تالق منهم محمود ياسين ومحمود عبد العزيز وسعيد صالح .

●●

ان المشكلة الحقيقية للسينما المصرية .. تكمن فى هؤلاء الذين يتوقفون عند بعض الأفلام الرديئة .. ويصرخون فى فزع مطالبين بالوصاية وفرض الاجراءات التعسفية .. وينسى هؤلاء أو يتناسوا انه مع الأفلام الرديئة هناك أخرون يصارعون من اجل فن جيد .. وان الفساد فى صناعة السينما انعكاس لفساد آخر موجود فى هيكل المجتمع ..

وان السينما كفن على مستوى العالم .. تعانى من أزمات ومشاكل طاحنة .. نسمع عنها كل يوم .. فى افلاس شركات سينمائية كبرى .. والتجارة بأفلام العنف والجريمة والرعب .. وهجرة مخرجين مفكرين من بلد الى آخر بحثاً عن مصدر لتمويل افلامهم .

فالأزمة ليست محلية .. بل أزمة عالمية .

والصراخ وحده لا يحل المشكلة .. وإنما يحلها الباحثون والمتخصصون .. والمخلصون .. والذين يمدون أيديهم بالحب والتشجيع لكل بادرة أمل ! .

«رءوف توفيق»

طفل يرعى طفل .. ويقوده .. إلى أين ؟ .. السؤال الذى يطرحه الفيلم الايطالى « البسلة الحلوة » .



رسائل إلى المحرر

يقدمه: نبيل خالد الأغا

الشعراء يهجرون الشعر

كان هذا عنوان لموضوع كتبه الكاتب « عبد القادر عقيل » فى مجلة الدوحة بعددها الثالث والتسعين .. وقد شد انتباهى ذلك العنوان فقد كان اختياراً موفقاً حيث ايقظ فى النفس هموماً متجددة ، حول هجرة الشعراء لشعرهم وإغلاق تلك النافذة المنيرة للفكر . انني اتساءل بمرارة .. ! هل السبب فى الهجر هو عدم التمكن من الحرية التى يجب ان نعيشها بافكارنا وارائنا حيث اشار إليها الأستاذ « عقيل » عندما قال بان الشاعر العربى « عبد الله الخليلي » فى امسية شعرية ضمت بعضاً من الشعراء قال بان الشاعر العربى غير حر فى ان يقول ما يريد وغير حر ايضا فى اختيار موضوعاته التى يريد ان يتحدث عنها،ويعاود قائلا .. بان الزمان العربى لا يصلح إلا بالشاعر الموظف الذى لاينتظرمنه سوى المديح والمحاباة وغض البصر عما يراه ويسمعه ويعيشه .. ؟

ولكننى هنا اشير بانه ليس الشاعر فقط هو الجريح الذى يعانى آلام جراحه،بل الكاتب العربى عموما سواء كان شاعراً او روائيا او ناقداً فهو يعانى الام المواجهة ويذبح الف الف مرة فى عمق فكره . وهناك الكثير من المبدعين الصامتين على اوجاعهم ولكن .. الشاعر الخليلي لن يكون اخر المودعين للشعر بل سيتبع طريقه الكثير فى لحظات تكبل الفكر والنفس،ولكنني اقول لن يستطيع الشاعر توديع الشعر بمعنى الوداع الأبدي بل سيظل اللقاء مستمراً حيث ان هاجس الشعر يسيطر وينزف فى داخله اروع الكلمات والعبارات .. وشاعرنا هنا يحترق باحتراق امته وقضيته وينتحر بانتحارها المؤلم كالكثير من الشعراء والكتاب حيث تشتعل افكارهم وتنزف اقلامهم كما اشار الأستاذ « عقيل » لقول من اقوال « شيلى » « إن الشعراء هم مشرعو العالم غير المعترف بهم .

وصدق الكاتب عندما قال بان هزيمة بيروت ليست إلا حلقة ممتدة من سلسلة الهزائم التاريخية التى منيت بها هذه الأمة .. ويعود يتساءل .. لم الدهشة والحيرة ازاء سقوط بيروت .. !؟ او سقوط اية مدينة عربية اخرى إلى اخر ماذكر الكاتب .. وكان الموضوع شيقا ومناسبا فى الوقت ذاته لمن يحس ويشعر بالانتكاسة النفسية او الثورة على ما يجول بنفسه من افكار فينزفها على الورق.ولكن املي فى كل شعرائنا بان ينطلقوا من غير هجرة للشعر ويدونوا المزيد للاجيال القادمة والا يتركوا عشاق الكلمة فى هذا العالم التائه يبحثون عن كلمة صادقة .. وكفاكم هجراً ورحيلا يا سادتي.او ليس من نهاية لهذه الهجرة المستمرة .. إن عودتنا الوحيدة عندما تهاجرنا الافكار والمشاعر والآمال نجدها ثانية من خلال قصيدة نقراها .. نستنير بها .. نروي ارواحنا العطشى بحروفها الدافقة ، وكلماتها المعطاءة .. انتم المنفذ الدائم لنا ، فمن خلالكم نهرب لنجسد انفسنا فكفى هجرة ايها السادة .

اخيراً تحياتى لكل العاملين فى « الدوحة » . وتحياتى للكاتب عبد القادر عقيل وللقارىء الكريم .

فاطمة حسين - جدة : السعودية

إحصائية فلسطينية

● تتضارب المعلومات عن العدد الاجمالي للفلسطينيين ،هل اجد عندكم احصاءات دقيقة تنفعني فى بحث اقوم به ؟ .

غازي فهد الخطاب
محافظة نينوى ـ العراق

ـ فى عام ١٩٨١ اصدر المكتب المركزى للاحصاء ـ التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ـ مجموعته الاحصائية الثالثة التى اعتمدت على ما يصدر من احصاءات تخص الشعب الفلسطيني ، والتى تصدرها الحكومات المضيفة ، مضافا اليها مسوحات خاصة قام بها المكتب المركزى فى عدد من المخيمات الفلسطينية .

هذا وقد ورد فى الاحصائية بان مجموع الفلسطينيين بلغ (٤،٤٤٧ر١٣٨) شخصاً فى عام ١٩٨١ منهم (٨٣٣ر٠٠٠) فى الضفة الغربية و (٥٥٠،٨٠٠ر٠٠٠) فى فلسطين المحتلة قبل عام ١٩٦٧ و (٤٥١ و ٤٠٠) فى قطاع غزة .

وبلغ مجموع العرب الفلسطينيين الذين يعيشون تحت الاحتلال الصهيوني (١،٤٢٨ر٩٠٠) اى ما يعادل ٣٢ بالمائة من مجموع الفلسطينيين .

ويعيش فى الأردن ـ الضفة الشرقية ـ (١،١٤٨ر٣٣٤) نسمة اى ما يعادل ٢٥،٨ بالمائة من مجموع الفلسطينيين فى العالم، ويتوزع الباقى فى المنطقة العربية والعالم وبتركيز اكثر فى لبنان (٣٥٨ر٢٠٧) . وفى سورية (٢٢٢ر٥٢٥) وفى الكويت (٢٩٩ر٧١٠) ، وفى السعودية (١٣٦ر٧٧٩) .

أدب ونقد

« أدب ونقد » هو اسم المجلة الشهرية الأدبية الجديدة التى صدرت فى منتصف شهر اكتوبر الماضى ، ويراس تحرير المجلة الدكتور الطاهر احمد مكي استاذ الادب بجامعة القاهرة ، وتدير تحريرها الناقدة فريدة النقاش .

وياتي صدور هذه المجلة ليسد فراغاً طالما عانت منه الساحة الأدبية ، والمامول ان تؤدى المجلة الجديدة دوراً مهماً فى مجال تخصصها .

همســـــــــــة

نلفت انتباه كرام القراء ممن يودون المساهمة فى هذا الباب بمراعاة الملاحظات التالية : اختيار المادة المناسبة مع الاختصار والتركيز ـ الكتابة بخط واضح وعلى وجه واحد من الصفحة ـ كتابة اسم الباب « رسائل الى المحرر » على مغلف الرسالة .

ولسنا بحاجة الى التذكير بان هذا الباب هو من تحرير القراء انفسهم ، لذلك فنحن نرحب بجميع الرسائل الجادة ، والمساهمات البناءة .

المحـــــرر

ردود قصـــــيرة

● الأخ ابراهيم محمد مرسي ـ محافظة المنيا ـ مصر .

ناسف لعدم مقدرتنا على تلبية طلباتك . تحياتنا لك .

● الأخ محمد علي العموري ـ ابل ـ تونس .

قصتك «حفر على غصن زيتونه» غنية بالعواطف الصـــادقة ، العبارات البليغة ، ولكنك بحاجة الى المزيد من صقل موهبتــك القصصية .. ننتظر مساهماتك .

● الأخ عمر عبد الرزاق ابو عون ـ مخيم اليرموك ـ دمشق .

الدكتور عبد المحسن صالح يكتب باستمرار فى الدوحة ، ويمكنك مراسلته على العنوان التالى : المعهد العالي للصحة العامة ـ جامعة الاسكندرية ـ مصر .

● الأخ مدحت عبد الهادى ـ البيضاء ـ ليبيا .

وصلتنا رسالتك الغاضبة ، لكننا لا نستطيع معالجة ذلك المنكر الا بالقلب .. وهو اضعف الايمان .. وندعو الله العلي القدير أن يفرج كربنا ، ويرد غربتنـا ، ويجعل لنا من امرنا رشداً .

استــــدراك

حرصاً مني على قيمة مجلة الدوحة فى حياتنا الثقافيـة ـ التى ارجو الا يمسسها اى انتقاد نتيجة سهو ما ـ اسمحوا لي أن اورد بعض الملاحظات الشكلية المتعلقة بموضـوع « ازرع ارضك سمكا » الذى نشر فى العدد « ٩٣ » ، وتتلخص فى ان بعض الصور المرافقـــة للموضوع غير مناسبة على الاطلاق . فالصورتان الأولى والسادسة هما لنوعين من الأسماك لا يمكن استزراعهما فى المزارع السمكية .

وكذلك الصورة الثانية فى الصفحة الثانية فهى للسمكة ذات الشراع التى لا يمكن تربيتها فى المزارع ايضا .

اما الصورة الأخيرة فى الصفحة الأخيرة فواضح انها لميناء صيد . الاسماك الظاهرة فيها هى نتاج الصيد البحري وليست من انتـــاج المزارع السمكية .

ارجو ان تتقبلوا هـــذه الملاحظات بصدر رحب .

ولكم مني خالص التقدير والاحترام .

رجب ســعد السيد
باحث بمعهد علوم البحار والمصايد ـ الاسكندرية

إهـــــــداء

السيد / رئيس تحرير مجلة الدوحة ـ قطر .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

نبعث اليكم بتحيات رابطـة الخريجين بمعهـــد ماراوي الاسلامى بالفلبين ، ونعرب لكم عن تقديرنا للدور المهم الذى تقوم به مجلتكم الأثيرة فى خدمة الثقافة الاسلامية والانسانية بوجه عام .

وبهذه المناسبة فاننا نامل منكم تزويد اخوانكم المعلمين فى رابطة الخريجـين بالفلبـين باعداد من مجلة الدوحة ، وبعض الكتب المتوفرة لديكم .

وفقكم الله وسدد خطاكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد حبيب سلطان
رئيس رابطة الخريجـين ، والمسجل العام بمعهد ماراوي الاسلامي
دنسلان ـ ماراوي
الفلبين

ـ ستصلكم اعداد المجلـة بصورة مجانية ومستمرة ابتداء من هذا العدد ان شاء الله . مع تقديرنا للجهود التى تبذلونها فى نشر لواء الاسلام بالفلبين .

وفقكم الله ، واخذ بايديكم .

إسرائيل في القرآن

● ارجو افادتى عن الحكمة فى ورود كلمة « اسرائيل » فى القران الكريم ، وعن كيفية اداء اليهود لصلواتهم .

سلطان جابر علي
ص . ب ٧٣٨٥
الدوحة ـ قطر

ـ لقد ورد اسم يعقوب فى القران الكريم باسم «اسرائيل» ، واسرائيل هو نفسه يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام . وهو ابو الاســـباط (الابناء) الاثنى عشر الذين ورد ذكرهم فى القران . ومن ضمنهم يوسف بن يعقوب .

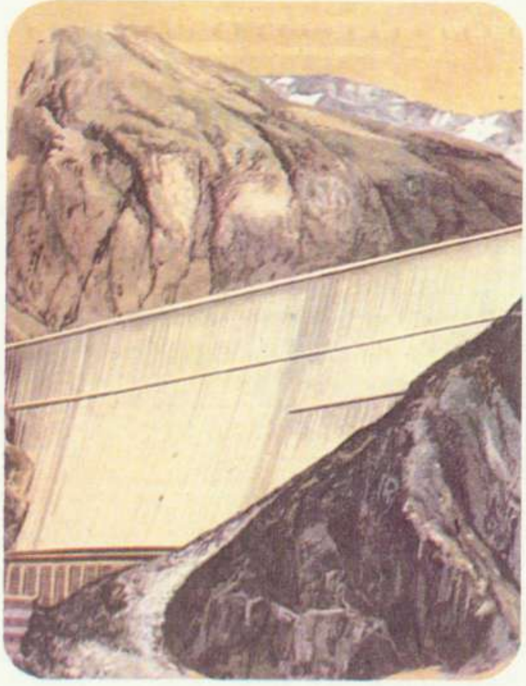
هذا وقد ورد ذكر بني اسرائيل فى اربعين موضعا فى المصحف الشريف ، وكلمـــة « اسرائيل » تعني عنـــد الاسرائيليين « عبد الله » او (صفوته من خلقه) على اساس أن (إيل) هو الله ، و (اسرا) بمعنى العبد .

وقد عرفت اماكن عبـــادة اليهود بالكنس والمحاريب ، كما عرف علماء الدين اليهودى بالربانيين والأحبار .

ولليهود ثلاث صلوات : فى الظهر ، وقبل مغيب الشمس ، وبعد المغيب حيث يقف المصلي اليهودى ، ويضع يده اليمنى على كتفه الأيسر ، ويضع يده اليسرى على كتفه الايمن ، ثم يركع خمس ركعات بلا سجود الا فى الركعة الأخيرة ، ويسبح بمزامير داود فى أول الصلاة ، ويسبح من التوراة فى صلاة المغيب .

ويقال بان اليهود قد سمّوا « يهوداً » اشتقاقا من كلمـــة « هادوا » اى اهتدوا وتابوا ، والله يعلم انهم ما اهتدوا ولا تابوا ولن يظفروا بهذه النعمة ان شاء الله .

حاول أن تعرف





١ ـ هذا السد يعرف بانه اعلى سد مائى فى العالم إذ يبلغ ارتفاعه من القمة الى القاع ٣١٠ أمتار تقريباً ويحتوى على ٥٢٠ الف قدم مكعبة من الخرسانة وهو موجود فى سويسرا فما اسم هذا السد ؟

٢ ـ عالم اسلامى كبير عرف «برائد علم التاريخ الاسلامى» ولد فى مدينة «أربل» قرب الموصل بالعراق وقد شغل اثناء حياته واحداً من ارفع المناصب فى ذلك الوقت الا وهو قاضى القضاة ومن مؤلفاته المشهورة : وفيات الأعيان ـ مختصر ترجمة الزمخشرى . فمن هو هذا العالم الاسلامى الجليل ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٩٣





الصورة الأولى العاصمة هى الدوحة عاصمة دولة قطر والبحر هو الخليج العربى .

الفائز : فلاح جاسم نايف ظاهر ـ الكويت .

الفائز : صالح العقيلى ـ الجمهورية اليمنية

الصورة الثانية : فولتير .

الفائز : علي محمد مطر ـ باكستان

الفائز : محمد السيد خليفة ـ مصر



دوحة القراء

؟؟ مسابقة الدوحة ؟؟

يرجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى كتابة اسم المسابقة وكتابة الاسماء والعناوين بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

الخـــط العـــربي



من المعلوم أن مجلة الدوحة تهتم بكل الميادين الثقافية ، وتفرد لها أبوابا تختص بها ، وتفصل جوانبها ، وتجلو غوامضها . ومن تلك الميادين ميدان الفن الذى يتطرق لأهم الفنانين العرب والأجانب ودراسة أعمالهم ، ولكن المجلة لا تولى كثيراً من اهتماماتها لدراسة الخط العربى .

فالخط العربى يجب أن ينال منا جميعاً المكان اللائق به كفن رائع تمتاز به بلادنا دون غيرها ، وهو ينفرد عن باقى الخطوط العالمية برشاقته وحيويته اللتين تدهشان كل من يدقق فيه النظر

لقد انطلق الخط العربى مؤخراً من جموده وكلاسيكيته ، لتصبح له اشكال جديدة تتلاءم وتطور الفنون العالمية .

ومن هذه الأشكال الشكل المرفق ، بهذه الملاحظة ، وهو خاص لمجلة الدوحة .

احمد الأمير ــ دمشق

فلســـفـة غانـــدي

كان المهاتما غاندي يحدث عنزته وهي لاهية عنه بتناول طعامها من الحشائش التى يجمعها لها ، بينما هو قانع بقطرات الحليب التى تقدمها له ويعيش عليها ..

قال لها يوماً : سبعة اشياء تقضى على الانسان هي : السياسة بلا مبادىء ، المتعة بلا ضمير ، الثروة بلا عمل ، التجارة بلا اخلاق ، المعرفة بلا قيم ، العلم بلا انسانية ، والعبادة بلا تضحية .

محمد أمين ــ مصر

لقطة الشهر



استـــعـــداد للتصويـــــر

فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى

القارىء : محمد الأمين ــ السودان

كيف يقتـــلون الأســـد؟

عرف عن قبيلة «الزغاوة» التى تسكن غرب السودان قتلها الأسد بعدة حيل طريفة منها هذه الحيلة الجريئة :

أن يقدم أحدهم على لف يده كلها جيداً بالثياب «وهو عادة يكون من أشجع الرجال وأقواهم فى القبيلة» ثم يلقي بنفسه الى حيث يوجد الأسد ، فيثيره ، فى الحين الذى يتربض فيه الباقون بالقرب منه وأسلحتهم مشهرة فى انتظار الوقت المناسب للتدخل . فاذا ما هجم عليه الأسد مد إليه يده الملفوفة فيتلقاها الأسد ويظل عاضاً على اليد الملفوفة حتى يلحقه إخوانه فيعملـون فى الأسد حرابهم ويقتلونه قبل أن ينال من صاحب اليد الملفوفة .

وقد يتضرر أحيانا الذى يتجرأ بالاقدام على لف يده كطعم للأسد ، ولكن روح المغامرة والحرص على نيل الشهرة يدفعان الى التنافس فى هذا المجال حتى يؤدى بهم الأمر الى الاقتراع فى كثير من الاحيان

محمود آدم بشير اقنى
السودان



دوحة القراء

؟؟ مسابقة الدوحة ؟؟

مَن ؟

ـ صحابى جليل قتله الحجاج بن يوسف الثقفى فبلغ بذلك قمة جبروته وبغيه ، ومات بعده مهووساً بعدة أيام . اسم ذلك الصحابى من عشرة احرف فى ثلاث كلمات :

٢ـ٥ـ٣ـ١٠ رائحة طبية

٩ ـ ١ ـ ٧ ـ ٤ يقع بوجهه على الأرض تعبداً .

٨ ـ ٦ ثمرة منبهة .

أين ؟

ـ بلدة فى جبل عال لجا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاقى من أهلها صدوداً لا يقل عن صدود كفار قريش ، فعاد الى مكة المكرمة . اسمها من ستة احرف :

٤ ـ ٢ ـ ١ ـ ٥ افضال ومآثر ونعم .

٣ ـ ٦ ـ ١ عام على الماء .

ما ؟

ـ أساس الحكم الصالح خلال التاريخ كله ، كلمة من خمسة احرف :

١ ـ ٥ ـ ٢ ـ ٤ بلدة فلسطينية مشهورة احتلها اليهود سنة ١٩٤٨ م .

٣ ـ ١ ـ ٥ مرتفع

الإجابة الصحيحة

١ ـ ثلاثة من الالفاظ التالية تطلق على انواع اللؤلؤ :
الخريدة ـ الحصة ـ الجمانة ـ الشذرة ـ البللورة

٢ ـ وما ضر الورود وما عليها
اكمل هذا البيت وانسبه الى شاعره وعن لسان من قاله ؟؟

٣ ـ الجبس المستخدم فى اعمال البناء والطب من املاح حامض :
الكبريتيك ـ النيتريك ـ البنزويك

٤ ـ رتب الحوادث التالية من الاقدم الى الأحدث :
دنشواى ـ محاكم التفتيش ـ صبرا وشاتيلا ـ بحر البقر ـ دير ياسين .

٥ ـ الشاعر العربى الفحل واسمه زياد بن معاوية بن ضباب واشتهر باسم النابغة الذبيانى عاش :
قبل الاسلام ـ بعد الاسلام ـ فى العصر الفاطمى .

٦ ـ «تلد البغلة عادة فى اوائل الصيف كل ثلاثة اعوام»
هل هذه العبارة صحيحة علميا ؟؟

٧ ـ تتولد الطاقة فى الشمس وغيرها من النجوم بطريقة :
الانشطار النووى ـ الالتحام النووى ـ تاكسد العناصر الثقيلة.

٨ ـ توفى امير الشعراء احمد بك شوقى وشاعر النيل حافظ ابراهيم فى نفس العام وكان :
١٩٣٢ ـ ١٨١٨ ـ ١٩٠٧ ـ ١٩٤٨

٩ ـ تقع صحراء جوبى فى :
شرق آسيا ـ جنوب افريقيا ـ بلاد العرب .

١٠ ـ اشتهر احد الأنبياء عليهم السلام بانه ذو النون ، وكان اسمه :
سيدنا يونس ـ سيدنا شعيب ـ سيدنا عيسى .

حل مسابقة العدد ٩٢

من : الخليفة هارون الرشيد
اين : بغداد .
ما : القرآن الكريم .

«الأجوبة الصحيحة»

١ ـ بنو عباد ـ بنو زيرى بنو حمود .
٢ ـ خطا .
٣ ـ جبل إيفرست ـ جبل سانت كاترين ـ جبل الرحمة .
٤ ـ ملح لحامض عضوى
٥ ـ البامية ـ الكركدية
٦ ـ المصرى .
٧ ـ ٣٣٩ هـ
٨ ـ الامام الشافعى
٩ ـ العريش .
١٠ ـ ١٢ كيلو متر مربع

أسماء الفائزين في مسابقـ

لوحة لم تتم : الحل : محمد زكي عبد القا
١ ـ حليم شنودة عبد الشهيد ـ مصر
٢ ـ جمال حسن عبد الجواد ـ مص

المثل يقول : الحل : كذب المنجمون ول صدقوا .
١ ـ امينة عبد الله ابراهيم ـ البحر
٢ ـ جمال الدين احمد احمد الرومي ـ مص

اصل وصورة : الحل : الشعر ـ الأنف الحاجب ـ الأسنان ـ الخد ـ الجبهة الشارب .
١ ـ منى محمد مراد ـ الكويت .
٢ ـ فائزة احمد عبد الله قدح ـ السعودي

دوري الكاريكاتير : الحل : رقم ٤
١ ـ عبد الولي الطوقى ـ اليمن

أسماء الفائزين للعدد ٩٣

● فاز بالجائزة الاولى وقدرها ٣٠٠ ريال واشتراك لمدة نصف سنة : القارىء : عباد احمد عبد الرؤوف ـ الامارات العربية .

● فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال واشتراك لمدة نصف سنة : القارىء : محمد عبد الحميد موسى ـ ليبيا .

● فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال واشتراك لمدة نصف سنة : القارئة : بمبة عوض البنا ـ مصر .

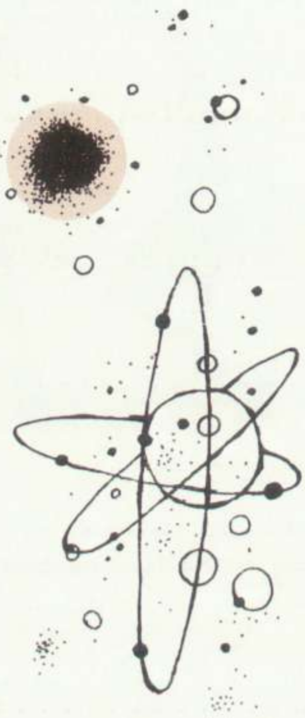
الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ بوصوف احمد ـ المغرب
٢ ـ نزار بابكر عبد التام ـ قطر
٣ ـ عصام عبد العزيز فؤاد ـ السعودية
٤ ـ محمد ابراهيم زاهر ـ مصر
٥ ـ بيسان زهير صادق ـ الكويت
٦ ـ سفروري ابراهيم ـ المغرب
٧ ـ بشارة عبد الله بشارة ـ السودان
٨ ـ كوثر عبد الحميد السيد ـ السعودية
٩ ـ عفيفي علي عفيفي ـ مصر
١٠ ـ الامين محمد مختار بدر ـ السودان

ستراحة الدوحة العدد ٩٣

ـ محمد عمر الشيخ عباس ـ السودان
نوياء الملاحظة : الحل : وردة ـ طماطم ـ
وس ـ مشبك ـ قفل باب ـ حمامة ـ بقرة
ـ سالم حميد الحجرى ـ سلطنة عمان
ـ ايمن محمد دوينع سعد ـ الاردن .
لق من الشبه أربعين : الحل : رقم ٥
كاتب المعروف احمد بهاء الدين .
ـ منال سعد سالم محمد ـ اليمن
ـ عبد المجيد ازر علي ـ الشارقة .
ات اجمل تعليق : الحل :
ـ صباحك مِسَاك . تقوم من فطورك تجهز
شاك .
ـ خذ اشرب بقى .. ما اطال السهر عمراً .
ـ محمد فتحى محمد ابو زيد ـ مصر
ـ أمجد محمد عودة ـ قطر .

أسماء الكواكب



الكواكب السيارة عند العرب سبعة ، تسير فى الأفلاك السبعة ، وهى : القمر ، وعطارد ، والزهرة ، والشمس ، والمريخ ، والمشترى ، وزحل ، والشمس تتوسط الأفلاك السبعة ، وأقربها الى الأرض القمر . وأبعدها زحل . وهناك تفسيرات لأسماء هذه الكواكب : فهم يقولون ان القمر سمي قمراً من القمرة وهى البياض . وسمي عطارد بهذا الاسم بمعنى النافذ فى الأمور ، وقيل إنه من «أعطى» و «رد» ، لأنه لا يستمر على حال . والزهرة فى الفلك الثالث أو السماء الثالثة ، سميت بهذا الاسم لأنها زاهرة أى بيضاء منيرة . وسميت الشمس بهذا الاسم ، لأنها ، كما قلنا متوسطة الأفلاك السبعة ، فهى بمثابة واسطة العقد ، وتسمى شمسة . والمريخ سمي بهذا الاسم ، لأن فى لونه حمرة ، واشتقوا له ذلك من المرخ ، وهو الشجر الذى تحتك غصونه ، فتورى ناراً ، وقيل : المريخ سهم لا ريش له ، إذا رمي به لا يسير سيراً مستقيماً ، بل يلتوى فى ذهابه ، والمريخ فيه التواء فى سيره . والمشترى سمي بذلك لحسنه ، كأنه اشترى الحسن لنفسه . واشتق اسم زحل من التزحل وهو التنحى والتباعد وهو مثل فى العلو والبعد .

عبد اللطيف حميدان
المغرب ـ فاس

أمثال وحكم

● إعطاء الوعد غلطة .. والاخلاف بالوعد نقيصة .. وعدم الوعد حكمة
مثل حبشى

● الأمس ماض .. والغد احتمال .. واليوم الآن !
رالف والاس

● العنف هو صوت اختناق العقل في الحنجرة !
جون بويز

● الاغراق فى تكريم غير المستحق سخرية !
بلزاك

● أين الشاعر الذى يرينا جمالا مثل الذى فى عين امرأة ؟
شكسبير

● الرجل الذي يعدو مسرعاً لابد وأن يتعثر فى خطاه !
ترم باتيوك

● إنسان العصر الحجرى وحده هو الذي نعم بالحرية دون أن يعرف ما هي الحرية !
اندريه مالرو

عبد اللطيف الحسيني ـ سوريا



استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

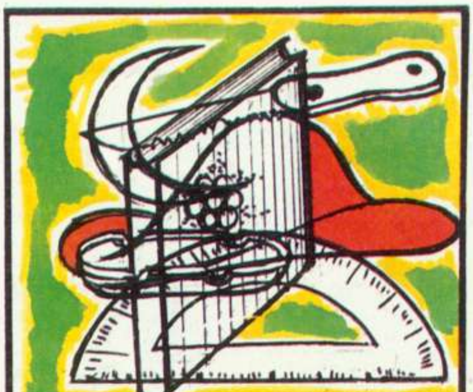
الجائزة لكل فائز فى هذه المسابقة ستون ريالا قطريا

أصل وصورة



بين اصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيرى للجيوكندا هناك سبع اختلافات طفيفة .. يمكنك التعرف عليها و إرسالها لنا لتحصل على جائزة

لأقوياء الملاحظة فقط !



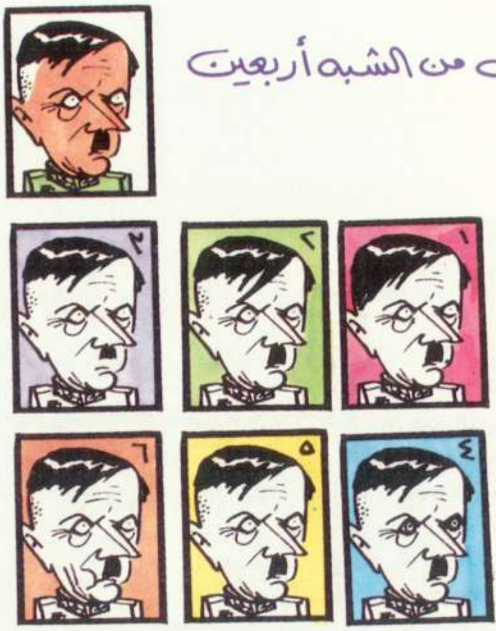
امامك رسوم لستة اشياء متداخلة هل تستطيع التعرف عليها ؟ .. إذا عرفت الحل ارسله الينا لتحصل على جائزة .

المثل يقول



هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى عربى معروف .. إذا عرفت المثل أرسله لتحصل على جائزة !

يخلق من الشبه أربعين



الصور الست المنشورة لستة اشخاص شديدوا الشبه بدكتاتور المانيا ادولف هتلر الذى قاد بلاده إلى هزيمة انتهت بانتحاره فى ٢٠ ابريل ١٩٤٥ فى برلين .. من بين هذه اللوحات واحدة تشبهه هل يمكنك التعرف على اللوحة ؟

لعبة الظلال



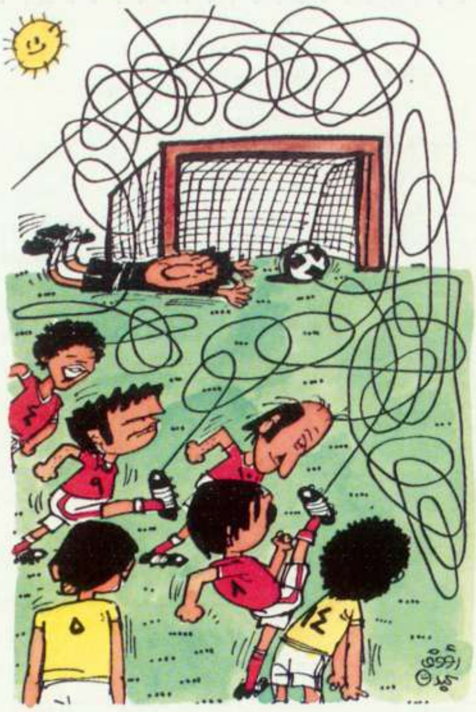
هل تستطيع أن تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقى ؟ .. حاول وارسل الحل إلينا لتحصل على جائزة

هات أجمل تعليق :



هل تستطيع ان تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى ؟ .. حاول وارسله إلينا لتفوز بجائزة عن اجمل تعليق .

دوري الكاريكاتير



اقتحم احد اللاعبين ارض الملعب كالصاروخ ، وسجل هدفا قويا فى مرمى الخصم .. هل تستطيع ان تحدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ؟

اطرح الأسئلة : انها قوتك الوحيدة

بقلم : عبد القادر عقيل

الكتابة للأطفال في الخليج

عصر الكتابة الجديدة الموجهة للأطفال في الخليج قصير جداً ، وادب الاطفال على اية حال شكل ادبي جديد في الأدب العربي . إلا أن جميع ما صدر من كتابات موجهة للأطفال في الخليج لم تكن تفي - ولو بصورة بسيطة - لاحتياجات اطفال المنطقة وهذا عائد إلى ان كتب الاطفال تواجه بسلسلة من المصاعب أهمها ارتفاع تكاليف الطباعة وعدم وجود الرسامين المتخصصين في رسوم الأطفال ، كما ان الكتاب المتصلين بادب الأطفال يعدون على الاصابع ، واهتمام هؤلاء الكتاب منصب اساساً على ادب الكبار ، وعلى هذا فانتاج ادب الأطفال يأتي في المرتبة الاخيرة في صناعة الكتاب الخليجي . وهذه حالة مؤسفة . فالجيل الجديد هو اشد ما يكون حاجة الى ثقافة جادة تتوجه اليه وتخاطب عقله ووجدانه .

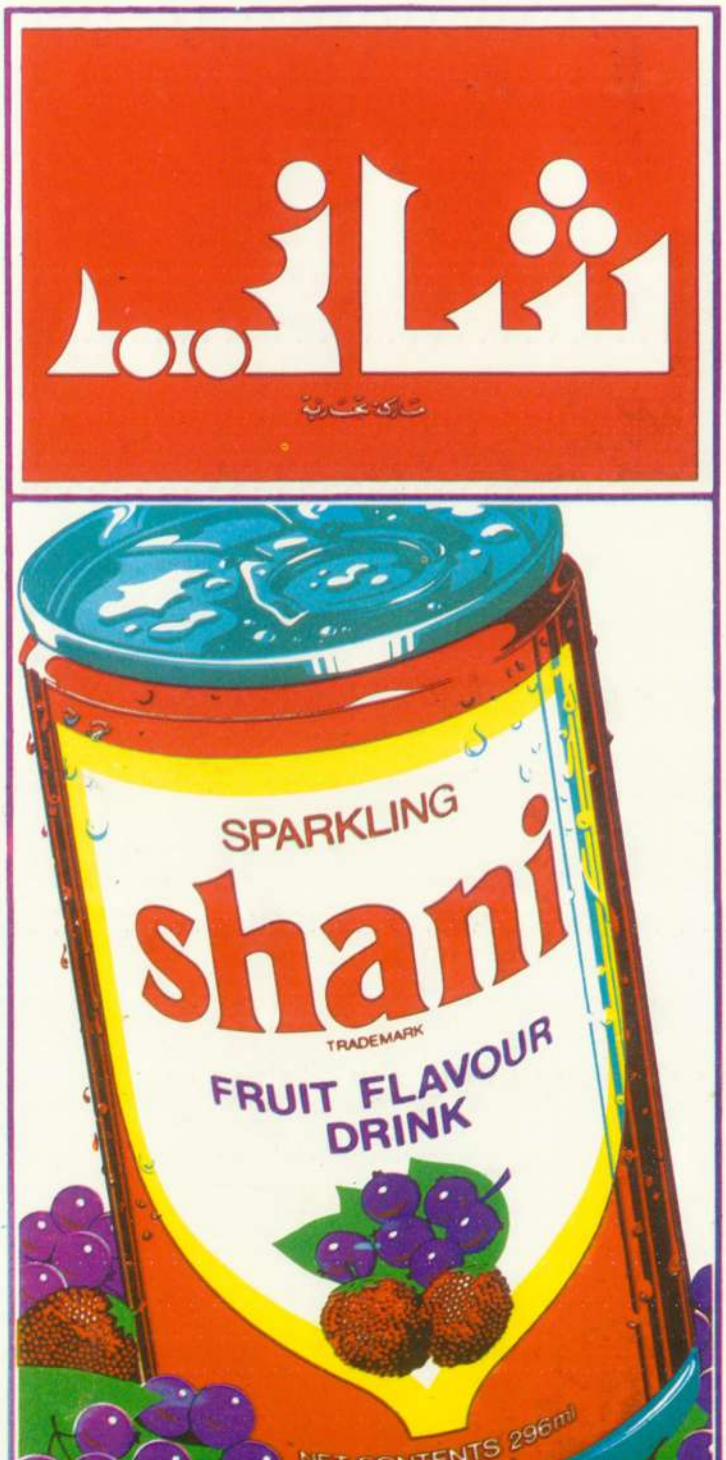
يمكن حصر الكتابات الموجهة للأطفال (قصة ، شعر) في الكتب القليلة التي صدرت ، وفي المجلات المتخصصة للاطفال والصفحات والزوايا المخصصة للطفل في الصحف اليومية (تكون عادة في صفحة الأسرة او المراة) ، وفي الأعمال المسرحية .

على صعيد الكتب المطبوعة للطفل ، قامت إدارة الثقافة والفنون بوزارة الاعلام القطرية بطباعة بعض قصص الأطفال ، وذلك بمناسبة العام الدولي للطفل (١٩٧٩) وبعدها طبعت قصتين او ثلاثاً من القصص التي فازت بمسابقة قصص الأطفال ، والكتاب الاخير الذي اصدرته الوزارة كان بعنوان (قصة صياد اللؤلؤ) وهي قصة مترجمة عربتها « كلثوم امين » مع إغفال لاسم المؤلف الأصلي . في الامارات قامت دار الثقافة للنشر والتوزيع بطباعة قصة (من سرق قلم ندى) لكاتب هذه السطور وكان ذلك في عام ١٩٧٧ ثم سمعنا عن نية القاص محمد حسن الحربي لاصدار سلسلة كتب للاطفال ، لكن يبدو ان مصاعب كثيرة واجهت « الحربي » اعاقته في تنفيذ هذه السلسلة . في البحرين صدرت ثلاث قصص لابراهيم بشمي ، كما قامت إحدى الاندية الرياضية الثقافية بطباعة كتاب يحوي مجموعة قصصية للاطفال كتبها ابراهيم سند . واصدر الشاعر علي الشرقاوي مؤخراً (اغاني العصافير) وهي مجموعة قصائد موجهة للاطفال طبعت بشكل انيق ومناسب جداً . في الكويت لم نسمع عن تجارب مهمة في الكتابة للاطفال ، عدا المشروع المهم لانشاء دار نشر متخصصة في طباعة وتوزيع كتب الاطفال . وقد تكون حركة نشر كتب الاطفال في السعودية اكثر نشاطاً من بقية المناطق. فبعد تجارب عبد الكريم الجهيمان في اصدار سلسلة من قصص الاطفال ، المرتكزة اساساً على حكايات « الف ليلة وليلة » و « كليلة ودمنة » والحكايات الشعبية ، صدرت سلسلة « كتاب تهامة للاطفال » تضم ست قصص لاسماعيل دياب وعمار بلغيث ، ومجموعة (لكل حيوان قصة) من اعداد يعقوب محمد اسحاق صدر منها ٣٥ جزءا ، ومجموعة (حكايات كليلة ودمنة) من اعداد يعقوب اسحاق صدر منها اربع قصص اضافة الى اربع قصص اخرى تحت الطبع ، ومجموعة (التربية الاسلامية) للاستاذ اسحاق ايضاً صدر منها ثلاثة عشر جزءا ، ومجموعة (حكايات للاطفال) نقلها الى العربية عزيز ضياء وصدر منها خمس قصص حتى الآن .

اما المجلات المتخصصة للطفل في الخليج فتنحصر في مجلة (حسن) السعودية ومجلتي (سعد) و (افتح يا سمسم) الكويتيتين ، ومجلة (ماجد) التي تصدرها مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر في ابو ظبي منذ عام ١٩٧٨ ، وهي مجلة الأطفال الوحيدة في المنطقة التي استطاعت ان تكسب ثقة الطفل الخليجي والعربي ايضاً ، حتى ان عدد النسخ التي توزعها في الوطن العربي فاقت توزيع مجلات اخرى معروفة . ومجلة (كتابي) البحرينية التي صدر منها ثلاثة اعداد وتوقفت عن الصدور نتيجة المصاعب المالية التي واجهتها . (تجدر الاشارة الى ان الشاعر السعودي طاهر زمخشري اصدر في ١٩٥٩/٩/١٧ اول مجلة للاطفال باسم (الروضة) توقفت عن الصدور في ١٩٦٠/٥/٢ ، في حين صدرت أول مجموعة خاصة بالأطفال في الوطن العربي في مصر عام ١٩٢٤ باسم « الأولاد ») .

وهناك ملاحق متخصصة للطفل تصدر عن مجلات مثل ملحق (العربي الصغير) الذي يصدر عن مجلة (العربي) الكويتية وملحق (البراعم) الذي يصدر عن مجلة (الاسرة) العمانية إضافة الى وجود زوايا وصفحات مخصصة للاطفال في بعض الصحف والمجلات الخليجية .

الجانب الفعال في الكتابة للاطفال يمكن ان يلاحظ في المسرح ، وقد تكون الكويت اسبق واكثر دول المنطقة نشاطاً في ذلك ، وعليه يمكن ايجاد مسرحيات للاطفال تعرض بين فترة واخرى في قطر ، والامارات ، والبحرين ، الا انه احياناً يضع المرء يده على قلبه من تجربة مسرح الأطفال فهو فاعلية مغرية بالنسبة للكثيرين ، الربح المادي فيها مضمون ، فالجمهور هم الأطفال وهم يستجيبون لأي عمل يثير عندهم المتعة والبهجة ، وعلى هذا راينا بعض من لا علاقة لهم بثقافة الطفل ولا بمسرح الأطفال يقحمون انفسهم لتقديم أعمال همها الأول والأخير جني الربح السريع حتى لو كان ذلك على حساب الطفل الذي من المفترض ان يقدم اليه عمل يوسع من مداركه ويزرع فيه القيم والمبادىء السامية .


شاني
ماركة تجارية
SPARKLING
shani
TRADEMARK
FRUIT FLAVOUR
DRINK
NET CONTENTS 296ml


ميرندا
ماركة مسجلة
MIRINDA
TRADEMARK REG'D.
ORANGE



اندفاع للنصر.. بريشة الفنان القطري: علي الشريف

العـــدد ٩٦ - صفــر ١٤٠٤هـ - ديســمبر ١٩٨٣م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية



قادة الخليج في مؤتمرهم التاريخي بالدوحة

جائزة الأدب التقديرية في السعودية

د. محمد جابر الأنصاري

ياجمال الدين .. لماذا يهاجمونك ويحقدون عليك إلى هذا الحدّ ؟

محمد الغزالي

جولدنج .. الفائز بجائزة نوبل هذا العام

مجدي نصيف

كان زوجي أجمل رجل في العالم

جاكلين .. آخر زوجة لبيكاسو


TEEM

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٩٦ - صفر ١٤٠٤هـ - ديسمبر ١٩٨٣م

المراسلات :

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تيلكس : 4521 MAGDO DH -
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٦٠ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٦٦ ريالا قطريا
باقى الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها .
فى باقي دول العالم ٧٢ ريالا قطريا .
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٢٥ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٣٢ ريالا قطريا
فى باقي دول العالم ١٤٠ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشأنها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر : ٥ ريالات
البحرين ٣٠٠ فلس
الامارات العربية ٥ دراهم
عمان ٢٥٠ بيسة
الكويت ٣٠٠ فلس
السعودية ٥ ريالات
الجمهورية اليمنية ٣٠٠ فلس
اليمن الديمقراطية ٣٠٠ فلس
العراق ٣٠٠ فلس
المملكة الاردنية ٢٥٠ فلسا
سوريا ٢٥٠ قرشا
لبنان ٢٥٠ قرشا
مصر ٢٠٠ مليم
ليبيا ٤٠٠ درهم
السودان ٢٥٠ مليما
تونس ٤٠٠ مليم
الجزائر ٤ دنانير
المغرب ٤ دراهم
باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

● السودان
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم

● مصر
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء - القاهرة

● سوريا
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكة - تجاه ثانوية فايز منصور
ص . ب ٤٩٠٢ - دمشق

● العراق
الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة
ص . ب ٦٢٤ - بغداد

● ليبيا
المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازى ص . ب ٣٢١ - بنغازى

● الاردن
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب ٣٧٥ - عمان

● البحرين
دار الغد
١ شارع المعارف - بناية الدرازى
ص . ب ٥٠٥ - المنامة

● سلطنة عمان
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر
ص ب ١٠١١ - مطرح
مسقط

● تونس
الشركة التونسية للتوزيع
٥ شارع قرطاج
ص . ب ٤٤٠ - تونس

● السعودية
مؤسسة الجريسى للتوزيع والاعلان
ص ب ١٤٠٥ - الرياض
مكتبة ومطبعة ضياء - المدينة المنورة

● الكويت
شركة دار الكويت للصحافة
ص . ب ٢٣٩١٥ - الصفاة
الكويت

● لبنان
الشركة العربية للتوزيع
ص . ب ٤٢٢٨ - بيروت

● الجمهورية العربية اليمنية
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء

● جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية
مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع
ص . ب ٤٢٢٧ - المحافظة الاولى
عدن

● الامارات العربية المتحدة
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام - عمارة ثانى بن محمد
ص . ب ٧٩١ - ابو ظبى

● المغرب
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ص . ب ٦٨٣ - الدار البيضاء
MAROC :
SOCHEPRESS
B. P. No 683
CASABLANCA.

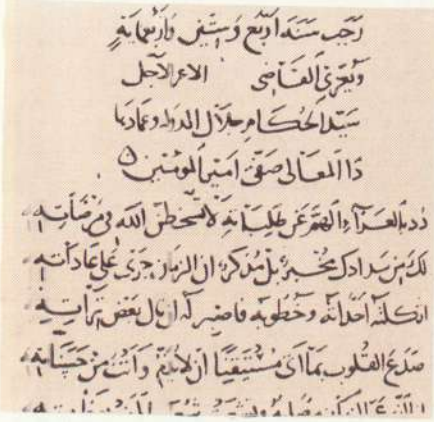
● الجزائر
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر
ALGERIE
S. N. E. D.
20 RUE DU LIBERTE
ALGER.

طبعت بمطابع على بن على Ali Bin Ali Printing Press - Doha

في هـــــــــذا العــــــــــدد



الرّقة .. مدينة الرشيد التى تغنى بها الشعراء
ص ١٠٤



ثروة نادرة من المخطوطات الاسلامية فى ايطاليا
ص ٧٤

● دراسات ومقالات ●

● مدرسة رائدة وامام ضخم ....
محمد الغزالي ١٢
● ما قيمة الرأى الذى يتوصل اليه اهل الشورى ؟ (٢)
د . عبد الحميد اسماعيل الأنصاري ١٦
● باستور - وايزمن ....
د . عبد السلام العجيلي ١٨
● الرمال البيضاء ....
درويش مصطفى الفار ٢٤
● محارب بلا سلاح ! ....
محمود السعدني ٢٦
● بدر الدين ابو غازى : نموذج فريد للمثقف العربى
فتحي رضوان ٣٢
● لماذا هذه الكثرة فى معاهد الاعلام وكلياته ؟! ......
احمد عبد الملك ٧٢
● اعطني طفلا وانا أشكله لك باية صورة تريد .....
عبد الوهاب الأنصاري ٧٧
● نفاثات .. فى واحات .. فى ظلمات .. فى الأعماق ..
د . عبد المحسن صالح ٨٤
● الرقة : مدينة الرشيد التى تغنى بها الشعراء .....
عبد الكريم البليخ ١٠٤
● ملح الطعام الزائد فى قفص الاتهام ....
د . عز الدين فراج ١١٠
● الفنان عبد العزيز ناصر : لا اعتقد ان هناك مدينة حزينة على وجه الأرض غير القدس ....
حوار : جميل العابد ١١٢
● اسرار الانسان وعجائب الحياة : كيف ينظر إليهـا العلم الحديث ؟ (٢) اعداد : محمد العزب موسى ١١٥

● شؤون الخليج ●

● جزء خاص عن الدورة الرابعـــة للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية ٣٥
● هذا المنبر الذى يحمل على اكتافه حماية الكلمة ، والدفاع عن حقوق الفنانين والمفكرين ....
مريم آل سعد ١٠٠

● ادب وفنون ●

● جائزة الأدب التقديرية فى السعودية .. ســـتة معان يوحيها هذا الحدث ....
د . محمد جابر الأنصاري ٦
● الرواد الثلاثة .. خلاصة جهاد ....
د . محمد جابر الأنصارى ١٠
● حكاية شرخ فى الجدار « قصــة » ....
د . طه وادي ٢٠
● موقف : يرقى « شعر » ....
حسن طلب ٢٨
● وليم جولدنج : احب التـــاريخ والبحـــر والأرض العربية ....
مجدى نصيف ٣٠
● العائد بعد فوات الأوان « شــعر » ....
عبد المنعم عواد يوسف ٦٧
● يوسف الخطيب .. فى ديوانه « مجنــون فلسطين »
ناهض منير الريس ٦٨



محمد الغزالى



أحمد عبد الملك

يا جمال الدين .. لماذا يهاجموك ويحقدون عليك الى هـذا الحد ؟ ص ١٢

لماذا هذه الكثرة فى معاهد الاعلام وكلياته ؟ ! ص ٧٢

● ثروة نادرة من المخطوطات الاسلامية فى ايطاليا ...
وجيه الشربجي ٧٤

● الحداثة فى الأدب ....
محيي الدين فارس ٨٠

● بيكاسو بعد عشر سنوات على وفاته ....
ياسر السباعى ٩٠

● رحلة صـــعبة .. رحلة جبلية : قصة حياة فدوى طوقان ترويها بقلمها « الحلقة الثالثة » ١٢١

● دعوة لالتقاط الانفاس مع الافلام الموسيقية ....
رءوف توفيق ١٣٢

● أبواب ●

● لقطات من الكون المثير ٩٦

● من روائع الفن العالمى : فى الشرفة ....
جمال قطب ٩٩

● أوراق خضراء : العربية والعبرية ـ اللغة والقوالب الموروثة ـ الاغتياب .. هذا المرض المستعصي من أمراض النفس الانسانية ١٢٥

● العلم والمستقبل ....
تقديم : ابنى الريدي ١٣٠

● رسائل إلى المحرر ....
تقديم : نبيل خالد الاغا ١٣٨

● دوحة القراء ....
اعداد : صلاح العبيد ١٤٠

● استراحة الدوحة .... رءوف عبده ١٤٤

● الورقة الأخيرة : شاعرة تتعذب ....
عبد الله الجفري ١٤٦

الدوحة

مجـلة شـهـريـة
ثـقافـيـة جامعـة
تصـدر عن وزارة الإعـلام
بـدولـة قطـر

● جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير

● المقالات المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي وزارة الإعلام أو رأي المجلة

● المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

جائزة الأدب التقديرية في السعودية

ستة معانٍ يُوحيها هذا الحدث

بقلم الدكتور
محمد جابر الأنصاري

حدث منح الجائزة التقديرية لثلاثة من كبار الأدباء فى المملكة العربية السعودية ياتي كواحد من أهم الأحداث الثقافية فى منطقة الجزيرة العربية والخليج منذ أن بدأت نهضتها الحديثة فى هذا العصر ، ويترافق مع بداية السنة الرابعة للقرن الخامس عشر الهجري الذى يؤمل أن يكون قرن النهوض الحاسم لهذه الامة على امتداد الوطن الكبير .

هذا الحدث الذى رعاه الملك فهد بن عبد العزيز شخصياً وألقى فيه كلمة ذات نبرة فكرية متميزة ، يمكن أن نستخرج منه المعاني التالية :

اولا ـ ان النهضة الانمائية التى تركزت فى البداية على بناء الأسس الاقتصادية المادية للمجتمع قد اخذت تتحول من كم الى كيف بالالتفاف الى تنمية الفكر والقيم الثقافية والفنية ، أو ان هذا ما يجب ان يكون ، حيث يتطلب الأمر وضع قيم الفكر والثقافة فى قمة الأولويات قبل الشئون المادية الاقتصادية ، لأن هذه الشئون لن تاخذ مسارها الحضارى السليم ، إلا فى ظل رؤية فكرية سليمة تضبط مسار النهضة وتوجهه .

هذه الرسالة التى يوحيها هذا الحدث تعني كل الدول الخليجية والعربية التى مازالت تغلب فيها التوجهات المادية فى سلوكية المجتمع على التوجهات والقيم الفكرية ، وتقرع جرس التنبيه الى ان قد حان الوقت لوضع الأمور فى نصابها الصحيح بتقديم قيم الفكر على قيم المادة ، لتثمر النهضة ويستعيد الانسان وجهه الحقيقي .

هذه الرسالة تقول بايجاز : الخليج ليس نفطاً ، ويجب الا يبقى مجرد مساحة نفطية انه قبل كل شىء وجود عربى أصيل فيه من العروبة قيمها ورسالتها وفكرها وأدبها منذ طرفة بن العبد الى .. احمد السباعي ، وحمد الجاسر ، وعبد الله بن خميس (الادباء الثلاثة الذين كرمتهم الجائزة) .

ثانياً : إن هذا الحدث يحيي ذاكرتنا لتستعيد تراث هؤلاء الرواد ، والرعيل الذى عاصرهم ليس فى السعودية فقط ، وانما فى المنطقة كلها .

فعندما تم منح الجائزة التقديرية لكبار ادباء العربية ـ كالعقاد وطه حسين ، فى مصر ، كان نتاجهم معروفاً ومنشوداً ومتداولا ..

اما أدباء هذه المنطقة فان الظروف







جلالة الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود والفائزون الثلاثة : احمد السباعي ، وحمد الجاسر ، وعبد الله محمد بن خميس .. بريشة الفنان السعودي احمد الغلوث

التاريخية والاجتماعية بمطلع القرن العشرين قد حالت دون انتشار أدبهم بالشكل الذى يستحق لغياب امكانات النشر وغلبة الأمية فى المجتمع والعزلة التى فرضها الاستعمار بين الأقطار العربية

هكذا تاتي الجائزة التقديرية اليوم لتنفض الغبار عن هذا التراث الادبى الرائد ، وتدعونا الى إعادة قراءته ودراسته ونشره .وهو تراث ، لوجه الحق ، فيه قسط غير قليل من روح المعاناة الريادية المبكرة ، وروح الاصلاح المخلصة ، وروح التحرر والجراة الادبية ، وعشق حرية الفكر وحرية الكلمة ، والتصدي لرواسب التخلف الحضارى فى زمن كان فيه هذا التخلف هو العنوان الرئيسي لواقع مجتمعنا .

ويكفي أن نعرف ان احمد السباعي ، أول الرواد الفائزين ، كان أول من دعا الى تعليم الفتاة فى الجزيرة العربية قبل خمسين سنة ، وكان أول من اسس مسرحاً بها .. وكان احتماله لتبعات دعوته مثالا يحتذى ، ويقدم نموذجاً لجيلنا الحاضر فى الرجولة الفكرية والثبات على المبدأ



والصدق مع الذات .

واذا كانت الدولة قد اكرمت هؤلاء الرواد معنوياً ومادياً ، فعلينا نحن كمثقفين ومواطنين ومجتمع ان نقوم بواجبنا فى تكريمهم . وهذا الواجب يتمثل فى قراءة نتاجهم وتقييمه واذاعته والاقتداء به فى الاصلاح والثبات والصدق والجراة الادبية . وهذا لا يقتصر على الرواد الثلاثة بل يشمل جميع روادنا المصلحين الاحرار من ابراهيم العريض الى خالد

الفرج الى عبد الله الزايد الى عبد العزيز الرشيد الى فهد العسكر الى صقر الشبيب وكثيرين غيرهم من رواد الاصلاح ورجال الكلمة .

ثالثاً : ان صوت هؤلاء الرواد فى تلك الحقبة ، كان فى حقيقة الأمر ، هو « الصوت الآخر » و « الراى الآخر » بالنسبة للصوت التقليدى الجماعى السائد فى مجتمعهم حينذاك بحكم واقع التخلف فى تلك الفترة .

وعندما تكرم الدولة اليوم هؤلاء الرواد لتعبيرهم عن الصوت الآخر والراى الآخر فى الجدلية الاجتماعية التاريخية ، فانما تعبر عن احترامها واحترام المجتمع لهذا الصوت المتميز والراى المستقل ، أى عن احترامها لحرية الكلمة وحرية الراى والرأى الآخر فى الحوار الاجتماعى الهادف لخير الوطن ، فى الماضى والحاضر والمستقبل .

هذا المعنى الجميل للتكريم يكرس ويرسخ المبدأ الديمقراطي فى الحوار وتبادل الراى بين الأطراف المختلفة فى بوتقة الوحدة الوطنية والاجتماعية ،

ستة معانٍ يوحيها هذا الحدث



سمو الامير فيصل بن فهد
رئيس لجنة الجائزة



الدكتور غازى القصيبي
من لجنة الجائزة

ويعطينا درساً من ماضينا نستهدي به فى حاضرنا لبناء النهضة على مبدأ الشورى والتحاور وسماع الراى الآخر والصوت الآخر فذلك هو أساس البناء والاصلاح والنهوض ، كما تثبت لنا تجربة هؤلاء الرواد فى الماضى ، وتكريم الدولة لهم فى الحاضر .

رابعاً : ان الدولة عندما تكرم العطاء الأدبى والابداع الفكرى فانما تستعيد تاريخاً عربياً زاهراً كان فيه الخلفاء العرب والمسلمون يتنافسون ويتبارون فى تشجيع الأدب والثقافة والرموز الحضارية كلها ، اى ان المسألة تتعلق بتصحيح مسيرة التاريخ العربى واعادة الاعتبار للتحضر الحقيقى على ما عداه من عوامل التخلف الذى يكمن خلف كل التراجعات العربية الراهنة فى التحليل النهائي .

خامساً : كما ان هذا الحدث يقيم للعرب جسراً مع مواقع التحضر الانسانى العالمى المعاصر فى دنيا الحضارة الحديثة ، ويعطى الصورة الحقيقية الأصيلة للعربي كمبدع للحضارة وكمشجع لها ، مكان الصورة التقليدية التى تروجها الجهات المعادية من صهيونية واجنبية حاقدة على الانسان العربى .

كلنا نذكر الصورة المشوهة التى روجتها شركة « دنلوب » لعربي يطعن الاطار بخنجره فى حركة غير لائقة ..

هذه الصورة المدسوسة تسقط تلقائياً امام العالم كله عندما يرى هذا العالم فى الانسان العربى قائداً مشجعاً للثقافة ، ومفكراً مبدعاً لها ، وشعباً متيقظاً لاستقبالها .

سادساً : ان هذه المعانى تندرج وتصب فى معنى اساسي كبير هو ضرورة وحتمية الشروع فى نهضة فكرية وادبية جديدة ، شابة ، مبدعة على هذه الأرض العربية . فكل تلك المعاني لن تكتمل ولن تزدهر إذا لم ياخذ جيلنا المثقف الشاب بزمام المبادرة ، وياخذ على نفسه ، تصميماً وعهداً ، القيام بنهضة ثقافية جديدة فى مستوى التحدي ومستوى الأمل ، ترد على التردي الراهن ، وتنقذ المجتمع من اسفاف المادة وسيطرة الروح الاستهلاكية وتستعيد الأرث الحضارى العربى الأصيل ، وتمد يدها للأرث الانسانى قديمه وحديثه فى كل مكان من بقاع الأرض .

وهذه النهضة لابد أن تترك التقزم والتشرذم والاقليمية التافهة لتكون عربية عملاقة بحجم الوطن العربى الكبير ، بحجم الأمة من محيطها الى خليجها ، بحجم تحديات العصر ، بحجم المجد الثقافى العربى القديم ، وبحجم املنا الكبير المشترك فى الانقاذ وتحقيق التقدم والكرامة للانسان العربى .

فلا ادب خليجى ، ولا أدب سعودى ، بل أدب عربى وفكر عربى وثقافة عربية موحدة فى الخليج وفى السعودية ، وفى مصر ، وفى العراق ، وفى المشرق والمغرب .

وتاكيداً لهذا المعنى العربى الكبير ، فان الرياض قد دعت اكثر من سبعين اديباً ومفكراً عربياً ليكونوا شهوداً قوميين وحضاريين على هذا الحدث ، بما يؤكد هذا التوجه العربى الكبير الشامل الذى قصدناه والذى نود تاكيده ما بقي العرب وبقيت ثقافتهم الموحدة الواحدة .



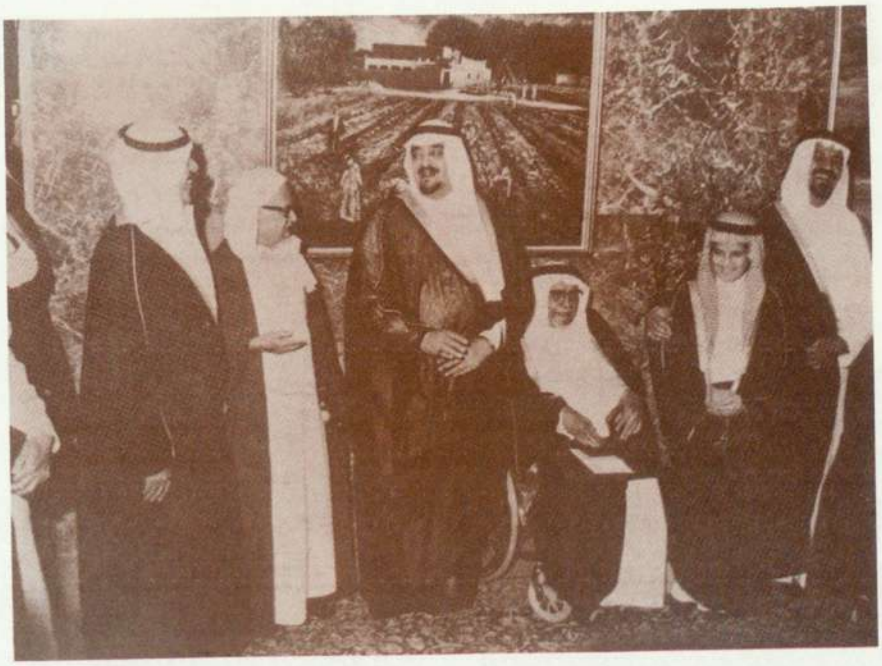
الميدالية الذهبية التى اعطيت للفائزين

كان من بين الشهود الكبار ، وفى طليعتهم عبد السلام هارون من ارض الكنانة ، من مصر العربية ، وكان هناك عبد الكريم اليافي وسعيد الافغاني من سوريا العربية ، وكان هناك إحسان عباس ومحمد يوسف نجم من فلسطين وناصر الدين الأسد من الأردن ، والعروسي المطوي من تونس وكثيرون غيرهم من ادباء العروبة .

ومن روح هذا الحدث على اعرق ارض عربية خرج منها ادب العرب ، وانطلق منها مجدهم ، وبدأ فيها تاريخهم ، نكرر الدعوة الى نبذ الروح الاقليمية التافهة فى الثقافة فى كل الأقطار العربية ، ونذكر ان هذه الروح العقيمة هى انعكاس للهزيمة والياس والتبعية الثقافية والاستلاب الفكرى . وواقعها الأدبي الذى وصلت إليه يؤكد افلاسها وعدم استعداد النـاس لتقبلها لا فى ارضها ولا فى ايـة ارض عربية . وانه لا بديل عن الروح العربية الشاملة التى اخرجت لنا جيل الرواد الكبار من العقاد والرصافي والشابي الى احمد السباعي وحمد الجاسر وابن خميس ، فما زال زادهم هو الزاد ، وما زال إرثهم هو الارث .

اما هذا التقزم الثقافى الهزيل والمريض فى الفينيقية والفرعونية والقرطاجيـة والخليجية فمصيره الأهمال والنسيان والسقوط .. لأنه ببساطة الابن الطبيعى لمرحلة السقوط . وعقمه الحالى فى كل الأقطار العربية دليل على ذلك . ومن اراد التحقق فليقرأه ليرى ضيق الأفق وتقزم الانسان وانسداد الطريق وانتهائه بحفريات أثرية ميتة ، ثم ليقرأ ادب جيل الرواد الشموليين المنتمين لروحنا العربية الكبيرة الواحدة ليرى كيف يتسع الأفق وتمتد الأرض الرحبة وينطلق الفكر ويقف الانسان شامخاً بامتداد التاريخ ، باعتداد المستقبل .

فلترجع الثقافة الى هذه الروح الكبيرة المبدعة ، لترجع الأمة كلها ، سياسـة واقتصاداً واجتماعاً ، الى روحها الأصيلة وتتجاوز حضيض التقـزم والتشرذم ، والاقليمية التافهة التى هى الوجه الآخر لواقع الهزيمة .



الملك فهد والأدباء الرواد

واخيراً فان هذا الحدث الثقافى قد ازداد تميزاً عندما ختمه جلالة الملك فهد بكلمة قال فيها مخاطباً حشد الأدباء العـرب الحاضرين :

« ارجو من المجتمعين ان ينيروا الطريق لأبناء الأمة العربية والاسلامية بما الصق فى تاريخ الأمة من تشويه .. نحن واياكم مثلا خلال العشرين سنة الماضية لغاية الآن . نرى مؤلفات تمتدح ، ومؤلفات تشتم ، ونعرف ان الذى يمدح كذاب والذى يشتم كذاب ، ومن الأشياء التى تعيب الرجال وتعيب رجال التاريخ ان يزور التاريخ ، وان يمتدح احد لا يستحق المديح ، ويشتم الذى لا يستحق الشتم » .

هذه الكلمة القاها جلالة الملك فى حديث عفوى من القلب للقلب اثناء مخاطبته للأدباء العرب ، وبلاشك فان اجمل مبدأ فيها عبارته الصريحة الحافلة بالمعنى :

« نعرف ان الذى يمدح كذاب ، والذى يشتم كذاب » وهذا المبدأ الصريح والحاسم ينطبق فى نظرنا على كل انواع الكتابة والقول من كتابات تاريخية ومخاطبـات اجتماعية ومقالات صحفية واحاديث اذاعية وتليفزيونية ومؤلفات شـعرية ونثرية .

انه دعوة كريمة ليحل الصدق وتحـل الموضوعية والتجرد والنزاهـة فى كل ما نقول ونكتب ، بعيداً عن المدح أو الذم ، أى بعيداً عن الكذب بنوعيه ، النوع المادح والنوع الشاتم .

والواقع اننا لو التزمنا بهذا المبدأ لتجاوزنا الكثير من الخـلافات والخصـومات والمهاترات التى تمزق العرب بين مدح وشتم .

ويا ليت ادباء العربية وكتابها ورجـال اعلامها يتذكرون دائما قبل أن يشرعوا فى الكلام : ان الذى يمدح كذاب ، والذى يشتم كذاب .

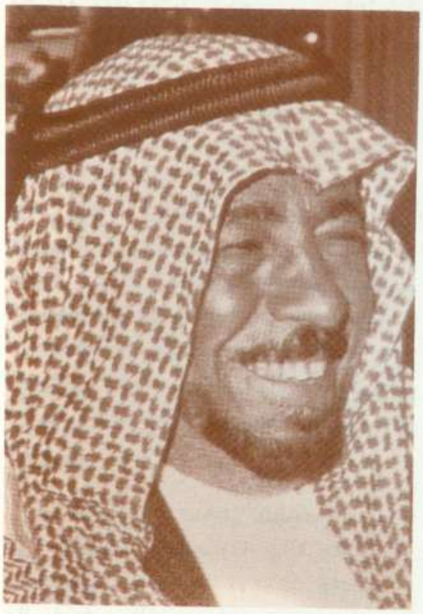
وما استحق الأدباء الرواد تقدير الوطن والأمة إلا لانهم جسدوا هذا المبـدأ فى كتاباتهم وعطائهم فاطرحوا أسلوب المدح والذم الى اسلوب الصدق والصراحـة المخلصة فكانوا رجالا بحجم الحقيقة .. حقيقة هذه الأمة الكبيرة الواحدة .

جائـزة الأدب التقديريـة
فـي السـعوديـة

الـرُّوَّاد الثـلاثـة
خـلاصـة جهـاد


احمد محمد السباعى


حمد محمد الجاسر


عبد الله محمد بن خميس

● أحمـد السـباعي ولـد سـنة ١٣٢٣هـ عمره الآن ثمانون عـامـًا

قالت الجهة التى رشحته للجائزة : « الأستاذ احمد السباعي عملاق من عمالقة الأدب والصحافة فى بلادنا ، نشأ هو والصحافة معاً ، وكان له دوره البارز فى مختلف الفنون الأدبية ، كما كان له وللصحف التى يصدرها ويشرف عليها لون خاص متميز ، كما كان لأسلوبه نفسه هذه الخاصية المتميزة ، فهو اسلوب سـهل منطلق ، فيه الكثير من الرشاقة والنضارة الى جانب الدقة والموضوعية والنفاذ الى أعماق الحياة والمجتمع . وساعدته عقليته المتفتحة على أن يسبق جيله وأن يكون له دوره الريادي فى عدد من المجالات الأدبية ، ومنها بعض المجالات التى بدأ بها الاهتمام مؤخراً كالمسرح والفنون الجميلة ، كما انه من الأدباء القلائل الذين اجتمعت لهم دقة الدراسات العلمية مع التغلغل فى الحياة الشعبية وتصوير الظواهر الاجتماعية .

فهو ـ دون مبالغة ـ يعتبر « شاهد العصر » بالنسبة لادبائنا لأنه صور الكثير مما كان يموج به ذلك العصر ، ويضطرب فى حناياه ، وكان له من نفاذ بصيرته ، وقدرته على التحليل واسلوبه القصصي خير مساعد على تقديم هذه الشرائح المتباينة من المجتمع .. كما انه أسهم فى

الدراسات التاريخية . والتاليف المدرسي . وعاش حياته طويلة ولله الحمد ، يكتب ويدرس ويناقش ويحلل الظواهر والأحداث. فهـو شيخ الأدباء دون منازع ، واجدرهم بالتكريم ، واحقهم بمنح هذه الجائزة .

من ابرز انجازاته

– رئيس تحرير « صوت الحجاز » ومدير للجريدة ومطابعها .
– مؤسس مطبعة الحرم .
– مؤسس صحيفة الندوة ورئيس تحريرها .
– مؤسس أول مسرح سعودي بالمملكة وهو « مسرح قريش » الذي ما يزال قائما وان حالت الظروف الاجتماعية حينئذ دون افتتاحه .

أهم مؤلفاته

فكرة – فلسفة الجن – مطوفون وحجاج – تاريخ مكة – أبو زامل – صحيفة السوابق – يوميات مجنون – دعونا نمشي – ايامي – قال وقلت – خالتي كدرجان (مجموعة قصصية) – أوراق مطوية – الأمثال الشعبية في مدن الحجاز – سباعيات ، جزءان .

● حمد الجاسر

ولد سنة ١٣٢٨هـ

عمره الآن ستة وسبعون عاما

قالت لجنة الجائزة التقديرية في تقريرها عنه :

« الشيخ حمد الجاسر غني بجهوده العلمية عن كل تعريف . وتقصر اي كلمات عن ان تفيه بحقه من الاشادة والتكريم ، لقاء جهوده العلمية والادبية التي يحق للمملكة العربية السعودية أن تعتز بها كل الاعتزاز ، ولذا فنحن نضعه على قمة المرشحين لنيل جائزة الدولة التقديرية للأدب » .

أهم انجازاته

– انشا أول صحيفة في الرياض باسم اليمامة سنة ١٣٧٢ هـ .
– انشا أول مطبعة في الرياض في نفس العام .
– انشا دار اليمامة للبحث والترجمة والتاليف .
– أصدر مجلة العرب التي ما زالت تصدر منذ ١٨ عاما .

أهم مؤلفاته

المعجم الجغرافى للبـــلاد العربية السعودية – معجم القبائل – بلاد ينبع : لمحات تاريخية وجغرافية – رسائل في تاريخ المدينة – فيشمال غرب الجزيرة – مدينة الرياض عبر التاريخ .

بالاضافة الى تحقيق عدة مصادر جغرافية وتاريخية ، والاشراف على اعادة طبعها ، ومئات المقالات والدراسات فى عدد كبير من المجلات السعودية ، والعربية الأخرى .

● عبد الله بن خميس

ولد سنة ١٣٣٩هـ

عمره الآن خمسة وستون عاما

قالت عنه الجهة التى رشحته للجائزة :

« الأستاذ عبد الله بن خميس من الاعلام الشوامخ فى جزيرتنا العربية ، له دوره البارز فى العديد من المجالات الثقافية والفكرية . وله اسهاماته التى تميزت بالأصالة والحفاظ على التراث واحياء ما قد يكون قد الم به من عوامل الهدم والتغيير . وهو شاعر ممتاز وعالم بحاثة وأديب مبدع شارك فى الكثير من المجالات الأدبية فى ميادين الفصحى والتراث الشعبى على السواء ، كما انه من الأدباء الذين لم يكتفوا بالبقاء فى ابراجهم ، بل اسهموا فى خدمة المجتمع باشتراكهم الجاد والمثمر فى اللجان التى شكلت لهذا الهدف » .

أهم وظائفه واسهاماته

مدير معهد الاحساء العلمي – مدير كليتي الشريعة واللغة بالرياض – عضو المجلس الأعلى للاعلام – عضو فى : المجمع العلمى بالقاهرة – المجمع العلمى بالعراق – مجلس إدارة مؤسسة الجزيرة ، والمجلة العربية – ومجلة الدارة .

وهو يحمل وسام الشرف الفرنسي من درجة فارس ، والوسام الثقافي التونسي ، ووشاح منظمة « فتح » مع ميدالية من منظمة التحرير الفلسطينية .

أهم مؤلفاته

– الأدب الشعبى فى جزيرة العرب .
– الشوارد – ٣ اجزاء .
– المجاز بين اليمامة والحجاز .
– شهر فى دمشق .
– بلادنا والزيت .
– معجم اليمامة .
– من جهاد قلم .
– الدرعيـــة .
– اهازيج الحرب أو شعر العرضة .

هذا بالاضافة الى مقالات كثيرة فى صحف عدة ومساهمة فى عدد من المؤتمرات الأدبية السعودية والعربية .

د . محمد جابر الأنصارى

ياجمال الدين .. لماذا يهاجمونك ويحقدون عليك إلى هذا الحدّ ؟!

مدرسة رائدة وإمام ضخم

بقلم : محمد الغزالي

قلت لرجل يكره جمال الدين الأفغانى : ما قيمة التشكيك فى انتماء جمال الدين لبلد ما ؟ ليكن افغانياً أو ايرانياً أو سودانياً ! فما يستمد الرجل شرفه من وطن ولد به ! إنما يستمد عظمته من سيرته وتراثه والأصداء البعيدة التى تركها فى العالم الاسلامى فأيقظته من سبات .. !

قال : إنه ايرانى يستخفى بنحلتــه الشيعية وراء نسب زائف !

ومبدأ التقية عند الشيعة يتيح له ذلك !

قلت : ان أصدقاء جمال الدين واعداءه نقبوا فى اقواله وافعاله وخطبه وكتبـه فلم يروا ذرة من تشيع إلا للاسلام والسلف الصالح ، ولم يروا نبرة من حمـاس إلا لاستعادة الحضارة الغاربة وإنعاش امتها المسكينة !

ان نفس الرجل تساقطت انفسـاً وهو يكافح الذل والجهل والذهول والتفرق وسائر العلل التى اكلت كياننا ، وما عرف عنه تعصب لمذهب كلامى او فقهى او جنسى ، كان الاسلام وحده شغله الشاغل حيث ولى وجهه فى آسيا او افريقيا او اوربا !!

قال : هذا من إتقانه لتمثيل دوره !

فقلت مقاطعاً : هذا الكلام يشبه اتهام « كارل ماركس » بانه راسمالى تخفى وراء فلسفة صنعها او صنعت له كي يخدم الأغنياء وارباب العمل ..

دع عنك هــذا اللغو ، ولننظر فى عمل الرجل لا فى نسبه ..

عندما ظهر « الأفغانى » كانت الأمـة الاسلامية تركة رجل مريض يوشك أن يلفظ روحه ويقتسم ميراثه ! ولم تكن لها فى المحافل الدولية مهابة ولا رسالة ..

استطاع أعداؤها مع امتداد عصر الاحياء أن يجتازوا البارود إلى البخار وأن يتهيئـوا للكهرباء والذرة على حين جثم المسلمون على مكانتهم يبذرون الحب ويرجون الثمار من الرب ، ولا يدرون شيئاً قل أو كثر عن الكون الذى يعيشــون فيه .. !

اما ثقافتهم الدينية فاجترار غريب للنزاع بين الأشاعرة والمعتزلة او قصص عقيم عن فكر السلف والخلف ! ذاك فى ميدان العقيدة ، اما فى ميدان الفقه فتشريح للفروع ودوران حولها يجعل من الحبة قبة .

وقد قرات رسالة من مخلفات ذلك العهد الأنكد عنوانها « صواعق من نار فى الرد على صاحب المنار » ! وسر هذه الغضبة المضرية أن الشيخ رشيد قال : ان صياح المؤذنين بالصلاة على رسول الله عقب الأذان أمر محدث ومن الخير الاقتصار على

الوارد !

وقاد الهجوم وقدم للرسالة الشيخ « الدجوى » عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف .

لم تكن للثقافة الاسلامية موضوعات ذات بال أو قضايا نفسية واجتماعية وسياسية مهمة ..

ماذا يصنع رجل حكيم حاد البصر والبصيرة بازاء هذا الاختلال العقلى أو هذا الموت المادى والأدبى ؟ لقد استجمع كل ما يملك من مواهب واشتبك فى صراع وحشى مع الحكام الذين اذلوا الشعوب ومع الشعوب التى ذلت للحكام ، وشرع يعرض الاسلام حركة عقل ، واباء نفس ، ويبرز خصائص الحضارة الاسلامية الأولى بما حوت من فكر نضير ، وجراءة على الحياة ، وقدرة على التغيير !

كانت الشورى قد ماتت مبنى ومعنى ! كان الاجتهاد قد توقف وامسى ذكريات بائدة ! كانت الطاقات الروحية والفكرية قد نفدت بين العامة والخاصة وسقط المسلمون من اعين البشر جميعاً .

وكان على جمال الدين ومن التف حوله من الرجال أن يستاصلوا علل التخلف ، ويردوا الأمة إلى الصراط المستقيم ، وبديهُ أن تكون الجامعة الاسلامية اساسهم فلا تعصب لجنس ، وأن يكون العقل الاسلامى رائدهم أو باعثهم فلا تعصب لمذهب او رأى ..

وقد أحس الأفغانى بما يشيع فى أجواء المسلمين المنهزمين من خرافات ، وبما يصحب اليقظة الأوربية من باطل وهوى وظلم فاخذ يعرض الاسلام على نحو يقمع المغرورين ويستنهض المقهورين ..

وقد ذكر الأستاذ الكبير عبد القادر محمود أستاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة القاهرة ستة عناصرلنهج جمال الدين فى الاصلاح ، نوميء إليها باختصار لدلالتها الصادقة على فكر الرجل العظيم ..

(١) فالاسلام دين التوحيد الحق ، الرافض لكل صور التعدد ، الماحى لشتى الوثنيات وتبعية المرء لغير الله .

(٢) وهو دين الكمال العقلى ، دين أولي الألباب ، والأفكار الناضجة والمزايا البشرية السوية ، فلا مكان فيه لدعاوى جنسية وتفرقات عنصرية على نحو مازعم« رينان » الفيلسوف الفرنسي الذى ناقشه جمال الدين ووقفه عند حده .





جمال الدين الافغاني : لقطتان : بالطربوش وبالعمامة

(٣) ينهض الايمان على النظر فى الكون وعلى أداء العقل لوظيفته المنطقية ، والاسلام يابى تقليد الأوائل دون وعي ، ويرى تعطيل العقل مرادفاً للحيوانية ..

(٤) ومنذ بدأ الاسلام والمسلم عزيز الجانب ، قوى بربه سيد لما حوله يفعل الخير ويدعو إليه ويحترم الحق ويحكم به ويستمده من الوحى الأعلى ، ويقيم سلطان الدولة على دعائمه . ومن ثم فهو يزدرى الأهواء والتقنينات الأجنبية ، ويجعل شريعة الله أساس الحكم فى أرض الله .

(٥) والأطوار التى جدت على المجتمع الانساني توجب على المسلمين الا ينحصروا فى تقليد فقيه واحد من فقهاء الامصار ، بل يجب العود إلى الينبوع الذى يستقي منه الكل ، اى الكتاب والسنة . وان ينفتح باب الاجتهاد للوفاء بالمصالح الدينية والمدنية التى جدت ..

(٦) غالى جمال الدين الافغانى بالخصائص الأدبية التى كرم الله بها الانسان ، ونوه بعظمة العقل وإمكاناته على الكشف والحكم ، وازاح العوائق التى تعترض نشاطه ، واحتقر الجمود الذى يلوذ به بعض المتدينين ، والفلسفات الانسحابية التى تشد المسلمين إلى وراء ..

ثم مضى الشيخ العبقرى يهدر فى كل بلد نزل به ! ويصرخ بعد قرون من الصمت لم تشهد هذا الصنف من الدعاة الرواد ! وفى كل قطر تيممه كـان الرقود يصحون ! ولم يكن جمال الدين يخشى إلا الله ، وما شغله قط مال أو جاه ، ولا عناه إلا تكسير القيود التى اذلت جماهير المسلمين .

لا أدرى أكان المتنبى يصف نفسه أم يصف جمال الدين الأفغانى حين قال :

تغرّب لا مستعظماً غير نفسه
ولا قابلاً إلا لخالقه حكمـاً !
ولا سالكاً إلا فؤاد عجاجة . !
ولاواجداً إلا لمكرمة طعمـاً
يقولون لي : ما انت ؟ فى كل بلدة
وماتبتغى ؟ ما ابتغى جل ان يُسمى

ومع التجهم الذى قوبل به من ذوي السلطان ، والمكايد التى دبرها له الحاقدون والحسدة فان الرجل بقي على وفائه لدينه وانتصافه لأمته وجراءته على العدى وتحمله للآلام .

كذا أنا يا دنيا ! فان شئت فاذهبى !
ويا نفس زيدي فى كرائهها قُدْماً
فلا عبرَتْ بي ساعة لا تُعِزُّني
ولا صَحِبَتْني بهجة تقبل الظلما

الفارق بين المتنبي والأفغانى ان الأول كان طالب إمارة يرى نفسه احق بها من ملوك عصره ، أما الثانى فكان غاضباً للاسلام ، ناقماً على من حرفوه واضعفوه !

وكان يرفض بعنف شديد الفصل بين الاسلام والعقل ، وبين الشورى والحكم ، وبين الانسان والحرية ، وكان حاسماً فى ربطه بين العبادات وزكاة الروح ، والتوكل على الله والزهد فى أعراض الدنيا وصحبة الكبراء ..

مدرسة رائدة
وإمام ضخم

ونجح الافغانى فى تاليب الكثيرين على الاستعمار العالمى ، ولا ريب أن مدرسة المنار فى مصر ومدرسة ابن باديس فى الجزائر ، ومدرسة القاسمي والكواكبي فى الشام ومدارس كثيرة فى العالم الاسلامى كانت أثراً مباشراً لهذه الثورة الفكرية والتربوية التى بداها جمال الدين ..

وفى هذه الأيام المهزولة من تاريخنا العلمى والسياسى تتعرض سيرة جمال الدين الافغانى لمطاعن شديدة من صنفين متباعدين جداً ..

فالدكتور « لويس عوض » يصب جام غضبه على الثائر الاسلامى الحر ويصفه بكل موبقة ، فهو « مغامر مجهول كافر مجنون مخاطر مغمور زنديق مخبول ملحد ماجور افاق دساس دجال متلون .. الخ » .

وقد كتب الاستاذان احمد بهجت وسامح كريم فى أهرام ٢٩/٨/١٩٨٣ تعليقات على طريقة لويس عوض فى البحث والحكم ، وبينا ان الرجل كان يرجع إلى تقارير المخابرات الدولية ، ويستقى من مصادر لا تعرف بالنزاهة والصدق .

وكتب الأستاذ الكبير جابر قميحة مقالا تحت عنوان « التزوير وأمانة الكلمة » ، يكشف فيه ان الدكتور لويس فى حديثه عن جمال الدين كان قاصر البحث غائب المنهج ..

والدكتور لويس رجل واسع الاطلاع على الثقافة الغربية ، شديد الولاء لأغراضها ، واعتقد أن كرهه لجمال الدين نابع من حبه لدينه واحترامه لدور اوربا فى احتلال الشرق الاسلامى ، وتغييرها الواجب لعقله وضميره !

وقد نفس عن كوامنه بالأسلوب الذى هاجم به جمال الدين ! ومع انى لا اتوقع ان يقول الدكتور لويس كلمة طيبة فى جمال الدين او فى محمود شاكر إلا اني فوجئت بهذا الضغن الشديد على زعيم من زعماء الاصلاح الاسلامى .. !

فلنترك التيار الصليبي ورجاله وطرائقه فى النيل منا ! ولننظر إلى صنف اخر من الناس يحارب مجددي القرن الماضى ، ويستميت فى تجريحهم ..

ولست ادافع عن شخص ما وإنما ادافع عن المبادىء التى ظهر بها ، مادمت أراها حقاً ، ولا باس ان انظر إلى الشخص نفسه لأعرف : أكان صورة حسنة كما يقول أم لا ؟



وهنا أسال : علام كان يعتمد جمال الدين فى تحشيد الامة حول دعوته ؟ وماذا كان يقصد ؟ وهل للهاجمين عليه عذر فى نيلهم منه ؟

إن الاسلام وحده هو وجودنا المادى والأدبى ، وهو العنوان المشترك ، بل الموضوع المشترك ، بين ماضينا ومستقبلنا ولن نقبل أن يبتعد حاضرنا عن الاسلام قيد أنملة ! .

ويوجد أقوام يقدمون رباط الأسرة على رباط الدين ، أو يصغون إلى نداء الدم أكثر مما يصغون إلى نداء العقيدة ، وقد كثر فى عصرنا من يهتمون بالوطنية والقومية ولا يتحركون لقرابة الاسلام .

وانا ممن يفهمون الشرك على معناه الواسع الوارد فى القرآن الكريم !

فاذا رأيت امرءاً يطوح الصلة بالله بعيداً جداً ويرجح عليها صلة اخرى من نسب أو مال ، أو منفعة لم أستطع فهم كيف يكون موحداً ؟ إنه أشرك بالله « شيئاً » ونحن منهيون عن اشراك أى شىء مع الله .. « اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً .. » .

ويكاد المسلمون يتفقون على هذا المعنى وان تباينت مصطلحاتهم فى التعبير عنه .. !

وإنما يقع الاختلاف عند التطبيق ، وعندما تقع تجاوزات أو انحرافات ! وإذا افترضنا حسن القصد قائماً بين جمهور المؤمنين ، وأن حال المسلم تحمل على الصلاح أبداً فان سبب الاختلاف يرجع إلى تفاوت العقول فى تقدير زاوية الانحراف ، أو مدى التجاوز ..

إن هذا التفاوت العقلى قد يثير الدهشة والغضب . !

هذا رجل يكره المذهبية ! حسناً لكن الا ابالى بكفاح الأفغان ضد الشيوعية لأنهم احناف ! هذا جنون ..

والا ابالى بكفاح المصريين ضد الاستعمار لأنهم قبوريون ! والا ابالى بكفاح المغاربة ضد الصليبية لأنهم صوفيون ! هذا وذاك لون من السفه لا يجوز أن يلبس ثوب التدين !

وثم امر آخر ان ايقاد البغضاء بين العوام بسبب خلاف فرعى جرم كبير لاسيما بين اتباع دين ياجر المخطىء والمصيب .

استمعت إلى حديث عن أديب انكليزى يكتب قصصاً للأطفال كى يشبوا نافرين من الخلافات السخيفة !

قال الأديب لأطفاله : إن نزاعاً نشب بين اهل مدينة كذا : هل تؤكل البيضة من احد طرفيها المدببين أم من وسطها العريض ! وتالف حزبان ، أو مذهبان ، كل يدعو لرايه واستفحل النزاع فصار حرباً انهزم فيها احد الفريقين ، فالتجا إلى مدينة أخرى واستعان باهلها لينتصر على خصمه ! ونشبت حرب عامة بين المدينتين .. الخ .

قلت : ما أحوج الدهماء فى بلاد الاسلام إلى سماع هذا الدرس .

على أية حال إن المصلحين الكبار يترفعون عما يشغل العامة وأشباههم من قضايا .

وهم يتجهون إلى الاصلاح من المنبع لا من المصب .. وهذا ما فعله جمال الدين ، ومن سار تحت رايته ..

إنه نظر فى احوال المسلمين على اختلاف العصور ، وعرف الداء وبدأ العمل ..

وكان الرجل يتملكه احساس لاريب فى صدقه ، أن الفكر الاسلامى متخلف عن الفكر العالمى مسافة طويلة ، بل متخلف عن الاسلام نفسه وتاريخه البعيد !

اترى جمال الدين كان واهماً فى هذا الشعور ؟ كلا ، ان هذا الشعور لا يزال يتملكنا بعد مائة عام من وفاة الرجل ! فان الضغط على امتنا شديد كما تبقى فى الرغام ، ولقد اجتمع عليها الخصوم من كل ملة ، وبقيت متفرقة الهوى متناحرة على الهباء ..

وقد قيل : ان الفساد يهبط من أعلى إلى

اسفل ! وان الاصلاح يصعد من اسفل إلى اعلى ! وقد حاول جمال الدين ان يعمل بالمبدأين معاً ، فحاول اسداء النصح إلى الحكام ، وتعريفهم انهم اجراء للشعوب وملزمون بالشورى ! كما حاول استحياء الأمة الهامدة وتجديد الخمول العلمى والخلقى الذى ران عليها ، والغى وجودها الأدبى والمادى فى السباق العالمى .. !

وكان إيمانه بقدرة الاسلام على استئناف رسالته وتجديد حضارته ..

وعندما أصدر هو وصاحبه محمد عبده مجلة « العروة الوثقى » لم يكن صحافياً مهموماً بالطبع والنشر ! كلا ، لقد مهد لذلك بتاليف جماعات أو شعب تتواصى بنصرة الاسلام ، وتقسم الايمان المغلظة على جعل الولاء له فوق الولاء للأبوة والأمومة ! وتتجمع على مدارسة المجلة كى تضع أسس الجامعة الاسلامية الجديدة وتعيد العافية للكيان المريض ..

وقد أصدرها فى لندن ! والغريب ان لندن لا تزال إلى يوم الناس هذا البلد الذى تصدر منه صحف اسلامية قوية !

أما يدرس أولو الألباب هذه الظاهرة قبل أن يتهموا بالالحاد الرجل الذى رد على الدهريين ؟ وبالفوضى الرجل الذى اراد إلغاء القوميات الضيقة أو الواسعة ليقيم على انقاضها الوحدة الاسلامية ؟

ان الجريمة الأولى والأخيرة لجمال الدين الأفغانى أنه اكتشف الروح الصليبية فى الاستعمار الغربى وحذر منها ونبه أن قلب بطرس الناسك لا يزال يخفق فى صدور الساسة الأوربيين !

والجريمة التى تتبعها انه قدم اسلاماً بلا مذاهب مفرقة ، وداس بكبرياء ما انشغل به جلة علماء الدين من فروع الفقه وبحوث اللاهوت ..

وطبيعى أن تنطلق الأبواق لتطعن فى شرف الرجل وعلمه ، وقد تكون هذه الأبواق خادعة ، أو مخدوعة ! بيد أن الاستماع اليها هزيمة اسلامية شائنة ! ونصر مؤزر للصليبية الغازية ، وللسلطات العفنة التى عاشت وتعيش فى كنفها .. !

واوجه النصح إلى المسلمين المعاصرين بأن يستبينوا أمرين كانا من أهم مادعا إليه جمال الدين وتلميذه العظيم محمد عبده



الشيخ محمد عبده

أولهما : ان دراسة العلوم الحديثة واجب اسلامى أول ! وان أى عقل نظيف يدرك ان هذه الدراسة امتداد محتوم لحديث القران الكريم عن الكون ! وان نتائج الجهود العقلية الذكية دعم للايمان الصحيح ، ودمغ للالحاد ! .

وعلماء الدين الذين يبتعدون عن هذه الدراسات عمداً هم انصاف أميين ، وربما أساءوا الى الاسلام من حيث يبغون الاحسان إليه !

وقد أشرنا فى كتبنا الأخرى أن جهاز الجهاد الاسلامى سوف يتوقف كل التوقف بالجهل فى هذه الميادين ، بل إن العقل الاسلامى نفسه سوف يضار من هذا القصور !

والحق أن دراسة هذه العلوم أولى من التوفر على تفاصيل فقهية ما كان يعرفها الصحابة رضوان الله عليهم ! بل أولى من الخوض فى بحوث لاهوتية وجدل كلامى لو خاض فيه سلفنا الأول ما قامت لهم دولة ولا شمخت لهم حضارة .. !

أما الأمر الثانى: فهو حسن معرفتنا لأنفسنا ، أو بتعبير دقيق ، التفريق بين دين الله وبين عملنا به وله فى الماضى والحاضر !

دين الله مضبوط فى الكتاب والسنة ، ومنهما تستمد الأحكام .

أما التاريخ الاسلامى ، فى الماضى والحاضر ، فليس مصدراً للتشريع ، ولا مؤشراً على الحلال والحرام ! واخطاء السلاطين اكثر من صوابهم ، وعوج التقاليد أكثر من استقامتها !

وعندما ينهض مصلح فيغضب على تخلفنا ، ويحاكمنا إلى كتاب ربنا وسنة نبينا ، ويلفتنا إلى سيرة القرون الخيرة الأولى ، ويذكرنا بامجاد حققناها لأسباب وفقدناها لأسباب فلا يجوز ان ننهش عرضه ، وننال منه ..

لماذا بقيت برية سيناء وشطوط الخليج مراعى للأغنام حتى جاء غيرنا فاستخرج منها النفط وافاض منها الخير ؟

اباؤنا الأوائل علموا أوربا النظافة وانشاء المدن المضاءة الشوارع الممهدة للمشاة والركبان !

وكان ذلك باسم الاسلام ومن الاصطباغ بحقائقه ..

فهل الاسلام ــ أم تخلفنا العقلى ــ سبب هبوط الاستعمار علينا واستخراجه دفائننا ؟؟

ان بيننا من لا يزال يشتم الرجال الذين نشطونا للدراسات الحديثة ، وقالوا لنا : لابد من دراسة الفيزياء والكيمياء وعلوم الأحياء ، ولابد من الدراسات الانسانية الكونية والفلكية !

ولماذا يشتمونهم ؟ لأنهم ينقلون الضوابط الحديثة للشورى (!) ويخاصمون الحكم الفردى ؟

لأنهم ينقلون الابداع الادارى المتفوق هنا وهناك كى يشدوا به أوصال أمة مفككة ؟

لأنهم يرفضون ان تؤخذ صورة الاسلام من تطبيقات القرون المنحطة ، ويرجعون بنا إلى المنبع الأول ؟

مما يؤلمنى ان أرى بعض « المتدينين » يحب الهجاء اكثر مما يحب الثناء ويسارع إلى خطأ ليفضحه اكثر مما يسارع إلى جميل ليمدحه .. وهذا البعض مستهتر بتجريح الكبار ، وغمط فضلهم ..

وقد تلاقى هذا البعض مع الدكتور لويس عوض فى التهجم على جمال الدين الأفغانى .

والدكتور لويس يرى أن يعقوب حنا الذى خان مصر وانضم إلى الحملة الفرنسية هو زعيم قومى عظيم القدر (!) وان جمال الدين موقظ الشرق الاسلامى فى العصر الحديث جاسوس ملحد (!) .

وكما قلت ، لا عجب فى موقف الدكتور ! وإنما العجب فى موقف الذين تلاقوا معه فى ضرب رجل الاسلام ، والجنون فنون .

محمد الغزالى

ماقيمة الرأى الذي يتوصل إليه أهل الشورى؟



بقلم: الدكتور عبدالحميد إسماعيل الأنصاري

بعض الكتاب الاسلاميين يفتعل تناقضا غير مفهوم بين الشورى والديمقراطية حين يصور الشورى مرادفا لحكم الفرد ونقيضا لحكم الاغلبية فى مقابل الديمقراطية القائمة على الاغلبية ، وقد يكون دافع هذا الفريق حرصهم على ابراز تميز الشورى وتفردها انطلاقا من تميز حضارتنا واصالتها ولذلك فاذا كانت الديمقراطية تعتمد الاغلبية فلتكن الشورى بخلافها ، من باب وبضدها تتميز الاشياء .

ويتناسى هؤلاء ان الشورى بذلك تفقد اهم ميزاتها وتصبح شورى صورية لافاعلية لها فى ترشيد القرار وفى الرقابة والتقويم بل وقد تضاد حقيقتها (١)

إن الشورى مميزة ــ اساسا ــ من حيث انها فرع من نظام عقيدى كامل ومن حيث اهدافها العليا ــ ومن حيث اعتمادها على قيم موضوعية وضوابط محددة تحكم تصرفات الأمة ، فلا تجعل للأمزجة والميول والأهواء سبيلا . كان هذا مقدمة ضرورية لمواصلة الحديث عن «قيمة الراى الذى يتوصل اليه اهل الشورى» والذى بدأناه فى الحلقة السابقة (٢) . ونستعرض فيما يلى بقية حجج هذا الفريق :

الشورى والعزم

يقول الله تعالى «وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله» (٣) . يستند هذا الفريق الى ان الخطاب اسند «العزم» الى الرسول صلى الله عليه وسلم (فاذا عزمت) . وفى هذا دليل على استقلالية الرسول صلى الله عليه وسلم فى اتخاذ القرار دون تقيد براى اكثرية ، ومن ثم فان للحاكم ان لا يلتزم كذلك باكثرية . (٤)

واجابتنا عن هذا تتضح فيما ياتى :

(١) الآية ــ فاذا عزمت .... ــ بمعزل عما نحن فيه ، فالعزم هو «التصميم» ، لغة ، والتصميم إنما يكون على تنفيذ القرار لا على اتخاذه ، فهى متعلقة بمرحلة التنفيذ التى تلى مرحلتى المشاورة والقرار .

فالفكر حتى يصبح واقعا يمر بمراحل هى : تصوره ثم اتخاذه قرارا ثم العزم على تنفيذه . فالعزم مقدمة التنفيذ وهى تسبق القرار . فاذا وضح ذلك ، عرفنا ان الآية هنا تتحدث عن عزم لقرار سابق وهنا ياتى الخطاب ليقول للرسول صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله إذا تمت المشاورة واتخذ القرار وكان العزم على التنفيذ ، فليكن اعتمادك على الله وحده لانك حينئذ بذلت كل ما فى وسعك تحريا للصواب واخذا بالأسباب .

يؤكد هذا المفهوم ان لو كان «العزم» متعلقا باتخاذ القرار ما ناسب اقترانه بالتوكل ، لأن التوكل إنما ياتى حين التنفيذ وبعده ، فانت حين تنشط لتنفيذ امر ما ، يكون اعتمادك على الله فى إنجاح هذا الأمر . واما ان الخطاب اسند العزم الى الرسول ، فلأنه المسئول التنفيذى عن الأمر فناسب ان يكون الخطاب موجها اليه .

(٢) فى حديث علي رضي الله عنه «سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن العزم ، فقال مشاورة أهل الراى ثم اتباعهم» (٤) .

يفسر الرسول صلى الله عليه وسلم «العزم» بانه اتباع راى الجماعة ، وهذا التفسير أولى بالأخذ من غيره .

وهذا الحديث لم نعثر له على سند متصل ، ومع ذلك فاننا ناخذ به كبيان وتفسير لكلمة «العزم» خاصة وان الشواهد العملية من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته تؤكد صحة هذا المعنى .

ولا يضير أن يكون للعزم معنى لغوى ، ومعنى شرعى مختلف ، فذلك معهود فى العرف الشرعى .

(٣) الآية الكريمة (وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله» .

ــ بسياقها وروحها والفاظها وسبب نزولها ــ تؤكد وجوب الشورى والالتزام بنتيجتها ، فقد نزلت فى اعقاب «احد» وعلى ضوء احداث هذه الغزوة يجب ان تفسر الآية ، وهنا نجد واضحا التزام الرسول صلى الله عليه وسلم براى الأكثرية ، فعلى هذا المعنى تحمل كلمة «العزم» وتفسر به .

فقد شاور الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة فى الخروج أو البقاء فكان راى الأكثرية الخروج على خلاف رايه المحبذ للبقاء (٥) فالتزم الرسول صلى الله عليه

وسلم برأيهم ونزل على حكمهم – وقد يقال ان الرسول صلى الله عليه وسلم اخذ برأيهم اقتناعاً بصوابه لا التزاماً بنتيجة الشورى (٦) ولكن اجماع الروايات اكد انه صلى الله عليه وسلم اخذه التزاماً لا اقتناعاً ، فقد ثبت ان بعض الصحابة خشوا ان يكونوا اكرهوا الرسول صلى الله عليه وسلم فسارعوا اليه يقولون «يا رسول الله : فان شئت ان تقعد فاقعد» (٧) . فلو كان الأمر أمر اقتناع لما كانت المسارعة والتفويض – ويخرج المسلمون وتكون مخالفة الرماة سبباً فى الهزيمة ، ومع ذلك تنزل الآيات تامر بالمشاورة .

فما معنى هذا ؟

إن المعنى الهام هنا : ان يا رسول الله لا يكون هذا الذى حصل مانعاً من الاستمرار فى المشاورة ومن الالتزام برأى الجماعة كما التزمت فى احد .

ولكن ماذا ؟

لأن إقرار المبدأ وتعليم الجماعة وتربية الأمة على الشورى وممارستها والالتزام بنتائجها ، وفى اخطر الأمور ، وفى اخطر الأوقات ، اكبر من الخسائر الوقتية فى حياة الأمة الراشدة ووجودها (٨) .

العام والخاص فى اجتهاد الامام

يقولون : إن الحاكم مجتهد – له الحق فى استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها – والمجتهد يجب عليه ان يعمل بمايهديه إليه اجتهاده ، ويحرم عليه تقليد غيره . فاذا ما طرحت المسالة للشورى ورأى الحاكم رأياً خالفته فيه الأغلبية ، فكيف ينفذ رأيهم وهو لم يقتنع به . (٩) .

وجوابنا : إن فى هذا الفهم تعميماً وخلطاً ، فالأمر ليس على إطلاقه ، إذ لابد من تحديد فيماذا يكون اجتهاد الامام مقبولا ؟

إن الراصد للتجارب والسوابق – ايام الراشدين – والتى كان فيها لاجتهاد الحاكم يجد انها لا تخرج عن ثلاثة نوعيات :

فهى : إما فى أمور قضائية ، يقضى فيها الحاكم – بحكم كونه قاضياً أعلى – باجتهاده ، بما تطمئن اليه نفسه دون تقيد بشورى او بنتيجتها – وعلى هذا المعنى يحمل معظم كلام الفقهاء فى ندب المشاورة واستحبابها للحاكم – .

وإما أن يكون متعلقاً بامور الفتيا ، حين يستفتى الامام فى قضية فقهية استنباطية خاصة ، يصدر فيها بما يهديه اجتهاده .

وإما ان يختص بامور إدارية تنفيذية متروكة لحسن تقدير المسئول واجتهاده ، مما لا يدخل فى مجال الشورى دفعاً للحرج والجمود وبغية المرونة وسرعة التصرف .

ومن الأمثلة لما سبق : اقضية الخلفاء الراشدين وبخاصة – عمر – رضي الله عنه (فى عقوبة الخمر – قتل الجماعة بالواحد – عدم تنفيذه للحد فى الشبهات أو الضرورة – إباحة الطلقات الثلاث مرة واحدة – فى المواريث – جمع الناس على التراويح – نهيه عن بيع الأمهات) .

فهذه القضايا – إذن – ذات خصوصية تميزها عن القضايا المتعلقة بمصالح وحقوق الأمة العامة (١٠) .

وقد يكون فى هذه الخصوصية ما يسوغ قبول الاجتهاد الفردى فيها ، من حيث ان الخطأ فيه يسير مغتفر ، ويمكن تدارك الضرر الناشىء عنه لمحدودية الأطراف التى يشملها الاجتهاد . ولكن باى مبرر او سند شرعى يرجح الاجتهاد الفردى فى القضايا العامة على الاجتهاد الجماعى ، مع ان الضرر الذى قد يحصل هنا عام يلحق بالمجموع وقد لا يمكن تداركه إلا بعد حصول كوارث .

ثم إن هؤلاء الذين يطرحون القضية بهذه الصورة – الامام مجتهد والمجتهد يعمل باجتهاده – يغفلون عن نقطة جوهرية ، وهى أن المجتهد (الفقيه) لا يلزم الآخرين باجتهاده – إذ هو يلتزم باجتهاده فى خاصة نفسه – فاين الدليل الذى يرجح العمل باجتهاد الحاكم او يلزم الآخرين به – خاصة فى القضايا العامة ومع وجود غيره من المجتهدين المخالفين له فى الرأى والذين قد يفوقونه اجتهاداً – ؟ (١١) .

الحقيقة ان هؤلاء خلطوا بين العام والخاص حين تناولوا المسائل كلها على مستوى واحد مع وجود اختلافات نوعية بينها – ومن ناحية اخرى – التبس عليهم الأمر بين طبيعة عمل الفقيه المجتهد ، وطبيعة عمل ولي الأمر حين ساقوا قاعدة قصد بها تقرير الحرية الكاملة للباحث فى سعيه للحقيقة والصواب .

المسئولية والعدالة

إن الحاكم مسئول امام الأمة عن نتائج عمله ، فلا يتفق مع العدالة ولا مع المنطق فى شىء أن يلزم الحاكم بالعمل برأى مخالف لرأيه ثم يحاسب على نتائج هذا العمل . (١٢) .

وللرد على هذا الاستدلال نقول :

إن الحاكم فى ظل نظام الشورى لن يتحمل المسئولية وحده بل يتعاون معه فى ذلك مجلس الشورى ، وإذا كان ثمة قرار اتخذه المجلس وكانت النتائج سيئة فالمسئولية حينئذ مسئولية مجلس الشورى يتحملها بصورة جماعية ولن يوجه اللوم الى الحاكم احد .

اما الحاكم – فى ظل نظام الشورى – فتنحصر مسئوليته فى تنفيذ القرار وطريقته ، فهو مسئول عن التنفيذ لا عن صحة القرار وهذا هو ما يقضى به المنطق والعدالة ، وهو المعمول به فى الدول الديمقراطية .

هـــــوامـــــش

(١) الشيخ محمد الغزالى (نظرة على واقعنا الاسلامى) ص ١٦ دار ثابت – القاهرة .

(٢) مجلة «الدوحة» نوفمبر ١٩٨٣ .

(٣) من الآية (١٥٩) آل عمران .

(٤) تفسير ابن كثير ١ / ٤٢٠ ، الدر المنثور للسيوطى ٢ / ٩٠

(٥) للرؤيا التى راها – فتح البارى ٨ / ٣٤٨ .

(٦) د. حسن هويدى «الشورى فى الاسلام» ص ٧ المنار – الكويت ١٩٧٥ الشيخ محمد متولي الشعراوى فى حوار «الشورى غير ملزمة للحاكم» مايو ١٩٨٢/٦/٧ .

(٧) فتح البارى ٣٤٨/٨ ، المصنف ٣٦٤/٥

(٨) الأستاذ سيد قطب (فى ظلال القرآن) ١٢٠/١

(٩) د. حسن هويدى – المرجع السابق – ص ٢٢ .

د. علي عبد الواحد وافي – الحرية فى الاسلام – ص ١٠٩ دار المعارف ٦٨ .

(١٠) وهى القضايا العامة ذات الصبغة السياسية والاقتصادية (السياسات العامة للتعليم . للاسكان .. الخ – المعاهدات – الحروب – الأولويات) .

(١١) راجع فى اهمية التمييز بين الخاص والعام فى اجتهاد الحاكم :

– الشورى وأثرها فى الديمقراطية – كتابنا ص ١٦٦

– صياغة موجزة : لمشروع دستور اسلامى – مقتبسة من رسائل الأستاذ المودودى ، ص ٢٧ .

– الشورى ليست ملزمة دائما – مقال للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى ، مجلة العربى سبتمبر ١٩٨٠ . مع ان الأمثلة التى ذكرها (حروب الردة – السواد) كامثلة للاجتهاد الفردى غير الملتزم برأى الجماعة ، لا تسعفه ، إذ هى من قبيل الاجتهاد الجماعى ، لأن المخالفين للخليفة وافقوه فى النهاية – اقتناعا – فصدر الحكم بموافقتهم ، والعبرة بالنهاية دائما .

ومع ذلك راجع : المجتمع الانسانى فى ظل الاسلام للشيخ ابو زهرة ص ١٦٢ حيث يذكر ان عمر رضي الله عنه كان حتى فى القضايا الخاصة يستشير ، فيقول ان لعمر (الشورى الخاصة) فى الأمور ذات الصبغة الفقهية والمتعلقة بتخريج الأحكام . و (الشورى العامة) عندما يتعلق الأمر بتقرير مبدأ ، او كان للأمر خطورة معينة – ارض السواد – .

(١٢) – د. عبد الكريم زيدان : للمجتمع الكويتية فبراير ٧١ ، وايضا : كتابه (اصول الدعوة) ص ٢١٣

د. علي عبد الواحد وافي – المرجع السابق – ص ١٠٩ .

باستور - وايزمن

ولماذا ننتقد الآخرين ونجامل أنفسنا ؟

بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

إنه حوار حول حرية الكلام جرى بين رجلين ، فرنسي والماني ، ايام كان البير لبرون رئيساً للجمهورية الفرنسية وكان ادولف هتلر زعيماً للرايخ الالماني . قال الفرنسي :

ـ الحرية الصحيحة هى ان تستطيع التعبير عن رايك اينما شئت وكيفما شئت . اى حرية لكم يا معشر الالمان فى ظل دكتاتورية الحزب النازى ؟ انا قادر على ان اقف فى وسط باريس ، فى جادة الشانزيليزيه ، وارفع صوتى بانتقاد مسيو لبرون ، رئيس جمهوريتنا ، والسخرية به بل حتى بشتمه ..

فرد الالماني قائلا : واى شيء فى هذا ؟ انا قادر على ان افعل مثله فى الكورفرستندام دون خوف او وجل .

فساله الفرنسي : هل تقدر حقا على ان تنتقد هتلر فى جادة الكورفرستندام فى وسط برلين ؟

اجابه الالماني : لم اقل هذا . استطيع ان افعل مثلك ، اعني ان اقف فى الكورفر ستندام واشتم مسيو لبرون ، مثلما تشتمه انت !

يخطر هذا الحوار ببالي عندما اقرا ما تمتلىء به الصحف العربية وما يكتبه كتابنا فى انتقاد اعدائنا وتبيان استهانتهم بالحقوق المشروعة وبالعوامل الانسانية ومهاجمة تصرفاتهم الاجرامية ، بينما تنعقل الالسنة وتجف الاقلام فى الحديث عما يجرى بين ظهرانينا من اعوجاج يبدا بالتهاون المشين ويستمر الى التخريب الى ان ينتهى بالاجرام .

فى ذلك تناقض اجهد شخصياً لأ تحاشى الوقوع فيه . فاذا اتاحت لي زياراتى للبلاد البعيدة أو قراءاتى فى المصادر المختلفة اطلاعاً على الوان من افاعيل اعدائنا وثارت ثائرة التعبير فى نفسى فهممت بالحديث عن تلك الالوان أو بالكتابة فيها ، انبرى من اعماقى معترض يقول : أولئك اعداء ، واعداء الداء .. افترجو منهم رحمة بقومك او تهاوناً فى مصلحتهم الذاتية التى هى فى تحطيم قيم امتك ومقوماتها ؟ اذا كان فيك خير وقدرة على الانتقاد فانتقد ما هو معوج من سيرة الناس من اهلك ، هؤلاء الذين يساقون طائعين الى الهلاك ، والذين يصفقون لمهلكيهم لقاء لقمة تؤكل او بهرجة ترف ينعمون بها .

وتلجمنى اقوال هذا المعترض المنبعث من اعماق وجدانى فأسكت ، وأصرف لسانى عن شتم الاعداء او عن التحدث عما فيه دمارنا من تصرفاتهم حين اجدنى عاجزاً عن الاشارة ولو بالإيماء الى اخطاء الاقربين أو جناياتهم .

• • •

ومع ذلك فانا اعترف اني غير قادر دوماً على هذا السكوت الذى اجهد فى اخذ نفسى به . ثمة أمور تلفت نظرى من تصرفات اعدائنا الألداء اولئك ، ومن تصرفاتنا نحن ، اجدنى مسوقاً الى التحدث بها على الرغم مني ، لا افعل ذلك طمعاً باثارة اهتمام مواطنينا العاديين أو بتحريك همة مسؤولينا ذوى المراكز الكبيرة ولكن لأبرىء ذمة نفسي امام نفسى فى الاشارة الى اشياء قد لا يكون فطن لها إلاقلة من الناس سواى .

هذه الأمور التى اعنيها ليست قضايا واضحة الخطورة مثل تمادى عدونا فى انتهاكاته للقانون الدولى والاعتبارات الانسانية ، أو مثل متابعته تنفيذ مخططاته الاجرامية بخطى ثابتة فيها ، أو مثل هواننا نحن على ذلك العدو حين لا نجابهه الا باقوال تكذبها الافعال . هذه وتلك أمور تذيعها الاذاعات يومياً ويعرفها قراء صحف العالم اجمع . اني فى الحقيقة اقصد لمحات خاطفة من الامور قد تمر على مشاهدها مرور البرق فلا يفطن الى ما وراءها من مكائد ومناورات أو ما ينصب لنا تحتها من شباك واشراك .

منذ اسابيع قليلة وقعت عينى فى المجلات الفرنسية على صور احتفال اقيم فى أوبرا باريس عرضت فيه باليه روميو وجوليت عرضاً خاصاً للنخبة من نجوم المجتمع المالى واثريائه ، وخصص ريعه لصالح ابحاث مكافحة السرطان . ترأس الاحتفال الممثل الامريكى جيرى لويس الذى جاء من هوليوود خصيصاً لهذه الغاية . وكان احتفالا ناجحاً من كل الوجوه ، وبلغت حصيلته المادية مليون فرنك فرنسى اضيفت لميزانية هذا العمل الانسانى الجليل ، مكافحة السرطان .

الى هنا والخبر لا يعدو ان يكون إشادة ببادرة محمودة يقوم بها اناس بارزون لخدمة غاية انسانية . ولكننا حين نقرا اسم المؤسسة التى دعت الى هذا الاحتفال وحين نستعرض اسماء المشتركين فيه ، ونتعرف على شخصياتهم ، نعرف ما الذى اشترى القيمون عليه بالمليون فرنك فرنسى الذى جادوا به على ابحاث مكافحة السرطان . المؤسسة الداعية هى مؤسسة باستور ـ وايزمن . وهذا الجمع بين اسمى رجلين هما لويس باستور وحاييم وايزمن ، ذائعي الصيت وبالغى الشهرة كل فى جوه وفى انجازاته التاريخية ، احدهما لخير الانسانية والثانى لشرها ، هذا الجمع وحده يكفي لتنبيه القارىء العربى بصورة

خاصة الى خلفيات هذه الحفلة ذات المظهر الانسانى التى بلغت حصيلتها مليون فرنك فرنسى ..

• • •

باستور – وايزمن .. لويس باستور وحاييم وايزمن ! .. اى صلة تربط بين هاتين الشخصيتين فى الاتجاه العلمي والاخلاقي ، أو فى الانتماء القومى ، او فى تاريخ العيش ، حتى يجتمع اسماهما فى اسم واحد لهذه المؤسسة البالغة النفوذ التى يراس مجلس ادارتها احد حاملى جائزة نوبل والتى تجند لنشاطاتها اصحاب الاسماء الكبيرة فى كل مجال ؟

لويس باستور هو احد كبار المحسنين الى البشرية باكتشافاته وبانجازاته العلمية . غيرت ابحاثه فى علم الجراثيم واعماله فى تهيئة اللقاحات خريطة الأمراض التى تصيب الانسان ، وحملت الأمل والشفاء الى ملايين النفوس والأجساد فى كل الاصقاع . كان رجلا بسيطاً متواضعاً متجرداً من الغايات المادية ومن التعصب اللاانسانى . شعاره كان : «من انت ؟ لا يهمنى .. لا يهمنى من قومك وما هى عقيدتك .. انت مريض وكفى تعال الى لاوفر لك البرء والشفاء » اما حاييم وايزمن فهو الكيميائى الصهيونى الذى كانت وسيلته الى التقرب من ساسة بريطانيا العظمى أثناء الحرب العالمية الأولى هى اكتشافه طريقة جديدة تسهل صنع متفجرات تزرع الموت والدمار فى كل مكان . قضى هذا الصهيونى عمره ساعياً لاستلاب ارض ليست له مشرداً شعبها الآمن المستقر فيها . وخطط لخلفائه وتلامذته من بعده سياسة المذابح لمن بقى من هذا الشعب فى ارضه او نزح الى جوارها ، بدءا من دير ياسين وكفر قاسم وانتهاء بصبرا وشاتيلا ومروراً بالمجازر التى ذهب ضحيتها الفلسطينيون والعرب الآخرون فى حروب اسرائيل المتعاقبة .

ليس ثمة تقارب او تشابه بين هذين الرجلين ، لويس باستور وحاييم وايزمن ، بل هو التعارض والتضاد الكامل . ومع ذلك فان الصهيونية العالمية عملت على ان تجمع بين اسميهما فتسمى بهما مؤسسة ذات مظهر انسانى لتغطى بحسنات باستور ومنجزاته شرور وايزمن وجرائم خلفائه . جندت لهذه الغاية ، كما قلت ، اصحاب الأسماء الكبيرة التى تستحق ان نقف عندها ونستعرضها من خلال حضورها باليه روميو وجولييت ، من الحان الموسيقار



لويس باستور



حاييم وايزمان

الروسى سيرغى سيرغييفيتش بروكوفييف فى صالة أوبرا باريس .

• • •

جيرى لويس ، الذى ما احسبه إلا يهودياً امريكياً ، تلقى الدعوة الى ترؤس الاحتفال من رئيس مجلس مؤسسة باستور – وايزمن ، وهو البروفيسور اندره لووف ، اليهودى ايضاً ، حامل جائزة نوبل للطب . اما شهادة العضوية الفخرية للمؤسسة فقد تسلمها جيرى لويس من السيدة سيمون فايل ، الوزيرة الفرنسية السابقة ورئيسة البرلمان الأوروبى فى واحدة من دوراته ، اليهودية الناجية من احد معتقلات النازى فى الحرب العالمية الثانية . هذه السيدة التى تبرز صورها فى كل مناسبة والتى تكثر حول اسمها الدراسات والاستفتاءات تركز عليها الصهيونية العالمية وتهيؤها لتخوض الانتخابات الرئاسية المقبلة فى سبيل أن تصبح أول رئيسة امراة للجمهورية الفرنسية ! ولست أدرى اذا كان بروكوفييف ، مؤلف روميو وجولييت هذه الباليه التى دعت الى حضورها مؤسسة باستور – وايزمن ، يهودياً ايضاً .. إلا انى أعرف أن احدى أشهر مقطوعاته الموسيقية تحمل هذا العنوان : افتتاحية عن قضايا يهودية !

وواضح أن هذا التركيز على المزاوجة بين اسم احد كبار المحسنين للانسانية واسم صهيونى مجرم بحق الانسانية ، وهذا الحشد للأسماء العالمية اللامعة ، حول هذه المزاوجة ، يستحقان اكثر من مليون فرنك فرنسى تدفعها الصهيونية العالمية أو تجبيها من أثرياء ممالئين او مخدوعين او متحمسين ، لكى تبرر تسمية مؤسستها باسم باستور وايزمن ، ساعية بذلك الى التمويه على جنايات الأخير بالهالة العبقرية للاول .

يقول أبا إيبان ، وزير خارجية اسرائيل الأسبق ، فى كتابه «شعبى» ان لويد جورج رئيس وزراء انكلترا أثناء الحرب العالمية الاولى وبعدها ، عندما ودع حاييم وايزمن عقب انتهاء مؤتمر سان ريمو الذى ثبت فيه وقوع فلسطين فى قبضة بريطانيا وبالتالى اصبح لوعد بلفور مفعوله وقوته ، قال له : «الآن أصبحت لكم دولتكم ، وعليكم انتم ان تكسبوا الرهان» .

ونحن نعرف جميعاً كيف كسبت الصهيونية بقيادة حاييم وايزمن الجولات الاولى من هذا الرهان وكيف يستمر خلفاء وايزمن فى كسب باقى الجولات . يكسبونها فى الحرب بالنار والدمار ، وفى السلم بهذه النشاطات الماكرة التى توهم العالم بان صانعى النار والدمار ليسوا إلا ملائكة بررة ، وان حاييم وايزمن صنو للويس باستور فى العمل لخير الانسانية . يستهين بهذه النشاطات بعضنا ويبتسم بعضنا ساخرين من اهتمامنا بها ، وتتمزق لها صدور بعض آخرين منا . إنها من تلك التى سبق فيها القول :

امور يضحك السفهاء منها
ويبكى من مغبتها الحليم

• • •

وبعد ، فان حكاية مؤسسة باستور – وايزمن واحدة من أساليب أعدائنا فى تغطية الجرائم التى قام عليها كيانهم وفى صبغ مؤسسى هذا الكيان بصبغة المحسنين الى الانسانية . انها حلقة من سلسلة طويلة من الاعمال ، نغفل نحن عنها وهم دائبون فى سلوك سبلها الى الغاية التى خططوا لها منذ انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧ فى بازل . وهل اذكر من هذا القبيل جهودهم الدائبة لمحو مقطع من الانجيل يؤمن به كل مسيحيي الشرق والغرب ؟ انه مقطع المسئولية الأبدية عن دم المسيح ، وقد اقر بها اليهود على انفسهم فاستحقوا بذلك لعنة المسيحيين لهم الى ابد الدهر ... وذلك حين قالوا ، على ما ورد فى انجيل متى ، لبيلاطس البنطى وهم يطالبونه بصلب السيد المسيح : دمه عليه وعلى أولادنا !

ولكن هذا حديث يطول . وارى نفسى تلومنى وتدعونى الى السكوت قائلة : «ما أهون أن تكون مثل ذلك الألمانى القادر على أن يشتم البير لبرون فى جادة الكورفرستندام فى برلين ، بينما هو مطالب بأن ينتقد تصرفات هتلر بحق وطنه وشعبه والانسانية ! » . واجد لنفسى الحق فيما تقوله ، فاطيعها . واسكت .

قصـــة قصـــيرة

حكاية شرخ في الجدار

بقلم: الدكتور طـــه وادي

١ ـ محاولة لمعرفة أصل الحدوتة

انتابت عبد الله حسرة اليمة حين اكتشف فجاة شرخا هائلا فى الجدار الخلفى للبيت ـ بيت عائلة المنصوري . اخذ يتامل الجدار من الداخل مرة ومن الخارج مرات . استبد به الخوف والقلق . البيت ـ بيت عائلة المنصوري .. على وشك التداعي .. وربما السقوط والانهيار . هذا البيت ورثه ابوه الحاج محمد رمضان عن الجد عبد الله المنصوري الكبير . الجد رمضان عبد الله المنصوري كانت له اكثر من زوجة . كبر اولاده وتزوجوا . كان لا يستطيع ان يفرق بين احفاده ، وحين يعاتبه ولد صغير لانه نسي اسمه ، يقبله عند مفرق شعره مبتسما : كلكم اولادي .. كلكم اولاد المنصوري ، ان شاء الله تملاون البلد حركة وبركة .

امر واحد كان يثير حفيظة الجد رمضان ويحـول الجمل العجوز الى ضبع هائج ، وهو ان يرى احدا يفعل ما يسيء الى حرمة البيت الكبير . كم صاح في زوجات أولاده وبناتهم قائلا : لا ترموا المياه بجوار الحائط يا ابناء الفاعلة (يسعل في شدة في فورة غيظه) من لا يحافظ على داره لا يحافظ على اصله .

ذهبت ايام وجاءت ايام ياسادة يا كرام ، واصبح عبد الله كبير عائلة المنصوري . كان له إخوة كثيرون لكنهم تفرقوا في بلاد عديدة . ترى لم خلف الجد رمضان المنصوري كل هذا العدد الكبير ، ولم لم ينصح زوجاته باستخدام حبوب الأمان ، او حبوب انفولار ٢١ او حتى انفولار ١١ ؟ سامحك الله ياجدي رمضان .. اولادك كثيرون لكن هل يستطيعون ان يرمموا الشرخ ؟ !

●●●

٢ ـ محاولة أخرى لبيان أن الحبكة لم تتم

ارسل عبد الله خطابات الى إخوته ـ أولاد الحاج محمد رمضان المنصوري :

ـ مصطفى المنصوري .. مدينة اوتاوا بكندا .

ـ جلال المنصوري والعقلة .. مدينة برلين عن طريق المانيا الشرقية .

ـ حامد المنصوري وعروسه سوسن .. مدينة العين بابو ظبي .

ـ فاطمة المنصوري وزوجها سالم .. مدينة مكة المكرمة .

وفي ظهر كل مظروف يكتب (يصل في خير وسلام .. وشكرا لساعي البريد) .

مرت الليالي وطالت ، والشرخ يتسع يوما بعد يوم . صار عبد الله مهموما لا يهنا بنوم أو طعام ، حتى زوجته نفيسة ـ ابنة عمه ـ غدا يهملها ولا يسافر فى بحار عيونهـا يبدو ان اخوته قد نسوا البيت ومن فيه . فالذى يده فى الماء ليس كمن يده فى النار .

بعد مضي سبعة وستين يوما ذهب الى اخيه الصغير عوض ، عوض المنصوري تزوج فتاة جميلة ، لا باس .. فالله جميل يحب الجمال . كم تمنى ان تكون زوجته نفيسة او حتى ابنته رجاء تتمتع بقدر من جمالها الحلو ورشاقة قدها المياس . لكن من تحسبه موسى يكون فرعون . اصرت على أن تسكن في بيت جديد .. بعيد . سامحك الله يا عوض .. لم تكن اخي .. وانما ابني البكر ما كنت اظن ان امراة تاخذك مني ؟ !

●●●

٣ ـ وما تزال الحكاية غامضة

تاه عوض في كرسي فوتيه ضخم . بدا مثل النملة وهو يحاول ان يبرر عجزه امام اخيه . كانت انفاسه متلعثمة وكلماته متقطعة ، حاول أن يقنع اخاه الذي يعول جيشا من الاطفال وكلهم فى المدارس انه ليس في حاجة الى بيت كبير قديم ، وانما الى شقة حديثة . ماذا لو قبلت يا عبد الله طلب الأستاذ سالم الموجي زوج اختنا فاطمة ، إنه يريد شراء البيت بالسعر الذي تحدده . كاد يلطمه بكفه العريض ، وصاح محركا يديه صارخا :





ـ هل جننت يا عوض . اكيد جننت يا عوض . البنت شربات خرقت عقلك . بيت عائلة المنصوري ياخذه سالم الموجي ويعمل فيه ورشة وبوتيكات .. ؟

دخلت شربات في ثوب مكشوف . وضعت كوبين من الشاي ، ومرقت سريعة متفادية النظر الى عيني عبد الله . احس عبد الله كبير العائلة ان ليست هناك عائلة ولا يحزنون . لقد ربى إخوته وعلمهم حتى في حياة ابيهم . لكن لا فائدة كل ما فعله من اجل الجميع ذهب ادراج الرياح . لا امل في كبير ولا صغير . كل واحد مشغول بهمومه ومهامه . لا احد اليوم يرى غير نفسه . في حجرة الصالون مراة معلقة على الحائط تبرز صورة نجفة الكريستال التي تتدلى من سقف الغرفة . لا فائدة في الكلام .. ولا امل في رسالة تاتي . كان يظن ان له اخوة ، لكن ها هو وحيد .. والشرخ يتسع يوماً بعد يوم . ترك بيت اخيه دون ان يصافحه ولسان حاله يقول : جئتك ياعبد المعين تعينني فوجدتك يا عبد المعين تعبان .

٤ ـ ازمة عبد الله المنصوري

وقف امام الجدار المتصدع يتامل الشرخ في صمت حزين . لم يعد الشرخ في الجدار فحسب . احس ان الشرخ انتقل الى كل شيء في عالم الأحياء ، حتى الراس راس عبد الله احس بها وقد صارت ثقيلة خربة من الصداع والتصدع . جسمه النحيل صار مثل عود الأذرة الجاف . غاض الوفاء ولا حياة لمن ينادي . احس ان ريقه مر المذاق . اين ايام الخير والبركة يوم كانت عائلة المنصوري يداً واحدة . الجد رمضان المنصوري كان يجلس هنا وسط الدار وقد التف داخل عباءة سوداء ، يكلم كل الاولاد والاحفاد في نفس واحد . شيخ قبيلة تملا البيت حركة وبركة . عشرون فرداً باربعين يداً ياكلون حول صينية واحدة . يوزع اللحم والفاكهة كما يشاء . يد الله مع الجماعة ، حكمة يرددها كثيراً وهو يعطي اي فرد من ابناء العائلة قطعة لحم بعد ان ياخذ منها قضمة . ينتظر كل واحد دوره حسب سنه ومكانته في نفس الشيخ . كان الجميع في نظره اولاداً حتى الزوجات والبنات . لم يكن يقول لاحد شيئاً ، لكن الكل يعمل له الف حساب وحساب . ذات يوم رفض جلال وهو طفل ان يذهب الى الكتاب . انهال عليه بعصاه ضرباً . لن يذهب احدكم الى المدارس إلا بعد ان يحفظ شيئاً من القرآن . افاق من تاملاته وقد هاله ما بين اليوم والامس ، احس لدغة عقرب حين تذكر الغد . تاملته نفسية في حزن وهو يقف ساهماً امام الجدار المشروخ الشرخ اللعين كان فى الجهـــة الخلفية ، لذلك لم يفطن اليه عبد الله ولا حتى زوجته بدا نور الشارع يطل من ثنايا الشرخ . الشرخ متعرج مثل افعى رقطاء . إخوتك كثيرون وحالتهم طيبة ولكن احداً لن يسمع شكواك يا عبد الله . نظرت الزوجة فى حنو وإشفاق . احس صداعاً يفلق راســـــه . سامحكم الله يا ابناء المنصورى ، ليس هذا بيتى وحدى . إنه ليس حوائط ومنافذ ، إنه رمز لمجد غابر وعز حاضر .. إنه بيت الحاج رمضان المنصورى ، وبيت المنصورى يجب ان يستمر .. يجب ان يتوقف هذا الشرخ . ترى كيف يمكن ان يكون هذا ؟

• • •

٥ ـ كل عقدة ولها حلال

احس عباس فراش المدرسة ان الاستاذ عبد الله مدرس اللغة العربية ليس كعادته حاول ان يخفف عنه بعض همومه . يا اخى الهم يقصف العمر ، وكل عقدة ولها عنـد عباس حلال . لم يكن من عادته ان يشكو إلى احد . ما فائدة ان تشكو للغريب وقد وضع اهلك اصابعهم فى اذانهم .

بدا السيد سامى الغرباوى المـرابى فى صورة المنقذ . رجل صار كبير البـلـد بما اتاه الله من مال ، لا يعرف احد من اين له هذا ، لكنه سبحانه يرزق من يشاء بغير حساب . رفع الغرباوى سبابته فبـدا فى خنصره خاتم ذهبى عريض ، وقال :

ـ لن اسلفك الا بشرطين .

حكاية شرخ في الجدار

ـ ما تقوله على العين والراس يا كبير البلد .
كان الشرط الاول هو أن يحدد السيد سامى الطريقة التى يتم بها الاصلاح ، وفى المكان الذى يراه هو مناسباً للبدء فى إصلاحه ، مع انه ليس صاحب البيت ولا يهمه امره ، وشرطه الثانى الا يعطيه المبلغ المطلوب مرة واحدة وإنما على اقساط فصاحب المال لا ينفق ماله إلا فيما يراه . إنه لم يضربه على يديه حتى ياتى اليه . ومادام قد اتى فعليه ان يقبل الشروط كاملة. اهتزت الدنيا امام عينيه وهو يقول له امرك يا سامى . احس وهو يقبض القسط الاول أن الشرخ قد تحول إلى حبل من الكتان يلتف حول عنقه . تخيل امراته فى مهب الريح ، وقد ظهرت بطنها المترهلة من كثرة ما انجبت ، فقال فى سره كانما يريد ان يطرد وساوسه : يا خفيَّ الألطاف نجنا مما نخاف .

• • •

٦ ـ عين الأعور

اخذ السيد سامى الغرباوى يناور ويحاور . حجته ان ضرب الأعور على عينه لا يجدى فهى تالفة ، فلو بدا المنصورى فى إصلاح الجدار الخلفى فقد ينهدم البيت كله. الحل الافضل هو ان تقوى واجهة البيت وتصلح ، وبعد ذلك يبدا فى إصلاح الناحية الخلفية وهو مطمئن الى ان الجزء الآخر لن يفاجئه بما قد لا تحمد عقباه . ووعده ان يعطيه كل ما يطلب من مال . إنه من اسرة طيبة هى اصل البلد كلها .. ومن من الناس لا يعرف افضال عائلة المنصورى ؟ بدا عبد الله يدرك ان الذى معه قرش يستطيع ان يجد اى مبرر لكى ينفقه انى شاء ؟!
اشتد تاثير الصداع ، وهو يرى العمال يغيرون شكل الواجهة ، وصار البيت بيتاً آخر . نظر الى السماء فى عتاب وهو ينكر صورة لاخيه مصطفى تنظر إليه فى سخرية وهو ياكل قطعة جاتوه بالشوكة والسكين .

• • •

٧ ـ الواحد بدء الألف

تغيرت واجهة بيت المنصورى . رمم العمال مالا يحتاج إلى ترميم ، وطلوا الحائط الخارجى بالجير الملون . طلب اكبر الأبناء من ابيه أن يكون للواجهة لون واحد حتى يظل لبيت المنصورى وقاره . لكن الوالد كذب على ولده . كيف يقول له إن هذه أوامر السيد سامى . اوهمه ان هذه القطارات والطائرات قد تكون فالا حسناً ويحج ابوه الى بيت الله ، ويدعوه سبحانه وتعالى أن يكشف الغمة .
اخذ يعد حبات المسبحة وتذكر ان نصف البيت مرهون ، والجزء الخلفى الذى به الشرخ لم يمس بعد .
باب البيت ـ بيت المنصورى الذى كان لا يفتح إلا لاستقبال فرد من ابناء الأسرة ـ صار الآن مفتوحاً طوال النهار وجزءاً كبيراً من الليل . واختلط العمال بالأسرة وصارت ادواتهم وملابسهم التى يعملون بها تحتل جزءاً من البيت . رحم الله الجد رمضان المنصورى كان دائماً يطلب من ابنائه ان يغلقوا باب البيت قائلا : إن الباب المغلق يمنع القضاء المستعجل .
قريباً سوف تنصلح الاحوال ويوم ترى البنت شربات زوجة عوض البيت وبابه المفتوح على الدوام سوف تندم ، لانها تركت بيت العائلة ، وتعيش فى شقة مثل جحر الأرنب . كل هذا من فضل الله ، وببركة السيد سامى الرجل الطيب .

• • •

٨ ـ رسالة عن طريق الجو البارد نهاراً. أوتاوا فى يوم لا ينسي

عزيزى الاخ عبد الله .
بعد التحية . وصلتنى الرسالة .
لا استطيع إرسال نقود الآن . لا شيء يتبقى من الدولارات المجنونة . الحياة هنا صراع ونار ، لكنى تاقلمت ، اصبحت مربوطاً بالعجلة اللعينة . البيت بيتك فافعل ما تشاء . سلامى إلى ابنائك الذين لا اعرفهم . تحياتى للجميع والى لقاء .

المخلص
المهندس مصطفى المنصورى

• • •

٩ ـ فى انتظار الذى لن يأتى

اصبح نصف البيت المرمم ـ المرهون غاية فى الزخرفة والزركشة . الباب مفتوح ولكن بلا حركة ، فالعمال قد توقفوا عن العمل . الجزء المهدد بالسقوط والهدم مازال على حاله والشرخ يتسع . سال عنه عباس الذى اخذ خمسة جنيهات كاملة نظير ما فعل من معروف فقال بحدة :
ـ هل تظن أن السيد سامى يترك شغله من اجلك ، إنه رجل اعمال ، عنده تجارة وشغل فى أكثر من بلد ، اصبر حتى ياتى ..
ـ الصبر قد يفلق الجدار .
بقي وحده فى حجرة المدرسين ، يحاول ان يصلح كراسات التطبيق . تعجب فى نفسه : الاولاد يكتبون موضوعات إنشاء لا باس بها ، لكن التطبيق مليء بالاخطاء مع انه يشرح لهم القواعد ؟ نظر إلى حائط الحجرة . نتيجة الحائط لم يعد بها ورقة .. اى ورقة . لم يستطع ان يتذكر تاريخ اليوم كل ما يشغله هو أن يعود الحاج سامى قبل ان يسقط الجدار .

• • •

١٠ ـ نفيسة تموت من الهم

نفيسة زوجة عبد الله ابنة عمه فهى ايضاً من عائلة المنصورى ، والبيت عزيز عليها كما هو عزيز عليه . كانت تدرك بالفطرة والحس ان زوجها لا يسير فى سكة السلامة . إنه معذور ، ولكن الأعذار ـ وهى بيد الله ـ جعلت حال البيت لا يتصور بعد ان سقط الجدار المشروخ الذى كان يستر دورة المياه وحجرة الكرار . اصبحت الواجهة المزركشة علامة زائفة على ما هم فيه من ضياع ووقف حال . ذاب السيد سامى كما يذوب فص ملح فى نهر كبير . عبد الله انتقل الشرخ من الجدار الى راسه لا فائدة من الكلام معه . كان عبد الله حزيناً من اجل البيت ، لكنها امست حزينة من اجل البيت ومن اجل الزوج المشروخ . لم يسمع الكلام وركب راسه ، وهذه عاقبة من لا يعجبه الا راسه .. يغرق ويغرق كل من معه . لا فائدة من الكلام بعد أن نفذ السهم اعدت للعائلة طعام العشاء ونامت غير راغبة فى الطعام او الكلام . فى الصباح وجدها عبد الله جثة هامدة .

• • •

١١ ــ البقاء لله ... لكن الدنيا تمشى

اخى عبد الله المنصورى المحترم .

التحية لكم من بلاد الله الطاهرة ، والسلام على روح المرحومة الاخت نفيسة . أصبر يا اخى على ما اصابك . كلنا اموات أولاد اموات . اعذرنى يا اخى على عدم الحضور . زوجى الحاج سالم لا يستطيع اخذ اجازات . انت رجل العائلة الآن فشد حيلك . الكل قد تنازل لك عن حقه فى البيت سالم يعرف انك فى ازمة ، وهو مازال على استعداد لشراء البيت بالسعر الذى تحدده وسوف يرسله فى شيك تلغرافى حتى تحل كل مشاكلك . نحن فى انتظار ما ترى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اختك العزيزة

الحاجة فاطمة رمضان المنصورى

مكة المكرمة ص . ب ٤٤٤٤

• • •

١٢ ــ ماذا تفيد المظلة بعد سقوط المطــر ؟

أرسل حامد الذى يعمل صـــحفيا فى أبو ظبى مبلغ الف جنيه لأخيه عبد الله حتى يدبر حاله بعد وفاة زوجتـــه . لكن عبد الله لم يعد يحس للحياة طعما بعد رحيل نفيسة المفاجىء ، فالزوجة شىء عزيز فى الحياة .. قد تكون اعز من الوالد والولد اذا ما كانت صالحة مثل نفيسة ، التى كانت السلوى فى الحزن والهم، ومصدر السعادة والأنس فى ليال يغيب فيها القمر . لم يعد بمستطيع أن يعود للسرير وحده ، صار ينام على كنبة فى حجرة المسافرين . الحياة بدون اليف قبر لا يطاق يا نفيسة ! .

تحسس الألف جنيه فى جيبه ، كانت عديمة الجدوى مثل ورق الجرائد الذى جاءت منه . شعر انه يشم هواء نقيا حين أخبره عباس بان الحاج سامى قد عاد من رحلته التجارية الطويلة .

• • •

١٣ ــ القانون لا يحمى التعساء

ماتت البسمة الشاحبة على فم عبد الله حين رفض السيد سـامى أن يأخذ منه النقود ، فى البداية كان يظنها شهامة منه ، لكن الرجل اخبره أن موعد الرهن قد انتهى .. وبناء عليه .. بناء على انه لم يرد الدين فى موعده ، فقد صار البيت .. البيت الآن ملكا له .

ــ مستحيل .. هذا كذب .. نصب .. احتيال ، بيت عائلة المنصورى ؟

ــ أصبح الآن ملكى .. ملكى بالقانون يا أستاذ عبد الله .

ــ يا ظالم .. يا مفترى ، خرب الله بيتك .

ــ تذكر انك الآن فى بيتى بالفعل .

هجم على الرجل يريد أن يخنقه . يموت أو يميته .. سيان . خلصه عباس وانصار السيد سامى وهم كثيرون من قبضة الرجل الحديدية . رموه كما ترمى الليمونة بعد عصرها الى خارج البيت .

• • •

١٤ ــ وضاع البيت يا نفيسة

صار قبر نفيسة هو المكان المفضـــل لعبد الله .. سامحينى يا اختى . لم لا اموت مثلك ؟ ليتنى سمعت كلامك ، حصـــاد الوهم هو ما اجنيه الآن من انفرادى باتخاذ القرار. إخوتى هم السبب . ليت يدى ــ بيد القط ــ قطعت قبـــل أن توقع على الكمبيالات اللعينة .

نظر عوض الى اخيه فى صمته الثقيل . هد الهم حيلك يا عبد الله . كبير عائلة المنصورى شاخ وهرم . اصبح لا يعي ما يقول أو يفعل . نظر الأبناء الى ابيهم فى صمته وهو جالس فوق الأنقاض . كان فى عالم وحده لا يسمع ولا يرد .. وربما لا يرى . بعد لحظات صمت قد تطول أو تقصر يذكر فى حزن اسم نفيسة . تخيل شربات زوجة عوض تضحك ساخرة ، بينما نفيسة قد لبست ثوبا أسود ولفت راسها بطرحة سوداء .

• • •

١٥ ــ لحظة التنوير المظلمة

جاء مدرسو مدرسة مكارم الأخـــلاق الابتدائية المشتركة ليروا زميلهم الأستاذ عبد الله ، حتى عباس جاء معهم ، لكن الرجل فى عالم آخر كان . سبحان من يغير ولا يتغير . هكذا قال الشيخ جاد .

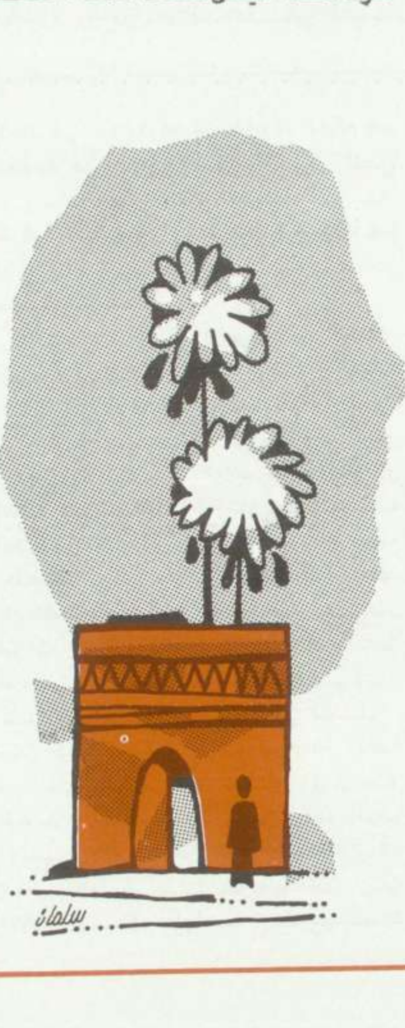
لعن عباس فى سره السـيد سامى الغرباوى واليوم الذى عرف فيه عبد الله المنصورى به . لم يكن يظن ان الافاعى يمكن أن تنشر الخراب بهذه السرعة .

نظر عوض إلى اخيه فى صمت وقد مرت فى خاطره صور باهتة لأخوة مغتربين .. وأسرة ممزقة . احس ان الشرخ اخذ يتسع .. ويمتد ..

انتفض الأولاد والعم على حركة مباغتة من الوالد عبد الله المنصورى . كان يجرى حافيا وهو يتعثر فى جلبابه . وقف مكان الشرخ . نظر بعينين ضعيفتين حوله فى كل اتجاه . جلس القرفصاء واخذ يحمل تراب الجدار ، ويعفر نفسه من الراس الى القدم . حاول الابناء ــ وعيونهم غرقى بالدموع ــ أن يوقفوه عن الحركة ، لكنه مالبث أن سقط بينهم .. فى نفس المكان الذى كان يوجد به الشرخ . حاولوا أن يحملوه .. نظر وهو مطروح فى الأرض كانما يبحث فى السماء عن شىء بعيد . تخيل الجد رمضان يقول فى عتاب :

ــ سامحك الله يا عبد الله .

جاءت ابنته الصغرى وجذبت الثـوب ومدته على جثة العزيز الراحل .



طــه وادى



رمال شمال سيناء تحيط بمدينة العريش . والصورة من الجو ١٩١٤ ولقد تغيرت اليوم تغيراً كبيراً ..

الرمال البيضاء

لماذا لا تقوم شركة عربية كبرى لصناعة الزجاج في شمال سيناء؟

بقلم : درويش مصطفى الفار

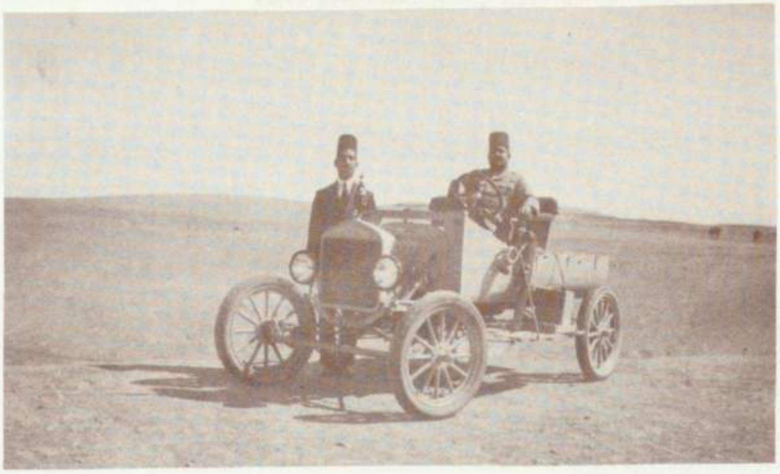
إثر نقاش مستفيض متشعب حول الكثبان الرملية واشكالها وهندسة انتقالها وعن منشا رمال الصحارى واحجام حبيباتها وخصائصها المعدنية تطرق حديث جماعة من الجيولوجيين والمهندسين العاملين فى صحراء سيناء ، إلى تاريخ نشاة الكثبان الرملية التى تغطى الركن الشمالى الغربي من شبه جزيرة سيناء ، وهل هى هكذا منذ فجر التاريخ ام كان لها شان اخر ؟ فدفعنى هذا السؤال للقيام بتجربة علمية استغرقت خمسمائة وستة وثمانين يوما بالكمال والتمام ، فيما بين ١٨/٨/١٩٥٩ ، ٢٠/٦/١٩٦١ . وذلك للحصول على إجابة علمية لذلك السؤال ..

كانت مبررات تلك التجربة ، ما ثبت لى يقينا ، قبلها بعام ، من أن الرمال السوداء ، وما معها من الرمال البيضاء ، جاءت الى شمال سيناء من ملايين الأطنان من فتات الصخور ، التى كانت فروع النيل السبعة ، والتى لم يبق منها سوى فرعى دمياط ورشيد ، بينما اندثرت الاخرى مع ما دثرته عوادي القرون المتعاقبة ، تنقلها إلى البحر الابيض المتوسط ، وان الرياح السائدة على مدار العام فى هذا الموقع من خريطة العالم هى القادمة من الشمال الغربى ، وان اقصى ما وصلت اليه الكثبان الرملية فى شمال سيناء ، مما تحوى رماله معادن نيلية ، يقع على بعد ثمانين كيلومتراً جنوب ساحل سيناء الشمالي ..

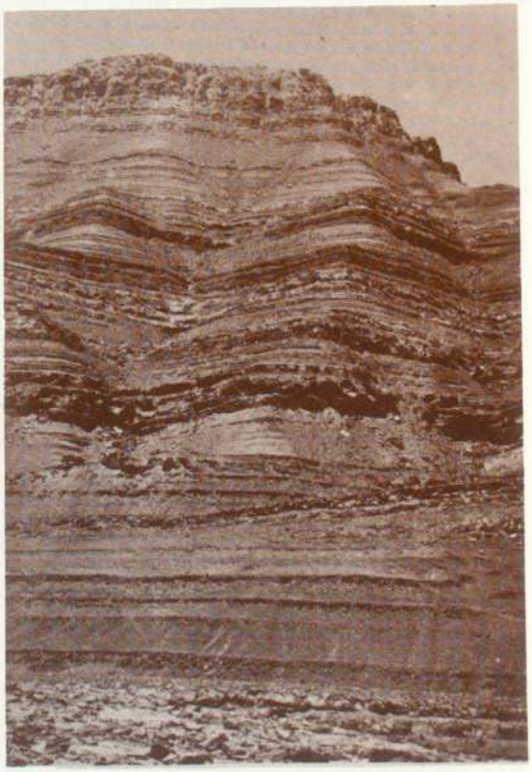
اخترت للتجربة مجموعة من الكثبان الرملية الهلالية (الاحقاف) المنتشرة فى ذلك السهل المتسع الموسوم باسم منطقة « السر » بين جبال ريسان عنيزة ولبنى ويلق والمغارة ، ووضعت علامة ثابتة امام كل كثيب على مسافة اخترتها لدى الوجه الجنوبى الشرقى فى خط متعامد مع منتصفه ، وكان علي أن اقيس مقدار زحف كل كثيب تجاه العلامة الخاصة به ، على فترات ، وان اسجل ذلك فى دفتر العمل الحقلى ، حتى إذا ما انتهت تجربتى تلك ، حسبت معدل الانتقال اليومى للكثيب ، فكان خمسة سنتيمترات واثنى عشر بالمائة من السنتيمتر فى تلك المنطقة ، اى ان رمال الكثبان البعيدة القصوى عن ساحل البحر الأبيض المتوسط فى ذلك الاتجاه ، يمكن القول بانها قد بدات طوفانها منذ أربعة آلاف سنة طبقاً لنظرية (اليونيفورميتاريانيزم) المشهورة فى قواعد علم الجيولوجيا ، والتى جاء بها الى الأوساط العلمية العلامة السير تشارلز ليل سنة ١٨٣٠ م ، والتى تعنى انه خلال تاريخ الأرض ، ظلت العوامل المؤثرة فى تشكيل سطحها على نفس النمط والرتابة مع اختلاف فى الدرجة ، اى ان عربات رمسيس الثانى (١٢٩٢ ـ ١٢٢٥ ق.م) لم تصطدم بعائق الكثبان فى شمال سيناء ، كما اصطدمت مجنزرات اليهود سنة ١٩٦٧ م مما حدا بهم قبل أن يخططوا لمفاجاة الجيش المصرى باختراق المنطقة الرملية بين العوجاء بفلسطين وبير لحفن جنوب مدينة العريش حاضرة شمال سيناء ، أن يطلبوا الى المصانع التى تمدهم بالسلاح والعتاد فى أوروبا وأمريكا أن تزيد بضع بوصات فى عرض الجنازير ، فكان لهم ما أرادوا ...

وبعد الاختبار المجهرى لحبيبات رمال الكثبان ، ومقارنة تكوينها المعدنى تذكرت قضية قديمة ...

كان ابى ، يرحمه الله ، قد احضر لي عينة من الرمل الابيض الذى لا تشوبه



سيارة بدائية لم تقو على اجتياز رمال سيناء الشمالية قبل الطرق المسفلته



طبقات متتابعة تمثل كل منها زمنا فى عمر الارض فوق طبقات الرمال البيضاء فى جبل خشـــم منظور



الدليل البدوى محمود بن لهمان يقف امام رمال بيضاء فى شمال سيناء

الشوائب ، من راس واد يسمى وادى «ام قرضية» فى الركن الجنوبى الشرقى لسلسلة جبل منظور ومسك صيارة والركيب والمحاش ، المحيطة بجبل المغارة من الشرق والجنوب ، فكان لابد من زيارة ذلك الوادى ، للبحث عن مصدر تلك العينة ، وتحديد جيولوجيتها ...

وأسفرت الزيارة ، عن ان الرمال البيضاء التى قد تتجاوز فيها نسبة السليكا ، اى ثانى اوكسيد السليكون ، ٩٩٫٩٪ ، تنتشر فى امكنة عديدة كثيرة فى طبقات الطباشيرى الأدنى ، بصورة لا تقتصر على تلك السلسلة المحيطة بوادى ام قرضية ، ولكنها تتعداها الى كتل كثيرة من القباب الجبلية فى شمالى سيناء على سعته ...

اى ان هنالك مئات ملايين الاطنان من تلك الخامة الحضارية التى يمكن ان تقوم عليها صناعة «الزجاج» ومشتقاته المتعددة للاستهلاك المحلى (العربى) وللتصدير خارج الوطن العربى ، لو حالفنا الرشاد والتوفيق ...

ولو اخذنا بعين الاعتبار ، وجود مصدر كبير للطاقة ، فى طبقات الفحم الحجرى التى اكتشفت فى منطقة الصفاة بجبل المغارة بشمال سيناء قبل عدوان سنة ١٩٦٧ ، والتى (لابد) من وجود امتداد لها ،

تحت الأرض فى منطقة جبل الحلال على بعد خمسين كيلومتراً الى الجنوب الشرقى من المغارة ، فان قيام شركة عربية كبرى لصناعة الزجاج فى شمال سيناء ، على المستوى العالمى ، امر يمكن ان يكون واقعياً ...

ولسوف يستتبع قيام شركة عربية كبرى لاستغلال الرمال البيضاء فى شمالى سيناء قيام ركيزة حقيقية للعمران الزراعى والتعدينى والسياحى ، فى شمال سيناء كله ...

وتستطيع تلك الشركة العربية الكبرى المامولة ، أن تخطط لاستغلال الرمال السوداء ، والفحم ، وخامات الاسمنت ، والدولومايت والرخام ، وكبريتـــات الصوديوم ، والحجر الجيرى الفوسفاتى ، وغيرها من الخامات المعدنيـــة التى لا يستهان بها ..

وإلى جانب المغانم الاقتصـــادية والعمرانية فى الرمال البيضـــاء فان استغلالها يستوجب دراستها من الناحية الأكاديمية ، مما يثرى المعرفة العلمية ،

ويتيح لمجموعات كثيرة من الشباب العرب أن يثبتوا قدراتهم فى استنباط اصـــل وتاريخ تكون تلك الرمال ، ومن اين جاءت وكيف تناقلتها الرياح والبحار والانهار ،

وشكلت حبيباتها ورفعت نسبة السليكا فيها ، بعد أن أزالت منها ما عداها من المعادن ، مما قد يسفر مع المثابرة والاصرار عن تغييرات جذرية فى ميادين التنظير الجيولوجى ، ويثبت فى هذا العصر ايضاً ،

إن دماء اولئك الذين وضعوا كثيراً من أسس العلوم الحديثة فى الأندلس وصقلية والقيروان والأزهر الشريف ، لازالت تجرى فى عروق ابناء هذه الامة ، التى خرجت فى القاهرة ودمشق واصفهان وبغداد وسمرقند عباقرة لم يستطع توالى القرون أن يطمس اخبارهم ...

مسافر على الرصيف



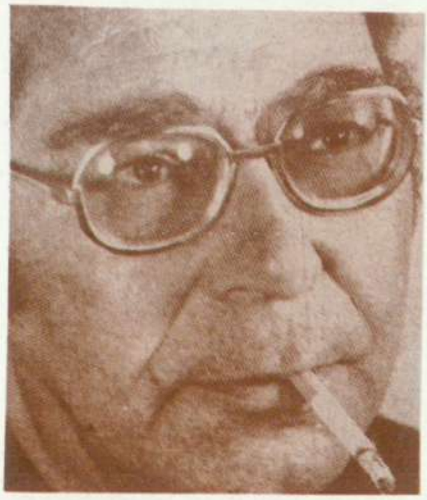
محارب بلا سلاح!

بقلم: محمود السعدني

اول مرة رايت فيها الخميسي كانت فى الأربعينات حضر إلى قهوة عبد الله ذات مساء ، وقضى السهرة فى ركن انور المعداوى ، واشاع جواً من البهجة والمرح ، وعزم الشلة كلها على العشاء ، ومنح جرسون القهوة مبلغاً كبيراً من المال ودس فى يد الولد الذى قام بتلميع حذائه جنيهاً كاملا ، واعطى عباده مجنون قهوة عبد الله مبلغاً من المال اكتشفنا فى الصباح ان المبلغ كان خمسة جنيهات صحيحة .. المهم انه غادر المقهى فى ساعة متاخرة من الليل وقد وهب السعادة للجميع ، حديثا ، وطعاماً ، وهبات .

وغاب الخميسي طويلا عن قهوة عبد الله ، وعرفت من زكريا الحجاوى ، انه عاد الى مقر عمله فى فلسطين ، فقد كان يعمل فى إذاعة الشرق الادنى مع مجموعة من الفنانين والمثقفين العرب من بينهم سامى داود ، وسيد بدير ، وسليم اللوزى ، وعميد الامام .

ولم التق بالخميسي بعد ذلك ، الا فى جريدة الكتلة وكان قد بدا ينشر فيها قصصا من تاليفه شدتنى إليها كثيراً ، فقد كانت مختلفة عما ينشره محمود كامل ومحمود تيمور ، كانت شخوص قصص الخميسي اكثر حياة واحداثها اكثر حرارة ، وكان اسلوب الخميسي نابضاً بالحياة ، موسيقيا وشاعريا واشبه ما يكون باسلوب



عبد الرحمن الخميسي

كاتب فرنسى من العصر الرومانسى .. الساحر الغامض المثير !

واحببت الخميسي منذ اول لقاء ، كان نموذجا للفنان الذى رسمته فى خيالى ، كان شديد الزهو ، شديد البساطة ، وعظيم الكرم ، دائم الفلس ، وكان يمشي دائما فى الطريق يتبعه اكثر من شخص يلازمونه كظله ، ويطيعون اشارته ، وكان حريصا على ان يرتدى ملابس انيقة وغالية الثمن وعلى العموم كان الخميسي فى مظهره وسلوكه يختلف عمن عرفت من الشعراء والادباء والفنانين ، واحببت الخميسى من اول لقاء ، ولكن صلتى به لم تتوثق إلا بعد ذلك اللقاء بمدة طويلة ، قدمني له زكريا الحجاوي وهو جالس مساء فى جريدة (المصرى) وناقشني في بعض ما عرضته عليه من كتابات وكان ودوداً للغاية ، وابدى اهتماماً شديداً بى ، وبما كتبت ، وكانه صديق انقضت على صداقتنا اكثر من عشر سنوات .

ولم تمض ايام قليلة على معرفتى به ، حتى كنت قد عرفت قصة حياته كاملة وادق اسراره ، وتفاصيل مشاكله ، واحسست بصدقه ، ومسح بحديثه على جروح فى نفسي ، فقد كانت نشاته الأولى شبيهة بنشاة العبد لله ، وبقدر ما مسح حديثه من جروح فى نفسي ، بقدر ما امدنى بشحنة هائلة من التفاؤل والأمل ، واذا كان الخميسي ورغم كل هذه الظروف ، إستطاع ان يقهرها ويطفو على السطح ، فحتما سيكون فى مقدورى انا الآخر ان اصل يوماً ما إلى ما وصل إليه الخميسي من مكانة وشهرة وانتشار .

كان الخميسي فى ذلك الوقت الذى حكى لى فيه قصة ضياعه وتشرده فى البلاد وهروبه من مدرسة المنصورة الثانوية بحثا عن نفسه وعن فنه فى عاصمة فرعون اقول .. كان الخميسي واحداً من اشهر الكتاب فى مصر على الاطلاق ، إن لم يكن اشهرهم ، كان ينشر قصصا مسلسلة فى

جريدة المصرى واستطاع بقصصه ان يرفع توزيع الجريدة إلى ما فوق المائة الف نسخة ، وعندما دخل معركة مع محمد التابعى ، وكان عميد كتاب الصحافة المصرية وقتئذ ، استطاع الخميسي ان يقهر التابعى وأن ينتصر عليه ، وكان يتقاضى مرتباً عن عمله فى جريدة المصرى يسيل له لعاب كل الأدباء الجالسين على قهوة عبد الله ، وكان لا يتردد على قهوة عبد الله كل ليلة ، ولكنه كان يسهر كل ليلة من ليالى الأسبوع مع شلة مختلفة ، وكانت كل الشلل خليطاً من الكتاب والشعراء والفنانين ، وكان حريصاً على أن تظل صلاته بالجميع موصولة ، فهو يتردد على الدكتور لويس عوض بين الحين والآخر ، ويفاجىء نبوية محمد احياناً بالزيارة ، ويحرص على رؤية الشجاعى وعبد الحليم نويره .

وبقدر استمتاع الخميسي بالسهر مع الأحبة والخلان ، كان حريصاً ايضاً على انجاز ما عليه من اعمال ، كان يتولى بنفسه تصحيح قصصه فى المصرى ، وكان يقضى الساعات الطوال فى استوديوهات الاذاعة يعد بنفسه برنامجه الأسبوعى الذى كان يتناول بالعرض والتحليل ، قصص مشاهير وأعلام الموسيقى فى التاريخ ، وكان برنامجه الموسيقى من اعظم البرامج التى قدمتها اذاعة مصر فى تلك السنين . وعندما قامت الثورة ايدها الخميسي بحماس واعتبر نفسه واحداً من رجالها ، ويبدو ان الثورة التى غيرت نمط الحياة فى مصر ، غيرت الخميسي ايضاً ، فتحول من كتابة الف ليلة وليلة إلى كتابة قمصان الدم !

كانت قصص الخميسي الجديدة مختلفة تماماً عن قصصه القديمة ، وامتلات قصصه الجديدة بنماذج من عامة الناس ، واصبحت البطولة فى قصصه للرجال العاديين ، واختفى قصر السلطان وحل محله الشارع والمقهى والدكان ، وانحاز الخميسي إلى الضعفاء من النـــــاس والمستضعفين من البشر ، واختفت من ثنايا سطوره شاعريته القديمة ، وعذوبــة اسلوبه .

هجر الخميسي الشعر ، واقلع عن الغناء وصار رجلا واقعياً ، وتحول من كاتب تقليدى إلى مناضل من طراز خاص ، وانتهى به الحال إلى دخول السجن ، وغاب الخميسي خلف الأسوار ثلاث سنوات ، ثم عاد وانضم إلينا ككاتب بجريدة الجمهورية ولكن الخميسي الذى جاء بعد السجن ، كان شخصاً آخر يختلف ، صار اكثر حذراً ، واقل جهداً ، وتصورت انها خطة من الخميسي لكى ينجو بنفسه من رقابة العسس ، ويختفى بنفسه عن عيون البصاصين ولكن يبدو ان تجربة السجن كانت مريرة إلى الحد الذى احدث شرخاً فى نفس الخميسي ، لم يعد يبالى كثيراً بنشر انتاجه على الناس ، وتحول من الشعر التقليدى إلى الشعر الحديث ، ولكن شعره الجديد لم يكن فى مستوى شعره القديم . وسرعان ما هجر الشعر والقصص ، والقى بنفسه فى بحر المسرح ، كتب اوبريت « مهر العروسة » ، وانشغل بها ايما انشغال ، وفرض نفسه على العمل المسرحى ، يشارك فى الاخراج والموسيقى ، وانتهى به الحال إلى خلاف حاد مع الموسيقار محمود الشريف ، الذى ترك العمل فى الأوبريت وحل الموجي محله . وعندما ظهرت « مهر العروسة » على المسرح ، وبعد شهور طويلة من الاعداد ، بدا واضحاً بصمات الخميسي على العمل كله ، ولاقت الأوبريت نجاحاً كبيراً وتالق الخميسي اثناء عرض المسرحية ، ثم عاد إلى بياته الشتوى من جديد .

وغرق الخميسي فى حب جديد ، وخيل إلى أصدقائه انه انشغل بحبه الجديد عن اى شىء وكل شىء ، ولكن الخميسي الذى لا يقهره شىء ولا يمكن لشىء ان يستحوذ عليه ، انفجر من جديد ، وفى الاذاعة هذه المرة وبرواية شغلت مصر شهراً باكمله لدرجة أن شوارع القاهرة كانت تضيق بالمستمعين لحظة إذاعة حلقة من رواية « حسن ونعيمة » ، التى كانت بحق اعظم ما قدمت الاذاعة من مسلسلات فى حقبــة الخمسينات . وعاد الخميسي إلى تالقه من جديد ، وكأنما نجاح المسلسل قد حفزه على العودة الى الأضواء ، فقرر أن يسبح في التيار الجديد ، ولكنه اختار المسرح هذه المرة ليعاود نشاطه الفنى ، فكون فرقة مسرحية ، واستعان بعدد من الشبان ، صار لبعضهم شان عظيم بعد ذلك ، عادل امام ، وسعاد حسنى وصلاح السعدنى ، وحلمى هلالى ، والشقيقان ابو الفتوح وفاطمة عمارة .

ولكن سرعان ما تلبدت غيوم السياسة على الساحة العربية ، وناصبت بغداد القاهرة العداء ، ولم تكن القاهرة عاصمة مصر وقتئذ ، ولكنها كانت عاصـمة الجمهورية العربية المتحدة . وانفتحت ابواب السجون والمعتقلات من جديد واختفى داخلها مئات من شباب مصر ، صحفيين وأدباء وكتاب وفنانين ، واثر الخميسي أن يوقف نشاطه المسرحى ، واختفى فترة ، ليظهر من جديد فى احد استوديوهات السينما ، ليقدم « حسن ونعيمة » على الشاشة ، مكتفياً بدوره كمؤلف وكمكتشف لاثنين من الوجوه الجديدة ، سعاد حسنى التى تربعت على عرش السينما فترة طويلة من الزمان ، ومحرم فؤاد الذى لمع فترة كمطرب ذى صوت متميز ثم لم يلبث أن اصابه البهتان بعد حين . كان العبد لله من بين الذين غابوا وراء الأسوار فترة امتدت عامين بالكمال والتمام ، وعندما خرجت من السجن كانت أشياء كثيرة قد تغيرت من القاهرة ، فانهدمت قهوة عبد الله ، وانزوى انور المعداوى فى مقهى ديانا بالدقى ، وانشغل زكريا الحجاوي بالفن الشعبى ، وسرح وراء أولاد « رمز » فى البرارى والحقول ، وتفرغ نعمان عاشور للمسرح وغرق فيه ، واشتغل يوسف ادريس بالسياســة حينا ، ثم عاد إلى كتابة القصة من جديد ، وبحثت عن الخميسي وعثرت عليه .. فى مكتب صغير بعابدين واستقبلنى بحفاوة ، وهون على نفسى أيام السجن الكئيبة ، والح على فى ان اشترك معه فى مسرحه ، وطلب منى ان اكمل روايتى « عزبة بنايوتى » ، وكنت قد فرغت من كتابة فصلها الأول ، قبل ان اذهب فى رحلة الأغلال والقيود ، وامدنى الخميسي بطاقة هائلة ، وخرجت من عنده إلى منزلى وعكفت على كتابة الفصل الثانى من المسرحية التى قدر لها ان تظهر بعد ذلك على مسرح الخميسي من اخراج الخميسي وبطولة الخميسي ، واحدث ظهورها على المسرح دوياً هائلا ، وعرضت فى مصر عدة سنوات وشهدها الملايين من شعب مصر ، من أسوان وحتى العريش .

البقية العدد القادم

من مواقف أبي علي:

موقف: يرحق

شعر: حسن طلب

اوقفنى السوسنُ فى موقفٍ :
يبقى من يهلكُ عشقا !
قال : ساصحبُكَ الآن إلى حيثُ ساطلعُكَ
على مالم أُطْلعْ احداً من قبلُ عليهِ
فلا تنبسْ نُطْقا
وابتسمَ وقالَ :
إذا انتَ تكلَّمتَ سترحلُ
او إنْ انت صمتَّ ستبقَى
قلتُ : ساسكتُ ،
قال : فحقّاً ؟ قلت : اجلْ حقّاً
فاخذنا الميثاقَ .. واطلقْنَا السَّاقَ
.. توجَّهنا شَرْقَا

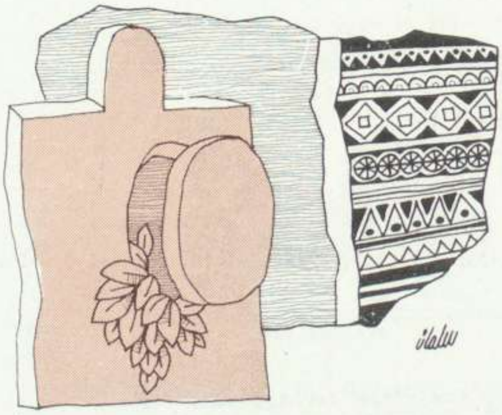
ومضـــينَا ..
حتى لما ان صرنا داخلَ صحراءٍ :
يشبِهُ رونَقُها سيناءَ
وتحت سماءٍ :
يشبه ازرقُها مُهَجَ الشهداءِ ،
نظرنَا ..
فكشفنا عن افقٍ أفْقَا !
فابتسمَ ، وقالَ : انظرْ :
هذا جبلٌ خجِلٌ
يصعد نحو ذؤابتِهِ رجلٌ وجِلٌ
قال ، وهذى إبلٌ
يجفُلُ عنها جملٌ
فازيزُ الطائرةِ الامريكيةِ فى مسمعِهِ :
خطرٌ داهٍ
وحِمامٌ محتمَلٌ
واولئك ـ قال ـ اناسٌ يدرونَ .. ويتّجرونَ ،
فهم مَوْسومونَ ..
ومنهم من يبتهلون .. ويرنون
يحيون الطائرةَ الامريكيةَ وهى تدورُ
.. وتلقى بنِفايَتِها

ثم تحلّقُ فوقا !
فتعجبْتُ ، وصِحْتُ :
امجنونونَ اولئكَ ؟ ام حمقَى ؟!
فابتسمَ ، وقالَ :
الم اصحبْكَ على ان تصمِتَ ؟
قلتُ : نسيتُ ،
وما انسانِيهِ سوى الغيظِ ،
فرِفْقا

وتبادلنا الردَّ ..
وجدَّدْنا العهدَ .. مضينَا
فقطعنا من عمقٍ عمقَا
حتى لما ان كنا فى وادٍ ذى شجرٍ
ونخيلٍ منتشرٍ
وقف على الحافَّةِ ،
ثم ارانى ما قطفَ وقالَ :
اَصِبْ من هذى الفاكهةِ الغضَّةِ رِزْقَا
وصمتٌ ..
فاعطانى إحدى الثمراتِ وقال : تذوَّقْها ..
فاذا هى كالعلقَمِ ذوقَا !
فتقزَّزْتُ والقَيْتُ بها نحو الشجرِ المنتشرِ ، وقلتُ :
الا .. عُودى من حيثُ اتيتِ ..
قُتِلْتِ ، وساء بك الملْقَى
وغضبتُ .. وقلتُ :
فافٍّ لك ايتها الشجراتُ الأشتاتُ ،
وايتها النخلاتُ المتعددة الجنسيات !
فمال ـ وقد ضحكَ ـ وقالَ :
فها انتَ وعدتَ ..

ولم يكُ وعدُكَ صدقَا !
فخجلتُ .. وقلتُ :
لقد غلَبَ القَهْرُ .. وقد نَفِدَ الصبرُ ،
وإن كاد ليقْتُلُنى هذا الثمرُ المرُّ ،
فقالَ : لئنْ اطلقتَ لسانكَ ثالثةً ..

فلانك انتَ الاشقَى !
وزجَرْنا الدَّابَّة نحو الشرقِ .. وسِرْنا
حتى حين عَبَرْنا مَجْمَعَ ما بين الجبلينِ ،
وصرنا فى برزخِ ما بين البحرينِ ،
انحسرَ بياضُ الماءِ ..
عن السمكِ الميِّتِ .. والأشلاءِ
وعن افئدة الشهداءِ
وكل بقايا الأسلحة وانصافِ الأعضاءِ ..
فصحتُ بِهِ :
قد ادركنى الاعياءُ ..
فاخرجْنى من هذى الفوضَى والبُعْكُوكَاء ..
وقلتُ : لقد انستُ هنا شبحَ الحربِ القادمةِ ،
ونيرانَ الاعداءِ
فقال : نعم ..
فهنا يبدا سُؤدُدُ سيناءَ !
وقال : انظرْ :
هذا جنديٌّ يصعدُ بالعَلَم ..
وفى الخلفِ اناسٌ كالسَّيلِ ،
يدوسونَ الارضَ .. ويتّسعونَ ،
فهم وَسَّامونَ ،
فصحت : الا مَرْحَى
قال : وهذان هما الأمريكيانِ السَّوَّامانِ ،
فصحت : الا تَبًّا
قال : وهَذُونَ يهُودُونَ ..
يجيئون على مهلٍ .. ويعودُونَ ،
فهم يتهادُونَ .. ويُهْدُونَ .. ويستـهدُونَ !
فصحتُ : الا سحقاً ، قال : نعم سُحْقًا
فضحكتُ ، وقلتُ :
الآنَ انكشفَ اللغزُ ،
فقال : سانبئكَ بتاويلِ الرَّمْزِ :
فامَّا القومُ الوسَّامونَ :
فمصريون مضيئون ،
واما الموسومُونَ .. فمصريونَ ورائيونَ ،



فقلتُ :
وماذا من امر الجبلِ الخجِل ؟
فقال : اسيرٌ ينشدُ من رقٍّ عتْقًا !
فتعجبتُ ، وقلتُ :
فماذا سيكون إذن من شانِ الرجل الوجِلِ ؟
فقال :
سَيَرقى
وسيحلُمُ فى حضرةِ محبوبتِهِ
يتهَيَّأُ ان تلقاهُ .. ويلقَى
سيضمُّ عليها الزَّندينِ
فتحملُهُ فى افاقِ العينينِ
وتَسْقيه إذا استسقَى
وسياخذُها من مَجْمَع ما بين الجبلينِ
إلى برزخِ ما بين البحرينِ
ويقراُ فى عينيْها :
سبْعَ قصائدَ غَرْقَى
سيكونَانِ بمنجاةٍ
فيحيّيها بقصائدَ مزجاةٍ
فتدلُّ عليه بسحرٍ :
.. لايرقَى الشعرُ إليهِ
وسحرٍ : يرقى !

وقال : اشيمُ يا سيناءَ برقـــا	فقلتُ : اهيمُ يا ســـيناءَ شوقا
فقال : وكيفَ ؟ قلت : اقِى ثراها	بقلبى ، إن شـــقىَّ القوم عقـّــا
فقال : وفيمَ ؟ قلت : اليس قومى	عليها استشهدوا شنقـــا وحرقا ؟!
فقال : توقَّ قِتلَكَ ، قلت : كمْ مِنْ	اخى فَـــرقٍ ســيلقى ما توقَّى
فليس ارقَّ ــ قال ــ من ابن قـــوم	يُقيمُ الحقَّ ، قلت : وليسَ ارقَى

رسالة لندن من : مجدي نصيف

وليم جولدنج .. الروائي البريطاني الحاصل على جائزة نوبل هذا العام

أَحَبَّ التاريخ والبحر والأرض العربيّة

أثار حصول الروائى البريطانى وليم جولدنج على جائزة نوبل للأدب لهذا العام ضجة لم تحدث من قبل . الاعتراضات وعلامات الاستفهام جاءت حتى من رسميين وليس من النقاد فحسب . « جاء قرار الاكاديمية السويدية بمنح الروائى البريطانى جائزة نوبل فى الأدب كوقع الصاعقة على كل فرد تقريباً » هكذا علق المحرر الأدبى لمجلة تايم الامريكية . ادى هذا القرار إلى خروج واحد من أعضاء الأكاديمية الثمانية عشر (الذين يختارون واحداً من بين المرشحين لنيل الجائزة) فى سلوك لم يحدث ابداً من قبل ، إلى توجيه شكوى ضد القرار . لقد اعتبر آرثر لوندكفست (٧٧ عاماً) « أن اختيار جولدنج للجائزة هو بمثابة « انقلاب » ووصفه بانه « ليس جديراً بهذا الاستحقاق » . رد لارز جيلينستاين السكرتير الدائم للأكاديمية السويدية على اعتراضات لوند كفست بانه « شخص منعزل ثرثار » . ثم أعلن « ان اللجنة رات استحقاق وليم جولدنج لجائزة نوبل للأدب هذا العام عن جدارة ، والمفروض على أعضاء الأكاديمية الا يتحدثوا عن قراراتهم خمسين عاماً » .

وربما كان هناك ايضا اخرون لم يقتنعوا بسرعة بسلامة الاختيار هذا العام . وقد شرح بيان الأكاديمية باسهاب مبررات اختيار جولدنج .

لاحظ البيان أن مؤلفات جولدنج « يمكن قراءتها باستمتاع وفائدة دون حاجة إلى بذل مجهود كبير للتعلم او الفطنة ودقة الملاحظة » المشكلة فى هذا البيان هى ان كلا من تلك الصفات صحيح ، وان شيئاً اقل من ذلك يمكن ان يؤدى إلى منح هذه الجائزة التى تعد ارفع من اى جائزة عالمية اخرى فى هذا المجال .

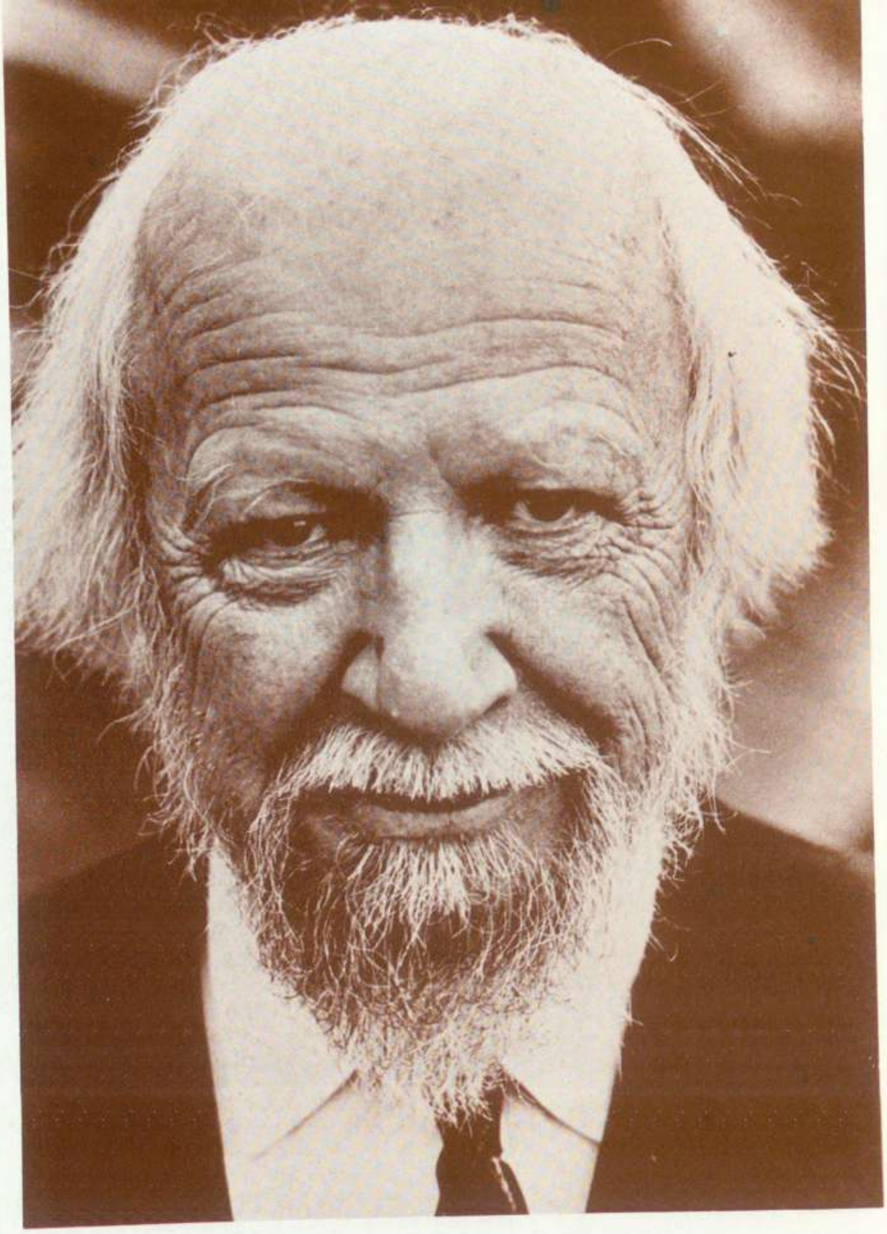
بعض الصحف البريطانية ذكرت صراحة انه كان من الضرورى منح الروائى الكاتب البريطانى جراهام جرين هذه الجائزة ، التى رشح لها ايضا خاصة وانه احتفل فى هذا الأسبوع بالذات بعيد ميلاده التاسع والسبعين . وكان من الممكن ان يتجنب جولدنج الذى يبلغ الآن الثانية والسبعين كلا من جائزة نوبل والخلافات التى احاطت بمنحها له . فقد قال جولدنج الذى يتميز بانه « رجل رقيق متواضع » . ذات مرة : « ان كتبى قد كتبت لهذا النوع من الناس الذين يعيشون مرحلة المراهقة المتاخرة » . وهذا التقييم الذاتى ماكر ، لأن القراء الذين احبوا مؤلفاته ، اصبحوا طبقاً لتقييمه من الأجيال التى تعيش « مرحلة المراهقة المتاخرة » .

كان آخر كاتب بريطانى منح جائزة نوبل للأدب هو ونستون تشرشل عام ١٩٥٣ . وقبله منحت لكل من برتراند راسل ، والشاعر ت . إس اليوت (الأمريكي المولد) ، وجون جالزوورثى ، وجورج برنارد شو ، وروديارد كبلنج . اما فى علم ١٩٨١ فقد منحت الجائزة لالياس كانتى الكاتب البلغارى الذى يعيش فى بريطانيا .

عاش جولدنج طفولة مريحة وهادئة ، وكان والداه يريدانه أن يتخصص فى العلوم ، لكنه بعد عامين من الدراسة فى اكسفورد قرر أن يتحول إلى دراسة الأدب الانجليزى . بعد انتهائه من مرحلة الدراسة الجامعية التحق بوظائف مؤقتة ، من بينها العمل فى احد المسارح المحلية . ونشر جولدنج وهو فى سن الثالثة والعشرين ديوانا من الأشعار ، نشرته له احدى دور النشر الاقليمية ، إذ انه لا يعيش فى لندن العاصمة حتى الآن ، فهو من ويلشاير حيث عاش معظم حياته ، وان كان قد ولد بمدينة كورنويل (ميناء ايضاً على البحر) . وتعتبر ويلشاير من أجمل مناطق انجلترا .

كان هدف حياته المسرح . وقبل وبعد الحرب العالمية الثانية انغمس فى العمل بالمسرح فى شركات صغيرة – انتاجاً وتمثيلا . وخلال الحرب خدم فى « سلاح البحرية البريطانى » ، على مدمرات وسفن حربية ، حتى أصبح قائداً لسفينة حربية صاروخية .

بعد الحرب عمل ناظراً لمدرسة واستمر فى هذا المجال حتى عام ١٩٦١ . انعكست



الروائى البريطانى وليم جولدنج الذى حصل على جائزة نوبل للادب

هذه المرحلة على عمله الاول «سيد الذباب» "The Lord of The Flies" الذى نشره عام ١٩٥٤ . كان فى الثالثة والاربعين من عمره عندما نشر هذا العمل الذى يعتبر اول عمل روائى له . استقال بعدها ، لان دخله منها مكنه من ان يكرس وقته كله للكتابة ، فتوالت رواياته بعد ذلك . فى هذه الرواية يتصور جولدنج مجموعة الصبية التلاميذ فى جزيرة معزولين بمفردهم ، دون مدرس أو ناظر او مسؤول . وهو موضوع حساس ودقيق وتربوى ، لانه يعالج القيم والتقاليد والتصرفات والسلوكيات .

بعد ذلك توالت رواياته «الورثــة » (عام ١٩٥٥) ويمكن ان يطلق عليها انها رواية من القصص الخيالى العلمى حول الآثار ، لانها تحدث فى الأيام الاخيرة من انسان نياندرتال . « بنشر مــارتن » (١٩٥٦) وكلها حوار داخلى لبحار يبدو انه فى لحظاته الاخيرة بعد ان تحطمت سفينته فوق الصخور . ثم « سقوط حر » (١٩٥٩) وفيها يبحث جولدنج قضية الخطيئة الأولى . بعد هذا الانتاج الغزير الذى جاء متتالياً بعد نشر عمله الاول صمت جولدنج عدة سنوات ، نشر بعدها روايته الخامسة «البرج» تروى محاولة راهب بناء برج فوق كاتدرائية وعناده وتصميمه حتى يحقق هدفه . ثم اصدر «الهرم» (١٩٦٧) روايته السادسة . بعد اثنى عشر عاماً اصدر روايته الهامة «الظلمة المرئية» (١٩٧٩) عاد فيها مرة أخرى لدراسة الخير والشر عند الانسان . ثم روايته السابعة والأخيرة «شعائر العبور» (١٩٨١) وعاد فيها ليكرر موضوعه المفضل : الخير والشر فى الانسان . وقد نالت جائزة بوكر كافضل رواية عن عام ١٩٨١ . وهذه أول مرة ايضاً فى تاريخ الأدب الانجليزى يحصل فيها روائى بريطانى حائز على جائزة بوكر ـ على نوبل .

يلاحظ النقاد فى رواياته انه يلجا الى فترات تاريخية بعيدة ، بعضها يذهب الى الانســان الأول ، واخــرى الــى مصر الفرعونية . لكنها مع ذلك ليست روايات تاريخية باى حال ، إنها ليست اكثر من فترات رمزية ليناقش بحرية ما يريد ان يناقشه حول الخير والشر عند الانسان .

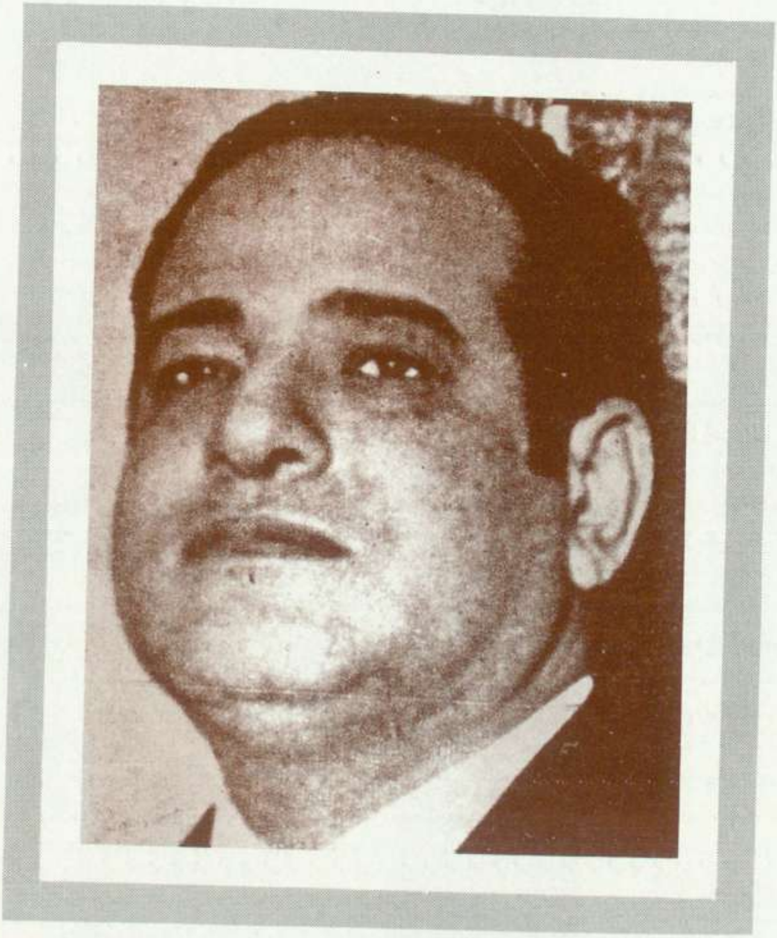
ولكن الذى لاشك فيه ان حلمه القديم الذى يريد ان يحققه الآن هو ان يسافر الى مصر ويمكث هناك فترة ليكتب عن تاريخها وثقافتها وتقاليدها . وهو يريد ان يكتب عمله هذا فى سفينة يتنقل بها من الاسكندرية فى النيل حتى اسوان ، إنه حلم قديم قد تمكنه قيمة جائزة نوبل (١٢٥ الف جنيه استرلينى) من تحقيقه . وهو يذكر ان محاولته الأولى فى الكتابة كانت وهو فى السابعة من عمره فقط . حاول كتابة قصة مسرحها مصر الفرعونية القديمة . آنذاك اقتنع بعبث جهده خصوصاً وانه «كان يعمل ـ حسب تعبيره ـ على تحريك شخصيات مصرية قديمة فى مناخ بريطانى خالص ، وكان الحوار بينها باللغة الانجليزية» .

السمة الثانية لأدب جولدنج ، ان البحر يلعب دوراً هاماً فى رواياته . قد يكون السبب انه ولد قرب البحر وعاش طفولته هناك . وبعد ذلك ركب البحر فى الحرب العالمية الثانية . لقد ابحر كثيراً ، والتقطت ذاكرته صوراً كثيرة انعكست بعد ذلك فى رواياته ، لدرجة ان بعض النقاد يشبهه بالكاتب الأمريكى هيرمان ميليفل مؤلف رواية «موبى ديك» بل ان بعضهم يقول ان جولدنج يبدو تجسيداً لشخصية العجوز فى رواية أرنست هيمنجواى «العجوز والبحر» ، خاصة حين يتجه الى البحر وهو يردد : «هذه الأمواج ، أعماق البحر ، إنما تعكس لاوعينــا . نحن نرى اعماقنا ، نرى ماضينا الانسانى فى حركات البحر وانفاسه ، فى غضبه وفى هدوئه» .

ولعل اكثر الناس فرحاً من البريطانيين هم ناشرو أعمال جولدنج . ماثيو ايفانز رئيس مجلس ادارة «فابر اند فابر» للنشر علق على الضجة المثارة بقوله :

ـ «إننى لا اعير اى انتباه لاتهامات عجوز سويدى فى الثامنة والسبعين من عمره . انه أهبل . يمكنه ان يقول ان جولدنج لا يهم القراء خارج بريطانيا . أما داخل بريطانيا ، فكلا !» .

ثم قال ان رواية جولدنج الأولى «سيد الذباب» باعت أربعة ملايين ونصف مليون نسخة ، منها ثلاثة ملايين ونصف مليون خارج بريطانيا . أما مجموع ما تم طبعه وبيعه من رواياته السبع كلها ، فقد بلغ أكثر من عشرين مليون نسخة .



بدر الدين أبو غازي

نموذج فريد للمثقف العربي

بقلم : فتحي رضوان

ليس ثمة شك فى ان بدر الدين ابو غازى هو نموذج لا نظير له ولا ند بين المثقفين وحملة الاقلام فى العالم العربى .

فهو رجل قانون بالدراسة والمؤهل الجامعي ، وهو رجل ضرائب وتشريع مالي بالوظيفة التي تدرج في مراتبها ودرجاتها من ادناها الى اعلاها ، ولكنه مع ذلك استطاع ان يحتل مكانة لم ينافسه فيها ، ولم يزاحمه عليها احد ممن يكتبون الكتب او يراسلون الصحف ، تلك هي مكانة الناقد في مجال الفن التشكيلي . صحيح ان في حياة الادب والفكر ابناء ورثوا عن آبائهم تركة ادبية او فنية ، فانتسبوا الى الفرع الذي يمارسه ابوهم ، وان لم يكن في مثل قدرته واستعداده ، ف (محمد البحر) مثلا ، اعتبر نفسه الوصي على فن ابيه الملحن العظيم (سيد درويش) ، وراح يغني ادواره وطقاطيقه ومقطوعاته المسرحية ، ودخل في خصومات عديدة مع افراد وهيئات ، من فرط تحمسه لتركة ابيه ، ولكن بدر الدين ابو غازي لم يزعم قط انه فنان ، وان في قدرته ان يقدم للناس اعمالا في الحفر او الرسم او الزخرفة لمجرد ان اول مثال مصري في العهد الحديث كان خاله .

ولم يحب بدر الدين ابو غازي وحده (محمود مختار) المثال الرائد في مصر التي اعقبت ثورة سنة ١٩١٩ ، ولم يحبه فقط الرسامون والحفارون الذين تاثروا به ، وحذوا حذوه ، بل احبته مصر كلها ، واعتبر واحداً من الشخصيات الهامة التي برزت مع انفجار هذه الثورة من الخطباء والشعراء والمحامين والكتاب ، فقد قدم نفسه لامته ، لا بوصفه حفاراً ، بل بوصفه صاحب فكرة البعث القومي في مجال الفن الذي قدمته مصر بدورها الى الانسانية منذ بضعة آلاف من السنين ، والذي تجسد في بضعة آلاف من التماثيل الرائعة والنادرة من الجرانيت والبازلت والحجر الجيري ، فكانت بداية لفن رائع ورصين قادت به مصر خطى الفن في بلاد اخرى جاورت مصر في حوض البحر الابيض المتوسط ، وتاثرت بها ، وتعلمت منها .

لقد اقترن اسم محمود مختار المثال المصري الأول بتمثال عرف فيما بعد بتمثال نهضة مصر . ولم يكن التمثال عند المصريين عملا فنياً جديداً تبدا به مصر صفحة جديدة في جهادها الثقافي والحضاري الذي بشر به الاجداد والآباء منذ الحقب والعصور ، بل كان رمزاً سياسياً بحتا .

وتبدا الحكاية قبل ثورة سنة ١٩١٩ ببضع سنوات ، فقد مات زعيم مصر الشاب وباعث نهضتها الوطنية مصطفى كامل في العاشر من فبراير سنة ١٩٠٨ . وكانت الوفاة بعثا وحياة ، لان مصر خرجت لاول مرة ، بلا دعوة من احد ، ولا تحضير ولا اعداد من حزب او هيئة ، لتودع جثمان زعيمها الذي احبها حباً ملك عليه زمام مشاعره وعواطفه ، فاصبح بحق كما وصفه امير شعراء مصر احمد شوقي بقوله (حبيب مصر وشهيدها) . فقد تغنى بامجاد وطنه وآثاره ، ومائه وسمائه ، وبره وبحره ، وماضيه وحاضره ، وفنه وعلمه ، ورجاله وابطاله ، غناء عذبا رقيقا حاراً الهم قلوب الملايين من ابناء مصر ، بحب في نفس حرارة وتدفق وعمق حب مصطفى كامل .

ولذلك فقد تسابقت الأمة — ولاول مرة ايضا — الى اكتتاب لصنع تمثال للزعيم الشاب الذي غادر دنياه وهو بعد في الرابعة والثلاثين من عمره وجمعت البلاد بضعة آلاف من الجنيهات قدمتها لفنان فرنسى هو المثال (سيفين) ، ليصنع لمصطفى تمثالا .

واهل الفن في الغرب من اشد الناس افتتانا بالفن المصري القديم . لذلك بدا للمثال الفرنسي ان يدخل في تمثال مصطفى كامل عنصراً من الفن الفرعوني ، فجعل مصطفى كامل يستند بيده الى راس ابي الهول . وكانه يحييه . وبقيت هذه الصور في خيال محمود مختار . فلما قامت الثورة سنة ١٩١٩ وراي وجوب تخليدها بتمثال يوضع في احد الميـادين فى القاهرة ، اقتبس نفس الصورة ، بعد ان احل فتاة ريفية محل مصطفى كامل ، وجعل هذه الفتاة توقظ ابا الهول رمزاً ليقظة مصر وبعث ماضيها .

وتحمس المصريون للنموذج الذي عرض لهذا التمثال ، واعتبروا التبرع له ، ثم اقامته بعد ذلك ، جهاداً وطنياً ، وذاعت صورة هذا التمثال واستعملها عدد كبير من المتاجر والمصانع المصرية التي انشئت في اعقاب الثورة ، ونظمت فيه الاشعار والازجال ، وحلى الشباب في المظاهرات والمواكب الوطنية عرى ستراتهم بدبابيس تحمل صورة مصغرة لهذا التمثال الجميل حتى كاد يكون رمزاً لثورة سنة ١٩١٩ . ولما تعثر صنع التمثال واقامته في احد ميادين القاهرة بسبب السلطات التي كانت موالية للانجليز ، وعاملة بتوجيهاتهم ، اعتبر التمثال والدفاع عنه والعمل على تحقيقه واخراجه جزءاً من جهاد مصر الوطني العام .

وبقي هذا الشعور يتعمق قلب المصريين ، ويشغل خاطرهم حتى تم بناء هذا التمثال ، و على صورة جعلته اقرب الى قلب المصريين ، فان (مختار) ابى ان يكون التمثال المصري الأول في العصر الحديث من البرونز ، واصر ان يكون من الجرانيت الذي نحتت منه تماثيل مصر القديمة ، وقد كانت هذه محاولة مرهقة للغاية وبكلفة اضعاف اضعاف صنع التمثال من البرونز . وقد كشفت هذه المحاولة عن جانب رائع من الحضارة المصرية القديمة فقد كان الواجب على (محمود مختار) ان يستعين في نحت صخر الجرانيت (بازميل) من حديد ، لصلابة الصخر ، وقد ثبت ان الأزميل المصنوع من الحديد لا يحتمل الا طرقتين او ثلاثا ، ثم ينكسر ، فترتب على المثال المصرى ان يقيم مصنعـا لصهر وصب (الازاميل) لا ينكسر منها واحد حتى يجد غيره .. وهكذا الى ان تم صنع هذا التمثال .

وكان التمثال قد استحال الى بناء مصر الجديدة حقا لا مجازاً ، فقد جاهد المثال والذين معه في صنع التمثال ، وتحملوا الكثير ، حتى تم صنعه من نفس المادة التي صنع منها مثالو مصر القديمة آثارهم الراقية والباقية .

ولكن بقي سؤال : كيف كان مثالو مصر القديمة ينحتون من هذه الصخور الصلبة كالجرانيت والبازلت ولم يكن الحديد قد عرف ، ولم تكن لديهم هذه للصانع التى يصهر فيها الحديد ثم تصب الازاميل ؟

ولكن لم يكن هذا سوى جانب واحد من جوانب حضارة مصر القديمة باسرارها الفنية والعلمية الغامضة ، اسرار بناء الاهرام وتحنيط جثث الموتى والنقش على جدران القبور فى الظلام الذي لا يعرف احد كيف بدده الفراعنة ، وعلى اي نور تم هذا النقش الخالد حقا ، فقد قاوم البلى قرونا بعد قرون .

في هذا الجو العبق بذكريات المجد المصري ، وبعطر الفن الجميل ، بايات الحب للوطن ، وبالاستبسال من اجل بعث الثقافة المصرية ، في هذا الجو الروحي الفني ، نشا بدر الدين ابو غازي وراى له (خالا) ليس لاحد من زملائه في الحي او في المدرسة خال أو قريب مثله . ففي تلك الأيام لم يكن هناك حفارون ولا رسامون ، ولم يكن للفن ذكر ، ولا لآثار مصر سواء كانت فرعونية أو عربية ، صدى لا في التربية ولا فى التهذيب .

ولعله تابع خاله الذي كان يرسل على ظهره ضفائر من الشعر الاسود الناعم المسترسل ، والذي كان يبدو على قسمات وجهه ، ونبرات صوته وطريقة مشيته وجلسته ، انه مشغول القلب بهموم لا تثقل احداً سواه . وكان الكثيرون ممن يترددون على خاله في

بدر الدين أبو غازي

نموذج فريد للمثقف العربي

مرسمه وفي بيته اجانب ،يتحدثون معه في شئون الفن والثقافة ، ويحملون معهم كتباً ، فيها من الصور الفنية ، ومن صور التماثيل واللوحات الفرعونية والعربية ، ما ايقظ احساسه بالفن وادراكه لمعنى تاريخ بلاده . فنما وهو اكثر نضجاً من سنه ،واكبر من اخوانه ، فلما مات خاله ، احس بالمصاب ، فزاد الحزن الذي ران على العائلة من رجولته ، ومنحه صبراً وثباتاً . فلما رأى ان اقرب الناس اليه يحاولون نهب تركة خاله بعد ان كانوا يتحاشون الاتصال به ويرفضون انتسابه اليهم لأن الفنان في ذلك الحين كان سبة ولم يكن شرفاً . فلما عظم مقام مختار ، وذاعت شهرته ، وتردد اسمه في الصحف ولنتبه الشعب الى معركة التمثال ، واقبل عليها ، واهتم بها ، عادوا الى مختار وتقربوا اليه ، واظهروا له الحب والود . فلما مات وخلف وراءه بعض المال ، الذي كان ديناً في ذمة الحكومة مقابل تمثالين كلفته الحكومة صنعهما لسعد زغلول ثم فسخت العقد كرهاً في سعد ، لأن الحكومة التي تعاقدت مع مختار والتي كانت تناصر سعداً سقطت وحل محلها غيرها ، على كل حال كان لمختار تركة ، وان كانت في ذمة الحكومة فجاء ورثة مختار ، واستلموا هذه التركة من الحكومة ، ثم ابوا ان يعطوا منها شيئاً لشقيقتي مختار ، عمتى بدر الدين ابو غازي ، فسقط على كتف بدر الدين عبء الدعوى ضد هؤلاء الاقارب أكلي الحقوق .

وكان بعد طالباً فى كلية الحقوق، فعرف نصيباً جديداً من الهم ولكن هذه المحنة اتاحت لي فرصة التعرف على بدر الدين ابو غازى وهو فى مطلع شبابه ، فقد لجا الي كمحام . وقد طال نظر هذه الدعوى امام المحاكم كعادة القضايا فى بلادنا ، وعلى طول الأيام او قل السنين لم تتغير خصال بدر الدين وفضائله ، فقد بقي طوال هذه المدة غير القصيرة صابراً لا يشكو ، ثابتاً لا يهتز ، باسماً لا يقطب جبينه ، ولا تصدر عنه كلمة غليظة او عبارة جافية .

وتطورت القضية اذ جاء لجموع المعتدين من اقارب مختار رجال ذوو نفوذ، تدعوهم إلى مخاصمة بدر الدين وعماته ، والطمع فى مالهم ، دوافع غير الطمع لا تشرف اصحابها . فتحولت القضية الى ما يشبه الصراع السياسى ، ووصل زعيم هذا الفريق المعتدى الى اكبر المناصب القضائية ثم اختير وزيراً ، ونحن لا نابه لكل هذا ونواصل جهادنا فى نطاق القانون ، وبدر الدين يثبت اقدامى بابتسامته التى لا تفارق شفتيه ، وثقته بمحاميه التى لا تتزعزع ، حتى كتب له النصر كاملا واستوفى حقه غير منقوص .

الا ان بدر الدين ورث عن خاله ـ غير هذا النزاع ـ حبه للفن ـ كما سبق القول ـ وكان يمكن ان يحب الفن ، فيتذوقه ويروح الى المعارض فيشاهدها والى الكتب التى تتحدث عنه فيطالعها ، ولكنه فعل ذلك ، واضاف إليه انه قرا مراجع الفن التشكيلى ، واستوعبها ، واحاط بها ، وتوسع فى اقتنائها ، حتى أصبح عليماً بدقائق هذا الضرب من الفن ، فاخذ يكتب شارحاً لمناهج ومذاهب الفن فى الحفر والرسم والزخرفة ، ثم اخذ يقدم كبار الفنانين وخصائص آثارهم ، ودقائق حياتهم ، حتى اصبح مرجعاً من مراجع هذا الجانب من الثقافة الحديثة ، تلتمس مقالاته ودراساته المجلات الرفيعة ، ثم انتقل بعد ذلك الى مرحلة اخرى ، فبات ناقداً للفن التشكيلي يبصر الفنانين بما يجب أن يتبعوه ، وما يجب ان يتحاشوه ، وكاد ينفرد بهذا الجهاد حتى اوشك ان يكون وقفاً عليه . فكان بدر الدين ابو غازي نسيج وحده حقاً .

ولم يخرجه علمه العميق باسرار الفن التشكيلي الى الادعاء بانه فنان تشكيلي . فقد بقي في حدود علمه الذي حصل بالاجتهاد والمثابرة . وتوالت كتبه عن مختار ويوسف كامل ومحمود سعيد ، وعبد القادر رزق وراغب وغيرهم . ثم اختير رئيساً لجمعية محبي الفنون الجميلة ، فجعل من مكتبه فيها معهداً للدراسات الفنية وملاذاً لكل طالب عون من الفنانين والناشئين وندوة لأهل الأدب والفكر ، وكبر مقامه وذاع اسمه ، ولكنه بقي على تواضعه ، وعلى هدوئه ، وعلى بساطته ، وبقيت الابتسامة الخجولة على شفتيه يقابل بها كل الناس ، في كل الظروف لا يضيق باحد ، ولا يعزف عن احد ، قريباً الى كل الناس حبيباً الى كل القلوب حتى امتحنه الله باقسى ما يمتحن به الانسان فقد ثكل في اكبر ابنائه ، فقد صدمته سيارة ، وقضت عليه يوم عيد ميلاده . وتقاطر الناس على جنازة الشاب الذي اسماه أبوه باسم خاله (محمود مختار) ، كما لم يفدوا الى جنازة شهدتها القاهرة ، وحسبت ان البسمة التي ازدان بها وجه بدر الدين ستختفي وان الصبر الذي تحلى به سيتخلى عنه ، وان احتماله للناس سيتبدد ، فاذا به الطف مدخلا الى نفوس الناس ، واقرب الى قلوب الناس ، واصبحت مجاملته لمن يحتاج الى المجاملة ضرباً جديداً من ضروب الفن التي يعرفها ويتذوقها بدر الدين أبو غازي .

وكان بدر الدين يفعل شيئاً اخر في نفس الوقت ، هو تدرجه في العلم بالقانون ، وبالقانون المالي ، حتى اختير اميناً عاماً مساعداً لشئون الوحدة العربية الاقتصادية .

كان طبيعياً أن يختار وزيراً للثقافة وان كانت الظروف لم تتح له أن يسدي الى الثقافة في مصر وفي البلاد العربية ما كان يمكنه ان يسدي اليها لامور خارجة عن عمله ، الا انه لم يهتم بالمنصب ، ولم يثقل باله به ، وخرج الى الحياة العامة في أوسع ساحاتها ، يعمل فى دابه المعهود ، ولطفه المعروف ، وذكائه الذي يعينه على الابداع والتفوق ، وسعة البذل .

وفيما كان الجميع يشعرون بالأمل لوجوده بينهم ، وبالفرح كلما رأوه في مجال من مجالات نشاطه المتعددة المتنوعة ، اذ بهم يسمعون فجاة بانه غادر دنيانا . فوجم الذين عرفوه واحبوه ، وغرقوا في حزن لا نهاية له ،وقد هزتهم الصدمة حتى لم يبق في وسعهم حتى البكاء .

وقد امتحنني الله إذ رايته وهو يتهيأ للسفر للعلاج العاجل فى أمريكا ، فرايت ابتسامته تتالق على وجهه ، وان كان كل شيء فيه يقول أنا اعلم انى ماض ، فلا تحزنوا ، فاني معكم ، تزورنني وتحسون بي وتبدو لكم ابتسامتي ، لكيلا يغلبكم اليأس ويطغى عليكم الألم .

فتحي رضوان

جزء خاص:

الدورة الرابعة للمجلس الأعلى
لمجلس التعاون لدول الخليج العربية

٣ - ٥ صفر ١٤٠٤هـ • ٧ - ٩ نوفمبر ١٩٨٣م

قادة مجلس التعاون في مؤتمرهم التاريخي بالدوحة



الدورة الرابعة للمجلس الأعلى
لمجلس التعاون لدول الخليج العربية

قضايا الخليج والأمّة العربيّة في حديث سياسي شامل لسموّ أمير البلاد المفدّى

■ قيام المجلس برهان على قدرة العرب على تجميع كلمتهم

■ دول مجلس التعاون تتخذ مواقف موحّدة تجاه القضايا العربية والدولية

فى الأيام القليلة السابقة لعقد الدورة الرابعة للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية بالدوحة ادلى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير البلاد المفدى بحديث شامل بالغ الأهمية للصحافة المحلية فى قطر حول القضايا الحيوية الراهنة على الساحتين الخليجية والعربية ، وفى هذا الحديث الهام حدد سمو الأمير السياسة المبدئية لدولة قطر فى القضايا الرئيسية التى تواجه المنطقة والوطن العربى كله ، وهى سياسة تقوم على مبادىء ثابتة واضحة ، فى العمل على وحدة الخليج ، والحرص على التضامن العربى ، ودعم كل الخطوات التى تؤدى إلى حل المشكلة الفلسطينية حلا عادلا ، يضمن الحقوق المشروعة الكاملة للشعب الفلسطينى كما اكد سمو الأمير على ضرورة إنهاء الحرب العراقية الايرانية ، وإحلال السلام والمفاوضات محل الصراع الدموى القائم الآن والذى يهدد المنطقة بالمخاطر ، ويضعف وحدة العرب والمسلمين فى وجه العدو الصهيونى المشترك ، وقد لقى حديث سمو الأمير المفدى اهتماماً واسعاً من أجهزة الاعلام العربية ووكالات الأنباء الدولية ، وهذا هو النص الكامل لحديث حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى :



حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر

■ مجلس التعاون يتخذ موقفاً حازماً في وجه نظرية فراغ القوة صوناً لاستقلال دول المنطقة

■ أمن الخليج واستقراره هما مسئوليّة دوله وشعوبه

■ كان للمجلس جهود كبيرة في خدمة القضايا المصيرية العربية والإسلامية وبخاصّة القضية الفلسطينية لبّ النزاع في الشرق الأوسط

السؤال الأول :

● فى الوقت الذى تستعد فيه الدوحة لاستضافة مؤتمر القمة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية .. هل تتفضلون سموكم باعطاء لمحة عما حققه المجلس حتى الآن ؟ وعلى ضوء ذلك كيف تنظرون سموكم إلى مستقبل المجلس ؟

الجواب :

– من منطلق الروابط الاخوية الوثيقة التى تجمع بين شعوبنا العربية الخليجية ، كانت هذه الشعوب تشعر دائماً ان من الطبيعي بل الحتمي ان يقوم بينها من التعاون والتكامل ما يمكنها من تحقيق ما ترجوه من قوة ورخاء وامن واستقرار . ولقد جاء انشاء مجلس التعاون الخليجى محققاً لهذه الامنية الغالية التى طالما تطلعت اليها تلك الشعوب . بل انه حدث عظيم في تاريخها حيث قد ادخلها فعلا الى مرحلة جديدة قوامها توحيد الصف وتضامن الجهود من اجل العمل الجماعي المشترك .

ولقد اكتسب المجلس أهمية خاصة بقيامه فى وقت اشتدت فيه الشكوك للأسف الشديد فى قدرة العرب على جمع كلمتهم وتضامن جهودهم بسبب تصاعد خلافاتهم ، فجاء برهاناً عملياً على خطأ تلك الشكوك .

وليس من شك فى ان المجلس استقطب اهتمام العالم باسلوبه المتميز فى تنظيم سبل تطوير التعاون بين الدول اعضائه بما يتلاءم مع واقع حاجاتها وامكاناتها . ولقد كان نجاحه فى تحقيق إنجازات هامة فى شتى المجالات خلال فترة وجيزة لا تزيد عن عامين ونصف عام مدعاة لتقدير العالم العربى والاسلامى والدولى على السواء . وقد تكفى الاشارة إلى اهم ما تم من هذه الانجازات فى مجالين هما المجال السياسى والمجال الاقتصادى . اما فى المجال السياسى :فقد حقق المجلس التنسيق المنشود بين دوله من خلال الاتصالات المباشرة والاجتماعات المتصلة ، واصبحت هذه الدول تتخذ مواقف موحدة تجاه القضايا العربية والدولية . وبين اهم هذه المواقف – على سبيل المثال – تاييد مشروع السلام الذى تبنته الدول العربية مجتمعة وظهرت بذلك مبادرة عربية ، اجمع العرب لأول مرة عليها ، من اجل احلال السلام القائم على العدل الذى تنشده وينشده العالم كله معنا لمنطقتنا .

وصونا لاستقلال دول المنطقة وتجنبا للتدخل الأجنبي في شئونها وتسرب نفوذه إليها ، اتخذ مجلس التعاون موقفا حازماً فى وجه نظرية فراغ القوة ، واعلن رفضه لها مؤكداً ان امن الخليج واستقراره هما مسئولية دوله وشعوبه . ولقد حرص المجلس على ان يقرن هذا الاعلان باتخاذ كل ما يستطيع من خطوات عملية تتفق وتصميم دوله على الاعتماد على قوتها الذاتية فى الدفاع عن سيادتها وحقوقها ومصالحها وصيانة امن المنطقة وسلامتها . ولقد لقي موقف المجلس تجاه هذه المسالة الحيوية تاييد القوى السياسية المحبة للعدل والسلام فى العالم .

ولقد كان للمجلس جهود كبيرة فى خدمة القضايا المصيرية العربية والاسلامية ، وبخاصة القضية الفلسطينية لب النزاع فى الشرق الأوسط ومحور أزمته ، حيث قام بدور هام فى تاكيد الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وفى مقدمتها حقه فى تقرير مصيره بحرية تامة واقامة دولته المستقلة



على أرض وطنه بقيادة منظمة التحرير ممثله الشرعى ، والعمل على كسب اكبر دعم دولى ممكن لتلك الحقوق .

ويواصل المجلس مساندة الشعب اللبناني لايجاد حل يضـع حداً لتقاتل ابنائه وينهى الاحتلال الاسرائيلى الغاشم لأراضيه ويحفظ له استقلاله وعروبته ووحدته .

وقياماً بواجبها نحو أمتها العربية والاسلامية ، بذلت دول المجلس وما تزال تبذل جهوداً كبيرة مثابرة من اجل تحقيق التضامن العربى الذى تعتبره هدفاً اساسياً للمجلس . فكانت وساطاتها المتصلة لتنقية الاجواء بين بعض الدول العربيـة الشقيقة والبعض الآخر . وحرصاً من المجلس على احلال السلام فى المنطقة واقامة علاقات الاخوة وحسن الجوار بين دولها ، بذل المجلس جهوداً ناجحة موفقة لانهاء النزاع بين سلطنة عمان وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية . كما بذل المجلس وما يزال يبذل جهوداً متواصلة لايقـاف الحرب العراقية الايرانية .

واما فى المجال الاقتصادى : فقد كان أهـم الانجازات ابرام دول المجلس فيما بينها الاتفاقية الاقتصادية الموحدة ومباشرتها فعلا فى تنفيذ بعض احكامها الهامة . ومعلوم ان القوة الاقتصادية هى الدعامة الاساسية لتقدم الدول وحماية استقلالها وصيانة أمنها واستقرارها . تلك هى بعض الانجازات والجهود الموفقة التى حققها المجلس فى الفترة القصيرة التى انقضت منذ انشائه . واننى لوطيد الثقة ان التفاف شعوب المنطقة حول المجلس الذى حقق قيامه اغلى امانيها، وتضافر الجهود الجادة المخلصة التى يبذلها قادته فى سبيل السير قدما بمسيرته نحو التكامل المنشود كفيلان بضمان توفيق المجلس فى متابعة بلوغ أهدافه السامية .

السؤال الثانى :

● تحقيق أمـن واسـتقرار الخليج من الأولويات السياسية لدول المنطقة .. كيف ترون السبيل الى ذلك ؟

الجـواب :

– رأيي فى اختصار شديد ، ان تحقيق الأمن والاستقرار فى المنطقة يتطلب تطبيق مبـادىء لا يمكن تطبيقها الا بالعمل الجماعى وتنسيق سبله بين دولها . وأهم تلك المبادىء هى ان الأمن فى المنطقة يشكل كلا لا يتجزأ ، فاذا اختل فى أى جزء منها تسبب ذلك فى الاخلال به فى الأجزاء الأخرى ، وان الحفاظ على الأمن والاستقرار فى المنطقة مسئولية أبنائها الذين يرفضون كل تدخل اجنبى فى شئونهم ويتمسكون بالاعتماد على قوتهم الذاتية للاضطلاع بتلك المسئولية بعيداً عن صراعات القوى الكبرى ، وأخيراً وليس آخراً ان هناك ترابطاً وثيقاً بين استتباب الأمن والاستقرار والجهود المشتركة الواجب بذلها فى سبيل تحقيق مستوى من التقدم والتنمية يكفل للمواطنين فى كل المنطقة حقهم فى العدل والطمانينة والحياة الكريمة . ولاشك ان مجلس التعاون هو خير ضمان لوضع هذه المبادىء موضع التنفيذ على النحو الذى يكفل تحقيق الغايات السامية التى نستهدفها .

■ لا قـوّة للاقتصــاد بغـير أمن قـوي .. ولا قــوة للأمن بغــير اقتصــاد راسـخ يسـانـده ويدعــمـه

■ توحيـد العـملة أمـر لابـدّ أن يأخــذ طريقـــه إلى التـنفيذ في المستقبل عـملًا بأحـكام الاتفـاقـيـة

■ تطورات الحرب العراقية الإيرانية في هذه المنطقة الاستراتيجية لا تهـدّد فقط طرفي النـزاع وإنما تهـدّد المنطقــة بأسـرهـا

السؤال الثالث :

● يقال ان هناك تيارين يتجاذبان اهتمامات قادة مجلس التعاون ، ينادى احدهما باعطاء الاولوية للتعاون العسكرى ، فى حين يركز الآخر على الناحية الاقتصادية .. ما رأى سموكم فى ذلك ؟

الجـــواب :

ـ لا صحة لوجود هذين التيارين . وليس ادل على ذلك من اننا فى ذات الوقت الذى بدانا نطبق فيه احكام الاتفاقية الاقتصادية الموحدة ، شرعنا ايضا فى تطبيق التعاون العسكرى الذى بدت صورة مشرقة له فى مناورة درع الجزيرة وهى المناورة التى اود ان اعرب عن بالغ سرورى بما تاكد من نجاحها فى تحقيق اهدافها واثبات حسن تدريب قواتنا المسلحة الخليجية وقدرتها القتالية وكفاءتها فى استخدام الأسلحة المتقدمة .

ولاشك ان هذه المناورة باعتبارها خطوة اخرى فى اطار توثيق اواصر التعاون العسكرى بين جيوش دول المجلس ، تشير الى تصميم هذه الدول على الوقوف صفا واحداً للدفاع عن اراضيها وحماية ثرواتها وتوفير الأمن والاستقرار لشعوبها . ان التعاون العسكرى والتعاون الاقتصادى سبيلان اساسيان للتكامل الذى ينشده المجلس .

ولا مجال للحديث عن الأولويات فى شانهما ، لانه لا قوة للاقتصاد بغير امن قوى ، ولا قوة للامن بغير اقتصاد راسخ يسانده ويدعمه .

السؤال الرابع :

● هل من ضمن برامج او افكار قادة مجلس التعاون اقامة سوق مشتركة او ايجاد عملة موحدة يطلق عليهـــا مثلا اسم الدينـــار الخليجي ؟

الجـــواب :

ـ منذ ان ابرمت الاتفاقية الاقتصادية الموحدة بين الدول اعضاء مجلس التعاون اصبحت هذه الاتفاقية برنامج التعاون الاقتصادى بين هذه الدول فى سعيها لتحقيق تكاملها الاقتصادى . والسوق المشتركة ـ كما هو معلوم ـ خطوة متقدمة على طريق هذا التكامل . واتفاقيات السوق المشتركة تهتم بدرجة كبيرة بالنص على ازالة الحواجز بين دول اعضائها ، وهو ما فعلته اتفاقيتنا الاقتصادية الموحدة ، بل ان كثيراً من هذه الحواجز قد زال فعلا . ويمكن القول بانه عندما يتم تطبيق احكام الاتفاقية بصورة كاملة ، سوف تصبح دول مجلس التعاون سوقاً واحدة .

اما بالنسبة لموضوع العملة ، فقد نصت الاتفاقية على وجوب العمل على توحيدها ليكون هذا التوحيد متمماً للتكامل الاقتصادى المنشود . وبالتالى فان توحيد العملة امر لابد ان ياخذ طريقه الى التنفيذ فى المستقبل عملا باحكام الاتفاقية .

وسوف يتم ذلك بعد ان تتم الدراسات والاجراءات اللازمة لدخول هذه المرحلة العليا من مراحل التكامل الاقتصادى .



السؤال الخامس :

● المساعى العديدة التى بذلت لوضع حد للحرب العراقية الايرانية آل جميعها الى الفشل .. الا ترون سموكم نهاية لهـــذه الحرب ؟

الجـــواب :

ان هذه الحرب سوف تنتهى بلاشك . ولكن الذى نرجوه هو سرعة انهائها .

لقد دخلت الحرب العراقية الايرانية للاسف الشديد عامها الرابع ، تلك الحرب التى تدور بين ابناء بلدين جارين مسلمين تربطهما اوثق الروابط والتى لا يمكن ان يترتب على استمرارها الا المزيد من اهدار أرواح الآلاف من هؤلاء الاشقاء وتبديد موارد البلدين وطاقاتهما التى كان يجب ان توجه لتنمية ورخاء شعبيهما وللاسهام فى مواجهة المخططات العدوانية والاطماع الأجنبية التى تهدد المنطقة .

ان تطورات هذه الحرب فى هـــذه المنطقة الاستراتيجية البالغة الأهمية من العالم لا يهدد فقط طرفى النزاع،وانما يهدد المنطقة باسرها . واننا اذ نقدر كل التقدير جميع الجهـــود الدوليـــة والاسلامية والعربية التى بذلت لانهاء هذه الحرب وكان آخرها المسعى الذى قامت وماتزال تقوم به دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، لناسف أشد الأسف لعدم نجاحها فى تحقيق هدفها . واننا لنعرب عن تقديرنا لما ابداه العراق من تجاوب مع جهود الوساطة ، ونناشد الدولة المسلمة الجارة ايران ان تحذو حذو العراق ، عملا بتعاليم ديننا الحنيف الذى يدعو للسلام والوئام ونبذ العداوة والخصام ، وتحقيقاً لآمالنا جميعاً فى ان تكون القدرات البشرية والامكانات الاقتصادية التى يتمتع بها العراق وايران مصدر خير لشعبيهما،وشعوب المنطقة والعالم اجمع .

ولما كان استمرار الحرب العراقية الايرانية يهدد السلام والأمن الدوليين ،فان واجب المجتمع الدولى كله ان يبذل مزيداً من الجهود الجادة لوضع حد لهذه الحرب .

السؤال السادس :

● سمو الأمير ، الحديث عن لبنان يثير الحزن والالم فى النفس .. فما هى توقعات سموكم لـــه ؟

الجـــواب :

– لقد تابعت امتنا العربية باشد الاسى احداث لبنان التى استمرت طوال ثمانية اعوام وتطورت الى حرب أهلية الحقت بهذا البلد الشقيق وشعبه العزيز أعظم الاضرار والدمار وعصفت بامنه وسلامه وهزت استقلاله وسيادته . واننا لنرجو ان يكون اتفاق وقف اطلاق النار الذى تم التوصل اليه نهاية للماساة اللبنانية،وفاتحة مرحلة من الحوار اللبنانى الوطنى المسئول لاعادة الوفاق اللبنانى الشامل الى سابق عهده ، فينعم لبنان من جديد

■ مشـروع السـلام العـربي يجسّـد فكـرة السـلام العـادل الشـامل الذي يتطلـع إليه الشـرق الأوسـط

■ الخلاف الذي دَبّ بين الإخوة الفلسطينيين على النحو المؤلم الذي نراه يهدّد وحدتهم التي تشكل قوّتهم في كسب قضيّتهم

بوحدته وترابطه الوطنى ، وأمنه واستقراره اللذين يرتبط بهما أمن واستقرار وطننا العربى الكبير ، ويعود هذا البلد العربى الأصيل سيرته الأولى ركيزة راسخة من ركائز امتنا العربية وعونا لها على الدفاع عن حقوقها وبناء السلام العادل الشامل الذى تنشده للمنطقة والذى يرتهن به السلام العالمى .

وفى هذا المقام ، لابد لي من التنويه بالجهود العظيمة المثابرة الجديرة باعمق التقدير التى بذلها صاحب الجلالة الأخ الملك فهد والتى تم التوصل للاتفاق بفضلها .

وان دولة قطر لتقف مع امتها العربية مطالبـــة بالجلاء الاسرائيلى الفورى عن الاراضى اللبنانية لانهاء العدوان المنكر الذى اقدمت عليه اسرائيل فى العام الماضى بغزو لبنان . وتناشد الأسرة الدولية ، وبخاصة القوى العظمى التى تحمل اكبر مسئولية عن حماية الشرعية الدولية ان تقوم بواجبها لوضع حد لانتهاك اسرائيل الغاشم لاستقلال وسيادة هذا البلد الشقيق .

السؤال السابع :

● مع تطور الأحداث والمواقف هنا وهناك فى منطقة الشرق الأوسط الا زلتم ســـموكم تعتبرون القضية الفلسطينية مشكلة المشاكل فى المنطقة ؟ أم انها باتت تحتل مكانا ثانياً ، أو ربما ثالثاً فى سلم الأولويات العربية التي تحتاج الى حل مُلِحّ ؟

الجـــواب :

ـ القضية الفلسطينية هى القضية العربيـــة المصيرية ، ولقد بات من المسلمات ان المجتمع الدولى كله يجمع على ان هذه القضية هى جوهر الصراع فى الشرق الأوسط ومحور مشكلاته ، وان السبيل الأوحد لانهاء هذا الصراع هو حل هذه القضية حلا عادلا شاملا يعيد للشعب الفلسطيني كامل حقوقه المشروعة ، وفى مقدمتها حقه فى استرداد وطنه المغتصب وحقه فى تقرير مصيره بحرية تامة واقامة دولته المستقلة على أرض هذا الوطن .

بل ان الرأى العام العالمى منعقد على أن استمرار بقاء القضية الفلسطينية دون التوصل الى ذلك الحل يعرض السلام والأمن فى المنطقة وبالتالى السلام والأمن الدوليين لاجسم الاخطار . وقضية هذا شأنها مكانها الطبيعى هو مكان الصدارة فى الأوليات العربية بل الدولية .

واسرائيل تعرف تماماً هذه الحقيقة ، ولذلك تحاول ـ عبثاً ـ تحويل الانتباه عن القضـــية الفلسطينية الى قضايا أخرى كما حدث مثلا فيما اقدمت عليه فى العام الماضى من غزو لبنان . ولاشك ان هذا الغزو يترجم النزعة الاسرائيلية العدوانية ويشكل جزءاً من مخططاتها التوسعية ، ولكنه فى ذات الوقت ينهض دليلا على ان القضـــية الفلسطينية هى لب الصراع فى الشرق الأوسط .

السؤال الثامن :

● مضى عام على تبنى مشروع السلام العربى ومازالت القضية الفلسطينية تراوح فى مكانها .. هل ثمة من وسيلة لاحياء المشروع أو النظر فى مقترحات ســـلمية اخرى ؟ .

الجـــواب :

ـ مشروع السلام العربى مشروع يجسد التوجه العربى الجاد نحو السلام العادل الشامل الذى يتطلع اليه الشرق الأوسط والذى يفقده منذ زمن



بعيد بسبب الممارسات الاسرائيلية العدوانيـــة المنكرة على الحقوق والأراضى العربية . وهو مشروع يستمد حيويته وقوته من الاتفاق العربى الاجماعى عليه،ومن قيامه على أساس من قواعد القانون الدولى واحكام ميثاق الامم المتحـــدة والقرارات التى اصدرتها فى شان القضــــية الفلسطينية ، الأمر الذى اكسبه تاييداً عالميــاً كبيراً .

ومن هذا المنطلق يفتح هذا المشروع الطريق السوى أمام العمل العربى المشترك المثمر على الساحة الدولية للتوصل لانهاء الصراع العربى الاسرائيلى على أسس عادلة منصفة متوازنة ، ولا سيما أن الرأى العام العالمى اصبح يتفهم عدالة تلك القضية ويستوعب الصراع العربى الاسرائيلى وموقف وسلوك طرفيه ازاء الحل السياسى السلمى الذى تصبو اليه الأسرة الانسانية جمعاء .

بيد انه مما يبعث على الأسف الشديد أن الخلافات التى تمزق صفنا العربى جاءت تدعم محاولات اسرائيل الآثمة من اجل تحويل اهتمام العالم عن القضية الفلسطينية وعن مشروعنا العربى لاحلال السلام ولحل هذه القضية الحل العادل الشامل المنشود .نحن فى سباق مصيرى مع قوى الشر التى تتربص بنا . وقد آن الأوان حقاً ان نقيم الدليل على ان مواقفنا عندما يجد الجد هى تلك المواقف المسؤولة التى نضـع بها مصالحنـا القومية المصيرية فوق كل اعتبار وكل خلاف ، وان نعمل بما نؤمن به جميعاً من ان تضامننا هو سبيلنا الى صون تلك المصالح واننا لم نكن احوج لوحدة الصف منا فى هذه الظروف البالغة الدقة التى تمر بها امتنا . وليس هناك محل بتاتاً للنظر فى مقترحات سلمية أخرى ، فمشروع السلام العربى مشروع أجمعنا على الاتفاق عليه، وواجبنا ان نكرس اقصى جهودنا المتضامنة لدعم التاييد الدولى له ومتابعة مساعينا المشتركة لاتخاذه أساساً لاحلال السلام فى المنطقة ، وفقاً لقرارات مؤتمـر فاس .

السؤال التاسع :

● ليس من شك ان الخلافات داخل حركـة المقاومة الفلسطينية تضعف مركز منظمـة التحرير التحرير الفلسطينية وتؤثر سلباً على القضية الفلسطينية على كافة الأصعدة .. فما هو ـ من وجهة نظر قطر ـ الأســلوب الأفضل لتخطي هذه الأزمة ؟

الجـــواب :

ـ طوال نضال الشعب الفلسطيني فى مواجهة العدوان الاسرائيلى الغاشم على وطنه واغتصاب حقوقه المشروعة ، ضرب هذا الشعب الشقيق بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية أروع امثلة الوقوف صفاً واحداً بكل البسالة والشجاعة فى وجه العدو المشترك . وكان تمسكه بوحدته وتضامنه نموذجاً يحتذى به . وانه ليحز فى نفس كل عربى مخلص ان تتبدل امامه الصورة فيرى الخلاف بين المناضلين الاشقاء يصل بهم الى حد ان يقتتلوا فيما بينهم وان يوجهوا سلاحهم الى صدور بعضهم البعض .

ان الخلاف الذى دب بين الأخوة الفلسطينيين على النحو المؤلم الذى نراه يهدد وحدتهم التى تشكل قوتهم ويرتكز عليها كفاحهم فى سبيل كسب قضيتهم التى هى القضية العربية المصيرية الأولى. وليس أخطر من تقويض هذه الوحدة على هـــذا الكفاح . وليس أضر بما كسبه الشعب الفلسطيني من تقدير عالمى لمواصلة نضاله الباسل العادل صفاً واحداً متماسكاً من استمرار ذلك الخلاف.وليس ادعى لوضع حد له من متابعة اسرائيل تنفيذ مخططها العدواني الاستيطاني فى الضفة الغربية وغزة وتماديها فى ارتكاب أعمال القهر والبطش الباغية تحقيقاً لهذا المخطط .

ان الأخطار والأضرار والتحديات الجسام التى يتعرض لها الشعب الفلسطيني والتى تهدد حقوقه الوطنية للضياع تتطلب أول ما تتطلب تضامنه وتلاحمه .

ودولة قطر ، اذ تثق ثقة كاملة فى وطنية الأخوة القادة الفلسطينيين وتقديرهم لمسئوليتهم القومية تضم صوتها الى صوت الأمة العربية جمعاء مناشدة اياهم ان ينهوا خلافاتهم بالحوار الأخوي ، وان يعودوا الى سابق عهدهم مثلا غالياً لوحدة الصف والرأى والعمل ، حفاظاً على ثورتهم وتمكينا لشعبهم العظيم من مواصلة جهاده المقدس فى سبيل استعادة حقوقه المغتصبة واسترداد وطنه السليب ليمارس على أرضه حقه فى تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة .

الدورة الرابعة للمجلس الأعلى
لمجلس التعاون لدول الخليج العربية

قادة مجلس التعاون
بريشة الفنانين القطريين



سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان
رئيس دولة الامارات العربية المتحدة



سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة
أمير دولة البحرين

على هاتين الصفحتين ست لوحات زيتية لقادة دول مجلس التعاون ، رسمها خمسة من الفنانين التشكيليين القطريين وهم : جاسم زينى ، يوسف احمد ، سلمان المالكى ، يوسف الشريف ، عيسى الغانم .. وهى لوحات تؤكد دور الفن التشكيلى فى إرساء وترسيخ مسيرة التقدم فى قطر وتفاعل الفنانيين مع الاحداث الوطنية الهامة فى المنطقة ..

والواقع أن الحركة التشكيلية المعاصرة فى قطر لم تات من منطلق عفوى ـ كما قال جاسم زينى عميد الفنانين التشكيليين ـ ذلك لأن الفن التشكيلى فى قطر له جذوره التاريخية القديمة المرتبطة بالارض والبيئة والتعبير عنها وترجمتها بلغة الشكل ، فاذا كان الفنان القديم قد ابدع فى بناء القوارب وسفن الصيد وصناعة الحلي والسلاحات وزخارف البناء والمباخر وغيرها من منتجات البيئة ، فان الفنان المعاصر يؤكد كل يوم مدى ارتباطه بالتراث والاصالة وحرصه على المساهمة فى كل المناسبات الوطنية ..

والمعروف ان الحركة التشكيلية فى قطر لم تقطع شوطاً بعيداً من عمرها فقد بدات باقامة معرضها الاول منذ عام ١٩٧٣ لتتوالى بعد ذلك المعارض العامة فى الداخل والخارج ..

وقد قامت وزارة الاعلام بتقديم كافة امكانياتها للنهوض التشكيلى ، فشجعت قيام المعارض بصورة مكثفة ، واستقدمت معارض وافدة لفنانين لهم دورهم المؤثر واتاحت الفرصة للراغبين من الهواة للدراسة بالمعاهد الفنية المختلفة ، وشجعت البارزين منهم بتكملة دراساتهم العليا للاستفادة والمعرفة ، وانشات مرسماً حراً لاحتضان الموهوبين والموهوبات فى مجال العمل الفنى وامدتهم بكافة الخامات المتاحة . ورأينا عقب كل ذلك التشجيع ظهور الجمعية القطرية للفنون التشكيلية التى اقامت ثلاثة معارض منذ انشائها ، كان آخرها فى شهر ابريل ١٩٨٣ واشترك فى هذا المعرض ١٥ فنانا وفنانة عبروا عن احاسيسهم من خلال رؤية شفافة ترقى بالنفس وتهفو الى كل ما هو جميل ومبدع .



جلالة الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود
عاهل المملكة العربية السعودية



جلالة السلطان قابوس بن سعيد
سلطان عمان



سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى
أمير دولة قطر



سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح
أمير دولة الكويت

الدورة الرابعة للمجلس الأعلى
لمجلس التعاون لدول الخليج العربية

القضايا الهامة التي ناقشها



لقطة عامة للجلسة الافتتاحية لاجتماعات الدورة الرابعة للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية والتى عقدت فى مدينة الدوحة بدولة قطر

ركز البيان الختامى للدورة الرابعة للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج الذى عقد فى مدينة الدوحة بدولة قطر من ٣ صفر ١٤٠٤ هـ (٧ نوفمبر ١٩٨٣ م) حتى ٥ صفر ١٤٠٤ هـ (٩ نوفمبر ١٩٨٣ م) على عدة قضايا هامة هى :

- الروابط السياسية والاقتصادية بين دول الخليج العربية ..
- التنسيق فى الشئون الدفاعية بين الدول الأعضاء .
- الوضع السياسى فى منطقة الخليج على ضوء الأحداث الجارية ..

وهذا بالاضافة إلى الجهود التى بذلتها الدورة الرابعة لمجلس التعاون فى السعى لانهاء الخلافات العربية ووضع حد للحوادث بشمال لبنان وذلك من خلال الاطلاع على نتائج المشـــاورات والاتصالات التى أجراها وفد مجلس التعاون إلى دمشق الذى ضم كلا من الشيخ أحمد بن سيف آل ثاني وزير الدولة للشئون الخارجية بدولة قطر والشيخ صباح الأحمد الجابر نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ووزير الاعلام بدولة الكويت ، وقد لاقت تلك الخطوة من جانب المجلس ارتياحاً تاماً ، عبر عنه البيان

قادة دول مجلس التعاون في الدوحة



احاديث ومشاورات متبادلة بين اصحاب الجلالة والسمو قادة دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية

الختامى عندما أكد على حرص المجلس على حقن الدم العربى فى اطار المساعى والجهود الحثيثة المبذولة لانهاء الاقتتال المؤسف الجارى على الساحة الفلسطينية ، بغية رأب الصدع والوقوف صفاً واحداً خلف منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى .

وقد تصدرت الروابط السياسية والاقتصادية بين الدول الأعضاء مقدمة البيان الختامى للدورة الرابعة ، حيث اعرب البيان عن ارتياحه للمستوى الذى وصل إليه التعاون بين الدول الأعضاء ، تحقيقاً للمبادىء التى جسدها النظام الأساسى ، كما أشار إلى الخطوات التى تمت فى تحقيق التنسيق السياسى والتشاور المستمر من أجل اتخاذ مواقف موحدة على الصعيد الدولى وكيف أنها قد زادت من صلابة المجلس وكرست أواصر الروابط بين دوله ..

والواقع أن الانجازات البارزة التى حققها مجلس التعاون خلال هذه الفترة القصيرة من عمره ، جعلته يحتل مكانة هامة ، خاصة وأن هذه الانجازات تواكب تطورات الحياة فى المنطقة ،

القضايا الهامة التي ناقشها قادة دول مجلس التعاون في الدوحة



لقاء سمو الامير باخيه جلالة الملك فهد بن عبد العزيز ال سعود عاهل المملكة العربية السعودية



سمو الامير اثناء زيارته لاخيه سمو الشيخ عيسى بن سلمان ال خليفة امير دولة البحرين



مع اخيه سمو الشيخ جابر الاحمد الصباح امير دولة الكويت

وتلبى متطلبات التطور ، وتاخذ فى الاعتبار مصالح الدول الاعضاء وشعوبها ، وتعتمد على الخطوات الثابتة المتانية والدراسات المستفيضة التى تواجه كافة الحقائق وتطرح الحلول على ضوء ظروف المنطقة وامكانياتها الذاتية ..

وقد اعتمد مجلس التعاون ـ منذ انشائه ـ على عدة عوامل اساسية لتوفير النجاح لكل خطواته من اجل تحقيق التعاون الشامل والتكامل المنشود ، ويأتى فى مقدمة هذه العوامل استمرارية اجتماعات لجانه الفرعية فى مختلف أوجه النشاطات وعلى كافة المستويات ، لِتُرفع توصيات هذه اللجان للأمانة العامة التى تبلورها فى بنود جدول اعمال وزراء الخارجية الذى يسبق قمة دول مجلس التعاون الذى يتم فيه اتخاذ القرار ..

وفى البيان الختامى للدورة الرابعة فى الدوحة استعرض المجلس ما تحقق فى تنفيذ الاتفاقية الاقتصادية الموسعة ، وقرر توسيع دائرة النشاطات الاقتصادية التى تسمح لمواطنى دولة عضو بممارستها فى الدول الاعضاء الأخرى وذلك اعتباراً من أول مارس عام ١٩٨٤ ، كما اخذ المجلس علماً حول استكمال الاجراءات الخاصة لمؤسسة الخليج للاستثمار والتى تباشر اعمالها بنهاية شهر نوفمبر ١٩٨٣ .

والمعروف أن المرحلة الأولى من الاتفاقية الاقتصادية الموحدة لدول مجلس التعاون ، بدأت فى أول مارس ١٩٨٣ ، وان المرحلة الثانية من تطبيق الاتفاقية الاقتصادية بدأت فى سبتمبر عام ١٩٨٣ ، وهذه الاتفاقية فى مجملها اطار عام جامع للخطوط الرئيسية لأهداف دول المنطقة فى التكامل الاقتصادى ، وهى فى نفس الوقت اطار مرن للعمل الاقتصادى الخليجى المشترك بما يتفق مع ظروف التخطيط الاقتصادى والاجتماعى والظروف التنموية التى تمر بها الدول الاعضاء بهدف مواكبتها لركب التقدم والنهضة .

اضواء على الاتفاقية الاقتصادية

وتتضمن الاتفاقية الاقتصادية عدة أمور هامة من بينها



من كلمات سمو ولي العهد

الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني

● لا شك ان مؤتمر القمة الرابع لزعماء دول مجلس التعاون الخليجي يمثل خطوة هامة وجديدة على طريق تحقيق الطموحات العزيزة للمجلس والمتمثلة فى ترسيخ التعاون الوثيق والتكامل الحقيقى بين ابناء دوله من اجل ضمان الأمن والاستقرار والرفاهية لمنطقة الخليج بصورة خاصة والمنطقة العربية بصورة شاملة .

● ليس هناك ادنى قدر من الخلاف حول حقيقة ان مجلس التعاون لدول الخليج استطاع خلال الفترة القصيرة التى مضت منذ انشائه فى ٢٥ مايو عام ١٩٨١ م وحتى الآن ان يقطع شوطاً كبيراً على الطريق نحو تحقيق الهدف الاسمى المتمثل فى ارساء دعائم التعاون والتنسيق والتكامل الشامل بين دول المجلس .

وقد شهدت الفترة الماضية من عمر المجلس سلسلة متواصلة من الاجتماعات واللقاءات المبشرة بالخير على مختلف المستويات لتحديد الملامح والأطر المطلوبة للتعاون المنشود والذى يستهدف فى المقام الأول تحقيق الأمن والاستقرار والرفاهية للمنطقة بعيداً عن دوامات الصراعات الدولية واطماع التكتلات الأجنبية .

السماح باستيراد وتصدير المنتجات الزراعية والحيوانية والصناعية بين دول المجلس ووضع حد ادنى للتعرفة الجمركية لدول المجلس تجاه العالم الخارجى .. كما انها تقرر حرية تجارة العبور (الترانزيت) وتعمل على تنسيق السياسات التجارية تجاه العالم الخارجى ، وهذا بالاضافة إلى :

● حريات التملك والارث والانتقال وحركة رؤوس الأموال بين الدول الأعضاء .

● تنسيق خطط التنمية والسياسة البترولية .

● اجراء تنسيق صناعى وتوحيد التشريعات الصناعية فى الدول الأعضاء .

● دعم المشروعات المشتركة والتعاون الفنى والاتفاق على شروط نقل وتطويع التكنولوجيا .

● وضع وتنسيق برامج التدريب والتاهيل وسياسات القوى العاملة .

● معاملة وسائل النقل من مختلف دول المجلس معاملة وسائل النقل الوطنى بما فى ذلك البواخر والسفن والقوارب .

● التعاون فى مجالات النقل البرى والبحرى والاتصالات .

● تنسيق مشاريع البيئة الأساسية .

● توحيد انظمة الاستثمار .

● تنسيق السياسات المالية والنقدية والمصرفية .

● تقديم المعونات الاقتصادية .

وقد تم تنفيذ بنود المرحلة الأولى للاتفاقية الاقتصادية بنجاح كامل ودون اية صعوبات وذلك فى مجالاتها التالية :

● اضفاء صفة وسائل النقل الوطنية على وسائل النقل العائدة لمواطنى دول المجلس دون اية اجراءات سوى تواجد الاستمارة والرخصة ، على ان تكون سارية المفعول .

● منح كافة التسهيلات لمرور بضائع منتجات الدول الست بطريق العبور والاعفاء من كافة الرسوم والضرائب .

● أن يكون النشاط الاقتصادى الذى يبدا بممارسته من قبل مواطنى دول المجلس الطبيعيين والاعتباريين فى المجالات الصناعية والزراعية والثروة الحيوانية والسمكية والمقاولات .

القضايا الهامة التي ناقشها قادة دول مجلس التعاون في الدوحة



الشيخ خالد بن حمد آل ثاني وزير الداخلية اثناء زيارته للأمير سعود الفيصل وزير خارجية المملكة العربية السعودية



الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثانى وزير المالية والبترول فى المؤتمر الصحفى الذى تحدث فيه عن القضايا البترولية والمشروعات المشتركة بين دول مجلس التعاون



الشيخ احمد بن سيف آل ثانى وزير الدولة للشئون الخارجية وإلى جواره عبد الله بشارة الأمين العام لمجلس التعاون اثناء المؤتمر الصحفى مع مندوبى الصحافة العرب والأجانب



عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام القطرى اثنـــاء لقائه بمندوبى الصحافة والاعلام بالمركز الصحفى بفندق الخليج

● فتح باب التسجيل فى دول المجلس لأصحاب مهن الطب والمحاماة والمحاسبة والهندسة بما فى ذلك المكاتب الهندسية والاستشارية الادارية والاقتصادية والفنية والزراعية والسمكية والصناعية ، ويسمح لأصحاب هذه المهن الحاملين لجنسية اى من الدول الاعضاء بممارسة مهنهم فى اى دولة عضو بشرط الحصول على التسجيل والترخيص المطلوبين عادة مما يماثلونهم من مواطنى الدولة العضو المضيفة .

● منح التسهيلات اللازمة للبواخر والسفن والقوارب المملوكة لأى من الدول الاعضاء ومعاملاتها كمثيلاتها الوطنية سواء عند رسوها فى موانئها او مرورها بها .

اما بالنسبة لتنفيذ المرحلة الثانية من الاتفاقية الاقتصادية الموحدة ، وهى التى بدأت مؤخراً منذ حوالى ثلاثة شهور ، فقد تضمنت بنداً واحداً هو وضع حد ادنى لتعرفة جمركية موحدة تطبقها دول المجلس تجاه العالم الخارجى وذلك لحماية المنتجات الوطنية فى مواجهة المنتجات الأجنبية المنافسة ، واتفق على ان يكون الحد الأدنى لهذه التعرفة اربعة فى المائة والأعلى عشرين فى المائة ، مع استثناء بعض السلع الاساسية .

وقد اتخذت الدورة السادسة للجنة الوزارية للتعاون المالى والاقتصادى التى عقدت بالرياض فى ١١ اكتوبر ١٩٨٣ عدة قرارات اقتصادية هامة فى مقدمتها !

● الأخذ بمبدأ المواطنة الخليجية بديلا عن المواطنة المحلية فى الاتفاقية .

● اضفاء الصفة الخليجية على الانتاج الوطنى لأى من الدول الاعضاء .

● فتح مجالات النشاط الاقتصادى للمواطن من أى من دول المجلس دون تحديد .

● فتح الباب للمواطن الخليجى لمزاولة مهنته بدون تحديد فى أية دولة عضو .

كما انه فى نفس هذه الدورة تم اجتماع الجمعية التاسيسية لمؤسسة الخليج للاستثمار لأول مرة ، وعقب هذا الاجتماع تم اعلان قيام المؤسسة برأسمال يبلغ ٢١٠٠ مليون دولار ، توزع حصصها بالتساوى بين الدول الاعضاء ، على ان تسدد الدول الأعضاء ٢٠ فى المائة من رأس مال المؤسسة الجديدة يوم ١٥ نوفمبر ١٩٨٣ فى المصرف المركزى ، وبحيث يبدأ سريان اتفاقية المؤسسة منذ يوم اعلانها وهو يوم ١٢ اكتوبر ١٩٨٣ .

التنسيق الدفاعى

وإذا كان الاقتصاد هو عصب الحياة فى عصرنا الحاضر ، فان مواجهة التحديات المحيطة بالمنطقة وتحويل مبدأ « أمن الخليج مسئولية ابنائه » إلى حقيقة ، اصبح ضرورة لتاكيد الهوية السياسية ، ومن هنا كانت تطورات العمل الدفاعى وفقا لحماية المصالح الذاتية وتحمل مسئولية الأمن الوطنى بكل ما يتطلبه ذلك من تقوية القدرة العسكرية بالاعتماد على الذات ، ومحاولة تطوير بناء القوة العسكرية من مختلف المصادر التى تناسب المنطقة وظروفها ..

ولهذا اضطلع أصحاب الجلالة والسمو قادة دول مجلس التعاون لدول الخليج فى جلستهم الثالثة يوم ٨ نوفمبر ١٩٨٣ على بحث تطورات العمل الدفاعى بين الدول الاعضاء على ضوء تقرير من رئيس اللجنة العسكرية .

وذكر البيان الختامى للدورة الرابعة التى عقدت مؤخراً فى الدوحة أن المجلس قد استعرض ما قطعه التنسيق العسكرى بين دوله تنفيذاً للقرارات التى اتخذت فى الدورة الثالثة التى عقدت فى دولة البحرين فى نوفمبر ١٩٨٢ م والهادفة إلى بناء القــوة الذاتية للدول الاعضاء والتنسيق بينها بما تحقق اعتماد دول المجلس على نفسها فى حماية امنها والحفاظ على استقرارها ، وأعرب عن ارتياحه لما تم انجازه فى هذا المجال

الحرب العراقية الايرانية

وقد جاءت قضية استمرار الحرب العراقية الايرانية وتطوراتها المتلاحقة في مقدمة أولويات اهتمام قادة دول مجلس التعاون في مؤتمرهم الرابع في الدوحة ، حيث جدد القادة مناشدتهم للبلدين المسلمين الجارتين بوقف القتال .

وجاء في البيان الختامي . ان المجلس استعرض الوضع في المنطقة ، وتدارس استمرار الحرب العراقية الايرانية ، واثرذلك على استقرار المنطقة ، واعرب عن أمله في أن يتوصل البلدان الى انهاء الحرب بينهما من اجل حقن دماء الشعبين المسلمين ووقف استنزاف طاقات البلدين الجارين .

كلمات سمو الأمير

وفى الخطابين الهامين اللذين القاهما سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر ، اثناء افتتاح الدورة الرابعة وفى الجلسة الختامية ، تحدث عن اهم القضايا على الساحتين الخليجية والعربية وأهداف وانجازات وتطلعات مجلس التعاون وروح التعاون المخلص والجهود العظيمة التى بذلها القادة وكان لها كل الفضل فى النتائج الهامة لهذه الدورة ..

وفى خطاب افتتاح الدورة عبر سمو الأمير عن اهمية هذا الحدث التاريخى بقوله :

● كم تغمرنى الغبطة بلقائكم اليوم بالدوحة فى هذا الاجتماع الرابع لمجلسنا الذى يتيح لنا فرصة سعيدة نجدد فيها معا ذكرى ذلك الحدث التاريخي الذى حققنا به املا غاليا طالما تطلعت إليه منطقتنا العربية ـ قادة وشعوباً ـ الا وهو قيام هذا المجلس من اجل تنظيم سبل تكامل قدراتنا الطبيعية وطاقاتنا البشرية وصولا إلى ما ننشده من رخاء ومنعة واستقرار ، فى ظل عقيدتنـــا الاسلامية السمحة السامية وقيمنا العربية الرفيعة ..

● لقد كان نهجنا لادراك تكاملنا يقوم على أساس تطوير وسائل هذا التكامل على نحو يشق به طريقه التدريجى إلى اغراضه بما يتلاءم مع واقع ظروفنا وإمكاناتنا . ومرد ذلك إلى اقتناعنا بان ذلك السبيل هو خير ما يكفل لمجلسنا الثبات والدوام والنجاح ..

وتحدث سمو امير البلاد المفدى فى هذا الخطاب عن الظروف التى تتعرض فيها امتنا العربية لاكبر الاخطار التى تتطلب منا جميعاً أول ما تتطلب اعادة بناء تضامننا الشامل لوضع حد لاستمرار العدوان الاسرائيلى الغاشم على حقوقنا واراضينا العربية ، وحل قضايانا المصيرية التى نشات عن هذا العدوان وفى مقدمتها القضية الفلسطينية والقضية اللبنانية بما يحقق اقامة السلام العادل الشامل فى المنطقة الذى ننشده وينشده المجتمع الدولى معنا .. وتحدث ـ كذلك ـ عن وحدة الصف العربى ، والحرب العراقية الايرانية ، وغير ذلك من القضايا الحيوية والهامة .

اما الخطاب الذى القاه سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني فى الجلسة الختامية للدورة فقد تحدث فيه عن القرارات التى اتخذت فى الدورات السابقة والتى ادت إلى خطوات ايجابية كبيرة لدعم سبل التعاون وتجميع الطاقات وتنسيق الامكانات فى شتى المجالات من اجل التوصل إلى التكامل باعتباره السبيل الأمثل إلى تحقيق آمال شعوب المنطقة فى المزيد من التقدم والرخاء فى ظل الأمن والاستقرار وتعزيز القدرة على اداء واجبها ازاء امتنا العربية والاسلامية ..

القضايا الهامة التي ناقشها
قادة دول مجلس التعاون في الدوحة

وعبر عن وطيد ثقته فى ان دعم شعوب المنطقة لمجلس التعاون ، وعزمها على مواصلة المسيرة الجماعية ، سوف يظلان خير كفيل لأن يصبح هذا التكامل فى انسب صوره حقيقة واقعة بعد ان كان املا منشودا .

وفد دولة قطر

والواقع أن الدورة الرابعة للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية التى عقدت فى الدوحة تميزت بدقة التنظيم وحشد كافة الامكانات والجهود الكبيرة التى بذلتها دولة قطر أميرا وحكومة وشعبا ، والتى كان لها اكبر الأثر فى انجاح المؤتمر الذى توصل إلى عدة نتائج هامة ..

وقد تشكل وفد قطر لاجتماعات الدورة الرابعة للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية برئاسة سمو امير البلاد المفدى وعضوية كل من :

- سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى ولى العهد ووزير الدفاع .
- الشيخ خالد بن حمد آل ثانى وزير الداخلية .
- الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثانى وزير المالية والبترول .
- الشيخ احمد بن سيف آل ثانى وزير الدولة للشـــئون الخارجية .
- الدكتور حسن كامل مستشار سمو الأمير .
- السيد عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام والمتحدث الرسمى باسم المؤتمر .

تصريحات القادة

وقد اكدت تصريحات قادة دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ـ منذ وصولهم الى مطار الدوحة ـ اهمية تضافر الجهود كضمان للمسئولية المشتركة وخير المنطقة والأمة العربية والاسلامية والأسرة الدولية ..

- قال سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير دولة البحرين ان انعقاد الدورة الرابعة للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية فى دولة قطر يعتبر حدثا تاريخيا هاما وخطوة اساسية فى مضمار العمل الخليجى ، سيكون لها مردودها الايجابى المثمر على مستقبل هذه المنطقة وابنائها ..

وتحدث عن المكتسبات التى تحققت عنه خلال الدورات الثلاث السابقة سياسيا واقتصاديا ودفاعيا من اجل تامين مستقبل الأجيال القادمة ، واعرب عن ثقته المطلقة بالنتائج الايجابية التى ستتحقق بفضل ما هيىء لهذه الاجتماعات من جهد واعداد ممتاز لدفع عجلة التعاون خطوة جديدة إلى الأمام .

- وقال سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولـة الامارات العربية المتحدة إن ما تم التوصل إليه حتى الآن فيما يتعلق بمجلس التعاون يعتبر مؤشر خير يدعو إلى التفاؤل بمستقبل مشرق ويعد نموذجا يحتذى به فى المناطق الاخرى ، وان القيمة الحقيقية لمجلس التعاون هى انه تتويج للجهود المبذولة فى التنسيق بين دول المنطقة ، لاننا فى الخليج اعضاء فى الجسم الكبير وهو الوطن العربى ، نقوى به ويقوى بنا ..

وقال الشيخ زايد ان اجتماعنا ياتى فى وقت نحن فيه اشد حاجة الى التنسيق والتعاون وفق خطط مدروسة وجادة لمواجهة التحديات التى تحيط بالمنطقة ولتحقيق امانى وطموحات شعوبها مما يمكنها من القيام بدورها فى خدمة الأمة العربية والاسلامية والاسهام فى صون امن وسلام العالم اجمع .

- وقال جلالة السلطان قابوس بن سعيد سلطان عمان ، إن مسار التعاون بين دول المجلس فى الأعوام الماضية وما تحقق خلالها من انجازات يدعونا اليوم لأخذ الحيطة من سرعة القرارات حتى يستمر عملنا الجماعى فى نمو طبيعى نحو تحقيق أهداف المجلس الأعلى التى اعتمدناها خلال مؤتمرنا الأول عام ١٩٨١ م ..

واكد على أن الواجب يدعونا اليوم إلى أن تكون قراراتنا وتطلعاتنا فى مستوى الأحداث التى تحيط بنا لتجنب منطقتنا وابنائنا ويلات الصراعات الاقليمية والدولية ..

وقال إن قمة الدوحة برعاية سمو الأخ الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير دولة قطر الشقيقة سوف تكون اضافة جديدة فى مسيرة التعاون الخليجى المشترك .

- وقال جلالة الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود عاهل المملكة العربية السعودية ، إن قيام مجلس التعاون جاء فى المقام الأول تلبية لآمال وطموحات وتطلعات هذه الشعوب واستجابة لرغباتها وميولها الحقيقية نحو التعاون والتكاتف والتعاضد كما جاء تجسيدا للروابط الأخوية الحميمة التى تربط بين دولنا وتضرب بجذورها فى أعماق تاريخ المنطقة حيث وحدتنا العقيدة الاسلامية السامية التى ندين بها جميعا والتى حفظت لنا شخصيتنا وهويتنا وتميزنا .. كمـا جمعتنا اصول واحدة رسخت روح التعاون والمودة والاخاء بيننا .

وقال ان الظروف المشتركة التى عايشتها ومازالت تعايشها دول وشعوب المنطقة كانت هى الدافع الى انشاء هذا الكيان الخليجى الذى يجمعنا الآن بهدف تنظيم شئون المنطقة وترتيب البيت الخليجى بصورة افضل مما يجعل الآمال المعقودة على مجلس التعاون عظيمة عظم الرسالة المنوطة بالمجلس قيادات ومسئولين واجهزة .

واضاف قائلا انه مما لاشك فيه ان الفترة التى انقضت على تاسيس المجلس تعتبر وجيزة فى عمر الدول ومع ذلك فقد استطاع تحقيق الكثير من الانجازات التى تذكر على مختلف محاور العمل وعلى مختلف الاتجاهات .

ولعل مما يزيد من أهمية هذا اللقاء الذى يجمعنا فى رحاب الشقيقة قطر اننا لازلنا نجد نفس التحديات والصعوبات مما يستلزم تضافر الجهود وتكامل الامكانيات وشمولية الاعداد لنضمن لمنطقتنا حريتها واستقلالها ولشعوبنا امنها واستقرارها وتقدمها ورفاهيتها ولامتنا المجيدة عزتها ومنعتها مما يجعلنا نقبل على هذا اللقاء بروح متفائلة بانه سيكون لقاء خير وبركة إن شاء الله .

- وقال سمو الشيخ جابر الاحمد الصباح أمير دولة الكويت فى الكلمة التى القاها فى ختام قمة الدوحة :

يشرفنى ويسعدنى ان أعرب باسكم جميعا عن عميق الشكر

والتقدير لسمو الأخ الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير دولة قطر ورئيس الدورة الحالية للمجلس الأعلى لمجلس التعاون ولشعبه وحكومته بما شملونا به من عناية ولما لمسناه من مشاعر اخوية فياضة طوال تواجدنا فى هذا البلد العربى الاصيل .

ولقد بذلتم يا سمو الأخ كل ما فى طاقتكم لجعل هذا الاجتماع ليس ناجحاً وموفقاً فحسب بل ليكون لقاء اخويا بكل ما تحمله كلمة الأخوة من معان وأحاسيس .

وهكذا قمنا جميعاً بوضع لبنة متماسكة اخرى فى صرح التعاون بيننا .. هذا التعاون الذى سيجعل من بلداننا وشعوبنا وحدة نعمل باهداف سامية خيرة لابنائنا من الجيل الحاضر والأجيال القادمة ولخير البشرية جمعاء .

واننا وان كنا بحمد الله كتلة موحدة فى العقيدة والفكر والخلق .. فقد بدانا بتوفيق من عنده سبحانه وتعالى بترجمة هذه المفاهيم الى عمل موحد تدفعنا النوايا المخلصة والأهداف والأمال والتطلعات المشتركة للشعور الصادق باننا سواء فى السراء والضراء .

وقال : إن لقاءات واجتماعات المجلس الأعلى لمجلس التعاون بدات تتخذ طابعاً مميزاً فى منطقتنا هذه .. فقد اصبح رمزاً للترابط والتماسك والمصير الواحد .. وتولد شعور لدى المواطن فى بلدان مجلس التعاون بانه جزء لا يتجزأ من مجموعة متناسقة وانه على المستوى الفردى مستعد ان يشارك فى اى جهد لتعضيد هذا الشعور وترسيخه فكراً وعملا .

ان اخوتكم فى الكويت يتطلعون الى تشريفكم وطنكم الثانى فى الدورة المقبلة فى مثل هذا الشهر من العام القادم لكى تتيحوا لهم فرصة ينتظرونها للتعبير لكم عن أصدق مشاعر الاخوة ومن خلالكم لشعوبكم الشقيقة عن اصفى ما فى نفوسهم من مودة ومحبة ورغبة اكيدة للمزيد من التعاون والتلاحم .

المؤتمرات الصحفية

وقد عقد الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثانى وزير المالية والبترول فى قطر مؤتمراً صحفياً قبل يوم واحد من انعقاد الدورة الرابعة لدول مجلس التعاون حضره مندوبو الصحف ومراسلو وكالات الأنباء العربية والأجنبية . وتحدث فى هذا المؤتمر عن القضايا البترولية والمشاريع المشتركة بين دول مجلس التعاون وعن عدد من المسائل التى تهم المنطقة .. وتناول فى هذا المؤتمر موضوع التنسيق بين دول مجلس التعاون فى مجال الصناعات المشتركة موضحاً انه قائم حالياً ويتمثل فى العديد من المشاريع ، كما تحدث عن بحث انشاء بنك خليجى مشترك ، وامله فى ان يتم انشاء مصفاة مشتركة للبترول فى سلطنة عمان وتاييده للاقتراح العمانى بمد خط انابيب نفط الى بحر العرب عبر أراضى السلطنة .

وفى هذا المؤتمر تحدث عن وضع السوق النفطية العالمية حالياً ، وانتاج النفط فى قطر ، ومضيق هرمز ، وغير ذلك من الموضوعات الحيوية التى تهم المنطقة ..

وعقد الشيخ احمد بن سيف آل ثانى وزير الدولة للشئون الخارجية فى قطر مؤتمرين صحفيين : الاول فى يوم ٣ ـ ١١ ـ ١٩٨٣ ناقش فيه مع الصحفيين المجتمعين مهمة المجلس الوزارى فى رفع التوصيات الى المجلس الاعلى فى القضايا التى تهم دول مجلس التعاون .. والمؤتمر الثانى عقب انتهاء الجلسة الختامية يوم ٩ نوفمبر ١٩٨٣ وشارك فيه الامين العام لمجلس التعاون عبد الله يعقوب بشارة ، والأمين العام المساعد للشؤون الاقتصادية الدكتور عبد الله القويز ..

وفى هذا المؤتمر تحدث وزير الدولة للشؤون الخارجية عن الخطوات التى ستبذل بعد القمة من اجل تثبيت وقف اطلاق النار فى شمال لبنان ، وعن كافة الاجراءات التى اتخذت لحقن الدماء بين الاخوة الأشقاء الفلسطينيين ، وعن الموضوعات الاقتصادية التى كانت مطروحة على المؤتمر والتى قال انه قد تم الموافقة عليها جميعاً ، والتعاون الأمنى الخليجى ، والحرب العراقية الايرانية ، وغير ذلك من القضايا العربية والخليجية الهامة ..

وفى المؤتمر الصحفى الذى عقده عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام فى قطر والمتحدث الرسمى باسم مؤتمر القمة الرابع ، اكد على أن الدورة الرابعة للمجلس الاعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية تاتى لتعطى دفعة جديدة الى الأمام لمتابعة المسيرة المباركة المشتركة ولتحقيق المزيد من التعاون والتكامل بين دول المجلس ، مشيراً الى الهدف من انشاء المجلس ، وحجم الانجاز الذى تحقق .. وقال إن ضمان الأمن والاستقرار فى الخليج مرتبط بتحقيق السلام فى الشرق الأوسط من خلال ايجاد حل عادل ودائم لجوهر الأزمة وهى القضية الفلسطينية .. وتناول عدة قضايا هامة أثناء رده على الصحفيين اهمها موقف مجلس التعاون من الحرب العراقية الايرانية وتطورات الاحداث فى الساحة الفلسطينية والعربية وغير ذلك من الموضوعات التى تهم المنطقة ..

أما المؤتمر الصحفى الذى عقده عبد الله بشارة الأمين العام لمجلس التعاون ، فقد اجاب فيه على كافة استفسارات الصحفيين حول أهم القضايا التى ناقشها المجلس الوزارى لمجلس التعاون والتوصيات التى رفعها للمجلس الاعلى ..

وفى هذا المؤتمر الذى شارك فيه ابراهيم الصبحى الامين العام المساعد للشئون السياسية والدكتور عبد الله القويز الامين العام المساعد للشئون الاقتصادية بالمجلس ، قال إنه رفعت للقمة عدة توصيات حول التعاون الأمنى والعسكرى ، كما اكد ان مضيق هرمز مياه دولية تحكمها اتفاقيات دولية ، ورحب بقرار مجلس الأمن الأخير لوقف الحرب العراقية الايرانية ، واشار الى ضرورة مواكبة الأمن للازدهار الاقتصادى .. وتطرق المؤتمر الصحفى لموضوعات عديدة من بينها الوحدة الاقتصادية بين دول المجلس ، والاتجاه نحو خلق برنامج للتعاون الدفاعى ، وتحقيق التنسيق السياسى بين الدول الاعضاء ، والسياسة الصناعية ، واتفاق مرور البضائع ، ومشروعات الأمن الغذائى ..

ومن كل ذلك وغيره ندرك مدى ما حققته الدورة الرابعة لدول مجلس التعاون ، من انجازات على المستوى السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى المسيرة التعاونية التى ستؤدى الى مزيد من الانجازات المباركة ومزيد من التلاقى والتعاون والتلاحم والمصير المشترك الواحد .

وزير الإعلام القطري:

ضمان الأمن والاستقرار في الخليج مرتبط بتحقيق السلام في الشرق الأوسط

قبل بداية المؤتمر الصحفى الذى عقده عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام بدولة قطر ، وحضره عدد كبير من مندوبى الصحافة واجهزة الاعلام العربية والأجنبية،القى وزير الاعلام هذه الكلمة التى تحدث فيها عن الهدف من إنشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية وانعقاد المؤتمر فى ظروف بالغة الدقة وارتباط امن الخليج بتحقيق السلام فى الشرق الأوسط وغير ذلك من القضايا الخليجية والعربية التى تهم دول المنطقة :

يسعدنى ان ارحب بكم اجمل ترحيب فى بلدكم الثانى قطر ، متمنياً لكم التوفيق فى مهمتكم ، وأملا ان يكون ما وفرته دولة قطر من تسهيلات عوناً لكم فى إداء عملكم الذى نرجو ان يكون على الدوام عامل خير فى تبديد الغيوم من سماء الامة العربية وتعزيز روابط الوئام والمودة والاخوة بين ابنائها .

ان هذا المؤتمر ياتى ليعطى دفعة جديدة الى الامام لمتابعة المسيرة المباركة المشتركة فى سبيل تحقيق المزيد من التعاون والتكامل بين دول مجلس التعاون ولبلوغ النهضة الشاملة التى تكفل لدول المنطقة المزيد من الأزدهار والأمن والاستقرار ، هذه الدول التى ترتبط باوثق روابط الاخوة الحميمة ويجمع بين شعوبها اقوى اواصر التراحم والقربى .

لقد كان الهدف من انشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية هو ان يكون اداة لتحقيق التكامل الشامل المطلوب فى شتى المجالات والذى تنشده شعوب المنطقة ، هذا التكامل الذى سيمكننا من اداء واجبها تجاه امتنا العربية والاسلامية والتى هى جزء لا يتجزا منها .

وانه لمن دواعى الاعتزاز ان يكون اصحاب الجلالة والسمو قادة المجلس قد وفقوا فى مؤتمرات قمة الخليج الثلاث السابقة التى عقدت فى ابو ظبى والرياض والمنامة الى اتخاذ خطوات كبيرة شملت شتى المجالات وبدأت تاخذ طريقها الى التنفيذ الفعلى مما يجعل من تحقيق التكامل الشامل الذى اشرت اليه حقيقة واقعة تؤكد الأهمية البالغة للعمل الجماعى الجاد المثمر .

ان مؤتمر قمة الدوحة ينعقد ، كما تعلمون ، فى ظل ظروف بالغة الدقة تمر بها الأمة العربية تستدعى منا تكثيف الجهود والمساعى لتحقيق التضامن العربى المطلوب حفاظاً على تكاتف وتلاحم الأمة العربية من اجل الدفاع عن كيانها واستقلالها ومستقبلها ، وفى هذا الاطار يكتسب اجتماع الدوحة اهمية خاصة .

ولعل اكثر ظرف دقيق تمر به المنطقة هو الحرب المستمرة بين الجارتين المسلمتين العراق وايران والتى دخلت عامها الرابع ، ولما كانت دول مجلس التعاون لا ترى فى الحرب سبيلا لتسوية المشكلات والخلافات بين الدول ، فقد عملت ولا تزال تعمل على دعم كل جهد سلمى لانهاء هذا النزاع ، كما اسهمت بدورها بمسعى مباشر على هذا الدرب ولا تزال على استعداد للمساهمة فى انجاح اى مبادرات سلمية للوصول الى ذلك الهدف انطلاقاً من



عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام القطرى يلقى كلمته فى المؤتمر الصحفى الذى اقيم فى المركز الصحفى بالشيراتون

قناعة اثبتتها الايام بان استمرار القتال فضلا عما يستنزفه من طاقات البلدين فانه يشكل تهديداً خطيراً لامن واستقرار الخليج بل العالم اجمع ولا يخدم فى النهاية سوى مصلحة العدو الصهيونى المشترك .

وتؤمن دول مجلس التعاون بان المحافظة على استقرار هذه المنطقة الحيوية يقتضى ايضاً إبقاءها بمناى عن صراعات ومنافسات القوى الكبرى ، وبان حماية امنها ومصالحها هما مسؤولية دولها وشعوبها بالدرجة الاولى والاخيرة بل هما جزء لا يتجزا من حقوق سيادتها ، وما مجلس التعاون الا تجسيد للاحساس بهذه المسؤولية وممارستها .

على أن ضمان الامن والاستقرار فى الخليج مرتبط بتحقيق السلام فى الشرق الاوسط من خلال ايجاد حل عادل ودائم لجوهر الأزمة وهى القضية الفلسطينية، يكفل للشعب الفلسطيني حقوقه الوطنية المشروعة فى تقرير المصير واقامة دولة مستقلة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية على ترابه الوطنى ، وفى هذا الصدد نجدد التزامنا بمشروع السلام العربى الذى اقرته قمة فاس والذى نعتبره الصيغة العملية الوحيدة لاشاعة السلام والاستقرار فى الشرق الاوسط . واننا نعتقد ان اى مسعى لاخراج المشروع الى حيز التنفيذ يتطلب ممارسة ضغط على اسرائيل من قبل المجتمع الدولى ، وخاصة القوى الكبرى .

وان دول مجلس التعاون وسائر الاقطار العربية ترى ان المفتاح الرئيسى لتسوية الأزمة اللبنانية يكمن فى انسحاب اسرائيل الكامل والفورى من لبنان ، لان غزوها للبلد الشقيق واستمرار وجودها العسكرى فى اراضيه كان ولا يزال السبب الأساسى فيما عاناه ويعانيه من تمزق وانقسام ودمار .

واننا نؤمن ان الخطوة الاولى لتحرير الارض اللبنانية هى فى اتفاق كلمة اللبنانيين على اختلاف مذاهبهم وفئاتهم ، على اعادة توحيد وبناء وطنهم وفق ما يجمعون عليه من خلال حوار المصالحة الوطنية الذى بداوا السير على دربه فى سبيل الوصول الى الوفاق الوطنى المنشود الذى سيحقق الامن والاستقرار المطلوبين بفضل المساعى الحميدة التى بذلتها المملكة العربية السعودية الشقيقة والتى هى موضع تقدير الجميع .

واننا نامل فى ان يكون الحوار ايضاً هو سبيل الاخوة الفلسطينيين الى تسوية خلافاتهم للمحافظة على مؤسساتهم وفى مقدمتها منظمة التحرير الفلسطينية لتواصل النضال من اجل بلوغ غايات الشعب الفلسطينى الشقيق فى التحرير والعودة .

هذا ما اردت التاكيد عليه من نقاط مهمة ، والله تعالى اسال أن يكتب النجاح لهذا المؤتمر فى تحقيق الآمال الكبار المعقودة عليه .

مَجْمَــــع الخـــــير



شــعر:
مبارك بن سيف آل ثـــاني

يــا سائــلاً عــن ريــاضِ الخَيــرِ والمَطَــرِ
هــذا القَــريضُ وروضُ الشِّعــرِ من قَطَــرِ

رأتْ قلـــوبٌ لنـــا الأنـــوارَ باسمـــةً
لا مِثْـــلَ نـــورِ شمـــوسِ الليـــلِ والقمـــرِ

فتـــلكَ منَّـــا شمـــوسٌ ليس نَجهَلُهـــا
وذاكَ نـــــورٌ هَفَـــا للرُّوحِ والبَصـــرِ

عَرفتُهـــا ، إنَّهـــا الآمـــالُ قـــد وَجَـــدتْ
نـــورَ الصَّـــوابِ ، فنـــاداها ألا اعتَمِري

بِتــــاجِ مَـجدِكِ إنـــا السّابقـــونَ إلَـــى
مَنـــاهـــلِ المجدِ لا قُلنـــا لهـــا : انتظِري

أضـــاءَ شـــطُّ الخليـــجِ اليومَ جَمعُكُـمُ
وقـــد رَعَتْـــكُمُ عـــينُ الحقِّ والقَـــدَرِ

وَهَـــلَّ غيـثٌ لـــه الآمـــالُ رانيـــةٌ
عطشَى وكَـــمْ سـأَلتْ عن هاطلِ المطـــرِ

تـــريـــدُ وَسْمـــاً لهـــا لا مَوْسِمـــاً وكَـــفي
فأبشِـــري بِغَـــدٍ يَختـــالُ بالظَّفـــرِ

والنّـــاسُ بالعَينِ والأَسـماعِ عالمـــةٌ
نـــارٌ عـــلى عَلَـــمٍ أجْـلَى إلَى النَّظَـــرِ

هـــذا خليـــجي نشيـــدٌ قصَّـــةٌ هَتَفتْ
تُضـــيءُ بالأَمْـسِ والتّـــاريخِ والسِّيَـــرِ

تَحــكي لنــا قصّــةَ الأيّــام أنَّ بِهـا

نــورَ الحضـارةِ والأحــلام والفِكرِ

تــلك الرّمــالُ مـع الأمــواجِ صاغيةٌ

تَــرَي اليقــينَ هنــا بالعيــنِ لا الخَبرِ

يـــا مَجمـعَ الخيـرِ هــذا الجَمـعُ مبعثُهُ

صِــدقُ المحبّــةِ يــا أيّــامَنــا انتَظِري

جــاءوا إليــكِ بــآمالٍ مُســرَّجــةٍ

فكم لهــم في جبيــنِ الدّهــرِ مــن غُـرَرِ

مِـــن الرّيــاضِ فيــا سَعْدَ الرّياضِ بهمْ

تَحُفُّهــمْ رايــةُ الأمجــادِ والظّفــرِ

مِــنَ المنـامةِ جــاءُوا والقلــوبُ هدًى

كَنــورِ بــدرٍ بَــدا في أكمـلِ الصُّـوَرِ

مِــنَ الإمــاراتِ يا لَلّــهِ دَرُّهُــمُ

عِقــدٌ نضيــدٌ ، وكـم في العِقدِ من عِبَرِ

مـن الكـويتِ أتَــوْا أهــلاً بِجِيرتِنا

مـن الكــويتِ أتــوْا في موكِب نَصِــرِ

مــن مَسْقَــطِ الخيـرِ مـن مُخْضَرٍ مرْبَعِها

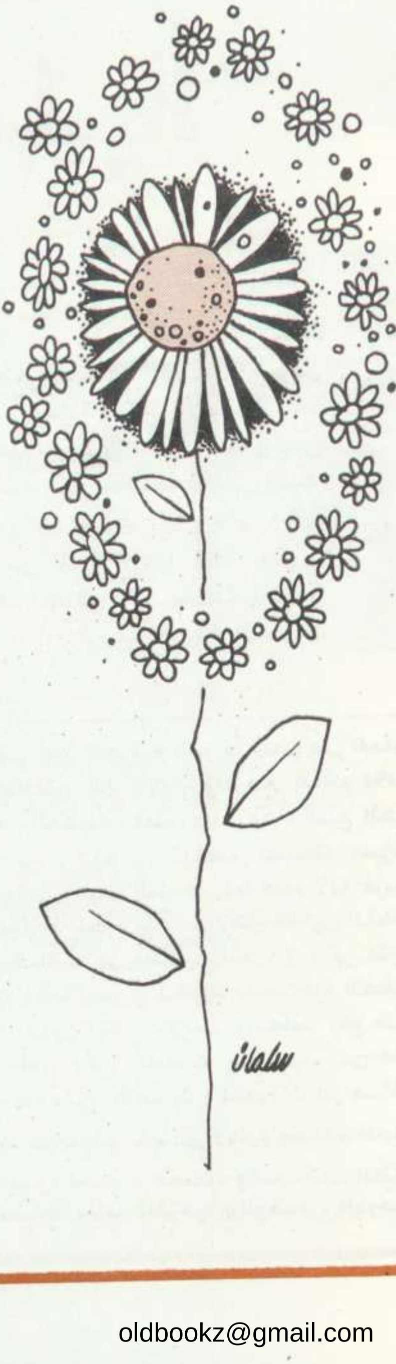
جــاءُوا إلينــا ومجــدَ البحـرِ والسَّفَرِ

هـــمُ العقــولُ هنــا في دوحــةٍ وَرَفَــتْ

يــا دوحــةً ظِلُّهـا عــزٌ لمؤتَمَــرِ

غــداً سيذكُــرُكمْ تــاريـخُ أُمّتِنــا

يــا أُمّــتي قــدْ أهَــلَّ الخَيرُ فافْتَخِـري



الدورة الرابعة للمجلس الأعلى
لمجلس التعاون لدول الخليج العربية

ندوة فكرية بالغة الأهمية:

حول قضايا التعاون وآفاقه وتصوراته المستقبلية

ما هو الاطار الفكرى الذى يجب أن تبحث منطقة الخليج قضاياها من خلاله ؟ .. وكيف يتم التصدى لاعادة صياغة الحياة على هذه الأرض فى عصر التحديات والتجمعات الكبرى ضمن اطار جماعى مشترك ؟ .. وما هى القضايا الحيوية والجديرة بالبحث فى هذه المرحلة الهامة من مسيرة التعاون ؟ .. ولماذا لاتبادر الأمانة العامة لمجلس التعاون بعمل اتصالات بين الأدباء ورجال الفكر والفنانين فى دول مجلس التعاون ؟ .. كل ذلك وغيره طرحته ندوة « الفكر الخليجى حول قضايا التعاون وآفاقه وتصوراته المستقبلية » .. وهى الندوة التى أعدها للتليفزيون القطرى الدكتور محمد جابر الأنصارى .. واقام بينه وبين المشاركين فى الندوة حواراً على جانب بالغ من الاهمية .. وهذه هى الحلقة الأولى من الندوة التى شارك فيها كل من السادة: عبد الله يعقوب بشارة الأمين العام لمجلس التعاون ، وابراهيم الصبحى الأمين العام المساعد للشئون السياسية لمجلس التعاون ، والدكتور علي حميدان مدير الادارة القانونية والدراسات بوزارة الخارجية بدولة الامارات العربية المتحدة ، والدكتور حسن نعمة سفير دولة قطر فى الهند .

د . محمد جابر الأنصارى : لم اجد انسب من القول التالى لافتتاح هذه الندوة « لو كان العالم دائرة مسطحة وكان المرء يبحث عن مركزها لكان هناك سبب جيد للقول بان المركز هو الخليج ، فما من مكان مثله فى العالم تتلاقى فيه المصالح الكونية وما من منطقة مثله مركزية بالنسبة لاستمرار صحة اقتصاد العالم واستقراره » .

هذا القول على اهميته ، يعبر عن بعد واحد من ابعاد الاهمية المتميزة لهذه المنطقة وهو البعد المعاصر الخاص بالحاضر والمستقبل .

ان المنطقة التى كانت نقطة عبور على طريق الهند قد اصبحت اليوم منعطف الطرق العالمية الى تقرير مصير التوازن الدولى ، أما البعد الثانى فهو حقيقة كون الخليج مهدا لواحدة من اقدم الحضارات الانسانية فى العالم والتى تميزت بالانفتاح على الآخرين والتواصل معهم منذ عهود بابل والسند .

أما الاهم من ذلك فهو كون الجزيرة العربية التى هى العمق الاستراتيجى الواقى للخليج المهد الاول والمرجع الدائم للأمة العربية ولحركة الاسلام العظيمة . فهنا الأصل وهنا النبع الحى

بين هـذين البعدين ، البعـد المعاصر للمنطقة كميزان استراتيجى للتوازن الدولى والبعد التاريخى لها كمهد لأمة عربية كبيرة ولحضارة اسلامية شاسعة ، يتحدد الاطار الفكرى الشامل الذى يجب ان نبحث قضايانا فى نطاقه ، فنحن لا نذكر هذين البعدين للتباهى بهما ، وانما لتعميق شعورنا بالمسئولية العملية المباشرة . فبين هذين البعدين البعد التاريخى والمعاصر يقع عبء مصيرى بغير حدود على عاتق القيادات والشعوب فى هذه المنطقة كما هو واضح من مغزى الاحداث والتحديات الراهنة .

ويزداد عبء المسئولية عندما يتم التصدى لاعادة صياغة الحياة على هذه الارض فى عصر التحديات الصعبة والتجمعات الكبرى ضمن إطار جماعى مشترك يهدف للتوحيد والوحدة ، التوحيد



عبد الله يعقوب بشارة



ابراهيم الصبحى



د . علي حميدان



د . حسن نعمة



د . محمد جابر الانصارى

الذى كان المثل الأعلى لهذه الأرض منذ وجدت برغم التجزئة .

ولجسامة المهمة ووعورة الطريق وكثرة الطامعين وضغط الزمن ، تتسابق كافة الانجازات وكافة التحـديات ، وتتزامن المكاسب والمحاذير ، ويترافق الأمل مع الخشية فيشتد التجاذب بين الممكن وبين المطلوب ، بين ما هو كائن وما يجب أن يكون .

لذا فان التقييم الفكرى الشامل والمتوازن والمنصف لمسيرة التعاون بين دول الخليج العربية يتطلب رؤية متوازنة لجانبى الحقيقة ، ووجهى الصورة ، بحيث نضع عيناً على قائمة المنجزات والمكاسب ، ونضع عينا اخرى على ناحيـــة المحاذير والنواقص والتحديات بكل ابعادها ، دون اى تجاهل أو إغفال . وذلك لنتمكن فى النهاية من الرؤية الواضحة وبالعمل والارادة من تغليب الايجابيات على ما عداها .

وفى تصورى أن هناك خمسة ابعاد لطرح موضوع التعاون كموضوع شامل ، هذه الأبعاد هى : البعد الاستراتيجى بمختلف جوانبه .

ثانياً : البعد الاقتصادى . ثالثاً : البعد الاجتماعى . رابعاً البعد التعليمى التربوى وخامساً : البعد الثقافى والتوجيهى العام .

وهذه الأبعاد متداخلة ومتشابكة ، ولا ينفصل احدها عن الآخر وكل قضـــية نطرحهـــا يتداخل فيهـــا بعدان او اكثر من هذه الأبعاد . ونامل ان يعالج الاخوة المشاركون فى هذه الندوة ، كل من زاويته وبمنهج واقعى ، القضية او القضـــــايا التى يرونها حيوية وجديرة بالبحث فى هذه المرحلة بالذات من مسيرة التعاون .

نبدأ بالأستاذ عبد الله بشارة . استاذ عبد الله : ما هو فى رأيك الأمر الرئيسى أو الهم الرئيسى الذى يجب أن يطرح وتلفت له الأنظار وينبه له الرأى العام فى هذه المرحلة بالذات من مسيرة التعاون الخليجى ؟

عبد الله بشارة :

الحقيقة انك فى المقدمة التى ذكرتها تطرقت الى ناحية هامة جداً ، وهى البعد الاستراتيجى . ما هو المقصود بالبعد الاستراتيجى ؟ البعد الاستراتيجى معناه انه اذا لم ينهض أهل الخليج بمسئولياتهم فى المحافظة على امنهم واستقلالهم فان هناك متطوعين موجودين فى هذه الأرض مستعدين لعمل شئ ما فى الخليج للمحافظة على ما يتصورونه امن المنطقة ولكن وفق مصالحهم ومنظورهم . وبالتالى فان ادراك اهل الخليج لهذه النقطة الحساسة يخفف من التبعات التى نتحملها فى الأمانة العامة وهى تبعات الشرح والتثقيف والحوار مع الرأى العام ..

لقد تنبه لهذا الأمر الهام أصحاب الجلالة والسمو منذ المؤتمر الأول ، وقالوا إن أمن الخليج واستقلال دول الخليج والمحافظة على سيادتها مرهون بابنائها وبالتالى فلابد من بناء قوة ذاتية خليجية صميمة تتحمل هذه المسئولية المصيرية ، فضلا عن

ندوة
الفكر الخليجي

● نريد رأياً عاماً يحاورنا ويحقق معنا "على طريقة الشرطة"

عبد الله بشارة

● ظهور مجلس التعاون رافقته ظواهر اتحادية وتوحيدية أخرى في الوطن العربي

د. محمد جابر الأنصاري

● نحن بحاجة إلى عمل لإخراج المواطن الخليجي من السلبية وتشجيعه على المشاركة في اتخاذ القرار

د. علي حميدان

أساليب نحن نتبعها ومنها الأسلوب الدبلوماسى وأساليب الحوار التى اعتادها الخليج وبذخ فيها .

إننى لا اتصور بان هناك امراً ملحاً الآن فى هذه الظروف اكثر من أمن الخليج ، ونحن نرى فى الأفق كثيراً من السحب وكثيراً من المؤشرات التى لا تتفق مع ما نريده فى الخليج . نحن نريد الامن والاستقرار ، نريد إبعاد القوى الأجنبية عن مياه الخليج لا نريد من احد خارج الخليج أن يتدخل فى شئون الخليج ، ونقول بان مسئولية المحافظة على أمن الخليج والمياه الاقليمية فى الخليج وماله من خصائص ، وهذه كلها امور مرهونة باهل الخليج .. هذا بعد يجب أن يدركه اهل الخليج . وادراكه لا يعنى الادارك الاكاديمى ، فنحن نريد فى الحقيقة الالتحام بقضايا الامن لكى ننهض بهذه المسئولية .

فى مؤتمر القمة الثانى فى الرياض بدانا نتحمل مسئوليتنا فى الأمانة العامة وفى الدول الأعضاء باجراء مسح حول امكانيات التعاون للنهوض بهذه المسئولية ، ولكى نفى بالعهد الذى قطعناه والذى يتلخص فى ان المحافظة على امن الخليج مسئولية ابنائه ، ومنذ مؤتمر نوفمبر ١٩٨١ فى الرياض - مؤتمر القمة الثانى - الى هذه الفترة أى حوالى عامين ، استطعنا أن نقطع شوطاً لا بأس به ، لكننا قطعناه بنوع من الاجتهاد بيننا وبين الدول . فانا كمسئول فى الأمانة العامة أريد ان يتقبل اهل الخليج تبعات هذا العمل ، وان يتقبلوا التضحية التى يتطلبها ، مادياً ونفسياً مع الالتحام بكل التبعات التى يتطلبها هذا الالتحام . انا استطيع ان اقول إن هذه النقطة هامة جداً ، ويجب ان تطرح على بساط البحث فى امانة ونحن نمر فى وسط العواصف التى لا نعرف كيف تنتهى إن لم نقف على اقدامنا بصلابة وبثقة وبقوة . فهذا هو التحدى الأول .

د . محمد جابر الانصارى :

الشىء الأساسى ، يعنى كما تفضلت فى هذا المفهوم الموضوعى الجوهرى هوتنمية القوة الذاتية ، والقوة الذاتية لها مفاهيم متعددة فى هذا العصر ، فهل ممكن بعض عناصر القوة الذاتية المطلوب تنميتها فى هذا المجال ؟

عبد الله بشارة :

والله انا بكل صراحة اقول إنه لابد من ان تتوفر لنا قوة عسكرية واحدة ، بقيادة واحدة ، باشراف واحد ، لا استطيع ان اقول اننا سنلتحم فوراً ، نحن خطواتنا فى الخليج دائماً خطوات متانية ، وتخضع لقدرتنا على هضم هذه الخطوات وتنفيذها ولكن يجب ان يكون عندنا هذا النوع من التفكير ، أن نتجه لنوع من الادارة الموحدة او القيادة الموحدة ، نوع من التقبل خليجياً لتبعات هذه المسئولية ، لأن مثل هذه الخطوات لها ثمن ، ولها كلفة مادية ، وارى ان يكون لدينا تصور للاولويات ، ويجب ان يكون هذا التصور من باب الأولويات التى يلح عليها الخليج ، مثلها مثل التعليم والتطور الثقافى وبناء الخدمات والهياكل الأساسية ، فنحن نعرف أن استقرار الخليج يؤثر على كل انسان فى هذا الكوكب حتى على الساكن فى قرية فى بلد مثل البرازيل ، فهؤلاء وغيرهم لهم مصلحة فى استقرار الخليج ، ولذلك فاذا لم ننهض نحن ابناء الخليج بهذه المسئولية فسنجد غيرنا على استعداد للتطوع ، وبالطبع قد ياتى هذا التطوع باشياء لا تتفق ونهجنا .

د . محمد جابر الانصارى :

وفيما يتعلق بالشعور بالتبعة الجماعية الملاحظ انه ليس هناك إلى الآن راى عام مكتمل وناضج يتبنى مسيرة التعاون . فما السبيل فى رايك لتنمية هذا الاتجاه ؟ تقوية الراى العام والتحسس بقضايا التعاون صحفياً واعلامياً ، وعلى المستوى الشعبى ؟

عبد الله بشارة :

انا من الذين ينادون دائماً باهمية ودور الراى العام ، ونحن فى الأمانة العامة نستنهض هذا الدور ونقول بانه يجب ان يكون هناك راى عام يحاورنا ويحقق معنا

على طريقة الشرطة ، لماذا اخفقنا فى هذا المجال وما هى اسباب الاخفاق ولماذا ركزنا على مجال دون الآخر وما هو السبب فى تاخير بعض الجوانب فى عملية الاطار التعاونى الذى نسير فيه ؟

هناك تقصير اعلامى وسببه يعود الى ان اجهزة الاعـــلام - رسمية أو غير رسمية - لازالت اجهزة تتصرف وفق اطار كل دولة ، أى مازالت منفصلة ومستقلة ، ولايوجد إطار لشحنها وربطهـــا بشكل جماعى لكى تدور فى فلك مجلس التعـــاون ، لازالت تتصرف مستقلة ولازالت ايضاً اولوياتها الرسمية هى متطلبات كل دولة ومتطلبات الاقليم والاطار الوطنى لكل بلد ، وسلوك كل بلد . اما مجلس التعاون كاطار خليجى فذلك هدف للمناقشة حتى الآن لم نتوصل له ، واعتقد ان ذلك ربما نتيجة لحداثة عمر مجلس التعاون او نتيجة لانشغال الاعلام الخليجى فى قضايا خليجية وعربية اى نتيجة لكثافة الاحداث وسرعتها ، الأمر الذى لا يجعل الاعلام الخليجى يتامل فى هذا الموضوع وهو مستقبل الخليج . ولذا فاننى اكرر بان قضية التعاون الامنى والحفاظ على أمن الخليج ووحدته واستقلاله ، ليس بموضوع اكاديمى ، وانما هو موضوع ملح بدانا نلمسه اكثر مما كنا نلمسه منذ عامين ، واصبح موضوع معايشــة وهاجس . وبالتالى ، فانا اتصور أن هذا الهاجس يجب ان ينعكس على وسائل الاعلام الخليجية ..

طبعاً .. نحن مقصرون فى عدم دخولنا الى الجامعات ، لم يصبح مجلس التعاون مادة فى هذه الجامعات ، المدارس لم تاخذ دورها فى التعرف على حقيقة مجلس التعاون . الأجهزة الشعبية من نقابات وغيرها لم تاخذ دورها فى تقوية مجلس التعاون ، وهذا اضافة لانشغالنا نحن بالأمانة العامة ، كما ان المتطلبات اليومية لكل دولة اخذت أولوية على متطلبات العمل الجماعى .. والواضح ان حداثتنا فى العمل الجماعى جعلتنا لازلنا نتلمس الطريق .. لم ندرك العمل الجماعى . كل هذه الأشياء جعلت هذه الفجوة التى نشعر بها ، ونامل أن تزول لكى نتقدم فى عملنا باستمرار ، ونكون هدف للنقد والتساؤل والتحقيق .

د . محمد جابر الانصارى :

بهذه المناسبة هل الأمانة العامة مثلا نظمت أو خططت لايجاد قنوات اتصال بينها وبين الصحافة فى دول المجلس ، بينها وبين الجامعات ، وهناك شىء ابسط من هذا وهو تلقى رسائل الناس ، هل مثلا يمكن للأمانة العامة تلقى رسائل الناس فى مختلف القضايا والمواضيع وترد عليها . هل عملتم شيئاً من هذا النوع ؟

عبد الله بشارة :

سأرد عليك أولا بالنسبة للنقطة الاخيرة تلقى رسائل من الناس .. فنحن نتلقى رسائل فعلا ، ولكنها كلها رسائل تتعلق بتطبيق الاتفاقية الاقتصادية . تاجر بحرينى مثلا دخل المملكة العربية السعودية التى طلبت منه جمارك على منتجات بحرينية . يكتب لنا لكى نتوسط - ونحقق فى الأمر . فى احيان كثيرة يكون هناك سوء فهم ولبس ، فى احيان اخرى يكون السبب هو عدم وصول التعليمات إلى الكوادر التى فى الجهة الأساسية إذن نتلقى رسائل ولكنها على صورة شكاوى .. متعلقة بتجارب مر بها المواطنون . لكننا لا نتلقى اسئلة حول الهواجس او الأمور التى تخلق اهل الخليج .

والواقع اننا لم نذهب الى الجامعات بسبب دخول الأمانة العامة إلى العمل بسرعة والانشغال به ، ونامل ان نضع برنامجاً لعام ١٩٨٤ - بعد القمة الرابعة - ونحاول فيه أن نتغلغل باى طريقة للجامعة ، وان ندعو الصحفيين الخليجيين بين وقت وآخر لزيارة الأمانة العامة بهدف الاطلاع على اهم مجريات الأمور .

لقد اقمنا ندوات ، لكنها فى الحقيقة غير كافية ، نحن من جانبنا يمكن ان يكون عندنا شعور بالتقصير . من جانب اخر على وسائل الاعلام الخليجية أن تتحرك ، بصرف النظر عن اننا تحركنا ، هذا امر ربما من المفيد ان نتعاون فيه ، ونفكر فى المستقبل فى كيفية ايقاظ وشحن همم الاعلام الخليجى لكى يساعدنا فى تحقيق الأهداف المشتركة .

د . محمد جابر الانصارى :

وانتم مازلتم طبعاً ترحبون برسائل الناس رغم انها تحمل الشكوى .

عبد الله بشارة :

نعم ، نريد الناس ان تمطرنا بالشكاوى فهذا شىء نرحب به .

د . محمد جابر الانصارى :

وربما لو تلمس الناس وتحسسوا هذه المكاسب الصغيرة فعندئذ ينتقلون من الاحساس بهذه المكاسب الى التخوف والتهجس بالنسبة للقضايا العامة . يعنى دع الناس يشعرون بالمكاسب هذه حتى يخافوا عليها وينتقلوا الى الهواجس .

عبد الله بشارة :

نحن نؤمن بضرورة شعور الناس بالمكاسب ، وهذا يتضح من الاتفاقية الاقتصادية الموحدة وغيرها ..

د . محمد جابر الانصارى :

هذا شىء طبيعى فى كل اعمال التعاون وفى كل الاتحادات .. ولذا فهل يتكرم الدكتور على حميدان ويقول لنا رايه بالنسبة للقضية الرئيسية لمسيرة التعاون الخليجى فى هذه المرحلة ..

د . علي حميدان :

اتفق تمـــاما مع ما تفضـــل به الاخ عبد الله بشارة بالنسبة للقضية الاستراتيجية او الامنية . طبعاً الناحية الاقتصادية مهمة والنواحى الأخرى ايضا مهمة ، ولكن فى الحقيقة هناك اشياء عجلت بقيام المجلس مثل احداث المنطقة والخوف على امنها .

وأود ان أوضح حقائق بالنسبة للامن نفسه ، واعتقد ان هناك مفهومين للأمن : مفهوم يتصور ان امن الدولة هو الأمن العسكرى ، بمعنى ان تكون للدولة قـــوة عسكرية لكى لا تضـــطر ان

ندوة
الفكر الخليجي

● علينا أن نغرس فكرة العمل الجماعي في ذهن الطفل وهو ناعم الأظافر منذ أولى مراحل التعليم

إبراهيم الصبحي

● يجب أن نجعل الإنسان في الخليج يدرك أنه بمقدار ما يكون منتجاً، بمقدار ما ينال من كرم العيش

د. حسن نعمة

تتنازل عن بعض حقوقها ولتتجنب الحرب او غير ذلك . هذا اعتقد انه لا ينطبق على دول مثل دولنا ولا ينطبق على دول العالم الثالث ، وانما هناك مفهوم اخر للامن وهو ما يسمى بالأمن المجتمعى ، يعنى امن المجتمع ككل ، وهذا المعنى تتداخل فيه عوامل عدة ليست عسكرية فحسب ، او سياسية فحسب وليست اقتصادية فحسب ، وانما هو مجموعة عوامل تنشأ فى هذا المجتمع وتدعو الى تطوره وتعاون ابنائه بالمشاركة فى جميع النواحى بحيث يكون مجتمعاً متكاملا قادراً على صيانة امنه ومصالحه القومية والوطنية .

واذا اخذنا بمفهوم الأمن المجتمعى قلنا ان الامن الذى نريده هو هذا الأمن المتكامل الذى لا يتمثل فقط فى القوة العسكرية ولكن فى تصور اسس موضوعية لتحقيق الأمن المجتمعى للحفاظ على امن المنطقة ومصالحها .

الأسس تنبـع طبعاً من واقع المنطقة ، فاذا نظرنا مثلا الى المنطقة نجد من الأشياء الهامة فيها قضية الأمن الداخلى والتركيبة السكانية ، فالمعروف طبعاً ان هناك اعداداً ضخمة من الاجانب او العمالة الأجنبية فى هذه المنطقة التى اوجدت نوعاً من الخلل فى التركيبة السكانية . وهذا بالطبع له خطورة على الأمن الداخلى ، فلابد إذن من وجود اجهزة امن متطورة فى دول المجلس طبعاً ومتعاونة ومتكاملة لمحاصرة هذا التسلل الأجنبى وحماية المنطقة من التخريب الذى قد يزعزع السياسة القومية لهـا .

هناك اساس اخر هو ان امن المنطقة مرتبط بشكل او باخر وقد يكون بشكل اساسى بالأمن القومى العربى فنحن نعيش فى منطقة مرتبطة بقومية ، تشارك فى معارك نضالية ، فى قضية فلسطين وغير ذلك ، وهذا يعنى ان امننا لا يمكن عزله عن القومية العربية .. وهذا يقودنا الى اساس اخر فى علاقتنا مع الدول ، لانه اذا كان امننا مرتبطا بالأمن القومى العربى ، ولنا مشاكل مع دول كبرى ، فلابد اذن ان نوجد نوعاً من التوازن في العلاقات بين الدول الكبرى ، ولا اريد ان ادخل فى التفاصيل التى قد نتطرق لها فى اثناء الندوة ، يعنى علاقتنا بالولايات المتحدة ، علاقة الولايات المتحدة باسرائيل ، علاقتنا بالاتحاد السوفيتى وغير ذلك . انما لكل هذه الظروف وارتباطنا بالمصير العربى يجب ان يوجد نوع من التوازن فى العلاقات مع الدول .

هذا ايضا يقودنا الى نقطة اخرى وهى حرصنا على حركة عدم الانحياز وانتمائنا اليها . لماذا ؟ يعنى قد يقال إن حركة عدم الانحياز فى الحقيقة لم تعد غير منحازة ، وهناك نقاط ضعف فى الحركة كثيرة،ولكن المبادىء التى تقوم عليها هذه الحركة فى الحقيقة تتمشى تماما مع اهدافنا فى المنطقة واذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مثلا: عدم التدخل فى الشئون الداخلية وعدم استعمال القوة لحل النزاعات وحلها بالطرق السلمية ، وعدم اقامة قواعد عسكرية لدول اجنبية ، فهذه وغيرها اعتقد انها من الأسس التى تقوم عليها سياساتنا .

وهناك اسس اخرى ايضاً منها تقوية البنية الداخلية فى المجتمعات واشراك المواطن الخليجى . فى الحقيقة المواطن هو اساس الأمن ، يعنى يجب ان يكون الأمن اساسه هو الانسان فى الخليج ، وهذا يتطلب عملا ما لاخراج هذا الانسان او هذا المواطن من السلبية وتشجيعه على المشاركة فى اتخاذ القرار سواء كان سياسياً او اقتصادياً ، لكى يشعر بان الأمن هو امنه بالفعل ، ويحس بانه معنى بقضايا الامن . بالطبع طبعاً توجد اسس تكوين قوة كما ذكر الاخ عبد الله بشارة ، قوة عسكرية متماسكة ، قادرة على حماية المنطقة ، وطبعاً انا فى حقيقة الأمر سعيد انى ارى الخطى متقدمة جداً بالنسبة لهذا الموضوع ، فالخطى اسرع مما كنا نتوقع .

عبد الله بشارة :

ممكن يا دكتور انصارى نضيف نقطة واحدة على ما تفضل به الدكتور على حميدان حول ارتباط الخليج بالأمن العربى ، فغياب الأمن العربى ، والخلافات العربية السياسية والحروب العربية السياسية والحروب العسكرية ، والدم العربى المستمر والجهود التى امتصت الفكر العربى والجهود المبعثرة حول خلافات ، كل ذلك وغيره جعل جهود الخليج تتضاعف وتتزايد. امتنـا فى الخليج يرتبط ويتعزز كثيراً عندما يسود التواؤم العربى والوئام العربى ، عندما تختفى الخلافات العربية ويختفى هذا التصدع فان منطقة الخليج تكون فرصتها اكبر فى الاستقرار ، ففى غياب التضامن العربى والحوار العربى ، تبقى منطقة الخليج منطقة لا تخلو من التوتر. ولذلك فان هاجسنا الامنى الآن إذا كان سببه الوضع الاستراتيجى او الوضع العالمى

وسباق الدول الكبرى ، فان سببه ايضاً غياب الامن العربى ، ففى ظل عدم وجود الامن العربى ، اخذ هاجس الامن عندنا يتضاعف وتتزايد حدته .

د . محمد جابر الانصارى :

ولكن ربما كاضافة لهذه الملاحظة ، ومما يدعو للتفاؤل أيضاً ، ان ظهور المجلس لم يبق ظاهرة منعزلة فى الوطن العربى وانما رافقتها ظواهر اتحادية وتوحيدية مماثلة ، المغرب الكبير مثلا ومحاولة توحيده ، التوحيد بين شطرى اليمن ، التكامل بين مصر والسودان : وادى النيل) ، والملاحظ ان مجلس التعاون له دور فى التقريب بين الاخوة والاشقاء فيبدو ان هناك اسلوباً جديداً يتبلور الآن وهو ان هناك كتلا جغرافية متمــــاثلة تتقارب والاقرب فالاقرب اولا ، ثم هذه الكتل تتعاون فى منظومة واحدة وربما هذه من المؤشرات الجديدة فى العمل العربى المشترك .

والآن ننتقل الى الأستاذ ابراهيم الصبحى فليتفضل ، بالنسبة لما يراه من قضية او قضايا اساسية فى هذه المرحلة من مسيرة التعاون .

ابراهيم الصبحى :

انا اتفق طبعاً مع الأستاذ عبد الله والدكتور علي بالنسبة لتقييمهم للبعد الاستراتيجي ، وبودى هنا أن ارسخ فكرة هذا البعد بان نتذكر معنى الآية الكريمــــة « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » لنستخلص معنى القوة ، هل هى القوة بمفهومها الحاضر اى اعداد جيش قوى قادر على ان يحافظ على أمن واستقرار المنطقة ام ترى الأمن الداخلي بمعنى أن تكون هناك جبهة قوية متماسكة ، ام ان نعطى بعداً اخر للقوة بمعنى قوة المجتمع وهو المعنى الذى ذهب إليه الدكتور علي ؟ .. فى تصورى العناصر الثلاثة مكملة لبعضها البعض ، فلابد من ان تكون هناك قوة اذا اردنا ان تكون هناك مصداقية للمبدأ الذى نردده دائما فى مجلس التعاون ، وهو اننا نعتمد على قدراتنا وطاقاتنا الذاتية وننميها ونقويها قدر الامكان . ثم لابد ايضاً من ان تكون هناك جبهة قوية متماسكة ولكننى اود ان اركز على العامل الثالث وهو قوة المجتمع وتماسكه .

فاعود الى الأسس التى ذكرتها فى مقدمتك ، واقول إن الثقافة والتعليم من الأسس الهامة ، بمعنى اننا لو استطعنا ان نغرس فكرة هذا العمل الجماعى فى ذهن الطفل وهو ناعم الأظافر منذ بداية مرحلة التعليم ثم نسير به تدريجيا حتى يصل الى مرحلة الادراك والوعى ومرحلة النضج . ربما تكون هذه مرحلة طويلة لكن اقول لابد ان نبدأ بها منذ الآن .

فى عملية الثقافة ايضاً ، لابد ان يكون المجتمع ملماً وواعياً لمفهوم واهداف مجلس التعاون ، وهذه كما عالجتها انت بالنسبة لاتصال المجتمع بمجلس التعاون عن طريق القنوات الثقافية سواء عن طريق الجامعات او عن طريق المدارس ، ولابد هنا ايضاً أن تكون هناك حملة تقوم بها الأمانة العامة متضافرة مع جهود الدول فى المدارس وفى الجامعات ، فلا يكفى أن تكون الأمانة العامة فى الصدارة ، ولكن يجب ان تكون الدول مكملة لدور الأمانة العامة .

هذا يقودنا طبعاً الى عملية تنظير مجلس التعاون ، كيف او لماذا نشأ مجلس التعاون فى هذه المرحلة ، ولم ينشأ فى مراحل سابقة ؟ نشأ لأننا وصلنا إلى مرحلة من الوعى ومرحلة من النضج ، فهذه المرحلة المتدرجة نحن فى أمس الحاجة اليها لتنميتها فى نفوس المجتمع ، وعندما يشعر ابناء هذا المجلس بمصالحهم وتشابك هذه المصالح ، عندها سنصل إلى ما نصبو إليه بالنسبة للمجلس .

فانا إذا ركزت على الناحية الثقافية والناحية التعليمية فليس معنى ذلك أن نغفل النواحى الأخرى : الأمنية والاستراتيجية والاقتصادية ، فكل هذه النواحى لها اهمية كبرى وابعاد كثيرة جداً ، ولكن فى تصورى ان التعليم شىء مهم وهو الذى لم ندخل مجاله حتى الآن .

د . محمد جابر الانصارى :

الحقيقة ان هذا يلقى ضوءاً على قضية شيقة ، هو انني لاحظت من بعض مناقشات الأمانة العامة فيما تكتب وتحلل عن قضايا التعاون ، الاخ ابراهيم يرى ان التعليم شىء اساسى ، وبعد رئيسى من ابعاد التعاون . انا قرات فى هذه المجموعة الطيبة من المنشورات التى جاءت من الامانة العامة ، ان المسار الثقافى والتعليمى يعتبر مسارا جانبيا او ربما أن التوحيد فى هذا الجانب يتخذ صفة التقريب فى الوقت الحاضر ولا يتخذ صفة التوحيد بسبب التعدد . فما الرأى فى هذا المجال ، خاصة وان التعليم هو اساس بناء المجتمع الموحد والانسان الموحد ، فلماذا يبقى مجرد تقريب للجانب التربــــوى فى هـــــذه المرحلة .. ممكن ايضاح هذه الناحية ؟

عبد الله بشارة :

مجلس التعاون قام بميثاق يمثل النظام الأساسى ، وهو يتسع افقياً وعمودياً ، ليس له حدود ، ويختص بكل شىء ويتناول كل شىء ، ولذا بدانا بمرحلة التفكير فى الأولويات ، ما هى الأولويات ؟ كانت توجيهات اصحاب الجلالة والسمو فى المؤتمر الاول انه لابد من عقد اتفاقية اقتصادية شاملة تحول الخليج الى سوق خليجى مشترك بعد خمس سنوات . بعد اسبوع واحد من مؤتمر القمة الاول دعونا وزراء المالية لاول اجتماع فى مجلس التعاون ، وبعد اسبوعين وقعت الاتفاقية بالأحرف الأولى ثم وقعها الرؤساء بعد خمسة اشهر فى نوفمبر ١٩٨١ فى الاجتماع الثانى . واتخذ التشابك الاقتصادى كوسيلة لتحقيق الهدف الذى هو وحدة الخليج .

ولكن من خلال الممارسة فى عملنا ، لابد من تحديد مراحل لتنفيذ الخطوات والأهداف ، ولا يمكن ان نصل مرة واحدة نحو اهدافنا ، فوجدنا بان هناك مجالات سهل توحيدها ، وهنــــاك مجالات وميادين صعب توحيدها فى هذه المرحلة نتيجة لخصائص كل إقليم . نحن لذلك نقول باننا تجربة كونفدرالية ، معناها ان كل دولة من الدول الست تحتفظ بخصائصها على الاقل مرحليا . وقد وجدنا بانه هناك خصائص لكل دولة فى مجـــال التربية والتعليم ومواصفات المناهج الامر الذى يجعل توحيد هذا

نــــــــــدوة
الفكــر الخليــجي

الشيء أمراً صعباً ، فقلنا اذا تعذر التوحيد فليكن التقريب وهى سياسة الممكن . نحن نتبع فى الخليج – مجلس التعاون – سياسة الممكن وليس سياسة العسير ، لا يمكن ان نسير وراء شيء عسير المنـــال ، ولكى نكون صـــادقين مع انفســنا لابد ان تكون خطواتنـــــا بقدر قدرتنا على التنفيذ ، وبالتالى فان توحيد مجال التربية والتعليم وتوحيد القوانين والقضاء يحتاج إلى معالجة خاصة ، ولذلك فان مسيرتنا تتسم بالحذر والبطء ، والهدف هو التقريب وليس التوحيد فى هذه المرحلة على الاقل إلى ان نخلق ديناميكية عنفوان عمل ياخذنا ويسهل الصعب ، ما يصعب تحقيقه اليوم سيكون سهلا فى المستقبل عندما تتوفر عندنا قوة ديناميكية ، نوع من عنفوان العمل يسخر هذه القوانين ويخضعها للعمل الجماعى ، حتى الآن نحن لم ندع وزراء التربية للاجتماع ، حتى الآن بعد مرور سنتين ، لماذا ؟ لأن الوزراء يجتمعون فى إطار مكتب التربية الموجود فى الرياض ولا نريد حقيقة ان نجعل عملهم مضطرباً فى هذه المرحلة طالما هم سائرون فى هذا العمل ، فليكن ذلك ، نحن على علم بما يعملون . نحن نريد ان ندخل مجلس التعاون كمنهج . هذا امر من الأمور الملحة ، التى سنركز عليها فى الأيام القادمة باذن الله .

نحن طبعاً مهما كان جهدنا ، محدوداً ، فقد وجدنا انفسنا منتشرين بشكل يجوز ان يكون اكبر مما كنا نتوقع بكثير ، فمثلا فى القضايا السياسية ، أصبحت سياستنا واحدة ، وفى قضايا الجانب الدفاعى ، تحققت خطوات لا باس بها ، وفى جانب التشـابك الاقتصادى حققنا اشياء لا باس بها ، وعلى صعيد الدفاع والاقتصاد والسياسة ، اعتقد اننا حققنا خطوات جيدة .

د . محمد جابر الأنصارى :

وربما بالنسبة للتوحيد التربوى ان نبدأ بتوحيد التعليم الابتدائى مثلا كمرحلة اولى أو توحيد التعليم الصناعى بالذات والمهنى باعتباره أساس التنمية المشتركة ، يعنى يمكننا توحيد اشياء محدودة فى هذا القطاع .

عبد الله بشارة :

فى برامج التدريب هذا موجود .

د . محمد جابر الأنصارى :

الحقيقة هذا يقربنا من موضوع إعداد الانسان وتوحيد الثقافة ليس فقط فى المجال التربوى ولكن فى مجال الآداب والفنون والحضارة بصفة عامة . وربما كان الأخ الشاعر الدكتور حسن نعمة هو الأجدر والأقرب للتحدث عن هذا الموضوع .

د . حسن نعمة :

فى الواقـــع فيما تحصـــل لى من مقولات الأخ عبد الله والدكتور علي والأخ ابراهيم ، لا يمكن باى حال من الاحوال الفصل بين القضايا المتشابكة والمترابطة التى تواجه مجلس التعاون ، ولاشك ان قضية الثقافة هى من اولى القضايا التى تواجه مجلس التعاون . فهذه القضية فى الواقع مرتبطة بمفهوم مجلس التعاون . ما هو مفهوم مجلس التعاون ؟ وما هو ادراك المرء لذلك المفهوم ؟ فى الواقع ينازع ذهنى وذهن المستقرىء لمجلس التعاون أمران مهمان : الأمر الأول : النظر لمجلس التعاون ككيان على شكله الحالى له امكانيات محدودة ينطلق من ادائها وله قضايا يستطيع انجاز بعضها ولا يستطيع انجاز البعض الآخر منها . والأمر الثانى النظر لمجلس التعاون ككيان يفترض ان يكون فيه كيان يؤدى بالمنطقة الى التكامل المنشود ، اعنى التكامل المنشود فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وذلك التكامل سيؤدى ايضاً بالذات لتحقيق ما تنتظره الشعوب من مكتسبات ومنجزات .

المهم فى هذين الأمرين هو قضية الانسان التى هى فى الأساس ركيزة الثقافة وقاعدة كل شيء .

قضية الانسان فى الخليج ، هى التى تواجه مجلس التعاون ، فهناك قضايا كثيرة يستطيع مجلس التعاون البت فيها أو حلها ، ولكن فيما يبدو لى ان قضية الانسان تظل هى القضية الاساسية قبل كل شيء .

كما نعلم فان الانسان فى الخليج كان انساناً مثمراً وكان انساناً منتجاً فى الماضى ، وكانت له علاقات فى الانتاج والعمل ، علاقات مثمرة ومنتجة ايضاً ، وهذه العلاقات فى العمل والانتاج ايضاً ادت إلى تمتين العلاقات الاجتماعية عند الانسان الخليجى ، فى الماضى ، فكانت تلكم العلاقات وطيدة ومتماسكة ومتجانسة ، ولم يكن هناك اى خوف أو رهبة عند الانسان فى الماضى ، خوف من المستقبل أو من المصير كما هو حاصل عند الانسان اليوم .

فى الواقع ان ظهور النفط وما صحبه من ثروة احدث تغييراً شاملا فى انماط العيش والسلوك وفى اشكال التفكير عند الانسان وهذا التغيير فى الواقع ايضاً احدث تصدعاً فى القيم ، وهذا التصدع ادى الى الاخلال بالتوازن بين المكافاة المعنوية والمكافاة المادية ، وادى الى طغيان القيم المادية الفردية الأنانية على القيم المعنوية الاجتماعية .

كل هذه المعضلات ، أو قضية الانسان ، يجب ان تحل ، ويجب ان نعيد ذلك الانسان لكى يكون انساناً ذا قيم منتجة ، وان نجعل ذلك الانسان يدرك انه بمقدار ما يكون منتجاً ، بمقدار ما ينال من كرم العيش .

د . محمد جابر الأنصارى :

هل يمكن تحديد معالم اعادة البناء ؟

د . حسن نعمة :

هذه النقطة ساتى عليها . فى الحقيقة انا تعرضت لقضية الانسان لانها هى فى الأساس قضية الثقافة .

كيف نستطيع بناء الانسان من جديد ؟ أو بناء الانسان من جديد بناء متميزاً وخلاقاً ؟

لا يمكن بناء الانسان الا عن طريق التنمية الثقافية لأنها هى فى الأساس الدعامة والأساس الفعلى لكل النواحى الأخرى فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وايضاً قضية متعلقة بالأمن ، ما نعنى بالأمن ليس الأمن المتعارف عليه ، لكنك لا تستطيع ان تفترض فى اناس بهم قطاع كبير لا يزال أمياً ، ومنهم قطاع كبير انصاف متعلمين ، يستطيعون الصمود والثبات فى مجابهة اى خطر خارجى ، **فالحقيقة ان الأمن هو تحصين الناس ثقافياً وهو** ايضاً توفير الامكانات والمناخ الثقافى الملائم لهؤلاء الناس لكى يتمكنوا ولكى يدركوا أن هذا الوطن هو حصن للجميع ، ولكى

يدركوا ايضاً الأخطار والمشاكل التى تواجه هذه المنطقة .
وفى الواقع فان الانسان فى هذه المنطقة معزول عن القضايا المهمة او القضية الام وهى قضية الديمومة والاستقرار والاستمرار والتطور .
عود على قضية الثقافة ، كيف يمكن ان نتصور اى مجتمع ليست فيه مؤسسات كافية ، مؤسسات للانسان الموكل اليه الدفاع والموكل اليه النضال فى سبيل هذا الوطن ؟ لا اكتمك هناك بعض الدول الشقيقة قد خطت خطوات جيدة فى انشاء كثير من المؤسسات الثقافية مثل دولة الكويت فى الواقع . هناك تفاوت بين دولة ودولة بمجلس التعاون فى انشاء مثل تلكم المؤسسات .
ان اى نهضة فى الوجود لأى منطقة من مناطق العالم لم تستطع ان تحصن حدودها وتدفع عن نفسها الاخطار ، مالم تكن بها مؤسسات ، مؤسسات للانسان ، اهم هذه المؤسسات بالفعل هى مؤسسات الثقافة .
وهذه القضية ايضاً مرتبطة بالقضية التى اثارها الدكتور على وهى قضية المشاركة ، مشاركة الانسان وجدانياً ومشاركة الانسان عقلانياً ، ومشاركة الانسان فى اتخاذ القرار الســياسى والاقتصادى وغيره من القرارات الاخرى .
قضية المشاركة فى الواقع هى مهمة جداً لاننا لا نستطيع ان نتوقع كيف يدرك الناس فى المنطقة كنه المعضلات وكيف يمكن ان يوصلوا كلمتهم لمجلس التعاون ، مالم تكن هناك مؤسسات ثقافية لأنه فى عملية بناء الانسان . هناك آراء وهناك افكار وهناك مدارس تختلف فيها وجهات النظر ، وعلى مجلس التعاون أن يولى هذه القضية المزيد من الاهتمام .
ربما يقول قائل إن هناك كثيراً من الدول العربية المجاورة ، التى هى ايضاً لها تاريخ حافل بالحضارات وهى ايضا اكبر من منطقتنا عدداً فى السكان او اكبر فى الرقعة الجغرافية ، كثير من هذه الدول العربية المجاورة وغيرها لاقت فيها المؤسسات الثقافية كثيراً من العنت ، وكثيراً من الاهمال ، فنحن ايضاً فى موقف ، هل ننظر لهذه الدول كمثل يحتذى لانها لاقت كثيراً من العنت وكثيراً من التخلف فى انشاء مثل هذه المؤسسات ونقول نحن ولله الحمد بخير .
لا .. لسبب واحد اننا نحن فى منطقة الخليج نختلف عن مناطق البلاد العربية الأخرى بسبب اننا محاطون باخطار تختلف عن الاخطار التى تواجهها كثير من البلاد العربية من ناحية التكوين السكانى ، من ناحية انفتاح الرقعة الجغرافية وتشابك المصالح الاقتصادية وتكالب العــالم على استغلال هــذه المنطقة .
هناك خلاف متباين تماماً ، انا اخشى على مجلس التعاون ان ينظر الى قضية المؤسسات كقضية ثانوية لانها هى ـ قضية المؤسسات ووجود المؤسسات ـ التى تلد الرجالات فى المنطقة . فى السابق رجالات المنطقة كانوا اكثر استعداداً ، واكثر قوة .
قضية الأصالة ايضاً فى الثقافة ، قضية مطلوبة وتعميم الثقافة . متصل ايضاً بمسالة الامن القومى ... يمكن ان يكون عندك نخبة من المثقفين ، نخبة ميسورة ، تستطيع ان تستلم زمام الادارة لدول مجلس التعاون ، تستطيع ان تكون الرائدة والمنفذة لكثير من الخطط والمشاريع المرتجاة ، لكن اذا ظلت الثقافة منحصرة فى نخبة معينة تصبح اغلبية الناس معزولة تماماً ولا تستطيع ان تحمى الوطن ، وهناك قضية تعميم الثقافة المطلوبة لبناء الانسان فى الخليج بصفة عامة .. فنحن مُوزعون بين هاتين الناحيتين او هذين النوعين من الثقافة ، ولاشك فيما تفضل به الدكتور محمد بان الثقافة هى المطلوب الاول او المنشود الأول للمنطقة لانه عن طريق التنمية الثقافية سنصل لحل كثير من المعضلات فى التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية .
وارى ان المؤسسات التى انشئت فى دولة الكويت مثلا ، مثل المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب قد خطا خطوات ممتازة جداً ، ولاول مرة نرى الكويت دولة فيهـــا مفكــرون وفيها ادباء ونرى ايضـا ان هـذا المجلس خطا خطـوات فى فترة قصيرة جداً لكى يجعل من الكويت دولة منفتحة على الثقافات الانسانية وعلى الفكر الانسانى وبالتالى ايضا سعى لتاصيل الثقافة المحلية او الثقافية القومية العربية .
واعتقد انه طلما هناك مجلســا مثل هــذا المجلس فى الكويت ، فان هذا المجلس مثل يجب ان يحتـــذى واعتقد ان انشاء مجلس موحد جامع للثقافة والآداب فى منطقة الخليج ككل سيكون دعامة أساسية لكل ما تصبو له شعوب المنطقة من رقى ونهضة .

د . محمد جابر الانصارى :

ما رأى الأستاذ عبد الله بشارة فى فكرة إنشاء مجلس اعلى للثقافة والفنون على صعيد المنطقة ككل ؟

عبد الله بشارة :

لنا تجربة بمجلس التعاون فى قضية جعل مركز واحد يمثل الدول كلها . عندنا فى المملكة مركز المعلومات السعودى أصبح الآن مركز المعلومات لدول مجلس التعاون . عندنا هيئة المقاييس والمواصفات السعودية اصبحت هيئة المقاييس والمواصفات الخليجية ، ما يقال عن مركز الثقافة الموحد ممكن طبعاً ، لا توجد مشكلة فى اقراره والأمر متروك لأصحاب الجلالة والسمو . لكن فقط مجرد ملاحظة. اننا واعون لأهمية الثقافة وواعون لأهمية نوعية الانسان الذى يجب ان يعيش فى هذه المنطقة لكن يجب أن نقول بان الثقافة ومفهوم الثقافة شىء جديد على المنطقة . يعنى منطقة الخليج بهذه المفاهيم التى سبقنا العالم العربى فيها والعالم الأوروبى والعالم الثالث كثيراً ، منطقة الخليج حديثـــة العهـد بهــذه الاشياء ، فحتما ربمـا نحن متاخرون فى هذا المضمار ، وان كنــا واعــين ومدركين للمشكلة ومدركين لضرورة قيام شىء جديد مثل مركز خليجى للثقافة والآداب ، لكن ذلك ليس بالشىء السهل ، يعنى المركز الكويتى جيد وهو يقوم بترجمة المعرفة هذا شىء ممتاز ان نقدم روائع الكتب العالمية ، ربما هذا اليوم قراؤنا قليلون لكن هذا للمستقبل ، فنحن نبنى قاعدة . هذا اسهام للثقافة الانسانية وللتراث الانسانى ، شىء ممتاز ، ونامل ان نستفيد من تجربة الكويت ونستفيد من مركز الكويت ، ونامل ان يكون فى يوم ما

ندوة الفكر الخليجي

هناك مركز عام للثقافة على غرار ما عملناه فى المراكز الأخرى .

د . محمد جابر الانصارى :

كخطوات تمهيدية لهذا الشىء ،

بموازاة الاتصالات المتقدمة التى تجرى بين المسئولين فى الادارات بدول مجلس التعاون ، هل ممكن للأمانة العامة ان تبادر بعمل اتصالات بين الشباب والأدباء ورجال الفكر والصحفيين والفنانين فى دول المجلس ؟

عبد الله بشارة :

نعم بدانا السنة الماضية والآن حتى اخذنا قطاع الشبيبة ، هناك باخرة عمانية الآن تجوب الموانىء هذا جزاء من النشاط الذى نظمناه ، ايضا الآن هناك فكرة على اساس مخيم كشفى للشباب الخليجى ، وهناك لقاء للمسئولين عن الثقافة سنقيمه ، وهناك فكرة على اساس مهرجان شبيه بالمهرجان الذى تم فى باريس منذ عامين (مهرجان ثقافى خليجى) ، ايضا هناك فكرة نامل تحقيقها وهى ان يتوفر لنا مركز للتراث الثقافى الخليجى فى الرياض او فى اى عاصمة خليجية مرتبطة بمجلس التعاون .

ابراهيم الصبحى :

اريد ان اضيف نقطة الى ما قاله الأستاذ عبد الله ، فى الحقيقة بدانا فعلا فى الاتصال بمركز التراث الشعبى فى الدوحة ، هناك مشروع الآن ، يتعلق باغنية البحر وهى احد الافرازات الثقافية التى كان يتحدث عنها الدكتور حسن وفعلا المركز استدعى بعض المختصين ومنهم الدكتور يوسف الدوخى من الكويت ، وعقدوا اول اجتماع لهم فى قطر ونحن ماضون فى هذا المشروع . وقد نوقش موضوع حماية الادباء والمفكرين والفنانين الخليجيين خلال اجتماع وكلاء وزارات الاعلام فى ابو ظبى فى العام الماضى ، فنحن اذن ماضون بخطوات هامة فى هذا المجال .

د . محمد جابر الانصارى :

سؤال اخير يا اخ عبد الله ، من ناحية المتابعة والتحقق من تنفيذ الالتزامات ، وهذا جانب مهم فى اى عمل اتحادى ، هل الأمانة العامة الآن لديها من الأدوات والاجهزة ما يمكنها من هذه المتابعة ومن التحقق من تنفيذ الالتزامات ؟

عبد الله بشارة :

نعم ، كان لها القدرة ، لكن لم تملك الصلاحية . ما حصل فى المؤتمر المشترك الذى عقدناه فى شهر اغسطس فى الطائف عندما طلبنا من وزراء الخارجية ووزراء المالية باعتبار وزراء المالية هم الذين وضعوا الاتفاقية الاقتصادية ، طلبنا منهم نحن من خلال ممارستنا فى مجلس التعاون أن نرسل لهم كثيراً من المشاكل ، وطلبنا منهم تفسيرات ، وتوصلنا الى نتائج ، النتيجة الأولى ان للأمانة العامة صلاحية البحث الميدانى للوقوف على المشاكل التى تعترض تنفيذ الاتفاقية ونحن عندنا فريق يذهب الى الموانىء ويذهب الى الجمارك ، ويقرا الأوراق ويعرف لماذا مثلا البضائع المنتجة فى عمان لا تصل الامارات ، ما هو السبب هل هناك مثلا محاولة وضع جمارك او شىء آخر - وهذه ظاهرة بالخليج - فالقرار يتخذ على مستوى عال ثم ينزل للفنيين .. ووصول القرار إلى الاقسام والاجهزة المنفذة هذا شىء ليس بسهل ، ولا سيما فى المناطق الكبيرة الشاسعة .

متى تصل تعليمات تنفيذ القرار الى مناطق بعيدة أو مخافر بعيدة فى مناطق نائية . عندنا جهاز يتاكد من ذلك ، واعطى صلاحية وهو جهاز رصد ، ولكن هذا ايضا يعتمد على تجارب المواطن . نحن نريد من المواطن ان يقول لنا إذا شعر ان هناك عقبات أو هناك مشاكل ، فاننا كجهاز أمانة عامة لنا من الصلات مع الدول الاعضاء ما يذلل هذه العقبات بسهولة .

د . محمد جابر الانصارى :

شكراً للاخوة المشاركين فى الندوة

في العدد القادم :

الحلقة الثانية من ندوة الفكر الخليجي يشترك فيها :

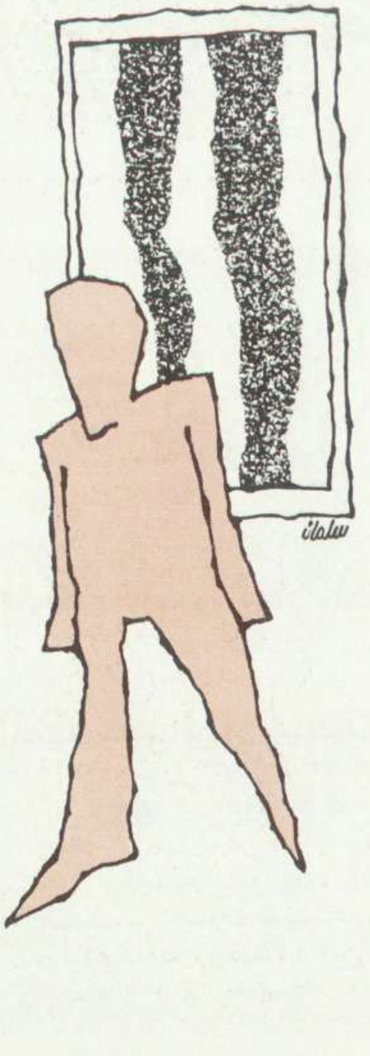
- الدكتور محمد عبده يماني
- د. محمد الأحمد الرشيد
- الأستاذ علي الجيدة
- د. علي حميدان
- د. حسن نعمة

في نفس العدد تقرأ لهؤلاء :

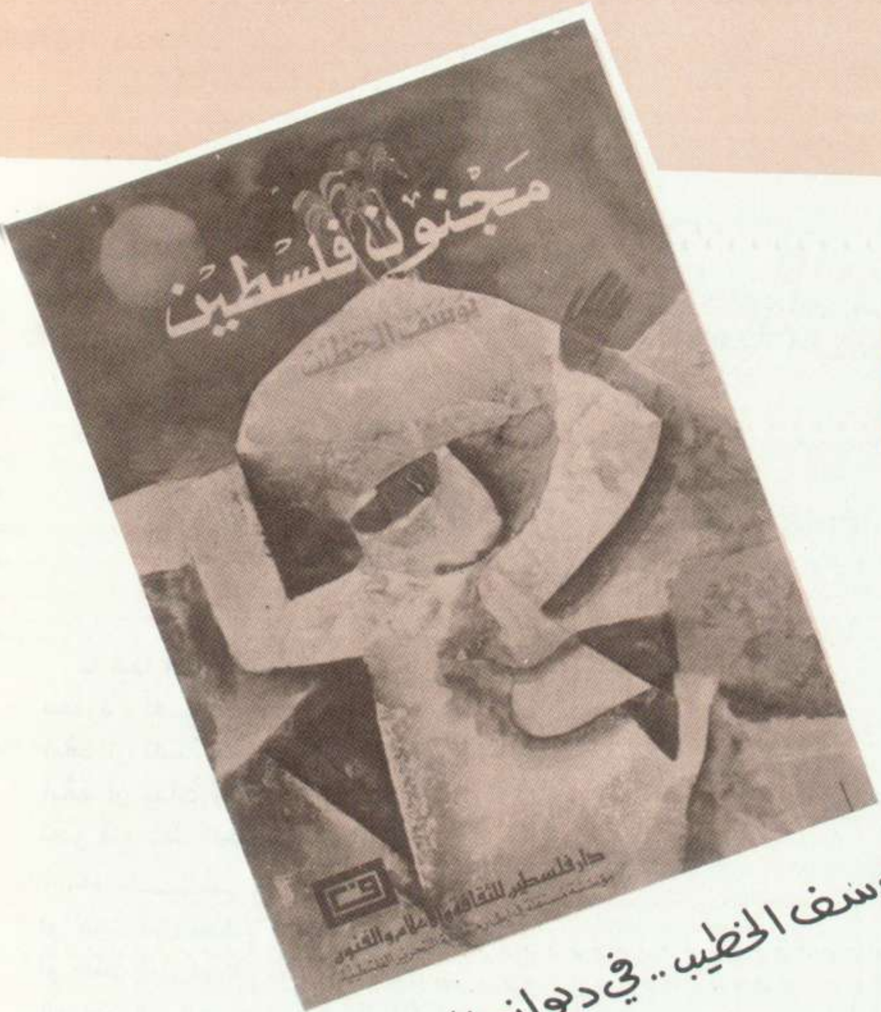
- زكريا تامر
- أحمد العناني
- عباس خضر
- محمد الظاهر
- د. يحيى رجب
- عصام شريح
- يوسف الشاروني

العائد بعد فوات الأوان

شعر: عبد المنعم عواد يوسف



يا أيها الذى اتيتَنى :
معذرةً ، لقـد فقدتَنى
أبعْدَ أن ثقبتُ طوقىَ الأخير جئتنى ؟
أبعْدَ أن بداتُ رحلةَ الهبوطِ ،
نحو قاعِ ذلك الخضمِّ عدتَ ؟
آهِ كم خــذلتَنى
لو جئتَ قبل لحظةٍ لما خسرتَنى
لو جئتَ قبل لحظةٍ لكنتَ قد نجدتَنى
ألم يكن فى الوسع أن تجىءَ والزمان فى يدى ؟
لو جئتَ قبــل ثانيةْ !!!
ثانية يتيمة ، لكنتَ قد وجدتَنى
لكن تجىء فى الزمان الصفر
آه ، آه ،
قــد أضعتَنى
أهكذا تركتَنى ؟
مضيَّعاً ، وبعدها تجيئني ؟
أنا الذى ماكنت فى يوم أخال ان تفوتَنى
أسقيتَنى العذاب ، يالمرِّ ما أسقيتَنى !
أطعمتَنى السهادَ ، يالسوء ما أطعمتني !
وبعدها تجيئنى ؟
تجيئنى بكل ما من حلوهِ حرمتَنى ؟
لكن تجيء والزمان ضاع ،
أى قيمة لكل مابه ، غداً ، اتيتنى ؟
ياليت كنتَ جئتَني ،
بنصفِه ، بثلثِه ، بربْعِه ،
بعُشــره ،
وكنت ما تركتنى !!
معذرةً ، لقد فقدتَنى ...





الشاعر العربى يوسف الخطيب

يوسف الخطيب .. في ديوانه السمعي

بقلم :
ناهض منير الريس – دمشق

مجنون فلسطين

أول ديوان من نوعه في الأدب العربي

بمرافقة « بتهوفن » فى افتتاحية « ايغمونت » ، ينهض الشاعر من جنازته ويمشى ، وبمرافقة « فرانز ليست » فى « جحيم دانتي » يخرج الى بادية الشام ، وبمرافقة « ريمسكى كورساكوف » فى « شهرزاد » يهدهد نفسه على أرجوحة الفرح ، وبمرافقة « برليوز » فى « جنازة وانقصار » يعيش معارك المقاومة فى أزقة واحياء غزة .

انه يوسف الخطيب ، فى ديوان شعره الرابع « مجنون فلسطين » . أول ديوان شعر سمعى تعرفه مكتبة الشعر العربى ، فى غلاف مجلد من رسم الفنان نذير نبعة ، فاذا فتحت الغلاف ، وجدت الى اليمين كراساً يشتمل على فهرس القصائد مع اضاءات نثرية على بعضها ، ووجدت الى اليسار أربعة اشرطة تسجيل ينشد فيها الشاعر بصوته على مدى أربع ساعات ونصف ، أربع عشرة قصيدة متفاوتة الطول كتبها بين عامى الف وتسعمائة وخمسة وستين وألف وتسعمائة واثنين وثمانين .

ان صاحب قصيدة « دمشق والـــزمن الرديء » ، التى كانت حقا اول قصيدة مدورة فى الشعر العربى عام ١٩٦٢ ، ما زال فى جعبته المزيد من المفاجـآت . ومفاجات يوسف الخطيب بعيدة جداً عن أن تشبه « التقاليع » التى يخرج بهـــا البعض على القراء بقصد تنويخ القارىء . ويوسف الخطيب هو هو الشاعر الكلاسيكى اذا كانت الكلاسيكية تعنى الحفاظ على اللغة والتراث . وهو مجدد ايضا ، فى أسلوب التناول ، وفى الصور والأخيلة ، وفى رؤية الزمان وادراك خصائصه المميزة .

وعالم يوسف الخطيب فى هذا الديوان ، هو عالمه الاول فى دواوينه الســـابقة « العيون الظماء للنور » و « عائدون » و « واحة الجحيم » .

انه الانسان العربى الفلسطيني الـذى يواجه قدر الغربة والقهر بإرادة الصمود والنضال ، ويرود مستقبلا افضل للامة كلها. على ان خمساً وعشرين سنة مرت بين اصدار الديوان الاول والديوان الرابع ، لم تنضج قدرات الشاعر فحسب ، وانما انضجت فى الوقت ذاته رؤيته للاشياء ، واكتشافه لما هو عام فى التجربة الخاصة ، وهكذا انبثقت قصائده وحلقت فى افاق الانسان المطلق امام اقداره الصعبة ، حتى ليمكن القول ان هذه القصائد تعبير عن بطولة الروح الانسانى وعن ارادة الرقى والسمو والنصر فى كل مكان .

هذا الانسان المطارد ، الذى ما برحت القوى العالمية تدعه دعا بالف شكل ظاهر والف الف شكل باطن ... من داخل داره الى خارج وطنه ، ومن ذرى الجبال الى حضيض الخيام ، ومن عنفوان المعارك الى ذل المذابح ، لم يتخذ طريقه الى مســـارب العدمية ، ولم ينشد السلوان فى غيبوبة الوعى . لقد ظل الحبل المتين يشد حاضره الى ماضيه . وظل يشق الطريق الى مستقبله ، والخناجر تاكل من لحمه الحي .

ان الخروج من الوطن والوقوع فى التيه ومعاناة الجحود والانكار والتقلب على اشواك الذكرى تارة والاستقواء بها تارة اخرى .. ليست مسيرة الشاعر كلها وان كانت هى منبع الشجن الذى يتصعد فى أبيات القصائد ، نايا يرافق جميع الآلات الموسيقية بينما تعزف عليها الروح انغامها المختلفة .

لقد عاش الشاعر معارك الوطن .. قاوم الانتداب والصهيونية ، وسار مع قوافل النازحين وعاش فى المنفى على امل العودة وانطلق من الاغوار الى فلسطين عبر نهر الأردن . ورافق المجموعات الثلاثية التى قرعت ابواب البلاد شمالا من الخالصة ومعليا وترشيحا . وواجه الغزو فى جنوب لبنان ، وصمد فى بيروت ، وقتل فى الفردان مع كمال ناصر ومحمد يوسف النجار وكمال عدوان ، ثم ذبح مع أهالى صبرا وشاتيلا . وهذا كله هو الجانب الفلسطيني من معارك وجوده . اما الجانب القومى فليس اقصر شوطا . لقد عاش معارك الوحدة والانفصال والتضامن والتقاتل ، والأمل والخـذلان ، والالتزام والتمرد .. عاشها حتى نخاع العظام وخرج منها بجروح ليس ايسرها ان تلك المعارك لم تثلج صدر الجيل الذى خاضها ببرد الانتصار والكرامة :

مذاق النصر فى قاموسك العربيِّ
فاكهـــةٌ محـــرمةٌ
وطعم القهر كبريت وملحُ
وتنحبس الغيوم على حلاقيم الثلوم
وجرح شعبك فاغرٌ
من الف فاجعة يسحُّ
سالت الله عفوك
كم تنز قروحنا عبثَ الرياحِ
ولم يمس القوم قرحُ

ايمان بالأمة والتاريخ

وقوة الروح والموقف الشعرى الذى يتجلى فى ديوان يوسف الخطيب ، كما تجلى من قبل فى مجموعاته السابقة ، ياتى من ايمانه العميق بالأمة وتاريخها . ولهذا الايمان شان اى شان فى روايته للواقع الراهن ، وكذا فى تصوره للمستقبل الذى لا ينبغى ان يجيء الا على مستوى ولادة جديدة شاملة . فما دون ذلك احباط واجهاض ، وخيانة وانتهاز . وذلك ما يمده بالرفض واستشراف الجديد دائما ، دون مهادنة ، دون هوادة ، دون حياد ، ويعينه على الاحتفاظ بصلابته وهيمنته على عقله ومواصلة تاملاته ومراجعاته ، بل واتيان فعل الكتابة ذاته فى زمن الانهيارات الذى نشهده .

بل لعلنا لا نخطىء اذا اعتبرنا ان ايمان يوسف الخطيب بالامة وتاريخها ، هو الذى زود قلمه بالاداة اللغوية الرخيمة ، وامده بفيض الصور والاستعارات واللفتـــات التاريخية . ان لغته هى لغة القران الكريم والى القران الكريم يرجع القدر الاكبر من استعاراته وصوره وتضميناته . «فالنبوة» و « البعث » و « الطور » و « النـــاقة » و « النحر » « وثمود وعاد » و « الوحي » و « الغار » و « تبوك » و « الـــروم » و « الصنم » و « مكة » و « الكهان » ، كلهـا تضمينات مطروقة فى ديوانه الثـــالث « واحة الجحيم » . وهو يواصـــل فى « مجنون فلسطين » الاغتراف من هذا البحر الزاخر . وهكذا تتوالى صـــور « الاحقاف » و « الصحراء » و « الامام » « والصلاة » و « القرح » و « الفتـــح » و « السماء » و « السبع العجـــاف » و « القيامة » و « جبريل » و « المسيح » و « زمزم » و « طور سنين » و « الصيام » و « التنزيل » و « امراة العزيز » و «الجب» و « القدس » و « الدعاء » و « التين والزيتون » و « الكعبة » و « المسجد الاقصى » الخ ..

كذلك التاريخ العربى والجغرافيـــا العربية منبع ثر اخر لصور يوسف الخطيب . ولابد للمستمع او القارىء ان يلتقى « بابى بكر » و « عمر » و « علي » و « المعتصم » و « صلاح الـــدين » و « الظاهر بيبرس » و « ابو ذر » .. كمـا يلتقي « بشاور » و « كافور » . وسوف يطالع « اليرموك » و «القادسية» كما يطـــالع « داحس » و « الغـــبراء » وسوف يطوف فى « بغداد » و « الدلتا » و « الشام » و « تونس » ، ويصعد الى « المقطـــم » و « سنجار » و « أوراس » و « الجرمق » ويحوم فوق « النيل » و « الفـــرات » و « الزاب » ، فى انسراحات علوية تبحث عن بطل او رؤية او وعد اقترب .

والأدب العربى ــ الجاهلى والاسلامى ــ مقصد اخر لصور شاعرنا وتضميناته ومعارضاته ، فهو قد يستحضر « الملك الضليل » فى تجواله الماساوى ، وقد يستعيد صورة قبيلة مازن وهى تسارع الى فضيلة الغوث والنجدة ، وقد يستريح بالقارىء فى مضارب « الانبار » او يصور « غامدا » وهى تتراجع . وقد يشخص « سنمار » وهو يجازى على ابداعه شر جزاء .



مجنون فلسطين

أول ديوان من نوعه في الأدب العربي

ليس لنا ان نقول ان يوسف الخطيب تفرد بين الشعراء الكبار بالقضايا التى تشكل همومه وهواجسه ، ولا انه انفرد عنهم كلهم بمصادر صوره وعوالم اخيلته . ولكن لاشك بعد ذلك ان شاعراً معاصراً لم يغترف من التراث هذا الاغتراف ، ولم يعايش الثقافة العربية هذه المعايشة . انه فى هذا الباب نسيج وحده ، وهو اجدرهم — لو كان الزمان بعد زمان الالقاب — ان يلقب بشاعر الأمة .

نقول هذا القول ونحن نعلم ان ذلك السبب ـ تحديداً ـ كان ، من بين اسباب اخرى ، ادت الى انصراف اكثر من فئة من فئات النقاد عن شعره . فالاقتراب من يوسف الخطيب هو فى حد ذاته موقف . اضف الى ذلك ان الوصول اليه يقتضى التحليق عالياً نحو القمم التى بلغها مضمونه واداؤه الفنى فى وقت معاً . وشاعرنا لا يجهل ذلك على كل حال ، وهو القائل :

« رضيت جزاء عصيانى
ويُعرف من همُ الشعراءُ
لا من خلعة السلطانِ
بل من فادح الثمنِ
لأنى لم ابع بمزادهم قلمي
وما بدلت جلدة وجهى العربيّ
لم اسقط ولم اخنِ »

السكين والميلاد

لقد نجح يوسف الخطيب على كل حال فى ان يبقى متواصلا مع جمهوره الذى قراه او استمع اليه منذ الخمسينات . ولكن ذلك راجع الى جهاده الخاص ، شان الحائك الفنان الذى يحافظ بسهر الليالى ونور العيون والعمل اليدوى الدؤوب على مؤسسته المحترمة ، فى مدينة حلت فيها الآلات محل الأيدى ، واصبحت الأسماء اللامعة فى عالم المهنة تصنع صناعة بفضل دولاب الدعاية الرهيب ، لكى تسوق بضائع الممولين .

ولكن .. يا له من ألم ممض هذا الذى يعتصر الشاعر حين يبصر البشاعة والسوقية تغـزو كل شيء .. فى الصحافة والنقد وفى الحياة الفكرية بعامة . ان هذه المحنة الأليمة التى تعانيها النفوس الكبيرة فى ازمنة التراجع والانحطاط ، هى مما يعبر عنه الشاعر فى مواضع متفرقة من قصائده ـ على ان مما يدعو الى الاكبار انه لم يغمس ريشته فى مداد السوداوية او الحزن العدمى . لقد ظلت شكواه أقرب الى زفرة ملجومة بكبرياء التحامل على الجرح ، وظل صوته طليقاً ، ينشد معارك الأمة ، ويبشر بانتصارها الآتى ، ويستنهض عزائم ابنائها المخلصين ، ولا يخلو حتى من طاقة الفرح . وتلك هى بطولة الكاتب صاحب الرسالة :

لكننى ، اذ يشرب السكين لحم صدرى
احس اننى اقوم
احس ان وسع الارض مولدى وقبرى
وان ليلتى نجوم

صوفية ذهنية

ان ديوان « مجنون فلسطين » هو اذن دعوة ملحة الى ميلاد جديد طال انتظاره ، لابل دعاء وابتهال حار للخلاص من الواقع الأليم .

ان التاريخ العربى والجغرافيا العربية (موضوع) مشترك فى معظم القصائد ، يصور الشاعر من خلاله اشواق نفسه الى حياة جديدة على غرار الأزمنة الذهبية التى اكدت الأمة فيها حقيقة قدراتها ، ومبلغ جدارتها . وحضور الشاعر فى قصائده هو حضور الرائد الذى يتلهف على البدء بالرحلة مدفوعاً بحريق اعصابه حتى ليشد تلابيب الركب ، غير متيح للمسافرين مهلة لحزم حقائبهم ! واحياناً يبدو أشبه بجندي يخرج من المعارك في اخر ساعة من ساعات الدخان ، مثخناً بجروح الهزيمة ، ولكنه في عجلة من امره ، يقوده ضميره الى التحرق لقتال سينشب فى مكان ما أو التحيز الى فئة تنتظر حضوره في موعد ما وكثيراً ما يبدو على هيئة رجل اشعث اغبر يضرب فى الصحراء فى انتظار ما يشد أزره بمعجزة الكلمة التي تغير كل شيء أو يبدو على صورة فارس القبيلة وشاعرها الذي يستصرخ القبائل ويستنخيها .

وما اكثر وقفاته تحت باب السماء عقب اسفاره المنهكة وقد احتشد هو وذكريات هزائمه في حزيران وايار وايلول ، وعذاباته وعذابات اولئك الذين يشاركونه الاحساس بانهم مضطهدون ومطاردون ، وقد طهرهم عذابهم وقربهم من السماء ، ثم اندماجه في المناجاة والدعاء ، واهراقه اسرار قلبه وقد بلغ به الجهد حد الصوفية الذهنية التي تتحد بالهواء والنبات والصخر والتراب ، وانتهاء ذلك المشهد كله بالصمت وايصاد نافذة السماء دونه ، والهبوط مرة اخرى على ادراج الاحباط والانكسار .

هذا المشهد الذي يتكرر في اكثر من قصيدة بصور مختلفة ، هو اكثر المشاهد اعتصاراً للقلب . ولا يعيد الى الشاعر توازنه بعد هذا السقوط الا الاستقواء بالحب والذكرى ، والارتفاع على اجنحة الغناء الى سماء اخرى يحوم فيها حول الحمى ، فيتزود بطاقة جديدة من الأمل والعزاء .

فالحنين الى الوطن ، واستذكار عهوده وبهائه ، ليس مهرباً كما قد يتخيل البعض ، وانما هو مقصد للأمل الذي ينشد التجدد .

ولقد شغل « الحنين » في ديوان «واحة الجحيم» حيزاً اكبر ، واتسم آنذاك بصبغة غنائية اكثر رهافة مما هو الحال في «مجنون فلسطين» . على انه في هذا

الديوان ما يزال منبعاً شديد الصفاء لغنائية آسرة تواتي يوسف الخطيب ،فينساق معها مطلقاً لغريزته العنان ، تاركاً للعديد من الشعراء الحديثين ان ينسجوا على منواله ويسيروا على الطريق الذي عبره ، متجاوزاً أولئك الذين يكبلون انفسهم في بحثهم عن المعادلات الذهنية المجردة او الصور المعقدة ، لتاتي اشعارهم مطابقة لمواصفات المدارس النقدية والاشعار المترجمة التي قرؤوها .

لنستمع اليه وهو يستقوي بالحنين والتذكار :

« كأنَّ قلبي الآن عصفورٌ من النارِ
ثنى منْ قفص الصدر جناحيْه
يشي إليكِ يا قيثارةَ الرياحِ شجني
فصب لى كأسَيْن
قد واعدتها الليلة في اللطرونِ
وانظرْ كلَّ ارجاءِ المدَى
هذا الجمال ، تحت قمر السماء ، وطني ..
احسُّ اني اختصارُ حزنه
وانه انتشارُ بدني
اولئك الصبية — من نافذة القطار — اطفالي
وهذه السقيفةُ المضاءُ بابُها
تحت سعف النخيلِ .. سكني .. »

اجل .. انما هي ذاتها غنائية يوسف الخطيب التي اسكرتنا سابقاً في « واحة الجحيم » ولكنها الآن تفسح مكاناً أوسع لحواريات درامية حادة يقيمها الشاعر مع أعداء الأمة ، يحس القارىء ان كلماتها تتساقط كالحجارة المسننة او الكسف المشتعلة من النيازك .وأعداء الأمة في رؤية الشاعر اخفى مما تطالعنا به الصحف صباح مساء حين تتحدث عن الامبريالية والرجعية .. انه بوضوح ان :

« حقيقة الأمر في جوهر العصر كله — من اقصى اليمين الى اقصى اليسار — هو انه عصر الردة العالمية الشاملة الى روح التوراة (...) وفي هذا القاسم المشترك الأعظم تلتقي الكنيستان السياسيتان ، الغربية والشرقية على حد سواء .. » .

ولهذا يشهر الشاعر سيف الأمة على اعدائها باسلوب الدعوة تارة وباسلوب المحاكمة تارة ، واسلوب الخطاب تارة ثالثة وتغدو لهجته صلبة خشنة في هذه المواضع لتعبر عن الغضب والصراع والاستماتة :

الم يزل يكتسح الأرض حزيران
(وتُغْزَوْنَ ولا تَغْزُونْ ؟)
قد جرعتموني الموتَ انفاساً
وهذي غامدٌ قد بلغت خيولها الانبارْ » .
وقد يخاطبهم بهذه الحدة :
« إرثُ ابي هذا ..

وانتم اقتسمتموه عن يدِ اللصوصِ
خنتموهُ .. بعتموهُ الغرباءْ
هم رسموا حدودَكم .. هم بيغوا جلودَكم
هم فصّلوا وجوهَكم .. وعدّدوا الاسمَاءْ »
وقد يجار بالرؤية العارية بكل بشاعتها ويصرخ :

« اتنهدمُ القبورُ على القبورِ
ويمحي بأديم هذي الارض ادمُها
وما ينهدُّ للطاغوتِ صرحُ ؟
كأنّ مدى المحيطِ الى الخليجِ ..
مُدًى تعيثُ بمسلخ
فيكون جزارٌ وابقارٌ وصلحُ
ويقوم بين الناس اكثرُ من مسيلمةٍ
وتلتمعُ الدمى
ويعمُّ هذا الكونَ قبحُ
واكثر ما يكون اشتجاره مع اعداء الامة في قصائده العمودية :

قل للدخيل ركبت اليم ساجيةً
امواجه وفؤاد اليم زخارُ
ما انت بالأول العاتي بصفحته
ولا باخر من يطويه تيارُ

ويقول ايضاً :

يا من تعاتب اسرائيل واخجلا
متى يلام بعنق الشاة جزارُ
الا كما لام عبد الذل سيده
واسترحمت شبقَ الساطور ابقارُ

وليست اسرائيل ومن وراء اسرائيل هم اعداء الأمة الوحيدون . فالشاعر يتصدى لاولئك الذين يمثلون « حالة فاجعة قد اقتحمت منطقة النفس الفلسطينية حتى الاعماق هي حالة (اوديب الفلسطيني) الذي يستاق وراء سراب الدولة الملفقة حتى الياس والجنون والانتحار » فيخاطب أوديب الفلسطيني :

« وكانَ دمٌ فى يديكَ
ولحمُ الضحيةِ في ناجذيْكَ
وكان غرابٌ يحط سراديبَ نفسِكَ
يتعبُ فى الليلِ ، اضغاثُ حلمكَ

كلاسيكية جديدة

هذه لمحة عن ديوان يوسف الخطيب الجديد « مجنون فلسطين » . وقد اتاح لي الاستماع اليه متعة اكثر من مضاعفة . فالقاء الشاعر ، وهو بالمناسبة شيء لا ينفصل فى نظره عن العمل الشعرى بمجمله ، يقف على قدم المساواة مع المضمون الممتاز . وتجيء الموسيقى المختارة للقصائد كانها صنعت لها فى الأساس ، وتسبق الالقاء المؤثر او تتخلله أو تعقبه ، فتضيف بعداً جديداً رحباً لهذا الأثر الأدبي المدهش .

ان ديوان « مجنون فلسطين » الذى صدر حديثاً ، وعرض لاول مرة فى جناح فلسطين بمعرض دمشق الدولي خلال نهاية الصيف الماضى ، هو اكثر من كتاب جديد . انه دليل عافية وخصوبة فى ضمير الأمة . وبرهان على امكان التطوير الأصيل للشعر العربى . الأمر الذى يبشر بامكان التطوير الأصيل للحياة العربية فى شتى مجالاتها .

هذه الكلاسيكية الجديدة ، تشق طريقها عبر ركام من الغثاثة والتزوير ، فتكرس نفسها فى ضمير المستمع والقارىء ، وتعرف سبيلها الى صميم الروح ، بهموم عربية ، ولغة عربية ، وصور عربية ، وما ذلك الا لانها هى التجديد المتصل اتصالا حقيقياً بالقديم ، اى بالذاكرة التى تملكها الأمة . لقد اضطلع الخطيب بهذه المهمة الكبيرة ونجح فى معالجة قضيتي الاصالة والحداثة فى الشعر العربى الجديد ، على نحو مفرح حقاً . ونجزم انه الرائد الكبير فى هذا الباب . ذلك ان التيارين الكبيرين المهيمنين على اوساط الشعر والشعراء فى زماننا هما ، التيار الاوربى المسيحي ومدارسه ، والتيار الجمالى الماركسي بمدارسه . ومن المفهوم ان هذه (الهيمنة) تتعدى التاثر الادبي المجرد ، الى السيطرة على قائمة طويلة من الصحف والصفحات الأدبية التى (تلتزم) بالنشر لاولئك المنتمين الى مدارسها .

ومن هنا كانت سباحة يوسف الخطيب عكس هذه التيارات ، وتاصيله محاولته الخاصة المستقلة ، عملا شجاعاً بقدر ما هو مكلف . ويبقى الحكم للقراء والمستمعين من هذا الجيل والأجيال العربية القادمة أيضاً .

ناهض منير الريس

لماذا هذه الكثرة في معاهد الإعلام وكلياته ؟!

بقلم : أحمد عبد الملك

دخلت الدراسات الاعلامية الاكاديمية فى الوطن العربى عام ١٩٣٥ بالجامعة الامريكية .. وبعد ذلك التاريخ افتتح معهد بالقاهرة للتحرير والترجمة والصحافة وكانت الدراسة فيه تعتمد على مواد تكميلية لمن يتخصصون فى دراسات أخرى .

ثم بدأت الدراسات الاعلامية فى كافة انحاء الاقطار العربية كتونس والجزائر والسودان وبغداد وبيروت ثم السعودية وليبيا ومصر . (المصدر عام ١٩٧٨) .

وكان يوجد عام ١٩٧٧ اربع عشرة وحدة اكاديمية للدراسات الاعلامية فى البلاد العربية . ولقد ضمت هذه الوحدات الى كليات بعينها حسب ظروف كل بلد .. منها على سبيل المثال :ـ

- قسم من كلية الآداب بالسعودية ، السودان ، بغداد ، بنغازى واسيوط .
- كلية مستقلة : وهما وحدتان بالوطن العربى :ـ كلية الاعلام والتوثيق بالجامعة اللبنانية ٢ ـ كلية الاعلام بجامعة القاهرة .
- معهد مستقل : كما فى تونس والجزائر .
- فرع من قسم كالجامعة الامريكية فى كل من القاهرة وبيروت .
- معهد للدراسات العليا : المعهد العالى للدعوة الاسلامية بجامعة محمد بن سعود الاسلامية .

المعاهد الاعلامية فى البلاد العربية :

اولا : تونس : ولقد انشىء عام ١٩٦٧ باسم معهد الصحافة وعلوم الاخبار داخل الجامعة التونسية .

وبلغ عدد الذين تخرجوا من المعهد حتى عام ١٩٧٦ م ٤١ طالبا كالتالى :

عام ٧٣ ـ ١٩٧٤ ـ ١٢ طالبا
٧٤ ـ ١٩٧٥ ـ ٨ طلاب
٧٥ ـ ١٩٧٦ ـ ٢١ طالبا

ولقد بلغ عدد طلبة المعهد عام ٧٦ ـ ١٩٧٧ ـ ٣١٠ طلاب نسبة الطالبات بينهم ٢٧٪ (وواجه المعهد نقصا فى هيئة التدريس) .

ثانيا : الجزائر .. بدأت دراسة الاعلام فى اواخر عام ١٩٦٤ حيث المدرسة العليا للصحافة .. وفى عام ١٩٧٦ انشىء المعهد الحالى بعد دمج المدرسة العليا للصحافة ومعهد العلوم السياسية .. ويتبع المعهد جامعة الجزائر . وواجه المعهد كذلك نقصا فى هيئة التدريس فى المواد الثقافية حيث يتم انتدابهم من معاهد اخرى ، كما يواجه صعوبة فى توفير اساتذة للتدريب باللغة العربية .. كما يواجه صعوبة فى توفير الأساتذة المتخصصين اعلاميا ونقص الكتب العربية .

ثالثا : المملكة العربية السعودية ..

١ ـ قسم الاعلام .. جامعة الرياض .. لقد انشىء القسم عام ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ وله فروع تخصصية فى الصحافة ، الاذاعة والتليفزيون ، العلاقات العامة ، ولقد تخرجت الدفعة الأولى عام ١٩٧٦ وكان عدد افرادها عشرين .

واهم المشكلات التى كان يعانى منها القسم هى :

- النقص فى هيئة التدريس .
- عدم توفر مراجع اعلامية كافية باللغة العربية .

● ضيق المكان الذى يشغله القسم / بكلية الآداب ، رغم توفر الأجهزة اللازمة .

● قسم الاعلام ـ جامعة الملك عبد العزيز ـ جدة .

ويتبع هذا القسم كلية الآداب والعلوم الانسانية ، وانشىء عام ٧٦ ـ ١٩٧٧ بعد مرحلتين تمهيديتين .. وثمة ملاحظة هنا فالى جانب التدريس العملى فى المؤسسات الاعلامية الذى تفرضه المناهج على جميع الشعب يدرس الطلبة ـ اجباريا ـ حسب تخصصاتهم عدداً من المواد العمليــة ، كالطباعة والتصوير الصحفى ، والفن الاذاعى ، والاختزال .. كما يدرسون مواد نظرية تطبيقية كالتحرير والاخراج الصحفى والكتابة للاذاعة والتليفزيون .. واكبر مشكلة كان يعانى منها القسم هى نقص اعضاء هيئة التدريس .

رابعا : قسم الاعلام ـ جامعة بغداد

اسس هــذا القسم فى كلية الآداب باسم «قسم الصحافة» وبدات الدراسة فيه عام ٦٤ ـ ١٩٦٥ ولقد بلغ خريجو القسم حتى عام ١٩٧٥ مئة واثنين وتسعين خريجا .

وكان القسم يشكو من نقص اعضاء هيئة التدريس ونقص فى المكتبة ، والمراجع .

.. فى دولة الكويت ودولة قطر هنالك مشاريع لانشاء وحدات للدراسات الاعلامية

ولقد رفعت اليونسكو تقاريرها بذلك الى المسؤولين (كان ذلك عام ١٩٧٨) .

بعد هذه المقدمة التاريخية عن الدراسات الاعلامية فى الوطن العربى يتساءل متسائل اين الكوادر الاعلامية التى خرجتها هذه الكليات والمعاهد ؟ اين الخطط والتوجهات الاعلامية التى حشرت فى عقول الدارسين .. ثم اين اثر كل ذلك على المواطن العربى من الخليج الى المحيط فى وقت ارتبط فيه الاعلام بالسياسة .. تنوعت التوجهات فى البلاد العربية .. ونشات هوة سحيقة بين الاكاديميين المتخرجين من الكليات والمعاهد وبين من يمثلون التوجه السياسى والذين غالبا ما تخصصوا فى مجالات لا تمت للاعلام بصلة .. من هنا تضيع كل خطط الدراسات الاعلامية .. وتظل الافكار النيرة ، التى يتطلبها الاعلام كل لحظة حبيسة جماجم الاكاديميين .

ويحق لنا فى هذه العجالة ان نتساءل .. هل تحقق نوع من التطور فى الاعداد البرامجى فى محطات الدول العربية ؟؟ هل تغير الابداع الروتينى فى الاداء الهندسى والاخراجى ؟ ثم هل طرا تبدل واضح على برامج الاذاعات .. واخيراً هل استطعنا تكوين راي عام ؟

وهنا بيت القصيد .. ان تكوين الراي هو الهدف الأسمى للاعلام والا ما قامت كل تلك المؤسسات .. وما صرفت كل تلك الأموال .

الحاجة الى التقويم

ان التخطيط مطلب حيوي لكل المرافق .. لكنه يلح فى المجال الاعلامى إذ كيف تدخل الموظف أو الطالب كلية أو معهداً اعلاميا يدرس أصول العمل ثم نكبله بالروتين المضروب فى المؤسسات الاعلامية .. فعلى سبيل المثال يحاصر المخرج المبدع بعدم توفر الاستوديو لاخراج برنامج ذي مستوى جيد .. وبعدم توفر الموظف او الفنى المبدع الخارج من دائرة الروتين .. وبعدم وجود العدد الكافى من الموظفين الملتزمين .

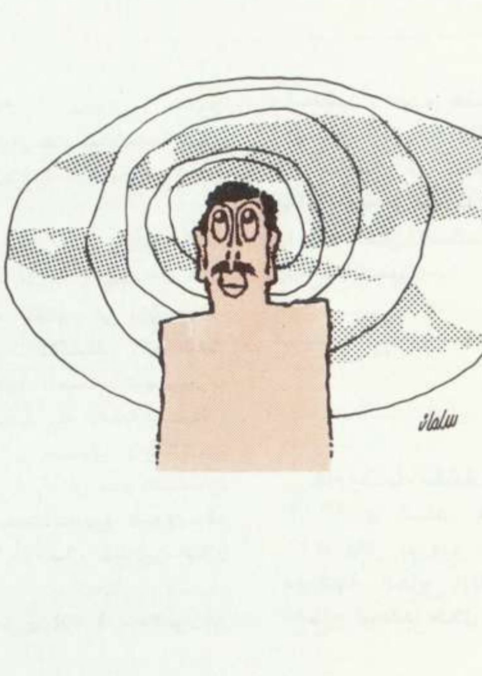
ان الأموال التى تصرف على المعاهد والمراكز الاعلامية يجب ان يقابلها انتاج او ابداع فكرى وتقنى يحقق ما تصبو له الدولة .. وما يجيش بصدر الطالب او المتدرب .

وكثيراً ما صادفنا ان بعض الدول ترسل متدربيها الى المعاهد او المراكز كبادرة مشاركة تمليهــا الظروف والتوجهـات المشتركة فيعود هذا المتدرب الى محطته دون ان يتبدل فيه شيء . بل دون ان يمنح الفرصة لتطبيق ما درسه وتدرب عليه .

ان الاعلام منهج متطور جداً .. ويجب ان يشعر القائمون عليه ان حشر المعلومات فى عقل الموظف فقط تعتبر عملية جديدة لافتتاح متاحف واثريات ـ لا تتناسب والاعلام الحديث .

ويجب ان ندرك بانه ان كنا لا نعرف السباحة لماذا نبحر بدون طوق نجاة .. وان كنا لسنا بحاجة الى عشرين غرفة بالمنزل لماذا ننشئها وان كانت الظروف لا تسمح الى عشرين غرفة بالمنزل لماذا ننشئها .. وان كانت الظروف لا تسمح للمتدرب او الموظف بتطبيق ما يدرسه لماذا نجلب الخبراء ونصرف عليهم اموالا تفيد فى مرافق اخرى .

واخيراً .. نحتاج لعملية تقويم .



المصدر :

التدريس الاعلامى فى الدول العربية
الرياض ١٩٧٨

ثروة نادرة
من المخطوطات الإسلامية في إيطاليا

● مكتبة ميلانو تحتفظ بكتب من التراث العربي لا يوجد لها شبيه في العالم ●● في "الأمبريزونا" أقدم مخطوط لكتاب "سيبويه"

بقلم: وجيه الشربجي

أمام المحاولات الخطرة الهادفة الى تعويم العقل العربى ، والحاقه بالعقل الغربى ، ليفقد القدرة على الريادة والابداع ، تبرز مسؤولية مثقفى الوطن العربى وطليعته الواعية ، فى الدعوة الى التمسك بالاصالة ، والحرص الشديد على التراث الذى يمثل ذاكرة الحاضر للأمة العربية ، والبعد التاريخى لشخصيتها المميزة .

وتجاه الجهود المنظمة التى تبذل للتعتيم على حضارة العرب ، لابد من وضع خطط مبرمجة تتناسب مع قيمة تراثنا ، لربط ماضينا بحاضرنا ومستقبلنا ، فنحن من الشعوب الأغنى فى العالم بتراثها وحضارتها الانسانية .

ان الحركات المضللة التى تاتينا من الخارج لتغرينا بهجر تراثنا ، ولتبعدنا عن ارومتنا وتفصلنا عن جذورنا ، غايتها وضع الشباب العربى ضمن دائرة الانفلاش القومى ، هذه الحركات لا يجهضها إلا العودة الى التراث عودة يقظة صادرة عن موقف حي ، لبناء تراث متجدد فى اطار العصر ، ومنبثق عن حاجات النضال العربى فى المرحلة الحالية ، ليتسنى لنا التخلص من الانهيار الحضارى الذى فيه نعيش .

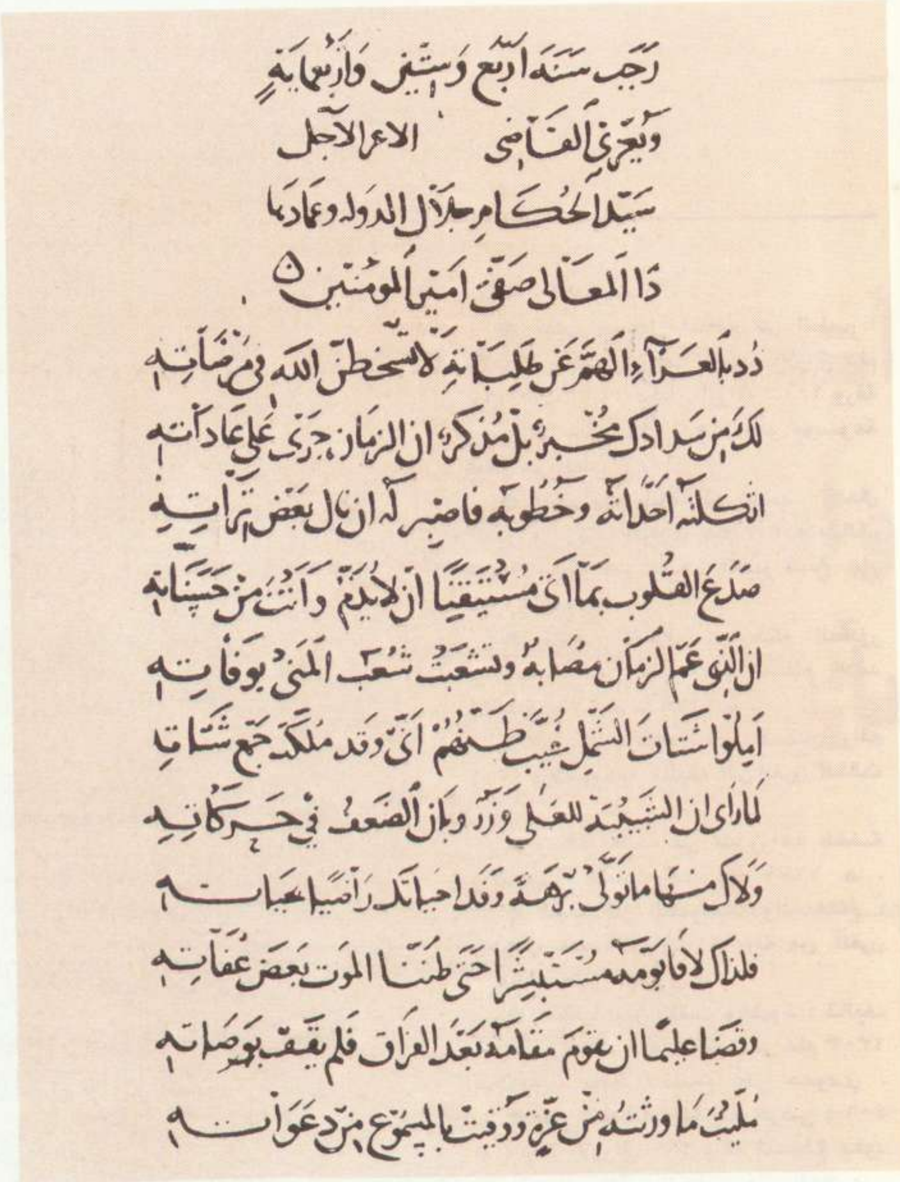
ومن خلال هذه الظروف بالذات .. ينبغى تكريس هويتنا التاريخية وتاكيدها ، وبعث التراث من جديد واعادة فهمه وتطويره دون ان يكون فى ذلك ضياع لاصالته ومكوناته الاساسية ،فتراثنا بعمقه الاجتماعى والثقافى يستوعب جميع التجارب الحياتية والابعاد الحضارية التى مرت بها الأمة العربية الممتدة ابداً فى التاريخ .

وحيال هذه القيمة الكبرى للتراث ، نستشعر الحاجة الى الاحاطة بتراثنا الفكرى المخطوط ، المنتشر فى المؤسسات الثقافية العالمية ، لاكتشاف الانجازات العلمية التى قدمها العلماء العرب والمسلمون لذات الحضارة الانسانية ، ووضعها بالتالى فى متناول الأجيال من مختلف الأمم ، كي تدرك ان هذه الحضارة الراهنة التى تلمسها البشرية اليوم ، قد ساهم فى بنائها الانسان العربى خلال عصور الازدهار .

ومكتبة (الامبروزيانا) بميلانو فى ايطاليا ، احدى هذه المؤسسات الثقافية الكبرى التى تحتفظ بكنوز من المعرفة الاسلامية ، تستمد قيمتها العلمية والتراثية من كونها ، عميقة الابحاث الفها اعلام الفكر الاسلامى . ويبلغ عمر اغلبها مئات السنين .

مكتبة ميلانو ..

قام بانشاء مكتبة (الامبروزيانا) فى عام ١٦٠٩ م اسقف ميلانو الكاردينال (فدريكو بورميو) وذلك للوقوف فى مواجهة الغزو الثقافي الاسبانى الذى اجتاح ايطاليا خلال احتلال الأسبان لشبه



صفحة من ديوان ابن حيوس .. وهو من المخطوطات النادرة

الجزيرة الايطالية . ولم يبخل الكاردينال (بورميو) بالجهد والمال فى سبيل إغناء المكتبة بامهات الكتب المطبوعة وبنوادر المخطوطات العالمية ، فعمد الى ارسال البعثات والرسل إلى انحاء العالم . لشراء انفس الكتب المطبوعة والمخطوطة ، وقد تمكن من الحصول عليها من اليونان وإيران وفرنسا وتركيا وسوريا وليبيا والحبشة وايطاليا الجنوبية وفلسطين والمغرب .

ويقدر عدد المخطوطات الموجودة حاليا فى مكتبة « الامبروزيانا » باكثر من ثلاثين الفا . وهى فى اللغات العربية والتركية والسريانية والعبرية والفارسية واللاتينية والارمنية واليونانية ، أما عدد الكتب المطبوعة ، فقد تجاوز مجموعها اكثر من نصف مليون كتاب .

وتعتبر مكتبة (الامبروزيانا) بميلانو من اغنى مكتبات اوربا على الاطلاق بالمخطوطات العربية النادرة ، ومعظم كتب التراث الاسلامى المحفوظة فيها لا يوجد لها مثيل فى اى مكان آخر . وعلى الاخص مجموعة المخطوطات العربية اليمنية القابعة فى خزائنها ، وهذا ما جعل معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، يبذل قصارى جهده للاطلاع عليها والاحاطة بها فارسل بعثة خاصة الى المكتبة المذكورة ، وقامت بتصوير وتوثيق المخطوطات العربية واصدرت فهرسا بمعظمها . وتبين ان عدد هذه المجموعات القيمة من المخطوطات العربية يزيد على ٢٥٠٠ مخطوطة انتقلت الى ميلانو ودخلت مكتبة « الامبروزيانا » بطرق مختلفة :

- المجموعة الأولى : اشتراها الكاردينال (بورميو) من ماله الخاص فى عام ١٦٠٩ م كما اسلفنا سابقا ، واستطاع الحصول عليها باساليب متنوعة . فتارة عن طريق لصوص التراث . وطوراً بواسطة من ارسلهم الى بلدان الشرق لجمعها .
- والمجموعة الثانية : اهداها الى المكتبة السيناتور الايطالى لوسا بلترامى فى عام ١٩١٤ وعددها ١٨٠ مخطوطة اغلبها من كتب التراث اليمني .
- واما المجموعة الثالثة : فقد جمعها من اليمن تاجر إيطالى عندما كان مقيما فى صنعاء عام ١٩١٠ وتتالف من ١٦١٠ مخطوطة قدمها الى المكتبة بمناسبة عيدها المئوى الثالث .
- والمجموعة الرابعة : حصلت عليها المكتبة بواسطة الكافاليرو نوزدا عام ١٩٢٧ م وكان قد اقتناها من ليبيا .

العلماء الألمان والطليان يهتمون بالمخطوطات

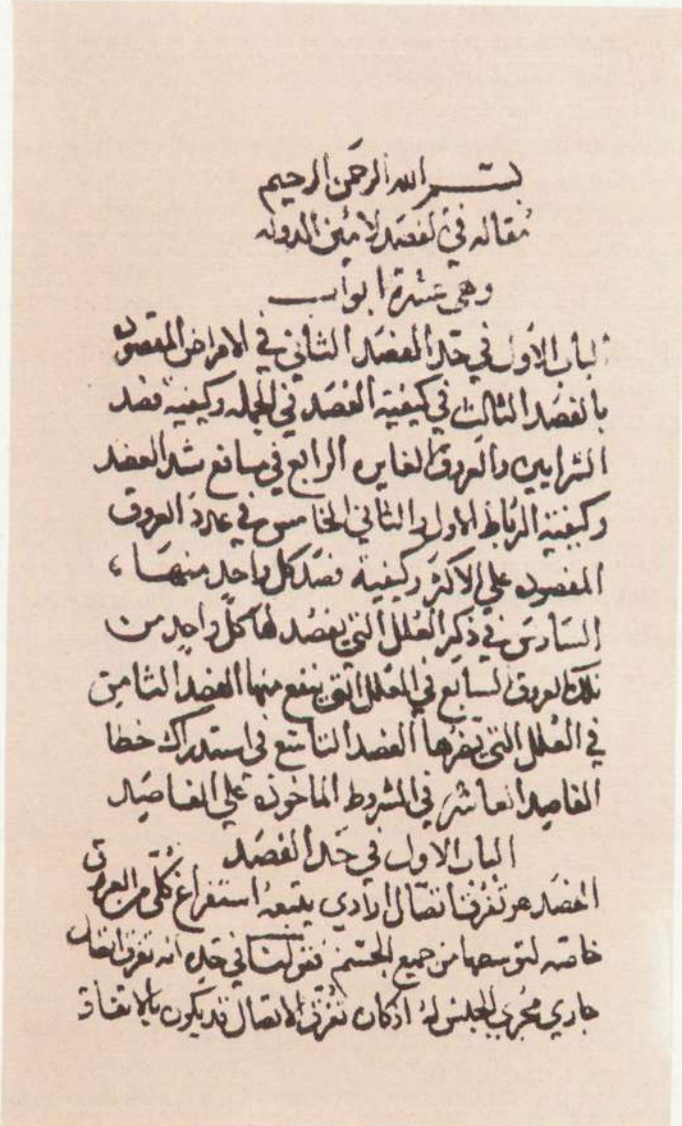
فى عام ١٨٢٦ م زار المستشرق الالمانى (دهامر) مكتبة الامبروزيانا ، واطلع على المخطوطات العربية المحفوظة بها ، ولمس اهميتها العلمية والحضارية . فقام بتنسيق بعضها واصدر فهرسا بها .

وفى أوائل القرن العشرين نشر المستشرق الايطالى (غريفني) مقالات وابحاثا شاملة فى المجلات الالمانية حول المخطوطات العربية الموجوده فى مكتبة « الامبروزيانا » ونظم فهرسا يضم ٤٧٥ مخطوطة عربية .

واما على الصعيد العربى ، فقد قام الباحث العربى الدكتور صلاح الدين المنجد بزيارة الى مكتبة « الامبروزيانا » فى عام ١٩٥٧ وبعد اربعين يوما امضاها بين كتب التراث العربى ، تابع العمل حيث وقف المستشرق غريفني ، فاصدر فهرسا ممتازا يتالف من ٢٠٠ مخطوطة ، ضبط به اسم الكتاب والمؤلف وتاريخه وعدد الأوراق ووضع الملاحظات الضرورية حول مزايا المخطوط وعيوبه وشانه .

ثروة نادرة

من المخطوطات الإسلامية في إيطاليا


بسم الله الرحمن الرحيم
مقالة في الفصد لأمين الدولة
وهي عشرة ابواب

مخطوط فى الطب لأمين الدولة عن « فصد الشرايين وشد العضد » .. إنه من المخطوطات العلمية الهامة

أبحاث كتب التراث

مواضيع هذه المخطوطات متنوعة الاغراض ، فيها كتب تبحث فى الزراعة والبيطرة والطب والمعادن وقسم كبير يتناول المنطق والفلسفة والدين واللغة والنحو والفلك ، وجزء يسير من دواوين فحول الشعراء العرب ، وتلتى فى مقدمة هذه الكتب النادرة والهامة اقدم مخطوطة فى العالم وهى (الكتاب) لسيبويه ، تم اكتشافها فى المكتبة عام ١٩٥٨ م ، ونذكر على سبيل المثال وصفا مكثفا لنماذج من المخطوطات العلمية والأدبية الكامنة فى مكتبة « الامبروزيانا » .

● كتاب تسهيل المنافع فى الطب : تاليف ابراهيم بن عبد الرحمن الأزرق عام ٨١٥ هـ ـ ١٤١٢ م عدد أوراقه : ٢٠٠ ورقة نسخ فى سنة ١٠٩٤ هـ (وهو موسوعة قيمة فى الطب) .

● كتاب برء ساعة فى الطب : جمال الدين بن زكريا الرازي عام ٣١٣ هـ يتالف من ١٥ ورقة من الحجم الكبير نسخ عام ١٢٤٣ هـ .

● كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار : لعز الدين عبد السلام احمد المقدسى ٦٧٨ هـ ـ ١٢٧٩ م .

● فى علم الرمل والطب : عدد أوراقه (٥٠) ورقة ويعود تاليفه الى القرن الثالث عشر .

● رسالة لطيفة فى علم زراعة الفضة والذهب : طبعت فى عام ١٢٧٩ هـ .

● قطعة فى الطبيعيات والصفائح : لمجهول عدد الأوراق ٢١ ورقة من القرن الحادي عشر الهجرى .

● مناظرة بين القات والقهوة : تاليف احمد بن محمد المعلى كتبت فى عام ١٣٠٣ هجرية . بخط الناسخ علي حمودي .

● نهج البلاغة : للشريف الرضى (٤٠٦ هـ) عدد الأوراق ٢٠٠ ورقة النسخة يعود تاريخها الى القرن الحادي عشر الهجري .

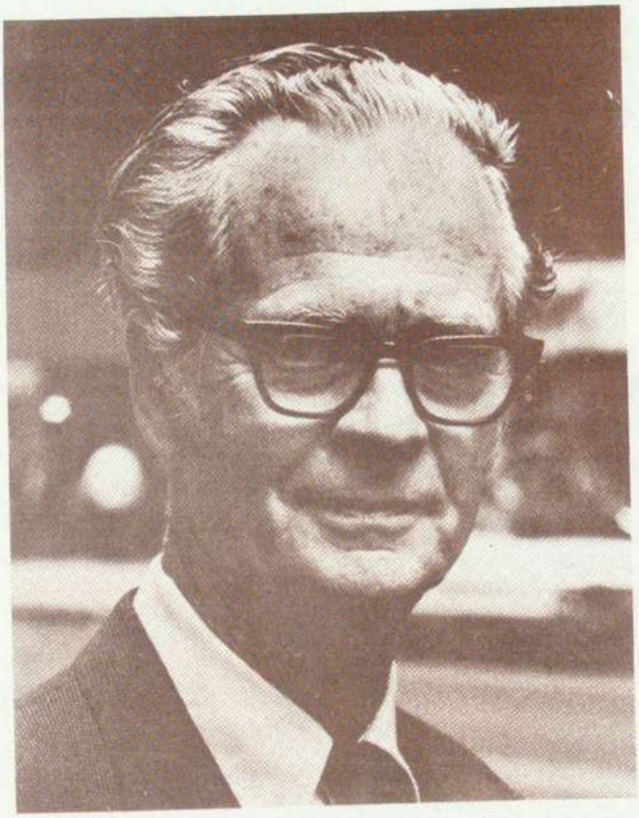
● قاعدة فى معالم الزراعة : باب فى معرفة خواص حلول القمر فى المنازل ـ باب فى معرفة اشراق الكواكب السبعة .

● ديوان ابي الطيب المتنبي : احمد بن الحسين (٣٥٤ هـ ٩٦٥ م) عدد الأوراق ٢٢٦ يعود تاريخ النسخة الى القرن العاشر ، بعض القصائد مذيلة بتاريخ خاص .

● ديوان الصاحب بن عباد : (٢٨٥ ـ ٨٩٨ م) يتالف من ٢٧ ورقة نسخ فى القرن الحادي عشر الهجري .

● المعتمد فى البيطرة : تاليف عمر بن علي بن رسول المتوفي في عام ٦٩٥ هـ عدد اوراقه (٧٠) ورقة النسخة ناقصة تعود الى القرن الثانى عشر هـ .

وجيه الشربجي : دمشق



عالم النفس « سكنر » الذى لا نعرفه رغم افكاره الجريئة

أعطني طفلاً وأنا أشكّله لك بأيّ صورة تريد

بقلم : عبدالوهاب الأنصاري

هذا مفكر عالمي جرىء لايعرفه العرب ، ولم يطرحه احد فى الساحة الفكرية عندنا لدراسته وفهمه والاستنارة مما يقدمه من آراء جديدة وما يقوم به من تجارب مثيرة . وفى هذا المقال اضواء على هذا المفكر العالمى الجرىء ...

يعتبر « سكنر » من اكثر علماء النفس تاثيراً وإثارة للجدل فى مجال العلم السلوكي . وهو إذ يشبه الانسان بالآلة فانه يلاقى معارضة شديدة من علماء التحليل النفسي الفرويديين . وذلك لأن السلوكيين لا يؤمنون بكوامن « داخلية » فى نفس الانسان ولا يتقبلون فكرة « العقل الباطن » او اية فكرة تتعلق « بجوهر » او « طبيعة » الانسان .

وقد تكون افكاره مالوفة عند اتباعه ، إلا انه لمن لم يسمع بها قد تكون مخيفة . وكتابه (ما وراء الحرية والكرامة) (١) يهيىء لنا ان نفحص فحوى رسالته . وهو يقول انه ليس بوسعنا ان نوفر المزيد من الحريات . يجب ان نستبدل الحرية بتحكم فى الانسان ، فى تصرفاته وفى ثقافته وحضارته . وليس مصدر هذا الكلام خيال علمى ، إنما هو يهدف فعلا ـ كاصحاب المدن الفاضلة قبله ـ إلى إقامة مجتمع يعمل فيه الانسان فى امان وصفاء ، مجتمع يتوفرَ فيه الغذاء للجميع ، ويعيش به الانسان فى بيئة لم تصبها آثار التلوث ولا تكتنفها ويلات الحرب الذرية .

هل الحرية وهم ؟

وقد كان سكنر يامل فى إقامة مجتمع عالمى مبني على اسس روايته المشـــهورة (والدن الثانية) . وهذه الاسس حول من هم الذين يملكون الارض وحقوق المراة والرجل ، التفرغ للفن والموسيقى والادب ، مكافات للسلوك الحسن ، التخلص من الغيرة والاغتياب ، واخيراً التخلص من فكرة الحرية نفسها .

وهو لايشك لحظة فى ان فكرة الحرية قد لعبت دوراً هاماً فى محاولات الناس للتخلص من القهر ، ولكن الحرية ذاتها اصبحت تهدد وجود إنسان القرن العشرين وسكنر معنيٌ بتوضيح كيف تفسد الاشياء حين نميل إلى تقديسها ، كفكرة الحرية مثلا . إن الاصرار على جعل حقوق الافراد هى الاهم ، سيؤدى إلى تداعى بنيان المجتمع . ويؤمن سكنر بان الحضارة

الغربية ستؤول إلى الزوال ، لتستبدل بحضارة اكثر صرامة وتقليما لافرادها . وإن حدث ـ يقول سكنر ـ سيكون الانسان الغربي قد فقد كل امل في الصورة الوحيدة للخلود : بقاء اسلوب حياته وتقاليده .

وتعليل هذا لديه ان الحرية (وحرية الارادة) ليست اكثر من وهم سواء شئنا ام ابينا ، لأن الانسان متحكم (بفتح الكاف) به فعلا من قبل المؤثرات البيئية الخارجية إذن ينبغي ان نبني حضارة بامكانها ان تبقى ، ويجب ان نقرر كيف ينبغي ان يكون سلوك الانسان . وذلك بتخطيط وتصميم مؤثرات بيئية تضمن السلوك المطلوب . هذه المؤثرات لابد ان تضمن لنا ان يكف الانسان عن تلويث البيئة ، وعن بلوغ الانفجار السكاني ، وعن التظاهر والاضراب واشعال الحروب . وذلك ليس لأن الانسان سيعرف ان العواقب ستكون وخيمة ، إنما لأن الانسان سيكون قد كُيِّفَ ليريد مصلحة الجمهور .

انتاج السلوك المطلوب !

ولكن هل حقا عالم كهذا ممكن ؟ . يعتقد سكنر انه ممكن ، لانه يؤمن ان بالامكان ان نشكل ـ لابل ونتنبأ ـ بالسلوك الانساني كما لو كان معادلة كيمائية . والطريق إلى هذا يكمن فيما يسمى بـ « التقنية السلوكية » ، وهو علم يهدف إلى تغيير البيئة ليتغير الأفراد . وسنرجىء الكلام عن المنهج السلوكي إلى بعد حين لنوضح كيف يفكر سكنر .

يوضح لنا سكنر ان الموارد آيلة إلى النضوب . ومع ذلك فنحن لا نكف عن استهلاك المزيد ، مؤدين بذلك إلى تدمير البيئة تدريجيا . وفي الوقت ذاته فان العلوم الطبيعية تاتي لنا دائما بالحلول المناسبة لاصلاح البيئة من جديد . ويبدو ان العلوم الطبيعية إنما تهتم فقط بالظواهر المادية في البيئة . اما حين نبدأ الحديث عن سلوك الانسان ، نكون بمثابة من اخرج الكلام عن مجال التقنية والعلوم الطبيعية . والحقيقة ان الحل يكمن في اصلاح الانسان نفسه عوضا عن إصلاح ما يفسده الانسان .

ولكن لماذا كان تطور العلوم الطبيعية اسرع من تطور العلوم السلوكية ؟ لأن العلوم الطبيعية لجات إلى تفسير الظواهر على انها اشياء مادية . وحينما كان الأمر يتعلق بالانسان ، كانت العلوم الطبيعية تتصرف ازاءه وكانه ليس شيئا من الأشياء كانه خارج دائرة الأشياء وفوقها ، وكانه مستقل بذاته .



إن العلوم الطبيعية لم تتطور لأنها فسرت الجاذبية ، مثلا ، بانها « جوهر » في الحجر الساقط إلى الارض ، ولم يتطور علم الاحياء لاكتشافه « طبيعة » ما كامنةً في اعضاء الجسم .

وحينما عجز الانسان عن تفسير ظاهرة ما ، فانه كان يلجا إلى تفسير خرافي أو اسطوري ، وحينما تعلق الامر بالانسان ، نسبت تصرفاته إلى « الطبيعة البشرية » أو « نوايا » أو « مشاعر » أو « حالات » ذهنية » أو ان شيئا ما يدور بداخل الانسان ولكن الآن ، ببزوغ الثورة السلوكية ، فلن نحتاج إلى مثل هذه الأساطير . لأنه بامكاننا ان نتنبأ ـ كما في العلوم الأخرى ـ بسلوك الانسان . بامكاننا ان نجعل من سلوك الانسان علما تجريبيا ، تمهيداً لاقامة حضارة مبنية على اسس العلم السلوكي .

والمبدأ السلوكي مبني اساسا على ان السلوك نتيجة للعوامل والمؤثرات البيئية الخارجية (إذ انه ليس هناك مؤثرات داخلية) . وما يتحكم بالسلوك هو نتائجه . وخلال تجارب الفرد وخبراته وممارساته يتعلم ما قد يكون نتيجة تصرف ما . وهو يتصرف مستقبلا من وحي ما تعلمه في ماضيه . وهذه الخبرات تشكل القيود التي تحد إطاراً لايخرج منه الفرد .

وحينما نقول «أن ما يتحكم بالسلوك هو نتائجه» فاننا نقصد المعززات التي قد تكون إيجابية أو سلبية ، فان كانت ايجابية سعى اليها الفرد وإلا فلا ، (إلا انه لايسعى اليها بمحض إرادته كما سنبين) ، والحقيقة ان الظروف التعزيزية المتعلقة بسلوك ما هي التي تقرر مسلك الفرد مستقبلا .

ولكن لماذا يلجا الفرد الى المعززات الايجابية ؟ إن السعي الى التعزيزات الايجابية سعي نحو الحرية ، فمثلا نحن نسعى الى حجرة مكيفة الهواء «لنتحرر» من حر الشمس ، ونسعى الى الأكل «لنتحرر» من الجوع وهكذا .

والحقيقة ان تطور العلوم الطبيعية ـ الذي بامكاننا ان ننظر اليه كسلوك ـ إنما في قرارته سعي الى الحرية . فوسائل المواصلات مثلا إجهاز على متحكم (بكسر الكاف) ومؤثر بيئي خارجي وهو سطوة المسافات ، وتقدم الطب سعي الى التحرر من الأمراض .

وخلال عملية التطور البشرى ، فانه لم يكن للانسان بد من السعي الى الحرية من اجل البقاء .

وبايجاز فان الفرد يسعى في كل تصرفاته الى مايعزز سلوكه إيجابيا ، فالمجاهد الذي يستشهد في الحرب ، يفعل ذلك ليبلغ الجنة ، او سعيا الى ثناء الناس عليه لبطولته ، وهو في اية حالة يتحرر من المانع الى بلوغ سبيله .

ونحن لانقول انه فعل ذلك لأنه رغب فيه ، لأن العملية ليست متعلقة بالشعور . لأن الشعور نتيجة للفعل وليس مصدراً له . سلوكه إذن مرتبط بالخبرات السابقة التي اتت له بشعور مماثل بعد اداء العملية . الشخص لا يتصرف لانه يشعر بالغضب مثلا ، إنما هو يتصرف ويشعر بالغضب .

وقد يلجا الانسان الى الانتحار للتخلص مما يتحكم به ـ اي البيئة التي قد فشلت في تعزيز سلوكه إيجابيا ـ سعيا وراء الحرية ، وقد يلجا الانسان الى السرقة بالرغم من انه يعلم ان العقوبة تعززه سلبيا .

إن الانسان في سعيه الى الحرية ، يسعى الى مايعزز سلوكه إيجابيا ، وإننا حين ننسب سلوك الفرد الى المؤثرات الخارجية (وليس الى بادرة منه) نكون بمثابة من يهدد كرامته ، فان قلنا عن الفنان الموهوب ان موهبته إنما كانت نتيجة للمؤثرات الخارجية والى المعززات السلوكية السابقة التي ادت به تدريجيا الى ان يكون موهوبا ، نكون قد انتقصنا من قدره ، وبالمثل فاننا نحاول إخفاء المتحكمات بالسلوك للحصول على الثناء على مقدرتنا فالمذيع مثلا ، لاينبغي ان ينظر الى ورقته كثيراً ، ليبدو وكانه متمكن من مادته ، ونحن لانمتدح اولئك الذين يبحثون عن المدح كالمنافقين والمرائين .

إننا في كل هذا نريد ان نؤكد لأنفسنا اننا مستقلون وان لدينا حرية إرادة ، في حين اننا لانملك شيئا منها ، إذ لامفر لنا من المؤثرات الخارجية .

وكنتيجة لرغبتنا في إثبات استقلاليتنا الكاملة ، فلقد شرعت الاباحية في بعض المجتمعات ، والذي يغفل عنه الاباحيون ،

هو انهم إنما يغيرون نوعا من المتحكمات بنوع اخر .

هكذا إذن هى الحالة . لا مفر لنا من المتحكمات . والحل الامثل إذن ، يكمن فى اختيار متحكمات تضمن لنا السلوك المطلوب . ويجب زرع هذه المتحكمات فى البيئة ـ او بمعنى اخر تصميم البيئة ـ بحيث يؤثر فى الافراد لينتجوا السلوك المطلوب .

ولكن كيف نصمم هذه البيئة ؟

هنا يدخل علم التقنية السلوكية للاجابة على هذا السؤال . إن منهج سكنر يعتمد على الاشراط الذى يستعمل بنجاح مع حيوانات المختبر . وباختصار فانه فى هذا المنهج يتم فيه مكافاة الحيوانات لتشكيل سلوكها حسبما يريد المختبر (بكسر الباء) . ويؤمن سكنر أن الطريقة ذاتها ممكنة مع الانسان .

إن الحمامة او الفار الذى يسقط بقفصه قطعة من الطعام حينما يضغط على قضيب ستزداد عنده القابلية لضغط القضيب مستقبلا . والطعام هو ما يسمى فى هذه الحالة بـ «المعزز الطبيعى» او الابتدائى ، وعملية الاكل هى الاستجابة الغير مشروطة .

مازالوا يتبعون منهجه

قبل عشرين سنة ونيف ، كنا نجد اتباع سكنر فى المختبرات الجامعية . اما اليوم فانهم ليسوا هناك كثيرا ، لانهم فى كل مكان فى المدارس والمصانع والمستشفيات والسجون وفى روضات الاطفال وحتى فى المطابخ . لكن المبادىء التى يعتمدون عليها لم تزل كما هى عندما صاغها سكنر ومعاونوه بملاحظاتهم للفئران والحمائم فى المختبرات .

وفى المدارس فان الات تعليم سكنر Air Crib كانت قد احدثت ثورة تعليمية فى حينها . كان سكنر قد زار ابنته التى كانت فى الصف الرابع فى حصة للحساب عام ١٩٤٥ ، وإثر الزيارة اخترع اداة للتعليمات المبرمجة ، لانه كان قد راى «عقولا تدمر» على حد تعبيره . وارتاى ان يتم تدريس النشء بنفس الطريقة التى يتم بها تعليم الحمائم . وانتشرت الته التى اخترعها فى مدارس امريكا . وهذه الالة تقدم للتلاميذ خطوات متتالية يسهل تعلمها وفى كل خطوة يتم تعزيز الجواب الصحيح ليس بحبة قمح كما يفعل مع الحمام ، إنما بجملة مطبوعة تقول ان الجواب صحيح .

وبعض النقاد ومن بينهم اتباع اوفياء لسكنر ، يرون أن هذه الطريقة فى التعليم مملة جدا ، وان ليس هناك دليل قوى على أن التعليمات المبرمجة تلتصق باذهان التلاميذ . ولكن سكنر يصر انها وسيلة أسرع من الطرق التقليدية ، كما انها تعطى المدرس فرصة للتفرغ للتلميذ النابغ .

وفى مستشفى للأمراض العقلية كان يتم علاج المرضى المتمردين باستخدام العلاج التعزيزى . كان العاملون يعانون من المرضى الذين يتاخرون عن موعد الاكل بعد قرع جرس الاكل . وحاول العاملون إغلاق الباب بعد عشرين دقيقة من قرع الجرس ورفض إدخال من ياتى بعد ذلك . وبالتدريج قصرت هذه المدة الى خمس دقائق فكان المرضى يحضرون بسرعة . إن ما يحصل فى هذه الحالة هو اننا نغير التعزيز من الحصول على انتباه العاملين بمضايقتهم بالتاخر ، الى نوع اخر من التعزيز ، الاكل لدى الجوع .

وليدحض عن نفسه تهمة السادية ، يقول سكنر ان المرضى يهرعون للاكل لانهم يريدون . وهذا يبدو كمنطق غريب لان المرضى مضطرون ان «يريدوا» خشية الجوع .

ولقد استخدم منهج التعزيز الايجابى فى شركة لتسليم الطرود . وللتقليل من الكسر الناتج من وضع البضائع فى الصندوق الغير ملائم ، كان المشرفون على العمال يثنون عليهم إن هم وضعوها فى الصناديق الملائمة ، وعملية الثناء وفرت على الشركة ٦٠٠,٠٠٠ دولار (ستمائة الف) كانت تدفعها للكسر اثناء النقل .

والامهات اللاتى يتبعن منهج سكنر ـ بعلم او بغريزة ـ يجدن سهولة فى تربية اطفالهن على العادات الحسنة وذلك بمكافاتهم للسلوك الحسن بدلا من عقوبتهم للسلوك السيىء . إن الام التى لا تهرع الى ابنها إلا إن بكى فانها تعزز فيه «الدلع» . ولكنها إن اتته من تلقاء نفسها وهو سعيد قائل لها «ماما» فانه سيتعلم أن يكلمها بنفس الطريقة من دون ان يخشى عدم تواجد امه حينما يريدها .

وتنحصر العملية فى عاملين ، فانها إما العقوبة او المكافاة التى تجعل من السلوك عادة . والعقوبة عموما وسيلة غير مجدية للتحكم . فالشخص المعاقب (بفتح القاف) لن يلتزم بالسلوك المطلوب منه بقدر ما يحاول اللجوء الى تجنب العقوبة .

ويهدف «سكنر» الى جعل الحياة اقل قسوة للفرد ببناء عالم يحب الناس فيه بعضهم ، عالم يكافا فيه الفرد لانه يريد ما فيه مصلحة حضارته .

المدينة الفاضلة

والحقيقة ان هذه النظرة عن الانسان تسلخ الانسان عن مسئوليته (كما تسلخ عنه الثناء على الابداع) . ليس هناك ما يعيب الأشخاص الذين يسيئون التصرف . فالشاب العاطل الذى لا يعمل ، لا يفعل ذلك لانه مصاب «بالعصاب» او «بانفصام فى الشخصية» او يشعر «بالاغتراب» ، ولكنه يفعل ذلك بسبب عيب ما بالبيئة فى المدرسة او البيت او المصنع او اى مكان اخر . وعند سكنر ، البيئة عطبة حينما تفشل ان تورث السلوك المطلوب فى افرادها او حينما تلجا البيئة الى العقوبة كوسيلة لايقاف السلوك الغير مرغوب به .

لقد آن الاوان لتطبيق نتائج الثورة السلوكية .

لقد اختار افلاطون حلا سياسيا لمدينته الفاضلة وتوماس مور وفرانسيس بيكون اختارا الحل القانونى فى القرن الثامن عشر وفى القرن التاسع عشر كان البحث يتم عن حلول اقتصادية . والآن فان القرن العشرين يشهد مدينة فاضلة سلوكية .

عبد الوهاب الانصارى

(١) ب . ف . سكنر (١٩٠٤ ـ ١٩٧٦) .
ـ رائد المدرسة السلوكية فى علم النفس .
ـ تاثر بالسلوكيين قبله من امثال واطسون وبافلوف ، واطسون كان يقول : « اعطنى طفلا وانا ساشكله لك باى شكل تريد» .
ـ عمل سكنر مدرسا بجامعة هارفارد من عام ١٩٤٨ الى موته .
ـ من اختراعاته ايضا «صندوق سكنر » لمتابعة التغييرات السلوكية فى الحيوان .

المراجـــــع :

1-B. F. Skinner : Beyond Freedom & Dignity, Bantam 1971.

٢ ـ كان ثورو قد الف كتابا قبل ذلك اسماه «والدن» بعد ان اعتزل المدينة وعاش فى الغابة لمدة سنتين . وكتابه الآخر «العصيان المدنى» ذو تاثير على غاندى .

قضيـة قـديـمة وأضـواء جـديـدة

الحداثة في الأدب

بقلم: محيي الدين فارس - الخرطوم

● لا تظلموا الموهبة باشهار سيف الادانة فى وجهها !

● لا تكونوا مثل استاذ الرياضيات الذى اتهم « إينشتين » بالغباء !

● فى كل عصر يصوغ الانسان أفكاره حسب احتياجاته الملحة

● الماضى كان المحطة التى انطلق منها الابداع ومازال يمتد فى عصور حضارته

● معنى الصراع بين القديم والجديد هو استمرار العطاء فى كل العصور

ينبغى ان نقرا الافكار التى تطرح نفسها بين الحين والحين قراءة متانية . لا لان هذه الأفكار تحمل جديداً ولكن لانها تثير ما اثير فى شكل حديث ومن خلال منظور عصرى . فهى تعيد ما قيل من قبل فى اطر مضمونها واحد .. واوانيها متعددة . ونحن نعرف ان المادة السائلة ذات العناصر المتماثلة والمنسجمة ستظل هى .. هى .. سواء اسكبت فى إناء فخارى قديم ، ام صبت فى إناء بلورى حديث .. يتغير دائما شكل الاناء .. ويبقى محتوى المادة المصبوبة هو .. هو ..

وتعلمنا التجارب المسنة حين نخوض غمارها ، اننا دائما فى حاجة ماسة إلى آلة زمان تختصر لنا المسافات .. وتجعل حلقات الزمان ذات صلات حميمة ، بل إن إيجاد مثل هذه الآلة امر هام لابعد الحدود حتى لا تتقطع أوصال الزمن وتتباعد مراحله . فنحن من الميالين إلى مراجعة التراث والتمرس بما فيه من روائع كما نحن نفتح الابواب على مصاريعها لنستقبل الانسام الندية فى آثار الأدباء الجدد مادامت تعبر عن واجهات زمانها بصدق .. وعفوية .. وإضافة ، وما دامت تعيش داخل عصرها وهى تمارس طقوس الابداع .. فمن حقها ذلك وليس من الحكمة او الصواب اشهار سيف الادانة واصدار حكم عليها لمجرد ورود اغلاط طفيفة فى ثنايا اعمالها لا تمس جوهر الموهبة من قريب او بعيد فمثل هذه الاغلاط يمكن اصلاحها مع الزمن ونمو عادة التامل الذاتى لاننا إن فعلنا ذلك كنا كاستاذ الرياضيات الذى حكم على التلميذ النابغة « البرت اينشتين» بالغباء . لانه لا يملك الحاسة التى تلمس قاع الغيوب او التى تكشف شرارة الموهبة الكامنة وراء بعض الملامح، واغلاق النوافذ امام المواهب الشابة عبثية لا طائل من ورائها وليس فى مقدور كائن من كان ان يغلق هذه النوافذ امام الاجيال الجديدة مادامت تملك زمام الموهبة التى تفرض نفسها على الساحة لان الوقوف كالجنادل لمنع تدفق الأمواه ، لا يمنع تلك الأمواه من ان تستحدث لنفسها طريقة اخرى تعبر بها عن ذاتها . لقد وقفت العوائق ضد منظار .. جاليليو .. كما وقفت ضد القابلات فى الأزمنة القديمة مما عرض الملايين من الأمهات للموت المحقق . ولكن ناموس الحياة ومنطقها العادل يتغلب دائما ويتدخل فى الوقت المناسب لصالح البشرية .

والاشياء لا تظل جامدة على شيئيتها عبر العصور محبوسة داخل صفة الثبوت والسكون العدمى المطلق لان الغرض الاول للاشياء يتاقلم مع البيئات الجديدة ملبيا احتياجاتها . منسجما مع رغباتها.لذا .. لم يبق هذا الفرض ، على حاله . بل تغير .. وتعدل .. ففى كل عصر يصوغ الانسان افكاره حسب احتياجاته الملحة ورؤاه الخاصة واسلوبه المميز فى التعامل مع الحياة ولا يمكن ان تكون افكاره نسخة بالكربون لافكار امم غابرة.. بالرغم من ان هذه الافكار قد تكون امتداداً امينا لافكار هذه الخلائق الغابرة والتى تمثل جماع

تراث الماضى المجيد. إن الارض التى كانت كروية فى يوم من الأيام اصبحت تدور الآن فى مـدار بيضى او بيضاوى كما يقولون . فالدوران لم يتغير .. وانما تعدل المجـال الذى تدور فيه الارض . حتى المعـــرفة اليقينية او التى تشبه اليقين المطلق إذا اصطدمت بما يجعل الثابت منها غير ثابت فانها يجب ان تعدل من وضعها .. ولعل الاشعة التى تخترق الاجسام الصلبة ، والتى ابت ان تخترق موضعا بعينه فى مدافن قدماء المصريين فى احد الاهرامات ستجعل العلماء يعيدون حيثيات تلك الاشعة ومعادلاتها بايجاد البدائل الملائمة لمنطق الفرض الاول للاشياء .

إن القول بان الجديد لم يعط شيئا .. خرافة .. واكذوبة بلقاء ، فالجديد فى كل عصر قد اعطى .. وغطى مساحة تاريخية هامة. والقول بان القديم يجب إهالة تراب النسيان عليه اغلوطة كبرى . فالقديم قد اعطى واجزل العطاء . ومازال يوحي ويعطى كمصدر إلهام . وقد غطى على مدار الزمان مساحة تاريخية عريضة .. ثم ان جذور الماضى العريق هى التى منحت المشاتل الجديدة فرصة ان تختار الاسمدة والأزياء التى تلائمها .. ولولا وجود ذلك التراث العظيم لاصبح كل اب طفلا لقيطا مجهول الهوية . ولصار كنبات العليق يبحث عن اكتاف شجرية ليريح عليها جسمه الهزيل .

وإذا قلنا إن التقاء الماضى بالحاضر فى اثناء مسيرة الحياة ظاهرة صحية ففى إمكاننا ان نقول .. إن المجال بلا ظاهرة فراغ ، اما الظاهرة داخل مجالها فهى «المكان» تتحرك فيه رئة الزمان شهيقا وزفيراً . ولا يمكن ان ننظر الى الحياة وهى تتشكل إلا داخل الثنائيتين «الزمكان» إن صح هذا التعبير . ومعنى ذلك ان الماضى كان المحطة التى انطلق منها الابداع



جاليليو



هوميروس



دانتى

ومازال يمتد فى عصور حضارية تاخذ برقاب بعض وبدون فواصل او فجوات إلا فى مراحل التحول من عصر الى عصر ، وقليلون جداً .. هؤلاء المبدعون الذين يقفون فى منتصف محطات الابداع تحت مظلة التامل الباطنى لغربلة الاشياء بالاطلال على الماضى لمراجعة ملفاته ، وبتجاوز «الآن» ليصبح قطعة من الماضى المجيد، وبالنظر الى جميع الاتجاهات فى لحظة واحدة . وهؤلاء بحكم انتمائهم الى اجيال مختلفة ، متباعدة المرامى ، متباينة الميول والمشارب، ولمرورهم على تجارب عديدة كانت ومازال نظرتهم الى الاشياء تتسم بالموضوعية والنقاء والشفافية وهم لذلك يؤمنون بقيمة الصراع الشريف بين القديم والجديد من اجل الاضافة ورفع قامة الاعمال الانسانية الى اعلى، باعطائها فصائل دم جديدة . وهذه الفصائل وجدت ومازال توجد فى كل عصر واوان لبناء خلايا الحياة كقطع غيار لابد منها ، وهذا الصراع ســـيظل متصفا بالديمومـــة والاستمرارية شئنا هذا ام ابينا . والاثار التى تكون وليدة الصراع بعضها يعيش عدة عصور ثم ينسحب من الساحة وبعضها يظل حيا فى كل عصر واوان .

ولعل هذا ما يفسر لنا بقاء التراث الكلاسيكى الخالد حتى يومنا هذا عند سائر الأمم العريقة كالياذة هوميروس واوديسته . والف ليلة وليلة وكليلة ودمنة وروائع المتنبىوابى العلاء المعرى ودانتى الليجيرى وغيرهم والاشياء تنمو من تلقاء ذاتها نحو الاحسن باحثة عن قوالب مريحة تتيح لجسدها التمدد الطبيعى فمن الذى يستطيع إيقاف ذلك التناغم الداخلى فيها؟

إن السرير الذى ننام عليه الآن هو نفس السرير «الاول» الذى اخترعه الانسان القديم على شكل ارجوحة بين اغصان شجرتين متقاربتين ، او على شكل مصطبة او صخرة منحوتة بدقة وعناية وقد اخذنا فكرة «السرير» معنا ونحن ننتقل عبر العصور فى شكل سلالات تحافظ على بقاء النوع ولم يبق السرير على حاله . بل تغير. .. وتطور حتى صار فى الشكل الحضارى الذى نراه الآن . وقد حافظت فكرة «السرير» على جوهر مضمونها فى الأزمنة لذلك فان الجديد قد يكون قديما عدلته نواميس الحياة وقوانينها ومنطقها العجيب .

فالاوائل تركوا ركائز هامة ، وتراثا ضخما ، ونحن مدعوون لنضيف جديدا ينفع ، وتراثا يبقى ، وإبداعا يصل الماضى بالحاضر باقامة جسور من المحبة. ومن ثم فان دراسة الماضى والاطلاع على امهات كتبه ، ومدونات ادبه والنفاذ الى جوهره عملية هامة . ولكن اين تلك الاجيال القادرة على قراءة الماضى ، قراءة جديدة ، واستيعابه وهضمه . وتمثيل محصول عصوره تمثيلا غذائيا نافعا ؟؟

نحن لا نغلق الباب لنقول لا توجد مثل هذه الاجيال . ولكن نخشى ان يسود الاعتقاد بذلك لدرجة اليقين المطلق . فكثرة العيوب فى بعض المطروح ربما اعطت

الحداثة في الأدب



ابو العلاء



المتنبى



همنجواى

ملامح الدمامة والجدرى الحقيقى للاعمال التى تاخذ سبيلها للخروج الى العالم قبل النضوج فى رحم الحياة نضوجا طبيعيا .

ونحن نعرف أن عين السخط لن تبصر الجوانب الجميلة ، او تتذوق اللغة الجديدة ولكنها ستركز على الجوانب السلبية بتضخيمها وإلقاء الأضواء عليها . والذى لن يتذوق عسل النحل وهو فى شمعه لن يتذوقه بحال من الأحوال وهو فى صوره الأخرى . والذهب المصنوع قد يخدع العين العجلى ، حين تكون نسبة «النحاس» فيه اكبر من المعدل القانونى فتصبح كل السبائك ذات اللمعان الخاطف من قبيلة ذلك المعدن النفيس .. فلماذا لا نلمح الأشياء وهى تنمو ، لنحتضن براعمها ماخوذين بسحر الدهشة الاولى . إن إعجابنا الاول بها والافصاح عن هذا الاعجاب . وإظهاره فى إبانه يخلق مناخاً صحيا معافى . والموهوبون يفرحون باعمال الموهوبين البادئين . فرب عمل مفاجىء يكسر الرتابة يقفز بالبادىء الى الصفوف الامامية ليحتل فى الرسم البيانى الخانة الشاغرة فى جدول «ماندليف» .

ومن اجل عدم توقف عجلة الحياة نزل عجوز «همنجواى» بين لجج الكاريبى وهو طاعن فى السن وعاد بعد الصراع الرهيب مع وحوش الماء وكانه يتهيا للنزول غداً ، وكل يوم لممارسة لعبة الحياة . ولو أنه ظل حبيس «يارنكته» لفقد طعم الحياة ولزوجة دمها الحار . فالحياة بشخصيتها القوية تتصرف بديناميكية غير مرئية فى الابقاء على النافع والمفيد . والعمل على إزالة الهامشى ، والهلامى . لذلك فهى تسقط من ذاكرة العصور اسماء ، وتبقى عالقة بها .. فى قوة بعض اسماء لِيُغَنّ للفراغات السديمية من اراد ان يغنى لها . فالحياة لا تسمع اذنها الذواقة إلا الغناء الذى يحرك فيها شهية الاستماع .. والاستمتاع . وهى لذلك لا تقبل الابداع فى اى شكل مادام قادراً على العطاء ولا تجعل المضمار وقفا على قوم دون آخرين . فالأديب الموهوب ينطلق من الماضى ليتجاوزه بما يضيف اليه وهو لا يخضع للتلقى الببغائى بحيث تصبح موهبته الذاتية جمرة تفقد الاتقاد او بعبارة اصح طبيعة الاتقاد كالبراكين المنهزمة تحت الرماد المتراكم عليها وإنما هى تاخذ .. ما تاخذ من الماضى او الحاضر بعد تحويله الى مادة ملائمة لمعدة عقلها الباطن فالتاثر يجب الا يجعلنا نعيد صياغة افكار الآخرين من جديد . لقد اخذت الموسيقى الهندية ما اخذت من الموسيقى الغربية ولكنها حولت كل ما اخذت الى موسيقى هندية مطعمة بروافد غربية وظفت توظيفا حسنا فكانت عملا غير هجين .

ونحن ينبغى ان نوظف ما ناخذ ليفتح لنا مجالات اخرى مثل البروتين الذى ناكله فى اشكال حضارية متعددة لنستعيد الطاقة والأسعار الحرارية بعد اعداده الاعداد الصحيح فاذا ما تنكبنا طريق الاعداد الجيد .. لم نهضمه .. وافرغناه قطعا ذات طعم حامض لأن امعاءنا ترفضه وتركيبنا الكيميائى يلفظه بحدة وصرامة .

إن الفنان الأصيل .. والذى يتعامل مع الحياة بلغته الخاصة واسلوبه المميز ، لا يتوقف عند محطة معينة من محاط الحياة .. وقد قنع بالمكوث فيها .. فى خيمة اوكسجين وانعاش نهائية .. فخلاياه الفانية كل يوم تقوم مقامها خلايا جديدة ..

قد يعيش الفنان .. البيات الشتوى ازمنة قبوية ريثما يجدد ريش اجنحته والوان واجهات ذاته بالمعاناة المضنية ليكون داخل لعبة الحياة .. يختار المضمار ونوع الاشواط .. فالحياة تركض باقصى سرعتها مخلفة غباراً كثيفا قد يغطى قرص الشمس وعلينا ان نحدق بعيون حديدية لا تطرف وان نشق بسكين اشعة الوعى كثافة اغبرتها وإلا داستنا بسنابكها .

وداخل سيرك الحياة ينبغى أن يكون لنا دور .. وليكون لنا كل ذلك .. او بعض ذلك .. او شىء من ذلك يجب الا يفكر لنا الآخرون .. فاقنعتنا مهما كانت .. اجمل الف مرة من الاقنعة المستعارة .

إن للحداثة فى الأدب زوايا كثيرة وقد نعود اليها مرة اخرى إذا ساعدتنا الظروف .

محيى الدين فارس

المدى ينتحب

شعر: محمد إبراهيم أبوسنة

١ ـ السنديان

ـ عندما كنت أفتح نافذتى فى الصباح البهيج
فى الزمان القديم « الذى لا يدوم »
كان عطرك يأتى من السنديان المجاور
يملأ روحى الأريج
ما الذى الآن يبعثه السنديان
... النشيج
... النشيج
... النشيج

٢ ـ صوت اليمام

كان صوت اليمام
نابضاً فى السهول
والنسيم الملول
يتحلق حول رؤوس النخيل
كنت أعشق هذا اليمام اليتيم
كان يحمل حزنى
وكان يفسره
فى الظلام البهيم
آه كنت أرافقه فى الظلال
وكانت ترافقنا فى السماء الغيوم



٣ ـ الغياب

مرة قد أخذت النهار
الى غرفتى
والتلال المحيطة والنهر
بعض البساتين ..
.. كنت أريد أقدم بعض الهدايا إليك
وكان الزمان يسافر بين الرياحين ..
... وجهك يسطع فوق مرايا الدماء
جلست انتظرتك حتى انطفاء الكواكب
ومرت جميع المراكب
ما جئت
سال الحنين
وفات زمان الاياب
جلست انتظرتك ما جئت
جاء « الغياب »
وعلقنى عاريا فى جناحى غراب

٤ ـ أقبلى

قرأتك فى الريح
كان المطـــر
يحاول نقش ملامح وجهك فى ليلة باكية
ولكن بعض حروفك ناقصة ..
.. والوجوه التى تعبر الآن وسط المدينة ..
.. لا تقنع القلب أن يتوقف
لا تشبهين الجميع
طلبتك فى الليل
حاولت صنعك لكننى
مارجعت بغير الاشارة فى الحلم ..
.. بعض الهواجس فى الروح
بعض الجروح
فهل أنت كامنة فى الرحيق
يا ترى ـ أم ضللت الطريق
لا أحب الوقوف امام الضباب
على حافة الماء والرمل
حيث القواقع خالية
فى انتظار البروق
من زمان سحيق
لا احب الوقوف

....

أقبلى كا لشروق
أقبلى فى العبير
أقبلى فى اللهب
أقبلى فى الهدوء
أقبلى فى الصخب
أقبلى فى الرضا
أقبلى فى الغضب
المدى ينتحب
المدى ينتحب



من النفاثات او المداخن البحرية ترسبت هذه التكوينات الغنية بالخامات المعدنية .. وفى اسفل الصورة احد الاجهزة التى يرسلها العلماء لتسجيل ما يحدث فى ظلمات أعماق البحار.

نفاثات

في واحات .. في ظلمات .. في الأعماق

بقلم: د. عبدالمحسن صالح

الظلام حالك ، والسكون قاتل ، والوحشة تنتشر حيثما توجهت ، والعزلة تلازمك اينما توليت .. لا همسة .. لا ومضة .. لا حركة .. لا حياة .. فكانما انت تائه فى صحـراء واسعة قاحلة مظلمة موحشة .. وفى وسط هذا الظلام تنتشر واحات غريبة لكنها ليست كالواحات التى يعرفها مسافرو الصحراء ، بل هى واحات ذات نفاثات كانها المداخن التى تنفث من جوفها دخانا اسود .. لكنك لا تستطيع ان ترى النفاثات وما تنفث ، فالسواد لا يظهر فى السواد ، وكان لابد من كشاف ضوئى يبدد الظلمة لبضعة امتار ، عندئذ تتجلى لأول مرة فى التاريخ ارضية لم تطأها قدم ، ومناظر لم ترها عين بشر .. فعلى هذه النفاثات يقع الضوء ويرتد الى العين ، فترى اعمدة غريبة من دخان ، وما هى بدخان .. بل طبخة غريبة تخرج من باطن الأرض .. وعلى هذه الطبخة تعيش كائنات لم يرها احد من قبل .. الطبخة لاشك سامة ، وهى بالتاكيد لا تصلح للحياة الأرضية ، لكن سموم مداخن واحات الظلمات هى بداية لتجهيز مائدة غريبة تعيش عليها كائنات الغرب !

ليست كائنات كونية

وقد يبدو لأول وهلة اننا نقدم صورة من حياة خيالية ، او نتعرض لكائنات غير ارضية تعيش على السموم ، وتزدهر بالمداخن ، وكانما هذه المداخن تشبه الآبار التى تعتمد عليها الواحات فى زرعها وضرعها ـ وهى بالفعل كذلك ، مع الاختلاف طبعا بين ما يخرج من الآبار من مياه للواحات فيها حياة ، وما يخرج من النفاثات من سموم لواحاتها فيها ايضا حياة !

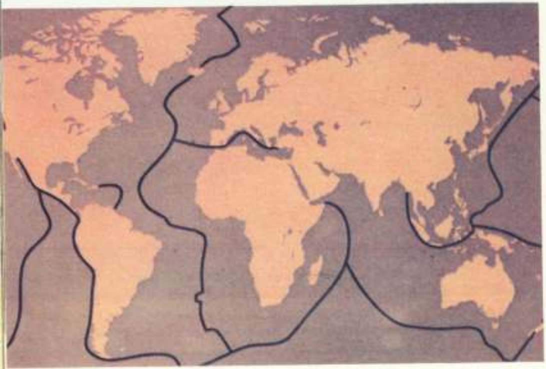
لكن .. ما طبيعة هذه المداخن ؟ .. وماذا تنفث ؟ .. وهل هى موجودة فى كوكبنا ؟ .. واذا كانت ، فلماذا لم يرصدها احـــــد من قبل ؟ .. وما هى العلاقة بين مداخن تزفر السواد ، وواحات مظلمة تعيش على هذا الزفير السام ؟

الواقع ان هذه الصورة الغريبة من الحياة موجودة بالفعل فى كوكبنا ، لكنها لم تكتشف الا منذ بضع سنوات تعد على اصابع اليد الواحدة ، وسر اختفائها عن الاعين كل هذا الزمن الطويل ، انها تعيش فى عالم اخر غير عالمنا .. عالم واسع شاسع مظلم بارد يقع على عمق آلاف الامتار تحت مياه المحيطات ، ووسيلته فى الحياة تختلف تماما عن الحياة التقليدية التى نعرفها فى البر والبحر .. اذ ان الطاقة التى تعيش عليها الكائنات المعروفة هى فى الاساس طاقة شمسية ، والذى يستفيد منها اولا هى الكائنات النباتية (بما فى ذلك الطحالب التى تعيش فى البحر ـ وهى من النباتات الأولية البسيطة) لأنها تمتلك مادة خضراء تعرف باسم الكلوروفيل ،

لأول مرة فى تاريخ الأرض تنير الكشافات هذه البقعة من الظلمات ، لتبدو واحدة من النفاثات ، فتنفث فى الأعماق دخانا ، وما هو بدخان .



فى هذه الخريطة سجل العلماء الشروخ الأرضية الكامنة فى أعماق المحيطات ، وعلى امتداداتها تنتشر «المداخن» لتنفث «طبخة» ساخنة



وجزيئات الكلوروفيل تنتظم فى «بطاريات» الحياة الدقيقة المعروفة باسم البلاستيدات الخضراء ، وهى ادق واتقن واكفا بطاريات شمسية ، لانها تحيل الطاقة الضوئية إلى طاقة شمسية كيميائية مخزونة فى جزيئات عضـــوية ، وعلى هــــذه الجزيئات (البروتينات والسكريات والدهنيـــات والنشويات .. الخ) تعيش الكائنـــات الحيوانية .

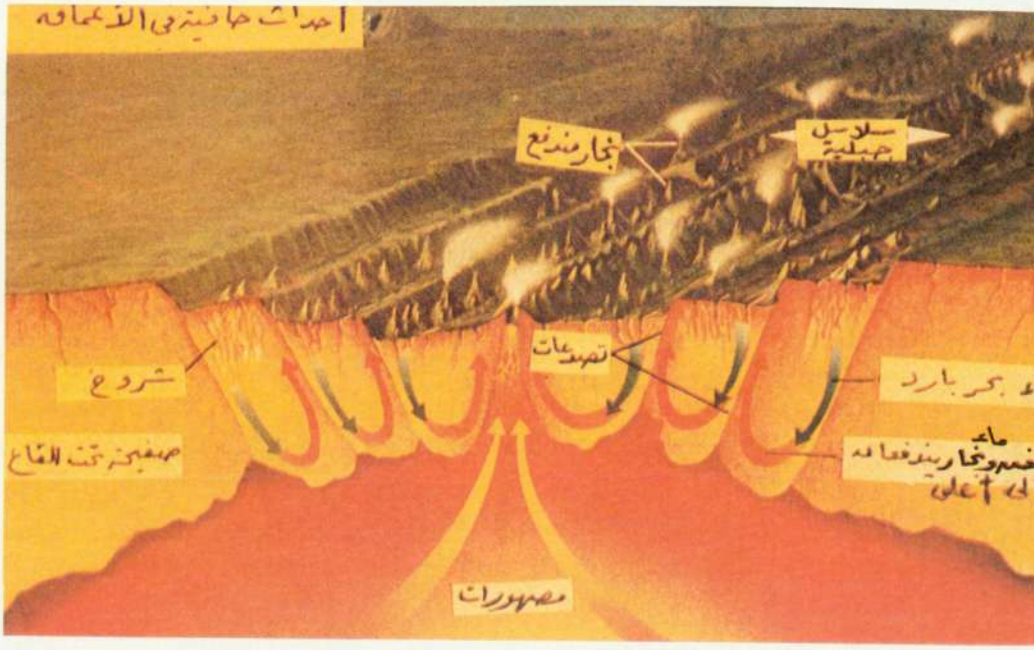
لهذا لو ماتت الشمس ، لماتت كل حياة أرضية منظورة ، لان الشمس بمثابة المرضع ، وهى التى ترضع الأرض حرارتها وضوءها لتدب فيها الحياة ..وبدون مرضع يموت الرضيع .. لكن هذا المبدأ ليس صحيحا فى كل الأحوال ، لان بيئة الأعماق قد ضربت به عرض الحائط ، فهى لم تر شمسا ، ولا تعرف ليلا ولا نهارا ، او شتاء وصيفا ، لانها ببساطة تعيش فى عزلة تامة فتكيفت على حياة الظلام ، وتاقلمت على الضغوط الرهيبة التى تتعرض لها فى الأعماق .

ولقد عرف العلماء ان هناك كائنات تعيش فى قيعان البحار والمحيطات ، وظنوا ان غذاءها ياتيها من فوق ـ اى من الكائنات التى تعيش قرب السطح ، حيث تنتشر عليه وفيه النباتات والحيوانات ، ولاشك ان بعضها يموت ويتهاوى الى الأعماق ، ليكون رزقا لساكنى الظلمات ، وقد يكون ذلك صحيحا ، لكن ايضا فى كل الأحوال ، فهناك « موائد » منصوبة فى « الواحات » البحرية المظلمة ، وعليها يتم تجهيز الطعام المناسب لكائنات الأعماق ، ودون ان تعتمد فى ذلك على الطاقة الشمسية ، بل استعاضت عنها بطاقة بديلة ، وكانما لسان حالها يشير الينا من طرف خفي ويقول : « لا جديد تحت الشمس » ـ رغم انها لم تر شمسا ، ثم انها قد عرفت بديلا للطاقة التقليدية قبل ان يعرف الانسان ذلك ، او حتى قبل ان يظهر على هذا الكوكب بعشرات الملايين من السنين !

حياة مثيرة

لم يكن ليطرا على بال علماء الحيـــاة ان الحياة يمكن ان تتشكل وتتلون وتتكيف بمثل هذه الصور الغريبة التى كشفها مؤخرا علماء البحار فى قاع المحيطات ، وحتى علماء الفضاء الذين راحوا يبحثون عن صور اخرى من الحياة الكونية ، علهم يجدون فيها ظواهر تخالف الظواهر التى تقوم عليها حياتنا الأرضية ـ حتى هؤلاء قد تناسوا ما يبحثون عنه الى حين ، بعد ان جذبتهم حياة كائنات الواحات البحرية المظلمة ، وكانما هؤلاء يحدثون انفسهم متسائلين : ولماذا البحث عن انماط حياة مثيرة في الكون ، ولا يزال كوكبنا يكشف لنا عن كل ما هو مثير وغريب .. ثم او ليست حياةهذه الكائنات المعزولة وتبدو لغرابتها

نفاثات
في واحات.. في ظلمات.. في الأعماق



نموذج توضيحي مبسط يبين منطقة من مناطق التصدعات او الشروخ الموجودة في القشرة الارضية بقاع المحيطات ، والى الشروخ يندفع الماء البارد ، فيسخن ويغسل الصخور ، ثم يعود لينفث في الاعماق ما حمل وما اذاب .

وكانما هي لا تنتمي لأنماط الحياة التي نعرفها على كوكبنا ؟ .. وباية وسيلة استطاعت هذه الكائنات « المجهولة » ان تكيف حياتها على « مداخن » تنفث طبخة سامة ، وكانما هي تنفث في هذه الكائنات نسمة الحياة ، لتزدهر بها واحات بحرية تبدو الحياة فيها اغرب من الأساطير ؟

لكن .. ماذا تعني الواحات البحرية أولا حتى يصبح للموضوع معنى ؟

الواقع ان الاعماق السحيقة من المحيطات تشبه صحراء واسعة خالية من الحياة ، وفي هذه المتاهات الموحشة (سواء في الصحراء او الاعماق) قد تتهيا مساحات لتزدهر فيها الحياة .. فاذا ظهرت الحياة على مساحات محدودة في قاع المحيطات ، وكان كل ما حولها خاليا من الحياة ، فانها تسمى ايضا واحة بحرية ، لكن ليس الماء هو مشكلتها ، بل المشكلة في غذاء ميسر يهبها طاقة الحياة .. وقد كان !

فحول مداخن الاعماق تعيش كائنات غريبة ، منها على سبيل المثال محاريات وديدان وسبيط (أم الحبر) وسرطانات (كابوريا) وأسماك ... الخ ، ومن المداخن تنطلق « طبخة » ساخنة من مركبات واملاح شتى ، وفيها تكمن الطاقة التي تدير الية الحياة في كائنات الاعماق ، لكن «الطاهي» او الوسيط الذي يجهز لها المائدة ، ويحول الطاقة الموجودة في احدى مركبات المداخن الى طاقة مخزونة في جزيئات طعام مستساغ لكائنات الاعماق ـ هذا الوسيط هو احد انواع البكتيريا المعروفة باسم بكتيريا الكبريت ـ أو بالتحديد بكتيريا كبريتيد الايدروجين ، وهو غاز كريه الرائحة وخانق ولا يساعد على الحياة ، لكن هذه البكتيريا تستطيع ان تؤكسده (تحرقه) ، وتحصل منه على الطاقة التي تدير بها عملياتها الكيميائية ، فتتكاثر وتزدهر ، وعليها تعيش كائنات حيوانية صغيرة تنتشر على الصخور كشعيرات رفيعة تتكدس وتختلط بدون نظام واضح ، ولهذا اطلق عليها بعض العلماء « الاسباجتي » ، لأنها اشبه بالمكرونة المعروفة بهذا الأسم .

ثم على هذا « الاسباجتي » تعيش حيوانات في سلسلة من الطعام ، حيث يلتهم فيها الأكبر الأصغر ، وبهذا تتنوع صور الحياة في الأعماق وتنتشر ، وكانما هي تعيش في واحات تعتمد في حياتها على الطاقة الكيميائية التي تقدمها المداخن وبهذا حلت محل الطاقة الشمسية التي ظنها العلماء أنها المصدر الوحيد لحياة الكائنات في هذا الكوكب ، لكن ظنونهم قد خابت بعد اكتشاف هذه الظاهرة المثيرة من حياة تبدأ بمركب كيميائي في مداخنه ، وبميكروب مناسب يستفيد به ، ليفيد كل ما حوله من صور الحياة الحيوانية الأخرى فكانما هذه البكتيريا هي المرعى ، وعليه تعيش كائنات اخرى ارقى فارقى .

كشف له مغزاه

وطبيعي ان احدا لم يتصور من قبل وجود هذا النوع من الحياة ، ولا انتشار هذه الواحات في مناطق محدودة من اعماق المحيطات ... عا تسبح في ظلام حالك ، والبحث عنها صعب ، والوصول اليها أصعب ، ومع ذلك فان اكتشافها قد جاء بمحض الصدفة ، اذ عندما كان بعض العلماء التابعين لمعهد علوم البحار بولاية كاليفورنيا يقومون باجراء مسح علمي لأعماق المحيطات بواسطة اجهزة يرسلونها الى القاع ، لتسجل الظواهر الطبيعية والكيميائية والجيولوجية وما شابه ذلك ، سجلت الترمومترات درجات حرارة غير عادية ، وبعثت بها عبر اقطاب كهربية الى حيث يجلس العلماء على ظهر سفينة الأبحاث ، وتعجبوا لهذا التغير الواضح الذي لم يلحظوه قبل ذلك ابدا ، إذ ان درجة حرارة القاع من درجة التجمد (لا تزيد عن درجتين فوق الصفر المئوي) .. لكن حرارة هذه البقعة مختلفة ، اذ تتراوح درجة الحرارة فيها ما بين ٢٠ ـ ٣٢ درجة مئوية ـ يتوقف ذلك على موقع الرصد ، وطبيعي ان السفينة كلما ابتعدت عن هذا الموقع ، انخفضت درجة الحرارة ، لتعود الى معدلها الطبيعي الشديد البرودة .

عندئذ تفتحت امام علماء البحار آفاق جديدة ، ولم يجدوا لذلك تعليلا الا بافتراض وجود بؤر او تشققات او فتحات في قاع المحيط ، ومنها تنطلق تيارات او سوائل ساخنة ، فتحيل الماء البارد حولها الى ماء دافىء ، والواقع ان هذه الظاهرة نفسها قد سجلت في البحر الأحمر منذ

حوالى ١٧ عاماً أثناء عبور احدى سفن الأبحاث فيه ، لكن هذه الظاهرة قد مرت مروراً عابراً ، ودون أن يعطيها احـــد الأهمية المطلوبة ، ربما لأنها لم تكن ضمن خطة البحث ، أو لعدم وجود تجهيزات علمية ملائمة ، أو لأن عملية استكشافها تستلزم أياماً طويلة ليست واردة فى البرنامج .. الخ .

لكن الأجهزة المدلاة الى الأعماق لم تسجل ارتفاعاً فى درجات الحرارة فحسب ، بل سجلت ايضاً ارتفاعاً فى تركيز الأملاح والمركبات المنتشرة فى هذه الجزء من المحيط ، وبحيث صنعت منها بيئة حرارية وكيميائية جديدة ، مما اثار فضول العلماء ودفعهم الى ضرورة الكشف عن سر هذا اللغز المثير من خلال اجهزة افضل ، وطرق غوص اتقن .

رحلة إلى الأعماق

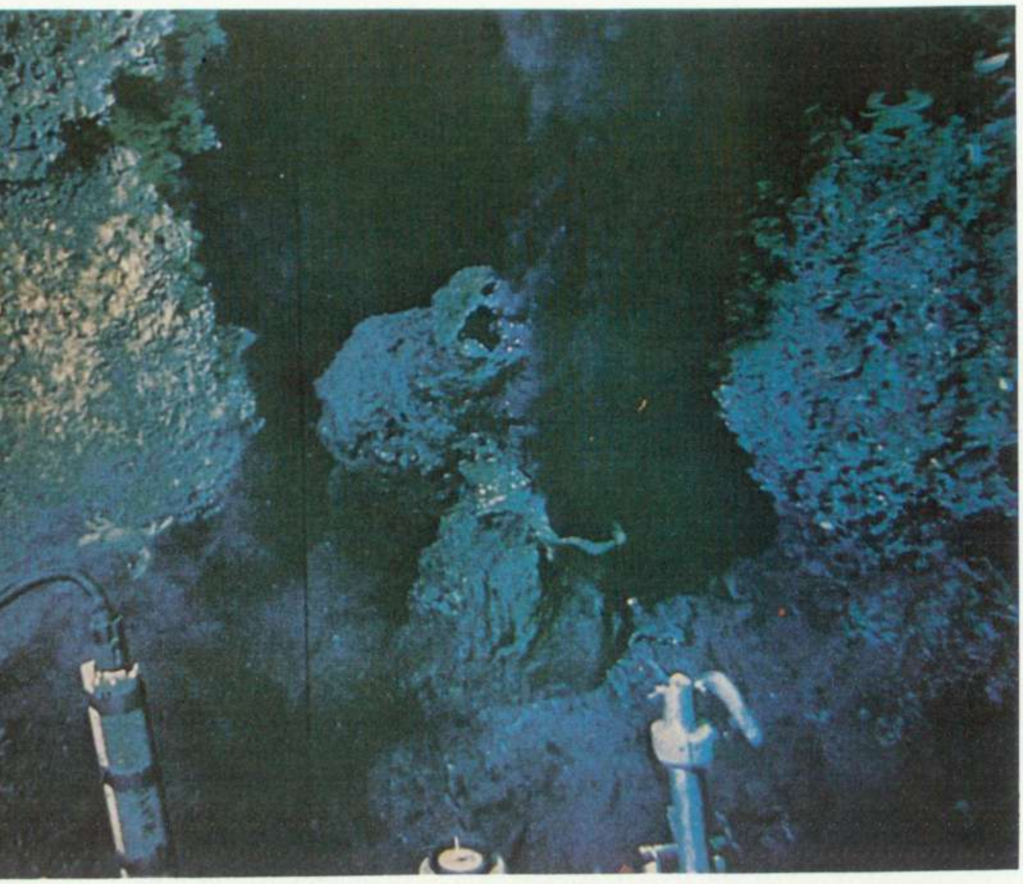
يقص علينا البروفسور جون ادموند استاذ الكيمياء الجيولوجية لعلوم البحار فى معهد ماساشوسيتس التكنولوجى ، قصة رحلة مثيرة قام بها اخيراً ، ليرى بعينيه ما يجرى فى الأعماق ، وليكشف سر هذا التغير الذى يطرأ على بقع محددة من قاع المحيط ، فيذكر « عندما بدات المحاولات الأولى التى اجريت فى بداية السبعينات من هذا القرن للكشف عن هذا السر ، كانت معلوماتنا عن قاع المحيطات بدائية ، وكذلك القدرة على كشفها بدائية ايضاً .. لكن فى منتصف السبعينات بدات الأمور تتغير بسرعة ، خاصة بعد أن يسرت البحرية الأمريكية للباحثين استخدام المعدات والأجهزة والتكنولوجيا التى كانت فى حوزتها ، وعلى رأسها تكنيك الملاحة فى الأعماق باستخدام اجهزة فائقة الحساسية والتعقيد ، ومن أهمها اجهزة رصد الصدى الصوتى المرتد » .

وفى هذه الأثناء ايضاً امكن انتاج آلة تصوير كبيرة ومتحركة لمسح قطاعات واسعة من الأعماق ، مع استخدام كشافات قوية ، ولقد اطلق على هـــذه الكاميرا ومستلزماتها اسم « قفص الغوريلا » ، اذ أن وزنها قد بلغ طناً ونصف الطن ، وتستطيع ان تشتغل لمدة ١٨ ساعة كاملة ، وتعطى صورة ملونة كل عشر ثوان ، وهى ايضاً تحدد زمن التقاط الصور أوتوماتيكياً ، مما ييسر حسابات الزمان والمكان .

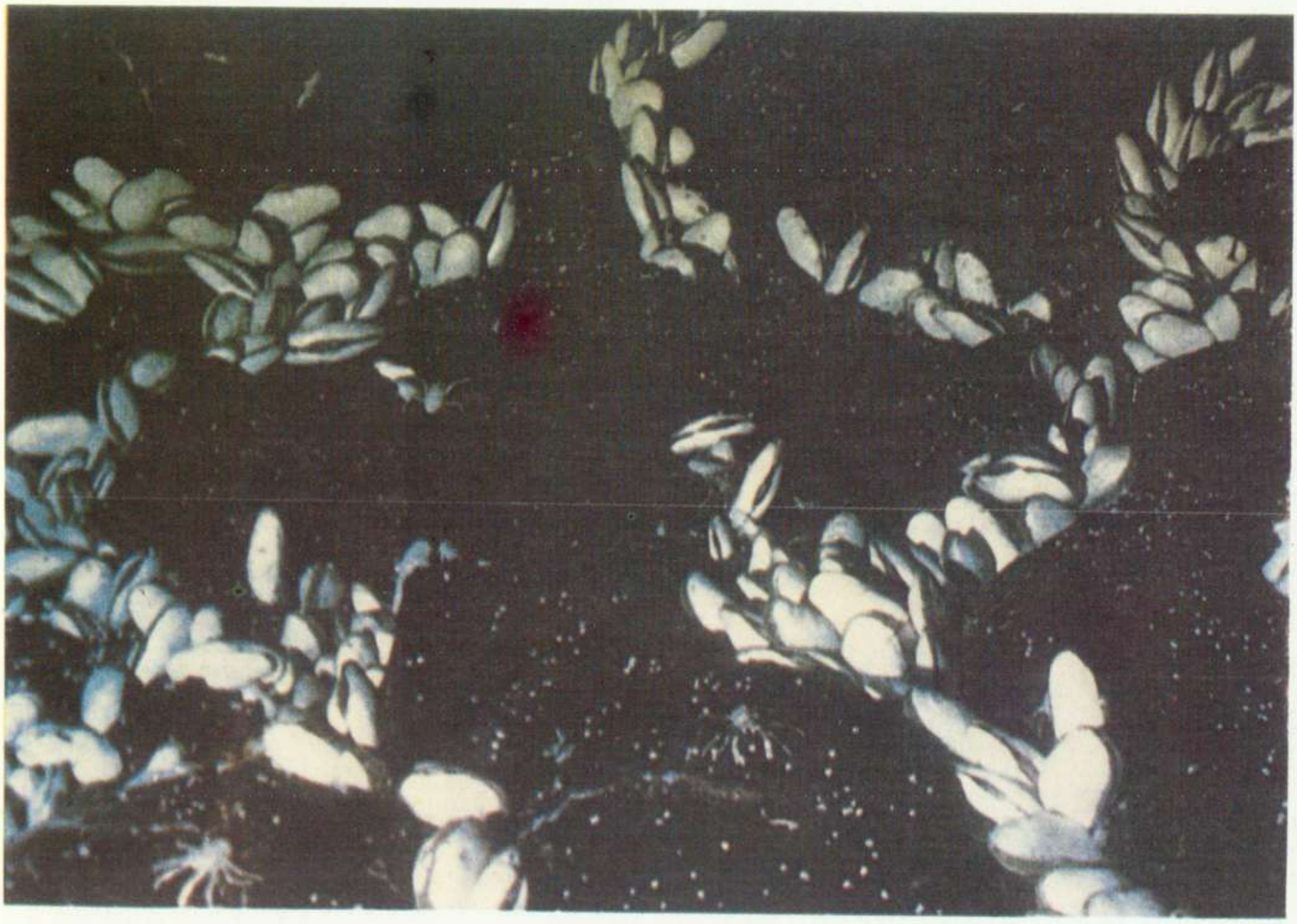
وفى هذه الفترة ايضاً تحسنت وسائل الغطس والحركة فى الأعماق وتطورت ، اذ لابد من غاطسة قوية لتتحمل الضغوط الرهيبة التى توجد على عمق آلاف الأمتار تحت سطح المحيط ، واختار العلماء لهذه المهمة غاطسة اسمها الفين ALVIN يصل وزنها إلى ١٦٫٥ طن ، واتساعها من الداخل حوالى مترين ، وتستطيع أن تحمل فى جوفها عالمين بحريين ، بالاضافة الى قائد لتوجيهها بسلام فى ظلمات الأعماق .. ولهذه الغاطسة سفينة ام يطلق عليها اسم « لولو » ، هذا بالاضافة الى سفينة ضخمة تسمى « نور » وطاقم من العلماء والفنيين يعد بالعشرات .

نعود الآن الى البروفيسور ادموند ، لننقل بضع اسطر من وصفه لرحلة الأعماق ولكن بتصرف واختصار ، فنراه يقول : لقد استقليت الغاطسة آلفين مع دكتور جون كورليس من جامعة ولاية أوريجون ، بالاضافة الى قائد للغاطسة ، وهبطنا الى القاع بسرعة تتراوح ما بين ٣٠ ـ ٣٥ متراً فى الدقيقة ، حتى قطعنا مسافة ٢٥٠٠ متر فى ساعة ونصف ساعة ، ثم اقتربنا بالغاطسة وبحذر شديد من القاع حتى كدنا ان نلامسه ، واضيئت الكشافات ، وانتشر نورها فى الظلام إلى مسافات تقدر بحوالى ١٥ متراً فقط .

ولقد كان تقديرنا سليماً ، لأننا هبطنا على المنطقة الساخنة فى القاع ، وهى التى سبق رصدها مع غيرها فى المنطقة منذ فترة مضت ، ورغم ان حركة الغاطسة آلفين قرب القاع كانت بطيئة ، ولا تتعدى سرعتها أربعة كيلومترات فى الساعة ـ رغم ذلك فقد بدأنا نتحرك ونرصد ظواهر غريبة لم تقع عليها عين من قبل ، ولقد ظللنا معزولين تماماً عن العالم لمدة ثمانى ساعات ونحن نجمع العينات ، ونراقب الكائنات ، ونسلط الأضواء على المداخن أو النفاثات التى تنفث من جوف الأرض سوائل محملة برواسب سوداء أو حمراء أو بيضاء ، وبحيث تبدو كدخان متصاعد فى جوف المحيط .. لكن لون هذه الرواسب يرجع أساساً الى نوع المركبات القادمة من جوف الأرض !



مدخنتان صغيرتان تظهران هنا بوضوح حيث لازالت احداهما تنفث «شوربتها» السامة ، فى حين كفت عن ذلك التى تقع خلفها نتيجة لتغير طارىء فى طبيعة المسام التى كانت تغذيها (فى اسفل الصورة اجهزة تسجل وتحلل) .



فى هذه الواحات البحرية المظلمة تنتشر هذه المحاريات التى تتحمل الضغوط الرهيبة وتعيش على ترشيح الماء والحصول منه على اية مادة عضوية حية أو ميتة .

إننا الآن نتجول فوق شرخ او صدع فى قشرة الأرض الواقعة تحت مياه المحيط الباسيفيكى .. وهو واحد من الشروخ الكثيرة التى تمتد لمسافات تصل إلى حوالى ٤٥ الف كيلومتر تحت مياه البحار والمحيطات ، وبها تنقسم القشرة الأرضية الى عدد من البلاطات الضخمة التى لا تزال تتحرك فى كل الاتجاهات (انظر دراستنا السابقة على صفحات هذه المجلة) .

وفى مثل هذه الشروخ تنتشر المداخن فى الأعماق ، وحولها تتهيا الحياة الخصبة فيما يشبه الواحات ، اذ لو توقفت هذه المداخن عن نفث حرارتها وعناصرها ومركباتها التى تنطلق مع المياه الساخنة كما ينطلق الدخان من المداخن ـ لو توقفت لتوقفت الحياة ذاتها ، ففيما تنفثه طاقة محركة للحياة ، مثلها فى ذلك كمثل الشمس بالنسبة للحياة التقليدية (ولقد شاهد العلماء بالفعل بعض هذه «المداخن» التى توقفت عن العطاء لأسباب غير معروفة ، فانقرضت من حولها الكائنات الحية ، وأصبحت المنطقة كصحراء جرداء ليس فيها ما يسمن أو يغنى من جوع !).

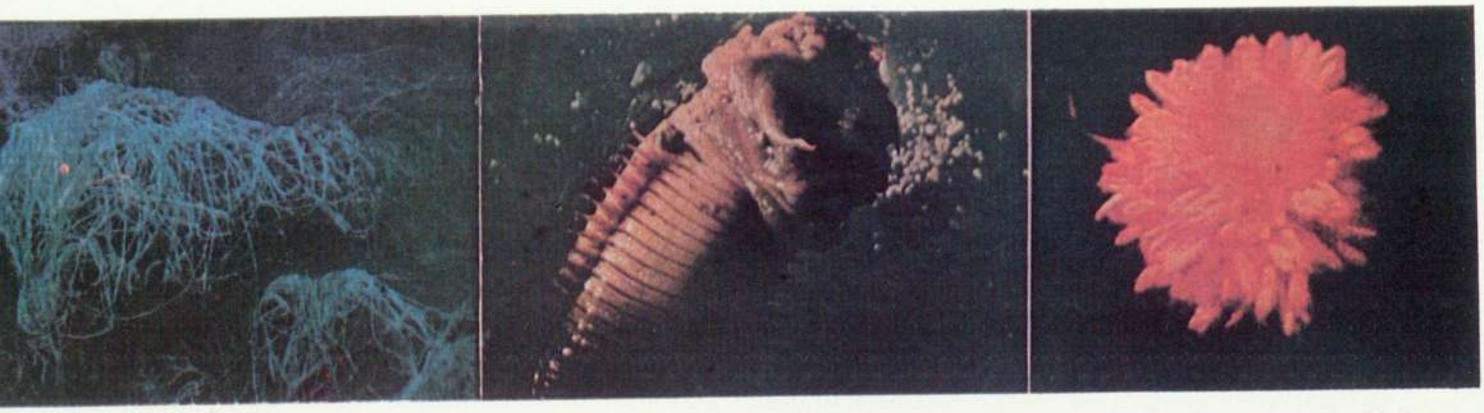
تجهيز الطبخة

نعود ـ إذن ـ لنقول : إن هذه المداخن لا تنفث دخاناً ، فالتسمية نفسها مضللة ، ولهذا تشير الى غير حقيقتها ، ولقد تسرع بعض من رأوها أو صوروها ، واطلقوا عليها ما اطلقوا ، وهم فى ذلك معذورون الى حد ما ، لأن الشكل أقرب الى المداخن ، فلها فوهات قد يصل قطرها الى حوالى متر ونصف المتر ، أما ارتفاعها ، فيتراوح ما بين ٥ ـ ٩ أمتار ، وطبيعى أن احداً لم ينشىء هذه التكوينات التى تشبه المداخن ، بل تكونت بفعل الرسوبيات التى تتراكم حولها فتبنيها طبقات من فوق طبقات ، والرسوبيات ذاتها تنشا من التفاعل المستمر بين ماء البحر البارد ، وبين الماء الساخن المحمل بأملاح ذائبة آتية من جوف الأرض .

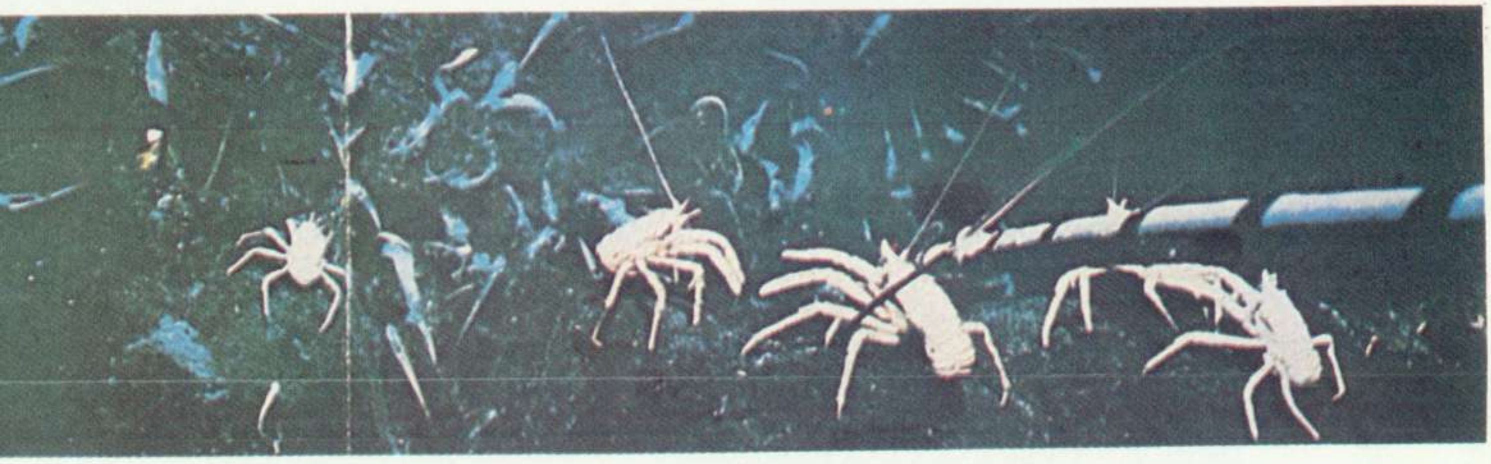
ثم إن ما يخرج من هذه الفوهات يندفع فى قاع المحيط كما يندفع الدخان من المدخنة (انظر الشكل الدال على ذلك) .. وهو ليس بدخان ـ كما سبق ان ذكرنا ، بل اصله رواسب دقيقة تنتشر فى الماء الساخن المندفع والمتفاعل مع ماء البحر ، والرواسب ذاتها تختلف الوانها باختلاف طبيعة مكوناتها ، فان كانت كبريتيد حديد ، انطلقت كنافورات سوداء ، وان كانت اكاسيد حديد ، تلونت بلون احمر ، وان كانت كبريتيد زنك ، جاء لونها رمادياً ، وإن كانت خليطاً ، جاءت الألوان مختلطة بنسب مكوناتها .. الخ .

لكن .. ما مصدر هذه المياه الساخنة التى تندفع فى قاع المحيطات ، وعلى طول الصدوع أو الشروخ التى تتخلل القشرة الأرضية ؟

الواقع ان مصدرها المحيط ذاته ، فمنه تندفع المياه الى جوف الأرض باردة ، واليه تعود ساخنة ، وهى هنا أشبه بالينابيع الحارة ، أو النافورات البخارية التى نراها على اليابسة فى بعض بقاع العالم البركانية .. ذلك أن أى شىء يتخلل جوف الأرض لابد أن يسخن ، وكلما تعمق فى الجوف ، ارتفعت حرارته ، لأن جوف الأرض ذاتها قطعة من اللهيب التى تذيب



بعض كائنات الأعماق التى تنتشر حول النفاثات .. فالى اليمين خيوط رفيعة تشبه «الاسباجتى» ، وهى ليست إلا تجمعات من ديدان تنتشر على القاع ، لتصبح غذاء لكائنات اكبر .. وفى الوسط فرع اخر من الديدان التى تعيش على بكتيريا كبريتيد الايدروجين .. والى اليسار احد انواع الكائنات الهلامية التى تشبه الزهور .



صورة لاحد انواع سرطانات البحار الصغيرة التى لم تر النور طيلة حياتها إلا نور التصوير الضوئى الذى اوضحها لنا لاول مرة فى التاريخ ثم طواها بعد ذلك ظلام ابدى .

الصخور والمعادن والحجارة .

وفى شروخ القشرة الأرضية توجد شقوق أو منافذ الى جوف الأرض حيث تبدأ من قيعان المحيطات ، فيندفع الماء البارد خلالها ، ويسخن اكثر فاكثر ، كلما تجول فى الشقوق اعمق فاعمق ، حتى تصل درجة حرارته الى ما يزيد على ٣٠٠ درجة مئوية ، ورغم ذلك لا يغلى الماء ولا يتبخر عند هذه الدرجة العالية (المعروف أن الماء يغلى عند مائة درجة فقط) ، ويرجع ذلك الى الضغوط العالية التى يتعرض لها الماء مما فوقه (عدة آلاف من الامتار عمقا) ، إذ يصل الضغط فى هذه الأعماق الى حوالى ٢٥٠ مرة قدر الضغط الجوى عند سطح البحر .

وتحت هذا الضغط العالى ، والحرارة المرتفعة ، تذيب الميـــاه كل ما تستطيـــع إذابته مما علق بالصخور الساخنة ، والحمم البركانية القادمة من الجوف ، وكانما هذه المياه تتجول فى مراجل رهيبة ، فتكون من الأملاح والمركبات «طبخة» كيميائية يختلف «طعمها أو مذاقها» باختلاف مكوناتها ، ثم تندفع عائدة الى المداخن أو النافورات «كشوربة» مغذية للميكروبات ، لتصبح الميكروبات أول حلقة فى سلسلة الطعام ، فتتغذى عليها الكائنات الأكبر فالأكبر .

والواقع ان هذه «المراجل» أو المداخن أو النافورات تشتغل فى باطن الأرض ليل نهار وهى تعد بمئات الآلاف ، لأنها تنتشر على طول الصدوع الأرضية (اكثر من ٤٥ الف كيلو متر) .. ولهذا فقد قدر احد العلماء ان هذه المراجل تستطيع ان تسحب من مياه المحيطات الباردة حولى ٣٥٠ مليون متر مكعب فى اليوم الواحد ، ثم تعيدها اليها ساخنة ، على هيئة «طبخة» كيميائية مناسبة ، لتزدهر بها واحات من كائنات حية كانت عن مداركنا خافية !

وبعــــد

لاشك أن هذه الكشوفات المثيرة قد دفعت العلماء لاعادة حساباتهم عن ميزانية الكوكب الحرارية ، فهناك فى الأعماق مراجل تسحب الحرارة من باطن الأرض ، وتغذى بها الأعماق الباردة ، ولابد من وضع ذلك فى الحساب ، ثم هناك ميزانيات ملوحة البحار التى كان الظن السائد الى عهد قريب أن هذه الأملاح تاتى اليها من اليابسة مع مياه الأمطار .. صحيح ان ذلك يحدث ، لكن هناك مصدراً اخر لهذه الأملاح تاتى من غسيل ما فى جوف الأرض وانطلاقة على هيئة مداخن أو نفاثات ، ليختلط بماء البحر ، فتزيد ملوحته بمرور ملايين السنين .

هذا بالاضافة الى اكتشاف حياة مثيرة فى الأعماق ، فجذبت لغرابتها فضول علماء الحياة ، وعلماء البيئة ، وعلماء البحار .. الخ ، ليضيفوا الى معلوماتهم ومراجعهم اضافات كثيرة ومتنوعة وغريبة .. وكانما علماء البحار هنا قد فتحوا نافذة على هذا الكون السابح فى الظلمات ، تماماً مثلما فتح علماء الفلك نافذة على السماء ليكشفوا كل ما هو مثير وغريب .. وما اكثر النوافذ التى فتحها العلماء ، ليروا من خلالها عظمة الكون ، وروعة الحياة ، وبديع صنع الله .

د. عبد المحسن صالح



لوحة جانبية لجاكلين .. رسمها بيكاسو عام ١٩٦٢ على قطعة صفيح ، وكان يحب وضع منحوتاته فى حديقة منزله فى «موجان»

لوحة لبيكاسو بريشته .. رسمها عام ١٩١٨ عندما سمع بموت صديقه الشاعر «ابو لينير»



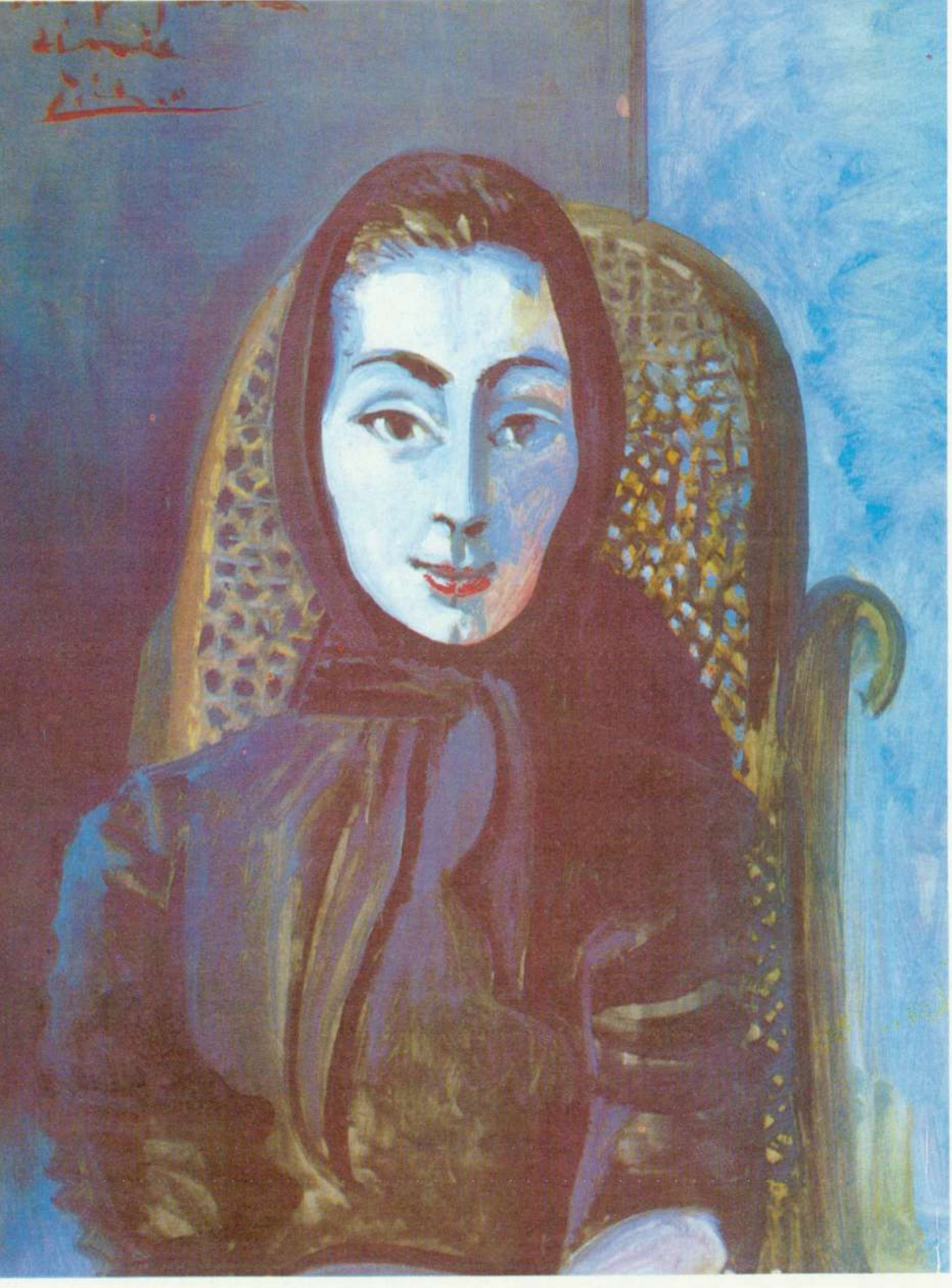


جاكلين .. آخر زوجات بيكاسو

بيكاسو .. بعد عشر سنوات من وفاته :

كان أجمل رجل في العالم!

ياسر السباعى



(جاكلين والقط) .. هذه اللوحة كانت بالكاد منتهية فى عام ١٩٦٤ عندما مات القط الصغير الذى لتهمه الكلب المدلل لدى بيكاسو !

جاكلين بالمنديل الاسود فى عام ١٩٥٤ .. عندما التقى بيكاسو بها فى ورشة للخزفيات عام ١٩٥٣ ادهشه التشابه بينها وبين لوحة ذات الخمار .

- أضواء على المجموعة النادرة التى أهداها بيكاسو لزوجته .
- كان بيكاسو يكره قص الأشجار لأنه لا يريد أقلاماً خشبية !
- الدخول الى بيت الفنان الكبير يثير الأعصاب .. وزوجته صاحبة الثروة العظيمة تقابلك حافية !
- من هو الشاعر الذى قال له : إنك تمسك الشعلة بأصابعك وترسم كالحريق ؟!
- لم يشتر بيكاسو البيوت والقصور إلا لكي يرسم ويحمى لوحاته !
- قال بيكاسو عن زوجته : عندما أتنفس تتنفس .. إنها تحبنى كثيراً !

التى التقطها له (دافيد دوجلاس دنكان) وكانت نظرة بيكاسو تاسر كل من يرنو اليه قالت جاكلين امام الصورة : صباح الخير يا زوجى ، أحبك وساحبك كل حياتى . قالت ذلك بابتسامة تاسر اكثر الأفاعى وحشية !

ذكريات لا يمحوها الزمن

بيكاسو الذى لا يقاوم ، ذلك العملاق المذهل قد انتهى وجاكلين هى المراة الوحيدة التى احبها اكثر من غيرها .

إنه وقت الافطار . جلست فى غرفة الطعام قائلة : من العبث أن نحدد الأشياء لأن حمم بيكاسو البركانية قد غزت كل شىء فى هذا البيت ، فكل الحجرات اصبحت قاعات رسم . لقد كان (براساى) على حق عندما قال : إن الدخول الى ذلك القصر يثير الأعصاب فهنا الرسم هو الذي يامر !

ابتسمت جاكلين وهى تشرب القهوة وتابعت قولها وهى تتناول لقمة طعام : عندما يكون المرء شاباً فانه يحتاج الى الطعام .

وكانت تلتهم فى نفس الوقت تلك اللوحات ولم تعد تعرف اين تنظر ، فقد شعرت بالتواء فى عنقها ، ومن خلفها كانت لوحة (سطوح برشلونة ــ ١٩٤٠ ذات المرحلة الزرقاء) وقالت وهي تتابع نظراتها : عندما عثر بيكاسو على هذه اللوحات واعادها الى البيت كانت سوداء من شدة الغبار ، وطلب منى أن اضعها فى الحديقة تحت الشمس . إن اللوحات مثل الكائنات البشرية يجب الا نضعها فى الصناديق والا نبيعها للتجار !

واضافت جاكلين بسخرية : إنى افضل أن اقوم باعمال البيت على أن ابيع اية لوحة ، ويعلم الله انى موهوبة باعمال البيت !

على اليسار كانت هناك اللوحة الامومية (اولغا) ــ اول زوجة لبيكاسو ــ وهى تحمل ابنهما «باولو» على ذراعيها . وفى احدى الخزائن الزجاجية يوجد مغلف ابيض بسيط كتب عليه بيكاسو (اوغو) التى تعنى بالاسبانية (عين) ثم كلمة (انتباه) !! واصبحت من انامله حتى اغطية الزجاجات حمائماً ، كل كنبة وكل مقعد وكل قطعة اثاث كانت مغطاه بالصحف والرسائل والصور والرسومات واللوحات .

كانت جاكلين تداعب ذراعى الكرسى الذي تجلس عليه والمغطى بقماش برتقالى عندما قالت : فى احد الأيام قال لي احدهم : يجب ان تنظفى الكراسى فهى مليئة ببقع الالوان ، وما كان منى إلا ان صعقته



(باولو بالقبعة) لوحة رسمها الفنان عام ١٩٢٩ لابنه من زوجته الأولى راقصة الباليه ، وقد توفى الابن فى عام ١٩٧٥ ، بعد عامين من وفاة بيكاسو .

بانتظار ان يفتح متحف بيكاسو ابوابه فى فندق (ساليه) فى باريس ، تعرض جاكلين زوجة بيكاسو المتوفى سنة ١٩٧٣ ثمانين تحفة من أعماله فى متحف الفنون الجميلة فى «نيم» بفرنسا . وقد اختارتها من بين المئات من مجموعتها الشخصية التى وضعتها فى قصرها (نوتردام دوفى) فى «موجان» بفرنسا وارادت أن تكشف للناس كل وجوه تلك العبقرية التى صنعت ــ أو صنعها ــ الفنان الذى وسم القرن العشرين بفنه .. إنها مازالت تحبه وكانه مازال الى جانبها .

عندما ندخل بوابة قصر (نوتردام دوفى) فى (موجان) تبدو اشجار السرو المحيطة بالمدخل وكانها فى ثياب الحداد فقد كان بيكاسو يكره ان تقص صارخاً : انا لا أريد أقلاماً خشبية . وفقد قصر «نوتردام دوفى» شمسه : بابلو بيكاسو .

كانت زوجته جاكلين تنتظر على عتبة الباب وشعرها الأسود ينسل على كتفيها وعيناها الجميلتان الخضراوان تبدوان وكانهما لا تريان .. ولكن هذا خطا فقد كانت جاكلين ترى كل شىء .

حافية .. قالت : انا اكره الاحذية كما أكره المتطفلين !!

دخلت الى ممر طويل عميق مظلم ، وبعد المرور بمكتب صغير ومطبخ كبير ملىء بالخزفيات التى صنعها بيكاسو ، وجدت نفسها امام الشمس المختفية فها هو بيكاسو فى مغطس أصفر ، تلك الصورة

بنظرتى ، إنه الحبر الصينى الذى كان يستعمله بيكاسو .. اشعر وكان هذه البقع سقطت البارحة .

كانت جاكلين تحمل حقيبتى يد بيسراها وقالت انهما من أصدقائها الأفغان الذين قدموهما لها ولبابلو بيكاسو الذى كان يحمل الحقيبة الحمراء بينما تحمل هى الحقيبة الخضراء .

ثم تذكرت جاكلين يوم طلب بيكاسو يدها : لقد قال لي بنظرة ثاقبة غريبة : إذا مرضت يوماً فلن يدعك الآخرون تعتنين بى ، فاجـبته : إنى اتزوجك ولكن لن اكتب اية ورقة او مغلف ولن اقوم باية خطوة فانت الذى تقوم بكل شيء ، اما انا فلن اقوم باى شيء فبالحب لا توجد التزامات !

وكطفل صغير احضر بيكاسو مغلفاً وورقة ليكتب الى ملاغا فى اسبانيا طالباً شهادة ميلاد بحجة انه يريد شراء بيت . لقد كان دائماً يحب ان يردد إن الانسان يستهلك وقتاً طويلا حتى يصبح شاباً . لقد كان على حق فقد تزوجت اجمل رجل فى العالم وانا التى كنت عجوزاً !

انا و بيكاسو

وبتاريخ ٢ مارس ١٩٦١ تم الاحتفال بالزواج فى مبنى عمدة (فالاوريس) بتكتم شديد وكان عمر جاكلين وقتها ٣٥ سنة وبيكاسو ٧٩ سنة .

قالت جاكلين : ولكنى لا اشعر انى بعيدة عن ماضيه فقد استخرج لي شهادة تنص على انى من مواليد ١٩٠٧ قائلا : يا جاكلين ! تعرفين انك كنت تعيشين فى ماضيّ .

كان بيكاسو رائعاً ولم اكن بحاجة لان اقول له : أدهشتنى ! كانت معايشتنا دائمة فالناس لم تر حبنا وال ٤٥ سنة التى تفصل بيننا ولم تفهم الروحانية التى توجد بيننا . كنت دائماً فى البيت وكان بيكاسو ينادينى كل لحظة : جاكلين هل انت هنا ؟ لدرجة ان الببغاء «الغابونى» الذى عندنا حفظ الجملة واخذ يرددها ولم اعد اعرف من ينادينى بيكاسو ام الببغاء ؟!

كان بيكاسو يقول لي ببساطة : جاكلين .. أحبك ، اشتر لي قماشاً للوحات وسكاكين رسم ، فقد كان يخشى دائماً ان تنفذ من عنده ، فذهبت الى (كان ـ فرنسا) وعندما عدت كان بيكاسو ينتظرنى على الباب قائلا : لقد هجرتنى لوقت طويل .

ولم نكن نترك ايدى بعضنا حتى فى السيارة احيانا .

كانت تتكلم جاكلين بابتسامة تضيء وجهها : ضِعنا مرة فى منطقة ثلجية على طريق جليدى .. وكاننا كنا خارج الزمن .. كم كان هذا رائعاً وعندما حل موعد عودتنا الى البيت ، كان يحاول بيكلسو ان يسوق السيارة وكان يصرخ قائلا : إنى اسوق السيارة مثل سائق محنك . وهو الذى لم يمسك فى حياته مقود سيارة، كما انه لا يعرف كيف يركب الدراجة العادية او الحصان !

لم يكن يعرف إلا الرسم ولكن يجب ان أعترف ان ذلك مسيء جداً كما كان يقول !

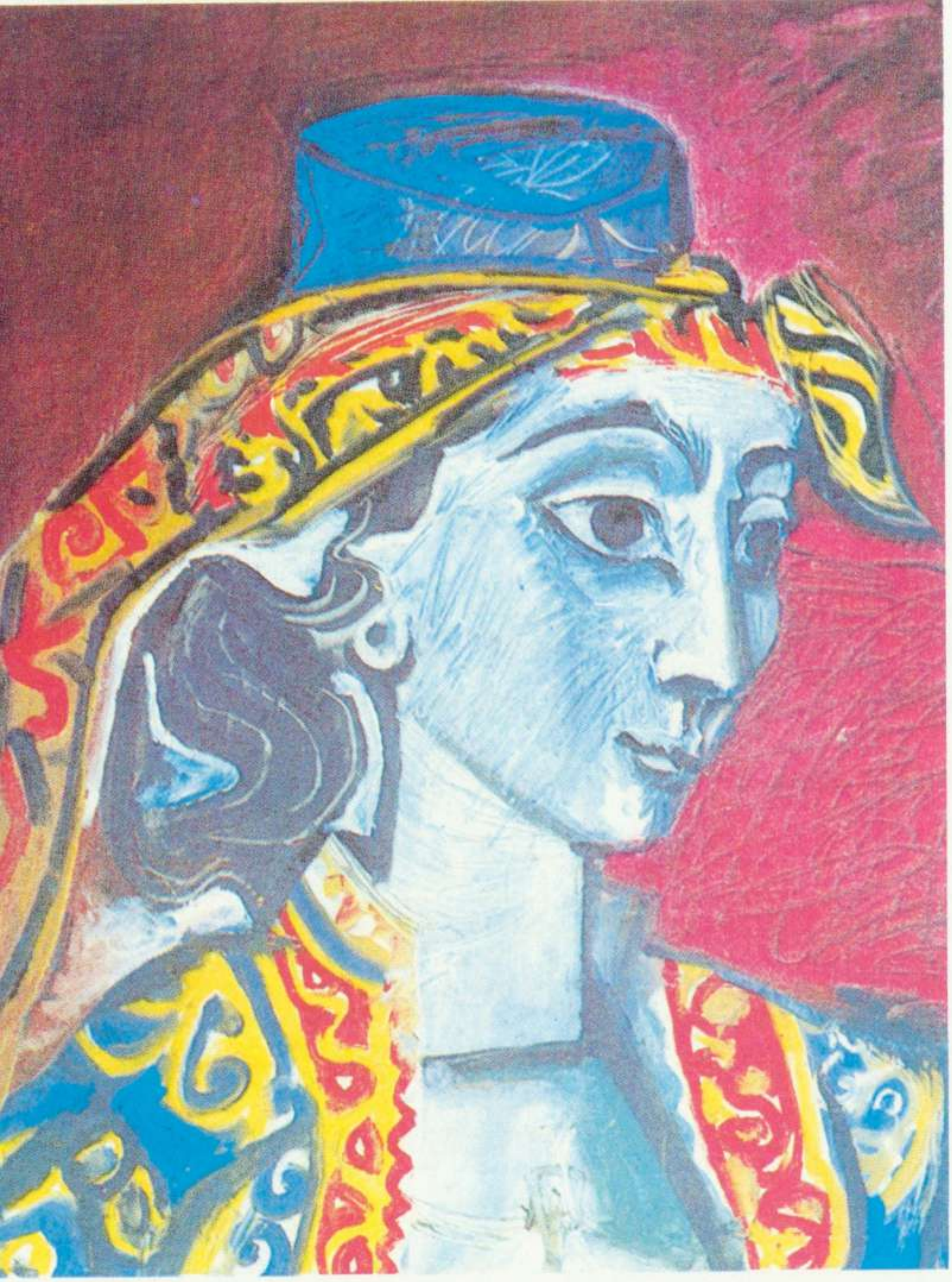
نهضت جاكلين وتوقفت فى القاعة الكبرى ووجدت نفسها امام (رصيف المحطة) وهو مقعد سماه بيكاسو بهذا الاسم لأن الزوار يجلسون عليه بانتظار استقباله لهم .

ولكن لماذا تبدو جاكلين فى الصور دائماً خلف بيكاسو بقليل ؟

فاجابت وكانما تصدر صرخة من قلبنا : لأننـــــا لا يمكن ان نحجب نور الشمس!

ثم امسكت بسلسلة مفاتيحها الملونة وفتحت باب قاعة الموسيقى واخذت تستمع الى اسطوانة (السمفونية الاسبانية) للموسيقار (ادوار لالو) الذى تعشقه . ثم تراخت على الكرسى الدولر الذى كان لبيكاسو وتجلى وجهها من جديد كما تتجلى كل لوحات (جاكلين) التى تزين الجدران وتشهد لها بلا انقطاع على حب بيكاسو .

(جاكلين والزهور) ـ ١٩٥٤ اول لوحة رسمها لها ، فقد قابلها عام ١٩٥٣ فى ورشة (مادورا) للفخاريات فى (فالاوريس) ولكنه



جاكلين بالملابس التركية احدى اللوحات النادرة التى رسمهـــا الفنـــان عـــام ١٩٥٥ ، وكانت تصاحبـــه اينما ذهـــب .





(مثير ثيران المصارعة الساقط) و (مصارع الثيران الساقط) لوحتان للفنان يعود تاريخهما لعام ١٩٧٠ .. وقد كان بيكاسو شغوفاً بحلبات المصارعة ، وما من مرة عاد فيها إلى اسبانيا دون ان يذهب لمشاهدة مصارعة الثيران التى كانت وسيلة لهوه الوحيدة .

فى الحقيقة عثر عليها من جديد لان بيكاسو ودون أن يعرفها قد وقع فى حبها . فى البداية كان ذلك فى متحف اللوفر عندما كان ينظر الى لوحة (نساء الجزائر) للفنان دولاركروا حيث سحره وجه تلك الشابة الجالسة على يمين اللوحة وبيدها نرجيلة.

وفى عام ١٩٤٧ زين ديوان (غونغورا) الشاعر الاسبانى من القرن ١٦ (ذات الخمار) وهى مجموعات اعمال حفر ترافق مقاطع شعر غونغورا صور فيها جاكلين فهل حلم بيكاسو بجاكلين أو هل كان يعرف انها موجودة ؟

يبدو أن الحب والرسم شىء واحد ! كانت جاكلين على الكرسى الدوار وهى تحمل الاهداء الذى يقول : هذه اللوحة لجاكلين مع وافر قبلاتى .

واثناء معرض نيويورك عام ١٩٨١ ، اشترت جاكلين هذه اللوحة التى وقعها بيكاسو بدهن صينى براق فقالت جاكلين عنها : إن اللوحات مثل الاطفال تعود الى بيتها لانها عاشت فيه .

وهاهي لوحة (جاكلين) بثوب من أوراق الشوكولا ـ ١٩٥٧ ـ فقد استخدم بيكاسو ورق علبة شوكولا قدمها له اصدقاؤه السويسريون آل (روزنجار) ليصنع منها صدرية لجاكلين . وعلى طاولة خشبية ووسط مجموعة سكاكين رسم واوعية الألوان يمكن ان نقرأ على قطعة ورق مقوى:

جاكلين ، احبك ، فهل سيفتح بيكاسو الباب ويرمي بكلمته الشهيرة (وماذا بعد ؟) فالمرء لا يستطيع ان يمتنع عن التخيل ان هذا سيحدث طالما ان غيابه يعتبر وجوداً !

وللأسف لم نعد نشم رائحة الألوان الزيتية .

وسرحت جاكلين مع الموسيقى قرب بساط حريرى طبع عليه لوحة من لوحات بيكاسو ، وعلى ضوء الشموع كان تظهر دفاتر رسمه التى ترجع الى عام ١٩٥٩ ، فوسط لوحات (مصارعة الثيران) و (مصارعى الثيران) تظهر لوحة (جاكلين : ملكة على حصان) باسلوب الفنان (فيلاسكيز) وخلف كل رسم على هذه الدفاتر اهداء : الى جاكلين العزيزة .

واستمرت الموسيقى منسابة كالنهر ، وكان العازف الماهر يطلق اجمل نحيب من كمانه ، وكانت اللوحات تتراقص عندما تمتمت جاكلين : هنا ، فى هذا البيت كل شىء يتغنى بحب بيكاسو .

فى الورشة الفنية

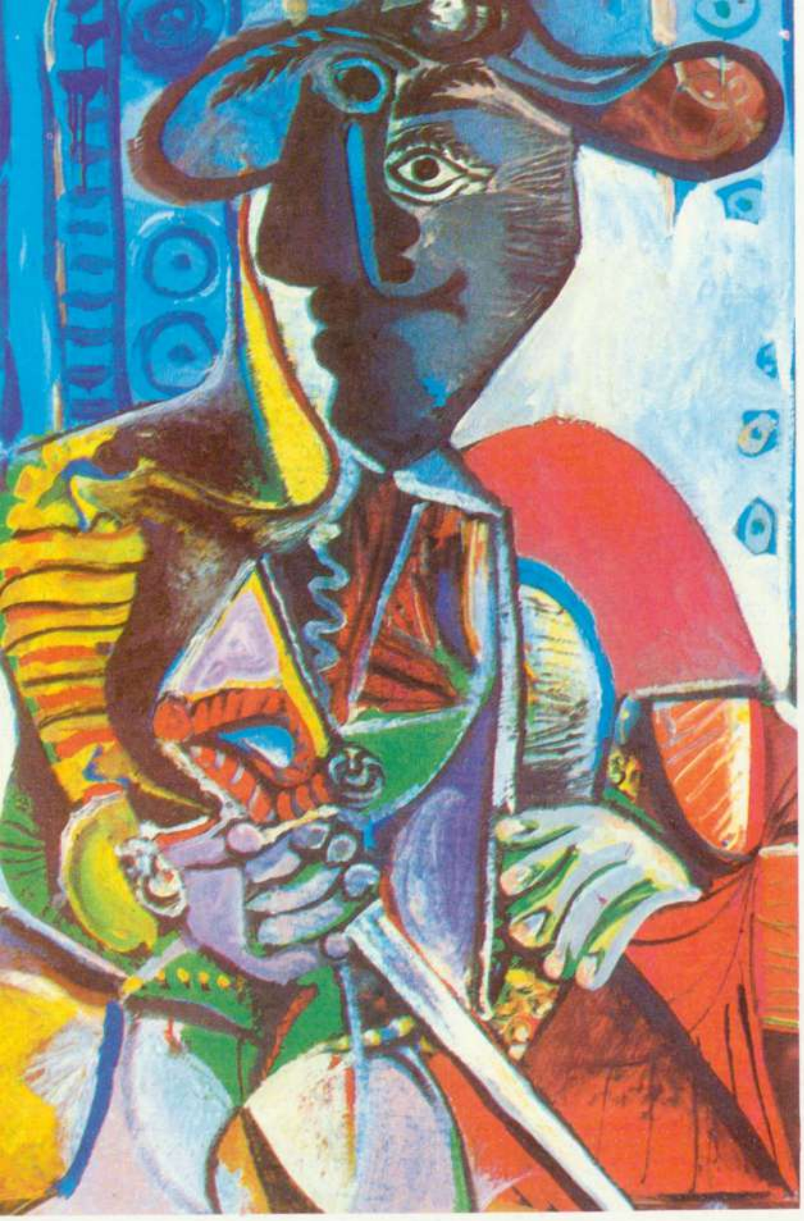
ثم انتهت السيمفونية الاسبانية وساد الهدوء فنزلت جاكلين بالمصعد الذى أهدته الى بيكاسو بسبب أعوامه التسعين والذى سماه بيكاسو (كاتدرائية) وتحت الأرض كانت هناك ورشة النحت ففتحت جاكلين الباب قائلة : فى كل مرة يكون هنا نفس الانبهار فقد كتب (ايلوار) الى بيكاسو قائلا : إنك تمسك الشعلة بأصابعك وترسم كالحريق .

وغطست جاكلين فى مقعد وثير من طراز لويس الثالث عشر مزدان بالزهور تحت قبة حجرية فى هذا المرسم العملاق . كان هناك

تمثال عبدين للفنان مايكل انجلو من الجبس وكانهما يقومان بالحراسة كما يقوم الرعاة على حراسة الغنم ، وهناك حمائم وبومة ونساء واطفال وآلة الريف الرومانى (فون) وأوان من عصر ما قبل من عصر ما قبـــل الكولومبى وتماثيـــل من الفن الـــزنجى تمــلأ المرســـم ولوحات ولوحات ومزيد من اللوحات .

فى تاريخ الفن يعتبر بيكاسو الرسام الذى ترك اغزر الاعمال الفنية التى يستحيل فهرستها . لم يترك شىء دون انجازه فقد انهى كل ما بدأ به وصنع عالمه الخاص فلا شىء فى هذا البيت لم تصنعه يداه او تركت علامة عليه ، إنه يرسم حتى على صفحات الكتب التى يقراها ولم ينقطع عن العمل ابداً .

قالت جاكلين : عشت مع بيكاسو كالفقراء ، لم يكن بحاجة إلا الى الرسم والى جاكلين ، وانا لم اكن بحاجة الى شىء لأنه كان دائماً بقربى ، ولم يشتر بيكاسو البيوت والقصور إلا لكي يرسم ويحمى لوحاته .



(مصارع الثيران) لوحـــة رسمها بيكاسو عام ١٩٧٠ ، وقد استقبل الفنان العالمى مع زوجته جاكلين فى منزلهما كل مصـــارعى الثيران المشهورين ، وكانت تحرص جاكلين فى كل مقابلة على اخذ الصور التذكارية بنفسها

هل أنت هنا ؟

صعدت جاكلين الى الطابق الأول وهو مرسم اكثر فخامة ، ثم قالت : إنه اجمل متحف فى العالم ، بعد عشر سنوات من وفاته ، اشعر بانى مازلت اعشقه وانا ارفض ان اكون ارملة ، كنت امضى ليالي ـ واحيانا حتى الفجر ـ وانا أراقبه يرسم ، كنت اجفف عرق جبينه ، قريبة منه لا اتحرك ، صامتة ، وكان غالباً ما يتجه إلي ويقول : جاكلين ، هل انت هنا ؟

كانت عينا جاكلين تلتمعان وكانهما على وشك البكاء عندما قالت : لم ابك ابداً امام الناس ، ابداً ، إن المي ومعاناتى تخصانى وحدى فبقوة عضى على شفتى اعتقدت انى أمشى بلا سيقان !

كان بيكاسو يقول : عندما تتنفس تتنفس .. انها تحبنى كثيراً .

لقد كان همه أن يعيش قربها للابد ويرسم بلا نهاية ، كان يكره كلمة الموت أو أن يلفظها احد امامه .

جلست جاكلين على الأرض وكانت اللوحات مستندة على الجدار بالمئات وكانت تقلبها وكانها تتصفح كتاباً لا ينتهى قائلة : إن الرسم ليس لجدران الشقق بل لكي نلمسه . اللمس هنا غير ممنوع ولكن المستحيل رؤية كل شىء . وحتى جاكلين التى عاشت عشرين عاماً قرب بيكاسو مازالت تكتشف الفنان والفن اللذين لم تنقطع عن حبهما ابداً . وعلى ظهر الخزانة المعدنية التى تحتوى بادراجها المعدنية العديدة على رسومات واعمال حفر ، يوجد لوحات بدون براويز من المرحلة الزرقاء . اما على مقعد خشب الصفصاف فقد اتكات لوحة تجريدية كبيرة يبدو فيها لون رمادى غامق عليه بقعة سوداء كئيبة (كانها ثور) ولون وردى (كالضوء) . قالت جاكلين عنها :

إنها آخر لوحة رسمها بيكاسو ولن اعيرها أبداً وأريدها أن تكون كفنى عندما يدفنوننى بجانبه !

توفى بيكاسو فى ١٩٧٣/٤/٨ فى «نوتردام دوفى» ودفن فى قصر «فوفنارج» قرب (اكران بروفانس) ومازالت جاكلين تنتظر كل عام بفارغ صبر موعد ذكراه . إن كل حجـــرات القصر فارغـــة إلا من بعض الأوانى المليئة بالزهور تنتشر فى كل مكان . إنه قصر لا تسكنه إلا الزهور اشتراه بيكاسو عام ١٩٥٨ لانه كان يشاهد من نوافذه جبل (سان فكتوار) الذى طالما رسمه الفنان (سيزان) .

فى ممر الطابق الأرضى توقفت جاكلين امام مراة مستطيلة حيث تذكرت قول الأديب الفرنسى جان كوكتو : هناك مرايا تعكس الصورة واخرى لا تعكس .

عشية موته نظر بيكاسو الى هذه المراة كشاب وقال بخصوص قامته : ليست سيئة جداً !

وبعد لحظة هدوء لخصت جاكلين كلمة الموت بجملة : لقد رأيت وجهاً وردياً وهو يتحول الى رمادى فلم افهم ولم اقبل !

كان بابلو بيكاسو عبقرياً لم يتوقف لحظة عن العمل ولم يكن عنده الوقت ليموت !

حـل الظلام على نوتردام دوفى عندما قالت جاكلين : أكره الرحيل .. ولكن !!

بالتأكيد مازال بيكاسو يرسم هناك . الم يقل قبل أن يغلق عينيه للمرة الأخيرة : غداً ، سأعاود الرسم ؟!

ياسر السباعي

المرجـــع :

PARIS MATCH: 23 Sep. 1983

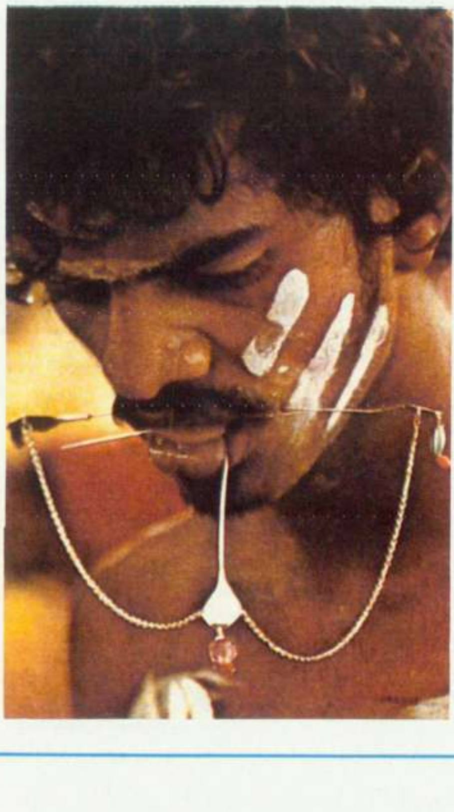
لقطات من الكون المثير



حرامي المشابك

يعتبر الطائر المعروف باسم طائر الخميلة أو العريشة من أغرب الطيور الاسترالية واكثرها افتتانا بعمل « الديكورات » .. خاصة امام مدخل عريشته التى يقيمها على الأرض (وليس بين الأغصان ـ كما تفعل معظم الطيور) وذلك باستخدام الخامات المحلية من قش وأوراق وأغصان ، فيثبتها فى الأرض ويقيمها كالعريشة ، لكن الطائر لم يكتف بذلك ، بل ذهب الى تزيين مدخل الخميلة بالألوان التى يرتاح اليها ، وعلى حسب نوع الطير ، يكون الاختيار بين الألوان ، لكن يبدو أن طائرنا هذا يفضل أساساً اللون الأزرق ، فاختار لذلك بعض مشابك غسيل زرقاء ، ربما يكون قد سرقها من الجيران ، أو ربما وضعها فى طريقه أحد العلماء الذين يدرسون سلوك هذه الطيور ، بقي أن نعرف ان الذى يقيم العريشة هو الذكر ـ لا ليتزوج فيها ، بل من أجل المنافسة مع الذكور الأخرى لجذب الأنثى ، وهى ـ بطبيعة الحال ـ تختار الذكر الذى يبنى عريشته أكبر واتقن وأفخم ، هذا بالاضافة الى جاذبية الديكورات ، فذلك وغيره دليل على قوته وصبره وذوقه ، والأنثى تحب ذلك ، ولا تختلف هنا أنثى الطير عن أنثى البشر .





لماذا هذا يا هذا؟

سلوك غريب لازالت تمارسه بعض القبائل البدائية حتى اليوم ، لا لشيء الا لتعذيب البدن ، طلباً لسمو الروح والنفس .. فكلنا يعرف الفقير الهندى الذى ينام على سرير من المسامير ، وكأنما هو مستلق على فراش من حرير ، أو ذلك الذى يقف على قدم واحدة ساعات طويلة ، أو الذى يرفع ذراعيه فى الهواء ليوم وبعض يوم .. الخ ، لكن هذين الشابين من أهالى جزيرة مورشيوس بالمحيط الهندى قد جاءا بهذه الوسيلة الغريبة من وسائل التعذيب ليثبتا بالدليل ان الآلام قد تصبح باباً للذة معنوية لا يحس بها إلا كل من تدرب عليها ، واعتقد فيها .. أو ربما كانت للدعاية ليس الا ، ولله فى خلقه شئون !

أزمـــــة خــــدم!



انه خادم مطيع .. لا يتكلم ، ولا يناقش ، ولا يتقاضى اجرا ، وليس له متطلبات كثيرة مثل البشر ، اى انه لا يطلب بدل ملبس ، ولا اجازات ، ثم انه ليس شرها فى الطعام والشراب كالبشر .. أضف الى ذلك انه خادم ظريف مؤنس لطيف ، وعلى الأقل ليس قليل الأدب ، أى انه قد يبلع الاهانة بمجرد أن تربت على جسمه النحيل وتسترضيه (وهذه مكرمة هامة تضاف الى خصاله) .. وفوق كل هذا فالقرد مقلد ماهر لحركات البشر ، ويستطيع ان يستوعب التدريب او الدرس ، ويبدو انه قد نجح فى أول اختبار – أى نظافة السجاد باستخدام مكنسة كهربية ، وليس ببعيد أن يقوم بتنظيف المفروشات مما قد يعلق بها من اتربة .. المهم انه يحمل مع سيدة البيت بعض هموم البيت .. بقي ان نعرف أن السيدة ليست الا واحدة من العلماء الذين يدرسون سلوك واستيعاب ذاكرة الحيوان .. وربما تفتح معهدا لتعليم النسانيس والقرود صنعة تعوض البشر عن أزمة الخدم .. ربما ، فكل شيء جائز !



ومن الكلاب ما فاق الإنسان طولاً ووزنا

الكلب الذى استطال فاصبح أعظم هامة من الانسان ، هو من سلالة تعرف باسم الدانمركى الأعظم ، وهى سلالة من أعظم السلالات طولا وارتفاعا ، سواء كان الكلب واقفا على اربع ، أو على قدميه الخلفيتين (كما هو واضح فى الصورة) – فاذا وقف على اربع ، فان ارتفاع كتفيه عن الأرض يصل الى متر وثلاث سنتيمترات ، اما طوله فضعف ذلك ، ووزنه ازيد قليلا من مائة كيلوجرام ، هذا وتوجد سلالة اخرى قد يصل وزن الكلب فيها الى ١٣٤ كيلوجراما ، لكن ذلك لا يعنى انه اطول من الدانمركى الأعظم ، والغريب ان هواة تهجين الكلاب قد توصلوا ايضا الى انتاج سلالة ضئيلة الحجم تعرف باسم « شى هو هو » ، وبحيث يمكن وضع الكلب البالغ منها فى جيب السترة بسهولة تامة ، ذلك أن اضأل كلب فى هذه السلالة لم يزد وزنه عن ٤٥٣ جراما .. اى ان كل ثلاثمائة من « شى هو هو » تزن كلبا واحدا من الوزن الثقيل – وما اغرب المفارقات فى الكلاب .. وفى الحياة !

بقلم : جمـــال قطــب

في الشــــــرفــــــة



فى الشرفة .. للفنان العالم « إدوار مانيه » .. رسمها عام ١٨٦٨



الفنان ادوار مانيه (١٨٣٢ ــ ١٨٨٣)

كانت باريس فى القرن التاسع عشر مسرحاً لأحداث جسام ربما كانت اخطر احداث فى التاريخ الفرنسى كله : الاكتشافات العلمية الهائلة والتطور الصناعى الذى بهر العالم حينذاك ، والحرب السبعينية وظلالها الرهيبة .. كما شهدت الحياة كذلك الوان الترف والسرف والرفاهية والتانق ..

وقد شهد الفنانون الذين عاشوا احداث هذا القرن ، تحولات هامة فى مسيرة الابداع العالمى كله .. حيث كانت العاصمة الفرنسية ــ آنذاك ــ تقود حركة الفكر والفن فى أوروبا ، ومنها ينتشر الاشعاع الحضارى إلى كافة شعوب الأرض .

لقد ظهرت مدارس فنية غاية فى الأهمية : الكلاسيكية الجديدة ــ الرومانتيكية ــ مدرسة باربيزون (أو جماعة الخروج إلى الطبيعة) ــ التاثيرية وما بعدها .. وكانت الأخيرة إيذانا بظهور تيار جديد يقود إلى فن القرن العشرين ، ورؤيته الفلسفية الغارقة فى الذاتية والتصور .

وقد بلغ تحرر الشباب الفرنسى ذروته فى منتصف القرن التاسع عشر .. وكونوا جماعات فكرية هى خلايا إبداعية هائمة فى أجواء الحرية التى عصفت بالمعتقدات والتقاليد الفرنسية القديمة .

وكانت المقاهى الشهيرة مثل : مقهى جيربوا ومقهى أثينا الجديدة ومقهى تراس وغيرها .. هى ملتقى هذه الجموع الرائعة .. لقد هجروا مظاهر التانق والأرستقراطية ــ ومعظمهم من العائلات الثرية ــ وسعدوا بالفقر والبساطة ، ورفعوا شعارهم الذى كان رمزاً لجماعتهم وقتها : النبق نبلاء ولنسعد بفقرنا ! وامتلكوا العالم امتلاكا شاعرياً ، وانطلقت ملكاتهم العبقرية ــ أدباً وشعراً وعلماً وفناً ــ متحررة من قيود المادة ، فصاروا قادة النهضة الجديدة التى أرست دعائمها فى النصف الثانى من القرن الماضى .

وكان زعيم جماعة الفنانين الشباب هو « إدوار مانيه » .. التفوا حوله لما عرف عنه من انه كان يتفاعل بوعى وإدراك مع الأحداث بوجهيها المتناقضين : التحول الحضارى بأفكاره المستقبلية ، والرواسب التى تشوب الحياة الفرنسية من جراء الحروب والصراعات الفكرية المستعرة بين الأجيال المتعاقبة .

وكما يلقى المجددون دائما ، فقد وقف الأكاديميون فى وجه مانيه .. ورفضوا عرض أعماله ورفاقه فى معارض الصالون الرسمية .. بل واتهموه بتشويه وجه الفن والخروج على التقاليد الجمالية المتوارثة ..

واعتبر مانيه نفسه فى معركة المصير .. لم ييأس ولم يهن فى كفاحه ، كما لم يثنه الاضطهاد عن أسلوبه الفنى المبتكر ..

ووقف بجانبه صديقه المفكر الشهير إميل زولا .. وظل النضال مستعراً حتى انتصر مذهبهم الفنى الذى اعتنقه فنانو العالم بعد ذلك .. الا وهو التاثيرية !

وكان أول المعارض التاثيرية هو ما اقيم بباريس عام ١٨٧٤ .. ثم تلته معارض أخرى متتابعة .. بعد أن كانت اعمال الفنانين التاثيريين لا تلقى من الجمهور ومن رجال الأكاديمية الفرنسية على وجه الخصوص إلا اشد انواع التعنت والازدراء !

وفى عام ١٨٨٤ ، وبامر من قادة الحكومة الفرنسية ، يفتح متحف اللوفر أبوابه لتحتل أعمال إدوار مانيه مكانها اللائق بين إبداعات العباقرة من الفنانين الأفذاذ الخالدين .

وعلى الصفحة المقابلة ، يرى القارىء احد أعمال مانيه المميزة ، وهو قطاع من لوحة كبيرة ، منفذة باسلوب ذى لمسات تاثيرية جريئة .. وقد أسماها : « فى الشرفة » . وهى من مقتنيات اللوفر الشهيرة ..

لقد صدقت توقعات إميل زولا ، عندما قال كلمته التى رددتها الصحافة فى ايام الكفاح ، « إن مانيه قد تحدد مكانه فى متحف اللوفر .. إنكم تسخرون منه اليوم ، ولكن ابناءنا سيجتمعون بزهو وإعجاب حول لوحاته » !

إدارة المطبوعات والنشر

هذا المنبر الذي يحمل على أكتافه حماية الكلمة والدفاع عن حقوق الفنانين والمفكرين

حوار: مريم آل سعد

- لسنا جهة رقابية على الصحافة المحلية ، فهى مؤسسة وطنية حرة .
- سبب عدم اصدار أية مطبوعات صحفية جديدة هو أن الفكر قيمته فى الكيف وليس فى الكم
- تحت الطبع كتاب عن تاريخ الصحافة فى قطر وتطورها .
- اقتراح لوضع الأسس العلمية والقانونية لحماية الفنان القطرى وللحفاظ على حقوقه .



عبد الله صادق مدير إدارة المطبوعات والنشر

انها منبر يحمل على كتفه مهمة تاصيل الكلمة ، وتاسيس المعايير الفكرية من خلال تنظيم الاصدارات الصحفية ، ومراقبة المصنفات المحلية والخارجية ، واستخلاص اتجاهات الرأى العام العربى والعالمى ، وإعداد واصدار المقالات والمطبوعات والملصقات والصور التى تعطى الفكرة الكاملة عن انجازات دولة قطر فى مجالات التنمية الاقتصادية وبناء الانسان .

تلك هى إدارة المطبوعات والنشر التى تتضح صورتها اكثر عندما يقول مديرها عبد الله صادق :

انشئت نواة لهذه الادارة عام ١٩٦٩ ، فعاصرت بذلك احداثا هامة فى تاريخ البلاد ، إذ عاشت فترة ما قبل الاستقلال ، وشهدت بزوغ فجره ، ثم شاركت بجهودها فى مرحلة التحول التاريخى التى اعقب ذلك ، وتراكمت لديها خلال تلك السنوات الخبرات والتجارب الكثيرة التى تستثمرها فى النطاق الذى تعمل فيه .

خلال تلك المساحة التاريخية ظهرت



بعض الصحف المحلية التى تصدر من دولة قطر

الصحافة القطرية وصارت الى ما هى عليه الآن مما يملأ النفس بالاعتزاز ، وتواجدت وسائل الطباعة والنشر والتوزيع والمكتبات كما كان التقدم التكنولوجي فى وسائل الاتصال قد القى مرساه فى بلدنا وفى دول الخليج ، فظهر الشريط المسموع والمرئي ، وهذا بالاضافة إلى الاتجاه نحو التخصص كاسلوب حديث فى الادارة داخل مؤسساتنا لتعمل وفق الطرق المتقدمة فى هذا المجال .. فاذا كانت كل تلك المؤسسات قد قامت على أرض بلدنا كعلامات ورموز بارزة لما لحق جميع نواحي حياتنا من تحديث ، واذا كانت تلك المؤسسات تجد الطريق الى التطور كل يوم ، فان ما يملأ نفوسنا غبطة اننا ساهمنا ونساهم بجهد متواضع فى تنظيمها ، لتؤدى الغرض المرجو منها .

الأهداف والوسائل

ونسال مدير إدارة المطبوعات والنشر :

● ما هي الأهداف الأساسية لادارة المطبوعات والنشر ؟ ..

– اسم إدارة « المطبوعات والنشر » يحمل الاجابة بشكل ما عن هذا السؤال ، بل إن مضمونه فى الحقيقة أوسع من ذلك ، إذيعبر عن الأهداف والوسائل معاً ، فنحن نتعامل مع كل ما هو مطبوع ومنشور فى الداخل أو فى الخارج مادام يمت بصلة ما للدولة . ومن الأمور المعلومة أن لكل دولة اعلامها الرسمي الذى يحمل للراى العام العالمى والمحلى وجهة نظرها ومواقفها وتوجهاتها إزاء الاحداث المختلفة ، والذى يعبر فى ذات الوقت عن اهدافها .. واذا كانت الكلمة المسموعة والمرئية تجد مجالها فى وسائل اتصال اخرى فان الكلمة المطبوعة هى وسيلتنا . ولهذا فاننا إذا تكلمنا عن الأهداف لاتضح لنا انها تنطلق من قاعدتين هما : مصلحة الوطن والمواطن معاً .. بمعنى انه إذا كانت دولتنا تقوم بعبء كبير فى رعاية المواطن ، وكفالة أسباب الحياة الكريمة له ، فان علينا من خلال وسائلنا المطبوعة ليس فقط تنويره بأهداف الدولة ، بل حثه على مشاركتها فى جهودها الرامية فى النهاية الى خيره ، وهو فى ذلك يستطيع الكثير . وهذا فى نفس الوقت الذى نعمل فيه على القاء الضوء على الطابع المتميز لدولتنا الفتية ، والذى اكتسبته بالجهد والمثابرة خلال سنوات من الكفاح . ودورها فى محيطها العربى والذى ينطلق من حرصها على تضامن الأمة العربية ، ومساندتها لها بكافة امكاناتها وتطلعها لأمن وسلام العالم وحفاظها على الانتماء للأمة الاسلامية والذى نهتم به بالغ الاهتمام .

● يلاحظ على الادارة جهودها الرامية الى توضيح صورة قطر فى الخارج .. فما مدى اسهاماتها فى المشاركة بالصحافة المحلية .. ؟

نحن نعمل فى خطين متوازيين وغير متعارضين فى نفس الوقت ، فنحن نتكلم عن قطر فى الصحافة العالمية ونتكلم عنها أيضا فى الصحافة المحلية .. ولكن وكما يقولون .. « لكل مقام مقال » فاذا كنا نخاطب الراى العام العالمى بطريقة معينة ، فان نفس الطريقة لا تصلح لمخاطبة الراى العام المحلى ، وفى كلا المجالين – على أى حال – نحن نقدم المعلومة الصحيحة ، والتحليل النزيه ، والتقرير النابع من الواقع ، دون تهويل أو مبالغة .

الصحافة المحلية

● ما هو تقييمكم من خلال علاقتكم بالصحافة المحلية لكل الاصدارات الموجودة .. ؟

قال مدير إدارة المطبوعات والنشر عبد الله صادق :

– الحق أن عملية التقييم ليس فى الوسع اجراؤها فى حوار مثل هذا ، فهى عملية تتم وفق معايير علمية محددة ، وهى تتم فى اتجاهين : هما الشكل والمضمون .. ومن ناحية الشكل فكما نعلم فان الصحيفة تحوى اخباراً ومقالات وموضوعات وتحقيقات واعلانات وصوراً ورسوماً كاريكاتورية . وغيرها . ومطلوب توزيع هذه الموضوعات على صفحات الجريدة بطريقة تحقق اغراض الوضوح ، والدقة ، والصدق فى التعبير ، والجاذبية

هذا المنبر الذي يحمل على أكتافه حماية الكلمة والدفاع عن حقوق الفنانين والمفكرين

ويسر القراءة ، لذلك يجب ان يتم عرض هذه المواد بطريقة تتفق مع اهميتها سواء بالنسبة لحجمها او عناوينها او ترتيبها على الصفحة الواحدة ، كذلك يجب ان يكون تصميم الصفحات باساليب جذابة ، ومشوقة ، ومحققة للمعانى المستهدفة .. فشكل الصحيفة إذاً يقوم على اسس صحفية ونفسية .. هذا من ناحية .. اما الناحية الأخرى وهى مضمون المادة

الصحفية ، فان ذلك يعتمد على صدق ما يرد للصحيفة من اخبار ، ونزاهة ما يرد فيها من تعليقات سواء كانت واردة فى صورة استطلاع او مقال افتتاحى او عمود او يوميات ، واريد ان اقول إن لكل صحيفة تصدر فى قطر — وانا اتكلم فى هذا الحوار كله عن الصحافة الأهلية — طابعاً ولوناً ومذاقاً خاصاً وهى صحافة مكافحة بدأت طريقها من عهد قريب نسبياً ، وبامكانات محدودة ، ووصلت من حيث الشكل ومن حيث المضمون الى مستوى يرضى بل يسر . لكن ما يهمنا انها دائمة التطور وفى هذا وحده ما يطمئن .

إثراء الحياة الفكرية

● ما هو شكل العلاقة القائمة بين الادارة وبين الصحافة المحلية .. ؟

ليس لدينا شك فى ان ما نهدف اليه هو نفس ما تهدف اليه صحافتنا ، وهو كما قدمنا مصلحة الوطن والمواطن وعندما يتحد الهدف يصبح التعامل سهلا وميسراً ، فنحن ننظر لصحافتنا من منطق انها مؤسسة وطنية تعمل فى ادق واهم ميادين العمل الوطنى . فالصحيفة تحمل الفكر الى المواطن وليس فى الوجود أعز واغلى من الفكر . ونحن فى تعاملنا مع صحافتنا لسنا سلطة فوقية كما اننا لسنا جهة رقابية ، نحن فى الأساس جهة رسمية مهمتها دفع الصحافة وغيرها من وسائل النشر المطبوعة الى اثراء حياتنا الفكرية ، والخوض فى جميع ما يهم المجتمع دون خوف او رهبة ، ونحن فى سبيل ذلك نقدم كل ما نستطيع من دعم ادبى ومادى .

● وما رايكم فى ملاحظتنا على اعتماد الصحافة الأهلية فى هيكلها الرئيسي على موضوعات الصحافة العالمية ، وعلى ما تبيعه الوكالات الصحفية من هذه النوعية من الخدمات ؟

يبدو ان هذا السؤال يحمل نوعاً من الاثارة ، فقد قال مدير إدارة المطبوعات والنشر :

— فليسمح لي بان اصحح بعض المفاهيم الواردة فى هذا السؤال ، فنحن وكما قدمت لسنا جهة اشرافية على ما تقدمه الصحافة المحلية . فهى مؤسسة وطنية مستقلة حرة لا اشراف علينا من قبل اى جهة حكومية ، اما إذا كان المقصود بالسؤال هو جانب تقييم ما تقدمه الصحافة من مواد ، فهذا من حق كل مواطن يعيش على ارض هذا البلد ، نحن نقيم ما يرد فى صحفنا من دافع الحرص على المصلحة العامة ، والصحافة تفتح صدرها للنقد ، بل هى تخصص صفحات منها لذلك . فالراى والراى الآخر مطلوبان ، ومادام للصحافة الحرية فى نقد اوضاع المجتمع فما احراها بتقبل النقد لما يرد فيها بصدر رحب ، وهذا ما يحدث فعلا ، فهناك وجهات نظر مستمرة بيننا وبينها ولا إلزام عليها ابداً فى ان تاخذ بتقييمنا لموادها ، فلها ان تاخذ بهذا التقييم او لا تاخذ به ، حسب ما تراه من مصلحة .

اما القول بانها تعتمد على الخدمات التى تقدمها الصحافة العالمية ، فالحقيقة اننى لم اعرف القصد من ذلك . وهل المقصود بالا تكتب الصحافة الا عن الأمور المحلية ، فى هذه الحالة نكون قد انكفانا على انفسنا ، وانقطعت صلتنا بالعالم من حولنا ولا يبقى الا ان نفنى كما فنيت جماعات كثيرة انعزلت عما حولها .. ام هل المقصود انها تورد بعض الاقتباسات عن الصحف العالمية ، ولست اعرف العيب فى ذلك ، وهو عمل تبيحه آداب المهنة ،

وكبريات الصحف تقتبس عن بعضها البعض .. وهل تكتفي كبريات الصحف فى العالم بما لديها من اجهزة للتحرير والاخراج .. ؟! لقد ادى التطور الحديث فى مجال الصحافة الى نشاة وكالات شبيهة بوكالات الأنباء تخصصت فى مد الصحف بمختلف المواد الصحفية من موضوعات إلى صور الى رسوم ، هذه الوكالات تعتمد عليها الصحف العالمية .. ثم الا تنقل الصحافة العالمية عن صحفنا الكثير من الأخبار والتحليلات ؟!

أسس الضوابط الرقابية

● كم عدد المخالفات التى اصدرتموها بحق الصحافة المحلية .. ولماذا .. ؟

— اذا اطلق لفظ المخالفة فانه ينصرف الى معنى قانونى ، والادارة منوط بها تنفيذ القوانين المتعلقة بمجال النشر وهى قانون المطبوعات وقانون العقوبات ..

ودورها هو احالة المخالفين الى القضاء ، وذلك لا يتم بطبيعة الحال الا اذا تم النشر فعلا .

وأكد مدير المطبوعات والنشر ملاحظته بقوله :

— واستطيع القول انه لم يتم حتى الآن ووفق المعنى الذى قدمت ، احالة اية مخالفة نشر الى القضاء ، سواء بالنسبة للصحافة او لغيرها من وسائل النشر .

● ولكن على اى الأسس تستند الضوابط الرقابية التى تمارسها الادارة فى منع او السماح بتداول المطبوعات الداخلية او الخارجية ؟ وهل يملك اعضاء هذا الجهاز الرقابي المواصفات التى تخولهم لأداء هذا الدور بجدارة ؟

— بداية فان لفظ مطبوعة يعنى الصحف والكتب والنشرات ، وكذلك الأشرطة

والاسطوانات . ايضاً كما ان لفظ رقابة يعنى الرقابة المسبقة .. واود ان اوضح فى هذا المجال انه ليست لدينا اية رقابة مسبقة على الصحف الداخلية من اى نوع ، اما رقابة المطبوعات الأجنبية فتتم وفقاً لمعايير مقصود بها حماية النظام العام ومصالح الدولة العليا ، وحماية الآداب واحترام المقومات الأساسية لمجتمعنا . والذين يقومون بالرقابة وفق تلك المعايير هم من قدامى العاملين فى الادارة الذين تكون لهم — بالتعامل اليومي مع الفكر المطروح فى المطبوعات — حس خاص ، ورؤية شاملة ، ومنطق واع يملي عليهم أن الأصل العام المعمول به فى مجال عملهم الدقيق هو الاباحة ، وان المنع لا يكون الا للضرورات الملزمة .

مرحباً بالابداع الجيد

● بصفتكم جهة مسئولة عن النشر ، وتسعى الى المساهمة فى دفعه الى الامام بقوة وصلابة .. ما هو تفسيركم لضعف حركة التاليف والنشر فى البلاد ، سواء من ناحية عدم أو قلة العناصر المبدعة ، أو لعدم وجود دور النشر الريادية التى تساهم بجدية فى اشعال وقود هذه الحركة الثقافية والفكرية .. ؟

ـ فى تقديرى ان الثقافة والفكر هما نوع من الكفاح ، فاذا لم توجد لدى صاحب الفكر روح القتال من اجل ان يصل انتاجه الى الجمهور فلن يجدى معه شيء . وفى رايى أن الفرص المتاحة فى بلدنا امام من يريد النشر ليست بهذا اليسر فى كثير من البلاد ، ونحن كجهة رسمية لها صلة بمؤسسات النشر والطباعة نقوم فى ذات الوقت بطبع ونشر الكثير من المطبوعات ، وهى مطبوعات اعلامية فى الأساس ، ولكن ليس هناك ما نع على الاطلاق فى أن تقوم الادارة بطباعة اى إبداع يصدر عن ابناء هذا البلد إذا ما وجدنا ان ذلك الابداع يحقق مصلحة قومية .. وادارة الثقافة والفنون بوزارة الاعلام تقدم دائماً يد العون والتشجيع لكل أصحاب المواهب .. وقد قامت بطبع ونشر العديد من الأعمال ، كذلك فان صفحات جميع الصحف المحلية تدعو دائماً المبدعين كي يملأوها بابداعاتهم ، ودار العهد على سبيل المثال تصدر كتابا شهرياً لنشر الفكر القطرى صدر منه حتى الآن اعداد كثيرة . اما دور النشر فهى موجودة ، وبطبيعة الحال فهي تعمل وفق اسس ومعايير تجارية ، إذ يجب ان يكون العائد من النشر اكثر مما تكبدته فى سبيل الطباعة من نفقات ، وذلك يتطلب جمهوراً يقرأ ما تنشره ، وليس بالضرورة ان يكون الجمهور محلياً فقط ، بل قد يكون ايضاً من خارج الحدود ، وهنا يجب ان يكون ما يطرح من فكر على مستوى معين ليصمد امام المنافسة الشديدة فى ذلك المجال ، وفى تقديرى أن الخامات الخلاقة موجودة ولكنها تركن الى الكسل أو الانصراف الى مجالات أخرى غير مجال الفكر .

إنني ادعو من موقعي فى ادارة المطبوعات والنشر كل موهوب فى بلدنا يستطيع ان يقدم فكراً جديداً ان يتقدم به ، وسوف يجد امامه كل ابواب . النشر مفتوحة .



مجموعة من المطبوعات التى اصدرتها إدارة المطبوعات والنشر

المطبوعات المحلية الجديدة

وما هو تفسير الاتجاه الى عدم اصدار اية مطبوعات محلية جديدة .. ؟

ـ ليس هناك الا سبب واحد هو أن الفكر قيمته فى الكيف وليس فى الكم ، والصحافة اداة فكر ، ولا يسعدنا ان يكون لدينا كم كبير من الصحف الهشة والغثة والقليلة القيمة بقدر ما يسرنا ان يكون لدينا عدد محدود من الصحف العظيمة القيمة ، كبيرة الفائدة .

الرقابة على المصنفات

● وما هو شكل الرقابة على المصنفات الفنية الداخلية والقادمة من الخارج ؟

ـ المصنفات الفنية عبارة عن اعمال فنية ، مسجلة على اشرطة سمعية او بصرية ، والادارة تختص بالرقابة على هذه الأشرطة قبل عرضها فى دور السينما او طرحها للتداول من قبل محلات التسجيلات. ورقابة هذه المصنفات معمول بها فى غالبية العالم حماية للآداب العامة ، ومحافظة على الأمن والنظام العام ، ومصالح الدولة العليا ، فقد ادى التقدم العلمي ، وارتفاع مستوى المعيشة الى تواجد اجهزة التسجيل والفيديو فى كل بيت تقريباً ، ولو لم تفرض الرقابة ، لادى دخول بعض المصنفات الى البيوت وعرضها فيها الى الاضرار بمصالح المجتمع . وتقوم برقابة تلك المصنفات لجنة تابعة للادارة تسمى « لجنة الرقابة على المصنفات الفنية » يمثل فيها مندوبون عن وزارة التربية والتعليم ، والداخلية ، والعمل والشئون الاجتماعية ، ورئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية ، وتضم عدداً من ذوى الراى ، ويساعد فى اعمالها جهاز للسكرتارية . وتضع اللجنة فى اعتبارها ـ عند ممارسة عملها فى الرقابة لأى شريط سمعي أو بصرى ـ المعايير التى قدمتها ، هذا فضلا عن جهاز الضبطية القضائية التابع للادارة ، والذى يمر على دور السينما ومحلات التسجيلات ، لضبط المخالفات واحالتها الى القضاء ، ونحن نحاول ومازلنا نغرس بعض المفاهيم لدى القائمين على محلات التسجيلات ، تتلخص فى ان العلاقة بيننا وبينها يجب ان تكون فى نطاق التعاون لصالح المجموع .

طموح بلا .. حدود

● ما هى خطة الادارة المستقبلية ..؟

اجاب مدير ادارة المطبوعات والنشر عبد الله صادق :

ـ آمالنا كبيرة وبتشجيع المسئولين فى الوزارة .. طموحنا بلا حدود .

وهناك الكثير من الأفكار الجديدة والتى شرعنا فى دراستها ، الدراسة المتانية ، والمؤسسة على توفر الامكانيات المادية والبشرية ، وعلى سبيل المثال لا الحصر .. لدينا خطة لاصدار سلسلة من الكتب يعالج كل منها موضوعاً بذاته فى مجالات العمل بالدولة . وقد ظهرت بواكير تلك السلسلة فى كتاب اصدرناه عن القطاع الصناعى فى دولة قطر ، وتحت الطبع الآن كتاب اخر عن تاريخ الصحافة فى قطر وتطورها ، ولقد تعرضنا فيه لجميع الصحف التى ظهرت فى البلاد حتى الآن . كذلك لدينا خطة لاصدار سلسلة تراجم عن الشخصيات البارزة فى حياة بلدنا ، والتى ادت ادواراً لاثراء حياتنا الفكرية ، أو الاجتماعية ، أو الثقافية . وكذلك لدينا مشروع اقتراح لوضع الأسس العلمية والقانونية ، والتى تكفل للفنان القطرى كامل حقوقه الفنية ، وتنظم العلاقة التى تحكم تداول اعمال الفنانين وترويجها من قبل شركات التوزيع .. وهذا بعض وليس كل ما نخطط له .. وسننفذه باذن الله .

مريم آل سعد



اثار مدينة الرقة التى تدل على مجدها القديم

الرَّقـَّـة

مدينة الرشيد التي تغنّى بها الشعراء

بقلم: عبدالكريـم البليـخ

إن اسم الرقة فى التاريخ والقصص القديمة يرتبط بالصورة المشرقة للعصر العباسى ، وبصورة خاصة بالأيام التى كان يسميها الناس فى زمنها أيام العروس ، وهى ايام هارون الرشيد وملكه الزاهر وسلطانه الواسع الرقعة . ومع ان الفاً ومائتى سنة مرت بعـــد هارون الرشيد فان زائر الرقة المعاصر أو القادم إليها فى مهمة هذه الأيام يدخلها ويتصورها مدينة كما تصفها الأغانى أو الف ليلة .. فاذا أصطدم بالواقع توجه إلى من يلقاها من أهل البلدة متسائلاً كالمستنكر ، ومستفهماً كالمتهم ، كانه يقول لهم : انتم الذين احلتم هذه الجنة الوارفة الظلال إلى بيداء قاحلة ؟ ماذا فعلتم بالأشجار التى كانت تظلل المسافر من بغداد إلى الرقة فلا تراه الشمس فى رحلته ؟ . أين الهني والمرى ، وأين مرابع ديرزكى ، وأين نهر النيل الذى يتفرع من الفرات ويلتف حول الرقة ليحيلها جزيرة محاطة بالماء ؟ أين مصانع الصلبون الرقى المشهورة فى كل العالم الاسلامى ، وافران الزجاج والخزف التى تزين بقاياها متاحف الدنيا ؟ كيف حولتـم هذه الجزيرة الخضراء ، بين النهرين التى يسكنها ثلاثة آلاف الف انسان إلى سهوب قفراء لا يتجاوز سكانها ثلاثمائة الف ساكن ؟ . انها تهم ثقيلة هذه التى يتهمنا بها زوار الرقة والطارؤون الغرباء عليها . وليس يعادل ثقل هذه التهم غير كونها تهم ظالمة ، تلقى على عواتق قوم ابرياء من تبعاتها هم أبناء الرقة المعاصرون ...

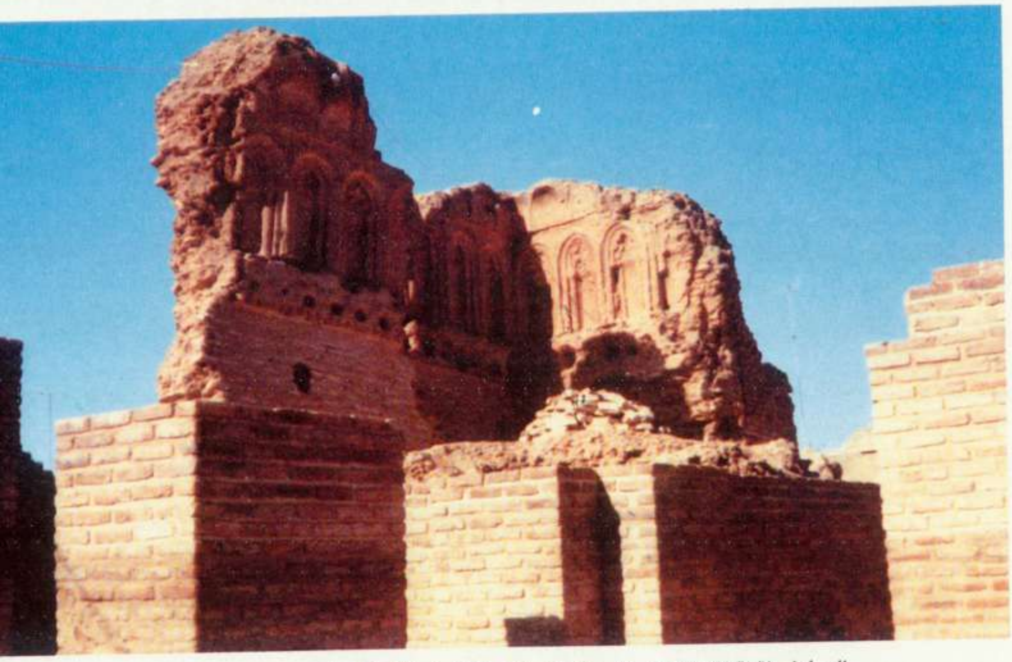
ان أبناء الرقة المعاصرين ، الـذين يعتزون بمجد الرقة القديم ، يتقبلون هـذه التهم محاورين فيها ومداورين ، محاولين تخفيفها ، دون ان يخطر لهم ان يتنصلوا منها تنصلا تاما ، لأنهم لا يريدون التبرؤ من تاريخ بلدتهم والتنازل عن الانتسـاب إليها . أما الذين يلقون التهم فانهم ، كما قلت ، على قدر متوسط من الثقافة لم يبلغ إطلاعهم الحد الذى يعرفون فيه ان الرقة القديمة قد زالت من الوجود بعد غزوات التتار . لقد كان آخر العهد بالرقة كمدينة عامرة هو عام ٧٧٣ هجرية ١٣٧١ ميلادية ، حين أخلاها أهلها فجاة أمام جراد جيوش تيمورلنك المنتشر ، فتفرقوا بددا فى ارض الله الواسعة . وبذلك امحت مدينة الرقة من الوجود ، وامحت منطقة بلاد النهرين من عداد المناطق المتحضرة ، واستحالت تلك الأرجاء المزدحمة بالسكان والعمران إلى صحراء مقفرة خلال خمسة قرون متتالية . نعم لقد امحت الرقة القديمة ، بسكانها وعمرانها ، منذ خمسة قرون . فى هذه القرون الخمسة يبست الأشجار وتهدمت السدود على الفرات وروافده وجفت الأنهار . فالخراب يجر الخراب . لم يبق من أهل المدينة القدامى انسان فيها ، بل اصبحت واصبح ما حولها مسرحا للقبائل البدوية تنتقل بين بقاعه فى انتجاعها للكلأ او تتخذه ميدانا لغزواتها وحروبها . حتى خطر للدولة العثمانية أن تقيم فى هذه البادية المتسعة مخفرا يكون نقطة ارتكاز لقواتها ، فانتخبت له على شاطىء الفرات هذه الخربة المهجورة التى كانت تسمى ذات يوم باسم الرقة . وبعد إقامة هذا المخفر بدات بعض الأسر القادمة من مدينة الرها فى الشمال ، أو من الموصل والعشارة فى الشرق ، أو بوادى حمص وحلب فى الجنوب والغرب ، بدات هذه الأسر تستقر حول المخفر وتبنى لها بيوتا من الشعر او اكواخا من اغصان الأشجار والنبتات البرية ، ثم دورا حجرية انتزعت احجارها من جدران القصور القديمة المهجورة ، وهكذا كانت الرقة الجديدة ..

الموقع والطبيعة

الرقة لغة تعني كل أرض شبه مستوية تقع على ضـفة واد ضحل ينساح فوقها الماء وقت الفيضان أو المدكي ينحسر عنها فيما بعد فى موسم الشح .. وتحتل هذه المدينة أواسط الزاوية المؤلفة من التقاء وادى الفرات برافده الصغير البليخ الذى يعانق الفرات على مسافة ثلاثة عشر كيلو مترات إلى الشرق منها .. فوق بقعه تزخر بآثار الحضارات المتعاقبة القديمة من آرامية وهللينيستية ورومانية واسلامية ..

وتقوم الرقة إلى الشرق من حلب عاصمة بلاد الشام الاقتصادية على مسافة تبلغ مائة وثمانين كيلومترا .. إلى الشمال الغربى من مدينة دير الزور اكبر مدينة عربية على الفرات .. والتى تبعد عنها بمقدار مائة وأربعين كيلومترا أى على الطريق التجارية التى تربط موانىء البحر الأبيض المتوسط ببلاد الرافدين .. وبموانىء الخليج العربى والهند والشرق الأقصى وعند نقطة من هذا الطريق تدعى « المقص » ويتفرع منه طريق طــولـه ستة كيلو مترات فى اتجاه الشمال الشرقى ليتصل ببحر حديث البناء على الفرات يؤدى مباشرة إلى مدينة الرقة .وتعتمد الرقة على نهر الفرات العظيم الذى يقذف فى كل نصف دقيقة من الزمن ما يكفى لاستهلاك مدينة كبيرة .. فى كل يوم .. لهذا قامت على ضفتيه زراعة كثيفة يحتل القطن فيها مكان الصدارة .. ويتلوه فى الانتاج القمح ــ ذهب المستقبل ــ والخضار بانواعها .. وللرقة شهرة عظيمة بزراعة البطيخ الأحمر أو الأصفر الذى كان يصدر الى عاصمة العباسيين إذ لايزال العراقيون يطلقون على البطيخ الأحمر اسم «الرقى» نسبة الى الرقة وهو الذى يدعى «الحبحب» فى الحجاز «والجح» فى نجد «والجبس» فى حلب «والدبشى» فى دير الزور والرقة





إلى أعلى لقطة لقلعة جعبر التى تقع على الضفة اليمنى الشمالية لنهر الفرات حاليا .. والقلعة الأخرى لقصر البنات من الداخـــــل

الرقة

مدينة الرشيد التي تتغنى بها الشعراء

«والدلاع» فى كل اقطار المغرب العربى مثلما كانت مشتهرة بزيتونها وزيتها وصابونها المعطر كما اسلفنا .

وتاريخ اقدم بناء مسكون فى الرقة الحاضرة لا يرجع الى ابعد من عام ١٣٠٥هـ ـ ١٨٨٧ م . بمعنى أن عمر الرقة لم يبلغ بعد القرن الكامل . ولقد وصلت الرقة الحديثة ، فى تطورها ، منذ إنشائها حتى الآن ، وبطريقة عفوية ودون تخطيط مسبق، الى نتيجة يمكن ان تعد مقبولة فى نشوء اية بلدة حديثة . ففى اقل من ثمانين عاماً نبت فى نقطة مقفرة على الفرات تجمع بشرى يضم نحواً من اربعين الفاً من السكان هم سكان البلدة بالذات يقومون بخدمات مجموعة بشرية يقارب عدد افرادها الثلاثمائة الف ، هم سكان المحافظة

بناء المدينة

من المعلوم ان الخليفة ابا جعفر المنصور قد اشاد فيها مدينة جديدة سماها «الرافقة» بنيت على شاكلة بغداد فى ابوابها ، واسوارها ، وفصولها ، ومساحتها، ورحابها ، وفى استعمال مادة البناء نفسها وهى الطابوق وقامت الى جانب الرقة البيزنطية الأموية على مسافة ٣٠٠ ذراع الى الشمال الغربى فشيدت اسوارها من الطابوق على هيئة اسوار بغداد اى تتالف من سور مضاعف داخلى وخارجى بينهما فصيل وحفر حول السور الخارجى خندق وكان عرض السور الخارجى يبلغ ٤٫٥ امتار وكان اساس السور من الحجر الكلسى وشابهت بغداد فى بيوتها وابوابها وجعل للمدينة بابين الاول .. يسمى باب بغداد ، ويقع فى الزاوية الجنوبية الشرقية لايزال قائما حتى اليوم .. والثانى وهو باب الجنان .. وكان يقوم الى جانب كل منهما برج مستدير نصف قطره ٧٫٨ امتار ،

وظل اعتماد سكان الرقة حتى فترة ما بين الحربين العالميتين على اطلال الرقة فى استخراج الطابوق اللازم لبناء بيوتهم

وقد راى البرج العالم هرتزفيلد سنه ١٩٠٨ وكان لها باب ثالث فى الجهة الشمالية يسمى باب أورفة .

ويذكر الرحالة ابن حوقل فى معرض كلامه عن المهدية فى تونس «ولها بابان ليس لهما فيما رايته من الأرض شبيه ولا نظير إلا البابين اللذين على سور الرافقة » وإذا علمنا ان موقعها هذا بمثابة منفذ على الفرات الذى هو اشبه ما يكون بدهليز تنفذ خلاله طرق المواصلات التجارية من اقصى المغرب ومصر والشام والجزيرة . ومر معنا فى المصادر ان المنصور حينما اعتزم بناء بغداد واختار موقعها قال .. إنها جزيرة بين دجلة والفرات دجلة شرقيها ، والفرات غربيها ، مشرعة الدنيا كل ما ياتى فى دجلة من واسط والبصرة والأبلة والأهواز وفارس وعمان واليمامة والبحرين ومايتصل بذلك ، فاليها ترقى وبها ترسو ، وكذلك ما ياتى من الموصل وديار ربيعة وأذربيجان وأرمينية مما يحمل فى السفن فى دجلة وما ياتى من ديار مضر والرقة والشام والثغور ومصر والمغرب مما يحمل فى السفن فى الفرات فيها يحط وينزل .. ثم لتكونن اعمر مدينة فى الأرض ، ثم لابنين بعدها اربع مدن لا تخرب واحدة منهن ابداً فبناها وهى الرافقة ـ ولم يسمها ـ وبنى ملطية وبنى المصيصة ، وبنى المنصورة بالسند وذكر اليعقوبى : ان لهم فى الفرات نهر عيسى العظيم الذى ياخذ من معظم الفرات ، تدخل فيه السفن العظام التى تاتى من الرقة ويحمل فيها الدقيق والتجارات من الشام . ولقد كان من الحوافز التى حدت بالخليفة المنصور لبناء الرافقة وغيرها ذلك البرنامج الجديد الذى أوجدته طبيعة الحال فى إقامة المدن المحصنة إذ ان هذا الخليفة احس بان الأمويين ارتكبوا خطا فاحشا ، لانهم لم يتخذوا لانفسهم مدينة محصنة تحصينا قويا تستطيع ان تقاوم الأعداء لاطول مدة ممكنة ، ورغب فى إصلاح هذا الخطا ببناء بغداد لذا صارت بغداد خصوصا فى اصل تصميمها قلعة حصينة لا يمكن لأى عدو الاستيلاء عليها بسهولة وبذلك لم تسيطر بغداد على المدن الرئيسية فى العراق فحسب . وإنما غدت كذلك القلب النابض للامبراطورية .. وبنى المنصور من اجل الاغراض الحربية الرافقة وهى اشبه ما تكون بقلعة قوية بالقرب من الرقة عند مجارى الفرات العليا ، ووضع فيها حامية من الجند الخراسانيين ، ودعم نفس الخليفة حصون الكوفة والبصرة الدفاعية بمال جمعه من مواطنى هاتين المدينتين . وقد بلغت الرقة اوجها فى عصر الخليفة هارون الرشيد إذ كانت الرقة قبل عام (١٨٠ هـ ـ ٧٩٦ م) مصيفا للخليفة ومنها تنطلق غزوات الصائفة لحرب الروم ولقد اتسعت ولم تعد بلدانها القديمة البيضاء والسوداء والرافقة وواسط كافية لاستيعاب سكانها ، فاشاد الرشيد بالرقة الوسطى «وهى توسع الرافقة واتصال الرقتين» فشملت جميع المنطقة السهلية الواقعة عند ملتقى الفرات من البليخ وانتشرت فى الاتساع ايضا الى الروابى المطلة على هذا السهل ، كما ان نهر الفرات بتغيير مجراه قد ذهب بجميع معالم المدينة الواقعة فى الجهة الشامية المقابلة والمعروفة «بواسطة الرقة ـ أورقة واسط » ومع ذلك فقد قدر مساحة الأنقاض الباقية فى مدينة الرقة الجزرية بـ (٥٠ ك.م٢) .

فى عصر الرشيد

كان ازدهار الرقة فى عصر الرشيد امتداداً للازدهار الذى اختطه المنصور ، وللاستقرار السياسى الذى رافقها خلال حكم المهدى والهادى فلما اتخذ الرشيد له مصيفاً جديداً فى الرقة كانت ترافقه مواكب الدنيا حين يفد اليها . ولقد امر الرشيد بانشاء كل ما يلزم فيها من وسائل الراحة والترف كميادين سباق الخيل وملاعب الصولجان ، وحقول الصيد ، وموانىء السفن والحراقات والمنتزهات الواسعة والحدائق المزهرة على ضفتي الفرات والرحاب الفسيحة ، فاصبحت من أجمل ، مصائف الدنيا .. والظاهر ان الرشيد أراد تمام الانقلاب الخطر الذى كان يفكر فى اعداده ضد البرامكة فجعل من الرقة عاصمة دائمة له سنة ١٨٠ هـ ـ ٧٩٦ م وشيد فيها قصر الخلافة المعروف «بقصر السلام» وعدة قصور منها «قصر الأبيض» والى ان لا يعود الى بغداد ويقيم فيها يوماً واحداً إلا لضرورة ملزمة . كما اتخذ الأمراء والوزراء والقواد وخاصة البرامكة قصوراً لهم بالرقة يقيمون فيها الى جانب الخليفة ونحن إذا تتبعنا سيرة الرشيد فى أسفاره وحجه وغزوه واحصينا ذلك لوجدنا ان المدة التى اقامها طوال خلافته ، فى الرقة اطول من المدة التى كان يقيمها فى بغداد . وفى سياق الحديث عن «قصر السلام» قال الجومرد كان مقر بلاط الرشيد «قصر الخلد» حين يكون فى بغداد «وقصر السلام» ، عندما يقيم فى الرقة ، وكلا القصرين من افخم قصور الدنيا فى ذلك العهد ، واكبرها سعة وجمالا .. وسار الرشيد فى ادارته على نهج قويم ، واعاد الى الخلافة رونقها الذى كان على عهد جده المنصور وسمى الناس ايامه «أيام العروس» لنضارتها وكثرة خيرها وخصبها ، وكانت دولته من احسن الدول واكثرها وقاراً ورونقاً واوسعها رقعة . وجبى الرشيد معظم الدنيا وكان احد عماله صاحب مصر . بل لقد كان عصره ذروة الازدهار فى تاريخ الدولة

الاسلامية التى كانت الرقة فيها عاصمة دائمة مدة ١٣ سنة (من سنة ١٨٠هـ ٧٩٦م ١٩٣ هـ ـ ٨٠٨ م وعلى هذا نستطيع ان نقف على مدى الازدهار الذى كانت تتمتع به الرقة فى هذه الحقبة .. والرشيد على كثرة بذله المأثور خلف من المال ما لم يخلف احد مثله مذ كانت الدنيا . وعلى الرغم مما انفق ذلك فان الرشيد ترك فى بيت المال عند وفاته تسعماية الف الف ونيف ٩٠٠,٠٠٠,٠٠٠ درهم حملتها زبيدة من الرقة الى بغداد عند وفاته .. وفى هذا العصر بلغت الرقة اوج عصرها الذهبى إذ كان الرشيد يقول : «الدنيا اربعة منازل دمشق والرقة والري وسمرقند» ـ وكانت زبيدة تقول لمنصور النمرى : قل شعراً تحبب فيه بغداد إلي فانني اختار الرافقة عليها . فقال منصور شعراً يحبب فيه بغداد اليها فاعطته الفى دينار . وقال شيخ الربوة الدمشقى .. الرقة من انزه بقاع الدنيا . وقد اكثر الشعراء فى ذكرها ووصفها والتغنى بمحاسنها وعظمتها . قال ربيعة الرقي :

حبذا الرقة دار وبلد
بلد ساكنه ممن تود
ما رأينا بلدة تعدلها
لا ولا اسمعنا عنها احد
إنها برية بحرية
سورها بحر وسور فى الجدد
تسمع الصلصل فى اشجارها
هدهد البسر ومكاء غرد
لم تضمن بلدة ما ضمنت
من جمال فى قريش واسد

ـ وقال ابو نواس ..

رجعت الى العراق برغم انفى
وخلفت الجزيرة والشاما
على شط البليخ وساكنيه
سلام متيم لقي الحماما

ـ وقال مسلم بن الوليد :

وصرف رصافية قهوة
تميت الهموم وتبدى السرارا
الم ترانى بارض الشام
أطعت الهوى وشربت القعارا
لقد كنت من حب خمر البليخ ان
اجعل الشام اهلا ودارا

ـ وقال يصف تفاح دامان وهى احدى قرى الرقة ، كان تفاحها مشهوراً بحمرته ويضرب به المثل ببغداد :

وحياتى ما الف الدامانى
لا ولا كان فى قديم الزمان

تمتعت الرقة في القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي ، بمركز فكري رفيع وفيها العديد من العلماء ومنهم :

ـ الامام محمد بن الحسن الشيباني صاحب ابى حنيفة ، ومن المؤسسين الأوائل للمذهب الحنفي ، وله مناظرات مشهورة مع الامام الشافعى بالرقة وكان بها ايضاً الكسائي وخرجا مع الرشيد الى الرى وتوفيا فقال الرشيد اليوم دفنت اللغة والفقه فى رنبوية « وهى احدى قرى الرى » سنة ١٨٩ هـ ـ ٨٠٤ م .

ومما يشير الى اهمية الرقة ومكانتها بين الاقاليم العربية الاسلامية فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) ما رثى به احد الشعراء المصريين احمد بن طولون حيث يقول :

انت الأمير على الشام وثغره
والرقتين وما حواه المشرق
واليك مصر والحجاز وبرقة
كل اليك مع المدى يتشوق

ظلت الرقة مدينة كبرى من امهات المدن العربية الاسلامية حتى اواسط القرن الرابع الهجرى حيث اخذ نجمها الساطع فى افول ، وانتابها بعض الجمود والذبول ، الى مدينة قريبة عادية ، ومع ذلك لم تعدم لها مفضلا . وإن الصور الشعرية الرائعة التى تركها لنا الشاعر ابو بكر الصنوبرى المتوفى سنة «٣٣٤ هـ و ٩٤٥ م» خير شاهد على ازدهار الرقة فى هذا القرن ومن مليح شعره فى وصف الرقتين :

اما الرياض فقد بدت الوانها
صاغت فنون حليها افنانها
رقت مغانيها ورق نسيمها
وبدت محاسنها وطاب زمانها
هذا خزاماها وذا قيصومها
هذا شقائقها وذا حوذانها
تبكى عليها عين كل سحابة
ما ان تمل من البكا اجفانها
واهاً لرافقة الجنوب محلة
حسنت بها انهارها وجنانها
لا تلمنى بالرقتين ودعنى
إن قلبى بالرقتين رهين
بلد مشرق الازاهر مرع
لا ولا جاء مثل ذا الحين حين

ـ ومدحها الأمير ابو فراس الحمدانى بقوله :

المجد بالرقة مجموع
والفضل مرئي ومسموع
وإن بها كل عميم الندى
يداه للجود ينابيع
وكل مبذول القرى بيته
على على العلياء مرفوع

استمرت الرقة بعد القرن الرابع الهجرى تشارك مع غيرها من إخواتها المدن العربية فى الشام والجزيرة ، وفى كافة بقاع العالم العربى الاسلامى فى رد الغزوات الخارجية على البلاد الاسلامية التى اخذت تهدد امن هذه البلاد الزاهرة ، من صليبية ومغولية ، وكانت تقوم بواجبها فى شتى المجالات وقد وصل الينا فى العصور السلجوقية والاتابكية والأيوبية الكثير من روائعها الفنية ، وصناعاتها الخزفية ما يدهش فى جماله وروعته ، ونضارة طلائه ، وبريق رونقه حتى قوض التتار معالمها وقضوا على حضارتها ومدنيتها . فاضحت اطلالا خربة طول عدة قرون ، واستمر التاريخ حتى عصرنا الحاضر ..

القلاع المتنوعة

والآن لنعد الى الآثار الموجودة فى الرقة ولنتجول بها ، ولنقتصر بجولتنا فى الرافقة «مدينة المنصور» العظيمة إذ يقتصر فيها لوحدها وجود الآثار الظاهرة فوق سطح الأرض ولنتفرس فى ابوابها واسوارها وأبراجها ومسجدها الكبير ، وساحاتها ورحابها ، ولنجعل تطوافنا حول ما نراه من سورها الترابى المشيد باللبن المجفف ، ولنسبر اغواره واساساته ، فنقف على القاعدة الصخرية التى شيد عليها. واول ما يدهشنا فيه ملاحظة اثار تلفيحه بالآجر الجميل من الداخل ومن الخارج وتلفيح جميع ابراج السور الخارجى والداخلى بالجص والآجر ايضاً ، وهو اقل انخفاضاً من السور الداخلى فنرى ان بناء السور يكون على الشكل التالى :

● جعل السور على شكل نعل الفرس . وهو من الناحية الجنوبية المطلة على الفرات ، لم يكن مزدوجا كما هو الأمر فى جهاته الثلاث الباقية بل استعيض عن السور الخارجى من هذه الجهة بابراج ضخمة ، قطر البرجين الشرقى منها المجاور لباب بغداد والغربى منها الذى زال سنة ١٩٠٨ (١٥,٦٠ م) وبين هذين البرجين تقع أبراج السور الأخرى بجانب بعضها وعلى مسافة (١٥٠٠ م) كما قدر الأستاذ كرزويل أبعاد الرافقة وتكون المسافة بين كل اثنين من تلك الابراج ٣٥ م ملفحة جميعها بالآجر والجص ، ولا يمكن تقدير ارتفاع كل منها إلى ارتفاع بما يضفى اليها .. وهى تناطح الجو منظراً خلابا تخالط الذهن تلاعب السفن الشراعية عند اقدم تلك البروج وهى تتثنى كالعرائس على صفحة الفرات الفضية



احد ابراج قلعة جعبر يصارع اخطار الزمن

الرَّقــَّـة مدينة الرشيد التي تغنى بها الشعراء

باشرعتها الزاهية ذات الالوان البيضاء والحمراء والخضراء والزرقاء مداعبة خيال الصنوبرى حيث قال :

ويا سفن الفـــرات بحيث تهوى
هوي الطير بين الجلهتيـــن
تطـارد مقبــلات مدبــرات
علــى عجــل تطـارد عسكرين

● يشكل سور الرافقة استدارة تاخذ شكل نعل الفرس تبدأ من باب بغداد الواقع فى الجهة الشرقية الى الشمال ثم الى الغرب ثم الى الجنوب حتى تصل الى الباب الغربى ، الذى زالت معالمه وهو الباب المناظر لباب بغداد .

● يكون السور فى هذه الجهات الشرقية والشمالية والغربية مزدوجاً مؤلفا من سورين الداخلى اكثر ارتفاعا من الخارجى، قصد منه سهولة الرمى لئلا يصيب المرابطون على السور الداخلى جماعتهم المرابطة على السور الخارجى . وبين السورين يقع فصيل بعرض (٢٠,٨٠ م) وسمك السور الداخلى (٥,٨ م) وسمك الخارجى (٤,٥ م) اما الخندق فان عرضه فى الأعلى (١٥,٩٠) . وفى الأسفل (٩,٥ م) ويكون سور الرافقة كسور بغداد ياخذ فى الضيق كلما ارتفع . كما أشارت المصادر الى ذلك حول كيفية بناء سور بغداد ، وبروز ذلك ظاهريا للمتامل فى بناء سور الرافقة ، ويلاحظ ان البرج للسور الداخلى يكون من الجهة الخارجية وابراج السور الخارجى من الجهة الخارجية . وابراج السورين إذا متقابلة مع بعضها ومطلة على الفصيل المشترك بينهما الذى يكون بمثابة شارع بين السورين ، ويلاحظ ايضا ان المسافة بين ابراج السور الصغير الخارجى تقرب من ٢٠ م لا ٣٥ م كما هى الحال فى السور الداخلى مما يشكل مراعاة فى انسجام ابعاد المبانى . ويمكن القول ان جميع هذه الابراج – وتتدرج الداخلية منها مع الخارجية – تعلوها فى الأصل قباب بيضاء جميلة رائعة ، اسندت إلى اعناق تزينها بعض الزخارف الجميلة حسب فنون ذلك العصر .

اضف إلى ذلك إذا ما تصورنا إن هذه القباب والأسوار والفصيل كانت تعج دائماً بالعساكر والجند فى عصورها الذهبية ويلاحظ أيضا أن السور الخارجى ينحدر على الخندق انحداراً مائلا بعض الشيء ، وقد بنى بالجص والآجر . وبني ايضا على شاكلته الحافة الثانية الخارجية للخندق كما هو الأمر فى بغداد تماما ولكن ما طرا على الخندق من تبدل فى بعض الأزمنة العباسية المتاخرة قد بدل بعض معالمه الأصلية ، بعد اعادة نزح ما تراكم به من ترسبات الطين والجص الذى يحمله الفرات الىالخندق ، وتبـدو آثار تلك الترسبات بعد استخراجها من باطنه تحيط بالخندق من الخارج ، وترافق استدارته حول السور . شيء آخر لابد من ذكره والاشارة إليه حول ما يتبادر للذهن . ما هى القيمة الأثرية والفنية لآثار الرقة ؟ وإذا علمنا إن هذه الروائع الأثرية قد عاصرت الأزمنة الذهبية للدولة العربية فى عصرها الذهبى ، وعاصرت أزهى حقبة فى تاريخنا قدرنا القيمة الفنية والمعنوية لهذه الآثار إذ انها تكاد تكون النموذج الفريد الذى ابقت عليه عاديات الزمن من آثار عصر المنصور والرشيد ، فهى ليست آثار فنية وحضارية فحسب ، ولكنها آثار رافقت أمجاداً عسكرية لأمتنا العربية . وهناك ظاهرة تنفرد بها آثار الـرقة بالنسبة للآثار الأخرى فى بلاد الشام ومصر والمغرب ، إذا علمنا انهـــا تكاد تكون المحطة الأولى والوحيدة التي فيها الأساليب الفنية المعمارية ، والروائع الخزفية والزجاجية المصنوعة فى القرنين الثاني والثالث الهجرية ، وعنها انتقلت الفنون العباسية الى مصر والمغرب فيما بعد .. وحفريات مدينة الرقة كانت من المشاريع التي تعقد عليها المديرية العامة للآثار والمتاحف السورية اكبر الآمال ، لأن هذه المنطقة تضم اكبر مجموعة من الاطلال الاسلامية بين كل مناطق الشرق الادنى ، ولأن التنقيب فيها كفيل باظهار كثير من مخلفـــات العصر العبـــاسي التي يقل وجودها في بلاد الشام والتي يحتمل ان تحتوى على ما يشبع رغباتنا فى معرفة فنون بناء ونحت وتصوير ذلك الزمن ، واكمال ما اظهرته حفريات سامراء فى العراق كما ان المنطقة اليوم بحاجة إلى حملة واسعة من أعمال التنقيب والكشف والترميم . وهذه الاعمال الواسعة تتطلب اموالا باهظة ، ولكن الفوائد العلمية والمادية ستكون بالغة الأهمية إذ ما عرفنا أن البلدة الجديدة آخذة فى التوسع داخل منطقة الآثار ، وان المساكن الجـــديدة المتواضعة تزحف لتوضع-مجانبة لسور الرافقة مما يؤدى إلى هدمه وفنائه ومما يزيد الخطر على الآثار اقتران هذا الزحف المخرب بوجود الآلة الميكانيكية التى يكون لها اثرها المخرب فى إبادة الآثار وازالتها أمراً يعد بالغاً فى خطره .. ان التعديات المستمرة منذ العهد العثمانى على الآثار فى مدينة الرقة وعلى سور الرافقة بصورة خاصة حتى يومنا هذا ، لا يمكن اعتبار الطريقة المتبعة حاليا فى سبيل المحافظة عليها ضامناً اكيداً للابقاء عليها . وأن اهمال ذلك وتركه أمر يحاسب عليه الضمير الحي . لذا كانت دراسة انشاء شـــارع الكورنيش فى الداخل من السور وفى

الخارج ايضا تخفف من التعديات عليه ـ كما ان زراعة صفوف من اشجار السرو حول السور تزيد ايضا في الحماية ، وبعث حياة جديدة الى ماكان عليه هذا الاثر من الاهمال ، وعامل جديد من شانه اشعار الأهالي بان هذا التراب لم يعد مهملا بالصورة التى اعتادوا عليهـا فى ايـام زمـان ، ويمكن القـول بان لون الأشجار الخضراء المعانقة لجدار السور الاحمر فى استدارته وزرقة السماء ، لا يمكن تصور جمال ذلك إلا من تفتح قلبه لهوى الطبيعة ، وروعة سحرها . وعدا عن ذلك فمدينة الرقة غنية جداً بالتلال الأثرية المتناثرة فى أرجاء المنطقة ومن هذه التلال تل خويرة الذى يقع إلى الشمال الشرقى من الرقة فى منتصف المسافة بين منابع الخابور والبليخ . تل مريبط يقع بجوار بلدة العريبط . يبعد من تل مريبط ثلاثة عشر ك . م . شمالا تل يسمى المباقة الذى يقع على الضفة اليمنى تجاه بلدة حبوبة الكبيرة ومحطة ضخ مياه الفرات الى حلب . تل احمر الذى يقع الى الشمال من المباقة نجد انها تعود إلى مطلع الألف الأول ق . م .

وفى منطقة حوض البليخ حيث تنتشر على ضفافه تلال أثرية مختلفة حجما واهمية .. زار تلال حوض البليخ عدد من البعثات الأثرية من بينها البعثة الانجليزية التى كانت تنقب عن الآثار فى تل براك فى الحسكة برئاسة العالم « ملوان » وصلت البعثة فى شهر تشرين الأول من عام ١٩٣٨ إلى عين العروس ، منبع البليخ الرئيسى ، ثم اجرت تحريات أثرية فى التلال الآتية :

● تل أسود : كبير ومرتفع إذ يبلغ ارتفاعه عن سطح السهل المحيط به عشرون متراً يبعد عن عين العروس الى الجنوب ٣٥ كم تقريبا .

● تل ميفش : يقع الى الغرب من نهر البليخ على بعد ٢٠ كم جنوبي تل اسود . ويمر بجانبه وادي كـان يزود المدينة بالمياه عثر فيه على بيت صغير من عصر العبيد . (منتصف الألف الرابع ق . م) مبني من اللبن . وان حجرات هذا البيت صغيرة . تبلغ مساحتها ٢/٥٠ م٢

● تل جدل : موقعه جميل الى الغرب من نهر البليخ وعلى بعد ٤ كم جنوبي عين العروس بمعنى انه كـان قرية صغيرة تاسست في عصر الوركاء (النصف الثاني من الألف الرابع ق . م) وفيها شواهد تدل على انها كانت مسكونه في عصر جمدة نصر (نهاية الألف الرابع ومطلع الألف الثالث ق . م) وعصر ميزليم (٢٧٠٠ ـ ٢٦٠٠ ق . م) ويعتبر العصر الاكـادي (٢٣٥٠ ـ ٢١٥٠ ق . م) ازدهار هذا الموقع الذي جرى تحصينه لأول مرة في عهد الملك الأكادي فارام زن (٢٢٧٠ ـ ٢٢٣٣ ق . م)

● تل الحمام : كان قرية صغيرة أصغر من جدل واقدم منها إذ تاسست في العصر الحميري الحديث ولكنها لم تزدهر الا في العصر الميتاني حيث أصابها الدمار عند نهايته ومن الشواهد على تخريبها العثور على طبقة من الرماد سماكتها ٤٠ سم في بيت مبني من اللبن فيه آثار مشابهة لآثار مدينة اللالخ التي تعود الى عهد السوية الرابعة (١٤٤٧ ـ ١٣٧٠ ق . م) ويبدو من هذه المفارقة ان القرية قد خربها الحثيون حينما اجتاحوا الامبراطوريـة الميتانية فقضوا عليها .

● تل سحلان : يقع على الضفة اليسرى لنهر البليخ مقابل تل اسود .

● تل البيعة : شرق الرقة على بعد مسافة ثلاثة كم .. من المتوقع ان تعثر البعثة الألمانية على مدينة مزدهرة وذات شان كبير في العصور القديمـة تدعى توتول .

عبدالكريم البليخ
سـورية



مازال باب بغداد قائما حتى يومنا الحالى بمدينة الرقة .



الواجهة الامامية لقصر البنات من الداخل

مصادر البحث ومراجعه :

ـ الدكتور عبد السلام العجيلي : الماضي والمستقبل في حياة الرقة ـ مقال ـ ١٩٧١ ـ العمران ـ

ـ الدكتور عبد الرحمن حميدة : الرقة البطيخ الاحمر
مجلة الفيصل العدد « ٤٢ » ١٩٨٠

ـ الشاعر والباحث مصطفى الحسون : اثار الرقة ـ العمران ـ ١٩٧١ .

ـ علي ابو عساف : العصور المتتابعة على مدينة الرقة من خلال الآثار التي اسفرت عنها التنقيبات الحديثة ـ العمران ـ

د. عزالدين فراج

نحو تغذية سليمة

ملح الطعام الزائد في قفص الاتهام

● كثرة ملح الطعام فى الطعام مسئولة عن ارتفاع ضغط الدم والسمنة وغير ذلك من الأمراض !

وجهت السلطات الصحية الامريكية العديد من الاتهامات الى ملح الطعام بعد ان ثبت علمياً ان الملح احد اسباب ضغط الدم وان الافراط فى استخدامه يؤدى فى النهاية الى امراض القب وتصلب الشرايين والفشل الكلوى وغيرها من الأمراض .

وتجتاح أوربا وامريكا فى الفترة الأخيرة حملات ضد مضار ملح الطعام ، حتى ان احدى الحملات طالبت الحكومة الأمريكية باصدار قانون يحتم وضع تحذير ينبه الى أن الملح يضر بالصحة ، على معلبات السردين والتونه والمخللات ، وغيرها من المعلبات التى تحتوى على نسبة عالية من الملح .

إن أصابع الاتهام تشير الى ذلك فقد قام فريق من اطباء جامعة «تافت» الأمريكية برئاسة دكتور لوت بيدج بدراسة اكثر من الفى شخص من سكان جزر سليمان الواقعة جنوب غرب المحيط الهادى وشمال غينيا الجديدة ، وكلهم من القبائل التى تتغذى على الخضروات والأعشاب والحشرات والبطاطس ونوع من الدرنات يشبهها .

هذه القبائل لم يوجد بين سكانها اى اثر لارتفاع ضغط الدم ويندر أن يرتفع ضغط الدم عندهم عند الشيخوخة .

وبدأ الدكتور بيدج فى تقديم الوجبات الأوربية تدريجياً لعدد من افراد القبائل هناك ، مع الاحتفاظ بكل مظاهر الحياة البدنية حتى يكون العامل المتغير هو العامل الغذائى فقط .. اى حتى لا يكون للمظاهر المدنية المختلفة من تلوث فى الجو وضوضاء وارهاق عصبى تاثير على الجسم البشرى .

كان الفارق الوحيد بين غذاء القبائل البدائية فى جزر سليمان وبين غذاء حيوانات التجارب ، هو احتواء الغذاء الجديد على الملح . وبعد عامين وجد الكولسترول فى الدم وارتفع الضغط مع زيادة السمنة ، وبدات تتضح بين القبائل التى كانت تنعم بصحة قلوبها وشرايينها وأوردتها .

ومن العادات المالوفة تناول المخللات مع الطعام وهى مشبعة بمحلول ملح الطعام ، لتثير عند اكلها الشهوة للطعام والرغبة فى الاستزادة منه .

والاكثار منها يجعل الجسم ياخذ من ملح الطعام اكثر من حاجته ، وقد يكون ذلك ضاراً بالجسم وغير مناسب لبعض الأمراض . لهذا ينبغى الاقلال من هذه المخللات والاستعاضة عنها بالخضراوات الطازجة .

ويتزعم دكتور «كلاريبورن» حملته ضد ملح الطعام فكتب كتاباً يوضح ذلك ، ويضم وصفات خاصة للطعام بدون ملح . واكد فى كتابه ان الملح يعتبر احد الأسباب الرئيسية فى الاصابة بالبدانة المفرطة ، ويقول كلاريبورن :

«أؤكد انه يمكن ان تخفف من وزنك بمجرد تخفيفك من تناول ملح الطعام» .

ولهذا اوصى بثلاث وصايا هامة حماية لك من الاضرار الناشئة من زيادة ملح الطعام .

أولا : بعدم وضع المخللات والحوادق والمشهيات على مائدة الطعام ، فبالرغم من انها لا تزيد الوزن فى حد ذاته إلا انها تساعد على احتجاز الماء فى الجسم كما ذكرنا ، بالاضافة الى انها تزيد من صعوبة التحكم فى الشهية وعليه يستحسن تناول السلاطة الخضراء مع عصير الليمون الطازج .

ثانيا : الحد من تناول المسليات مثل الفول السودانى المملح واللب الابيض والأسمر والأنواع التى تحتوى على كميات كبيرة من الملح .

ثالثا : الاقلال بقدر الامكان من استخدام الملح عند طهيك للطعام ولا داعى لوضع الملاحات على مائدة الطعام ، حتى لا تعودى أفراد أسرتك على الاسراف فى استخدام الملح ، واعلمى أن معظم الأطعمة التى يتناولها الشخص خلال يومه العادى مثل الخبز والجبن بانواعها واللحوم والأسماك والخضراوات الطازجة والمطهوة كلها تحتوى على نسب مختلفة من الأملاح التى تكفى حاجاته بل تزيد فى بعض الأحيان .

الكولسترول فى قفص الاتهام

والكولسترول فى صورته النقية مسحوق ابيض اللون ، فاذا امتزج بالدهون ورسب فى الشرايين بدا شمعياً أصفر اللون ، وهو موجود فى كل خلية من خلايا الجسم وأكثرها غنى به المخ والحبل الشوكى ، والأعصاب .. فهو يشكل ١٠٪ من وزن المخ ، وأكثر انواع حصى المرارة اغلبها من الكولسترول .

الكولسترول عدو للجنس البشرى عندما يتجمع فى جدران الشرايين ، ولاسيما الشريان التاجى الذى يغذى القلب ، وعندما تزداد رواسبه ، تغزوها مادة ليفية فتزداد جدران الشريان خشونة . وكثيراً ما تتكون جلطات دموية عند مكان الاصابة ،



اكل الخضروات والفاكهة انسب طريق لنقص « الكولسترول » فى الدم .. كما انها تساعد على نقص الوزن

وقد يصبح الشريان فى النهاية مسدوداً تماماً ، وعندما يحدث ذلك فى شرايين القلب تحدث نوبة قلبية . اما إذا حدث فى المخ حدثت «النقطة» .

وفى عام ١٩١٣ قام العالم «انيتشكو» باطعام بعض الارانب اطعمة غنية بالكولسترول ، وكانت الرواسب الدهنية الناتجة فى شرايينها اشبه بتلك التى توجد فى الشرايين التاجية لاشخاص ماتوا بنوبات قلبية ، وكانت هذه الملاحظة سبباً فى بدء بحث على نطاق عالمى حول كل الدهون التى تجرى فى الدم مثل «النرجليسيدس» ، «الفوسفولبيدات» ، والاحماض الدهنية وغيرها ، ولكن الكولسترول حظى باكبر قدر من الاهتمام ، ويرجع بعض السبب فى ذلك الى أن هناك اختيارا سهل الاجراء لفحص مستويات الكولسترول فى الدم .

وكانت عشرات الآلاف من اختبارات الدم التى اجريت تتفق بصفة خاصة بامر واحد وهو أنه فى البلاد التى تستهلك فيها كميات كبيرة من الدهون الحيوانية ، كانت مستويات الكولسترول فيها مرتفعة ، وكذلك الوفيات بسبب امراض القلب ، والعكس صحيح ، ففى اليابان مثلا ، حيث يعتمد الأهالى الى حد كبير على طعام الارز والأسماك التى ينخفض فيها الكولسترول لا توجد غير ١٠٪ من امراض القلب الموجودة فى أمريكا ، ولكن عندما هاجر اليابانيون الى كاليفورنيا وبداوا فى تناول الأطعمة الأمريكية الغنية بالكولسترول ارتفع معدل الاصابات بامراض القلب بينهم ارتفاعاً كبيراً .

وثمة موقف مماثل فى جنوب ايطاليا ، حيث يعتمد الغذاء اساساً على الزيوت النباتية والنشويات والخضروات والفاكهة مع قليل من الدهن المشبع ، ومعناه ان اى جزىء من الدهن يحوى كل ذرات الأيدروجين التى يستطيع ان يحويها ، اما الدهون غير المشبعة والمركبة غير المشبعة واغلبها زيوت نباتية ، فان بها مكانا فى الجزىء لذرات ايدروجينية اضافية ، ولا يوجد فى هذه المنطقة إلا حوالى ثلث امراض القلب الموجودة فى الولايات المتحدة ، ويستمد الامريكيون بوجه عام اكثر من ٤٠٪ من السعر الحرارى فى اغذيتهم من الدهون ، بينما لا يستهلك الناس فى اجزاء كبيرة من آسيا وافريقيا وامريكا الجنوبية غير ثلث هذا القدر من الدهون ، وأمراض القلب هناك قليلة الاهمية نسبياً .

ولقد كشفت دراسة مستمرة لامراض القلب بولاية ماساشوستس عن حقائق اخرى ، وهى ان الأشخاص الذين تبلغ نسبة الكولسترول فى كل ١٠٠ سم مكعب من دمائهم ٢٤٤ ملليجراماً او اكثر ، يزيد معدل اصابتهم بالنوبات القلبية إلى ثلاثة امثال المعدل لدى الأشخاص الذين يقل مستوى الكولسترول فى دمهم عن ٢١٠ ملليجرامات .

وقد بدا أن هذه الدراسات وامثالها قد أصدرت حكماً لانزاع فيه فى القضية : ان الطعام الغنى باللحوم والبيض ودهون الألبان يرفع مستويات الكولسترول فى الدم ويمهد الطريق لبداية أمراض قلبية .

وفى غضون ذلك اشارت دلائل اخرى إلى أن التحول من منتجات الألبان والبيض إلى الزيوت النباتية يقلل مستويات الكولسترول فى الدم بنسبة ١٠٪ او اكثر ، واستنتج اناس كثيرون انهم عثروا على وسيلة سهلة لتفادى النوبات القلبية ، واسرع صناع الاغذية إلى الدعوة للزيوت النباتية المركبة غير المشبعة ، بتفادى الناس تناول القشدة والزبدة .

تقرير هام

وقد أعلنت جمعية امراض القلب الامريكية فى تقرير جديد لها ان التحكم فى كمية الدهنيات والكولسترول فى غذاء الانسان هى أسلم وسيلة لتجنب الأزمات القلبية .

ونصحت الجمعية بالتزام ثلاث فقط :

- مراقبة السعرات الحرارية بحيث لا يزيد وزن الجسم .
- الاقلال من الدهنيات المركزة . وهى الدهون ذات الأصل الحيوانى . والاستعاضة عنها بالدهنيات النباتية .
- انقاص الكولسترول .. بطريقة منظمة .

وقد حذرت الجمعية فى تقريرها من تدخين السجائر والخمول البدنى . والخضروات خير الأغذية لانقاص الوزن والاقلال من الدهون وانقاص الكولسترول فى الدم .

السمن البلدى والدهون الحيوانية

إن طهو الطعام بالسمن الناتج من لبن الأبقار والاغنام ومن مصادر حيوانية باستمرار يؤدى الى الخمول والاصابة والأمراض .. ويجعل جسم الانسان كسولا لا يستطيع النشاط والحركة لترسيب الدهون فى عضلاته واوعيته الدموية .

ان الطعام المسبك والمصنوع بالسمن البلدى (السمن من اصل حيوانى) يسبب زيادة الكولسترول فى الدم ، ويساعد على تصلب شرايين القلب ، مما ينتج عنه ارتفاع فى ضغط الدم أو ذبحة صدرية أو جلطة فى القلب أو فى شرايين المخ ، واضرار الاصابة بهذه الأمراض بليغة .

لهذا كله ننصح ربات البيوت بالاقلال من استعمال الدهن الحيوانى فى الطهو بكثرة حتى لا يجيء يوم يمتنعن عنه بتاتاً بأمر الطبيب . وحبذا لو استعملن بدلا منه الزيوت النباتية .



الفنان القطرى عبد العزيز ناصر مع العود فوق مركب قديم يذكره برحلات الأجداد للصيد والغوص وأغانيهم التى مازالت محفورة فى القلوب

الفنان عبد العزيز ناصر:

لا أعتقد أن هناك مدينة حزينة على وجه الأرض غير القدس

بقلم: جميل العابد

مثل زهرة برية ، تتغذى بندى الصباح وتسقى من رائحة الأرض ، تكبر فى وجه الريح وتستمد الصلابة من سكون الصخر وحرارة الشمس .. ومن سواقى مجهولة لا ترى تحت قشرة التراب اليابس تمتص نسغ الحياة . مثل الشجر ، مثل الثمر طلع هذا الفنان القطرى ، كما طلع آخرون قبله ومازالوا يطلعون فى قرى وأحياء الوطن المترامية ، ينثرون الحب فيزرعون الأمل .

عبد العزيز ناصر ليس بحاجة لمن يتحدث عنه . اعماله تتحدث عنه . وكل ما اود ان اضعه هنا هو ما يحول حياؤه الفطرى دون قوله .

لكننا نحن الذين سمعنا الحانه فى اغنيتى (آه يا بيروت) من شعر نزار قبانى ، و (احبك يا قدس) للشاعر الفلسطينى هارون رشيد ، وجدنا ان العملين يقفان على قمة الانتاج الفنى الموفق ، وان الفنان الذى ابدع فى اللحنين هو إنسان يملك إحساساً استثنائياً . وقد استطاع بموهبته التى منحه إياها الله ان يوصل الينا ذلك الاحساس .. فبكينا كما بكى ، ثم صعدنا بعقولنا وقلوبنا معاً لنعانق شرفاً كدنا ، لولا العيب ، ان ننساه !

لقد منح الله عبد العزيز اداة عاصفة يعبر بها عن إحساسه (الموسيقى) . فجاء التعبير مشحوناً باللوعة والغضب المتوج بالرجاء .

بقيثارته ، ركب سحابة داكنة ، وعلى أوتارها عزف اللحن الذى تئن به مواجعنا ويكشف حقيقة ماساتنا .

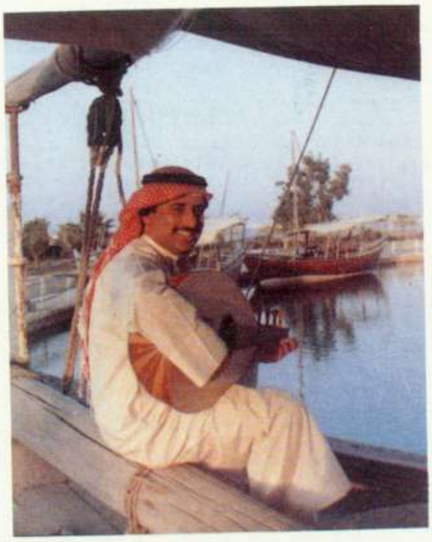
العالم بالنسبة لهذا الفنان الملهم ، تقول لنا موسيقاه ، ابيض واسود : عدل يقابل قهراً ، حياة تصارع موتاً ، وفوق هذا وذاك ، حب يطلب البقاء .

قال لي عندما قابلته آخر مرة : «بعد بيروت والقدس ، افكر بتقديم عمل عن افغانستان . ولكم تقض مضجعى مسالة الانسان الجائع على الارض . لا استطيع ان انسى هذه الاشياء !» .

هذا هو عبد العزيز ناصر ، حزين كالبنفسج . يغنى للجراح نحيباً يهز براءة الانسان ، وبالعذاب يوقد شمعة فى لجة الليل الحالك . هو والحزن كيان واحد ، معه يكبر ومنه يعطى . فى عينيه طفولة ، وفى نبرته انصهار .. وما بينهما وداعة وانس جلاه الحب لله والوطن ولكل اغصان النخيل المزروع فى رباه .

هو ابن بار لوطنه . انعدمت المسافة بينه وبين ابعد حبة تراب عربية . يعطى كل يوم من روحه وجهده ، فينتقى الكلمة الخالصة الملتهبة من عصارة الشعراء وعميق وجدانهم القومى ويحولها بدوره الى ناقوس مهيب يقرع فى السكون .

ولأنه فنان اصيل ، فان الحانه تنفذ الى



فى رأى الفنان عبد العزيز ناصر ان الفن الحقيقى لابد ان يكون مستلهما من الارض والنــاس

الجوارح .. تنثال من الأعالى ، فتلهب الضمائر وتزرع بذرة الحزن الغاضب .

لحن قصيدتين للشاعر محمود درويش (تكبر تكبر / آه يا جرحى المكابر) ، ولنزار قبانى (آه يا بيروت / يا قدس يا مدينة الاحزان) وللشاعر هارون رشيد (احبك يا قدس / ايها المحتل ارضى) ، ومن خلالهم غنى لشخصيته الحضارية التى اراد لها ان تحيا ، فى عالم جشع غير عادل . فهو لا يستطيع ان يتصور نفسه إلا حجرة فى صرح الأمة ولبنة فى جدرانها الماثلة فى وجه النوء .

يقول عبد العزيز ناصر فى مناسبات متفرقة : «نريد مزيداً من الوعى فى الوطن العربى» ، «الوطنية تعنى الحب» ، «لا اعتقد ان هناك مدينة حزينة على وجه الارض سوى القدس» ، «الاغانى ثقافة» ، «اليهود يصرفون الكثير على الاعلام التربوى» ، «الفن والصدق امران لا استطيع الفصل بينهما» ، «يجب ان يتسع مفهوم الاغنية الدينية ليشمل كل عمل فنى يشيد بالقيم الاخلاقية والقيم الجمالية والانسانيات . اقصد ان كل عمل فنى يخدم روح الدين يعد عملا دينياً ، فمثلا الاغنية التى تتحدث عن عظمة الابداع فى الأزهار تعتبر فى رايى اغنية دينية . وكذلك

الاغانى التى تطالب بحرية الانسان وحرية تفكيره ، والاغانى التى تتحدث عن الوفاء والتضحية والخير والحب الطاهر .. كلها فى اعتقادى اغان دينية لأنها تخدم روح الدين» ، «الغاية ليست التشبيه الأدبى واسقاط المعانى النبيلة ، بل ان ننير بصيرتنا ونحن نتامل فى القحط الوجدانى والعاطفى الذى نستشعره حولنا ولا ندرى منه مخرجاً .. وإيجاد ما يؤكد ان بذور تربتنا قابلة للتفتح والحياة» .

زرته فى مكتبه بادارة الموسيقى والغناء بالدوحة اكثر من مرة . كانت رغبة شديدة من جانبى فى التعرف على هذا الرجل بعد ان هزتنا الحانه فى الاغنيتين (احبك يا قدس) و (آه يا بيروت) قبل عام . اغنيتان سكن صداهما كما تسكن العاطفة صدور المحبين . فقد اشرابت القدس من افق النغم الهادر .. حبيبة دنسها الضياع وشرفاً مرغه الهوان . واطلت بيروت من قلب الجمل اللحنية واللفظية معاً .. شاطئاً فيروزياً لنا حرم الامان ، ووجهاً بهياً منا أتت عليه النار . كنت اشعر برغبة لكى انقل تقدير الوف الناس واقول له «شكراً» .

وعندما التقيته اخيراً ولمست عن كثب ما جبل عليه من رقة وما ملكه من خيال واخلاص فى العواطف ، عرفت كيف تكون القوة الحقيقية فى هيئة انسان ، ولماذا ومن اين تصدر الاعمال التى تنفذ الى شغاف الملايين : إنها الموهبة المصانة بالصدق .

لقد خلق عبد العزيز ناصر موهوباً .. نعم . لكنه ايضاً ، وببصيرة فذة لاشك ، وعي متى تصبح الموهبة (الفنية) عنقاء تحلق فى الفضاء الرحب وتطل ، من فوق ، على صور الجمال واشكال العذاب .. فكان الصدق وسيلته الموروثة الدافقة كينبوع فى قلب الجبال ، لينقل ما يراه ويحس به وهو يراقب الاشياء .

هذا فنان يحس بنا . يسكن معنا اينما كنا . يعيش على ارضنا ويعبر بصدق ولهفة عن آلامنا واحلامنا . يعبق خياله برائحة ترابنا ، فيشدو لنا بوحي من الجذور وعمق الاصول .

فهل تكفى كلمة اطراء له ؟

كلا !

إنه يستحق الحب . كل حبنا إذا كان فى جوارحنا بقية منه . لأن حبنا له هو حب

الفنان عبد العزيز ناصر:

لا أعتقد أن هناك مدينة حزينة على وجه الأرض غير القدس

للعطاء ، حتى يعم العطاء !

يسعدنى ان اترك له المنبر ليحكى لنا كيف بدأ واى مسعى يبتغى . أعطانى بعضاً من أوراقه انقلها هنا بالحرف :

«بسم الله الرحمن الرحيم .. الفن عندى رسالة وقضية ووسيلة للتعبير والتأثير والتغيير لا مجرد أداة للترفيه والاطراب . إيمانى دائماً أن الفن الحقيقى هو ذلك الفن الذى ينبع من وجدان الأمة معبراً عن احاسيسها ومشاعرها وتطلعاتها ، مستمداً عظمته من عظمة الأرض والانسان . من ذلك المنطلق بدأ تعاملى مع التراث الشعبى ، فقدمت أعمالى التراثية مثل : (أم الحنايا - العايدوه - يا راعى الملحة) أو قل هى التى قدمتنى ، إن شئت » .

«تناولى للأعمال الفنية التراثية لم يكن من باب الحفاظ على التراث ، بل لايمانى بأن الفن الحقيقى لابد وأن يكون مستلهماً من الأرض ومن الانسان . وأيضاً لحنينى للماضى ورغبتى فى تجسيد بعض صوره فى قوالب فنية جديدة تلائم روح العصر».

«اللحظة عابرة والمكان متغير والفنان وحده قادر على تجسيد ذلك المكان وتلك اللحظة بما لديه من وسائل ابداعية خصه الله بها » .

«اعتمدت على الغناء الجماعى فى التعبير عن قضايا الأمة مثل الأغانى الخاصة بقضيتنا الكبرى - القدس - لأن الغناء الجماعى ، فى رأيى ، أقدر من الغناء الفردى فى التعبير عن تراث الأمة ومشاعرها وتطلعاتها الوطنية ، وبالتالى فهو أبقى وأكثر خلوداً » .

«أول عمل فنى لي وأنا لم أتجاوز الخامسة عشر من عمرى كان يتحدث عن القدس ، بعنوان (أيها المحتل أرضى) للشاعر الفلسطينى هارون رشيد الذى لحنت له فيما بعد قصيدة (أحبك يا قدس). وكان ذلك قبل حرب حزيران ١٩٦٧ . غنيت اللحن بصوتى وقمت بتسجيله مع بعض الزملاء الموسيقيين الهواة ، وكان فى نيتى اذاعة اللحن فى بداية عهد أول اذاعة قطرية .. ولكن هزيمة حرب الـ ٦٧ كانت سبباً فى عدم اذاعة هذه الأغنية . ومازلت احتفظ بذلك التسجيل المتواضع فى مكتبتى الموسيقية » .

«فى سنة ١٩٦٥ راودتنى فكرة انشاء فرقة موسيقية تضم الهواة من أولاد الحي . وفى عام ١٩٦٦ وفقنى الله وأسست (فرقة الأضواء) بقسميها الموسيقى والمسرحى ، وبمعاونة بعض الشباب القطرى الموهوب . وقد تولى الفنان الصديق المرحوم محمد أحمد عنبر القسم المسرحى فى الفرقة بالتوجيه والرعاية فى بادىء الأمر ، وتوليت أنا القسم الموسيقى» .

«عارض والدى سنة ١٩٧٠ فكرة التحاقى بالمعهد العالى للموسيقى . وارضاء لرغبته وافقت على دراسة اللغة العربية بجامعة القاهرة بشرط أن يسمح لي بالانتساب للمعهد الموسيقى فى الوقت نفسه . ولكن فى القاهرة رفض المعهد قبولى منتسباً ، لأن الدراسة فيه عملية وهو لا يقبل إلا المنتظمين . وهذا جعلنى ادفع المبلغ الذى كنت اتقاضاه من وزارة التربية والتعليم ، أربعون جنيهاً مصرياً تقريباً ، على الدروس الخصوصية فى الموسيقى ، حتى انى عشت تلك الفترة معيشة تميل للتقشف .. وجبة الفول والطعمية كانت غذائى الرئيسى ، وكان الأوتوبيس هو وسيلة المواصلات اليومية . صدقنى ان تلك الحياة رغم قسوتها كانت جميلة جداً فى بساطتها وفيما تعطينا إياه من دروس وعبر .

أمام اصرارى المستمر على دراسة الموسيقى ، وافق أخى الأكبر على مساعدتى للالتحاق بالمعهد العالى للموسيقى بالقاهرة فى السنة التالية ، بشرط أن انتسب هذه المرة لجامعة بيروت العربية لدراسة اللغة العربية . وتم بتوفيق الله ذلك . إلا أن حبى للموسيقى جعلنى أهب كل وقتى للاستزادة فى العلوم الموسيقية» .

«فى القاهرة استفدت من تعاملى مع كثير من الفرق الموسيقية واحتكاكى بكبار الموسيقيين . وتعاونت مع المايسترو شعبان أبو السعد ، والمايسترو عبد الحليم نويرة وغيرهما فى توزيع بعض أعمالى الموسيقية» .

«تخصصى فى المعهد كان دراسة آلة الكمان ، المنهجين الغربى والشرقى . ودرست البيانو كآلة اضافية ، الى جانب المواد الموسيقية الأخرى » .

«عشت فى القاهرة فترة زمنية طويلة قاربت الأحد عشر عاماً . قمت بتسجيل وتنفيذ معظم أعمالى هناك حيث كانت لي تجربة الحب الأول ، والتى أنجبت مقطوعتى الموسيقية التى تحمل اسم الحبيبة .

«وقد تطرقت فى أعمالى الفنية الى كثير من الألوان الغنائية والقوالب الموسيقية . فأنا لست مع الذين يريدون للفنان أن يبقى حبيس الدور الواحد . ان الممثل القدير هو الذى يجيد ويتقن جميع الأدوار ، كبيرة كانت أم صغيرة . وكذلك على المؤلف الموسيقى أن يتعامل مع جميع الألوان الغنائية والموسيقية . المهم أن يبتكر ويبدع فى اخراجها لكى يثبت مقدرته فى مختلف الألوان . وعليه أيضاً أن لا يخجل من تقديم العمل الفنى الصغير ، مادام هذا العمل لا يقلل من قيمة الفنان الذى يستطيع التصدى لأعمال كبيرة . وأضرب لذلك مثلا قوله تعالى : (إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة وما فوقها .. (صدق الله العظيم » .

وهذا نموذج للمواطن الصالح الذى يفكر بقضايا وهموم بلده وأمته ، ويحملها معه أينما حل أو ذهب . يدرك عن قناعة دوره الأدبى الملزم تجاه تلك القضايا والهموم ، وان له واجب (عام) يجب أن يؤديه فى مجاله بأمانة وهمة لا تقل عن سعيه لتحقيق الخاص من المطالب .

وهكذا تضاف زهرة نضرة فى عالمنا الكالح ، وتصب قطرة بيضاء صافية فى المزيج الضارب الى القتامة ، وينبثق لهب دافىء فى مساحة الثلج .

ويبقى ثمة بريق خافت يغشى بصر الفنان ويتلألأ جاهداً خلف حدود الزمن المنظور وأفق الضباب .

جميل العابد

الروائى الانجليزى العظيم تشارلز ديكنز كانت تاتيه أفكار رواياته وشخصياته أثناء نومه فى الأحلام ، والشاعر شيللى يحلم بفتاة تشده إلى الماء ، وبعد فترة قصيرة يموت غرقاً فى خليج « سبيزيا » ، وأحداث أخرى كثيرة من هذا النوع .. ماحقيقتها وما تفسيرها وما مدى صدقها وكيف ينظر إليها العلم الحديث .. هذا هو الفصل الثانى من السلسلة التى تنشرها « الدوحة » عن أعاجيب الحياة من وجهة النظر العلمية ، أو ما يسمى فى الدراسات الحديثة باسم « الباراسيكولوجى » .

أذهـــان بـلاحـــدود "٢"

أسرار الإنسان وعجائب الحياة
كيف ينظر إليها العلم الحديث؟

إعداد : محمد العزب موسى

ربما يكون كروسوس ملك ليديا الذى عاش فى القرن السادس قبل الميلاد هو أول من اجرى تجربة فى الباراسيكولوجى . فقد أراد أن يعرف اى العرافين امهر : الاغريق ام المصريون ، فبعث وفداً الى كل منهما ليسالهما فى وقت محدد : « مـــاذا يفعل الملك كروسوس ابن الياطس الآن ؟! » وفى الوقت المحدد قام كروسوس بشىء لا يخطر على بال احد ، جاء بحمل وسلحفاة . وقطعهما الى قطع صغيرة ، وطهى لحمهما معاً فى قدر من النحاس ..

وتقول الحكاية ، التى وضعت اصلا لاعلاء شان الاغريق ، ان عرافة معبد دلفى فى بلاد الاغريق هى التى توصلت الى الحل الصحيح .

وبالطبع لم يكن كروسوس ابن الياطس يريد بهذه التجربة أن يخدم العلم ، فقد كان يؤمن بالفعل بالقوى الخفية للعرافين ، ولكنه كان يريد أن يتخذ لنفسه عرافاً رسمياً من امهر الفريقين . وبالطبع ، اختار عرافة دلفى ، ولكن حبها للرموز والالغاز ثبت فيما بعد انه فى غير صالح الملك ، إذ تنبات قبل احدى حملاته بان جيشاً عظيماً سوف يدمر ، فذهب الى القتال واثقاً من النصر ، ولم يكن يدرى ان هذا الجيش هو جيشه !

وطالما ان الناس يعتقدون فى وجود القوى الخارقة للطبيعة كجزء من الحياة ، لا تكون هناك فرصة امام البحث العلمى فى مثل هذه الظواهر . وقد كان هذا الاعتقاد سائداً فى زمن شكسبير ، كما يظهر ذلك واضحاً فى مسرحياته ، فمثلا فى مسرحية « حلم ليلة صيف » نجد ان مخلوقـــات ما وراء الطبيعة تتفاعل مع البشر وتندمج معهم فى نسيج واحد ، ولاشك ان مشاهدى شكسبير فى زمنه كانوا ياخذون ساحرات « مكبث » وشبح « هاملت » شيئاً مسلماً به ولم تكن تدور فى اذهانهم امثال هـــذه التساؤلات التى يناقشـــها علمـــاء الباراسيكولوجى اليوم : هل الساحرات عندما تنبان لمكبث بانه سيصير ملكاً كن يلتقطن منه بطريقة تليباثية رغبة دفينة لديه فى ان يصبح ملكاً ؟ وهل كل ما يرمز اليه الشبح فى « هاملت » هو مجرد هلوسة لا شعورية لدى هاملت عن ماضيه ؟ مثل هذه الأسئلة تشير الى اهتمامات الأبحاث النفسية الحديثة ، فهذه الابحاث لا تحاول ان تقلب الكون ، وإنما تفسره تفسيراً جديداً وبدلا من أن تركز اهتمامها على مخلوقات ما وراء الطبيعة فانها تركز هذا الاهتمام على أسرار الذهن البشرى وقواه الكامنة .

وهناك شرطان ضروريان لبدء البحث العلمى ، الاول أن يوجد مجتمع يرفض هذه الظواهر فيما يسمى بالظواهر الخارقة ، والثانى أن يظهر علماء يشكون فى صحة هذا الرفض وحدوده الضيقة . ولم يتحقق هذان الشرطان بالكامل إلا قرابة منتصف القرن التاسع عشر فى أوربا ، فقد كان القرن الثامن عشر عصر الشك والرفض لكل الموروثات ، كان عصر يمجد العقل ، ولكنه لم ينتج فلاسفة او علماء يشكون فى العقل فلم يكن احد يغامر بان يعرض نفسه للسخرية والامتهان إذا اقدم على بحث جاد فى عقائد السلف ، ولكن عندما اخلى التعصب للعقل مكانه للنزعة الرومانسية فى بداية أوائل القرن التاسع عشر ، مع ما تنطوى عليه هذه النزعة من تاكيد للتجربة الشخصية ، اصبحت الظروف أكثر ملاءمة لبدء البحث العلمى النفسى .

رؤى الادباء

كان الشاعر شـــيلى ، وهو احـــد الشخصيات الكبرى فى العصر الرومانسى ، حالماً عظيماً ، وقد حلم مرة انه شاهد « اليجرا » ابنة لورد بيرون للتوفاة تنهض

من خليج سبيزيا ، وتمسك بيديه وتبتسم فى وجهه ، ورأى حلم آخر شاهد صديقيه الحميمين ادوارد وجين ويليامز يلقيان ميتة شنيعة فى منزل يكتسحه الفيضان بالقرب من البحر . ولم ينقض وقت طويل على هذه الكوابيس حتى كان شيلى وادوارد ويليامز يلقيان حتفهما غرقاً فى خليج سبيزيا على شاطىء ايطاليا ..

وقد تعرض الشاعر الالمانى العظيم « جيته » لتجربة تنبؤية اقل شراً ، أوردها فى ترجمته الذاتية ، فقد كان يسير ذات يوم ممتطياً حصانه فى احدى الغابات حين شاهد صورته قادمة عليه من الاتجاه المقابل على صهوة جواد ، وادهشة انه يرتدى رداء لم يلبسه من قبل ، وهز « جيته » راسه وسرعان ما تبددت الرؤيا ، ولكن بعد ثمانى سنوات بينما كان « جيتة » راكباً حصانه فى نفس الطريق ، تحقق فجاة انه يرتدى نفس الرداء الذى حلم به من قبل ، وكان يسير فى الاتجاه المقابل للاتجاه الأول ..

وجرب الروائى تشارلس ديكنز رؤيا تنبؤية مشابهة ، اذ نام فى مكتبه ذات ليلة فحلم انه يرى سيدة مرتدية شالا احمر كانت تعطيه ظهرها ، ولم يعرفها حين استدارت وواجهته ، ولكنها قدمت نفسها على انها « ميس نابير » ومرة اخرى لم يكن قد سمع بهذا الاسم من قبل . وفى الليلة التالية زاره بعض الأصدقاء ، وكانت معهم ضيفة غريبة ترتدى شالا احمر قدموها اليه على انها « ميس نابير » .

ولكن بالرغم من تجارب ديكنز النفسية ، وظهور عالم الاحلام والارواح فى رواياته بكثرة ، إلا انه كان معارضاً بشدة لولع الاتصال بعالم الأرواح الذى كان يكتسح الولايات المتحدة وانجلترا فى أواسط القرن التاسع عشر ، وعندما سمع عن حادث « قرع الارواح » فى « البيت المسكون » فى هيدسفيل بنيويورك ، وهو الحادث الذى اطلق عقال « الحركة الروحية » فى امريكا عام ١٨٤٨ ، ربما يكون ديكنز قد تذكر ما حدث للكاتب الانجليزى العظيم دكتور جونسون فى القرن الأسبق ، ففى عام ١٧٦٢ زار دكتور صمويل جونسون منزلا فى حارة كوك بلندن يقال أن شبح السيدة « كنت » يظهر فيه بواسطة قرع الأوانى والدق على الأبواب ، وهى ظاهرة لا تحدث إلا فى وجود الطفلة اليزابيث بارسون ابنة صاحب المنزل وعمرها ١٢ عاماً . وقد اصبح هذا الشبح شهيراً فى كل انحاء لندن يتتبع الناس اخباره ، وذات يوم اعلن الشبح سراً خطيراً ، هو أن السيدة « كنت » ماتت مسمومة بسم دسه لها زوجها السيد « كنت » . وكتب دكتور جونسون مقالا فى احدى المجلات مؤيداً ظاهرة الشبح ، ومؤكداً انه تحقق منها بنفسه ، وبعد ذلك اتضح ان العملية كلها خديعة « مفبركة » ، وان الفتاة اليزابيث هى التى تقوم بقرع الأوانى والابواب بتحريض من ابيها الذى كان يريد أن يبتز السيد كنت ! ونتيجة لهذا الاكتشاف اصيبت فى الصميم سمعة دكتور جونسون وبعض المشاهير الاخرين الذين ايدوه !

دجالون ووسطاء

كان شبح حارة كوك بداية لفن التزييف الذى انتشر بشدة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر مع تزايد الاهتمام بالظواهر الروحية ، وربما كان كل الوسطاء الروحيين الكبار الذين اشتهروا فى هذا العصر قد ضبطوا مرة أو اكثر متلبسين بالغش والخديعة ، فيما عدا اعظمهم جميعاً د . د . هيوم الذى لم يضبط مطلقاً متلبساً بالغش ، كان الوسطاء الغشاشون يقرعون الاوانى ، ويلتقطون صوراً فوتوغرافية للاشباح ، ويجسدون ارواح الموتى (دائماً فى شبه ظلام) ويصدرون اصواتا تحمل رسائل لجمهور متعطش للتصديق . وقد انكشف ذلك كله ، او معظمه ، تباعاً ، ولذا ليس غريباً أن يرفض الأذكياء الجادون فى ذلك العصر ما يسمى بالظواهر الروحية باسرها ، ويجدوها بدعة سقيمة ، متناقضة ، مضيعة للوقت ، هذا الموقف لدى مثقفى العصر يعبر عنه أبلغ تعبير الفيلسوف توماس هكسلى فى خطاب كتبه الى صديق يرفض فيه دعوة وجهت اليه لفحص « الظاهرة الروحية » . اذ كتب هكسلى يقول : « على فرض ان هذه الظواهر صحيحة فانها لا تهمنى ، فاذا شرفنى احد بدعوتى للاستماع الى ثرثرة امراة عجوز تقول اشياء تافهة ، سوف ارفض هذا الشرف لأن لدى ما اهتم به اكثر واذا كان الناس فى العالم الآخر لا يقدرون على حديث احكم او اعقل من ذلك الذى يجريه على السنتهم اصدقاؤهم فى الأرض ، فاننى اضعهم معاً فى نفس الطراز. ان الفائدة الوحيدة التى اجدها فى « الظاهرة الروحية » هى انها يمكن ان تكون مانعاً اضافياً للانتحار ، فمن الأفضل أن يعيش الانسان كناساً متجولا فى هذه الأرض عن أن يموت ويذهب الى العالم الآخر ثم يستدعيه وسيط جاهل الى جلسة ارواح نظير جنيه يتقاضاه الوسيط .. » !

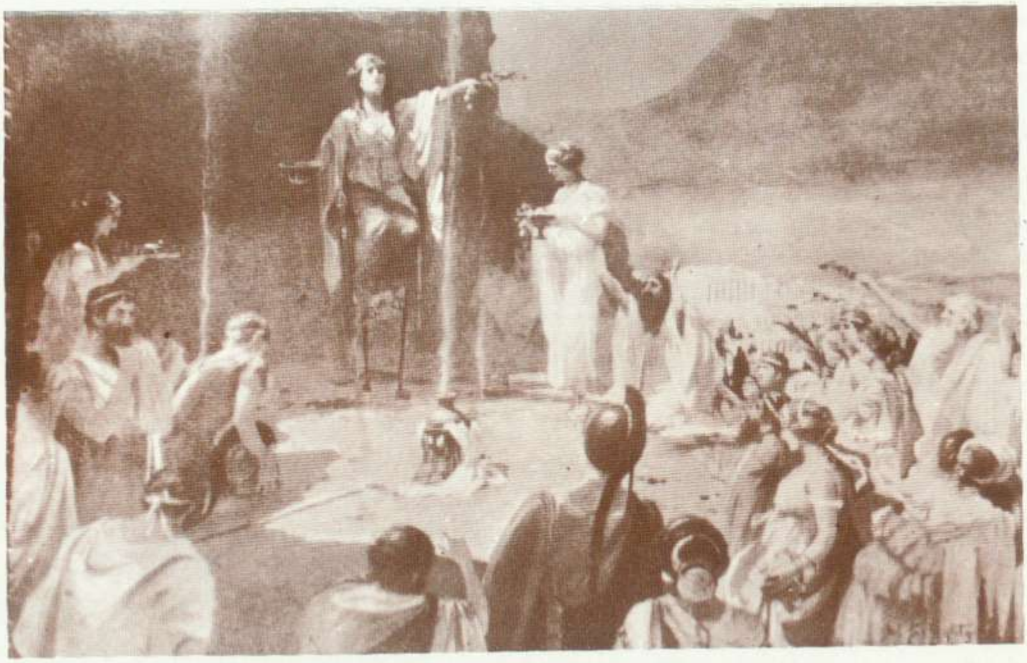


الروائى الانجليزى العظيم تشارلس ديكنز كانت تاتيه افكار رواياته وشخصياته اثناء نومه فى الاحلام . والأدب العالمى ملىء بالتجارب والرؤى الباراسيكلوجية . اخترعت الكاتبة مارى شيلى شخصيه فرانكشتاين نتيجة لكابوس تعرضت له اثناء النوم .

جمعية الابحاث الروحية

ولكن ، كان هناك مثقفون آخرون لم ياخذوا موقف هكسلى ، فلماذا لا يكون بين هذا التبن الكثير تبر خالص ايضا ، اى معرفة جديدة لها وزنها ؟ ومن اشهر هؤلاء ثلاثة هم هنرى سيجويك ، وف . و . مايرز ، وايدموند جورنى . كان ثلاثتهم زملاء فى كلية « ترنيتى » بجامعة كمبردج ، ويرجع اليهم الفضل فى تاسيس علم الأبحاث الروحية على أسس علمية . وكانوا يشكلون فيما بينهم مجموعة متكاملة مثالية للبحث النظري والعملى الدءوب وراء الظواهر الخارقة التى خصصوا لها الجانب الأكبر من حياتهم واهتمامهم .

كان سيجويك استاذاً للفلسفة الاخلاقية بكمبردج ، ويمتلك موهبة نقدية حادة ككل مثقفي عصره . وتفوق مايرز فى الكلاسيكيات والحضارات القديمة كما كان مؤهلا كطبيب وموسيقي . وقد أسس ثلاثتهم مع بعض زملائهم فى كمبردج واكسفورد « جمعية الابحاث الروحية » فى عام ١٨٨٢ ، وتولى سيجويك رئاستها واصبح جورنى سكرتيراً لها ، وعمل مايرز بلاكلل فى تنظيم الجمعية ، والقاء المحاضرات ، والكتابة ، والبحث ، وجمع المواد للنشر .. ومن ابرز اعضاء الجمعية ايضاً اليانور سيجويك ، زوجة هنرى سيجويك ، وكانت لها خلفية علمية ، وهى التى قامت بمعظم الأبحاث الهامة التى اجرتها الجمعية ، وتولت رئاستها خلفاً



لوحة من القرن التاسع عشر عن اسم عرافة دلفى التى تجلس على كرسى عال وحولها الاغريق رجالا ونساء يسالونهـــا عن المستقبل . وصفت هذه العرافة سقراط بانه احكم البشر ، ولكن نبوءاتها ثبتت فى النهاية انها ليست فى صالح كروسوس ملك ليديا !

لزوجها .

كان الهدف المعلن للجمعية .. « البحث على نطاق واسع فى الظواهر الخارقة موضع الجدل طبيعية كانت او روحية او تنويم مغناطيسى .. بدون تحيز او فكرة مسبقة من اى نوع . وبنفس الروح المتجردة التى مكنت العلم من حل مشاكل كثيرة كانت يومها لا تقل غموضا او مدعاة للجدل » . فقد كان مؤسسو « جمعية الأبحاث الروحية » كمعظم مثقفي عصرهم يؤمنون بقدرة العلم على حل اى غموض يواجه الانسان .

ساهمت « جمعية الأبحاث الروحية » فى كشف وسائل الغش والخداع التى يلجا اليها كثير من الوسطاء المحترفين بالرغم من شهرتهم باتيان الخوارق . ولكن مايرز وجورنى كانا مقتنعين بان بعض الوسطاء على الأقل حقيقيون . وجاء اقتناعهما هذا نتيجة لتقصيهما حالة وليام ستينتون موسى ،وهو قس متقاعد يحمل شهادة من جامعة اكسفورد ، وكان على حد وصف مايرز له رجلا لا يمكن الشك لحظة فى لجوئه الى الغش ، خاصة انه لم يكن يتقاضى اجرا على الاطلاق نظير القيام بتجاربه .

وقبل أن يكتشف ستينتون موسى مواهبه كوسيط روحاني ، كان من غلاة رافضي الظواهر الروحية . وصف مرة كتابا وقع فى يده عن الوسيط الشهير د . د. هيوم بانه « اسوأ هذيان » قابله فى حياته ، ولكنه بدا يراجع افكاره عندما حضر احدى جلسات تحضير الأرواح ، وتلقى عن طريق وسيط وصفا دقيقا للغاية لصديق متوف قبل ان روحه حضرت الجلسة ، وبعد عدة اشهر حدثت له أول تجربة للارتفاع فى الهواء دون ارادته . وابتداء من ذلك الوقت كرس موسى السنوات التسع الباقية فى حياته لأعمال الوساطة الروحية الخارقة . فعزى اليه انه كان يرتفع فى الهواء . ويحرك الموائد الثقيلة بوضـع اصابعه فوقها ، ويستحضر اشياء من غرف مغلقة كما لو كانت قد مرت خلال الجدران .لقد كانت اية جلسة يحضرها ستينتون موسى لا يمكن ان تمر كئيبة ، فقد تهب على الجالسين نسمات معبقة بالروائح الذكية ، او يسمعون نغمات موسيقية راقية تاتى من لا مكان . او تتحرك فى الغرفة عواميد من الضوء الشفاف تتجسد فيها أرواح او ايد او وجوه لموتى !

وكان ستينتون موسى يدعى ان الظواهر الطبيعية التى تحدث فى وجوده هى من فعل الأرواح التى تريد ان تثبت صدق الرسائل التى تبعث بها عن طريقه الى العالم بواسطة « الكتابة الاتوماتيكية » . وقد نشر موسى هذه الرسائل التى املتها عليه الأرواح فى عام ١٨٨٣ تحت عنوان « تعاليم الأرواح » ، وهو كتاب اصبح بمثابة المرشد للحركة الروحية .

وبالرغم من ان مايرز كان لايشك فى صدق موسى إلا انه كان يشك فى الذكاء المزعوم للارواح والرسائل التى تبعث بها ، وكان يرى انه لابد أن يكون هناك تفسير آخر للكتابة الاتوماتيكية والظاهرة النفسية على وجه الاجمال ، ولكن لسوء الحظ عندما انشئت « جمعية الأبحاث الروحية » كانت قوى موسى قد تدهورت ، ولم يمكن اختباره تحت الظروف المشددة التى تتبعها الجمعية ازاء كل من تختبرهم .

أبحاث مايرز

لقد كانت الظاهرة الروحية مقبولة فى ذلك العصر – بالنسبة للذين يقتنعون بها – كدليل على وجود عالم الأرواح ، وبالتالى حقيقة الحياة بعد الموت ، ولكن منشئي « جمعية الأبحاث الروحية » لم يروا فى ذلك إلا مجرد فرض ، وربما كانوا هم انفسهم يتطلعون الى اخماد شكوكهم ويتمنون الوصـــــول الى دليل حاسم يؤكد بقاء الانسان بعد الموت ، إلا انهم لم يسمحوا لهذا الميل بان يؤثر على ابحاثهم المنهجية ، وكانت هذه الأبحاث تتعلق أساسا باجراء تجارب فى التليباثى (التخاطر) والرؤية الغيبية او الاستبصار ، وجمع الأدلة على صحة هذه القوى الكامنة فى الذهن البشرى .

فى ذلك الوقت ، كانت هناك « حالة » أثارت اهتمام الراى العام ، واغرقت جورنى ومايرز فى العمل ، فقد كان هناك قس فى مانشستر يدعى « كريرى » يزاول منذ زمن اجراء تجارب فى التليباثى مع بناته الخمس ، واستدعت الجمعية اسرة كريرى حيث اخضعتها للبحث المنهجى الوثيق فى تجاربها على التليباثى ، واثبتت اسرة

كريرى نجاحاً امام لجنة الفحص تحت ظروف رقابة مشددة . ولكن حدث بعد ذلك ان اكتشفت حالات غش بين البنات فى بعض التجارب الاقل رقابة ، فالغى مايرز وجورنى ما كان يعتقدان انه دليل مثير على التليباثى نتيجة لابحاثهما على اسرة كريرى .

وفى عام ١٨٨٣ ، بعد ستة من تجارب كريرى ، اكتشف رجل اعمال فى ليفربول يدعى مالكولم جوثرى ان بعض موظفيه يقومون بتجارب على نقل الافكار فيما بينهم فى اوقات فراغهم ، وانهم حصلوا على نتائج مدهشة فى التخاطر برسوم بسيطة ، وثار اهتمام جوثرى بالامر حتى انه قام هو وصديقه جيمس بيرشال باجراء تجاربهما الخاصة مع اثنتين من الموظفات هما الآنسة رلف والآنسة ادوارز ، وكانتا قد اظهرتا مقدرة استثنائية على تلقي الرسائل الذهنية ، واحرزت هذه التجارب نجاحاً ملحوظاً ، وابلغت نتائجها الى « جمعية الابحاث الروحية » فاوفدت ادوارد جورنى الى ليفربول ليشرف على بعض هــــذه التجارب بنفسه .

وكان الاسلوب الذى اتبعه جورنى يتلخص فى تغمية عينى الفتاة التى تتلقى الرسالة وان تجلس عكس اتجاه الشخص الذى يبعث بالرسالة ، وهذا الشخص يمسك بالرسم الذى يعطى له بطريقة لا يمكن معها ان تراه الفتاة حتى لو كانت غير معصوبة العينين . ويركز الراسل فى الرسم حتى تقول الفتاة انها على استعداد لادائه . وعندئذ ترفع العصابة عن عينيها ، وتمسك بالقلم . وعادة ما تتراوح فترة التركيز بين نصف دقيقة الى دقيقتين او ثلاث دقائق .

وفشلت كثير من المحاولات او احرزت تشابها ضئيلا ، ولكن عدداً من المحاولات احرز نجاحاً جزئيا او كليا ساحقا ، وتكرر ذلك عدة مرات كافية لاستبعاد احتمــــال الصدفة .

فى ذلك الوقت كان هناك استاذ شاب فى علم الطبيعة بجامعة ليفربول يدعى اوليفر لودج ، وقد منح لقب سير فيما بعد لاكتشافاته فى ميدان الكهرباء والراديو . سمع لودج عن تجارب جوثرى فطلب ان يقوم بنفسه بتجارب مع الفتاتين ، واجرى هذه التجارب بنفس الحرص والدقة التى يجرى بهما تجاربه فى علم الطبيعة . وفى احدى هذه التجارب جعل شخصين يركزان على شكلين مختلفين دون ان يدرى احدهما بما مع الآخر ، وكذلك لم تكن الفتاة تدرى انها تتلقى من شخصين مختلفين ، وهى التى تعودت ان يكون الراسل واحداً ، وقد اضطربت الفتاة فى اول الامر ثم مالبثت ان رسمت الشكلين احدهما داخل الآخر ، مما يدل على انها تلقت الرسالتين ولكنها اعتقدت ، عن وعى او غير وعى ، انهمـــا يمثلان شكلا واحداً .

التخاطر التلقائى

وبالاضافة الى التجارب العملية التى قاما بها ، راح جورنى ومايرز ، اللذان لا يكلان عن العمل ، يبحثان فى عديد من الحالات التى وردت اليهما عن تجارب التليباثى التلقائى والاستبصار ، وكانا قد نشرا اعلانات فى « التايمز » وبعض المجلات الدورية يطلبان فيها من الجمهور موافاة الجمعية بمثل هذه الحالات ، وتلقيا فيضا لاينقطع من الخطابات قدر فى عام ١٨٨٣ وحده باكثر من ١٠ آلاف خطاب ، كما استقبلا مئات الاشخاص ، واستدعيا لمساعدتهما استاذاً فى جامعة اكسفورد يدعى فرانك بورمور كان معروفا بشكه فى الظاهرة الروحية وتشدده فى وسائل استقصائها ، مما جعل مساهمته ذات قيمة كبرى .

وقد لاحظ الباحثون الثلاثة ، بعد عمليات الفحص والتحليل والتبويب التى قاموا بها ان اكبر مجموعة من الحالات يمكن تصنيفها تحت عنوان « رؤى المحنة » ، فى هذه الحالات يتعرض الشــــخص « لهلوسة حية تكاد تكون واقعية » عن شخص آخر يثبت فيما بعد انه كان يمر فى نفس اللحظة بازمة خطيرة . هذه الازمة هى عادة موت الشخص او تعرضه لاصابة خطيرة او مرضه . وفى بعض الحالات تكون هذه الهلوسه سمعية وليست بصرية بمعنى ان صوت الشخص الذى يمر بالمحنة يكون مسموعاً بوضوح لدى صاحب التجربة .



دانييل دوجلاس هيوم كان من اشهر الوسطاء الروحيين فى القرن التاسع عشر ، من تجاربه تجسيد الارواح ، وتحريك الاشياء بالقــوة الذهنية ، والارتفاع بالجسم فى الهواء ، واطالة قامته . لم يضبط مرة واحدة متلبسا بالغش كما كان يفعل كثيرون غيره .

وبعد ثلاث سنوات من البحث نشر جورني ومايرز وبودمور ادلتهم على التليباثى ، التلقائي والتجريبي ، فى كتاب ضخم ، هو اول عمل كبير تقوم بنشره جمعية الابحاث الروحية ، تحت عنــــوان « اوهام الاحياء » ويحوى ٧٠٢ حالة من التجارب الباراسيكلوجية التلقائية ، كل منها تؤيدها شهادة اكثر من شخص واحد على الاقل ، ويمكن ان نورد فيما يلى بعض الحالات التى تدل على محتوى الكتاب .

● ذكر ضابط بحرى انه كان فى الثالثة عشرة من عمره عندما اوشك على الغرق الفعلى فى قارب انقلب فى بحر هائج بالقرب من شاطىء جاوة ، وعندما طفا على السطح بعد ان غاص فى الماء عدة مرات ، نادى باعلى صوته على امه ، مما اضحك الرجال الذين قاموا بانقاذه ، واخذوا يتندرون عليه . ولما عاد الى بيته بعد ذلك بعدة اشهر ابلغ اسرته بالحادث وقال انه شاهد اثناء وجوده فى الماء رؤية واضحة لامه وشقيقاته وهن جالسات فى المنزل ، وكانت امه تخيط قماشا ابيض اللون ، فتذكرن فوراً المناسبة التى يتحدث عنها ، وكن جالسات كما ذكر بالضبط ، وسمعن جميعاً صوته بوضوح يكرر « ماما .. ماما » وقد انزعجت الام لما سمعت، حتى انها سجلت التاريخ والساعة فى مذكرتها ، وعندما حسبوا فرق الزمن بين انجلترا وجاوة تبين ان الصرخة التى سمعوها حدثت بالضبط فى الوقت الذى اوشك الصبى على الغرق .

● وهناك حالة اخرى تنطوى على غرق فعلى هذه المرة ، حدثت فى نيويورك عام ١٨٦٧ ، كانت فتاة صغيرة فى الثالثة من عمرها تلعب بعرائسها فى غرفة يجلس فيها ابوها وامها وخالتها ، وفجاة جرت الطفلة الى الخالة وهى تصيح « خالنى .. ديفى يغرق ! » وكان ديفى وهو ابن خالة الطفلة صبياً فى التاسعة من عمره يعيش مع والده واخيه الاكبر على بعد ٢٥ ميلا ، وكانت الطفلة شديدة التعلق به ولم تره منذ عدة شهور ، وقد طلب الكبار من الطفلة ان تكرر ما قالت اكثر من مرة قبل ان يفهموا ماذا تقصد . وظنت الام ان الفتاة لا تفهم



هنرى سيجويك مؤسس ورئيس « جمعية الابحاث الروحية » التى حاولت وضع اللبنات الاولى فى علم الباراسيكلوجى الذى اصبح الآن علماً معترفا به فى الجامعات الاوربية



اليانور سيجويك زوجة هنرى سيجويك ورئيسة جمعية الأبحاث الروحية من بعده . ظلت معظم حياتها لا تؤمن بالظاهرة الروحية ثم اقتنعت بها وتحولت الى هذه الأبحاث .



الوسيط الشهير ويليام ستينتون موسى . اشتهر بالكتابة الاتوماتيكية التى تمليها عليه الأرواح ، ولم يكن يتقاضى اجرا على تجاربه الباراسيكلوجية

معنى ما تقول ، فغيرت الحديث ، ولكنها لاحظت ان هذا حدث فى الساعة الرابعة مساء . وبعد ساعات تلقت الأسرة برقية من والد الطفلين تقول : « ولداى الصغيران داريوس وديفى غرقا الساعة الرابعة اليوم وهما يتزحلقان فى بحيرة كينك » .

وحصل باحثو « جمعية الأبحاث الروحية » على قصاصة من صحيفة محلية نشرت الحادث وذكرت تاريخه وساعته على النحو الذى ذكرته الأسرة .



تجربة يقوم بها اثنان من الكتاب العلميين المتشككين فى الظواهر الباراسيكلوجية مع سيدتين وسيطتين لرفع مائدة ثقيلة فى الهواء بوضع الاصابع فوقها بدون لمسها . لم ترتفع المائدة ولكنها تارجحت بشدة على الجانبين لدرجة ان تخلى الناس عن طريقها .

نظرية الوسط الطبيعى

حاول جورنى ان يقدم تفسيراً لظاهرة التليباثى . قال انها من المحتمل ان تكون عملية نقل من ذهن الى ذهن *عبر وسط طبيعى لا نعرف عنه شيئاً الآن ، مثلا كالوسط الطبيعى الذى يسير فيه السيال المغناطيسى ، فالمغناطيس يجذب قطع الحديد الصغيرة التى تقع فى سياله حتى لو كان بينهما حائل ، كما انه لو ثبت مغناطيس قوى دائم فى حجرة فانه مع مرور الوقت يمغنط اية قطعة من الحديد فى تلك الحجرة . وهناك مثال آخر على الوسط الطبيعى يؤخذ من التيار الكهربائى فان السلك الذى يسير فيه تيار كهربائى يحدث تياراً مستحثا فى سلك مجاور . وعلى ذلك طالما ان الرسالة التى تنقل تليباثياً هى واحدة فى ذهن الراسل وذهن المتلقي فانها تكون قد انتقلت من الاول الى الثانى عبر وسط طبيعى مجهول . ولكن الصعوبة تنشا عندما تكون الرسالة المنقولة غير دقيقة او مختلفة تماماً ـ مثلا ان تنتقل صورة الراسل نفسه لارسالته ـ فعندئذ تبدو فكرة الوسط الطبيعى غير محتملة .

وهناك ـ كما فكر جورنى ـ حجة اخرى ضد الاساس الطبيعى لظاهرة التليباثى هى ان كل القوى الطبيعية المعروفة تضعف كلما سافرت مسافات طويلة ، مثل الصوت والضوء والماء والمغناطيسية .. الخ ، والأمر ليس كذلك بالنسبة للتليباثى ، فان الرسالة او الصورة التليباثية يمكن ان تنتقل عبر القارات بنفس السهولة التى تنتقل بها عبر الشارع ، كل ذلك دعا جورنى الى التخلي عن فكرة الوسط الطبيعى ، وربما لو كان جورنى قد عاش الى اليوم لغير رايه مرة اخرى : فقد اكتشف العلماء مؤخراً ان هناك معادن معينة اذا بردت الى درجة الهليوم السائل تكون قادرة على توصيل التيار الكهربائى بحيث لا تؤثر فيه المقاومة او المسافة ، وحولنا تطبيقات اللاسلكى كثيرة واضحة ، ففى الامكان استقبال موجات الراديو والتليفزيون من اى مكان فى الأرض ، بل ومن الفضاء الخارجى حيث تبعث سفن الفضاء الى المحطات الارضية بالصوت والصورة فى وضوح تام فلماذا لا يكون التليباثى يعمل على اساس مشابه من الوسط الطبيعى ؟ على اية حال فان طبيعة هذا الوسط لاتزال غامضة اليوم كما كانت عندما بحثها جورنى لأول مرة منذ مائة عام .



لم يستطع ان يوقظ جسده المادى .. وعندئذ فكر فى امه التى كانت نائمة فى غرفة مجاورة ، وراها بوضوح بالرغم من الحائط الذى يفصل بينهما ..

يعد البروفيسور جلبرت موراى الأستاذ بجامعة اكسفورد من ابرز المثقفين الانجليز فى مطلع هذا القرن ، والى جانب اهتماماته بالتاريخ والعلوم الانسانية اهتم موراى بظاهرة نقل الأفكار بالتليباثى ، واجرى عليها حوالى ٧٥٠ تجربة بين عامى ١٩١٠ و ١٩٢٤ ، وكانت تشترك فى تجاربه مجموعة صغيرة من افراد اسرته واصدقائه ويتلخص اسلوب موراى فى انه كان يخرج من الغرفة حيث يجلس الآخرون ويتفقون فيما بينهم على صورة او حادثة يسجلونها كتابة فى ورقة ، ثم يدخل موراى ويمسك بيد الراسل ويحاول ان يخمن الموضوع الذى اختير ، بينما يقوم احد الحاضرين بتسجيل كل كلمة ينطق بها ، وكانت الموضوعات التى يختارونها مزيجاً من احداث الأدب والتاريخ .

ومن امثلة هذه التجارب : فكرت ابنة البروفيسور موارى — وهى زوجة المؤرخ الشهير ارنولد توينبى — فى اختيار اللقاء الذى تم بين روبرت وناتاشا فى رواية « الحرب والسلام » لتولستوى حيث كانت ناتاشا تجرى فى الغابة مرتدية ثوباً اصفر ودخل الأب موراى وامسك بيد ابنته ، وسجل الكاتب كلماته كما يلى : « حسنا .. اعتقد ان الموضوع يدور حول شخص يدعى روبرت ، نعم انه موضوع خيالى ، انه يقابل شخصاً فى كتاب ، انه يلتقى بناتاشا فى « الحرب والسلام » . لا اعرف ماذا يقول بالضبط — ربما يقول لها : هل تهربين معى ؟ .

وكانت تتخذ احتياطات كافية لمنع وصول اصوات المناقشة الى اذنى موراى فى الخارج ، لاستبعاد احتمل حدة حاسة السمع فى مثل هذه التجارب ، وقد لاحظ موراى نفسه انه اثناء فترة التركيز على الموضوع يكون حساساً للغاية ازاء الأصوات ، وربما يكون يتلقى بطريقة لا شعورية مؤثرات صوتية من المجموعة ، وبالفعل عندما كان الموضوع يبحث همساً بين المجموعة كان موراى يفشل عادة فى التعرف عليه ، ولكن لم يكن نجاح موراى يعزى فحسب الى قوة استراق السمع ، ففى بعض الأحيان كان يستطيع ان يخمن منظراً من كتاب لم يقراه ويذكر تفاصيل او شخصيات لم تتحدث عنها المجموعة عند اختيار الموضوع ، والتفسير الوحيد لذلك انه حصل على هذه المعلومات تليباثياً من الراسل او غيره من المشتركين الذين يعرفون الكتاب . وفى التقييم النهائى لتجارب البروفيسور موراى احرزت نسبة ٣٣٪ من هذه التجارب نجاحاً كلياً ، وعدت نسبة ٤٠٪ تجارب فاشلة ، والباقى تجارب احرزت نجاحاً جزئياً .

لقد اثارت تجارب البروفيسور موراى ، وغيرها من تجارب التليباثى ، احتمال ان تكون هذه القوة الغامضة اكثر وضوحاً فى حالة التراسل بين اعضاء نفس الأسرة ، فقد كان موراى انجح ما يكون عندما يقوم بتجاربه مع ابنته ، زوجة المؤرخ ارنولد توينبى ، كما ثبت ان التليباثى اقوى ما يكون بين التوائم ، وان الأمهات اكثر استعداداً لتلقى اشارات الخطر تليباثياً من ابنائهن عند تعرضهم للمحنة .

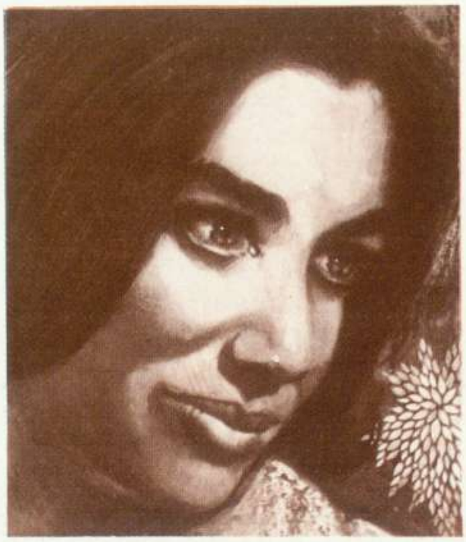
وهناك حالة مهندس ايطالى شهير بعث بها الى « جمعية الأبحاث الروحية » تدل على مدى حساسية الأم تليباثيا ، اذ كتب المهندس يقول انه كان فى شبابه يستعد لاداء الامتحان فى شهر يونيو ، ونتيجة للارهاق الشديد فى استذكار دروسه غرق فى نوم عميق جداً ، ولكن يبدو ان يده ارتطمت بمصباح الكيروسين فاوقعته ، وبدلا من ان ينطفىء المصباح انبعث منه دخان اسود كثيف ملأ الغرفة وبدأ يختنق ، ويضيف المهندس انه شعر تدريجيا بان الجزء المفكر فيه انفصل تماما عن جسده المادى النائم ، وشعر هذا الجزء الواعى بانه لكى ينقذ نفسه يجب ان يعدل المصباح ويفتح النافذة ، ولكنه لم يستطع ان يوقظ جسده المادى او يجعله يستجيب باى شكل ، وعندئذ فكر فى امه التى كانت نائمة فى غرفة مجاورة ، ورآها بوضوح بالرغم من الحائط الذى يفصل بينهما ، وهبت الأم من نومها فجاة وسارعت الى نافذة غرفتها ففتحتها كما لو كانت تنفذ الفكرة التى فى ذهنه ، ثم شاهدها تخرج من غرفتها ، وتدخل غرفته ، وتقدمت الى جسده المسجى على السرير وهزته برفق لتوقظه ، وعندئذ فقط شعر ان وعيه عاد الى جسده ، واستيقظ من نومه مذعوراً ، وقد اكدت الأم بعد ذلك انها فتحت نافذة غرفتها قبل ان تاتى اليه تماماً كما رآها تفعل عبر الحائط المصمت .

• • •

لقد تقدمت فى الوقت الحاضر ابحاث وتجارب الباراسيكلوجى عما كانت عليه فى القرن التاسع عشر . ولكننا راينا من المفيد أن نمهد للتجارب الحديثة بالاشارة الى هذه التجارب القديمة ، وقد اقتصر هذا الموضوع على تجارب « الادراك خارج نطاق الحواس » وهو جزء من القوى الباراسيكلوجية فى ذهن الانسان ، وهناك نوع آخر من هذه القوى هو المقدرة على تحريك الأشياء المادية بالطاقة الذهنية ، ويشمل تحريك الأشياء والسباحة فى الهواء وتجسيد المادة ونزعها والطب الروحى والطرح الروحى .. فالى المقال القادم .

محمد العزب موسى

المقال التالى : —
الحاسة السادسة فى معامل الاختبار



رحلة صعبة.. رحلة جبلية

قصة حياة فدوى طوقان.. ترويها بقلمها

أول مذكرات صريحة لشاعرة عربية كبيرة

الحلقة الثالثة

عندما تفتَّح وجدانى بدأت أعرف... الخوف والخجل والملاءة السوداء!

تظل ذكريات طفولتى قبل عهد المدرسة مشوشة ، باهتة ، متقطعة ، فلا أستطيع لم شعثها أو تنظيم فوضاها . ولكن الذى أراه واذكره بوضوح من صور هذه المرحلة الهامة فى حياة الانسان ، وهى المرحلة التى يشرع الطفل خلالها فى تمييز ذاته الاجتماعية ، هو إقبال أصدقاء أبى وعمى علي ، وكذلك أصدقاء شقيقى أحمد وابراهيم ، بالاضافة الى أصحاب الدكاكين المجاورة . فهؤلاء جميعاً كانوا يضاحكوننى ويمازحوننى كلما التقيت باحدهم فى ديوان العائلة او فى السوق ، فكنت احس معهم باننى شىء ذو قيمة أكثر مما أنا بين أهلي . وكذلك بعد التحاقى بالمدرسة . فقد جعلنى تصرف المديرة والمعلمات أكون عن نفسى فكرة أفضل .

لا تحمل ذاكرتى اية صورة لأول يوم دخلت فيه المدرسة . كما انها لا تحتفظ بذكرى المرحلة الأولية التى تعلمت فيها قراءة الحروف وكتابتها . ولكن الذى أذكره بوضوح هو استمتاعى دائماً بمحاولة قراءة أى شىء مكتوب وقع عليه بصرى .

لم يكن فى نابلس أكثر من مدرستين للبنات ، « المدرسة الفاطمية » الغربية و « المدرسة العائشية » الشرقية . وكان أعلى صف هو الخامس الابتدائى .

في « المدرسة الفاطمية » امضيت السنوات الثلاث الأولى . وبعدها نقلت مع الصف كله الى « المدرسة العائشية » .

فى المدرسة تمكنت من العثور على بعض أجزاء من نفسي الضائعة . فقد اثبت هناك وجودى الذى لم استطع ان اثبته فى البيت . احبتنى معلماتى واحببتهن .

لقد أصبحت المدرسة أحب الي من البيت والمكان الاكثر ملاءمة لي . وفى المدرسة عرفت مذاق الصداقة واحببته . كانت رفيقة مقعدى الدراسي تلميذه فى مثل سني اسمها « عناية النابلسي » وكانت احب صديقاتي الي واقربهن الى نفسى . ولقد بلغ من شدة تآلفنا أن ابتدعنا طريقة غريبة لتأكيد صداقتنا ، فلجأنا ذات يوم الى وخز إبهامينا ، ولعقت هى قطرة الدم التى نفرت من أصبعى ، كما لعقت قطرة الدم على أصبعها . وكان هذا (توقيعاً) على (اخوة دم) لا انفصام لها .

لم التق « بعناية » منذ ايام المدرسة ، فقد تركت نابلس بعد زواجها فى سن مبكرة ولكن « عناية » . تلك البنت الصغيرة ، لا تزال هناك ، فى زاوية دافئة من القلب ، لم تغب عن مكانها أبداً .

فى بداية عام ١٩٢٨ حجبونى بالملاءة السوداء . وفى بداية عام ١٩٢٩ وصلت سن البلوغ . وكنت قد تعافيت من حمى الملاريا وسعدت بنعمة العافية .

لفت نظرى تفتح جسدى ، وخفت ، وخجلت . واربكنى هذا الأمر فكنت اعمل على اخفاء هذا

النمو . ورحت اراقب هذا الأمر كله بحياء شديد كما لو كان ارتكاب ذنب مخجل استحق العقاب من اجله .

• • •

حتى ربيع عام ١٩٢٩ لم اكن اعرف شيئاً عن الحب على الاطلاق ، فلم يكن هذا الموضوع مما يتناوله افراد الأسرة على مسمع منا نحن الصغار .

وجاء الربيع ، وعرفت هذا الشيء المسمى حباً ، والذى ظل يشرنق حول وجودى الى مالا نهاية .

وجاء جواب السؤال الذى حرمته علي امي . جاءني محمولا على زهرة فل عبقت رائحتها وعلقت بجدران قلبي . ولا ازال حتى اليوم احس وكان يداً خفية تقذف بي الى ذلك الماضى او تقذف به الي كلما نفحتني زهرة فل بعطرها .

ورائي الآن . وانا استحضر ذكرى تلك الحادثة ، عشرات الاعوام ، ولكن حدة الانفعالات التي بعثتها في نفسي ، والدهشة التى تولدت من تلك الانفعالات هى من الأشياء التى لا تنسى ابداً ، اكتشفت شيئاً جديداً فى نفسى وفى العالم شيئاً غريباً جداً . ووقفت مبهورة الانفاس امام دهشة الحب الأول .

امتلات الأعماق بعطر زهرة الفل الغامض العجيب ، وحرك المشاعر شيء يستعصى على التفسير ، وراح القلب يذوب تحت تأثير الأغانى المترعة بالعاطفية الشرقية الساخنة . منذ ذلك الحين ضربت اغانى محمد عبد الوهاب جذورها فى قلبى وظل عندى سيد الغناء . (تعالى نفن نفسينا غراماً) (منك يا هاجر دائي) (قلب بوادى الحمى خلفته رمقاً) (النبى حبيبك ماتحرمش الفؤاد منك) وغيرها .. وغيرها .

كانت تلك الاغانى مؤثرات تعمل على تكثيف شعورى الغائم المبهم . فقد كانت هذه أول مرة احس فيها بدقات قلبى وتواثبه . كان يفوتني ادراك معاني الأغانى ادراكاً عقلياً ، ولكن مشاعرى كانت تعب من الجو العاطفى للصوت وللأغنية فترتوى وتزداد كثافة وزخماً وتوهجاً .

فقدت شهيتي للطعام ، ولأول مرة عرفت الأرق الجميل المليء بالأخيلة والتصورات الهانئة ، ولأول مرة عرفت كيف يغطى وجه انسان ما كل الوجوه الأخرى ويكتسح الوجود بكامله .

كان غلاماً فى السادسة عشرة من العمر ولم تتعد الحكاية حدود المتابعة اليومية فى ذهابى وايابي ، فما كان لمثلي ان تزوغ

• قطرة الدم التي ربطت بيني وبين أعز صديقاتي : "عناية"!

• زهرة فل تحمل إليّ أول إحساس بالحُب

يميناً او شمالاً . كانت الطاعة من ابرز صفاتى ، وكنت مسكونة دائماً بالخوف من أهلي . كان التواصل الوحيد الذى جرى لي من الغلام هو زهرة فل ركض الي بها ذات يوم صبي صغير في « حارة العقبة » وانا فى طريقي الى بيت خالتي .

ثم حلت اللعنة التى تضع النهاية لكل الأشياء الجميلة .

كان هناك من يراقب المتابعة ، فوشى بالامر لاخي يوسف . ودخل يوسف علي كزوبعة هائجة . « قولى الصدق » ! .. وقلت الصدق لانجو من اللغة الوحيدة التى كان يخاطب بها الآخرين : العنف والضرب بقبضتين حديديتين ، وكان يتمتع بقوة بدنية كبيرة لفرط ممارسته رياضة حمل الاثقال .

اصدر حكمه القاضى بالاقامة الجبرية فى البيت حتى يوم مماتى .. كما هددنى بالقتل اذا انا تخطيت عتبة المنزل ، وخرج من الدار لتاديب الغلام .

قبعت داخل الحدود الجغرافية التى حددها لي يوسف ، ذاهلة ، مبخوعة لا اكاد اصدق ما حدث .

ما اشد الضرر الذى يصيب طبيعة الصغار والمراهقين الاصلية بفعل خطا التربية وسوء الفهم .

كما ذكرت من قبل ، كانت اسرة عمى منغلقة على نفسها ، اذا تحدثوا همسوا ، او اغلقوا الباب ، فلم نكن نعرف قط ما يدور بينهم .

أما اسرة ابي فقد انعكست طبيعة امي عليها ، فكانت امورنا جميعاً مكشوفة الوجه صريحة مشاعة ملكيتها لأسرة عمي وعمتي .

هناك التزمت والخفاء والسرية والصمت وهنا الانفتاح والعلن والعفوية والضجيج .

فلو ان ما وقع لي كان قد وقع لابنة عمى شهيرة لما علم احد منا بالامر ، بل كان يعالج بسرية وكتمان محكم . اما وقد حدثت القصة لي فلم يكن هناك بد من قرع الطبول والاجراس بين عيون ومسامع كل فرد فى الدار ، حتى النساء المساعدات فى الأعمال المنزلية .

وحملت عمتى وافراد اسرة عمى منظارهم المكبر لينظروا من خلاله الى الحادثة الصبيانية البريئة فيعطوها حجماً اكبر من حجمها الحقيقى .

وشرعوا يسلطون علي نظراتهم المتشككة ويحملون عني افكاراً جائرة ، ومن هذا المنطلق راحوا يتعاملون معي .

وانزرعت فى نفسى الغضة الطرية فكرة سيئة عن هذه النفس ، خلقت فى عادة السير وانا مطاطئة الراس لا اجرؤ على رفع عينى نحو وجوههم التى كانت تلقاني صباح مساء بالعبوس والكراهية . لقد شوهوني امام نفسي .

ولفت نظر خالتى الطريقة غير الطبيعية التى صرت اتخذها وانا امشي او اجلس واخذت ، بحنوها المعهود ، تطلب الى باستمرار ان ارفع راسي وامشي بقامة منتصبة .

• • •

عاد ابي ذات صباح الى البيت لبعض شانه وكنت اساعد امي فى ترتيب اسرة النوم . وحين رآني سال امى . لماذا لا تذهب البنت إلى المدرسة ؟ قال : تكثر فى هذه الأيام القصص حول البنات فمن الافضل وقد بلغت هذه السن ان تبقى فى البيت

قال ابى . آ ..... حسناً . وخرج !

كان احياناً اذا اراد ان يبلغني امراً يستعمل صيغة الغائب ولو كنت حاضرة بين عينيه . كان يقول لامى : قولي للبنت تفعل كذا وكذا .. قولي للبنت انها تكثر من شرب القهوة ، فلا اراها الا وهى تحتسي القهوة ليلا نهاراً . وهكذا !

• • •

كان اشد ما عانيته حرماني من الذهاب الى المدرسة وانقطاعي عن الدراسة كانت اختي اديبة تجلس فى المساء لتحضير دروس اليوم التالى . تفتح حقيبة كتبها



صورة نادرة من أرشيف الشاعرة فدوى طوقان

وتنشر دفاترها حولها ، وتشرع فى الدراسة وعمل التمارين المقررة .

وهنا كنت إهرب الى فراشي لاخفي دموعي تحت الغطاء .

وبدا يتكثف لدي الشعور الساحق بالظلم .

احيانا كنت ادخل المطبخ ، واقف عند صفيحة (الكاز) وبيدى علبة الثقاب . لكنى كنت اخاف الالم الجسماني ولا اطيق تحمله . وهكذا كنت انصرف دون تنفيذ الامر ، وانا افكر بطريقة اخرى تكون اقل عنفاً من الاحتراق بالنار ..

كثيراً ما خطر لي تناول السم ، ولكن من ياتيني به ؟ هذا بالاضافة الى كونه يسبب آلاما شديدة قبل الموت . وكان هذا كافيا لتحويل ذهني عنه .

كان الانتحار هو الشىء الوحيد الذى يمكنني ان امارس من خلاله حريتى الشخصية المستلبة ، كنت اريد التعبير عن تمردى عليهم بالانتحار .. الانتحار هـو الوسيلة الوحيدة ، هو امكانيتى الوحيدة للانتقام من ظلم الاهل .

لن يستطيع يوسف او غيره من افراد الأسرة أن يصدر علي حكما بالحياة .. ساتركهم مبلبلين متعذبين ، نادمين . وهنا اقف قليلا لكن ، ماذا عن امي ؟

كنت اشفق على امي ، فقد كانت تقف بجانبى دائماً كلما وقع علي الظلم من احدهم . ولكنها بشخصيتها التى اضعفها القهر لم تكن لتستطيع ان تدفع عني امراً مقضياً .

خلال هذه الشهور الصعبة ظل يتردد علي حلم بالذات . كنت اراني اركض فى زقاق مظلم هرباً من عجوز يركض ورائي ، تشي سحنته بروح التعدي والأذى .

ولكن جداراً مسدوداً كان يحول دوني ودون الهرب ، فاتحول الى زقاق اخر لاجده مسدوداً كذلك ، والعجوز يركض ورائي كوحش هائج وانا الهث رعبا وتعبا من الجرى المستمر بدون توقف .

ثم استيقظ غارقة فى العرق لاهثـــة الانفاس . وصرت انفر من النوم خوفا من الاحلام الضاغطة .

• • •

اما من الناحية الاخرى ، فقد تعودت على الانكفاء على النفس والغياب داخل الذات .

رحت اتحصن بالعزلة . كنت مع العائلة ولكن حضورى كان فى الواقع غيابا الى ابعد حدود الغياب . وكان لي عالمى الخاص الذى لا يمكنهم اقتحامه ، ولقد ظل هذا العالم موصداً امامهم ولم اسمح لاحـــد باكتشافه .

اخذت تتعاظم قدرتي على الانفصال عن عالم الواقع والاستغراق فى احلام اليقظة .. فمن خلال تلك الاحلام كنت انطلق خارج قضبان السجن واسوح فى الشوارع وحدى واسافر الى بلاد لا اعرفها ، والتقى بغرباء يحبونني واحبهم .

وكنت الغي دائماً وجود احد من اهلي خلال أسفارى الخيالية ، فاهلي هم سجنى الذى اريد ان افلت من ابوابه المغلقة .

لم تكن قدرتى على الانفصال من عالم الواقع شيئاً جديداً . فمنذ طفولتى كنت آوى الى ظل شجرة فى الدار وامضي اركز نظري على إبهام يدي اليسرى .

دون ان يطرف لي جفن . كنت أركز النظر باستغراق كبير حتى اصل الى درجة يصبح فيها أبهام يدي وبالتالى يدى كلها غريبة عني ، خالية من كل دلالة او معنى ، شيئاً لا علاقة لي به اطلاقاً ، ثم اصبح انا نفسي غريبة عن نفسي ، واظل اكرر فى تفكيري الصامت هذا السؤال :

من انا ؟ من انا ؟ واردد اسمي فى تفكيرى عدة مرات . ولكن اسمى كان يبدو لي غريباً عني ولا يدل على اى شيء .

وهنا كانت تنقطع صلتي باسمى وبنفسى وبكل ماحولي ، واغرق فى حالة غريبة جداً من اللاحضور واللاشيئية .

فاذا رفعت بصرى عن ابهامى ونظرت حـــولي عـدت إلى نفسي والى العـــالم الخارجى ، مغتبطة بامتلاكي القدرة على الخروج من نفسي بهذا الشكل الغامض ثم العودة اليها .

كانت العملية لعبة تسليني ، وحين حدثت امى عنها حذرتنى من العودة الى (هذا الامر) فقد يؤدى بي الى الجنون .

وافزعتني ملاحظة امي وتوقفت تماما عن تركيز بصرى على ابهام يدى اليسرى ورحلة الغياب الغريبة .

فى تموز ١٩٢٩ عاد اخى ابراهيم من بيروت يحمل شهادته من الجامعـــــة الامريكية ببيروت واستقر فى نابلس ليمارس مهنة التعليم فى (مدرسة النجاح الوطنية) .

ومع وجه ابراهيم اشرق وجه الله على حياتى .

كانت عاطفة حبى له قد تكونت من تجمع عدة انفعالات طفولية سعيدة كان هو سببها وباعثها .

اول هدية تلقيتها فى صغرى كانت منه .

اول سفر من اسفار حياتي كان برفقته .

كان هو الوحيد الذى ملأ الفراغ النفسى الذى عانيته بعد فقدان عمى والطفولة التى كانت تبحث عن اب اخر يحتضنها بصورة افضل واجمل وجدت الاب الضائع مع الهدية الاولى والقبلة الاولى التى رافقتها .

ان تلك الهدية بالذات ، والتى كان قـد احضرها الى من القدس ايام كان تلميذاً فى مدرسة المطران ، تلك الهدية كانت اول اسباب تعلقي بابراهيم ذلك التعلق الذى راح يتكثف فيما بعد بصورة قوية .

● أغاني عبد الوهاب تضرب بجذورها في قلبي

● وصدر حكم أخي بالإقامة الجبرية في البيت حتى يوم مماتي!

كان تعامله معي يعطيني انطباعاً بانه معني باسعادي واشاعة الفرح فى قلبي ، لا سيما حين كان يصطحبني فى مشاويره الى الجانب الغربي من سفح جبل عيبال .

كان ياخذ مجلسه على واحدة من صخور الجبل الكلسية ، ويسمح لي بالانطلاق بينما ينصرف هو الى التامل . اما انا فكنت امضي الى الشعاب القريبة ، واقفز كالمعزى من صخرة الى صخرة ، واتطلع حولي باحثة عن بقلة (الشمر) ذات الرائحة الزكية والتي كنت احب مذاق سيقانها الطويلة ، المستديرة ، الريانة ، كما كنت الملم باقة من زهر قرن الغزال وشقائق النعمان والبابونج ، وبين حين وآخر كان ابراهيم يلتفت ويوصيني بالا اوغل بعيداً عنه .

كان فرحي بتلك المغامرات الصغيرة يتميز بخلوه من توقع عقاب الاهل ، فلقد كان الخوف ينغص علي دائماً افراحي الصغيرة ، اما مع ابراهيم فقد كنت اشعر بالتحرر من كل المنغصات .

● ● ●

مع اقامة ابراهيم فى نابلس بدأ سطر جديد فى حياتى .

اصبحت خدمته وتهيئة شئونه هدف حياتى ومصدر سعادتى المفقودة ، أرتب غرفته ، امسح الغبار عن رفوف كتبه وعن طاولته ، أهيء له كل صباح الماء الساخن لحلاقة ذقنه واحضره اليه .

فى تلك الأيام لم تكن شبكة انابيب المياه موزعة على طوابق الدار العليا بعد ، فكنت انقل الماء مساء كل يوم واملأ المغسلة التى كانت تقوم فى احدى زوايا الغرفة قرب الباب .

كما كان علي تحضير المائدة له فى أوقات وجباته كلها ، بكل هذا وسواه الزمت نفسي ، وكان يسعدنى انه اختصّني دون باقى اخواتى بالقيام بخدمته وتحضير شؤونه .

وتشبث قلبي بابراهيم تشبث الغريق بمركب الانقاذ .

على غير عادة رجال الأسرة ، كان يجلس معنا ـ نحن ، امه وشقيقاته ـ يبادلنا ـ الحديث ، ويحكي لنا عما جرى ويجرى من شؤونه الخاصة وبعض الشؤون العامة .

كما كان يروى لنا الطرائف الأدبية والتاريخية مما يطالعه فى كتب (الاغانى) لأبي الفرج الأصبهاني او (العقد الفريد) أو كتاب (الحيوان) للجاحظ .

وكان بالنسبة لنا ينبوع حب وحنان ، يغدق علينا من عطائه ، ويمنحنا الكثير من وقته ومساعدته اذا لزمت المساعدة .

كنت اخاف عليه من الأذى والمرض ، واصبح همي تنظيف الأرض والتقاط ما يلقي به اطفال الدار من بذور البرتقال او قشوره خوفاً من أن يطاها ابراهيم فتزلق قدمه ويسقط فيصيبه الأذى .

أصبح هو وحده الهواء الذى تتنفسه رئتاى ، هواء الصحة والعافية النفسية . فقد كان حبه لي واهتمامه الخاص بي يضفيان علي شعوراً انسانياً بالرضى .

يقول المتفائلون ان النفس كالنور لا يمكن افسادها . ولكنى اعتقد ان الانسان اذا استهلكه الهوان انقلب الى مخلوق مليء بالانحرافات ، الا اذا وجد انساناً يحبه ويدثره بالحنان . فالحنان عنصر اساسي فى الجو الذى يتم فيه النمو ، سواء فى البيت أم فى المدرسة .

ولا يمكن ان تتوفر الصحة النفسية السليمة بدون الحنان .

لقد كان ابراهيم المصح النفسي الذى انقذني من الانهيارات الداخلية .

ان الطبيعة ضد الفراغ دائماً ، وهي ترفضه ولا تتعايش معه . لابد للنفس من الامتلاء بشيء ما ، بالحب والخير أو بالبغض والشر ، بالنوازع البناءة أو بالنوازع التدميرية التى تتحول فى النهاية وتنقلب لتدمير الذات اذا لم تجد ما تدمره خارج الذات .

فى تلك الفترة القاسية من سني مراهقتي كانت يد ابراهيم هي حبل السلامة الذى تدلى وانتشلني من بئر نفسي الموحشة المكتنفة بالظلام ..

هامش

فى تقرير عن تاريخ الابنية المدرسية فى نابلس ، يقول المربى الفاضل الاستاذ ابراهيم صنوبر : « انشئت فى العهد العثمانى المدرسة الابتدائية للبنين ـ مدرسة خان التجار ـ والطابق الارضى من المدرسة الغزالية (المكتب الرشيدى) ليدرس فيه الطلاب خمس سنوات بعد الدراسة الابتدائية . اما البنات فكن فى بناء مستاجر .

كما اقيم بناء المدرسة الرشادية الغربية ـ بالنسبة للسلطان محمد رشاد ـ وهى المدرسة الفاطمية حاليا ، وبناء المدرسة الرشادية الشرقية (الصلاحية القديمة) وكان مما جذب انتباهى عندما عينت مفتشا لمعارف لواء السامرة سنة ١٩٤٥ ان عدد الابنية الحكومية للمدارس بقى من سنة ١٩١٨ حتى سنة ١٩٤٥ على ما كان زمن الحكومة العثمانية وكان كل توسع يجرى فيها يتم فى ابنية مستاجرة اقيمت كمنازل لا كمدارس ، وعيوب هذه الابنية انها ضيقة الغرف والملاعب ، قليلة الهواء والنور .

وفى سنة ١٩٤٥ اراد حاكم اللواء ان يكتب تقريرا مفصلا عن دائرة من دوائر لواء السامرة . فتوقف عند دائرة المعارف ليستوضح حقيقة الوضع . وقد فاجاته بعد سؤاله بما يلى : يقولون ان الاتراك قد دخلوا البلاد سنة ١٥١٧ على عربات تجرها الثيران كما خرجوا منها سنة ١٩١٨ على عربات تجرها الثيران ايضا .. ولكنهم قد خلفوا وراءهم فى مدينة نابلس اربعة ابنية حكومية للمدراس وحديقة البلدية ، وساعة المدينة ، والمستشفى الوطنى . اما انتم فلم تقوموا ببناء غرفة واحدة طوال ٢٧ عاما .. اي من ١٩١٨ الى هذه السنة ١٩٤٥ . والذى اخشاه ان ترحلوا عن هذه البلاد دون ان تتركوا فيها اي اثر ثقافى يذكر الناس بكم .

وكان الكلام شديد التاثير عليه ، حتى انه لم يكد يصدق الخبر . وقال انه سيكتب تقريرا سريا للمندوب السامى يشرح فيه هذه القضية . وطلب منى فى الوقت ذاته ان احث اغنياء المدينة على القيام بانشاء ابنية للمدارس كما يفعلون فى بلاد الانجليز .

وكان جوابى هو ان الاغنياء فى المدينة ليسوا فى غناهم من النوع المعروف عندهم فى الغرب .

بقية المذكرات العدد القادم

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد حجماً لأمع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● العربية والعبرية ●● اللغة والقوالب الموروثة
●●● الاغتياب .. هذا المرض المستعصي من أمراض النفس الإنسانية !

العربية والعبرية



بقلم: الدكتور زكي مبارك

لقد قضيت نحو خمسة عشر عاماً وأنا أدعو إلى تدريس العلوم باللغة العربية فى كليات الجامعة المصرية ، فكان المتخلفون من أساتذة العلوم يعتلون بأن اللغة العربية تعوزها المصطلحات فى كثير من الشئون ، وظلوا على تهاونهم الى أن كتب معالى الدكتور هيكل باشا الى سعادة مدير الجامعة يقول : إنه لا يفهم كيف تعجز اللغة العربية عن تادية المعانى العلمية ، وكانت تلك الاشارة كافية لأن يعرف أساتذة الكليات أن تدريس العلوم باللغة العربية ليس بالمستحيل ، وكانوا يرونه قبل ذلك أبعد من المستحيل !

لقد قضت الجامعة المصرية أعواماً طوالا وهى تدرس العلوم باللغات الأجنبية ، ولم تعرف وجه الحق فى إعزاز اللغة القومية إلا بعد أن ينبهما وزير المعارف ، أثابه الله وجزاء خير الجزاء !

فهل يعلم الذين قاوموا الفكرة هذه الفكرة من قبل أن الجامعة العبرية بالقدس تدرس جميع العلوم باللغة العبرية مع أن لغة بنى إسرائيل ليس لها ماض فى خدمة العلوم ، ومع أن النوابغ من اليهود كانوا يعبرون عن أغراضهم بلغات أجنبية ، ولم يفكروا يوماً فى خلق عصبية للغة العبرية قبل فكرة الصهيونية ؟

اللغة العبرية تصلح لتدريس جميع العلوم وهى فى فقر مدقع ، أما اللغة العربية فتعجز عن تدريس العلوم مع أنها كانت لغة دولية فى مدة دامت نحو خمسة قرون ، ومع أنها استطاعت أن تحفظ الذخائر مما خلف الفرس واليونان !

صلحت اللغة العبرية لتدريس جميع العلوم لأن اليهود أرادوا أن يخلقوا لأنفسهم ذاتية قومية ، وقد نجحوا فى ذلك إلى حد بعيد .

أما اللغة التى يتكلمها أقوام يشارفون مئة مليون والتى أمدت بحيويتها كثيراً من اللغات الشرقية ، والتى تنزل فى أنفس الملايين منزلة التقديس ، والتى تحتل أقطاراً حملت أعباء المدنية فى مختلف عهود التاريخ ، والتى خدمت خدمة لم تظهر بمثلها لغة من لغات الشرق أو لغات الغرب ، والتى عجز الدهر عن تبديد ما تملك من ذخائر ونفائس ، والتى سخر الله لخدمتها مئات من الأجانب فى الجامعات الأوربية والأمريكية .

هذه اللغة الفنية ـ لغة العرب ـ هى اللغة التى يقال إنها تعجز عن تادية الأغراض العلمية ، بفضل حذلقة السادة الأفاضل الذين يرون فى تجريحها باباً من الشهرة والنباهة وبعد الصيت !

اللغة والقوالب الموروثة



بقلم إبراهيم عبد القادر المازني

كنت ذات يوم أكتب رسالة إلى صديق فجرى القلم بهذه العبارة المألوفة : « ومما زاد الطين بلة .. » وهممت بأن أمضى فى الكتابة ثم رددت نفسى والقيت القلم ونهضت إلى الشرفة ورحت أدخن وانظر إلى الناس . ولكن النظر إلى الناس لم يكن همى ولا كان كل شغلانى ، فقد كنت أحادث نفسى وأحاورها وأقول لها إن عبارة « زاد الطين بلة » ليست هى الوحيدة التى ورثناها فى جملة ما ورثنا من لغتنا وقد صارت على الأيام « كليشيهاً » أو قالباً مصبوباً نستعمله فى الحديث والكتابة من غير أن نفكر فى الصورة التى يرسمها هذا « الكليشيه » الموروث الذى يغرينا به أن الجرى على العادة أسهل وأقل عناء .

وقد نبتت هذه العبارات الموروثة فى زمان كان زمانها - أعنى أنها كانت فى الزمن الذى أخرجها وثيقة الصلة بمظاهر الحياة ، وكانت تحدث فى ذهن مستعملها صورة تحصل بلا عناء وترتسم بغير جهد . ولكنها الآن قد امتد بها العمر إلى زمان آخر مختلف جداً ولم تبق لها تلك الصلة القديمة بحياة العصر ولسنا نحس حين نستعملها أنها ترسم لنا صورة ما .

وسالت نفسى : « وهل ثم ضرر من استعمال هذه القوالب الموروثة؟ » وهززت كتفى ومططت بوزى - فعل المتردد الذى يحاول ان يهتدى أو ان يتقى التورط فى رأى يجزم به . وبدا لى - وانا افكر فى هذا السؤال - ان الضرر لا يجيء من استعمال هذه القوالب ، بل من الاقتصار على استعمالها ، اى دون العناية بجعل لغتنا صورة لحياتنا . واحسب ان لابد من اتخاذ هذه القوالب إلى حد ما . وكل لغة قديمة - ولا سيما إذا كانت قد ركدت زمنا ما -

تصبح عبارة عن مجموعة من القوالب ، ولكن اللغة الحية لا تزال تتسع بما يدخل فيها ويضاف إليها من العصور التى تتعاقب عليها . وحياة اللغة مستفادة من حياة أهلها ولا ذنب لها إذا جمدت وإنما يكون الذنب لهم ، فاذا رايت اناساً من ابناء عصر حديث له مظاهر حياة جديدة يكتبون بلغة قديمة فى قوالبها – اى كالتى كان يكتب بها من سبقوهم بعشرة قرون او عشرين قرناً بلا اختلاف ومن غير ان يحدثوا فيها جديداً يدل على انهم تاثروا بعصرهم – إذا رايت ذلك فاعلم ان هؤلاء اناس متخلفون وانهم اشبه بالآثار الباقية منهم بالاحياء ، وان الأدب واللغة لا يكسبان شيئاً بهم سوى زيادة الجمود إذا كان هذا مكسباً .

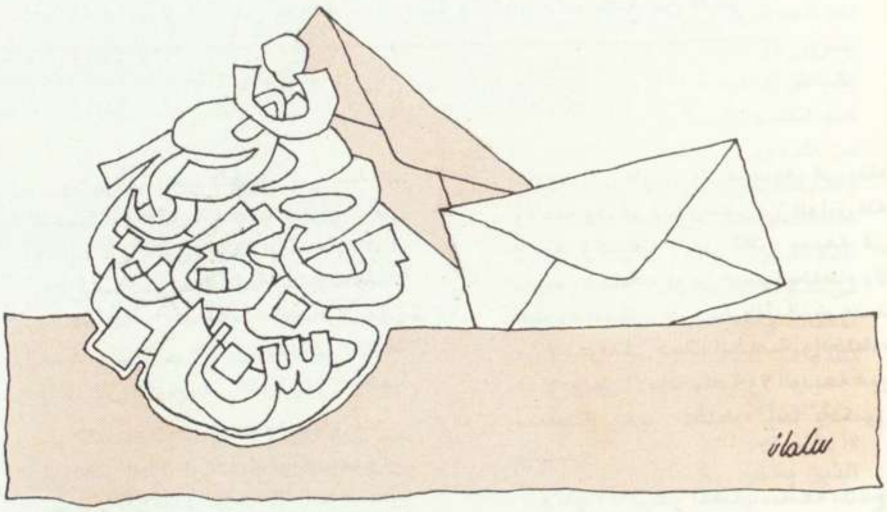
وغير منكور اننا لا نستطيع ان نفكر إلا بالألفاظ . وقد يجىء زمان يستغنى فيه المرء عن الاستعانة بالألفاظ على التفكير بل انا أؤمن بان هذا الزمان لا محالة آت وأن الانسان سيستغنى عن الكتابة والكلام فى نقل ما يدور فى نفسه من المعانى والخواطر والآراء والاحساسات إلى آخر ذلك – إلى نفس اخرى ، ويكتفى بارسال موجات يتلقفها غيره ويترجمها كما ترسل محطات الاذاعة موجاتها فتتلقفها آلات الراديو . ولكن إلى ان يجىء ذلك الزمان الذى يتيسر فيه الاتصال اللاسلكى بين نفوس الأفراد لا يسعنا إلا أن نفكر بواسطة اللفظ . فاللغة لا تزال اداة التفكير الذى لا نعرف له سواها ، فاذا ظلت لغة من اللغات جامدة لا تتغير قوالبها ولا تتجدد ولا يدخل عليها جديد ولا يحدث فيها طريف ولا يؤثر فيها كر العصور ولا يترك فيها مر هذه العصور آثاراً من حياتها فان معنى هذا يكون ان ابناء هذه اللغة يفكرون على نحو ما كان يفكر ابناء زمان متوغل فى القدم فهم يعيشون باجسامهم فى عصر ولكنهم بعقولهم يعيشون فى عصر مضى وانقضى وانقرض واندثر .

وقد يكون العصر الماضى جميلا ولعل كل ما فيه كان حميداً ولكنه زال وجاء غيره بمظاهر حياة واساليب تفكير وآمال ومخاوف وآداب وعادات مختلفة ، فكيف لا يظهر هذا فى لغة الكتابة والكلام ؟ .. وكيف يعقل ان تظل القوالب لا تتجدد ولا تتغير ولا تطرأ عليها زيادة من العصر الحاضر المؤثر بوجوده ؟؟ أيكون ذلك من الكسل ؟ ام هو من ضعف التاثر بهذا العصر ؟ ام ترى الأحياء فيه جثث محنطة لها وجود ولكن ليس فيها حياة ؟

ورأيتنى وانا افكر فى هذا اسال نفسى سؤالا لا يخلو من غرابة « اترانى اشبه أبى ؟ » وضحكت لما قلت ، وقلت بالطبع اشبه أبى ! . ما هذه السخافة ؟ .. وكيف استطيع ألا أشبهه ؟ على انى لم اكن اعنى المشابه العادية التى تكون بين الآباء والبنين فان معمل الطبيعة لا يدعى ما تدعيه مصانع السيارات من إخراج طراز جديد فى كل عام لا شبه له ولا صلة بطراز العام السابق ، وإنما اعنى هل انا احور شيئاً فشيئاً حتى أصبح صورة طبق الاصل من هذا الاب الفاضل ؟ ؟ وناديت زوجتى وسالتها « اين صورة الوالد المحترم ؟ » فقالت : « إيه ؟ .. الوالد المحترم ؟ .. اى والد ؟ » .

فقلت وانا اضحك : « وهل لى غير والد واحد ؟ . إن كنت تعرفين لى غيره فقولى ، ولك الامان ، ورحم الله الوالد والوالدة جميعاً » فقالت : « لا تمزح هذا المزح .. عيب .. وإنك لتعرف انى اسالك عمن تعنى – والدك أم والدى ؟ » فقلت : « كلا . لا حاجة لى بابيك .. ولا بابى ايضاً فى الحقيقة ، ولكنى اريد ان أراجع صورته أو على الأصح أن تراجعيها انت » فجاءت بالصورة وهى غير فاهمة ، فقلت : « تامليها وتامليني . إنهما منظران ليس فيهما سرور لأحد ، ولكن تجلدى .. فهل ترينني مثله ؟ .. هل لو لبست مثل هذه السترة الاستامبولية ، وهذا الطربوش الطرى ، وتركت شاربىّ ينبتان ويطولان ، ويتهدلان ، ودخلت عليك فى ضوء خافت ، تظنينني ابى ، نفض عنه كفنه وخرج من قبره ، أو تحسبينني على الأقل عفريته ؟ » .

فقالت : « لا أدرى لماذا هذه المقارنة ولكنى اقول إن فيك منه مشابهة .. كثيرة .. ولكنك مختلف .. حتى النظرة مختلفة .. نظرته نظرة رجل حليم كريم وديع اما انت .. » فصحت بها : « احترسى ! .. ليست هذه فرصة لبسط لسانك الطويل فى .. » فقالت : « لا .. ولكن الحقيقة ان نظرتك مختلفة .. فيها شىء آخر .. الشبه موجود ولاشك ، والذى يراكما يعرف ، وإن كان لا يعرفكما ، انه لابد أن يكون اخاً اكبر ، او اباً أو جداً ، . على التحقيق .. ولكن هناك اختلافاً لا ادرى كيف أصفه » قلت : « لا تتعبى نفسك .. يكفى انى مختلف .. ولو كان حياً لاستطعت ان اتبين فى اى شىء من الحقائق المطوية نختلف .



الاغتياب

هذا المرض المستعصي من أمراض النفس الإنسانية!



بقلم: عبد الرحمن شكري

كل إنسان من الناس لا يعد الاغتياب اغتياباً إلا إذا كان قد اتى من غيره فى حقه أو فى حق عزيز عنده أو مرضي عنه لديه . أما إذا اتى الاغتياب من غيره وقصد به انتقاص غير عزيز عنده أو مرضي عنه ، أو إذا كان هو الذى يغتاب فانه لا يعد الاغتياب فى هذه الحالات اغتياباً بل يعده مكرمة وفضيلة فيعده انتصاراً للحق وهداية إلى الفضيلة وإظهار النقص ومحاربة للرذيلة وتحذيراً للسامع من الشر .

وهكذا تتغير حقائق الامور حسب أهوائه ، وبذلك يسيطر على ضميره ويخدع ضمائر الناس . فالاغتياب منه فضيلة ليس بعدها فضيلة ، اما من غيره فالاغتياب دليل على لؤم النفس وخساستها . وهو إذا اغتابه احد الناس لم يعد اغتياب المغتاب له فضيلة وهداية إلى الفضل ومحاربة للنقص كما يعد الاغتياب الذى يجيء من نفسه فى حق الناس .

وكثيراً ما يلجا المغتاب إلى اساليب عجيبة كى يقبل اغتيابه فيقول : إنى لا اريد ان انتقص فلانا او ان اذمه فانه رجل فاضل ، ثم يغتابه بما لا يترك له فضلا ولا فضيلة . وقد يمدح عمل الرجل فى صنعته كى يقبل الناس ذمه له فى اخلاقه وذلك لان الفضل فى العمل قد لا يخفى على البصير الحاذق الذى يستطيع ان يزن فضل القول او العمل فى الصنعة او المهنة . اما فضل الاخلاق فاكثره غير مكتوب فى طرس ولا مرصوف فى بناء ولا منحوت فى تمثال حتى يزن الوازن فنه ولونه وحقيقته ، بل اكثره وديعة فى نفوس الخلطاء او من ليسوا بخلطاء ولا عشراء إذا كان المرء معروفاً بالذكر عند من لا يعرفه فى حياته الخاصة . والخلطاء قد لا يؤدون الأمانة وافية ولا الوديعة غير منتقصة وغير الخلطاء إنما يحكمون بالصدى .

وكثيراً ما يرشو المغتاب سامعه بالمدح

إذا كانت إثارة شره وحقده على من يعرفه او لا يعرفه تحتاج إلى مدح المغتاب لسامعه الذى يريد إثارة شره، او قد يهدد المغتاب سامعه بالذم إذا لم يقبل ان يستثار شره وحقده على ذلك الغائب الذى يغتابه المغتاب، وقلما يجرؤ احد الناس إذا سمع ذما لغائب او شبه غائب على رفض الذم وتزكية المذموم خشية ان يعد الناس مدحه للمذموم مشاركة له فى نقصه الذى ذم به، فترى اكثر الناس إلا من ندر إذا اغتاب إنسان إنسانا يسرعون إلى إظهار تصديقهم قوله خشية ان يعدوا مشاركين للغائب المذموم إذا كذبوا مغتابه. وهم يسرعون إلى هذا التصديق وإن كانوا من اهل الخير، وإن كانوا من ابعد الناس عن التلذذ بالحقد من غير سبب للحقد، وإنما يصدقون المغتاب وقاية لانفسهم، وكل إنسان به شىء قليل او اكثر من الجبن او الخوف او الحذر فيخاف إذا لم يعاون المغتاب على اغتياب الغائب – واقل المعاونة المعاونة بالسكوت والانصات والابتسام والاقبال – ان يعد مشاركا للغائب فيما اغتيب به. وإذا كان هذا شان اهل الخير فما ظنك بغيرهم من الناس.

واكثر الناس يجدون فى انفسهم لذة ومسرة – إما قليلة تكاد تكون خفية غير ملحوظة وإما لذة عظيمة – إذا سمعوا ذما لانسان. واقل اسباب هذه اللذة واطهرها ان الذم لم يقع بهم بل بغيرهم فيسرون لنجاتهم من الذم بوقوع الذم بغيرهم كما يسرون من اجل ان ذم غيرهم بالحق او بالباطل إذا سمعوه او قالوه يزيدهم عظمة عند انفسهم فيشعرون انهم صاروا اعظم من المذموم حتى ولو كان ذمه بالباطل، فالذم كالجمر كل يريد ان يلقيه على غيره. فاذا احس السامع فى نفسه انه احق بذلك الذم الذى اغتاب به المغتاب غائبا اسرع فى معاونة المغتاب على الغيبة كيلا يفطن المغتاب وكيلا يلحظ من عينيه انه احق بالذم من الغائب.

ومن اجل ذلك يكون الاغتياب اشيع ما يكون بين اهل النقص الحقيقين بالذم الذين يخفون من اسرار انفسهم ما هو حقيق بالذم فيرتعدون خوفا من ظهوره فيندفعون إلى الغيبة من الخوف، كما قد يقبل الارنب من خوف إلى الثعبان، او كما قد يقبل الهر من خوف إلى الاسد. وهم قد يندفعون فى نقصهم ويهونون على انفسهم النقص بذلك.

وقد يصرح المغتاب للسامع بالتهديد ولا يكتفى بالتلميح فى تهديده فيقول: لا يدافع عن اهل الرذيلة إلا من كان من اهل الرذيلة، فيسرع السامع إلى تصديق المغتاب، وربما صار من خوفه اشد شرها فى الاغتياب من ذلك المغتاب الذى هدده إذا لم يقبل منه قوله.

وقد تجتمع فى نفس السامع اسباب الاغتياب كلها، بل إن الخوف من مشاركة الغائب المهجو فى الذم قد يجعله السامع عذرا لنفسه إذا وجد لذة فى الشر والانتقاص، وإيقاع الاذى بغيره بمعاونة المغتاب، فبعد ان يكون قبوله الاغتياب والمعاونة عليه خوفا يصبح القبول وتصبح المعاونة لذة فى إيقاع الاذى وتعاظما بانتقاص غيره، فترى ان اقل اسباب قبول الغيبة إثما واطهرها شكلا يسوق النفس إلى اكثر اسباب قبول الاغتياب والمعاونة عليه إثما، وإلى اخبثها اصلا فى النفس. وهذا من عجائب النفس الانسانية التى فى اول امرها قد تتحرج من اقل الخبث والشر، فاذا قبلته مكرهة كارهة قد لا تتحرج فى ان تجد لذة فى اشد الشر والخبث.

والخوف من مشاركة المذموم فى الذم سنة عامة قد تتخذ شكلا مضحكا. فقد ترى جماعة من الناس يتحدثون فى مودة وصفاء ثم يرون على قرب منهم اثنين يتضاحكان، وقد يكون تضاحكهما لامر لا صلة له بهم، ولعل ذكرهم لم يمر على لسان المتضاحكين، ولكن شدة الذعر من السخر والذم قد توهم تلك الجماعة التى تتحدث فى مودة وصفاء ان تضاحك المتضاحكين منهم او من احدهم فيبتسم كل منهم كى يوهم اصحابه وجلساءه انه واثق فى سريرة نفسه انه غير مقصود بضحك المتضاحكين. وقد يكون ابتسامه مخلوطا فى شكله بمظاهر الخوف والارتياب، فيتخذ ابتسامه شكلا مضحكا حقا. اما إذا استطاع ان يخفى ما فى سريرة نفسه من الارتياب والخوف فانه يقنع جلساءه ان تضاحك المتضاحكين على مقربة منهم ليس سخرا به بل باحدهم وقد ينظر مبتسما إلى جليس كى يوهم جلساءه ان المتضاحكين إنما يسخران بهذا الجليس الذى ينظر إليه فهو يتوقى السخر الموهوم بالصاقه بجليسه كى يقي نفسه من ان يظن موضوع اغتياب المتضاحكين. وهذه ظاهرة مشاهدة فى الناس وقد قال احد الادباء الماكرين:

إذا رايت إنسانا فى جماعة على مقربة منك وارتبت فى انه يغتابك فما عليك إلا ان تختار صديقا او جليسا يجيد الضحك ثم حدثه حديث فكاهة يثير ضحكه ولا علاقة لحديثك بالانسان الذى ترتاب فى انه يغتابك فاذا اكثرتما من الضحك وجعلت تنظر إليه اثناء الحديث والضحك ارتاب ذلك الانسان ايضا فى انك تذكره بسوء. بل قد ينذعر بعض جلسائه خشية ان يكون هو المقصود بالضحك فينصرفون عنه، وقد يسعون إليك مبتسمين إذا كانوا يعرفونك كى يوهم كل منهم الآخر انه واثق فى سريرة نفسه انه ليس مدعاة للسخر والضحك، وإنما يكون انفضاضهم عن ذلك الانسان على صوت ضحككما كانفضاض قوم عند سماع صوت انطلاق قذيفة من مدفع غير معبا بما يميت.

وهذه الحيلة ليست من مكارم الاخلاق وربما الجا إليها الظن المخطىء، وربما لا تستطاع إلا بشىء من الصفاقة لا يملكه كل إنسان ولكنها على اى حال من اخلاق الناس ومشاهد الحياة.

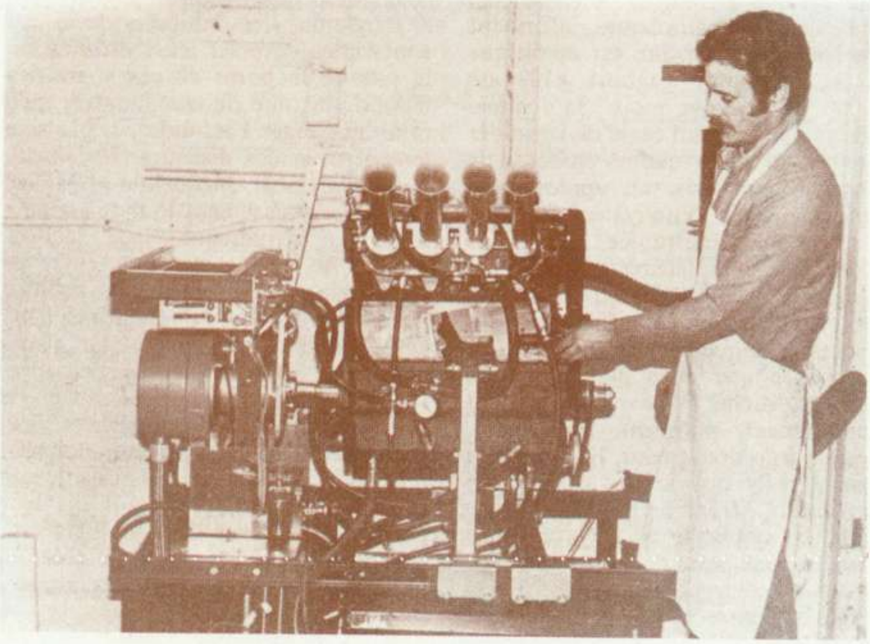
والمغتاب الذى لا يستطيع الناس ان يجدوا سببا لحقده على من يغتابه اكثر المغتابين نجاحا فى الاغتياب، ومن اجل ذلك يحاول المغتاب الماكر ان يخفي سبب حقده وكرهه، وقد يكون السبب بطبعه بعيدا عن الاذهان، وقد يكون المغتاب نفسه غير فاهم سبب حقده الذى يخامر نفسه كل الفهم، واخلق بهذا السبب الا يفهمه الناس إذا كان صاحبه لا يفهمه.

عبد الرحمن شكرى
١٩٣٩

العلم والمستقبل

تقديم: لبنى الريدي

محرك للسيارة من البلاستيك



هذا المحرك صنع من البلاستيك

يمثل الوزن العدو الأول لمصممي السيارات ولذلك فهم يحاولون استبدال استخدام المواد المعدنية الثقيلة باخرى بلاستيكية . وكانت صناعة السيارات قد استخدمت هذه المواد البديلة فى الهيكل الخارجى فقط ولكن لأول مرة تدخل المواد البلاستيكية فى صنع محرك السيارة .

ففى احدى ورش نيوجرسى بالولايات المتحدة تجرى تجربة اغرب محرك سيارة مصنوع من البلاستيك فهو محرك أربعة سيلندر سعته ١٩٩٢ سنتيمتر مكعب . ويستعد مبتكره لاستعماله فى احدى سيارات السباق تمهيداً لاستخدامه بعد ذلك فى السيارات العادية . ويزن هذا المحرك البلاستيكى ٨٠ كيلو جراما فقط أى نصف وزن أى محرك تقليدى مصنوع بالكامل من المواد المعدنية .

ويتكون هذا النموذج من ٩٠٪ من مواد مركبة مثل الياف الكربون والياف الزجاج وبعض المواد البلاستيكية الأخرى . ويتميز هذا المحرك بالاضافة الى خفة وزنه بانه يحدث ضوضاء اقل بنسبة ٣٠٪ فالرنين من البلاستيك اقل بكثير منه من المعادن . وتبلغ قوة المحرك الجديد ٣١٨ حصانا محققا ١٤٠٠ لفة فى الدقيقة .

ولكن يعيب هذا المحرك ان البلاستيك من المواد التى لا تقاوم الحرارة العالية التى تصل الى ١٥٠٠ درجة مئوية فى غرفة الاحتراق والى ٥٠٠ درجة مئوية فى مجمع غاز العادم مما يهدد بانصهاره . وبالتالى فهو يحتاج الى نظام تبريد ضخم . اما المشكلة الثانية التى تواجه تصنيع مثل هذا المحرك بشكل تجارى،ان تجمعه لا يتم إلا يدوياً .

ولذلك فبالرغم من تشجيع صناع السيارات الأمريكية لهذا المحرك فان الفرنسيين واليابانيين يبدون تشككهم فى قدرته ويفضلون استخدام السيراميك على البلاستيك .

الكمبيوتر والهويّة الصحية



وضع الباحثون والأطباء فى المركز القومى الأمريكى للصحة نظاما متكاملا لتقييم الحالة الصحية لأى شخص . ويلعب الكمبيوتر الدور الرئيسى فى هذا التقييم .

يبدأ النظام بان يملأ الشخص استمارة بها أسئلة عن عاداته الحياتية وعن حالته الصحية العامة والتاريخ الصحى لأسرته ثم يتولى الكمبيوتر الباقى . فيقوم بحساب عمره الظاهرى اى العمر الذى تحدده عدة ثوابت طبية وصحية . ويخرج له الجهاز هوية فسيولوجية تمثل تشخيصا حقيقيا لحالته الصحية ؛ فهو يستطيع اكتشاف أن الجسم يبدو اكبر من السن المسجل فى شهادة الميلاد بخمس سنوات مثلا .

كما يحدد الكمبيوتر احتمالات الأمراض التى قد يتعرض لها صاحب الاستمارة ، وهى ١٢ احتمالا مثل التهاب المفاصل وتليف الكبد والأزمة القلبية الخ ..

ويصاحب تقييم الكمبيوتر بعض النصائح الصحية التى تساعد على كسب بعض السنوات كما يطالبه بتغيير العادات غير الصحية مع توضيح السبيل الى ذلك .



مولد كهربى للقلب

مولّد إلكتروني للقلب

يساعد منظم القلب الاف المرضى الذين يعانون من اضطراب دقات القلب وانخفاض عددها عن المعدل الطبيعى بحيث استطاعوا ان يعيشوا حياة طبيعية وخلال السنوات الثلاث الأخيرة اجرى الباحثون الامريكيون تجارب ناجحة على مولد الكترونى متطور يتم زرعه جراحيا فى صدر المريض . ويمثل الجهاز الجديد انقاذاً لحياة المرضى المعرضين للاصابة بازمات قلبية فهو يقوم اتوماتيكيا بعمل جهاز الصدمات الكهربية الذى يثبته رجال الاسعاف على صدر المريض عند حدوث أزمة قلبية .

ولا يزيد حجم هذا المولد الاتوماتيكى عن حجم الكف ، ويزرع اعلى بطن المريض وبحيث يمتد منه قطبان الى القلب . وترصد هذه الأقطاب اى اضطراب خطير فى دقات القلب ليقوم مولد النبضات بارسال مجموعة سريعة من الصدمات الكهربية التى تدفع القلب مرة اخرى الى ايقاعه الطبيعى وبالتالى يتم تفادى حدوث أزمة قلبية قد تودى بحياة المريض .

وبتجربة هذا الجهاز على خمسين مريضاً ، انخفضت نسبة الوفيات المتوقعة من ٦٠٪ الى ٢٠٪ .

ويعتقد الأطباء ان الجمع بين هذا الجهاز ومنظم القلب سوف يؤمن للمريض ما يحافظ على عمل القلب بشكل طبيعى لحظة بلحظة ، ويتدخل بعلاج حاسم فى لحظات الخطر .

الجامعة الإلكترونية

يعتبر العلماء الكمبيوتر آلة تعليمية ويتمنون اليوم الذى ينتشر فيه استخدام الكمبيوتر فى الجامعات . ولذلك فكر فريق منهم فى اقامة أول جامعة الكترونية .

وتم فى الشهر الماضى تصميم نظام للتعليم عن بعد والشبكة الخاصة به . ويتضمن هذا النظام ١٧٠ برنامجاً دراسياً من برامج الجامعة . ويستطيع الالتحاق بهذه الجامعة اى مواطن فى الولايات المتحدة شريطة ان يكون لديه جهاز كمبيوتر وجهاز تليفون .

ويستطيع الطالب استقبال الدروس والامتحانات فى بيته مباشرة وفى مختلف فروع العلم ابتداء من أصول الموسيقى الى إدارة الأعمال والمحاسبة ، مروراً بعلوم البحار . ويعمل هذا النظام ٢٤ ساعة فى اليوم . وبامكان الطالب اذا استخدم تقنيات البريد الالكتروني الاتصال بالمدرسين الذين يستخدمهم نظام التعليم عن بعد .

ويتميز هذا النظام بان جهاز الاتصال الخاص به يعمل على ادخال المعلومات مباشرة الى ذاكرة الكمبيوتر الشخصى فى منزل الطالب وبالتالى يستبعد الاتصالات الهاتفية الطويلة والمكلفة التى يتطلبها نظام خدمات بنوك المعلومات .ويتيح هذا النظام للطالب تشغيل الجهاز لاستقبال ودراسة الدروس دون الحاجة الى الالمام بلغة من لغات البرمجة الخاصة بالكمبيوتر .

عندما يركع الباص

فى السنوات الأخيرة زودت وسائل النقل العامة فى الدول المتقدمة بمنصات هيدروليكية لتسهيل عملية الصعود والنزول للمعوقين الذين يستخدمون المقعد المتحرك . وفى هذا المجال ابتكرت احدى الشركات الأمريكية باصاً جديداً مزوداً بنظام نوابض يمكنه من خفض جسم السيارة ككل لتصل الى مستوى رصيف المحطة بحيث يستطيع المقعد الصعود أو الهبوط بسهولة اكبر . ولكى يركع هذا الباص وضعت اكياس هواء بين محور العجلات وهيكل الباص . وعندما يتوقف السائق عند رصيف المحطة يضغط على ازرار ليفرغ اكياس الهواء بحيث ينخفض ارتفاع الباب الخلفى ليصبح اعلى من الشارع بثلاث بوصات فقط ، أما الباب الأمامى فلا يتجاوز ارتفاعه سبع بوصات .

وتنتفخ اكياس الهواء مرة اخرى عند استعداد الباص للتحرك ، ويرتفع جسم الباص الى مستواه العادى وهو ١٢ بوصة وسوف يتم تصنيعه مع بداية الربيع القادم .

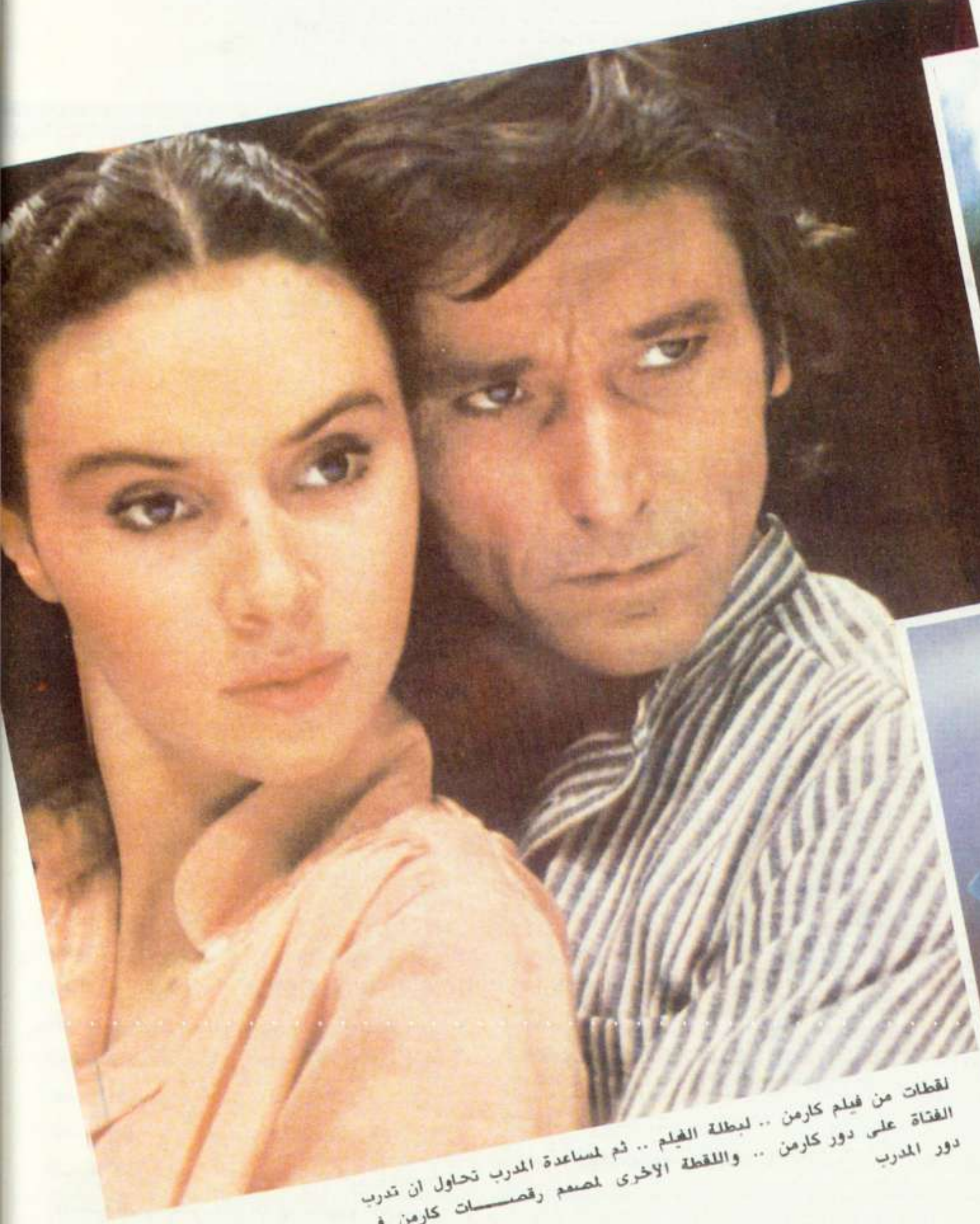
شكل جديد للآلة الكاتبة



الآلة الكاتبة الجديدة

اذا كان عملك يضطرك الى استخدام الآلة الكاتبة بينما انت لا تحب استعمال لوحة مفاتيحها فاننا نقدم لك هذا الشكل الجديد للآلة الكاتبة . فهى لا تضم سوى خمسة مفاتيح للكتابة ومفتاحين للتشغيل . وروعي فى تصميمها ان يكون توزيع هذه المفاتيح متماشيا مع شكل اليد بحيث لا تتطلب الكتابة عليها سوى استخدام يد واحدة فقط . وتعطى هذه المفاتيح الخمسة كل ما تحتاجه من تركيبات للكتابة . فمخترع هذه الآلة الكاتبة نسخ عليها رواية كان قد الفها .

كما لا تحتاج الى تدريب طويل لاستخدامها ،اذ يكفى ساعتين فقط لتعلم كيفية استعمالها . ويمكنك اصطحابها الى كل مكان تذهب اليه فهى تعمل بالبطارية . وهى مزودة بنافذة لمتابعة ما تكتب،ويمكن توصيلها ايضاً بجهاز كمبيوتر وبشاشة تليفزيونية .







لقطات من فيلم كارمن .. لبطلة الفيلم .. ثم لمساعدة المدرب تحاول ان تدرب الفتاة على دور كارمن .. واللقطة الاخرى لمصمم رقصـــات كارمن فى دور المدرب

سينما

دعوة لالتقاط الأنفاس مع الأفلام الموسيقية

رءوف توفـــيق

تظل كلاسيكيات الأوبرا .. رصيداً خصباً وموحياً لكل عشاق الفن ، الباحثين عن الاصالة والمتعة .

وفى زحام الحياة المعاصرة .. وتناقضات السياسة .. وطرقعة السلاح .. وأصداء التهديدات والتحذيرات .. ومرارة الأزمات والانهيارات .. لم يكن غريباً - هذا العام - أن يلجأ أربعة من كبار مخرجى السينما فى العالم ، الى حضن الأوبرات التى عاشت على مر الأجيال .. وكانهم يحتمون بداخلها من قسوة الواقع ، وتلاحق الأحداث .. وفى نفس الوقت ، يجددون أنفسهم .. ويبعثون الجمال على الشاشة .. ربما ليغسلوا عيون المتفرجين من مشاهد العنف والدم والشذوذ ، التى امتلأت بها أغلب الأفلام أخيراً ! .



أزياء العصر الذى جرت فيه احداث الأوبرا الشهيرة



أعاد المخرج الايطالى فى فيلمه الزمن إلى الوراء فى الملابس والديكورات



المجموعات الضخمة التى استخدمت فى هذا العمل السينمائى الكبير



« كارمن » ذات الرداء الاحمر .. كما تخيلها المخرج

إن التزواج الصعب بين فن الاوبرا وفن السينما .. مسالة صعبة ودقيقة ، لم يجرؤ على خوضها الا عدد قليل من المخرجين الذين تمكنوا من أدواتهم السينمائية .

واستطاعوا أن يفجروا ملامح الجمال والقوة فى هذه الأوبرات .. من هؤلاء المخرجين ،السويدى « انجمار برجمان » فى فيلم « غناء الفلوت » ، والانجليزى « جوزيف لوزى » فى فيلم « دون جيوفانى » والالمانى « هانز سيبربرج » فى فيلم « بارسيغال » الذى قدم هذه الاوبرا لريتشارد فاجنر فى فيلم مدته أربع ساعات وثلث ساعة !

وربما كان انجح هذه المحاولات جماهيريا هو فيلم « دون جيوفانى » للمخرج الذى عرفته السينما الانجليزية والامريكية ، واحداً من أشهر المخرجين الذين عالجوا فى أفلامهم ظاهرة العنف والعلاقات الانسانية المعقدة بالمجتمعات الحديثة .

وفى اوائل هذا العام ـ ٨٣ ـ قدم المخرج الايطالى الشهير « زيفاريللى » أوبرا « لا ترافياتا » فى فيلم يحمل نفس العنوان .. ويتدفق بالحيوية والجمال والثراء الفنى .. حيث تتابع الصورة فى ايقاع ناعم وسريع ، مستفيدة من كل امكانيات الشاشة العريضة . واحدث نظام للصوت المجسم .. وهكذا تتلاقى المتعة البصرية مع المتعة السمعية فى لحظات من الفن الخالص الذى يسمو بالمشاعر ..

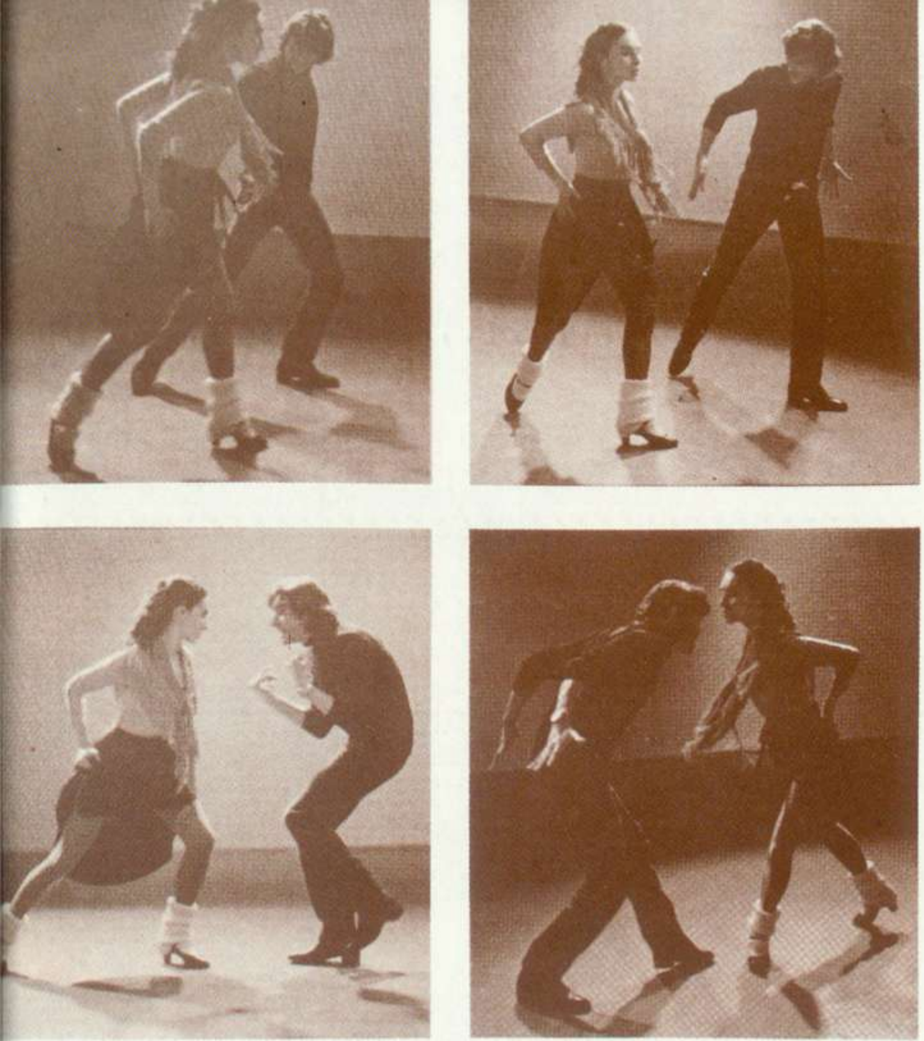
تعويذة الحظ

ولكن يبدو أن أوبرا « كارمن » هى تعويذة الحظ .. فى السينما هذا العام ..

دعوة لالتقاط الأنفاس مع الأفلام الموسيقية



المدرب يعطى تعليمـــاته للراقصين



المدرب والراقصة التى تلعب دور كارمن فى لقطات متتابعه

فقد قدم المخرج الاسبانى « كارلوس ساورا » هذه الأوبرا فى مزج رائع ومدهش مع الرقص والايقاع الاسبانى فى فيلم يحمل نفس الاسم « كارمن » .. وحصـل هذا الفيلم على جائزة احسن اسهام فنى من لجنة التحكيم فى مهرجان « كان » هذا العام .. وايضاً على الجائزة الكبرى للجنة الفنية العليا للسينما الفرنسية .

ثم قدم المخرج الفرنسى الكبير « جان لوك جودار » فيلماً استعرض قصته من اوبرا كارمن وتدور احداثه فى الزمن المعاصر .. ولكن على موسيقى بيتهوفن ..

واختار لفيلمه عنوان « اسم الشهرة .. كارمن » .. وحصل الفيلم على الجائزة الكبرى لمهرجان فينيسيا هذا العام .

واخيراً .. انتهى المخـــــرج الايطالى « فرانشيسكو روزى » من تصوير احـدث افلامه « كارمن » .. مجسداً احداث الاوبرا فى عمل سينمائى ضخم ، كل التوقعات تتنبىء بانه سيكون واحداً من أهم افلام عام ٨٤ .

ما هو سر « كارمن » ؟

وهذا التهافت الواضح على اوبرا كارمن .. لابد ان يثير تساؤلا لماذا هذه الأوبرا بالذات التى توقف عندها كبار مخرجى السينما ؟ فكلنا نعرف ان السينما العالمية والأمريكية بالذات ، قدمت عدة معالجات ماخوذة عن اوبرا كارمن ، وهذه الافلام كانت على مستوى جيد رشحها لأن تصبح من كلاسيكيات السينما التى لاتنسى .. اى ان « الموضوع » لم يعد جديداً لكى يفكر احد فى اعادة تقديمه مرة اخرى .. وخصوصا فى سنوات الثمانينات التى تشهد قمة الصراع بين الدول الكبرى .. وقمة الماساة بين الدول الصغرى . !

ولكن .. ربما لهذا السبب بالذات .. تعود « كارمن » لتلح على التفكير .. لما تميزت به من خطوط واضحة ومحددة عن الحب والغيرة والشهوة والموت .. وكما يقول المخرج الاسبانى « كارلوس ساورا » ، — « ان قصة كارمن هى قصة تسلط فكرة ما ، واستحواذها على الفرد لتتحكم فى كل مشاعره وتصرفاته .. إنها قصة عاطفة مستبدة .. وهى القصة الخالدة للحب والكراهية » . !

كارمن .. فى الأوبرا

وأوبرا كارمن .. كتبها « بروسبر ميريميه » وصاغ موسيقاها جورج بيزيه (عام ١٨٧٥) .. وتحكى عن هذه الفتاة المتدفقة بالحيوية والجمال والتى تعمل فى مصنع للسجائر .. وتقع فى حب ضابط شاب (دى جوزيه) الذى تحبه امراة اخرى .. وتشتعل معركة بين كارمن واحدى زميلاتها فى المصنع وتتسبب كارمن فى اصابتها بوجهها .. ويأتى الضابط (دى جوزيه) ليلقى القبض عليها ولكنها تنتهز الفرصة لاغرائه .. وتنجح فى الايقاع به .. فيفك قيدها .. وتهرب ضاحكة .. ويلقى (جوزيه) عقابه شهراً بالسجن لتمكينه (كارمن) من الفرار ! .

وتعيش هى لاهية ترقص وتغنى .. ويخرج (جوزيه) من السجن وقد غرق لاذنيه فى حب كارمن .. ترقص له ويمتلىء بالنشوة والرغبة فى امتلاكها .. ويترك



« لاترافياتا » الأوبرا التى اختارها المخرج الايطالى « زيفاريللى » لكى يحولها الى فيلم سينمائى

نفسه منجذباً لها ومع عالمها .. ولا يفيق الا مع أمر استدعاء من السلطة للعودة الى الخدمة العسكرية ويضطر للاذعان للامر .. بينما كارمن تعلن غضبها عليه لانه تركها وتشهر ضده سلاح الغيرة .. فهى دائماً ما تستفزه بصديقها الجديد (اسكاميلو) الذى يشتبك فى معركة معه ويكاد يقتل فيها .. ومرة اخرى يضطر (جوزيه) للابتعاد عنها لزيارة امه التى على وشك الموت والتى ارسلت فى طلب رؤيته ..

ويذهب (جوزيه) تمزقه الغيرة .. متوعداً كارمن بانه سيكون هناك لقاء بينهما لتصفية الموقف .

وفى الفصل الرابع من الأوبرا نصل الى ذروة الصدام .. حينما يعود (جوزيه) ليجد كارمن ترقص مع (اسكاميلو) وصديقاتها يحذرنها من رد الفعل المتوقع من (جوزيه) .. وهى لا تبالى .. وتواصل استفزازاتها بشكل واضح .. ويواجهها (جوزيه) بكل الحب الذى يحمله لها ويعدها بحياة جديدة بعيداً عن هذه الأماكن .. ولكنها ترفض وتعلق،انها لم تعد تحبه .. وتتجه الى اسكاميلو .. ويعترض طريقها ليمنعها من الذهاب .. فتصرخ فيه :

« إما أن تجعلنى اذهب .. لو تقتلنى » .. فيشتط به الغضب والعذاب .. فيقتلها .. وتسقط تحت قدميه .. وينهار هو بجوارها .

كانت هذه هى الخطوط العريضة لأوبرا كارمن .. فكيف تحولت اخيراً إلى السينما ؟ ..

فى السينما الأسبانية

المخرج الاسبانى « كارلوس ساورا » الذى يعتبر اهم واشهر مخرج فى السينما الأسبانية ، والذى وضع اسم السينما فى بلاده على خريطة السينما العالمية .. يحكى كيف كان يتصور « كارمن » .. وكيف أعاد تقديمها على الشاشة .. فيقول :

« عندما كنت صغيراً .. كان لأسم كارمن وقع خاص بالنسبة لي .. اننى كنت صغيراً اتصورها دائماً ، امرأة جميلة من الاندلس شعرها أسود ، شفتاها ممتلئتان ، عيونها سوداء كعيون الغزال .. كانت « كارمن » فى خيالى ــ أيام المدرسة ــ فتاة جميلة تعتمد على نفسها .. اما الآن فقد اصبحت بالنسبة لى .. امراة ناضجة واسطورة عالمية » ..

ثم يقول : « انها قصة لها جذور من الواقع .. ولا يمكن تصورها الا من خلال مجتمع البحر الأبيض المتوسط وجوه » .

ولهذا فقد برع « كارلوس ساورا » فى ان يجسد شخصيات القصة مليئة بالانفعالات الحادة .. تتدفق فى سخونة وحيوية .. ومزج بين موسيقى « بيزيه » وموسيقى الفلامنكو وايقاعات الرقص الهادرة المشحونة بالقوة والعذوبة .. واختار ان يصوغ احداث القصة فى شكل فرقة رقص تستعد لتقديم اوبرا كارمن .. وتدور الأحداث كلها فى صالة بروفات بمبنى حديث .. وليس أمامنا من ديكورات .. سوى مجموعة من المرايا الضخمة بطول الحوائط وعرضها .. وخشبة مسرح .. وبعض الستائر القليلة فى الخلفية .. ومجموعة من المقاعد والموائد الخشبية ..

ومن هذا المكان البسيط للغاية .. قدم المخرج حركة كاميرا بارعة بحيث لا تتكرر لقطة من زاوية واحدة .. وبحيث تصبح انفعالات ورقصات الممثلين فى بؤرة العين ولا تشتتها اية زخارف او مكملات جانبية .. وهكذا يتحول هذا المكان الضيق الى عالم رحب من الالوان والحركة والتدفق والنشوة

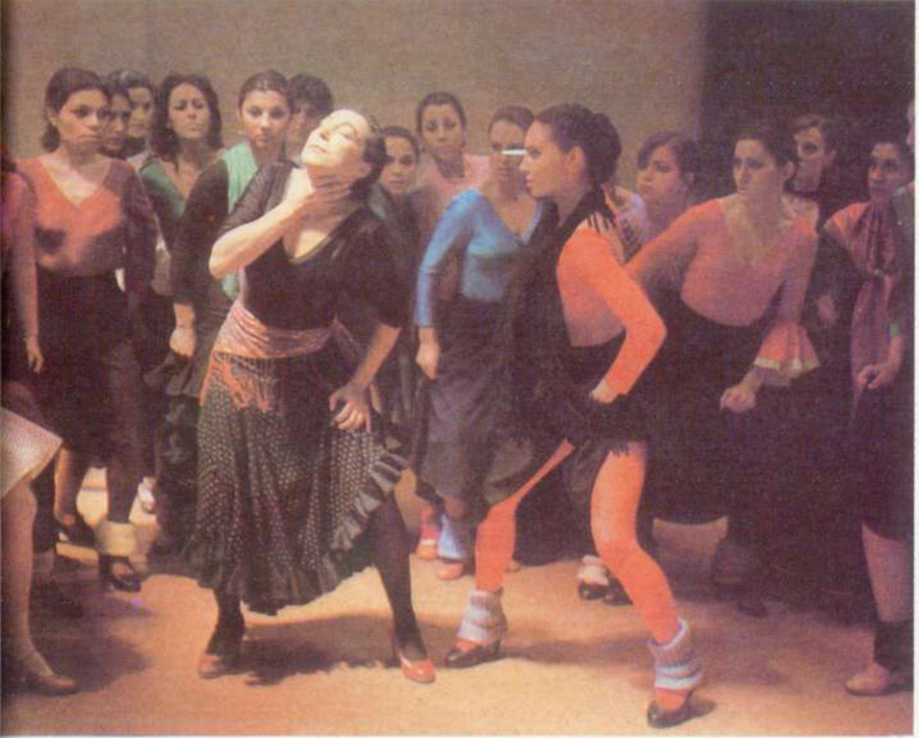
واعترف اننى تمنيت أن أشاهد هذا الفيلم أكثر من مرة .. فقد كانت سعادتى به لا توصف .. فهذا نموذج الفن السينمائى الخالص الذى لا يعتمد على الابهار التكنولوجى .. وانما على قوة الاقناع .. وتفجير الجمال من ابسط الأشياء التى نراها ونتعامل معها كل يوم .. والقدرة على قيادة الممثلين والتحكم فى الايقاع بنسب محسوبة بدقة ، حتى تتواصل الشحنات دون تكرار أو افتعال .. وأيضاً دون ارهاق للمشاهد ..

وقد خرجت من دار العرض .. وانا اشعر اننى اخف وزناً .. واكثر صفاءاً وحيوية .. واكثر قدرة على العمل واحتمال سخافات الحياة . !

ان الفن الجيد .. يجدد فينا الأمل ويغسل مشاعرنا ويزيل عنها الصدأ .

التصرف فى النص الأصلى

وقد تصرف المخرج الاسبانى « كارلوس ساورا » فى القصة الأصلية لأوبرا كارمن .. وجعل علاقة الحب تنشا بين مدرب الرقص فى هذه الفرقة ، والراقصة التى اختارها لتقوم بدور « كارمن » .. فهذه الراقصة المتدفقة بالشباب والحيوية .. ذات العيون



كارمن فى مشاجرة مع احدى زميلاتها فى المصنع

دعوة لالتقاط الأنفاس مع الأفلام الموسيقية

السوداء .. فتاة تعيش ليومها .. كانت ترقص فى احدى الفرق الصغيرة بمدريد وذهب اليها المدرب ضمن جولة واسعة لاختيار الفتاة التى تستطيع أن تعبر عن كارمن فى شكلها وشخصيتها .. وعندما راها .. قدم لها نسخة من كتاب يحكى عن كارمن وطلب منها ان تقرؤه وتستوعبه جيداً .. وامسكت هى الكتاب بعدم اهتمام واضح .. فهى تستطيع ان ترقص ولا داعى للقراءة .. ولكنه اراد ان يجعلها تعيش الدور كاملا .. حتى عندما وقفت امامه لترقص .. صرخ فيها مؤنبا ومحذراً .. « لا تنظرى الى . ولكن ارقصى وتحركى مع الموسيقى . تخلصى من شخصيتك .. وتقمصى كارمن »

ولأن المدرب يعتبر هذا العمل جزءاً منا .. وهذا الاختيار مسئوليته .. فقد لجا الى مساعدته لتقف معه ، وتضع هذه الراقصة الجديدة فى القالب المطلوب .. واندهشت المساعدة لرجائه .. وقالت وهى تنظر للراقصة بعدم ترحيب : « ولماذا هى بالذات .. هناك راقصات احسن منها بكثير » ؟ « رد المدرب باقتناع كامل » : « ولكن ليس هناك من يستطيع ان يعبر عن كارمن مثلها .. ان بها شيئا غير موجود فى بقية الفتيات » !

هى فتاة برية .. عفية .. واثقة من نفسها .. حركاتها وخطواتها فيها القوة والأنوثة .. واحبها المدرب .. واحبته هى كما احبت غيره ! .

وبعد احدى البروفات يلمحها وهى مع راقص فى حجرة الملابس .. ويشتد غضبه وغيرته .. يطرد الراقص .. ويواجهها بعنف .. فتصرخ فيه « اننى لم احبك » ويتوسل اليها « اننى اريدك لى انا .. اننى احبك » .

انها نفس الفكرة الأساسية التى قامت عليها اوبرا « كارمن » .. ولكن مع اختلاف الظروف والشخصيات .. وينتهى الفيلم بالمواجهة بين المدرب وغريمه الراقص بالفرقة .. واصوات الغناء تردد « الحب والغيرة من عائلة واحدة » ويقتل المدرب





كارمن كما تخيلها مؤلف الاوبرا « بروسبر ميريميه » ورسمها بريشته بالالوان المائيـــة .. لوحة من محفوظات اوبرا باريس .. ثم لقطــــة من فيلم كارمن للمخرج الايطـــالى

غريمه وتسود لحظات صمت ثقيلة .. ثم نسمع اصوات تصفيق .. فلم تكن هذه المواجهة .. الا جزءاً من البروفة .. وهكذا يمتزج الواقع بالخيال .. ولكنه خيال فيه جزء كبير من الواقع !

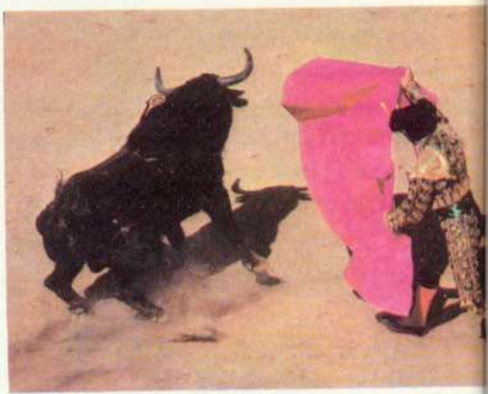
وقد لعب دور المدرب « انتونيو جاديس » .. وهو الذى صمم رقصات الفيلم .. وشارك فى صنع هذا العمل الفنى منذ بدايته .. وهو الفنان الاسبانى الشهير الذى اصبح مسئولا عن الباليه القومى الاسبانى .. وقد شارك المخرج « كارلوس ساورا » فى فيلمه السابق « عرس الدم » الماخوذ عن مسرحية « لوركا » .. وكان بداية للتحول الفنى الملحوظ للمخرج « ساورا » واتجاهه الى تقديم المعالجات الموسيقية الراقصة ، لاشهر الاعمال المسرحية ، وتحويلها الى افلام لها المذاق الأسبانى المتميز فى الرقص والغناء ..

مع مخرج الافلام السياسية

اما المخرج الايطالى « فرانشيسكو روزى » فهو عندما فكر فى تقديم كارمن فى فيلم سينمائى .. فقد احتفظ بكل احداث



هكذا تبدو براعة التكوين واختيار الألوان والملابس والغنـــاء الديكور تمامـــا فى فيـلم كارمن للمخـــرج « كارلوس ســاورا »



احدى لقطات مصارعة الثيران



المخرج اثناء التصوير

الأوبرا وتفاصيلها .. واعاد تقديمها مرة اخرى على الشاشة من خلال تصويرها فى اماكن شبيهة تماما بالأماكن التى وقعت فيها .. وقد استدعى هذا ان يعيد الزمن الى الوراء فى الملابس والديكورات .. وفى عزل اماكن التصوير داخل مدينة « روندا » الأسبانية .. واستعان المخرج بقوات الشرطة ، لتمنع مرور السيارات من الاقتراب من اماكن التصوير ، وكذلك منع مجموعات السياح ، حتى يحتفظ للمكان بالزمن القديم .. وتمت اعادة شق طرق داخل الجبال ، لتمر فيها العربات التى تجرها الخيول .



مدينة روندا الاسبانية

وقد كان مثيراً للدهشة ، ان يفكر مخرج مثل « فرانشيسكو روزى » فى هذه النوعية من الأفلام الموسيقية .. وهو المخرج الذى عرفته السينما الايطالية ، صاحب الأفلام السياسية الهامة .. مثل : « الأيدى فوق المدينة » عام ٦٣ ـ « قضية ماتيه » عام ٧٢ ـ « جثث لذيذة » عام ٧٥ ـ « الذى توقف فى ايبولى » عام ٧٨ ـ « الأخوة الثلاثة » عام ٨٠ .

اعترافات المخرج

ويجيب المخرج « فرانشيسكو روزى » ـ ٦١ عاماً ـ على هذا التساؤل بقـــوله : « راودنى دائماً احساس قوى باننى ساقدم فيلماً موسيقياً يوماً ما .. ذلك لأن الموسيقى تشكل جزءاً هاماً من تكوينى النفسى .. وعندما عرض على اخراج فيلم عن اوبرا « كارمن » .. تاكدت ان هذه الأوبرا هى الفريدة من نوعها والتى تحتمل معالجتها سينمائيا .. انها رائعة « بيزيه » .. وقـد اصابتنى هذه التجربة بالرعب فى البداية

.. ثم قررت ان اقدمها بنفس اسلوبى فى الأفلام .. مع الاحتفاظ بالمناخ الثقافى والاجتماعى للفترة التى حدثت فيها القصة فى الماضى .. لأنى اعتبر « كارمن » نموذجاً للواقعية الأسبانية فى عصرها ، اذا درسناه بدقة .. وقد اعتمدت فى بناء فيلمى على ان اقدم التلقائية حتى لو تعارضت مع الواقعية الأصلية للاوبرا .. لاعتقادى بان الموسيقى تطلق الخيال ، ليخترق حاجز المكان .. وعندما تسمع موسيقى « بيزيه » وتجرب ان تغلق عينيك فسوف تتخيل الاحداث من وجهة نظرك الشخصية .. ومن هنا فقد حاولت في فيلمي ان اقدم للمشاهد الرؤية التي يشعر انها تتطابق مع الرؤية الخاصة به .

« والمشكلة في تحويل اوبرا الى فيلم .. ليست في تحريك الكاميرا .. او التضحية بكل شيء من اجل تقديم معالجة روائية .. ولكن المشكلة في نظري ان تجعل الفيلم يتقبل لغة التعبير الاصلية بحيث تبدو وكانها جزء طبيعي من سياق الفيلم .. وقد حولت بعض المشاهد الى رقصات بدون الاعتماد على الحوار ، ولابد لي ان اقول ان هذه المشاهد جاءت الى ذهني وكان مؤلف الاوبرا قد اقترحها علي بنفسه » !

الموسيقى والتعبير السياسى

وهكذا يتكلم « فرانشيسكو روزى » وكانه عاشق يصف كيف التقى بمحبوبته ، وكيف تعامل معها . !

ورغم كل ما قاله .. فانه يشعر بانه لم يشرح نفسه جيداً .. ولهذا يعود ليقول :

« اذا كان الكلام السابق لم يقدم مبرراً مقنعاً او وافياً للسبب الذى جعلنى اقرر تحويل اوبرا الى فيلم روائى ، بعد كل افلامى السابقة المختلفة تماماً .. فهناك قول لا اذكر قائله يقول « لأن تكون فناناً فهذا معناه ان تكون صانعاً لأبسط ولكل معانى الحياة » !

ولا يمكن اعتبار هذه الاجابة من المخرج « فرانشيسكو روزى » نوعاً من الدفاع عن النفس لتبرير نزوة خاصـــة .. وهـــو « ينحرف » عن طريقه (!!) ويقدم فيلماً موسيقياً ، بينما عودنا دائما فى افلامه السابقة ان يثير القضايا الهامة والجادة !!

ذلك لأن الموسيقى والغناء والرقص .. قد تكون احيانا نوعاً من « التعبير » السياسى .. أو على الأقل نوعاً من « التمهيد » وترتيب الذهن لاعادة التامل فى هدوء .

رءوف توفيق

رسائل إلى المحرر

يقدمه: نبيل خالد الأغا

المعتقلون العرب في الأرض المحتلة

● نقرأ كثيراً عن الممارسات البشعة التي تمارسها سلطات الاحتلال الصهيوني ضد المعتقلين العرب ، هل اكم ان تعطونا فكرة مفصلة عن عدد هؤلاء المعتقلين الصابرين ؟

حميدة غياث الشمران
صنعاء

ـ افاد تقرير خاص ورد لوكالة الأنباء الكويتية « كونا » من فلسطين المحتلة ان عدداً من المعتقلين العرب قد لاقوا حتفهم نتيجة للتعذيب الرهيب الذي يتعرضون له ، وان عدداً آخر أصيب باختلال عقلي ، وان المخابرات الصهيونية ـ الشين بيت ـ تلجا بكل الوسائل اللامشروعة لقهر الانسان الفلسطيني المعتقل ، في الوقت الذي يتغافل فيه العالم عن معاناة كل الأسرى والمعتقلين .

هذا وينقسم المعتقلون العرب الى قسمين : قسم المعتقلين المؤقتين وهم الذين يقيمون في سجن « انصار » ويبلغ عددهم نحو ٥٩٥٩ معتقلا ، وهم الذين جرى اعتقالهم في يوليو عام ١٩٨٢ على اثر الغزو الصهيوني للجنوب اللبناني . وقسم المعتقلين الدائمين .. ولا يقل عددهم عن ٥٧٤٥ معتقلا وقد جرى اعتقالهم قبل عملية غزو الجنوب . وجرى توزيعهم على ١٦ سجنا : سجن رام الله ، سجن المسكوبية ـ القدس ، سجن الخليل ، سجن طولكوم ، سجن نابلس ، سجن جنين ، سجن الرحلة ، سجن غزة ، سجن الجلمه ، سجن شطه ، سجن الدامون سجن كفاريونا ، سجن عسقلان ، سجن بئر السبع ، سجن الفارعة ، سجن نفحه .

وتحاول السلطات الصهيونية ـ بخبث ودهاء ـ استغلال وجود أسرى « انصار » للتغطية والتمويه على الاف الأسرى والمفقودين الذين اعتقلوا خلال غزو الجنوب ، وتمت تصفيتهم جسدياً . وقد تم الابلاغ عن هذه الجرائم عبر تقرير خطير تلقاه « المركز العالمي للمعلومات » اعده البروفيسور الفرنسي « جيرو دي لابراديل » . وكشف فيه النقاب عن وجود « مقبرة عسكرية سرية » عند جسر « بنات يعقوب » شمالي « اسرائيل » ، وذلك من قبل صحفية أمريكية تدعى « تامرا كونس » . بالتعاون مع المحامية الاسرائيلية « ليئة تسيمل » المعروفة بمواقفها الايجابية من القضية الفلسطينية .

هناك بالطبع الكثير من التفصيلات عن هذه الجرائم التي قد تفوق في بشاعتها كافة الجرائم الصهيونية السابقة . والمطلوب من الجامعة العربية متابعة هذا الموضوع الخطير ، وكشف كل المعلومات التي يتم التوصل اليها عبر مختلف الوسائل الاعلامية .

كتب وصلتنا

تلقت المجلة مجموعة الكتب التالية من كرام قرائها :

١ « افكار وتصورات نحو تطور مستقبلي افضل في النواحي الثقافية والعمرانية والتعليمية » .
المؤلف : احمد زكريا الأنصاري

٢ ـ « الادوية والقرآن الكريم »
المؤلف : الدكتور محمد محمد هاشم
الناشر : الدار السعودية للنشر والتوزيع / جدة

٣ ـ « المرأة بين الافراط والتفريط »
المؤلف : سهيلة زين العابدين حماد
الناشر : الدار السعودية للنشر والتوزيع / جده

٤ ـ « حواء .. يا جرحي القديم » .
« شعر » : سليم سعيد
الناشر : مطابع دار الثقافة / قطر

أخطاء لغوية معاصرة

تلقينا رسالة من الأخ الدكتور عبد الله العبادي تتضمن بعض التصحيحات لاخطاء مطبعية وردت في مقالته « اخطاء لغوية معاصرة » في العددين ٩٤ و ٩٥ من الدوحة .

ففي العدد ٩٤ وردت خطأ في السطر الثاني كلمة (كفيفون) بفتح الفاء والصواب بكسرها . وكلمة (مهيب) جاءت بسكون الهاء والصواب سكون الياء . كما ورد خطأ تسكين الفاء على (مفعل) والصواب كسر الفاء وسكون العين وكذلك جاءت الضمة فوق الهاء في كلمة (هيوب) والصحيح ضم الياء وفتح الهاء .

اما في السطر السابع من العمود الثالث فقد ورد خطأ لفظ (باء) والصحيح (ياء) . وبالنسبة لمقالته بالعدد ٩٥ فقد وردت سهواً في العمود الثاني كلمة (فيقول) والصواب (فنقول) . وفي العمود الثالث جاءت كلمة (تفعاء) خطأ ، والصواب (لفعاء) . اما كلمة (واحدة) في السطر الثلاثين بالعمود الثالث فقد وردت بتاء التانيث والصحيح (واحده) بالهاء . وتكرر الخطأ أيضاً في السطر الذي يليه بنفس الصورة .

... ولأننا لانملك الا الاعتذار فمعذرة للدكتور العبادي ولكرام القراء .

الى رجال الفكر

تفتقر المكتبة العربية الى معجم متخصص يجمع المؤلفات والبحوث القانونية في شتى مجالاتها وابوابها المختلفة على هيئة (ببلوجرافيا) لتكون عوناً للكتاب والباحثين في القانون لذلك فانني اتوجه بدعوتي الأخوية الى كافة رجال الفكر والقانون في وطننا العربي العزيز كي يساهموا مشكورين بارسال نبذة قصيرة عن ابحاثهم ومؤلفاتهم القانونية وهي دعوة موجهة أيضاً الى كافة المؤسسات التي يهمها اعلاء كلمة الحق وسيادة القانون .

المحامي : محمد خلاد
ص.ب ٧٨٢٨ ـ عمان / الأردن

مقالات "الدوحة" فى مجلة إندونيسية


…ejak Empat Ratus Tahu… Yang Lalu Kaum Zionis Tela… Merencanakan Penyerbuan ke PALESTINA

Oleh: FATHI RIDLWAN

SEBAGAIMANA yang diuraikan oleh ahli sejarah, Doktor Abdui Azis Muhammad Al-Syanawi dalam bu… …ya tentang tarikh "Ad-Daulah Al …iyah", bahwasanya indikasi per… Zionisme hendak menyer… pada kira-kira em…

penting. Pelabuhan itu banyak dikunjungi kapal-kapal dagang yang berasal dari pelabuhan di sekitarnya, di antaranya dari Jeddah, Yambuk (Daerah Hija… Sawakin (Sudan), Aqabah, Qal… Suez (Mesir). Begitu pula hubu… ratnya mempunyai hubu… Kairo dan Alfarma …

تلقت « الدوحة » الرسالة التالية من السيد / أبو بكر احمد بلكثير مدير « مؤسسة الفرقان للتربية والدعوة الاسلامية » بمدينة جمبر باندونيسيا هذا نصها :

.. يسرنا أن نفيدكم باننا قد شرعنا فى ترجمة بعض المقالات المنشورة فى مجلة « الدوحة » الغراء الى اللغة الاندونيسية وكما ترون فى هذا الخطاب نسخة من مجلة « المسلمون » التى نشرت ترجمة لمقال الأستاذ فتحى رضوان فى موضوع (تخطيط اليهود للاستيلاء على فلسطين منذ أربعة قرون مضت) المنشور فى الدوحة عدد ٧٩ ـ رمضان ١٤٠٢ هـ . وبما أننا عازمون على الاستمرار فى ترجمة الموضوعات الاسلامية والعربية كي تتوثق العلاقة الثقافية بين قطر واندونيسيا ،

فنرجو أرسال مجلتكم الينا مطلع كل شهر . ولكم منا وافر الثناء .

ـ نحييكم ، ونبارك جهودكم ، وستصلكم المجلة تباعاً ان شاء الله .

تعليق على مقال : مخطوط عربي يباع في لندن

طالعت العدد رقم ٩٤ من مجلة الدوحة والصادر فى اكتوبر ١٩٨٣ ، فاستوقفني المقال الموسوم : « مخطوط عربى يباع فى لندن باكثر من ربع مليون دولار » للسيد وجيه الشربجي ، وبعد ماقراته ، عدت بذاكرتى الى الماضى القريب ، حيث كنت قد قرات الكتاب الصادر عن معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب بعنوان : الجامع بين العلم والعمل النافع فى صناعة الحيل ، تصنيف ابي العز بن اسماعيل الجزري ، وقام بتحقيقه الدكتور احمد يوسف الحسن بالتعاون مع الدكاتره : عماد غانم ـ مالك الملوحي ـ مصطفى تعمري .

ووجدت :

١ ـ ان المقال ملخص ومنقول من الكتاب المذكور .

٢ ـ الصور ماخوذة من الكتاب .

٣ ـ وضع السيد وجيه بعض اسماء المراجع دون الاعتماد عليها .

٤ ـ من المفروض على المحقق ـ للامانة ـ أن يضع الجملة المنقولة بين هلالين ثم يشير الى المصدر ، وبما أن المقال منقول ومنحول من الكتاب فقد وجد الكاتب أن يتغافل عن ذلك .

٥ ـ سبق ولاحظت ان الكاتب (وجيه) قد نقل مقال المخطوطات فى بلغاريا ، وكذلك مقال قلعة دمشق من الكتب المطبوعة والموجودة فى المكتبات العربية .

الدكتور اسماعيل الحسن
جامعة حلب ـ سوريا

ردود خاصة

● الأخوة الافاضل : عطية فتحى الويشي ـ مصر ● حسن احمد حبيل ـ البحرين ● احمد لوطاني شعبان ـ الجزائر ● الورديغي عبد الرحيم ـ المغرب ● أنور الرشيد محمد ـ السودان ● محجوب آدم صابر ـ السودان ● مروان الخطيب ـ سوريا ● طارق احمد خليفة ـ مصر ● هناء عبد العظيم ابراهيم ـ مصر ● الشربيني احمد عبد الهادي ـ مصر ● فرحات محمود فرحات ـ القاهرة .

وصلتنا رسائلكم وتحاياكم نشكركم على مشاعركم النبيلة . وسنجمل اقتراحاتكم فى النقاط التالية :

١ ـ اجراء بعض الاستطلاعات الحية عن التقاليد والعادات فى مختلف الأقطار العربية .

٢ ـ الابقاء على باب « رسائل الى المحرر » ثابتاً فى المجلة ، وزيادة المساحة المقررة له .

٣ ـ توسعة مجال النشر امام الاقلام الجديدة .

٤ ـ العودة الى استعمال « الدبابيس » فى تغليف المجلة .

٥ ـ دعوة المفكرين والأدباء فى المغرب العربى للكتابة فى « الدوحة » .

٦ ـ تخصيص باب لهواة المراسلة والتعارف .

٧ ـ ادراج محتويات اعداد المجلة كل سنة فى فهرست شامل جامع ابتداء من أول اعداد المجلة الى آخرها فى ديسمبر عام ١٩٨٣ ، ويمكن تقديم الفهرست كملحق مع المجلة بسعر خاص ، وبعد ذلك تتوالى الفهرسة كل سنة .

٨ ـ تخصيص كوبون لمسابقة الدوحة .

● الاخوة محمود عبد السلام مراد : شبين القناطر ـ طارق احمد خليفة : جامعة الأزهر ـ بركات محمد : القاهرة ـ السيد محمد عطية : محافظة الشرقية ـ ابجغو محمد الصادق : المغرب ـ بهاء لطفي قابيل الشرقية ـ عثمان البلال محمد : السودان ـ علي احمد ابراهيم : القاهرة ـ سعد سليمان عبد الغفار : جامعة عين شمس ـ علي احمد ابراهيم : روض الفرج ـ حامد عيسى التيجانو : ليبيا ـ سامي ح . ب : الدقهلية ـ ماجد عرفه ـ القاهرة .

نحييكم جميعاً وننتظر منكم موضوعات اكثر جودة .

● الأخت مها محمد احمد ـ القاهرة .

ـ الجائزة فى طريقها اليك ، ونعتذر عن التاخير بسبب عدم وضوح عنوانك .

● جمعية النهضة النسائية ـ دبي : ..

ـ نشكركن على ثقتكن بالمجلة ، وستصل الاعداد الى الجمعية ابتداء من هذا العدد ان شاء الله .



دوحة القراء

؟؟

مسابقة الدوحة

؟؟

يرجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى كتابة اسم المسابقة وكتابة الاسماء والعناوين بوضوح حتى يمكن ارسال المكافات .

حـاول أن تعـرف



صورة (١) هذه الصورة لشلال يعتبر أعلى شلال فى العالم موجود فى فنزويلا بامريكا الجنوبية فما اسمه ؟



صورة (٢) عالم اسلامي كبير عرف باسم رائد الجغرافيين العرب ، عاش فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى طاف فى كثير من البلدان العربية والأجنبية بغرض المعرفة والعلم . اشهر مؤلفاته صور الأقاليم ومسالك الممالك فهل تعرفه ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٩٤



الصورة الأولى : مدينة الاسكندرية .

الفائز : حسن محمود الميدانى ـ قطر

الفائز : علي محمد مطر ـ باكستان



الصورة الثانية : الامام الغزالى .

الفائزة : دلال جميل رضا ـ الكويت

الفائز : ياسر عبد الله المحمدى

الحصن الذي لا يقتحم !



رأيت فتى يتسلق فرعاً معوجاً من شجرة كثيرة الفروع ليسلب ما فيه من ثمر قليل وراعنى بجوار هذا الفرع فرعاً آخر أكثر ثمراً وأشهى منظراً والفتى يشتهيه لكنه لا يطمع فيه ، فعرفت فى الحال السبب ، فسألت الفتى :

– أيها الفتى ما بالك لا تسطو على ذاك الفرع الجميل وهو أغزر من ذاك الذى تعتليه ؟

فقال : إنه فرع مستقيم يصعب علي تسلقه !

قلت : وهكذا ينبغى أن يكون المرء . إنك باعوجاجك تكون ملعباً للسالبين والخاطفين ، وإذا استقمت كنت حرزاً كهذا حصين !

عوني فوزى عبد النور – مصر

تجربة خاصة

بينما كنت أستقل سيارة أجرة عثرت بجوارى على المقعد الخلفي على علبة ملفوفة برباط أنيق فأخذتها وأعطيتها للسائق وقلت له : يبدو أن أحد الركاب نسيها هنا فأخذها السائق وشكرنى ثم قال لي إن هذه العلبة أنا الذى وضعتها هنا كوسيلة إختبار أقوم بها فى علم النفس على زبائنى وقد ثبت لي أن كل أربعة رجال من خمسة يعطوننى العلبة دون أن يفتحوها وأربعة سيدات من خمسة يعطونها لي ولكن بعد فتحها ورؤية ما بها بسبب ما تتصف به المرأة من فضول وحب استطلاع فسألت السائق : وماذا وضعت داخل العلبة ؟ قال : لا شىء سوى ورقة صغيرة كتبت عليها «الجريمة لا تفيد» .

محمد أمين عيسوى – مصر

لقطة الشهر



وجـــــه

للفنان محمد ياقوت – الاسكندرية فازت بجائزة مائة ريال قطرى .

أغلى من جواهر التاج

يروى «إيرك ماونباتن» الذى شغل عدة مناصب عسكرية وسياسية قبل إحالته الى التقاعد عام ١٩٦٥ **تلك القصة الطريفة** عن زعيم الهند الكبير المهاتما غاندي ، عندما كان ماونباتن نائباً للملك فى الهند عام ١٩٤٧ ، يقول ماونباتن : لقد كتب الى غاندى يوم إعلان خطوبة الاميرة إليزابيث للأمير فيليب ، يقول إنه سعيد لأن ابن أخي سوف يتزوج الملكة المقبلة ثم يعرب عن رغبته فى تقديم هدية للعروسين بمناسبة زواجهما . ثم قال غاندى فى نهاية خطابه «ولكنك تعرف أننى رجل فقير لا أملك من حطام الدنيا شيئاً فما الذى أستطيع أن أقدمه لهما ؟» .

وجلست أرد على خطاب صديقى العظيم غاندى وقلت : «من الذى قال إنك لا تملك شيئاً ، إن لديك آلة لغزل الصوف فلماذا لا تغزل للعروسين شيئاً !» .

وغزل غاندى مفرشاً للمائدة من صوف الماعز فأرسله إلي ، فأرسلته بدورى الى الأميرة اليزابيث مع رسالة قصيرة لها قلت فيها : «لا تنسى أن تضعى هدية غاندى مع جواهر التاج البريطانى فهى لا تقل عنها قيمة» .

إخلاص صالح احمد
جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

مَن ؟

واحد من أعظم قادة الثورات الوطنية ضد الاستعمار فى العالم العربى ، قاد ثورة شعبه فى بطولة نادرة حتى حقق له النصر ، وكان ذلك فى القرن التاسع عشر .
لقب باسم يتكون من ستة حروف :
١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٥ عكس الجزر
٣ ـ ٤ ـ ٥ فراش الرضيع
٦ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ يعطى بلا مقابل

أين ؟

يقع ذلك القطر فى الجزء الأفريقى من العالم العربى ، اشتهر بموارده الطبيعية الهائلة وغير المستقلة ، يتكون من سبعة احرف

٧ ـ ٦ ـ ٣ بمعنى بشر

١ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ لون قاتم

٥ ـ ٢ ـ ٤ إناء يستعمل لرفع الماء من البئر

مـا ؟

اشتهر ذلك القطر بواحد من اشهر المعالم المائية فى العالم .
يتكون اسمه من سبعة احرف .
٧ ـ ٦ ـ ٥ بمعنى طراوة
٢ ـ ٦ ـ ٤ يستعمل فى القهوة العربية
١ ـ ٣ ـ ٦ آلة موسيقية

الإجابة الصحيحة

١) الكيوبتز هي مستوطنات زراعية عسكرية اقامها الصهاينة في فلسطين المحتلة ، ففي أي تاريخ تاس أول كيوبتز ؟
١٩٠٩ ـ ١٩١٩ ـ ١٩٢٩

٢) اين مات الاسكندر المقدوني ؟
الاسكندرية ـ بابل ـ مقدونيا

٣) لماذا تطفو البيضة الفاسدة على سطح الماء ؟
لان فيها غازات فاسدة تخفف وزنها ـ لان الجنين داخلها قد نما ـ لان نسبة الكالسيوم في قشرتها اقل من المعتاد

٤) اكبر بناء انجزه الانسان هو سور الصين ـ الهرم الاكبر ـ سد كاربنا

٥) جائزة نوبل توزع سنويا على المبرزين في المواضيع العلمية والادبية والانسانية وعددها ستة هي:
العلوم الاقتصادية ـ السلام ......

٦) اصحيح ام خطا ان خالد بن الوليد اسلم قبل فتح مكة «عام ٨ هجرية»

٧) كم يبلغ مجموع اضراس وانياب واسنان الحصان !
٣٠ ـ ٣٥ ـ ٤٠

٨) «هوميروس» هو اسم لاعظم شعراء ومؤرخي اليونان فما معنى لفظة هوميروس ؟
النديم او المسلي ـ الاعمى ـ بيت المؤرخ

٩) يطلق الاطباء اسم «امراض الحجر الصحي» على بعض الامراض منها ـ ١) .... ٢) .... ٣) ....

١٠) هذا البيت الناقص للشاعر العربي الكبير بشارة الخوري «الاخطل الصغير» فاكمله :
غنيت للشرق الجريح وفي يدي ....

حل مسابقة العدد ٩٤

من : السد العالى
اين : اسوان
مـا : الحديد

الاجوبة الصحيحة

١ ـ قصة لنجيب محفوظ
٢ ـ حرب لبنان
٣ ـ ١) حرية التعبير ٢) حرية العبادة ٣) التحرر من الخوف ٤) التحرر من الحاجة
٤ ـ ١٨٧٦
٥ ـ الولايات المتحدة
٦ ـ ونستون تشرشل
٧ ـ نعم
٨ ـ الصومال ـ اثيوبيا ـ اريتريا
٩ ـ والاسبانية والعربية
١٠ ـ الاثنين معا

أسماء الفائزين في مسابقـ

لوحة لم تتم : الحل فرانسواز ساجان الفائزون (١) غسان زهير صادق ـ الكويت (٢) احمد عبد الحميد محمد شاهين ـ مصر

المثل يقول : الحل : مد رجليك على قد لحافك . الفائزون (١) عثمان عوض احمد الحداد ـ السعودية . (٢) محمد سعيد مسلمانى ـ الامارات .

اصل وصورة : الحل : ١) الشعر ٢) التجاعيد . ٣) الاذن . ٤) الانف . ٥) الفم . ٦) الكرافتة . ٧) الجاكيت .
الفائزون (١) مبروك عبد الرازق شاهين ـ مصر . (٢) صبرى سيد محمود ـ الامارات .

دورى الكاريكاتير : الحل : رقم ٨ الفائزون (١) حسن عز الدين حسن ـ الهند

أسماء الفائزين للعدد

● فاز بالجائزة الاولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة ، القارىء : طارق حسن عمر ـ مصر .

● فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال واشتراك لمدة نصف سنة ، القارىء : عماد عبد الله محمد علي ـ السودان .

● فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة ، القارىء : خميس سعيد العلوى ـ سلطنة عمان .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

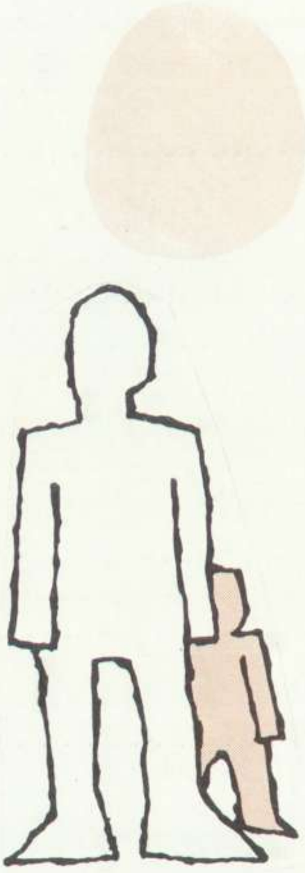
١ ـ اروى عبد الغنى محمود	الاردن
٢ ـ عبد الهادى منير الشقفي	الامارات
٣ ـ عبد العزيز محمد علي	السودان
٤ ـ مبارك عوض عيسى	مصر
٥ ـ خالد محمد الحسيني محمد	الكويت
٦ ـ ولي الدين عبد العزيز	المغرب
٧ ـ ديب سليم شبلى	قطر
٨ ـ احمد محمد احمد ابراهيم	مصر
٩ ـ عبد الوهاب مشهور احمد	البحرين
١٠ ـ يحياوي عبد الوهاب	الجزائر

استراحة الدوحة العدد ٩٤

(٢) نضال عبد الله ابراهيم ـ البحرين لأقوياء الملاحظة : الحل : كلب ـ جزره ـ ورده ـ حذاء ـ كوب ـ ارنب . الفائزون . (١) هشام محيسن الحمد ـ سوريا . (٢) نوال محمود محمد القطامى ـ الأردن . يخلق من الشبه اربعين : الحل : رقم ٤ الفائزون (١) مكى عبد الله شريف ـ السودان (٢) عبد الله محمد النعمانى ـ البحرين هات اجمل تعليق : (١) لقد احضرتها خصيصا لاذبح بها ذقنك . (١) الفائز : رمضان عبد الحميد مصطفى ـ مصر . (٢) دى مستوردة ، ودافع ثمنها بالعملة الصعبة وحياتك . (٢) الفائز : منى وحيد مناع . الكويت .

قــرأت لغــة الأرقــام

إن النمو الأكثر غرابة الذى سجله التاريخ كان نمو أدام ريبز النمسوى الجنسية حيث ولد عام ١٨٩٩ م وكان طوله وهو فى سن ٢١ سنة يبلغ ١١٨ سم حيث كان قزماً . وفى خلال ٣٢ عاماً أخرى أصبح طوله ٢١٨ سم وقد تسبب نموه المفاجىء الى ضعفه واضطره الى البقاء فى الفراش حتى وفاته عام ١٩٥٠ ويؤكد الأطباء أن هذه حالة نادرة فى التاريخ فى تحول قزم الى عملاق .



ـ الشائع أن الطيار لند برغ هو أول من طار فوق المحيط الأطلسى دفعة واحدة . إلا أن الحقيقة غير ذلك فقد كان لندبرغ الرجل السابع والستين الذى حلق فوق المحيط الأطلسى فى ٢١ مايو سنة ١٩٢٧ . حيث سبقه فى ١٩١٩ المغامران الخطيران السير دجون الكوك ـ والسير هوتيون برادن حيث طارا من نيوفاوندلاند الى ايرلندا .

وفى آخر السنة نفسها عبر المنطاد الانجليزى ر ٣٤ المحيط الأطلسى من اسكتلندا الى أمريكا ذهاباً واياباً وكان يحمل ٣١ رجلا فى سنة ١٩٢٤ طار المنطاد الألمانى زر (٣) من فريدريكشافن بألمانيا الى ليكهرست بولاية نيوجرسى الأمريكية . وكان يحمل ٣٣ رجلا . وبذلك يكون لندبرغ الذى عبر بعدهم المحيط بطائرته دون توقف هو الرجل السابع والستين .

صبيرى عبد الكريم
المغرب ـ الدار البيضاء

جحــا .. رائــد الظــرف والفكاهــة

لم يعرف جحا فى الأدب العربى القديم ، وليس اسمه عربياً . وقيل انه لقب لرجل عرف فى القرن الثامن الهجري من شيوخ الترك بالأناضول ، اشتهر بظرفه ونوادره الطريفة ، واسمه الحقيقى «نصر الدين خوجه» وكان يدعى «خوجا» ثم حرفها الناس الى «جحا» .

عاش جحا فى عصر تيمورلنك فلما أغار تيمورلنك على الأناضول واقترب من قرية جحا خرج اليه يحمل هدية أوزة مقلية ، فجاع أثناء الطريق فأكل فخذاً منها ، فلما وصل اليه وقدمها اليه سأله : أين فخذها ؟ أجاب جحا ، ان الأوز جميعه برجل واحده وانظر يا مولاى الى أسرابه بين يديك ! فنظر تيمورلنك الى مسرح للطيور وفيها الأوز على عادته يقف على رجل واحدة إذا استراح ويقبض الأخرى فأمر تيمورلنك بقرع الطبول فهاج الأوز ومشى على رجليه فقال لجحا : أما ترى أنه برجلين لا بواحدة ؟ فرد جحا : يا مولاى لو هددت أنا بمثل هذا الطبل لمشيت على أربع .

مدحت احمد عبد الحفيظ
المنيا ـ مصر

استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

روؤف



الجائزة لكل فائز فى هذه المسابقة ستون ريالا قطريا

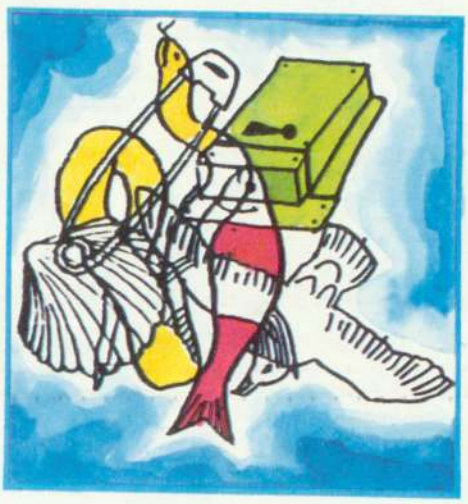
أصل وصورة





بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيرى ، هناك سبع اختلافات طفيفة .. لا تحتاج منك إلا أن تدقق وتتامل وتقارن لتتعرف عليها وتفوز بجائزة .

لأقوياء الملاحظة فقط!



أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، إذا استطعت التعرف عليها أرسلها إلينا لتحصل على جائزة .

المثل يقول



هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى عربى شائع يحذرنا من السنوات الأولى فى تربية أولادنا .. أرسل المثل الشعبى لتحصل على جائزة .

هات أجمل تعليق :



هذا الرسم الكاريكاتيرى ينتظر تعليقك الخفيف الظل ، الذى قد يفوز بجائزة اجمل تعليق .

يخلق من الشبه أربعين



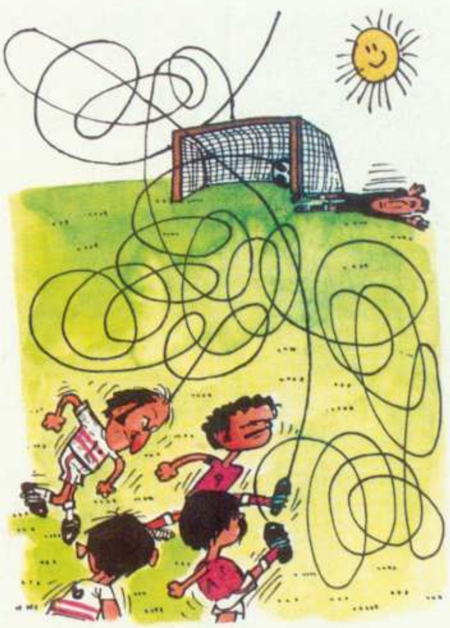
الصــور الست المنشورة لفنان الشعب سيد درويش الذى مازالت الحانه واغانيه تمثل تراثا فنيا عظيما ، ومن بين هذه الصور واحدة تشبهه تماما وفى البقية اختلافات بسيطة تعرف على الصورة لتفوز بجائزة .

لعبة الظلال



هل تستطيع أن تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقى .. إذا استطعت ذلك أرسل لنا الحل لتحصل على جائزة .

دورى الكاريكاتير



استطاع احد اللاعبين ان يقتحم ارض الملعب كالصاروخ وسجل هدفا قويا فى مرمى الخصم .. حدد لنا من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ، لتحصل على جائزة .

شاعرة تتعذب



بقلم : عبد الله الجفري

● مازالت الشاعرة العربية الفلسطينية تعاني من رحلة العذاب داخل وطنها المفقود منها ، وهي حبيسة الاستعمار الصهيوني .. وراء أسوار المحتل الذي اغتال هناك الانسان والأرض والكلمة والقيم والمقدسات !

وكان لابد لي أن اتوقف عند «مذكراتها» التي نشرت مجلة «الدوحة» الحلقة الأولى منها .. وكان توقفي غضباً ، وكان دمعة ، وكان كلمة ثار ، وكان صرخة !

وكانت كلماتها تجسيداً لمعاناة تلك الصخرة التي حملتها من التعب .. فقالت :

● «وقمت بدورات الصعود والهبوط .. الدورات التي لا نهاية لها . لا يكفي أن تحمل أمالاً كباراً ، واحلاماً واسعة .. حتى الارادة وحدها لا تكفي ، لقد ادركت ان العمل هو الوجه الآخر للحلم والارادة» !

وبقيت «فدوى طوقان» هناك ، وقد قررت ان تتعامل مع هذه العملة ذات الوجهين : الارادة والعمل !

وهذه المذكرات تذكرني بموقف طوته الأيام ، قبل اكثر من عشر سنوات !

يومها .. كانت «فدوى طوقان» قد حجزت نفسها داخل دارها في «نابلس» شهراً كاملاً لا تبرحه ، لأنها تكره رؤية الاحتلال .. وفجاة ، اقتحمت عليها الدار صحفية تقتحم المشاعر بفقدان الحس ، وصحيفة تكتب عن «غرباء في وطنهم !» ، وحديث صحافي مثير .. ملعون ابوه !

وبدأت الصحفية الاسرائيلية ، التي كان اسمها «جينون» حديثها مع الشاعرة الحبيسة في ارضها ، فحكت ان اباها هاجر من اليمن الى فلسطين المحتلة ، بعد ان عاش هو واجداده هناك مئات السنين !

ووصفت «فدوى طوقان» تلك الصحفية الاسرائيلية ، فقالت عنها :

● «انها وجه ينطق بالشراسة ، وشعر أسود منفوش ، يحيط براس تدور فيه أفكار شريرة» !

وجاءت الصحفية ، مندوبة من صحيفة «معاريف» التي نشرت ذلك الحديث يومها مع الشاعرة فدوى طوقان !

لقد اقتحمت هذه الاسرائيلية « كل» فدوى طوقان مرتين .. مرة بدخول دارها ، بهذا التحدي والابتذال المسلكي ، ومرة أخرى كان الاقتحام للمشاعر .. حين رات الشاعرة العربية أن لا مندوحة لها من الاجابة على الاسئلة اليهودية ، وضرورة طرح آرائها وكلماتها

واخذت ــ يومها ــ اتابع ما كتبته ذات الراس الشرير «جينون» في حوارها مع حبيسة دارها وارضها «فدوى طوقان» .. وكيف عانت الشاعرة من أعدائها .. سالبي ارضها !

ــ قالت جينون لفدوى : هل تؤمنين بقوة الشعر .. بانه اقوى من اي قوة في العالم .. من الميراج .. من الدبابة ؟ !

ــ اجابت فدوى : نعم .. أؤمن بذلك ، واعتقد ان للشعر قوة كبيرة جداً .

كانت اجابات «فدوى» مقتضبة .. فيها قرف وقلق وترويض نفس مقهورة . واخذت اتصور هذا الوجدان المكبل .. هذا التعبير الانساني المكمم النازف ، وبرغم ذلك .. فقد خرجت قصائد «فدوى» الجديدة من وراء الاسوار ، تلك قوة الشعر ، وتلك قصيدتها التي صاغتها حينذاك بدمها «فوق جسر اللنبي» ، وكانت تخترق صدورنا كعرب .. تتجسد فيها مأساة العربي صاحب الأرض وهو يعاني المذلة والقهر .. لكن دور الشاعر ، والكاتب صانع الكلمة الصارخة بالحرية ، يحتم عليه ان يصمد ، وان يمرر كلماته بكل الوسائل !

واستمر استفزاز تلك الصحافية الاسرائيلية للشاعرة العربية .. تحاول أن تغمر احتمال المواطنة العربية في الياس ، وفي قبول الأمر الواقع ، وفي الاعتياد على العبودية ، وقالت اليهودية «جينون» في خلال حوارها مع الشاعرة :

ــ لو كان رجال الفكر والأدب من ابناء شعبك يعلمون ان وجود اسرائيل قد سبقته اجراءات وتدابير ، ترجع جذورها الى الدين والتاريخ المتمثلين في نشيد صلواتنا الذي حملناه نحن اليهود في انحاء المعمورة .. لعرفتم لماذا جئنا !!

وكانت تلك الصهيونية تزور الحقائق والتاريخ .. تلك التي اكدت أن اليهود عاشوا في فلسطين بين العرب فترة طويلة من الزمن .. دون ان تكون احقاد منهم ، ولا استعلاء ، ولا عنصرية .

كان «داود» ينفخ مزاميره ويتجول منشداً ، دون أن يعتور ذلك غمط أو اجحاف !

لكن يهود اليوم الذي تجمعوا فرقاً من ارجاء الأرض ... هم الذين احتلوا الأرض العربية ، وشردوا انسانها وعذبوه ، فليسوا هم من قوم «داود» ولكنهم حثالات تجمعت من روسيا وبولندا وتشيكسلوفاكيا وجنوب افريقيا والمانيا .. ولازالت كلمة «مورجانتو» الأمريكي ، تدوي وهو يقول :

ــ «مالنا نحتضن هؤلاء اليهود الشرقيين القذرين» ؟ !

أما «فدوى طوقان» فقد ردت على اليهودية «جينون» قائلة :

ــ «ان عائلتي موجودة على هذه الأرض منذ ((٥٠٠ عام)) وقد عاش اليهود بيننا في محبة ووئام ، وكان لنا اصدقاء .. لكن ، عندما تأسست دولة اسرائيل بدأت المصاعب ، فالصهيونية حركة عنصرية خبيثة» !

ان كل قيمة اليهود في فلسطين ، مقدارها ٧٣ عاماً ، هي فترة عهدي داود وسليمان .. عاش اليهود قبلها مهاجرين ، وبعدها مشردين .

ان قصة «فدوى طوقان» كما قالت : هي قصة الكفاح مع العطش والصخر .. ولكن صمودها العظيم هناك في اتون نيران المستعمر ، قد خلق تلك الشاعرة المبدعة المتألمة الحزينة الصابرة الشجاعة !!



بيبسي

اجعَل نهارك عيد مَع



"باولو".. ابن الفنان بيكاسو بريشة والده (انظر ص ٩٠)